مختارات إيرانية



السنة السابعة
العدد ٩٧ . أغسطس ٢٠٠٨



- تكهنات الصفقات والفرص التاريخية فى زيارة الأسد لطهران
- إيران والمعاهدة الأمنية العراقية
- الطاقة فى خطر.. إيران، النفط، والغرب
- الحرب النووية على الأبواب
- من هم المبدئيون فى إيران؟
- مباحثات جنيف: احتمالات الحرب والسلام

٩٧

مختارات إيرانية

السنة الثامنة - العدد ٩٧ - أغسطس ٢٠٠٨

صورة الغلاف :

تأكيد خامنئى أن كل محاولات النيل من العلاقات بين سوريا وإيران فشلت قد تكون أسعدت الرئيس الأسد، لكنها لم تكن مطمئنة بما يكفى.

مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - جمهورية مصر العربية - ت : ٢٥٧٨٦١٠٠ / ٢٥٧٨٦٢٠٠ / ٢٥٧٨٦٣٠٠ فاكس : ٢٥٧٨٦٠٢٣ / ٢٥٧٨٦٠٣٧

مختارات إيرانية

«مختارات إيرانية » دورية شهرية تصدر باللغة العربية منذ أغسطس ٢٠٠٠ ويتولى رئاسة تحريرها د. محمد السعيد إدريس، وهى أول إصدار ثقافى عربى يسعى لتقديم معرفة علمية متكاملة عن المجتمع والدولة فى إيران، وتضم مختارات إيرانية أربعة أقسام أساسية، الأول خاص بالتفاعلات الداخلية على الأصعدة المختلفة سياسيا وأمنيا وثقافيا واجتماعيا واقتصاديا، أما القسم الثاني فيختص بالعلاقات الإقليمية لإيران وتفاعلات إيران مع الأحداث والقوى الإقليمية خاصة فى الخليج والوطن العربى ومجمل دول الشرق الأوسط،وكذلك دول بحر قزوين وآسيا الوسطى وجنوب آسيا . ويهتم القسم الثالث بالعلاقات الدولية لإيران سواء مع القوى الدولية أو المنظمات الدولية. أما القسم الرابع فيحمل عنوان «رؤى عربية » ويهتم بتقديم رؤى وتحليلات ووجهات نظر عربية فى أحداث، وتطورات، وكذلك تقديم تعليقات على أفكار ورؤى إيرانية فى محاولة لتجسير الفجوة بين المفاهيم والادراكات العربية والإيرانية أو على الأقل التقريب بينهما لمزيد من معرفة كل منهما للآخر.

ويسعد «مختارات إيرانية» تلقى الردود والتعليقات المختلفة لنشرها وفقا لقواعد النشر المعمول بها بالمجلة.

المحتويات

افتتاحية

تكهنات الصفقات والفرص التاريخية

ذهب الرئيس السورى بشار الأسد إلى طهران فى زيارته الثالثة للعاصمة الإيرانية منذ تسلم الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد مقاليد السلطة عام ٢٠٠٥، والتكهنات تلاحقه بأسئلة غامضة، لكنها مليئة بالإيحاءات وكلها تتمحور حول سؤال: سوريا إلى أين؟، إلى مزيد من التحالف مع إيران؟، لكن فورا يفرض السؤال المهم نفسه: وأين الجولان؟، ولماذا قبل الرئيس بشار الأسد بالدخول عبر تركيا فى جولات من المفاوضات غير المباشرة مع الإسرائيليين حول الجولان وهو مدرك أن "رأس التحالف مع إيران" هى الثمن المطلوب لاسترداد الجولان وبالشروط الإسرائيلية الأخرى؟، وسرعان ما يطرح السؤال الثانى: إذا لم يكن الرئيس الأسد حريصا على الحفاظ على التحالف مع إيران فهل هو ذاهب إلى عقد "صفقة جديدة" من الشراكة الإقليمية بعد تغول الدور الإيرانى الإقليمى على أدوار كل القوى الإقليمية بما فيها سوريا فى ملفات شائكة وساخنة مثل: لبنان وفلسطين والعراق؟

المقصود هنا هو: هل الأسد ذهب لتسويق ما لديه من أوراق جديدة لفرض "صفقة توازن مصالح" مع إيران تراعى وزن وقيمة هذه الأوراق وفى مقدمتها: انفكاك سوريا من الحصار المفروض عليها وتطلع قوى إقليمية ودولية لفتح صفحة جديدة معها؟، البداية جاءت من فرنسا، وبعدها هناك مؤشرات أمريكية للتقارب، لكن الأهم هو التفاوض مع الإسرائيليين حول الجولان، وعبر الصديق التركى، بما يعنى أن تركيا أضحت ركيزة جديدة منافسة لإيران فى العلاقة مع سوريا فى ظل تشابك مصالح جديدة بين دمشق وأنقرة، ربما يكون على حساب العلاقات مع طهران.

هذه التكهنات حول زيارة الأسد إلى أنقرة قادت إلى البحث فى ما هو أهم وهو مستقبل خريطة التفاعلات الإقليمية الجديدة: هل باتجاه تكريس نظام الشرق الأوسط الجديد القائم على فرض استقطاب إقليمى بين "محور الاعتدال" الذى أضحى يضم إلى جانب دول مجلس التعاون الخليجى الست ومصر والأردن والولايات المتحدة النظام الحاكم فى العراق فى مواجهة ما تسميه واشنطن بـ "محور الشر" الذى يضم وفقاً لها أيضاً (واشنطن) إيران وسوريا ومنظمات المقاومة العربية: "حزب الله" (لبنان)، وحركتى "حماس" و"الجهاد الإسلامى" (فلسطين)، أم أن هناك فرصة لتفكيك هذه الثنائية القطبية المرفوضة إقليميا والفاقدة لأى شرعية سياسية فى ظل ما حققته المقاومة وقوى الممانعة (محور الشر) من نجاحات أمام المشروع الأمريكى - الإسرائيلى كان آخرها نجاح صفقة الأسرى وجسامين الشهداء بين "حزب الله" وإسرائيل، فى وقت مازالت دول المحور الآخر (الاعتدال) عاجزة عن تحقيق أى مكسب أو تقدم فيما يسمى بعملية السلام التى انتكست أكثر من مرة وباتت عاجزة عن الحركة باعتراف الأمريكيين أنفسهم مع تبديد وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس كل فرص واحتمالات الأمل فى تحقيق وعد الرئيس الأمريكى جورج بوش بإقامة دولة فلسطينية قبيل انتهاء ولايته فى آخر هذا العام (٢٠٠٨).

الحديث عن فرصة تفكيك سياسة الاستقطاب الإقليمى دافعه الرئيسى كل ما يدور حول سوريا وما تقوم به سوريا من أدوار فى ظل سؤال مهم هو: هل سيكون بالإمكان تحقيق فكاك سوريا من تحالفها مع إيران؟، هل يمكن أن تقبل سوريا بالذهاب إلى الاتجاه الآخر وتنخرط فى مشوار الاعتدال مقابل الحصول على الجولان شرط أن تنهى التحالف مع إيران وتقطع علاقاتها بمنظمات المقاومة وعلى رأسها "حزب الله" وحركتى "حماس" و"الجهاد الإسلامى"؟

هذه الأسئلة والتكهنات التى كانت وظلت تلاحق زيارة الرئيس السورى إلى طهران لم يكن ينافسها غير تكهنات أخرى تتعلق بإيران وفرص قبولها لـ "صفقة الحوافز السخية" المقدمة من "مجموعة دول ٥+١" (دول مجلس الأمن الخمس الكبرى دائمة العضوية وألمانيا).

فكرة الصفقة ارتبطت بإمكانية التوصل إلى توافق سورى - إيرانى على ما يمكن تسميته بـ "خريطة طريق" جديدة للعلاقات بين البلدين تشمل القضايا الإقليمية الكبرى (لبنان - فلسطين - العراق)، وتمتد إلى مستقبل المفاوضات السورية - الإسرائيلية غير المباشرة من جانب، والمفاوضات الإيرانية مع "مجموعة ٥+١" حول البرنامج النووى الإيرانى من جانب آخر. هذه الصفقة كانت أحد التكهنات الصعبة لكن يبدو أنها لم تكن مستحيلة.

هى صعبة فى ظل الشرط الإسرائيلى الخاص بإنجاح مفاوضات الجولان، فالثمن هو تفكيك التحالف السورى - الإيرانى. والصعوبة هنا هى فى كيفية إنجاح المفاوضات دون تجاوز خصوصية العلاقات السورية - الإيرانية. بمعنى ما هى حدود التغير القصوى فى العلاقات بين سوريا وإيران التى يمكن أن تقبل بها دمشق دون تعريض علاقاتها الخاصة مع إيران للخطر؟.

أما الصفقة الثانية، أى صفقة الحوافز السخية المقدمة لإيران من دول "مجموعة ٥+١" فهى الأصعب لأن ما سوف تحصل عليه إيران من جراء هذه الصفقة يفوق قدرة دمشق على تحملها وبالذات ما يتعلق بالملفات الإقليمية المهمة (لبنان - فلسطين - العراق)، إضافة إلى الدور الإيرانى الموعود فى منظومة الأمن الإقليمى الخليجى مقابل موافقة طهران على تعليق مؤقت لتخصيب اليورانيوم.

تناقض الصفقات رغم أهميتها كان ومازال معضلة مهمة، وربما يكون إدراك الإسرائيليين والغرب لاستحالة التوفيق بين هاتين الصفقتين هو الذى شجع مراقبين على التنبؤ بحدوث تباعد بين دمشق وطهران كمحصلة لزيارة الرئيس الأسد

فى زيــــارة الأســـد لـطـهـران

لطهران.

فقبل ذهاب الأسد إلى طهران قالت صحيفة "معاريف" الإسرائيلية أن مبعوثى رئيس الوزراء الإسرائيلى للمفاوضات مع دمشق خرجا بانطباع مؤداه أن "اتفاقاً تاريخياً" بين إسرائيل وسوريا يمكن أن يتحقق، من منطلق فهمهما أن الرئيس السورى بشار الأسد فهم أن "مكانه بين حزب الله وإيران يضر بسوريا" وأنه على استعداد لدفع ثمن انفصاله عن طهران، ونقلت الصحيفة عن محافل سياسية إسرائيلية رفيعة المستوى قولها أن "الأسد ليس غبيا، وقد فهم أن مكانه بين (الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله)، و(الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد)، يضر بسوريا، وهو يرغب فى العودة إلى الغرب بل هو مستعد لأن يدفع ثمن الخروج من محور الشر"، مشددة على أن ما يحصل "فرصة تاريخية" لإسرائيل، وخسارة أن "تضطر إلى تفويتها".

وبنفس المعانى تحدثت صحيفة "صنداى تايمز" البريطانية عن أن "إيهود أولمرت يتسابق من أجل إبرام اتفاق سلام مع سوريا قبل أن يترك منصبه، وأن سوريا باتت قريبة من التوصل إلى إقامة "علاقات عادية"، كما وصفها رئيسها بشار الأسد، مع إسرائيل والانفصال عن إيران فى مقابل استعادة مرتفعات الجولان بعد التوصل إلى إطار اتفاق خلال الجولة الأخيرة من المفاوضات بين البلدين التى ترعاها تركيا".

لم تكتف الـ "صنداى تايمز" بذلك، بل قالت أن الرئيس الأسد سيبلغ شركاءه الإيرانيين خلال زيارته لطهران أن "دمشق تؤثر الآن حل روابطها معهم والتحرك بصورة أقرب باتجاه إسرائيل رغم أن ذلك سيكون شديد الصعوبة بالنسبة للأسد لأن إيران تموّل إعادة بناء القوات المسلحة السورية، وصدقت أخيراً على اتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا".

هذه التنبؤات كان لها ما يدعمها من مقدمات أبرزها ذلك الخلاف الذى أثير بين دمشق وطهران بسبب إعلان إيران رفضها الصريح لقبول سوريا المشاركة فى اجتماع أنابوليس الذى دعت إليه الإدارة الأمريكية وعقد فى نوفمبر الماضى (٢٠٠٧). وقتها أكدت سوريا أن سبب قبولها هو أن الجولان سوف يعرض على طاولة المفاوضات فى هذا الاجتماع، وأنها لا تستطيع أن تتغيب عن حضور اجتماع يناقش قضية الجولان، وأن الجولان "خط أحمر" وقضية وطنية لا يمكن المساومة حولها. وقتها التقى وزير الخارجية السورى وليد المعلم بالسفير الإيرانى فى دمشق وأوضح له الموقف، ثم ذهب إلى طهران والتقى نظيره الإيرانى منوتشهر متكى للسبب ذاته، واضطرت طهران أن تقبل التبرير السورى.

الآن هل يتكرر الموقف، بمعنى هل يمكن أن تقبل سوريا، فى سبيل الحصول على الجولان، بالإقدام على قرارت صعبة فى علاقتها مع إيران؟

السؤال نفسه يبدو أنه كان مطروحاً فى العاصمة الإيرانية. فقد استقبل الرئيس السورى والوفد المرافق عالى المستوى بانتقادات إعلامية حادة لفكرة قبول سوريا القيام بوساطة مع إيران حول برنامجها النووى بطلب من الرئيس الفرنسى نيكولاى ساركوزى. هذه الانتقادات كانت أشبه بحملة إعلامية مدبرة كان محورها: كيف يمكن أن تقوم سوريا الآن بدور "وساطة" أو "دور الوسيط" حول برنامج إيران النووى وهى التى كانت تدافع عن الموقف الإيرانى وتدعمه. هل أنها لم تكن مقتنعة بما تقول، أم أنها غيرت موقفها وهذا هو الأهم وتريد أن تتحول من "حليف" إلى "وسيط"؟

السؤال صعب ولذلك بادر وزير الخارجية السورى وليد المعلم لنفى أى وساطة سورية، بخصوص الملف النووى، كما حرص الرئيس السورى على أن يستهل مؤتمره الصحفى مع الرئيس الإيرانى بنفى أى وساطة سورية فى البرنامج النووى.

سؤال "التغير" فى الموقف السورى كان يعكس توجس الإيرانيين من النوايا السورية فى ظل تقدم مفاوضات سوريا مع إسرائيل، وفى ظل تلمس خلافات مع دمشق فى الملفات الثلاث المهمة.

ورغم أن الزيارة انتهت بحسم التكهنات، لكنها لم تستطع نفى وجود تغير ما فى موقفى البلدين، لذلك حرص البيان الختامى على إعادة التأكيد على ثوابت العلاقة بين البلدين وعلى توافق المواقف على مسائل مهمة فى القضايا الثلاث الكبرى: لبنان وفلسطين والعراق، دون تجاهل قضية الجولان، بما يعنى التوصل إلى توافق أقرب إلى الصفقة يقضى بأن تعبر طهران عن تأييدها لحق الشعب السورى فى استعادة كامل أراضيه المحتلة فى الجولان والتأكيد على الحل السياسى من خلال الحوار لأزمة البرنامج النووى الإيرانى واحترام حق إيران فى امتلاك دورة الوقود النووى مع قناعة مشتركة بضرورة نزع أسلحة الدمار الشامل من المنطقة وفى مقدمتها السلاح النووى، ومن هنا جاء قول المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية الإيرانية السيد على خامنئى فى ختام لقائه بالرئيس السورى عند نهاية زيارته لطهران أن "كل محاولات النيل من العلاقات بين البلدين قد فشلت"، وهى رسالة واضحة وصريحة بتداعى تكهنات التغيير، لكن تبقى الصفقات مفتوحة وتبقى "الحلول التاريخية" تطارد الجميع.

د. محمد السعيد إدريس

دراسة

النفوذ الإيرانى فى الشرق الأدنى، والعراق، وأفغانستان(١/ ٢)

Iranian Influance in the levant, iraq, and afghanistan

Frederick W. kagan Kimberly kagan Danielle Pletka

A Report of the American Enterpris institute

إعداد : الدكتور فوزى درويش

أولاً: النفوذ الإيرانى فى سوريا ولبنان والضفة الغربية وغزة:

يلاحظ أن السياسة الإيرانية فى كل من سوريا ولبنان والضفة الغربية هى نموذج مصغر لسياسة إيران الخارجية الأكثر إتساعاً، وذلك رغم أنه من الممكن النظر إلى تصرفات إيران فى كل حالة منها كمؤشر على علاقات ثنائية منفصلة.

وفى كل مرة، فإن إيران تبدأ باستثمارات كبيرة لدى حلفائها، كما هو الحال فى سوريا، وفى لبنان وميليشيات الشيعة، أى حزب الله، وفى المناطق الفلسطينية حيث الجماعات الرافضة والمناهضة لفتح بما فى ذلك حركة حماس، ومنظمة الجهاد الإسلامى، ونادراً ما يرى المراقبون قيام طهران بإعطاء أوامرها لهذه الجماعات بالقيام بعملياتها، ولكن مما يثير التساؤل ما إذا كان حلفاء إيران يمكن لهم البقاء بدون الأموال والأسلحة، والدعم الدبلوماسى الذى تقدمه لهم بشكل منتظم الجمهورية الإسلامية.

١ - سوريا:

العلاقات العسكرية:

فى يوليو ٢٠٠٧ أعلن كل من الرئيس السورى بشار الأسد والرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد أن "إيران وسوريا كانتا، وهما الآن، وسوف يظلان إخوة وحلفاء". وفى ظل حافظ الأسد والد بشار كانت إيران وسوريا فى واقع الأمر بمثابة حلفاء وليس بالأحرى سيداً وتابعاً. ومنذ رحيل حافظ الأسد فى يونيو ٢٠٠٠، فإن الابن الضعيف لم يستطع أن يكتسب الاحترام فى المنطقة وفى الداخل أيضاً.

وضعف بشار فى الداخل ومركزه المهتز فى "ديكتاتورية بدون ديكتاتور"، فضلاً عن الأوضاع الدولية المتغيرة جعلته يعتمد على علاقات أوثق مع طهران.

وهناك أمثلة كثيرة بارزة لهذا التحول بما فى ذلك نقل الأسلحة بين الدولتين، واحتمالات التعاون فى مجالات التسليح بالنسبة للأسلحة الكيماوية، والتدريبات المشتركة بالنسبة لأنظمة الدفاع الجوى التى تم توريدها من روسيا، ومن المحتمل جداً أن تكون إيران قد تولت حصول سوريا على هذه الأسلحة. وفضلاً عن ذلك فإن إيران حققت لنفسها تواجداً هاماً فى سوريا فى السنوات الأخيرة. ورغم أن البعض قد يقولون أن هذا التواجد يساعد فقط فى زيادة الأمن السورى، فإن المتحدث باسم البرلمان السورى محمود الأبرش كان أكثر صراحة حين أعلن فى نوفمبر ٢٠٠٦ قوله "أن دمشق تعتبر التشاور والتعاون مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية قاعدة كبرى ومبدأ من مبادئ سياستها الخارجية".

ففى ظل حافظ الأسد، فإن السفير الإيرانى لدى دمشق قام بجهد كبير فى هذا السبيل لكن القوات العسكرية الإيرانية لم يكن لها أى نشاط فى سوريا، واقتصر نشاطها على حزب الله فى وادى البقاع فى لبنان وفى المناطق الجنوبية من لبنان ذات المذهب الشيعى. لكن الحال الآن لم يعد كما كان. فتحول سوريا من شريك إلى معاون ثم إلى الأقل درجة أصبح أمراً ظاهراً. ففى ٢٠٠٥، اتفقت الدولتان على التعاون فى شئون الدفاع، بما فى ذلك بناء محطات إيرانية - سورية للإشارات المخابراتية (وتم الانتهاء من ذلك فى ٢٠٠٦)، وذلك فى منطقة الجزيرة فى شمالى

سوريا وفى مرتفعات الجولان، مع تعهد سورى " بالسماح لإيران بتخزين أسلحة، وتجهيزات حساسة فى التراب السورى إذا ما احتاجت إيران إلى مثل هذه المساعدة وقت الأزمة.

وبحلول ديسمبر ٢٠٠٦ ورد فى صحيفة "الحياة" اليومية ومقرها فى لندن أن قاعدة للحرس الثورى الإيرانى قد تم إنشاؤها فى دمشق. وفى حين أن كثيراً من الجماعات الفلسطينية مثل حماس ومنظمة الجهاد الإسلامية الممولة إيرانياً قد اتخذت لها مقاراً فى دمشق فليس من غير الواضح لماذا يوفر نظام الأسد مقاراً لهذه الجماعات فى عاصمته لأعتى وأقوى "مثيرى الإرهاب فى الشرق الأوسط". ومع ذلك فإن توثيق العلاقات معها يسير على قدم وساق.

وفى مارس ٢٠٠٧ وفى زيارة له لدمشق، وضع وزير الدفاع الإيرانى مصطفى محمد نجار قدرات إيران الدفاعية طوع إرادة سوريا، مشيراً إلى التعاون بين البلدين فى صنع الأسلحة. وفى حين أن مثل هذه التصريحات أصبحت سمه ظاهرة فى الاجتماعات الإيرانية- السورية المشتركة، فهناك دليل قوى بأن هذا التعهد من قبل إيران قد أصبح حقيقة واقعة. والتقارير الواردة مؤخراً تشير إلى أن إيران سوف تحصل على عشرة على الأقل من المدفعية قصيرة المدى طراز ٩٦k٦ Pantsyrsse وصواريخ للدفاع الجوى من سوريا (والتى كانت سوريا قد حصلت عليها من روسيا)، وأن يكون تسليم هذه الأسلحة فى أواخر ٢٠٠٨. وفضلاً عن ذلك، فإن خبراء سلاح الجو الإيرانيين يقومون بالتدريب مع السوريين على أنظمة "البانتسير Pantsyr System". وهناك من التقارير ما يقول أنه بالإضافة إلى مشاركتها فى الأسلحة التقليدية، فإن القوات الإيرانية. تتعاون أيضاً مع سوريا فى مجال أسلحة الدمار الشامل. ففى ٢٠٠٥، تعهدت إيران بمساعدة سوريا فى برامج الأسلحة الكيماوية المتطورة، بما فى ذلك إقامة أربعة أو خمسة مصانع لغازات (VX)، وغاز ساوين المدمر للأعصاب.

وتقول التقارير أن الأسد وأحمدى نجاد قد وقعا اتفاقاً عسكرياً حديثاً للتعاون العسكرى بين البلدين. وطبقاً لهذه التقارير، فإن هناك سبعة مواد من هذا الاتفاق تشمل تمويلاً جديداً لمشتريات سوريا من الأسلحة من روسيا، وبيلاروس، وكوريا الشمالية مقداره ١ بليون دولار للحصول على أربعمائة دبابة روسية من طراز T – ٧٢ وثمانية عشرة نفاسة من طراز MiG٣١، وثمانية طائرات هيلوكوبتر، فضلا عن تسهيلات لشراء ثمانية قاذفات قنابل من طراز سوخوى ٢٤، وفضلاً عن ذلك، تقديم تسهيلات إيرانية فى سوريا لإنتاج صواريخ متوسطة المدى، وراجمات للصواريخ، صناعة إيرانية جديدة، وصواريخ تطلق من البحر للأسطول السورى، ودعم فنى للأبحاث النووية والأسلحة الكيماوية. وفى مقابل ذلك وعدت سوريا بأنها لن تدخل فى مفاوضات سلمية مع إسرائيل.

وهذه الاتفاقيات تبعت اتفاقاً كان قد تم فى ٢٠٠٦ للتعاون بين البلدين ثم توقيعه من جانب وزير الدفاع الإيراني مصطفي محمد نجار ونظيره السورى الجنرال حسن تراكمانى يتضمن على وجه التقريب نفس خطوط التعاون، وتقول التقارير أن مبلغه كان ٨٠٠ مليون دولار. وسواء كانت هذه الاتفاقيات السخية جانباً من علاقات بالتعاون عبر الأقمار الصناعية أم كانت استجابة لمخاوف إيرانية من محادثات سرية تدور بين سوريا وإسرائيل، فإن الأمر ليس واضحاً غير أنه من غير الواضح كذلك ما إذا كان الجيش السورى يمكنه القيام بدوره عند هذا الحد أم لا، دون استمرارية الدعم الإيرانى له.

الدعم الاقتصادى لسوريا:

أما فى المجال الاقتصادى، فإن العلاقات الإيرانية – السورية تمر بمرحلة من نفس التوثيق والاتساع. فقد أصبح الاقتصاد السورى معتمداً بشكل متزايد على المشروعات المشتركة بين البلدين، وعلى التمويل الإيرانى والدعم فى القطاعات المهمة مثل الطاقة، والاتصالات، والزراعة، والنقل، فضلا عما هو متوقع من معامل تكرير النفط، ومصانع الأسمنت، وتجديد أنابيب النفط من آبار النفط فى شمال العراق إلى الموانئ السورية على ساحل البحر المتوسط.

وهذا التعاون الاقتصادى، بلغ مستويات عالية عبر السنوات القليلة الماضية، ممثلاً فى تجارة ثنائية تقدر بنحو ٢٠٠ مليون دولار سنوياً، مع استثمارات إيرانية مباشرة تربو على أكثر من ٢ بليون دولار.

وفى يناير ٢٠٠٧، ورد فى تقارير الحكومة السورية أن إيران كانت أكبر المستثمرين فى سوريا من بين الدول غير العربية فى عام ٢٠٠٦ باستثمارات قدرها ٤٠٠ مليون دولار. وفضلا عن ذلك، فإنه فى أواخر ٢٠٠٦ قدر المسئولون الإيرانيون والسوريون أن حجم المشروعات الإيرانية فى سوريا كان يدور حول ٧٥٠ مليون دولاراً مقارناً بمبلغ ١٠٠ مليون دولار فى السنة السابقة. نجد أن "نوايا إيران هى إقامة إطار مناسب لإدارة أنشطة مشتركة فى النفط والغاز.. فإيران تمتلك تكنولوجيات تحديثية، بما فى ذلك التكنولوجيا النووية للأغراض السلمية.. التى تنوى نقلها إلى أختها الصديقة سوريا.

على أن أهم القطاعات التى تستثمر فيها إيران، وتقوم بالتمويل والتعاون فيها هى قطاعات هامة بالنسبة للاقتصاد السورى وهى:

النقل: فشركة سيامكو Siamco هى مشروع مشترك برأسمال قدره ٦٠ مليون دولار يختص بإنتاج المحركات حيث تشارك شركة خودروو Khodro الإيرانية العملاقة بنسبة ٤٠ بالمائة، وشركة سورية خاصة بنسبة ٢٥ بالمائة، وفى ديسمبر ٢٠٠٧ ورد فى تقارير وكالة الأنباء السورية "سانا" أنه فى ظل مشروع مشترك قدره ٥٠ مليون دولار، فإن "المصنع الدولى

لإنتاج السيارات السورى - الإيرانى" سوف يقوم بإنتاج نحو خمسة عشرة ألف سيارة من ماركة سابا SABA سنوياً، وأن المتوقع للإنتاج أن يصل إلى خمسة وثلاثين ألف سيارة سنوياً فى مراحله النهائية. وفى مارس ٢٠٠٧، فإن خط إنتاج "ساماند" للمحركات قد تم افتتاحه من جانب الرئيس الأسد ونائب الرئيس الإيرانى "برفيز داوودى". وتنوى إيران تخصيص نسبة ٤٠ بالمائة من سوق السيارات السورى لنفسها ومن المقدر أن يدخل ذلك ٢٢٠ مليون دولار لصناعاتها.

الموارد الطبيعية: فى سبتمبر ٢٠٠٧، أعلن القائم بأعمال وزارة المناجم والصناعة الإيرانى "على أكبر مهرابيان" عن استثمار ما قيمته ١٠ بليون دولار من الاستثمارات الإيرانية فى سوريا خلال السنوات الخمس القادمة. ويتعاون البلدان حاليا فى ستة عشر مشروعاً تبلغ قيمتها بليون دولار.

الأسمنت: تم افتتاح مصنع أسمنت جديد فى سوريا شمال مدينة حماة حسبما ورد فى تقارير الوكالة السورية "سانا". وهذا المصنع الذى تكلف ٢٥٠ مليون دولار له طاقة إنتاجية قدرها ١,١ مليون طن سنوياً ومن المتوقع أن يوفر أربعمائة فرصة عمل.

المياه: لقد تعهدت إيران بمشروع إمداد بالمياه فى مدينة حلب، وفضلاً عن ذلك، شاركت عدة شركات إيرانية بما فى ذلك "سابير"، و"ساتكاب" فى بناء عشرة سدود فى سوريا.

التعليم: فى يوليو ٢٠٠٧ وفى اجتماع مشترك أعلن وزير العلوم، والأبحاث والتكنولوجيا الإيرانى محمد مهدى زاهدى إقامة جامعة إيرانية فى سوريا، والتى يراد لها أن تكون فرعاً عالمياً من جامعة طهران.

الثقافة: فى يوليو ٢٠٠٧ ناقش "زاهدى" ورئيس جامعة دمشق وائل مولى والسفير الإيرانى لدى سوريا "محمد حسين اختيارى" التمويل الإيرانى والدعم الروحى لكلية لتعليم الفارسية فى جامعة دمشق.

الكهرباء: تم افتتاح المرحلة الأولى لمشروع بانياس لتوليد القوة الكهربائية فى يونيو ٢٠٠٧. وقام البنك الإيرانى The Export Development of Iran بتقديم تمويل حوالى ١١ مليون دولار من أصل ١٨ مليون دولار فى مشروع القوة الكهربائية، أما الجزء الباقى من التكاليف فقد قدمته سوريا وقام كل من وزير الطاقة الإيرانى "بارفيز فتاح"، ونظيره السورى بتدشين منشأتين للقوى الكهربائية فى سوريا فى مايو ٢٠٠٧. وقامت الشركة الإيرانية "آزار" بتدشين المشروعين بطاقة قدرها ١٧٠ - ميجاوات بتكلفة بلغت ٦٢ مليون دولار. ووافق مجلس الوزراء الإيرانى على سداد ٢٣٠ مليون دولار لإقامة مشروع مشترك Combined Cycle Power Plant فى سوريا فى أبريل ٢٠٠٧. ووافق وزير الطاقة الإيرانى مع وزير الكهرباء السورى محمد خالد فى نوفمبر ٢٠٠٦ على ربط شبكة القوى للبلدين عبر تركيا والعراق.

النفط: لقد اتفق كل من وكيل وزارة النفط الإيرانية محمد رضا نعمت زادة، ونائب وزير النفط السورى حسان زينب، والمدير العام الفنزويلى لشئون التكرير روبرتو دجادو فى أكتوبر ٢٠٠٦ على بناء مصفاة تكرير بطاقة قدرها ١٤٠,٠٠٠ برميل يومياً من النفط. وقد بلغت التكلفة التقديرية ١,٥ بليون دولار. وفى أكتوبر ٢٠٠٧ وقع كل من وزير النفط الإيرانى، والسورى اتفاقاً من المتوقع أن يوضع موضع التنفيذ بحلول ٢٠٠٩ حيث تقوم إيران بتصدير ٣ بليون متر مكعب من الغاز إلى سوريا من خلال تركيا.

الإنشاءات الجديدة: عرضت إحدى الشركات الخاصة الإيرانية على سوريا بناء مدينة صناعية فى سوريا، بما فى ذلك مصنع للصلب بطاقة إنتاجية قدرها ثمانمائة ألف طن سنوياً، ومصنع للطاقة قدرته ثمانمائة ميجاوات، وكذلك مجمع سكنى يحتوى على خمسين ألف وحدة سكنية. وتبلغ التكلفة الإجمالية بنحو ٨ بليون دولار يجرى تمويلها من جانب القطاع الخاص الإيرانى.

التعدين: فى مايو ٢٠٠٦، تقابل وزير الاقتصاد والتجارة السورى أمير حسنى لطفى فى طهران مع وزير الصناعة والمناجم الإيرانى على رزتاهماسبى. وصرح تاهماسبى أن حجم التبادل التجارى بالنسبة للصناعات فى قطاع المناجم قد بلغ ما يزيد على بليون دولار. وقال الوزير الإيرانى أن إيران تشارك حاليا فى نحو ستة عشرة مشروع صناعى وتعدينى فى سوريا.

البنوك: فى مارس ٢٠٠٦ أعلن كل من بنك الصادرات الإيرانى، والبنك التجارى السورى أنهما سوف يقومان بإقامة بنك مشترك يديره الطرفان.

٢- لبنان وحزب الله:

حزب الله هو موضوع قائم فى حد ذاته، فهو منظمة جيدة التنظيم سياسياً، وعسكرياً، واجتماعياً وتعتبر لاعباً مهماً فى الحكومة اللبنانية، كما تعد قوة مسيطرة فى الجنوب اللبنانى، وتشكل ميلشيات قادرة، وهى فى ذاتها تعتبر أيضاً جماعات للتدريب على الإرهاب، مصدرة للإرهاب. وحزب الله هو قوة يمكن الاعتماد عليها. وبالنسبة لهذه الدراسة، فإن حزب الله وارتباطه بإيران هو الذى يستدعى أكثر الانتباه. لقد شكل حزب الله فى عام ١٩٨٢ من جانب بعض الإيرانيين، غير أن روابطه مع طهران اشتدت توثقاً وقوة حين أصبح بمثابة قوة شبه مستقلة فى حد ذاتها.

نقل الأسلحة:

ليس هناك أدنى شك فى أن حزب الله قد استعاد عافيته من أى نكسات ألمت به فى المجابهة التى تمت بينه وبين إسرائيل فى عام ٢٠٠٦. فقد أعاد الحزب تسليح نفسه وتنظيم صفوفه، وكانت إيران جانباً هاماً من هذه الاستعادة. وتؤكد التقارير أن

إيران تمد حزب الله بمساعدات مالية وأسلحة. وتأتى شحنات الأسلحة بالبر، والبحر، والجو من إيران غالباً عبر دمشق. وهذه الأسلحة متعددة وكبيرة الحجم. وعلى سبيل المثال، فإن المخابرات الإسرائيلية ومركز معلومات الإرهاب الإسرائيلى أورد تقارير تقول أنه تم على الأقل تسعة مرات في الفترة بين ديسمبر ٢٠٠٣ ويناير ٢٠٠٤ استخدام قوات الحرس الثورى الإيرانى (قوة القدس)- استخدام طائرات إيرانية وسورية تحمل مساعدات إيرانية إنسانية لضحايا الزلزال.. في جنوبى إيران.. لحمل كميات هائلة من الأسلحة لحزب الله عند عودة هذه الطائرات.

وعبر السنين، فإن إيران تحولت من الإمداد بأسلحة إلى التزويد بأسلحة أكثر تطوراً تشمل الصواريخ بعيدة المدى، وأسلحة أخرى مخصصة لتصعيد التوترات في الحدود الجنوبة اللبنانية. وفى منتصف ٢٠٠٤ قام ضباط الحرس الثورى الإيرانى بإنزال ٢٢٠ صاروخ مداه ما بين ٢٥٠- ٣٥٠ كيلوا متراً لحزب الله في مطار بالقرب من دمشق. والواقع، وطبقاً لبعض الحسابات التى أوردها «معهد أبحاث الشرق الأوسط»، فإن حزب الله تلقى نحو ١١,٥٠٠ صاروخ في الفترة من ١٩٩٢ إلى ٢٠٠٥، وأربعمائة قطعة مدفعية قصيرة ومتوسطة المدى وصواريخ من طراز «آرش»، و«نورى» ، و«حديد» وأجهزة نقل ومنصات إطلاق الصواريخ من إيران. وفى ٢٠٠٥ أرسلت إيران لحزب الله شحنة من الصواريخ طراز «العقاب» برؤوس ٣٣٣ مليمتر وكميات ضخمة من الصواريخ طراز SA- ٧ ، C-٨٠٢ اثنان منها تم استخدامها في هجوم تم على إحدى السفن الإسرائيلية.

وأثناء صدام حزب الله في صيف ٢٠٠٦ مع إسرائيل قامت إيران بإعادة إمداد الجماعات بتعويض عن الأسلحة التى تم تدميرها بمزيد من الأسلحة الأخرى. وفى يوليو من تلك السنة، قامت قوات الحرس الثورى سراً بإسقاط إمدادات من قواعد في بندر عباس كان قد تم نقلها إلى حزب الله في قاعدة الرومير السورية العسكرية بالقرب من حمص: وبعد انقضاء شهر آخر أرسلت إيران صواريخ أكثر تطوراً أرض جو، تشمل Staela ٢/ Stnela ٢٤K -٣ IGLE وكذلك ميثاق! Mithav-٤ ونفس هذه الصواريخ قيل أنها كانت تستخدم لاستهداف طائرات الهليوكوبتر الإسرائيلية. ولا تضع إيران أية قيود على دعم حزب الله بالأسلحة الثقيلة. ولقد تم العثور على صواريخ تضئ ليلاً في إحدى مخابئ حزب الله أثناء الحرب يبدو أنها جاءت من إيران.

التدريبات العسكرية:

الأداء الذى قام به حزب الله في ٢٠٠٦ أصاب الإسرائيليين بالذهول وهم الذين طالما افترضوا لفترة طويلة أن بإمكانهم سحق الجماعات الإرهابية لدى أية مواجهة جدية فبالإضافة إلى الاختباء في أنفاق مجهزة بعناية أقيمت بمعرفة كوريا الشمالية، كان محاربو حزب الله قد استفادوا فائدة كبيرة من التدريبات المعمقة من جانب الحرس الثورى الإيرانى على الأرض في كل من لبنان وإيران.

وتقول التقارير أن حزب الله ينضم في صفوفه مئات من المهندسين الإيرانيين، الذين قاموا ومعهم خبراء من كوريا الشمالية الذين أتوا إلى لبنان بمعرفة الدبلوماسية الإيرانيين، قاموا ببناء أنفاق طولها خمسة وعشرون كيلو متراً تحت سطح الأرض لتحركات المقاتلين. كذلك قام الحرس الثورى الإيرانى ببناء حجرات للتخزين تحت سطح الأرض في وادى البقاع لتخزين الصواريخ والذخيرة.

ولكن يجب ملاحظة أنه لا يفترض أن حزب الله لا يستطيع القيام بعمليات عسكرية دون تلقى التوجيهات من الحرس الثورى أو قيامه بالتخطيط لذلك. فعلى العكس، فتشير التقارير إلى أن غالبية قوات الحرس الثورى قد تركوا لبنان في نهاية ثمانينيات القرن الماضى، وقد تم الإحلال محلهم بالكثير من حزب الله الذين كانوا قد حاربوا وتدربوا مع الإيرانيين داخل إيران. وبدلاً من ذلك، فإن قوات الحرس الثورى يبدو أنهم يحضرون إلى لبنان للمساعدة في أنشطة متخصصة مثل بناء الأنفاق والتدريب على استعمال الأسلحة. وعلى سبيل المثال، فإن قوات الدفاع الإسرائيلية- البحرية منها والمشاة- قدموا تقارير تقول أن ضباط الحرس الثورى يقومون بالتنسيق في هجمات الصواريخ c-٨٠٢ ضد سفنهم إطلاق الصواريخ على طائرات الهليوكوبتر الإسرائيلية.

وهناك بعض المصادر الأخرى قد لاحظت أن الحرس الثورى الإيرانى قد أقام عشرين قاعدة للصواريخ على الحدود اللبنانية مع إسرائيل. وفى يوليو ٢٠٠٦، قال أحد كبار الجيش الإيرانى أن الحرس الثورى قد أقام عشرات من قواعد الصواريخ في الوادى اللبنانى وعلى طول الحدود مع إسرائيل. وقد أورد «معهد أبحاث الشرق الأوسط عدداً من الأمثلة على الدعم الإيرانى لقدرات حزب الله العسكرية على النحو الآتى:

هناك اثنان من «إرهابى» حزب الله تم اعتقالهما من جانب قوات الدفاع الإسرائيلية أثناء حرب ٢٠٠٦ وقد اعترفا بأنهما قد تم تدريبهما من جانب الحرس الثورى الإيرانى في أحد المعسكرات بالقرب من «كراج» شمال طهران. وقد قالا أنهما من ضمن مجموعة مكونة من أربعين إلى خمسين من نشطاء حزب الله تم تدريبهم في إيران.

خلال السنوات الثلاثة الماضية، تم تدريب خمسين طياراً من حزب الله. وفى لبنان، هناك سبعون إيرانياً كمدربين وفنيين فضلاً عن مخابرات لفيلق القدس. وهناك وحدة سرية للحرس الثورى الإيرانى في لبنان مكونة من عشرين ضابطاً يقومون بتعقب التحركات الإسرائيلية، واختبار أهداف في إسرائيل.

يقوم مئات من مقاتلى حزب الله بتلقى دورات تدريبية خاصة في قواعد للحرس الثورى الإيرانى في طهران، وأصفهان، ومشهد، وتضم وحدة الصواريخ في حزب الله مائتى فنى وخبير تم تدريبهم في إيران.

ويعتبر الكولونيل «على رضا تاميز» من قوة القدس مسئولاً عن تدريب أعضاء حزب الله على استخدام التجهيزات والأسلحة المتطورة، بما في ذلك صواريخ «الرعدة»، وراجمات شاهين والصواريخ أرض- جو.

ولسنا بحاجة إلى مناقشة مسألة النوايا الإيرانية. ولكن الأمر يستحق منا ملاحظة سلسلة من الأحداث سابقة على المواجهة التى حدثت بين حزب الله وإسرائيل. ففى ٢٨ أبريل ٢٠٠٦ قدم مدير عام الوكالة الدولية للطاقة الذرية د. محمد البرادعى تقريراً لمجلس محافظى الوكالة وللأمم المتحدة (مجلس الأمن). وقد تضمن التقرير أن هناك بعض الفجوات في معرفة الوكالة عن الدور العسكرى في برنامج إيران النووى وانتهى التقرير إلى أن «الوكالة غير قادرة على إحراز تقدم في جهودها لتوفير التأكيدات حول غياب مواد وأنشطة نووية غير معلنة في إيران.

وعلى وجه التأكيد فإن لإيران مصلحة في صرف الانتباه عن عملية الفحص المتصاعد لبرنامجها النووى غير القانونى بمجرد أن بدأت الحرب بين حزب الله وإسرائيل، كان لإيران كل المصلحة في أن ترى حزب الله يخرج من هذه الحرب دون أن يمس. ومن هنا كانت المحاولة الخطيرة من جانب إيران لإعادة تزويد حزب الله بأسلحة حاسمة في شهر يوليو.

الدعم الاقتصادى

نظراً لأن حزب الله يمثل المجتمع الشيعى الفقير تاريخياً في لبنان، فإن الأموال التى تأتيه من إيران تصبح أمراً حيوياً للحفاظ على مركزه في لبنان. وتذهب التقديرات إلى أن الدعم السنوى يدور حول ١٠٠ مليون دولار أو أكثر كذلك فإن مجمل الاستثمارات في حزب الله قد بلغت بليون دولار وربما تكون أعلى من ذلك لتكون ٢ بليون دولار. إن طريقة تحويل العقود لا ينبغى لها أن تكون معقدة: فحزب الله هو متعامل قانونى مع البنك الوطنى اللبنانى. وقد ورد أن إيران قد حولت كميات ضخمة من النقود إلى حزب الله باستخدام الأنظمة البنكية السورية والفلسطينية. كذلك فقد عرف أن البنك العربى كوسيلة رئيسية لتمويل الأموال لحزب الله، والمنظمات الإرهابية الأخرى. كذلك كانت هناك تقارير تقول بوجود نظام الحقائب التى تحوى النقود. وفى أعقاب حرب ٢٠٠٦ الإسرائيلية اللبنانية رؤى حزب الله يوزع مئات من الدولارات فئة المائة دولار كانت في حقائب - يوزعها على اللبنانيين الذين أضيروا في الحرب بسبب هدم منازلهم بسبب القصف الإسرائيلى. وفى أكتوبر ٢٠٠٦ كانت هناك تقارير أيضاً تقول باستخدام الحقائب الدبلوماسية المليئة بالنقود موجهة إلى لبنان وتقول أن هذه النقود من المركز الدينى في مدينة مشهد، وكذلك من جانب بعض المنظمات الأخرى في مدينة «قم» وشيراز، «وجوزجان» و»كرمان»، وأصفهان» و»زاهدان» يمكن أن هذه الأموال كانت مخصصة بصفة أساسية لعمليات إعادة البناء.

لقد كانت إيران سبباً في استعادة حزب الله لسمعته، ولخدماته الاجتماعية، وقوته السياسية بعد الحرب عام٢٠٠٦. وفى حين يبدو واضحاً أن حزب الله قد حقق نصراً كبيراً وكسر بحق الردع الإسرائيلى لأول مرة خلال عدة عقود من الزمن، ولكنه من المنظور اللبنانى قد يبدو الأمر مختلفاً. فلقد أجبر حسن نصر الله على الاعتذار للشعب اللبنانى للتسبب في دمار شديد للبلاد. وكثير من اللبنانيين يلقون بالمسئولية على حزب الله لبدء حرب، لم تخترها الحكومة اللبنانية المنتخبة.

لقد كانت تبرئة ساحة حزب الله من تلك الإدانة اللبنانية أمراً مكلفاً: فقد وضعت إيران تحت تصرف حزب الله ١٥٠ مليون دولار لتوزيعها على المواطنين اللبنانيين كذلك تم إمداد القرى التى دمرتها الحرب بالوقود، والمولدات بعد كذلك، فإن العائلات التى فقدت منازلها تم إعطاءهم مبلغ ١٢,٠٠٠ دولار لكل منهم - كل ذلك على حساب إيران. وفى يوليو ٢٠٠٧، قال «هشام كوشنيفيز» الذى تولى رئاسة الجهود الخاصة بإعادة الإعمار أنه من بين الخمسة والعشرين جسر التى وعدت إيران بإعادة بنائها، تم الانتهاء من بناء إثنى عشر جسراً، وأن أربعة وثلاثين من بين ثلاثة وستين قرية تم إعادة بنائها. كذلك تم الانتهاء من ١٤٩ مدرسة، وخمسين مسجداً تم إعادة إنشائهم.

في المجال السياسى

على غير ما هو قائم في سوريا أو في الأراضى الفلسطينية بالنسبة للعمل بنهج «الوكالة» (Proxy) عن إيران، حيث تبدو كل منهما مستقلة اسميا، فإن حزب الله هو أداة إيرانية مهمة تبسط إيران سيطرتها عليه حتى وإن بدأ ذلك غير واضح. وحسبما قاله سكرتير عام حزب الله سابقاً الشيخ صبحى الطفيلى (والذى انشق على إيران وحزب الله) «إن حزب الله ما هو إلا أداة وأنه جزء مكمل للمخابرات الإيرانية... وإيران هى العصب الأساسى الآن في النشاط في لبنان وكل أنشطة حزب الله يتم تمويلها من الجانب الإيرانى. ولسوريا دور هام، لكن إيران هى الداعم الأساسى والهام بالنسبة للمعارضة اللبنانية ويتفق المسئولون الإيرانيون على: أن على أكبر محتشمى هو واحد من مؤسسى حزب الله، وكان سفيراً سابقاً لدى سوريا ولبنان. وكان وزيراً للداخلية الإيرانية وقد صرح بقوله: «إن حزب الله هو جزء من نظام الحكم في إيران، وأن حزب الله هو أحد مكونات الجيش الإيرانى والمؤسسة الأمنية، وأن العلاقات بين إيران وحزب الله أبعد مدى من مجرد العلاقة بين نظام حكم ثورى له حزب ثورى أو منظمة خارج حدوده.

دراسة

الخطة العشرينية الإيرانية وعلاقات إيران الخارجية(٢/ ٢)

عباس ملكى إيران ديبلماسى (الدبلوماسية الإيرانية) ٢١/ ٥/ ٢٠٠٨

عضوية إيران في منظمة "شنغهاى" للتعاون:

أ- في عام ٢٠٠١ قامت كل من روسيا والصين وقزاقستان وطاجيكستان بتأسيس منظمة "شنغهاى" للتعاون، بهدف تقوية وتدعيم أواصر التعاون فيما بينهم، ثم انضمت أوزبكستان كعضو دائم في هذه المنظمة بينما التحقت بها كل من إيران والهند وباكستان ومنغوليا كأعضاء مراقبين.

ومثل أى منظمة أخرى، تضع هذه المنظمة أهدافاً لها تعمل الدول الأعضاء مشتركة على تحقيقها. هذه الأهداف هى في الأساس أهداف أمنية وتأتى بعدها الأهداف السياسية ثم في المراحل التالية تأتى الأهداف العسكرية والاقتصادية.

وفى الوقت نفسه فإن لكل عضو من أعضاء هذه المنظمة وكل مراقب عن مراقبيها أهدافه الخاصة التى دفعته للاشتراك مع الآخرين في هذه المنظمة.

والواقع يشير إلى أن هذه المنظمة استطاعت بالفعل خلال السنوات الأخيرة تحقيق نجاحات جديرة بالاهتمام في مجال مواجهة النظام العالمى الأحادى القطبية، وكذلك في مجال مكافحة المخدرات والإرهاب.

ب- إن الصينيين ولأسباب مختلفة لديهم توجه واهتمام خاص بمناطق آسيا الوسطى ومناطق غربى آسيا. وأحد هذه الأسباب يرجع في الأساس إلى القلاقل الداخلية، خاصة في المناطق التى يوجد بها أقلية من السكان المسلمين، وهذه الأقلية الجديرة بالاهتمام تتركز في الأساس في شمال غرب الصين في ولاية سين كيانج. وهذه المنطقة بالذات كانت فيما مضى جزءاً من التركستان الشرقية، واللغة التركية والخط الفارسى (العربى) وارتباط السكان في هذه المنطقة بالإسلام يعتبر جانباً مهماً من حيث نوعية هذا الارتباط والعلاقة بمنطقة آسيا الوسطى الإسلامية.

فالتيارات والتوجهات التى يتزعمها الأويغوريون، والذين تدعى حكومة الصين أنهم انفصاليون، لها مراكزها الموجهة في تركيا وفى آسيا الوسطى. والصين قامت بترتيب وتنظيم علاقاتها بدول المنطقة بشكل يوقف هذا التهديد ويحبط فاعليته تماماً.

إن الصين تنظر إلى منطقة بحر قزوين على أنها "مصدر للطاقة" و" سوق للعمل" ولهذا السبب أقدمت على الاستثمار في خط أنابيب نكا- الرى للتعرف على سوق الطاقة في المنطقة، وتعهدت كذلك بمسئولية إدارة عمليات التنقيب والاستخراج في المنصة البحرية للتنقيب "البرز".

كما أن بكين تتابع الآن عملية إنشاء خط أنابيب ضخم من قزاغستان إلى الصين والذى ستستكمله بعد ذلك حتى يصل إلى شنغهاى، حيث سيصبح أكبر استثمار في خط أنابيب على مستوى العالم أجمع. هذا بالإضافة إلى أن منطقة بحر قزوين تعد سوقاً رائجاً للمنتجات الصينية رخيصة الثمن، ولا ترغب الصين أبداً في أن تصرف نظرها عن هذا السوق.

٢- إيران وروسيا جارتان لا حدود بينهما:

أن أعظم وأكبر كتلة من اليابسة في العالم والتى تمثل أرضاً متصلة هى المنطقة المحصورة فيما بين مضيق جبل طارق وشبه جزيرة "كامتشاتكا" على ساحل المحيط الهادى، فهذه المنطقة من اليابسة تضم قارتى آسيا وأوروبا، كما تتصل بهذه المنطقة مناطق أخرى في أفريقيا والشرق الأوسط هى بمثابة زوائد وملحقات لهذه المنطقة العظيمة من اليابسة، وقد

أطلق على كل هذه المناطق إسم "أوراسيا".

ويلاحظ أن قطاعاً كبيراً ومساحة ضخمة من هذه المنطقة يدخل ضمن أراضي دولة واحدة، ونعني بها روسيا. ورغم أنه بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وميلاد خمس عشرة دولة جديدة من رحم هذه الإمبراطورية التى اختفت، إلا أن جمهورية روسيا الاتحادية مازالت تمثل أكبر دولة على مستوى العالم من حيث المساحة، وهذه المساحة الواسعة من الأراضي تحوى في أماكن متفرقة منها جميع العناصر والمواد الكيميائية التى أدرجها "منديليف" في جدوله الذى عرف بجدول منديليف لتضيف كافة العناصر الكيميائية الموجودة في باطن الأرض.

فروسيا مثلاً تملك حوالى ٤٩ مليار برميل من مخزون النفط الخام وهذا في حد ذاته يمثل ٥٪ من كل مخزون النفط على مستوى العالم، كما تملك روسيا كذلك أعظم مخزون عالمى من الغاز بما يمثل ثلث المخزون العالمى كله. كما يوجد في روسيا مساحات واسعة من الأراضى الزراعية والمزارع الضخمة الشاسعة التى تدار بشكل تعاونى أو حكومى، أما من ناحية الإنتاج فإن هذه الدولة في حاجة دائمة للمساعدات الدولية في مجال الغذاء.

وقد واجهت السياسة الخارجية الروسية خلال السنوات الماضية تغييرات عديدة، فقد تغيرت نظرة "يلتسين" ووزير خارجيته "اندروكوزيرون" المتجهة إلى الغرب إلى نظرة "بريماكوف" الأكثر واقعية، ثم إلى الرؤية والتوجه الأوروآسيوى الذى انتهجه "فلاديمير بوتين". واستمراراً لهذا التغير والتحول حظيت السياسة الخارجية الروسية تجاه الدول الجنوبية والآسيوية بأقصى قدر من الأهمية والاهتمام. وذلك لأن المؤشرات الرئيسية في العلاقات بين روسيا والغرب كانت قد توقفت عن الصعود من قبل، وامتد ذلك التوقف إلى إطار التوجه الروسى والنظرة الروسية لأوروبا. أما الوضع السائد والمتحكم في أقصى المنطقة الجنوبية التى تربط قارتى أوروبا وآسيا فهو يبدو وكأنه لم يشمله التغيير حتى الآن، فهذا الوضع مازال يتابع سياسة ثابتة في الظاهر فهناك مسائل وقضايا عديدة ظلت طوال سنوات تمنع إيران وروسيا من إقامة علاقات وطيدة فيما بينهما بقدر ما تسمح به رغبة كل منهما. ١٢

وبنظرة تاريخية عامة تسبب هذا القصور في العلاقة بينهما إلى إلحاق الضرر بكلا البلدين، وساهم في إيجاد قصور وضعف وتراجع لهما في المجال التنافسى من أجل التقدم والرقى والارتفاع بمستوى المعيشة والرفاهية على الساحة العالمية.

ولا يتسع المجال هنا لبحث تلك العوامل والأسباب والقضايا والمسائل التى تسببت في هذا الركود الذى طال العلاقة بينهما، ولنا أن نذكر فقط أن السياسات التوسعية التى أتبعتها روسيا خلال القرن التاسع عشر وبالتحديد تجاه إيران والتى تجلت في نتائج الحروب التى انتهت مع عام ١٨١٣م وعام ١٨٢٨م فيما بين إيران وروسيا، قد أثرت تأثيراً واضحاً في تاريخ العلاقات بينهما.

كما أن التغلغل الإيديولوجى للفكر الماركسى- اللينينى في إيران الذى حدث بعد دخول الحلفاء، وعدم انسحاب الجيش الأحمر من إيران خلال السنوات التى أعقبت ذلك قد قضى على أى إمكانية لإقامة أى نوع من العلاقة المتساوية فيما بينهما. إلا أن قيام الثورة الإسلامية في إيران ثم انهيار الاتحاد السوفيتى قد وضع البلدين في موقف يمكن معه التأسيس لعلاقات جديدة فيما بينهما والعمل على تعميقها في كافة المجالات.

وقد استطاعت روسيا خلال السنوات الأخيرة أن تمد نطاق نفوذها في دول آسيا الوسطى والقوقاز، ورغم أن هذا النفوذ يعد محدوداً قياساً بما كان عليه في عهد الاتحاد السوفيتى، إلا أنه يجب ألا ننسى أن استراتيجية موسكو قد أصبحت أكثر تحديداً في السنوات الأخيرة. ويعد تشكيل وإنشاء منظمة "شنغهاى" للتعاون إحدى نتائج الاستراتيجية الجديدة التى تنتهجها روسيا. فقد قامت أوزبكستان في نفس هذه الفترة بتعطيل ووقف القواعد الأمريكية فيها، وهو العمل الذى لم تكن قادرة على الإقدام عليه في الماضى، وهذا في حد ذاته يعد نجاحاً وإنجازاً كبيراً في صالح روسيا كما أن تركمانستان لم تسمح كذلك بإنشاء قاعدة عسكرية أمريكية على أرضها. والأهم من هذا كله حدث في قرغيستان "قرغيزيا"، فالذين اعتلوا السلطة في هذه الدولة بعد الثورة الملونة هم أكثر تقرباً لروسيا عن الحكام السابقين، بحيث أصبحت قرغيزيا الآن أكثر قرباً من موسكو.

وروسيا الآن تلعب بشكل جيد بما لها من أوراق رابحة في جورجيا وأوكرانيا فقد استطاع الروس بإغلاقهم لصنبور الغاز أمام أوكرانيا أن يضعوا هذا البلد أمام أزمة طاقة مع بداية فصل الشتاء لكى يثبتوا أنهم على مقدرة للعب بشكل جيد بأحد الكروت التى يملكونها، ونعنى به الغاز المسال. كما تم استثناء جورجيا من بين دول الكومونولث من نظام تعليق ضرورة الحصول على التأشيرة لمواطنى هذه الدول للدخول إلى الأراضى الروسية، بمعنى أن روسيا لا تسمح لمواطنى جورجيا الدخول إلى أراضيها والسفر إليها بسهولة، والتى يتمتع بها مواطنو باقى دول الكومونولث. كما تمثل هذا أيضاً في مثال آخر وهو انسحاب القوات الروسية من جورجيا الذى يتم بصورة بطيئة جداً.

وفى السنوات الأخيرة بدأ نوع من الثقة يسود العلاقة

بين إيران وروسيا بشكل غير مسبوق. فمن بين مجالات وتوجهات التعاون الجديد بين إيران وروسيا يمكننا أن نرصد قبل سنوات تلك الاستثمارات الروسية في آبار النفط والغاز الإيرانية، واستكمال منشآت المفاعل النووي الإيراني في بوشهر، وتدعيم البنية الدفاعية الإيرانية، والتعاون الإقليمي في آسيا الوسطى والقوقاز، والتنسيق والتوافق في مواقف البلدين تجاه قضايا ومسائل دولية مثل أفغانستان والعراق، وعدم اهتمام روسيا بالانتقادات الأمريكية والإسرائيلية الموجهة لمجالات التعاون بين البلدين، والرؤية المشتركة للبلدين فيما يتعلق بإصلاح النظام العالمي الجديد.

وإلى جانب مجالات التعاون بين روسيا وإيران ونقاط التقارب فيما بينهما، علينا أن نذكر أيضاً نقاط الافتراق والاختلاف القائمة بين البلدين. فروسيا خلال الأحداث والتطورات المتسارعة في منطقة بحر قزوين ابتعدت تدريجياً عن مواقف إيران واختلفت معها، وهي الآن بصدد التقريب والتقارب بين مواقف الدول الأربع المنبثقة عن الاتحاد السوفيتي مع بعضها البعض، ثم اتخاذ موقف موحد معها في المباحثات مع إيران. كما أن العلاقات الاقتصادية فيما بين البلدين لم تتعد حدود المليار دولار في العام رغم ما يثار حولها من ضجة إعلامية كبيرة.

ورغم ما ذكرناه أنفاً من مجالات التعاون بين البلدين، مازالت هناك مجالات متعددة للتعاون الاستراتيجي فيما بين إيران وروسيا، ونذكر هنا بعضاً منها:

أ- الأقمار الصناعية: فقد تم توقيع اتفاقيات للتعاون في مجال صناعة وإطلاق الأقمار الصناعية، وقد بدأت بالفعل التجارب والتدريبات الخاصة بهذا المجال. فروسيا لديها مراكز علمية متقدمة، وجامعات، ومؤسسات بحثية متعددة في هذا المجال. والقمر الصناعي "الزهرة" هو قمر صناعي غير عسكري ومخصص لأغراض الاتصالات والإعلام.

ب- الطائرات: إن نظام التكنولوجيا الروسية في مجال تصميم وصناعة الطائرات هو نظام حديث ومتقدم، ولأن نظام التجهيزات في القوات الجوية الإيرانية يتصل من عدة جهات بالأنظمة الشرقية والأوروبية والغربية، حيث تتسم هذه التجهيزات بتنوع المصادر. ففي هذا المجال تحظى أيضاً عمليات التعاون مع روسيا في التعليم والتدريب ونقل التكنولوجيا وصناعتها مكانة عملية كبيرة.

ج- لدى روسيا تكنولوجيا متقدمة في صناعة نوع من الصواريخ البحرية أو الطوربيدات التي يتم إطلاقها من الغواصات والغرب يفتقد لهذه التكنولوجيا. فقد كانت حادثة تفجير الغواصة "كورسك"، والقبض على جاسوس أمريكي- أعلن بوتين العفو عنه بعد ذلك- محاولة من جانب أمريكا للوصول إلى تكنولوجيا صناعة هذه الطوربيدات.

د- كما أن أنظمة الصواريخ والدفاع الجوي الإيراني كان يتم تأمينها وشراؤها من الاتحاد السوفيتي في الماضي ثم من روسيا بعد ذلك. ونظراً لتوجه إيران للوصول إلى الاعتماد الذاتي في المجالات الصاروخية المتعددة، فيمكن أن تتحول مطالب الطرف الإيراني في هذا المجال إلى صواريخ ذات مدى أبعد وكفاءة أكثر.

لقد أعطى انهيار الاتحاد السوفيتي فرصة جيدة لكل من إيران وروسيا لتنمية التعاون فيما بينهما. كما أن التهديدات والمصالح المشتركة الموجودة بين البلدين، أخذت تدفع البلدين لكي تقترب كل منهما نحو الأخرى بشكل أكثر، فضلاً عن تقليلها للنفوذ والانتشار الأمريكي في منطقة أسيا الوسطى وما وراء القوقاز.

ويرى كثير من المحللين السياسيين التعاون بين هذين البلدين على أنه بمثابة إلغاء للنظام العالمي أحادي القطبية بزعامة أمريكا، وأن إيران في الظروف الحالية تقف إلى جانب روسيا كدولة منافسة، وأنها تسير بشكل سيجعل توازن القوى في المنطقة يتحول إلى صالحها، وربما لنفس هذا السبب وجدنا روسيا قد اتخذت في الأشهر الأخيرة موقفاً متحفظاً إزاء النشاط النووي الإيراني، وحولت وجهتها السياسية إلى حد ما لمسايرة السياسات الأمريكية وسياسات الدول* الأوروبية الثلاث الكبرى (بريطانيا وألمانيا وفرنسا).

٣- تحليل للمصالح الإيرانية في بحر قزوين:

رغم كون بحر قزوين منذ قديم الزمان مصدراً لرزق الشعوب المقيمة على شواطئه، ورغم استفادة جميع المناطق المحيطة به من دوره الفعال في النقل في المنطقة إلا أن أهمية هذا البحر قد تضاعفت وازدادت كثيراً خلال القرون والعصور الحديثة. إن الوضع القانوني لهذا البحر حالياً حيث لم توقع حتى الآن لائحته القانونية فهو وضع لافت للانتباه، فأساس هذا الوضع ما يزال قائم على الاتفاقيات والمعاهدات القديمة التي أبرمت في السابق بين إيران والاتحاد السوفيتي السابق.

وكمثال على ذلك تلك الاتفاقية القائمة الآن بين روسيا الاتحادية وجمهورية إيران الإسلامية حول أصول ومبادئ العلاقات المتبادلة والقواعد العامة للتعاون فيما بينهما والتي تم توقيعها بين فلاديمير بوتين ومحمد خاتمي في ١٢ مارس ٢٠٠١م، والتي تنص على وجوب الالتزام والحفاظ على الاتفاقيات السابقة حتى يتم إقرار نظام قانوني جديد بشأن النشاطات والأعمال والحركة في بحر قزوين. وتبرز من بين هذه الاتفاقيات السابقة معاهدة الصداقة بين الاتحاد السوفيتي وإيران التي أبرمت في فبراير عام ١٩٢١، وكذلك اتفاقية التجارة والملاحة البحرية بين الاتحاد السوفيتي

وإيران المبرمة فى مارس عام ١٩٤٠م.

ومنذ بداية ميلاد جمهوريات قزاغستان وتركمنستان وآذربيجان، وموضوع النظام القانونى لاستغلال بحر قزوين يعد أحد الموضوعات والقضايا المقلقة بشكل جدى بالنسبة للدول الخمس المطلة على هذا البحر.

فهذا النظام القانونى وما طرأ عليه من تغييرات وتطورات خلال العقد الفائت قد تأثر بعوامل عالمية مختلفة اقتصادية وسياسية وجيوبولتيكية واستراتيجية وكذلك فى مجال أمن الطاقة، وخاصة منذ عام ١٩٩٤م، وهو العام الذى شهد تكوين اتحاد الشركات الكبرى الدولية العاملة فى مجال النفط والغاز فى الدولة المطلة على هذا البحر، حيث أصبحت هذه القضية أكثر جدية وإلحاحاً من أجل الاستثمار والتنمية والتنقيب واستغلال ثروات هذا البحر. وحتى الآن وبشكل عام يوجد أربعة اتجاهات لتحديد ووضع النظام القانونى لبحر قزوين، وهذه الاتجاهات الأربعة تتلخص فيما يلى:

١-تحييد بحز قزوين وتحويله إلى بحيرة مدنية عن طريق إعمال وتنفيذ بعض القرارات والموانع: ففى كثير من الاتفاقيات المتعلقة ببحر قزوين، تم وصف هذا البحر على أنه منطقة سلام محايدة. ولكن يجب التنبه إلى أن منطقة سلام محايدة هذه لا تفيد فى تحديد أى نوع من الالتزام القانونى تجاه الدول التى وافقت على هذه المسألة.

ورغم أن إيران لم تتخل فى الماضى فى أى وقت من الأوقات عن مخاوفها من تهديدات الاتحاد السوفيتى لكن فى نفس الوقت يجب التنبه إلى أن ما كان يقوم به الاتحاد السوفيتى من نشر لقواته فى الجنوب كان يتم بطريقة يمكن القول معها أن الاتحاد السوفيتى لم يكن يفكر فى الهجوم على إيران عن طريق مياه بحر قزوين. والمفهوم الوحيد الذى يمكن إدراكه من مصطلح ومفهوم "منطقة السلام" هذا هو أن تلتزم الدول بعدم استخدام المعدات والوسائل العسكرية لتهديد بعضها البعض.

أما تحييد البحر وتحويله إلى منطقة مدنية فهذا يعنى رضا الطرفين عن نقل الأسلحة من المنطقة المعنية إلى مناطق ونقاط أخرى. وهناك مسألة أخرى يعنيها هذا المصطلح وهى تحديد ووضع سقف محدد لأسلحة معينة أو قبول إعلان المنطقة خالية من السلاح النووى أو أسلحة الإبادة الجماعية والدمار الشامل.

٢-التأكيد على الالتزام بالنظام القانونى القائم والموجود بالفعل: وهذا يعنى أن التمسك بمعاهدتى ١٩٢١ و ١٩٤٠م، واعتبار هذا البحر ملكية مشتركة ما بين الدول المطلة عليه، يضمن مصالح إيران الاقتصادية فى بحر قزوين بشكل أكثر، لكن يجب الالتفات إلى أن الاتحاد السوفيتى هو الذى كان قد بادر باقتراح هاتين المعاهدتين أيضاً، وأن حرية الملاحة الكاملة التى كان يتمتع بها السوفيت فى هذا البحر، وعدم الفصل بين السفن الحربية والمدنية قد حقق مصالح أمنية واسعة للاتحاد السوفيتى، ومثل تهديدات رئيسية تجاه إيران. وهذا الاتجاه الحسنة الوحيدة فيه فقط هى أنه منع دخول سفن وبواخر دول أخرى غيرهما أو استخدام مواطنين أجانب تابعين لدول أخرى. والنظام القانونى الموجود هو الملكية على المشاع أو السيادة المشتركة على البحر بين جميع الدول المطلة عليه بهدف الاستفادة المشتركة منه ومن مصادره وثرواته الطبيعية. والملكية المشاعة فى مفهومها العام هى نوع من المشاركة والاتحاد بين دول تربطها علاقة ما مشتركة بمساحة واسعة من الأرض. ويوجد شرطان أساسيان فى نظام الملكية المشاعة فى القانون الدولى أولهما: تساوى حقوق الدول المنتفعة فى هذه المساحة المشتركة من الأرض (مائية أو يابسة). وثانيهما: الاتفاق الصريح والواضح بين هذه الدول على وضع هذا النظام والتعامل به.

٣-التمسك بالمفاهيم والقوانين الدولية الخاصة بالبحار وذلك رغم أن الوثيقة المتعلقة بالقانون البحرى الدولى لا تسرى على البحار المغلقة مثل بحر قزوين. لكن الحكومات يمكنها أن تستند فى نزاعها هذا إلى المفاهيم والتعريفات الرسمية المدرجة فى هذه الوثيقة. فعلى سبيل المثال استندت حكومة قزاغستان مراراً وبشكل صريح إلى وثيقة ١٩٨٢م فى مذكراتها ومواقفها الخاصة بهذا النزاع.

وتميل تركمنستان أيضاً إلى الاستناد إلى هذه الوثيقة، كذلك فعلت روسيا فى كثير من المواقف والمواضع، ومنها استنادها إلى المادة (٦٤) من هذه الوثيقة فى إثبات أحقيتها فى صيد نوع معين من أسماك هذا البحر.

وهذا الاتجاه فى النظام القانونى لبحر قزوين يقترح أن تكون المياه الإقليمية لكل دولة من الدول المطلة عليه لمسافة تتراوح بين ١٢ إلى ٢٠ ميلاً بحرياً، بل إن بعض الدول مثل تركمنستان اقترحت بأن تصل حدود المياه الإقليمية إلى مسافة ٤٥ ميلاً بحرياً، وفى هذه الحالة ستكون مياه البحر ما وراء حدود المياه الإقليمية، مناطق بحرية حرة تتجول فيها بحرية كافة السفن التابعة لكافة الدول المطلة على البحر.

وهذا الاتجاه له آثار سلبية على إيران. إذ يمكن القول بأنه نظراً للتقسيمات التى تمت فى عام ١٩٩٨م لشمال بحر قزوين على أساس خط المنتصف، فإن هذا البحر قد فقد فرضية السيادة على المشاع. ففى حالة إذا ما أردنا استخدام أسلوب خط المنتصف فى التقسيم، فإن حصة كل دولة من مياه بحر قزوين سوف تكون على النحو التالى:

- قزاغستان: ٤ ,٢٨٪
- آذربيجان: ٢١٪
- روسيا: ١٩٪
- تركمنستان: ١٨٪
- إيران: ٦ ,١٣٪

٤-إنشاء مناطق بحرية وطنية: وهذا الاتجاه الذى تبنته آذربيجان منذ البداية، سوف يحقق مكاسب أكبر لإيران فى حالة ما إذا قبل الجميع مسألة أن تكون الملكية على المشاع، إذ أنه بناء على هذا الاتجاه سوف ينص النظام القانونى على أن تكون مسألة تعزيز وترسيم الحدود البحرية أو تقسيمها وتحديدها، بهدف قيام كل دولة من الدول المطلة على ساحل البحر بتنفيذ ووضع القوانين المتحكمة فى المصادر الطبيعية لسطح البحر بشكل فردى. وفى هذه الحالة سوف يتم تقسيم البحر إلى مناطق وطنية، لكل دولة منطقة خاصة بها تستطيع أن تفرض سيطرتها وسيادتها عليها دون أى قيد أو شرط. والمسألة الأساسية بالنسبة لإيران فيما يتعلق بهذا الاتجاه هى مدى اتساع المنطقة التى ستتبعها وتخضع لسيادتها وسيطرتها.

ومن الاتجاهات الأخرى المقترحة لهذا النظام القيام بعملية وتجميع وتوفيق بين كل هذه الخيارات وإدماجها بعضها مع بعض. فروسيا تعتقد منذ عام ١٩٩٨ أن أفضل خيار هو تقسيم ثروات سطح البحر على أساس خط المنتصف أى طبقاً لوثيقة قانون البحار والاستغلال المشترك لمياه السطح. وبينما يعتقد البعض الآخر أن النظام القانونى لبحر قزوين لا يمكن أن يكون على أساس الملكية على المشاع أو التقسيم الكامل. نجد روسيا وقزاغستان وآذربيجان ترى ضرورة تقسيم قاع البحر وجعل سطح المياه على المشاع، وهذا فى حد ذاته يعنى أنه يتوجب على هذه الدول أن تحدد وتعين حدوداً بحرية للحفاظ على مصالحها.

وحتى وقتنا هذا تتلخص وجهات النظر الإيرانية بشأن النظام القانونى لبحر قزوين فى النقاط التالية.

-من عام ١٩٩٢ حتى عام ١٩٩٧م، ترجيح مبدأ الشراكة وكذلك إمكانية قبول نظام الملكية المشاعة.

-من عام ١٩٩٧ حتى عام ٢٠٠٠م، ترجيح مبدأ التقسيم ولكن على أساس ٢٠٪ نصيب إيران.

-من عام ٢٠٠٠ حتى الآن، العودة لنظام الشراكة بسبب عدم تمكن الدول الأخرى من قبول مبدأ تساوى التقسيم أو التقسيم بأنصبة متساوية وفى نفس الوقت لاستمرار إيران فى الاحتفاظ بحصة الـ ٢٠٪ التى تطالب بها.

أما الاتجاهات والمواقف التى ترى إيران ضرورة اتخاذها إزاء النظام القانونى لبحر قزوين فهى كما يلى:

*ضرورة أن يكون هناك نظام قانونى موحد وواحد هو الحاكم والنافذ على البحر ككل.

*يجب أن يكون هذا النظام القانونى موضوعاً ومحدداً بناء على موافقة الدول المطلة على البحر وعلى أساس الإجماع فيما بينها، ودون قيام أى دولة من دول الساحل على إعمال وتنفيذ نظام قانونى من طرف واحد أو أحادى الجانب.

*يجب أن تؤخذ مسائل الأمن القومى لدول البحر ولسيادة الوطنية لهذه الدول والحفاظ على أمنها القومى، على محمل الجد عند وضع تفاصيل وشروح النظام القانونى لبحر قزوين.

*أن تحييد بحر قزوين وتحويله إلى منطقة مدنية إنما يهدف إلى الحفاظ على أمن الدول المطلة عليه.

*مراعاة مبدأ التعاون الكامل مع الدول المطلة على البحر وتجنب أى نوع من التصرفات أو الأعمال التى من الممكن أن تتسبب فى وجود توتر فى العلاقات بين دول الساحل.

٤-لعبة إيران فى مجال الطاقة:

لقد كان النفط والغاز فى بحر قزوين ونصيب إيران من هذه الثروات يمثل دائماً أحد التحديات التى تواجهها الحكومة الإيرانية. فبينما بذلت الدول الأخرى المطلة على هذا البحر جهوداً كبيرة لزيادة قدرتها على استغلال مصادر الطاقة فيه، نجد الإحصائيات تشير إلى أن نصيب إيران فى الحصول على الطاقة من هذه المنطقة يمثل صفر تقريباً، وأن إيران لم تستطيع حتى الآن أن تبدأ حتى فى استكشاف واستخراج النفط والغاز من هذه المنطقة.

إن منطقة بحر قزوين تعد من أهم المناطق الاستراتيجية التى ظهرت بعد نهاية الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتى كمنطقة واعدة تسعى نحو النمو والتقدم.

فمن بين ما تتميز به هذه المنطقة معدل ما تنتجه من نفط وغاز وهو الذى لفت إليها أنظار واهتمام كثير من دول المنطقة، وكما يقال فإن مصادر ومنابع النفط المكتشفة فى بحر قزوين يبلغ مخزونها من ١٥ إلى ٢٩ مليار برميل، وهو مخزون لافت للانتباه إذا ما قيس بمخزون النفط الأمريكى الذى يصل إلى معدل ٢٢ مليار برميل، وكذلك مخزون بحر الشمال الذى يصل هو الآخر إلى ١٧ مليار برميل، بينما يتراوح معدل مخزون الغاز فى هذا البحر أيضاً بين ٣٢٥، ٣٣٧ مليون قدم مكعب مما يشير إلى القيمة الاستراتيجية التى تتمتع بها هذه المنطقة.

ولأن أمريكا كقوة دولية لها مصالح ذات أهمية كبيرة فى هذه المنطقة، فهى تسعى لتقليل وإضعاف دور إيران سواء فى مسألة مد خطوط الأنابيب أو فى مسألة استكشاف النفط واستخراجه، وتضع إيران عملياً تحت ضغوط شديدة، ومن ناحية أخرى تحاول تقويض روسيا، وفى كثير من الأوقات تحاول أن تتعاون معها بشكل مخطط له ومدروس. وكنتيجة

لانهيار الاتحاد السوفيتى فإن إيران الآن أصبحت ترتبط بالشرق الأوسط والقوقاز وآسيا الوسطى، وتسيطر كذلك على ٦٤٠ كم من ساحل بحر قزوين وعلى ١٢٠٠ كم من ساحل الخليج العربى، وتبسط نفوذها وسيطرتها على مضيق هرمز الذى يمر عبره أكثر من ١٧ مليون برميل نفط يومياً.

إن إيران يمكنها أن تصبح لاعباً أساسياً ورئيسياً فى مجال الطاقة فى بحر قزوين. حيث يوجد فى جنوب هذا البحر حقول متعددة تستطيع إيران أن تبدأ عمليات التنقيب فيها، رغم قلة احتمال وجود كميات ضخمة من النفط والغاز. وهناك حفار بحرى فى أعماق مياه هذا البحر تحت اسم "البرز" يستعد فى الوقت الحالى للدخول فى عمليات التنقيب.

كما قررت شركة "بتروبراس" البرازيلية أن تتعاون مع إيران فى تنمية وتطوير أحد حقول البترول فى بحر قزوين.

كما أن حقل بترول "البرز" يمكن تنميته وتطويره كذلك بصورة مشتركة بين إيران وآذربيجان.

وتمثل إيران الطريق والمسار الأرخص والأقل تكلفة لنقل الطاقة لدول آسيا الوسطى والقوقاز التى ليس لها أى سبيل إلى البحار المفتوحة.

وقد تم الآن إنشاء خط أنابيب نكا - الرى بسعة استيعابيه نهائية تبلغ ٤٧٠ ألف برميل، فى منطقة شمال إيران. كما أن شركات توتال الفرنسية، وجاز مينوجاز القازاغسية، وايمبكس اليابانية تقوم الآن بدراسة إنشاء خط أنابيب آخر من الحقول الغنية فى كاشغان وتنجيز بقزاغستان إلى الحدود الإيرانية، وهو خط الأنابيب الذى سيقوم بنقل النفط الخام القازاغى إلى إيران وعن طريق إيران إلى الخليج العربى (الفارسى). كما أن شركة "بحر قزوين للملاحة البحرية" الإيرانية تقوم الآن ببناء ست سفن متوسطة لنقل البضائع فى هذا البحر، كما أوصت الشركة الوطنية الإيرانية لناقلات البترول باقتناء عشر حاويات خزانات ضخمة لنقل الوقود فى بحر قزوين.

٥ - إيران ونقل النفط والغاز من بحر قزوين إلى أوروبا

تعتبر أوروبا من المناطق المركزية والرئيسية من حيث استهلاك الطاقة على مستوى العالم. ورغم أن الدول الأوروبية تقوم الآن بنقل صناعاتها فى مجال الطاقة إلى الدول الآسيوية والأفريقية، إلا أن تنامى استهلاك الطاقة فى القارة الأوروبية مازال فى حالة صعود سريع وشديد. وتعد عضوية الدول الجديدة فى أوروبا الوسطى وشرق أوروبا وانضمامها للاتحاد الأوروبى أحد أسباب هذا الموضوع.

فالدول التى تحررت من الاقتصاد الشمولى والمركزى الذى ساد فى عهد تسلط الاتحاد السوفيتى تعيش الآن فترة من أزهى فتراتها الاقتصادية، مما سيؤدى إلى تنامى وتصاعد معدلات استهلاك الطاقة فى هذه الدول. فمن بين دول أوروبا الشرقية وأوروبا الوسطى استطاعت ١٢ دولة أن تجارى باقى الدول الأعضاء فى الاتحاد الأوروبى وتقف إلى جوارها فى التنمية المخطط لها والمنسقة بين دول الاتحاد. وهذا الأمر يحتاج إلى جهود أكثر للوصول إلى الاقتصاد المتقدم والمتنامى لدول غرب أوروبا مما سيؤدى بدوره إلى ارتفاع الطلب على الطاقة فى أوروبا بشكل عام. وقد شهدت سنوات عقد السبعينيات من القرن الماضى ما قامت به إيران من إثبات وتسجيل استعدادها أكثر من الآخرين فى القدرة على تقديم غاز رخيص وبلا شروط إلى أوروبا، وتقدمت إلى الأمام فى هذا السبيل بإنشائها لخط الأنابيب العملاق لنقل هذا الغاز. لكن الأوروبيين لكى يرضوا الاتحاد السوفيتى فضلوا ترجيح رغبة الاتحاد السوفيتى عن التعامل باقتصاديات السوق وشراء الأرخص، إلى أن وقعوا الآن فى نفس المشكلة من جديد. فرغم أن أوروبا تعتبر فقيرة من حيث الطاقة، إلا أن بحراً من الطاقة يحيط بأكنافها.

ومن الفرص المتاحة أمام إيران فى هذا المجال مشاركتها فى خط الأنابيب المقرر أن تقوم بنقل الغاز من تركيا إلى النمسا وألمانيا عن طريق بلغاريا ورومانيا والمجر وهذا الخط الذى اشتهر باسم "نابوكو" يمكن أن يكون ربطاً مباشراً لمسار الغاز بين إيران وأوروبا.

٦ - تحقيق ارتباط أكثر مع تركمنستان وأفغانستان وأذربيجان: تمتلك تركمنستان مصادر للغاز تستفيد منها فى تقوية وتدعيم علاقاتها مع إيران وروسيا. فقد وقع التركمان عقداً لتصدير ١٠٠ مليار متر مكعب من الغاز بحد أقصى سنوياً إلى روسيا، ولكن بسبب محدودية سعة استيعاب الأنبوب كان عقدهم مع إيران لا يزيد عن تصدير ٨ مليار متر مكعب فقط من الغاز فى السنة وكان من المقرر أن تصل هذه الكمية إلى ١٤ مليار متر مكعب فى العام الفائت ٢٠٠٧م. وإيران يمكنها أن تكون بمثابة بوابة تنمية تركمنستان وانفتاحها على الخارج، كما تستطيع إيران أن تربط بها كل من أفغانستان وتركمنستان. فشبكة خطوط السكك الحديدية الإيرانية وشبكة الطرق فى إيران تسمح بإمكانية أن تتم صادرات وواردات أفغانستان وتركمنستان عن طريق أحد الموانى الإيرانية على الخليج العربى (الفارسى) وبحر عمان.

أما وضع جمهورية آذربيجان فهو وضع مختلف. إذ على الرغم من الضجة التى تثيرها أمريكا حول آذربيجان، إلا أن هذا البلد لا يعد قوياً إلى هذا الحد من حيث امتلاكه لمصادر الطاقة. وربما كانت أهم مصادر الطاقة التى تمتلكها آذربيجان فى بحر قزوين هى حقول "آذرى، وجونشلى، وتشراغ"، حيث يقوم اتحاد شركات برئاسة بريتش بتروليوم

فى الوقت الحالى باستثمار حوالى ٨ مليار دولار فى هذه الحقول. لكن على ما يبدو أن هذا الإنتاج من النفط لا يسد العجز الحادث فى خط أنابيب (باكو، تفليس، جيهان) الذى تبلغ سعة استيعابه مليون برميل.

ولنفس هذا السبب تبذل أمريكا جهوداً كثيرة لإنشاء أنبوب من اكتائو إلى باكو عن طريق بحر قزوين بينما تعارض كل من إيران وروسيا الاتحادية هذا المشروع بشدة لأسباب متعلقة بسلامة البيئة. وإيران يمكنها أن تقوم بنقل النفط الخام من أكتاكو إلى باكو مستخدمة فى ذلك ناقلاتها البترولية فى بحر قزوين لتثبت عدم الجدوى الاقتصادية لفكرة إنشاء أنبوب يكون مساره فى مياه بحر قزوين. كما تستطيع إيران أن تعمل مع جمهورية آذربيجان كذلك فى عمليات التنقيب والاستخراج فى حقل بترول "البرز". وفى المنطقة الوسطى من بحر قزوين تستطيع إيران أيضاً أن تبرم عقداً لاكتشاف البترول فى بعض المناطق والقطاعات التى كلفت شركة بترول "شل" بالعمل فيها.

وفى تركمنستان، اقترح كل من الروس والتركمان أن يجمعهم مع إيران تعاون ثلاثى. فبينما كنا نظن فى الماضى أن أى نوع من التعاون مع هذه الدول يعد تعاوناً مع منافس حقيقى لإيران ويؤدى حتماً إلى إلحاق الضرر بالإيرانيين، فقد أصبح الآن من الأفضل من الناحية الجيوبولتيكية أن تقوم بترغيب وتشجيع الآذريين على هذا التعاون حتى يمتد خط أنابيبهم إلى تبريز.

وفى أكتوبر من عام ٢٠٠٥م ومع تواجد خبراء عسكريين أمريكيين قامت أمريكا بإنشاء محطتى رادار فى آذربيجان، إحداهما فى منطقة "أستارا" فى المنطقة الحدودية مع إيران والثانية فى الشمال فى منطقة "خيزين". وهذا الموضوع لا يمكن أن يكون بعيدا عن اهتمام روسيا السياسى والعسكرى بالمنطقة المحيطة ببحر قزوين.

فروسيا لها قواعدها ومراكزها العسكرية والأمنية داخل آذربيجان وكذلك فى "قره باغ" وأرمينيا. وتعتبر محطة الرادار الروسية "قبله" المنصوبة فوق قمة الجبال القريبة من "شماخى" بآذربيجان جزءاً من نظام الإنذار ضد أى هجوم صاروخى، ذلك النظام الروسى الذى بدأ يعمل منذ ٢٠ فبراير ١٩٨٥م. والمدى والنطاق الذى يغطيه هذا النظام يسمح بمراقبة النقاط التى يمكن أن يطلق منها الصواريخ متوسطة المدى والصواريخ التى تطلق للعمليات التكتيكية.

ونظراً إلى أنه قد تم فى القطاع الشمالى من بحر قزوين اتفاقات فيما بين روسيا وقزاغستان، وكذلك بين روسيا وآذربيجان بشأن ترسيم الحدود البحرية فى بحر قزوين وصارت هذه الحدود واضحة ومحددة، فعلى ما يبدو أن أفضل اختيار أمام إيران هو التعاون والمصالحة مع الدولتين الجاريتين المباشرتين لها ونعنى بهما تركمنستان وآذربيجان.

٧ - إنشاء وتأسيس منظمة للتعاون والأمن فى بحر قزوين:

لقد تم طرح مسألة إنشاء وتأسيس منظمة للتعاون والتنسيق بين الدول المطلة على ساحل بحر قزوين فى الفترة التى تلت انهيار الاتحاد السوفيتى وزيادة عدد الدول على ساحل هذا البحر من دولتين إلى خمس دول. حيث قام رئيس جمهورية إيران الأسبق هاشمى رفسنجانى بطرح فكرة تشكيل هذه المنظمة فى عام ١٩٩٢م أمام قمة دول بحر قزوين.

وأقدمت الدول الأخرى المطلة على هذا البحر على قبول هذه الفكرة والتمهيد لتشكيل أمانة هذه المنظمة، ولكن هذه الدول اتبعت سياسات تراجعية عند تنفيذ الفكرة بسبب طمعها فى تحقيق مكاسب أكثر من المصادر الطبيعية وثروات هذا البحر وبسبب القلق الذى أثارته أمريكا حول تشكيل مثل هذه المنظمة. كما أن فكرة تحييد هذا البحر وتحويله إلى منطقة مدنية سلمية كانت إيران أيضاً هى التى طرحتها لأول مرة أثناء الزيارة التى قام بها المرشد الأعلى آية الله خامنئى لميناء "أنزلى" فى عام ٢٠٠١م، بعدها طالب رئيس جمهورية روسيا الاتحادية فلاديمير بوتين فى عام ٢٠٠٥م بمشاركة جميع الدول المطلة على بحر قزوين ومن بينها إيران فى إنشاء وتشكيل منظمة لحفظ السلام والاستقرار والأمن فى منطقة بحر قزوين.

وكان توجه بوتين منصباً بشكل أكثر نحو تشكيل منظمة لحفظ الأمن، بينما كانت رؤية إيران منصبة على مسألة تحقيق النمو والتقدم الاقتصادى فى المنطقة. وبناء على تصريحات بوتين فإن الهدف الأساسى من تشكيل وإنشاء منظمة لحفظ السلام والاستقرار والأمن فى منطقة بحر قزوين سوف يكون مركزاً على تحقيق التنمية والتوسع فى التعاون بين الدول المطلة على هذا البحر فى مجالات مكافحة الإرهاب الدولى ومنع انتشار أسلحة الدمار الشامل.

وقد انطوى مفهوم الاقتراح الروسى بشأن النشاط العسكرى فى بحر قزوين على موضوعين: أولهما، أن روسيا اقترحت إدراج صيغة لحفظ التوازن فى تمركز القوات العسكرية لدول البحر فى اللائحة القانونية لبحر قزوين وإيجاد بنية عسكرية فى منطقة بحر قزوين بشكل معقول وبحد كاف، وثانيهما يتعلق بمنع استخدام القوة أو التهديدات العسكرية، واستغلال بحر قزوين بشكل سلمى بحت، حيث كان الاقتراح الروسى باستكمال هذا البند بإضافة قاعدة ومبدأ منع وجود تهديدات خارجية فى بحر قزوين ومنع تواجد قوات عسكرية تابعة لأى دولة أجنبية فى هذا البحر.

فطبقاً للاتفاق الذى كان قد وقع بين إيران والاتحاد

السوفيتى فى عام ١٩٤٠م، لم يكن مسموحاً لعلم أى دولة أن يرفع فى هذا البحر باستثناء دولتى الساحل واللتين كانتا فى ذلك الوقت إيران والاتحاد السوفيتى، وبعد أن أصبح عدد دول الساحل خمس دول بعد انهيار الاتحاد السوفيتى ظل الوضع كما كان عليه فى السابق، واستمر منع أى قوات عسكرية تابعة لدول أجنبية من أى تواجد فى بحر قزوين.

وبينما نجد توجه بعض الدول المطلة على هذا البحر وتركيزها فى تحركها على تحييد البحر وتحويله إلى منطقة مدنية سلمية، نجد البعض الآخر من هذه الدول الخمس تسعى نحو أقصى حد من استغلال واستخدام المدى الكبير والنطاق الواسع لمياه هذا البحر المغلق وذلك بسبب كثرة ما لديها من قطع بحرية عسكرية يفوق عددها عما لدى الآخرين من الدول المطلة على هذا البحر ولذلك فعلى إيران أن تتخذ سياسة دقيقة وحذرة فيما يتعلق بهذا الموضوع. ففى نفس الوقت الذى تؤيد فيه إيران مسألة تحييد البحر وتحويله إلى منطقة مدنية سلمية، عليها أن تنتبه أيضاً إلى أن هذه المسألة سوف تجعل بحر قزوين مفتقداً لأى نوع من المقدرة الدفاعية من ناحية إيران.

فروسيا مثلاً لديها على أقل تقدير ١٠٥ قطعة بحرية حربية مجهزة في هذا البحر، وهذه القطع تمثل الجانب الأكبر من أسطول شبه جزيرة القرم في البحر الأسود الذى انتقل بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وظهور الخلافات مع أوكرانيا إلى بحر قزوين. وبناء على ذلك فإن روسيا تعتبر الآن القوة الوحيدة التى لا منازع لها في بحر قزوين. وتأتى إيران بعد روسيا في هذا الترتيب ولكن بفاصل كبير في عدد القطع البحرية، ثم تليها قزاغستان وأذربيجان وتركمنستان.

كما اقترحت روسيا أيضاً على الدول المطلة على هذا البحر بأن تقوم فيما بينها بتشكيل قوات متعددة الجنسيات للردع وللتدخل السريع في المنطقة، وهناك عدة أسباب ودوافع لهذا الاقتراح والفكرة التى تقدمت بها موسكو، فالمسئولون في الكرملين يرون أن منطقة بحر قزوين تعد بمثابة مفترق طرق لتحرك عملاء الإرهاب من مراكز الإرهاب الإقليمية وهؤلاء الإرهابيون مازالوا متواجدين في العراق وأفغانستان وباكستان وباقى دول المنطقة.

فعملاء الإرهاب وأعضاء المليشيات الإرهابية يقومون بالتسلل عبر طرق سرية وأحياناً بشكل علنى إلى إيران وقزاغستان وروسيا وما وراء القوقاز مستغلين في ذلك عدم التنسيق الحادث بين الجهات والهيئات الحكومية في دول بحر قزوين. ويرى المحللون الروس أن جميع الدول المطلة على هذا البحر ليس لديها الإمكانات الكافية للقيام بمواجهة مستقلة مع هذه الأخطار الجديدة. فقد أعلن بوتين في أول اجتماع لقمة الدول المطلة على بحر قزوين المنعقد في عام ٢٠٠٢م، أن بلاده على استعداد للقيام بتعاون لصيق مع جيرانها على ساحل بحر قزوين لمكافحة الإرهاب الذى تتعرض له المنطقة.

وهناك خطر أخر له نفس هذا القدر من الجدية، ويتمثل في تهريب المخدرات. فتهريب المخدرات من أفغانستان، المركز الرئيسى لإنتاج المخدرات، إلى جميع دول المنطقة يتم عن طريق مفترق الطرق المتمثل في بحر قزوين. وبناء على هذا فإن تشكيل قوات متعددة الجنسيات للردع السريع هو عمل في محله تماماً، وسوف تكون المهمة الأساسية لهذه القوات مركزة على مكافحة الإرهاب. وترى موسكو وكذلك أن التوصل إلى تفاهم بشأن ضرورة توفير والمحافظة على أمن الدولة المطلة على بحر قزوين عن طريق هذه الدول نفسها ودون أى تدخل أجنبى هو مسألة لها أهميتها القصوى.

وهذا الفكر إنما نبع من روح التفاهم والتوافق التى سادت في العلاقات بين دول بحر قزوين. فمنذ يناير من عام ٢٠٠٥م، عندما طرح في جلسة قادة القوات البحرية التابعة للدول الخمس المطلة على بحر قزوين في "استراخان" اقتراح بتشكيل قوات أمن إقليمية وقوات حفظ السلام في منطقة قزوين "كاسفور" باستخدام قوات وإمكانات دول بحر قزوين على غرار ما هو حادث في البحر الأسود، والدبلوماسية الروسية تحاول جاهدة إدراج وتسجيل مسألة ومبدأ منع تواجد ليس فقط السفن الحربية بل كافة القوات المسلحة التابعة لأى دولة أجنبية غير الدول الخمس المطلة على البحر، في منطقة قزوين، في اللائحة التأسيسية لهذه المنظمة. وإيران تقوم بالفعل بمساندة وتأييد هذا الاقتراح.

الخلاصة والنتائج:

١- إن مستقبل السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في حاجة إلى اهتمام وتدقيق وتنظير استراتيجى لوضع استراتجيات تتطابق مع أهداف الخطة العشرينية الإيرانية. فالعولمة تسببت في تنامى وتصاعد أهمية العلاقات الخارجية بين الاستراتيجيات التى تتخذها مختلف الحكومات في العالم.

٢- أن جانباً من هذه الدراسة حاول إثبات كيف خلطت الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الأبعاد المختلفة والمتنوعة للحكومة الإسلامية بالديمقراطية البرلمانية.

إذ أن كثيراً من الدارسين قد أصروا على ازدواجية نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، لكن على ما يبدو أن هناك نوع من الإجماع بين صانعى القرار في وضع وترسيم السياسة الخارجية الإيرانية. وخاصة عندما تتعرض البلاد لتهديد ما، فقرارات الحكومة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية يمثل بشكل أكثر نحو تحقيق المصلحة الوطنية والحفاظ على مصالح البلاد.

٣- ومن وجهة نظر نقدية وانتقادية، إذا نظرنا إلى المدى الزمني لاتخاذ القرار في السياسة الخارجية الإيرانية فسوف ندرك أن هذا المدى يعتبر طويلاً نسبياً، وفى حالة وجود أزمة أو مشكلة يكون قصر المدى الزمنى من مختصاتها الأساسية فإن هذه الطريقة في اتخاذ القرار لن تكون مجدية، لكن هذه الطريقة من ناحية أخرى، تؤمن المصالح الوطنية للبلاد بشكل أفضل على المدى البعيد.

٤- أن تلاؤم أو عدم تلاؤم أهداف السياسة الخارجية الإيرانية مع المناخ السائد والمسيطر على الساحة الدولية لا يأتى بالضرورة كنتيجة للأهداف المتعارضة، فمن الممكن أحياناً أن تؤدى الدبلوماسية الضعيفة والهشة والمتحفظة والتى تتسم بسوء الرؤية، التى ينتهجها صانعو القرار وينفذها الدبلوماسيون إلى عدم تنفيذ كثير من الأهداف المتوائمة بل وحتى غير المتعارضة مع اللاعبين فى ساحة السياسة الخارجية الإيرانية.

٥-ولأن المجال العملى والتنفيذى للسياسة الخارجية يمتد إلى أبعد من المجال والنطاق الذى يتم فيه اتخاذ هذه القرارات المتعلقة بالسياسة الخارجية، فمن الطبيعى أن تبقى نسبة مئوية من أهداف السياسة الخارجية الإيرانية غير مجدية وبعيدة عن التنفيذ.

٦-أن وثيقة الخطة العشرينية الإيرانية، يمكن أن تكون دليلاً إرشادياً حقيقياً وواقعياً للتخطيط الذى نضعه لسياساتنا الخارجية. ومن هذا المنطق يجب وضع استراتيجيات مناسبة للوصول إلى الأهداف المدرجة فى هذه الوثيقة. فنحن نحتاج إلى خريطة طريق للوصول إلى مكانتنا الطبيعية فى المنطقة، ونعنى بها آسيا الوسطى وبحر قزوين والقوقاز.

٧- التخطيط والتنظير للسياسة الخارجية الإيرانية بناء على نقاط القوة التى تتمتع بها إيران والفرص المتاحة أمامها، يعني أن إيران تستطيع بشكل طبيعى أن تكون العامل الأهم والسبب الرئيسى فى تنمية الدول المجاورة لها وخاصة تركمنستان وطاجيكستان وأرمينيا وآذربيجان وأفغانستان والعراق. فعدد المهندسين الهنود الآن فى أفغانستان يفوق عدد الإيرانيين، والقوى البشرية الإيرانية المتخصصة التى تعمل فى العراق الآن فى أدنى تواجد لها وذلك بسبب انتفاء وجود حماية سياسية من قبل الحكومة الإيرانية للقطاع الخاص.

٨-أن هذا التوافق فى التوجهات ما بين إيران والدول الآسيوية الذى تم فى إطار اتفاقيات ومعاهدات مثل "شنغهاى، وآكوا، ومنظمة التعاون والأمن فى آسيا" ليثبت حقيقة أنها لعبة الخطوة خطوة.

دراسة

الطاقة فى خطر.. إيران، النفط، والغرب (٢/ ٢)

Simon Henderson, Policy Focus #83,

Washington institute for near east policy, June 2008

إعداد: سمير زكى البسيونى

خط الطاقة الأمامى: علاقات إيران الثنائية

تحاول إيران تأسيس وتطوير سلسلة من العلاقات الثنائية مع الدول والشركات الأجنبية التى ستحاول عن طريقها الولايات المتحدة فرض عقوبات لعزل إيران وإجبارها على تغيير سياساتها النووية، الضغط الدولى من الممكن أن يكون فعالاً وهناك إشارات عديدة على هذا، منها على سبيل المثال ما أعلنته بعض الشركات الأوروبية فى مجال الغاز والنفط (شل وريسبول) أنهما غير جاهزين لتوقيع عقود استغلال احتياطات الغاز الإيرانى الضخمة وذلك بسبب الضغوط الأمريكية عليهما.

الجانب الأهم لعلاقات إيران فى مجال الطاقة يتركز على الغاز الطبيعى، فإيران ونظراً لأنها تمتلك أكبر احتياطى للغاز الطبيعى فى العالم بعد روسيا الاتحادية فإنها من المفترض أن تظل مصدرة للغاز الطبيعى لعقود قادمة. حتى قبل قيام الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ كانت إيران تقوم بتصدير الغاز الطبيعى إلى الجمهوريات السوفيتية الجنوبية خاصة لأذربيجان وأرمينيا وكانت تضع خطط لتعظيم وزيادة الصادرات.

إيران لا تعتبر مجهز للطاقة يمكن الوثوق أو الاعتماد عليه بشكل كبير، والدليل على هذا أنه فى يناير ٢٠٠٨ وفى منتصف الشتاء المحلى الأكثر برودة فى إيران منذ سنوات قامت إيران بوقف تصدير الغاز الطبيعى إلى تركيا لمدة ثلاثة أسابيع وذلك لأن انخفاض درجة الحرارة بشكل كبير أدى إلى زيادة الطلب المحلى على الغاز، حتى بعدما عاودت إيران استئناف التصدير كان تدفق الغاز أقل من معدله الطبيعى حيث كان معدل التصدير يتراوح ما بين ١٥ و ٢ مليون متر مكعب وذلك بدلاً من المعدل الطبيعى الذى كان يصل إلى ٢٩ مليون متر مكعب.

هذه المشكلة فى تصدير الغاز الإيرانى كانت ترتبط بمشكلة أخرى وهى نقص فى تجهيزات الغاز الطبيعى القادمة من تركمنستان وذلك لنفس الأسباب المتعلقة بالطلب المحلى المتزايد، ولهذا أضطرت تركيا إلى وقف التصدير إلى جيرانها الغربيين مثل اليونان، كما قامت بزيادة وارداتها من روسيا.

على المدى البعيد تحتاج إيران إلى تغييرأنبوب الغاز الحالى إلى تركيا أو بناء أنبوب جديد، ومن الناحية الجغرافية تعد تركمانستان الجار الأقرب والمناسب للقيام بعمليات التصدير عن طريقها، لكن تركمانستان ما زالت تفكر فى استغلال فرص التصدير للدول الأخرى من الاتحاد السوفيتى السابق.

يتمثل المفتاح الرئيسى لطموحات إيران فى مجال الغاز الطبيعى فى حقل الغاز فى جنوب الخليج "الفارسى" والذى منه تسعى إيران إلى تجهيز ومد أوروبا بأكثر من ١٥ مليار متر مكعب من الغاز الطبيعى سنوياً. فى يوليو ٢٠٠٧ وقعت إيران وتركيا اتفاق تعاون فى مجال الطاقة ويقضى بالموافقة على تطوير حقل الغاز العملاق فى الجنوب، ولكن الصفقة كانت متوقفة بسبب عدم أكمال الدراسات من الجانب التركى، وهذا الاتفاق سيكون جزء من اتفاق أكبر يقضى بمرور الغاز الطبيعى الإيرانى عبر تركيا إلى أوروبا، بالإضافة إلى عبور الغاز الطبيعى من تركمانستان عبر إيران إلى تركيا.

الجزء الأوروبى من المشروع يعرف بخط نابكو (Nabucco) ويدخل فى هذا المشروع شركة (أو. أم. فى)

النمساوية وتؤكد التقارير أن هذا الجزء من المشروع يتكلف ٣٢ مليار دولار، وقد تعرض لهجوم فى النمسا حيث القلق حول البرنامج النووى الإيرانى فى عام ٢٠٠٨. الحكومة النمساوية التى تمتلك ٣١٥ ٪ من شركة (أو. أم. فى) أكدت أنها لن تتدخل فى القضية لأن شركة (أو. أم. فى) تعتبر شركة خاصة، أما الشركة فقد أبعدت نفسها عن القضية بالقول "أنها لا تستطيع تحمل مسئولية مواقف سياسية تتبناها إيران".

فى مارس ٢٠٠٨ وقعت إيران وسويسرا اتفاقية لتصدير الغاز الطبيعى الذى سوف يصل إلى أوروبا عبر خط نابكو (Nabucco)، وقد شهد التوقيع على الاتفاقية فى طهران وزير الخارجية السويسرى ميشيل كالمى الذى أكد أن الاتفاق بكامله سوف يلتزم بقرارات مجلس الأمن المفروضة على إيران. المهم أن العديد من الصفقات التى تقوم إيران بها مع الشركات الأوروبية قد تواجه صعوبات عديدة فى عملية التنفيذ وذلك نتيجة للمخاوف المسيطرة على هذه الشركات من العقوبات الدولية والأمريكية المفروضة على إيران، ورغم هذا تعمل إيران دائماً على تطمين هذه الشركات بعدم فعالية هذه العقوبات وعدم جدواها وتأثيرها على صناعة النفط فى إيران، فقد صرح وزير النفط الإيرانى فى مؤتمر صحفى قائلا: "العقوبات غير مؤثرة، وهى وسيلة قديمة ومملة لصناعة النفط الإيرانى، شعارات التكبر العالمى لا مكان لها فى مجال صناعة النفط فى إيران".

الدول غير الغربية قد تظهر مخاوف سياسية أقل فى مسألة التعامل مع إيران، ففى فبراير ٢٠٠٨ وافق عملاق الطاقة الروسى (جازبروم) على الاشتراك فى مشروعات الطاقة فى إيران خاصة تطوير حقول النفط فى الجنوب، وفى نفس الشهر قامت شركة (سى إن أو سى) الصينية بتوقيع عقد مع إيران لتطوير حقول الغاز الطبيعى فى الشمال بتكلفة ١٦ مليار دولار، وفى ديسمبر ٢٠٠٧ وقعت مجموعة (سينوبك) الصينية اتفاقاً مع إيران لتطوير حقل نفط (يادافاران) الساحلى.

تحاول طهران أيضاً زيادة التعاون فى مجال الطاقة خاصة الغاز مع جيرانها من الدول الخليجية، فالمشروع الخاص بتصدير الغاز الإيرانى إلى الامارات العربية المتحدة ما زال يواجه بعض المشكلات أهمها الاعتراض على أسعار الغاز من الجانب الإيرانى الذى يؤكد أن الغاز يأتى من حقل سلمان البعيد عن الشاطئ والذى تكلفت عملية تطويره مليار دولار، أما الامارات فقد أكدت أن إيران تأخرت فى إكمال عملية تصدير الغاز إليها. على الجانب الآخر ما زالت إيران تناقش عملية تصدير الغاز الطبيعى إلى البحرين، وقد صرح وزير النفط والغاز البحرينى عبدالحسين مرزا فى فبراير ٢٠٠٨ أن اللجنة المشتركة بين الدولتين سوف تنتهى من إبرام الصفقة فى نهاية العام، وكانت مذكرة التفاهم على تصدير مليون متر مكعب من الغاز الإيرانى يومياً إلى البحرين قد وقعت أثناء زيارة الرئيس الإيرانى محمدى أحمدى نجاد للبحرين فى نوفمبر ٢٠٠٧، وقد أكدت إيران أن احتياطات الغاز الطبيعى فى حقل الغاز الجنوبى البعيد عن الشاطئ سوف تخصصها لصادرات الغاز المستقبلية للبحرين.

وتعد المملكة العربية السعودية وقطر من أكثر الدول الخليجية التى تزود البحرين بالغاز الطبيعى، فالبحرين لديها اتفاقية مع قطر وقعت عام ٢٠٠١ بمقتضاها تصدر قطر للبحرين ٥٠٠ مليون قدم مكعب من الغاز الطبيعى يومياً، لكن هذه الاتفاقية لكن لم تطبق هذه الاتفاقية حتى الآن.

أيضاً عمان والكويت ينظران باهتمام كبير للغاز الإيرانى، ففى أبريل ٢٠٠٨ وقعت عمان وإيران صفقة للاشتراك معاً فى تطوير حقل (كيش) فى الخليج، حيث اقترحت شركة نفط عمان استثمار مبلغ ٢ مليار دولار فى هذه الصفقة.

أما المشروع الأكثر طموحاً فهو مشروع خط أنابيب الغاز بين إيران وباكستان والهند والذى تقدر تكلفته بـ ٧٤ مليار دولار، فى فبراير ٢٠٠٨ وعلى الرغم من إعلان وزارة الخارجية الإيرانية أن المفاوضات الخاصة بالمشروع قد توقفت بناء على طلب الدول الثلاثة، فإن توقف المفاوضات يرجع بالأساس إلى الاختلافات الكبيرة بين باكستان والهند، فقد انسحبت الهند من المحادثات فى سبتمبر ٢٠٠٧ بسبب فشلها فى الاتفاق مع باكستان حول تعريفة نقل الغاز إلى حدودها. وكانت القدرة المخططة لخط الغاز تقدر بـ ٦٠ مليون متر مكعب من الغاز يومياً. وكانت إيران قد اقترحت أن تحل الصين محل الهند فى الاتفاق. أما الهند وباكستان فقد أبديتا انزعاجاً كبيراً بسبب طلب إيران أن يتم مراجعة صيغة سعر الغاز كل ثلاثة سنوات بدلاً من سبع سنوات والتى كانت قد نوقشت من قبل.

إلى جانب خطوات إيران فى سبيل زيادة الاتفاقيات الثنائية مع الدول الأخرى فى مجال الغاز الطبيعى تعمل إيران أيضاً على زيادة الاهتمام بالنفط والكهرباء.

*** النفط:**

ما زالت إيران تحاول أيضاً زيادة قدراتها لتصدير النفط الخام إلى آسيا، فالأرقام فى عام ٢٠٠٧ تشير إلى أن الصادرات النفطية الإيرانية إلى الصين واليابان وكوريا الجنوبية قد زادت بنسبة ٢٥ ٪ حيث وصلت إلى ١١٦٥ مليون برميل يومياً، وعلى الرغم من أن دول الشرق الأوسط ترسل ٦٤ ٪ من نفطها إلى آسيا و ١٦ ٪ إلى أوروبا، فالأرقام الإيرانية تؤكد أن إيران تصدر ٥٦ ٪ من نفطها إلى آسيا و ٢٩ ٪ إلى أوروبا.

***الكهرباء:**

تعد إيران مصدر ومستورد للكهرباء وتحاول أن تصبح

محور إقليمي فى هذا المجال، وهناك صفقات للكهرباء مع دول عديدة مثل أفغانستان وتركيا وأرمينيا وأذربيجان وتركمانستان، بالإضافة إلى المحادثات الجارية مع دبى وعمان وباكستان، أيضاً العراق وجورجيا يمكن أن تكونا شريكين لإيران فى هذا المجال. بالطبع الدور المعلن عنه لمفاعل ناتانز لتخصيب اليورانيوم يمكن أن يساعد إيران فى زيادة قدراتها لتصدير وقود اليورانيوم لمحطات الطاقة النووية وفى توليد الطاقة.

إذا ما أقدمت إيران على إستخدام القوة العسكرية أو القيام بعمليات تخريبية متعلقة بمصالح الدول النفطية الخليجية لان الولايات المتحدة من المتوقع أن ترد بعمل عسكرى ضد إيران، مثل هذا العمل الإيرانى يدفع المجتمع الدولى للقلق ومن المحتمل أيضاً أن يترتب عليه إدانة من جانب مجلس الأمن.

وتعمل القوات الأمريكية الموجودة فى المنطقة على وضع الخطط التى تمكنها من الإبقاء على مضيق هرمز ومنع القوات العسكرية الإيرانية من إغلاقه وذلك بالتعاون مع عدد من أعضاء حلف شمال الأطلنطى "الناتو". على الجانب الآخر تعكف القوات العسكرية الإيرانية على القيام بالتدريبات والتى تشمل إغلاق مضيق هرمز، ويقدر الخبراء العسكريين الفترة التى تحتاجها الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها لتنظيف مضيق هرمز وإعادته إلى وضعه الطبيعى فى حالة وجود أية محاولة إيرانية لإغلاقه بحوالى شهر أو أكثر.

فى حالة تجدد القتال مرة أخرى إيران من المحتمل أن تسترد جزء من صحوتها وعافيتها من خلال التمكن من تدمير احدى السفن الأمريكية الضخمة المتواجدة بالمنطقة، خطر آخر مساوى للخطر السابق وهو أن تكون القوات الأمريكية الموجودة على اليابسة هدفاً للقوات الإيرانية.

هناك عدة أهداف أخرى قد تتجه إيران لاستهدافها وهى الدول الخليجية المجاورة لإيران حيث يوجد بكل هذه الدول عدد كبير من القوات والقواعد العسكرية الأمريكية، كما يمكن لإيران أن تقوم بإثارة الشيعة الموجودين فى بعض الدول الخليجية المجاورة لها مثل الأغلبية الشيعية فى دولة البحرين، كما يمكن أن تكون محطات الكهرباء ومحطات تحلية المياة أحد الأهداف المهمة لإيران فى حالة المواجهة.

أما بالنسبة للولايات المتحدة فثمة أهداف تقليدية قد تتجه إلى التركيز عليها على رأسها استهداف القدرات النفطية التصديرية لإيران، وذلك على الرغم من أن هذا العمل قد يثير احتجاجات عدد كبير من الدول نظراً لما سيؤدى إليه من أزمة طاقة كبيرة فى العالم، ولكن بصرف النظر عن هذا يمكن أن تقوم الولايات المتحدة بهذا العمل عن طريق استهداف حقل (kharg) الذى يعد الحقل الرئيسى الذى تعتمد عليه إيران فى تصدير النفط، كما أن إيران تدرك أنها ليست بعيدة عن الهجوم الجوى الأمريكى.

على الرغم من أن النصر العسكرى قد يكون مؤكداً سواء بالنسبة للولايات المتحدة أو أياً من حلفائها، إلا أن النتائج السياسية لهذه العملية العسكرية ضد إيران قد تكون غير مؤكدة، ولعل التجربة الأمريكية فى العراق تعد أكبر دليل على هذا، فالأخطاء العسكرية والتكتيكية للجيش الأمريكى فى العراق أدى إلى ردود فعل عالمية عكسية، وذلك مثلما حدث عام ١٩٩٨ عندما أخطأ الصاروخ الأمريكى (فينسينز) وأصاب طائرة مدنية إيرانية وأدى إلى مقتل ٢٩٠ فرد.

النقطة المعقدة المهمة التى يمكن أن تشكل القضية الأهم لدى المجتمع الدولى وهى المتعلقة بنشاطات إيران النووية، لأنه بمرور الوقت قد تشعر الدول الأخرى بقلق أكبر تجاه نشاطات إيران النووية، لأن هذه الدول تدرك أن إيران فى حالة تمكنها من إمتلاك الاسلحة النووية فإن منطقة الخليج "الفارسى" سوف تصبح محرمة على الطائرات الأمريكية وعلى الناقلات والسفن البحرية الكبيرة الأخرى أثناء أوقات التوتر، مثل هذه القدرة الإيرانية قد تؤثر تأثيراً عكسياً على رغبة الدول الخليجية الحليفة للولايات المتحدة مثل، البحرين، الكويت، قطر، الامارات العربية المتحدة، عمان، فى استضافة القوات العسكرية الأمريكية على أراضيها.

نقطة أخرى مهمة وهى أن الوجود الأمريكى فى المنطقة حتى لو كان غير عسكرى يعد أمراً مهماً لأنه يساعد على الابقاء على قدرات دول المنطقة فى تدفق الطاقة، فى نوفمبر ٢٠٠٧ صرح نائب وزير الدفاع السعودى الأمير عبد الرحمن بن عبدالعزيز فى اجتماع الرياض لدول مجلس التعاون الخليجى قائلاً: "بسبب التهديدات التى تواجهنا يجب أن نعمل بسرعة على تطوير قواتنا المسلحة لجعلها قادرة على الحفاظ على الأمن والاستقرار فى المنطقة وتأمين موارد الطاقة"، الأمير عبدالرحمن لم يسمى هذه التهديدات لكنه بدأ فى التلميح لإيران حيث قال "هذا الجانب الذى نعرفه جيداً يجب أن ننظر إليه ضمن أهدافنا الاستراتيجية، مثل التغيير فى أصل التهديدات، وظهور خطر الارهـاب، وصعود القوى الإقليمية الفعالة فى المنطقة". هذه التعليقات من جانب الأمير السعودى تؤكد الاهتمام والادراك السعودى للخيار العسكرى وذلك بدلاً من التصريحات الدبلوماسية التى اعتادت وسائل الإعلام على سماعها من قبل المسئولين السعوديين. ويرى المحللين والخبراء العسكريين أن صفقات الأسلحة التى تقدر بـ ٢٠ مليار دولار والتى وعدت بها واشنطن فى عام ٢٠٠٧ الدول الخليجية خاصة المملكة العربية السعودية يعد ترجمة لرغبة الولايات المتحدة فى زيادة تعزيز القدرات الدفاعية للدول العربية الخليجية، وإجبار

طهران على مراجعة تكلفة كافة الخيارات المتاحة أمامها خاصة الخيار العسكرى.

العبء العسكرى للدفاع عن طرق تصدير النفط يمكن أن يضم أطراف أخرى بشكل أوسع من دوال مجلس التعاون الخليجى والولايات المتحدة، وفى هذا الإطار جاء إعلان فرنسا عن بعض صفقات الأسلحة لدولة الامارات العربية المتحدة فى عام ٢٠٠٨. فى أغسطس ٢٠٠٧ أعلنت الهند أنها بصدد مراجعة مبادئها الدفاعية وتصوراتها للوصول الاستراتيجى للقوة الجوية الهندية من الخليج "الفارسى" إلى مضيق "ملقا".

على الرغم من أن التحمل المشترك للقيام بالعبء العسكرى لحماية طرق شحن صادرات الطاقة يعد أمراً هاماً وضرورياً، إلا أن هذا الأمر قد يؤدى إلى مزيد من التنافس خاصة مع الصين التى تركز فى سياستها الخارجية الآن فى مجال الطاقة على الوصول السريع والمباشر لمصادر الطاقة خاصة النفط من الخليج "الفارسى".

الحاجة لطرق تصدير بديلة:

يمكن القول أن تنظيم القاعدة الإرهابى بالإضافة إلى إيران يشكلان أكبر المخاطر الراهنة على صادرات الطاقة القادمة من الخليج "الفارسى"، ويرى المحللين أن أهمية مضيق هرمز مرشحة للنمو والتزايد ويؤكد تقرير الطاقة العالمى (World Energy Outlook ٢٠٠٧) أن ١٦ ٪ من النفط العالمى خلال عام ٢٠٠٦ مر عن طريق مضيق هرمز، ومن المتوقع أن يصل فى عام ٢٠٣٠ إلى ٣٠٫٥ ٪، وذلك لأنه من المتوقع أن يرتفع الإنتاج العالمى من النفط من ٨٤٫٦ مليون برميل يومياً فى عام ٢٠٠٦ ليصل إلى ١١٦٫٣ مليون برميل نفط يومياً فى عام ٢٠٣٠، ولهذا فإن التحدى الأبرز الذى يواجه المجتمع الدولى هو العمل على إيجاد طرق بديلة. لورانس ايجل مدير أسواق النفط بوكالة الطاقة يؤكد أن "هناك العديد من المناقشات حول هذه القضايا، ومن منظور أمن الطاقة سوف يكون أمراً جيداً عندما نجد الفرصة لتجاوز مضيق هرمز".

بعض خطوط الأنابيب جاهزة بالفعل، وتؤكد الشواهد التاريخية أنه يمكن اللجوء إلى بعضها فى حالات النزاع العسكرى. فعلى سبيل المثال وأثناء الحرب العراقية – الإيرانية ١٩٨٠ – ١٩٨٨ قامت العراق باستبدال وسائل وخطوط النقل البعيدة عن الشاطئ والتى تم تدميرها بواسطة القوات الإيرانية وقامت ببناء خط جديد استطاع أن ينقل ١٫٦٥ مليون برميل نفط يومياً وذلك عبر المملكة العربية السعودية من خلال ساحل المملكة على البحر الأحمر. هذا بالإضافة إلى خط ثانى من العراق متجه شمالاً عبر تركيا إلى البحر الأبيض المتوسط، وقد تم تطوير وتحسين هذا الخط ليحمل ١٦ مليون برميل نفط يومياً. بالإضافة إلى هذا هناك خط تم بنائه مباشرة ناحية الغرب إلى سوريا مع قدرة محتملة تصل إلى ١٤ مليون برميل نفط يومياً، وهذه الخطوط مجتمعة تبلغ قدرتها حوالى ٤٣ مليون برميل نفط يومياً وهو رقك أعلى من أكبر إنتاج للنفط وصلت إليه العراق فى تاريخها.

لكن هذه القدرات لهذه الخطوط يوجد عليها بعض الملاحظات، حيث انخفضت قدراتها كثيراً وذلك لعدة أسباب منها، أن خط الأنابيب العراقى الذى يمر عبر المملكة العربية السعودية (Ipsa) تم إغلاقه بعد الاحتلال العراقى للكويت عام ١٩٩٠ وفرضت السعودية سيطرتها عليه فى يونيو ٢٠٠١، وذلك على الرغم من أنه على المستوى النظرى يمكن أن يستخدم هذا الخط لنقل النفط الخام السعودى إلى البحر الأحمر، أما الخط المتجه إلى سوريا فقد أغلق منذ الاحتلال الأمريكى للعراق عام ٢٠٠٣. الجدير بالذكر أن المملكة العربية السعودية ليست لها أى خطوط انابيب لتصدير النفط عبر أراضى دول أخرى، فالمملكة لها خطان رئيسيان داخليان يمكن أن يحملا النفط السعودى من ساحل الخليج "الفارسى" إلى البحر الأحمر.

يعد أقدم خطوط نقل النفط الدولية فى المنطقة هو الخط المعروف باسم (تاب لاين) الذى كان يبدأ من السعودية ويمر عبر سوريا ولبنان إلى البحر الأبيض المتوسط حتى يصل إلى ميناء صيدا، وقد استمر هذا الخط فى العمل لفترة طويلة حتى بعد أن قامت إسرائيل بالاستيلاء على مرتفعات الجولان عام ١٩٦٧، ولكن توقف عن العمل بشكل جزئى عام ١٩٨٤ بالرغم من أن الجزء المتجه للأردن ظل مفتوحاً إلا أن السعودية قامت بإغلاق هذا القسم عام ١٩٩٠ وذلك بعد أن أصبحت الرياض منزعجة من قيام صدام حسين باحتلال الكويت.

دولة الامارات العربية المتحدة تقوم بإنتاج ٢٫٥ مليون برميل يومياً لكنها تقوم بإرسال كل صادراتها (٢٫١ مليون برميل يومياً) عبر مضيق هرمز، رغم ذلك هناك أنباء عن خطط إماراتية لبناء خط أنابيب يستطيع أن ينقل ١٫٥ مليون برميل نفط يومياً وذلك عبر خليجها عند الفجيرة على ساحل عمان، وقد تم التخطيط للمشروع عام ٢٠٠٧ وأعطيت المناقصة لأحد المقاولين الصينيين الذى أكد الانتهاء من بناء الخط عام ٢٠٠٩، وكان هناك اقتراح ببناء مصفاة فى الفجيرة لكن هذه الخطة وضعت على الرف، ورغم هذا فى حالة إكمال هذا المشروع بنجاح فى موعده فإنه سيعمل بشكل كبير على تجنيب الإمارات التعرض للآثار السلبية الناجمة عن إغلاق مضيق هرمز.

تعمل الامارات فى الوقت نفسه على زيادة قدراتها الانتاجية حيث تطمح إلى الوصول بها إلى ٥ مليون برميل

نفط يومياً بحلول عام ٢٠١٤، فى الماضى اقترح الخبراء الأمريكيين أن يتم إنشاء خط أنابيب للطوارئ وهو الخط الذى يمكن أن يربط بين منطقة رأس الخيمة بدولة الامارات العربية المتحدة وبين ساحل عمان، ورغم وجاهة الفكرة إلا أن هذه الخطة وجدت معارضة وقيود عديدة فى عام ٢٠٠٧ خاصة من الجانب العمانى الذى لم يشأ أن يورط نفسه فى نزاع مع إيران.

فى إطار النتائج المحتملة لإغلاق مضيق هرمز يمكن القول أن هناك آثار سلبية عديدة قد تحدث بالنسبة للدول المستوردة للنفط والذى يمر عن طريق مضيق هرمز وعلى رأس هذه الدول تأتى الولايات المتحدة، صحيح أن الاحتياطى البترولى الأمريكى يصل إلى ٧٠٠ مليون برميل من النفط إلا أن الولايات المتحدة لا يمكنها سحب أكثر من ٤,٤ مليون برميل نفط يومياً من هذا الاحتياطى وهذه النسبة بالطبع تزيد عن كمية النفط التى تستوردها الولايات المتحدة من دول الخليج "الفارسى" والتى تبلغ حوالى ٢,٦٧ مليون برميل نفط يومياً.

أما الخطورة الأكبر فتقع على الدول الأخرى التى لا يستطيع الاحتياطى النفطى لديها مواجهة هذه الأزمة، وعلى رأس هذه الدول يمكن ذكر الصين والهند وغيرها من الدول التى أصبحت تعتمد إعتماداً كبيراً على النفط القادم من دول الخليج "الفارسى" والذى يمر عبر مضيق هرمز.

فى ضوء هذه القيود والنتائج الخطيرة على الدول المستهلكة للنفط التزام بفرض بعض الاجراءات فى الداخل، وتشمل هذه الاجراءات بعض التغييرات فى يوم العمل، واستهلاك الغازولين بالإضافة إلى إمكانية فرض ضريبة. وتقدر وكالة الطاقة العالمية أن ٢ مليون برميل نفط يومياً - تساوى ١٥ ٪ من واردات الولايات المتحدة من النفط - يمكن أن تقوم الولايات المتحدة بتوفيرها من خلال وسائل متنوعة أو من خلال بعض القرارات الإدارية والتى تشمل إجراء بعض التحسينات على السيارات، ووضع حد أقصى لسرعة السيارات هو ٥٥ ميل فى الساعة وإجبار السيارات على الالتزام بهذا الحد، وتشجيع نظام إنهاء العمل عن بعد، وجعل أيام العمل أربعة أيام فقط فى الأسبوع، كل هذه الاجراءات من شأنها توفير كبير فى استهلاك السيارات للبترول والغاز.

توصيات سياسية:

لابد من أخذ التهديد الذى أطلقه على خامنئى المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية عام ٢٠٠٦ على محمل الجد، لأنه أكد فيه أنه «لو قامت الولايات المتحدة بأى تحركات خاطئة تجاه إيران، فإن شحنات ومصادر الطاقة من المؤكد ستواجه أخطار حقيقية، ولن يكون لدى الولايات المتحدة القدرة على حماية إمدادات الطاقة فى المنطقة». وعلى الولايات المتحدة أيضاً الاستمرار فى بذل الجهود لتغيير سلوك طهران المتمثل فى تهديد مصادر الطاقة ومنعها من التحكم فى مضيق هرمز.

لكن الاستمرار فى الاعتماد بشكل رئيسى على نفط المنطقة يعد نقطة ضعف إستراتيجية لباقى دول العالم، لكن ثمة نقطة مهمة هنا وهى أن الاقتصاد الإيرانى يعتمد هو الآخر بشكل رئيسى على صادرات النفط والغاز، وهو ما يمثل نقطة ضعف إستراتيجية مهمة فى الاقتصاد الإيرانى، فالاقتصاد الإيرانى يصنف على أنه اقتصاد ضعيف وبالتالى فإن أى استقطاع أو توقف كلى لصادرات النفط الإيرانية من الممكن أن يترك آثاره السيئة على الاقتصاد الإيرانى ناهيك عن النتائج السياسية الداخلية الخطيرة.

الولايات المتحدة عليها التزام كبير بالسعى لتقليل الاعتماد على طرق التصدير الحالية وإيجاد البديل المناسب لمضيق هرمز. من الواضح أن الطريق أو المشروع الواضح فى الفترة الحالية هو خط الأنابيب عبر دولة الامارات العربية المتحدة إلى ساحل عمان، وبناء خط أنابيب عبر المملكة العربية السعودية إلى ساحل البحر الأحمر، أيضاً على الولايات المتحدة العمل فى أتجاه آخر وهو تقليل قدرة إيران على صياغة تحالفات دبلوماسية وتجارية فى مجالى الغاز والنفط.

الولايات المتحدة بحاجة أيضاً إلى العمل مع الحلفاء فى كل أنحاء العالم، ليس فقط من أجل زيادة الضغط على إيران لكن أيضاً من أجل سهولة التعاون مع الحلفاء فى أوقات الأزمة، فالولايات المتحدة تتعاون مع أوروبا واليابان فى إطار وكالة الطاقة الدولية، لكنها ما زالت بحاجة إلى التعاون مع حلفاء آخرين مستوردين للطاقة مثل الصين والهند، وذلك من أجل مزيد من الضغط على إيران.

إن الدور الأمريكى لحماية الطاقة يتعلق بالدور العالمى والقيادى للولايات المتحدة أكثر من كونه يتعلق باعتماد الولايات المتحدة على مصادر الطاقة من الخارج، فالولايات المتحدة أقل اعتماداً على مصادر الطاقة الخارجية عند مقارنتها بغيرها من القوى الاقتصادية الكبرى، حيث تستورد الولايات المتحدة ٣٥ ٪ من إجمالى استهلاكها للطاقة، وذلك مقارنة بـ ٥٦ ٪ للاتحاد الأوروبى، و٨٠ ٪ لليابان، فالشرق الأوسط يعتبر جزء صغير كمزود للطاقة للولايات المتحدة.

هناك عنصر مهم فى الاقتصاد العالمى و[illegible] أن القوى القيادية الكبرى - الولايات المتحدة - وبمساعدة حلفائها وباقى الدول الأخرى عليهم التزام بالعمل على الابقاء على أمن التجارة العالمية عبر البحار وفى الجو. ومن أجل أن يعمل النظام على الولايات المتحدة العمل على منع أى قوة من السيطرة على الخليج «الفارسى» مع الاحتفاظ بقدرتها على حماية مرور السفن.

قراءة فى كتاب

ثقافة العرى وعرى الثقافة

■ تأليف الدكتور/ غلامعلى حداد عادل

■ إعداد: د. حسين صوفى محمد
باحث فى الشئون الإيرانية
E_mail:sofyhussien@hotmail.com

مثل هذا الموضوع الذى يجذب المتلقى للوهلة الأولى هو فى الواقع عنوان كتاب للدكتور غلامعلى حداد عادل الرئيس السابق لمجلس الشورى الإيرانى فى دورته السابعة الماضية ، وهو فى الوقت ذاته، عضو مجمع تشخيص مصلحة النظام ، وعضو المجمع اللغوى وصهر مرشد الجمهورية الإيرانية آية الله على خامنئى .

ولد حداد عادل عام ١٩٤٥م، بمحافظة طهران ونال درجة الدكتوراة فى الفلسفة من جامعة طهران ومن ثم عمل بالتدريس فى هذا المجال قبيل توليه رئاسة البرلمان الإيرانى ، ومن أشهر أعماله " فرهنگ برهنگى وبرهنگى فرهنگى " أى " ثقافة العرى وعرى الثقافة " والذى قامت دار نشر " سروش "بإعادة طبعه عام ٢٠٠٤م ، وللمرة الثالثة عشر . والواقع أيضا أنه من الكتب المهمة للمكتبة العربية، ولعل أهميته تتجلى فى كونه من أوائل الدراسات العلمية التى تقف على الملبس وأبعاده التارخية من منظور ثقافى شيعى . ففى البداية راح الكاتب يؤكد فى مقدمته أن الملبس شأن من شئون الإنسان، وهو ظاهره امتدت على مدار التاريخ البشرى وتنامت مع المساحات الجغرافية الشاسعة للأرض منذ فجر التاريخ وإلى الآن، وقد ارتبطت تلك الظاهرة أى الملبس بخصوصية وقيم الأفراد والجماعات فى المجتمع، ومن ثم فإن تلك الظاهرة يمكن قراءتها من رؤى عدة؛ من منظور علم الأخلاق، النفس، الإجتماع، الاقتصاد، القانون والتاريخ أو حتى من منظور علم الجغرافيا. وفى هذا السياق ، هناك ثمة تساؤلات تبرز الموضوع وأهمها؛ لماذا يرتدى الإنسان الملبس ؟، وما هى العلاقة بين أوضاعه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ونوعية ملبسه ؟، ظاهرة الملبس من منظور التشريعات القانونية والعقائد المختلفة والأهم ماهى التحولات الطارئة على ظاهرة الملبس خلال الحقب التاريخية المتعاقبة ؟

الواقع أن البحوث والدراسات المتعاقبة التى حاولت الرد على تلك التساؤلات وعبر مراحل تاريخية مختلفة اتفقت فيما بينها على أنه ثمة ثلاث نقاط أساسية تلبى إحتياجات الإنسان من الملبس :

الملبس يقى الإنسان من شر الظواهر الطبيعية.
الملبس يستر العورة ويصون العفة .
الملبس يمنح الإنسان الشكل الجمالى .

والملاحظ أن الملبس مما سبق يشبة المسكن، إذ أن الإنسان منذ البدء قام بتأسيس السكن لنفس تلك العناصر تقريبا؛ لحمايته من الطبيعة ولستره أيضا ، وبعد ضمانه لذلك بدأ فى تزين جدران مسكنه، أى أن الإنسان سكن ملبسه أولا قبيل جدران مسكنه ، إذا منشأ ظهور الملبس يرجع لبقاء الإنسان وعفته وجماله، لكن من الخطأ التصور أن كل هذا الإختلاف والتنوع الملاحظ على لباس الأفراد والجماعات وما طرأ عليه من تغير عبر العصور التاريخية المتعاقبة إنما يعود لذات العناصر الثلاث - سالفة الذكر - فحسب ، إذ أنه بالنظر إلى لباس التجمعات البشرية المختلفة سنجد أن ملابس كل جماعة او فئة إجتماعية تختلف عن الإخرى ، فملابس النساء اليوم مغايرة لملابس الرجال والأطفال ، كذلك ملابس المرأة العاملة غير ملابس ربات البيوت هذا إضافة إلى إختلاف ملابس كل حرفة أو طبقة إجتماعية ما ؛ حيث يرجع ذلك الإختلاف الموجود اليوم على ملابس الإنسان المعاصر إلى جملة من العوامل التى من ابرزها ؛ الظروف الأقتصادية والاجتماعية والبيئية ، أما العقائد الدينية فتلعب الدور المؤثر فى طبيعة هذا الإختلاف ، لاسيما العقيدة

الإسلامية التى تحدد الضوابط فى نوعية وشكل الملبس وبخاصة ملبس المرأة (الحجاب)، ويبدوا أن حداد عادل لم يعول كثيرا على علاقة الأديان بالملابس بقدر ما عول فى ذلك على التأثيرات الثقافية، بمعنى انه راح يؤكد على أن الإختلافات الموجودة فى ملابس الناس اليوم إنما تعود فى المقام الأول للثقافة السائدة فى المجتمع، وهذا فى تقديرى الشئ المميز لهذه الدارسة وبخاصة أن الدراسات السابقة دائما ما تحيل ذلك للإختلافات العقائدية وحدها .

- علاقة الملبس بالثقافة :

جميعنا يدرك معنى الملبس وسبق وأن أوضحنا طبيعته ووظيفته (ففى اللغة الفارسية مرادفات من قبل پوشش ، تن پوش ، پوشاك وكلها مشتقة من المصدر "پوشيدن" الذى يعنى الإكتساء أو الإخفاء والتستر ثم أخذت تعنى الارتداء)، أما الثقافة فهى التى فى حاجة ماسة لتعريفها ، يعنى يتحتم علينا توضيح أبعاد مقاصدنا من الثقافة، فالثقافة من منظور الكاتب وفقا للتعريف المعجمى عبارة عن النظرة الشمولية لمجتمع ما حيال العالم ، والواقع أن ذلك التعريف نفسه ينطبق تماما على تفسير الوجود الإنسانى فيما يتعلق بالموجودات من حولة ، أى إن الثقافة تعنى الرؤية الشمولية المتضمنة جميع قيم وأساليب ونظم الفرد والجماعة فى المجتمع ، ومن ثم نتصور نحن بدورنا أن رؤية العالم هى ذاتها المعنى المرادف للثقافة ، بحيث إن تلك الرؤية هى المسئولة عن مواقف الفرد أو الجماعة الإجتماعية من العالم المحيط ، وبذلك تكون تلك الرؤية التى كونها الإنسان هى المتحكمة الرئيسية فى طرائقه تجاه المسكن والمأكل والملبس كذلك ، يعنى أن رؤيته للعالم أو ثقافته - بمعنى أوضح - هى التى تنعكس فى شتى مناحى حياته ، فى الاقتصاد ، الفن والحضارة ، وإن شئنا القول فإنها بمثابة العامل النفسى الدافع لبناء الحضارة كافة .وفى هذا السياق ، يذهب الكاتب إلى أن الملبس كان فى الأصل واحد ، أما الإختلاف فى شكله ونوعة إنما يرجع إلى الثقافة اللاحقة فبمراجعة المصادر التاريخية والمتاحف العالمية المعنية بالحضارة يثبت أن الحضارات القديمة كافة أتفقت على ملبس أو رداء واحد تقريبا ، هذا الرداء الواسع والفضفاض المفتوح من الأمام مع غطاء الرأس ورابطة الوسط تماما كما يتبين من النماذج الواردة من الحضارات القديمة (المصرية، الإيرانية، الإغريقية و الآشورية وغيرها).

أما الإختلاف فقد جاء ووفقا لتصور الكاتب عبر المراحل التارخية المتعاقبة ومن جراء التجاور بين العالمين الشرقى والغربى ، الأول الذى أخذ بثقافة الموروث من القيم والمنطلقات المعنوية ، والآخر الأخذ بثقافة المادة النابعة من التكنولوجيا وما حدث للأسف أن وقع العالم الأول فريسة لهجمة الثانى الشرسة التى سادت ثقافته وعمت قيمة العالم الأول وفقا لنظريت الأقوى ،صحيح أن بعض الدول الإسلامية وأجزاء كبيرة من الهند وافريقيا ومناطق فى جنوب شرق آسيا ظلت رغم الغزو الثقافى الغربى باقية على قيمتها التى من ضمنها ملبسها القومى شأنهم فى ذلك شأن بعض الشعب الإيرانى وطوائفه وعشائره المختلفة من قبيل البلوچ والبختاريين والقشقائيين والاكراد والاهوازيين ومثلهم فى الهند وباكستان وافغانستان واليمن ومراكش وبعض سكان شمال ووسط أفريقيا وجنوبها الذين بقوا على ملابسهم القومية رغم التحولات القائمة والمفروضة والملاحظ على ملابسهم أنها متشابهة مع بعضها فى الطول والعرض بإستثناء نوعية الرداء وطرائق نسجة وألوانه التى اختلفت تباعا للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية المختلفة .أما الملبس فى الغرب اليوم فهو متنوع ومختلف وفقا لكل فصل من فصول العام الأربع ، والسمة المشتركة الوحيدة فى الملبس المعاصر سواء ملبس الرجال أو النساء هى القصر والضيق، حتى أن هناك ثمة تساؤل كثيرا ما يتبادر فى الأذهان مفاده ؛ لماذا تطول ملابس الشرق وتوسع وتثبت بينما تقصر ملابس الغرب وتضيق وتتغير ؟ على الفور يرجح البعض السبب فى ذلك إلى تقدم الغرب وأخذه بسبل العلم والتكنولوجيا، إذ أن إختراع ماكينة الخياطة ذلك التحول الكبير قد أفضى بدوره إلى سرعة الأداء ومواكبة الأذواق وهو ما أدى إلى الإختلاف والتنوع ، إلى أن الكاتب يرجح طبيعة الإختلاف إلى الثقافة أو بمعنى آخر إلى الفروق الثقافية بين الشرق والغرب ، الأول الذى يستلهم رؤيتيه من الأصالة والقيم المعنوية التى تحفظ على كيان الإنسان وصيانة عفتة ، فى مقابل الآخرى التى تستلهم رؤيتها من المادة وحدها أى المصلحة وتباعا ليس صدفة أن تتشابه الملابس النسائية والرجالية من حيث القصر والضيق لكونها ارتبطت بالثقافة الجنسية التى تروج للإيثارة دون التفريق بين الإنسان والحيوان من منظور التعبير عن المشاعر والأحاسيس .

ولذلك يتبين الفرق الأساسى بين الثقافة الغربية والإسلامية فالأولى غارقة فى المادية ، فهى تقتصر فى التفكير على الإنتفاع من كل شئ ، ومن ثم تنظر إلى الملبس كوسيلة فقط لتحقيق الغرائز الجنسية ، أما الثانية أى الإسلامية فترى فى المعنوية الكمال التى تنشدة والغاية التى تسعى إليه ولذلك تنظر إلى الملبس بوصفه عفة للجسد يتحتم صيانته من سياط العابرين وإثارتهم . ومن ناحية أخرى نجد أن ثمة ربط بين الملبس والتحول الذى طرأ عليه والرأسمالية الغربية ، إذ إن تلك الحضارة أو الثقافة النابعة فى أساسها من المادة والجنس كان لابد لها من نظام إقتصادى مناسب تباعا للتكنولوجيا نظاما يسعى لتكريس غريزة الاستهلاك عبر الجنس من خلال إستخدام المرأة كأداة للترويج وقطعا قام الرداء الضيق والقصير على جسم المرأة الغربية بهذا الدور على خير وجه. هذا وسرعان ما يصل المتلقى إلى خصوصية المجتمع الإيرانى حيال الملبس وهو ما قد تضمنه تحت عنوان " السفور وكيفية وصوله إلى إيران " إذ يرى الكاتب أن الابتعاد عن العرى والميول إلى الستر والتعفف هو الاصل لدى المجتمعات الشرقية كافة، أما العرى الذى تواكب مع تكنولوجيا التغيير والجنس فقد صاحب المجتمعات الغربية ثقافتها الحديثة، ولعل إحدى أبرز مظاهر الغزو الثقافى الحديث على إيران يتجلى فى تغيير ملبسها والرواج للعرى بين طبقات المجتمع الإيراني(من أعلى الهرم الاجتماعى قطعا)،لا سيما

التغيير التاريخي الذى اقدم عليه النظام البهلوى فى إيران فيما يتعلق بالملبس حينما أمر بنزع الحجاب ذلك التغيير الذى لم يكن خطوة فى إتجاه محاربة الزى الإسلامى بقدر أنه نصرة للثقافة والقيم الغربية.

حيث رأى الكاتب أن تنفيذ هذا التغيير على المجتمع الإيرانى كان يحتاج إلى شرطين ؛ الأول: يتمثل فى تهيئة المجال والمناخ الثقافى والاجتماعى لاستقبال الزى الوافد على المجتمع، والثاني: التطبيق عبر استخدام العنف، غير إن " رضا خان " ونظامه سعى من خلال دعم المستعمر البريطانى إلى تنفيذ التغيير، أى تغيير إيران على الطريقة الأوروبية ووضعها صوب الرقى والتحديث عبر الشرط الثاني، القسوة، لاسيما أنه قام فى عام ١٩٣٥م. بفرض الزى الرسمى الموحد الشكل على الرجال و القبعة الإجبارية على الرأس فى مقابل نزع التشادر (العباءة) النسائى والحجاب عند المرأة ، حتى أن التشادر كان ينزع عنوة من فوق النساء الإيرانيات ، ويقال إن رئيس بلدية طهران آنذاك كان يقف فوق هضبة المدينة المرتفعة حتى ينظر بمنظاره المعظم على ملابس النساء وما ان وجدد منهن يرتدى التشادر حتى يامر رجال الأمن بإحضارهن ونزع ملابسهن وتمزيقها فى الشوراع الإيرانية حتى ان أفراد الاسر المحافظة كانوا يخشون الخروج من بيوتهن .

الحجاب من زاوية أخرى .

من ناحية أخرى ، نجد أنه وبعد تولى الحكومة الإسلامية سدة الحكم فى إيران عقب قيام ثورة عام ١٩٧٩م ، سرعان ما سعت إلى تطبيق و فرض إرتداء الحجاب مجددا ، حتى أن مجلة كاريكاتورية قد نشرت فيما يتعلق بهذا السياق ، رسومات كاريكاتورية معبرة بدقة عما حدث فى إيران ، إذ جاء فى الرسم الاول سيدة إيرانية ترتدى التشادر بينما شرطة " رضا خان " تسعى لنزعه من فوق جسدها وتقطيعوا بكل عنف وقد كتب تحت هذا الرسم (الأمس).وفى الرسم الثانى سيدة أخرى سافرة ترتدى المينى جيب وهناك حراس الثورة ومعهم أحد آيات الله ... يلتفون حولها واجبارها على إرتداء الحجاب وبالقوة أيضا. وقد كتب تحت هذا الرسم (اليوم). إذ إن الرسوم الكاريكاتورية تسعى إليتجسيد العنف والقسوة فى الحالتين سواء الارتداء من عدمه ، غير إن الكاتب قد سعى كثيرا لتفنيذ المقارنة بين نظام الشاة والحكومة الإسلامية حول الحجاب ، بحيث إنه راح يبين أن الوسيلة والغاية غير واحدة وضرب مثلا بجراح فتح بمشرطه قلب مريض بغية معالجته وآخر قاتل اراد فتح قلب إنسان بسكينته بغية قتله ، وهنا يرى الكاتب أن الأول أراد التحديث عبر التغريب بينما أراد الآخر صيانت القيم وإلا تحولت المرأة كسلعة لإثارة الغرائز وإنما المحافظة على قيم المرأة الشرقية المختلفة تماما عن المرأة الغربية والثقافة الغربية المضللة أحيانا لكن أتصور أن الكاتب يبدو أنه غفل عن استخدام القوة فى الحالتين وأن الغاية لا تبرر الوسيلة ؛ذلك المنطق المفروض فى كافة المجالات والازمنة.

على أية حال، وفى النهاية لم يجد الكاتب أسهل من إلقاء القصة التراثية التالية لتوصيل رؤيته للمتلقى والذى قد يجد صعوبة فى إدراكها عبر المقدمات، إذ يقول: حكى أن خياطين جاءا إلى المدينة وحاولا خداع ملكها بأن قالا عن نفسهما إنهما أبهر الخياطين بما يصنعا من أردية عظيمة للملوك والعظماء، والأهم من ذلك أن بمقدورهما حياكة رداء سحرى للملك لا يمكن لغير الشرفاء من الفاسدين رؤيته، إنما الأطهار وحدهم هم الذين يروه، فرحب الملك وعلى الفور أمر بأحمال الذهب والفضة وأدوات الخياطة كافة حتى يتم حياكة هذا الرداء العظيم وبالفعل بدأ الخياطان فى تحريك أيديهما وكأنهما يهمان فى حياكة ذلك الرداء السحري، وذات ليلة أمر الملك رئيس وزرائه بمتابعة الأمر والتأكد من أن العمل فى الرداء يجرى على قدم وساق، وبالفعل مضى الوزير لرؤية الرداء قبيل الإنتهاء من مراحلة الأخيرة غير أنه لم يرى شئ من الرداء وعلى الفور سئل أين الرداء فأجابا الخياطان إنه أمامك مباشرة فلم ير الرداء لكنه فى المره الثانية تذكر إن الأطهار وحدهم هم اللذين يرون الرداء وعلى الفور بدأ فى تمجيد صنعهما حتى انه راح يحكى للملك عظمة الرداء وجمال صنعه بالشكل الذى فتن الملك إليه فراح بدوره لرؤيته لكن لم يرى شيئا إلا أنه تذكر المقولة المأثورة فبدأ يتغنى فى جمال الرداء ومن ثم أصدر أوامره بإقامة إحتفال عظيم بالمدينة بمناسبة الإنتهاء من حياكة الرداء السحرى وحينما قام الملك بإرتداء الرداء ونزل إلى الشعب الذين قد اصطفوا على جانبى الطريق لرؤية الرداء والترحيب بقدوم الملك لم يروا بدورهم سوى قطع بسيطة للغاية تكاد تغطى عورة الملك لكنهم كانوا على دراية تامة بالثقافة السائدة حول ذلك الرداء ومن ثم صمت الجميع دون أى كلمة غير أن طفل صغير كان بجوار امه ظل يسئل: " لمذا الملك عار ؟ حتى بدأ الشعب فى تكرار نفس الكلمات لماذا العرى؟ ولعلّ هذه القصة تعكس تماما واقع الثقافة الغربية الوافدة على الثقافة الشرقية وقيمها .

ومما سبق تناوله عبر طرح هذا الكتاب فقد تبين أن لكل شعب أو أمة ملابسه الخاصة والتى تنسجم وتتطابق مع القيم والقواعد الثقافية لهذا الشعب او تلك الأمة كما أن الأوضاع الإقليمية والمكانة الجغرافية للجماعات والأفراد من العوامل المؤثرة لذلك فى بلورة نوعية الملابس وأشكالها وعلى ما يرتديه الناس، غاية الامر ان ما يرتيده الإنسان اليوم من ملبس فى أى رقعة على الأرض، لا يعبر عن كونه ملبسا فحسب وإنما يعبر فى الأساس عن ثقافة وقيم هذا الإنسان ؛ لذلك فإن أحد أبرز أهداف الغرب فيما يتعلق بسيطرته على الشعوب تكمن فى سعيه الحثيث والمتواصل إلى تغير نمط ملابس هذه الشعوب أو تلك ، على أن يتم ذلك عبر وسائل الإعلام المختلفة الخاضعة للنظام الرأسمالى السعى لإبراز ثقافة الإستهلاك للمواد النابعة من التكنولوجيا الجديدة. والواقع أن التحول فى الملابس يأتى من هذا الجانب بعدما يتوفر أمامه المناخ المهيئ بالأساس لاستقبال تلك الثقافة المهيمنة وتباعا يتحتم على المجتمعات الساعية لحماية قيمها والعودة إلى ذاتها عبر التمسك بهويتها المتمثلة فى زى الشعب القومى وملابسها التقليدية.

مداخلة

ثقافة الشهادة فى الفكر الإيرانى

■ أ.د. يحيى داود عباس
أستاذ ورئيس قسم اللغة الفارسية - جامعة الأزهر

صرح الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد خلال لقاء تم فى مدينة همدان الإيرانية مع عائلات قتلى سقطوا فى الحرب العراقية -الإيرانية (١٩٨٠ - ١٩٨٨م) بأن ثقافة الشهادة هى وسيلة لتسوية المشكلات الاقتصادية والعالمية. وأضاف قائلا: "نحن بحاجة إلى ثقافة الشهادة لبناء بلادنا وصون عظمتها، وقد اختارت الشعوب الحرة فى العالم اليوم طريق شهدائنا، وهى طريق العظمة والعزة".

ولما كان فهم الحاضر الإيرانى يتعذر بدون استيعاب الماضى، لهذا كان من الضرورى العودة إلى جذور مفهوم الشهادة ودور الشهداء، لمعرفة أسباب نشر ثقافة الشهادة وفلسفتها فى المجتمع الإيرانى الشيعى خلال العصور والأجيال المتعاقبة.

والشهادة لغة: إسم مأخوذ من مادة: شهد، ومعناه: إعطاء خبر قاطع، المشاهدة، الحضور، العلم بالأمور الظاهرية. أما الشاهد فجمعه: شهداء وشهود وأشهاد. والشهيد: الأمين فى شهادته، الذى لا يغيب عن علمه شئ من الأمور الظاهرة، الحاضر. وفى الاصطلاح الإسلامى: استشهد فلان أى قتل شهيداً، والشهيد: المقتول مجاهداً فى سبيل الله، والجمع: شهداء، والشهيد: الحى (عند ربه): ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون - آل عمران - آية ١٦٩، كأنه شاهد أى حاضر، وقيل لأن ملائكة الرحمة تشهده، وسمى الشهيد شهيداً لأن الله وملائكته شهود له بالجنة، وقيل: سموا شهداء لأنهم ممن تطلب شهادتهم يوم القيامة مع النبى (صلى الله عليه وسلم) على الأمم الخالية.

والشهيد فى الإسلام هو: من مات مبطوناً أو مطعوناً أو غريقاً، ومن قتل دون روحه وعرضه وماله. ويضيف الشيعة: من مات على محبة آل البيت، ومن ينتظر الفرج لكى يسود العدل.

وقد وردت آيات وأحاديث وروايات كثيرة فى فضل الشهادة ومكانة الشهداء. وللشهيد قداسة ومنزلة سامية فى كل الأديان فى الشرق والغرب على حد سواء، ويستوى فى هذا: الشهيد الوطنى والشهيد الدينى. وأول من لقب بلقب: "سيد الشهداء" هو عم الرسول (صلى الله عليه وسلم) حمزة بن عبد المطلب، ثم لقب الحسين بن على باللقب نفسه من بعده.

والشهادة عند الشيعة - كما يقول الدكتور إبراهيم الدسوقى شتاً فى كتابه: الثورة الإيرانية- هى السلاح الوحيد طوال تاريخهم فى مقابل كل القوة والغلبة والسيطرة التى كانت عند أعدائهم، وهى فى المفهوم الشيعى - وقد يبدو بمنطقنا المعاصر مفهوماً رومانسياً - هى السبيل الوحيد للبقاء والدوام. ويطرح الدكتور على شريعتى (١٩٣٣ - ١٩٧٧م) المفكر والمترجم وعالم الاجتماع الإيرانى الشهير قضية الشهادة كقضية فكرية وفلسفية فى مؤلفاته العديدة، ويربطها بالفكر السياسى، ويخصها بكتاب اسمه: الشهادة، وله بحث عن الشهيد، كما أنه تحدث عن الشهادة فى كتابه: الحسين وأرث آدم، وكتاب: فاطمة هى فاطمة، ويتحدث عما بعد الشهادة، أى ما يجب عمله بعد الشهادة، وعن تأثير مفهوم الشهادة فى التراث الشيعى والثقافة الشيعية، ويقول

ما ملخصه أن دم الشهيد سفينة نجاة وشعاع شمعة للعيون التى لم تعد تقرأ خط الحق فى ظلام الاستبداد ويؤكد على أن الحسين هو "معلم الشهادة العظيم"، وعلى أن موته كان ضماناً لحياة أمة، وعلى أن استشهاده كان سبباً لبقاء الإيمان، وكان اعتراضاً أحمر على الحكم الأسود، ودعوة لكل العصور والأجيال، دعوة مفادها: إن استطعت فاقتل، وإن لم تستطع فمت. ويواصل شريعتى حديثه عن الشهادة، ويقول: "إن الشهادة مدرسة يعد الحسين بن على أحد مظاهرها، وإن الشهيد لغة بمعنى الحاضر والناظر والشاهد والمخبر الصادق الأمين، وأيضاً بمعنى: الواعى والمحسوس والمشهود، وهو ذلك الذى تتركز الأنظار عليه، وهو فى النهاية بمعنى: المثال والنموذج والمثل، والشهادة فى ثقافتنا ومذهبنا ليست حادثة دموية أو حزينة، وليست موتاً يفرضه العدو على المجاهد، إنها موت بهوى القلب يختاره المجاهد بكل ما لديه من وعى ومنطق وشعور ويقظة وبصيرة. الشهادة صرخة غضب على الصمت الذى قطع كل الحلوق، وهى شكل الجهاد الوحيد، ودليل الوجود الوحيد، وعلاقة الحضور الوحيدة، وسلاح الهجوم الوحيد، والإسلوب الوحيد للمقاومة عند الحقيقة والصدق والعدالة. الشهادة عمل يقوم به الإنسان فجأة بشكل ثورى، ويلقى بوجوده الأدنى فى نار نوع من العشق ونوع من الإيمان، ويصبح دفعة واحدة إلهياً ونوراً وخيراً محضاً، ومن هنا فلا غسل للشهيد، ولا كفن، ولا حساب ولا كتاب يوم القيامة. الشهادة فى ثقافتنا درجة من الدرجات، ليست وسيلة، هى فى حد ذاتها هدف، أجياله، هى نفسها تكامل وعلو، مسئولية كبرى ... هى فى حد ذاتها ثقافة وتراث.

والشهيد يعنى الحاضر، والشهداء أحياء وحاضرون وشاهدون وناظرون ليس فى حضرة الله فحسب، بل وفى هذه الخلق أيضاً، وفى كل عصر وقرن، وفى كل زمان ومكان. والشهيد هو من ينتصر فى عصر عدم القدرة وعدم الغلبة بموته على العدو، وإذا لم يهزم عدوه يفضحه. الشهيد هو قلب التاريخ، هو القلب الذى يوصل الدم إلى أعضاء المجتمع الميتة التى لا رمق فيها، الشهيد حاضر دوماً وخالد دوماً. والشهادة حضور فى ساحة المواجهة بين الحق والباطل، حضور دائم فى التاريخ، والحسين حاضر فى كل عصر وقرن، وقد أعلن حضوره فى كل العصور وفى كل ساحات الأرض والعصر، لقد مات فى كربلاء لكى يبعث كل الأجيال والعصور... يجب أن يعلم كل شيعى أن كل الساحات كربلاء، وكل الشهور المحرم، وكل الأيام عاشوراء" (رفعت الثورة الإسلامية هذا الشعار فى إيران منذ قيامها).

كما يتحدث "حميد عنايت" أستاذ العلوم السياسية بجامعة طهران عن حادثة استشهاد الإمام الحسين فى كتابه: الفكر السياسى الإسلامى المعاصر (الترجمة العربية)، ويقول إن هذه الحادثة تلى حادثة غدير خم (يعتقد الشيعة أن الرسول (ص) أوصى لعلى بن أبى طالب بالخلافة فى يوم غدير خم) من حيث الأهمية فى تاريخ الشيعة، ولعل أهميتها ترجع إلى امتزاجها فى المأثور الشعبى بأسطورة دم سياوش (الذى قتله التورانيون وتسبب قتله فى حروب طويلة بين التوارنيين والإيرانيين) فى عصر ما قبل الإسلام كما وردت فى شاهنامة الفردوسى (ملحمة شعرية طويلة تسرد سيرة الملوك والأبطال الإيرانيين)، وذلك على الرغم من أن اسطورة سياوش بنيت على مفهوم أن الدم الذى يسفك بريئاً على الأرض يطالب بالثأر والانتقام إلى الأبد، وهو مفهوم مشابه ومعادل لشهادة الإمام الحسين التى تثير الرغبة فى المطالبة بالعدالة السياسية. وفى الأناشيد الدينية لأهل الحق العلويين تفصيل لكيفية انتقال الروح العليا للإنسان الكامل من هابيل (الذى قتله شقيقه قابيل) إلى جمشيد (ابن المهمورث، وهو رابع ملك بيشدادى، وهو أول من احتفل بعيد النوروز) وإيرج (ابن فريدون البيشدادى، وقد قتله شقيقاه غيرة منه لأن والده خصه بنصيب أكبر من الدولة)، وانتقلت منهم إلى الحسين. وجدير بالذكر أن الأديبة الإيرانية "سيمين دانشور" لها رواية تسمى: سوشون (صدرت فى طهران عام ١٩٦٩م) تمتزج فى نهايتها تعزية للإمام الحسين بحداد على سياوش (من الصفحة رقم ٢٧٥ إلى الصفحة رقم ٣٠٠)".

ويضيف عنايت قائلاً: "وبالميل الزائد عند الشيعة لأسلوب التقية الاستسلامى والخضوع للنظام الحاكم، فإن قضية استشهاد الإمام الحسين ليقدم نفسه فداءً لأمته قد صارت باعثاً للدعم القوى لهدف الشيعة النضالى، وفى نفس الوقت اعتبر البكاء على الإمام الحسين - لا الإرشاد أو التوعية السياسية - الهدف الوحيد من كل ذكرى مجاهدات الإمام الحسين... وفى السنوات العشر أو الخمسة عشرة الأخيرة (الكتاب مؤلف بالإنجليزية فى عام ١٩٨٢م)، وبسعى من عدد من مجددى الشيعة الذين لم يكونوا يستطيعون تجاهل القوة الكامنة فى هذه المسرحية التراجيدية كوسيلة خطابية للتعبئة السياسية، نفض غبار الاستسلام عن وجه هذه الواقعة".

ويؤمن الشيعة بأن جميع أئمتهم قضوا نحبهم بين قتيل ومسموم، وان موتهم كان شهادة، وقد تحولت قضية استشهاد الحسين فى العاشر من شهر المحرم عام ٦١هـ (٦٨٠م) إلى مظاهر اجتماعية راسخة فى وجدان الشيعة بمرور الزمن، وأصبح الحسين رمزاً لكل الثورات ومكافحة الظلم والظالمين، ورمزاً للاستشهاد فى سبيل المبدأ والحق، وصار حياً فى كل التصرفات والحياة اليومية، وأصبح شهر المحرم شهر الشهادة وشهر الحرية والثورة والتضحية عند

الشيعة، وهم يسمونه شهر انتصار الدم على السيف، ومرجع هذه العقيدة هو: مقتل الحسين فى كربلاء فى يوم عاشوراء (العاشر من المحرم). وما حدث فى هذا اليوم فى صحراء كربلاء يستحضره الشيعة - بكل تفاصيله وشخوصه - فى كل مناسبة، ويتخيلونه فى كل موقف نظراً لما أحدثته هذه الحادثة من جروح عميقة لازالت تنزف حتى الان، وكان لها تأثيرها المباشر على مواقف الأئمة الذين تتابعوا بعده. والشيعة يرون فى عاشوراء الرمز الزمانى الدائم للحزن والفجيعة، وفى كربلاء الرمز المكانى لوقوع المأساة، ورمزاً لكل أرض ترفع فيها رايات الجهاد ضد الظلم.

وقد أقام الخمينى (١٩٧٩ - ١٩٨٩) جسراً بين ذكرى كربلاء والضرورات السياسية فى خطبه ومؤلفاته، وطالب طلابه فى كتاب "الحكومة الإسلامية" بعدم التفريط فى ذكرى عاشوراء، وبإحياء هذه الذكرى باستمرار، وباعتبار أية قضية عاشوراء جديدة، كما ذكر فى هذا الكتاب أن الحسين قام بثورته التاريخية لسبب سياسي هو: محاربة نظام الملكية وولاية العهد، ودعا المسلمين جميعاً إلى مثل ذلك.

وعن دور الشهادة فى نجاح الثورة الإسلامية، فى عام ١٩٧٩م، يرى الدارسون الإيرانيون أن الشهادة ركن من أركان الثورة الإسلامية، وأنه إذا شبهت الثورة الإسلامية بصرح عظيم ورفيع، فإنه يجب أن تكون الشهادة أحد الأعمدة التى قام عليها هذا الصرح، كما يرون أن مفهوم الثورة اختلط بمفهوم الشهادة، فإذا ما تحدثنا عن أحدهما، ورد الآخر فى الأذهان. وكما كان الإسلام مقترناً فى البداية بالشهادة، قامت الثورة الإسلامية أيضاً على أساس الشهادة، فقد قدمت الثورة العديد من الشهداء منذ الرابع من يونيو عام ١٩٦٣م وحتى انتصرت فى ١١/ ٢/ ١٩٧٩م، فكانت دماء هؤلاء الشهداء بمثابة الدماء التى جرت فى عروق جسد الثورة وأحيتها، كما كانت الشهادة بعد انتصار الثورة واحدة من عوامل قوة وصمود وثبات واستمرار الثورة.

وكانت الشهادة قد لعبت دوراً بارزاً فى إضعاف الروح المعنوية لجنود الشاه محمد رضا بهلوى (١٩٤١ - ١٩٧٩)، وفى فرارهم من الخدمة، حيث واجه آلاف الإيرانيين الذين يرتدون أكفانهم البيضاء (لكى يثبتوا أنهم مستعدون للتضحية بأرواحهم) رصاص أفراد جيش الشاه دون أن تلين لهم قناة. وكانت مراسم العزاء الحسينى التى يدور فيها الحديث عن استشهاد الإمام الحسين بمثابة المدرسة التى نشرت ثقافة الشهادة والحث عليها، وكان لهذه المجالس دور بارز فى النضال ضد الشاه وفى نجاح الثورة الإسلامية. وهكذا لعب تقليد إقامة مراسم العزاء الذى انتقل من جيل إلى جيل فى المنازل والمساجد والحسينيات والتكايا ومزارات الأئمة وأبناء الأئمة دوراً رئيسياً فى الحفاظ على قيمة الشهادة قبل الثورة وفى أثناء أحداث قيام الثورة الإسلامية، وتوسع دور هذه المجالس بعد نجاح الثورة فكرياً وسياسياً، وتمت الاستفادة من هذه المجالس فى الحفاظ على الثورة، وفى دعم مواقف الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وتم بعد الثورة التوسع فى دور مجالس العزاء، حيث كان يتم فيها تقديم المساعدات لأسر الشهداء وعلاج المصابين، وتقوية روح الاستشهاد.

وكان أول ما فعله الخمينى عندما وصل إلى طهران قادماً من باريس فى الأول من فبراير عام ١٩٧٩م أن توجه من المطار مباشرة إلى مقابر الشهداء فى بهشت زهراء (جنة الزهراء) جنوب طهران، وكان ذلك تكريماً للشهداء واعترافاً بدورهم الكبير فى نجاح الثورة الإسلامية.

كما كان الخمينى ونائبه آية الله منتظرى (قبل إقالته من منصبه فى عام ١٩٨٩م) وغيرهما من الآيات والفقهاء والمسئولين يلتقون بصفة مستمرة مع عائلات الشهداء، لإحياء ذكرى الشهداء، والحديث عن الإيثار والفداء والجهاد والتضحية، وعن شهادة الإمام الحسين وأولاده وأصحابه دفاعاً عن الإسلام والعدل، وعن إحياء الإسلام وفضيلة الصبر فى المصائب، وعن ضرورة نقل ثقافة الشهادة إلى الأجيال القادمة. وكانت مؤسسة الشهيد التى أسست فى بداية الثورة لإحياء ذكرى الشهداء وتكريمهم ورعاية عائلاتهم تساعد فى إقامة مثل هذه اللقاءات التى كانت تنتهى بتقديم جوائز إلى عائلات الشهداء والمصابين، كما كانت خطب الجمعة تشتمل على أحاديث عن فضل الشهادة ومنزلة الشهداء والمجاهدين فى سبيل الله، واستمر هذا التقليد فى أثناء سنوات الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠ - ١٩٨٨م) التى استثمر فقهاء النظام الإيرانى فيها مبدأ الشهادة واستلهموا روحها ودعموها بالأحاديث وروايات الأئمة وأقوالهم لرفع الروح المعنوية لدى الجنود، وإذكاء الحماس لديهم لدفعهم إلى جبهات القتال لمحاربة العراقيين. ويشير فهم هويدى فى كتابه: "إيران من الداخل" إلى أن المقاتلين الإيرانيين فى جبهات القتال فى الحرب العراقية- الإيرانية كانوا على يقين من أنهم يحاربون يزيد بن معاوية، ويزودون عن بيضة الإسلام، ويقدمون أرواحهم فداء لآل البيت، وأن قائدهم الحقيقى هو الإمام الحسين. ويضيف قائلا: إن مقولة الحسين: "إن كان دين محمد لن يستقيم إلا بقتلى، فيا سيوف خذينى"، كانت تدفع آلاف الشباب إلى الأرتماء فوق الألغام ومعانقة الدبابات واستقبال القذائف الصاروخية بسكينة مذهلة.... إذ لن يكونوا أفضل من الحسين الذى فضل الشهادة على النصر.

وقد أدرك الخمينى قدر الشهادة والشهيد، وكان يشير إلى ذلك فى خطبة وفى كلماته ولقاءاته مع الجنود وعائلات الشهداء ومن أقواله: الأمة التى تملك الشهادة أمة حرة-

الشهادة سلاح يتصدى به المفوض لجميع الأسلحة الأخرى- الشهيد الذى أعتبر الموت بداية لحياة أفضل وأسمى لا يخشى سلاح العدو، ويحارب بكل قواه، ويهزم العدو الذى يهاب الموت، أو يستشهد- الشهادة ميراث وصلنا من أوليائنا- النصر والغلبة لشعب يعتبر الشهادة سعادة- الشهادة هدية إلهية لمن يستحق، ولابد من أن تقوى العزائم بعد كل شهادة• دماؤنا ليس أكثر حمرة من دماء شهداء كربلاء- إحياء ذكرى الشهيد واجب- يجب الإبقاء على ذكرى الشهداء حية فى فضاء المجتمع إلى الأبد.

ومؤسسة الشهيد تعد من أهم مؤسسات الدولة، وترجع أهميتها إلى مواردها الهائلة ونشاطاتها الداخلية والخارجية المتعددة، وإلى رعايتها لأسر الشهداء والجرحى. وهى ترتبط فى إيران بمكتب المرشد الأعلى خامنئى الذى يعتبر مؤسسة الشهيد من الصدقات الجارية للإمام الخميني، وأنها من حسنات الثورة. ويعتبرها الخمينى من أفضل المؤسسات لأن الشهيد أفضل الأشخاص.

ومن دلائل عظم مكانة الشهيد فى إيران بعد الثورة زيارة الإمام الخمينى لمقابر الشهداء فور وصوله من باريس إلى طهران كما ذكرنا آنفا، وأنهم اتخذوا الزهرة الحمراء (لاكه) التى تسمى شقائق النعمان رمزاً للشهيد، وجعلوها فى عملهم الجديد، ويقولون إن هذه الوردة نبتت فى أرض شهداء الثورة المخضبة بالدماء، وإنها تدعونا إلى ضرورة مواصلة طريقهم، وأنهم أطلقوا أسماء الشهداء على الشوارع والميادين الرئيسية فى المدن والقرى الإيرانية، وكانوا يلصقون صورهم أثناء المعارك على جدران المبانى الحكومية والمنازل والمتاجر، وأنهم أصدروا مجلة باسم الشهيد (صوت الثورة الإسلامية)، وكان الشعراء ينظمون الأشعار (المراثى) عن الشهادة والشهداء الذين استشهدوا فى أثناء قيام الثورة الإسلامية وفى الحرب العراقية - الإيرانية، وأنهم خصصوا يوماً للاحتفال بالشهيد فى كل عام، وأنهم فى إيران يعتبرون الشهداء شمع محفل الأحباب والأصدقاء.

وفى نهاية المطاف نقول: إذا كان الدكتور على شريعتى يرى أن تاريخ التشيع زاخر بالدم والشهادة والحماسة والعشق، وأن الإيمان يحتاج إلى الدم والتضحية بالإضافة إلى الفكر والنبوغ، فإن الدارسين الإيرانيين ذكروا فى كتاباتهم بعد نجاح الثورة الإسلامية أن طلب الشهادة فى المجتمع الإيرانى ظاهرة اجتماعية أدت إلى ظهور تحول اجتماعى عظيم سمى: الثورة الإسلامية، وأن ثقافة عاشوراء وثقافة الشهادة تتكرسان عاماً بعد عام بسبب إقامة مراسم العزاء الحسينى التى تسودها روح الفداء والتضحية والإيثار، وأن هذه الثقافة تمنح صاحبها القوة والجسارة والثبات والصمود.

ومن هنا يمكننا القول أن الشهادة تحتل مكانة كبيرة فى تاريخ الفكر الإيرانى الشيعى، وأنها من المفردات البارزة والمضيئة فى المكون الإيرانى الشيعى، ولهذا ليس من المستغرب أن تطلق الأمة الإيرانية على نفسها لقب الأمة التى تربى الشهداء.

المراجع

١- أحزان عاشوراء (عن التعزية فى إيران): د/ إبراهيم المغازى- القاهرة / ١٩٩٠م.
٢ - إيران من الداخل: فهمى هويدى، ط٣، القاهرة، ١٩٨٨م.
٣ - الثورة الإيرانية: د. إبراهيم الدسوقى شتا، ج١، القاهرة ١٩٨٨م.
٤ - الحكومة الإسلامية: الإمام الخمينى (الترجمة العربية)، ط٢، طهران، ١٩٨١م.
٥ - دانش اجتماعى: غلا معلى حداد عادل، تهران، ١٣٦٦هـ. ش.
٦ - عن التشيع والثورة: تأليف د. على شريعتى، ترجمة د. إبراهيم الدسوقى شتا، القاهرة ١٩٩٦م.
٧ - شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).
٨ - الفكر السياسى الإسلامى المعاصر: ألفه بالإنجليزية : حميد عنايت. وترجمة إلى الفارسية: بهاء الدين خر مشاهى، وترجمه إلى العربية: د/ إبراهيم الدسوقى شتا- القاهرة- ١٩٨٨م.
٩-لسان العرب: ابن منظور- الجزء الرابع- دار المعارف- القاهرة- بدون تاريخ.

افتتاحيات الصحف الإيرانية

الصادرة باللغة الفارسية
في شهر تير ١٣٨٧هـ.ش.
الموافق يونيو/ يوليو ٢٠٠٨م

طغت موضوعات ثلاثة على اهتمامات الصحف الإيرانية الصادرة باللغة الفارسية في شهر تير ١٣٨٧هـ.ش. الموافق يونيو/ يوليو ٢٠٠٨م، وانعكست على افتتاحياتها. وتربع موضوع مشروع الرئيس أحمدي نجاد حول تحول الاقتصاد الإيراني على عرش هذه الاهتمامات، وقد اتخذت الصحف الإصلاحية جميعها، موقفا معارضا لمشروع التحول الاقتصادي، مؤكدين أنه لم يقدم جديدا، ولم يلتفت إلى نصائح خبراء الاقتصاد، حيث انتقدت صحيفة نوروز التابعة لجبهة المشاركة الإصلاحية عدم وجود أرضية سياسية واجتماعية وثقافية مناسبة لهذا التحول، وطالبت صحيفة روزنا التابعة لحزب الثقة الوطني الحكومة بدعم القطاع الخاص، والاستفادة من الخبراء في التخطيط والتنفيذ، وعدم التعجل، وعدم تسييس الاقتصاد ومشكلاته، واعتبرت صحيفة كوادر البناء هذا المشروع عملية جراحية خطيرة، خاصة فيما يتعلق بتحويل الدعم من عيني إلى نقدي، وقدم هذا الحزب عددا من الملاحظات وعددا من التوصيات. كما طالبت صحيفة روز الإصلاحية بأن يعلن الرئيس عن قائمة من المتخصصين من خارج الحكومة لتدوين المراحل الأولية من المشروع، وطرح المدونات على وسائل الإعلام والرأي العام لمناقشتها. وقد قامت صحف الأصوليين بالدفاع عن مشروع الرئيس، مشيرة إلى أن المشروع يؤكد على عدد من النقاط الإيجابية، وهي: تبسيط مفاهيم الاقتصاد العامة، ترشيد مخصصات الدعم، الاتجاه لمبادىء الاقتصاد الإسلامي، أن يكون للإقتصاد نموذج إيراني خالص، إزالة موانع الرخاء، إصلاح البنية الاقتصادية، الاستفادة من المراكز العلمية في الساحة الاقتصادية، واشتراك العلميين في التخطيط والتنفيذ، حذف أو إدغام المؤسسات المناظرة أو الموازية، إصلاح القوانين الاقتصادية المتناقضة، تحديد الأولويات، محاربة الفساد، مع دعم القطاع الخاص. وأبرزت الصحف الأصولية ترحيب حزب المؤتلفة الإسلامي بالمشروع، مقدرا جهود الحكومة في المجال الاقتصادي، ومشيرا إلى أن هذا المشروع يعالج الأوضاع الاقتصادية في سبعة مجالات، هي: نظام الضرائب، نظام الجمارك، النظام المصرفي والنقدي، نظام توزيع السلع، نظام توزيع مصادر الثروة، استغلال الثروة، تنظيم وترشيد الدعم. كما أبدى الحزب استعداده بالمساعدة في إنجاز هذه الإصلاحات فور صدور لوائحها.

أما الموضوع الثاني فهو التحول الإيراني في التعامل مع مستجدات الساحة الدولية، والمرونة الواضحة في التعامل مع المجتمع الدولي تفاديا للضربة المتوقعة للمنشئات النووية الإيرانية. حيث أبرزت الصحف أن الساحة السياسية الإيرانية تتجه إلى التماسك، من خلال موقف ترضاه كل الأطراف، وهو التجاوب الفعال مع مقترحات الاتحاد الأوروبي لحل مشكلة الملف النووي الإيراني، وهو الموقف الأساسي للإصلاحيين باختلاف أحزابهم، وحتى المتطرفين منهم، وقد عبرت عنه افتتاحيات الصحف ذات التوجه الإصلاحي، أما الأصوليين فينقسمون بين يمين متشدد، ووسط مرن، ويسار يقترب بشدة من الإصلاحيين. حيث أعرب الوسط واليسار الأصولي عن رغبتهما في أن تقبل إيران مقترحات الاتحاد الأوروبي مع بعض التعديل، باعتبار أن الصدام مع الولايات المتحدة وصل إلى أوجه، وقد نشرت صحيفة الشعاع (تابناك) التي تمثل هذا

المحور نتائج استبيان قامت به حول مدى تقبل الشعب الإيراني للمقترحات الأوروبية، والتي أشارت إلى أن ٢٤٪ فقط هم من يرفضون، و٢٦٪ يقبلون بدون تحفظ، و٥٠٪ يقبلون مع بعض تعديلات في البنود. وهو المؤشر الذي يضعه هذا المحور أمام الرأي العام والنخبة وصناع القرار، لحثهم على قبول العرض. وركزت معظم الصحف الأصولية والإصلاحية على تأكيد ولايتي مستشار الزعيم للعلاقات الدولية أنه من الضروري أن تتجاوب إيران مع المجتمع الدولي، لأنه أحد السبل للوصول إلى الحقوق المشروعة، وعلى إيران أن لا تفقد هذه الساحة، كما يرى ضرورة التعامل مع العقوبات الاقتصادية حتى لا تبدو سببا في تراجع إيران. ووضحت صحيفة الشعاع في إحدى مقالاتها، بعنوان: هل تفاجيء إيران الغرب؟ الظواهر على أن الصدام مع الولايات المتحدة وصل إلى نقطة اللاعودة، وكذلك مع مراكز القوة الغربية وإسرائيل بتعبيرات مختلفة، وهو ما يقتضي اتخاذ إيران استراتيجية مناسبة وتدابير شاملة لمواجهة هذه الأزمة، وليس أمام إيران إلا أحد خيارين، الأول أن تقبل بالمقترحات الأوروبية، وهو ما سوف يفاجيء الغرب ويشتت الإجماع ضد إيران، ويبطل حجة ضرب إيران، على أن تقدم إيران تفسيرا جديدا لتعليق تخصيب اليورانيوم، بحيث تستثني منه النشاط البحثي، وألا يكون طويل المدة، وبهذا تقبل التعليق المحدود حتى نهاية فترة رئاسة بوش، في مقابل أن يتعهد الغرب بتلبية احتياجات إيران الاقتصادية والسياسية والأمنية، ومن المفاعلات التي تعمل بالماء الخفيف في أقرب فرصة، ولدى ظهور أي إخلال بأمنها تنقض الاتفاق وتبدأ في التخصيب الواسع.

في حين أكدت الصحف التابعة لليمين الأصولي مثل جمهوري اسلامي ورسالت، ضرورة الصمود في المواجهة مع الغرب حتى النهاية، مع أقل الخسائر، والتأكيد على أن إيران لديها القدرة على الرد على أي اعتداء بقوة، وأنه في حالة الهجوم على إيران سيغلق مضيق هرمز ويمنع تصدير النفط من الخليج، وأن الصواريخ ستستهدف إسرائيل كلها، وكذلك القواعد العسكرية الأمريكية في دول المنطقة.

وأكدت صحف الإصلاحيين أن عدم قبول إيران للمقترحات الغربية سيزيد من فرص استمرار الجمهوريون الجدد، وفرص تضاعف الوجود الأمريكي في الخليج، وانتقدت تصريحات اللواء جعفري بأنها لا تستند إلى أسانيد واقعية، بأن إيران ستتحمل قدرا من الخسارة بإغلاق مضيق هرمز، كما أن حديثه عن القدرات العسكرية التي تطول إسرائيل والقواعد الأمريكية فيها مبالغة، وأكدت أنه أصبح من الممكن توجيه ضربة لإيران؟

في حين كان الموضوع الثالث متعلقا بالموقف الأمريكي من إيران، وقضية فتح مكتب لرعاية المصالح الأمريكية في طهران، وقد اتخذت الصحف من هذه القضية موقفا موضوعيا، مبينة أبعاد هذه القضية، ومؤكدة ضرورة أن تكون الحركة في هذا الاتجاه محققة للمصلحة الوطنية.

وعلى هامش هذه الموضوعات التزمت الصحف الإيرانية فيما عدا صحيفة انتخاب الصمت إزاء أزمة عرض فيلم إعدام فرعون، حيث دافعت الصحيفة عن موقف إيران الأصولي، وأن عرض الفيلم يدخل في إطار حرية التعبير، وأشارت إلى عقلانية الحكومة في معالجة الأزمة.

تحول الموقف الإيرانى فى القضية النووية

أ.د. محمد السعيد عبد المؤمن
أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة عين شمس

تشير الحركة السياسية الإيرانية على مختلف الأصعدة، سواء فى المباحثات الدائرة مع الاتحاد الأوروبي، أو على الساحة السياسية داخل إيران، أو التحول فى التعامل مع مستجدات الساحة الدولية، إلى أن هذه الحركة تحقق مرونة واضحة تفاديا للضربة المتوقعة للمنشئات النووية الإيرانية. ويبدو أن الفصائل السياسية الإيرانية تتجه إلى الاتفاق والتماسك، من خلال موقف ترضاه كل الأطراف، وهو التجاوب الفعال مع مقترحات الاتحاد الأوروبى لحل مشكلة الملف النووى الإيراني، وهو الموقف الأساسى للإصلاحيين باختلاف أحزابهم، وحتى المتطرفين منهم، أما الأصوليين فينقسمون بين يمين متشدد، ووسط مرن، ويسار يقترب بشدة من الإصلاحيين.

يمثل الوسط الأصولى مسئولون لهم دراية عسكرية وأمنية، ويقوده كل من على أكبر ولايتى وعلى لاريجانى ومحسن رضايي، وهم المنافسون السياسيون للرئيس أحمدى نجاد، ويقومون بحركة متحولة داخل النظام وعلى مائدة صنع القرار، حيث أعربوا عن رغبتهم فى أن تقبل إيران مقترحات الاتحاد الأوروبي، باعتبار أن الصدام مع الولايات المتحدة وصل إلى أوجه، وفى انتظار أن ترفض إيران، وقد نشرت صحيفة الشعاع (تابناك) التى تمثل هذا المحور نتائج استبيان قامت به حول مدى تقبل الشعب الإيرانى للمقترحات الأوروبية، والتى أشارت إلى أن ٢٤٪ فقط هم من يرفضون، و٢٦٪ يقبلون بدون تحفظ، و٥٠٪ يقبلون مع بعض تعديلات فى البنود. وهو المؤشر الذى يضعه هذا المحور أمام الرأى العام والنخبة وصناع القرار، لحثهم على قبول العرض. ويؤكد ولايتى أنه من الضرورى أن تتجاوب إيران مع المجتمع الدولي، لأنه أحد السبل للوصول إلى الحقوق المشروعة، وعلى إيران أن لا تفقد هذه الساحة، كما يرى ضرورة التعامل مع العقوبات الاقتصادية حتى لا تبدو سببا فى تراجع إيران. ويرى هذا المحور أن البرنامج النووى الإيرانى ليس هدفا فى حد ذاته، ولكنه وسيلة لتحقيق أهداف أخرى للنظام تحقق منها الكثير، مما يساعد على الميل إلى المباحثات لمنع المخاطر، بحيث لا يكون الملف النووى فى المرحلة القادمة خطا أحمر، كما دأبت صحيفة الشعاع الالكترونية أيضا بعد الاستبيان إلى تهيئة الرأى العام لقبول العرض الغربى من خلال مقالاتها، ولعل من أهمها مقال: هل تفاجيء إيران الغرب؟ الذى ترصد فيه الظواهر على أن الصدام مع الولايات المتحدة وصل إلى نقطة اللاعودة، وكذلك مع مراكز القوة الغربية وإسرائيل بتعبيرات مختلفة، وهو ما يقتضى اتخاذ إيران استراتيجية مناسبة وتدابير شاملة لمواجهة هذه الأزمة، وليس أمام إيران إلا أحد خيارين، الأول أن تقبل بالمقترحات الأوروبية، وهو ما سوف يفاجيء الغرب ويشتت الإجماع ضد إيران، ويبطل حجة ضرب إيران، على أن تقدم إيران تفسيرا جديدا لتعليق تخصيب اليورانيوم، بحيث تستثنى منه النشاط البحثي، وألا يكون طويل المدة، وبهذا تقبل التعليق المحدود حتى نهاية فترة رئاسة بوش، فى مقابل أن يتعهد الغرب بتلبية احتياجات إيران الاقتصادية والسياسية والأمنية ومن المفاعلات التى تعمل بالماء الخفيف فى أقرب فرصة، ولدى ظهور أى إخلال بأمنها تنقض الاتفاق وتبدأ فى التخصيب الواسع. وهذا الجناح يسعى

لطمأنة المسئولين بأن قبول المقترحات الأوروبية لن يؤدى إلى تغييرات فى المناصب، لأن هذا موقف أصولى منهم وليس موقف مصلحة سياسية أو إعداد انتخابي، فتغير الاستراتيجية الإيرانية وفق مبدأ المصلحة الشيعى لا يعنى بالضرورة تغيير المسئولين، حيث يمكن التعاون بين رئيس الجمهورية وأمين عام المجلس الأعلى للأمن القومى ووزير الخارجية للقيام بالمهمة، ولاشك أن نجاح هذه الاستراتيجية سيحقق مكسبا لكل الأطراف، أو ما يسمى بنتيجة كاسب ـ كاسب.

أما الاختيار الآخر ويقف وراءه اليمين الأصولى فهو الصمود فى المواجهة مع الغرب حتى النهاية، مع أقل الخسائر، خاصة مع الظروف الاقتصادية الراهنة التى تمثل تحديا إضافيا، يقتضي التقشف الذى تعودت إيران عليه خلال سنوات الحرب مع العراق، بتقليل استخدام البنزين وضبط الإنفاق، وتقليل الدعم وتحويله إلى دعم نقدي، وإطلاق الأسعار، وأن تستعد إيران لأسوأ الاحتمالات. ويمثل المسئولون العسكريون أداة هذا التوجه، باعتباره واجبهم الوظيفى فى حراسة الثورة الإسلامية، ونظام الجمهورية الإسلامية، وتحقيق أهدافه، لأن ميلهم إلى الوسط يشير إلى تقاعسهم، أو عدم قدرتهم على تولى هذه المسئولية، فاللواء محمد على جعفرى قائد جيش حراس الثورة الإسلامية يقوم بدوره بطمأنة الرأى العام، بأن إيران لديها القدرة على الرد على أى اعتداء بشدة رادعة، وأنه فى حالة الهجوم على إيران سيغلق مضيق هرمز، ويمنع تصدير النفط من الخليج، كما أن الصواريخ البعيدة والمتوسطة المدى ستستهدف إسرائيل كلها، وكذلك القواعد العسكرية الأمريكية فى دول المنطقة.

لقد كان اليمين الأصولى وراء تعيين اللواء محمد على جعفرى قائدا لجيش حراس الثورة الإسلامية بهدف تطوير هذا الجيش استعدادا للمرحلة القادمة، باعتبار أن التهديدات التى تتعرض لها إيران فى هذه المرحلة متغيرة وليست تقليدية، وتتخذ أشكالا عسكرية وأمنية وسياسية وثقافية واقتصادية، ومن ثم جرى التغيير فى جيش الحراس على محورين هما التطوير وارتفاع المستوى، وقد اقتضى التطوير إنشاء جيش للحراس فى محافظات إيران الواحدة والثلاثين، وهذا يعنى زيادة عدد جيش الحراس بمختلف وحداته فيصبح ٣١ جيشا، كما اقتضى التطوير تغييرا هيكليا فى هذا الجيش، بحيث لا يكون جافا وعسكريا صرفا، فيتفاعل مع متغيرات التهديد، كما يدعم الصلة بقوات التعبئة العامة (بسيج) ويضاعف التنسيق بينهما، وهذا يعنى توفير القوى البشرية الفاعلة من البسيج للحراس دون زيادة، منعا من ترهل هذه القوات، والاستفادة منها فى التعامل مع اتجاه الولايات المتحدة لتخريب النظام بغية إسقاطه من الداخل، فيشكل حائطا أمنيا.

ويرى الإصلاحيون أن عدم قبول إيران للمقترحات الغربية سيزيد من فرص استمرار الجمهوريون الجدد، وفرص تولى المرشح الجمهوري، باعتباره خبيرا فى السياسة الخارجية والتعامل مع التوتر الخارجي، وهو ما سوف يضاعف الوجود الأمريكى فى الخليج، وتجاهل حسابات المكسب والخسارة لتحقيق مصالح أمنية عليا، كما حدث فى الحرب العالمية الثانية وفيتنام والعراق. وينتقدون تصريحات اللواء جعفرى بأنها لا تستند إلى أسانيد واقعية، فالولايات المتحدة لن تسكت على إغلاق مضيق هرمز، وقد قامت بالفعل بمناورات عسكرية فى مياه الخليج لهذا الغرض، كما أن إيران ستتحمل قدرا من الخسارة بهذا الإغلاق وجهدا ونفقات باهظة لإعادة فتحه، كما أن حديثه عن القدرات العسكرية التى تطول إسرائيل والقواعد الأمريكية فيها مبالغة، لأن تركيز جيش حراس الثورة على وحدات الصواريخ لم يسمح له بامتلاك قوات جوية هجومية، تضم قاذفات القنابل البعيدة المدى الاستراتيجية، وطائرات تزويد الوقود، وطائرات مقاتلة حديثة، واكتفى بعدد من طائرات الميج والسوخوى الروسية والصينية، وإعادة تصنيع طائرتى فانتوم تحت اسم اذرخش، كما أن وحدات الصواريخ ثابتة، ولا تستطيع تغطية المجال الجوى الإيراني، وإن كان قد تم شراء ٢٩ وحدة صواريخ سام مضادة للطائرات (ام تور١) من روسيا، بتكلفة مليار دولار، فقد نشرت حول المواقع النووية الإيرانية فقط.

يبدو أن القيادة الإيرانية تعتمد فى تعويض جوانب الضعف والنقص لديها، كما يرى المحللون، على عاملين مهمين، الأول: تحقيق الاكتفاء الذاتى فى المواد الاستراتيجية والعسكرية والبينية، والثاني: القدرة على الحركة السريعة فى كل الاتجاهات من خلال تماسك المؤسسات وتوحد النظام، بمعنى تقليل الفاقد واستثمار فاقد الآخرين، فضلا عن أن النظام الدفاعى المعتمد على الصواريخ يتناسب مع الطبيعة الجغرافية لإيران، وصعوبة استخدام الطيران الحربى لتغطية الاتساع الشاسع مع وجود الجبال الشاهقة.

من الواضح أن مباحثات إيران مع الاتحاد الأوروبى أو مجموعة ٥+١ سوف تركز على المسائل المشتركة بين المقترحات الإيرانية ومقترحات الاتحاد الأوربي، وتتعلق بعدة موضوعات، منها الموضوعات الأمنية مثل المخدرات والهجرة غير الشرعية ومحاربة الإرهاب والأمن الإقليمي، والموضوعات الاقتصادية مثل التعاون فى مجال الطاقة سواء فى الإنتاج أو التسويق أو النقل أو الاستهلاك، التعاون التجارى والاستثمار، الشراكة فى مجال الطاقة، موضوعات حماية البيئة وتتعلق بالبنية التحتية والتقنية الراقية، أما الموضوعات النووية المشتركة فتتعلق بضمان عدم انحراف

النشاط النووي، التعاون فى مجال التقنية النووية فى المجالات السلمية ماليا وفنيا، دعم رقابة الوكالة الدولية للطاقة الذرية، العمل على نزع أسلحة الدمار الشامل من خلال لجان عمل. ولاشك أن هذه المسائل المشتركة بين الجانبين فتحت الباب أمام استمرار المباحثات حول الملف النووى بدءا من هذه المشتركات، بما يعنى ضمنيا سكوت إيران عن مبدأ المباحثات بدون شروط مسبقة، أو بدون المطالبة بتعليق تخصيب اليورانيوم، بل إن بعض المسئولين أشاروا إلى قبول إيران تعليق تخصيب اليورانيوم لمدة محدودة خلال فترة المباحثات (ستة أسابيع)، ومن ثم فإنه يتوجب على إيران أن تساعد على تطور هذه المباحثات فى وقت قصير، لاتخاذ خطوات عملية تمثل نجاحا للجانبين فى هذه المفاوضات، وهو ماعبر عنه لاريجانى بمفاوضات تحقق مكسبا للطرفين.

وإذا كان الحديث عن الخطوط الحمراء بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية وإيران، قد كثر فى وقت ترتفع فيه أصوات دق طبول الحرب، الخط الأحمر الإسرائيلى الذى توافق عليه الولايات المتحدة الأمريكية هو وصول إيران إلى درجة من تخصيب اليورانيوم عالى الجودة يسمح لها بإنتاج قنبلة نووية، فضلا عن نشر نظام الدفاع الجوى الروسى اس ايه ٢٠ الذى تعاقدت عليه مع روسيا وتشغيله، أما الخط الأحمر الإيرانى فهو وقف تخصيب اليورانيوم.

والسؤال المطروح هو: هل أصبح من الممكن توجيه ضربة لإيران؟ إذا لم تتنازل عن خطها الأحمر، وتصل بتخصيب اليورانيوم إلى الكمية المحظورة، أم أن هذه الخطوط الحمراء يمكن تفكيكها بوسائل بديلة فتنتفى الحلول العسكرية؟

ينقسم المحللون فى الإجابة على هذا السؤال إلى فريقين: فريق يرى الضربة العسكرية حتمية، ولم يبق إلا تحديد موعدها، والاتفاق على حجمها وتفاصيلها، وفريق يرى استحالة هذه الضربة لأسباب متباينة، أهمها حسابات المكسب والخسارة إزاء رد الفعل الإيراني، فضلا عن عدم تقبل الرأى العام العالمى للفكرة، وتفضيله الحل الدبلوماسي.

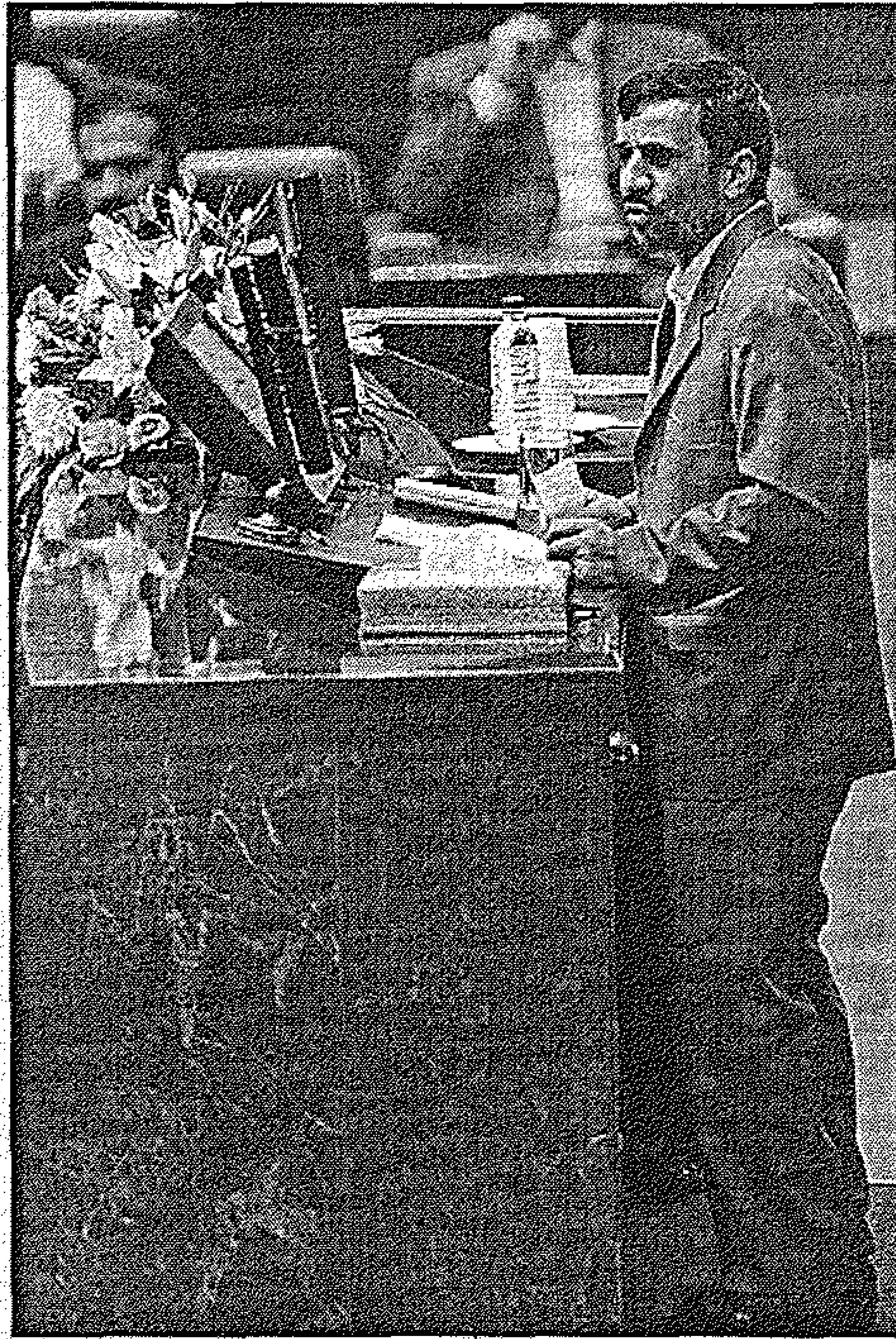
لاشك أن توجيه ضربة إلى إيـران تحقق مصالح عليا لإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، وفى هذا الإطار يمكنهما تحمل الخسائر، لكن من الضرورى أيضا أن تحقق الضربة نجاحا عسكريا واستراتيجيا يحفظ ماء الوجه ويبرر الخسائر، ولكى يتحقق ذلك ينبغى أن تكون لدى إسرائيل والولايات المتحدة معلومات كافية، سواء عن البرنامج النووى الإيراني، أو المناطق الاستراتيجية الهامة، أو الوضع الاقتصادى والسياسي، أو الظروف الجغرافية والمناخية، والأهم من ذلك القدرات العسكرية، فضلا عن ضرورة تهيئة الظروف لعنصر المفاجأة. هذه العناصر مطلوبة أيضا إذا اختارت الولايات المتحدة الحرب الناعمة ضد إيران من خلال عمليات الضغط الإعلامى والسياسى والاقتصادي، واختراق الجبهة الداخلية، والعمل على إثارة الفوضى وإسقاط النظام من الداخل، فضلا عن احتياج هذه الحرب لفترة طويلة ومثابرة، هى لصالح النظام الإيرانى الذى تمرس الحرب الطويلة والحصار، وحسن حشد القوى وتوزيع الأدوار، واصطياد «كعب آخيل».

أحمدي نجاد بين الأمس واليوم

■ محمد علي وكيلي ■ ابتكار ٢٠٠٨/٦/٢٤

ألقى الرئيس محمود أحمدى نجاد خطابا مؤخرا عرض فيه بنود مشروع التحول الاقتصادى، وأهمية هذا المشروع، وبالرغم من أن تفاصيل هذا المشروع تم دراستها بالتنسيق مع الخبراء والمتخصصين ونواب مجلس الشورى الإسلامي، إلا أن مبادئ وعناصر هذا المشروع ما زالت غير واضحة.

لست في هذا المقام بصدد الحديث والتحليل حول المشروع، ولكنني ألفت انتباهكم إلى أن تقرير رئيس الجمهورية تزامن مع انتهاء السنة الثالثة وبداية السنة الرابعة من دورته الرئاسية، وهو تقرير مختلف تماما عن تقاريره السابقة، وربما تشير المفردات التي استخدمها في هذا التقرير إلى ظهور أساليب جديدة في نهج الرئيس.



جرت العادة في المنافسات الانتخابية منذ سنوات أن يقدم كل تيار أو حزب على بحث مشكلات وآلام الشعب الإيراني بهدف جذب الرأي العام، في إطار بث روح التضامن والاندماج ومشاركة الناس همومهم وهو أسلوب يحمل في طياته نقدا للوضع القائم.

من هذا المنطلق نجح الرئيس أحمدي نجاد في الانتخابات، حيث تمتع بقدرة قوية على بحث آلام ومشكلات الإيرانيين ومن ثم حظي بقبول شعبي منقطع النظير.

ومن الملاحظ أن السنوات الثلاث التى مضت من رئاسة أحمدي نجاد وفترة رئاسة خاتمي، كانتا متشابهتين من حيث تكرار المعاناة والمشكلات، ومن ثم اعتقد الخبراء في نقدهم لحكومة خاتمي أن بحث ودراسة أسباب هذه المعاناة والمشكلات من جانب المسئولين، ليس حلا للقضايا، كما أن المسئول مكلف بحل تلك المشكلات وليس عرضها على المواطنين.

ويمكن القول أن حديث أحمدي نجاد الأخير أثبت أنه انتهج أسلوبا جديدا، وعبر تلك المرحلة السابقة وصولا إلى مرحلة التعرف على أسباب وعوامل تلك المعاناة وتلك المشكلات، حيث تعتبر المعرفة الدقيقة بأسباب المعاناة بمثابة ٥٠٪ من العلاج.

وقد حدد أحمدي نجاد في خطابه خمسة مشكلات رئيسية هي:

تراجع مستويات التنمية

البطالة التضخم إهدار الموارد

فقدان العدالة الاجتماعية ثم تطرق أحمدي نجاد إلى جذور المشكلات محللا إياها في نقاط محددة كان على رأسها الافتقار إلى نظام دعم متكامل، وفساد الهيئات المالية والجمركية والمصرفية.

على هذا النحو يمكن إعادة صياغة تعريف جديد لأحمدي نجاد بناء على التغير المشهود له في بداية عامه الرئاسي الرابع.

أولا: بدء خطوة جادة في طريق المعرفة الدقيقة بأسباب وعلل المشكلات، ولم يكتف بسرد المشكلات فقط دون التعمق فيها مثلما كان الحال خلال دعاياته الانتخابية.

ثانيا: أظهر من خلال حديثه الأخير، تحولا جذريا في مفرداته التي لم تركز كالعادة على نقد الحكومات السابقة له، والتطرق إلى الإنجازات التي حققتها الحكومة التاسعة فقط، وإنما ارتقى بتلك المقارنة إلى ما هو قبل وبعد الثورة الإسلامية، ما يثبت شعوره بتحمل المسئولية وانتمائه كرئيس جمهورية ثوري.

ثالثا: دفاع أحمدي نجاد أو رؤساء إيران السابقين عن الوضع القائم، تحول إلى نهج متبع، لدرجة أن خطابات رؤساء الجمهورية دائما ما تثني على الوضع القائم، لكننا شهدنا في خطاب أحمدي نجاد الأخير، اعترافا بمشكلات رئيسية، كما أن تحليله لتلك المشكلات كان مشابها لتحليلاته أثناء المنافسات الانتخابية.

نظرة منطقية على برنامج التحول الاقتصادى لأحمدى نجاد

تابناك (المنبر) يوليو ٢٠٠٨

إن تفحص أى برنامج اقتصادى بشكل دقيق يتطلب فى البداية تحديد الوضع القائم بدقة ومن ثم طرح سبل الخروج من المشكلات الاقتصادية التى تسببت فى الكثير من معوقات المجتمع وكذا تحديد العلاقة بين البرنامج الاقتصادى للدكتور أحمدى نجاد وإنقاذ الدولة من الأمراض المهلكة والغدد المنتشرة فى جسم الاقتصاد الوطنى. وفى هذا السياق يتحتم ذكر أن الاقتصاد المدعوم له الكثير من تبعاته السلبية التى لا تحصى بالنسبة للدولة ومن أهم هذه السلبيات ما يلى:

١ - دعم الطاقة سنوياً بـ ٨٥ ألف مليار تومان (مع الأخذ فى الاعتبار أن الدولار يعادل ٩٤٥ تومانا)، على أن هذا المعدل يزيد بنحو ١٠٪ سنوياً.

٢ - إن الاقتصاد المدعوم باعث على الإسراف فى استهلاك الطاقة وتباعاً إهدار ملايين التومانات سنوياً.

٣ - الطاقة المدعومة تؤدى إلى تجنب تنمية وسائل النقل لا سيما النقل الجوى والسكك الحديدية وهذا بدوره يساعد على ازدحام الطرق وزيادة كبيرة فى التلوث البيئى.

٤ - الاقتصاد المدعوم، وتوجيه الدعم إلى مجالات فى غير الأمور الإنتاجية يعجز الدولة على كافة المستويات والأصعدة.

٥ - الأوضاع المذكورة وعدم تنمية شبكة الطرق والمواصلات المختلفة يؤدى إلى قتل وجرحى أكثر من ٢٠٠ ألف شخص سنوياً.

٦ - الاقتصاد الخدمى وغير المنتج من شأنه تركيز الكثافة السكانية فى العاصمة مما قد يترتب عليه الكثير من المشكلات بينما فى الاقتصاد المنتج سوق يتمركز السكان فى المناطق التى تحظى بامتيازات تجارية وسياحية خاصة وغيرها، مثل المدن القريبة من منابع البترول والغاز أو المدن الساحلية والسياحية بينما لا تتمتع طهران العاصمة بامتياز خاص لتمركز السكان، غير أن الأمور الخدمية وغير المنتجة سوف تتدفق على هذه المدينة. وتعد محافظة طهران من أبعاد عدة وخاصة من الأبعاد الاقتصادية والجذب السياحى والظروف المعيشية ذات امتيازات أقل مقارنة بالنسبة لمحافظة مثل بوشهر، بينما المدن الساحلية ينبغى أن تتسع لعدة ملايين من السكان بالنسبة لتلك المدن قليلة الكثافة السكانية، كما أن تمركز السكان فى العاصمة قد زادت وبشدة بالوظائف الخدمية بحيث ينشط أكثر من ٨٠ إلى ٩٠٪ بهذا القطاع (قطاع الخدمات)، مما أدى إلى منافسة غير ذى هدف بحيث يصبح هناك طرائق لتحقيق أرباح بصورة غير سلبية ومن ثم يصل الوضع الاجتماعى والاقتصادى فى طهران إلى نقطة خطيرة بسبب اقتصادية الخدمى غير المنتج والحائر، وينبغى السيطرة عليه بأسرع ما يمكن وكذا فليس لطهران إمكانية وجود مهن (وظائف) منتجة للكثافة السكانية الموجودة فيها، وينبغى تهيئة الفرصة للهجرة العكسية والاهتمام الخاص بالمناطق ذات الاستعداد وبخاصة فى المناطق والمحافظات القريبة من البحر وهذا يحتاج إلى جراحة اقتصادية واقتحام خاص لتلك المناطق ذات الاستعداد والمتلىء بالطاقة.

إن تمركز السكان فى طهران وعدم مدن كبرى قد جعل تقديم الخدمات يعد أمراً مكلفاً للغاية وقد أنتج ذلك بطء حركة السيارات وتلوث البيئة وأزمة كبرى فى توفير السكان والمياه والكهرباء والمرافق الأخرى.

وفى هذا السياق، يقترح الحلول التالية للتخلص من الضغط الناجم عن الاقتصاد المدعوم غير المنتج:

١ - تحرير الطاقة وفقاً لخطة مبرمجة حتى عام ٢٠١٢ كحد أقصى (وفقاً للخطة الاقتصادية العشرينية)، وعلى أساس نماذج الدول النامية فى العالم.

٢ - تخصيص الميزانية والإمكانيات اللازمة للتطوير السريعة لشبكة السكك الحديدة وخاصة فى المدن الساحلية.

٢ - الاهتمام الخاص بتنمية التجارة البحرية، والاستفادة الكاملة من موقع إيران، والحد من المركزية بإيجاد فرص عمل.

٤ - توفير الحماية للشركات الحكومية وغير الحكومية الناشطة فى المدن الساحلية لبناء مساكن لكوادرها بظروف مناسبة وبهدف تحقيق الهجرة العكسية للمدن الساحلية أو البعيدة عن المراكز (العاصمة).

وأخيراً يمكن القول أن إلغاء الدعم عن الطاقة واستخدام هذا الدعم فى تحديث شبكات السكك الحديدية والنقل فى جميع أنحاء البلاد وتنمية الصناعات البحرية والساحلية والاهتمام بالبنية التحتية سيكون من شأنه تحريك الاقتصاد الوطنى الإيرانى والقضاء على العقبات الاقتصادية كالتضخم والبطالة والفقر وإلى غير ذلك.

حول الكلام غير المهذب وغير المفيد لمحتشمى بور

■ سعيد مقدم ■ موقع أخبار أنصار ٢٠٠٨/٦/١٠

عقب قيام على اكبر محتشمى بور بتوجيه انتقادات عنيفة ضد آية الله مصباح يزدى خلال الاحتفال بذكرى رحيل مؤسس الجمهورية الإسلامية الإمام الخمينى، قام حجة الإسلام سعيد مقدم بتفنيد انتقادات محتشمى كالتالى:

١ - آية الله مصباح يزدى والثورة:

اتهام آية الله مصباح بمعارضة الثورة وعدم التوافق معها ليس بالاتهام الجديد وقد نشرت موضوعات كثيرة ووثائق فى الرد على هذا الاتهام يستطيع الباحثون عن الحقيقة الرجوع إليها والحكم بمقتضاها ولكن الوقوف على المواقف الشخصية للسيد محتشمى تأخذ شكلاً آخر.

كتب السيد محتشمى فى عام ١٩٩٩ فى مقالة مفصلة فى جريدة "بيان" ضمن الإشارة إلى كتاب "وثائق الثورة الإسلامية": "إنه (أى آية الله مصباح يزدى) قبل انتصار الثورة لم يوقع سوى عدد من البيانات قبل انتفاضة ١٩٦٣ ونفى حضرة الإمام مع عشرات الأشخاص من الفضلاء وطلاب الحوزة العلمية بقم وظل حتى بدايات انتصار الثورة غارقاً فى هالة من الصمت ومعالجة الشئون الشخصية والدراسية وإدارة مؤسسة فى سبيل الحق فيما عدا ذلك لا يوجد شئ فى ملفه".

وفى مواصلة حديثه أشار إلى عدد من البيانات التى كانت ممهورة بتوقيع آية الله مصباح يزدى كما أشار أيضاً إلى بعض البيانات التى لم يوقعها ويستنتج أنه: "من خلال دراسة هذه البيانات يتضح أن السيد مصباح لم يكن متفقاً فى الرأى مع الحركة والثورة وانتفاضة الأمة والإمام وأنه لم يكن معها. وأن السيد مصباح يزدى بعد عملية القمع الدامية لانتفاضة ١٥ خرداد عام ١٩٦٣ على يد قوات نظام الشاه عارض بشدة تيار المقاومة والحركة الإسلامية ولم يتورع عن المجاهرة بمعارضته!". وفى هذه المقالة أيضاً يشكك فى الأعمال النضالية للشهيد نواب صفوى! وفى هذه الأيام كتب رد على مقالة السيد محتشمى. لكن صحيفة "بيان" التى كانت ترى أن المعرفة من حق الشعب امتنعت عن نشر المقال. وبعد فترة نشر هذا الرأى فى صحيفة رسالت. لكن الذى يتضح أكثر من أى شئ فى مجمل كلام السيد محتشمى هو التناقضات العجيبة التى تتضح فى كلامه، فمن ناحية يدعى أن آية الله مصباح يزدى قبل انتفاضة ١٥ خرداد ١٣٤٢ هـ.ش (١٩٦٣) كان مع الإمام والثورة ومن ناحية أخرى يدعى فى كلامه الأخير "أنه لم يكن يوماً ما مع الثورة ولا مع الإمام!". وفى الحديث نفسه وخلافاً لادعاءاته السابقة يعتبر عام ١٣٤٤ هـ.ش (١٩٦٥) نهاية لتوافق آية الله مصباح يزدى مع الثورة ويقول: "منذ عام ١٣٤٤ هـ.ش من بين كل البيانات التى وقعها العلماء ورجال الدين فى قم وسائر المدن لم يشاهد حتى توقيعاً واحداً لهذا السيد". هذا فى حين أنه هو نفسه فى المقالة المذكورة فى صحيفة بيان يتحدث عن البيانات التى وصلت فى أعوام ١٣٥٦ هـ.ش و١٣٥٧ هـ.ش (١٩٧٧ - ١٩٧٨) بتوقيع آية الله مصباح يزدى!. فحقاً عن ماذا تكشف هذه التنافضات؟!

طبقاً لما ورد فى كتاب "وثائق الثورة الإسلامية" توجد رسالتان فى عام ١٣٤٢هـ ش (١٩٦٣) قد وصلت بعد انتفاضة ١٥ خرداد ١٣٤٢ هـ ش بتوقيع آية الله مصباح يزدى وفى عام ١٣٤٢ هـ ش وصلت عنه أيضاً ثلاث رسائل. وفى عام ١٣٤٤ هـ ش خمس رسائل ورسالتان فى عام ١٣٤٥ هـ ش وكذلك أيضاً فى هذا الكتاب فى الفترة من ١٣٤٦ هـ ش وحتى ١٣٤٩ هـ ش (١٩٦٧ - ١٩٧٠) لم يسجل أى بيان بتوقيع أى من أساتذة وفضلاء الحوزة العلمية بقم وبالتبعية لا يجب أن يشاهد أيضاً توقيع آية الله مصباح يزدى على رسالة فى عام ١٣٤٩ هـ ش. ومرة ثانية فى الفترة من ١٣٥٠ هـ ش وحتى ١٣٥٦ هـ (١٩٧١ - ١٩٧٧) لم يشاهد أى بيان يذكر فيه أسماء الأساتذة وفضلاء الحوزة العلمية بقم يكون ضد النظام ومع ذلك وصل بيان بتوقيع آية الله مصباح يزدى فى عام ١٣٥٦ هـ ش (١٩٧٧) وثلاثة بيانات فى عام ١٣٥٧ هـ ش (١٩٧٨). هذا فى حين أن التوقيع على البيان لا يمكن أن يكون معياراً مناسباً لتقييم مدى التوافق مع الثورة وعلى سبيل المثال ورد فى هذا الكتاب أن هناك أربع بيانات فقط بتوقيع السيد محتشمى بور فى الفترة من ١٣٤٢ هـ ش وحتى ١٣٥٦ هـ ش (١٩٦٣ - ١٩٧٧). اللافت للانتباه أنه لا يوجد له توقيع على أى بيان فى أعوام ما قبل الثورة أى فى عام ١٣٥٦ - ١٣٥٧ هـ ش (١٩٧٧ - ١٩٧٨).

٢ - آية الله مصباح يزدى وجمهورية النظام:

يدعى السيد محتشمى بور فى موضع آخر من حديثه أن "الشخص الذى يطرح أن هذه الجمهورية التى يتحدث عنها الإمام قد كانت بناءً على مقتضيات ما قبل الثورة وإلا لا يكون رأى الشعب معياراً وإننا فى الإسلام ليست لدينا جمهورية، أى أن هذا السيد الذى أصبح على رأس الفرقة المصباحية يسعى لاستئصال جذور فكر الإمام". ومنذ فترة أيضاً أكد السيد خاتمى فى لقاء مع النواب الإصلاحيين فى المجلس الثامن على هذا الاتهام ومن المؤكد أنه لم يذكر اسم آية الله مصباح. هذا فى حين أن الاهتمام برأى الشعب ووجهة نظره باعتباره عامل نجاح النظام قد كان دائماً موضع تأكيد آية الله مصباح يزدى.

على سبيل المثال يقول فى هذا الصدد: "رأى الشعب وموافقته تؤدى إلى وجود نظام الحكم... وقد نقلوا عن حضرة الإمام أن لا رأى لمن لا يطاع هذا الكلام يظهر مدى دور الشعب فى تكوين الحكم الإلهى وتثبيته سواء كان حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم والأئمة المعصومين عليهم السلام أو كان حكم الفقيه فى زمن الغيبة... على الرغم من أنه لا تلازم بين "المقبولية" و"المشروعية" لكن الحاكم الدينى ليس له الحق فى استخدام القوة لأن يفرض سلطته". ويقول: "أشكال الحكم الديكتاتورى توطد دعائم حكمها مستخدمة أنواع القوة العسكرية وغير العسكرية وسائر الحيل والأكاذيب. لكن أشكال الحكم الشعبى تستمد سلطتها وقوتها من جماهير الشعب ولا يكون ارتكازها على قوة الساعد والسلطة وثروة الأشخاص والجماعات الخاصة بل يكون ارتكازها على جماهير الشعب، وسواء كان الحكم إسلامياً أو كان عرفياً علمانياً فإننا لا نلغى مطلقاً دور الشعب بل نؤكد على أهميته".

وكذلك أيضاً يقول: "الحكومة الصحيحة سواء كانت إسلامية أو علمانية يجب أن تعتمد على سلطة الشعب.. "البيعة" وتعاون الشعب يهيئ المجال العملى للقيام بواجبات الحاكم الإسلامى وهذا هو الشيئ الذى يعرف بـ "المقبولية" الشعبية" ... إننا لا ننفى مطلقاً دور الشعب بل نؤكد على أهميته". هذه الجمل بمفردها تبين مدى صحة ادعاءات السيد محتشمى بور.

٣ - آية الله مصباح والاتهام بالجمود والتحجر:

يقول السيد محتشمى فى موضع آخر من وجهات نظره: "للأسف يوجد اليوم الأشخاص الذين لم يفهموا قضايا الإسلام الأولوية وقد أصبحوا الأيديولوجيين لتيار ما متطرف وليس هناك أى اختلاف بين الفرقة المصباحية وطالبان وجالية صدر الإسلام.. إنكم متحجرون نهضتم عندما رأيتم أن الإمام قد وضع رأسه على الأرض". هذه ليست المرة الأولى الذى يوجه فيها السيد محتشمى وزمرته الاتهام بالتحجر لآية الله مصباح يزدى. وبعد الانتخابات الرئاسية التاسعة وهزيمة تيار الثانى من خرداد أصبح هذا الاتهام مطروحاً بشكل كبير وقد ردد حجج الإسلام رسول منتجب نيا والسيد محمد خاتمى هذه الاتهامات بحق السيد مصباح يزدى وكررت صحف جبهة الثانى من خرداد هذه الاتهامات. لكن مقام الزعامة (الولى الفقيه) قال فى رد فعل على هذا الكلام: "من المصادفة أن الأشخاص الذين وقفوا ضد الجناح المتعبد والمتمسك قد أصبحوا بشكل ما أكثر قرباً للتحجر والطلبانية لأنهم يتسمون بالتحجر والجمود بالنسبة لتعاليم الغرب ودروسه وكل ما قاله الغربيون يجب أن ينفذ مائة فى المائة أليس هذا تحجرا. التحجر هو أنهم لا يسمعوننا كلام الغربيين الجديد ويطرحون على المجتمع أحاديث القرن التاسع عشر والأحاديث التى استهلكت ونسخت سواءً على صعيد السياسة أو الأخلاق أو الاتجاه الد[illegible]ى أو شكل الحكم أو فى الاقتصاد إنهم يتصدون بتحجر وعصبية. إنهم أكثر طلبانية". لكن للأسف بعد فترة قصيرة من حديث مقام الزعامة اتهم السيد محتشمى آية الله مصباح يزدى بالتحجر، لكن مقام الزعامة مرة ثانية ووسط حشد من مسئولى مكتب دعايا الحوزة العلمية بقم وصف حضرات آيات الله مصباح يزدى وجوادى آملى بأنهم منظرو النظام واستخدم بحقهم

تعابير من قبيل الشخصية العلمية الفكرية البارزة.

٤ - آية الله مصباح والوجود فى جبهة الحرب:

يقول السيد محتشمى فى موضع آخر من حديثه: "لم يذهب تيار المصباحية يوماً ما إلى الجبهة وكيف أصبح اليوم داعية الجبهة وأصبح يتواجد فى قواعد الباسيج". هذا فى حين أن آية الله مصباح يزدى أثناء الحرب المفروضة كان يحث الشعب وخاصة الشباب والمقربين منه وتلاميذه على التوجه إلى جبهات حرب الحق ضد الباطل وكانت النتيجة أن ذهب الأبناء وكثير من الطلاب والمحافظون ومعارفه إلى جبهات الحرب ونال بعضهم الدرجة الرفيعة درجة الشهادة والتضحية، وأقوى دليل على مساندته لأبطال الإسلام وتشجيع الشعب خاصة طلابه وتلاميذه مجموعة دروسه ومحاضرات التى ألقاها فى عامى ١٣٦٥ هـ.ش ١٣٦٦ هـ.ش (١٩٨٦ - ١٩٨٧) فى "مؤسسة فى سبيل الحق" فى موضوع "الحرب والجهاد فى القرآن" وقد صدرت هذه المجموعة مؤخراً فى كتاب يحمل نفس العنوان.

يقول حجة الإسلام والمسلمين مجتبى مصباح "ابن آية الله مصباح" عن تواجده فى جبهات الحرب: "كان الحاج آقا مستعدا دائماً لأن يضحى بنفسه من أجل الإسلام والثورة لكن معارضيه لم يجدوا أى نقطة ضعف له، أحياناً يقولون أنه لم يشارك فى أعمال المقاومة وأحياناً يقولون أنه لم يشارك فى الجبهة والحرب وأذكر أن أخى على آقا قد توجه إلى الجبهة على الأقل ثلاث مرات وفى عام ١٣٦٥ هـ(١٩٨٧) توجهت أنا وعلى آقا وعدد من تلاميذ آيه الله إلى الجبهة وكان آية الله يجوب البلاد من غربها إلى جنوبها حثاً لأبطال الإسلام وكان يخطب فى القادة والمقاتلين وبعد توجهنا إلى الفاو كان الحاج آقا يخطب فى مسجد الفاو وكان يحث تلاميذه على المشاركة فى الحرب وكان الشهيد رادانى بور قائد لواء الإمام الحسين بأصفهان من التلاميذ المخلصين للحاج آقا. وبعد أن قال الإمام: كلنا مكلفون بأن نملأ جبهة الحرب، سأل الحاج آقا الإمام: ما هو واجبنا، قال الإمام فى الرد عليه: أى مكان أذهب إليه واجب عليكم أن تذهبوا إليه. وكان الحاج آقا يتابع أوضاع الحرب لحظة بلحظة لكن عندما شعر بأن الواجب الشرعى يقتضى أن يقوم بتربية الطلاب حتى يدافعوا عن مبادئ الإسلام وأسسه والثورة وكان يقوم بهذا الأمر بكل جد واجتهاد ولم يتوانى لحظة.

على أية حال إن فائدة مواقف السيد محتشمى تكمن فى أنها تعيد المتدينين مرة أخرى إلى مناخ الاتهام والتشويه الذى كان سائداً فى عهد الثانى من خرداد تجاه الدين وعلمائه، المناخ الذى كان يعتبر شخصيات مثل محتشمى بور من المعتدلين!

ونعم كلما أصبحنا أكثر قرباً من الانتخابات الرئاسية كلما كان التذكير بهذا المناخ أكثر فائدة ونفعاً.

---

* الموقع الإخبارى لمجلس تنسيق قوى تنظيم "حزب الله" الإيرانى.

- هذا المقال يمثل ردا على الانتقادات التى وجهها على اكبر محتمشى بور السفير الايرانى الأسبق لدى سوريا، وأحد مؤسسى حزب الله فى لبنان، والتى جاءت فى كلمته خلال الاحتفال بذكرى رحيل الإمام الخمينى، ونشرتها مجلة مختارات إيرانية فى العدد الماضى.

إيران بين التحديات الخارجية والمشكلات الداخلية

■ حوار مع إبراهيم يزدى ■ روز (اليوم) ٢٠٠٨/٦/١٤

تواجه إيران تحديات خطيرة على الساحتين الداخلية والخارجية، وقد اتفقت مجمل القوى السياسية الإيرانية على ذلك، لكنها اختلفت حول أساليب وأدوات مواجهة هذه التحديات. وفى هذا الإطار، أجرت صحيفة روز هذا الحوار مع إبراهيم يزدى سكرتير عام حركة حرية إيران لمناقشة القضايا المحورية التى تواجهها إيران حالياً.

*** الدكتور إبراهيم يزدى، كيف ينظر الرأى العام العالمى إلى قضايا الملف النووى الإيرانى، والإرهاب وحقوق الإنسان فى إيران مقارنة بالعام الماضى؟**

- إذا ما أردنا أن نقيم صورة الملف النووى الإيرانى الآن لدى الرأى العام الغربى مقارنة بما كانت عليه العام الماضى، ينبغى القول أولاً أنه لا يوجد استطلاع رأى دقيق بهذا الشأن، لكن بشكل عام يمكن القول أن المنحنى يتجه صوب الانطباع السلبى.

عندما تتوتر العلاقات بين الدول لا يكون بين الشعوب نفس النوع من النظرة فى المعتاد، ومع الأسف غيرت السياسة

الخارجية الإيرانية نظرة الرأى العام الأمريكى تجاه الإيرانيين، بسبب الأحداث التى وقعت على مدار الثلاثين عاماً الماضية بداية من احتجاز الرهائن حتى الآن، ووصل الأمر لدرجة أنه عندما يتحدث الأمريكيون مع شخص إيرانى يكون الوضع كما لو أنهم يتعاملون مع شخص لديه جذام سياسى.

***يقال أن زيارة الرئيس أحمدى نجاد إلى جامعة كولومبيا العام الماضى قد أحدثت أثراً إيجابياً لدى الرأى العام الأمريكى، إلى أى حد تعتبر هذه المقولة صحيحة؟**

- زيارة الدكتور أحمدى نجاد لجامعة كولومبيا كانت فخاً له ولسياسته الخارجية التى يتبعها، ولو كان لديه مستشار جيد لكان لزاماً عليه نصيحته بعدم الذهاب من الأساس لأن زيارته لم تحقق أى نتيجة إيجابية لدى الرأى العام الأمريكى، ربما تكون هذه الزيارة قد حققت أثراً إيجابياً لدى قطاع من الرأى العام الإيرانى وقطاع من الرأى العام الإسلامى والعربى، على الرغم من أن كثيرا من أساتذة الجامعات الأمريكيين قد اعترضوا على حديث رئيس جامعة كولومبيا ووصفوه بالبعيد عن أدب الدبلوماسية.

*** ما هى أسباب سوء الظن المتبادل بين إيران والولايات المتحدة؟**

- أحد القضايا الرئيسية المؤيدة إلى سوء الظن بينهما، هو مدى التزام الولايات المتحدة بتعهداتها وتنفيذهما للقوانين الدولية، على سبيل المثال وقعت الحكومة الأمريكية بيان الجزائر الأول قبل تحرير الرهائن، وأعلنت صراحة أنها لم ولن تتدخل فى الشئون الداخلية الإيرانية، ومع هذا وصل الأمر إلى حد تخصيص الكونجرس الأمريكية ميزانية لتغيير سلوك الحكومة الإيرانية أو الإطاحة بها، الأمر الذى يعد تدخلاً سافراً فى الشئون الداخلية الإيرانية، وإذا كان الوضع على هذا النحو فما هو الضمان لتنفيذ الحكومة الأمريكية تعهداتها تجاه إيران أو احترام القوانين الدولية. هذا الأمر يمثل عقبة أمام تحسين العلاقات الأمريكية الإيرانية.

أما عن قضية المباحثات الإيرانية - الأمريكية فيجب أن تتم بدون قيد أو شرط نظراً للوضع المتفجر لمنطقة الشرق الأوسط الذى لا يحتمل أى تلكوء أو مماطلة، وقد أكد الرئيس الأمريكى ووزيرة خارجيته على أن التباحث المباشر مع إيران لن يتم إلا إذا أوقفت إيران تخصيب اليورانيوم، وأنا أؤكد على ضرورة التباحث مع إيران دون قيد أو شرط لان الوضع حساس للغاية.

*** أكد السيد هاشمى رفسنجانى فى صلاة جمعة طهران على ضرورة عقد مباحثات غير مشروطة فهل نستطيع أن نثق فى الإشارات المتبادلة بين الطرفين؟**

- أعتقد أنه على الرغم من التصريحات الحادة المتشددة التى تدلى بها كل من حكومة بوش وأحمدى نجاد، توجد مؤشرات على أن الحكومتين تباحثا سوياً بشأن قضايا العراق ولبنان، وأنا أعتبر أن هذا أمر إيجابى، وقد نشرت أخبار هذه المباحثات وآثارها الإيجابية واضحة أيضاً. بعض المحللين يعتقدون أنه على الرغم من المواقف المتشددة التى يتخذها الطرفان والاشتباكات العسكرية المحدودة بين حزب الله والجماعات اللبنانية الأخرى، تم تسوية مشكلة لبنان بعد تفاهمات أمريكية إيرانية، وتم تجاوز مشكلة داخلية كبيرة وانتخب رئيس للجمهورية اللبنانية وأيدته جميع الجماعات الشيعية بما فيها حزب الله، ولم يكن حزب الله ليوافق على ما حدث بدون ضوء أخضر من إيران، ولم يكن من الممكن صدور الضوء الآخر بدون مباحثات سرية بين الولايات المتحدة وإيران.

***مرشحا الحزبين الجمهورى والديمقراطى للانتخابات الرئاسية الأمريكية طالبا بتعامل أكثر قوة مع إيران، حتى السيد أوباما الذى قيل عنه أنه ربما يحدث تحولاً شديداً فى السياسة الخارجية الأمريكية، طالب فى اجتماع له مع اللوبى الصهيونى الأمريكى بالهجوم على إيران وانتقد بوش بسبب عدم قدرته على إيقاف إيران، وقال أنه من المحتمل استخدام أى آلية لإيقاف إيران بما فى ذلك الخيار العسكرى، ألا تعتقد أن مثل هذه الشعارات الانتخابية يمكن أن تساعد على خلق تهيئة للرأى العام الأمريكى لتقبل فكرة الحرب والهجوم على إيران؟**

- فى رأيى ينبغى ألا نعطى مثل هذه التصريحات الانتخابية أهمية كبيرة، لأن هناك قوى متعددة تقوم بأدوار رئيسية فى الانتخابات الأمريكية، وينبغى على كل مرشح أن يطرح شعارات قوية متطرفة لجذب أصواتها، ومن هذه القوى اللوبى الصهيونى الأمريكى، ومع الأسف جزء من مسئولية صدور مثل هذه التصريحات عن أحد المرشحين للرئاسة الأمريكية ملقى على عاتق المسئولين الإيرانيين الذى أدلوا بتصريحات غير مسئولة عن محو إسرائيل والقضاء عليها، وتحدثوا عن الهولوكوست، وبذا ساهموا فى تهيئة الأجواء لصالح المحافظين الجديد وإسرائيل، وبالتالى يصبح لزاماً على المرشحين للرئاسة الأمريكية أن يتخذوا مواقف متشددة من إيران حتى يكسبوا أصوات اليهود، وهذا ما فعله أوباما، وفعلته السيدة كلينتون التى قالت لو هاجمت إيران إسرائيل سنمحو إيران من على ظهر الوجود، وقد كتبت إليها رسالة وسألتها وإذا هاجمت إسرائيل إيران ماذا ستفعلون؟. أريد أن أقول أن كلمات المرشحين تلك فى مثل هذه الظروف ليست معيار للحكم على الأمور.

*** هل هناك احتمال أن يصدر بوش أمراً بالهجوم العسكرى على إيران قبل تركه السلطة؟**

لا أعتقد أن بوش سيقوم بعمل جدى ضد إيران قبل

الانتخابات الرئاسية، وأعتقد أن الرئيس لا يستطيع القيام ولو بعمل هجوم محدود ضد إيران حتى لو كان يريد ذلك، لكن من الممكن أن تقوم إسرائيل بمثل هذا الهجوم، فليس هناك حاجة إلى أن تقوم الولايات المتحدة بهذا العمل بنفسها.

عندما نتوقع حدوث هجوم عسكرى على إيران، ينبغى إدراك أن الهجوم العسكرى الشامل مثلما حدث فى أفغانستان والعراق أمر مستبعد وغير مطروح على الإطلاق، لكن المحتمل وقوعه عمليات عسكرية محدودة فى مناطق محددة مثل المراكز النووية والعسكرية.

*** هذا يعنى أنه لازال هناك احتمال بحدوث هجوم عسكرى ضد إيران، على الرغم من توصل إيران والولايات المتحدة إلى نتائج إيجابية فى مباحثاتها بشأن العراق ولبنان؟**

– نعم هناك احتمال بحدوث هجوم على إيران لكن من قبل إسرائيل.

*** هل سبب هذا الهجوم المتوقع القدرات النووية الإيرانية فقط؟**

– لا، المسألة النووية ليست السبب الوحيد، وأعتقد أن موضوع الملف النووى فرع لقضايا أخرى، ويبدو أن إسرائيل فى حالة تاريخية استثنائية، حيث لم يبق أمامها من سبيل سوى قبول الصلح مع الفلسطينيين، والسلام مع الفلسطينيين لا يمكن أن يتحقق إلا إذا وافقت إسرائيل على تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، وانسحبت من الأراضى التى احتلتها عام ١٩٦٧، والاعتراف رسمياً بدولة فلسطينية مستقلة، وإسرائيل لا يوجد لديها استعداد لمثل ذلك الأمر.

*** تقول التحليلات الإسرائيلية أنه إذا قبلت إسرائيل السلام سيبدأ العد التنازلى لانهيار إسرائيل، وستفقد إسرائيل مكانتها بل وهويتها بالتدريج.**

عندما وصل أبو مازن إلى السلطة طرح فكرة جديدة، وقال لا سبيل أمام إسرائيل إلا أن تعترف رسمياً بفلسطين المستقلة أو أن تضم جميع الأراضى الفلسطينية، ونصبح جميعاً مواطنين فلسطينيين داخل دولة واحدة أيا كانت قيادتها ونحتكم لصناديق الاقتراع، وعلى الفور أعلن أولمرت أن إسرائيل لا يمكن أن تقبل مثل هذا الاقتراح، لأنه سيغير التركيبة السكانية لإسرائيل، ومن ثم ستفقد إسرائيل كيانها وهويتها. وبذا أصبحت إسرائيل واقعة فى مأزق.

*** كيف تستطيع إسرائيل الخروج من هذا المأزق؟**

– حدث إجماع فى وجهات النظر العالمية، على أن إسرائيل ينبغى عليها أن تنسحب من الأراضى التى احتلتها، والضغط الواقع على إسرائيل حالياً للدخول فى عملية السلام لم يحدث من قبل على مدار الستين عاماً الماضية، لدرجة أن شخصية أمريكية كبيرة مثل كارتر تقول أن العقبة الحقيقية أمام السلام فى الشرق الأوسط هى إسرائيل.

وقد أعلن العاهل السعودي الملك عبد الله أنه إذا نفذت إسرائيل قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وانسحبت من الأراضى العربية التى احتلتها، فستدفع الحكومة السعودية مبلغ ١٠ مليار دولار لإسرائيل لنقل المستوطنات من الضفة والقطاع إلى إسرائيل، ومن ثم فقدت إسرائيل جميع ذرائعها وسدت أمامها كل الطرق.

يبدو أن الدبلوماسية العربية عملت بشكل جيد فى الظروف الحالية، لذا نجد اليوم إجماع عالمى على ضرورة موافقة إسرائيل على السلام، لكن إسرائيل لا تريد أن تقبل هذا الأمر، لذا يحتمل أن تقوم إسرائيل باللجوء إلى أفعال من شأنها تغيير الوضع الحالى أحد هذه الافعال، الهجوم على إيران، ومن هذه الزاوية تعتبر تصريحات السيد أحمدى نجاد ضد المصالح القومية الإيرانية بل وتصب فى صالح إسرائيل وأفضل هدية يمكن أن تقدم للمحافظين الجدد واليهود.

إن إسرائيل تروج أن إيران بصدد إنتاج قنبلة نووية استناداً إلى تصريحات أحمدى نجاد التى تحدث فيها عن ضرورة محو إسرائيل وإفنائها، فأعطى مبرراً لإسرائيل لتنفيذ ضربة استباقية.

هذا هو أهم مخرج لإسرائيل من مأزقها الذى تعانى منه مع الفلسطينيين والذى يحتم عليها أن تقوم بإجراء فورى للخروج منه، لكن احتمالية أن تقوم الولايات المتحدة بهجوم على إيران ضئيلة جداً.

*** بعيداً عن موضوع إسرائيل، يعتبر النظام الدولى إيران دولة متمردة لأنها تجاهلت الاتفاقيات الدولية ولم توقف تخصيب اليورانيوم، بعبارة أخرى مجموعة من القواعد العالمية المطبقة من قبل الأمم المتحدة وضعت التصرفات الإيرانية موضع اتهام، يضاف إلى ذلك تصريحات السيد أحمدى نجاد الذى أعلنت فيها أن إيران تطمح إلى تغيير أسلوب إدارة العالم، ألا تعتقد أنه سيحدث ضغط بشكل أكبر على إيران للحفاظ على الصيغة الحالية لإدارة العالم، وفى النهاية يتم الهجوم عسكرياً عليها كأحد وسائل حل هذه القضية؟**

– نحن نستطيع استخدام منطق قوى لمواجهة الضغوط الخارجية، لكن للأسف خطاب زعماء إيران يفتقر إلى هذا المنطق، على سبيل المثال، لماذا يتحدث الرئيس الإيرانى عن الهولوكوست فى حين أنه يستطيع خلال رحلاته الكثيرة إلى الخارج أن يتحدث متسائلاً عن سبب عدم تنفيذ إسرائيل للقرارات الدولية، قائلاً لماذا لا تلتزم إسرائيل بقرارات الأمم المتحدة وهى دولة عضو فيها، ويتسائل ألا يؤدى عدم التزام إسرائيل بقرارات الأمم المتحدة إلى ضياع مكانة المنظمة وهيبتها، ولماذا يطلبون من إيران اتباع قرارات الأمم المتحدة وهناك دولة أخرى لا يسائلها أحد عن تجاهلها لقرارات

الأمم المتحدة؟

وأنا لا أقصد هنا القول بأن إيران لا تلتزم بقرارات الامم المتحدة، ولكن أريد أن أقول أنه لو انتهجت إيران هذا النهج فإن قطاعاً كبيراً من الدول الأعضاء بالأمم المتحدة ستسارع لدعم إيران، لكن الحادث الآن أن إيران تتحدث عن أمور لا معنى له وغير ذات صلة بقضاياها النقطة الأخرى هى عندما وقعت الولايات المتحدة بيان الجزائر تعهدت بعدم التدخل فى الشئون الداخلية الإيرانية، ثم قامت بانتهاك ما تعهدت به، وكانت تستطيع أن تتقدم بشكوى إلى المحكمة الدولية بلاهاى استناداً إلى المعاهدة الموقعة، وأنا لا أعرف ولا أفهم السبب وراء عدم قيام إيران بهذا الإجراء.

*** بناء على هذا هل يمكن القول أن هناك تحالفاً دولياً ضد إيران؟، وكيف تكون تلك الجبهة الموحدة ضد إيران؟، وهل إيران غير قادرة على إحداث صدع فى هذه الجبهة؟**

- إيران لديها القدرة على هذا لأن الدول الأوروبية ودولاً أخرى مثل الصين وروسيا لا تريد أن تكون تابعة للولايات المتحدة.

*** هل هذا يعنى أن لأوروبا والصين وروسيا موقف تنافسى مع الولايات المتحدة؟**

- نعم، لكن عندما تتخذ إيران مواقف لا تستطيع الدول الأوروبية الدفاع عنها، تظهر الوحدة بينهم ضد إيران، وهذا الموقف الأوروبى ينسحب أيضاً على دول الخليج، لأنها تريد حل القضايا الأمنية للخليج بدون التواجد الإيرانى.

*** مع كل ما سبق، ما هى الظروف التى تجعل الولايات المتحدة تهاجم إيران؟**

ـ مع الأسف التصور المسيطر على كثير من مسئولى إيران هو كيف يمكن توجيه ضربة للمصالح الأمريكية لإحداث تفوق على الولايات المتحدة، وهذا تصور غير صحيح.

أنا أنظر إلى الموضوع من زاوية أخرى وهى المصالح القومية الإيرانية، إذ ينبغى علينا أن ننظر أين تتحقق المصالح القومية الإيرانية وتتحرك فى طريق تحقيقها.

حتى إذا كانت إيران تستطيع توجيه ضربة للمصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط فإن هذا أمر غير كاف، لأنه من الممكن إلحاق ضربات بإيران أكبر من ذلك بكثير، ولربما وجدت إيران نفسها فى ظروف لا تستطيع من خلالها ضرب الأمريكيين فى العراق.

إذا ما الذى سيحققه هذا الأمر من نفع للمصالح القومية الإيرانية؟ إن استمرار التوتر على الحدود الغربية لإيران ليس من مصلحتنا على الإطلاق، إن المصالح القومية الإيرانية تستوجب إنهاء أزمة العراق بأسرع ما يمكن.

*** ما هى المصالح القومية الإيرانية فى الوقت الحالى من وجهة نظرك؟**

- إذا نظرت إلى الموضوع من الزاوية التى تحدثت من خلالها، يظهر أمامنا تساؤل إلى أى حد يدخل تخصيب اليورانيوم ضمن المصالح القومية الإيرانية؟

أنا أعتقد أن مواصلة إيران تخصيب اليورانيوم فى الوقت الحالى تضر بالمصالح القومية الإيرانية، وينبغى على إيران إيقاف عمليات التخصيب فى إطار تفاهمات مجموعة ٥+١ فبمجرد أن توقف إيران عمليات التخصيب سيحدث صدع فى الجبهة الموحدة المعادية لإيران، لأن الأوروبيين لا يريدون السير وراء الأمريكيين.

على الرغم من أننى أعتقد أنه حتى لو أوقفت إيران تخصيب اليورانيوم لن تحل مشكلة إيران مع الولايات المتحدة، لكن ستنفصل أوروبا والصين وروسيا عنها فى معاداتها لإيران.

*** يعتقد النظام الإيرانى الحاكم أنه إذا تخلت إيران عن تخصيب اليورانيوم ستصعد الولايات المتحدة والغرب مشكلة حقوق الإنسان فى إيران، فهل لقضية حقوق الإنسان نفس قوة الدافعية للتصادم مع إيران؟**

- هناك جانب واحد يصدق عليه هذا التصور، وهو أن إيران فيما يتعلق بتخصيب اليورانيوم تتعامل مع الغرب من منطلق القوة، لكن فيما يتعلق بمشكلة حقوق الإنسان فلدى إيران مشكلة تدافع عنها.

يجب على مسئولى إيران حل مشكلة حقوق الإنسان فى كل الأحوال، والمشكلة تكمن فى أنهم لم يتقبلوا حتى الآن أن عالم ما بعد الحرب الباردة لا يعتد بسيادة الدول والحكومات إلا من خلال تحقق السيادة الشعبية على أراضى الدولة، وأنا أكرر أنه بموجب اللائحة التأسيسية للأمم المتحدة كان يقوم مبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول على أساس سيادة الدول على أراضيها، لكن فى العصر الحالى الاعتداد بسيادة الدول على أراضيها متوقف على تحقيق سيادة الشعب وعدم استبداد الحكومات بشعوبها، وإلى أى مدى تمثل الحكومات الشعوب التى تحكمها ولا تحترم سيادة الدول لمجرد أنها تحكم بالفعل.

بناء على هذا ينبغى على الحكومة الإيرانية أن تحل قضية حقوق الإنسان فى إيران فى إطار الفصل الثالث للدستور الإيرانى، واللائحة التأسيسية للأمم المتحدة، والبيان العالمى لحقوق الإنسان.

لقد وقعت إيران على البيان العالمى لحقوق الإنسان، والمادة التاسعة من القانون المدنى الإيرانى تقول أن للمعاهدات والاتفاقيات الدولية التى وقعت عليها إيران حكم القوانين الداخلية الإيرانية.

بناء على هذا، إذا كان البيان العالمى لحقوق الإنسان قد جاءت فيه مواد تختص بالحقوق السياسية للأفراد، ينبغى على الحكومة الإيرانية مراعاة هذه المواد.

وإذا كانت إيران لا تريد وقف تخصيب اليورانيوم، لأن ذلك سينقل الضغوط الغربية إلى قضية حقوق الإنسان وهى لا تريد مراعاة حقوق الإنسان، فهذا بمنزلة اللجوء إلى الموت خوفاً من الموت، وأنا لا أعتقد بصحة ذلك لكن ما أؤمن به أن إيران بمجرد إيقافها لتخصيب اليورانيوم، ستتفتت الجبهة التى توحدت ضدها.

***كيف تشكلت الجبهة المعادية لإيران فى الشرق الأوسط؟**

– لقد نجح الأمريكيون في توحيد العرب ضد إيران، إذ لم يتخذ العرب موقفاً معادياً من إيران مثلما هم عليه الآن، ورأينا كيف اتخذت دولة الإمارات موقفاً عدائياً ضد إيران فى القمة العربية بدمشق، ومع الأسف كان وزير الخارجية الإيرانى حاضراً وهم يتخذون قراراً ضد إيران، ولم يصدر أى رد فعل حيال ذلك، ولو كانت أى دولة أخرى فى موقف إيران لغادر وزير خارجيتها الجلسة على الأقل، ولذا اعتبر أن إيران اتخذت سياسة خاطئة فى هذه القمة، ومن ثم اتمسك برأيى فى أن إيقاف إيران لتخصيب اليورانيوم سيحدث صدعاً حقيقياً فى الجبهة المعادية لإيران، وحينئذ ستتمكن إيران من تحقيق مطالبها، ومنها تكوين كونسرتيوم لتخصيب اليورانيوم.

*** إذا لم توافق إيران على إيقاف التخصيب، إلى أى مدى ستتحمل إيران الظروف المترتبة على تطبيق القرار رقم ٥٩٨؟**

– الظروف الاقتصادية والسياسية التى ستسوء ستجبر إيران على أن تقبل أوضاعاً أكثر سوءاً من القرار رقم ٥٩٨ بمراحل.

*** سعت إيران إلى خلق حزام أمنى لها فى منطقة الشرق الأوسط عناصره الأساسية هى حركة حماس وحزب الله وسوريا والعراق، فهل ستظل سوريا متمسكة بموقفها كأحد عناصر هذا الحزام الأمنى أم أن سوريا بحكم سوابقها التاريخية لن تتمسك به، خاصة وأنها تخوض الآن مباحثات استراتيجية مع إسرائيل، وإسرائيل وعدتها بإرجاع مرتفعات الجولان إليها؟**

– سوريا لن تتمسك بهذا الحزام الأمنى، وقد أوضحت تجاربنا السابقة مع الدول والجماعات العربية أنهم عرب فى المقام الأول ثم يأتى تعاملهم مع إيران في المقام الثانى.

*** لقد شهدنا سوريا تصوت لصالح دولة الإمارات فيما يتعلق بقضية الجزر.**

– نعم، ولهذا أقول أن القاعدة هى أن تنظر الحكومة السورية إلى مصالحها أولاً، وإذا أدت هذه المصالح إلى أن تحصل على النفط مجاناً أو بسعر منخفض أو تنشئ إيران مصافى بترول فى سوريا، فقطعاً ستتقارب سوريا من إيران، لكن هل سوريا مستعدة أن تصطدم بالولايات المتحدة وإسرائيل من أجل مصالحها المشتركة مع إيران؟

أعتقد لا، لأن سوريا الآن بصدد حل مشاكلها مع إسرائيل، وقد وجهت الحكومة الإسرائيلية الدعوة لبشار الأسد لزيارة تل أبيب، والأسد لم ينف هذا الخبر ولم يؤكده وأعلنت سوريا أنها على استعداد للاعتراف رسمياً بإسرائيل وإقامة علاقات ديبلوماسية معها إذا أعادت لها إسرائيل هضبة الجولان.

إعادة إسرائيل للجولان له معنى آخر غير استعادة الأراضى السورية هو تحديد مصير مزارع شبعا اللبنانية، لأن إسرائيل لم تنسحب من هذه الأراضي أثناء انسحابها من جنوب لبنان بحجة أنها أرضى سورية وليست لبنانية، وإذا انسحبت إسرائيل من الجولان فهذا معناه أنه يجب عليها أن تنسحب من مزارع شبعا أيضاً، وحينها سيكون السؤال أى من سوريا ولبنان سيضم هذه الأراضى.

*** ألا تعتقد أن وصول ميشال سليمان لمقعد الرئاسة اللبنانية كان نتيجة للتحولات التى حدثت في النهج السورى؟**

– جزء من الخلافات الداخلية اللبنانية راجع إلى السياسات السورية، ولدى سوريا الآن استعداد لحل مشاكلها مع إسرائيل، وهذا معناه أن الخلافات اللبنانية قابلة للحل الآن، لأن العرب بشكل عام وسوريا على الخصوص بصدد حل مشاكلهم مع جيرانهم في هذا الوقت.

*** إذا اعتبرنا أن سوريا هى القطار اللوجيستى لحزب الله، فهل هذا يعنى أن الرئيس اللبنانى الجديد ترك منصبه بدعم وتأييد من العرب؟**

– نعم بالطبع وهناك نقطة أخرى في هذا الشأن وهى لو أن إسرائيل حلت مشاكلها مع سوريا وردت مزارع شبعا، لن يبقى مبرر أمام حزب الله ليبقى على تسليحه: وهناك أخبار تقول أن إسرائيل طلبت من سوريا لإرجاع الجولان أن تغير من طبيعة علاقاتها مع طهران. وصرح الأسد أنه لا يلقى إلا إلى هذا الموضوع، لكن ربما يكون كلام الأسد مجرد مناورة سياسية.

بناء على ما سبق ذكره ينبغى على إيران ألا تعول كثيراً على حزامها الأمنى ذاك، ولا ينبغى بأى حال من الأحوال أن تضع إيران حساباتها الاستراتيجية على أساس تصريحات الأسد، فوزن استعادة الجولان للأسد لا يمكن مقاومته على الإطلاق بالمساعدات المالية الإيرانية لسوريا حتى ولو غضبت إيران في سوريا وبناء عليه فإن سوريا الآن في منعطف تاريخى.

*** سيادة الدكتور أعتقد أن حزب البعث السورى الذى يرأسه بشار الأسد يدرك جيداً مجريات الحرب الباردة بين سوريا وإسرائيل، وعدم إمكانية تحقيق نصوص خلال هذه الحرب يؤدى على استعادة أراضيه من إسرائيل، وهو يعلم المصير الذى ستواجهه هذه المجموعة من الائتلافات على**

الصعيد العالمي، لذا لا يرغب حزب البعث السوري أن يوضع رأس نظام الحرب الباردة الجديدة في الشرق الأوسط، كما أن سوريا راغبة في أن تبرئ نفسها من اغتيال رفيق الحريري، إذ عندما كان يقال أن لسوريا دور رئيسي في اغتيال الحريري، لم يسمح لبشار الأسد أن يظهر كزعيم قوى على الصعيد السياسي للشرق الأوسط، وفي الداخل لم يسمح له حزب البعث أيضاً أن يتواجد في السياسات الشرق أوسطية والعالمية بنفس القدر الذي كان لوالده.

لذا أعتقد أن بشار يعيد حساباته وينوي إحياء شخصية والده في ذاته من خلال إظهار أنه جدير بزعامة سوريا وقيادة تحركات المنطقة.

- كلامك صحيح، فبشار الأسد وصل إلى رئاسة سوريا لمجرد أنه ابن حافظ الأسد فقط، وحتى الآن لم يبد ما يجعله جديراً بمنصبه لذاته، ولكن اللعبة التي بصدد تنفيذها الآن ستجعل له مكان بين الدول العربية والعالم كزعيم قوى.

*** في رأيك ما الذي تقوم به حركة حماس حاليا، خاصة وأنها قد دخلت في مباحثات مع إسرائيل؟**

- حماس أيضاً حركة فلسطينية عربية فى المقام الأول ثم سنية فى المقام الثانى، وتأتى أولوية تعاونها مع إيران فى المقام الثالث، وهذا يعنى أن إيران لن تستطيع اللعب بورقة حماس.

*** هل فصلت حماس نفسها عن إيران؟**

- نعم لأنهم يعتبرون مصالحهم مختلفة عن المصالح الإيرانية.

*** ما هي الأدلة التي تؤيد صحة كلامك؟**

لقد لجأ الفلسطينيون إلى المقاومة المسلحة لكى يعترف العالم بحقهم فى إقامة دولة والعالم الآن على استعداد لهذا وقم تم الاعتراف رسمياً بهذا الحق من معظم الدول، وقد التقى كارتر على الرغم من جميع التهم التى وجهها إليه اليهود بحماس، وقال لعناصر حماس تحركوا فى إطار القانون وسنؤيدكم.

*** إلى أي مدى تستطيع إيران تحقيق تفوق على الولايات المتحدة من خلال اللعب بورقة العراق؟**

- ورقة العراق لا يمكن أن تهيئ ظروفاً مناسبة لإيران. مع أن لإيران نفوذ طبيعى فى العراق لا يدركه الأمريكيون ويعتبرونه تدخلاً فى الشأن العراقى، إن عمر حوزة النجف العلمية يمتد لأكثر من ٩٠٠ عام، وكثير من علماء الشيعة الكبار إيرانيون، فضلاً عن وجود مزارات أئمة الشيعة فى العراق وتوافد ملايين الإيرانيين عليها سنوياً.

حتى أن العملة الإيرانية هى العملة الأكثر قبولاً فى أسواق النجف وكربلاء، وهذا النفوذ لا علاقة له بالحكومة الإيرانية، وينبغى ألا يعتبر تدخلاً إيرانياً فى الشأن العراقى.

لكن شيعة العراق يعتبرون أنفسهم عرباً فى المقام الأول، والسيد مقتدى الصدر يعتبر نفسه عربياً أو، وقد قال صراحة للسيد السيستانى أنت إيرانى فماذا تفعل هنا؟ يجب عليك أن ترجع إلى بلدك، ينبغى ألا تغفل إيران عن هذه الأمور.

من الممكن أن ينسق مقتدى الصدر مع إيران فى بعض الأمور بدافع أهدافه السياسية، لكن مقتدى الصدر شيعى عربى فى المقام الأول ثم سياسى يمكن أن يتوافق مع إيران فى بعض الأمور.

الأمر الثانى لأى سبب أو بحكم أى منطق، يكون لزاما على مقتدى الصدر أن يتحرك لصالح إيران بشكل كامل؟ هل السلوك السياسى لمتدى الصدر لصالح استقلال العراق أم لصالح تبرير استمرار احتلاله؟

نحن نعلم أن الأمريكيين لن يتركوا العراق، ويتعللون بقولهم لو تركنا العراق ستحدث فيه حمامات دم، فلا حين لم يحدث أن تحارب الأكراد والعرب ولم يتقاتل الشيعة والسنة على الأقل فى العقود الأخيرة، ربما كان الشيعة يتقاتلون مع الصدام وليس مع السنة، كما أن الأكراد حاربوا صدام حسين الظالم لا لأنه عربى وهم أكراد، وإنما لأنه اعتدى على حقوقهم.

بناء على هذا لا توجد سابقة للحروب المذهبية والعرقية فى العراق حتى يقول الأمريكيون لو خرجنا من العراق ستحدث حمامات دم.

الحرب الحالية فى العراق لها أسبابها، وهى تبرر الاحتلال العسكرى، وزتصرفات مقتدى الصدى سواء كانت بوعى منه أو بغير وعى تساهم فى استمرار الاحتلال الأمريكى للعراق، وبناء عليه نتسائل أين مكان إيران فى هذه المعادلة؟

هل توافق إيران على استمرار احتلال العراق أم لا؟ وإذا عارضت استمرار احتلال العراق ينبغى عليها ان تطالب بخروج الولايات المتحدة من العراق وتحصل على مبررات لاستمراره لحين انتهائه، ويجب على إيران أن تعترض على العمليات التى يقوم بها الصدر أو أى جماعة عراقية أخرى.

الآن نعود للرد على سؤال، لا سوريا ولا حماس ولا أى جماعة عراقية تمثل أوراقاً جيدة لإيران للفوز فى لعبة الشرق الأوسط.

نعم ينبغى أن تتوقف جرائم إسرائيل فى فلسطين وبخاصة فى غزة، لكن لم يتم هذا عن طريق العمليات المسلحة، وعندما يقول كارتر أن حصار غزة وصمة عار فى جبين الإنسانية ينبغى إدراك أن الفرصة مواتية لاستخدام الآليات الديبلوماسية المناسبة لمساعدة شعب فلسطين، وينبغى أن تعيد إيران النظر فى سياستها الخارجية.

*** هل نفهم من ذلك أن الموقف الأيديولوجي الإيراني الذي تطبقه في السياسة الخارجية الذي يسعى إلى تكوين اتحاد**

إسلامى حول أم القرى (إيران) (نظرية محمد جواد لاريجانى) قد هزم لدرجة أن كل شيء يحدث الآن على عكس تصورات هذه النظرية، وأن القومية العربية تبعث من جديد من تحت رماد الصراعات وتتقوى فى الوقت الحالى؟

– السياسة الخارجية الإيرانية القائمة على الأيديولوجية التى ذكرتها تعانى من تناقضات حادة منذ بداية الثورة، وعندما يؤكد قادة إيران أن سياستهم الخارجية تقوم على أساس أيديولوجى – المقصود بالإيديولوجية الفقه بها فى ذلك الفقه التقليدى، ينبغى أن نسأل ماذا يقول لنا الفقه التقليدى فى شأن التعامل مع العالم الخارجى؟ فى هذا الفكر إذا نكر فرد وجود الله فهو ملحد أو مرتد، لكن إذا شرب الخمر أو جامع غير حليلته فهو لم يخرج من الدين وزوجته ليست حراماً عليه.

حكام إيران يعادون الأمريكيين أهل الكتاب وكانت لهم علاقات وثيقة بالاتحاد السوفيتى الشيوعى، واشتركوا فى مراسم تشييع جنازة زعيمه.

هذه التناقضات توضح أن مواقف السياسة الخارجية الإيرانية لم تكن أيديولوجية على الإطلاق. ولعلنا نسأل الآن هل كانت هذه السياسات مستندة إلى قواعد فقهية شيعية؟ نستطيع القول أنها استندت إلى أيديولوجية ناقصة وربما شيء مبهم، الحال الآن فى العالم أن السياسات الخارجية للدول توضع على أساس المصالح القومية وليس الأيديولوجية.

***نعود إلى الشأن الداخلى الإيرانى، من الأفضل أن نعرف فى البداية كيف كانت انتخابات الدورة الثامنة لمجلس الشورى الإسلامى، وكيف ستكون الانتخابات الرئاسية القادمة؟ وهل تعتقد أن القوى الصاعدة حالياً فى المجلس الثامن تمثل اتجاه النظام السياسى الإيرانى إلى القوى الأصولية المعتدلة نظراً للتحولات الجارية فى الشرق الأوسط؟**

– فلنترك موضوع انتخابات رئاسة الجمهورية الآن ونتحدث عما حدث فى انتخابات مجلس الشورى طبقاً للمعايير المعروفة فى العالم المعاصر اليوم والتى تعترف بها إيران أيضاً لم تكن انتخابات مجلس الشورى انتخابات حرة ولا تنافسية ولا عادلة، وكذلك كان الأمر فى الانتخابات الرئاسية الماضية التى قال فيها هاشمى رفسنجانى اشتكى إلى الله ما حدث فيها، وقال كروبى غفوت ساعتين ووجدت كل شيء قد تغير.

الأمر الثانى الدستور الإيرانى ينص على أن يكون رئيس الجمهورية ينبغى أن يكون من رجال السياسة ذوى الفقاهة الدينية، والسيد أحمدى نجاد يفتقر إلى أى نوع من الخبرة كرجل سياسة أو دين، وفى مثل هذه الأجواء لن تكون الانتخابات الرئاسية القادمة أفضل مما حدث فى انتخابات مجلس الشورى والانتخابات الرئاسية الماضية، مع هذا ينبغى النظر إلى القضية من زاوية أخرى، وهى المشكلة الجوهرية فى التوجه العام للحكومة الإيرانية، وهى ان مجموع أداء نظام الجمهورية الإسلامية يتحرك تدريجياً صوب الجمود والانهيار، وهناك مجموعة من الأحداث تستطيع كل واحدة منها أن تجعل الأوضاع أكثر سوء، وبخاصة الأوضاع الاقتصادية.

السيد أحمدى نجاد علم أو لم يعلم بصدد إحداث انهيار اقتصادى لإيران من خلال سلسلة من الانتهاكات للدستور الإيرنى، فعندما ينشئ البرلمان الإيرانى هيئات مثل هيئة التخطيط والموازنة وهيئة أمناء صندوق احتياطى النقد الأجنبى ومجلس النقد والاعتمادات البنكية من خلال وضع قانون خاص بإنشائها، لا يحق لرئيس الجمهورية حل هذه الهيئات إلا من خلال تقديم لائحة للبرلمان ولا تحل إلا بموافقة البرلمان على اللائحة المقدمة من الرئيس، فلماذا قام أحمدى نجاد بحل هذه الهيئات بشكل مباشر؟

إن تصرفات الرئيس الإيرانى مخالفة للدستور ومخلة بالمصالح القومية الإيرانية، وحتى لو فرضنا أن رئيس الجمهورية تصرف بشكل غير قانونى يجب أن يكون هناك احتمالية أن قراراته لصالح الشعب وتحسين أوضاعه، لكننا جميعاً نعلم أن ما حدث لم يكن كذلك وجميع خبراء الاقتصاد الإيرانيين سواء كانوا أصوليين أو غير أصوليين متفقين على أن تصرفات أحمدى نجاد خاطئة لكنه يواصل تصرفاته وقراراته تلك.

هذا ما يجعلنى أوجه سؤالاً، سيادة رئيس الجمهورية من أين حصلت على هذه السلطة التى جعلتك تأخذ هذه القرارات؟ هل سلطة رئيس الجمهورية تستند إلى البرلمان أم إلى الحرس الثورى؟ أم أن رئيس الجمهورية قام بهذه التصرفات لأن المرشد يؤيده ويدعمه فى انتهاكه للدستور؟ هذه أسئلة هامة يجب الرد عليها.

سأل نواب مجلس الشورى الإسلامى وزير النفط لماذا غيرت فى اعتمادات الموازنة التى قام المجلس بالتصديق عليها، واستخدمت أموال صندوق احتياطى عائدات النفط فى استيراد البنزين فقال أنا اعترضت على ذلك لكن جائنى أمر كتابى من رئيس الجمهورية، فمن هو الشخص الذى أصدر أمراً لرئيس الجمهورية ليتصرف على هذا النحو المخالف للقانون غير المرشد فهل المرشد أصدر هذا القرار؟

النقطة الثانية أن السيد أحمدى نجاد يخالف السياسات العامة لإيران والخطط التنموية طويلة المد، فهناك خطة عشرينية لإيران، والفقرة الثامنة من الدستور الإيرانى تقول أن مجمع تحديد مصلحة النظام هو المكلف باقتراح السياسات العامة للدولة على المرشد، وهذا الموضوع الذى تصرف فيه رئيس الجمهورية يدخل ضمن قواعد الخطة العشرينية

لإيران، لكن الرئيس الإيرانى الحالى أطاح بكل السياسات المستقبلية الموضوعة وجعلها تحت قدميه ولم يعبأ بأثر ذلك على من يأتى بعده.

*** ما الذى تتوقعه بالنسبة للتحولات الداخلية الإيرانية؟**

– فى عام ١٩٨٨م أصدرت حركة حرية إيران بيانا فى ١٦٧ صفحة كتحليل لنظام الولاية المطلقة للفقيه، وقد مرت ثلاثون عاماً على الثورة، لذا علينا أن نقيم الآن أداء النظام الإيرانى القائم على نظرية ولاية الفقيه.

نحن نعتقد أن المشكلة الأساسية لإيران تكمن فى نظام ولاية الفقيه، فهذا النظام ليس لديه آلية التعامل مع العصر الحالى، ويبدو أن مجموع التيارات السياسية والقوى المجتمعية داخل الجمهورية الإسلامية أدركت أن هذا النظام يفتقد الفاعلية اللازمة. مما لاشك فيه أن أداء الرئيس الإيرانى الحالى يخالف الدستور ويناقض المصالح القومية الإيرانية لكن من الذى يدعم أحمدى نجاد؟

ولن تحدث فى إيران ثورة مخملية مثلما حدثت فى أوكرانيا أو ثورة برتقالية مثلما حدثت فى جورجيا، وإنما أعتقد أن إيران تتحرك صوب نموذج الاتحاد السوفيتى.

*** أى جزء من نموذج الاتحاد السوفيتى تقصد؟**

– فى الاتحاد السوفيتى لم تحدث ثورة، ولم يقع هجوم خارجى ليطيح بالنظام، لكن الضغوط الخارجية وعدم كفاءة القادة السوفيتى وسوء إدارتهم، وصلت بالاقتصاد السوفيتى إلى إلى درجة جعلت الزعماء السوفييت أنفسهم يؤمنون بأن استمرار الوضع كما هو عليه أمر مستحيل، وأعلن جورباتشوف وجميع أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعيالسوفيتى أن استمرار الوضع القائم غير ممكن.

*** جاء فى كتاب بروسترويكا جورباتشوف أن الاتحاد السوفيتى كان لديه المال والبرنامج اللازم لإدارة البلاد، لكن الناس كانوا قد فقدوا الدافع للمشاركة فى أداء الأمور العامة أو القيام بأعمالهم الخاصة.**

– نعم هذا فى ذاته يمثل ظاهرة جديدة فى أدبيات التحولات السياسية، حيث وصل نظام شمولى لمرحلة أن يقول بمحض إرادته أنه ليس لديه القدرة على مواصلة المسير ويجب إحداث تغيير جذرى، أعتقد أن قادة إيران الحاليين سواء كانوا من اليمين أو اليسار أو حتى المتشددين سيتحرك صوب هذا الاتجاه تدريجيا.

*** ما هو الفرق بين إيران والاتحاد السوفيتى؟**

– إيران لم تكن أبداً إمبراطورية حتى تتلاشى، نحن نواجه خطر الانهيار الجغرافى لكننا لسنا كالاتحاد السوفيتى.

نعم لدينا مشكلات عرقية، لكن الأقليات التى لدينا كالأكراد يعتبرون أنفسهم إيرانيين وغن كان الأكراد يطرحون فى بعض المواقف دعوى الانفصال بسبب الظلم المضاعف الواقع عليهم لكن أوكرانيا أو جورجيا أو دول آسيا الوسطى لم يعتبروا أنفسهم من الروس يوما ما، إن وضع إيران مختلف وبناء عليه لدينا مشكلة أقليات لكننا لن نواجه خطر التقسيم، وإنما على العكس، ستدعم الوحدة الوطنية الإيرانية فى حالة تغيير السياسات الداخلية الإيرانية والتوجه صوب الديمقراطية.

النقطة الأهم أنه مع سقوط الاتحاد السوفيتى انتهى عصر الماركسية اللينية، لكن لو حدثت مثل تلك التحولات فى إيران لن ينتهى عصر الإسلام، وإنما ستظهر قراءة أكثر حداثة له، والتاريخ الإسلامى ملئ بمثل هذه الأحداث.

*** فى رأيك ما هى العملية التى يقوم الرئيس حمدى نجاد بتسريعها؟**

– السيد أحمدى نجاد بأدائه يسرع عملية إعادة النظر فى النظام السياسى الإيرانى، خاصة وأن بقدومه لمقعد الرئاسة أصبحت آخر مجموعة سياسية لها حق الإدعاء بالمشاركة فى الثورة أصبحت على رأس هرم السلطة فى إيران، وتتصرف مثلما كان الحال فى أوائل عهد الثورة فما معنى هذا الأمر؟

معناه أن مجموعة من الجهلة عديمة الخبرة تولوا أزمة الأمور، وأرجعوا كل شئ إلى نقطة الصفر من جديد، لهذا اعتبر أن التحولات الإيرانية تتجه صوب إعادة نظر شاملة.

* هل مع هذا التحليل سيستمر التطرف؟

– لا لن يستمر التطرف، وإنما على جميع الخبراء وضع تصور آخر.

*** يعتقد البعض أن تولى السيد لاريجانى رئاسة مجلس الشورى جاء نتيجة سياسات جديدة فى قمة هرم سلطة النظام الإيرانى، فما هو تحليلك للأمر؟**

– وصول السيد لاريجانى إلى رئاسة المجلس مؤشر على أن أحمدى نجاد ليس القوة السياسية التى يستطيعون حمايتها على الدوام، وإنما ينبغى عليهم القيام بعمل آخر.

*** ما هو العمل الآخر الذى سيحدث؟**

– هذا السؤال هام يجب ان ننتظر لنرى هل سيستجوب المجلس رئيس الجمهورية أم لا؟ طبقاً للدستور الإيرانى يحق للمجلس أن يستجوب رئيس الجمهورية، وإذا لم يستجوب المجلس رئيس الجمهورية بسبب تصرفاته الحالية، فلأى شئ ينبغى على المجلس أن يستجوب رئيس الجمهورية؟ أصلا لماذا وضع مبدأ استجواب رئيس الجمهورية فى الدستور إذا لم يستجوب أحمدى نجاد؟ فهذا الرئيس بأدائه وتصرفاته الحالية أفضل نموذج للاستجواب. ثم علينا أن نتسائل هل هناك سلطة أعلى ستضحى بأحمدى نجاد لتهدئة حالة الغضب؟

فى التاريخ السياسى يوجد كثير من مثل هذه الحالات، وإذا كان الدخول القوى للسيد لاريجانى إلى الساحة السياسية تعبيراً عن عملية تغييرات سياسية جوهرية بالنظام الإيرانى،

ينبغى أن يعبر هذا المر عن نفسه فى صورة استجواب للسيد أحمدى نجاد، وإلا يكون الأمر لا يشكل تغييراً جوهرياً للتوجه السياسى للنظام ولا حتى تغييراً هامشياً.

صحيفة طهران اليوم التى كتبت على تيار السيد قاليباف أشارت تلميحاً إلى أن المجلس الثامن سينتقد أداء رئيس الجمهورية بجدية أكثر مما سبق، مع كل هذا يوجد تساؤل هل سيواجه المجلس الثامن المشكلات الحقيقية لإيران، وأحدها على سبيل المثال ظهر واضحاً جلياً فى انتخابات المجلس وهو غياب المشاركة الشعبية فى الحياة السياسية، ويبدو أن الشعب الإيرانى فى ظل الظروف الحالية قد شعر بعدم القدرة على المشاركة نظراً للمشكلات الاقتصادية التى يواجهها، ولعل السبيل الوحيد لتغيير تلك الظروف تنفيذ مصلحة وطنية ثم خلق عمليات منافسة ديمقراطية.

العملية التى أوضحتها تقوم على أساس فرضية أن الأجواء الإيرانية بشكل عام تتجه نحو هذا التغيير بشرط أن يكون المرشد متقبل لهذا التغيير ومدرك أن مواصلة الوضع القائم لا فائدة منه للشعب الإيرانى والنظام السياسى الحالى.

بعض الخبراء تقبلوا هذا الوضع، لكن المرشد لازال رافضاً للأمر، هذا التصور الذى طرحتع عندما يصل إلى نقطة التحقق بحيث يقبله المرشد مرهون بإدراك النظام السياسى الحالى عدم قدرته على التحرك ومن ثم تظهر ضرورة التغيير.

هذه ليست نصيحة أو موعظة أو مكاشفة داخلية، وإنما تصور حتى لكن يجب خوض الأزمات حتى تصل فى النهاية إلى الوضع الذى يغير النظام السياسى بأكمله وليس مجرد أفراد.

*** ما هى البنية القانونية التى يمكن أن تحقق هذا التصور؟**

– النقطة الأولى هى عودة الدستور الأول الذى وصفته الحكومة المؤقتة فى بداية الثورة، ووقعه الخمينى، حيث كان هذا الدستور خالياً من ولاية الفقيه وهذا يعنى أن الدستور الأول لإيران بعد الثورة والذى لم ترد فيه ولاية الفقيه يمكن أن يكون دستورياً للجمهورية الإسلامية.

لقد مرت ثلاثون عاماً على الثورة الإيرانية، وقد أثبتت التجربة أن الدستور الإيرانى ليس وحيا منزلاً، لذا من الممكن تغيره، وأن نعود إلى الدستور الأول الذى وقعه زعيم الثورة الراحل.

*** هل تتوفر لوازم تحقق عملية العودة إلى الدستور الأول بشكل ذاتى؟**

– ما قلته لا يعنى أن نجلس صامتين حتى يصل مسئولى النظام الإيرانى إلى هذه النتيجة عن طريق مصارحة النفس ويقومون بإحداث تغييرات بنيوية نتيجة لهذه المصارحة، وإنما أحد العوامل الفاعلة والمؤثرة فى هذه العملية وجود حركات مدنية تقوم بعمل التغييرات، منذ الانتخاب الأول لخاتمى وما تلاه من أحداث بذلت جهود كثيرة ولا زالت حتى ظهرت المؤسسات المدنية، ولكننا نرى أنها لم تنجح فى تحقيق أهدافها.

إن استمرار الحركات المدنية من جهة، والانهيار الاقتصادى من جهة أخرى فضلاً عن التضخم المنلفت وغيره من العوامل التى تضغط على الحكام لقبول التغيير وعبر هذه الضغوط سنرى النظام السياسى الإيرانى يخضع فى النهاية لحتمية التغيير.

*** فى أى شئ لاحظت علائم هذا الخضوع أو القبول؟**

– فكر، لماذا صرح السيد هاشمى رفسنجانى بكل ما له من ذكاء وفطنة أنه كان مخالف لولاية الفقيه، ولماذا يقول الآن أنه قال للمرحوم أذرى قمى أن ولاية الفقيه التى تسعى إليها سيكون حالها كحال ناصر الدين شاه ومعروف أن العصر الناصرى عصر تدهور؟

السيد هاشمى الآن رئيس مجلس الخبراء الذى يتولى مراقبة المرشد طبقاً للدستور بناء على هذا، نجد الأشخاص ذوى الخبرة وأمضوا ثلاثين عاماً فى السلطة قد توصلوا إلى أنه لا يمكن أن يكون لشخص مثل هذه الصلاحيات الممنوحة للمرشد ولا يكون مسئولاً أمام أحد شخصاً كان أو هيئة، هذه هى المشكلة الرئيسية التى تتبعها بقية المشكلات تدريجياً، وأؤكد المشكلة هنا ليست شخص أحمدى نجاد المشكلة من تلك المجموعة التى أدت إلى ظهور أحمدى نجاد لأنها ستعيد إنتاج نفسها فى كل مرة.

هنا أرغب أن أشير إلى نقطة هامة وهى أن رجال الدين فى المجموع أكثر قابلية للتغيير منا نحن المثقفين.

كيف يمكن تشكيل حكومة قوية وفاعلة؟

■ حميد رضا جلاى بور ■ أمروز (اليوم) ٢٠٠٨/٦/٢٧

يمثل تأسيس الحكومة القوية والفاعلة أحد الشروط الرئيسية لتحقيق النظام والرفاهية والحرية والعدالة لأى مجتمع. وفى أى مجتمع سواء فى المجتمعات النامية أو المتنامية فإن تقوية الديمقراطية والتنمية الثابتة وتوفير الحياة الشريفة لأغلبية أفراد الشعب بدون وجود حكومة قوية وفاعلة أمر غير ممكن.

وفى إيران وبعد أن فشلت الحكومة القاجارية فى إيجاد النظام والأمن والرفاهية داخل إيران وعدم القدرة فى الحفاظ على مصالح الشعب فى الخارج خصوصاً مع الفشل المتتالى أمام الاستعمار الروسى والبريطانى والذى كان أحد نتائجه تقلص الأراضى الإيرانية، كان الهدف إيجاد حكومة قائمة على الدستور وبرضا الشعب، وكان هذا أحد المطالب الرئيسية للثورة الدستورية.

وبعد مرور خمسة عشر عاماً على انتصار الثورة الدستورية واجه مطلب الحكومة القائمة على الدستور والشعبية تحديات كثيرة فى الداخل والخارج خصوصاً مع استمرار التوترات الأمنية.

وفى مثل هذه الساحة قام رضا خان ومؤيدوه فى المجلس بالدعوة إلى تأسيس حكومة مركزية وقوية وفاعلة والدعوة إلى تحديث المجتمع الإيرانى، وكان هذا بمثابة نهاية الأسرة القاجارية وبداية الدولة البهلوية.

قامت حكومة رضا شاه بعدة إجراءات لتفعيل مركزية الحكومة وتقوية المنظمات الإدارية فى الدولة، وتنظيم الطرق وشئون القضاء والتعليم والصحة، ولأن دوام الحال من المحال، فإن حكومته وجيشه بعد عشرين عاماً من الحكم، وبسبب الضغط الأجنبى أجبر على الاستقالة ونفى خارج البلاد من خلال الحكومة الإنجليزية.

جاءت الحكومة البهلوية الثانية وحققت نجاحاً كبيراً بعد ما نفذت أربعة برامج تنموية اقتصادية واجتماعية، وعلى الرغم من تنفيذ البرامج التنموية والدعم الأمريكى لم تكن هناك حكومة قوية وقابلة، وفى عام ١٣٥٧ هـ. ش (١٩٧٩) تم الإطاحة بهذه الحكومة أمام موجة المعارضين من الشعب الذين خرجوا ملبين لنداء الثورة الإسلامية.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية تركز المطلب الأصلى للثوريين حول إيجاد حكومة قوية وفاعلة تستطيع أن تؤمن أهداف الثورة الإسلامية المتمثلة فى (الاستقلال، الحرية، والجمهورية الإسلامية) وقد واجه مؤيدوا الثورة الإسلامية تحديات ثقيلة لتحقيق الهدف المذكور، ومن جملة هذه التحديات، الكفاح المسلح ضد معارضى الجمهورية الإسلامية فى بداية سنوات الثورة، حرب الثمانى سنوات (الحرب المفروضة) وغيرها من التحديات. وبرؤية أخرى فإن حكومة الجمهورية الإسلامية من الممكن أن تصبح قوية أمام معارضيها ومنافسيها ولا تظهر ضعفها، ولكن من ناحية التفعيل فإنها تواجه فشلا أساسيا اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا. على سبيل المثال مضت ثلاثة عقود على الثورة ولكن حتى الآن عجزت الحكومة عن أن تصل إلى متوسط النمو الاقتصادى الذى تحقق فى العقدين الأخيرين للحكومة البهلوية، وهناك قضايا أخرى تواجه النمو الاقتصادى فى إيران، منها على سبيل المثال، تزايد أعداد البطالة، التضخم المتزايد، عدم التناسب بين توزيع الدخل بين طبقات المجتمع. فى حين أن المجتمع الإيرانى كان يواجه تراكم فى الإضرار الاجتماعية.

ومن الناحية السياسية ومع مرور ثلاثين عاماً على الثورة الإسلامية، واجهت أيضاً عملية إقامة انتخابات حرة ونزيهة تحديات كثيرة، ولم تكن القوة المعزولة عن المجتمع الإيرانى، مثل (العلمانيين، القوى القومية، الدينية، ونهضت آزادى) هى فقط المعارضة لعدم إقامة انتخابات عادلة، ولكن حتى مؤسسى الثورة الإسلامية مثل آية الله منتظرى، وصانعى، ورفسنجانى، ومحمد خاتمى، ومهدى كروبى وغيرهم الآلاف ممن تحملوا نفقات ثقيلة فى سبيل الثورة، عارضوا عدم العدالة وضياع الشفافية.

ومن الناحية الدولية فإن الحكومة الإيرانية أصبحت فى عزلة فى منظمة الأمم المتحدة، قبل ثلاثون عاماً مضت استطاع أكثر من نصف مليون طالب إيرانى حتى من الطبقات المتوسطة أن يحظوا بفرص للدراسة فى أكبر المراكز العلمية المتخصصة فى العالم، ولكن اليوم فإن آلاف الشباب الإيرانى عاجز عن الحصول على مثل هذه الفرص مما اضطرهم للسفر إلى دول أخرى مثل الهند، أوكرانيا، ماليزيا، أرمينيا ويوغسلافيا.

وكل ما سبق يمثل شواهد وقرائن على عدم قوة وفاعلية الحكومة فى إيران وأن تجربة الحكومة القومية والفاعلة فى إيران المعاصرة تجربة غير كاملة.

من هم المبدئيون فى إيران؟

■ إيران أسرار ١ مايو ٢٠٠٨

لم يلتفت كثيراً إلى مصطلح "اصولكرايان" (المبدئيون) أثناء سير العملية الانتخابية لمجلس الشورى الإسلامى فى دورته السابعة أو انتخابات رئاسة الجمهورية التاسعة، حيث خاضت جماعة أحمدى نجاد تلك الانتخابات تحت شعارات "اتباع خط الإمام والزعامة" كما خاضت قوى أخرى أقل شهرة من قبيل "التعمريين" و"مجلس تنسيق قوى الثورة" بالشعارات نفسها، أما بعد أحداث الانتخابات الرئاسية وقد صار اصطلاح "المبدئيون" مصطلحاً عاماً، وبخاصة حينما بدأت الجماعات الأصولية المختلفة فى استخدامه عبر انتخابات مجلس الشورى الثامنة، بدأ الحديث فى التزايد عن الجماعات المؤيدة لهذا التوجه الفكرى، فمن هى تلك الجماعات:

١- جبهة المبدئيون المتحدة "جبهة متحد اصولكرايان": هذه الجبهة التى كانت بمثابة مركز لثقل أحمدى نجاد فى الانتخابات الإيرانية الأخيرة، وبعد فترة ظهرت منها العديد من الشخصيات استطاعت أن تقود المجلس فى دورته الثامنة بعد أن شكلوا الجماعات والجبهات التالية:

أ- "الخدمة الطيبة" (رايحه خوش خدمت)، هذا الشعار الذى كان يخص جناح أحمدى نجاد فى انتخابات المحليات من قبل، والآن تحول إلى المحور الأساسى "الجبهة المبدئيون المتحدة" وبخاصة بعدما خاض به الانتخابات التشريعية والتنفيذية. أما من أبرز أعضاء هذه الجماعة فهم عبارة عن العميد حرس ثورى صادق محصولى مستشار أحمدى نجاد، وحيدر مصلحى رئيس أوقاف الجماعة فى جبهة المبدئيون، وكذا على أصغر زارعى القائد بالحرس الثورى وهم المقربون لدى أحمدى نجاد والأعضاء المخلصون له سواء فى الحرس الثورى أو الجبهة، ولذلك طرحهم أحمدى نجاد من قبل لوزارة البترول إلا أنهم لم يحققوا شيئاً.

ب- أتباع خط الإمام والزعامة: هذه الجماعة هى أساس اليمين التقليدى الذى شارك انتخابات رئاسة الجمهورية مع بقية العناصر الأخرى المؤيدة لها من قبيل جمعية المؤتلفة الإسلامية ونقابة المهندسين برئاسة محمد رضا باهنر وكذا جمعية علماء الدين المناضلين "روحانيت مبارز" وجمعية المدرسين، وقد اختير شهاب الدين صدر من عناصر هذه الجماعة أميناً لجبهة المبدئيون المتحدة، ومنهم كذلك العضوان أسد الله بادامجيان وحسن غفورى فرد.

٢- جمعية مؤثرى الثورة (ايثاركران):

المؤثرون هم فى الأساس من عناصر الحرس الثورى وضحايا الحرب وكذا يعدون المحور الأساسى للمبدئيين، وكان أحمدى نجاد أحد عناصر هذه الجمعية قبيل التصدى لرئاسة الجمهورية، وكذلك محمد باقر قاليباف، غير أن المؤثرين يبدو أنهم انشقوا على أنفسهم إزاء انتخابات الرئاسة التاسعة، وتبلور جناح منهم وصار معارضاً للحكومة التاسعة. والمعروف أن حسين فدائى هو سكرتير عام جمعية المؤثرين وعضو الجماعة فى جبهة المبدئيون المتحدة.

٣- المبدئيون التقدميون (اصولكرايان تحول خواه): يعتبر عليرضا زاكانى المؤسس الفعلى لهذه الجماعة وعضوها مع أحمدى توكلى فى جبهة المبدئيين المتحدة.

٤- جبهة المبدئيين المتحدة المعروفة بجماعة ٦+٥: شكلت بمبادرة من حكومة أحمدى نجاد وبمساعدة محمد رضا باهنر، نائب رئيس مجلس الشورى الإسلامى فى دورته السابعة والداعم الخفى لأحمدى نجاد، وكان هدفهم الأساسى تقدم خط أحمدى نجاد فى الانتخابات وذلك بعد تراجع جناح خامنئى الذى خاض تلك الانتخابات تحت شعار "الخدمة الطيبة"، والأعضاء الست فى هذه الجبهة هم: صادق محصولى، حيدر مصلحى، أسد الله بادامجيان، حسن غفورى فرد وهم من أتباع خط الإمام والخدمة الطيبة، وعليرضا زاكانى وحسين فدائى وهما من جمعية المؤثرين والمبدئين التقدمين إضافة إلى خمسة من رجال الدين هم مهدوى كنى، على أكبر ناطق نورى، سيد محمد مهدى طباطبائى، غلا مرضا مصباحى مقدم وسيد أحمد خاتمى.

الإسلامية والجمهورية من وجهة نظر الخمينى

■ إيران ٣١/ ٥/ ٢٠٠٨

ظهرت بعد الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ العديد من المصطلحات السياسية، وكان مصطلحا "الإسلامية" و"الجمهورية" من أكثر المصطلحات جدلاً بين الأفراد والجماعات السياسية آنذاك، إذ سعى أنصار الأول إلى بسط النظام الإسلامى والتقليل من شأن الجمهورية بينما راح أنصار الثانى يعلون بالجمهورية على غرار الغرب وذلك بحثاً عن الديمقراطية، غير أن الإمام الخمينى يبدو أنه كان له رأي آخر، لاسيما عندما مزج بين تلك المصطلحين ليخرج بمفهوم جديد على ساحة إيران السياسية بإعلانه طرح "الجمهورية الإسلامية" وهو نظام حكم مختلف، إذ أنه يسير من حيث الأسلوب ضمن الإطار الجمهورى ولكنه يقوم من حيث الماهية على أسس الإسلام.

الجمهورية الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية هو الشعار الذى اكتسب أهمية خاصة لدى شعب إيران المسلم عام ١٩٧٩، (أى عام قيام الثورة)، والواقع أنه كان جزءاً من شعارات ثلاث "الاستقلال، الحرية، الجمهورية الإسلامية" يعنى شعب مستقل وحر ودولة قوية فى ظل حكومة الجمهورية الإسلامية، حكومة تنفى عن نفسها كل السوابق وتنشد فقط الاستقلال والحرية لشعبها وكذا تستقى قيمها من الهوية الإسلامية، ولذلك احتلت الجمهورية الإسلامية المرتبة الثالثة من شعارها الأساسى بعد الثورة.

هذا وقد ظل الخمينى سواء قبل الثورة الإيرانية أو بعدها يوضح للشعب الإيرانى وجهة نظره حول الحكومة المستقبلية تارة عبر الرسائل والحورات وأخرى عبر الرد على الأسئلة، وكثيراً ما بين فى هذا الصدد، أن شكل الحكومة لابد وأن يتضمن نوعاً من الديمقراطية، بمعنى أن الشعب يكون من حقه تقرير مصيره بنفسه، وهذا بدوره لا يستدعى أن يتبنى الشعب أفكار مدرسة أو أيديولوجيا ما، ولعل إضافة الإسلامية للجمهورية لا تنفى مطلقاً السيادة الشعبية أو الديمقراطية، وكذا فمبادئ هذه الجمهورية لا يجب أن تفرض على المجتمع أيديولوجية أو توجه فكرى ما، صحيح أن الأحزاب ترتبط بأفكار معينة، وهذا لا يعد منافياً لمبادئ الديمقراطية وإنما مدعاة للافتخار. أما الخطأ بعينه من وجهة نظرنا فهو اعتبار إضافة الإسلامية على الجمهورية منافياً لروح الديمقراطية، ديمقراطية القرن التاسع عشر المشتملة على كافة حقوق الإنسان فيما يتعلق بطرائق معيشته وطعامه وشرابه والحرية فى اختيار مسلكه. ومن ثم يمكن القول إن الفكر الإسلامى بجوار الديمقراطية كان من أنجح أساليب إدارة المجتمعات البشرية، وهذا الشكل والمحتوى من أنظمة الحكم المستقبلية من الضرورى أن يقوم على المزج بين الجمهورى والإسلامى فقط ليس أى شئ آخر.

الجمهورية والإسلامية من وجهة النظر العملية للخمينى:

الآن وبعد مرور أكثر من عقدين على الثورة (الإسلامية) ومهندسو نظام الجمهورية الإسلامية وأيديولوجيتها الثورية وتأييدها من قبل الشعب الإيرانى الذى صوت لصالح هذا النظام فى ٣١/ ٣/ ١٩٧٩، (صوت الشعب الإيرانى بالموافقة على قيام نظام الجمهورية الإسلامية بأكثرية بلغت نسبة ٩٨,٢٪، المترجم)، فى إطار مبادئ وأصول الدستور الإيرانى ورغم ذلك مازال البعض يناصر أحد هذين المصطلحين على الآخر، بالشكل الذى يوجد معه وكأن هناك تعارضاً بينهما فى المجتمع مما يخلق الانقسامات فى الأوساط السياسية الإيرانية، فقد وصل الأمر إلى التفكير فى إقصاء المصطلح الأول أى الجمهورية من النظام السياسى القائم وتحويله إلى نظام الحكومة الإسلامية وهذا برنامج محدد لدى بعض التوجهات الفعلية الموجودة على الساحة الإيرانية، لاسيما بعد ما تم طرحه تحت شعار "حكومة العدل الإسلامى" عام ١٩٩٧، وبات يتصدر كافة كتابات وأقوال أنصار الإسلامية، وبالطبع فإن حكومة العدل الإسلامية تقف على النقيض من نظام الجمهورية الإسلامية، خاصة أنهم يعتبرونه نظام مرحلى لابد وأن يمضى ثم يأتى يتحتم الانتقال إلى نظام حكم العدل الإسلامى.

أما فى المقابل فهناك من يقلل من شأن هذا النظام بذريعة افتقاره للحريات والسعى للانتقال إلى النظام الجمهورى القائم على السيادة الشعبية المطلقة. والواقع أنه فى ظل هذا التعارض بين أنصار النظامين تحول المجتمع إلى حلبة للصراع، وحتى تتضح المسألة أكثر فمن الأفضل العودة للوراء قليلاً إبان أحداث الثورة وآراء الخمينى بخصوص الجمهورية الإسلامية.

بداية أعلن الخمينى بعد الإطاحة بالنظام الملكى للشاه

وقيام الثورة تأسيس نظام الجمهورية الإسلامية ورفع شعار "الاستقلال، الحرية، الجمهورية الإسلامية" بدلاً من شعار الثورة: "لقد رحل الشاه بعد قيام ثورة الشعب، ومن ثم أقر الحكومة الديمقراطية للجمهورية الإسلامية، وفى هذه الجمهورية سيدير أمور الدولة مجلس وطنى ممثل حقيقى عن الإرادة الشعبية". وكذا أشار عقب نجاح الثورة بأسبوعين إلى الاستفتاء على نظام الجمهورية الإسلامية بقوله: "إن من يعارض هذا النظام من حقه أن يعلن معارضته وبكل حرية، فالكل حر فى صوته إزاء نظام الجمهورية الإسلامية". وكذلك صرح يوم ٣١/٣/١٩٧٩، يوم الاستفتاء الشعبى على النظام، فى كلمة للإذاعة والتليفزيون قائلا: "إننى أعلن العمل بنظام الجمهورية الإسلامية فى إيران، واعتبر هذا اليوم يوم عيد للإيرانيين وآمل أن يحتفل الإيرانيون بمثل هذا اليوم من كل عام بمناسبة تحقيق الإرادة الوطنية وإقرار المصير"، وفى معرض كلمته أوضح أن "الإسلام لا يعرف الاختناق، إذ أنه منح التعبير عن الرأى بكل حرية ولجميع الطبقات ... فلم يعاد هناك الدولة البوليسية ... ولا الدولة الفارضة سطوتها بالقوة على الشعب، وبخاصة أن الدولة فى نظام الحكم الإسلامى تكون فى خدمة شعبها، وينبغى أن تكون كذلك على الدوام". وهذا بدوره ما يؤكد على عدم التناقض الموجود بين أنصار الإسلامية والجمهورية، ولذلك فقد نصت المادة السابعة والسبعون بعد المائة من الدستور الإيرانى على وجود العنصرين معاً الإسلامية والجمهورية وأن يظلا كذلك دون أى تغير (مضامين المواد المتعلقة بكون النظام إسلامياً وقيام كل القوانين والمقررات على أساس الموازين الإسلامية وأهداف الجمهورية الإيرانية الإسلامية وكون الحكم جمهورياً، وولاية الأمر، وإمامة الأمة وكذلك إدارة أمور البلاد بالاعتماد على الآراء العامة والدين والمذهب الرسمى لإيران، هى من الأمور التى لا تقبل التغيير، المترجم). وبهذا اختارت الإرادة الشعبية التى نهضت بالثورة الإطاحة بالنظام القديم وإقرار النظام الجديد نظاماً يقوم وفقاً للدستور وينظم حياتهم السياسية ويمنحهم حريتهم واستقلاليتهم على الدوام وكان هذا هو نظام "الجمهورية الإسلامية".

على أية حال، فمازال بعض الجمهوريين يتعدى على الإمام الخمينى بقولهم أنه اضطر وتحت ظروف ما بعد الثورة إلى قبول الجمهورية ورغم ذلك والشائعات بوجود الخلاف النظرى بين الجمهوريين والإسلاميين فى المجتمع غير أن العمل وفقاً لرؤية الخمينى العملية وفقاً لمبادئ الدستور الإيرانى لا يجمد الخلاف الموجود بين الفريقين أو المصطلحين فحسب وإنما يجعل كلا منهما مكملاً للآخر، الأمر الذى يخلق نوعاً من الاستقرار فى المجتمع، وكما يقول الشهيد مرتضى مطهرى: "الجمهورية تحدد شكل حكومتنا والإسلامية محتواها". وهكذا استمر النظام القائم فى إيران والمعمول به حالياً بموجب تلك النظرية "الجمهورية الإسلامية".

زيادة الفجوة بين دخول الإيرانيين

■ تابناك (المنبر) يوليو ٢٠٠٨

وفقاً لآخر الإحصاءات المنشورة من قبل البنك المركزى عام ٢٠٠٦، فيما يتعلق "بمؤشرات توزيع الدخل" فى إيران، فإن هذه المؤشرات قد شهدت تحسناً خلال عامى ٢٠٠٥/ ٢٠٠٦، بعدما انخفضت من ٤٢,٠٪ إلى ٤٠,٠٪، بينما تشير إحصاءات منظمات الأمم المتحدة والخبراء المستقلين إلى أن تلك المؤشرات فى حالة تزايد مما يعنى استمرار تقلب مؤشرات التضخم والبطالة وانعكاس ذلك بدوره على الفجوة فى دخول الإيرانيين.

ومن ناحية أخرى، ووفقاً لتقرير صحيفة "سرماية" أيضاً فقد أفادت التقارير الواردة من الأمم المتحدة أن مؤشر توزيع الدخل فى إيران كان الأسوأ من نوعه عام ٢٠٠٨، بحيث بلغ نسبة ٥٨,٠، ونقلاً عن تحرير "برنا" فإن تقرير الأمم المتحدة الخير يتوقع أن يصل نسبة توزيع الدخل فى إيران خلال شهر يوليو ٢٠٠٨ إلى ٥٨,٠٪، بينما يرى تقرير البنك الدولى أن النسبة المتوقعة. خلال نفس الفترة هى ٣٣,٠٪، وكذا يشير إلى أن إيران تحتل المرتبة الـ ٨٨ بين دول العالم من حيث توزيع الدخول.

جدير بالذكر أن مؤشر توزيع الدخل فى الاتحاد الأوروبى يتراوح بين ٢٤,٠٪ إلى ٣٦,٠٪، أما فى دول مثل البرازيل، الصين، تركيا، ماليزيا، والولايات المتحدة الأمريكية فقد بلغت النسب الواردة بالترتيب التالى ٥٧,٠٪، ٤٦,٠٪، ٤٣,٠٪، ٤٩,٠٪، و٤٠,٠٪. إلا أن السويد بلغت ٢٥,٠٪ واليابان ٢٤,٠٪ وهما من أعدل نسب توزيع الدخول فى العالم. وفى ها السياق نفسه، أعلن البنك المركزى الإيرانى أن مؤشر الدخل بين عامى ٢٠٠٦ / ٢٠٠٧، قد وصل إلى ٤٠,٠٪، بينما كان هذا المؤشر ووفقاً لإحصاءات الأمم المتحدة بين

سنوات ٢٠٠١ وحتى ٢٠٠٦، ٤٣ , ٠٪، إلا أنه بلغ ٥٨ , ٠٪ عام ٢٠٠٨، وهذا بدوره يشير إلى التوزيع السيئ للدخول فى إيران.

هذا وبالفعل فقد حصلت إيران على مرتبة متدنية من حيث توزيع الدخول، لا سيما أن تقرير البنك الدولى قد منحها الترتيب الـ ٨٨ من بين ١٢٧ دولة على مستوى العالم.

مخاوف لا تنتهى

لقد شهدت إيران تغييرات اقتصادية واضحة المعالم منذ عام ٢٠٠٤، الأمر الذى رفع معه كافة المؤشرات ومن بينها مؤشر توزيع الدخول، حتى أنها أحدثت فجوة عميقة بين دخول قاطنى الحضر وقاطنى الريف داخل المجتمع الواحد، وهذا ينعكس بدوره على اتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء فى إيران، وذلك لأن مؤشر توزيع الدخل يظل متغيرا بين الصفر وحتى الواحد بحيث كلما اقتربت النسبة من الصفر كان يعنى ان هناك توزيع عادل للثروات أما كلما كانت النسبة قريبة من الواحد يعنى أن هناك كما عظيما من الثروات فى يد طبقة واحدة بعينها مما يخلق نوع من عدم المساواة بين طبقات المجتمع.

وفيما يتعلق بزيادة مؤشرات توزيع الدخول وأسبابها فى إيران يقول السيد الدكتور طه حسين راغفر الأستاذ بجامعة الزهراء حول هذا الأمر: "إن دراسة الإحصائيات الموجودة - سواء إحصائيات البنك المركزى أو هيئة التعداد والإحصاء - تشير إلى أن نسبة توزيع الدخل تشهد ارتفاعا منذ عام ٢٠٠٤، وهذا يفيد اتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء بسبب هذا التوزيع غير العادل الذى يكون أهم نتائجه ارتفاع التضخم".

أما فيما يتعلق بالإصلاح الاقتصادى ودفع الدعم الحكومى فى صورة نقدية لتقليص حالات الظلم الاجتماعى فى المجتمع فيرى الدكتور راغفر أن تطبيق الخصخصة بصورتها غير الصحيحة واستمرار تقديم الدعم دون السير على برامج مدروسة لن يحقق العدالة الاجتماعية، وشكل عدالة توزيع الدخول بصورتها الحالية دون أدنى تغير، بل ستزداد الفجوات أكثر فأكثر بين طبقات المجتمع، وفى مثل هذه الحالة، يتوقع استمرار ارتفاع المؤشرات بلا توقف.

مؤشرات توزيع الدخول الحالية:

وفقا للإحصائيات الصادرة من منظمة الأمم المتحدة لعام ٢٠٠٥، فإن أعلى نسب فى مؤشر توزيع الدخل خاصة بدولة البرازيل التى بلغت ٥٩٣ , ٠٪، يعنى أن البرازيل الأسوأ بين دول العالم من حيث التوزيع الغير عادل فى الدخول، وهذا فى مقابل اليابان البالغ ٢٤٩ , ٠٪ والسويد ٢٥ , ٠٪ أعدل الدول من حيث توزيع الدخول.

وكذلك أشارت الإحصائيات نفسها إلى أن نسبة التوزيع فى الدخل بإيران بلغت ٤٣ , ٠٪ بينما بلغت فى دولة مثل مصر الأدنى فى مرتبة توزيع الدخول العادلة حيث بلغت نسبته ٣٤٤ , ٠٪، بما يعنى أن مصر الأدنى من حيث التوزيع غير العادل للثروات. ووفقا للإحصائيات نفسها أيضا فإن الدول التى حصلت على مرتبة متقدمة بالنسبة للتوزيع العادل للثروات والدخول عام ٢٠٠٨، الدنمارك السويد، اليابان والنرويج وجمهورية التشيك، بينما احتلت دول مثل بوتسوانا وجمهورية أفريقيا الوسطى وسيراليون وناميبيا قاع قائمة التوزيع غير العادل للدخول والثروات.

وزارة المخابرات الإيرانية تخشى الـ S.M.S

■ ايران ٢٧/ ٦/ ٢٠٠٨

اندلعت المظاهرات الشعبية فى طهران عقب الإعلان عن قرار تحديد نصيب الفرد من الوقود، الأمر الذى أفضى إلى إحراق أكثر من خمسين محطة بنزين والعديد من البنوك والمصارف فى أنحاء طهران المختلفة، وكذا فقد تواكب ذلك مع أعمال مشابهة فى محافظات إيرانية مثل محافظة كلستان "جلستان"، أصفهان، خرسان، خوزستان، مازندران وأذربيجان الغربية والشرقية، حينما قام المتظاهرون فى تلك المحافظات بالهجوم على محطات البنزين وأشعلوا فيها النيران. هذا وقد قامت قوات التدخل التابعة لوزارة المخابرات والحرس الثورى وقوات الشرطة بالتعامل مع المتظاهرين بكل شدة وحزم مما جعلهم يتصورون استحالة عودة الاحتجاجات مرة أخرى، إلا أن تقييم وزارة المخابرات الأخير الذى أجرى فى هذا السياق، يؤكد أن أطروحة السيطرة الاجتماعية يحيطها الكثير من التحديات حيث ورد فى تقرير الوزارة الأخير أن الحركات الشعبية فى طهران بدأت تستخدم وسائل متطورة لتحقيق أهداف لاسيما رسائل الهواتف المتحركة المسماة "أس. أم. أس" التى تنتقل سريعا إلى العديد من المحافظات وفى فترة قياسية ومن ثم تندلع الاضطرابات وللحيلولة دون وقوع ذلك ومن أجل إحكام السيطرة الأمنية على الأوضاع الداخلية سعت وزارة المخابرات بالتنسيق مع وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات إلى مراقبة رسائل الهواتف المتحركة القصيرة ومحاولة وقفها فى حالات الضرورة، وذلك لشدة تأثير تلك التكنولوجيا بين الناس.

تداعيات مشروع التحول الاقتصادى الإيراني

أ.د. محمد السعيد عبد المؤمن
أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة عين شمس

اتخذ الإصلاحيون موقفا معارضاً لمشروع التحول الاقتصادى الذى طرحه الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد، مؤكدين أنه لم يقدم جديدا، حيث أن بعض ما ورد فى المشروع طرحته الحكومات السابقة فى عهد رفسنجانى وخاتمي، خاصة فى برامج التنمية من الخطة الأولى حتى الرابعة، كما أن الرئيس أحمدى نجاد لم يلتفت إلى نصائح خبراء الاقتصاد التى قدمها ٥٧ منهم وناقشوها معه فى لقائه بهم، ولم يقم الرئيس بأى توجيه عملى أو يعرض خطة زمنية، وإنما قدم بيانا غير مدروس أو دقيق، خلط فيه بين القضايا الاقتصادية والثقافية والاجتماعية. كما انتقدت جبهة المشاركة الإصلاحية عدم وجود أرضية سياسية واجتماعية وثقافية مناسبة لهذا التحول، فضلا عن عدم العمل على التهيئة الذهنية والعينية للمشاركة الجماهيرية فى هذا الأمر، وعدم وجود تغطية إعلامية شفافة ومناسبة، وعدم تهيئة المجال لجذب ثقة الناس والاستثمارات، وكذلك عدم وجود تحول فى الإدارة بدءا من الحكومة نفسها، ودعم أسس الرقابة دون تدخل الحكومة. وطالب حزب الثقة الوطنى الحكومة بدعم القطاع الخاص، والاستفادة من الخبراء فى التخطيط والتنفيذ، وعدم التعجل، وعدم تسييس الاقتصاد ومشكلاته، وعدم الوقوع فى التكرار والأساليب المكلفة، وكذلك طالب بالتعاون والتنسيق مع سائر القوى الوطنية والسلطات ومجمع تشخيص المصلحة، والتنسيق بين المؤسسات الاقتصادية المختلفة، مثل البنك المركزى ووزارة الاقتصاد وهيئة التخطيط والميزانية، والبعد عن الشعارات، والتزام الحركة المحسوبة. فى حين اعتبر حزب كوادر البناء هذا المشروع عملية جراحية خطيرة، خاصة فيما يتعلق بتحويل الدعم من عينى إلى نقدي، وقدم هذا الحزب عددا من الملاحظات وعددا من التوصيات. كما طالب بأن يعلن الرئيس عن قائمة من المتخصصين من خارج الحكومة لتدوين المراحل الأولية من المشروع، وطرح المدونات على وسائل الإعلام والرأى العام لمناقشتها، على ألا يتحول المشروع إلى مشروع سياسى أو حزبي، لأن هذه اللبنة لو وضعت بشكل صحيح فإنها سوف تحقق نتائج مختلفة، وتفتح المجال لمشروع واعد، يرضي طموحات الثورة الإسلامية.

وقد قام الأصوليون بالدفاع عن مشروع الرئيس، مؤكدين أن المعارضة الإصلاحية اعتبرت أن أساس المشروع هو تحويل الدعم الذى تقدمه الدولة إلى الطبقات المحرومة من دعم عينى إلى دعم نقدي، ومن هنا فقد انتقدت مشروع هذا التحول باعتباره يثير القلق من ناحية، ويتسبب فى تداعيات خطيرة من ناحية أخرى. فإذا كان معظم الدعم يذهب إلى فروع الطاقة أى الكهرباء والغاز والماء والبنزين والكيروسين والنفط الأبيض، فضلا عن الخبز بمعدل تسعين ألف مليار تومان فى العام، سوف تصب فى الحساب الوطنى لكل أسرة على أربعة أقساط، أى كل ثلاثة شهور، إلا أنه ينبغى التنبه إلى نقطتين هامتين: الأولى: هى أن تحويل الدعم من عينى إلى نقدى ليس تعبيرا دقيقا، لأنه لا يمكن تسمية أى مبلغ تقدمه الحكومة معونة أو غلاء معيشة دعما لارتفاع سعر سلعة معينة، وإنما نصيبا للأفراد من دخل النفط، ومن هنا ينبغى أن يكون لكل المواطنين، مهما كان أساس حسابه فى الموازنة العامة. النقطة الثانية هى أن ما سوف يخص كل مواطن من هذا الدعم هو مائة ألف تومان شهريا، وهو تقريبا المبلغ الذى تعهد أحد المرشحين (الإصلاحيين) لرئاسة الجمهورية بتحقيقه عند انتخابه، مع حساب التضخم وزيادة سعر

النفط، مما يعد نوعا من التعامل مع الفكر الإصلاحي، وليس تكرارا لأمر كان له رد فعل سلبى فى الرأى العام بدليل عدم نجاح المرشح!

وقررت المعارضة الإصلاحية أن من أهم المسائل التى ينبغى أن توضع فى الاعتبار هو حجم التضخم الذى سوف يؤدى إليه تقديم هذا المبلغ الكبير للمواطنين، وترد مجموعة من الأصوليين على هذه النقطة بأن مجموع قيمة استهلاك الطاقة من كهرباء وغاز ومشتقات البترول أقل من ثمنها الحقيقى بمعدل تسعين ألف مليار تومان، وعند تحويل الدعم إلى نقد سوف يكون بيع هذه المنتجات بالسعر الحقيقى سواء داخل البلاد أو خارجها، وحتى إذا كان الفرق سيدفع نقدا، فسيكون مؤثرا فى إطار حجم التضخم، وعلاقته بمفهوم السيولة النقدية واختلافه عن حجم الثروة، فالسيولة هى ما لدى الأفراد من نقد، سواء كان أوراقا مالية أو سندات أو شيكات أو حسابات مصرفية، أى ما لدى الناس من أموال يمكن التصرف فيها، فى حين أن الثروة لها مفهوم أبعد من السيولة، حيث تشمل كل الملكيات من ذهب ومجوهرات وعملات أجنبية وأراضى وأملاك وسيارات وماكينات وأسهم وغير ذلك، مما يحتاج تحويله إلى نقد الرجوع إلى السوق، ومن أشكال الثروة أيضا النفط والغاز والمعادن التى يوجد معظمها فى باطن الأرض.

ويرى الإصلاحيون أنه يمكن تقسيم تأثير الدعم النقدى على التضخم إلى ثلاثة أقسام: تأثير مباشر، بمعنى زيادة أسعار البنزين إلى معدل ستة أضعاف، والكيروسين ثلاثين ضعفا، والكهرباء ثمانية أضعاف، والغاز عشرة أضعاف، وهو ما سوف ينعكس على زيادة أسعار السلع والخدمات، وهو ما يرفع نسبة التضخم مع التفاؤل إلى ما بين ٧٥و٩٠٪. القسم الثانى هو التأثير غير المباشر، أى التأثير على السيولة، ويظهر فى تقليل الاستهلاك وزيادة السيولة، مما يؤدى إلى مزيد من التضخم، أى سوف تبلغ زيادة السيولة النقدية حوالى ٢٥٪ سنويا، ويزيد معدل التضخم بين ٢٠و٢٥٪. أما القسم الثالث وهو زيادة الطلب على السلع الأخرى والخدمات، وهذا سوف يؤدى إلى ارتفاع أسعارها، مثل أن تستفيد بعض الأسر من الدعم النقدى فى شراء سيارة مثلا بالتقسيط مما يرفع سعرها، وينسحب هذا على بقية السلع والخدمات، ويؤدى إلى زيادة التضخم بنسبة تقع بين ١٥و٢٠٪، ما لم تتدخل الدولة فى تحديد الأسعار. ومن هنا فإن مجموع حاصل التضخم سوف يصل إلى حوالى ١١٥٪.

من الواضح أن ليس أمام تنفيذ هذا المشروع سوى أربعة خيارات، أولها أن يقوم الرئيس بتنفيذ هذا المشروع اعتبارا من الشهور الثلاثة الأخيرة من فترة رئاسته الأولى بعد استكمال الإجراءات، وثانيها أن يقوم بتأخير تنفيذ هذا المشروع إلى ما بعد انتخابات الرئاسة، وثالثها أن يرفع وثائق هذا المشروع بجانب وثائق السياسات العامة للنظام من خلال المادة ٤٤ من الدستور، لكى تأخذ نفس المسار فتصبح من مشروعات خطة التنمية التى تلتزم بها الحكومة، بغض النظر عن نتائج الانتخابات، أما الخيار الرابع فهو اتساع الخلاف حول المشروع مما يؤدى إلى تعطيله سنوات طويلة.

لكن الرئيس الإيرانى جاد فى المضى لتحقيق هذا التحول الاقتصادي، فقد صرح فى حديث للقناة الأولى الإيرانية بأنه يقول لمن يرى أن هذا الطرح لن يجعل الناس يصوتون له فى الانتخابات الرئاسية القادمة، فليأخذوا هم الأصوات، وسينفذ مشروع التحول رغم ذلك، مؤكدا أنه حتى لو بقى من فترة رئاسته يوم واحد فإنه سينفذ مشروع التحول الاقتصادي، وكان الرئيس أحمدى نجاد قد التقى بعدد كبير من خبراء وأساتذة الاقتصاد فى إيران (أكثر من مائة خبير) واستمع إليهم، وسجل ملاحظاتهم، وأكد لهم أنه سيضعها موضع الاعتبار، ولعل السؤال الذى يتردد بين الأوساط السياسية والنخبة هو: هل يستطيع مشروع التحول الاقتصادى أن يكون سبيل الحل والعلاج للمشكلات الاقتصادية الأساسية؟ وخاصة مشكلة التضخم الناتجة عن تبعية الاقتصاد الإيرانى لدخل النفط، بعد أن أصبح معدل اعتماد الموازنة العامة للدولة على دخل النفط هو ٧٠٪ فى السنة الحالية، إضافة إلى وجود سيولة نقدية عالية فى المجتمع، وهل تحويل الدعم العينى إلى دعم نقدى سوف يزيد من هذه السيولة؟ أو يرفع أسعار السلع الاستراتيجية، مثل القمح والأرز والزيت، وضاعف من أزمة الإسكان؟!

إن ما يقلق الرئيس هو تقلبات أوضاع الاقتصاد الإيرانى على الرغم من وجود استراتيجية ثابتة وقيم إسلامية واضحة، وجهود مخلصة، ويستنتج أحمدى نجاد من التجربة الاقتصادية الإيرانية خلال ثلاثين أو أربعين عاما أن التفاوت الواضح بين أوضاع المحافظات، سواء فى الثروة والإمكانات أو فى توزيع المشروعات والخدمات، أو تلبية الاحتياجات، مما نتج عنه زيادة الفوارق بين الطبقات، وخلل فى تحصيل الضرائب سواء فى توازنها أوكميتها، وهو ما ينطبق أيضا على الجمارك، وعلى النظام المصرفى والتسهيلات البنكية، والاحتكار، هذا النمو غير المتوازن هو السبب المباشر فى هذا التقلب، لوجود معدلين متفاوتين للبطالة، أديا إلى عدم الاستفادة من قوى بشرية صالحة لديها استعدات كبيرة، فضلا عن إتلاف مصادر أساسية للتنمية، وهو ما يتطلب دعم ثقافة التوفير والاقتصاد والاستغلال الأمثل للموارد، والتخلص من الآثار السلبية للدعم، وجعلة وسيلة مفيدة للاقتصاد الوطني.

ويراهن مشروع التحول الاقتصادى على فهم عميق للمواطن الإيراني، وطبيعة الحركة الاقتصادية الوطنية،

ومعلومات واضحة عن حركة الاقتصاد العالمي، وإدراك حقيقة الأوضاع الاقتصادية فى المحافظات، والمناخ العام والطبيعة الجغرافية والقدرات الاقتصادية والإمكانات الطبيعية، لذلك فالمشروع يؤكد على عدد من النقاط الأساسية، هي: تبسيط مفاهيم الاقتصاد العامة، ترشيد مخصصات الدعم، الاتجاه لمباديء الاقتصاد الإسلامي، أن يكون للإقتصاد نموذج إيرانى خالص، إزالة موانع الرخاء، إصلاح البنية الاقتصادية، الاستفادة من المراكز العلمية فى الساحة الاقتصادية، واشتراك العلميين فى التخطيط والتنفيذ، حذف أو إدغام المؤسسات المناظرة أو الموازية، إصلاح القوانين الاقتصادية المتناقضة، تحديد الأولويات، محاربة الفساد، مع دعم القطاع الخاص.

ويؤكد الرئيس أن توجيه السيولة النقدية الناتجة عن الدعم سيكون للإنتاج، وإيجاد فرص عمل، خاصة مع إحجام أصحاب رؤوس الأموال عن المخاطرة بإقامة المشروعات طويلة الأمد، واستغلال أموالهم فى الوساطة خاصة فى مجال الأراضي والعقارات، كما يتوخى المشروع روح محورية العدالة، وهو ما يعنى خدمة الجماهير وتأمين راحة الناس، كما يراهن المشروع على روح الشجاعة التى تتحلى بها الحكومة فى القيام بمشروعاتها، وهو ما كانت الحكومات السابقة تفتقر إليه.

ويرى كثير من نواب الشعب فى مجلس الشورى الإسلامي أن الحكومة قد وضعت يدها على المعضلات الأساسية فى قطاع الاقتصاد، وأنها تتميز فى هذا على الحكومات السابقة بأنها لاترغب فقط فى إصلاح الاقتصاد، بل لديها العزم الراسخ والإرادة القوية لهذا الإصلاح، وقد ظهر هذا فى قضية الوقود والبنزين وهيئة الإدارة، وأن تعاون المجلس معها سيسهم فى تحقيق الإنجازات فى هذا المجال، ومن ثم يؤكدون أن مشروع التحول الاقتصادى سيكون بمثابة عملية جراحية ناجحة للاقتصاد الوطني. وقد رحب حزب المؤتلفة الإسلامى بالمشروع، مقدرا جهود الحكومة فى المجال الاقتصادي، ومشيرا إلى أن هذا المشروع يعالج الأوضاع الاقتصادية فى سبعة مجالات، هي: نظام الضرائب، نظام الجمارك، النظام المصرفى والنقدي، نظام توزيع السلع، نظام توزيع مصادر الثروة، استغلال الثروة، تنظيم وترشيد الدعم. كما أبدى الحزب استعداده بالمساعدة فى إنجاز هذه الإصلاحات فور صدور لوائحها.

لاشك أن مدى نجاح الرئيس فى إقناع الجماهير فى جدوى هذا المشروع لحل المشكلة الاقتصادية المزمنة وتراكماتها، سيكون مؤشرا لفوزه بفترة رئاسة ثانية، ومادام مصرا على تنفيذ المشروع رغم نصيحة عقلاء الأصوليين بتأخير تنفيذ هذا المشروع إلى ما بعد انتخابات الرئاسة، حتى لا يقلل من فرصه باعتبار أنه مادة يستفيد منها خصومه فى الطعن عليه، فلاشك أن لديه أوراقا يعتمد عليها، ويرد بها على خصومه. ولعل سر إصرار أحمدى نجاد على هذا المشروع هو أنه يحول الاقتصاد الإيرانى إلى اقتصاد عملى شعبي، يبتعد عن النظريات العامة، ويستبدلها بتجارب التطبيق، كما أن الزيارات الميدانية التى يقوم بها إلى المحافظات الإيرانية، ويعقد خلالها مجلس الوزراء، لبحث إمكانات المحافظة واحتياجاتها، وطبيعة سكانها وتوجهاتهم وقدراتهم، تعتبر أساس هذا المشروع، بما اكتسبته من معلومات حقيقية عن الإمكانات والقدرات والاحتياجات والسلبيات، ومن الواضح أن ملف هذه الزيارات هو أجندة هذا المشروع. لقد كونت هذه الزيارات الميدانية لدى الرئيس أحمدى نجاد رصيدا يمنحه الثقة بأن الشعب سينتخبه لفترة ثانية، ويدعم هذه الثقة أن جمعية علماء الدين المناضلين (روحانيت مبارز) قد اختارته منذ الآن مرشحا لها، وهذا يعنى أنه سيحظى بتأييد كبار علماء الدين، وهذا له تأثير كبير فى رفع أسهمه أمام منافسيه.

إيران والمعاهدة الأمنية العراقية

إبراهيم يزدى ■ إيران ديبلماسى (الدبلوماسية الإيرانية) ٢١/٦/٢٠٠٨



تم تحديد موافقة الأمم المتحدة بوجود قوات أجنبية فى العراق حتى نهاية عام ٢٠٠٨. وبالنظر إلى الظروف الدولية لا يبدو أن الأمم المتحدة سوف تجدد هذه الموافقة، وعليه طرحت الإدارة الأمريكية لتبرير وجود قواتها فى العراق بشكل قانونى معاهدة أو اتفاقية أمنية مع العراق. وقد تجاهل مضمون هذه المعاهدة بشكل تام استقلال وحرية العراق وعارض كثير من زعماء العراق مثل هذه الاتفاقية.

وعلى الرغم من أن وزير الخارجية قد أعلن أن الولايات المتحدة قد أجرت تغييرات على النص الأولى وتغاضت عن مطالب مثل الحصانة القضائية للعاملين بعقود مع الشركات الأمنية الأمريكية ووافقت على تشكيل مركز عمليات مشترك بوجود مسئولين عراقيين بهدف إطلاعهم على البرامج المستقبلية للجيش الأمريكى فى العراق، ومع هذا فإن مضمون المعاهدة الأمنية لازال غير مقبول.

على سبيل المثال سيكون للإدارة الأمريكية الحق فى أن يكون لها أى عدد من القواعد العسكرية فى أنحاء العراق ويمكن للقوات الأمريكية أن تقوم باعتقال المواطنين العراقيين وتحتفظ بهم فى معتقلات عسكرية تحت سيطرة الإدارة الأمريكية، وقد أعلن رئيس الوزراء العراقى نورى المالكى رسمياً أن هذه المعاهدة الأمنية تنتهك استقلال وسيادة العراق ومن المقرر أن يتم التوقيع على هذه المعاهدة فى غضون الفترة القادمة.

هذه المعاهدة ستضع العراق بشكل كامل تحت الوصاية الأمريكية ولا ينبغى أن يوافق عليها زعماء العراق، وكذلك أيضاً يجب على الحكومات العربية المجاورة للعراق أن ترفض هذه الاتفاقية وقد أعربت الحكومة الإيرانية بشكل واضح عن قلقها ومعارضتها لهذه الاتفاقية.

من المؤكد أن هذه الاتفاقية ليست الاتفاقية الأولى ولا الوحيدة بين الإدارة الأمريكية والدول العربية المجاورة لإيران، وقد وقعت الإدارة الأمريكية اتفاقيات مشابهة ربما ليست بعمق الاتفاقية موضع الحديث مع السعودية وقطر والبحرين والإمارات وعمان وتمتلك الإدارة الأمريكية بموجب هذه الاتفاقيات قواعد ومنشآت عسكرية ضخمة فى هذه الدول.

فى فترة الحرب الباردة والمنافسة الشديدة سياسياً وعسكرياً بين المعسكرين الشرقى والغربى كان عقد مثل هذه الاتفاقيات مفهوماً وقابلاً للتبرير، فكانت الحكومات السورية والعراقية لها اتفاقيات عسكرية مع الاتحاد السوفيتى السابق بينما كانت السعودية والبحرين وقطر .. إضافة إلى تركيا وإيران، لها نفس الاتفاقيات مع أمريكا.

هذا التنافس العسكرى السياسي على الرغم من أنه كان يساهم فى خلق توازن للقوى، إلا أنه فى بعض الأحيان كان يؤدى إلى نشوب حروب وصراعات بين دول المنطقة بالنيابة عن القوى الكبرى، والآن حيث أنتجت الحرب الباردة وتمارس أمريكا نفوذها وقوتها على مجمل المنطقة باعتبارها القوة العظمى والمنتصرة.

ومن منطلق القوة العسكرية - الاقتصادية العظمى تعتبر الإدارة الأمريكية كل منطقة الشرق الأوسط فناءً خلفياً لها "لأمنها القومى" وتسعى لتثبيت مكانتها وتنفيذ "مشروع الشرق الأوسط الكبير".

وبينما جاءت الحكومتان الأمريكية والبريطانية من الشطر الآخر فى الكرة الأرضية الذى يبعد آلاف الكيلو مترات عن الشرق الأوسط واحتلا العراق بالقوة العسكرية فإنهما دائماً ما يتهمون الحكومة الإيرانية بالتدخل فى شئون العراق!، ويعتبرا التحركات الإيرانية تهديداً للأمن القومى الأمريكى والبريطانى، فى مثل هذه الظروف كيف يتوقع ألا تقلق إيران من الوجود العسكرى النشط لأمريكا وبريطانيا على حدودها الشرقية والغربية.

ولو أن العلاقات بين إيران وأمريكا كانت عادية ربما لم يكن قلق إيران بهذه الدرجة لكن الإدارة الأمريكية لا تخفى سياساتها العدائية تجاه إيران وعلاوة على التهديدات الجدية فإنها حاولت وتحاول الاستفادة من أى فرصة لتوجيه ضربة سياسية - اقتصادية لإيران.

ومن جانب آخر لا تستطيع الحكومة الإيرانية منع عقد اتفاقية أمنية بين أمريكا والعراق، فانعقاد الاتفاقيات الثنائية العسكرية - الأمنية بين دول العالم أمر معروف ومعتاد، وفى بعض الأحيان يتم تسجيل هذه الاتفاقيات فى الأمم المتحدة أيضاً. ومن ناحية أخرى فإن استخدام إيران لإمكانياتها المذهبية والسياسية فى العراق لتوجيه ضربة للقوات الأمريكية فى العراق لن يؤدى إلى القضاء أو حتى التخفيف من التهديدات والمخاطر الأمنية ضد إيران بل على العكس سيؤدى إلى تفاقم الأزمة وتردى الأوضاع مما سيجلب الضرر للشعبين الإيرانى والعراقى وكل المنطقة.

وعليه يجب على إيران فى إطار المصالح والأمن القوميين أن تبحث عن حلول أخرى.

ويبدو أن أحد الحلول وربما أفضلها لإيران والعراق وسيكون لها قيمة وآثار استراتيجية مهمة هو دخول هاتين الدولتين مجلس التعاون الخليجى، فقد تكون مجلس التعاون الخليجى فى عام ١٩٨١ بمشاركة ست دول عربية خليجية هى: السعودية، والكويت، وقطر، والإمارات، وعمان، والبحرين بدون وجود ومشاركة دولتين خليجيتين هما إيران والعراق وقد تم ذلك بمباركة أمريكا والاتحاد الأوروبى.

وكان الهدف المعلن هو تدعيم التعاون الاقتصادى والتجارى والعلمى، ولكن تدريجياً خصوصاً بعد حرب الخليج الثانية وهجوم العراق على الكويت أضيف إلى تلك الأهداف المعلنة الاتفاق على التوجهات السياسية والأمنية والعسكرية، وفى الوقت الحاضر هناك موضوعات أخذت مرتبة الأولوية مثل النواحى الأمنية ومواجهة التهديدات الأمنية من الداخل والخارج.

وتعتبر الثورة الإسلامية الإيرانية وآثارها التى عمت كل المنطقة وأحداث مثل اضطرابات مكة فى عام ١٩٧٩ من العوامل المساعدة على تشكيل أو تكوين مجلس التعاون الخليجى، وكانت أسباب عدم توجيه الدعوة لإيران والعراق للدخول فى عضوية هذا المجلس واضحة، فبينما كان يوجد تنسيق واتفاق فى وجهات النظر بين الدول الست المؤسسة بشأن القضايا السياسية الداخلية والإقليمية كانت سياسات وبرامج إيران والعراق تتعارض مع بعضهما ومع الدول الست. وعلاوة على هذا كان العراق فى حرب ظفار الداخلية فى عمان يساند المتمردين، وعلى الرغم من أن إيران فى أثناء حكم الشاه كانت قد أرسلت قوات عسكرية دعماً لحكومة عمان فى مواجهة ثوار ظفار، إلا أنه مع قيام الثورة وسقوط الشاه تم استدعاء هذه القوات إلى إيران وكانت الأجواء السياسية السائدة فى إيران فيما يخص حكام الدول العربية غير ودية.

إن أداء مجلس التعاون الخليجى على مدى السبعة والعشرين عاماً الماضية وعلى الرغم من إحراز بعض التقدم لا يزال غير موفق ويبدو ضعيفاً. وهناك عاملان أساسيان ومهمان يحولان دون تقدمه: العامل الأول هو عدم تحقيق التنمية السياسية - الثقافية فى هذه الدول. أما العامل الثانى فهو استمرار النزاعات الحدودية والعرقية والقبلية بين الأعضاء.

ومع هذا فإن الحساسية والأهمية الاستراتيجية للمنطقة واستمرار هذا المجلس وانضمام إيران والعراق إليه من الممكن أن يلعب دوراً مؤثراً فى تقليص حدة التوترات، ولو أن إيران كانت منذ البداية قبلت عضويتها برغم الاختلافات الجدية فى بنية الحكم والسياسات لما وقعت حربا الخليج الأولى والثانية.

وبعبارة أخرى فإن أحد الحلول الذى يتمثل فى تفعيل دور هذا المجلس فى الحفاظ على أمن الخليج وخفض حدة التوتر بين دول هذه المنطقة حتى فى أنسب الظروف وأحسنها لن يكون مجدياً بدون مشاركة إيران والعراق.

وبعد سقوط نظام صدام حسين لا يوجد خلاف على وجود العراق فى عضوية هذا المجلس، لكن بالنسبة لعضوية إيران هناك مشاكل كثيرة منها العلاقة بين حكومات الساحل الجنوبى للخليج وبين إيران، فبعضها ودى وبعضها غير

ودى بل عدائى، هذه العلاقات الدائمة تتأرجح بين الصداقة والعداوة وفى عام ٢٠٠١ وقعت إيران والسعودية اتفاقية أمنية وبرغم هذا هناك مانعان على الأقل لعضوية إيران فى هذا المجلس، هما إصرار العرب على تغيير مسمى الخليج، والادعاءات الإماراتية غير الصحيحة بشأن الجزر الثلاث.

لكن هذه الخلافات كيف يمكن حلها دون أن يصل الأمر إلى حرب أو نزاع خاصة عندما توجد قوة عظمى فى الوسط. وللأسف تفتقر السياسة الخارجية لحكومة إيران الحالية حيال العرب إلى الانسجام المنطقى وتكشف عن عدم وجود استراتيجية، فالرئيس الإيرانى من دون دراسة واستعدادات أولية دبلوماسية يحضر جلسة قمة التعاون الخليجى "مع وجود يافطة الخليج العربى" ويشارك وزير خارجية إيران فى قمة الجامعة العربية فى دمشق وفى حضوره يصدر قرار ضد إيران وللأسف لم يرصد أى اعتراض للوزير المحترم.

وذات مرة طلب وزير الخارجية الإيرانى السابق عضوية إيران فى جامعة الدول العربية ورفض الطلب!! مع أن وجود إيران فى جامعة الدول العربية سواء كعضو أو كمراقب بدون طلب العرب سيكون بلا معنى ومهيناً لكن هذه المساعى على أية حال تكشف أن متخذى القرار فى السياسة الخارجية الإيرانية بغض النظر عن الماهية السياسية - الأخلاقية لحكام هذه الدول قد أدركوا ضرورة وقيمة العلاقات الودية بين إيران والعرب ويتحركون فى هذا الإطار وهذا التوجه منطقى ومقبول لكن الأساليب والتكتيكات خاطئة.

عضوية إيران والعراق فى مجلس التعاون الخليجى وعقد معاهدة أمنية جماعية بين إيران ودول الخليج ستكون لها مزايا مهمة واستراتيجية وأمنية بالنسبة لإيران لاسيما ما يتعلق بتحسين العلاقات بين إيران والعرب وخفض حدة التوتر فى المنطقة.

وعلاوة على أن عقد مثل هذه المعاهدة سيعنى بالفعل خفض احتمالية استخدام أمريكا لقواعدها ومنشآتها فى الدول العربية ضد إيران وأيضاً سيطمئن العرب أن إيران لا تعتزم مهاجمتهم والتدخل فى شئونهم الداخلية.

من ناحية أخرى فإن الدول العربية بدون الحصول على موافقة أمريكا لن يصدقوا على عضوية إيران فى هذه المعاهدة، لكن فى الظروف الحالية حيث ستنتهى سريعاً من ناحية الموافقة على وجود قوات أجنبية فى العراق وتتزايد المعارضة للوجود العسكرى الأمريكى فى العراق سواء فى أمريكا أو على مستوى العالم، قامت الإدارة الأمريكية بطرح الاتفاقية الأمنية مع العراق لخفض الضغوط وتنظيم وجودها داخل العراق.

ولعقد مثل هذه الاتفاقية يجب على الإدارة الأمريكية ليس فقط أن تعدل مضمونها بالشكل الذى يرضى عنه العراقيون بل إنها لا تستطيع أن تتجاهل معارضة إيران. وللتخفيف من مخاوف الحكومة الإيرانية أو القضاء عليها بسبب التهديدات المحتملة لاتفاقية كهذه وخلق الثقة من الممكن أن توقع إيران والعراق اتفاقية أمنية ثنائية، إلا أن اتفاقاً أمنياً جماعياً بين إيران ودول الخليج سيحقق نفس الهدف وبشكل أعمق.

وكان أحد المسئولين الإيرانيين قد اقترح عقد اتفاق أمنى بين دول جنوب غرب آسيا "ماعدا إسرائيل ومصر" مثل ما هو قائم فى جنوب شرق آسيا لكن فى الظروف الراهنة فإن احتمال قبول مثل هذا الطرح يبدو ضعيفا جداً بل غير ممكن.

لكن يوجد احتمال النجاح فى عقد اتفاق أمنى أكثر محدودية بين دول الخليج (الفارسى)، والسبيل العملى لذلك هو المحادثات الدبلوماسية المتوالية مع حكومات السعودية وقطر والحكومة العراقية.

على أية حال فإن عقد الاتفاق الأمنى مع أمريكا يحتاج إلى خفض معارضة إيران وإقناعها بذلك، وعلى الرغم من أن العلاقات السعودية - الإيرانية ليست ودية ولا وطيدة إلى حد كبير لكن زيارة رفسنجانى للسعودية بناءً على دعوة الملك عبد الله والمحادثات التى تمت من الممكن توظيفها فى هذا السبيل.

وسيكون الحصول على موافقة السعودية على هذا المشروع أمراً مصيرياً، فضمنياً لن توافق السعودية على هذا المشروع بدون استشارة أمريكا والحصول على موافقتها. والحكومة الأمريكية فى حال أنها تريد تخفيف التواترات الماثلة فى المنطقة وتمرير الاتفاقية الأمنية مع العراق يجب بالأساس أن توافق على هذا الطرح بانضمام إيران لعضوية مجلس التعاون الخليجى.

تاريخ السيادة الإيرانية على الخليج (الفارسى)

محمد بهمنى قاجارن ■ إيران ٢٢/٦/٢٠٠٨

توصل الباحثون فى مجال التاريخ الإيرانى فى أبحاثهم الجديدة إلى وثائق وأسانيد جديرة بالتأمل والاهتمام عن تاريخ الخليج (الفارسى) ويمثل الكشف عن هذه الوثائق تطورا مهما لأنه يتضمن رداً إيجابياً على جدل بعض المحافل العربية فيما يخص اسم وهوية الخليج (الفارسى).

وقد عثر على خريطة للخليج (الفارسى) في بداية حكم مظفر الدين شاه القاجارى تعود إلى مائة وستة عشر عاماً ذكر فيها الخليج (الفارسى) باسم "خليج إيران" أو بحر ميناء بوشهر أو الخليج (الفارسى).

اللافت للانتباه أن أحد وثائق رسم هذه الخريطة يتمثل فى خريطة صدق عليها اللورد كريزن وزير الخارجية البريطانى آنذاك وقد تم رسمها وطبعها في مركز لندن للجغرافيا.

وقد حظى عمر الخليج "الفارسى" أو بحر فارس الكبير باهتمام كل الشعوب منذ القدم من الناحية الاقتصادية، وفيما بعد بسبب أهميته الجغرافيا السياسية. وكان الخليج (الفارسى) وسواحله مقر عمل وإقامة الإيرانيين الذين استوطنوا تدريجياً في أنحاء الصحراء الإيرانية، وأدى هذا الأمر إلى تأسيس علاقة متزايدة لمنطقة الخليج (الفارسى) المهمة اقتصادياً بكل العالم وهذا الارتباط يرجع تقريباً إلى وقت قدوم الإيرانين إلى صحراء إيران منذ الألفية الثانية وحتى الألفية الأولى قبل الميلاد، وقد اقتفى الإيرانيون منذ بداية وجودهم في أرضهم أثر قيم لا نظير لها بالنسبة لبحر فارس وعملوا منذ سيادتهم البحرية على أرض فارس لدرجة أن الملك كورش أسس أكبر قاعدة بحرية في البحرين، وبهذا الشكل أنشأ الإيرانيون أول قوة بحرية في الخليج (الفارسى)، لأن كورش في عام ٥٣٩ ق.م بعد فتح بابل كان يرى إنشاء قوة بحرية وتجارية أمراً مهما وضرورياً للحكم. كذلك أيضاً كانت له استراحة في ضواحي بوشهر الحالية. وفيما بعد أسس الهخامنشيون مدينة تدعى "ته أوكه" في المكان نفسه وتفيد لوائح تخت جمشيد أن هناك وفود كانت تفد على هذه المنطقة في عهد داريوش.

كذلك أيضا كانت الأمة الإيرانية الأمة الأولى التى فتحت أبواب التجارة العالمية عن طريق الخليج (الفارسى) لدرجة أن درايوش من أجل إقامة اتصال بحرى بين الخليج (الفارسى) والدول الكبرى آنذاك مثل مصر ودول ساحل البحر المتوسط، أقدم على حفر قناة داريوش "قناة السويس" بين البحر الأحمر وبحر الروم "المتوسط"، وبعد ذلك أيضاً كان يدير سواحل خليج فارس والبحرين بنفس طريقة الملوك الهخامنشين الذين كانوا يحكمون فارس وكرمان.

في العصر الأشكانى كان الإيرانيون أيضاً يحكمون الخليج (الفارسى) وجزره، وقد أشار محمد بن جرير المطيرى المؤرخ الإيرانى في كتابه إلى أن العرب في عصر الأشكانيين اضطروا تحت وطأة القحط في البادية والحجاز إلى المجئ إلى البحرين التى كانت تقع تحت السيادة الإيرانية، وبناءً على هذه الإشارة فإن العرب في عصر الأشكانيين اعتبروا البحرين أقرب الطرق إليهم من الحجاز.

الجدير بالذكر أن منطقة "حجر" التى أوردها الأصفهانى لم تكن موجوده في أثناء زمن الأشكانيين وأنها أنشئت بناءً على أمر من شابور ذو الأكتاف، ومن المؤكد أن أرد شير بن بايكان المتوفى في سنة ٢٤١ كان على رأس ملوك هذه الأسرة وهو الذى سمح للعرب تحت وطأة القحط والظروف الصعبة بأن يسكنوا في سواحل الخليج (الفارسى) وبحر عمان بشكل رسمى، هؤلاء العرب كانوا الفصيل الثانى من الأعراب الذين هاجروا إلى البحرين في زمن الأشكانيين وما تلاه حتى عصر الملك ساهبور ذو الأكتاف. وفى أثناء حروب الإيرانيين والرومان اقترب عرب جزيرة العرب رويداً رويداً إلى السواحل الجنوبية للخليج (الفارسى).

ووفقا لقول ابن البلخى في كتابة فارسنامه، فإن مدينة "خط" والتى أصبحت فيما بعد عاصمة للبحرين قد شيدها أردشير بن بابكان وفى البداية كانت تعرف تحت اسم دارين ثم فيما بعد باسم خط.

وقد أدرك أردشير بن بابكان الأهمية الكبيرة للبحرين الساحلية وكانت البحرين الكبيرة تتكون من البحرين الساحلية أو جزيرة البحرين، التى كانت تقع ضمن السيادة السياسية للسعودية ضمن مدن الإحساء، القطين، عقير، هذه المنطقة كانت تقسم إلى ثلاث ولايات في عصر الساسانيين وكانت ترتبط بشكل مباشر مع تيسفون عاصمة الساسانيين ولأهميتها أسند أردشير بن بابكان إدارتها لولى عهده شاهبور الأول، وولاية البحرين الكبيرة في عصر الساسانيين كانت تتكون من هكر وبنياد أردشير وميش ماهيك.

وكتب وستنفلد العالم الألمانى عن الوجود الإيرانى على سواحل وجزر الخليج (الفارسى): قبل الإسلام كانت البحرين والسواحل الغربية للخليج (الفارسى) تقع تحت السيادة الإيرانية، والإيرانيون هم الذين أقاموا القلاع المحكمة والحاميات في أماكن مختلفة ويقومون بالإشراف عليها وخاصة عند نهاية الحد الشمالى كى يحول دون هجوم العرب المتكرر على تلك الأماكن، وكان أسبيدو أحد الحكام الإيرانيين الذين كانوا يحكمون على تلك النواحى وكانوا يسمون ساكنى البحرين باسمه "أهل أسبيدو". وفى العام السادس أو الثامن الهجرى أرسل النبى محمد (ص) شخصاً باسم علاء الدين بن عبد الله بن خفرتى إلى "شيبوخت" الحاكم الإيرانى الذى كان هناك ليبلغه بقبول الإسلام أو دفع الجزية، ودخل العرب والإيرانيون الإسلام، وبعد وفاة النبى (ص) اختاروا أحد الأمراء الإيرانيين باعتباره رئيساً عاماً فأسرع علاء الدين بن خفرتى لمواجهته فهزمه.

بنية السلطة المزدوجة فى باكستان

■ حميد رضا لطفيان ■ إيران ٢٠٠٨/٦/٨

دخل صراع أجنحة السلطة فى اسلام آباد مرحلة معقدة. وقد أصبح هذا الصراع أكثر عمقاً منذ فترة حتى أن حزب الشعب باعتباره أكبر حزب سياسى يهيمن على الحكومة والبرلمان قد انضم تحت إشراف زوج بى نظير بوتو آصف على زردارى لصفوف معارضى بقاء برويز مشرف فى منصب رئيس الجمهورية، فقبل هذا كان حزب الرابطة الإسلامية جناح باكستان-قائد بزعامة نواز شريف قد وضع مسألة تنحية مشرف من السلطة على قمة أولوياته تلافياً لصراعاته السابقة معه ومع حلفائه.

وبهذا الشكل أصبح المناخ السياسى فى باكستان اليوم مفعماً بعلاقات الانتقام وتوحى حركة خلفاء بوتو وحزب نواز شريف بأنهم يريدون تصفية حسابات عقد ونيف من الوضع قيد الإقامة أو الوضع فى السجن، ونواز شريف الذى يتبنى لهجة نارية فى التعامل مع مشرف قد وقف الآن وجهاً لوجه أمام الشخص الذى عزل حكومته فى انقلاب ١٩٩٩ بل وفى خريف العام الماضى بعد عقد من النفى أغلق أمامه السبيل للتواجد على الساحة السياسية. وأخيراً بوساطة السعوديين خضع لفكرة عودته. وزدارى أيضاً لديه الدوافع الكافية لدخول هذا النزاع فبعيداً عن النفى والتسويات السياسية يوجد ملف ضخم هو ملف الرشوة



الذى لفقته له حكومة مشرف.

لكن الحقيقة هى أن المجال قد تهيأ لمقاومة هذه الجماعات ضد مشرف غداة انتخابات فبراير التى انهزم فيها الحزب المسمى الرابطة الإسلامية جناح القائد الأعظم بزعامة مشرف والذى ظل على مدى ما يقرب من عقد يهيمن على أركان الدولة وأصبح على وشك الحل ومع هزيمة هذا الحزب تفرق كثير من أعضائه الذين كانوا من التكنوقراط الباكستانيين وبقى مشرف بين خصومه بلا مقرب أو صديق.

ومع كل هذا استعان الحزبان المنافسان لمشرف بأداة ديمقراطية مبررة للقضاء عليه وهى عودة القضاة الذى يتمتعون بشعبية كبيرة والذين وصفهم مشرف فى نوفمبر الماضى بأنهم أعداء لسلطته وقام بعزلهم بعد فرض حالة الطوارئ فى البلاد. والآن توصلت الحكومة الائتلافية لحزب بوتو وشريف إلى نتيجة مهمة مفادها أن مسألة عودة هؤلاء القضاة أصحاب النفوذ الكبير فى البنية السياسية الباكستانية هى السبيل الأفضل لفتح جبهة رئاسة الجمهورية وهم يعقدون الأمل على أن مسألة إحياء نفوذ هؤلاء القضاة سوف يدعم كل التيارات السياسية ضد مشرف وعن طريق الملفات التى سوف تفتح على يد هؤلاء القضاة سوف يساق مشرف بسهولة إلى السجن

الذى عاشوا فى دوامته عقد من الزمن.
على أية حال دخل هذا النضال الفترة الماضية مرحلة خطيرة بتوقيع اتفاق بين زردارى وشريف لإسقاط مشرف والمواجهة التى بدأت اليوم هى فى الواقع بين السلطتين التشريعية والتنفيذية وبين رئيس الجمهورية، وعليه فإن آثارها السيئة سوف تعم كل شئون المجتمع بالشكل الذى أثار رد فعل القوى الداعمة للحزبين وخاصة الولايات المتحدة وانتهى الأمر بجلسة طارئة بين مشرف وكيانى قائد الجيش.

فرضية الاستقالة الجبرية أو الاستجواب

استعد زعماء الحزبين المعارضين لمشرف لمقاومة متعددة المراحل. ومما لا شك فيه أن الخطوة الأولى هى أن ينحنى رئيس الجمهورية جبراً وهذه السياسة يتم متابعتها على خطين، الأول: خلق أجواء نفسية بحيث قامت الأحزاب السياسية المنافسة لمشرف باستدعاء كل المعارضين التقليديين داخل الحكم وخارجه لتبنى خطة لتشكيل اتحاد هجومى ضده.

الثانى: وقف كل مجالات التعاون وقطع الاتصال بين مؤسستى البرلمان والحكومة وبين رئاسة الجمهورية.

هذا الجزء من سيناريو المعارضين بلا شك سوف تكون له أحداث اجتماعية مفجرة للأزمات، فمسألة قطع العلاقات بين القوى الحكومية الثلاث سيجعل باكستان تنقسم مرة أخرى بل وسوف تطرح فكرة ضرورة تدخل قوة ثالثة أى الجيش.

الأسلوب الثانى الذى فكر فيه المعارضون هو المواجهة القانونية والبرلمانية أو أسلوب الاستجواب. الأسبوع الماضى لأول مرة قال يوسف رضا كيلانى: بعض أحزاب الحكومة الائتلافية يطرحون فكرة استجواب مشرف. لكن يوجد جدل كبير حول فعالية هذا الطرح لأن مسئولى حزب الشعب أنفسهم قد أكدوا أن نجاح مشروع الاستجواب يرتبط باتحاد الأحزاب السياسية ومشروع الاستجواب عملية صعبة يتطلب إجماعاً بين كل الجماعات داخل البرلمان لتنفيذه وطبقاً لرؤية فرحت الله بابر المتحدث باسم حزب الشعب، فإن مسألة استجواب مشرف هى من الأمور التى لو يتم تنفيذها ستكون عن طريق البرلمان الوطنى فقط الذى يستطيع أن يتخذ قراراً فى هذا الصدد.

من الفائز فى هذه اللعبة؟

كما هو واضح من هذا الصراع حتى الآن فإن من المتصور أن حركة هذه اللعبة الباهظة الثمن سوف تصب فى صالح الأحزاب ضد مشرف، لكن التاريخ الباكستانى يفيد بأنه فى أشكال الصراع بين الأحزاب وأركان السلطة كانت الأحزاب دائماً هى الخاسر وقدراً كانت معظم أشكال الفشل من نصيب الحزبين الذين وقفا الآن فى مواجهة جنرال الجيش. ولذا ربما لا يكون هناك طريق أكثر نفعاً بالنسبة لجيلانى الذى وقعت حكومته الجديدة فى خضم النزاع بين زردارى ومشرف وباكستان بعد الأحداث الدامية الناجمة عن الحرب مع المليشيا المسلحة فى وادى سوات ومسجد لار وأيضاً اغتيال بوتو، لا يحتمل وقوع أزمة وفراغ فى السلطة ولهذا فإن أى فائدة لأى نزاع جديد سوف تذهب للمعارضة التى لا تقبل أياً من طرفى الصراع وقاطعت انتخابات رئاسة الجمهورية والبرلمان.

الناتو وخطر الزوال

■ فرهنك آشتى (ثقافة السلام) ٢٢/٦/٢٠٠٨

فى الفترات التى فقد فيها الناتو فلسفته الوجودية بعد انهيار الاتحاد السوفييتى، لم يكن يفكر سوى فى بقائه فى ظل النظام الدولى الجديد الذى تشكل بزعامة الولايات المتحدة، وخلال ذلك لم يكن متقبلاً طرح نظريات جديدة فى الناتو بسبب اتساع الخلاف بين زعماء أوروبا.

وقد سعى أعضاء الناتو إلى ترسيخ نظرة تهديد المحور الغربى تجاه الكرملين، ولكن روسيا فى هذه الأهداف لم تتخذ إجراءات المواجهة المناسبة ومنحت كل الامتيازات المناسبة إلى أمريكا والاتحاد الأوروبى.

كانت مسألة انضمام أوكرانيا وجورجيا إلى الناتو قد أوجدت متاعب كثيرة لروسيا. هذا فى الوقت الذى سيتبع أى مواجهة عسكرية مع مشروع توسع الناتو عواقب وتبعات شديدة لهذه المنظمة ومؤخراً أعلن جاب دي هوب شيفر الأمين العام للناتو فى زيارته الأخيرة إلى أوكرانيا بهدف تقوية الدعم الشعبى الضعيف لانضمام هذه الدولة إلى الناتو "أن عضوية أوكرانيا فى الناتو ليست ملزمة بأى مشكل لهذه الدولة باستضافة أى قواعد أجنبية أو إرسال جنود للحرب".

تصريح شيفر فى لقائه مع فيكتور يوتشينكو رئيس جمهورية أوكرانيا أن عضوية أوكرانيا فى الناتو لصالح روسيا لأن الكثير من الأوكرانيين يرتبطون كثيراً بالكرملين، كما أن معارضة تقارب كييف إلى الناتو لن تؤثر فى الناتو.

وفى الوقت الذى تم فيه هذا اللقاء تعهد زعماء الناتو فى اجتماعهم الأخير فى أوكرانيا وجورجيا أن كلتا الدولتين فى النهاية ستنضمان إلى الناتو، وإن كانوا لم يعلنوا جدولا زمنيا لانضمامهما.

جدير بالذكر أن مظاهرات عديدة قد عمت مدن مختلفة فى أوكرانيا عشية زيارة الأمين العام للناتو إلى هذه الدولة، وقد شارك فى هذه المظاهرات ضد الناتو مؤيدو الحزب الشيوعى الأوكرانى والحزب الاشتراكى وحزب المناطق، وحمل المتظاهرون لافتات مثل "لن نقبل بالفضيحة"، و"أوكرانيا أرضنا بدون الناتو"، و"معاً ضد حكومة الناتو". وكان مئات المتظاهرين أيضاً قد تظاهروا فى مدينة خاركيفا الصناعية الكبرى فى مقابل جامعة واسيلى تارازينى موضوع عقد اجتماع الناتو ورفعوا شعارات ضد الناتو، وقد منعت السلطات الأمنية المتظاهرين من دخول ساحة الجامعة بهدف الحفاظ على الهدوء والاستقرار.

وكان فيكتور يوتشينكو قد أكد على أن عضوية أوكرانيا فى الناتو هى القضية القومية لدولته وأن تحقيق هذه الأمنية يعنى الكثير له ولبلاده، وتشير الاستطلاعات الأخيرة إلى أن ٢٠٪ من الشعب الأوكرانى يؤيد عضوية أوكرانيا فى حلف الناتو، ولذا بدأت الحكومة الأوكرانية الدعاية الواسعة من أجل تحسين وجهة الناتو فى أنظار الشعب الأوكرانى.

وواقع الأمر أن التوجه الأمنى الأوكرانى فى مقابل روسيا سوف يتسبب فى تزايد احتمالات المواجهة العسكرية بين موسكو وجيرانها، وبلا شك فإن هذه المواجهة ستؤثر بشكل مباشر على معادلات الناتو فى المنطقة بل ستهيئ أسباب زواله، ولمثل هذه الظروف فقد سعى الرئيس الفرنسى نيكولا ساركوزى إلى إعادة تعريف وتقديم وضع باريس فى الناتو، ولا شك أن نفقات إعادة التعريف ستلقى بظلالها قريباً على مقر الإليزيه فى باريس وسوف تواجه فرنسا أزمة كبيرة لا يمكن تداركها.

وهم الصداقة مع الشيطان

■ جمهورى إسلامى (الجمهورية الإسلامية) ٢٠/٧/٢٠٠٨

ظهرت همهمات فى وسائل الإعلام الغربية عن عودة العلاقات بين إيران والولايات المتحدة.

وقد طرحت مقولة إقامة علاقات مع الولايات المتحدة، وقبل ذلك التباحث معها لأول مرة منذ ثلاثين عاماً فى المحافل المختلفة، ودار حول الأمر جدل كبير.

أثناء كل هذه الفترة كانت مواقف مؤسسة الإرشاد سواء فى عهد الإمام الخمينى أو عهد خامنئى أمام المطالب الأمريكية وأشباهها فى الداخل والخارج مواقف راسخة تظهر الاستغناء وعدم الاحتياج، وتقتضى مكانة نظام الجمهورية الإسلامية والمثل العليا للثورة الإسلامية مثل هذه المواقف الأهم من ذلك أن الولايات المتحدة ليست غير مستعدة للاعتذار عن تصرفاتها العدائية ضد إيران وإصلاحها فحسب وإنما لازالت الولايات المتحدة تواصل تدخلاتها ومؤامراتها ضد نظام الجمهورية الإسلامية، وتفعل كل ما تستطيع القيام به ضد شعب إيران، ومن الطبيعى أمام كل هذه التجاوزات المستمرة لا تستطيع الجمهورية الإسلامية الإيرانية عمل شئ سوء عدم قبول التباحث.

فى هذا الشأن توجد نقاط هامة ينبغى الالتفات إليها للوصول إلى إدراك صحيح للموضوع.

١- تضع إيران دائماً ثلاث شروط لعودة العلاقات مع الولايات المتحدة ولازالت هذه الشروط قائمة حتى الآن وهى:

- اعتذار الولايات المتحدة عن تداخلاتها السابقة فى الشئون الداخلية الإيرانية.

- الإفراج عن الأرصدة والممتلكات الإيرانية التى جمدتها الولايات المتحدة فى بنوكها.

- تقديم تعهد مكتوب ينص على الامتناع عن التدخل فى الشئون الإيرانية فى المستقبل.

حتى الآن لم تنفذ الولايات المتحدة أى من هذه الشروط، وإنما زادت من عدائها لإيران، وبناء على هذا فالطريق الذى وضعته إيران من البداية لحل مشكلة العلاقات بين البلدين مسدود، والسبب فى ذلك الولايات المتحدة.

٢- اتخاذ القرارات فى السياسيات العامة للدولة من صلاحيات المرشد طبقاً للدستور، والتباحث مع الولايات المتحدة واتخاذ أى قرار بشأن إقامة علاقة معها على أى مستوى ينطبق عليه حكم السياسات العامة للدولة نظراً للظروف الخاصة بين البلدين والماضى الاستعمارى للولايات المتحدة وتدخلاتها فى إيران، وموقف المرشد من التباحث مع الولايات المتحدة لم يتغير حتى الآن ولازال رافضاً له.

٣- بالأخذ فى الاعتبار النقطتين السابقتين، تكون التصريحات التى أدلى بها فى الأيام الأخيرة حول المباحثات وعودة العلاقات مع الولايات المتحدة غير مسئولة من الناحية القانونية فحسب وإنما تضر بمكانة نظام الجمهورية الإسلامية أيضاً.

يقول أحدهم نحن على استعداد أن نبحث الاقتراح الأمريكى بفتح قنصلية فى طهران، وأخر يقول نحن على استعداد أن نضمن أمن الدبلوماسيين الأمريكيين، وثالث يصرح بأننا نعتبر الشعب الأمريكى أعظم شعب فى العالم.

حتى إذا لم تكن الولايات المتحدة عدو معلن لنا، ولم تقم بكل هذه الأفعال العدائية فيما يتعلق بالملف النووى الإيرانى، ولم نكن نسمع فى كل يوم خبراً عن مؤامرة أمريكية للإطاحة بنظام الجمهورية الإسلامية، لا يجوز أن نظهر أنفسنا متشوقين لإعادة العلاقات مع الولايات المتحدة على هذا النحو.

فى العرف السياسى الدولة التى تريد أن يقبلها الطرف المقابل تدخل ساحة التفاوض باستغناء كامل حتى تستطيع أن تحصل على امتيازات، والأسلوب الذى يتبعه البعض فى إيران الآن لن يؤدى إلى حرمان إيران من أى امتياز فحسب وإنما سيؤدى إلى تحقيق الطرف المقابل امتيازات على صالح إيران.

توضح التصريحات المتكبرة لوزيرة الخارجية الأمريكية على أعتاب مباحثات جنيف أن الأمريكيين اعتبروا الموقف المتلهف للمسئولين الإيرانيين دليلاً على ضعفنا وشعروا أنهم يستطيعون إجبارياً على التراجع والحصول على امتيازات منا.

لقد صرحت كونداليزا رايس قائلة إن التغيير فى سياسة الحكومة الأمريكية يوضح أن إدارة بوش جادة فى العمل الدبلوماسى لكن هذا لا يعنى أن واشنطن مستعدة للتباحث مع إيران بلا نهاية، وأنه يمكن التباحث مع إيران عندما توقف

طهران تخصيب اليورانيوم حتى يكون واضحاً للجميع أن للولايات المتحدة شرط لبدء التباحث مع إيران وهو تعليق تخصيب اليورانيوم القابل للتطبيق.

هذه التصريحات توضح أن الولايات المتحدة لازالت محتفظة بموقفها العدائى تجاه إيران، والأشخاص الذين يعتقدون أن بوش وبقية حكام البيت الأبيض تدخلوا عن معاداة إيران ومستعدون للتغير، واهمون حكام الولايات المتحدة لازالوا يعانون من مرض الاستكبار وغير قابلين للإصلاح وأمريكا إلى الآن مثلما قال عنها الإمام الخمينى (الشيطان الأكبر) ورأس الفساد، أما أولئك الأشخاص الذين يعتقدون أنهم يستطيعون مصادقة الشيطان الأكبر ورأس الفساد، مخطئون بشدة.

العداء الأمريكى لإيران

محمد كاظم سجاد بور | اعتماد ملى (الثقة الوطنية) ٢٩/٦/٢٠٠٨

يعتمد أمن الخليج (الفارسى) على ثلاثة دوائر أساسية هى الدول العربية المطلة على الخليج (الفارسى)، وإيران، ودول أخرى فوق إقليمية مثل الولايات المتحدة.

ويتحدد منحنى الاستقرار فى الخليج (الفارسى) بالدرجة الأولى وفق التعاطى بين هؤلاء اللاعبين الثلاث ويأتى فى وسطه العامل الأمريكى الأكثر أهمية والأكثر حساسية وخاصة فى التطورات التى شهدتها المنطقة على مدى السنوات الماضية.

ومع الأخذ فى الاعتبار التطورات المتسارعة فى الخليج (الفارسى) وأمنه والوضع الخاص المسيطر على هذه المنطق، يجب طرح ثلاث أسئلة بشكل رئيسى والإجابة عليها لفهم التطورات الأمنية للخليج (الفارسى) واحتمال الوصول إلى حلول.

السؤال الأول، هو ماهية السياسة الخارجية الأمريكية فى الخليج (الفارسى)، وهو سؤال مرتبط بالسؤال الثانى المتعلق بالفائدة العائدة على أمريكا من عداء إيران، وما شكل ومظهر هذا العداء فى السياسة الخارجية الأمريكية فى هذه المنطقة، وأخيراً السؤال الثالث، ما تأثير عداء إيران على أمن الخليج فى السسياسة الأمريكية فى هذه المنطقة.

بخصوص السؤال الأول والمعنى بالسياسة الخارجية الأمريكية لن أدخل فى الجزئيات وسأشير فقط وأعتقد أنه من حيث نظريات العلاقات الدولية يمكن اعتبار السياسات الأمريكية مزيج من نظريات ورؤى واقعية وافتراضات بسيطة.

وبهذا المعنى فإن الهدف الأساس لأمريكا هو هدف واقعى مستمد من مدارس الواقعية وهو حفظ النفوذ، ودائماً كانت السياسة الأمريكية فى الخليج (الفارسى) قائمة على حفظ النفوذ وزيادته، وهذا الخط الممتد على الرغم من أنه يأخذ مراحل مختلفة ومتباينة أشمل من نظرية دوستونى نيكسون وأعم من الاستناد على توازن القوى بين إيران والعراق.

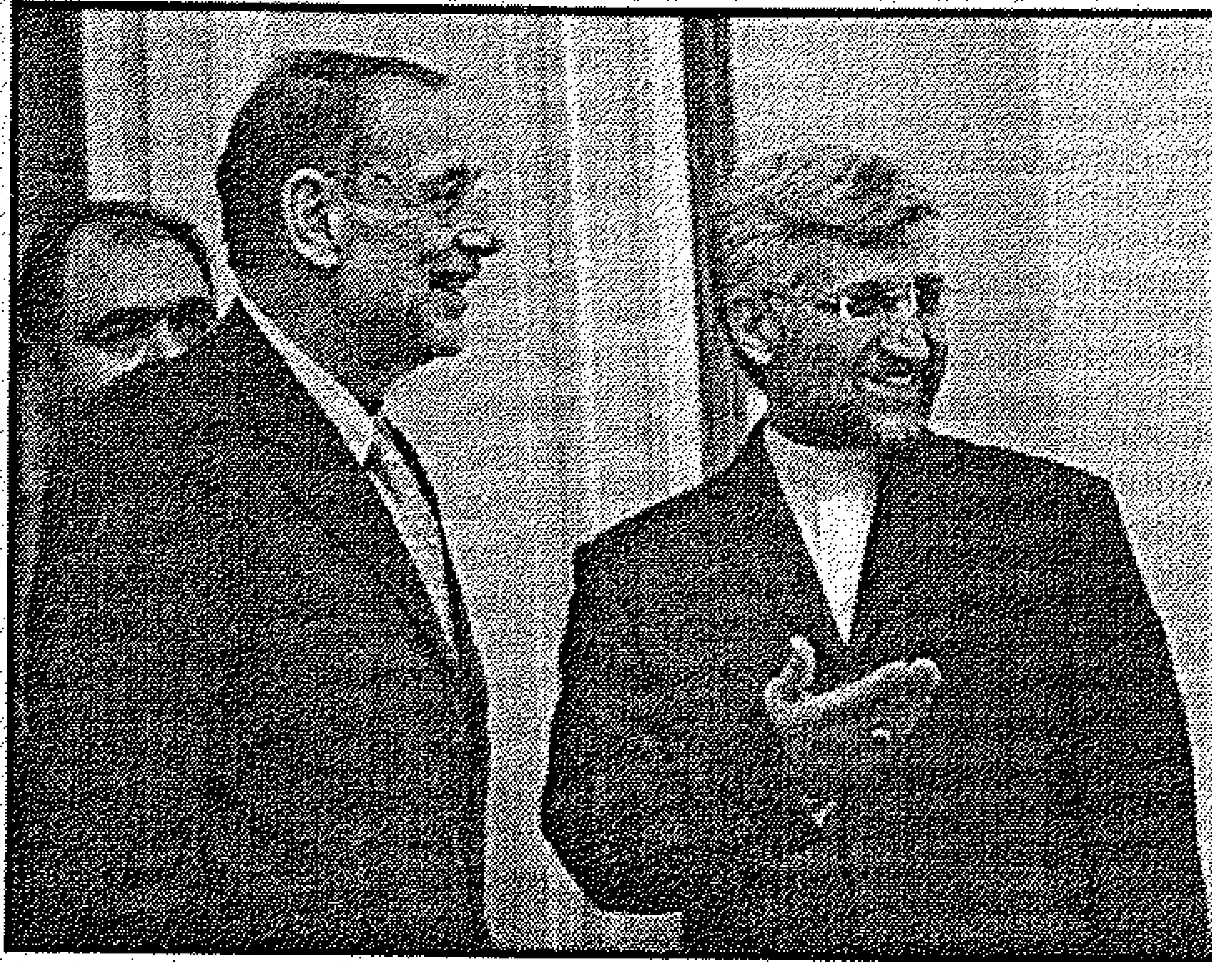
أمريكا لم ترض قط بمعدل من النفوذ وفى كل مرحلة من النفوذ تسعى خلف نفوذ أكبر فى منطقة الخليج (الفارسى). وأمريكا فى تعاطيها فيما بعد الحرب العالمية الثانية، بشكل عام وبعد خروج القوات البريطانية بشكل خاص وفى التنافس بين الشرق والغرب ونهاية عصر ما بعد الحرب الباردة، كانت تسعى خلف هذا الخط وهو حفظ النفوذ وزيادة القدرة، ولكن هناك نقطة مهمة فى عصر ما بعد الثورة الإسلامية وهى أن السياسة الخارجية لأمريكا فى هذه المنطقة جاءت بعنصر ثابت وقدي منذ ثلاثين عاماً ألا وهو عداء إيران، بمعنى أنها قدمت إيران بصور مختلفة فى الخليج (الفارسى) باعتبارها عدو وجزء ثابت فى السياسة الخارجية الأمريكية.

وصيغت إيران فى الذهن الاستراتيجى الأمريكى على أنها خطر يجب مواجهته وكل شكل وكل سلوك لإيران هو خطر. ومن هنا نتطرق إلى الإجابة على السؤال الثانى وهو أن عداء إيران بشكل عام استخدم فى السياسة الخارجية الأمريكية فى المرتبة الأولى، باعتباره أداة من أجل تواجد أكبر ولمزيد من النفوذ والهيمنة ولخلق مناخ لبيع السلاح وهذه الأداة قامت بدورها، وفى النهاية ظهرت أداة أخرى تحولت إلى هدف.

يعنى بالأساس أن واحدة من المسائل الأساسية فى السياسة الخارجية الأمريكية هو أنه ليس مهما ماذا تفعل إيران فى منطقة الخليج (الفارسى) وبرأيى فإن إيران فى تعاطيها الثنائى مع دول الخليج الفارسى لها علاقات جيدة جداً فى أطر ونماذج العلاقات الثنائية ولكنها لم تأخذ أبعادها بإيجابية قط، إذ أن الهدف هو إلغاء إيران وعداوة إيران، يعنى أن عداء إيران تطور من حالة الأداة إلى حالة الهدف وفى المراحل التالية فى رأيى سوف يكون أكثر صعوبة وأكثر حساسية.

مباحثات جنيف: احتمالات الحرب والسلام

■ قراءة في الصحف الإيرانية



بعد خمس سنوات من الجدل حول الملف النووى الإيرانى، دخلت الولايات المتحدة في مفاوضات مباشرة مع إيران فى إطار مجموعة ٥+١، أى الدول الخمس دائمة العضوية فى مجلس الأمن إضافة إلى ألمانيا، وهو ما كانت تطالب به إيران منذ تكوين هذه المجموعة، وحظيت المباحثات التى عقدت بين هذه المجموعة وإيران فى جنيف فى يوليو الماضى باهتمام بالغ من الصحف الإيرانية أكثر من أى مرحلة سابقة من مراحل التفاوض مع الغرب لدخول الولايات المتحدة كمفاوض مباشر مع إيران، فضلاً عن مجيئها في وقت تصاعد فيه الحديث عن اندلاع الحرب وتوجيه ضربة استباقية لإيران.

على المستوى الإيرانى الرسمى، رحب آية الله على خامنئى المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية الإيرانية بالمباحثات مع التأكيد على حق إيران في الحصول على التقنية النووية معتبراً إياه الخط الأحمر لإيران في المباحثات، ووضع استراتيجية للمباحثات قائلاً: نعم لمباحثات بدون تهديد (اعتماد ملى ٢٠ يوليو).

وقد نشرت صحيفة اعتماد ملى مقالاً لجواد دليرى تحت عنوان "اجتماع واقعى يتخذ المصلحة محوراً بدلاً من المثالية الأيديولوجية"، جاء فيه: اختار المسئولون الإيرانيون بدلاً من توصيات المطالبين بالصدام، وبدلاً من توجيهات المطالبين بترك الأمور لتصاريف الزمان، طريقاً ثالثاً يسمى في العالم المعاصر بطريق العقلانية، والطريق الذى اختارته إيران هو طريق المباحثات.

حدد المقال مكاسب إيران من دخول المباحثات وهى: تحقيق المصالح، ونفى التهم، وإثبات صدق النوايا، فضلاً عن تهدئة الوضع الداخلى في إيران من خلال حسم الجدل الدائر حول التعامل مع التهديدات الغربية التى تتزايد يوماً بعد يوم.

كما اعتبر المقال اتجاه المسئولين الإيرانيين إلى الواقعية التى تتخذ المصلحة محوراً لعملها دلالة على نضج النظام الحاكم.

وخلا تصريح المرشد من رفض وقف التخصيب، وعبر عن رفضه للتهديد دون ذكر ما تملكه إيران من رد على التهديد عن تغير طفيف عن خطابه السابق.

كما صدر عن الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد بشأن المباحثات قوله: كل جلسة تعقد هى خطوة للأمام، مضيفا: إن العدو موجود دائماً ولا ينتظر شيئا من ذلك سوى العداوة، ولكن في كل يوم تزداد قوة الأمة الإيرانية العظيمة ويتم التحرك للأمام في هذا المسار (موقع رئاسة الجمهورية الإيرانية ٢٠/ ٧).

أما منوتشهر متكى وزير الخارجية فقد اعتبر مشاركة الولايات المتحدة في المباحثات أمر إيجابي، فيما أكد رئيس الوفد الإيرانى المفاوض في المباحثات سعيد جليلى على ضرورة عدم تكرار أخطاء الماضى.

من تصريحات هؤلاء المسئولين يتضح أن إيران ذهبت إلى المباحثات باستراتيجية تختلف عما كانت تتبعه في الماضى، ولعل قوة التهديد الذى شعرت به من الولايات المتحدة وإسرائيل هو ما دفعها لتغيير نبرة خطاب المرشد ورئيس الجمهورية.

وقد اختتم المقال بعبارة تدل على الرغبة في التسويف والمماطلة في حسم القضية حيث قال: حتى لو لم تنتهى المخاطر النووية الإيرانية فعلى الأقل ستؤجل لفترة طويلة.

لكن يبدو أن هذه السياسة الإيرانية أصبحت مرفوضة من الغرب وتعويل الإيرانيين كثيرا عليها ربما يوجه القضية إلى مسار لا يرحب به الجميع، وربما يكون هذا ما تناقلته وكالات الأنباء الإيرانية وحرصت على نشره بشكل بارز حيث نشرت وكالة أنباء فارس يوم ٢٠/ ٧ تصريحات وزيرة الخارجية الأمريكية التى ركزت على ضرورة الحصول على رد محدد من إيران على المطلب الأمريكى وهو وقف التخصيب قائلة إن إرسال ويليام بيرنز إلى جنيف رسالة قوية للعالم أجمع وهى أن الولايات المتحدة جادة جداً في جهودها الدبلوماسية

وأنه لا يوجد عدو أبدى للولايات المتحدة، لأنه إذا قررت إيران التقارب مع المجتمع الدولى فتستمع بدعم الولايات المتحدة لكى ينبغى على إيران من أجل إتمام المباحثات مع الولايات المتحدة أن توقف التخصيب.

كما رفضت كونداليزا رايس تحديد إن كانت مباحثات جنيف عبارة سلسلة متوالية من الجلسات أم جلسة واحدة قائلة نحن اتحنا فرصة لإيران لكى نحصل منها على رد، فأنا نقلت الاقتراح الأمريكى وبرنز سيتلقى الرد، وإذا كانت إيران مستعدة لتعليق عمليات التخصيب حينها ستكون الولايات المتحدة متواجدة في المباحثات.

رؤية إيران للموقف الأمريكى

بعيداً عن التصريحات الرسمية نشرت صحيفة إيران مقالاً تحت عنوان "التنافس الأمريكى الأوروبى في جنيف" جاء فيه: إن حضور الولايات المتحدة هذه المباحثات جاء نتيجة لضغوط أوروبية لأن أوروبا تقوم بدور أكبر من الولايات المتحدة فيما يتعلق بالملف النووى الإيرانى، ويذهب المقال إلى حد أبعد من هذا فيقول إن التواجد الأمريكى مؤشر على شعور الولايات المتحدة بالخوف من حدوث توافق بين إيران وأوروبا في ظل غيابها، وأن الولايات المتحدة لا تثق في سولانا ولذا أرسلت ممثلها للرقابة عليه وهو ما أثر نفسياً على الأوروبيين. كما تناول المقال رأى أحد الدبلوماسيين الإيرانيين حيث قال أن الموقف الأمريكى في هذه المباحثات هو مجرد تغيير في التكتيك بهدف الخروج من العزلة التى فرضت على الولايات المتحدة فيما يتعلق بالملف النووى الإيرانى.

وقيمت صحيفة جمهورى إسلامى الإيرانية مشاركة الولايات المتحدة في مباحثات مباشرة مع إيران، الأمر الذى يحدث لأول مرة منذ عام ١٩٨٠، على أنه مؤشر على ضعف الولايات المتحدة وأنها لم تعد قوة عظمى وهى الآن تعيش فيه حالة أفول لنجمها وعلى ممثلى الجمهورية الإسلامية أن يتفاوضوا من موقع القوة واضعين إيقاف التخصيب خطا أحمر لهم لا يتجاوزوه (جمهورى اسلامى ٧/١٩).

وكتبت صحيفة اعتماد ملى في مقال تحت عنوان "نهاية التباحث بالوكالة" قائلة: على طرفى مائدة المفاوضات في جنيف يجلس مفاوضون يمثلون الأطراف الحقيقية في القضية في الجانب الإيرانى يجلس سعيد جليلى الذى أضيف إلى قرار تعيينه سكرتيراً عاماً للمجلس الأعلى للأمن القومى الإيرانى من قبل الرئيس الإيرانى، تعيينه ممثلاً للمرشد في نفس المجلس وهذا يعنى إعطاؤه صلاحيات كاملة للتفاوض، الأمر الذى يجعل الغرب يقع في الحيرة التى كان يقع فيها أثناء التفاوض مع روحانى أو لاريجانى، من كون المفاوض الإيرانى يمثل النظام السياسى الإيرانى أم أنه ممثل لفصيل لا يملك القدرة على تنفيذ ما يتوصل إليه في التفاوض. (اعتماد ملى ٧/١٩)

وتابعت صحيفة جمهورى إسلامى تقديم تقارير يومية عن مجريات المفاوضات في جنيف كان أبرزها ما نشرته يوم ٧/٢٠ بعنوان "تباحث سولانا وجليلى حول مفهوم تعليق تخصيب اليورانيوم"، وقد ذكرت الصحيفة أن يوشكا فيشر وزير الخارجية الألمانى السابق نشر في مقالة له أن المرحلة الأولى من مجموعة المقترحات قد تم قبولها من الطرفين وهى تتضمن التوقف عن تركيب أجهزة طرد مركزى جديد في المفاعلات الإيرانية مقابل عدم تطبيق عقوبات جديدة على إيران.

ثم تأتى المرحلة الثانية من مجموع المقترحات ويلزم لها في البداية وضع تعريف محدد لعمليات التخصيب وقد قدم مقترح يقول أن أجهزة الطرد المركزى الإيرانية ستستمر في عملها دون توقف ولكن سيتم الامتناع عن ضخ غاز (UF٦) جديد إليها، وكذلك التوقف عن تصنيع أجهزة طرد مركزى جديدة.

هذا ما سوف يتم التباحث عليه وسيتضح خلال الأسبوعين القادمين وهما المدة المحددة للمباحثات، وكثير من المؤشرات تدل على نجاح المباحثات وتقبل إيران للمقترحات المقدمة، ولعل سؤالاً وجه لجليلى من مراسل صوت أمريكا وهو إيرانى يؤكد صحة هذا التوقع حيث سأل، لقد صرحت أن المباحثات ناجحة لكننا حتى الآن لم نرى إعلان عن التوصل إلى شئ، فرد جليلى أنت إيرانى، والعمل الدبلوماسى مثل السجاد الإيرانى يتم التقدم في عمله بالمليمتر، ودبلوماسيتنا على نفس القدر من الدقة والإتقان وإن شاء الله ستكون نهاية العمل جميلة ودقيقة ومعمرة مثل السجاد الإيرانى (اعتماد ملى ٧/٢٠).

أما ردود الفعل العالمية على المباحثات فقد تناقلتها وكالات الأنباء الإيرانية ولم تحظ بتحليل كثير وإنما جاءت بنصها في معظمها وكان أبرزها الموقف الروسى الذى عبر عنه سرجى كيسلياك مساعد وزير الخارجية الروسى الذى أعرب عن أمله في التوصل إلى اتفاق في نهاية أسبوعى المباحثات وتفهمه لطبيعة الدبلوماسية الإيرانية، وذكر أن روسيا تبذل جهوداً كبيرة مع الطرف الإيرانى وقد قدمت له جزئيات دقيقة من المقترحات وتباحث معه في حل المشكلات القائمة.

أما التصريحات الصادرة عن الصين فقد ركزت على الترحيب بإرسال ويليام بيرنز ممثلاً عن الولايات المتحدة إلى المباحثات، كذلك فعل الشركاء الأوروبيون وإن كان تصريحاتهم كثر تفصيلاً بحكم ضلوعهم في الأمر أكثر من أى طرف آخر، فصرح برنارد كوشنر وزير الخارجية الفرنسى في مؤتمر صحفى له مع نظيره النمساوى أن إيران دولة كبيرة لا يمكن تجاهل دورها في المنطقة، وأن الأمل كبير في

المباحثات لكن لا يمكن توقع شئ على الجانب الآخر نشر موقع إيران برس نيوز الذى يحرر من لندن تصريح وزير الخارجية البريطانى قوله مباحثات جنيف تحذير قوى لنظام طهران وإعلان عن نية مؤكدة لدى الغرب على إنهاء الأنشطة النووية المشبوهة للجمهورية الإسلامية الإيرانية، وقال ديفيد ميليبند وزير الخارجية البريطانى ضمن تصريحات له نشرت على موقع وزارة الخارجية البريطانية: الرسالة واضحة لقادة النظام طهران، تعاملوا بحدية مع الاحتياجات الواقعية لشعبكم الذى تسوء ظروف حياته عاماً بعد عام، وينتظر تحسن هذه الأوضاع واتركوا الأسطورة التى تقول أن العالم يسعى إلى التحارب معكم.

تزامن مع تغطية الصحف الإيرانية لأنباء مباحثات جنيف، نشر أخبار عن افتتاح مكتب لرعاية المصالح الأمريكية في طهران، كما نشر أحد مواقع المعارضة الإيرانية في الخارج مقالا عن توقع صدام نووى بين إيران وإسرائيل.

تواردت أنباء عن ترحيب المسئولين الإيرانيين بافتتاح مكتب لرعاية المصالح الأمريكية في طهران ومنها ما نشرته المواقع الإلكترونية الحكومية بشأن ترحيب الرئيس الإيرانى بهذا الاقتراح، وإن كان لم يتلق طلباً رسمياً بذلك، وإنما يرحب بأى إجراء من شأنه تدعيم العلاقات بين الشعوب.

وكانت وسائل الإعلام الغربية تناقلت منذ ثلاث أسابيع نبأ احتمال افتتاح المكتب، ومع هذا صرح المسئولون الأمريكيون أن ذلك لا يعنى إقامة علاقات سياسية بين البلدين وقد نشرت صحيفة فانينتال تايمز حواراً مع عباس محتاج مساعد وزير الداخلية الإيرانى جاء فيه على لسان محتاج، أن الدبلوماسيين الأمريكيين لن يتعرضوا لأى تهديد في حالة فتح مكتب لرعاية المصالح الأمريكية في طهران كما ستضمن الحكومة الإيرانية أمنهم، كما أعلن منوتشهر متكى أثناء زيارته لأنقرة أنه من الممكن التوصل إلى اتفاق مع الولايات المتحدة بشأن فتح مكتب لرعاية المصالح الأمريكية في طهران وتسيير رحلات جوية مباشرة بين البلدين. (اعتماد ملى ٢٠/٧/٢٠٠٨)

أكاذيب بوش

■ آفتاب (الشمس) ٢٩/٦/٢٠٠٨

إذا اطلعتم على تقرير مدير الوكالة الدولية للطاقة الذرية الدكتور محمد البرادعي في شهر مايو الماضي، لأدركتم أن هذا التقرير لم يختلف إطلاقا عن تقرير الوكالة في فبراير الماضي، فقد أعلن البرادعي في تقريره أن إيران لم تبد تعاونا بناءا بشأن المعلومات التي أدلى بها الأمريكيون، ويبدو أن الولايات المتحدة تمارس ضغوطا ضد البرادعي، حيث ذكرت وكالات الأنباء أن لهجة البرادعي في هذا الشأن، كانت أكثر تشددا .

لكن ينبغي أن يدرك البرادعي وجهة النظر الإيرانية حيال ادعاءات الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، ومن غير الممكن افتراض صحة كل ما يقوله الأمريكيون، وهي سلسلة من الأكاذيب صيغت من قبل بشأن العراق وأفغانستان، ولا داعي لتكرارها مرة أخرى.

من وجهة النظر الرسمية وطبقا لتقرير لجنة الاستخبارات التابعة لمجلس الشيوخ الأمريكي والذي نشر مؤخرا، بات الرئيس الأمريكي جورج بوش إنسانا كاذبا، وقد أكد هذا التقرير على أن تصريحات بوش بشأن حرب العراق وأفغانستان كانت خطأ، فقد استند بوش على وثائق كاذبة قبل الهجوم على العراق ، مدعيا أن العراق اشترى يورانيوم من النيجر لصالح برنامجه للتسلح النووي، هذا في حين أن المؤسسات الأمنية أيضا كانت تعلم بخطأ هذه المستندات.

في تلك الأثناء ، فقد كل من جوزيف ويلسون، وزوجته والري بليم ويلسون (التي كانت موظفة في الـ CIA) وظيفتيهما، لأن ويلسون فضح تفاصيل هذه الكذبة.

لذلك يمكن القول أن حذر البرادعي في هذا الشأن له ما يبرره، صحيح أن إيران لم تسمح لمفتشي الوكالة بالتفتيش في جميع مواقعها، لكن يجب الأخذ في الاعتبار، مخاوف الإيرانيين من كيفية استغلال الولايات المتحدة لمفتشي الأسلحة التابعين للأمم المتحدة في العراق لأغراض التجسس على الأهداف العسكرية العراقية.

وفي الواقع إذا فتحت إيران منشآتها أمام مفتشي الوكالة، ربما تكون تلك المواقع مستهدفة من جانب الولايات المتحدة

، وهذا ما يدفع الأمريكيين للرقابة على عمل المفتشين.
والمشكلة الأخرى الأهم، تكمن في أن الوكالة في تقاريرها تتوقع دائما من إيران أن تثبت براءتها فيما يتعلق بالمعلومات والادعاءات الأمريكية، لكن حتى الآن لا يوجد ما يثبت انتهاك إيران لأية قوانين، وعلى الوكالة أن تطمئن من خلال مفتشيها ومستنداتهم الموثقة بشأن امتلاك إيران لبرنامج تسلح نووي من عدمه.

ينبغي تعميق البحث في كيفية إعداد هذه المعلومات المصطنعة بأيدي أمريكية، ويبدو أن الوكالة عندما حالت دون عرض هذه المعلومات على إيران، كان ذلك من منطلق عدم أهميتها، خاصة وأنه من المرجح كونها حيلة لصرف الأنظار عما يحدث في معتقل "جوانتانامو".

أهداف المكتب الأمريكي في طهران

مينا علي إسلام ■ إيران ديبلماسى (الدبلوماسية الإيرانية) ٢٩/٦/٢٠٠٨

ربما يكون مشروع إنشاء مكتب لرعاية المصالح الأمريكية فى طهران، آخر خطوات الرئيس الأمريكى جورج بوش لتحسين العلاقات الأمريكية - الإيرانية، ما سيمثل نتائج دبلوماسية ايجابية في حالة إنشائه بالنسبة لتلك الحكومة الساعية للحرب.

وباعتبار الولايات المتحدة الأمريكية أحد أعضاء مجموعة "٥+١"، فهي مرتبطة بشكل مباشر بالبحث في القضية النووية الإيرانية، وتفعيل الضغط على قرارات تلك المجموعة من جانب الولايات المتحدة له تأثير، لكن السؤال الأهم مفاده، لماذا تؤمن الإدارة الأمريكية بأن تفعيل الضغوط السياسية والاقتصادية على إيران سيدفع الحكومة الإيرانية لإعادة النظر بشأن برنامجها النووي.

من ناحية أخرى وبالرغم من وصف بعض الخبراء الخيار العسكري ضد إيران بأنه مطروح للمناقشة وقت اللزوم في مواجهة استمرار الأنشطة النووية الإيرانية، مشيرين إلى أن مهاجمة إيران قضية مطروحة بالفعل، إلا أنه من الملاحظ أن إدارة بوش وبعض المسئولين الأمريكيين، كلما تطرقوا للحديث عن إيران، أكدوا أن الحكومة الإيرانية هي المستهدف من جميع أشكال السياسات الأمريكية، وأن هذه الدولة لم ولن تضغط على الشعب الإيراني.

كما أن معظم تصريحات بوش دائما تشير إلى العلاقة القوية التي تربط بين الشعب الأمريكي ونظيره الإيراني، واصفا نفسه بأنه صديق وحليف الإيرانيين، وفي هذا الصدد تم وصف مشروع إنشاء مكتب رعاية المصالح الأمريكية في طهران، بأنه خطوة للتقارب مع الشعب الإيراني.

السياسة الأمريكية في هذا الشأن واضحة جدا، فبالتزامن مع تفعيل العقوبات والضغوط المتوالية على إيران، تتحدث الولايات المتحدة عن صداقتها مع الشعب الإيراني لتحافظ على مكانة شعبها داخل إيـران، معلنة أن نهج الحكومة الإيرانية هو السبب في تدهور الحياة المعيشية للإيرانيين وليس العقوبات المفروضة.

وفيما يتعلق بمكتب رعاية المصالح فإنه سيكون خطوة لإطلاع الشعب الإيراني أكثر من ذي قبل ودون وسيط، على مكانة إيران في الساحة الدولية وعلى التطورات الداخلية بكلا الدولتين.

جدير بالذكر أنه منذ ثماني وعشرون عاما، حيث قطعت العلاقات الرسمية بين الدولتين، تعمل سفارة سويسرا في العاصمة طهران، كراعية للمصالح الأمريكية في إيران، وفي المقابل تقوم سفارة باكستان في الولايات المتحدة برعاية المصالح الإيرانية هناك.

وفي حين أن ثلاثة جولات من المباحثات الإيرانية - الأمريكية حول العراق، لم تتمكن من فتح الطريق أمام إعادة النظر بشأن العلاقات المشتركة بين الدولتين، فمن الملاحظ أن إدارة بوش تحاول في الفترة القصيرة المتبقية قبل انتخابات الرئاسة الأمريكية القادمة، اتخاذ خطوات إيجابية في اتجاه تحسين النهج المتبع فيما بين الدولتين، بهدف فتح الطريق أمام مناقشة العديد من السياسات والمشكلات العالقة في المنطقة ذات الصلة بإيران.

جدير بالذكر أن وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس لم تنف خبر فتح مكتب المصالح الأمريكية في طهران وقد أكدت على أهمية التقارب مع الشعب الإيراني مضيفة: "واشنطن مصممة رغم الخلافات العالقة بين الحكومة الأمريكية ونظيرتها الإيرانية، خاصة المتعلقة بالملف النووي الإيراني، على الوصول إلى الشعب الإيراني، لدينا قنصلية في دبي، ويستطيع الإيرانيون الحصول على تأشيراتهم من هناك، لكننا نعلم أن لدى بعض الإيرانيين مشكلات تعوق دون

وصولهم دبي، ونحن نرغب في زيارة أكبر عدد من الإيرانيين للولايات المتحدة الأمريكية، وسنسعى لتقصير المسافة نحو صداقة قوية مع الإيرانيين".

أما على صعيد الوضع الداخلي الإيراني، فيمكن القول أن قضية فتح مكتب لرعاية المصالح الأمريكية في طهران، اعتبرته بعض القوى السياسية خطوة على طريق إزالة الغموض واللبس في وجهات نظر كلا الشعبين، في حين صنفته قوى أخرى في إطار المنافسات الانتخابية الأمريكية ٢٠٠٨، حيث تسعى الإدارة الجمهورية لتحسين صورتها في الانتخابات الرئاسية القادمة، ومع هذا يرى فريق آخر أن هذا المكتب إشارة إيجابية على تغير النهج والسياسات الأمريكية العدائية ضد النظام الإيراني.

على أعتاب ثلاثين عاما من قطع العلاقات الإيرانية - الأمريكية: هل من تطورات في الطريق؟

■ إيران ديبلماسي (الدبلوماسية الإيرانية) ٢٦/٦/٢٠٠٨

يمثل احتمال فتح مكتب لرعاية المصالح الأمريكية في طهران، إلى جانب طرح مرشح الحزب الديمقراطي للانتخابات الرئاسية الأمريكية باراك أوباما لمشروع حوار شامل غير مشروط مع إيران، وتأسيس اللوبي الإيراني في الولايات المتحدة الأمريكية، أهم التطورات التي طرأت على الساحة على مدى الأسابيع الأخيرة.

وقد كتبت صحيفة "واشنطن بوست" الأمريكية في ٢٥ يونيو ٢٠٠٨، تقريرا جاء فيه أن مناقشات تمت بالفعل في واشنطن بشأن تغيير السياسة الخارجية الأمريكية والسعي لزيادة التعامل مع الشعب الإيراني، وتعرض التقرير كذلك لإمكانية افتتاح مكتب لرعاية المصالح الأمريكية في طهرن.

مشروع مكتب لرعاية المصالح الأمريكية في طهران تزامن مع انتقادات اتهمت باراك أوباما مرشح الحزب الديمقراطي بالافتقار إلى التجربة والحكمة، نتيجة دعوته إلى إجراء مباحثات غير مشروطة مع إيران، وبالرغم من ذلك فقد تبنى أعضاء إدارة بوش قضية مماثلة عندما تحدثوا عن مكتب لرعاية المصالح الأمريكية في طهران ودوره في توطيد الصلة مع الشعب الإيراني.

وفي هذا الصدد رفض المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية توم كيسي الربط بين هذه القضية وتوقيع اتفاقية لشراء الغاز السويسري من إيران، ومن الملاحظ أن توقيع هذه الاتفاقية أثار حفيظة الولايات المتحدة، التي هددت بإعادة النظر فيما يتعلق بدور سويسرا كراعية للمصالح الأمريكية في طهران.

وكتبت واشنطن بوست كذلك: " ليس من الواضح ما سيكون عليه موقف إيران بشأن اقتراح الولايات المتحدة المحتمل باعتماد دبلوماسييها في طهران". ويقول مسئولون في إدارة بوش أن رفض إيران لهذا المقترح سيكون لصالح تحسين صورة الولايات المتحدة.

مع هذا تحدث مسئول بوزارة الخارجية الإيرانية قائلا أنه في حالة تقديم هذا المقترح بشكل رسمي من الحكومة الأمريكية، فإن الحكومة الإيرانية ستقوم بدراسته.

جدير بالذكر أن الولايات المتحدة قد أعلنت أنها تهدف من وراء فتح هذا المكتب، إلى مساعدة المواطنين الإيرانيين في الحصول على تأشيرة دخول الولايات المتحدة، لكنها منذ حوالي عامين رفضت طلبا إيرانيا بتسيير رحلات جوية مباشرة بين طهران وواشنطن.

قوة اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية

■ اكبر مختاري ■ نوانديش (الفكر الجديد) ٢٧/٦/٢٠٠٨

تمثل تصريحات مرشح الحزب الديمقراطي للانتخابات الرئاسية الأمريكية باراك أوباما أمام أعضاء منظمة "ايباك" (America and Israeli public affairs committee) التى وصف فيها إيران بأنها أهم تهديد للاستقرار والسلام في الشرق الأوسط، وتكراره ثلاثة مرات لعبارة: سأفعل كل ما بوسعي للحيلولة دون حصول إيران على السلاح النووي، دليلا على اختلاف نبرة الحديث بشأن إيران بين مرشحي الرئاسة الأمريكية.

وللتعرف على محددات السياسات الخارجية الأمريكية، لدى الديمقراطيين أو الجمهوريين في الولايات المتحدة الأمريكية، ينبغي التطرق إلى دور اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة.

لقد قام الدستور الأمريكي على عدم وجود مركزية في السلطة ومن ثم تهيأت الظروف الملائمة لظهور جماعات وتيارات عديدة لديها تأثير على السياسات الأمريكية، كان على رأسها اللوبي الإسرائيلي الذى تمثله منظمة "ايباك"، وهو اللوبي الأكثر تأثيرا على سياسات السلطة التشريعية والتنفيذية بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث يوجد بالولايات المتحدة حوالي ٢٨١ منظمة يهودية و٢٥٠ اتحادا إقليميا لليهود، لكن "ايباك" أكثر تلك التنظيمات نفوذا.

جدير بالذكر أن ايباك (AIPAC)، أنشئت في عام ١٩٥١، وهي المسئولة عن التنسيق والتنظيم بين نشاطات المنظمات اليهودية الأمريكية، وهي أيضا المسئولة عن جمع المساعدات والتبرعات لإسرائيل، كما أن التصدي لإيران من أهم أهداف ايباك، وقد لعب اللوبي الإسرائيلي دورا بارزا في توجيه السياسات الأمريكية الخاصة بالصراع العربي - الإسرائيلي منذ عقد السبعينيات، كما أن اللوبي الإسرائيلي عمل على كسب الاعتراف الرسمي بالدولة العبرية في المنطقة من خلال تحقيق توافق بين السياسات الأمريكية ومصالح إسرائيل.

من ناحية أخرى تقدر ميزانية "ايباك" السنوية بـ ٤٧ مليون دولار، والمنظمة لديها ٢٠٠ موظف ومستشار وباحث، وتقدر العضوية التي تضاعفت على مدى السنوات الخمس الماضية بحوالي ١٠٠ ألف عضو، ولديها أيضا مراكز لضم الكوادر البشرية الفاعلة في حوالي ٣٠٠ جامعة.

ايباك ليست منظمة سياسية وهي ذاتها منظمة لا تنفق دولارا واحدا على المراكز الانتخابية، ولكنها تستغل قدراتها الإعلامية لحسم المنافسات الانتخابية من خلال تسليط الضوء على القضايا المهمة بالنسبة لها ودور الكونجرس في تبني تلك القضايا.

تكمن قوة اللوبي الإسرائيلي الرئيسية في الصلة الوطيدة مع الحزب الديمقراطي، وأكثر نفوذ هذا اللوبي متوغل بين قادة وأعضاء الكونجرس الأمريكي الديمقراطيين.

وبالنظر إلى القاعدة الأساسية للحزب الديمقراطي، والمتمثلة في ولايتي نيويورك وكاليفورنيا، وبهما النسبة الأكبر من اليهود، مقارنة بالولايات الأمريكية الأخرى، يبدو أن مسعى الديمقراطيين للوصول إلى السلطة، اعتمادا على أصوات اليهود في كلا الولايتين، ساعد اليهود كثيرا في مضاعفة نفوذهم داخل منابع ومصادر السلطة الأمريكية.

وبالرغم من أن اللوبي الإسرائيلي أبدى تقاربا تجاه الحزب الجمهوري، خاصة المحافظين الجدد، منذ عام ٢٠٠٠، إلا أن ذلك كان في إطار تحقيق مصالحه من خلال دعم سياسات بوش الإقليمية والدولية بعد أحداث سبتمبر، كما أن نفوذ وهيمنة اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة الأمريكية مؤخرا، قد تضاعف لدرجة أن أي اعتراض من مسئول أمريكي على النهج الإسرائيلي أو الممارسات الإسرائيلية، قد يطيح به من منصبه أو على الأقل يحول دون تحقيقه لنصر انتخابي.

وفي هذا الصدد تحدث السيناتور الديمقراطي هاري ريد، عام ٢٠٠٥، قائلا: "لا يوجد في الولايات المتحدة منظمة سياسية على هذا القدر من التنظيم والفاعلية مثل ايباك"، في حين اعتبر النائب الجمهوري في مجلس النواب نيوت جينجريتش، تلك المنظمة "ايباك"، أكثر التنظيمات السياسية تأثيرا على مستوى العالم أجمع.

الحرب النووية على الأبواب

■ موقع إيران برس ٢٠/٧/٢٠٠٨

سوف تهاجم إسرائيل المنشآت النووية الإيرانية في المدة المحصورة بين أربعة إلى سبعة أشهر قادمة، وهذا أمر مسلم به تقريباً، وإذا لم يستطع هذا الهجوم القضاء على البرنامج النووى الإيرانى بشكل كامل، فهو على الأقل سيعيق تقدمه بشكل قوى، وينبغى على السياسيين في كل من طهران وواشنطن تمنى نجاح هذا الهجوم لأنه في حالة عدم نجاحه ستزداد احتمالية وقوع حرب نووية في الشرق الأوسط، لأن جميع وكالات الاستخبارات في العالم تعتقد أن البرنامج النووى الإيرانى ليس للاستخدامات السلمية للطاقة النووية، وإنما لإنتاج الأسلحة الذرية.

وعلى الرغم من التحدث كثيراً عن تشديد العقوبات الاقتصادية على طهران، فالكل يعلم أن هذه العقوبات لم تؤد إلى نتيجة حتى الآن ولا يتوقع أن تؤدى إلى نتيجة، بعد توقع وكالات الاستخبارات الغربية أن تصل إيران إلى القدرة على إنتاج قنبلة نووية في خلال أربع سنوات.

هذا الأمر لم يبق أمام العالم سوى حل واحد إذا كان يريد التصدى لإيران النووية، هو الحل العسكرى، وما من شك فى أن الولايات المتحدة تستطيع أن تحقق هذا الهدف بالأسلحة التقليدية، لكن من أجل تحقيقه يلزم القيام بعدة موجات هجوم، وتعطيل نظام الدفاع الجوى الإيرانى وتدمير مراكز قيادة القوات الإيرانية ثم الهجوم على المنشآت النووية، لكن بسبب تصاعد الاضطرابات في العراق وأفغانستان لن يتحمل الرأى العام الأمريكى حرباً أخرى في العالم الإسلامى، وهذا الأمر يقيد يد البيت الأبيض ويمنعه من شن هجوم عسكرى آخر، بالإضافة إلى أن كثيرا من الأمريكيين يرون أن مثل هذا الهجوم لا علاقة بينه وبين المصالح الأمريكية.

ينبغى أن نقيم دخول الولايات المتحدة مباحثات جنيف في هذا الإطار، حيث كان لزاماً على الرئيس الأمريكى جورج بوش أن يثبت لشعبه أنه استخدم جميع الوسائل الممكنة قبل أن يعطى الضوء الأخضر للهجوم العسكرى على إيران سواء كان أمريكياً أو إسرائيلياً.

إسرائيل تعتقد أن وجودها مهدد، ولذا لديها الجرأة على القيام بعمل عسكرى ضد إيران، خاصة مع التهديد اليومى من زعماء إيران بالقضاء على إسرائيل وقد حدد مسئولو إسرائيل موقفهم من هذا الأمر وعلى رأسهم إيهود أولمرت رئيس الوزراء حيث قال: القنبلة النووية الإيرانية تعنى فناء إسرائيل، ينبغى ألا تحصل إيران على القنبلة النووية.

طبقاً لمجموعة من الدلائل يقال أن الهجوم الإسرائيلى على إيران سيتم في الفترة ما بين ٥ نوفمبر ٢٠٠٨، و١٩ يناير ٢٠٠٩، المشكلة التى تواجه هذا الهجوم هى أن القدرات العسكرية الإسرائيلية أقل بكثير من القدرات الأمريكية، كما أن القيام بهذا الهجوم يواجه مشكلة أكبر هى بعد المسافة بين القواعد الإسرائيلية والمنشآت النووية الإيرانية المتفرقة وأغلبها أقيم تحت الأرض والمعلومات حولها ضئيلة جداً، وفضلاً عن كل هذا ضآلة احتمالية قدرة الجيش الإسرائيلى على تدمير البرنامج النووى الإيرانى أو توجيه ضربة قوية له حتى لو تم السماح للجيش الإسرائيلى باستخدام المجال الجوى الأردنى والعراقى أو حتى سماح الولايات المتحدة لإسرائيل باستخدام قواعدها الجوية بالعراق.

يحتمل أن يجبر قيام إسرائيل بهجوم عسكرى تقليدى سواء نجح أو لم ينجح إيران على إيقاف برنامجها النووى أو إجبار الدول الأوروبية على زيادة ضغوطها السياسية والاقتصادية على إيران أو حتى قيامها بعمل عسكرى ضدها.

السيناريو الأكثر توقعاً هو أن المجتمع الدولى لن يفعل شيئاً، وستزيد إيران من جهودها لإنتاج قنبلة نووية تستطيع من خلالها القضاء على إسرائيل، فضلاً عن أنه يمكن للإيرانيين القيام بهجوم صاروخى وقائى على المدن الإسرائيلية وتحريك حلفائهم في المنطقة مثل حماس وحزب الله وكذلك الشبكة الدولية للإرهاب الإسلامى للهجوم على المراكز الإسرائيلية واليهودية وربما الأمريكية.

كل هذه السيناريوهات توضح أن المسئولين الإسرائيليين يختارون بين شيئين كلاهما مهلك: إما أن يسمحوا لإيران بأن تمتلك قنبلة نووية، وتعليق آمالهم على أفضل التوقعات وهى خلق توازن نووى، أو القيام بهجوم عسكرى والرد المتبادل على ردود الفعل الإيرانية التى يمكن أن تشمل استخدام الصواريخ المحملة بالرؤوس الكيميائية والبيولوجية، حينها لن يكون أمام إسرائيل من وسيلة يمكن من خلالها التأكد من وقف البرنامج النووى الإيرانيسوى استخدام الترسانة النووية.

نظراً للمواقف الأصولية لنظام إيران المستعد للتضحية،

يتوقع ألا تؤدى سياسة التخويف إلى نتيجة، لذلك يتزايد احتمال أننا بصدد هجوم نووى. وإذا لم تقم إسرائيل بهذا الإجراء الوقائى حينها يجب توقع هجوم نووى إيرانى على إسرائيل، سواء لأسباب أيديولوجية أو بسبب الخوف من هجوم إسرائيلى متوقع، على هذا النحو سواء لهذا السبب أو ذاك يواجه الشرق الأوسط تهديد هولوكوست نووى.

من كل ما سبق يمكن أن نستنتج أنه ينبغى على المسئولين الإيرانيين التفكير فى هذه المغامرة التى يلعبونها ويتخلوا عن برنامجهم النووى، وإذا لم يفعلوا هذا حينها ينبغى على إسرائيل أن تستخدم كل قوتها حتى تقوم بهجوم عسكرى ناجح بالأسلحة التقليدية على إيران، مما لا شك فيه أن مثل هذا الهجوم العسكرى سيؤدى إلى موت الآلاف.

العلاقات الإيرانية - الروسية فى عهد بوتين

آرزو ديلمقانى ■ إيران دبلماسى (الدبلوماسية الإيرانية) ٢٠٠٨/٦/١٠

عقدت الدورة الثامنة والعشرون لأوراسيا المركزية فى ١٢ مايو الماضى بحضور الدكتور بيجان جند شكيبى بهدف بحث ودراسة العلاقات السياسية - الاقتصادية بين إيران وروسيا فى عهد الرئيس الروسى السابق (رئيس الوزراء الروسى حاليا) فلاديمير بوتين. والسيد شكيبى هو أستاذ فى المدرسة العليا للاقتصاد والعلوم السياسية فى لندن وهو لسنوات طويلة متخصص فى الشأن الروسى ومن هنا كانت الأهمية الخاصة للمحاضرة التى ألقاها فى جامعة طهران حول مكانة إيران فى السياسة الخارجية الروسية ورؤية روسيا بالنسبة لإيران أخذاً فى الاعتبار التحولات والمتغيرات التى شهدتها السنوات الأخيرة.



هل هى علاقات استراتيجية أم تكتيكية؟

منذ صعود العلاقات الإيرانية - الروسية والذى بدأ فى أواخر عصر الاتحاد السوفيتى حدث اهتمام كبير بشأن معرفة الخصائص والأسرار الدقيقة حول هذه العلاقة. السؤال الذى كان من الطبيعى أن يطرح نفسه وبشكل معتاد آنذاك هو: هل العلاقات الإيرانية الروسية هى من نوع العلاقات الاستراتيجية أم التكتيكية؟. لكن كل أنماط وأشكال الإجابات على هذا السؤال لم تستطع أن توصف وبدقة الأبعاد الحقيقية لهذه العلاقات مع ما فيها من تعقيدات بدت ظاهرة للجميع.

فبعد نهاية الحرب الباردة وحتى طوال هذه الحرب - إلى حد ما - لم تكن هناك توجه نحو جعل العلاقات بين الدول المختلفة علاقات استراتيجية والمعتاد أن العلاقات بين الدول كانت تقوم على أساس المصالح الاقتصادية والسياسية والأوضاع الداخلية بشأن كل دولة. على سبيل المثال .. ربما كان أفراد قليلون هم الذين لديهم خبرا - أو علما - ما بشأن العلاقات الخاصة بين أمريكا وبريطانيا وذلك على الرغم من وجود العديد من المظاهر التى تكشف بحجم التداخل بين المصالح المشتركة بين هاتين الدولتين.

على سبيل المثال يمكن الحديث هنا عن أزمة السويس فى عام ١٩٥٦ حيث شهدت هذه الأزمة مطالبة أمريكية لحليفتيها آنذاك - بريطانيا وفرنسا - بشأن الانسحاب والتخلى عن أعمال السيطرة والنفوذ من قناة السويس.

وفى الحرب مع فيتنام مارست أمريكا ضغوطاً شديدة على لندن من أجل أن تقوم لندن بإرسال قواتها المسلحة إلى فيتنام وهو الطلب الذى رفض مراراً من جانب لندن ومن ثم لم تدخل الحرب على خلاف وعلى عكس رغبة واشنطن.

ثمة مثال آخر وهو أنه بعد الحرب العالمية الثانية قامت أمريكا وبشكل مفاجئ بقطع جميع مساعداتها التى كانت تقدمها إلى لندن. وهو ما تسبب فى حدوث انهيار للاقتصاد البريطانى إلى حد بلغت معه الأمور بقيام بريطانيا بالحديث

عن "الخيانة الأمريكية"، فى ذلك الوقت.

اليوم نرى أيضاً أن البعض يعتقد بوجود ظروف ومتغيرات استراتيجية قائمة بين كل من فرنسا، بريطانيا، ألمانيا وأمريكا، لكننا شاهدنا على الرغم من ذلك، معارضة شديدة من جانب فرنسا وألمانيا بشأن موضوع الاحتلال الأمريكى للعراق مما أدى إلى فقدان العلاقات الاستراتيجية بين هذه الدول السابق ذكرها.

من هنا واستناداً لما ذكرنا فإنه عندما نتحدث عن العلاقات الإيرانية - الروسية لا يجب علينا أن نطرح السؤال القائل .. هل هذه العلاقات استراتيجية أم تكتيكية، بل يجب علينا فقط أن نهتم ونتوقف عن بعض المواضيع والقضايا الخاصة بهذه العلاقات، حتى يمكننا أن نفهم جوهر وحقيقة هذه العلاقات.

توجد خمس موضوعات فى هذا الصدد سوف تساعدنا فى إدراك أفضل للعلاقات بين إيران وروسيا. هذه العوامل هى التى تشكل العلاقات السياسية والاقتصادية بين إيران وروسيا، وهى كالتالى:

١-العلاقات المثلثية بين إيران، وروسيا، وأمريكا.
٢-الجغرافيا السياسية لآسيا الوسطى والقوقاز.
٣-الجغرافيا السياسية للشرق الأوسط.
٤-أيديولوجيات الحكومات.
٥-الاقتصاد.

أولا: أيديولوجيات الحكومات

لن نتحدث عن البعد الاقتصادى بشأن العلاقات الاقتصادية الإيرانية - الروسية. إذ يجب علينا أن نرجع إلى البعد الأيديولوجي للحكومات لكى نوضحه ونفهمه.

من الصعب بمكان إنكار حقيقة أن أيديولوجية الدولة تلعب دوراً محورياً ومهماً فى تشكيل وهيكلة علاقة تلك الدولة بالدول الأخرى.

هذا الأمر لا يعنى أن الدول ذات الأيديولوجيات المختلفة أو المتباينة لا يمكنها أن تقيم علاقات سياسية واقتصادية. على سبيل المثال العلاقات الأمريكية مع كل من السعودية ومصر هى نموذج دال على عملية تفضيل القضايا الجيوبوليتيكية والاقتصادية أمام الاختلافات الأيديولوجية.

من هنا وفى هذا الإطار فإنه عند الحديث عن إيران وروسيا لا يجب علينا إطلاقاً أن نغفل القضايا الأيديولوجية بين الدولتين. فروسيا بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، الذى كانت معظم سياساته تدار وتقوم على الإطار الأيديولوجى، تحولت إلى واحدة من الدول التى ليس لها أيديولوجية.

لقد ظهر فى روسيا تعريف جديد للأيديولوجيا ولم تعد الأمور هناك تقوم على أساس تطلعات مدينة - هى موسكو - خاصة فى عصر بوتين، فقط كان هناك حديث حول "مصالح الدولة" والأولوية كانت حول هذا الحديث. المؤكد أن الرؤية الروسية للعالم فى عصر بوتين كانت متمحورة حول المصالح المالية والاقتصادية فى عالم متعدد الأقطاب.

لقد بدأ العالم يعتبر أن الأيديولوجية تترك آثارها أو تأثيراتها على الاقتصاد والقضايا المالية. من هنا فإن المصالح الاقتصادية والمالية، التى صارت هى الهدف الأول لروسيا الذى تسعى من أجل تحقيقه، هذه المصالح الاقتصادية والمالية أخذت تشكل الأساس الأول الذى سوف تستند - تقوم - عليه روسيا فى استعادة قدراتها بوصفها قوة عالمية، ومن هنا أيضاً أصبحت العقيدة الأيديولوجية الروسية على قناعة بأن امتلاك الأسلحة النووية والجيش الضخم، من دون امتلاك مصالح مالية واقتصادية، لن تصبح لها الفائدة المرجوة والمنشودة بين القوى العالمية المسيرة لشئون العالم أو المحركة له.

طوال عصر رئاسة بوتين لروسيا، تحولت الحكومة الروسية لتصبح بمثابة "شركة" اقتصادية يرتبط وزراؤها ومسئولوها بعلاقات تجارية واقتصادية مع الشركات الخاصة، من هنا صارت السياسة الخارجية الروسية تعتمد أكثر من ذى قبل - فى عصر بوتين - على المصالح المالية والاقتصادية.

على سبيل المثال فى عصر الاتحاد السوفيتى كانت موسكو تبيع الغاز والنفط إلى الدول المجاورة لها فى شرق أوروبا بأسعار زهيدة ورخيصة للغاية وكان الهدف من ذلك هو المحافظة على إبقاء هذه الدول فى داخل النطاق السياسى للاتحاد السوفيتى.

اليوم أصبح الحديث يدور حول شئ آخر وهو المصالح المالية والاقتصادية حيث أخذ هذا الكلام يتوسط الحديث عن الإبقاء على هذه الدول داخل النطاق السياسى الروسى وكذلك السعى لإنهاء بيع النفط والغاز إليها بأسعار زهيدة.

لقد طرح هذا الأمر مراراً فى عصر بوتين وتوصلت الطبقة الحاكمة إلى نتيجة مفادها إنه لا يجب أن نبيع الغاز والنفط إلى الدول الصديقة لأن ذلك ليس فى المصلحة الاقتصادية الروسية.

فى العصر السوفيتى كانت المصالح الجيوبوليتيكية هى الأهم، هذا الأمر تغير تماماً فى عصر بوتين.

بعد سقوط الاتحاد السوفيتى أخذت روسيا تنظر إلى إيران بوصفها قوة استقرار فى منطقة القوقاز وآسيا الوسطى. من هنا أخذنا نسمع عن تعاون هاتين الدولتين طوال التسعينيات كما سمعنا أيضاً أن السياسيين الروس باتوا على قناعة مفادها أن السياسة الخارجية الإيرانية هى سياسة واقعية وعملية (براجماتية) وأن إيران لهذا السبب يمكن أن تصبح شريكاً موثوقاً فيه.

هذا كان فى وقت كانت فيه روسيا قد صارت دولة ضعيفة

من النواحى السياسية، الاقتصادية والعسكرية أيضاً ولهذا كانت تحتاج إلى شريك جيوبوليتيكى حتى يمكنها حفظ وحماية حدودها الجنوبية وأن يكون هذا الشريك لديه المقدرة على شراء السلاح الروسى نقداً.

من هنا فإن روسيا طوال عقد التسعينات كانت تعتقد فى أن "الزخم الثورى" فى إيران قد انتهى وأن روسيا - لهذا السبب - يمكنها أن تتعاون مع إيران. لكن الآن فإن موسكو ترى أن إيران قد عمدت إلى تغيير مسيرة سياستها الخارجية مرة أخرى نحو حالة الزخم الثورى من جديد ومن ثم توصلت موسكو إلى نتيجة مفادها أنه لا يمكنها امتلاك علاقات تقارب وثيقة مع إيران.

ثانياً: الجغرافيا السياسية لآسيا الوسطى والقوقاز

تمتلك كل من روسيا وإيران حدودا مع القوقاز وآسيا الوسطى. هذا الوضع فى حد ذاته خلق المناخ اللازم لاحتمالية قيام تعاون بين الدولتين. وهو ما رأيناه فى أفغانستان، طاجيكستان وقضية إقليم قره باغ. هذه الملفات أيضاً يمكن اعتبارها ظاهرة تتجلى فيها بعض أنماط الاختلاف بين الدولتين.

على سبيل المثال فإن النزاع بشأن بحر قزوين، والمنافسات الجيوبوليتيكية وحتى أيضا خطوط النفط التى تمر فى الحدود الجغرافية للاتحاد السوفيتى السابق هى أيضاً جزء من أشكال الصراعات الإقليمية التى تشترك فيها الدولتان هذا إلى جانب أن موسكو باتت ترى فى إيران منافساً محتملاً لها فيما يخص القضايا الجيوبوليتيكية فى المناطق الجنوبية لروسيا.

وهى فى الوقت نفسه - موسكو - تنتظر من إيران أن تعمل على حفظ النظام والاستقرار فى هذه المنطقة وليس العكس فى محاولة لرد الجميل إلى روسيا جراء التعاون الذى كان قائماً بينهما طوال عقد التسعينيات.

من جانبه كان لدى بوتين العديد من المخاوف بشأن التأثير الاقتصادى والسياسى لإيران على دول آسيا الوسطى والقوقاز وهى الدول التى كان قد ظل يعمل على تقوية العلاقات الروسية بها، مصدر خوفه هو أن إيران لديها رغبة فى أن تبعد هذه الدول -حديثة الاستقلال- عن دائرة النفوذ الروسى التقليدى.

من ناحية أخرى فإن الخوف من زيادة النفوذ والوجود العسكرى الأمريكى فى بعض دول آسيا الوسطى أصبح سبباً لتقارب كل من إيران وروسيا. مرجع ذلك أن الوجود الأمريكى فى هذه المنطقة أصبح يشكل مصدر تهديد لهاتين الدولتين. المؤكد أن هذه الظروف الجيوبوليتيكية بين إيران وروسيا لا يمكن النظر إليها بوصفها ظروفاً أو متغيرات دائمة وثابتة.

ثالثا: الجغرافيا السياسية للشرق الأوسط

عندما وصل بوتين إلى رئاسة الجمهورية فى عام ٢٠٠٠ أعطى السياسة الخارجية الروسية الأولوية، وقلل من حالة الهرج والمرج التى كانت قائمة فى عصر يلتسين. كما عمد إلى التقليل من ذلك الاعتقاد الذى كان سائداً ومفاده أن روسيا قد قبلت بأن تصبح إيران واحدة من القوى الرئيسية فى منطقة الخليج (الفارسى) وآسيا الوسطى.

ثمة تصور مفاده أن إيران التى تتمتع بقدرة اقتصادية وإمكانات بشرية عالية الكفاءة والجودة وكذلك سياسات داخلية وخارجية جيدة كالتى كانت قائمة فى عصر خاتمى، لا تعد فقط واحدة من القوى الإقليمية الهامة بل إنها صارت واحدة من أعضاء المجتمع الدولى الذين يتمتعون بدور محورى ومؤثر وهام والذى من شأنه الحد من النفوذ الأمريكى فى المنطقة من جهة ودعم الاستقرار الإقليمى الشرق أوسطى من جهة ثانية.

مع التغيير الذى حدث فى السياسة الخارجية الإيرانية وسقوط صدام حسين وما أعقب ذلك من انزواء ومحاصرة إيران، حصلت موسكو على فرصة جديدة جيوبوليتيكية فى داخل إيران، من هنا فإنه بعد انتهاء فترة خاتمى أخذ فلاديمير بوتين يعتبر أن إيران صارت شريكاً مهماً لروسيا فى عملية مواجهة النفوذ الأمريكى فى المنطقة وقرر أن إيران هى الطريق المنشود من أجل "تمدد" الوجود الروسى فى كل منطقة الشرق الأوسط.

رابعا: العلاقات المثلثة الإيرانية - الروسية - الأمريكية

عندما نتحدث عن روسيا وأمريكا يجب أن نضع فى اعتباراتنا علاقات أمريكا وروسيا. فحتى عام ١٩٩٨ كانت روسيا تريد أن تقيم علاقات جيدة مع الولايات المتحدة الأمريكية وعندما أصبح يوفيجينى بريماكوف رئيساً للوزراء، فإن مسيرة السياسة الخارجية الروسية تغيرت بشكل كامل.

لقد انضمت روسيا إلى الصين والهند من أجل التصدى إلى النظام الأحادى القطبية الذى كانت الولايات المتحدة تسعى إلى تحقيقه. الشئ الملفت للنظر هنا هو أن روسيا عندما بدأت الحديث عن النظام الدولى المتعدد الأقطاب فإنه كانت ترجع وبشكل مألوف إلى الحديث عن الهند والصين فقط ولم تذكر إيران فى برنامجها هذا. هذا يعنى أن روسيا لازالت غير واثقة فى إيران وأنها لا تعتبر إيران شريكاً ثابتاً.

لكن أمريكا لازالت أمريكا وعندما تسعى لزيادة نفوذها فى الشرق الأوسط والقوقاز وآسيا الوسطى فإن ذلك يؤدى إلى تقوية أكثر للعلاقات بين إيران وروسيا وعندما يبدو للنظر أن العلاقات بين روسيا وأمريكا هى آخذة فى التعاون فإن العلاقات بين إيران وروسيا تتجه نحو الضعف.

منذ أن أصبح بوتين رئيساً لروسيا فإن العلاقات بين إيران وروسيا ازدادت قوة أكثر من ذى قبل وذلك حتى عام ٢٠٠٢

فمنذ ذلك العام أخذت العلاقات بين الدولتين فى التحول نحو الانفراج فصارت أقل تعقيداً، ثمة عدد من القضايا تؤثر على هذه العلاقات فى مقدمة هذه القضايا ما يلي:

١- ارتفاع سعر النفط والغاز وهو ما نتج عنه زيادة النمو الاقتصادى الروسى مما أخذ بروسيا نحو الاعتماد على النفس وهو الأمر الذى كانت تفتقده موسكو منذ سقوط الاتحاد السوفيتى وحتى نهاية عصر يلتسين مما جعل منها دولة ضعيفة تحتاج إلى شريك وهو ما دفعها للتعاون مع إيران.

لكن بعد ارتفاع أسعار النفط والغاز لم تصبح روسيا دولة غنية فحسب ولكن ظهر جلياً اعتمادها على النفس. هذا الأمر أصبح سبباً إيجابياً لصالح إيران لأن روسيا راغبة دوماً فى مواجهة النفوذ الموجود الأمريكى خاصة فى منطقة آسيا الوسطى وذلك انطلاقاً من المنظور الجيوبوليتيكى.

٢- السياسة الخارجية لإدارة بوش والتى صار سبباً لتأزم وتعكير العلاقات بين واشنطن وموسكو. ذلك أن جهود أمريكا من أجل ضم دول أوروبا للشرقية- والتى كانت أعضاءً فى الاتحاد السوفيتى - إلى حلف الناتو قد أقنع روسيا بأن أمريكا تريد حصارها.

الاحتلال الأمريكى للعراق وتجاهل ميثاق الأمم المتحدة أصبح هو الآخر سبباً مباشراً لتشكيل مسارات جديدة فى السياسة الخارجية الروسية وفى مقدمة ذلك اتخاذ روسيا قراراً بتنويع محاور وطبيعة سياساتها الخارجية، وكذلك التأكيد على دور المؤسسات والمنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة على صعيد القضايا الدولية وأخيراً التشجيع الروسى لتفعيل القانون الدولى على المستوى العالمى.

فى اعتقاد موسكو فإن أول هدف لها يجب أن يتمثل فى "السيطرة" على القدرة الأمريكية وتحديد تأثير هذه القدرة وأن الطريق الوحيد لتحقيق ذلك هو التنفيذ الفعلى للقوانين الدولية ولدور المنظمات الدولية. بالإضافة إلى ذلك فإن موسكو اعتباراً من عام ٢٠٠٤ لم تعتبر أمريكا شريكاً خاصة فى ظل قيادة جورج بوش بعد حادثة الحادى عشر من سبتمبر انسحبت من مواجهة أمريكا وأيدت أمريكا فى الحرب ضد الإرهاب. لقد توقع بوتين- فى مقابل ذلك- أن تقوم أمريكا بخطوات إيجابية رداً على هذه التراجعات والانسحابات الروسية، لكن حكومة بوش فعلت العكس ورداً على سياسة صنع الصدامات التى أعلنها بوش عمدت إلى نشر وتمدد حلف الناتو.

من هنا أدرك بوتين أن أمريكا منافس خطير، أيديولوجى ولا يمكن التنبؤ بسلوكه. هذا التوتر الذى ساد العلاقات بين موسكو وواشنطن يجب النظر إليه بوصفه سبباً مباشراً فى تقوية العلاقات بين موسكو وطهران، لكن ثمة حادثة أخرى وقعت فى المثلث سابق الذكر، والتى كان من شأنها تعقيد هذا المثلث أكثر من ذى قبل وهى إفشاء وتسريب معلومات بشأن البرنامج النووى الإيرانى. لقد كان بوتين نفسه غافلا عن تقدم هذا البرنامج النووى أو هكذا بدا وذلك على الرغم من وجود شائعات كثيرة حول هذا البرنامج فى فترة رئاسة يلتسين.

لكن الشئ الملفت للنظر هنا أن الأنشطة النووية الإيرانية على الرغم من أنها كانت سرية ومخيفة إلا أنها لم تكن غير قانونية لكن بوتين من جانبه والذى كان يشعر أن العلاقات بين إيران وروسيا تزداد عمقاً واقتراباً أو تقارباً أكثر مما كان يتصور أو يظن- لم يكن يتصور أو يتوقع أن تخفى طهران برنامجها النووى من موسكو وكان يعتقد أن طهران سوف تسارع إلى إخطار موسكو بشأن هذا البرنامج. من هنا فإنه عندما يئس من العلاقات بين إيران وروسيا تحول نحو أمريكا والاتحاد الأوروبى من أجل الضغط على إيران بشأن برنامجها النووى. وبالإضافة إلى هذا عمدت روسيا إلى تأخير إتمام مفاعل بوشهر.

عندما اهتم بوتين بالبرنامج النووى الإيرانى قرر الإسراع من أجل تنفيذ وإنهاء العمل فى مفاعل بوشهر ولقد استمر بوتين فى المحافظة على هذا التعاون وهذه السياسة حتى نهاية عصر خاتمى أى التعاون مع أوروبا وأمريكا من جهة والعمل على تشيد وإتمام مفاعل بوشهر وبشئ من التأخير من جهة ثانية. لكنه- أى بوتين- طوال هذه الفترة وفى الوقت نفسه لم يكن مستعداً لتأييد العقوبات ضد إيران، إذ كان لا يزال على اعتقاد بأن إيران ليس فقط لها الحق فى الاستفادة من الطاقة النووية بل كان مؤمناً أيضاً بأن السياسة الأمريكية تجاه إيران غير شفافة.

دلائل ومؤشرات التغيير فى السياسات الروسية تجاه إيران

عندما كانت إدارة بوش تتحدث بشأن الهجوم على إيران وبشكل مستقيم ومباشر فإن الحيلولة دون حدوث هذا الأمر صار أحد أهم أهداف السياسة الخارجية الروسية. لقد كان خوف بوتين يكمن فى أنه إذا ما هاجمت أمريكا إيران بالفعل أو قامت بقصف مراكزها النووية فإن جميع العالم سيصبح فى مواجهة خطر حقيقى وجدى.

كان بوتين يخاف من أن تواجه الحدود الجنوبية لروسيا ومنطقة القوقاز وآسيا الوسطى خطراً حقيقيا. من هنا سعى بوتين من أجل أن تحل القضية النووية الإيرانية فى إطار المنظمات الدولية المختصة وذات الصلة وأن يكون الحل عن طريق الأساليب والخيارات الدبلوماسية.

لقد كان يخاف بوتين من أنه إذا لم تستطع المنظمات الدولية والطرق الدبلوماسية حل البرنامج النووى الإيرانى فإن أمريكا سوف تقوم بتكرار تجربة العراق وسوف تتجاهل القوانين والمقررات الدولية وسوف تهاجم إيران فعلاً. آنذاك

كانت وسائل الإعلام الإيرانية تنتقد روسيا نتيجة تأييدها المنظمات الدولية.

الواقع أن سياسة بوتين بشأن الضغط على إيران وتأخير العمل في مفاعل بوشهر كانت لها سببان هما، عدم الاطمئنان تجاه عواقب وتبعات البرنامج النووى الإيرانى والثانى هو الحيلولة دون وقوع هجوم أمريكى على إيران.

ثمة مشكلة أساسية أخرى لازالت قائمة بشأن العلاقات الإيرانية الروسية، فبعض المسئولين رفيعى المستوى يعتقدون بأن إيران مجبرة على التعاون مع روسيا لأن إيران ليست لديها علاقات مع أمريكا ولهذا فهى مجبرة على التعاون مع أمريكا وكذلك لأن إيران تسع الاستفادة من علاقاتها مع موسكو. بمعنى أن إيران تستفيد من التكنولوجيا النووية الروسية كما أنها تستفيد من دورها داخل الأمم المتحدة حتى تنتهى من برنامجها النووى وإنه عندما تتمكن إيران من الطاقة النووية فلن تكون بحاجة إلى تقوية العلاقات مع روسيا. ومن هنا فإن الطبقة الحاكمة فى روسيا- أمثال شخصيات مثل "مديديف" لا يريدون أن تصبح "روسيا" ضحية من أجل إيران.

فى روسيا قلق آخر وهو أنه عندما تعود العلاقات بين إيران وأمريكا مستقبلاً فإن إيران سوف تنسى روسيا وستصبح موسكو بالفعل هى الضحية، من هنا فإن الروس خاصة بوتين ليسوا مستعدين بشأن المخاطرة فيما يتعلق بالعلاقات مع إيران.

خلال عامى ٢٠٠٠-٢٠٠١ لم يكن الروس مستعدين من أجل إقامة علاقات تقارب مع إيران لأنهم كانوا قلقين من أن يقيم السيد خاتمى العلاقات مع أمريكا وأن تصبح روسيا هى الضحية لهذه العلاقات الجديدة. لكن بعد فترة خاتمى وحيث لم يعد هناك أى كلام حول إقامة العلاقات مع أمريكا فإن روسيا أظهرت مزيداً من الثقة تجاه إيران لأنها كانت تعلم أن إيران لا تسير فى الطريق نحو التعاون مع أمريكا.

فى إيـران أيضاً يوجد مثل سوء الظن هذا. فالبعض يعتقدون بأن الروس يريدون امتيازات من أمريكا وأنهم لهذا السبب يسيئون الاستفادة من علاقاتهم مع إيران وأنهم -أى الروس- سوف يخونون إيران فى النهاية. البعض الآخر يعتقدون أيضاً بأنه مع وجود الضغوط الاقتصادية الأمريكية على روسيا، فإن روسيا سوف تسلم فى النهاية ولسوف تترك إيران وحيدة فى آخر المطاف.

مما لا شك فيه أنه فى مثل هذه الظروف القائمة على سوء الظن فإنه لا يمكن إطلاقاً أن تقوم علاقات تعاون عميقة. فكلا الطرفين حتى الآن لا يملك ثقة عالية تجاه الآخر. من هنا فعندما نتحدث عن العلاقات الاستراتيجية أو التكتيكية فإنه لا يجب علينا مطلقاً أن نتجاهل مثل هذه القضية أعنى قضية "الثقة بين الطرفين". بعد انتهاء رئاسة السيد خاتمى يبدو أن العلاقات بين الطرفين قد ازدادت سوءاً. إذا لم ترتاح طهران لقيام روسيا بتأييد العقوبات الدولية ضدها وكذلك تجاه التأخير شبه المتعمد فى استكمال مفاعل بوشهر وهو الأمر الذى ظل يلعب دوراً مهماً فى تعكير العلاقات بين الدولتين.

فى موسكو أيضاً فإن مسيرة التحولات الخاصة بماهية السياسية الخارجية الإيرانية قد أقلقت المسئولين الجدد فى روسيا. كلنا يعلم أنه فى نظرية العلاقات الدولية يوجد فرض أساسى وهو أن لا توجد دولة ما تريد التغيير الدائم فى جوهر سياساتها الخارجية وإنه إذا لم تكن السياسة الخارجية لدولة ما هى سياسة ثابتة فإن الدول الأخرى لن تكون مستعدة لتعميق علاقاتها مع هذه الدولة. فلماذا لم تؤيد كل من فرنسا وألمانيا سياسة الهجوم على العراق؟

السبب هو أن مسيرة السياسة الخارجية الأمريكية قد تغيرت تماماً وبدلاً من أن تكون أمريكا مستعدة للعمل فى إطار قواعد الأمم المتحدة فإن بوش تحدث عن ضرورة الخروج من هذه المسيرة أو هذا النطاق ولما انحرفت أمريكا عن هذا المسير ما كان على الدول الأخرى إلا أن تتحول عن أمريكا وتتركها بمفردها وتعارضها.

بعد حكومة خاتمى وصلت روسيا لنتيجة مفادها أن إيران لا تملك أى برنامج مجدد فى سياستها الخارجية وأنه يجب على إيران أن تقرر أى دور تريد أن تلعبه فى هذا العالم؟

وأنه سيصبح بمقدور روسيا- بعد أن تحدد إيران طريقها- أن تتخذ وتحدد بنفسها حقيقة وكيفية علاقاتها مع إيران، فعندما تكون دولة ما غير مدركة - ولا تعرف- دورها فى هذه الدنيا فإنه لن يكون بمقدور الدول الأخرى كما سبق القول أن تعمق من علاقاتها مع الآخرين أقصد تلك الدولة.

فى هذا الإطار فإن بوتين عندما عرض اقتراحاته بشأن البرنامج النووى الإيرانى وعندما رفضت هذه الاقتراحات من جانب إيران قلق بشدة وأصبح غير مرتاحاً بالمرة. آنذاك توصل بوتين إلى نتيجة مفادها أن إيران تعمل وفقاً لمنطق المشاعر أكثر من منطق العصر والتفكير.

فبالنسبة لبوتين- فإن أكبر تهديد كان يراه آنذاك هو قيام أمريكا بالهجوم على إيران. هو كان يريد أن يهادن بوش طالما أنه موجود فى السلطة، هو أيضاً كان مدركاً أن فترة بوش آخذه فى النفاذ وأن روسيا - بعد بوش- باستطاعتها العودة إلى ما كانت عليه قديماً، وحالياً تعتقد روسيا أنه يجب عليها أن تتحمل التصرفات الجنونية لبوش.

فى السنة الأخيرة من رئاسة بوش -بوتين- شاهدنا تحسناً مهماً فى العلاقات بين إيران وروسيا. وبعد ثمان سنوات وجدنا بوتين يزور طهران. هذه الخطوة حظيت بأهمية بالغة فى العالم الغربى لدرجة أن قلقاً ما بدأ يظهر بشأن وجود محور آخرين روسيا وإيران.

لكن الواقع لم يكن كذلك فى حقيقته. لأننا إذا ما عمقنا الرؤية للعلاقات بين إيران وروسيا حتى آخر أيام رئاسة بوتين فسوف ندرك أنها لم تكن علاقات متعمقة. لقد تعب بوتين وكذلك لافروف من السياسة الخارجية الإيرانية وهما يعتقدان أن ليس بإمكانها الاستمرار فى تأييد ودعم البرنامج النووى الإيرانى أكثر مما ذلك وأنه يجب عليهما تأييد العقوبات ضد إيران. ثمة مسألة أخرى توجد فى هذا الملف وهى أن بوتين لازال حتى الآن فى رأس السلطة فى روسيا. لازال هو الذى يتخذ القرار ولا يزال مديديف بلا دور حقيقى.

الواقع أن فلاديمير بوتين يجلس الآن فى انتظار نتائج الانتخابات الرئاسية الإيرانية والرئاسية الأمريكية القادمة.

فعلى أساس نتائج هذه الانتخابات سوف تقيم روسيا علاقات جديدة مع كل من أمريكا وإيران. والآن نستطيع أن نقول إن العلاقات بين إيران وروسيا ليست علاقات استراتيجية كما أنها ليست أيضاً علاقات تكتيكية.

ففى بعض المناطق والقضايا توجد علاقات تعاونية وتكاملية بين الدولتين مثلما هو الحال بالنسبة للوجود الأمريكى فى آسيا الوسطى والقوقاز.

أما بالنسبة لقضايا بحر قزوين فالخلاف بين الدولتين هو الأساسى. وفيما يخص البرنامج النووى الإيرانى فإن روسيا تعتقد أو تقول بحق إيران فى ذلك إلا أنها تعتقد أيضاً بضرورة أن تتراجع عن موضوع التخصيب.

لكن أكبر المشاكل الخاصة بعلاقات إيران وروسيا فى عصر بوتين فإنها تتمثل فى وجود "رؤى" مختلفة بشأن طبيعة هذه العلاقات. فبوتين على قناعة من أن إيران طالما لا تمتلك علاقات جيدة مع أمريكا فإنها تعد شريكاً محتملاً لروسيا. لقد توقع بوتين أن تقبل إيران الاقتراحات الروسية المختلفة وسوف تظهر اهتماماً أكبر نحو موسكو.

لكن إيران من جانبها تعتقد أنه بسبب العلاقات الاقتصادية الإيرانية الروسية، فإن روسيا يجب أن تميل إلى تأييد المطالب الإيرانية المرتبطة بالبرنامج النووى الإيرانى لأنه فى غير هذه الصورة فإن إيران سوف تتجه إلى إقامة علاقات قوية مع كل من الصين والهند. لكن روسيا اليوم تختلف عن روسيا فى عصر يلتسين. وربما هذا الأسلوب كان يصلح للعمل به فى عصر يلتسين، لكن روسيا فى عصر بوتين تختلف كثيراً جداً. ومن هنا فإن روسيا وإيران يجب عليهما أن يتوصلا إلى توافق بينهما من أجل تحديد أى ماهية يجب أن تكون عليها هذه العلاقات؟

تغيير خريطة الطريق الفرنسية في السياسة الخارجية

■ سيد محمد طباطبائى ■ إيران دبلماسى (الدبلوماسية الإيرانية) ٢٩/٦/٢٠٠٨

قبل تولى الرئيس الفرنسى نيكولا ساركوزى منصبه كانت فرنسا تتحرك من منظور رؤيتها الخاصة بالشرق الأوسط، لكن مع ظهور ساركوزى تغيرت تلك الرؤية الفرنسية القديمة التى كانت تسعى من أجل أداء دور محورى في تطورات ومتغيرات منطقة الشرق الأوسط.

فمنذ تولى ساركوزى رئاسة فرنسا صارت السياسة الخارجية الفرنسية أسيرة تغييرات رئيسية في ملفات حاسمة خاصة بمنطقة الشرق الأوسط، هذه التغييرات لم تلحظ فقط على صعيد التحركات والتوجهات التكتيكية للسياسة الخارجية الفرنسية ولكنها حدثت وبشكل كامل أيضاً على الصعيدين الاستراتيجى والدبلوماسى للسياسة الخارجية الفرنسية.

من المعروف أن ساركوزى من الحزب اليمينى فى فرنسا لكنه يبتعد كثيراً عن أهداف خلفاء الجنرال ديجول أمثال جاك شيراك ودومينيك دوفيلبان مما جعله يهدف إلى إعمال -وزيادة- سيطرته على حزب "الاتحاد الوطنى من أجل الحركة الشعبية" ومن هنا استطاع أن يفوز برئاسة الجمهورية الفرنسية.

بعد أن تمكن ساركوزى من تولى منصبه، استطاع الحزب اليمينى أن يسيطر كذلك على الأقلية في البرلمان الفرنسى وظهرت تركيبة جديدة في فرنسا كان من شأنها أن يتولى رئاسة الوزراء في فرنسا رجل يمينى أيضاً مما ساهم في أن يزيد من قبضة ساركوزى على شئون الدولة من جهة ويخلق لديه القدرات اللازمة لتحقيق أهدافه من جهة أخرى.

عندما وصل ساركوزى إلى السلطة فى فرنسا لم يكن متبقياً أمام الولاية الثانية لجورج دبليو بوش أكثر من عامين. من

هنا كانت مفاجأة أن يبدأ ساركوزى أولى زياراته الخارجية بالولايات المتحدة الأمريكية محاولاً أن يضع دولته- فرنسا- في مسيرة السياسات الأمريكية- بل الأكثر من ذلك أن قناعة جديدة باتت قائمة لدى ساركوزى في أنه حتى مع خروج بوش من الرئاسة فإن وجود ساركوزى نفسه من شأنه أن يؤدى إلى استمرار خطط بوش وبرامجه.

على هذا الأساس شاهدنا كيف أن فرنسا أرسلت قواتها إلى أفغانستان وزادت من طبيعة وجودها في جميع المناطق الموجودة فيها الولايات المتحدة من منطلق الشراكة بل أنها -أى فرنسا- عمدت إلى اتخاذ سياسة فعالة تجاه دعم سياسات جورج بوش.

الواقع أن نيكولا ساركوزى- على صعيد السياسة الخارجية- بات بصدد وضع فرنسا على "الخط السياسى والنهج السياسى" الخاص بجورج دبليو بوش وليس بصدد وضع فرنسا في إطار السياسات العامة للولايات المتحدة. هو هنا يقصد جورج بوش في التعاطي مع القضايا وكذلك الأزمات الدولية وخاصة الشرق أوسطية، وذلك من منطلق أنه لا يمكن القول بأن السياسة الخارجية لجورج بوش هى ذاتها السياسة الخارجية المتعارف عليها والمعروفة الخاصة بالولايات المتحدة. إن هدف ساركوزى هو المحافظة على نهجه من خلال دعم الولايات المتحدة وتحديداً دعم السياسات الخارجية الأمريكية بما يؤدى إلى استمراره في تطبيع أساليب وأنماط السياسات الخارجية لجورج بوش داخل فرنسا وبالطبع خارجها حتى وإن تراجعت أمريكا عن هذه الأساليب.

مما لا شك فيه أيضاً أن السنة الأولى لحكم ساركوزى كانت متخمة بالهزائم والانكسارات سواء على صعيد السياسة الخارجية أو على صعيد السياسة الداخلية. ففى أقل من سنة انخفضت شعبية ساركوزى في داخل فرنسا بشكل غير مسبوق ولم يحدث لرئيس فرنسى قبله، فلقد تبلدت صورته تماماً داخل الرأى العام الفرنسى، فسقطت مكانته بين الفرنسيين والكثير من الشعب الفرنسى صاروا غير راضين عنه ويعتقدون أن ساركوزى قد خدعهم. إن قضايا مثل القدرة الشرائية، التضخم، البطالة وكذلك - بل الأهم من ذلك- الدور الذى رسمه نيكولا ساركوزى لنفسه.. صارت كلها من جملة القضايا والموضوعات التى نالت من مكانته وتسببت في خلق هزائم وانكسارات له على الصعيد الداخلى.

إن جزءاً كبيراً من الشعب الفرنسى بات مقتنعاً بأن ساركوزى يلعب دور "المخادع" في السياسة الداخلية الفرنسية، لأنه يحرص على الظهور في القضايا غير المهمة لكنه يصر على الغياب عن القضايا المهمة التى تحتاج إلى قرارات مهمة ومصيرية.

وفيما يخص السياسة الخارجية فإنه لم يحرص على الاستمرار في المنهج الفرنسى المعمول به في هذا الصدد منذ عقود، ففرنسا تملك استقلالاً وهوية خاصة بها منذ عصر الجنرال ديجول، لدرجة أنه لم تمضي قدماً نحو الانضمام لعضوية المجلس العسكرى "القيادة العسكرية" لحلف الناتو وفقط ظلت حريصة- بوصفها بالدولة الوحيدة- على أن تكون عضويتها عضوية إدارية فحسب.

أما الآن فإن واحدة من خطوات ساركوزى في هذا الصدد هى أن تتحول فرنسا إلى عضو فعال وحليف رئيسى للناتو وعلى الرغم من أن فرنسا صارت عضواً كاملا في حلف الناتو في عصر شيراك إلا أنه- أى شارك- لم يكن راغباً- أو متعلقاً- بأن تصبح باريس عضواً في الناتو الواقع أن هذا الموضوع يشهد اختلافاً كبيراً داخل الأوساط الفرنسية. لأنه وفقاً لما يعتقد به بعض - وربما الكثير من- الرموز السياسية الفرنسية فإن العضوية في الناتو تعنى الخضوم- الوقوع تحت المظلة الأمريكية وهو الأمر الذى يقبل به على الإطلاق الفرنسيون الأحرار.

ساركوزى من جانبه بدأ سياسة جديدة في هذا الصدد، حيث أطاح بنموذج - ونقض- سياسة ديجول وجاك شيراك التى سعى كلاهما من خلالها إلى إيجاد توازن في العلاقات الفرنسية العربية والعلاقات الفرنسية الإسرائيلية، وتحولاً بوضوح - أى ساركوزى- إلى جانب إسرائيل وهو ما يرجعه البعض إلى الجذور اليهودية لساركوزى.

سياسة ساركوزى الخارجية والاتحاد الأوروبى

فور توليه رئاسة فرنسا قام ساركوزى فيما يخص سياسته الخارجية - في الاتحاد الأوروبى- قام بطرح سياسة جديدة هى سياسة تحالف دول البحر المتوسط والتى قوبلت بمعارضة شديدة داخل الاتحاد الأوروبى، خاصة ألمانيا التى لم تقبل هذه السياسة أو هذا التحالف بأى شكل من الأشكال.

من أهم أهداف هذا التحالف المتوسطى- وفق ما كان يعتقد ساركوزى- هو تمكين إسرائيل- عبر مشاركتها في هذا التحالف الاتحادى بين الدول المطلة على البحر المتوسط- تمكينها من أن تصبح عضواً فعالاً في هذا التحالف الجديد وهى الدولة التى لا تتمتع بأى طريق رسمى في الكثير من المنظمات والمؤسسات الدولية والإقليمية.

أيضاً من الأهداف الأخرى التى قصدها ساركوزى من ذلك هو إبعاد تركيا عن عضوية الاتحاد الأوروبى، حيث أنه يعارض وبشدة- وبشكل شخصي- فكرة عضوية تركيا في الاتحاد الأوروبى على الرغم من أن الاتحاد الأوروبى ينظر إلى تركيا بوصفها ضيفاً غريباً وأنه لهذا السبب لم يتخذ موقفاً

واضحاً ونهائياً بشأنها حتى الآن بل ومن المحتمل أيضاً أن تواجه تركيا في نهاية المطاف رفضاً من جانب الاتحاد الأوروبى، بالنسبة لعضويتها فيه.

فرنسا وأمريكا

حتى الآن لم تتحول السياسات الخارجية لجورج بوش إلى ما يمكن وصفه "بالنظرية" النموذج، فعلى الرغم من أن المحافظين الجدد في أمريكا يطرحون سياسات معينة خاصة بإدارة شئون العالم الرغم من أن المحافظين الجدد في أمريكا يطرحون سياسات معينة خاصة بإدارة شئون العالم إلا أن الأمر لم يتحول بعد لنظرية يمكن الأخذ بها وتطبيقها.

فسياسات بوش يمكن أن تتشكل نظرية فقط في حالة ما إذا أتبع خلفائه هذه السياسات حتى وإن جاءوا من الحزب الديموقراطي.

الآن نجد أن ساركوزى يريد أن يجعل المبحث أو الدراسة التى قدمها جورج بوش في السياسة الخارجية، يريد أن يجعلها "نظرية" قابلة أو جديرة بالتطبيق.

طوال الأشهر الماضية بغيت فرنسا حذرة وأكثر احتياطاً تجاه السياسات الفرنسية التى كانت قائمة من قبل وقليلاً ما عادت إلى نظرياتها المتعارف عليها من عقود طويلة كما صارت اندفاعات ساركوزى الأولى موضع سيطرة أكثر من ذى قبل.

قريباً ستكون فرنسا في موقع القيادة داخل الاتحاد الأوروبى حيث ستتولى رئاسته وهو ما سوف يجعل هذه الدورة من عمر الاتحاد الأوروبى مملوءة بالتوقعات سواء فيما يتعلق بالعلاقة أو الارتباط مع ما يمكن تسميته نظرية بوش وسواء فيما يتعلق بقضايا الاتحاد الأوروبى نفسه وبشكل خاص من المتوقع أن تسعى فرنسا خلال رئاستها الاتحاد الأوروبى أى على مدار ستة أشهر من سوف تسعى إلى العمل من أجل أن توقع (أى تصدق) برلمان دول الاتحاد على معاهدة ليشبونه.

الوجود الفرنسى فى الخليج الفارسى

الأصل أن فرنسا- وبشكل بديهى- لا تحظي، أى لم تكن تحظى، بأى سلطة أو نفوذ على منطقة الخليج الفارسى، كما أن الدول العربية في الخليج الفارسى لم تكن تضع فرنسا فيما يخص حساباتها الخاصة بقضاياها الأمنية. حيث ترتبط هذه الدول بأمريكا بالدرجة الأولى ثم بإنجلترا فهما الدولتان اللتان تلعبان دوراً حاسماً على الصعيد الأمنى الإقليمى في هذه المنطقة. لكن مع ظهور ساركوزى وكذلك توقيعه الأخير مع الأمارات على اتفاقية أمنية يتم بمقتضاها إقامة قاعدة عسكرية فرنسية في الخليج وتحديداً في "بحر عمان" فإن ذلك من شأنه الكشف عن قرار قد اتخذه ساركوزى بشأن تغيير السياسة الكلاسيكية الفرنسية المعمول بها منذ عقود في هذه المنطقة وهو أمر يبدو إلى حد كبير- بعيد المنال، حيث من المتوقع أن يصبح تحقيق نفوذ عسكرى فرنسى فى الخليج أمراً صعباً للغاية وذلك مقارنة بالجوانب الاقتصادية التى نداها متحققة في علاقات فرنسا مع الدول الخليجية العربية لكن فيما يخص الناحية العسكرية فإن فرنسا- كما يبدو للجميع- لن تصبح قادرة على أن تحل محل أى من القوتين القائمتان حالياً في منطقة الخليج أى الولايات المتحدة وبريطانيا.

فيما يخص طبيعة وهيكل النظم السياسية في العالم نجد أنها تتوزع أو تتنوع كالتالى، نظم رئاسية مطلقة، نظم نصف رئاسية، ونظم برلمانية. فرنسا من الدول المعدودة التى يمكن اعتبارها من النظم النصف رئاسية والتى فيها يمكن أن نجد أن رئيس الدولة ورئيس الحكومة لكل منهما شخصيته المستقلة، وأحياناً ما يكون هذان الشخصان- أو هاتان الشخصيتان- ومن حزبين مختلفين لكنهما قادرين على التعايش معاً فيما يخص إدارة الدولة نيكولا ساركوزى هو أول رئيس فرنسى من أصول وجذور مهاجرة، ولد في داخل فرنسا لكن له جذور مهاجرة فأمه يهودية يونانية وأبوه مهاجرى مجرى. مثل هذه الأبعاد تبدو واضحة التأثير في التحركات السياسية لساركوزى على الصعيد الخارجى وربما كشفت لنا عن شفرات في شخصية ساركوزى وهو بدير شئون فرنسا على الصعيدين الإقليمى والدولى.

التحديات التي تواجه الناتو في أفغانستان

رسالت (الرسالة) ٢٠٠٨/٦/٢٧

تأسس حلف شمال الأطلنطي عام ١٩٤٩ بهدف مواجهة خطر الاتحاد السوفيتي، وتوسع الشيوعية وموازنة القدرات العسكرية والأمنية للكتلة الشرقية.

وفي الواقع فإن الناتو هو نتاج عهد ما بعد الحرب العالمية الثانية وبداية الحرب الباردة.

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي أثارت مجموعة من الخبراء حقيقة أنه مع تشكيل نظام عالمي جديد أحادي القطبية تغيرت التهديدات، بما يعني أن تقوية الناتو مجدداً لتحقيق أهداف الغرب أمر حيوي، وفي الواقع فإنهم يعتقدون أن مصادر التهديد ضد الغرب قد تغيرت من الشيوعية إلى تهديدات أخرى مثل الإرهاب وخطر توسع الأصولية الإسلامية في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى وشمال أفريقيا، ولهذا السبب بدأ توسع الناتو تجاه الشرق، وكان دخول الناتو إلى أفغانستان تطورا مهما لأن النجاح في أفغانستان يعد بمثابة نجاح لهذه المنظمة العسكرية في التوسع تجاه الشرق.

ولكن أفغانستان فرضت تحديات كثيرة متفاوتة ومتوقعة أمام المنظمة وتحول أول تواجد للناتو خارج أوروبا إلى حرب عسكرية كاملة ودائماً كانت تدعي قوات الناتو أن ضرباتها قد أصابت مقاتلي طالبان وأنها على أعتاب هزيمتهم، وفي الحقيقة فإن الناتو قد عجز بشكل متزامن في القيام بعملياته العسكرية وتقديم المساعدات اللازمة لتنمية وإعادة بناء هذه الدولة.

وقد دفعت المقاومة الأفغانية ضد قوات الناتو إلى امتناع الدول أعضاء الناتو عن إرسال قوات ومعدات كافية إلى أفغانستان وهو الأمر الذي أوجد شكوكاً كثيرة حول قدرات هذه المنظمة في أفغانستان.

أولا: تحديات الناتو في أفغانستان

وجهت الدول أعضاء الناتو في بداية دخول المنظمة إلى أفغانستان أحزابها الداخلية والرأي العام داخلها إلى أن تواجدها في هذه الدولة سيكون لفترة قصيرة وبأقل النفقات، وخلال هذه الفترة القصيرة ستحقق أهداف إنسانية كبيرة بالإضافة إلى إعادة بناء هذه الدولة ووعد بأنه لن تطلق رصاصة ضد المدنيين الأفغان، ولكن اليوم شاهدت شعوب هذه الدول وأحزابها كيف تواجد الناتو في أفغانستان وكيف تحولت المساعدات الإنسانية وإعادة البناء إلى حرب دمار وخراب ونفقات عالية باهظة إلى جانب الخسائر البشرية الجسيمة، وفي الواقع فقد توصل الرأي العام للدول أعضاء الناتو إلى نتيجة واحدة وهي أن العمليات الواسعة للناتو خلال ست سنوات بعد سقوط طالبان علامة على تردي الأوضاع في أفغانستان وتنبئ بتحديات أكثر للناتو في المستقبل، ومن هذا المنطلق تزايد ضغط الأحزاب والرأي العام في الدول أعضاء الناتو أكثر من ذي قبل وطالبوا بإعادة النظر فيما يتعلق بمشاركة قواتهم العسكرية في عمليات الناتو في أفغانستان.

١- الخلافات الداخلية واتخاذ القرارات غير المنسجمة

قوات الناتو فاقدة للنظم المركزية وانسجام اتخاذ القرار، وفي الواقع فقد تسبب تعدد أعضاء المنظمة إلى اتخاذ قرارات متفاوتة، وعلى سبيل المثال فهناك ست وعشرون دولة عضو في الناتو إضافة إلى أحد عشر دولة شريكة قد اجتمعوا في إطار قوات إيساف (القوات الدولية المساعدة في تأمين الأمن في أفغانستان) وبشأن الرؤى المتفاوتة حول أسلوب التواجد والعمليات في أفغانستان فقد امتنعت فرنسا وألمانيا وإيطاليا وأسبانيا عن التواجد في المناطق المتأزمة في أفغانستان.

٢- عدم الاستعداد لحرب الميليشيات

على الرغم من قدرات الناتو وقدرات أعضائه فإن قواته ليست لديها الخبرة الكافية للقيام بحرب برية ضد ميليشيات مسلحة خاصة إذا كانت ميليشيات منظمة مثل حركة طالبان، ولا شك أن أسلوب الحرب البرية الذي تقوم به ميليشيات طالبان من خلال الضرب ثم الهروب عبر الجبال على الحدود الباكستانية قد سبب خسائر كبيرة لقوات الناتو في مقابل خسائر بسيطة لهذه الميليشيات وهذا الأمر بلا شك يترك آثاراً نفسية على جنود الناتو وفي المقابل يدعم طالبان على مواصلة حربها.

٣- النفقات الباهظة للتواجد في أفغانستان

لا شك أن بحث النفقات المالية هو جزء من المشاكل التي تواجه الدول أعضاء الناتو عند طرح ميزانية أي من هذه الدول للموافقة. وفي الحقيقة إن النجاح في أفغانستان يحتاج إلى عقود من الزمن وإلى نفقات مالية باهظة وهذا الأمر من الصعب حشد الرأي العام والأحزاب في هذه الدول لتأييده، بل إن النفقات المالية الباهظة التي تحملتها الدول أعضاء الناتو

للمشاركة في حرب أفغانستان كانت أحد الأسباب الرئيسية لحشد الرأى العام ضد حكومات هذه الدول.

٤- نقص القوى والمعدات

أكبر تحدى للناتو في أفغانستان هو نقص القوى والمعدات العسكرية، بل إن الأعضاء الأصليون (فرنسا وألمانيا وهولندا وإيطاليا وأسبانيا) قد عارضوا بشكل واضح وصريح إرسال قوات عسكرية إضافية إلى أفغانستان، وقد وافقت فقط بعض الدول الأعضاء الجدد والصغيرة للناتو تحت الضغط الأمريكي في مقابل سلسة من الامتيازات المالية والسياسية إلى إرسال قوات محدودة عسكرية إلى جنوب أفغانستان، وبالطبع فإن تعداد هذه القوى سيمثل مشكلة في تحقيق مهاجمة الناتو في أفغانستان.

من جانب آخر، كان نقص القوى البرية سبباً وباعثاً إلى اعتماد الناتو على الهجمات الجوية الثقيلة والتى كانت نتائجها وقوع كثير من الضحايا الأفغان المدنيين في مذابح جماعية وهو الأمر الذى أثار الرأى العام ضده حكومة كابول وضد القوات الغربية، ولنفس السبب طالبت قادة الناتو بمضاعفة القوات الحالية من أربعين ألف إلى ثمانين ألف.

٥- عدم معرفة ثقافة وتقاليد المجتمع الأفغاني

على الرغم من تواجد قوات الناتو لسنوات داخل أفغانستان، فإنها حتى الآن لم تستطع التعرف على المناطق المختلفة لهذه الدولة وكذلك الأعراف والتقاليد المسيطرة على هذا المجتمع، وهذه المسألة تسببت في إهانة بعض معتقدات الأفغان وتقاليدهم دون قصد، وهو ما أثار غضب الشعب الأفغاني ضد هذه القوى.

٦- الوضع الجغرافي لأفغانستان

أفغانستان دولة يتشكل أكثر من ثلثيها من سلسلة جبلية عالية، وبديهى أن في هذا الوضع الجغرافي تزداد صعوبة عمليات النقل والانتقالات العسكرية.

ويواجه الناتو صعوبات كثيرة في استخدام القوات البرية في الظروف الجبلية الأفغانية، حتى أن طائراتها تتضرر كثيراً في عمليات الهبوط والطيران، على سبيل المثال، فإن الهليوكوبتر الأمريكية المعروفة باسم "بلاك هاوك" من الطائرات التى لها صولات وجولات في الساحات الحربية، فشلت في القيام بمهامها في الأراضي الأفغانية بسبب الطبيعة الجغرافية وحتى الآن فقد تضررت أكثر من طائرة وهليوكوبتر بجانب السقوط الآخر.

٧- عدم التنسيق بين القوات

يستقر الآن في أفغانستان قوتان عسكريتان، الأولى وهى قوات التحالف تحت زعامة أمريكا، والثانية هى قوات "إيساف" بزعامة الناتو، ورغم أنه يبدو في الظاهر يوجد تشابه بينهما من الناحية القانونية والبناء القيادى والمهمات وقواعد الحرب والأهداف والإمكانيات، فإن هناك خلافا كبيرا بينهما يكمن في عدم التنسيق مع بعضهما البعض ورؤية كلاهما المتفاوتة لمعنى الأمن.

كذلك الاختلاف الكبير في مجال مكافحة المخدرات، وأسلوب العمليات، وإجراءاتهم ضد طالبان داخل باكستان، والتباحث مع طالبان وأمثالهم.

ولم يكن التنسيق غائباً فقط بين الناتو وقوات الائتلاف بل إنه منعدم أيضاً مع القوات الأفغانية، وهو الأمر الذى دعا حامد كرازى رئيس جمهورية أفغانستان إلى اتهام الناتو وقوات التحالف بزعامة أمريكا بالامتناع عن التنسيق مع حلفائهم الأفغان وهو الأمر الذى تسبب في مقتل الكثير من المدنيين الأفغان.

٨- خسائر المدنيين

وصل عدد المدنيين الذين قتلوا إثر عمليات القوات العسكرية الأجنبية في عام ٢٠٠٧ إلى أكثر من ستة آلاف شخص، على الرغم من تعهد مسئولى الناتو بإعادة النظر في العمليات العسكرية، ولكن هذا القرار حتى الآن لم يقلل من خسائر المدنيين الأفغان ولم يرض المسئولين.

٩- إنتاج وتهريب المخدرات

يعد إنتاج وتهريب المخدرات أحد العوائق والتحديات التى تهدد الناتو في أفغانستان لأنها هى المصدر الأصلى لتأمين النفقات العسكرية في طالبان هذا في حين أن الخلافات الشديدة بين أمريكا وبريطانيا وحكومة أفغانستان بشأن أسلوب مكافحة المخدرات كان سبباً في عدم وجود مكافحة جدية حتى الآن في هذا الأمر ومجمل هذه الخلافات كان سبباً في زيادة إنتاج المخدرات من ١٨٥ طنا سنة ٢٠٠١ إلى ٨٢٠٠ سنة ٢٠٠٧.

١٠- أمن طالبان في باكستان

تستفيد طالبان من أسلوب حرب الشوارع للقيام بعمليات عسكرية داخل الأراضى الأفغانية ثم الهروب إلى المناطق الحدودية داخل باكستان وقد أكدت الحكومة الباكستانية لمرات عديدة رفضها موضوع دعم طالبان وقوات الناتو وأمريكا حتى الآن تمتنع عن تعقب أفراد طالبان داخل الأراضى الباكستانية.

١١- تردى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في أفغانستان

تشير نتائج التحقيقات التى قامت بها جامعة كابول تحت عنوان "تقرير التنمية البشرية لأفغانستان لعام ٢٠٠٧" أن وضع التنمية البشرية سواء في التعليم والتربية وطول العمر والظروف الاقتصادية لأفغانستان في أقل مستوياتها مقارنتها بكل دول العالم، كما يشير التقرير إلى أن أكثر من ثلث أفغانستان يعيشون تحت خط الفقر، بالإضافة إلى ارتفاع نسبة الأمية وارتفاع وفيات الأطفال وانخفاض متوسط طول العمر إلى ٤٣ سنة.

١٢- تزايد قوة طالبان

خلال السنوات الماضية استطاعت طالبان أن تعيد بناء قواتها مجدداً بالإضافة إلى إدخال تكتيكات حربية جديدة وجذب مقاتلين جدد، والأهم من هذا كله كسب دعم الشعب الأفغاني.

ولا شك أن جزءا كبيرا من نجاح طالبان في عملياتها ضد القوات الأجنبية يرجع لعدم رضا الشعب عن توجه حكومة كابول والمجتمع العالمي بالنسبة للشعب الأفغاني وخاصة في المناطق الجنوبية المحرومة، فخلال السنوات الست الماضية لم تقدم القوى الدولية أي مساعدات لهذه المناطق.

ثانيا: توجهات الناتو

وضع الناتو توجهات عديدة من أجل إنجاح مهمته في أفغانستان وسعى في تنفيذ بعض منها خلال الأشهر الماضية وبعض هذه التوجهات هي:

١- زيادة قواته العسكرية

خلال العامين الماضيين أكد قادة الناتو على احتياجهم إلى ما لا يقل عن ٧٥٠٠ جندي، وطالبوا بإرسالهم من خلال أعضاء آخرين للناتو بسبب عدم تعاون الأعضاء الأصليين، وحتى الآن لم يتلقوا أي رد وهو ما دعم أمريكا وبريطانيا إلى حث الأعضاء الجدد في الناتو بإرسال قوات إلى أفغانستان في مقابل بعض الامتيازات، ومع هذا يتضح أن زيادة أعداد القوات العسكرية لن يحسن الأوضاع كما هو متوقع لسببين:

الأول، طبقاً لرأي الخبراء العسكريين فإن حل معضلة طالبان يحتاج إلى مضاعفة قوات الناتو من (٤٠ ألف إلى ٨٠ ألف)، وإرسال معدات عسكرية مثل هليوكوبتر حربية وبرية.

الثاني، أن الناتو يحتاج بدلاً من زيادة قواته في أفغانستان إلى دعم وتجهيز الجيش والشرطة، وفي الواقع فإذا تم ذلك فإن هذه الدولة تحتاج إلى قوى أجنبية، وكلما زاد عدد القوات الأجنبية زادت وقويت روح المعارضة.

٢- دعوة دول المنطقة للمشاركة

في الأشهر الماضية طالب الناتو بعض الدول مثل مصر والأردن والجزائر وموريتانيا والمغرب وتونس وبعض دول الخليج (الفارسي) بإرسال قوات إلى أفغانستان لمساعدة قوات الناتو في مهمتهم، وقد طرح هذا المطلب لثلاثة أسباب:

أ- أن أعضاء الناتو أنفسهم غير قادرين على حماية أنفسهم وتأمين قواتهم.

ب- تزايد المعارضة والغضب ضد القوات الغربية بين أفراد المجتمع الأفغاني.

جـ- يتصور الناتو أن إسلامية هذه القوات ستساعد على إحباط دعايا طالبان القائمة على احتلال أفغانستان من خلال قوى ملحدة.

ومن هذا المنطلق يقال أن أحد الأهداف الأصلية لزيارة بوش إلى الشرق الأوسط في شهرى يناير ومايو الماضيين هو الحصول على دعم هذه الدول وحثها على إرسال قواتها إلى أفغانستان.

وحتى الآن فقد أعلنت الأردن فقط عن إرسال قواتها إلى أفغانستان، ولكن بالنظر لما سبق فإن الدول الأخرى من الممكن أن توافق على الدخول إلى أفغانستان في مقابل بعض الامتيازات من أمريكا، وبالطبع فإن دخول قوات دول أخرى للساحة الأفغانية لا يعد ميزة خاصة للناتو وأمريكا، لأن ذلك سيزيد تشتت الآراء وعدم الانسجام في اتخاذ القرارات الأجنبية أكثر من الماضي.

٣- تزامن العمليات العسكرية مع جهود إعادة الاعمار

يسعى الناتو في جذب دعم الشعب الأفغاني وحفظ نتائجه في أفغانستان ولذا لا مفر أمامه سوى تشتيت جهوده غير العسكرية والاقتصادية، ومن هنا كان إرسال فريق إعادة الاعمار المعروف (PART) وهذا الفريق يتشكل من ضباط عسكريين ومدنيين يعملون تحت مظلة الناتو وتم تقديم الميزانية اللازمة لتنفيذ مشروعات إعادة الاعمار، ويعتبر هذا الفريق هو الجسر الذى يربط بين قوات الناتو والمجتمع الأفغاني، فقد أعلنت قوات الناتو والتحالف أن العام الجديد سيشهد اهتماماً كبيراً بعمليات إعادة الاعمار في جنوب أفغانستان وهى المنطقة التى شهدت تجاهلاً كبيراً خلال السنوات الست الماضية.

٤- دعوة روسيا للمشاركة

يتمثل أحد البرامج الأخرى للناتو في عام ٢٠٠٨ فى مشاركة روسيا في قضايا أفغانستان وبالطبع فإن هذا الأمر لن يكون سهلاً بالنسبة لروسيا لأنها خلال السنوات الماضية قد تجنبت معادلات أفغانستان ولا شك أن مطلب الناتو وأمريكا لإنقاذهم من المستنقع الأفغاني تراه روسيا فشلاً كبيراً للناتو وهو ما تبحث عنه روسيا.

٥- المصالحة مع طالبان

أحد الأولويات الرئيسية للناتو يتمثل فى المصالحة مع طالبان بهدف تجنب الصراعات والخسائر، هذا في الوقت الذى قد أعلنت الحكومة الأفغانية منذ زمن أنها ترغب في الحوار مع طالبان وأكد المسئولون الأفغان أن هذه المباحثات ستتم فقط مع الأفراد الذين يقبلون التعايش طبقاً للدستور الأفغاني الجديد.

٦- الضغط على باكستان

من المتوقع أن قوات الناتو والتحالف ضغوطها السياسية والعسكرية على باكستان من أجل حثها على مواجهة طالبان حتى أن عدد من نواب الكونجرس الأمريكي قد طالبوا الحكومة الأمريكية بأن يكون الدعم المالي والعسكري لباكستان مشروط بمدى جديتها في مواجهة عناصر طالبان.

انتشار الناتو شرقاً: الأهداف والنتائج

■ فرهنك آشتى (ثقافة السلام) ٢٧/٦/٢٠٠٨

تأسس حلف شمال الأطلنطى (الناتو) عام ١٩٤٩ بعد توسع هيمنة الاتحاد السوفيتى السابق على أوروبا الشرقية والوسطى وكان الهدف الأصلى من إنشاءه هو مواجهة حلف وارسو، وطبقاً للفلسفة الوجودية للناتو فقط تعهدت الولايات المتحدة وأوروبا الغربية بالعمل فى مقابل تحركات وتهديدات الكتلة الشرقية بزعامة الاتحاد السوفيتى خلال الحرب الباردة، وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى وزوال خطر الشيوعية والتطورات التالية التى هيأت المجال لإعادة النظر فى دور الناتو، طرحت مراكز الدراسات المختلفة أفكارا عديدة بخصوص التوجه الجديد لعمل الناتو خارج إطاره الجغرافى وكان على رأسها فكرة التوسع تجاه الشرق.

وفى الواقع فإن مع التعريف الجديد للأهداف والمسئوليات الخاصة بالناتو، توسعت رقعت نفوذه على مشرق أوروبا وآسيا والشرق الأوسط، وكانت الخطوة الأولى فى الحديقة الخلفية للاتحاد السوفيتى السابق وبدأت الخطوات التالية فى آسيا الوسطى، وهذه التطورات مرتبطة باحتياجات ومصالح الولايات المتحدة باعتبارها القوة العالمية الوحيدة بعد الحرب الباردة.

وقد سعت الولايات المتحدة من أجل تشكيل نماذج سلوكية مطلوبة وقيم متطابقة مع مصالحها على مستوى العالم من خلال البحث عن مصادر جديدة للتهديدات على الصعيد العالمى مثل انتشار أسلحة الدمار الشامل والإرهاب الذى كان نفسه سبباً فى التواجد الواسع للناتو فى منطقة آسيا الوسطى والقوقاز والشرق الأوسط باعتبارها القلب النابض للكرة الأرضية بهدف السيطرة على التوتر والاضطرابات.

وكانت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بمثابة المحرك القوى الذى أضاف السرعة إلى هذه الاستراتيجية، وكان تغيير النظرة الدفاعية إلى نظرة أمنية فى الناتو والذى صاحبه تغيير للدور التقليدى العسكرى إلى دور جديد محورى قد أنتج تداعيات عدة خاصة بالدور الجديد للناتو كان على رأسها المساعدة على نشر الديمقراطية وحفظ السلام وإعمال السلام والمساعدة فى الإجراءات الإنسانية وإدارة الأزمة.

والآن أيضاً فإن الناتو فى حالة توسع لنطاقه الجغرافى فى دول آسيا الوسطى والقوقاز على أساس المشاركة من أجل السلام وكذلك المنطقة الاستراتيجية فى الشرق الأوسط والخليج (الفارسى) على أساس استراتيجية المساعدة الإقليمية والتى بدورها وضعت المعادلات والترتيبات الأمنية الإقليمية موضع تغيير واختلاف، طبقاً لما سبق وعلى عكس نظريات بعض المؤيدين والمعارضين فإن توسع الناتو بالشرق لم يكن أساساً بهدف زيادة القدرات العسكرية والدفاعية للناتو عن طريق زيادة الأعضاء وكذلك من أجل مواجهة التهديدات المحتملة من قبل روسيا، ولكن الهدف الأصلى هو تنمية منطقة الاستقرار والأمن شرق أوروبا عن طريق تشجيع دول المنطقة على تقبل الاختلاف السياسى والاقتصادى اللازم بهدف التوافق مع الأدوات الأوروبية المتمثلة فى الديمقراطية والاقتصاد الحر والحرية والليبرالية.

فى عام ١٩٩٩ وافق أعضاء الناتو على مفاهيم الاستراتيجية الجديدة فى إطار مسئوليات الناتو والتى أضيفت إليها قضايا أخرى مثل إزالة الاختلالات القومية وإقرار حقوق الإنسان ونشر الديمقراطية ومواجهة الإرهاب، وقد أكدت على أهمية تحقيق الاستقرار الأمن شرق أوروبا، وكان وقوع أحداث ١١ سبتمبر قد هيأ المجال لتواجد الناتو بشكل أكبر فى الأزمات المرتبطة بالمقولات السابقة فى منطقة الشرق الأوسط.

الأمريكان يمارسون رياضة «جر الماعز» فى أفغانستان

أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم
كلية اللغات والترجمة - جامعة الأزهـــر

قرأت على أحد المواقع الإلكترونية مقالة عن رياضة مشهورة عند الشعب الأفغانى، تسمى رياضة الـ «بزكشى» أو (جر الماعز)، وهى رياضة معروفة، لكن الغريب فى الأمر أن بعض الجنود الأمريكيين الموجودين فى أفغانستان يمارسون هذه الرياضة ويشاركون الأفغان فيها، وقد وردت صورة لأحد هؤلاء الجنود وقد وضع أمامه على فرسه عنزة مذبوحة وهو يصيح صيحة الإنتصار والفوز. ولا أدرى هل هذه مجرد منافسة رياضية عادية، أم أنها محاولة للتعبير عن مدى قوة الأمريكيين وقدرتهم على بسط نفوذهم فى كافة المجالات.

وقد وجدت فى هذه الصورة مناسبة طيبة للتعريف بهذه الرياضة القومية الأفغانية والكتابة عنها لتعريف القارئ العربى بها، خاصة وأننى عشت بين أبناء هذا الشعب المسلم الشجاع عاما كاملا فى العهد الملكى (عام ١٩٦٥)، وتعرفت على الكثير من عاداته وتقاليده عن كثب، بل وترجمت كتابا عن اللغة الإنجليزية حول هذه العادات والتقاليد نشر بالقاهرة عام ١٩٨١ تحت عنوان «صور من عادات الشعب الأفغانى وتقاليده».

أما عن البزكشى فهى رياضة من الرياضات الشعبية القديمة الشائعة فى آسيا الوسطى، وخاصة فى أفغانستان، حيث تقام مبارياتها فى مناسبات عديدة، وفى ظل رعاية تامة من المسئولين على مدى الأزمنة والعصور، وحتى يومنا هذا.

ويُفهم من الإسم الفارسى لهذه اللعبة أنها تعنى «لعبة جر الماعز»، حيث أن كلمة «بز» تعنى العنزة، أما «كشى» بفتح الكاف، فتعنى الجر أو السحب. غير أن البعض ترجمها بمعنى «قتل العنزة» لأن «كشى» بضم الكاف تكون مشتقة من المصدر «كشتن» بمعنى القتل، ومن هؤلاء لارى . ب. لامبرت الذى كتب مقالاً بعنوان: البزكشى رياضة الأفغان (AFGHAN SPORT : BUZKASHI)،
غير أننا نرجح المعنى الأول ونعتبره صحيحا، لأن نطق هذا الإسم عند أهل الفارسية يكون بفتح الكاف وليس بضمها. وإسم هذه الرياضة فى الأصل هو «اوغلاق» وهذه الكلمة تعنى «الماعز»، وهى كلمة تركية أصلا. وهناك أسماء أخرى تطلق على هذه اللعبة فى قيرغيزيا وكازاخستان واوزبكستان، وهى KOK-BORU أو OGLAK TARTIS.

ويبدو أن هذه اللعبة قد ظهرت متزامنة مع إستئناس الخيول فى المناطق المتاخمة لسواحل نهر جيحون «امو دريا» وآسيا الوسطى. ومن المعروف أن الخيول وتربيتها كانت تشكل أهمية كبيرة فى حياة الأتراك الرحل الذين كانوا يعيشون فى تلك المنطقة، ويعتمدون أساسا على الرعى، وفى نفس الوقت يستفيدون من الخيول فى الحروب والمعارك التى كانت تدور بينهم وبين أعدائهم، وقد طبعتهم هذه الحياة بطابع الفروسية والشجاعة، وإستخدمت هذه المهارة فى ركوب الخيل فى صيد الماعز الجبلى، ومن هنا ظهرت هذه اللعبة التى كانت وما زالت تهدف إلى إظهار شجاعة الفارس ومهارته فى الوصول إلى هدفه.

والخيول هى الأدوات الأساسية لهذه اللعبة، ويكون لأصالتها تأثير كبير ومباشر على نتائجها. ومن أهم أنواع الخيول المستأنسة والتى تشارك فى هذه المباريات نوع ينتمى إلى «قطغن QATAGHAN» ويتميز بقوته وقدرته على الصبر، والثانى وهو الذى يربى فى «بلخ» و«فارياب» ويتميز بضخامة جسمه وقوته أيضا. ويطلق الفرسان أسماء على خيولهم تبعا لألوانها، فالجواد الرمادى اللون يسمى «عراق» ARAGH والأشقر يقال له «سمند» SAMAND، والأحمر يقال له «جَيْران» JAYRAN والأبيض «كزل» QAZEL أو «بوز» BUZ.

وتعطى هذه الخيول بألوانها المختلفة رونقا خاصا لأرض الملعب الترابية التى تقام عليها رياضة البزكشى. وقد يصل سعر الجواد المدرب ما بين ١٠٠٠٠ إلى ١٥٠٠٠ دولار.

ولابد لهذه الخيول من تناول الطعام على فترات منتظمة حتى تؤدى مهمتها على أكمل وجه فى الملعب .
وتقوم هذه الرياضة أساسا على تنافس مجموعة من الفرسان على التحكم والسيطرة على ماعز أو عجل مذبوح حديثا ، ويجب على الفرسان إلتقاط جثة الماعز من على الأرض وهم يمتطون خيولهم وحملها إلى مكان معين ووضعها فيه ، وغالبا ما يكون هذا المكان عبارة عن دائرة مرسومة على أرض الملعب . وتسمى هذه الدائرة بإسم «دائره حلال» ، ويدل هذا التعبير على إسم المكان الذى يوصل فيه الفارس الذبيحة ، ولكى يفوز الفارس أو ما يطلق عليه فى الفارسية «چاپنداز» أو «چپ انداز» لابد أن يمر حاملا هذه الذبيحة بجانب راية ويوصلها إلى دائرة الحلال . ولكى تكون جثة الماعز صلبة لابد من نقعها فى الماء البارد قبل المباراة بأربع وعشرين ساعة ، وأحيانا تعبأ بالحجارة حتى يزيد وزنها ويصعب حملها ، وغالبا ما تقطع يدا الماعز ورجلاه من عند مفصل الركبة .
وينقسم الفرسان إلى فريقين ، وتبدأ المباراة بإشارة من الحكم ، وتستمر عادة من ساعتين إلى ثلاث ساعات ، وفى نهاية المباراة يعلن المنادى أو ما يسمى بالفارسية «جارچى» أو «جهرچى» نتيجة المباراة والفائزين ، وهو ما يسمى فى التركية « آخر اوغلاق» . وتعتبر هذه الرياضة من الرياضات العنيفة ، يلتحم فيها الفرسان مع بعضهم البعض ، وعندئذ تلعب القوة البدنية دورا رئيسيا ، وأحيانا ما يلقى الفارس زميله على الأرض حتى يبعده عنه وعن النيل من الذبيحة .
ويرتدى الفارس رداء يسمى بـ «چپن» كما يتمنطقون بأحزمة خاصة ، ويغطون رؤوسهم بقبعات سميكة ، وينتعلون أحذية طويلة .
وقد ظلت هذه الرياضة تتمتع بحماية الدولة الأفغانية وتشجيعها على مدى الحكومات المتعاقبة ، فقد كانت مباريات البزكشى تقام فى عهد الملك محمد ظاهر شاه (حتى عام ١٩٧٣م) فى مناسبة الإحتفال بمولده ، وقد غيرت الأنظمة التى جاءت بعد ذلك تاريخ المباريات إلى مناسبة الإحتفال بذكرى إنشاء منظمة الأمم المتحدة ، كما كانت هذه المباريات تقام أيضا فى مناسبات الزواج والختان .
ولابد أن يتصف الفارس الذى يشارك فى هذه اللعبة بالشجاعة وقوة البنية ، وعليه أن يقوم دائما بعمل تمارين وتدريبات صعبة تؤهله للقيام بهذه المهمة ، كما تلزم للمباراة أيضا خيول قوية أصيلة ومدربة ، وتشتهر المناطق الشمالية من أفغانستان بتربية الخيول الأصيلة الصالحة للمشاركة فى مثل هذه الرياضة الشعبية . وفى كابول عاصمة أفغانستان تقام هذه المباريات فى المناسبات الرسمية والأعياد فى إستاد غازى (ستوديوم غازى) وفى (چمن حضورى) وغير ذلك من الملاعب والأراضى الصالحة لممارسة هذه الرياضة . وقد شكلت حديثا إتحادات وأجهزة لهذه الرياضة فى العاصمة وغيرها من الولايات ، مما يدل على إهتمام الشعب الأفغانى بهذه الرياضة القومية . ويجدر القول بأن كثيرا من مباريات البزكشى تقام على نفقة بعض الأغنياء ، حيث ينفقون عليها بسخاء ، خاصة وأنهم يقدمون للفائزين جوائز نقدية وعينية كالملابس والسجاد والبنادق والجمال وغير ذلك ، وتوزع على الفريق الفائز من الفرسان .
وتتمتع هذه الرياضة بشعبية كبيرة عند الأفغان على وجه الخصوص ، إذ يتابع الناس هناك أخبار هذه اللعبة ونتائجها ، ويعرفون الخيول المشاركة واللاعبين المهرة المشهورين وهم على إستعداد لمشاهدة مبارياتها فى أى فصل من فصول السنة حتى ولو كان فصل الصيف الحار أو فصل الشتاء القارس البرودة . وعندما يقترب موعد المباراة يقوم اللاعبون بالتدريبات اللازمة ، ويتجمع الناس لمشاهدة هذه التدريبات وتقوم النسوة بمشاهدتها أيضا من فوق أسطح المنازل . وعلى الرغم من أن الأفغان جميعا مولعون بهذه الرياضة إلا أن هناك مدنا معينة يكون لهذه الرياضة فيها عشاق كثيرون مثل بلخ وبدخشان وتخار وسمنگان وجوزجان وفارياب وبغلان .
وقد تم تجسيد لعبة الـ «بزكشى» فى مشاهد بعض الأفلام السينمائية ، حيث جاءت فى المشهد الأول من فيلم «رامبو ٣» ، وصورت أيضا بدقة فى الحلقة الثانية من المسلسل الوثائقى «صعود الإنسان» (THE ASCENT OF MAN) لـ «جاكوب برونسكى» (JACOB BRONOWSKI) . وقد تناول هذه الرياضة أيضا الفيلم الذى أنتجته هوليود فى عام ١٩٧٠ بإسم «الفرسان» (THE HORSEMEN) والذى قام ببطولته عمر الشريف ، وهو مأخوذ عن رواية كتبها الروائى الفرنسى جوزيف كسل (JOSEPH KESSEL) تحت هذا العنوان «LES CAVALIERS» .
وتلعب هذه اللعبة دورا رئيسيا فى كتاب بعنوان «CARAVANS» أو القوافل الذى ألفه جيمس ميتشنر ، وكذلك الفيلم الذى أنتج بنفس هذا الإسم وقام ببطولته أنطونى كوين ، وتصور بعض مشاهد هذا الفيلم ملك أفغانستان السابق محمد ظاهر شاه وهو يشاهد هذه اللعبة ، وتم تصوير هذه المشاهد فى أحد ملاعب كابل . وهناك أفلام أخرى صورت هذه اللعبة وسجلتها فى مشاهد منها مثل فيلم «الرجل الذى سيكون ملكا» (THE MAN WHO WOULD BE KING) وهو فيلم لـ «جون هيوستن» (JOHN HUSTON) . وكذلك فيلم «توم سيليك» (TOM SELLECK) المعنون بإسم : الطريق إلى الصين (HIGH ROAD TO CHINA) الذى جسد هذه الرياضة فى عام ١٩٧٣ .
وقد ورد ذكر هذه الرياضة فى رواية «خالد حسينى» «عداء الطائرة الورقية» (THE KITE RUNNER) وفى هذه الرواية يشاهد البطل الرئيسى «أمير» حادثة فى لعبة البزكشى حيث يلقى أحد الفرسان مصرعه .
هذا وقد ظهرت هذه الرياضة أيضا بشكل مختصر فى فيلم «دودج بول» (DODGEBALL) ، وفى فيلم «كابل اكسبريس» (KABUL EXPRESS) الذى عرض فى

ديسمبر عام ٢٠٠٦ . وكذلك الفيلم الهندى «خدا گواه» (الله شاهـد) .

وعلى الرغم من تدهور هذه الرياضة الأفغانية فى عهد طالبان ، إلا أنها بدأت تنشط من جديد كغيرها من الرياضات ، نظرا لولع الأفغان بها ، وسريعا ما شكلت الفرق وتحددت مواعيد المباريات ، وقد أقيمت مباريات العشرة أيام فى مطلع السنة الجديدة (٢١ مارس) فى مدينة «قندز» . وهناك قوانين غير مكتوبة لهذه الرياضة ، ولكن الجميع يعرفها ، فمثلا يمنع جر الخصم أو ضربه باليد أو بأى شئ آخر ، وكذلك لابد أن يكون وزن العجل الذبيح لا يقل عن ٧٠ كيلو جراما .

وقد ترجمت فى عام ١٩٨١ كتابا بعنوان «الأفغان» ألفه باللغة الإنجليزية الأستاذ محمد على أستاذ التاريخ بجامعة كابول آنذاك ، ونشر فى القاهرة تحت عنوان «صور من عادات الشعب الأفغانى وتقاليده» ، وهو فى كتابه هذا يتعرض للألعاب الرياضية المحببة لدى الشعب الأفغانى ، وفيمايلى ما ذكره عن رياضة البزكشى ، حيث يصور هذه الرياضة كأفغانى معايش لهذه البيئة ، فيقول (أنظر ص ٤٦ وما بعدها من الكتاب المذكور) :

«البزكشى رياضة أفغانية مشهورة على الرغم من خطورتها ، وفيها يمتلئ الملعب بصدى سنابك الخيل الطائرة المرعدة ، وبهدير المتفرجين المنفعلين وصياحهم ، مما يعطى خلفية مثيرة للعبة الرياضية التى تبهر أنفاس الأفغانيين أكثر من غيرها بالتأكيد .

وتعتبر هذه اللعبة الرياضية إحدى الألعاب القومية لسكان شمال أفغانستان ، حيث ترى هناك الخيول الأصيلة بأعداد وفيرة جدا . وتعطى هذه الرياضة الفرصة للفرسان المتألقين وخيولهم ليستعرضوا مهاراتهم الفائقة ، ورشاقتهم وشجاعتهم للجماهير المتحمسة . وموضوع رياضة البزكشى هو أن يخطف الفارس عجلا مذبوحا من حفرة ضحلة محاطة بدائرة ، ويحمله ويعبر به ساحة ضخمة (غالبا ما يكون طولها عدة أميال) ، ويدور حول نقطة معينة فى أقصى تلك الساحة ثم يعود ويلقى به فى الدائرة الرئيسية .

وتلعب «البزكشى» بواسطة فريقين (عدد اللاعبين غير محدد ، ولكنه عادة ما يتراوح بين ستين ومائة فارس لكل فريق) . وأول ما يتم فيها هو ذبح عنزة أو عجل أو شاة ، وتوضع الذبيحة فى وسط دائرة . وعندما يتم هذا تعطى إشارة البدء ، فينقض جميع الفرسان - الذين يشكلون دائرة حول الذبيحة - عليها ، وعلى من يلتقطها بعد كفاح مرير ، أن يلقى بها أمامه على السرج وينطلق عدوا ، بينما يطارده الآخرون عن كثب حتى يلحق به أحدهم . وبينما هم يجرون فى عدو شديد يجاهد كل منهم فى الحصول على الذبيحة ، فمن يحصل عليها يتعقبه الآخرون تباعا بحماس شديد .

وعندما تسقط الذبيحة على الأرض - وغالبا ما يحدث هذا - يلتقطها الفرسان وهم ينطلقون بخيولهم ، ويمتطى الفرسان خيولهم بقدم واحدة ؛ ويلقون بأنفسهم على أحد جوانب الحصان ليتمكنوا من الإقتراب من الأرض وإلتقاط الذبيحة ، وهنا تظهر الحاجة إلى رشاقة كبيرة من ناحية الخيل ، حتى تتمكن من ثنى أقدامها الأمامية سريعا لتسمح لراكبيها بإختطاف العجل ، وعندما يتمكن أحد الفرسان من الإمساك بالذبيحة ، فإنه يحاول فى الحال الهرب من غوغاء الخيول المتطاحنة ، حاملا إياها بعيدا فى الوقت الذى يهاجمه فيه خصومه ، ويدافع عنه أعضاء فريقـه ، وخلال النزاع تنتقل الذبيحة إلى أيد مختلفة عدة مرات . والفريق الذى يتوصل إلى إعادة الذبيحة إلى الدائرة بنجاح بعد إتمام دورة فى الملعب ، هو الفريق الفائز . وإذا نزع المتسابق عباءة الخصم أو ضربه بالسوط ؛ فإنه بذلك يسجل خطأ .

وأفضل الأماكن لهذه الرياضة الساحة الكبيرة الناعمة الرملية ، وتشكل الأرض الصلبة المغطاة بالحجارة والحصى طريقا خطيرا جدا بالتأكيد .

وتقام مباريات «البزكشى» خلال شهور الخريف والشتاء ، لأنها تكون شاقة جدا فى حرارة الصيف . وللفرسان (ويسمونهم چب أنداز CHAPANDAZ) أزياء ورايات خاصة ؛ فيلبسون أغطية قطنية للرأس ، وعباءات قصيرة ، وسروايل قطنية ، وأحذية طويلة ذات كعوب عالية .

وفيما يختص بالخيل فتوجد سلالات عديدة تصلح لهذه الرياضة ، وأشهرها الخيول «القطغنية KATGHANI» . ويهتم معظم أثرياء الولايات الشمالية إهتماما شديدا بهذه الرياضة ، ويمتلكون خيولا عديدة خصيصا لرياضة «البزكشى» . وتروض تلك الخيول بعناية ، وتطعم جيدا ، وتطمر بإنتظام بواسطة الفارس (چب انداز) ، الذى لا يمتطى صهوتها عادة . وتستريح تلك الحيوانات من شهر مارس إلى أكتوبر ، وتروض داخل حلبة يحيط بها سياج . وتطعم يوميا بالشعير ، كما تطعم بدقيق الشعير المخلوط بالزبدة والبيض مرتين فى الشهر ، وتدخل كمية كبيرة من البطيخ فى غذائها أيضا . وغالبا ما تطعم بدهن الأغنام فى الشتاء» .

المراجــــــع :

- صور من عادات الشعب الأفغانى وتقاليده - تأليف الأستاذ محمد على - ترجمة الدكتور محمد نور الدين عبد المنعم - مكتبة الأنجلو - القاهرة ١٩٨١ .

AFGHAN SPORT : BUZKASHI - BY LARRY B.LAMBERT .

AFGHAN - NETWORK.NET

BUZKASHI - SPORT OF CENTRAL ASIA - WWW.OXGAMCUSA.COM-

WWW.HAMSHAHRIONLINE.IR داستان بزكشى

AFGHANISTAN'S NATIONAL PASTIME - BY : ARYN BAKER

WWW.TIME.COM



مصطفى پور محمدى

إعداد: محمد حسن إبراهيم

من هو بور محمدي؟

مصطفى بور محمدى من مواليد عام ١٣٣٨ هـ.ش ١٩٥٩م فى مدينة قم، وهو فى العشرين من عمره كان قاضيا فى محكمة الثورة بخوزستان، ومن المحتمل أنه كان أصغر قاضي شرعى بعد الثورة، وذلك فى الفترة من ١٣٥٨هـ.ش ١٩٧٩م وحتى ١٣٦٥هـ.ش ١٩٨٦م. وبعبارة أخرى فى هذه الفترة كانت له نشاطات فى محاكم الثورة فى خوزستان وبندر عباس وكرمانشاه. وبعد تشكيل وزارة الاستخبارات عمل فى هذه الوزارة حتى وصل إلى منصب نائب الوزير. ومع التطورات التى حدثت داخل الوزارة، وبداية تولى على يونسى المسئولية فى العام الثانى من عهد خاتمي، ترك بور محمدى منصبه.

مما لاشك فيه أنه لم يكن هناك وزير فى حكومة أحمدى نجاد بحجم بور محمدى فى عملية إبداء الرأى فى أمور مختلفة، لدرجة أنه كان يتصور أنه بديل لبرويز داوودى الذى يشغل منصب النائب الأول لرئيس الجمهورية، وأنه فى غياب الرئيس يتولى قيادة وإدارة الحكومة. وكما ذكر هو نفسه كان أهم إنجاز له فى وزارة الداخلية (إدارة علمية استهلاك الوقود ومحاصته) وذات مرة قال كل من يرانى يتذكر موضوع تخصيص البنزين، ووصل الأمر لدرجة أنه كان يتحدث بدلا من وزير البترول فى موضوع محاصة البنزين، وبينما كان المدير التنفيذى لشركة التكرير وتوزيع المشتقات النفطية ووزير النفط يرفضون الحديث فى هذا الأمر كان وزير الداخلية هو الذى يتحدث فى هذا الصدد. وكان بالفعل يتولى توجيه وإدارة هذا المشروع الكبير. وقد قوى هذا الدور بعد استقالة وزير النفط كاظم وزيرى هامانه واستمر لمدة أربعين يوما. ولم يتحدث وزير النفط عن طرح البنزين الحر فى الأسواق فى عطلة النيروز إلا بعد أعلن بور محمدى هذا الأمر.

التعيينات والتغيرات التى قام بها بور محمدي

كان مصطفى بور محمدى الذى قدم نفسه لساحة السياسة يختار مساعديه من بين اللذين لم يكن لهم وجود كبير على الساحات العلنية التنفيذية. فعين أشخاصا مثل العميد محمد باقر ذو القدر والعميد باسدار عليرضا افشار كنواب لوزير الداخلية. وتم تعيين ذو القدر رئيسا لإدارة مكافحة تهريب البضائع والعملة ولكن بعد فترة ونظرا لإصداراللوائح التى ترتب عليها رد فعل المسئولين فى القضاء سلم القيادة العامة للأركان، وعاد إلى الساحة السابقة.

ومع هذا وخلافا للتصورات الأولية مع مرور الوقت أصبح بور محمدى أكثر محافظة واختلف مع الأصولية الراديكالية. ويقال أنه لم يحافظ على علاقته برئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام فقط بل إنه قوى هذه العلاقة. بل إنه سمع أنه كان يعد تقريرا عن الانتخابات لهاشمى رفسنجاني، من الواضح أن هذه السلوكيات لم ترض أحمدى نجاد، خاصة وأنه كان يعرف أنه لم يصوت له فى الانتخابات الرئاسية، وأنه ربما صوت لعلى لاريجانى أو رفسنجاني. ولهذا لم يكن شيئا عاديا أن يكون هو المتحدث الرئيسى سواء فى مجاملته وسواء فى وادعه. وبهذا الاختلاف أو التشابه فى شهريور ١٣٨٤ هـ.ش ٢٠٠٥م تسلم سواء على لاريجانى أو بور محمدى قرار تعيينهما، فإنه فى ارديبهشت ١٣٨٧هـ.ش مارس ٢٠٠٨م تم عزل الاثنين: أحدهما من رئاسة المجلس الأعلى للأمن القومى والآخر من وزارة الداخلية.

عزل غير مسبوق

من المؤكد أن سلوك أحمدى نجاد مع وزير داخليته ليس له نظير فى تاريخ الجمهورية الإسلامية على مدى ثلاثين عاما؛ لأنه لم ينحى أي من أسلافه وهو فى منتصف الطريق. ولو أن عبد الله نورى أعتذر عن مواصلة التعاون مع الحكومة الأولى خاتمى فى الأيام الأخيرة من ربيع ١٣٧٧ هـ.ش ١٩٩٨م فإن ذلك لم يكن بأمر رئيس الجمهورية الإصلاحي، بل كان بسبب تصويت نواب المجلس الخامس على استجوابه. ومع ذلك لم تتزعزع ثقة خاتمى فى نورى وبعد ذلك عينه نائبا لرئيس الجمهورية لشئون التنمية السياسية. فى الواقع يمكن القول أن بور محمدى هو أول وزير داخلية يعزله رئيس الجمهورية فى تاريخ الجمهورية الإسلامية. وتتزايد حساسية هذا الأمر حينما ندرك أنه منذ عام ١٣٦٠ هـ.ش ١٩٨١ م ووزراء الداخلية فيما عدا حالة واحدة فقط كانوا دائما من المؤسسة الدينية. ففى الحكومة المؤقتة سلمت وزارة الداخلية للقاضى الطيب السمعة أحمد صدر حاج سيد جوادي، الرجل الذى يعتبر فى الوقت الراهن أكبر السياسيين الإيرانيين سنا، وهو فى العقد التاسع من العمر. وقد خلف الدكتور أسد الله مبشري بعد استقالته من وزارة العدل. وأصبح هاشم صباغيان على رأس وزارة الداخلية. ومع استقالة الحكومة المؤقتة دخل كبار أعضاء مجلس الثورة الحكومة، وتولى هاشمى رفسنجانى وزارة الداخلية، وبالفعل ظل رفسنجانى وزيرا للداخلية حتى اسفند ١٣٥٨هـ.ش ١٩٧٩م؛ لكن نظرا لترشحه لمجلس الشورى الوطنى الذى سمى فيما بعد مجلس الشورى الإسلامى استقال من وزارة الداخلية وترك مكانه لعضو آخر من مجلس الثورة وهو آية الله محمد رضا مهدوى كني.

أخيرا خرج وزير الداخلية السابق مصطفى بور محمدى عن صمته وتحدث فى حوار مع جريدة همشهرى عن تفاصيل عزله، "أول مرة طرح فيها موضوع نقلى كان فى شهر مرداد ١٣٨٥ هـ.ش٢٠٠٦ م. حيث طلب منى أن أستقيل، وكان الدكتور إلهام قد حمل إلى هذه الرسالة من قبل رئيس الجمهورية. فقلت كما أقول فى المرحلة الأخيرة أنا لست من أهل الاستقالة. من المؤكد أنه لم يكن لدى إصرار على البقاء فى المنصب، أنا لم أطلب من أحد أن أتولى مسئولية ولست على استعداد لأن أقدم استقالتي. قلت أنا لا أحبذ الاستقالة وليس لى من الأمر شيء، إلا أن يأمر مقام الزعامة بأن أذهب. نعم هذا من باب أن أمكن لتقبل الولاية وتسليم الأمر لها. فانتقل الموضوع إلى مقام الزعامة، فقال ليس من المصلحة أن تترك المنصب، وظل فى مكانك طالما أننى لم أقل شيئا آخر. ومن الواضح أنه تحدث مع رئيس الجمهورية، ولم يعلق رئيس الجمهورية ثانية." لكن بعد كل هذا تم عزل بور محمدي. يقول "وفى الثلاثين من شهر مارس ٢٠٠٨م كنا فى جلسة للمجلس الأعلى للأمن القومي. وعندما انتهت الجلسة قال لى رئيس الجمهورية لى معك كلاما آخر، ومن المؤكد أنه يجب أن أراك حتى نهاية الأسبوع. خرجنا من الجلسة، فقال لى السيد لاريجانى فى جانب من قاعة رئاسة الجمهورية موضوع نقلك جارى طرحه. فقلت قد كان مطروحا من قبل، لكن الآن نظرا لاقتراب موعد المرحلة الثانية من الانتخابات أرى أنه من المستبعد وأنه ليس فى المصلحة أن يحدث هذا الأمر. نعم بسبب طريقة تعامل الرئيس، كانت لدى بعض التخمينات بالنسبة لبعض الأمور التى كان يتابعها سيادته قبل العيد، لكن بالنسبة لموضوع نقلى كان تخمينى أكثر ضعفا. فى يوم ٢٠٠٨/٤/٣م جاءنى تليفون من مكتب رئيس الجمهورية مرتين يؤكد على الحضور فى اليوم التالى الساعة الحادية عشر، فقوى هذا الأمر من ظنوني. وكانت الجلسة يوم الأربعاء صباحا، وتحدثنا على مدى نصف فى موضوعات عامة، وبعد هذا أبدى قدرا من اللطف ثم قال إننى قررت أن يتم نقلك. فقلت ليس عندى كلام" ، ويواصل بور محمدى الكلام، صمت مقام الزعامة على موضوع عزله، لكن مكتب الزعيم قال أن صمته لم يكن رضا بما حدث. وهكذا يصف وزير الداخلية السابق عملية عزله "فى الأيام الأخيرة كانت هناك عدة نقاط مطروحة بشأن حركة تغيير المحافظين (رؤساء المحافظات) وتقرر أن يتم اتخاذ إجراءات طبقا للآلية التي يرتضيها رئيس الجمهورية. لكننى كنت شديد الحساسية بالنسبة لموضوع الانتخابات. وكنت أعتبرها واجبى الأكثر أهمية فى وزارة الداخلية وأن تكون الانتخابات نزيهة ومقبولة وجديرة بالدفاع عنها، وكنت أتحمل فى سبيل ذلك كل شيء، وبفضل الله تحملت الكثير من الضغوط والمصاعب التى واجهتنى وواجهت وزارة الداخلية بحيث أستطيع إنجاز مهمة الانتخابات بسلام. ولهذا كنت أرى أن تغيير المحافظين ورؤساء المدن ليس من المصلحة، وكان إحساسى أنه سيكون له تأثير سلبى على العملية الانتخابية ولهذا قاومت عملية التغيير فى هذا الوقت." كانت هذه المقاومة هى السبب وراء خروج بور محمدى من وزارة الداخلية.

توقيت العزل

سواء الحديث عن تغيير وزير الداخلية سواء حدوث ذلك التغيير قد تم فى توقيت لم يكن مناسبا بالمرة. فقد بدأ الحديث بالضبط على أعتاب المرحلة الثانية من الانتخابات الثامنة لمجلس الشورى الإسلامي، لدرجة أن هاشمى رفسجانى قال إن أحد الأسباب وراء التدنى الفظيع فى عملية التصويت وخاصة فى طهران تغيير وزير الداخلية وقد كان الأمر تأثير سلبيا على الأجواء الانتخابية.

ولو أن هذا الحادث تأخر قليلا وكان يعتبر متعلقا بزيارة مقام الزعامة لمحافظة فارس والزيارة الخارجية لرئيس الجمهورية لكنه حدث فى وقت كان يتوقع أن رئيس الجمهورية سينتظر حتى يفتتح المجلس الثامن وبعد تقديم تقرير عن الانتخابات يذهب وزير الداخلية لكن هذا لم يحدث، وبينما كان هناك أسبوعا واحدا على بداية عمل المجلس الثامن أصبح من الواجب على المشرف على وزارة الداخلية أن يقدم التقرير بدلا من وزير الداخلية، هذا فى حين وقت الانتخابات سواء ٢٤ اسفند أو ٦ ارديبهشت

وأخيرا تولى بور محمدى رئاسة هيئة التفتيش التابعة للسلطة القضائية ولازالت بورصة التوقعات حوله مزدهة

رؤى عربية

المناورات الجوية الإسرائيلية.. هل هى بروفة نهائية لضرب إيران؟(١/ ٢)

■ لواء أح متقاعد/ حسام سويلم

أثارت المناورات الجوية الضخمة التى أجرتها إسرائيل فى الأسبوع الأول من يونيو الماضى، وامتدت من شرق المتوسط إلى غربه عند جبل طارق بأكثر من ١٠٠ طائرة حربية، تساؤلات كثيرة على كلا الساحتين الإقليمية والدولية حول الهدف من هذه المناورات ومغزاها وفى هذا التوقيت بالذات، لاسيما وأنها اشتملت على موضوعات مهمة ذات صلة وثيقة بما يتردد عن مخططات إسرائيلية - أمريكية لشن عملية عسكرية ضد إيران قبل نهاية ولاية إدارة بوش فى ديسمبر ٢٠٠٨، كما كانت قد سبقتها مناورات أخرى جرت خلال العامين الماضى والحالى، بعضها قامت به إسرائيل منفردة والبعض الآخر بالاشتراك مع الولايات المتحدة ذات ارتباط وثيق بهذه المخططات الهجومية ضد إيران.

ورغم ما يجمع عليه كثير من السياسيين والعسكريين والخبراء الاستراتيجيين على الساحتين الإقليمية والدولية من خطورة إقدام أى من إسرائيل أو الولايات المتحدة أو كلاهما معا على شن عمل عسكرى ضد إيران، سواء كان محدوداً أو شاملاً فى أهدافه وأبعاده، والتى تتراوح ما بين هجمات جوية وصاروخية محدودة ضد المنشآت النووية الإيرانية بهدف تعطيل البرنامج النووى بضع سنوا، أو شاملة تستهدف تدمير كل القدرات النووية والعسكرية والاقتصادية الإيرانية حتى يتم إسقاط النظام الحاكم فى طهران، وذلك تحسباً لردود فعل عنيفة من جانب إيران قد تؤدى فى المقابل إلى ردود فعل أعنف من جانب إسرائيل والولايات المتحدة، قد لا يتمكن أى طرف من السيطرة على أبعادها أفقياً ولا رأسياً، وبما يدخل منطقة الشرق الأوسط والعالم معها فى أقوى صراعات مسلحة وحروب أهلية وعمليات إرهابية لا يعلم سوى الله مداها. ورغم إدراك الجميع لهذه الخطورة، إلا أن دلائل كثيرة وشواهد تشير، بل وتؤكد، على أن صناع القرار السياسى فى كل من الولايات المتحدة وإسرائيل لا يزالون يطرحون حتى اليوم وغدا الخيار العسكرى بقوة ضد إيران، رغم أن العمر الباقى فى إدارة بوش وحكومة أولمرت لا يشجع على اتخاذ مثل هذا القرار. إلا أنه يمكن لإدارة بوش المرتبكة فى العراق وأفغانستان وفى الداخل الأمريكى أيضا، وكذلك حكومة أولمرت أصبحت فى مهب الريح بعد الكشف عن جرائم الفساد التى ارتكبها أولمرت، أن يفعلا أى شئ فى أيامهما الأخيرة، وذلك طبقاً لمقولة معروفة هى "شجاعة آخر العمر أو آخر الحكم"، يفعلها مجانين القوة والنفوذ عندما يريدون الانسحاب من مسرح الأحداث بضوضاء وضجيج.

أولاً: أبعاد المناورات الإسرائيلية

نشرت صحيفة نيويورك تايمز تقريراً فى ٢٠ يونيو ٢٠٠٨ تحت عنوان "الولايات المتحدة تقول بأن المناورات الإسرائيلية موجهة نحو إيران". أشارت فيه إلى أن المناورات التدريبية الواسعة النطاق التى قامت بها إسرائيل فى الأسبوع الأول من يونيو وصفها المسئولون الأمريكيون بأنها تبدو كبروفة لعملية قصف شامل بالقنابل ضد منشآت إيران النووية. وأن هذه المناورات بدت كأنها جهود مبذولة لتطوير القدرة العسكرية الإسرائيلية للقيام بضربات طويلة المدى، ولإظهار جدية إسرائيل فى التعامل مع البرنامج النووى الإيرانى.

وقد اشتركت فى المناورات أكثر من ١٠٠ مقاتلة إسرائيلية F-١٦، F-١٥ وطائرات أخرى مساعدة، وتمت فوق شرق المتوسط واليونان، وأن التدريبات شملت أيضاً استخدام المروحيات فى إنقاذ الطيارين فى حالة سقوطهم وأن هذه المروحيات ومعها طائرات (الصهريج) لإعادة التموين بالوقود فى الجو طارت لأكثر من ٩٠٠ ميل (١٥٨٥ كم)، وهى تقريباً نفس المسافة بين إسرائيل ومصنع تخصيب

اليورانيوم فى ناتانز بإيران.
وقد أفادت مصادر فى هيئة الأركان اليونانية أن المناورة الإسرائيلية التى أطلق عليها (جلوريوس سبارتان) وأجريت فى القسمين الشرقى والجنوبى من جزيرة كريت وفى حقل رماية فى لاريسا، شاركت فيها قوات جوية يونانية وذلك فى إطار اتفاق سابق للقيام بتدريبات مشتركة بين الحكومتين اليونانية والإسرائيلية. وأن وزير الدفاع الإسرائيلى باراك هو الذى حدد مسافة تحليق الطائرات بـ ٩٠٠ ميل حتى سواحل اليونان باعتبارها مساوية للمسافة من إسرائيل إلى إيران. كما أكدت صحيفة (لايبوبليكا) الإيطالية أن عدداً كبيراً من العسكريين الأمريكيين تابعو هذه المناورات من إسرائيل، وأن هناك خططاً تشارك فيها المخابرات الإيطالية مع المخابرات الإسرائيلية تتعلق بضربة ضد إيران.
وفى الوقت الذى امتنع فيه، المسئولون الإسرائيليون عن كشف تفصيلات هذه المناورات، حيث اكتفى المتحدث الرسمى العسكرى الإسرائيلى بالتصريح فقط "أن القوات الجوية الإسرائيلية تقوم بتدريبات دورية على تنفيذ مهام مختلفة لكى تكون قادرة على صد ومواجهة التحديات التى تشكلها التهديدات المعادية التى تستهدف إسرائيل، إلا أن الحجم الضخم لهذه المناورات الجوية الإسرائيلية أثار اهتمام وكالات الاستخبارات الأجنبية، فقد وصفها مسئول فى وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) بأنه "يقصد بها أغراضاً سياسية واستراتيجية متعددة"، وأضاف أن أحد أهداف إسرائيل من ورائها هو التدريب على تكتيكات الطيران لمسافات بعيدة، وإعادة التموين بالوقود فى الجو، هذا إلى جانب التدريب على جميع المهام التفصيلية الأخرى المتعلقة بضربة جوية مركزة ضد منشآت إيران النووية بصواريخها التقليدية (شهاب) ذات المدى البعيد. وأضاف المسئول الأمريكى "إن الهدف الثانى هو تبليغ رسالة واضحة إلى الولايات المتحدة ودول أخرى مفادها أن إسرائيل على استعداد للتصرف عسكرياً إذا ما استمر تعثر الجهود الدبلوماسية فى منع إيران من إنتاج قنبلة يورانيوم مخصب. "ثم زاد مسئول البنتاجون الأمر إيضاحاً بقوله "إن الإسرائيليين يريدوننا أن نعلم، ويعلم كذلك الأوروبيون، وأيضاً الإيرانيون أن هناك خيارات كثيرة على مستويات مختلفة.
إلا أن عدداً من المسئولين الأمريكيين أفادوا بأنهم لا يعتقدون بأن الحكومة الإسرائيلية قد توصلت بشكل نهائى إلى اتخاذ قرار يلزمها بالهجوم على إيران، كما أنهم لا يعتقدون بأن هذا الهجوم وشيك الوقوع واستندوا فى استنتاجهم هذا فى أن تصريحات نائب رئيس وزراء إسرائيل ووزير النقل شاؤول موفاز لصحيفة يديعوت أحرونوت فى ٦ يونيو الماضى- فى اليوم التالى لنهاية المناورات الإسرائيلية- والتى قال فيها "إن الهجوم على إيران صار أمراً لا يمكن تجنبه بعد أن أظهرت استمرارها فى برنامجها لتخصيب اليورانيوم" قد انتقدها سياسيون إسرائيليون آخرون، وأرجعوها إلى رغبة موفاز فى تقوية موقفه السياسى الداخلى فى وقت تتصاعد فيه التكهنات حول مدى استمرار رئيس الوزراء إيهود أولمرت فى رئاسة الوزارة بعد نشر فضائح الفساد التى تمسه. وأن المسئولين الإسرائيليين أحاطوا قرناءهم الأمريكيين علماً بأن تصريحات موفاز لا تمثل السياسة الرسمية لدولة إسرائيل، ولكن فى الوقت نفسه أحيط المسئولين الأمريكيين علماً أيضاً بأن إسرائيل أعدت خططاً للهجوم ضد المنشآت النووية فى إيران، وقد تنفذها إذا احتاج الأمر إلى ذلك.- وفى المقابل- وعلى الصعيد الإيرانى- أفاد تقرير نيويورك تايمز المشار إليه أنفاً أن إيران أظهرت إشارات على أنها تأخذ تحذيرات إسرائيل على محمل الجد، وذلك بما اتخذته فى الأسابيع القليلة الماضية من إجراءات لتقوية دفاعاتها الجوية، بما فى ذلك زيادة عدد دورياتها الجوية من ذلك على سبيل المثال تنشيط المقاتلات الإيرانية الاعتراضية طراز f-١٤ (توم كات) الأمريكية القديمة والتى تم تحديثها أخيراً، ومضاعفة دورياتها الجوية لمراقبة خط الطيران المدنى بين بغداد وطهران خشية أن تستغله مقاتلات إسرائيلية أو أمريكية فى التسلل عبره لضرب أهداف إيرانية وأوضح أحد المسئولين فى إدارة بوش "من الواضح أن الإيرانيين منزعجين من هذه المناورات الإسرائيلية، لذلك فإن دفاعاتهم الجوية دائماً على أتم الاستعداد للمواجهة".
وقد أوردت نيويورك تايمز فى تقريرها المشار إليه أن كثيراً من الخبراء الأمريكيين يعتقدون بأن مثل هذا الهجوم الإسرائيلى المخطط، قد يؤخر البرنامج النووى الإيرانى عدة سنوات ولكنه لن يقتلعه من جذوره. ذلك لأن الكثير من منشآت البنية التحتية لها البرنامج متواجدة تحت الأرض ومحصنة بطبقات من الخرسانة المسلحة وداخل أنفاق طويلة أو دهاليز، مما يجعل قصفها بدقة أمراً صعباً للغاية. هذا إلى جانب وجود معضلة استخباراتية مهمة، وهى أن ليس كل المنشآت النووية، الإيرانية الحقيقية قد تم اكتشاف أماكنها أو تحددت محلاتها بدقة. ولذلك من أجل تحقيق أكبر قدر من التدمير فى هذه المنشآت، فإنه من الضرورى. معاودة قصفها عدة مرات، وهو الأمر الذى يصفه كثير من المحللين بأنه خارج قدرات إسرائيل حالياً.
ولكن من جهة أخرى، فإن تأجيل شن عمل عسكرى ضد إيران والانتظار على برنامجها النووى أكثر من ذلك، يشكل أيضاً مخاطر على الإسرائيليين. فقد عبر مسئولون إسرائيليون مراراً عن مخاوفهم من أن إيران فى النهاية سوف تمتلك التكنولوجيا التى تحتاجها لإنتاج الكمية اللازمة من اليورانيوم عالى التخصيب (٩٠٪ فأعلى) واللازمة لتصنيع أسلحة نووية. وفى المقابل- وفى إطار اتخاذ إيران إجراءات لتقوية وتدعيم دفاعاتها الجوية عن المنشآت النووية- حصلت منذ وقت قصير على نظامين لرادارات إنذار متقدمة روسية الصنع، وبما يزيد من قدرة إيران على اكتشاف الإنذار عن الطائرات المعادية التى تقترب إليها على ارتفاعات منخفضة. وقد أكد هذه المعلومة مدير

الاستخبارات الوطنية الأمريكية (مايكل ماكونيل) عندما صرح فى فبراير الماضى بأن إيران على وشك الحصول على نظام صواريخ أرض/ جو روسى الصنع جديد طراز سام ٢٠-(sa-٢٠)، ويفيد مسئولون عسكريون أمريكيون أن نشر مثل هذه الأنظمة الدفاعية الصاروخية سيعيق تخطيط إسرائيل شن هجوم جوى ضد إيران، مما يشكل ضغطاً متزايد على إسرائيل لكى تسرع بالعمل ضد إيران قبل أن تستكمل الأخيرة نشر هذه الأنظمة الدفاعية فى الميدان.

تقييم جهاز الاستخبارات الوطنى الأمريكى الذى صدر فى ديسمبر الماضى يشير إلى تعليق إيران العمل فى مجال تصميم أسلحة نووية منذ أواخر عام ٢٠٠٣، إلا أن التقييم الاستخباراتى المشار إليه لم يوضح من الواضح عما إذا كان العمل قد استؤنف فى هذا البرنامج من عدمه، خاصة وأن البرنامج النووى الإيرانى يرتبط ارتباطاً وثيقاً ببرنامج الصواريخ الباليستية (شهاب)، باعتبارهم خطوتان متلازمان لصناعة واستخدام أسلحة نووية، وباعتبار الصاروخ هو الوسيلة الرئيسية لإيران لإيصال أسلحتها النووية إلى أهدافها نتيجة عدم قدرة، المقاتلات الإيرانية على إيصال القنابل النووية إلى أهدافها، لذلك فإن الجهود الإيرانية فى البرنامجين متلازمة ومستمرة. وقد ختمت نيويورك تايمز تحقيقها حول المناورات الجوية الإسرائيلية الأخيرة بالإشارة إلى أن مسئولى البنتاجون يرون فى هذه المناورات الإسرائيلية- والتى تفوق فى حجمها ما اعتاد السلاح الجوى الإسرائيلى أن يشركه من طائرات فى مناوراته الصيفية المعتادة خلال السنوات الماضية، إلى جانب زيادة وتنوع حجم المهام التى تم التدريب عليها- قد بدت وكأنها تعكس التزام القادة العسكريين الإسرائيليين وتأكيدهم على قدرة قواتهم المسلحة المسلحة تسليحا جيداً والمدربة تدريباً فائقاً فى التغلب على المشاكل التى واجهتها فى حرب يوليو ٢٠٠٦ بجنوب لبنان أمام حزب الله، وتجاوز الصعوبات التى أشار إليها تقرير فينوجراد عن هذه الحرب. وفى ذلك يقول مسئولو البنتاجون "إن الإسرائيليين يكررون ويكررون، ويعيدون التدريب على تمثيل جميع المهام التى سينفذونها عندما يتخذ القرار بشن الضربة الجوية ضد إيران، حتى إذا ما كان عليهم أن ينفذوا ذلك فعلاً، يكونون فعلاً على أهبة الاستعداد، ولا يستبعدون أى خيارات خارج الطاولة، ولا يتركون شيئاً للمصادفة.

وفى إطار هذا التحسب لجميع الاحتمالات عقد إيهود أولمرت رئيس وزراء إسرائيل فى أواخر يونيو الجارى اجتماعاً سرياً مع الجنرال احتياط (أفرايم سيلع) قائد الهجمة الجوية على المفاعل النووى العراقى (أوزيراك) فى عام ١٩٨١، والذى شارك فى التخطيط لتدمير منصات الصواريخ السورية أثناء غزو لبنان عام ١٩٨٢، وهو أيضاً الذى شجع الجاسوس اليهودى الأمريكى جوناتان بولارد على تسريب معلومات بالغة السرية من جهاز المخابرات البحرية الأمريكية التى كان يعمل بها إلى إسرائيل. وفق ما ذكرته صحيفة (معاريف) فإن أولمرت أراد أن يسمع من الجنرال (سيلع) تقديراته بشأن نجاح العملية المخططة ضد البرنامج النووى الإيرانى.

وحول هذا الموضوع قال الخبير العسكرى الإسرائيلى (مارتن فان كريفيلد) أن نجاح أى عملية بهذا الحجم يستدعى معرفة البرنامج النووى الإيرانى بكامل تفصيله: ما هى مكوناته، ومواقع انتشاره، وعمق مخابئه؟.

وفى تقديره أن الإحجام عن القيام بمثل هذه المغامرة سيجعل من إيران قوة نووية ثانية فى منطقة الشرق الأوسط". ومعنى هذا أن الوجود النووى المتوازن سيلغى الدور الذى أوجده بن جوريون عن طريق الاستفراد بالسلاح النووى، والذى وصفه شيمون بيريز- الذى كان مسئولاً عن حصول إسرائيل على مفاعل ديمونة النووى من فرنسا- بأنه سلاح "الملاذ الأخير"، أى أن استخدامه لن يتم إلا عندما تتأكد إسرائيل بأن وجودها معرض لخطر حقيقى، تماماً مثلما حدث خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ يوم بكى موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى آنذاك عندما رأى أن عبور الجيش المصرى قناة السويس واكتساحه خط بارليف يمثل انهياراً للجبهة، وبأن إسرائيل عاجزة عن الاستمرار فى المقاومة، وقال آنذاك لرئيسة الوزراء جولدامائير: أنها نهاية المعبد الثالث فى صحراء النقب بشكل مكشوف أمام أقمار التجسس وطائرات الاستطلاع الأمريكية، الأمر الذى دفع هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية آنذاك إلى الإسراع بإنشاء جسر جوى نقل حوالى ٨٠٪ من ترسانة الجيش الأمريكى (دبابات وصواريخ مضادة للدبابات وقنابل وصواريخ جوية ووسائل حرب الكترونية ومقاتلات) إلى الجبهة المصرية فى العريش على الفور عبر جزر الأزور فى المحيط الأطلنطى، الأمر الذى غير نيران القوة فى الحرب لصالح إسرائيل، وبدأت عملية فصل القوات التى أشرف عليها كيسنجر وانسحبت إسرائيل فى النهاية من سيناء. وفى ذلك قال كيسنجر عائير أنه بذلك نجح فى "تأجيل حرب القيامة مائة سنة".

وعندما قرر مناجم بيجن رئيس وزراء إسرائيل عام ١٩٨١ ضرب المفاعل النووى العراقى، استند فى قراره إلى تشخيص "حكماء إسرائيل"، وخلاصته أن الإهمال فى شن ضربة وقائية ضد هتلر- زعيم ألمانيا النازية إبان الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥- تسبب فى سقوط أكثر من أربعين مليون نسمة فى هذه الحرب، ولو أن الاستخبارات البريطانية ركزت آنذاك على عملية اغتيال هتلر، لما حدث "الهولوكوست" ضد يهود ألمانيا. وفى ضوء ذلك التشخيص من حكماء إسرائيل قرر بيجن ضرب المفاعل النووى العراقى.

وقد تفاوتت تعليقات الصحافة الإسرائيلية على المناورات الجوية الإسرائيلية، فمن جهة رأى المحلل العسكرى فى صحيفة معاريف (عاميرربهابورت) أن النشر عن تدريب سلاح الجو الإسرائيلى فى نيويورك تايمز وتقارير أخرى

حول الموضوع ذاته.. يدل على أن إسرائيل "بقيت وحدها فى مواجهة القنبلة الإيرانية"، أما صحيفة يديعوت أحرونوت فقد نشرت مقال بـ (الكس فيشمان) ذكر فيه أن توقيت نشر تقرير نيويورك تايمز لم يكن محض صدفة، وإنما جاء فى وقت يدرس فيه النظام الإيرانى مقترحات قدمها الاتحاد الأوروبى وتقضى بأن توقف إيران برنامجها النووى مقابل حصولها على امتيازات كبيرة. ومن جهة أخرى ذكرت نفس الصحيفة أن الأمريكيين يتكتمون على خيارهم العسكرى ضد إيران، ويفضلون أن يكون الإسرائيليون هم "المجانين" فى المرحلة الحالية، ويطالبون أوروبا بألا تتوقف عن ممارسة ضغوط على إيـران. وفى مقابل ذلك فقد جاء توقيت المناورات الأخيرة مواكبا لتولى قائد سلاح الجو الإسرائيلى الجديد الجنرال (عيدو نحوشتان) مهام منصبه، الأمر الذى يعنى أن "إيران ستبقى الشغل الشاغل المركزى لنحو شتان" وقد أشارت الصحيفة إلى أن إسرائيل عملت على تنسيق التدريب مع عدد كبير من الدول فى المنطقة إلى جانب دول عظمى بدءا من استخدام أجواء دول وحتى التنسيق مع قيادات حاملات الطائرات الأمريكية والروسية. وقارن الكاتب فيشمان بين الاستعدادات الإسرائيلية لمهاجمة إيران ومهاجمة المفاعل النووى العراقى ومنشأة دير الزور السورية، وذلك من حيث أنه فى المرتين السابقتين لم تطلق إسرائيل تصريحات ولم تهدد، وإنما هاجمت وحسب، بينما هذه المرة "فنحن نهدد، وبإمكان الإيرانيين أن يكونوا مطمئنين، باعتبار المثل القائل بأن الكلب الذى يكثر من النباح لا يعض".

لكن المحلل العسكرى لصحيفة هاآرتس (عاموس هارئيل) توصل لنتيجة مختلفة، ورأى أن الوقت آخذ فى التقلص وقال "لو كان المسئولون فى القدس يفكرون بجدية فى أنه ينبغى عليهم، الاعتياد على توازن رعب نووى جديد، لسمعنا مديحا حيال عقلانية النظام الإيرانى"، ثم أشار إلى أن المسئولين السياسيين والعسكريين فى إسرائيل يدركون أن سلاح الجو الإسرائيلى ليس قادرا على تدمير كل المنشآت النووية الإيرانية، لكن رغم ذلك فإنهم يعتبرون أن تدمير قسم من هذه المنشآت وعرقلة تطور البرنامج النووى الإيرانى هو إنجاز بحد ذاته. وفى تحليل فنى دقيق للمصاعب التى تواجه تنفيذ الضربة ذكر (يوسف ميلمان) محلل الشئون الاستراتيجية فى هاآرتس: "إن احتمالات نجاح هجوم جوى ضد إيران مرتبط بالمعلومات الاستخباراتية التى ستتوافر لإسرائيل، فلابد أن تكون معلومات دقيقة تشمل معرفة ليس فقط أماكن المنشآت النووية التى سيتم قصفها، ولكن أيضا طبيعة التحصينات المتواجدة فى هذه المنشآت من حيث معرفة سماكة الأسمنت فى المبانى التى ستتم مهاجمتها والعمق المتواجد عليه الأهداف فى باطن الأرض. وأضاف "أن معلومات كهذه ستملى على إسرائيل نوعية الأسلحة والقنابل الذكية التى ستستخدمها، وأساليب تنفيذ الهجمات الجوية من حيث أسلوب واتجاه

وارتفاع الطائرات أثناء مهاجمتها لأهدافها". ثم أشار إلى تقارير صحفية أجنبية أفادت بان إسرائيل قد تستخدم الغواصات (دوليفن) التى لدى السلاح البحرى أيضا، والتى يبرز تفوقها فى قدرتها على الوصول إلى مناطق قريبة من إيران (خليج عمان) من دون اكتشافها، ولكن مساوئها تكمن فى عدد الصواريخ القليل نسبيا التى بإمكانها حملها. ولفت ميلمان إلى دراسة أمريكية تم إعدادها فى عام ٢٠٠٦، وتناولت هجوما إسرائيلية محتملا ضد إيران. وبحسب هذه الدراسة فإن لدى السلاح الجوى الإسرائيلى ثلاث مسارات لهجوم كهذا، المسار الأقصر والمركزى ويمر فى أجواء الأردن والعراق، والمسار الثانى يمر عبر الحدود التركية السورية، فيما يمر المسار الثالث فوق البحر الأحمر والسعودية أو بقربها.

ثانيا: أهداف المناورات الإسرائيلية:

١ – التدريب على تنفيذ المهام التى ستنفذها المقاتلات الإسرائيلية أثناء الضربة الجوية، وحل مشاكلها الاستراتيجية والفنية، وأبرزها قطع مسافات طيران طويلة، وإعادة التموين بالوقود فى الجو، ومهاجمة القواعد الجوية والمطارات والرادارات ومواقع الصواريخ أرض/ جو الإيرانية، ومهاجمة المنشآت النووية الإيرانية على نماذج مماثلة، وتوفير الحماية الجوية للطائرات المهاجمة أثناء تنفيذ مهامها، ومهاجمة وتدمير وحدات الصواريخ أرض / أرض (شهاب -٣) الإيرانية فى مناطق تمركزها وأثناء تحركها وقبل وخلال احتلالها مواقع إطلاقها وفيها، وتحقيق الإنذار الجوى المبكر والقيادة والسيطرة، وإدارة حرب إلكترونية تشمل استطلاع وإعاقة رادارية ولاسلكية ضد مراكز الدفاع الجوى ومراكز القيادة والسيطرة الإيرانية، والتقاط طيارين يحتمل سقوطهم أثناء العملية، والاقتراب من الأهداف المعادية ومهاجمتها على ارتفاعات منخفضة، واستخدام الذخائر المخصصة لتدمير المواقع الإيرانية المحصنة تحت الأرض وصوامع الصواريخ شهاب الثانية.

٢ – تبليغ رسالة إلى المسئولين فى إيران بأن إسرائيل على استعداد للتحرك عسكريا ضد إيران إذا فشلت الجهود الدبلوماسية والعقوبات الدولية فى إجبار إيران على التخلى عن برنامجها النووى، وأصرت على المضى قدما فى خططها لتخصيب اليورانيوم.

٣ – تبليغ رسالة إلى الإدارة الأمريكية أن إسرائيل على استعداد للتوجه منفردة لحل المشكلة النووية الإيرانية دون الولايات المتحدة، وعلى الأخيرة أن تتحمل مسئولية نتائج ما قد يحدث بعد ذلك إقليميا وعالميا.

٤ – أن إسرائيل ليست على استعداد لقبول النظرية الإيرانية القائلة بـ "توازن الرعب" بينها وبين إيران، رغم نجاح هذه النظرية فى منع تحول الحرب الباردة التى كانت سائدة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى قبل تفكك الأخير عام ١٩٩١ إلى حرب ساخنة – حيث لا يمكن تطبيق هذه النظرية على إسرائيل التى لا تتحمل ضربة نووية

واحدة لضيق مساحتها.

ثالثا: دلائل العمل العسكرى الإسرائيلى ضد إيران:

ليست المناورات الجوية الإسرائيلية الأخيرة هي الدلالة الوحيدة على وجود نوايا إسرائيلية لشن عمل عسكرى ضد إيران رغم ضخامتها مقارنة بالمناورات الجوية الإسرائيلية السابقة التى جرت بعشرات طائرات، بل توجد دلائل سياسية وعسكرية أخرى تؤكد على وجود هذه النوايا، ومن أبرز هذه الدلائل الآتى:

تصريح نائب رئيس وزراء إسرائيل ووزير النقل الجنرال احتياط شاؤول موفاز لصحيفة يديعوت أحرونوت فى ٦ يونيو الماضى والذى قال فيه بأن شن هجوم إسرائيلى على المواقع النووية الإيرانية "لا مناص منه" وذلك فى ضوء الإخفاق الواضح للعقوبات فى حرمان طهران من التكنولوجيا النووية التى يمكن استخدامها فى صنع أسلحة نووية، ثم أوضح قائلا: "إذا استمرت إيران فى برنامجها لتطوير أسلحة نووية سنهاجمها لأن العقوبات ثبت أنها غير فعالة". وأضاف موفاز أن الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد الذى دعا إلى محو إسرائيل من الخريطة "سيختفى قبل أن تختفى إسرائيل". ولكن موفاز الذى دأب منذ أسابيع على الإدلاء بتصريحات شديدة اللهجة حول قضايا عدة، أشار إلى أنه لا يمكن شن هجوم على إيران من دون دعم الولايات المتحدة، واعتبر أن الخيارات الأخرى "ساقطة" إذ تبنى أن العقوبات غير مجدية. ولم يعقب الناطق باسم رئيس الوزراء إيهود أولمرت (مارك ريجيف) على تصريحات موفاز مباشرة، ولكنه قال: "إن كل الخيارات يجب أن تبقى على الطاولة"، وزاد الناطق قائلا: "نعتقد بأن على المجتمع الدولى أن يفكر فى اتخاذ خطوات ملموسة، مثل فرض حظر على المنتجات النفطية المكررة المتجهة إلى إيران، وعقوبات ضد رجال أعمال إيرانيين يسافرون إلى الخارج، مع تشديد الضغوط على المؤسسات المالية الإيرانية". وهو ما انعكس بعد ذلك فى قرارات الاتحاد الأوروبى بتشديد العقوبات الاقتصادية المفروضة على إيران، وأبرزها منع التعامل مع بنك (ميللى) أكبر البنوك الإيرانية. وردا على تصريح موفاز قال الناطق باسم البيت الأبيض (سكوت ستانزل): "لن أعلق أهمية على تكهنات، مستدركا أن واشنطن تعطى الأولوية للدبلوماسية لمنع إيران عن مواصلة نشاطاتها النووية الحساسة"، وأضاف: "أعتقد بأننا كنا واضحين جدا بالنسبة إلى مقاربتنا حول إيران خلال الأسابيع والشهور الأخيرة".

وينبغى النظر أولاً لهذه التصريحات من خلال أهمية مصدرها، من حيث كونه وزير الدفاع السابق ورئيس أركان سابق، وعضو فاعل فى مجلس الوزراء الأمنى (المصغر)، والمشارك حتى اليوم فى التخطيط الدفاعى الإسرائيلى، وأحد كبار حزب كديما الحاكم وواحد من المرشحين لخلافة أولمرت فى رئاسة الوزارة فى حال استقالته، هذا إلى جانب كونه المسئول عن ترأس اللجنة الإسرائيلية فى مباحثات الشراكة الاستراتيجية السنوية بين إسرائيل والولايات المتحدة. والجدير بالذكر أن موفاز ولد فى طهران عام ١٩٤٨ وهاجر مع والديه إلى إسرائيل فى عام ١٩٥٧.

كذلك ينبغى النظر إلى هذا التصريح فى ضوء تصريح آخر لرئيس وزراء إسرائيل أولمرت صدر قبل أيام من تصريح موفاز، عند زيارة أولمرت لواشنطن دعا فيه الولايات المتحدة إلى التصدى للطموحات النووية الإيرانية "بكل الوسائل الممكنة".

وبموازاة ذلك نقلت صحيفة معاريف فى ٦ يونيو الجارى عن مصدر سياسى – امنى إسرائيل قوله أنه "فى نهاية المطاف ستضطر إسرائيل لمهاجمة إيران من أجل منعها من الحصول على قدرة نووية". وقالت الصحيفة أن المصدر ضالع فى المسائل الاستخباراتية المتعلقة بتقدم البرنامج النووى الإيرانى، وبالاتصالات بين إسرائيل والولايات المتحدة، والجدول الزمنى المتعلق بهذه القضية. ولفتت إلى أن رأى هذا المصدر ينضم إلى آراء مسئولين إسرائيليين كبار آخرين، يعتقدون أن احتمالات شن الإدارة الأمريكية الحالية هجوما عسكريا ضد إيران أخذت تتضاءل مع مرور الوقت، مما يجبر إسرائيل على تحول مسئوليتها لوضع حد ونهاية للخطر النووى الإيرانى القادم. وبررت معاريف ذلك نقلا عن مسئولين فى المؤسستين السياسية والأمنية الإسرائيليتين قولهم: "إن إسرائيل لا يمكنها أن تتحمل إيران نووية، ومن ثم ينبغى العمل ضد إيران فى أقرب وقت، وهو ما يتطلب تحقيق قدرة عسكرية قادرة على شل، أو على الأقل لمرحلة، البرنامج النووى الإيرانى، وهذا ليس أمراً فى السماء وإنما هو أمر ممكن تحقيقه". وكشفت معاريف أيضاً عن نقاشا حار داخل جهاز الأمن الإسرائيلى حول مهاجمة إيران، وأنه من جهة يستعد الجيش الإسرائيلى، وبالأساس سلاح الجو، لتنفيذ الخيار العسكرى فى حال اتخذت الحكومة الإسرائيلية قراراً بتنفيذه. ومن جهة أخرى مازال هناك كثيرون فى إسرائيل يعتقدون أن محاضر مثل هذا الهجوم بالغة للغاية، وأن الرد الإيرانى فى المنطقة كلهخا وفى العالم سيكون قاسياً، ومن ثم يجب على القيادات الإسرائيلية السياسية والعسكرية المعنية بشن عمل عسكرى ضد إيران أن تضع فى اعتبارها ثلاث مسائل مهمة تتمثل فى الآتى:

أولاً: رد الفعل الإيرانى على إسرائيل فى حالة تعرض الأخيرة لضربة عسكرية، ويشارك إيران فى رد فعلها الانتقامى كل من سوريا وحزب الله.

ثانياً: ضرورة مشاركة الولايات المتحدة فى العملية.

ثالثاً: احتمالات غير مستبعدة لاستخدام أسلحة نووية تكتيكية إذا ما تعرضت الولايات المتحدة وإسرائيل لخسائر جسيمة نتيجة رد الفعل الإيرانى.

وقد كان من شأن تهديدات موفاز لإيران أن قفز سعر برميل النفط ١١ دولار فى يوم واحد، ووصل إلى ١٣٩ دولار، ويتوقع أن يتجاوز ١٥٠ دولار إذا ما فرضت مجموعة ثالثة من العقوبات على إيران نتيجة إصرار الأخيرة

على مواصلة برنامجها لتخصيب اليورانيوم، حيث من المؤكد أنه في حالة تعرض إيران لعمل عسكرى، إسرائيلى أو أمريكى أو مشترك أن تتوقف عمليات نقل النفط عبر الخليج بسبب احتمالات إغلاق مضيق هرمز كما سيضاعف أسعاره.

ومن اللافت للنظر أن موفاز فى كلمته أمام مؤتمر هرتسليا السنوى الثامن الذى عقد فى يناير ٢٠٠٨ عبر عن قلقه من انهيار العزلة التى حاولت إسرائيل والولايات المتحدة فرضها على طهران، من خلال التطرق إلى استمرار العلاقات بين إيران وكل من روسيا والصين، وقال: "فى السنة الأخيرة، اتفقت روسيا وإيران على إكمال منشأة (بوشهر) النووية، ووقعت الصين على اتفاقية تجارية بالرغم من التجاوزات الفظة من جانب إيران، وتحسنت العلاقات بين الأمم المتحدة والدول العربية المعتدلة مع إيران". وأضاف موفاز مستنتجاً: "العالم يذهب إلى الخلف، هذا انهيار". ورأى موفاز فى مداخلاته أثناء المؤتمر أن إيران مازالت تشكل تهديداً وجودياً لإسرائيل، بل وللعالم كله، مشيراً إلى أن عامل الوقت آخذ فى النفاذ، ذلك أنه بقى سنتان فقط لوقف المشروع النووى الإيرانى قبل أن يصبح متأخراً وننجر إلى حرب عالمية ثالثة". وقد حاول موفاز تحريض المجتمع الدولى على إيران من خلال التحذير من أن الخطر الإيرانى لا يطال إسرائيل حصراً، فقال: "إن الرئيس محمود نجاد استطاع إقناع العالم بأن إسرائيل هى عدوه الوحيد، إلا أن إسرائيل هى جزء بسيط من طموحه الاستراتيجى". وأضاف أن الصواريخ التى تنتجها إيران يمكنها تجاوز إسرائيل بآلاف الكيلو مترات.

وحقيقة الأمر أن تصريحات موفاز الأخيرة لم تكن خروجا عن النص الاستراتيجى الإسرائيلى، فهى تعكس الجمع بين نظرية بيجين التى تؤكد على ضرورة بقاء إسرائيل القوة النووية الوحيدة بالمنطقة، وبين نظرية بن جوريون الداعية لاحتواء أطراف الصراع، وهو ما تمثل فى احتواء إيران بقواعد وتسهيلات إسرائيلية نجحت فى إقامتها فى أذربيجان بوسط آسيا، وتوثيق علاقاتها الاستراتيجية مع كل من الهند وتركيا، ووجودها المشبوه فى كردستان العراق. أما من حيث استغلال هذه التصريحات على الصعيد السياسى الداخلى فى إسرائيل، فقد هاجم مسئولون إسرائيليون بارزون هذه التصريحات، واتهموا موفاز - الطامح لخلافة رئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود أولمرت داخل حزب كاديما، باستغلال مشاعر الخوف من نشوب حرب إقليمية لخدمة طموحاته. حيث تدور منافسة شرسة على زعامة هذا الحزب، خاصة من جانب تسيبى ليفنى وزيرة الخارجية، وآفى دختر، ومئير شطرين، فقد استهدفت موفاز من تصريحه هذا وفى هذا التوقيت بالذات أن يقوم نفسه كمرشح للحزب باعتباره الجنرال الوحيد القادر على قول "لا" فى مواجهة ضغوط تفرض مزيداً من التفاوض مع سوريا حول الجولان، ومزيداً من توفير فرص لأجواء التهدئة مع الجانب الفلسطينى (حماس).

وإذا كان موفاز بتصريحه هذا يروج لعملية عسكرية ضد إيران، يعلم أن وضع ترتيباتها وخططها طى الكتمان إلى أن تحين ساعة الصفر أمر فى غاية الأهمية لا يختلف عليه العسكريون مع السياسيون، لهذا السبب يقول عمير ربابورن - الراسل العسكرى لصحيفة معاريف - "إن الثرثرة فى الأمور العسكرية لا تقود إلى نصر وإنما إلى ارتفاع أسعار النفط بلا سبب جوهرى.. ولا تخفف من وطأة توتر، ولكنها تؤدى حتماً إلى شوشرة لا تتوافق مع أوضاع حكومة على وشك الانهيار، ولكنها ستكون مصدر تنبيه له قيمته عند طهران التى ستسعى حتماً إلى مزيد من التأهب والاستعداد.

إذن لماذا أطلق موفاز هذه التصريحات، وهو القائد العسكرى السابق الذى يعرف جيداً أن مصلحة إسرائيل الأساسية تتطلب منه ضبط انفلاته الأمنى، ويعرف كذلك أن سبل الدعاية لمسائل حزبية داخلية لا يتحقق عن طريق نشر التصريحات التى تضر أكثر مما تنفع، ويعرف أيضاً أن الائتلاف العربى (الأمريكى - الأوروبى) لمحاربة الملف النووى الإيرانى الذى تديره واشنطن يسعى لإيجاد صيغة توافقية يعمل ضمن إطارها جميع الأطراف المشتركة فيه بما فى ذلك إسرائيل، دون أن يشذ أحدهم عن دوره؟ أغلب الظن أنه دور مرسوم وليس انفلاتا أمنياً من أحد المسئولين الإسرائيليين كما قالت بعض الصحف الأوروبية، دور تواصل من خلاله واشنطن ممارسة سياسة العصا والجزرة، التى يتبعها الرئيس بوش تجاه طهران، حيث الترويج دائما لإمكانية وجود مخرج سياسى لكل المشكلات بجانب الإصرار على فرض العقوبات، وتجميد الأموال، ومحاكمة المسئولين، مع التهديد بتوجيه ضربة عسكرية قاصمة. وهو دور ربما قصد به التغطية على مجموعة من المقابلات التى جرت مؤخراً بين أطقم من المخابرات الأمريكية ونظرائهم الإسرائيليين، تقول المصادر الأوروبية أنها تركزت حول أفضل السبل لإغلاق ملف إيران النووى بأيسر سبل وأقل تكلفة.

كذلك جاءت تصريحات موفاز بعد الهدوء النسبى فى بعض أنحاء العراق، وبعد التطمينات التى قدمها رئيس وزراء العراق نورى المالكى لإيران إبان زيارته الأخيرة لطهران حول الاتفاقية الجبرية التى تستعد حكومته لإبرامها مع واشنطن. كما سبقت تصريحات موفاز البيان الختامى الذى صدر عن القمة الأوروبية التى شارك فيها الرئيس الأمريكى بوش فى ١٠ يونيو الماضى، مؤكداً "الاستعداد لتكملة العقوبات بإجراءات إضافية تضمن عدم إساءة استخدام البنوك الإيرانية للنظام المصرفى الدولى لأجل دعم انتشار الأسلحة غير التقليدية والنووية ودعم الإرهاب..

وهكذا قام كل طرف بدوره المحدد له.. موفاز عبر عن الاستعداد الإسرائيلى الكامل لتوجيه ضربة ولو بشكل منفرد ضد إيران كوجه من أوجه ممارسة الضغط الخشن، أما

الطرف الأوروبى ومعه الطرف الأمريكى فقد أكدا قدرتهما على مواصلة الضغط السياسى والاقتصادى والانتقال به إلى مستوى حرمان إيران من ودائعها المالية فى البنوك الدولية. ويبقى على إيران أن تحدد موقفها: أما مواصلة تخصيب اليورانيوم والتعرض لضربة عسكرية، أو توقيف التخصيب وضمان سلامة ليس فقط منشآتها العسكرية والنووية، ولكن أموالها فى الخارج أيضاً.

وقد كشفت عدة مصادر أمنية ودفاعية فى إسرائيل عن وجود خمس خطط تكاملية فيما يتعلق بشن عملية عسكرية ضد إيران، وهى على النحو التالى:

أ - خطة لتوجيه ضربة جوية وصاروخية مركزية ضد أخطر المنشآت النووية الإيرانية فى ناتانز وأصفهان وآراك، بواسطة القدرات الإسرائيلية فقط، ودون مشاركة أمريكية.

ب - خطة لتوجيه ضربة جوية وصاروخية شاملة ضد أهداف نووية وعسكرية واقتصادية فى إيران بمشاركة الولايات المتحدة، تكون فيها إسرائيل بمثابة رأس رمح.

جـ - خطة لمواجهة رد الفعل الإيرانى على صعيد تأمين ووقاية الجبهة الداخلية فى إسرائيل فى حالة تعرضها لقصف صاروخى من جانب إيران بواسطة صواريخ (شهاب ٣، ٤) مزودة برؤوس تقليدية وفوق تقليدية (كيماوية وبيولوجية).

د - خطة لشن هجمات صواريخ كروز برؤوس نووية تكتيكية من الغواصات دولفين الإسرائيلية ضد أهداف استراتيجية إيران تنتشر فى خليج عمان، كرد انتقامى من جانب إسرائيل فى حالة تعرضها لقصف صاروخى إيرانى.

هـ - خطة لمواجهة احتمالات قيام كل من سوريا وحزب الله وحماس بشن هجمات صاروخية ضد إسرائيل، بالتزامن مع ضربات صاروخية إيرانية، وذلك فى إطار الشراكة الاستراتيجية بين إيران وسوريا وحزب الله وحماس.

وقد سبق أن بحث موفاز مع إدارة بوش إمكانية شن عمل عسكرى مشترك ضد إيران تستخدم فيه أسلحة نووية تكتيكية لتدمير المنشآت النووية الإيرانية المتواجدة تحت الأرض.

ومن الدلائل أيضاً على العمل العسكرى الإسرائيلى المتوقع ضد إيران زيارة وزير الدفاع الإسرائيلى إيهود باراك لتركيا لحثها على السماح للطائرات الإسرائيلية بعبور الأجواء التركية عند شن هجوم جوى ضد إيران، مع السماح بهبوط اضطرارى للطائرات الإسرائيلية عند اللزوم. كذلك زيارة نائب الرئيس الأمريكى ديك تشينى لأنقرة منذ شهرين لنفس السبب، ومقايضة ذلك بدعم الولايات المتحدة لتركيا فى حربها ضد حزب العمال الكردستانى بالمعلومات والذخائر، والسماح للطائرات والقوات التركية بالعمل فى مناطق شمال العراق الخاضعة لحكومة كردستان برئاسة البرزانى على غير إرادتها.

وفى نفس إطار الدلائل على شن عمل عسكرى إسرائيل ضد إيران تشكيل مركز قيادة عمليات خاصة برئاسة قائد السلاح الجوى الإسرائيلى الجنرال اليعازر شكيدى مقره فى مركز الإنذار المبكر الجوى والفضائى جنوب تل أبيب، بهدف قيادة القوات الجوية الإسرائيلية أثناء تنفيذها للخطة الهجومية ضد إيران، كذلك تشكيل سربين أحدهما مقاتلات قاذفة F-١٦ والآخر مقاتلات اعتراضية متعددة المهام F-١٥ متمركزين فى قاعدتين جويتين بصحراء النقب وفى تل توف هذا بالإضافة لتدريب معظم أسراب المقاتلات الإسرائيلية على التحليق لمسافات بعيدة وصلت إلى غرب المتوسط حيث مضيق جبل طارق وإلى جزيرة مالطة فى شمال المتوسط. فقد فوجئت الرادارات اليونانية والتركية والأسبانية بظهور هذه الأحجام الكبيرة من الطائرات على شاشاتها خارج المياه الإقليمية وتم اعتراضها باعتبارها طائرات معادية حتى اكتشفوا أنها طائرات إسرائيلية، بالإضافة للتدريب على تلقى الإنذار الفضائى بإطلاق صواريخ معادية ضد إسرائيل، وسرعة تدمير مواقعها قبل أن تعاود إطلاقها.

كما شملت التدريبات الإسرائيلية أيضاً تنفيذ عمليات تداخل على شبكات الكمبيوتر الإيرانية بهدف إغلاقها، خاصة المتعلقة بالبنوك والمواصلات والعمليات الاقتصادية. وكانت تجربة الإعاقة على وحدات الدفاع الجوى السورية (بانتسير ١-١) التى كانت تحمى موقع الكبر الذى قيل أنه مفاعل نووى سورى تحت الإنشاء فى شمال دير الزور يوم ٦ سبتمبر ٢٠٠٧، ونجاح المقاتلات الإسرائيلية F-١٥ فى الإغارة على الموقع وتدميره، بمثابة تجربة ناجحة لمواجهة الدفاعات الجوية الإيرانية ذلك عند تنفيذ خطط الهجوم ضد إيران.

وفى إطار الإعداد للعملية العسكرية الإسرائيلية المتوقعة ضد إيـران، حصلت إسرائيل من الولايات المتحدة فى سبتمبر عام ٢٠٠٤ على كميات ضخمة من الذخائر الجوية الذكية شملت ٢٥٠٠ قنبلة ماركة ٨٤ زنة ٢٠٠٠ رطل، ٥٠٠ قنبلة ماركة ٨٣ زنة ١٠٠٠ رطل، ١٥٠٠ قنبلة ماركة ٨٢ زنة ٥٠٠ رطل، وجميعها مزودة بنظام (JDAM Jaint Directed Attark Munition) للتوجيه الدقيق الذى يربط القنبلة بالهدف من خلال قمر صناعى بواسطة جهاز Ges. وفى نوفمبر ٢٠٠٤ حصلت إسرائيل أيضاً على ٥٠٠ قنبلة Blu - ١٠٩ المضادة للتحصينات، GBU - ٢٨ , ٢٧ وتم تسليح المقاتلات F-١٥/F-١٦ بها.

رابعاً: حقائق مهمة عن الضربة الإسرائيلية ضد إيران

ينبغى النظر إلى التصريحات الصادرة من جانب المسئولين فى كل من إسرائيل والولايات المتحدة حول الحرب ضد إيران لتدمير منشآتها النووية فى ضوء عدة حقائق على النحو التالى:

الحقيقة الأولى: أن من أسس الاستراتيجية الإسرائيلية تأمين احتكارها النووى فى المنطقة، وعدم السماح لأية دولة عربية أو إسلامية (بعد باكستان) بامتلاك سلاح نووى

يكبير هذا الاحتكار. وتشارك الولايات المتحدة إسرائيل تماماً في هذا المفهوم. وما تنطق به تصريحات المسئولين الإسرائيليين والسلوكيات السياسية والعسكرية الإسرائيلية إزاء القضية النووية الإيرانية، وضرورة منع إيران من امتلاك سلاح نووي بأية وسيلة - سواء كانت عقوبات سياسية واقتصادية أو عمل عسكري - هو تطبيق كامل لهذه الاستراتيجية والتي نفذها بيجين عام ١٩٨١ عندما قرر إجهاض البرنامج النووي العراقي بضرب مفاعل أوزيراك عام ١٩٨١ وتدميره، وأيضاً قرار حكومة أولمرت بشن ضربة جوية في ٦ سبتمبر ٢٠٠٧ ضد منشأة (الكبر) في شمال دير الزور بسوريا قبل أنها بداية إنشاء مفاعل نووي سوري بتقنية من كوريا الشمالية ولصالح إيران.

الحقيقة الثانية: أن أية عملية عسكرية تقوم بها إسرائيل ستتم في تعاون وتنسيق كاملين مع الولايات المتحدة، وذلك لعدة أسباب: أولاً: أن إيران صرحت بأن أي هجوم سيتم شنه ضدها، سواء كان من قبل إسرائيل وحدها أو الولايات المتحدة وحدها أو بالاشتراك بين الدولتين، فإن الرد الانتقامي الإيراني سيشمل الدولتين (أمريكا وإسرائيل)، ومن ثم وجب عليهما التعاون والتنسيق بينهما سواء عند المبادرة بالفعل (شن الهجوم)، أو عند مواجهة رد الفعل الإيراني الانتقامي. ثانياً: أن إمكانات وقدرات إسرائيل الجوية رغم ضخامتها (٤٢٥ مقاتلة قاذفة واعتراضية F-١٦/١٥) لا تمكنها من شن ضربة جوية شاملة وناجحة ضد إيران، بالنظر لكثرة الأهداف المطلوب التعامل معها لإنجاح هذه الضربة. حيث لا تقتصر فقط على ضرب ٢٤ منشأة نووية، ولكن ينبغي أن تشمل أيضاً وقبل ذلك تدمير وسائل الدفاع الجوي الإيرانية والتي تشمل الرادارات وكتائب الصواريخ أرض / جو لإمكان فتح ثغرة في نظام الدفاع الجوي الإيراني يمكن للمقاتلات القاذفة (F-١٦) أن تنفذ منها لتدمير الأهداف المخصصة لها. كذلك قصف القواعد الجوية والمطارات الإيرانية حتى لا تنطلق منها المقاتلات الاعتراضية الإيرانية، هذا بالإضافة لأهمية تدمير مراكز القيادة والسيطرة السياسية والاستراتيجية الإيرانية وما تشملها من عقد ومراكز اتصالات لشل سيطرة القيادات الإيرانية على وحداتها العسكرية المعكفة بالرد على الضربة الجوية. والأهم من كل ذلك هو أعطاء أسبقية مطلقة لتدمير وإسكات وتحييد قوات ووسائل الضربة الانتقامية الإيرانية وأبرزها وحدات الصواريخ شهاب التي ستقصف إسرائيل والقواعد الأمريكية في الخليج، ووحدات الحرس الثوري الإيراني مع إعطاء اهتمام خاص لسرعة تدمير الوحدات البحرية للحرس الثوري في قواعدها بالموانئ المتواجدة في الجزر الإيرانية وبندر عباس بالخليج حتى لا تتعرض للسفن الحربية الأمريكية وناقلات النفط وموانئ تصدير النفط والقواعد البحرية الأمريكية على الساحل الغربي للخليج. وبرصد جميع هذه الأهداف الإيرانية المطلوب قصفها - نووية وغير نووية - تبين أنها تصل إلى حوالى ٣٠٠ هدف، وعلى أساس تخصيص أربعة (٤) طائرة مقاتلة قاذفة لكل هدف، فسيكون المطلوب ١٢٠٠ طلعة / طائرة، وباعتبار أن متوسط الطلعات لكل طائرة في اليوم ٣ طلعة طائرة / يوم فيكون عدد المقاتلات القاذفة اللازمة لقصف جميع هذه الأهداف في يوم واحد لضمان سرعة اسكاتها ٤٠٠ مقاتلة قاذفة أو ٢٠٠ مقاتلة قاذفة في يومين، ومع إضافة ما لا يقل عن ٢٠ - ٣٠ مقاتلة اعتراضية لحماية المقاتلات القاذفة أثناء تأدية مهامها فيكون إجمالي المطلوب لإنجاح الضربة الجوية حوالى ٤٣٠ مقاتلة إذا تمت العملية في يوم واحد أو ٢٣٠ مقاتلة إذا تمت في يومين. فإذا كان إجمالي ما تملكه إسرائيل من مقاتلات حديثة ٤٢٥ مقاتلة، مطلوب تخصيص ليس أقل من ثلثهم - ١٤٠ مقاتلة للعمل في الأجواء الإسرائيلية لمواجهة احتمالات شبه مؤكدة لتعرض إسرائيل لهجمات صاروخية من قبل سوريا وحزب الله وحماية الأجواء الإسرائيلية، فإن عدد المقاتلات الإسرائيلية الممكن تخصيصها للضربة الجوية ضد إيران لن تزيد عن ٢٨٥ مقاتلة، وهي لا تكفي لتنفيذ ضربة جوية ناجحة تحتاج إلى ما لا يقل عن ٤٠٠ طائرة مقاتلة، هذا بالإضافة لضرورة توافر طائرات ذات مهام أخرى للإمداد بالوقود في الجو، وE٢c للإنذار المبكر والقيادة والسيطرة، وطائرات حرب إلكترونية لتنفيذ عمليات الإعاقة الرادارية واللاسلكية، ومروحيات للقيام بعمليات إنقاذ الطيارين في حالة سقوطهم، وهو حجم من الطائرات لا تستطيع إسرائيل بإمكاناتها الحالية توفيره، الأمر الذي يتحتم معه الاستعانة بالإمكانات الجوية الأمريكية، وهو ما عبر عنه موفاز بقوله "لا يمكن شن مثل هذا الهجوم بدون دعم أمريكي".

الحقيقة الثالثة: اعتقاد بوش ونائبه تشيني، ومعهم إسرائيل أنه إذا لم يتم وضع نهاية للبرنامج النووي الإيرانية سواء بالطرق السياسية والعقوبات، أو بواسطة عمل عسكري - في عهد الإدارة الأمريكية الحالية وقبل انتهاء ولايتها في ديسمبر ٢٠٠٨، فإن أي رئيس أمريكي سيأتي بعده لن يستطيع أن يتخذ مثل هذا القرار، سواء كان جمهورياً أو ديموقراطياً - وبالتالي إذا لم توضع نهاية للبرنامج النووي الإيراني قبل سنتين بوسيلة أو بأخرى، فإن إيران خلال ٢ - ٥ سنوات ستمتلك سلاحاً نوويا، خاصة بعد أن زادت إيران من أعداد أجهزة الطرد المركزي التي تقوم بعملية تخصيب اليورانيوم إلى ٣٠٠٠ جهاز P-١ وبعضهم طراز P-٢ المتطور والأكثر دقة ونقاوة وسرعة وأقل أعطالاً، هذا إلى جانب البدء في استخدام أسلوب أشعة الليزر في تخصيب اليورانيوم في مصنع (لأشكارا آباد). فإذا كانت معادلة التخصيب تقول أنه يمكن بواسطة ٥٠٠ جهاز طرد مركزي P-١ تخصيب إلى واحد كجم يورانيوم ٢٣٥ بنسبة أعلى من ٩٠٪ خلال خمس سنوات، فإنه بواسطة الـ ٣٠٠٠ جهاز طرد مركزي الجاري تشغيلها حالياً في مصنع ناتانز يمكن تخصيب ٦ كجم يورانيوم بنفس النسبة خلال نفس

الفترة (٥ سنوات). ولكن لأن السلاح النووى الواحد ذو "القدرة ٢٠ كيلو / طن (قوة تدميرية تعادل ٢٠,٠٠٠ طن متفجرات) يحتاج إلى ٢٥ كجم يورانيوم مخصب، فإن هذا السلاح يحتاج بالتالى إلى حوالى ١٢,٠٠٠ جهاز طرد مركزى. لذلك تخطط إيران لزيادة عدد هذه الأجهزة خلال السنوات القليلة القادمة إلى ٥٤٠٠٠ جهاز، مع استبدالهم بأجهزة طراز P-٢، وإشراك تقنية استخدام الليزر فى عمليات التخصيب، وهو ما يعنى فى المحصلة زيادة حجم اليورانيوم المخصب المطلوب لتصنيع أكثر من سلاح نووى، وتقليص الفترة الزمنية اللازمة لذلك لأقل من خمس سنوات. هذا إلى جانب ما ينتجه المفاعل النووى فى آراى من بلوتونيوم ٢٣٩ يحتاج السلاح النووى منه إلى ٦ - ٨ كجم.

ومن ثم فإن أى عمل عسكرى لإجهاض هذا البرنامج قبل أن يحقق أهدافه ينبغى أن يتم خلال ١ - ٢ سنة على أكثر تقدير قبل أن يبلغ مرحلة اللا عودة. ولذلك - وفى ظل الحقيقة الثانية السابق الإشارة إليها - فإن أنسب توقيت لتنفيذ العملية العسكرية ضد إيران هو فى الخريف القادم وقبل نهاية ولاية بوش، خاصة وأن إسرائيل لا تضمن أن يكون القادم الجديد فى البيت الأبيض عام ٢٠٠٩ ومثل حماس بوش ونائبه تشينى فى الرغبة لضرب إيران انتقاما لتدخلها فى العراق، والذى تسبب فى إفساد المشروع الأمريكى هناك.

الحقيقة الرابعة: أن تنفيذ عملية عسكرية تستهدف تدمير المنشآت النووية الإيرانية والصاروخية الإيرانية ليست صعبة بل ممكنة سواء من جانب إسرائيل أو الولايات المتحدة. ولكن الصعوبة تكمن فى مواجهة ردود الفعل الإيرانية بعد ذلك، ليس فقط على الساحتين الإيرانية والخليجية ولكن على كل الساحة الشرق أوسطية، بل وكل الساحة العالمية. حيث تتمثل ردود الفعل الإيرانية المحتملة فى الآتى:

١-قصف المدن الإسرائيلية والقواعد الأمريكية البحرية والجوية فى الخليج وآسيا الوسطى وجنوب آسيا فى أفغانستان بصواريخ شهاب والفاتح -١١٠.

٢-دفع وحدات الحرس الثورى ومتطوعى الباسيج بقوة تصل لأكثر من نصف مليون فرد لإدارة مذابح ضد القوات الأمريكية والبريطانية فى جنوب العراق، بالتعاون مع الميليشيات العراقية التابعة لإيران (فيلق بدر التابع للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية وجيش المهدى التابع لمقتدى الصدر، إلى جانب عناصر من القاعدة وذلك بأسلوب الموجات البشرية الانتحارية المتتالية، وحيث يقدر حجم الخسائر الأمريكية فى هذه الحالة بحوالى ٢٠٠٠ - ٣٠٠٠ قتيل، مع أحكام السيطرة الإيرانية على جنوب العراق.

٣-مهاجمة السفن الحربية الأمريكية والقواعد الأمريكية البحرية فى الساحل الغربى للخليج - خاصة قيادة الأسطول الخامس فى البحرين - وناقلات النفط بزوارق ولنشأت مسلحة بصواريخ بحرية وراجمات صواريخ متعددة المواسير، وزوارق وغواصات صغيرة وطائرات صغيرة انتحارية وموجهة عن بعد، لكى تنفجر فى السفن الحربية الأمريكية الكبيرة وناقلات النفط والقواعد البحرية الأمريكية المتواجدة على الساحل الغربى للخليج، وحيث تتواجد منصاب تصدير النفط فى دول مجلس التعاون الخليجى ومنشآت إنزال قوات خاصة إيرانية، بالإضافة لما هو متواجد فعلاً من صواريخ ساحلية C-٨٠١، C-٨٠٢ ويصل مداها إلى ١٠٠ - ٢٠٠ كجم، حيث قامت بحرية الحرس الثورى باحتلال ١٥ جزيرة فى الخليج من أصل ٣٣ جزيرة غير مأهولة، أبرزها أبو موسى وطنب الكبرى وطنبة الصغرى وخرج وسيرى وكبش ولافان وبندر حماس وشاه بحر وقشم، وتسليحها بمواقع لهذه الصواريخ الساحلية.

٤-إغلاق مضيق هرمز بالألغام لعرقلة تصدير النفط عبره إلى الدول المستهلكة، وكذلك الممرات البحرية إليه، مع قصف مرافئ تصدير النفط ومنشآته فى دول مجلس التعاون الخليجى.

٥-إتباع أسلوب (الأرض المحروقة) بنسف حقول ومنشآت إنتاج النفط فى دول الخليج العربية لخلق حالة من الهلع والذعر للتأثير فى الاقتصاد العالمى.

٦-على الساحة الشرق أوسطية قد تقوم سوريا وحزب الله فى لبنان وحركة حماس فى فلسطين بشن هجمات صاروخية ضد إسرائيل، ترد عليها إسرائيل بقصف الأهداف الاستراتيجية فى سوريا ومواقع حزب الله فى لبنان جواً وبالصواريخ أريحا، وقد تجتاح القوات الإسرائيلية قطاع غزة بهدف تدمير البنية السياسية والعسكرية لحركة حماس فى القطاع.

٧-على الساحة العالمية، وبالنظر لوجود تعاون وتنسيق بين تنظيم القاعدة وفيلق القدس التابع للحرس الثورى الإيرانى ويرأسه الجنرال قاسم سليمانى - والمسئول عن العمليات الخارجية - من المتوقع أن يتم تنشيط الخلايا النائمة للقاعدة فى بلدان الشرق الأوسط وأوروبا وأمريكا اللاتينية، بل وداخل الولايات المتحدة، وباقى مناطق العالم لشن عمليات إرهابية ضد الأهداف الأمريكية والإسرائيلية على كل الساحة العالمية، والتى قد تشمل مهاجمة السفارات ومكاتب الطيران والمراكز الثقافية والبنوك ومعابد اليهود، مع اغتيال وخطف شخصيات هامة أمريكية وإسرائيلية، وخطف طائرات مدنية أو تدميرها فى الجو.

٨-استخدام (السفن النائمة) وهى سفن تجارية محملة بصواريخ سكود، وتشكل منصات عائمة لإطلاق هذه الصواريخ من البحار خارج المياه الإقليمية الأمريكية وضد الأهداف الأمريكية التى تقع فى مداها (٣٠٠ كم).

٩-اشتعال بلدان الهلال الشيعى الممتد من إيران إلى العراق ودول مجلس التعاون الخليجى ثم سوريا ولبنان وحماس فى غزة، وذلك ضد المصالح الأمريكية والإسرائيلية المتواجدة على اتساع هذه الساحة، كما ستكون الحرب ضد إيران فرصة للمنظمات الدينية المتطرفة فى الدول الإسلامية،

والتنظيمات والأحزاب والحركات المعارضة فى هذه الدول لشن اضطرابات داخلية ومحاولات انقلابية ضد الأنظمة الحاكمة فيها.

١٠-ولأن حجم الخسائر البشرية والمادية فى إسرائيل والمصالح الأمريكية سيكون جسيماً فى حالة تعرضها لقصف صاروخى إيرانى، خاصة إذا ما تم تسليح الصواريخ الإيرانية برؤوس كيماوية كل منها قادر على تلويث ٥٠ هكتار، فإنه بإمكان ١٠٠ صاروخ شهاب -٣ (وهو الحجم المقدر استخدامه من الصواريخ الإيرانية ضد إسرائيل) أن تلوث حوالى ٥٠٠٠ هكتار، وهو ما لا تستطيع إسرائيل تحمل نتائجه. لذلك هدد القادة الإسرائيليون بقصف إيران نووياً بصواريخ كروز النووية المسلح بها ٣-٥ غواصات دولفين ستكون متواجدة فى خليج عمان فى حالة شن عمليات عسكرية ضد إيران. كما يتوقع فى حالة تعرض القواعد والقوات والسفن الأمريكية فى منطقة الخليج لخسائر جسيمة نتيجة رد الفعل الانتقامى الإيرانى، أن يكون الرد الأمريكى على ذلك نووياً بواسطة القنابل النووية التكتيكية B٦١-١١ والمسلح بها مقاتلات أمريكية فى قاعدة انجرليك بجنوب تركيا. وسيكون الهدف الأمريكى فى هذه الحالة إسقاط نظام حكم الملالى فى إيران بشكل نهائى، وهذا هو السيناريو الكارثى الذى يسعى العاقلون فى العالم إلى تجنبه.

خامسا: المشاكل الاستراتيجية التى تواجه إسرائيل لشن ضربة ضد إيران

١-بعد المسافة بين القواعد الجوية الإسرائيلية والأهداف المطلوب قصفها جواً فى إيران، والتى تصل إلى حوالى ١٥٥٧ كم (مفاعل أوزيراك العراقى الذى تم قصفه عام ١٩٨١ كان يبعد ٨٥٧ كم فقط عن إسرائيل).

٢-كثرة الأهداف الإيرانية النووية وغير النووية المطلوب التعامل معها فى وقت واحد تقريباً لتأمين شلها ومنعها من التدخل، والمبعثرة على مساحة جغرافية واسعة تصل إلى ١,٧ مليون كم٢. وبالتالى تخصيص أعداد كبيرة من المقاتلات القاذفة، مما يتطلب تخطيط معقد ودقيق لحل المشاكل اللوجيستية. لذلك تسعى إسرائيل للحصول على موافقة تركيا لعبور أجوائها، أو عبر الأردن ثم الحدود العراقية إلى إيران، حيث يوجد تعاون استخباراتى وعملياتى بين إسرائيل وحكومة كردستان العراق.

٣-أهمية تعطيل القواعد الجوية الإيرانية فى المراحل الأولى من الضربة الجوية منعاً لانطلاق المقاتلات الإيرانية الاعتراضية (ميج ٢٩، F-١٤، أ٥، أ٤ الأمريكية بعد تحديثها، والميراج)، خاصة من القواعد الجوية فى تبريز، همدان، وبوشهر.

٤-تشتيت جهود إسرائيل الجوية والبحرية الجوية بين إيران وسوريا وحزب الله فى لبنان وحماس من غزة.

٥-قدرة الصواريخ الإيرانية (شهاب - ٣) على تلويث مساحات كبيرة من وسط وشمال إسرائيل - حيث تتركز الأهداف الاستراتيجية والمناطق السكانية - إذا ما استخدمت رؤوسا كيماوية، وهو ما يتطلب إعطاء أولوية وأهمية قصوى لتدمير وحدات الصواريخ شهاب فى مناطق تمركزها وأثناء تحركها إلى مواقع إطلاقها وقبل احتلال هذه المواقع وأثناء احتلالها وقبل إطلاق صواريخها بواسطة المقاتلات القاذفة، ثم اعتراض الصواريخ الإيرانية أثناء تحليقها فى الجو وتدميرها وإسقاطها خارج الأراضى الإسرائيلية وذلك بواسطة الصواريخ المضادة للصواريخ (باتريوت، حيتس)، ثم التحسب بسقوط هذه الصواريخ داخل الأراضى الإسرائيلية بإزالة آثار هذه الهجمات الصاروخية وتطهر المناطق والأهداف والأفراد التى تعرضت للتلوث الكيماوى والبيولوجى من خلال أعمال الدفاع المدنى فى المؤخرة.

٦-تأمين المناطق السكانية والأهداف الاستراتيجية داخل إسرائيل فى مواجهة عمليات انتحارية من قبل الفلسطينيين (عرب إسرائيل) وعبر الحدود مع الضفة وغزة، بالإضافة لتأمين الأهداف الإسرائيلية فى الخارج، حيث السفارات ومكاتب شركة الطيران الإسرائيلية (العال) والمراكز الثقافية ومعابد اليهود .. إلخ فى مواجهة هجمات متوقعة من قبل القاعدة وحزب الله وفيلق القدس.

رقم الإيداع : ٢٠٠٠/١١٨١٧
الترقيم الدولى : I.S.B.N 977 - 227 - 130 - 3

مطابع التجارية - قليوب - مصر



النشاط والأهداف

مركز علمي مستقل يعمل في إطار مؤسسة الأهرام، يسعي إلي نشر الوعي العلمي بالقضايا الاستراتيجية العالمية والإقليمية والمحلية، بهدف تنوير الرأي العام بتلك القضايا، وترشيد الخطاب السياسي وعملية صنع القرار.

١- الدوريات

(أ) كراسات استراتيجية

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩١ تتوجه أساساً إلي صانعي القرار والدوائر المتخصصة والنخبة ذات الاهتمام بالتحديات الاستراتيجية التي تواجه مصر والعالم العربي. وتصدر"كراسات استراتيجية" منذ يناير ١٩٩٥ باللغتين العربية والإنجليزية. ويرأس تحريرها د. أحمد إبراهيم محمود

(ب) ملف الأهرام الاستراتيجي

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩٥ تعني بتقديم تحليلات متخصصة حول الشئون الإقليمية، والتطورات الدولية والمحلية ذات الانعكاسات والأبعاد الاستراتيجية بالنسبة للمنطقة العربية والشرق الأوسط. ويحرره أ. هانئ رسلان.

(ج) مختارات إسرائيلية

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩٥ تعني بالرؤي والتصورات والمواقف الإسرائيلية علي صعيدي الحكومة والمعارضة، وبالذات حول مجريات تسوية الصراع العربي الإسرائيلي ومشكلاته ويرأس تحريرها د. عماد جاد.

(د) مختارات إيرانية

دورية شهرية تصدر منذ أغسطس ٢٠٠٠ تهدف إلي دراسة وتحليل التفاعلات الداخلية الإيرانية والعلاقات الإقليمية والدولية لإيران. ويرأس تحريرها د. محمد السعيد ادريس.

(هـ) قراءات استراتيجية

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩٦ تهتم بعرض القضايا الاستراتيجية الدولية والإقليمية من خلال اختيار أهم ما نشر عن تلك القضايا بمختلف اللغات وعرضه عرضاً دقيقاً وافياً باللغة العربية. وترأس تحريرها أ. هناء عبيد .

(و) أحوال مصرية

دورية ربع سنوية تصدر منذ صيف ١٩٩٨ تهدف إلي دراسة الواقع المصري بكل أبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ويرأس تحريرها أ. مجدى صبحى

٢- التقارير

(أ) التقرير الاستراتيجي العربي

تقرير سنوي يصدره المركز منذ عام ١٩٨٦ يسعي إلي تقديم رؤية استراتيجية عربية ومصرية لتطورات النظام الدولي والنظام الإقليمي العربي والمجتمع المصري. ويصدر التقرير أيضاً باللغة الإنجليزية بدءاً من عام ١٩٩٥ ويرأس تحريره أ. عبد الفتاح الجبالى

(ب) تقرير الحالة الدينية

يرمي إلي الكشف عن خريطة المؤسسات، والأشخاص والحركات والتفاعلات داخل شبكات الانتماءات الدينية والإسلامية والمسيحية بالأساس، بهدف استخلاص اتجاهات عامة حول أنماط التدين المصري بكافة أشكالها وتفاعلاتها ومؤسساتها. ويرأس تحريره أ. نبيل عبد الفتاح.

(ج) تقرير الاتجاهات الاقتصادية الاستراتيجية

تقرير صدر منذ عام ٢٠٠١ يعنى بتقديم دراسات تحليلية للقضايا الأكثر أهمية والتى من شأنها التأثير على مستقبل الاقتصاد العالمى والاقتصادات العربية والاقتصاد المصرى. ويحرره أ. احمد السيد النجار.

٣- الكتب

يصدر المركز سلسلة كتب تغطى موضوعات معرفية متعددة تعالج مختلف القضايا. ويرأس تحريرها أ. نبيل عبد الفتاح. كما يصدر المركز كتيبات عن المفاهيم والمؤسسات ضمن سلسلة "موسوعة الشباب السياسية". ويرأس تحريرها د. وحيد عبد المجيد.

٤- المركز علي شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)

قام المركز بتأسيس صفحة خاصة به على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) باللغتين العربية والإنجليزية. وتتضمن الصفحة عرضاً لكافة إصدارات وأنشطة المركز. ويمكن الوصول إلى صفحة المركز عن طريق موقع الأهرام: http://www.ahram.org.eg بريد إليكترونى acpss@ahram.org.eg

أسلوب الاشتراك أو شراء مطبوعات المركز

تطلب اصدارات المركز من مكتبات الأهرام ومراكز توزيع الأهرام، فضلاً عن إمكانية الاشتراك في الإصدارات الدورية للمركز عن طريق: إدارة اشتراكات الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - جمهورية مصر العربية.

تليفون: ٧٧٠٤٥٦٥- ٥٧٨٦٢٢٤ - ٥٧٨٦٠٣٧ - ٥٧٨٦١٠٠ فاكس: ٧٧٠٣٢٢٩ -٥٧٨٦٨٣٣ - ٥٧٨٦٠٢٣

Email: acpss@ahram.org.eg

مطابع الأهرام التجارية- قليوب- مصر

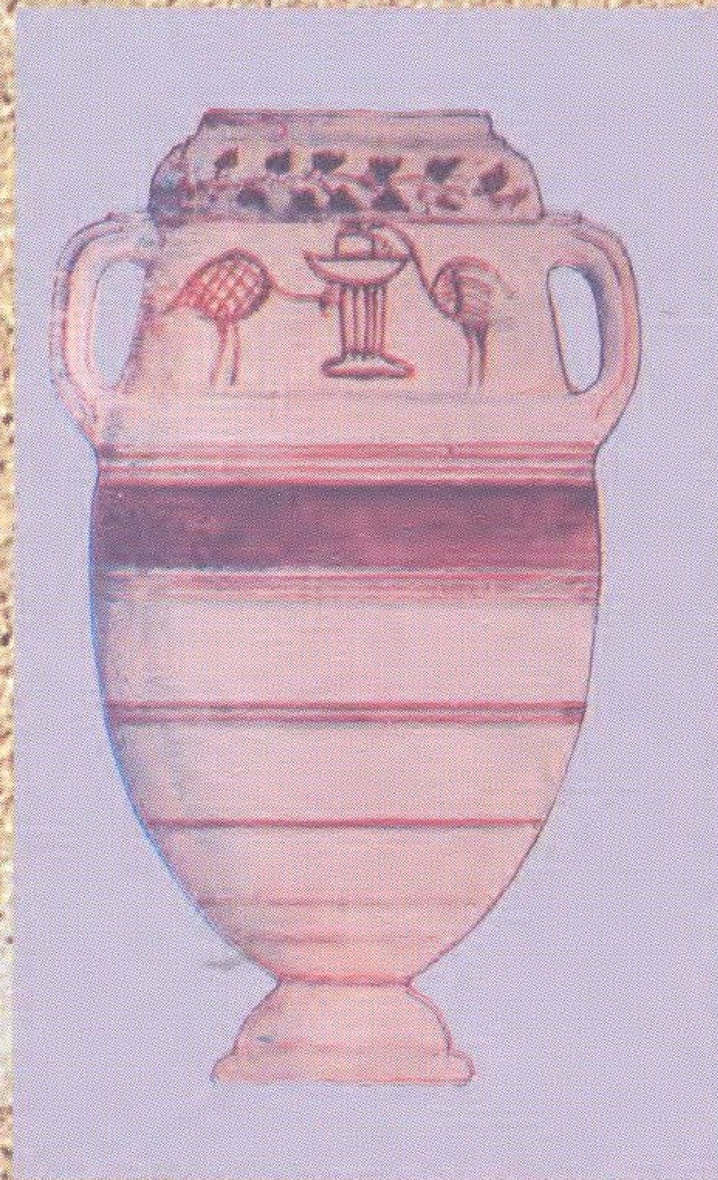
العدد الأول   شوال ١٤٢٠هـ   يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٠م



ادوماتو

Adumatu

مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بآثار الوطن العربي



أدوماتو
Adumatu

قواعد النشر

١ - يقدم البحث باللغة العربية أو الإنجليزية مطبوعاً على ورقة A4 ومرفقاً به قرص ممغنط مقاس ٥ ,٣ بوصة ويفضل أن يكون مطبوعاً على برنامج مايكروسوفت ورد ٦ (Microsoft word 6) أو أحدث، ويكون متوافقا مع أجهزة (IBM).

٢ - يرفق مع البحث ملخصان أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنجليزية على أن لا يزيد عدد كلمات كل منهما على ١٠٠ كلمة.

٣ - يشترط ألا يكون البحث المقدم للمجلة قد قدم للنشر في أي وعاء نشر آخر، كما لا يجوز إعادة نشره كاملاً أو جزئياً إلا بإذن خطي من هيئة تحرير المجلة.

٤ - يجب ألا يتجاوز حجم نص البحث خمسة آلاف كلمة، وبحيث لا تتجاوز نسبة الأشكال التوضيحية أكثر من ٣٠٪ من حجم البحث.

٥ - ينبغي أن تكون الصور غير ملونة، ومطبوعة على ورق لماع وأن تكون ذات جودة عالية ومناسبة للنشر.

٦ - تقدم الخرائط واللوحات والأشكال على ورق شفاف (كلك) مرسومة بالحبر الصيني، وترفق التعليقات الخاصة بها في ورقة منفصلة.

٧ - توضع إحالات المراجع المذكورة في داخل النص في نهاية الجملة بين قوسين على النحو التالي: (الجاسر ١٤١٧ : ١١).

٨ - توضع الهوامش (التعليقات) في نهاية البحث، وتليها المراجع مرتبة ألفبائياً وبحيث تتبع الطريقة التالية في رصدها:

ا - الكتب : إسم العائلة، الإسم الأول، سنة النشر، العنوان، مكان النشر، دار النشر، (وفي حالة وجود أكثر من مؤلف فتكتب بقية الأسماء مرتبة بشكل عادي).

ب - الكتب المحررة : اسم العائلة، الإسم الأول، سنة النشر «عنوان البحث»، اسم الكتاب، اسم المحرر، مكان النشر، صفحات المقال.

ج - الدوريات : إسم العائلة ، الإسم الأول، سنة النشر « عنوان المقال»، إسم الدورية، العدد، الصفحات.

د - الرسائل العلمية : إسم العائلة، الإسم الأول، السنة، «عنوان الرسالة»، نوع الرسالة العلمية، القسم، الجامعة، المدينة، البلد.

٩ - تمنح المجلة الكاتب خمساً وعشرين مستلة من بحثه إضافة إلى نسخة من العدد.

١٠ - أصول البحوث والمقالات التي تصل المجلة لا ترد أو تسترجع سواء نشرت أم لم تنشر.

١١ - يرفق مع البحث سيرة ذاتية مختصرة عن الكاتب وعنوانه الحالي.

دعوة للمشاركة

ترحب هيئة التحرير بمساهماتكم ومشاركاتكم ككتاب ومحكمين وتشجعكم على المساهمة في الموضوعات ذات الصلة. يرجى إرسال موضوعاتكم واستفساراتكم وآرائكم إلى أ. موسى الصبيحي، سكرتير المجلة.

الاشتراكات

(عددين سنوياً شامل أجور البريد)

في العالم العربي :

الأفراد ٧٠ ريال سعودي

المؤسسات ١٢٠ ريال سعودي

خارج العالم العربي :

الأفراد ٣٠ دولار أمريكي

المؤسسات ٤٠ دولار أمريكي

قسيمة الاشتراك داخل العدد.

المراسلات

مجلة أدوماتو
ص.ب ١٠٠٧١ الرياض ١١٤٣٣
المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠٣٦٧٨٠ / ٤٠٣٤٧٥١ (١) (٩٦٦+)
فاكس ٤٠٢٢٥٤٥ (١) (٩٦٦+)
بريد إلكتروني : adumatu@suhuf.net.sa
الموقع على الانترنت : www.adumatu.com
رقم الإيداع : ٢٠/٣٧١٩
الرقم الدولي المعياري (ردمد) : ٨٩٤٧ - ١٣١٩

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بآثار الوطن العربي

الناشر

مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية

العدد الأول شوال ١٤٢٠ هـ - يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٠ م

الهيئة الإستشارية

المحتويات

افتتاحية العدد

لقد بدأت فكرة إيجاد مجلة آثارية مساء يوم الإثنين ١٨ رمضان سنة ١٤١٧هـ الموافق ٢٧ يناير ١٩٩٧م في اجتماع عقد في الرياض ضمّ كلاً من الدكتور زياد بن عبدالرحمن السديري والدكتور سليمان الجريد والدكتور عبدالواحد الحميد والأستاذ علي الراشد لمناقشة مستقبل دورية الجوبة (الاسم المحلي للمنخفض الذي تقع فيه مدينتا سكاكا ودومة الجندل) التي تصدرها مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية بالجوف رغبة في تطويرها والتي صدر منها ثلاثة عشر عدداً بدأت في شهر ربيع الأول سنة ١٤١١هـ الموافق نوفمبر ١٩٩١م. وقد قُدّر لي أن أشترك في الاجتماع الثاني بدعوة كريمة من الدكتور زياد بن عبدالرحمن السديري بعد شهرين من تاريخ الاجتماع الأول وبعد نقاش طويل توصلنا إلى إصدار مجلة جديدة باسم«أدوماتو» لدلالته التاريخية القديمة ولأن المسمى عاصر أحداثاً جساماً دارت رحاها في شمال الجزيرة العربية ولتحول هذا الاسم لاحقاً إلى دومة أو ما يعرف في التاريخ الإسلامي باسم دومة الجندل على أن تكون ممثلة لآثار العالم العربي وأن تكون علمية ومحكّمة يرعى شئون تحريرها هيئة تحرير متخصصة في آثار ما قبل التاريخ والعصور التاريخية القديمة حتى ظهور الإسلام ثم الآثار الإسلامية، وقد تحقق هذا الهدف باختيار رئيس التحرير وعضوين آخرين من البارزين في مجال تخصصهم ويحققون الهدف المنشود، ولها هيئة استشارية من كبار العلماء والباحثين في مجال الآثار العربية على مستوى العالمين العربي والعالمي لكي نضمن لها القبول بين المختصين والاستمرار في أداء رسالتها حيث لا يوجد حتى الآن مطبوعة تلمّ شمل الآثاريين العرب والمهتمين بآثار العرب قاطبة.

ما هو موجود لا يعدو اهتماماً بآثار الأقاليم العربية متمثلة في دوريات هيئات الآثار ومجلات معاهد الآثار وكليات الآداب التي فيها أقسام للآثار، بمعنى أنه ليس هناك مطبوعة للّقاء الفكري المتخصص لإيجاد وحدة فكرية في هذا المجال بحيث تطرح الأفكار وتتلاقح وتخرج من إطار المحلية التي حرمت الفكر من أن ينطلق إلى رحاب البحث عن أوجه الترابط والتشابه والاتفاق ليلملم أطراف الوطن العربي في منظومة فكرية مترابطة ومتسقة.

وبعد الاتفاق على أهداف الوعاء الجديد بدأت هيئة التحرير في اختيار الهيئة الاستشارية ونثرت كنانة الآثاريين في العالم العربي وخارجه واخترنا من العلماء والباحثين الآثاريين الأفاضل ممن لهم دور في إثراء البحث الآثاري على مستوى الوطن العربي وهي أسماء لها وزنها بين الآثاريين العرب آملين أن تكون أسماؤهم مدعاة للتطوير والتحسين والتجويد في كل اتجاه تتجهه المجلة الوليدة.

ثم انتقلنا إلى محتوى المجلة فاستعرضنا المجلات العالمية الشهيرة في مجال الدراسات الآثارية المنتمية لجهات أكاديمية والمستقلة، واستعرضنا كثيراً مما اشتملت عليه من أبواب مختلفة وأنماط منهجية عدة تهدف كلها بطرائقها المختلفة إلى الرغبة في التوثيق والتأكيد على صحة المعلومة المعتمد عليها في التحليل أو العرض أو النقد.

وبعد كل ذلك وضعنا شروط النشر في المجلة ومواصفات البحث الذي ينشر كما وضعنا بدائل للأبواب الثابتة والمتغيرة وفتحنا أبوابها للأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية فقط في هذه المرحلة ولعل رواج المجلة وقبولها بين الأوساط العلمية يجعل لها من العالمية مايُشجّع على نشر أبحاثها بلغات عالمية أخرى.

*****

ومن الأشياء التي تسعدنا كثيراً أن يصدر هذا العدد في مناسبات عزيزة على أنفسنا فهو يتزامن مع احتفال المملكة العربية السعودية بمرور مائة عام على تأسيسها وذلك عندما استردّ البطل العربي المسلم عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود مدينة الرياض قاعدة لحكمه وعاصمة لملكه. لقد عاش المواطن العربي السعودي سنة استعاد فيها الذكرى الرضية واستعرض فيها الإنجازات العظيمة التي تمت خلال قرن

نعتبره قرن العز والمحبة والفخار لبلادنا. فقد حباها الله بقيادة حكيمة وحكم متين وبحبوحة في الرزق والعيش والحياة مما لم يحلم به آباؤنا وأجدادنا قبلنا أبداً وما ذلك إلاّ لأننا أمةٌ وسطٌ نحكم بكتاب الله وسنة رسوله ونسير على هدي السلف الصالح.

*****

من الرياض العاصمة المئوية تبدأ الاحتفالات بالرياض عاصمة العرب الثقافية لسنة ألفين ميلادية ولم يكن اختيار الرياض عبثاً ذلك لأن الأنشطة العلمية والثقافية التي تضمها بين جنباتها لا تجعل منها فقط عاصمة للثقافة العربية لعام ألفين بل بصفة دائمة فإن جامعاتها ومراكز بحوثها ومكتباتها العامة وإنتاجها الفكري الأصيل ووسائل إعلامها ولقاءاتها الفكرية على المستويين المحلي والإقليمي بل والعالمي، ومعارضها الفنية يجعل ترشيحها متأخراً عن واقعها الحقيقي.

*****

لعل من حسن الطالع أن تصدر مجلتنا مع بروز حدث له من الأهمية ما يسعد كل آثاري وكل من يهتم بالحضارة العربية في عصورها المختلفة، وقد تحقق حلم كان يراودنا منذ أمد بعيد وذلك بإنشاء اتحاد للآثاريين العرب يجمع شملهم ويشد من أزرهم وقد نبعت فكرته في أروقة قسم الآثار والمتاحف في كلية الآداب بجامعة الملك سعود، ورعته الجامعة العربية فأصبح مقره في القاهرة مستقلاً بإدارته ونشاطه.

لقد طرحت الفكرة أول مرة في مؤتمر الآثار في العين في الإمارات العربية المتحدة قبل نحو ربع قرن ولكنها لم تجد صدى آنذاك لأن الوعي الآثاري لم يكن قد نهض بعد ولأن منطقة الخليج وبلاد الشام واليمن والمغرب العربي كان الوطنيون فيها من الآثاريين يعدّون على الأصابع أما في العراق ومصر فقد كان العدد أوفر حظّاً من الآخرين، والآن وقد نما العدد ونجحت الخبرة العربية في التنقيب والبحث الآثاري فقد أصبح من غير المقبول أن لا يكون هناك اتحاد يحقق الأهداف المرجوة منه. لقد نشأ هذا الاتحاد على أسس متينة تدعمه الجمعية السعودية للدراسات الآثارية بالمملكة العربية السعودية بأعضائها الكثر، وجمعية التاريخ والآثار لدول مجلس التعاون الخليجي الذين يمثلون خيرة الآثاريين والمؤرخين العرب في منطقة الخليج. ولذا فإن ما ينتظره المجتمع وتوقعاته تلقي على كاهل المسئولين في الاتحاد وأعضائه حملاً ثقيلاً، بقدر أحمال العصور الآثارية والتاريخية المختلفة للعالم العربي من خليجه إلى محيطه.

*****

يحمل العدد الأول من مجلتنا على غلافه صورة لمجمرة من الجزيرة العربية وهي ذات دلالة بل دلالات فكما أن البخور يحرق بالجمر فيتصاعد أريجه وتنتشر رائحته الزكية فتنتعش النفوس، فكذلك الحرف بل الحروف التي نقشت عليها فهي الثقاب الذي يذكي العقل ويطور الفكر وهي وسيلة الاتصال المثلى بين الشعوب، فالحرف هو الرمز لعبقرية الإنسان الذي ضغط مفاهيمه ومعارفه في مجموعة منها عرفت بالأبجدية أو الألفباء. لقد مرّ الإنسان بمراحل عدة جرّب فيها كل وسائل الاتصال بينه وبين أخيه الإنسان حتى اصطلح على هذه الرموز في الألف الثانية قبل الميلاد ولكن أين بدأ مخاض هذه الحروف في أوقاريت ... في أرض كنعان ... في سيناء ... في غرب مصر، تلك هي القضية وهي قضية أصبحت في الأيام الأخيرة ذات أبعاد سياسية للظروف التي تعيشها المنطقة، ولكن فهمنا التاريخي لظروف من كتبها وتعامل معها يحرم من يحاولون الاستفادة منها والاستحواذ عليها وجعلها من أعمالهم، ولذا علينا أن نحكم المنطق التاريخي والمنهج الآثاري وسوف تتضح

الصورة بعيدة عن التزوير والدجل وتحويل الحق إلى باطل. إنه مما يحزن أننا لا ننتبه إلى الأمور إلاّ عندما ترتفع الأصوات في محاولة ربط الحدث أو الأمر بجهة طارئة على المنطقة تبحث لها عن براهين على الوجود القديم ولو برموز نقشت على صخرة في وادي الحول ، ومثل هذه الضجة الإعلامية ما حدث حول الرقم الطينية في إيبلا وأشيع أنها تحمل اسم إبرام أو إبراهيم وارتفع صوت الباحثين عن براهين لوجودهم القديم فلم نجد من بني جلدتنا من يقرأ رقمنا الطينية واضطررنا لتكوين لجنة علمية من الغربيين لتقول لنا رأيها في الأمر وسكنت الضجة ولكن هل استفدنا من ذلك الموقف وكوّنا جيلاً قادراً على القراءة والفهم والاستيعاب؟!! أشك في ذلك، ولكن أرجو أن لا يخيفنا الموقف الجديد من الاهتمام بأصول الكتابة والأبجديات والدراسات السامية العربية القديمة في جميع الأقطار العربية دراسةً وتحليلاً في الجامعات ومراكز البحث العلمي والمجامع اللغوية لكيلا نفاجأ مستقبلاً بما كشف عنه الباحث الأمريكي وزوجته في وادي الحول.

وذكرى أخرى لم يلتفت إليها كثير من الناس وهي أن عام ١٤٢٠ الهجري يصادف ذكرى مرور ألف وإربعمائة عام على خروج الفاتحين العرب المسلمين من جزيرة العرب لفتح مصر ودخولها في حوزة الإسلام طوعاً واختياراً لا قهراً وإجباراً. ويُعد الفتح الإسلامي لمصر منطلقاً لفتح شمال أفريقيا والأندلس لأن منها تجيشت الجيوش وانطلق القادة الفاتحون يرفعون كلمة التوحيد.

*****

نحن حقيقة سعداء بأن تكون بداية مجلتنا معاصرة لكل هذه الأحداث المرتبطة بالجزيرة العربية عامة وبالمملكة العربية السعودية خاصة ونتمنى لمجلتنا أن تحمل من روح هذه الأحداث العظيمة ما يؤهلها لأن تجمع بين الوطن العربي في مجال يربط الأمة العربية من المشرق إلى المغرب على تراث يحتاج إلى فحص وتنقية لترسيخ أصالته على أسس سليمة وقوية. فعلى بركة الله يصدر العدد الأول من مجلة «أدوماتو».

رئيس هيئة التحرير

ثقافتان من العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية

عبدالرزاق أحمد راشد المعمري

ملخص: أن أوجه المقارنة التي أجريت بين مواد العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية عزّزت من الاستنتاجات التي قادتنا في الماضي إلى فرز ثقافتين :

الأولى ثقافة الشظايا ، ومن خصائصها : طرق التشظية وانعدام الفخار والمنشأ المحلي والعلاقة المتبادلة مع الجانب الإفريقي. وتقسم هذه الثقافة إلى : العصر الحجري الحديث المبكر الذي تميّز بالرؤوس الحادة ورؤوس السهام والتهذيب المرقّق من الجهتين ونمط الصيد والجمع. والعصر الحجري الحديث المتأخر الذي تميز بالإنتقال إلى الرعي والزراعة مع الاحتفاظ بالصيد كمصدر ثانوي. ومن خصائصه في المنطقة الصحراوية رؤوس السهام المعنّقة، ولقد ظلّت أدوات الصيد والتهذيب المرقّق مستمرة في المنطقة الصحراوية والهضاب الشرقية من جنوبي الجزيرة العربية. وينقسم هذا العصر (العصر الحجري الحديث "الصحراوي") في المنطقة الصحراوية إلى مرحلتين : مبكرة ومتأخرة.

أمّا الثقافة الثانية، فهي ثقافة الشظائر التي انحدرت من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار، الذي كان في وادي الرافدين وبلاد الشام. ومن خصائصها طُرق التشطير ونمط الصيد والجمع وانعدام الفخار. وتركزت هذه الثقافة في الأجزاء الشمالية والشرقية، وقليل منها في المناطق الشمالية الغربية والوسطى من الجزيرة العربية. وقد توقّفت نشاطات الثقافة المذكورة في الجزيرة العربية خاصة في الخليج العربي عندما حلَّ محلّها العصر الحجري الحديث الصحراوي من جنوبي ووسط الجزيرة العربية.

Abstract. *In this paper we describe the two Neolithic cultures of the Arabian Peninsula. The characteristics of the first culture - flake producing culture - are: chopping of flakes and dominance of flat cores. The culture is divided into the Early Neolithic and the late Neolithic, Which has five local variants. The Late "Desert" neolithic also has two periods. The Flake Culture had local origin and kept in touch with northeastern Africa.*
The second culture is a blade producting culture, Which took its source from the PPN of the Levant and Mesopotamia. The homeland of Blade Culture is in the eastern and the northern parts of the Peninsula; some of the tools are found on the northwestern edge and a few of them in the Central part.
There was an absence of pottery in the Arabian Neolithic because of the economic structure that was based on hunting and food-gathering. The transformation to the productive economy occurred at the Late Neolithic .

تميز العصر الحجري الحديث في عدد من مناطق الشرق الأدنى بالرعي والزراعة والفخار، ووفقا لذلك صار من المألوف أن ينظر إلى العصر الحجري الحديث في المناطق الأخرى من خلال توفر جميع تلك العناصر فيها.

ومن الطبيعي أن يتوقع الباحث في بداية بحثه وجود هذه العناصر مجتمعة في الجزيرة العربية، خاصة وأن الجزيرة العربية مجاورة لمشاعل الثقافات الزراعية المبكرة في منطقة الشرق الأوسط.

إلاّ أنه وعند الدراسة الميدانية تتكشف أمام الباحث ظواهر غير متوقعة، تمليها خصائص محلية متعددة، من هذه الخصائص وجود ثقافتين من العصر الحجري الحديث، هما موضوع هذا البحث.

تعد مسألة تحديد الثقافات الأثرية في أي عصر من العصور مسألة من المسائل التي تطرح عادة عند مستوى محدد من البحث، لأنه إذا أمكن تحديد وفرز ثقافة أثرية في منطقة جغرافية معينة يمكن من خلالهما التعرف على جوانب متعددة من حياة المجتمعات البشرية

العدد الأول شوال ١٤٢٠ هـ - يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٠ م
(ص ص ٧ - ٢٩) ردمد : ٨٩٤٧ - ١٣١٩

وطرق معيشتها في المرحلة أو العصر المعني بالدراسة في تلك المنطقة، فعلى أقل تقدير قد يتسنى للباحثين استعادة صور من طبيعة العلاقات والتفاعلات الثقافية بين تلك التجمعات ، مثل طبيعة الاستيطان وتوزيع المستوطنات، من خلال اقتفاء المواد الأثرية أفقيا في الأطر الجغرافية، وتطور أو نكوص المنجزات المادية للمجتمعات البشرية عبر تتبع أشكال وطرق تجهيز تلك المواد، رأسيا داخل حدود الثقافة المادية أخذا بعامل الزمن.

وبالقدر الذي يتم فيه فهم محتوى الثقافة الأثرية بشكل أعمق تتوفر بنفس القدر شروط أفضل لعكس نماذج مختلفة من حياة تلك المجتمعات.

ويتركز محتوى هذا البحث بنفس الاتجاه، من خلال استعراض موجز لأهم الخائص التقنية والنوعية لمعثورات حجرية من مواد العصر الحجري الحديث في جنوبي الجزيرة العربية ومقارنتها مع معثورات أخرى تعود إلى ذات الفترة في الأجزاء الوسطى والشمالية والشرقية من الجزيرة العربية، وهي المواد التي نتج عنها في السابق تحديد وفرز ثقافتين أثريتين للعصر الحجري الحديث في شبه الجزيرة العربية واستبيان أسس مقوماتهما الاقتصادية الرئيسة وتحديد رقعة انتشارهما على أراضي شبه الجزيرة المذكورة .(Rashed 1993b: 18; 1993c: 20 , 291-293) أما الآن فسأقف بذلك الاستعراض النوعي والتقني عند أوجه المقارنة بين خصائص تلك الثقافتين في حدود الأطر الآنفة الذكر مؤكداً في الوقت نفسه الشروط التي اقتضتها ضرورة الفرز لهاتين الثقافتين، ومتناولاً إلى جانب ذلك مسائل أخرى ذات علاقة.

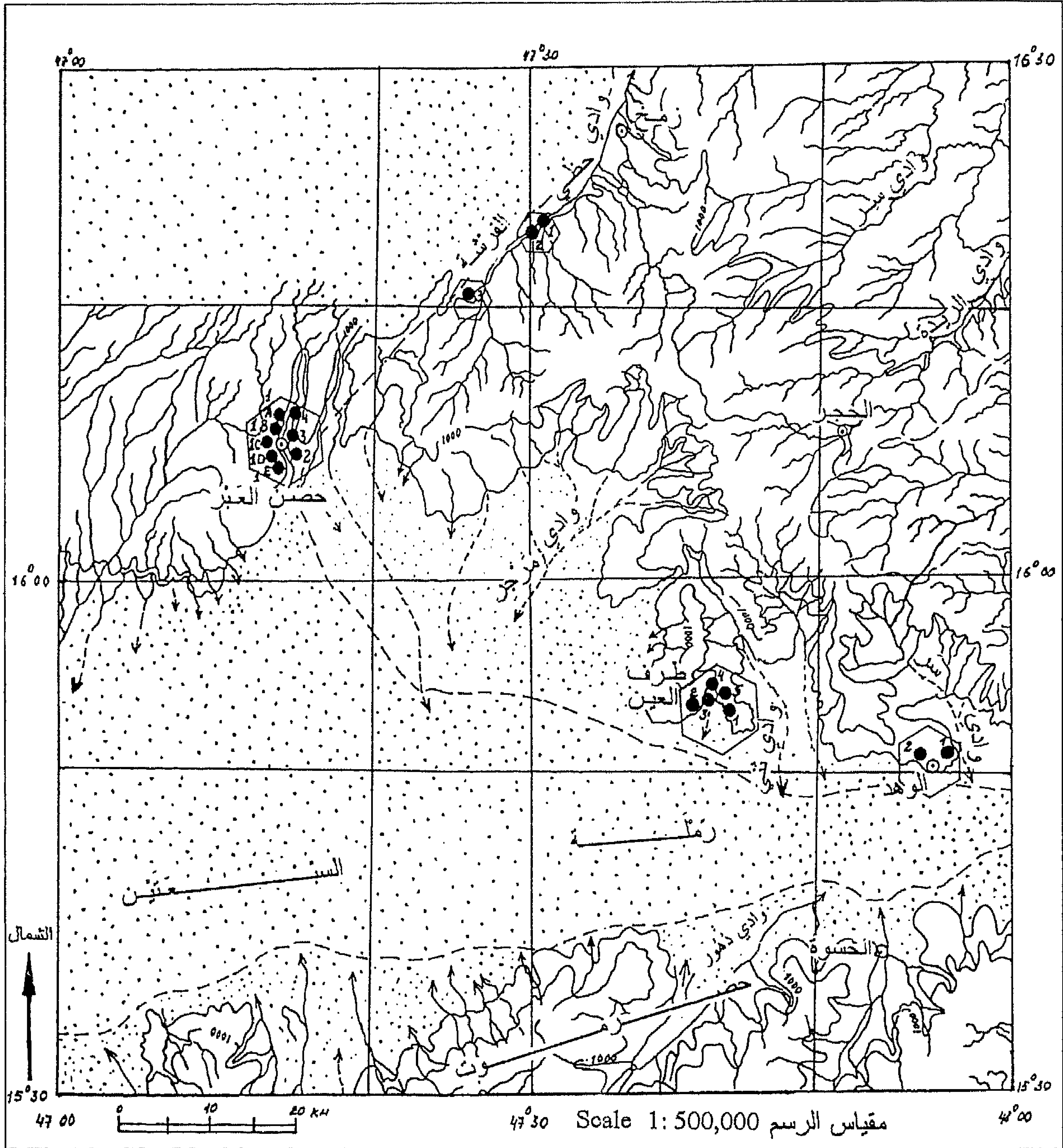
وما سيقدم في هذا الجانب مبني على دراسات لنا[1] شملت ١٥٠٠ قطعة حجرية، ثم العثور عليها في أعوام مختلفة ابتداءً من ١٩٨٩م، منها مواد اكتشفت في ١٨ موقعاً أثرياً في منطقة (العَبْر) بصحراء الربع الخالي (خارطة ١) وخمس مجموعات حجرية من العصر المذكور محفوظة في المتحف الوطني بمدينة صنعاء وفي قسم الآثار بجامعة صنعاء، جمعها هواة الآثار من منطقة مأرب ورملة السَّبْعَتَيْن، بالإضافة إلى استنتاجات مبنية على كثير من المشاهدات المتكررة والدراسات الأولية لمواقع وملتقطات سطحية أثرية من أماكن متفرقة من الأراضي اليمنية بما في ذلك هضبتي المَهْرَة وحضرموت، وعلى فحص عدد من المواد في المتاحف اليمنية (لوحة : ١).

كما يستند البحث في استنتاجاته على ما تم التوصل إليه من نتائج تمخضت عن تحليل ونقد للأبحاث الأثرية التي أجريت في موضوع العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية منذ ثلاثينيات القرن العشرين حتى زهاء النصف الأول من تسعينيات القرن المذكور، إلى جانب معلومات أخرى ذات صلة بدراسة العصر المذكور خارج إطار الجزيرة العربية.

وهنا أنوه بذكر دراسة تحليلية مفصلة لهذه المواد والمصادر قدمت في فترة سابقة (Rashed 1993b; 1993c) تناولت جوانب مختلفة من تاريخ العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية، يمكن الرجوع إليها عند الرغبة في الحصول على معلومات أكثر تفصيلا خاصة فيما يتعلق بتوصيف أنواع المواد الأثرية وطرق تحليلها وجداول للإحصاء والمقارنة بين تلك المواد في كل موقع على حدة... الخ.

وعند النظر في أوجه المقارنة بين الثقافتين سيتم الاستعانة أيضا ببعض الاستنتاجات المنبثقة من تحليل لمواد حجرية وجدتها على هضبة مدينة شبام - سُخيم - الغراس، الواقعة هذه المدينة على بعد ٢٥ كم شمالي مدينة صنعاء وفي حوض صنعاء والهضبة الغربية بشكل عام (المعمري ١٩٩٦م).

هذا ما يخص الثقافة الأثرية التي تمركزت في جنوبي ووسط الجزيرة العربية، أما معالجة أوجه المقارنة في الثقافة الأثرية الأخرى التي وجدت على أرض الجزيرة أيضا فإن دراستها تستند إلى مواد نشرت في فترات مختلفة ابتداء بعمل البعثة الأثرية الدينماركية في شرقي الجزيرة العربية عند مطلع الخمسينيات من القرن العشرين (Kapel 1967) حتى آخر عمل أصدرته البعثة



⊙ تجمعات سكانية .	● موقع أثري.	طرق غير معبّدة .
مجموعات مواقع أثرية .	هضاب .	أودية جافة .

خارطة ١ : مواقع سَطْحية ذات مواد مختلطة من العصر الحجري الحديث وعصور حجرية أخرى، أكتشفت في منطقة العَبْر في ١٩٩٠م

الفرنسية في أواخر الثمانينيات من القرن المذكور (Inizan: 1988) دون أن أغفل ما جاءت به حولية "أطلال" الآثارية في هذا الموضوع التي أثرت بموضوعاتها المترجمة المكتبة العربية منذ أن صدر العدد الأول منها في ١٩٧٧م. مع أن موضوعاتها مازالت إلى حد كبير لم تتجاوز إطار التقارير الأولية.

١- خصائص المصنوعات الحجرية للعصر الحجري الحديث في جنوبي الجزيرة العربية ووسطها

يتم إظهار الخصائص التقنية والنوعية للمواد الأثرية عادة بطرق التحليل التقني والتصنيف النوعي.

وفي هذا الموضوع سيتناول التحليل التقني - متبعاً الطريقة التقليدية - نتائج دراسة المواد الحجرية السالفة الذكر من جنوبي الجزيرة العربية، على مرحلتين : مرحلة التفليق (Debitage) وهي المرحلة الأولى من عملية تجهيز الأدوات الحجرية التشذيب أو التهذيب (Treatment) وهي المرحلة الثانية والأخيرة في هذه العملية.

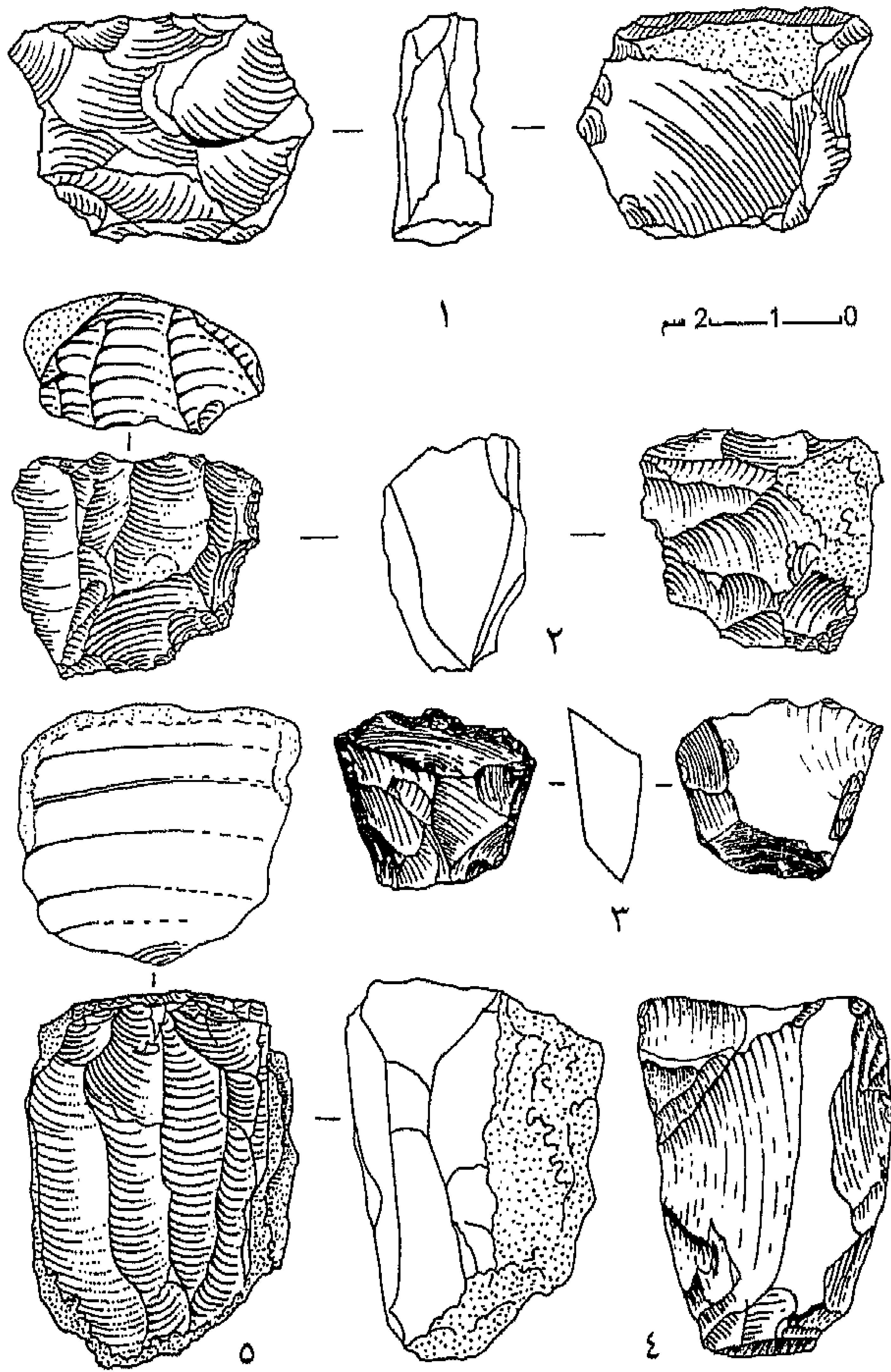
١,١- التفليق

أفادت طريقة الدراسة التقنية والتصنيف النوعي العام للمواد الحجرية أن الأحجار العنقودية أو المكورة الشكل (Nodule) هي أحجار سائدة الاستخدام في العصور الحجرية المختلفة، ابتداءً بالعصر الحجري القديم الأسفل وحتى المراحل المتأخرة من استخدام المواد الحجرية، وأن خام الصوَّان (Flint) يعد الخام المفضَّل لإنسان العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية (Rashed 1993b: 10-12; 1993c: 82)، حيث صار الصوَّان منافساً الخام الجيري - الصواني (Chert) الذي كان يحتل مرتبة الريادة في العصر الحجري القديم، وأن النَّوَاة (Core) الأكثر تداولاً في العصر الحجري الحديث هي النواة المستوية أو المفلطحة (Flatcore) جهتهاالعاملة (شكل ١ : ١).

وإلى جانب استخدام النواة المفلطحة نجد عملية انتزاع الفلق (Spalls) المشظأة تمت أيضا من النواة شبه المنشورية (شكل : ١ : ٢) وأن ضربات التفليق كانت تسدد اتجاهات متوازية

(شكل ١ : ٥) وشبه متوازية في الغالب الأعم (شكل ١ : ٢) وأن وجود النواة المنشورية (Prismatic core) (شكل١ : ٥) التي تفلق منها الشطائر (Blade) الحجرية (شكل : ٣ : ٨) بأنواعها المختلفة ضئيل للغاية، أما النواة الأسطوانية الشكل التي تفلق منها الشطائر الحجرية على اتباع طريقة الضغط في عملية التفليق.

وعلى تلك النوى كانت تجهز في الغالب حجرة واحدة للتفليق أو قاعدة لطرق النواة (Striking Platform) (شكل ١: ٥,١)



شكل ١ : ٢:١ ٥: نوى من موقع طرف العين ٣ الجهة الخلفية لمكيشط من مَطرَةَ بنهم؛ ٤ مكيشط من شبام الغِراس.

وقد أكدت دراسة الفلق المستخرجة من النوى وجود تلك الظواهر التقنية أيضا في مرحلة التفليق،

وللتّحقق من ذلك أكثر، أجريت دراسة إضافية، تركّزت على المَسَاحِف[٢] الواقعة في الجهات الأمامية من الفلق المستخرجة من النوى، ثبت من خلالها سيادة النواة المفلطحة (Rashed: 1993c: 79-80, 160-164) جهتهاالعاملة (الفاعلة) السالفة الذكر، كما دلّت تلك الدراسة الإضافية بصورة غير مباشرة على احتمال حضور نسبة ضئيلة جداً من النوى الأكثر عتقاً في تقنية العصر الحجري الحديث مثل النواة القرصية Dscoid و الليفالوازيةّ Levalloi (السلّحُفائية الشكل)...الخ.

وعند تحليل الحُجّرَات المتبقية على قواعد الفلق (شكل ٢ : ٦) تبينت أيضاً أن الحُجّرَة الملساء المجهّزة على النواة بضربة واحدة هي الحجرة الغالبة كذلك بين أنواع الحُجّرَات الأخرى، ومن صفاتها الشائعة : السمك المتوسط المتراوح ما بين ١.٥-١سم، والشكل الممدود الشاغل تقريباً لكل المسافة الواقعة بين جانبي الفلقة، مع ميول بسيط إلى الجهة الخلفية من الفِلَقَة بمقدار يتراوح في الغالب ما بين ٩٠-١٠٠، وقد يصل هذا الميل في بعض الفلقات إلى ١١٠ وأحياناً الى ١٣٠ لكن ذلك نادر جداً.

ومن خلال تصنيف أنواع الفلق الحجرية ثبت أن الشظايا (Flake) تبلغ نسبتها ٧٠,٥٪، فهي السائدة بين الأنواع الأخرى (Rashed: 1993b: 194) وأغلبها فاقدة للنمطية (Rashed: 1993c: graphs: 1-16) ومن ذوات الحجم القصير نسبياً والجوانب غير المستقيمة بصورة تامة، وتحمل الجهة الخلفية في كل فلقة من تلك الفلق حَدَبَة (Bulb of percussion) بارزة نسبياً، فالحَدَبَة يصل حجمها في كثير من تلك الشظايا إلى حوالي ثلثي الفلقة أو أكثر من نصف طولها (شكل ٢ : ٦).

وعلى هذا الأساس فإن عملية التفليق أظهرت أن التقنية الرئيسة في إعداد المُؤن[٣] الخاصة بتجهيز أدوات العمل في العصر الحجري الحديث تمثلت بتجهيز الشظايا، وأن تفليقها من النوى تم بواسطة الضربات المباشرة بمفالق صلبة للغاية، أمّا طريقة تشطير النواة بواسطة الضغط المباشر أو عن طريق الاستعانة بوسيط من المواد العضوية المَرِنة نسبياً، مثل العظام والقرون، فلم تستخدم في تقنية العصر الحجري الحديث. وإذا تم تسجيل بضع حالات من هذه العملية فستكون من الحالات النادرة.

وبناءً على المواصفات المختلفة للنوى وللفلق المستخرجة منها تحددت بدرجة رئيسة السمات الأساسية لصناعة المواد الحجرية للعصر الحجري الحديث في جنوبي الجزيرة العربية، تلك المواصفات التي وجدناها بشكل عام تتطابق إلى حد بعيد مع نفس مواصفات تفليق المُؤن الحجرية في مواقع كثيرة وسط الجزيرة العربية، منها مواقع في المناطق الجنوبية (Zarins et. al: 1979: 19-21:p1.5: fig. 50-55,57-63) والجنوبية الغربية (Zarins, et. al: 1980: 17-20 pl.18a, 19d, 20b) والشرقية (Masry: 1974: 274:P1.5 fig. 28: 1,2, 7-10) وفي مناطق نَجْد، شمالي غربي الرياض (أبو درك وآخرون : ١٩٨٤ -١٠١ -١٠٢ : لوحة : ٩٩).

أمّا مواد هذه الثقافة في صحراء الربع الخالي فقد لفتت أنظار الجيولوجين قبل الآثاريين وحتي مكافحي جراد الصحراء الذين كانو يعملون هناك (Bunker: 1953: Zeuner: 1954)، وهي ثقافة الشظايا (Flake Culture) (المعمري :١٩٩٥ : ١٠٨) ،

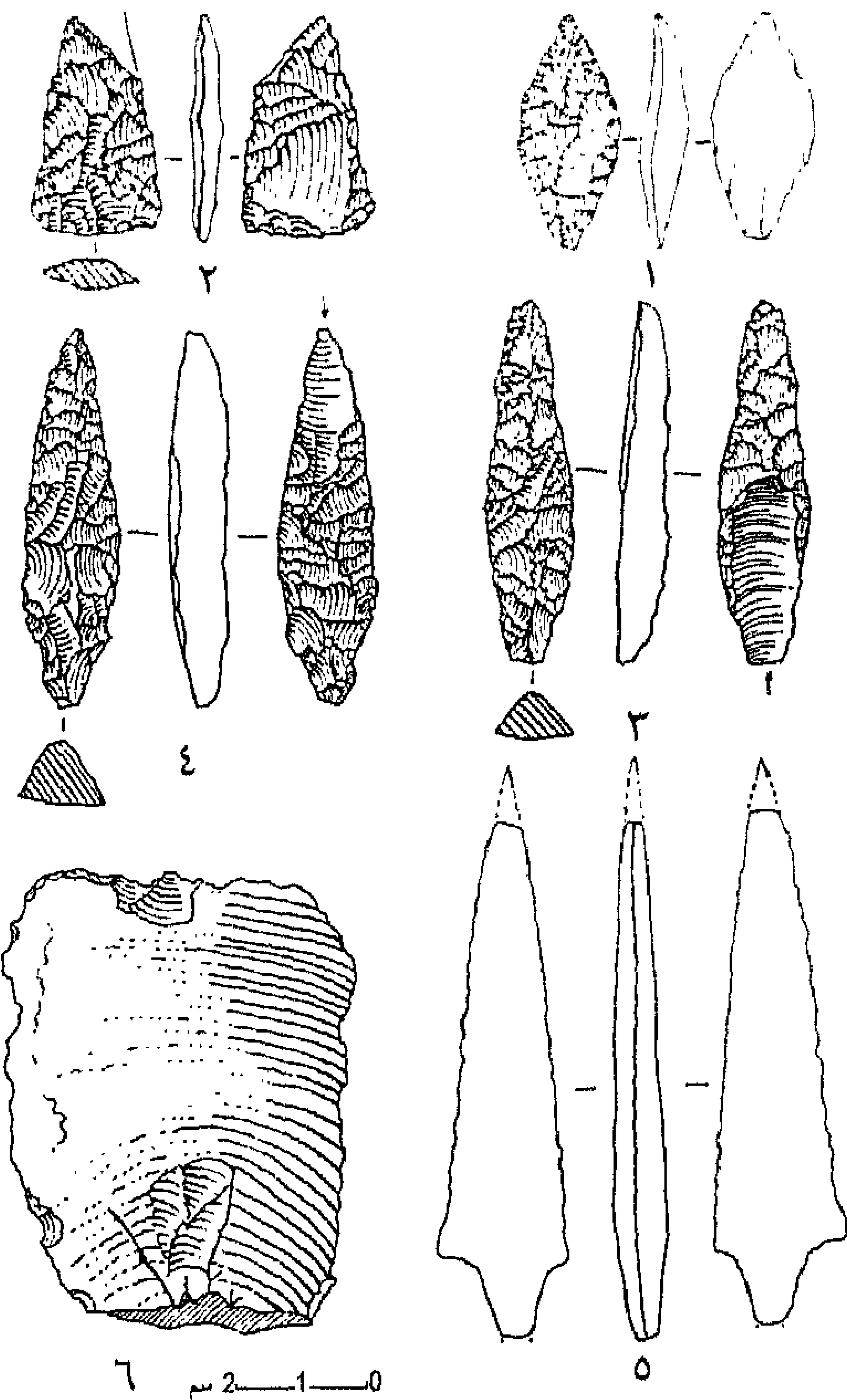
(Rashed 1993b: 18, .(1993c: 36, 270-298,299,306)

وتعد جملة الطرق التقنية المذكورة آنفاً المتَّبعة في مرحلة التفليق طرقاً محافظة من حيث المبدأ على كثير من التقاليد القديمة، وتختلف بقدر ملحوظ عن طرق التفليق لذات العصر الحجري الحديث في عدد من المناطق المجاورة في وادي الرافدين، وبلاد الشام

(Cauvin: 1974; 1979a: 1979b: Copeland : 1979 : Bader: 1989: Bar-Yosef: 1980)

١,١,١- أسباب بقاء بعض الأساليب القديمة في تقنية الشظايا

بعد أن اتضح أن طرق التفليق في ثقافة الشظايا ظلَّت محافظة على بعض الأساليب القديمة، كان لابد من البحث عن الأسباب التي أدَّت إلى بقاء تلك الأساليب،



شكل ٢ : ١-٥ رؤوس حادة ورؤوس سهام ؛ ٦ شظية. ١،٥ من المتحف الوطني بصنعاء؛ ٢،٦ من موقع طرف العَين في البَر ؛ ٣،٤ من المَهْرة

بدءاً بالمادة الخام وطرق التفليق وعمليات التهذيب وأنواع الأدوات.

ولم يُغفل في هذا الجانب النظر في المواقع الأثرية وطبيعة الاستيطان وإعادة استخدام المواد القديمة في فترات زمنية لاحقة، ومن خلال ذلك تم التوصل إلى استنتاجات نرجح بأنها هي المسؤولة، بقدر كبير، عن أسباب بقاء تلك الأساليب وهي :

١- استمرارية نمط الصيد في العصر الحجري الحديث، الذي كان مسيطراً على الحياة المعيشية للإنسان في العصر الحجري القديم، حيث لم يؤدِّ ذلك النمط إلى ابتكار أنواع جديدة من الأدوات، مخالفة جذرياً لأدوات الصيد الرئيسة، بحكم عدم الاختلاف الجذري في نماذج الحياة المعيشية، خاصة في النمط الأساسي للحياة الاقتصادية، على الرغم من أن تجهيز أدوات العصر الحجري الحديث سار باتجاه تحسين وتحديث أنواع وأشكال جديدة مثل الرؤوس الحادة ورؤوس السهام المرقَّقَة، التي لم تكن معروفة قبل العصر المذكور في الجزيرة العربية، إلا أنه وبصورة عامة، ظلَّت هذه الأدوات- من حيث المبدأ - داخل الإطار العام لأدوات الصيد التقليدية، وما طرأ عليها من تقدم ملموس، حدث في الطور الثاني من عملية تجهيز أدوات العمل، وبالتالي لم تكن هناك ضرورة حسب الاعتقاد، تضطر معها المَهَرَة من صنَّاع الأدوات إلى إحداث تغييرات جوهرية في نظم تفليق النواة.

٢- استخدام أسلوب الترقيق من الجهتين (Bfacial retouche) الأمامية والخلفية للرؤوس الحادة ورؤوس السهام (شكل ٢ : ١ - ٤ ، شكل ٣ : ١ : ٧) التي اعتبرناها من السمات الملازمة للعصر الحجري الحديث في جنوبي ووسط الجزيرة، على الرغم من ملاحظة بوادر لهذا التهذيب ظهرت تقريباً إبان التوسُّع الكبير نسبياً للرؤوس الحادة ورؤوس السهام المبكرة، الذي لعب دوراً كبيراً في المحافظة على تقنية إنتاج الشظايا وأساليبها العتيقة، لأنه جعل الأداة تأخذ الشكل والحجم المناسبين استجابة لمتطلبات استخدامها على الرغم من خشونة المؤن الحجرية الناتجة عن عملية التشظية في طور التفليق.

٣- إعادة استخدام (Secondary use) المواد الأثرية القديمة، وهي ظاهرة بلغت نسبة عالية في فترات من تاريخ العصر الحجري الحديث (Rashed: 1993c:165-167,300) إلى درجة أن هناك مواد تكرر استخدامها مرات عديدة، وهذا من ناحيته يمكن أن يكون من العوامل التي جعلت إنسان العصر الحجري الحديث يعمل على إعادة إحياء بعض العناصر الثقافية القديمة، فالمواد القديمة التي تمت إعادة استخدامها تصل أحياناً إلى حوالي ربع كمية المواد المجمعة في عدد من المواقع التي تعرضت للدراسة في منطقة العَبْر (Rashed: 1993c: 167166)

٤- نوعية المادة الخام : حيث من المحتمل أن يكون استخدام بعض المواد الخام مثل الخام اللَّدن التركيب جداً، قد لعب دوراً محدوداً في المساعدة على إبقاد تقنية

الشظايا وأساليبها العتيقة سائدة في عملية التفليق، وهو استنتاج لم يُبْنَ في الحقيقة إلا على الحدس والملاحظة العينية وعلى الاستفادة من الدراسات التي أجريت على الخامات الحجرية من قبل باحثي علم الصخور (Petrograhy) ولم يبن على تجارب تطبيقية لهذا الخام من واقع الجزيرة العربية.

٥- الخاصية الثقافية المحلّية التي فضّلت استمرارية تجهيز الفِلقَ المشظأة في العصر الحجري الحديث كتقليد وراثي مستمد كما يبدو من العصور الحجرية السابقة، وللاستدلال على هذه الخاصية، يكفي أن نذكر أن كمية الفلقات المشظأة في المواقع التي نُسِبت إلى العصر الحجري القديم الأعلى، تفوق بكثير عدد الشظائر الحجرية (Amirkhanov: 1991: 266-312) إلى درجة أن تقاليد التشظية في جنوبي الجزيرة العربية (Di Mario: 1990: 84, 85, 92, 99, 100, 104: fig.96, 109 - 129) وفي أماكن كثيرة من تلك الجزيرة ظلّت تُتّبع أيضا في الفترات التي تلت العصر الحجري الحديث.

ولكن نعطي توضيحاً واستدلالاً أكثر، أكرر جزئياً ما جاء الفقرة 1.1 من حجم لصالح هذا العامل تتمثل في: أجود النواة المنشورية (شكل ١ : ٥) وشبه المنشورية (شكل ١ : ٢) وطريقة تسديد الضربات المتوازية (شكل ١ : ٥) وشبه المتوازية (شكل ١ : ٢) سُجِّلت في تقنية العصر الحجري الحديث كطريقة من طرق التفليق المنتظمة (Rashed 1993c: 160-163,358). إن هذا يعني أن أولئك المَهَرَة من حيث المبدأ، كانوا على قدر من المعرفة بأساليب التشطير، المخالفة لعملية التشظية، بما في ذلك كونهم على دراية بعملية الضغط وطريقة استخدام الوسيط أيضا، ذلك ما نجده دليلا في عملية الترقيق بالضغط (شكل : ٢ : ١ - ٤؛ شكل : ٣ شكل : ١-٦) وفي كثير من أساليب التهذيب (شكل ٢ : ٣-٤) ، مكتفيا بالقول هنا أن هذه العوامل - بالقدر الذي يمكن اعتبارها من الأساليب الرئيسة المساعدة على إبقاء بعض الأساليب المحافظة في عملية التفليق السالفة الذكر- يمكن اعتبارها من العوامل التي عملت على خلق تقنية متقدمة رفيعة المستوى في التهذيب.

١,٢- التهذيب

شهدت عملية تهذيب أدوات العصر الحجري الحديث في جنوبي ووسط الجزيرة العربية ازدهارا ملحوظا وتطورا متلاحقا (Rashed 1993c: 176) ابتداء بترقيق الأدوات من الجهتين، خاصة أدوات الرمي والقذف، التي ازدوج فيهما أسلوبا التهذيب المرقق بالطرق وبالضغط في الفترات المبكرة، والتهذيب بالضغط الذي ساد في الفترات المتأخرة من العصر الحجري الحديث (Rashed 1993a:31: 121993)

ويعتبر ظهور هذا النوع من التهذيب المرقق في حالة اقترانه بالرؤوس الحادة ورؤوس السهام (شكل ٢ : ١-٤؛ شكل ٣ : ١-٧) سمة ملازمة لدخول العصر الحجري الحديث جنوبي ووسط الجزيرة العربية، من جهة، ومن جهة أخرى، يعد هذا التهذيب، أمرا مهما في تحديد خصائص ثقافة الشظايا الحجرية في العصر المذكور في شبه الجزيرة العربية.

ومن الأساليب المهمة في الطور الثاني من عملية تجهيز معدات العمل التهذيب المسطر السائح أو المقلم (Fluting)، الذي انتشر في هضبة المهرة أكثر من أي مكان آخر تقريبا في الجزيرة العربية (شكل ٢ : ٣- ٤) (شكل ٣ : ١).

وهو تهذيب يلاحظ أنه نفذ في حالات كثيرة بطريقة الضغط المباشر على الأداة في الاتجاه الطولي لها، وذلك باستخدام أدوات مصنوعة يبدو من مواد عضوية، كما لا يستبعد أن تكون هذه العملية قد تحققت في حالات أخرى بواسطة الطرقة الخفيفة المحكمة على وسيط خلص بهذا الغرض، جهز ذلك الوسيط أيضا من المواد غير الصلبة.

وقد كان التهذيب المذكور ينفذ عادة على الجهة

الخلفية (شكل ٢ : ٣-٤؛ شكل ٣ : ١) وأحيانا على الجهة الأمامية من الأداة، بعد أن تكون تلك الجهة قد تعرضت بقدر ما لنوع آخر من التهذيب، وهو النقر (Retouche) ، يتألف من نقرات، نجدها مفروشة على امتداد جانبي ذلك المسحف وعند نهايته أيضا.

وتبدأعملية التهذيب المسطر من الطرف العلوي متجهة صوب قاعدة الأداة (شكل ٢ : ٤ ؛ شكل ٣ : ١) أو على العكس من ذلك في الحالات النادرة، على أن تبدأ نفس العملية من الطرف الأسفل باتجاه الجزء العلوي في الأداة (شكل ٢ : ٣) هادفة تلك العملية - حسب ما نعتقد - إلى تفعيل الأدوات السالفة الذكر إلى أقصى حد ممكن.

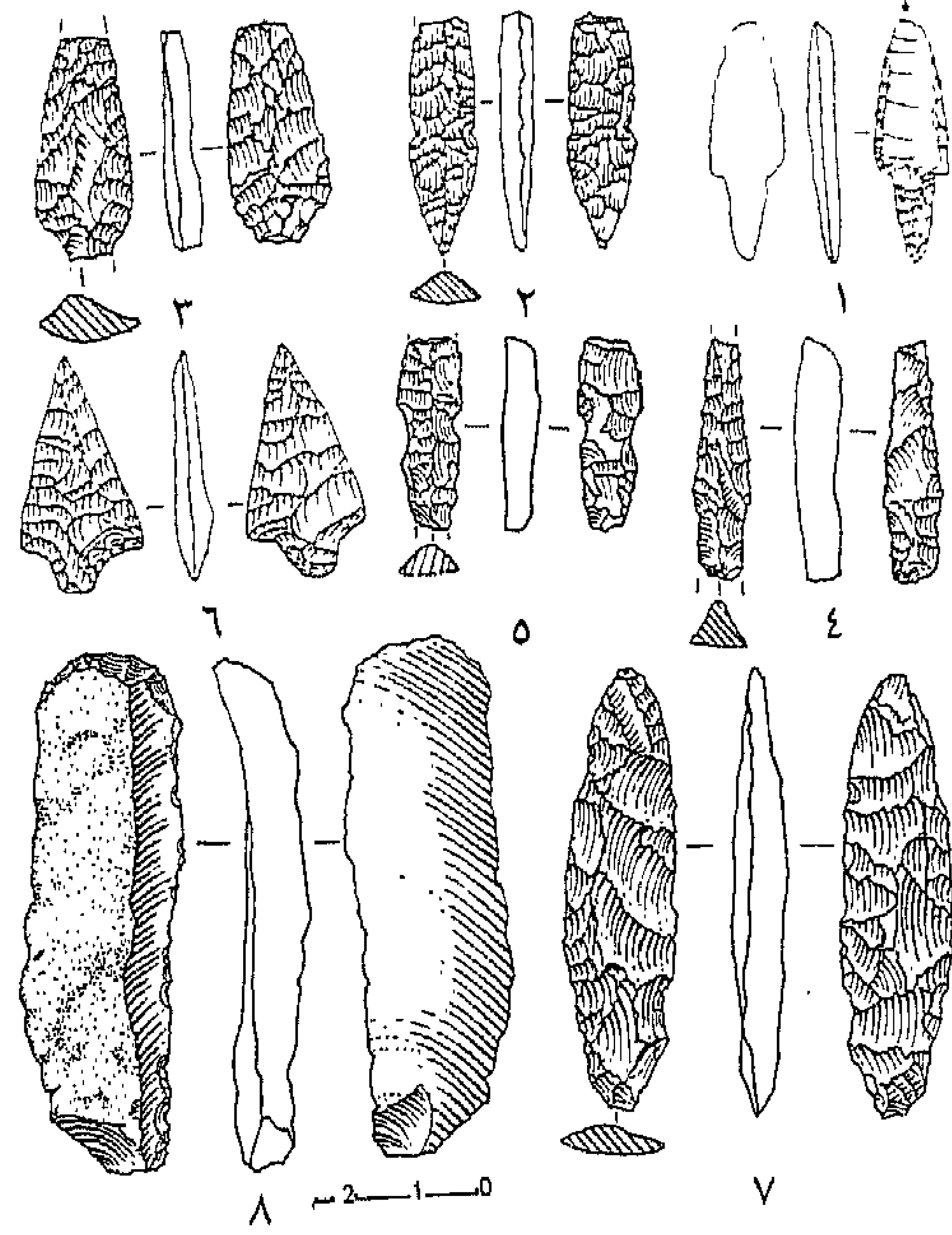
هذا التفعيل، وفق تفسيرنا له، يتمثل في تخفيف الوزن، وتقليل مقدار الحجم، اللذين لاشك بأنهما يحسنان من قدرات الأداة في التصويب، وزيادة سرعتها أثناء عملية القذف أو الرمي بها، كما يتمثل هذا التفعيل في جعل الأدوات المزودة بالمسحف المتجه من الطرف العلوي صوب الجزء الأسفل منها، أكثر حدة في الاختراق وقدرة على الفتك السريع بالفرائس أكثر من غيرها، بفضل ذلك النفق المنبسط (شكل ٣ : ١).

أما الرؤوس الحادة ورؤوس السهام التي زودت ضمن التحديث، بأنفاق من اتجاه قاعدتها صوب أطرافها العلوية (شكل ٢ : ٣)، أو أن ذلك التجويف نفذ من الأعلى إلى الأسفل، لكنه إقترب إلى حد كبير من عنق الأداة، أو قاعدتها (شكل ٣ : ١) يبدو أن الهدف منه - علاوة على ما سبق ذكره - تزويد الأداة بفرص إضافية جديدة وإمكانية كبرى لعملية تثبيت تلك الأنواع على حواملها بصورة مثلى ومحكمة.

ويعد هذا من التهذيب أسلوبا فريدا خاصا وملازما في الأساس لصناعة العصر الحجري الحديث في جنوبي الجزيرة العربية (Rashed 1993b: 12, 1993c.: 296; Amirkhanov/ 1994: 227: fig. 10: 1) ولا يستبعد أن يكون التهذيب المذكور قد عرفته بصورة أو بأخرى مناطق في وسط الجزيرة العربية أيضا. هذا التهذيب الذي لا نجد له بتلك الصورة شبها في أقاليم أخرى، عدا وجها من ذلك الشبه نجده متطابقا إلى حد بعيد في بعض من مناطق القارة الأمريكية مثل المكسيك...الخ (Hester: 1985: 80,,Bryan : 1978: 136: fig. 6: p. 270: fig. 3: Turner, 89) حيث يمكن أن يفسر هذا الشبه ببعض الطرق المتشابهة في الإنتاج، بغض النظر عن بعد المسافة بين الجزيرة العربية والقارة الأمريكية.

ومن ضمن الطرق الخاصة بتجهيز أدوات العمل في العصر الحجري المذكور المتغيبة إلى حد كبير في الجزيرة العربية، نذكر أكثرها دلالة هنا التهذيب المثلم (Blunted (backed) Retouch) وعمليات التنعيم، منها طريقة الصقل (Polish) بالفرك والجلخ (Grind)، مع أن مصادفة بعض الأدوات المصقولة نجدها في حالات نادرة، ومن ضمن تلك الحالات الحاملة لجوانب من الشك أكثر من اليقين، أداة واحدة وجدت في منطقة مطرة بنهم شمال صنعاء، وهي عبارة عن مكيشط (End-scraper) ، جهز على مؤنة كانت في السابق أداة، وكأنها من فئة الرؤوس الحادة، انكسرت فيما يبدو خلال فترة الاستخدام، وللاستفادة منها حول الجزء الباقي إلى أداة أخرى، بعد أن تعرض ذلك الجزء لعملية البتر (Truncation) (شكل ١ : ٣).

يعتبر البتر طريقة من طرق التهذيب سجلت في تقنية العصر الحجري الحديث (شكل ١ : ٣) فعلى الجهة الخلفية من هذه المؤنة وجدت آثار جزئية ناعمة الملمس توحي وكأنها ناتجة لعملية صقل، ربما تعرضت لها الأجزاء البارزة من تلك الجهة، أما الجهة الأمامية فمهذبة كالعادة في الرؤوس الحادة و رؤوس السهام المعروفة في الجزيرة العربية كما هو موضح في الرسم (شكل ١ : ٣)، وإلى جانب ذلك هناك حالة أخرى شبيهة بالحالة الأولى تحمل جوانب من الشك أكثر من اليقين، آثار التنعيم وجدت على جزء بسيط من الجهة الخلفية في أداة أو عن تغيير متكرر حدث لتلك الأداة في الموقع الأثرى أكثر من احتمال التنعيم السابق لعملية استخدام الأداة أو عن تغيير متكرر حدث لتلك الأداة في الموقع الأثرى أكثر من احتمال التنعيم السابق لعملية الاستخدام



شكل ٣ : ١-٧ رؤوس حادة ورؤوس سهام ٨ مكيشط (١-٦ من المتحف الوطني بصنعاء؛ ٢-٥،٧-٨ من طرف العين ٤ في العبر)

(شكل ١ : ٤) والأداة عبارة عن مكيشط (End- Scraper) رأسي مستعرض الشكل مقعر الشفرة، جهز ذلك المكيشط على مؤنة عبارة عن جزء بقي كذلك من أداة أخرى تعرضت للتهذيب المرقق (شكل ١ : ٤).

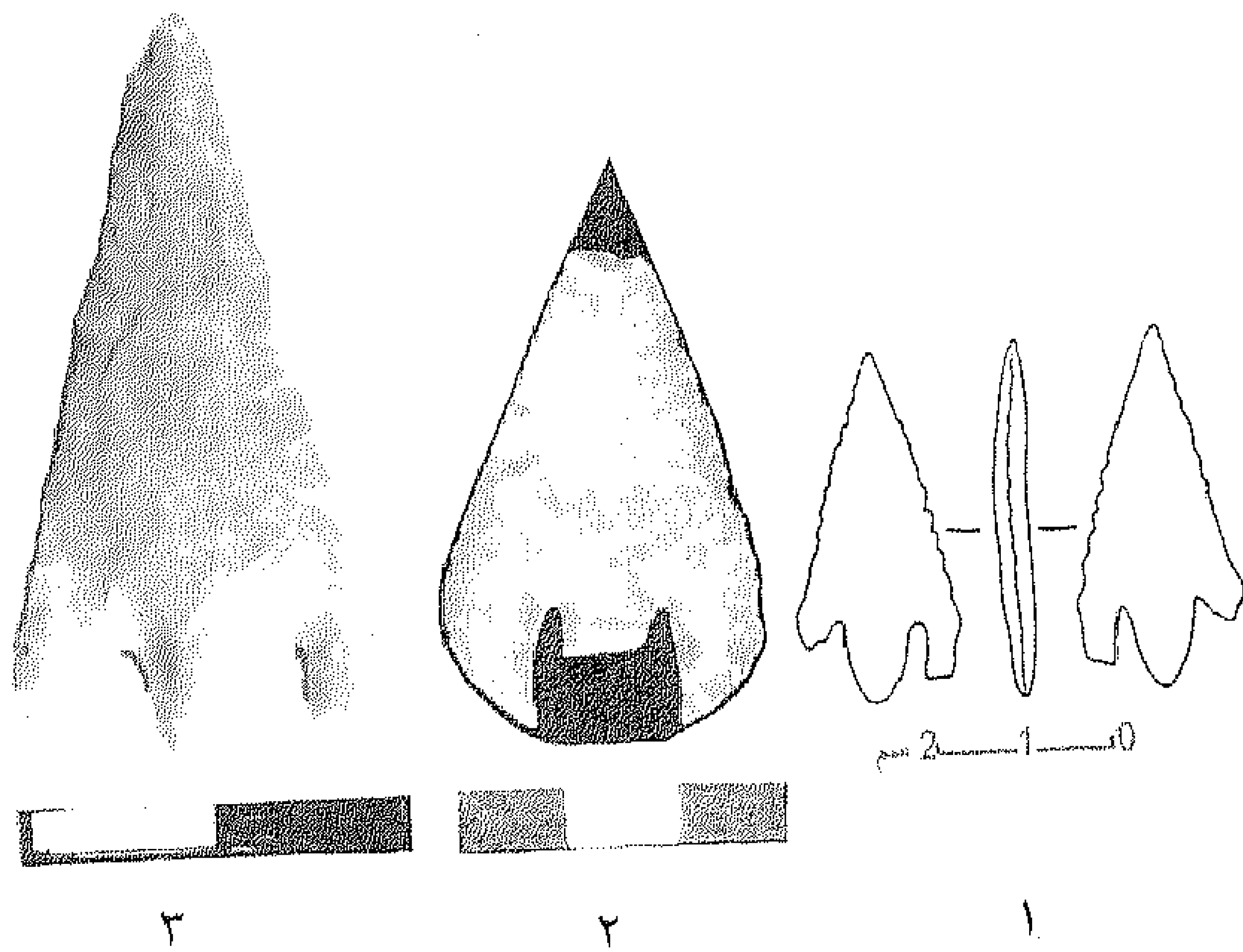
فالحالات المؤكدة لعملية الصقل، شاهدناها على قلة من الفؤوس الحجرية (لوحة : ١ : ٤ - ٦) منها خمسة فؤوس متوسطة الحجم نسبيا (لوحة : ١ : ٥) وصغيرة، جهزت بعضها من حجر اليشم (Jasper) (لوحة : ١ : ٦) وخام النفريت (Nephri) (لوحة : ١ : ٤).

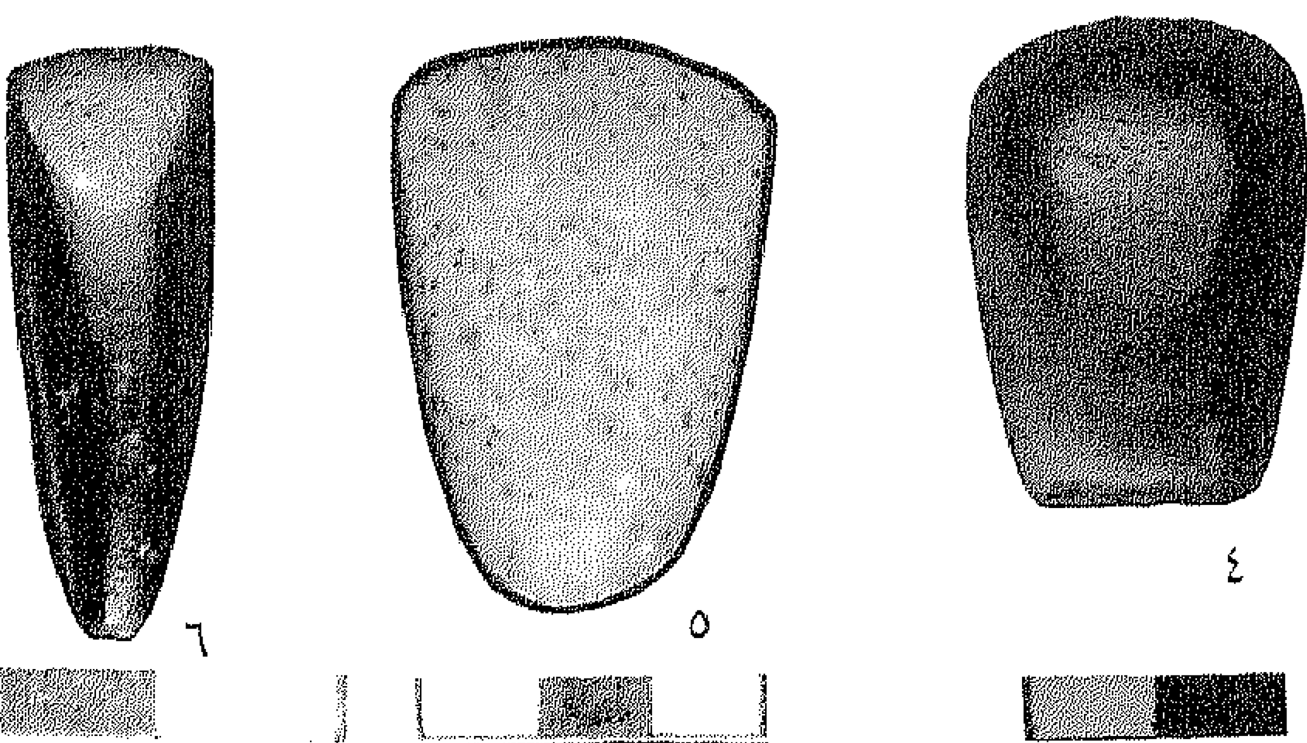
وثلاثة من هذه الفؤوس محفوظة في المتحف الوطني بمدينة صنعاء (لوحة : ١ : ٤ - ٦)، وفأس آخر من نفس النوع وبنفس الصفة وجدناه في متحف الغيظة بالمهرة، وفأس مصقول الشفرة تم العثور عليه من قبل الهواة بمنطقة سعوان في حوض صنعاء.

كما ذكرت في هذا الصدد حالات نادرة من الصقل في وسط الجزيرة العربية، على عدد قليل من الفؤوس الحجرية، إلى درجة أن عملية يمكن ناتجة عن استخدام الأداة وليس بسبب التنعيم المقصود السابق لعملية الاستخدام (Zarins, et. al: 1979:20).

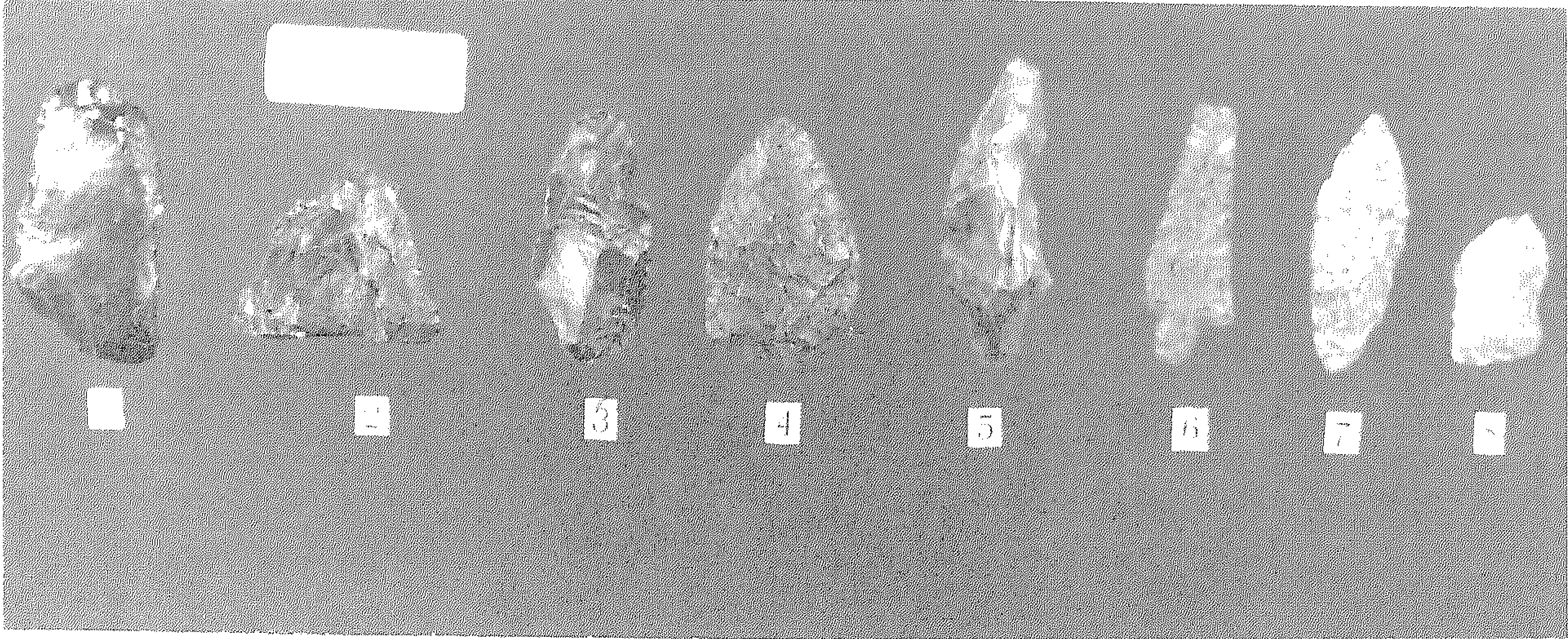
وعلى أي حال فإن طرق الصقل والجلخ نادرة بين مواد العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية بشكل عام، ومن المعتقد أن مثل هذه الحالات الأكيدة والنادرة التي سجلت على الفؤوس الحجرية ترجع في أحسن الأحوال إلى ختام العصر الحجري الحديث، إلى فترات مابعد العصر الحجري الحديث.

هذه العناصر المذكورة أعلاه التي وجدت مجتمعة في الطور الثاني من عملية تجهيز الأدوات قدمت صفات آثريه مهمة للعصر الحجري الحديث ومنها السمات العامة لثقافة الشظايا السالفة التحديد، كما أظهرت مستوى الرقي الذي وصلت إليه هذه الثقافة في التعامل مع الصناعة الحجرية في مرحلة التهذيب.





لوحة ١ : ١-٣ رؤوس سهام، ٤-٦ فؤوس حجرية . (١-٢، ٤-٦ من المتحف الوطني بصنعاء؛ ٣ من متحف قسم الآثار بجامعة صنعاء)



أ



ب

لوحة ٢ : أ – مواد صوانية من مواقع أثرية في العَبْر : نقلاً عن (Rashed, 1993)

١-٢ مواد سابقة للعصر الحجري الحديث؛ ٣-٤ العصر الحجري الحديث المبكر ؛ ٥- نهاية العصر الحجري الحديث المبكر وبداية العصر الحجري المتأخر «الصحراوي» ؛ ٦-٧ العصر الحجري الحديث المتأخر «الصحراوي» ؛ ٨- بعيد العصر الحجري الحديث (Post-Neolithic).

ب – منشآت حجرية من هضبة المَهْرَة، صُورت في سنة ١٩٩٠ من الإتجاه الشمالي الشرقي.

١.٣- تصنيف الأدوات الحجرية في ثقافة الشظايا

سيقتصر الحديث في التصنيف النوعي على ذكر أنواع معينة من الأدوات التي نرى أنها ستساعد بشكل واضح على تمييز ثقافة الشظايا وتبيين طبيعة أدواتها الرئيسة وهي :

الـــرؤوس الحادة (Points) رؤوس السهـام (Arrowheadsh) المثلثة الشكل (Triangular Shaped) (شكل ٢ : ٢) Narrow Foliatesh (المنصولة الطرفين) أو (المتشابهة الطرفين) (شكل ٣ : ٧) والمحدبة (المنحنية) القاعدة، ويطلق على بعضها احيانا الـرمحية (Lanceolates) وكـذلك الثلاثية (Trihedral Point) أو (ثلاثية الأوجه أو السيقان) ذوات المقطع العرضي المثلث الشكل (شكل ٢ : ٣-٥،٤) المعينية الشكل (Rhomboidal-shapedh) (شكل : ٢ : ١) وكذا رؤوس سهام المذنبة (Tanged Arrowheads) واضحة وأحيانا وهمية (صغيرة جدا)، ثلاثية الأوجه (شكل ٣ : ٤) وغير ثلاثية رؤوس سهام محققمة (Notched Arrowhead) أو (محضرة) ثلاثية وغير ثلاثية (شكل ٣ : ٥،٢) Stemmed Arrowheadsh (رؤوس السهام المعنقة) (شكل ٢ : ٥ ؛ شكل ٣ : ٦،١) ذوات الأكتاف: منها الدانية (غير المتدلية كثيرا) والمتدلية (لوحة : ١ : ٣،١) والعرجونية (ذوات الأكتاف المقوسة إلى الداخل) (لوحة ١ شكل : ٢).

ومن السمات التفصيلية للرؤوس المعنقة أو (المجنحة) أنها ذوات أكتاف بزاويتين منفرجتين أو حادتين أو قائمتين، تقعان بين الكتفين وبداية العنق عدن الفئة المذكورة من الأدوات.

وقد اعتبرنا رؤوس السهام المعنقة من المميزات الرئيسة للنمط الثقافي الصحراوي في جنوبي الجزيرة العربية ووسطها، عند المقارنة بين مواد المنطقة الصحراوية ومواد المناطق الأخرى داخل الجزيرة العربية وخارجها، وهو النمط الذي قمنا بفرزه ضمن أربعة أنماط ثقافية أخرى في هضبة المهرة والهضبة الغربية والمنطقة الساحلية. (Rashed: 1993b:17) .

وقد عملت هذه الرؤوس المعنقة في نفس الوقت على تقسيم العصر الحجري الحديث لثقافة الشظايا في المنطقة الصحراوية إلى قسمين: مبكر ومتأخر، لم يتم تحديدهما إلا بعد أن تحددت مكانة تلك الرؤوس أساساً في سلم الترتيب المرحلي النسبي، والذي لم يشاركني فيه الرأي زملاء في حولية أطلال ربما لعدم تزويدهم بالرسوم التوضيحية الكافية.

بُني ذلك المنهج على أساس البلى (Patina) وعوامل التعرية الأخرى العالقة بالمواد الأثرية (Rashed 1993a) وقد أتبعناه في دراسة المواقع المكشوفة في العراء، ويمكن الاستفادة منه في دراسة المواقع المغلقة أيضا.

ومن الضروري استعراض جزء من ذلك الترتيب المرحلي النسبي، نظرا لعلاقته المباشرة بالعصر الحجري الحديث، غير أنني سوف أكتفي هنا بعرض لوحة توضيحية تاركا الخوض في موضوع تقسيم العصر الحجري الحديث بالتفصيل إلى مقال مستقل عن هذا البحث.

تضم اللوحة رقم ٢-أ التي سنستعين بها ثمانية نماذج من خام الصوان، وكل نموذج يمثل مجموعة أثرية، كل مجموعة منها تمثل فترة زمنية بحسب ظهورها.

تتضمن تلك اللوحة الحدود الفاصلة لبداية ونهاية العصر الحجري الحديث : (Rashed 1993a: pl.1: 1993c: pl. 26) وتقسيماته الداخلية (Rashed 1993a: pl.1: fig.5,6: 1993c: fig.5,6).

أقدم الرؤوس الحادة التي عرفت من خلال ذلك الترتيب المرحلي النسبي حددت بداية العصر الحجري الحديث المبكر (لوحة ٢ - أ : ٣) وتحددت نهاية هذا العصر بظهور الرؤوس المعنقة (لوحة ٢-أ : ٥) التي نعتبرها في الوقت نفسه بداية للعصر الحجري الحديث المتأخر في المنطقة الصحراوية (لوحة ٢ : ٦)، أما نهاية العصر الحجري الحديث في المنطقة المذكورة فقد حددت بندرة أو اختفاء الرؤوس الحادة ورؤوس السهام عموما (لوحة : ٢-أ : ٨).

ووفقا للترتيب المرحلي المشار إليه سلفا ينقسم العصر الحجري الحديث المتأخر في المنطقة الصحراوية إلى مرحلتين : مبكرة ومتأخرة، تميزت المرحلة المبكرة برؤوس السهام المعنقة (لوحة : ٢-أ : ٦)، بينما تميزت المرحلة المتأخرة بظهور رؤوس سهام معنقة بأكتاف متدلية (لوحة : ١ : ٢,١) فضلا عن ظهور رؤوس سهام مشرشرة الجوانب (شكل : ٢ : ٥ ؛ لوحة : ١ : ١) وتغير مقاسات أحجام الكثير من الرؤوس الحادة ورؤوس السهام.

إن وفرة الرؤوس الحادة ورؤوس السهام في ثقافة الشظايا الأثرية كشفت عن أهم وسائل العمل التي يمكن من خلالها بصورة غير مباشرة التعرف على النمط المعيشي لحياة الإنسان في العصر الحجري الحديث، وهو ما تم ذكره في الفقرة ١.١.١ وسيتم تناوله في فقرة ٣ أيضا، كما تجلت من خلال هذه الأدوات بالإضافة إلى طرق التفليق الفوارق الجوهرية بين مواد ثقافة الشظايا لجنوبي ووسط الجزيرة العربية ومواد العصر الحجري الحديث في شمالي وشرقي الجزيرة المذكورة، وهو فرق كبير سيتضح بصورة أكثر في الفقرات التالية.

٢- من خصائص مصنوعات العصر الحجري الحديث في شمال الجزيرة العربية وشرقها

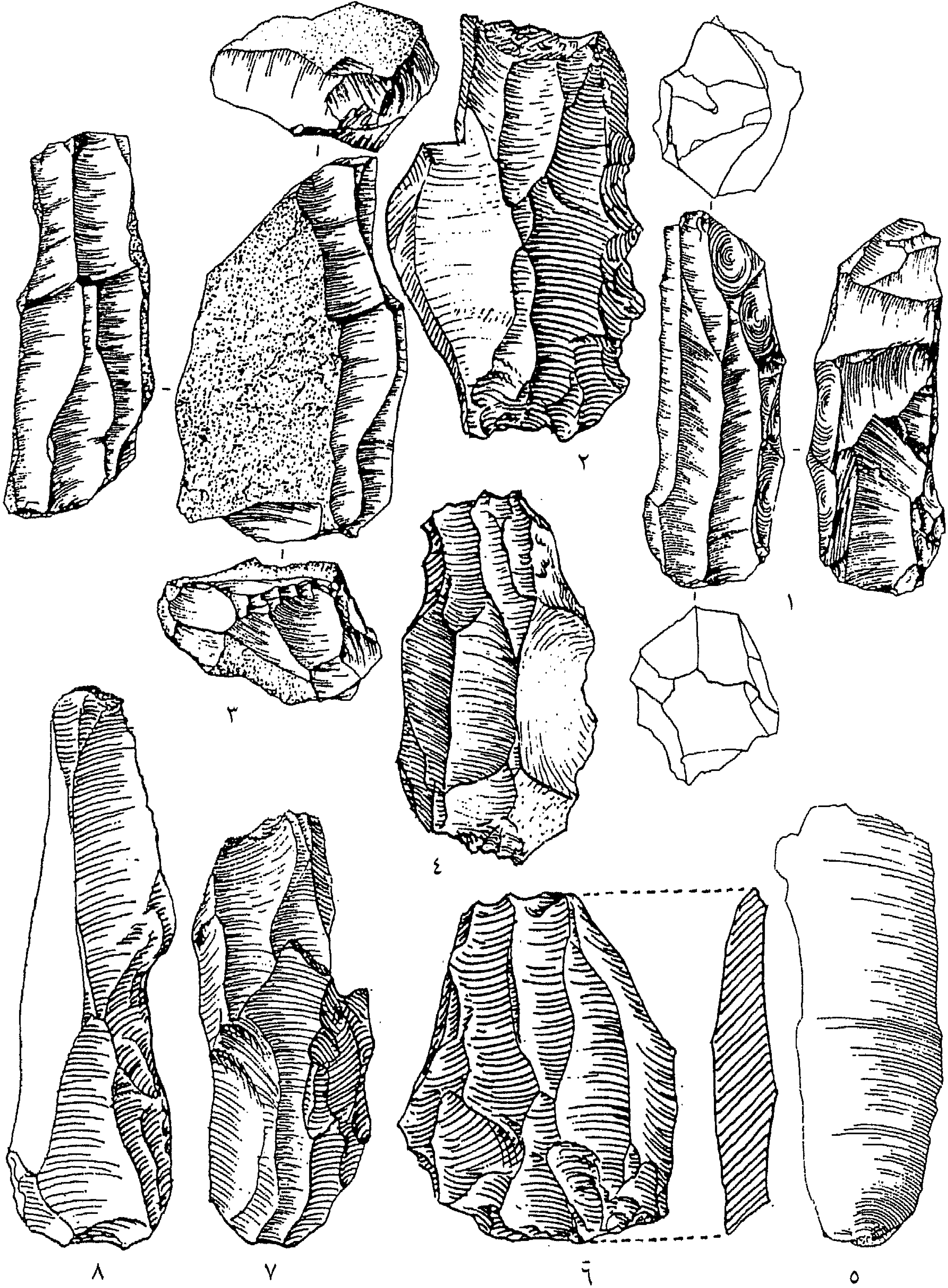
تثبت الدراسات الأثرية أن كثيرا من المواد الحجرية التي وجدت في المراحل المبكرة من العصر الحجري الحديث في شمالي (Parr, al. 1978 :1977 Adams, et. al.) الجزيرة العربية وشرقها (Kapel: 1965: 1967: Masry,1974: Inizan. 1988) (Glob. 1954. Nielsen. 1962: لها مواصفات تقنية ونوعية تختلف عن تقنية الشظايا (Rashed 1993c: 20,36, 270-289,299, 306) التي سادة بجنوبي ووسط الجزيرة، ومن خلال تلك الدراسات أصبح من الواضح أن ثقافة العصور الحجرية التي حددها الباحث الدينماركي (هولجر كابل) في قطر (Kapel 1967: 19-20) تحتوي على أخطاء جوهرية كثيرة، منها خطأ في التصنيف المرحلي لمجموعة المواد الحجرية التي سميت بالثقافة[٤] وهو أمر يهمنا أكثر من غيره في هذا الموضوع.

فقد نسبت تلك المجموعة في الستينيات إلى العصر الحجري الوسيط : (Kapel: 1965: 150: 1967: 19-20) بينما هي مواد تعود إلى العصر الحجري الحديث، من المستحسن استعراضها بنفس الخطوات الآنفة التي أتبعت في إظهار مميزات ثقافة الشظايا الحجرية في جنوبي ووسط الجزيرة العربية.

٢,١- التفليق

كانت عملية التفليق في المرحلة الأولى من تجهيز المواد الحجرية يتم إنجازها بشمالي الجزيرة وشرقيها عن طريق التشطير، وهى عملية يتم بواسطتها أساساً إنتاج الشطائر الحجرية كمؤن لتجهيز الأدوات، فالشطيرة الطول فيها يساوي ضعف العرض أو أكثر (شكل ٣ : ٨ ; شكل : ٤ : ٨،٥). ومن خلال الوصف والرسوم التوضيحية والصور الفوترغرافية، سواء للفلقات المشطورة بصورة مباشرة أو لكثير من الأدوات التي جهزت على تلك الشطائر الحجرية في المنطقتين المذكورتين تبين أن جانبي الشطيرة منتصبان إلى حد كبير وذوي حواف مستقيمة بدرجة كافية وتحمل الجهة الأمامية من الشطيرة في الغالب مسحفين مسطحين، غير عميقين، منحدرين صوب الأطراف، وممتدين تقريبا من أسفل الشطيرة حتى نهايتها :
(Glob 1954. pl. III: fig. 5: d-h; 170: fig. 4; Nielsen 1962: 174:pl. II: fig. 3-7 pl. 176 pl. III: fig. 1-5 p. 178 pl. IV: fig. 1-6; kapel 1965: 128: fig. 9p. 129: fig. 10:3-5, 7-8; kapel: 1967: pl. 17: fig. 1-8 pl. 18: fig. 4, 5, 7, 8, pl.22: fig.3, 5; Inizan 1988: 43: fig.12).

وتتميز المواد المذكورة بأنها فلقت بطريقة متوازية وشبه متوازية من مناكب النوى الخاصة باستخراج الشطائر الحجرية التي جهزت هذه النوى في الغالب الأعم من أحجار الصفاح (الألواح) ومنها النواة ذات الحجرتين المتقابلتين (41: fig. 10:p. 43: fig. 12 1967: pl. 21: fig. 6: pl. 23: fig. 9: Inizan: 1988: Kapel:) (شكل ٤ : ٦،٧, ١٣) ، وتعد هذه السمات في عملية التفليق وأساليبها المتنوعة مختلفة بصورة لا جدال



شكل ٤ : ١ -٤، ٦-٧ نوى ، ٥، ٨ شطائر من قطر ١، ٣، ٥ نقلاً عن إنيزان (Inizan, 1988)، ٢، ٤ ، ٦-٨ نقلاً عن كابل (Kapel,1967)

فيها عن أسلوب التفليق الذي تميزت به ثقافة الشظايا في جنوبي ووسط الجزيرة العربية.

٢,٢- التهذيب

يظهر الفرق شاخصاً للعيان في مصنوعات الشطائر الحجرية في عدد من أساليب التهذيب، منها طريقة تشذيب الرؤوس الحادة ورؤوس السهام، حيث نجد عملية التشذيب في تلك الفئة المذكورة من الأدوات كانت تهدف في المقام الأول إلى إعطاء الشكل المطلوب لنوع الأداة.

فلقد اقتصرت عملية التهذيب بالنقر على تشكيل أعقاب (مثبتات) الرؤوس الحادة ورؤوس السهام، سواء أكانت أعناقا أو أذنابا أو أزجة(4) (شكل ٥).

III: feg. 4: Kepel:1967: pl.17,18,23-27) (Nielsen: 1962: 172: pl. 1:p1. وعلى تشكيل الجزء الفعال في الأدوات الأخرى مثل Ill (المثاقب) (fig. 9 Pointh(Nielsen: 1962: 174: pl.11: (الأنصال)...الخ.

وكانت عملية التهذيب تنفذ بقدر كبير من عدم الإسراف عند إقامة النقرات على المؤن الحجرية، فعادة يتم الاكتفاء بإقامة أهذاب موزعة أو ملتحمة على طول الحواف الجانبية في الرؤوس الحادة ورؤوس السهام (شكل : ٥). وفي حالات قليلة نجد عملية التهذيب لاتقف عند هذا الحد، بل تتجاوز حدود الحواف لتشمل بذلك إقامة نقرات على أجزاء كبيرة إلى الداخل من الجهة الأمامية والخلفية وقد تغطي تلك النقرات جهة كاملة من الأداة (Inizan: 1980: 235: fig. 1988: 45: fig.14) وأحيانا يتم مصادفة نماذج من تلك الأدوات مرققة بالكامل تقريبا من الجهتين، لكل هذا التهذيب يبقى متميزا بطبيعته عن التهذيب المرقق في ثقافة الشظايا، خاصة بصغر أحجام النقرات وبعدم انتشارها الواسع على الرؤوس الحادة ورؤوس السهام.

فقد كان التهذيب المرقق الذي يغطي جزءا كبيرا في الأداة يخضع ربما لمقتضيات أنواع محددة من الأدوات، خاصة في الحالات التي يعتقد أنه كان يتم فيها اختيار بعض المؤن الخشنه الصنع نسبيا لتجهيز مثل تلك الرؤوس، وللتوكيد فإنه على الرغم من وجود النوع المذكور من التهذيب المرقق في المنطقتين الشمالية والشرقية من الجزيرة العربية على الرؤوس الحادة ورؤوس السهام، إلا أن ذلك التهذيب لم يصل في أغلب الأحوال إلى حد الترقيق الكلي للجهتين الامامية والخلفية كما هو الحال في الرؤوس الحادة ورؤوس السهام في ثقافة الشظايا في جنوبي الجزيرة العربية ووسطها.

٢,٣ التصنيف

تعد أنواع المواد الأثرية من العوامل المهمة في تحديد أوجه الشبه والاختلاف بين الثقافات الأثرية، ومن الأدوات التي نستشهد بها عند إظهار المميزات الخاصة بالصناعة في العصر الحجري الحديث في شمالي الجزيرة العربية وشرقها الرؤوس الحادة ورؤوس السهام لأنها من أكثر المواد حساسية في هذا الجانب وقد نشر الكثير منها في المنطقتين المذكورتين بنماذج مختلفة :

(Nielsen: 1962: 172: pl. I: p.176: pl. III: fig. 4: Kapel: 1965: 28: fig. 9: 1, 3, 4-5, 7: Kapel: 1967: pl. 17 fig. 1-14, 18, pl. 18: fig. 2, 3: pl. 23: fig. 1, 3-5, 7: p.24: pl. 25: fif. 4, 8-9, 10: pl. 27, fig. 3: Inizan: 1988: 45: fig. 14).

(شكل ٥) فهي مذنبة في هذه الصناعة في الغالب الأعم (شكل ٥ : ٢،٥،٨)

Kapel: 1967: pl. 17: fig. 8: pl. 18: fig. 3: pl. 24: fig. 9, 13: pl. 26: fig. 8: pl. 27: fig. 6: Nielsen: 196: 172: pl. I: p. 176: pl. III: fig. 4: Inizan: 1988: 45: fig. 14)

منها رؤوس ذوات أكتاف صغيرة قريبة للمذنبة أكثر من رؤوس السهام المعنقة (شكل ٥ :٦)

Kapel: 1967: pl. 17: fig. 6,7,12,14: pl. fig. 1,4: pl. 24: fig. 1-3, 5, 8, 10-12, 14-16, pl. 8, 9, 11, pl. 26, fig. 1-2, 4, 5, 7, pl. 27, fig. 3, 4, 5, 8, 9).

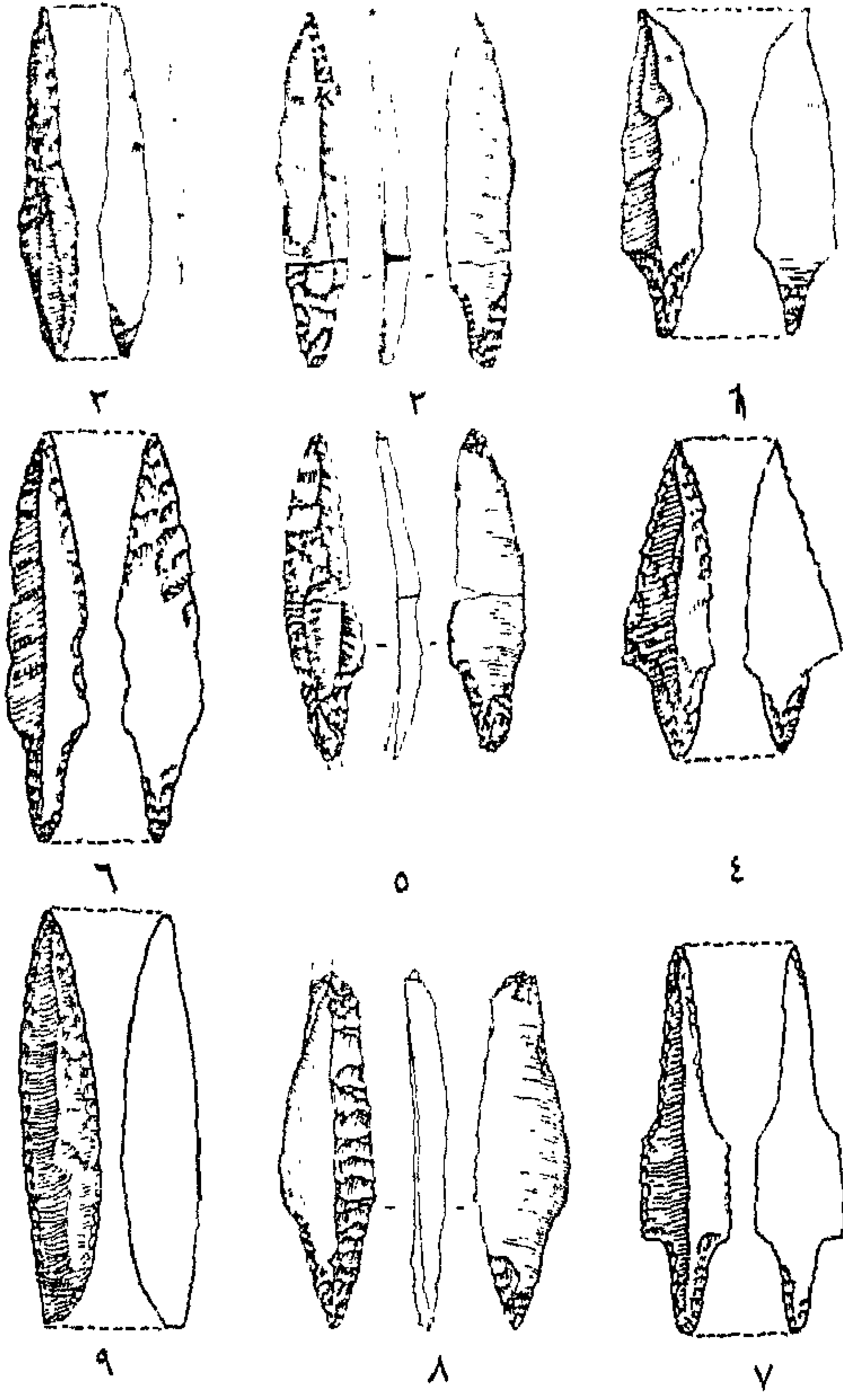
أمارؤوس السهام المعنقة ذوات الأكتاف فهي كغيرها من الرؤوس الآنفة الذكر غالبا غير مرققة من الجهتين بصورة تامة، وما يتم مصادفته من هذا النوع

يعتبر من ذوي الأكتاف بالزوايا المنفرجة (شكل ٥ : ١) أما الرؤوس المعنقة التي تصل زوايا أكتافها إلى أقل من ٩٠ فغير منتشرة بكثرة هنا، وإن تم مصادفة أعداد منها فإن زوايا أكتافها قائمة في أحسن الأحوال (شكل ٥ : ٤) (Kapel: 1967: pl. 17: fig. 1-5: pl. 23: fig. 3, 5, 7: pl. 24: fig. 3: pl. 26: fig. 3: pl. 27: fig.10, 11).

ومن الملاحظ في هذه الصناعة الانتشار الواسع للرؤوس المذنبة وللأنصال (شكل ٥ : ٦) (Kapel 1967:pl.18:fig.1,5,7-9:) 5,7,8: pl. fig. 10) 23: fig. 2: pl. 25: fig. 1-3, . وقلة إلى حد ملحوظ في كمية الرؤوس المنصولة الطرفين: (Kapel: 1967: pl. 17 (fig. 21 : pl. 27: fig. 12) والرؤوس الحادة ورؤوس السهام ذوات الأزجة (شكل ٥ : ٣) مع تغيب شبه كامل تقريباً للرؤوس الحادة ورؤوس السهام المعينية الشكل ورؤوس السهام المعنقة ذوات الأكتاف بالمناكب المتدلية والعرجونية.

ومن السمات العامة للرؤوس الحادة ورؤوس السهام في المنطقتين المذكورتين في الجزيرة العربية طريقة التهذيب التي ينبغي أخذها بعين الاعتبار، حيث إن هذه الأدوات تحمل أهذابا متميزة، وتتمركز على حوافها وعلى تشكيل أعقابها بهدف الوصول إلى الشكل العام كغاية نهائية لصناع تلك الأدوات . وقد جهزت الأدوات المذكورة مثل غيرها من الأدوات الأخرى في هذه المصنوعات من شطائر حجرية بدرجة رئيسية (شكل : ٥).

وبناء على جملة تلك الخصائص التقنية في مرحلة التفليق والتهذيب وأنواع الأدوات توفرت الشروط المادية لضرورة فرز ثقافة أثرية أخرى للعصر الحجري الحديث في شمالي الجزيرة العربية وشرقيها، وهي ثقافة الشطائر الحجرية (Blade Culture) التي وجدت في المنطقتين المذكورتين (20, 36, 270, 270, 298-99,306 (Rashed 1993b: 18: 1993c: (المعمري : ١٩٩٥ : ١٠٧- ١٠٨) قبل أن تظهر ثقافة جنوبي ووسط الجزيرة العربية في المناطق الشرقية من الجزيرة العربية.



شكل ٥ : ١ -٩ رؤوس حادة ورؤوس سهام من قطر : ١ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٩ نقلاً عن كابل (kapel, 1967) ؛ ٢ ، ٥ ، ٨ نقلاً عن إنيزان (Inizan, 1988)

وبتقديرنا فإن مواقع ثقافة في الشطائر الحجرية على الرغم من أنها تتركز في الأجزاء الشمالية والشرقية من الجزيرة العربية إلا أننا نجد مواقع لهذه الثقافة في الأجزاء الشمالية الغربية (Ingraham, et. Al: 1981: 66-68) وقليلا منها في الأجزاء الوسطى مثل موقع الثمامة الواقع شمالي غربي الرياض (أبو درك وآخرون : ١٩٨٤١٠١ : لوحة : ٩٨)، حيث يحتوي هذا الموقع على مواد لثقافة الشطائر والشظايا أيضا (أبو درك، وآخرون : 101102 1984 :: áMfd : 99,98) منها أدوات ذات طابع خاص، لست الآن بصدد تفصيلها.

وهناك مواقع في أماكن محصورة وسط الجزيرة وصفت بأنها من المواقع المحيرة مثل مجموعتي صلبوخ شمالي غربي الرياض بما فيها موقع ٢٠٧-٣٨ في منطقة سدوس، حيث نسبت هذه المواقع تارة إلى العصر الحجري القديم الأعلى وتارة إلى Epi-palaeolithic (الفترة

اللاحقة من العصر الحجري القديم) (al: 1979: 17-18: 1980: 18 .Zarins, te) ومن المواقع التي ذكرت بأنها تعود أيضا إلى الفترة اللاحقة من العصر الحجري القديم هي : (64/46/48/44/42/41-207) في منطقة ضرماء، ومجموعة عين الحسي على المنحدر الشرقي من من جبل طويق التي تركت معلقه في الترتيب المرحلي، على الرغم من أن هذه المجموعة كانت قد ذكرت في بادىء الأمر بأنها يمكن أن تؤرخ بمرحلة مبكرة من العصر الحجري الحديث (18-19 .Zarins, et. al: 1979:).

لقد جهزت مواد هذه المواقع من شطائر و شظف (Laminar Flake) حجرية من بينها مواد يحتمل بأنها تنتمي للعصر الحجري الحديث. ومن خلالها يمكن أن تتكشف خصائص محلية للعصر الحجري الحديث في وسط الجزيرة العربية، إلا أنه مادامت مواد المواقع المذكورة لم تنشر بالمكامل بعد، فإنه من السابق لأوانه الحديث في هذا الموضوع، خاصة وأن بداية العصر الحجري الحديث ما زالت بحاجة إلى مزيد من الدراسة شأنها في ذلك شأن نهاية العصر المذكور.

٣- النمط المعيشي وتواريخ العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية

تعد مسألة تحديد بداية ونهاية أي عصر من العصور في كل منطقة جغرافية على حدة مسألة من المسائل المعقدة التي يسعى الآثاريون إلى حلها، وكذا فإن بداية ونهاية العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية غير متفق عليهما بشكل نهائي بعد، لكن ذلك لا يمنعني الآن من تقديم صورة موجزة عن نمط الحياة المعيشية للإنسان في العصر المذكور وتواريخه بما يتناسب مع المعطيات التي وردت في هذا البحث، كوجه من أوجه المقارنة أيضا بن الثقافتين السالفتي الذكر.

قدم بعض الباحثين تقديرات زمنية لظهور العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية منها الألف الرابع ق.م في جنوبي الجزيرة العربية استنادا بصورة غير مباشرة الى أوجه المقارنة بمواد حجرية من نفس العصر بواحة الفيوم من أراضي مصر العربية (Caton-Thompson 1954: 214) وفي نفس الصدد وقف الباحثون وسط الجزيرة العربية عند الألف الخامس ق.م (Zarins, te. al 1979: 20: 1980: 19: 1981: p. 19) مستندين في هذا التاريخ على رؤوس السهام المعنقة بالمقام الأول (20: 2980: 29: 1980: 19: 1981: p. 19 :Zarins, te. al: 1979: 20: 2979) ، وكأن مواد العصر الحجري الحديث المبكر من ثقافة الشظايا (لوحة ٢-أ : ٤،٣) غير موجودة في وسط الجزيرة العربية !.

إن مثل ذلك التحديد لبداية العصر الحجري المذكور في وسط الجزيرة قد يقود - إذا ثبتت أراء (زارينس) وزملائه - إلى الاستنتاج بأن منشأ ثقافة الشظايا يمكن البحث عنه في الركن الجنوبي الغربي من صحراء الربع الخالي بما في ذلك هضبة المهرة وحضرموت ومرتفعات ظفار العمانية.

ومع ذلك فإن بداية العصر الحجري الحديث في جنوبي ووسط الجزيرة العربية سبق أن حددناها بظهور الرؤوس الحادة ورؤوس السهام والتهذيب المرقق من الجهتين (المعمري : ١٩٩٥ : ١٠١) (1993c: 301-303 :Rashed 1993a: 27-32: 1993b: 10,12-15) (لوحة٢-أ : ٢) مع أنه قد تصادف أحيانا مواد مرققة يمكن أن تكون فترتها الزمنية أسبق بقليل من الانتشار الواسع للأدوات المذكورة، هذا إذا اعتبرنا أن التهذيب المرقق والرؤوس الحادة ورؤوس السهام المبكرة كلها جزءا من العصر الحجري الحديث، أما إذا ظهرت ظرورة لإملاء الفراغ والواقع بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث بمواد أثرية مرققة من ضمنها بعض من الرؤوس الحادة ورؤوس سهام فتلك مسألة بحاجة إلى دراسة جادة ،ومستفيضة.

هذا من الناحية الأثرية، أما من الناحية الزمنية فربما تتطابق هذه البداية علي أقل تقدير مع الألف التاسع .ذ.ّ (Rashed: 1993b: 16: 16: 1993c: 287) استنادا إلى التغيرات البيئية التي وقعت في الجزيرة العربية والمناطق المجاورة، والتي تمثلت في المقام الأول

بدخول فترة مناخية رطبة في زهاء ٩٠٠٠ سنة قبل الحاضر (McClure: 1976: 755).

ومما يدعم هذا الافتراض التواريخ الأكثر قدما للعصر الحجري الحديث التي تم الحصول عليها في بضعة مواقع من مواقع العصر المذكور على أرض الجزيرة، وهي المرتكز الأول في هذا الشأن على الرغم من قلتها إلى الآن، منها تأريخ الطبقة الرابعة المأخوذ من موقع حبروت في هضبة المهرة الذي يعود إلى العصر الحجري الحديث وهو (٩٥ ± ٧٩٣٥) قبل الحاضر ويعتبر هذا التأريخ معدلا وسطيا بين التأريخين (٤٠ ± ٨٤٧٠) و (١٥٠ ± ٧٤٠٠) (حصلنا على هذا التأريخ من أمير خانوف) والتاريخ الأخر هو (٩٥ ± ٧٧٠٠) قبل الحاضر من منطقة تهامة (Tozi 1986: 203) هذا ما يخص بداية العصر الحجري الحديث.

أما نهاية العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية فقد حدثت في أوقات متفاوتة، وقد تتميز بظواهر مختلفة في كل منطقة جغرافية على حدة. تتحدد تلك النهاية في المنطقة الصحراوية في حالات كثيرة بندرة أو اختفاء الرؤوس الحادة ورؤوس السهام (لوحة ٢- أ : ٨)، وهي فترة دخول Post-Neolithic (بعيد العصر الحجري الحديث). وتحت هذه الظاهرة يمكن أن تدرج نهاية العصر الحجري الحديث في هضبة حضرموت، لكن هناك اختلافا في تأريخ هذه الفترة، ففي وسط الجزيرة العربية أعيد Post-Neolithic إلى الألف الثالث ق.م (Zarins, et. al: 1980: 20) بينما وجدت في حضرموت مواقع حجرية خالية من الفخار وبالتالي من المصنوعات المعدنية، ويصل تأريخها إلى (١٦٥ ± ٢٨٩٥) قبل الحاضر في الطبقة الثقافية رقم ٣ من موقع الصفاء رقم ١ و (١٣٥ ± ٢٧٥٠) قبل الحاضرمن موقع المشهد رقم ١٠ (حصلت على هذه التواريخ أيضا من أمير خانوف الذي أطلعني في الوقت نفسه على جزء من مواد تلك المواقع عندما كان يعتزم القيام بدراسة عن حضرموت والمهرة) وهي مواد حجرية تتطابق مع مواد المجموعة الأخيرة من التقسيم المرحلي النسبي السالف الذكر (لوحة ٢-أ : ٨) التي خلت بشكل شبه تام تقريبا من الرؤوس الحادة ورؤوس السهام، (شكل ٣ : ٨؛ لوحة ٢-أ : ٨).

وتنسجم هذه المجموعة في جنوبي الجزيرة العربية إلى حد كبير مع الوصف الذي قدم للمواد الحجرية التي أعيدت في منطقتي نجد والحجاز إلى ذات الفترة (Zarins, et. al: 1980: 20-23).

والجدير بالذكر أن من اللافت للنظر كثيرا في حضرموت، الظهور المفاجيء للأدوات القزمية الهندسية الشكل، والمجهزة من خام الزجاج البركاني (Obsidian) وذات الارتباط في نشأتها بتشكل المستوطنات الحضرية المبكرة . (Rashed 1993c: 289-290) فهي مواد ذات علاقة بالنشاط الزراعي (Rashed 1993b: 18) وتختلف نوعيا وتقنيا عن تقاليد العصور الحجرية المعروفة في الجزيرة العربية (المعمري ١٩٩٥ : ١٠٦).

أما نهاية العصر الحجري الحديث في هضبة المهرة فمن الصعب تحديدها إلى الآن برؤوس السهام وحدها، حيث يبدو أن الرؤوس الحادة ورؤوس السهام ظلت تستخدم في الهضبة المذكورة بشكل واسع في فترة ما بعد العصر الحجري الحديث لذا كان لابد من النظر في ظواهر أثرية أخرى قد تساعد في معرفة تلك النهاية في الهضبة المذكورة.

وفي هذا الأمر يمكن الاستفادة من بعض المنشآت الحجرية (Field 1955: 137) خاصة من نوع Trilith (لوحة : ٥- ب)، وهي عبارة عن نصب مؤلفة في الغالب من ثلاثة أحجار أو أكثر من أحجار الصفاح (الصلل) (لوحة ٢: ١)، توجد بشكل مجموعات متجهة عادة من الشرق صوب الغرب على استقامة واحدة، أغلبها مفروش من الداخل بالحصيات المكورة الشكل، وقد لاحظنا بأن وجود هذا النوع من المنشآت يرتبط عادة بنوعين آخرين في نفس المكان: أحدهما يتألف كذلك من مجموعات تلي بعضها بعضا من الاتجاه الشرقي نحو الغرب، كل مجموعة تتكون من أحجار حصوية مكومة بشكل ممدود أو بيضاوي (لوحة ٢- ب : ٢)، والنوع الآخر

دائري الشكل، يتألف من أحجار مفروشة غير حصوية في الغالب الأعم (لوحة ٢- ب : ٣).

ولكي تربط المنشآت المذكورة بنهاية العصر الحجري الحديث، فإن ذلك يتطلب معرفة الزمن النسبي الذي ظهرت فيه تلك المنشآت، وقد يتأتى هذا من خلال معرفة وظائفها.

إن أول دليل يمكن أخذه في هذا الجانب هو علاقة الجوار الآنفة الذكر بين الثلاثة الأنواع المذكورة أعلاه (لوحة ٢- ب : ١،٢،٣)، حيث توحي تلك العلاقة بوجود وظيفة مشتركة بينها، وثانيا إن الرعاة في هضبة المهرة يطلقون على الأشكال الدائرية المنبسطة المنضدة بأحجار غير حصوية "مذابح" سواء أكانت قديمة (لوحة ٢- ب : ٣) أو حديثة. وعندما يشوون اللحوم فإنهم يشوونها على أكوام من الحصي المكورة الشكل، الشبيهة بالفرشات الحجرية في المنشآت القديمة، سواء المحاطة أو غير المحاطة بالنصب الحجرية (لوحة ٢ : ٢).

إن تلك العلاقة في الجوار والظواهر الأثنوغرافية المذكورة في هضبة المهرة وآثار النار التي ما زالت بقاياها في عدد من تلك المنشآت، خاصة ذات الحصيات المستديرة الشكل يحملان الباحث على ألا يذهب إلى ما ذهب إليه (دوستال) في تفسيره لوظائف هذه المنشآت القديمة، بأنها ذات علاقة بشعائر جنائزية (Dostal : 1968)، وإنما إلى احتمال أقرب، هو أن المنشآت القديمة التي ذكرت ربما كانت بالفعل لها علاقة بذبح الحيوانات وشي لحومها، وبالتالي فإن ظهورها ووظيفتها من المحتمل أن تكون قد ارتبطت بفترة ساد فيها نمط الرعي.

وبالمقارنة مع المنطقة الصحراوية فإن نمط الرعي ساد كما نعتقد في نهاية العصر الحجري الحديث وفي فترة ما بعد العصر الحجري الحديث استنادا إلى ندرة وانعدام الرؤوس الحادة ورؤوس السهام (لوحة :٢-أ : ٨).

ويمكن أن تكون نهاية العصر الحجري الحديث في الهضبة الغربية هي بداية ظهور العصر البرونزي الذي حدد بظهور الفخار والمباني الحجرية الدائرية الشكل (De Maigret, 1990).

وبناء على أنواع المواد الحجرية التي ذكرت منها في التصنيف النوعي يمكن القول إن الطابع العام للحياة المعيشية في العصر الحجري الحديث في المنطقة الصحراوية ارتكز بدرجة أساسية على الصيد تقريبا والجمع، وتشير أكوام الأصداف في المناطق الساحلية سواء التهامية أو الشرقية إلى أن تلك المناطق مارست الصيد البحري بدرجة نشطة وربما متخصصة إلى جانب الصيد البري والجمع، وهو النمط الذي يلاحظ بأنه تقهقر إلى كبير في مابعد العصر الحجري الحديث (Rashed 1993b: 18: 1993c: 289, 290) Post-Neolithic بسبب انتقال أجزاء من الجزيرة العربية إلى الرعي وأخرى إلى الزراعة والرعي مع الاحتفاظ بالصيد كعامل ثانوي بشكل عام.

٤- من العلاقات الثقافية للعصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية

بعد أن اتضحت معالم ثقافتي الشظايا والشطائر في الجزيرة العربية، صار من الممكن تتبع الجذور التاريخية والعلاقات الثقافية ولو بشكل أولي لهاتين الثقافتين.

تنقسم ثقافة الشظايا إلى مرحلتين كما سلف القول : العصر الحجري الحديث المبكر والعصر الحجري الحديث المتأخر، ولكل مرحلة من تلك المراحل دور خاص.

فالمرحلة المبكرة على الرغم من أنها انحصرت في المناطق الجبلية الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية، القريبة من الصحراء (1993c,p. 283-284, 304-305 (Rashed 1993b, p. 17-18; (المعمري : ١٩٩٥ : ١٠٦) لكنها لم تغط الهضبة الغربية الجنوبية بكاملها، ولم تتوغل في نفس الوقت في اتجاه الصحراء.

كل ما عرف عن هذه المرحلة في المنطقة الصحراوية إلى الآن هو المواد التي وجدناها في منطقة العبر (لوحة : ٢ : ٤،٣) والتي أكدت بأن الشظايا الصوانية القليلة العدد التي سجلت في ترسبات جيولوجية بصحراء المندفن (McClure: 1971:1978) تنتمي هي الأخرى إلى العصر الحجري الحديث المبكر.

أما المرحلة المتأخرة التي وصفت برؤوس السهام المعنقة (لوحة ٢ : ٦) فقد ظهرت في الصحراء وتوسعت في نفس الاتجاه صوب الشرق والشمال والشمال الغربي، ولم تزحف تلك الرؤوس كثيرا إلى المناطق الجبلية الجنوبية إلا فيما ندر (Rashed 1993b: 17, 1993c: 291-293) فالعصر الحجري الحديث المتأخر في المنطقة الجبلية الغربية في جنوب الجزيرة العربية (Fedele 1984: 1985: 1986;1988) يختلف عن العصر الحجري الحديث المتأخر في المنطقة الصحراوية (Rashed 1993c: 281 - 283) ، لذا فإنه من المنصف أن يطلق على هذه المرحلة في المنطقة الصحراوية اسم العصر الحجري الحديث الصحراوي.

ومن الخصائص العامة لثقافة الشظايا، سيادة النواة المفلطحة جهتها العاملة وحضور للنوى المنشورية وكمية قليلة من النوى المنشورية الشكل وطرق تسديد الضربات المتوازية وشبه المتوازية في عملية التفليق ونعدام الفخار.

وتعتبر هذه العناصر التقنية من العوامل الرئيسة الموحدة لثقافة الشظايا بقسميها المبكر والمتأخر الصحراوي والجبلي ولأنماطهما المختلفة (Rashed 1993c: 291-293). أما التهذيب المرقق من الجهتين والصيد والجمع فتعتبر من المميزات المشتركة لثقافة الشظايا في المرحلة المبكرة من العصر الحجري الحديث. فالتهذيب المرقق والرؤوس الحادة ورؤوس السهام تندر أو تختفي بالكامل في عدد من مواقع الهضبة الغربية في الجزيرة العربية (Rashed: 1993c: 281-283).

ومن الأسباب التي أحدثت ذلك التمايز الكبير بين المنطقة الصحراوية والهضبة الغربية المذكورة من المتحتمل طبيعة الانتقال من الصيد إلى الرعي والزراعة والاختلاف في فترات حدوث ذلك الانتقال، الذي نرجح بأنه وقع في فترات مختلفة من العصر الحجري الحديث المتأخر.

أما خصائص ثقافة الشطائر في الجزيرة العربية، فمنها سيادة النواة التي تستخرج منها الشطائر الحجرية وتسديد الضربات المتوازية وشبه المتوازية على مناكب النوى وطرق التهذيب غير المرقق من الجهتين في الغالب الأعم وضيق نقرات ذلك التهذيب وأنواع الأدوات المذكورة (انظر ٣-٢) والنمط الاقتصادي القائم على الصيد وانعدام الفخار.

فالمواد الفخارية التي ظهرت في شرقي الجزيرة العربية "عبيدية" النوع، انتشر استخدامها تقريبا في الفترة التي تواجد فيها النمط الثقافي الصحراوي، وتركزت مواطن ثقافة الشطائر الحجرية في المنطقتين الشرقية والشمالية، كما نجد بعض أدواتها في الأطراف الشمالية الغربية، وقليلا منها في الجزء الأوسط من الجزيرة العربية.

وعلى أساس هذا التوزيع الجغرافي لمواقع العصر الحجري الحديث المبكر، يمكن القول أن الحاملين لمواد المرحلة المبكرة من ثقافة الشظايا كان لهم دور في إعاقة ثقافة الشطائر من الزحف صوب المنطقة الوسطى والجنوبية.

فلقد ظهرت ثقافة الشطائر في المنطقة الشرقية بفترة أقدم من دخول النمط الثقافي الصحراوي هناك، استنادا إلى التواريخ المطلقة، منها التأريخ (١٣٠+٥٠٢٠) الألف السادس قبل الحاضر أو (١٣٠ + ٦٩٧٠) الألف السابع قبل الحاضر المأخوذ من موقع شقراء الواقع جنوبي غربي أم سعيد في قطر (Kapel: 1967: 17,31) كتأريخ للمواد المجهزة من الشطائر الحجرية التي وجدت في الموقع المذكور، وعلى تاريخ آخر يرجع إلى (٩٠+ ٧٥٢٠) الألف الثامن الحاضر وجد أيضا بنفس المنطقة، لكن التأريخ الأخير لا يمكن الاعتماد عليه حتى الآن، لأنه لم يتم التدقيق فيه بعد (Inizan 1988: 124).

وبالمقابل فإن التأريخ المطلق (٤٩٣٥) الألف الخامس ق.م أو (٣٢٥ - ٦٨٨٥) الألف السابع قبل الحاضر المأخوذ من الطبقة الأثرية رقم ١٢ بموقع عين قناص (Masry 1974: 223) في واحة الاحساء من المنطقة الشرقية هو التأريخ الذي يمكن الاستناد إليه بشكل أولي لدخول النمط الثقافي الصحراوي المنطقة الشرقية ومنها الإمارات العربية المتحدة وقطر والبحرين، وبناء على ما وجد في تلك الطبقة من أدوات متطابقة مع أدوات جنوبي ووسط الجزيرة ومنها الأداتان - للاستدلال - الحاملتان للرقمين ١ و ٢ من نفس المصدر، فهي من رؤوس السها التي توجد غالبا بكميات كبيرة في الركن الجنوبي الغربي من صحراء الربع الخالي بما في ذلك رمله السبعيتن ومنطقة مأرب.

هذا ولكل من الثقافتين الأثريتين جذور وروابط تاريخية مختلفة، نسبت على ضوئها أصول ثقافة الشطائر الأثرية إلى وادي الرافدين وبلاد الشام (Rashed: 1993b: 18) (1995-108 109 : المعمري) بالاستناد إلى عمليات تجهيز المواد الحجرية في مرحلة التفليق، تلك الأصول التي انحدرت على الأرجح من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار، انطلاقا أولا من غياب الفخار في ثقافة الشطائر في الجزيرة العربية، وثانيا من طرق التهذيب وأنواع من الرؤوس الحادة ورؤوس السهام التي ذكرت في الفقرة ٢.٣ وثالثا من نمط العيش القائم على الصيد في ثقافة الشطائر المذكورة وفي العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار أيضا في وادي الرافدين و بلاد الشام. وعلى الرغم من ظهور ثقافة الشطائر في الجزيرة العربية في المرحلة المبكرة من العصر الحجري الحديث، إلا أن نشاطها توقف تقريبا عندما حل محلها العصر الحجري الحديث "الصحراوي".

ومن تأثيرات الأقاليم الشمالية على الجزيرة العربية في العصر الحجري الحديث المتأخر الفخار العبيدي، الذي يمكن التدليل به على حدوث تماس ثقافي ليس إلا بين منطقة الخليج العربي ومصدر ذلك الخام في جنوب الرافدين، ذلك لأن الأدوات الأساسية في المنطقة الشرقية، والمؤلفة من المواد الحجرية، أصبحت من النمط الثقافي الصحراوي الذي أتى إليها من جنوب ووسط الجزيرة العربية.

أما منشأ ثقافة الشظايا الأثرية فقد أعدناه إلى البيئة المحلية داحضين في الوقت نفسه الفكرة التي حاولت البحث عن روابط لجذور هذه الثقافة في العصر الحجري الحديث في أفريقيا خاصة في واحة الفيوم (Rashed 1993b: 19: 1993c: 294-297) (المعمري ١٩٩٥:١٠٨ - ١٠٠). ومن هذه الزاوية يمكن لنا أن نصف ثقافة الشظايا مجازا بالثقافة العربية تأكيدا من جهة على انتماء جذورها للجزيرة العربية، ومن جهة ثانية تمييزا لها عن ثقافة الشطائر الآتية جذورها من خارج الجزيرة العربية.

إن وجه الشبه الذي وجدناه حاصلا بين ثقافة الشظايا في الجزيرة العربية وثقافة العصر الحجري الحديث في القارة الأفريقية تركناه لدور التماس الثقافي بين الجزيرة المذكورة وواحة الفيوم بما في ذلك وادي النيل والصحراء الأفريقية الكبرى والأجزاء الشمالية الشرقية من أفريقيا، محددين حينها - لأول مرة تقريبا- الفترات التي تبلورت فيها عناصر ذلك التماس بنماذج من الأدوات الحجرية، وذلك في مرحلة العصر الحجري الحديث الصحراوي، وبدقة أكثر عندما ظهرت رؤوس السهام المعنقة ذوات الأكتاف في حوالي المجموعة الرابعة (لوحة: ٢-أ : ٦)، واصفين تلك العناصر المتشابهة بأنها بلغت ذروتها في المجموعة الخامسة من التقسيم المرحلي النسبي للعصر الحجري الحديث آنف الذكر (Rashed 1993c: 306).

وهكذا تضمن التماس الثقافي الذي ذهبنا إليه إشارة عكسية مفادها - بعبارات أخرى - أن النمط الثقافي الصحراوي العربي (المرحلة المتأخرة من العصر الحجري الحديث) يحتمل أنه الذي أحدث صلة الجزيرة العربية بالقارة الأفريقية ابتداء بواحة الفيوم، وهو استنتاج لم تطرق أبوابه من قبل إلا بعد أن ظهرت حيثيات له عبر ذلك التسلسل المرحلي النسبي للمواد الحجرية،

الذي شخص لنا في هذا الجانب ليس فقط الفترات الزمنية النسبية للمواد الحجرية في الجزيرة العربية المتشابهة مع المناطق الأفريقية المذكورة، ولكن كذلك الفترات الزمنية للمواد التي وجدت فيها الكثير من نقاط الاختلاف. موسعا بذلك أطر التقديرات الزمنية النسبية لثقافة الشظايا في الجزيرة العربية عنها في واحة الفيوم (Rashed: 1993b: 16-19: 1993c: 294-297) (المعمري : 1995 109110 :)، حيث بات من الواضح حينها أن أوجه الشبه الكبير في بعض المواد الحجرية التي احتوتها ثقافة الفيوم لم تجد مكانة لنفسها إلا مع العصر الحجري الحديث الصحراوي وليس مع العصر الأثري المذكور كله في الجزيرة العربية.

إلا أنه وعلى الرغم من كل ماذكر فإننا لم نستبعد إطلاقا التأثيرات المحتملة على الجزيرة العربية من المناطق الأفريقية السالفة الذكر بما في ذلك التأثير المحتمل من شمالي وشرقي أفريقيا. ذلك لأن الحل الحاسم لمسألة العلاقة بين القارة الأفريقية والجزيرة العربية في العصر الحجري الحديث سيبقى - حسب الظن- مرتبطا إلى حد ما بمعرفة الجذور الثقافية التي انحدرت منها رؤوس السهام المعنقة.

وقد لا نجازف اليوم إذا قلنا إن الرؤوس الحادة ورؤوس السهام المجهزة من شظيا حجرية المرققة من الجهتين من ضمنها رؤوس السهام المعنقة التي يعثر عليها أحيانا في فلسطين، مثل أدوات «جبعة هفرسة» (Olami, et. al: 1979: pl. 4:2) Giv'atha-parsa دخيلة على المجتمع الفلسطيني بكل تأكيد، وربما تكون هي الأخرى حصيلة لذلك التماس الثقافي الذي شمل أيضا أجزاء في الجانب الآسيوي، غير أن حدوثه في هذه الحالة بالذات كان في وقت متأخر عنه في الجانب الأفريقي، ومن أقرب الاحتمالات في هذا الشأن أن أدوات «جبعة هفرسة» اتخذت صحراء سيناء طريقا لها في الوصول إلى أرض فلسطين.

د. عبدالرزاق أحمد راشد المعمري - قسم الآثار - جامعة صنعاء - صنعاء - الجمهورية اليمنية

الهوامش

١ - هذه المسائل ومسائل أخرى عرضت بقدر ما في ما يلي : دراسة (Rashed: 1993b: 1993c) حققها أ.د./ أمير خانوف من جامعة موسكو ومعهد الآثار- أكاديمية العلوم الروسية، وعمل آخر "العصر الحجري الحديث في جنوبي الجزيرة العربية " ، راجعه أمير خانوف وأ.د./ أنيكوفيتش من معهد تاريخ الثقافة المادية - أكاديمية العلوم الروسية، بعدها سلم العمل المذكور لدار النشر (سانكت - بطرسبورج للدراسات الشرقية)بهدف إصداره إلا أنه وبعد أن وافت المنية بطريقة محزنة د./ جرز نيفتش منظم ورئيس البعثة الآثارية اليمنية السوفياتية المشتركة أصبح الأمل ضعيفا في أن يصدر ذلك الكتاب إلا إذا دفعت تكاليف النشر، وقد قمت بنشر مقالة تعتبر خلاصة له (المعمري : 1995 : 98112).

٢ - المسحف : أثر الفلقة المستخرجة من النواة (لوحة : 1 شكل : 5,2,1)، ذلك ما يمكن تتبعه في حالتين: الحالة الأولى على النواة مباشرة والحالة الثانية على الفلقات نفسها فكل فلقة استخرجت من النواة لا بد وأن تحمل جهتها الأمامية آثارا للفلقات السابقة لها عدا الفلقات الأولية التي تحمل جهاتها الأمامية قشفة النواة وهي في العادة فلق قليلة العدد.

٣ - المؤنة : هي المادة الحجرية التي يقع عليها الاختيار كي تحول التشذيب إلى أداة، وهي في الغالب فلقة من الفلق المنتزعة من النواة.

٤ - الفرق بين الأعناق والأذناب والأزجة عند الرؤوس الحادة والرؤوس السهام هو كالآتي : الرؤوس المعنقة هي التي تنتهي أبدانها بأكتاف واضحة يبدأ من عندها عقب التثبيت، وهو العقب الذي يمكن لنا وصفه في هذه الحالة بالعنق ويمكن أن تسمى برؤوس السهام المكتفة أو (المجنحة)، أما الرؤوس المذنبة فهي التي تنتهي بأطراف للتثبيت دون أكتاف واضحة، وفي هذه الحالة يمكن أن تسمى هذه الأعقاب بأذناب لا أعناق، الرؤوس الحادة ورؤوس السهام ذوات الأزجة فهي التي تنتهي بأعقاب) إسعاف أو أذيال (طويلة قد تصل إلى أكثر من طول البدن ولسان الرأس وأحيانا إلى أكثر من ضعفيهما معا.

المراجـــع

أولا : المراجع العربية

أبو درك، حامد، عبدالجواد مراد، محمد البراهيم ١٩٨٤م "الاستكشافات والتنقيبات الأثرية في موقع الثمامة الذي يرجع تاريخه إلى العصر الحجري الحديث". **أطلال**، ٨ : ٩٧-١٠٣.

المعمري، عبدالرزاق أحمد راشد ١٩٩٥، "العصر الحجري الحديث في جنوب الجزيرة العربية". **الثقافة**، العدد ٢٠ : ٩٨-١١٢.

المعمري، عبدالرزاق أحمد راشد١٩٩٦"مخلفات أثرية لإنسان ما قبل التاريخ في حوض صنعاء" . **الندوة العلمية الأولى للآثار اليمنية**، الجزء الأول، صنعاء. ٨٧-١٢٠.

ثانياً : المراجع غير العربية

Adams, P. McC., P. Parr M. Ibrahim and A.Al-Mughanam, 1977. "The preliminary report on the first phase of the comprehensive Archaeological Survey Program". **Atlal,** : 21-40.

Amirkhanov, H.A.,1991. **Palieolit Yuzhnoi Aravii.** Moskva.

Amirkhanov, H.,1994. "Research on the Palaeolithic and Neolithic of Hadramaut and Mahra". **Arabian Archaeology and Epigraphy** 5: 217-228.

Bader, N.O., 1989. Earliest cultivators in Northern Mesopotamia. The Investigations of Soviet Archaeological Expedition in Iraq at Settlements Tell Magzaliya,Tell Sotto, Kul Tepe. Moscow.

Bar-Yosef, O.,1980. "A human figurine from a Khiamian site in the Lower Jordan Valley".- **Paleorient**, p. 193-199.

Bryan, A.L., 1978. Early Man in America from A circum-pacific perspective. Archaeological Researches International. Ltd, May.

Bunker, D.G.,1953. "The Southwest Borderlands of th Rub al-Khali". **Geographical Journal.**, Vol. CXIX: 420-430.

Caton-Thompson, G. Gardner and E.W. 1934. **The Desert Faym**. London.

Caton-Thompson, G. 1954. "Some Palaeolithic from South Arabia". **Proceeding of the Prehistorics Society.** New series, London, December, vol. 19 : 189-218.

Cauvin, M.-C. 1974a. "Outillage Lithique et chronologie a tell Aswad (Damascene - Syrie)". **Paleorient**, vol. 2: 429-436.

Cauvin, M.-C. 1974b. "Fleches a Encoches de Syria: Essai de classification et d'interpretation culturelle". **Paleorient**, vol. 2 : 311-322.

Cauvin, M.-C.,1979."Tello el'origine de la Houe au Proche-Orient". **Paleorient**, 5 : 193-206.

Copeland, L. 1979. "Observation on the prehistory of the Balikh Valley, Syria, during the 7th to 4th Millennia B.C". **Paleorient**, 5 : 251-275.

De Maigret, A. 1990. **The Bronze Age Cultures of Hawlan at-Niyal and Al Hada** (Republic of Yemen).IsMEO, Rome.

Di Mario, F. 1990."The bronze Age Lithic industry". The Bronze Age Culture of Hawlan At-Tiyal and Al-Hada. Is MEO Rome, pp.81-114.

Dostal, W. 1968."Zur Megalithfrage in Sudarabien". **Festschrift fur Werner Caskel zum Geburtstag**. Herausgegeben Erwin Graf. Leiden, pp.53-62.

Fedele F.G.,1984."Neolithic period". **East and west**, 34(4): 431-437.

Fedele, F.G. 1985. "Research on Neolithic and Holocene paleoecological Activities in the Yemen highland". **East and west,** 35(4): 369-373.

Fedele, F.G. 1986. "Neolithic and protohistoric culture". **East and west,** 6(4): 396-400.

Fedele, F.G. 1988. "North Yemen: The Neolithic in Yemen". **Yemen: 3000 years of Art and Civilization in Arabia Felix.** Innsburg-Frankfurt/Main, pp.34-41.

Field, D.Sc.,1955. "New Stone age Sites in the Arabian Peninsula". **Man,** 144 -145: 136 -138.

Glob, P.V. 1954."Flintpladser i Bahrains Orken". **KUML**, pp.106-115.

Ingraham, M.L. T.D.Johnonson. T.D.B.Rihani and Shatla, 1981. "Preliminary report on a reconnaissance survey of the northwestern province (with a note on a brief survey of the northern province)". **Atlal,** 5 : 59-84.

Inizan, M.-L. 1980 "Sur les industries a lames de Qatar". **Paleorient**, 6 : 233-236.

Inizan, M-L. 1988. **Prehistoire a Qatar. Mission Archaeologigue Francaise a Qatar.** Edition rechercher sur les Civilisation. Paris.

Kapel, H.,1965. "Stenalderfund fra Qatar". **KUML**, pp.112-155.

Kapel, H. 1967. **Atlas of the Stone Age Cultures of Qatar.** Jutland Archaeological society Publication, vol.VI, Denmark.

Masry, A. 1974. **Prehistory in the Northeastern Arabia: the Problem of Interregional Interaction.** Field Research Projects. Miami.

McClure, H.A. 1971. **The Arabian Peninsula and Prehistoric Population.** Miami Research Project, Study No. 58, Miami.

McClure, H.A. 1976."Radiocarbon chronology of late Quaternary lakes in the Arabian Desert". **Nature**, 263 : 755.

McClure, H.A. 1978. "Ar Rub' Al Khali". In Quaternary period in Saudi Arabia. Saad Al-Sayari and Josef G.Zotl (eds). Wien, New -York, pp.252-262.

Nielsen, V. 1962. "Mesolithske frintpladser i Qatar". **KUML**, pp.169-184.

Olami, Y. F.Burian, and E. Friedman 1977. "Giv'at Ha-parsa - a Neolithic site in the coastal region". Archaeological, Historical and Geographical Studies, vol.30, Israel Exploration Society, Jerusalem, p.34-47.

Parr, P.J.Zarins J., Muhammad Ibrahim, Waechter J.,Garrard P.,Clark Ch.,Bidmead M., Hamad al-Badr, 1978. "Preliminary Report on the Second Phase of the Northern Province Survey". **Atlal**, vol.2: 29-49.

Rashed, A.A. 1993a. "On the patinization of the neolithic tools from the South Arabia (the materials of al-Abr region)". **Russian Archaeology,** 2: 24-33.

Rashed, A.A. 1993b. Nieolit Yuzhnoi Aravii (tekhiko-tipologicheskii analiz kamennogo inventarya). Aftoreferat dissertatsii na soiskanie uchyohnoi stepeni kandidata istoricheskih nauk. Sankt-Peterburg.

Rashed, A.A. 1993c. Nieolit Yuzhnoi Aravii (tekhiko-tipologicheskii analiz kamennogo inventarya). Dissertatsiya na soiskanie uchyohnoi stepeni kandidata istoricheskih nauk. Sankt-Peterburg.

Smith, G.H. 1977. "New prehistoric sites in Oman". **JOS**, 3(1) : 71-81.

Tosi, M.B. 1986."Survey and excavation on the Coastal Plain (Tihamah)". **East and West** 36(4): 400-414. (December), p.400-414.

Turner E. and T.R Hester 1985. **A field Guide to Stone Artefacts of Texas Inpains.** Texas Monthly press.

Zarins, J. Mohammad Ibrahim, Potts D., Edens Ch., 1979. "The Preliminary Report on the third Phase of the CASP - the Central provinc". **Atlal,** 3: 9-42.

Zarins J., Whalen M., Mohammad Ibrahim, Abd Al-Jawad Morad, Majid Khan, 1980. "The Preliminary report on the Central and Southwestern Provinces Survey, 1979" . **Atlal** 4: 9-36.

Zarins, J.Abd Al-Jawad Murad, Khalid S. Al-Yish, 1981. "The second Preliminary Report on the Southwestern Province". **Atlal** 5: 9-42.

Zeuner, F.E.,1954. "Neolithic' site from the Rub-Al-Khali, Southern Arabia". **Man** 209: 133-136.

أدوماتو
Adumatu

اقتصاد التأقلم البيئي والكلب المستأنس في العصور الحجرية بوادي النيل الجنوبي

علي التجاني الماحي

ملخص: كشفت المسوحات والحفريات الأثرية في وادي النيل الجنوبي في حدود السودان الحالية على دلائل واضحة لوجود الكلب المستأنس في العصر الحجري الوسيط والحديث. Mesolithic and Neolithic فقد عثر على رسومات صخرية تعبر مشاهدها عن أنشطة في صيد حيوانات وطيور مختلفة من البيئة الأفريقية. وتُبرز الرسومات الكلب المستأنس مع مجموعة من الرجال فى عمليات قنص ومطاردة. ومن ناحية أخرى كشفت الحفريات في مواقع للعصر الحجري الحديث عن بقايا لعظام الكلب المستأنس في نفس المنطقة من الوادي الجنوبي للنيل. التأقلم الاقتصادي البيئي إستراتيجية للتعايش مع الظروف البيئية واستغلالا لمصادرها الطبيعية بأقل جهد وتكلفة. يتناول هذا البحث الدور الذي يمكن أن يلعبه الكلب المستأنس في اقتصاد التأقلم البيئي إبان المرحلة التقنية المعروفة بالعصر الحجري في وادي النيل الجنوبي. هذا وقد ذهب البحث في تعليله لدور الكلب المستأنس إلى النظر في ممارسات المجموعات التقليدية في الوادي الجنوبي للنيل وفي القارة الافريقية. وفى هذا الوضع البيئي سعت المجموعات السكانية في العصر الحجري لتجاوز العديد من التقلبات البيئية والإيكولوجية ويرجح البحث أن هذه الحيوانات الوافدة إلى القارة الأفريقية قد طورت من قدراتها حتى تكون فعالة في مشاركة مجتمعات الصيد وجمع الثمار. فقد تم التعرف على نوعية تشبه سلالة (قريهاوند) في الكلاب في الرسومات الصخرية. وهذه السلالة من الكلاب معروفة بمقدرتها على الصيد معتمدة على حاسة النظر فقط وليس على حاسة الشم. وبالنظر إلى طبيعة المجال البيئي المتميز بالسافنا والسلوك الغريزي الدفاعي للحيوانات البرية في أفريقيا، يتضح لنا مدى تأقلم هذه الكلاب المستأنسة في المجال الأفريقي وقدراتها على القنص في البيئة الأفريقية. ومن ناحية أخرى كشفت الممارسات التقليدية أن لحم الكلاب يدخل في النظم الغذائية لدى بعض المجتمعات الأفريقية. ومن هنا تتضح لنا إمكانية مساهمة هذه الحيوانات في فترات شح الطعام والمجاعات في اقتصاديات مجتمعات العصر الحجري كمصدر غذائي إستراتيجي.

Abstract. *Archaeological investigations have recovered a considerable body of evidence of domestic dog in the Sudanese Nile valley. The evidence consists of rock drawings and osteological material; retrieved with other faunal remains of many Neolithic sites in within the boundaries of the present Sudan. It is now accepted that the dog had been introduced into the African continent as a domesticate. Rock drawings, in this exhibit hunter with weapons chasing various game species and aided by dogs. The dogs exhibited in the rock scenes, were identified as greyhounds or close to this specific breed. This paper is an attempt to shed light on the role of the dog in the economic adaptation of Stone Age groups in the Sudanese Nile valley. The paper highlights the hunting ability of greyhounds in African environment, depending on their good sight rather than smell scent. This is a reasoned adaptation to the ecological conditions and the hunt requirement of the Ethiopian fauna of Africa. Moreover, practices of traditional societies in the Sudanese Nile valley have showed that cynophagy, the practice of eating dogs, is a well known food habit. The paper explores the possibilities that dog contributed to the subsistence strategies of Stone Age groups in the Sudanese Nile valley and especially in periods of ecological stress and food shortages.*

تعددت اتجاهات البحث الأثرى في العقود الأخيرة، الأمر الذي دفع اهتمامات علم الآثار في تشعب تخطت به دائرة قضايا الآثار التقليدية الشاخصة والمنقولة للحضارات القديمة. فاليوم نجد علم الآثار ضالعا في بحث قضايا أكثر تباينا وتعقيدا بحكم الاهتمامات الجديدة ودراستها لآثار المجتمعات القديمة من جوانب متعددة وأكثر تداخلا مع علوم المعرفة الطبيعية والإنسانية المختلفة. وفى سعي علم الآثار

لاكتشاف الأدلة الأثرية والبيئية المختلفة وفهم نشأة الثقافات والحضارات القديمة وتطورها، يولى علم الآثار اهتماما كبيرا بعلاقة الإنسان بالحيوان وتطورها. ولذا يبحث علم الآثار في تفاصيل عملية استئناس الحيوان ومراحلها لدراسة الظروف التي دفعت بالإنسان إليها، ونتائج هذه العلاقة الايكولوجية البيئية الجديدة على الإنسان والحيوان. كما يحث هذا الاهتمام ما أحدثته هذه العلاقة الجديدة بين الإنسان والحيوان من طفرة وتغير في المجتمعات البشرية القديمة استحدثت فيها مسارها الاقتصادي وتوجهاتها الاجتماعية والسياسية.

كشفت الحفريات الأثرية في العقود المنصرمة أدلة مادية للكلب المستأنس في العديد من مواقع العصر الحجري في وادي النيل الجنوبي، أي السودان الحالي. ومازال أسم هذا الحيوان في قائمة الحيوانات المستأنسة لتقارير الاكتشافات الأثرية دون نقاش لدوره أو مساهمته في اقتصاد المجموعات السكانية وأسلوب حياتها وتأقلمها للظروف البيئية في العصر الحجري. ففي واقع الأمر لم تتناول تقارير الحفريات الأثرية وجود الكلب المستأنس Canis Familiaris ومعناه بالشرح والتفسير في وادي النيل الجنوبي. لذا يهدف هذا البحث إلى تحديد وفهم دور الكلب المستأنس ومساهمته في اقتصاديات التأقلم البيئي الذي أتبعته المجتمعات الإنسانية في واقع معطيات بيئة العصر الحجري في وادي النيل الجنوبي في السودان. وكما هو معلوم فان المادة الأثرية لا تحمل بصورة قاطعة من الأدلة ما يوضح تفاصيل الممارسة الإنسانية. كما أن وسائل الكشف والتحليل الأثرى تقف دون تفسير العديد من الجوانب في المادة الأثرية. ولتحقيق فهم موضوعي نحو دور الكلب المستأنس ومساهماته في اقتصاد وتأقلم مجتمعات العصر الحجري يستعين البحث بالدليل الأثرى لهذا الحيوان والذي يشمل على الرسومات الصخرية والدليل الإحيائي osteological evidence المكتشف من المواقع الأثرية. كما يستعين البحث بالدور الذي يقوم به الكلب في المجتمعات التقليدية في وادي النيل الجنوبي. ويدفع البحث جملة من الأسباب للبحث في هذه العلاقة الايكولوجية المبكرة بين الإنسان والكلب المستأنس في وادي النيل الجنوبي. يأتي في مقدمة هذه الأسباب أولوية الكلب في عملية الاستئناس، إذ يعتبر الكلب من أوائل الحيوانات التي تم استئناسها في العصر الحجري. ثانيا: يعتقد بان هذا الحيوان من أوائل الحيوانات المستأنسة التي دخلت وادي النيل الجنوبي في العصر الحجري، الأمر الذي يثير الاهتمام بالتطورات والتغيرات الاكيولوجية البيئية والاقتصادية والاجتماعية التي صاحبت هذا التواجد والتفاعل المبكر. كما انه لا يمكن إغفال إمكانية ما قد مهدت له هذه العلاقة المبكرة لفترة تلتها ظهرت فيها أدلة أثرية لبعض الحيوانات المجترة المستأنسة. ولعله من الأجدى أن نتناول في أيجاز تاريخ استئناس الكلب والدليل الأثرى لوجود هذا الحيوان في مجتمعات العصر الحجري في وادي النيل الجنوبي.

كان الإنسان صيادا وجامعا للثمار في كل من العصر الحجري القديم والوسيط. غير أن علاقته الايكولوجية بالحيوان تطورت عبر مراحل كان أولها التقمم scavenging على جيف الحيوانات فالافتراس العشوائي (الصيد العشوائي والتقمم cavenging) ثم الافتراس الانتقائي (الصيد الانتقائي elective hunting) ثم الترويض tameness وأخيرا الاستئناس .æstication dom واكتسب الإنسان من مراحل الصيد المختلفة خبرة واسعة عن الحيوانات خلال هذه المرحلة. فقد اكتسب من هذه المراحل خبرة بسلوك الحيوانات ومتطلباتها البيئية مثل هجراتها الموسمية ومواسم تناسلها. وأغلب الظن أن بداية تحول علاقة الافتراس كانت في العصور الحجرية الأولى وفى نهايات البليستوسين .Pleistocene إذ إن سجل تاريخ استئناس الحيوانات يوضح بان الكلب المستأنس Canis familiaris كان أول حيوان يتم استئناسه من الذئب Canis lupus في الشرق الأدنى وأوروبا .(Bokonyi 1988: 316-7) هذا ويعتبر حاليا أقدم دليل أثرى للكلب المستأنس في شمال-شرق العراق من (كهف بليقويرا Palegawra cave) للعصر الحجري القديم .Palaeolithic ويشير الدليل الأثرى إلى أن

الذئب Canis lupus قد تم استئناسه في حوالي ١٢٠٠٠ عام مضت. (Clutton-Brock 1981:42) ويرجع ألان بأن مجموعات الصيد وجمع الثمار قد قامت إبان العصر الجليدي الأخير بجلب الحيوانات الصغيرة ومن بينها صغار الذئاب التي كان يعثر عليها في بحثها عن الصيد. وجدت صغار هذه الحيوانات سانحة للعيش في مخيم الصياد حيث توفر لها الطعام والماء والمأوى. هذا وقد سهلت عملية الاستئناس جملة من الخصائص السلوكية والإحيائية في تكوين الذئب. تتجلى أولى هذه الخصائص بأن الذئب حيوان شبة مقتات semi-omnivorous (آكل لكل شئ من النبات والحيوان). وفي هذه الصفة السلوكية نجد أن الذئب يشبه الإنسان مما سهل عملية الاستئناس. وثانية هذه الخصائص تتضح في البناء الاجتماعي لقطيع الذئاب وأنماط سلوكها التي نشأت استجابة لاحتياجاتها الصيد الجماعي. وثالثة هذه الخصائص يكمن في البناء الاجتماعي لقطيع الذئاب الذى يسيطر عليه التركيب الهرمي للزعامة والقيادة. وأخيرا فإن الذئاب تستعين بتغيرات ملامح وجهها للتعبير عن مزاجها وحالتها مثلما يفعل الإنسان، الأمر الذي هيأ لها وسيلة للاتصال بالإنسان وفهم مزاجه.(Clutton-Brock 1981:42) ومن هنا كانت نقطة التحول نحو علاقة جديدة لم يخطط لها الإنسان. فبتواجد الذئاب الصغيرة في مخيمات الإنسان أصبحت هناك علاقة جديدة مميزة عن سابقتها. فقد كان أساس هذه العلاقة قيام الإنسان بتوفير الطعام والماء والمأوى الأمر الذي أدى إلى أن أصبح الحيوان يقبل أن يلامسه الإنسان ويلاطفه. نتج عن هذا أن فقدت صغار الذئاب منزعة الفرارز flight tendency و(نزعة مسافة الفرار عن الخطر) flight distance والتي تدفع الحيوان بالابتعاد عن الخطر بمسافة مقدرة(7-Hediger 1964:155) وتعتبر هذه النزعات جزءا من آلية غريزة الدفاع عن النفس والتي زالت من جملة سلوك الحيوان المستأنس بزوال الحاجة إليها. وبالفعل فقد أحدثت عملية الاستئناس تغيرات عديدة في جميع أعضاء الحيوان الذي تم استئناسه. ويكون أثر الاستئناس في الحيوان شاملا بحيث تظهر التغيرات على مستوى البنائى الدقيق والكبير في الحيوان المستأنس. وفي الكلب تتضح هذه التغيرات في تكوين الحيوان وهيئته وفي مقدرته الصوتية على الإعلال وأنماط السلوك. لقد ظهر الكلب كشاهد مميز للعصر الحجري الوسيط ونشأ في مجموعات متعددة من السلالات التي اكتسبت أمزجة[1] وسلوكيات متباينة وإمكانيات لوظائف متغايرة. أما موسمية فترات التناسل فقد حدث فيها تغير جذري إذ أصبحت الذكور منها على استعداد للتناسل على مدار السنة بعكس ذكور الذئاب التي تمتد فترة استعدادها للتناسل إلى شهرين في العام فقط. في حين أن الدورة الودقية oestrous عند أنثى الكلب تحدث مرتين في العام الواحد بينما تحدث مرة واحد عند أنثى الذئب (ElMahi 1996:68-86) ومن أعظم هذه التغيرات التي أحدثتها عملية الاستئناس في الكلب، ظهور سلالات متباينة للنوع الواحد species.

تشير جغرافية توزيع الحيوانات بان النطاق البيئي للذئب Canis lupus لا يشمل القارة الأفريقية. فالدليل الأثرى الحالي يشير إلى أن أقدم بقايا الكلب المستأنس قد كشف عنها في الموقع الأثرية التالية من العالم (Bokonyi 1988: 316-7):

كهف بليقويرا Palegawra cave في شمال العراق: ١٢٠٠٠ عام من الحاضر.

كهف الجاقوار Jaguar cave في أدوه بأمريكا الشمالية: حوالى ٨٤٠٠ ق م .

موقع سينشبيرق موراس Senckenberg morass بألمانيا : ٧٥٣٨ ± ٣٥٠ ق م .

موقع أستا كار Starr Carr بإنجلترا : ٧٥٣٨ ± ٣٥٠ ق م.

موقع كايونو Cayonu بالأناضول: ٧٠٠٠ ق م.

كما أن الدليل الأثرى يؤكد على أن استئناس الذئب قد تم خارج قارة أفريقيا الأمر الذي يرجح بان الكلب قد دخلها حيوانا مستأنسا. هذا ولم يستقر الرأي على الطريق الذي دخل به هذا الحيوان أفريقيا، فقد يكون عن طريق برسخ السويس أو البحر الأحمر أو كليهما

معا. وتشير نتائج تاريخ كربون 14 المشع إلى أن العصر الحجري الوسيط يمتد ما بين الألف التاسع والخامس قبل الميلاد.ولذا يعتقد بان الكلب المستأنس قد دخل وادي النيل الجنوبي خلال هذه الفترة. ويجدر بنا عند التأريخ والتحديد للفترات الزمنية للعصر الحجري الوسيط Mesolithic و العصر الحجري الحديث Neolithic أن ندرك بأننا نتعامل مع فترات تقنية وليس فترات زمنية. إلا أنه وكما أشارت نتائج عينات كربون 14 المشع من مواقع أثرية فى وادى النيل الجنوبى على أن دلائلها التقنية والاقتصادية تمتد الى ما بين الألف التاسع والخامس قبل الميلاد. أشارت نتائج عينات كربون 14 المشع من مواقع أثرية فى وادى النيل الجنوبى على أن دلائلها التقنية والاقتصادية تمتد إلى ما بين الألف التاسع والخامس قبل الميلاد.

الرسومات الصخرية

تصور مجموعة من الرسومات الصخرية الكلب في توزيع جغرافي في وادي النيل الجنوبي يشمل منطقة في شمالي السودان وشماله الغربي (ELMahi . 79:1996) ففي المنطقة الممتدة بين أسوان ووادي حلفا وعلى طول مسافة 210 ميل توجد رسومات صخرية متفرقة للكلب.(Dumbar 1941:Fig.52-57) كما نجد أن المنطقة الممتدة بين جماى وفرس بين الشلال الأول والثاني في شمال السودان تحفل برسومات صخرية عديدة من بينها رسومات واضحة للكلب. (Save-Soderberg 1970) بالإضافة إلى هذا تتجلى رسومات صخرية للكلب في كل من قدي وقورقود وسابو ومسيدا في منطقة الشلال الثالث بشمال السودان(39 ؛38 ؛36 ؛34 ؛32 ؛31 ؛29 ؛26 ؛24 ؛23 ؛20- Fig. :Allard-Huard1993:1993) . ويوجد أيضا رسومات صخرية مميزة للكلب في منطقة العوينات في الشمال الغربي للسودان (Mchugh 1974:9-22) يوضح (الشكل1) الموقع الجغرافي لمناطق هذه الرسومات الصخرية في السودان. وتمثل بعض هذه الرسومات الصخرية الكلب مع صيادين بعضهم يحملون أسلحة مثل القوس أو العصي القصيرة التي تستعمل لقذف الفريسة. وتعكس هذه مجموعات من الرسومات الصخرية في المناطق المشار إليها كلابا منفردة أو مجتمعة تطارد حيوانات برية مختلفة مثل الزراف والغزلان أو النعام (أنظر39؛38؛36؛34؛32؛31؛29؛26؛24؛23؛1993:Fig.20- Allard-Huard). وكما هو معلوم فان الرسومات الصخرية لا يمكن تحقيق تأريخ مطلق لها بسبب عدم وجود وسيلة علمية تمكن من ذلك. واستنادا على بعض الشواهد الثقافية والأنشطة الإنتاجية التي تعكسها هذه الرسومات الصخرية فقد أرخ لها تأريخا نسبيا Relative dating يضعها في فترات العصر الحجري الوسيط والحديث في وادي النيل الجنوبي (السودان). (Save-Soderberg 1970؛ Mchugh 1974:9-22؛ Adams1980:116-7) وكما هو معلوم يتفاوت التقدير الزمني لإطار العصر الحجري (القديم والوسيط والحديث) بتفاوت إقليمية ومحلية التوزيع الجغرافي لمواقع العصر الحجري في اليابسة. ومرجع هذا الأمر أن العصر الحجري مرحلة في جوهرها تقنية وليست زمنية. وبما أنها مرحلة تقنية، فالتباين سمة ملازمة لتكوينها الثقافي. وبنفس القدر عاشت المجموعات السكانية للعصر الحجري المختلفة في ظروف ومجالات بيئية مختلفة. ينتج عن هذا أن تعكس المادة الأثرية من مواقع مختلفة تباينا واضحا في عناصرها، الأمر الذي قد يؤدى إلى ظهور تفاوت بين ثقافات العصر الحجري في أطر التسلسل الزمني. غير أن الأمر يتطلب منا كذلك النظر إلى العصور الحجرية من خلال منظورها المحلى ليسهل استيعاب إطارها الزمني الحقيقي.

الدليل الأثرى الإحيائي

انفردت مواقع العصر الحجري الحديث بالدليل الإحيائي للكلب في منطقة وادي النيل الجنوبي. ويشمل هذا الدليل بقايا أجزاء مختلفة من الهياكل العظمية للكلاب. فقد كشفت الحفريات في كل من

موقع الذكياب (ElMahi 1988:34-5) والكدرو (Gautier -1984:318) والشهيناب (ElMahi 1988:19) وأم ضريوة (ElMahi 1988:20) وربك (ElMahi:1986) وشق الدود (Peters 1989 : 469 -72) ووادي شو (Van Neer&Uerpmann 1989:308-41) ووادي هور (Van Neer&Uerpmann 1989:330-32) و الكدادة (Gautier 1986:45) عن بقايا عظام للكلب. أما مواقعها الجغرافية في وادي النيل الجنوبي بالسودان فيوضحها خارطة (١).

ويلاحظ أنه قد عثر على أغلب عظام الكلب في هذه المواقع مختلطة مع مجمل بقايا عظام حيوانات أخرى kitchen midde . كما يلاحظ أن أعداد بقايا عظام الكلاب قليلة في هذه المواقع مقارنة مع عظام الحيوانات الأخرى البرية والمستأنس منها. كما دلت دراسة هذه العظام على خلوها من أي علامات قطع مماثلة لتلك التي يعثر عليها عادة في عظام الحيوانات التي تذبح وتقطع أجزاؤها. بل اتضح من دراسة عظام الكلاب في هذه المواقع بأنها لا تحمل آثارا للنار مثل التي توجد في عظام الحيوانات الأخرى من جراء الطهو. وتعطى نتائج تحليل كربون 14 المشع للعينات التي أخذت من هذه المواقع تواريخا تتركز في مجملها بين نهاية الألف الخامس قبل الميلاد وعلى امتداد الألف الرابع قبل الميلاد (ElMahi 1996:74).

الكلب المستأنس في العصرين الحجريين الوسيط والحديث

لا جدال في أن ما تعكسه الرسومات الصخرية بوادي النيل الجنوبي من رسومات للكلب توضح جليا مشاركته في عملية الصيد. إلا أن الأمر لا ينتهي عند هذا الحد بل إن دراسة هذه الرسومات تثير العديد من الأسئلة. ما دور الكلب ومساهماته في مجتمعات الصيد وجمع الثمار إبان العصر الحجري؟ وهل كان دور الكلب في هذه المجموعات القديمة قاصرا على مشاركته في الصيد؟ أم أن له دورا آخر لا تعكسه الرسومات الصخرية والدليل الإحيائي لهذا الحيوان؟ بالفعل فإن للمادة الأثرية بشقيها قصورا في التدليل المباشر أو الكامل للممارسة أو التفاعل أي كان نوعه اقتصاديا بيئي أو اجتماعيا بين الإنسان والكلب. ولكي يحدد دور الكلب وتفهم مساهمته في العصر الحجري وفي ظل اقتصاديات مجتمعات الصيد وجمع الطعام و الرعي والزراعة وتأقلمها البيئي يتوجب الأمر النظر في المجتمعات الأفريقية التقليدية التي لها تأقلم مماثل واقتصاديات مشابهة. وبالنظر إلى دور الكلب ومساهماته في مجتمعات القبائل النيلية وغيرها من القبائل الأفريقية في وادي النيل الجنوبي يتضح أن مشاركة الكلب ومساهمته تتيحان المجال لمناقشة بعض الجوانب المهمة. كما أن ربط هذه الجوانب بالدليل الأثرى سوف يساهم في تفسير الدليل وفهم أبعاده. ولكن قبل الاسترسال في مناقشة هذه الجوانب يتوجب الأمر الإشارة إلى طبيعة المجال البيئي، ومكونات البيئة الحيوية في وادي النيل الجنوبي.

قامت مجموعة من الدراسات بإعادة تركيب الظروف البيئية\الإيكولوجية في منطقة وادي النيل الجنوبي استنادا إلى المتطلبات البيئية لعدد من النباتات والحيوانات البرية التي كشفت الحفريات الأثرية عنها في مواقع العصر الحجري (ElMahi 1988:81-83؛ Gautier 1989:354-5 ElMahi 1996). وأجمعت هذه الدراسات على أن بقايا عظام الحيوانات البرية التي كشفت عنها الحفريات تنتمي جميعها إلى مجموعة الحيوانات الأفريقية (الحيوانات البرية التي تمثل بيئة السافنا والغابات الأفريقية الخفيفة والمتوسطة) المعروفة باسم. The Ethiopian fauna كما أن مجموعة الحيوانات هذه قد ميزت المجال الجغرافي للقارة الأفريقية في فترات البليوستين المتأخرة والهولوسين Terminal Pleistocene. and Holocene وتوصلت الدراسات ذاتها إلى أن المجال البيئي بالقرب من الأنهار والوديان وغيرها من السهول قد تميز بالحشائش الممتدة للسافنا المفتوحة التي كثرت فيها الحيوانات البرية (Arkell 1949؛1953؛ ElMahi 1988).

ويبدو أن حدود المناطق النباتية في أواسط وادي النيل (السودان) في الهولوسين كانت مغايرة للأحوال والحدود الحالية. فقد كان المناخ شبه جاف وتنتشر فيه حشائش السافنا التي تتخللها الأشجار المتفاوتة بين الخفيفة والمتوسطة في ما بين ٦٠٠٠-٣٠٠٠ قبل الميلاد. ومن ناحية أخرى فقد دل التوزيع الجغرافي للحيوانات المكتشفة بقاياها في مواقع العصر الحجري على ظروف مناخية ينقص فيها منسوب الأمطار السنوي أو يزيد بقليل عن ٣٠٠مم في أواسط وادي النيل الجنوبي. وتوصلت الدراسات إلى أن مستوى ارتفاع نهر النيل وروافده كان أكثر ارتفاعا عما هو الحال عليه اليوم(Arkell 1949؛1953؛ ElMahi 1988:81-3). وعليه كانت الظروف البيئية والإيكولوجية مغايرة لما هو عليه الحال الآن على امتداد وادي النيل الجنوبي. وانطلاقا من هذه الخلفية البيئية يمكن نقاش بعض الجوانب في مساهمة الكلب في مجتمعات العصر الحجري.

يوجد اليوم لدي معظم القبائل الأفريقية التقليدية كلاب متعددة السلالات، إلا أن أشهرها هي سلالة قريهاوند[٢] The greyhound. وسلالة قريهاوند معروفة في الأجزاء الشمالية من أفريقيا. كما توجد كلاب مهجنة ومخلوطة السلالة وعادة ما تكون هذه الكلاب ضالة وتعرف باسم The pariah dog ويغلب انتشارها في توزيع جغرافي كبير في أفريقيا .(58-Epstein 1971:28) ويعتقد أن أصل هذا النوع من الكلاب قد نتج من فقدانها لرعاية الإنسان وسيطرته على تناسلها حفظا على سلالتها وعيشها منفردة في أطراف القرى، الأمر الذي غير من سلوكها وأفقدها أصل سلالتها. ومن ناحية أخرى تم التعرف على سلالة قريهاوند التي صورت في الرسومات الصخرية على طول وادي النيل السوداني والمعروفة باسمها العام The greyhound (Allard-Huard 1993:111-145). وما انفك يجمع بعض الباحثين إجماعا عاما يرجع بأن أصل الكلب المستأنس وخاصة سلالة قريهاوند تنحدر من الذئب الآسيوي بنوعيه: الذئب العربي lupus arabs Canis والذئب الهندي Canis lupus pallipes. تتميز كلاب قريهاوند بمهارتها وسرعتها في الصيد معتمدة على حاسة النظر وليس حاسة الشم (Epstein 1971:58). وإذا ما أخذ في الاعتبار طبيعة المجال البيئي من سهول ممتدة وحيوانات برية في جنوب وادي النيل إبان العصر الحجري الوسيط يتضح بأن الكلاب التي تعتمد على حاسة النظر في الصيد تكون أكثر فاعلية. وبالنظر إلى الحيوانات البرية في الرسومات الصخرية مع الكلاب يتضح بأن هذه الحيوانات (زراف وغزلان ونعام) تعتمد في غرائزها الدفاعية على «نزعة مسافة الفرار عن الخطر» instinct of flight distance. وكما ذكر في أول البحث فإن «نزعة مسافة الفرار عن الخطر» تتجسد في المسافة التي يبقيها الحيوان بينه وبين أي خطر (حيوان آخر مفترس أو الإنسان) كحد أدنى يعينه علي الهرب من هذا الخطر. وفى حقيقة الأمر هذا مثال للتأقلم البيئي على سهول السافنا الذي تجلى فيه خصائص سلالة الكلاب التي نشأت استجابة لواقع المجال البيئي ومتطلبات الصيد فيه. فمن الواضح أن الكلاب التي استعملتها مجتمعات الصيد والجمع القديمة في الصيد لم يكن لها إلا أن تكون لها المقدرة على الصيد اعتمادا على حاسة النظر في بيئة سهول السافنا الممتدة وحيوانات برية (مثل الزراف وغيرها) تعتمد على منزعة مسافة الفرار عن الخطرز في حماية نفسها.

ينصب دور الكلب، في عموم عملية الصيد، وبغض النظر عن مقدراته، في الأدوار آلاتية:

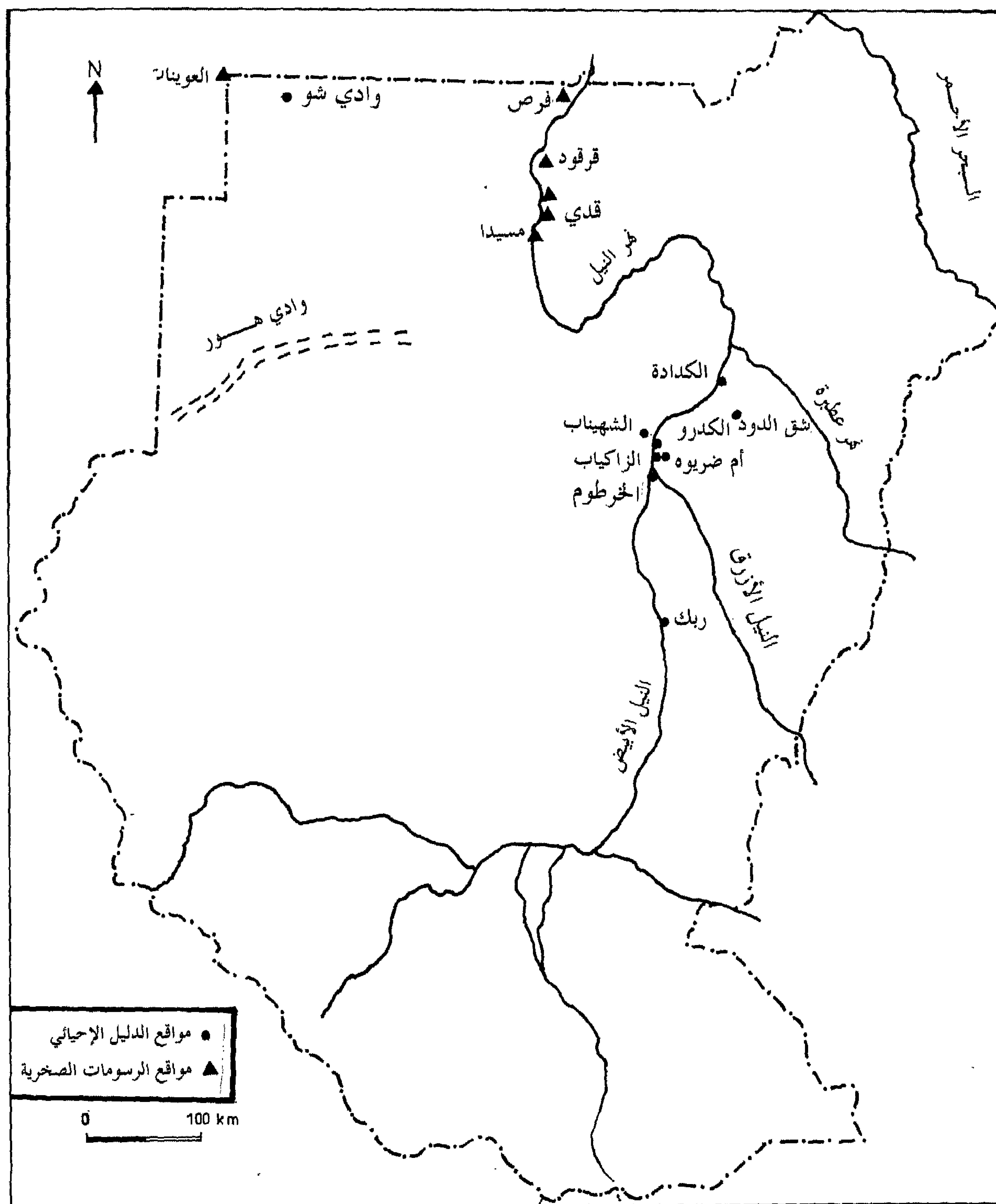
١- تتبع وملاحقة الفريسة.

٢- تعطيل الفريسة.

٣- جلب الفريسة من المناطق الوعرة التي لا يستطيع الإنسان دخولها والخروج منها.

٤- إفزاع الحيوانات وطردها إلى الإمكان المكشوفة.

٥- إسقاط الفريسة. وتحتاج عملية الصيد الناجحة بالإضافة للكلب المدرب صيادا ماهرا في اقتفاء الأثر (أي اقتفاء أثر الحيوان) حتى يأخذ كلاب القريهاوند إلى منطقة الصيد لترى الكلاب الفريسة وتبدأ في مطاردتها.



خارطة ١ : *وادي النيل الجنوبي ومواقع أثرية من العصور الحجرية.*

ومهارة اقتفاء الأثر معرفة محلية، تتفاوت تفاصيلها وتختلف من مجتمع إلى أخر. وتعتبر من أقدم أنواع المعرفة التي حذقها الإنسان منذ العصور الحجرية وحتى المجتمعات التقليدية المعاصرة. وبالنظر إلى هذه الأدوار يتضح أن تنفيذها يتطلب توافر أكثر من عامل مثل طبيعة مجال البيئة الحيوية، والبيئة غير الحيوية (الغطاء النباتي وطبيعة الأرض وما بها من انهار أو وديان) وأسلوب الصيد المتبع ومقدرات الكلب المشارك في عملية الصيد. وعليه يشير الوضع إلى أن على الكلب في كل عملية صيد دوراً محدداً بعينه لأن عملية الصيد في أساسها هي عمل ومشاركة فريق واحد لتحقيق غاية محددة. وهذا الأمر يعنى أن الكلب يجب أن يكون مدربا على أسلوب الصيد وليس كالشريك الذي تدفعه رغبته في الطعام أو غرائزه الهجومية في عملية الصيد. فهل كان لكلاب مجتمعات العصر الحجري دور محدد؟ وهل كانت مدربة على عملية الصيد المنظم؟ أم أنها كانت مدفوعة نحو الفرائس المختلفة بغريزتها الهجومية، أو حتى حاجتها للطعام؟ تصعب الإجابة على هذا الأسئلة استنادا إلى ما تتيحه المادة الأثرية، لذا ربما توجد إجابة ما على هذه الأسئلة في ممارسات المجتمعات التقليدية والتي يشارك الكلب في نشاطاتها في مجال الصيد.

تعتبر مجموعات الايكونق والتي تعرف بالاسم العامَ Bushme من المجموعات القليلة التي ظلت تمارس الصيد وجمع الثمار في القارة الأفريقية. ومن جملة نشاط الايكونق اهتمامهم بصيد الخنزير الأفريقي الوحشي warthog الذي يتم صيده بواسطة الكلاب. وتشير دراسات معدلات مورد الصيد كمصدر يعتمد علية الايكونق في غذائهم إلى أن الرجل الذي يملك أربعة إلى خمسة من الكلاب المدربة يستطيع أن يصطاد بسهولة ما بين أحد عشر وخمسة عشر خنزيرا، وبذا يؤمن ما يتراوح بين ١١٠-١٧٠ رطلا من اللحم في العام الواحد. ويعتبر هذا معدلاً جيداً وكافياً للأسرة. وتشارك الكلاب في صيد الخنزير البرى بأسلوب مختلف وذلك بحفر أجحارها الكبيرة وإرغامها على الخروج، الأمر الذي يعرض كلاب الصيد والصيادين لخطر هذا الحيوان وكثيرا ما يلحق بهم الأذى. كما تصطاد مجموعة الايكونق بواسطة الكلاب الحيوانات الأصغر حجما وبعض الطيور خصيصا لسد الاحتياجات الغذائية لكلاب الصيد (Lee 1972:344).

يبرز نموذج أخر لمساهمة الكلب في نظام اقتصادي منتج للطعام. تعيش قبيلة المورلى النيلية في جنوب السودان معتمدة على رعى الأبقار وزراعة محدودة لبعض المحصولات الزراعية. ويمارس رجال المورلى في فصل الصيف صيد نوع من الغزلان متوسطة الحجم kob white-eared لها هجرة موسمية معروفة. و تتم عمليات الصيد الناجحة عندما ينتظر رجال المورلى مجموعات الغزلان المهاجرة أثناء عبورها لموانع مائية وينقضون عليه بمساعدة كلاب قريهاوند The greyhound (Kemp&Kemp1976). ويتضح من مشاركة الكلاب ودورها في هذه العمليات أنها غير مدربة تدريبا متخصصا في الصيد، كما لم تشتهر هذه المجتمعات بتدريب كلاب الصيد. ويمكن تفسير هذا الأمر بالآتي. أولا: تعتبر قبيلة المورلى من القبائل النيلية الرعوية التي تعتمد على الأبقار اعتمادا كليا في حياتها. ثانيا: نجد أن الصيد كمصدر للغذاء في حياة هذه القبائل يمثل مصدرا هامشيا في اقتصادهم، المعروف اقتصاديا باسم The subsistence economy والذي يمكن تسميته بالاقتصاد المعيشي. لذا ليس هنالك حاجة ماسة للكلب المتدرب على متطلبات صيد الحيوانات المختلفة مثلما هو الحال في المجتمعات التي تعتمد على الصيد في اقتصادها. ففي مجتمعات الصيد وجمع الثمار المعاصرة نجد أن المجتمعات التي تعتمد على كلاب الصيد تعيش في مجال بيئي يفرض الحاجة للاستعانة بمثل هذا الحيوان الذي تفوق قدراته كثيرا قدرات الصياد وأدوات وتقنية الصيد لديه. والكلاب في مجتمعات الصيد وجمع الثمار كما هي في مجتمعات الرعي والزراعة التقليدية لا تشكل عبئاً على أصحابها بمتطلبات طعامها. فقد اتضح أن مجموعات الايكونق تسمح للكلاب بإجفال الحيوانات

الصغيرة مثل الأرانب والنمس وغيرها من مناطق الحشائش والشجيرات الكثيفة وذلك لطعامها (Lee 1972:344) . . كذلك فإن كل عملية صيد ناجحة يصيبها شئ منه على مشاركتها. أما في مجتمعات الرعي والزراعة فان الكلاب تجد ما يقدم لها، ويجب الأخذ في الاعتبار بان الكلاب تتميز بأنها آكله لكل شئ من النبات والحيوان semi-omnivorous. ومقدرة الكلب على أكل كل شئ يقود النقاش إلى الحديث عن مقدرات الكلب الإحيائية والسلوكية المورثة في جلب الطعام في إطار اقتصاد التأقلم البيئي لمجتمعات العصر الحجري.

بالنظر إلى بعض المجتمعات التقليدية يتضح أن للكلب دوراً مهماً أخر ربما تمكنت منه مجتمعات العصر الحجري في وادي النيل الجنوبي. لقد عرف عن بعض المجتمعات التقليدية في القارة الأفريقية شمال وجنوب الصحراء أنها تمارس أكل الكلاب cynophogy. ويعتبر أكل الكلاب ممارسة معروفة لدى الكثير من المجتمعات التقليدية في شمال وجنوب الصحراء الكبرى في أفريقيا. ولا يعرف تاريخ هذه الممارسة إلا انه يشار الآن إلى أن تاريخ هذه الممارسة يرجع إلى العصور الحجرية. فقد كشف التنقيب في موقع فلاساك برومانيا (٥٤٠٠-٤٦٠٠ قبل الميلاد) عن كمية كبيرة من عظام الكلاب المستأنسة التي تؤكد بأنها كانت جزاء من طعام سكان هذا الموقع (Clutton-Brock 1981:43). ويظل الرأي السائد بأن ممارسة أكل لحم الكلاب ظلت ملازمه لعلاقة الإنسان والكلب في جميع مراحلها في الكثير من مناطق العالم بدءا من مرحلة ما قبل ترويض صغار الذئاب.

لقد تناول عدد من الباحثين دور الكلب في العصر الحجري Clutton Brock ؛ Wasburn & Lancaste 1984:198-211؛ 1968: 293-303 . وخلص جميعهم إلى أن مقدرات الكلب في مطاردة الفرائس وقنصها جعلت منه شريكا ناجحا في عملية الصيد. كما أثبت الكلب منفعته لمجتمعات الرعي والزراعة في العصر الحجري. وفي ظل هذا الإجماع على جدارة الكلب ومنفعته في مجتمعات العصر الحجري الوسيط والحديث يبرز سؤالان مهمّان. هل كانت مجتمعات العصر الحجري تأكل لحم الكلب؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف تفسر وجود أعداد بسيطة من عظام الكلاب التي عثر عليها في مواقع العصر الحجري بوادي النيل الجنوبي؟ دلت إحصائيات تقييم بقايا الحيوانات في هذه المواقع على أن الكلب لا يمثل عنصراً مهماً في النسب العددية للتغذية dietary ratios مقارنة بالحيوانات الأخرى الممثلة في الموقع الأثرى. وعليه يكون الاستنتاج المباشر أن مجتمعات العصر الحجري لم تأكل لحم الكلاب. ولو أن الأمر كان غير ذلك لكان هناك أعداد كبيرة من بقايا عظام الكلاب في مواقع العصر الحجري. ولكن وعلى الرغم مما يرجحه إليه الاستنتاج المباشر لواقع إحصائيات النسب العددية للتغذية تظل احتمالات أكل لحم الكلب في العصر الحجري قائمة. ويؤكد هذه الاحتمالات ثلاثة اعتبارات يمكن إيجازها في التالي. يتطلب الأمر التمييز بين أكل لحم الكلاب العرضي والتقليد الراسخ في أكل لحم الكلاب. ففي النظم الاقتصادية التقليدية وخاصة في إطار الاقتصاد المعيشي يتداخل الغذاء الرئيسي stable diet والغذاء الموسمي seasonal diet والغذاء الإضافي أو العرضي additional or occasional diet مع بعضها البعض. ومن المتوقع نظريا أن يمثل هذا التباين في الغذاء نسباً مختلفة تنعكس في النسب العامة لعظام الحيوانات المكتشفة في كل موقع أثري. ألا أن دراسة عظام الحيوان من الموقع الأثرى لا تمكن من بيان هذه النسب المختلفة وبالتالي نتاج (عظام الحيوانات) كل نوع من أنواع الأغذية المذكورة. وعليه يمكن أن تمثل الكمية القليلة من عظام الكلاب المكتشفة في مواقع العصر الحجري بقايا غذاء عرضي occasional diet لسكان هذه المواقع في وادي النيل الجنوبي. فكثيرا ما تدل ممارسات بعض القبائل الأفريقية على ما ذهب إليه البحث في الترجيح إلى أن محدودية كمية عظام الكلاب المكتشفة لا تنفى ممارسة أكل لحم الكلاب (ElMahi 1996:77-80). وبالنظر إلى ممارسة أكل لحم الكلب بين المجموعات التقليدية في أفريقيا يتضح أن هنالك عدة أسباب لهذه

الممارسة: أسباب دافعها طقوس عقائدية وأخرى مرتبطة بالخرافة وأسباب طبية وغذائية. والبحث في أصول هذه الممارسات يوضح بأنها مرتبطة بالحيوان نفسه ومنذ أوائل مراحل ترويضه، إذ إن هذه الأسباب لا يمكن أن يكون نشوؤها حدثا قريب العهد أو حديث التاريخ. وعليه يمكن تفسير قلة كمية عظام الكلاب المكتشفة في المواقع الأثرية بأنها نتاج لأحد هذه الأسباب والتي قد لا تتسبب في وجود عظام كثيرة في الموقع الأثري.

ونسأل مرة أخرى: هل كان أكل لحم الكلاب تقليدا راسخا في العصر الحجري الوسيط والحديث في وادي النيل الجنوبي؟ سؤال لا يحمل الدليل الأثري المتاح (رسومات صخرية ودليل أحيائي) إجابة عليه، إلا انه يمكن الاهتداء بممارسات القبائل التقليدية في أفريقيا و تقييم منفعة ونجاح أكل لحم الكلاب. تتبلور في الحقائق التالية المنفعة الاقتصادية الكامنة economic potential في أكل لحم الكلاب في نظام الاقتصاد المعيشي subsistence economy مثل نظم العصر الحجري.

أولا: يتضح أن المنفعة الكامنة للتغذية على لحم الكلب ضئيلة جدا مقارنة مع لحم الحيوانات المجترة. ولكن يمكن أن تكون الكلاب مصدراً مهمّاً للبروتين الحيواني إذا ما كانت تعتمد على القمقمة في تغذيتها. وبمعنى أخر تبرز قيمة الكلاب الاقتصادية إذا لم يطعمها الإنسان بصورة منتظمة، وتركت لتبحث عن طعامها بنفسها. وفى هذه الحالة فقط يكون أكل لحم الكلاب اكثر ربحا ومنفعة اقتصاديا .(ElMahi 1996:81)

ثانيا: توضح أبسط التقديرات بأن الكم في لحم الكلب الواحد مقارنة مع ما يقدمه الإنسان في المقابل من طعام وغيره في تربية الكلب (في أن الإنسان يقوم بإطعام وتربية الكلاب من أجل البروتين الحيواني) لا يمكن أن يكون مربحا في أي حال من الأحوال.

ثالثا: أن الكلاب لا تستطيع المنافسة مع الحيوانات المجترة في نظام الإنتاج الاقتصادي المتعارف عليه في العصر الحجري الحديث والذي يقوم على تربية الحيوان والزراعة. فالكلاب لا تنتج لبنا أو صوفا أو تحمل أثقالا مثلما تقوم به الحيوانات المجترة المختلفة. والكلب لا يمكن أن ينافس الحيوانات المجترة في إنتاجية اللحم من حيث الكم. فمن المنطق أن لا تستثمر مجتمعات العصر الحجري الكلب كمصدر للبروتين الحيواني. وعليه لا تكون تربية الكلاب مثمرة اقتصاديا كمصدر للبروتين الحيواني إلا إذا ما كانت تعيش على التقمقم scavenging وأكل كل شئ دون مساهمة الإنسان في توفير طعامها.

ويدل التقييم لدور الكلب الاقتصادي محدودية وقصور إمكانيات التقمقم scavenging (كأسلوب تسد بها الكلاب حاجتها دون تكلفة اقتصادية يتحملها الإنسان). يوجد إحصائيا علاقة تلازم سلبي negative correlation بين إمكانيات التقمقم المتاحة في المجال البيئي لأي مستوطنة وأعداد الكلاب المقيمة في هذا المجال. فعليه كلما زادت أعداد الكلاب قلت إمكانات التقمقم وضعفت، خاصة في مستوطنات مجتمعات اقتصادها يقوم على الاقتصاد المعيشي. فالتقمقم لا يمكن أن يدعم أعدادا كبيرة من الكلاب في مستوطنة مثل موقع للعصر الحجري التي كشفت عنها الحفريات الأثرية في المنطقة. فالتقمقم يكون مرتبطا دائما بمجال المستوطنات وأطرافها. وتكون احتمالات أن تضل الكلاب وتعود للبرية كبيرة إذا ما اتسعت مساحة المجال الذي تنشط فيه تقمقما، خاصة وأن ميولها الغريزي للشرود والصيد منفردة يسهل عودتها للبرية مرة أخرى.(ElMahi 1996:81) وعليه يتضح أن التقمقم مثل الرعي المفتوح free grazing أسلوب من أساليب العملية الإنتاجية يتصف بقلة التكلفة ومحدودية السعة الاستيعابية لأعداد كبيرة من الحيوانات وقصور في تحسين إمكانيات الكيف في الحيوان.

وعلى الرغم من أن الكلب ظل شريكا مهماً في عملية الصيد وحارسا في الرعي ومساعدا في الاقتصاد الزراعي، إلا أن هذه الشراكة والمنفعة لم تحولا دون أكل لحمه في فترات شح الطعام والتدهور البيئي. وفترات ليس بالشيء المستبعد حدوثه في العصر الحجري إذ إن عوامل عديدة تتسبب في مثل هذه الفترات العسيرة. فالتدهور الإيكولوجى البيئي يتسبب في حدوث خلل مؤقت أو قصير الأمد في منسوب الأمطار أو أي تغير أخر في عوامل البيئة غير الحيوية abiotic environment وهذا من شأنه أن يؤثر سلبا على النباتات والحيوانات البرية وزيادة في وتيرة الافتراس العشوائي بين الكائنات أو الأمراض الوبائية. كما يمكن لمثل هذا التدهور أن يؤدى إلى خلل في نظام وحدة البيئة The ecosystem وبالتالي يؤثر على توافر مصادر الطعام للإنسان والحيوان.وعليه يرجح بأن مجتمعات العصر الحجري لم تلجأ إلى أكل لحم كلابها إلا في الأوقات الصعبة التي يشح فيها الطعام. كما أن هذا التدبير لا ينفى أن أكل لحم الكلاب كانت له دوافع أخرى مثل الطقوس العقائدية وغيرها من الأسباب التي يكمن منطقها في النسيج الثقافي لهذه المجتمعات. ولهذا لا يمكن أن يكون أكل لحم الكلاب ذا جدوى اقتصادية كمصدر للبروتين الحيواني المستديم. بل يكون مصدرا احتياطيا أو استراتيجيا لا يلجأ إليه الإنسان إلا في أوقات المجاعات والتدهور البيئي. وهذه الفترات لا يمكن استبعادها أو إغفالها من تقييم العصور الحجرية، خاصة أن وسائل الكشف والتحليل الأثرى لا تمكّنان من رصد وتقييم هذه الفترات من خلال دراسة المادة الأثرية. فهنالك الكثير من التغيرات البيئية التي تحدث ولا تترك أثرا في المحيط الأثرى للموقع الأثرى وبالتالي يصعب ملاحظتها أثناء دراسة الموقع الأثرى ومادته الأثرية.

خلاصة الأمر يتضح أن الكلب المستأنس قد ساهم مساهمة فعالة في اقتصاد التأقلم البيئي لمجتمعات العصر الحجري في منطقة وادي النيل الجنوبي. وتتجلى هذه المساهمة في تفعيله لعملية الصيد وزيادة كفاءتها بفضل إمكانياته التي سمحت لصيادي العصر الحجري صيد أنواع من الحيوانات ما كان الوصول إليها بالأمر السهل بواسطة تقنية العصر الحجري الوسيط والحديث. هذا وقد برزت سلالة الكلب قريهاوند The greyhound في أفريقيا استجابة وتلاؤماً مع طبيعة المجال البيئي من سهول السافنا وطبيعة الحيوانات البرية، وما لها من سرعة في العدو والفرار. فبدون عنصر مساعد في الصيد مثل الكلب لا يتمكن الإنسان في ذلك الزمان من الوصول لهذه الحيوانات بسهولة ويسر. ولا شك في أن الكلب قد أحدث نقلة كبيرة في عملية الصيد من حيث الكم والكيف لصيادي العصر الحجري في وادي النيل الجنوبي. هذا وتظل أهمية الكلب في قلة تكاليفه، وبساطة رعايته، ومساهمته كاحتياط إستراتيجي تلجأ إليه مجتمعات العصر الحجري في أوقات يقل فيه الطعام وتشح فيه الموارد. وعلى جانب أخر فأن أحد معايير نجاح نظم اقتصاد التأقلم البيئي تكمن في مقدرة هذه النظم على تحويل مصدر منفعته الاقتصادية ضئيلة economic potential إلى مصدر إستراتيجي تحسبا للأوقات الحرجة. ويمكن القول بأن مساهمة الكلب في اقتصاديات مجتمعات العصر الحجري لا تنحصر في زيادة كفاءة عملية الصيد والحراسة ومواجهة مخاطر شح الطعام. بل ربما تعدت مساهمة الكلب ذلك ليلعب دورا مماثلا لدوره الحالي في خرافات ومعتقدات مجتمعات أفريقيا التقليدية والتي تتأرجح فيها مكانته بين الاستحسان والاضطهاد. على أن وضع الكلب في المجتمعات القديمة بدأ في التغير مع تطور عمليات الصيد في إطار نظم المدن الاقتصادية وارتباط الصيد بالتميز والرقى الاجتماعي وممارسة أهل الصفوة لهذا النشاط. فلم يكن تنقل الكلب مع الإنسان جغرافيا فقط بل تنقل معه في سلم التميز الاجتماعي والرقى الحضاري كما صورته أثار حضارة مروى القديمة فيما بين القرنين السادس قبل الميلاد والرابع الميلادي في وادي النيل الجنوبي.

أ.د.على التجانى الماحي - قسم الآثار - كلية الآداب - جامعة السلطان قابوس - مسقط - سلطنة عمان

الهوامش

١ - الطريقة التي يستجيب بها الفرد للمثيرات المختلفة طبقا لصفاته الجسمانية والنفسية والتي تتحد بفعل التأثيرات الكيمائية لعمليات الهدم والبناء في الجسم وهى تأثيرات تنال النشاط العام للمخ أو الجهاز العصبي.

٢ - لم يعثر الكاتب على عبارة عربية تقابل عبارة. Greyhound أورد كل من المورد «الطبعة السادسة والعشرون» 1992م والمنجد أسم «سلوقى أو كلب صيد» كترجمة لأسم greyhound وهذه ترجمة غير صحيحة،إذ إن الكلب السلوقى أحد سلالات greyhound.

المراجـع

Adams,W.Y. 1980. **Nubia: A Corridor to Africa.** Allen Lane. Prinaeton University Press. New York.

Allard-Huard, L. 1993. **Nil-Sahara Dialogues Rupestres.** Moulin de Lambres.

Bokonyi, S. 1988. **History of Domestic Mammals in Central and Eastern Europe** Akademiai Kiado. Budapest.

Clutton-Brock, J. 1981. **Domesticated Animals: From Early Times.** Heinemann London.

Clutton-Brock, J. 1984. "The Dog" **In Evolution of Domesticated Animals.** I. L. Mason. (ed.) Longman, London.

Dumbar, J.H. 1941. **The Rock -Pictures of Lower Nubia.** The Government Press, Cairo.

ElMahi, A.T. 1986. "The fauna of Rabak site". A paper presented in the sixth International Conference for Nubian Studies. Uppsala.

ElMahi, A. T. 1988. **Zooarchaeology in the Middle Nile Valley.** Cambridge Monographs in African Archaeology 27 BAR International series 418. England.

ElMahi, A.T. 1996. "Cynophagy Among Traditional Communities in the Sudan :A Reflection of A prehistoric Practice." **ADAB** University of Khartoum, Khartoum.

Epstein, H. 1971. **The Origin of the Domestic Animals of Africa.** New York: Africa Publishing Cooperation.

Gautier, A. 1984. "The Fauna of the Neolithic site of Kadero (Central Sudan)". In **Origin and Early Development of Food-producing Cultures in North-Eastern Africa.** (ed.) L. Krzyaniak and M. Kobusiewcz Poznan: Polish Academy of Sciences.

Guatier, A. 1986. La faune De l'occupation Neolithic D'Elkadada" (secteurs Au Soudan Central) **Archaeologie Du Nil Moyen.** vol.1.

Gautier, A. 1989 "A general review of the known Prehistoric Faunas of the Central Sudanese Nile Valley." In **Late Prehistory of the Nile Basin and the Sahara.** (ed.) L.Krzyzanik and M. Kobusiewicz. Poznan: Polish Academy of Sciences.

Hediger, H. 1964. **Wild Animals in Captivity.** Dover Publications Inc. New York.

Kemp, R and Kemp J. 1976 "The Mysterious Journey" **A Survival Film** New York and Frankfort Zoological Societies An Anglia Production.

Kemp, R and Kemp J. 1976. "The Mysterious Journey" **A Survival Film**, New York and Frankfurt Zoological Societies An Anglia production.

Lee B.R. 1972. "The Kung Bushmen of Botswana" in **Hunters and Gatherers Today.** M.G. Bicchieri (ed.) New York.

Muchugh,T. W. 1974. "Late Prehistoric adaptation in Southwest Eygpt and the Problem of the Nilotic origins of Saharan Cattle." **UARCE:** Vol. xi

Peters, J. 1989. "The faunal remains from several sites at jebel Shaqadud (central Sudan): A preliminary report." **Late Prehistory of the Nile Basin and the Sahara.**L.Krzyzanik and M. Kobusiewicz (ed.). Poznan: Polish Academy of Sciences

Save-Soderberg,T. 1970. **The Rock Drawings.** Scandinavian Joint Expidition Publications 1:2 Van Neer, W. and Uerpmann,H. 1989. "Palaeoecological significance of the Holocene faunal remains of the B.O.S Mission. "Forschungenzur **Umwettgeschichte der Ost Sahara.** (ed.) H.R. Kuper (Heinrie-Barth- Institute), Koln.

Wasburn, S. and Lancaster,C.S. 1968. "The Evolution of Hunting."In **Man the Hunter**. R.B. Lee and I De Vore (eds.). Aldine: Chicago.

السودان القديم : بداية صناعة الحديد في أفريقيا

عبدالرحيم محمد خبير

ملخص: لعب السودان القديم (كوش) دوراً مهماً في مسار الحضارة الإنسانية بوجه عام والحضارة الأفريقية على وجه التخصيص. وعرف السودان القديم الدولة بوصفها بنية سياسية مؤسسية منذ ما يربو على أربعة آلاف عام (دولة كوش الأولى مملكة كرمة (٢٥٠٠-١٥٠٠ق.م). وعند قيام دولة كوش الثانية (مملكة مروي-٩٢٠ق.م-٣٢٥م) إجترح السودانيون العديد من المنجزات الحضارية من أبرزها صناعة الحديد. ومما ساعد السودانيين على الاستيعاب السريع لتقنية الحديد معرفتهم المبكرة لعملية الحرق والتحكم في درجات الحرارة واستخدامها الأمثل. وتمثل هذه المعرفة نتاج تجاربهم المبكرة في استخدام أفران حرق الفخار (٧٥٠٠-٣٠٠٠ق.م) وصهر النحاس (٢٥٠٠-١٥٠٠ق.م).

وأثبت الشاهد الأثري بكل تفصيلاته أن مملكة مروي هي أول دولة في أفريقيا استطاعت أن تقوم بعملية تعدين وصهر وتصنيع الحديد (القرن السادس قبل الميلاد). ومما يؤيد ذلك التواريخ التي تم الحصول عليها بواسطة كربون ١٤ المشع لأقدم الموجودات الحديدية المروية فضلاً عن الكميات الضخمة من نفايات الحديد التي عثر عليها في أمكنة متفرقة من المملكة المروية. وتضم الأدوات الحديدية في مملكة مروي صنوفاً عديدة أبرزها آلات زراعية وسكاكين وأسلحة وأدوات جراحة طبية مجلفنة لحمايتها من الصدأ.

ويبدو أن أساليب تعدين الحديد وتصنيعه الباكرة في وادي النيل قد إنداحت من مملكة مروي لتصل أمصاراً عديدة من أفريقيا جنوب الصحراء. ويُحاجّ هذا المقال -إرتكازاً على أسانيد أثرية - بأسبقية السودان القديم وريادته لصهر الحديد وتصنيعه في أفريقيا.

Abstract. *Ancient Sudan played a significant role in the development of human civilization. Of the most outstanding sudanese contributions, in the technological development of the Old World was iron-working. The assumption that ancient Sudan, being the first place in Africa where iron was smelted and manufactured, has been confirmed not only by radio carbon determinations, but also by the well-established iron industry in Kush in comparison with the contemporary African countries. The expertise acquired by ancient Sudanese (Kushites), as a result of long experimentation with the pyrotechnology of pottery (ca.7000-3000 BC.) and copper (ca.2500-1500 BC.) warrants their rapid inception of iron metallurgy. It seems likely that Meroe, the capital of the second Kingdom of Kush (ca.920 BC.-AD. 325), gave several states in sub-Saharan Africa the idea of iron-working and the arts of civilization and government. The present paper gives a concise account on the Kushitic iron- working, and argues for the local industrialization of iron in the ancient Sudan.*

للسودان القديم (كوش) دورٌ مهم في مسار الحضارة الإنسانية بوجه عام والحضارة الأفريقية بوجه خاص. كما عرف السودان القديم الدولة بوصفها بنية سياسية مؤسسية ومشروعية سلطة منذ ما يربو على أربعة آلاف عام بظهور دولة كوش الأُولى (مملكة كرمة) التي بسطت ظل سلطتها على شمال السودان الحالي بما في ذلك كل منطقة النوبة (٢٥٠٠-١٥٠٠ق.م). وعند ظهور دولة كوش الثانية (مملكة مروي) في باكورة القرن العاشر قبل الميلاد (٩٢٠ق.م) وحاضرتها مروي القديمة (البجراوية) (١٦-٥٤شمالاً و٣٣-٤٤شرقاً) التي تقع على الضفة الشرقية لنهر النيل على بعد ٢٠٠كيلاً شمال شرق مدينة الخرطوم، تنامى نفوذ هذه الدولة في بعض فترات التاريخ ليشمل وادي النيل طراً (٧٥١-٦٥٦ق.م). وعندما غزا الآشوريون مصر في عهد الأسرة الكوشية (الأُسرة الخامسة والعشرون في التاريخ الفرعوني) تقهقر الكوشيون جنوباً حيث واصلوا حكمهم لدولتهم التي

استمر نفوذها على الإقليم الشمالي للسودان، شرقاً إلى البطانة، وغرباً إلى شمال كردفان وحتى مشارف وادي هوّر شمال دارفور، وجنوباً إلى الخرطوم والنيل الأبيض (الكوة) وباتجاه الجنوب الشرقي وصل نفوذ هذه الدولة إلى جنوب النيل الأزرق (جبل موية)، أي أنها أدخلت في حوزتها مساحة شاسعة من الأقاليم المكونة للسودان الحديث (أنظر خارطة ١).

رفدتنا التنقيبات الأثرية بمعلومات ثرَّة عن المنجزات الفكرية والتقنية التي اجترحها الكوشيون والتي شملت نظاماً متقدماً في الكتابة الأبجدية (الخط الاختزالي) والهندسة المعمارية والفخاريات التي تشي بذائقة فنية رفيعة المستوى. وتوجت هذه الإسهامات الحضارية بالمعرفة الباكرة لصهر وتصنيع الحديد في أفريقيا.

وتعتمد هذه الدراسة علاوة على ما نشر في الأدبيات الآثارية عن الحديد في السودان على الملاحظات الشخصية لكاتب المقال حول طبيعة خامات الحديد والأفران والمنافخ التي أُستغلت في عملية التعدين خلال زياراته العلمية للمدينة الملكية في مروي القديمة (البجراوية) (١٩٧٥م، ١٩٨١م).

تاريخ تعدين الحديد في السودان القديم (كوش)

كان للحفريات الأثرية التي قام بها كل من جارستانق (Garstang -١٩٠٩- ١٩١٤) (Hakem 1978:39-40.) ووصف نفايات الحديد في مروي بواسطة الباحث أ.سايس- A. Sayce (1912) القدح المعلى في إماطة اللثام عن الدور البارز الذي لعبته دولة كوش الثانية (مروي) في تعدين الحديد في أفريقيا. وفي عام ١٩٤٠م قام عالم الآثار الإنجليزي أ.ج. آركل A.J.Arkell يرافقه الكيميائي أ.لوكاس A. Lucas، بعمل مجسات اختبارية في مدينة مروي القديمة بغية تسليط مزيد من الضوء على طبيعة نفايات الحديد والمصنوعات الحديدية التي عثر عليها في المدينة. وخلصت هذه الاختبارات إلى نتيجة مؤداها أن هناك أكواماً عديدة من النفايات والأدوات الحديدية حول مروي كما أن معبد الأسد (نمرة ٦) للمعبود المحلي أباد أماك قد بني فوق تل من نفايات الحديد (Shinnie 1982:18) ولا ريب أن هذه الأدلة المادية تدعم المحاجة القائلة بمحلية صهر وتصنيع الحديد في السودان القديم (كوش).

وثمة رأي لثلة من علماء الآثار (ف. هنتزا-F.Hintze، د. دنم- D.Dunham وب. شيني- P.Shinnie) استناداً على وجود مصنوعات حديدية في بعض المقابر الملكية المروية مفاده أن تاريخاً يتراوح بين القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد يمثل البداية الحقيقية لصناعة الحديد في السودان القديم. وهذا التاريخ التقريبي (القرن الخامس قبل الميلاد) يتزامن مع أقدم تاريخ بكربون ١٤ المشع (٤٤٠±٤٠ ق.م) لصناعة الحديد في أفريقيا الغربية (موقع تاروجا في نيجيريا)، (Willet 1971: 14) وفي تقديري أن أكثر الأدلة وثوقاً -حتى الآن- ما رفدتنا به التنقيبات في مروي القديمة (البجراوية) حيث تم الحصول على تاريخ مؤكد بواسطة كربون ١٤ المشع يؤرخ بداية ظهور الحديد في السودان إلى القرن السادس قبل الميلاد (MR-7: 514+73B.C.). وجاءت العينة التي أمدتنا بهذا التاريخ من الطبقة رقم ١٦ للمجس الاختباري - M50 داخل المدينة الملكية. وتكمن أهميتها في أنها كانت مترافقة مع أوانٍ فخارية تنتمي للفترة المروية (see Shinnie 1971: 94) مما يدعم صدق هذا التاريخ.

الحديد في وادي النيل القديم

ورغم أن الحديد قد ظهر للوهلة الأُولى في وادي النيل - في مصر القديمة - في عهد الهكسوس (حوالي١٧٠٠-١٦٠٠ق.م) لا سيما على هيئة معدات حربية، إلا أن استخدام ذلك المعدن بشكل أكثر رواجاً قد تزامن مع الغزو الآشوري لمصر في عام ٦٧١ق.م. (Shinnie 1971: 92) بيد أن الحديد حينها كان لا يزال سلعة مستوردة تجلب من غرب آسيا على شكل أدوات وأسلحة حيث لم يعثر على أي دليل يقيني (استناداً على



لوحة ١ : مجس إختياري D 50, E 50- في موقع مروي (البجراوية) وتظهر نفايات الحديد يسار الصورة

(After Shinnie and Bradley, 1980)



لوحة ٢ : فرن لصهر الحديد - مروي (البجراوية)

(After Shinnie, 1978)

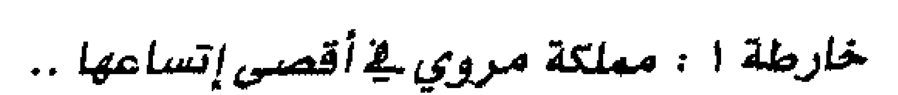
وثائق مكتوبة أو بواسطة الأساليب الفيزيائية والكيميائية للحصول على تاريخ مطلق) يؤرخ لصناعة محلية للحديد في مصر الفرعونية. وأبان الباحث ب. تريقر- B. Trigger، في دراسة تفصيلية أن مصر الفرعونية كانت بطيئة في استيعاب تقنية الحديد وتصنيعه محلياً مقارنة ببعض البلاد الأخرى في الشرق الأدنى القديم(Trigger 1969:25-55). وللباحث ر. موني- R. Mauny(1971:67) رأي مؤداه أن الحديد قد جلب إلى مصر بواسطة الحيثيين (هضبة الأناضول) عام ١٣٠٠ق.م استناداً على رسالة كان قد بعث بها ملك الحيثيين إلى رمسيس الثاني، ولكن يبدو أن مصر- كما يعتقد موني- لم تكن راغبة في استعمال هذا المعدن الجديد حينها حيث لم يعثر فيها على أدلة لتصنيع الحديد إلا في فترة متأخرة نسبياً (أنظر أدناه). ومن الجدير بالملاحظة أن هناك نزراً يسيراً من الأدوات الحديدية عثر عليه الباحث فلندرز بتري- F.Petrie، في مدينة طيبة مترافقاً مع بعض المصنوعات (خوذة وبوق) الآشورية التي ترجع إلى عهد الملك آشور بنيبال الذي غزا شمال الوادي في النصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد. وعلى النقيض من ذلك هناك فرضية للباحث بيتر شيني- P.Shinnie، مفادها بأنه من المحتمل أن معرفة المصريين للحديد لم تأت بواسطة الغزو الآشوري إنما بسبب وجود جالية إغريقية في منطقة دلتا النيل في منتصف القرن السابع قبل الميلاد. وفَدَ أفراد هذه الجالية إلى مصر تجاراً وجنوداً مرتزقة حيث أسسوا العديد من المدن مثل نوكريتس - Naukratis. وتزعم هذه الفرضية أن بعض أفراد هذه الجالية الإغريقية كانت تقوم بصناعة الأسلحة التي استخدمها الفراعنة لا سيما جنود الفرعون المصري بسماتيك الثاني في حملته ضد السودان عام ٥٩١ق.م.(Shinnie 1971: 92). ومن جهة أخرى يزعم نيوكلاس فاندر مروي-N.V. Merwe (1980: 471) أن أقدم دليل لصناعة الحديد في مصر الفرعونية يعود إلى عهد الأسرة السادسة والعشرين (٦٦٣-٥٢٥ق.م) وأن مصر قد عرفت صهر الحديد منذ ذلك الحين. ولا تجد هذه الفرضيات قبولاً عندي لافتقارها للسند المادي الراجح الذي يدعمها (تواريخ مطلقة). ومهما يكن من أمر فقد وضع بعض الباحثين تاريخاً تقديرياً (نسبياً) هو نهاية القرن الرابع قبل الميلاد كبداية لتصنيع الحديد في مصر القديمة استناداً على بقايا فرن للحديد عثر عليه في موقع تل الدفنة بمنطقة الدلتا (see Shinnie and Kense 1982: 20).

وأبانت التنقيبات الأثرية المتلاحقة أن مراكز صهر وتصنيع الحديد في الدولة المروية انتشرت في مناطق متفرقة تمتد من الشلال الأول شمالاً إلى منطقة جبل موية في إقليم النيل الأزرق بجنوب شرق البلاد. وفي موقع جبل موية (١٤-٣٠شمالاً، ٣٢-٣٦شرقاً) عثر على كميات غير قليلة من الأدوات الحديدية يستبان منها أن سكان هذه المستوطنة كانوا يستخدمون الحديد خلال الفترة الوسيطة والمتأخرة من العهد المروي (القرن الرابع - القرن الأول قبل الميلاد). وضمت الأدوات الحديدية التي وجدت هناك خلاخيل وأسورة وأقراطاً وأدوات متنوعة تؤرخ لفترة الاستيطان الثالثة والأخيرة في موقع جبل موية (القرن الرابع - القرن الأول ق.م). وهناك أيضاً رؤوس السهام ذات السِّيَلان الطويل عند القاعدة والتي وجدت بكميات وافرة في هذا الموقع وهي تمثل نمط صناعة مروي جنوبي متأخر (القرن الأول قبل الميلاد) لا يماثل نظيره في المواقع المروية الشمالية الذي يتميز بقصر المقبض وطول النصل. (Gerharz 1994: 330-331, 336-339) وتجدر الإشارة إلى أن تعدين الحديد في السودان القديم لم يقتصر على المراكز الحضرية بالقرب من النيل فحسب بل شمل بعض المناطق البعيدة داخل البلاد مثل جبل الحرازة في إقليم كردفان والذي تشابه معثوراته الحديدية تلك التي وجدت في مروي القديمة (البجراوية) (Hakem 1981)، فضلاً عن عدة مواقع في أواسط إقليم دارفور (جبال طقابو وسي وسمياط) في أقصى غرب السودان. وتؤرخ هذه المواقع (إقليم دارفور) بواسطة كربون ١٤ المشع إلى مطلع الألف الأول الميلادي (Musa 1993: 246-263) وتعضد نتائج هذه الحفريات

مقولة ج.أ.وينرايت-G. A. Wainwright (1945: 5-35)، بأن الأدوات الحديدية وصلت السودان من بلاد المغرب عبر الصحراء الكبرى. ويعتقد هذا الباحث -مثل العديدين من علماء الآثار- أن مصدر الحديد في أفريقيا هو بلاد الشام حيث جلب الفينيقيون منتجات هذه التقنية من بلاد الأناضول (بدأ تعدينه في الألفية الثانية قبل الميلاد) ومن ثم نقلوها لاحقاً إلى شمال أفريقيا (بلاد المغرب).

وأبانت نتائج المكتشفات الأثرية أن الحديد في دولة كوش (مروي) استخدم في صنع أنماط متنوعة من الأدوات أبرزها أسلحة (سهام، حراب، فؤوس) وسكاكين وآلات زراعية (معازق ومجارف) وملاقط صغيرة ومقصات كبيرة، وأزاميل، وأدوات جراحة طبية مجلفنة لحمايتها من الصدأ. ومما يلزم التنويه به أن نسبة الأسلحة الحديدية كانت تفوق بكثير نسبة الأدوات الأخرى التي صنعت من ذات المعدن (Shinnie 1967: 163). ومن جهة أخرى نلحظ أن كثيراً من الباحثين يشير إلى الندرة النسبية للمصنوعات الحديدية مقارنة بالكميات الضخمة للنفايات التي وجدت حول المدينة الملكية (see Shinnie and kense 1982: 24). ولا تعطينا الأدلة الأثرية المتوفرة حتى الآن تفسيراً مقنعاً لهذه الظاهرة، لذا فمن خطل الرأي القول بأن الحديد كان غير مألوف في المملكة المروية دونما دليل يقيني. وفي هذا الخصوص أجد نفسي مائلاً إلى الرأي القائل بأن طبيعة التربة في مروي القديمة (البجراوية) والتي لا تسمح بالحفظ الجيد للمعادن بما فيها الحديد، قد تكون سبباً رئيساً لظاهرة قلة الأدوات المصنّعة في مقابل الكميات الكبيرة للنفايات الحديدية (ibid.). وتلزم الإشارة هنا إلى أنه قد تم العثور في مروي القديمة (البجراوية) على أشتات من الأدوات المصنّعة تشمل مسامير بأحجام مختلفة وبكميات كبيرة نسبياً، فضلاً عن مجموعة من السكاكين الصغيرة، والأنصال، وكسر لقضبان، ورؤوس سهام، ونزر يسير من رؤوس الرماح (يتراوح طولها من ٦-٨سم) ولسان لجرس برونزي (ibid.: 25). ومن زاوية أخرى يجب ألا يغرب عن البال أن ما تم إنجازه من تنقيبات في مدينة مروي القديمة (البجراوية) حتى الوقت الحاضر ضئيل جداً إذ لا يتجاوز نسبة ١٥% من إجمالي الاستيطان الرئيسي للمدينة الملكية (حوالي ١٠٠٠×٨٠٠م)(see Edwards 1989:63). فلربما ترفدنا التنقيبات اللاحقة في المستقبل المنظور بمعلومات وافية تسلط مزيداً من الضوء على طبيعة المصنوعات الحديدية ونسبها مقارنة بمخلفات (نفايات) الصهر.

ومما ساعد على ازدهار صهر الحديد في مروي القديمة توفر خاماته في جبال الحجر الرملي النوبي حول المدينة الملكية، فضلاً عن وجود كميات غير قليلة من الأخشاب اللازمة لإيقاد أفران الصهر. (Arkell 1961: 147 and pers. obser.) وتجدر الإشارة إلى أن نظرية صهر الحديد في مروي القديمة (البجراوية) وجدت ما يعززها من الأدلة الأثرية حيث عثر علماء الآثار على كميات ضخمة من نفايات الحديد لا تزال ماثلة حتى الآن حول المدينة الملكية بالإضافة إلى كميات كبيرة من عجيرات (عقد) الحديد الصدئ والذي يتكون بشكل أساسي من معدن المغنتيت (أكسيد الحديد الأسود) وأعداد وافرة من أفران الصهر والمنافخ وأنابيب النفخ الفخارية (.Tylecote 1982: 17-42 and pers. obser- أنظر اللوحة رقم "١" في هذا النص). ولعل الباحث الإنجليزي أ.هـ. سايس-A. H. Sayce (1912) كان محقاً عندما أطلق عبارته الشهيرة " مروي برمنجهام أفريقيا" (Sayce 1912: 55). ومما سلف إيراده فإن بعض الأهرامات الملكية الكوشية وبعض المعابد قد بنيت فوق ركامات من خبث الحديد. ويشير الشاهد الأثري أن أول قبر ملكي وجد فيه دليل للحديد في الدولة المروية هو قبر الملك تهارقا (٦٩٠-٦٦٤ق.م) حيث تم التعرف على رمح وحيد من الحديد مغطىّ بالذهب. وفي مقبرة الملك حرسيوتف (٤٩٨-٤١٦ق.م) وجدت أدوات صغيرة الأحجام مصنوعة من الحديد، كما وجدت أنواع مماثلة في مقبرة الملكة أماني شخيتي التي تؤرخ للنصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد (Shinnie 1971: 92-93).



خارطة ١ : مملكة مروي في أقصى إتساعها ..

ولكن بما أن كل المقابر الملكية المروية منهوبة حيث امتدت إليها يد العبث، فقلة الحديد وأحياناً ندرته في العديد من المقابر الملكية ليست دليلاً كافياً بأن هذا المعدن كان نفيساً في تلك الحقبة من العهد المروي.

خاتمة

ومما تم تبيانه آنفاً يبدو أن مروي القديمة كانت مركز صناعة الحديد في وادي النيل الذي إنداحت منه أسرار هذه التقنية لتصل أمصاراً عديدة من أفريقيا جنوب الصحراء لا سيما وأن أقدم مواقع صناعة الحديد في تلك البلاد (موقع تاروجا في نيجيريا ومواقع KM2 & KM3 في شمال غرب تنزانيا) ذات تواريخ (حوالي القرن الخامس قبل الميلاد) (Willet 1971:5-35; Schmidt and Childs 1985:54-94) تقل نسبياً عن موقع مروي (القرن السادس قبل الميلاد) في أواسط السودان.

ولا ريب أن معرفة قدماء السودانيين المبكرة لتقنية الفخار في الألف الثامن قبل الميلاد وبخاصة عملية التحكم في درجة الحرارة واستخدامها الأمثل بواسطة الأفران مكنتهم لاحقاً من الاستيعاب السريع لتقنية المعادن (النحاس والحديد) والاستفادة منها في شتى ضروب الحياة. وتمثل أفران صهر الحديد في مروي القديمة تطوراً جلياً لا تخطئه العين عن أفران حرق الفخار التي ظهرت في بداياتها في حضارة الخرطوم الباكرة (٧٥٠٠-٥٠٠٠ق.م) والشهيناب (٤٥٠٠-٣٥٠٠ق.م) في أواسط السودان (Arkell 1949, 1953; Khabir 1987: 377-380, 1991: 33-35)

ورغم أن الأدلة الأثرية تشير إلى زيادة مطّردة في تقنية الأدوات الحديدية في الحقبة المتأخرة من دولة كوش الثانية (مروي) مقارنة بعصورها الباكرة (Shinnie 1971: 97; Shinnie and Kense 1982: 20)، إلا أن ذلك الزخم في تقنية الحديد لم يترافق مع تغيير جوهري في البنية السياسية والاجتماعية للدولة المروية. وفي تقديري أن مرد ذلك يكمن في أن تقنية الحديد المروية كانت مشروعاً حداثياً لم يتوفر له الإطار المعرفي الكافي والنسق الاجتماعي والاقتصادي المؤاتي الذي يسمح بتوطينه في السوية الثقافية للمجتمع السوداني آنذاك. ومن جهة أخرى أدت الأحداث السياسية العاصفة التي حلت بدولة كوش (مروي) في آخر عهدها وما رافقها من تداعيات في شتى المجالات إلى تقويض ذلك المشروع التقني فلم يتحول إلى مشروع نهضوي يفضي إلى تغييرات جذرية في بنية المجتمع السوداني حينها.

د. عبدالرحيم محمد خبير - قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص.ب ٢٤٥٦ - الرياض ١١٤٥١ - المملكة العربية السعودية

المراجع

Arkell, A.J. 1949. **Early Khartoum**. Oxford University Press. London.

Arkell, A.J. 1953. **Shaheinab.** Oxford University Press. London.

Arkell, A.J. 1961. **A History of the Sudan. From the Earliest Times to 1821.** London.

Edwards, D. N. 1989. **Archaeology and Settlement in Upper Nubia in the 1st. Millennium A. D.** .B. A. R. International Series 537

Gerharz, R. 1994. Jebel Moya', **Meroitica 14:** 329-355.

Khabir, A. M. 1987. "New radiocarbon dates for Sarurab2 and the age of the Early Khartoum tradition". **Current Anthropology** 28: 377-380.

Khabir, A. M. 1991. "The Firing Index of Neolithic Pottery from the Central Nile", **Nyame Akuma** 35: 33-35.

Hakem, A. M. A. 1978 "A History of Archaeological Research in Nubia and the Sudan", **Africa in Antiquity** 1: 37-45.

Hakem, A. M. A. 1981. "University of Khartoum Excavations at Jebel el-Haraza (Kordofan)". Unpublished report, Department of Archaeology, Khartoum University.

Mauny, R. 1971 . The Western Sudan'. In: P.L.Shinnie (ed.). **The African Iron Age.** Clarendon Press. Oxford: PP. 66-87.

Merwe, J. V. M. 1980 The Advent of Iron in Africa'. In: T. A. Wertime and J. D. Muhly (eds.). **The**

Coming of the Age of Iron. Yale University Press. New Haven: PP 463-506.

Musa, I. M. 1993. Iron technology in the middle Sahel / Savanna: with emphasis on central Darfur'. In: **The Archaeology of Africa. Food, metals and towns.** T. Shaw, P. Sinclair, B. Andah and A. Okpoko (eds). One World Archaeology. London: PP 459-467.

Sayce, A. H. 1912. Excavations at Meroe. Part 11, The Historical Results', **Liverpool Annals of Archaeology and Anthropology** 4: 53-65.

Schmidt, P. R.& S.T. Childs 1985. "Innovation and iron industry during The Early Iron Age in East Africa: The KM2 and KM3 sites of the Northwest Tanzania", **African Archaeological Review** 3: 53-94.

Shinnie, P. L. 1967. **Meroe. A civilization of the Sudan.** London.

Shinnie, P. L. (ed.) 1971. **The African Iron Age .** Clarendon Press. London.

Shinnie, P. L. 1971. The Sudan'. In: **The African Iron Age.** P. L. Shinnie (ed.). CLarendon Press. Oxford: 89-107.

Shinnie, P. L. & F. J. Kense 1982 Meroitic Iron Working', **Meroitica** 6: 17-28.

Trigger, B. G. 1969. "The Myth of Meroe and the African Iron Age", **African Historical Studies** 11: 23-50.

Tylecote, R. F. 1982. Metal Working at Meroe, Sudan', **Meroitica** 6: 29-42.

Wainwright, G. A. 1945. Iron in the Napatan and Meroitic ages', **Sudan Notes & Records** 26: 5-35.

Willet, F. 1971. Nigeria'. In: **The African Iron Age.** P. L. Shinnie (ed.). CLarendon Press. Oxford: 1-35.

مذبح بخور (م ف ح م) عليه نص إهدائي للمعبود ذي سماوي

سالم بن أحمد طيران

ملخص: يتناول البحث في ثناياه نبذة قصيرة عن البخور وأهميته في الجزيرة العربية ، ومذابح البخور المستخدمة لحرقه . يتلو ذلك وصفاً دقيقاً لمذبح البخور موضوع البحث المهُدى للمعبود ذي سماوي . يليه دراسة تحليلية للنقش الإهدائي على هذا المذبح ، حيث تمت مناقشة الألفاظ وأسماء الأعلام الواردة فيه .

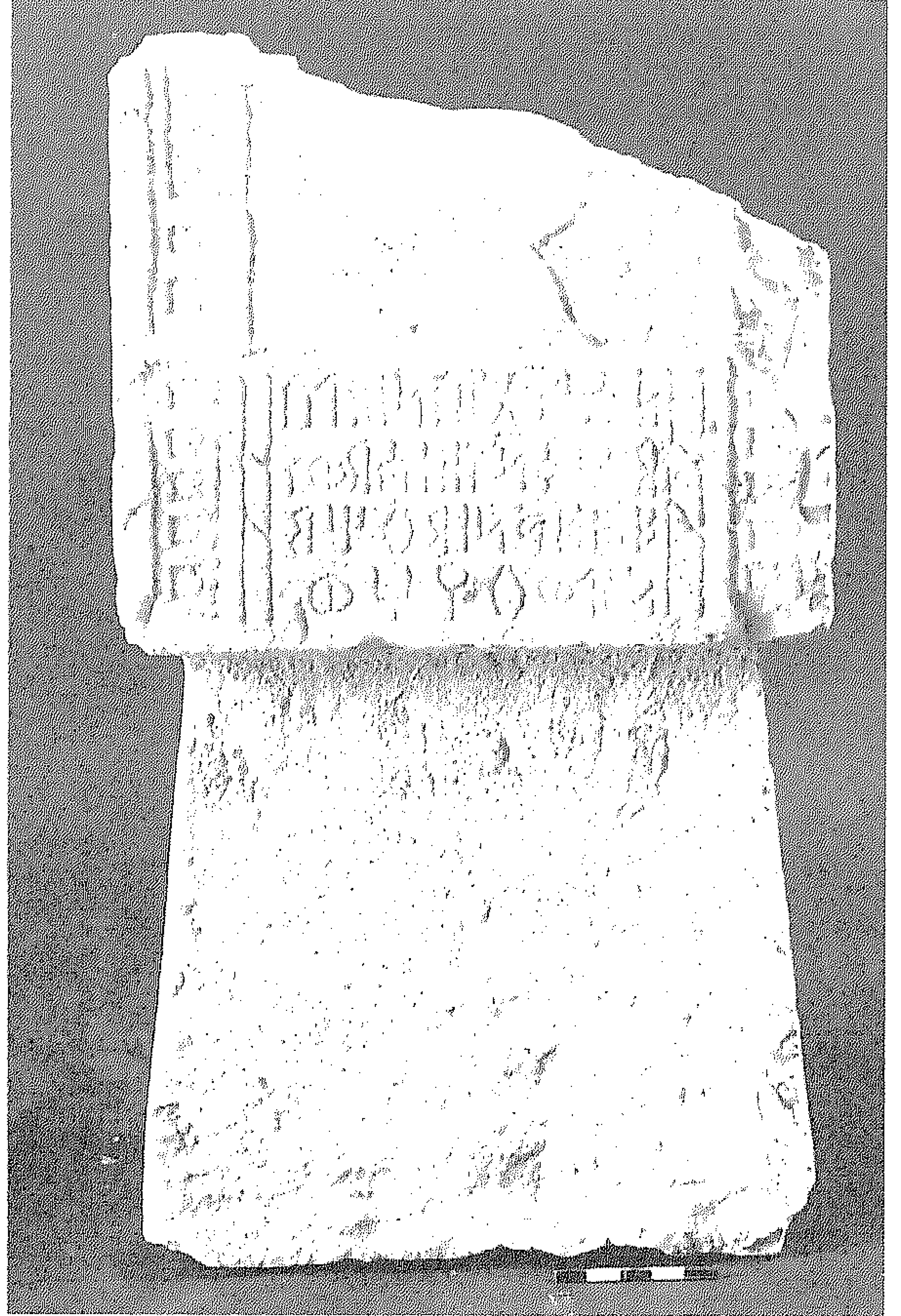
Abstract. *This study includes a brief outline on incense and its altars in the Arabian Peninsula. This is followed by detailed description to the incense altar under study, dedicated to the deity Thu Samawi. The phrases and the personal names of the dedicatary inscription on this incense altar, are analytically studied.*

كان للموقع المتوسط الذي تحتله الجزيرة العربية بين الشرق والغرب ، والذي جعلها ملتقى الطرق التجارية البرية والبحرية ، وكذلك توفر المواد العطرية فيها كاللبان والمر والرند والقسط ، والتي كان الطلب عليها كبيراً في ذلك الزمان ، إضافة إلى ما كان يصل إليها من بضائع مستوردة من الصين والهند وسيلان وشرق أفريقيا ، كل ذلك كان له أثر كبير في ازدهار تجارة الجزيرة العربية ، واحتراف أهلها لهذه المهنة القديمة التي عرفتها شعوب العالم منذ وقت بعيد . فكان أن تحول عدد من المدن في الجزيرة العربية إلى مراكز وأسواقٍ تجارية هامة على الطريق التجاري المعروف بطريق البخور ، مثل شبوة ، تمنع ، مأرب ، ظفار ، قرناو ، نجران ،قرية الفاو، دادان، البتراء.ونتيجة لذلك كان للجزيرة علاقات تجارية عديدة مع كثير من المناطق مثل وادي الرافدين ووادي النيل وبلاد البحر الأبيض المتوسط . وقد اشتملت تجارتهم على المواد العطرية بالدرجة الأولى ، إضافة إلى البضائع النفيسة المستوردة والمجلوبة من شرق آسيا وأفريقيا (غلاب :١٤٠٤: ١٨٩ وما بعدها ؛ عبد العليم : ١٤٠٤ :٢٠١ ومابعدها).

وكان البخور يشكل جزءاً هاماً من الطقوس الدينية عند عرب جنوب الجزيرة العربية والعالم القديم. وأعطى انتشار الدخان وصعوده إلى السماء علاقة رمزية تظهر الصلة بين العبد وآلهته ، مما جعل تقديمه مرادفاً للعبادة ولهذا أصبح من السلع المقدسة (الجرو : ١٩٩٨ : ٢٣٥) ، وقد اشتهرت بعض مناطق جنوب الجزيرة العربية بإنتاج البخور وخاصة اللبان الذي يعتبر من أغلى الطيوب وأحبها في بلدان الشرق الأدنى القديم وحوض البحر الأبيض المتوسط . فاللبان [١] (باليونانية Libanos ، وبالإنجليزية Frankincense ، وبالألمانية Weihrauch ، وبالهندية والفارسية كندر) وهو صمغ شجر من فصيلة Boswellia sacra Flueck ، كان يُحرق بخوراً في المعابد عند تقديم القرابين للمعبودات ، كما أنه يُحرق في الاحتفالات العامة لتكريم الأحياء وفي مراسيم دفن الموتى. كذلك عُرف حرق البخور في المعابد في وادي النيل وبلاد ما بين النهرين (عبد الله : ١٩٩٠ : ٢٢٣-٢٢٤) .

وكان البخور يُحرق على مذابح خاصة به هي مذابح أو محارق البخور (Incense Altars or Burners) التي تُعد من الأثاث الشعائري الذي تم العثور عليه في المعابد . وفي جملة ما وجد من آثار في الجزيرة العربية ، عثر على عدد كبير من مذابح البخور وخاصة في جنوب الجزيرة ، وهي على نوعين :

١- مذابح بخور في شكل مجامر صغيرة مكعبة الشكل ، أغلبها مصنوع من الحجر الكلسي وبعضها من الفخار . ولها أربع أرجل صغيرة وقصيرة . وعلى أبدانها زخارف مختلفة كالمثلثات والحزوز والخطوط المتقاطعة . وكثير منها يحمل أسماء أنواع مختلفة من البخور المستعمل في ذلك الوقت ، كاللبان والرند والقسط والضرو و القلم .. الخ. وقد وجدت هذه المذابح أو المجامر الصغيرة



لوحة ١: مذبح البخور من الأمام

المكعبة في أماكن كثيرة من الجزيرة العربية مثل تمنع ، شبوة ، قرية الفاو ، ثاج ، جنوب الظهران (انظر Cleveland:1965:118-120; عقيل : ١٩٩٦ : ١٤٢ وما بعدها ؛ الأنصاري :١٤٠٢ : ٦٤ ؛اسكوبي:١٤٠٥ :٤٩؛المغنم : ١٤٠٩ : ٣٠). وقد اختفى هذا النوع من المذابح حسب رأي بيرين في حوالي القرن الأول قبل الميلاد (بيرين : ١٩٨٦ :٢٣).

٢- مذابح في شكل مجامر كبيرة مصنوعة من الحجر تقدم عادةً للمعبودات كتقدمات. وهذه يُحمل هيكلها على قاعدة هرمية الشكل، وعادةً تزخرف واجهاتها بزخارف متنوعة منها ما هو على شكل هلال يضم بين جنباته قرص الشمس، ويرتكز على قاعدة مخروطية، إضافةً إلى زخارف معمارية تتمثل في الأبواب والنوافذ الوهمية. ومن الزخارف ما يمثل رسوماً لبعض الحيوانات كالوعول، بالإضافة إلى نصوص التقديم التي تحوي أسماء المقدمين والآلهة. وقد وجد هذا النوع من المذابح بكثرة في قرية الفاو (التمامي:١٤١٩ :٥٧ ومابعدها).

وترد في نقوش المسند أسماء مختلفة لمذابح البخور التي كان يحرق عليها أنواع البخور المختلفة. فقد كان يطلق على هذه المذابح الأسماء م ق ط ر (مقطر)[٢] ، و م س و د ت (مسودت)[٣] ، و م ف ح م (مفحم) ، و م ج م ر (مجمر)[٤].

والمذبح موضوع الدراسة[٥] من مذابح البخور الحجرية المشار إليها آنفاً، وهو في شكل مجمرة متوسطة الحجم عليها نص بالخط العربي الجنوبي القديم (المسند)، يسجل إهداء المذبح ذاته إلى المعبود ذي سماوي (ذ س م و ي).

وصف المذبح

هذا المذبح أو المفحم ، كما أطلق عليه في النص المرافق له، مصنوع في شكل مجمرة من الحجر الرملي الرسوبي، ومصقول من ثلاث جهات ما عدا الظهر. وقد نحت المذبح في جزئين، سفلي وعلوي. فالجزء السفلي



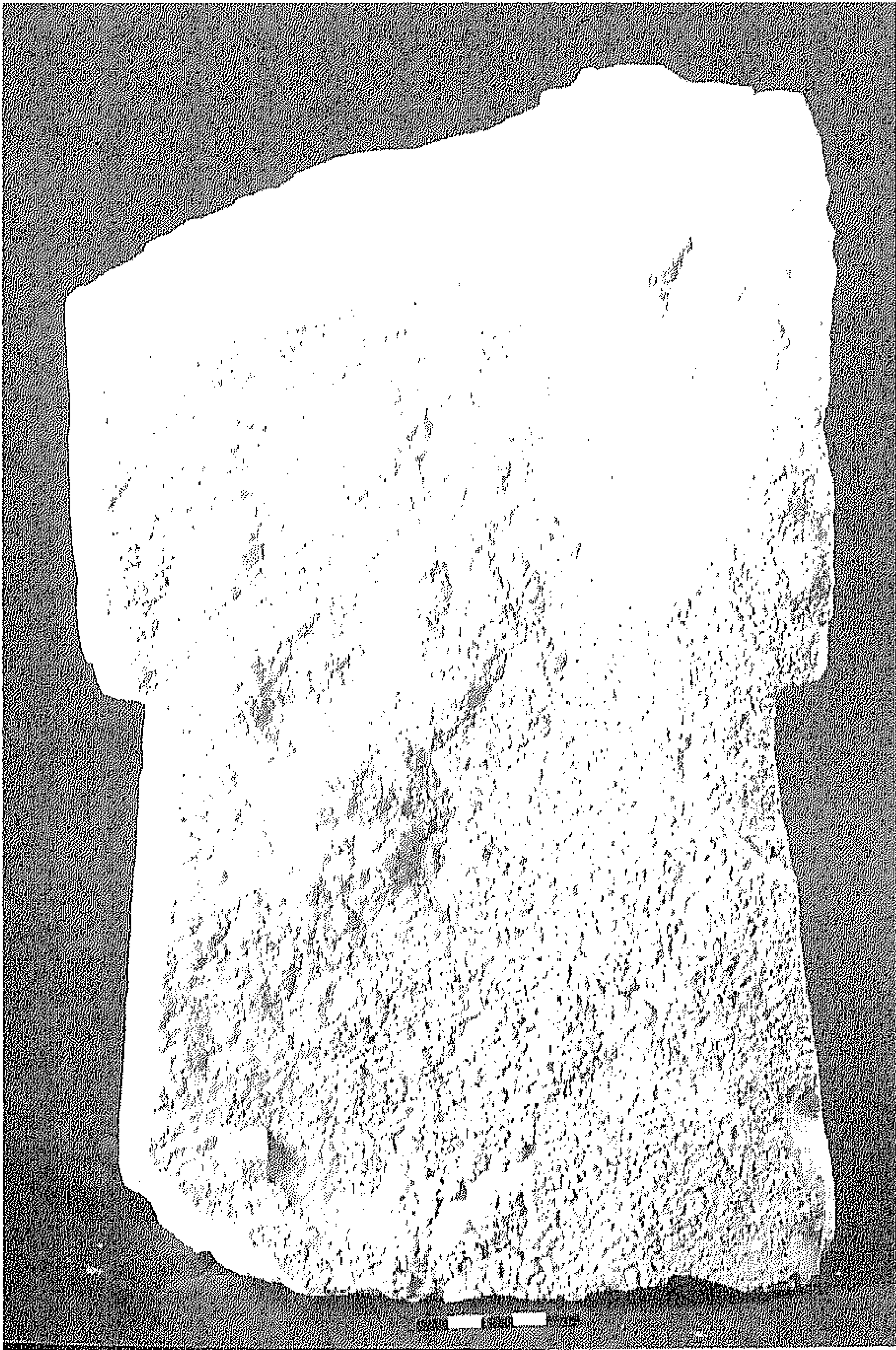
لوحة ٢: واجهة المذبح الأمامية والجانب الأيسر منه


لوحة ٣ : واجهة المذبح الأمامية والجانب الأيمن منه

عبارة عن قاعدة شبه هرمية ، وجهها خالٍ من الزخارف. أما الجزء العلوي فهو في شكل مكعب به تجويف من أعلى. وقد تعرض وجه المذبح لكسور في أطرافه العليا، وجانبه الأيسر. وزُيّن الوجه بزخارف معمارية ودينية، إضافةً إلى أربعة أسطر من الكتابة العربية الجنوبية القديمة. فعلى الجانبين توجد زخرفة معمارية نُفّذت تنفيذاً بسيطاً، وتتمثل في مستطيلين عموديين منحوتين نحتاً غائراً فوق بعضهما. فالمستطيل السفلي مقسم إلى خمسة مربعات غائرة تشبه ما يعرف باسم النوافذ الوهمية (False Windows) والمستطيل العلوي ينقسم إلى مربعين غائرين يعلوهما مستطيل غائر يشبه ما يعرف باسم الباب الوهمي. (False Door) وهذه الزخرفة المعمارية قد تكون ذات مغزى ديني. وهي تُشاهد كثيراً على المذابح والمجامر الحجرية وموائد القرابين . بالإضافة إلى أنها موجودة في بعض المعابد في صرواح ومأرب وحجة. وترى جاكلين بيرين أن هذا النوع من الزخرفة مستلهم من الفن الفارسي (بيرين : ١٩٨٦ : ٢٠-٢١) . أما المساحة الوسطى من الوجه فقد قسمت قسمين متساويين ، علوي نُحت فيه شكل الهلال نحتاً بارزاً ، يرتكز على قاعدة مخروطية ، وهو رمز ديني للدلالة على المعبود القمر، وفوق الهلال ، في الطرف العلوي المكسور من المذبح ، يرجح وجود نحت لقرص الشمس [٦] ، وقسم سفلي تشغله أربعة أسطر من الكتابة العربية الجنوبية القديمة ، محفورة حفراً غائراً . ويحيط بالنقش من الجانبين شكل يشبه حرف الذال 𐩹 في الخط المسند ، غير أنه رُسِمَ بحجم كبير وواضح من أعلى النقش إلى أسفله ، ولا يدخل في عداد حروفه .

أبعاد المذبح

يبلغ ارتفاع المذبح الكلي ٣٨سم ، منها ١٨سم ارتفاع للجزء العلوي (المكعب) و ٢٠سم ارتفاع للجزء السفلي (القاعدة) . كما يبلغ عرض الجزء العلوي ٢١سم، في حين أن عرض القاعدة يتراوح ما بين ١٧.٥ - ٢١سم . أما سُمك الجزء العلوي فيبلغ ١٦.٥سم ، وسُمك القاعدة يتراوح ما بين ١٢.٥-١٣سم .


لوحة ٤ : واجهة المذبح الخلفية

النص على المذبح

نقل المبنى

١- ن هـ ي ت / ب ن / م ل ك

٢- م / هـ ق ن ي / ذ س م و ي

٣- ذ أ ذ ن ن /م ف ح م

٤- ن / ل و ف ي هـ و

نقل المعنى

١- نهية ابن مالك

٢- قرّب (أو أهدى للمعبود) ذي سماوي

٣- صاحب القوة والسلطة والسيادة (هذا) المذبح (محرق البخور)

٤- لسلامته (أو من أجل سلامته)

الحاشية

السطر الأول : *ن هـ ي ت* : اسم علم على شخص، وهو اسم صاحب المذبح . وقد ورد هذا الاسم سلفاً في النص السبئي CIH 434/14-15 (انظر أيضاً Harding : 1971: 603) والاسم مشتق من الجذر العربي ن هـ ي ، والنُّهيُّ : خلاف الأمر . والنُّهَى : العقل ، والنُّهْيَةُ : غاية كل شيء وآخره (الفيروز آبادي : ١٤٠٧ : ١٧٢٨) . ومن أسماء الإناث العربية نُهَى ، نُهْيَة ، نَهَيَّة ونُهَيَّة (الشمري : ١٤١٠ : ٦٧٣، ٦٧٤) .

م ل ك م : اسم علم على شخص على وزن فاعل من الجذر السامي المشترك *م ل ك* ، أي "مالك" ، والميم الأخيرة للتمييم . والعلم *م ل ك م* مشهود في النقوش السبئية مثل RES 4356/1 ، وكذلك في النقوش الحضرمية مثل RES 3250 /1 . ويرد هذا العلم بدون الميم في آخره أي *م ل ك* في نقش معيني غير منشور من براقش (al-Said:1995 : 43) وفي نقوش سامية أخرى مثل الصفوية والثمودية (Harding : 1971 : 565) والتدمرية (Stark : 1971 : 95) وبصيغة *م ل ك و* في الأرامية القديمة (Maraqten : 1988 : 178) والنبطية (الذييب : ١٤١٩ : ٢٩) .

السطر الثاني : *هـ ق ن ي* : فعل ماض مزيد بحرف الهاء في أوله في لغة النقوش السبئية ونقوش مدينة هرم ، يقابله حرف السين في لغة النقوش المعينية والقتبانية والحضرمية ، والهمز في اللغة العربية الفصحى (الصلوي : ١٩٩٤ : ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨) . ومعنى الفعل المزيد المشار إليه هو مقدم شيئاً إلى إله ، قرّب ، أهديز (بيستون : ١٩٨٢ : ١٠٦) .

ذ س م و ي : أو ذ س م ي يعني "الإله الذي في السماء" ويقصد به القمر . وهو يتطابق مع المعبود بعل سمين "رب السماء أو سيد السماء" الذي كانت عبادته منتشرة في وسط وشمال الجزيرة العربية (von Wissmann : 1964 : 10 ; Hofner: 1965 : 253). وقد عُرف بأنه معبود شعب أمير بدلالة ظهور إسمه في نصوص عدة مقترناً بعبارة *إل هـ / أم ي ر م* [٧] (كما في النصوص CIH528; RES 4144) ومعظم تلك النصوص تعود إلى فترات متأخرة[٨] ، وكانت عبارة عن نصوص تقدمات أو هبات أي نصوصاً نذرية ، وبعضها كانت نصوصاً مرافقة لقرابين مهداة للمعبود ذ س م و ي، وأُغلبها في شكل تماثيل جمال من البرونز وغيره ، طلباً لحمايتهم وحماية جمالهم وقوافلهم التجارية . (Hofner : 1965 : 527) وتقع منطقة أمير على الطريق التجاري القديم المعروف بطريق البخور بين الجوف ونجران . وكانت حياة سكانها يغلب عليها الطابع البدوي، وارتبطت معيشتهم بالتجارة من خلال ما يسوقونه من منتجاتهم أو ما يقدمونه من خدمات كتأجير الجمال لنقل البضائع ، أو العمل كأدِلاَّء للقوافل والعناية بالجمال فيها. ولذلك فإن من المرجح أن المعبود ذ س م و ي المنتشرة معابده إنتشار عابديه الأصليين في المراكز التجارية الكبرى هو حامي قوافل الجمال الحاملة للسلع التجارية (أنظر الصلوي :١٩٩٧ : ٢٦ ؛ بافقيه:١٩٩٤: ٣١) . وقد وُجدت جماعات من أمير في أماكن مختلفة في اليمن القديم لغرض التجارة ، وعبدت المعبود ذو سماوي في أماكن تواجدها ، كما أنها أقامت له المعابد هناك إلى جانب اعترافها بالمعبودات المحلية في تلك المناطق . (von Wissmann : 1964 : 136 - 147)

وتذكر نقوش جنوب الجزيرة العربية القديمة أسماء معابد كثيرة للمعبود ذ س م و ي داخل منطقة أمير وخارجها ، ومن تلك المعابد ب ق ر م ويقع قرب مدينة حنان (CIH 543) ، ب ي ن في مدينة هرم (CIH 533) *ك أ ب ت ن و م و ق ط ن* بالقرب من مدينة هرم (RES 4930 ; Fa 127) ، *م د ر ن* في وادي نجران



شكل ١: تفريغ لمذبح البخور والعناصر المنقوشة عليه من الجهة الأمامية

(RES 3902) . و ت ر ن في مدينة مأرب (CIH 519) . ي غ ر و في منطقة الشظيف . (Müller : 1978 : 115,125; 1/7,4/6 Kortler) كما أن لهذا المعبود معبد في مدينة يثل (CIH 547) . ومعبد في شعوب شمال مدينة صنعاء (Ja 512) ، ومعبد أخر ببرحة الصِّيرات في مدينة السوا بإقليم المعافر (عبد الله : ١٩٨٨ : ١٠٥-١٠٦) . وكما ذكرنا أعلاه فقد دون على جانبي النقش الرمز ℵ الشبية بحرف الذال في الخط المسند . وقد وجد هذا الشكل مرسوماً في نقوش أخرى تخص المعبود ذ س م و ي (مثل RES 4143 : ونقش اللوحة البرونزية من المعبد يغرو بالشظيف ، أنظر الصلوي : ١٩٩٧ : ٢٤) . وقد أطلق أ. جرومان (A. Grohmann) على هذا الرمز تسمية Doppelgriffel أي القلم المزدوج[٩]. والراجح أن هذا الرمز في النقوش التي تخص المعبود ذ س م و ي ، يمثل حرف الذال في الخط المسند ، وهو الحرف الأول من اسم المعبود المشار إليه . وفي هذا النص يمكننا ملاحظة ذلك بوضوح عند مقارنة الرمز ℵ ، الذي يحيط بالنص من الجانبين ، بالحرف الأول من اسم المعبود ذ س م و ي (أي حرف الذال عند الكتابة من اليسار إلى اليمين) ، حيث يظهر لنا التطابق التام بينهما في الشكل . في حين يرى القارئ أن حرف الذال في كلمة ذ أ ذ ن ن في السطر الثالث من النص ، قد رُسم بشكله المعروف عند الكتابة من اليمين إلى اليسار ℵ وحيث أن هذا النص مُقدم إلى المعبود ذي سماوي *(ذ س م و ي)* ، ويحيط به من الجانبين الرمز ℵ أو القلم المزدوج (رمز المعبود ذ س م و ي) ، والذي استخدم كثيراً مقترناً مع الرمز ℵ أو حزمة البرق في عصر مكربي سبأ (حتى ٤١٠ ق . م) ، فإن هذا المذبح يمكن أن يعود إلى الفترة من القرن الثاني إلى الأول ق . م (أنظر في هذا الشأن Hofner : 1970 : 300f) .

السطر الثالث : ذ أ ذ ن ن : ذ = ذو الاسم الموصول للمفرد المذكر بمعنى مالذيز ، والدال أيضاً على النسبة إلى المكان .

أ ذ ن ن : هذه الكلمة إما أن تكون اسماً لمعبد يخص المعبود ذ س م و ي . وبالتالي فإن هذا المفحم أو المذبح قُدِّم للمعبود المشار إليه في معبده ذ أ ذ ن ن . أو أن كلمة أ ذ ن ن لقبٌ للمعبود ذ س م و ي أي ذي السلطة أو القوة والقدرة (بيستون : ١٩٨٢ :٢) .

م ف ح م ن : اسم مفرد مُعَرّف بالنون في آخره ، على وزن مَفْعَل ، مشتق من الكلمة السامية ف ح م ومعناها "فحم". (von Soden : 1959 - 81 : 854 ; Koehler : 1967 - 90 : 973; Leslau : 1987 : 157).

وقد جاءت كلمة م ف ح م في النقوش العربية الجنوبية القديمة ، حيث نجدها في النقش Na 68 (نامي : 1943 : رقم 68) ، والنقشان المعينيان RES 3327/6 = M 306 (Robin : 1988 : 144) 8/4 , MAFRAY-Darb as-Sabi ، والنقش الحضرمي . Ba-Qutfah 1/4-5 (Pirenne : 1979 : 203-41). والمفحم نوع من أنواع مذابح التقدمات كنذور للمعابد في جنوب الجزيرة العربية ، يجعل عليها الفحم ويحرق فيها البخور . فهو في شكله عبارة عن مجمرة كبيرة (Muller : 1976 : 127) مكونة من جزئين ، علوي على شكل مربع أو مكعب مزينة واجهته بزخارف ذات دلالات دينية ، مكونة من أفاريز من النوافذ والأبواب الوهمية على الجانبين . وفي الوسط هلال يعلوه قرص الشمس على قاعدة مخروطية أو هرمية . وسفلي عبارة عن قاعدة شبه هرمية تتسع من أسفل وتضيق من أعلى . ويمكن مقارنة المفحم مع المجمر أو المجمرة من ناحية الوظيفة والمعنى ، فالمجمر أو المجمرة هي أيضاً عبارة عن وعاء يوضع فيه الجمر (أنظر Maraqten: 1994 : 168) .

السطر الرابع : *ل و ف ي هـ و* : أي لسلامته وخيره وعافيته . فاللام حرف جر تفيد الرجاء والدعاء . و ف ي اسم بمعنى "نجاة ، سلامة ، خير ، عافية" (بيستون : ١٩٨٢ : ١٥٨) ، - هـ و ضمير متصل للمفرد المذكر الغائب .

د. سالم بن أحمد طيران - قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص.ب ٢٤٥٦ - الرياض ١١٤٥١ - المملكة العربية السعودية

الهوامش

(١) لمزيد من المعلومات عن نبات اللبان واستخداماته الطبية والعطرية أنظر (الدبعي : ١٩٩٧ : ١٤٣) ، وكذلك (باذيب : ١٩٩٣ : ٢٨).

(٢) م ق ط ر في العربية الجنوبية القديمة بمعنى مقطر أو مجمره للبخور (بيستون : ١٩٨٢ : ١٠٩) ، والقُطرُ : العود الذي يُتبخرّ به ، والمِقْطَرُ والمِقْطَرَةُ : المِجْمَر (الفيروز أبادي : ١٤٠٧ : ٥٩٦) . قارن في الاكادية muqattertu "إناء بخور" (von Soden : 1959 - 81 : 674)، وفي العبرية miqtar "مذبح لحرق البخور ، مذبح بخور" . (Koehler : 1967-90 : 593).

(٣) م س و د ت : مذبح بخور . وهي كلمة على وزن مفعلة ، مشتقة من الكلمة اليمنية سود بمعنى مفحمز (الإرياني : 1417 : 452 : 116 : AL-Selwi : 1987) . قارن في الاثيوبية maswad وتعني "إناء بخور" . (Leslau : 1987 : 520).

(٤) م ج م ر : مذبح بخور ، على وزن مِفْعَل أو مِفْعَلة من كلمة جَمْرَة . الجمرْ : النار المتقدة . والمِجْمَرُ والمِجْمَرَةُ : التي يوضع فيها الجمر مع الدُّخْنَة (الفيروز آبادي : ١٤٠٧ : ٤٦٩) . وقد وردت كلمة م ج م ر على مذابح بخور عثر عليها في قرية الفاو مثل ف ٩ - ٢٥ ، ف ١٥ - ٢٣ .وهذه النقوش لازالت قيد النشر .

(٥) يوجد هذا المذبح حالياً في مستودع قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب / جامعة الملك سعود . وقد تم شراؤه من أحد تجار الآثار قبل نحو خمسة عشر عاماً أو يزيد .

(٦) الهلال والقرص من الرموز الدينية المعروفة والمنتشرة منذ زمن بعيد ليس في جنوب الجزيرة العربية فحسب ، بل في منطقة الشرق الأدنى كلها . فقد كان رمز الهلال والقرص منتشراً في سبأ وقتبان وحضرموت على نطاق واسع . وظهر على النقوش الحجرية التي تعود إلى فترة المكربين . وعادةً ما يوجد هذا الرمز وبشكل كبير على المذابح إما منفرداً أو مع عناصر زخرفية أخرى ، إضافةً إلى وجوده على المسلات الحجرية وبعض التماثيل البرونزية ، وعلى كثير من القطع الأثرية المختلفة كالعملات والتمائم والدلآيات وغيرها. ويرجح أن هذا الرمز له في جنوب الجزيرة العربية دلالة دينية قُصد بها المعبود القمر والمعبودة الشمس . ويؤيد ذلك ما ذكره المؤرخ اليمني الهمداني في وصفه للمحافد والقصور في اليمن ، حيث يقول أن قبالة قصر رئام ومدر حائط فيه بلاطة فيها صور الشمس والهلال ، فإذا خرج الملك وقع بصره عليها ، فيضع راحته تحت ذقنه ثم يخر بذقنه عليها (الهمداني : ١٤٠٧ : ١٢٩ ، ١٦٥) . ويرى أ. جرومان أن هذا الرمز ربما دلّ على القمر أو الشمس أو الاثنين معاً ، أو أن أحدهما مرتبط مع الأخر بالتبعية (Grohmann : 1914 : 48) ؛ وهذا الرأي الأخير هو ما ترجحه ماريا هوفنر . (Hofner : 1965 : 516)

(٧) لا ترد هذه العبارة في اللوحات البرونزية العائدة إلى المعبد ذي يغرو في منطقة الشظيف ، ولذلك فإن هذه العبارة كما يقول محمد بافقيه ربما كانت قاصرة على نقوش معابد ذي سماوي خارج بلاد أمير الأصلية ، ويستخدمها غير الأميريين حين يتقربون إلى ذي سماوي في معابدة تلك (بافقيه:١٩٩٤: ٣١).

(٨) ذهب العلماء إلى أن اسم المعبود ذ س م و ي ظهر مع بداية ظهور الديانات التوحيدية في اليمن قبل الإسلام ، إلا أن وجود نصوص نذرية يتقرب أصحابها من خلالها لهذا المعبود في منطقة همدان ، بالإضافة إلى نصوص أخرى متزامنة معها قُدمت لمعبود همدان الخاص تألب ريام ، يؤكد أن اسم ذ س م و ي ظهر في فترة بعيدة لم تكن النزعة نحو عبادة إله واحد وخاصة في سبأ قد بدأت بعد (أنظر الجرو :١٤١٩ : ٢٢٦) .

(٩) أشار جرومان إلى أن حرف الذال ذا الشكل الشبيه بالسلم يطابق ما يعرف بالقلم المزدوج للمعبود البابلي نبو (Grohmann : 1914 : 30f) ونبو هو إله الكتابة والحكمة والمعرفة عند البابليين . وقد عُرف في التوارة ، وفي اللغة اليونانية باسم نبو . وهو إبن الإله مردوخ ، وكان له معبد في مدينة بورسيبا المجاورة لمدينة بابل . وبصفته إله للكتابة والمصير فقد كان يحمل الواح الكتابة والقلم (أنظر إ د زارد : د . ت : ١٣١ - ١٣٢) . ويرى إبراهيم الصلوي أن هيئة هذا الرمز على شكل سلمّ تدعو إلى الافتراض بأنه يرمز إلى السبيل للصعود إلى المكان العالي للمعبود القمر أو إلى المكان العالي الموجود فيه المعبود وهو السماء (أنظر الصلوي : ١٩٩٧ : ٢٨) .

الاختصارات

CIH = Corpus Inscriptionum Semiticarum IV
DSAWW = Denkschriften der kaiserlichen Akademie der wissenschaften in wien
NESE = Neue Ephemeris fur Semitische Epigraphik
PSAS = Proceedigs of the Seminar for Arabian Studies
RAA = Gese,H.- Hofner, M. - Rudolph, K., Die Religionen Altsyriens, Altarabiens und der Mandaer, Stuttgart, 1970 .
RES = Repertoire d Epigraphie Semitique
SEG = Sammlung Eduard Glaser

المراجـــع

أولاً : المراجع العربية

إدوارد . د. . م. هـ . بوب . ف . رولينغ (د. ت) **قاموس الآلهة والاساطير** تعريب : محمد وحيد خياطة ، حلب ، دار مكتبة سومر.

الإرياني ، مطهر علي ، ١٤١٧هـ ، **المعجم اليمني - أ- في اللغة** والتراث، دمشق ، دار الفكر .

اسكوبي، خالد محمد، سيد رشاد أبوالعلا،١٤٠٥هـ"حفرية ثاج الموسم الثاني ١٤٠٤هـ/١٩٨٤". **أطلال** ، ٩ : ص ص ٣٧-٥٣.

الأنصاري، عبد الرحمن الطيب ١٤٠٢هـ، **قرية الفاو، صورة للحضارة العربية قبل الاسلام في المملكة العربية السعودية**، الرياض. عمارة شئون المكتبات جامعة الرياض.

باذيب، علي سالم ١٤١٤هـ **النباتات الطبية في اليمن** ، صنعاء، مكتبة الإرشاد .

بافقيه، محمد عبد القادر، ١٩٩٤م، ذو يغرو وأمير وحنان في ضوء النقوش ، في كتاب :

Arabia Felix : Beitrage zur Sprache und des Kultur vorislamischen Arabien; Festschrift Walter Muller zum 60. Geburtstag. Hrsg PP. 21 - 38Von Norbert Nebes. Wiesbaden

بيرين ، جاكلين ١٩٨٦م "الفن في منطقة الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام ، **دراسات يمنية** ، العددان ٢٣،٢٤: ١٦-٤٢ .

بيستون ، أ. ف . ل. ، محمود الغول ، والتر موللر ، جاك ريكمانز ١٩٨٢م **المعجم السبئي** ، بيروت ، لوفان الجديدة، مكتبة لبنان ودار نشريات بيترز .

التمامي، منيرة حمد ١٤١٩هـ، مجامر قرية الفاو، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود.

الجرو ، اسمهان ١٩٩٨م ،"الفكر الديني عند عرب جنوب شبه الجزيرة العربية (الألف الأول قبل الميلاد وحتى القرن الرابع الميلادي)" **مجلة أبحاث اليرموك** ، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ١ ، (١٤): ٢١٩ - ٢٥٠ .

الدبعي ، عبد الرحمن سعيد ، عبد الولي أحمد الخليدي١٩٩٧م، **النباتات الطبية والعطرية في اليمن** ، صنعاء ، مركز عبادي للدراسات والنشر .

الذييب ، سليمان بن عبد الرحمن ١٤١٩هـ **نقوش الحجر النبطية** ، الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية .

الشمري ، هزاع بن عيد ١٤١٠هـ **جمهرة أسماء النساء وأعلامهن** ، الرياض ، دار أمية للنشر والتوزيع .

الصلوي ، إبراهيم محمد ١٩٩٤م "ظواهر لغوية في لهجات اليمن القديم ، دراسة من خلال النقوش والمصادر العربية"، **مجلة كلية الآداب** ، جامعة صنعاء ، العدد ١٧ ، : ٥٣ - ٧٧ .

الصلوي ، إبراهيم ١٩٩٧م ،"نقش جديد من نقوش الاعتراف العلني ، دراسة في دلالاته اللغوية والدينية"، **مجلة كلية الآداب** ، جامعة صنعاء ، ٢٠ : ٢٢-٤٥.

عبد العليم، مصطفى كمال ١٤٠٤هـ "تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني"، **دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الجزيرة العربية قبل الاسلام، الكتاب الثاني**، ٢٠١-٢٣١.

عبد الله ، يوسف محمد ١٩٨٨م "مدينة السوا في كتاب الطواف حول البحر الأريتريز"، ريدان ، ٥ : ١٠١ - ١١٣ .

عبدالله ، يوسف محمد ١٤١١هـ ، **أوراق في تاريخ اليمن وآثاره**، بحوث ومقالات ، بيروت ، دار الفكر المعاصر.

عقيل، عزة علي ،جان فرنسوا بريتون ١٩٩٦م **شبوة عاصمة حضرموت القديمة** نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية ،المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ،صنعاء.

غلاب ، محمد السيد ١٤٠٤هـ ،"التجارة في عصر ماقبل الاسلام"، **دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الجزيرة العربية قبل الاسلام**، الكتاب الثاني ١٨٩-٢٠٠.

الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ١٤٠٧هـ ، **القاموس المحيط** ، بيروت ، دار الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

المغنم، علي صالح ١٤٠٩هـ "تقرير مبدئي عن نتائج حفرية جنوب الظهران، الموسم الرابع ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م"، **أطلال** ، ١١ : ٩-٣٦.

نامي ، خليل يحيى ١٩٤٣م **نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها** ، القاهرة .

الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب ١٤٠٧هـ ، **الإكليل** ، الجزء الثامن ، في محافد اليمن ومساندها وقصورها ومراثي حمير والقبوريات ، بيروت ، منشورات المدينة .

ثانيا : المراجع غير العربية

Cleveland, Ray L. 1965. **An Ancient South Arabian Necropolis,** The Johns Hopkins Press, Baltimore,

Corpus Inscriptionum Semiticarum, 1889. 1911. 1929, Pars quarta.Inscriptiones himyariticas et sabaeas continens. Tomus I. II. III. Paris.

Grohmann, A. 1914. **Gottersymbole und Symboltiere auf sudarabischen Denkmalern,** (DSAWW 58/1. Abh.), Wien.

Harding, G. L. 1971. **An Index and Concordance of pre-islamic Arabian Names and Inscriptions,** (Near and Middle East Series, 8), Toronto.

Hofner, M. 1965. "Sudarabien", **Worterbuch der Mythologie I,** Hrsg. von H. W. Haussig, Stuttgart.

Harding, G.L; 1970. "Die Vorislamischen Religionen Arabiens" **RAA**, PP. 234-420 .

Jamme, A. , 1962, **Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib)**. Publications of the American Foundation for the Study of Man. Vol. III, Baltimore.

Koehler, L. and W. Baumgartner, 1967 - 1990, **Hebraisches und aramaisches Lexikon zum Alten Testament,** Leiden.

Leslau, W. 1987. **Comparative Dictionary of Ge c ez** (Classical Ethiopic), Wiesbaden.

Maraqten, M. 1988. **Die semitischen Personennamen in den alt-und reichsaramaischen Inschriften aus Vorderasien** (Texte und Studien zur Orientalistik 5), Hildesheim.

Maraqten, M. 1994. "Typen altsudarabischer Altare", **Arabia Felix** : Beitrage zur Sprache und kultur des vorislamischen Arabien; Festschrift Walter Muller zum 60. Geburtstag. Hrsg. von Norbert Nebes, Wiesbaden, PP. 160 - 177.

Muller, W. W. 1976. "Notes on the use of Frankincense in South Arabia", **PSAS** 6 : 124-136.

Muller W.W., 1978. "Sabaische Felsinschriften von der jemenitischen Grenze zur Rube al-Hali" **NESE** 3: 113-136.

Pirenne, J. , 1979, "L'apport des inscriptions a l' interpretation du temple Ba-Qutfah", **Raydan** 2 : 203-241.

Repertoire d'epigraphie semitique publie pat la commission du Corpus inscriptionum semiticarum. Tome I, 1900-1905, Tome II, 1907-1914, Tome V, 1929. Tome VI, 1935. Tome VII, 1950, Tome VIII, 1968. Paris.

Robin, Ch. , J.F. Breton and J. Ryckmans, 1988. "Le sanctuaire mineen de nkrh a Darb as-Sabi (environs de Baraqis), Rapport preliminaire, seconde partie : Etude des inscriptions, **Rydan** 5 : 91-144.

Al- Said, S.F. 1995. **Die Personennamen in den minaischen Inschriften**, Wiesbaden.

Stark, J.K., 1971. **Personal Names in Palmyrene Inscriptions,** Oxford.

Von Soden, W. 1959-81, **Akkadisches Handworterbuch.** Unter Benutzung des lexikalischen Nachlasses von Bruno Meissner, Wiesbaden.

Von Wissmann, H. 1964. **Zur Geschichte und Landeskunde von Alt-Sudarabien,** SEG III, SBAWW 246, Wien.

صناعة الطين المفخور في قرطاج

محمد فنطر

ملخص: تتناول هذه الدراسة الوصفية صناعة الطين المفخور في تونس على عهد قرطاج والفنيقيين وذلك من نهاية الألف الثانية إلى سنة ١٤٦ قبل الميلاد مع تمهيد يشير إلى ظهور تلك الصناعة في تونس وتطورها عبر العصور.

لقد تأثرت صناعة الطين المفخور في تونس بالحضارات التي عايشتها وزامنتها وبتلك التي أتى بها التجار والغزاة وغيرهم ممن كان الحوار معهم ثرياً خصيباً. فالطين المفخور يروي التاريخ لأنّ أشكاله تستجيب لحاجات كل عصر وكل جيل، ويتأقلم مع أذواقهم بأبعاده وأحجامه وزخرفته. إن ملامح الفخار تتجاوب مع الحضارات والشعوب. فنجد الفخّار الفنيقي البوني، والفخّار الأفريقي، والفخّار العربي الإسلامي. ولكل فصيلة أوصاف ومواصفات، مع العلم أنّ الأشكال والأحجام والزخارف كلّها عناصر يفرزها المحيط وتختفي غالباً باختفاء الظروف التي أفرزتها.

تعجّ المتاحف والمخازن التونسية بمجموعات فخارية متأتية من مواقع أثرية عديدة مختلفة، وتتوزع على معالم مدنية ودينية وجنائزية، على أن للمدافن نصيب الأسد، وهي التي متّت بأوفر المجموعات وأسلمها. وتجدر الإشارة هنا إلى مدافن بونية عديدة تمّ العثور عليها بالوطن القبلي. استخدم الفاخوري الطين، واستخدمه المثّال لتسوية دمى بعضها متّصل بالدين وبعضها يصوّر مشاهد من الحياة اليومية. هذا وقد تناولت الدراسة أيضاً تزويق الأوعية والدمى مع محاولة تصنيف عناصر المصورة وتوريخها والتعريف بأصولها ومظاريفها، ومنها إشارة إلى صنف من الأباريق يتحلى الواحد منها بعينين تحفّان بالبلبلة مرسومتين بطلاء أحمر، فبالعينين اللتين تحفان بها يبدو الإبريق كطير جارح يجلّي ، فهي صورة تشد الناظر وتلهيه عن التنجّؤ أو قل تتصدى لمن قد يكون نجؤ العين.

هكذا يلج بنا الطين المفخور إلى عديد الفضاءات القرطاجية دينية كانت أو دنيوية. فهي دراسة تستهدف أساساً التعريف بما لهذا القطاع من أهمية لدراسة الحضارة البونية في تونس. إنها مواد نريد لفت نظر الدارسين إليها حتّى يعتبروها وتستفيد منها البحوث التاريخية.

Abstract. *This descriptive study deals with ceramic industry in Tunisia during the periods of Carthage and the Phoenicians from the end of the second millennium to 146 BC. The paper includes an introduction to describe the appearance and development of this industry in Tunisia through the ages.*

Tunisian ceramic industry had been influenced by its contemporaneous civilizations and imported ceramic objects brought in by traders as well as invaders and others who were involved in active dialogue and exchange with the region. Ceramic throw light on the history from the pottery shapes used during different periods. The taste of the people is reflected from the dimensions and decoration on the ceramic objects.

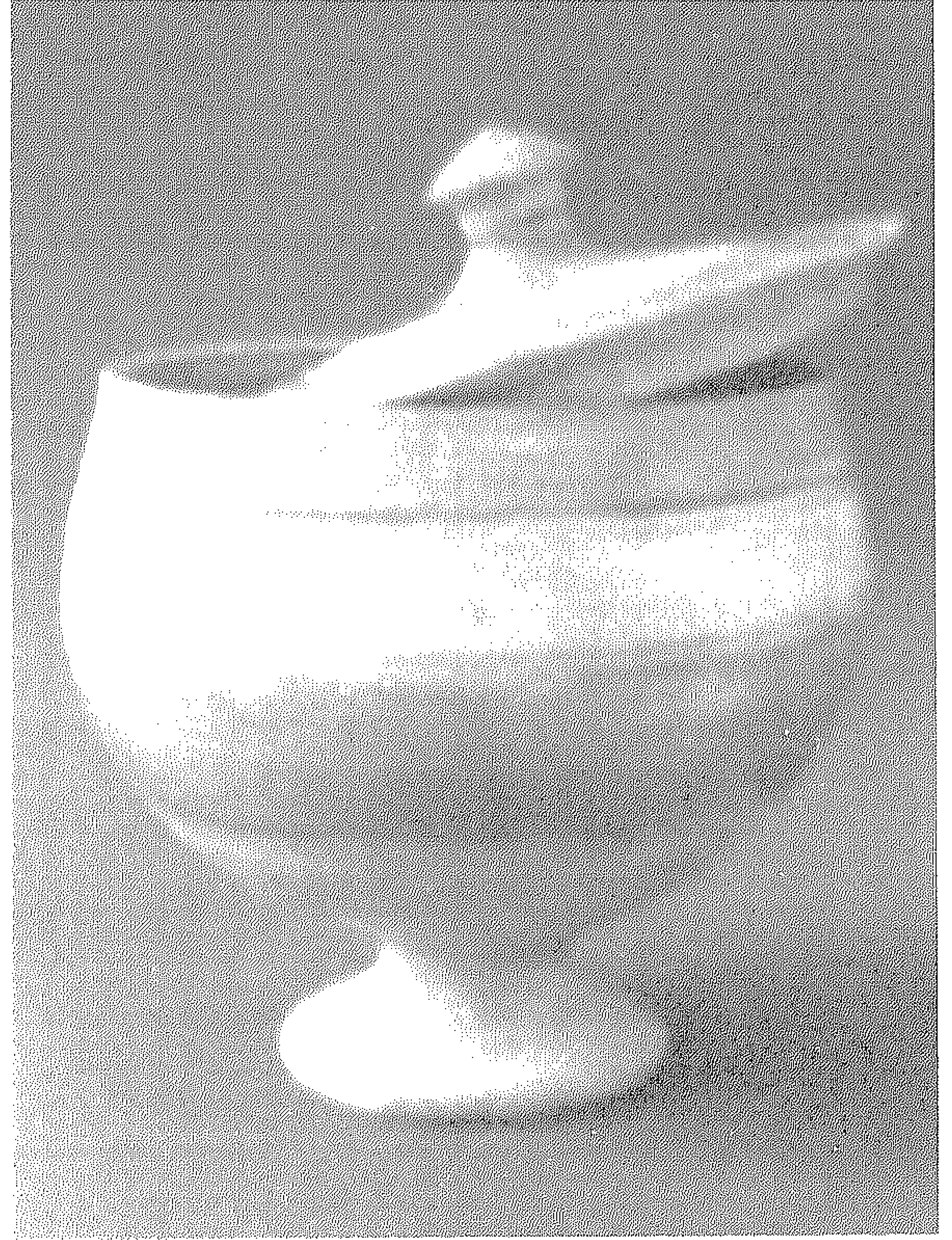
Ceramic aspects correspond with civilizations and nations. For instance, we find Punic-Phoenician ceramic, African ceramic and Arab-Isalmic ceramic works. Each types of these, is distinguished by its own characteristics and qualities. However, shapes, sizes and decorations were elements that were derived from the milieus and they often disappear when the conducing factors were no more extant. Tunisian museums and stores are abundant with different categories of ceramic works that were gathered from different archaeological sites and were equally attributed and distributed among different civil, religious and funerary monuments. However, we find that most ceramic objects have been collected from the tombs where complete pieces were mostly found. It is noteworthy to state here that many Punic tombs were found in the inland areas (south). Ceramic was often used by the potter to make figurines, of which some had religious themes whereas, others were depicting scenes of daily life within the house, street etc. ... The study also examines decorative works of ceramic vessels and figurines in an attempt to analyze the elements of its pictorial drawings and to identify its chronology, origin and development. Reference is made to one jug that was decorated with two eyes surmounting the rim of the pot. The two eyes were painted in red making the front of the jug to resemble a gazing predatory wild bird. The picture would draw the attention of an evil-eye spectator and would prevent him from afflicting an envious act.

The study reveals that, ceramic works were involved in many Carthaginian religious and non-religious themes. The core of the study is to underline the significance of this aspect in studies of Punic civilization of Tunisia. This material may attract the attention of researchers to identify its significance in historical studies.

العدد الأول شوال ١٤٢٠ هـ - يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٠ م
(ص ص ٥٩ - ٧٠) ردمد : ٨٩٤٧ - ١٣١٩

ظهور الفخار

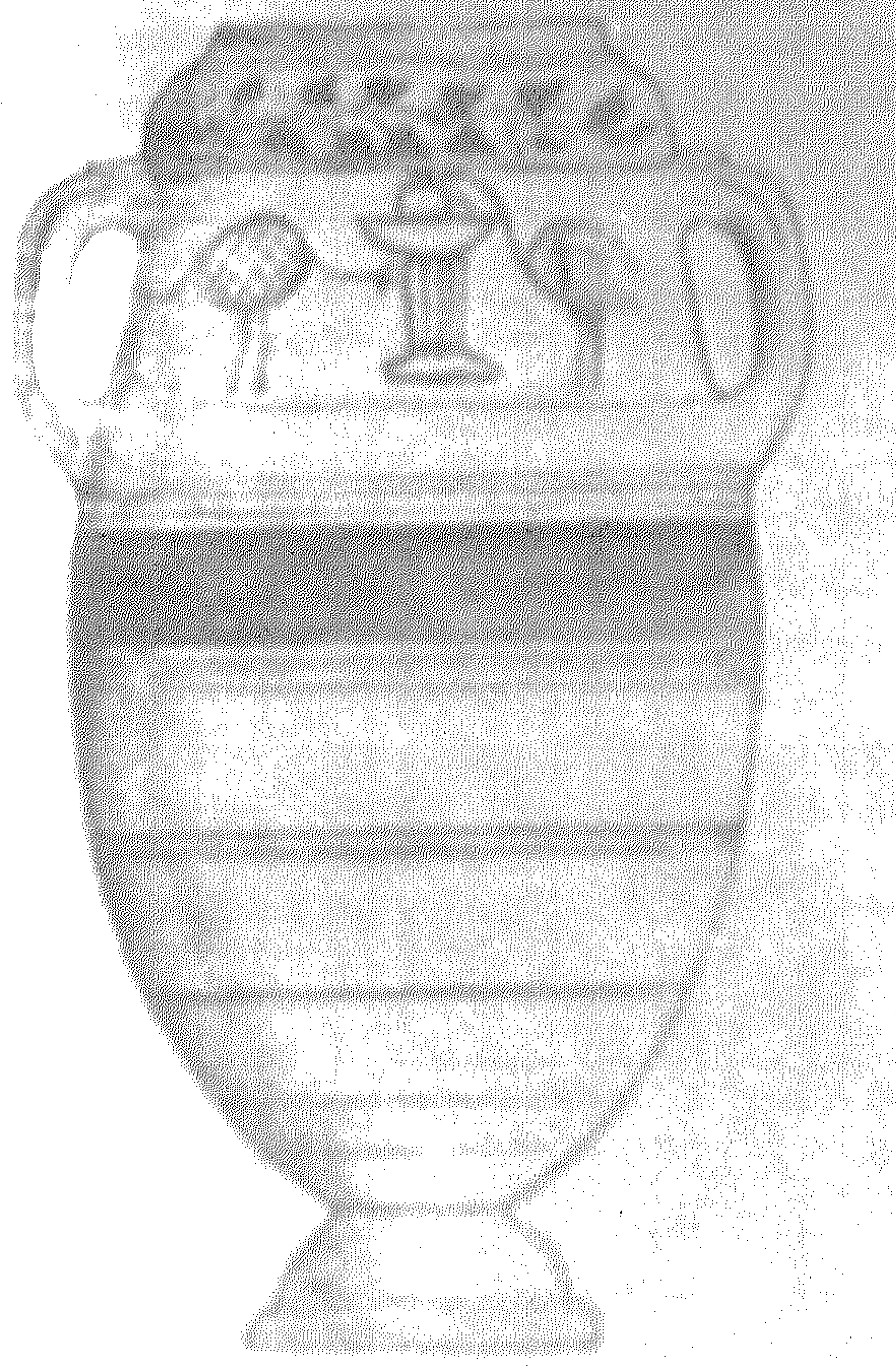
الفخار من مميّزات العصر الحجري الحديث فهي صناعة لم تعرفها العصور الحجرية القديمة. ويمكن أن نقول بالتالي إنّ تونس مارست صناعة الفخّار منذ الألف الرابعة قبل الميلاد، وذلك يعني أن عمر الفخار فيها ينيف عن سبعة آلاف سنة. ولا شكّ أنها في البداية كانت متواضعة من حيث تقنيتها ومن حيث أشكالها وأحجامها وزخارفها (خارطة ١).



لوحة ١ : ثبنة عُثر عليها في أحد القبور القرطاجية متحف قرطاج (القرن السادس ق.م)

كانت خطواتها الأولى مع أوعية من طين مجبول تسوّى باليد وبدون دولاب. وتشوى في تنور عادي غير مخصوص لها من حيث شكله وتقنيته. ثم تطورت هذه الصناعة واستفادت من تراكم التجارب من حيث تسويتها ومن حيث شيّها ويتجلى ذلك في:

١. استعمال الدولاب: أصبحت الأوعية تصنع باليد وبالدولاب مما أضفى على أشكالها ثراءً وجمالاً.
٢. تفخر الأوعية في تنّور مخصوص لذلك مما يكسبها جملة من المواصفات تستجيب إلى ما قد يطلب من الوعاء من أناقة وسلامة.
٣. يضاف إلى ما سبق نقاوة في الطينة وزخارف تكون محفورة في بشرة الوعاء، أو مطلية ترسم عليها صور مختلفة قد تكون آدمية أو حيوانية أو نباتية أو هندسية، فضلاً عن رموز أخرى تقتبس من المحيط.



لوحة ٢ : أنفوره قرطاجية تحلّت بزخارف استوحاها الرسّام من عوالم الحيوان والنبات والهندسة، متحف قرطاج (القرن الرابع ق.م)

وثابت أن الطين المفخور في تونس تأثر بالحضارات التي عايشتها وزامنتها وبتلك التي أتى بها التجار والغزاة وغيرهم ممن كان الحوار معهم ثريّاً خصيباً، وعلى هذا الأساس ترى الطين المفخور يروي التاريخ لأن أشكاله تستجيب لحاجات كل عصر وكل جيل، ويتأقلم من حيث أبعاده وأحجامه وزخرفته. إن ملامح الفخار تتجاوب مع الظروف والحاجات والأذواق. فنجد الفخار الفنيقي

البوني، والفخار الأفريقي، والفخار العربي الإسلامي، ولكل فصيلة أوصاف ومواصفات، مع العلم أن الأشكال والأحجام والزخارف كلّها عناصر يفرزها المحيط وتختفي غالباً باختفاء الظروف التي أفرزتها.

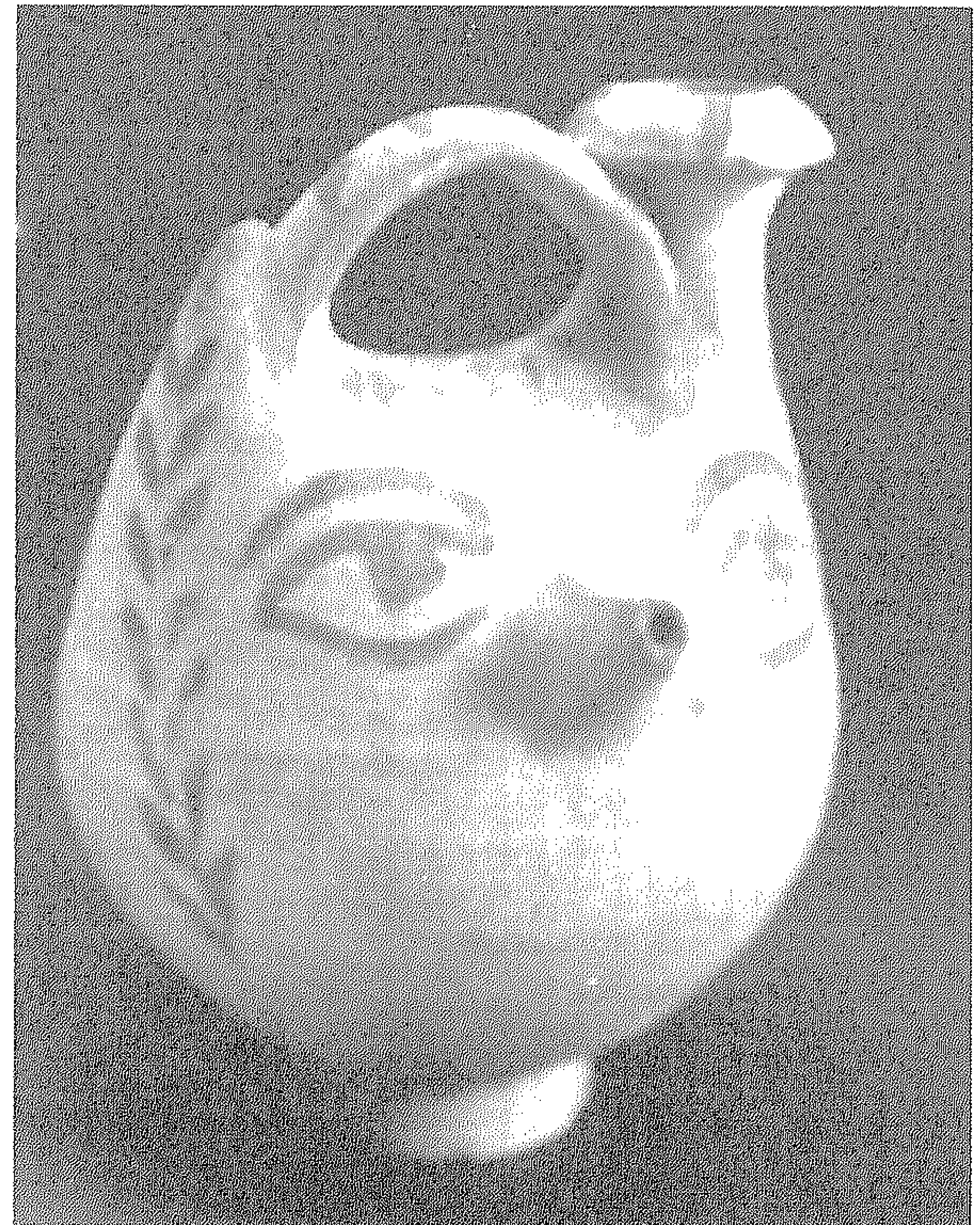
فالحباب(٧) وهي أوعية ضخمة فطحاء تستخدم لخزن الحبوب والزيوت وغيرها أخذت طريق الاختفاء. وكذلك الشأن بالنسبة للخوابي والأزيار، على أن الطين المفخور تجاوز حدود الحياة اليومية وماديتها، أو قل تجاوز الحلّ ليدخل عالم القدس، أي عالم القوة التي أوحت بالأديان وأملت المعتقدات حتى ترى الإنسان يسعى إلى رضاها مستدرّاً عطفها مهجوساً بها. فمن الطين المفخور سوّيت دمى لها وظيفة دينية قد يقف عليها المؤرخ وقد يتيه في البحث عنها، هذا ومن الدمى ما لا يتجاوز حدود الحلّ بل تراها تعكس الواقع المعيش.



لوحة ٤ : دمية من طين مفخور تمثل المعبودة عشترت في صورة الحسناء القرطاجية، متحف قرطاج (القرن السادس ق.م)

الأوعية الفنيقية البونية

يمتد تاريخ الفخّار الفنيقي البوني في تونس من نهاية الألف الثانية إلى ما بعد سقوط قرطاج سنة ١٤٦ قبل الميلاد، على أنّ أقدم الأوعية التي يمكن معاينتها لا تتعدّى اليوم حدود القرن الثامن قبل ميلاد المسيح. وتواصلت بعض الأوعية البونية إلى ما بعد الغزو الروماني بل نجد اليوم في الأسواق ما قد يشبه بعض الأوعية البونية. ولكن فلنبق في ما بين القرن الثامن والقرن الثاني قبل الميلاد. (Cintas, 1950.)



لوحة ٣ : أسكوس في شكل وطبة لها بلبلة حُفّت بها عينان تتصدّى لعين الحسود، متحف قرطاج (القرن الثاني ق.م)

إنها مجموعة لا تحصى عدداً وقد انتشرت في غالب أقطار البحر المتوسط لا سيما في المناطق التي كانت ضمن الامبراطورية القرطاجية أو ضمن فضاء نفوذها الاقتصادي الثقافي. فتجد الفخار الفنيقي البوني في مختلف الأقطار المغاربية وفي سردينيا وصقلية وجنوب أسبانيا وجزر البليار.

لقد اهتمّ آثاريون مختصون بالفخّار الفنيقي البوني فتناولوه بالجمع والوصف والتصنيف والتأريخ حتى

أصبح مادة يعتني بها المؤرخون لأنها دليل يضيء طريق البحث عن قرطاج وحضارتها. فكم من كتاب وكم من دراسة حول الفخار الفنيقي البوني! بل



لوحة ٥ : معبود البحر في المخيال الفنيقي البوني، متحف كركوان (القرن الثالث ق.م)

توجد دواوين خصّصت لرصد الأشكال والأحجام والزخارف مع البحث عن أصولها وضبط تواريخها وعجم زخارفها دون إغفال ذكر مصادرها. فيتسنى للباحث رسم خرائط مختصة للأشكال والعصور، فهذه للأباريق[١]، وتلك للسّرج أو للحبّاب والدّوارق، مع العلم أن لكل فصيلة من هذه الفصائل أشكالاً عديدة تمّت ملاحقتها جغرافياً وزمنياً. فتبيّن أنّ للجهة أشكالها المفضّلة. وقد لا يكتفي المؤرخون بالتحقيق الوضعي بل يتجاوزونه بحثاً عن الأسباب والأهداف ويكون ذلك بطرح السؤال ومحاولة الجواب: لماذا هذا الشكل منتشر؟ ما وراء هذه الزخارف التي رسموها على بطن هذه الوطبة[١٨]؟ ما الظروف التي أنجبت هذا الوعاء؟ وهناك أسئلة أخرى كبيرة!

الفخّار الفنيقي البوني

إن المجموعات الفخارية المتوفرة والتي تعجّ بها المتاحف والمخازن متأتية من مواقع أثرية عديدة مختلفة وتتوزع على الفضاءات الثلاثة: معالم مدنية، ومعالم دينية، ومعالم جنائزية، على أن للمدافن نصيب الأسد، وهي التي منت علينا بأوفر المجموعات وأسلمها. وتجدر الإشارة هنا إلى مدافن بونية عديدة تم العثور عليها بالوطن القبلي أذكر منها مدافن منزل بوزلفة وبني خيار وقربة ولبنة ومنزل الحر ومنزل تميم وسيدي جمال الدين وقليبية وكركوان والهوارية... وقد تطول القائمة.

ومن الفضاءات المقدسة التي مكنت الآثاريين من مجموعات فخارية تتميز بأشكالها وأصنافها تجدر الإشارة إلى قدس[١٢] "بعل" في قرطاج وهو الذي سمّوه توفاة، إسوة بقدس شبيه به ورد ذكره في التوراة. أما عن المعالم المدنية، فممّا تم التقاطه أثناء تجلية الأحياء البونية بقرطاج وكركوان نشير إلى كميات من الكسر التي ما زالت تذكر الأوعية التي إليها تنتسب: فهذه



لوحة ٦ : صورة معبود فنيقي جوني طلته بشريةٌ وتَشَتُّ رِجْلاَه كالشيق في اليَم ، متحف كركوان (القرن الثالث ق.م)

عرى مختلفة الشكل والحجم والمصدر وهذه شظايا من بطون أوعية من طين مفخور. إنها عديدة الأشكال والأحجام والوظائف والزخارف بعضها مغلق كالجرّة والدورق والإبريق (لوحة ٧)، وبعضها مفتوح كالصحن والكوب والقصعة والجفنة والناجود[١٧] (cratère) والقدر- والثبنة (لوحة ١).

التماثيل والدّمى

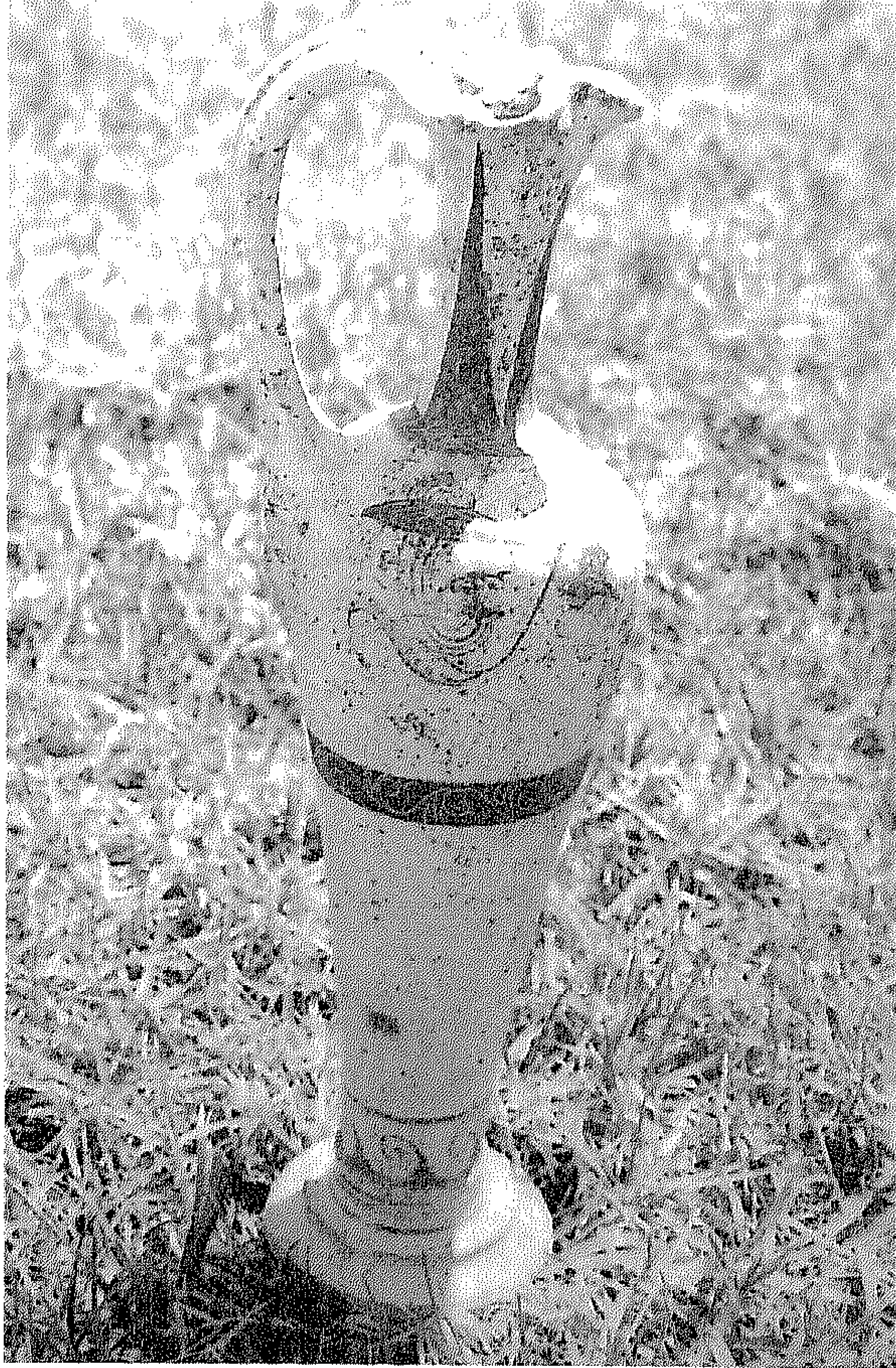
إن الدمية صورة آدمية أو حيوانية من طين مفخور سمّيت كذلك لأنها تحكي الإنسان أو الحيوان (والاسم من مادة دمى التي تحتوي على معنى المشابهة) وقد تكون الصورة ثلاثية الأبعاد وقد تكون من ذوات البعدين ترسم بالقالب حتى تبدو كالنقوش البارزة (لوحة ١١). كانت الدمى معروفة لدى مختلف الحضارات شرقاً وغرباً وقد جاء في القرآن الكريم: (خَلَقَ الإنسان من صلصال كالفخار) سورة الرحمن، آية ١٤.

معلوم أنه تمّ العثور على مجموعات وفيرة من هذه الدمى والرسوم البارزة نجدها في المتاحف التونسية والإيطالية والإسبانية وغيرها، ولا شكّ أنها تتوزع على القدس والحلّ [٨]، ومعنى ذلك أنّ لبعضها علاقة متينة بالآلهة والعقائد وذاك عالم القدس (لوحة ١٠) ومنها ما لا يتجاوز حدود الحياة الدنيوية لأنها تتعلق بحياة الإنسان في محيطه اليومي العادي المادي وذاك هو عالم الحلّ. فلقد صوّر المثّال، وهو صانع الدّمى، المرأة في بيتها تصنع الخبز، أو تحمل الجرّة على كتفها لتتزود ماء من العين أو من الصهريج أو من البئر. وهذا مؤدّب وذاك ممثّل.

ثم لا ننسى أن الفاخورة تنتج الآجر للتبليط بأشكاله وأبعاده المختلفة كالمستطيل وسداسية الأضلع والمعينات. وسخرت الفاخورة لصنع القذائف لتزويد الجيش بالذخيرة وعثر على كميات منها بيضوية الشكل في مواقع الرّماة وكانت الفاخورة تستجيب لبعض الحرف كالصيد البحري، والحياكة ومن ذلك مثاقيل عديدة مختلفة.

أما عن الآلهة والآلهات وعما يتعلق بالقوة الخفية فقد يطول الحديث عنها، فهذا بعل حمّون وقد استوى على عرش محفوف بسفنكسين[٩] ولعله كان يمسك صولجاناً، إشارة الآلهة والملوك (لوحة ٨). وهذه دمية من طين مفخور تصور الإلهة تانيت الحاضنة فتراها تمهر الرضيع بثديها والابتسامة على ثغرها مخلّدة.

أما عن الرسوم البارزة فلا بدّ من إشارة إلى إله البحر كما تصورّه المخيال الشعبي وكما صوّره المثّال بالقالب قبل أن يسلّمه إلى التنور (لوحة ٩) لتضفي عليه ناره قوة وصلابة (لوحة ٥). وكان إله البحر عندهم يمتطي صهوة جواد بحري له طلة[١٠] آدمية وينتهي جسمه بذيل سمكة (لوحة ٦). وفي معبد ريفي عثر على أطلالة في ضواحي بئر بورقبة صوّر إلهة مهرها برأس لبوة ولعلها تجسّد قوة تتولى تطهير الفلوات من الضواري حتى يتمكن الإنسان من غزوها واستغلالها سعياً وراء حياة أفضل. أما الأقنعة فكانت لزجر الشياطين. (Chèrif, 1997.)



لوحة ٧ : إبريق من طين مفخور، متحف قرطاج (القرن الرابع ق.م)



لوحة ٨ : بعل حمّون، متحف باردو (القرن الأول ق.م)

الفاخورة الفنيقية البونية

ينطلق الحديث عن الفاخورة الفنيقية البونية من أطلال بقيت في بعض المواقع ومن أهمها فاخورة قرطاجية كانت تشتغل لمّا داهمها الجيش الروماني تحت إمرة شبيون إيمليانوس في نهاية الحرب البونية الثالثة سنة ١٤٦ قبل الميلاد. لقد كشف الغطاء عنها الآثاري الفرنسي بول جوكلير P. Gauckler وتعرف في الكتب والدراسات بفاخورة درمش ولقد وصفها مكتشفها في تأليف له نشر تحت عنوان مدافن بونية سنة ١٩١٥ (Gauckler, 1915.) وتحدثت عنه السيدة كولات بيكار في دليل حول أطلال مدينة قرطاج نشرته في باريس سنة ١٩٥١. وتوجد أطلال فاخورات بونية أخرى في مدينة كركوان وفي صقلية على أننا ما زلنا نترقّب دراسة مونجرافية تتناول الفاخورة الفنيقية البونية بالدّرس المستفيض حتى يتمكن المؤرخون المهتمون بشؤون الحضارة القرطاجية من معرفتها والوقوف على عناصرها الأساسية بدءاً بالطين ووصولاً إلى التنور. وللفاخورة البونية لواحق للعرض والخزن والفرز ولكل ما تستوجبه الأوعية والدمى والأقنعة وغيرها مما يصنع في الفاخورة من إضافات كالتزويق مثلاً.

تزويق دمى الطين المفخور

أخرج الآثاري الفرنسي ألفريد مرلين دمية من طين مفخور مزوّقة وجدها في قبر قرطاجي فلنستمع إليه يصف لقيته: مبين جانب التابوت الأيمن وجدران الغرفة الجنائزية، انتصبت قبالة المدخل دمية كبيرة طولها ثلاثة وثلاثون سنتمتراً وقد احتفظت تقريباً بكامل تزاويقها الطريفة (لوحة ٤). وقد تمثل هذه الدمية الهة في وقفة طقوسية (Merlin, 1920. P. 12-13) وقد ارتدت ثوباً ضيقاً حتى كأنه مشدّ، وضمت إلى صدرها دفّاً وكأنها توقفت عن العزف أو تستعد لنقر دفّها: شعرها كثيف صفّف هدبا وسبائب على جبينها، واعتلاه إكليل مرصّع توشّيه ورود زرقاء ثمانية القعالات ومن فرعها ثلاث حجن تدلّت خلف الأذنين مسدولة على العنق ثم تباعدت لتلامس النهدين. وتحلّت المرأة بالأصباغ فروقت عينيها اللوزيتين بالكحل فبدت شكلاء دعجاء، ورسمت على جبهتها والوجنتين أقراصاً من القرمز طبقاً لقواعد التجميل والزينة عند الفنيقيين والقرطاجيين خلال القرن السادس قبل الميلاد، وخضّبت شفتيها لتزيدها إغراءً وفتنة، وزججت حاجبيها حتى كأنهما خيطان أسودان، وازدان جيدها بعقود ثلاثة مجاولها حمراء زرقاء، وتغريك برقّة الأصابع، وبأسورة في المعصم تشدّ البصر وتعلن الأنوثة والبضاضة. أما فستانها فهو شاهد على مهارات فنيقية بونية في النسيج والتطريز وقد زهت ألوانه متتابعة متناسقة من أبيض يقق، وأزرق صاف، وأسود حالك، وأحمر قان تنزّلت فيه خطوطاً ومثلثات وورودا، ومن خصرها يتدلّى حزام طويل عريض زادته الأهداب جمالاً وأناقة، كلّها توق إلى ملاطفة أصابع الرجلين العاريتين.

تعود هذه الدمية القرطاجية إلى القرن السادس قبل الميلاد وما زالت ألوانها واضحة زاهية. وبعد إقامة طويلة بمتحف باردو تحولت إلى مسقط رأسها وأخذت مكانها في متحف قرطاج لتمدّ الزائرين والدارسين بمعلومات حول المرأة القرطاجية وزينتها من حلل وجواهر كما تساعدهم على معرفة ذوقها وألوانها المفضلة.

وفّرت قرطاج والمواقع البونية الأخرى مجموعة ثرية من دمى الطين المفخور المزوّقة، ومنها دميتان رجاليتان إحداهما وجدت بقرطاج والأخرى بوتيكة وقد شدّ كلا الرجلين دثاراً على كتفيه أبرش يتكون من أشرطة متتالية يتداول عليها الأحمر والأزرق .(Gauckler, 1915.) وأشار الأب دي لاتر إلى دمية كانت ضمن **الظهرة**[11] **الجنائزية** في بعض القبور القرطاجية وبيّن أنها كانت مطلية بطلاء أبيض واحتفظت بسؤر من ألوانها كالأحمر والأسود والأصفر(Delattre, 1899. P. 313) .

مهما تكن درجة الواقعية التي كان الزوّاق يستطيع إدراكها في تلوين الدمى فثابت أنّ اللون كان يتمّم عمل المثّال. وهي حقيقة لا تترك مجالاً للشك. والملاحظ أن ملونة الزوّاق تضمّ ألواناً أربعة هي الأحمر والأسود والأزرق والأصفر. فلقد بقيت واضحة جلية على الدمى. وليس من الغريب أن يستعمل الزوّاق ألواناً أخرى كالأبيض والأرجواني. فكان يسعى بالريشة أو بالمرقم إلى إبراز مواصفات اللباس والحلي وعناصر أخرى جسمانية كلون الشعر وبريق النظرة ورقتها، فضلاً عن الأصابع التي تزيد المرأة أنوثة وجمالاً.

الفخار المزوّق

يضمّ الزوّاق قدراته إلى مهارة الفاخوري ليدرك الإناء يناعته كاملة فيقوم بوظيفته ويزهو بعين صاحبه، ومعلوم أن الفخار المزوّق معروف لدى الفنيقيين منذ عصور قديمة كما أثبتته بعض الأوعية تم العثور عليها في مواقع عديدة تعود إلى أزمنة مختلفة.

أخرج **بيارسنتاس** من أعماق التوفاة القرطاجي **أنفورة** فنيقية تتحلى بزخارف حمراء أرجوانية خافتة



لوحة ٩ : تنور لشيّ الفخار

على مهاد أكشف مهرته نار التنّور لوناً أمغر وردياً. وللزخارف أشكال هندسية: أربعة عشر شريطاً تتلاحق متوازية من السّاق إلى منبت الكتف. وترى بين الشريط والشريط خيوطاً ثلاثة. أما الكتف فلقد تداولت عليه **ترجلوفات**[1] **وميطبات**[16] وعلى يمين الفضاء المخصص لارتكاز العروة ويساره ثلاثة أشرطة. ثم بين الترجلوفات المشدودة إلى العنق نصّت مثلثات تفصلها مسافات متساوية. وفي **الميطبات** الأربع دوائر ثلاث متراكزة. وازدان العنق بثلاثة جداول أفقية تحلّت بخيوط متعرجة، ففي الجدول الأسفل عناصر مفردة وفي الجدول الأوسط تتداول خطوط متعرجة مع خطوط مستقيمة. أما الجدول الأعلى فقد تحلى بخط متعرج موصول على شكل ضفيرة، وعلى مستوى العنق ازدانت الشفة بضفيرة مشابهة، أما حرفها الأفقي المسطّح فهو يحمل لمسات بالريشة مجمّعة ثلاثاً ثلاثاً، ورسمت ثلاث دوائر داخل العنق قرب الحافة، ثم على العروتين خطوط مائلة تقوّي انطباع الدوران الناتج عن الجديلتين.(Cintas, 1950. P. 495.)


متحف قرطاج (القرن الرابع ق.م)

إن مثل هذا العمل الدقيق المكلف وقتاً وصبراً يتجاوز حدود الزخرفة المجانية، بل هو ذو بعد جمالي به يزهو الوعاء ويشدّ البصر. وتزيده الزخرفة نجاعة بما فيها من قوة سحرية وتأثير على المحيط. ذلك أن الصورة ليست بريئة لدى القدماء لا سيما تلك التي ترتدي أشكال المثلثات والمعينات وأخرى عديدة. فالأوعية التي تتحلى بها تمهر قوة تتجاوز حدود المادة فهي تعاويذ وتمائم وطلاسم أملاً في الخير واتقاء شر الشياطين الخبيثة. ومهما كان أمر الفخار العتيق الموجود بقرطاج، وأيّاً كانت أصوله ومراكز صناعته، فالثابت أنّ تزويق الأوعية الفخارية في قرطاج والعالم البوني يستند إلى تقاليد عريقة بعضها فنيقي كنعاني، وبعضها محليّ يعود إلى المخزون اللوبي الأمزغي، أو إلى رصيد الشعوب التي سقتها مياه الحضارة الفنيقية القرطاجية في غربي البحر المتوسط.

وفي غضون القرن الرابع قبل الميلاد أصبحت قرطاج والمدن البونية الأخرى تنتج فخّاراً أبيض اللون يتحلى بزخارف غضة غزيرة وكادت تكون ملونة الزواق مقصورة على الأحمر والأسود. على أن مصورته تجاوزت الأشكال الهندسية لتنهل من عوالم النبات والحيوان والرموز والطلاسم: فهذه أنفورة(٥) من توفاة صلامبو مزدانة بزخارف حمراء رسمت على مهاد أبيض ووزّعت على جداول خمسة منها غصن زيتون رسم إكليلاً يفصل بين حرف العنق والعروتين، وتحت غصن الزيتون أزهار السوسن ترافقها نخلة قنوانها دانية. واحتل الجدول الثالث شريطاً أحمر اللون محفوفاً بخيوط أربعة حمراء هي الأخرى وزّعت مثنى. ولئن اقتصر الجدول الرابع على لون الطين المفخور فلقد عاد الشريط المحفوف خيوطاً وسكن الجدول الخامس والأخير.(Idem, 254.)

وما دمنا مع الفخاريات المزوّقة، لا بدّ من الإشارة إلى إبريق جميل الشكل أنيق وجده الأب **دي لاتر** في أحد القبور القرطاجية وهو من الأوعية التي زادها التزويق غضاضة. إنها زخارف حمراء مغراء منها خطّ غطّى حدبة العرق الذي يحيط بالساق كالخلخال، وأحاطت بأسفل الإبريق خيوط أخرى يعلوها صف من الحجن اعتلاها خيط رقيق. وتوسّط القماع شريط عرضه سنتمتر واحد يضم زخرفاً محفوراً بالمرقاش في الطين المفخور ويبدو أنّ أداة الحفر كانت تغوص في أديمه بعناء مما كان له تأثير على رسم القثائث. وفي الفضاء الذي يمسح ما بين ذلك الشريط ومنبت العنق وهو ما يسمّى بالبطن يتجلّى فرع شجرة مزهرة أوراقه كالقلوب. وللغصن ثنايا عديدة: تراه ينطلق من قاعدة متجهاً ذات اليمين بأغصان دقيقة ممتدّة قثائث وينتهي عند العروة الثانية على جانب البطن المقابل بزهرة ذات كأس فوهان. ففي هذا الزخرف الذي يحكي زهرة **الفولوبيليا**(١٩) تنتهي الزهور بخطوط حزّت بالمرقاش. ويحمل أعلى البطن خيطاً عريضاً أسند إليه الفنان سعفة رسمها بحرف المنقاش وعلى ذلك الخيط تنتصّ خمسة أسنان ذئب طويلة تحيط بالعنق وتتعالى نحو الفم.(Delattre, 1906. P. 41-44.) ومهر هذا الإبريق بعروة معرّقة ينتهي كلا طرفيها برأس رجل. فهذا أمرد والآخر مُلّتح.

ومن مكتسبات متحف قرطاج أنفورة تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد اقتناها الأب لابير ومن مميزاتها زخارف مصطفّة وجداول متراكبة: فعلى الحويّة التي بها ينتهي العنق وصولاً إلى المسندين اللذين تتكيء عليهما العروتان يتجلّى غصن وريق. وترى بين العروتين مشهداً يصوّر نعامتين متناظرتين يتوسطهما عسّ. ويليهما شريط أحمر محفوف بخيوط متوازية، وتتعاقب أشرطة أخرى كشفاء تفصل بينها خيوط. وعلى العنق والشفة والعروتين والقاعدة ترى خيوطاً كأنها جعلت لإبراز ملامح الأنفورة (لوحة ٢) (Cintas, 1950. P. 255.).

وعلى أسقوس عثر عليه في مدفنه قليبية بالوطن القبلي رسم الزوّاق طلّة عجل دونما اقصاء الزخارف الخطيّة. مما يثبت حرية الخيال ومهارة اليد (لوحة ٣) (Cintas, 1950. P. 406.) .


لوحة ١١ : صورة ديك على لوح من طين
متحف كركوان (القرن الثالث ق.م)

وعلى بعض الأباريق ترى عيوناً مرسومة بطلاء أحمر تحفّ بالبلبلة فتبدو كطيور جارحة تجلي فتشدو عيون بني الإنسان وتلهيها متصدية لشرّها. وجدت هذه **الأباريق المعيّنة** في العديد من القبور البونية بقرطاج.(Cintas, 1950. P. 170-171.) والوطن القبلي وسردانيا وصقلية: فهذه وطبة من طين مفخور ببلبلتها كالأنبوب تجلّت عليها العين الحارسة ومعها طلسم تانيت ولكلتا الصورتين مظروف سحري ديني. وعلى وطبة أخرى توسطت البلبلة الإسطوانية عينين وضمّ لهما الزوّاق فنناً وطلسم تانيت مع العلم أن هذا الحجاب مصوّر على أنفورات عثر عليها في ربوع طرابلس ومدن أخرى مجاورة لها في ليبيا.

كذلك يبدو الفخار البوني جزءاً من فضاء الرسم والتزويق في قرطاج وفي غيرها من المدن البونية ولعلّ قسم التزويق كان من لواحق الفاخورة. فالوعاء ظرف تختلف أبعاده وأشكاله وقد يكون مظروفه مادياً، وقد يكون معنوياً له صلة بالرموز يتجاوز حدود المادّة بل تراه مطيّة للعديد من الصوّر والأساطير والعقائد والدلالات ذات الصلة بالتيمّن، والتشاؤم والتطيّر. ويدلو الزوّاق من مصورة تمتاز بالغزارة والتجدد: فهذه عناصر موروثة عن الحضارات السامية التي أينعت في وادي الرافدين أو في بلاد كنعان أو في دنيا الفراعنة، وتلك عناصر محلية تعود إلى مكاسب غربي البحر المتوسط نخصّ بالذكر منها ما ينتسب إلى رصيد اللّوبيين في شمال القارة الأفريقية.

والحديث عن الفخار في دنيا البونيين يجرّ حتماً إلى ما كان القرطاجيون والبونيون عامة يستوردونه من الأسواق المتوسطية كالأترسكية والإيطالية وغيرها. إنها مجموعات من الأباريق والأساكيس (٢) (Askos) والبيات(٤) (Olpé) واللّواجن (١٤) (Lagynos) والأساكيف (٣) (Skyphos) والمرجآت(١٥) (Patéres) وغيرها من الأوعية العادية كالجرار التي جاؤوا بها مملوءة خمراً أو سمكاً مصبّراً إلى جانب بضاعات أخرى تستورد من تلك الأسواق المتوسطية.

ولا بد من الإشارة إلى أوعية من فخّار تتحلى بطلاء أسود ذي بريق معدني كتلك التي تناولها بالدرس زميلنا فتحي الشلبي ونشر حولها كتاباً عنوانه Céramique à Vernis noir Carthage de وكان ذلك بتونس سنة ١٩٩٢ وقد جاءت فيه الأشكال والأحجام مصنفة منصّصة مع الإشارة إلى مصدرها وتاريخها. فهو تأليف لا يستغني عنه المهتمون بمثل هذه الأوعية التي كانت عنوان تواصل بين قرطاج والعالم اليوناني، وتتحدث عن قدرة القرطاجيين على الاستمتاع بفنون الآخرين ولو كانوا من المزاحمين المنافسين، فهذه الحركة الاقتصادية والتبادل التجاري بين قرطاج وأسواق البحر المتوسط نجد أثراً لها منذ القرن الثامن قبل الميلاد وما انفكّت تزداد حجماً وتنوّعاً مع مرّ العصور وتعاقب الأجيال: فمن القرن



خارطه ١ : المواقع العتيقة في تونس

السادس قبل ميلاد المسيح عثرنا في أحد القبور البونية بالوطن القبلي على إبريق اشتراه صاحبه من بعض الأسواق اليونانية. إنه تحفة كان صاحبها متعلقاً بها حتى رافقته إلى مثواه الأخير. ولا شك أنه كان في حياته فخوراً بجمالها وندرتها.

فهو إبريق جميل الشكل يتحلى بصورة بديعة تختزل إحدى المغامرات التي عاشها البطل الإغريقي ودوسيوس **Odusseus** وهو الذي نعرفه باسم **أوليس** على أنّ النطق الصحيح بالعربية ينبغي أن يكون **ولوس**. تمثل الصورة كبشاً وقد شدّ **ولوس** إلى بطنه برباط وثيق. ذلك أن البطل اليوناني تمكّن من الفرار من مغارة القلوف الرهيب(١٣) Cyclope بتلك الحيلة الطريفة. علماً أنّ القلوف فقد البصر لما فقأ ولوس عينه الوحيدة. ولما كان ذلك لجأ القلوف إلى الجسّ باليد لمراقبة دخول القطيع وخروجه من المغارة حتى لا يستطيع ولوس الفرار. لكن للبطل من الذكاء والدهاء ما جعله يغادر المغارة دون أن ينتبه القلوف. فلا شك أن المواطن البوني الذي اقتنى هذا الإبريق كان يهوى تلك الأسطورة وهي من وحي البحر المتوسط وليس من الغريب أن يكون مطّلعاً على ملحمة هوميروس الشهيرة.

هكذا نتبين أن لقرطاج والبونيين علاقة متينة بالفخار. فلقد كان الطين المفخور عندهم يستجيب لشؤون دينهم ودنياهم.

أ.د. محمد فنطر - مدير دائرة التنمية المتحفية - المعهد الوطني للتراث - تونس - الجمهورية التونسية

الهوامش

١) **إبريق**: وعاء مغلق له عروة قائمة وشفة للصبّ. يستخدم لتقديم المشروبات والخمر خاصة.

٢) **أسكوس**: وعاء بطنه كروي الشكل مدحوّ ممهور بأنبوب للصبّ يسمى(بلبل) أو بلبلة وله عروة موازية للبطن والبلبلة.

٣) **إسكوف**: وعاء كالكوب له عروتان أفقيتان، يستخدم للشرب من ماء وخمر وغيرهما.

٤) **ألبية**: وعاء صغير الحجم ذو بطن بيضوي الشكل، وفوه مستدير وله عروة عمودية ترتكز على الكتف والشفة مع ارتفاع فوق الشفة.

٥) **أنفورة**: جرّة مختلفة الشكل والحجم لها عروتان عموديتان كلتاهما ترتكز على الكتف والعنق. تستخدم لخزن الزيوت والخمور خاصة.

٦) **ترجلوفة**: زخرف تتميز به العمارة الإغريقية الدورية ويتكون من لوح يحتوي على خطوط ثلاثة عمودية. واستخدم كذلك لزخرفة غير العمارة.

٧) **حبّ**: وعاء ضخم البطن فوه له عروتان أفقيتان أو عموديتان، وله قاعدة يرتكز عليها. يصبّ فيه خمر أو ماء أو غيرهما من المشروبات، ومنه تملأ الأكواب والصياع لتقديمها للندماء.

٨) **الحلّ**: هو ما يمكن أن نسميه العالم المفتوح أو ما يمكن للإنسان التعامل معه والاتصال به بدون قيد أو شرط. فلا خوف منه ولا يخضع إلى طقوس.

٩) **سفنكس**: حيوان خرافي رأسه آدمي، وجسمه حيواني قد يكون أسداً أو غيره من الضواري. له حضور في مصورة القدماء في الشرق والغرب. والمصورة هي مجموعة الصّور والزخارف التي منها يمتح الفنان.

١٠) **طلّة**: مقدم الحيوان ويتكون عادة من الرأس والعنق وبداية الصدر.

١١) **ظهرة**: هي متاع البيت وأثاثه وإلى جانب الظهرة المنزلية توجد الظهرة الجنائزية Le mobilier funéraire -Funeral Furniture وهو مصطلح نطلقة على الأثاث الذي يوضع في القبر صحبة الميت عند دفنه وهو ما يجده الآثاريون في الغرف الجنائزية من فخار ونقود ودمى ومجوهرات وغيرها.

١٢) **القدس**: مصطلح يستخدمه مؤرخو الأديان لتسمية القوة الكامنة في الكون والمسيطرة عليه: يشعر الإنسان بوجودها الفاعل فيتصورها ولا يستطيع تصويرها.

١٣) **قلوف**: ورد وصف القلاليف في الأساطير اليونانية كالأوديسة وهم أغوال يعيشون في الجزر النائية يرعون قطعانهم ويترصدون البحارة التائهين فينقضون عليهم ويلتهمونهم. هذا والقلاليف مكلّفون بسبك أسلحة الآلهة. ومن صفات القلوف القوة البدنية المريبة، وله عين واحدة، وجاء هذا المعنى في الاسم الإغريقي نفسه.

١٤) **لاجن**: وعاء مغلق متوسط الحجم من فصيلة الدوارق بطنه مسطّح وله عنق طويل اسطواني الشكل وفوهته مستديرة وله عروة عمودية تتكىء على الكتف والعنق.

١٥) **مرجاة**: طبق من طين مفخور يتوسطه قمع. يستخدم لتقديم الهدايا والتقدمات. ومن فصيلة المرجآت ما يسميه القدماء طبق السّمك.

١٦) **ميطبة**: من زخارف العمارة الإغريقية الدّورية وتتمثل في لوح مستطيل الشكل يحتوي على صورة أو مجموعة صور منحوتة نحتاً بارزاً. أما بالنسبة للزخارف التي تنفّذ رسماً فيستخدم المصطلح مجازاً.

١٧) **ناجود**: وعاء ضخم البطن، فوه تصب فيه السوائل كالماء والخمر ومنه تُملأ الكؤوس والأكواب والدوارق للشرب.

١٨) **وطبة**: وعاء كروي الشكل صغير الحجم له عروة وبلبلة متوازيتان يستخدم للشرب فهو من فصيلة الأساكيس.

١٩) **ولوبيليا**: نبات حولي ملتف له أزهار قمعية ألوانها زاهية صباحاً.

المراجـــع

Cintas, P. 1950. **Céramique punique,** Tunis.

Chérif, Z. 1997. **Terres cuites puniques de Tunisie,** Rome.

Delattre, A.-L. 1899. "Fouilles exécutées á Carthage". **CRAI.**

Delattre, A.L. 1906. **Une visite de la nécropole de Rabs: prétres et prétresses de Carthage**, Palerme.

Gauckler, P. 1915. **Nécropoles puniques**, Tunis.

Merlin, A. 1920. "Quelques tombeaux puniques découverts á Carthage", ***BAC***, 12-13.

نحو مصطلح آثاري موحد

لقد ظهرت نتيجة البحث العلمي المطّرد في الفروع المختلفة لعلم الآثار العديد من المصطلحات والأسماء الجديدة بلغات أجنبية، أبرزها الإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها. ورغبة من مجلة أدوماتو في حثّ الباحثين والمتخصصين العرب على الإسهام في تأصيل، وربما تعريب، عدد من المصطلحات الآثارية فقد أفسحت هذه الزاوية لتمكين الراغبين في تناول عدد من الأمثلة وإبداء وجهة نظرهم العلمية حولها والإشكاليات الناتجة من استخدامها، سواءً أكانت مرتبطة بالجوانب الحضارية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو التقنية... وغيرها.

إشكالية المصطلح الآثاري

عبدالله بن محمد الشارخ

إن إشكالية المصطلح الآثاري ليست في واقع الأمر مقصورة على لغة بعينها بل هي موجودة كقضية علمية وإشكالية بحثية من ناحية والحاجة الدائمة لإيجاد مفردات بديلة تحل محل المصطلحات الآثارية المعروفة في لغات أخرى.

ولعل من أبرز العوامل التي أدّت إلى بروز هذه الظاهرة في مجتمعاتنا العربية على وجه التحديد كون علم الآثار قد نشأ كعلم حديث وتطور في أوروبا وأمريكا الشمالية منذ عقود عديدة، مما جعل الآثاريين العرب متلقّين ينهلون من الموارد الآثارية في الغرب ومن خلال تعلم لغتهم والإقامة لسنين طويلة بينهم مما أوجد انقطاعاً معرفياً بين اللغة الأم، اللغة العربية، ولغة العلم والتعلم، الأجنبية. وقد أدّى ذلك بطبيعة الحال إلى حدوث انفصام بين اللغة العلمية الأجنبية وبين اللغة العربية، نظراً لعدم مواكبة الدراسات الآثارية في البلدان العربية للتطور الحاصل في دول أخرى.

وهكذا، فإننا حين نستشعر هذا الواقع فإن الإشكالية المصطلحية، إن صحّ التعبير، ليست مقصورة على عدد محدود من المصطلحات والمفردات الأجنبية الأصل بل إن هذه الظاهرة السلبية محسوسة وملموسة في كافة فروع علم الآثار للأسباب التي أبديناها سابقاً (الأمين وآخرون، تحت النشر).

وعلى الرغم من تلك السلبية الظاهرة، فقد نهضت المعرفة العلمية في البلاد العربية في العقود القليلة الماضية بصورة مشرِّفة وأصبحت كوادرها التعليمية تحس بمثل هذا النوع من الإشكاليات وجعلتها ذات أولوية قصوى؛ وقامت جهات تربوية مثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتدارس هذه القضية، وسعت إلى عقد العديد من المؤتمرات لإيجاد حلول ووضع توصيات تساهم في جعل اللغة العربية كفيلة باستيعاب المصطلحات العلمية المعروفة باللغات الأجنبية. وقد أصدرت المعجم الموحد لمصطلحات الآثار والتاريخ في سنة ١٩٩٣م (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٩٣م). ولعل مما يغفله بعض الباحثين العاملين في مجال الترجمة والتعريب الضرورة إلى استخدام مفردات عربية مستقاة من تراثنا العربي الغني، والذي لا يطلع عليه في الغالب إلاّ الباحثون المهتمون بالتراث العربي ومتخصصو اللغة العربية.

إن هذا التراث العظيم الذي خلّفه علماؤنا الأوائل لَينمّ عن أصالة وتقدم علمي قلّ أن يكون لهما مثيل، فنجد

فيها تفصيلاً بديعاً ومتقناً للصناعات والحرف وأسماء الأشياء ووظائفها ومعانيها ودلالاتها وكافة النشاطات اليومية وغير ذلك؛ مثل "المقدمة" لابن خلدون وكتاب "فقه اللغة وسر العربية" للثعالبي وغيرهما كثير.

ولذا فإننا نجد أن الفجوة كبيرة بين ما وصل إليه المستوى العلمي للمصطلحات في العصور الذهبية للحضارة العربية الإسلامية وما آل إليه الحال في وقتنا الحاضر، حيث تبدو بعض البدائل العربية للمصطلحات الأجنبية دخيلة ولا تتناسب مع القيمة الدلالية للمصطلح.

إن من الأمثلة الممكن استعراضها هنا تلك التي ترتبط بالفترات الحضارية والتي قد يصعب تغييرها بحكم اعتياد الباحثين والمتخصصين على استخدامها، وعدم وجود بدائل مقبولة لها مثل فترة "ما قبل التاريخ". على الرغم من كونها ترجمة حرفية للمسمى باللغات الأوروبية (Prehistory)، فإن هناك إجماعاً كاملاً من المختصين على استخدام وتداول هذه التسمية، خاصة وأنه ليس هناك مصطلح بديل أكثر ملاءمة. وفي أحيان أخرى، نجد أن التواصل الفكري بين مناطق مختلفة من العالم العربي وأخرى خارجه تؤدي أحياناً إلى أن تكون البدائل العربية لبعض المصطلحات الأجنبية متأثرة بحسب طبيعة هذه العلاقة مع البلدان غير العربية، مثل استخدام تسمية الحضارة "ما قبل الآشولية" و "الألدوانية" للإشارة إلى أولى الحضارات البشرية في فترة العصر الحجري القديم الأسفل كبدائل لكل من "Pre-Acheulean" و "Oldwan"; حيث تستخدم تسمية ما قبل الآشولي لدى الباحثين الروس، وتسمية الألدوان لدى غالبية الباحثين في أوروبا وأفريقيا وآسيا.

ولقد تأصل في المصطلح الآثاري عموماً الإشارة إلى فترات حضارية أو زمنية معينة بحسب نوع المادة الخام المستخدمة بصورة ملحوظة فهناك "العصور الحجرية" و "العصر البرونزي" و "العصر النحاسي" و "العصر الحديدي" وغيرها، والتي ترتبط غالباً بالتطور البشري في استخدام مواد خام جديدة. إن الإشكالية، في رأيي المتواضع، ليس في استخدام هذه الأسماء أو الاختراعات البشرية ولكن، في أحيان عديدة، يلاحظ عدم وجود دلالة أو علاقة بين اسم الفترة بالعصر البرونزي أو الحديدي، وبين وجود هذه المادة الخام وتصنيفها وتداولها كمنتج حضاري. ولذا فإن التسمية ترتبط في الواقع بالفترة الزمنية المتعارف على أنها العصر الحديدي مثلاً؛ وبذا يصبح مثل هذا النوع من التسميات مُضللاً لبعض الباحثين والدارسين غير المتخصصين.

وبحكم أسبقية الغرب في الدراسات الآثارية فقد وضعوا أسساً وقواعد علمية متعارفة بينهم فيما يتعلق بأسماء الفترات الحضارية في العصور التاريخية، فهناك "الفترة الرومانية والهلينستية والبيزنطية" وغيرها، والتي تعطي حيزاً زمنياً في الإطار الزمني الحضاري بحيث تظهر تلك الحضارات كما لو أنها هيمنت على كل ما حولها من بلاد وخاصة في الوطن العربي. ولعل وجود سيطرة جزئية أو تأثيرات حضارية تنسب لهذه الحضارة أو تلك لا يعني بالضرورة عدم وجود مقومات حضارية محلية قائمة بذاتها، وتسببت قلة الدراسات الآثارية أو حداثتها في غياب أسماء الحضارة العربية المحلية من الخريطة الآثارية وبالمقابل سيادة الأسماء الأجنبية على مناطق عديدة من الوطن العربي وخاصة فلسطين.

د. عبدالله بن محمد الشارخ - قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص.ب ٢٤٥٦ - الرياض ١١٤٥١ المملكة العربية السعودية - asharekh@ksu.edu.sa

مؤتمرات وندوات علمية

الاســــــــم : المؤتمر الرابع للمجلس العالمي للآثار (World Archaeological Congress).

الجهة المنظّمة : المجلس العالمي للآثار

مكان الانعقاد : مدينة كيب تاون (Cape Town)، جنوب أفريقيا.

تاريخ الانعقاد : ٢٣ - ٢٧ رمضان ١٤١٩هـ / ١٠ - ١٤ يناير ١٩٩٩م.

تعتبر الأحداث التي صاحبت اللقاء الحادي عشر "للنقابة العالمية لعلوم ما قبل - وقبيل التاريخ" (International Union of Pre- and Protohistoric Sciences) في مدينة ساوثهامبتون في بريطانيا في سنة ١٩٨٦م والتي تمثلت في رفض مشاركة الآثاريين من دولتي جنوب أفريقيا وناميبيا كرد فعل من المنظّمين على سياسة التفريق العنصري والاضطهاد الممارسة ضد شعوب هاتين الدولتين؛ وقد أدى ذلك إلى حدوث انقسام كبير بين الآثاريين المشاركين بين مؤيد ومعارض لهذا الإجراء، مما أدى إلى مقاطعة البعض لهذا اللقاء احتجاجاً على هذا الإجراء.

ومنذ ذلك الحين، استقل المجلس العالمي للآثار عن النقابة العالمية لعلوم ما قبل - وقبيل التاريخ؛ فبينما اهتم الأول بالقضايا الآثارية على المستوى العالمي، فقد ظل اهتمام النقابة محصوراً في القضايا الأوروبية البحتة.

كما أن اهتمامات المجلس العالمي للآثار امتدت، إضافة إلى الاهتمامات الآثارية التقليدية الموجهة نحو دراسة المادة الآثارية، إلى قضايا أكثر عالمية ترتبط خاصة بالتراث والمباديء والأسس العلمية لعلم الآثار وتاريخ الشعوب الأصلية (مثل سكان أمريكا وأستراليا الأصليين والاسكيمو .. وغيرهم). وبذا تحول المجلس العالمي للآثار إلى منظمة عالمية رفيعة السمعة تُجاري في ثقلها العلمي كبرى الجمعيات الآثارية في العالم، كما أصبحت تعقد اجتماعاً رئيساً كل أربع سنوات وآخر بعد مرور سنتين وكلاهما عادة ما يُعقد خارج الإطار الجغرافي لأوروبا وأمريكا، حيث عُقد المؤتمر الثاني سنة ١٩٩٠م في دولة كولومبيا بأمريكا الجنوبية، وفي سنة ١٩٩٤م عُقد المؤتمر الثالث في الهند والذي توافق انعقاده مع التدمير العنصري لمسجد أيوديا بالهند من قبل المتطرفين الهندوس حيث اعتبر المؤتمرون التعدّي على المسجد تدميراً صريحاً لمباني ذات قيمة تاريخية وآثارية.

وقد جاء اختيار جامعة كيب تاون بدولة جنوب أفريقيا لعقد المؤتمر الرابع للمجلس العالمي للآثار كدلالة على ابتهاج إدارة المنظمة بمجريات الأحداث في تلك المنطقة وزوال مظاهر التمييز العنصري.

ولعله من المحبّذ التعريف بالهيكل الإداري للمنظمة حيث يوجد لها رئيس ونائب للرئيس وأمين للمال وسكرتير، إضافة إلى مجلس استشاري مُنتخب يضم ممثلاً عن كل دولة مشاركة في المؤتمر وممثلين اثنين (أحدهما مخضرم) عن المجموعات الانتخابية الإقليمية[1] والتي يبلغ عددها ١٤ مجموعة موزعة على كافة مناطق العالم، إضافة إلى ممثلين عن الجماعات والقبائل التقليدية من بعض دول العالم.

يقدر عدد الأعضاء الحضور في لقاء "كيب تاون" بحوالي ثمانمائة عضو، بينما يبلغ عدد الأعضاء المشاركين بأوراق علمية أو ورش عمل تطبيقية أو عروض سمعية-بصرية حوالي ستمائة عضو موزعين على أربعة عشر قاعة أُلقيت فيها مشاركات الأعضاء المختلفة على مدى أربعة أيام متتالية.

لقد تركّزت المحاور الأساسية للمؤتمر على ما يزيد عن سبعين محوراً مختلفاً، البعض منها ركّز على الموضوعات "التقليدية" لعلم الآثار مثل الفترات الحضارية المختلفة وتلك التي تهتم باستعراض منطقة جغرافية محددة أو موضوع عن الفخار مثلاً؛ بينما اهتمت الغالبية منها بمحاور تعتبر من المنظور السائد لدى بعض الآثاريين

خارجة عن الإطار الأساسي لعلم الآثار، وخاصة في عالمنا العربي.

ومن أبرز المحاور المطروقة في هذا اللقاء، والتي تمثل اتجاهات حديثة في علم الآثار: نظام التراث العالمي، الكوارث والتحول الثقافي، الاثنوغرافيا المكانية، الآثار الاستعمارية، الآثار وحقوق السكان الأصليين، الآثار والمجتمعات "الثانوية"، علم الوراثة في الآثار، الآثار والحدائق العامة، إدارة التراث الآثاري، علم الآثار والعامة، قوانين إعادة الآثار لأصحابها، علم الآثار والاتصالات بعيدة المدى، الاثنوأركيولوجيا، علم الآثار والمبادىء.

كما تناولت ورش العمل المختلفة مواضيع عديدة مثل: التنقيب الآثاري، طرق التأريخ العلمية، إدارة الممتلكات الثقافية، طباعة الكتب الآثارية، علم الآثار والشعر، الانترنت والآثاريين، المبادىء الأساسية للآثاريين والجمعيات الآثارية، ماضي المجلس العالمي للآثار وحاضره ومستقبله، صيانة الآثار المعدنية.

ولقد قام البعض بتقديم عدد من العروض السمعية-البصرية المرتبطة بمشاريعهم الآثارية، إضافة لمشاركات أخرى تتمثل في عرض عدد من الباحثين تنقيباتهم الآثارية أو استخدام تطبيقات حديثة في مشاريعهم الحديثة من خلال عروض جدارية ثابتة مزودة بالصور والشروحات اللازمة للمشروع وتطبيقاته ونتائجه.

وقد كانت هناك مشاركات من قبل بعض الأقليات "التقليدية" في العالم وخاصة أفريقيا، والتي ساهمت بعرض عينات مختلفة من صناعاتها التقليدية لتعريف المؤتمرين بالضغوط التي تواجههم نتيجة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية في العالم.

ولعله من المهم، بعد هذا العرض المختصر، أن يحرص الآثاريون العرب على إثبات وجودهم في الساحة الدولية من خلال المشاركة الجادة بأوراق علمية متميزة في مثل هذه اللقاءات العلمية، وكذا ضرورة الإلمام بالتغيرات والتطورات التي يعيشها علم الآثار والحاجة الماسة إلى الخروج من المدرسة التقليدية وتوسيع الاهتمام ليكون الآثاريون العرب هم الذين يُعرّفون بحضارتهم بدلاً من أن يكون ذلك من منظور باحث أجنبي.

ولعل مما يثلج الصدر للفئة القليلة من الباحثين العرب، من المملكة العربية السعودية، وجمهورية مصر العربية، والمملكة الأردنية الهاشمية، والجمهورية اللبنانية، الذين حضروا هذا اللقاء انتخاب الأستاذ الدكتور فكري حسن، أستاذ علم المصريات بجامعة لندن وعضو الهيئة الاستشارية بمجلة أدوماتو، لمنصب نائب رئيس المجلس العالمي للآثار، حيث حاز بكل جدارة على ثقة أعضاء المجلس الاستشاري بالمنظمة.

ومن الجدير بالذكر هنا، الحاجة الكبيرة إلى تواجد آثاريين من كل البلدان العربية بحيث يكون لهم تمثيل أكبر في المجلس الاستشاري للمنظّمة يمكّنهم من طرح قضاياهم الآثارية الهامة في أكبر تجمع آثاري لدول العالم المختلفة، إضافة إلى إمكانية الاستفادة من الخدمات التي تقدمها المنظمة في سبيل دعم التعاون الآثاري الإقليمي والدولي، خاصة وأن هناك مساعٍ مكثفة لجعل المجلس العالمي للآثار "منظمة غير حكومية" (NGO) تابعة لمنظمة اليونسكو.

ختاماً، آمل أن تكون المراجع التالية عوناً للباحثين الراغبين في معرفة تاريخ المجلس العالمي للآثار ومسيرته بشيء من التفصيل:-

Hassan, F.A. 1995. The World Archaeological Congress in India: Politicizing the Past, **Antiquity** 69: 874-7.
Kitchen, W. 1998. From Croatia to Cape Town: The Future of the World Archaeological Congress, **Antiquity** 72: 747-50.
Malone, C. and Simon Stoddart 1999 Editorial, **Antiquity** 73.

د. عبدالله بن محمد الشارخ

١ - المجموعات الانتخابية الإقليمية هي: وسط أفريقيا، شرق وجنوب أفريقيا، شمال أفريقيا، غرب أفريقيا، أمريكا الوسطى والبحر الكاريبي، شمال أمريكا، أمريكا الجنوبية، شرق آسيا، جنوب شرق آسيا والبحر الباسفيكي، جنوب آسيا، غرب آسيا، شرق أوروبا وآسيا الوسطى، شمال أوروبا، جنوب أوروبا.

الاســــــم : مؤتمر دراسات الأنباط
الجهة المنظمة : جامعة مؤتة، المملكة الأردنية الهاشمية
مكان الانعقاد : مدينة البتراء، المملكة الأردنية الهاشمية
تاريخ الانعقاد : ٧ - ٩ ربيع الأول ١٤٢٠هـ/ ٢١ - ٢٣ يونيو ١٩٩٩م

عقد مؤتمر دراسات الأنباط الأول في مدينة البتراء بالمملكة الأردنية الهاشمية في الفترة ما بين ٢١ – ١٩٩٩/٦/٢٣م والذي نظمته جامعة مؤتة بالمشاركة مع بيت الأنباط "الهيئة العربية للثقافة والتواصل الحضاري" ومجلس إقليم البتراء ومركز الأردن الجديد للدراسات. ويعد هذا المؤتمر الأول في اهتمامه بحضارة الأنباط وتأتي أهمية انعقاد المؤتمر من تواضع الدراسات والبحوث حول الحضارة العربية النبطية وقلتها رغم أهمية هذه الحضارة التي تعد واحدة من أرقى الحضارات العربية التي تعود لعصر ما قبل الإسلام والتي استمرّ عطاؤها لأكثر من ثلاثة قرون وامتد نفوذها ليشمل منطقة شاسعة من بلاد الشام وشمال غرب الجزيرة من دمشق شمالاً حتى الحجر جنوباً، وقد ساهمت الحضارة النبطية في صبغ تلك المنطقة بصبغة حضارية عربية متجانسة وخلّفت عدداً كبيراً من المواقع الأثرية أبرزها مدن البتراء والحجر وبصرى وعشرات المدن الأقل شأناً، ونظراً إلى أن ذلك الإرث الحضاري العربي وتلك المواقع العديدة لم تلق العناية والاهتمام المستحقين من قبل علماء الآثار، فإن عقد ذلك المؤتمر ساهم في إلقاء الضوء على جوانب من حضارة الأنباط وآثارهم.

عقد المؤتمر على مدار ثلاثة أيام تم خلالها توزيع الأوراق المقدمة على إحدى وعشرين جلسة علمية بواقع ثلاث جلسات علمية متزامنة، وقد قسم المؤتمر إلى خمسة محاور رئيسة، المحور الأول تناول موضوع المجتمع والهوية، وقد اشتمل على دراسات في موضوعات الموطن والأصل والتركيب الاجتماعي والثقافي والديانة والنقوش واللغة النبطية. أما المحور الثاني فقد تناول موضوع تاريخ الأنباط واشتمل على دراسات عن الأنباط في المصادر القديمة وبدايات الوجود النبطي والتكوين التاريخي والسياسي للدولة والمجتمع والعلاقات الخارجية للأنباط والحكام والملوك. أما المحور الثالث فقد ركّز على الحياة الاقتصادية وقد ناقشت الأوراق موضوعات مثل الزراعة عند الأنباط، ونظام الري، وطرق التجارة والنشاط التجاري، والموانيء، ومدن القوافل، والمسكوكات. أما المحور الرابع فقد عني بالدراسات الأثرية المتعلقة بالمواقع النبطية في مركز مملكة الأنباط في الأردن وفي شمال غرب الجزيرة العربية وسيناء وصحراء النقب وحوران، وقد ناقشت الأوراق بعض نتائج أعمال المسوحات والحفريات الأثرية في تلك المواقع بالإضافة لدراسة جوانب من فن النحت والعمارة النبطية ودراسة الأنماط الفخارية. المحور الخامس خصص لدراسة انتشار الحضارة النبطية وبعدها الإنساني.

وقد نوقشت خلال أيام المؤتمر الثلاثة اثنتان وستون ورقة عمل غطّت محاور المؤتمر الخمسة، وشارك في هذا الملتقى العلمي أكثر من مائة وعشرين عالماً ودارساً للحضارة النبطية من مختلف دول العالم مثل الولايات المتحدة الأمريكية، والنرويج، وبريطانيا، وفرنسا، وكندا، وإيطاليا، والدنمارك، والنمسا، واستراليا، وفنلندا، وبلجيكا، وكوريا، والهند، بالإضافة إلى علماء من بعض الدول العربية مثل المملكة العربية السعودية، وسوريا، والعراق، والبلد المضيف الأردن.

وقد شكّلت المشاركة العربية ما نسبته ٢٨٪ من أوراق العمل إلاّ أنها اعتمدت في معظمها على المادة التاريخية المكررة مع وجود عدد محدود من الأوراق العربية التي مسّت مادة أثرية جديدة، أما المشاركة الأجنبية فقد طغت على جلسات المؤتمر وتميزت في مجملها بعرض نتائج أعمال ميدانية ركّزت على المواقع النبطية في الأردن بشكل خاص.

وقد ركّزت التوصيات التي خرج بها المؤتمرون على النقاط التالية:

١. التوصية بعقد مؤتمر دراسات الأنباط مرة كل عامين.

٢. نشر بحوث الندوة في كتابين الأول للبحوث العربية والثاني للبحوث الإنجليزية.
٣. لاحظ المؤتمرون غياب البحوث في بعض الموضوعات مثل بدايات الوجود النبطي وعلاقة الأنباط بالكيانات السياسية المعاصرة، ودراسات حول الأنباط بعد سقوط البتراء سنة ١٠٦م، التفاعل مع الحضارات المجاورة وقلة البحوث المتعلقة بالوجود النبطي في شمال غرب الجزيرة العربية وجنوب سوريا، لذا يوصي المؤتمر بتوجيه الدراسات نحو تلك الموضوعات.
٤. دعوة الباحثين العرب إلى البحث في الحضارة النبطية.
٥. ترجمة الكتب والدراسات المنشورة باللغات الأجنبية حول الحضارة النبطية إلى اللغة العربية.
٦. دعوة كافة الجهات الأكاديمية والبحثية لدعم الدراسات المتعلقة بالحضارة النبطية.
٧. الدعوة لإنشاء كلية للدراسات النبطية يكون مقرها مدينة البتراء.

وقد أقيم على هامش مؤتمر دراسات الأنباط عدد من الفعاليات الثقافية:

١. معرض (البتراء .. رؤى تشكيلية) بالتعاون مع صالة (بلدنا للفنون) شاركت فيه مجموعة من كبار الفنانين التشكيليين العرب والأردنيين.
٢. معرض صور حول التشكيل الجيولوجي لصخور التبراء بعنوان (تجاعيد الصخر) للفنان أديب الجوازنة.
٣. معرض نحت بعنوان (أنباط جدد "٢") لمجموعة من أبناء منطقة البتراء.
٤. معرض حول نتائج حفرية (خربة الذريح).
٥. معرض حول نتائج بعض الحفريات الأثرية في الأردن بالتعاون مع المركز الأمريكي للدراسات الشرقية (ACOR) في عمان.
٦. معرض النقوش النبطية في البادية الشمالية، بالتعاون مع جامعة آل البيت ومتحف سمرقند.

د. خليل بن إبراهيم المعيقل

الاســـــــم : ندوة يوليوس أويتنج
الجهة المنظمة : جامعة توبنجن
مكان الانعقاد : مدينة توبنجن، ألمانيا
تاريخ الانعقاد : ٢٨ ربيع الأول - ١ ربيع الثاني ١٤٢٠هـ/١١ - ١٤ يوليو ١٩٩٩م.

عقدت في جامعة توبنجن بألمانيا الندوة الدولية حول رحلة المستشرق الألماني يوليوس أويتنج إلى شمال الجزيرة العربية ما بين عامي ١٣٠٠ - ١٣١٠هـ/١٨٨٣ - ١٨٨٤م، وقد بدأ أويتنج رحلته من بلدة كاف في شمال وادي السرحان وعبر الوادي باتجاه دومة الجندل ومنها انتقل عبر صحراء النفوذ إلى حائل حيث مكث هناك عدة أشهر وسافر من حائل إلى تيماء ثم العلا فالوجه.

إن هذه الرحلة التي قام بها أويتنج ركّزت على جمع عدد كبير من الكتابات العربية القديمة والرسوم الصخرية لذلك فإنها تعد واحدة من أهم الرحلات التي قام بها المستشرقون إلى الجزيرة العربية حيث أثمرت عن نشر عدد كبير من كتابات الجزيرة العربية وتسليط الضوء على عدد من المواقع الأثرية، إضافة إلى أهمية اليوميات التي كتبها أويتنج خلال رحلته والتي ألقت بعض الضوء على التاريخ السياسي والاجتماعي لشمال الجزيرة العربية خلال تلك الفترة. كذلك قام أويتنج بجمع عدد من القطع الأثرية والتراثية والأحجار المكتوبة ونقلها إلى أوروبا.

وإيماناً من جامعة توبنجن بألمانيا بأهمية الرحلة التي قام بها أويتنج إلى شمال الجزيرة العربية ولمحدودية الاستفادة من يوميات أويتنج والمواد التي جمعها فقد

عمدت الجامعة إلى عقد هذه الندوة العلمية لحث الباحثين للإستفادة من الإرث الذي تركه أويتنج ولا زالت جامعة توبنجن تحتفظ بجله.

عقدت ندوة أويتنج على مدار ثلاثة أيام وقُدّم في الندوة ثلاثون بحثاً ناقشت موضوعات مختلفة ركّز بعضها على شخصية يوليوس أويتنج وحياته والدراسات الاستشراقية في جامعة توبنجن التي كان أويتنج يشغل منصب أستاذ فيها، ثم ناقشت أوراقٌ أخرى مواضيع تتعلق بالرحلة التي قام بها أويتنج والمدن والحواضر التي توقف فيها والمواقع الأثرية والجغرافية التي زارها. إلاّ أن الجانب الأثري من الرحلة طغى على أوراق الندوة حيث قُدّمت عدد من البحوث التي شارك فيها عدد من المختصين من أوروبا والعالم العربي، وقد ناقشت تلك البحوث موضوعات مختلفة عن عدد من الآثار والمواقع منها القلاع الإسلامية في شمال غرب الجزيرة والأعمال التوثيقية التي قام بها أويتنج، دراسة الآثار والنقوش العربية في فرنسا، يوليوس أويتنج ودراسة العملات الإسلامية، إسهامات أويتنج في دراسة النقوش السامية، واحة العلا في ضوء البحث الأثري، أويتنج والنقوش السينائية في ضوء مستجدات البحث العلمي.

هذه بعض عناوين الأوراق التي قدمت في الندوة والتي ساهمت في إلقاء الضوء على رحلة أويتنج إلى شمال الجزيرة العربية وأهميتها في دراسة الآثار والكتابات العربية القديمة، وكونها مصدراً مهماً لدراسة تاريخ الجزيرة العربية القديم والحديث، وتعد المادة العلمية غير المنشورة التي خلّفها أويتنج كنزاً مهماً للدارسين والباحثين في تاريخ الجزيرة العربية.

وقد أقيم على هامش الندوة معرض لمقتنيات يوليوس أويتنج وأعماله العلمية شمل عرضاً لمجلدات يوميات أويتنج التي بلغ عددها أربعين مجلداً من الحجم الصغير بالإضافة إلى الرسومات والمخططات والخرائط ولوحات بالخطوط اللحيانية والنبطية والثمودية، وعدد من قطع المسكوكات القديمة والإسلامية بالإضافة إلى عرض لبعض مقتنياته التراثية من ألبسة وأدوات صناعة القهوة العربية.

د. خليل بن إبراهيم المعيقل

الاســـــــم : معرض وندوة الخط العربي

الجهة المنظمة : الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض

مكان الاقامة : مدينة الرياض، المملكة العربية السعودية

تاريخ الإقامه : ٣ رجب - ٣ شعبان ١٤٢٠هـ/١٢ أكتوبر ١١ نوفمبر ١٩٩٩م.

تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض ورئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض افتتح صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز يوم الاثنين الموافق٣/٧/١٤٢٠هـ معرض الخط العربي الذي أقامته الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض بقصر طويق في حي السفارات خلال الفترة من ٣/٧/١٤٢٠هـ إلى ٣/٨/١٤٢٠هـ وذلك ضمن فعاليات برنامجها الثقافي للحفاظ على التراث الإسلامي، وإسهاماً منها في التعريف بأهمية الخط العربي ودوره الريادي في تطور الحضارة الإسلامية.

وجاء المعرض بمحتوياته وأنشطته الثقافية والعلمية والفنية ليلقي الضوء على جوانب من العمق التاريخي والحضاري للمجتمع العربي والإسلامي ويعرف بمراحل التطور والإبداع التي مر بها الخط العربي. وقد تكوّن المعرض من :

- **قاعة المعروضات الخطية:** واشتملت على مجموعة مختارة من المصاحف الشريفة والمخطوطات، وعلى أعمال خطية نفذت على الحجر والمعادن والرق والعظم والقماش والخشب والزجاج والفخار، كما ضم المعرض جناحاً خاصاً بالكتابات العربية القديمة عرض فيه نماذج من الخطوط التي استخدمت في

الجزيرة العربية قبل الإسلام مثل خط المسند والزبور والخط الثمودي والداداني واللحياني والصفوي والآرامي والنبطي.

وقد أتاحت القطع المعروضة فرصة لتتبع تطور الخط العربي وتطبيقاته الفنية والزخرفية خلال الفترة من القرن الأول وحتى القرن الثالث عشر الهجري، كما ساهمت في التعريف بمدارسه المختلفة وبدور الخطاطين العرب والمسلمين وإبداعاتهم وابتكاراتهم المتجددة في فن الخط والزخرفة والتذهيب.

- **جناح الخط العربي المعاصر:** واشتمل على مجموعات من اللوحات الفنية لعدد من أبرز الخطاطين العرب من أمثال هاشم البغدادي ومحمد طاهر الكردي وغيرهم من الخطاطين العرب الذين سخروا الخطوط العربية المختلفة من كوفي ونسخي ومغربي وديواني وتعليق لموهبتهم الفذة مستثمرين طواعيتها واستجابتها لمتطلبات التشكيل الفني والزخرفي. ولعل أهم ما يميز اللوحات المعروضة أنها خرجت عن قواعد فن الخط التقليدي الذي يقتصر على حسن الخط فحسب إلى آفاق أرحب ترتكز أساساً على الحرف العربي وتتجلى فيها موهبة الرسم وروعة المنظر، إضافة إلى أن الموضوعات التي نفذ فيها الخطاطون لوحاتهم كانت مستمدة من آيات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والموروث العربي والإسلامي مما أدى إلى دمج بين الشكل والمضمون، حيث شكلت قوة دلالة المعنى وجمال الرسم وحدة فنية ترسخت فيها القيم والنسب الجمالية الأخاذة وتجلت فيها وظيفتها التربوية والثقافية كما ينبغي.
- **جناح الكتاب:** جاء جناح الكتاب الذي شاركت فيه مجموعة من دور النشر والمكتبات في المملكة العربية السعودية متخصصاً واقتصر على كتب وإصدارات ذات علاقة مباشرة بالخط العربي وفنونه، مما أتاح للمهتمين فرصة الحصول على مبتغاهم بيسر وسهولة.
- **دورة الخط العربي:** ضمن مكونات معرض الخط العربي أقيمت أيضاً دورة تدريبية شارك فيها عدد من المتدربين، وقد شمل برنامج الدورة موضوعات نظرية وتطبيقية حول الخط العربي.
- **إصدارات المعرض:**

أصدرت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض بهذه المناسبة مجموعة من الإصدارات هي:

١ - المختار من إبداعات الخط العربي

٢ - هاشم بن محمد البغدادي

٣ - إضاءات على معرض الخط العربي

ندوة الخط العربي

ثمة إجماع على أن الخط العربي هو واحد من أهم الفنون الإسلامية، إن لم يكن أهمها على الإطلاق، فقد شغل في إبداعه وجماله الباحثين والمتلقين في البلاد الإسلامية وخارجها. وعلى الرغم من تعدد الدراسات العلمية حول تاريخ الخط العربي وجمالياته، إلا أن المرء يكاد يجزم بأنه لم يدرس بصورة تتناسب وأهميته الفكرية والتربوية والفنية.

وما هذه الندوة التي نظمتها هيئة تطوير الرياض ضمن فعاليات معرض الخط العربي خلال الفترة من ٤-٦ رجب ١٤٢٠هـ إلا خطوة جادة وشعور بالمسئولية تجاه هذا الموضوع.

وأمام هذه الندوة الدولية التي شارك فيها عدد من الباحثين العرب طرح عدد من الاستفسارات لعل من أبرزها: لماذا تجب إعادة كتابة الخط العربي؟ وما المناهج التي تعين على ذلك؟ وما المصادر التي يمكن الاعتماد عليها لتحقيق هذا الغرض؟ وكيف يمكن الوقوف على أصول الخط العربي؟ وما السمات المميزة له؟ وهل يواكب الخط العربي متغيرات العصر؟ وما مدى قابليته للتطور والإبداع؟ وما الأسس التقنية للخط العربي وجمالياته؟ وهل من الممكن إعادة قراءة جماليات الخط العربي وفق أسس جديدة ومحددة؟ وما العلاقة بين الخط العربي والفن التشكيلي؟ أم هو فن له خصوصيته التي تنأى به عن الفن التشكيلي؟

كل هذه الاستفسارات واستفسارات أخرى طرحها المشاركون في ندوة الخط العربي وناقشوا آراءهم حولها عبر ثلاثة محاور رئيسية هي:

- الخط العربي والحضارات
- الخط الزخرفي التطبيقي
- جماليات الخط العربي

الخط العربي والحضارات: جاءت أول محاضرة في هذه الندوة لتعنى بتاريخ الخط العربي وإمكانية تتبع مساره التاريخي عبر العصور، فكانت محاضرة الدكتور مشلح المريخي التي عنوانها "نقش رقوش بالحجر (مدائن صالح) المؤرخ بسنة ٢٦٧م، رؤيا جديدة " محاولة جادة للتعمق في دراسة أصول الخط العربي وتتبع جذوره الأولى، حيث قدم قراءة لنقش رقوش النبطي، وعقد مقارنة بين أشكال حروفه وأشكال حروف كل من النقوش العربية المبكرة (النمارة، زبد، حران ... الخ) ونقوش القرن الأول الهجري الإسلامية وخلص إلى أن ثمة تشابهاً واضحاً بين حروف نقش رقوش وحروف النقوش الإسلامية المبكرة، وبناء على ذلك أسس الباحث وجهة نظره القائلة بأن أشكال حروف نقش رقوش تمثل أقدم نماذج معروفة للخط العربي حتى الآن، وعلى هدي ذلك اعتبر الباحث أن نقش رقوش المؤرخ بسنة ٢٦٧م هو أقدم نقش عربي مؤرخ حتى الآن.

وفي السياق نفسه تحدث الدكتور علي غبان من خلال محاضرته "نقش زهير" عن تاريخ النقوش الإسلامية، وبعد قراءة موفقة لمضمون النص الذي مؤداه "١ - بسم الله ٢ - أنا زهير كتبت زمن توفي عمر سنة أربع ٣ - وعشرين " نبه الباحث إلى أن أهمية النقش تكمن في أنه كتب في سنة أربع وعشرين هجرية، مما يعني أنه أقدم نقش إسلامي صخري مؤرخ حتى الآن. ثم أشار الباحث إلى أن علامات الإعجام الواضحة على بعض حروف النص تعد إضافة جديدة لما هو معروف من نقوش إسلامية أخرى أعجمت بعض حروفها من مثل بردية إهناسيا (٢٢ هجرية)، ونقش سد معاوية (٥٨ هجرية) ونقش حفنة الأبيض (٦٤هـ) التي تمثل ركيزة أساسية للانطلاق منها في دراسة الإعجام في الخط العربي، لا سيما وأنها جاءت سابقة للفترة الزمنية التي ذكرت المدونات التاريخية أن نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني هما من قاما بإدخال نظام الإعجام على الحرف العربي.

إن واقعنا المعاصر يتطلب منا العمل بجد ومثابرة للاستفادة من التقنيات الحديثة واستغلال طواعية الخط العربي لجعله يواكب متغيرات العصر ويتلاءم مع متطلباته، هكذا جاءت محاضرة الدكتور محمد الحناش "دور الخط العربي في اللغات، مبحث في الانقرائية والميكنة" لتلقي الضوء على أهمية الآلة (الحاسوب) كواقع حضاري فرض نفسه في وقتنا الحاضر بسبب اختزاله للوقت والجهد، وتيسيره للمعرفة وسرعة الوصول إليها، وقد أشار الباحث إلى قابلية الحرف العربي للمعالجات التقنية وإمكانية ميكنته بهدف استثماره في حوار الإنسان مع الآلة لأداء مهما منها: الترجمة الآلية من العربية وإليها، التوليف الصوتي وتوليد الأصوات وإدراكها آلياً، والأرشفة الآلية، والتوثيق الآلي، وختم الباحث مداخلته بعرض بعض التجاوب العلمية للمعالجة الحاسوبية الخط العربي.

الخط الزخرفي التطبيقي: كما ركز هذا اللقاء العلمي على تاريخ الخط العربي، كان اللقاء مناسبة للتعرف على جانب آخر من جوانب الإبداع في الخط العربي. فقد جاء المحور الثاني من هذه الندوة لتأكيد الجانب الزخرفي للخط العربي وهذا ما أكدته محاضرة الدكتور حسن الباشا "الخط على التحف " التي استهلها بتقسيم الخط على التحف إلى قسمين رئيسين: خط تقليدي وهو الذي يستخدم خطوطاً مثل الكوفي والمنسوب والنسخ. والخط الآخر غير تقليدي ويمثله تلك الخطوط التي ابتدعها صناع التحف من أجل زخرفة منتجاتهم الفنية ويتميز بأنه ذو طابع زخرفي تجريدي لا يعير المضمون أدنى اهتمام. ثم استعرض الباحث النماذج المختلفة من أشكال

الخط العربي المستخدمة على التحف سواء ما هو مستخدم على النسيج أو الخزف أو المعادن وخلافه، وخلص الباحث إلى تصنيف خطوطها حسب تقسيمه آنف الذكر، وفي الختام نوه الباحث بأن الخط على التحف التطبيقية كان من الأسباب التي جعلت كبار الفنانين الأوربيين من أمثال باول كلية يستخدمون الخط العربي موضعاً للوحاتهم الفنية.

من جانب آخر نبّه الدكتور ناصر الحارثي في محاضرته التي عنوانها توقيعات "الصناع " إلى أهمية هذه التوقيعات على اللوحات الفنية، فمنها يمكن التعرف على الأسماء والتخصصات الفنية والأسلوبية لكل فنان. مما يسمح بتصنيف أعمالهم إلى مدارس فنية لتسهل دراستها وتتبع نشأتها ومراحل تطورها؛ ثم ركز الباحث على دراسة أعمال الفنان محمد أفضل هراوي الذي عاش في أواخر القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر الهجري ونفذ أعمالاً فنية خطية وزخرفية على عدد من المباني الدينية والمدنية في مكة المكرمة، حيث بين ملامحها الفنية وجمالياتها الخطية.

لم يقتصر استخدام الخط العربي في كتابة المصاحف الشريفة والمواثيق ومتطلبات الحياة اليومية فحسب بل استخدم أيضا في النقش على السكة، وفي هذا الإطار جاءت محاضرة الدكتور رأفت النبراوي "الخط العربي على النقود الإسلامية " حيث استعرض الباحث في البداية أهمية العملة في كتابة تاريخ الأمم والممالك والشعوب في مختلف نواحيه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، ثم تحدث عن مجموعة من العملات الإسلامية من أقطار متفوقة من العالم الإسلامي مبينا أنواع الخطوط عليها ومميزات وخصائص كل خط على حده، وخلص الباحث إلى أن الخط العربي بشقيه الكوفي والنسخي وتفرعاتهما، وكذا خط الثلث والنستعليق والطغراء مشهودة وممثلة على العملات الإسلامية، كما أشار الباحث إلى أن الخط الكوفي يسبق كافة الخطوط العربية الأخرى استخداما على العملات الإسلامية، منوها إلى أن لكل خط فترة زمانية ومكانية محددة.

وفي السياق نفسه تحدث الأستاذ نايف الشرعان في محاضرته التي عنوانها "الخط على النقود في نجد والحجاز خلال العصرين الأموي والعباسي" عن الموضوعات التي كتبت على العملات الإسلامية مبيناً أنه يغلب عليها الطابع الديني، حيث حرص المسلمون منذ البدايات الأولى لتعريب السكة على إبراز عقيدتهم من خلال توظيف العديد من عباراتها من مثل : بسم الله؛ لا إله إلا الله ......، مما جعل هذه العملات بما نقش عليها من آيات قرآنية وعبارات دينية تمثل سمة للعملات الإسلامية وغيرها عما سواها من نقود الأمم الأخرى، ثم استعرض الباحث الكتابات المنقوشة على نقود نجد والحجاز في العصرين الأموي والعباسي مبينا أن القاسم المشترك بينها هو شهادة التوحيد على وجه العملة وظهرها بالتساوي، أما الهوامش فكتب عليها آيات قرآنية، كما بين الباحث أوجه الشبه والاختلاف بين العبارات المكتوبة تبعاً لاختلاف أماكن سكها ومراكزه في نجد وتهامة والحجاز، وخلص إلى أن الكتابة على العملات النجدية والحجازية والتهامية لا تختلف من حيث توزيعها على وجه العملة وظهرها أو من حيث نوع الخط عما هو متعارف عليه في النقود الإسلامية الأخرى سوى أن بعضا منها تميزت بعبارات مغايرة، وأن بعض العملات النقدية المضروبة في بيشه وعثر تختلف عما سواها من حيث التقنية وتدني أسلوب تنفيذ العبارات عليها، وهذا ما أسنده الباحث إلى عدم إلمام النقاش بتقنية السك، كما أن بعض حروفها نفذت بشكل مغاير لما هو مألوف على النقود الإسلامية من خارج الجزيرة العربية، فحرف الباء والحاء والراء والميم واللام والألف لم يسبق لها بأشكالها تلك الظهور على المسكوكات الإسلامية الأخرى.

جماليات الخط العربي: لقد بدأ الخط العربي بسيطاً وخلواً من الزخرفة وسمات الإبداع والجمال ولكنه ما لبث مع مرور الوقت وبفصل العقول النيرة والمواهب الثاقبة أن أصبح فناً رفيع المستوى يحتل مكان الصدارة بين الفنون الإسلامية الأخرى، وفي هذا الإطار وتحت عنوان

"جماليات الخط العربي "بدأت فعاليات المحور الثالث من محاور هذه الندوة، حيث تحدث الدكتور حسين الحبالي في محاضرته "الفن التشكيلي والخط العربي " عن تجربته الشخصية كفنان تشكيلي مع الخط العربي، ثم حاول إعطاء نبذة عن نشأة الأبجدية وتاريخ الخط العربي، ثم لفت الانتباه الى أثر الخط العربي في الفنون التشكيلية الأوربية ممثلاً على ذلك ببعض الأعمال الفنية لفنانين أوربيين من أمثال باولو فينيتسيانو وبول كلي، ثم ختم حديثه عن أثر الخط العربي في الحركة الفنية العربية المعاصرة.

أما الدكتور عفيف بهنسي فقد تحدث في بداية محاضرته "جماليات الخط العربي، روية علمية " عن العلاقة بين صورة الحرف العربي ولفظه ثم قدم وصفاً لصورة الحرف العربي في الخط الواحد مبيناً أن لكل حرف أكثر من صورة في حال الكتابة وحسب موقعه في الكلمة. كما ألقى الضوء على علاقة الخط العربي بالفنون الأخرى وتوصل إلى أن الخط هو فن تشكيلي بل إنه أقرب ما يكون إلى الموسيقى، وقدم الباحث تحليلاً جمالياً للخط العربي مشيراً بذلك إلى قواعد جماليات الخط وحسن الكتابة التي وضعت من قبل أبي حيان التوحيدي وابن مقله والخطيبي وقبل أن يختم حديثه عن الخط في فن الحداثة وما بعدها أشار الباحث إلى مواد الكتابة وأدواتها من حبر وورق وقلم وخلافه ودورها في حسن الخط وجمالياته.

وفي سياق الحديث عن جماليات الخط العربي تتبع الدكتور محمد حمزة الحداد في محاضرته التي عنوانها "الزخرفة في العمارة الإسلامية " الخصائص الجمالية للحرف العربي مؤكداً على أن طبيعة الحرف العربي صالحة للزخرفة وتستجيب لإبداع الفنان وخياله، وقد أشار الباحث إلى أن الزخرفة الخطية على العمائر الإسلامية تتكون من عنصرين رئيسين: العنصر الخطي البحت والعنصر الزخرفي البحت، وخلص الباحث إلى تعداد وتسمية الوحدات المعمارية التي شاعت زخرفتها في العمائر الإسلامية.

وفي ختام محاضرات هذا اللقاء العلمي أكد الدكتور أحمد بن عمر الزيلعي من خلال محاضرته "الخط العربي عنصراً جمالياً على الأحجار " على أهمية الخط العربي ومكانته المرموقة بين الفنون الإسلامية، ثم استعرض مسيرة الخط العربي منذ أن بدأ بسيطاً إلى أن تجاوز قيمه التوثيقية إلى قيمه الجمالية، ثم عرض الباحث لمجموعة من الشواهد الحجرية من أماكن متفرقة في مكة والمدينة وجدة وتهامة محللاً شارحاً للقيَّم الجمالية والزخرفية للخط العربي على هذه الشواهد الحجرية.

لقد كانت ندوة الخط العربي لقاءً علمياً جمع المختصين والمهتمين من أقطار الوطن العربي وطرح فيه عدد من الموضوعات العلمية ذات العلاقة بالخط العربي؛ وأحست أن هذه الندوة العلمية قد أتاحت الفرصة للمختصين لتقديم أبحاثهم ونتاجهم الفكري، كما ساهمت في إبراز موضوع الخط العربي وتوجيه الأنظار إليه باعتباره ركيزة أساسية من ركائز تراث أمتنا العربية والإسلامية.

- إنشاء مركز ومعهد الخط العربي يعني بتدريس علومه وفنونه بالإضافة إلى توثيق وحفظ إبداعاته.
- إقامة معرض على غرار معرض الخط العربي، يعالج موضوعه أثر الفنون الإسلامية على إبداعات الفنانين المسلمين المعاصرين.
- العمل على نشر الأبحاث العلمية المقدمة في الندوة بعد استكمال موادها وتدعيمها بالصور وتذليلها بمداخلات وملاحظات المناقشين.
- نظراً لأن المملكة العربية السعودية تمتلك أكبر مجموعة من مخطوطات القرآن الكريم (يزيد عددها على أربعة آلاف مخطوط) فقد أُوصي بإقامة متحف للقرآن الكريم يكون مقره المدينة المنورة، خاصة وأن بعض المصاحف القرآنية المخطوطة موقوفة على المدينة المنورة، وينقل لهذا المتحف جميع المصاحف المحفوظة في المكتبات والمؤسسات الثقافية داخل المملكة.

- تأليف مدونة للنقوش العربية والإسلامية تكون دليلاً مرجعياً للباحثين والدارسين للنقوش العربية والإسلامية.
- حصر المصطلحات الوصفية للنواحي الجمالية والفنية في الخط العربي ودراستها.
- تأليف موسوعة متكاملة عن الخط العربي.
- عقد معرض دوري عن الخط العربي يقام كل سنتين أو ثلاث مع إتاحة الفرصة لمشاركة الباحثين والخطاطين من أنحاء العلم العربي والإسلامي.

د. سعيد بن فايز السعيد

الاســـم : **ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية حمايتها والمحافظة عليها.**

الجهة المنظمة : **وزارة المعارف ممثلة في وكالة الآثار والمتاحف.**

مكان الانعقاد : **مركز الملك عبدالعزيز التاريخي مدينة الرياض - المملكة العربية السعودية**

تاريخ الانعقاد : **١٥ - ١٨ رجب ١٤٢٠ هـ/٢٤ - ٢٧ أكتوبر ١٩٩٩م.**

إدراكاً من وزارة المعارف ممثلة في وكالة الآثار والمتاحف للمسئولية المنوطة بها في حماية الآثار والمحافظة عليها والعناية بها جاءت فكرة إقامة ندوة (الآثار في المملكة .. حمايتها والمحافظة عليها) برعاية صاحب السمو الملكي الأمير / نايف بن عبدالعزيز آل سعود، وزير الداخلية، التي كان من أهدافها نشر الوعي الآثاري بين المواطنين والمقيمين وتبصيرهم بأهمية الآثار والمحافظة عليها والحد من العبث بها وإبراز الدور التاريخي والتثقيفي والتعليمي لها، ومحاولة إشراك القطاعات الحكومية الأخرى ذات العلاقة في مسئوليتها في الحفاظ على الآثار وفي مقدمتها وزارة الداخلية وذلك بإيجاد جهاز أمني خاص لحماية الآثار.

وقد اشتملت الندوة، التي استمرت فعالياتها لمدة أربعة أيام، على سبعة محاور هي: الآثار والتعليم، المتاحف واجهة حضارية، الآثار والحقوق الخاصة والعامة والدولية، الآثار والمخاطر المحلية والدولية، الأمن والمحافظة على الآثار، الآثار والقطاعات ذات العلاقة الآثار والتراث المادي.

وصاحب الندوة إقامة فعاليات أخرى منها معرض للكتاب الآثاري ضمّ مجموعة كبيرة من الكتب المتخصصة في الآثار والتاريخ، ومعرض خاص بالصور ضم في جنباته مجموعة من صور الآثار الباقية والمكتشفة في عدد من مناطق المملكة ومحافظاتها، ومعرض خاص بالفن التشكيلي المستوحى من البناء القديم، وأخيراً معرض عن الطوابع التاريخية. كما أصدرت الوكالة بهذه المناسبة مجموعة من الإصدارات هي: ملخص البحوث، دليل الكتاب الآثاري، دليل الندوة، دليل الطوابع التاريخية، البناء القديم في الفن التشكيلي، دليل الصور الآثارية، فيلم تراث أمة.

وقد ألقيت في الندوة أربع وثلاثون ورقة عمل قدّمها علماء وباحثون متخصصون في مجال الآثار والمتاحف، والتربية والتعليم، والأمن، والاقتصاد، وحماية الحياة الفطرية، والدفاع المدني، وخلصت إلى تقديم سبع وعشرين توصية صبّت في تحقيق الأهداف المرجوة منها، ومن ذلك على سبيل المثال:

١. إبراز الأدوار التاريخية والحضارية للمواقع الأثرية والمعالم التاريخية.
٢. إنتاج برامج توعية وتثقيف للتعريف بتلك المواقع والمحافظة عليها وحمايتها والتشديد على عدم المتاجرة بها.
٣. إشراك القطاع الخاص في تمويل الأعمال الآثارية وصيانة المواقع الأثرية والمباني التاريخية.
٤. الاستفادة من الآثار في مجال الاستثمار السياحي.
٥. تشجيع المواطنين على تسجيل ما لديهم من آثار لدى وكالة الآثار.
٦. التوسع في حماية المواقع الأثرية وتسويرها وتعيين حراس عليها.
٧. إنشاء جهاز أمني لحماية الآثار.
٨. تشجيع إعادة الحياة الفطرية القديمة في بيئاتها المختلفة.
٩. الاهتمام بالآثار الغارقة.

أ.د. سعد بن عبدالعزيز الراشد - أ. خالد بن محمد أسكوبي

الاســـم : الندوة العلمية الأولى لجمعية الآثاريين العرب
الجهة المنظمة : جمعية الآثاريين العرب
مكان الانعقاد : القاهرة، جمهورية مصر العربية
تاريخ الانعقاد : ١٦ - ٧ شعبان ١٤٢٠هـ/ ١٤ - ١٥ نوفمبر ١٩٩٩م.

عقدت الندوة العلمية الأولى لجمعية الآثاريين العرب في مدينة القاهرة بجمهورية مصر العربية في الفترة من ٦ - ٧ شعبان ١٤٢٠هـ الموافق ١٤ - ١٥ نوفمبر ١٩٩٩م، وكان موضوع الندوة "التواصل الحضاري بين أقطار العالم العربي من خلال الشواهد الأثرية".

وقبل أن نتحدث عن الندوة نود أن نعرف بجمعية الآثاريين العرب، هذا الوليد الجديد الذي لم يتعدَّ عمره العام. إن فكرة تأسيس هذه الجمعية انبثقت من أروقة قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود حيث وُقّع المحضر الأول لتأسيس الجمعية بحضور أ.د. علي محمود رضوان (كلية الآثار، جامعة القاهرة)، الذي كان أستاذاً زائراً في القسم، وقد كان له ولزميله أ.د. محمد الكحلاوي دور كبير في تبني هذه الفكرة والسير قدماً نحو تحقيقها. وقد تم ذلك تحت مظلة المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي باتحاد الجامعات العربية، وقد ساهم ذلك في سرعة تأسيس الجمعية وتذليل كل الصعاب التي واجهتها. وتهدف الجمعية إلى تبادل الخبرات الأثرية بين المتخصصين والوقوف على أحدث المؤلفات والإنتاج العلمي وتبادله، كذلك تنشيط مجالات العمل الأثري العربي المشترك كأعمال المسح والتنقيب. كما تهدف إلى إصدار دورية، وعقد الندوات العلمية بالإضافة إلى تقديم الاستشارات وعقد الدورات وورش العمل للعاملين في قطاعات الآثار في العالم العربي.

عقدت الندوة العلمية الأولى لجمعية الآثاريين العرب بمقر مركز المؤتمرات بالمدينة الجامعية التابعة لجامعة القاهرة، وكان موضوع الندوة هو التواصل الحضاري بين أقطار العالم العربي من خلال الشواهد الأثرية، وقد عقدت أربع جلسات عمل خلال يومي المؤتمر، جلسة صباحية وأخرى مسائية.

وقد ألقي خلال تلك الجلسات ستة وثلاثون بحثاً ركّزت على موضوعات مثل العلاقات الحضارية بين الدول العربية خلال العصور القديمة والإسلامية، وحاولت تلك الأوراق التركيز على الجوانب الإيجابية والتجانس الحضاري بين الأقطار العربية، إلاّ أن معظم الأوراق ركّزت على العلاقات الحضارية بين مصر والأقطار الأخرى وهذا ربما كان بسبب المشاركة الكبيرة من قبل الآثاريين المصريين.

ومن الأوراق الجيدة التي ناقشت محور العلاقات بين مصر ومناطق العالم العربي الأخرى، الأوراق التي تحدثت عن العلاقات السودانية المصرية في العصور القديمة - رؤية جديدة، والعلاقات المصرية الفينيقية حتى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، والعلاقات الحضارية بين وادي النيل وشمال أفريقيا خلال العصر الحجري الحديث (٨٠٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م.)، وكذلك موضوع مظاهر التبادل الحضاري في بعض المدن الحدودية في الوطن العربي. أما ما يتعلق بالكتابات القديمة فقد ألقيت عدد من الأوراق منها: اللغة المصرية القديمة واللغة العربية - مدخل معجمي، ومن أواصر التقارب اللغوي بين المصري القديمة والعربية، وموضوع عن ألفاظ ومعاني "الضعف" في المصرية القديمة والعربية.

كذلك ألقيت عدد من الأوراق ناقشت موضوعات إسلامية منها: الاتصال الحضاري بين مصر واليمن في عصري الدولة الصليحية ودولة بني رسول، وعمارة المدرسة في مصر والمغرب دليل على التواصل الحضاري، والمدينة العربية القديمة وأثرها في تخطيط المدينة الاسلامية، ودرب الحج البري المصري دليل على التواصل الحضاري - دراسة أثرية في ضوء الاكتشافات الحديثة، والتواصل الحضاري بين العالم العربي من خلال الشواهد النقدية، والبعد الحضاري لمدينة الفسطاط في نهاية القرن العشرين، ثم موضوع الصناع وأثرهم في التواصل

الفني بين أقطار العالم العربي في ضوء التحف المعدنية في القرن السابع الهجري.

تلك كانت بعض موضوعات الأوراق التي قدّمت في الندوة، والتي تعكس تنوعاً في المادة والفترات التي تناولتها تلك الأوراق.

إن عقد الندوة العلمية الأولى لجمعية الآثاريين العرب يُعدّ بحد ذاته خطوة إيجابية نحو تحقيق التجمع العربي الآثاري، ونحو إيجاد أرضية مشتركة للآثاريين العرب، ويؤمل أن تقوم الجمعية بهذا الدور في مستقبل أيامها من خلال ندواتها العلمية السنوية ومنشوراتها التي نتوخى أن تحقق التواصل الدائم بين الآثاريين العرب ونحو إيجاد مناهج علمية موحدة وأعمال ميدانية مشتركة.

ومن هذا المنطق فإن مجلة أدوماتو الآثاريين العرب للتواصل مع هذه الجمعية ودعمها.

د. خليل بن إبراهيم المعيقل

عرض لمجلة آثارية

اسم المجلة : Antiquity
المحرران : كارولين مالوني وسيمون ستودارت
مكان النشر : كمبردج - بريطانيا
رقم التصنيف الدولي : ISSN 0003 - 598 X Paperback
مواعيد الصدور : بداية شهر مارس، يونيو، سبتمبر، ديسمبر.
رقم المجلد : (٧٣)، رقم العدد: (٢٧٩)، مارس ١٩٩٩.
عدد الصفحات : (٢٤٩).
مقاس المجلة : ٥ ر٢٤ × ٤ ر١٧سم.
المحتويات : كلمة التحرير، الأبحاث، المقالات القصيرة، الأبحاث المتخصصة، مراجعات الكتب.

عرض : د. عبدالله بن محمد الشارخ

إن مجلة Antiquity التي نحن بصدد استعراضها هنا لهي أكبر من أن تُعرّف بالنسبة للباحث المطلع على المطبوعات الأكاديمية المكتوبة باللغة الانجليزية والتي تعتبر من أعرق المجلات الآثارية المعروفة بالعالم، حيث أسّسها الباحث البريطاني كروفرد (O.G.S. Crawford) في سنة ١٩٢٧م والذي اشتهر في العشرينات الميلادية بجهوده المتميزة في مجال التصوير الجوي وتوجيهه لخدمة الدراسات الآثارية. وأما من حيث نوعية قرائها فمنهم المتخصصون والأكاديميّون وطلاب الدراسات العليا والمهتمّون بالدراسات الآثارية وهواة الآثار وغيرهم.

يتحدث المحرران كارولين مالوني (C. Malone) وسيمون ستودارت (S. Stoddart) في الافتتاحية عن مجموعة من المواضيع والقضايا التي لا يغلب عليها الطابع البحثي، بل تُمثّل تحليلات ومراجعات فكرية لعدد من القضايا الآثارية التي تعكس غالباً المستجدات في الحركة الفكرية الآثارية.

ولقد كان موعد انعقاد المجلس العالمي للآثار (World Archaeological Congress) بمدينة كيب تاون بجنوب أفريقيا قبيل صدور هذا العدد من المجلة مدعاة لأن يحرص المحرّران على تسليط الضوء على هذا المؤتمر وإعطاء قراءة تاريخية له منذ مراحل تأسيسه كجمعية علمية آثارية تناهض سياسة التفريق العنصري التي كانت متبعة في دولة جنوب أفريقيا في الماضي، خاصة وأن المؤتمر الرابع للمجلس العالمي للآثار قد انعقد في شهر يناير ١٩٩٩م في نفس الدولة التي كانت سبباً رئيساً في نشوء هذا الملتقى الآثاري (انظر باب تقارير المؤتمرات الآثارية لمزيد من المعلومات).

كما تم التطرق إلى البدايات الأولى للتصوير الجوي لأغراض الدراسة الآثارية في أوائل القرن العشرين الميلادي، خاصة في بريطانيا، والمساهمة الكبرى في اكتشاف معلومات عن المواقع الآثارية وتحديدها وتسجيلها وتصنيفها وعرضها. ولقد ظهرت نتيجة للأهمية الكبرى للتصوير الجوي للمواقع الآثارية عدد من البرامج التي تطمح إلى تصوير جميع المواقع الآثارية البارزة بمقاس ١: ٠٠٠ر١٠ ومن ثم تحليلها وتوثيقها بحيث يُستعان بها في الدراسات الآثارية. أما التوجه المستقبلي لهذا النوع من الدراسات فسيكون هناك تركيز على تعميق الاستعانة بنظم المعلومات الجغرافية (GIS) وكذا أجهزة المسح الجوي التي تستعين بأجهزة المسح الحرارية أو التي تستخدم الأشعة تحت الحمراء في الكشف عن البقايا الآثارية المطمورة تحت سطح الأرض.

ولقد كان موقع ستون هنج (Stone Henge) في بريطانيا ومشروع إنشاء طريق جديد بالقرب منه مثار اهتمام الافتتاحية.

وأخيراً نبه المحرّران الباحثين إلى الطرق التي ينبغي استخدامها في عرض عمر المواد الآثارية المؤرخة باستخدام طريقة الكربون ١٤.

هذا وقد اشتملت المجلة على الأبحاث والمواضيع الرئيسة التالية:

قدم بارتون (R. Barton) وآخرون في بحثهم "نياندرتال جبل طارق ونتائج التنقيبات الآثارية في كهوفه" عرضاً موجزاً لبعض الاكتشافات الحديثة في جبل طارق والتي تغطي فترة زمنية يعود أقدمها إلى حوالي ١٠٠,٠٠٠ سنة مضت.

وقد أشار الباحثون إلى أن القيمة العلمية لمواقع جبل طارق الكهفية تكمن في وجود دلائل متميزة تتعلق بالجوانب الآثارية والاحفورية والبيئية للجماعات البشرية التي استوطنت المنطقة، خاصة وأن جبل طارق وُجدت فيه أول جمجمة لإنسان النياندرتال في سنة ١٨٤٨م.

تناولت الباحثة أنجيلا كلوز (A. Close) في بحثها "البعد والتناقص: العلاقة الصعبة" موضوع نقل المادة الحجرية الخام لمسافات بعيدة لغرض اختبار الفرضية القائلة بأن حجم الأدوات الحجرية يتناقص كلما بعدت المسافة عن المصدر الأصلي للمادة الخام.

وقد أكّدت في نتائج دراستها أن عامل بُعد المسافة بين الموقع والمصدر الأصلي للمادة الخام لم يكن العامل الرئيس في تحديد كثرة الأدوات الحجرية، بل القدرة على تصنيع أدوات حجرية محددة الحجم والشكل.

يتناول جون كولز (J. Coles) وآخرون في بحثهم "درع من العصر البرونزي المتأخر بجنوب كادبوري، سومرست بانجلترا" عرض درع برونزي وُجد في موقع بريطاني يعود إلى العصر البرونزي المتأخر، والذي يمثل العينة الأولى من نوعها التي تُكتشف في موقع آثاري بجنوب غرب انجلترا.

يُناقش الباحث لويد ويكس (L. Weeks) في بحثه "تحليل نظائر الرصاص من موقع تل أبرق بدولة الإمارات العربية المتحدة: معلومات حديثة حول مشكلة القصدير في غرب قارة آسيا" قضية تجارة القصدير في منطقة غرب قارة آسيا في فترة العصر البرونزي من خلال دراسات جديدة تمت في موقع تل أبرق بدولة الإمارات العربية المتحدة؛ حيث قام بمراجعة وافية للعديد من الدراسات السابقة وكذلك استكشاف الاحتمالات المتعلقة بمصدر خام القصدير في منطقة غرب آسيا.

يقدم مشكور (M. Mashkour) وآخرون في بحثهم "بحث تطور الاقتصاد المعيشي في سهول قازفين بإيران من العصر الحجري الحديث إلى العصر الحديدي" نتائج دراستهم حول النظام الغذائي القديم للجماعات البشرية في عصور ما قبل التاريخ؛ حيث تمت دراسة ثلاثة مواقع آثارية في سهول قازفين بإيران والتي إستُوطنت من فترة العصر الحجري الحديث إلى العصر الحديدي.

يتناول الباحث فرانسيس آلارد (F. Allard) في بحثه "آثار وحضارة دايان: التوجه والتقليد" الجوانب العسكرية لحضارة دايان في جنوب غرب الصين من خلال دراسة مجموعة من القطع والأسلحة البرونزية المزخرفة والمحفورة التي عُثر عليها في عدد من مقابر هذه الحضارة التي تعود لفترة العصر البرونزي.

يُسلط بُل (Bull) وآخرون في بحثهم "السماد والجزيئات: طرق جيوكيميائية عضوية للتعرف على السماد القديم" الضوء على دور الدراسات الكيميائية الحديثة في التعرف على البقايا العضوية التي خلّفتها المجتمعات البشرية السابقة باستخدام طرق جديدة للتعرف على وجود الأسمدة العضوية في التربة حتى ولو كانت بقاياها ليست موجودة؛ وهذا ما تميزت به هذه الدراسة عن دراسات تحليل التربة الأخرى.

يقيم الباحث كيفن جرين (K. Greene) في بحثه "جوردون تشايلد ومفردات التغير الثوري" أسلوب العالم المعروف جوردون تشايلد (G. Childe) في عرض أفكاره الآثارية لغير المتخصصين فيما يتعلق بالثورة الحضارية في

فترة العصر الحجري الحديث والمدنيات المبكرة، وأثرها على المؤرخين، خاصة مؤرخي التقنية، حتى الوقت الحاضر. كما يسلط الباحث الضوء على التغير الذي طرأ على لغة المصطلح لدى تشايلد في الفترة من ١٩٢٨ - ١٩٥٧م.

يُقيّم الباحث تامي ستون (T. Stone) في بحثه "فوضى السقوط: التفكك وإعادة التماسك للتنظيمات الإقليمية المحلية" أثر سقوط التنظيمات ذات الطابع الإقليمي وتدهورها مثل الشبكات التجارية والتحالفات الاقتصادية، والتي تغطي مناطق جغرافية واسعة تضم جماعات عرقية مختلفة بحكم طبيعة التعاون الاقتصادي والسياسي والعقدي؛ وعادة ما يتسبب هذا السقوط في سعي مكثف نحو إعادة تنظيم المعايير الأساسية التي ساهمت في الحفاظ على استمرارية هذه التنظيمات الإقليمية.

وقد ركّز الباحث على دراسة التغيرات التي طرأت على العمارة والفخار في منطقة زوني (Zuni) ، جنوب غرب أمريكا، والتي ظهرت عقب سقوط نظام الشاكوان (Chacoan Inter-reginal System) وبروز جماعة الكاتشينا (Katchino Cult) في الفترة من ١١٥٠ - ١٣٥٠ ميلادي.

كما اشتملت المجلة على باب للمقالات القصيرة، ولعل من أبرزها مقال جون كارمن (J. Carman) وآخرون "هل تقييم الآثار قضية محاسبية" (ص ١٤٣) والذي يناقش قضيتين محددتين إحداهما حول إجبار المتاحف الاسترالية العامة (غير الربحية) بوضع قيمة سعرية لمقتنياتها؛ والثانية ترتبط بتزايد الاهتمام بتحديد القيمة السعرية للبقايا المادية الآثارية وأثر ذلك في كيفية التعامل معها.

وقد خصصت المجلة قسماً خاصاً حول النظرية في الدراسات الآثارية الفرنسية والذي تضمّن سبع مقالات متنوعة في هذا الموضوع، ثم تلا ذلك القسم الخاص بمراجعات الكتب والمطبوعات الجديدة.

ومن خلال هذا العرض الموجز، نجد أن المستوى العلمي الرفيع لهذه المجلة يتمثل أساساً في مستوى الأبحاث والباحثين المشاركين من ناحية، وكفاءة القائمين عليها من ناحية أخرى، مما يجعلها مرجعاً قيّماً لمتابعة التوجهات الحديثة في الدراسات الآثارية عموماً ومنبراً علمياً يحرص كبار المتخصّصين على تقديم أفضل أعمالهم البحثية لنشرها في هذه المجلة العالمية.

د. عبدالله بن محمد الشارخ - قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص.ب ٢٤٥٦ - الرياض ١١٤٥١
المملكة العربية السعودية - asharekh@ksu.edu.sa

عرض لكتاب

الكتاب : نقوش الحجْر النبطية
المؤلف : د. سليمان بن عبدالرحمن الذييب
الناشر : مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض
١٤١٩هـ/١٩٩٨م
رقم الإيداع الدولي: ٣-١١٨-٠٠-٩٩٦٠
عدد الصفحات: ٤١٩

عرض : د. محمد المرَقْطَن

جاء هذا الكتاب ضمن سلسلة من الأبحاث التي قام بنشرها الدكتور سليمان الذييب هذا الباحث المتميز في شكل كتب ومقالات في مجلات علمية مختلفة. وتعالج هذه الأبحاث مسألة واحدة ، ألا وهي نقوش شمال غرب الجزيرة العربية و هو من الباحثين العرب القلائل المتخصصين في مجال النقوش السامية القديمة ويمتاز بغزارة الإنتاج.

وقد وضع المؤلف هذا الكتاب في فصليين، الفصل الأول عبارة عن تمهيد تاريخي (ص ٣-٢٥) لموقع الحجر (مدائن صالح)، يعالج المؤلف في هذا الفصل السمات اللغوية لنقوش الحجر النبطية كبناء الاسم واسم الفاعل والفعل وما إلى ذلك. وقد أفرد المؤلف قائمة بأسماء الأعلام التي تذكر في نقوش الحجر النبطية دون سواها من النقوش النبطية الأخرى (ص ١٨-٢٠). والفصل الثاني (ص ٢٧-٣٢٧) وهو مادة الكتاب الأساسية عبارة عن عرض لكافة النقوش التي استطاع المؤلف أن يجمعها من منطقة الحجر وهي ٢٦٣ نقشا. وكل هذه النقوش معروفة سابقا ومنشورة وخاصة عند جوسين وسافينياك ولكن هذه الدراسة هي الأولى من نوعها حيث إنها تشكل الدراسة الأولى لكافة النقوش النبطية من منطقة الحجر والتي تشتمل على معالجة متكاملة لتلك النقوش حيث قام الباحث بالتحقق من قراءة هذه النقوش بنفسه وذلك بزيارة ميدانية لموقع الحجر من أجل هذا الهدف.



وقد جاءت معالجة النصوص تفصيلية، فبعد أن وضع الباحث أسماء المراجع والتي تضمنت الدراسات السابقة للنقش مع الإشارة إلى اللوحات التي تحتوي صورة أو رسماً للنقش قام بعملية تفريغ للنص النبطي بالحروف العربية، وتلا ذلك ترجمة للنص بالعربية ثم تعليق عام على النقش من ناحية القراءة أو القراءات المختلفة، ويضاف إلى ذلك التصحيحات التي قام بها المؤلف لبعض القراءات. وقد أعطى الباحث عملية تحليل النقوش جهداً كبيراً، فقد قام بتحليل كافة الكلمات وصيغ الأسماء والقواعد والمسائل النحوية بشيء من التفصيل وعالج كذلك مسألة اشتقاق الكلمات في ضوء اللغات السامية.

وأما أسماء الأعلام فقد منحها المؤلف جهداً خاصاً، وقام بتحليلها اشتقاقياً في ضوء مقارنتها باللغات السامية الأخرى ومقارنة الأسماء بما يماثلها من الأسماء السامية كالآرامية والتدمرية. واختتم المؤلف عرض النقوش باللوحات وهي عبارة عن رسومات للنقوش بأشكال حروفها النبطية، ويضاف إلى ذلك لوحة تحتوي على أشكال الحروف النبطية الواردة في هذه النقوش (ص ٣٦٠). وأمّا قائمة المراجع (ص ٣٩٧-٤١٩) فتدل على اطلاع تام بما كتب عن نقوش الحجر النبطية بكافة اللغات.

استخدم المؤلف النصوص العربية، في عملية تفريغ النقوش وهذا أمر يستحسن، إذ لا حاجة إلى استخدام الحروف اللاتينية كما هو متعارف على ذلك بين علماء النقوش السامية، ومن المعروف أن علماء النقوش السامية كانوا يستخدمون سابقاً الحروف العبرية لتفريغ النصوص النبطية وهذا يرجع إلى أن علم النقوش السامية كان قد وُلد في حضن الدراسات اللاهوتية. وأمّا مسألة استخدام الحروف العربية فهي من الأهمية بمكان. ومن المعروف بأن آرامية النقوش النبطية تستخدم ٢٢ حرفا في كتابة اللغة النبطية، ومما لا شك فيه أن لغة النقوش النبطية هي إحدى اللهجات الآرامية التي تطورت عن آرامية الدولة ولكنها تحتوي على كلمات عربية صريحة، وبعض التأثيرات النحوية العربية الشمالية. ويستخدم المؤلف أثناء عملية تفريغ النقوش بعض حروف الصوامت العربية، والتي ليس لها شكل خاص في الكتابة النبطية مما قد يؤدي إلى الالتباس خاصة على القارئ العربي غير المتخصص في هذا المجال، ويستحسن تفريغ النقوش فقط كما هي في الكتابية الآرامية. فعلى سبيل المثال آرامية النقوش النبطية تكتب حرف الغين وحرف العين بشكل واحد، وبالتالي يستحسن أثناء عملية تفريغ النقوش الالتزام بقوانين الكتابة النبطية، وفي هذه الحالة كتابة حرف العين، وكثيراً ما يستخدم المؤلف أثناء تفريغ النقوش الحروف العربية مباشرة كالخاء والغين والثاء والتي لا يوجد لها أشكال لوحدها في كتابة الأنباط.فالكتابة النبطية تكتب الخاء بحرف الحاء والغين بالعين والثاء بالتاء وما إلى ذلك، فمثلاً استخدم المؤلف في كتابة الكلمة الآرامية *ي ب ع ا* بما يقابلها بالعربية *ي ب غ ا* (نقش ١٩٣)، أي أنه يقوم بتعريب الكلمة الآرامية مباشرة، وهذا من شأنه أن يجعل القارئ يعتقد فورا بأن هذه الكلمة عربية، وفي حقيقة الأمر هذا اللفظ مشترك ما بين العربية والآرامية والآرامية ليس فيها حرف خاص للغين بل كما سبق ذكره بأن هناك حرفا أو شكلا واحدا للعين والغين .

تشكل دراسة أسماء الأعلام في هذا الكتاب جزءاً مهما احتاجت من المؤلف جهداً خاصاً، وبالفعل فقد جاءت تحليلاته في معظمها قريبة إلى الصواب، حيث قام بتدعيم رأيه بورود تلك الأسماء في المصادر العربية أو النقوش السامية الأخرى، ومن المعروف أن الأسماء النبطية في غالبيتها عربية، وهو الأمر الذي حسم مسألة الهوية الحضارية للأنباط بأنهم أحد شعوب عرب الشمال. وعلينا أن نعترف بأن هناك أسماء مازالت غامضة ومازالت بحاجة إلى البحث والتمحيص. ومن الأمثلة على ذلك اسم المرأة *ن س ك و ي ه*، حيث يقوم المؤلف بتحليل هذا الاسم على سبيل الاحتمال من نسك بالعربية بمعنى ناسك والعنصر الثاني في الاسم يضعه على أنه *ي هـ* ويحلله على أنه يقابل اسم الإله العبري *ي هـ و*، وأنا استبعد هذا التحليل قطعا فلا يرد هذا الاسم في التوراة أو النقوش العبرية أو الآرامية. وما دامت قراءة هذا الاسم غير أكيدة فإن مسألة التحليل تبقى كذلك عملية قابلة للاجتهاد.

وهذه ملاحظة أخرى تخص الاسم *ر ق م و* (نقش ١١٠، ص ٢٣)، فقد قام المؤلف بتحليله على أنه نوع من الحيات، ولا نعرف من سياق النقش عن ماهية هذا الاسم إذا ما كان اسماً لرجل أو امرأة. وإذا اعتبرناه اسماً لامرأة فإن تحليل هذا الاسم قد يكون أعطي للمولودة تيمناً باسم مدينة البتراء النبطي رقمو والذي يرد في النقوش النبطية بهذه الصيغة، والذي يعني الصخر ويظهر الصخر في الأسماء عادة ككناية عن القوة والمنعة. وعلينا أن نتذكر أن كثيراً من النساء التدمريات كن يحملن الاسم تدمر تيمناً باسم مدينتهن تدمر، ويضاف إلى ذلك ما ذكرته المصادر العربية بان مدينة تدمر قد تسمّت بذلك بناء على اسم امرأة اسمها تدمر بنت حسان، ويضاف إلى ذلك روايات أخرى ليس هنا مجال لذكرها.

وهناك كثير من النقوش النبطية تبدأ أو تنتهي بكلمة *س ل م* ، وتترجم هذه الكلمة من قبل العلماء عادة بـ "تحيات" فلان. ويتفق المؤلف مع هذا الرأي السائد لترجمة هذه الكلمة. وأنا أعتقد أن هذه الترجمة غير

دقيقة، فهذه النقوش ليست رسائل حتى تحتوي على مصطلحات سلامات وتحيات فلان بن فلان أو ما شابه ذلك ، ومن المرجح أن نضعها ضمن نقوش الدعوات والتضرع للآلهة والتي تتقاطع مع النقوش النذرية ، وبالتالي فإن المصطلح س ل م في هذه النقوش يعني الدعوة بالسلامة لصاحب النقش وما أحوج أصحاب هذه النقوش الذين يقطعون البوادي والفيافي في رحلاتهم التجارية أو التجوالية من الدعوة لهم بالسلامة من قطاع الطرق وهجوم الحيوانات البرية. وهناك كثير من النقوش العربية الشمالية المبكرة أي الصفوية والثمودية التي تحتوي على من المضمون وتطلب من الآلهة خاصة اللات أن تحمي فلانا وأن ترعاه بالسلامة. ولعل هذا التحليل يساعدنا في فهم السبب وراء كتابة مئات النقوش الصخرية القصيرة أو المخربشات النبطية التي عثر عليها في سيناء وخاصة في وادي المكتّب، وحيث تظهر كلمة س ل م كثيرا في تلك النقوش. وإذا ما اعتبرنا أن تلك النقوش ترتبط بالتجار الأنباط ورجال القوافل في طريقهم إلى مصر، فأفضل تحليل لتلك النقوش إذن هو أن مصطلح س ل م الذي يضاف إليه في العادة أسماء أشخاص هو الدعوة بالسلامة للقافلة ورجالها. فمثلا النقش رقم ٣٩ قرأه المؤلف وترجمه كالتالي: ع ر د و ب ر ن ح ش ط ب و وترجمه كالتالي: تحيات عراد بن ن ح ش ط ب ولكن يمكن ترجمته كالتالي: عراد بن نحشطاب. بالسلامة . وهناك مصطلح نبطي آخر جرت عادة العلماء أن يترجموه بكلمة "جيد" وهو صيغة ب ط ب، ويتفق المؤلف مع هؤلاء الباحثين في ترجمة هذا المصطلح. ويجب التنويه في البداية أن صيغة ب ط ب والتي تتكون من حرف الجر الباء وكلمة طاب والتي تتخذ نفس اللفظ في الآرامية والعربية (في الأكادية طابو والعبرية طوب) في أصلها عربية فلا تظهر هذه الصيغة في الآرامية القديمة، ولا في آرامية الدولة وتظهر قليلاً في التدمرية وخاصة في نقش صاحبه نبطي، وكذلك تظهر قليلا في نقوش الحضر ومن المعروف أن أهل الحضر كانوا عرباً. إذن صيغة ب ط ب هي عربية الأصل في نقوش الأنباط شأنها شأن كثير من الكلمات العربية الشمالية التي تظهر في النقوش النبطية. أنا اعتقد أن ترجمة صيغة ب ط ب بالكلمة العربية "جيد" هو ترجمة حرفية دون أن تعطي المعنى الدقيق والمقصود بالكلمة. ومن الأفضل في هذا السياق هو أن نفهم ب ط ب على أنها تحتوي بالإضافة إلى معناها الحرفي "جيد" المعنى المقصود من وراء ذلك أي الدعوة بالسلامة أو القول "رافقتك السلامة" وهذه الملاحظات طبعاً لا تقلل من قيمة هذا الكتاب.

هذا كتاب مهم جمع صاحبه فيه ما بين الكتاب التعليمي والأكاديمي، ويعتبر هذا الكتاب أهم دراسة باللغة العربية عن النقوش النبطية. ونتمنى للدكتور سليمان أن يستمر على هذا النهج، فنحن بحاجة ملحة لمثل هذا الدراسات في العالم العربي، فهذه العلوم مازالت حكراً على علماء الغرب، وعلماء العرب لا بدّ أن يكون لهم نصيب في دراسة تراثهم القديم، ولا بدّ لهم أن يشقوا طريقهم للإسهام في كتابة تاريخهم الحضاري، فهم الأحرص على هويتهم الحضارية.

د. محمد المرقطن - قسم الدراسات السامية - جامعة ماربورج، ماربورج - ألمانيا - maraqten@mailer.uni-marburg.de

أدوماتو
Adumatu

استمارة طلب اشتراك

الاســـم : ....

العنوان : ....

رقم الهاتـــــف : .... رقم الفاكس : ....

البريد الإلكتروني : ....

طريقة الدفع :

- ○ أرفق لكم شيكا بمبلغ .... ريال سعودي ، لأمر مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية – مجلة أدوماتو .
- ○ أرفق لكم صورة عن حوالة بنكية بمبلغ .... ريال سعودي لأمر مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية ، حساب رقم : (٠٠٠١٨١٦٣٦٥) ، البنك السعودي الأمريكي ، الفرع الرئيسي، الرياض .
- ○ أرجو أن ترسلوا لنا فاتورة بالمبلغ المطلوب .
- ○ أفوضكم بخصم قيمة الإشتراك من خلال بطاقتي الإئتمانية .

○ ماستر كارد ○ أمريكان إكسبريس ○ فيزا

رقـــــم [| | | | | | | | | | | | | | |]

تاريخ الانتهاء : التوقيع : التاريخ :

الرجاء إرسال هذه الإستمارة بالبريد أو بالفاكس إلى :
مجلة أدوماتو ص.ب ١٠٠٧١ الرياض ١١٤٣٣ المملكة العربية السعودية فاكس : ٤٠٢٢٥٤٥ (١) (٩٦٦+)

أدوماتو
Adumatu

استمارة طلب اشتراك

الاســـم : ....

العنوان : ....

رقم الهاتـــــف : .... رقم الفاكس : ....

البريد الإلكتروني : ....

طريقة الدفع :

○ أرفق لكم شيكا بمبلغ .... ريال سعودي ، لأمر مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية – مجلة أدوماتو .
○ أرفق لكم صورة عن حوالة بنكية بمبلغ .... ريال سعودي لأمر مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية ، حساب رقم : (٠٠٠١٨١٦٣٦٥) ، البنك السعودي الأمريكي ، الفرع الرئيسي، الرياض .
○ أرجو أن ترسلوا لنا فاتورة بالمبلغ المطلوب .
○ أفوضكم بخصم قيمة الإشتراك من خلال بطاقتي الإئتمانية .

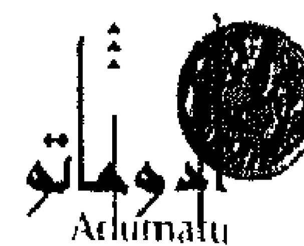
○ ماستر كارد ○ أمريكان إكسبريس ○ فيزا

رقـــــم [| | | | | | | | | | | | | | |]

تاريخ الانتهاء : التوقيع : التاريخ :

الرجاء إرسال هذه الإستمارة بالبريد أو بالفاكس إلى :
مجلة أدوماتو ص.ب ١٠٠٧١ الرياض ١١٤٣٣ المملكة العربية السعودية فاكس : ٤٠٢٢٥٤٥ (١) (٩٦٦+)

SUBSCRIPTION ORDER FORM



Name: ______________________________

Address: ______________________________

____

Tel: ______________________ Fax: ______________________

E-Mail: ______________________________

PAYMENT DETAILS

◯ I enclose a Cheque for US$ .... made payable to :
(**Abdul Rahman al-Sudairy Foundation - Adumatu Journal**).

◯ I enclose a Xerox copy of a Bank Transfer made to Abdul Rahman al-Sudairy Foundation, Account No. (0002809303) Saudi American Bank, Main Branch, Riyadh.

◯ Please invoice me.

◯ Charge my credit card: ◯ Master Card ◯ VISA ◯ American Express

Card No. | | | | | | | | | | | | | | | |

Expiry Date: Signature: Date:

Please send this form by mail or fax to:

Adumatu Journal P.O. Box 10071, Riyadh 11433, Kingdom of Saudi Arabia, Fax: (+966) (1) 4022545

SUBSCRIPTION ORDER FORM



Name: ______________________________

Address: ______________________________

____

Tel: ______________________ Fax: ______________________

E-Mail: ______________________________

PAYMENT DETAILS

◯ I enclose a Cheque for US$ .... made payable to :
(**Abdul Rahman al-Sudairy Foundation - Adumatu Journal**).

◯ I enclose a Xerox copy of a Bank Transfer made to Abdul Rahman al-Sudairy Foundation, Account No. (0002809303) Saudi American Bank, Main Branch, Riyadh.

◯ Please invoice me.

◯ Charge my credit card: ◯ Master Card ◯ VISA ◯ American Express

Card No. | | | | | | | | | | | | | | | |

Expiry Date: Signature: Date:

Please send this form by mail or fax to:

Adumatu Journal P.O. Box 10071, Riyadh 11433, Kingdom of Saudi Arabia, Fax: (+966) (1) 4022545

عند دراسة الفخار اعتمد المؤلف على كسر فخارية من طبقات متراصفة وملتقطات سطحية، وللوصول إلى نتائج علمية تعتمد التحليل الكمي لا بد من إهمال الملتقطات السطحية . ووصف الفخار حسب معايير متناقضة مستعملاً المعيار المكاني، ومعيار المعالجة السطحية، وكان أجدر به اعتماد أحد المعيارين. كما أنه كان غير متّسق في تصنيفه الفرعي للمجموعات الفخارية، فاستخدم معيار اللون في إحداها وفي أخرى معياري اللون والمعالجة السطحية، وفي أخرى ثلاثة معايير اللون والزخرفة والشوائب المضافة. التصنيف بشكل عام لا يعطي صورة متكاملة عن فخاريات الموقع. وسمى الباحث الأشكال لوحات واللوحات سميت خطأ أشكالا، هذا بالإضافة إلى أخطاء مطبعية متعددة أفقدت هذا البحث المهم والمفيد الكثير من جديته، وكان يمكن تفادي ذلك بمراجعة المخطوطة خلال عملية النشر وتصحيح الأخطاء ولتخفيف الضرر من المستحسن نشر الأخطاء مصححة في لائحة منفصلة وضمّها إلى الكتاب.

References

al-Ansary, A.R., 1982. **Qaryat al-Fau A Portrait of Pre-Islamic Civilization in Saudi** Arabia, Riyadh, University of Riyadh.

Blakely, J.A.; J. A. Sauer, and M.R. Toplyn, 1985. **The Wadi al-Jubah Archaeological Project.** vol. 2, Site reconnaissance in North Yemen, 1983. Washington, D.C., AFSM.

Pirenne, J., 1956. Palèographic des inscriptions Sud-arabes; contribution à la chronologic et à l' histoire de l'Arabie du Sud antique. vol. 1, Des origines jusqu'à l'e'poque himyarite,Brussels, Paleis der Academien.

Potts, D.T. 1990. **The Arabian Gulf in Antiquity. vol. II. From Alexander the Great to the Coming of Islam**, Oxford, Clarendon Press.

Potts, D.T. Frye J., Mughannum, A.S., and Sanders, 5, 1978. "Preliminary report on the second phase of the Eastern Province survey 1397/1977" **ATLAL**, 2: 7-27.

Rice, P.M., 1987. **Pottery Analysis - A source book**, Chicago, The University of Chicago Press.

al-Saud, Abdullah Saud, 1991. "Central Arabia during the early Hellenistic period", Ph.D. thesis, Edinburgh, Edinburgh University.

Zarins, J., Ibrahim M.,Potts, P.,and Edens, C., 1979. "Preliminary report on the survey of the Central Province 1978." **ATLAL**, vol. 3, pp. 9-42.

pp. 321-329, plates 37-45, unglazed should be (glazed).
p. 322, plate 38, all drawings are missing.
pp. 336-337, plates 52 and 53 should be reversed.
p. 342, plate 58 is missing.
pp. 344-345, plates 60-61, unglazed should be (glazed).
p. 349, plate 65, sub-type 3/1 of glazed pottery, should be replaced by (stone artifacts).

Checking the original copy of the author's thesis, some mistakes were only observed in the published book, where others, like the diacritical marks were common to both. Mistakes in figures and plates were observed only in the published book and were correct in the original thesis, only 2 mistakes were common in both.

It is to be regretted that such a useful work contains such mistakes, which reflect badly on both the author and the publisher. Such results could be avoided by publishing an addendum comprising all the corrections. It is highly recommended to do so, because it is always better late than never. Due to the lack of archaeological information on Central Arabia, it is a pity to have such a valuable, and badly needed work, to be published in such a form.

Dr. Issam A. Khalifeh **Department of Archaeology & Museums, College of Arts, King Saud University, P.O. Box 2456, Riyadh 11451, K.S.A.**

مخلص: تهدف هذه القراءة لدراسة كتاب اهتم بموقع العيون الأثري بمحافظة الأفلاج بوسط الجزيرة العربية بوصفه واحداً من المواقع ذات التأثيرات الهلينستية المبكرة، والموقع مؤلف من المستوطنة السكنية، والمدافن، وشبكة الري. حاول المؤلف تحديد تاريخ المستوطنة، والكشف عن طبيعتها، وعلاقتها بطرق التجارة القديمة بين اليمن ومختلف أجزاء الجزيرة العربية. ولتحقيق هذه الأهداف أجرى المؤلف عمليتي تنقيب بالموقع ما بين ١٩٨٨/١٩٨٩م. وكمقدمة أسهب المؤلف بالتعريف بممالك الجزيرة العربية القديمة والطرق التجارية، والتأثيرات الهلينستية من خلال دراسة مواقع في شرق ووسط الجزيرة. وبعد ذلك انتقل إلى دراسة نتائج التنقيبات في الموقع، كما درس الفخاريات حسب أنماطها المختلفة بالإضافة إلى المجامر والأدوات المصنوعة من الحجر والعملات وختم عليه نقش بالمسند الجنوبي، وأنهى بحثه بمناقشة عامة ومقارنات وفرضيات خاصة بالموقع.

إن تركيز الباحث على الصبغة الهلينستية لهذه الفترة الحضارية في الجزيرة العربية وفي الموقع نفسه، هي منطلق خطأ ويظهر إسقاطات لمنحنى فكري اعتاد فيه البعض على صبغ فترات معينة بصبغات حضارية خاصة وسحبها على كافة مناطق الشرق الأدنى القديم ومنها الجزيرة. ولكن الجزيرة العربية حافظت على نقاوتها عبر التاريخ وأجدر بنا استعمال مصطلحات حضارية لها علاقة مباشرة بالتسلسل الزمني للمالك العربية القديمة.

اعتمد الباحث بتواريخه الجدول الزمني الأدنى مقارنة بالجدول الزمني الأوسط والأعلى، وهذا قد يقود إلى أخطاء نظراً لأن الذين اعتمدوا الجدول الزمني الأدنى لا يستندون إلى دليل أثري واضح كما أنه أسهب في الفصول الأربعة وتعرض لموقع العيون متأخراً، وكان أجدر به أن يقدم بحثه للموقع، مما كان سيعطي للبحث تناسقاً وترابطاً أفضل. كما أنه سها عن ملاحظة المدافن المحفورة في الصخر على أعماق مختلفة في قرية الفاو، واستنتج خطأً أن المدافن المحفورة في الصخر هي مدافن خاصة فقط بمنطقة العيون.

thus fused with the surface of a vessel, and glazes are applied to add color or texture and to reduce permeability (P. Rice: 1987: 95-151).

The author also cites (Potts, *et al.*: 1978: pl.10: no. 35) and compares it with type 2 of the glazed pottery (p. 165). But Potts does not consider it neither as glazed nor as Hellenistic.

8. The author suggests that subterranean tombs found at al-^{c}Ayun, as far as he knows, "have no similar type from sites in the central region or other regions of Arabia. However, it seems that this type of subterranean tomb was known outside the Arabian Peninsula since the Early Bronze Age, e.g. in the Levant", (p. 183).

It seems strange how the author missed his discussion on the tombs of Qaryat al-Fau (pp. 79-80), where he described the tomb of King Mu^{c}awiya bin Rabi^{c}a which exhibits a shaft entrance at a depth of five meters, and the tombs of 'Ijl bin Haf^{c}am and his family as an example of the Nobility's tombs with a shaft of about 3 meters in depth (al-Ansary: 1982: 19-20 & 46-48). In addition to these 2 tombs, 25 shaft tombs so far, have been uncovered in Qaryat al-Fau, and it will be published soon.

Considering the survey conducted in the central province in 1978, it revealed a clear evidence for tombs in the area of al-^{c}Ayun lakes south of Layla and to the east of the small lakes Muwafiq and Wajjaj, on the ridge line. "A quick survey of the area revealed that as many as 200 tombs of this type (subterranean) may be present" (Zarins .: 1979: 26-27).

9. The author used the terms figures and plates haphazardly in an inconsistent way. It would have been more consistent and useful if he used either plates throughout the thesis or figures, but since he chose to use both, he should be consistent in using plates for photographs and figures for others.

10. In some figures, the numbers or the letters are not clear and illegible, the author should be better advised to choose the right size of letters and numbers before reductions, so they will come out clear after being reduced to size A4 paper, e.g. , (Figs. 6,9,12,26,66.)

Editorial works

Generally speaking, manuscripts and published books cannot be free from mistakes, typing errors, or inconsistencies, and such errors could be reduced to a minimum by reading and checking the manuscripts at different stages of its preparation by both the author and the publisher. In case of the book under review, the book fell short of fulfilling the minimum requirement of such objectives. Just in the table of contents eleven mistakes were observed. The diacritical marks for the 'alef (') and the 'Ayn (') are haphazardly used throughout the book. The first word in the introduction (From) was typed wrongly as Form. The book is full of such mistakes, and it could be avoided by simply checking carefully the manuscript.

Some phrases or letter printed in bold letters, it should be in the normal font, e.g. p. 6, line 27, (in Yemen especially in Ma'rib). p. 149, line 10, Glazed pottery should be in bold letters. p. 159, F.T. (11) not mentioned at the end of the page. p. 159, line 18, wares no. 5, 6, and 9. No incised decoration in wares 5 and 6, only in 9. p: 159, line 21, Type 10, ware no. 1. No incised decoration in ware no. 1. p. 159, line 23, subtype 3/1, ware no. 2. No incised decoration in ware no. 2. p. 169 coins: names in Greek between parenthesis ( ) are missing in all the coins discussed, when checking the original copy of the author's thesis they were present.

Notes on Figs. and plates:
p. 277, Fig. 61, B-1 tomb (V) is missing.
p. 289, plate 5, Type 1 should be (2).
p. 312, plate 28, Type 5 should be (7).

Because if pottery is studied quantitatively, it should be in relation to the stratigraphical context in order to assess the changes which took place overtime. Such results may be useful as basis for comparison with pottery from other sites, and as a framework around which to establish a meaningful discussion of trade with other regions.

5. The classification of the pottery of the site al-cAyun, whether it came from soundings or from surface collection was basically classified according to the following categories: (a.) unglazed pottery (b.) glazed pottery (c.) tumuli/ cairns pottery.

This classification is based at the same time on two different criteria, surface treatment and provenance. To be consistent, the author should have used either the criterion of surface treatment to define the ware, or he should have classified the pottery according to provenance (settlement, and tombs), and then within each of these categories, the ware will be studied as unglazed or glazed or other characteristics pertaining to surface treatment.

6. The majority of the pottery was classified into unglazed and glazed pottery, and each of these 2 groups is comprised of different types and sub-types (pp. 133-166). This in addition to tumuli/cairns pottery. The author in defining the different types of wares was inconsistent.

In discussing the unglazed pottery, he divided it into 11 different types of wares using different criteria to define a certain type of ware, and some of these types do not amount to a separate type by itself, and sometimes there is overlapping. For example in describing types 1 and 10, the author used the criterion of color only (pp. 133-148). In type 8, two criteria were used color and surface treatment (P. 146). Where as in types 2,3,5,6,7, and 11, the author used two criteria color and added temper and inclusions. On the other hand, in describing type 4, the author used three criteria, color, decoration, and added temper and inclusions (p. 142).

In the discussion of glazed pottery, the author was also inconsistent. He classified the glazed pottery into three different wares. The definition of wares 1 and 3 (pp. 149-151) was according to the criteria, color, manufacture, and surface treatment, where as type 2 (p. 150) was defined only according to the criteria of color and surface treatment.

On the other hand, the pottery of the tumuli/cairns (pp. 158-159) was classified into 2 types based on the criteria of manufacture, color, and temper and inclusions.

In general, the author used an inconsistent methodology in establishing the ware types. He could have done it by using the Munsell Soil Color Charts, and the fundamental defining criteria as composition, manufacturing technology, and surface treatment. It should be also mentioned that definition of types according to ware is a formidable task, chiefly because it is often difficult to interpret technological properties or identify composition without extensive laboratory analysis, and this the author failed to do.

7. The author classified the glazed pottery into 3 types and one sub-type. Type one is an imported Hellenistic ware. Types 2,3 and sub-type 3/1 have been divided into 3 groups based on the criteria of fabric and surface finish, together they could be classified as "Layla green ware (p. 149) and citing (Zarins, *et al.*: 1979). But Zarins himself (Zarins, *et al.*:1979: 32) refers to this ware as either a black or green surface, probably the result of a vitrified slip. There is no mention of glaze, indicating that the difference in color is probably, no more than a matter of differential firing temperature. Because while firing some particles melt, and the molecules travel to the surface and form what is called vitrified slip and it is not a glaze. A glaze is a coating of glass melted in place and

Sabaean Mukarribs and Kings. It is necessary to mention that some of these inscriptions have not yet been fully studied. The social and economic life and information on religion have not been fully explored, and we have only the chronology of some of the rulers and some generalities about the Sabaean people. A full investigation has not yet been accomplished, because there is not enough information backed by archaeological evidence.

It should be mentioned also, that the epigraphers did not consider during their debates that they were dealing with a culture completely different from those originating in other areas of the ancient Near East. Instead of taking the information gathered from the Sabaean sources and analyzing it thoroughly without reference to these other cultures, and then considering the results of their studies in comparison with our knowledge of the Near East in general to assess any mutual influences, they presumed that the Sabaean culture had been imported by immigrants from the north. There is no archaeological evidence to support this assumption. It is true, however that the Sabaeans, like any other ancient people, borrowed many elements from other cultures. This was a natural result of their communications and trading activities, which were wide spread in the second half of the first millennium BC. and later. On the other hand, some theories put the beginning of the Sabaean history in the 8th Century BC. Archaeological evidence also shows that it may well go back to the 13th Century BC. (Blakely *et al.* 1985). This is just a beginning, for more archaeological information will shed more lights on such issues.

3. When the author discussed the site of al-^{c}Ayun, which is the crux of his thesis, it was pushed back to chapter 5 out of 9 chapters. The first 4 chapters went into detailed information, though important, but it could be shortened, or part of it, could be incorporated into the discussion that followed the site al-^{c}Ayun. The reader felt derailed from the main topic which is the region of al-Aflaj and the site of al-^{c}Ayun. Even the title of the thesis is misleading and the reader is shocked when he reaches the chapter dealing with the excavation of the site of al-^{c}Ayun.

The author should have been better advised to introduce his important work at al-^{c}Ayun at an earlier stage in his thesis. During the analysis and the discussion of the results, he could have included a lot of the information displayed in the first 4 chapters. The first 4 chapters comprised almost half of the thesis, about 96 pages, and the total number of pages of the thesis is 189 not including the appendices. In addition to that, the total absence of any mentioning of al-^{c}Ayun from the title of the thesis, left the work loose-jointed, instead of being pulled together by a title that reflects to a certain extent the real content of the subject under discussion.

4. In the discussion related to the pottery, parts of chapters 7 and 8, the author classified the pottery according to sherds collected from both the surface and the excavation. In any objective classification of pottery only stratified pottery is considered, surface collection is usually discarded. Because we are afraid that it might be intrusive, and in working out any percentages, it could effect the final results, and the final picture does not reflect the real situation.

While looking at the sherd count (p.160), we find among unglazed pottery 385 sherds collected from soundings, and 92 sherds collected from surface, which represents 23.9%. Also from glazed pottery we have 392 sherds from soundings and 94 sherds from surface, which represents 23.9%.

Such percentages can't be ignored, and discarding them will give more validity and a real record of the pottery being classified.

for future work at the site of al-^{c}Ayun and in Saudi Arabia in general.

The conclusion was followed by 4 appendices:

Appendix I – The Location of Gerrha
Appendix II – A proposal for the location of the Kingdom of Hagar/ Agraioi
Appendices III & IV – Dealt with the seal found in the area of Layla discussed by 2 separate letters from Dr. M. McDonald and Prof. A. Beeston.

Critical remarks concerning the contents

1. At the beginning of this study, the inclination of the author to use the term Hellenistic was highlighted. This stress on Hellenism is maintained throughout the book, where the main site of al-^{c}Ayun is introduced as one of the early Hellenistic sites in the area of al-Aflaj in Central Arabia (p. 21). Also the thesis dealt with Hellenistic sites in Eastern Arabia and those is Central Arabia (pp. 53–97).

Although, the author in his conclusion mentioned that "nothing suggests that the region was under direct control of the Seleucid Kings. It seems that there was a kind of independence in the area" (p: 74).

In discussing Arabia during the Hellenistic period and its duration, the author refrains from ending the Hellenistic period with the rise of Islam, because Hellenism in the area was interrupted by both Parthian and Persian cultures and that both cultures and civilizations could not be classified under the Hellenistic culture (p. 42). If these cultures can't be included under Hellenism, what about the period and the culture of Arabia, which most archaeologists agree that it was to a large extent Arabian.

Such emphasis on Hellenism in studies related to the archaeology of Arabia is misleading and it leaves us with the impression that the material culture of these sites is being studied out of its own context. There is a cultural milieu or setting for Arabia, and its cultural material should be studied within such perimeters.

2. In discussing the problem of chronology in relevance to the South Arabian Kingdoms, the author explained with great details the current views in regard to the long, intermediate, and short chronologies (pp. 32-36). The author concluded that it seems more logical and it is acceptable to support the short chronology which was developed by J. Pirenne based mainly on paleographic evidence, and we have to support Pirenne's theory of the short chronology for the time being, since we do not have any new archaeological evidence which could change this theory. The author refrains from giving any consideration to both the long and the intermediate chronologies (p. 36).

It is dangerous to be so dogmatic about such theories, and it is always safer to use a scale of probable or possible for such conclusions, especially, we lack the archaeological evidence. J. Pirenne held to a low chronology. She rejected the theory that the historical period of Saba' had begun in the 8th Century BC. or even earlier as Jamme had proposed. Pirenne argued that the Mukarrib period in Saba' could not extend back beyond the early years of the 5th Century BC. (J, Pirenne: 1956: 176-177). Her theory was based purely on observations about the alphabet used in monumental inscriptions. These texts were usually engraved by professional carvers on stone or bronze. On the other hand, Pirenne excluded graffiti from her paleographical analysis, but the development of this non-professional script-style may well show different patterns from those of the professional inscriptions.

Different scholars based their conclusions upon data gathered from inscriptions left by

has hardly received due recognition. The Greeks attempted to establish Greek settlements in the Gulf, but it is important to stress, as it had been noticed by many scholars that the evidence does not suggest that colonization ever assumed the proportions claimed by some scholars (Potts, II : 1990: 15). As a consequence, Arabia was never as strongly hellenized as regions further north and west, and its material and intellectual culture was first and foremost Arabian, though of course open to outside influence from countries all around the perimeter of Arabia (Potts,II :1990: 22).

So, it would have been more advisable to stick to the chronology of the ancient Kingdoms of Arabia which sounds more harmonious rather than as it is depicted in the title of the book as an anachronism.

The publication is mainly a thesis which dealt with the site of al-cAyun in the area of al-Aflaj in Central Arabia. It is comprised of 9 chapters covering 189 pages in addition to 4 appendices, 65 plates, 85 figures and a bibliography.

General summary of contents

Chapter I

Introduction: The Topography of Arabia. The early travelers, the organized survey programme in the mid-seventies. The objectives of the excavations:

1. Date of the settlement
2. Relation to ancient trade route
3. Relationships between the settlement, the irrigation system, and the Tumulus field
4. Evidence to identify the people of al-cAyun

Chapter II

Arabia during the second half of the first Millennium BC. and it is comprised of three parts:

1. South western Arabia, its geography and climate, its ancient Kingdoms of Saba',Macin, Qataban, Hadhramout, and Ausan, in addition to the problem of chronology of those Kingdoms.
2. The Hellenistic world and its relation with Arabia
3. The ancient inland trading routes in Arabia

Chapter III & IV

Comprising Hellenistic sites in Eastern Arabia; Thaj, Salt Mine, Failaka, Qalcat al-Bahrain, Junassan, Mleihah, and ed- Dour. In addition to the Hellenistic sites in Central Arabia: Qaryat al-Fau, Zubaidah, and al-Kharj. The discussion of each site included the archaeological works, the finds, and the chronology.

Chapter V

Dealt with the region of al-Aflaj, and the site of al-cAyun: the settlement, the tumulus field, and the irrigation system.

Chapter VI

Dealt with the archaeological work at the site of al-cAyun, comprising the survey by the Saudi Department of Antiquities and Museums, and the excavation carried out by the author.

Chapter VII

Covered the classification of the pottery according to different wares as unglazed and glazed pottery followed by a discussion of different types of objects.

Chapter VIII

Included a general discussion of the site of al-cAyun, the settlement , the irrigation system, and the tombs. The discussion offered also a comparative study that dealt with the evidence discussed in different sections.

Chapter IX

Dealt mainly with the conclusion and the final results, in addition to some suggestions

Book Review

Title: Central Arabia during the Early Hellenistic Period
Author: Dr. Abdullah Saud Al-Saud
Publisher: King Fahd National Library, Riyadh, 1418 A.H./1997
ISBN: 9960-00-097-4
Pages: pp. 395, 65 plates, 85 figures, paperback

Reviewer: Issam A. Khalifeh

Over the period of the past three decades, considerable political and social changes in the Gulf States brought to the front national awareness, which recognized the importance of the past, the need to present its records and its physical evidence, in laying down a sound basis for a contemporary society. The relative freedom of working in most of the Gulf States and in many cases their evident concern to encourage the establishment mount expeditions to various parts of Arabia.

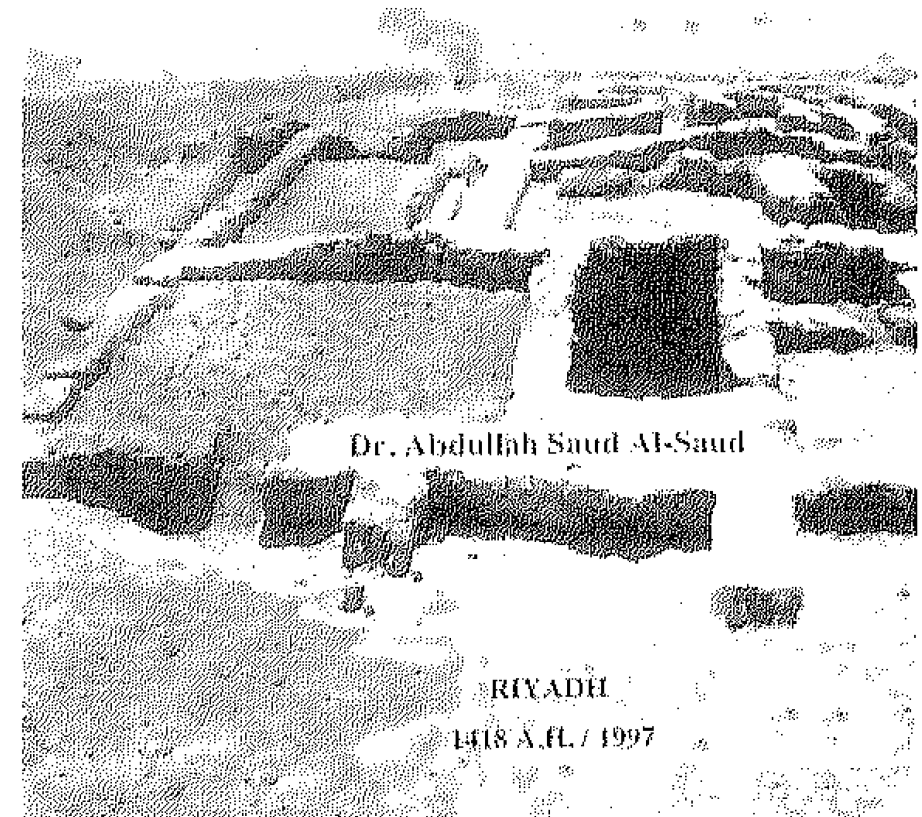
The archaeology of the Arabian Peninsula is very largely a new discipline. Admittedly, the pickings were spares when compared to other parts of the Near East.

The western themes, and the biblical orientation of much European archaeology survived well into the discipline of Archaeology of the last decades of the twentieth century. All over the lands of the ancient Near East there continued to plod, sometimes in extreme discomfort but always in confident certainty, an army of learnedmen. They were often clergymen who worked with a special drive from site to site to trace the recorded intervention of the Divine in the affairs of Man.

Sadly, the winds of time have, as often as not, blown away the theories that they laboured so hard to construct. But the Arabian Peninsula shared little in these western archaeological excursions, even it held firmly despite all such efforts to involve themselves with the exclusive land of Arabia. Among the results of such excursions is namely; the chronological sequence of successive periods of time or the nomenclature of a certain era generalized to cover the entire ancient Near East.



Central Arabia
During the early Hellenistic period



To be more specific, narrowing the focus down to a particular theme, which is the main concern on this study, we are dealing with a very useful book that carries the title: **Central Arabia during the Early Hellenistic period.** Addressing a work with such a title could be misleading. The book is expected to cover central Arabia during a certain period characterized by a certain cultural pattern which happened to be Hellenism. Hellenization is the adoption of Greek modes of behavior in general by people not themselves Greek. Hellenization is a fusion of cultures, and the drive to hellenize achieved marks which stood as major turning points in the history of civilization of the ancient Near East.

Literally, nothing wrong in using this combination of Arabia during the Early Hellenistic period, but it is a wrong projection of a certain frame of mind, where some intellectuals get used to label certain periods of time as bench marks and others have to follow suit.

All what the Seleucids did in Arabia was mainly on the Gulf, though their activity there

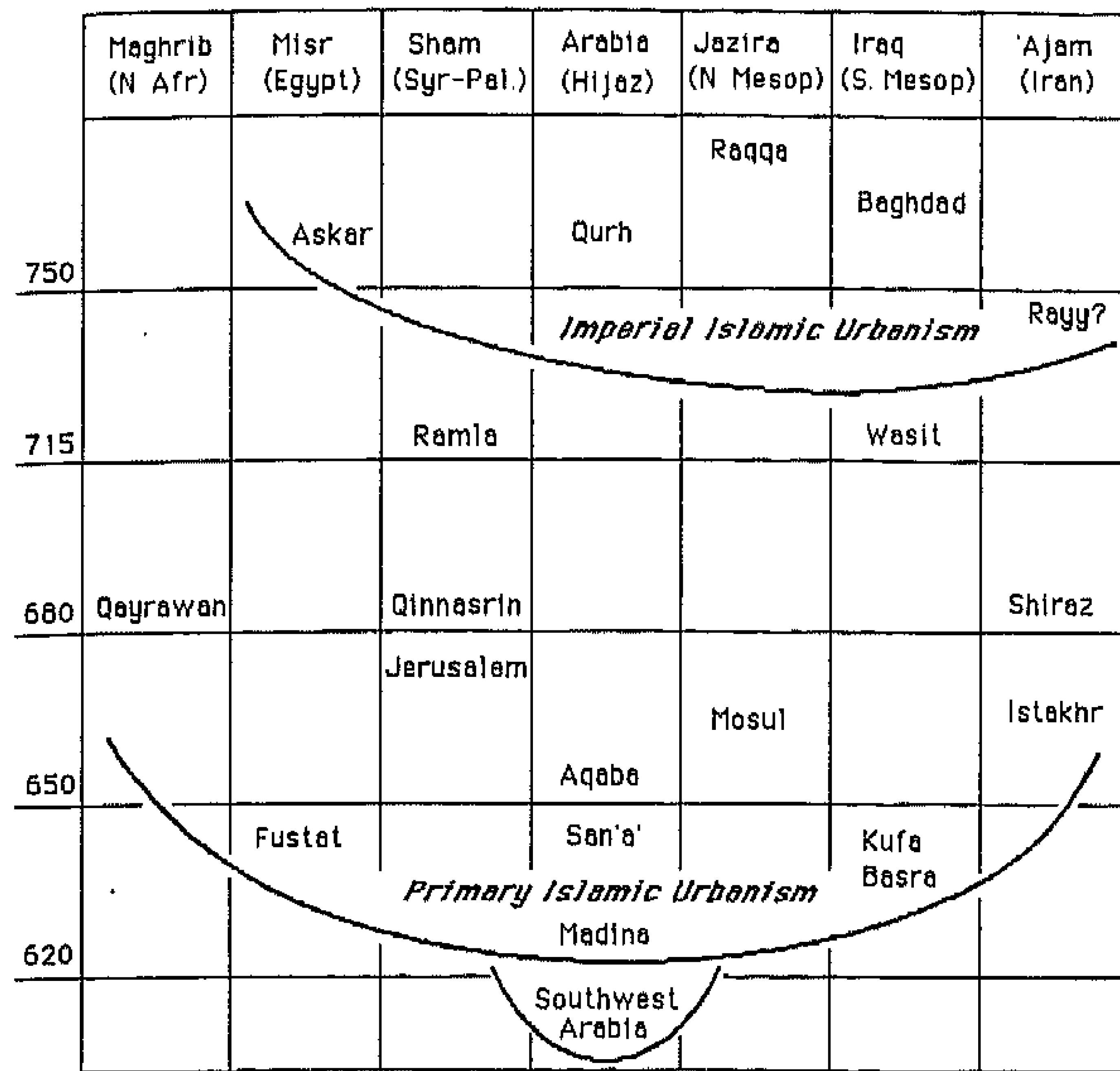


Fig. 3: Chart illustrating the development of early Islamic urbanism

phenomenon, one of cultural continuity which encompassed varied tribal and ethnic identities into the Islamic community (*umma*). This was an Arabian concept of urbanism which proved appropriate as *the material referent* for the theocratic state which began in the Hijaz in the early 7th century.

It may not be inappropriate at The Oriental Institute to express the generalizing pattern of this urbanism in an adaptation of Robert Braidwood's famous "dipchart," originally intended to display much earlier patterns of settlement (Fig. 3). Like Jarmo, the centrality of the excavations at Aqaba may prove to be accidental with accumulation of much further archaeological study.

Dr. Donald Whitcomb **The Oriental Institute, The University of Chicago, Chicago, Illinois, U.S.A.**
d-whitcomb@uchicago.edu

مخلص:أدت التنقيبات الأثرية التي قام بها معهد الدراسات الشرقية في منطقة العقبة إلى اكتشاف مدينة إسلامية مبكرة تعرف بأيلة في قلب المديثة الحديثة. ويعود تاريخها للفترة ما بين ٦٥٠ بعد الميلاد حتي عام ١١١٦ ميلادية لفترة تقارب ٤٥٠ سنة.

وقد قام معهد الدراسات الشرقية بدراسة الدلالات الأثرية للموقع وتفسيرها في سياق نظرية جديدة للمدينة الإسلامية المبكرة، مع التركيز على دراسة ما يسمي بالقصور الصحراوية في بلاد الشام.

وتفترض الفرضية أن المدن والحواضر الإسلامية المبكرة قد نشأت جميعها مناطق حضرية ابتدائية (أولية). وهي تحتوي على عناصر معمارية مثل الدور، والحمامات، والبوابات، والبنايات الملكية والإدارية. وتعد هذه العناصر الإنشائية للمدينة الإسلامية لتلبي الحاجات الدينية، والإدارية، والتجارية الخاصة بنظام الحكم في المدينة الجديدة. وهذا تَحوّلٌ وضَعَ المسار لمدن العصور الوسطي في الشرق الأوسط (وربما كذلك في أوربا في بدايات القرون الوسطي).

وقد بدأت السمات المميزة للمدينة الإسلامية المبكرة في الظهور إلى حيز الوجود منذ المراحل الأولي التي بدأ الإسلام فيها يتخذ شكلاً مميزاً له بخصائصه وسماته الأثرية. وقد تم التوصل إلى هذه الفرضية من دراسة لمدينة العقبة والمدن الأخرى، ويمكن اختبار صحة هذه الفرضية مستقبلاً في مواقع أخرى في الجزيرة العربية وبلاد المشرق الإسلامي.

ركزت دراسة موقع مدينة أيلة على العناصر الإنشائية الحضرية مثل الحمام، المراكز الإدارية، والصور، والمساجد. ووفرت هذه الدراسة نموذجاً للمدينة الإسلامية المبكرة وأساساً تجريبياً لفهم مدينة إيلة وغيرها من مواقع الحوافز الإسلامية المبكرة. ومما آثار اهتمام معهد الدراسات الشرقية ملاحظة إن أيلة كانت مدينة دينية عملت على ترسيخ المدنية منذ وقت مبكر. وبهدا الفهم فإن المدينة الإسلامية المبكرة كانت ظاهرة شرقية، أي استمرار حضاري عبر كيانات قبلية وعرقية في المجتمع المسلم، واتضح أن ذلك ينسجم مع المرجعية المادية للدولة الدينية (الثيوقراطية) التي بدأت في الحجاز في بداية القرن السابع الميلادي.

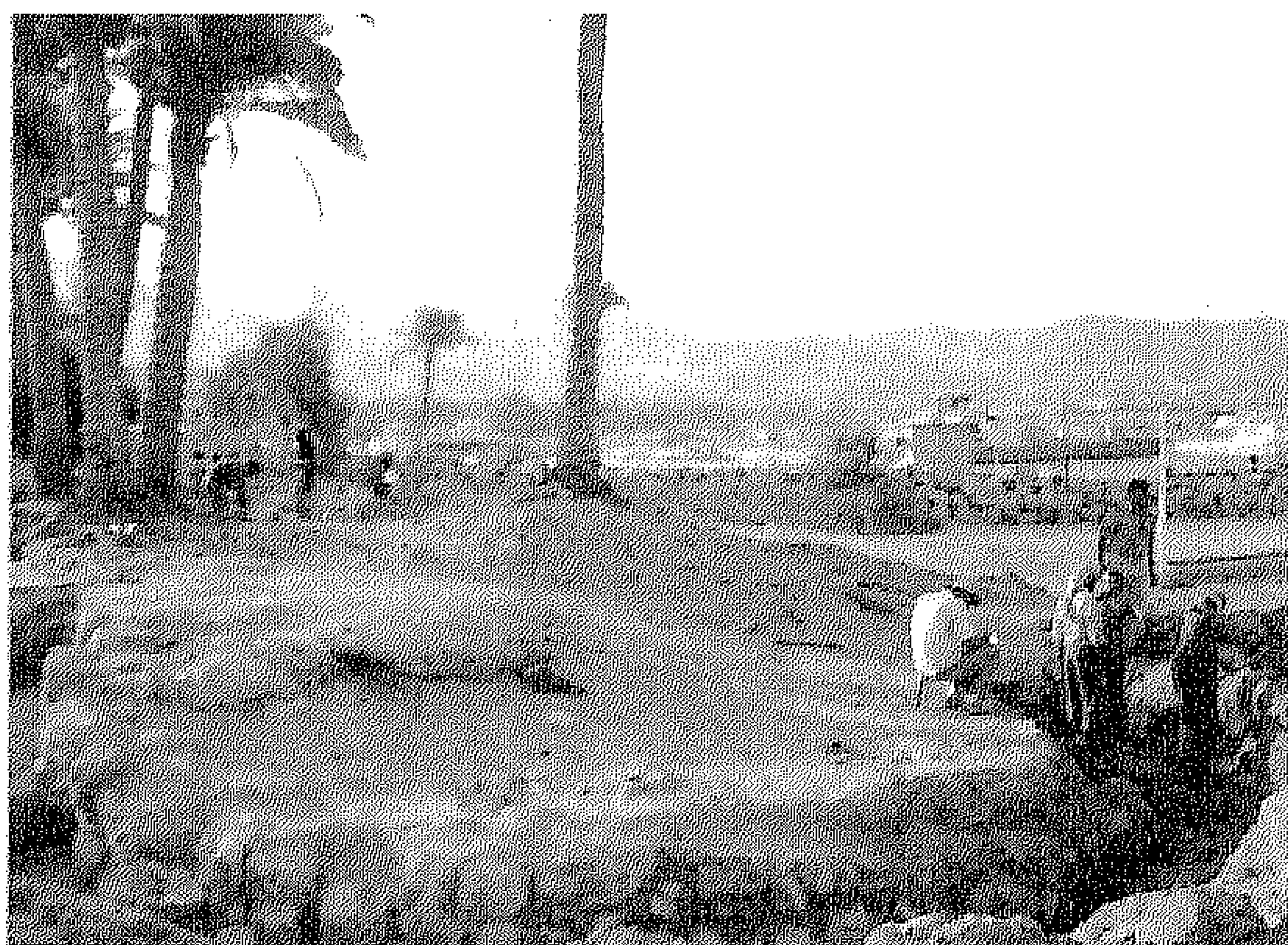
Notes:

1 Summaries of these excavations may be found in D. Whitcomb, *Aqaba — "Port of Palestine on the China Sea"* (Amman, Al Kutba, 1988) and *Ayla: Art and Industry in the Islamic port of Aqaba* (Chicago, The Oriental Institute, 1994).

2 D. Whitcomb, The Misr of Ayla: New evidence for the early Islamic city," *Studies in the History and Archaeology of Jordan V* (G. Bisheh, ed.) (Amman, Department of Antiquities,1995), 277-88.

3 D. Whitcomb, Out of Arabia: Early Islamic Aqaba in its regional context," *Colloque international d'archeologie islamique* (R-P. Gayraud, ed.) (Cairo, IFAO, 1998), 403-18.

Both of these buildings had fixed locations relative to the mosque. The Dar al-Imara was located to the *qibla* (south) side of the mosque; and the Balat was located west of the palace. This topographic configuration



would correspond to the axial relationship of the Ayla congregational mosque, excavated in 1993, and the palace structure mentioned above. The model would predict a Balat or financial offices to be located in the unexcavated area west of the palace.

Nothing is ever completely straightforward, even in the best of models. The mosque excavated in Aqaba is a secondary structure, belonging to the Abbasid period (after the mid-8th century), which imitates the original congregational mosque (see Fig. 2). The Umayyad mosque, which was probably that founded by 'Uthman ibn

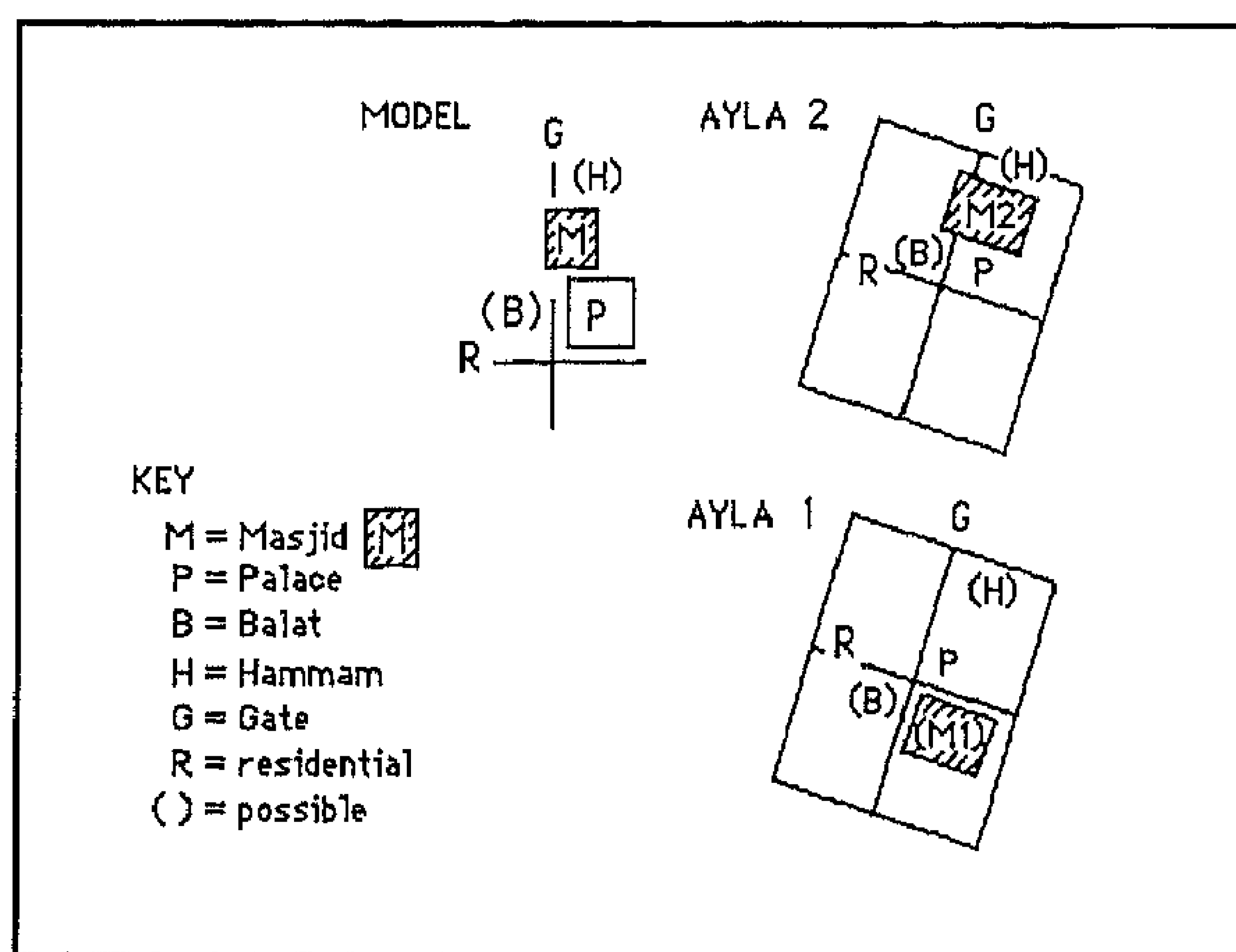
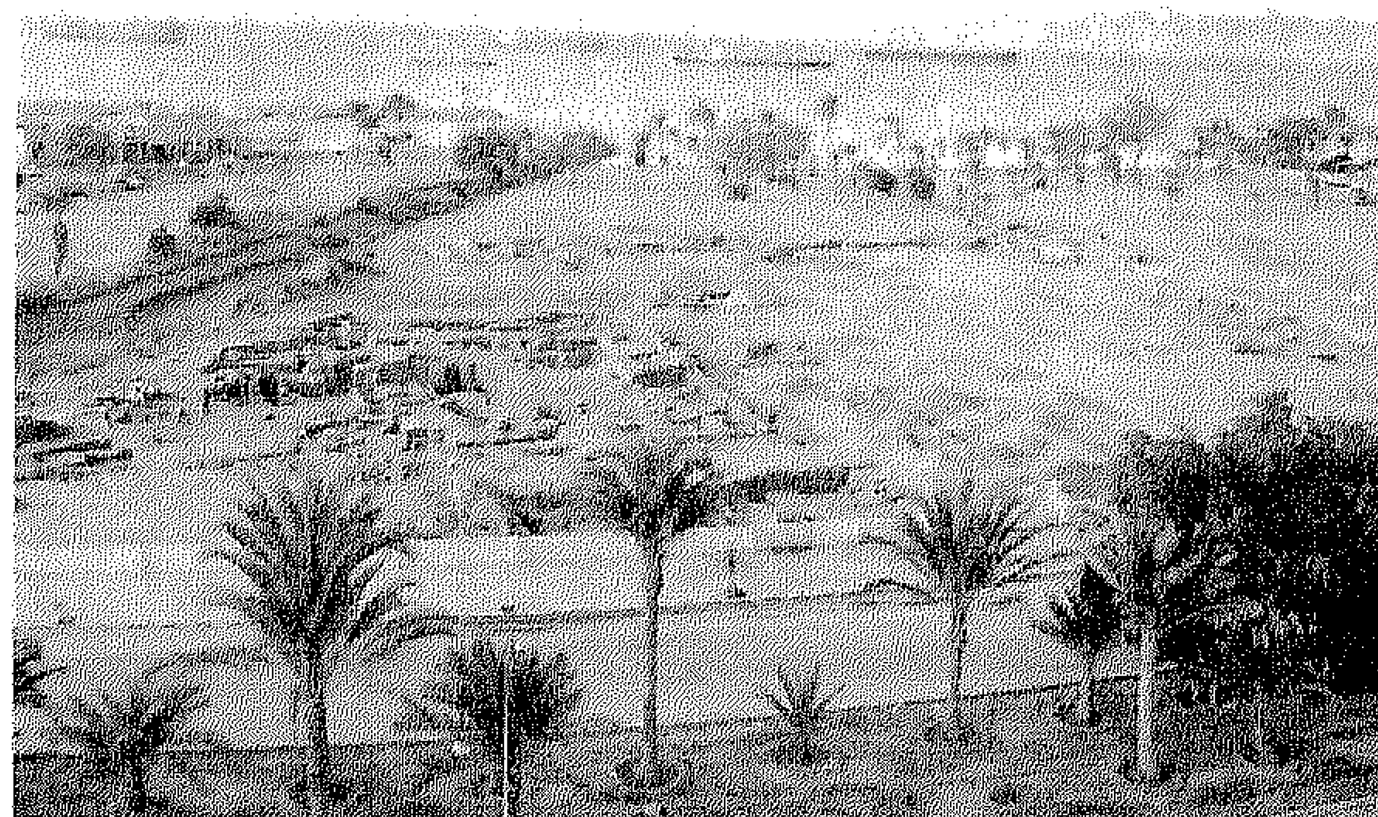


Fig. 2. A model for the early Islamic development of Ayla

'Affan, is not beneath the later mosque and has not been found. Another pattern may be postulated: location of the palace on the *qibla* side of the mosque appears to have been an innovation of the caliph al-Mu'awiya (ca. 680). Before this time, the palace seems to have been either north or east of the mosque, possibly in imitation of the locational relationship between the house of the Prophet and the mosque (*haram*) in Medina. This pattern would suggest that the first mosque at Ayla will be found south of the palace building. The area has not been excavated but lies in the path of the wadi; if the wadi is a fault formed in the 748 earthquake, then there was an ample reason for abandoning its first location and building an imitation on solid ground to the north of the palace.

Conclusions

This very brief description of a model of the early Islamic city has an obvious function in providing an empirical basis for understanding Ayla or other archaeological sites. Perhaps of more interest in The Oriental Institute is the strong indication that, among other aspects, the early Islamic city was a ritual city. Rather like Persepolis, the ritual city is a functional framework which has underpinned urbanism since very early times. One may trace this phenomenon from the ancient Near East into its late antique manifestations in southwest Arabia. In this sense, the early Islamic city was an oriental



medieval cities throughout the Middle East (and perhaps even Europe of the early Middle Ages). Thus an Arabian concept of urbanism lies at the foundation of the early Islamic city; the existence of a distinctive "Islamic city" from the beginnings of Islam begins to take form with specific archaeological characteristics.[3] This hypothesis is derived from Aqaba and other urban plans and can be tested on other sites in Arabia and the Levant.

Spatial patterns in the early Islamic city

An initial breakthrough in the study of structural elements centered on the location of the bath house. In the early Islamic city, the bath house (hammam) was a primary urban element in the early Islamic city, one which adopts a Hellenistic technological apparatus. While one finds baths in extra-urban situations, there seems to be a pattern within cities. Analysis of a number of sites revealed a constant relationship in distance and direction to the "palace" (or administrative center), with the bath house is located to the north (or NW) at 50-60m distance. Further, the bath is often located just east of the north gate, which appears to function as the principal entrance into the city.

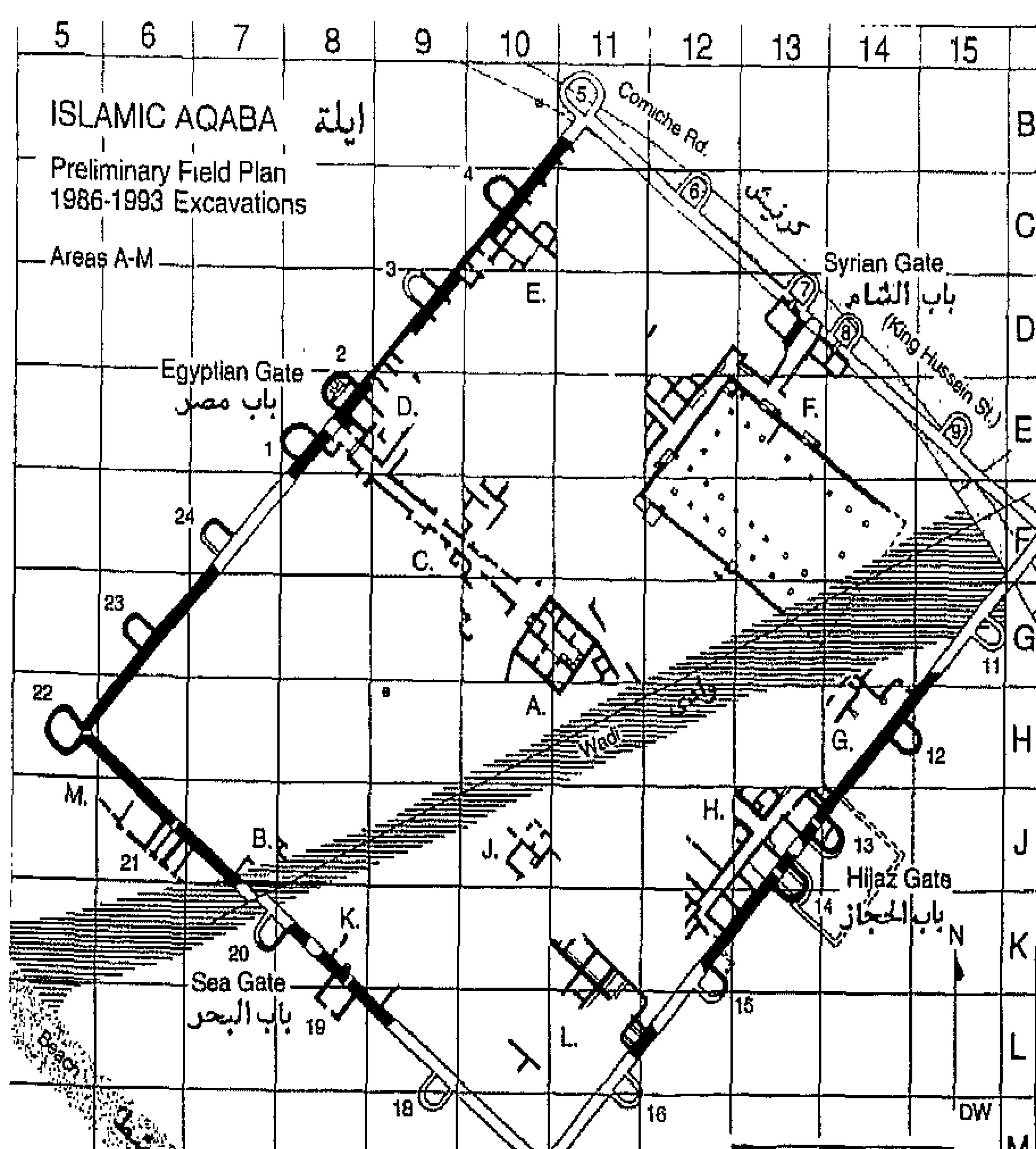
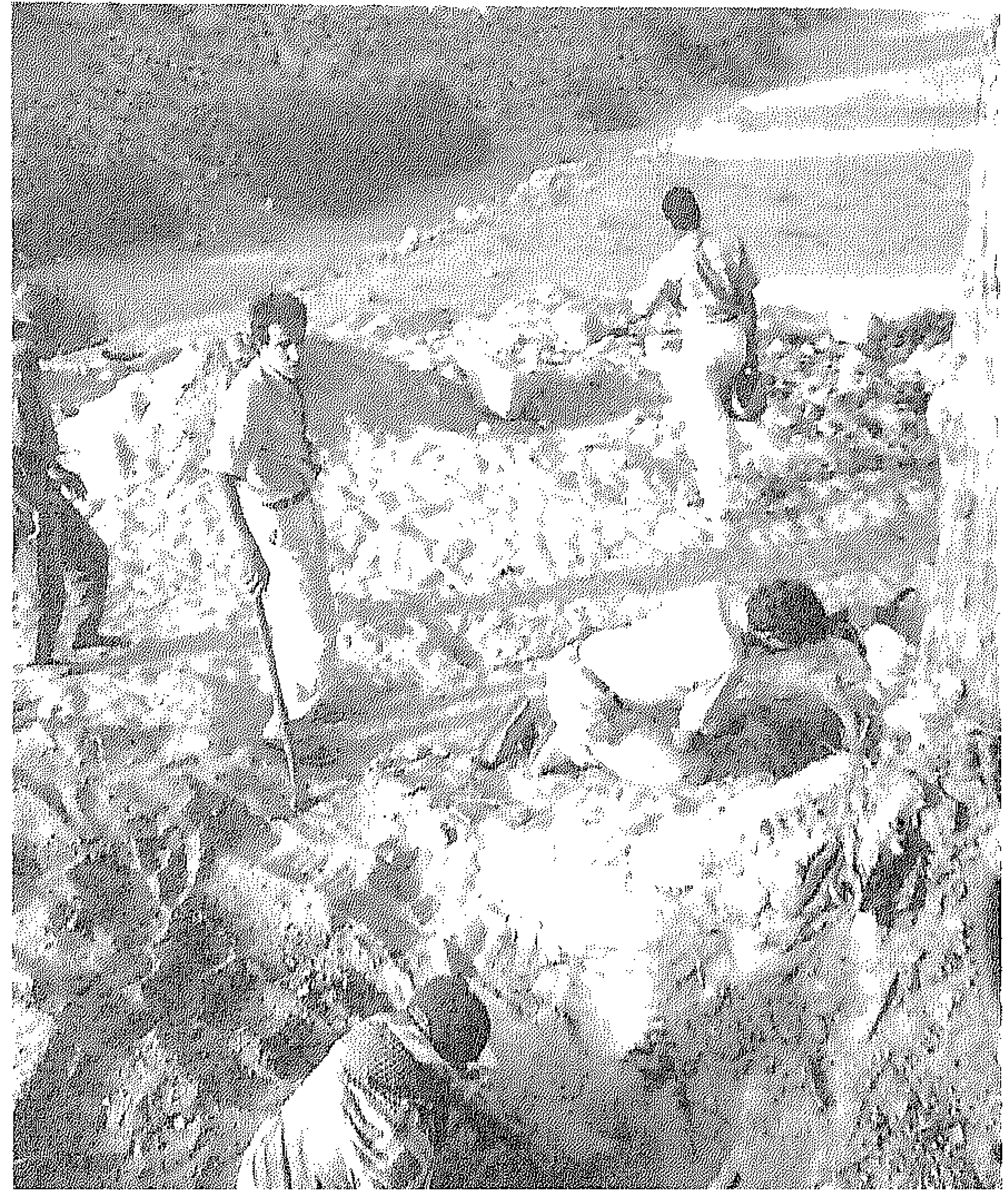


Fig. 1: 1986-1993 Excavations.



The city of Ayla is oriented with corners to the cardinal directions; nevertheless, the northeast gate appears to be associated with the direction of Syria and hence a functional "north." As luck would have it, there is no evidence for the location of a bath house at Aqaba, though some reports during building of the Corniche road suggest that hypocausts might have been found east of the Syrian Gate. During the 1995 season of excavations, a large building, decorated with external pilasters, was found just northeast of the Central Pavilion. If this was the administrative structure or "palace"of Ayla, its location would be the predicted distance and direction from the putative bath and north gate Fig. 1).

In general, there were two administrative structures in the early Islamic city. One of these was the *Dar al-lmara,* the place of the amir, of the social leadership, and of the military. The second structure was the Balat (a term deriving from Palatium), related to the *Diwan,* to the administrative apparafus, to the financial offices and the bureaucracy.

Excavations in Aqaba, Jordan and a Model of the early Islamic City

Donald Whitcomb

Archaeological research in the Aqaba region has revealed a succession of settlements, from the Chalcolithic to the modern period. The excavations of The Oriental Institute, beginning in 1985, produced a completely unexpected chapter in this story, the remains of the early Islamic city of Ayla in the heart of the modern city. This town was occupied from ca. 650 AD. to the arrival of the Crusaders in 1116 AD., a period of ca. 450 years. The archaeological evidence of this period provides important information on the sequence of cultural changes between Late Antiquity and the formation of Early Islam.[1] Further, it provides documentation on the stages of development during the great fluorescence of the Abbasid and Fatimid periods antecedent to the transformations of the medieval world. The Islamic Aqaba Project has been engaged in the interpretation of walls and sherds in light of these historical contexts, while being concerned for the touristic development and explanation of this site in the modern city.

The interpretative understanding of archaeological evidence holds an importance at least equal to the process of discovery. With this in mind, the Islamic Aqaba Project has shifted its emphasis to processing information already recovered and, perhaps more importantly, examining this data in the context of a new theory of urbanism, the explication of the beginnings of the Islamic city. The study of the early Islamic city may profitably take its focus from study of the so-called desert castles located in Bilad al-Sham (Syria / Palestine). These monuments, mostly dated to the late Umayyad period, have been intensively analyzed from art historical vantages, with multiple hypotheses on their functional rationale. More recently, however, the author has combined the results from Aqaba with evidence from Anjar in Lebanon and other sites to bring a more nuanced perspective to these sites.[2]

The present thesis hypothesizes that these early Islamic settlements were all constructed as *incipient urban entities*. They contain structural elements typical of more recognizable cities; for instance: bath houses, gates, the palatial or better administrative structures, mosques, and residential elements. Thus monuments, from the perspective of internal archaeological context, are considered as aspects of urban planning. The Muslim conquest initiated a conscious attempt to recreate specific morphological features which constituted an urban pattern characteristic of western and southwestern Arabian culture. The institutional components of this South Arabian city were adapted to the religious, administrative, and commercial needs of the new Islamic polity, a transformation which set a trajectory for



Seligman, C.G. and B.Z. 1932. **Pagan Tribes of the Nilotic Sudan**. London

Shaw, S.J. 1962. "The Finances and Administrative Organisation of Ottoman Egypt: 1517–1798." Princeton.

Spaulding, J.L. 1985. "The end of Nubian Kingship in the Sudan: 1720–1762." In: Daly (ed)

1989. **The Heroic Age in Sennar.** London.

Venetian, The Anonymous, 1971. "Voyages in Egypte 1589." in Voyageurs occidentaux en Egypte III. Cairo.

Vercouter, J. 1958. "Excavations at Sai 1955–57." **Kush** 6: 44-69

Winter, M., 1980. Turks, Arabs and Mamluks in the Army of Ottoman Egypt. **Wiener Zeitschrift fur des Morgenlandes** 72: 97-110

Wit. De 1696. **World Atlas.** In: Kamal 1951.

Waltz, T. 1979. "Trading in the Sudan in the 16th Century." **Annales Islamologique** XV.

Zimova, N. 1973. **Les Relations entre les Turc Ottoman et Afrique Noire. Yedinci Türk Tard.** Kongressi. Istanbul.

References

Abir, M. 1980. **Ethiopia and the Red Sea.** London.

Adams, W.Y. 1977. **Nubia: corridor to Africa.** London.

Adams, W.Y. 1987. "Islamic Archaeology in Nubia." In Hagg(ed). **Nubian culture: past and present**, pp.1-23

Adams, W.Y. J Alexander, and R. Allen, 1983. "Qasr Ibrim 1980–2." **Journal of Egyptian Archaeology 69.**

Ahmed, L. 1978. **al Idara fi misr fi' l'asp al' – uthmani.** Cairo.

Alexander, J. 1988. "The Saharan Divide in the Nile Valley." **African Archaeological Review** 6:73-90

Alexander, J. 1996. "The Turks on the Middle Nile" **Archéologie du Nil Moyen** 7:15-35

Arkell, A. 1955. **A History of the Sudan.** London

Bellefonds, L. de. 1958. "Journal d'une voyage Meroe": 1821. Khartoum.

Bruce, J. 1790. **Travels to discover the source of the Nile.** Edinburgh.

Burckhardt, J.L. 1819. **Travels in Nubia.** London.

Cezzar, A., 1964. " (Shaw's translation) **Nizamname i Misr:** 1199/1785. Harvard.

Combe, E., A. Bainville and L. Drault, 1933. **L'Egypte Ottoman": l'expedition française en Egypte.** Cairo.

Crawford, O.G.S. 1951. **The Fung Kingdom of Sennar.** Gloucester

Daly, M.W. (ed) 1985. **Modernisation in the Sudan.** New York.

DehÈrain, H. 1940. "La Conquét de la Haute Egypte." In: Hanataux (ed).

Djevad, A. 1885. **Etat militaire Ottoman.** Istanbul.

Elvliya, Celebi. 1938. **Seyahatnamesi: Misr, Sudan, Habes: 1672–80.** Istanbul.

Fattovich, R. 1990. "Archaeology and History if the Gash Delta". In: Bonnet (ed).

Forster, E. (ed) 1949. **The Red Sea and adjacent countries at the close of the 17th century.** London.

Goodwin, G.L. 1994. **The Jannissaries.** London.

Hess, A.C. 1978. **The Forgotten Frontier in Ibero-Africa in the 16th century.** Chicago.

Hagg. T. (ed) 1987. **Nubian Culture: past and present.** Stockholm.

Hanataux, G.(ed) 1940. **Histoire de la Nation Egyptienne V.** Paris.

Hinds, M., and H. Sakkout, 1986. **Arabic documents of the Ottoman Period from Qasr Ibrim.** London.

Hinds, M., and V. Ménage, 1992. **Documents from Qasr Ibrim in the Ottoman Period.** London.

Hinkell, JF., (ed) 1994. **The Archaeological Map of the Sudan I–VI.** Berlin.

Holt, P.M. 1967. "Selim I and the Sudan." **Journal of African History** 8.1:19-23

Homani, I.B., 1737. **Imperium Turckum.** Cairo.

Haseyn Effendi 1966. **Ottoman Egypt in the age of the French Revolution.** Harvard.

Kapteijns, L. and J.L. Spaulding, 1982. "Precolonial Trade between states in the Eastern Sudan 1700–2900." **African Economic History** 11–21 & 62.

Kemal, Y. 1951. **Monumenta Cartographica Africae et Egypti V fasc 1.** Cairo.

Kleppe, E. 1978. "Documents from the 4th Cataract Region." In Plumley (ed).

MacMichael, H.A. 1922. **The History of the Arabs in the Sudan.** Cambridge.

Maillet, L.de. 1735. **Description de l'Egypte.** Paris.

Mariette, J. 1680. **Carte Generalle de l'Empire du Turc.** Paris

Ménage, V. 1988. "The Ottmans and Nubia in the 16th century." **Annals Islamologique** XXIV.

Mouelhy, I. 1989. "Organisation et fonctionnement des institutions ottoman en Egypt: 1517–1917." **Turkish Historical Society**, series vii.92. Istanbul.

Norden, A. 1738. **Travels in Egypt and Nubia.** London.

O'Fahey, R.S. and J.L. Spaulding, 1974. **Kingdoms of the Sudan.** London.

Orhonlu, C. 1974. **Osmanli imparator-lugu'nun Guney Siyaseti Habes Eyaleti.** Istanbul.

Osman, A. 1978. "The Kingdom of Kokka." In: Plumley (ed), **Nubian Studies**, pp. 185-197

Osman, A. 1986. "Islamic Archaeology in the Sudan." **Nubische Studien.** Heidelberg.

Osman, A. and D. Edwards, 1996. **The Mahas Survey I & II.** London.

Paul, A. 1954. **A history of Beja Tribes in the Sudan.** Cambridge

Plumley, J.M. (ed) 1978. **Nubian Studies.** Warminster. pp. 1-5

Poncet, L. 1949. "A voyage to Aethiopia made in the years 1698–1700." In: Forster (ed).

Prudhoe, Lord 1828. **Diary (mss)** Griffiths Institute" Oxford.

Rocci, L. 1944. **A 1685** map of the Nile Valley **Imago Mundi** 6. 73–5.

Savage, E. (ed) 1992. **The Human Commodity.** London

may have taken place. It developed as a savannah state, its wealth coming from its control of the gold, gum and slave sources. Its main trade route remained eastwards to Suakin and the trade to Egypt by land was limited to the annual caravans. Its isolation from Egypt was increased after 1660 by the Shagia revolt, and the Ottoman frontier garrisons, recruiting from children of the garrisons and at peace for more than five generations, became local landowning élites. The process was probably hastened by the ending of the energetic and efficient central government of the K prülü Grand Viziers in 1683 after the debacle at Vienna. The loss of control of Lower Egypt and Ottoman preoccupations elsewhere in the 18th and early 19th Century saw the authorities in Egypt, restrict their interests to north of 3rd Cataract, while Fung decline saw their power limited to south of 6th Cataract. In the 600 kms between the sultanates, the pattern of small riverine mekdoms showed a surprising ability to survive. On both sides of the formal frontier Nubian remained, as it does to this day, the unwritten domestic language, and on the Ottoman side the garrisons, their Turkish forgotten, were absorbed as Nubian/ Arabic speaking land owning elites (Osman 1986). The organisation of the Mahas Mekdom of Kokka gives the best account of one of these small states. In the Fung sultanate, beyond 6th Cataract, the strength of the resistance to Islam was surprising, many communities retaining their local religions into the 19th Century. South of the River Sobat, and in Southern Kordofan few evidences of northern influence have been recorded and it remained in the 'Dar el Harb' and so available for slave raiding. The Fung sultanate remained the most southerly Islamic state in the Nile Basin but never achieved the influence and power of the western savannah empires. It would be interesting to speculate on what would have happened if the Ottoman advance, into the savannahs in the 16th Century, had been successful and if its great resources, military sophistication and administrative ability had been employed in extending the 'Dar el Islam' in the interior of Africa. In the event its southern influence seems to have been less than that of Morocco (Zimova 1973), and the adoption of Islam in the eastern savannahs was only partial even in the Sultanate of the Fung.

Prof. John Alexander **St. John's College, Cambridge University, Cambridge – U.K. pjh43@cam.ac.uk**

مخلص : على مدى أكثر من مائتي عام كانت الحدود العثمانية التركية في منطقة النوبة تقع بين الشلالين الأول والثالث. وظلت قلعتا قصر إبريم وصاي تحميان هذه الحدود من الخطر الجنوبي المتمثل في سلطنة الفونج. وقد كشفت التنقيبات الأثرية، التي أجريت في قصر إبريم، عن شواهد جديدة تضم العديد من الوثائق المؤرخة والمكتوبة باللغتين التركية والعربية.

وقد تم تحصين هاتين القلعتين بوحدات وفرق عسكرية متمركزة في مصر، وكانت القاهرة تتكفل بدفع رواتب جنود تلك الوحدات حتى عام ١٧٩٤م. وقد تغيرت السياسة الحدودية العثمانية مرات عدة خلال المائتي عام، التي شهدت فترات هجوم واعتداء على الحبشة وسلطنة الفونج التي سيطرت على طرق الحج والقوافل التجارية البرية المتجهة إلى سواكن على ساحل البحر الأحمر. وكانت أهم سلع هذه القوافل التجارية البرية الذهب والرقيق.

وتمدنا هذه الأدلة والشواهد الجديدة بفهم أفضل لدور هذه الحصون، والعلاقة بين العثمانيين وسلطنة الفونج.

evidence that the Fung authorities either sanctioned their arrival, or made any attempt to dislodge them but their organisation and weapons made them masters of the region and there was continual warfare with the Shagia (MacMichael 1922.1–217). Details of the Fung state in this period, as given in the near contemporary Fung Chronicle, are well summarized by Arkell (1955 222–25 and Spalding (1985a). From 1788 the sultans were prisoners of their Hamaj viziers, and there were many local wars (MacMichael 1922 ii D7). Trade through Suakin continued but Ottoman control was restricted to a small enclave which was leased to Mohammed Ali in 1846–9 and was leased to Mohammed Ali in 1846–9 and handed over to the Khedivate of Egypt in 1865 (Kapteijns and Spalding 1982). It appears to have had no influence on frontier policy.

In 1820 Mohammed Ali Pasha's army marched south from Aswan to conquer the Fung Sultanate. It met with no opposition, but apparently no help, from the descendants of the Qasr Ibrim garrison and the Qalat Sai commander submitted (Holt 1961.38). 'The (Egyptian) 'guns were first fired against the Shaigia' (Prudoe 1829, vol 2.48) who were defeated. The army then marched to Sennar receiving the submission of the vizier on the way and of Sultan Badi VI, when it arrived there. The Egyptian state, now only nominally Ottoman, established itself in the savannahs and proceeded to exploit them; it finally penetrated the Sudd in 1841 and entered the forest zone in Uganda but was too late to influence development in the Great Lakes Region.

Conclusions

If this analysis is correct, the events of 1584–5 were the most significant one for the relations between the two sultanates and crucial for the peoples of the eastern savannahs. Contact between the sultanates had begun in the 1520s with the Ottoman occupation of Suakin and from the beginning was confrontational since the Fung seem to have assumed the traditional claims of the previous (Christian) Kingdom of Alodia (Alwa) to control the hinterland and perhaps the coast itself.

The extension of Fung control northwards until it included the Dongola Reach of the Nile brought confrontation in the Nile Valley, for the Meks of Dongola were heirs to the Kingdom of Maquria which had once extended to 1st Cataract. This and Ottoman plans for the conquest of Abyssinia in the 1560s, resulted in the Ottoman advance to 2nd Cataract in 1565 but there was still a 800 kms zone of difficult river valley and semi–independent mekdoms between .them and the Fung heartlands.

By the 1570–80s, Ottoman ambitions included the conquest of the Fung sultanate as well as Abyssina and, in effect a frontier military command zone from the Nile Valley to the Red Sea was established. The preparations, for an advance, were elaborate and called for the setting up of a new province, the Eyalet of Ibrim. The campaign, which was begun in 1584, met serious opposition in Dongola and, probably because of Ottoman commitments elsewhere as well as disturbances in Lower Egypt, was abandoned in favour of a new, presumably negotiated, frontier with the Fung near 3rd Cataract. The Eyalet of Ibrim was abolished, the frontier sanjaks were re-attached to the Eyalet of Egypt and a new frontier fortress was constructed on Sai Island. This frontier remained until 1820, the garrisons at Qasr Ibrim and Qalat Sai being maintained until at least 1794. This meant the abandonment of any Ottoman penetration of the savannahs but the safety of Egypt from any attack from the south was ensured.

The Fung Sultanate, probably aware of its lack of military sophistication, especially in artillery, made no attempt to extend northwards after 1585 although local raiding

small enclaves at Suakin and Massowa also came to be of little concern to the Imperial government and they were subordinated to the Sanjak of Jeddah and had no formal link with Egypt.(Hinkell 1994, 218). With the decline of the Fung state, their trade was much reduced and their maladministration was described by Bruce (1790) and Burckhardt (1819).

Conditions in the Fung Sultanate, in this period, are relatively well known from the reports of visitors, some of whom stayed at Sennar for long periods, local chronicles and oral tradition (well summarized by Crawford 1951 and Spalding 1985.) Still powerful until the 1750s, the 'Amarahan dynasty waged war in Kordofan, and defeated a major Abyssinian invasion in 1744. In the 1750s Sultan Badi IV built an extensive palace with a five storey tower at Sennar, the inspiration for it and some of its fittings coming via Suakin from India and the Yemen. The state, increasingly, came to resemble the savannah empires further west, its power resting on its mailclad cavalry, the horses coming from Dongola. Many of its subjects remained non-Muslim (MacMichael 1928) and relationships with peoples further south were restricted and hostile, probably because of slave-raiding. Whilst some like the Shilluk shared characteristics with the Fung (Arkell 1952) Islam did not spread among them or among the Nuba (Seligman 1932) although some customs, such as circumcision did.

Local contacts, across the Fung-Ottoman in the Nile valley frontier in this period, suggest that there was little formal control (Mouelhy 1989). In 1701 a janissary from Sai was in the Khandag region of Dongola and had enough authority to ensure the safety of a French capucin friar (Maillet 1735), while at the same time a Mek of Dongola was in Cairo buying muskets. Later in the century, boys from the garrison families at Qasr Ibrim attended the famous Shaiqia religious schools and Shaiqi raiders were feared as far north as the Wadi Sabua; the unpublished 18th Century documents from the 4–5th Cataract region reported by Kleppe (1978) will be important here. It seems that in the 600 kms between 1st and 6th Cataract, the existence of a series of semi-independent mekdoms encouraged tactical local alliances without disturbing the official frontier. The influence of the Ottoman Empire was surprisingly slight, the Mekdom of Mahas (Kokka) probably being its most southerly dependence (O'Fahey & Spalding 1974).

Phase V 1798–1820

This short period deserves separate consideration, since major changes took place in it.

The French conquest of Egypt in 1798 left the Sanjak of Ibrim as the only unconquered part of the province (Hanataux (ed) 1940). After their defeat at Aswan, the local Ottoman forces retreated south into the Sanjak which became the base for a five year Jehad against the French (Dehérain 1931). The supplies and men involved in the attacks on the French must have been drawn from the Sanjak, and the gazhzis from the Hedjaz who joined the Jehad presumably came via Suakin and the caravan routes, but there is no evidence that mojhadin from the Fung joined them. The departure of the French and then the British troops by 1803, and the restoration of Ottoman authority led to conflict between officials and the Mamluk households which culminated in the viceroy (Mohammed Ali Pasha) massacring the latter in 1811. The retreat of the survivors into the Sanjak of Ibrim was not welcomed either by the Kachifs at El Dirr, or the descendants of the garrison of Qasr Ibrim and in 1811 the rebel mamluks retreated further south. They passed out of the empire without attacking Qalat Sai or if Burckhardt is correct, disturbing its control of Mahas (Burckhardt 1819. 64) and settled themselves in the Dongola Reach at Meragha. There is no

In lower Egypt, the Istanbul-appointed governors in this century were often powerless, while in El Sa'id the Shiekhs of the Hawwara tribal confederation attained a near-independent control of upper Egypt and at times dominated the Sanjak of Ibrim as far south as Mahas. In an attempt to control the south, the administration was revised in 1673 and the whole of Upper Egypt south of Jirga was united under a single governor, but without much success. The collapse of the efficient system set up by the Koprülü Grand Viziers after failure to take Vienna in 1683, left the Hawwara sheikhs in control until the 1770s. It may also be that decline in efficiency led to further changes in the frontier zone. In the 1670s Qasr Ibrim and probably Qalat Sai were well maintained military establishments still being reinforced from Lower Egypt. The garrisons continued to be paid from Cairo until at least 1797, but by 1704 neither fortress was included in the Imperial Register of Fortresses and there are no records of payments for repairs, or refurbishment in the rest of the century (I am grateful to Dr. Finkel for this information). When the southern frontier become a purely Egyptian responsibility, the continuing disturbances in Lower Egypt probably encouraged an increasingly local recruitment in the garrisons, which from 1582 was restricted to the children or relatives of former janissaries (Djevad 1885) (Goodwin 1994). The manuscripts found at Qasr Ibrim have allowed the construction of the genealogies of garrison families for at least five generations (Hinds and Sokkout 1986, Hinds and Ménage 1992) between 1660 and 1760. Excavation has shown that they lived in the fortress (Fig. 6) and the documents that they owned and farmed lands along the riverbanks (Idem). The situation at Qalat Sai was probably similar, since long-used family dwellings exist within the fortress and local landowning families still claim Turkish ancestry. (Fig. 7). The pattern of organization has parallels in the frontier garrisons in Tunis and Algiers (Hess 1978, 171–3).

The isolation of the frontier zone, in the 18th Century, is also suggested by the way it was recorded by contemporary cartographers. In those published by Kamal (1951), its topography was imperfectly known and parts of it were shown variously as 'under the domination of the blacks', by Jansonius (c.1658), 'clients of the Turks' by Homani (1737), of the Fung by de l'Isle (1707) and even, by De Witt (1696) as the 'Kingdom of Nubia' on the west bank to Aswan and 'Kingdom of Abyssinia' (which to Brown in 1673 meant Fung) on the east bank. Only after a reforming governor, Ahmed Pasha, attacked El Sa'id and destroyed Hawwara and Mamluk power in the Aswan region in 1776 was a more direct relationship possible and even then the Sanjak Beys/Kachefs of Ibrim were for several generations members of two successive families, and exercised their authority with little reference to Jirga or Cairo (Norden 1738, Burckhardt 1818).

An interesting insight into the frontier zone in this period comes from Dar Mahas, the region between Wawa and Verma (Fig. 7). Here Osman (1978) was able to record from locally-held documents and oral traditions that eleven generations before 1878, and so probably in the early 17th Century, a Mekdom of Mahas (or Kokka) was established. Its first mek was educated in Cairo and the family ruled until 1912. The organisation of this Nubian-speaking Mekdom was based on lineages and royal officials, and its links with the Ottoman sultanate confirmed by Burckhardt (1819.64). A considerable annual tax, (some 300 animals and 12 slaves), was being paid to the Ottoman 'governor of Nubia,' the Kachef at El Dirr. The plan and description of the palace at Kokka shows it to be similar to, if larger than, the houses on Qalat Sai.

On the Red Sea coast, the possession of

1604, a garrison of about 800 men, three time that of Qasr Ibrim. In the 1572, a reinforcement of 200 men marched there from Qasr Ibrim, which was probably a staging post from Lower Egypt since Elvliya Celebi (1938) reported that men were still being posted from there to the fortresses. The soldiers were probably, like the garrison at Qasr Ibrim, composed of detachments (b,llüks) from the janissary units stationed in Lower Egypt. Soon after 1600AD, houses were being built and owned by families inside the fortress at Qasr Ibrim and the same may well have been happening at Qalat Sai (Alexander 1996).

The period when the greatest precautions would have been needed on the frontier was between 1585 and 1660, when the Fung state was at its most powerful, especially after 1607 when Sultan Adlan subdued his rebellious northern subjects at the battle of Karkoj. Mutinies in the army in Lower Egypt at the time might well have encouraged a move against Qalat Sai, but its garrison was temporarily increased from 230 to 900 men and none took place, perhaps because of the Abyssinian attacks on the Fung in 1615–18 which penetrated to Fizougli and Kassala. (Plate 2 "a+b"). The Fung sultan was also campaigning in Kordofan, where the sources of gum and slaves were located. The main Fung trade routes continued to be to Suakin, whence came the many Muslim holymen who are reported to have settled in the sultanate at this time (Holt 1970). About 1580, the Fung sultanate is reported to have shared the revenue of the port of Suakin with the Turks (Hinkell 1994., 217).

Any serious pressure on the Ottoman frontier must have been relieved after 1660 by the successful revolt of the Shagia confederation living between Jebel Dayki and 4th Cataract (Fig. 2). Here the four Shagia Mekdoms, with a reputation for ferocity, piracy and religious fervour, retained a virtual independence until 1820 (MacMichael 1922.218). This resulted not only in inserting an extra barrier between the sultanates, but in separating the Fung heartland from the Mekdom of Dongola. Fung ambitions were, increasingly, restricted to the savannahs, espe-cially Kordofan although Elvliya Celebi's circum-stantial account (1938) of the power and independence of Mek Kor Hussein of Mahas suggests that it had become a buffer state, with closer links to the Fung than to the Ottomans by the 1670s. A Mahas mek's capture of Sai, recorded on a map of ca. 1685 (Ricci 1949) even if temporary, will need more evidence before it can be accepted, for the Sai garrison in 1673 was c.300 if the Cairo records are correct. (I am grateful to Professor Ménage for this information). In 1698 the meks of Mahas and Dongola had no cannon, only muskets according to Poncet (1949). and evidence from Kukka (Mahas), suggests that the mekdom was founded in the 17th century with Ottoman connections. (Osman 1978). Elvliya's reception at Sennar and the semi-official diplomatic mission he performed, if correctly reported, suggests that relationships between the sultanates had become relatively friendly; the Ottoman Sultan being prayed for in the mosques in Dongola and Sennar if only as 'Defender of the Holy Places' not as Sultan. Reports from Egypt from 1587 onwards reports annual caravans from Sennar sending slaves to Cairo (Austen 1992).

Phase IV 1680–1798

For well over a century, there was now peace between the sultanates based upon isolation and mutual indifference. Contact between them seems to have been only through merchant caravans most of which seem to have passed between Suakin and Sennar. Those to and from northern Egypt used the desert routes in preference to the valley (Forster (ed) 1949), and were regular annual events (Austen 1992).

corps), which took place at this time and permitted soldiers to marry, live out of barracks and engage in trade was weakening discipline and fighting power; and finally there may have been a realization of the dangers and expense of further advance southwards in the face of fierce Fung opposition and a weakened base in Egypt. The new policy, presumably after negotiation with the Fung, resulted in the frontier between the sultanates being fixed near Hannek (10 kms south of 3rd Cataract) where it remained officially until 1820, and is still marked by a gubba (tomb). (Crawford 1951). It seems unlikely that the Ottomans made peace from a position of strength, for the Dongola Reach (Fig. 3), the area between 3rd and 4th Cataract, with its 100kms of easily navigable river, its considerable wealth and its fine breed of horses remained tributary to the Fung. Occupation of it by the Ottomans would have given them much better access to the south, to the wealth of the savannahs, and the shortest routes to Suakin and the Anonymous Venitian (1971 p49) was told in 1589 that Dongola had been an aim of the attack.

Phase III 1586–1680

Behind the new frontier, the Eyalet of Ibrim was immediately abolished (December 1585) and its sanjaks rejoined to the Eyalet of Egypt which thus again became respon-sible for defending the frontier. Close to the frontier on Sai, one of the largest islands in the Nile, a pre-Muslim mud-brick fortress was refurbished as the main forward defen-sive post. Although, it stood on the cliff edge of a plateau facing the river, it was much less formidable than Qasr Ibrim but defended by artillery and muskets would be a deterrent to attackers without a siege train. In other respects, the site was well chosen (Vercouter 1958), since from it riverine and desert caravan routes could be monitored while a land-tax on the cultivation in the region could supply much of the needs of the garrison. Qasr Ibrim now 180kms from the frontier, became a supply base and a second line of defense. (Alexander 1996).

Fung reactions to the new frontier can only be guessed at present. They probably included the establishment of a customs post at Umma (near 3rd Cataract), where the western desert route from Lower Egypt reached the Nile and where it was in 1696 (Poncet 1949). A fortress nearby on Argo Island (perhaps that named after Melek Tombol) and a Fung settlement at Debba, where its descendants who still claim Fung origins could have controlled the Mek of Dongola, and blocked the main routes to the south, (Fig. 4) may also belong to this time.

Qalat Sai, as the new Ottoman fortress was called, was renovated to allow it to be defended by firearms, especially artillery. The main alterations made the four corner bastions suitable for cannon; provided the main gate with a loopholed exterior barbican, and rebuilt the curtain walls (Fig. 8).

The Cairo archives show it to have had in

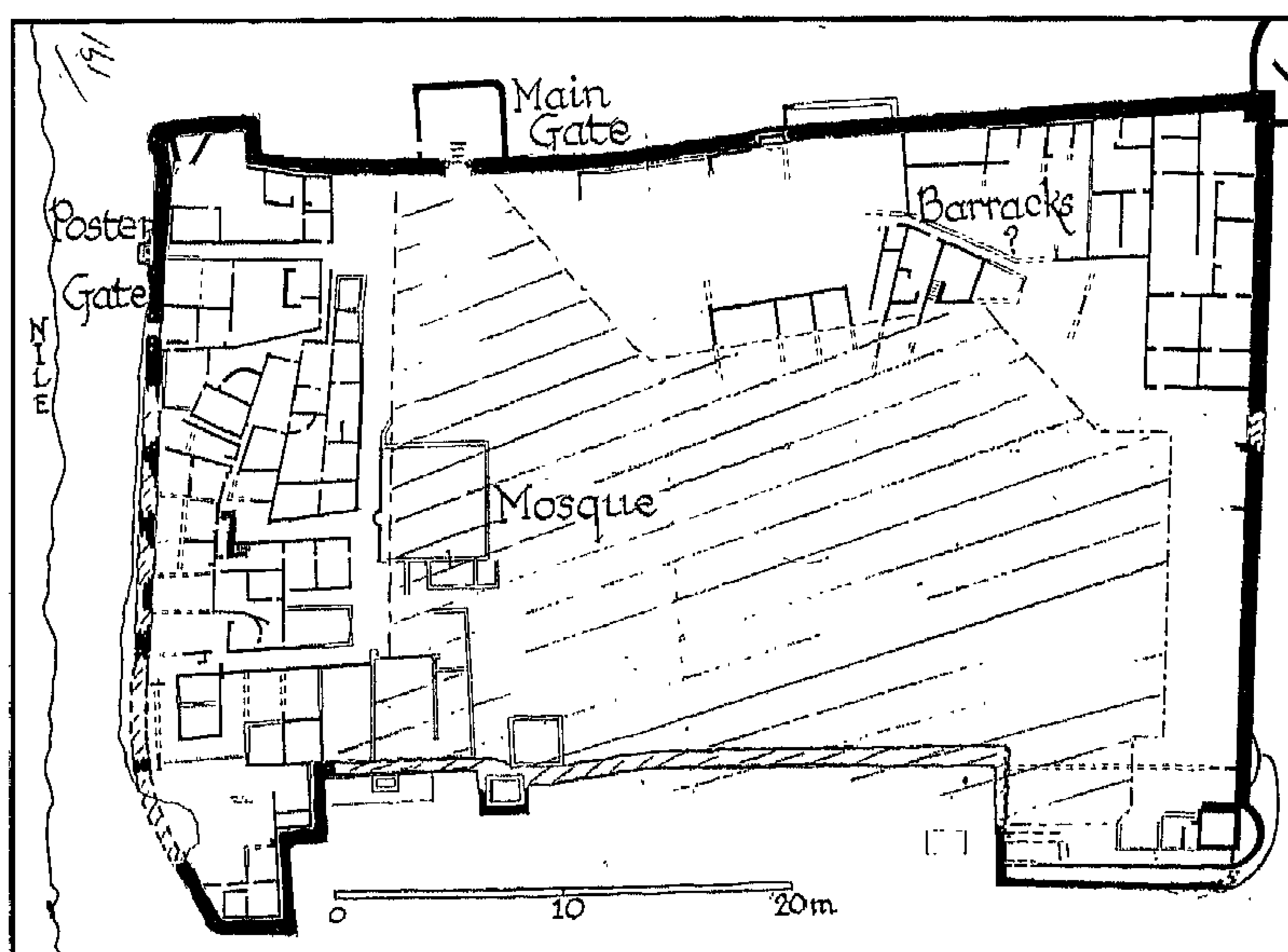


Fig. 8: A Plan of Qalat say.

Retsö, J. 1989/90. "The Earliest Arabs." **Orientalia Suecana,** Vol. XXXVII - XXXIX: 131 - 139

Segal, J. B. 1984. "Arabs in Syria, Literature before the Rise of Islam." **Jerusalem Studies in Arabic and Islam,** Vol. 4: 81 - 123

Shahid, Irf. 1984a. **Rome and the Arabs. A prolegomenon to the Study of Byzantium and the Arabs.** Dumbarton Oak Library and Collection. Washington

Shahid, Irf. 1984b. **Byzantium and the Arabs in the fourth Century** Dumbarton Oak Library and Collection . Washington Shahid, Irf. 1989. Byzantium and the Arabs in the fifth Century. Dumbarton Oak Library and the Collection. Washington

Wagner, E. 1987. **Grundzüge der klassischen Arabischen Dichtung.** Bd. 1: Die altarabischen Dichtung.Wissenschaftliche Buchgesellschaft - Grundzüge - Bd. 68: Darmstadt

by the coexistence of cultural diversity. It does not represent a culturally uniform people.

In this context, I would like to close by pointing out that the Arab nation received its universal historical significance through the efforts of Islam, which had replaced many old values by new norms in the traditional structure of the Arabs (Dostal 1997: 57).

Prof. Walter Dostal **Institute for Social Cultural Anthropology, University of Vienna, A-1010 Wien, Universitaets strasse 7, Vienna - Austria**

مخلص: إن المحور الرئيس لهذا البحث يتناول الإشكالية التي تدور حول الإطار الذي يمكننا أن نضع فيه العرب الأوائل فيما يتصل بالتاريخ الثقافي للشرق الأدنى. وتدور الأسئلة الرئيسة حول الآتي :

١- كيف نقوّم ثقافات العرب الأوائل؟

٢- هل كانت ثقافة العرب الجاهليين الأوائل موحدة كما تدّعي بعض المؤلفات؟ وللإجابة عن هذا السؤال، أبدأ بالثقافات العليا بغية بغية الوصول إلى فهمل أفضل لعرب ما قبل الإسلام، وذلك للإستفادة من فكرتي وجعلها قاعدة نظرية للتعامل مع المشكلات ذات العلاقة بهذا الموضوع. وفكرتي تعتمد على فرضية وجود علاقة بين التنظيمات السياسية وتوسعها المكاني. ومن وجهة النظر هذه فإن التفاعلات الديناميكية بين الولايات وتوسع مناطقها السياسية تعد معياراً تاريخياً حضارياً. ومن هذا المنطلق يمكننا أن المناطق الحدودية بين نطاق الثقافات العليا ومناطق تطور تلك الثقافات غير المتصلة أضحت واصحة المعالم.

أثناء استعراض الفكرة، يبدو من الواضح حضارة العرب الأوائل كانت تتميز بالتنوع الثقافي. كما أن العرب الذين عاشوا في تلك الحقبة لا يمثلون قوماً يتبعون لثقافة واحدة، وبتأثير الإسلام فقط حظي العرب بأهميتهم التاريخية العالمية.

[1] I have offered the following definition of "High Culture", which forms the starting point of the reflections offered in this presentation. It runs as follows: "This can first be realized in the foundation of a state and in this completely new political and economic integration of several municipalities it forms the totality, which has to be presumed as being the necessary cultural condition for the diversity of new creations and intensive mutual exchange of cultural elements. In each later high cultural phase which is related to the respective political level of integration, new societies are incorporated into the original state structure and those giving and receiving assimilated into society. These processes of aggrandizement and progress are always correlative to the respective political situation." (Dostal 1968: 243).

References

Claessen,H. J. M. - Skalnik,P. 1978. **The Early State.** "Studies in the social sciences" 32. New Babylon, Mountain Publishers: The Hague - Paris - New York.

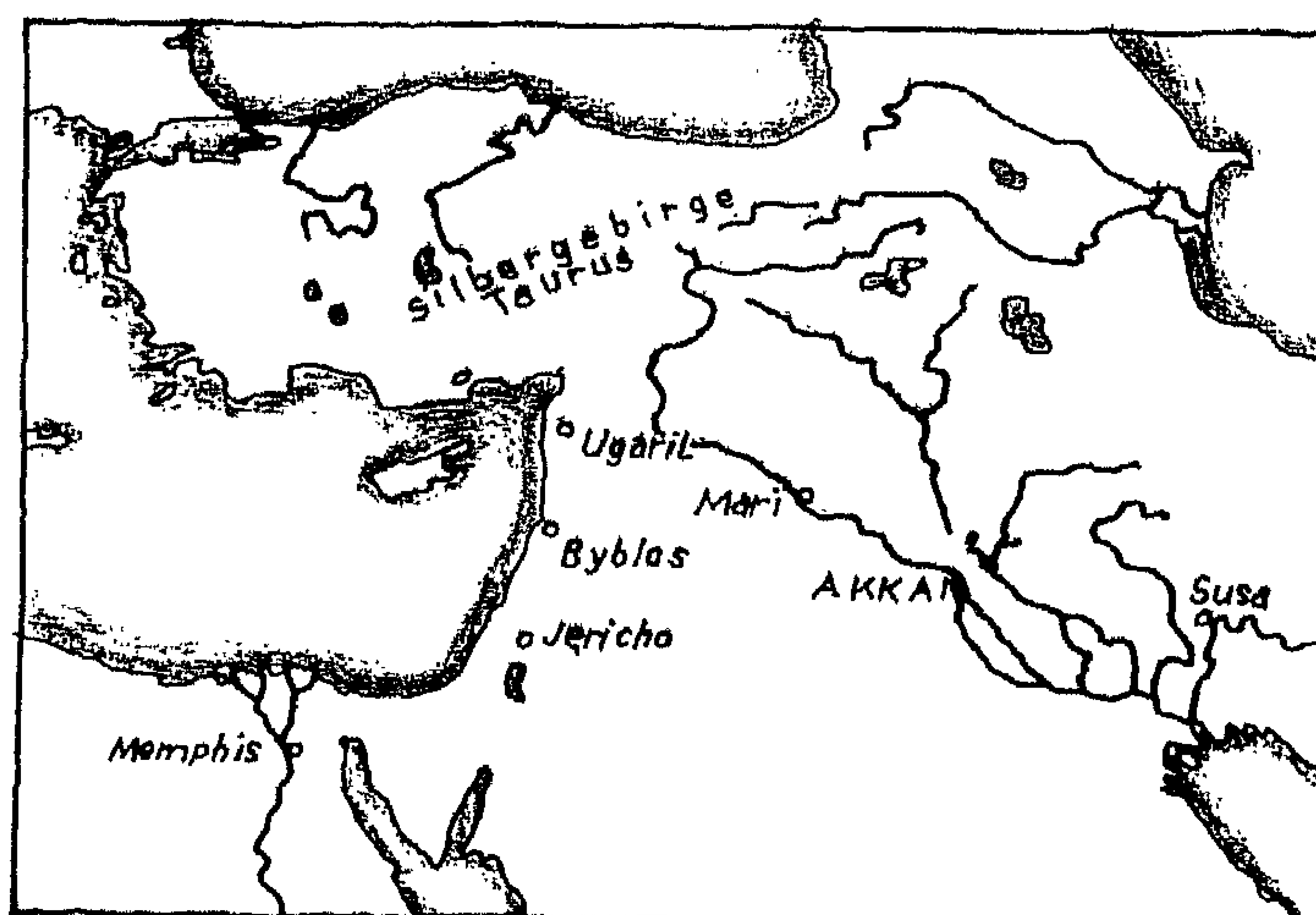
Dostal, W. 1960. "Zum Problem der Stadt-und Hochkultur im Vorderen Orient: Ethnologische Marginalien." (Concerning the problem of urban- and high cultures in the Near East: Ethnological marginalia). **Anthropos**, Vol. 63: 227 - 260

Dostal, W. 1991. "Mecca before the time of the prophet - attempt of an anthropological interpretation." **Der Islam**, Vol. 68: 193 - 231

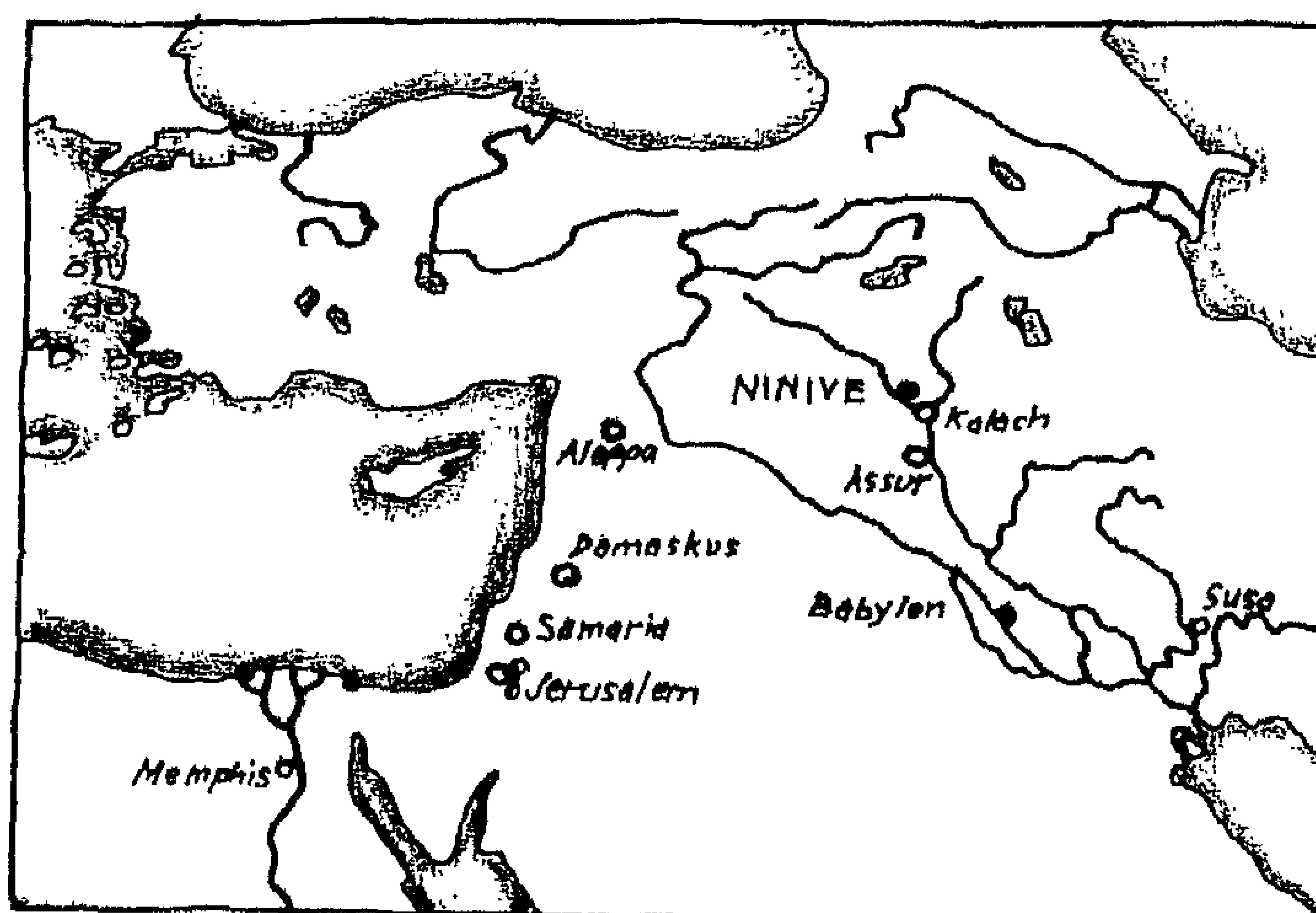
Dostal, W. 1997. "Die Araber in vorislamischer Zeit." (The Arabs in pre-Islamic period). **Der Islam,** Vol. 74: 1 - 63

Dostal, W. S. A. **"Meine Seele ist betrübt, wenn die Menschen ihre Vorfahren nicht namhaft machen konnen." Versuch einer Deutung des patrilinearen Deszendenzkonstrukts anhand von Beispielen aus der altarabischen Poesie.** In print.

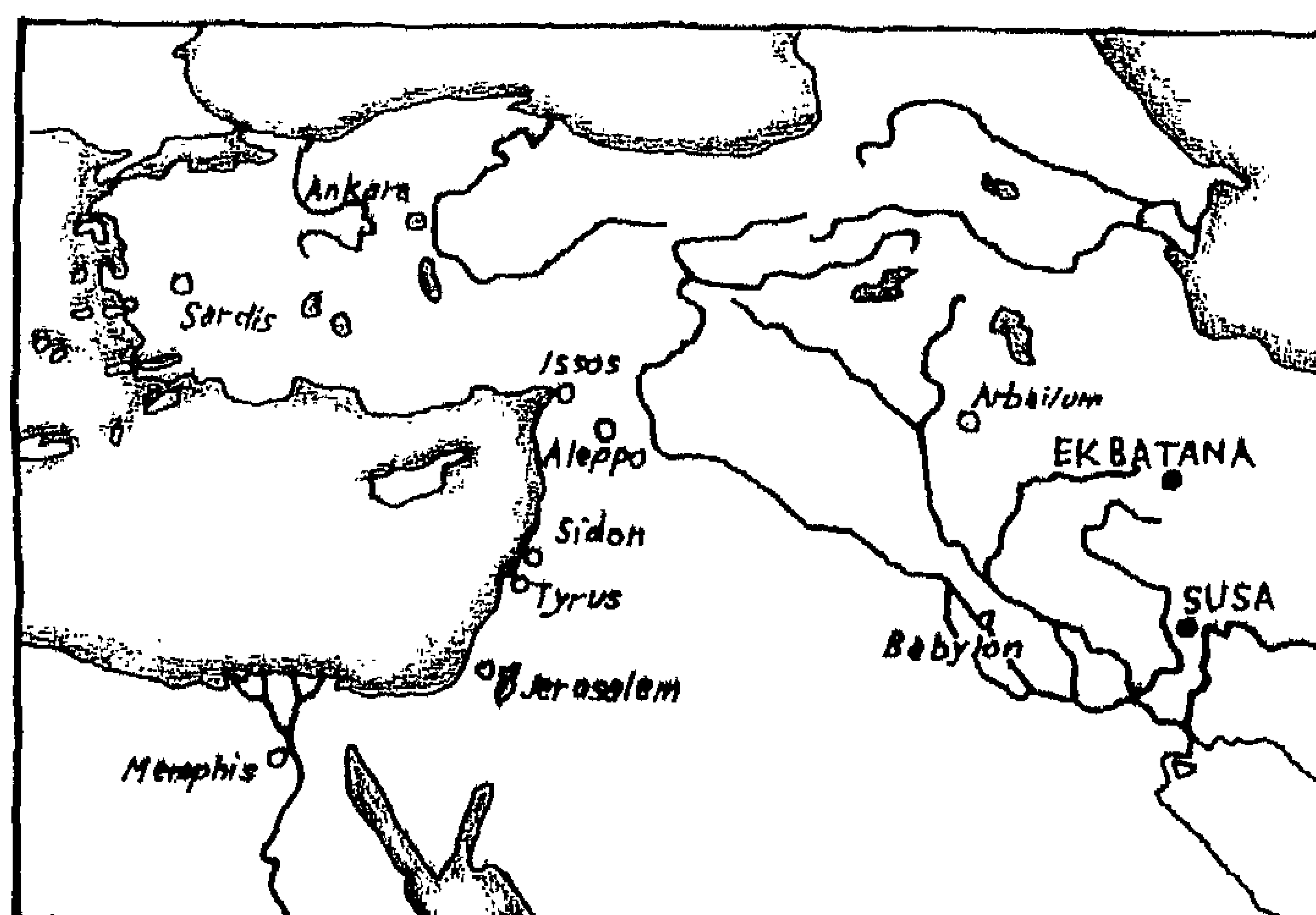
Kister, M. J. 1968. "Al-Hira. Some notes on its relations with Arabia." **Arabica,** Vol..XV: 143 - 169



a. Akkadian Empire, appr. 2350-2285 BC



b. Assyrian Empire under the reign of Assorbanipal (668 - 631 BC)



c. Achaemenidian Empire appr. 525 BC

Fig. 1: The Development of Empires in the Near East

and robbed the population; actions that could not stay unnoticed by the kings of al-Hīra.

- Tribes that were bound by contract to the ruling house and were thus liable to tax. As a reward for their obedience, they received some important concessions: safety of individuals and goods, allotment rights to the king's booty and participation in the commercial ventures of the king of al-Hīra etc.
- Nomad tribes that pastured in the domains of the al-Hīra and thus had to recognize the sovereignty of its king. Further details on these groups indicate the mechanisms that influenced the acceptance of high cultural Sasanide products:

First, they were obliged to cover their entire material needs by exclusively obtaining goods that were produced in the kingdom of al-Hīra. In this context, we should not overlook the fact that not only political administrative organisation of the kingdom was influenced by Sasanide manners and ideas, but also the area of material culture, especially with respect to luxury articles. By this coercive measures, products that originally came from Iran entered Bedouin culture.

Second, hostages, mostly sons of tribal chieftains, were kept at the court of al-Hīra to secure the good conduct of their fathers. As a rule, they stayed at court for about 6 months and afterwards replaced by others. However, this brief period of contact was sufficient to acquaint these groups of people, from the remote areas, with Arabic - Iranian culture. Right now, we are not able to determine what cultural innovations resulted from this, there should, supposedly, be quite a few.

With reference to the previous remarks the picture that we have formed is, somewhat, disappointing. Due to a general lack of data, we cannot put together any complete information about the culture of the Arabs. We are able, of course, to gain some interesting insights into archaeological material, such as costumes, jewellery, living quarters and housekeeping, weapons and religion. However, these are only aspects of the respective cultures. Even the works of ancient Arabian poetry have turned out to be incomplete. The poetry of the Jahilaynn had been compiled extensively at the time of the Umayyades (Wagner: 4). In other words, the original meaning of ancient Arabian poetry is presently only accessible through commentaries by various authorities, who again were able to avail themselves of only those informants who on the basis of their knowledge of the significance of the pre-Islamic past were well versed in the terms and phrases used at that time by compilers. However, one should not lose sight of the fact that in these poetic creations we notice a predominance of descriptions about nature and war, portrayals of beautiful women and illustrations of the longings of passionate love, while information more relevant to us appears less discernible.

It had, probably, never occurred to any of these poets that social anthropologists would one day be dealing with their creations. Although, they give us insights into the social life of that time, marriage, family, society, law and religious ideas - important data for cultural history - nevertheless, these remain only fragments (Dostal s. a.). For these reasons, we are not in a position to describe in an exact manner the natural incidents of give and take in society aspects, which are a part of the process of transculturation. For the time being, however, we can only hypothetically accept historical facts.

As far as I am aware, there have not been up to now any theoretical concepts that can explain the sociocultural evolution of the early Arabs. However, through the concept now proposed it seems to be clear that the early Arabian civilization was characterized

outside of these bound. The latter were tribal groups, whose loyalty and clientele-links were based on contractual agreements (foedus). These foederati, under the leadership of a chief (phylarchos) out of their respective groups, represented an essential component of the Byzantine army. In the 4th century AD these were the Tanukhides, in the 5th century the SalãÃides and in the 6th century the Ghassanides to name a few of the better known in history (Shahid 1984a: XVI). The Sasanidian kings also availed themselves of Arabian vassals, employed as border troops, of whom the Lakhmides of al-jâra were the most influential.

Historical sources furnish the proof that the Arabian vassals knew how to exploit with consummate skill the scale of political opportunity. A change of loyalty was customary, they did not always prove to be reliable partners. In view of this behaviour, Byzantine and Sasanide rulers looked at them with a great deal of mistrust. A trustworthy means of reminding the Arab vassals of their duties was the presence of military forces in their territory. One should keep in mind the possibilities of transferring high cultural elements, which resulted from these military postings.

Which statements may prove to be valid, if we summarize the manner of the relations between the Arabs and high cultural societies on the basis of the above mentioned concept involving the distinction in high cultural zones, zones of intermittent high cultural development and border zones ?

A part of the Arabs, who lived continually in the direct domain of the empires, was exposed to the processes of cultural transformation conditioned by the respective imperial influence. These are groups which settled in the Roman Limes and the Iranian Empires (Achaemenides and Sasanides). Taking the former into consideration, I would like to point out two examples: The Arab ruler of Edessa, Abgar the Great, fought with his army on the side of the Romans against the Parthians. The Roman Emperor Septimus Severus, honoured him for his services in the war against the Parthians with an honorary title. In addition, he was invited to visit Rome, where he was given a festive celebration (Segal: 95). We can only guess what the impact of these cultural contacts might have been. It should also be noted that the Roman Emperor Marcus Philipus, (244 - 249) was of Arab origin and was better known as Philipus Arabicus (Shahid 1984a: 65 ff.). The second example has to do with the role the Arabs played during the spread of Christianity. To this effect, we have a number of Arabian bishops, handed down by historians of the Orthodox Church, who took part in various councils, as for example those of Nicea (325), Ephesus (431, 449), or Chalcedon (451). But what do we actually know of the cultural structure of the Arabian Christians?

As a result of their duties as border watch, which due to the respective political situation could not remain permanent, the Arabs on the periphery of these ruling domains were predestined to acquire an intermittent experience of a higher culture.

In addition, there were Arabs living outside of the zones of protection who were deprived of the direct influence of higher cultures.

As to the actual proximity of this organisation, the classification of tribes made by Abu 'l-Baqã' in view of the connections to the Lakhmide kings has proven to be informative, since with this data important mechanisms relating to the acceptance of Sasanides culture were able to have been brought to light. This court chronicler of al-jara distinguishes between three kinds of tribal unions - they concern both of the previously mentioned contact groups (Kister 1968: 152 ff.).

- Independent tribes (laqah) which invaded the territories controlled by the al-Hïra

course of evolutionary process of the higher cultures the formation of political organisations, especially the spatial expansion of Imperial territories, has played stimulating role in the sociocultural developments. A historical retrospective indicates the following path of cultural development:

The original territorial nucleus of the early Sumerian state grew larger to varying extents in subsequent periods. From this process ensued the integration of new societies into the respective state, with the result that the processes of cultural transformation were initiated that endowed each period of national development with definite sociocultural characteristics. The territorial context should not be thought of as being stabile, but rather mobile and dynamic. That means: societies, correspondingly bound to their respective state of political integration may - permanently or temporally unified - come into contact with one another. These connections were also naturally determined by the spatial situation of the societies in question. Theoretically, society A, as a result of the topographical situation of its territory, might be included in a high cultural area, and therefore be subjugated to entire phases of transculturation, while society B situated in an area that is hard to reach may have been to a lesser extent incorporated into a union of high cultural states. From a certain period onward, society B no longer remained in this high cultural zone, but was excluded from the processes of transculturation characteristic of the respective national phase of integration. Nevertheless, society B differs from the societies which live on the borders of the empires, through its high cultural experience. This insight requires zones of "intermittent high cultural development" to be separated qualitatively from the marginal zones - these processes are illustrated by the maps in the annex.

The combination of national expansion with the process of cultural transformation implies, first of all, the accentuation of sociocultural phases and the spatial differentiation in the zones of High Cultures, zones of intermittent high cultural development and border zones.

We should not forget to use an example to demonstrate the validity of these ideas. For this undertaking, I have selected the sociocultural situation of Northern Arabs in the first half of the first millennium AD which can only be, briefly sketched and therefore will have a placative impact.

At that period of time, two empires dominated the international politics of the Near East: Byzantium and the Empire of the Iranian Sasanides (Dostal 1997: 7 f., 11 ff., Shahid 1984a: 19 ff., 39 f, 123 - 141). The political goal of Byzantium was centred around the preservation and security of its borders. established at the time of Diocletian (284-305). The political concept of the Sasanide rulers, on the other hand, was directed along the lines of the glorious past of the Achaeminidian Empire (559 - 331 BC), which fell victim to Alexander the Great. Their policy of expansion - directed towards the West - was justified on the basis of this ideological background. This claim of the Iranians was not conducive to tension free relations with the Byzantine World. Both sides had to endure - with alternating fortunes - the humiliations of lost battles as well as the losses of territories resulting from these. Border security, therefore, became an essential problem for both Great Powers. That is, they could not forgo the military potential of the Arabs, and hence tried to gain them as vassals. Due to the Roman expansion of that time, Arab territories fell to the Roman Empire. The Byzantines, therefore, distinguished between two categories of Arabs: the Rhomaioi, i. e. Romanized Arabs who settled within the Limes and the Saraceni, whose settlements were situated

Some Anthropological Reflections on the Cultural Transformations through the Development of High Cultures in Pre-Islamic Time

Walter Dostal

Abstract. *The central subject of my contribution concerns the problem as to where we can place the early Arabs with respect to the cultural history of the Near East. The main questions are the following: 1) How do we judge the culture or cultures of the early Arabs ? 2) Had they been a culturally uniform people of the Jahiliya period, as some publications would like to suggest ? To answer this question I start with the high cultures and decided for a better understanding the pre-islamic Arabs to make use of my concept as a theoretical basis for dealing with the problems involved. My concept is based on the assumption of a relationship between political organisations and their spatial-geographical expansion. From this point of view, the effects of dynamics between states and the respective expansion of their political territory was perceived as a cultural historical criterion. From this we assume the differentiation of zones of High Cultures, zones of intermittent high cultural development and border zones became clear.*

Through my concept, it seems to be clear that the early Arab civilisation was characterized by the coexistence of cultural diversity. The Arabs of that time don't represent a cultural uniform people. Only through the efforts of Islam the Arabs received their universal historical significance.

The central issue of this present contribution concerns the question as to where we can place the early Arabs with respect to the cultural history of the Near East. It is, generally, known that our knowledge about the forms in which the political and material organisation of the early Arabs took shape is somewhat inaccurate (Retsö 1989/90). For instance, late Assyrian inscriptions mention two political fundamental forms: the tribes and political structures - not closely defined - which might have described tribal confederations (Dostal 1997: 4). Relying on the present knowledge of political anthropology, it would be certainly reasonable to maintain that groups of Arabs might have received decisive impulses for the development of their own political forms of organisation through contacts with more culturally developed states of that time (Claessen - Skalnik: 628). Evidence of any political formations under Arab rule appeared towards the end of the 1st century BC in the North of the Arabian Peninsula. This, however, fell victim to Roman invasions. These were processes that have been known to us from many regions and did not happen to the Arabs alone.

The main question is: How do we judge the culture - or better the cultures - of the early Arabs? Had they been a culturally uniform people of the Jahilåya period, as some publications would like to suggest? To be able better answer these questions, it would be advisable to start with the high cultures. Subsequently, I would like to present a concept that endeavours to provide a theoretical basis for better understanding pre-Islamic Arabs. My concept - it was published in German in 1968 - is based on the assumption of a relationship between political organisations and their spatial-geographical expansion. In so doing, the effects of the dynamics between states and the respective expansion of their political territory might be perceived as a cultural historical criterion for answering the question posed above.(i)

From this we may deduce for the elaborated concept the following: In the

Issue No. 1 January 2000
ISSN: 1319-8947 (pp 40-46)

Mouton, M. 1992. "Archaeological Survey of the Region of al-Madam: a Preliminary Report" In: Boucharlat R (ed.) **Archaeological Surveys and Excavations in the Sharjah Emirate. 1990 and 1992. A Sixth Interim Report** Lyon: 3-11.

Müller, WW. 1999. "Zur Inschrift auf einem Krugfragment aus Muweilah" **AAE** 10: 51–53.

Parr, P. "Aspects of the archaeology of North-West Arabia in the first millennium BC" In: Fahd T (ed.) **L'Arabie Preislamique et son Environnment Historique et Culturel.** Lyon: 39-66.

Petrie, C. 1998. "The Iron Age fortification of Husn Awhala (Fujairah, UAE)" **AAE** 9: 146-200.

Phillips, CS. 1998. "The pattern of settlement in the Wadi al-Qawr" **PSAS** 27: 205-218.

Potts, D.T.1985. "The location of Iz-ki-e" **RA** LXXIX (1): 75-76.

Potts, D.T. 1990a. **"The Arabian Gulf in Antiquity** Vol I. Oxford.

Potts, D.T. 1990b. **A prehistoric Mound in the Emirate of Umm al-Qaiwain: Excavations at Tell Abraq in 1989.** Copenhagen.

Potts, D.T, 1991. **Further Excavations at Tell Abraq. The 1990 Season** Munskgaard, Copenhagen.

Potts, DT, Weeks L, Magee P, Thompson E and Smart P. 1996: "Husn Awhala: A late prehistoric settlement in southern Fujairah" **AAE** 7: 214-239.

Prier, A.1990. "Etude faunistique et aspects anthropiques du site de Tell Abraq" In: Potts 1990b: 141-151.

Rahman, S. ur- 1980. "Report on Hili 2 settlement excavations 1976-1979" **Archaeology in the United Arab Emirates** 2/3: 7-27.

Rothenber, B. 1972. **Timna** London.

Sarianidi, V. 1985. Early Iron Age painted ware culture of southwestern Asia" **Information Bulletin (International Association for the Study of the Cultures of Central Asia)** 4-23.

Stephan, E.1995. Preliminary report on the faunal remains of the first two seasons of Tell Abraq/Umm al-Quwain/United Arab Emirates. In: Buitenhuis H and Uerpmann H.-P. (eds.) **Arcaheozoology of the Near East II** Leiden: 52-63.

Stuiver *et. al.* 1998. "Calib 98" **Radiocarbon** 40: 1041-1083.

Tengberg, E. 1998. **Paleoenvironnments et Economie Vegetale en Milieu Aride. Recherches Archeobotaniques dans la Region du Golf Arabo-Persique et dans le Makran Pakistanais. phD. thesis**, University of Montpellier II.

Velde, C. 1992. **Die Spätbronzezeitliche und Früheisenzeitliche Siedlung und Ihre Keramik in Shimal/Ras al Khaimah.** Göttingen University. Master's thesis.

Vogt, B. 1994. Asimah. **An account of two Months Rescue Excavation in the Mountains of Ras al-Khaimah. United Arab Emirates.** Dubai.

Weisgerber, G. 1981. "Mehr als Kupfer in Oman" **Der Anschnitt** 33: 174-263.

Wilkinson, JC.1977. **Water and Tribal Settlement in Southeast Arabia.** Oxford.

Yule, P and B. Kazenwadel 1993. "Toward a chronology of the Late Iron Age in the Sultanate of Oman" In U Finkbeiner (ed.) **Materialien zur Archäologie der Seleukiden und Partherzeit im Sudlichen Babylonien und im Golfgebeit.** Tübingen: 251 -277.

Yule, P and M. Kervran 1993. "More than Samad in Oman: Iron Age pottery from Suhar and Khor Rori" **AAE** 4: 69-106.

References

Al-Shanfari, A.A.B. and G. Weisgerber 1989." A late Bronze Age warrior burials from Nizwa (Oman)" In: Costa P.M. and Tosi, M (eds) **Oman Studies**, Serie Orientale Roma LXII:I,Rome: 17-30.

Bawden, G. "Continuity and disruption in the ancient Hejaz: An assessment of current archaeological strategies" **AAE**, 3(1): 1-22.

Benoist, 1992. **La Ceramique de Rumeilah et son Evolution. Contribution à la Définition de l'Âge du Fer** dans la péninsule Arabique. Master's thesis. University of Paris.

Benoist, A. and M. Mouton 1994 . "L'Age du Fer dans la plaine d'al-Madam (Sharjah EAU). Prospections et fouilles recentes" **PSAS**, 24: 2-12.

Besenval, R. and H. Prancfort -P. 1994. "The Nad-I Ali Surkh Dagh: A Bronze Age monumental platform in Central Asia. In J.M Kenoyer (ed.) **From Sumer to Meluhha; Contributions to the Archaeology of South and West Asia in Memory of George F Dales Jr.** Wisconsin: 3-14.

Blau S. P Magee, A. Biggins, T. Denham, J. Robinson and S. Jasim in press: "Seeing through the Dunes: Geophysical Investigations at Muweilah, United Arab Emirates" **Journal of Field Archaeology.**

Boucharlat, R. 1992. "Note on an Iron Age hill settlement at Jebel Buhais" In: Boucharlat R (ed.) **Archaeological Surveys and Excavations in the Sharjah Emirate. 1990 and 1992. A Sixth Interim Report,** Lyon: 19-21.

Boucharlat, R. and P. Lombard "The oasis of al-Ain in the Iron Age: Excavations at Rumeilah,1981 - 1983. Survey at Hili 14" **Archaeology in the United Arab Emirates** 4:44-73.

Boucharlat, R. and A. Pecontal-Lambert 1992. "The excavations at Jebel Buhais" In: Boucharlat R (ed.) **Archaeological Surveys and Excavations in the Sharjah Emirate, 1990 and 1992. A sixth Interim Report**, Lyon: 11-19.

Boucharlat, R. V. Bernard, H. David and M. Mouton 1988. "Excavations at al-Thuqaibah site, al-Madam plain 1987. A short note on the results" In: Boucharlat R (ed.) **Archaeological Surveys and Excavations in the Sharjah Emirate.1988. A fourth Interim Report,** Lyon: 30-41.

Carter, R. 1998. "The Wadi Suq period in southeast Arabia: a reappraisal in the light of the excavations at Kalba" **PSAS** 27:87-98.

Cleuziou, S.1981. "Oman Peninsula in the second millennium BC" In: Härtel H (ed.) **South Asian Archaeology 1979**, Berlin 279-293.

Costa, P. and T.J. Wilkinson 1987. "The hinterland of Sohar" **Journal of Oman Studies** 9: 10-239

Donaldson, P. 1984. "Prehistoric tombs of Ras al-Khaimah" **Oriens Antiquus** 23:193-212.

Kroll, S. 1991. "Zu den Beziehungen eisenzeitlicher bemalter Keramikkomplexe in Oman und Iran" In: A. Herling and J.-F. Salles (eds.) **Golf Archäologie.** Göttingen and Lyon: 315-320.

Lamberg-Karlovsky, C.C and P. Magee 1999. "The Iron Age platforms at Tepe Yahya" **Iranica Antiqua** XXXIV: 41-52.

Lombard, P. 1985. **L'Arabie orientale a l'Âge du Fer** University of Paris I: PhD. thesis.

Lombard, P. 1989. "Ages du Fer sans fer: Le cas de la peninsule d'Oman au ler millenaire avant JC In: Fahd T (ed.) **L'Arabie preislamique et son Environnement Historique et Culturel.** Leiden: 25-37.

Lombard, P. 1998. "Le cadre chronologique' In: Mouton M (ed.) **Assemblages Céramiques des Sites de l'Age du Fer de la péninsule d'Oman.** Lyon (CD).

Magee, P. 1995. **Cultural Change, Variability and Settlement in southeastern Arabia**. University of Sydney: PhD. thesis.

Magee, P. 1996a. "Excavations at Muweilah. Preliminary report on the first two seasons" **AAE** 7: 195-213.

Magee, P. 1996b. "The chronology of the southeast Arabian Iron Age" **AAE** 7: 240-252.

Magee, P. 1997. "The Iranian Iron Age and the chronology of settlement in southeastern Arabia" **Iranica Antiqua** XXXII: 91-109.

Magee, P. 1998a. "New evidence for the initial appearance of Iron in southeastern Arabia" **AAE** 9: 112-117.

Magee, P. 1998b. "Settlement patterns, polities and regional complexity in the southeast Arabian Iron Age" **Paleorient** 24 (2): 49-60.

Magee P. 1999. "Writing in the Iron Age: The earliest south Arabian inscription from southeastern Arabia" **AAE** 10: 43-50.

Magee, P, P Grave, W.Y. al-Tikriti, M. Barbetti , Yu Z and G. Bailey 1998. "New evidence for specialised ceramic production and exchange in the southeast Arabian Iron Age" **AAE** 9:1-15.

Magee, P. and R. Carter 1999. "Agglomeration and regionalism: Southeastern Arabia between 1400 and 1100BC" **AAE** 10: 161 -179.

Magee, P, forthcoming. **Five Seasons of Excavation and Survey at the Late Prehistoric Desert Settlement of Muweilah.**

areas. Too often, however such external factors, in particular trade, have been assumed to have played a pivotal role in indigenous Arabian developments.

In this paper we have detailed the gradual rise of a complex settlement system in the southeast Arabian Iron Age II period. Undoubtedly, the most significant factor in this was the use of the falaj irrigation system which appears to have been the driving mechanism in the establishment of a series of regional polities in the Iron Age II period. In our present state of knowledge, the southeast Arabian manifestation of the falaj technique is the earliest in the world. It is not introduced from elsewhere and when it initially appears it is at a time when southeastern Arabia does not figure in the anrials and records of the then sovereigns of the ancient Near East; the Assyrians. This technological innovation represents, therefore, a local response to changing indigenous economic and social conditions. What brought around these changes is unknown. It is evident, however, that the internal configuration of settlements began to change in the Iron Age I period perhaps as a result of increasing population pressure on a fragile subsistence base (Magee and Carter 1999: 175). The renaissance of trade networks at this time may have played a role in these processes but there is no evidence to suggest it was the major economic feature of this period. There is no evidence, for example, of the intensive interaction with Mesopotamia such as had occurred in earlier periods. The dissociation of foreign trade with the emergence of economic and social complexity is no more evident indicated than in the Iron Age m period. The decline in the number of settlements during this period occurs during unprecedented trade and exchange in ancient western Asia. Such trade has been argued to play a pivotal role in the reinvigoration of settlement systems in ancient northwest Arabia as seen, for example, in the emergence of the polities of al-'Ula and Lihyan which flourished in the Hijaz at this time (Bawden 1992: 7). This was clearly not the case in the Iron Age m period of southeastern Arabia. Environmental degradation following the intensive use of falaj in the Iron Age II period may have played a role in the decline of settlements at this time, but only further research and a tighter control on the chronology of sites at the end of Iron Age II and m periods will provide more information on the nature and possible causes of these processes. What can be stated with some certainty at this stage, however, is that the only meaningful insights on patterns of settlement in southeastern Arabia have been gained by detailed archaeological research in this region rather than assumptions based on records and histories of the more well studied areas of the ancient Near East.

Dr. Peter Magee **School of Archaeology A14, University of Sydney 2006, NSW, Australia**
peter.magee@antiquity.usyd.edu.au

مخلص: كشفت الأبحاث الأثرية التي أجريت خلال العشرين سنة الماضية عن وجود أنموذج نمطي من المستوطنات في الفترة الممتدة من ١٣٠٠ - ٣٠٠ قبل الميلاد في جنوب شرقي شبه الجزيرة العربية. وفي هذه الورقة، نستعرض أهم الخصائص والسمات لنظام الاستيطان هذا وعلى وجه الخصوص نمو أعداد المستوطنات خلال العصر الحديدي الثاني. تم التركيز على عنصري الابتكار والتغيير باعتبار هما السبب وراء هذا النمو، مقارنة بالطريقة التي تسعى لتضع منطقة جنوب شرقي شبه الجزيرة العربية في نطاق هامشي عريض لأحداث الشرق الأوسط الاقتصادية والسياسية.

Iske (=mod. Iski in Oman (Potts 1985)) and who paid tribute to the Assyrian King in the second half of the seventh century BC. The singularity of this inscription and the lack of any other evidence for Assyrian control suggests, however, a relatively autonomous status for southeastern Arabia within the Assyrian Empire.

Contraction: The Iron Age III period

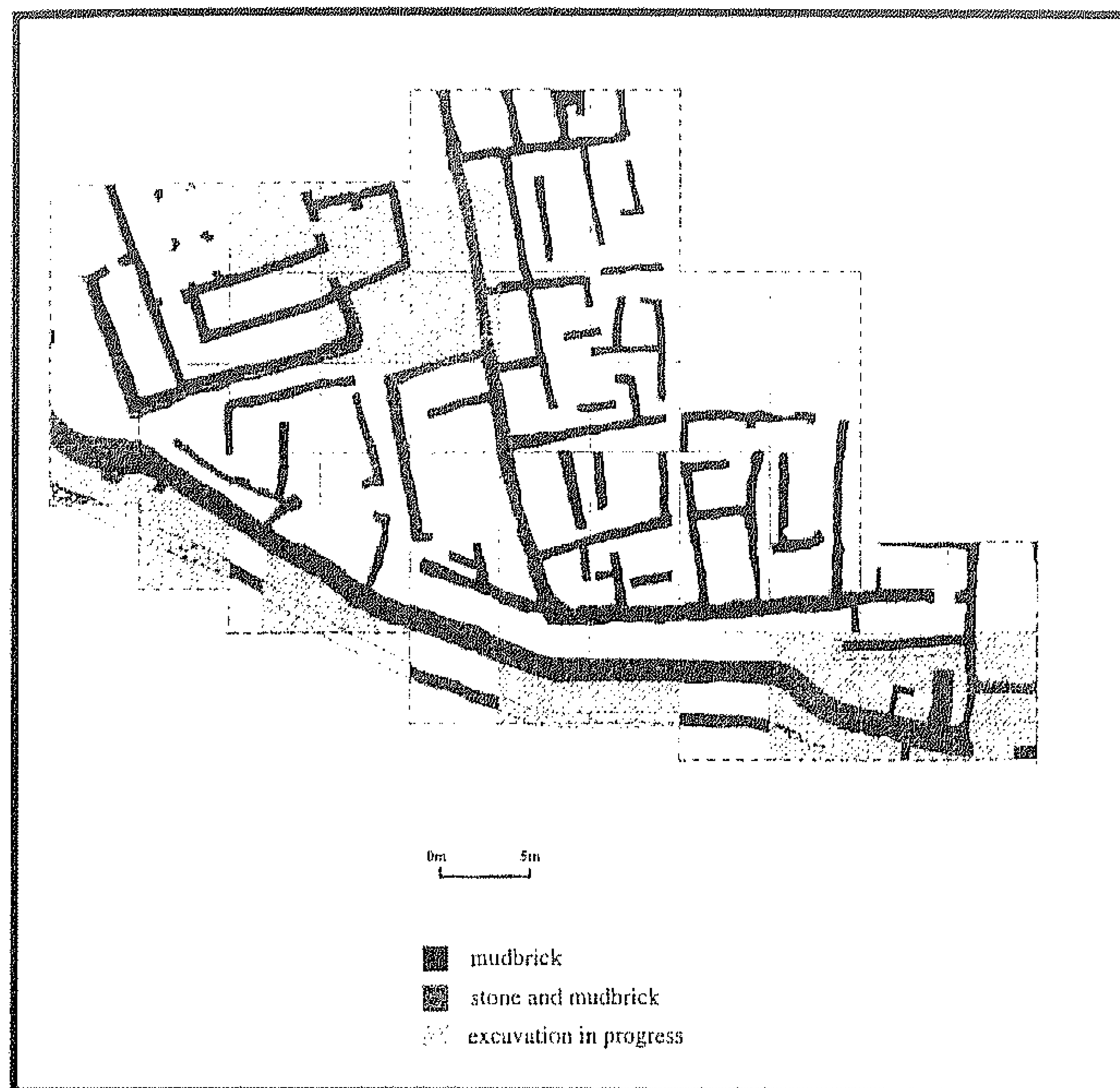
We can begin our examination of the Iron Age m period by looking at a number of texts which provide an insight into southeastern Arabia's foreign relations during this period. The Royal inscriptions of the Achaemenid kings of Iran as well as several of their economic texts (i.e, the Persepolis Fortification Tablets) suggest that southeastern Arabia was part of the empire that they established in the late sixth century BC (Potts 1 990a: 394-398). These texts are limited in their information, but it is possible to suggest that southeastern Arabia was ruled directly from Pars by an Iranian Satrap or Governor (Potts1990a: 395). The economic rationale for the Achaemenid annexation of this region can only be hypothesized, but it would seem judicious to assume that southeastern Arabia's copper resources would have been a significant motivating factor.

There is a widespread material culture change that occurs at approximately the same time as these political events. A defining feature of the Iron Age m ceramic corpus is a number of fast wheel made bowls decorated with a highly burnished maroon slip. This pottery is undoubtedly influenced by contemporary Iranian productions, particularly at sites in southeastern Iran where these types are very common. Recent compositional analysis suggests that at least some of the southeast Arabian examples are imported from this area (Magnee et al. forthcoming). The relationship between the political overlordship and the material culture influence exercised by Iran is open to question but there seems little doubt that both areas were economically linked at this time.

The most other obvious feature of the Iron Age m period is the relative paucity of sites. The period is best represented by continuing occupation at Iron Age II sites like Rumeilah and Tell Abraq. Given the quantity of surveys and excavations conducted in this region, it is unlikely that this lack of settlements merely reflects a lack of evidence. There does appear to be a decline in the number and density of settlements during this period, the cause of which is unknown. The degradation of agricultural and freshwater resources, that followed the intensive use of the *falaj* technique in the Iron Age II period, remains a possible factor. A variety of hydrological and other environmental factors have been used to explain the abandonment of more recent *falaj* systems in Oman (Wilkinson 1977: 86-92). Firmer chronological control on sites of this period together with multi disciplinary analysis of archaeological material -including detailed archaeobotanical and geomorphological research will, undoubtedly, shed further light on this issue.

Discussion

If we exclude the study of the ancient Kingdoms of modern-day Yemen, it would be accurate to state that external forces have been relied upon to explain economic and political changes in the myriad of different Kingdoms and polities that made up ancient Arabia. This is evident, for example, in discussions concerning the ancient Hejaz for which an Egyptian and then neo-Babylonian injection of trade and commerce has been argued as central to the emergence of oasis urbanism (Rothenberg 1972; Parr 1989: 65 but see Bawden 1992). There is certainly no doubt that ancient Arabia was linked to the rest of ancient southwestern Asia throughout its prehistoric and historical periods and was thus as open to the vicissitudes of changing geo-economic and political forces as other



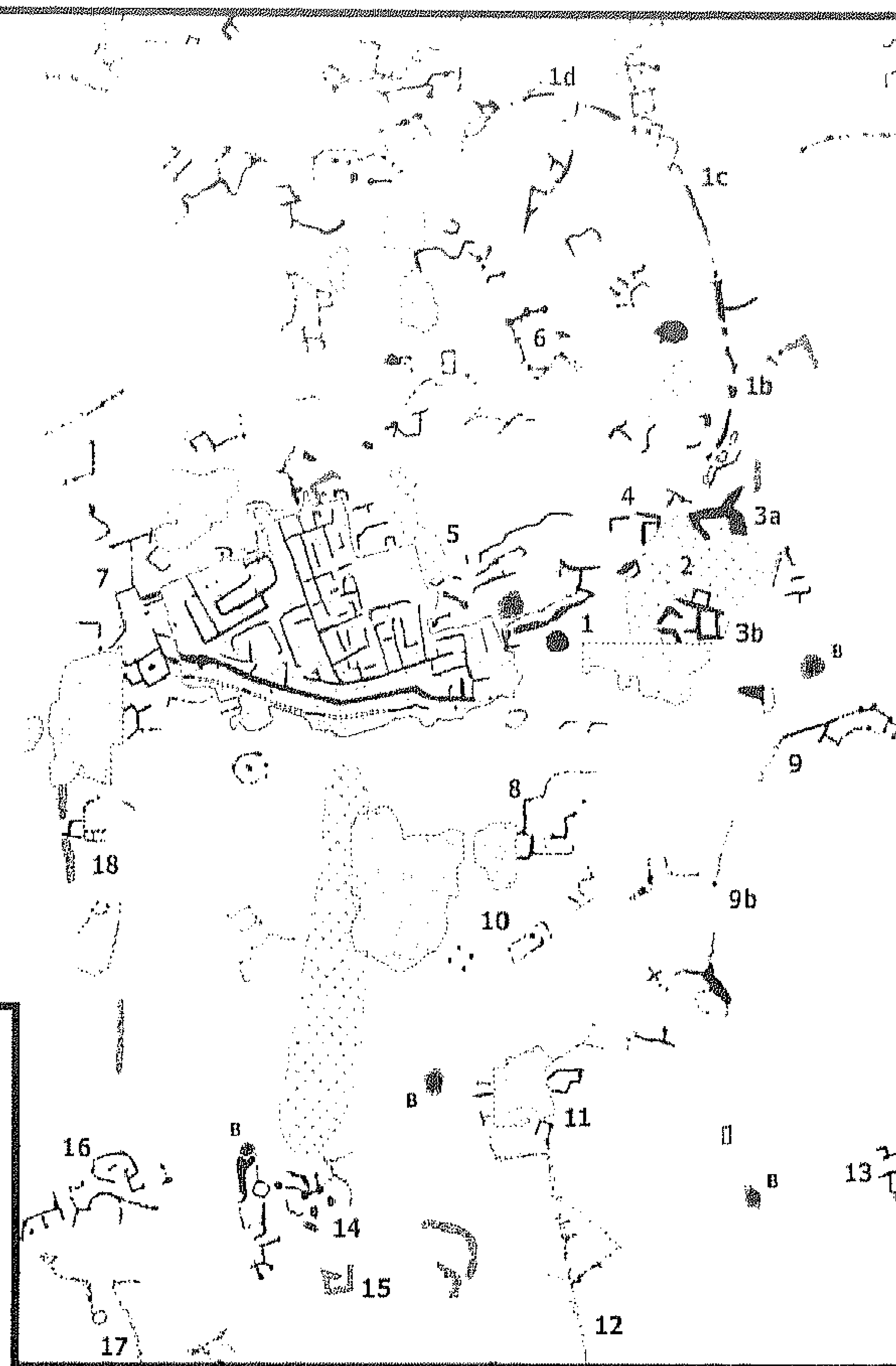


Fig. 4 The Iron Age II Settlement of Muweilah

that the aflaj allowed for crop production at an intensity which was not possible using simpler forms of irrigation such as wells. The presence of fortified settlements alongside examples of the aflaj may suggest that there existed within the mountains and piedmont a series of independent polities whose basis of power lay in the ability for intensive agriculture (Magee 1998b).

Many other aspects of Iron Age 1:I economy have been examined by researchers. Ceramic production, for example, has been examined from a strictly typological (Benoist 1992) and a compositional viewpoint (Magee et al.1998). Both approaches have highlighted the important role that settlements, in the al-Ain oasis, played in ceramic production and PIXE-PIGME analysis suggests that the products of this centre were distributed throughout the peninsula. There was undoubtedly, however, a myriad of production nodes occurring during the Iron Age II period and two separate on-going research projects; one by the CNRS in France and the other at the University of Sydney will shed more light on this issue.

There is little doubt that by this time the camel had been domesticated and this would have permitted an increase in intra- and inter-regional exchange. Towards the end of the Iron Age II period, for example, the first evidence for contact with Yemen is found in the form of a three letter south Arabian inscription at the settlement of Muweilah (Muller 1999; Magee 1999). Ship-borne trade is evident in both the importation of southeast Iranian ceramics (Magee et al.1998) and the importation and local emulation of west Iranian bridged-spouted vessels (Kroll 1991; Magee 1997). Although local iron production is absent in the Iron Age (Lombard 1989), the first evidence for the importation of iron, probably from Iran, is also found (Magee 1998a). Southeast Arabia's relations with her neighbours at this time were not purely, however, commercial. The Ishtar slab inscription of Assurbanipal -dated towards the end of the Iron Age II period mentions a local King (Pade) who ruled over the city of

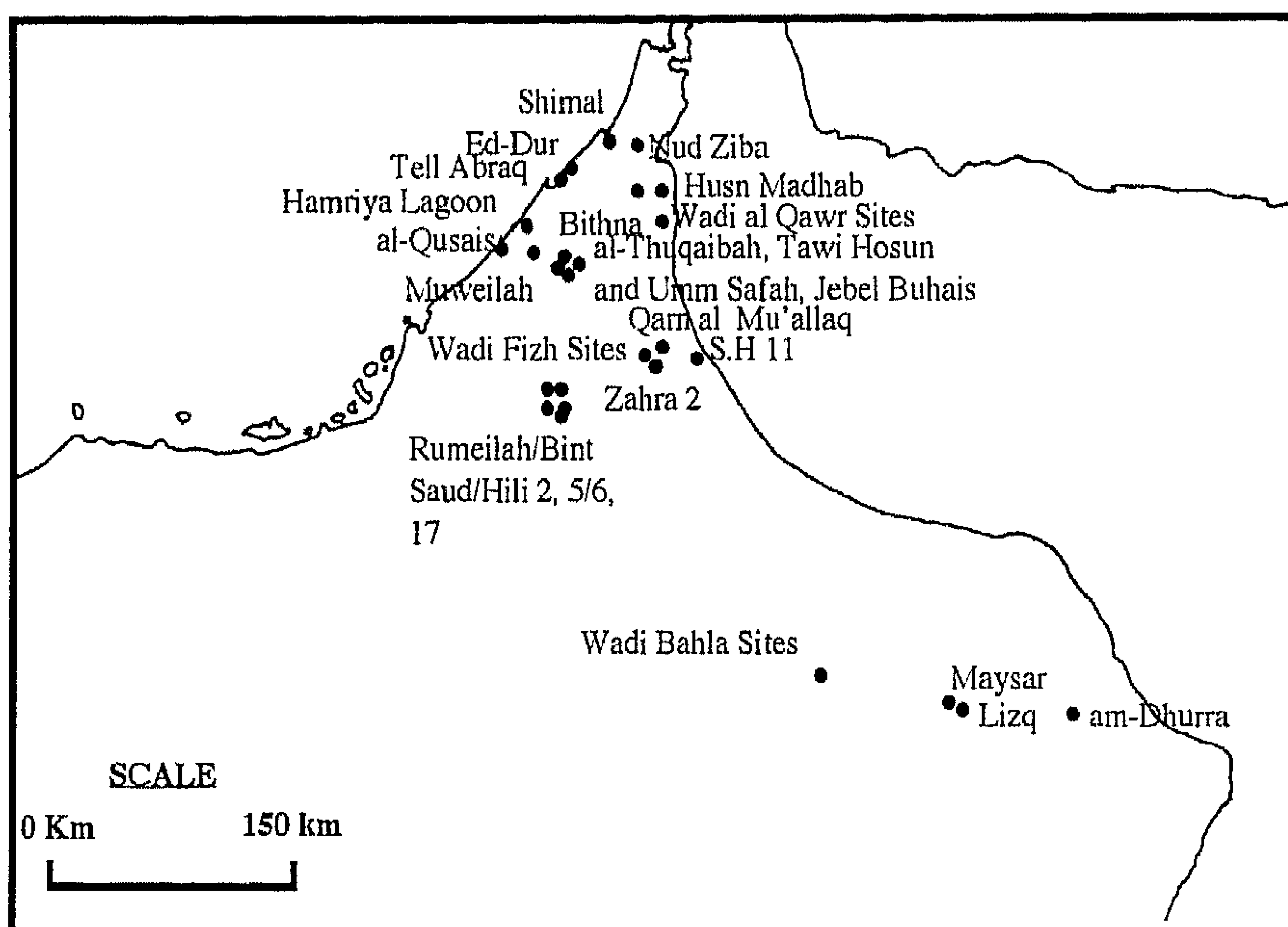


Fig. 3 Known Iron Age II Settlements

the most part, they are constructed from locally available stone and consist of isolated houses with nearby fortresses (e.g., Lizq and Maysar 42 in the Wadi Samad) or fortified enclosures (e.g., Husn Awhala (Petrie 1998)). On the fertile alluvial flanks of the mountains, numerous Iron Age II settlements have been surveyed and excavated. These include the cluster of settlements in the al-Madam plain of Sharjah (Benoist and Mouton1994; Boucharlat 1992; Boucharlat et al.1988; Boucharlat and Pecontal-Lambert 1992; Mouton 1992) and Rumeilah and Hili 2 in the al-Ain oasis in the Emirate of Abu-Dhabi (Boucharlat and Lombard 1985; Rahman 1980). These are constructed from a type of mudbrick or pise and, like those in the mountains, are near fortified compounds (e.g. Jebel Buhais in the al-Madam plain or Hili 14 in the al-Ain oasis).

The desert that lies to the west of the piedmont has only recently been the focus for archaeological research. The only known settlement yet located here is that of Muweilah and it is still under excavation. Excavation and magnetometry have revealed evidence for a large walled enclosure in which several diffe-rent buildings are located (Fig. 4) (Blau et al. in press; Magee forth-coming). The buildings are constructed from mudbrick/pise while the surround wall is constructed with a mixture of locally available stone and mud. There is evidence for extra-mural occupation in the form of campsites (Magee 1996a) and, based on the magnetometry results, walled buildings. On the coast, occupation is found at a number of sites although not as intensive as that found elsewhere in the Iron Age II period. The site of Tell Abraq, occupied since the middle of the third millennium BC, has Iron Age II remains in the form of postholes which undoubtedly supported Barasti huts (Magee 1995). The nearby Hamriya Lagoon evidences Iron Age II occupation in the form of shell-middens. On the east coast, Iron Age II occupation is much more substantial and at Kalba a continuation of the large-scale stone architecture evident in the Iron Age I period is found (Carter 1998).

The defining feature of the economy of the Iron Age II period is undoubtedly the presence of *falaj* systems associated with many of the settlements described above. This type of irrigation system involves tapping mountain aquifers and then transporting the water in subterranean channels to lower-lying agricultural areas. Archaeological evidence of this technique, is found near settlements on the banks of wadis and those located in the piedmont alluvium (Magee 1998b). Although archaeobotanical evidence was not collected from many of these settlements, there can be little doubt

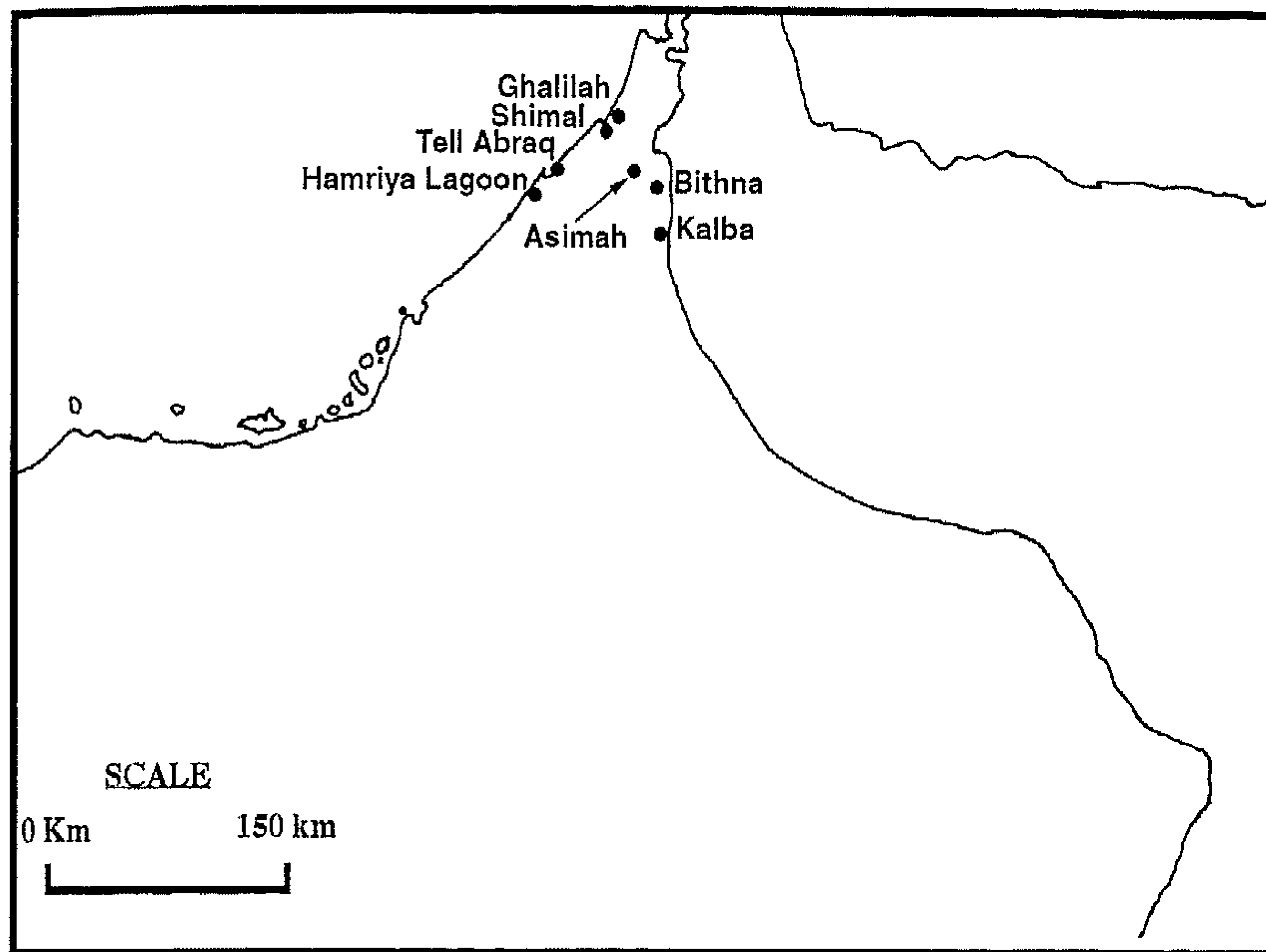


Fig. 2: Known Iron Age I Sites

continuation of the extensive economy evident in the later phases of the Wadi Suq period. Fishing, shell fish gathering, the keeping of domesticates and hunting were all clearly important (Prieur 1990: 141-150 Stephan 1995: Table 2) while limited cereal and date palm cultivation was also practised (Tengberg 1998). There are, however, some important changes that would appear to indicate modifications in the socio-economic configuration of settlements. The very end of the Late Wadi Suq and beginnings of the Iron Age I period witnesses the establishment of large monumental structures at both Tell Abraq and Kalba (Magee and Carter 1999).

These consist of mudbrick platforms at both sites and, at Kalba, extensive surround walls. Although the function of these is still unclear there is little doubt that they represent the concentration of material and human resources unlike anything seen since the Umm an-Nar period towers of the late third millennium BC. In contemporary and slightly later contexts in Iran and Central Asia similar platforms are interpreted as the symbolic centre of emerging independent polities (Besenval and Francfort 1994; Lamberg-Karlovsky and Magee 1999; Sarianidi 1985).

While it is too early to assume a similar role for platforms in south-eastern Arabia, there is evidence that their appearance coincides with fundamental changes in the economic organization of these settlements. This is most evident in the appearance of imported Iranian ceramics in some quantity at Kalba and imported cylinder seals at Tell Abraq (Magee and Carter 1999). The imported ceramics suggest a renaissance of trade systems that had laid dormant for most of the second millennium BC while the importation of cylinder seals might well be linked to the emergence of a local elite who wished to obtain a material manifestation of their power and authority. While such interpretations remain necessarily provi-sional, there is no doubt that the Iron Age I period witnesses shifts in the internal structure of settlements which may be the impetus for the immense changes that follow in the Iron Age II period (Magee and Carter 1999: 177-179).

The Iron Age II period witnesses an explosion of settlement throughout south-eastern Arabia (Fig. 3). For the first time, prehistoric occupation becomes total; in the sense of occupying all of the major environ-mental zones. In the mountain chain that runs through the peninsula, a number of Iron Age II settlements have been examined. These are often found on the edge of wadis such as those found on the Wadi Bani ‘Umar (Costa and Wilkinson 1987: 102-105), the Wadi Samad (Weisgerber 1981), the Wadi Awhala (Potts et al. 1996; Petrie 1998) or the Wadi al-Qawr in Ras al-Khaimah (Phillips 1998). For

to the latest agreed calibration curve (Stuiver et al. 1998) using Calib 4 and the Probability method.

The new dates relate to the Iron Age 1:I period and they confirm the chronology suggested in 1996 (see Magee 1996a for a detailed discussion of these dates). For the Iron Age I and III periods, we have no more dates than those presented in 1996. For the Iron Age III period, it is unlikely that further dates will seriously affect our understanding of the chronology. The main reason for this is that the second half of the Iron Age II period and most of the Iron Age m period falls into the timeframe which is very difficult to date because of the relatively flat nature of the calibration curve. More dates are needed, however, for the Iron Age I period. The three dates that we have so far are of little value because: (a) two of the dates are on shells and there is as no agreed reservoir effect for Gulf shells and (b) the single wood charcoal date (HV 13641) has a very high error (±145) rendering the calibrated date of little use.

The foreign relations attested by southeast Arabian Iron Age II and m pottery provide further evidence for the absolute chronology. Iron Age II forms, in particularly painted bridge spouted vessels, are well paralleled at sites in western Iran dating to after 1100 BC (Magee 1997). In the Iron Age III period, a number of new ceramic forms appear in southeastern Arabia including a number of fine, wheel-made bowls with a burnished red brown slip (called Burnished Maroon Slipped Ware (Magee 1997)). The appearance of these forms is mirrored across the Straits of Hormuz in Iran, particularly, at sites in southeastern Iran like Tepe Yahya. Their chronology in the latter context is fixed to the centuries after c. 600 BC but before the widespread changes that appear to occur following the conquest of Alexander the Great.

On the basis of the stratigraphic,14c and foreign evidence, the tripartite scheme suggested in 1996 for the chronology of settlement in the north of southeastern Arabia remains valid. Of outstanding significance for future research is the question of how this scheme relates to that evidence in Oman where researchers speak of two broad phases of occupation: The Early Iron Age (EIA) and the Late Iron Age (LIA) (Yule and Kazenwadel 1993; Yule and Kervran 1993).

Innovation and expansion

The Iron Age represents the densest prehistoric occupation in southeastern Arabia. Not all periods within the Iron Age are, however, equally represented and by charting the number and location of sites a very clear shift in settlement is evident.

The Iron Age I period witnesses a continuation of previous settlement systems with some important innovations. Prior to the Iron Age, in the Wadi Suq period (1900-1300 BC), there appears to have been a gradual reduction in the number of settlements. Although arguments that this represents a period of complete nomadisation (Cleuziou 1981) have been rebutted by the excavations of sites like Tell Abraq (Potts 1990b,1991) and Shimal (Velde 1992) there seems little doubt that there is a reduction in the number of known settlements and that, judging by ceramic production and location of sites, an extensive rather than intensive economy prevails. A limited number of settlements also characterizes the Iron Age I period. Settlements of this period are known at Tell Abraq, Shimal, sites on the Hamriya Lagoon in Sharjah and at Kalba on the east coast (Fig. 2). To these settlements can be added the grave at Nizwa (al-Shanfari and Weisgerber 1989) and evidence for Iron Age I use of pre-existing burials at sites such as Ghalilah in Ras al Khaimah (Donaldson 1984), Bithna Tomb 4 (Courboud et al. 1996: 122-126) and Tomb100 at Asimah (Vogt 1994: 81-96).

Evidence, on the subsistence strategy at these coastal settlements, suggests the

Code (*= date added) after 1996)	Period	Site	Material	14c age	Calibrated date BC (Probability method)
HV 13640	Iron Age I	Shimal	Shell	3175±65	1605 – 1296 (1.000)
HV 13641	Iron Age I	Shimal	Charcoal	2725±145	1284 – 1282 (0.004) 1263 – 505 (0.981) 464 – 447 (0.008) 439 – 422 (0.008)
HV 13642	Iron Age I	Shimal	Shell	3195±65	1623 – 1369 (0.941) 1368 – 1312 (0.059)
Ly 3076	Iron Age II	Rumeilah	Charcoal	3110±170	1738 – 921 (1.000)
Ly 3783	Iron Age II	Rumeilah	Charcoal	2970±150	1498 – 837 (1.000)
Ly 3782	Iron Age II	Rumeilah	Date seed	2610±90	923 - 483 (0.959) 467 - 414 (0.041)
Ly 3078	Iron Age II	Rumeilah	Charcoal	2860±150	1428 – 788 (1.000)
Ly 3784	Iron Age II	Rumeilah	Shell	2860±100	1306 – 824 (1.000)
Beta 91468	Iron Age II	Husn Awhala	Charcoal	2670±60	975 – 763 (0.995) 677 - 676 (0.005)
Beta 91467	Iron Age II	Husn Awhala	Charcoal	2670±60	975 – 763 (0.995) 677 - 676 (0.005)
Beta 91469	Iron Age II	Husn Awhala	Charcoal	2610±60	905 – 750 (0.664) 724 - 532 (0..336)
OZB802*	Iron Age II	Muweilah	Date Seed	2406±134	810 – 197 (1.000)
OZB803*	Iron Age II	Muweilah	Charcoal	2427±78	777 – 393 (1.000)
OZB804*	Iron Age II	Muweilah	Date Seed	2488±67	786 – 411 (1.000)
OZB805*	Iron Age II	Muweilah	Charcoal	2943±182	1603 – 1557 (1.013) 1538 – 793 (.987)
OZB806	Iron Age II	Muweilah	Charcoal	2334±116	787 – 163 (1.000)
OZB807*	Iron Age II	Muweilah	Charcoal	2885±114	1409 – 806 (1.000)
Beta 116112*	Iron Age II	Muweilah	Charcoal	2560±60	827 – 510 (0.966) 453 – 419 (0.034)
NZA10103*	Iron Age II	Muweilah	Charcoal	2598±60	896 – 526 (1.000)
OZB808*	Iron Age II	Muweilah	Charcoal	2827±53	1127 – 835 (1.000)
Bln 2747	Lizq Iron Age II	Lizq	Charcoal	2730±50	978 – 804 (1.000)
Kn 3499	Lizq Iron Age II	Lizq	Charcoal	2770±160	1386 – 1331 (0.023) 1329 – 526 (0.977)
Ly 3077	Iron Age III	Rumeilah	Charcoal	2730±150	1294 – 1275 (0.008) 1267 – 505 (0.973) 489 – 488 (0.004) 463 – 417 (0.015)
Ly 3781	Iron Age III	Rumeilah	Charcoal	2660±120	1109 – 1104 (0.005) 1073 – 412 (0.995)
Ly 3779	Iron Age III	Rumeilah	Charcoal	2380±110	792 – 344 (0.879) 323 – 204 (0.121)
Ly 3075	Iron Age III	Rumeilah	Charcoal	2740±100	1253 – 1241 (0.003) 1214 – 761 (0.985) 681 – 667 (0.006) 614 – 595 (0.006)
Ly 3780	Iron Age III	Rumeilah	Charcoal	2580±110	911 – 406 (1.000)
Ly 3778	Iron Age III	Rumeilah	Charcoal	2280±110	762 – 680 (0.068) 667 – 621 (0.024) 594 – 51 (0.908)

Table 1: Carbon–14 dates for the southeast Arabian Iron Age

middle of the area runs the al-Hajjar mountain range. Although punctuated by several wadi systems that serve as transport routes, these mountains provide an imposing barrier in intra-regional exchange and trade. Sedentary, agricultural occupation is limited by the lack of soils, uneven land and inaccessibility to the water table except near or on the beds of wadis. On the east coast of these mountains lies a fertile alluvial strip that is known as the Batinah coast. In this zone, the combination of agricultural soils and the relative ease with which the water table can be accessed can provide the basis for intensive occupation. On the west flanks of the mountains lies several alluvial plains that also contain agricultural soils. The further one moves away, however, from the mountains the more difficult it is to access freshwater with simple wells to irrigate these plains. These plains lead to a sand-dune belt that is, in effect, the northern extension of the Rub al-Khali. Sedentary, agricultural-based settlement is very limited in this area by the lack of soils. This desert belt leads to the coastline which today is characterized by a series of lagoons and sabkhas. Archaeobotanical evidence from a number of sites suggests the existence of mangroves along this coast in the past. Together with aquatic resources, these provided the economic and subsistence basis for a number of prehistoric coastal settlements.

Chronology

In presenting the chronology of the southeast Arabian Iron Age our first task is to discuss the use of the term 'Iron Age'. This term has been in vogue since the earliest traces of a first millennium BC were discovered in the 1 960s.The term, however, is a misnomer since iron was not commonly used in the region until after the Iron Age (Lombard 1989). The only well-contexted iron discovered for the Iron Age comes from the site of Muweilah from where one published (Magee 1998a) and one unpublished weapon have been found. Despite the obvious error in the continuing use of the term 'Iron Age' it remains the most commonly accepted and so for the purposes of this paper we will continue using it.

The first stratigraphic evidence for the relative chronology of the Iron Age came from the French excavations at the site of Rumeilah in the al-Ain oasis of Abu Dhabi Emirate (Boucharlat and Lombard 1985). Although other settlements and graves had been examined (e.g., Hili 2: ur-Rahman 1980), this was the first site to provide evidence for an internal chronological scheme. The excavations of several mudbrick houses revealed two distinct material culture phases: Rumeilah I and Rumeilah II. Even though these were not found in stratigraphic succession it was clear that both material culture phases represent distinct horizons; the latter of which followed the former with little or no hiatus. Initially this scheme was used to describe the entirety of Iron Age culture in the region (e.g., Lombard 1985). It became clear, however, on the basis of excavations first at Shimal (Velde 1992) and then Tell Abraq (Potts 1990b,1991, Magee 1996b) that there was an earlier pre-Rumeilah phase evident on the northern coast. More recent excavations have confirmed a variant of it on the east coast at the site of Kalba (Magee and Carter 1999). On the basis of this evidence, a tripartite scheme that consisted of the Iron Age I, II and III periods was presented in 1996 (Magee 1996b) and has since been commonly used in discussions of the Iron Age (e.g., Lombard 1998).

The absolute chronology of this scheme rests on 14c dates and foreign parallels. In 1996, only 1 8 dates were available to support this scheme. Since that time, many more dates have been added, particularly from the Iron Age II site of Muweilah. All of the known published dates are presented in Table 1. These dates have been calibrated according

Patterns of Settlement in the Southeast Arabian Iron Age

Peter Magee

Abstract. *Archaeological research over the last twenty years has revealed a dynamic pattern of settlement for the period between c. 1300 and 300 BC in southeastern Arabia. In this paper, we explore the major features of this settlement system and, in particular, the growth in the number of settlements during the Iron Age II period. The role of local innovation and change is emphasized as the major cause of this growth as opposed to an approach which seeks to place southeastern Arabia within the peripheries of broader Middle Eastern economic and political events.*

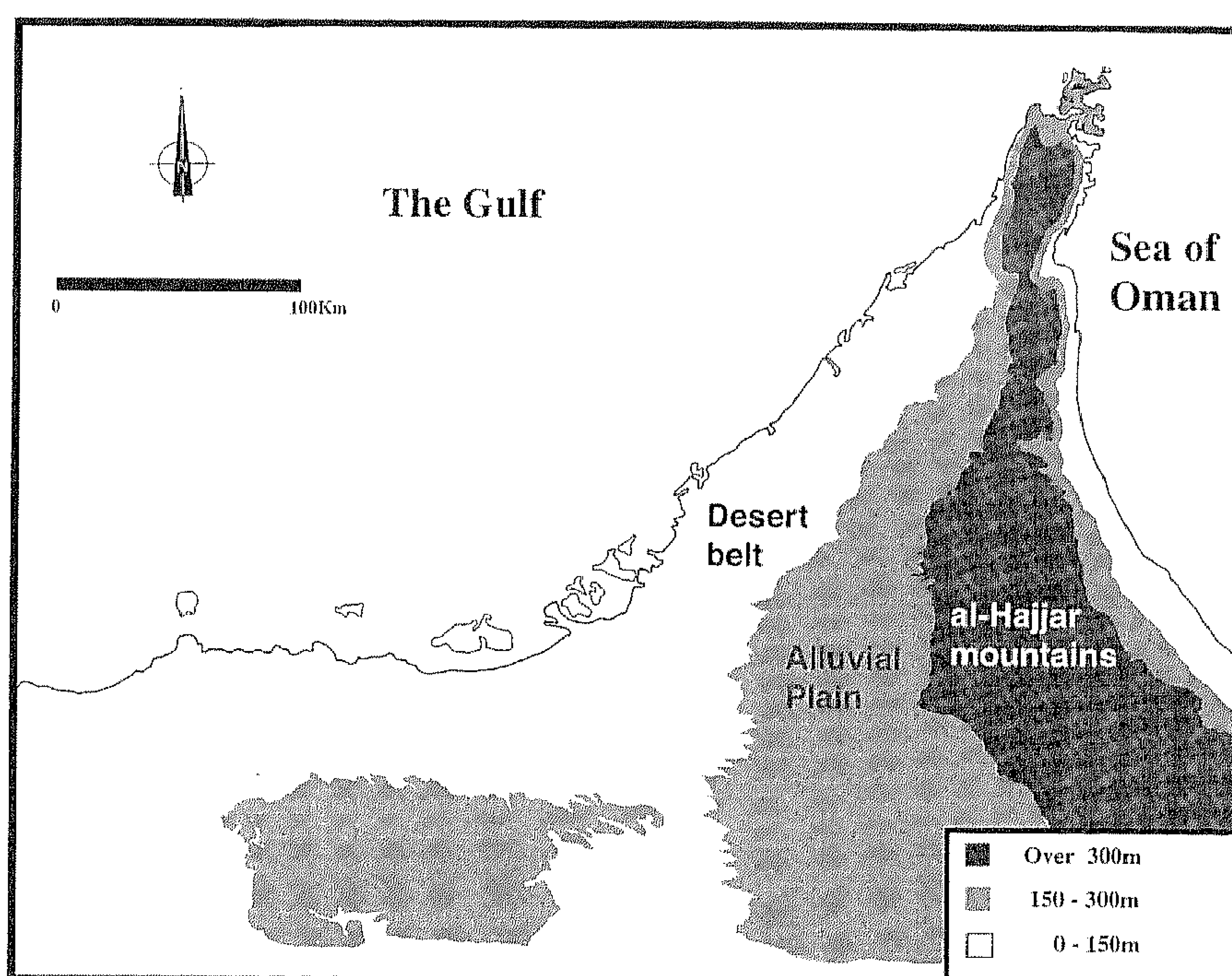


Fig. 1: The major geographical zones of southeastern Arabia

Within the mosaic of cultures that flourished throughout Arabia in the late second and first millennium BC, most attention has focussed on the Kingdoms that arose in what is modern-day Yemen or the powerful oasis polities of the north. In this paper, we would like to present an up-to-date analysis of the archaeological evidence for the Arabian south-east from c. 1300 to 300 BC. This area has only recently been the focus of archaeological research but in twenty years our knowledge has increased at a rapid pace. Unlike many of the other areas of Arabia, this region remains largely prehistoric, or without writing, until after the Iron Age has ended; a fact which has not hindered researchers in their ability to reconstruct the ancient economies and socio-economic structures of this period in Arabian prehistory. In detailing these structures, we will emphasize the autochthonous factors that led to their development and how these contrast with the approach that treats developments in areas such as Arabia as repercussions of broader economic changes, particularly the introduction of foreign trade interests.

Climate and geography (Fig. 1)

Climatically, southeastern Arabia can be classed as arid, having less than 100mm of rainfall a year. Characteristic of this rainfall regime is a high degree of inter-annum variation that makes dry farming impossible. Geographically, the region can be split into five major zones, each of which contains distinct resources which encourage particular forms of human habitation. Through the

Issue No. 1 January 2000
ISSN: 1319-8947 (pp 29-39)

Smith, A.B. 1986. "Cattle domestication in North Africa" **African Archaeological Review,** 4:197-203.

Smith, A.B. 1989. "The Near Eastern connection: Early to mid-Holocene relations between North Africa and the Levant" In: Krzyzaniak, L. and Kobusiewicz, M. (eds) **Late Prehistory of the Nile Basin and the Sahara,** Poznan, Polish Academy of Sciences, pp. 69-77.

Stemler, A. B. L. and Falk, R. H. 1981. "SEM of Archaeological Specimens" **Scanning Electron Microscopy** part III: 191-96.

Street-Perrott, F. A., and Perrott, R. A. 1990. "Abrupt climate fluctuations in the tropics: The influence of Atlantic ocean circulation" **Nature** 343: 607-612.

Tsoar, H., and Goodfriend, G. A. 1994. "Chronology and palaeoenvironmental interpretation of Holocene aeolian sands at the inland edge of the Sinai-Negeve erg" **The Holocene,** 4(3): 244-250.

Uerpmann, Hans-Peter 1996. "Animal domestication in Southwest Asia" In: Harris, D. (ed), **The Origins and Spread of Agriculture and Pastoralism in Eurasia,** London, University College London Press, pp. 227-237.

Uerpmann, M., and Uerpmann, H. -P. 1996. "Ubaid pottery in the eastern Gulf - new evidence from Umm al-Qaiwain (U.A.E.)" **Arabian Archaeology and Epigraphy** 7: 125-139.
van Andel, T. H. and Runnels, C. N. 1995. "The earliest farmers in Europe" **Antiquity,** 69: 481-500.

van Andel, T. H., and Hassan, F. A. 1998. "The spread of early farming in Europe: Ecological preferences and climatic contingencies" **European Science Foundation, ESF Workshop on Ecological Change and Food Security in Africa's later Prehistory,** London 15-18 September 1998.

Vermeersch, P. Van Peer, J. Moeyersons, and Van Neer, W. 1996. "Sodmein Cave Site, Red Sea Mountains (Egypt)" **Sahara,** 6: 31-40.

Vernet, R. (1995). **Les Paleoenvironments du nord de l'Afrique depuis 600 000,** Dossiers et Recherches sur l'Afrique, No.3. CNRS, Meudon-Cedex.

Wendorf, F. and R. Schild. 1994. "Are the early Holocene cattle in the eastern Sahara domestic or wild?" **Evolutionary Anthropology,** 3 (4):118-128.

Wendorf, F., R. Schild (assemblers), and A.E. Close (editor). 1984. **Cattle Keepers of the Eastern Sahara. The Neolithic of Bir Kisseiba.** Dallas, Southern Methodist University.

Wendorf, F., Close, A. E. and Schild, R. 1987. "Early domestic cattle in the Eastern Sahara" **Palaeoecology of Africa,** 18: 441-448, Rotterdam, Balkema.

Wetterstrom, W. 1996. "Foraging and farming in Egypt: The transition from hunting and gathering to horticulture in the Nile Valley", In: Shaw, T., Sinclair, P., Andah, B., and Okpoko, A. (eds), **The Archaeology of Africa. Food Metals and Towns,** London, Routledge, pp.165-226.

Wetterstrom, W. 1998. "The Origins of Agriculture in Africa: With particular reference to Sorghum and pearl millet" **The Review of Archaeology,** 19(2): 30-46.

Zarins, J., Rihbini, A., and Kamal, M. 1982. "Comprehensive Survey of the Central Nejd - The Riyadh Environs" **Atlal** 6: 25-38.

Zarins, J. 1987. "Early Rock Art of Saudi Arabia" **Archaeology,** Nov/Dec: 20-27.

Zvelebil, M. 1996. "The agricultural frontier and the transition to farming in the circum-Baltic region", In: D. Harris (ed) **The Origins and Spread of Agriculture and Pastoralism in Eurasia,** London, University College London Press, pp. 323-345.

Marshall, F. 1998. "Early food production In Africa" **The Review of Archaeology,** 19(2): 47-58.

Masry, A. H. 1974. **Prehistory in North-eastern Arabia: The Problem of Interregional Interaction.** Miami, Coconut Grove, Field Research Project.

McClure, H. A. 1976. "Radiocarbon chronology of late Quaternary lakes in the Arabian Desert" **Nature,** 263: 755.

McCorriston, J. and Hole, F. 1991. "The ecology of seasonal stress and the origins of agriculture in the Near East" **American Anthropologist,** 93: 46-94.

McDonald, M. A. 1998. "Early African Pastoralism: View from Dakhleh Oasis (South Central Egypt)" **Journal of Anthropological Archaeology,** 17: 124-142.

Moore, A. M. T. 1973. "The Late Neolithic in Palestine" **Levant** 5: 36.

Moore, A. M. T., and Hillman, G. C. 1992. "The Pleistocene to Holocene transition and human economy in southwest Asia: The impact of the Younger Dryas" **American Antiquity,** 57: 482-94.

Munson, P. J. 1976. "Archaeological data on the origin of cultivation in the southwestern Sahara and their implications for West Africa", In: Harlan, J. R., de Wet, J. M.,and Stemler, A. (eds), **Origins of African Plant Domestication,** The Hague, Mouton, pp. 197-209.

Neumann, K. (1993). "Holocene vegetation of the Eastern Sahara: Charcoal from prehistoric sites" In: Krzyzaniak, L., Kobusiewicz, M., and Alexander, J. (eds.), **Environmental Change and Human Culture in the Nile Basin and Northern Africa until the Second Millennium B.C.,** Poznan, Poznan Archaeological Museum, pp. 153-169.

Neumann, K. 1998. "Palaeovegetation and early plant food production in the West African Sahel", European Science Foundation, ESF Workshop on Ecological Change and Food Security in Africa's later Prehistory, London 15-18 September 1998.

Neumann, K. A., Ballouche, A. and Klee, M. 1996. "The emergence of plant food production in the West African Sahel: New evidence from northeast Nigeria and northern Burkina Faso" In: Pwiti, G. and Soper, R. (eds), **Aspects of African Archaeology,** Harare, University of Zimbabwe Publication, pp. 441-448.

Oren. E.D. and Gilead, I. 1981. "Chalcolithic sites in northeastern Sinai" **Tel Aviv,** 8: 25-44.

Parr, P. J., Zarins, J., Ibrahim, M., Waechter, J. Garrard, A., Clarke, C., Bidmead, M. and al-Badr, H. 1978. "Preliminary Report on the second phase of the northern province survey 1397/1977" **Atlal** 2: 29-50.

Potts, D. 1994. "Contributions to the agrarian history of eastern Arabia II" The cultivars. **Arabian Archaeology and Epigraphy** 5: 236-275.

Roberts, N. 1998. "The Holocene: An environmental history" (2nd ed.), Oxford, Blackwell.

Roberts, N., Lamb, H. F., El Hamouti, N., and Barker, P. (1994). "Abrupt Holocene hydro-climatic events: palaeolimnological evidence from North-West Africa", In: Millington, A. C., and Pye, K. (eds.), **Environmental Change in Drylands: Biogeographical and Geomorphological Perspectives,** John Wiley, New York.

Rohling, E. J., Jorissen, F. J., and Stigter, H. C. 1997. "200 year interruption of Holocene sapropel formation in the Adriatic Sea" **Journal of Micropalaeontology,** 16: 97-108.

Rohling, E. J., Abu-Zied, R., Casford, J., Croudace, I., De Rijk, S., Kallmeyer, J., Mercone, D., Segl, M. Thomson, J., and Weger, G. 1998. "Rapid climate fluctuations along the northern margins of the Eastern Mediterranean during the Terminal Pleistocene and Holocene", European Science Foundation, ESF Workshop on Ecological Change and Food Security in Africa's later Prehistory, London 15-18 September 1998.

Rosen, A. M. 1989. "Environmental change at the end of Early Bronze Age Palestine" In: de Miroschedji, P. (ed), **L'urbanisation de la Palestine à l'âge du Bronze Ancien,** BAR International Series 527(ii), pp. 247-255.

Rosen, S. A. 1998. "Notes on the origins of pastoral nomadism: A case study from the Negev and Sinai" **Current Anthropology,** 29: 498-505.

Rossignol-Strick, M. 1997. "Paléoclimat de la Méditerranée orientale et de L'Asie du sud-ouest de 15,000 ‡ 6000 BP" **Paléorient,** 23/3: 175-186.

Roubet, Colette (1979). **Economie Pastorale Préagricole en Algérie Orientale: Le Néolithique de Tradition Capsienne,** Paris, CNRS.

Rowley-Conwy, P. A., Deakin, W. J. and Shaw, C. H. 1997. "Ancient DNA from archaeological sorghum (Sorghum bicolor) from Qasr Ibrim, Nubia. Implications for domestication and evolution and a review of the archaeological evidence" **Sahara,** 9: 23-33.

Sirocko, F., Sarnthein, M., Erlenkeusers, H., Lange, H., Arnold, M., and Duplessy, J. C. 1993. "Century-scale events in monsoonal climate over the past 24,000 years" **Nature,** 364: 322- 24.

Sirocko, F., Garbe-Schönberg, D., McIntyre, A. and Molfino, B. 1996. "Teleconnections between the subtropical monsoons and high-latitude climates during the last deglaciation" **Science,** 272: 526-529.

Smith, A.B. 1984. "The origins of food production in northeast Africa" In: Coetzee, J.A. and Van Zinderen Bakker, E. M. (eds), **Palaeoecology of Africa and the Surrounding Islands** Vol. 16, Rotterdam, Balkema, pp. 317-324.

Halstead, P. 1996. "The development of agriculture and pastoralism in Greece: When, how and what?", In: Harris, D. (ed), **The Origins and Spread of Agriculture and Pastoralism in Eurasia,** London, University College London Press, pp. 296–310.

Harris, D. 1996. "The origins and spread of agriculture and pastoralism in Eurasia: An overview", In: Harris, D. (ed), **The Origins and Spread of Agriculture and Pastoralism in Eurasia,** London, University College London Press.

Harris, D. (1998). "The origins of agriculture in Southwest Asia" **The Review of Archaeology,** 19(2): 5–11.

Hassan, F. A. 1977. "The dynamics of agricultural origins in Palestine: A theoretical model", In: Reed, C. (ed), **Agricultural Origins,** The Hague, Mouton.

Hassan, F. A. 1981. **Demographic Archaeology.** New York, Academic Press.

Hassan, F. A. 1986. "Desert environment and origins of agriculture in Egypt" **Norwegian Archaeological Review,** 19: 63–76.

Hassan, F. A. 1988. "The Predynastic of Egypt" **Journal of World Prehistory**, 2: 135–185.

Hassan, F. A. 1996. "Abrupt Holocene climatic events in Africa" In: Pwiti, G., and Soper, R. (eds), **Aspects of African Archaeology,** Papers from the 10th Congress of the PanAfrican Association for Prehistory and Related Studies, Harare, University of Zimbabwe Publications, pp. 83-89.

Hassan, F. A. 1997. "Holocene Palaeoclimates of Africa" **African Archaeological Review,** 14(4): 213–229.

Hassan, F. A. 1998. "Late Holocene climatic fluctuations in northeastern Africa", **Symposium on the Mediterranean Region in PEP III** – Milano 22 June 1998.

Hassan, F. A. *In press*. "Climate and cattle in North Africa", In: MacDonald, K. (ed), **Origins and Development of African Livestock,** London, University College London.

Haynes, C. V., Jr. (1987). "Holocene migration rates of the Sudano-Sahelian wetting from the Arba'in Desert, Eastern Sahara", In: Close, A. E. (ed.), **Prehistory of Arid North Africa,** Dallas, Texas, Southern Methodist University Press, pp. 69-84.

Heim, C., Nowaczyk, N. R., and Negendank, J. F. W. 1997. "Near East desertification: Evidence from the Dead Sea" **Naturwissenschafften,** 84: 398-401.

Helms, S. W. 1981. **Jawa: Lost City of the Black Desert.** London, Methuen.

Henry, D. O. 1989. **From Foraging to Agriculture: The Levant at the End of the Ice Age.** Philadelphia University of Pennsylvania Press.

Hesse, B. 1996. "The Jajar ar-Rayhani fauna: A first look at Yemen's Iron Age pastoral economy", In: Seger, J. (ed.) **Retrieving the Past, Essays on Archaeological Research and Methodology in Honor of Gus W. van Beek,** Eisenbrauns, Winona Lake, pp. 103-122.

Higgs, E.S. 1967. "Domestic animals" in **The Haua Fteah (Cyrenaica) and the Stone Age of the South-East Mediterranean,** Cambridge, Cambridge University Press, pp. 313-319..

Hillman, G. 1996. "Late Pleistocene changes in wild plant-foods available to hunter-gatherers of the northern Fertile Crescent: possible preludes to cereal cultivation", In: D. Harris, (ed) **The Origins and Spread of Agriculture and Pastoralism in Eurasia,** UCL Press London and Smithsonian Institution Press, Washington, DC, pp. 159-203

Holl, A. F. C. 1998. "Livestock husbandry, pastoralism, and territoriality: The West African record" **Journal of Anthropological Archaeology,** 17: 143-165.

Klein, R. and K. Scott. 1986. "Re-analysis of faunal assemblages from the Haua Fteah and other Late Quaternary archaeological sites in Cyrenaican Libya" **Journal of Archaeological Science,** 13: 515-42.

Kröpelin, S. 1987. "Palaeoclimatic evidence from early to Mid-Holocene playas in the Gilf Kebir (southwest Egypt)", In: Coetzee, J. A. (ed), **Palaeoecology of Africa and the Surrounding Islands,** Rotterdam, Brookfield, A. A. Balkema, pp. 189-208.

Kusatman, B. 1991. "The origins of pig domestication with particular reference to the Near East" Ph.D. dissertation, Institute of Archaeology, University of London.

Lamb, H. F., Gasse, F., Benkaddour, A., El Hamouti, N., van der Kaars, S., Perkins, W. T., Pearce, N. J. and Roberts, C. N. (1995). "Relations between century-scale Holocene arid intervals in tropical and temperate zones" **Nature,** 373: 134-137.

Legge, Tony 1996. "The beginning of caprine domestication in southwest Asia" In: Harris, D. (ed), **The Origins and Spread of Agriculture and Pastoralism in Eurasia,** London, University College London Press, pp. 238-262.

Loftus, R.T., David, E. M., Bradley, D. G., Sharp, P. M. and Cunningham, P. 1994. "Evidence for two independent domestications of cattle" **Proceedings of the National Academy of Sciences of the USA,** 91: 2757-61.

Magid, A. A., and Caneva, I. 1998. "Exploitation of food plants in the early Holocene central Sudan: A reconsideration", In: di Lernia, S., and Manzi, G. (eds) **Before Food Production in North Africa,** Italy, ABACO.

animals in Africa", In: Shaw, T., Sinclair, P., Andah, B., and Okpoko, A. (eds), **The Archaeology of Africa: Food, Metals and Towns.** London, Routledge, pp. 61–70.

Cohen, M. N. 1977. **The Food Crisis in Prehistory.** New Haven, Conneticut, Yale University Press.

Costantini, L. 1984. "Plant impressions in bronze age pottery from Yemen Arab Republic" **East and West** 34: 107–115.

Costantini, L. 1990. "Ecology and farming of the protohistoric communities in the central Yemeni highlands" , In: de Maigret, A. (ed), **The Bronze Age Culture of Hawlan at-Tiyal and Al-Hada (Republic of Yemen),** Rome, IsMEO, pp. 187–204.

Cremaschi, M. 1998. "Late Pleistocene and Holocene climatic changes in the Central Sahara", European Science Foundation, ESF Workshop on Ecological Change and Food Security in Africa's later Prehistory, London 15–18 September 1998.

Cremaschi, M. and Di Lernia. 1996. "Climatic changes and human adaptive strategies in the Central Saharan Massifs: the Tadrat Acacus and Messak Settafet perspective (Fezzan, Libya)", In: Pwiti, G. and Soper, R. (eds), **Aspects of African Archaeology,** Harare, University of Zimbabwe Publications, pp. 39–51.

Di Lernia and Cremaschi. 1996. "Analysis of the Pleistocene-Holocene transition in the Central Sahara: Culture and environment in the Uan Afuda Cave (Tadrat Acacus, Libya)", In: Pwiti, G. and Soper, R. (eds), **Aspects of African Archaeology,** Harare, University of Zimbabwe Publications, pp. 429–440, 221–223.

Edens, C. 1988. "The Rubc al-Khali "neolithic" revisted: The view from Nadqan", In: Potts, D. (ed), **Arabythe Blest: Studies in Arabian Archaeology,** Copenhagen, Carsten Niebuhr Institute Publications 7, Museum Tusculanum Press, pp. 15–43.

Edens, C., and Wilkinson, T. J. 1998. "Southwest Arabia during the Holocene: Recent archaeological developments" **Journal of World Prehistory,** 12(1): 55–119.

Fedele, F. 1990. "Bronze Age faunal collections from North Yemen", In: Maigret, A. (ed), **The Bronze Age Culture of Hawlan al Tiyal and al-Hada,** Rome, IsMEO, pp. 149–185.

Fedele, F. 1992. "Zooarchaeology in Mesopotamia and Yemen: A comparative history" **Origini,** 16: 49–93.

Flannery, K. V. 1965. "The Ecology of early food production in Mesopotamia" **Science,** 147: 1247–1256.

Garrard, A., Colledge, S. and Martin, L. 1996. "The emergence of crop cultivation and caprine herding in the "Marginal Zone" of the southern Levant", in Harris, D. (ed). **The Origins and Spread of Agriculture and Pastoralism in Eurasia,** London, University College London Press, pp. 204–226.

Gasse, F., and van Campo, E. (1994). "Abrupt post-glacial climate events in West Asia and North Africa monsoon domains" **Earth and Planetary Science Reviews** 1256: 435–456.

Gat., J. R., and Magaritz, M. 1980. "Climatic variations in the Eastern Mediterranean Sea area" **Naturwissenschaften,** 67: 80–87.

Gautier, A. 1984. "Archaeology of Bir Kisseiba region, Eastern Sahara", In: Wendorf, F., and Schild, R. (eds), **Cattle Keepers of the Eastern Sahara: The Neolithic of Bir Kisseiba,** Dallas, Southern Methodist University, pp. 49–72.

Gautier, A. 1987. "Prehistoric men and cattle in North Africa: A dearth of data and a surfeit of models", In: Close, A. E. (ed), **Prehistory of North Africa,** Dallas, Southern Methodist Press, pp. 163–187.

Gautier, A. 1989. "A general review of the known prehistoric faunas of the Central Sudanese Nile Valley", In: Krzyzaniak, L. and M. Kobusiewicz (eds), **Late Prehistory of the Nile Basin and the Sahara,** Poznan, Polish Academy of Sciences, pp. 353–357.

Gifford-Gonzalez, D. 1998. "Early pastoralists in East Africa: Ecological and social dimensions" **Journal of Anthropological Archaeology,** 17: 166–200.

Goldberg, P. 1994. "Interpreting Late Quaternary continental sequences in Israel", In Bar-Yosef, O., Dra, R. (eds), **Late Quaternary Chronology and Paleoclimates of the Eastern Mediterranean,** Cambridge, MA, Radiocarbon and the Peabody Museum, pp. 89–102.

Goldberg, P., and Rosen, A. 1987. "Early Holocene palaeoenvironments of Israel", In Levy, T. E. (ed), **Shiqmim I: Studies concerning Chalcolithic Societies in the Northern Negev Desert, Israel (1982–84),** Oxford, BAR International Series, pp. 23–33.

Goodfriend, G.A. 1987. "Chronostratigraphic studies of sediments in the Negev Desert, Using Amino Acid Epiracemization Analysis of Land Snail Shells" **Quaternary Research,** 28: 374–392.

Goodfriend, G. A. 1991. "Holocene trends in 18O in land snail shells from the Negev Desert and their implications for changes in rainfall source areas" **Quaternary Research,** 35: 417–426.

Goodfriend, G. A., Magaritz, M. and Carmi, I. 1986. "A high stand of the dead sea at the end of the Neolithic period: Paleoclimatic and archaeological implications" **Climatic Change,** 9: 349–356.

Grigson, C. 1989. "Size and Sex: Evidence for the domestication of cattle in the Near East", In: Milles, A., Williams, D. and Gardner, N. (eds) **The Beginnings of Agriculture,** Oxford, BAR, S496, pp. 77–109.

Uncalibrated Radiocarbon years before present (bp)	Calibrated Radiocarbon years before present (cal BP)	Equivalent Age BC or AD
9500	10,735-10,700	8785-8750
9600	11,070-10,815	9120-8865
9800	10,990	9040
9900	11,000	9050
10,000	11,500-11,100	9250-9150
10,200	11,960	10,010
	12,000	
10,300	12,150	10,200
10,400	12,300	10,350
10,500	12,420	10,470
10,600	12,550	10,600
11,000	13000	11,050
11,100	13,050	11,100
		11,450
11,700	13,650	11,700
11,800	13,820	11,870
12,000	14,605	12,115
12,700	14,950	13,000
13,000	15,630	13,680
13,500		
14,500	16,790	16,790
15,000	17,940	15,990

Table 1.–Conversion Table of Radiocarbon Age Estimates[1]

[1]Using Calib 3.03 program by M. Sruiver and P. J. Reimer 1993, Radiocarbon 35:215-290

References

Amblard, S. 1996. "Agricultural evidence and its interpretation on the Dhars Tichitt and Oulata, south-eastern Mauritania", In: Pwiti, G. and Soper, R. (eds), **Aspects of African Archaeology**, Harare, University of Zimbabwe Publications, pp. 421–427.

Bar-Yosef, O. 1998a. "The Natufian culture in the Levant, Threshold to the origins of agriculture" **Evolutionary Anthropology,** 6(5): 159–177.

Bar-Yosef, O. 1998b. "Jordan prehistory: a view from the west" In: Henry, D. O. (ed), **The Prehistoric Archaeology of Jordan,** Oxford, BAR International Series 705, pp. 162–178.

Bar-Yosef, O. and Meadow, R. H. 1995. "The origins of agriculture in the Near East", In Price, T. D. and Gebauer, A. B., **Last Hunters, First Farmers: New perspectives on the Prehistoric Transition to Agriculture**, Santa Fe, School of American Research Press, pp. 39–94.

Barich, B. E. 1987. "Adaptation in Archaeology: An example from the Libyan Sahara", In Close, A. E. (ed.), **Prehistory of North Africa,** Dallas, Southern Methodist Press, pp. 189-210.

Barich, B. E. 1996. "Early to mid-Holocene occupation at Farafra (Western Desert, Egypt): A Social approach", In **XIII International Congress of Prehistoric and Protohistoric Sciences,** Workshop 8, Forli, Italy.

Belfer-Cohen, A. 1991. "The Natufian in the Levant" **Annual Review of Anthropology**, 20: 167–186.

Biagi, P., and Nisbet, R. 1989. "Some aspects of the 1982–1985 excavations at the ceramic coastal settlement of RH5 at Qurm (Muscat – Sultante of Oman)", In Costa, P., and Tosi, M. (eds), **Oman Studies,** Rome, Serie Orientale Roma 63, IsMEO, pp. 31–46.

Binford, L. R. 1968. "Post-Pleistocene adaptations", In Binford, S. R. and L. R. Binford, (eds) **New Perspectives in Archaeology,** Chicago, Aldine, pp. 313–341.

Bottema, S. 1995. "The Younger Dryas in the Eastern Mediterranean" **Quaternary Science Reviews,** 14: 883–891.

Braidwood, R. J. 1960. "The agricultural revolution" **Scientific American,** 203: 130–148.

Butzer, K. W. 1971. **Environment and Archaeology: An Ecological Approach to Prehistory** (2nd. ed.), Chicago, Aldine.

Castellati, L., Cottini, M. and Rottoli, M. 1998. "Early Holocene plant remains from Uan Afuda cave, Tadrart Acacus (Libyan Sahara)" In di Lernia, S. and Manzi, G. (eds), **Before Food Production in North Africa,** Proceedings of the homonimous workshop held in Forli, September 1996, A.B.A.C.O. Edizioni, pp. 91–102.

Chenal-Vélardé, I. 1997. "Les premiéres traces de boeuf domestique en Afrique du Nord: état de la recherche centré sur les données archéozoologiques" **Archaeozoologia,** IX: 11–40.

Childe, V. G. 1928. **The Most Ancient East: The Oriental Prelude to European Prehistory.** London Kegan Paul, Trench, Trubner.

Childe, V. G. 1934. **New Light on the Most Ancient East.** London, Routledge and Kegan Paul.

Clark, J. D., and Stemler, A. 1975. "Early domesticated sorghum from Central Sudan" **Nature** 254: 588–91.

Cleuziou, S. 1982. "Hili and the beginnings of oasis life in Eastern Arabia" **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies** 12: 15–22.

Cleuziou, S. and Costantini, L. 1980. "Premiers éléments sur l'agriculture proto-historique de l'Arabie orientale" **Paléorient,** 6: 245–251.

Cleuziou, S., and Costanti, L. 1982. "A l'origine des oasis" **La Recherche,** 13(137): 1180–1182.

Close, A. E. and F. Wendorf. 1992. "The beginnings of food production in the Eastern Sahara", In: Gebauer, A. B. and Price, T. D. (eds), **Transitions to Agriculture,** in Monographs in World Archaeology, No. 4. Prehistory Press, pp. 63–72.

Clutton-Brock, J. 1993. "The spread of domestic

ومع استتباب الظروف الصحراوية وازدياد التصحر في الفترة من ٦٨٠٠ إلى ٥٢٠٠ سنة (٦٠٠٠ إلى ٤٥٠٠ سنة بحساب العمر الكربوني الغير معدل) تمركزت الجماعات الصحراوية أو تمحورت بالأماكن التي تتوفر بها مصادر المياه. وتتزامن هذه الظاهرة بالمناطق الصحراوية مع إرساء لبنات نظام الدولة القطرية في مصر ونظام الدولة الحضرية في بلاد ما بين النهرين كمردود للتغيرات الاجتماعية التي صاحبت التحول إلى الانتاج الزراعي ونتيجة لتأثير التقلبات المناخية على الانتاج الزراعي في السهول الفيضانية.

ومع ظهور نظام الدول نشطت التجارة مع قاطني الصحارى وسكان الواحات وأنعش ذلك اقتصاديات هذه المناطق الصحراوية وأسهم في التنمية الاقتصادية هذه المناطق الصحراوية وأسهم في التنمية الاقتصادية والسياسية لعديد من مراكز التجارة وساعد على تدجين الإبل وانتشار زراعة أشجار النخيل.

Notes

1 Uncalibrated radiocarbon years before present are referred to as "bp", calibrated radiocarbon years before present are reported as cal BP. Table 1 provides a conversion table of radiocarbon age estimates mentioned in the text, following the recommendation of the Twelfth International Radiocarbon Conference on the citing of dates, and as used in the European Science Foundation European Research Workshop on "Ecological Change and Food Security in Africa's Later Prehistory", 1998.

Uncalibrated Radiocarbon years before present (bp)	Calibrated Radiocarbon years before present (cal BP)	Equivalent Age BC or AD
1970	1890	60 AD
2000	1938	12 AD
2200	2300	350 cal BC
2500	2700	750
2800	2870	920
3000	3250 (3150) 3100	1300 (1200) 1150
3100	3340-2280	1390-1330
3300	3550-3450	1600-1500
3500	3830-3700	1880-1750
3700	4050	2100
3800	4125	2200
	4250	2300
3900	4400-4315	2450-2365
4000	4450	2500
4400	5050-4870	3100-2920
4500	5285-5050	3335-3100
4900	5650	3700
5000	5730	3780
5200	5935	3965
5400	6250	4300
5500	6350	4400
5720	6450	4500
5900	6750	4800
5950	6780	4830
5970	6844-6790	4895-4840
6000	6850	4900
	6880	4930
6100	6940	4990

Uncalibrated Radiocarbon years before present (bp)	Calibrated Radiocarbon years before present (cal BP)	Equivalent Age BC or AD
6300	7150	5200
6400	7270	5320
6500	7350	5400
6600	7450-7350	5500-5400
6700	7570	5620
6900	7650	5700
6950	7715	5765
	7800-7730	5850-5780
7000	7850	5800
7300	8150-8055	6200-6105
7500	8340	6390
7600	8370	6420
7700	8450	6500
7800	8650	6700
7900	8750	6800
8000	8950-8765	7000-6815
8100	8990	7040
8500	9480-9455	7530-7505
8600	9520	7570
8650	9335	7585
8700	9645	7695
8750	9825-9660	7910-7750
9000	10,000	8050
9100	10,035	8085
9200	10,270-10,140	8320-8190
9300	10,290-10,325	8345-8275
9400	10,370	8425

illustrated the deep historical connections that tie not only various regions of the Middle East together, but also those that tie the Middle East with Europe, Asia and Africa. I hope also to have illustrated the fallacy of environmental determinism as overly simplistic and inadequate. Droughts produce very different effects in different times and in different regions as cultures and local habitats change through history. It is also advantageous in attempting to explain local, particular phenomena, e.g., cattle-keeping in the Egyptian Sahara or the cultivation of sorghum in Arabia to adopt a pan-regional perspective, as well as a long-term historical perspective.

The impact of climatic change on agricultural origins in the region was not restricted to the effects of the drier and cooler climate of the Younger Dryas. The impact of hyperaridity during the LGM and the droughts that visited the region repeatedly were an integral element in the struggle to sustain life in the marginal desert and semi-desert regions of the Middle East. In the long-run cultivation of plants as the main sustainable economic pursuit was possible in the valleys of the permanent rivers in the regions. The emergence of complex political organizations that culminated in the rise of powerful states led to an intensification of trade and food exchanges which introduced a major variable in the relationship between the peoples of the region and their habitat.

In the later chapters of cultural developments in the Middle East and Europe, climatic change is often pushed away from the limelight. Nevertheless, famines and droughts induced by freak climatic events during the recent history of the region could not be discounted. Particular attention may be paid to episodes of severe aridity identified in Northeast Africa at 850 BCE, 775 BCE, 300 AD, 780–1290 AD (Hassan 1998 and data on file). Also a recent study of sediments and pollen from the Dead Sea indicates that conditions during the Roman–Byzantine Period around 2000 BP to 1700 BP were less arid than today (Heim *et al.* 1997). Today, as the Middle East faces shortages in water and food to meet the needs of its exploding population, expanding urban communities, and rising demands it would be prudent to mount national and pan-regional research programs to assess the past, present, and further links between peoples and cultures of the Middle East and global climatic changes.

Prof. Fekri A. Hassan **Deptartment of Egyptology, Institute of Archaeology, University College London, 31-34 Gordon Square, London, WC1H 0PY, UK. f.hassan@ucl.ac.uk**

مخلص: لعبت التغيرات المناخية دوراً هاماً في ظهور وانتشار الانتاج الزراعي والرعي في الشرق الأوسط. ولقد أدّت التغيرات في الفترة من ٨١٫٠٠٠ إلى ١٣٫٠٠٠ سنة المصاحبة للانتقال من العصر الجليدي إلى الهولوسين (والذي بدأ منذ ١٠ آلاف عام) إلى إرهاصات أدّت الى ظهور الزراعة والري في منطقة الهلال الخصيب. وفي الفترة من ١٠٫٥٠٠ إلى ٨٨٠٠ عام (بحساب تحديد العمر بطريقة الكربون المشع وتعديلها إلى مكافئها من السنوات الشمسية) توطدت أركان الانتاج الزراعي وزراعة المحاصيل الرئيسية مثل القمح والشعير والبقول. وفي هذه الفترة انتشرت القرى الزراعية وازاداد عدد السكان.

وتلى هذه المرحلة من ٨٨٠٠ إلى ٧٨٠٠ عاماً مضت فترة من الجفاف أدت إلى نقص الموارد الزراعية والهجرة من الشام والهلال الخصيب إلى الجزيرة العربية وشمال أفريقيا. وواكب ذلك أيضاً الهجرة إلى جنوب شرق أوروبا من أناضوليا.

وتمثل المرحلة من ٧٨٠٠ إلى ٦٨٠٠ فترة انتقالية وبداية للتصحر. وتم في هذه المرحلة ظهور أنماط اقليمية اعتمدت على الظروف البيئية المحلية والخلفية الحضارية السابقة لكل منطقة. كما تم في هذه المرحلة أيضاً انتشار النمط الرعوي الزراعي إلى وسط الصحراء الكبرى بشمال أفريقيا والجزيرة العربية. كما ظهرت في نهاية هذه الفترة الجماعات الزراعية على ضفاف وادي النيل.

domesticated late from local Africa forms (Rowley–Conwy *et al.* 1997; Wetterstrom 1998: 37). Evidence of early sorghum from the site of Hili 9 in Oman, dated to 2500–2400 cal BC (Cleuziou and Costantini 1980) consists of impressions in clayey sediments of three spiklets of sorghum, but the identification is uncertain. The second claim from Hili 8 consists of charred seeds (Cleuzio 1982) which were neither properly identified nor adequately dated (Rowley–Conwy *et al.* 1997). The seeds from Site TH5 at Aurm, Oman, are also not properly identified and are believed to be earlier than the early claim of 4000–3900 Cal BC (Nisbet to Rowley–Conwy in Rowley–Conwy *et al.* 1997 : 30). Also, the seeds have been reidentified as setaria sp. (Potts 1994 : 256). The third and fourth site from Wadi Yanaim and Ar–Raglah I in Yemen (Costantini 1984, 1990) consists of three seed impressions in potsherds and dated to 3700 +/–80 bcp 4050 +/– 90bp, and 3760 +/– 80bc are simply identified as sorghum sp. cf. sorghum sp. Their identification is uncertain.

Claims for the introduction of domesticated sorghum from Africa to Arabia before 2000 cal BP are thus unfounded. It is also noteworthy that the first pastoralists who arrived in the Sahel of NE Nigeria around 3800 cal BP (3500 bp) fully depended on wild grasses as a source of carbohydrates (Neumann 1998). It was not until 3300-3100 cal BP that the cultivation of domesticated Pennisetum was practiced in NE Nigeria and Burkina Faso, apparently introduced from outside. In Mauritania, the domestication of Pennisetum dates to 3800–3700 cal BP (3500–3420 bp) (Amblard 1996; Munson 1976).

From seeds to states: A summary

In summary, the first steps toward farming in the Middle East were undertaken in the Fertile Crescent, where wild grasses were present, in response to abrupt climatic fluctuations during the transition from the Last Glacial Maximum to the Holocene, including the cold and dry conditions of the Younger Dryas. The end of this arid interlude, marked the onset of the "golden" period of the post-glacial warming and wetter conditions which lasted from 10,500 cal BP until 8800 cal BP (coinciding with the Early and Middle Pre-Pottery Neolithic). During this period founder crops were established, and the population grew and expanded. From 8800 to 7800 cal BP, arid spells led to the abandonment of occupations in the southern Levant, the establishment of agropastoralism, and the dispersal of population from the Levant into Arabia and northeastern Africa, and from Anatolia to southeastern Europe. In northeastern Africa, cattle keeping also spread westward into the central Sahara.

From 7800 to 6800 cal BP with a definite trend toward aridification with interludes of rainfall, local adaptations and further dispersal of agropastoralists (with an outburst of rock art) led to the occupation of most of the central Sahara and the Arabian peninsula, as well as the establishment of food producing communities in Egypt and the Sudan along the Nile (at 6900–6800 cal BP).

From 6800 to 5200 cal BP (6000–4500 bp), the period which ends with the establishment of the current desert conditions, communities aggregated in well-watered parts of the desert depressions developing an Oasis adaptation. The end of this period coincides with the rise to power of powerful nation and city-states in Egypt and Mesopotamia respectively, with rich agrarian economies. Trade, exchange, and contact with the desert and oases dwellers revitalizes their economy and instigates subsistence and political changes which may have included in Arabia the domestication of camels and the cultivation of date-palms.

Concluding remarks

In this contribution, I hope that I have

evidence from camels in Arabia, Zarins (1987) concludes that there is no firm evidence for camel domestication in the Arabian Peninsula prior to 3000 cal BP. This view is shared by Fedele (1992) and Hesse (1996). The bones of camel appear in only trace amounts in the early first century BC, but are significantly better represented in the faunal assemblages of the sixth and fifth centuries BC. Edens and Wilkinson (1998: 107) suggest, contrary to earlier views, that camels became important after state formation. In Yemen, irrigation had begun by 4400–4000 cal BP. The oldest weirs and sluice belong to ca. 3900–3800 cal BP (Edens and Wilkinson 1998). The links between trade, droughts, terraced fields and irrigation in the process of state formation and maritime vs. caravan overland travel from 4400 cal BP onwards remains to be fully explored.

However, it would appear that, as in the Sahara, key developments occur at ca. 4500 cal BP in response to a series of political events in Egypt and Mesopotamia and climatic exigencies (droughts in the Sahara and East Africa) at 5200–5000 bp and again at 4300–3500 cal BP. Trade in connection with the formation of state societies in Egypt and Mesopotamia as well as indigenous adaptation to oasis habitats would have eventually led to the domestication of camel and farming, as well as local political developments and the emergence of state and tribal organizations. During the Early Bronze Age, coinciding with the emergence of the Egyptian State; sufficient water was available during EBI – II (3050–2300 cal BC) to maintain a relatively high water table and wadi flow in the southern Levant. Drinking water was readily available before rock-cut wells were dug to obtain water during the Middle Bronze Age. By 2300 BCE (EBIV) (4250 cal BP) the environment became less hospitable with a rapid downcutting in wadis and a significant drop in the water table. The central Jezreel valley was abandoned in favor of the heads of wadis, settlements along spring lines in the Bet Shean Valley, and on the Jordan River were favored (Rosen 1989). From 3100 cal BP onwards current dry conditions were established (Gat and Magaritz 1980).

In addition to climatic events, it is also important to note that trampling and grazing by livestock enhances erosion and soil degradation. Tsoar and Goodfriend (1994) note a dense occupation in the Negev during the Byzantine period (fourth to seventh centuries AD) with several cities established in the area. Dense occupation continued during the Omayyid dynasty (seventh to eighth century) then decreased during the Abbasid dynasty. The remobilization of sand in the northern Negev at AD 600–900 and the eighteenth–nineteenth century is attributed by Tsoar and Goodfriend (1994) to human activity.

It may be at this point hypothesized that following an initial phase of dispersal of agropastoralists into Arabia between 8950 and 7850 cal BP, local adaptations, including exploitation of coastal fish and other aquatic resources, became established, and that from 6850 to 6000 cal BP pastoralism associated with rock art was well established in Arabia as it did, at about the same time, in the Central Sahara. The identification of domestic sorghum in Arabia, often accepted uncritically, have been dismissed by Rowley-Conwy *et al.* (1997). DNA analyses have also shown that the earliest domesticated sorghum in Africa from Meroe, dated to 1970 ± 127 bp (Stemler and Falk 1981) and Jebel et Tomat dated to AD 245 +/– 60 (Clark and Stemler 1975), indicated close similarities and from a Roman context in Qasr Ibrim, dated to about AD 100. DNA analysis revealed that wild and domestic sorghum from Qasr Ibrim (Fig. 1:24) are identical. They were also similar to modern wild varieties suggesting the sorghum was

Al-Dawasiria, with evidence of herders is dated to about the same time at 7700 to 7000 cal BP (4950 to 4185 bc). The site was subsequently abandoned as climatic conditions worsened. It would thus seem that Arabia was afflicted with the onset of arid conditions that began to transform the Sahara to a hyperarid desert at about the same time beginning ca. 6800 with interludes of moist spells, until desert conditions prevailed by 5200 cal BP (4500 bp). The climatic history of Arabia does indeed fit well with that of the Sahara. Following a period of hyperaridity that began after 17,000 bp, a rainy period in the Empty Quarter, Rub' al Khali, which supported ephemeral lakes (playas and pans) lasted from 9800 to 6900 cal BP (8800 to 6100 bp) (McClure 1976). However, the current palaeoclimatic data are meager and limited, and it would appear that episodes of increased precipitation alternating with droughts lasted in Arabia as in the Sahara until 5200 cal BP (4500 bp). It is during this transitional period from 6800 to 5200 cal BP, especially during the moist episodes, that pastoralism and associated rock art would have flourished. Investigations by Sirocko *et al.* (1993) indicate from evidence of high resolution record of oxygen isotope that the response of the southwest monsoon over the Arabian Sea occurred in several distinct events of less than 300 years. These events are dated to 14,300, 13,500, 9900, 8800 and 7300 radiocarbon years bp. Thus the transition from glacial to postglacial conditions had induced rapid changes in local climate, and the transition in response to solar forcing was non-linear.

Pastoralism under local conditions flourished during the Chalcolithic and Early Bronze Age (Parr *et al.* 1978; Zarins 1987; Edens and Wilkinson 1998). The earliest Neolithic sites in northwest Arabia include a blade industry similar to the PPNB of the Levant. In the desert interior, sites with stemmed bifacial points, foliates, and lanceolates are widespread. Assemblages of this Arabian Bifacial Tradition (ABT) vary regionally (Edens 1988). In the Rub' al Khali and Ramlat as-Sab'atayn sand seas ABT sites are associated with playas. The assemblages include grinding stones, ostrich eggshell fragments, and cowry shells. The radiocarbon dates suggest a time range from 7500 to 5600 cal BP. In the Sabatain highlands, near San'a, two industries, the Qutran and the Thayyilan, contemporary and somewhat related to the Arabian Bifacial Tradition. Radiocarbon dates range from 6500 to 5700 cal BP. At one site WTHiii, in the highlands of Yemen, bones of domestic cattle dated to the early sixth millennium bp (6700-6300 cal BP) suggest cattle pastoralism. Cattle herding also appeared in the Tihama coastal plain at that time (Edens and Wilkinson 1998). Rock art in an area 120 km northeast of Madina, tentatively dated from 6800 to 4400 cal BP, indicates that herding of cattle was practiced at that time. Hunting of gazelle and ostriches seems to have supplemented the diet. Also, rock art at Jubba, a basin in the great An Nafud Desert, once the site of an ephemeral lake, some 85 km north of Hail, is datable to the Late Neolithic (7800 to 6350 cal BP). However, the drawings at Jubba (Fig. 1, 23) may also correlate with the Late Chalcolithic occupation at Jawa (Zarins *et al.*1982). The chalcolithic sites included stone circles and "kites" and cairns. The "kites" date back to the 9th–7th millennium BP, on the basis of a discovery of Neolithic lance bifacial points in a large, typical kite at Jawa (Helms 1981 : 46). By 4400 cal BP (4000 bp) early pastoralists disappeared from the Peninsula to be replaced later by camel pastoralists (Zarins *et al.* 1982). In the highlands, Bronze age sites are dominated by assemblages dominated by sheep/goat. The proportion of cattle declined through time towards exclusively caprine husbandry from ca. 2700 to 1900 cal BP (Fedele 1990). In a review of

animal-keeping or small-scale farming behind.

Desiccation and resilience: Desert communities from 6800 to 5200 cal BP

In the Egyptian Sahara the establishment of some permanency in favorable places appears to have characterized certain localities as at Dakhla Oasis (McDonald 1998: 135), from 7300 cal BP to 6900 cal BP (6400 to 6100 bp) where faunal remains include goats and cattle, both probably domesticated (C.S. Churcher pers. comm. with McDonald 1998: 135). Bones of Gazelle and perhaps hartebeest were included in the faunal remains. Here foraging and herding were employed in a mixed economy to exploit an exceptional environment where lakes were fed by rainfall from large catchment areas. By 6400 – 5250 cal BP, reduced SST (Rohling *et al.* 1998) is synchronous with an end of lake formation in the ergs of the central Sahara (Cremaschi 1998; Cremaschi and Di Lernia 1996). In Dakhla oasis where the groundwater table is closer to the surface at the center of the oasis, occupations of the same cultural tradition (Beshendi B) appear from the period spanning the interval from 6900 to 5900 cal BP (6100 to 5200 bp), following a dry event marked by the termination of playa formation at Bahr playa and the Hidden Valley Village in Farafra, and the dry conditions at Oyo (Fig. 1:18) and Wadi Shaw farther south. The middle part of this period from 6750–6350 cal BP was characterized by monsoon-related rainfall in Gilf El-Kebir (Kröpelin 1987) and dune wetting spells at Kharga. The Sahara became dry and hyperarid after 5200 cal BP (4500 bp). In the Levant, this transition is correlated with a progressive trend of desiccation as indicated by low levels of the Dead Sea. During the Early Bronze Age (radiocarbon age 6250–4400 cal BP) (Goodfriend *et al.* 1986: 333).

The spread of agropastoralism and the adoption of elements of food production in indigenous foraging economies in the Sahara west of Adrar Bous continues with outposts at Tamaya Mellet (Fig. 1:20) and Adrar Tiouyine (Fig. 1:19) by 6000 cal BP (with five radiocarbon age measurements from 5320 to 5150 bp). It seems that 6000 cal BP, marks the end of the initial phase of rapid dispersal of the mid-Holocene. It was not until 4400 cal BP (2500 cal BC and 4000 bp) that expansion was resumed again with domestic livestock arriving in East Africa at Dongodien (Fig. 1:22) and West Africa, at Karakarchinkat (Fig. 1:21), at about the same time, with an average of 4413 cal BP and 4470 cal BP, respectively (see Gifford-Gonzalez 1998, Marshall 1998 and Holl 1998 for a recent review of early pastoralism in East Africa and West Africa).

The Arabian experience: Origins of nomadism

The dispersal of communities out of the southern Levant from 8950/8765 cal BP until 7850 cal BP (8000 to 7000 bp) and again, as we may assume at 6850 cal BP (6000 bp) and after 6000 cal BP (5200 bp) is likely to have also involved movements not only via the Sinai to northeastern Africa, but also southwards into the Arabian Peninsula. It does appear that the first Neolithic infiltration of the Peninsula had followed the eastern coast during the 8950–7850 cal BP interval (Pre-Pottery Neolithic B sites were already established in the northwest part of the Peninsula). Herding appears roughly at the same time in eastern and southeastern Arabia (Biagi and Nisbet 1989). Movements of PPNB groups from the southern Levant during the eighth millennium bp as suggested by Uerpmann and Uerpmann (1996) seems very plausible. It also seems from the excavations by Masry (1974) at Ain Qannas that hunters occupied sites at the edge of an ephemeral stream at 7700 cal BP under fluctuating climatic conditions. Another site,

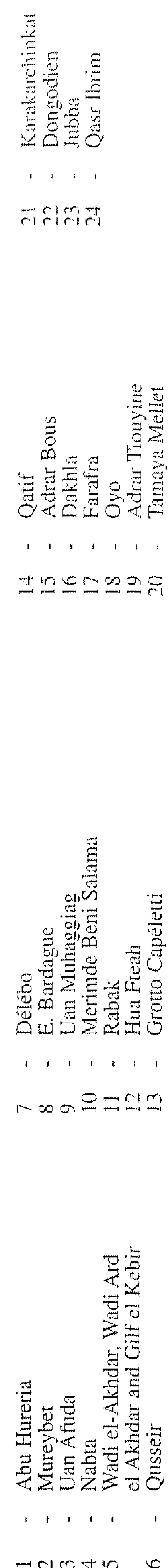


Fig. 1 A Physiogeographic Map of the Middle East

It is abundantly clear that by 7800 cal BP, agropastoralism or at least elements of food production were incorporated within foraging economies beyond the Fertile Crescent in regions as far apart as southeastern Europe, the Red Sea Hills. During the following millennium, ending 6800 cal BP, transhumant pastoralism was actively pursued in the Aurès, Algeria. In the central Sahara as far as Adrar (Fig. 1:15) Bous, cattle were integrated in local economic systems. Also, agropastoralism was spreading rapidly in southeastern Europe marked by the rapid dispersal of populations to Macedonia and the rapid popu-lation movements during the Late Neolithic 7500 to 6500 cal BP) (van Andel and Hassan 1998).

The period from 8000 cal BP to 6900 cal BP (7300 bp to 6100 bp) is particularly eventful in the Egyptian Sahara, especially in the Dakhla (Fig. 1:16) and Farafra (Fig. 1:17) region, where a sequence of colluvial deposits and playa sediments suggests an initial period of colluvial activity and erratic rainfall at ca. 7100 followed by an episode of playa deposition with the establishment of dwelling securely dated to 6900 bp, followed by a return to erratic rainfall and colluviation terminated by the end of the phase of playa formation in that region, and the intensification of aeolian processes and deposition. In the northern Levant loess, as well as limestone, chalk, and chert debris was redeposited as colluvium on hillslopes and as colluvium in wadis. The deposits are dated to 7300 cal BP (6470 bp) (Goodfriend 1987: 374). From 7300 to 6350 cal BP (6500–5500 bp) rainfall was moderately high but not as high as in early Holocene times (Goodfriend *et al.* 1986). Colluvium continued at a reduced rate and fluvial aggradation resulted from increased runoff from rocky hilltops, and reduced plant density (Goodfriend 1987).

At Dakhla Oasis, McDonald (1998) suggests that "pastoralism" seems to have arrived ca. 7850 cal BP (7000 bp). The fauna include goats and possibly cattle. Twelve radiocarbon age measurements average 6920 bp coinciding with an occupation floor with ovicaprids dated to 7650 cal BP (6900 bp). This suggests that ovicaprids spread into the northern part of the Egyptian Sahara by 7800 or at the latest 7650 cal BP, their appearance near Qusseir on the Red Sea Hills. It would be informative to learn if the faunal list at Dakhla included domestic cattle, and if the cattle were African or Levantine. However, even if the cattle were domestic and Levantine, the presence of cattle at Délébo and Enneri Bardague at 7900–7800 cal BP (with four dates at 7180±300 and 6900±300 at Délébo, and 7450 ±180, 6930±370, and 6440±225 at E. Bardague) could not be attributed to a Levantine origin because ovicaprids without cattle do not appear in the Red Sea Hills until 7850 cal BP. The earliest estimate for domestic cattle and ovicaprids in the Sinai also goes back only as far as 7850 cal BP. Arguing from negative evidence and archaeological invisibility, and recalling that domesticated cattle were introduced in south-central Anatolia and the northern Levant by the end of the Late Pre-Pottery Neolithic and the beginning of the Final PPNB at 8950–8765 cal BP (Harris 1998), the dispersal of ovicaprids and domestic cattle could have theoretically commenced after 8700 cal BP and accelerated at 8000 cal BP and again at 7850 cal BP in response to a repetition of short-term severe droughts. The instability of climatic conditions and the frequency of droughts from 8800 to 6800 cal BP, interspersed with episodes of moist climate would not have encouraged the development of permanent settlements and occupation or a sustainable agropastoral economy in the marginal desert areas. Both agropastoralists and foragers with access to domestic plants and animals (through exchanges, trade, or intermarriage) would have moved rapidly in search of pasture, water, or wild food, leaving a few traces of

climatic events at ca. 7800 cal BP, which I recognized earlier (Hassan 1986, 1988) as a decisive factor in the initiation of the Predynastic cultures of Egypt, is now well confirmed by a 250 year interruption of Holocene sapropel formation in the Adriatic from 7800 to 7650 cal BP (Rohling *et al.* 1997).

The Second wave: 7800–6800 cal BP

The initial dispersal of population from "marginal areas" inhabited by agropastoralists completed by 7800 cal BP as in southeastern Europe or foragers who kept cattle in northeast Africa, was followed by another phase of rapid dispersal at 6850 cal BP. This second phase is marked by the simultaneous appearance of domesticated cattle (in foraging contexts) farther northwest from the Enndi Massif at Uan Muhuggiag (Fig. 1:9) (4930 cal BC) and even farther afield at Adrar Bous at 6920 cal BP. At the same time, cattle spread to the Nile Delta and the central Sudan. In the central Sudan, the oldest dates on domestic cattle came from Rabak (Fig. 1:11) (6880 cal BP). In the Nile Delta, domestic cattle appear at Merimde Beni Salama (Fig. 1:10) at 6830 cal BC (Gautier 1987, 1989; Hassan 1998; Wetterstrom 1996; Chenal-Vèlardè 1997). These dates are based on an average of the two or three congruent radiocarbon age measurements from a site where domestic cattle bones are confirmed.) (See also, Hassan *in press*, with references).

It is also remarkable that sheep and goats, indisputably from Southwest Asia, arrived at Merimde Beni Salama at the same time as the rapid dispersal of domestic cattle in various widely dispersed localities in the Sahara and the Nile Valley. Since ovicaprids appear along the Red Sea coast in a cave in a well-watered wadi near Qusseir at 7800 cal BP, 800 years before they are manifest at Merimde, it seems that either future work will unearth earlier ovicaprids in the Delta or that the riverine environment was avoided by agropastoralists or pastoralists until the desiccation event at 6850 cal BP (4900 cal BC or 6000 bp). The presence of sheep-goats at Nabta ca. 7500 cal BP suggests that agropastoralists from Southwest Asia, or the adoption of sheep and goats spread rapidly between 7800 and 7500 cal BP in Northeast Africa. At the moment, the timing of the adoption of sheep and goats at Hua Fteah (Fig. 1:12) on coastal Cyrenaica (Higgs 1967) is uncertain because of stratigraphic problems (Klein and Scott 1986). Farther west in the Aurès the ovicaprids at Grotto Capéletti (Roubet 1979) are dated securely to 6800 cal BP (I am inclined to reject the oldest single date of 7390 cal BP [6530 ± 250 bp] as anomalous because it is not congruent with other dates from the older levels). Roubet suggests that transhumant pastoralism was practiced by the inhabitants of Grotto Capéletti (Fig. 1:13). Assuming that the earliest date for the transmission of ovicaprids from Southwest Asia began ca. 7850 cal BP, the dispersal of livestock and the indigenous development of a mode of transhumant pastoralism would have been accomplished within a millennium.

With the appearance of ovicaprids in Africa as early as 7850 cal BP (7000 bp), it is curious that the earliest evidence for animal domestication in the Negev in the form of animal assemblages dates to the Early Bronze Age ca. 5730 cal BP (or 5000 bp). However, circumstantial evidence suggests that pastoral nomadism was already practiced during the seventh millennium radiocarbon years before present in association with late Pottery Neolithic and Chalcolithic assemblages (Rosen 1989). In the Sinai the vast majority of the sites are Chalcolithic or later, but a site with pottery and domestic cattle and ovicaprids at Qatif (Fig. 1:14), near Gaza, indicates that domestic ovicaprids and cattle arrived close to Africa ca. 7800 cal BP and perhaps earlier (Oren and Gilead1981).

crops. At that time, marked in the Eastern Sahara by an increase in the supply of sand and aridity at Wadi el-Akhdar, Wadi Ard el Akhdar and Gilf el Kebir (Fig. 1:5) (Kröpelin 1987), pottery began to appear in the Sahara and the Sudan. The appearance of pottery may have been an element in the subsistence regime adjusting to a spell of aridity by introducing new methods of food processing, or food and water storage. The dry conditions may have also prompted the management of wild animals in the Tadrart Acacus (Di Lernia and Cremaschi 1996).

Out of the Levant: 8800 to 7800 cal BP

The final PPNB is dated from 8950/8965 cal BP to 8340 cal BP (8000 to 7500 bp) and was followed by the Pottery Neolithic (Harris 1998). This was also a period of dropping tropical lake levels in Africa, and aridity in the Ethiopian highlands (Street-Perrott and Perrott 1990) dated from 8700–8000 cal BP (7800 to 7200 bp). Unfortunately, there is no direct evidence for the palaeoclimate in the Levant between 8800–7800 cal BP (8000 and 7000 bp). The collapse of Late PPNB (Bar-Yosef 1998b) appears in this light to have been precipitated by severe aridity as inferred by Moore (1973), a view also supported by the Goodfriend *et al.* (1986: 354) with evidence for earlier wetter conditions dated from 10,700–9500 cal BP (9500 to 8500 bp) and later wetter climate from 7850–6850 cal BP (7000 to 6000 bp) (Goldberg and Rosen 1987, Goldberg 1994). Clearly the end of the favorable rainy conditions and the onset of drier conditions in various regions between 8200 and 7800 cal BP, with a marked reduction of SST at 7850 cal BP (Rohling *et al.* 1998) was not anticipated and as a consequence the PPNB collapsed. The collapse was not a local event. It affected the western slopes of the Mediterranean ranges in Palestine and Lebanon as much as it affected the eastern side (Bar-Yosef 1998b: 170).

In the Egyptian Sahara, the period from 8650 to 8340 cal BP (7800 to 7500 bp) is characterized by an abundance of pottery and hundreds of houses (Wendorf *et al.* 1984). But from 8400 to 8100 cal BP (7600 to 7330 bp) when the last early Holocene occupation at Nabta is terminated (the end of the final PPNB in the Levant is at 8340 cal BP or 7500 bp) severe aridity is evident in the Sahara (Vernet 1995). In the central Sudan, intensive exploitation and processing of wild cereals dates to this interval (Magid and Caneva 1998; and Close and Wendorf 1992).

It thus appears that the interval from 8800 to 7800 cal BP characterized by the prevalence of cool, arid episodes in the Middle East, had been a period of stress, abandonment and dispersal of settlements from the southern Levant, and an outward migration to outlying areas. It was also a period when agropastoralism was well established in the Fertile Crescent.

In the Egyptian Sahara, the flurry of cultural activities and innovations from 9000 to 8750 cal BP including the establishment of village communities, the construction of slab-lined huts, and the digging of storage pits and deep wells at Nabta, was followed by a struggle to maintain life in a harsh environment under progressively worsening conditions. By 7800 cal BP domesticated cattle appear at Dèlèbo (Fig. 1:7) and E. Bardague (Fig. 1:8) (7805 cal BP and 7733 cal BP, respectively). This may be attributed to the impact of droughts on the inhabitants of the Nabta-Bir Kiseiba (Fig. 1:4) region causing a dispersal of some of the population to the better-watered massifs to the west and southwest. This initial phase or wave of dispersal correlates with the dispersal from Anatolia and the southern Levant following the collapse of the PPNB. As a result of that dispersal, domesticated ovicaprids appear down the Red Sea hills (Eastern Desert) (Vermeersch *et al.* 1996) as far south as Qusseir (Fig. 1:6) by 7800 cal BP. The

and perhaps management, of potential domesticate was well underway. Floodplains, oases, and areas with permanent springs were attractive habitats for proto-agriculturalists.

The Leap forward: 10,500–8800 cal BP

By 10,500 cal BP, following a brief cold, dry spell, the greening of the Egyptian Sahara coincided with a period of higher rainfall in the northern Negev than at present (Goodfriend 1991: 423). This period of sustained rainfall which lasted for 1700 years from ca. 10,500 BP to 8800 cal BP, coincides nicely with the duration of the Early, Middle and Late Pre-Pottery Neolithic B. It is also remarkable that the transition from the Middle PPNB to the Late PPNB coincides with an interval of reduced SST dated to 9550 cal BP and a dry interlude in the Egyptian Sahara dated to 9600 cal BP.

During the Middle PPNB (10,000–9500 cal BP), naked six-row barley and free-threshing bread and hard wheat had been added to the cultigens, and pulses, especially lentil and pea, as well as flax became more widely represented (Harris 1998: 8). It is also at that time that there is definite evidence for the domestication of sheep and goats in the Zagros, the Levant, and Anatolia (Garrard *et al.* 1996, Harris 1998).

The end of the Middle PPNB at ca. 9500 cal BP (8600 bp) coincides with reduced SST, and drier conditions in the Eastern Sahara and the initiation of a degradation of the Nile floodplain. It also coincides in North Africa with intensive utilization of grasses and collection of seeds and fruits at Uan Afuda (Fig. 1:3), T. Acacus, Libya (Castelletti *et al.* 1998).

In Anatolia, farmers became established by 9500 cal BP (8500 bp) on fine-grained alluvial plains of fan deltas and the margins of seasonal lakes. By 9000 cal BP (8100 bp) Neolithic settlements in Greece and southeastern Europe were established, as it seems, by newcomers in a region with no history of Mesolithic occupation. The end of the Late Pre-Pottery Neolithic and the beginning of the Final PPNB at 8780 cal BP is marked by the domestication of cattle in south-central Anatolia and the northern Levant (Bar-Yosef and Meadow 1995, Grigson 1989, Harris 1998, Kusatman 1991, van Andel and Runnels 1995). However, Uerpmann (1996: 236) suggests three possible centers for cattle domestication: the southern Levant, Anatolia, and the eastern margins of Southwest Asia. In Greece, domestic cattle appear from ca. 9000 cal BP following a level with pigs and goats dated to ca. 10,000 cal BP (Halstead 1996: 296).

Thus, agropastoralism incorporating grain cultivation and caprine herding was established in the Fertile Crescent between 9500–8800 cal BP (Harris 1998: 9). In the Egyptian Sahara, a dry interval dated to 9700 to 9600 is marked by a brief erosional phase at Nābta (Fig. 1:4). This dry phase was followed by a short wet phase of about 200–300 years in duration. This phase is distinguished by the appearance of villages, storage pits and deep wells, and the collection of sorghum and millet. In this cultural phase (the Nabta Phase) dated from 9000 to 8750 cal BP, pottery was rare but included dotted wavy line and wolf-tooth (chevron) designs. Large walk-in wells appear at Nabta at that time (Wendorf *et al.* 1984).

Thus it appears that following the Younger Dryas, drier and cooler events prior to 10,500 cal BP (9400 bp) led in the southern Levant to the transition from the Pre-Pottery Neolithic A to the Pre-Pottery Neolithic B, the emergence of agropastoralism, and the spread of this mode of subsistence east and west towards central and southern Asia, as well as across Anatolia towards Europe (van Andel and Runnels 1995, Harris 1998). The transition was marked by a gradual increase in the number and geographical spread of sites with increased presence of founder

Younger Dryas in northern Syria. It thus appears that the Natufian phenomenon was a remarkable Cultural Revolution that not only entailed plant domestication but also a broad range of social and ideological innovations (Bar-Yosef 1998a). The Natufians introduced the practice of semi-subterranean dwellings with stone foundations, and buried the dead in graves in pits dug in deserted dwellings or outside of houses. They backfilled the pit with sediment from the local area. The burials do not show a consistent pattern, but the practice of the removal of the skull, later common in the Neolithic was noted in a few cases. Social and ceremonial paraphernalia are indicated by distinct practices of body decoration and ornamentation. A variety of marine mollusks, bone, greenstone, malachite, and limestone beads and pendants were used in necklaces, belts, bracelets, and earrings. A Nile freshwater bivalve indicates direct or indirect connections with the inhabitants of the Nile Valley.

After the Natufian: 12,000–10,500 cal BP

The remarkable Natufian phenomenon appearing as early as 15,000 cal BP could not be attributed to the Younger Dryas which influenced the region during the last 500 years of the duration of this cultural complex. The onset of drier conditions (13,000–11,500 cal BP) led to dramatic changes in the Natufian subsistence strategy (Henry 1989: 52). All but five of the twenty-three Natufian sites were abandoned. We should not thus discount the impact of the chronic climatic oscillations that marked the period from 18,000 to 15,500 cal BP. These include the first intensification of the monsoons at 16,000 cal BP followed by a return to cold and drier conditions (Sirocko *et al.* 1993). We should not also discount the climatic event ca. 14,500–14,000 cal BP that is marked in the Nile Valley with freak catastrophically high floods. Such an event linked with the air mass circulation that also influences the Levant would have had a definite impact on the inhabitants of that region. However, the beginnings of the Pre-Pottery Neolithic A at 12,000 cal BP (10,300 bp) occurred during the Younger Dryas. Also colder conditions may have returned by 11,200 BP, as shown by the marked reduction of sea surface temperature (SST) in the Eastern Mediterranean at that time (Rohling *et al.* 1998), and a dry phase in the Egyptian Sahara dated from 11,200 to 10,500 BP. This event also coincides with the appearance of cattle-keeping at Nabta and Bir Kiseiba at ca. 11,200 cal BP (9800 bp) (Wendorf *et al.* 1987; Wendorf, Close and Schild 1987; Wendorf and Schild 1994; Gautier 1984, 1987). But see Smith (1984, 1986) and Clutton-Brock (1993) for a critical evaluation of the evidence.

Nevertheless, results of DNA analysis (Loftus *et al.* 1994) suggest that future DNA analyses of cattle bones from archaeological sites may be very productive. Conditions thus during the last 700 years of the PPNA (12,000–10,500 cal BP) were perhaps too uncertain to allow sustainable food production. Reviewing and assessing the current archaeobotanical data, Harris (1998) concludes that by that time the small-scale cultivation of emmer wheat and barley in the Levant and the middle Euphrates supplemented harvesting of wild cereals and the exploitation of pea, lentil, chickpea, bitter vetch, and flax. In a few cases, harvesting using sickles favored the selection of higher-yielding tough-rachis domestic mutants, which gradually replaced the brittle-rachis wild types. At Mureybet (Fig. 1:2), Syria, wild plants, such as einkorn wheat, were probably grown on the alluvial margin of the Euphrates floodplain and the soil may have been tilled. The presence of goats, sheep, pigs, and cattle, though with no sign of domestication, at PPNA sites (Bar-Yosef and Meadow 1995) suggests that the selection,

10,000 to 6800 cal BP (9000–6000 bp). McCorriston and Hole (1991), Moore and Hillman (1992), and Hillman (1996) have already suggested that the cultivation of grain may have begun in the Levant in response to the cool, dry climatic oscillations of the Younger Dryas. Bar-Yosef (1998a) also now agrees that the Younger Dryas had an impact on the Natufian populations in the Levant. The dry, cold climate led to a decrease in the natural production of C3 plants, such as cereals and a reduction in the natural strands of wild cereals to the western wing of the Fertile Crescent. However, the impact of the Younger Dryas must be evaluated within the course of events that began during the Last Glacial Maximum (LGM). By 21,000 cal BP (17,630 bp) temperature has fallen by at least as much as 5°C. Worldwide, forests were vastly reduced and deserts expanded at the expense of steppe, savanna and scrub (Roberts 1998).

In the Levant, during the period from 21,000 cal BP to 15,000 cal BP (18,000 to 13,000 bp), the hunting-gathering communities were mostly clustered in the coastal plain which was better-watered by winter precipitation and isolated oases in the lowlands (Hassan 1977: 594; Bar-Yosef 1998a: 161) with an expansion into the adjacent desert areas when precipitation increased. The communities attributed to archaeological units called the Kebaran and Geometric Kebaran on the basis of their lithic tool assemblages were hunters who pursued gazelle, wild boar and Fallow deer in the central Levant and gazelle, ibex and hare in the steppic belt. Groundstone mortars and a suite of seeds and fruits from Abu Hureria (Fig. 1:1) and Ohallo II sites indicate that the communities responded to the adverse and fluctuating climatic conditions at the end of the Pleistocene by broadening their subsistence base, employing innovative methods for processing foodstuffs and presumably improving their hunting technology.

The Natufian phenomenon

By 15,000 cal BP (13,000 bp), communities in the central Levant were transformed into quasi-agricultural communities with permanent base camps and a rich cultural repertoire referred to as the Natufian (Henry 1989; Belfer-Cohen 1991; Bar-Yosef 1998a). In attempting to trace the historical antecedents of the Neolithic, I was struck by the differences between the Kebaran and the Natufian. The location of the Natufian sites, the size of settlements, and the presence of mortars, pestles, sickle blades and storage pits suggested that the Natufian communities were engaged in intensive collecting of wild cereals and other plant foods and in a range of practices for processing foodstuffs. The list of plant food items recovered includes cereals, legumes, almonds, acorns, and other fruits. They hunted gazelle, and in the coastal areas captured deer, cattle, and wild boar. They also took advantage of migratory birds and fish resources whenever available (Bar-Yosef 1998a). Although, the identification of domesticated cereals even in the earliest Neolithic levels is sometimes questionable (Bar-Yosef 1998a: 167), Hillman has recently suggested that small-scale cultivation might have been practiced as early as 18,000 cal BP (15,000 bp). In a recent review of the new evidence for early cultivation in pre-Neolithic contexts, Harris (1998) noted that the most persuasive evidence comes from Hillman's (yet unpublished) interpretation of the plant remains from the Late Epipalaeolithic levels at Abu Hureyra, showing a decline in the abundance of wild foods, and a marked increase in the weeds associated with arable cultivation in arid-zones, as well as the appearance of a few large grains of a fully domesticated form of rye. This evidence suggests that the domestication of rye was prompted by the reduction of harvestable stands resulting from the drier and cooler oscillations of the

level in post-Pleistocene times led to a greater exploitation of fish and other aquatic resources, which prompted sedentariness and rapid population increase where food resources were abundant. Excess population from such optimal zones was forced into less productive marginal habitats, where food production was initiated out of necessity. Responding to Binford's hypothesis in 1977, I offered a multicausal model based on the view that the transition to agriculture "was grounded in a subsistence base heavily oriented toward the utilization of wild cereals, and a settlement/residential pattern favoring large local group size and sedentary habitation. The transition occurred over a long time and involved a chain of mutual causal relationships between subsistence, settlement, group size, economy, and social organization" (Hassan 1977: 605).

In debunking the "population pressure" hypothesis, and drawing attention to the complexity of mechanisms involved in the transition from foraging to farming, I was cognizant of the role of climatic oscillations in triggering changes in subsistence. Although Butzer (1971) had asserted that the transition from the Pleistocene to the Holocene did not lead in the Near East to a significant changes in long-term averages of precipitation and temperature (a view no longer supported by current evidence), I suggested that the shift in subsistence by the end of the Pleistocene was likely related to the chronic climatic fluctuations which marked the global transition from the climatic regime of the Pleistocene to the Holocene (p. 593).

Later, in *Demographic Archaeology* (Hassan 1981) I maintained that "The onset of the Holocene and the retreat of glaciers marking the termination of the last major glaciation, and the possible impact of such changes on wild resources in climatically unstable areas such as semiarid and subtropical regions, seem to explain the independent emergence of food production in several places of the world beginning with the Holocene. The change in subsistence patterns that ultimately led to agriculture, however, must be sought in the impact of climatic fluctuations associated with the Terminal Pleistocene on cultural systems that were receptive for the transition in areas where the domesticable plants were available" (Hassan 1981: 219).

There is now conclusive evidence that the transition from the Pleistocene to the Holocene was indeed uneven with century scale abrupt events (e.g., Sirocko *et al.*1993). Sirocko *et al.* (1996) have also demonstrated that monsoon intensification began as early as 16,000 ±150 cal BP[1] and was followed by other abrupt episodes of intensification at 11,450 and 9900–9700 cal BP caused by internal oscillations in global climate, a mechanism largely reinforced by the processional cycle of variations in solar insulation strength at low latitudes.

Critical examination of climatic records from Africa (Hassan 1996, 1997) revealed that abrupt drought events occurred at ca. 14,000, 12,500, 9500, 8000, 5200, and 4400–4000 cal BP). Climatic conditions from 13,000 to 11,500 cal BP (11,000–10,000 bp) were particularly unsettled with very cold severe spells. This event referred to as the Younger Dryas is now recognized as a global event with major environmental consequences. The oscillations of this period are traced in pollen diagrams of the Eastern Mediterranean by Bottema (1995). In addition, a critical examination by Rossignol-Strick (1997) of pollen in marine and land sites in the Eastern Mediterranean reveals a cold phase with a very arid and cold phase even colder than the last Glacial Maximum, with abundant pollen of chenopodiaceae during the Younger Dryas at 11,000 to 10,000 bp (13,000 to 11,500 cal BP). This event is followed by a rapid expansion of pollen of deciduous trees mainly oak and pistacia from

also to highlight the importance of dealing with major cultural transformations from a long, deep historical perspective, tracing developments to a sequence of events that amplify and linearize an initial transformation. The emergence of the cultivation of cereals was the outcome of cultural developments that began at least four thousand years earlier.

In this contribution, special attention is paid to the impact of climatic fluctuations on the origins and spread of food production in the Middle East. This does not imply that climatic factors were either of paramount importance or the only causes for the emergence of cultivation and pastoralism. Climatic events elicit responses that depend on their perceived intensity, influence and recurrence. People recourse to a variety of actions. The acceptance and perpetuation of certain responses which depends on social, ideological and economic evaluation of their benefits and costs to certain individuals, could in the long-run restructure social practices and cultural norms. Each cultural setting, in turn, creates the milieu for the generation, preferential acceptance and perpetuation of certain actions. As such, people in a certain region may opt for different actions at different points in time. However, different cultural groups may not respond in the same way to a similar climatic event. There are, however, a limited number of responses, and regardless of one's language, religious beliefs, or cultural background, certain actions could be favored over others. There are also certain probable consequences to specific actions, which could lead to similar structural pathways and historical developments in different regions.

In exploring the problem role of climatic change in the deep history of the Middle East, an effort which began well before the current burst of interest in climatic issues in the wake of the Sahel droughts and in view of the prospects of global warming, archaeologists offer the world community and countries of the region an invaluable record of long-term climatic oscillations and scenarios of survival, resilience, collapse, and rejuvenation. Such records provide a much-needed antidote to forecasts based on short-term instrumental data and shortsighted polices that fail to take into consideration the human dimension of climate change.

Palaeoclimate and agricultural origins

Explanation of the origins of food production in Southwest Asia in the 1920s and 1930s by V.G. Childe (1928, 1934) was influenced by the view current at that time among climatologists who believed the end of the Ice age was associated with marked desiccation in North Africa and the Near East. Childe suggested that desiccation forced people to settle in well-watered floodplains where they undertook the first steps toward cultivation. Early investigations of climatic change in the region led to the erroneous conclusion that climatic change was not sufficiently significant to have played a role in agricultural origins. Accordingly, Braidwood (1960) focused his attention, in a pioneering multidisciplinary field project, away from the floodplain to the bioclimatic zone where the wild progenitors of wheat and barely were located. This zone was identified as the hilly flanks of the Fertile Crescent, a term first employed by Egyptologist Henry Breasted to refer to the well-watered zone east of the Nile, an area that included parts of Palestine, Lebanon, Jordan, Syria and Iraq. Braidwood also rightly emphasized the presence or absence of certain tools, practices, and institutions as a pre-condition to the adoption of food production.

In the 1960s, Binford (1968) and Flannery (1969) re-introduced climate and environmental change as key factors in the emergence of food production. Binford argued that the worldwide changes in sea

Historically, the region was the birthplace of many great world civilizations and world religions. By the seventh century AD, the region was transformed in a cultural sense as a result of the rise and spread of Islam. It became the cultural core of a world empire linking the world in a network that extended from China to France. Within this vast region under Islamic rule, the traditions of earlier civilizations were fused and transformed to provide the elements of a vibrant global culture. In more recent times, the Ottomans carried the banner of Islam and were the great superpower at a time when Europe began to emerge as a serious contender. From the Fifteenth century to the present, the region has been caught first in the struggle between European nations (e.g., England, France, Russia) and Turkey, and in the aftermath of World War I in the struggle among France, England and Germany to dominate the region after the once mighty Ottoman empire was reduced to insignificance following the treaty of Sèvres in 1920.

The Middle East may be thus regarded at present not only as a geopolitical region defined by recent political turmoil, but also by the deeper cultural lineaments that have forged common cultural modes of life and social organization. Undoubtedly, a shared belief in Islam for the majority of the inhabitants of the nations of the region, compounded with the prevalence of Arabic as the language of countries as far apart as Morocco and Syria, (by comparison to the myriad of languages in an area of comparable size in Europe) endows the region with an element of cultural unity. In addition, the region has been the theatre of a complex history of ancient civilizations. Its deeper structural lineaments were shaped by state level organizations and tribal chiefdoms, which in turn were political modes enabled by the agrarian and pastoral potentials of the region.

The origins of this historical past is what concerns me in this contribution, and in this specific context, I will attempt to show that the deep history of the region was closely linked with (1) the particular climatic, bioclimatic and physiographic variability of this region, (2) the contiguity and connectivity between cultural provinces, and (3) the episodic influence of abrupt, severe climatic upheavals. Thus, in addition to internal cultural developments that result from interactions, innovations, and transformations that have nothing to do with climatic change, the intermittent, but substantial influence of certain climatic events played a key role in shaping the course of cultures in this region. In addition to trade, warfare, and drift, which might have had little to do with climate per se, population movements in this region have been on occasions triggered by droughts. Such movements were in prehistory and throughout history a means of disseminating cultural elements from one culture to another in a web of exchanges and mutual interactions with moveable boundaries of cores and peripheries. The spread of wheat and barely from the Levant, Islam from Arabia, the qanats from Persia, and kingship from Egypt and Mesopotamia defy simple, static approaches to the region. The development and spread of the alphabet and writing is perhaps a manifestation of the fruitful, fecund and fertile interactions between settled communities and nomads, and between ancient civilizations and the Arab world today.

In piecing together the threads of the pan-regional model developed here, I aim first to underscore the importance of dealing with cultural transformations using a birds eye view of contiguous regions that are often the domains of research by regional specialists, who rarely venture to cross the boundaries of their familiar territory. Much I hope will be learned from a comparison and an integration of Arabia, North Africa and the Levant. I aim

Holocene Environmental Change and the Origins and Spread of Food Production in the Middle East

Fekri A. Hassan

Abstract. *The emergence and spread of food production in the Levant, North Africa and Arabia was closely linked with the climatic changes that characterized the transition from the Last Glacial Maximum to the Holocene as well as subsequent events of severe droughts that punctuated the early and mid-Holocene wetter climate. At first, following the establishment of quasi-agrarian communities with permanent base camps ca. l 5,000 cal BP in the southern Levant, onset of drier conditions from 13,000 to 11,500 cal BP led to a dramatic reduction in the number of Natufian settlements and the emergence of small-scale cultivation cereala. However, establishment of fully agrarian communities and the herding of sheep and goats did not take place until the climax of post-glacial warming, associated with wetter conditions from 10,500 cal BP to 8800 cal BP in the Levant (coinciding with the Early and Middle pre-pottery Neolithic). During this period founder crops were established, and the population grew and expanded. From 8800 to 7800 cal BP, arid spells led to the abandonment of occupations in the southern Levant, the establishment of agropastoralism and dispersal of population from the Levant into Arabia and Northeastern Afiica. At that time, food production also spread from Anatolia to southeastern Eurpoe. In North Africa, cattle-keeping spread westward from the Nubian desert into the central Sahara. A return to arid conditions from 7800 to 6800 cal BP, marking a trend toward desertification, with interludes of increased rainfall led to the emergence of regional variants of food procurement strategies and further dispersal of agropastoralists. During this interval, food producing communities occupied most of the central Sahara, as well the Arabian peninsula. This phase was characterized by a florescence of rock art. Food producing communities appeared along the banks of the Nile Egypt and the Sudan at the end of this phase (6900–6800 cal BP). From 6800 to 5200 cal BP (6000–4500 bp), the period which ends with the establishment of the current desert conditions in Norh Africa and Arabia, communities clung to well-watered parts of the desert depressions developing an Oasis economy. Desiccation in many areas forced people to leave or congregate in the oases. The end of this period coincided with the rise to power of nation and city-states in Egypt and Mesopotamia, respectively. Trade, exchanges, and contact between these agrarian states and the desert and oases dwellers revitalized desert communities and instigated subsistence and political changes which may have included in Arabia the domestication of camels and the cultivation of date-palms.*

One of the most revolutionary events in the course of history of humanity was, undoubtedly, the emergence of farming and pastoralism. The transition from hunting, gathering and foraging in a relatively short span of time, though much longer than once believed, entailed dramatic and radical changes in social relations, world view, beliefs and ideology. The Middle East was one of the main cradles of this remarkable transformation. In this contribution, I attempt to present an integrated model of the origins and spread of farming and pastoralism in Southwest Asia and part of Northeast Africa, in the zone known in geopolitical terms as the Middle East, which I use for a lack of single term to refer to a zone that extends from Iraq to Morocco and from Anatolia to Yemen (Fig. 1). In recent years, the term Middle East has also been used to refer to the countries of the Arab world or to the predominantly Islamic countries in this part of the world.

Issue No. 1 January 2000
ISSN: 1319-8947 (pp 7-28)

The alphabet letter is a symbol of human genius, and man has encompassed all of his knowledge and experience in a set of alphabet. Man has gone through ages of history trying several means of communication till he came to invent the alphabet, possibly in the second millennium B.C. But where has the inception of the alphabet came about, is it in Ugarit or in the Land of Cannan or is it in Sinai or in Western Egypt. This is still controversial and has lately become of political nature due to the current situation in the Region. However, the sound under standing of the history of those who have started the alphabet should act as a deterrent to those who are trying to unlawfully consider the invention of the alphabet as theirs. Hence, we should resort to historical logic and archaeological means to resolve, once and for all, this controversy. However, it is a pity that we are only alerted when claims are laid pertaining to a certain issue, trying to lay credence to somebody alien to the region looking for proof to authenticate the claimed deeply rooted presence, even in the form of few symbols engraved on a rock in the valley of Al-Houl. Such a trend is clearly exemplified by the case of the media-phobia exacerbated about the cuneiform tablets uncovered from Ebla rumouring that it contained the name of Ibram or Abraham. Certain researchers have unleashed a campaign to find proofs of credence to their early presence. We were not able to find someone of us to read our own cuneiform tablets. Thus, we were obliged to form a committee of specialized foreigners to inform us of the contents of those tablets and putting the matter to rest. However, we should ask ourselves whether we have benefited from that situation and have started the preparation of a generation who can tackle such challenges and who can read and comprehend. I have doubts about that. However, we should not be dismayed by the current situation and lose interest in seeking to understand the origins of writing and of the alphabet and semitic and ancient Arabic studies in all Arab countries. Such studies should be conducted in Arab universities, research centres and language academies, so that we will not be caught unprepared, as what happened in the situation of the discovery made by the American scientist and his wife in the Valley of Al-Houl.

*****

Another anniversary has passed without many people having heeded attention to, that the year 1420 A.H. is the anniversary of 1400 years since Moslem Arabs have launched their campaign from the Arabian Peninsula to enter Egypt and to bring it to the obedience of Islam, both peacefully and voluntarily. Thereafter, Egypt is considered as the launch pad for the Moslems' advancement into north Africa and Andalusia in Spain for the purpose of raising up the banner of Islam.

*****

We are really happy that the launching of our Journal has coincided with all of these happy events pertinent to the Arabian Peninsula in general, and to the Kingdom of Saudi Arabia in particular. We do hope that our Journal should seek inspiration from such glorious occasions to qualify it to embrace the whole of the Arab World in a unifying gesture that binds the whole of the Arab Nation from east to west, stressing on a cultural heritage that needs scrutiny to show its originality.

With Allah's blessing we launch the first issue of the Journal "Adumatu."

Editor-in-Chief

It is a great pleasure to us that the first issue of "Adumatu" coincides with several cherished occasions to us. It coincides with the Centenary celebration of the establishment of the Kingdom of Saudi Arabia, when the great Arab and Moslem leader, Abdul Aziz bin Abdul Rahman Al-Faisal Al-Saud has recaptured the City of Riyadh and has declared it as the focal centre and capital of his reign. Saudi Arabian citizens have gone through a whole year of celebrations recalling with great pleasure a century full of pride, love and glory. Our beloved country has been blessed by Allah with wise and benevolent leadership, prosperity and thriving life that our fathers and grandfathers would have never dreamt of. This is only because we are a nation of moderation that abide and rule according to the Holy Quran and the Tradition of Prophet Mohammed (Peace be Upon Him), and that we are following on the footsteps of our benevolent ancestors.

*****

From Riyadh, the centennial capital emanates the celebration proclaiming Riyadh as the Arab Culture Capital of 2000 A.D. The choice of Riyadh as the Arab Culture Capital of 2000 A.D. came on real merit. Its universities, research centres, public libraries, its genuine intellectual activities means of information and media, intellectual performances and activities on local, regional and international arenas and its art exhibits make its choice a rather belated one. It is the real choice as the Arab Culture Capital, not only for 2000 A.D., but also through all times.

*****

It is fortunate that the publication of our journal has also coincided with an important archaeological event, the establishment of the Association of Arab Archaeologists. The idea of the Association has cropped up at the Department of Archaeology and Museums, College of Arts, King Saud University. It was sponsored by the Arab League and its Headquarters have been established in Cairo with a fully independent administration.

The idea of creating an Association of Arab Archaeologists was put forward about a quarter of a century ago at a conference on Archaeology held at Al-Ayn, United Arab Emirates, but it has proclaimed no approval at that time. This might be due to the fact that archaeological awareness at that time was at a very low ebb, or to the fact that national archaeologists in the Arab Gulf States, Syro-Palestine, Yemen and North African Arab States, unlike those in Iraq and Egypt, were few at that time. Now, the number of Arab Archaeologists has grown tremendously and so is the Arab experience in archaeology. Thus, the establishment of an Arab Association of Archaeologists has become a must and a reality. Hence, that Association has been created on very sound foundations backed by the Saudi Society for Archaeological Studies with considerable membership power, as well as by the Society of History and Archaeology in the States of the Arab Gulf Co-operation Council whose membership constitute the elite among Arab archaeologists and historians in the Arab Gulf. Thus the high expectations from the Association lay such a heavy burden on the shoulders of its members similar to the great strata of archaeological and historical ages of the Arab World from the Arabian Gulf to the Atlantic Ocean.

*****

The cover of the first issue of our journal contains a photograph of an incense burner from the Arabian Peninsula with inscription of Arabic alphabet. This, in itself, is a real symbolism, as the incense burns in the burner releasing its aromatic fumes all over the place refreshing the souls, so are the alphabet letters engraved on the burner enlighten the minds and develop their thought. As alphabet letters constitute one of the most powerful means of communications between people.

Editorial

The idea of establishing a journal on Archaeology came about in a meeting held in Riyadh on the evening of Monday 18 Ramadan, 1417 A.H., 27 January 1997 A.D. The meeting included: Dr. Ziyad bin Abdul Rahman Al-Sudairy, Dr. Sulayman Al- Jurayed, Dr. Abdul Wahid Al-Humeid and Mr. Ali Al-Rashid. The purpose of the meeting was to discuss the future of the periodical Al-Jubah (named after "Al-Jubah", the depression in which Sakakah and Dumat Al-Jandal are situated) published by Abdul Rahman Al-Sudairy Foundation at Al-Jawf. The "Periodical" has started in "Rabie Al-Awal", 1411 A.H., November, 1991 A.D. thirteen issues of the Journal have, so far, been published. Two months later, a second meeting was convened to which I have been invited to attend by Dr. Ziyad bin Abdul Rahman Al-Sudairy. The meeting has decided to issue a new Journal called "Adumatu." The name "Adumatu" is of great historical significance that has witnessed great historical events in the northern part of the Arabian Peninsula. It is actually the ancient name of "Dumat" which was known during the Islamic Era as "Dumat Al-Jandal." The Journal will publish peer-reviewed papers on the archaeology of the Arab World comprising: prehistoric archaeology, ancient history to the emergence of Islam and Islamic Archaeology. An Editor-in-Chief, together with two other members, all well-known in their fields of specialization, have already been chosen for the Journal in order to expedite the fulfillment of the declared objectives of the Journal. The publication of the Journal is to be governed by an Editorial Board of specialist in Prehistoric Archaeology, Ancient History of the Arab World till the Emergence of Islam and Islamic Archaeology. Moreover, the Journal is covered by an Advisory Board of renowned scholars in Arabian Archaeology, both regionally (the Arab World) and internationally. This is to ensure the acceptance of the Journal among specialists, as well as its continuity in performing its stated goals of high standards of excellence. This is because, to date, there is no publication, specialized or whatsoever, covering Arab Archaeology.

Whatever is present to date is a mere interest in the archaeology of certain Arab regions as exemplified by periodicals published by some Antiquity bodies and Journals issued by some institutes of Archaeology and colleges of Arts that contain departments of Archaeology. Thus, there is no publication that caters for the congregation of specialized thought trying to create unity in this respect throughout the Arab World. This can enhance the exchange and interaction of ideas that can transcend regionality which cajole human thought and prevent it from the carrying out of innovative research.

After deciding the objectives of Adumatu, the Editorial Board embarked on the selection of the Advisory Board from specialists in Archaeology from within and outside the Arab World. We have chosen distinguished archaeologists of great calibre in archaeological research, hoping that such choice should enhance the promotion and development of the new journal in all aspects.

In deciding upon the fields of the Journal, we have reviewed internationally renowned journals in Archaeology published by academic or independent bodies. We have closely studied the contents of those journals which, each in its own way, tries to decide upon certain methodology of documentation and authentication of provided material as the sole source of analysis, description and criticism.

Then, accordingly, we have embarked upon establishing the criteria of publication in the Journal and upon the "Instructions to prospective Authors." Then we have suggested several alternatives to both fixed and changing topics published by the Journal, for the time being, in Arabic and English. Then following the establishment of the Journal, publication in other languages might be considered.

CONTENTS

ADVISORY BOARD



A Semi-Annual Archaeological Refereed Journal on the Arab World

PUBLISHER

ABDUL RAHMAN AL-SUDAIRY FOUNDATION

Issue No. 1 January 2000

GUIDELINES FOR AUTHORS

1. Submitted manuscripts must be written in Arabic or English and should be typed on A4 size paper, along with a 3.5 floppy disk typed on an IBM Compatible PC using Microsoft Word 6 or any updated version of it.
2. Two abstracts, one in Arabic and one in English, should be submitted; they should not exceed more than 100 words each.
3. Submitted manuscripts should not have been published previously elsewhere; further accepted manuscripts cannot be published elsewhere without prior written permission from the Editorial Board.
4. The text should not exceed 5,000 words; photos, illustrations, and graphs....etc. should not exceed more than 30% of the text.
5. Photos: B & W photos printed on glossy paper are preferred; they must be suitable for publication.
6. Maps, figures and illustrations should be drawn with China Ink on tracing paper, and their captions should be submitted on a separate sheet.
7. References mentioned in the text should be put in brackets at the end of the sentence, as follows: (Owen 1998:11).
8. Notes (Comments) should be arranged at the end of the text, followed the references which should be arranged alphabetically at the end of the text as follows:

    a) Books: Mauger, T. 1987. **Bedouins of Arabia.** London, Alsagi Bookshop.
    b) Edited Books: Goldberg, P. and Ian Whitbread 1993. "Micromorphological Study of a Bedouin Tent Floor". In: **Formation Processes in Archaeological Context**, P. Goldberg, D. Nash and M. Petraglia (eds), pp. 165-188. Monographs in World Archaeology No. 17, Prehistory Press.
    c) Journals: Lewis, Roger 1993. "Paleolithic Paint Job" **Discover**, 14 (7): 64-70.
    d) Dissertations: Al-Ghamedi, Abdul Kareem, 1983. "The Influence of the Environment on Pre-Islamic Socio-Economic Organizations in Southwestern Arabia", Ph.D Dissertation, Department of Anthropology, Arizona State University, Tempe, U.S.A.
9. Authors will be provided with twenty-five offprints and a copy of the journal, free of charge.
10. Submitted manuscripts will not be returned to their respective authors, whether published or not.
11. A brief c.v. and the present address of the author should accompany submitted manuscripts.

An invitation to contribute

The Editorial Board of ADUMATU welcomes your participation and encourages contributions on all relevant topics.

Please address all manuscript submissions, editorial queries, comments and views to Mr. Mosa A. Al-Subaihi, the Journal's Secretary.

SUBSCRIPTION

(Two issues per annum, including mailing charges)

- **The Arab World**

Individuals	SR 70
Institutions	SR 120

- **Rest of the World**

Individuals	US$ 30
Institutions	US$ 40

Subscription Form can be found inside this issue.

CORRESPONDENCE ADDRESS

Adumatu Journal
P.O. Box 10071, Riyadh 11433
Kingdom of Saudi Arabia
Tel: (+966) (1) 403 6780
403 4751
Tel: (+966) (1) 402 2545
Email: adumatu@suhuf.net.sa
WebSite: www.adumatu.com

Legal Deposit Number: 3719 / 20

ISSN: 1319–8947

العدد الثاني ربيع الثاني ١٤٢١هـ - يوليو (تموز) ٢٠٠٠م



أدوماتو
Adumatu

مجلة نصف سنوية محكّمه تعنى بآثار الوطن العربي

اهداءات ٢٠٠٣

مؤسسة عبد الرحمن السديري
المملكة العربية السعودية

أدوماتو
Adumatu

قواعد النشر

١ - يقدم البحث باللغة العربية أو الإنجليزية مطبوعاً على ورقة A4 ومرفقاً به قرص ممغنط مقاس ٣,٥ بوصة ويفضل أن يكون مطبوعاً على برنامج مايكروسوفت ورد ٦ أو أحدث، ويكون متوافقا مع أجهزة (IBM).

٢ - يرفق مع البحث ملخصان أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنجليزية على أن لا يزيد عدد كلمات كل منهما على ١٠٠ كلمة.

٣ - يشترط ألا يكون البحث المقدم للمجلة قد قُدم للنشر في أي وعاء نشر آخر، كما لا يجوز إعادة نشره كاملاً أو جزئياً إلا بإذن خطي من هيئة تحرير المجلة.

٤ - يجب ألا يتجاوز حجم نص البحث خمسة آلاف كلمة، وبحيث لا تتجاوز نسبة الأشكال التوضيحية أكثر من ٣٠٪ من حجم البحث.

٥ - ينبغي أن تكون الصور غير ملونة، ومطبوعة على ورق لماع وأن تكون ذات جودة عالية ومناسبة للنشر.

٦ - تقدم الخرائط واللوحات والأشكال على ورق شفاف (كلك) مرسومة بالحبر الصيني، وترفق التعليقات الخاصة بها في ورقة منفصلة.

٧ - توضع إحالات المراجع المذكورة في داخل النص في نهاية الجملة بين قوسين على النحو التالي: (الجاسر ١٤١٧ : ١١).

٨ - توضع الهوامش (التعليقات) في نهاية البحث، وتليها المراجع مرتبة ألفبائياً وبحيث تتبع الطريقة التالية في رصدها:

أ - الكتب : إسم العائلة، الإسم الأول، سنة النشر، العنوان، دار النشر، مكان النشر، (وفي حالة وجود أكثر من مؤلف فتكتب بقية الأسماء مرتبة بشكل عادي).

ب - الكتب المحررة : اسم العائلة، الإسم الأول، سنة النشر، اسم المحرر، «عنوان البحث»، اسم الكتاب، صفحات المقال، مكان النشر.

ج - الدوريات : إسم العائلة ، الإسم الأول، سنة النشر « عنوان المقال»، إسم الدورية، العدد ، الصفحات.

د - الرسائل العلمية : إسم العائلة، الإسم الأول، السنة، «عنوان الرسالة»، نوع الرسالة العلمية، القسم، الجامعة، المدينة، البلد.

٩ - تمنح المجلة الكاتب خمساً وعشرين مستلة من بحثه، إضافة إلى نسخة من العدد.

١٠ - أصول البحوث والمقالات التي تصل المجلة لا تُرد أو تسترجع سواء نشرت أم لم تنشر.

١١ - يرفق مع البحث سيرة ذاتية مختصرة عن الكاتب وعنوانه الحالي.

الاشتراكات

(عددان سنوياً شاملاً أجور البريد)

في العالم العربي :

الأفراد ٧٠ ريال سعودي

المؤسسات ١٢٠ ريال سعودي

خارج العالم العربي :

الأفراد ٣٠ دولار أمريكي

المؤسسات ٤٠ دولار أمريكي

قسيمة الاشتراك داخل العدد.

المراسلات

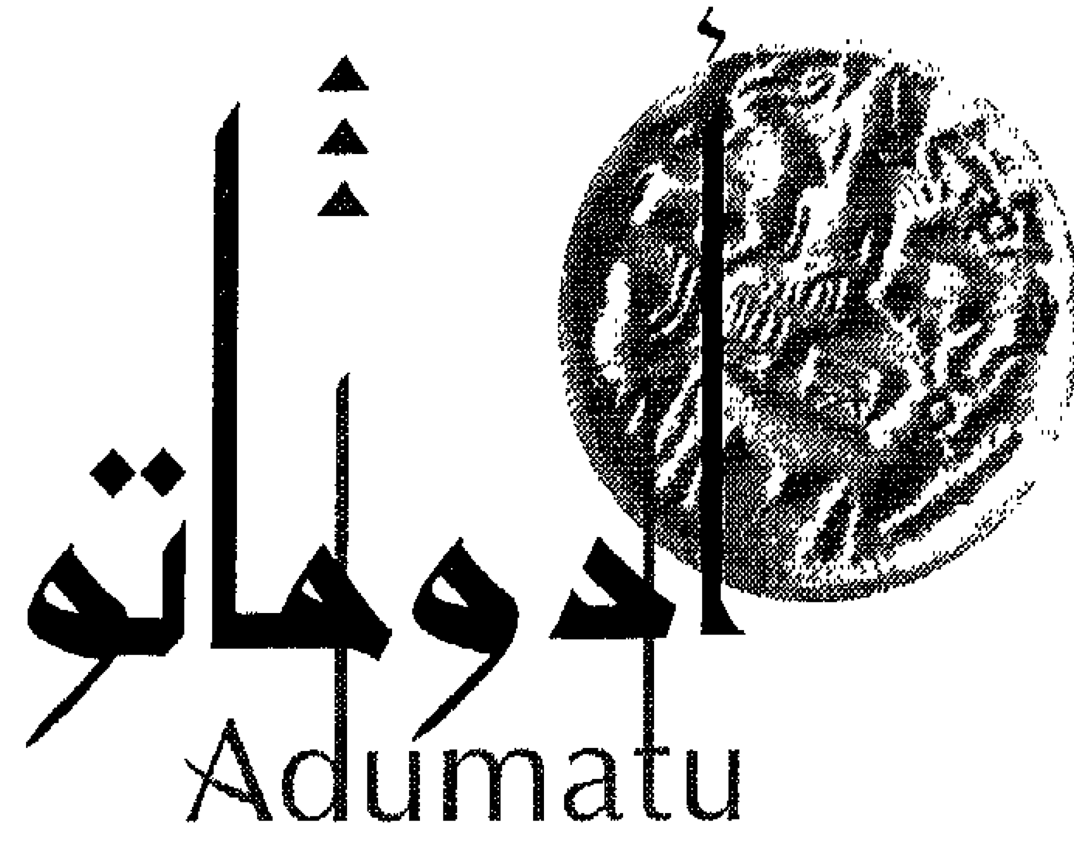
مجلة أدوماتو
ص.ب ١٠٠٧١ الرياض ١١٤٣٣
المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠٣٦٧٨٠ / ٤٠٣٤٧٥١ (١) (٩٦٦+)
فاكس ٤٠٢٢٥٤٥ (١) (٩٦٦+)
بريد إلكتروني : adumatu@suhuf.net.sa
الموقع على الانترنت : www.adumatu.com

رقم الإيداع : ٢٠/٣٧١٩
الرقم الدولي المعياري (ردمد) : ٨٩٤٧ - ١٣١٩

مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية: أسسها الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري، أمير منطقة الجوف من ١٣٦٢/٩/٥هـ إلى ١٤١٠/٧/١هـ الموافق ١٩٤٣/٩/٤م إلى ١٩٩٠/١/٢٧م، بهدف إدارة وتمويل المكتبة العامة التي أنشأها سنة ١٣٨٣هـ المعروفة باسم دار الجوف للعلوم، والإسهام في حفظ التراث الأدبي والإرث الحضاري في منطقة الجوف ودعم النهضة العلمية فيها وأعمال خيرية أخرى. وتأمل مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية أن تسهم مجلة أدوماتو في التعريف بآثار منطقة الجوف وتسليط الضوء عليها ضمن اهتمامها الواسع بآثار الوطن العربي.

* **صورة الغلاف** : صورة لأرضية فسيفسائية تعود للفترة البيزنطية، أكتشفت في منطقة جباليا بغزة.

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة نصف سنوية محكّمة تعنى بآثار الوطن العربي

الناشر

مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية



الهيئة الإستشارية

أدوماتو
Adumatu

المحتويات

افتتاحية العدد

لقد تركت الأصداء التي أحدثها العدد الأول من هذه المجلة أعمق الأثر في نفوس القائمين عليها والمؤسسين لها، ذلك لأننا لم نكن ندرك أن الساحة العربية بل والعالمية في حاجة ماسة إلى مثل هذا الإصدار الذي سد ثغرة كانت في حاجة إلى من يحاول أن يملأها ويقيم بنياناً جديداً يرتفع على قواعد ترتكز على الإيمان بأهمية هذا الاتجاه، والصدق في العرض، والوضوح في الرؤية والشعور بالحاجة إلى العمل الجاد في سبيل خلق ساحة واسعة للحوار البناء، اضافة إلى وجود الكوادر العلمية المؤهلة في عالمنا العربي التي تكون رافداً هاماً في دعم هذه الخطوة المباركة.

ونحن بهذا العمل الجديد نحاول أن نقدم ما هو جديد ونافع في حقل الآثار لنتيح للقارىء في هذا المجال وللقارىء بشكل عام الإطلاع على معلومات وأفكار ونظريات وتطبيقات تمدنا بها التجارب المختلفة والمنجزات العلمية التي تسير مواكبة ركب الحضارة في هذا الجدول الذي يعد رافداً من روافد المعرفة العامة والتي تكون خصوصيات مختلفة تندرج جميعها وتصب في نهر الحضارة الإنسانية.

*****

إن الآثار هي اللغة العلمية التي يقبلها جميع البشر ويستمتعون بها لأنها في الأغلب الأعم فارقت الحساسيات التي عاصرت صراعات البشر في سبيل البقاء وتجردت من النظرات الضيقة في نطاق الإقليم والمنطقة وأصبحت تقدم نفسها كمنجز حضاري دون كلف أو مساحيق تلون بها وجهها الحقيقي لأنها تمثل تجربة إنسانية تعكس التطور لفكر الإنسان وتقنيات العصور التي أسهم فيها بقسط وافر حتى سلمها لطور جديد ومرحلة جديدة من مراحل التطور البشري.

*****

ومع ذلك فإننا لا نعدم من يحاولون إلباس المنجزات الحضارية ومستخرجات الأرض ومكنوناتها ثياباً تجعلها تابعة ومنتمية إلى شعب أو حضارة هي بريئة منها، وسلخها من انتمائها الحقيقي إذا ما أردنا أن نعيدها سيرتها الأولى، وهنا تصبح الآثار أداة محرضة ومخيفة بدلاً من أن تكون أداة اعتبار وتفكر ودراسة للنمو الحضاري على مر العصور، ولا يتجه هذا الاتجاه إلا من افتقروا إلى ماض قديم يرتكزون عليه ويستوحون منه مستقبلهم بغض النظر عن مدى تصديق الناس لهم فيما يدعون. ولم يدركوا أن الشعوب تتغاضى ولكنها لن تنسى ما استلب منها، كما أن البعض ممن يمارسون البحث عن الآثار والتنقيب عنها ودراستها يحاولون لمكتسباتهم العلمية وما ورثوه من مخزون حضاري أن يلبسوا ما يكتشفونه لباس ثقافتهم لمجرد وجود تشابه في الشكل أو الكلمة أو بعض أنماط الحياة ويصبح هذا التفسير الذي خلعوه على ما اكتشفوه هو الذي يحظى بالقبول من قبل من لا علم لهم بخفايا الأمور وتنسى التجربة الإنسانية المحلية ودور البيئة الجغرافية والاجتماعية والعرقية في تشكيل هذا النتاج الحضاري الذي شكله ابن هذه المنطقة أو تلك.

*****

ولكن لعلني أتساءل لماذا نشكو من فرض البعثات الأجنبية مكتسباتها الحضارية والمعرفية على مواقعنا الآثارية؟ هل لأنها الأعلم منا بذلك ؟ أم لأنها صاحبة التجربة القديمة والمتقدمة والمتطورة في مجال التنقيب؟ أم لأنها تأتي ومعها الأموال والمتخصصون في كل ناحية من نواحي التقنية ؟ ربما كانت الإجابة على هذه الأسئلة بالإيجاب، ولكن ألم تستطع بلادنا العربية أن تنجب علماء أكفاء في مجال البحث والتنقيب والتزمين والتحليل والتفسير الدقيق ؟ نعم لقد أنجبت، إذن أين هم وما هو دورهم ؟

إنني هنا أهمس بأن زامر الحي لا يطرب، فإذا ما أراد العربي الكُفء أن يبادر إلى عمل شيء، وقف الدعم المادي عائقاً أمام القيام بعمله على الوجه الأكمل؛ فلا الجامعات تساعد إلا بالنزر اليسير ومثلها هيئات الآثار. أما المؤسسات الاقتصادية الضخمة في بلادنا فهي لا تدرك للأسف أهمية دعم التبرع لأعمال كهذه رغم أن بعض هذه المؤسسات بل والحكومات تتبرع لجامعات ولبعثات أجنبية لتقوم بالتنقيب والتدريب في ارضنا العربية وهو ما يمكن أن يقوم به الباحث المواطن! أهو عدم ثقة ؟ أم عدم قناعة بأن المواطن يستطيع أن يحسن ما يعرفه الأجنبي ؟!! تلك هي المشكلة ولا بد أن نجد لها حلاً، وأن تناقش بعمق في الأوساط الآثارية وأن نربط برباط الثقة بين الهيئات الآثارية والأكاديميين في الجامعات لأن هذه الأرجل بعضها من بعض وأن تغلب المصلحة الوطنية على ما سواها.

*****

إن الإعلام الغربي ومن ورائه الإعلام العربي يسير في ركب الاكتشافات الآثارية ذات الدلالات السياسية والحضارية الضخمة فكان وراء اكتشاف مدينة إيبلا في سوريا والمدينة الغارقة في الإسكندرية ووادي الهول غرب النيل في مصر والإنسان القديم في أفريقيا أو في أدغال شرق آسياً أو في كهوف جنوب غرب أوروبا، أما الاكتشافات الأخرى التي يقوم بها آخرون والمقصود بها نحن العرب فتلك لا تسلط عليها الأضواء إلا إذا كانت متصلة ببعثات أجنبية ولأغراض محددة مثل اكتشاف إرم ذات العماد أو عفير في شرق الربع الخالي. وإلا فإن اكتشافات كثيرة كشف عنها في دول الخليج وفي الجزيرة العربية تفوق كثيراً مما أشرت إليه في أهميتها لتاريخ الحضارة العربية في عصورها المختلفة ومع ذلك لم تأخذ حظها من تغطية الإعلام العربي بله العالمي. فأين الإعلام العربي من مواكبة منجزاتنا الحضارية على أيدي علمائنا الوطنيين؟ هل عقمت أرحام المؤسسات العلمية عن ولادة علماء يستحقون الإشادة والتقدير وإلقاء الضوء على منجزاتهم حين الاكتشاف؟ وكتجربة محلية فقد اكتشفنا في قرية الفاو في شمال غرب صحراء الربع الخالي مقبرة ملكية لملك عربي يسمى «معاوية بن ربيعة ملك قحطان ومذحج»، ويعد الاكتشاف إضافة جديدة في سلسلة معارفنا عن تاريخ ما قبل الإسلام في الجزيرة العربية. ومع ذلك أشك أن أحداً قد عرف عنه خارج نطاق المملكة العربية السعودية، ومثل ذلك اكتشاف وكالة الآثار والمتاحف بالمملكة العربية السعودية قبل سنتين لمقبرة أميرة عربية في مدينة ثاج بكل محتوياتها الذهبية ومع ذلك لاقت المصير نفسه وغيرها كثير.

هناك تغييب مقصود لما يكتشف في جزيرة العرب سواء في العصور القديمة أو الإسلامية فحتى علماؤنا العرب الذين تصل إليهم حقائق هذه الاكتشافات لا يكلفون أنفسهم عناء تغيير ما تعودوا عليه في تدريسهم لطلابهم عن نشأة الكتابة العربية وعن العمارة والمسكوكات وغيرها وغيرها ولا أظن أنهم يسيرون عن عمد في نفس اتجاه الأكاديمية الغربية التي تحمل موروثاً يجعل من الجزيرة العربية خواء تاماً لأن ظنونهم في أساسيات الإسلام ومرجعيتهم كما يفسرونها تبقى مرتبطة بمقدساتهم الدينية.

*****

ولنا أن نتساءل هل هناك مسيرة آثارية عربية مترابطة تعي هذا الاتجاه وتحاول كسر الطوق الذي فرضته علينا أسبقية المدرسة الغربية بكتاباتهم وأبحاثهم مما شكل إطاراً لم يحاول علماء الآثار في بلادنا الفكاك منه والاستقلال بمنظور وتفسير عربيين، ومما يزيد الطين بلة، أن كثيراً من علمائنا يكتبون أبحاثهم بلغات أجنبية لا باللغة العربية وهنا نثبت للآخرين أننا لا زلنا على الطريق الذي وضعوه لنا نسير ونحرم أمتنا من قراءة تراثها وتاريخها بلغتها. إن الأمل معقود، بعدالله، على جمعية الآثاريين العرب بالقاهرة، التي أبدينا فرحنا بها في عددنا الأول، في ايجاد مدرسة عربية تعنى بجوانب النقص التي نعايشها وتقرب وجهات النظر وتسير بالآثاريين العرب إلى بر الالتقاء على مفاهيم تصب فيما يخدم القارىء العربي وتنمي فيه روح المواطنة والانتماء اعتزازاً بتراثه العربي والإسلامي باعتباره جزء من التراث الحضاري العالمي الذي لا يجب أن يغمط حقه. وأتمنى أن لا نكرر العمل الذي بدأناه في القاهرة بإنشاء جهاز آخر في عاصمة عربية أخرى قد لا يكتب له النجاح لأن الجمعية جاءت عن رغبة أكيدة من الآثاريين أنفسهم فهل من حقنا أن تتحقق آمالنا ؟!!

رئيس هيئة التحرير

أدوماتو
Adumatu

الحصون والأبراج الأدومية

زيدان كفافي - عبدالناصر الهنداوي

ملخص: قامت هذه الدراسة من أجل التثبت من صحة ما جاء في نتائج المسوحات الآثارية التي قام بها نلسون جلوك خلال الثلاثينيات من القرن العشرين في المنطقة الممتدة من وادي الحسا شمالاً وحتى رأس النقب جنوباً. وقد عثر جلوك على عدد من المواقع التي أطلق عليها مسمى «الحصون الدفاعية الحدودية» والتي أُنشئت للدفاع عن المملكة الأدومية. وقد أُجريت مسوحات آثارية في نفس المنطقة من قبل عدد من الباحثين، كما نُقبت عدد من المواقع المهمة مثل «طويلان» وغيرها. وقد وصلت هذه الدراسات إلى نتيجة أن المملكة الأدومية قد ترسخت بشكل فعلي خلال القرن الثامن قبل الميلاد، وأن ما أطلق عليه جلوك اسم الحصون الدفاعية ربما تكون قد خدمت أغراض أخرى مثل الزراعة. وأما المعايير المعتمدة في هذه الدراسة لتقييم هذه المواقع فتشمل التوزيع المكاني للمواقع والإطار التاريخي لمنطقة أدوم والعوامل الاقتصادية والبيئية.

Abstract. *This study aims at re-studying and re-evaluating the published archaeological results of the survey conducted by Nelson Glueck during the thirties of the twentieth century in Edom, south Levant. He stated that several surveyed sites served as "Edomite Border Fortresses". The date and function of these sites remain controversial among scholars. Archaeological excavations at some of these sites have shown disagreement with what Glueck claimed. For example, at Tweilan, the excavator deducted that there was no evidence of Edomite occupation earlier than the eighth century B.C. In addition, recent archaeological surveys and excavations pointed to different dates and functions than those assigned by Glueck. This study focuses on the spatial distribution of archaeological sites, the historical frame of the Edomite and the economic and ecological factors. The results of this study are based on archaeological surveys and re-evaluation of published archaeological reports.*

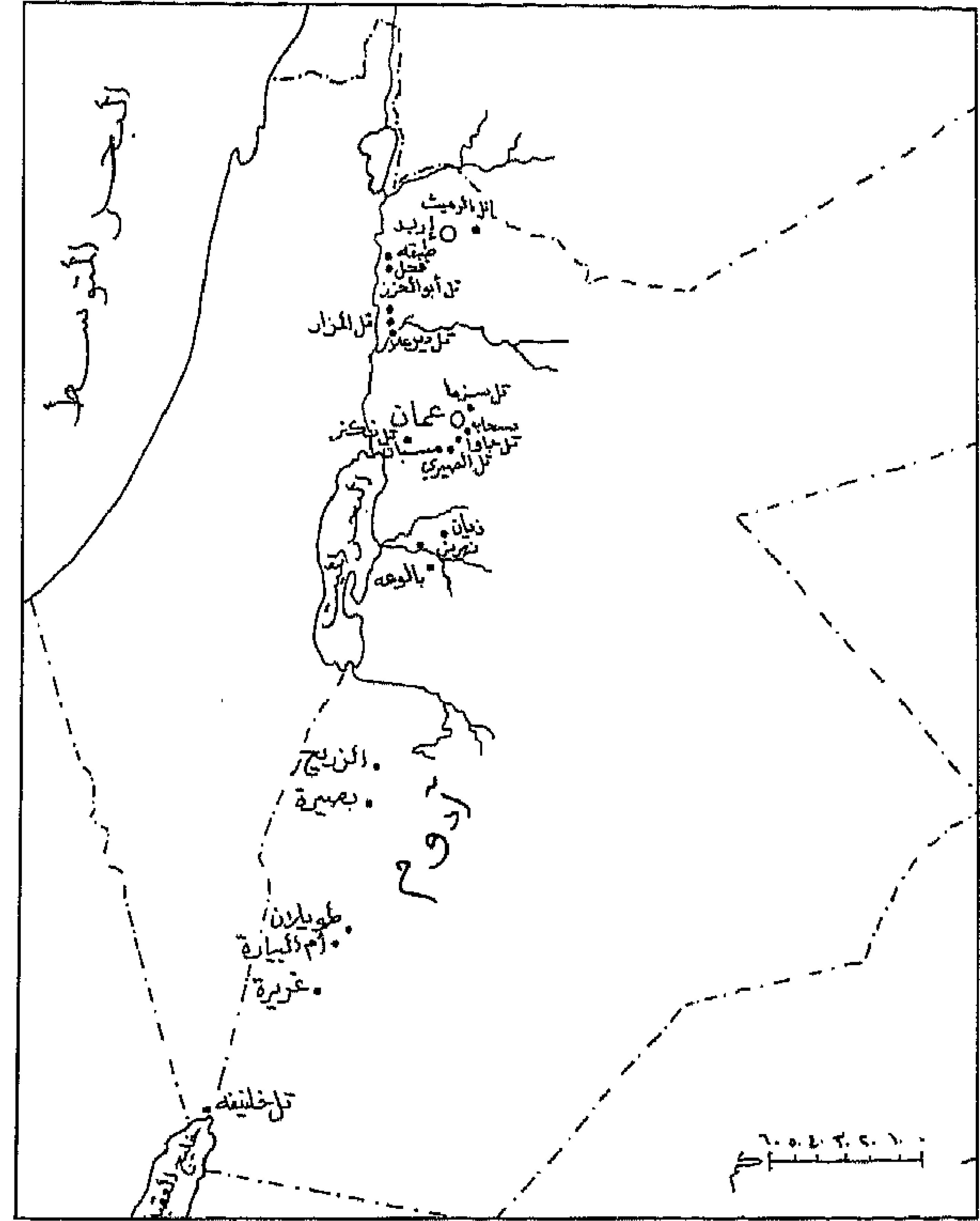
جاءت فكرة هذه الدراسة، نتيجة لمجموعة من الدراسات، التي أجريت في جنوبي الأردن وفلسطين، للبحث في تاريخ وحضارة الأدوميين. ومن هذه الدراسات، تلك التي أجراها «نلسون جلوك» (N.Glueck) خلال الثلاثينات من هذا القرن، في المنطقة الجنوبية من الأردن (١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٩) التي تعرف باسم أدوم، وهي المنطقة الواقعة إلى الجنوب من وادي الحسا (خارطة ١). وقد عثر «جلوك» خلال عمله الميداني، على عدد من المواقع، أسماها الحصون الدفاعية الحدودية، وأرخها للفترة الواقعة بين القرنين الثالث عشر والسادس ق.م. ولخص أهداف تأسيس هذه المواقع، على النحو الآتي:

١- حماية الحدود الشرقية لأدوم، من خطر الهجمات البدوية.

٢- حماية المستوطنات الأدومية الزراعية. إضافة إلى ذلك أكد، أن أدوم كانت تتمتع بمملكة قوية، خلال القرن الثالث عشر ق.م.

ونحاول في هذه الدراسة، مناقشة ما توصل إليه «جلوك» من نتائج، معتمدين على نتائج الحفريات والمسوحات الأثرية، التي أجريت في هذه المنطقة، خاصة ما أنجزته كريستال بنت في مواقع «بصيرة وطويلان وأم البيارة». وكذلك زياراتنا الميدانية للمواقع قيد الدراسة.

وتهدف دراستنا إلى التحقق من الأمور التالية:



خارطة ١ : موقع أدوم الجغرافي وأهم مواقع العصر الحديدي في الأردن

١- إخضاع نظرية جلوك للدراسة، للتأكد من تواريخه المقترحة لهذه المواقع.
٢- التوصل إلى طبيعة النواحي الوظيفية، لهذه المواقع.
٣- تصنيف هذه المواقع، تبعاً لوظيفتها.

جغرافية منطقة الدراسة

تتميز أرض أدوم بطبيعتها الفريدة؛ فهي تتكون من هضبة مرتفعة، يفصلها عن مؤآب منخفض وادي الحسا؛ كما تنخفض غربا بشكل حاد، باتجاه وادي عربة إلى الغرب، بينما تنحدر بشكل تدريجي باتجاه الجنوب. وتنقسم هذه الهضبة إلى قسمين رئيسين:

- المنطقة الشمالية : وتمتد من وادي الحسا، إلى قلعة عنيزة ومنطقة ضانا، وتتميز طبيعتها بالصخور النارية، المفصولة بعدد من الأودية، ويطلق على هذه المنطقة اسم «الجبل».
- المنطقة الجنوبية : وتعرف بعشرا، وتتميز بهضابها الجيرية؛ وهي تمتد باتجاه الجنوب الشرقي نحو معان، مطلة، بدورها، على وادي خزما، وجبال رم ذات الصخور الرملية (Bartlett 1989:34). وبهذا تكون منطقة أدوم، واقعة ضمن ثلاثة أقاليم متنوعة، هي : إقليم البحر الأبيض المتوسط، والإقليم الأيرانو- طوراني، والإقليم السوداني. وفيما يلي نبذة عامة، عن كل إقليم:

أ- إقليم البحر الأبيض المتوسط:

يغطى هذا الإقليم جميع المرتفعات الممتدة من اربد شمالا، إلى راس النقب جنوبا؛ ويبلغ معدل سقوط الأمطار فيه ٣٠٠ ملم في السنة؛ وتربته طينية حمراء، ذات الطبيعة الغنية بالحديد، والجيدة للزراعة.

ب- الإقليم الايرانو- طوراني :

يحيط هذا الإقليم بمعظم مناطق الإقليم السابق، باستثناء منطقة الشمال؛ ويبلغ معدل سقوط الأمطار فيه ١٥٠ ملم؛ وتربته في غالبيتها فقيرة، ومعرضة للانجرافات، أما الغطاء النباتي فيتكون من الشجيرات الصغيرة، بشكل عام.

ج- الإقليم السوداني :

يمتد هذا الإقليم من دير علا شمالا، إلى خليج العقبة جنوبا؛ ويتضمن البحر الميت ووادي عربة. ومعدل سقوط الأمطار فيه ضعيف، يبلغ ٥٠ ملم سنويا. وتربته من النوع الرملي، أو الحمادة، مع وجود متفرقات من التربة الغرانيتية والصلصالية (Al-Eisawi 1985:50-51) وتركزت معظم مواقع الدراسة، في المنطقة الواقعة بين وادي الحسا شمالا، والغوير جنوبا؛ فالمواقع، التي تحمل الأرقام من (١٢-٣٩)، أي ما يعادل مجموعه ٢٧ موقعا من مجمل المواقع، التي تعرف عليها الآثاريون، تقع ضمن إقليم البحر الأبيض المتوسط (خارطة ٢). وهي المنطقة، التي يطلق عليه اسم «الجبل»، وهي حالة فريدة للزراعة في جنوب الأردن؛ حيث يبلغ معدل سقوط الأمطار فيها ٤٠٠ ملم سنويا. وتتميز تربتها بصلاحيتها العالية للزراعة، وتوافر الكلأ قرب المواقع (Knauf 1995:96).

وجاءت قلة المواقع منسجمة مع تناقص كميات الأمطار، وانخفاض جودة التربة، كلما كان الاتجاه من الشمال إلى الجنوب، في منطقة الدراسة. إذ لم يُعثر في وادي عربة، إلاّ على ثلاثة مواقع: الخنيزرة، وفيفيا، وموقع رقم ٦٩. كما لم يُعثر في منطقة البتراء، إلا على أربعة مواقع؛ تركّزت ثلاثة منها في جبالها، بينما يقع الرابع، وهو خربة المعاليق، في أراضٍ مؤهلة لاستغلالها زراعياً.

الدراسات السابقة للحصون والأبراج الأدومية

لاحظ المهتمون بدراسة الحضارة الأدومية، قلة المعلومات المتوافرة عنها؛ ولذلك حاول عدد منهم، مثل «بنت وفايبرت وكناوف (Knauf)» وغيرهم، القيام بأعمال ميدانية في منطقة جنوبي الأردن. لكن هذا الأمر كان قد سبق إليه «نلسون جلوك»، بمسوحاته الشهيرة في شرقي الأردن، والتي استطاع خلالها زيارة بعض المواقع الأدومية التي هي مدار بحثنا. وعلى الرغم من ذلك، فهناك الكثير من الإشكاليات، التي ما زالت قائمة، خاصة تلك المتعلقة بطبيعة الاستيطان الأدومي، من حيث بدايته التاريخية وأشكاله؛ وما يزال الجدل قائماً إلى هذا التاريخ، فيما يتعلق بالبداية الحقيقية لهذا الاستيطان (Bienkowski 1992a,Finklestine 1992a).

وقبل الخوض في تفاصيل الدراسة، نرى ضرورة اتباع تقسيم زمني لها، حيث كثرت في الآونة الأخيرة، التساؤلات حول البدايات الحقيقية للعصر الحديدي في منطقة أدوم، وما زال هناك الكثير من النقاش حولها (Sauer 1984, Bienkowski 1992 b).

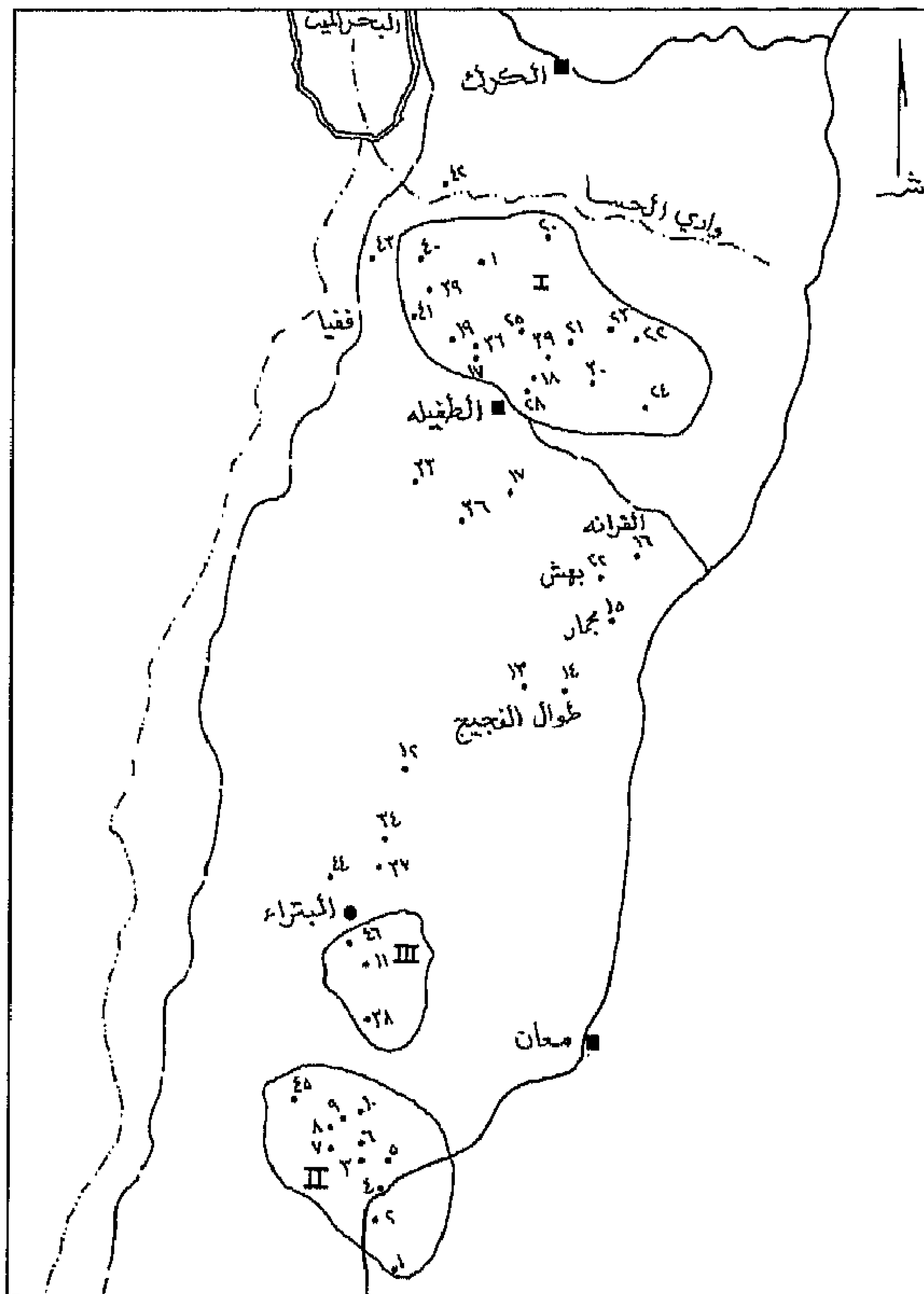
ومن المعروف أن التنقيب، حتى الآن لم يجر في مواقع أثرية أدومية، تضمنت أ تسلسل طبقي متتابع، لفترات العصر البرونزي الأخير، أو العصر الحديدي الأول أو الثاني. وهذا بدوره يشكل لأي دارس، يريد ترتيب المادة الحضارية زمنياً، وهو ما ينسحب على دراستنا للحصون الأدومية. ولمّا كان تقسيم بينكفسكي Bienkowski الذي قسّم فيه العصر الحديدي إلى ثلاثة أقسام (Bienkowski 1995:44).

- العصر الحديدي الأول ١٢٠٠ - ١٠٠٠ ق.م
- العصر الحديدي الثاني ١٠٠٠ - ٥٣٩ ق.م
- العصر الحديدي الثالث ٥٣٩ - ٣٣٠ ق.م

تقسيم عام، لا تخصيص فيه، ولا يقسّم هذه الفترات إلى مراحل فرعية أخرى، آثرنا اعتماده في دراستنا هذه.

نظرية جلوك

استنتج جلوك من مسوحاته الأثرية، في المنطقة الجنوبية من شرقي الأردن، وفلسطين، بما فيها النقب، خلال فترتي ربيع وصيف عام ١٩٣٠م، أن المناطق الشمالية و الشرقية والجنوبية من أدوم، كانت محمية بنظام دفاعي، تمثل بعدد من الحصون. وأن هذا النظام التحصيني، يمتد من الجهة الشمالية الشرقية، وتحديدا من الرويحة قرب «قلعة الحسا»، إلى رجم وخربة كركا، في الجهة الغربية، حيث يقع بينهما رجم جاعز وخربة باخر (Glueck 1935:105-106).



خارطة ٢ : المواقع الأثرية بمنطقة الدراسة

أما الجهة الشرقية، فقد حميت بخط من التحصينات الدفاعية، التي تبعد بضعة كيلومترات إلى الغرب، من الخط الشمالي الجنوبي حيث تقع الدعجانية. وهذه التحصينات الممتدة من الشمال إلى الجنوب، هي: خربة طوال الفجيج، و رجم راس الحلا، ورجم حلا القرانة، وخربة تل الجحيرة (لم يكن جلوك قد تناولها بالمسح حتى ذلك الوقت). وتقع جميعها في منطقة أعالي المرتفعات، الفاصلة ما بين المناطق القاحلة، والمناطق الغنية زراعيا (Glueck 1935:142). أما الناحية الجنوبية، الواقعة على امتداد المرتفعات المشرفة على وادي حزمة، فكانت محمية بالحصون الآتية: خربة راس النقب أو خربة نقب اشتار ؟ وخربة الشديد. وكانت وظيفتها حماية الطرق التجارية، التي تمر من وادي اليتم، إلى منطقة وادي عربة، والبحر الأحمر (Glueck 1935:142) .

نشر جلوك في الفترة ما بين ١٩٣٧ - ١٩٣٩، نتائج مسحه الثاني في حولية المدارس الأمريكية للأبحاث الشرقية (AASOR). وأضاف في مقالته، التي حملت عنوان: استكشاف في شرق فلسطين (Exploration in Eastern Palestine lll) عددا من المواقع الدفاعية. فبعد قراره بأن رجم تل الجحيرة، ورجم بهش، حصون دفاعية تؤرخ من بداية العصر الحديد الأول، إلى العصر الحديدي الثاني، أصبح من الممكن تتبع خط الجبهة الشرقية للمملكة الأدومية، إذ يمتد هذا الخط تقريبا شمالا- جنوبا، ويبعد عدة كيلومترات إلى الغرب من الخط الشمالي - الجنوبي، من الدعجانية (Glueck 1939:21).

وبالنظر إلى موقع الرويحة، المطل على وادي الحسا في الزاوية الشمالية - الشرقية من أدوم، تصبح الجبهة الشرقية للأدوميين محمية بعدد من الحصون، التي تتجه شمالا- جنوبا، ومرتبة على النحو الآتي: رجم جاعز، ورجم أبو العظام، وخربة باخر، ورجم مغامس، ورجم الأحمر، ورجم راس الحلا، ورجم حلا القرانة، ورجم بهش، خربة الحجيرة، وخربة طوال الفجيج، وخربة المقدس، وخربة الفارعة؟، وخربة المريغة؟ وخربة الشديد؟، وخربة نقب اشتار في الزاوية الجنوبية الشرقية (خارطة ٣). علما بأن المواقع التي عليها إشارة استفهام هي مواقع أدومية، تؤرخ إلى العصر الحديدي الأول - العصر الحديدي الثاني، ولكنها ليست بالتأكيد حصون دفاعية (Glueck 1939:24) .

ويشير جلوك في مقالته «حضارة الأدوميين» إلى (أن الحدود الشرقية للأدوميين، كانت أقوى من مثيلاتها في الجنوب، حيث تميزت دفاعاتها بخط طويل من الحصون، التي جاءت فوق مرتفعات الهضاب، الفاصلة بين المناطق القاحلة والمناطق ذات الجذب الزراعي. وكان يجري الاتصال بين هذه الحصون، بواسطة الإشارات الدخانية المتبادلة) (Glueck 1947:79) .

ويركز جلوك في المقالة نفسها، على أن الحدود الشمالية والغربية، لم تكن أقل حظا من حيث الحماية، عن مثيلاتها في الناحية الشرقية والجنوبية. ومع أنه لم يعثر على أعداد كبيرة من هذه الحصون، في الناحيتين الشمالية والغربية، إلا أنه يرد ذلك إلى سببين، هما:

١- أن خطر الهجمات البدوية، لم يكن يتهدد هذا الجانب، مقارنة مع الجهة الشرقية.

٢- حالت الطبيعة الجغرافية لوادي الحسا ووادي عربة، دون حدوث أي غزو محتمل (Glueck 1947:74).

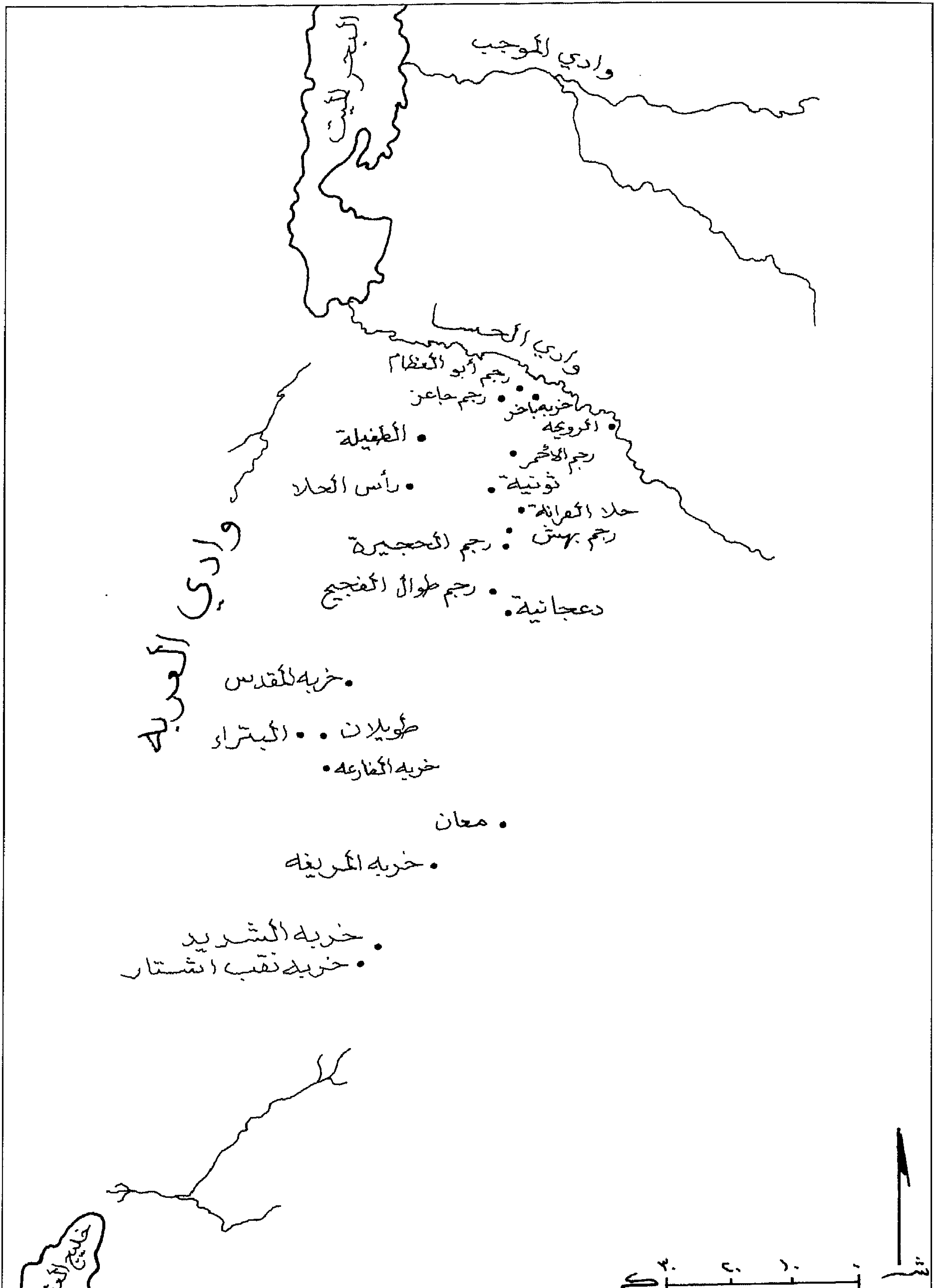
وهكذا، فإن جلوك يعزو الأهداف، من وراء بناء هذه المنشآت إلى :

١- حماية الجهة الشرقية، من غزوات البدو.

٢- السيطرة على الخطوط التجارية، المارة عبر أرض أدوم.

٣- حماية المناطق الزراعية الداخلية، حيث أكد جلوك وجود أعداد كبيرة من المراكز التجارية والزراعية غير المحصنة، ولكنها اعتمدت في حمايتها من الأخطار الخارجية، على هذا النظام من التحصينات الدفاعية (Glueck 1936:143).

وقد وجدت معظم هذه المواقع مدمرة، وتراوحت مساحتها بين ٨ - ٢٥م٢، باستثناء خربة رأس النقب والشديد. حيث قدرت مساحة الأولى ١٣٠م × ١١٧م



خارطة ٣: المواقع الأثرية التي زارها جلوك

(Glueck 1935:59). أما الثاني فقد بلغت أبعاده ١٦٠م×٧٦م (Glueck 1935:60). واتخذت هذه المواقع الشكل المستطيل أو المربع. (وهذا ما سنوضحه لاحقا).

يرى جلوك أن تاريخ هذه المنشآت، يقع خلال الفترة، التي بلغت فيها أدوم ذروة ازدهارها، في القرن الثالث عشر- القرن الثامن ق.م. والذي يعتقد أنه جاء بعد انقطاع سكاني في منطقة أدوم، من الفترة ١٨٠٠ ق.م. إلى القرن الثالث عشر ق.م. وخلال فترة الازدهار هذه بنيت في أدوم الكثير من المواقع الكبيرة، والصغيرة الثابتة (Glueck1936:142). ويبدو أن جلوك، من خلال ما نشره في كتابه «الجانب الآخر من الأردن» (The Other Side of Jordan)، غير متأكد من التواريخ الحقيقية لهذه المنشآت (Glueck 1970:161).

وقد درس عدد من الباحثين نظرية جلوك، المتعلقة بالمنشآت الدفاعية في أدوم وناقشوها. فأكد بارتلت Bartlett على ضرورة إعادة دراسة المواقع، دراسة دقيقة (Bartlett 1973:231).، في حين دعى فرانكين Franken، وبور Bower، إلى ضرورة مراجعة أعمال جلوك، خصوصاً دراسته للفخار؛ وأكدا على أن النتائج، التي توصل إليها، مضللة ويشوبها الكثير من العيوب (Franken and Power 1971:199).

وحديثاً دعى بينكوفسكي (Bienkowski) إلى ضرورة مراجعة نظرية الحصون الدفاعية، في أدوم ومؤاب وعمون، من أجل التأكد من وظيفتها وتأريخها، وشدد على أن نظرية جلوك، يجب ألا تؤخذ على عواهنها، دون إعادة تقييم (Bienkowski 1992b:4). ويفترض بينكوفسكي أن المواقع ، إذا كانت في الأصل منشآت دفاعية، وهو شاك في تأريخها، فربما أنها قد وظفت، أيضا، لعدة أغراض، مثل الزراعة، أو السكن (Bienkowski 1995:55). وهكذا، بعد استعراضنا لنظرية جلوك بشأن الحصون الدفاعية الأدومية، ننتقل لنعرض أهم الأعمال الأثرية، التي نفذت في منطقة أدوم، بشأن دراسة هذه المنشآت. ومن أهمها:

مسوحات بيرتون ماكدونالد (B. MacDonald)

أعاد ماكدونالد، ضمن المسوحات الأثرية، التي بدأها في السبعينيات من هذا القرن، في منطقة وادي الحسا، زيارة العديد من المواقع، التي عدها جلوك مواقع دفاعية تعود إلى بداية العصر الحديدي الأول، وهي : الرويحة، ورجم جاعز، ورجم الأحمر، وخربة ورجم كركا، ورجم أبو العظام. وعمل على إعادة تقييمها، متعرضا في ذلك لآراء جلوك حول هذه المواقع (MacDonald 1984 a: 113-28). كما أنه عرف عددا من المواقع، التي تعود في تاريخها إلى فترة العصر الحديدي الثاني، ويرى من المحتمل أن تكون حصونا دفاعية، أو أبراج مراقبة، ومنها الموقع رقم ٤٤٣.

- اسم الموقع ورقمه : ٤٤٣ ارتفاعه عن مستوى سطح البحر : + ٩٩٥م

مصدر المياه : جدول صفة الموقع : برج، مقبرة.

الفترات التاريخية المتمثلة في الموقع: العصر الحديدي الثاني، روماني، وأموي.

يقع البرج في الجهة الشمالية-الشرقية، من سطح قمة جبل المسفرة، ويتميز بشكله المستطيل، والذي تصل أبعاده ١٠م×٤م، وبقاياه ما تزال ماثلة إلى ارتفاع ستة مداميك، مبنية من الحجارة. أما الجزء الشمالي منه، فقد أعيد استعماله كقبر. ويرى ماكدونالد أن الموقع، ربما أستخدم كنقطة اتصال مهمة في العصر الحديدي، والعصر الروماني المتأخر (MacDonald 1989:185).

مسوحات ستيفن هارت (Stephen Hart)

أجرى ستيفن هارت عددا من المسوحات الأثرية، في منطقة أدوم؛ وحفر عددا من المجسات الاختبارية، في العديد من المواقع الأدومية، مثل مواقع غريرة وخربة عشرا (Hart&Falkner 1985:255). إضافة إلى ذلك، عثر على عدد من المواقع، التي تمثل إما أبراجا أو حصونا دفاعية أدومية(خارطة ٤) كما زار عددا من المواقع، التي أعتبرها جلوك أبراجا أو حصونا دفاعية

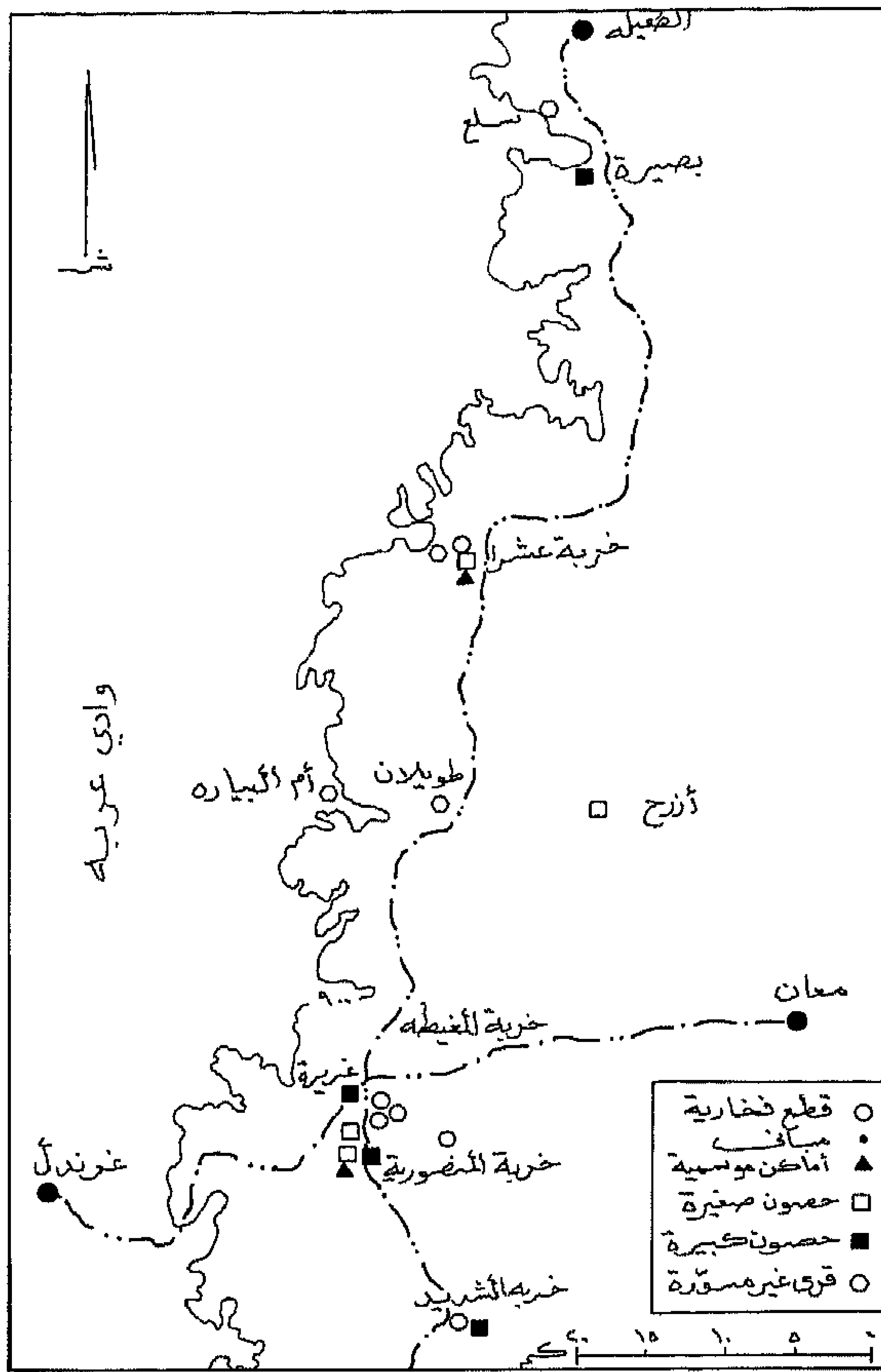
أدومية. ومن تلك المواقع، التي عرفها هارت على أنها حصن دفاعي، موقع غريرة.

وهو حصن أدومي كبير، يقع على هضبة تحيط بها المنحدرات، خاصة من الجهتين الشمالية - والجنوبية حيث تنحدر الأرض انحدارا شديدا (أشبه بصدع)، لتشكل منطقة دفاعيةطبيعية. وتقع هذه الهضبة على رأس وادي دلاغة، حيث تتحكم بالطريق المؤدي إلى الهضبة الأدومية، عبر وادي عربة، من الجهة الغربية (Hart 1985:295). والواقع أن أول اكتشاف للموقع، كان على يد هارت وفرانكن Hart and Franken ضمن المسح الأثري في منطقة أدوم. وجرى أول سبر اختباري سنة ١٩٨٥، وتبع ذلك موسم كامل من الحفريات الأثرية سنة ١٩٨٦ (Hart 1989:9). وكشف في الموقع عن عدد من البقايا المعمارية، مثل سور وبوابة ومجموعة من الغرف، تمثل مبنى رئيسا.

السور: ربما أحيط الموقع بسور مزدوج (لا توجد معلومات عن عرضه أو طوله)، ولكن يمكن تقدير قطره بحوالي ٦٥م.

البوابة: يمكن الوصول إليها، من الناحية الشمالية الشرقية من الموقع (Hart 1987a:36). وأظهرت الحفريات الأثرية في الجهة الجنوبية - الشرقية من الموقع، وجود بوابة أخرى، كانت محمية ببرج ناتىء، استخدم في المراحل الأولى من البناء كمكان للخزين، حيث عثر بداخله على عدد كبير من أواني التخزين (Hart 1989:14).

المبنى الرئيسي: تم الكشف في المنطقة A عن عدد من الغرف المنفردة. التي بنيت حول ساحة معمدة (شكل١). وأرخت معظم الكسر الفخارية، التي عثر عليها خلال الحفريات في الموقع، إلى القرن السابع ق.م. ووجدت أمثلة مشابهة لها في أم البيارة وطويلان. وإضافة إلى ذلك، عثر على كسرة من جرة خزين، كتب عليها الاسم (رام ll)، ربما يؤرخ إلى فترة القرن السابع ق.م. وهذا الاسم أدومي الأصل، ولكنه يحمل طابعا من شمالي الجزيرة العربية. كما عثر على طبعة ختم ثمود

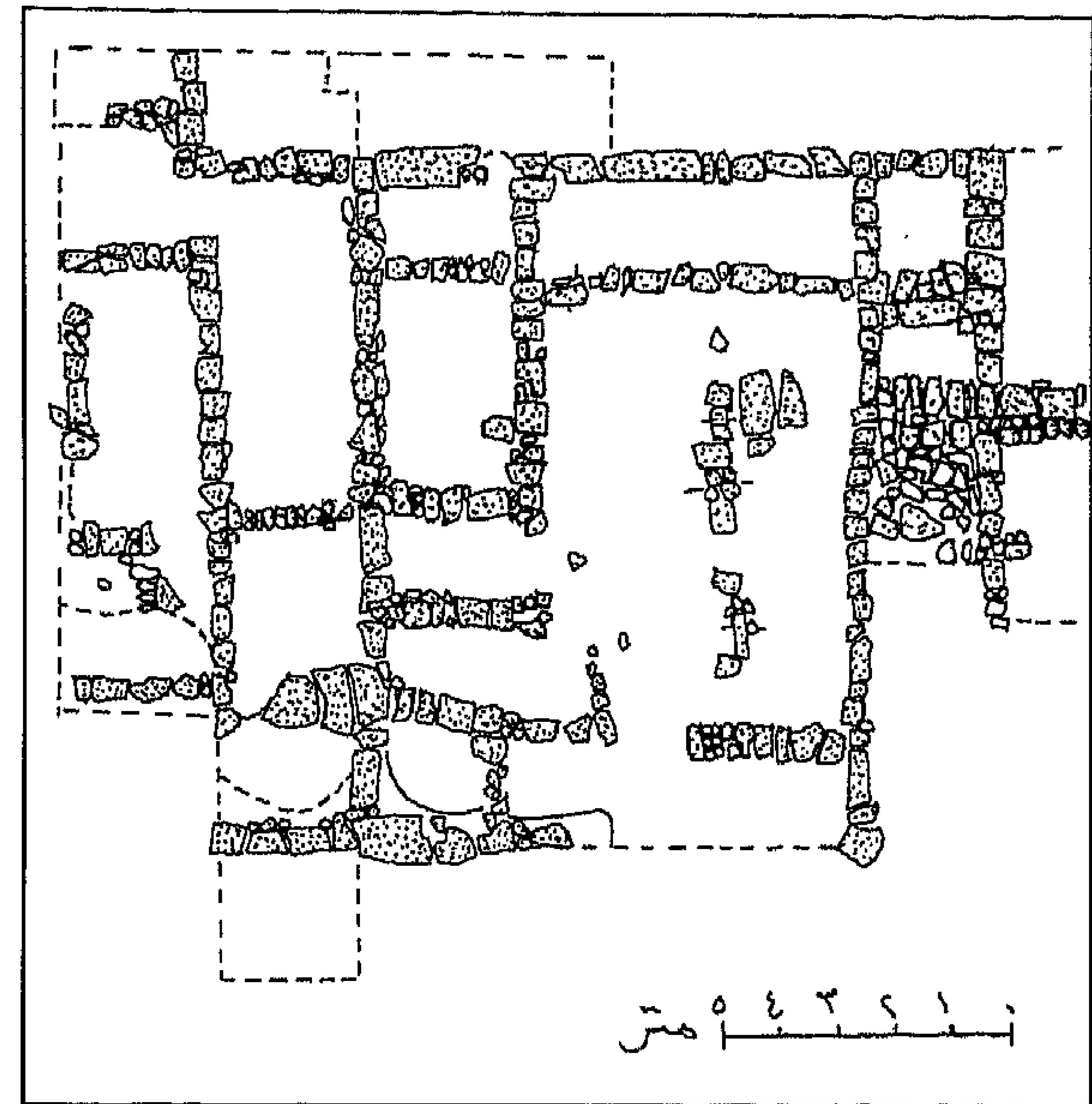


خارطة ٤ : منطقة المسوحات الأثرية التي قام بها هارت

«seal impression»، أقترح كناوف (Knauf) قراءته نورات (Nurat)، وهو الاسم نورا في العربية. ويدلل الختم على وجود علاقة قوية قائمة، بين شمال الحجاز وأدوم، في الفترة ما بين القرنين السابع والسادس ق.م. وتجدر الإشارة إلى أنه لم يعثر في غريرة، على ما يشير إلى وجود أية تأثيرات آشورية أو بابلية، مما يدل على أن الموقع كان تحت سيطرة سلطة محلية، على النقيض من بصيرة، التي تمثلت فيها عدة من تأثيرات آشورية (Hart 1989:20).

مسوحات مانفرد لندنر (Manfred Lindner)

استطاع لندنر التعرف في منطقة البتراء، على طراز جديد من أنظمة الدفاع الأدومية، أسماها (Strong Holds)، ويقابلها «معاقل» في اللغة العربية (خارطة ٥). وجاءت هذه المواقع محصنة

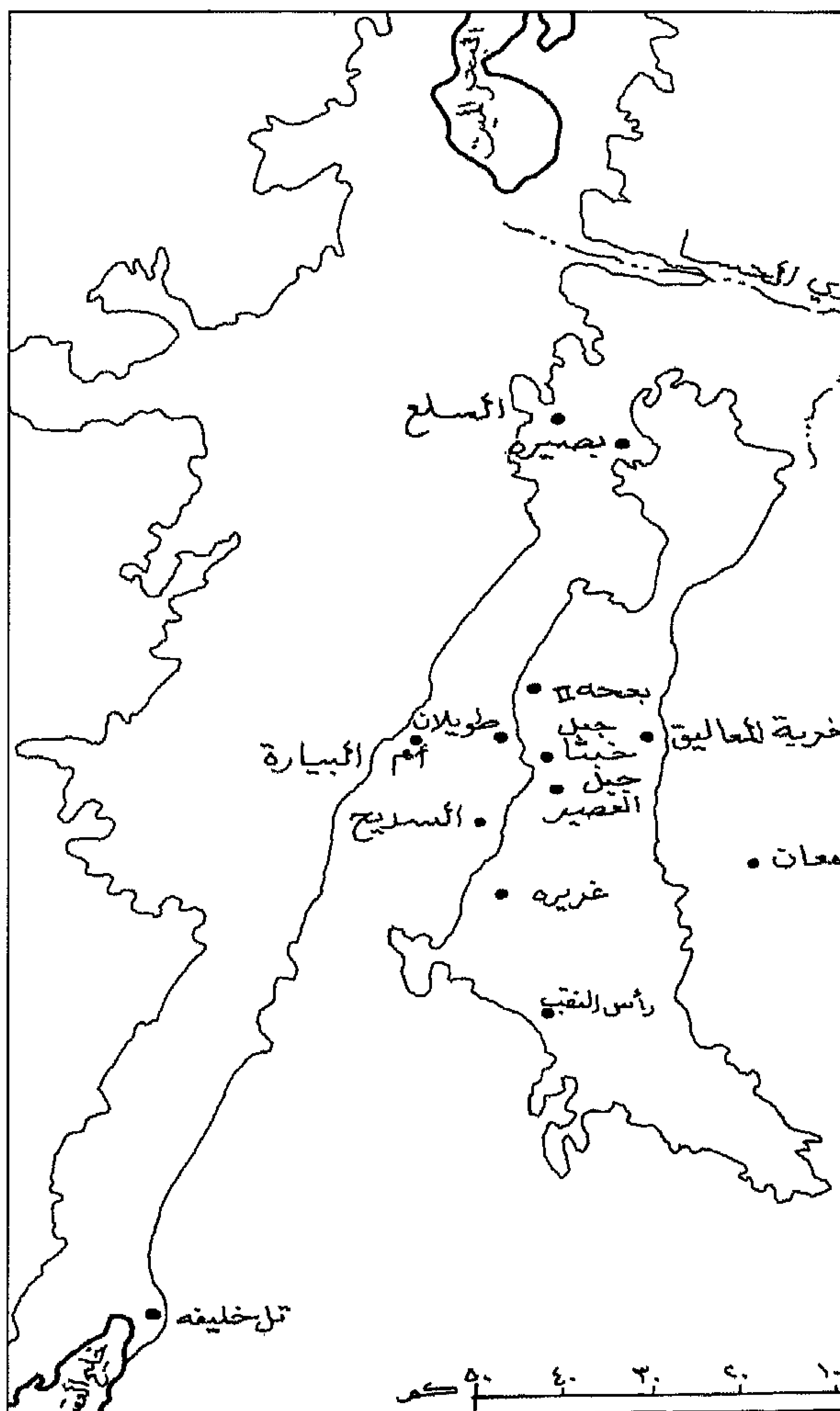


شكل ١ : مسقط رأسي لمبنى عثر عليه في موقع غريرة
(After Hart, 1989)

تحصينا طبيعيا أو اصطناعيا، ويصعب الوصول إليها، ومن أفضل الأمثلة عليها موقع جبل السديح.

يقع جبل السديح على بعد ١٣كم، إلى الجنوب من جبل هارون؛ ويرتفع هذا الوادي ٦٤٠م عن مستوى سطح البحر، ويتمحور بالاتجاه الشرقي - الغربي. ويحده من الشمال برارات سلمى، ومن الجنوب جبل أم العلا. ويتزود الموقع بنبع دائم الجريان، ينحدر على شكل سلسلة من الشلالات الصغيرة، من فلق بأعلى الجبل. إذ لوحظ في الاسبوع الأول من شهر أكتوبر عام ١٩٨٧، شلال صغير تتجمع مياهه في بركة صغيرة في قاع الوادي، ولكنها سرعان ما تختفي في قاع الوادي نفسه (Lindner, Farajat and Zeilter 1988:77). وتركزت البقايا المعمارية لجبل السديح، على الجانب الغربي من الوادي، فوق هضبة يبلغ طولها بضع مئات من الأمتار، وترتفع ٨٢٠م فوق مستوى سطح البحر. وفيها عثر على مجموعة من الساحات المبنية بشكل طولي (compartmented long houses)، تراوحت أطوالها من ٢٠ إلى ٨٣م. ومن الأمثلة على ذلك المبنى رقم III، الذي جاء قريبا من سطح قمة الجبل. أما في الجانب الشرقي من الهضبة، فقد بنيت جدران دفاعية، تخللتها فجوات يتم من خلالها الوصول إلى أعلى الهضبة. وأرخت الكسر الفخارية، الملتقطة من هذه المنطقة، إلى القرن السابع ق.م. إضافة إلى بعض الكسر الفخارية النبطية.

وعثر لندنر فوق قمة ناتئة من الهضبة نفسها، على آثار لبرج يعزوه إلى مجمع مساكن طولية (Long houses complex). وجاءت بقاياه المعمارية على شكل كومة من الحجارة الجيرية، بلغ ارتفاعها ١٥م، وهي جيدة القطع بأطوال ٥٠, ×٣٥, ×١٢, ٠م. وبني هذا البرج على علو ٨٦٠م، فوق مستوى سطح البحر، وهو يعد بمثابة نقطة إستراتيجية، إذ يمكنه التحكم بالهضبة، ومصدر المياه، والمداخل المؤدية إلى الوادي، من جميع الجهات.



خارطة ٥ : المواقع الأثرية التي زارها لندنر

ويؤكد وجود الغطاء النباتي، ومصادر المياه، على توفر المقومات الحياتية للإنسان، في ذلك الوقت. أما الهدف من بنائها في الفترة الأدومية، وفي هذا المكان بالذات، فيشوبه بعض الاحتمالات. فربما أنها بنيت كمعاقل، يمكن اللجوء إليها عند الأزمات؛ أو كأمكنة للخزين، أو أن وظيفة هذه الأبنية قد تغيرت تبعا لمتطلبات الزمن (Lindner, Farajat, Zeitler 1988:80-95).

المسوحات الأردنية :

لم يجر الباحثون السابقون (ماكدونالد، هارت، لندنر)، عند زيارتهم للمواقع الأثرية في منطقة أدوم، دراسة مستقلة للأبراج الدفاعية. ومن أجل مراجعة أدق لهذا الأمر، أعاد عبد الناصر الهنداوي زيارة معظم المواقع، التي عدها جلوك إما أبراجا أو حصونا دفاعية (الهنداوي ١٩٩٩).

وقد أجرى الباحثان، في الفترة ما بين ٨/٢٣ إلى ٩/٢٠ عام ١٩٩٧، مسوحات أثرية، في المنطقة الممتدة من وادي الحسا في الشمال، إلى قرية الدعجانية في الجنوب، ومن مرتفعات الطفيلة في الغرب، إلى الحد الصحراوي في الشرق انظر (خارطة ٦). ويرجع السبب في اختيار هذه المنطقة، إلى أن معظم المواقع، التي ذكرها جلوك من قبل، تتركز ضمن هذا الإطار الجغرافي. وكانت الزيارة بهدف:

١- جمع بقايا الكسر الفخارية، لمعرفة كثافة الفترات الاستيطانية في المواقع، المرتبطة بأهداف الدراسة.

٢- دراسة وتفسير البقايا المعمارية للمواقع وتوثيقها، من خلال مشاهدتها في إطارها المكاني والجغرافي.

٣- التأكد من التوزيع المكاني لها.

ولتحقيق هذه الأهداف جرى الآتي :

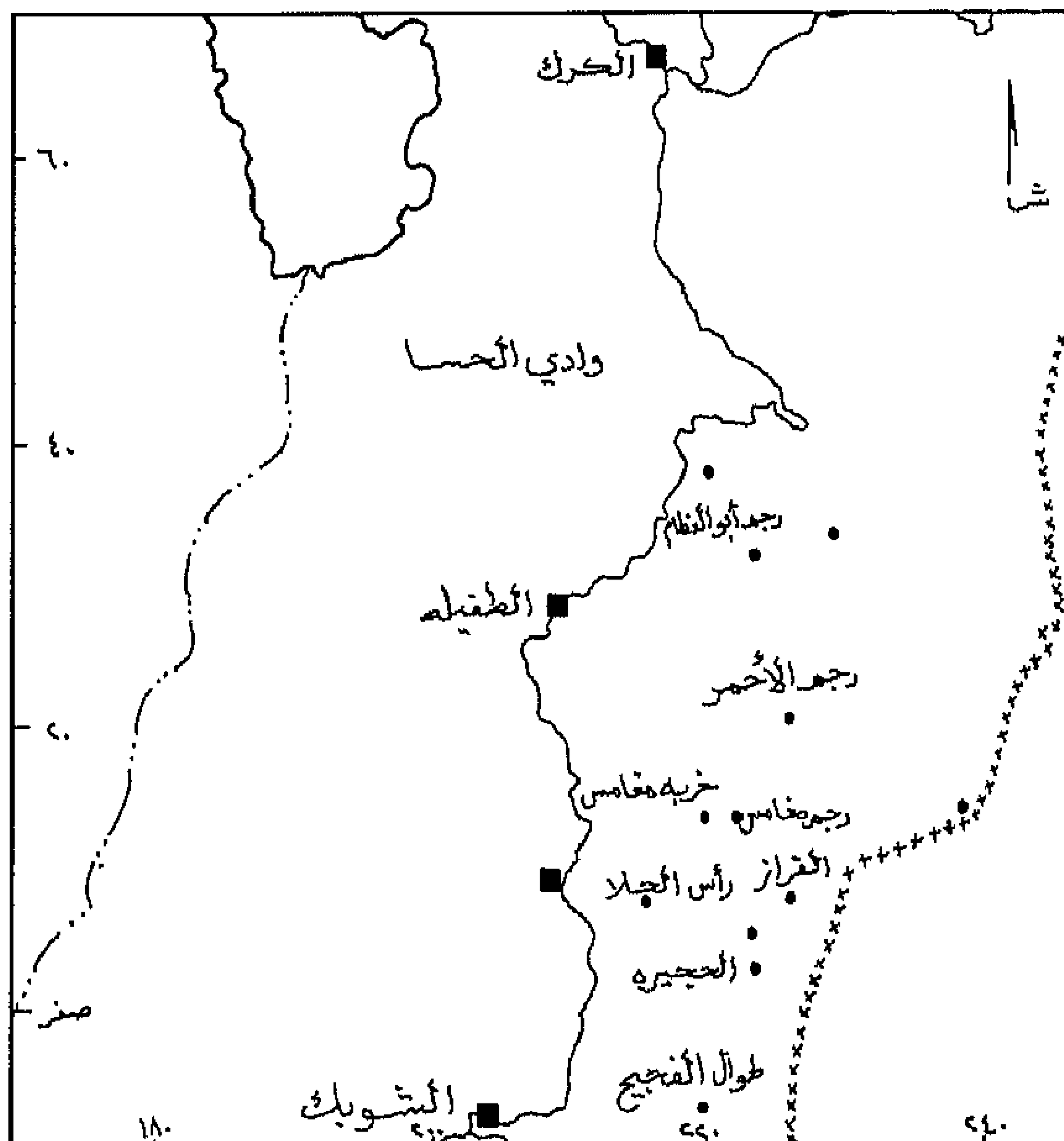
١- جمع بقايا الكسر الفخارية المتناثرة، على السطح.

٢- دراسة المواقع ضمن إطارها الجغرافي والبيئي. واشتمل هذا الإجراء على دراسة الأراضي المحيطة بالمواقع، من حيث قابليتها للزراعة، أو لأية أنشطة بشرية أخرى؛ وكذلك التعرف على مصادر المياه المتوافرة فيها.

٣- رسم وتصوير البقايا المعمارية للمواقع.

٤- عمل مجسات اختبارية في رجم بهش، بهدف تتبع التسلسل الزمني لهذا الموقع. ولتحقيق هذا الغرض، حفر مربعان بمساحة ١×١م.

أعاد الفريق، خلال المدة، التي قضاها في منطقة الدراسة، زيارة عشرة مواقع، من تلك، التي عرفها جلوك على أنها مواقع دفاعية. وهي مرتبة من الشمال إلى الجنوب على النحو الآتي: رجم جاعز، ورجم أبو العظام، ورجم كركا، ورجم الأحمر، ورجم مغامس، ورجم راس، الحلا ورجم حلا القرانة، ورجم بهش، ورجم تل الجحيرة، ورجم طوال الفجيج. ومن الأمثلة على المواقع المزارة من قبل الباحث، رجم مغامس (لوحة ١)، ويقع ضمن هضبة منبسطة، على بعد كيلومترين إلى الشمال الشرقي من بئر الحرير؛ وتتميز الأراضي المحيطة به بصلاحيتها العالية للزراعة، حيث تشاهد فيها العديد من المزروعات، كالقمح والشعير. كما تنتشر خيام البدو بالقرب من الموقع، للاستفادة من بقايا نباتات القمح والشعير، التي تَرعاها أغنامهم. وتجدر الإشارة أن جميع



خارطة ٦ : المواقع الأثرية التي زارها عبدالناصر الهنداوي

الشواهد، لا تشير إلى أي قيمة إستراتيجية، تمكن الموقع من التحكم بالأراضي المحيطة به، أو أن يكون قد صمم لناحية عسكرية. فالموقع يتميز بصغر مساحته ٨م×٥م، ولا تزال جدرانه على ارتفاع مترين عن مستوى سطح الأرض، وهي مدمرة، ولكن يمكن ملاحظتها وتحديدها، من خلال الحجارة المتهدمة (شكل ٢).

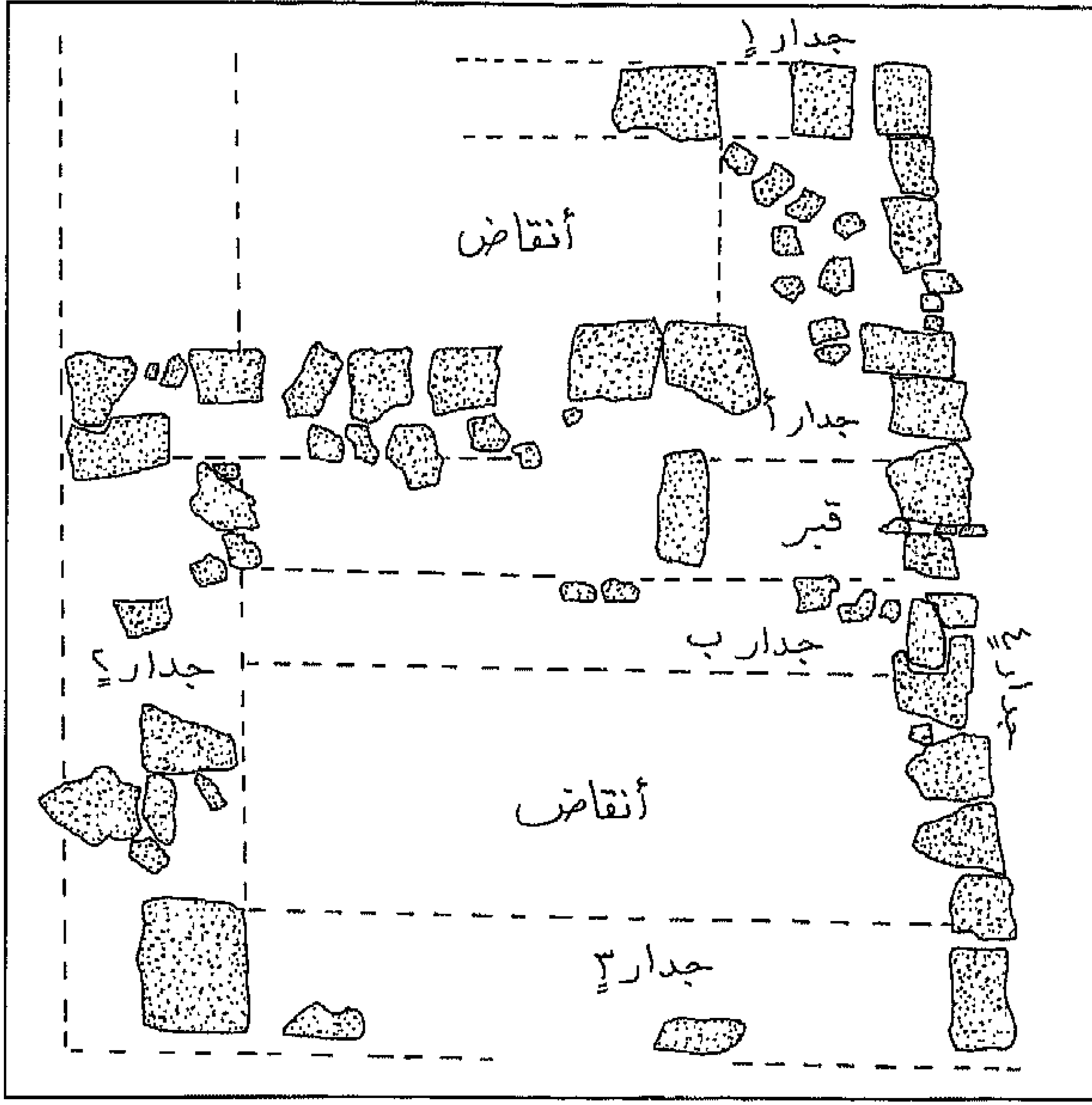
دراسة نقدية

عرض نقدي لنظرية جلوك

بعد هذا الاستعراض الشامل لنظرية جلوك، بشأن الحصون الدفاعية الأدومية، و الدراسات الآثارية اللاحقة له، ننتقل إلى مراجعة هذه النظرية، وتقويمها في ضوء المعطيات الأثرية الجديدة، معتمدين في ذلك على معيارين رئيسين :

١- التوزيع المكاني للمواقع:

المتتبع لوصف جلوك للتوزيع المكاني للمواقع، يلحظ شيئا من التناقض وعدم الدقة. فمثلا، هو تارة يضيف موقع الرويحة وخربة نقب اشتار، ضمن الحصون الدفاعية في الجزءين الشمالي- الشرقي، والجنوبي- الشرقي، من الجهة الشرقية من أدوم، في حين أنه ذكرهما سابقا على أنهما حصنان في الجزءين الجنوبي والشمالي من أدوم (Glueck 1939:24). وتارة أخرى يعد الرويحة تمثل حصنا دفاعيا أدوميا، في الجزء الشمالي من أدوم. عدا عن ذلك، استمر جلوك في ذكر بعض المواقع، على أنها تمثل حصونا دفاعية في الجزء الشرقي من أدوم، مع أنه عدها سابقا تمثل حصونا في الجانب الشمالي. وهذا التناقض يمكن ملاحظته، من خلال إعادة ذكره لخربة باخر وجاعز في (موضعين متناقضين مكانيا) (Glueck 1939:53). وكذلك، في إشارته لخربة الشديد- المتبعة بعلامة استفهام- على أنها حصن في الجانب الشرقي من أدوم، مع أنه عدها سابقا في الزاوية الجنوبية الشرقية، من الحدود



شكل ٢ : مسقط رأسي لرجم مغامس

الجنوبية لأدوم . وبهذا يكون لدينا ثلاثة مواقع استخدمت كحصون تارة في الجهة الشرقية، وتارة أخرى في الجهة الشمالية من أدوم، وهي : الرويحة، خربة باخر ورجم جاعز. وموقعان آخران، هما خربة الشديد وخربة نقب اشتار، خدما كحصون دفاعية في الجهة الجنوبية، وأحيانا في الجهة الشرقية.

إضافة إلى ذلك، أشار جلوك إلى أنه لم يعثر في المنطقة الشمالية، على أعداد كبيرة من هذه المنشآت. إلا أن نظرة سريعة على تركز المواقع، التي زارها وعرفها ماكدونالد على احتمال أن تكون أبراجاً دفاعية، تعود إلى العصر الحديدي، قد جاءت متركزة في المنطقة الشمالية من أدوم.

٢- تاريخ المواقع :

وقبل البدء بتقديم دراسة مفصلة، للبقايا المعمارية للمواقع المعروفة بالحصون، لابد من ذكر أن المواقع المدرجة أدناه، خلت من أي دلائل تؤرخها للعصر الحديدي، وهي :

أ- رجم باخر : لم يعثر ماكدونالد خلال زيارته له، على

أية قطعة تؤرخ إلى فترة العصر الحديدي. وعلى الرغم من ذلك، فانه يرجح احتمال أن يكون الموقع حصنا دفاعيا يؤرخ إلى فترة العصر الحديدي (MacDonald 1988:188).

ب- رجم أبو العظام: لم تفرز زيارة، كل من ماكدونالد أو الهنداوي، عن أية دلائل تشير إلى احتمال بنائه في فترة العصر الحديدي. كما أن الكسر الفخارية في الموقع، كانت قليلة جدا، يصعب معها معرفة التاريخ الدقيق لبنائه.

ج- رجم الأحمر: لم يعثر في هذا الموقع على أي كسر فخارية، ترجع في تاريخها إلى فترة العصر الحديدي. كما أن النمط المعماري وحده، لا يدلل على تاريخ البناء.

د- رجم مغامس : عثر فيه على خمس كسر فخارية، يمكن لثلاث منها أن تعود إلى الفترة الرومانية، وعلى الرغم من ذلك فان كثافة الكسر الموجودة في الموقع، لا يمكن الحكم من خلالها على فترة بناء الموقع.

ويتبين لنا أن معظم المواقع التي عثر فيها على كسر فخارية و أرخت للعصر الحديدي، أنها تتراوح في تاريخها من القرن التاسع ق.م.، إلى القرن السادس ق.م ومن ثم يكون تأريخ جلوك لهذه المواقع ، على أنها شيدت في القرن الثالث عشر ق.م، في حاجة إلى إعادة نظر.

ويبين (جدول ١) اسم كل موقع، إضافة إلى التواريخ، التي حددها كل من جلوك ومكدونالد وكاتبا هذا البحث، اعتمادا على دراسة الكسر الفخارية الملتقطة فيها، والوظيفة التي اقترحها كل منهم لكل موقع.

واعتمادا على دراستنا الميدانية، يمكننا اقتراح ثلاثة أنماط معمارية دفاعية، في منطقة أدوم وهي كما يلي :

١- الحصون (Fortresses) ٢- الأبراج (للدفاع أو للمراقبة) (Towers) ٣- المعاقل (Strong holds).

وإذا كانت الحالة كذلك، أي أن هذه المواقع كانت تمثل حصونا عسكرية، فإن هذا يشير إلى حالة عدم الأمان، وعدم الاستقرار السياسي والعسكري، وإلى وجود أعداء لبلاد أدوم، خلال الفترة من القرن الثامن، حتى القرن السادس ق.م. لكن هذا يقود إلى التساؤل: من أين كان هذا الخطر على الأدوميين؟ هل كان مرده للقبائل البدوية الرعوية المحيطة ببلاد أدوم؟ أم من الخطر الآشوري، الذي هدد جميع مناطق بلاد الشام؟ أم أن دولة يهوذا المتاخمة للأدومين من الغرب، هي التي كانت تهددها؟

أما إذا نظرنا للأمر من منظار آخر، أي من المنظور الاقتصادي، فهل نستطيع القول أن معظم هذه المنشآت لم تكن حصوناً، وإنما بنيت للإستفادة منها في أداء الأعمال الزراعية، أو ربما خانات على الطرق التجارية. وعلى أية حال، وحتى نوضح الصورة، نقدم أدناه مقترحا على شكل مخطط يبين المعايير التي يجب اعتمادها لفهم كل وظيفة من الوظيفتين لهذه المواقع، سواء الاقتصادية أو العسكرية (شكل ٣).

مواقع الحصون والأبراج

بعد أن عرضنا الدراسات السابقة، حول الحصون والأبراج الأدومية وناقشناها، نقدم دراستنا وتحليلنا لهذه المواقع، مستفيدين من المعايير، التي تمت مناقشتها في الشكل (٣). ونسعى من هذه الدراسة إلى مناقشة الأهداف، التي كانت سبباً وراء بنائها ، مقترحين وظيفتين رئيستين، هما: العسكرية والاقتصادية.

أولا- الوظيفة العسكرية

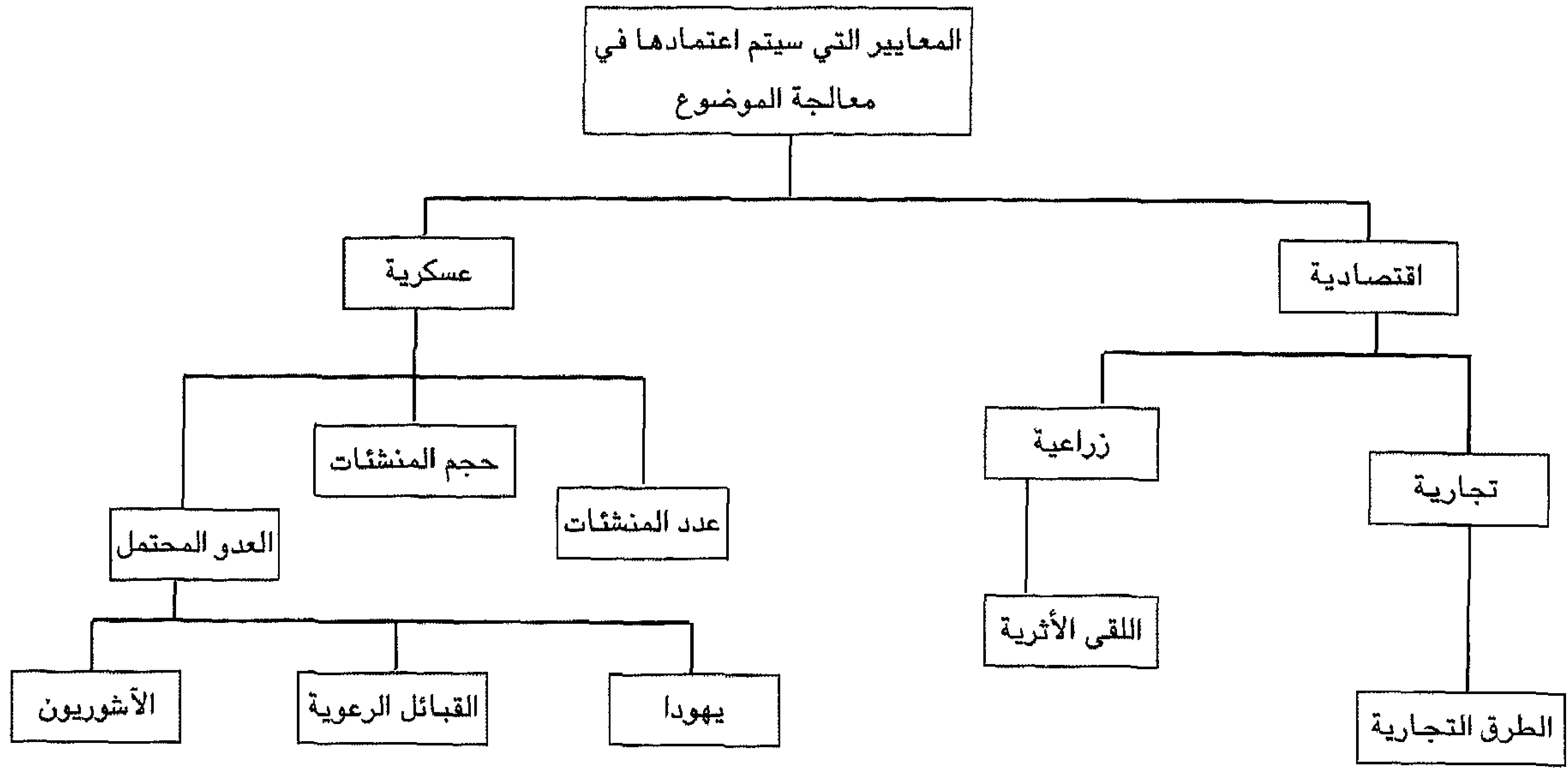
١- المفهوم العام للحصن: اشتق هذا المصطلح (Fortification)، من الكلمتين الايطاليتين (Fortis) و(Facere) اللتان تعنيان حرفيا «عمل القوة» (Bhatia " making - strong" 1989:64).

والحصن : هو عبارة عن منطقة معينة، محمية بأسوار منيعة، ترتفع عن المنطقة المحيطة بها، وكمكان مهيمن يقيم فيه عسكريون (Wright 1985 : 207).

أما الهدف من التحصين : فهو تقوية الإمكانات الدفاعية لموقع ما، عبر وسائل طبيعية، أو اصطناعية.

أسم الموقع	الفترة الحضارية				الوظيفة
الموقع/ الرويحة	حديدي	نبطي	روماني	إسلامي	
جلوك	×	×	×		حصن
ماكدونالد		×	×		حصن (نبطي)
الموقع/جاعز	حديدي	نبطي	روماني	إسلامي	
جلوك	×			×	برج
ماكدونالد	×		×		برج مراقبة
الباحث	×		×		مكان زراعي
الموقع/ابو العظام	حديدي	نبطي	روماني	إسلامي	
جلوك	×		×		حصن/أدومي
ماكدونالد			×		حصن روماني
الهنداوي وكفافي			×	×	خان (زراعي ودفاعي)
الموقع/خربة باخر	حديدي	نبطي	روماني	إسلامي	
جلوك	×	×		×	حصن/أدومي
ماكدونالد			×	×	حصن إسلامي
الموقع/رجم كركا	حديدي	نبطي	روماني	إسلامي	
جلوك	×				حصن
ماكدونالد	×		×		حصن
الهنداوي وكفافي	×		×	×	مكان زراعي
الموقع/رجم الاحمر	حديدي	نبطي	روماني	إسلامي	
جلوك	×		×		حصن أدومي
ماكدونالد			×		حصن روماني
الهنداوي وكفافي			×	×	مكان زراعي
الموقع/ خربة كركا	حديدي	نبطي	روماني	إسلامي	
جلوك					حصن أدومي
ماكدونالد	×				حصن
الموقع/رجم مغامس	حديدي	نبطي	روماني	إسلامي	
جلوك	×		×		حصن أدومي
الهنداوي وكفافي	×		×		مكان زراعي
الموقع/حلا الرديسة	حديدي	نبطي	روماني	إسلامي	
جلوك	×	×	×		حصن
هارت	×	×	×		حصن
الهنداوي وكفافي	×	×	×	×	اقامة موسمية
الموقع/القرانة	حديدي	نبطي	روماني	إسلامي	
جلوك	×	×	×		حصن
هارت	×	×			حصن
الهنداوي وكفافي	×	مقبرة	×	؟	خان تجاري
الموقع/بهش	حديدي	نبطي	روماني	إسلامي	
جلوك	×	×			حصن
الهنداوي وكفافي	×				خان تجاري
الموقع/ تل الحجيرة	حديدي	نبطي	روماني	إسلامي	
جلوك	×	×			حصن
هارت	×	×			حصن
الهنداوي وكفافي	×	×			خان تجاري
الموقع/طوال الفجيج	حديدي	نبطي	روماني	إسلامي	
جلوك	×			×	حصن
هارت	×	×			حصن
الهنداوي وكفافي	×	×		×	خان تجاري وزراعي
الموقع/الشديد	حديدي	نبطي	روماني	إسلامي	
جلوك	×	×			حصن
هارت	×	×			حصن
الموقع/خربة اشرا	حديدي	نبطي	روماني	إسلامي	
جلوك	×	×			حصن
هارت	×	×			حصن

جدول ١ : الدور الوظيفي لعدد من مواقع منطقة الدراسة وفتراتها الحضارية.



شكل ٣ : مخطط يوضح المعايير الاقتصادية والعسكرية للمواقع

وتتلخص الأهداف الرئيسية للحصن، في حماية قاطني الموقع أو المكان، وربما خدم كوسيلة لإبقائهم تحت السيطرة، وفي الوقت ذاته، حمايتهم من الأخطار. وفي زمن الحروب يوفر للجيش نوعا من الغطاء في حالة انسحابهم (Coenaga 1993 : 261).

ويكون الحصن، عادة، مرتبطا بسلطة مركزية، تفرض سيطرتها على مساحة معينة من الأرض وهذه السلطة، إما أن تكون أجنبية أو محلية. والحصن إما أن يبنى داخل منطقة السلطة، أو الدولة (Internal fortress)، أو يكون حصناً على حدودها (Frontier Fortress).

ويرتبط الأول عادة، بسلطة أجنبية (غير محلية) وتكون وظيفته المحافظة على رمز السلطة، والممتلكات المدنية. وكمثال على ذلك، صممت الحصون الكبيرة في نينوى وبابل لتلبي الحاجات الدفاعية، لقاطني تلك المناطق، بحيث يهرعون مع مواشيهم وممتلكاتهم إلى داخل الحصن، في حالة تعرضهم لخطر خارجي (Jackson 1926 : 680). أما الثاني فوظيفته حماية السكان المحليين، والطرق التجارية، من خطر أية هجمات، عن طريق بناء خط من الدفاعات. وهذا تعريف عام. وليس لازما أن يكون مطلقاً.

بعد هذا الاستعراض لمفهوم الحصون، سنقدم محاولة تطبيق هذه المفاهيم، على مواقع الدرسة.

٢- المفهوم العسكري ومواقع الدراسة : من خلال استعراض مواقع الدراسة، تبين أنه يمكن تقسيم وظائفها إلى عدة مجموعات (خارطة ٦). وجاء هذا التقسيم تبعا لعدة معايير أهمها الموقع الجغرافي، والمساحة واللقى الأثرية. ولما كانت الدراسات السابقة، لم تسع إلى تبويب هذه المواقع، فقد جرى وضعها ضمن إطار، يمكننا من خلال التعامل معها. وهذا التقسيم هو :

أ. الخانات الصغيرة :

يندرج تحت هذا الوصف معظم المواقع، التي أطلق عليها جلوك (Glueck) اسم "Border Fortress" (Glueck 1935:105-106)، باستثناء خربة الشديد وعشرا. وهذه التسمية، التي أطلقها جلوك، دخيلة على المصطلحات الأثرية، إذ هي مصطلح أوروبي حربي، اشتق عام ١٩١٦ (Kletter 1991 : 34). كما يندرج تحت هذه الخانات الصغيرة موقع الخنيزرة، ومعظم المواقع، التي أسماها هارت حصونا صغيرة. فإذا حاولنا أن نطبق المفهوم العام للحصن، على هذه المجموعة، سنلاحظ أن معظمها لا يتسق وهذا المفهوم، مع ذلك فقد حمل بعضها

صفات دفاعية، مثل وقوعها على مرتفعات الجبال والانحدارات الشديدة المحيطة بمعظم هذه المواقع، كموقع تل الجحيرة، والقرانة وكموقع فيفا (لوحة٢).

تراوح مساحة المواقع، التي تندرج تحت بند الخانات الصغيرة، بين ٨-٢٥م٢؛ وهي بذلك مساحة غير كافية لاستيعاب عدد كبير من السكان. كما أن توزيع هذه المواقع جاء عشوائيا، مما يدل على أنها لم تبن تبعا لتخطيط مسبق، أو خطة دفاعية معينة. وقد جاء معظمها في الناحية الشمالية من أدوم، كما أن جزءا منها انتشر حول موقع غريرة وكأن هذه المواقع، إذا جاز التعبير هي نوع من (العزب) الصغيرة، التي كانت حول حصن كبير مؤهل، إلى حد ما، لاستيعاب عدد غير قليل من السكان. بينما جاء توزيع المواقع ضعيفا في الجهة الشرقية. فإذا كان من المفترض أن هذه المواقع، قد وظفت أساساً لصد غارات القبائل البدوية، فلا بد في هذه الحالة أن يكون تركزها أكثر في هذه الناحية، مما هو عليه في الناحية الشمالية. وكمثال عام، فالمسافة بين تجمعات Cluster هذه المواقع (المجموعة الأولى)، وأهم المراكز الأدومية (بصيرة) راوحت ما بين ١٥-٢٥كم، ونلاحظ أن المسافة بعيدة، لا تلبي حاجة الدفاع عنها.

ب. الحصون:

يندرج تحت هذا المعنى المواقع التالية : تل الخليفة، وغريرة، والشديد، وعشرة، ومهاوش، وخربة المعلق.وفيفيا، والخنيزرة. وينطبق المفهوم العام للحصن على هذه المواقع ، من حيث المساحة، وطبيعة البناء، والمخطط العام. فقد جاء معظمها محميا طبيعيا واصطناعيا، ذا أسوار مزدوجة أحيانا، إضافة إلى وجود غرف سكنية داخل هذه المباني، مثل تلك التي تم العثور عليها في غريرة.

ج. المعاقل:

وهي تلك التي أطلق عليها لندنر تسمية معاقل (Strong Holds)، حيث جاءت هذه المواقع محصنة طبيعيا، أكثر مما هو اصطناعي، ولا ينطبق مفهوم الحصن العام على هذه المواقع؛ وأكثر الاحتمالات قبولا، أنها استخدمت في أوقات الأزمات.

٣- علاقة الأدوميين بالقوى المجاورة :

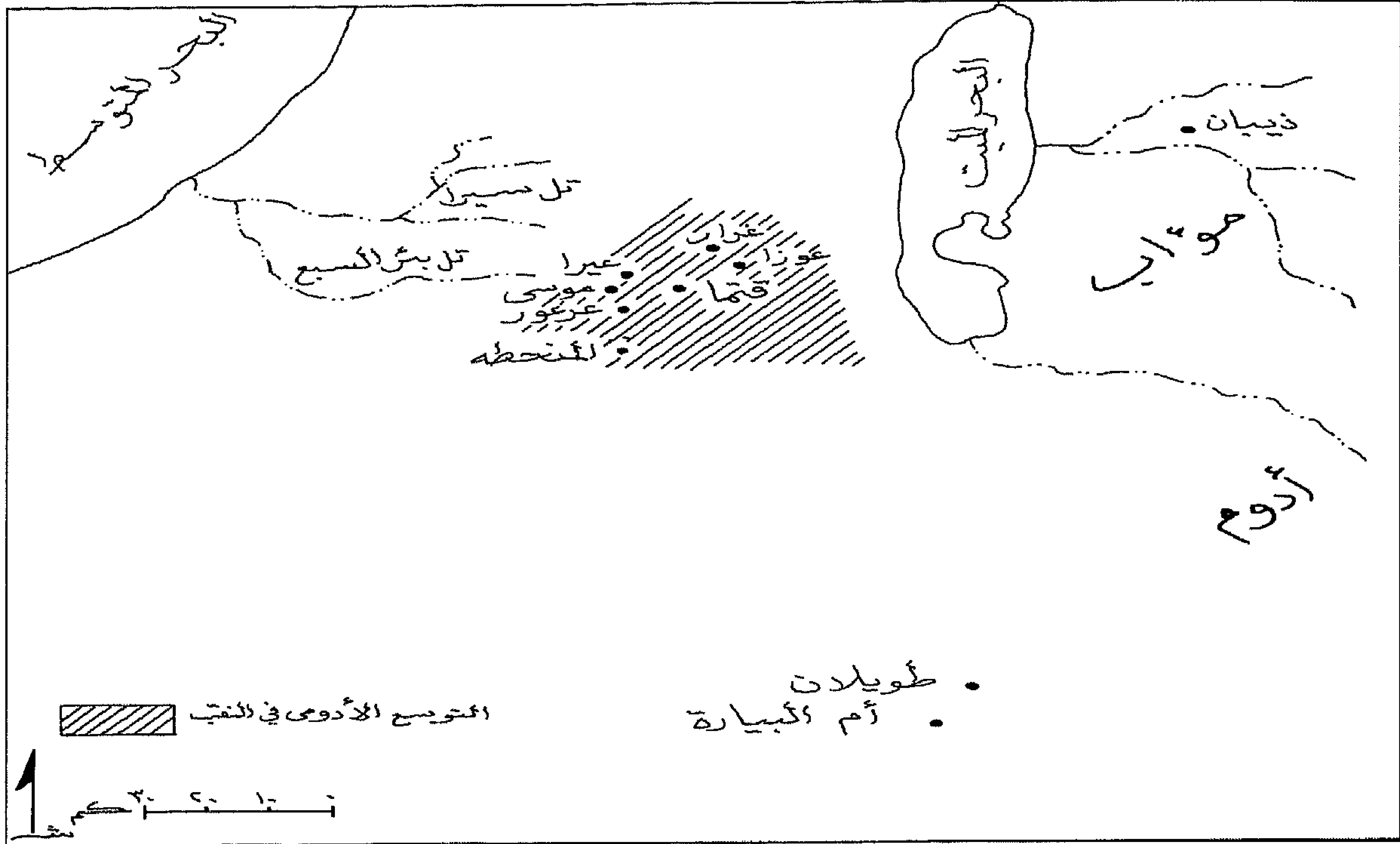
لعب الموقع الجغرافي لمنطقة أدوم، أهمية بالغة على مر السنين، وفي مختلف الفترات، خصوصا في فترة العصر الحديدي، إذ هي تشكل حلقة وصل بين ثلاث مناطق جغرافية، هي : شمال الجزيرة العربية، ومنطقة مؤاب، ومنطقة جنوب فلسطين ممثلة في النقب، وهي بمثابة جسر بري يصل إلى مصر. ومن ثم كانت هذه المنطقة محط أنظار كثير من القوى، التي عايشها الأدوميون. فيهوذا من الغرب، والقوى الآشورية القادمة من الشرق، والقبائل البدوية من شمال الجزيرة العربية.

أ- علاقة الأدوميين بالعبرانيين :

مرت العلاقة بين الأدوميين والعبرانيين بمرحلتين:
١- المملكة الموحدة ٢- فترة مملكة يهودا.

واتسمت المرحلة الأولى بالعداء الكامل، ومواجهة مملكة العبرانيين لأدوم، مع ما تخللها من بعض فترات الهدوء. أما المرحلة الثانية، فشهدت تراجعا من قبل مملكة يهوذا، وامتدادا أدوميا نحو الغرب (النقب). وأهم المصادر التاريخية، التي تتحدث عن المرحلة الأولى، فهي العهد القديم. بينهما اعانت بعض اللقى الأثرية، ومنها الكتابية، والمصادر الاشورية، في تسليط بعض الضوء، عن مدى بعد هذه العلاقة في المرحلة الثانية.

اتسمت العلاقة، خلال فترة ما يسمى بعصر القضاة والمملكة المتحدة، بحالة من العداء والمواجهة، بين العبرانيين والأدوميين، إبتداء من الرسول موسى عليه السلام، عندما طلب من الأدوميين السماح لهم بالمرور عبر أراضيهم، ورفضهم لطلبه، كما ورد في سفر العدد ١٤ : ١٧ - ٢٠. ويعزو بعض الباحثين سبب رفض الأدوميين، إلى خوفهم من أن يستقر هؤلاء في أدوم (ياسين ١٩٩٢:٦٤). على أن آخرون يردون سبب العداء



خارطة ٧ : المواقع الأدومية في النقب

إلى عامل اقتصادي، ذلك أن محور الصراع الأدومي العبري، كان يتركز في السيطرة على طرق التجارة، الواقعة شمال خليج العقبة، الذي بدأ زمن داود في القرن العاشر ق.م (McDonald 1995 : 24). ويزودنا العهد القديم بالكثير من الإشارات، عن طبيعة العلاقات بين الطرفين، خلال هذه الفترة، التي اتسمت بعدم الاستقرار والحرب، كما ورد في سفر صموئيل الأول ١٤:٤٧، وسفر أخبار الأيام الأول ١٣:٨.

أما في المرحلة الثانية، فإن تفوق يهودا لم يطل زمنه بعد ذلك، خصوصا مع بروز الدولة الأشورية، المتسعة بقوة إلى الغرب. فقد بلغت أدوم ذروة ازدهارها في القرن السابع ق.م، وصلت حدا من القوة مكنها من الامتداد إلى النقب، وأسست لها مواقع هناك. وزودتنا الاكتشافات الأثرية في شرق النقب، بعدد من المواقع، خصوصا المحصن منها، والتي عثر في طبقاتها على مواد ثقافية أدومية، أو جاءت كلها تحمل سمات أدومية (خارطة ٧) (Beit Arieh 1995a : 35) ومن هذه المواقع : خربة توف، وعراد الطبقة السابعة، وخربة عوزا، وخربة عيم، وتل عرا، وتل المنحطة، وتل عرور (Hart 1989:135, Beit Arieh 1995a : 35).

وجاء حال هذه المواقع منسجما مع كسرة الفخار المكتوبة، التي عثر عليها في تل عراد، و تحذر من قدوم الأدوميين، ومن مهاجمة المستوطنات المتقدمة في الجهة الشرقية من النقب، و هذا يدلل على أن الأدوميين قد امتدوا إلى النقب، في نهاية القرن السابع ق.م. (Biet Arieh 1995a : 35).

ولعل أبرز المواقع الأدومية في النقب، هي خربة «قتما»، التي عثر فيها على كثير من اللقى الأثرية، التي تدل على أنها وظفت كمكان ديني أدومي (Biet-Arieh 1995b).

وبعد هذا الشرح الموجز عن العلاقة، التي كانت قائمة بين الأدوميين، من جهة، وبين المملكة العبرانية المتحدة، في بداية الأمر، ومن ثم مع مملكة يهوذا، لعل هناك من يتسائل عن علاقة هذا بموضوع الدراسة. ففي

حقيقة الأمر، نعتقد وجود علاقة قوية ومباشرة، بين إنشاء هذا النوع من الأبنية، والأخطار التي داهمت سكان مملكة أدوم، خاصة من قبل مملكة يهوذا. ويزودنا كتاب العهد القديم بكثير من المعلومات، حول طبيعة العلاقة العدائية، التي كانت قائمة بين الأدوميين، من جهة وبين المملكة العبرانية المتحدة أولا، ودولة يهوذا في مرحلة لاحقة. لكننا، وأن كنا نقر بوجود مثل هذه العلاقة، نعتقد أن تأريخ المواقع الأدومية، للفترة الواقعة بين القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد، يجلعلنا نستبعد أنها بنيت للدفاع عن أدوم من المملكة العبرانية، على الأقل. فمن المعروف أنه خلال فترة ازدهار الأدوميين، وتوسعهم باتجاه الغرب، سيطرتهم على منطقة النقب، مما يعني أن خط الدفاع الأول كان في منطقة أبعد من وادي عربة، في الجهة الغربية للأدوميين.

ب- علاقة أدوم مع الإمبراطورية الأشورية الحديثة:

بعد ظهور الدولة الآشورية على الساحة السياسية، جرد ملوكهم عددا من الحملات على فلسطين، كغيرها من بلاد الشام، كما تذكر المصادر الآشورية التاريخية (كفافي ١٩٩٥:٢٥). وبدأت العلاقة مع منطقة بلاد الشام، عندما شن شلمنصر الثالث، في عام ٨٥٣ ق.م، حملته على التجمع المعادي للآشوريين في قرقر، الذي كان مكونا من دويلات المدن السورية (Millard 1992 : 35).

ففي عهد الملك حدد نيراري الثالث ٧٩٦ ق.م جرد حملة ثانية لتخفيف الضغط عن ملك حماة، ولمواجهة وإفشال الحلف، الذي كانت ترتبه عدد من الممالك السورية الشمالية مع مملكة (آرام دمشق)، وأجبر الكثير من تلك الممالك على دفع الجزية لهذا الملك، ومن ضمنها أدوم (Weippert 1985: 98). وفي الواقع كان ذلك اقدم ذكر لأدوم، في الحوليات الآشورية، حيث ضم النقش كذلك أسماء : صور وصيدا وإسرائيل وأدوم وبلستيا (Millard.1992: 35) ويفاخر هذا الملك، في هذا النص الذي عثر عليه في مدينة كلخ، بوصوله إلى بلاد الحثيين، وبلاد أمور وصيدا وصور وإسرائيل وأدوم وبلستيا، حتى سواحل البحر الكبير؛ وكيف أن حكام هذه المناطق ركعوا أمامه، ودفعوا الجزية له (Oppenheim 1950: 281).

ويبدو أن أدوم قد رحبت، بل واستفادت من القوة الآشورية الزاحفة إلى الغرب، واستولت على ايلة (ياسين ١٩٩٢:٩٩).

تميزت السياسة الخارجية الأشورية، في عهد تغلات بلاسر الثالث ٧٤٥ ق.م بالقوة، بعد فترة تراجع. وقد تمكن من إخضاع كل الممالك والقوى، في المنطقة الممتدة من شمال بلاد الشام إلى جنوبه، حتى حدود مصر، خلال السنوات ٧٣٥-٧٣٢ق.م. ويتبين من أحد الرقم الطينية،التي تؤرخ إلى سنة ٧٢٨ق.م. أن هذا الملك جبى الجزية من سانيبو، ملك بيت عمون، وسلمانو المؤابي، وقيس ملك الأدومي (Wieppert 1985: 99, Millard 1992 : 35) وهذا ربما يفسر عدم مشاركة أدوم في الثورة، التي قامت في السامرة سنة ٧٢١ق.م أو حتى في إخمادها، حين أخمدها سرجون الثاني (Aslhstrom 1993: 670).

وعمل سرجون الثاني على دفع الأخطار، التي تهددت أدوم من قبل بعض القبائل العربية (مسأي) و(رادياايل)، حيث نجح في كبح جماحهم، وسبيهم إلى السامرة (عباس وأبو طالب ١٩٩١:٨). ويبدو أن حكام أدوم، رأوا من الحكمة الولاء للدولة الآشورية، فرفضوا الانضمام إلى الحلف، الذي ترأسته يهوذا بقيادة حزقيا لمحاربة الآشوريين (Millard 1992 : 36). ولم تزودنا المصادر الآشورية بـأنها قامت بتغيير جذري في شرق الأردن (Ahlstrom 1993 : 641). فالقوة الآشورية لم تدخل أدوم، إلا في عهد «آشور ناصر بال» عندما خاض حربا ضد القبائل العربية، بهدف الحفاظ على مصالحها (Millard 1992: 36). وذلك ظاهر من خلال تأسيس عدد من القواعد الثابتة لهم في «بلستيا»، لتسهيل حركة المرور إلى مصر (Barkay 1992: 36).

ومن ثم كان الهم الرئيس للإمبراطورية الآشورية، هو الحفاظ على الأمن والاستقرار في منطقة جنوبي بلاد الشام، والحد من الثورات فيها، وإبقاء طرق التجارة إلى مصر مفتوحة.

وسرعان ما كانوا يتصدون لأي تهديد لمصالحهم يلوح بالأفق. ومما لا شك فيه أن ممالك شرق الأردن، استفادت من هذا الأمر، في سبيل تنشيط الحياة الاقتصادية.

من خلال ما تقدم نلاحظ أن الأدوميين، قد استفادوا من القوة الآشورية، وأن علاقتهم بها اتسمت بشيء من التعاون والود، مما أتاح فرصة للتقدم والازدهار الاقتصادي. فقد عمل الأشوريون على توفير الحماية لأدوم، مما أدى إلى استقرارها الداخلي، وذلك من خلال تصديهم لأي خطر كان يتهدد مصالحهم التجارية، المارة عبر أدوم إلى المناطق المجاورة.

ج- العلاقة مع القبائل الرعوية:

يقصد هنا بالقبائل الرعوية، تلك التي تعتمد في اقتصادها على الرعي والتجارة. ويهدف هذا البند إلى محاولة معرفة العلاقة، التي كانت قائمة بين قاطني أدوم، ممن يعتمدون في اقتصادهم على الزراعة (ليس بالضرورة اعتمادا كاملا)، وبين القبائل الرعوية. ويعتمد في هذا المقام على المصادر التاريخية، خصوصا المصرية والآشورية.

١- المصادر المصرية :

زودتنا المصادر المصرية ببعض الإشارات، عن منطقة أدوم في فترة العصر البرونزي المتأخر، التي تدل على أن أدوم قد شغلت من قبل مجموعات متنقلة من القبائل الرعوية (الشاسو)، المعتمدة في مقوماتها الحياتية على الرعي. وقد تعرض هؤلاء لعدد من الهجمات المصرية، خلال القرنين الثالث عشر والثاني عشر ق.م بهدف الإبقاء على مصالحهم في وادي عربة، حيث خامات النحاس (Knauf 1995: 93).

ففي مسلة لرمسيس الثاني، يصف نفسه مرتين على أنه هو «الذي دمر جبال سعير بيده القوية». وفي مسلة أخرى من تل الريتابة إلى الشرق من الدلتا يذكر، «أنه دمر جبال الشاسو وذبح أهلها». إلا أن أول ذكر للقبائل الرعوية مع قطعانهم، ورد خلال فترة حكم رمسيس الثالث، وذلك في وصفه لصراعه مع شعوب البحر والليبين «دمرت السعيريين وقبائل الشاسو، ومزقت خيامهم بما فيها قاطنيها، وقطعان ماشيتهم وأمتعتهم» (Kitchen 1992 : 27).

وتدل هذه الإشارات على عدم الاستقرار، في أرض أدوم، خلال نهاية العصور البرونزية، وبداية العصر الحديدي.

٢- المصادر الآشورية :

وفر قدوم الآشوريين إلى المنطقة للأدوميين، حالة من الاستقرار، ومجالا للتجارة والقوة (Knauf 1995 : 93). بدأت العلاقة بين ملوك الآشوريين، والقبائل المنتشرة في سورية، والصحراء العربية، وسيناء وشمال شبه الجزيرة العربية، عندما بدأت الجيوش الآشورية الوصول إلى نهاية الجزء الشرقي من الهلال الخصيب، لإلحاق تلك المنطقة بإمبراطوريتهم (Ep'al 1982 : 81).

ومن الواضح تماما أن الآشوريين، اهتموا بمناطق القبائل العربية الشمالية، التي تسكن أطراف بادية الشام والسماوة، إلى حدود الحجاز، لأنها تمثل نهايات الطرق التجارية، وتمتاز بأهميتها الإستراتيجية (الهاشمي ١٩٨٤: ٢٣٥). وفي عهد آشور بانيبال ٦٦٨ -٦٢٧ ق.م غزا «أويتع بن خزا إيل» ملك العرب القيداريين وقبيلته، الحدود الغربية للصحراء، من حماة شمالاً إلى أدوم جنوبا (عباس وأبوطالب ١٩٩٢ : ١٧). مما حدا بالملك الآشوري ومؤيديه، خصوصا من قبل أدوم وعمون، إلى الوقوف في وجه هذه الغارات، حيث إن الختم الأسطواني الذي يعود إلى آشوربانيبال، أوضح أن بيت عمون، مؤاب، أدوم قد تأثروا من هذه الهجمات (weipert 1987: 99).

ويذكر آشوربانيبال في الختم نفسه كذلك، أن فرقا عسكرية، أرسلت لمعاقبة ملك قيدار في أرضه. ويوجد في الختم الأسطواني تأكيد على هزيمة ملك قيدار، في عدة معارك دموية، جرت في عدة أماكن منها أدوم (Bienkowski 1992: 4). وينقطع ذكر الحروب والمعارك مع العرب، بسقوط الدولة الآشورية (الهاشمي ١٩٨٤: ٢٣٧).

هذا هو الوجه الأول من العلاقة بين الأشوريين والقبائل العربية، التي حاولت الثورة والإمساك عن دفع الجزية. كما حاولوا في بعض الأحيان مهاجمة المناطق التابعة للسلطة الآشورية، ومنها أدوم.

ولكن ليس بالضرورة أن تكون العلاقة عدائية دائما، خصوصا من المنظور الاقتصادي. فالقبائل الرعوية لا تستطيع الاكتفاء ذاتيا، فلا بد أن هناك عمليات للتبادل، كانت تجري بين الطرفين، لا سيما من الناحية الغذائية (Routledge 1996: 17).

وحول مساهمة التجارة والتعدين، في دور بارز في عملية التحول من حالة البداوة للقبائل الرعوية في النقب، إلى حالة الاستقرار، طرح فينكلشتاين "Finklestein" تصورا من خلال إعطاء هذه العملية جذورا تاريخية، تعود إلى فترة استغلال المصريين للمناجم في خربة المنيعة، حيث شارك ساكنو الصحراء في هذه العملية، وخصوصا في تجارة النحاس من الشاطيء الشمالي لخليج ايلات، وشرق الأردن، وسواحل البحر الأبيض المتوسط، وحاولوا التطلع إلى مزيد من الفرص لاستغلالها. و ربما ساهمت هذه العملية في التقليل من اعتمادهم على حياة البداوة، والانتقال إلى حالة الاستقرار (Finklestin 1984: 200-201) وهنا يمكن إضافة هذا النموذج، إلى قضية العلاقة بين قاطني أدوم والقبائل الرعوية، الذي ربما أسهم إلى حد كبير في الاستفادة، من عملية التجارة، واستغلال طريقة التعدين في فينان.

ثانيا - الوظيفة الاقتصادية:

يهدف هذا البند إلى محاولة التعرف على النواحي الحضارية، لمواقع الدراسة؛ ومعرفة مدى الدور، الذي لعبته من الناحية الاقتصادية. والمقصود هنا بهذه الناحية هي: أهميتها التجارية والزراعية.

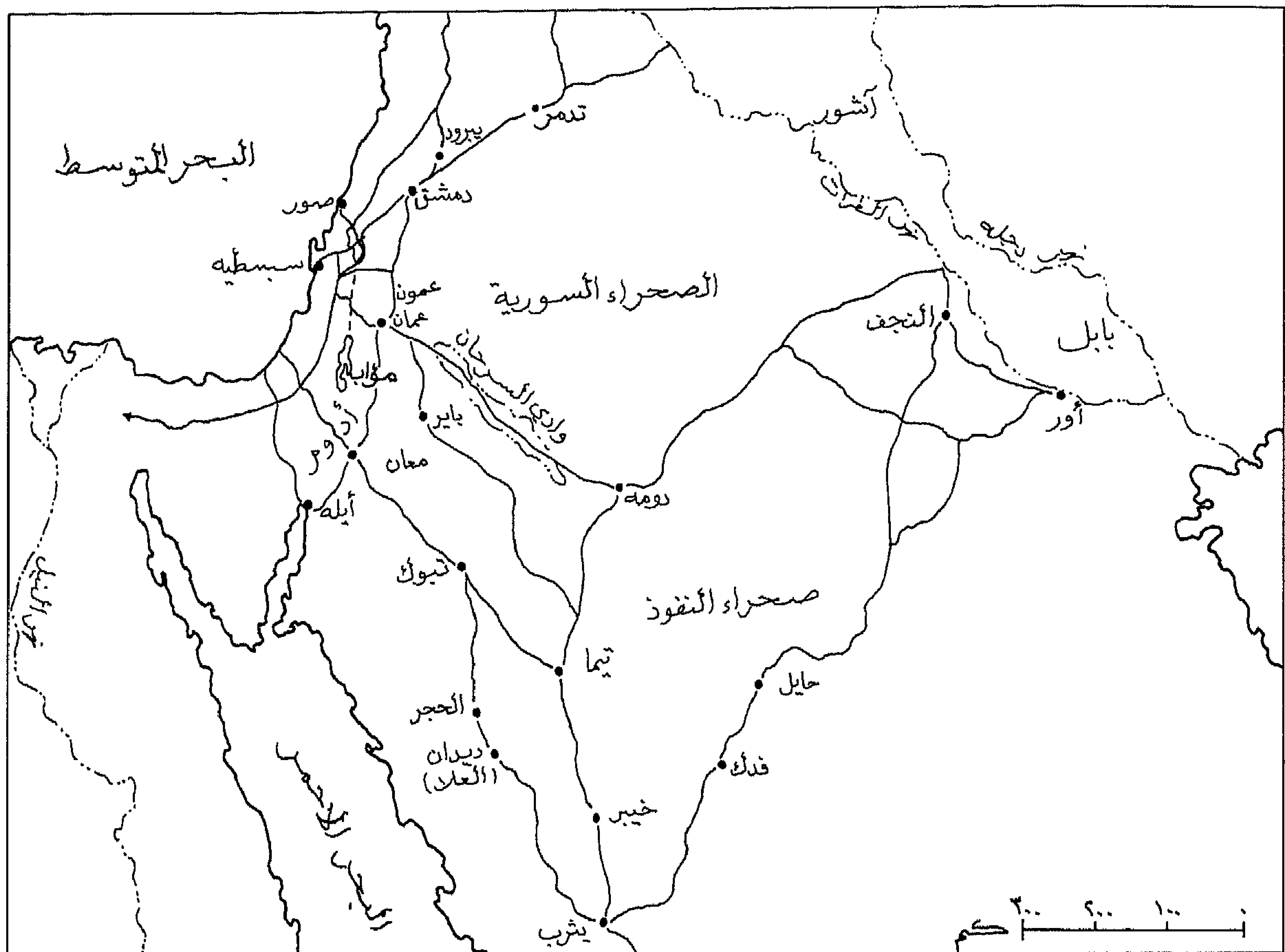
أ- مواقع الدراسة ومدى ارتباطها بطرق التجارة:

استفادة أدوم في القرن السابع، من استغلالها لمناجم النحاس في فينان، ومن تجارة الجزيرة العربية، التي بدأت في القرن الثامن، وكان عمادها ما خف وزنه وغلى ثمنه (كالتوابل). (Knauf 1995: 114).

وللإجابة عن علاقة مواقع الدراسة بالناحية التجارية، لابد من التعرف على الطرق التجارية، التي كانت سائدة خلال العصر الحديدي الثاني، وهو أمر تشوبه بعض المحاذير، سيما إذا علمنا أنه لا توجد معلومات دقيقة عنها، خلال هذه الفترة. غير أن الطرق التجارية المهمة، التي جرى استخدامها في الفترة الفارسية، والفترات اللاحقة، لم تكن وليدة يومها، إذ لا بد أن يكون لها جذور تاريخية، ذات أبعاد تاريخية. فلكي تحافظ الإمبراطورية الأخمينية (٥٣٩-٣٢ ق.م) على أراضيها المترامية الأطراف، طورت نظاما إمبراطوريا بريديا، كان عماده مجموعة من الفرسان، الذين خدموا كسعاة بريد. إضافة إلى توفير أدلاء لهم على الطرق الفرعية المختلفة. كما اعتمد هذا النظام على شبكة متشعبة الطرق، توفر الاتصال بين عاصمة الإمبراطورية سوسة في إيران، والحاميات العسكرية في مختلف الأماكن.

وكما ذكر سابقا، فإن معظم العلاقات التجارية، جاءت من الجزيرة العربية عبر ثلاث طرق تجارية رئيسة (خارطة ٨) هي:

أ. طريق المدينة المنورة - حايل-النفوذ- بطول حوالي ١٠٦٠كم، وتتفرع الطريق في نهايتها الشمالية إلى عدة طرق فرعية، تقود باتجاه شرق العراق.



خارطة ٨ : الطرق التجارية عبر منطقة أدوم

ب. الطريق الثاني كان يخترق يثرب- خيبر-فدك-تيماء، وكان هذا الطريق يمر بعدة طرق يمر رئيسية وهي :

١- تيماء-بابل بمسافة تقدر بحوالي ١٥٣٠كم.

٢- تبوك-معان بمسافة تقدر بحوالي ٢٥٠كم.

٣- الجهة الغربية من وادي السرحان (النبك-باير)-إلى عمان.

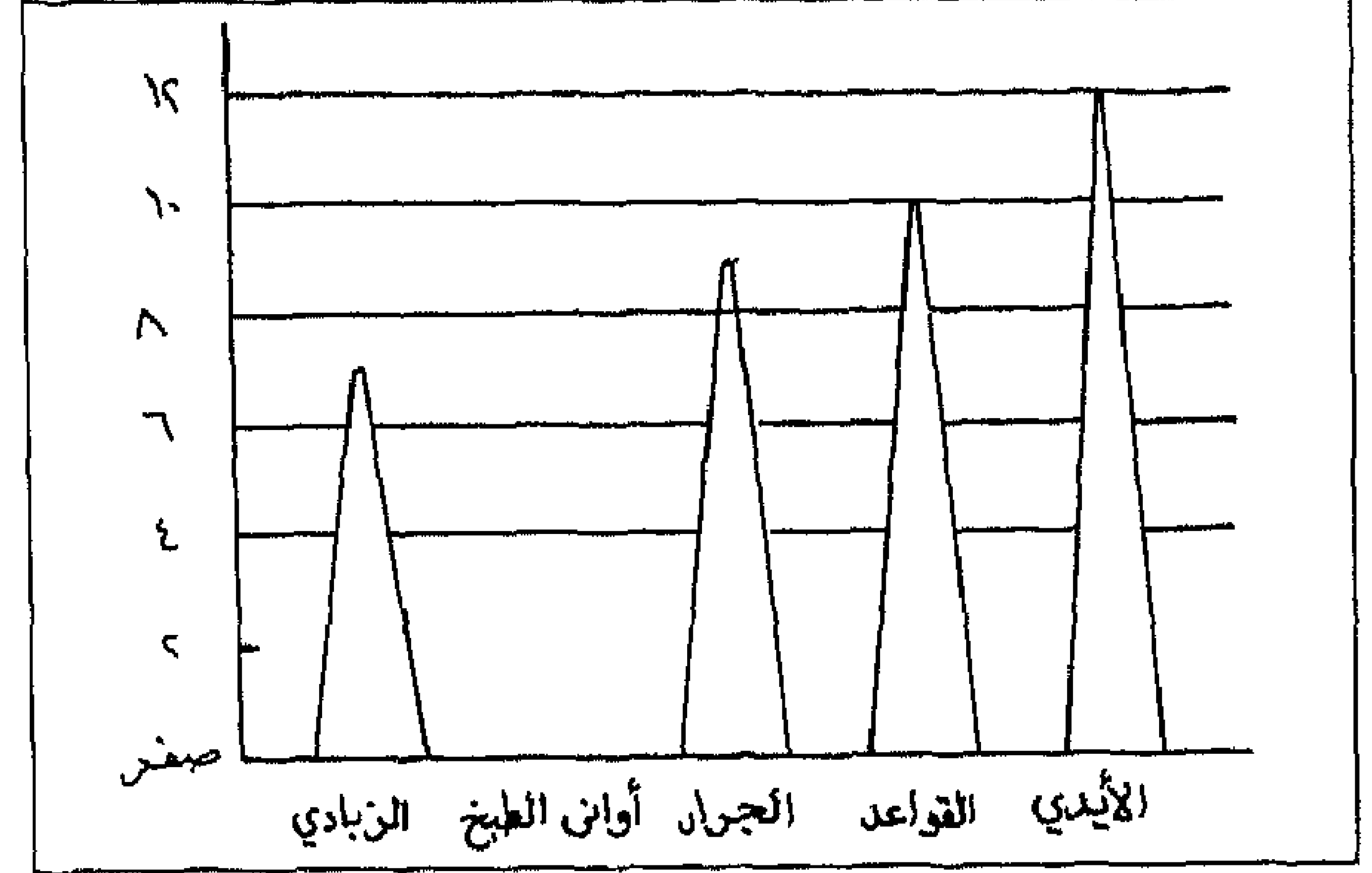
ج. المدينة المنورة- ديدان (العلا)-تبوك-معان. بمسافة تقدر بطول ٧٦٠كم.

وما يهمنا هنا الطرق المؤدية إلى جنوب بلاد الشام، حيث نلاحظ أن تيماء وديدان كانتا من المحطات المهمة على الطريقين الفرعيين (ب،ج)، ذلك أن كل البضائع القادمة من الجزيرة العربية، تعبر تبوك وتستمر حتى معان، ومن هناك تتفرع الطرق إلى الجهة الغربية، حيث الموانىء في جنوب فلسطين، ومن المحتمل إلى مصر. ويستمر طريق آخر بالسير شمالاً من معان إلى عمان ومن هناك تفرعت إلى صور ودمشق. (Ephal 1982: 14-15).

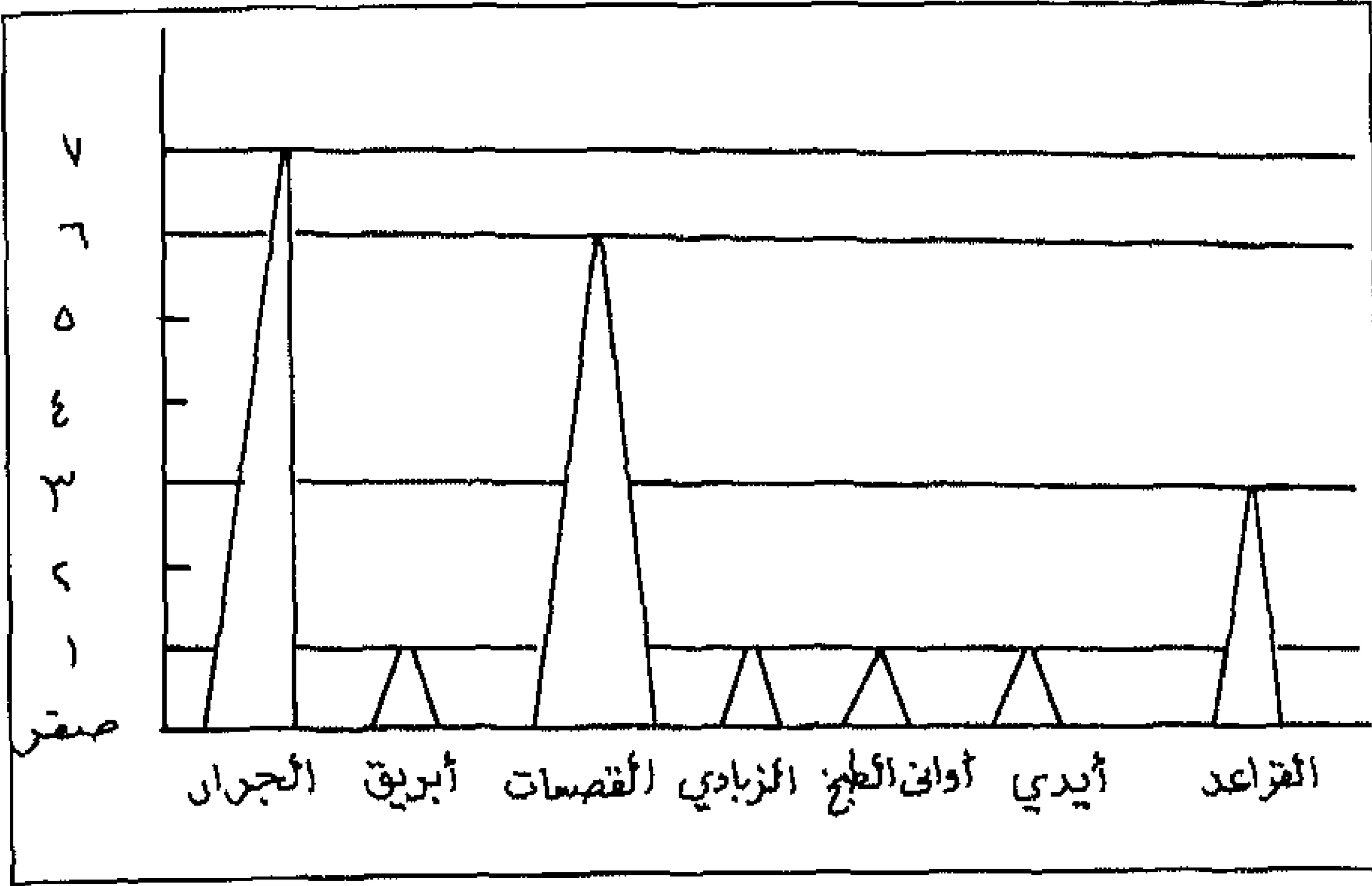
وإذا حاولنا إسقاط مواقع الدراسة، بمجموعاتها الثلاث، سنلاحظ ما يلي :

- أن المجموعة الأولى من المواقع (في شمال أدوم)، ليس لها صلة واضحة بهذه الطرق.
- أن المواقع (القرانة، وبهش، وتل الجحيرة، وطوال الفجيج) يمكن أن تكون لها صلات بأحد الطرق المتجهة من معان إلى الشمال. وأيضاً هذا هو حال المجموعة الثانية كالشديد وعشرة.

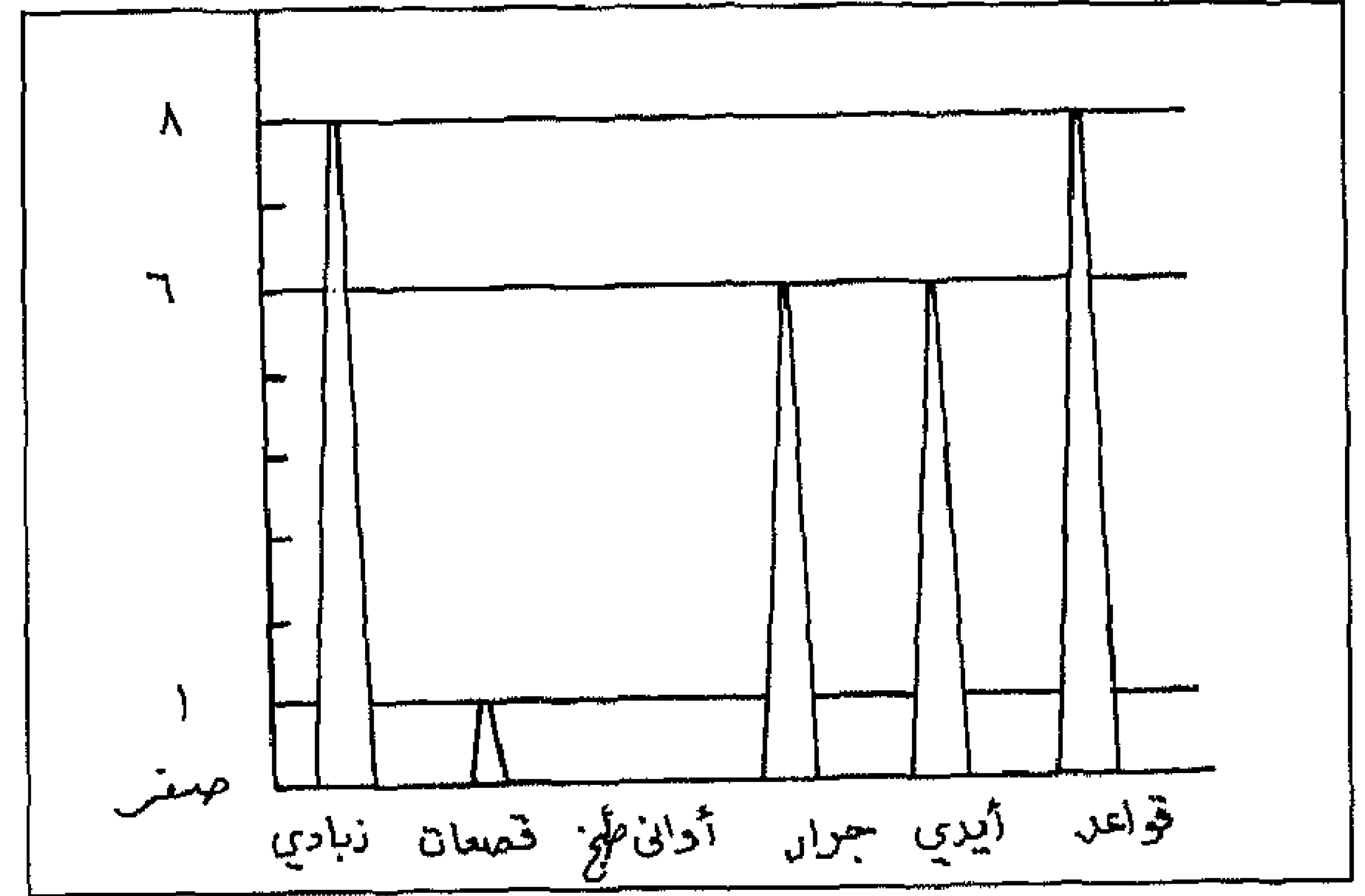
أما المواقع التي تميزت بصعوبة الوصول إليها، مثل بعجة، ووأم العلا، فالحقيقة أن موقعها الجغرافي لا يعطيها أفضلية للانخراط، في هذه العملية الاقتصادية.



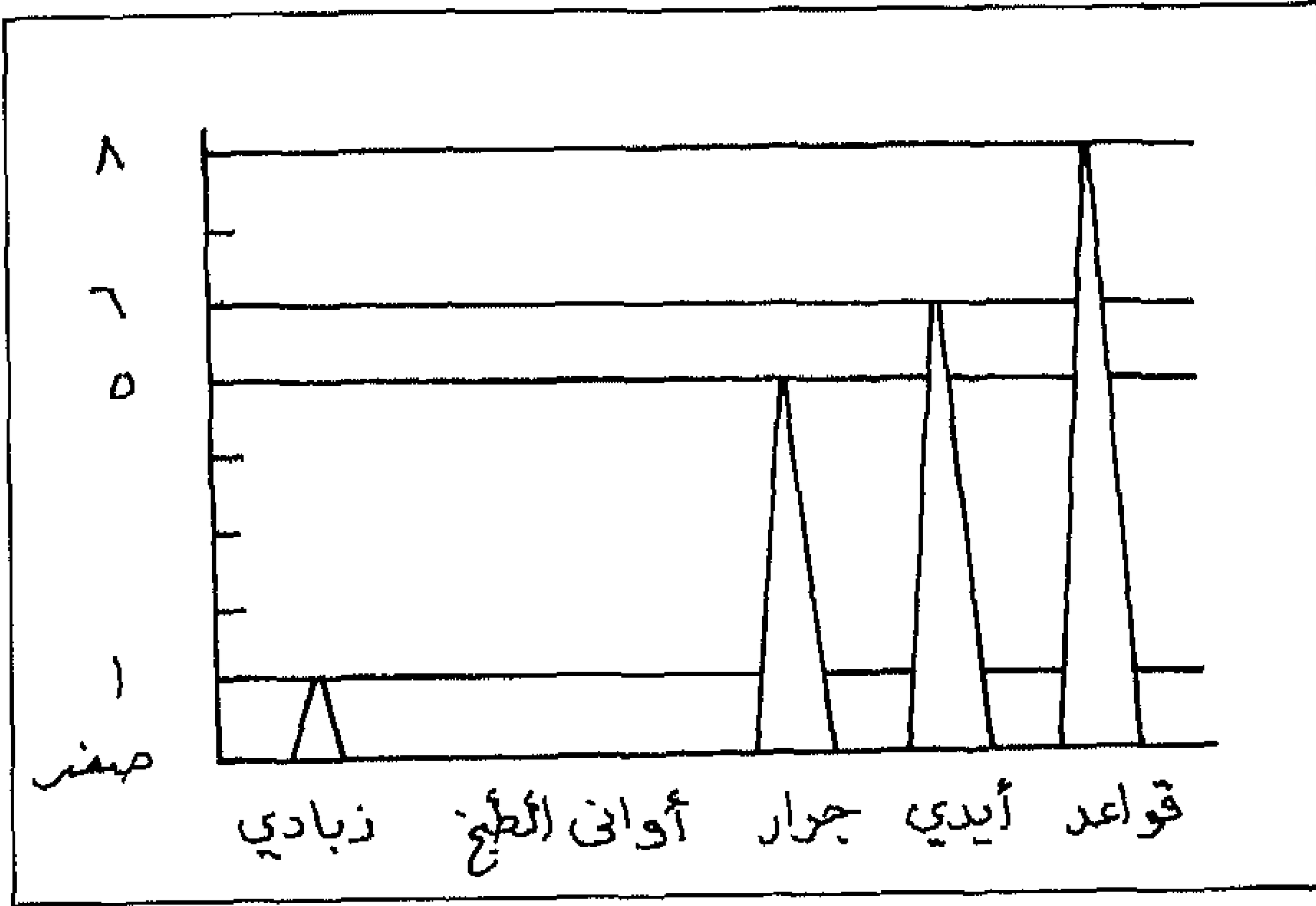
شكل ٤ : توزيع القطع الفخارية النبطية/ الرومانية تبعا للناحية الوظيفية في رأس الحلا



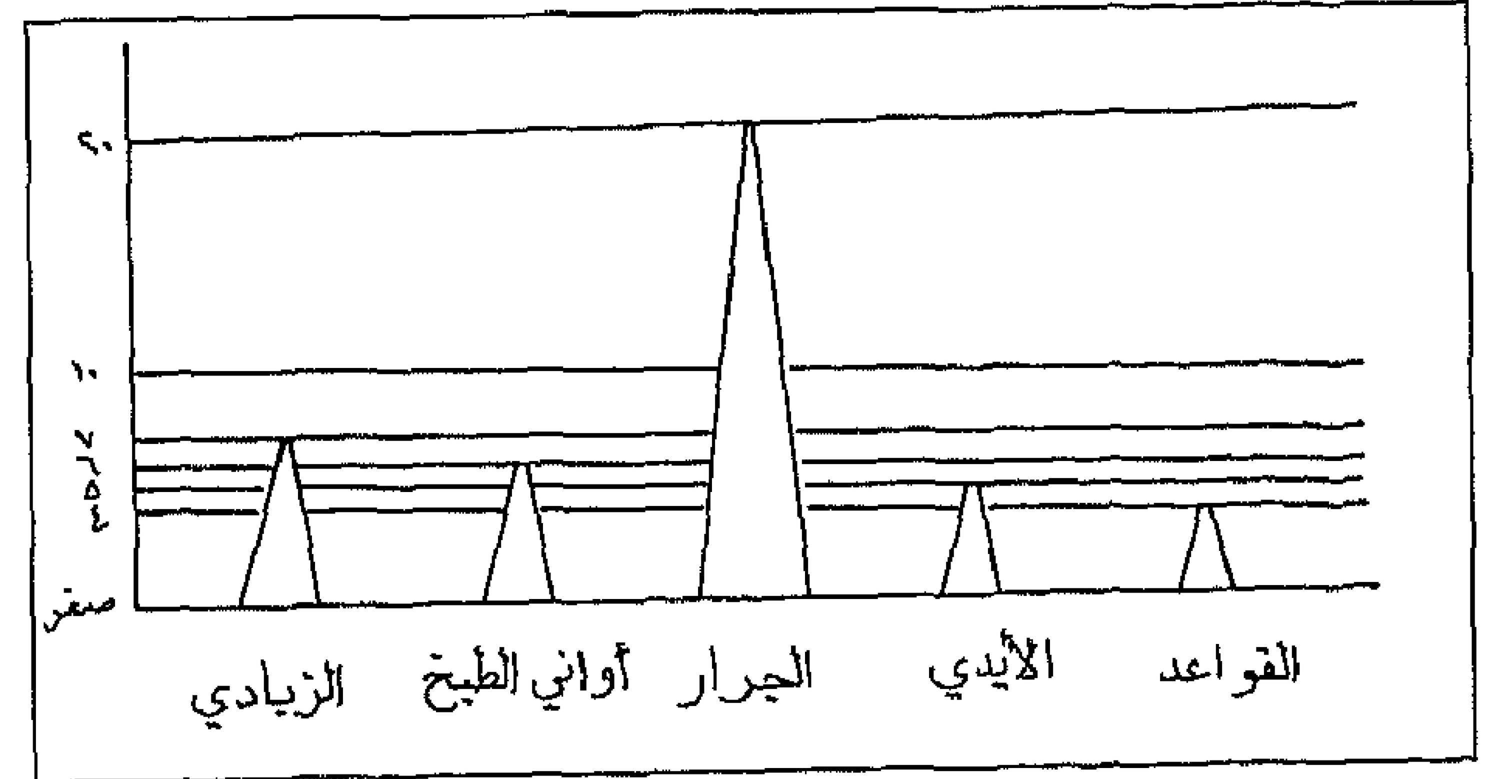
شكل ٥ : توزيع القطع الفخارية التابعة للعصر الحديدي تبعاً للناحية الوظيفية في رجم جاعز



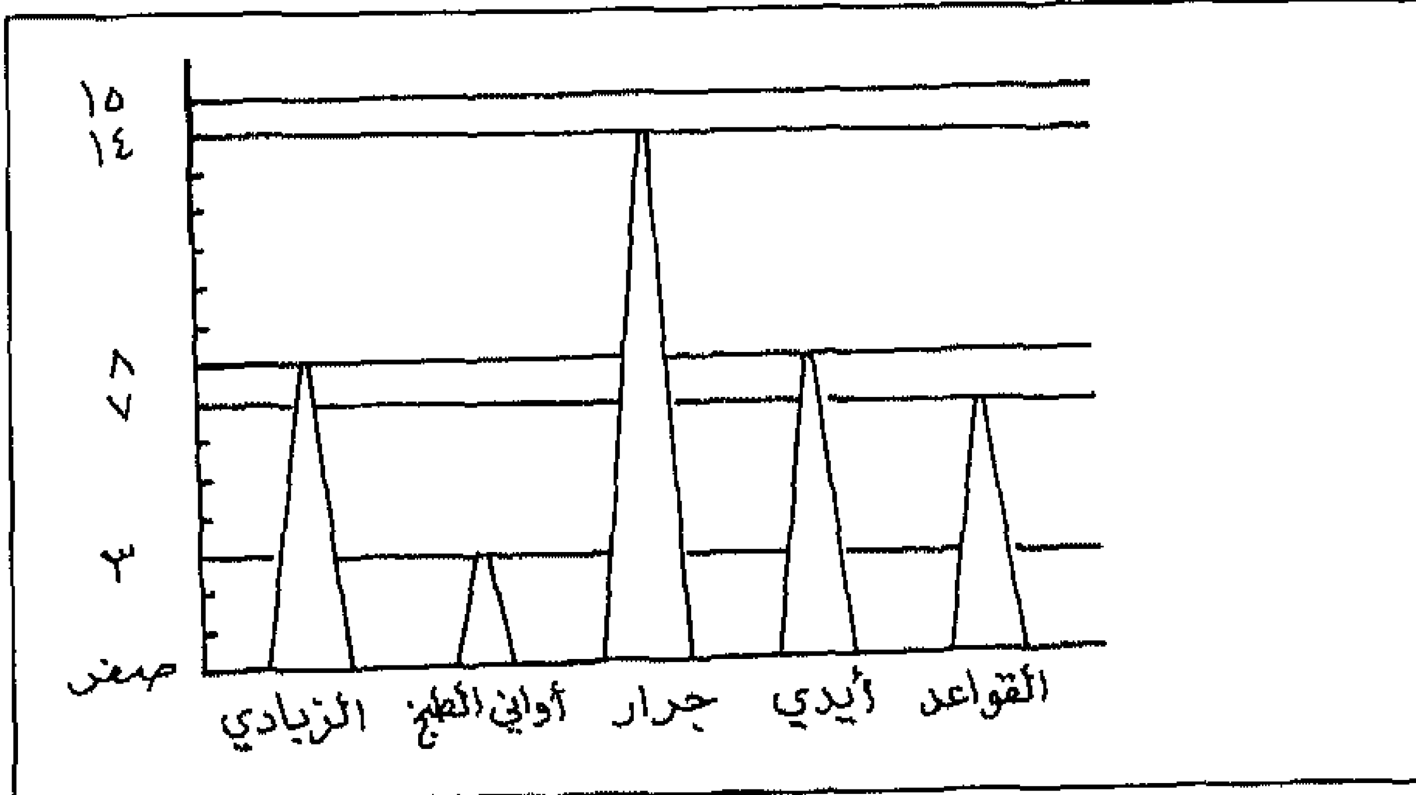
شكل ٦ : توزيع القطع الفخارية التابعة للعصر الحديدي تبعاً للناحية الوظيفية في حلا القرانة



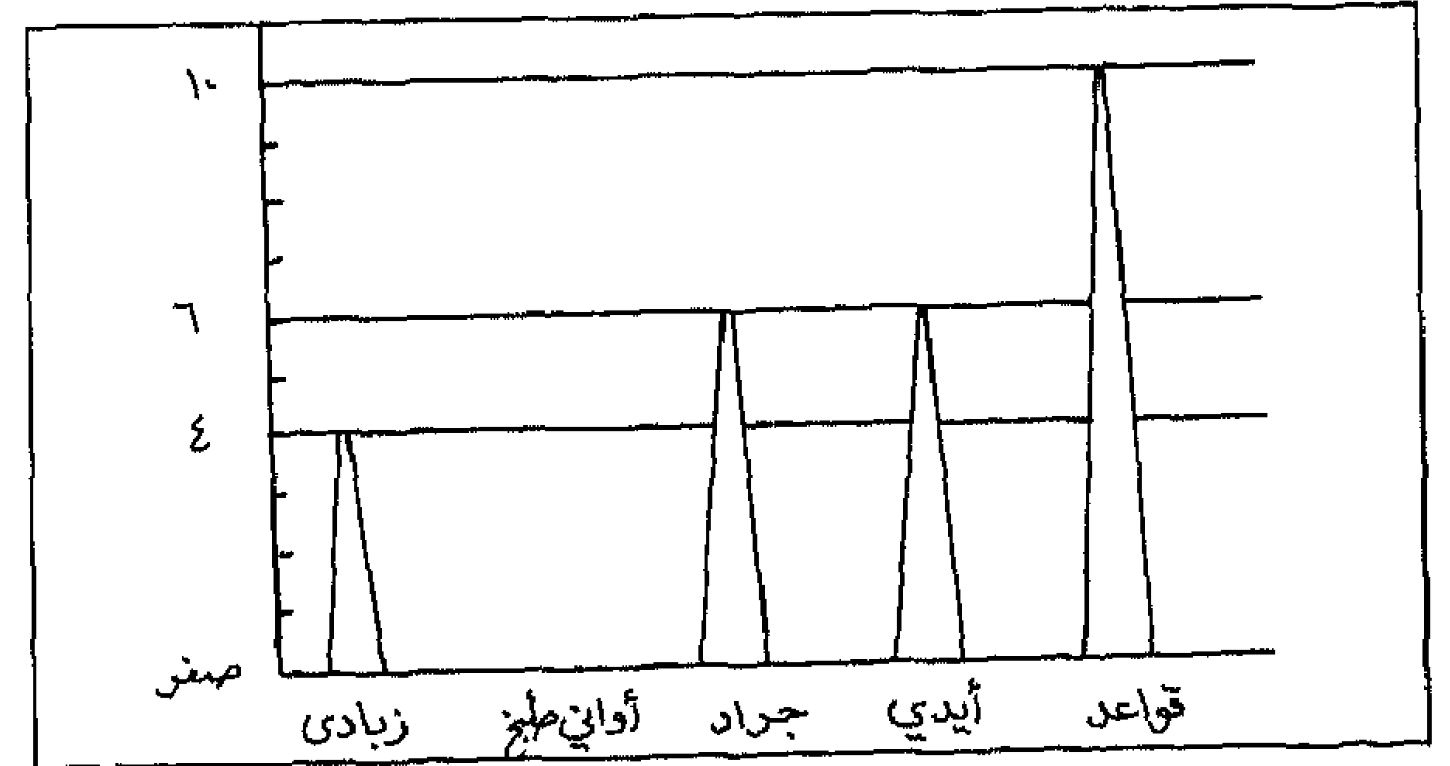
شكل ٧ : توزيع القطع الفخارية النبطية/ الرومانية تبعاً للناحية الوظيفية في حلا القرانة



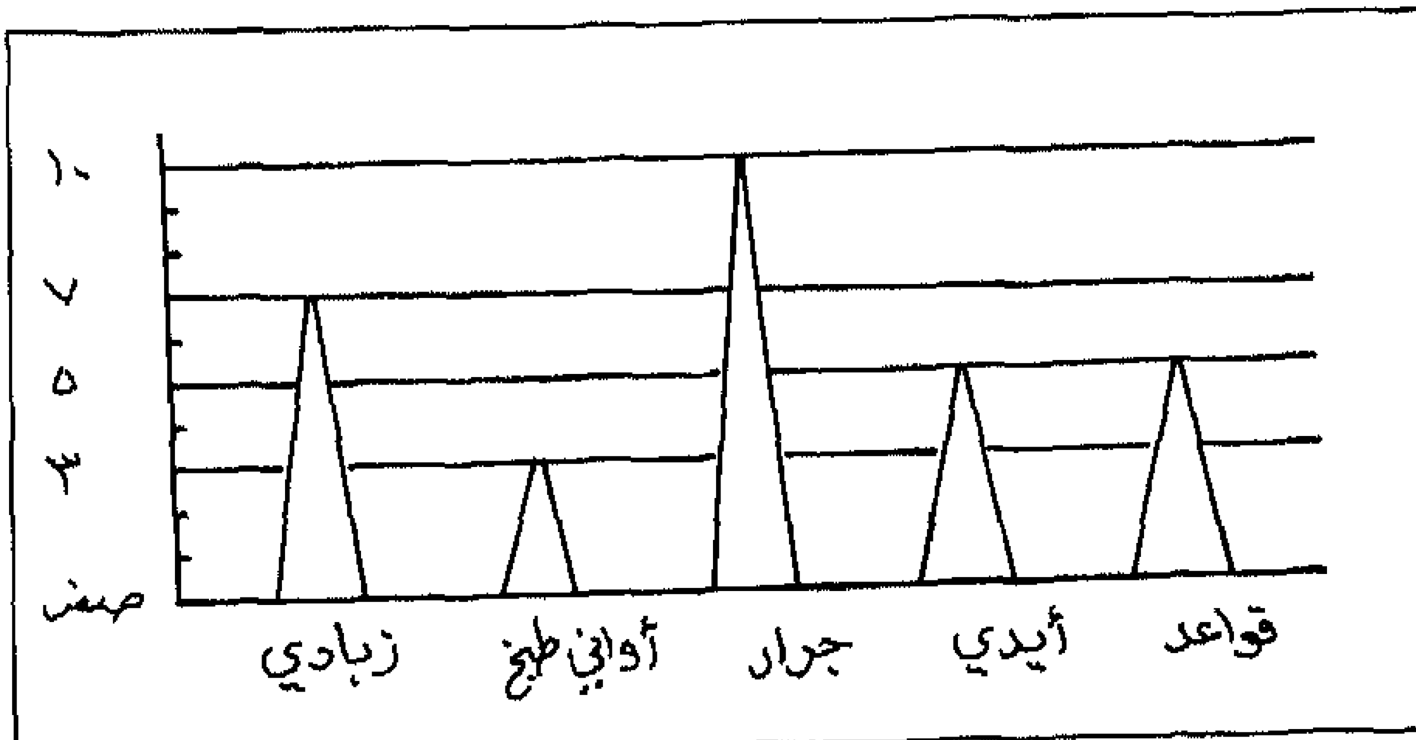
شكل ٨ : توزيع القطع الفخارية التابعة للعصر الحديدي تبعاً للناحية الوظيفية في رجم بهش



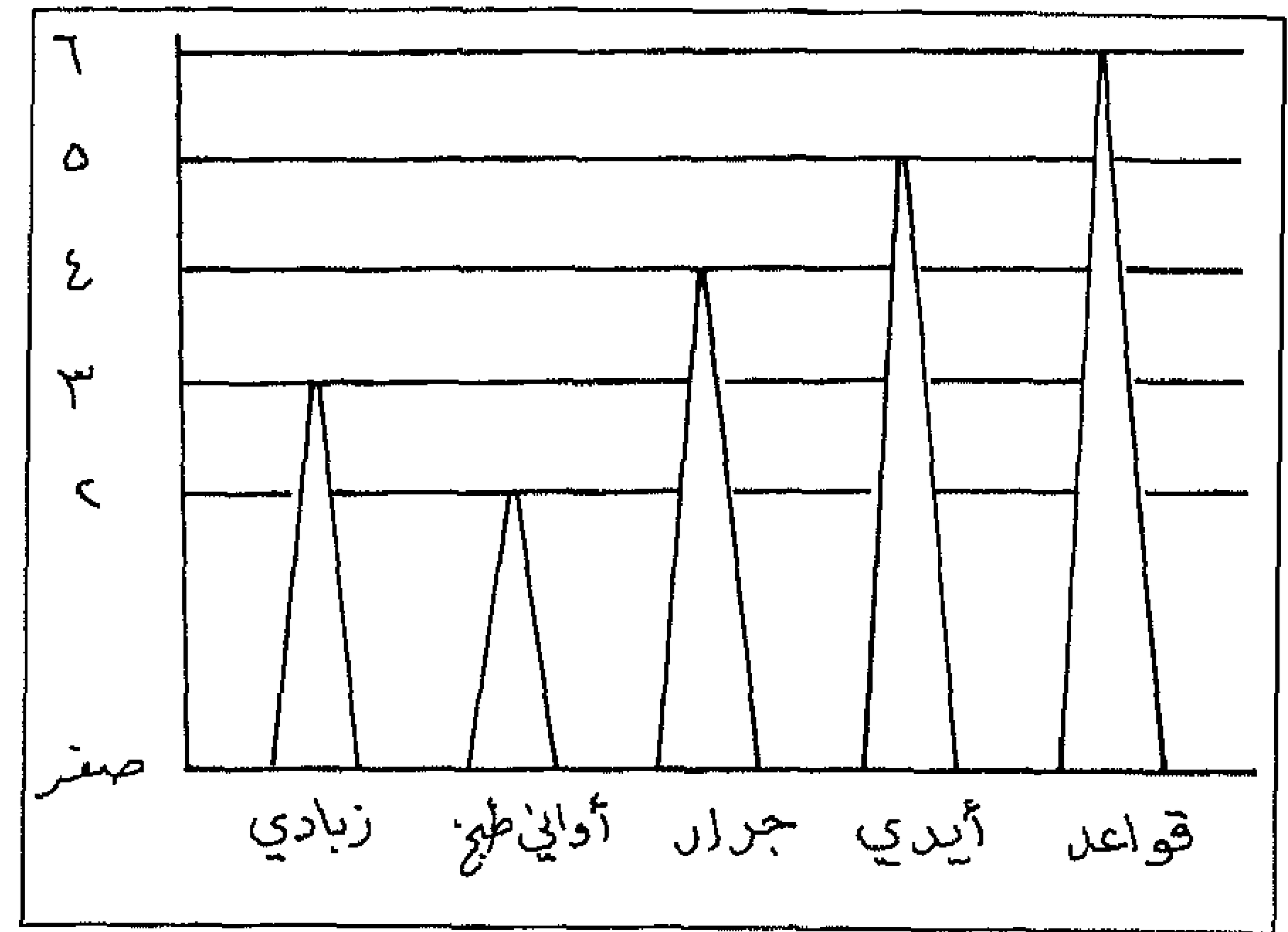
شكل ٩ : توزيع القطع الفخارية التابعة للعصر الحديدي تبعاً للناحية الوظيفية في موقع تل الجحير



شكل ١٠ : توزيع القطع الفخارية النبطية تبعاً للناحية الوظيفية في موقع تل الحجيرة



شكل ١١ : توزيع القطع الفخارية التابعة للعصر الحديدي تبعاً للناحية الوظيفية لها في موقع طوال الفجيج



شكل ١٢ : توزيع القطع الفخارية النبطية/الرومانية تبعاً للناحية الوظيفية في موقع طوال الفجيج

ب- النواحي الزراعية:

لا بد من إعطاء الجانب البيئي أهمية كبيرة، عند البحث في هذا الأمر، حيث يمكن توظيف هذا العامل في الإجابة عن كثير من الأسئلة. ومن أجل ذلك لا بد من التطرق إلى توزيع مواقع الدراسة، ضمن حيزها الجغرافي.

يتفق معظم الباحثين أن الحدود الشمالية لأدوم، هي وادي الحسا (Moon 1971: 1, Bartlett 1989 : 34, Hart 1989:7,Edelman 1995: 3) أما حدودها الجنوبية فقد أختُلف عليها، إذ يرى بعض الباحثين أنها تمتد حتى وادي الغوير-وجنوب وادي الغوير يتضمن منطقة البتراء- في حين يرى آخرون أن حدّها الجنوبي يمتد حتى رأس النقب. أما الحد الشرقي فهو الصحراء (Edlman 1995 : 3). وقد اتسعت رقعة أدوم في بعض الفترات، لتشمل خليج العقبة وذلك بالسيطرة على إيلات (Bartlett 1989: 34). كذلك، وجدت آثار أدومية في منطقة النقب، وهي شاهدة بذلك على حدودها حتى هذا الجزء (Edelman 1995: 5).

ومن خلال العمل الميداني في منطقة الدراسة، ودراسة وتحليل الناحية الوظيفية لأشكال الكسر الفخارية، التي تم جمعها، تحديداً من مواقع جاعز، والقرانة، ووبهش، وطوال الفجيج، وتل الجحيرة، تبين أن نسبة الأشكال العائدة إلى جرار الخزين، كانت مرتفعة بالمقارنة مع أشكال الأواني الأخرى (الأشكال ٤-١٢). ويجب الإشارة هنا أن رجم مغامس، كان قريباً من خربة مغامس، التي تبعد حوالي ١٠٠م إلى الشمال من بئر الحرير، وهذه الخربة تتميز بكبر مساحتها ٦٥م×٦٠م، وباحاطتها بسور سمكه ١م. ويضم الموقع عدة بقايا لغرف وابآر، وقد أرّخت معظم الكسر الفخارية، التي جمعت من الموقع، إلى الفترة الأدومية. واشتملت معظمها على كسر من قدور الطبخ والصحون. ووجود نسبة جرار الخزين في المواقع، لم يتفرد بها الباحث وحده، حيث عثر هارت في موقع الغريرة على عدد من أواني وأمكنة الخزين، وكذلك هو الحال بالنسبة إلى لندنر، الذي دلت تنقيباته في خربة المعاليق، على عثوره على كثير من أواني الخزين.

من ذلك نرى أن ليس مستبعداً أن تكون المجموعة الأولى، قد جرى استخدامها كأماكن يؤوى إليها في المواسم الزاعية، أو (كعزب) جرى استعمالها في أوقات الحصاد. ومن خلال مشاهدات الباحث الميدانية، فإن معظم المواقع، التي زارها، استُغلت الأراضي المحيطة بها، وزرعت بمختلف المحاصيل. وفي الوقت ذاته، استفادت المجموعات، التي تربي الماشية من هذه العملية من خلال استعمال الأراضي نفسها، في العملية بعد الحصاد.

وفي دراسة مماثلة قدمها رون (Ron) في منطقتي جبال لحم والخليل، عُثر على ما يزيد عن ١٠,٠٠٠ من الأكواخ الحجرية، التي عدت في الماضي أبراج مراقبة دفاعية، ضد الغارات البدوية. وتميزت هذه المواقع بضخامة جدرانها وجاءت على ارتفاع ٨م. واستنتج الباحث أنها استعملت في فصل الصيف، كأماكن لتخزين معدات الزراعة، وتسهيل عملية الزراعة (Kletter 1991: 48).

الخلاصة :

يوضع العامل الجغرافي والبيئي، لمواقع الدراسة موضع الاختبار، بالترافق مع دراسة البقايا العمرانية،

واللقى الأثرية المرتبطة بها، تمييز ثلاث مجموعات فيها، تشترك مواقع كل مجموعة فيها بصفات متجانسة. وعليه فقد صنفت تلك المواقع إلى ثلاث مجموعات (أنماط) وظيفية هي :

١- العزب أو الخانات الصغيرة : وجرى استعمالها لأغراض زراعية وتجارية، في آن واحد.
٢- الحصون : حيث استعملت لإغراض دفاعية، وزراعية في آن واحد، وهذا جرت ملاحظته في موقع غريرة.
٣- المعاقل : التي تمثلت في المواقع الأدومية المكتشفة في البتراء، حيث جاء معظمها محصناً طبيعياً أو صناعياً، وكان يُلجأ إليها في أوقات الأزمات.

تركز نمط المجموعة الأولى، في المنطقة الشمالية من أدوم، وهي المنطقة المتعارف عليها بين الباحثين ب «الجبل»، وتتميز بهطول نسبة أمطار عالية، تقدر بحوالي ٤٠٠ ملم سنوياً. وملاءمة تربتها لزراعة أنواع شتى من المزروعات. وتتميز البقايا المعمارية فيها بصغرها، حيث راوحت ما بين ٨-٢٠م مربع. كما أن الكسر الفخارية الملتقطة من بعض هذه المواقع، أظهرت أن نسبة جرار الخزين تمثل نسبة مرتفعة، مقارنة مع كسر الأشكال الفخارية الأخرى. كل هذه المعطيات تشير، إلى أن هذا النمط من المواقع قد استخدم كأماكن موسمية، في أوقات الحصاد.

ونمط المجموعة الثانية جاءت قليلة، وتراوح توزيعها بين المنطقة الشمالية والجنوبية من أدوم. وربما وظّفت لإغراض دفاعية وزراعية في آن واحد، كغريرة، أو صناعية كتل الخليفة.

أما نمط مواقع المجموعة الثالثة: وعرفت على أنها معاقل يصعب الوصول إليها، وربما كان يُلجأ إليها في حال تعرض قاطني المنطقة المحيطة بها للخطر

وعكست جميع الدراسات والأبحاث الميدانية، أن منطقة أدوم شهدت قمة ازدهارها وعطاءها خلال القرن الثامن والسابع ق.م. فالمسوحات والحفريات الأثرية دّلت على أن أدوم قد شهدت زيادة غير طبيعية في عدد المواقع، خلال هذه الفترة. حتى إن بعض الدارسين لم يجد تفسيراً مناسباً لهذا التقدم المفاجيء. وعلى النقيض من الفترات السابقة، لم يكن العصر الحديدي الأول شاهداً على نهضة، أو زيادة في المواقع، حيث إن الدراسات زودتنا فقط باليسير من المواقع، حتى إننا لا نعرف ماهية الاستيطان الأدومي خلال العصر الحديدي الأول. كذلك، استفادت أدوم، بقدر الإمكان، من الثروات التعدينية والزراعية، وهذا جرت ملاحظته من خلال المجموعة الأولى. كذلك، عرف الأدوميون القيمة المميزة لموقعهم الجغرافي، بالنسبة لخطوط التجارة المارة عبر أراضيهم، خاصة تلك القادمة من الجزيرة العربية، وربما انخرطت بعض مواقع الدراسة (القرانة، وبهش، والجحيرة، وخربة طوال الفجيج) في هذه العملية التجارية.

وقد لعبت القوة الآشورية دوراً كبيراً، في عملية تثبيت الاستقرار في أدوم، مدفوعين بذلك للحفاظ على مصالحهم التجارية، مما هيأ للأدوميين فرصة للنهوض والازدهار. وهذا الاستقرار، الذي عاشته أدوم، خصوصا في القرن السابع، أعطاهم دفعة للاستفادة من مناجم النحاس في فينان، ونشوء الكثير من المواقع الأدومية الرئيسة، كغريرة، وبصيرة، وطويلان. وكذلك الاستفادة من العملية التجارية مع شبه الجزيرة العربية. ورافق هذا الازدهار زيادة الاهتمام بالناحية الزراعية؛ وقد تمثل ذلك من خلال زيادة المواقع، التي منها ما استعمل في الجانب الزراعي، خصوصاً (المجموعة ١)، أو المواقع الكبرى، التي جرى استخدامها لأكثر من هدف، دفاعية وزراعية (كغريرة).

زيدان كفافي - عبدالناصر الهنداوي : عمادة البحث العلمي والدراسات العليا - جامعة اليرموك - اربد - الأردن.

الرقم	رقم الموقع	نوعية الموقع	الإحداثيات	ارتفاعه عن سطح البحر
١	٠٠١ خربة الشديد	حصن كبير	٩٨٥٩٣٤٣	+ ١٦٠٠
٢	٠٢٣ رجم بئر تركي	حصن	٩١٩٣٤٩٤٠	+ ١٦٠٠
٣	٠٦٧ خربة خليل	حصن	٩١٠٥٩٤٧٢	+ ١٥٢٠
٤	٠٧١ خربة المنصورة	حصن كبير	١٩٤٨٩٤٣٧	+ ١٣٠٠
٥	٠٧٥ خربة أم الهشاس	حصن	١٩٤٩٩٤٧٤	+ ١٥٧٦
٦	٠٨٣	حصن	١٩٣٥٥٩٤٨١	
٧	٠٨٧ خربة المدلجية	حصن	١٩٠٨٩٤٨٦	+ ١٥٦٥
٨	١٠٠ خربة غريرة	حصن كبير	١٩٠٨٩٥١٥	+ ١٦٠٠
٩	١٠٦ رجم النسوان	حصن	١٩٢٨٩٥٢٢	+ ١٦٢٠
١٠	١١١ رجم الجويعزة	حصن	١٩٣٥٩٥٣١	+ ١٦٦٠
١١	١٢٧ ؟	حصن	١٩٤٣٩٦٨١	
١٢	١٣٥ خربة عشرا	حصن	١٩٩٣٩٨٩٠	+ ١٤٢٠
١٣	١٧٩ ؟	حصن؟	٢١٣٢٠٠٧٦	
١٤	١٨٦ جبل الدعجانية	حصن	٢١٤٢١٩٦٩	+ ١٠٩٠
١٥	١٩٠ تل الجحيرة	حصن	٢٢٢٥٠٠٧٠	+ ١٣٤٤
١٦	١٨٨ جبل القرانة	حصن	٢٢٥٠٠١٤٤	١٣٩٢
١٧	١٩٢ جبل الحلا	حصن	٢١١٤٠٢٠١	+ ١٥٢٠
١٨	٢٤ رجم كركا	برج مراقبة	٢١٣٨٠٣٤٣	+ ١١٤٨
١٩	١٧٣ جبل العدنانية	قرية، حصن كبير	٢٠٥٩٠٢٧٣	+ ٦٢٠
٢٠	٢٤٨ رجم مهاوش	حصن كبير	٢١٥٠٢٤٨٧	+ ١١٩٨
٢١	٢٧٠ ؟	حصن صغير	٢١٨٣٠٣٦٩	
٢٢	٣١١ رحم جاعز	حصن	٢٢٠٤٠٣٨٠	+ ٦٤٥
٢٣	٦٤٧ ؟	حصن	٢٢٦٧٠٣٦٨	+ ٦٦٠
٢٤	٧١٦ رجم باخر	حصن	٢٩٨٣٣٣	+ ٩٣٦
٢٥	٦١ عين سبلا	حصن	٢١١٢٠٤٠٣	+ ٥٦٩
٢٦	١٧٢ رباب	حصن	٢٠٦٦٠٣٦٦	+ ٩٢٥
٢٧	١٨٧ ؟	حصن	٢٠٦١٠٣٥٩	+ ٧٤٥
٢٨	٢٤٨ رجم مهاوش –٢٠	حصن	٢١٤٧٠٣٠٦	+ ١١٩٨
٢٩	٣٦٧ ايدير	حصن، مزرعة	٢١٦٦٠٣٥١	+ ٧٦٠
٣٠	٤٤٣ ؟	برج، قبر	٢٢٠٦٠٣٢٢	+ ٩٩٥
٣١	٦٤٧؟	حصن، مقبرة	٢٢٧٠٠٣٦٥	
٣١	٧١٦رجم باخر–٢٤	برج	٢٩٨٠٣٣٣	+ ٩٣٦
٣٢	رجم بهش	خان تجاري	٢٢٠١٠٠١	+ ١٢٨٦
٣٣	السلع	معقل	٢٠٤٩٠٢١٢	
٣٤	بعجة ٣	معقل	١٩٣٢٩٨١	+ ١١٨٠
٣٥	ام العلا	معقل		

جدول ٢ : قائمة مفصلة بالمواقع الأثرية المبينة في خارطة رقم (٦)

الرقم	الموقع	نوعية الموقع	الإحداثيات	رتفاعه عن سطح البحر
٣٦	بصيرة	حصن ، مدينة	٢٥٧٧٠١٧٣	١١٤٤ +
٣٧	طويلان	مدينة غير مسورة	١٩٦٣٩٧١	١٤٠٠
٣٨	رجم مغامس	خان زراعي		
٣٩	١٩٦	برج	٢٠٠٤٠٠٣	٧٠٥+
٤٠	١٠٨رجم خنيزرة	برج	١٩٠٣٢٢١٦	٢٨٠ -
٤١	٧٣ رجم جفنا	برج	١٩٠٣٠٦٠	١٨٠ -
٤٢	٦١	برج	٢١١٢٠٤٠٣	٣٣٥ -
٤٣	٦٩	برج	١٩٥٦٠٤٠٥	٣٥٥ -
٤٤	ام البيارة		١٩١٥٩٧٠٨	-
٤٥	السديح	معقل	١٨٨٩٥٨٣	٨٦٠٠+
٤٦	جبل خبثا			
٤٧	خربة المعلق	حصن	١٩٣٩٦٩٦٧	١٣٥٠
٤٨	فيفيا	حصن		٣٠٥ -
٤٩	الذريح		٢١٧٢٠٣٥٢	٧٠٠+

تابع جدول ٢ : قائمة مفصلة بالمواقع الأثرية المبينة في خارطة رقم (٦)

الموقع	المجموع	حديدي	نبطي/روماني	اسلامي	محلي	المساحة	الوقت	الاشخاص
جاعز	٢٣	٢٠	؟١	١	١	٢٠×٢٠م	٦٠د	٣
ابو العظام	٢	/	٢	/	/	٢١×٢١م	١٢٠د	٣
ر.كركا	٦	٣	١	/	١	١٣×١٣م	١٢٠د	١
ر.الاحمر	١٢	/	٨	/	/	٢٠×٢٠م	١٢٠د	٢
ر.مغامس	٥	٢	٢	/	/	٢٠×٢٠م	٦٠د	٢
راس الحلا	٣٨	؟	٢٠	١	/	١٠٠×١٠٠	١٨٠د	١
ر.القرانة	٥٣	٢٩	٢٠	؟٢	١	١٥×١٥م	١٢٠د	٢
ر.بهش	٤٢	٤٢	/	/	/	٢٥×٢٥م	١٢٠د	٢
ت.الجحيرة	٦٨	٤٠	٢٨	/	/	١٥×١٥	١٢٠د	٢
خ.الفجيج	٥٥	٣٠	٢٠	٤	١	٣٠×٣٠م	١٢٠د	٢
خ.مغامس	٣٦	٣٦	/	/	/	٦٠×٦٠م	١٢٠د	١

جدول٣ : قائمة تبين إستراتيجية التقاط الكسر الفخارية ضمن مسوحات الطفيلة لعام ١٩٩٧م.

المراجع

أولاً : المراجع العربية

عباس، إحسان، محمود أبو طالب ١٩٩٢ **شمال الجزيرة العربية في العهد الآشوري**. منشوات لجنة تاريخ بلاد الشام.

الكتاب المقدس. دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

كفافي، زيدان ١٩٩٧ **فلسطين قبل الفتح الإسلامي، مدخل إلى القضية الفلسطينية**. مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان.

الهاشمي، رضا جواد ١٩٨٤ **آثار الخليج العربي والجزيرة العربية**. جامعة بغداد.

الهنداوي، عبدالناصر ١٩٩٩ «الحصون الدفاعية الآدومية في الأردن خلال العصر الحديدي»، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الآثار والأنثروبولوجيا، أربد.

ياسين، خير نمر ١٩٩٢ **الآدوميون**. سلسلة تاريخ الأردن. الجامعة الأردنية.

ثانياً : المراجع غير العربية

Ahlstr, M. G. 1993. "The History of Ancient Palestine from the Palaeolithic Period to Alexander's Conquest" **Journal for Study of the Old Testament,** 146. Sheffield.

Al-Eisawi, D. 1985. "Vegetation In Jordan." In: A. Hadidi (ed.), **Studies in the History and Archaeology of Jordan II,** pp. 45-57. Routledege and Kegan Paul, London.

Barkay, G. 1992. "The Iron II-III".. In: A. Ben Tor (ed.), **The Ancient Archaeology of Israel,** pp. 302-372. Yale University, Newhaven.

Bartlett, J. 1973. "The Moabites and Eomites". In: D. Wiseman (ed.), **Peoples of Old Testament Time,** pp. 229-258. Oxford.

Bartlett, J. 1989. "Edom And The Edomite" **Journal for Study of the Old Testament,** Sheffield.

Beit Arieh, I. 1995a. "The Edomites in Cisjordan". In: D. Edelman (ed.), **You Shall Not Abhor and Edomite for He is your Brother Edom and Seir in History and Tradition,** pp. 33-41. Scholars Press, Atlanta.

Beit Arieh, I. 1995b. **Horvat Qitmit, An Edomite Shrine in the Biblical Negev.** Tell Aviv University.

Bhatia, H. 1989. **Military Dictionary & Encyclopedia.** Deep & Deep Publications.

BienKowski, P. 1992a. "The Beginning of The Iron Age in Edom: A reply to Finkelstein" **Levant,** XXIV: 167-169.

BienKowski, P. 1992b. "The Beginning of the Iron Age in Southern Jordan: A Framework". In: P. Beinkowskie (ed.), **Early Edom & Moab: The Beginning of the Iron Age in Southern Jordan,** pp.1-12. J.R. Collis Publication, Sheffield.

BienKowski, P. 1995. "The Edomits: The Archaeological Evidence From Trnasjordan". In: D. Edelman (ed.), **You Shall Not Abhor And Edomite For He Is Your Brother Edom and Seir In History and Tradition,** pp. 41-93. Scholars Press, Atlanta.

Edelmean, D. 1995. : "Edom: A Historical Geography". In: D. Edelman (ed.), **You Shall Not Abhor And Edomite For He Is Your Brother Edom and Seir In History and Tradition,** pp.1-13. Scholars Press, Atlanta.

Eph'al, I. 1982. **The Ancient Arabs Nomads in the Borders of the Fertile Cresent 9th–5th Centuries B.C.** Hebrew University, Jerusalem.

Finkelstein, I. 1984. "The Iron Age "Fortress" of the Negev Highlands: Sedentarization of the Nomads" **Tell Aviv,** XI: 189-209.

Finkelstein, I. 1992a. "Stratigraphy, Pottery and parallels: A reply to BienKowski" **Levant,** XXIV: 171 - 172.

Finkelstein, I. 1992b. "Invisible Nomads: A Rejoinder" **Bulletin of the American School of Oriental Research,** 287: 87-88.

Franken, H. and W. Power 1971. "Glueck' s Explorations in Eastern Palestine in The Light of Recent Research" **Vetus Testament,** XXI: 1 19 123.

Glueck, N. 1935. "Exploration in Eastern Palestine, II" **Annual of the American School of Oriental Research,** XV, for 1934-1935. American School of Oriental Research, New Haven.

Glueck, N. 1936. "The Boundaries of Edome" **Hebrew Union College Annual,** XI: 141 - 157.

Glueck, N. 1939. "Exploration in Eastern Palestine, III" **Annual of the American School of Oriental Research**, XVIII- XIX, for 1937-1939. American School of Oriental Research, New Haven.

Glueck, N. 1947. "The Civilization of the Edomites" **Biblical Archaeologist,** X: 77-84.

Glueck, N. 1970. **The Other Side of Jordan**. Revised Edition, American School of Oriental Research, Cambridge.

Goenaga, J. 1993. "Fortification". In: A. Corvisier (ed.), **Dictionary of Military History and the Art of War**, pp. 261 -285.

Hart, S. 1987a. "Five Sounding In Southern Jordan" **Levant**, XIX: 33-47.

Hart, S. 1987b. "The Edome Survey Project 1984-85: The Iron Age". In: A. Hadidi (ed.), **Studies in the History and Archaeology of Jordan III,** pp.287-290. Department of Antiquities, Amman.

Hart, S. 1989. "The Archaeology of The Land of Edom". Unpublished Doctoral thesis, Macquarie University.

Hart, S. & R. Falkner 1985. "Preliminary Report on a Survey in Edom,1984" **Annual of the Department of Antiquities of Jordan**, XXIX: 255-277.

Jackson, L. 1926. "Fortification and Siegecraft" **Encyclopaedia Britannica**, pp 679-725. The Encyclopaedia Britannica Company, LTD. New York.

Kitchen, K 1992. "The Egyptian Evidence on Ancient Jordan". In: P. Bienkowski (ed.), **Early Edom & Moab: The Beginning of the Iron Age in Southern Jordan**, pp.21-35. J.R. Collis Publication, Sheffield.

Kletter, R. 1991. "The Rujm El-Malfuf Buildings and the Assyrian Vassal State of Ammon" **Bulletin of the American School of Oriental Research,** 284: 33-50.

Knauf, E. 1995. "Edom: The Social and Economic History". In: D. Edelman (ed.), **You Shall Not Abhor and Edomite for He is your Brother Edom and Seir in History and Tradition,** pp. 93-119. Scholars Press, Atlanta.

Labiancca, ø and R. Younker 1996. "The Kingdoms of Ammon, Moab and Edom: The Archaeology of Society in Late Bronze/iron Age Transjordan(Ca. 1400-500 BCE)". In: Th. Levy (ed.), **The Archaeology of Society in the Holy Land,** pp. 399-410. An infobase Holdings Company, NewYork.

Lindner, M. Farajat, S. and Zeilter 1988. "ES-Sadeh An Important Edomite - Nabataean Site In Southern Jordan Preliminary Report" **Annual of the Department of Antiquities of Jordan,** XXXII:75-99.

MacDonald, B. 1984a. "The wadi el Hasa archaeological Survey". In: H.Thompson, and M. Lngam (eds), **The Answer Lie below: Essay in Honor of Lawernce Edamund Toombs**, pp.113 128. University Press of America.

MacDonald, B. 1984b. "A Nabatean and / or Roman Military Monitoring Zone Along the South Bank of the Wadi el Hasa in Southern Jordan" **Echos du Monde Classique / Classical View,** XXVIII: 219-234.

MacDonald, B. 1989. **The wadi el Hasa Archaeological Survey 1979 1983, West- Central Jordan.** Wilfrid Laurier University Press, Waterloo.

McDonald, B. 1995. "Edom in the Nonprophetical Corpus". In: D. Edelman (ed.), **You Shall Not Abhor and Edomite for He is your Brother Edom and Seir in History and Tradition**, pp. 23-33. Scholars Press, Atlanta.

Millard, A. 1992. "Assyrian Involvement in Edom". In: P.Bienkowski (ed.), **Early Edom & Moab: The Beginning of the Iron Age in Southern Jordan,** pp 35-41. J.R. Collis Publication, Sheffield.

Moon, H. 1971. "A Political History of Edom in the Light of Recent Literary and Archaeological Research". Unpublished Doctral Thesis.

Oppenheim, A. 1950. "Historical Texets".In: J. Pritchard (ed.), **Ancient Near Eastern Text Relating to the Old Testament,** pp. 266-317. Princeton University Press, New Jersey.

Routledge, B. 1996. "Intermittent Agriculture and the Political Economy of the Iron Age Moab". Unpublished Doctoral Thesis.

Sauer, J. 1984. "Ammon, Moab And Edom". In: J.Aviram and J. Amitai (eds), **Biblical Archaeology Today,** pp.206-215. Israel Exploration Society.

Weippert, M. 1985. "The Relation of the States East of the Jordan with the Mesopotamian Powers during the First Millennium B. C.". In: A. Hadidi (ed.), **Studies in the History and Archaeology of Jordan III**, pp. 97-105. Routledge and Kegan Paul, London.

موقع ميناء عمانا ودوره الحضاري والاقتصادي في منطقة الخليج العربي (1)

حمد محمد بن صراي

ملخص: ميناء عمانا كان يقع في منطقة الخليج ، ورد ذكره في عدد من المصادر الكلاسيكية ، حدد بعضها موقعه في أكثر من مكان على الساحل العربي للخليج العربي وخليج عُمان و على الساحل الفارسي. ولكن موقع الدور في أم القيوين، بدولة الإمارات ، هو المكان الأنسب لميناء عمانا كما تدل على ذلك الآثار ، وكما يفهم من الإشارات الواردة في الكتابات الكلاسيكية، أما سكان عمانا فعلى الأرجح أنهم عرب ، وأما لغتهم فالراجح أنها عربية جنوب شبه الجزيرة العربية مع معرفتهم باللغة الآرامية. وقد لعبت التجارة دوراً مهماً في حياة السكان ، ودلت الآثار ، مثل العملات والفخاريات والزجاجيات والمعادن المصنعة والخرز ، على وجود تبادل تجاري واتصال بين عمانا (الدور) وجنوب شرق إيران وكرمان والهند وبلاد الرافدين وسوريا وعيلام وجنوب شبه الجزيرة العربية وفيلكة والبحرين والعالم الروماني . كما عرف السكان عددا من الصناعات المحلية كصناعة القوارب والملابس والخمور والحديد والذهب . إضافة الى بعض المنتجات الزراعية . ومارس السكان أيضاً الصيد البحري والبري والرعي .

Abstract. *This paper deals with the location of 'Umana port which is situated in the Arabian Gulf Region, and mentioned in some Classical sources. Several places have been suggested for ancient 'Umana on the Persian and Arabian coasts of the Arabian Gulf and the Gulf of Oman. The site of ad-Dur on the coast of the U.A.E. is the best candidate, as is indicated by the archaeological remains of the site and by indications in some Classical sources.*
The population of the site may have been Arabs from south of Arabia. The prevalent language may have been Arabic, written in monumental South Arabian script; Aramaic may also have been spoken in the area. Trade was the main occupation of the people. Archaeological finds, local and imported coins and pottery indicate contacts and exchange with south-eastern Iran, Carmania. India, Mesopotmia, Elam, south Arabia, Failakah, Bahrain and the Roman World. Local products (boats, cloth, wine, iron and gold) are mentioned by the periplus of the Erythraean Sea as products of 'Umana. Agriculture was known in the site as is attested by some archaeological finds. Fishing, hunting and pasturing are evident by the remains of the shells, fish and domesticated and wild animals.

عمانا في المصادر الكلاسيكية :

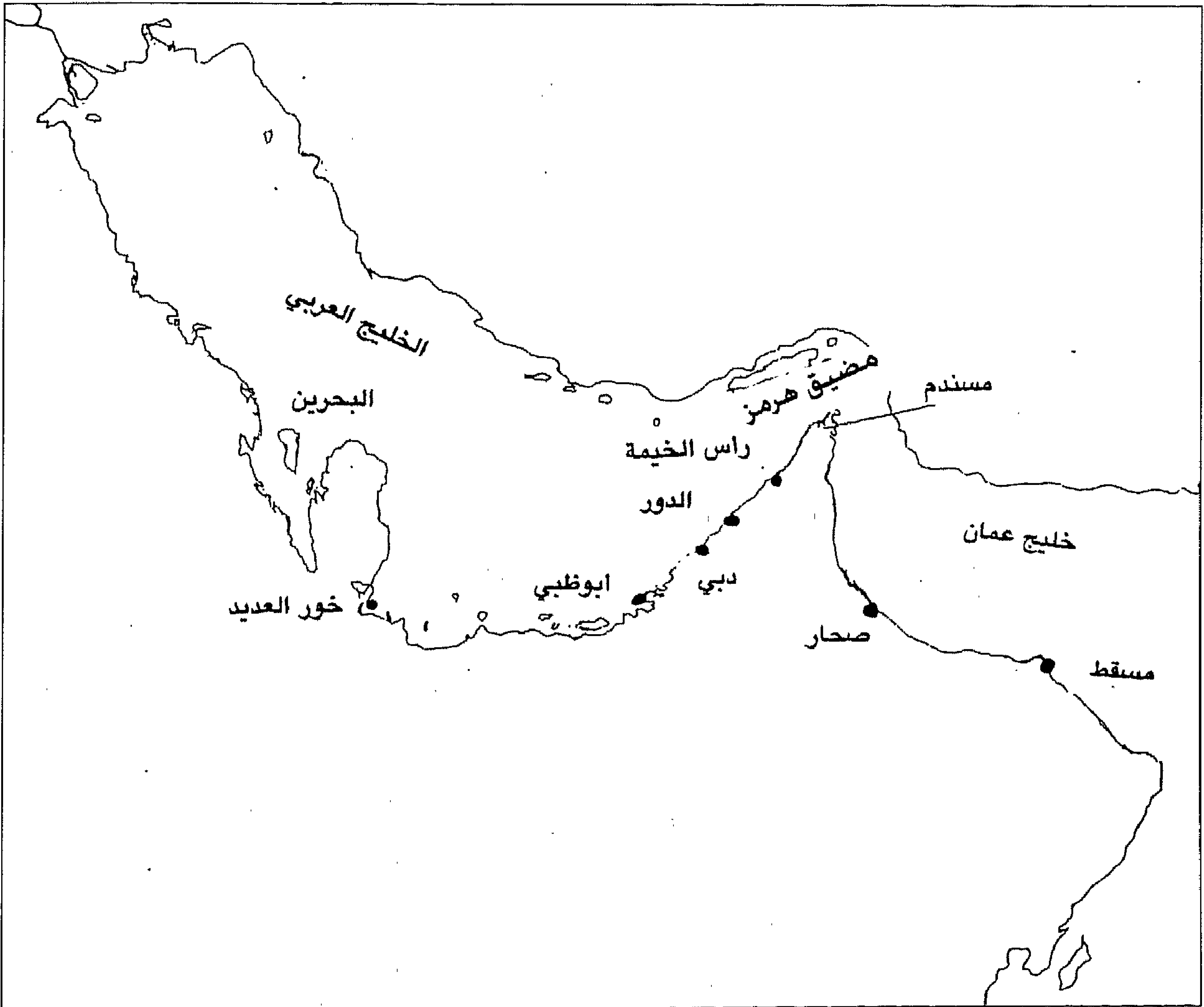
ذُكرت عمانا في عدد من المصادر الكلاسيكية ويعتبر بليني (Pliny) أحد أوائل المؤلفين الكلاسيكيين الذين أشاروا إلى ميناء عمانا، ومن المحتمل أنه في حديثه عن هذا الميناء قد اعتمد على مصادر ترجع إلى القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد، مثل مؤلفات يوبا (Juba)، وإيسدور الكراسيني (Isidorus of Charax) .

ويقول بليني في كتابه التاريخ الطبيعي (Plihy : Vl, xxxii, 148 - 149): «اعتمادا على يوبا (Juba): فإن الساحل بعد ذلك الجزء

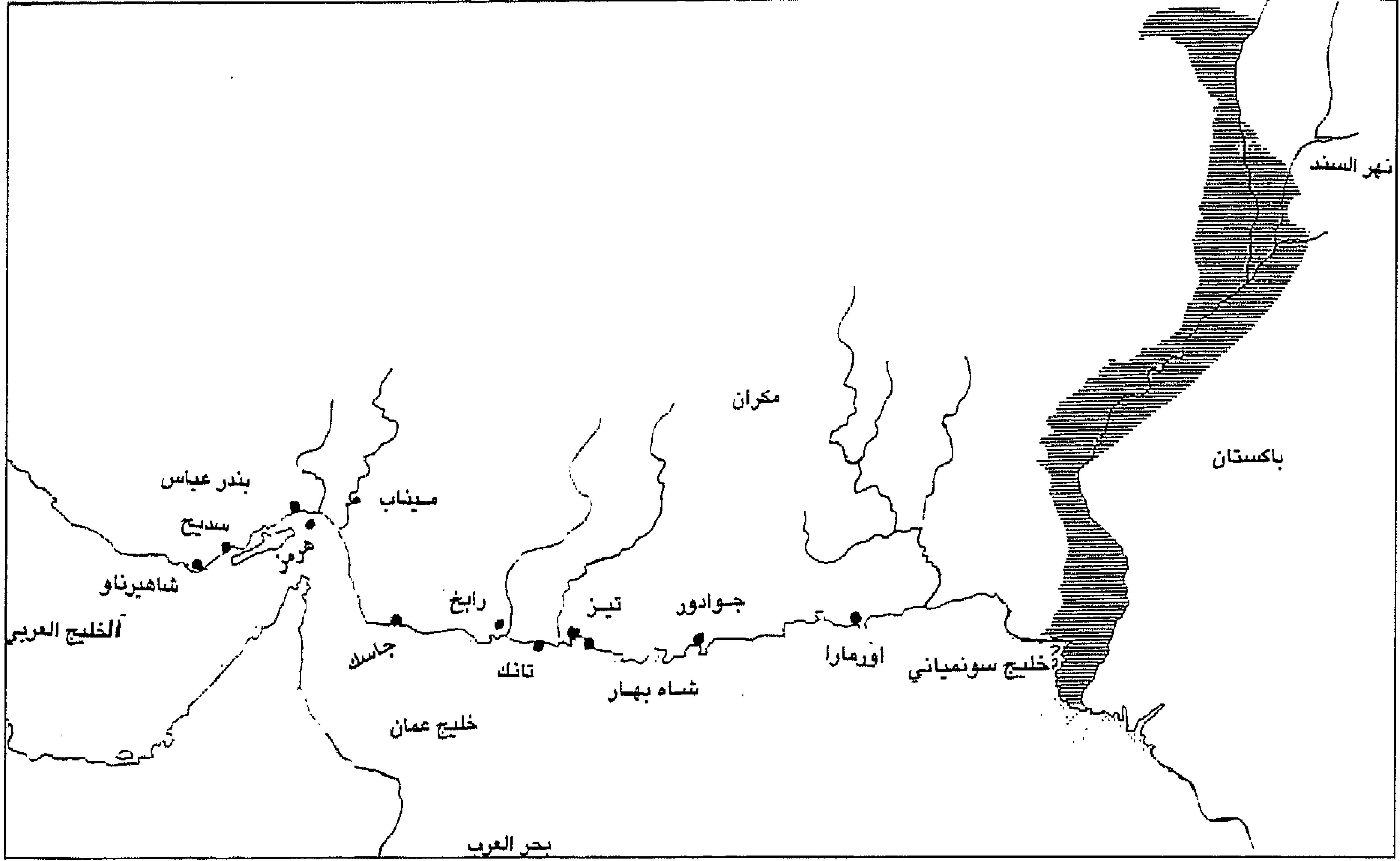
(بعد جزيرة تايلوس (Tylos) [جزر البحرين] لم يستكشف بعد، بسبب الصخور، وقد غفل يوبا عن ذكر باتراساڤاڤي (Batrasavave)، وبلدة عمانا (Omana)، التي قال عنها الكتاب السابقون إنها ميناء مهم لكرمانيا (Carmania)، وكذلك بلدتا هومنا (Homna) وأتّانا (Attana)، (أو أتينه (Attene)، وهي كما يقول تجارنا أنها أهم موانىء الخليج العربي».

ولكن مؤلف كتاب الطواف حول البحر الإيرثري (The Periplus of the Erythraean Sea) قدّم معلومات أوفر وأكثر دقة مما أورده پليني، فهو يذكر في الفقرة ٣٢: «مباشرة بعد ساياچروس (Syagros) يوجد خليج يمتد بعمق في الساحل، هو عمانا التي تبعد ٦٠٠ ستاديا من المدخل، بعدها جبال عالية وصخور وشعاب مرجانية، حيث يعيش أناس في كهوف لمسافة ٥٠٠ أخرى». (Casson: 1989. Schoff: 1912; Huntingford: 1980).

وفي الفقرة ٣٦ يقول: «بعد الإبحار من مدخل الخليج، لمدة ستة أيام تصادف ميناء تجارة فارس، ويدعى عمانا، الذي يتاجر معه تجار بارياچازا،(٢) ويرسلون سفنا كبيرة إلى ميناءي فارس التجاريين: أپولوجوس(٣) وعمانا، ويتاجرون بالنحاس وخشب التيك والدعامات الخشبية الأفقية للسفن وجذوع أشجار الأبنوس. وعمانا كذلك تستورد البخور واللبان من قنا، وتصدّر إلى جنوب شبه



خارطة ١ : المواقع المقترحة لميناء عمانا على ساحل الخليج العربي



خارطة ٢ : المواقع المقترحة لميناء عمانا على الساحل الفارسي لخليج عُمان

الجزيرة العربية قواربها المحلية الصنع التي تسمى ماداراتي. وكلا الميناءين يصدران إلى جنوب شبه الجزيرة العربية وبارياجازا اللآلىء بكميات كبيرة، ولكنها أقل جودة من اللؤلؤ الهندي. والملابس الأرجوانية المحلية الصنع والخمور والتمور بكميات كبيرة والذهب والعبيد. (Casson: 1989. Schoff: 1912; Huntingford, 1980)(٤)»

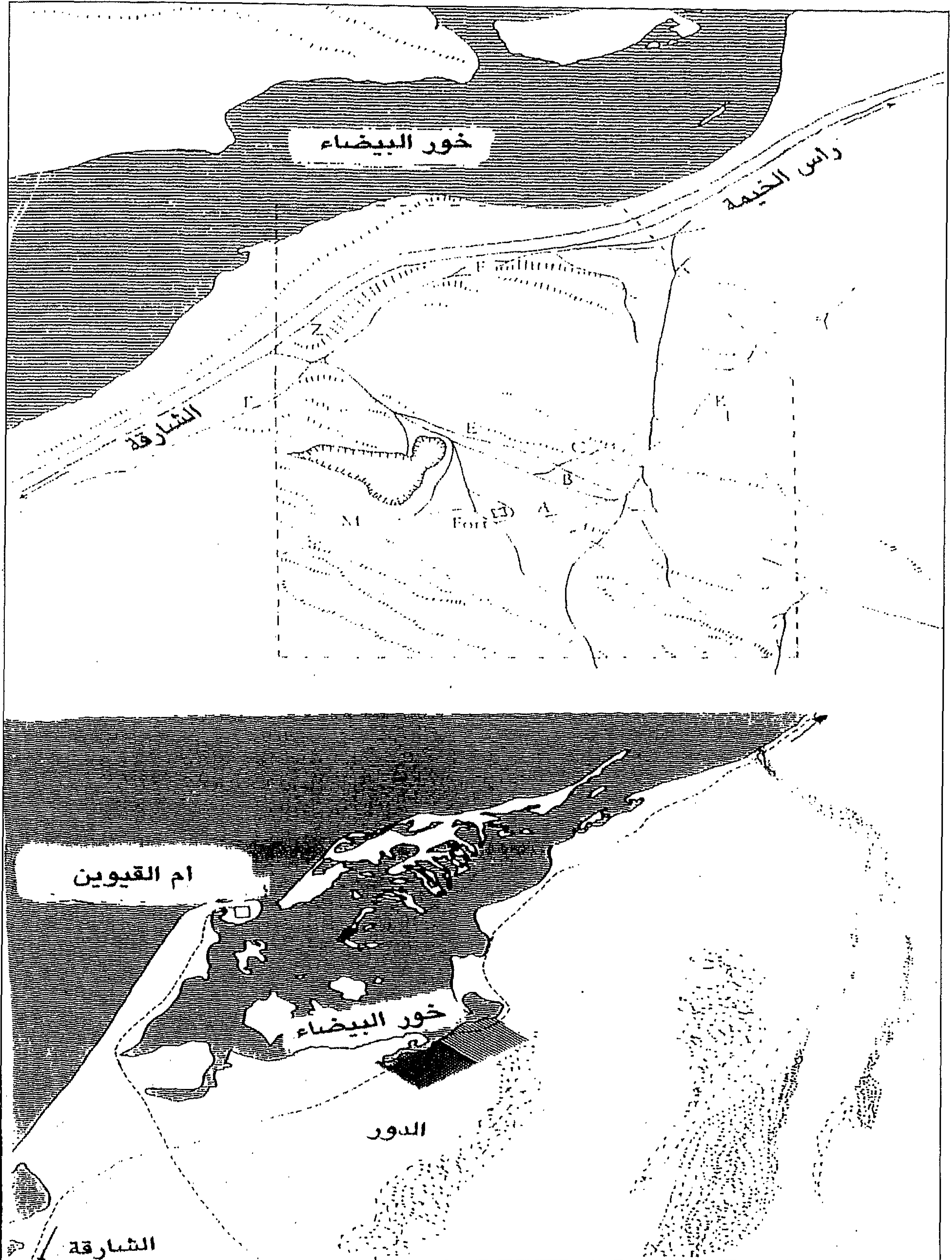
وفي الفقرة ٣٧ يقول الكاتب : «بعد تلك البلاد التي تتبعها عمانا تأتي بلاد پارسيداي (فارس) (Parsidai) ....»

ويعتقد نقولا زيادة (١٩٨٤: ٢٧٤) أن المؤلف لم يصل إلى منطقة الخليج العربي وإنما كانت معلوماته سماعية من التجار والملاحين، ولكن هذا الافتراض لا يبدو صحيحا نظرا لما يصفه الرحالة من سلع وبضائع وتحديد مواقع وموانىء وعلاقات بين عمانا وأپولوجوس في جنوب بلاد الرافدين.

ويرد أيضا اسم «عمانا» في جغرافية بطليموس ضمن الحديث عن الطريق الواقع على امتداد الحواف الجنوبية للربع الخالي، الذي ربما كان طريقاً برياً آخر للبخور واللبان من ظفار إلى حضرموت، كطريق مقابل للطريق البحري بالقرب من الساحل، ويبدأ من صلالة (Dianee Oraculum) عن طريق Omani Fontes و Omanum Emporium و Iala إلى (تريم) Marimalla ومنها إلى Sabbatha (شبوة). (Brice: 1984, 2: 178; Grohmann: 6:976; Potts: 1998, 60.).

تحقيق موقع عمانا :

ظهر منذ القرن الثامن عشر الميلادي، وبناء على المعلومات السابقة، عدد من الافتراضات لتحديد موقع عمانا، وانقسمت الآراء إلى قسمين: قسم يرى أنها تقع في مكان ما على الساحل الفارسي لخليج عمان، والقسم الثاني يقول إنها على الساحل العربي للخليج وخليج عمان (خارطة١، ٢)، ومن المواقع التي تم تحديدها على الساحل الفارسي (Potts: 1991, 2:306;Mathew: 1957, 157.) قرية راپاكاباندين (رابغ) على ساحل مكران (Lorimer: 1908,2/b: 1152; Mockler: 1879, 148-149.).



خارطة ٣ : (١) تشير الحروف إلى المناطق التي تم التنقيب فيها بموقع الدور
خارطة ٤ : (٢) الموقع الجغرافي والبيئي لموقع الدور الآثاري



لوحة ١ : منظر عام لخور البيضاء من على موقع الدور

في موضع ما على خليج شاه بهار، الواقع على بُعد ٩٦ كم غرب جاودر، و ٦٤ كم شرق تانك. إذ توجد على الجهة الشرقية للخليج بعض الآثار والخرائب. (Bunbury, 1879, 2: 61; Beeston: 1981, 357). وهرمز (Brunner: 1983,3 (2): 772, 756. Tarn: 1951, 481-482;) التي كانت ميناء مهما في العصور الوسطى. (Stein: 1937, 189-190; al-Balooshi: 1990, 42-44.)، وتيز التي تقع على نقطة وسط من الساحل الشرقي لخليج شاه بهار ولا تبعد أكثر من ٩,٦ كم شمال بلدة شاه بهار. (Boucharlat,& Salles: 1981,67.) وتعتبر تيز من أقدم البلدات والموانىء في منطقة مكران. (Holdich: 1910, 299-301; Le Strange: 1930, 329-330; Stein: 1937, 87-93; Spooner: 1971, 519-520; al-Humaidi: 1988, 191-194).

من المواقع التي تم تحديدها على الساحل العربي للخليج العربي وخليج عمان «صحار» الميناء العماني المشهور، (Miles: 1878, 164-165, Hourani: 1951, 17; Wilkinson: 1964, 348, f,n. 6.) أو مسقط (Stiff: 1897, 614; Simkin: 1968,39). وقيل أن عمانا ربما كانت تقع في مكان ما على الساحل بين أبوظبي وخور العديد في جنوب قطر. (Schoff: 1912,150.).

ويرى عدد من العلماء أن موقع الدور في إمارة أم القيوين بدولة الإمارات العربية المتحدة هو ميناء عمانا (Potts: 1988, 155; 1991a, 2: 310; Salles: 1992, 233.). والدور يقع بالقرب من الطريق الحديثة التي تربط بين رأس الخيمة من جهة وبين الشارقة ودبي من جهة أخرى (خارطة ٤،٣)، وتبعد الدور كيلاً واحداً من خور ضحل يعرف بخور البيضاء الذي ربما كان مرفأ جيداً للسفن في العصور الغابرة أو في فترة ازدهار الموقع، على الرغم من أن آثار الموقع تبعد حوالي ٣ كم من الساحل، وتبلغ مساحة الموقع نحو ٤×١ كم٢، ويوجد إلى الغرب من الموقع وعلى طول الساحل وعلى الجانب الشرقي من الطريق، كميات من الأصداف وعظام الأسماك والتي ربما تحدد الساحل القديم للموقع، (Salles: 1978 - 1979, 82; Philips: 1987,2;

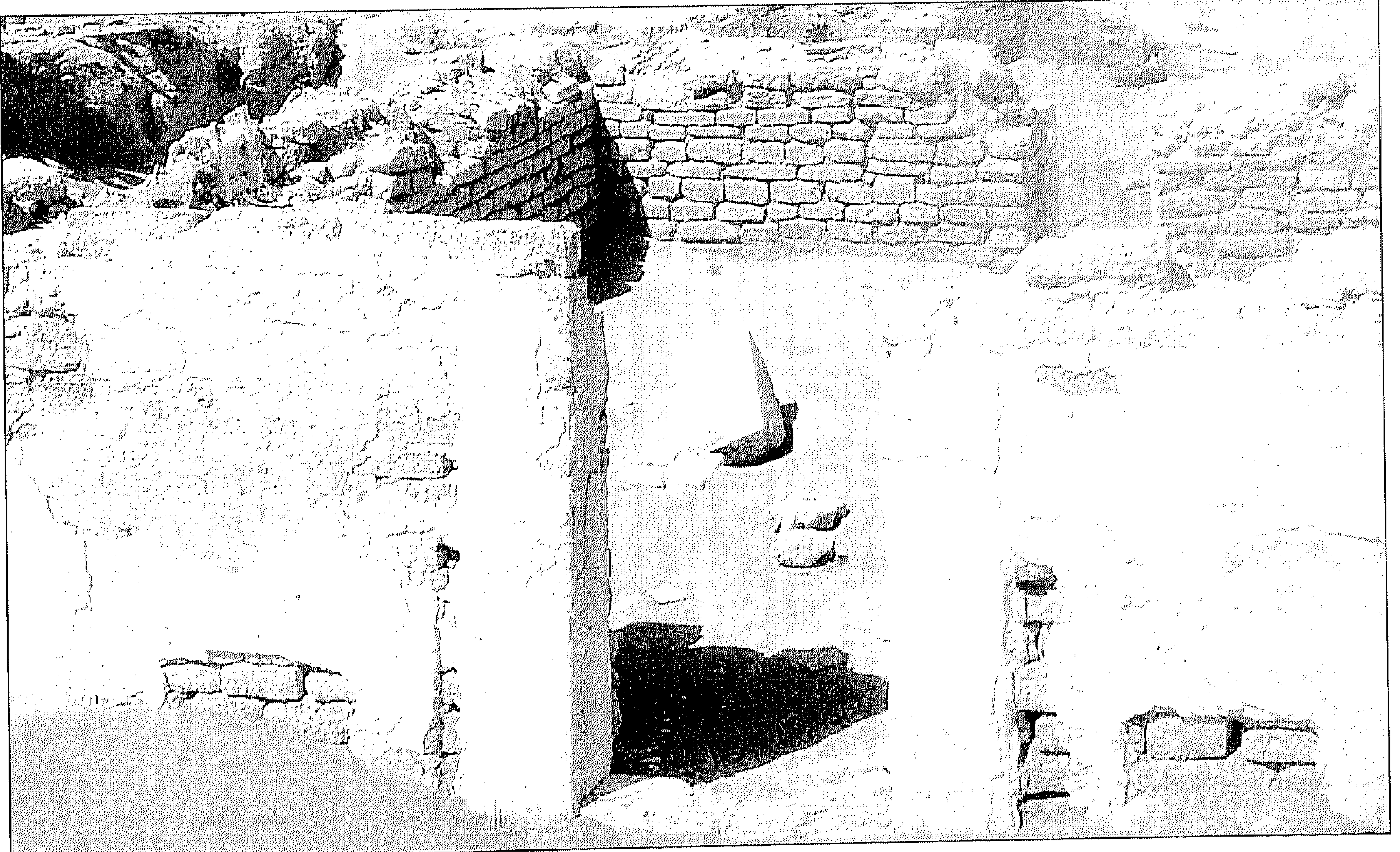
Boucharlat, R.et al. :1989, 6 - 8; Potts: 1991a, 2:274) ويحتمل أن خور البيضاء لم يكن موجوداً في السابق، إبان ازدهار الموقع.

بدأت عمليات المسح والتنقيب عن آثار الدور على يدي بعثة آثار عراقية بين عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٤، ومنذ عام ١٩٨٠ بدأت فرق تنقيب أوروبية (إنجليزية وفرنسية ودانماركية وبلجيكية واسترالية). وخلال سنوات التنقيب، حددت الفرق الآثارية ٥٠ منطقة رئيسة للتنقيب في الموقع، وقد نالت أخبار الموقع تغطية إعلامية كبيرة منذ أن بدأت فرق التنقيب الأجنبية العمل في الدور، وتوصلت هذه الفرق إلى نتائج آثارية مهمة، سنذكرها لاحقاً.

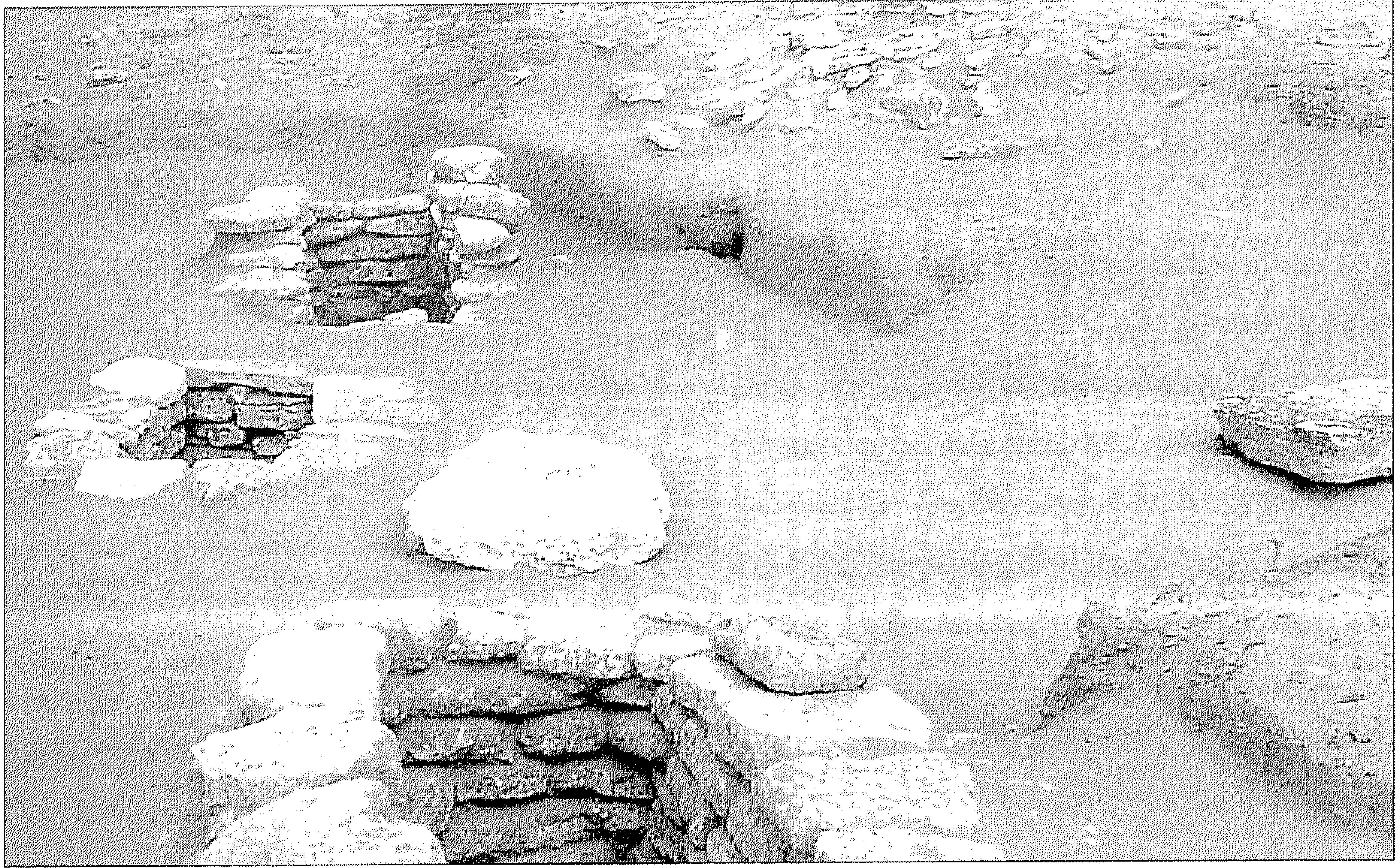
والقول بأن موقع الدور هو ميناء عمانا القديم يدعمه عدد من الأدلة الكتابية والآثارية. هي :

١- ذكر بليني (Pliny, Vl: xxxii, 148-149) أن عمانا تقع بين الساحلين العربي والكرماني بدون الإشارة لجدراسيا. ولا يوجد من المواقع السابقة على ساحل كرمان ولا حتى على ساحل مكران ما ينطبق عليه كلام بليني.(Haerinck: 1998a, 276; Potts: 1991a, 2:308) كما أن بليني يتحدث عن عمانا ضمن حديثه عن ساحل الخليج العربي جنوبي تايلوس (البحرين)، لذا ذكر ضمن حديثه بلدة أو ساحل أتينه (Attene) وهي لفظة قد تكون تحريفا للفظة الخط وهو ساحل البحر الممتد من جنوب العراق إلى قطر وقيل هو ساحل البحرين. (جروم : ١٩٨٢ ، ٩٩،١٠١؛ علي : ١٩٨٠، ٣٨ ، ٣٩، ٤٣؛ فهد : ١٩٧٦، ١ : ٣٢، ٣٥). وذكر بليني أيضا باترا ساڤاقي على أنها في حدود عمانا، ولا تبعد عن أتينة، وحدد البعض مكانها في جنوب شرق قطر أو في شبه جزيرة مسندم أو في مكان جلفار أو مكان مسقط أو قلهات أو صور، ولا تبعد بلدة هومنا أيضا عن ساحل عمان أو البحرين، (Gnoom: 1995,188, 189; Potts : 1991 q: 305 - 306; Wikinson: 1964,348,n: 6).

٢- بعض المواقع المقترحة لميناء عمانا والواقعة على الساحل الفارسي لخليج عمان لا ينطبق عليها ما ذكره بليني وصاحب كتاب الطواف من حيث قرب



لوحة ٢ : منظر لمعبد الدور



لوحة ٣ : منظر لمجموعة من القبور في الدور

وبُعد عمانا عن مدخل الخليج العربي، مثل قرى : جاسك لكونها قريبة جدا من مدخل الخليج وليست على بعد إبحار ستة أيام، بينما أورمارا بعيدة جدا عن المضيق. وهرمز لا تدل آثارها على تاريخ أبعد من العصور الوسطى وليس إلى عصر يليني وصاحب كتاب الطواف، كما أن المواقع الأخرى لا تدل آثارها وتاريخها المعروف على قدمها الزمني العائد إلى فترة كتاب الطواف، (بن صراي أ- ١٩٩٨، ١٠٥؛ Potts: 1991a, 2: 308)، كما أن ساحل فارس ومكران(٥) فقير آثارياً نظرا لضيق الساحل في بعض المناطق وقلة الموانيء عليه، (Boucharlat,& Salles: 1981, 65, 66.).

٣- أما من افترض أن صحار(٦) هي ميناء عمانا، فهذا يعتمد على كيفية قراءة وفهم عبارة كتاب الطواف من حيث وقوع عمانا على بعد ستة أيام من مدخل الخليج، فويلكينسون (Wilkinson) يقول: «أن عدداً من المؤلفين اعتبروا خليج عمان جزءاً من الخليج العربي». (Wilkinson: 1964, 348, n. 6). وعلى أساس هذا الاعتبار يكون صاحب كتاب الطواف ربما يعني بمدخل الخليج منطقة رأس الحد وليس مضيق هرمز»، (Haerinck: 1998a, 276-277; Wilkinson:1964,348,n.6) ، ولكن هذا الاستنتاج لا يتفق مع وصف يليني للساحل الجنوبي للخليج العربي من جنوب قطر، حيث يذكر أن عمانا تقع ضمن هذا الساحل، وليس ضمن ساحل خليج عمان، (Potts : 1991a, 2: 308).

٤- ذكر ستيفانوس البيزنطي عمانا على أنها مدينة بجوار إيوالينوي وهم سكن أوال (البحرين)، (Stephen of Byzantium:1959, 491; Potts:.1991a, 2: 308-309).

٥- إن الإبحار بالسفن التقليدية من ساحل الإمارات حيث موقع الدور أو من دبي بالتحديد قد يستغرق ستة أيام كما أشار صاحب كتاب الطواف، فمثلاً السفر على «بوم» تقليدي من دبي إلى «كمزار»(٧) يستغرق من ستة إلى ثمانية أيام في ظروف مناخية صعبة وعَبْر جزر وشعب مرجانية وصخور ورياح. وقد

قام الرحالة الألماني هيرمان بورخاردت برحلة من دبي إلى كمزار استغرقت ثمانية أيام، (Burchardt: 1906, 319-320).

٦- أما الآثار في الدور فتقع زمنياً بين القرن الثاني ق.م. والقرن الثاني الميلادي. مع العلم أن عصر صاحب كتاب الطواف هو القرن الأول الميلادي، من ثمّ فإنه قد زار عمانا إبان ازدهارها. (Potts: 1991a, 2: 309).

المباني والمساكن :

نقّبت بعثة عراقية في تل يقع في الجانب الجنوبي الشرقي من موقع الدور، وبعد إزالة الرمال والأتربة، اتضح أنها عبارة عن مبنى مربع، أسواره من الحجارة الصلدة، كما نقّبت البعثة في تل آخر أكبر حجما، يقع إلى الجنوب من الأول بحوالي ١,٦ كم، حيث عُثر على آثار تدل على كونها قلعة مسورة ذات أربعة أبراج مدورة يبلغ قطر كلّ منها ٤ أمتار بُنيت من الصخور الساحلية، وبداخل القلعة عُثر على ثلاث غرف، وواصلت فرق التنقيب الأوربية البحث في آثار الدور فعثرت على معبد له أربعة مذابح، وهذا المعبد مكون من غرفة واحدة تبلغ مساحتها ٨ × ٨,٣٠م، طُليت بالجبس، ولها بابان أحدهما كبير في وسط الجدار الغربي والآخر صغير في وسط الجدار الشرقي (لوحة ٢).

وقد شُيدت معظم المباني في موقع الدور من صخور ساحلية جيرية متحجرة، تكسر وتهذب ثم تستخدم في البناء، وتوجد هذه النوعية من الصخور في مناطق المد والجزر الساحلية الضحلة، واستخدم المستوطنون أيضا المرمر كغطاء للنوافذ، وهذا دليل مهم على استخدام المرمر في شبه الجزيرة العربية، وأغلب هذه المباني على شكل مستطيل أو مربع، وأغلبها مطلي بالجبس.

أما المساكن في الموقع فغير واضحة المعالم، يعود ذلك إلى أنها كانت مبنية من مواد تستهلك وتزول بسرعة كسعف وجذوع النخيل والأخشاب مثلاً، (Haerinck: 1998a, 274; Salles: 1990, 8.)، كما كان الحال في المنطقة قبل اكتشاف النفط، بل إلى عهد قريب، (Kay: 1989,53-56; 1990, 10-13).

القبور :

عثر المنقبون أيضاً على تشكيلات جنائزية (لوحة ٣) بمساحات متفاوتة مبنية من حجارة ساحلية متوافرة في الموقع. ويزيد عدد هذه القبور على ٢٢ قبراً، وكان عدد من هذه القبور قد نُهب وبُعثرت محتوياته في أزمان ماضية، وربما كانت تضم أشياء ثمينة، وتحتوي هذه القبور على مجموعة من الهياكل العظمية لذكور وإناث في أعمار مختلفة بين ٢٠ إلى ٣٠ عاماً وبعضها يبلغ ٤٥ عاماً. وبعض هذه القبور مستطيلة الشكل تبدأ بمدخل ضيّق، مبنية من الصخور المحلية الموجودة في الموقع، ومسقفة بنفس الحجارة أيضاً، وأرضياتها مبلطة، ونوع آخر من القبور دائرية الشكل تقريبا وهي غير مبلطة الأرضية، ولا يعرف كيف كانت مسقوفة، وهي أصغر من القبور الأولى.

وفي مجموعة من هذه القبور عُثر على هياكل عظمية لأطفال تتراوح أعمارهم بين ٣و٨ سنوات، وبقربهم مجموعات من الفخار والزجاج وبعض الخرز المصنوع من اللؤلؤ، وتايخ هذه المعثورات هو نفس تاريخ الموقع المذكور سابقاً. (Morgan:1998, 59.).

الأدوات والأواني الفخارية :

وُجدت في الموقع كميات كبيرة من الكسر الفخارية والأواني الفخارية الكاملة متنوعة الأحجام، بعضها مستورد وبعضها مصنع محلياً، (شكل ١)، وأنواع من جرار التخزين من ضمنها جرار سوداء الحواف وصفراء، وجرار رقيقة الصنع مختلفة الألوان، كما عُثر على أدوات معدنية كرؤوس السهام والمسامير الحديدية. وعُثر على أوانٍ زجاجية متنوعة الأشكال والأحجام، رومانية وبارثية الأصل.

وعُثر أيضا على أنواع من الحلى برونزية كالخواتم والأساور والأجراس، ومباخر وتماثيل صغيرة متعددة

الأشكال، وكميات كبيرة ومتنوعة من الخرز مصنوعة من مواد متنوعة كالحجارة شبه الكريمة والزجاج البرّاق، كما تم اكتشاف صنجة وزن من رصاص، معلق فيها حلقة حديدية، وعُثر كذلك على مغارف للخمر هي الثانية من نوعها يتم اكتشافها في منطقة الخليج العربي إذ وجدت سابقاً في البحرين.

أما الأدوات الزجاجية فهي متعددة الأنواع والأشكال والهيئات، وعدد كبير منها في حالة جيدة، وتعود هذه الزجاجيات إلى أصول رومانية وميسانية ونبطية وهندية وپارثية ويمنية، وهذا التنوع الكبير يدل على الصلات التجارية والاقتصادية بين موقع الدور والمناطق المجاورة، وهي تعود زمنياً إلى الفترة من القرن الثاني ق.م. إلى القرن الثاني م، وقد قام ديفيد وايتهاوس بإعداد كتاب قيّم عن هذه الأدوات الزجاجية، وهو عبارة عن موسوعة جامعة للأواني الزجاجية في موقع الدور، إذ بوّبها وصنفها وبيّن أصولها، (Whitehouse: 1998, Passim).

العملات :

عُثر في موقع الدور، مع بداية التنقيب على يدي البعثة العراقية، على ثماني عملات تعد من أهم المكتشفات التي وجدت على السطح؛ اثنتان ميسانيتان، [٨] وأربع عربية محلية السك، والباقيتان لم تحدد هويتهما (لوحة ٤)، ولم يعثر على عملات في المبنى الذي اكتشفته البعثة العراقية والذي اعتُبر قلعة الموقع، (سلمان : ١٩٧٤ : ٦٤ ؛ al-Qaisi: 1975,106-130)، ومع تواصل عمليات التنقيب عُثر على مجموعات كبيرة من العملات، بلغت أكثر من ٣٥٠ عملة، ذات أحجام وأوزان وأنواع مختلفة، ومن هذه العملات ما يعرف بعملات أبي إيل وهي أنواع مختلفة منها فئة أوبل (Obol) وفئة الدراخمة وعملات ميسانية وعملات سلوقية، إذ اتضح بعد فحصها أنها مقلدة، وهذه العملات عادة ما يسك على بعضها صورة الإسكندر أو الإله هرقل أو الإله الشمس أو النخلة، كما نقش على بعض منها حروف المسند أو الآرامية أو اليونانية أو اللاتينية. ومن العملات الميسانية ما يعود إلى فترات حكم ملوك ميسان : أتامبيلوس الرابع (١٠١-١١١م) وأتامبيلوس السادس (١٨٠-١٩٥م).

(Haerinck: 1998a, 297; Haerinck: 1998b, 278 ff; Potts: 1991a, 2: 276,288-291; 1991b, 25, 36, 45, 49-50, 55, 59, 62, 73, 74, 79, 84, 86. 97-101; Potts: 1997, 64.)

ووجود عملات ميسانية في موقع الدور ربما يدل على الارتباط السياسي والاقتصادي بمملكة ميسان في جنوب بلاد الرافدين. (Haerinck: 1998a, 284; 1998c, 27).

وعُثر أيضاً على قطعتي نقد خارج المعبد تعودان إلى جنوب شبه الجزيرة العربية نُقش عليهما ثلاثة حروف سبئية هي «ش ق ر»، ربما تشير إلى القصر الملكي في شبوة. والعملتان تعودان زمنياً إلى منتصف القرن الثاني الميلادي. وتتشابهان تماما مع عملات عُثر عليها في «قنا» وأرّخت ما بين نهاية القرن الثاني وبداية الرابع الميلاديين. (Haerinck: 1998a, 284-286; 1998c, 33) وعُثر كذلك على ثلاث عملات نبطية تعود إلى عهد الملك النبطي المشهور الحارث الرابع المعروف بـ «المحب لشعبه». ونُقشت صورته إلى جانب صورة زوجته الثانية شقيلات، وتعود إلى الفترة من ٢٠ إلى ٤٠م،



شكل ١ : صورتان لكأسين من موقع دورايوروپوس

(Haerinck: 1998a, 289 - 290 - 1989c, 31) وتواجدت في الدور أيضاً عملات رومانية تعود إلى عهدي الإمبراطورين أغُسطس (٣٠ق.م - ١٤م.)، وتيبريوس (١٤ - ٣٧م). (Haerinck: 1998a, 290).

إن وجود العملات المعروفة بعملات «أبي إيل» فقط في موقع الدور وموقع آخر يُعرف بمليحة [٩] تدل على قيام تبادل تجاري داخلي في شبه جزيرة عمان، وربما كان أبي إيل هذا حاكماً عظيماً أو شخصاً له مكانة عالية في المنطقة، ومن ثم أصبح هذا الاسم لقباً لأكثر من حاكم أو مسؤول. أو ربما وُجد في المنطقة أكثر من حاكم تسمى باسم «أبي إيل»، وتعدد العملات وتنوعها يدل على التبادل التجاري الواسع بين موقع الدور وبلاد الرافدين ومنطقة البحر المتوسط وسوريا وشبه القارة الهندية وفارس وجنوب شبه الجزيرة العربية والمنطقة النبطية. وهذا التبادل الكبير تم عن طريق التجارة البرية والبحرية. (Haerinck:1998a, 297-298; 1998b, 288 ff.; 1998c, 24,26, 1999, 124-128;Potts: 1997,65).



لوحة ٤ : مجموعة من العملات من موقعي الدور ومليحة

ويعرف عدد من العملات التي عُثر عليها في موقع الدور بعملات الإسكندر المقدوني، بناء على وزنها وشكلها وهيئتها، ووجود صورة الإسكندر منقوشة عليها وتنقسم إلى نوعين : أحدهما من الفضة الخالصة، والآخر من الفضة المخلوطة بالبرونز، وقد سُك اسم الإسكندر على هذه العملات بعد وفاته على الأقل بقرن، وربما اعتُبر رمزاً لزيوس أو شمس، (Robin: 1974, 85.).

السكان :

فيما يتعلق بسكان موقع الدور وأصولهم ولغتهم وديانتهم ومهنهم، فهذا غالباً ما يعتمد على ما اكتشف من آثار ومخلفات مادية في الموقع، وفي نفس الوقت لا ينفصل هذا عن عموم الهجرات السكانية والأصول العرقية التي استوطنت واستقرت في شبه الجزيرة العمانية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد إلى ما بعد القرن الثاني الميلادي. إضافة إلى ما ذكر حول أولئك السكان في المصادر الكلاسيكية والعربية الإسلامية، ومن الأمثلة على هذه المصادر، ما ذكره الجغرافي اليوناني المعروف، إسترابون (Strabo, XVI. iii, 4) من أن شعبا سماه Ichthyophagi (أي أكلة السمك)، يعيش على السواحل العربية والفارسية للخليج، واسم Ichthyophagi يشير إلى أي شعب يسكن بالقرب من الساحل وتكون الأسماك والمحار والقشريات غذاءه الرئيسي، ولا تدل عبارة إسترابون أبدا على العرق أو الجنس الذي ينتمي إليه السكان، (بن صراي: ١٩٩٤، ٥٨؛ أ-١٩٩٨، ١١٤)، ومن خلال ما اكتشف من كميات كبيرة من عظام الأسماك والصدفيات والمحار في موقع الدور نتعرف على أن سكان المستوطنة قد اعتمدوا على المنتجات البحرية في غذائهم الأساسي، مما يؤكد عبارة إسترابون.

وفي إشارة أخرى لسكان شبه جزيرة عمان، يقول إسترابون إن قبيلة تدعى ساباي (Sabaé) تقطن شبه الجزيرة العمانية، وربما كانت «ساباي» هذه إشارة إلى «سبأ» القبيلة والدولة المشهورة في اليمن، مما يدل على

قيام هجرة قبلية جنوبية عربية، أو هي مقدمة لهجرة لأزد، القبيلة العربية المعروفة، وقد أشارت بعض المصادر العربية الإسلامية إلى أن عُمان كانت تحكم من قِبل عرب اليمن قبل وصول قبيلة الأزد إلى المنطقة، (بن صراي : ١٩٩٤، ٥٨؛ أ-١٩٩٨، ١١٤-١١٥؛ Strabo: XVI, iii, 4, iv. 10).

وقد ذكر عدد من المصادر العربية الإسلامية هجرة فرع من قبيلة الأزد من اليمن إلى عُمان، بعد انهيار سد مأرب (سيل العرم)، في فترة ما قبل الإسلام. (ابن حزم الأندلسي : ٩٦٢، ١٢؛ المسعودي : ١٩٦٦، ١، ٢٣٠-٢٣١). وقد نسب الرواة الأزد إلى الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان من قحطان. وذكرت الروايات أيضا أن الأزد كانوا تحت قيادة مالك بن فهم عندما هاجروا إلى عمان. وتسموا بأزد عمان. (البلاذري : ١٩٥٩، ١ : ٢٨ - ٢٩؛ بن صراي : ١٩٩٤، ٦٠؛ كحالة : ١٩٤٩، ١: ١٥ - ١٦؛ Anani, & Whittingham,1986, 24.) أمـا وجود قبيلة الأزد وغيرها من قبائل جنوب شبه الجزيرة العربية في شبه جزيرة عمان فقد دل عليه ما اكتشف من آثار تحمل كتابة بحروف المسند، وقد وُجدت في الدور وغيرها من المواقع في دولة الإمارات وسلطنة عمان، وهذه الحروف منقوشة على الفخاريات والأدوات البرونزية والحجرية. ومن أمثلة هذه الحروف : الألف (𐩱) والباء (𐩨) والسين (𐩪) والسين رقم ٣ (𐩯) والشين (𐩦) والطاء (𐩷) والكاف (𐩫) والواو (𐩥). (بن صراي : ١٩٩٤، ٦١؛ العبودي : ١٩٩٠، ٤٦ - ٤٧؛ Haerinck: et.al., 1991, 41 Potts: 1991a, 2: 294).

وقد عثر على عدد من تماثيل الجمال التي ربما تدل على الأصل العربي للسكان من حيث ارتباط هذا الحيوان غالباً بعرب شبه الجزيرة العربية، (بن صراي، ١٩٩٩، ٣٧؛ Haerinck, 1996 ,69, 72; Potts: 1991a 2: 278.).

إن البيئة الحالية المحيطة بموقع الدور (عمانا) فقيرة زراعيا ومائيا، مما يجعل البعض يتساءل حول كيفية معيشة نسبة كبيرة من السكان في مثل هذا المحيط، (Haerinck: 1998c, 26; Salles: 1992, 232) ومع صحة هذا الاستنتاج إلا أن البيئة الفقيرة زراعيا ومائيا ليست دائما عقبة تعيق تجمّع نسبة كبيرة من السكان، وخير مثال على ذلك في منطقة الخليج العربي، في العصر الحديث، مدينة الكويت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر إذ سكنها آلاف من الناس، اعتمدوا في حياتهم ومعيشتهم غالباً على الصيد والغوص للبحث عن اللؤلؤ والسفر للتجارة. وكانوا يحضرون مياه الشرب من واحة الجهراء القريبة، الواقعة إلى الشمال الشرقي من مدينة الكويت أو من جزيرة فيلكة أو أحياناً من البصرة وشط العرب عن طريق القوارب، واستمر هذا الوضع حتى أوائل القرن العشرين، (إبراهيم : ١٩٨٢، ٣١٢-٣٢٠؛ القـيـل : ١٩٧٢، ١٩٠، ٢١٤، ٢١٨-٢١٩؛ Salles: 1992,232) ويرجح أن سكان الدور (عمانا) قد قاموا بنفس الشيء إذ جلبوا المياه من الواحات القريبة كفلج المعلا مثلا، أو ربما كانت البيئة في السابق تختلف عن الآن، أو أنهم حفروا الآبار للحصول على الماء، وقد عُثر في الموقع على بعض الآبار، وهذا دليل على قيام السكان باستخراج المياه من الآبار. (طه : ١٩٨٩، ٢٤٠)،

الكتابات المكتشفة في موقع الدور :

عثر الآثاريون على نقش باللغة الآرامية يتكون من تسعة أسطر منقوشة على إحدى جوانب مبخرة، وهي على شكل حجر مستطيل، موضوعة على واحد من المذابح الأربعة بالقرب من المعبد في موقع الدور. وهذا النقش أطول النقوش الآرامية حتى الآن، عُثر عليه في جنوب الخليج العربي، ولكن النقش صعب القراءة نظراً لكونه في حالة سيئة، وعلى الرغم من ذلك فإن «تيخسيدور» (Teixidor) يعتقد أن آرامية هذا النقش تتشابه مع آرامية الحضر، (Haerinck, et al.: 1991, 36; Potts: 1991a, 2: 278).

كما تم العثور على كسرة فخارية، عليها خمسة حروف بالقرب من مدخل المعبدة في الدور، ويعتقد البعض إنها حروف آرامية، وقرئت على أنها حروف : «ع ر ب ن»، وهي ربما تعني : «عربا أو أعرابا»، ويمكن أن تُقرأ على أنها: «ع ر/ د ك ن /ب»، ويرى البعض أن هذه الحروف نبطية. (Boucharlat, et al..1989,: 67,n. 47; Eph'al: 1982, 6-11) ووجدت على

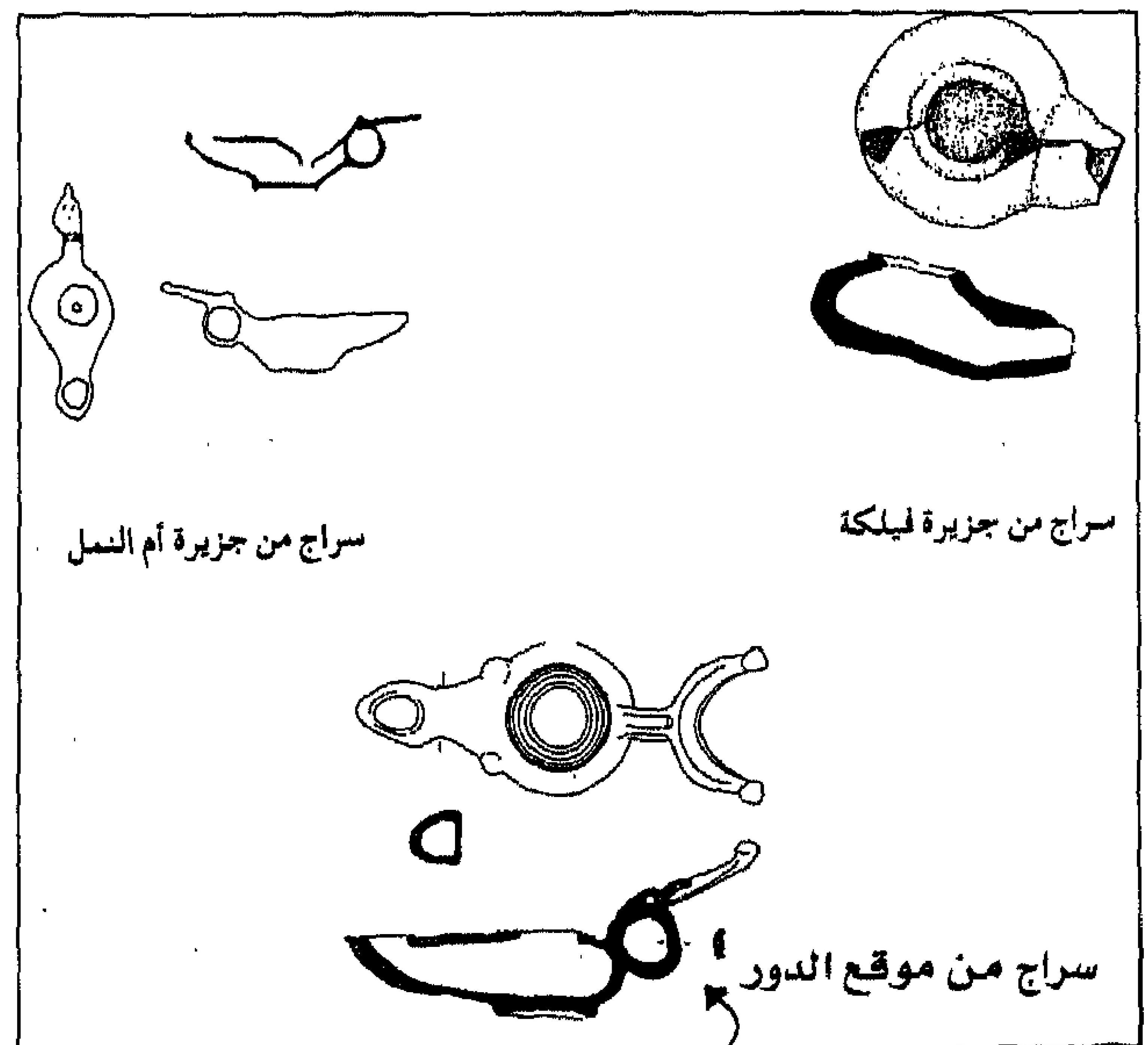
العملات المكتشفة في الدور حروف آرامية، (Potts: 1991b, 97-100.) ربما هي آرامية حسب اللهجة الميسانية/ المندنائية.

كما تم العثور على حروف يونانية مكتوبة على بعض الفخاريات، ومنقوشة على عدد من العملات المكتشفة في الدور. وعُثر أيضاً على حروف لاتينية (LNV.....) على كسرة لجرة فخارية من منطقة Z. (Boucharlat, et al.: 1989, 26, 27, fig. Y. 2; Potts: 1991a, 2: 277; 1991b, 101, 109, 117).

الديانة :

عثر في الموقع على تمثالين لطائر بالقرب من منطقة F، ارتفاعهما حوالي ٤٥ سم، وعُثر على تمثال لطائر ثالث في منطقة M، ويحتمل أن يكون المعبد هو المكان الأصلي للتماثيل الثلاثة (لوحة ٢)، وهي فيما يبدو تمثل النسر أو الصقر أو العقاب، (بن صراي: أ- ١٩٩٨، ١١٧; Boucharlat, et al.: 1989 , 38-39,67 .(Potts: 1991a, 2: 279

ووجود هذه التماثيل ربما يكون إشارة لعبادة النسر التي كانت معروفة في شبه الجزيرة العربية في



شكل ٣ : صور تبين التشابه بين مسارج موقع الدور ومسارج مكتشفة في جزيرتي فيلكه وأم النمل

فترة ما قبل الإسلام. وقد انتشرت عبادة النسر بين حمير وبالذات قبيلة ذي الكلاع الحميرية. (ابن الكلبي : ١٩٢٤، ١١-١٢، ٥٧؛ الطبري: ١٩٥٤، ٢٩ : ٩٩؛ الزبيدي : ١٩٧٤، ١٤: ٢٠٨؛ القيسي: ١٩٧٦، ٣٧-٣٨؛ الشامي : ١٩٨٦، ١٣١-١٣٢)، وورد ذكر النسر في بعض نقوش المسند بصيغة: «ن س ر م» و«ن س ر و»، وارتبطت عبادته في أرض همدان بعبادة عشتر. .(Fahd: 1968, 132-134; Robin:1982, 1: 59-61.) وترد إشارة في التلمود إلى وجود معبد نشرا (أو نيشترا) في شبه الجزيرة العربية. (.Krauss: 1916, 49). أما القرآن الكريم فيجعل النسر من أصنام قوم نوح، عليه السلام، المعبودة، وذلك في قول الله تعالى ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً ولاسوَاعاً ولاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرَاً (٢٣)﴾ (سورة نوح، آية : ٢٣).

أما عبادة النسر خارج شبه الجزيرة العربية فقد وُجدت في مدينة الحضر العربية بالعراق، وكان معروفاً بـ «نشرا»، وهو رمز لحماية المدينة ومصدر قوتها. (سفر : ١٩٦١، ١٤٣-١٤٧؛ الشمس: ١٩٨٨، ١٠٧-١٠٨؛)، والذي يتبادر إلى الذهن أن النسر المقصود هو العقاب أو الصقر اللذان استخدما في الصيد، وليس هو النسر، الطائر الجارح المعروف، الضخم الذي يقتات بالجثث والجيف. (القلقشندي: ١٩٨٥، ٢ : ٥٨-٥٩؛ EI[1],6:871 Ruska:)، وهذا ما تؤكده هيئة وشكل تماثيل الدور الثلاثة التي تشبه العقاب أو الصقر.

ويحتمل أيضاً أن سكان الموقع عرفوا عبادة الشمس، ويتضح ذلك فيما ورد من ذكر الشمس في النقش الآرامي المكتشف في الدور، ويبدو أن المعبد المكتشف في الدور قد خصص لعبادة النسّر والشمس، (بن صراي : أ- ١٩٩٨، ١١٧؛ Haerinck, et al.: 1991, 36-38;1998a, 274; (Potts: 1991a, 2: 276, 378 وقد عرف عرب الجاهلية عبادة الشمس، وبالذات في اليمن، (ابن خرداذبة : ١٩٨٨، ١٢٤؛ الزبيدي : ١٩٧٤، ١٦، ١٧؛ الشامي : ١٩٨٦ ، ١٤٦ - ١٤٧.) ووردت الإشارة

إلى الشمس في الكثير من نقوش المسند، (Robin: 1982, 1: 55-57;) وكذلك عُرفت عبادة الشمس في مدينتي الحضر وتدمر، (الشمس: ١٩٨٨، ٩٦ – ٩٧).

ومن المحتمل أن السكان قد اتبعوا طقوس حرق البخور في المعبد، والمبخرة التي نقش عليها النص الآرامي تدل على ذلك. وحرق البخور إبان تقديم القرابين للمعبودات وفي الاحتفالات العامة وفي مراسيم دفن الموتى وأثناء أداء العبادة شيء معروف وعادة شائعة في بلاد الشرق الأدنى القديم وشبه الجزيرة العربية، (طيران: ٢٠٠٠، ٥٠).

أما عادات الدفن فنجد أن المنقبين عثروا في منطقة F في الدور على مبنى متعدد الغرف، وفي داخل إحدى الغرف الداخلية لهذا المبنى غرفة دفن فيها رجل وبجواره جمل وسيف حديدي في غمده. كما تم العثور على قبرين آخرين لجملين في منطقة AV، ووجود قبور الجمال هذه ربما تشير إلى نوع من عادات الدفن أو الأضاحي (بن صراي: أ–١٩٩٨، ١١٨؛ بن صراي ١٩٩٩، ٦٤؛ Boucharlat, et al.: 1989, 32-33). وكما ذكرنا سابقاً أن القبور تحتوي على أدوات وأوانٍ فخارية متنوعة، وأسلحة وخرز وأدوات حجرية، ووجود مثل هذه المعثورات في القبور دليل على أن سكان المنطقة كان عندهم شيء من الاعتقاد في الحياة بعد الموت.

النشاط الاقتصادي للسكان:

لقد دلت كثير من الآثار المكتشفة في موقع الدور على طبيعة النشاط الاقتصادي للسكان في الموقع، ومما لا شك فيه أن تنوع المكتشفات الآثارية البيئية والطبيعية والصناعية المحلية والمستوردة تساهم في رسم صورة عامة حول النشاطات التي امتهنها السكان، وهي:

١- التجارة:

لقد كان الخليج العربي على مر تاريخه القديم طريقاً مهماً تعبر من خلاله البضائع والسلع القادمة من مناطق مختلفة في العالم، والنشاط الاقتصادي في الخليج اكتسب صفة العالمية ليس فقط في التبادل التجاري بل في التبادل السكاني والتركيب الاجتماعي. ويحتمل أن موقع ميناء الدور كان يجمع بين كونه سوق تبادلية للتجارة المحلية (central place market) وكونه ميناء مهم لتجارة الترانزيت، وهذا الميناء كان في نفس الوقت مكان توقف للتزود بالماء والزاد للمسافرين في الخليج العربي (خارطة ٥).

وقد ذكر صاحب كتاب الطواف في الفقرة ٣٦ من كتابه عدداً من النشاطات التجارية بين عمانا (الدور) والمناطق المجاورة. وذكر كذلك أن السفن تأتي من الهند، محملة بالزنك والنحاس والصندل وخشب التيك. كما أن عمانا كانت تستورد عدداً من المنتجات العربية كالبخور واللبان من جنوب شبه الجزيرة العربية، وكانت عمانا تصدر نوعاً من القوارب محلية الصنع تدعى ماداراتا، وكميات كبيرة من اللآلىء، والملابس والخمور والعبيد. ويؤكد صاحب كتاب الطواف قيام صلات تجارية كبيرة بين ميناء عمانا (الدور) وأبولوجوس وبارياچازا. وهذه الموانىء الثلاثة تعتبر مراكز لتصدير واستيراد العديد من المنتجات والبضائع المصنعة في الهند وشبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين وسوريا وحوض البحر المتوسط.

وموقع الدور يمر به وينطلق منه طريقان مهمان يربطانه ببقية أجزاء شبه جزيرة عمان (خارطة ٦) هما: الطريق الساحلي القادم من رأس الخيمة أو جلفار، بالقرب من موقعي شمل وغليلة، إلى الدور؛ والطريق الداخلي من الدور إلى فلج المعلا، ومنه يتفرع طريقان: واحد إلى سهل الذيد فموقعي مليحة والمدام ثم البريمي وهيلي جنوباً؛ والثاني إلى الساحل الشرقي عبر البثنة، (بن صراي: أ–١٩٩٨، ١١٨).

أما فيما يتلعق بالتبادل التجاري العالمي والمحلي فإن آثار موقع الدور تدل على ذلك، ومن أمثلة تلك الأدلة:
١–١ التبادل التجاري مع بلاد الرافدين وعيلام، ويتضح

في ما يلي: وجود فخاريات متنوعة من بلاد الرافدين في موقع الدور؛ (Potts: n.d, 3-6.) كذلك وُجد تمثالان لامرأة مصنوعان من الطين في الدور يشبهان تماثيل عيلامية من مسجدي سليمان (Potts: n.d, 10.)؛ بالإضافة إلى صحن حجري مسطح، ذي أربع أرجل، له فتحة عُثر عليه في الدور (شكل ٢)، وهذا الصحن ربما أحضر من سوسة حيث عُثر على شبيه له هناك، وكان يستخدم في طقوس العبادة الزرادشتية،
(Dieulafoy: 1892, 396, figs. 241, 244,398,: .Haerinck, et.al: 1990, 200, 208, n. 36.)

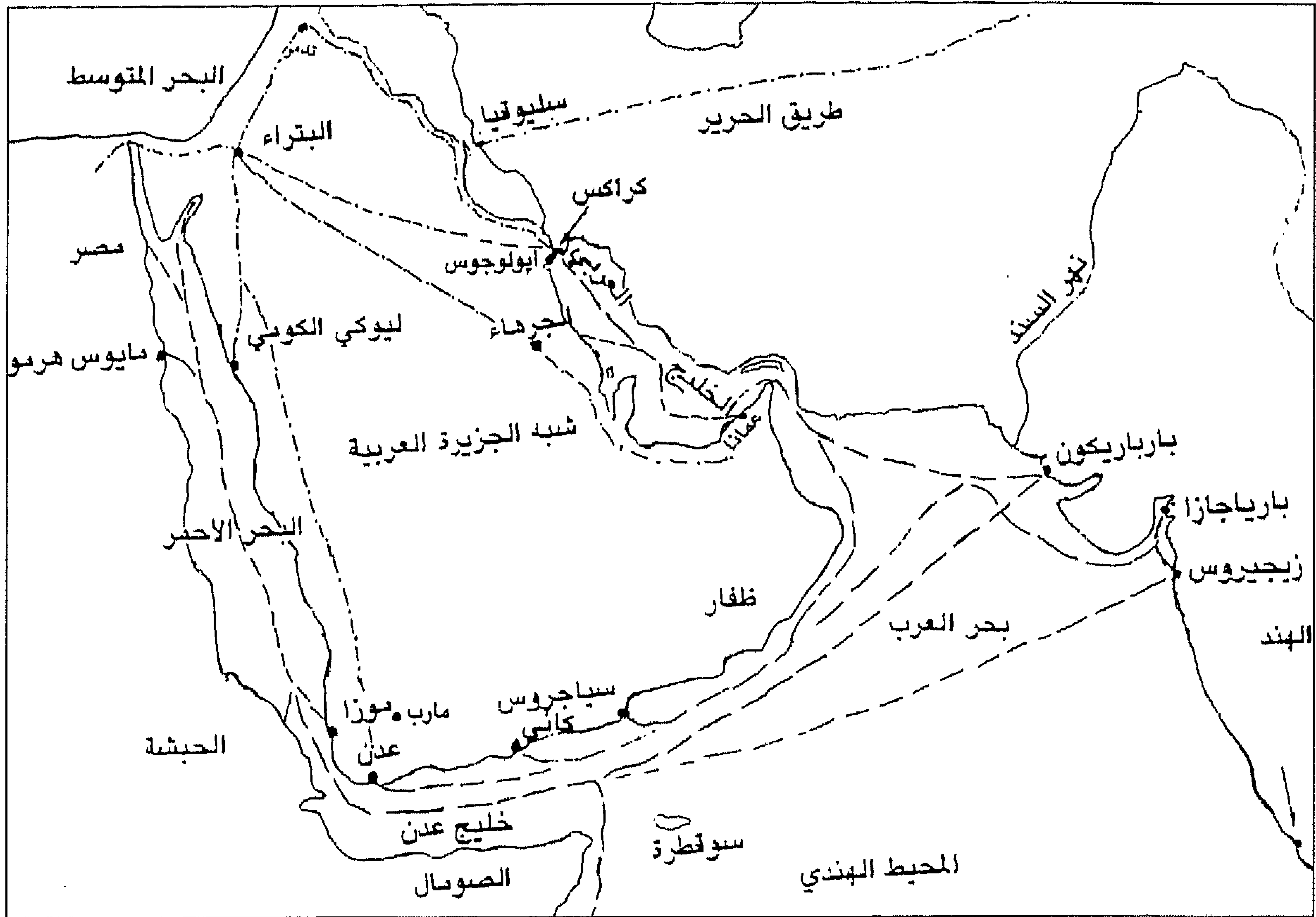
١-٢ العلاقات التجارية بين الدور وفيلكة والبحرين يدل عليها التشابه بين السهام الحديدية المكتشفة في الدور وتلك المكتشفة في فيلكة (Weisgerber, 1981, 242, fig. 84; Vogt: 1984, 276, 284, fig. 12-15; Potts: 1991a, 2: 268, 295)؛ وكذلك التشابه في مسرج روماني برونزي في الدور (Boucharlat, R. et al.: 1989, 65, 66, fig. AT. 2, g Fig.)، مع مسارج مكتشفة في جزيرتي فيلكة (Bernard: n.d., 274, 275, figs.235-241,276)، وأم النمل في الكويت (Al-Wohaibi: 1987, 163 & fIg. 35. 89.)، وفي موقع أم الحصم بالبحرين (Boucharlat & Salles:.1989,96, no. 167)
ووجود هذه المسارج الرومانية البرونزية في منطقة الخليج العربي يدل على وجود تبادل تجاري بين منطقة الخليج العربي بصورة عامة والغرب الروماني (شكل ٣).

١-٣ الاتصال بحضر موت وجنوب شبه الجزيرة العربية يتمثل في العمليتين البرونزيتين (لوحة ٤) المسكوك عليهما اسم القصر الملكي المعروف بشقير في شبوة[١] بحضرموت، وفي خاتم عُثر عليه في الموقع ومن طريقة زخرفته يتضح أنه مستورد من حضرموت، وكذلك في العديد من الفخاريات والأواني المستوردة من جنوب شبه الجزيرة العربية، كما عُثر في قبر تم حفره بالدور على كمية من البخور، وهي قد تكون دليلاً على الصلة بين موقع الدور جنوب شبه الجزيرة العربية التي اشتهرت في التاريخ القديم بكونها موطن البخور وأهم أماكن إنتاجه. وكانت مدينة قنا[١١] الميناء البحري لتصدير البخور إلى الخارج. (286-285 .Haerinck: 1998a, 285).

١-٤ الاتصال مع جنوب شرق إيران (كرمان) ومكران يمكن أن يلاحظ في عدد من الفخاريات الملونة من الدور والتي تتشابه مع أخرى من موقع تب يحيى. ومثل هذه الفخاريات تشير إلى نوع من الاتصال التجاري مع الساحل الفارسي عبر مضيق هرمز، Lamberg-Karlovsky: 1972, 90, Fig 1, 91;) Boucharlat, et.al.: (1989), 26, 27, fig. Z; Haerinck, et al.: 1991, 53, 58, fig. 41; . (Potts: 1997, 62.

١-٥ الاتصال بالهند وهي صلة متوقعة نتيجة للترابط الشديد بين منطقة الخليج العربي بصورة عامة وبين حضارات الهند وحوض نهر السند. ويوجد في موقع الدور العديد من فخاريات شبه القارة الهندية، وأربع عملات هندية والعديد من الخرز. كما أكد صاحب كتاب الطواف الصلة التجارية بين منطقة الخليج العربي والهند. .(Haerinck: 1998a, 293-296; 1998c , 35.)

١-٦ الاتصال مع الغرب الروماني وشرق البحر المتوسط يتضح في وجود عدد من منتجات الفترة الرومانية في الدور، مثل: زبدية زجاجية رومانية ذات شكل عمودي عثر عليها في الدور، Haerinck, et.al. 1992,193; Isings:1957,) 89-90, fig. 69). وكؤوس صغيرة ذات لون بني فاتح، وقرنفلي وجدت في الموقع وهي من النوع الروماني التقليدي. (Vessberg: 1952, 147, pt. IX 40 - 41; Barag: 1985,1: ؛94-95,122-123.)
كما كشف عن إناء على شكل سمكة، مصنوع من زجاج رقيق، ذي لون أزرق غامق (لوحة ٧)

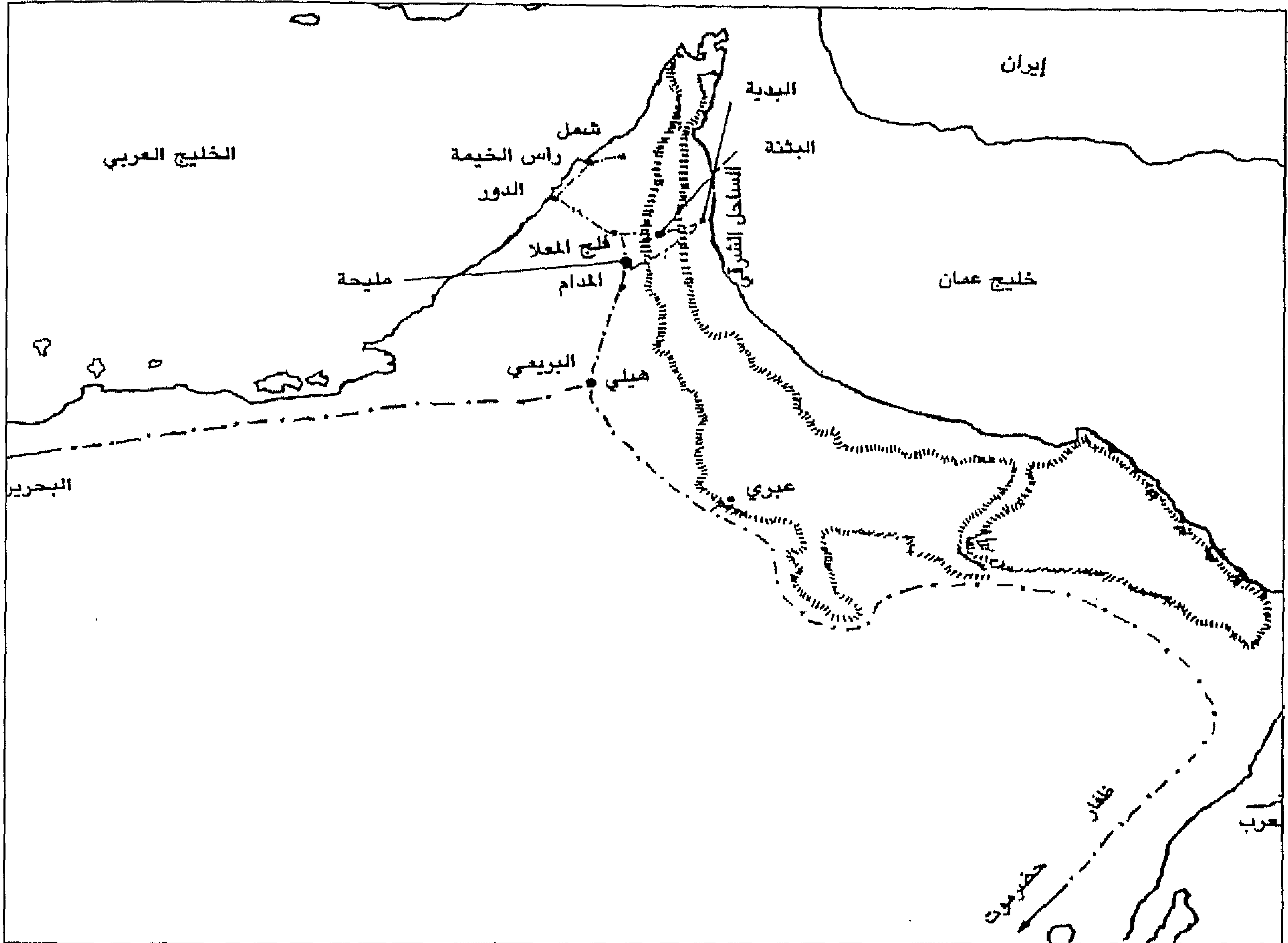


خارطة ٥ : موقع ميناءَيْ عمان وأبولوجوس و الطرق التجارية البرية والبحرية عبر الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية

(Haerinck: 1992,195 Whitehouse: 1998, 50-51, pl. 113), يتشابه تقريباً مع غطاء لصحن ذي لون أزرق غامق من حوض البحر المتوسط، (Harden: et al, 1987, 49; Whitehouse: 1998,50-51)؛ بالإضافة إلى كأس كبيرة ذات مقبض، ولون بني فاتح يميل إلى الزرقة وخلفيتها ذات لون ترابي وهذه الكأس تشابه كأساً رومانية ذات مقبضين، (Haerinck: et.al, .1992, 193; Isings:1957, 32, form, 15).

ويعتقد أن المنتجات الرومانية التي عُثر عليها في موقع الدور كانت تصدر عن طريق الموانئ المصرية على البحر الأحمر إلى الميناء الهندي بارياچازا ومنه إلى الدور (عمانا) وبقية منطقة الخليج العربي وهذا ما يعرف بإعادة التصدير. (Haerinck: 1998c, 26; Salles: 1990, 22-23) ولكن هذا الافتراض يلغي دور الطريق البري القادم من تدمر عبر نهر الفرات فميناء أبولوجوس (الأبلة)، وهذا الطريق مهم بالنسبة لحركة التجارة في منطقة الخليج العربي في الفترة بين القرن الثاني ق.م. والقرن الثاني الميلادي، وقد دلت النقوش والآثار على قيام التدمريين بهذا الدور الكبير، (بن صراي : أ-١٩٩٨ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٥)، كما أن وجود عملات الإسكندر والسلوقيين والميسانيين والأنباط في الدور يدل على الاتصالات بينه وبين تلك المناطق، ووجود نقوش وحروف آرامية ولاتينية ويونانية في الدور يدل على اتصال المنطقة بسوريا وبلاد الرافدين.

ويعتقد أيضاً أن وفرة السلع والبضائع والأواني الأجنبية في الدور لا يدل على النشاط التجاري البحري للموقع، بل ربما وصلت هذه السلع عن طريق البر والقوافل التجارية، وأن وجود عظام الجمال في الموقع



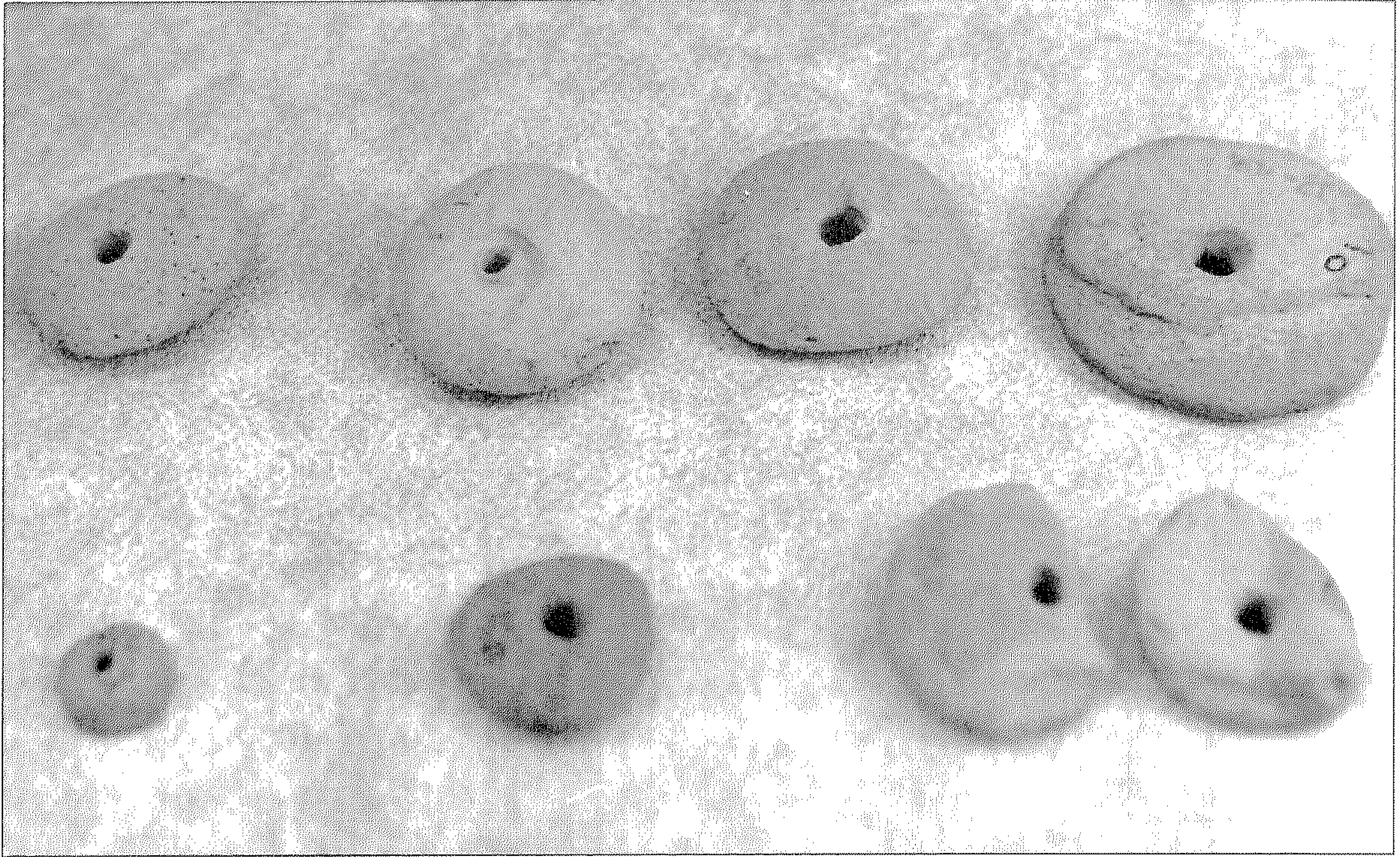
خارطة ٦ : موقع الدور من الطرق الرئيسة القديمة في شبه جزيرة عمان

لدليل قوي على هذا الافتراض، وما موقع الدور سوى سوق محلية تباع فيها البضائع المحلية والمستوردة، وأنه لايوجد دليل على صلة أهالي المستوطنة بالبحر إلا ما عُثر عليه من أدوات للصيد البحري والأسماك، (Mouton: 1999, 25, 26) وفي اعتقادي أن هذا الافتراض غير صحيح إذ دللنا سابقا أن موقع الدور هو ميناء عمانا؛ ومن ثم فإن لهذا الميناء صلات تجارية قوية بحرية وبرية. ويؤكد صاحب كتاب الطواف وجود الصلة البحرية بين موقع عمانا (الدور) وبين ميناء أبولوجوس (الأبلة) في جنوب بلاد الرافدين من جهة وبين عمانا والهند من جهة أخرى، كما أنه من المعروف أن كثيراً من هذه السلع كالأواني الزجاجية والأدوات الرقيقة الأخرى يسهل نقلها أكثر عن طريق السفن. والخليج العربي طريق بحري مشهور منذ القدم. إضافة إلى أن هذا الافتراض لايضيف شيئاً إلى المعرفة التاريخية بل نرى أن الطرق البرية داخل شبه جزيرة عمان وشبه الجزيرة العربية ساهمت في الازدهار الحضاري والاقتصادي لموقع الدور، ولكنها لم تنفرد بذلك إذ إن الطريق البحري عبر الخليج العربي كان له دور مهم أيضاً.

٢- الصناعة

أشار مؤلف كتاب الطواف في فقرة ٣٦ إلى أن عمانا كانت تصدر بعض المنتجات التي ربما صنعت محلياً، وهذه المنتجات هي: قوارب تدعى ماداراتا، والصبغ الأرجواني[١٢] والملابس والخمور والذهب.

فماداراتا كلمة ربما انحدرت من الكلمة «مدرعة» أو من فعل درع. (الزبيدي: ١٩٧٤، ٢٠: ٥٣٨-٥٣٩) ويحتمل أن هذه السفن كانت تركب ألواحها وتوصل أجزاؤها

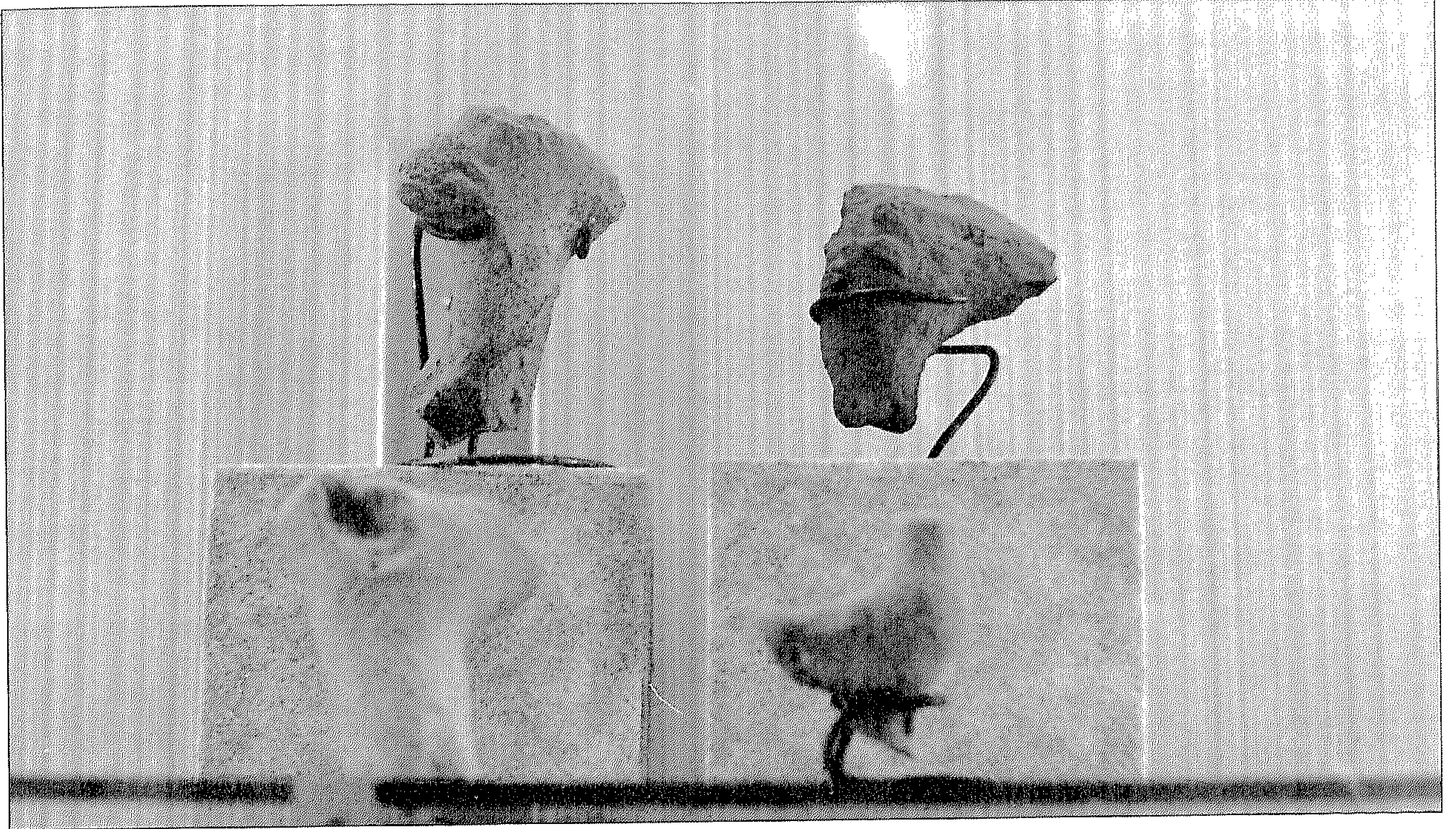


لوحة ٥ : أقراص للغزل من الدور (متحف العين)

بحبال من شجر جوز الهند. (الأحمد : ١٩٨٥، ٣٦٦؛ زيادة: ١٩٨٤، ٢٧٤؛ الهاشمي ١٩٨٤، ٧١) ولا توجد هناك أدلة من مصادر كلاسيكية أخرى حول بناء السفن في شبه الجزيرة العمانية ، ولكن من المعروف أن عمان كانت من أشهرمناطق شبه الجزيرة العربية صناعة للسفن، وقد أكد ذلك عدد من المصادر العربية الإسلامية. (عاشور، خليفات : ١٩٨٩، ٢٦٩؛ العاني ١٩٩٩، ١٨٥-١٩١؛ عبد الحليم : ١٩٨٩، ٤٨) .

وأما الملابس والمنسوجات فهي أيضاً من المنسوجات المشهورة في عمان منذ القرون الهجرية الأولى، (ابن سعد ١٩٦٠، ١:٢٥٠، ٣٧؛ ياقوت الحموي ١٩٩٠، ٥:٢٨١؛ الخيرو:١٩٨٧، ٨٧-٨٨؛ عاشور، خليفات ١٩٨٩، ٢٧٢؛ العاني١٩٩٩، ٥٠:-٥٣.) وهذا يدل على عراقة هذه الصناعة منذ ما قبل الإسلام في هذه المنطقة. ومستوطنة الدور تقع ضمن شبه جزيرة عمان، وربما كان ميناء التصدير على ساحل الخليج العربي. ويعتبر كتاب الطواف هو المصدر الكلاسيكي الوحيد الذي أشار إلى وجود هذه الصناعة في عمان في فترة القرن الميلادي الاول. وقد عُثر على أدوات غزل (لوحة ٥) مصنوعة من ضلوع الحيوانات في منطقة في موقع الدور. (Haerinck, et al.: 1991, 41).

أما الخمور فهي على الأرجح خمور التمر، لاشتهار المنطقة بزراعة النخيل، وقد تم العثور على ملعقتين برونزيتين تستخدمان لغرف الخمر، اكتُشفتا عام ١٩٨٧ في موقع الدور. وهاتان الملعقتان هما ثاني اكتشاف من هذا النوع في منطقة الخليج العربي.
(Boucharlat te :al. 1989, 15; Haerinck, et.al:, 1992b, 199; Potts: 1991a, 2: 283-285)، والاكتشاف الأول كان من المدينة الرابعة في قلعة البحرين. (Lombard: 1986, 227; Lombard: 1989, 73, no. 132)، ويعود استخدام هذه النوعية من الملاعق إلى القرن الخامس قبل الميلاد. (Moorey: 1980, 186.) ووجود الملعقتين



لوحة ٦ : دمى من الطين من موقع الدور (متحف العين)

في الدور يدل على شرب وصناعة الخمور بين السكان. وفي نفس الوقت هذا لا يمنع من قيام السكان من تصدير أنواع أخرى من الخمور من وإلى بلاد الرافدين وشبه القارة الهندية.

وأما الذهب الوارد في نص كتاب الطواف فهو ربما كان من المنتجات التي يتم إعادة تصديرها من الميناء، أو تكون قد استوردت من البحر المتوسط أو بقية أجزاء شبة الجزيرة العربية. (Potts:1998b,54) وربما كانت توجد مناجم للذهب في جبال عمان.

وما ورد في كتاب الطواف وما عُثر عليه من آثار تدل على قيام الصناعة في المنطقة لا يعني أن موقع الدور كان المكان الوحيد للصناعة في شبه جزيرة عمان لكنه كان ميناء لتصدير المصنوعات والمنتجات القادمة من داخل شبه الجزيرة العمانية.

٣- الصيد البحري والبري:

من خلال المخلفات المادية اتضح أن السكان كانوا يمارسون الصيد البحري والبري، وإن كان الصيد البحري هو الأوسع انتشاراً وعلية كان اعتماد السكان في حياتهم اليومية. فبقايا الحيوانات البحرية منتشرة بصورة واضحة في موقع الدور. ومن هذه المخلفات: المرجان بكميات محدودة، والرخويات وأغلبها كان يعيش في أوساط أشجار المنجروف أو القرم. وتم العثور أيضاً على كميات كبيرة من الأصداف والمحار الذي استخدم بعضه كزينة وحلي حيث وجُد بعضها مثقوبا في الأعلى. وأيضا كان استخدامه للأكل والحصول على اللؤلؤ والقشريات ، بدءاً بالحيوانات الصغيرة العالقة بالصخور وانتهاء بالقباقيب وأم الربيان. وهذه القشريات قد تصاد عن طريق الشباك أو حديدة طويلة تنتهي براس حاد أو بثلاثة رؤوس حادة، تسمى في الإمارات:«البلاوة»، ولازال الأهالي في الإمارات يصطادون القباقيب بهذه الحديدة ويسمون عملية الصيد هذه «التعشيش» .أما عظام الأسماك فقد تم العثورعلى كميات كبيرة منها. وهذه الأسماك بعضها ينمو ويعيش في الخور المجاور للموقع وبعضها في أعماق الخليج. وهذا يدل على أن

وقد سجّل مؤلف كتاب الطواف في فقرة ٣٦ أن عمانا كانت تصدر إلى المناطق المجاورة كميات كبيرة من اللؤلؤ، وربما كانت هذه إشارة إلى نوع من نشاطات مهنة الغوص على اللؤلؤ، التي كانت المهنة الرئيسة في منطقة الخليج العربي إلى فترة ما قبل النفط، (Heard-Bey: 1982, 182-185) ومما يوحي بوجود هذه المهنة وجود الأصداف بكميات كبيرة في الدور، كما تم العثور في منطقة Z في الدور على أداة جرسية الشكل، مصنوعة من الرصاص، في أعلاها حلقة حديدية، (Boucharlat, et al.: 1989, 26; Potts: 1998b, 58.) وهي وزن ربما كان يربط في رجل الغواص ليساعده في النزول إلى قاع البحر، ويسمى في الإمارات بـ «الثقل»، ويوجد مشابه له في متحف رأس الخيمة الوطني.

وفي الموقع أيضاً وُجدت عظام عدد من الحيوانات البرية والطيور والزواحف التي اصطادها أهالي المستوطنة. ومن أشهر هذه الحيوانات الأرانب البرية والغزلان والمها والثعالب الحمراء، كما عُثر على قرن وعل، ومن المعروف أن الوعل غير موجود في شبه جزيرة عمان حاليا، ولكنه موجود في العراق وفي غرب إيران وجنوب تركيا وشمال شبه الجزيرة العربية، ويحتمل أن يكون قرن الوعل هذا قد استورد من تلك المناطق، وربما كان هذا الحيوان موجوداً في المنطقة في الزمن القديم. وعثر المنقبون أيضاً على عظام للسحالي والأفاعي وحيوانات قارضة أخرى، ومن الحيوانات الأخرى المهمة السلاحف الخضراء التي وجدت كميات من دروعها في الموقع، وكذلك الطيور. وعلى الرغم من وجود عظام هذه الحيوانات إلا أنّ من المحتمل أن الأهالي كان اعتمادهم الأكبر على الصيد البحري. (Van Neer, & Gautier: 1993, 113-114).

٤- الزراعة

ذكر مؤلف كتاب الطواف في فقرة ٣٦ أن عمانا كانت تصدر الخمور، ربما خمور التمور، وكميات كبيرة من التمور، ولم يذكر هذا المؤلف منتجات زراعية أخرى. وقد عثر الآثاريون على بقايا لأشجار النخيل في الموقع. مما يشير إلى قيام زراعة النخيل في المنطقة. وربما عرف المستوطنون زراعة وغرس أنواع أخرى من المزروعات كالخضراوات والحبوب وبعض أنواع الفواكه مثل البطيخ والمشمش وغيرها، وإن لم يكتشف لها بقايا مادية في الموقع، ولكن لا يمنع أن تكون مثل هذه المزروعات قد نمت وزُرعت في الموقع. (مظلوم : ١٩٧٤، ١٥٢؛ Potts: 1998b, 51) أو أن الأهالي قاموا بزراعة بعض أنواع من الخضراوات والمزروعات للاستهلاك المحلي، كما جلبوا كثيراً من هذه المنتجات من أماكن الزراعة الداخلية والواحات.

وفي أحد بيوت منطقة A بالدور، عُثر على أداة حديدية مسطحة، ذات حافة مسننة حادة، ويوجد شبية أكبر حجما لهذه الأداة عُثر عليه في معبد العقلة (الحقة) الواقع في شمال صنعاء. وهذه الآلة هي المنجل الذي كان يستخدم في حصد الشعير والقمح والحشائش. (Boucharlat, et al.: 1989,6) ووجود هذا المنجل في موقع الدور يمكن أن يكون دليلا على وجود نوع من النشاطات الزراعية، على الرغم من أن منطقة الدور حاليا ليست منطقة زراعية، ولايوجد بها أية نشاطات زراعية، أو مزارع قريبة من المواقع.

٥- الرعي:

من المحتمل أن سكان الموقع قد اعتمدوا كذلك في معيشتهم على رعي الحيوانات المستأنسة حيث عُثر على عظام حيوانات مثل الماعز والأغنام والأبقار (وهي من النوع صغير الحجم، وهذا ما هو منتشر محليا الآن ويعرف بالأبقار المحلية أو الوطنية) والإبل والخيول. كما عُثر أيضاً على عظام لدجاج وكلاب وقطط مستأنسة. (Boucharlat, et.at.: 1989, 59; Haerinck, et.al.:1992b, 192; Potts:1998b, 51; Van Neer, & Gautier: 1993, 113 f.).

العلاقة بين عمانا وفارس:

لم توضح المخلفات الآثارية طبيعة العلاقة مع فارس سوى ما نستخلصه من علاقات اقتصادية وتبادل تجاري بين عمانا وفارس. ولكن الطبيعة السياسية للعلاقات لم يرد حولها شيء سوى ما ذكره صاحب كتاب الطواف في الفقرة ٣٦ أن عمانا وأپولوجوس ميناءان تجاريان لفارس. وقد يفهم من هذه العبارة أن عمانا وأپولوجوس كانتا تابعتين للدولة الپارثية. وعلى العموم فإن مملكة ميسان كانت خاضعة لنوع من النفوذ السياسي الپارثي، على مر تاريخها، لذا فقد يستنتج من عبارة صاحب كتاب الطواف أن ميناء أبو لوچوس ميناء تجاري فارسي لكونه ضمن مملكة ميسان التي بدورها كانت ضمن النفوذ السياسي الپارني أما عمانا فيحتمل أنها كانت على علاقات اقتصادية وسياسية قوية مع ميسان وبالتالي مع پارثيا أو أنها فعلا كانت ضمن دائرة النفوذ السياسي الپارثي على مر تاريخها، لذا فقد يستنتج من عبارة صاحب كتاب الطواف أن ميناء أبولوچوس ميناء تجاري فارسي من كونه ضمن مملكة ميسان التي بدورها كانت ضمن النفوذ السياسي الپارتي مثل ميسان. أو لكونها قريبة من الدولة الپارثية. (انظر: الأحمد: ١٩٨٥، ٣٦٦؛ بن صراي: أ-١٩٩٨، ٨٦-٨٨، ١٢٠-١٢١؛ Groom: 1995, 186, 187; Potts 1991a, 324 ff.; Potts: 1998, 56-57).

نهاية موقع الدور:

على الرغم من وجود بعض الدلائل الآثارية للاستيطان في موقع الدور تعود إلى القرنين الثالث والرابع الميلاديين إلا أن هذه الدلائل قليلة لا تعدو بعض الفخاريات. ولاتدل على الأزدهار الكبير الذي عايشه الموقع في الفترة الممتدة من القرن الثاني ق.م. إلى القرن الثاني م. وأسباب هذا الانهيار غير معروفة إلى الآن، ولكن ربما تعود إلى أسباب اقتصادية وسياسية وتغيّر طرق القوافل البرية وهجرة الغالبية العظمى من السكان للموقع إلى أماكن أخرى.(Haerinck: 1998a, 289-299; Haerinck: (1998b), Haerinck: 281; Haerinck: 1998c, 28).

د. حمد محمد بن صراي - جامعة العين -الإمارات العربية المتحدة.

الهوامش:

(١) أتوجه بالشكر الجزيل إلى مجلس البحث العلمي في جامعة الإمارات العربية المتحدة على تقديم الدعم المادي لإعداد هذا البحث.

(٢) ميناء بارياچازا هو ميناء بروخ (بروك أو بروش أو بروص) الحالي، الذي عند مصب نهر نارمادا، على خليج كامباي، في شمال غرب الساحل الغربي للهند. (الأحمد: ١٩٨٥، ٣٦٦؛ Potts: 1998b, 53).

(٣) ميناء أپولوجوس يقع في جنوب بلاد الرافدين وهو نفسه ميناء الأبلة المشهور في الفترة الإسلامية الأولى. وقد كان هذا الميناء ضمن نفوذ دويلة ميسان العربية. (الأحمد: ١٩٨٥، ٣٦٤؛ بن صراي: أ-١٩٩٨، ٨٥).

(٤) ترجم نقولا زيادة هذه الفقرة على النحو التالي: «وإذا أبحرت عبر مدخل الخليج مسيرة ستة أيام فهناك - سوق في فارس (أو لفارس) اسمها أومّانا. وإلى هاتين المدينتين-السوق (ابولوغوس وأومّانا) تأتي سفن من باريغازا بانتظام، محملة بالنحاس وخشب الصندل وخشب التيك وأخشاب الساج والأبنوس. ويحمل البخور من كانا إلى

أومّانا إلى بلاد العرب تحمل القوارب المخطية على حسب ما تصنع هناك وهي المعروفة باسم مدراتا. ومن كل هاتين المدينتين – السوقين يصدّر الى الهند، والى بلاد العرب أيضاً، الكثير من اللؤلؤ، لكنه لا يضاهي اللؤلؤ الهندي، كما يحمل الأرجوان، والثياب المصنوعة هناك على زي البلاد، والخمر وكميات كبيرة من التمر والذهب والرقيق.» (زيادة: ١٩٨٤، ٢٦٨).

(٥) ساحل مكران لم يستكشف إلى الآن بطريقة آثارية علمية. (Haerinck: 1998c, 26.).

(٦) دلت الاستكشافات على وجود آثار تعود لفترة تسبق الإسلام بل وربما أقدم من ذلك في منطقة صحار وساحل الباطنية. (بن صراي: أ-١٩٩٨، ١٠٥؛ Haerinck: (1998a), 276-277; Costa, & Wilkinson: (1987), 95-131.).

(٧) قرية تقع في جوف جبلي في الجزء الشمالي من شبه جزيرة مسندم (Lorimer : 1908, 2/a, 1040; Costa: 1991, 28.)

(٨) ميسان اسم دويلة صغيرة كانت تقع في جنوب بلاد الرافدين، تأسست حوالي عام ١٢٩ ق.م. وبقيت حتى عام ٢٢٢/٢٢٣م. عرفت أيضا بشراكس أو خراكس. خضعت ميسان لنوع من النفوذ البارثي. وكانت لها علاقات تجارية واقتصادية واسعة. (انظر: بن صراي : أ-١٩٩٨، ٨١-٩١).

(٩) قرية تقع على بُعد ٥٠ كم جنوب شرق مدينة الشارقة بدولة الإمارات. وهي من أشهر المواقع الآثارية في دولة الإمارات وتضم آثار لفترات زمنية متعددة تمتد من الألف الخامس ق.م. إلى القرن الرابع م . (بن صراي: أ-١٩٩٨، ١٠٩-١١٠)

(١٠) شبوة مدينة آثارية مشهورة في حضرموت . وهي منطقة غنية بالآثار المتنوعة، وكانت عاصمة لمملكة حضرموت. ومن أشهر آثار المدينة القصر الملكي المعروف بشقر الذي عثر على آثاره على مقربة من باب المدينة الغربي. وتوثق النقوش والعملات الحضرمية القديمة اسم هذا القصر. (الجرو: ١١٧-١٢٠؛ المقحفي: ٢٢٥-٢٢٦).

(١١) أشهر موانيء حضرموت. ورد ذكره في العديد من النقوش والكتابات الكلاسيكية. يعتبر الروس (السوفييت) أول من ساهم في اكتشاف آثار هذا الميناء المهم. وقد ساهم ميناء قنا في ازدهار مملكة حضرموت، وكان بوابتها على بحر العرب والمحيط الهندي. (الجرو: ١٩٩٦، ١٢١-١٢٣؛ Sedov:1992,110 ff.)

(١٢) **يرى نقولا زيادة أن هذا الأرجوان هو الأرجوان الصوري (لبنان). (زيادة: ١٩٨٤، ٢٧٤).**

المراجـــع

أولاً: المراجع العربية

إبراهيم، أحمد ١٩٨٢ **مدينة الكويت**. سلسلة مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية رقم ٧، الكويت.

الأحمد، سامي سعيد ١٩٨٥ **تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي**. البصرة .

الأندلسي، ابن حزم ١٩٦٢ **جمهرة أنساب العرب**. القاهرة.

البلاذري ١٩٥٩ **أنساب الأشراف**. القاهرة.

الجرو، أسمهان سعيد ١٩٩٦ **التاريخ السياسي لجنوب شبه الجزيرة العربية: اليمن القديم**. إربد.

جروم، نيجل ١٩٨٢ «الجرهاء: مدينة مفقودة بالجزيرة العربية» **أطلال**، ٦ : ٩٥ - ١٠٥ .

الحموي، ياقوت ١٩٩٠ **معجم البلدان** . تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي ، بيروت.

ابن خرداذبة ١٩٨٨ **المسالك والممالك**. بيروت.

الخيرو، رمزية عبدالوهاب ١٩٨٧ **تجارة الخليج العربي**

وأثرها في الحياة الاقتصادية في منطقة الخليج العربي والعراق منذ صدر الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري. بغداد.

الزبيدي ١٩٧٤ **تاج العروس**. الكويت.

زيادة، نقولا ١٩٨٤ «دليل البحر الإرثري وتجارة الجزيرة العربية البحرية» في : **دراسات تاريخ الجزيرة العربية : الجزيرة العربية قبل الإسلام**، ٢ : ٢٥٩-٢٧٧. الرياض.

ابن سعد ١٩٦٠ **الطبقات الكبرى**. بيروت.

سفر، فؤاد ١٩٦١ «نقوش من الحضر» **سومر**، ١٧ : ٩-٣٥.

سلمان ١٩٧٤ «تقديم» سومر، ٣٠ : أ -ي.

الشامي، يحيى ١٩٨٦ **الشرك الجاهلي وآلهة العرب المعبودة قبل الإسلام**. بيروت.

الشمس، ماجد عبدالله ١٩٨٨ **الحضر : العاصمة العربية**، بغداد.

بن صراي، حمد محمد ١٩٩٤ «السكان القدماء لشبه جزيرة عمان» **مجلة شئون اجتماعية**، ٥٣-٦٧. بن صراي، حمد محمد ١٩٩٨ **تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم**. رأس الخيمة/دبي.

بن صراي، حمد محمد ١٩٩٨ **معالم التاريخ اليوناني والروماني**. رأس الخيمة /دبي.

بن صراي، حمد محمد ١٩٩٩ **الإبل في بلاد الشرق الأدنى القديم وشبه الجزيرة العربية : تاريخياً - آثارياً - أدبياً**. الجمعية التاريخية السعودية، الرياض.

الطبري ١٩٥٤ **التفسير**. القاهرة.

طه، منير يوسف ١٩٨٩ **اكتشاف العصر الحديدي في دولة الإمارات العربية المتحدة**. مركز دراسات الخليج العربي : قسم الدراسات التاريخية والجغرافية، ١٠١، البصرة.

طيران، سالم بن أحمد ٢٠٠٠ «مذبح بخور (م ف ح م) عليه نص إهدائي للمعبود ذي سماوي «**أدوماتو**، ١: ٥٠ - ٥٨.

عاشور، سعيد عبدالفتاح وعوض خليفات ١٩٨٩ **عمان والحضارة الإسلامية**. مسقط.

العاني، عبدالرحمن عبدالكريم ١٩٩٩ **تاريخ عمان في العصور الإسلامية الأولى**. لندن.

عبدالحليم، رجب محمد ١٩٨٩ **العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام منذ ظهوره إلى قدوم البرتغاليين**. مسقط.

العبودي، ناصر حسين ١٩٩٠ **دراسات في آثار وتراث الإمارات**. دبي.

علي، جواد ١٩٨٠ «الخليج عند اليونان واللاتين» **المؤرخ العربي**، ١٢ : ١٩ - ٥٦.

فهد، توفيق ١٩٧٦ «قطر ونواحيها في الجغرافية القديمة: جرة والخط» مؤتمر **دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية**، ١٠ : ٢٩ - ٣٨، الدوحة.

الفيل، محمد ١٩٧٢ **الجغرافية التاريخية للكويت**. الكويت.

القلقشندي ١٩٨٧ **صبح الأعشى**. بيروت.

القيسي ١٩٧٦ «النسر» **مجلة التراث الشعبي**، ٧(٤): ٣٣-٥٧.

كحالة، عمر رضا ١٩٤٩ **معجم قبائل العرب**. دمشق.

ابن الكلبي ١٩٢٤ **كتاب الأصنام**. القاهرة.

المسعودي ١٩٦٦ **مروج الذهب**. بيروت.

مظلوم، طارق ١٩٧٤ «استكشافات البعثة العراقية في مليحة بإمارة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة » **سومر**، ٣٠ : ١٤٩ - ١٧٤.

المقحفي، إبراهيم أحمد ١٩٨٥ **معجم المدن والقبائل اليمنية**. صنعاء.

الهاشمي، رضا جواد ١٩٨٤ **آثار الخليج العربي والجزيرة العربية**. بغداد.

ثانيا : المراجع غير العربية

Anani, A. and K. Whittingham 1986. **The Early History of the Gulf Arabs**. London.

Al - Balooshi, I.A 1990. " The Province of Kirman under the Rule of the Buyid Emirs in the 4 th and 5th /10th and 11th Centuries", Ph.D. Thesis, University of Manchester.

Beeston, A. F. 1981. "Review of G.W.B. Huntingford, The Periplus of the Erythraean Sea" **Bulletin of the School of Oriental and African Studies,** XLIV : 351 - 358.

Bernard, V. et al. n.d. "Apostilles en marge de la céramiqe des états IV et V de la forteresse". In: Y. Calvet and J. Gachet (eds), **Failaka, Fouilles Françaises 1986- 1988,** pp. 241- 284. Maison de l'Orient Méditerranéen, no. 18, Lyon.

Boucharlat, R. et al. 1989. "The European Archaeological Expedition to ed-Dur" **Mesopotamia,** XXiV ; 1-72.

Boucharlat, B. and J.F, Salles 1981. "The History and Archaeology of the Gulf from the 5th Century B.C. to the 7th Century A.D. : A Review of the Evidence" **Proceedings of the Seminar of Arabian Studies,** 11: 65- 94.

Brice, W. C. 1984. "The Classical Trade- Routes of Arabia, from the Evidence of Ptolemy , Strabo and Pliny: **Studies in the History of Arabia**, 2 : 177-181. Riyadh.

Brunner, C. 1983. "Geographical and Administrative Divisions: Settlements and Economy" **Cambridge History of Islam,** 3 (2) : 747-777.

Bunbury, E.H. 1879. **A History of Ancient Geography**. London.

Burchardt, H. 1906. "Ost-Arabien von Basra bis Maskat auf Grund eigener Reisen" **Zeitschrift der Gesellschaft für Erdkunde 2u Berlin,** V: 305-322.

Calvet, Y. and M. Pic, n.d. "A new Bronze Age Building F 6". In: Y. Calvet and J.F. Salles (eds), **Failaka, Fouilles Françaises 1984 - 1985,** pp.13-87. Maison de L'Orient Méditerraneen, no. 12, Lyon.

Casson , L. (ed. and trans.) 1989. **The Periplus Maris Erythraei.** Princeton.

Dieulafoy, M. 1892. **Lacropole de Suse. 4éme Partie. Lapadana et Layadana.** Paris.

Fahd, T. 1968. **Le panthéon de larabie centrale à la veille de thégire.** Paris.

Grohmann, A. n. d. "Oman" **Encyclopedia of Islam,** 6:957-977.

Groom, N. 1995. "The Periplus, Pliny and Arabia" **Arabian Archaeology and Epigraphy**, 6 (3) : 180 - 195.

Haerinck, E. et al. 1991. "Excavations at ed-Dur (Umm al- Qaiwain, U.A.E.) - Preliminary Report on the 2nd Belgian Season (1988)" **Arabian Archaeology and Epigraphy,** 2(1): 31 - 60.

Haerinck, E. et al. 1992a. "Excavations at ed-Dur (Umm al- Qaiwain, U.A.E.) - Preliminary Report on the 3rd Belgian Season (1989)" **Arabian Archaeology and Epigraphy,** 3(1): 44 - 60.

Haerinck, E. et al. 1992b. "Excavations at ed-Dur (Umm al- Qaiwain, U.A.E.) - Preliminary Report on the 4th Belgian Season (1990)" **Arabian Archaeology and Epigraphy,** 3(3): 190 - 208.

Haerinck, E. et al. 1993. "Excavations at ed-Dur (Umm al- Qaiwain, U.A.E.) - Preliminary Report of the 5th Belgian Season (1991)" **Arabian Archaeology and Epigraphy,** 4(3): 210 - 225.

Haerinck, E. 1996. "The Seventh and Eighth Belgian Archaeological Expedition to ed-Dur (Umm al-Qaiwain, U.A.E)." **Arabian Archaeology and Epigraphy**, 7: 69 - 74.

Haerinck, E. 1998a. " International Contacts in the Southern Persian Gulf in the late 1st Century B.C. (1st Century A.D.: Numismatic Evidence from ed-Dur (Emirate of Umm al-Qaiwain, U.A.E." **Iranica Antiqua,** 33: 273 - 302.

Haerinck, E. 19986. "More Pre-Islamic Coins from Southeastern Arabia" **Arabian Archaeology and Epigraphy,** 9: 278-301.

Haerinck, E. 1998c. "The Shifting Pattern of Overland and Seaborne Trade in SE Arabia : Foreign Pre-Islamic Coins from Mleiha (Emirate of Sharjah, U.A.E" **Akkadica,** 106 : 23-40.

Heard - Bey, F. 1982. **From Trucial States to U.A.E.** London.

Holdich,T. 1910. **The Gates of India.** London.

Hourani, G.F. 1951. **Arab Seafaring.** Princeton.

Al-Humaidi, S.S. 1988, "Makran and Baluchistan from the Early Islamic Conquests down to the Mongol Invasion" Ph.D. Thesis ,Universityof Manchester.

Huntingford, G.W. (trans. and ed.) , 1980, **The Periplus of the Erythraean Sea.** London.

Ising, C. 1957. **Roman Glass.** Djakarta.

Kay, S. 1989. **Land of the Emirates.** Dubai.

Kay, S. 1990. **Portait of Ras al - Khaimah.** Dubai.

Krauss, S. 1916. "Talmudische über Arabien" **Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft,** IXX : 321 - 353.

Lamberg - Karlovsky, C.C. 1972. "Tepe Yahya 1971, Mesopotamia and the Indo - Iranian Borderlands" **Iran,** 10 : 89 - 100.

Le Strange, G. 1930. **The Lands of the Eastern Caliphate.** Cambridge.

Lombard. P.1986. "The Iron Age Dilmun : A Reconsideration of the City IV at Qal'at al Bahrain". In : H. al -Khalifa and M.Rice (eds), **Bahrain through the Ages** , pp. 225 - 234. London.

Lombard, P. 1989."The late Dilmun Period (1000-400B.C.). In : P. Lombard and M. Kervran (eds) , **Bahrain National Museum** , PP. 51- 82 , Manamah.

Lorimer , J.G. 1908. **Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia.** Calcutta.

Mathew, G. 1957. "The Dating and Significance of the Periplus of the Erythraean Sea". In: H.N. Chittick and R.I.Rotherg (eds) , **East Africa and the Orient,** pp. 147-163. NewYork.

Miles, S.B. 1878. "Note on Pliny's Geography of the East coast of Arabia" **Journal of the Royal Assiatic Society.** pp.157 - 172.

Mockler , E.1879. "On the Identification of Places on the Makran Coast mentioned by Arrian, Ptolemy and Marcian" **Journal of the Royal Assiatic Society,** 11 : 135 - 154.

Moorey , P.R. 1980. "Metal Wine sets in the Ancient Near East" **Iranica Antiqua ,** XV :181 -198.

Morgan, A. 1998. **Uncovering the Sands of Time .** Sharjah.

Mouton, M.(ed.) 1999. **Mission archeologique Francaise á Sharjah : Mleiha 1, Enviornnement , Stratégies de subsistance et artisanats.** Travaux de La Maison de L'Orient Méditerraneen , no 29 , Lyon.

Philips, C.S. 1987. **Ed - Dur 1986/1987, Progress Report.** Archaeology Department and the Society for Arabian Studies in the University of Edinburgh.

Pliny, 1942. **Natural History.** trans. H. Racham, London.

Potts, D. T. 1988."Arabia and the Kingdom of Characene" In : D. T. Potts (ed.), **Araby the Blest,** pp. 137 - 167. CNI Publications, 7, Copenhagen.

Potts, D.T. 1991a. **The Arabian Gulf in Antiquity.** Oxford.

Potts, D.T. 1991b. **The Pre-Islamic Coinage of Eastern Arabia.** CNI Publications 14 , Copenhagen.

Potts, D.T. 1997 "Before the Emirates: An Archaeological and Historical Account of Developments in the Region c. 5000 B.C. to 676 A.D." In : E. Ghareeb and I .al - Abed (eds), **Perspectives on the United Arab Emirates** , pp . 36 - 73. London.

Potts , D.T. 1998a. "Maritime Beginnings" **Waves of Time,** pp. 8-43. London.

Potts , D.T. 1998b."Seas of Change" **Waves of time,** pp. 44-67. London.

Potts D.T. n.d. "The Parthian Presence in the Arabian Gulf", Unpublished paper.

al- Qaisi, R. 1975. "Archaeological Survey" **Sumer**

31:106 - 130.
Robin, ch. 1974. "Monnaies provenant de L'Arabie du Nord - Est" **Semitica** , 24: 83 -125.

Robin, ch. 1982. **Les hautes - terres du Nord - Yemen avant Islam.** Istanbul.

Ruska, J. 1916. "Al - Nasr" **Encyclopedia of Islam,** 6 : 871.

Salles, J.F. 1978-1979. "Note on the Archaeology of Hellenistic and Roman Periods in the U.A.E." **Archaeology in the United Arab Emirates,** 2(3): 74-91.

Salles, J.F. 1990. "The Periplus of the Erythraean Sea and the Arab-Persian Gulf" **The Seminar: India and the Roman World, 1st-4th Century A.D.,** pp. 1-29, Madras.

Salles, J.F. 1992. "Review of D.T. Potts, The Arabian Gulf in Antiquity, 11" **TOPOI,** II: 201-235.

Salles, J.F. n.d. "Small Finds at Tell Khazneh". In: Y. Calvet and J.F. Salles (eds), **Failaka, Fouilles Françaises 1984-1985,** pp. 255-256. Maison de l'Orient Mediterranéen, no.12, Lyon.

Schoff, W.H. (ed. and trans.) 1912. **The Periplus of the Erythraean Sea**. London.

Sedov, A.V. 1992. "New Arachaeological and Epigraphical Material from Qana (South Arabia)" **Arabian Archaeology and Epigraphy,** 3(2): 110-137.

Simkin, G.G. 1968. **The Traditional Trade of Asia.** London.

Spooner, B. 1971. "Notes on the Toponymy of the Persian Makran." In: C.E. Bosworth (ed.), **Iran and Islam, in Memory of the Late Vladimir Minorsky,** pp. 517-533. Edinburgh.

Stein, A. 1937. **Archaeological Reconnaissances in North-Western India and South-Eastern Iran.** London.

Stephen of Byzantium, 1959. **Ethnika.** Graz.

Stiff, A. 1897. "Ancient Trading Centres of the Persian Gulf: Pre-Mohammedan Settlements. iv" **Geographical Journal,** 10: 608-618.

Van Neer, W. and A. Gautier 1993. "Preliminary Report on the Faunal Remains from the Coastal Site of Ed-Dur, 1st-4th Century A.D." **Archaeolozoogy of the Near East. Proceedings of the 1st International Symposium on the Archaeolozoogy of Southwestern Asia and Adjacent Areas,** pp. 110-115. Leiden.

Vogt, B. 1984. "1st Millennium B.C. Graves and Burial Customs in the Samad Area (Oman)". In: R. Boucharlat and J.F. Salles (eds), **Arabie Orientale Mésopotamie et Iran méridional,** pp. 271-284.

Weisgerber, G. 1981. "Mehr als Kupfer in Oman" **Der Anschnitt,** 33:174-263.

Whitehouse, D. 1998. **The Univ. of Ghent: South-East Arabian Archaeological Project: Excavations at ed-Dur (Umm al-Qaiwain, United Arab Emirates, vol.1: The Glass Vessels,** Leuven.

Wilkinson, J.C. 1964. "A Sketch of the Historical Geography of the Trucial Oman down to the beginning of the 16th Century" **Geographical Journal,** cxxx: 337-334.

Al-Wohaibi, F.A. 1987. "Survey of Umm an-Namel Island, State of Kuwait," Ph.D. Thesis, Indiana University.

كتابة عربية بالخط الثمودي من الأردن

فواز حمد الخريشة

ملخص : يهدف هذا البحث إلى نشر نقش، أكتشف حديثاً في منطقة مادبا الآثرية بالأردن. و على الرغم من أنه أطول نص مكتوب بالخط المسمّى بالثمودي E حتى الآن، فإنّ عباراته ومفرداته تؤكدان أنه مكتوب بلهجة عربية شمالية فصيحة. ومع وضوح حروف النقش، فهناك بعض المشاكل التي تواجه تفسيره، لضياع بعض الحروف أو كسرها، ولانّ النقش يتحدث عن قضية دينية، لا تزال معلوماتنا عنها قليلة جداً؛ إضافة إلى أنّ الإله، الذي كتب النقش من أجله، لم يُذكر إلاّ نادراً في النقوش النبطية و التدمرية، ولم يعرف عند أحد من الكتاب العرب السّابقين.

Abstract. *The purpose of this research is to publish an inscription that has been recently discovered in the archaeological area of Madaba, Jordan. Despite the fact that the Inscription is the longest text written in the so-called Thamudic E script up to now, its sentences and vocabulary strongly suggest that it was written in a classical northern Arabic dialect. Although, the Script is very clear, there are some problems concerning its interpretation as some letters were lost or broken. The importance of this inscription is that it provides us with religious information that we know little about, in addition to the fact that the goddess which the inscription was written about is rarely mentioned in the Nabataean and Palmyrene inscriptions, and is not known to earlier Arab Scholars.*

تقع مدينة مادبا الحديثة على بعد ٢٥ كم إلى الجنوب من عمّان العاصمة. وهي مبنية حول مادبا القديمة، التي تعود بتاريخها إلى الفترتين الرومانية والبيزنطية. وقد اشتهرت مادبا، بين الباحثين والمهتمين من خلال خريطتها الفسيفسائية النادرة، التي تضم أسماء مدن ومواقع حضارية عديدة، كانت مزدهرة إبّان تلك الفترات (خارطة ١).

أمّا النقش موضع الدراسة، فقد وجد أثناء الحفريات الأثرية، التى أشرف عليها د.بيير بقاعي، مدير المركز الأمريكي للدراسات الشرقية /بعمّان، عام ١٩٩٦م، في الجزء الغربي من منطقة مادبا الأثرية، إذ تم الكشف عن حجر طيني قياساته ٢١×٢٣ سم، بالقرب من فوهة أحد خزانات المياة القديمة (سيح)، مكتوب عليه أحد عشرسطراً بطريقة المحراث، وتضم ٢٣٣ حرفاً تقريباً، يظهر منها بوضوح ٢١٥ حرفاً، تتراوح أطوالها من ١-٢سم، وهى مكتوبة بخط النقوش العربية الشمالية، التي أطلق عليها الفريد وينت اسم «النقوش الثمودية E» (Winnett 1937).

وقد أطلق فان دن براندن على هذة المجموعة اسم «النقوش التبوكية» (Van den Branden 1950) وهي التسمية، التي استخدمها فيما بعد كل من وينت وريد (Winnett & Reed 1970:70) بدلاً من تسمية وينت لها سابقا «بالنقوش الثمودية E». ونظراً لكثير من الخصائص، الخطية، والمميزات اللغوية، التي تتميز بها هذة النقوش، عن غيرها من النقوش، التي يطلق عليها اسم «النقوش الثمودية»، وعدم اقتصار اكتشافها على المناطق المحيطة بتبوك، كما أعتقد براندن، فقد رأى بعض الباحثين تسميتها بالنقوش «الصفوية الجنوبية» (Knauf 1983:587-596)، إلاّ

العدد الثاني ربيع الثاني ١٤٢١ - يوليو (تموز) ٢٠٠٠ م
(ص ص ٥٩ - ٧٠) ردمد: ٨٩٤٧ - ١٣١٩

أنّ هذه التسمية لم تحظ بتأييد من غالبية المشتغلين بدراسة النقوش العربية الشمالية، (King 1990:11-14; Macdonald .1986:105-107)

كما صنّف عدد من الباحثين هذه النقوش، حسب الفترات الزمنية. فقسّموها إلى مبكرة، ومتوسطة، ومتأخرة (الذييب ١٩٩٩: ٦-٧)، وبوجه عام، فإنّ العديد من هذه النقوش قد وجد في مناطق مختلفة من الأردن، مثل وادي رم، ووادي الجديدة (King, 1988 : 306-313)، ومنطقة باير (al-khraysheh1994 :109-114 , Mendenhall 1988 :13-15) بل إنّ بعضا منها قد وجد في المناطق المحيطة بعمّان، إضافة إلى اكتشاف ما يزيد على مئتي نقش، مكتوب بهذا الخط في المنطقة الممتدة بين الموقر والأزرق، إلى الشرق من عمان، وذلك على الرغم من أنّ منطقة الأزرق، والحّرة المحيطة بها، معروفة بوجود النقوش الصفوية لا الثمودية فيها.

أمّا في السعودية، فإنّ غالبية النقوش الثمودية E، اكتشف في المناطق القريبة من تبوك، ووادي السرحان، مما يعني لأوّل وهلة أنّ هذا النوع من الكتابات، لا يزال وجوده مقصوراً على شمال غرب المملكة العربية السعودية، وجنوب ووسط المملكة الأردنية الهاشمية.

وعلى الرغم من اكتشاف العلماء لمئات من النقوش المكتوبة بهذا الخط، في المناطق السّالفة الذكر إلا أنّ هذه هي المرة الأولى، التى يكتشف فيها الباحثون نقشاً طويلا، يحوي كلمات ومعان وجمل عربية، تضارع في أُسلوبها وبنائها العربية الفصحى، ومكتوبة بخط جميل متقن، يفصح عن مدى العناية و الدّقة اللتان بذلتا عند كتابته، مما ينبئ أنّ كتابته قد أوكلت لكاتب متمرّس على استخدام هذا الخط، الذي يمكننا تسميته «بالخط الرسمي». ويؤكد محتوى النقش أنّ صاحبه، قد تجاوز تعاليم آلهته، فكتبه من أجل التضرّع والابتهال لإلهه الجاهلي، معلناً ندمه وتوبته عمّا فرّط فيه من حقوق إلهه عليه، وهو موضوع جديد في النقوش العربية الشمالية، مع أنه أمرٌ معروف لدى الباحثين، في عدد من النقوش السبئية، التي تسمّى بنقوش الاعتراف العلني.

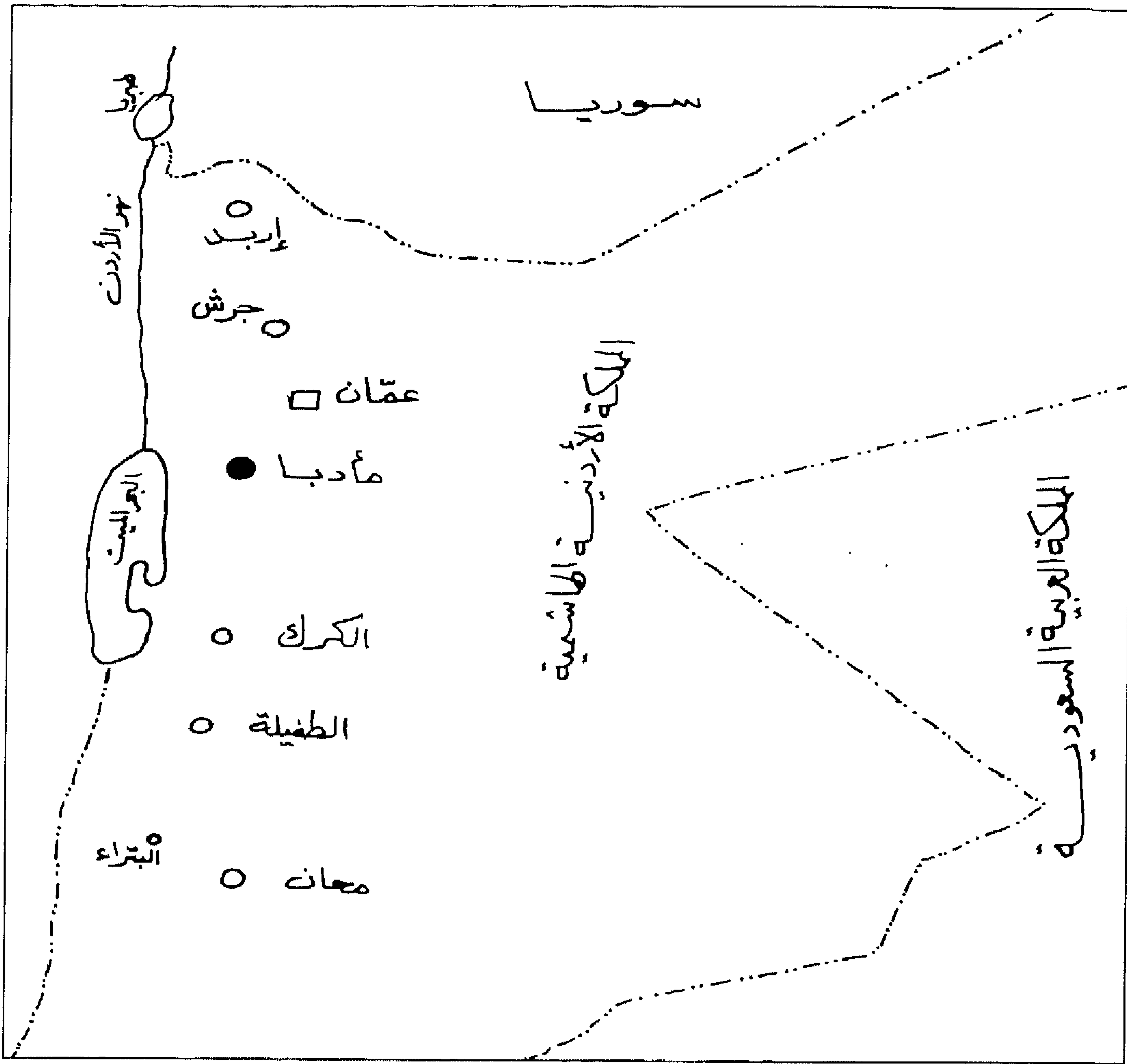
وإضافة لجدّة الموضوع، فنحن أمام نقش يتجاوز في عربيّته، العربية التى لاحظها المختصون في «نقش النمارة»، أو «نقش الفاو» (الأنصاري ١٩٨٢: ٦٣، عبدالله ١٩٨٥: ١٠٦-١١٦). حتى إننا لا نجد في هذا النص، على الرغم من طوله النسبي، أداة التعريف، التي يتكرر ورودها في النقوش المسمّاة بالثمودية و الصفوية (الهاء في بداية الاسم).

النقحرة:

١- [ل]ف ل هـ ن ب ن ح ن ن ب ن أ ت م ذ أ ل [ن ت] (ج) و س
٢- ق م ل إل هـ ص ع ب ف ت ض ر ع و ت ع ن ي و ت ش
٣- [هـ] د ل هـ ب ك ل ل م ف ع ل و ن ذ ر أ ر ب ع أ س ل ع ت
٤- م ن ر ت و ع ف ن ت و ي ت ح ل ب ص ح ر ي (ع)
٥- ل ل ك ت ر ح م ع ل ي و ذ ك ر ت ل ت أ ش ي ع ن ك ل ل هـ (م)
٦- [ب] د ر و هـ ب د ن و أ ص ل ح و ع ق ر ب و ب ن ... (و)
٧- و هـ ب ل هـ و ع و ذ ل هـ و ز د و ب ن ح ر ب و
٨- [و] د ن و م ل ك ب ن س ع د ل هـ و أ ث ل و و ش ك (ت)
٩- [و] ع ب د و و ي ل و و س م و ذ ك ر ت
١٠- ل ت م ن ي ش ع ن ن و ل ع ن ت ل ت م ن ي (خ)
١١- [ب ل] و ق ع ن ذ

المعنى:

١ - [و] فلهان بن حنين (حنّ) بن أتم من قبيلة (ن ت ج)، وساق
٢ - ما لإله صعب (من هدي أو ندر)، فتضّرع واغتمّ (حزن) واعترف
٣- له (للإله صعب) بكل ما فعل، ونذر أربع أسلعة



خارطة ١ : الموقع الجغرافي لمنطقة مادبا الأثرية بالاردن

٤ - [ل] منيرة وعفنة. ويتحلّب جسمي (يتصبب جسدي عرقاً) (ع)

٥- لك تترحم عليّ . وذكرت لات (بالخير) أشياعنا كله (م)

٦- [ب] در و هبدان وأصلح وعقرب و بنـ (و)

٧ - وهب اللّه وعويذ اللّه وزيد وبنو حرب و

٨ - [و] ذان ومالك بن سعد اللّه وأثيل وواشك (ة)

٩ - وعبد ووايل ووسيم . وذكرت

١٠- لات (بالخير) كم يشايعوننا (من يوالوننا) ولعنت لات من يـ (خـ

١١- بـ) لنقشنا هذا .

التحليل اللغوي:

١- [ل] ف ل هـ ن : تعرضت بداية السطر لكسر ضاع معه حرف اللام، الذي تبدأ به النقوش المكتوبة بهذا الخط. (ف ل هـ ن) اسم عربي على صيغة فعلان، ولكنه لا يرد في معجم هاردنج للأسماء العربية قبل الإسلام، في حين يرد الاسم ف ل هـ كاسم علم في الصفوية واللحيانية (Harding1971:472).

ح ن ن : اشتهر الاسم حنين بين الأسماء العربية، من خلال معركة حنين ، التي وقعت بين الرسول صلىّ اللّه عليه وسلم وبين المشركين ، كما ذاع الاسم حنين في العصر العباسي، من خلال حنين بن اسحاق الموصلي، الذي عاش أيام هارون الرشيد في بغداد، وأسهم إسهاما واضحا في الترجمة من

اليونانية إلى العربية، في عهد المأمون .

وقد تكون قراءة الاسم «حنّ» بتشديد النون، ويؤيد هذه القراءة أن كلمة «كلهّم» في السطر الخامس، كتبت بلامين،إمعاناً من الكاتب في إظهار التضعيف، وبنو حنّ فرع من عذرة، التي منها رزاح بن ربيعة، وهو أخو قصي بن كلاب لأمه. (الإندلسي : ٤٣-٤٤).

وتجدر الإشارة هنا إلى وجود بلدة بالقرب من مادبا اليوم ، تسمى حنينا وهي مأهولة الآن بالسكان، ولكن ليس من المؤكد أنها كانت كذلك أيام كتابة النقش، فهل لهذه القرية أو لبني حنّ علاقة باسم والد صاحب النقش ؟ أم أن ذلك عائد للتشابه في الأسماء فقط ؟.

أت م : يرد الاسم في الصفوية و الثمودية (Harding 1971:19)، وقارن أيضا اسم العلم النبطي أت م و (al-Khraysheh 1986:45-46).

ذ أل: لاحقة تنتهي بها سلسلة النسب في النقوش الصفوية والثمودية، ويليها في الغالب اسم القبيلة أو المكان، الذي ينتمي إليه صاحب النقش (Harding 1964 ؛ الروسان ١٩٨٧: ٩٣).

[ن ت] (ج): تعرّض الحجر، فيما يبدو، أثناء إخراجه لكسر صغير في طرفه، ضاع معه الجزء العلوي من اسم القبيلة، التي ينتمي إليها صاحب النقش، ويتكون اسم هذه القبيلة من ثلاثة أحرف، وقد اقترحنا هذه التكملة بناء على الأجزاء المتبقية من الحروف، وإن كنا غير متأكدين من ذلك تماما، نظراً لكثرة الاحتمالات،خاصة أن (ن ت ج) كاسم لقبيلة لم يسبق أن ورد في النقوش الصفوية، أو النقوش المكتوبة بهذا الخط.

٢/١- وس ق : الواو حرف عطف؛ **س ق** : فعل ماض فاعله ضمير مستتر، يعود على صاحب النقش؛ والفعل معتل العين ، وجذره سوق، أي أن صاحب النقش قد جاء بأنعام (إبل أو غنم) كهدي إلى الإله، وقد كانت العرب تهدي لآلهتها من أنعامها في الجاهلية، ويعترون عندها العتائر (ابن الكلبي١٩٢٤: ٥٩). وبهذا تكون الميم في هذا النقش بمعنى «ما» الاسم الموصول في العربية، أي أن قراءة الجملة تكون على النحو التالي : «وساق ما لإله صعب» من هدي أو نذر أو زكاة.

ولايستبعد أيضاً أن يكون معنى جملة **(وس ق م ل أ ل هـ/ ص ع ب)** وسقم (فلهان)، أي مرض مرض الموت، لذا قدم لمعبد الإله وتضرّع ودعا إلهه، واعترف له بكل خطاياه، ثم قدّم له نذراً أربع أسلعة تامة . ولكنّ الذي يحول دون مثل هذا الفهم للنص، هو وجود اللام بعد قوله: (و س ق م) على اسم إله، فلو كان ما بعدها اسم علم لشخص ، على سبيل المثال، لكان المعنى: مرض لفلان، فكأنّه يدعو عليه بالمرض.

أل هـ ص ع ب : ورد ذكر هذا الاله في نقشين نبطيين، وجد أولهما في منطقة البتراء، وثانيهما في مدائن صالح، كما ذكر في نقش ثالث من تدمر، وهذه النقوش هي:

١- ل أ ل هـ ص ع ب و أ ل هـ أ د ي [ب] أ ص ل خ ب ث أ (RES 1434/5)

نقل المعنى : لإله صعب الإله، الذي بأصل الخبثة.
والخبثة واحدة من المناطق الأثرية الواقعة داخل البتراء.

٢- [ب ر ... ل أ ل هـ ص ؟] ع ب و أ ل هـ(أ....)
(Milik et.al.1970:157-158)

هذا هو السطر الثالث من نقش ، يتكون من خمسة أسطر، عثر عليه لأول مرة من قبل دواتي (Doughty) في مدائن صالح، وأعيد نشره غير مرّة دون اختلاف يذكر، وذلك نظراً للتلف الذي تعرض له الحجر. أما النقش الثالث، الذي يذكر فيه اسم هذا الإله، فإنه يشير إلى أصل الإله النبطي على الرغم من أنه لم يكتب بالنبطيه، كالنقشين السابقين، وإنما كتب بالتدمرية :

٣- ع ب د و هـ ب ل ت ب ر أ ب م ر ت [ل] أل هـ
ص ع ب [و] دي م ق رأ
ج د أ [أ] ن ب ط (CIS II 3199)

نقل المعنى: (هذا ما) عمله وهب الله بن أبي مرّة [ل] إله صعب المقروء (المعروف بـ) جد الأنباط.

يمكن من خلال النقوش السابقة، و النقش موضع الدراسة ، اعتبار «إله صعب» ، أو«الإله صعب»، واحداً من الآلهة العربية الشمالية، وأنّ الأنباط هم أوّل من تعبّد له، ثم استمرت، أو انتقلت، عبادته، فيما بعد، إلى بعض القبائل العربية، شأنه في ذلك شأن كثير من الآلهة، التي تعبّد لها الأنباط و غيرهم، ثم استمرت عبادتها عند العرب، حتى ظهور فجر الإسلام، كاللات وذي الشرى وغيرهما. إلا أن اسم هذا الإله، لم يصلنا من خلال المصادر العربية أو الشعر الجاهلي، ككثير من آلهتهم الجاهلية، لهذا فإننا غير متأكدين فيما إذا كانت قراءة الاسم «إله صعب»، أم «الإله صعب»، ولكننا نرجح أنّ يقرأ «إله صعب»، وأنّ صعب اسم لقبيلة. فقد عرفت النقوش العربية الشمالية آلهة خاصة بقبائل محددة، مثل «جد عويذ»، و«جد ضيف»، اللذان يردان في النقوش الصفوية (الروسان ١٩٨٧ : ٤٢١). كما عرف العرب إبّان جاهليتهم، آلهة خاصة بقبيلة دون غيرها، وإن لم يحمل الإله اسم تلك القبيلة، وبهذا يكون «صعب» اسم للجد الأعلى للقبيلة، التي تسمّت به أو أنّه اسم لمكان، ثم نسب الإله إليه.

ف ت ض ر ع : الفاء حرف استئناف. و تضرّع فعل ماض مضعّف العين، بمعنى ابتهل، دعى الإله، طلب من الإله. والفاعل ضمير مستتر، عائد على صاحب النقش.

وقد ورد الفعل (ض ر ع) بصغتي هضرع، وتضرع في السبئية بمعنى خضع، أو تذلل، وتضّرع (المعجم السبئي:٤٢). كما جاء الفعل «هضرع» في عدد من نقوش الإعتراف السبئي، بالمعنى نفسه، مقترناً بالفعلين (ع ن و/ وي ح ل أ ن) بمعنى «تذلل و أغتم وتاب عمّا أقترفه من خطايا» (الصلوي ١٩٩٧: ٣٢-٣٣) .

و ت ع ن ي : الواو عاطفة، وتعني فعل ماض مضعّف العين أيضا، وضميره مستتر عائد على صاحب النقش أيضا، والمعنى أنّه بذل جهداً وارتحل للمثول أمام معبوده، فلا زلنا في أحاديثنا اليومية نقول: تعنيت له، أي ذهبت إليه طلبا لمساعدته في أمر ما. ومن الواضح أنّ الأفعال المضعفة العين، تكتب بحرف واحد، في حين أنّ كلمتي «كل» و « علّك»، كتبتا في النقش بلامين بدلا من لام واحدة، للدلالة على التضعيف، ربمّا لكون اللام الثانية من أصل الكلمتين السابقتين، في حين أن التضعيف في «تضّرع» و«تعنى» و«تشهدّ»، جاء بسبب الصيغة الصرفية.

ولكن معنى الفعل في العربية الفصحى لا يسعفنا في فهم النص، ولعّل معنى الفعل (ع ن و) اغتم، اكترب، اضطرب، كما هو في السبئية (المعجم السبئي:١٧) أقرب إلى فهم النص. من هنا نرجح أنه استعمل في هذا النص، المعنى المستخدم في النقوش العربية الجنوبية، وبهذا الترجيح نرى أن كاتب النقش قد رتّب معاني النقش على النحو الآتي:

أولاً: مجيئه إلى الإله (إله صعب) ويمثل ذلك جملة (و س ق م إ ل هـ ص ع ب).

ثانياً: تضرعّه وابتهاله، بأن يعفو و يصفح عنه ، ويتضح ذلك من (ف ت ض رع).

ثالثاً: إظهار الندم و الحسّرة على مااقترف من فعل، ويظهر من خلال الفعل (و ت ع ن ي).

رابعاً: الإعتراف بالذنب، من خلال جملة (و ت ش هـ د).

٣/٢- ت ش(هـ)د: فعل ماض مضعف العين بمعنى اعترف، و الفاعل ضمير مستتر يعود على كاتب النقش.

ل/هـ : اللام حرف جر، و الهاء ضمير متصل في محل جر عائد على الإله، وجملة الجار والمجرور في محل نصب لأنها مفعول به أوّل لتشهّد؛ أي واعترف فلهان للإله بكل الأعمال التى قام بها ، على سبيل الاستغفار لذنوبه، التي يعترف بها أمام إلهه، كما يفعل بعض أتباع الديانة المسيحية، حين يعترفون بذنوبهم أمام رجل الدين في الكنيسة حتى اليوم، وذلك ضمن طقوس دينية معينة، ومما يؤكد هذا الفهم للنقش العبارة التالية (ب ك ل م ف ع ل) أي أن فلهان اعترف للإله، بكل أفعاله وذنوبه.

وإذا صح هذا الفهم لعبارة (وساق ما لإله صعب من هدى فتضرّع و حزن (اغتمّ) و أعترف للإله بكل مافعل من ذنوب) نكون أمام أول نقش عربي شمالي، يكشف لنا صورة من صور الاعتراف العلني، بالذنوب

والخطايا أمام الآلهة، كعنوان للتوبة وطلب الاستغفار عند عرب الجاهلية، في شمال غرب الجزيرة.

إمّا في جنوب الجزيرة ، فقد وجد الباحثون عدداً من النقوش، التي عرفت عندهم باسم «نقوش الاعتراف»، (كما أشرنا عند التعليق على تضرّع و تعتّى)، وقد كانت نقوش الاعتراف تلك، تكتب على ألواح من البرونز، و تثبت في مواضع خاصة على جدران المعابد، التي بنتها قبيلة أمير لتعظيم الإله (ذو سماوي)، في المراكز التجارية الكبرى (بافقيه ١٩٩٤:٣١-٣٥). ومن اشهر تلك المعابد معبد ذي يغزو، الذي حدد بافقيه موقعه في منطقة الشظيف، الواقعة في أرض قبيلة أمير بين نجران وجوف اليمن (بافقيه ١٩٩٤). وقد نشر إبراهيم الصلوي قبيل سنوات نقشاً جديداً من نقوش الاعتراف السبئية، التي وجدت في معبد ذي يغزو (الصلوي ١٩٩٤)، ثم أعيد نشر النقش من قبل عدد من الباحثين، منهم الصلوي نفسه ، مع إضافات مهمة عن نقوش الاعتراف السبئية (الصلوي ١٩٩٧). ولكن الذي يهمنا في هذا السياق، نقش الصلوي موضع الدراسة، ونصه:

١ - ي س م ع إ ل / ب ن / إ ل ش ر ح
٢- هـ ب ش ن ي ن / ت ن خ ي / و ت
٣ - ن ذ ر / ل ذ س م و ي / ب ي غ ز و / ب
٤- هـ ن / ج و ز / ب ط ح ت ن / و هـ و أ
٥ - ع ب ر / و هـ ن / د ك ك / ع د / ب أ
٦- ر ن هـ ن / و هـ و أ / م ح ت ل م /
٧ - و هـ أ / ذ ص ع د / و ل م / ي ن و ر / ع
٨ - ل هـ ن / و هـ ض ر ع / و ع ن و / و ي ح ل أ ن

نقل المعنى :

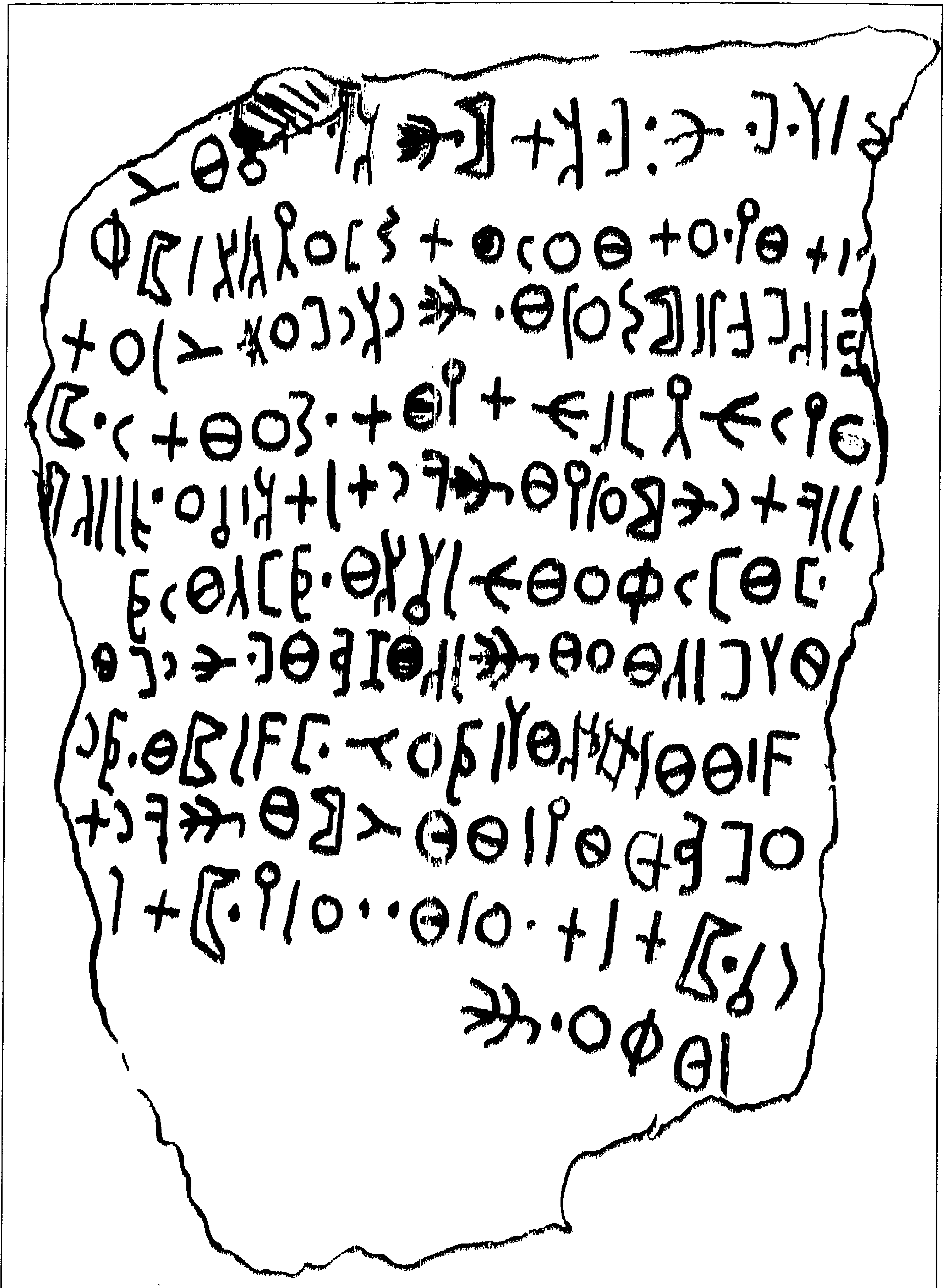
يسمع إيل بن إلي شرح الهبشاني إعترف (بالأفعال الخاطئة التي إقترفها) وكفر (عنها) للإله ذو سماوي في (معبده المسمى) يغرو بأن (بسبب أن) جاز البطحه (حرم المعبد) وهو عابر وبأن ألقى ترابا أو شيئاً آخر في البئرين (المحجورتين لذي سماوي) وهو محتلم. وهو الذي صعد (الى المعبد) ولم ينور عليهن. وتضرع واغتمّ ويتوب (عن معاودة تلك الخطايا مرة أخرى) (الصلوي ١٩٩٧:٢٤-٢٥).

فمن الواضح أن النقش قد ختم بعبارة مشابهة، لعبارات وردت في النقش موضع الدراسة، وهي العبارة الواردة في السطر الثامن من النقش السبئي (ف هـ ض ر ع و ع ن و و ي ح ل أ ن)، التي تفيد أن صاحب النقش قد تذلل وندم على أفعاله الخاطئة، ويعلن توبته أمام الإله والناس، عن تلك الخطايا، ويلتزم بعدم تكرارها، كما يفهم من قوله (و ي ح ل أ ن). أما العبارة المشابهة لهذا النقش، فقد وردت في السطرين الأول و الثاني ونصها (و ت ض ر ع و ت ع ن ي و ت ش هـ د ل هـ /ب ك ل م ف ع ل)، وهي - كما نرى- أكثر وضوحاً وإفصاحاً من العبارة الواردة في النقش السبئي لانها مكتوبة بلغة عربية شمالية فصيحة.

ولكننا في كلا النقشين أمام موضوع واحد، يتمثل بارتكاب كل من كاتبي النقشين أخطاء، يعاقب عليها دين كل منهما، لذا لجأ كل واحد على حده، وبطريقته الخاصة إلى الإعتراف أمام معبوده بذنوبه، طلباً للاستغفار. وإمعاناً منهما في التوبة، كتب كل واحد منهما نقشاً يعلن فيه تلك التوبة، كتعهد منه بعدم تكرارها.

وعلى الرغم من ترجيحنا لفهم النص، على النحو الذي أثبتناه فيما سبق، فإننا لا نستبعد أيضاً أن يكون معنى قوله (و ت ش هـ د ل هـ ب ك ل م ف ع ل) «واعترف له الإله بكل أفعاله الخيرة» كتقديمه للهدي والنذر، بدلاً من قولنا بأنّ صاحب النقش (فلهان)، هو الذي اعترف للإله بذنوبه وخطاياه، ويدعم مثل هذا الفهم للجملة السابقة، ما نجده في النقوش التدمرية من صيغ قريبة من هذه الصيغة، مثل : (ش هـ د ل هـ ي ر ح ب و ل) أي اعترف له الإله يرحبول بأعمال الخير، التي قام بها. وقد وردت عبارات متشابهة لهذه العبارة، في عدد من النقوش التدمرية مثل :

١- ص ل م أ د ن هـ د ي ز ب ي د أ ب ر س ع د و
٢- ت ي م ش م س د ي ع ب د ت ل هـ ب و ل أ



شكل ١ : تفريغ للنقش العربي

٣- [ل ي] ق ر هـ و س٣هـ د ل هـ ي ر ب و ل أ ل هـ
أ (SIC II 3919)

نقل المعنى :

١- هذا تمثال زبيد بن سعد.
٢- تيم شمس الذى (امر بـ) صنعه له مجلس الشيوخ (التدمري).
٣- لتوقيره وشهد(إعترف) له (بأعمال الخير التى قام بها) يرح بول الإله.

ب ك ل ل م ف ع ل : و«الباء» حرف جر، و«كُل» اسم جامد مبنى في محل جر، و «ما» اسم موصول بمعنى الذي، و «فعلّ» فِعْل ماض بمعنى عمل، و «كل» مضاف، وجملة الموصول مضاف إليه وجملة الجار و المجرور مع الكلمة التى قبلها تعني، أنَّ فلهان اعترف للإله صعب بكل أفعاله الخاطئه، أو أنّ الإله اعترف لفلهان بأعماله، التي قدّمها تقرباً له، كجلبة للهدي، لذا استجاب لتضرّعه ودعائه.

و ن ذ ر : الواو عاطفة، «نذر» فعل ماض. ويرد الفعل بصيغ عدّة في النقوش السبئية، بمعنى كفّر عن ذنبه (المعجم السبئي٩١).

أ ر ب ع أ س ل ع ت : أربع أسلعة، العدد أربعة مضافاً إلى جمع التكسير، وقد خالف العدد المعدود بجنسه كما في الفصحى، إذ يخالف العدد جنس المعدود من ثلاثة إلى تسعة. أمّا(أ س ل ع ت) فإنها جمع لسلعة، وهي كل مايملكه الإنسان مما يباع و يشترى (لسان العرب : س ل ع). وفي القضاء العشائري بالأردن يدفع القاتل دّية المقتول، إذا كان خمسته، أي أبناء عمومته الأقربين خمسين(ناقة)، و السّلع، ويحددون السّلع بأنها سلاح القاتل و فرسه بعدتها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن (س ل ع) قد وردت في عدد من النقوش النبطية، بمعنى وحدة نقدية كانت مستعملة في الدولة النبطية (Cantineau 1932 II:123). وترد الكلمة، عادة، في نقوش المدافن النبطية عند تحديد الغرامة المالية، التي يجب على من يسيء إلى القبر/المدفن، أو من يغيّر من الوصية الخاصة، به أن يدفعها إلى الإله، وأحيانا إلى الإله والملك (الأنصاري ١٩٨٤: ٢٥ ، ٣٣).

وقد وردت كلمة (س ل ع)، بمعنى وحدة نقدية في النقوش السبئية أيضاً (المعجم السبئي ١٢٥). ولكنها وردت بصورة ملفتة للنظر، في نقش من نقوش الاعتراف المقدمة إلى الإله ذي يغرو، كجزء من حق الإله على صاحب النقش، فيما يبدو، و النقش واحد من النقوش المهمة في هذا السياق، وذلك لتشابه موضوعه، وبعض من كلماته، مع ما ورد في النقش موضع الدراسة (بافقيه ١٩٩٤:٢٤). وسننقل هنا الأسطر السته الأولى، مع نقل ما يمكن من معناها إلى العربية.

١- إ ل ع ز / ب ن / ن هـ ي ت / ت ن خ ي / و ت
٢- ن ذ ر ن / ل ذ ي س م و ي / ب ع ل / ي غ ر و
٣- ك خ ب أ / ب ش ر س هـ و / ن ص ف م
٤- أ ض ر م / ب م ط و ت / أ ر ض أ س
٥- د/ ف ف رع/ ل هـ / س ل ع ت م / ف س
٦- ت و ض أ هـ / ف هـ ض ر ع

نقل المعنى :

إلعز بن نهية اعترف (بالأفعال الخاطئة التي اقترفها)، وكفر عنها للإله ذي سماوي سيد (معبد) يغرو، (ك خ ب أ/ ب ش ر س هـ و / ن ص ف م / أ ض رم) بناحية بلاد أسد ، (فقرر في نفسه) أن يقدم لذي سماوي نقوداً، و لكنه استهلكها، أو استخرجها فاسترضاه. ولهذا تضرع (لإلهه ذي سماوي).

٤- ل م ن ر ت : يشير هيرودت بان العرب كانوا يطلقون لقب المنيرة على الإلهة العزى (Wellhausen 1927:44) ولا نستبعد بأن ينذر صاحب النقش نذراً للعزى، أو أن يأتي بذكر صفتها بدلا من اسمها، ولكن الذي يجعلنا نرجح معنى آخر لهذه الكلمة، هو الاسم الذي يأتي بعدها. من هنا فإن الأقرب أن تكون كل من (م ن ر ت / و ع ف ن ت) اسمين لعلمين مؤنثين وبذا يكون النذر مقدماً لكاهنتين اسمهما منيرة وعفنة.

وقد تعني (م ن ر ت) المنارة، ومنارات المعابد معروفة في التاريخ القديم.

ع ف ن ت : قلنا بأن عفنة اسم لكاهنة، فيما إذا كانت (م ن رت) اسما لعلم مؤنث، أما إذا كانت الكلمة تعني المنارة، فإننا لا نستبعد أن يكون معنى (ع ف ن ت) «خزان ماء، بركة»، خاصة أن النقش قد وجد بالقرب من خزان ماء قديم، إضافة إلى أن صاحب اللسان يذكر لنا من بين معاني عفن في العربية، معطن الماء أي مكان الورد.

و ي ت ح ل ب ص ح ر ي : و يتصبب جسمي عرقاً، ربما لكثرة الابتهال و التضرع إلى إلهه، كي يقبل توبته، و يغفر ذنبه، أو خوفا من الإله. والجملة رغم وضوح حروفها، مبهمة المعنى و لكننا نعتقد أن ما قدمناه قد يكون أقرب المعاني اتساقاً، مع سياق النقش والغرض الذي كتب من أجله. كما أنه ليس من المستبعد أن يكون المقصود بقوله (ي ت ح ل)، «هو يتحلى»، وبذا يكون جذر الفعل ح ل أ، وأن الألف قلبت ألفا مقصورة، من هنا يكون معنى تحلى «يتوب عن معاودة ماارتكبه من ذنوب» تماما كما هو الحال في النقوش السبئية، التي يرد فيها الفعل ح ل أ بالمعنى نفسه. أما جملة (و ي ت ح ل ب ص ح ر ي) فيمكن أن تفهم على النحو التالي: «ويتوب عن خطاياه في (مكان أو معبد يدعى) ص ح ري». وليس مستبعداً بأن يكون المقصود بـ (ص ح ر ي) اسم معبد أقيم للإله صعب في مادبا نفسها، أو في مكان قريب منها، لذا جاء صاحب النقش ليعترف بذنوبه أمام إلهه، ويكفر ويتوب عنها أمام سدنته في المعبد الذي أقيم لهذه الغاية، إضافة لمهام دينية أخرى.

٥/٤ - **(ع) ل ل ك** : علّك بمعنى لعلك المكونة من عل/ لعل و ضمير المخاطب، و تجدر الإشارة هنا إلى أن العين في بداية الكلمة، تبدو أقرب شكلاً إلى حرف الواو منها الى العين، و ذلك لإن الواو والعين متشابهتان رسماً وشكلاً بهذا الخط، ولكن الواو في هذا السياق تبعدنا كثيراً عن فهم النص.

ت ر ح م : ترحم فعل ماض، و فاعله ضمير مستتر تقديره أنت (الإله صعب)، والمعنى لكي تترحم عليّ .

ع ل ي : عليّ مكونة من حرف الجر على مضافاً إلى ياء المتكلم ، و يكون المعنى تترحم عليّ أي ترحمني.

وهنا يمكننا القول إن فلهان، تقدم بنذر حدده بأربع أسلعة، من أجل إنشاء منارة وخزان ماء كملاحق لمعبد إله صعب، الذي ربما كان مقاماً في مادبا أو بالقرب منها، خاصة أن وجود معبد لهذا الإله في مادبا أمر طبيعي، كونها تقع على طريق الملوك، الذي يربط بلاد الشام بالجزيرة و مصر، مروراً بها عند قدومه من بصرى إلى البتراء. وقد رأينا بأن إله صعب، كان إلاهاً نبطياً، وأنهم أقاموا له معبداً خاصاً في البتراء (الخبثة).

أما بناء خزان ماء ليلحق بالمعبد، فإنه يعد أمراً ضرورياً لتأمين المعبد وأتباع الإله بالماء، و لربما أيضاً الأنعام الخاصة بالمعبد، و التي كان يأتي بها أتباع الإله على سبيل الهدي أو النذور ، وهو ما يمكن فهمه من عبارة «و س ق م ل أ ل هـ ص ع ب» في بداية النقش .

ويلاحظ هنا ، أيضاً، أن النص من السطر الأول حتى السطر الخامس، يمكن أن يفهم بأشكال متعددة، لكنها جميعا تؤكد أن فلهان كان رجلا مؤمناً بآلهته، متعبداً لها، و أنه كتب هذا النص لينقل لنا ما قام به من أعمال، يدخل بعضها ضمن طقوس عبادته و بعضها الآخر ضمن معتقداته الدينية، وهي أمور لا زالت معلومتنا عنها شحيحة، و لكن هذا النقش يلقي عليها ضوءاً جديداً. فهو، كما رأينا، عند مقارنته بنقوش الاعتراف السبئية، يكاد أن يكون واحدا منها، بل يمكننا التأكيد من خلاله، بأن ظاهرة الاعتراف العلني بالذنوب، و التكفير عنها أمام الالهة ، لم تكن محصورة فيما ورد منها في النقوش السبئية، بل كانت ظاهرة عامة عند عرب الجزيرة في الشمال والجنوب، ولعل اكتشافات آثارية جديدة في المستقبل، تقدم لنا المزيد من المعلومات عن حياة عرب الشمال الدينية، قبل أن يمن الله عليهم بالإسلام، و يشرح قلوبهم للدين الحنيف.

و ذ ك ر ت ل ت : ذكرت لات.

أ ش ي ع ن : أشياعنا اسم مضاف إلى ضمير المتكلم

الجمع، أي قومنا أو اتباعنا ورفاقنا ، والبناء ومعناه يشبه العربية الفصحى تماماً.

ك ل ل هـ م : جميعهم وقد كتبت «كل» بلامين للدلالة على الضعيف، وأضيفت إلى ضمير الغائبين المتصل هم.

٦- [ب] د ر : «بدر» اسم علم معروف حتى اليوم، ويرد أيضاً في النقوش العربية الشمالية (Harding1971:97).

هـ - ب د ن : «هبدان» اسم علم مذكر على صيغة فعلان، ولا يزال هبدان مستعملاً عند البدو كاسم علم. وقارن أيضاً اسم العلم الصفوي هـ ب د (Harding:1971:98).

أ ص ل ح : «أصلح»، يرد كاسم علم صفوي وثمودي (Harding:1971:45).

ع ق ر ب : «عقرب» : اسم علم مذكر، فيما يبدو ، وإن كان البدو في الاردن يستخدمونه كاسم علم مؤنث ، ولكنه يرد كاسم علم مذكر في عدد من النقوش الصفوية والثمودية (Harding 1971:427).

و ب ن ....: لقد تعرضت نهاية الاسم لطمس، أصبحت معه قراءة الا سم غير واضحة.

٧- **و هـ ب ل هـ :** ووهب الله، يرد هذا الاسم في الصفوية والثمودية (Harding1971:652). كما تعرف العربية أسماء مثل وهب، ووهب اللّه ووهب اللات.

ع و ذ ل هـ : عويذ اللّه، وهو يرد أيضا كاسم في الصفوية والثمودية (Harding 1971:448).

ز د : «زيد» اسم علم مذكر، معروف حتى اليوم، ويرد بكثرة في النقوش العربية الشمالية (Harding1971:296).

ب ن /ح ر ب : بنو حرب اسم لعائلة صغيرة، أو ابن حرب كاسم علم مركب، وعلى آية حال فان حرب اسم علم معروف في العربية حتي اليوم، وهو من الأسماء، التي يكثر ورودها في النقوش العربية الشمالية (Harding1971:182).

٨- [و] **د ن :** «ودان» اسم علم مذكر على صيغة فعلان، ويرد اسم علم في النقوش الصفوية فقط (Harding 1971:639).

م ل ك : «مالك» اسم علم معروف في العربية، وهو كثير الورود في النقوش العربية الشمالية (Harding1971:564-565)، ويرد كذلك في النبطية م ل ك م ل ك و (al- Khraysheh 1986:108).

ب ن س ع د ل هـ : هذا هو اسم والد مالك، وهو الاسم الوحيد، الذي ذكره الكاتب، اسم والده، من بين الأشخاص الذين ذكروا في النقش، ولعل ذلك عائد إما لأهمية الشخص الإعتبارية، أو لصلته الشخصية بصاحب النقش. وأياً كان، فإن الاسم س ع د ل هـ سعد الله من الاسماء المعروفة في العربية، والنقوش العربية الشمالية (Harding 1971:319).

أ ث ل : لا يورد هاردنج هذا الاسم كاسم علم صفوي أو ثمودي، و إنما يرد عنده كواحد من أسماء الأعلام السبئية (Harding 1971:21).

و ش ك (ت) : لا يظهر الحرف الأخير في نهاية السطر، ولكن (و ش ك ت) يرد أكثر من مرة كاسم علم في الصفوية والثمودية (Harding 1971:634)، في حين أن (و ش ك) لا يرد كاسم علم .

٩- [و] ع ب د : **الواو** حرف عطف، وهي لا تظهر في بداية السطر، لوجود كسر بسيط في طرف الحجر، أما الاسم «عبد»، فانه اشهر من أن يشرح سواء في اللغات السامية، أو في العربية.

و ي ل : وايل، ويقابل الاسم العربي وائل، الذي يرد في النقوش العربية الشمالية بصيغة و أ ل (Harding 1971:632) ، كما يرد في النبطية منتهيا بالواو، و أ ل و (al-Khraysheh 1986:64) . ويبدو أن اللهجة، التي كتب بها النص تميل الى تسهيل الهمز، ومن المؤكد أن لهجة الحجاز كانت من اللهجات التي تميل الى تسهيل الهمز، ثم إن معظم البدو في الأردن اليوم يلفظون هذا الاسم وايلا بدلا من وائل.

و س م : لعل لفظ الاسم وسيم، أو وسم وهو اسم لا يرد في النقوش العربية الشمالية، ولكنه يرد كاسم علم في السبئية (Harding 1971: 642).

١٠٩ - و ذ ك ر ت ل ت: وذكرت لات.

م ن: اسم موصول. بمعنى الذي، أو الذين.

ي ش ع ت ن ن: يشايعوننا، فعل مضارع مسند إلى ضمير الغائبين، وهذا بناء لغوي يشبه العربية الفصحى تماماً. وتجدر الإشارة هنا إلى عدم وجود ياء بين حرفي الشين والعين، وهي مكتوبة في كلمة (أ ش ي ع ن) الواردة في السطر الخامس.

و ل ع ن ت ل ت: ولعنت لات. م ن: اسم موصول بمعنى الذي، أو الذين.

١١/١٠ - ي [خ ب] ل: «**يخبل**» فعل مضارع للاستقبال، وهو مضعف.

و ق ع ن: الوقع هنا تعني الكتابة، ولازلنا نستخدم كلمة التوقيع من الجذر نفسه، كما أطلق العرب اسم ديوان التواقيع على ديوان الرسائل، التي كان الخلفاء والوزراء يبعثون بها إلى الولاة وأمراء الجيش، «ووقع» مسنده إلى ضمير المتكلم الجمع، الذي يماثل الضمير نفسه في العربية الفصحى.

ذ: اسم اشارة للقريب، يقابل في العربية اسم الإشارة، الذي يقول عنه علماء العربية بان أصله «ذ»، وأن الهاء فيه زائدة، والألف في نهايته للإطلاق.

د. فواز حمد الخريشة : مدير دائرة الآثار العامة، عمان - الأردن

المراجــــع

أولاً: المراجع العربية

الأنـدلسي، علي بـن أحمد بن سعيد بن حـزم «د.ت» **جمهـرة أنسـاب العـرب**. دار الكتب العلميـة، بيـروت، لبنـان.

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب ١٩٨٢ **قرية الفاو، صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية**. جامعة الرياض، الرياض.

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب وآخرون ١٩٨٤ **مواقع أثرية وصور من حضارة العرب في المملكة العربية السعودية العلا، الحجر**. جامعة الملك سعود، الرياض.

بافقيه، محمد عبدالقادر ١٩٩٤ «ذو يغرو وأمير و حنان في ضوء النقوش». herg. von N.Nebes, **Arabia Felix Festschrift**, W.W. Mueller Zum 60 Geburtstag, pp. 21-38. Wiesbaden.

الذييب، سليمان ١٩٩٩ **نقوش ثمودية من المملكة العربية السعودية**. مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

الروسان، محمود محمد ١٩٨٧ **القبائل الثمودية والصفوية، دراسة مقارنة**. منشورات جامعة الرياض، الرياض.

الصلوي، إبراهيم محمد ١٩٩٧«نقش جديد من نقوش الإعتراف العلني دراسة في دلالاتة اللغوية و الدينية» **مجلة كلية الآداب**، ٢٠: ٢٢-٤٥. جامعة صنعاء.

عبدالله، يوسف محمد ١٩٨٥ أوراق **في تاريخ اليمن وآثاره، بحوث ومقالات**، الجزء الثاني، الجمهورية العربية اليمنية، وزارة الاعلام و الثقافة، مشروع الكتاب.

إبن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب ١٩٢٤ **كتاب الأصنام**. تحقيق أحمد زكي، نشر الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة.

ثانيا : المراجع غير العربية

Arbash, Mounir, 1994. "L'inscription Silwi as-Sudyf)' **Raydan 4**.

Branden, Van den. 1950. "les Inscriptions Thamoudeennes" **Bibliotheque du Museon**,Volume 25. Louvain, Heverle.

Cantineau, J. 1932. **Le Nabateen II. Paris Corpus Inscriptionum Semiticarum Pars II et III.**

Harding, G. L. 1969. "The Safaitic Tribes" **Al-Abhath**, 22 :3-25.

Harding, G. L. 1971. **An Index and Concordance of Pre-Islamic Arabian Names and Inscriptions**, Toronto .

al-Khraysheh, F.H. 1986. "Die Personennamen in den nabataeischen Inschriften des Corpus Inscriptionum Semitcarum", Unpublished Thesis, Marburg, Germany.

al-Khraysheh, F.H. 1995. "Eine safaitisch-nabataeische bilingue Inschrift aus Jordanian" herg.von N.Nebes, **Arabia Felix Festschrift,** W.W. Mueller zum 60 Geburtstag, pp.109-114. Wiesbaden.

King, G. 1988. "Wadi Judayid Epigraphic Survey: A Preliminary Report" **Annual of the Department of Antiquities of Jordan (ADAJ)**, 32: 307-317.

King, G. 1990. "Early North Arabian Thamudic E . A Preliminary description based on a new corpus of inscriptions from the Hisma desert of southren Jordan and published material", Unpublished Thesis, 2Vols, London.

Knauf, E.A. 1983. "Suedsafaitisch" **ADAJ**, 27:587-596.

Macdonald, M.C.A. 1986. "ABCs and Letter Order in Ancient North Arabia" **Proceedings of the Society of Arabian Studies**, 16: 101 - 168.

Mendenhall, G. 1988. "The Epigraphy Section Field Trip to Jebel Tuletuwat" **News Letter of the IAA**, 6: 13-15.

Milik, J.T. and J. Starcly 1970. "Nabataean, Palmyrene, and Hebrew Inscriptions" In: F. Winnett, and W.L. Reed (eds), **Ancient Records from North Arabia**, University of Toronto Press, Toronto.

RES Repertoire d Epigraphie Semitique.

Wellhausen, J. 1927. **Reste arabischen Heidentums**, ZweiteAusgabe, Berlin und Leipzig.

Winnett, A.F. 1937. **A Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions**. Toronto.

Winnett, A.F. and Reed 1970. **Ancient Records from North Arabia.** Toronto.

نحو مصطلح آثاري موحد

لقد ظهرت نتيجة البحث العلمي المطّرد في الفروع المختلفة لعلم الآثار العديد من المصطلحات والأسماء الجديدة بلغات أجنبية، أبرزها الإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها. ورغبة من مجلة أدوماتو في حثّ الباحثين والمتخصصين العرب على الإسهام في تأصيل، وربما تعريب، عدد من المصطلحات الآثارية فقد أفسحت هذه الزاوية لتمكين الراغبين في تناول عدد من الأمثلة وإبداء وجهة نظرهم العلمية حولها والإشكاليات الناتجة من استخدامها، سواءً أكانت مرتبطة بالجوانب الحضارية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو التقنية... وغيرها.

الجذور التاريخية لإشكالية المصطلح الآثاري حالة ما قبل التاريخ

عباس سيد أحمد محمد علي

مواصلة للموضوع الذي طرحه الدكتور عبدالله بن محمد الشارخ حول «إشكالية المصطلح الآثاري» (أدوماتو، ١: ٧١-٧٢) الذي دعا فيه الآثاريين العرب إلى تناول هذه القضية التي أخذت سلبياتها، فيما نظن، تستفحل في الأروقة الأكاديمية عبر الدراسات الآثارية وتقارير الحفريات والبحوث التي تطرح في المؤتمرات العلمية، وحتى في قاعات الدراسة، دون التفات جاد إليها. وتلك هي الإشكالية الحقيقية! ونحسب أن الوقت قد فان، إن لم يكن قد فات، لتسليط الضوء عليها ومحاولة تحليلها ومعالجتها.

ليس من شك أن علم الآثار علم غربي المولد والنشأة، إن لم تخلو مسيرته من مساهمات من شعوب أخرى. وبحكم ميلاده الغربي ونشأته فأنه يطرح أطراً هي وليدة المسيرة الحضارية البشرية في الغرب، وفي أحسن الحالات في بعض المناطق التي بقيت تحت مظلة الغرب إبان الحقبة الاستعمارية. ومع انتشار الأعمال والدراسات في بلدان العالم بزغت بشكل واضح، على بعض آثاريي تلك البلدان على الأقل، إشكالية إسقاط تلك الأطر الغربية على المسيرة الحضارية في بلدانهم. إلا أن الغالبية العظمى طوعت المادة الأثرية المكتشفة لتلك الأطر على أساس أنها أطر عالمية، لتنتهي إلي هياكل «كرونولوجية» لا تتوافق تماما مع الواقع الحضاري.

نحاول هنا تسليط الضوء فقط على خلفية القضية بتوضيح الظروف التي أحاطت ببعض جوانبها مقتصرين في ذلك على الإطار التعاقبي لعصور ماقبل التاريخ، تاركين المجال للعاملين بالدراسات الآثارية ليدلوا بآرائهم كل في حدود الإطار الزماني والمكاني لمجال تخصصه.

جاءت عبارة «ما قبل التاريخ» التي يقصد بها تلك الفترة من عمر الحضارة البشرية التي سبقت المعرفة بالتدوين أو الكتابة، ترجمة لعبارة Prehistory الإنجليزية والتي جاءت بدورها، مع القليل من التحريف، ترجمة للعبارة الفرنسية Antihistorique. ظهرت العبارة الفرنسية لأول مرة عام ١٨٣٣م حين استخدمها تورنال M. Tournal، أمين متحف ناربون، في مقال نشر في Annales de chimie et de physique. وظهرت العبارة الإنجليزية في عام ١٨٥١م حين أوردها دانيال ولسون D. Wilson في عنوان كتابه The Archaeology and Prehistoric Annales of Scotland. ولا ندرى تحديدا متى ظهرت العبارة العربية لأول مرة، غير أنها كانت ترجمة موفقة إلى حد بعيد. والتاريخ هنا يقصد به التاريخ المكتوب وليس التاريخ بمفهومه المطلق. وتتردد الكلمة اليوم في الأدبيات الآثارية دون خلاف على مدلولها.

قبيل استخدام تلك العبارة قدم الدنماركي طومسون C. Thomsen «نظام العصور الثلاثة»: الحجري والبرونزي والحديدي، وهي تقسيمات لعصور متعاقبة استندت إلى المادة الخام التي صنعت منها الأدوات وتقنية تلك الأدوات، التي تعود لفترات قديمة لم تكن محددة على وجه الدقة. وطرح هذا النظام عام ١٨٣٦م ضمن مؤلفه الموسوم Ledetraad till Nordisk Oldkyndighed. وبعد انعقاد مؤتمر الجمعية الملكية في لندن عام ١٨٥٩م الذي حسم عدة أمور في مجال الجيولوجيا والآثار، من بينها القبول بفكرة ماقبل التاريخ، وجد نظام العصور الثلاثة بعض القبول في أوروبا، حيث وجد فيه العاملون في مجال آثار ما قبل التاريخ ما يفي بمتطلباتهم فيما يتعلق بتسلسل أدوار تلك الحقبة. غير أن محاولة إسقاط هذا النظام على بعض مناطق العالم خارج أوروبا اصطدم بحقيقة أن العصرين البرونزي والحديدي، في الشرق الأدنى مثلا، لايمكن فصلهما بشكل نهائي عن الحقبة التاريخية. وفي هذه الحالة تطرح قضية كيفية التعامل معهما ما داما جزءاً من أدوار تاريخية محددة؛ واضعين في الاعتبار أن العصور المعدنية بدات في أوروبا بعد نحو ألف عام من بزوغ المدنيات في الشرق الأدنى، وأن التاريخ بدأ في بريطانيا بعد نحو ثلاثة آلاف سنة من بدايته في الشرق.

ولعل ذلك ما التفت إليه الآثاريون الفرنسيون حين اقترحوا عبارة Protohistory لتغطي حضارات مجتمعات لم تعرف الكتابة (التاريخ) ولكنها عاشت في ظل مجتمعات عرفت الكتابة. غير أن الآثاريين الألمان زادوا الأمر تعقيدا حين أوردوا عبارات ثلاث في هذا السياق تتداخل في مفهومها، وهي Urgeochichte و Fruhgeschichte و Vorgeschichte. وربما يبدو أن الإشكالية لم تكن وقفاً على العالم الثالث!

بعد دراسة الأدوات التي تعود إلى العصر الحجري، إثر القبول به كمرحلة مبكرة من حقبة ما قبل التاريخ، لاحظ البريطاني جون لوبك J. Lubbock أن ثمة تبايناً في حجم وشكل وتقنية تلك الأدوات، إلى الحد الذي لا يمكن أن تؤرخ جميعها إلى عصر واحد. فاقترح في كتابه Prehistoric Times الذي صدر في عام ١٨٦٥م تقسيم العصر الحجري إلى عصر حجري قديم Palaeolithic وعصر حجري حديث Neolithic . كان ذلك تصنيفا تقنيا بحتا لم يلعب الجانب الاقتصادي فيه دورا، ولم يميز لوبك J. Lubbock بين المراحل الاقتصادية للعصرين، أي الاقتصاد القائم على الصيد والجمع مقابل الاقتصاد المرتكز على الرعي والزراعة. وبالتالي لم يكن الاستئناس والزراعة وصناعة الفخار سمات مميزة للعصر الحجري الحديث رغم أنها أصبحت الأساس لاحقا في مقابل تراجع العامل التقني.

اصطدمت تقسيمات لوبك J. Lubbock بأداوت حجرية في شمال أوروبا تبدو سابقة للعصر الحجري الحديث، وهي بالطبع ليست من أدوات العصر الحجري القديم لأن تلك المنطقة كانت خالية من أي وجود بشري بحكم سيطرة الجليد عليها إبان العصر الحجري القديم. وقد نتجت تلك الأدوات عن تكيف الجماعات البشرية التي ارتحلت إلى هناك بعيد نهاية البلايستوسين وتراجع الجليد شمالا نحو القطب. وفي محاضرة أمام الجمعية الأنثروبولوجية اقترح الإسكندنافي هودر فستروب H. Westropp عصرا حجريا وسيطا Mesolithic بين العصرين القديم والحديث ليستوعب تلك الحضارات. نشر فستروب مقترحه هذا ضمن كتاب له بعنوان Prehistoric Phases ظهر في عام ١٨٧٢م. وتم قبول المقترح بشكل واسع.

غير أننا نلاحظ أن العصر الحجري الوسيط لم يكن له وجود من الناحية الحضارية، خارج نطاق أوربا، فالمسمى جاء تلبية لظروف حضارية وبيئية خاصة عرفها شمال أوربا وحده. وليس لهذا العصر سمات مميزة ينفرد بها ويعرف من خلالها في بقية أنحاء العالم. ورغم أن مواقع وحضارات متعددة في الشرق الأدنى وشمال إفريقيا قد وضعت في إطار ذلك العصر، إلا أنه لا يوجد قاسم مشترك بينها وليست لها سمات موحدة، خلافا لكونها تؤرخ إلى الفترة الزمنية التي ساد فيها العصر

الحجري الوسيط في شمال أوروبا. وليس هناك مايحول دون إسقاطها من تسلسل العصور الحجرية في الشرق الأدنى وشمال إفريقيا. ففي ذات الإطار أسقط الغربيون عبارات تمثل «عصورا» مثل Eolithic و Kainolithic وأخرى تمثل «حضارات» مثل Chellean و Abbevillean.

وفيما يتصل بالعصر الحجري القديم، فقد قادت مجهودات كل من لارتيه E. Lartet وموريتيل G. Mortillet وكرستي H. Christy، نتيجة أعمال ميدانية مكثفة في جنوب غرب فرنسا إلى تقسيم العصر الحجري القديم إلى عصر حجري قديم أسفل وأوسط وأعلى، لكل سماته التقنية وخصائصه النوعية. ولم تعترض آثاريي العالم الثالث إشكالية تذكر فيما يتعلق بمصطلحات العصر الحجري القديم الأسفل (الألدواني والأشولي). غير أن العصر الحجري القديم الأوسط الذي يتوافق في أوروبا مع الحضارة الموستيرية والتقنية اللفلوازية لم يحقق انتشارا كاملا في كل أنحاء العالم القديم. فأفريقيا الاستوائية مثلا لم تعرف الموستيرية اللفلوازية خلال عصرها الحجري القديم الأوسط فاستعاضت عنهما بالسنقوانية التي ارتكزت أدواتها على النوى خلافا للموستيرية التي استندت إلى الشظايا. وكذلك الحال بالنسبة للعصر الحجري القديم الأعلى الذي تركزت خصائصه الأوروبية على أماكن دون أخرى. إذ لا يبدو مثلا أن العصر الحجري القديم الأعلى بتلك الخصائص قد عرف في الجزيرة العربية، رغم قلة ما نعرفه عنها.

لجأ البعض إلى عبارات مثل Epi-Palaeolithic و Final-Palaeolithic و Terminal-Palaeolithic لتجنب الإشكالية، غير أن هذه بدورها في حاجة إلى توضيح يحدد سماتها وخصائصها الحضارية وحدود انتشارها.

وتبرز إشكالية العصر الحجري الحديث الذي حددت سماته، بعد عدة تطورات في أوروبا، بأربعة ابتكارات: استئناس الحيوان وممارسة الزراعة وصناعة الفخار وصقل الأدوات. غير أن هذه الابتكارات ظهرت في أماكن مختلفة وأزمان مختلفة، خلافاً لكونها قلَّ ما تتوفر جميعها متزامنة في الموقع الواحد. ويطرح السؤال: ماذا حين يتوفر بعضها في الموقع دون البعض الآخر؟ أنصب التركيز على انتاج الغذاء أكثر من غيره، كشرط للدخول في حقبة العصر الحجري الحديث. فحين يتوافر الفخار دون الاستئناس تنسلخ تلك الصفة عن العصر الحجري الحديث وتؤرخ إلى العصر الحجري «الوسيط»، المشكوك فيه أصلا! وحين يتوافر دليل الاستئناس ويغيب الفخار يطلق عليه «العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار»!

ويشكل مصطلح الاستئناس والزراعة في حد ذاتهما قضية أخرى. فأي دليل نسوقه برهانا عليهما ؟ فقد جاء الآثاريون الغربيون إلى وادي النيل مثلا بافتراض مسبق أن الضأن والماعز والقمح والشعير هي أدلة الاستئناس، في وقت لاتوجد فيه أصول برية لهذه الكائنات في وادي النيل. ودليل الاستئناس يجب أن يبحث عنه في الغطاء الطبيعي والبيئي للمنطقة. ومضى وقت قبل أن يتحول البحث عن هذه الكائنات الآسيوية الأصل إلى البقر والذرة والشعير المستأنس التي تتوافر أشكالها البرية في وادي النيل.

خلاصة الأمر أن نظام العصور الثلاثة لم يكن «حقيقة مطلقة» ولكنه كان فرضية رائعة قابلة للاختبار. اختبرها فارسا في الدنمارك فأثبت صحتها وجدواها، وأحدثت نقلة في علم الآثار. وحين برزت الحاجة إلى تعديلها عدلت أيضا بفرضيات أخرى، اختبرت بدورها .. وهكذا. وبذلك المنهج، برهان الصواب والخطأ، تقدم علم الآثار وتطور عبر حركة ديناميكية متواصلة شكلت طبيعته. لقد أدى ذلك الجيل من الآثاريين دوره، وتخطى الآثاريون الغربيون المعاصرون الكثير من مشكلاتهم. وعلينا نحن أن ننظر إلى واقعنا الآثاري على الأقل، فقضية المصطلح وحدها تحتاج إلى عقود لاستخدامها على الوجه الأمثل، إذ أنها تتجاوز الأدوار الحضارية إلى الحضارات والمعثورات، وتتخطى المنهج إلى النظرية. ذلك جزء يسير من دورنا إن كان لنا أن نصدق أنفسنا القول والفعل، ونصدق غيرنا.

د. عباس سيدأحمد محمد علي - قسم الآثار والمتاحف كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص.ب ٢٤٥٦ - الرياض ١١٤٥١ - المملكة العربية السعودية sidahmed@ksu.edu.sa

مؤتمرات وندوات علمية

الندوة العالمية الرابعة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية

الجهة المنظمة : جامعة الملك سعود
مكان الانعقاد : الرياض، المملكة العربية السعودية
تاريخ الانعقاد : ٧ - ٩ ذو القعدة ١٤٢٠هـ / ١٣-١٥ فبراير ٢٠٠٠م

في الفترة ما بين السابع والتاسع من شهر ذي القعدة ١٤٢٠ هـ، الموافق للثالث والخامس عشر من شهر فبراير لعام ٢٠٠٠م، انعقدت الندوة العالمية الرابعة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، وموضوعها : «الجزيرة العربية في العصر الأموي»، بتنظيم من جامعة الملك سعود ، ممثلة بقسمي التاريخ والآثار والمتاحف بكلية الآدب.

ويأتي انعقاد الندوة العالمية الرابعة لدرسات تاريخ الجزيرة العربية ، في رحاب جامعة الملك سعود، امتداداً لسلسلة من الندوات السابقة، التي اشترك في العمل على تنظيمها وعقدها، قسما التاريخ والآثار والمتاحف وكان افتتاح الندوة في صبيحة يوم الأحد السابع من شهر ذي القعدة ١٤٢٠ هـ الموافق ١٣ فبراير ٢٠٠٠م.

شارك في الندوة ثمانية وعشرون باحثاً، وكان معظم مقدمي البحوث من داخل المملكة العربية السعودية، التي شارك منها اثنان وعشرون باحثا. قدموا ثلاثة وعشرون بحثاً، ومن هذه البحوث خمسة عشر بحثاً مقدمة من جامعة الملك سعود. كما أسهم في الندوة ستة باحثين من : الكويت، وقطر، وعُمان، واليمن، وتونس، والمغرب.

تميزت محاور الندوة وبحوثها بالشمولية العلمية والإلمام- تاريخياً و آثارياً - بالمعطيات الحضارية للعصر الأموي. وكانت محاور الندوة وبحوثها على النحو الآتي :

أولاً : الأحوال العامة والسياسية في الجزيرة العربية، عند قيام الدولة الأموية وبعده: تضمن هذا المحور موضوعات متعددة، لها صلة مباشرة بموقف فقهاء المدينة المنورة من الخلافة الأموية، والآثار المترتبة على منطقة الحجاز، إثر انتقال الخلافة عنها. كما انطوى تحت هذا المحور، مجموعة من البحوث المقيّمة للجهود المبذولة في العصر الأموي، بشأن نشر الإسلام في المغرب والأندلس، وشبه القارة الهندية .

ثانياً : الأحوال الأقتصادية في الجزيرة العربية في العصر الأموي : اشتمل هذا المحور على عدد من البحوث، التي تعرضت بشكل عام للمصادر الإقتصادية، والحركة التجارية، بمنطقة الحجاز وبلاد السراة؛ إضافة إلى التعرض للمراكز التجارية ، ووضع الأسواق التجارية في العصر الأموي .

ثالثاً : الأحوال الاجتماعية في الجزيرة العربية في العصر الأموي: تناولت بحوث هذا المحور الوضع السكاني في إقليم اليمامة، وإعطاء نماذج عن التحرك الاستيطاني للهجرات السّكانية، بمنطقة الطائف .

رابعاً : الحياة العلمية في الجزيرة العربية في العصر الأموي : احتوى هذا المحور على بحوث، ألقت الضوء على دور العلماء بجنوب الجزيرة العربية وغربها، ووضع الحياة العلمية و الأدبية في الجزيرة العربية، خلال العصر الأموي. إضافة إلى إظهار الأدوار التاريخية لأمهات المؤمنين (رضي الله عنهن)، وإبراز دور علماء المدينة المنورة وأثرهم جميعا، في المجتمع المدني.

خامساً: الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية في العصر الأموي: اتسمت بحوث هذا المحور بالتنوع الموضعي والمكاني . فقد كان بعضها ذا طابع شمولي، تحدث عما تحتضنه أراضي الجزيرة العربية من آثار قديمة ترجع للعصر الأموي، وبعضها الآخر كان تخصصياً.

وقد شملت البحوث : توسعة المسجد النبوي الشريف، والمنشآت المائية بمكة المكرمة، والفخار في

شمال غرب الجزيرة العربية. والوضع الحضاري لحجر اليمامة بوسط الجزيرة. ولم يخل هذا المحور من اللّمسة الشعرية، عندما تعرض أحد الباحثين لميمية الشاعر التهامي أبي دهيل الجمحي ، ووصفه الشيق لطريق الحج التهامي .

وفي الجلسة الأخيرة من جلسات الندوة، أُجيزت التوصيات الآتية:

١- عقد الندوة العالمية الخامسة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، بعد عامين من الآن (ذو القعدة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م) ، وأن يكون موضوعها «الجزيرة العربية من قيام الدولة العباسية إلى نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي».

٢- عقد ندوات لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، مرة كل عامين، للعصور بعد ذلك تشمل الندوتان الأوليان الفترة حتى بداية العصر العثماني، على النحو الآتي:

أ- الندوة العالمية السادسة (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤ م): موضوعها «الجزيرة العربية من مطلع القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري (٦٥٦هـ)».

ب- الندوة العالمية السابعة (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م): موضوعها «الجزيرة العربية في منتصف القرن السابع الهجري إلى مجيء العثمانيين».

٣- إصدار كشاف بعناوين البحوث، التي قُدمت في الندوة العالمية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، يكون من بابين، باب تصنف فيه العناوين تاريخياً، وباب تصنف فيه موضوعياً، مع ملخص مختصر لموضوع كل عنوان. ويحدث ذلك بعد كل ندوة.

٤- العمل على ضبط أسماء المواضيع و القبائل، ووضع أطلس تاريخي وآثاري للجزيرة العربية، يمثل مختلف عصورها.

٥- انتقاء المصادر المهمة من المخطوطات غير المحققة ونشرها علمياً.

٦- انتقاء الكتب المهمة المنشورة بغير العربية، التي تتناول تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، وترجمتها إلى العربية.

٧- دعم جهود الفرق الآثارية الوطنية للحفر والتنقيب، في مواقع حضارية وتاريخية في الجزيرة العربية .

د. محمد بن عبد الرحمن راشد الثنيان

مدونة الآثار العثمانية

المؤتمر العالمي الرابع للآثار العثمانية

الجهة المنظمة : مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات

مكان الانعقاد : زغوان ، تونس

تاريخ الانعقاد : ١٦ - ١٨ ذو الحجة ١٤٢٠هـ/ ٢٢-٢٤ مارس ٢٠٠٠م

نظمت «مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات» بتونس المؤتمر العلمي الرابع لمدونة الآثار العثمانية، للعام ٢٠٠٠م. وشارك في أعمال المؤتمر ثلاثون باحثاً، من مصر وتونس و الأردن وبريطانيا وتركيا واليابان ورومانيا وهولندا. وقدمت أبحاث المؤتمر العديد من النتائج الجديدة في مجال الآثار الإسلامية، التي حظيت بمناقشات حادة، نظراً إلى أن بعضها يعد جديداً في بابه. وتركزت محاور المؤتمر، حول التأثيرات المعمارية الغربية على العمارة العثمانية، ونتائج المسح الأثري في مجال الآثار العثمانية، والطرق الحديثة في حفظ وترميم الآثار العثمانية.

وشهد المؤتمر على هامش أعماله، تكريم عالم الآثار الهولندية مايكل كيل، الذي يُعد أبرز خبراء الآثار العثمانية في شرق أوروبا، ويعود إليه الفضل في التعريف بالتراث المعماري العثماني في بلغاريا، وهو ما دفع السلطات البلغارية إلى حظر مؤلفاته عن التراث العثماني في بلغاريا، نظراً لرغبتها في نسيان الماضي العثماني للبلاد، وسعيها إلى محاربة الأقلية المسلمة فيها. وجاءت أبحاث كيل لتثبت الهوية الاسلامية لبلغاريا، ولتمنع السلطات البلغارية من الاستمرار في تدمير التراث العثماني بها. وكان كتابه عن الآثار الإسلامية في ألبانيا، مقدمة لكي يتعرف العالم على العمارة الإسلامية بها. ويعد أول مرجع متكامل في هذا المجال. وقد وجه المشاركون في

المؤتمر نداءً إلى الدكتور حسام مهدي، لكي ينتهي من ترجمة هذا الكتاب المرجعي المهم، على وجه السرعة. ونداءً آخر إلى منظمة العواصم و المدن الإسلامية، وكذلك مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، والمجمع الثقافي في أبوظبي، وغيرها من المؤسسات لدعم طبع ترجمة هذا الكتاب المرجعي المهم. كما وجهوا نداءً إلى الجهات المعنية بالمساجد والتراث المعماري، لدعم جهود كيل لترميم مساجد البوسنة، والآثار الإسلامية في البلقان. وقد أصدرت «مؤسسة التميمي للبحث العلمي» كتاباً تذكارياً بهذا المناسبة، شارك فيه تلامذة كيل في جامعات أوروبا وتركيا ، بأبحاث جديدة في مجال العمارة الإسلامية.

وقد قدمت دراسة خلف الطراونة، الأستاذ بجامعة اليرموك، معلومات جديدة عن مجموعات العملات العثمانية في متحف الأردن. وشمل مسح خلف متحف جرش، ومتحف الآثار الأردني، ومتحف أربد، ومتحف آثار مأدبا، ومتحف آثار الكرك، ومتحف آثار السلط. وقد اتضح من خلال مسح هذه المتاحف، أن مقتنياتها من العملات العثمانية تبين، أن السلاطين العثمانيين تمسكوا بالتقاليد الإسلامية، ولم ينقشوا صورا على نقودهم، لكنهم استعملوا أشكالاً هندسية وزخرفية وكتابات، وهي في مجملها عبارات تبجيل للسلاطين. كما أن النقود العثمانية في متحف الأردن، تقدم بانوراما للنقود، التي كانت تستعمل في العملات الإسلامية ، هما : متحف سمير شما، ومتحف البنك الأهلي الأردني .

وقدم حسن نور، الأستاذ بجامعة جنوب الوداي في مصر، دراسة أثرية فنية لألبوم تصويري عثماني، لم يسبق نشره. ضم الألبوم أكثر من مائة وستين صورة شخصية، ضمنها موضوعات تصويرية متكاملة، وتحتفظ دار الكتب المصرية بهذا الألبوم، وتم التمهيد لهذه الدراسة بالتعريف بفن المرقعات بصفة عامة، ثم معرفة تاريخ فن الألبومات العثمانية، في المتاحف والمكتبات العالمية والمجموعات الخاصة. وتكمن أهمية الألبوم موضوع الدراسة، في أنه يرجع إلى فترة حساسة وحرجة في تاريخ الدولة العثمانية، وهي فترة إلغاء فيالق الانكشارية، وما أعقبها من تنظيمات عسكرية ومدنية جديدة. وحفل الألبوم بصورة للجنود العثمانيين في أزيائهم، التي بدأت تنتشر في القرن التاسع عشر، وأسفل كل صورة لقب الفرقة العسكرية المصورة ، أو رتبة العسكري المصور. كما وجد الباحث في بعض التصاوير أسلحة حربية، مثل المدافع والبنادق. وحملت بعض التصاوير مظاهر احتفالية، وبعظها صور حياة الطبقة الحاكمة في الدولة العثمانية. وألحق الباحث بدراسته جدولاً ترجم فيه كتابات الألبوم العثمانية، وأشكالاً توضح المقارنات التي أجراها الباحث بين الألبوم، وبين تصاوير عثمانية معاصرة.

كما تتبع محمد الجهيني، الأستاذ بجامعة جنوب الوادي في مصر، المصبعات في عمائر العصر العثماني بالقاهرة. والمصبعات عبارة عن أرماح طولية وعرضية، من النحاس أوالبرونز، توضع على فتحات النوافذ لتأمين المنشأة، وفي الوقت ذاته، توفر قدراً من الضوء و الهواء داخلها. وقد وجد هذا العنصر، بهذه الهيئة، في العمارة الإسلامية داخل القاهرة وخارجها. وكان ينفذ على هذه المصبعات زخارف هندسية ونباتية في بعض الأحيان. وبتولي محمد علي باشا حكم مصر، بدأت عناصر جديدة، ومن ذلك ما طرأ على هذا العنصر من تغيير، حيث استعيض عن هذه المصبعات، باستعمال ساتر معدني بهيئات زخرفية هندسية ونباتية مختلفة تُظهر تأثر هذا العنصر بما شاع على العمارة في ذلك الوقت، من مؤثرات أوروبية. ولهذا فان دراسة هذا العنصر، خلال عصور مصر المختلفة، توضح ما طرأ عليه من تغيير في فترة حكم محمد علي باشا .

قدم مايكل كيل، الأستاذ في جامعة أوترخت الألمانية، وخبير اليونسكو المتخصص في العمارة الإسلامية بشرق أوروبا، دراسة فريدة من نوعها، تقوم على استخدام إمكانيات الحاسب الآلي والوثائق، في بناء وتخيل مجموعة معمارية أندثرت معظم أجزائها، ولم يتبق منها سوى بعض أجزاء مع المسجد الخاص بها كانت

هذه المجموعة تضم زاوية وضريح للمنشأ، ومدرسة ومطبخ وقيسارية. وهي تقع في قرية كافكا التركية. وقد دمرها البلغار أثناء حربهم مع الأتراك في العام ١٩١٣. وأدت حفريات كيل حول بقايا المسجد، إلى العثور على بقايا المئذنة ثم العثور على بقايا متناثرة للمنشآت حوله، عبارة عن أساسات للمنشآت المندثرة. كما وثّق بقايا المسجد. وبقراءة الوقفية الخاصة بهذه المجموعة المعمارية، استطاع كيل وضع تصور شامل لها على الحاسب الآلي. وأضاف كيل إلى دراسته، دراسة لوقفية غازي طرخان، مشيد المنشأة، ركّزت على المصطلحات المعمارية الواردة فيها، وأرباب الوظائف بالمجموعة، ودورهم بها ومرتباهم، والمراحل التي مر بها البناء طبقاً للوقفية.

وقدمت الكنوز كولاي، من كلية العمارة بتركيا، دراسة فريدة تناولت المصطلحات الخاصة بدفاتر الإنشاء ودفاتر المصاريف. بينت الدفاتر تفاصيل دقيقة خاصة بالأخشاب، التي تستخدم في العمارة العثمانية، ومقاساتها وأنواعها وتكلفتها، ومسميات كل جزء منها. وتفيد هذه التفاصيل في ترميم الآثار، وكذلك في تأريخها، ودراسة تطور العناصر المعمارية و الزخرفية.

أما بحث محمد عبد الستار عثمان، عن الأحكام الفقهية للحمامات، من خلال كتاب «الترهة المزهية في أحكام الحمامات الشرعية» للشيخ عبد الرؤوف المناوي، فطبق هذه الأحكام على ثلاثة حمامات في صعيد مصر، وهي حمامات قنا وأسيوط وجرجا. والكتاب يبين الشروط المعمارية والبيئة والفقهية، التي وضعها فقهاء المسلمين لبناء الحمامات، مثل أحكام مياه الحمام وبخارها ودخانها، والشكل المعماري الذي ينبغي أن يكون عليه كأن يكون الحمام مسدود النوافذ، لذا لجأ المعماري إلى استخدام النوافذ ذات الزجاج الملون، التي تسمح بدخول الضوء ولا تسمح بدخول الهواء، وأن تكون جدران الحمام سميكة، بحيث تمنع تطرق الهواء بدرجة حرارته أو برودته إلى الحمام، فتؤثر في درجة حرارة أقسام الحمام، فضلاً عن توزيع وحدات الحمام، بما يكفل مراعات الآداب الشرعية.

وتناول كمال جلار، الأستاذ بجامعة أستانبول في دراستة، تغريب العمارة في العاصمتين القديمتين للدولة العثمانية، وهما مدينتا بورصة وأدرنه. فقد أدى تبني السلطة العثمانية النمط المعماري الغربي، إلى انتشار هذا النمط في تركيا في القرن التاسع عشر، وبدأ هذا النمط من خلال المنشآت العسكرية، ثم دور الأيتام والمدارس والبنوك والمستشفيات والمطابع ومقرات الولاة وأبراج الساعة. ومازال باقياً من هذه المعالم، عدد لا باس به في بورصة وأدرنة، استطاع الباحث أن يرصد من خلالها التحول من نمط العمارة التقليدية العثمانية إلى العمارة الغربية.

وعرضت عالية ممدوح، مفتشة آثار بالأردن، مشروع ترميم دار السرايا باربد، التي شيدت العام ١٨٨٦م لتكون مقراً لحاكم المدينة. وكان جانباً من هذه الدار استغل العام ١٩٨٦م، ليكون متحفاً للآثار المكتشفة في تل اربد. ومن المقرر أن تتحول البناية إلى متحف لآثار المدينة، بعد الإنتهاء من ترميمه. ويشمل مشروع الترميم تدعيم أساسات البناية، وصيانة الأرضيات والأسقف، والساحة الداخلية والبئر، ومعالجة رطوبة الجدران، وتفكك مواد البناء. وقد بيّنت أعمال الترميم أن الدار، شيدت على أنقاض قلعة ضخمة قديمة.

كما قدمت دراسة عن التحول المعماري في مدينة القاهرة في القرن التاسع عشر ، تناولت فيها انتقال نمط العمارة في مصر، من النمط الإسلامي إلى النمط الروملي . وهو نمط العمارة العثمانية، الذي عرف في مصر بالطراز الأستنبولي، منذ الفتح العثماني لها في القرن السادس عشر. ولكنه لم ينتشر فيها إلا في القرن التاسع عشر، ولم يكتب له الاستمرار، لطغيان طرز العمارة الأوروبية في مصر، نتيجة لتبني السلطة هذه طرز المعمارية. كما نقلها المهندسون المصريون، الذين تعلموها في أوروبا، خاصة الذين تعلموا في مدرسة البوزار في باريس. وتناول البحث التحول المعماري، من خلال ثلاثة محاور هي: انتقال مقر الحكم من قلعة صلاح الدين إلى قصر عابدين، وتحول منطقة الأزبكية من

العمارة الإسلامية إلى العمارة الغربية، (وأبرز ما يمثل هذا التحول مبنى دار الأوبرا المصرية) وانتشار العربة كوسيلة انتقال، وهو ما أثر على اتساع الشوارع .

وألقى عبد الجليل التميمي في ختام جلسات المؤتمر، البيان الختامي، الذي وجه فيه المشاركون نداءً إلى الجهات المعنية بالتراث في العالم الإسلامي، إلى ضرورة إعداد كتاب مرجعي للتراث المعماري الأسلامي. وحثوا الدول الإسلامية على إنتشار وقفية، لترميم وصيانة التراث المعماري الأسلامي في منطقة البلقان، خاصة المعالم المهددة بالاندثار في البوسنة ورومانيا وبلغاريا وألبانيا. كما كلف المؤتمر الدكتور خلف الطراونة، إعداد خطة مشروع لموسوعة للعملات العثمانية في العالم.

وبعد مداولات، قرر المشاركون في المؤتمر، عقد المؤتمر القادم في أيلول - سبتمبر ٢٠٠١م على أن تكون محاوره كما يلي : التحصينات العسكرية والقلاع أثناء العهد العثماني، التأثيرات الفنية العثمانية في الأقليات غير المسلمة وأوروبا، المؤسسة المتحفية وأدوارها الجديدة في آليات تطوير الوعي بالتراث الأثري العثماني .

د. خالد محمد عزب

المؤتمر الخامس عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي

الجهة المنظمة : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ووزارة الثقافة السورية

مكان الانعقاد : مدينة دمشق، الجمهورية العربية السورية

تاريخ الانعقاد : ٢١ - ٢٥ ذو الحجة ١٤٢٠ هـ/ ٢٧ - ٣١ مارس ٢٠٠٠م

افتتح المؤتمر برعاية الرئيس حافظ الأسد - رئيس الجمهورية العربية السورية الراحل، وكان في مقدمة الحضور ممثلة السيد الرئيس وزيرة الثقافة الدكتورة مها قنوت. استجابت لحضور هذا المؤتمر سبع عشرة دولة عربية بالإضافة إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة ومنظمة اليونسكو.

وبعد الافتتاح الرسمي وخلال الجلسة الإجرائية التنظيمية تم انتخاب مكتب المؤتمر المؤلف من: الدكتور سلطان محيسن المدير العام للآثار والمتاحف في الجمهورية العربية السورية رئيساً للمؤتمر، والدكتور سعد ابن عبدالعزيز الراشد وكيل وزارة المعارف لشؤون الآثار والمتاحف في المملكة العربية السعودية نائباً، والأستاذ حسني أبو شويمة مدير الشئون القانونية في دائرة الآثار العامة بالأردن مقرراً. كما تم تشكيل أربع لجان رئيسية هي: لجنة متابعة قرارات وتوصيات المؤتمر الرابع عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي اللجنة العلمية لجنة التراث العربي لجنة صياغة القرارات والتوصيات.

لقد كان الموضوع الرئيسي في المؤتمر هو «الوحدة الحضارية للوطن العربي من خلال المكتشفات الأثرية التي تدل على أن شعوب الوطن العربي شعب واحد».

لذلك كان محور الجلسات العلمية التي أقيمت في اليومين الأول والثاني من المؤتمر هو الوحدة الحضارية للوطن العربي، حيث قدم ثلاثة وعشرون بحثاً ألقيت حسب الترتيب التاريخي ابتداء من عصور ماقبل التاريخ وانتهاء بالعصور الإسلامية، حيث عمقت هذه الأبحاث فكرة وحدة حضارة الوطن العربي عبر العصور كما أكدتها المكتشفات الأثرية في مختلف الأرجاء العربية التي توثق التواصل بين العرب وتبرز إنجازاتهم في شتى المجالات. بالإضافة إلى الموضوع الرئيس في المؤتمر، فقد أسفرت مناقشة الموضوعات المدرجة في جدول الأعمال من خلال اجتماع اللجان، كل لجنة على حدة، إلى القرارات التالية:

اللجنة العلمية:

اجتمعت اللجنة ووضعت في بداية الاجتماع جدول أعمالها في نقطتين:

- تقييم أعمال المؤتمر الخامس عشر للآثاريين العرب، حيث وجدت اللجنة موضوع المؤتمر وعنوانه «الوحدة الحضارية للوطن العربي من خلال المكتشفات الأثرية» قد بحث بحثاً مستفيضاً.
- كما طرحت اللجنة العلمية مواضيع مختلفة استعداداً للمؤتمر القادم، ومن أبرزها (موضوع اللغات العربية - الكتابات التنقيبات الأثرية تحت الماء المسوحات الأثرية والتراثية). كما أوصت بتبادل الخبرات والمعارض وترجمة الكتب الأثرية الأجنبية، وتواصل هيئات الآثار العربية مع المركز العربي للاستشعار عن بعد بدمشق إقامة معرض أثري متجول - إقامة مشروعات أثرية عربية (تنقيبات مسح ترميم) وإنشاء المركز العربي للدراسات الأثرية وأن يكون تابعاً للجامعة العربية واليونسكو.

لجنة التراث العربي:

ناقشت مواضيع مهمة كتشكيل لجنة التراث العربي، كما ناقشت مذكرتين مهمتين هما: مذكرة الصين، «الحضارة العربية في الصين، » والتركيز على الحضارة العربية الإسلامية فيها، ومذكرة الجولان «الاعتداءات الإسرائيلية على الآثار العربية الموجودة في الأراضي المحتلة»، وإقامة دورات تأهيلية للعاملين في مجال المتاحف في الوطن العربي.

لجنة متابعة قرارات وتوصيات المؤتمر الرابع عشر للآثاريين العرب «الشارقة»:

اطلعت اللجنة على التوصيات السابقة وأكدت بعض النقاط مثل إقامة دورات تدريبية لتدريب المتخصصين في دوائر الآثار في الوطن العربي وتبادل المطبوعات والحوليات الأثرية.

كما اطلعت اللجنة على ملاحظات الدول العربية على مشروع القانون الأساسي، حيث تم اعتماد مشروع القانون الأساسي والنظام الداخلي لاتحاد الآثاريين العرب، واتخاذ قرار بإنشائه وقبول عرض سورية لتكون المقر الدائم له. كما اطلعت اللجنة على أنشطة الدول العربية في مجال الآثار، وأصدرت بعض التوصيات العامة، وناقشت اللجنة الموضوع الرئيس للمؤتمر السادس عشر للآثاريين العرب وحددت موعد المؤتمر.

متابعة قرارات وتوصيات المؤتمر الرابع عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي

تم التأكيد على بعض النقاط المهمة التالية:

١- دعوة الدول العربية إلى ترجمة عدد من الكتب الأجنبية المختارة المتخصصة إلى اللغة العربية.
٢- تبادل المطبوعات والحوليات والنشرات وتعميمها على الدول العربية.
٣- استمرار إقامة مشروعات عربية أثرية مشتركة في مجالات المسح الأثري والتنقيب والترميم.
٤- دعوة الدول العربية إلى استحداث صفحات معلوماتية على شبكة الإنترنت ودعوة المنظمة إلى استحداث موقع على الشبكة يضم جميع الدول العربية.

القانون الموحد للآثار:

اطلع المؤتمر على ملاحظات الدول العربية على القانون الموحد للآثار الذي أعدته المنظمة ويوصي بما يلي:

١- إلغاء جميع البنود المتعلقة بالاتجار بالآثار بكل أنواعها.
٢- ينحصر منح التراخيص للتنقيبات الأثرية في الجهات العلمية والأكاديمية. وقد تمت الموافقة على إقامة اتحاد الآثاريين العرب والترحيب بالمبادرة السورية لتكون دمشق مقرا له.

كما اطلع المؤتمر على مشروع التراث العربي واوصى ببعض النقاط المهمة من خلال تعديل كلمة دولية في المادة (١) إلى كلمة عربية، ويختار للجنة مقر رسمي إضافة إلى بعض التعديلات التي أقرها المؤتمر في المادتين (٦) و (١٢).

واطلع المؤتمر على توصيات الدورة التدريبية وقرر مايلي:

في مجال المتاحف:

- تبادل المعارض الأثرية والتراثية وتشجيع الدول العربية على تبادل القطع الأثرية على سبيل الإهداء أو الإعارة.
- دعوة الدول العربية إلى استخدام التقنيات الحديثة للمحافظة على الآثار بتوفير الشروط الأمنية والمناخية الضرورية.

في مجال التدريب:

تم التأكيد على تنمية الكوادر البشرية العاملة في المتاحف والقيام بأعمال التدريب والدورات التدريبية بالتنسيق مع المؤسسات المحلية والعالمية المتخصصة بعلم المتاحف.

وأما النقطة الثانية من برنامج أعمال المؤتمر فكانت مذكرة الجمهورية العربية السورية حول الاعتداءات الإسرائيلية على المواقع الأثرية في الجولان المحتل، وهنا أقر المؤتمر ما يلي: إدانة كافة الأعمال الإسرائيلية في التنقيب والتخريب وتزوير الآثار في الجولان السوري المحتل، ومقاطعة الآثاريين الإسرائيليين والآثاريين الذين يتعاملون معهم في الإعتداء على الآثار العربية في الجولان وجنوب لبنان وفلسطين، وإثارة الموضوع في المحافل الدولية، ومطالبة منظمة اليونسكو للتدخل من أجل إيقاف الأعمال غير الشرعية التي تقوم بها السلطات الإسرائيلية، وإعادة كافة القطع الأثرية المسروقة من تلك المناطق انسجاماً مع تلك الاتفاقات الدولية السارية بهذا الخصوص.

وفي تقرير حول الآثار الإسلامية في الصين فقد دعت المنظمة إلى تشكيل فريق عمل علمي أثري (عربي-صيني) للتعاون المشترك بين الدول العربية وجمهورية الصين في مجال الآثار.

التوصيات العامة للمؤتمر:

١- التصدي للاتجار بالمتلكات الثقافية.
٢- تكريم علماء الآثار العرب المميزين من خلال مؤتمرات الآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي.
٣- عقد اجتماعات مكتب اللجنة الدائمة للآثار والمتاحف مرة واحدة سنوياً، وكلما دعت الحاجة.
٤- اقتراح الموضوع الرئيس للمؤتمر السادس عشر ليكون أحد الموضوعين التاليين:
- الحفاظ على المواقع الأثرية والمعالم التاريخية وصيانتها.
- مدن القوافل في الوطن العربي.

وتكليف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمراسلة الدول العربية لتحديد مكان المؤتمر علماً أن موعده سيكون في الربع الأخير من عام ٢٠٠١م.

٥- دعوة الدول العربية إلى تأمين وتكثيف حضورها في المحافل الدولية، وخاصة في اجتماعات اليونسكو، ليكون الوجود العربي فاعلاً وفعالاً خدمة للتراث والآثار العربية. وفي ختام المؤتمر قدم المشاركون الشكر والتقدير للمنظمة العربية للثقافة والعلوم على ماقدمته وما أعدته من وثائق ساهمت مساهمة فعالة في إنجاح المؤتمر. كما قدموا شكرهم للضيافة الكريمة والإعداد الجيد وحسن التنظيم الذي قامت به وزارة الثقافة ممثلةً بالمديرية العامة للآثار والمتاحف في الجمهورية العربية السورية طيلة أيام المؤتمر.

علي القيم - المدير العام للآثار والمتاحف

المؤتمر الثامن لعلم المصريات

الجهة المنظمة : الجمعية الدولية لعلماء الآثار المصرية

مكان الانعقاد : القاهرة، جمهورية مصر العربية

تاريخ الانعقاد : ٢٢ - ٢٨ ذو الحجة ١٤٢٠ هـ/ ٢٨ مارس - ٣ أبريل ٢٠٠٠م

تتولى عقد هذا المؤتمر جمعية تعرف باسم «الجمعية الدولية لعلماء الآثار المصرية» وذلك كل ثلاث سنوات، في إحدى العواصم المهتمة بعلم المصريات .

عقد أول مؤتمر في القاهرة عام ١٩٧٦م، وفيه تأسست الجمعية. تلاه المؤتمر الثاني عام ١٩٧٩، في جرينوبل بفرنسا، ثم المؤتمر الثالث عام ١٩٨٢، في أوتاوا بكندا، ثم المؤتمر الرابع عام ١٩٨٥، في ميونخ بألمانيا، ثم عقد المؤتمر الخامس عام ١٩٨٨ بالقاهرة. وفي عام ١٩٩١، عقد المؤتمر السادس في تورين بإيطاليا، وبعد ذلك، لم ينتظم عقد المؤتمر كل ثلاث سنوات فعقد المؤتمر السابع بعد أربع سنوات عام ١٩٩٥، في كامبردج بإنجلترا، ثم عقد المؤتمر الثامن، بعد خمس سنوات في القاهرة.

وقد تتابع على رئاسة «الجمعية الدولية لعلماء الآثار المصرية»، خمسة رؤساء على النحو الآتي :

١.أ.د. تورني سيف سودربيرج - سويسرا
٢.أ.د. وليام كيلي سمبسون - أمريكا
٣.أ.د. ديترتش فلدنج - ألمانيا
٤.أ.د. جارموار مالك - بريطانيا
٥.أ.د. فائزة هيكل - مصر

وتضم الجمعية حوالي ١٤٤٠ عالماً وباحثاً في علم المصريات .

اشترك في المؤتمر الثامن، الذي عقد في القاهرة، حوالي ١٤٠٠ عالم وباحث في علم المصريات، في مختلف فروع هذا العالم . وقدّم في المؤتمر ما يزيد على ٣٨٠ بحثاً، في مختلف فروع علم المصريات، إضافة إلى الآثار اليونانية و الرومانية في مصر، وآثار النوبة والسودان. وتولى رئاسة المؤتمر الدكتور جاب الله علي جاب الله، الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار.

بدأ المؤتمر فعالياته بتقليد جميل ، هو تكريم ستة من كبار علماء الآثار المصرية وهم :
أ.د. عبد العزيز صالح من مصر، أ.د. هاري سميث من إنجلترا، أ.د. وليام كيلي سمبسون من الولايات المتحدة، أ.د. رينر شتادلمان من ألمانيا ، أ.د. جان لكلان من فرنسا، وأ.د. سرجيو دونادوني من إيطاليا . كما كّرم المؤتمر ذكرى ثلاثة من علماء المصريات الراحلين، الذين قدموا خدمات جليلة للآثار المصرية ، هم : أ.د. جمال الدين مختار، أ.د. سيد توفيق، رئيسا هيئة الآثار المصرية السابقين، و أ.د.كزيميرز ميخالوفسكي البولندي ، الذي رأس بعثة بولندية كشفت عن الكثير من آثار الإسكندرية، وفي مقدمتها المسرح الروماني .

برنامج المؤتمر :

اشتمل هذا البرنامج على ثلاثة اتجاهات :

الإتجاه الأول :

في يوم الافتتاح (الثلاثاء ٢٠٠٠/٣/٢٨) ، عقب إلقاء كلمات الافتتاح من كل من: السيد فاروق حسني، وزير الثقافة، و أ.د. جاب الله علي جاب الله، رئيس المؤتمر، و أ.د. فايزة هيكل رئيسة الجمعية الدولية لعلماء الآثار المصرية، و أ.د. زاهي حواس، السكرتير العام للمؤتمر، بدأ الإحتفال بتكريم علماء المصريات السابقين. وتلا ذلك إلقاء تقارير عن نشاط الهيئات الأثرية في مصر، في مجال الحفائر الأثرية وغيرها. وقد ألقى أ.د. جاب الله علي جاب الله، تقريراً عن نشاط المجلس الأعلى للآثار؛ وألقى ب. ماتيو، تقريراً عن حفائر المعهد الفرنسي للآثار الشرقية؛ وألقى ج.دريير، تقريراً عن نشاط المعهد الألماني للآثار؛ و أخيراً ألقى م. ايستون

تقريراً عن بعثات ومشروعات الصيانة التي قام بها مركز البحوث الأمريكي في مصر .

الإتجاه الثاني :

بدأ في اليوم التالي (الأربعاء ٣/٢٩) واستمر حتى آخر أيام المؤتمر، وهو إلقاء أحد المتخصصين، في علم المصريات، محاضرة عامة في تخصصه، ثم يناقشه بعد ذلك مجموعة من العلماء على المنصة (مما يشبه المائدة المستديرة). ويشترك في المناقشة من يرغب من جمهور المستمعين . وكان ترتيب الموضوعات، التي قدمت فيها هذه المحاضرات، على النحو الآتي :

الأربعاء ٣/٢٩ : إدارة موقع الحفائر للدكتور زاهي حواس.

الخميس ٣/٣٠ : الديانة المصرية القديمة، ألقاها فيلدي (H. Te Velde).

الجمعة ٣/٣١ : اللغة المصرية القديمة، ألقاها لوبرينو (A. Loprino).

السبت ٤/١ : الأدب المصري القديم، ألقاها بينز (J. Baines) .

الأحد ٤/٢ : علم المتاحف ، ألقاها شوز (R. Schuiz) .

الاثنين ٤/٣ : الفن المصري القديم، ألقاها روسمان (E. R Russmann).

وختمت هذه المحاضرات بمحاضرة عن التاريخ المصري القديم ألقاها فورد (D. Red Ford) .

الإتجاه الثالث:

بدأ يوم الأربعاء ٣/٢٩، واستمر حتى الفترة الصباحية من يوم الأربعاء ٣/ ٤. وتمثل في إلقاء المحاضرات أو البحوث الفردية، التي خصصت لها ست قاعات. وقد بلغ عدد البحوث الفردية التي ألقيت بهذه القاعات الست ٣٨٤ بحثاً، ثم أضيف إليها اثنان وعشرون بحثاً متأخراً وقد وزعت هذه البحوث على الأيام الستة (من ٢٩/ ٣ إلى ٣/ ٤)، بواقع اثني عشر بحثاً في اليوم الواحد، ستة منها في الفترة الصباحية وستة في الفترة المسائية، وخصص لكل بحث نصف ساعة. ووزعت القاعات الست على فروع علم المصريات . وتنوعت موضوعات البحوث، التي ألقيت في كل قاعة على مدار الأيام الستة، كما يلي :

القاعة رقم ١ : وأُلقي بها ٦٦ بحثاً، وخصصت القاعة أساساً للدراسات عن المقابر والمعابد المصرية القديمة ونقوشها وتقنية بنائها، وذلك في كل من مدينتي منف وطيبة ، على امتداد التاريخ المصري القديم، حتى العصر اليوناني والروماني. إضافة إلى دراسة عن آثار الساحل الشمالي وسيناء.

القاعة رقم ٢ : وأُلقي بها ٦٦ بحثاً أيضاً، وخصصت أساساً للدراسات عن المواقع الأثرية، في كل من الدلتا والصحارى في تاريخهما المبكر، إضافة إلى دراسة تاريخ ومجتمع وفنون الدولتين القديمة والوسطى، ثم الأحوال الإقتصادية والتجارية، وكذلك دراسة عن النوبة في العصر المتأخر.

القاعة رقم ٣ : وأُلقي بها ٦٤ بحثاً، وخصصت أساساً للدراسات عن الديانات المصرية القديمة، حتى العصر اليوناني الروماني، من عادات جنائزية، وعادات دفن، واحتفالات، وطقوس، وممارسات سحرية، وأشكال الآلهة، والديانات الشعبية، ودراسة عن الطب، إضافة إلى دراسة عن الموانيء و الممرات المائية في مصر الفرعونية.

القاعة رقم ٤ : وأُلقي بها ٦٣ بحثاً ، وقد خصصت أساساً للدراسات عن مواقع العصر اليوناني - الروماني في مصر، والنصوص الدينية والآلهة في ذلك العصر، إضافة إلى الدراسات القبطية، ودراسة عن الكون والزمن عند المصريين القدماء.

القاعة رقم ٥ : وأُلقي بها ٦٢ بحثاً، وقد خصصت أساساً للدراسات عن اللغة المصرية القديمة، والأدب المصري القديم، إضافة إلى دراسات متفرقة عن المتاحف والمجموعات الخاصة.

القاعة رقم ٦ : وأُلقي بها ٦٣ بحثاً، وقد خصصت أساساً للدراسات عن صيانة وترميم الآثار في مواقع الحفائر، وطرق صيانة وترميم الأحجار، وطرق التحليل، إضافة إلى دراسة عن استخدامات الكمبيوتر.

توصيات المؤتمر :

بعد ظهر اليوم الأخير من أيام المؤتمر، أصدر المؤتمر توصياته، المجملة فيما يلي :

١- توجيه الحفائر، في المقام الأول، إلى المناطق الأثرية في الدلتا، نظراً لما تتعرض له هذه المناطق من أخطار، بسبب إرتفاع مستوى المياه الجوفية. وقد ناشد المؤتمر الجهات الحكومية، وغير الحكومية، اتخاذ الإجراءات العاجلة لإنقاذ هذه المواقع. وقد ظهر اتجاه إلى عدم إعطاء التصاريح لبعثات الحفائر مستقبلاً بالحفر في الصعيد والصحارى، لتوجيه الحفائر للدلتا. ولكن قوبل هذا الاتجاه بمعارضة، من بعض الأعضاء.

٢- إنشاء سجل أثري قومي يستخدم نظام المعلومات، لتسجيل الآثار.

٣- مساندة جميع المشروعات الخاصة بإدارة المواقع الأثرية، والحفاظ عليها.

٤ - إدانة عمليات سرقة الآثار المصرية والاتجار فيها، ومطالبة جميع الحكومات بالتوقيع على المعاهدات والاتفاقيات الدولية، والتي تُحرّم سرقة الآثار والاتجار فيها.

٥- مطالبة الهيئات العلمية إدخال مقررات للربط، بين علم المصريات وبين الموروثات المصرية الحضارية عبر العصور، لتعميق الوعي الأثري.

أ.د. عبد المنعم عبدالحليم سيد

الندوة العلمية الأولى للألسنة واللّهجات في الديار اليمنية

الجهة المنظمة : مركز البحوث والدراسات اليمنية جامعة عدن

مكان الانعقاد : عدن، الجمهورية اليمنية

تاريخ الانعقاد : ٢٧ - ٢٨ ذو الحجة ١٤٢٠ هـ / ٢ - ٣ إبريل ٢٠٠٠م

أُقيمت الندوة العلمية الأولى، للألسنة واللهجات في الديار اليمنية، كجزء من الاهتمامات الأساسية لمركز البحوث والدراسات اليمنية بجامعة عدن. وقد تناولت جوانب عدة من الظواهر اللغوية، في ألسنة ولهجات اليمن قديماً وحديثاً.

وقد رعى هذه الندوة (التي تتزامن مع الاحتفال بالذكرى العاشرة لميلاد الجمهورية اليمنية، والذكرى الخامسة والعشرين لتأسيس جامعة عدن)، الأستاذ الدكتور صالح علي باصرة، رئيس جامعة عدن.

وتبرز أهمية هذه الندوة، كما جاء في كلمة رئيس جامعة عدن، في إثراء البحث، حول علاقة لهجات اليمن الحديثة، بلغة ولهجات العربية الجنوبية القديمة، وعلاقة العربية الجنوبية بلغة القرآن الكريم، وكذا باللغات السامية، من خلال توفير معلومات جديدة، في حقل الدراسات اللغوية، وتوسيع دائرة المساهمة البحثية العربية واليمنية، في مجال دراسة السّاميات ولغات ولهجات العربية الجنوبية. كما طرح الدكتور جعفر الظفاري، مدير مركز البحوث والدراسات اليمنية، ضمن الكلمة، التي ألقاها على المؤتمرين، عدداً من التساؤلات البحثية القيمة، المرتبطة بموضوع الندوة.

وقد ألقيت الأوراق المشاركة في الندوة، ضمن أربعة محاور رئيسة، هي:

أولاً: الألسنة الحية-غير العربية في اليمن. وفيها قُدمت ثلاث أوراق؛ الأولى تناولت «موقع اللغات العربية الجنوبية الحديثة بين اللغات السامية»، للدكتور مسعود عمشوش؛ والثانية حول «اللغات العربية الجنوبية الحديثة واللغة الفصحى: دراسة تقابلية»، للباحث مصطفى العيدروس، والثالثة بعنوان: «الألسنة الحية غير العربية»، للدكتور عبدالصبور شاهين.

ثانياً: ألسنة اليمن ولهجاتها في المنتجعات العربية. وقد قدمت ورقة واحدة من الباحث سالم سعيد، بعنوان: «لغات اليمن في معجمي (الجمهرة وشمس العلوم)».

ثالثاً: اللهجات اليمنية الحديثة. وفيها ألقيت ورقة بعنوان: «الأغنية والمثل: دراسة تطبيقية»، للدكتور أحمد الهمداني؛ وورقة أخرى بعنوان: «اللهجة اللحجية على ميزان الفصحى»، للباحث علي هيثم.

رابعاً: الألسنة اليمنية القديمة. وقد قدمت فيها ورقة بعنوان: «الحميرية والفصحى»، للدكتور رفعت هزيم.

وقد نوقشت الأوراق المقدمة من قبل الحضور، وتبودلت وجهات النظر حول الطروحات العلمية، التي ألقيت في الندوة.

وفي نهاية اليوم الثاني للندوة، وضعت التوصيات الرئيسة الآتية:

أولاً: توفير الدعم المادي والمعنوي، للباحثين المهتمين بدراسة الألسن اليمنية، في سبيل إبراز ملامحها الأساس.

ثانياً: إقامة مكتبة متخصصة تضم المعجمات العربية القديمة والحديثة، إضافة إلى معجمات الألسنة السامية الأخرى، ليتسنى للباحثين الاستفادة منها، وبحيث تكون مكتبة مركز البحوث والدراسات اليمنية المكان الملائم، لإيداع مثل هذه المراجع العلمية القيمة.

ثالثاً: دعم طباعة البحوث المرتبطة بالألسنة واللهجات اليمنية، وتتولى جامعة عدن الدور الريادي في ذلك.

رابعاً: توثيق الأواصر العلمية بين الباحثين في اليمن، ونظرائهم في العالم العربي وبقية دول العالم.

خامساً: وضع معجم وصفي تاريخي، لأسماء الأمكنة والقبائل في اليمن.

سادساً: إنشاء مجمع علمي لغوي في اليمن، ليتولى توجية الدراسات المهتمة بالألسن واللهجات العربية وغيرها.

سابعاً: إعداد أطلس لغوي عام لليمن، بمساهمة فاعلة من جامعة عدن، وبالاشتراك مع الجامعات اليمنية الأخرى.

وتأمل الندوة أن تُعنى الجهة المنظمة مستقبلاً، بتوسيع دائرة المشاركة للباحثين، من خلال الاتصال بمركز الأبحاث والأقسام الأكاديمية، ذات الاهتمامات المماثلة، لكي يتسنى الوصول إلى أطروحات ونتائج،تسهم في تقدم الدراسات المعنية بلغات ولهجات المنطقة، قديماً وحديثاً.

د. عبدالله بن محمد الشارخ

اللقاء العلمي الثاني لجمعية التاريخ والآثار، بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية

الجهة المنظمة : دارة الملك عبدالعزيز

مكان الانعقاد : الرياض، المملكة العربية السعودية

تاريخ الانعقاد : ٢٠ - ٢٣ محرم ١٤١٢هـ / ٢٥ - ٢٨ إبريل ٢٠٠٠م

تهدف جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون، من خلال لقاءاتها العلمية، إلى أهداف عدة؛ منها النهوض بحركة البحث التاريخي والآثاري، وتواصل المؤرخين والآثاريين، وتلاقيهم للتباحث فيما يستجد في حقلي التاريخ والآثار. كما تهدف إلى تجسيد جهود ولاة الأمر، الرامية إلى توثيق عرى المحبة والتآخي والتآزر،بين دول مجلس التعاون؛ فضلاً عن إبراز دور المنطقة، وما تعاقب على أرضها من حضارات عريقة؛ كان لها تواصلها وتفاعلها مع الحضارات الأخرى؛ كما كان لها إسهاماتها وانجازاتها، في خدمة البشرية عبر العصور.

من هذه المنطلقات وغيرها، كان اللقاء العلمي الثاني لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون، الذي نظمته دارة الملك عبدالعزيز.

بدأت فعاليات الندوة العلمية يوم الأربعاء ١٤٢١/١/٢١هـ واستمرت على مدار يومين متتاليين، قُدم خلالهما ٢٣ بحثاً، غطّت المحاور الرئيسة التالية:

١-عصور ما قبل التاريخ والعصور القديمة.
٢- العصور الإسلامية.
٣- العصور الحديثة والمعاصرة.
٤- قضايا تاريخية وأثرية.

اشتمل اليوم الأول منهما على أربع جلسات، قُدّم في الأول منها ثلاث أوراق، ابتدأتها ورقة الأستاذ الدكتور عبدالمالك خلف التميمي (الكويت)، وعنوانها: «الموضوعية والذاتية في الكتابة التاريخية». وفي سياق مختلف، نقلتنا الورقة الثانية من عبق التاريخ، إلى التقدم التقني وإمكانية توظيفه في خدمة حقل الآثار، حيث قدم

الدكتور عبدالقادر محمد السري (السعودية) في ورقته إمكانية استخدام التقنيات العلمية الحديثة، في الكشف عن الآثار عن طريق الأستشعار عن بعد، لتحديد الظواهر والأهداف؛ وكذلك عن طريق المسح الجيوفيزيائي، بأساليبه المغناطيسية، أو طرقه الكهربائية، أو الرادارية المحمولة. كما عرض لما تقدمه الصور الجوية من خدمة للاستدلال على المواقع الأثرية.

أعقبه الدكتور محمد بن عبدالهادي الشيباني (السعودية)، في الورقة الثالثة وعنوانها: «أنساب الأشراف للبلاذري، ودوره في تاريخ وسط الجزيرة العربية».

أما الجلسة الثانية، فقد اشتملت على ثلاثة أبحاث، قدم الأول منها الدكتور مجيد خان (وكالة الآثار والمتاحف - السعودية)، بعنوان: «وسوم القبائل بين الماضي والحاضر»، استعرض فية أصل الوسوم ونشأتها وتطورها في الجزيرة العربية، وعلاقة هذه الوسوم بالكتابات القديمة والقبائل، في الجزيرة العربية. ثم قدم الدكتور مشلح بن كميخ المريخي (السعودية)، البحث الثاني المعنون: «الجذور الأولى للحروف العربية ومراحل تطوره»، وفيه تتبع لجذور الحروف العربية، تأخذه لفترة أقدم مما كان سائداً ومعروفاً لدى المختصين. وقد غطت الدراسة الحروف العربية منذ القرن الأول الميلادي، حتى القرن السابع الميلادي، معتبراً أن برديات ونقوش القرنين الأول والثاني الميلاديين، تمثلت بهما الارهاصات الأولى لنشأة الخط العربي.

ثم خُتمت هذه الجلسة بالبحث الثالث، المقدم من الأستاذ إبراهيم بن ناصر البريهي (السعودية)، الموسوم: «حماية الآثار في المملكة العربية السعودية والمحافظة عليها». عرض خلاله لعدد من العوامل المؤثرة والمدمرة للآثار، ثم تطرق للسبل الكفيلة بحماية الآثار، والمحافظة عليها.

أما الجلسة الثالثة، فاحتوت على ثلاثة أبحاث. بدأها الدكتور حمد بن صراي (الإمارات العربية المتحدة)، ببحثه المعنون: «موقع الدور في دولة الامارات، هل هو ميناء عُمانا الوارد في كتاب الطواف؟». وقد أورد الباحث اختلاف علماء التاريخ والآثار في تحديد موقع عُمانا التجاري المهم، وهل هو على السّاحل العربي وخليج عُمان؟ أم أنه على الساحل الفارسي؟ مورداً آراء علماء الآثار الأجانب، في هذا الصدد؛ ثم خلص إلى أن موقع الدور في أم القيوين-بدولة الإمارات العربية المتحدة-هو ميناء عُمانا، كما تدل على ذلك المعثورات الأثرية والإشارات، التي وردت في الكتابات الكلاسيكية.

أعقبه الأستاذ عبدالعزيز بن علي صويلح (البحرين)، ببحثه الموسوم: «اشكال التمائم الصدفية عند قدماء البحرين: ومحاولة لفهم مدلولاتها الفكرية»، حيث استعرض فيه أشكال التمائم، وعرّف بها، نافياً عنها الرأي السائد بأنها أختام دلمونية.

ثم ختم هذه الجلسة الدكتور إبراهيم بن عبدالعزيز الجميح، ببحثة المعنون: «النشاط التجاري لبلاد البحرين في الحجاز في القرن الأول الهجري». وفيه استعرض التواصل التجاري بين البحرين والحجاز خلال تلك الفترة، وعرض لأنواع السلع والبضائع المجلوبة من البحرين، إلى أسواق الحجاز.

وفي ختام اليوم الأول، انعقدت الجلسة الرابعة، وقد اشتملت على ثلاثة أبحاث. قدم الأول منها الدكتور عبدالرحمن بن علي السديس (السعودية)، ببحثه المعنون: «العلاقات العمانية الفارسية، وأثرها على الأوضاع السياسية في الخليج العربي». وفي السياق التاريخي نفسه، قدم الدكتور محمد بن عبدالله آل زلفة (السعودية)، بحثة الموسوم: «الأسرى والمنفيون السياسيون من الجزيرة العربية، أثناء الحكم العثماني». وفي ختام هذه الجلسة، قدم الدكتور عبداللطيف بن عبدالله الدهيش (السعودية)، بحثه المعنون: «دراسة لوثيقة بريطانية عن المؤسسات التعليمية في الحجاز عام ١٨٨٥م».

وتضمن اليوم الثاني ثلاث جلسات، قُدم في الأولى منها أربعة أبحاث. استهلها الدكتور خليل بن ابراهيم المعيقل (السعودية)، ببحثه المعنون: «التحصينات الدفاعية لدومة الجندل»، وفية استعرض موقع دومة

الجندل الإستراتيجي، وتحكمها بطرق القوافل، التي تعبر من داخل الجزيرة العربية في اتجاه بلاد الشام ووادي الرافدين، مما منحها أهمية خاصة، فَعُني بتحصينها عبر العصور المختلفة. كما استعرض التحصينات الباقية بدومة الجندل، مثل قلعة مارد، إضافة إلى أسوار البلدة القديمة، فضلاً عن ماكشفت عنه التنقيبات الأثرية، التي تمت خلال عامي ١٤٠٥-١٤٠٦هـ، وتبرز مكانة دومة الجندل، مركزاً حضارياً مهماً خلال العصور القديمة والإسلامية.

ثم تلاه الدكتور عبدالله نصيف (السعودية)، ببحثة الموسوم: «أنظمة الري في العلا، وبعض المدن التاريخية في المملكة العربية السعودية». وفيه تحدث عن الدور البارز، الذي لعبته القنوات وأنظمة الري، في استقرار الإنسان، ونشوء المدن والقرى والواحات الزراعية، في عدد من مناطق الجزيرة العربية؛ ثم عرض لدور العلماء العرب القدماء، واهتمامهم بعلم خصائص الماء واستنباطه، وأساليب إنشاء القنوات وتبطينها وهندستها وصيانتها؛ فضلاً عن اهتمامهم بالأعمال والدراسات الجيولوجية والهيدرولوجية .

أما الورقة الثالثة فقدمها الدكتور عبدالعزيز بن سعود الغزي (السعودية)، وعنوانها: «الدراسات الآثارية لمنطقة الرياض: مالها وما عليها». استعرض فيها الدراسات، التي تمت من قِبل الرّحالةالأجانب، الذين زاروا المنطقة، منذ تدمير الدرعية عام ١٢٣٣هـ؛ ثم تطرق إلى ما أنجزته وكالة الآثار والمتاحف، من مسوحات وتنقيبات ميدانية، مشيراً إلى أن المنطقة، لم تنل من المسح الآثاري ما تستحق.

وخُتمت هذه الجلسة بالورقة الرابعة، المقدمة من الدكتور ناصر بن علي الحارثي (السعودية). وفيها استعرض بالوصف والتحليل، ما تم اكتشافه مؤخراً من آثار إسلامية مبكرة في كل من مكة المكرمة والطائف، صنفها الباحث إلى نوعين: الأول، تمثله النقوش الكتابية، والثاني، تمثل بالمنشآت المعمارية، كالسدود والآبار والقنوات والأحواض.

أما الجلسة الثانية، فقد تضمنت ثلاثة أبحاث، قدم الأول منها الأستاذ الدكتور أحمد بن عمر الزيلعي (السعودية)، وكان عنوانه: «الخطاط المكي ابن أبي حرمي.. هل كتب في دهلك، أم دهلك كتبت في مكة؟». واستعرض فيه عدداً من شواهد القبور المكتشفة بدهلك، المنفذة من قبل خطاطي أسرة ابن أبي حرمي، وطرح تساؤل مؤداه: هل نُفذت هذه الكتابات بدهلك،أم في مكة؟ وخلص إلى أن جميع هذه الكتابات الشاهدية، قد عُملت ونفذت بمكة، ومن ثم نُقلت إلى دهلك.

أعقبه الأستاذ الدكتور محمد بن عبدالله السلمان (السعودية)، ببحثه المعنون: «الوجود العثماني التركي في نجد ونهايته في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود». وفي ختام هذا الجلسة، قدم الأستاذ يوسف بن علي الثقفي (السعودية)، بحثة الموسوم: «ترميم الكعبة في العهد السعودي الزاهر». وفيه أبرز ما أولته الحكومة السعودية، من رعاية واهتمام بالأماكن المقدسة، منذ عهد الملك عبدالعزيز، حتى يومنا هذا في عهد خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبدالعزيز.

وفي الجلسة الأخيرة من هذا الملتقى العلمي، قُدمت أربع أوراق، ابتدأها الدكتور علي بن إبراهيم حامد غبان (السعودية)، بورقته المعنونة: «دراسة تحليلية لنقش إسلامي مبكر، من طريق الحج الشامي». وفيها قدم قراءة للنقش، ثم تبعها بتحليل للصيغ والتراكيب الواردة فيه، وأسلوبه الخطي، محققاً للأسماء الواردة فيه.

تلاه الدكتور محمد حمزة الحداد (مصر)، بالورقة الثانية بعنوان: «طراز المسجد القبة، وأنماطه الباقية في المدينة المنورة والهفوف». وقد استهل ورقته بالنظم التخطيطية في عمارة المسجد، وركّز على طراز المسجد القبة، الذي وجد منه عدد من المساجد في المملكة العربية السعودية؛ وبصفة خاصة في المدينة المنورة والهفوف. أعقبه الدكتور محمد بن عبدالرحمن الثنيان (السعودية)، بورقته المعنونة: «سعيد بن سالم المكي: دراسة فنية باليوجرافية لنقوشه الصخرية الثلاثة على طريق الحج اليمني»، استعرض فيها ثلاثة نقوش، وجدت

في مواقع مختلفة من طريق الحج اليمني، تعود جميعها لشخص واحد، معللاً ذلك بأنه كتبها وهو في طريقه أو عودته، من اداء فريضة الحج، أو أثناء ترحاله على هذا الطريق بغرض التجارة، أو أي أغراض أخرى. كما استعرض العناصر والخصائص الخطية، لهذه النقوش.

وفي ختام هذه الجلسة، قدم الدكتور فهد بن عبدالرحمن الوهيبي (الكويت)، الورقة الأخيرة في هذا الملتقى العلمي، وكان عنوانها: «المكتشفات الأثرية الحديثة في منطقة الصبية، وجوانبها التاريخية»، عرض فيها نتائج مواسم الحفريات الأثرية بمنطقة الصبية بالكويت، وما اكتُشف فيها من معثورات أثرية. كما عرض لمختلف المراحل التاريخية التي مر بها الموقع.

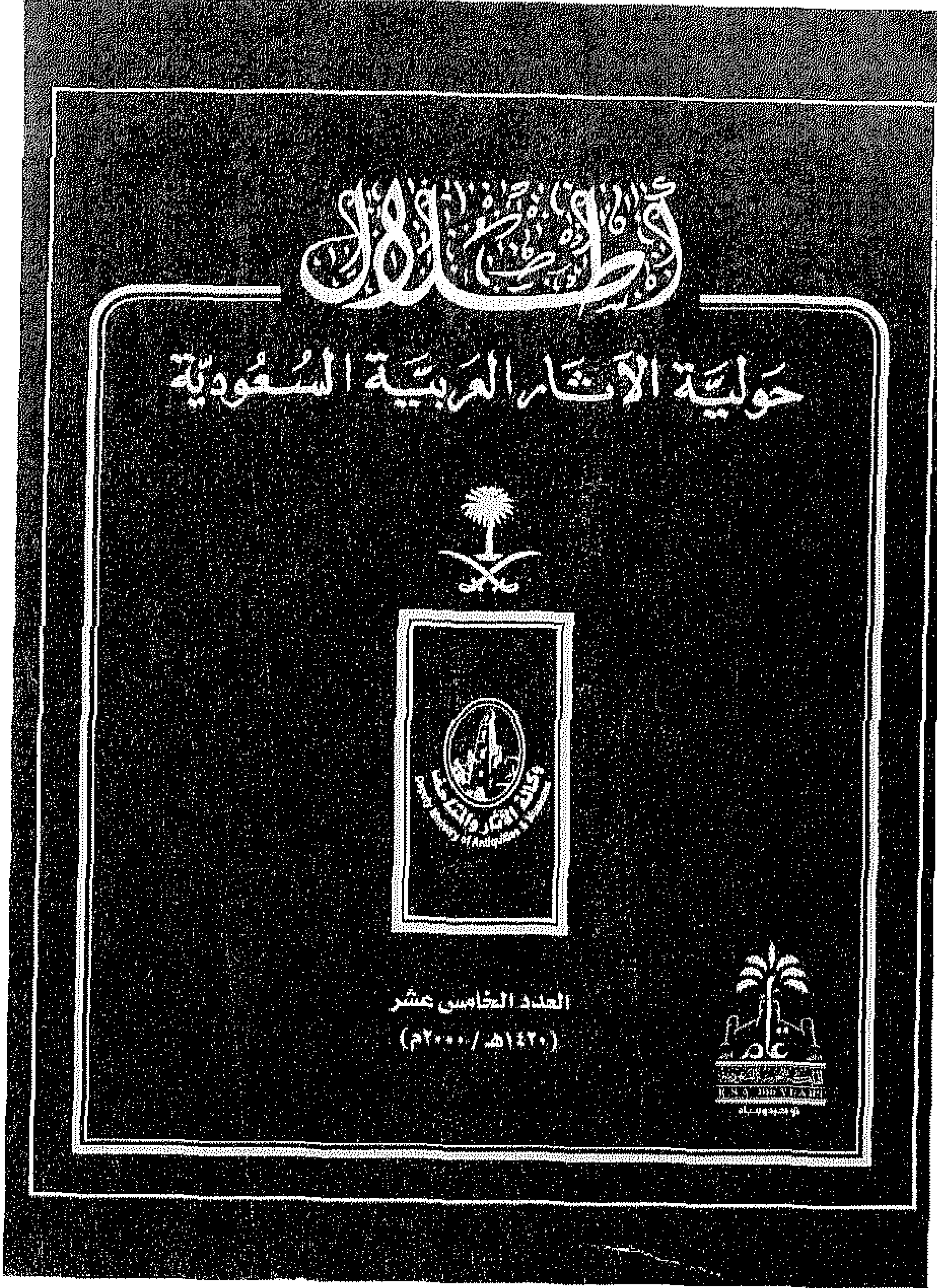
وقد جمع هذا اللقاء العلمي، كوكبة من المختصين والمهتمين في حقلي التاريخ والآثار، من دول مجلس التعاون، وإخوانهم العرب. وكان لقاءً علمياً حسن التنظيم، متميزاً بتنوع أبحاثه العلمية، وثراء ما تخلله من مناقشات، وحوارات وتعليقات بناءة. كما كان فرصة أتاحت للمختصين، تقديم أبحاثهم ونتاجهم الفكري.

د. مشلح بن كميخ المريخي

عــرض المجلات

اسم المجلة : أطلال
الناشر : وكالة الآثار و المتاحف بوزارة المعارف في المملكة العربية السعودية
رئيس التحرير : أ.د. سعد بن عبد العزيز الراشد
رقم التصنيف الدولي : ردمك ٨٣٥١ - ١٣١٩
الإصدار : تصدر مرة واحدة سنوياً
رقم العدد : العدد ١٥ (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)
عدد الصفحات : (٢٣٦) صفحة
مقياس المجلة : ٢٧,٨ × ٢٠,٦سم
المحتويات : كلمة التحرير، تقارير التنقيبات الأثرية، تقارير المسوحات الأثرية، التقارير العلمية، الدراسات، أخبار متفرقة.

عرض : د. عبدالرحيم محمد خبير



حفل هذا العدد بالعديد من البحوث والدراسات الآثارية المهمة جاءت في أربعة أقسام، هي التنقيبات الأثرية، والمسح العام، والتقارير العلمية والدراسات.

القسم الأول : التنقيبات الأثرية

أفرد هذا القسم تقارير التنقيبات الأثرية عن موقعين هما: البجيدي وهو مستوطنة إسلامية بتيماء، وموقع العقير بمنطقة الإحساء، الذي يؤرخ للفترة العباسية الباكرة وفترة الصراع بين البرتغاليين وحكام الأحساء آل جبور.

تطرق الباحث د. حامد أبو درك في تقريره عن موقع البجيدي إلى الأبحاث الميدانية في تيماء بشكل عام، وأوضح أنها تركزت على مواقع العصور التي سبقت الإسلام. وأبان أن عام ١٤١٢هـ شهد العزم على البحث عن مواقع تندرج ضمن العصر الإسلامي. وبعد استعراض مخطط المواقع التي أعدت نتيجة رحلة بودن Bawden، ضمن أعمال إدارة الآثار والمتاحف والذي نشرت تفاصيله لاحقاً (أطلال٤: ٨١ - ١١٦) ضمن توثيق المعالم الأثرية بتيماء، لوحظ أن تقرير بودن لم يشتمل إلا على ذكر موقع إسلامي واحد مصادفة وهو بستان الصعيدي، والذي يقع جنوب شرق قصر الرضم (مدفن لم يتم الاستمرار في تنقيبة). وقد أغفل التقرير منطقة شاسعة مليئة بالحقول الزراعية على بعد حوالي ٩٠٠متر، شمال شرق قصر الرضم، وهي موقع البجيدي.

تضمن التقرير وصفاً دقيقاً للبنايات المعمارية المكونة للموقع والتي قسمت إلى ثلاثة مستويات: المستوى الأدنى (الفترة الأولى)، ويمثل هذا المستوى جدار حجارته متوسطة وصغيرة الحجم (٤٠ سم على عمق ثلاثة أمتار). والمستوى الأوسط (الفترة الثانية)، ويمثله نمط جدران أعلى من الأول (٦٠ - ٧٠ سم) بنظام

حجارة متوسطة وأسلوب بناء أكثر تنظيماً من الأدنى. وهناك مستوى السور (الفترة الثالثة)، ويتمثل في بناء السور بجهاته الأربع وأبراجه المتعددة. أما المستوى الأعلى (الفترة الرابعة)، فيتمثل في المباني الملحقة بالموقع. ويعتقد الباحث الرئيس أن هذه البناية ربما كانت استراحة أو مجمعاً سكنياً للقوافل التجارية وقوافل الحج.

وقورنت المنشآت المعمارية بما يشابهها من محطات طرق الحج (درب زبيدة)، قرب الطائف (العقيق)، ومكة المكرمة (الشرائع). كما قورنت بمواقع أخرى خارج الجزيرة العربية، مثل موقع العطشان بالكوفة (العراق) الذي يشابه موقع البجيدي في طرازه المعماري، من حيث أن كليهما مستطيل الشكل كما اشتملا على بعض المنشآت المعمارية إضافة الى وجود الأبراج الدائرية في الأركان الأربعة.

وقد أمدنا الباحث بمعلومات موجزة عن المعثورات الأثرية التي وجدت في طبقات موقع البجيدي، والتي ضمت الكتابات العربية القديمة والفخار. وتجدر الإشارة إلى أن كلاً من الكتابات المنقوشة والفخاريات قد تمت دراستها بشكل أكثر تفصيلاً في تقارير لباحثين تضمنهما هذا العدد من أطلال (انظر أدناه).

تناول الباحث محمد علي السلوك دراسة الكتابات والنقوش القديمة التي كتبت بالخط الكوفي في موقع البجيدي وماجاوره من مناطق والتي يؤرخ بعضها للفترة ما بين القرن الأول والرابع الهجري، بيد أن غالبية هذه النقوش غير مؤرخة.

وثمة إشارة هنا، وهي أن المنهجية المتعارف عليها بين علماء اللغات القديمة في دراسة النصوص هي وصف النقش وقراءته وتحليله ثم التعليق عليه. ومما يستوجب الالتفات للوهلة الأولى، أن الباحث لم يلتزم بالتراتبية المنهجية في دراسة النقوش حيث بدأ من حيث يفترض أن ينتهي به وهو التعليق العام على النقوش واستخلاص الاستنتاجات. وكان حرياً به أن يمد القارئ يفترض عن حالة النقوش وموضوعها، وأن يشير إلى أن دراسته هي استكمال للتقرير الشامل لحفرية البجيدي المنشور في نفس العدد من مجلة أطلال (العدد الخامس عشر:١٣-٢٣). ومهما يكن من أمر فقد نوه الباحث الرئيس لحفرية البجيدي (د. حامد أبو درك) في تقريره العام (انظر أعلاه)، وبشكل موجز، إلى أن هذه النقوش كوفية وأنه قد تم العثور عليها عند جدار السور الجنوبي لهذا الموقع وأنها احتوت على أسماء عربية وبعض الأدعية. ومن جهة أخرى، أبان الباحث محمد السلوك في دراسته صعوبة التوصل إلى معرفة الشخص المكتوب في النقش نسبة لاقتصاره على اسم أو اسمين، ولعدم وجود النسبة لمعرفة صاحبها في المصادر العربية. ونجمت صعوبة مقارنة هذه النقوش بعضها ببعض بسبب أن جلها غير مؤرخ. كما أشار الباحث إلى بعض سمات هذه النصوص وهي إغفال كتابة الهمزة في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها، ثم إغفال ألف المد في بعضها، علاوة على وجود التنقيط على بعض الأحرف وخاصة النقش رقم «٩».

وتضمن القسم الأول أيضاً دراسة تحليلة لفخار موقع البجيدي الإسلامي للباحث د. سيد أنيس هاشم. وابتدر الباحث دراسته المبدئية لفخار البجيدي بمقدمة أشار فيها إلى الطرق التي تبناها أو يُفترض-كما زعم- أن تتبع في تصنيف فخار أي موقع أثري. وأبان أنها تشمل: أ- لون الفخار مع ملاحظة عجينته و تركيبها، ب- نوعية الوعاء اعتماداً على شكله و تكوينه، جـ- الزخارف. وبناءً على هذه المعايير، قام بتصنيف فخار البجيدي إلى ستة أنواع هي: ١- كسر فخار غير محروق، ٢- فخار محروق، ٣- فخار مزخرف، ٤- فخار مزجج بدون زخارف، ٥- فخار مزخرف مزجج ٦- كسر من الاستيتايت (الحجر الصابوني).

ومن الجلي أن هذا التعميم قد جانبه الصواب، فالباحث حقيقة يتحدث عن خطوات الجانب الإجرائي في تصنيف الفخار. وحتى هذا الجانب في تصنيف الفخار لا يستند فقط إلى الطرق الثلاثة المذكورة أعلاه، فقد تستخدم معايير أخرى للتصنيف تشمل المعالجة السطحية والصناعة. ومهما يكن من أمر، فالمتعارف عليه بين المختصين في دراسة الفخار أن التصنيف ينبثق من

منهجية معينة يمكن تقسيمها بشكل عام إلى قسمين رئيسين هما: منهج دراسة الأنماط الفخارية (Pottery Type Approach)، والمنهج العلمي المختبري- الفيزيائي والكيميائي (Physico-Chemical Approach). وفي كلا المنهجين، قد تجد معايير تصنيفية مشتركة (الصناعة والمعالجة السطحية)، رغم أن المنهج الأول كثيراً ما يعتمد الشكل والزخرفة كمرتكز أساسي للتصنيف؛ في حين أن الثاني (المنهج العملي المختبري)، يستند إلى البنية كمعيار للتصنيف. وفي بعض الأحايين وتبعاً لنوعية المادة الفخارية وطبيعة التساؤلات المطروحة يمكن دمج كلاً من المنهجين أعلاه في منهج شمولي واحد بغية الإجابة على اشكاليات البحث.

ويزعم الباحث أنه ابتدر تصنيفه بتراتيبية معينة استهلها بدراسة للون الأواني الفخارية نسبة لقلة الكسر المميزة. وزعم الباحث أنه لم يشر بجلاء إلى ما تعنيه عبارة «الكسر المميزة»، إلا أنه ذكر نصاً حرفيا «إن الأنواع المميزة من الكسر قليلة فقط، لذا من الصعب جداً تصنيف الأواني على أساس الشكل ولكن رغم ذلك تم اختيار كسر من حواف وقواعد أواني ومقابض في محاولة لتحديد هيكل أو شكل الأواني....». وتشي عبارات الباحث بأنه لجأ إلى البدء بتصنيف الفخار على أساس اللون، لعدم وجود أشكال كاملة أو شبه كاملة ترفدنا بصورة متكاملة عن شكل ووظيفة الإناء؛ وكان الأجدر به أن يشير إلى ذلك بجلاء. أما الكسر فهي لا تعطينا أكثر من صورة افتراضية تعوزها المصداقية بدرجة غير قليلة عن الأنماط الفخارية ووظائفها .

ثمة عوامل أساسية ينبغي أن تدرج في الحسبان عند اتخاذ اللون كمعيار للتصنيف، وهي مكونات العجينة وجو الحرق ومدته. فضلاً عن ذلك، هناك عوامل ثانوية تؤدي الى تغير اللون الأساسي (الأصلي) لعجينة الفخار وهي الحالة التي يكون عليها الفخار بعد الحرق مثل امتصاص البقع (اللطخ) خلال الاستعمال، ترسب الكربون على أسطح الأواني (قدور الطبخ) عند الحرق، البليّ ، ترسب رديم الدفن في تربة الموقع والحرق المفاجئ للأبنية التي يوجد بها الفخار. فهذه العوامل مجتمعة ينبغي أن توضع في الاعتبار قبل الوصول إلى نتائج متسرعة بشأن اللون الأصلي للفخار واعتماده معياراً للتصنيف . فاللون لا يعدو أن يكون مؤشراً أولياً لمعرفة ظروف حرق الفخار إذا ما تأكد الباحث أن ظروف الحرق موحدة قياسياً (Standardized) وغير متغيرة، وهذا ما لم يدلنا عليه الباحث في تقريره عن فخار تيماء. وما قام به هو إغفاله لعوامل مهمة تؤثر على لون الفخار، علاوة على إستخدامه العين المجردة (معيار غير موضوعي) للتفريق بين ألوان فخار الموقع. و قد كان حرياً به اعتماد معيار موضوعي لقياس اللون وهو (مدرج منسل للألوان) المتعارف عليه عالمياً في دراسات الفخار (Munsell Soil Color Chart).

وفيما يخص زخارف فخار موقع البجيدي، فقد قسمها الباحث الى ستة نماذج تشمل زخارف بالطلاء، والحفر، ومضافه، وبالتخطيط المنتظم، وبالضغط ونموذج سادس يجمع بين أساليب التخطيط والحفر والضغط. ومن الوهلة الأولى يتضح أن الترجمة العربية لمقال الباحث الذي سطره بالإنجليزية غير دقيقة. فالزخرفة المشار إليها بالحفر أو النقش (Engraved decoration) هي زخرفة بالتسنين (Rouletted decoration)، و الزخرفة التي أشير إليها بالتخطيط المنتظم (النص العربي) وبالروليت – التسنين (Rouletted)- (النص الإنجليزي) هي زخرفة بالحفر أو النقش، وتلك التي وصفت بأنها زخرفة بالضغط (النص العربي) هي زخرفة نافرة (Embossed decoration) (انظر الجدول: لوحة ١١).

وقد تم تزمين فخار موقع البجيدي بمقارنته بما يشابهه، وهو فخار المنطقة الصناعية بتيماء والذي أرخ بطريقة الكربون ١٤ المشع إلى ١٢٠٠ ق.م. ويلحظ أن الباحث أشار خطأً إلى أن هذا النمط من الفخار يؤرخ للربع الأخير من الألف الأول قبل الميلاد (أطلال ، ٥:٥٤،

النص الإنجليزي: ٤٢ - ٤٣)، والصواب أنه يرجع للربع الأخير من الألف الثاني قبل الميلاد. وتجدر الإشارة إلى أن الموقع قد تم استيطانه لأزمان طويلة شملت الفترات الرومانية والنبطية والعصر العباسي والفاطمي والأيوبي والعثماني.

وبوجه عام يمكن القول بأن هذه الدراسة الأولية لفخار البجيدي كشفت عن بعض الجوانب من طبعية الموقع والحقب التاريخية التي شهدها. ومن ناحية منهجية يلحظ أنها افتقرت بشكل عام للتطبيق الصارم للمنهج العلمي والرؤية الموضوعية السليمة لطبيعة الموجودات الفخارية. ونجم عن ذلك أن جاءت العديد من التفسيرات خالية من الترابط المنطقي كما أن الاستنتاجات التي خلص إليها الباحث يعوزها التحليل الدقيق والنظرة الشمولية.

اشتمل الجزء الأخير من القسم الأول لهذا الباب على تقرير عن أعمال التنقيب بمنطقة الأحساء- العقير في موقع «أبو زهمول غرب»، للأستاذ علي بن صالح المغنم. ويتميز هذا التقرير بالشمولية و التفاصيل الوافية عن موسم التنقيب للعام ١٤١٢هـ/١٤١٣هـ. اشتمل التقرير على مقدمة نوهت بالأهمية الجغرافية والتاريخية للموقع مع تبيان أهم المواقع الأثرية بالمنطقة، ومراحل أعمال التنقيب، وأسباب اختيار الموقع، ووصف للمبنى المكتشف وقراءة تاريخية وأثرية لمخطط البناء والطبقات الاستيطانية فضلاً عن مناقشة الفترة التاريخية للموقع.

ومن الجلي إن المنهجية التي اختطها فريق العمل سليمة وهي ألا تسخر أعمال الكشف الأثري لإثبات فرضيات مسبقة وأن تجري أعمال الحفر وفق الظواهر المكتشفة مع التوثيق الأمثل لكل مراحل التنقيب تصويراً ورسماً لكافة الظواهر المعمارية والمقاطع الجدارية والتراكمية ورسم ما يتم اختياره من اللّقى المفيدة.

وسبب اختيار هذا التل الأثري (أبو زهمول غرب) في منطقة العقير لأنه أكثر التلال ارتفاعاً (حوالي عشرة أمتار) مما يوحي بوجود طبقات استيطانية متعددة، علاوة على وجود أساسات مبانٍ تحيط بها أسوار خارجية من جهاتها الأربع فضلاً عن وجود أشتات من المعثورات الأثرية تشمل الفخار و الزجاج كما أن التل يشرف على منطقة بحرية بمثابة الخليج.

وكشفت أعمال التنقيب التوثيقية عن مراحل ازدهار وتدهور العقير كميناء إسلامي مهم لبلاد هجر على الخليج العربي بلغت ذروة أهميتها في القرن الثالث الهجري وما بعده. واستمرت العقير كميناء له أهمية قصوى لمنطقة الإحساء وخلال الغزو البرتغالي لشاطئ الخليج العربي في القرن السادس عشر. وكانت العقير ميناءً مهماً بعد قيام الدولة السعودية الأولى التى أسسها الإمام محمد بن سعود (١١٣٨-١١٧٩هـ). وعند قيام الدولة السعودية الحديثة (١٣١٩هـ/١٩٠٢م) أصبحت العقير الميناء الرئيس للأحساء إلى عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م، ولكن فقدت أهميتها بعد إنشاء مؤانئ الدمام و الخبر ورأس تنورة.

وأماطت التنقيبات الأثرية اللثام عن العديد من الموجودات التي شملت الفخار و الأواني و الأدوات الحديدية و النحاسية ومواد دقيقة كالصنج الرصاصية ومسكوكات طولونية (دنانير) وقد تم توثيقها تصويراً ورسماً بشكل دقيق.

القسم الثاني: المسح العام

تطرق هذا القسم للمسح الآثاري العام للرسوم والنقوش الصخرية في منطقتين بجنوب المملكة هما أبها- جازان «و عشن (ذهبان) و المعلمات وظهران الجنوب»، فضلاً عن مسح للمناطق الأثرية لمدينة الرياض وما حولها.

واشتمل التقرير الذي أعده الأستاذ عبدالرحمن كباوي وآخرون على دراسة للنقوش والرسوم الصخرية في كل من ظهران الجنوب، خميس مشيط، أبها، جازان، القنفذة، الليث، والمناطق المحيطة بها. وغطى التقرير التفصيلي بشكل خاص السفوح الغربية من جبال السراة، والسهول الساحلية (تهامة) وجزيرة فرَسَان. وتمكن

أعضاء الفريق العلمي لهذا الموسم من تسجيل ثلاثة وخمسين موقعاً للرسوم والنقوش الصخرية. وأبانت الدراسة الإحصائية الخاصة بتوزيع هذه الرسوم والنقوش الصخرية أن منطقة أبها- جازان موضوع الدراسة لهذا الموسم تعتبر أقل كثافة في مواقع الرسوم والنقوش التي سجلت خلال المواسم الثلاثة الماضية مقارنة بمناطق أخرى في الجنوب تشمل وادي الدواسر - نجران والطائف-الباحة (انظر أطلال، العدد ١٥: ١٠٠).

وتلزم الإشارة إلى أن عدد النقوش الصخرية (الكتابات) التي وجدت في هذا الموسم تبلغ ٣٤١نصاً، منها ١٩٦ نصاً من المسند الجنوبي وهي النسبة الغالبة، يليها ١٤٧ نصاً من الخط الكوفي وأخيراً الخط الثمودي وعدده ٨٨ نصاً. ومما يلفت الانتباه أن التقرير اشتمل على جدول يوضح أسماء المناطق ومواقع الرسوم والنقوش الصخرية وأرقامها فضلاً عن النصوص الكتابية في كل منها. بيد أن هناك تنويهاً في التقرير ذاته يشير إلى أن هذه النصوص لا تمثل كل الكتابات التي تم حصرها دون إبداء سبب مقنع لا سيما وأن الجدول نفسه يحتوي على حصر عام للخطوط الكتابية. وكان من الأجدى إعداد جداول شاملة لكل النصوص بحيث يتطابق عددها مع ما تم إيراده من أرقام إجمالية لها داخل النص بدلاً من التنويه بأن هذه النصوص (المذكورة في الجداول) تمثل نسبة كذا (كتابات المسند الجنوبي وأكثر من ٨٠٪ من الكتابات الثمودية) لما تم حصره هذا الموسم تجنباً للالتباس.

وتضمن هذا القسم دراسة تحليلة أولية للنقوش التي تم مسحها في: أ- عشن (ذهبان)، ب-المعلمات، جـ - ظهران الجنوب بالمنطقة الجنوبية (المسح الاثاري لعام ١٤١٢/١٤١٣هـ) قام بإجرائها الأستاذ خالد محمد أسكوبي. التزم الباحث بمنهجية دراسة الكتابات المتعارف عليها وهي وصف النقش وكتابة نصوصه بالأحرف العربية ثم تحليله والتعليق عليه. وبلغت النصوص التي تمت دراستها ٢٣ نصاً. واشتملت هذه النصوص على كتابات بالخطين المسند الشمالي والجنوبي. ويتضح من الدراسة التحليلية أنها تضمنت أسماء أعلام وقبائل ومعبودات وأماكن وأودية ورتب رسمية (ألقاب). وأشار الباحث إلى أن دراسته أولية، لذا فقد أمدنا بأمثلة مقتضبة للتدليل على الصلات الثقافية والحضارية بين أصحاب النقوش التي تمت دراستها ونظائرهم في جنوب الجزيرة العربية. وأورد التقرير مثالين هما لفظ(أسأر) والذي يعني ملك القبائل أو الوسيط الذي يطلب الرحمة من الإله أو أنه لقب شخص، وقد وجد هذا اللقب في عدة نقوش بمنطقة نجران. وهناك أيضاً لفظ(مُقتوى) الذي تم التعرف عليه في هذه النقوش ويعتبر من أهم الألقاب التي كانت تعطى في عهد الدولة الحضرمية (انظر أسكوبي ٢٠٠٠، أطلال، العدد ١٥: ١١٢-١١٣، ١٢١) ولا ريب أن الصلات الثقافية و التجارية غير مستغربة باعتبار أن المنطقة الجنوبية للمملكة العربية السعودية بنقوشها ورسومها الصخرية هي امتداد جغرافي وحضاري لجنوب الجزيرة العربية. فلا غرو إذن أن تبرز المواقع الأثرية الثلاثة(عشن ذهبان، المعلمات، ظهران الجنوب) تشابهاً في نقوشها ورسومها الصخرية بتلك التي وجدت في حضرموت وجنوب الجزيرة بشكل عام، حيث أن المنطقة برمتها تمثل نموذجاً لكيان ثقافي مشترك.

ومما يلحظ على منهج التقسيم الداخلي لعناوين البحث أن الباحث لم يلتزم بشكل صارم بتراتيبية التقسيم العام الذي وضعه في مستهل بحثه. فبعد أن قسَّم المواقع التي قام بدراستها إلى ثلاثة: أ- عشن ذهبان، ب- المعلمات، جـ - ظهران الجنوب، قام بإعطاء العناوين الجانبية التي تندرج تحت العنوان الفرعي ج(ظهران الجنوب) أحرفاً أبجدية لا صلة لها البتة بالعنوان الفرعي «ج» . فأعطى الموقع ٢١٧/١٧٤ الحرف «ج» في حين كان يفترض أن يأخذ الترقيم «ج-١»، وأشار إلى الموقع ٢١٧/١٧٣ بالحرف «د» وكان من الأنسب أن يُعطى الترقيم «ج-٢». وتُركت بقية أسماء المواقع التي تنتمي لمنطقة ظهران الجنوب دون ترقيم (المواقع ٢١٧/١٧٥ص،٢١٧/١٧٨ص،٢١٧/١٨٠ص).

واشتمل هذا القسم أيضاً على دراسة وصفية للمواقع الأثرية والتاريخية لمدينة الرياض وما جاورها أعدها الأستاذ محمد بن سعود الحمود وآخرون. وكان الهدف من المسح الآثاري لهذه المواقع داخل مدينة الرياض وما حولها (وادي لبن، وادي نمار، سلسلة جبل طويق، المزاحمية و الحائر) تفادي الخطر المحدق الذي ربما أدى إلى تدمير هذه المواقع نتجة للتطور العمراني والمشاريع التنموية المتلاحقة التي تؤدي- دون قصد- إلى اندثار هذه المواقع. وتم في هذا المسح اكتشاف وتسجيل مائة وخمسة مواقع أثرية وتاريخية، اشتملت على مبان تاريخية ذات طراز تقليدي من أحياء وسط المدينة (الحنبلي والظهيرة وشمال المعيقلية) بالإضافة إلى تتبع آثار البلدتين القديمتين منفوحة والمصانع الوارد ذكرهما في المصادر التاريخية القديمة حيث قامت الوكالة السعودية للآثار بتسجيل بعض معالمها التاريخية.

تضم المواقع التي شملها المسح مباني أثرية معظمها دائرية الشكل شيدت من صفائح حجرية مشذبة وغير مشذبة متباينة الشكل والمعالجة، ذات أقطار وارتفاعات مختلفة، فضلاً عن أبنية بيضاوية ومذيلات وحصون وأبراج وسدود لحجز المياه وطرق قوافل ومركز شرطة يرجع لعهد الملك عبد العزيز. ووجدت في هذه المنشآت المعمارية أشتات من الموجودات الأثرية تشمل أدوات حجرية مثل النوى و المكاشط و الفخاريات. وتغطي هذه الأبنية و المنشآت المعمارية أحقاباً زمنية طويلة تمتد من عصور ما قبل التاريخ إلى فترات مختلفة من العصور الإسلامية أقدمها يرجع إلى القرن الثاني الهجري إضافة إلى بعض الأبنية التي تؤرخ إلى فترات تاريخية حديثة نسبياً.

القسم الثالث : التقارير العلمية

اشتمل هذا القسم على تقريرين أحدهما عن تأريخ وتأصيل فخار العلا المدهون في الإقليم الشمالي الغربي للمملكة العربية السعودية، وتطرق التقرير الثاني لأنظمة الري ومصادر المياه القديمة في محافظة تيماء.

يناقش التقرير الذي أورده د. عبدالعزيز بن سعود الغزي عن فخار العلا المدهون موضوعين أساسيين هما تأريخ هذا النمط من الفخار وتتبع مدى انتشاره داخل وخارج المملكة العربية السعودية بغية التعرف على منشئه الأصلي. ومن الجلي أن الباحث قد وفق في تبني مقاربة سليمة استندت إلى التاريخ المقارن (Cross-dating)، لا سيما المطلق (كربون ١٤ المشع) لفخاريات تشابه فخاريات العلا المدهونة وجدت في العديد من المناطق داخل المملكة العربية السعودية (الخرج والأفلاج وتيماء) وخارجها (الإمارات العربية المتحدة واليمن).

ويتبين من نتائج الدراسة المقارنة أن فخار العلا المدهون أو الفخار ثنائي اللون (Bichrome Ware)، كما يسمى أيضاً نظراً لظهوره باللونين الأسود و الأحمر، يتميز بثلاث مميزات: أولها أن عجينته صلصالية نقية في الأواني الصغيرة وغير نقية وتكثر بها الكسر الدقيقة من الحجارة الجرانيتية في الأواني الكبيرة كما تظهر العجينة محروقة بدرجة عالية. والميزة الثانية هي ظهور بطانة بألوان متعددة (الزهري والأصفر والأصفر الباهت والبني والسمني) على أسطح الأواني الخارجية على هذا النمط الفخاري وأحياناً تكون الأسطح مصقولة (Burnished)، أو على بعضها تغشية (Wash). الميزة الثالثة أن هذا النوع من الفخار يتميز بالنماذج المدهونة باللون الأسود ويظهر أحيانا اللون البني المائل للأحمرار على الأسطح الداخلية للزبديات وعلى الأسطح الخارجية للجرار.

وتوصل الباحث في خلاصة دراسته إلى أن هذا النمط من الفخار الذي يزعم أن أصله يرجع للمواقع الأدومية في جنوب الأردن والتي تؤرخ عادة للقرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، من الراجح أن يكون قد صنع محلياً في شمال غرب المملكة العربية السعودية. ويعضد الباحث رأيه أولاً بنتائج تنقيبات موقع المنطقة الصناعية في تيماء (أطلال، العدد١٣: ٢١) والذي أرخ بكربون ١٤ المشع إلى الفترة مابين ١٤٠٠- ٨٠٠ ق.م. وهذا أقدم تاريخ لهذا النمط من الفخار مقانة بتواريخ المواقع الأخرى، سواء

داخل أو خارج المملكة. وثانياً كمية الفخار التي تم الكشف عنها في هذا الموقع تفوق بكثير ما عثر عليه في المواقع الأدومية في جنوب الأردن. ورابعاً استمرارية إنتاج هذا الفخار المدهون في الجزيرة العربية تعود إلى منتصف الألف الخامس قبل الميلاد واستمر دون انقطاع عدا الغياب الناجم عن ندرة العمل الأثري.

ويتحدث التقرير الثاني كما نوهنا أعلاه عن أنظمة الري ومصادر المياه في محافظة تيماء. أعد التقرير الباحث محمد بن حمد النجم الذي ناقش في مقدمة بحثه العوامل التي تساعد على استقرار المجموعات البشرية منذ فجر التاريخ، كما تطرق إلى مصادر المياه في تيماء والتي تشمل بحيرة تيماء ونهر تيماء والأودية والعيون والآبار.وبعد دراسة مستفيضة لأنظمة الري في المواقع الأثرية بتيماء اتضح أن ما كان يعتقد أنها عيون الري ما هي إلا نقاط توزيع مياه جارية على مدار الوقت وتتغذى من مكان آخر عبر القنوات حيث ترتبط بمركز المياه الرئيسي مكونة شبكة بديعة للري. واستنادا إلى دراسة المخلفات الفخارية للموقعين، اتضح أن هذا النوع من أنظمة الري عرفته هذه المنطقة من الجزيرة العربية منذ أواخر العصر الحجري الحديدي المتأخر أي في الفترة ما بين القرن الخامس إلى الرابع قبل الميلاد.

لا مُشاحّة أن الموضوع حيوي ويغري بمزيد من البحث والاستقصاء لتسليط الأضواء بشكل أكبر على أنظمة الري القديمة في شمال غرب الجزيرة العربية والتي أدت دوراً كبيراً في إرساء دعائم الاستيطان في هذا الجزء من جزيرة العرب. ومما يلفت الانتباه أن المقال لم يسلم من أغلاط نحوية وطباعية كما أن بعض المعايير تفتقر إلى الوضوح و السلاسة.

القسم الرابع: الدراسات

يتضمن هذا القسم دراستين، إحداهما عن الرسوم الصخرية و الكتابات الإسلامية في موقع عروى بمحافظة الدوادمي، والأخرى دراسة تحليلية وتصنيفية لمعثورات المدفن ٢٩ بجنوب الظهران.

ويشتمل البحث الذي أجراه الأستاذ عبدالله بن سعد الراشد على رسوم صخرية ونقشين كتبا بالخط الحجازي على صخور بركانية تم العثور عليها في موقع عروى (٣٨-٤٤شمالاً، ٥٤- ٢٣شرقاً) على بعد ٩٠كم جنوب شرق الدوادمي. وأبانت الدراسة أن الرسوم الصخرية(لوحة ٥٩أ) تمثل ثلاث مراحل حضارية: الأولى رسمت فيها أشكال بشرية وحيوانية بخطوط بسيطة (عودية) تؤرخ إلى (١٠٠٠-٥٠٠ق.م)، والثانية تمثل أشكالاً بشرية (خاصة نسائية) رسمت بطريقة النقر تعود إلى حوالي ٥٠٠ ق.م. أما المرحلة الثالثة فهي عبارة عن وسوم(علامات) تضعها القبائل على حيواناتها للتعرف عليها. ويلحظ أن مجموعة الرسوم الصخرية الثانية تمثل مرحلتين: الأولى تضم أشكالا حيوانية صغيرة (وعول) وغيرها، وهي الأقدم. و الثانية عن أشكال حيوانيات كبيرة (وعول) رسمت بطريقة النقر. أما مجموعة الرسوم الصخرية الثالثة فهي تحتوي على مرحلتين: الأولى عبارة عن أشكال بشرية وحيوانية رسمت بطريقة النقر، والثانية تضم رسوما تمثل إشارات قبائل فضلاً عن أشكال بشرية عودية. ومن اللافت للانتباه ان الباحث لم يشر في المجموعتين الأخيريتين(لوحات ٥٩ب،٥٩ج) إلى تواريخ الرسوم الصخرية.

وتشمل الدراسة أيضاً نقشين كتبا بالخط الحجازي المزوي (المكي والمدني)، الأول (لوحة ٦٠أ)يحمل اسم منصور بن أون، مقرون بالبسملة والصلاة والسلام على الرسول محمد(صلى الله عليه وسلم) والثاني يحمل الشهادتين (لوحة٦٠ب). كما نوه الباحث نفسه فإن صيغ هذين النقشين لا تعرض أحداثا تاريخية أو موضوعات جديدة، إنما الغرض منها إثبات العبارات الدعائية المعروفة واسم صاحب النقش.

ويتناول العرض التحليلي والتصنيفي لمعثورات المدفن ٢٩ب- جنوب الظهران - للأستاذ محمد يوسف الهاجري - دراسة إحصائية اتبع فيها اسلوب الجدولة. وتطرق الباحث في الجدول رقم «١» (انظر أطلال، العدد

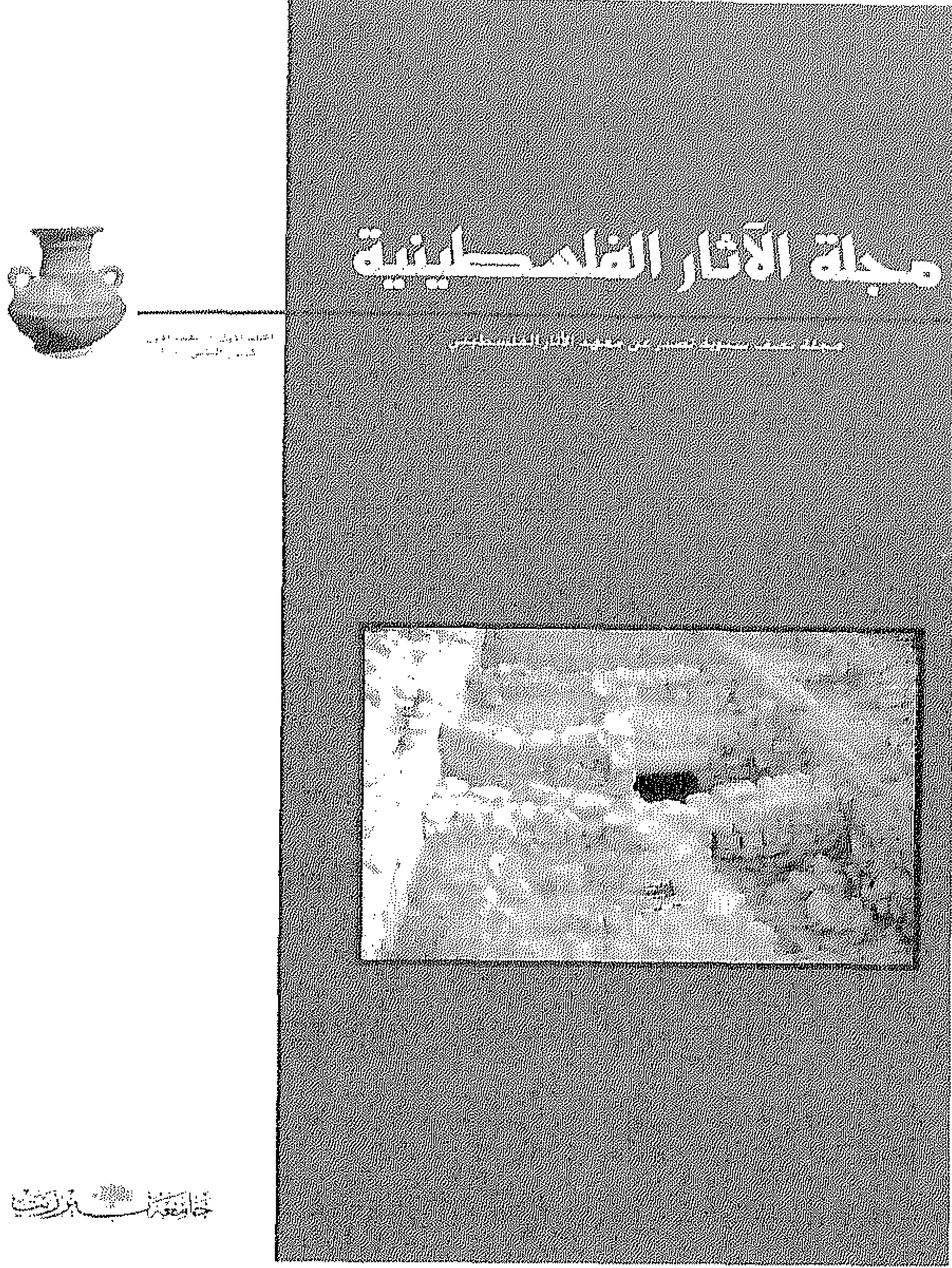
١٥: ٢٢١) إلى تصنيف المجموعات الفخارية بالتل رقم ٢٩ب لموسم ١٤٠٥/١٤٠٦هـ استنادا إلى عدة معايير أسماها اللون ونوع الطينة ونوع المعثور والزخرفة وأرقام الكسر المرممة والعدد المتوقع للأواني فضلاً عن الفترة الزمنية اعتماداً على التاريخ النسبي (التقريبي). ومن الواضح أن هذه الدراسة يعوزها التوصيف الدقيق لبعض معايير التصنيف المستخدمة. فنوع الطينة كمعيار تصنيفي غير واضح البتة. فتارة يشير الباحث لنوع الطينة بأنها «عظام» أو «حجر» في إشارة للشوائب المضافة للعجينة (Temper)، وأخرى يصف «نوع الطينة بأنها مخلوطة بالرمل» أي أنها صلصال (Clay) مخلوط، مشكلاً عجينة، ومرة ينعت «نوع الطينة» بأنها نقية أو غير نقية دون أن يوضح بدقة ما تعنيه هذه العبارات. وكان من الأنسب استخدام معيار تصنيفي يتسم بالدقة والشمولية وهو «نوع العجينة - Paste» والذي يستوعب كلا من طينة الصلصال (Raw Clay) و الشوائب المضافة (Temper) المشكلين معا للمادة الخام التي يصنع منها الفخار. وثمة متغير تصنيفي آخر غير دقيق الدلالة وهو «نوع المعثور» وكان الأجدر بالباحث استخدام متغير «شكل الإناء» بدلا من «نوع المعثور» لا سيما وأن تفاصيل التصنيف المندرجة تحت المتغير الأخير (نوع المعثور) تشير إلى المتغير الأول (شكل الإناء) بوضوح.

ويتضمن الجدول الثاني بياناً بأعماق جميع المعثورات في المدفن ٢٩ب عدا العظام. ويتضح من هذا الجدول (رقم ٢) أن المعثورات وأغلبها فخاريات إضافة إلى نزر يسير من الخرز توجد في طبقة سمكها يتراوح بين (٩٠-١٦٠سم). وتؤرخ هذه الموجودات بواسطة كربون ١٤ المشع إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد (١٧٧٥ - ١٣٨٥ ق.م).

ويشمل الجدول رقم (٣) توزيعا طبوغرافيا لمعثورات المدفن والتي تضم الكسر الفخارية و الخرز والعظام. واتضح من الدراسة المقارنة أن هذا المدفن من نوع مدافن التلال الشائعة بجنوب الظهران و التي تعوزها المدافن الجانبية. وتم تأريخ هذا المدفن بواسطة د. معاوية ابراهيم في موقع سار الجسر بالبحرين (١٩٧٧-١٩٧٩م) إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد. وهذا التاريخ يتعارض مع ما تم التوصل إليه في هذه الدراسة (الجدول رقم «١»)- كما أشار إلى ذلك الباحث- حيث أن هذا المدفن يغطي فترة زمنية تبدأ من نهاية الألف الثالث قبل الميلاد و ينتهي بمنتصف الألف الثاني قبل الميلاد. وإذا وضعنا في الحسبان أن هذا المدفن قد امتدت إليه يد العبث، فإن مزيداً من البحث و التقصي يصبح أكثر إلحاحاً لإلقاء مزيد من الضوء على نوعية وتأريخ هذا النمط من المدافن الشائع في أجزاء متفرقة من جنوب الظهران و البحرين.

وقد خصصت المجلة قسماً يحتوي على أخبار متفرقة تشمل نشاطات الوكالة السعودية للآثار و المتاحف في مجال المسح و التنقيب الأثري للعام ١٤١٦/١٤١٧هـ فضلاً عن المشاركات الثقافية المختلفة للوكالة داخل وخارج المملكة العربية السعودية.

د. عبدالرحيم محمد خبير - قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص.ب ٢٤٥٦ - الرياض ١١٤١٥، المملكة العربية السعودية.



اسم المجلة : مجلة الآثار الفلسطينية.

المحرر : د. خالد الناشف.

الإصدار : مجلة نصف سنوية تصدر عن معهد الآثار الفلسطيني بجامعة بيرزيت.

رقم المجلد : المجلد الأول - العدد الأول، كانون الثاني ٢٠٠٠.

مقياس المجلة : ٢٨,٧ × ٢٠ سم.

عدد الصفحات : ١١٢ صفحة.

المحتويات : كلمة المحرر، الأبحاث، القدس : أماكن و أشخاص، ملاحظات موجزة، إصدارات فلسطينية، مواقع أثرية: توثيق، معارض، نشاطات و أخبار .

عرض : د. أحمد أبو القاسم الحسن .

صدر العدد الأول من المجلد الأول من مجلة الآثار الفلسطينية وهي، كما يشير اسمها، تولي عناية خاصة بالآثار الفلسطينية بمفهومها التاريخي، وتتسع دائرة اهتماماتها جغرافياً كما يذكر المحرر لتشمل بلاد الشام، مصر، آسيا الصغرى، العراق، شبه الجزيرة العربية، إيران، بحر إيجة و قبرص.

والمجلة منشورة باللغة العربية، وبعض الأبحاث مترجمة إلى الإنجليزية. وجميع محاورها وموضوعاتها بهوامشها وثبت اللوحات والأشكال والمراجع.

ويتناول المحرر في مستهل كلمته أهمية هذه المجلة فيشير إلى أنها لسان معهد الآثار التابع لجامعة بيرزيت، والمعبرة عن طموحاته في مجال الآثار الفلسطينية، وأهمها خلق الاهتمام بالآثار بين الفلسطينيين بوصفها جزءاً مكملاً لتاريخ الشعب الفلسطيني.

المقال الأول في المجلة بعنوان «أبحاث وتنقيبات في خربة بيرزيت ١٩٩٦» مشروع بحث ضمن إطار آثاري وتاريخي شامل، يوثق بالتفصيل الدراسات السابقة بما في ذلك الجغرافية التاريخية التي لا يمكن إهمالها بوصفها جزءاً من التقويم الكامل لخربة بيرزيت المفترض أنها بيرزيثو القديمة.

بالإضافة إلى «دراسة جغرافية تاريخية» يضم المقال عرضاً للدراسات الآثارية السابقة لخربة بيرزيت، وبالطبع بيرزيت نفسها التي لا يمكن فصلها عن الخربة.

وقد توخى الباحث خالد الناشف أن يكون العرض شاملاً بحيث لا يكون هناك ما يدعو للرجوع إلى المصادر الثانوية، أو إلى النقاش المعقد حول تحديد بعض المواقع المرتبطة ببيرزيت، أو المذكورة في سفر المكابيين الأول. وقد أضيف للبحث فصل خاص لنوع من المباني يطلق عليها الفلسطينيون مصطلح «البوبريات». وحتى يكون تقرير التنقيبات شاملاً أضيف تقرير أولي عن الفخار إلى التقرير الطبقي للتنقيبات ومعظم الدراسات التي تضمها قائمة المراجع مستشهد بها في النص.

والمقال الثاني للمجلة بعنوان «تنقيبات الموسم الأول» يتناول تنقيبات معهد الآثار الفلسطيني لعام ١٩٩٦م بخربة بيرزيت.

والمحور الثالث من المجلة بعنوان خربة بيرزيت ١٩٩٦: «الفخار» وهو دراسة للفخاريات التي جمعت من تنقيبات الموسم الأول بخربة بيرزيت من طمم الأرضيات أو تحتها. وبالموقع أكثر من أرضية تعود إلى الفترة الإسلامية المبكرة كانت مغلقة بأرضيات أساسات مقترنة بفترة القرون الوسطى. ويعرض كتالوج الفخار مرحلتي سكن في المنطقة المنقبة ويمثل أشكالاً منتقاة من أنماط الفخاريات التي كانت تستعمل في الموقع.

ويتناول المحور الثالث «أبحاث و تنقيبات في خربة بيرزيت ١٩٩٨ تقيبات الموسم الثاني»، إذ تركز العمل في هذا الموسم على بقايا المبنى الظاهر على السطح الذي يؤرخ عادة إلى فترة الفرنجة.

وفي المحور الرابع يستعرض الباحث خالد الناشف النتائج الأولية لأعمال الأبحاث و التنقيبات في المواسم الثلاثة للأعوام ١٩٩٦م، ١٩٩٨م، ١٩٩٩م «خربة بيرزيت ١٩٩٦، ١٩٩٨– ١٩٩٩: نتائج أولية» ويوضح الباحث أن قرية بيرزيت موقع متعدد الفترات يبدأ حسب المسوحات الآثارية التي أجريت فيه من العصر الحديدي الأول حتى بداية الفترة العثمانية، والإعتماد على نتائج التنقيبات لم يستخدم موقعاً سكنياً بشكل أساسي بعد هذه الفترة. وتضمن التقرير إشارة إلى ما كان للموقع من أهمية خاصة في الفترة البيزنطية، من حيث اقتصاده المعيشي أو وحداته السكنية. ويبدو أن هذه الأهمية استمرت في الفترة الأموية كما تدل ذلك أرضيات سكنية كشف عنها في موسمي ١٩٩٦و ١٩٩٩. وأبان الباحث بأن التنقيبات لم تسفر عن أي دلائل تشير إلى تاريخ فرنجي للمبنى كما كان يعتقد في الدراسات السابقة.

وتناول المحور الخامس «أسرجة فخارية من تل تعنك» عثر عليها في الموسم الثالث في عام ١٩٨٧م في غرفة تعود إلى الطبقة الثانية حسب تصنيف التنقيبات المؤرخة إلى الفترة البيزنطية المتأخرة. وقد عثر على هذه الأسرجة ضمن مجموعة من القطع الآثارية و بشكل خاص مع عدد كبير من جرار التخزين المميزة للفترة الأموية.

ومن الموضوعات التي أثارت اهتمامي في هذه المجلة الحديثة الميلاد مقال «السقا (السقاء) الجلدي الفلسطيني». فقد ذكر الباحث أحمد الرجوب أن التنقيبات الأثرية كشفت في بعض مواقع العصر الحجري النحاسي عن أوان فخارية فسرت على أنها مخضات زبدة وذلك بعد ربطها شكلاً مع السقا (السقاء) الجلدي المستخدم في القرى الفلسطينية اليوم .

ويضم الجزء المكتوب باللغة الإنجليزية من المجلة موضوعاً أعده روبرت شيك، ليته ترجم إلى العربية وهو بعنوان «نعمان عبده القساطلي : مساح مغمور لغرب فلسطين» . و نعمان (١٨٥٥–١٩٢٠م) أول عربي يساهم ويعمل في دراسة الآثار الفلسطينية وذلك باشتراكه في الحملة البريطانية لمسح غرب فلسطين في الفترة ما بين ١٨٧٤ إلى ١٨٧٧م بوصفه عضواً مسؤولاً من تسجيل أسماء الأماكن. وعلى الرغم من أن كامل جميل العسلي وخير باك قد كتبا عنه، إلا أن سيرته ظلت مطوية في عالم النسيان. ولهذه المجلة الفضل في إعداد تقرير موجز عن أعماله ومنجزاته في الآثار الفلسطينية.

وفي باب «القدس: أماكن و أشخاص» تثير المجلة الاهتمام بالقدس، ليس بمعالمها المميزة التي كتب عنها الكثير و إنما بمبان شبه مجهولة ترتبط بشخصيات تاريخية معروفة أو غير معروفة. وموضوع هذا الباب في هذا العدد هو «رباط و مكتب الأمير بيرام جاويش» والذي يعد من أبرز رجالات القدس وأشهرهم في زمن السلطان سليمان القانوني، وقد أشرف على بناء منشآت سلطانية عديدة في مدينة القدس مثل السور وبعض الأسبلة، كما أنشأ وأوقف رباطاً، وجدد وأوقف مكتباً لتأديب الأولاد وبعض الأسبلة، إضافة إلى مصبنة وحوش بالقرب من باب العامود.

ويتناول باب «ملاحظات موجزة» من المجلة تعليقاً موجزاً عن المخضات الفخارية.

أما باب «إصدارات فلسطينية» ففيه عرض لكتب وضعها فلسطينيون.

وفي باب «مواقع آثارية: توثيق» تلخيص وتوثيق للنشاطات الآثارية في فلسطين وبشكل خاص التنقيب في المواقع الأثرية.

وفي باب «معارض» عرض لكتالوج في (٩٦ صفحة مع صور ملونة) وتعريف بمعرض بعنوان «اليرموكيون»: فن العصر الحجري الحديث من شعار «هاجولان» الذي أقيم هذا العام في القدس. والعرض الثاني بالباب لكتالوج أصدره «معهد العالم العربي» في باريس(١٩٩٨م). وتكمن أهمية هذا الكتالوج في أنه يتناول الفنون الفاطمية التي لم تأخذ ما تستحقه من اهتمام في الدراسات الأثرية الفلسطينية رغم تأثيرها الواضح المبين في عدد من المدن و المواقع الأثرية خاصة في بيسان وطبريا وقيسارية والمسجد الأقصى. والكتالوج لمعرض نظمه «المتحف التاريخي للفنون» في فيينا في عامي ١٩٩٨و١٩٩٩م بالتعاون مع وزارة الثقافة والفنون المصرية و الدائرة العامة للآثار في مصر. ويضم الباب أيضاً عرضاً لكتالوج حول معرض باسم «فرسان الأرض المقدسة: المملكة الصليبية للقدس» نظمه متحف إسرائيل العام الماضي (١٩٩٩) ويغطي بشكل شامل فترة الفرنجة (الفترة الصليبية) في فلسطين والتي امتدت منذ احتلال القدس عام ١٠٩٩ حتى سقوط عكا عام١٢٩١م.

وهذا وقد خصصت المجلة قسماً للنشاطات والأخبار المتفرقة. وفي هذا العدد تناولت نشاطات ورش العمل والمؤتمرات وأخبارها والهدايا والتنقيب ومشاريعه بمعهد الآثار بجامعة بيرزيت.

ويتضح لنا من السطور القليلة لهذا العرض الموجز أن باكورة مجلة الآثار الفلسطينية جهد كبير يستحق الإشادة والتقدير. ولا يسعني إلا أن أكرر إعجابي بالجهد الذي بذل في إعداد هذا الإنجاز الكبير وأول الغيث قطرة. وفي رأيي أن القارئ العربي بصورة عامة بحاجة ماسة إلى أن تقدم له مثل هذه الدراسات بلغته الأم في أسلوب سلس حتى يتحقق ما نرمي إليه من وعي وإدراك لهوية الذات في محتواها التاريخي الحضاري.

د. أحمد أبو القاسم الحسن : قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود ص.ب ٢٤٥٦ الرياض ١١٤٥١، المملكة العربية السعودية.

عرض الكتب

اسـم الكتاب : مسكوكات ما قبل الإسلام في شرق الجزيرة العربية

المـؤلـف : أ.د. دانيال بوتس

المـترجـم : د. صباح عبود قاسم

الـنـاشـر : دائرة الثقافة والإعلام- الشارقة

سنة النشر : ١٩٩٩م.

رقم التصنيف الدولي : ٤٩٥٣١ -٧٣٧

عدد الصفحات : ٣٠٨

مقاس الكتاب : ٢٩,٦ × ٢٠,٦ سم

عرض : د. مشلح المريخي



صدر في عام ١٩٩١م المجلد الرابع عشر من سلسلة منشورات معهد دراسات الشرق الأدنى القديم في جامعة كوبنهاجن في الدنمارك، وحمل عنوان عملات ماقبل الإسلام في شرق الجزيرة العربية تأليف د.ت بوتس، والذي اشتمل على ٥٢٩ مسكوكة، كما اشتمل على ملحق كتب من قبل عضوي فريق التنقيب الفرنسي في موقع مليحة بالإمارات العربية المتحدة تناولا به موضوع قالب سك عملة.

وفي عام ١٩٩٤م أصدر المؤلف ملحقاً لهذا المجلد، نشره في المجلد السادس عشر يحمل العنوان نفسه. وضمنه ٤٢٦ مسكوكة.

يقع الكتاب الذي بين أيدينا في ٣٠٨ صفحات، واشتمل على مقدمة للمترجم بيّن فيها سبب ضم المجلدين في عمل واحد، نظراً لإرتباطهما الوثيق، بيد أنه -في واقع الأمر- تعامل معهما كعملين مستقلين؛ سواء من حيث ترقيم الجدوال المصاحبة أو من حيث اشتمال كل منهما على قائمة مراجع مستقلة وكأنهما عملان في غلاف واحد لا كتاب واحد. ولعله كان من الأنسب دمجهما بطريقة أفضل ومن ثم إعادة ترقيم الجداول المصاحبة وتوحيد قائمة المراجع. كما كان حرياً بالمترجم استخدام ما هو متعارف عليه لدى المتخصصين في علم النميات في الأقطار العربية من مصطلحات علمية، حتى يحسن الإنتفاع بهذه الترجمة، خاصة أنها قدمت من قبل مترجم عربي متخصص. ولعل أبرز ما ينقص هذه الترجمة وما يعتريها من قصور هو عدم اشتمالها على هوامش للتصويبات والتعليقات والشروحات، والتي بدورها يمكن أن تسد النقص في هذه الدراسة وتضفي عليها الإيضاح والدقة وتجلو بعض الغموض. فضلاً عن ذلك فإن الترجمة اعتراها عدم الدقة، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر، ما ورد في السطر الأخير من الصفحة رقم ٢٤ حيث أنه لا يتوافق ولا يتطابق في سياقه مع السطر الأول من صفحة ٢٥، ولعل مرد ذلك سوء الترجمة أو نقصان فيها. أضف إلى ذلك ما ورد في الصفحة رقم ٢٢ في السطر التاسع، حيث وردت العبارة التالية: «وكذلك

نصف درزن من المسكوكات الشركسية». فمن يقرأ هذه العبارة يتبادر إلى ذهنه أنها نوع من المسكوكات القديمة. تلي ذلك مقدمة المؤلف التي أشار فيها إلى أنه استغرق قرابة السبع سنوات في تتبع وجمع ودراسة هذه المجموعة من مسكوكات شرق الجزيرة العربية، موضحاً أن منها ما هو موجود في المتاحف العالمية وجمعيات النميات؛ ومنها ماهو بحوزة أفراد يعلمهم المؤلف ويجهلهم القارئ! ثم مدخل أبرز فيه إصدارات النقود المحليةالمختلفة التي تم تداولها في شرق الجزيرة العربية خلال عصر ما قبل الإسلام، كما أشار إلى مصادر هذه المسكوكات لدى أماكن حفظها في المتاحف العالمية وجمعيات النميات ولدى بعض الأفراد المهتمين بجمع المسكوكات، وأوضح أنه تمكن من جمع ٩٥٥مسكوكة، منها ٥٢٩ مسكوكة نشرت في المجلد الأول، و ٤٢٦ مسكوكة تضمنها المجلد الثاني. كما ألمح إلى منهجه في تصنيفها، مبيناً أنها بلغت ٥١ صنفاً.

ثم تطرق بعد ذلك إلى مصادر عملات شرق الجزيرة العربية، موضحاً أن كافة المسكوكات المنشورة في المجلدين قد جاءت من منطقتين؛ الأولى: المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية، وتحديداً من مواقع: ثاج، عين جوان، الظهران، جبل بري (شمال القطيف)، السعبة، منجم الملح، الهفوف وجبل كنزان؛ أما الثانية فتشمل: الإمارات العربية المتحدة، وتحديداً من موقعي الدور بأم القيوين ومليحة بالشارقة.

وتحت عنوان مصادر إلهام نميات شرق الجزيرة العربية، تحدث المؤلف عن التأثيرات الخارجية التي تأثرت بها مسكوكات شرق الجزيرة العربية حيث صنفها إلى ثلاثة أنواع، وهي:

النوع الأول: مسكوكات ذات تأثر بسكة الإسكندر الأكبر، ومنها: أ- ما يحمل في الوجه رأس هرقل مرتدياً جلد الأسد وعلى القفا يظهر زيوس جالساً على عرشه، في حين تلتف ذراعه اليسرى حول صولجان وتسند ذراعه اليمنى الممتدة نسراً.

وهذا النوع هو الأغلب من المسكوكات التي قلدته معظم الإصدارات النقدية التي سكت في شرق الجزيرة العربية.

ب- نوع آخر حمل في القفا علامة تظهر أمام ركبتي زيوس، وكذلك اسم الإسكندر AEENN POY الإسطوري بصورة عمودية في أسفل الجهة اليمنى للحقل خلف ذراع زيوس المنحنية.

النوع الثاني: مسكوكات ذات تأثر بسكة السلوقيين، حيث أظهرت مسكوكات شرق الجزيرة العربية نماذج تحمل على الوجه صوراً تظهر على مسكوكات حكام السلوقيين.

النوع الثالث: صنف وجد منه ثلاث مسكوكات تحمل صورة شخص ملتح بأسلوب بدائي، وهذا الصنف لايمكن أن يكون مستمداً من مسكوكات الإسكندرية أو الحكام السلوقيين. ولم تهمل الدراسة وصف العملات وما تحمله من عناصر وصور ورموز وكتابات، مع إرفاق صورة واضحة لكل مسكوكة بجانب دراستها. بيد أنها- وباعتراف المؤلف في صفحة رقم ١٣- لم تتبع أي من التصانيف المتعارف عليها والمتبعة من قبل المتخصصين في علم النميات، وخاصة في مجال المسكوكات القديمة. كما أن الدراسة تخلو من مراعاة الترتيب الزمني لسك هذه المسكوكات، وكذلك الخروج منها بنتائج إيجابية حول تاريخ شرق الجزيرة العربية في الفترة موضوع الدراسة. وقد اعترى العمل من قبل المؤلف قصور وخلل في المنهجية، وسوء تصنيف المسكوكات، ومن ثم تضاعف هذا الخلل لدى المترجم الذي تعامل مع عملين كعمل واحد دون مراعاة التنسيق بينهما وتزويدهما بما يحتاجان إليه من تصويبات وتعليقات. ومن مظاهر افتقار هذا الكتاب إلى المنهجية السليمة أن ما ورد عن المسكوكات لم يكن سوى وصف فقط وغير مرتب ترتيباً تاريخياً أو نوعياً، لأنه من المفترض أن يتم تناول ٩٥٥ قطعة مجتمعة وليست منفصلة وبحيث يتم تصنيفها حسب المواد الخام، الأهم ثم المهم كالذهب ثم الفضة ثم البرونز، ويتم تناول كل

نوع منها على حدة حسب التسلسل التاريخي لكل حاكم من الحكام، وهذا لم يحدث. وكان من المفروض بعد عملية وصف القطعة، خاصة وأنها غير مؤرخة، أن يتم عمل دراسة مقارنة بينها وبين مثيلاتها المؤرخة حتى يمكن نسبها باطمئنان إلى الحاكم الذي أمر بضربها، وهذا يسري على جميع القطع الواردة بهذا الكتاب.

وعلى الصعيد اللغوي، والذي ينسب بالطبع إلى المترجم، يلاحظ ضعف المستوى اللغوي، للترجمة العربية ومن أمثلة ذلك:

- ص١٩ (فقرة ٤ سطر ١) كلمة ثلاثة والصحيح ثلاث.
- ص١٥ الفقرة الثالثة سطر ٤ وردت كلمة تايبولوجية والصحيح الطرازية أو النمطية.
- ص١٥ الفقرة الرابعة سطر ١ وردت كلمة خمسة والصحيح خمس.

وهناك أمثلة كثيرة تحتاج إلى وقت لسردها، مما يدل على ضعف الصياغة اللغوية، والتي أرجو أن يلتفت إليها المترجم في الطبعة القادمة.

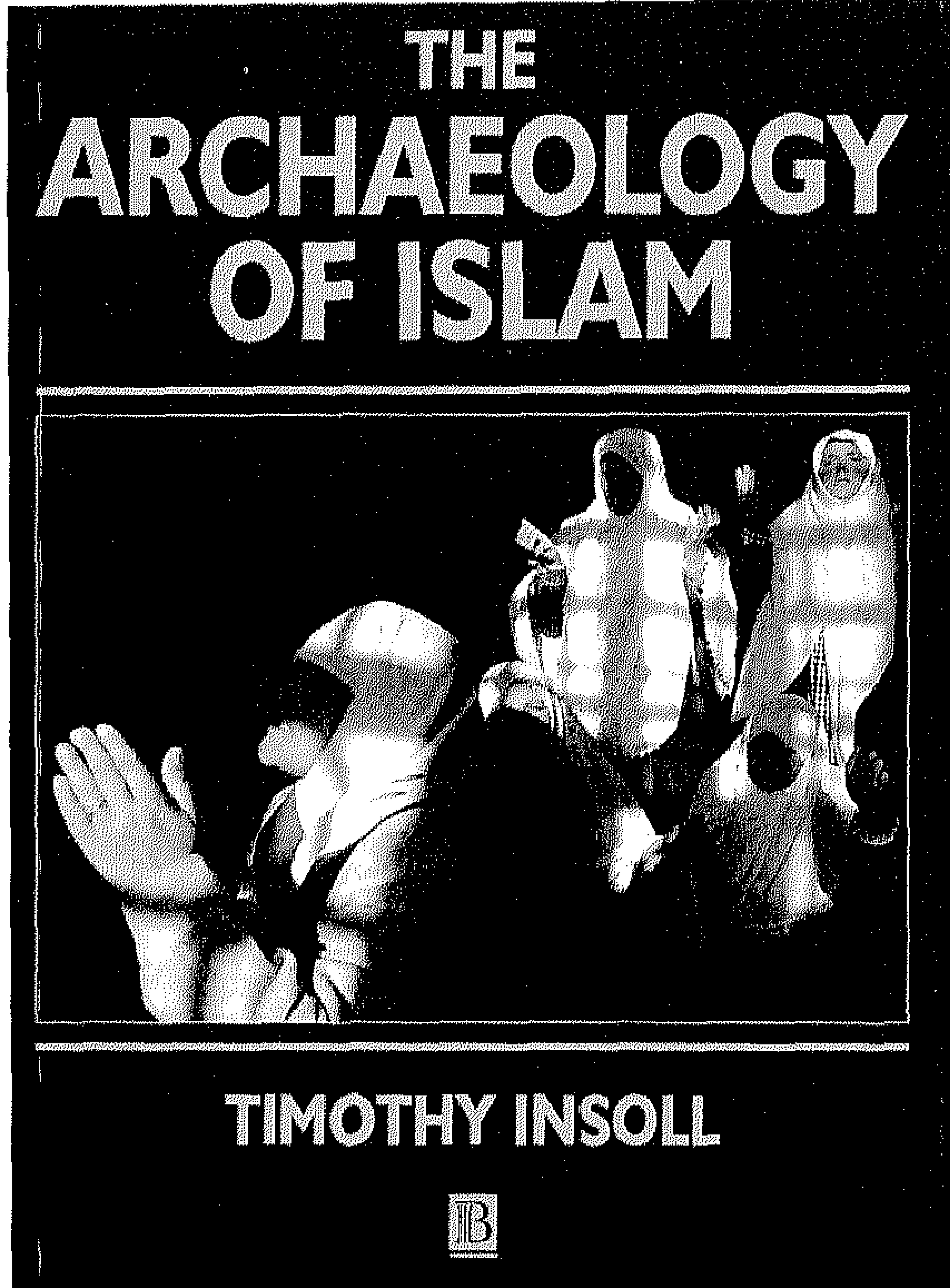
وعلى الرغم من نقاط الضعف والقصور التي ظهرت بوضوح في التأليف والترجمة إلا أنها تعد دراسة توثيقية مهمة تناولت ٩٥٥مسكوكة من شرق الجزيرة العربية تنشر لأول مرة والتي أبرزت بعض الإصدارات التي لم تكن معروفة سابقاً. ومما يحسب لهذه الدراسة أيضاً تعزيزها بالصور التوضيحية والجداول والمخططات .

د . مشلح المريخي : قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص.ب ٢٤٥٦ - الرياض ١١٤٥١ المملكة العربية السعودية.

اسم الكتاب : آثار الإسلام
المؤلف : د. تيموثي انسول
الناشر : بلاك ويل للنشر
.Blackwell Publishers
سنة النشر : الطبعة الأولى ١٩٩٩
رقم التصنيف الدولي : ISBN 0-631-20115-7 (pbk.)
مقاس الكتاب : ٧ ر ٢٢ سم × ٢ ر ١٥ سم.
عدد الصفحات : xiv + ٢٧٤ صفحة
(وتشمل ٢٧ شكلاً و٢٢ لوحة).

عرض : د. عبدالله بن محمد الشّارخ

يُعد كتاب «آثار الإسلام» من المؤلفات الحديثة الصادرة باللغة الإنجليزية ، وفيه يأمل المؤلف في إلقاء الضوء على العديد من الجوانب النظرية والعملية، حول الطروحات الأكاديمية، التي تهتم بصورة خاصة بتوثيق الحضارة الإسلامية، من خلال البقايا الآثارية الظاهرة أو المنقب عنها، داخل العالم الإسلامي وخارجه.



ويشتمل الكتاب على ثمانية فصول رئيسية، بما في ذلك المقدمة والخاتمة، إضافة إلى قائمتين بالأشكال واللوحات.

ورغبة في المحافظة على تسلسل الأفكار والطروحات، التي أوردها المؤلف في كتابه، فان هذا العرض يتناول فصول الكتاب الواحد تلو الآخر، مبرزاً النقاط الرئيسية والجوانب العديدة، التي تناولها في كل فصل، ويليها عرض لأبرز الملاحظات على الكتاب.

المقدمة :

تمثل القاعدة النّظرية، التي طرح فيها الباحث تطلعاته البحثية حول موضوع «الآثار الإسلامية» والحاجة إلى مزيد من الاهتمام بهذه الفترة الحضارية من خلال دراسة آثارها المادية. وبحكم أن الدين الإسلامي «كيان» قائم بذاته، وبسبب ما يشتمله من أركان وقواعد نظرية وعملية وتأثيرات ثقافية واجتماعية، فانه بالإمكان التعرف على وجود المجتمعات الإسلامية في السّجل الآثاري، من خلال دراسة ارثهم المادي، الذي يخلفونه وراءهم، على الرغم من التنوع الشديد بين هذه المجتمعات من حيث العادات والتقاليد والبيئة والإطار الجغرافي المحيط بها.

ويشير الباحث إلى أنه نظراً لما للدين الإسلامي من دور كبير في حياة المسلمين من كافة النواحي ، وليس فقط النواحي الدينية فانه بالإمكان الاستفادة من هذه الميزة في الدراسات الآثارية، دون التقوقع في جوانب محدودة، مثل أماكن العبادة ودفن الموتى.

وأما الهدف الثاني من هذه الدراسة، فيتمثّل في الربط بين مختلف أنواع البقايا الآثارية الإسلامية، ووضعها في إطارها الإجتماعي ، بحيث يُرُكّز على تفسيرها و إظهار الدور الذي تقوم به الدراسات الآثارية في فهم المجتمعات الإسلامية في الماضي.

وقد بيّن المؤلف أن هدفه من هذا الكتاب، الذي يحتوي على الكثير من المبادئ الأولية حول الأسلام، هو أن يكون كتاباً مقرراً من ناحية، ومراجعة علمية من ناحية ثانية، ودراسة نظرية من ناحية ثالثة.

وعلى الرغم من أن مقدمة الكتاب تحوي معلومات جمة، يحتاج القارئ المتخصص في هذا المجال إلى التمعن فيها وقراءتها بصورة متأنية وفاحصة فانه من الصعب التفصيل فيها بشكل كبير، فالباحث «تيم انسول» ينتقد الوضع الحالي لدراسات الآثار الإسلامية خاصة في الغرب لعدد من الأسباب، أهمها محاولة الفصل بين الآثار الإسلامية، عن تخصص الأثار بصورة عامة، من خلال جعل تخصص الآثار الإسلامية أكثر ارتباطاً بمجالات أخرى مقاربة، مثل أقسام اللغة العربية أو الديانات. في الوقت نفسه يعدد المؤلف الفوائد المجنية، من ارتباط الآثار الإسلامية بالتيار الرئيس لعلم الآثار. بحيث يمكن لهذا المجال أن يصل إلى مجموعة أكبر من الدارسين والمهتمين خاصة أن الآثار المادية لدين في حجم الإسلام وتأثيره لهي من الأهمية بمكان. إضافة إلى الدور الكبير الذي تؤديه دراسة الآثار الإسلامية، في إيجاد جو من التفاهم المتبادل في المجتمعات الأوربية والأمريكية، والاستفادة من تجارب الآخرين.

ان النقد، الذي يمكن أن يوجه إلى الوضع الذي وصلت إليه دراسة الآثار الإسلامية يتمثل - في رأي المؤلف فيما يلي:

أولاً : تركّز العديد من الدراسات - عادة- على نوع واحد من البقايا المادية، مثل العمارة أو الفن أو الفخار وغيرها أو على موقع أو منطقة جغرافية واحدة ، دون الأخذ في الاعتبار الجوانب الأخرى الواقعة خارج هذا الإطار البحثي الضيق . كما أن الدراسات الآثارية الموسعة، غالباً، ما تفتقر إلى الاستفادة من الدراسات التاريخية والأنثروبولوجية و الاجتماعية، مما ينتج عنه دراسات أحادية الاتجاه تسهم في إعاقة تطور مناهج الآثار الإسلامية، ويضاف إلى ذلك، أن التقارير الأولية للتقنيات والمسوحات الآثارية، ينقصها التحليل و التفسير.

ثانياً : غياب وجود منهج تقييمي لتخصص الآثار الإسلامية كما هو الحال في العديد من فروع علم الآثار، بسبب استمرار أكثر الدراسات الآثارية الإسلامية على منهج تقليدي، ووتيرة واحدة، دون تطوير ملحوظ

للقاعدة النظرية، التي تقوم عليها هذه الدراسات؛ وقد أدى ذلك إلى إغفال العديد من الدلائل الآثارية، التي كان يمكن أن تزودنا بالعديد من المعلومات المهمة، ومن ذلك التقليل من المعلومات المستقاة من دراسة وتحليل البقايا النباتية والحيوانية فيما لقيت دراسة الفخار المزجّج و الملون اهتماماً خاصاً. ولعل من أبرز الموضوعات، التي لم تجد حظاً كبيراً في الدرسات الآثارية الإسلامية، تلك المرتبطة بالجوانب الاقتصادية والديموغرافية والبيئية، مما يؤثر على مستوى التحليل والتفسير، ويخل بالصورة العامة للحضارة الإسلامية.

وفي المقابل، حظيت المعالم الآثارية الشاخصة بالكثير من الاهتمام والعناية، كالمساجد، والقصور، وطبقات المجتمع الغنية، على حساب البقايا الآثارية المادية للسواد الأعظم من المزارعين والبدو الرُّحل، والطبقات البسيطة في المجتمع.

وقد ناقش المؤلف في مقدمته، مدى ضرورة أن يكون الباحث في مجال، الآثار الإسلامية معتنقاً الإسلام، والى أي مدى يكون ذلك ذا تأثير سلبي على مناهج دراساته العلمية. ويرى المؤلف جانباً إيجابياً في كون الباحث غير مسلم، بما يعينه في الخوض في قضايا تعتبر حساسة للباحث المسلم. ولكن ، في رأيي أن هذا التعليل، يكاد يكون بمثابة الاستثناء عن القاعدة نظراً لأن الباحث المسلم يفوق غيره في هذا الشأن لأنه جزءٌ من المجتمع الاسلامي، ويعرف جوانب عديدة لا يمكن للباحث غير المسلم معرفتها.

يذكر المولف أنه لا يدّعي الكمال لهذا الكتاب، بل يرى أنه يعد موفقاً إذا نجح في إحياء الحوار والنقاش، حول أهداف ومنهجية ومستقبل الدراسات الآثارية الإسلامية، ومن ثمّ إعطاء مزيد من الاهتمام للبقايا الآثارية المادية، التي خلفتها الحضارات الإسلامية المتعاقبة .

ويؤكد المؤلف إلى أن حقيقة الإسلام دينا، يرتبط بكافة أوجه الحياة للإنسان المسلم، وينظم علاقة الاجتماعية والاقتصادية وغيرها، تفرض ضرورة البحث عن الدلائل المادية لهذه العلاقة بين المجتمع المسلم والدين الإسلامي، وإبراز هذه العلاقة في الدراسات الآثارية الإسلامية. لذا، فإنه من المهم معرفة الدور الكبير للقرآن والسنة، والشريعة الإسلامية بوجه عام، في تنظيم حياة المسلم، والمجتمع الاسلامي عموماً، طبقاً لخصائص ومميزات محددة يمكن التعرف عليها في السِّجل الآثاري.

ولعل من النقاط المهمة التي طرحها المؤلف تساؤله إن كان التنوع الجغرافي والبيئي والاجتماعي، على امتداد العالم الإسلامي، قد أدى إلى وجود مجتمعات مختلفة عن بعضها، نظراً للمؤثرات المذكورة، ومن ثمّ صعوبة تصنيفها على أنها مجتمعات مسلمة، نظراً للتنوع الشديد فيما بينها في الماضي والحاضر؟ ويجيب المؤلف على سؤاله ذلك بأن وجود اختلاف في العديد من المعايير الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية .. وغيرها، لا يخل في النهاية بوجود أسس رئيسة متمثلة في الدين الإسلامي، تحكم وتنظم هذه المجتمعات. فالمسجد - مثلاً - موجود في كل قرية ومدينة، ولكن الاختلاف قد يظهر في التصميم العام، ومواد البناء والعناصر الزخرفية. ولذلك فان الإسلام يمثل وحدة أساسية بين هذه المجتمعات، مع وجود تنوع داخلي ضمن مقومات المجتمع الإسلامي .

وهكذا، يُصبح للدراسات الآثارية دور بارز في تسليط الضوء على الجوانب ذات المستوى المحلي وتلك التي تُعد قضايا رئيسية، مثل التنظيم الاجتماعي والتقنية والتحضر والديانة، على المستوى الجغرافي والزمني.

ولتجاوز الإشكالية البحثية المرتبطة بالعالمية والمحلية، في دراسة الآثار الإسلامية، يمكن الاستفادة من المدرسة التاريخية، التي تقسّم الزمن إلى مستويات ثلاثة، هي: المؤثرات طويلة المدى، ومتوسطة المدى، والأحداث قصيرة المدى. حيث تمثل المؤثرات طويلة المدى القواعد الرئيسية للإسلام، بينما تشمل

المؤثرات متوسطة وقصيرة المدى تلك المرتبطة بالمتغيرات الإقليمية، كالملبس والمأكل والعمارة وغيرها.

وفي هذا الصدد يشير المؤلف إلى أن كتابه، يهتم بالوجود الإسلامي بغض النظر عما إذا كانت المجموعة الإسلامية موجودة في بلد إسلامي أو غيره ؛ فالجماعات المسلمة ، كبيرة كانت أم صغيرة، تُمثل مادة الدراسة على الرغم من التفاوت الموجود بينها على مستويات عدة.

ويؤكد «انسول» أنه من غير الملائم، دراسة الآثار الإسلامية على أساس وجود مركز جغرافي تتبعة مجموعة من الفروع، لان مثل هذا التقسيم لايخدم غرض هذه الدراسة. كما أنه بيّن عدم ملاءمة تخصيص أنواع محددة من البقايا الآثارية لتسليط الضوء عليها نظراً لأن مثل هذه البقايا تتفاوت نوعاً وكماً باختلاف الزمان والمكان؛ مما يدل في الوقت ذاته على تجدد الإسلام، دون الإخلال بالأسس الثابتة التي يقوم عليها.

وقد اعطى المؤلف نبذة عن نشأة الإسلام وسرعة انتشاره، وكذا مصادر التشريع الإسلامي والأركان الخمسة؛ إضافة إلى إشارته إلى المذاهب الفقهية الأساسية، والأخرى المشوبة بالكثير من المخالفات والتجاوزات.

ولعل مما يؤخذ على المؤلف أنه أعطى اهتماماً زائداً عن المتوقع إلى جماعة الطلبة الأفغانية (طالبان)، كما لو أنها ذات دور مؤثر على الساحة الإسلامية، أو ذات تاريخ له علاقة وثيقة بموضوع بحثه؛ ولعل ذلك راجع إلى دور الإعلام الغربي في التضخيم في هذه الجماعة، مما أثر بدورة على المؤلف .

الفصل الثاني: المسجد

يرى المؤلف ضرورة تخصيص فصل يتناول المسجد، كوحدة معمارية ذات أهمية فريدة في الدين الإسلامي، خاصة وأنّ المسجد تجسيد لأحد أركان الإسلام الخمسة، وعنصر أساسي من عناصر توحيد الأمة المسلمة. ويشير المؤلف إلى أن التعرف الآثاري على المسجد، والمنهج المناسب لعمل ذلك، لايبدو أنهما قد أُعطيا حقهما من قبل المتخصصين. ورغبة في إثراء هذا الجانب المهم، فقد حرص الباحث على عدم الخوض في مراحل تطور المسجد، أو وضع تصنيف لأنواعه، خاصة أن هذين العنصرين سبق ولقيا حماساً كبيراً من المتخصصين بل يرى ضرورة إلقاء الضوء على كيفية ترجمة المسلم لأركان الإسلام في حياته ، كالصلاة ،إلى أثر مادي محسوس من الناحية النظرية، والتبعات المترتبة على ذلك بالنسبة للآثاري .

وقد استخدم المؤلف منهجاً يتكون من شقين: الأول يُعنى بما أسماه «المبادئ الأساسية» (Structuring Principles)، والثاني يهتم بالتنوع الثقافي (Cultural Diversity). ومن الأمثلة على المبادئ الأساسية، التي تحكم بناء المسجد في الإسلام أن يكون أتجاه الصلاة داخل المبنى نحو الكعبة، (وليس، نحو الحجر الأسود كما ذكر المؤلف) وبذا يتمكن الآثاري مبدئياً من معرفة إن كان مبنىً ما يمثل مسجداً أم لا، من خلال تحقيق اتجاه القبلة الصحيح.

ولعل المؤلف عندما أشار إلى موضوع تحوّل القبلة، من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، فاته التنوية على أن بعض المساجد المبكرة قد تكون قبلتها لم تحوّل نحو المسجد الحرام لسبب أو لآخر. ومن ضمن العناصر المميزة لبناء المسجد، إضافة إلى ما ذكر، وجود المحراب، الذي يُحدد من خلاله اتجاه القبلة، وكذلك المنبر، الذي هو علامة مميزة للمساجد الجامعة وأيضاً المنارة، التي كانت تستخدم إلى وقت قريب لرفع الأذان للصلاة، من أعلى جزء فيها .

ومن مميزات المسجد أيضاً وجود صحن المسجد (أو باحته) الذي تتوفر فيه - عادة - أماكن للوضوء، إضافة إلى عناصر أخرى، قد لاتوجد بدرجة متساوية في المساجد المختلفة، مثل مقصورة للحاكم أو الإمام، وقسم للنساء، والدكة التي يعتليها المؤذن للنداء بالأذان ، وهي لم تعد موجودة في الوقت الحاضر .

وأما الشق الثاني من منهج الدراسة المرتبط بالتنوع الثقافي أو الحضاري، فيمكن الاستشهاد عليه بالتقاليد المحلية العديدة التي يبنى بها المسجد حيث قسمها كريشمان وخان (١٩٩٤:١٣) إلى خمسة تقسيمات رئيسة وسبعة طرز أقليمية، تندرج ضمنها العديد من التفريعات حسب المواد المستخدمة في البناء والزخرفة والتصميم العام. ومما ينبغي أخذه في الاعتبار وجود مساجد تصلى فيها كافة الفروض، وأخرى لصلاة العيدين وغيرها. وفي هذا المبحث، يناقش المؤلف قضية التعرف على المسجد في المحتوى الآثاري، ودور الآثار في تعميق فهمنا ومعرفتنا بالمسجد خاصة، والمجتمع الإسلامي عامة.

وفي هذا الصدد، يشير المؤلف إلى عدد من الأمور، التي ينبغي أخذها في الاعتبار، وأهمها دقة تحديد اتجاه القبلة، الذي يمثل عنصراً مهماً في معرفة المسجد، حتى ان كان للبناء استخدام سابق، كأن يكون كنيسة مثلاً، وبحيث تُجرى التعديلات اللازمة ليتواءم البناء مع الاستخدام الجديد .

وفي بعض الحالات، فان عدداً قليلاً من المساجد قد حولت إلى كنائس كما هو الحال في المسجد الكبير بقرطبة، الذي حول إلى كنيسة . وقد نبه المؤلف إلى أن الآثاري يتعامل مع متغيرات حضارية، كما في الامثلة السابقة، مما يستدعي أخذ ذلك في الاعتبار عند دراسة البقايا الآثارية الإسلامية. ولا يقتصر الأمر على الكنائس بل يتعدى ذلك إلى المعابد البوذية والهندوسية في القارة الهندية ومنطقة جنوب شرقي آسيا .

ولعل دور المسجد يتجاوز الأهمية الدينية للآثاري، حيث أن له دوراً اجتماعياً وسياسياً ويمكن الاستدلال على مدى توسع القرى والمدن جغرافياً، بل ويتعدى ذلك إلى المناطق الريفية وتلك التي يقطنها البدو. ونظراً لأهمية المسجد فلا يتوقع وجود مخلفات أو بقايا معيشية، أو صناعية داخل بنائه، بل ربما يمكن العثور على العديد من مميزاته الرئيسة كما وجد في المسجد الجامع بسيراف في إيران .

لذا يصبح من الضروري الاستعانة بكل مايمكن أن يسهم في التعرف على المسجد آثارياً، مما يتطلب استخدام منهج تعددي يُمكن الاستفادة منه في تطوير تخصص الآثار الإسلامية، خاصة مجالات الدراسات العرقية والتاريخية والأنثروبولوجية.

وقد اشار المؤلف إلى ان الباحث لاينبغي فقط أن يكتفي بتمييز المسجد كوحدة معمارية عن غيره من المنشآت، بل من الضروري أن يطرح بعض التساؤلات حول من استخدم المسجد؟ وأسباب بنائه في ذلك المكان، وهل يمكن التعرف على مذهب بعينه، حسبما دلت بعض الدراسات الحديثة؟ ومن النقاط المهمة في دراسة المسجد آثارياً، مدى إمكانية التعرف على المساجد المؤقته أو ذات البناء البسيط، التي على الرغم من بساطتها، فإنها تمثل نسبة غير قليلة من المساجد في العالم الإسلامي، خاصة لدى البادية و الأرياف و مناطق الغابات وهي غالباً ما تكون بسيطة في شكلها ومواد بنائها، ولا يتوقع لها البقاء طويلاً.

كما أن السّجاد المنسوج الذي يصنع بأحجام مختلفة، يُعد مصدراً مهماً للمعلومات، كما في الحالة الفريدة التي وجدت في أحد المساجد التركية، حيث كوّن السجاد الذي فرشت به أرضية المسجد في فترات مختلفة، تتابعاً طبقياً يمكن من خلاله معرفة مراحل تطور السجاد التركي عبر العصور.

وقد ختم المؤلف هذا الفصل باستعراض عدد من الأمثلة لمساجد داخل العالم الإسلامي وخارجه، يمكن أن يستشف منها دور المسجد في إثبات الهوية الدينية للمسلم. وقد شملت هذه الأمثلة مسجد الصخرة بفلسطين، ومساجد جماعات «الهُوي» (Hui) في الصين ومسجد مدينة كمبردج في بريطانيا. ففي المثال الأول (مسجد قبة الصخرة) خلط المؤلف خلطاً فادحاً بين المسجد الأقصى، الذي عُرج بالنبي عليه أفضل الصلاة والتسليم منه إلى السماء، ومسجد قبة الصخرة الذي ربما لفت المؤلف عمرانه المتميز ومساحته الواسعة؛ وقد أوردت الآية القرآنية الكريمة هذا الحدث بصورة لا لبس

فيها، في قوله تعالى : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هوالسميع البصير) سورة الإسراء الآيه(١). وقد أراد المؤلف من هذا المثال إبراز مدى أهمية المسجد وما حوله بالإسلام من ناحية، وكل من النصرانية و اليهودية لأنه بُني على طبقات يزعم أنها تنتمي لكلا الديانتين المذكورتين. وقد أشار المؤلف إلى رأي كيسلر(١٩٧٠: ١٢) حول المعاني العميقة، التي يمكن استنباطها من بناء مسجد قبة الصخرة بهذه الصفة وأحتوائه على الكثير من العناصر الزخرفية والفنية لأجل التفوق الرمزي على عناصر الجذب الفنية، التي احتوتها الكنائس في ذلك الوقت.

وقد اختار المؤلف مساجد جماعات «الهُوي» بالصين، وهم جماعات مسلمة غالبيتهم من الجزيرة العربية وإيران استقرت في الصين منذ القرن التاسع الهجري، لإبراز بقاء «المبادئ الأساسية» للإسلام، المتمثلة في وجود المسجد مع الأخذ في الاعتبار «التنوع الثقافي»، حيث غلبت الصبغة المحلية على الجوانب المعمارية والفنية للمسجد بحيث تصعب ملاحظة أي اختلاف عن العمارة الصينية المحلية. في هذا المقام أختلف تماماً مع الفكرة التي أوردها المؤلف بأن تناغم المظهر الخارجي للمسجد مع البيئة المحلية وتميز داخله ببيئة إسلامية صرفة يُعد نوعاً من الأزدواجية في المعيشة؛ بل على العكس تماماً، فأن ذلك يبين مدى ملاءمة الدين الأسلامي لأية بيئة أو مجموعة بشرية، وهو عامل أساسي لانتشاره السريع في كافة انحاء العالم وعلى جميع المستويات الثقافية.

أما المثال الأخير، الذي أورده الباحث، فهو مسجد مدينة كمبردج ببريطانيا، الذي يعد حديثاً مقارناً بالأمثلة السابقة، حيث يستعرض المؤلف المراحل التي مر بها المسجد منذ بداية ظهوره كغرفة ثم انتقاله إلى منزل صغير واخيراً استقراره في مبنى قاعة كبيرة. وغالبية رواد المسجد هم من الجاليات الآسيويه والعربية، التي استقرت في بريطانيا إضافة إلى جالية بريطانية مسلمة قليلة العدد. ولعل الهدف من إيراد هذا المثال، هو استعراض مدى تمكن الآثاري من التعرف على طبيعة استخدام مثل هذا النوع من المباني، مع غياب الدلائل المادية على كيفية استخدامه مستقبلاً.

الفصل الثالث : البيئة المنزلية

إن الهدف من إفراد فصل لهذا الموضوع، يتمثل في دور البيئة المنزلية في إعطاء معلومات مهمة عن المجتمع، تفوق في قيمتها تلك المرتبطة بتصميم المنزل وجوانبه المعمارية والفنية، مثل المُثل والتنظيمات الإجتماعية. ولعل من الاسئلة المهمة التي يثيرها المؤلف في هذا الفصل هو : ما مدى إمكانية التعرف على منزل ما بصفته «منزلاً إسلامياً» ؟ وقد أظهرت الدراسة على الرغم من وجود تنوع ثقافي في كافة المناطق التي يقطنها المسلمون وجود نمط إسلامي قائم على أسس رئيسة في عمارة المنزل، من خلال الدراسة الآثارية. وقد نوه المؤلف بدأب العديد من الباحثين، على دراسة المباني الكبيرة والمعالم الرئيسة على حساب المباني الأكثر بساطة في هيئتها ومحتواها، مما يعطي في النهاية انطباعاً مغلوطاً عن طبيعة المجتمع الإسلامي القديم. وقد عدّ المؤلف منزل الرسول عليه الصلاة والسلام بمثابة النموذج المثالي للبيت الإسلامي. وقد قُسّم البيت الإسلامي إلى قسمين، باعتبار القسم الأول قسماً خاصاً للأسرة، بينما القسم الآخر يخص الرجال بما في ذلك غرف الاستقبال. وقد لاحظ المؤلف أن عمارة المنزل الإسلامي، غالباً ما تخضع لعدد من المؤثرات الإجتماعية والإقتصادية و البيئية والثقافية.

ونظراً لاختلاف البيئة الجغرافية، التي يعيش فيها المسلمون عموماً، فانه من الصعب أحياناً، تمييز ما إذا كان منزل ما قد سكن من قبل عائلة مسلمة، نظرا لأن مخطط المبنى إذا ما أُظهر آثارياً، قد لايوحي بخلفية ساكنيه، خاصة إذا كان المنزل موجوداً في بلد غير إسلامي؛ ومن هنا تأتي أهمية الإستفادة من الدلائل

الدينية والثقافية والإجتماعية الأخرى الموجودة بالموقع مثل النقوش والأثاث وغيرها .

ومن حيث التعرف على شكل المنزل وتقسيمه آثارياً فان هناك محوران ينبغي أخذهما في الاعتبار وهما: المحور الأفقي، الذي توجد فيه غالبية المستويات (الطبقات) الآثارية، وقد أظهرت التقنيات الآثارية وجود حيزين خاص وعام وفناء مفتوح داخل تلك المنازل كما في سيراف بإيران وسطيف بالجزائر، وكذلك القصور الصحراوية الأموية بالإردن وسوريا التي تمثل مجموعة من البيوت المتلاصقة ببعضها. وأما المحور الرأسي، فأن أفضل الأمثلة المعروفة على بناء المنازل إلى عدة طوابق، ما وجد في مدينة صنعاء والهضاب الجبلية في منطقة وسط اليمن، التي تعطي تصوراً آخر لكيفية توزيع الحيزين الخاص والعام داخل المنزل .

كما يرى المؤلف أن الحيزين الخاص والعام لدى المسلمين، الذين يقيمون في أماكن مؤقتة أوغير دائمة، كالبدو والرعاة، قد لايختلف مبدأه عن أولئك المقيمين في المباني الدائمة في المدن والقرى. ولعل من أبرز الأمثلة على تلك الأماكن الخيام والبيوت المبنية من القصب والأعشاب وسعف النخل، التي يساعد وجود أدوات ومواد منزلية أخرى فيها، على فهم كيفية استخدام المكان في الماضي .

كما يتناول المؤلف علاقة المنزل بكل من الأسرة والمجتمع، من حيث اتجاه المنزل وتصميمه، والاهتمام الملحوظ بغرفة وتلوين الحيز العام للمنزل، كغرف الاستقبال والمداخل وغيرها. وكما هو الحال بالنسبة للدراسات الأثرية عموماً، فان المؤلف يشير إلى أهمية التعرف على التقسيم المكاني داخل المنزل للرجل و المرأة، وكيفية الوصول إلى ذلك آثارياً بغرض معرفة نمط العلاقات الإجتماعية بين أفراد المجتمع من خلال عرض مثالين أحدهما منزل جماعات البربر بالجزائر، و الآخر منزل «سواحيلي» من كينيا. ويختم هذا الفصل، الحديث عن الحدود والتقسيمات داخل المنزل معمارياً وزخرفياً، كالجدران والمداخل والكتابات الجدارية. ولعل المؤلف في هذا الفصل، قد فاتته الإشارة إلى موضوع تعدد الزوجات كجزء من التركيبة الاجتماعية لدى المسلمين ومدى التعرف على ذلك آثارياً من خلال تمييز أنماط مختلفة لبناء المنزل عن تلك الأكثر شيوعاً .

الفصل الرابع : حياة المسلم

يستعرض هذا الفصل، مدى قدرة الآثاري في استنطاق الأدلة المادية الحقلية، لإعطاء فهم أعمق لنمط حياة المسلم، خاصة أن الدين الاسلامي وضع الأسس والقواعد التي ينبغي على المسلم اتباعها في ملبسه ومشربه ومأكله وغير ذلك. وقد أشار المؤلف فيما يتعلق بالطعام إلى عدم وجود ما يمكن تسميته طبقاً اسلامياً، ولكن هناك نظام غذائي إسلامي يبيّن نوع الطعام والشراب المسموح بهما وتلك المحرمة؛ ومن هنا، يمكن للآثاري أن يشهد من خلال البقايا العضوية في المواقع، أو الطبقات الآثارية الإسلامية، على نوع الحيوانات المستخدمة آنذاك. وقد دلت دراسات لطبقات آثارية إسلامية في الأردن على ندرة وجود عظام حيوان خنزير في تلك الطبقات، وما وجد فهو دلالة على التسامح الإسلامي. نحو الأقليات غير المسلمة. وبالمقابل، فان وجود عظام جمال في الطبقات الآثارية، أصبح بمثابة علامة مميزة للفترات الأسلامية، من ناحية، وللمسلمين المقيمين في مناطق تسكنها جماعات غير مسلمة من ناحية أخرى، كما في أثيوبيا وهنغاريا وإسبانيا، على أساس أن أكل لحم الجمال هو نمط غذائي يخص المسلمين أنفسهم.

ومن الجوانب المهمة في حياة المسلم، والتي ينبغي على الآثاري البحث عن دلالاتها، تلك المتعلقة بالتعليم والصحة. ولعل أول ما نزل على رسول الله (صلى الله علية وسلم) من الوحي كان يخص القراءة مما يؤكد التقدم الحضاري للمسلمين واهتمامهم بالتعليم ومن أهم الأدلة الآثارية فيما يخص التعليم، تلك المرتبطة ببناء المدارس وتحفيظ القرآن الكريم وبناء المساجد الجامعية، كالأزهر وجامع القيروان بتونس وغيرها. وآثارياً، يمكن

العثور على ألواح الكتابة والقراءة، التي تدل على استخدامات المبنى، ولعل مما ساعد على انتشار دور العلم والمستشفيات والمراكز الصحية في العصور الإسلامية المختلفة، وَوقْفُ المباني وعمارتها من قبل الحكام والوزراء وتجار المسلمين وأغنيائهم، سعياً في طلب المثوبة من الله. كما تناول المؤلف أهمية السفر والترحال لدى المسلمين، خاصة لغرض الحج والعمرة وهما يمثلان ركناً اساسياً من أركان الإسلام. ولعل طرق الحج البرية خاصة، والبحرية عموماً، تزخر بالآلاف من الدلائل الآثارية المتمثلة في أعلام الطرق والخانات والنقوش والبرك و الآبار والمسارات المرصوفة الممهدة، والتي تمثل شبكة متكاملة مركزها في مكة المكرمة والمدينة المنورة. كما أن هذه الشبكة البرية من الطرق لاتقتصر على الجزيرة العربية فحسب، بل وجدت دلائلها في أجزاء عدة من أسيا وأفريقيا. ولعل السفر لم يكن يقتصر على أداء الحج والعمرة، إذ وجدت دلائل آثارية على ريادة المسلمين في مجال التجارة. ومن الأمثلة على ذلك دراسة الطريق التجاري في منطقة سيستان بإيران، الذي يصل عدداً من الموانئ على الخليج العربي، مروراً بأفغانستان والهند والباكستان؛ والذي وجدت شواهده باقية، مثل أبراج المراقبة، وأعلام الطرق والقلاع و القرى وغيرها مما يمكّن الآثاري من إعطاء صورة واضحة لحياة المسلم في العصور الإسلامية المختلفة .

وعلى صعيد الممتلكات الشخصية واللباس، فانه يمكن الاستفادة من وجودها آثارياً في التدليل على الهوية و الانتماء الاجتماعي، وعلى الرغم من أنه لاتوجد معالم محددة، يمكن تعميمها على كافة شعوب العالم الإسلامي كتغطية المرأة للوجه واستخدام الأختام والمسبحة. وقد وجد ختم في موقع «شانجا» على الساحل الكيني يحمل كتابة عربية ، ووجدت العديد من الممتلكات الشخصية في القلعة العثمانية بقصر ابريم في النوبة المصرية، التي اثبتت دراستها أنها ممتلكات تخص مسلمين. كما أن للباس دوراً كبيراً في إبراز المركز الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والديني ، ومع انتشار الإسلام انتشرت الملابس ذات الطابع الإسلامي. ومثال على ذلك تقليد النساء النصرانيات في منطقة البلقان للنساء المسلمات بلبس الحجاب والزي التركي السائد آنذاك.

ويورد المؤلف أيضاً موضوع السحر والشعوذة وما يترتب على ذلك من استخدام بعض المسلمين للأحجبة والأوراق المكتوبة والقلائد، التي تحمل الآيات القرآنية وغيرها ، مما يمكّن الآثاري من معرفة مدى انتشار هذه الظاهرة في المجتمع الإسلامي، والوقوف على أسبابها.

ويتناول المؤلف الجانب المتعلق بالحرب، وكيف أن المسلمين يقسّمون البلاد إلى دار حرب ودار إسلام، وكيف أن الجهاد ، والذي شوهه الغرب بانطباعات خاطئة (ص ١٢٨)، هو النوع الوحيد من الحرب، الذي أقرته الشريعة الإسلامية. وهنا يأتي دور المتخصص، حسب رأي المؤلف في التمييز بين حرب الجهاد وغيرها من الحروب، وكذلك نوع المواد والتجهيزات المرتبطة بمثل هذا الجانب الحربي، مثل الأربطة التي وجدت أمثلة عديدة منها على شواطئ شمال أفريقيا. وشدد المؤلف في هذا الفصل على ضرورة الاهتمام بكافة البقايا الآثارية، بغض النظر عن حجمها أو نوعها لأنها في نهاية المطاف ستسهم في إعطاء صورة واضحة عن المجتمع الإسلامي بأدق التفاصيل الممكنة. على الرغم من إشارة المؤلف إلى الصراعات الحديثة التي انتشرت في مناطق إسلامية «حدودية» كما في منطقة البلقان وبلاد الشيشان إلا أنه فاته أن يبين دور هذه الصرعات في تقليص رقعة العالم الإسلامي من ناحية، وقدرة المتخصص على الفهم واستنباط العوامل المؤدية إلى ذلك آثارياً من ناحية أخرى.

الفصل الخامس : الفن والتجارة والفكر

يتناول المؤلف هذه الموضوعات الثلاثة في فصل واحد، بحكم أن ثمة علاقة قوية بينها حيث يُمثل الفكر والفن مظهرين من مظاهر الحضارة الإسلامية التي ساهمت التجارة في انتقالهما إلى أصقاع العالم الإسلامي وخارجه. وقد أشار المؤلف إلى أن مايعرف بالفن

الإسلامي، أو بالأصح فنون المسلمين، كان محل اهتمام الكثير من المتخصصين؛ ومما يؤسف له أن غالبية هذه الدراسات تركز عادة على التحف والمشغولات الثمينة والمتميزة، على حساب المنتوجات الفنية الأخرى الأكثر بساطة . ولعل من أبرز ما يميز فنون المسلمين، مع تجاوز عن القاعدة في فترات حضارية متعددة، غياب تصوير الكائنات الحية، وكثافة استخدام الخط العربي واستخدام الأشكال الهندسية بصورة كبيرة؛ وهنا يمكن الاستفادة من معرفة هذه المعايير الأساسية، للتعرف على فنون المسلمين في محتواها الآثاري .

ولعل الأمثلة على المعايير الثلاثة المذكورة سابقا، هي أكثر من أن يشار إليها في عرض هذا الكتاب. ومن ناحية ثانية، أوضح المؤلف الدور الكبير للتجارة في نقل المعتقدات و الأفكار الإسلامية، إلى مناطق شتى من العالم، وحمّل المتخصصين مسؤولية القصور في بحث الصلة بين التجارة وانتشار الإسلام بشكل أوفى.

وقد كان للعملة دور كبير في إبراز الهوية الإسلامية، خاصة في المناطق التي انتشر فيها الإسلام في بداياته، وبذا يمكن الإستعانة بها آثارياً لحصر مناطق انتشار الإسلام والمسلمين، والمناطق التي لها علاقات تجارية متبادلة مع العالم الإسلامي .

ثم تناول المؤلف طرق التجارة التي غطت غالبية أنحاء العالم، وشملت مناطق اسكندنافيا، وهي تدل على علاقات تجارية متبادلة مع شعوب «الفايكنج»، وكذلك روسيا ومنطقة بحر البلطيق وغرب القارة الافريقية براً. فيما كان للملاحة البحرية الإسلامية في المحيط الهندي دور كبير في انتشار الدين الإسلامي وتوطيد العلاقات التجارية المتبادلة مع مناطق شرق وجنوب شرقي آسيا.

وقد أسهمت التجارة أيضاً في نقل فكر المسلمين وعلومهم وتقنياتهم العملية والصناعية، إضافة إلى المنتجات والبضائع التي كانت تباع مثل السراميك والمعادن والنسيج .

الفصل السادس : الموت والمدفن

يمثل المدفن عنصراً آخر يمكن التعرف من خلاله آثارياً على وجود المسلمين في منطقة ما، ومن ثم انتشار الإسلام فيها. ويشير المؤلف هنا إلى ضرورة تحليل وتفسير مدافن المسلمين، وليس فقط تصنيفها حسب شكلها الخارجي المعماري؛ ذلك أن انتشار الإسلام في مناطق بعيدة جغرافياً عن مهد الرسالة الإسلامية، وربما وجود معتقدات سابقة فضلاً عن التميز الإجتماعي قد ساهم كل ذلك بشكل كبير في ظهور أنماط عديدة لهده المدافن .

وفي هذا الصدد، ذكر الكاتب أن الميت يدفن في حفرة ليست عميقة ليتمكن من سماع الأذان، وهذا اعتقاد لا أساس له، على حد علمي، لأن علاقة الميت بالحياة الدنيا قد إنتهت، وليس لهذا الرأي ما يبرره إطلاقاً.

ويشير المؤلف أيضاً إلى أنه مع حساسية قضية كشف مدافن المسلمين، فليس هناك الكثير مما يمكن التعرف إليه سوى أن الميت مسلم، وأن دفنه جرى بناءً على أسس وقواعد متبعة عادة. وكذلك يشير الباحث إلى ضرورة فهم كيفية تنظيم المقبرة ذاتها، والعوامل التي أدت لاختيار موقعها وتقسيماتها الداخلية.

كما أن المدافن، وأن كانت ذات عمارة قائمة وملفتة للنظر، فليست بالضرورة دلالة على مكانة المتوفى اجتماعياً. ويستشهد الباحث على المساواة التامة في المدفن بالمملكة العربية السعودية، بغض النظر عن المركز الإجتماعي أو الإقتصادي أو السياسي للمتوفى. ويبين المؤلف أن المدافن قد تكون نقطة إلتقاء تجمع، يكون الميت شخصاً صالحا أو ما شابه، بحيث يلتف الناس حول قبره طلباً لأمور دنيوية أو أخروية، مما يترتب على ذلك إعتبارات يمكن توثيقها آثارياً.

تُعد شواهد القبور من أبرز البقايا الآثارية المرتبطة بمدافن المسلمين، بما توحيه من عبارات مكتوبة ورموز وزخارف منقوشة، مما يمكن الباحث من فهم أفضل لمكانة الميت وأهميته. ومن الأمثلة على ذلك شاهد قبر صيني نُقش عليه باللغتين العربية والصينية

يعود إلى القرن العاشر أو الحادي عشر الهجري. ويختم الباحث هذا الفصل بأنه على الرغم من التنوع الكبير في مدافن المسلمين إلا أن هناك عناصر رئيسة يمكن الاستفادة منها في التعرف الآثاري على هذه المدافن، حتى وان كانت في لندن أو واشنطن !

الفصل السابع : بيئة المجموعة

يتناول الباحث في هذا الفصل أنماط الاستيطان للمسلمين، التي تتفاوت في حجمها من مدن وقرى وغيرها، والعوامل البيئية والاقتصادية التي أسهمت في تحديد موقعها.

ومما يلاحظ التركيز الواضح على دراسة المدن الإسلامية، على حساب القرى والهجر والمخيمات المؤقتة، وكذا إعطاء انطباع خاطئ عن المدينة الإسلامية ساهمت الدراسات الاستشراقية في تصويره. وتفتقد العديد من الدراسات إلى إعطاء صورة متكاملة للمدينة الإسلامية اضافة إلى المنطقة المحيطة بها، وكذا دراسة المدينة الإسلامية على مستوى المنطقة التي تقع فيها. ويرى الباحث أن ليس هناك مواصفات محددة يمكن تعريف المدينة الإسلامية بها، ولكن يمكن التعرف على المدينة الإسلامية من خلال عدد من العناصر المشتركة، والتي لايشترط توفرها بالكامل، مثل وجود سور حول المدينة.

ويمكن للمتخصص التعرف على الجوانب الاجتماعية في المدينة الإسلامية، من ناحية، وكذا المراكز السياسية والدينية، من ناحية ثانية، والعوامل التي أدت إلى تصميم المدينة على الهيئة التي وجدت عليها. كما أنه من الضروري دراسة نمط استيطان البادية في العصور الإسلامية المختلفة، وعدم إهمالها بحكم بساطتها وقلة ما يمكن العثور علية فيها؛ ومن الأمثلة ذات العلاقة موقع الرشا بالأردن، وقصر الحير الشرقي بسوريا.

كما ينوه المؤلف على أهمية الإطار الجغرافي، والعلاقة بين مكان الإقامة، بغض النظر عن حجمه، والأماكن الأخرى المحيطة به، سواءً لدى البدو أو الحضر، نظراً لأن هناك علاقة مشتركة ومتبادلة بينهما يمكن من خلالها فهم نمط هذه العلاقة وعناصر بقائها. كما أن مصادر المياه لها دور كبير في تحديد موقع الاستيطان الجغرافي، والتقنيات المطلوبة للحصول عليه، مما أسهم في براعة المسلمين في تقنيات استخراج المياه، و الاستفادة منها على أفضل وجه.

الفصل الثامن : آثار الإسلام

لعل من أبرز النتائج التي تم التوصل إليها في هذا الكتاب، إثبات إمكانية التعرف على أنماط عديدة من البقايا الآثارية التي تعود إلى فترات زمنية ومناطق جغرافية مختلفة، ويمكن تعريفها بأنها إسلامية. وتتفاوت البقايا الآثارية في حجمها ونوعها، من مدن في تخطيطها تبعاً لمواصفات محددة، إلى أختام صغيرة الحجم.

ولعل القارئ يأخذ في الاعتبار أن ما تم عرضه في فصول الكتاب، يمثل تصوراً مثالياً لما يمكن أن تكون عليه البقايا الآثارية الإسلامية في مواقعها الأصلية؛ كما أنه قد توجد حالات لا تتطابق مع الأسس والقواعد المنظمة لحياة المجتمع الإسلامي،مثل بناء القباب على المدافن ووضع بعض الأمتعة الدنيوية مع الميت، وتعاطي المحرمات وغير ذلك؛ خاصة أن الدراسات الآثارية والمقارنة أثبتت وجود تنوع واضح في البقايا الآثارية الإسلامية، في أنحاء متعددة من العالم، تبعاً للظروف و المتغيرات التي تعيشها المناطق. ويذكر المؤلف أن الإطار الجغرافي لمناطق انتشار الإسلام في الحاضر و الماضي هو أمر يصعب استعراضه في هذا الكتاب، مما تطلب الانتقائية في عرض حالات دراسية تتماشى مع أهداف الكتاب من ناحية وتتيح المجال لتغطية عدد أكبر من الموضوعات من ناحيه أخرى.

وقد أظهرت هذه الدراسة، التأثير الواضح للدين الإسلامي على كافة نواحي الحياة للمجتمعات المسلمة، مما يجعل دراسة آثار الإسلام عبارة عن منظومة

متكاملة. وعلى الرغم من ذلك، فان هناك قصوراً ملحوظاً من جانب مؤرخي الفترة الإسلامية يتمثل في تجاهل الدراسات والبحوث التي يجريها متخصصو الآثار الإسلامية.

ولعلي هنا أوافق المؤلف على رأيه في الإغفال الواضح أيضاً، من بعض المؤرخين الإسلاميين والعرب، الذين لايرون في والنتائج المادية الملموسة، التي تظهرها الدراسات الآثارية أهمية كبيرة، حتى وان تمخض البحث في الكشف عن مدينة إسلامية أو مجموعة من النقوش الإسلامية أو غير ذلك، مما يثري الدراسات التاريخية ويجعلها مدعمة بالأدلة المادية المحسوسة.

ومن ناحية ثانية، فانه على الرغم من الوعي بأهمية الدراسات النظرية في مجال الآثار الإسلامية فانه لاتزال هناك إمكانية لتقديم المزيد، خاصة في إبراز دور الفرد في المجتمع الإسلامي؛ وكذلك تمهيد الطريق لدراسة نشأة الإسلام وبداياته الأولى.

كما أشار الباحث إلى الدور الذي يمكن لعالم الآثار القيام به، للتحقق من الأحداث التاريخية التي أوردها القرآن، بوصفه مرجعاً للأحداث الواردة فيه. ولعلي أعقب هنا، بأن الباحث قد غاب عنه، وذلك راجع حتماً لخلفيته الثقافية، أن القرآن هو مصدر تشريع في المقام الأول وليس سجلاً وثائقياً لأحداث الماضي. وهكذا، فإن ما يرد فية من أحداث وأشارات لأقوام ممن سبقونا، الهدف منه، في المقام الأول، العبرة والعظة؛ حيث يقول الله سبحانه وتعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) الآية.

ولعلي أيضا أبين أن العديد من المستشرقين، بكافة خلفياتهم الدينية، قد درسوا القرآن خاصة بصورة مكثفة، ليس لها مثيل، لأجل التحقق من مصداقيته من ناحية وبهدف التشكيك فيه كوحي منزل من عند الله على النبي علية أفضل الصلاة والسلام، من ناحيه أخرى.

ولعل هذا الطرح يجعلنا نسلّط الضوء على جانب آخر هو أكثر أهمية وارتباطاً، ويتمثل في استقراء الأحداث التاريخية، والبحث عن العوامل التي تسببت في فناء بعض الأقوام واندثار حضارتهم لمعصيتهم ربهم والتخلي عن شريعتهم.

ويختم المؤلف كتابه بالتشديد على أن الآثار الإسلامية، تتجاوز في أهميتها ودورها المجتمعات الإسلامية بل تعد آثاراً تخص كل الناس ولذا فانها تستحق المزيد من الدراسة والاهتمام.

تقويم وتصويب :

حاولت جاهداً أن أعرض هذا الكتاب بشيء من التفصيل حتى لا يشعر القارئ أن هناك الكثير مما يُجهل حول كتاب «آثار الإسلام»، الذي بذل فيه المؤلف جهداً كبيراً مستعيناً بالدراسات الميدانية التي أجراها، وخاصة في القارة الإفريقية؛ وهكذا فإنني سأطرح عدداً من الملاحظات حول بعض النقاط التي مررت بها عند قراءتي لهذا الكتاب .

إن مما يحمد للباحث اختياره لبعض الآيات القرآنية، في مقدمة كل فصل من فصول الكتاب، مع ذكر السورة ورقم الآية؛ على الرغم من أنه أخطأ في اسم السورة التي نقلت منها بعض الآيات في مطلع الفصل الثامن، حيث أن الآيه من سورة الروم وليس اليونان والتي لا تسمى بها أية سورة من سور القرآن الكريم .

ولأن الكتاب أُلّف باللغة الإنجليزية فقد كان أيضاً موجهاً للقارئ والدارس والباحث الغربي، ولعل عدم إلمام الباحث بالمراجع العربية، والناتج من عدم إلمامه باللغة العربية، قد أدى إلى إعطاء صورة منقوصة بعض الشيء حول بعض الموضوعات المطروحة في كتابه. ولعل الوضع العام لدراسة الآثار الإسلامية في العالم العربي قد لا يختلف البته عما ذكره المؤلف في هذا الكتاب. ذلك أن المتمعن في غالبية هذه الدراسات يجد تركيزها شبه التام على المنهج الوصفي، الذي ان استخدم معه منهج المقارنة فانه غالباً ما يكون في جوانب ضيقة، وذات عائد علمي محدود.ولعلي أضيف إلى ذلك، غياب الدراسات النظرية التي تسهم في تقويم المسار، الذي تسير عليه الدراسات الآثارية الإسلامية، التي يغلب عليها منهج السرد التاريخي من اعتماده على نتائج الدراسات

الآثارية، مع غياب واضح في التحليل و المقارنة، والاستفادة من التخصصات الأخرى ذات العلاقة.

كما أن بعض الدراسات الآثارية الإسلامية تكون عادة مليئة بالحشو الفائض عن الحاجة فتجد بعض الباحثين يملأ عشرات الصفحات بمقدمات وخلفيات تاريخية وجغرافية حفظها زملاؤه المتخصصين عن ظهر قلب، ناهيك عن عشرات الصور والمراجع التي تُرصد في نهاية كل بحث أو كتاب دون أن يخرج القارئ بمعلومات تسهم في تقدم العلم و المعرفة.

ولعلي هنا أتفق مع المؤلف في أن جزءاً من الإشكاليات، التي يُعاني منها تخصص، الآثار الإسلامية يرجع إلى أن هذا التخصص، عادة، يُدّرس ضمن أقسام الدراسات الإستشراقية التي بطبيعتها تفتقد إلى تقديم الخبرة الآثارية النظرية والميدانية، مما ينعكس على خريجيها، عرباً كانوا أم غربيين. وعلى صعيد الملاحظات والتعليقات فان الشكل (١,٢) في (ص ١٦)، يُعد من الأشكال القيّمة، التي زُوّد بها هذا الكتاب، حيث يبين التسلسل الزمني والحضاري في أنحاء العالم الإسلامي من سنة ٦٠٠م إلى سنة ١٩٢٤؛ ولكنه يشتمل على خلل كبير يتمثل في إغفال فترة الرسول علية الصلاة والسلام وتأسيسه النواة الأولى للأمة الإسلامية في مراحلها المبكرة (تقريباً ٦١٠-٦٣٠م).

وقد لا أكون جانبت الصواب إن ذكرت أن مثل الشكل، (شكل ١,٢)، يعكس فكر التوجه الاستشراقي نحو الدراسات الإسلامية، في تهميش وإغفال وجود النبي عليه الصلاة والسلام قائداً ومؤسساً للأمة الإسلامية، وبدء التاريخ الإسلامي بفترة الخلفاء الراشدين.

كما نسب المؤلف في (ص ١١٤)، نقلاً عن نيتون (Netton 1993: x)، المقولة الشائعة «اطلبوا العلم ولو في الصين» على أنها حديث نبوي، والصحيح أنها قول مأثور، ربما عن أحد الصحابة (رضوان الله عليهم).

ومما يلاحظ على هذا الكتاب ندرة الأخطاء الطباعية، التي منها اسم شيخ الإسلام ابن تيمية وقد كُتب خطأً في صفحة ٢٣: (Ibn Taimal)، والصواب هو (Ibn Taimiah)؛ وكذلك عبارة Soviet Archaeology الواردة في صفحة ٢٣٠، والصواب هو Soudi Archaeology.

وأخيراً فان كتاب «آثارالإسلام» يُعد من الكتب الحديثة، التي يؤمل أن تسهم في تأسيس منهج آثاري راسخ لدراسة الآثار الإسلامية، وأن يكون من العناصر الداعمة لنهوض مدرسة آثارية متمكنة تشارك في وضع أسس ثابتة وراسخة لدعم هذه المرحلة الحضارية، التي تعاني العديد من آثارها من عوامل الإهمال والتدمير الطبيعي والبشري، كما أنه من الضروري أن يجتهد الآثاريون المتخصصون في مجال الآثار الإسلامية في إقامة المؤتمرات و اللقاءات التي سيكون لها دور كبير في تلاقح أفكار المتخصصين من ناحية، والرقي بالآثار الإسلامية ومناهجها النظرية والعملية من ناحية ثانية؛ دون الحاجة لتغليفها بمسميات ذات أصول غربية بحته.

كما أقترح أن يبادر المتخصصون المسلمون، والعرب خاصة، إلى إنشاء جمعية علمية متخصصة لدراسة الآثار الإسلامية، تسهم في لمّ شمل المتخصصين، وتوحيد جهودهم، في سبيل تحقيق أهدافهم العلمية و البحثية وكذا إحياء منهج النقد الذاتي الذي هو عصب كل مدرسة علمية جادة وحريصة على ما يصدر عنها من ابحاث ودراسات علمية.

د. عبدالله بن محمد الشارخ - قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص.ب ٢٤٥٦ - الرياض ١١٤٥١ المملكة العربية السعودية asharekh@ksu.edu.sa

أدوماتو
Adumatu

استمارة طلب اشتراك

الاســـم : ....

العنوان : ....

رقم الهاتـــــف : .... رقم الفاكس : ....

البريد الإلكتروني : ....

طريقة الدفع :

○ أرفق لكم شيكا بمبلغ .... ريال سعودي ، لأمر مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية – مجلة أدوماتو .

○ أرفق لكم صورة عن حوالة بنكية بمبلغ .... ريال سعودي لأمر مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية ، حساب رقم : (٠٠٠١٨١٦٣٦٥) ، البنك السعودي الأمريكي ، الفرع الرئيسي، الرياض .

○ أرجو أن ترسلوا لنا فاتورة بالمبلغ المطلوب .

○ أفوضكم بخصم قيمة الإشتراك من خلال بطاقتي الإئتمانية .

○ ماستر كارد ○ أمريكان إكسبريس ○ فيزا

رقـــــم | | | | | | | | | | | | | | | |

تاريخ الانتهاء : التوقيع : التاريخ :

الرجاء إرسال هذه الإستمارة بالبريد أو بالفاكس إلى :
مجلة أدوماتو ص.ب ١٠٠٧١ الرياض ١١٤٣٣ المملكة العربية السعودية فاكس : ٤٠٢٢٥٤٥ (١) (٩٦٦+)

أدوماتو
Adumatu

استمارة طلب اشتراك

الاســـم : ....

العنوان : ....

رقم الهاتـــــف : .... رقم الفاكس : ....

البريد الإلكتروني : ....

طريقة الدفع :

○ أرفق لكم شيكا بمبلغ .... ريال سعودي ، لأمر مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية – مجلة أدوماتو .

○ أرفق لكم صورة عن حوالة بنكية بمبلغ .... ريال سعودي لأمر مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية ، حساب رقم : (٠٠٠١٨١٦٣٦٥) ، البنك السعودي الأمريكي ، الفرع الرئيسي، الرياض .

○ أرجو أن ترسلوا لنا فاتورة بالمبلغ المطلوب .

○ أفوضكم بخصم قيمة الإشتراك من خلال بطاقتي الإئتمانية .

○ ماستر كارد ○ أمريكان إكسبريس ○ فيزا

رقـــــم | | | | | | | | | | | | | | | |

تاريخ الانتهاء : التوقيع: التاريخ :

الرجاء إرسال هذه الإستمارة بالبريد أو بالفاكس إلى :
مجلة أدوماتو ص.ب ١٠٠٧١ الرياض ١١٤٣٣ المملكة العربية السعودية فاكس : ٤٠٢٢٥٤٥ (١) (٩٦٦+)

SUBSCRIPTION ORDER FORM



Name: ____________________

Address: ____________________

____

Tel: ____________________ Fax: ____________________

E-Mail: ____________________

PAYMENT DETAILS

- ◯ I enclose a Cheque for US$ .... made payable to :
(**Abdul Rahman al-Sudairy Foundation - Adumatu Journal**).
- ◯ I enclose a Xerox copy of a Bank Transfer made to Abdul Rahman al-Sudairy Foundation, Account No. (0002809303) Saudi American Bank, Main Branch, Riyadh.
- ◯ Please invoice me.
- ◯ Charge my credit card: ◯ Master Card ◯ VISA ◯ American Express

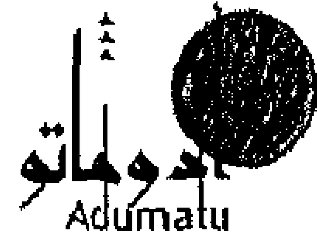
Card No. | | | | | | | | | | | | | | | |

Expiry Date: Signature: Date:

Please send this form by mail or fax to:

Adumatu Journal P.O. Box 10071, Riyadh 11433, Kingdom of Saudi Arabia, Fax: (+966) (1) 4022545

SUBSCRIPTION ORDER FORM



Name: ____________________

Address: ____________________

____

Tel: ____________________ Fax: ____________________

E-Mail: ____________________

PAYMENT DETAILS

- ◯ I enclose a Cheque for US$ .... made payable to :
(**Abdul Rahman al-Sudairy Foundation - Adumatu Journal**).
- ◯ I enclose a Xerox copy of a Bank Transfer made to Abdul Rahman al-Sudairy Foundation, Account No. (0002809303) Saudi American Bank, Main Branch, Riyadh.
- ◯ Please invoice me.
- ◯ Charge my credit card: ◯ Master Card ◯ VISA ◯ American Express

Card No. | | | | | | | | | | | | | | | |

Expiry Date: Signature: Date:

Please send this form by mail or fax to:

Adumatu Journal P.O. Box 10071, Riyadh 11433, Kingdom of Saudi Arabia, Fax: (+966) (1) 4022545

lization in the formation of early Islamic culture, an inheritance too often ignored or minimized in traditional scholarship. The author notes that the logical succession to this research should be further work on the musnad inscriptions and pre-Islamic sites in this region. The present book is a solid grounding for future investigation of the region and its antiquities.

Dr. Donald Whitcomb University of Chicago

References

Ghabban, A. I. H. 1988. "Introduction a l'etude archéologique des deux routes syrienne et égyptienne de pélérimage au nord-ouest de l'Arabie saoudite". PhD dissertation, Université de Provence.

Ghabban, A. I. H. 1993. **Northwestern Saudi Arabia: Studies in the history and archaeology.** (pt.) 1 (Ar.) Riyadh. **Islamic archaeology of northwestern Saudi Arabia, an introduction.** (pt.) 2(Ar.) Riyadh.

al-Rashid, S. A. 1980. **Darb Zubaydah: The Pilgrim road from Kufa to Mecca.** Riyad University,Riyadh.

al-Wohaibi, A. 1973. **The Northern Hijaz in the writings of the Arab geographers.** pp. 800-1150. Beirut.

al-Zaila'i, A. U. 1983. "The Southern area of the Amirate of Makkah (3rd-7th/9th-13th centuries); its history, archaeology and epigraphy." Ph. D. Dissertation, Durham University.

Zarins, J.Abd Al-Jawad Murad, Khalid S . Al-Yish, 1981. "The Second preliminary report on the southwestern province," **Atlal** 5: 9-42.

an indicator of stations, located at one stage (marhalah) from each other; regrettably not enough examples have been found to confirm this interesting hypothesis.

One next crosses an extensive lava-field, the Harrat al-Buqum, which was a difficult and dangerous section of some 85 km; within this was the rest-station of Kara', though no traces were found. The clusters of wells at Bayda (Sufan) and Awqah are found north of this harrah.

The final pass is al-Bayda near Qarn al-Manazil, the miqat for the Yemeni high-road (beyond which the author did not pursue his survey). One circular watch-tower and two inscriptions were found amidst modern disturbances. One might have wishes for a more detailed discussion of this region, especially in light of the proximity of Ukaz (al-Zaila'i 1983; al-Wohaibi 1973)).

In summation, the author examines the results in terms of literary accounts (admirably outlined in appended tables). Thus, al-Hamdani calculated this pilgrim route, which he called the Najd road, as 22 marhalah (stages, closely comparable to the 24 days noted by al-Rada'i). This was some 35 barid (postal-stages) or equivalent to 420 mil (miles, or 840 km). Along the route, some three hundred Arabic inscriptions were found, of which 45 are presented in this publication. This encompasses 100 pages, that is, one half of the descriptive text of the discoveries along this route. None of these Kufic inscriptions bear dates but are stylistically situated from the 8th to 10th centuries. This agrees with several with the names of known personages, all associated with the Yemen: No. 1: al-Dahhak b. Ismail b. Fayruz Ibn al-Daylami was one of the abna, Persian soldiers sent by Khusraw I. Fayruz was an early convert and became governor of the Yemen, that is San'a' and Junad. His son, al-Dahhak, succeeded him as governor under the Caliph Mu'awiyah and continued under Ibn al-Zubayr, a rule from 674 to 692. This inscription thus memorial-izes a pilgrimage in the later 7th century. No. 18: Rawd b. al-Hajjaj b. Mansur seems the son of the Abbasid governor of the Yemen from 768-770 and suggests his pilgrimage in the late 8th century.

No. 13: Muhammad b. Yu'fir (with his son, Ibrahim, no. 14) was the second ruler of the independent Yufirid dynasty of Yemen, based in Shibam and San'a'. This may record his pilgrimage in 876 and suggests that his son, who was made amir in this same year, may have accompanied his father on this pilgrimage.

Studies of the water-tanks, with a detailed typology, is an excellent amplification of the central exposition by al-Rashid on the facilities of the Darb Zubaydah (1980). On the other hand, the author admits that the collection of artifacts as part of this survey was unsuccessful, in both the Yemen and Saudi sections. He suggests that, in the strik-ing contrast to the abundance of artifactual evidence on the Darb Zubaydah, this may indicate a relative lack of wealth and intensity of utilization. This is no doubt accurate; one may add that the relatively poorly known ceramics of this region in early Islamic times would not be conducive to collections. It is a truism that one finds what one looks for, that most historians and historically trained archaeologists find inscriptions more readily than potsherds. The survey of al-Rashid or, perhaps more dramatically, the routes traced by Ghabban (1988, 1993) have benefited from careful examination of the ceramic inventories.

This reliance on epigraphic discoveries has not been misplaced, since al-Thenayian has clearly demonstrated the utilization of this route in the early Islamic period and likelihood that its improvements coincide with this dating. He draws attention to a fascinating corollary of this study, that this early Islamic route continues pre-Islamic commercial activities. More broadly, this pattern indicates the importance of south Arabian civi-

plex of a ghayl connected by aqueduct to a cistern and a nearby mosque (5.5 x 4.5m; hollow mihrab;with no attempt to date the structure).

The gazeteer gives places not identified for certain, most of which appear on map 4; likely associations such as (al-) Ruhubah with Azraqayn, the first station from San'a', are not always made. Thus, before Buban is the station of Khaywan, a famed pre-Islamic town which continued in Islamic time and was mentioned by most of the geographers. Apparently it was not visited by the author, unlike the Wadi al-Khaniq, where he saw no vestiges of the famed pre-Islamic dam nor structures associated with the pilgrim route. The above place-names are not always on the accompanying maps (5-12), which give toponyms not referred to in the text and cover much less that half the distance. The result is often confusing and imprecise; the clever system of symbols found in the Saudi section is not used here. One has the impression of a hurried, superficial tour, though not without its value.

By contrast, the Saudi section, starting north of Sa'dah to Makkah, seems to have been accomplished with some leisure and more facilities. The author traces the main highland route (VII, 7, on map 3), in preference to an alternate route via al-Ta'if (VII, 7a, the Sarawat route) running parallel to the west. This section is somewhat more than 3/4 of the entire route between San'a' and Makkah. The archaeological observa-tions are naturally more detailed, observing passes, paved and leveled roadways, water resources, prayer-places and associated settlements. This information is tabulated with references to the poet al-Rada'i and various geographers. Thus al-Rada'i mentions the mosque of Khalid just north of the modern border at al-Thuwaylah (15.6 x 21m). Passes take the first attention; the author contends that most were paved and had watch-towers, though destruction to both features has been extensive. Both features occur at the pass of Mihdha al-Ni'al; the next pass, al-Mandaj (al-Maslulah), has the long-est and best preserved paved section known along this route, many ruined watch-towers, and embellishments of Arabic inscriptions, graffiti and figures. The author's photographs of the pavings are most impressive and reminiscent of much-vaunted Roman road systems.

The next pass, near al-Fayd, is similarly paved with shoulder walls and a tower; to the north of this is the station and well of al-'Arja, more famed as al-Thujjah. On the southern edge of the al-Qa'ah plain are the wells of al-Hafa'ir (said to date from Abraha's advance on Makkah in 'Am al-Fil) and Kutnah (the latter village was for Hamdani the limit of Yaman and beginning of the Hijaz; it is 720 km or 15 barid from San'a'). About 40 km west of Kutnah is the ancient settlement of Jurash; the author discusses this station although it belongs to the alternate Sarawat pilgrim route, Aden—San'a'—Najran—Jurash-Ta'if. Survey and soundings in Jurash were accomplished by the Comprehensive Archaeological Survey (Zarins et al. 1981).

A second settlement was discovered by the author, Banat Harb, now known as Qaryat al-Ma'din, possibly due to the existence of gold mines (some slag and an inscription were found, fig. 9). The well of wadi Ranum is likewise associated with the 'Am al-Fil and has a number of inscriptions and tribal marks. This leads to the pass of al-Ghadir featuring two structures (check-points) and gates. North of al-Ghadir is the famed early Islamic town of Tabalah, with a smaller settlement at Bishah and two fortresses of al-Khabra. Two mosques, similar to that of Khalid, were found in the desert north of these settlements (in the wadi al-Qudayf and Shamran); both were associated with milestones and other inscriptions and near the latter was the settlement of Ray' al-Qurayha. al-Thenayian suggests that such prayer places may be used as

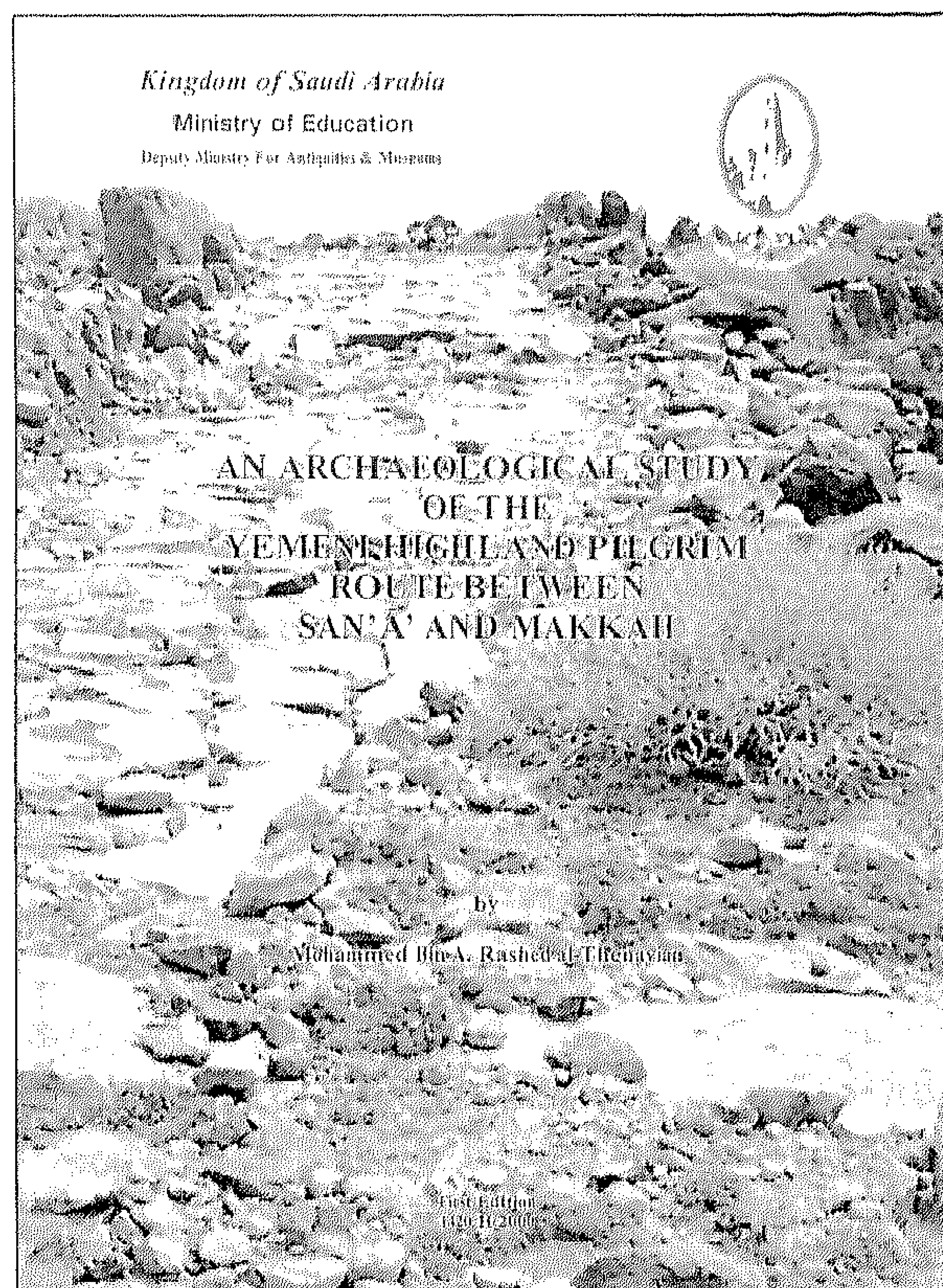
Book Review

Title: An Archaeological study of the Yemeni Highland Pilgrim route between San'a' and Makkah
Author: Dr. Mohammed A. R. al-Thenayian
Publisher: Deputy Ministry of Antiquities and Museums. Riyadh 1999
ISBN: 9960-19-152-4
Pages: pp.xxiv 351,82 plates, 15 figures, 26 tables, 17 maps, hard cover

Reviewer: Donald Whitcomb

Archaeological research in modern Saudi Arabia has been the product of intensive regional surveys. This began with the Comprehensive Archaeological Survey Project about thirty years ago; most excavations and soundings in ancient settlements began with this investigation. From the beginning, one of the most fruitful methods was tracing ancient routes connecting those settlements and along which many subsidiary monuments were aligned. An important set of these routes was the system of Hajj roads, the pilgrim routes which connected each region (and lands beyond the Jazirat al-Arab) with the Haramayn, Makkah and Madina. The study of the Yemen highland route now takes a proud place in the often neglected south, after the more frequented roads to al-Sham (Ghabban 1988,1993) and to Iraq (Darb Zubaydah; al-Rashid 1980). The author of this book, Mohammad al-Thenayian, carefully describes the results of these investigations and provides a thorough account of the medieval and modern literary resources for each pilgrim route.

Mohammed al-Thenayian began tracing the Yemeni Highland pilgrim route with its southern section, from San'a' to Sa'dah; this Yemeni section is about one quarter of the entire distance to Makkah. The intent of the survey in 1989 was to establish the line of the roadway with as many stations as possible.



Numerous literary resources are available for this project, among which the Urjuzah of al-Rada'i (9th century) proved to be the most valuable documentary resource for this route. Thus Raydah is an important station and cistern 20mi north of San'a', with reference to a "lofty pavilion." It is located in the northern part of the fertile plain of Qa' al-Bawn (too well-known to discuss, p. 80). Athafit is another reputedly ancient town (known as Durna) which became a well-known station (16 mi from Raydah). This is a cistern (60 x 40m) with a ruined town. A difficult 8 km leads to al-Masra', a pool and khan with traces of the roadway. Another khan is found at al-Faq', near the 'Aqabat al-Hamudi, with road paving. Buban is the next cistern, then two majil (pools, one may note the useful glossary giving Yemeni dialectical terms), and cisterns at al-Mishat and al-'Uqlah. This last, also known as al-A'yun is a com-

ملخص: يكشف هذا البحث شح المعلومات و ضآلتها في أدبيات استخراج الملح من مصادره بالوسائل و التقنيات التقليدية في السودان. كما اتضح جليا غياب دراسات تناولت توثيق وتحليل مصادر الملح و تقنيات استخراجه التقليدية. يتناول هذا البحث توثيق و تحليل إحدى وسائل استخلاص الملح التقليدية في منطقة حوض عطبرة بالسودان. وتأتي أهمية هذه الدراسة في أنها تخدم عدد من الأهداف أولها أن مثل بقايا استخراج الملح قد لا تجذب نظر أي باحث ينفذ عملية مسح أثري. ثانيا يصعب التعرف على هذه البقايا وتشخيصها على أنها بقايا لعملية استخلاص الملح. ثالثا تطرح هذه الدراسة التشابه بين الوسائل التقليدية في استخلاص الملح و تلك التي يمكن أن تكون قد استعملت في الماضي. رابعا تعمل هذه الدراسة على توثيق المعرفة المحلية في استخلاص الملح و التي تعتبر جزءاً لا يمكن فصله من التراث القومي.

Notes:
1. This quotation was translated from Arabic into English.

References

Al-Mujam Al-Wasit 1972. Cairo.

Al-Shafi, A. 1998. Personal Communication. Botany Department, Sultan Qaboos University.

Baker, S.W. 1876. **Albert N'yanza Great Basin of the Nile.** Vol. I,II, MacMillan and Co. London.

Barbour, K.M. 1961. **The Republic of the Sudan.** London.

Bovill, E.W. 1965. **The Golden Trade of the Moors.** Oxford University Press, England.

Burkhardt, J.H. 1816. **Travels in Nubia**. London.

Clutton-Brock, J. 1981. **Domesticated Animals: From EarlyTimes.** Heinemann, London.

ElMahi, A.T. 1998. "Traditional methods of food preservation in Oman: A view to the past" **Seminar for Arabian Studies**, 29: 45-47. Brepols.

ElMahi, A.T. (in press) "Mollusc harvesting along the coasts of Oman: A supplementary diet" **Seminar for Arabian Studies,** Vol. 30. Brepols.

ElNour, H. 1994. personal communication. Arabic Department, University of Khartoum.

Emin Pasha 1888. **Emin Pasha in Central Africa.** Beinga Collection of His Letters and Journals, Schweinfurth, F. Ratzel, R. Felkin, and G.Hartlour (eds), London.

Farah, E. A. 1999. "Groundwater Quality and Hydrogeologic Conditions In the Khartoum Area, Sudan" **Journal of Geosciences,** 42(3):45-53 Faculty of Science, Osaka City University, Japan.

Hamblin, D. J. 1973. **The First Cities.** Time-Life Books, Amsterdam.

Khazanov, A. 1984. **Nomads and the outside world.** Cambridge Press, Cambridge.

Kuzvart, M. 1984. **Industrial Minerals and Rock Development in Economic Geology.** 18 Elsevier, Amsterdam.

Lovejoy, P. E. 1978. "The Borno Salt Industry" **International Journal of African Historical Studies,** 629-668, Boston.

McEvedy, C. 1980. **The Penguin Atlas of African History.** Penguin Books, England.

Salama , R. B. 1987. "The Evolution of the River Nile. The buried saline rift lakes in Sudan-I Bahr El Arab Rift, the sudd buried saline lake" **Journal of African Earth Science**, 6: 899-913.

Shugair, N. 1967. **The Geography and History of the Sudan.** Dar Al-Thagafa, Beirut (in Arabic).

Simoons, J. 1968. **The Ceremonial Ox of India. The Mithan in Nature, Culture and History.** University of Wisconsin Press, Wisconsin.

Sundstrom, L. 1965. **The Salt Trade, The Trade of Guinea.** , pp. 122-146 Uppsala.

Whiteman, A. J. 1971. **The Geology of the Sudan Republic.** Clarendon Press, Oxford.

Wilson, H. 1988. **Egyptian Food and Drink.** Shire Publications, England.

The reports of Whiteman (1971:257) point out the presence of small sporadic salt fields in Kordofan, Darfur and in Dar Hamid. This part of the Sudan is reputed to be the home of many tribal pastoral groups. In this region, pastorals adopt transhumance as a strategy of survival and among others possess the know-how of salt extraction. It comes as part of the management of the natural resources in their immediate environment. Therefore, the role of nomadic pastorals in diffusing the techniques of salt extraction in the African Sahel belt cannot be excluded from any evaluation concerned with the origin of salt extraction in the Sudan.

Although this explanation and proposed connection are reasonable, the origin of the traditional salt production in the Atbara area remains not fully comprehended in the absence of unequivocal evidence from the archaeological context. In this respect, two aspects are worthy of discussion: the nature of evidence produced by salt extraction activities and the complete absence of traditionally produced salt samples. It is quite often that technological reconstruction can be achieved by presupposing the function of certain tools and objects. The material evidence left behind in the various spots of salt extraction consists of the small mound "dumbo" and uniformed plain potsherds. This evidence cannot be easily identified as remnants of saltworks. However, upon inspection, the pottery can be misleading and the site can be likely taken for any thing except a salt work site. Therefore, it is hoped that this paper has succeeded in throwing light on the prospect that small mounds with potsherds deserve more vigilant assessment in any archaeological survey. The second aspect is the impact of the absence of salt samples on our perception of traditionally extracted salt along the Atbara River. As a result, analysis of samples is precluded and no data is at hand on the purity and the chemical composition of Atbara salt. Thus, the traditional salt production of Atbara remains understood only from a technical perspective.

Finally, it remains to be said that traditional salt production, its methods and techniques deserve further attention through more research and documentation in the Sudan. Traditional methods and techniques, beyond doubt, proved to be vitally essential for the understanding of material evidence unearthed in its archaeological context. Likewise, it is now evident that the ways and methods of traditional societies are an inestimable part of the cultural heritage of any given country. Sudan as a country of cultural diversity is entitled to mindful documentation of its cultural heritage, which is diminishing very rapidly with the passage of time. It is true that these traditional methods have lost their validity as means of production, however, their value as an indigenous knowledge and an integral part of the Sudanese cultural heritage stands unchallenged.

Ali T. ElMahi **Department of Archaeology, Faculty of Arts, Sultan Qaboos University, Muscat, Sultanate of Oman.**

in the 1790s or the first years of the nineteenth century."

Some of the salt producing sites in Mangari and Muniyo had permanent settlement and others had none. The bulk of the labour force in the salt sites was free migrant labourers who moved into the salt camps during the production season (Lovejoy 1978:662). These migrant labourers from Mangari and other localities were in fact, farmers who were seasonally engaged in the salt industry (Lovejoy 1978:649). Thus, drought as a potent migration push factor may have had a profound effect on their livelihood. Perhaps, in such conditions of ecological stress, an eastward movement towards the Sudanese Nile Valley would be quite reasonable. Moreover, the scarcity of water (during drought periods) for the filtering of salt must have reduced the potential of the salt industry in the Mangari country.

The series of droughts that overwhelmed the Mangari land must have caused ecological stress and poor conditions for agriculture. Consequently, these conditions could have forced some of the Manga people to make the long pilgrimage to Makkah for a number of years until conditions improved. Alternatively, other groups moved eastwards not necessarily by the impetus of their religious conviction, but by the sheer environmental consequential stress they faced in their own countries. In essence, the impetus of such long journeys is not solely religious but also economic and in a way a strategy of survival that serve the people and the environment. Such migration from West Africa have resulted in the presence of a couple of groups in the Sudan such Al-Takarna, Al-Barnu, Bajermi and Al-Falata in the Sudan until the present day (Shugair 1967:75). Further, Burkhardt (1819: 411,412) reported that El-Damer route was one of the most used routes by the Al-Takarna (another name given to the emigrants from West Africa) on their way to Makkah. It is evident that the Atbara and El-Damer lie directly on the route of such pilgrimage to Makkah. Moreover, from an ecological view, the area of Atbara presents a favourable setting for such migrating groups. Therefore, it is reasonable to suggest that some of the econ- environmental refugees worked with salt extraction and used the names and techniques known to them in the Manga country in West Africa.

Thus, it is quite possible that these names and may be some techniques of salt extraction were diffused to the Atbara area in the middle Nile Valley. Conceivably, in the Atbara area the clay pots for boiling brine were given the very name (Mangair) of the people who came from Mangari and introduced the salt techniques.

Again, one would assume that the techniques of salt extraction were widespread on the African Sahel belt during Medieval times. Agencies of diffusion might not essentially be pilgrims or econ-environmental refugees under the stress of droughts, but pastoral groups must have played a crucial role in the spread of such knowledge. It is well established now that those nomadic pastoral groups are not completely independent of settled agricultural societies. Although the strategies of these groups in the Sudan seem independent, they maintain acertain level of economic complementary linkages with agricultural societies. Historically, nomadic pastoralists have maintained an economical and political connection to their sedentary neighbours essential for their own survival and prosperity (Khazanov 1984). Moreover, nomadic pastoral groups south of the Sahara are not always engaged into a seasonal transhumance corresponding to the altitudes of precipitation. It is quite often that transhumance movements take place in east and west directions. Furthermore, it is important to realize that nomadic pastoral groups can be effective agents of diffusing indigenous knowledge and ideas, especially if the ideas are closely related to their economical needs.

of archaeological or historical data on the salt industry from the Atbara area does not rank the West African industry as being older. Thus, the forthcoming observation may aid our attempt to understand the origin of Atbara salt extraction and its chronological relation to the West African one. The observation is based on the similarities between certain names. It is known that similarities in names do not necessarily constitute conclusive evidence. Such similarities can easily be controversial evidence. Again, it can possibly be reasonable indicative or supportive evidence to historical , archaeological or ethnographic evidence.

It has been said that salt production was important in the economy of the state of Bornu from the 15th century (Lovejoy 1978:632). One of the most active salt-producing regions in the State of Bornu was Mangari, on the western side of Lake Chad. The Mangari country was inhabited by the Manga people, who worked in the production of salt at Manda. Lovejoy (1978:640) described the salt extraction operation in the following:

"The production of the manda salt involved the boiling of filtered brine in ovens which contained from forty to one hundred and seventy small pots. The product, often referred to as cones of salt weighed three to six kgs.. ."

In the Atbara area, pottery pots used for boiling the brine in ovens are known as 'Mangair'. The word 'Mangair' is known only to those engaged in the salt works or to the inhabitants of the villages connected with salt works along the Atbara River. As far as the local people along the Atbara River and Al Damer town are concerned, "mangair" is not an Arabic word or a local name that emerged within the Atbara salt extraction milieu. Although, the origin of this word is unknown to them, it was always part of the salt production endeavour. By comparing the following names the similarity becomes clear:

The West African country is ***Mangari,*** The West African people are ***Manga***, The West, African salt is ***Manda,*** The Atbara River salt pot is ***Mangair.***

Moreover, the method of salt extraction in the two areas, Mangari and Atbara, bears considerable similarity. Can these similarities be accidental?

Do these similarities indicate a relation of some sort? Were the techniques of salt extraction diffused from one area to another? To answer these questions we need to look into the inter-relation of both areas and their history. Since the 10th century, various West African groups have continuously journeyed to Makkah to perform their religious devotions. It is known that these groups travelled for years before reaching their destination. In the passage of their journey they worked as hired labour in agricultural societies for many seasons. This trend of migration is well known in the Sudan since these immigrants constitute a useful labour force. Some of these groups settled in the Sudan and became integrated into the Sudanese societies. Therefore, it would not be surprising if the techniques of salt extraction were diffused from West Africa by such small groups of pilgrims. Another historical fact that offers support to the thesis of an eastward diffusion of salt techniques is the history of Bornu state and in particular of the Mangari country. It is best reported by Lovejoy (1978:662):

"The Manga inhabitants of these villages, however, claim to have come from Muniyo in the west and this suggests that there has been considerable population displacement sometime around 1800, perhaps even as early as the mid-eighteenth century. Drought traditions recall the 1740s and early 1750s as time of famine and epidemic, and, according to Nicholson, climatic conditions continued to be relatively poor in Bornu for the rest of the century. Another drought, although much shorter than the Great Drought, struck either

solved salts in ancient lake water. Moreover, the study carried out by Salama (1987) and Farah (1999) can possibly cast more light upon the salt in the geological composition of the Atbara area. Salama (1987.) concludes that the alluvial fan of Atbara in the Atbara rift system was one of the Tertiary River Nile basins in the Sudan. It was the Atbara basin closed lake that formed ancient saline lakes or playas, which in turn explains the salinity of the ground water. Furthermore, Farah (1999:52) extends his investigation on the ground water in the Khartoum area and concludes that the mineralization of the ground water is caused by the hosting sedimentary formations. Therefore, the area of the conjunction of the Atbara River and the River Nile, being an ancient closed lake before the river system was joined (Salama 1987.), must have formed an ancient lake by which the process of evaporation formed salt in the passage of time. The inhabitants of villages along the Atbara River must have known this quality in the soil in various localities through their imperical knowledge and experience in agriculture. Until now, farmers in the Sudan can easily distinguish certain localities in their domain as being unsuitable for agriculture due to the salinity of soil.

Certain observations can be made about the method of salt extraction along the Atbara River. It is worth mentioning that the informants in this study have also confirmed these observation. The method seems to be used in all villages along the Atbara, and there was no significant difference in the technique applied in each village. Again, few individuals not exceeding four men carry out the salt extraction operation in each case. The names of the different stages of the operation and its structures are the same in all the villages in the area. Moreover, the production of salt was not aimed to meet the demands of the local markets in Atbara and Al-Damer towns. Salt extraction along the Atbara was a local production in one area, for local consumption in neighbouring areas and for trade in the southern parts of the country. Almost all production was directed to the southern regions of the country where salt is needed. It is known that the southern Sudan has keen demanding markets for salt. Salt was a crucial lucrative commodity in this part of the Sudan. It played an essential role in the exchange interactions. Given the environmental conditions of the Sudan, one can judge that the use of salt was solely essential for human consumption as a basic condiment. Except for Upper Nubia in the Sudan, salt was not a major component in food preservation strategies of traditional societies. In Upper Nubia, salt has been a major component in food preservation especially in preparing and preserving fish, named locally *terkeen* and *fessiekh*. They are salted and fermented fish preserved in containers. Food preservation is considered a corner stone in subsistence strategies of survival code (ElMahi 1998 & 1999).

What is the origin of Atbara salt extraction? In the light of the complete absence of the archaeological evidence and the gaps in the historical records, attention must be directed to other records of salt production in the African continent. Perhaps, the notable history of medieval salt industries in some African regions can offer some clues to the origin of Atbara salt extraction. In West Africa, the history of the early 15th century salt industry is well documented (Sundstorm 1965, Bovell 1965. Lovejoy 1978. etc.). The salt industry in this part of Africa has received considerable attention from travellers and historians. What made the salt industry so important was the key-role of salt in the political and socio-economic life of West African societies. Salt was important to the extent that traditions frequently attributed the decline of kingdoms to shortages or the economical dislocation of salt production and distribution patterns. The salt industry in West Africa is dated to the early 15th century (Lovejoy 1978:632). However, the absence

of producing brine is the same, the differences being minor. The brine in the Al-Badu is then transferred to the Mangairs which are placed in two rows on the 'Tarad". The 'Tarad' is supplied with wood and the Mangairs filled with brine. Again, the operation is supervised round the clock; the oven continuously supplied with wood and the evaporation of the brine followed up by adding more brine. This operation takes three to four days until crystals of salt form. This operation is usually carried out by two men. At the final stage their job is to level the salt deposits with the rim of each Mangair before the crystallizing salt cools. This is known among the villages along the Atbara River as 'Tamlise' of salt. 'Tamlise' means in Arabic "to make an even and smooth surface". This clearly indicates the nature of the task at this stage of salt production. It is to flatten and smoothen the salt at the rim of the Mangair so that salt is crystallized no higher than the rim of the pot. After the Mangairs are cool, they are broken to get the salt cones. The women in the village usually attended this final stage of breaking the Mangairs to get potsherds, which, when soaked in water, make the water salty and usable for cooking purposes. Thus, households in these villages do not use salt directly, but salty water. After that the salt cones are transported by donkeys to Al-Damer town, where they are taken by boat to other markets, especially in southern Sudan where salt of such quality (extracted from saline deposits) is wanted.

Gangari village

Ahmed Karrar (95 years old), our informant at Gangari village, had been working in salt extraction since he was a boy. Salt extraction was the profession of his father and grandfather. He informed us that three types of soil were fetched from different localities in the area. The soils were:

1. Al-zargah: The colour of this soil was dark

2. Al-arad: The colour of this soil was reddish. It was also called 'Al-dakar' (i.e. male), the name used at Um Dibia village.

3. Al-kuwlet: The only description given to this soil was that it was fine grained.

The three types of soil were mixed together in a pool which in a way similar to those described previously. The brine was again filtered in a Badu and the brine boiled in an oven 'Tarad' which was identical to the ovens described before (Fig. 4). The pots used for boiling the brine were also known as Mangair.

Al-Basli village

Al-Basli village is located on the western bank of the Atbara River. It is 39 km. from Atbara town and 32 km from Al-Damer (Map 1). Our informant Rahama Mohamed Rahama from Al-Basli village informed us that in the past the name of the village was 'Al-Kofain'. The name Al Basli became used because of the salt works carried out in the village. This change of name finds a linguistic support in classical Arabic, for the act of extracting and refining butter by boiling is known as 'basli'. It is to boil in order to extract and clarify (ElNour, personal communication 1994). The Arabic Al-mujam Al-wasit (1972) also identifies the verb "basl" as to take little by little and to sieve or purify a substance. The methods of salt extraction used at Al-Basli village were not different from the methods used in the other villages along the Atbara River.

Discussion

Two questions rise in discussing the Atbara salt: what is the nature of the soils collected by the inhabitants of these villages along the Atbara River, and what are the physical and chemical properties of these soils? The field geologist (Dr. Al-Nadi, pers.comm), who visited the area suggests that the Atbara salt genetically pertains to the salt deposits of the lake basins of the playa type. This source is known to be the clayey-sandy salty deposits that dried-out from dis-

water saturates the soil and reaches the fifth pit. It should be mentioned here that the soil and the water are continuously turned over and over and monitored by the workers. This operation takes a couple of days before brine is produced and gathered in the fifth pit. This brine is boiled in the mangairs at a later stage.

The brine gathered in the fifth pool is transferred to the pool of the 'Al Badu' (Fig.2) where the filtered brine rises in the pottery cylinders as more brine is added. In fact, the brine in this manner is filtered and any particles in it are deposited at the bottom of the 'Badu'.The'Badu'is cleaned from time to time to secure maximum cleanness and more filtered brine. The filtered brine is transferred then from the 'Badu' to the 'Maleet' pool (Fig.3) where the pottery cylinder in the 'Badu' is full. At the 'Maleet' pool the brine is kept for the final stage of the salt extraction operation. On the oven 'Al-Tarad', the mangair pots are placed in two rows, usually with ten in a row. They are filled with the filtered brine from Al-Maleet pool. Then fire is set and the boiling of the brine started. This stage of the operation requires continuous supervision; three workers attend the oven and the boiling brine round the clock. Their task is to feed the fire by adding more wood and to add brine in the mangair whenever it evaporates. This operation lasts for a couple of days until the brine is concentrated and takes the form of small crystals around the mangair. When the mangair pot is completely filled with the salt crystals, the fire is quenched and the mangairs and their contents cooled. The salt crystals in the mangair eventually take the form of the mangair. When the mangair pots are completely cool, they are broken up, and salt is found in solid cone shapes weighing about one kilo each.

Al-Selaim village

Al-Selaim village is located on the southern bank of the Atbara River, at a short distance south of Al-Basli village (Map 1). One man who knew where to find the right soil for salt extraction usually brought the soil to the village. It was said that in certain places this soil had to be excavated at a depth of one meter. It was then transported to the village on donkey back. The excavation and transportation of the soil took three to four days to be completed.

The Pool and Al-Badu

Once the soil is brought, it was mixed with water in a series of pools, which can be described as follows: Each pool was dug and plastered with clay mixed with cattle dung. The pools were dug close to a well to facilitate the provision of water. They were connected with the 'Badu', which was also plastered with clay mixed with cattle dung. A well plastered channel connected the pool and the 'Badu". The brine was transferred to the 'Badu' as described in the previous village (Fig. 2).

The Mangair pots

At Al-Selaim village, the person who makes the mangair pots is called 'Al-Daklany'. He mixes donkey dung with clay and leaves the clay for two days to mature. Then the mangair pots are made by hand and fired in the 'Tarad' later used for boiling the brine. Those mangair pots made at Al-Selaim village are identical to the pots made at Um Dibia village (Fig. 4).

Al-Tarad

It was built in a similar manner to the one reported in Um Dibia village (. Fig. 4).

Salt Extraction Operation

The excavated soil is mixed with water (from the well) in the pool as illustrated in (Fig. 1). The brine will flow to the Badu. Although the structure of the pool, Al-Badu and the water supply channel are different from those of Um Dibia village, the principle

used in salt extraction.

Al-Shoona and Mashikat Um Dibia vilages

This village is located on the eastern bank of the Atbara River and at a distance of 23 km from Atbara town. Our informant Nasr Mohamed Ahmed Akounh (80 years old) worked with his father and grandfather, who were then fully engaged in salt extraction business. According to Akounh, the operation of salt extraction requires certain preparations, which are described and illustrated below.

Pits for mixing the soil

Four or five pools are dug in the ground to form a straight line. Each pit is ca. 90 cm deep and 1 meter in diameter. The pools are plastered with clay and connected by a channel also plastered with clay. Fig. 1 illustrates the position of the pits in relation to each other and the channel that joins them together. The pits are known locally as "Al Maleet".

The 'Badu' Filter

In this village a pit is dug to filter the brine. It is 90 cm. deep, more than 1meter in diameter and well plastered. In its center, a pottery vessel of a cylindrical shape is set. The pottery cylinder is 1 meter long upright and 30 cm. in diameter. Both the plastered pool and pottery cylinder are known as Al-Badu (Fig. 2).

The 'Maleet' Pool

Al-Maleet pool is a large pit. It is 1 meter deep and 1 meter in diameter and well-plastered (Fig. 3).

The 'Mangair' Evaporation Pots

Al-Mangair are pottery vessels made specially for boiling the brine. Each 16 cm. in length and 7 cm. in diameter, but taper to 5 cm. at the base of the pots (Fig. 4).

The 'Tarad' Oven

'Al-Tarad' is an oven built of mud. It has three long chambers for burning fuel, which is usually wood. The top of the oven is designed to accommodate around twenty mangair pots set in two rows (Fig.4).

The Salt Extraction Operation

There are four types of soil which have to be collected and mixed together. Three of them are known locally by the salt workers as follows:

1. Al-Dakar soil (in Arabic it means the male soil).
2. Al-Antai (in Arabic it means the female soil).
3. Al-Hinsha (There is no precise meaning for the word. It is most probably attributed to the colour of the soil, suggested our informant).

It is obvious that the names of the soil are local names. Our informant could not identify the four types of soil because it was his father and grandfather who were collecting the soil. He was young at that time, and his participation was confined to attending to the oven. Similar areas of kanker were excavated, according to another informant, who would not locate them. A geologist was invited to inspect the area and advise on the names of the soil. The area proved to be rich in kanker which is clearly visible on the surface, where it shows as white, thin, hard calcified caliche. Upon reviewing the sources of salt, it became evident that the Atbara salt genetically pertained to the salt deposits of the lake basins of the playa type. This source is known to be the clayey-sandy salty deposits that occur in arid areas. Its salt is recognized as a solar type,which results from dried-out dissolved salts in ancient lake water. When dried out, it leaves behind a crust of salts (Kuzvart 1984:346).

The operation of salt extraction starts by mixing the four types of soil together in the first pool (Fig.1) water being added continuously. This continues with more soil and water added until the first pool is filled and water starts to flow to the next pool. Two workers keep this operation going on until

typological sequence in the Sudan. Simply, these potshreds are of no antiquated significance. Upon inquiry, the inhabitants of the villages along the Atbara River informed the writer that these small mounds were called "dumbo" (for a single mound) and "dumpy" (for a group of mounds) and were the remnants of salt works, which were carried out by members of the neighbouring villages. The inhabitants of the villages easily introduced the writer to elderly members of the village who stated that they still remembered the salt extraction operations; others even took part in them. Consequently, in 1988 and 1989 two field studies were carried out to document these traditional salt works; interviews were held with local people along the Atbara River and local government officials at Atbara and Al-Damer towns. Information on methods of salt extraction was given by four elderly men who were engaged in salt extraction in the past and was confirmed by other elderly people in the area. After reviewing the literature on traditional salt industries it became immediately apparent that the documentation of the local salt works along the Atbara was the first study carried out on the traditional salt industry in the Sudan. Nonetheless, it is unfortunate that this study cannot give an analysis of the chemical composition of the type of salt produced in this area. The traditional salt industry along the Atbara River came to a complete stop in the early 1940s when it was overwhelmed by the production of the salt-evaporating plant in Port Sudan.

The methods and techniques of salt extraction were documented from four villages namely Al-Shoon and Mashikat villages, Um Dibia village, Al-Selaim village, Al-Basli village and Gangari village. Map 1 shows the location of the villages along the Atbara River. It is important to mention that in this study, elderly informants in these villages described and made drawings for the oven, Al Tarred, Al-Maleet, etc., which were

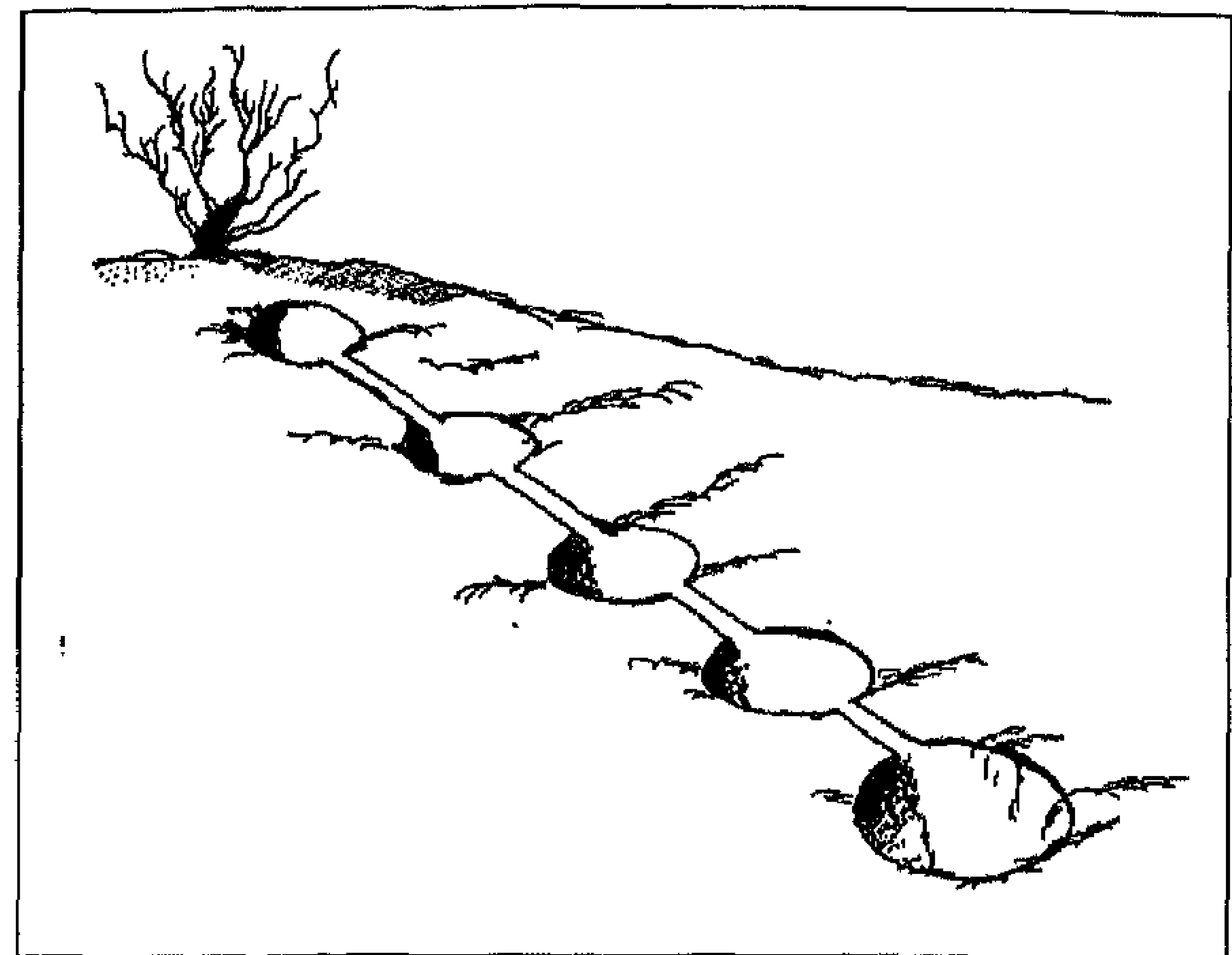


Fig. 1: Pits for Mixing the Soil

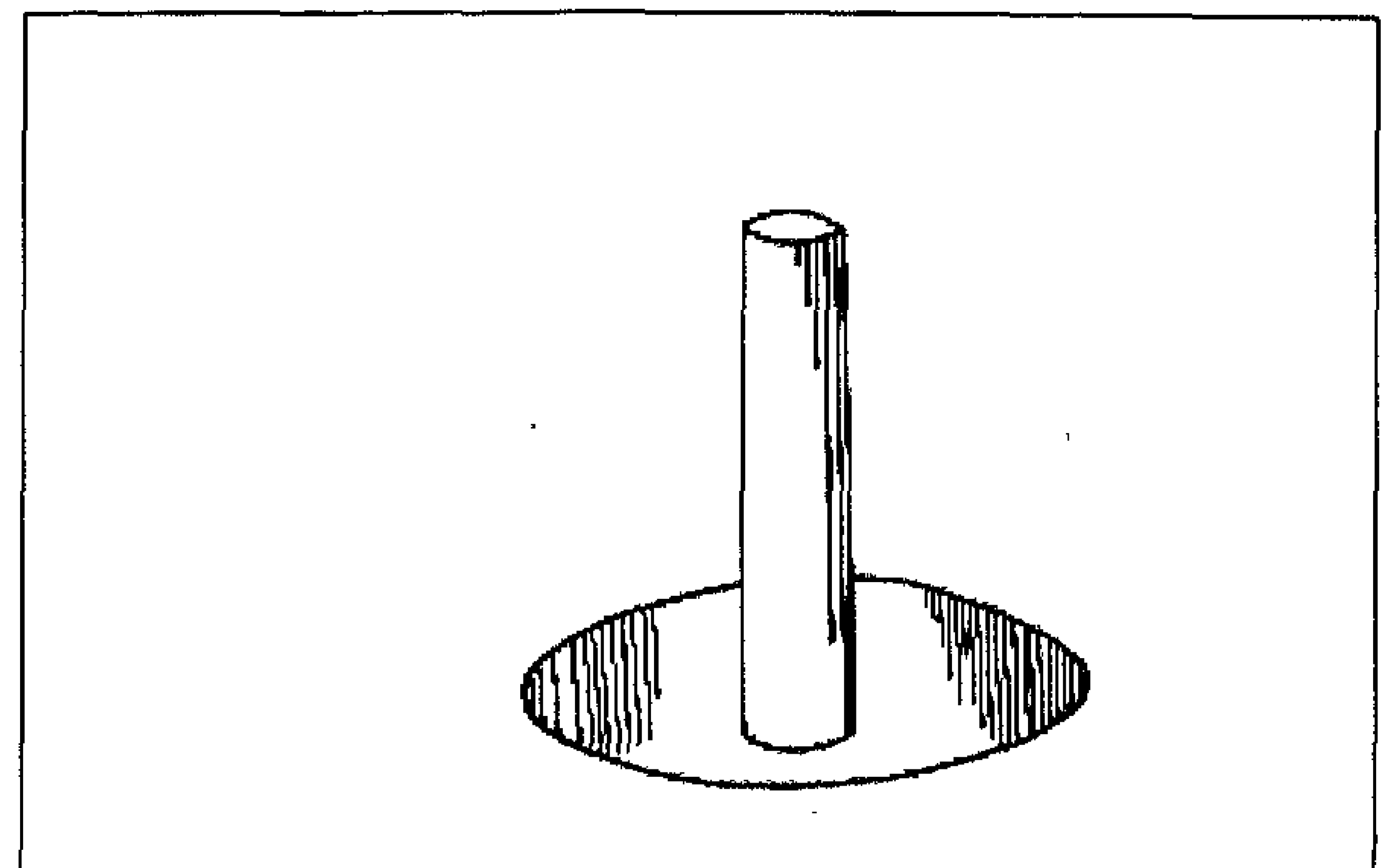


Fig. 2: Al-Badu Filter

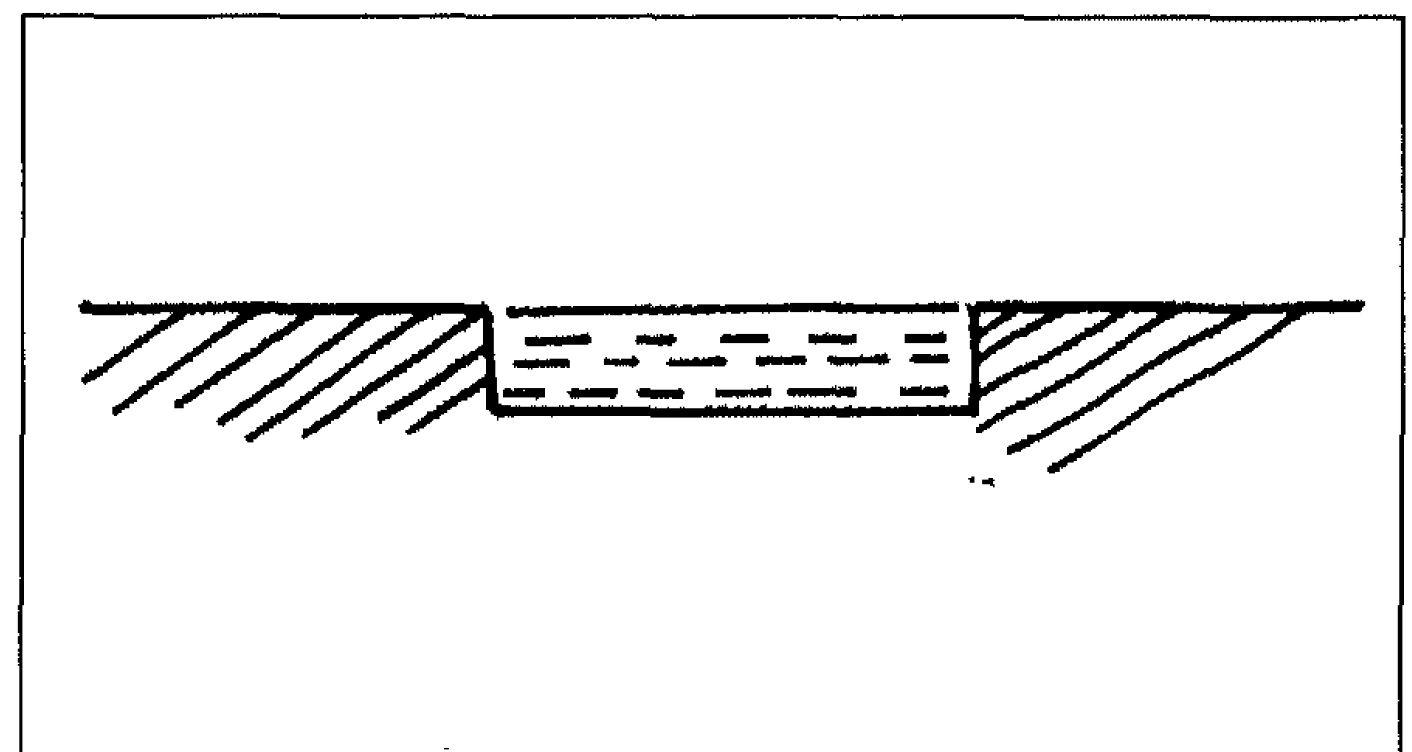


Fig. 3: Al-Maleet Pool

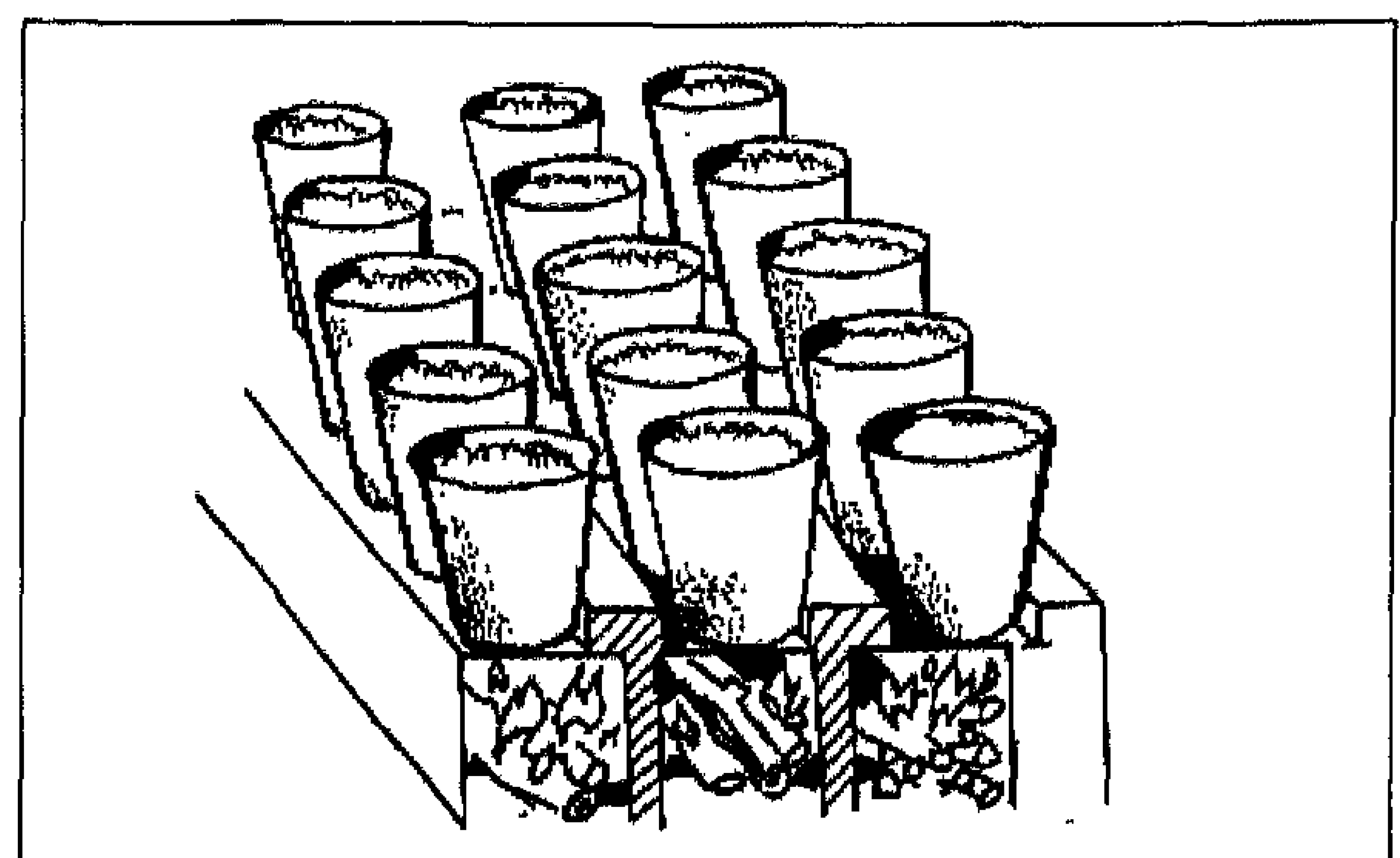


Fig. 4: Al-Tarad Oven with Al-Mangair Pots.

scratched up (for salt), little pools full of yellowish water, and walls of mud, along the foot of which stood rows of clays vessels ranged on stones placed at regular intervals, proved that the people here engage in some special extraction." (1888:172).

The traditional local methods of salt extraction in Southern Sudan use cattle dung and urine and various plant species. It is known that the plant macro-elements include sodium, calcium, potassium, sulfur, magnesium, zinc, iron, and their salts. These elements are found combined with their salts. How do cattle dung and ashes of plant produce vegetational salt? Actually what these traditional groups did was that by burning plants or cattle dung they eliminated their organic matter . The plants have salts, as was said previously, while cattle dung contains plant subsistence, which the animal ate. The ashes then contain the minerals, which were residue in the plants or the plants eaten by the animals. Mixing the ashes with water and then evaporating the brine results in the crystallization of some salts which can be amixture of sodium chloride, calcium salts or potassium chloride etc. (Al-Shafi, personal-communication 1998). In this manner salt is produced from plants and cattle dung.

North and West Sudan

Burkhardt (1819: 276) visited the medieval town of Shendi on the eastern bank of the River Nile in 1813. He reported the salt works at Boeydha which was based on using salted soil and boiling its brine in pots to produce salt. Burkhardt (ibid.) also reported that the salt works belonged to the king of Shendi.

Naom Shugair, a Lebanese who accompanied the British armies in the Sudan in 1889, made another report on salt. He recorded the following information:

"Salt is found mixed with soil in all places and mainly in the area of Atbara, Al Damer, Al-Baiodia and in a place known as Sharshar North of Bara "Kordofan". It is also found in crusts under the sands of Al Salima oasis in Wadi Kab to the west of Dongola." (Shugair 1967:26)[1]

Whiteman reported:

"Old salt works are recorded between Khartoum and Ruffa on the western edge of the Buttana. The source and nature of the salt here is not clear. It may have been derived from kanker deposits in the Nile terraces or from deeper volcanic sources; or from old lake deposits. There are small sporadic salt fields in Kordofan and Darfur, for example in Dar Hamid." (1971 :257)

These reports,though informative, are not comprehensive and lack names of localities, methods of extraction and other essential details. Moreover, some reporters (e.g. Shugair 1967) did not visit the areas of salt works. All the information they reported is based on hearsay. Nonetheless, it becomes apparent from these reports that salt production remained simple and local for a long time before the introduction of large-scale salt evaporation works along the Red Sea coast at the beginning of the 19th century. In fact, this became in time the end of traditional salt production in the Sudan.

The Atbara River

. The discovery of the remains of salt works along the Atbara River (Map 1) was accidental. While, the writer was conducting an archaeological survey along the Atbara River, peculiar small mounds drew his attention. The mounds were examined by scraping partially each one to detect the presence of archaeological material or change in soil colour due to decomposition of organic material etc. When these small mounds were closely examined, they proved to contain only uniformed plain potshreds. It is clear that these potshreds are recent and do not pertain to any category of the recognized pottery

salt are also extracted, including cows' urine and salt lixiviated from ashes of cattle dung and from clay soil. Salt extracted from various ashes is usually inferior and despised, while salt from brine is deliquent and therefore deteriorates rapidly. It is interesting that the local traditional salt industry in the Sudan has succeeded in meeting the salt demands in the country. This dependency on locally produced salt can be easily detected in the historical records, which do not contain any reports on salt imports from any region beyond the Sudanese boundaries. Unlike the salt of Wadi Draa of the central Sahara, which was exchanged for gold on an ounce-for-ounce basis in the area of Senegal in mid 8th Century AD (McEvedy 1980:44), salt in the Sudan was negligible in trading. In view of the historical and ethnographical records, salt trading in the Sudan did not have any significance in spite of the various types of salt produced in the country, and consequently, traditional salt industry has received very little attention in the Sudanese records. There are no detailed studies of the traditional salt works, its history or the type of salt and its composition. Other than the brief comments of Burkhardt (1819), Baker (1876), Emin Pasha (1888), Barbour (1961) and Whiteman (1971), very little has been reported, and their reports lack substantial details on all aspects of the traditional salt industry. It seems that the traditional salt industry was not given genuine attention in this country because it was simple in its organization, scale of production, types and distribution patterns. Moreover, it was not part of the economic or political prosperity of any tribal group or geographical region. For these reasons, the traditional salt industry did not capture the interest of early travellers, historians or ethnographers.

It is rewarding at this stage to view the available literature on traditional salt extraction in the Sudan. The forthcoming survey of reports discloses the restricted adequacy of the available literature on this indigenous knowledge and practice. Again, this survey illuminates certain aspects related to the sources of salt and its traditional methods of extraction. Among these aspects, the scantiness of data on traditional salt, the inferior quality and the unascertained chemical composition of extracted salt. Furthermore, the available literature furnishes our endeavour in this paper with the necessary background for the ways and methods of salt extraction in various parts of the country.

Southern Sudan

Emin Pasha, a governor of Equatoria, recorded in his journals (published in 1888) the following:

".. prepare salt by soaking the ashes of papyrus and rushes in water. The Lye is filtered through a vessel filled with hay, having a bottom pierced with numerous holes, and is used in a liquid state." (1888:74)

"It is generally, known that there is very little salt in these countries, and that the people have to produce it from ashes or even from cow's urine." (1888:121)

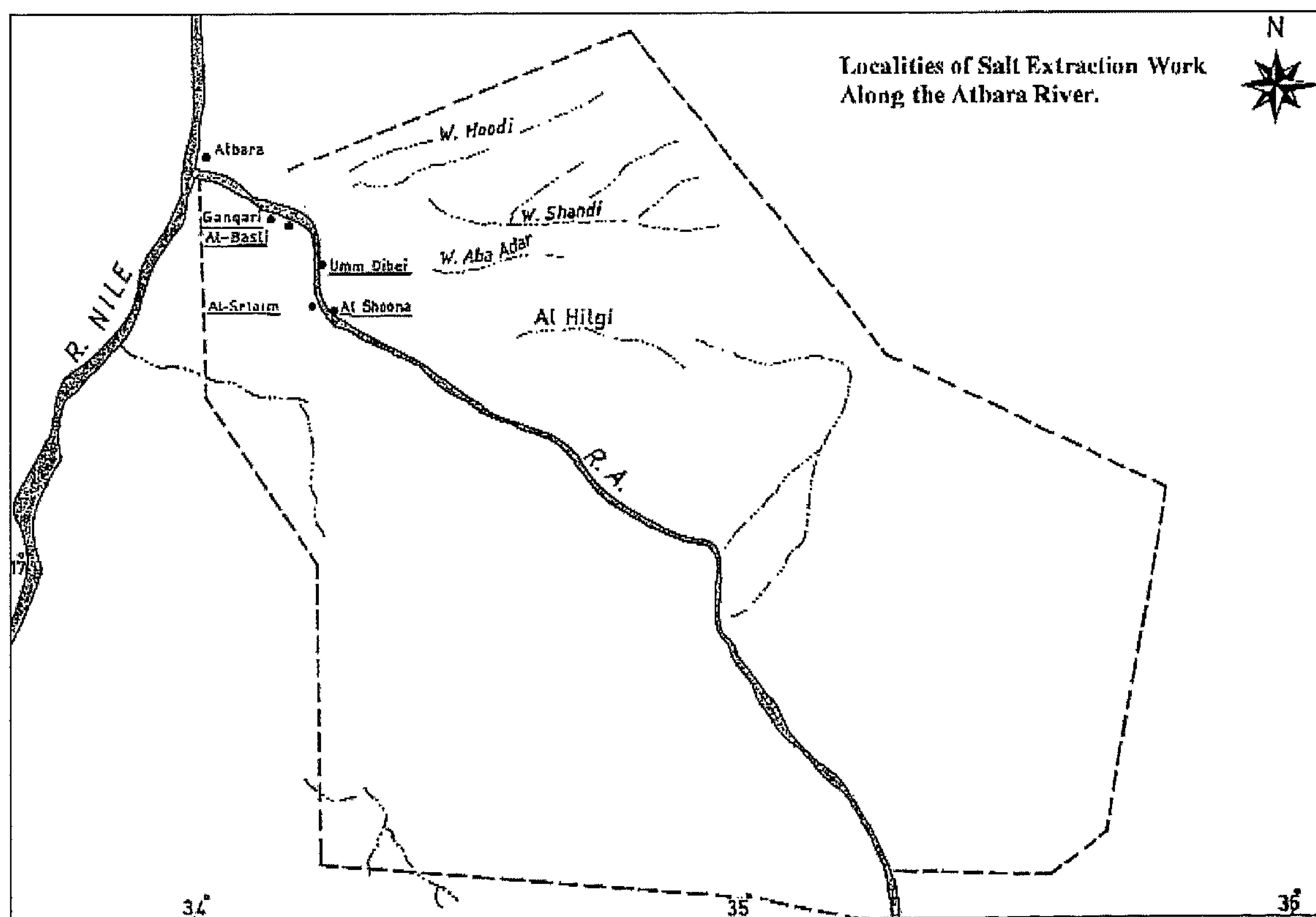
"Salt which is otherwise very rare in the Madi and Shilluk districts is obtained everywhere from ashes of dried grass which is heaped up and burned. A species of yellow sand is found in many places near Dufile; it has a strongly olkaine taste, and from it also salt is obtained by washing and evaporation, but owing to its sharp and bitter taste it is not much liked." (1888: 141)

In the 1880s, Emin Pasha extended the boundaries of Equatoria province to include parts of the shore of Lake Albert. The following method of salt extraction was reported from an area along Lake Albert.

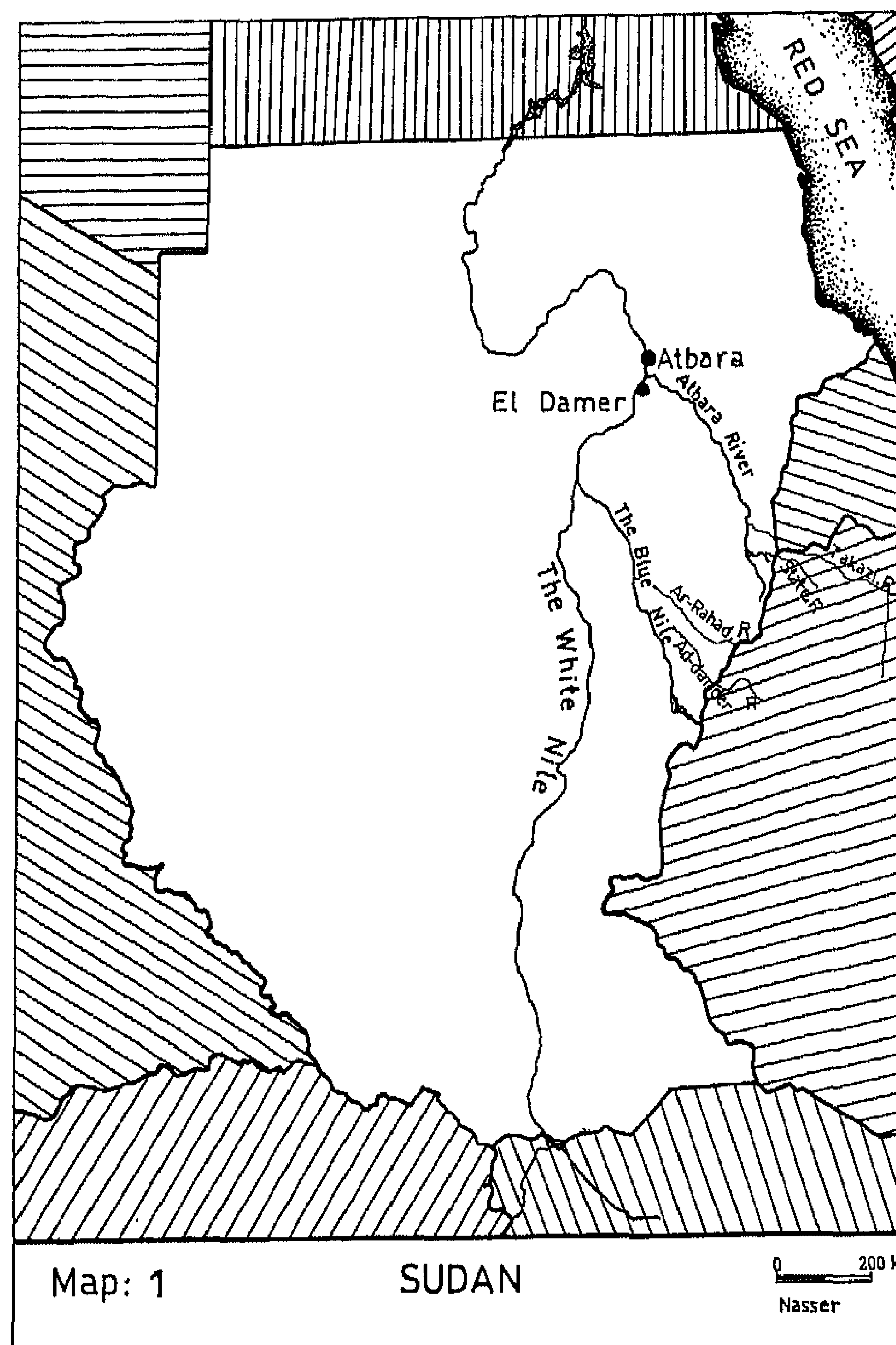
"On the farther slopes of these dunes we crossed places in which the soil was swept quite bare; heaps of a scoured and finely pulverized kind of earth of a grayish yellow colour patches in which the soil had been recently moistened, preparatory to being

Moreover, it is assumed that salt contributed in the early domestication of certain animal species. Simoons (1968) pointed out that the practice of offering salt to the mithans in the Assam hills persuaded these animals to return from the forest. Building on this hypothesis, Clutton-Brock (1981:67) suggested that salt facilitated the early subjugation of cattle. In the past, salt was also a highly prized commodity in certain parts of the world that the abundance or shortage of salt was frequently associated with the prosperity of certain cities such as Jericho in Palestine 7000 B.C (Hamblin 1973:35). Salt has not lost its value with the passage of time nor can mankind do without salt in the future. Throughout history, mankind obtained salt from various sources and devised several methods and techniques to extract it. Some of these techniques were simple; others were complex and large. Some are fully documented; others remain undocumented and are on the verge of being lost.

In the Republic of the Sudan (Map 2), several types of "salt" are produced. The natron (Na2C03.10H20), which is hydrated native sodium carbonate vegetational salt (The variance of the chemical composition in vegetational salt is caused by the plant species involved) and a mixture of sodium chloride (NaCl) and natron (Na2C03 .1 OH20) are produced by traditional methods. The diversity of the geological and environmental conditions of the country must have furnished considerable possibilities to extract variant types of salt types. Very little is known about the composition of these types of salt and there was probably a great variation in the chemical composition of each type of salt due to the geological difference of each locality. Thus, vegetational salt (from plant ashes) in one locality can be completely different in its composition from that of another locality. The floral structure, the type of plant species involved and the technique applied in salt extraction determine the composition and the quality of salt. Other types of



Map: 2



salt extraction will also remain insufficient.

In the light of this situation, it becomes unequivocally urgent to study traditional salt technology in the Sudan. Literature categorically indicates that neither the documentation nor the study of traditional salt works has been carried out in the Sudan. This paper documents one of the traditional methods of salt extraction from localities along the Atbara River in the Middle Nile Valley (Map 1). In particular, it aims at throwing light on one of the techniques of salt extraction and one variant source of salt in the region. By doing so, the paper presents an analogy that can possibly aid our attempts to identify and explain evidence of comparable methods and techniques retrieved from the archaeological context. Repeatedly, drawn parallels from ethnographic data or traditional practices proved to be exceedingly advantageous in the analysis and inter- pretation of archaeological material. Moreover, the paper inquires into the origin of this technology in that given geographical locality and the circumstances in which it evolved along the Atbara River. Furthermore, the paper documents a crucial aspect of the Sudanese cultural heritage and indigenous knowledge.

"Mankind can live without gold but not without salt" is a statement by Cassiodorus, the Roman senator fourteen centuries ago. Today, it is easy to underestimate the salt industry and to underrate the value of salt as a commodity. The reason is simple: salt is no longer a scarce commodity. However, despite the present unassuming position of salt industry and its modest commercial value, certain facts remain unquestionable. Salt is not only necessary for the human and animal physiological processes, but it is also used for medical, industrial, preservative and culinary purposes. It is one of the oldest condiments used by man. It is a vital element in the human diet that cannot be omitted or compromised.

The Traditional Salt Extraction along the Atbara River, Sudan

Ali T. ElMahi

Abstract. *Up to the present, the archaeological records in the Sudan contain no evidence of ancient salt resources or its methods of extraction. As regards, traditionally exploited salt resources and the methods and techniques employed in their exploitation; the available information remains incomplete and insufficient. Accordingly, the available literature clearly indicates that there is a complete absence of efforts undertaking the study or documentation of traditional salt extraction in the Sudan. Therefore, this initiatory paper undertakes the study of the traditional salt works along the Atbara River in the Middle Sudanese Nile Valley. The intendment of this paper is to contribute to the scholastic arena of archaeology, ethno-archaeology and ethnology by pursuing certain objectives. Among its prime objects is to document the methods and techniques of salt extraction and reconstruct the traditional technology of extracting this mineral. Experience in this line of scholarship has unmistakably marked this category of information as beneficial for the conservation of human cultural heritage and indigenous knowledge. Again, the paper draws a parallel and establishes an analogy that can possibly put some of the archaeological material in prospective and furnishes archaeological efforts with a better understanding of the ancient salt technology. Furthermore, the paper investigates the origin of this traditional technology along the Atbara River and postulates certain contact of human migrations from the western parts of the continent that facilitated the diffusion of this technology into the Middle Nile Valley.*

It is generally sustained that sodium chloride was added either accidentally or intentionally to the human diet from very early times. The diet of early Stone Age hunters and gatherers must have contained a mixture of sodium chloride through various food items. In essence, salt was always part of human diet not only as a condiment but also as a fundamental mineral for human physiological processes. At present, the earliest evidence of salt extraction in the Nile Valley comes from the Egyptian Gebelein (south of Luxor, on the western bank of the Nile) dating from the Sixth Dynasty (ca. 2345BC - 2181 BC). These salt samples from Gebelein are believed to be free from carbonates and sulphates (Wilson 1988:38). Although salt was known in ancient Egypt as early as the Old (2613 - 2181 BC), methods of its extraction are not comprehended (Wilson 1988 : 38). Equally, the history of salt and salt extraction in the Sudanese Nile Valley remains unknown. Archaeological and historical records in the Sudan do not contain much evidence that can shed light on the question of salt. Up to the present, archaeological investigation of Stone Age sites in the Sudan revealed no direct or indirect evidence of salt extraction. Consequently, prehistoric methods and techniques applied in salt production remain undiscovered. Yet, it is hypothesized that Stone Age hunters and gatherers must have known certain methods and techniques by which they had access to this mineral. It is also anticipated that during the A-group, C-group, Kerma, Napata and the Meroitic kingdom (ca late second millennium BC to mid third millennium AD) in the Sudan, salt must have been extracted. Nonetheless, during this span of time, the methods and the level of organization that carried out salt extraction are completely unknown There- fore, as long as the archaeological evidence is absent our knowledge about the ancient techniques of

ISSN: 1319-8947 (pp43-56)

37 Schumacher, G., Researches in Southern Palestine, P. 184.

38 Avi-Yonah, Map of the Roman Palestine, in: Quarterly of the Department of Antiquities, Palestine, vol. v, pp. 139ff. Al-dabbagh located also Bitolion in the site of the present- day Beit Lahya, Biladuna Filastin, vol. I, part 2, p.283.

39 Avi-Yonah, The Madaba Mosaic Map, P. 75.

40 For further details about the Gaza calendar see: Clermont-Ganneau, C., Archaeological Researches in Palestine, p. 419-429 and Meyer, History of the city of Gaza, p.125.

References

Amiran, D. H. and E. Arieh 1994. "Earthquakes in Israel and Adjacent Areas: Macroscismic Observations since 100 BCE" **Israel Exploration Journal**,44:260-305.

Anchor Bible Dictionary.1992. vol. II, New York.

Avi-Yonah, 1936. "Map of the Roman Palestine" **Quarterly of the Department of Antiquities**, V:139-193. Palestine.

Avi-Yonah,1954. **The Madaba Mosaic Map**. Jerusalem.

Baedeker, Karl 1875. **Palaestina und Syrien**. Leipzig.

Conder, C. R. and H. H. Kitchener 1970. **The Survey of Western Palestine**. Vol. III, Jerusalem.

Diaconus, Marcus 1913. **The Life of Porphyry, Bishop of Gaza**. Translated with introduction and notes, G. F. Hill, Oxford.

Donner, H. and H .Cueppers 1977. **Die Mosvon Madeba**. Wiesbaden.

Dowling, T. E. 1913. **Gaza, a City of many Battles**. London.

Downey, Glanville 1963. **Gaza in the Early Sixth Century**. Oklahoma.

Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land (EAEHL) 1993. 4 Vols, Jerusalem.

Gatt, G. 1885. "Bemerkungen ueber Gaza und seine Umgebung" **Zeitschrift des Deutschen Palastina-Vereins(ZDPV)**, Vol.VIII, Leipzig.

Gatt, G. 1888. "Legende zum Plan von Gaza" **ZDPV**, Vol. XI, Leipzig.

Glucker, Carol 1987. **The City of Gaza in the Roman and byzantine Periods**. BAR International Series 325, U.K.

Halliwell, J.O. 1839. **The Voiage and Travaile of Sir John Maundevile**. London.

Meyer, Martin A. 1966. **History of the City of Gaza**. New York.

Musil, Alois 1908. **Arabia Petraea**. Vol. II, Wien.

Ovadiah, Asher 1993. "Gaza" **EAEHL**, II: 464-67. Jerusalem.

Pringle, Denys 1993. **The Churches of the Crusader kingdom of Jerusalem**. A Corpus, Vol. I, Cambridge, U.K.

Sadeq, Mohammed-Moain 1991. **Die mamlukische architektur der Stadt Gaza**. Berlin.

Sadeq, Mohammed-Moain 1992. "Archaeological Excavations in Gaza Strip" **Majallat Shu'un Tanmawiyyeh (Tourism in Palestine)**,2(2): 71-80. Jerusalem Spring.

Schumacher, G. 1886. "Researches in Southern Palestine" **Palestine Exploration Fund Quarterly Statement**, pp. 171-197, London.

Smith, George Adam 1931. **Historical Geography of the Holy Land**. London.

Stark, K. B. 1852. **GAZA und die philistaesche Kueste**. Jena.

10 The foundation date 425 AD is not correct because the bishop Porphyrius died in 480 according to the calendar of Gaza = 420 AD(Marcus Diaconus, The Life of Porphyry, p.103). The present- day foundation inscription in Greek and Arabic was done during the 19th century CE.

11 These collonaded streets are similar to which in the map of the city of Jerusalem in the Madaba map.

12 See also this comparison in: Glucker, Carol, The City of Gaza in the Roman and byzantine Periods, p.19.

13 See: Stark, K, B., Gaza und die philistaeische Kueste, PP. 601-603; Downey, Glanville, Gaza in the Early Sixth Century, p. 17; Glucker, Carol, The City of Gaza in the Roman and byzantine Periods, p. 19.

14 Marcus Diaconus was contemporary to Bishop Porphyrius and the writer of the work "The Life of Porphyry" mentioned in the bibliography of this paper.

15 Meyer, History of the city of Gaza, p. 60.

16 loc. cit.

17 The report of this excavation is published by Asher Ovadiah in his article "Gaza" in: The Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land (EAEHL), vol. II, pp. 464-67.

18 See Revue Biblique, "Une Mosaique Byzantine A Jerusalem",in: vol. X,1901, pp.436-444; La mosaique d'Orphe .

19 Butt, Life At The Crossroads, p. 61; concerning Anthedon see also, Anchor Bible Dictionary, vol. II, p. 916.

20 Meyer, History of the city of Gaza, p. 8 after al-Adrisi, quoted by Guy Le Strange, Palestine under the Moslems.

21 Glucker, Carol, The City of Gaza in the Roman and byzantine Periods, p. 25.

22 Loc. cit.

23 Abel, F., Le sud Palestinien d'apres la carte mosaique de madeba, in: Journal of the Palestine Oriental Society (JPOS) IV (1924), 116; Glucker, Carol, The City of Gaza in the Roman and byzantine Periods, p.25.

24 Dowling, Theodore Edward, Gaza, a City of many Battles, pp. 61-62; Sozomenus, Historia Ecclesiastica, edd. J. Bidez and G. Hanson, Berlin 1960, v, p. 15, vi, p.32; Glucker, Carol, The City of Gaza in the Roman and Byzantine Periods, p.26.

25 Glucker, Carol, The City of Gaza in the Roman and Byzantine Periods, p. 26, 45.

26 For further details about Thabatha and Hilarion see: Stark, K. B., GAZA und die Philistaesche Kueste, pp. 617-19; Dowling,Theodore Edward, Gaza, a City of many Battles, pp. 58-61; Meyer, history of the city of Gaza, pp. 61 -62; Glucker, Carol, The City of Gaza in the Roman and Byzantine Periods, p. 44-46; Avi-Yonah, Avi-Yonah, The Madaba Mosaic Map, P.74.

27 Avi-Yonah, Map of the Roman Palestine, in: Quarterly of the Department of Antiquities, Palestine, vol. v, pp. 139ff., al-Dabbagh, biladuna Filastin, Vol. I, Part 2, p.132.

28 Al-Dabbagh, biladuna Filastin, vol. I, part II, p. 133.

29 Avi-Yonah, Map of the Roman Palestine, in: Quarterly of the Department of Antiquities, Palestine, vol. v, pp.139ff.

30 See also: Avi-Yonah, Avi-Yonah, The Madaba Mosaic Map, P. 74.

31 Schumacher, G., Researches in Southern Palestine, in PEF QS, London 1886, P. 191.

32 Musil, Alois, Arabia Petraea, Vol. II,p. 61.

33 See also al-Dabbagh, biladuna Filastin, vol. I, part II, p.133; Avi Yonah, Avi-Yonah, The Madaba Mosaic Map, P. 74.

34 Schumacher, G., Researches in Southern Palestine, P. 184.

35 Loc. cit.

36 Butt, Gerald, Life At The Crossroads, p. 60.

buried here was responsible for the Byzantine chapel, for example a monk living on this spot. The grave is surrounded against its three corners with the rest of three stone piers; the pier on the fourth corner is not extant. The piers-rest indicate that the grave could have been roofed, possibly with a vault or a dome.

Apart from the pavement and the grave, still in situ, various artifacts were excavated, among which a lot of Byzantine pottery shards and glass cup shards, as well as two small marble pillars of Byzantine origin.

The Byzantine mosaic pavement of Abasan al-Kabira was uncovered by the Gaza Department of Antiquities in June 1995. With a fund provided by the Netherlands Government, a protective construction was built around and over the pavement and the grave.

Dr. Mohammed-Moain Sadeq **Director of The Palestinian Dept. of Antiquities - Gaza**

ملخص: تزخر منطقة غزة بعدد كبير من المواقع الأثرية التي تعود الى العصر الروماني البيزنطي، والتي تعكس بوضوح أهمية المنطقة في ذلك العصر . هذه الدراسة هي محاولة لتصور البعد الطوبوغرافي لمدينة غزة وميناؤها«مايوماس»، الى الغرب منها، وكذلك القرى التي كانت تحيط بها خلال تلك الفترة، وذلك استناداً الى البحث الميداني والمكتشفات الأثرية والمصادر الأدبية، حيث تم تحليل بيانات هذه المصادر، ومقارنتها ، وتحديد مواقع العناصر الطوبوغرافية المختلفة على الأرض. لقد تضمنت الدراسة مصادر أساسية عن طوبوغرافية المنطقة استناداً الى حفريات أثرية قامت بها دائرة الآثار الفلسطينية خلال السنوات الخمس الأولى من عملها، كشفت خلالها عن أطلال عدد من القرى التي كان لها أهميتها خلال العصر الروماني-البيزنطي، تحتوي على أرضيات من الفسيفساء الملونة المزخرفة بنقوش كتابية، وعناصر زخرفية بشرية وحيوانية ونباتية وهندسية. كذلك تطرقت الدراسة إلى عدد من المواقع الأثرية التي لم تخضع لحفريات أثرية، لكنها ساهمت في تحديد البعد الطوبوغرافي للمنطقة.

Notes

1 The map is dated to the period between 542 and 565 AD, and probably between 560 and 565 (Avi-Yonah, The Madaba Mosaic map, p.18).

2 Avi-Yonah, The Madaba Mosaic map, p.18.

3 Marcus Diaconus, The Life of Porphyry, p. 103.

4 The Gaza calendar began 61/60 BC (see Clermont-Ganneau, C., Archaeological Researches in Palestine, p. 419-429 and Meyer, History of the city of Gaza, p. 125.

5 Downey, Glanville, Gaza in the Early Sixth Century, p. 29.

6 Meyer, History of the city of Gaza, p. 76; D. H. Amiram, IEJ, p.124

7 This site is located in the centre of the old city of Gaza on the mound, which rises about 100 ft. above the surrounding ground level.

8 Many Byzantine Greek grave inscription were found in this cemetery during deep digging in it. Some of them are in the house of the Bishop of Gaza.

9 See Pringle, Denys, The Churches of the Crusader kingdom of Jerusalem, p. 216-219. Clermont-Ganneau, C., Archaeological Researches in Palestine, pp.381-83.

Six granite columns of 10 feet and 12 feet length lie about six hundred yards south of the well, close to the road we find (so Shumacher) two upright and one fallen granite column. The two columns (so Shumacher), repesent at the same time the present boundary (in 1886) between Syria and Egypt. The boundary runs from here westwards to the sea and eastwards south of *Khirbat Abu 'Amad.* No building, customhouse, or watch tower, is to be seen; they are placed at al- `Arish, the ancient boundary of Egypt.[33]

Khirbat Rafah represents probably the old *Raphia*, mentioned by the historian Josephus as being conquered by Alexander Janneus, and being rebuilt and reinhabited by Gabinius.[34] In *Raphia* Cleopatra was married and the place became later the seat of a Bishop.[35] It was also a place of worship for Artemis and Apollo. In 1817 the ruins of a large temple were also discovered there.[36]

Ca. half a mile to the west of *Khirbat Rafah* there is also a Tell (mound) located 160 feet above the sea, and about 100 feet above the surrounding country. It is covered with remains of buildings, stones and pottery project out of the sand. This Tell was probably a sort of Acropolis to *Khirbat Rafah*, the remains of which extend to the foot of the Tell.

J. Bitolion and The Border of Egypt and Palestine

Bitolion is located in Madaba map on the coast between Raphia (*Rafah*, the third city of Gaza Strip located on the coast) and *Rhinocolura* (*al'Arish*, on the coast inside the Egyptian border). The location of *Bitolion* is also identified twelve miles beyond *Raphia.* The name of this village and a gabled roof are only to be seen in the Madaba map. The rest of the village is damaged in Madaba map. Avi-Yonah presented Bitolion in his Roman map of Palestine, published in the quarterly of the Department of Antiquities, Palestine (vol. v, pp.139ff.) to the north of the city of Gaza.[37] He was clearly confused between *Bethelea* mentioned above to the north west of the city of Gaza and *Bitolion*.

Above the name *Bitolion* it is mentioned in red color ***"Border Of Egypt And Palestine".*** This is the only mention of Palestine on the map. The village of Bethaphu, fifteen miles beyond Raphia on the way to Egypt is mentioned also as the boundary of Palestine.[38]

K. The Mosaic Pavement of `Abasan

The pavement is located in the centre of the village of 'Abasan al-Kabira 4 km to the east of the city of Khan Yunus. It has as excavated of ca.9 x 4 m in plan, partly damaged and it is made of very fine colored square cubes (averagely 0.5 x 0.5 x 0.5 cm) of marble, different kinds of stones and glass. It shows geometrical and floral forms, birds, cups filled with fruits, as well as parts of the plaited band that framed it. In the centre of the pavement there is a Greek inscription date the pavement to the month Desios of the year 666 of the Gaza calendar. The Gaza calendar started ca. 61/60 BC, on the occasion of the first years of the Roman rule in Gaza. The mentioned date of the mosaic (666) corresponds to the month of May the year 606 AD.[39]

The mosaic pavement discovered in 'Abbasan al-Kabira is a very fine example of Byzantine mosaic work and therefore of great value for the region. In this it can be compared to several others in the Gaza region, such as the former mentioned 6th century mosaic pavement of the seashore of Gaza, the mosaic pavements of the Tell Umm 'Amir in al Nuseirat area, the mosaic pavement of the seashore of Deir al-Balah and the colored Byzantine mosaic pavements of Jabalya.

Directly to the north of this mosaic pavement there is a Byzantine sandstone grave, oriented east west paralel to the mosaic pavement. It is deemed possible that the person

covered in the seashore of Gaza City in 1967 and described above.

The coast of Deir al-Balah and also the centre of Deir al-Balah and the surrounding area indicate many archaeological sites with archaeological site dated the several historical periods since the Bronz Age down to the Islamic periods.

E. Edrain

It is presented in the Madaba map to the east south of the city of Gaza as three towered village with a central building covered with a gabled roof of possibly a church. Edrain was an open village during the Roman Byzantine period. It is identified today in Khirbat al-'Adar, some seven kilometers to the south of the city of Gaza, on the north bank of valley of Gaza, or "*Flumen Thabatha*" as it was called during the Roman Byzantine period. Many cisterns and pottery shards and foundations were found in the site.[27]

F. Sycomazon

Sycomazon is represented in the Madaba map to the south of *Thabatha* and *Edrain*. Sycomazon was during the Roman-Byzantine period a famous region located between Gaza region in the north, *Raphia* in the west, *Saltus Gerariticus* in the east and *Saltus Constantiniaces* in the south. Its main town had the same name *"Sycomazon"*.[28] The exact site of this region or town is in the present area of Khirbat al-Sheikh Hammuda, of which is named after al-Sheikh Hammuda, who lies buried on the top of a mound there. This archaeological area is located today in al-Qarara village to the north of Khan Yunus. The biography of al-Sheikh Hammuda is not available.

The site occupies a wide area covered with huge quantities of Roman and Byzantine pottery and glass shards. During the land elevation and cultivation during the late three decades of this century many sand- and limestone fragments as well as marble pillars, bases and capitals fragments alongside with coins were found in the area. The site showed also Roman-Byzantine graves built of sandstone and oriented east-west.

The water resource of the area was the rain-water collecting wells (each ca.2.50 m in diameter). Some of them are still extant.

G. Menois

To the east south of *Sycomazon* the Madaba map represents a village called *Menois*. We identify it with the present-day village *Ma'in*, in the position of *Khirbat Ma'in*.[29]

It is a ruin (*khirba*) which has the grave of a Sheikh called Muhammad (his biography is not available), situated about a mile to the east-south of the city of Khan Yunus. This archaeological site was also visited by the traveler Schumacher in 1886[30] and Musil in 1902.[31] Quantities of Roman-Byzantine pottery and glass shards are scattered in this site.

H. Seana

To the north east of *Menois* the Madaba map represents the village *Seana* with two towered gate. This village is identified with the present-day Khirbat or Tell Seihan located 10 km to the east south of the city of Gaza, and 100 m above the sea level. Many water cisterns and pottery shards and marble fragments were found in the Tell.[32]

I. Raphia

This town was originally presented in the Madaba mosaic map, but its mosaic part was damaged. Only the first letter of its name is to be seen in the Madaba map between Gaza and *Bitolion*.

The main archaeological site in the area of *Raphia* (*Rafah*) today is *Khirbat Rafah*. It was visited in 1886 by the traveler Shumacher, who described a circular water well (*Bir Rafah*) there, with a depth of 60 feet, and is built up carefully with ancient well. All over this hollow remains of marble, attic bases, columns, and mosaic masonry.

the city of Gaza. The position of *Thabatha* on the map as a village close to the city of Gaza and far away from the sea is not correct. Thehistorian Sozomenus (400-434) locates Tabatha about seven miles south of Maioumas, the Roman Byzantine port of Gaza, on the bank of a stream (valley of Gaza "*Wadi Ghazza*" that flowed into the sea.[25] This valley was called during the Roman-Byzantine period as "*Flumen Thabatha*" after this village.[26] *Thabatha* is mentioned as the birthplace of the monk Hilarion during the 4th century CE. He introduced monasticism into Palestine. Among the suppliants, Hilarion had other visitors to his desert solitude. They built their huts nearby, and gradually a community developed and an organized monastic way of life evolved. We suggest that the ruins of *Thabatha* are located in the archaeological site Tell *Umm Amir* (described later), between al-Zawayda and al-Nuseirat areas.

This site *"Tell Umm Ámir"* is in fact a complete Byzantine village. It was discovered, when in 1991 the owners of the Tell began to elevate it. Following to this discovery the Israeli Antiquities office in Gaza excavated there between December 1991 and January 1992 in the basilica area of the site. All archaeological objects found during the excavations are presently in the Israeli Department of Antiquities.

Since 1997, the Palestinian Department of Antiquities is carrying out large-scale excavation to explore the entire area of the site (ca.100 000 m). The excavations uncovered the center of the village including the religious christian complex with a monastery, church in basilica form and part of the infrastructure of the village such as public bath complex with its water installations. Several colored mosaic pavements were uncovered in the site including Greek inscriptions. One of the Greek inscriptions found in the site is a funurary inscription graved in a marble plate. It is dated to 539 AD.

Some scholars locate also the village of *Thabatha* in the site of Khirbat Umm al-Tut, which is located also in al-Nuseirat area, ca. 1 km to the north west of Tell Umm Ámir. The site of Khirbat Umm al-Tut could be a bordering site of *Thabatha* but not Thabatha itself. The site is too small in comparison with the Tell Umm Amir to be the site of the village *Thabatha.*

D. The Mosaic Pavement of Deir al-Balah

In 1999 the Palestinian Department of Antiquities uncovered a colored mosaic pavement, located on the coastal road between Deir al-Balah and Khan Yunus. The mosaic is partially damaged. It was for a church with a basilica plan consists of three ailes, running east west. The pavement has two Greek inscription, the oldest one is located at the eastern end of the pavement of the central nave and dated to 586 AD. The mosaic cubes are in different colors, similar to the mosaic cubes found in several Byzantine sites in Gaza Strip.

The pavement of the central nave is decorated with medalions, in each of them figures of animals, birds, fruits etc.. That is similar to the decoration of the mosaic pavement dis-



Fig. 12: The foundation Greek inscription of a mosaic pavement discovered in Abasan al-Kabira to the East of the city of Khan Yunus (606 AD).

geometrical and floral elements, mountains as well as 17 Greek inscriptions.

This mosaic pavement is similar, in its cubes size and color as well as its fine decoration, to the discovered Byzantine mosaic pavements in the seashore of Gaza city, in the site of *Tell Umm Amir* (in al-Nuseirat area), in the seashore of Deir al-Balah (pavement for a basilica, 586 AD) and in `Abasan al-Kabira.

The discovered mosaic pavements of Jabalya were for a religious complex, including a *basilica* building most probably a church and other buildings for religious and domestic purposes, oriented east-west. The oldest Greek inscription of the complex is dated to 444 AD. It is funurary inscription and not the foundation date of the complex. The latest inscription mentions the date 670 AD, also during the beginning of the Umayyad Caliphate, the whole complex should represent the center of a Byzantine village already existed in the site. This village is most probably *Asalea* or one of which Acropolis, of which excavated cemetery is located 100 m to the east south of the discovered pavements.

B. Bethelea

Among the villages dependent on Gaza during the Byzantine period and represented on the Byzantine mosaic map of Madaba, is the village *Bethelea*. It may be identified with

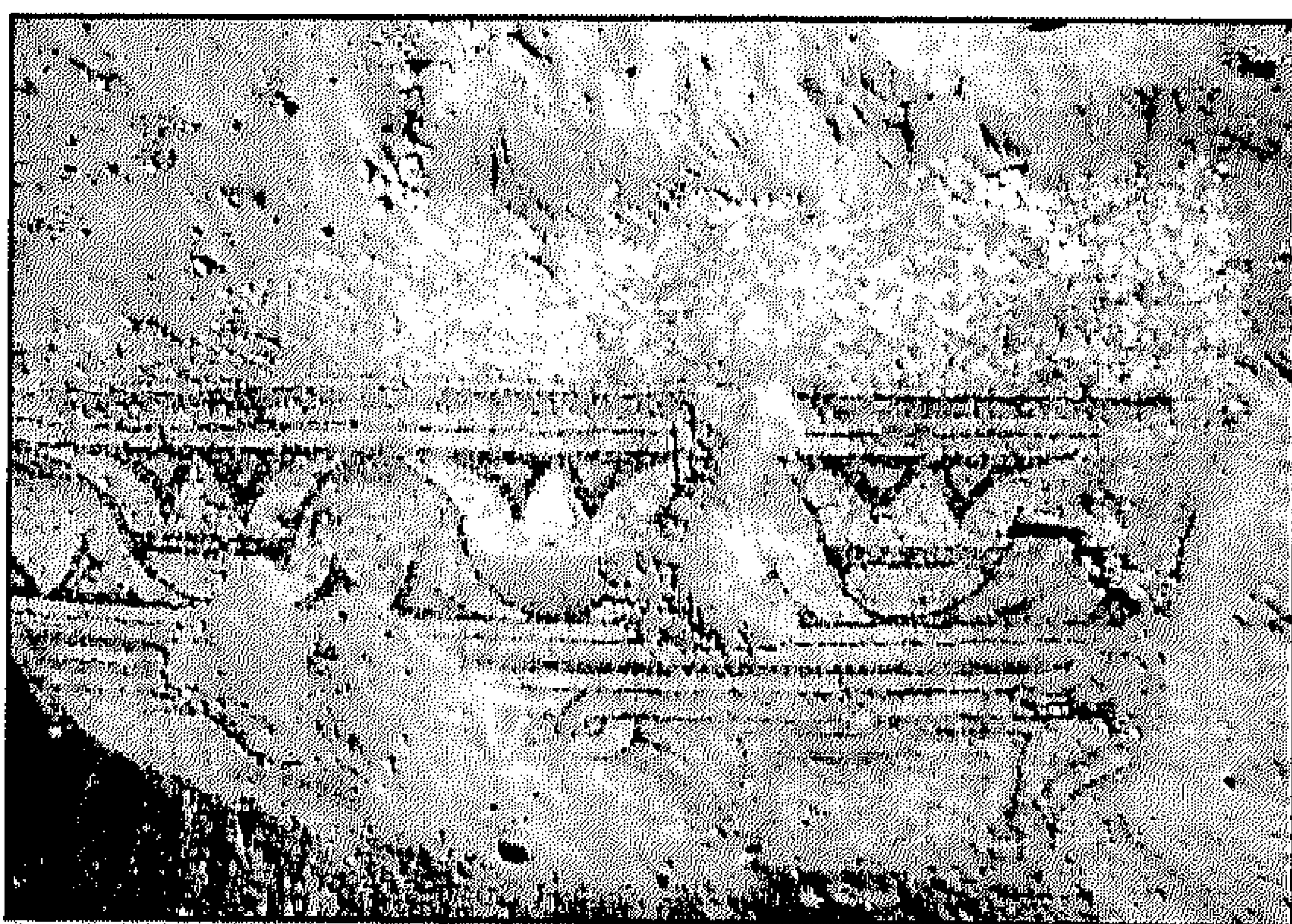


Fig.10: Detailed photo of the Byzantine mosaic pavement discovered in al-Nusairat area.



Fig. 11: General photo of the mosaic pavement of a basilica central aisle discovered in the seashore of the city of Deir al-Balah (586 AD).

the present-day Beit Lahya located to the north-east of Gaza in a valley and surrounded with sand dunes. A big mound (*Tell ad-dahab*: the gold-mound) was located close to Beit Lahya (now removed). The quantities of pottery and glass shards as well as coins found by the inhabitants over the mound give evidences for a Roman-Byzantine settlement should be existed there. During the Roman period "Bethelea" was well populated village possessing several temples, greatly venerated by the inhabitants for their antiquity and furnishing. Prominent among them was a Pantheon, on the summit of the above mentioned artificial mound and dominating the whole village[23] The name Bethelea is suggested to be referred to the Pantheon.

The Roman historian Sozomenus (400-443) mentioned Bethelea as his birthplace. He recounts how his grandfather, together with all his household, were converted to Christianity by Hilarion,[24] which he describes as a well populated village, possessing several temples, greatly venerated by the inhabitants for their antiquity and furnishing. Prominent among them was a Pantheon, on the summit of an artificial mound and dominating the whole village.

C. Thavatha or Thabatha

Thabatha is represented on the Byzantine mosaic map of Madaba with small square tower with inscription ***Tabata*** to the south of



Fig. 7: Detailed photo of the Byzantine mosaic pavement discovered in Jabalya area.



Fig. 8: Detailed photo of the Byzantine mosaic pavement discovered in Jabalya area.

quantities of pottery shards dated to the Roman-Byzantine period are to be seen. The Byzantine contemporary historian Sozomenus (400-434 AD) mentions Asalea as the home of the holy man Alphion.[22]

In 1996 the Gaza Department of Antiquities discovered a large cemetery in Jabalya area, on the right side of the main road leading from Gaza to Beit Hanün- (Erez-) checkpoint. The cemetery is laying on the western foot of the mound of Jabalya. The discovered large cemetery belongs, most probably, to the village *Asalea*, which is according to the Roman map of Palestine and the Madaba map the nearest place to that cemetery. The second nearest village to the cemetery is *Bethelea*, which is also presented in the Madaba mosaic map.

The cemetery has two burial systems: The first one is the collective tombs. They are among the earliest burials of the cemetery. They are cut in the sandstone soil (*kukar*) in the deepest level of the other burials. Each collective tomb consists of a small court leading to individual burial chambers arranged around it with various orientations. These collective tombs are dated to the early Roman period. The second burial system is the surface individual graves that have been cut also in the same kind of soil. They are generally oriented east-west and are covered with slabs of sandstone. At this level seven burials were found to have coffins cut in white limestone. Many Roman-Byzantine pottery shards and oil lamps were discovered as well as glass bottles, bracelets, gold earrings and two gold coins of the 6th. century AD.

In 1997 several mosaic pavements were discovered in Jabalya also ca. 100 m to the north west of the Roman-Byzantine Cemetery. They are colored and made of small color marble, stone, pottery and glass cubes forming human figures, animals, birds, fruits,



Fig. 9: Detailed photo of the Byzantine mosaic pavement discovered in al-Nusairat area.

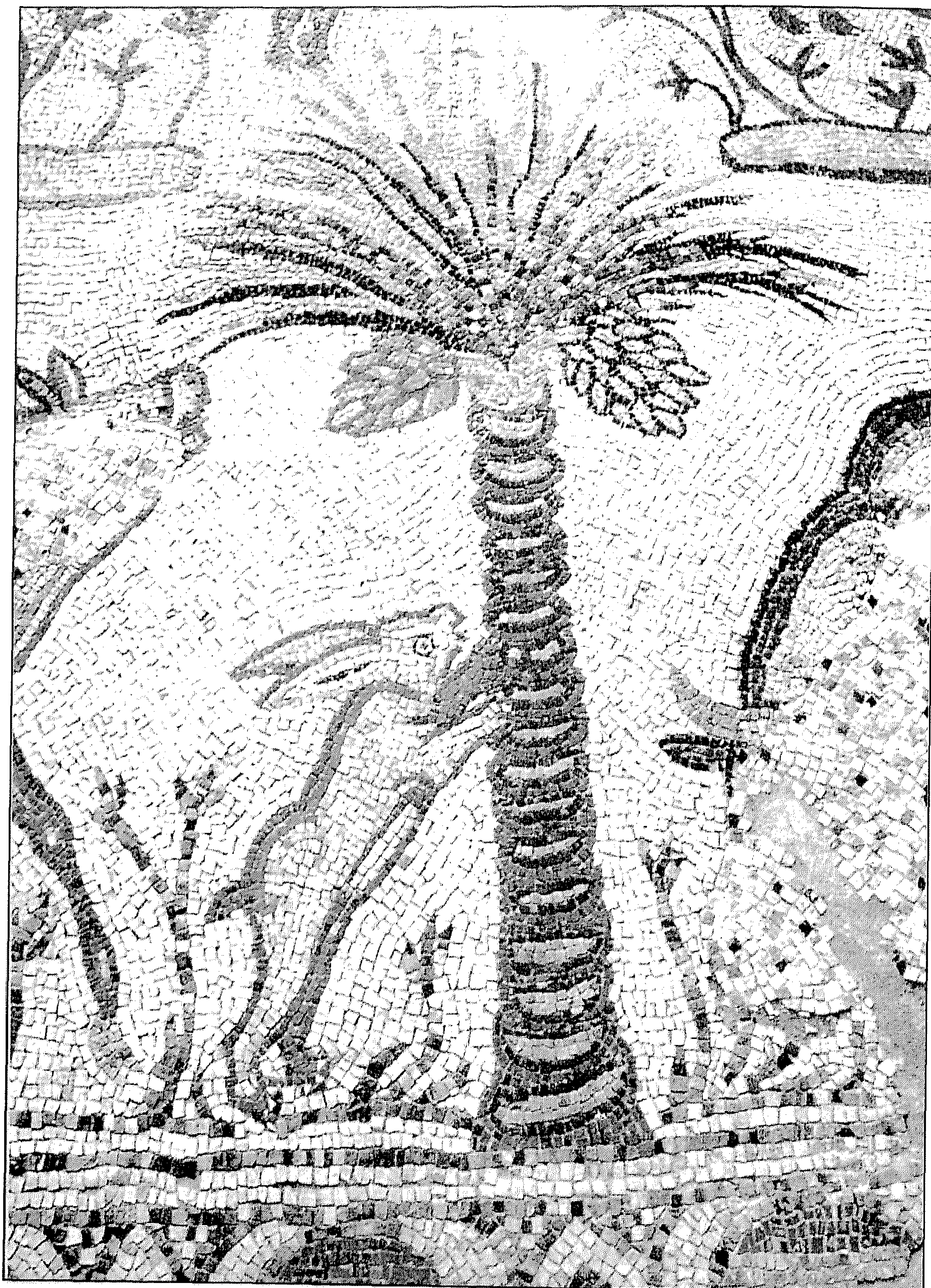


Fig. 6: Photo of the Byzantine mosaic pavement discovered in Jabalya area, Gaza.

elements as frame for the whole pavement. It recalls the colored mosaic pavements discovered in Gaza area.

C. The Church (monastery) of St. Victor

Between the city of Gaza and the harbor of Maioumas, or south-west of the walled city of Gaza, the mosaic map of Madaba represents a church in an isolated area, also not in a village or a city. The inscription over the building refers to as "***Of St. Victor***", who was buried in Maioumas.[20] This building could be identified with the monastery existed between Gaza and Maioumas during the fifth century.[21] The structure represented in the Madaba map as a rectangular building with a gabled roof covered with red tiles, oriented east west and provided with a colonnaded porch. We suppose that the position of this building is today some two hundred meters to the east of the UNRWA headquarters, where the Palestinian Department of Antiquities discovered in 1984 a Byzantine mosaic pavement, which is partly damaged. The remaining part has the dimension of approximately 2m x 2m, forming geometrical elements, mainly circles and squares. The style of this mosaic, but in one color, is famous for the Gaza Region, although mostly these mosaics are made in white as their main color.

It is also highly interesting that the colored mosaic pavement of Thalathini Street is very similar to a mosaic discovered in front of a Byzantine Theatre in the site of qum al-dikka in Alexandria, Egypt, in the size of its colored cubes and the elements of decoration. This mosaic of Alexandria is well dated to the 6th. century AD.

The entire discovered mosaic pavements of the Byzantine religious buildings in Gaza area are made of smaller colored cubes, which could easily indicate the precise details of the several kinds of images of the pavements.

The mosaic pavement discovered close to the UNRWA does not belong, in my opinion, to the monastery of St. Victor itself but to the area in which this monastery existed.



Fig. 5: General photo of one of the Byzantine mosaic pavement discovered in Jabalya area to the north of the old city of Gaza.

II. The Gaza surrounding villages

The following villages, that represented in Madaba map around the walled city of Gaza are presently included within the border of Gaza Strip, where we had our recent archaeological investigations.

A. Asalea

The Byzantine mosaic map of Madaba represents a village called "*Asalea*" as three-towered gateway to the north of the city of Gaza. It is suggested that this village is located in the same spot of the present-day al-Nazla, which is located close to Jabalya, also few kilometers to the north-east of the old city of Gaza. In the centre of this village

excavated in September 1967 under protection of the Israeli Military.[17]

The mosaic pavement is made of small cubes of colored stone, marble and glass. It is divided by floral motives into medallions in which representations of various animals are enclosed. In one of the medallions a Greek inscription commemorates the names of the donors and the date of the mosaic.

The dimensions of the mosaic indicate that it belonged to a large building of 30 by 26 m, had an east-west orientation consisting of a wide nave and two narrow aisles on each side. These aisles were apparently separated by two rows of columns. In the western wall there were probably three entrances: a central one leading to the nave and two side entrances leading to the inner northern and southern aisles. In the southern wall there was an additional entrance. On the east side of the building was an apse of 3 m in depth. This church seems to have belonged to Maritime Gaza, Constantia, Maioumas Neapolis. To the west of the pavement, on a level lower by about 2.5 meters the excavations revealed an installation that probably functioned as a dye-workshop. It is surrounded by a mud wall built on a stone foundation. The limestone basins found at the site were probably used to grind the dyes. Remains of charred wood and ashes indicate that the building had had a wooden roof which collapsed when the structure was destroyed by fire.

The Israelis have transported the whole of the mosaic pavement to the Israeli Museum in Jerusalem. Only small traces of the geometrical frame of the pavement are to be seen in the site today.

B.2 Anthedon

In *Al-Bilakhiyya* area, to the north of the Roman-Byzantine harbor Maioumas, under the north-west corner of the Beach Refugees camp of Gaza, we have the remains of the the earlier harbor city of Anthedon (today locally known as al-*Bilakhiyya*). Anthedon was the first known sea harbor of Gaza. The same port was called also Agrippias after Marcus agrippa, Augustus commander-in-chief.[18] The harbor of Gaza is called in the work of some Islamic historians as *Tida or Teida.*[19] It is an apparent corruption or shortening of the name Anthedon.

The excavations carried out in the area by the Palestinian Department of Antiquities and the Ecole Biblique in Jerusalem explored structures dated to the Roman-Byzantine period i.e., the discovery of the eastern facade of a large building located ca. 300 m to the north-east of the Assyrian Rampart of Anthedon in length of ca.110 m. Storage jars, pottery shards, coins and other discoveries indicate that this building should be attributed to the early Roman period.

Just close to the sea shore in the same site the remains of a big building were also discovered. They belong, most probably, to a palace or industrial area. A rectangular water cistern, swimming pool, big halls and several rooms were uncovered there.

Ca 400 m to the east of these structures the Christian era of the site is shown clearly in the cemetery. This cemetery has individual graves oriented in east-west direction and divided into two groups: The first group is made of sandstone and located in the south part of the cemetery. The graves of the second group are made of sandstone coated from the inside with plaster, which is decorated in red with floral and geometrical patterns as well as with crosses. Byzantine graves of the type represented by this latter group have never been discovered in the region before. Ca 10 m to the north of the excavated graves of the cemetery a color mosaic pavement, apparently for a chapel, was discovered. We expect that the Byzantine settlement of this cemetery is under the hill located close to the chapel in the north side. The pavement has length of ca. 6,70 m. It is made of colored marble cubes, the uncovered parts of it presents geometrical



Fig. 4: General photo of the mosaic pavement of a basilica central aisle discovered in the seashore of Gaza (609 AD).

B. The Sea Harbor "Maioumas/Constantia"

The partly damaged inscription immediately below the western gate of the city of Gaza refers to a Neapolis, the name of which is damaged. We have no doubt that the only town directly to the west of the city is Maioumas, the harbor city, of which inhabitants went over to Christianity in a body in 331.[15] In 335 AD the emperor Constantine the Great rewarded its inhabitants for their unanimous adoption of Christianity by renaming their town "the city of Constantia" in honor of his sister and elevated it to city-status of a polis as an independent city with its own Bishop.[16]

The seashore of the city of Gaza was continuously populated and became during the Roman period a flourishing and developed port-city.

On the Byzantine mosaic map of Madaba Maioumas is represented as a not walled town with a wide street (not colonnaded) joining it from east to west. Some buildings of the city have the same kind of the red roofs as the city of Gaza.

The position of Maioumas on the seashore of Gaza city is rich today with ancient building stones, marble pillars, bases, capitals and other antiquities fragments such as pottery and glass shards, which mostly dated to the Roman Byzantine period. The discovery of a mosaic pavement of a church (described later) and structures in this area is an important evidence for such harbor of Maioumas.

B.1 The Byzantine Mosaic Pavement of Gaza Seashore

In 1965, and in the same area on the sea shore, the Egyptian Department of Antiquities excavated a Byzantine mosaic pavement of a church dated by its Greek inscription to the year 569 of the Gaza calendar, which is 508/9 AD. It is situated on the seashore of Gaza City, near the present -day fishing boats marine.

Alongside many archaeological excavations carried out illegally by the Israeli Department of Antiquities and Museums in the Palestinian occupied land this site was

ently lead to gates in the city walls. The streets are running north-south and east-west crossing the centre of the city. They could be compared similarly with the streets plan of Gaza drawn up by George Gatt in 1887, when also long parts of the walls of Gaza were still to be seen and some of them could be traced. The location of the still extant Greek Orthodox Church of Porphyrius on the south side of the main street of the city running east west in the map of Gatt (1887) until today (in al-Zeitun quarter of the old city of Gaza) could be also compared similarly with the location of the church of Gaza in Madaba map in the lower, south-west quarter of the city.[12]

Some public buildings of the city are clearly to be seen in the map, among them a rectangular open space in the cross of the main three streets of the city leading each to one of the city gates. This open space should be a forum, in which centre is a structure visible in the map after the restoration of 1965. It is located in front of and at the same angle of the north south collonade street of the city, also the most important street leading to the southern two-towered gate of the city, the main outpoint leading to the cities and villages of the southern coast of Gaza Strip and then leading to Egypt along the famous highway that was named "Horus way" in the old Egyptian inscriptions, "the way to the land of the Philistines" in the Old Testament and "via maris" during the Greek Roman period. This structure could be the elaborate clock, which is said to have stood in the centre of Gaza, marking the hours both by a bell and by moving bronze figures, representing Helios appearing in each of the twelve doors in turn, and Heracles performing his labours.[13] Another possibility for this structure is the cult of Aphrodite, which was in one of the public squares of the city. The structure consisted of a podium and a prominent marble pillar with the statue of the goddess in the shape of an elegant naked woman. This statue was respected and visited especially by the women of the city,who lit lamps and burned incense before the image, for the goddess was supposed to give advice, in the form of dreams, to persons contemplating marriage. This structure was located in the centre of the cross roads according to the Marcus Diaconus, who lived with St. Porphyrius in the city during the last decade of the 4th century AD. and the beginning of the 5th century AD.[14]

The plan of Gaza in the Madaba map represent also a semi-circular structure possibly a theatre, located in the south eastern corner of the city. The back border of the theatre is represented in the map with a tiled roof. The front border is lined with pillars. This theatre should be according to the Madaba map in the east-southern part of al-zeitun quarter of the old city of Gaza.

To the north east of the large central forum of the city there is a small rectangular open space, with a roofed portico in the north, east and west sides. This space was most probably used for the festivals organized always in the city during the Roman and Byzantine periods. The location of this open space could be identified close to al-'Umari Great Mosque in the eastern side according to the similarity between the streets running in the plan of Gaza, done by George Gatt (1887), and in the Madaba map.



Fig. 3: General photo of the mosaic pavement discovered in the area between the old city of Gaza and the seashore (6 century AD).

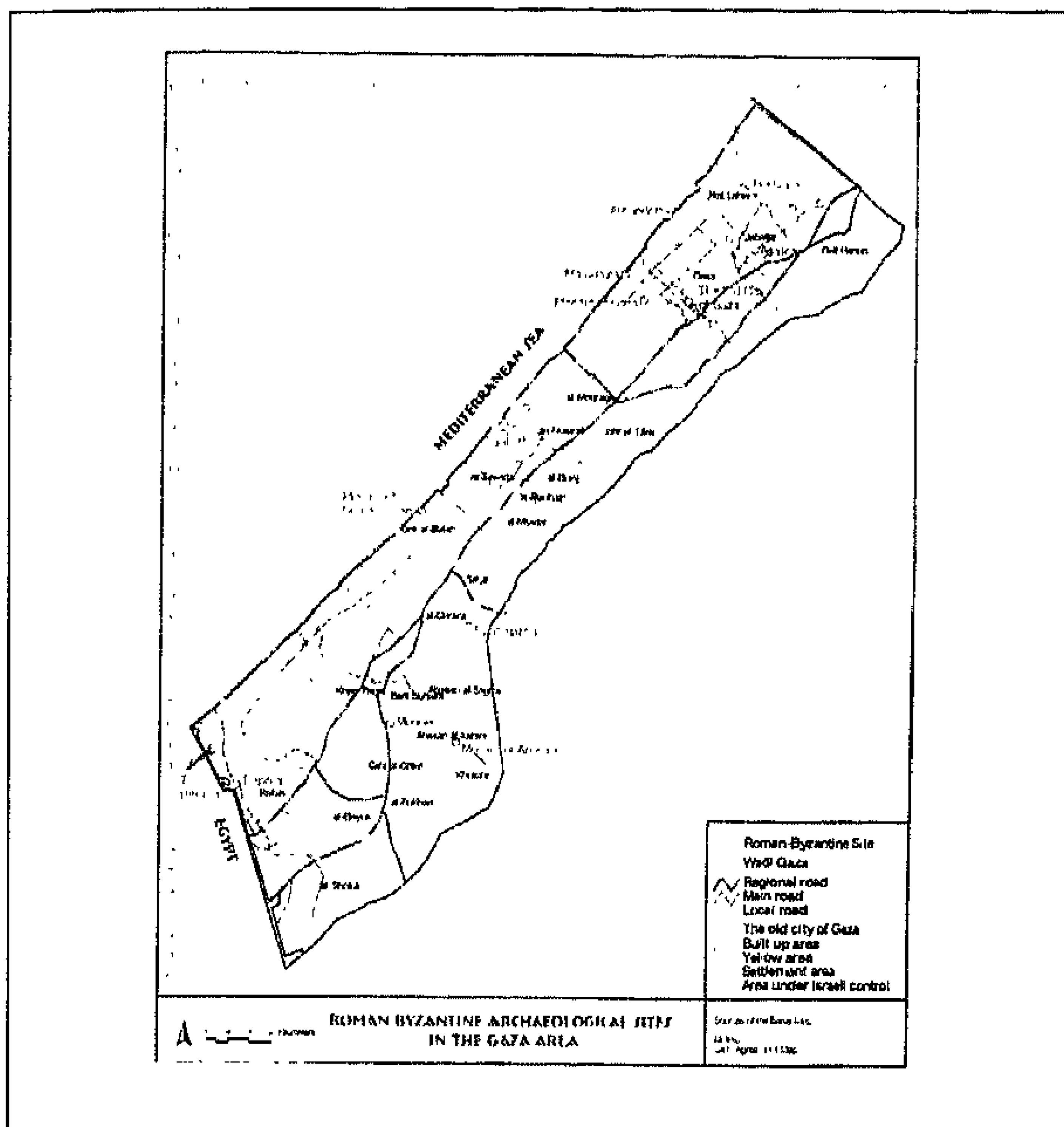


Fig. 1 : Map of the Roman-Byzantine sites in Gaza Area.

carved Corinthian capitals (spolia) carry the transverse pointed arch.

Its plan recalls some Byzantine plans of churches and chapels in Palestine, but the architectural elements of the present-day building such as the outer tapering buttresses, the cross vaults and the west entrance are to be seen in many crusades churches. So it is suggested that the present - day structure of the church was built in the 12th century AD in the site and over the foundation of the original Byzantine building.[9]

The church is built of sand stones with marble column-fragments pinned horizontally into the walls.

The floor level of the church is about two meters below the present ground level in the south and 3m below on the north.

The west main entrance of the church is reached by a flight of steps and is surmounted by a pointed arch.

In a marble panel in the tympanum above the western entrance there is an inscription in Greek and Arabic recording the name of St. Porphyrius, Bishop of Gaza, as the first founder of the church in 425 AD. during the days of the emperor Arcadius.[10] The date of the church-plastering in 1856 AD. is also mentioned.

The northern entrance of the church seems to have been altered during the architectural activities of 1856. The southern entrance is today often used. It seems to have been opened in the place of a former window.

The grave of St. Porphyrius is located close to the northern wall of the church.

The church is surrounded from the east, north and west side with the graves of the Christian cemetery, which was also used during the Byzantine period in a level under the surface graves.

The plan of Gaza in the Madaba map represents only one church. It is located in the south western corner of the city, that means in the present - day al-zeitun quarter of the old city of Gaza and in the until today well known as the traditional quarter place of the Christian community of the old city. So the church represented in the madaba map is the Greek orthodox Church of Porphyrius and not the Church of Eudoxia mentioned above, which was the main church of the city.

The Madaba map shows main colonnaded streets lined with stoas.[11] They are represented by white columns and red roofs, and appar-

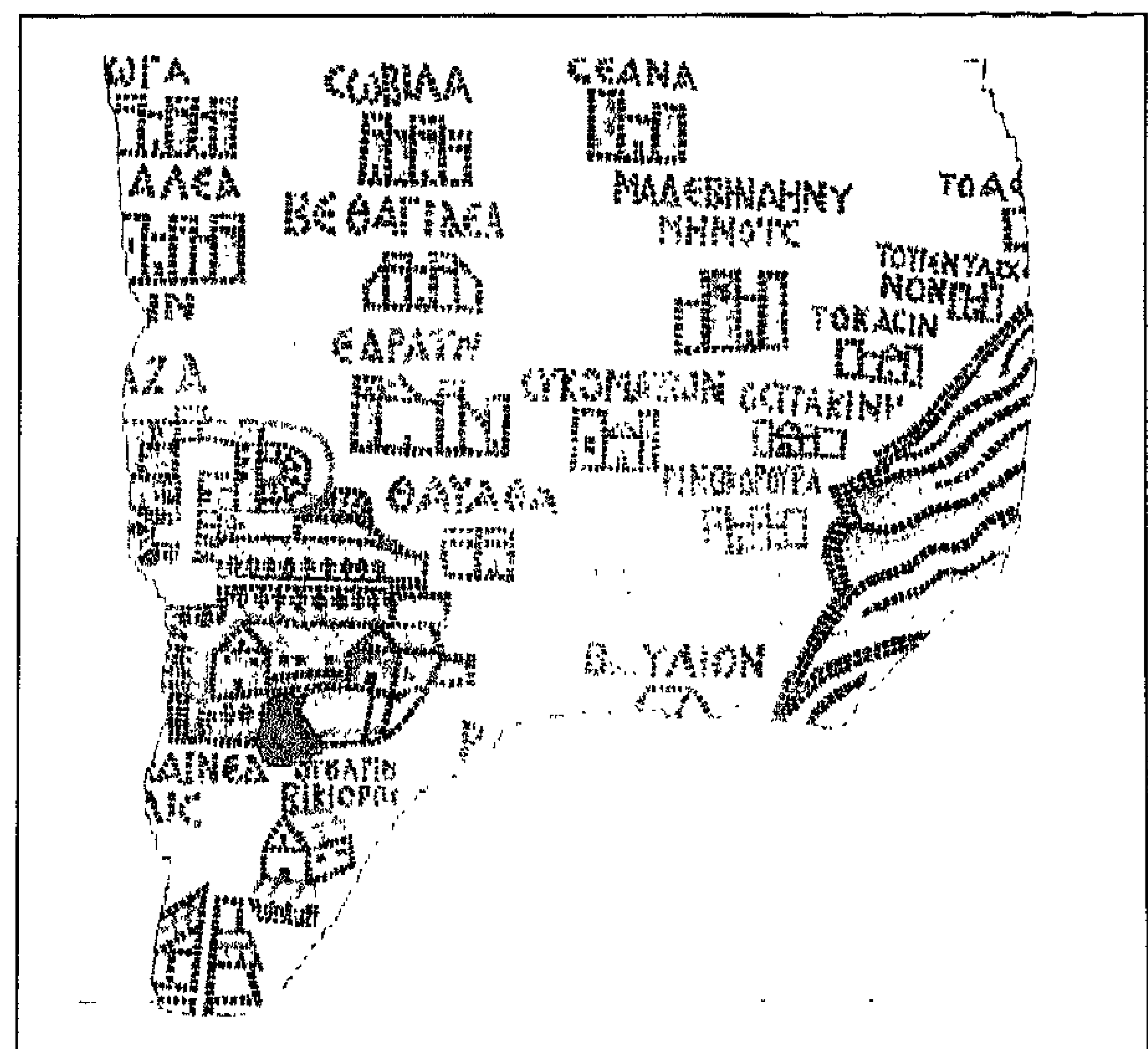


Fig. 2: The Madaba Byzantine mosaic plan of the city of Gaza and the surrounding area (Avi Yonah, The Madaba Map, 1960).

graphical, topographical, archaeological, art historical and theological studies not only about Gaza but the whole region.[1] Moreover, the archaeological excavations carried and still carrying out during the last five years by the Palestinian Department of Antiquities in Byzantine sites are a further visible evidence for Gaza area during the Roman-Byzantine peroid.

I. Gaza City During The Roman Byzantine Period

A. The Walled City of Gaza

It is generally accepted, that the Roman-Byzantine city of Gaza is built on the same present day location around mound of the old city, which rises about 100 ft. above the surrounding ground level. There is also no doubt that, the modern Gaza rests directly on the destroyed dwellings of the Roman Byzantine city. Many architectural fragments, complete pillars, capitals, inscriptions, pottery vessels and marble panels etc. were found by the inhabitants in the area.

On the Byzantine mosaic map of Madaba, the city of Gaza is presented as the second largest city of Palestine after Jerusalem. It is walled and provided with towers. Only the right hand half or the southern half of the city is extant.

In the Roman period the round temple of the idol Marnas, dedicated to Jupiter, was located in the centre of the old city of Gaza. Marnas was the chief deity of the city, and his temple was believed, by the people, to be more glorious than any other temple in the world. In addition to the temple of Marna, the city of Gaza housed seven other public temples, namely; those of Helios (the Sun), Aphrodite (Venus), Apollo, Persephone, Hecate, Hiereion, and Tychaeon. These pagan temples were not extant, when the Madaba map was done during the the latter part of the reign of Justinian (527–565 AD), i.e. between 542 and 565, and probably between 560 and 565.[2] So they are not presented in the map.

By the influence of the Empress Eudoxia (died in 404 AD), the wife of the Byzantine Emperor Arcadius, the Greek ecclesiastic St. Porphyrius (died 480 according to the Gaza calendar[3] = 420 AD)[4] obtained an edict authorizing the destruction of all the temples of Gaza, and the construction of a church on the site of the temple of Marnas by support and fund of the emperor Arcadius and Eudoxia. This church was to be named after Eudoxia, who sent from Constantinople a cross-plan to be implemented as well as funds and 30 or 32 marble columns for the construction. The building was erected under the direction of the architect Rufinus from Antioch. The church was dedicated on the Easter Day of 14 April 407 AD.[5]

The Church of Eudoxia does not exist anymore, nor are there any traces of it to be seen. It seems to have been destroyed during the Persian invasion in 614 AD or as a result of the strong earthquake that struck Gaza in 672 AD.[6] The assumed place of the former temple of Marna and the later church of Eudoxia is the site of the Great al-'Umari-mosque in al-daraj quarter of the old city of Gaza.[7]

During his life in Gaza Porphyrius erected another church (or could be a chapel) to the south of the above mentioned church of Eudoxia, just close to the Byzantine cemetery in Ras at-Tali street of az-Zaitun quarter of the old city of Gaza, namely in the traditional Christian place. This cemetery is still used for the Christian community.[8]

This building, which was originally most probably a chapel, is called today as the Greek Orthodox Church of Porpyruis. It has a single-aisled structure of two almost square bays covered with cross vaults springing from rectangular corner pilasters and from a pair of rectangular pilaster with two engaged columns placed mid-way along the nave. These marble columns and the acanthus

The City Of Gaza And The Surrounding Area During The Roman-Byzantine Period

Mohammed-Moain Sadeq

Abstract. *The importance of Gaza area during the Roman-Byzantine period is clearly proved by several contemporary archaeological sites. This study deals with the topographical aspect of Gaza City, its harbour "maioumas " and the surrounding villages during the Roman-Byzantine period based on field survey, archaeological excavations and literature. The collected different data of the topographical aspect were analyzed and compared. The exact locations of the different topographical features of the area are identified. Moreover the study includes Roman-Byzantine sites excavated during the last five years by the Palestinian Department of Antiquities containing ruins of important villages as well as Byzantine colored mosaic pavements decorated with inscriptions, human, animals, plants and geometrical elements. In Addition the topographical aspect of Gaza area is proved also by some not excavated archaeological sites included in the study.*

Introduction

Around 64 AD when the great Roman general, Pompey, set off on a campaign to capture the principalities of Asia Minor and eventually arrived in Syria and Palestine, Gaza's Hellenistic phase came to an end. The city resumed its ancient prosperity. The newly built free maritime city began a "new era" from the time of Pompey.

Gaza maintained its prominent position during the entire Roman period. Later it certainly became a Roman military colony, which was directly under the emperor of Rome, who appointed a legate to take charge of the cities in his name.

The independence of the city is proved by the fact that Gaza at that time had its own calendar. The large number of Gaza coins of Hadrian (129 -130 AD) refer to his residence within the city.

In the second and third centuries, Gaza became a prosperous centre of Greek commerce and culture. Its schools and temples were famous, circling round the Marneion. The schools of philosophy and rhetoric in Gaza grew more and more distinguished.

At the end of the third century AD St. Hilarion, the first hermit of Palestine was born at Thabatha, five miles to the south of Gaza. This site is probably Tell Umm-'Amir or Khirbat Umm al-Tut. The two sites are located in al-Nuseirat area.

In 332 AD Constantine the Great rewarded the inhabitants of Maioumas, the port of Gaza, for their adoption of Christianity by giving their town the name "Constantia", and he elevated it to the status of a "polis", enfranchised city-state under the Romans, and in Christian times it had a bishop.

The bitter conflict that developed in the town in the fourth century between pagans and Christians occasionally required the intervention of imperial troops.

The eight pagan temples of the city, including that of the main god of the city, were destroyed in 401 AD under the influence of Eudoxia; the wife of the emperor Arcadius, and in 406, on Easter Day, St. Porphyrius consecrated the Church of Gaza, named after Empress Eudoxia.

Several sources gave us evidence about many aspects of the City of Gaza and the surrounding area during the Roman-Byzantine period. Besides the contemporary literary sources the Byzantine mosaic map of Madaba (Jordan) is considered, since its discovery ca. 100 years ago, as one of the most important resource for the historical, geo-

Issue No. 2 July 2000
ISSN: 1319-8947 (pp 27-42)

the building just opposite the entrance under the open sky, entrance designed as a multi-columned portico or a free standing propylon, votive steles, inscriptions and sculptures in the temple interior. These similarities could be explained by the availability of a common ancient Semitic source, which gave rise to the development of South Arabian religious architecture.

Prof. Dr. Alexander V. Sedov **Department of Ancient East Studies, Institute of Oriental Studies Russian Academy of Sciences, Rozhdestvenka str., 12, Moscow 103753 Russia. sedov@sed.msk.ru**

مُلَخص: في واحة ريبون القديمة الواقعة في وادي دوعن، غرب وادي حضرموت، نقبت بعثة الآثار الروسية في الجمهورية اليمنية في كثير من المعابد القديمة والموضحة لعادات وتقاليد مدينة حضر موت في فترة ماقبل الإسلام. وتشمل هذه المعابد معبد «ميفعان»، الواقع في منحدر الوادي، الذي بُني تخليداً لمعبود حضرموت الأكبر «سيئون»، بالإضافة إلى معبدين مخصصين للمعبودة «ذات حيميام» هما : معبد قفص النعمان الواقع في ضواحي مدينة ريبون، ومعبد رحبان الذي كان المعبد الجامع في مدينة ريبون. وفي الطرف الشمالي من المدينة عُثر على معيد حضران الذي عُبد فيه المعبود «عثتروم». وقد ساهم تنقيب وتوثيق العديد من المعابد والمباني الدينية في واحة ريبون والمنطقة المحيطة بها التي تُعبد فيها آلهة مختلفة على تقييم المادة العلمية والخروج ببعض النتائج. وقد اتضح أن كل مبنى، بغض النظر عن حجمه، له منطقة خاصة به. ويوجد في كل معبد مبنى مستطيل الشكل في الوسط، وبه صالة مسقوفة ذات أعمدة حجرية مبنية على مصطبة مرتفعة،تؤدى فيها عادة المراسم الدينية. ويشتمل مدخل المبنى على أربعة أعمدة، يصعد إليها بواسطة درج حجري، وفي وسط المبنى يوجد المذبح في الجهة المواجهة للمدخل، ويحتمل أن لا يكون المكان مسقوفاً. وقد وجد بجوار هذا المبنى في غالبية المعابد الكبيرة مبنى آخر يحتوي على صالة مسقوفة ذات أعمدة حجرية، يحتمل أن تكون حجرة الطعام حيث يشارك الناس في الموائد الدينية. وأما المبنى الثالث، فربما كان مخصصاً لكان المعبد.

Notes

1 Kafas (*kfs*') was, most probably, an old name of the temple: A limestone slab with part of votive inscription bearing this name was re-used in a pavement of a sanctuary. Graphic style of the inscription is rather early (A-B styles according to J.Pirenne). The name of Na'aman (*n 'mn*) occurs many times in the votive texts of the final phase of the temple existence (cf. Frantsouzoff 1995: 15; see also Frantsouzoff 1997: 113-127).

References

Akopyan, A.M. 1994. "The Temple Complex Dhat Himyam on the Site of Raybun I in the Wadi Dau'an (Southern Yemen)" **Ancient Civilizations from Scythia to Siberia. An International Journal of Comparative Studies in History and Archaeology**, I (2): 235-248. Leiden, Brill.

Frantsouzoff, S.A. 1995. "The Inscriptions from the Temple Of Dhat Himyam at Raybun" **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies**, 25: 15-28. London.

Frantsouzoff, S.A. 1997. " Regulation of conjugal relations in ancient Raybun" **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies**, 27:113-127. Brepols.

Piotrovskij, M.B. and A.V. Sedov 1994. " Field-Studies in Southern Arabia" **Raydan. Journal of Ancient Yemeni Antiquities and Epigraphy**, 6: 61-68.

Sedov, A.V. 1994. " The Temple of Syn †Myfn (Wadi Dau 'an, Inner Hadramawt)" **Ancient Civilizations from Scythia to Siberia. An International Journal of Comparative Studies in History and Archaeology**, I (2): 249-260. Leiden, Brill.

Sedov, A.V. 1997. " Die archäologischen Denkmäler von Raybun im unteren Wadi Dau'an" **Mare Erythraeum**, I: 31-106.

Sedov, A.V. and A. Batayi'1994. "Temples of Ancient Hadramawt" **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies**, 24: 183-191. London

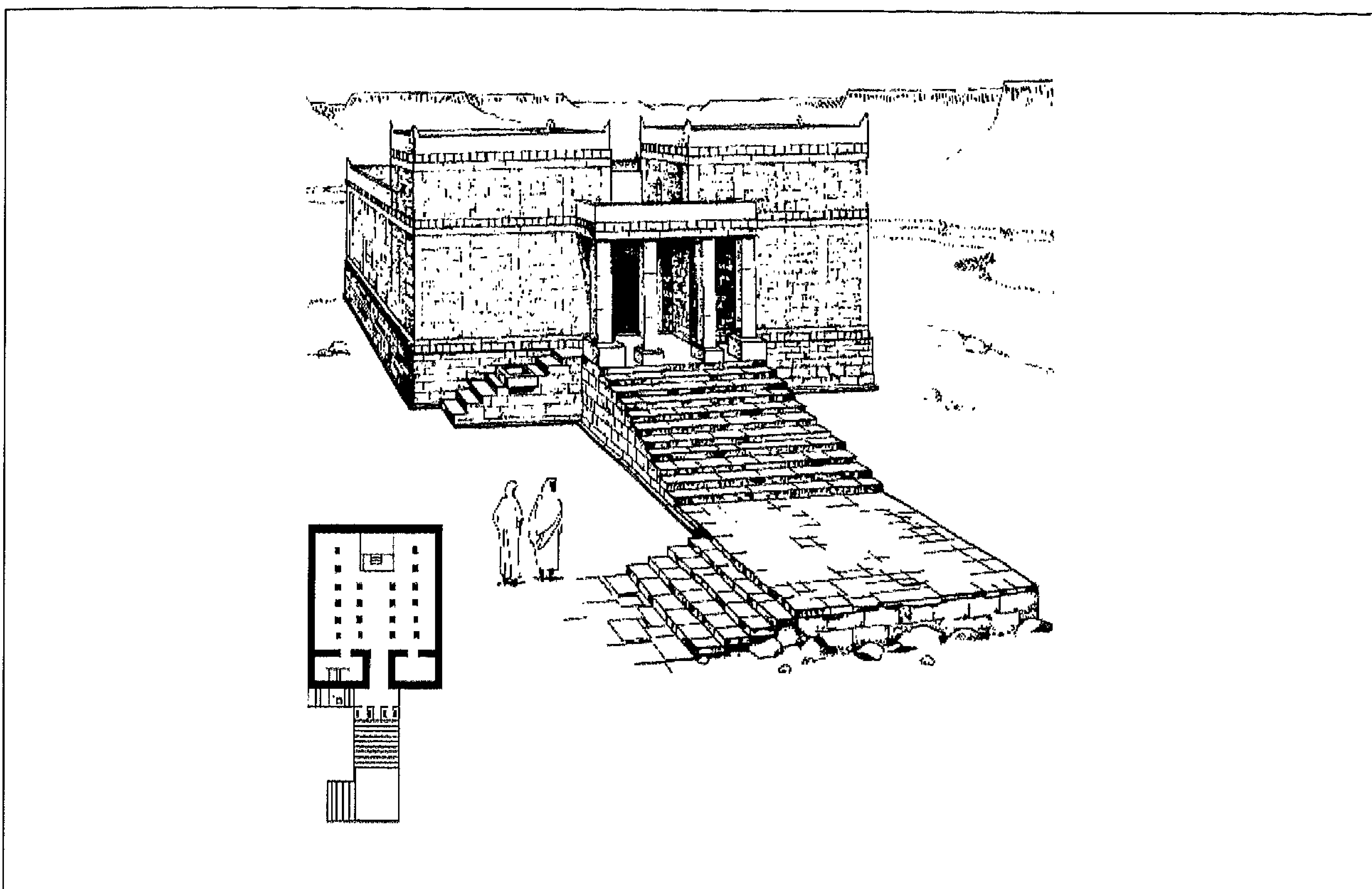


Fig. 8: Hadran temple, variant of reconstruction.

halls. It would be very tempting to interpret these structures as refectories where people came to take part in ritual banquets.

The layout of another kind of buildings recorded in huge temple complexes such as Rahban, Kafas/Na'aman and Mayfa'an is very similar, nearly identical to the Hadrami dwelling-houses. We can hardly be mistaken in supposing these edifices to be "houses of priests".

In all probability, the interior of temples was rather simple and monotonous. Inscribed dedications on the walls of buildings, both inside and outside, on steps, benches and stone paving slabs played an essential if not predominant role. Votive stele, *ms¹nd,* were mounted into special pedestals inside and outside buildings. An important role in the temple's interior was played by imagery. Figurines representing animals were very stylized and apparently symbolized not only sacrificial animals but zoomorphic manifestalion of Hadrami deities as well. However, anthropomorphic statues were more numerous. In some cases it was a possible anthropomorphic representation of gods, although the images of donators were no doubt more popular.

In addition to the sculptures, the interior of the Raybun temples was decorated with mural painting. Altars and floors were covered with textiles and whickered palm mats. Votive weapons and other objects were hung on the walls of the ceremonial halls and refectories. Pottery vessels, apparently for water, incense burners, sacrificial tables and different kinds of altars were stood in specially assigned parts of the sanctuaries and refectories.

If we compare general architectural planning and interior details of composition of Hadramawt, Sabaean or Minean temples, we can see numerous similar features, namely hypostyle halls, an altar situated in a part of

ing was arranged as a four-columned portico on a high porch. Two staircases led to the portico. A monumental staircase from the south and a side staircase from the west. A stone basin for ablutions was found on the steps of the side staircase.

A small corridor led from the entrance to a hypostyle hall, which was divided into five naves by twenty columns. Remains of an altar were found against the northern wall opposite the entrance. Obviously, only the southern part of the hall was covered with a roof and the altar stood under the open sky. Two rooms with the entrances from the hall were situated in the south-eastern and south-western corners of the building, on the both sides of the corridor.

The ruins of what was, probably, a mud-brick sanctuary of the late 6th-5th centuries BC have been found under the stone socle of the late temple. According to archaeological material the Hadran temple was built around the late 5th century and was destroyed by fire in the Ist century BC simultaneously with the settlement.

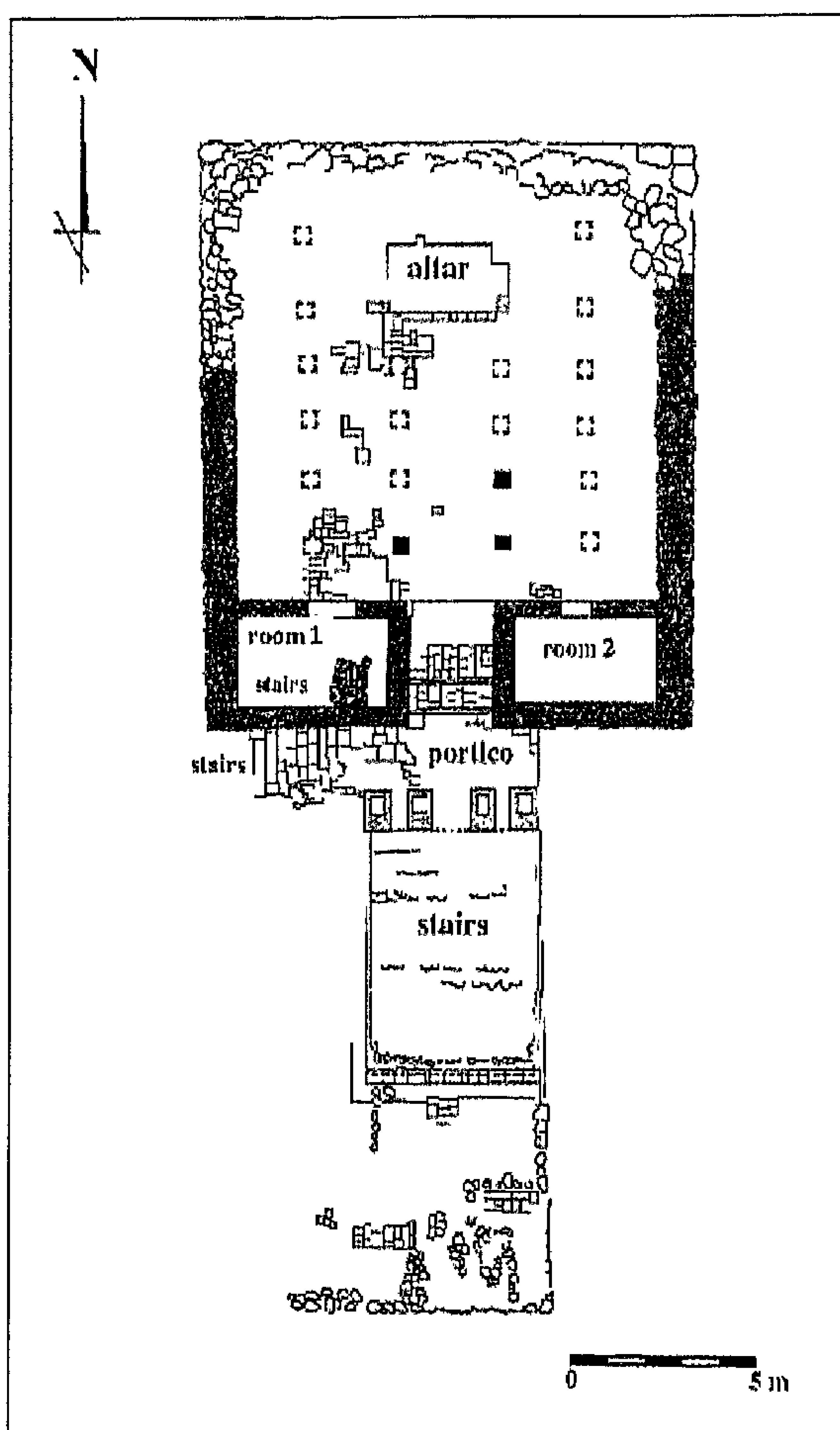


Fig. 7: Hadran temple, plan of excavated building.

Discussion

In general, the data revealed from our investigations allow to follow the gradual development of Raybun temples from small mud-brick buildings to monumental edifices on the stone socles and huge temple complexes consisting of several structures with different functions. Some common features of all above mentioned religious structures could be traced.

To all appearance, each structure, whether it was a small temple or an enormous temple complex consisting of several buildings, had its own distinct territory, a kind of TΣμΣvoç.

The core of each temple was a sanctuary with a hypostyle hall where the major cults connected with the god's worship were officiated. The entrance to the sanctuary was always designed in a form of four-columned portico with stone stairs. In several cases there were small, two-way staircases situated on both sides of the portico like in Mayfa'an temple, but sometimes there were monumental, multi-stepped staircases about 40-50 m long like in Rahban and Hadran temples. The central part of the hall of the sanctuary was occupied with an altar in a form of cubic platform not less than 1.5 m high with stairs fixed against it (a kind of ßñμ∞). The altar was situated in the open air and was surrounded by columns sometimes with stone benches erected between the column foundations.

In addition to sanctuary all temple complexes in the Raybun oasis had other structures located nearby having a hypostyle hall. Fire-places, low square- and rectangular-shaped stone and mud-brick benches, numerous table and kitchen pottery fragments, heaps of animal bones were cleared in these

The main hall of the sanctuary, about llx12 m in size, was divided by 18 columns into five naves. An altar with a rather complex layout occupied the center Of the western part of the hypostyle hall. It's main part was a cube platform, not less than 1.3 m high, consisting of wooden frame filled in with stone pebbles. A three-stepped stone staircase was fixed to the platform. An offering table with a long stone gutter was mounted in the floor paving in front of the staircase. Two stone slabs with a relief images of ibexes or goats were mounted near the gutter of the offering table, while near the north-eastern corner of the altar a high profiled column with the original incense-burner was revealed. It's most likely that the entire altar was covered with cloth, Burnt pieces of cloth were found at the foot of the altar and on the steps. Remains of offerings, a little bronze mirror, a fragment of bronze animal sculpture, a gold amulet with the insertion in blue glass, glass and stone beads etc., were collected on the paved floor in front of the altar. The altar itself was situated under the open air. Stone benches were erected in the naves between bases of columns.

Floors of the temple's rooms and its main hall were paved by limestone polished slabs often bore votive inscriptions, usually in fragments, being taken from the earlier structures (they were re-used). One of these "early" dedications preserved, probably, the initial name of the temple: Dhat-Himyam dhat Kafas. It's most likely that later, after a reconstruction(?), there was changed to Na'man (Frantsouzoff 1995: 15).

To the north-east of the sanctuary another structure (*Building 1*) erecting on a high stone socle was situated. Ruins of two hypostyle halls, adjacent but not connected with each other by passage, were discovered. Probably, at one time it had been a single huge 25-columned hall, but later a wall blocking the central row of columns and dividing the one hall into two was erected.

The eastern hall revealed remains of a stone pebble cube platform or pedestal with fragments of two large storage jars once had stood on it, different votive objects such as a bronze spear-head and a dagger, and a number of stone incense-burners including an excellent piece with inscribed dedication to Dhat-Himyam. In the center of the western hall two big fire-places containing fragments of cooking jars and table pottery were found. The low square, and rectangular-shaped stone and mud-brick benches were situated in the naves between the columns. It would be very tempting to interpret the eastern hall as a place for some formal ceremonies and the western one as a refectory where people took part in ritual banquets.

The third building (*Building 3*) was recorded to the south-east of the sanctuary. Its layout is very similar, nearly identical to Hadrami dwellings which are usually interpreted as noble houses. We can hardly be mistaken to suppose this building as a "house of priest".

There is no clear evidence about the date the temple's foundation: Most probably it was founded around the late 8th - early 7th century BC. According to 14C dating, the last reconstruction of Buildings I and 2, after which it was, probably, re-named to Na'man, took place in the early 3rd century BC. The temple was destroyed in the 1st century BC simultaneously with the agricultural settlements of the ancient Raybun oasis.

Hadran temple (fig. 7; 8). An isolated temple discovered at the northern outskirts of the Raybun settlement was dedicated to 'Ath(s)tarum, the ancient goddess, previously unknown in the Hadramawt pantheon. According to the votive inscriptions the name of the temple was Hadran.

The sacred building was erected on a stone socle dressed by fine polished limestone slabs. The socle was 13.1x15.3 m in size and 1.5 m high. An entrance to the build-

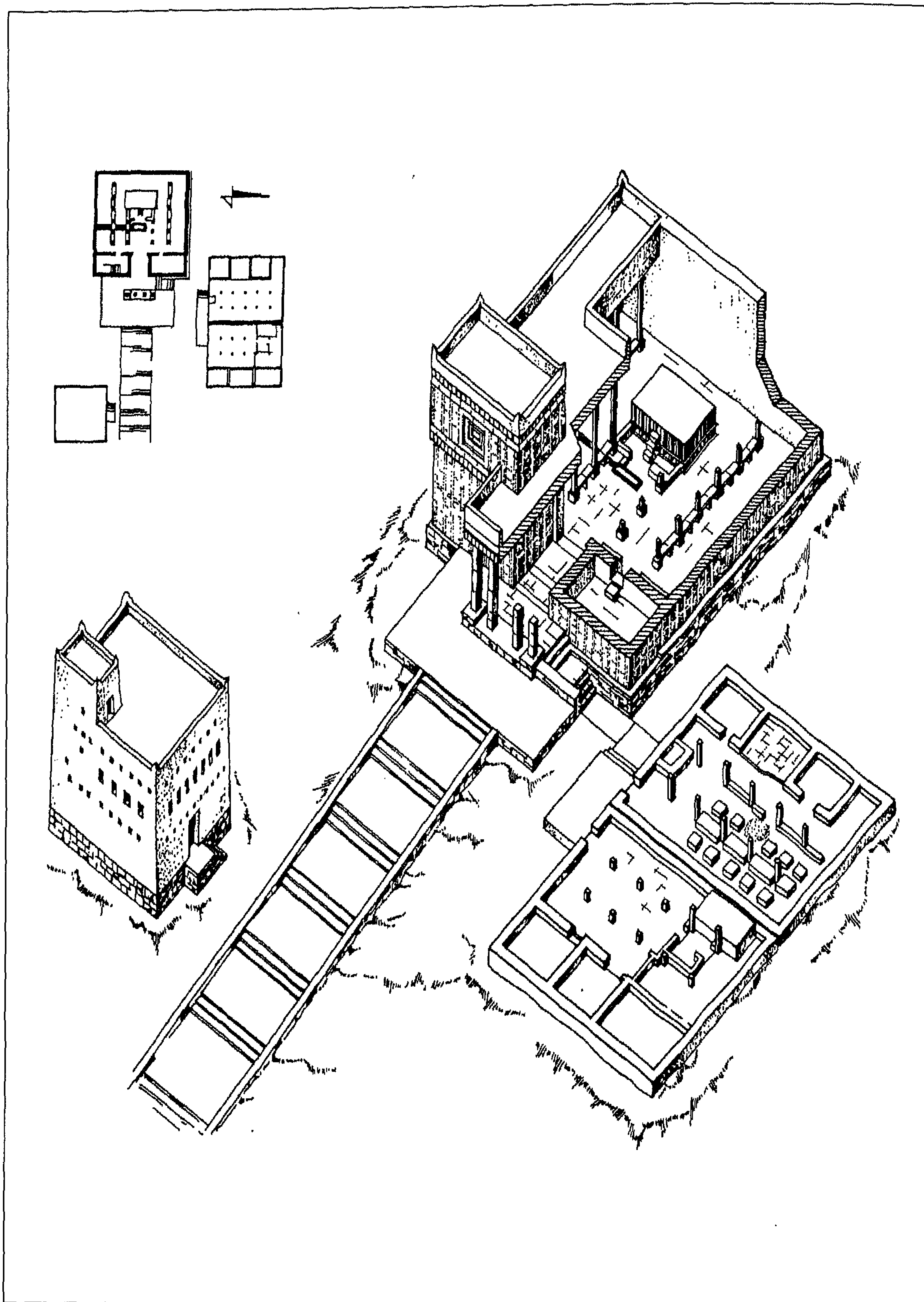


Fig. 6: Kafas/Na'aman temple, variant of reconstruction.

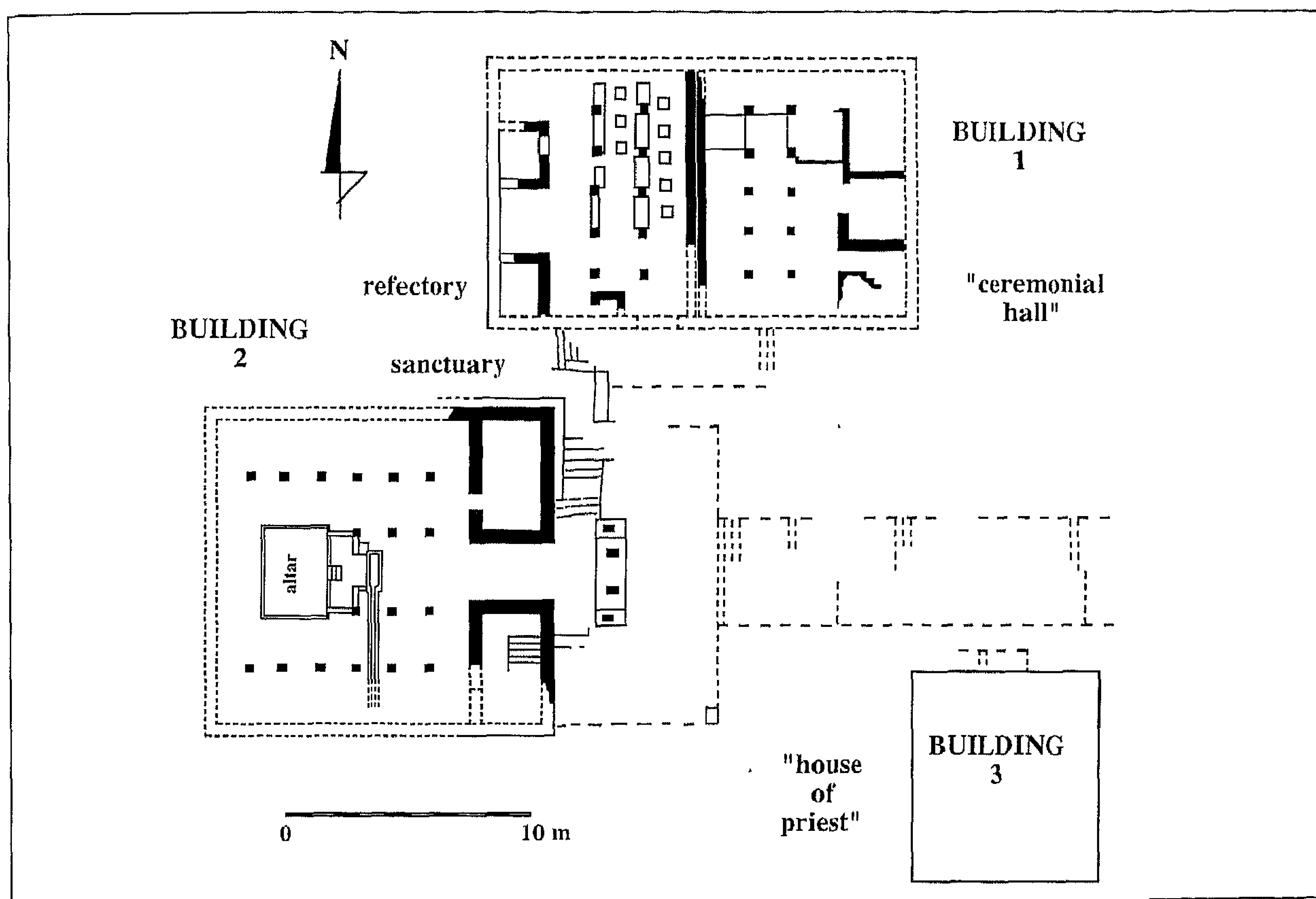


Fig. 5: Kafas/Na'aman temple, sketch plan of a complex.

garbage layer fits very well to the interpretation of the Building 7 as a refectory.

According to the 14C analyses the active life of the Rahban complex could be dated between the late 8th and early 1st centuries BC, but the last big modification of the temple took place in early 3rd century BC. The temple was destroyed simultaneously with other structures at the Raybun I settlement.

Kafas/Na'aman temple (fig. 5; 6). Huge *extra mures* temple complex sacred to Dhat-Himyam goddess was situated to the south-west of the central settlement of the Raybun oasis. Three structures constituted the complex.

Its core was a sanctuary *(Building 1)* with a hypostyle hall where, probably, the major cults connected with god's worship were officiated. It was built on a stone socle rectangular in the layout with the axis oriented towards the east-west direction. An entrance to the sanctuary was faced east where a wide square, a kind of a porch, with four-columned portico was erected. The eastern side of the building was faced with fine stone slabs on which votive inscriptions were engraved. A monumental staircase or paved passage led to the portico. Two rooms were situated on the right- and left-hand sides of the entrance to the sanctuary. The southern room had a staircase leading to the upper floor or to the roof. Fragments of large storage vessels were discovered in the ruins of the room, high above the floor, which indicated their location on the top. The northern room had a high doorstep in the passage connecting the room and the main hall. Quite a number of rather characteristic finds which could be interpreted as parts of offerings, glass and stone beads, bits of gold foil, incense-burners and others indicated, in all probability, that the room likely have been the temple's treasury.

slabs, fragments of votive pottery and stone vessels and other artifacts. According to material, the temple Mayfa'an was founded around 11th-10th centuries BC and was destroyed in some part of the 1st century BC.

Rahban temple (fig. 3; 4). Excavations revealed a complex of four monumental mud-brick buildings erected on stone socles, passages between them and various annexes. It was sacred to Dhat-Himyam goddess and dominated over the central settlement of the Raybun oasis.

Probably the earliest structure of the complex, a freestanding "early sanctuary", was situated in the southwestern corner (*Building 3*). Its set along the east-west axis measures 9.5x13.75 m. At the eastern side a staircase approached the entrance from a square in front of the building. A hypostyle hall with an altar, measuring 3.5x2.5 m and 1m high, in its western part and three compartments constructed against the western wall constituted the interior layout of the building. The "early sanctuary" was built, probably, by the late 2nd millennium BC, and was sacred, according to several inscriptions found in its ruins, to Dhat-Sahran goddess. It should be noted also that complex revealed "early" (appr.late 7th - early 6th cent. BC) dedications to Ilmaqah, the "federal" Sabaean deity. It is very tempting to consider the Building 3 as the "early sanctuary" incorporating later into a new temple complex, which was called Rahban and was sacred now to Dhat-Himyam.

The principal structure of the Rahban temple complex was no doubt the Building 4. Unfortunately, only a stone socle about 3 m high and 9.8x14.4m in size has been preserved. A monumental staircase was constructed against its southern side, leading towards a porch and a main entrance. In addition, the second entrance with a small staircase was constructed against the western side of the building. We can suppose that four-columned portico was constructed on the southern porch: a stone base remained *in situ*, while three others were found in the ruins.

There were two small rooms with a partition wall made of mud-bricks to the east of the southern staircase. The rooms were widely opened to the east, and polished limestone slabs paved their floors. A staircase leading to the east connected the above mentioned rooms and a platform on the lower elevation. A stone socle of another edifice forming the temple complex (*Building 7*) was found there. It was rectangular, 7x9 m in size, with a staircase leading towards the doorway in its northern wall. A six columned hall and a mud-brick bench constructed along the western and northern walls occupied its interior. A rectangular construction of stones, 2x1.5m in size, probably a fire-place, adjoined the eastern wall. Most probably, the Building 7 can be identified as a refectory.

The fourth structure (*Building 2*) was built on a rectangular socle 9.25x10.0 m in size. Its ground floor had two rows of rooms arranged on both sides of a central corridor ending with a staircase to the next floor. The entrance of the building was constructed against its eastern side. A passage 10 m long and 1.5 m wide separated Building 2 and Building 3. Its western side was closed with a wooden door. No doubt, the Building 2 served as a dwelling ("house of priest").

Space left between buildings obviously served as a kind of inner courtyard, and was paved by polished limestone slabs. A round stone basin for ablutions and a big stone mortar were discovered in the passage between Buildings 2 and 4. A drainage gutter was unearthed in front of the main entrance of the Building 4 and further east along the northern side of the Building 7. By the edge of the upper platform, rising about 1m over the lower platform, the gutter had a spout shaped like a bull's head, projecting beyond the edge. Directly under the spout stood a flat stone basin connected to a further section of the gutter. In the space around the basin a lot of sheep and goat bones were found. This

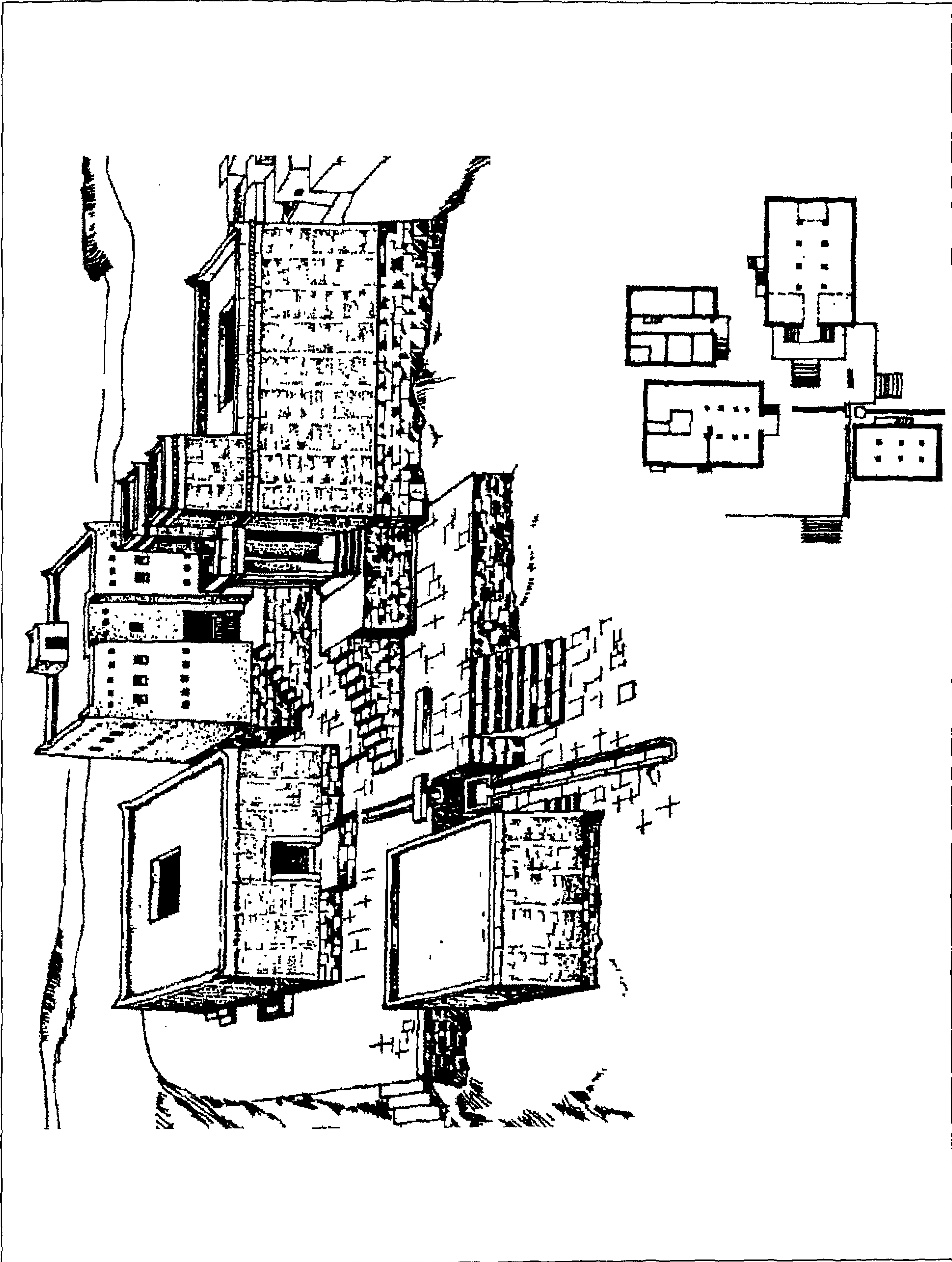


Fig. 4: Rahban temple, variant of reconstruction.

was constructed against the southeastern wall of the gallery. Name Qathim (*qtm*) repeatedly engraved on the side of the long bench belonged, probably, to a donator at whose expense this part of the gallery was built (or re-built). A large rectangular stone altar for burning incense, 1.8x2.2 m in size and 0.46 m high, was mounted in the northwestern corner of the gallery. Its sidewalls have special holes for letting smoke out.

To the northwest of the monumental platform on the same horizontal level stood a socle of another building, measuring 8.5x15 m and 1.5 m high. Two entrances to the building, in its northeastern and southeastern walls, led to a multi-columned hall - twelve columns arranged into three rows once supported its roof. In all probability the building served as a refectory - heaps of animal bones and fragments of kitchen and table pottery speak well about its function. A staircase, 42 m long, led towards the buildings of the temple complex starting from the foot of the slopes and ending by the four-columned propylon. The axis of the staircase makes a 45° angle with the axis of the propylon. Another staircase was revealed running along the northern side of the monumental platform. It started from a large mud-brick edifice standing at the foot of the slope (most probably, it was a "house of priest"). On many of its steps votive inscriptions were found. A wide niche intended for a statue was constructed at the northwestern side of the platform, in the upper part of the staircase. A dedicatory inscription of a certain 'Ilhumaw, qayn of Raybun (*'lhmw/qyn/rybn*) was engraved at the base of the niche.

Excavations revealed more than 200 votive stele, hundred inscriptions on facing

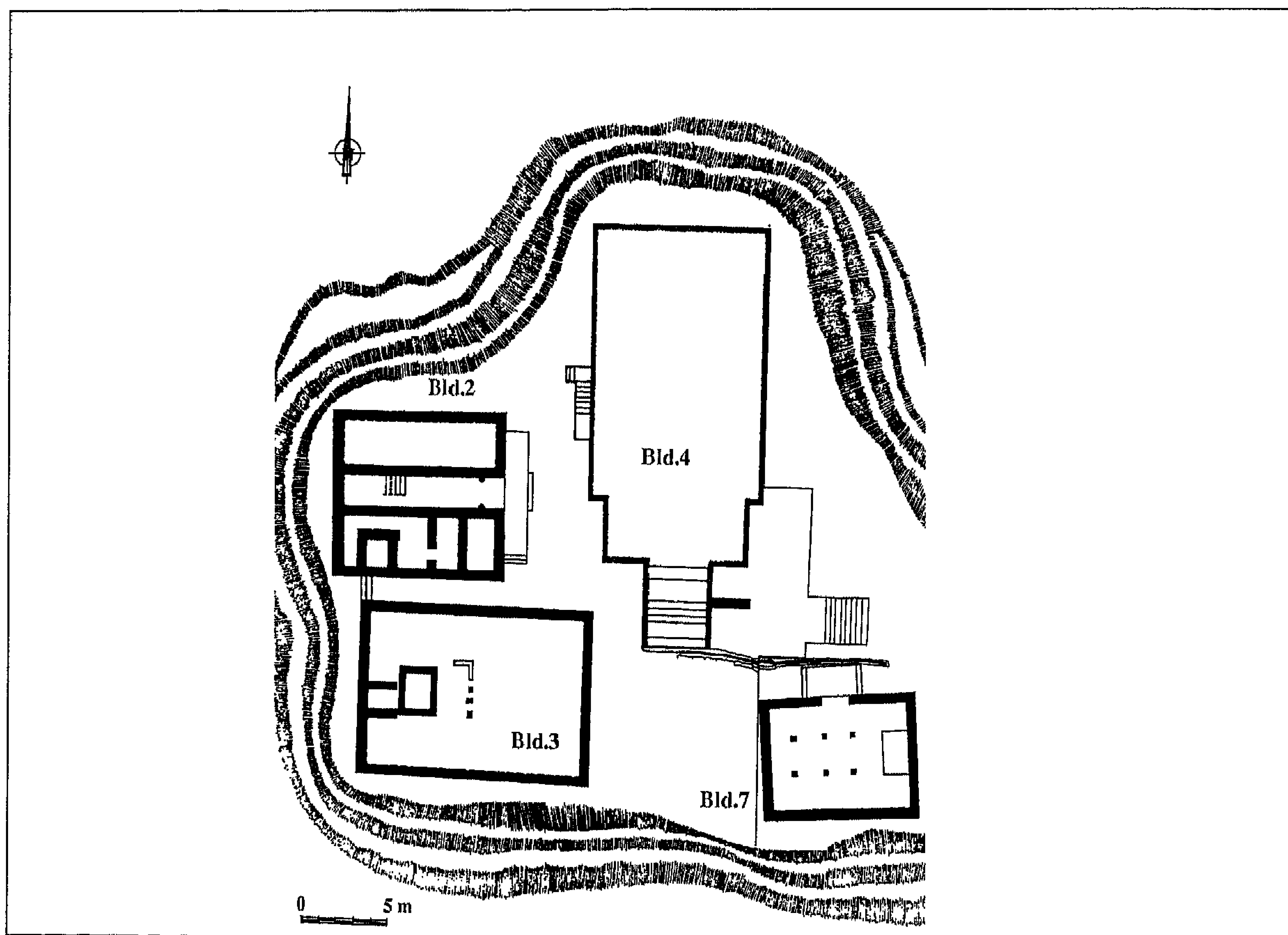


Fig. 3: Rahban temple, sketch plan of a complex.

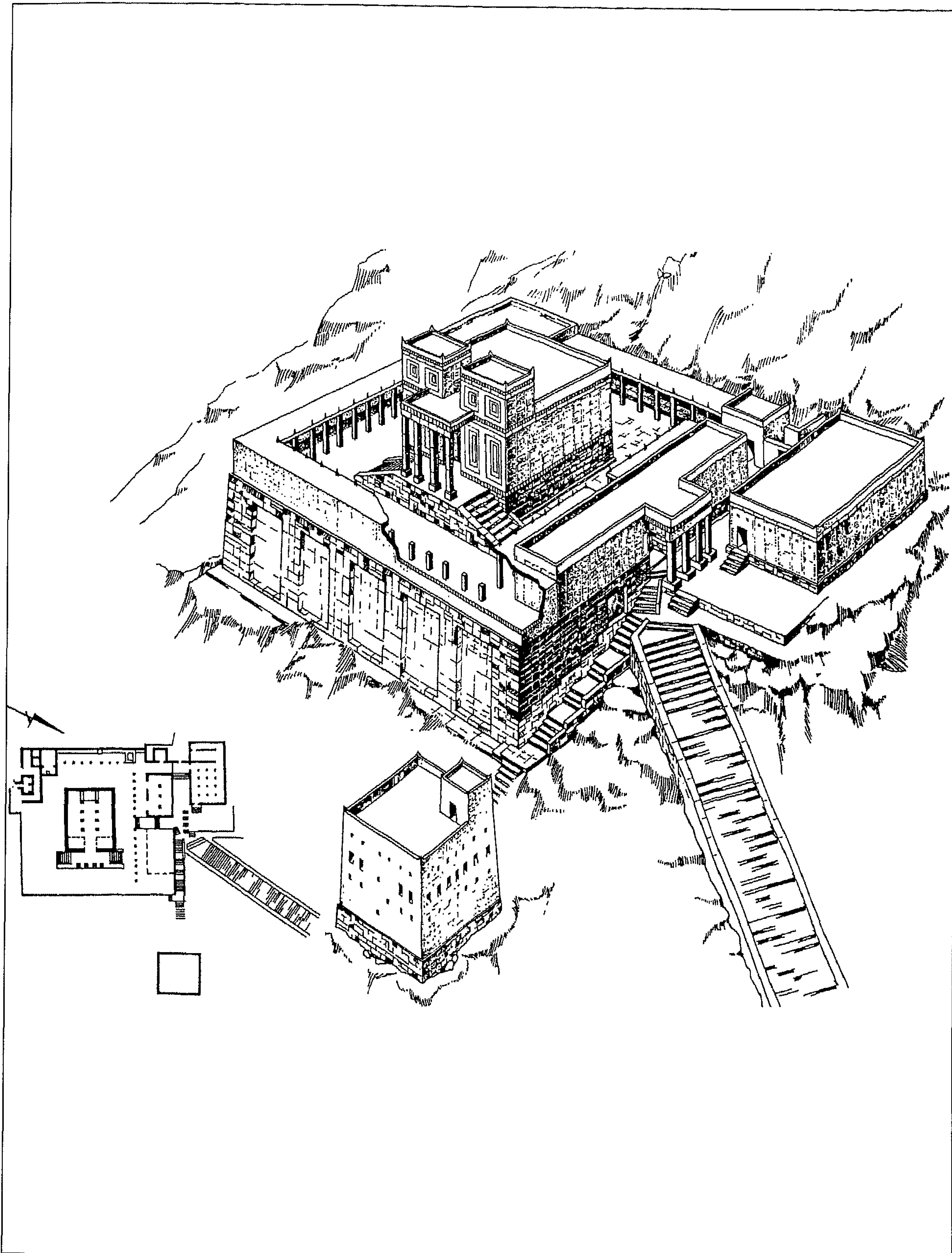


Fig. 2: Mayfa'an temple, variant of reconstruction.

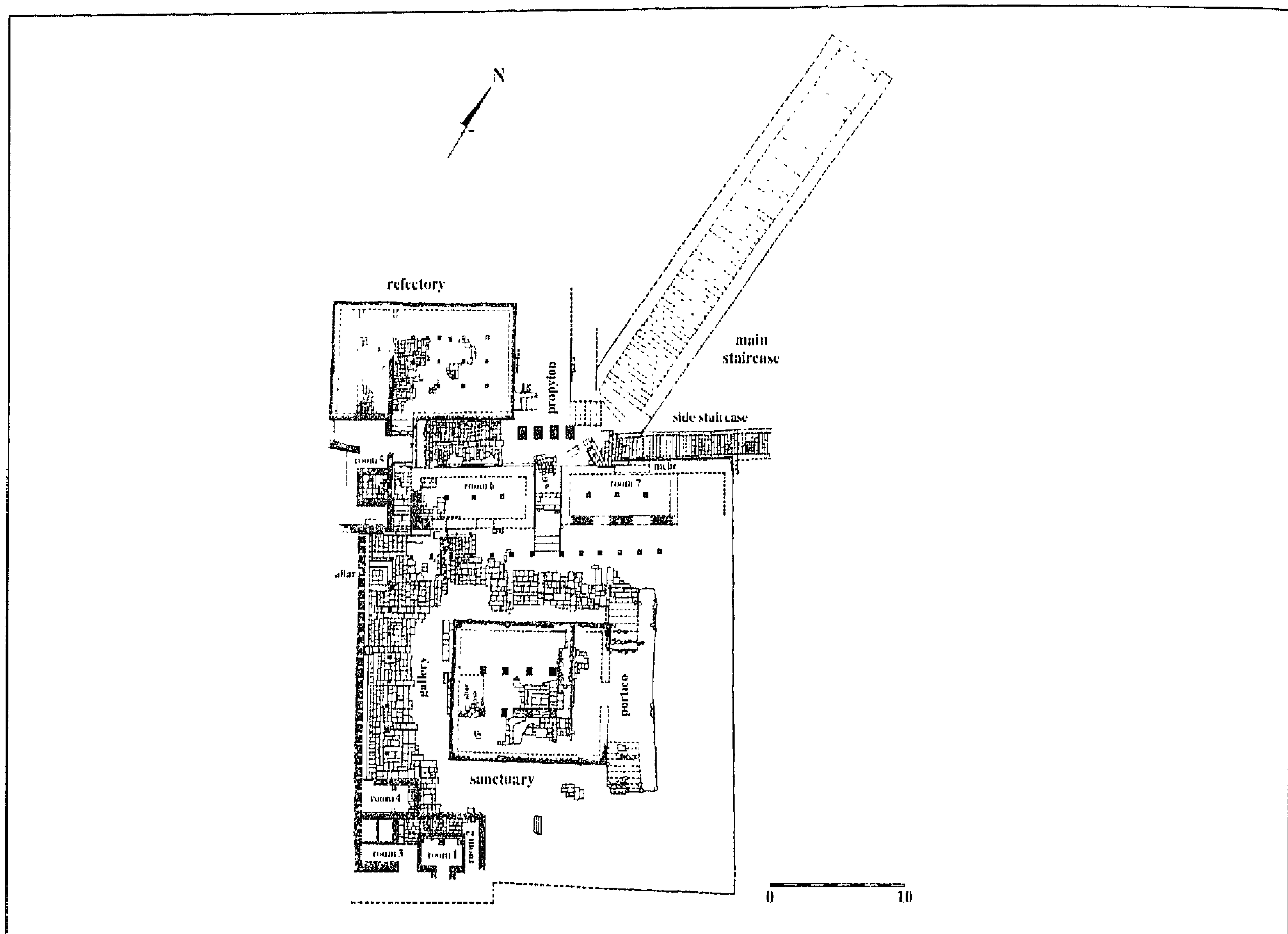


Fig. 1: Mayfa'an temple, plan of excavated buildings.

completely ruined, it was built in about 10 m above the wadi's bed. A central building of the complex, a sanctuary, occupied central part of a stone monumental platform measuring 32x32 m and 8.5 m high constructed of roughly shaped stones. Facade and sidewalls of the platform were faced with elaborately polished white limestone slabs. An entrance to the complex was approached via a monumental staircase ending with a four-columned propylon.

The sanctuary was erected above a stone socle 10.7x16.5 m in size and 2.7-3.1 m high. Like monumental platform, the socle was also faced with polished limestone slabs. Two single-span stairs constructed against the northeastern side of the socle, opening to the northwest and southeast directions, led towards the building through, probably, a four-columned portico. The building itself was formed by a vast hall with eight (?) columns once supported a roof, and with something like an altar in its southwestern part. Four huge stone blocks -the bases of two rows of columns- and the remains of a magnificent stone pavement have survived. The outer walls of the building were constructed of mud-bricks supported by a wooden framework.

A nicely paved colonnaded gallery surrounded the sanctuary. There were also a number of subsidiary rooms intended, probably, for some religious ceremonies. Votive stele set on special pedestals in the gallery, and numerous dedicatory inscriptions incised on the slabs covering the walls of the gallery have been found. A long stone bench, obviously used as seats during the ceremonies,

Adumatu

Temples of Raybun Oasis in Wadi Hadramawt, Yemen

Alexander V. Sedov

Abstract. *In the ancient oasis of Raybun in the lower reaches of Wadi Dau'an the expedition, fully or partly, excavated temples of different divinities of the Hadramawt pantheon. These are the temple of Sayin dhu Mayfa'an, the enormous complex of the religious buildings located on the steep wadi-side, the two temples dedicated to Dhat Hymyam goddess, the Rahban temple at the settlement and the temple of Kafas/Na'aman beyond the site limits, and the temple of 'Ath(s)tarum dhat Hadran situated on the outskirts of the ancient town. Besides, in every surrounding settlement we recorded their own temples as well as religious buildings staying separately. Thus, we have the series of excavated and recorded religious structures dedicated to different gods. This fact allows us to generalize the material and draw some preliminary conclusions.*

To all appearances, each structure whether it was a small temple or an enormous temple complex, consisting of several buildings and a number of structures, had their own distinct territory. The core of the temple was a building, a sanctuary, rectangular in layout, with a hypostyle hall where, probably, the major cults connected with god's worship were officiated. As a rule, this building was erected on a high stone platform or socle. The building's entrance was mostly designed in the form of four-columned portico. Stone stairs led to this four-columned portico. There was an altar in the central part of sanctuary just opposite the entrance. Most probably, the altar itself was situated in the open air. Besides the sanctuary nearly all large temples showed another structures located nearby and having hypostyle halls. They might be interpreted as refectories where people came to take part in ritual banquets. The third building can be considered as "house of priest".

The ancient oasis of Raybun situating in the lower reaches of Wadi Dau'an (western tributary of the Wadi Hadramawt; this part of the valley bears also the name Wadi al-Hajarain) was, probably, one of the main centers of religious life in Inner Hadramawt. Its the most specific feature is the large number of different religious structures and monuments. The temple of "federal" deity Sayin (*s'yn*) was situated on the wadi's slope, in the center of a huge ancient necropolis. According to the votive inscriptions found in its ruins, the temple bore the name Mayfa'an (*s[1] yn d-myf'n*). The temple of Rahban (*rhbn*) dedicated to Dhat-Himyam (*dt hmym*) goddess, one of the principal deities of the ancient Hadramawt pantheon, dominated above the urban center of the oasis (settlement Raybun I), while in its outskirts stood the temple of Hadran (*hdrn*) where the cult of a local deity 'Ath(s)tarum (*'t(s)trm*) was worshipped. In the neighborhood of the ancient city another huge temple of Dhat-Himyam bearing the name Kafas/Na'aman (*kfs[1]/n'mn*) was discovered (Akopyan 1994: 235-248; Sedov 1994: 249-260; Sedov, Batay' 1994: 183-191)[1]. Ruins of several shrines and temples dedicated to the "federal" god Sayin were found amidst vast agricultural lands and ancient necropolises, at almost every settlement of the oasis (Piotrovskiy, Sedov 1994: 61-68; Sedov 1997: 31-42).

Description

Mayfa'an temple (fig. 1; 2). The largest known temple in the Raybun oasis dedicated to the "federal" Hadramawt god Sayin worshiped under the name Mayfa'an was located on the wadi's slope in 1.5 km south of the central settlement (Raybun I). Now almost

Vishwas D. Gogte Department of Archaeology, Deccan College Research Institute, Pune 41 1006 INDIA

ملخص: يمثل اكتشاف قطعة فخارعليها كتابة محززة من حضارة الإندوس بالهند في موقع رأس الجنز بعمان سنة ١٩٨١ م اكتشافاً قيماً جداً. وقد أظهرت التنقيبات الميدانية في هذا الموقع، الذي يعود إلى العصر البرونزي، وجود دلائل لمواد آثارية مرتبطة بحضارة الإندوس مثل العاج والأختام النحاسية والفخار المزخرف. وقد أُجريت دراسة علمية للفخار الموجود بالموقع باستخدام «الأشعة السينية المفرقة» من أجل فهم طبيعة البقايا الآثارية الموجودة بموقع رأس الجنز. وقد أظهرت المقارنات التي أجريت لمادة الفخار مع أنواع مختلفة من التربه الطينية، في موقع رأس الجنز والمناطق المجاورة له في عُمان، أن الفخار المكتشف في هذا الموقع لم تُنتج غالبيته في عُمان. بينما أظهرت دراسة مقارنة أخرى مع أنماط متعددة من التربةالطينية والفخار من عدد من مواقع الإندوس بمنطقة لوثال بالهند، أن فخار موقع راس الجنز يتطابق معها تماماً. ومن هنا، فإن هذه الدراسة تؤكد وجود تجارة بحرية عربية - هندية بين موقع رأس الجنز ومنطقة لوثال بالهند في العصر البرونزي.

References

Chakrabarti, D.K. 1990. **The External Trade of the Indus Civilization.** Munshiram Manoharlal Publishers, New Delhi.

Cleuziou, S. and M.Tosi 1986. **The Joint Hadd Project: Summary Report on the First Season.** Rome.

Cleuziou, S. and M.Tosi 1988. **The Joint Hadd Project: Summary Report on the Second Season, November 1986-January 1987.** Naples.

Cleuziou, S. and M.Tosi 1989. **The Joint Hadd Project: Summary Report on the Third Season, October 1987-February 1988.** Paris.

de Cardi, B. 1988. "The Grave Goods from Shimal Tomb 6 in Ras al-Khaimah, U.A.E.". In: D.Potts (ed.), **Araby the Blest,** pp. 45-71. Museum Tusculanum Press, Copenhagen.

Edens, C. 1993. "Indus-Arabian Interaction during the Bronze Age: A Review of Evidence". In: G.L.Possehl (ed.), **Harappan Civilization-A Recent Perspective,** pp.335-364. American Institute of Indian Studies and Oxford and IBH Publishing Co, New Delhi.

Gogte, V.D. 1995a. "Provenance Studies of Ceramics by X Ray Diffraction and Chemical Methods". In: P.Vincenzini (ed). **The Ceramics Cultural Heritage,** the Proceedings of the 8th CIMTEC, World Ceramics Congress, pp. 433-40. Techna Publishers, Faenza.

Gogte, V.D. 1995b. "X Ray Diffraction analysis of Pottery and Beads from the Harappan site at Kuntasi". In: M.K. Dhavalikar and M.R. Rawal (eds), **Kuntasi: A Harappan Establishment in Western India,** pp.595-600. Deccan College and Gujarat State Department of Archaeology, Pune and Ahmedabad.

Gogte, V.D. 1996. "Chalcolithic Balathal - a Trading Centre as Revealed by the XRD Study of Ancient Pottery" **Man and Environment,** XXI (1): 103-110.

Gogte, V.D. 1997. "The Chandraketugarh-Tamluk Region of Bengal: Source of the Early Historic Rouletted Ware from India and Southeast Asia" **Man and Environment,** XXII (1): 69-85.

Gogte, V.D. 1998. "X Ray Diffraction study of Ancient Pottery from the Bronze Age site at Tha Kae (Thailand)". In: P.Y. Manguin (ed.), **Southeast Asian Archaeology 1994,** pp.23-26. Centre for Southeast Asian Studies, University of Hull, United Kingdom.

Grim, E. 1968. **Clay Mineralogy.** McGraw Hill Publishing Co, New York.

Hauptmann, A. 1985. "5000 Jahre Kupfer in Oman, Band 1: Die Entwicklung der Kupftermetallurgie vom3. Jahrtausend bis zur Neuzeit" **Der Anschnitt,** Beiheft 4, Bochum.

Mery, S.1988. "Ceramics from RJ-2". In: S.Cleuziou and M.Tosi(eds), **The Joint Hadd Project: Summary Report on the Second Season, November 1986-January 1987,** pp.41-43. Naples.

Misra, V.N. 1994. "Indus Civilization and Rgvedic Sarasvati". In: A. Parpola and P. Koskikallio(eds), **Southasian Archaeology-1993,** Vol.II, pp. 511 - 525. Suomalaine Tiedeakatemia, Helsinki.

Nigam, R. 1988. " Was the large Rectangular Structure at Lothal (Harappan Settlement) a 'Dockyard' or an 'Irrigation Tank' ?". In: S. R. Rao(ed.), **Marine Archaeology of Indian Ocean Countries,** pp.20-21. Goa, National Institute of Oceanography, Dona Paula.

Rao, S. R. 1963. " A 'Persian Gulf 'Seal from Lothal" **Antiquity,** 37:96-9.

Rao, S. R. 1973. **Lothal and the Indus Civilization.** Asia Publishing House. Bombay.

Rao, S. R. 1985. **Lothal, a Harappan Port Town, 1955-62,** Vol.2, Archaeological Survey of India, New Delhi.

Rice, P. M. 1987. **Pottery Analysis: a Source Book.** University of Chicago Press, London.

Shepard, A. O. 1976. **Ceramics for Archaeologist.** Carnegie Institute of Washington, Washington D.C.

Tosi, M. 1993. "The Harappan Civilization beyond the Indian Subcontinent". In: G.L. Possehl (ed.), **Harappan Civilization-A Recent Perspective,** pp.365-380. American Institute of Indian Studies and Oxford and IBH Publishing Co, New Delhi.

with burnt bricks. The length of embankment is 212.4 m on the west, 209.3 m on the east, 34.7 m on the south and 36.4 m on the west. The depth of the dock is 4.15 m. The study of sediments contained in the basin revealed well preserved assemblage of marine organisms e.g. foraminifera which indicated marginal marine environment (Nigam 1988:20-21). A number of stone anchors has been recovered from the bottom of the dock. There are about 230 Indus Civilization sites in Gujarat region where Lothal is situated (Misra 1994:512). The Indus people from this area and those from northern region must have used the big dock at Lothal having warehouse facilities for undertaking maritime trade with Arabia.

There is an equal possibility that the people at Lothal had interacted with other places in Arabia, such as Failaka, Tarut, Dhahran, Abqaiq and Hofuf (Saudi Arabia), 'Ali (Bahrain), Umm An-Nar, Tell Abraq, Shimal, Hili, Baat, Ras al-Hamra and Ras al-Hadd (southeast Arabia) where Indus materials have been found. As for example, a micaceous orange-red jar decorated with black painted bands from Shimal has been compared with pottery from Lothal and Rangapur. The latter site is close to Lothal (de Cardi 1988:46). A comprehensive scientific study of the archaeological materials from the above mentioned sites in Arabia and India would be highly instructive in elucidating the intterrelationship between the contemporary cultures.

Conclusions

1. Scientific analysis showing mineralogical equivalence of the pottery at Ras al-Junayz and Lothal, the occurrence of other identical materials at these sites and the near absence of the local pottery at Ras al-Junayz lead to the conclusion that the site was a settlement of the Indus people coming from the port at Lothal.

2. In view of the small size of the settlement at Ras al-Junayz and, in general, paucity of archaeological materials at this site, it is most likely that this coastal site could have been used as a transit point for loading and unloading of trade items by the people from Lothal. They were probably coming to Oman either for trade with the people of the local cultures of Oman or simply for exploration and replenishment of some material from the interior parts of Oman.

3. The occurrence of the Gulf seal at Lothal suggests that the Arabian shipmasters could have used the warehouse facilities at this dock site for procurement of trade items such as ivory, cloth, steatite, carnelian and other minerals which were available, in plenty, in the region close to Lothal.

4. From the appearance of a bun-shaped copper ingot and arsenic-free copper objects of high nickel content at Lothal resembling the third millennium copper production in Oman, one would expect a two way exchange: exportation of minerals, cloth and Cream and Red Wares from Lothal (India) and importation of copper, raw or manufactured goods, from Oman by the Indian settlements of the Bronze Age.

Acknowledgement

The author could undertake extensive field work in Oman for collection of pottery and clays under the auspices of the Joint Hadd Project. Prof. Maurizio Tosi and Prof. Serge Cleuziou, the Directors of the Project, took keen interest in the study. The scientific analyses were entirely carried out at the Deccan College Research Institute, Pune, India. Grateful acknowledgements are due to the authorities of the Institute, for supporting this study in various ways.

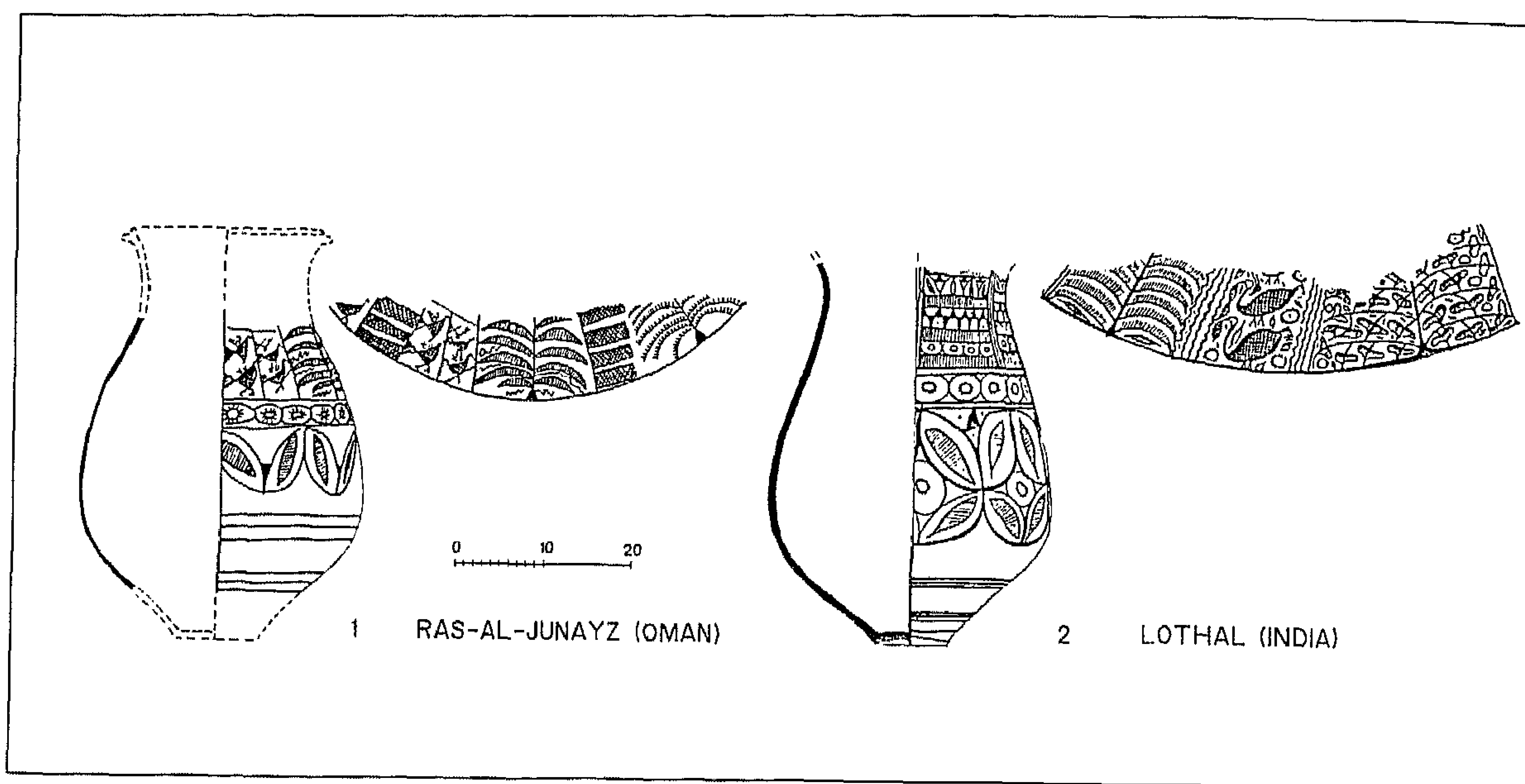


Fig.4: A comparison of the decorated jars from Ras al-Junayz (Cleuziou and Tosi 1988:45) and Lothal (Rao 1973: Fig.23) shows strong similarities in geometrical and vegetal decorations.

seals from Failaka are identical in all details with the seal found at Lothal (Rao 1985:313).

Further, the appearance of a bun-shaped copper ingot and arsenic-free copper objects of high nickel content at Lothal have been assigned as import from Oman (Rao 1973:80 & 1985:524). The study of the bun-shaped ingots by the Deutsches Bergbau Museum at Maysar in Oman (Hauptmann 1985) has revealed that such ingots are certainly characteristic of third millennium copper production in Oman.

It is pertinent to mention here that Lothal is the only Indus site where a large well built dock with an adjacent warehouse has been found. The dock, a trapezoidal basin, is built

Table 1: Identical archaeological materials found at Ras al-Junayz and Lothal (based on excavation reports).

		Ras al-Junayz (Cleuziou and Tosi)	Lothal (Rao 1985.)
1	Copper Stamp-seal	Fig.18 (1)-(1988)	Pl.CLIV-C
2	Copper Stamp-seal	Fig.18 (2)-(1988)	Pl.CLXII-A2
3	Copper Rings	Fig.18 (3-5)-(1988)	Pl.CCXLII(4-6), Fig.115
4	Copper Tool	Fig.18 (6)- (1988)	Fig.110 (3)
5	Copper Bi-point	Fig.20 (3,4)- (1988)	Fig.111(8,11)
6	Painted Jar	Fig.35-(1988)	Fig.41-42
7	Bone Tool	Fig.21(2)-(1988)	Pl.CCXCII(14), Fig.139(1)
8	Stone Bowl	Fig.18-(1986)	Fig.125(13)
9	Steatite Stamp-seal	Fig.23-(1986)	Pl.CLIII-C
10	Stamp-seal Motif	Fig.21(2)-(1986)	Fig.138(4,5)
11	Double Circle Motif	Fig.22-(1986)	Pl.CLXI (D)

types of clay deposits were located in the close vicinity of the site: one for producing the Buff ware and the Grey Ware and the other for the Red Ware (Gogte 1995b).

The comparison of the XRD patterns of the pottery from Ras al-Junayz and Lothal have produced dramatic results. Out of 76 potsherds from Ras al-Junayz 67 potsherds matched very closely with the pottery from Lothal. The Red Ware from Ras al-Junayz is mineralogically identical with the Red Ware from Lothal .The Cream Ware from both sites are exactly matching. Mery (1988:41) in the typological study of the pottery from Ras al-Junayz found parallels in terms of fabric, technique of shaping and finishing between the Cream Ware and the so-called domestic ware (2500-2000 BC) of interior Oman Peninsula although the ware is typologically related to the Indus pottery. The present mineralogical study has, now, clearly established import of this pottery from Lothal. Excellent illustrations of matching of XRD patterns of pottery of Ras al Junayz with those of Lothal can be seen from Fig. 2 and Fig. 3.

The results of XRD analysis are summarized as follows:

1. None of the potsherds of the Red Ware and the Cream Ware from Ras al-Junayz show any resemblance with the local clays in the region close to the site.

2. It is highly significant that two different pottery types which are different in colors, surface treatment and mineral compositions at Ras al-Junayz and Lothal are mineralogically exactly identical.

3. The variations in the relative proportions of minerals, from one potsherd to the other, are also the same at both sites.

4. It is, therefore, most likely that most of the pottery was produced at Lothal and brought to Ras al-Junayz during maritime trade. Excepting the decorated pottery, the pottery itself could not have been the item of trade. It must have been used either for storing the trade items or simply for the daily requirements of the traders.

A comparison of the published excavated materials (Table.1) from Ras al-Junayz with those from Lothal further lends support to the strong relationship between these sites. The most striking is the Indus painted jar found at Ras al-Junayz (Cleuziou and Tosi 1988:45). The vase is high necked medium sized jar having a complex decoration combining geometrical vegetal and zoomorphic patterns. The ochre colored sandy and porous slip is similar to the Cream Ware fabric. The shape and decoration have without any doubt Indus character. It is entirely covered with black painted patterns on a red cover applied on smoothened external wall. Two main registers are separated by a frieze of suns in oval, a common Indus motif. Other typical Indus motifs are: a feathered tree, a palm tree, series of horizontal cross-hatched scales and birds. This jar compares well in shape and decoration with two jars from Lothal (Fig.4).

On the other hand, a Persian Gulf steatite seal found at Lothal gives evidence of Indo-Arabian exchange of goods. The seal is made of light gray steatite and has creamy coating. It is 4.83 cm in diameter with a boss on the back covering almost the entire surface, and divided by triple lines drawn in one direction and perforated on the other. Four circlets with a central dot are also drawn on the back, while on the face is a reptile or dragon having two heads and flanked by two jumping goats or gazelle-like animal with protruding eyes and looking over the shoulder. None of these figures has any resemblance to Indus motifs. The Lothal seal closely resembles the circular stamp seals of steatite found in the excavations at Barbar and Ras al-Qala in the island of Bahrain, where they originated and were used by merchants who traded with the Indus and Sumerian ports. Some of the late circular

In this comparison, the pottery from Lothal showed greatest affinity with that of Ras al-Junayz. Lothal is a famous Indus site close to the Arabian Sea. It was discovered in 1954 and subsequently systematically excavated by S.R.Rao (1973&1985). During the Bronze Age, it commanded the navigable estuaries of the Sabarmati and Bhogawo rivers, 5 km away from the sea (Rao 1973 :50). The discovery of a massive dockyard at Lothal and a number of Indus ports on the Gujarat-Makran coast have highlighted the vital role played by the Indus people in the Indo-Arabian trade. It was, therefore, decided to focus on Lothal for detailed XRD analysis of all types of pottery, clays, fired clay lumps of archaeological context and typical Indus bricks found at this site.

The analysis of the clays from Lothal showed that two types of mineralogically different clays occur in the close vicinity of the site. The first type contains montmorillonite as the basic clay mineral having large amounts of augite and felspar with smaller amounts of quartz. The second type is a chloritic clay which characteristically contains large amounts of muscovite and quartz with traces of augite. The former clay is mineralogically identical with the Cream Ware from Lothal and the latter with the Red Ware and the red bricks (Fig.s. 2-3). Earlier, similar observations have been made in the study of pottery from the Late Harappan site at Kuntasi (India) where two entirely different

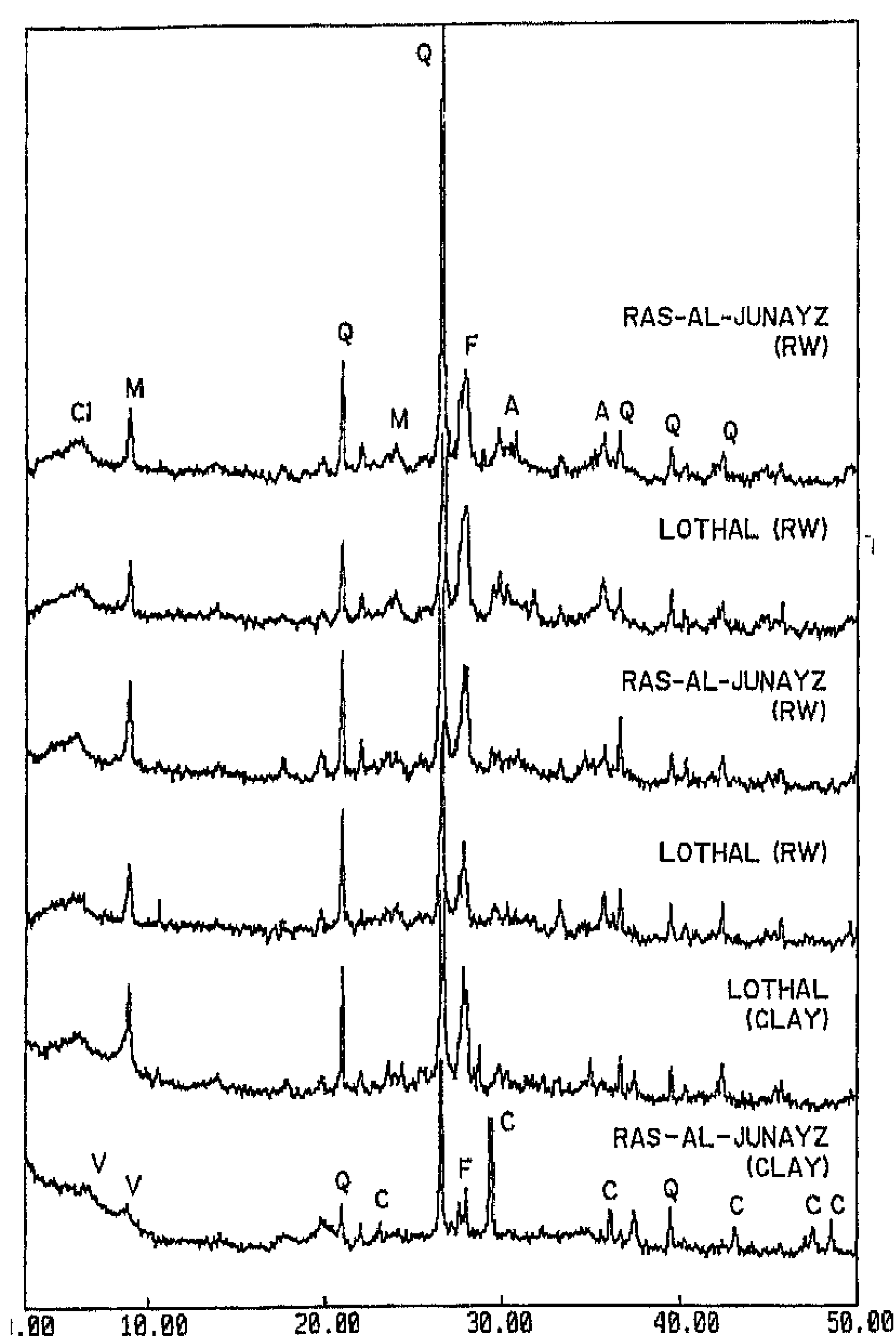


Fig.2: Identical XRD patterns of the Red Ware from Ras al-Junayz and Lothal. They, also, compare well with the clay from Lothal. As against this, the Red Ware from Ras al Junayz is mineralogically totally different from the local clay. (Cl = chlorite, M = muscovite, Q = quartz, F = felspar, A = augite, V = vermiculite and C = calcite).

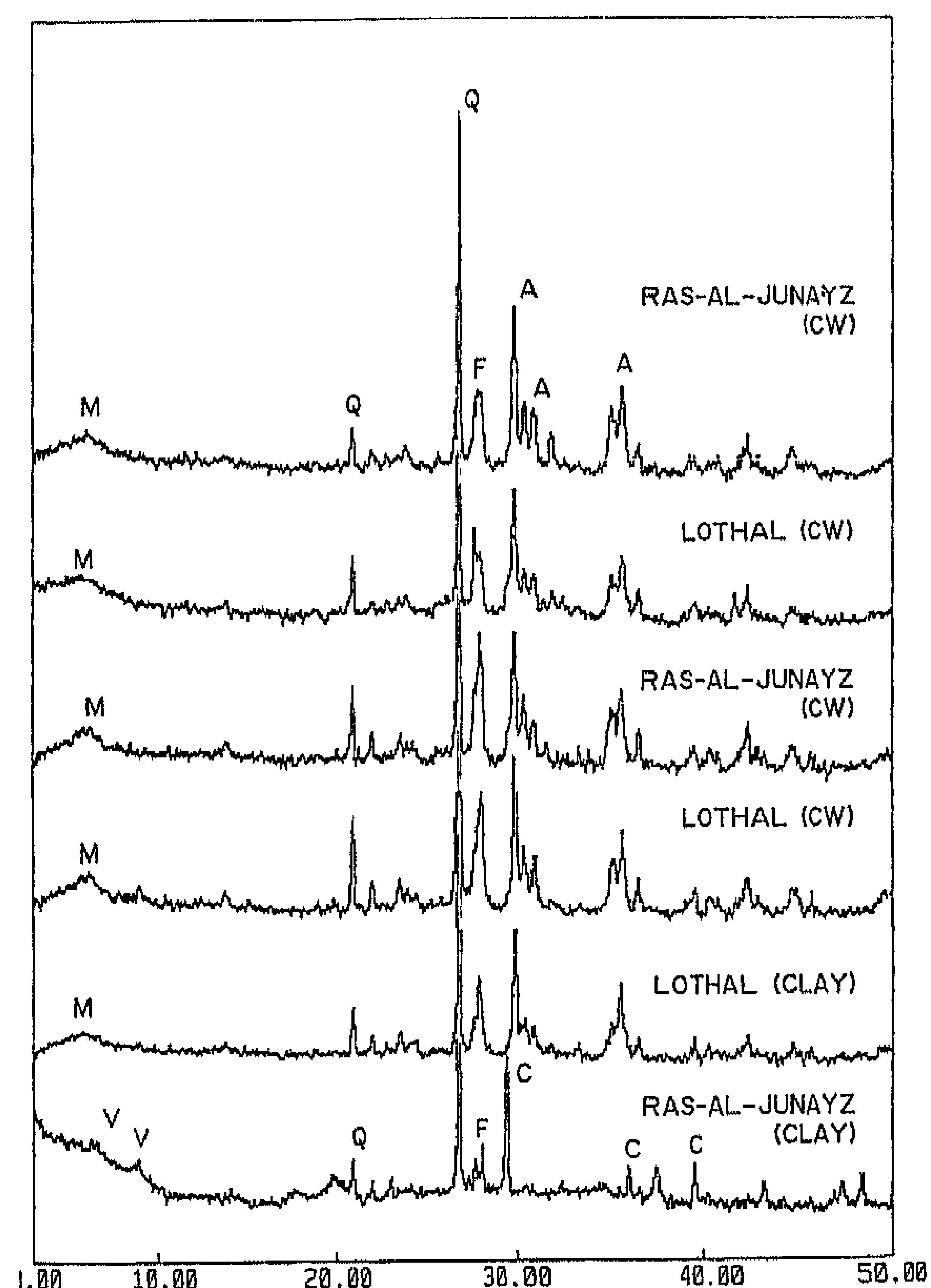


Fig.3: XRD patterns of the Cream Ware from Ras al-Junayz, Lothal and the clay from Lothal are identical. The clay from Ras al-Junayz is mineralogically different from the Cream Ware from this site. (M = montmorillonite, Q = quartz, F = felspar, A = augite, V = vermiculite and C = calcite).

match program, background correction, Ka stripping, magnification and resolution of very small peaks and most importantly, comparison of a number of samples at a time which enables us to use XRD as a method in provenance studies (Gogte 1995a, 1996, 1997 and 1998).

XRD analyses of pottery from Ras al-Junayz were carried out at the Deccan College Research Institute, Pune, using a RIGAKU DMax IIVC XRD System, operated at 45 KV, 30 mA, at a scan speed of 2`/sec. Mineralogical analysis was done by search match program of the XRD machine. Comparison of XRD patterns of potsherds were carried out by multiple-plotting software of the machine. XRD spectra of the clays from Ras al- Junayz were studied before and after firing for comparison with those of pottery to see if the pottery was produced at this site. Further, the pottery was compared with the Indus pottery and local clays from a number of sites in India. Finally, the results were confirmed by petrographic analysis of selected potsherds which compare well in XRD analyses. C.Z. Jenapol petrographic microscope was used in this analysis

Discussion

The pottery from Ras al-Junayz can roughly be classified into two groups on the basis of their mineral contents. In general, the Cream Ware contains quartz, augite and felspar. Presence of augite and felspar in large amounts is the characteristic feature of the Cream Ware.

The Red Ware also contains quartz and felspar common to the Cream Ware but it is characterized by the presence of muscovite, a fine grained micaceous mineral. Augite is present only in traces. Some sherds of the Red Ware, however, showed lower levels of muscovite and varying amounts of augite though it is not as high as in the Cream Ware. Petrographic analyses are in conformity with the XRD results. In addition to this, the petrographic analyses shows the presence of grains of basalt in the Cream Ware which are totally absent in the Red Ware. Although, the mineral patterns remain the same within each group, their relative proportions vary to some extent. Both groups contain presence of calcite in some potsherds.

The clays of Ras al- Junayz contain quartz, calcite, palygorskite and vermiculite. The presence of palygorskite is usually observed in soils of arid regions. None of the potsherds studied so far from Ras al-Junayz match mineralogically with the local clays in the close vicinity of Ras al-Junayz. The corresponding pottery could not have been produced at this site. Mineralogical comparison of the pottery with the clays from other areas of Oman, however, revealed that only 12 % pottery from Ras al-Junayz show some affinity with the clays from the Bronze Age site at Baat, a Bronze Age settlement in Oman.

The remaining 88 % pottery from Ras al-Junayz did not compare with any of the clays collected from different parts of Oman as far as Baat. Therefore, it must have been brought to this site from a region outside Oman. As the pottery showed resemblance with the Indus pottery, the mineral patterns of the pottery from Ras al-Junayz were compared, in the first trial tests, with those of the pottery from the well-known Indus and the Late Harappan sites in India. The sites are as follows: Dholavira, Surkotada, Shikarpur, Kuntasi, Rojadi, Kalibangan, Dwarka, Somnath, Prabhas Patan, Padri, Lothal, Rangapur and Nageshwar. The sites were intentionally chosen from wide geological and geographical regions for knowing the distribution of clay minerals in clays from these regions. Two pairs of closer sites (Lothal - Rangapur and Somnath - Prabhas Patan) were selected to see the variations in the mineral patterns within the same geographical area. XRD patterns of representative potsherds from these sites were compared with those of Ras al-Junayz.

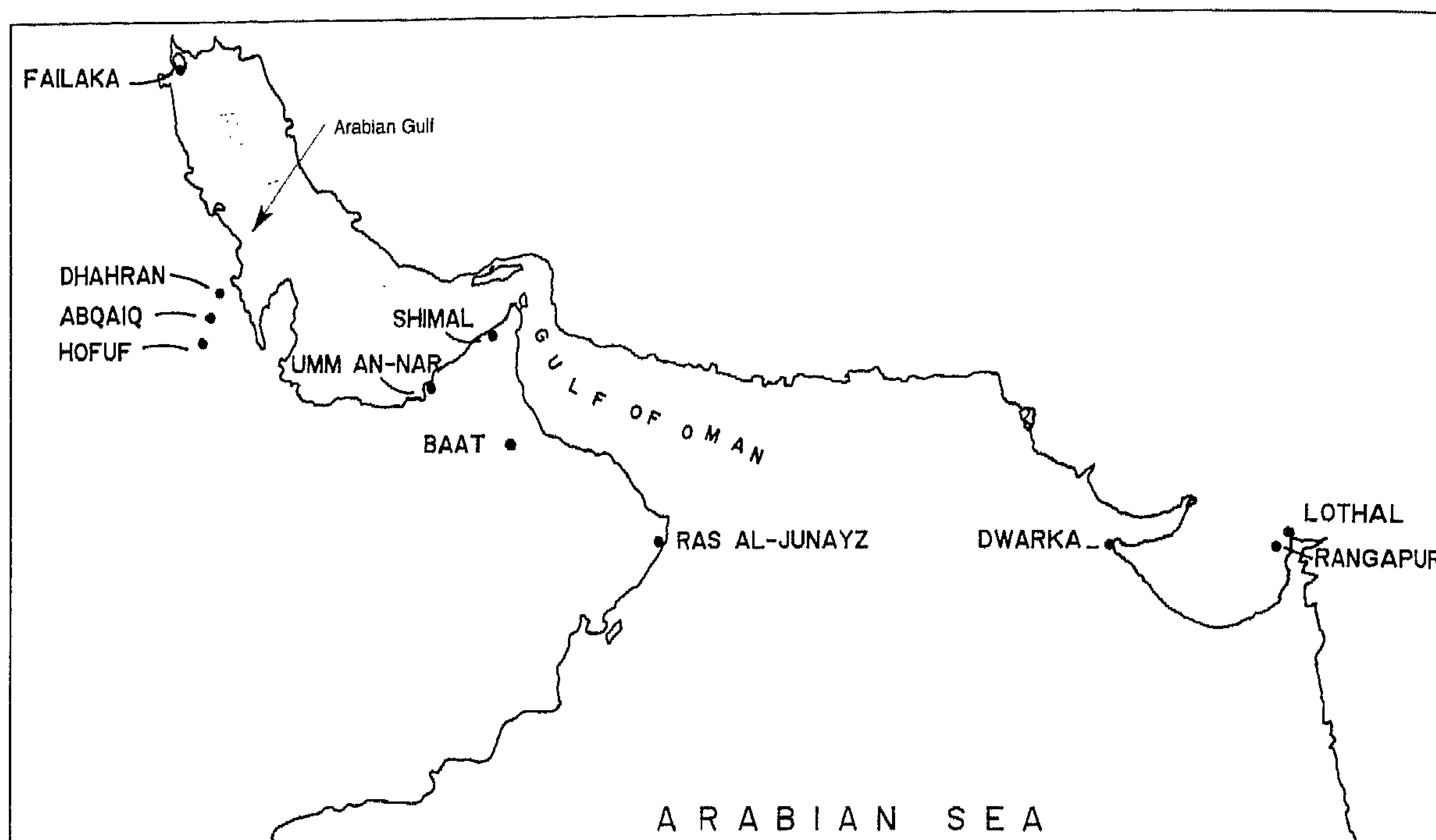


Fig.1: Some of the Bronze Age sites related to Indo-Arabian maritime interaction.

Junayz with those from a number of sites in Oman and India.

Methodology

XRD analysis is based on the following principle (Gogte, 1997). In pottery production the basic raw material is clay. As most of the ancient settlements were along the banks of rivers, the clays for pottery making were abundantly available in the alluvial deposits of the rivers. Clays are heterogeneous mixtures of a variety of minerals which can be broadly classified into two groups: - (1) the basic clay minerals such as montmorillonite, illite, chlorite, kaolinite and (2) the associated minerals viz. quartz, felspars, augite, mica, biotite, etc. The minerals are derived from the parent rocks of the region. Therefore, the sources of the clays from widely separated regions are unlikely to be the same (Grim 1968). There are always some differences either in the mineral suite, or the relative abundance of the minerals. This has significant implication in the study of ancient pottery. Each pottery type can be seen as distinct, and has its unique fingerprint pattern of minerals. By studying the minerals in pottery by XRD analysis it is possible to assign adistinct fingerprint pattern of minerals to a ceramic from a particular geological region.

The identification of the minerals present in the pottery, by methods such as chemical analysis and X ray diffraction analysis, provides a method of classifying a given set of pottery. The minerals in pottery produce a characteristic set of XRD peaks. Often it is possible to sort the pottery into groups of similar composition based on a simple visual comparison of the XRD peaks. Earlier, it was not possible to undertake provenance studies in archaeology by the XRD technique due to inherent deficiencies in the Old Generation XRD machines. Now, the New Generation (computerized) XRD machines, such as RIGAKU DMax, offer exciting new possibilities such as the creation of database, qualitative and quantitative analysis with all JCPDS standard files(approx.40,000) with search

Indo-Arabian Maritime Contacts during the Bronze Age: Scientific Study of pottery from Ras al-Junayz (Oman)

Vishwas D. Gogte

Abstract. *A coastal site at Ras al-Junayz (officially called as Ras al-Jinz)came to limelight in 1981 due to a dramatic discovery of a potsherd having incised script of the Indus Civilization. Excavations at this Bronze Age site gave further evidence of the occurrence of the Indus materials such as ivory, copper stamp-seal and decorated pottery. To understand the nature of the archaeological deposits at the settlement of Ras al-Junayz, a scientific study of pottery found at this site was undertaken by XRay diffraction method. Mineralogical comparisons of pottery with the clays at Ras al-Junayz and the adjacent regions in Oman revealed that most of the pottery was not produced in Oman. Further comparisons with clays and pottery from several Indus sites in India showed that the pottery from Ras al-Junayz matches with the clays and the pottery from the famous Indus port at Lothal (India). This study established the Indo-Arabian maritime trade between Ras al-Junayz and Lothal during the Bronze Age.*

Introduction

Ras al-Junayz, a coastal site on the east coast of Oman, was brought on the world archaeological map in 1981 with an accidental discovery of a potsherd with incised script of the Indus Civilization. The archaeological remains were found on the sandy embayment of the site which is about 11 km south of Ras al-Hadd, the coastal cornerpoint of Oman. A series of excavations at the site conducted by a Joint French Italian Mission brought to light several stages of occupation starting from 2300 BC (Cleuziou and Tosi 1986,1988 and 1989). A wing of seven identical mud brick storerooms ran along the northern side of the complex which opened on a long corridor room through doors fitted with stone sills and internal sockets .

The excavated material from this site and that collected from a wider area close to the site included all kinds of manufactured goods from the Indus Civilization. They were fragments of pottery jars, alabaster vases, copper and steatite seals and metal objects. The most remarkable find was a carved ivory comb with a motif of double circles identical with that found at many Indus Civilization sites. The occurrence of the material from the Indus Civilization at Ras al-Junayz was, however, not very surprising as the appearance of the Indus materials, or materials in the Indus style or of Indus derivation have been reported in Gulf contexts since the fifties on Bahrain, Failaka and the adjacent Saudi littoral that defined the Dilmun culture (Edens 1993:335). Excellent reviews have been written on this subject by many authors such as Edens (1993), Tosi (1993) and Chakrabarti (1990).

The occurrence of the Indus pottery at Ras al-Junayz posed many questions. Whether the settlement was of the local people of Oman, or was it established by the Indus people ? What kind of interaction Ras al-Junayz had with the Indus Civilization ? Whether the Indus pottery was produced locally in Oman or was it brought from outside? To address these questions, scientific study of the pottery from Ras al-Junayz was undertaken. Such a study involves analysis of pottery and the related materials such as clays, either by chemical methods or mineralogical techniques (Shepard 1976, Rice 1987). In the present study, X Ray Diffraction (XRD) method has been used for mineralogical comparison of pottery and clays from Ras al-

ISSN: 1319-8947 (pp 7-14)

graduating worthy scholars whose achievements deserve recognition and proper spotlights at moments of discoveries? My personal experience may tell the story more eloquently.At Al-Faw, south of Najd, we discovered a royal cemetery belonging to the Arab King Mo'awieh Ibn Rabie'ah, King of Qahtan and Medhhij. The discovery is certainly a significant addition to our knowledge of pre-Islamic history of the Arabian Peninsula. However, I seriously doubt that any-one knows of this discovery outside the Kingdom of Saudi Arabia. Similarly, two years ago the Deputy Directorate of Antiquities and Museums in Saudi Arabia discovered, in the site of Thaj, a royal cemetery belonging to an Arab Princess rich in its jewelry and gold collection; it too received the same mute fate. Examples of this sort abound.

*****

There is an intentional silence about whatever is discovered in the Arabian Peninsula, be it of Ancient or Islamic periods. Even Arab scholars, though aware of the facts of these discoveries, do not care to adjust what they have been accustomed to in their teaching profession regarding, among other things, the origins of writing, architecture, and numismatics. I do not think Arab scholars are intentionally adopting the same direction Western Academics are taking. The latter have the burden of their inherited cultural package that sees the Arabian Peninsula as nothing but a pure wilderness; their doubts reach deep into the very pillars of Islam; and their guiding frame of reference (as they interpret it) remains within the boundaries of their sacred religious legacy.

We have the right to wonder: is there a coherent Arab Archaeological school cognizant of this delimiting bias, a school that may attend to breaking out of the siege imposed on it by the seniority of the Western school with its writings and research. The output of this Western school has become a binding frame out of its bounds our Archaeological scholars have never attempted to escape, nor have they attempted to present an independent Arab perspective and interpretation. What is even worse, still, is that many of our scholars write their research in languages other than Arabic, proving thereby to others that we are travelling the route they have already paved for us. We deprive our nation of the ability to read its own heritage and history in its own language. Hope is now entrusted to the Society of Arab Archaeologists SAA in Cairo (we have celebrated its inauguration in the first issue of *Adumatu*); we hope it will effectively act to create an Arab School that attends to assuaging the delimiting shortcomings which we have so far been living. We also hope that the SAA will actively take part in unifying the various viewpoints and in walking Arab Archaeologists to the realization of the importance of certain concepts that serve better the Arab reader, especially the promotion of the spirit of belonging to and pride in Arab and Islamic heritage as it is a worthy integral part of the global cultural legacy. My sincere wish is that we do not repeat what we have begun in Cairo; namely, to create another apparatus in another Arab capital the success of which will always remain doubtful. After all, the SAA in Cairo has materialized as the outcome of the heartfelt wish of the Archaeologists themselves. Do we therefore have the right to make our dreams come true?

Editor-in-Chief

indigenous inhabitants of this or that area are overlooked, but also the active role of the local human experience together with the socio-geographical and ethnic environment are forgotten.

*****

Perhaps one ought to wonder: why should foreign expeditions impose their cultural and epistemological orientations on our archaeological sites? Is it because they know more about them than we? Or is it because they have the oldest, more advanced and developed experience in the field of excavation? Or is it because expeditions arrive armed with funding and professionals in all dimensions of technologies? The answers to these could very well be "yes"; yet one may ask: has the Arab world been unable to afford its own able professionals in areas of excavation, periodization, analysis and insightful interpretation? Although we know there have been enough of them, still we ask: where have they been and what roles have they played?

*****

One perhaps ought to whisper "a prophet is not without honor save in his own country." If an able Arab professional embarks on a certain project, funding becomes an adamant obstacle; like archaeological authorities, universities help niggardly. Unfortunately, the giant financial institutions in our countries do not realize the importance of contributing to such projects, even though these very institutions and governments do extend their generous donations to foreign universities and expeditions to do works that a national researcher can do. Is it the lack of trust? Or is it the lack of confidence in the ability of native researchers and their capabilities of doing what foreigners can do? This is a serious problem and we have to find its proper solution; it has to be thoroughly addressed and discussed among archaeologists. We have to create a bond of confidence and trust to tie together archaeological authorities and university academics (members of these institutions form a homogenous community), and ought to set the national interests higher than any other consideration.

*****

Western as well as Arab mass media promote archaeological discoveries that have great political and cultural impact. In fact, the media have played an immense role in patronizing the discoveries of Ebla in Syria, the sunken city in Alexandria and Wadi Al-Hol (west of the Nile) in Upper Egypt, and the discoveries of the prehistoric Man in Africa or the jungles of East Asia or in the Caves of South Western Europe. Yet other discoveries, especially those made by Arab scholars, receive scant or no media coverage unless they are associated with foreign expeditions and serve specific purposes. Of these, the discoveries of *Eram Dhat Al-Emad* and 'Afir east of the Empty Quarter are only examples.

*****

To be sure, there have been numerous discoveries in the Gulf States and the Arabian Peninsula which are of greater significance for the history of Arab civilization throughout the ages; yet such discoveries have not received the proper Arab media coverage nor have they attracted the interest of international media. Where is the Arab media in keeping up with our cultural achievements and with discoveries made by native scholars? Have academic institutions dried up and failed in

Editorial

The first issue of *Adumatu* has left the deepest impression on its editors and founders. We have not realized how needful not only the Arab world but also the international community at large of such a publication. *Adumatu* has responded to a disarming deficiency that has for a long time awaited those who are able to remedy this poverty and inaugurate a new edifice based on the commitment to the importance of an orientation founded on the accuracy of presentation, clarity of vision, and the realization of the need for serious work for the purpose of creating a rich field for constructive dialogue. After all, our Arab world has its highly qualified scholars who are ably capable of enriching this step.

*****

Through this Journal we aim to promote what is new and enriching in the field of archaeology. Professional and non-professional readers, therefore, will have access to knowledge, ideas, theories, and applications derived from the various experiences and authentic achievements that have accompanied the procession of civilization in this field. Archaeology, needless to say, has always been a major tributary of the general knowledge which marks the various particularities that, in turn, contribute to the formation of human civilization in general.

*****

Archaeology is the scientific language accepted and enjoyed by all people; it has, to a large extent, outlasted the sensitivities associated with human conflicts for survival and has shunned the narrow regional and local prejudices. Archaeology presents itself as an achievement of civilization as it is without much ado or make-ups that cover its reality. After all, achievements of civilization represent the human experience that reflects the development of the human thinking and the technologies of different ages into which human thinking contributes immensely until these are handed down to a newer layer and newer period of human progress.

*****

Still, unfortunately, achievements of civilization and the products and treasures of earth never fail to find those who, unjustly, try to clothe them with certain apparels that identify them as associated with and belonging to certain people or certain civilization, forcing thereby such achievements away from their actual belonging and identity. At this point, Archaeology becomes an agitative and dreadful instrument instead of an instrument for contemplation and study of human development throughout the ages. This posture is mostly assumed by those who lack ancient roots that help them anticipate their future irrespective of whether or not people are convinced of their claim. They fail to realize that nations, though at times grant concessions, never forget what is taken from them. Moreover, some of those who study and excavate archaeological sites often try to impose on their findings the attributes of their own inherited culture and scientific achievements once they detect the smallest similarity in form, word, or some patterns of life. What they claim for what they discover becomes subsequently highly convincing to the heedless. Consequently, in the formation of this product of civilization, not only the contributions of the

CONTENTS

Advisory Board



A Semi-Annual Archaeological Refereed Journal on the Arab World

PUBLISHER

ABDUL RAHMAN AL-SUDAIRY FOUNDATION

Guidelines for Authors

1. Submitted manuscripts must be written in Arabic or English and should be typed on A4 size paper, along with a 3.5 floppy disk typed on an IBM Compatible PC using Microsoft Word 6 or any updated version of it.
2. Two abstracts, one in Arabic and one in English, should be submitted; they should not exceed more than 100 words each.
3. Submitted manuscripts should not have been published previously elsewhere; further accepted manuscripts cannot be published elsewhere without prior written permission from the Editorial Board.
4. The text should not exceed 5,000 words; photos, illustrations, and graphs....etc. should not exceed more than 30% of the text.
5. Photos: B & W photos printed on glossy paper are preferred; they must be suitable for publication.
6. Maps, figures and illustrations should be drawn with China Ink on tracing paper, and their captions should be submitted on a separate sheet.
7. References mentioned in the text should be put in brackets at the end of the sentence, as follows: (Owen 1998:11).
8. Notes (Comments) should be arranged at the end of the text, followed the references which should be arranged alphabetically at the end of the text as follows:

   a) Books: Mauger, T. 1987. **Bedouins of Arabia**. Alsagi Bookshop, London.

   b) Edited Books: Goldberg, P. and Ian Whitbread 1993. "Micromorphological Study of a Bedouin Tent Floor". In: P. Goldberg, D. Nash and M. Petraglia (eds), **Formation Processes in Archaeological Context**, pp. 165-188. Monographs in World Archaeology No. 17, Prehistory Press.

   c) Journals: Lewis, Roger 1993. "Paleolithic Paint Job" **Discover**, 14 (7): 64-70.

   d) Dissertations: Al-Ghamedi, Abdul Kareem, 1983. "The Influence of the Environment on Pre-Islamic Socio-Economic Organizations in Southwestern Arabia", Ph.D Dissertation, Department of Anthropology, Arizona State University, Tempe, U.S.A.

9. Authors will be provided with twenty-five offprints and a copy of the journal, free of charge.
10. Submitted manuscripts will not be returned to their respective authors, whether published or not.
11. A brief c.v. and the present address of the author should accompany submitted manuscripts.

SUBSCRIPTION

(Two issues per annum, including mailing charges)

- **The Arab World**
  Individuals SR 70
  Institutions SR 120

- **Rest of the World**
  Individuals US$ 30
  Institutions US$ 40

Subscription Form can be found inside this issue.

CORRESPONDENCE ADDRESS

Adumatu Journal
P.O. Box 10071, Riyadh 11433
Kingdom of Saudi Arabia
Tel: (+966) (1) 403 6780
403 4751
Tel: (+966) (1) 402 2545
Email: adumatu@suhuf.net.sa
WebSite: www.adumatu.com

Legal Deposit Number: 3719 / 20

ISSN: 1319–8947

Abdul Rahman Al-Sudairy Foundation: Was established by Prince Abdul Rahman bin Ahmad Al-Sudairy, the Emir of Al-Jouf region from 5.9.1362H - 1.7.1410H/4.9.1943 - 27.1.1990, for the purpose of managing and financing the public library, known as "Dar Al-Jouf Lil 'Ulum", which he has established in 1963, and contributing to the preservation of literary traditions and cultural heritage, and the support of the scientific development in Al-Jouf region, and other charitable activities. Abdul Rahman Al-Sudairy Foundation hopes that Adumatu journal will contribute to the identification of, and shedding light upon the antiquities of Al-Jouf region, within the framework of its broader concern about the antiquities of the Arab World.

* **Cover Photo**: Photo of the Byzantine Pavement discovered in Jabalya, Gaza.

العدد الثالث شوال ١٤٢١ هـ يناير (كانون الثاني) ٢٠٠١ م

أدوماتو

Adumatu

مجلة نصف سنوية محكّمة تعنى بآثار الوطن العربي



اهداءات ٢٠٠٣
مؤسسة عبد الرحمن السديري
المملكة العربية السعودية

قواعد النشر

١- يقدم البحث باللغة العربية أو الانجليزية مطبوعاً على ورقة A4 ومرفقاً به قرص مغنط مقاس ٣.٥ بوصة ويفضل أن يكون مطبوعاً على برنامج مايكروسوفت ورد ٦ أو أحدث ، ويكون متوافقاً مع أجهزة (IBM) .

٢- يرفق مع البحث ملخصان أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنجليزية على أن لا يزيد عدد كلمات كل منهما على ١٠٠ كلمة.

٣- يشترط ألا يكون البحث المقدم للمجلة قد قدم للنشر في أي وعاء نشر آخر ، كما لا يجوز إعادة نشره كاملاً أو جزئياً إلا بإذن خطي من هيئة تحرير المجلة.

٤- يجب ألا يتجاوز حجم نص البحث خمسة آلاف كلمة، وبحيث لاتتجاوز نسبة الأشكال التوضيحية أكثر من ٣٠ ٪ من حجم البحث.

٥- ينبغي أن تكون الصور غير ملونة ومطبوعة على ورق لماع وأن تكون ذات جودة عالية ومناسبة للنشر.

٦- تقدم الخرائط واللوحات والأشكال على ورق شفاف (كلك) مرسومة بالحبر الصيني، وترفق التعليقات الخاصة بها في ورقة منفصلة .

٧- توضع إحالات المراجع المذكورة في داخل النص في نهاية الجملة بين قوسين على النحو التالي : (الجاسر ١٤١٧ : ١١)

٨- توضع الهوامش (التعليقات) في نهاية البحث، وتليها المراجع مرتبة ألفبائياً وبحيث تتبع الطريقة التالية في رصدها :

أ- **الكتب** : إسم العائلة، الإسم الأول، سنة النشر، **العنوان** ، دار النشر ، مكان النشر، (وفي حالة وجود أكثر من مؤلف فتكتب بقية الأسماء مرتبة بشكل عادي).

ب- **الكتب المحررة** : اسم العائلة ، الإسم الأول، سنة النشر، اسم المحرر، "عنوان البحث"، اسم الكتاب، صفحات المقال ، مكان النشر.

ج- **الدوريات**: إسم العائلة، الإسم الأول، سنة النشر "عنوان المقال" **اسم الدورية**، العدد، الصفحات .

د- **الرسائل العلمية**: إسم العائلة ، الإسم الأول، السنة، "عنوان الرسالة"، نوع الرسالة العلمية ، القسم ، الجامعة ، المدينة البلد.

٩- تمنح المجلة الكاتب خمساً وعشرين مستلة من بحثه، إضافة إلى نسخة من العدد.

١٠- أصول البحوث والمقالات التي تصل المجلة لا ترد أو تسترجع سواء نشرت أم لم تنشر.

١١- يرفق مع البحث سيرة ذاتية مختصرة عن الكاتب وعنوانه الحالي.

الاشتراكات

(عددان سنوياً شاملاً أجور البريد)

في العالم العربي :

الأفراد	٧٠	ريالاً سعودياً
المؤسسات	١٢٠	ريالاً سعودياً

خارج العالم العربي :

الأفراد	٣٠	دولاراً أمريكياً
المؤسسات	٤٠	دولاراً أمريكياً

(قسيمة الاشتراك داخل العدد).

المراسلات

مجلة أدوماتو
ص.ب ١٠٠٧١ الرياض ١١٤٣٣
المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠٣٦٧٨٠ / ٤٠٣٤٧٥١ (١) (٩٦٦+)
فاكس ٤٠٢٢٥٤٥ (١) (٩٦٦+)
بريد إلكتروني : adumatu@suhuf.net.sa
الموقع على الانترنت : www.adumatu.com

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية : ٢٠/٣٧١٩
الرقم الدولي المعياري (ردمد) : ٨٩٤٧ - ١٣١٩

مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية : أسسها الأمير عبد الرحمن بن أحمد السديري، أمير منطقة الجوف من ١٣٦٢/٩/٥هـ إلى ١٤١٠/٧/١هـ الموافق ١٩٤٣/٩/٤م إلى ١٩٩٠/١/٢٧م، بهدف إدارة وتمويل المكتبة العامة التي أنشأها سنة ١٣٨٣هـ ، المعروفة باسم دار الجوف للعلوم، والإسهام في حفظ التراث الأدبي والإرث الحضاري في منطقة الجوف، ودعم النهضة العلمية فيها وأعمال خيرية أخرى. وتأمل مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية أن تسهم مجلة أدوماتو في التعريف بآثار منطقة الجوف، وتسليط الضوء عليها، ضمن اهتمامها الواسع بآثار الوطن العربي.

• **صورة الغلاف** : منظر لسوق قرية الفاو.

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة نصف سنوية محكّمة تعنى بآثار الوطن العربي

النـــاشـــر

مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية

الهيئة الإستشارية

المحتويات

افتتاحية العدد

ها نحن، أيها القارئ الكريم، نقدم لك العدد الثالث من مجلتك "أدوماتو"، التي جعلنا نصب أعيننا أن تضم في كل عدد باقة من الأبحاث الرصينة في مستواها، العميقة في محتواها، المنهجية في توجهها، العلمية في مبتغاها. ولا أظن إلا أننا قد وصلنا إلى هدفنا. أليس كذلك؟ إن مقياس قناعتنا بهذا، هو انتشار المجلة بين القراء، وردود الفعل والأصداء الواسعة، التي وصلنا رجعها من خلال قنوات كثيرة، لعل أهمها الإنترنت؛ فلقد تكاثر الواردون على موقعنا، لأنهم يجدون مورداً جديداً يتعطش الباحثون ، عن آثار العالم العربي إلى مثله، للارتواء بأحلى ما يمكن أن يبل ظمأ الظامئين. "والمورد العذب كثير الزحام".

******

كنا في ضحى يوم الخميس ١٦ جمادى الآخر ١٤٢١ هـ ، الموافق ٢٠٠٠/٩/١٤م، في جمع من الأحباب، عندما دخل علينا أحد الزملاء وقال: "ألم تسمعوا آخر خبر؟" وكنت أظن أنه خبر له صلة بقضيتنا فلسطين، وانتفاضتها المذهلة؛ ولكنه استرسل قائلاً: "لقد مات الجاسر في الولايات المتحدة الأمريكية". فأصابنا جميعاً وجوم عميق، وأضاف قائلاً: "وسيصل جثمانه غداً الجمعة". وعلق كل واحد منا بما تيسر له من الحديث في هذا المقام، وانفض اجتماعنا .

لقد كان مشهد جنازته رهيباً، حضره أخصاؤه ومحبوه، وكم هو مشهد قاس أن تشهد علماً من الأعلام يدفن في التراب، نعم في التراب !! وسكب محبوه العبرات، ودعوا له بالرحمة والغفران، وعزى بعضهم بعضا، وتفرق الناس. أما أنا فبقيت بعض الوقت، أتفكر في هذه الدنيا! لقد كان الجاسر أباً ، لكل من يشعر أن فيه نفحة من علم له صلة بجزيرة العرب، يتقرب إليه ، ينصحه ، يساعده، يرشده، يوجهه، يشركه في أفكاره، يشيد به. واليوم يقابل ربه، بعد أن منحه الله عمراً مديداً، قارب المائة عام.

******

مما تكرر وعرف عن الشيخ حمد، أنه ولد في قرية البرود سنة ١٣٢٨ هـ فإذا كان ذلك صحيحاً ، فإنه قد دخل عقد التسعين، عمراً مديداً متعه الله فيها بالعلم والمعرفة. فجاهد قرابة نصف قرن في التعلم والتحصيل والبحث عن الرزق، بالكتابة في الصحف، ونقد الأبحاث والكتب المنشورة، وأنشأ بذلك حواراً علمياً ، بينه وبين مجموعة من العلماء؛ ثم بدأ في التأليف ، فكان أول مؤلف له هو كتاب: "الرياض عبر أطوار التاريخ" ، وذلك سنة ١٣٨٦ هـ ، الموافق ١٩٦٦م، أي إن عمره في ذلك الوقت، كان قرابة ستين عاماً. وبعد ذلك تدفق الرجل العالم سيلاً جارفاً، من الكتب المحققة والمؤلفة، عن الأماكن في الجزيرة العربية، والرحلات العلمية، في مجالات ، لعل أهمها ، التاريخ والأماكن والرجال والأدب، شعراً ونثراً. أبحاث تتحقق فيها جميعاً منهجية علمية، وذلك بعد أن كافح كفاحاً مريراً ، في سبيل إصدار مجلة تحمل اسم الرياض. وبعدها أنشأ مؤسسة اليمامة؛ ولذا يعد الرائد في تأسيس الصحافة في نجد. فأصدر "اليمامة" مجلة، ثم أصدر مجلة العرب. واكتفى من العمل الصحفي بهذه المجلة الموسوعة، عن الجزيرة العربية: أنساباً وتاريخاً

ومواقع وأدباً وتحقيقاً. وقد أعطى من خلالها الشئ الكثير. وقد انتقل إلى رحمة الله . والمجلة لا زالت في ريعان شبابها، أي لا زالت تتمتع بعقد الثلاثين ربيعاً.

******

ولعل ما يذكر هنا، أنه بدأ تأليفه بكتاب عن الرياض، وختم حياته بكتاب عن البرود، قريته التي ولد فيها، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة. وفيه تحدث بشكل خاص عن نسبه . والقبيلة التي ينتمي إليها، وهي قبيلة حرب، التي انتقل جزء منها قبل مائتي عام إلى نجد من المدينة المنورة. وقد نالت منطقة المدينة المنورة من نشاطه العلمي . الشئ الكثير.

رحم الله أبا معن، فقد كان معيناً عذبا دفاقاً لاينضب؛ كريماً سخياً حيث كانت داره (دارة العرب) ، في حي الورود بالرياض، قبلة الفضلاء من أهل العلم، الذين يفدون إلى المملكة. فقل أن تجد ذا علم، إلا ويجعل ضمن جدول زياراته في الرياض، السلام على حمد الجاسر.

******

وبفراق حمد الجاسر لهذه الحياة الفانية، نكون قد فقدنا علماً ، كان من أوائل من جرد قلمه للدفاع عن الجزيرة العربية، ضد أفكار الدكتور كمال الصليبي في كتابه: "التوراة جاءت من جزيرة العرب" . وقد تناول الجاسر، رحمه الله، تفنيد أراء الصليبي، ودحضها منْ الناحيتين التاريخية والجغرافية. كما لمس الجانب اللغوي فيها أيضاً. ولم يكن الجاسر يظن أن أفكار الصليبي . سوف تتسرب إلى ذاكرة الشباب العربي، وتصبح جزءاً من حوارات النشء الجديد في مجالسهم، وكأنهم يكتشفون شيئاً جديداً، بل وكأنهم لم يقرأوا حقائق التاريخ. فقد زارني أحد شباب الخليج قبل أيام ، وكانت كل أسئلته عن تاريخ الجزيرة العربية، وعن حقائق التوراة، كما رواها الصليبي ولوى عنقها لياً، لكي تتسق مع نظريته.

ومن خلال المناقشة، لاحظت تشرب الشاب لأفكار كمال الصليبي ، خاصة أنه قبل الزعم القائل إن سيدنا إبراهيم الخليل – عليه السلام – من منطقة ما في الجزيرة العربية، وأنه لم يكنْ في العراق ، ولم يمر بفلسطين، ولم يزر مصر، ولم يتزوج فيها ! بل يذكر أن مصر هي مكان ما، يقع في شمال الجزيرة العربية ، وغيرها من المزاعم المعنية بالقضية الفلسطينية، ففي تلك الندوة ، جعل المتحدثون أصل سيدنا إبراهيم – عليه السلام – من عسير، وأنه كان يغدو ويروح منها إلى مكة وبالعكس . وهكذا بقية المنظومة الفكرية الشريرة، التي غرس بذرتها الصليبي.

******

ومما يؤسف له، أن أفكار الصليبي، لم يلتفت إليها العلماء المتخصصون في التاريخ القديم، في ما بين النهرين وبلاد الشام ومصر، ذلك إن مجريات الأحداث في تلك المناطق، سواء منها ما جاء نتيجة للتنقيبات الأثرية، أو ماورد في الكتب السماوية، تسير في اتجاه لا يلتقي أبداً مع توجهات الصليبي، التي لم نكتشف بعد بواعثها. فقد كان خلواً من أي معلومات عن تاريخ الجزيرة العربية، وظهر ذلك بجلاء عندما حضر الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة

العربية، التي عقدت في رحاب جامعة الملك سعود سنة ١٩٧٩م. فقد ألقى بحثاً مجملاً عن حضارة الجزيرة العربية قبل الإسلام، فتعرض لنقد شديد من الحاضرين، خاصة من المختصين من غير العرب . فاعترف أمام الأشهاد، بجهله التام بتاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، وأنه يعد بكتابة دراسة متعمقة في موضوعه، وأسف لما حدث منه. وهذا يدل على أحد شيئين: إما أنه لم يكن يظن أن مستوى الندوة سيكون على مستوى الندوات في الغرب، ولذا استهان بالبحث، وهذا ليس من أخلاق العلماء؛ وإما أنه فعلاً، لم يكن يعي تاريخ الجزيرة، وهذا أيضاً لا يليق به كباحث يضع نفسه في مأزق مثل هذا، ومرت سنوات وإذا به يظهر علينا بهذا الكتاب، وتروج له إحدى كبريات المجلات الألمانية، ويترجم إلى عدة لغات. ألا نتوقف هنا هنيهة لنتبصر الأمر ؟؟!!!

******

وظهرت بعد ذلك كتب أخرى للمؤلف نفسه، تسير في الإتجاه نفسه. كما ظهرت كتب أخرى لغير كمال الصليبي، أحدها عنوانه "بلقيس" ، لمنى زيادة. وفيه بثت بعض أفكار الصليبي. وتلقف "سيد القمني" طريقة تفكير الصليبي، في مجموعة من الكتب ، لعل أوضح ما فيها محاولة إعادة تفسير كثير من الحقائق الدينية، وربطها بالوثنية العربية قبل الإسلام؛ مثال ذلك جعله معبود سبأ "المقه"، هو الذي تحول في ما بعد إلى كلمة "مكة" !! وفي هذا ما فيه من غمز لقناة التوحيد.

******

وثالثة الأثافي ذلك الباحث المصري، الذي يقبع في لندن، ويصدر بين الفينة والأخرى كتباً، تقدم تاريخ مصر القديم وملوكها على طبق من ذهب ، هدية إلى من يدعون أن لليهود حقاً في الحضارة المصرية. فقد جعل بعض ملوكها هم أنبياء بني إسرائيل، مما لم تأت به لا التوراة ولا القرآن الكريم، ولا صحائف التاريخ المسجلة، في مواقع تنقيبات الحضارة المصرية العريقة !! ومن عجب إن هذا الباحث، تترجم كتبه إلى اللغات الأجنبية، وتفسح له الصحف العربية صفحاتها في كل اتجاه! على الرغم من أنه تناول آثار الجزيرة العربية وتاريخها على طريقته، فأصبح يجمع أشتاتاً من هنا وهناك، فتقرأ ما يكتبه فلا تفهم ما يقول !! إن هي إلا كتابة من غير متخصص، يضر ولا ينفع.

وهكذا بدأت جوقة الظلام تخرج من جحورها لتبث سمومها ، في مرحلة ضعفت فيها اليد العربية، وفي هذا لفت لأنظار المجتمع عما هو أهم، إلى ما هو من سفاسف الأمور. ولا أدري لم لا يوجه هؤلاء، بما أوتوا به من قدرة على الجدل والحوار، نشاطهم إلى دحض أباطيل المعتقدات ، التي بنت عليها إسرائيل حقها في الاستيطان في أرضنا، وأرض إبراهيم وسليمان وغيرهما، بدلاً من إصرارهم على أن هؤلاء الأنبياء جاءوا من جزيرة العرب؟

كم كنا سنفخر لو أن هؤلاء الأنبياء جاءوا حقاً من جزيرة العرب، ولكن حقائق العلم تاريخاً وآثاراً وكتباً مقدسة، لا تعطي لهذا الاتجاه قوة وبرهاناً وتصديقاً لما يرمون إليه. فهل يمهد هذا الاتجاه لكوارث سوف تعم المنطقة، أشد مما نحن فيه ؟ تلك هي الأماني التي يدبر لها من يدبر، فهل لعلمائنا في العالم العربي أن يعيدوا النظر في التغافل ، عما يظنونه فقاقيع لابد لها أن تتلاشى ، عاجلاً أو آجلاً ؟!!!

رئيس هيئة التحرير

دراسات ما قبل التاريخ في وادي النيل (السودان ومصر) : ملاحظات حول المنهج والنظرية

يوسف مختار الأمين

ملخص : تتناول هذه الورقة تاريخ أبحاث ما قبل التاريخ في السودان ومصر، منذ بداية القرن الميلادي الماضي، من خلال استعراض نقدي للأعمال الآثارية المهمة، التي أنجزت، وذلك في محاولة لتقصي طبيعة هذه الدراسات من عدة جوانب، منها الأساليب المنهجية المتبعة، والأفكار التي شكلت الإطار النظري لها. وفي إطار التحليل النظري للتيارات الفكرية والمنهجية، التي انتظمت علم الآثار عالمياً، يحاول البحث رصد اتجاهات مماثلة لها في دراسات ماقبل التاريخ في وادي النيل، ومدى اتصالها بتلك التيارات. وقد اقترح الباحث ثلاث مراحل لتطور الأبحاث في هذه المنطقة، لكل واحدة منها سماتها المنهجية، ومنطلقاتها الفكرية. وقد اتضح أن هذه التوجهات المرحلية، في أبحاث ماقبل التاريخ في السودان ومصر، تقترب من التيارات المنهجية والفكرية العالمية أحياناً، وتختلف عنها أحياناً أخرى. ومن جهة أخرى، فإن سماتها الحالية لاتؤهلها بأن توصف "بالنماذج الإرشادية"، كما حددها فلاسفة العلم. كما ناقش الباحث أيضاً الصعوبات، التي تواجه الباحثين في المنطقة وإمكانية تجاوزها.

Abstract. *Surveying the most important archaeological research carried out by foreign expeditions on prehistoric Sudan and Egypt since the beginning of the last century, this paper presents a critical assessment of the methodological and theoretical orientations of that research. In doing so, the study seeks to establish trends in research on prehistoric Nile Valley and evaluate them in the light of the major intellectual developments in modern archaeology worldwide. The paper identifies three stages of development in the archaeological research in this area; each has its own methodological characteristics and ideological underpinnings. The trends so described, sometimes approximate universally recognized methodological and theoretical trends, while at others they branch off. Still these stages of developments fall short of constituting sustained paradigms. The paper also addresses the difficulties researchers may face in the area and suggests ways of overcoming them.*

تتناول هذه الورقة تاريخ البحث الآثاري، الخاص بفترة ماقبل التاريخ في وادي النيل، من بداياته الفعلية المتمثلة في المسح الميداني والتنقيب، منذ أوائل القرن الماضي، ومن خلال السرد التاريخي لهذا النشاط العلمي، يحاول الباحث رصد السمات المنهجية والفكرية، التي انتظمت الأعمال البحثية الرئيسية، التي أنجزت. والهدف الأساس من ذلك، هو النظر في تشكل المناخ الفكري، الذي تجرى في إطاره وأجوائه البحوث، حيث تتحدد ملامح مستقبلها. ومن المعروف صعوبة معرفة ملامح البحث الآثاري عموماً، كغيره من العلوم الإنسانية، إلابتقصي منابع التوجهات وأصولها، التي انطوى عليها ذلك النشاط العلمي. وكما سيتضح في ثنايا هذه الورقة، فإن دراسات ماقبل التاريخ في وادي النيل مرت بمراحل مختلفة، يتفاوت فيها الاهتمام بهذه الفترة من التاريخ البشري في المنطقة، صعوداً وهبوطاً، وذلك لأسباب مختلفة ففي النصف الأول من القرن الماضي، كان يُنظر لوادي النيل كمنطقة بعيدة عن بؤرة التطور الثقافي في ما قبل التاريخ، ليس لها مساهمات تذكر في مجرى الأحداث الحضارية المهمة.

العدد الثالث شوال ١٤٢١هـ - يناير (كانون الثاني) ٢٠٠١م
(ص ص ٧ - ٢٨) ردمد : ٨٩٤٧ - ١٣١٩

ولم يحدث تغيير يذكر في مثل هذه الأفكار، إلا خلال المرحلة الرئيسية الثانية من تاريخ الأبحاث الآثارية في المنطقة، التي بدأت بحملة إنقاذ آثار النوبة (١٩٥٩ - ١٩٦٥م). لقد كان لهذه الحملة العلمية بالغ الأثر في تاريخ البحث الآثاري عموماً في وادي النيل. فقد كشفت عن أهمية المنطقة حضارياً، وكانت نتائجها نقطة مفارقة في تاريخ البحث الآثاري في فترة العصور الحجرية، في كل من مصر والسودان. وبفضل هذه الأبحاث، صار ينظر إلى منطقة شمال شرق أفريقيا على أنها مركز إشعاع حضاري، خاصة بعد أن تسارعت وتيرة الأبحاث الميدانية المكثفة، التي قامت بها مجموعات من العلماء من مناطق مختلفة من العالم، كانت نتائجها -هي الأخرى- ذات دلالات علمية عميقة. ويعد وادي النيل (السودان ومصر) اليوم، بفضل هذه الجهودات العلمية، من أكثر أودية الأنهار في العالم حظاً في البحث والتنقيب، في آثار العصور الحجرية. ويتضح ذلك من وفرة الأدبيات المنشورة، من مجلدات وكتب وتقارير ودوريات متخصصة ووثائق مؤتمرات منتظمة، حول فترة ماقبل التاريخ. وقد أصبح من الضروري الآن البحث في طبيعة هذه الدراسات، والتدقيق في مناهجها وأطرها الفكرية. فمما لا شك فيه أن كل إنتاج أكاديمي، يعتمد على مادة امبريقية أو غيرها، لابد له من منهج لإجراء الدراسة، وكذلك فكرة أو نظرية يستهدي بها الباحث، ويفسر من خلالها الظواهر الثقافية. إن تتبع هذه المناهج والنظريات يعني ببساطة، إننا نبحث في تاريخ ذلك العلم. فما معنى تاريخ الأبحاث في مجال علم الآثار وأهميته إذن؟

أهمية تاريخ البحث الآثاري :

هناك شبه اتفاق بين علماء الإنسانيات، على ضرورة رصد تاريخ النشاط العلمي وتحليله في كل فرع من فروع العلوم الإنسانية،من منطلق أهميته في معرفة تفاصيل واقع النشاط الأكاديمي فيه.

هذا الواقع ينعكس في النظريات والمناهج، التي يتبناها الوسط العلمي، ومن ثم تتحكم في إنتاجه لفترة من الزمن. وبتتبعها يمكن تخطيط البحث المستقبلي، بطريقة تؤمن نجاحاته في الأهداف والتصورات، التي يضعها العلماء. ففي علم الآثار مثلاً، يتناول مؤرخو العلم النشاط البحثي الميداني من منظور عالمي، ويسجلون أهم الابتكارات المنهجية والنظرية، التي أدت إلى تطور العلم ،وترسيخ مبادئه الأساسية. وينظر هؤلاء إلى الأمر من عدة زوايا، مثل : رصد النظريات والأفكار، التي تميز كل مرحلة من مراحل تطور العلم وكيف ينظر العلماء إلى المادة الأثرية موضوع دراستهم، وامكانية الاستفادة منها في معرفة التاريخ الإنساني.

ويهتم العلماء بتحليل ظواهر المناخ الفكري السائد في المجتمع، عند إجراء البحث، لأنه من خلال ذلك المناخ يتشكل نموذج الدراسة من ناحية أهدافها، والمناهج المتبعة في تحقيق تلك الأهداف. فالتأويل - عادة - يخضع لقناعات واعتقادات فكرية وعملية، تتشكل في الإطار الفكري السائد في وقت إجراء البحوث. وكما يقول الفيلسوف والمؤرخ الآثاري كولنغوود، فإنه "لايمكن دراسة أي مشكلة تاريخية، دون دراسة تاريخ الأفكار التي وردت حولها ..."ويقول أيضاً : أن كل مشكلة آثارية تنبع من واقع حياتي .. وأننا ندرس التاريخ من أجل أن نرى بوضوح الموقف، الذي نتصرف فيه الآن » (1) (Trigger 1989 : 2). فإذا ألقيت نظرة سريعة على تاريخ علم الآثار الحديث تتضح مباشرة العلاقة بينه، كممارسة أكاديمية، وبين الأيدولوجيا والسلطة السائدة في المجتمع، الذي تنتج فيه المعرفة الآثارية.

وبما أن الهدف الأساسي لعلم الآثار كان - ومايزال- كتابة تاريخ الثقافة الإنسانية، وتفسير عمليات التطور والتغير فيه، فمن البدهي أن تستغل تلك المعرفة بتفاصيل التاريخ الثقافي في تحقيق بعض الأهداف الآنية للمجتمعات. ويكون استغلال هذه المعرفة لخدمة أغراض متعددة، يمكن تلخيصها في دورين : أحدهما إيجابي لمصلحة العامة، والآخر

لمصلحة فئات محدودة في المجتمع. فعلم الآثار يؤسس، مع تخصصات أخرى المعرفة الخاصة بتاريخ الهويات الثقافية ، وهي عادة ماتكون نقطة الانطلاق في تكوين الشرعية، التي تقوم عليها الأمة والسلطة ، التي تدير شؤونها. واستعادة الماضي، أي التاريخ الثقافي، والاستعانة به في تشكيل الحاضر، يتوقف بالدرجة الأولى على الأيدولوجيا السائدة، وعلى قدرة القوى الاجتماعية التي تتبناها. وعلى سبيل المثال ، يمكن أن نذكر مافعله الأثاريون في إسرائيل ، من إنتاج معرفة تؤكد - في نظرهم- أحقية المستوطنين اليهود في أرض الميعاد ، وإحياء العصبية اليهودية، ومن ثم إثبات الهوية الثقافية ، كما وردت في القصص التوراتي. وتمثل مواقع الآثار الكبيرة بالنسبة لهم قوة رمزية ساعدت في التوحد لتأسيس الدولة الوطنية، وأصبحت جزءاً مهماً في الفضاء الاجتماعي والسياسي والفكري الإسرائيلي. كذلك استفادت الأقليات ، من السكان المحليين في أمريكا واستراليا، من المعرفة الآثارية، للمطالبة بحقوقها التاريخية والثقافية ، واستعادة أمجادها القديمة.

وفي مناقشته للهوية الوطنية المصرية، لاحظ فكري حسن رسوخ التراث العربي الإسلامي. وما وفد من أوروبا حديثاً، في أذهان الناس، مما يشكل قطيعة بين الحاضر والماضي القديم ، المتمثل في الحضارة الفرعونية، على الرغم من أن الأخير يظل ورقة سياسية مهمة. وقد كان التاريخ الفرعوني مصدر قوة واعتزاز لدى المصريين، أيام مقاومة الاستعمار، ويظهر ذلك في خطب السياسيين ، وما كتبه مثقفو الطبقة الوسطى عن الهوية المصرية. وقد استدعى قادة ثورة ١٩١٩م هذا التاريخ، ومجدوا ماضي الأمة، التي كانوا يدعونها للنهضة. وقد كتب عدد من مشاهير الأدباء أعمالاً روائية مهمة، تستمد رموزها من ذلك التاريخ القديم، ولم يتراجع ذلك الاهتمام، إلا بعد نمو التيار القومي الحديث في الخمسينات من القرن الماضي (Hassan 1998a: 207) .

هذه أمثلة محدودة ، لعلاقة علم الآثار بالتيارات السياسية والفكرية في المجتمعات المعاصرة. إن البحث في تاريخ النشاط الآثاري في أي بلد ، لابد أن يكشف شيئاً عن مثل تلك العلاقة ، أو غيرها. ووفقاً لهذا الاتجاه، يبرز على السطح سؤال يتعلق بطبيعة المراحل، التي مرَّ بها علم الآثار، من ناحية مناهجه والأفكار، التي تؤطر أهدافه. فعلى سبيل المثال : هل هناك من رابط بين مناهج البحث الآثاري المطبقة ونظرياته ، على المستوى العالمي ؟ وهل يتخذ علم الآثار مرجعيته النظرية والمنهجية من العلوم الطبيعية والإنسانية الأخرى ، في كل مرة يظهر فيها تحول أو نقلة في تلك المعارف ، أم يبنى ذلك تدريجياً وبصفة تراكمية ؟ إن الإجابة على مثل هذه الأسئلة تحيل إلى النظر في كتابات المتخصصين في تاريخ علم الآثار، الذين حاولوا رصد التيارات المنهجية المتعاقبة في العالم ، خاصة أوروبا وأمريكا على مدى مئتي سنة من العمل الآثاري [(٢)] .

وقد تأثر الباحثون في تاريخ علم الآثار بآراء فلاسفة العلوم ، الذين طرقوا -منذ أوائل القرن الماضي - موضوع ميكانزمات "آليات" حركة إنتاج المعرفة العلمية ، وأشكال وصيغ التقدم في العلوم . وقد ظهرت تيارات نظرية متنوعة، حول دراسة تطور العلم في إطاره التاريخي ، والثقافي والاجتماعي، يربط بينها فكرة التطور العلمي عن طريق تراكم التجارب . وانتقل هذا المفهوم إلى العلوم الاجتماعية، ومن بينها علم الآثار ، الذي تعود دارسو تاريخه على تفضيل فكرة التطور التدريجي واقتباس المناهج والنظريات، من مختلف ضروب المعرفة خلال مراحل تطورها المختلفة، ولم يهتم علماء الآثار، في واقع الأمر ، ولفترة طويلة ، بتطبيق نظريات صارمة في أعمالهم. وفي هذه المرحلة من تاريخ علم الآثار، تمكن العلماء من تثبيت المبادئ والأهداف الرئيسة لعلمهم، وحددوا بشكل عام كيفية تحقيقها. يبدأ ذلك من إجراء العمل الميداني، ودراسة المواد الأثرية المكتشفة وتحليلها ، معتمدين في ذلك على ماتقدمه العلوم الاجتماعية والعلمية ذات الصلة. وقد كانت الأداة

المنهجية الأساسية عند الآثاريين هي التصنيف، بطرائقه المختلفة التي بواسطتها يرصد الباحث أوجه الشبه والاختلاف بين المعثورات، أو الظواهر الثقافية، وذلك بحصر السمات التقنية والشكلية المشتركة بينها. فالسمات المشتركة تؤخذ كمؤشر للإنتماء، إلى مجموعة بشرية ذات خصائص مشتركة. وقد عرف هذا الأمر آنذاك بما أطلق عليه "الثقافةالآثارية". وهي تعني ببساطة ذلك التاريخ الثقافي، الذي اعتمد في بنائه ومعرفته على الأسلوب الآثاري المذكور، لأن الهم الأساسي كان معرفة التاريخ الثقافي، ووضعه في جدول زمني يسمح بمقارنته مع غيره، من المناطق أو الثقافات المجاورة. وكانت المجاميع الأثرية المتشابهة تمثل لهذا الاتجاه منتجات مادية لمجموعة من الناس، يشترك أفرادها في صفات ثقافية، ومن ثم توصف بأنها مجموعات إثنية. وكان النموذج النظري، الذي وجد رواجاً في هذه المرحلة، هو مايسمى "بالتاريخية الثقافية"، حيث ينصب الاهتمام على رصد مواصفات الثقافة المعنية، وتحديد خطها التطوري والمؤثرات التي تتدخل في عمليات التغير والتطور فيه (Trigger 1989:206,448).

وقد كان للنظرية التطورية، المعروفة في العلوم الطبيعية، تأثير كبير على هذا الاتجاه، على الرغم من التعديلات التي أدخلت عليها، عند استصحابها في تفسير تطور الثقافة؛ خاصة أن اهتمامات علماء الآثار في هذه المرحلة كانت تتكيف مع ماهو ذائع من أفكار ومناهج علمية. وكانت هناك اتجاهات أو مدارس، تركز بصفة رئيسة على أحد الجوانب الاقتصادية أو الفكرية أو البيئية، باعتباره يمثل العنصر الأساس في تطور المجتمعات القديمة (Ibid: 247-259). ولكن لم توجد حتى الآن نظرية واحدة، تقيد المنحى العلمي الفلسفي في النشاط الآثاري. فالسمة العامة هي أن علم الآثار ظل انتقائياً في الجانب النظري، إذا يأخذ الباحث مايراه نظرية مناسبة للحالة قيد الدراسة، ويتخلى عنها في حالة أخرى.

وفي مرحلة التيار الحديث في علم الآثار، تعارف مؤرخو العلم على إطلاق مسمى "علم الاثار الحديث"، على تلك التحولات المهمة، البالغة التأثير، في العمل الاثاري، من ناحية المنهج والنظرية، التي حدثت في الستينات من القرن الماضي. وقد بدأت هذه الحركة كمراجعة فكرية ونقدية، لأهداف علم الآثار المعهودة، والطريقة التي تعود علماء الآثار على اتباعها، في تحقيق تلك الأهداف. ولايود البحث أن يتحدث عن ذلك التحول المنهجي والنظري بالتفصيل هنا، إذ يكفي أن يُذكر أن الحركة الجديدة توخت الاستفادة من كل منجزات العلوم الطبيعية الحديثة، من وسائل للتأريخ، ومناهج لتحليل المواد العضوية والبيئية .. الخ. إضافة إلى اعتماد الفلسفة والمنطق في بناء الفرضيات واختبارها، من أجل الوصول إلى استنتاجات معرفتها مطلوبة من المادة الأثرية.

وقد هدف علم الآثار الحديث، إلى جعل الممارسة الأكاديمية علمية، قدر ما تعني تلك الكلمة من شروط، في استخدام الفروض النظرية واختبارها بطرق علمية، بهدف الوصول إلى أحكام عامة عن السلوك البشري في الماضي. كذلك بدأ الاهتمام الواضح في البحث الآثاري، بمراحل التغير الثقافي، والعوامل التي تنظم حركة الثقافة وخط سيرها دون الاكتفاء بالوصف الذي هيمن على كل الأعمال الآثارية السابقة، وقد ظهر هذا التيار في وقت شهد تطورات عميقة في شتى ضروب المعرفة العلمية والإنسانية.

وقد كان هذا الموقف الفكري الجديد، نتيجة لأسباب كثيرة، منها: التأثير المباشر لاطروحات فيلسوف العلوم توماس كوُن، التي نشرها في ذلك الوقت عن نظرية التطور العلمي [(٣)]. فهو صاحب فكرة الربط الوثيق بين فلسفة العلم وتاريخه، عن طريق تتبع منهج الدراسة، وقد طرح من خلال مناقشته، لما أسماه بنية الثورات العلمية، فكرة "النموذج الارشادي" (Paradigm)، في محاولة منه للتشكيك في نظرية التطور العلمي عن طريق التراكم. فالنموذج الارشادي، ببساطة يعني مجموعة نظريات ومناهج معتمدة لدى المجتمع العلمي

ويشترك فيها كل العلماء . وفي مرحلة سيادة "نموذج ارشادي" ما، يظل التطور العلمي تراكميا، إذ يجري تحسين النظريات القديمة بغيرها، لتواكب الملاحظات العلمية الطارئة، وخلال ما اسماه الثورة العلمية، أي مرحلة التغير، يلاحظ العلماء أشياء جديدة لم تكن مألوفة لديهم لاتستوعبها النظريات الموجودة، ويحدث تحول جذري يتطور في شكل نموذج مغاير، وتختلف الرؤية من ناحية العلاقات الجديدة التي يكشفها النموذج الفكري الجديد، فهي تعكس تغيرات جذرية، تُحدث قطيعة بين القديم والجديد. وعندما ينزوي نموذج، يحل محله نموذج آخر. والنماذج الإرشادية الجديدة "ليست نتيجة منطقية أو تجريبية للنظريات السابقة". ففي كل مرحلة تظهر ثورة علمية، تكون السيادة فيها لنموذج إرشادي، يهيئ للعلماء تقليداً متماسكاً لإجراء البحوث العلمية، ثم يحل محله نموذج آخر في المرحلة التالية. وهكذا الحال على مدى مسار التطور التاريخي للمعرفة، وفي كل الأحوال فإن نتائج التحقيق المنهجي نسبية وغير ثابتة، وأن الأفكار التي تقبل عالمياً هي التي تأخذ صفة النموذج الإرشادي. وهكذا فالتقدم الحقيقي في العلوم يأتي في مرحلة التحولات الأساسية في النماذج الإرشادية، واحلال نموذج مكان آخر (كُون ١٩٩٢ : ٤٥-٥٢، ١٣٤، ٢٢٧-٢٣٠).

ظهر تأثير أفكار كُون في أدبيات علم الآثار الحديث منذ السبعينات، خاصة تلك التي كانت تدعو إلى إعادة النظر في تاريخ علم الآثار، وفي النظرية التاريخية الثقافية، التي تشكل المحور الأساس في الدراسات الآثارية، كذلك أثرت في الدعوة الى تبني مناهج جديدة في الاستنتاج، والتركيز على قضايا حركة الثقافة وديناميتها، ومن جهة أخرى أوضحت القصور الذي أصاب توجهات البحث الاثاري نتيجة ابتعاده عن مناهج العلوم التجريبية وفقدانه لنظرية متماسكة توجه الأبحاث فيه ويقول ديفيد كلارك، أحد أعلام التيار الحديث في علم الآثار، أن علم الآثار ظل حتى ظهور أفكار توماس كون، "منهجاً امبيريقياً (تطبيقياً) غير ممنهج" (Trigger 1989: 50).

تعرضت أطروحة كون لنقد ومراجعة من قبل فلاسفة العلوم. ولكن بعض الاثاريين المحدثين رأوا أن المراحل التي مرّ من خلالها علم الآثار ومافيها من المناهج والنظريات المتماسكة يؤهلها لأن تصبح نموذجاً إرشادياً. وعلى الجانب الآخر ظل عدد كبير من الآثاريين على اعتقادهم بأن الحال في علم الآثار لا يماثل العلوم الطبيعية التي وضع كون نموذجه عليها. ويعتقد هؤلاء أن التطور في المنهج والنظرية في علم الآثار، كان تراكمياً ومتدرجاً عبر فترة زمنية طويلة، وليس فيه ما يوحي بثورة أو انتقال مفاجئ في موجهات البحث الآثاري. إن أقرب احتمال لاطروحة كون ومناسبتها في علم الآثار، هو عندما نتبين أن التفسير الآثاري لم يتطور في اتجاه أحادي، وإنما حدث نتيجة لمؤثرات من معارف شتى. وهكذا فإن النماذج الإرشادية المتغيرة هذه، قد تنبه الباحثين إلى مجالات وآفاق بحثية لم تكن موضع اهتمامهم.

ومهما يكن من أمر تأثير أطروحة كُون في علم الآثار الحديث، فإن التأثير الذي بدأ كحركة نقدية للمدرسة التاريخية - الثقافية ومناهجها، تفجر في سيل من فروع المدارس الفكرية خلال عقدين فقط من الزمان لكل واحد منها توجهاته النظرية والمنهجية، التي انتهت الى محورية شديدة في البحث الآثاري.

وبعد فترة وجيزة تعرض التيار العلمي الجديد، الذي يسعى إلى تفسير التغير الثقافي من خلال رصد حركة الثقافة وإصدار أحكام أو قوانين عامة عنها، إلى نقد شديد، وكان النقد منصباً على أن هذا التيار يركز كثيراً على الجوانب المادية في حياة الإنسان، وينظر إلى الثقافة من خلال التكيف على البيئة، وذلك من منظور النظرية الوظيفية، التي عرفت في الانثروبولوجيا منذ الثلاثينات في القرن الماضي، وقد كان دعاة التيار الحديث أكثر تفاؤلاً في تقديراتهم، لما يمكن أن يتحقق من الأهداف التي طرحوها، إذ إن بعضها لايضع في الاعتبار إشكالات المادة الأثرية،

ومايترتب على ذلك من تطبيقات للمناهج الجديدة، ومهما يكن من أمر فقد توفرت لعلم الآثار لغة خاصة ، ذات عبارات دقيقة تقترب من لغة العلوم الطبيعية. ومن الفكر الذي وجد رواجاً بعد ذلك البنيوية ، ثم الوظيفية -البنيوية، الماركسية المحدثة ، والنظرية النقدية. وأصبحنا الآن نقرأ عن علم الآثار الجنساني (Gender Archaeology) ،وعلم الاثار المعرفي (Cognitive Archaeology) ، ضمن مسميات أخرى. وقد تراجع أخيراً بعض الفكر النظري في علم الآثار إلى الدعوة إلى المدرسة "التاريخانية المثالية" التي تركز على الظرف الاجتماعي الذي تكونت فيه الظاهرة الثقافية قيد الدراسة (Renfrew and Bahn 1991: 405-434) . وفي ضوء هذه المعلومات الموجزة عن الوضع المنهجي والنظري في علم الآثار في الوقت الحاضر، ننظر إلى دراسات ماقبل التاريخ في وادي النيل ، وذلك لأمرين : أولهما ، لنرى ما إذا كان في هذه الدراسات مراحل محددة المعالم، يمكن تمييزها على أسس توجهات نظرية ومنهجية ، وثانيهما لنرى مدى تأثرها بالتيارات الحديثة في علم الآثار آنفة الذكر.

دراسات ماقبل التاريخ في وادي النيل :

تعّرف العلماء على وجود الإنسان، خلال عصور ماقبل التاريخ في وادي النيل ، منذ القرن التاسع عشر ، ولكن جمع المواد الأثرية الدالة عليه ، من مواقع هذه الفترة ، لم يبدأ بصورة فعلية إلا مطلع القرن الماضي ، ومنذ ذلك الوقت مر تاريخ البحث الأثاري عن هذه الفترة بمنعطفات، فتارة تنشط الأبحاث، وتنقطع تارة أخرى ، حتى نشطت بصفة شبه دائمة، بعد حملة إنقاذ آثار النوبة (١٩٥٩- ١٩٦٥م) . كما لاتوجد دراسة مفصلة عن طبيعة أبحاث ماقبل التاريخ ومناهجها ، إلا مايرد عنها في شكل موجز ومقتضب، ضمن مقدمات التقارير والمؤلفات ، التي تحوي نتائج المسح والتنقيب في حقب ما قبل التاريخ ، في مصر أو السودان. وقد كتب آدمز مقالا ناقش فيه تاريخ البحث الأثاري في السودان وذكر أنه يمكن تقسيمه إلى أربع مراحل متعاقبة ، تمثل كل واحدة منها نموذجاً إرشادياً متوافقاً مع الوصف ، الذي طرحه كُون من قبل. ويرى آدمز أن هذه النماذج الإرشادية في البحث، تعكس متغيرات الأحوال السياسية، خلال فترة الحكم الأجنبي وما بعده. وفي الوقت نفسه حدد شكلها التقدم في المنهجيات والتخصص المهني، الذي حدث في علم الآثار، هذا إضافة الي التغير الذي طرأ في نظرة الغرب إلى أفريقيا وشعوبها من ناحية فلسفية. وكان أول هذه النماذج التي اقترحها آدمز، هو الذي يحمل الأفكار التي سادت في القرن التاسع عشر، وسماه نموذج "القطف"، أو جمع الآثار دون موجهات علمية تذكر. والثاني نموذج ماسماه بمرحلة "الاستعمارية المستنيرة" وهي الفترة التي شهدت ميلاد البحوث حول أصول الحضارة المصرية القديمة في شمال السودان . والثالث نموذجْ ما بعد الاستعمار، والرابع هو النموذج الوطني (Adams 1981)، ومن الملاحظات التي تؤخذ على هذا التقسيم ، أنه لم يشتمل في مادته على الأبحاث التي أجريت عن فترة ماقبل التاريخ ، إذ حصره المؤلف في الآثار التاريخية. ومن جانب آخر، لم يبين بصورة واضحة الفروق الفكرية أو المنهجية بين المرحلتين الثالثة والرابعة. كذلك يمكن الإشارة الى أن النظرية التاريخية الثقافية، كانت بارزة في معظم الأعمال الرئيسية، التي تمت في الدراسات الآثارية في السودان على اختلاف مراحلها ، وما خرج عليها يعد في حكم النادر. وسيتضح عند مناقشتنا لأبحاث ماقبل التاريخ في الصفحات التالية صعوبة تطبيق فكرة النموذج النظري الإرشادي الواحد الذي تنتظم فيه معظم الدراسات.

بعد مراجعة نتائج دراسات ماقبل التاريخ في السودان ومصر تبين أنه يمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل رئيسة ، تمثل كل واحدة منها عدداً من الاتجاهات المنهجية والنظرية. كذلك، يلاحظ أن النظرية السائدة في أي من هذه المراحل الثلاث، لم تختف، مرة واحدة ، بدليل التداخل النظري بين المراحل، كما أن كثيراً من الأفكار الحديثة السائدة في الأبحاث

العالمية اليوم، لم تنعكس بطريقة مكتملة في المرحلة الثالثة، كما سيأتي ذكره. ويرتكز التقسيم الثلاثي المقترح على أساس طبيعة المناهج الميدانية، والطرق المتبعة في دراسة المعثورات، والآراء التي تبناها العلماء في تفسيرهم لتطور ثقافات العصور الحجرية في المنطقة . في إطار ما هو معروف في الدراسات العالمية المماثلة. فالمرحلة الأولى تغطي الفترة منذ بداية الأعمال الميدانية الفعلية عند بداية القرن الماضي حتى العام ١٩٦٠م ، حيث تبدأ المرحلة الثانية مع حملة إنقاذ آثار النوبة ، التي تعد نقطة مفارقة في تاريخ البحث الآثاري عموماً في المنطقة. أما المرحلة الثالثة فهي التي شهدت الأعمال، التي أعقبت تلك الحملة من العام ١٩٧٠ م تقريباً ، حتى الآن . ومن أجل تحديد ملامح هذ التقسيم نتناول كل مرحلة على حدة .

المرحلة الأولى :

على الرغم من أن البحث عن مواقع ماقبل التاريخ، لم يبدأ بصورة علمية منتظمة إلا في العقدين الأولين من القرن الماضي، إلا أن وجود المعثورات الأثرية من هذه الفترة، تم تسجيله بواسطة عدد من الرحالة المستكشفين في مصر، منذ أواخر القرن التاسع عشر، ومن الملاحظ أن الاهتمام بهذه الفترة كان مبكراً في مصر، بينما أهمل بعد ذلك عند بداية الحرب العالمية الثانية. ويعزى ذلك إلى سببين رئيسين: أولهما ، اعتقاد كثير من الباحثين بعدم أهمية المنطقة حضارياً في تلك الفترة بسبب تخلفها عن مسيرة التطور، الذي حدث في مناطق أخرى من العالم ، وثانيهما ، التركيز والشهرة اللتان اكتسبتهما مصر، باكتشاف الحضارة المصرية العريقة، بفنونها الزاهية ، وعمارتها ، ولغتها القديمة ، وهي الحضارة التي امتد إشعاعها بعيداً في أرجاء العالم القديم . لقد كان العمل الاثاري ، الذي أداره الغربيون في ذلك الوقت ، موجهاً بصفة رئيسة نحو البحث في أصل الحضارة الإنسانية، وخصائصها وكيفية انتشارها من منابعها الأولى في مصر . كما رأى كثير منهم ، إلى بقية أنحاء العالم.

وفي مصر تعرف الباحثون على وجود الإنسان ، أولاً في الصحراء الغربية، من خلال رحلات المستكشفين الأجانب ، في أواخر القرن التاسع عشر ، وفي أوائل القرن الماضي ، وصف شوينفيرث وكورلي وستيرت ، أدوات من العصر الحجري القديم ، وكذلك فعل الشئ نفسه بوفير-لابيني، من خلال أعماله في العباسية بالقرب من القاهرة ، ولم تكن هذه الاكتشافات منتظمة أو ذات أهداف محددة (Wendorf and schild 1976 : XV) . ويأتي في مقدمة الأعمال المهمة من التنقيب والبحث ، في مواقع ماقبل التاريخ ، ما قام به كاتون طوسون وغاردنر في العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي، إذ تمكنا من اكتشاف حضارة ماقبل الأسرات ، متمثلة في البداري . ثم أعمالهما الرائدة في الفيوم ، عندما حددا تسلسل الأدوار الثقافية هناك ، من بدايتها حتى ظهور مجتمعات إنتاج القوت، في العصر الحجري الحديث . وبعد ذلك تأتي أبحاثهما في واحة الخارجة (١٩٣٠- ١٩٣٢ م) ، حيث وصفت كاتون طومسون تسلسل أدوار العصر الحجري القديم ، بدءاً من الأشولية وما أسمته الأشولي -اللفالوازي . فقد كان هذا أحد الأعمال الكاملة المبكرة في الصحراء الغربية في مصر .

ونالت هذه المنطقة حظها من قبل في زيارات الجيولوجيين والآثاريين والمستكشفين ، وكذلك اكتشف حسين بك في ١٩٢٤ م الرسومات الصخرية في منطقة العوينات ، وكذلك باقنولد (Bagnold)، وميرز (Myers) . ويأتي في صدر قائمة الأعمال الميدانية المهمة ، في تاريخ البحث الآثاري في مصر أيضاً، ما قام به فينارد (Vignard)، في كوم امبو في أواسط مصر ، حيث اكتشف ماأطلق عليه "حضارة السبيل" المشهورة، التي نسبها إلى العصر الحجري الأعلى ، ووصف أدواتها بأنها خليط من تقنيات العصر الحجري القديم الأعلى، والصناعة الموستيرية ،التي ظلت عالقة في المنطقة حتى وقت متأخر ، مما يوحي بأن المنطقة

كانت متأخرة حضارياً، ولم تشهد الابتكارات الحضارية، التي عرفتها مناطق اخرى. وقد تردد مثل هذا الرأى في كتابات كاتون طومسون، عندما ذكرت -مثلاً- أن إقليم شمال شرق أفريقيا كان منغلقاً ومكتفياً ذاتياً في فترة العصور الحجرية. ويبدو كذلك أن التطور الحضاري كان بطيئاً، وبعيداً عن التيارات الحضارية الرئيسية، التي عرفتها منطقة الشرق الأدنى وأوروبا (Caton-Thompson 1946: 57-58).

وقد حظيت منطقة النوبة بقدر من الاهتمام في مجال البحث الآثاري، خلال هذه المرحلة المبكرة من العمل الميداني، عندما تقرر بناء خزان أسوان، وتعليته فيما بعد. وقد أجري مسحان أثريان (١٩٠٧-١٩١١ و ١٩٢٩-١٩٣٣) في منطقة النوبة السودانية، ولم يذكر فيهما شئ عن وجود مواقع تعود للعصر الحجري القديم، بل ذكر في تقاريرها أن الاستيطان البشري بدأ بوصول مجموعات سكانية من خارج المنطقة، أعطيت حضاراتها أسماء بالحروف الأبجدية وبدا واضحاً أن الاهتمام الأكبر كان من نصيب حفر المقابر ووصف المعابد، والمباني الشاخصة، التي نُسبت للحضارة الفرعونية، بسبب اعتقاد الباحثين أن منطقة النوبة تمثل امتداداً حضارياً لمصر، ولهذا يجب وضع آثارها ضمن الهيكل التاريخي المعروف لديهم سلفاً (Adams 1963).

وأما الإشارة الواضحة لوجود آثار من العصور الحجرية، فقد وردت فى أعمال ساندفورد وأركل، التي قاما بها في النوبة المصرية، عندما حاولا -في الثلاثينات- دراسة جيولوجيا المنطقة، وترسبات فيضانات نهر النيل القديمة. وقد وصفا مجاميع أدوات حجرية من نوع الأشولية والموستيرية. وبعد ذلك أجريا مسحاً مماثلاً في النوبة السودانية، حتى سمنة جنوباً. وبناء على تلك المعلومات وصفا تسلسل أدوار العصر الحجري القديم، وخلصا إلى أن الصناعة الاشولية لا توجد جنوب وادي حلفا، كما أن الصناعة الموستيرية استمرت في المنطقة لوقت طويل بعد اختفائها في المناطق المجاورة، وبهذا يدعمان ماذكرته كاتون طومسون من قبل، بأن التطور الثقافي خلال العصر الحجري القديم، كان هامشياً ومحافظاً (Sandford and Arkell 1933: 35).

أتيح لأنطوني آركل، أحد الإداريين البريطانيين في السودان، الذي أصبح مديراً للآثار في ١٩٣٨م، أن يجمع أدوات حجرية من نوع الأشولية من السطح، في كثير من المواقع المتفرقة في البلاد. وبهذا يكون قد أوضح وجود الإنسان المبكر إلى الجنوب من الخرطوم، على غير ماكان يعتقد. ومن أهم اكتشافاته موقع خور أبو عنجة الأشولي، الذي نشر تقريراً عنه مع تلك المكتشفات في أول كتاب خاص بالعصر الحجري القديم في السودان عام ١٩٤٩م. وعلى الرغم من أن هذا العمل كان محدوداً إلا أنه دحض الرأي القائل بخلو المنطقة من وجود الإنسان في تلك الفترة (Arkell 1975). ومن أهم أعمال آركل، ذات الأثر الكبير في دراسات ماقبل التاريخ في السودان ووادي النيل عموماً، تنقيبه في موقعي الخرطوم القديمة والشهيناب التي تقع نحو ٥٠٠ كم إلى الشمال من أم درمان.

وصف آركل الخرطوم القديمة بأنها مستوطنة يعود تاريخها للألف الثامن قبل الميلاد، وكانت مستوطنة شبه دائمة، اعتمد أصحابها على صيد الحيوانات البرية والأسماك وصنعوا أدوات حجرية متميزة، وكذلك الخطاطيف العظيمة، التي عرفت بها هذه الحضارة. كما أنهم صنعوا الفخار المزين، بالخطوط المتصلة والمموجة، وبأخرى متقطعة مموجة، أو متعرجة، ولم يتمكن هؤلاء الصيادين من ممارسة الزراعة، أو استئناس الحيوان (Arkell 1949). وفي الموقع الآخر (الشهيناب)، اعتمد السكان على الصيد البري والمائي، واستأنسوا الأغنام والماعز والأبقار، ولم يوجد دليل على الزراعة وتطورت صناعة الفخار حيث عرفوا الصقل والزخرفة بأشكال أخرى متنوعة واعتقد آركل أن الشهيناب (الألف الرابع ق.م) كانت تطوراً طبيعياً من حضارة الخرطوم القديمة أي تطوراً من العصر الحجري الوسيط، الي العصر الحجري الحديث. وقد وجد حلقة الوصل بين الموقعين في موقع آخر

(القوز)، في منطقة الخرطوم (Arkell 1953) . ويعتقد آركل أن حضارة الشهيناب ظلت محصورة في وادي النيل، بينما طور نظريته المعروفة بأن الخرطوم القديمة كانت هي المركز الذي ظهر فيه الفخار أولاً في أفريقيا، ومن ثم انتشر بزخارفه المميزة في منطقة واسعة، تمتد شمالاً حتى الفيوم، وإلى الصحراء الكبرى في الغرب. وقد ظلت أفكاره متداولة حتى اليوم، بين مؤيد ومعارض. ومهما يكن من أمر فإن آركل استطاع أن يضع منطقة النيل الأوسط في خارطة أبحاث ماقبل التاريخ، وجذب إليها أنظار العلماء، وظلت أفكاره رائجة لوقت طويل بعد ذلك. ومن المناسب هنا الإشارة، إلى أن وجهة نظر آركل تمثل فعلاً أحد النماذج الفكرية السائدة في أواسط القرن الماضي في علم الآثار، وهي فكرة الانتشارية. فهناك في الخرطوم القديمة، حدث تطور ثقافي محلي، أصبحت بموجبه المنطقة مركز إشعاع حضاري، يبث مؤثراته بوسائط غير محددة على وجه اليقين، إلى أماكن بعيدة، وتتشكل نتيجة لهذا الانتشار منطقة ثقافية يمكن تحديد معالمها جغرافياً. كذلك تجدر الإشارة إلى أن آركل استخدم كل ما كان متاحاً في وقته من منهجية ، لعمل تنقيبات ميدانية منظمة، جمع خلالها المواد العضوية والمعثورات والظواهر، التي استطاع أن يكّون من خلالها صورة مناسبة عن حياة أولئك الصيادين في منطقة الخرطوم .

إذا أراد المرء أن يصف حالة البحث حول فترة ماقبل التاريخ في السودان ومصر خلال هذه المرحلة، فيمكنه القول :

١- لم تكن المنطقة المذكورة في مقدمة المناطق في العالم القديم ، التي حظيت كثيراً باهتمام الاثاريين ، وربما يعود ذلك الى انشغالهم بالحضارة المصرية القديمة في العصور التاريخية، وانكباب العلماء، من مختلف مراكز الأبحاث العالمية على دراسة آثارها وفنونها الرائعة.

٢- لم تكن هناك أبحاث خطط لها، ماعدا حالات قليلة. فالأعمال الميدانية كانت تتحكم فيها الصدفة. فعندما تقرر بناء خزان أسوان - مثلاً - أصبح العمل الآثاري إنقاذياً في المقام الأول ومن جانب آخر ،كانت بعض مواقع ماقبل التاريخ، يسجلها المستكشفون ولايكتبون عنها وصفاً كاملاً. وهكذا ظلت دراسات ماقبل التاريخ بعيدة عن الاهتمام .

٣- يلاحظ أن معظم المواد الأثرية، التي تم تسجيلها أود دراستها كانت ملتقطات سطحية من الأدوات الحجرية، ما جعل الباحثين يركزون على تصنيفها وترتيبها، بهدف معرفة الأدوار الثقافية التي تمثلها. وفي تحديدهم لمعالم الأدوار الثقافية في ماقبل التاريخ ، اعتمدوا على أنواع معينة من الأدوات الحجرية عدت نموذجية، وهو الشئ نفسه الذي فعله علماء ما قبل التاريخ في أوروبا. ومن ثم استخدموا المصطلحات نفسها المعروفة في أوروبا، ولم يلتفت أحد في ذلك الوقت، إلى احتمال عدم مناسبة بعضها للمواد المكتشفة في وادي النيل. كذلك كانت المقارنات محصورة بما عُرف في أوروبا والشرق الأدنى، ونادراً مايذكر الإطار الجغرافي لوادي النيل في أفريقيا، عند إجراء هذه المقارنات.

المرحلة الثانية :

على الرغم من أن العمل الميداني، في شكله المحدود ذاك، لم ينقطع، إلا أن بداية حملة إنقاذ آثار النوبة في عام ١٩٦٠م، تمثل نقطة تحول أساسي في تاريخ العمل الآثاري في المنطقة، بصفة عامة، وماقبل التاريخ بصفة خاصة. فخلال هذه الفترة استمرت عمليات المسح والتنقيب، في منطقة محصورة على ضفتي النهر في منطقة النوبة، بين الشلال الأول والثاني ، لمدة خمس سنوات. واستمرت أعمال التحليل والدراسة والنشر بعد ذلك، حتى عام ١٩٧٠م تقريباً . وقد دخل إلى منطقة النوبة مالايقل عن أربعين بعثة تنقيب أجنبية، بعد النداء الذي وجهته الأمم المتحدة، وحكومتا مصر والسودان ، لإنقاذ آثار النوبة. وكان يقصد بها آنذاك، المعابد والقصور والكنائس وكل

الآثار الشاخصة في المستوطنات القديمة. ولم تكن آثار ماقبل التاريخ، ضمن الخطة الأصلية لمشروع البحث ، ولكنها اعتمدت بعد بداية الحملة فعلياً. وقبل التعرض للمنهجية، التي اتبعتها الفرق البحثية في مواقع ماقبل التاريخ، يجدر أن نقرر أن نتائج تلك الأعمال الميدانية، التي نشرت تباعاً بعد عام ١٩٦٥م كشفت عن معلومات جديدة ومثيرة، عن الأدوار الثقافية في العصور الحجرية في تلك المنطقة، من وادي النيل. فقد اتضح من الوهلة الأولى ، خصوصيتها وثراء التجربة الإنسانية فيها. فقد كشفت أعمال البحث والتنقيب، عن العديد من التقاليد الثقافية المتميزة، التي تطورت محلياً، وأخرى تأثرت بعوامل محلية وخارجية، من شمال أفريقيا ومن شمال وجنوب الوادي، وقد كانت المنطقة خلال الجزء الأخير من البلايستوسين، تعيش نمواً ثقافياً مهماً وحيوياً خلافاً لما كان يظن أنها تعانيه من ركود وعزلة ثقافية. (Wendorf 1968 a: Introduction) .

وقد عملت تلك البعثات في المسح والتنقيب في آثار المنطقة، وعدد قليل منها تخصص في مواقع ماقبل التاريخ، في مصر والسودان. وفي هذه المرحلة كان العمل محصوراً في المنطقة، التي ستغمرها مياه السد العالي وماجاورها. ففي شمال السودان انحصر البحث في منطقة مساحتها ستون كيلو متراً فقط، حول مدينة وادي حلفا. والفضل في معظم، بل في أهم ماحققته تلك الفرق العلمية من اكتشافات، يعود للبعثة الأمريكية المتحدة، المكونة من عدة باحثين ينتمون إلى جامعات من أقطار مختلفة، بقيادة فرد وندورف، التي نشرت أعمالها بصورة غير مسبوقة في عدد من المجلدات والأبحاث المتفرقة. حدث هذا على الرغم من الخلفيات الأكاديمية المتباينة للباحثين، الذين يجتمعون لأول مرة في منطقة واحدة محصورة، لم يكن لمعظمهم - بما فيهم رئيس الفريق نفسه - خبرة سابقة بنوع مواقعها وطبيعتها ومشكلاتها، ولهذا يلاحظ بعض الاضطراب في المسميات والمصطلحات المستحدثة، في وسائل تصنيف ووصف المعثورات، الأمر الذي أثر سلباً في ترتيب المراحل الثقافية خلال العصور الحجرية بل في تحديد معالمها بشكل دقيق واضح.

وقد ساهم التطبيق الصارم لأنظمة التصنيف الآثاري الأوروبية، في وجود مثل هذه الاشكاليات. فعلى سبيل المثال، استعملت قائمة الأدوات، التي ابتكرها فرانسوا بورد، في تصنيف الصناعات الموستيرية النوبية، ولكنها وجدت غير مناسبة لتطبيقها في تصنيف أدوات ماسمي بصناعة خور موسى . وقد كان من الممكن إضافتها للمجموعة الموستيرية، إذا استخدمت منذ البداية طريقة أخرى، كما اتضح فيما بعد عند إعادة دراسة هذه المادة (Elamin 1981: 1-13) . ومن جهة أخرى، فإن الطبيعة الإنقاذية جعلت تلك الأعمال الميدانية جزئية، كما أن بعضها اعتمد على مواقع أثرية منتقاة. وربما يضاف إلى ذلك، أن العمل نفسه لم يكن من النوع الذى اقتضته قضايا أثرية محددة ، أو فرضيات معينة، حول تطور ثقافات العصور الحجرية في المنطقة، كما حدث في بعض الدراسات الأخرى في السودان، عقب انتهاء الحملة.

وعلى الرغم مما ذكر، تمكنت البعثة الأمريكية المتحدة من توثيق أكثر من عشرين تقليداً في صناعة الأدوات الحجرية. وبناء على ما فيها من خصائص تقنية، ونوعية مشتركة وعلاقات زمانية ومكانية فقد عدت كل واحدة منها ذات طابع خاص متميز وقد رتبت في تسلسل زمني، يمتد من الدور الأشولي حتى نهاية العصر الحجري الحديث. وقد كانت أعمال هذه البعثة متميزة بشموليتها، من حيث إجراء البحوث الجيولوجية، والبيئية ذات الصلة، ثم جمع كل ماهو متاح من معلومات، تفيد في التعرف على أنماط الاستيطان البشري القديم، والكثافة السكانية وأنماط الاقتصاد المعيشي. وقد كانت المعلومات حول هذه الأمور قليلة في كثير من الحالات، نسبة لطبيعة المواقع نفسها، خاصة أنها فقدت كل ماكان فيها من مواد عضوية، بفعل عوامل الطبيعة .

ومن ناحية منهجية، اعتمدت الدراسة على

الاعتقاد بأن كل المعثورات، وفي معظم الحالات، الأدوات الحجرية، التي توجد في مكان واحد وفيها ما يوحدها من الخصائص ، تسمى مجموعة (Assem-blage). ثم توضع -بعد ذلك- المجاميع التي تشترك في خصائص نوعية وتقنية بنسبة كبيرة، في وحدات تسمى صناعة (Industry). ويعتقد الباحثون أن كل وحدة، أوصناعة، تمثل وحدة ثقافية يمكن نسبتها لثقافة مجموعة سكانية، عاشت في المنطقة في الزمن المعين . وعلى هذا الأساس ترتب الصناعات، اعتماداً على أسس تصنيف المعثورات بالطرق المعهودة في دراسات ماقبل التاريخ عالمياً ، كما ذكر آنفاً. ولكن تجربة البعثة الأمريكية نفسها أوضحت ،أن هناك بعض المجاميع لايمكن وضعها ضمن أي صناعة تم تعريفها، ولهذا جمعت في قائمة أطلق عليها اسم متفرقات "Miscellaneous" . وتبعاً لهذا النموذج . تعد كل صناعة ممثلة لأنشطة مجموعة من الناس, يشتركون في ثقافة مميزة وهذه الصناعات الحجرية تمثل "حقائق ثقافية وليست نتيجة لنشاط وظيفي متخصص، أو تكيف بيئي موسمي، أو أنها تجمعت صدفة نتيجة لأسلوب الجمع من الميدان، أوالتصنيف". والمبدأ العام في هذا النموذج أنه، إذا كان الاختلاف ضئيلاً بين المجاميع الأثرية المتعاقبة، فإن ذلك يعدتطوراً واستمرارية، وعندما يكون الاختلاف كبيراً، فيفسر ذلك بدخول مجموعات عرقية جديدة للمنطقة، ذات ثقافة مختلفة. وفي حالة منطقة النوبة، عندما تكون الصناعات متزامنة ومختلفة ، فإنها تمثل تعايشاً بين مجموعات مختلفة ثقافياً وعرقياً في إقليم واحد (Wendorf 1968b: 1041) .

إن هذا النموذج الفكري، في تفسير التنوع في المخلفات المادية لمجموعات ما قبل التاريخ ، يذكّر مباشرة بنموذج "الثقافة الآثارية"، التي عرفها ووضع أسس طرائق تحديدها ، غوردون شايلد، وغيره من رواد علم الآثار في الأربعينات، من القرن الماضي. فهذه الفكرة هي التي بدأ بنقدها أصحاب مدرسة التيار الحديث في علم الآثار، عندما بينوا عيوب التوجه التاريخي - الثقافي . الذي يقوم على أسس التصنيف الشكلي للأدوات الحجرية. وهو في ذلك يعتمد على النسب الإحصائية بين مجاميعها. ثم ينظر إليها في حلقة متصلة كما لو أنها تتناسل. بينما هي في الواقع من فعل الإنسان، بطبيعة الحال (Binford 1966) . ومن دون مناقشة الأساس النظري، الذي اعتمدت عليه مثل هذه الدراسات، فهناك ثغرات إجرائية في المنهج، يمكن الإشارة إليها فمن ذلك مثلاً ، أن الاختلافات المذكورة بين المجاميع ، تقوم أساساً على فروقات إحصائية، في نسب أنواع الأدوات الحجرية . كما أن تصنيف الأدوات ونسبها، يتوقف -هو الآخر - على عينة الدراسة ومدى تمثيلها للكل. وهناك اختلاف نتائج التصنيف المبدئي، الناجم عن تطبيقات لأشخاص مختلفين. فالصناعات الموستيرية في منطقة النوبة السودانية ، تم تعريفها من دراسة مجاميع أدوات حجرية وجدت على السطح ، في أحد عشر موقعاً. وقد صنفت الأدوات على أساس قائمة بُورد، لتصنيف أدوات العصر الحجري القديم الأوسط . ولكن حجم العينة في بعض الحالات كان غير مناسب، لإجراء مقارنات إحصائية بين تلك المجاميع. وقد قسمت الصناعات الموستيرية إلى أربعة أنواع ، وذكر أن بعضها يماثل الصناعات الموستيرية في غرب أوروبا تقنية ونوعاً، وهو أمر خاضع للتأكيد (Marks 1968:292) . ومهما قيل من ملاحظات عن أعمال هذه البعثات، خلال حملة إنقاذ آثار النوبة، فإن الإيجابيات تفوق السلبيات. أما عن أبحاث ماقبل التاريخ ، فيمكن القول أن النتائج التي حصلت عليها بعثات التنقيب ، فتحت الباب على مصراعيه في مصر والسودان لدراسات جديدة ، بتوجهات وأهداف مختلفة، كان لها نتائجها العلمية المهمة. (كما سيأتي ذكره في الفقرة التالية).

إن الأعمال الميدانية، ودراسة ما عثر عليه من مواد أثرية، في هذه المرحلة من أبحاث ماقبل التاريخ في منطقة النوبة وخارجها، يمكن تلخيص أهم ملامحها المنهجية في الآتي:

أ- إن تقنيات المسح والتنقيب وتسجيل المعثورات، وكل إجراءات العمل الميداني، كانت تتسم بمعظم الصفات المطلوبة في العمل الآثاري الحديث. وقد وضعت تقاليد جديدة للعمل الآثاري ترسخت مبادؤها فيما بعد في المنطقة. فقد استفاد عدد من الباحثين من تجارب هذه الحملة العلمية الكبيرة ، في تطوير قدراتهم الأكاديمية، وتخصصوا في ميادين برزوا فيها لاحقاً.

ب- كان التوجه الأساس نحو تأصيل التاريخ الثقافي لفترة ما قبل التاريخ، معتمداً على المناهج التقليدية المعروفة، في تصنيف المعثورات الأثرية منذ فترة طويلة. وربما يعود السبب في ذلك إلى أن المنطقة لم تكن معروفة تماماً للباحثين . في تلك الفترة من التاريخ البشري. وربما كانت مناهج التصنيف الأوروبية عائقاً في كشف حقيقة أشكال التنوع الثقافي في تلك الفترة، مما خلق اشكالات في طرح مسميات غير واقعية، لأدوار ثقافية يصعب إزاحتها من أدبيات الدراسة.

ج- وجدير بالذكر، أيضاً، أن العمل الآثاري في كل فترات التاريخ الحضاري في السودان خلال هذه المرحلة كان الباحثون يعملون على إبراز الدور المحلي في تكوين الثقافات السودانية وصفاتها، بعيداً عن تأثيرات الحضارة المصرية القديمة، وكنتيجة لترجيح الأصل المحلي، وتفضيله على المؤثرات المصرية، حلت "مركزية نوبية" مكان "المركزية المصرية" السابقة، في تفسير تطور الحضارات السودانية. ولكن هذا التوجه بدأ يفقد تفوقه عندما أجريت الأبحاث في المناطق الداخلية من السودان .

د- يلاحظ أيضاً أن مناهج التفسير الآثاري، المستخدمة في الأعمال الرئيسة لهذه المرحلة من الأبحاث، لم يُستفد فيها من الاطروحات النظرية الحديثة، في الانثروبولوجيا، ولا مناهج الاثنواركيولوجيا .

المرحلة الثالثة :

تمثل هذه المرحلة الأبحاث، التي أعقبت حملة إنقاذ آثار النوبة وماتزال مستمرة حتى الآن . وهي تعكس ذروة النشاط الآثاري في السودان ومصر خاصة في حقول آثار ماقبل التاريخ. إذ نفذت منها أبحاث على مستويات رفيعة في التحليل المنهجي والنظري. وهي الأقرب إلى التيارات الحديثة في علم الآثار. وبما أن الدراسات التي أجريت حديثاً حول فترة ماقبل التاريخ، كثيرة ومتنوعة فسوف يكتفي هذا البحث باستعراض أهمها، وأشدها تأثيراً في مجريات البحث ، بما طرقته من توجهات نظرية ، أو منهجية جديدة. ومن الملاحظات الأولية حول هذه المرحلة، أن مشاريع الأبحاث الميدانية كان يخطط لها باختيار الباحثين. وفي كثير من الحالات تجرى الأبحاث لتتبع قضية بحثية بعينها. كما أن مناطق جديدة في مصر أو السودان أجريت فيها عمليات تنقيب في مواقع ماقبل التاريخ لأول مرة وكانت نتائج مثل هذه الأعمال قد أثارت عدداً من الأسئلة الجديدة مثل ماحدث عقب نشر نتائج حملة إنقاذ آثار النوبة.

بعد انتهاء حملة إنقاذ آثار النوبة، استمرت البعثة الأمريكية المتحدة في ريادة العمل الآثاري في ماقبل التاريخ في مصر. وقد حاولت نقل أعمالها إلى السودان أيضاً إلا أنها لم توفق سوى في موسم واحد. ولأن أعمال هذه البعثة هي الأهم، وذات التأثير الكبير في سير الأبحاث في المنطقة، فمن المنطقي أن نتتبع أعمالها، من ناحية منهج العمل الذي اتخذته، والأفكار الرئيسة، التي استعانت بها في التفسير الآثاري. ولم تكن هي البعثة الوحيدة التي عملت في مصر ، بل كان هناك بعثات أخرى ، من جامعات ومراكز أبحاث عالمية ، تنقب في أواسط مصر وفي الصحراء الشرقية وغيرها. وواصلت البعثة الأمريكية عملها بطاقم باحثيها الرئيسيين، وانضم اليها في فترات متعاقبة اختصاصيون في مجالات مختلفة، من العلوم المساعدة. وقد توفرت للباحثين الرئسيين،

آنذاك، الآن خبرة واسعة بطبيعة المنطقة ، وباشكاليات البحث اللوجستية، إضافة إلى مواضيع البحث التي تستحق المتابعة، ومن المعروف أن نتائج حملة إنقاذ آثار النوبة، تركت قضايا علمية معلقة تستحق المتابعة. ويأتي في مقدمها التأكد من طبيعة وتاريخ فيضانات نهر النيل، وتأثرها بالمناخ الإقليمي، وعلاقة أنظمة النهر الايكولوجية بالاستيطان البشري . ثم هناك علاقة السهل الفيضي بالصحراء المجاورة، وانتشار المجموعات السكانية في داخل الصحراء الغربية، كما تبرز كذلك، مسألة معرفة موارد الاقتصاد المعيشي المتاحة للصيادين، خلال فترة البلايستوسين المتأخرة وتكّيف السكان على ذلك بابتكار تقنيات متطورة، قادتهم لاحقاً إلى مستويات ثقافية جديدة.

ومن القضايا البحثية الأكثر إلحاحاً في الوقت الراهن، في علمي الآثار والانثروبولوجيا، قضية ظهور وانتشار الإنسان العاقل الحديث (Homo sapien sapi-en) في العالم القديم. فوادي النيل لم يكن وارداً في السابق عندما يتطرق العلماء لمناقشة مثل هذه الموضوعات . أما الآن، وبعد أن طورت نظرية المهد الأفريقي للإنسان العاقل الحديث ، ومن ثم انتشاره في الشرق الادنى وأوروبا ، كان لابد أن يطرح وادي النيل كأحد المعابر الطبيعية لهذا الانتقال ، وقد أوضحت الاكتشافات الأثرية الحديثة ، في مرحلة حملة إنقاذ آثار النوبة ومابعدها، أن وادي النيل كان مشاركاً في التطورات الحضارية، التي شهدتها فترة العصر الحجري القديم الأعلى، التي يُعتقد أن الإنسان العاقل الحديث انتشر خلالها. وتشير أبحاث البعثة البلجيكية على مدى سنوات، في أواسط مصر، إلى أن تقنيات صناعة أدوات العصر الحجري القديم الأعلى قد ظهرت هناك في حدود ٣٨،٠٠٠ ق.م . وبمناقشة مجاميع هذه الصناعات الحجرية مع تلك التي تنسب للعصر الحجري القديم الأوسط طرح الباحثون أفكاراً مهمة حول دور هذه المنطقة، في فهم أفضل للهجرات البشرية آنفة الذكر. وتبدو هنا أهمية الهيكل العظمي الذي أكتشف هناك مؤخراً. ووصف بأنه من نوع الإنسان العاقل الحديث، ويؤرخ إلى التاريخ المذكور نفسه (Van Peer 1998) .

ومن جهة أخرى كانت الأبحاث السابقة مهتمة بقضايا حيوية، مثل: تاريخ ظهور مجتمعات إنتاج القوت في وادي النيل ، وأصل وكيفية الانتقال الى تدجين الحيوانات وزراعة الحبوب ، وكذلك البحث في عمليات التكيف البيئي وأنماط الاقتصاد المعيشي ، وما أدت إليه هذه الابتكارات الجديدة من تغيير في حياة الناس ومجتمعاتهم. لقد تجددت هذه الموضوعات في هذه المرحلة، ولكن أصبح ينظر إليها من مداخل منهجية ونظرية جديدة، يؤمل من نتائجها معرفة تفاصيل التطور الثقافي في هذه الفترة الحرجة من تاريخ المنطقة . كذلك النظر للتحولات العميقة التي حدثت في حياة الناس الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، في مجتمعات ماقبل الأسرات في مصر ، وكيف أدت بدورها إلى نشوء الدولة المركزية، ربما لأول مرة في العالم القديم. وقد طرحت الأسئلة نفسها بالنسبة للنيل الأوسط في السودان بحثاً عن ظهور مجتمعات العصر الحجري الحديث، ونمو أنظمة سياسية واقتصادية جديدة، تتمثل في أنماط حياة الرعي والإنتاج الزراعي، وما أفضت إليه من تطورات حضارية، وإذا كانت هذه هي القضايا العامة، التي شكلت موضوعات البحث في هذه المرحلة، من أبحاث ماقبل التاريخ في المنطقة، فينبغي أن تلقى نظرة على المناهج، التي اتبعها بعض الباحثين في الإجابة عن الأسئلة المطروحة حول هذه الموضوعات، وعلى الأفكار الرئيسة التي صارت تميز أبحاثهم.

لقد وُصفت مجهودات فرد وندورف ، الباحث الرئيس في البعثة الأمريكية المتحدة، على مدى أكثر من ثلاثين عاماً متصلة في المنطقة ، بأنها الأكثر فعالية ومساهمة في إبراز الدور الحضاري للمنطقة، كما أنه أرسى ومجموعته أسس العمل الميداني الموجه لأبحاث طويلة الأجل، بما فيها من الجهد الكبير

في التنظيم الإداري المحكم، والاستعداد اللوجستي الكامل، للعمل في ظروف صعبة، مثل ما هو الحال في صحراء مصر الغربية. إضافة إلى الاكتشافات المهمة والمساهمات العلمية المستخلصة منها (Clark 1987: 1-11).

بدأت البعثة الأمريكية المتحدة أبحاثها في مصر عام ١٩٦٧م، بعد حملة إنقاذ آثار النوبة مباشرة، في المنطقة إلى الشمال من أسوان، بالتركيز على ادفو وشمال إسنا، حتى نجع حمادي، ثم في منطقة الفيوم، وبعد ذلك توجهت البعثة إلى منطقة الصحراء الغربية، حيث أجرت مسوحات واسعة لحصر المواقع الأثرية وتسجيلها وأخذ عينات منها، ثم عمل خرائط تعكس أنماط الاستيطان أولاً ثم اختيار مواقع منها للتنقيب والدراسة التفصيلية، وتأتي منطقة وادي الكبانية، في الجنوب الغربي في مقدمة أهم المناطق، التي عملت فيها البعثة، إذ توجت مجهوداتها باكتشافات أثرية في غاية الأهمية.

تتميز أعمال البعثة الأمريكية المتحدة، بالحرص على جمع المعلومات الطبيعية بدراسة جيولوجية المنطقة وظواهرها الجيومورفلوجية، ومصادر المياه القديمة، والغطاء النباتي مما يساعد في وضع خريطة الاستيطان البشري في منطقة الصحراء على مر فترات ماقبل التاريخ وتحديد مايقابلها من تحولات في المناخ. ومن ثم ربط ذلك بتحركات الصيادين، واستغلالهم لبيئة الصحراء والأودية المجاورة لنهر النيل. أما في المناطق النيلية وفي وادي الكبانية، فقد تركز العمل في الظواهر الطبيعية من أجل مراجعة تسلسل فيضانات النهر القديمة، الذي وضع خلال أعمال حملة إنقاذ آثار النوبة. وقد اتضح نتيجة لهذه الأبحاث، أن هناك فترة واحدة رئيسية ارتفع فيها النيل، وتخللتها انخفاضات بسيطة. كما اتضح ايضاً أن نموذج الفيضان الكبير، الذي يعقبه انحسار واضح في مستوى النهر وانتشار الرمال ثم فيضان آخر كبير غير صحيح. وقد أدى هذا الاتجاه الجديد في البحث الجيولوجي ودراسة المواد العضوية المختلفة، إلى معرفة عملية فيضان النهر بدقة أكبر، وعلاقة ذلك بالبيئة المحلية، ومن ثم أثره في حياة الناس وتكيفهم، بالاستفادة من الموارد المتاحة موسمياً. إن الاهتمام بالدراسة المفصلة للظواهر الطبيعة، وعلاقتها بتاريخ نهر النيل، ثم عناصر البيئة، من حيوان ونبات وغيرها، يتضح جلياً في تخصيص ثلاثة أرباع المجلد، الذي يشتمل على نتائج الدراسة في جنوب مصر، إلى هذه الموضوعات (Wendorf and Schild 1976).

وفي وادي الكبانية توجه البحث الميداني أيضاً إلى تطوير تقنيات مناسبة لجمع البقايا النباتية، التي يصعب الحصول عليها، عادة، في مثل بيئة تلك المنطقة. إضافة إلى عظام الحيوانات البرية الكبيرة والصغيرة، والكميات الكبيرة من عظام الأسماك والطيور. ويمهد البحث المتصل عن المواد العضوية، وعن أحوال البيئة الطبيعية، إلى معرفة أوسع بحياة الناس ومعيشتهم خلال فترة العصر الحجري القديم المتأخر، وتعد هذه فترة مهمة عند النظر في التحولات الحضارية الكبيرة، التي أعقبتها بعد اكتمال عمليات إنتاج القوت في وادي النيل. إن تنوع المعلومات التي جمعتها البعثة الأمريكية المتحدة، يعود في المقام الأول إلى المنهج الإجرائي، الذي اتبعه الباحثون الذين خططوا لمشروع الأبحاث، وهو منهج يعتمد على مبدأ تعدد التخصصات، ودمجها في إطار مشروع بحثي واحد، وذلك أمر يؤثر إيجاباً في نوع المعلومات التي يحصل عليها. ففي حالة وادي الكبانية، كان عدد الذين اشتركوا في كتابة التقارير العلمية المشار إليها، نحو عشرين باحثاً متخصصاً في ميادين علمية مختلفة، معظمهم من اشترك في العمل الميداني (Wendeorf and Schild 1989:1-8).

فطريقة تكوين الفريق العلمي المتبعة في وادي الكبانية، قل أن يوجد لها مثيل في مكان آخر. ومما يجدر الإشارة إليه، أن هذا الفريق العلمي كان يضم بعض المتخصصين من الوطنيين الذين أبدوا كفاءة عالية في العمل الميداني وفي نشر نتائج أبحاثهم (٤).

ومن الإجراءات المنهجية التي عرفت بها البعثة الأمريكية المتحدة، تصنيف المعثورات الحجرية في الميدان حيث ينتهي العمل فيها بانتهاء الموسم. ويتم ذلك باتباع أدق وسائل التصنيف، التي تتوخى التحري عن أنواع ومصادر الصخور، التي صنعت منها الأدوات، ثم تحديد الأنواع على أساس قائمة من المتغيرات النوعية والشكلية. كذلك تستخدم الأساليب الكمية ، من أجل المقارنة، وكشف مستويات التنوع من شبه واختلاف بين الجاميع المكتشفة ، في كل المواقع. وكان من المتبع وضع نسخة من التقارير الميدانية ، ورسم المخططات ومقاطع الحفريات في مصر ، إضافة إلى المعثورات المكتشفة، وهذا تقليد حميد، نأمل أن تتمكن بلدان أخرى في المنطقة أن تحذو حذوه ، حتى تحفظ موادها الأثرية التي ربما تحتاج إليها أجيال قادمة من الباحثين الآثاريين ، إن هذا الأسلوب الصارم في دقة التوثيق والتسجيل وحفظ المكتشفات، في بلد المنشأ ، يتبعه تقليد آخر متميز ، هو نشر النتائج النهائية في وقت قياسي، وعلى مستوى رفيع يندر أن نجد له شبيها (Wendorf and schild 1980: 1-15) .

وأما عن الأفكار الرئيسة، التي تحكم هذ العملية البحثية الجيدة، فيلاحظ أن البحث يرتكز حول مسألة التاريخ الثقافي، وهي ماتزال الفكرة المسيطرة على مجريات الأمور. ولكن المدخل إليها لم يعد هو تسلسل تقاليد صناعة الأدوات الحجرية فقط ، كما كان الحال في الفترة السابقة ، من أبحاث ماقبل التاريخ في المنطقة. فدراسة أنماط الاستيطان خلال المرحلة الأشولية ومابعدها، ينظر إليه من خلال التكيف على بيئات الصحراء الغربية ، والبيئة النيلية، والأودية المجاورة للنهر فالتطور الثقافي -إذن- كان رهيناً بعمليات التكّيف وحركة المؤثرات المتبادلة، بين المجموعات السكانية وتحركاتها في المنطقة. وظل موضوع التطور المحلي غالباً، في تفسير المخلفات الأثرية في منطقة وادي الكبانية ، عندما ظن الباحثون لفترة من الوقت، أن التجارب المحلية ، في استغلال الحبوب البرية، مثل الشعير والقمح بصورة مكثفة منذ ١٥،٠٠٠ ق.م ، قد أدى إلى تدجينها وزراعتها تلقائياً في وقت مبكر ، ربما قبل أي مكان آخر في العالم القديم. ولكن الجهد العلمي الذي بذله الباحثون في المراجعة، وإعادة الفحص للحبوب المتفحمة، التي أعتمد عليها سابقاً في هذا الافتراض، أوضح جلياً أنها حبوب حديثة العهد ولاعلاقة لها بالمحيط الأثري، الذي وجدت فيه. لقد أعادت هذه المراجعة فكرة المؤثرات الخارجية، مرة أخرى، إلى المقدمة كأحد عوامل التغير الحضاري (Pocit : 7) .

ولا يكتمل استعراض دراسات ماقبل التاريخ، في مصر، دون ذكر الأعمال المهمة التي تقوم بها بعثات علمية أخرى، أوروبية ومحلية. وفي هذا الخصوص تقع الأبحاث التي يقوم بها فكري حسن وفريقه العلمي ، في صدارة هذه الأعمال. فقد عمل لسنوات طويلة منذ ارتباطه بالبعثة الأمريكية المتحدة، في بداية أعمالها، ثم أعماله الميدانية المستمرة في جنوب مصر، والفيوم وسيوه. وتتركز أبحاثه حول ثلاثة محاور، تشمل: البيئة القديمة وتاريخ نهر النيل ، ومجتمعات انتاج القوت والتحولات الثقافية التي صحبته، وأخيراً مجتمعات ماقبل الأسرات وظهور الدولة المركزية (Hassan 1997) . وقد استفاد في مجمل أبحاثه من كل مايتيحه علم الآثار الحديث من مناهج علمية، استطاع من خلالها تقديم اطروحات فكرية، تناولها غيره من العلماء بالنقد والتحليل. ومن جهة أخرى، تمكن من تأويل المعرفة الآثارية عن البيئة القديمة، وعمليات التطور الثقافي ونقلها إلى آفاق الدراسات المستقبلية الحديثة، حول البيئة والاجتماع والسياسة (Hassan 1992) .

وفي السودان، كان لحملة إنقاذ آثار النوبة الأثر نفسه تقريبا ، في دفع مسيرة الأبحاث حول فترة ماقبل التاريخ داخل البلاد. وقد كانت منطقة النيل الأوسط حول الخرطوم، أكثر الأماكن حظاً في التنقيب الأثري، الذي تركز في مواقع مهمة من العصر الحجري الحديث، بدأته بعثات أوروبية منذ أوائل

السبعينات. واستمر العمل فيها لمدة طويلة، باعتبار أنها مواقع مهمة خاصة أن بعضها من نوع موقعي حضارة الخرطوم القديمة والشهيناب الشهيرين ، وقد أدى حصر العمل في منطقة الخرطوم، فيما عدا حالات قليلة، إلى إغفال المناطق الداخلية من النيل الأوسط، يمكن تعميمه على بقية أنحاء السودان (Mohamed-Ali 1987: 125) . وعندما بدأ العمل الآثاري في هذه المناطق لاحقاً ، اتضح مدى التنوع الثقافي الذي شهدته المنطقة خلال العصر الحجري الحديث ومابعده مباشرة .

وقد قامت بالتنقيب المستمر لعدة سنوات ، في منطقة الخرطوم وما جاورها، فرق أبحاث أوروبية من إيطاليا وبولندا والنروي وفرنسا، وكذلك جامعة الخرطوم ، التي أجرى فريقها حفريات محدودة في الشمال من أم درمان، وقد انصب جهد هذه الفرق أولاً على تحديد العلاقة التطورية بين حضارة الخرطوم المبكرة والشهيناب، كما وصفها آركل من قبل. وبعد ذلك اتجهت البحوث للنظر في التغيرات الحضارية، التي أدى إليها التحول إلى إنتاج القوت، متمثلاً في زراعة الذرة وغيره من حبوب وتدجين الحيوانات، مثل الأبقار والأغنام والماعز، وأماكن حدوث هذه الابتكارات.

وقد أجريت التنقيبات الميدانية ودراسة المعثورات، بأحدث ماتوافر من مناهج في علم الآثار ما أحدث نقلة نوعية في المعلومات، الدالة على قدرات السكان وتمكنهم من ابتكار طرق جديدة، في استغلال البيئة الطبيعية. وقد نالت قضايا مثل أصل الزراعة، واستئناس الأبقار، أثرهما في حياة الناس، وتشكيلات انظمة الاقتصاد المعيشي، حيزاً كبيراً من اهتمام الباحثين. كذلك استمرت دراسة الفخار في مكانها المتقدم، من حيث تحديد تتابع أنواعه زمنياً، وتصنيف زخارفه، والتعرف على معانيها. وكانت أساليب التصنيف التقليدية هي المتبعة، إلا أنه تجدر الإشارة إلى الدراسات، التي قامت على التحليل الفيزيائي والكيميائي للفخار، وهي قد أضافت معلومات جديدة ومهمة. فالصفة العامة إذن، كانت تحليل المعثورات، ومتابعة أصولها، وتطور أشكالها وأنواعها، عبر الزمن، ومدى الاعتماد عليها كمؤشرات للاتصال الحضاري بين السكان في المنطقة . ومثل هذا العمل أمر مطلوب، بطبيعة الحال في الدراسات الموجهة نحو التأصيل التاريخي الثقافي وإبراز ملامحه. ومن جانب آخر، استطاع الباحثون في هذه المنطقة طرق موضوعات تتعلق بأنماط الاقتصاد المعيشي، وحياة الناس الاجتماعية . فحللت المواد العضوية نباتية وحيوانية وسمكية، كما أجريت دراسات عن ديموغرافيا السكان ، وعادات دفن الموتى والفنون المختلفة (Krzyzaniak 1991).

وبرزت إلى السطح أسئلة جديدة عن التحول الحضاري من مجتمع الصيد والجمع، إلى الزراعة وحياة المستوطنات المستقرة ، ثم ظهور مجموعات الرعي، وما تبع ذلك من نمط جديد في الحياة ، جعل من قضية العلاقة بين حوض النهر والسهول الواسعة، في وسط البلاد وغربها وشرقها موضوعاً يستحق الدراسة. وهناك أيضاً مسألة الانقطاع في الاستيطان بالمنطقة، إذ لم تكتشف مواقع ذات عدد مناسب لملئ الفترة الزمنية، بين آخر تاريخ لموقع الشهيناب، وبداية فترة حضارة مروي. وأخيراً، هناك السؤال عن أثر تغيرات المناخ على حياة الناس وهل كانت سبباً في تغيرات ثقافية، خاصة ونحن نتحدث عن منطقة هامشية مناخياً ؟ ومن الملاحظ في هذه الأبحاث الميدانية، أنها لم تهتم بالبحث عن مواقع العصر الحجري القديم المتأخر، التي يتوقع أن تمدنا بمعلومات أولية عن مجتمعات إنتاج القوت، آنفة الذكر. ومهما يكن من أمر، فإن المسوحات التي أجريت حول منطقة الخرطوم لم تكشف إلا عن عدد قليل من أنواع هذه المواقع . وربما كان ذلك لأسباب عدة، منها ضياع هذه المواقع بفعل العوامل الطبيعية أو أنها غير موجودة أصلاً. هذه بعض الأسئلة التي أثيرت ولم تتوفر إجابة عنها، وكانت ضمن موضوعات مشاريع الأبحاث الجديدة، التي أجريت بعيداً عن ضفتي نهر النيل.

لم تكن نتائج بحوث العصر الحجري الحديث في

النيل الأوسط. كلها قائمة على توجه التاريخ الثقافي وحده. فقد طورت راندي هالاند، وفريق البحث الذي رأسته مثل أطروحة مختلفة، اقتضى تطبيقها منهجاً مختلفاً أيضاً. وقدأجرت تنقيبات ومسوحات آثارية عدداً من السنين، في مناطق متباعدة. فهي قد نقبت في عدد من المواقع المهمة حول الخرطوم، ثم أخرى في رَبَك في أواسط السودان، وأخيراً على نهر عطبرة، بالقرب من مدينة الدامر، ثم جمعت معلومات اثنوغرافية، من غرب وشرق السودان، أفادت منها في دراستها. تتبنى هالاند منهجاً صريحاً يتوافق مع أطروحات التيار الحديث في علم الآثار، وتسعى من خلاله لتكوين فرضيات حول الظاهرة الثقافية، تعمل على رفضها أو قبولها، بالبحث في شواهد أثرية مستقلة. وقد كان في مقدم اهتماماتها، كيفية تحول المجتمع في منطقة النيل الأوسط، من الصيد والجمع إلى الحياة المستقرة، وكيف ينعكس ذلك في الثقافة المادية. ويقوم المنهج الإجرائي، الذي اتبعته، على دراسة البيئة الطبيعية كإطار تنظر من خلاله للمعثورات الأثرية في علاقاتها الزمانية والمكانية، ثم الاستفادة من المعلومات الاثنوغرافية التي سعت إلى جمعها من مناطق مختلفة من البلاد. وأخيراً الإطار النظري المطلوب، لتفسير التنوع في الثقافة المادية. كما تهتم أيضاً بتصنيف المواقع الأثرية، وماوجد فيها من إطارها الايكولوجي، على أساس وظيفي. وقد مكنها هذا التناول، من طرح نموذج لحركة تنقل الناس الموسمية، لاستغلال موارد النهر من مستوطنات شبه دائمة بعيدة عنه نسبياً، تختلف في أحجامها ومحتوياتها. كما ناقشت عملية الانتقال النهائية لاقتصاد الرعي الأمر الذي ربما يفسر ندرة المواقع الأثرية، في أواخر العصر الحجر الحديث في المنطقة (Haaland 1983).

ومن الموضوعات الجديدة، التي طرحتها راندي هالاند، دور المرأة في حياة المجتمعات المتنقلة، عندما بدأت تتحول إلى حياة الاستقرار. فقد ناقشت طبيعة الأعمال التي يمكن أن تقوم بها المرأة بسبب الصفات الجسمية، منطلقة من المؤشرات الاثنوغرافية، مثل إعداد الطعام، وعمل الأدوات المطلوبة لتجهيزه، وعمليات الجمع والالتقاط ... الخ. ومن الأدلة الأثرية من مواقع نهر عطبرة، اتضح لها أن الاستقرار بدأ قبل أن تتحقق عملية الزراعة الكاملة. فالجمع المكثف للحبوب والزراعة الأولية قبل التدجين الكامل للذرة، ثم الصيد المكثف للأسماك، أدى إلى استقرار نسبي في المواقع القريبة من النهر، ولعب الفخار دوراً مهماً في هذه العملية، إذ استغمل لحفظ الحبوب وغيرها من مواد. وترى الباحثة أن للفخار صلة رمزية بالمرأة فالإناء للحفظ كما المرأة للحمل، وتوفير الغذاء من جسمها للطفل، وللأواني الفخارية معان طقوسية تتعلق بالموت والولادة، يمكن البحث عن مثيلاتها عند الإنسان، وتحديداً المرأة، وزخرفة الفخار يمكن مقارنتها بعلامات التزيين المختلفة على جسد المرأة ووجهها. وتقول راندي هالاند إن هذه أمثلة انثروبولوجية فيها إيحاءات اجتماعية، يمكن أن يتخيلها الباحث عند تحليله للظاهرة الأثرية. وهكذا يبدو أن توجه الباحثة يركز على الجوانب الاجتماعية والسلوكية للأفراد، في مجتمعات ماقبل التاريخ، وذلك في محاولة منها للاقتراب أكثر نحو معرفة حياة الناس، وأنظمتهم الاجتماعية والعقائدية (Haaland 1997).

وتشير مجمل الأبحاث، التي قدمت في المؤتمر العالمي الخامس لدراسات ما قبل التاريخ المتأخر في شمال شرق أفريقيا، الذي عقد ببوزنان (بولندا) في عام ١٩٩٧م، إلى التقدم الكبير الذي حدث في البحوث الموجهة نحو معرفة العلاقات الثقافية بين المجتمعات الزراعية التي تأسست في مصر والسودان وشمال أفريقيا وشرقها، وربما أبعد من ذلك. كذلك تجدر الإشارة الى المعلومات الجديدة، عن التطورات الاجتماعية التي حدثت بعد عام ٤٠٠٠ ق.م، خاصة ما يستشف عنها من عادات للدفن والعبادة، وفنون النحت والرسم (Hassan 1998B: 92).

والنوع الأخر من الأعمال الميدانية في هذه المرحلة من تاريخ البحث يتمثل في المسوحات الآثارية الكبيرة،

التي اختير لها مناطق واسعة. وقد خطط لمعظم هذه المسوحات على أمل الحصول على إجابات لأسئلة ظلت مطروحة لوقت طويل. وكانت الخطوة الأولى هي الخروج من منطقة النيل، والتوجه لتغطية مناطق في شرق وغرب السودان، وهي مناطق تعد جغرافياً وحضارياً جزءاً من وادي النيل، وإن كانت بعيدة عن السهل الفيضي للنهر الذي تركزت فيه أعمال البحث. ويأتي في مقدمة هذ المسوحات، تلك التي أجريت في البطانة من كهف شق الدود بالقرب من النقعة على بعد ٥٠ كم شرق الخرطوم، حتى منطقة خشم القرب في شرق السودان. وقد شارك في هذا المسح مجموعة من باحثي جامعة الخرطوم وجامعة ميثودست الجنوبية في دالاس. ثم المسح الذي قام به الفريق الإيطالي في دلتا نهر القاش بمنطقة كسلا في شرق السودان، حتى الحدود الشرقية مع ارتريا. وأخيراً المسح الأثري في شمال غرب السودان، وبتركيز على منطقة وادي هور، الذي قام به فريق ألماني. وقد شهدت هذه الفترة أيضاً، نشاطاً ملموساً من نوع آخر، يتمثل في عمليات المسح والتنقيب، التي تسببها عمليات بناء الطرق والسدود الجديدة، وهي عمليات إنقاذية للآثار تشرف عليها الإدارة العامة للآثار، مستعينة ببعض فرق البحث الأجنبية والمحلية. وقد توخت المسوحات الكبيرة مناهج وإجراءات ميدانية حديثة، وحدد القائمون عليها أهداف المسح وكيفية تنفيذه، ومناقشة ذلك قبل بداية العمل. فمشروع البطانة الأثري، على سبيل المثال خطط له ليكون مشروعاً طويل المدى، نسبة لأهمية المنطقة، التي تتوسط بين نهر النيل والمرتفعات الأثيوبية. وكذلك لما وجد فيها من قبل من آثار تعود لفترة ماقبل التاريخ، وفترة دولة مروي القديمة. وقد حدد الباحثون الرئيسيون في المشروع أهدافهم، من خلال مناقشتهم لما هو معروف عن منطقة النيل الأوسط والسودان، بصفة عامة. وتتلخص الأهداف الأولية في تحديد أبعاد الاستيطان البشري في منطقة البحث، وعلاقاتها بالأحوال البيئية. كذلك رصد تسلسل مراحل التطور الثقافي والتداخل الثقافي الإقليمي، وطبيعة المؤثرات الخارجية، "وميكنزمات" آليات التغير الثقافي. وأخيراً الدور الذي مثلته هذه المنطقة في التاريخ الثقافي للإقليم عموماً إضافة للأسئلة التي تركتها الأعمال البحثية التي أجريت في وادي النيل الأوسط دون إجابة مقنعة.

وقد كان الاستعداد الميداني لهذا المشروع مثالاً يحتذى في السودان. وعلى الرغم من أنه لم يستمر لأكثر من سنتين، إلا أن نتائج الدراسات كانت تؤكد أهمية التخطيط لمثل هذه المشاريع وجدواها وكان من ضمن النتائج التي توصل إليها فريق البحث، تحديد معالم ثقافات جديدة في العصور الحجرية المتأخرة، لم تكن معروفة من قبل كما وفرت معلومات قيمة تساعد في مراجعة الكثير من قناعات الباحثين، عن فترة ماقبل التاريخ في منطقة وادي النيل الأوسط (العباس محمد علي ويوسف الأمين: ١٩٩٢). وقد وصف الباحثون الخطوات العملية، التي اتخذوها في الميدان لتنفيذ المسح، الذي غطى ما مساحته أكثر من ألفي كلم مربع. كما ذكروا طبيعة المشاكل التي واجهتهم في الميدان، مما قد يفيد الآخرين الذي يودون القيام بأعمال مشابهة. فالمساحة الشاسعة، التي غطاها هذا المسح وتلك التي غطاها المشروع الإيطالي في منطقة كسلا، سمحا معاً بتناول قضايا علمية، كان يصعب تناولها بغير ذلك الأسلوب. ومن أهم هذه الموضوعات مثلاً، قضية التغير الثقافي عندما حدث الانتقال من اقتصاد المجتمعات الزراعية المستقرة، التي وجدت في المنطقة منذ الألف الرابع قبل الميلاد، إلى اقتصاد الرعي ومجتمعاته المتنقلة. وقد كان الهدف من هذه الحالة، اختبار الفرضية التي تقول بتأثير الأحوال البيئية والايكولوجية في هذا التغيير. وقد تم تناول هذا الأمر عن طريق دراسة أنماط توزيع المواقع، في القطاعات البيئية المختلفة في منطقة المسح، ثم تحليل مكونات الأرض المتعلقة بالزراعة والغطاء النباتي الطبيعي. وقد اتضح أن التحول الثقافي المذكور، حدث دون أن يصاحبه تحول

يذكر في المناخ والبيئة فاتضح عندئذ ضرورة البحث عن أسباب أخرى (Sadr 1991: 52-71) .

وفي هذا السياق لابد أن يشار الى أن كثيراً من مواقع العصور الحجرية في السودان، توجد موادها الأثرية فقط على السطح، ما يسبب صعوبات عملية في دراستها التفصيلية. فمن المعروف أن مثل هذه المواقع تخلو ، عادة من المواد العضوية التي تعين الباحث في معرفة جوانب الاقتصاد المعيشي، والعلاقة بين أماكن المواقع وأنظمة الموارد الطبيعية المختلفة . في ذلك الوقت، وعلى الرغم من ذلك، لم تكن دراسة مثل هذه المواقع غير مجدية، فقد عمل الاثاريون على ابتداع مناهج عمل ميدانية، تساعد علي جمع معلومات مفيدة عن أنماط الاستيطان القديمة ،والخصائص الثقافية (Elamin 1992: 68-69).

إن الذي جعل هذا الأمر ممكناً، كما جعل غيره من النتائج المهمة، التي حققتها أبحاث ماقبل التاريخ، في وادي النيل في هذه المرحلة، هو تطبيقات المسح والتنقيب الآثاري الحديثة، والاستفادة من تقنيات التوثيق الالية، كالحاسوب وأنظمة المعلومات الجغرافية في رسم الخرائط واستعمالات الرادار، وتقنيات الاستشعار عن بعد. إن متابعة هذه التقنيات الحديثة، واستخدامها في منطقة وادي النيل، سيؤدي حتماً إلى تغيرات نوعية في مستوى الأبحاث الميدانية، والمعلومات التي يمكن الحصول عليها. وكما أشير في استعراض أوراق مؤتمر بوزنان سابق الذكر، فإن هذا التوجه سينقل أبحاث ماقبل التاريخ ، إلى حيز البحث في السمات والمؤشرات الوظائفية والرمزية والمعرفية للمعثورات ، ليكمل بها التحليل القائم على أسس التصنيف الأثاري المعهود. كما أن موضوعات العلاقات الاجتماعية والثقافية بين الأقاليم، سوف تتجاوز موضوع ترتيب المعثورات في حلقات تطورية، الشئ الذي سيطرأ على البحث الآثاري لفترة طويلة (Hassan 1998b: 90-91) .

في ختام هذا يود الباحث أن يبدي أهم الملاحظات العامة، التي أبرزها هذا الاستعراض موجزة في الآتي :

١- أن التقسيم الثلاثي الذي اقترحته لتاريخ أبحاث ماقبل التاريخ، في وادي النيل، ليس نموذجاً متماسكاً تماماً أو صارماً، بل هو مقترح مبدئي يفي بأغراض الاستكشاف الأولية، لاتجاهات البحث المنهجية والنظرية. وقد حاولت أن أنظر من خلاله لتاريخ الأبحاث في هذه الفترة ، وبذلك تيسر تحديد خصائص كل مرحلة بدرجة تساعد في فهم مسيرة البحث ومستقبله، ومهما توفر له من فعالية مجدية، فإنه سيحتاج للتطوير سواء بالإضافة أو التعديل بعد حين.

٢- من الملاحظ أن المرحلتين الأخيرتين، وهما تمثلان أهم ماحدث في تاريخ الأبحاث، تمتازان تقريباً بالإطار النظري نفسه، ماعدا حالات محدودة، هذا الإطار النظري تمثله أطروحات المدرسة التاريخية -الثقافية، وذلك بغض النظر عن قضية البحث المطروحة، وهو -كما ذكرنا - توجه يعتمد أساساً على تصنيف المعثورات وتحليلها، ووضعها في جداول إحصائية، تعكس أنماط التنوع التقني والنوعي، الذي يؤخذ، عادة، على أنه يمثل تنوعاً ثقافياً. وفي الوقت الذي طرأت فيه مواكبة ملموسة للأبحاث العالمية، بالاستفادة من الوسائل التقنية الحديثة، سواء في العمل الميداني أو في تحليل المواد الأثرية، خاصة في المرحلة الثانية، فإن الجانب النظري ظل خالياً من الجدل الفلسفي، ومن الأطروحات الفكرية الحديثة، التي أصبحت علامة بارزة في دراسات ماقبل التاريخ في العالم .

٣- ويتصل بالنقطة السابقة قله الاهتمام بنتائج الأبحاث الأنثروبولوجية، والاستفادة منها في دراسات ماقبل التاريخ، خاصة أن الاتصال بين العلمين أمر شائع، منذ فترة ليست بالقصيرة. فالمنهج الإثنواركيولوجي، مثلاً، غير مضمن في مشاريع الأبحاث في وادي النيل ربما ما عدا حالة أو حالتين، وهو أمر ملفت للنظر إذا قارناه بما يحدث في مثل هذه الأبحاث في أفريقيا جنوب الصحراء. وهذا أمر بطبيعة الحال، يحتاج الى معالجة إيجابية،

في الأبحاث المستقبلية.

٤- أن جميع مشاريع الأبحاث الميدانية المهمة، ماعدا حالات نادرة تقوم بها فرق أبحاث أجنبية بالكامل، أو يسهم فيها عدد قليل من الوطنيين، يمثلون عادة إدارات الآثار الرسمية. ومن ثم تلاحظ محدودية مساهمة المتخصصين عموماً في البحوث الميدانية، والدراسات المنشورة. إن الذين تخصصوا من الوطنيين في علوم ماقبل التاريخ، وعددهم قليل جداً مقارنة بغيرهم لم يتمكنوا من اختراق سيطرة العنصر الأجنبي في هذه الدراسات بصورة مؤثرة. وليس في هذه الملاحظة ما يوحي بنداء موجه لحجب مجهودات الأجانب أو تقليص نشاطهم خاصة ونحن مدينون لهم بالكثير، لكن فيه دعوة لنا أن ننظر بجدية في هذه المشكلة، ونعمل على معالجتها .

ويبدو لي أن هذا الأمر يعود إلى عدة أسباب منها :

أ- إن دراسات ماقبل التاريخ لم تجذب عدداً معقولاً من الباحثين الوطنيين، مقارنة بالتخصصات الأخرى. وتختلف الدول في مستوى الاهتمام بتأهيل العدد المناسب من المتخصصين. كما يلاحظ أن من تخصص منهم واجه عقبات موضوعية غير متوقعة، تجعلهم يتركون مواقع عملهم. إن وجود آثاريين في هذا الحقل بعدد مناسب من مصر والسودان، سوف يؤثر حتماً على سير عمليات تطوير الأبحاث، وتقديم الأولويات فيها على ما عداها.

ب- مازال ماقبل التاريخ موضوعاً بعيداً عن أهتمام الأكاديميين، لأن بعض الذين يعملون في مجال الآثار يعدون دراسة ماقبل التاريخ نوعاً من الترف. ولا تتوفر الإمكانيات المادية الكافية للآثاريين الوطنيين للقيام بأبحاثهم الميدانية الخاصة . أو مقابلة تكاليف التحليل العلمي للمعثورات، ونشر نتائج الأبحاث. وهناك صعوبة في الاشتراك في الندوات، والمؤتمرات العلمية العالمية، وشراء المطبوعات الحديثة. وقد أشار أكثر من كاتب إلى أزمة الإمكانات المادية في بلدان العالم الثالث عموماً، وتأثيرها السلبي في تأهيل وتطوير قدرات الآثاريين، الذين ينتمون إلى هذه البلدان.

ج- إن عدم رواج دراسات ماقبل التاريخ وسط طلاب علم الآثار والأكاديميين عموماً، يرد جزئياً إلى طبيعة المادة الأثرية نفسها، التي تبدو لكثيرين منهم غريبة ومعقدة في محتوياتها، كذلك يشكل امتداد البعد الزمني السحيق لفترة ماقبل التاريخ صعوبة موضوعية لبعضهم، أمام تقدير أهمية المعلومات، التي تذكر عادة عن حياة الناس في ذلك التاريخ البعيد.

إن الخطوة الأولى في نظري، نحو تحسين أوضاع أبحاث فترة ماقبل التاريخ، التي يقوم بها آثاريون من قطري وادي النيل، هو التوسع في إدخال علوم ماقبل التاريخ الحديثة، ضمن مقررات البكالوريوس في أقسام الآثار بالجامعات، وتوفير الكتاب الجامعي، الذي يفي بالشروط الحديثة. ولإكمال العملية، لابد من إعداد برامج الدراسات العليا المناسبة، لتأهيل المتخصصين بمستويات رفيعة، حتى يتمكنوا من المساهمة مع غيرهم في تطوير هذا المجال من البحث الاثاري ونقله لآفاق رحبة، ينتظم فيها مع ما يماثله في بلدان

د. يوسف مختار الأمين - قسم الآثار والمتاحف -كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص.ب ٢٤٥٦ - الرياض ١١٤٥١ المملكة العربية السعودية.

الهوامش :

(١) وفي هذا الاتجاه نفسه يؤكد عدد من الفلاسفة المحدثين ، مثل هابر ماس وهيربرت ماركوس، في نقدهم للفلسفة الوضعية على أن الظروف الاجتماعية هي المؤثرة في نظرتنا للمادة أو المعلومات الأولية موضوع الدراسة . وكذلك في طريقة تفسيرنا لها .

(٢) يذكر هنا على سبيل المثال G. Daniel ، أحد أشهر المتخصصين في الكتابة عن تاريخ علم الآثار، إذ ألّف العديد من الكتب الرصينة وعشرات المقالات في الموضوع. ومن أهم كتبه في تاريخ علم الآثار .

A hundred and fifty years of Archaeology. London, Duckworth. 1975.

(٣) نشر كون تفاصيل أطروحته في العام ١٩٦٢ بعنوان :

The Structure of Scientific Revolutions.

وقد وجدت طريقها إلى أدبيات علم الآثار الحديث ، خلال المراجعات الفكرية والمنهجية فيه، التي بلغت أوجها في أوائل السبعينات.

(٤) من الأسماء البارزة في هذا الإطار من المصريين : رشدي سعيد ، وفكري حسن ، وبهي العيسوي، ونبيل الحديدي ، والحناوي ... الخ.

المراجع :

أولاً : المراجع العربية :

محمد علي، العباس سيد أحمد ويوسف مختار الأمين ١٩٩٢ م ،"مشروع البطانة الأثري في شرق السودان: النتائج والدلالات" **دراسات في الآثار -الكتاب الأول**. قسم الآثار والمتاحف، جامعة الملك سعود، الرياض ،ص ص ٦٥ - ٩٩.

كون، توماس ١٩٩٢، **بنية الثورات العلمية** . سلسلة عالم المعرفة ١٦٨، الكويت، ترجمة شوقي جلال.

ثانياً : المراجع غير العربية :

Binford, L. 1966. “A preliminary Analysis of Functional Variability in the Mousterian of Levallois Facies” **American Anthropologist**, (2): 238-295.

Caton-Thompson, G. 1946. “The Levalloisian Industries of Egypt” **Proceedings of the Prehistoric Society** 12: 57-120.

Clark, J. D. 1987. “Fred Wendorf : A critical Assessment of his career in and contribution of North African Prehistory” In : Angela Close (ed.) **Prehistory of Arid north Africa. Essays in Honor of Fred Wendorf**. pp. 1-11.

Adams, W. Y. 1973. “Strategy for Archaeological Salvage” **Cambridge Monograph Series** vol. 17 :826-835.

Adams, W. Y. 1981. “Paradigms in Sudan Archaeology” **Africa Today**, 28 (2): 15-24.

Arkell, A. J. 1949. **Early Khartoum**. Oxford University Press.

Arkell, A. J. 1953. **Shaheinab**. Oxford University Press.

Arkell, A. J. 1975. **The Prehistory of the Nile Valley**. Leidon

El-amin, Y. M. 1981. **The later Pleistocene Cultural Adaptations in Sudanese Nubia,** B. A. R. Internationl Series 114. Oxford.

El-amin, Y. M. 1992. "Archaeological Survey in the Area of Shaqadud Cave, Central Sudan" **Ages,** 7 (2): 43-69.

Haaland, R. 1983. **Migratory Herdsmen and Cultivating Women**. The Structure of Neolithec Seasonal Adaptation in the Khartoum Nile Environment. University of Bergen Press.

Haaland, R. 1997. "Emergence of Sedentism: new ways of living, new ways of symbolizing" **Antiquity**, 71 (272): 374-385.

Hassan, F. 1992. "The Ecological Consequences of Evolutionary Cultural Transformations : The case of Egypt and Reflections on Global Issues". **International Research center for Japanese Studies Int. Symposium No. 6**; Nature and Humankind in the Age of Environmental crisis :29-44.

Hassan, F. 1997. "The dynamics of a riverine civilization: a geoarchaeological perspective on the Nile Valley, Egypt" **World Archaeology**, 29 (1): 51-74.

Hassan, F. 1998a. "Memorabilia. Archaeological Materiality and National Identity in Egypt" In : Stephen Shennan(ed), **Archaeology Under Fire. Nationalism, Politics and Heritage in the Eastern Mediterranean and Middle East**, Lynn Meskell,pp. 200-261.

Hassan, F. 1998b. "The Archaeology of North Africa at Kiekrz 1997," **African Archaeological Review**, 15 (1) : 85-93.

Krzyzaniak, L. 1991. "Early Farming in the Middle Nile Basin: recent discoveries at Kadero, Central Sudan", **Antiquity**, 65 (248) : 515-532.

Marks, A. E.1968. "The Mousterian Industries of Nubia", In : Wendorf, F. (ed.) **The Prehistory of Nubia,** vol. 1, SMU Press, Dallas, pp. 194-314.

Mohammed Ali, A. S. 1987. "The Neolithic of Central Sudan : A reconsideration". In : Angela Close (ed.) **Prehistory of Arid North Africa**, pp. 123-136.

Renfrew, C. and Bahn, P. 1991. **Archaeology, Methods and Practice**. Thames and Hudson, London.

Sadr, K. 1991. **The Development of Nomadism in Ancient Northeast Africa.** Upp, Philadelphia.

Sandford, K. S. and Arkell, W. J. 1933. **Paleolithic Man and the Nile Valley in Nubia and Upper Egypt**, University of Chicago Oriental Inst. Publication, Vol. 17.

Van Peer, P. 1998. "The Nile Corridor and the Out-of-Africa Model. An Examination of the Archaeological Record" **Current Anthropology,** 39: S115-S140.

Wendorf, F. (ed.) 1968a. **The Prehistory of Nubia**. vol.1. SMU Press, Dallas.

Wendorf, F. (ed.) 1968b. **The Prehistory of Nubia**. vol.2. SMU Press, Dallas.

Wendorf, F. and Schild, R. 1976. **Prehistory of the Nile Valley .** Academic Press, New York.

Wendorf, F. 1980. **The Prehistory of Eastern Sahara.** Academic Press, New York.

Wendorf, (Assemblers) 1989. **The Prehistory of Wadi Kubbaniya**, vol. 2. SMU Press, Dallas.

Trigger, B. 1989. **A history of Archaeological Thought**. Cambridge University Press.

أدوماتو
Adumatu

نحو تأصيل التراث الحضاري للجزيرة العربية

عبد الرحمن الطيب الأنصاري

ملخّص: تمتلك الأمة الإسلامية تراثاً حضارياً كبيراً، ولاتكاد توازيها في هذا الإرث أمة من الأمم الأخرى . وقد بدأت انطلاقة الحضارة الإسلامية من الجزيرة العربية ، حيث بزغ فجر الإسلام ، واستندت الحضارة الإسلامية على التراث الحضاري في الجزيرة العربية، التي شهدت قيام العديد من الدول والممالك العربية، مثل سبأ ومعين وحضرموت وقتبان وأوسان وحمير واللحيانيين والأنباط وكندة وتدمر. وقد تركت هذه الممالك العديد من الآثار المعمارية والفنية، التي تأثرت بها حياة العرب، وكان لها دور في تكوين الحضارة الإسلامية. ولعل من أهم مايربط الإنسان بالأرض، هو مايعيش الإنسان منه وبه، من مهنة أو حرفة تربطه بمجتمعه، حيث يقدم لمجتمعه خدمة تجعل وجوده ضرورة ملحة بالنسبة لقومه، فيشعر عندئذ بدوره، ومن ثم يتمكن من إجادة مايقدمه، نتيجة للتنافس الشديد بينه وبين أقرانه، في الصنعة أو المهنة. وتتعدد المهن والحرف، بتطور المجتمع وتنوع حاجاته، فتنشأ الحاجة المتبادلة بين الناس. وكان التبادل، أولاً مقايضة نوع بنوع، أو خدمة مقابل صنف، أو سلوك مقابل نوع من الاحتياجات، التي يتميز بها شخص عن الآخرين، فيتحقق بذلك قول الشاعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة   بعض لبعض وأن لم يشعروا خدم

***Abstract**. The Islamic nation has enjoyed a great cultural heritage hardly matched by any other nation. At the dawn of Islam, Islamic civiliztion rose from the Arabian Peninsula reinforced by the rich cultural heritage of the area. The Arab lands had already witnessed the rise of many Arab kingdoms and states: Sabae, Maen, Hadramawt, Qataban, Osan, Himyar, Lihyans, Nabateans, Kindah, and Palmyra. Those various kingdoms had left many architectural and artistic archaeological remains that had not only influenced the lives of Arabs, but also played a role in the formation of Islamic civilization itself. The strongest tie between a human being and land is perhaps the agency by and through which one may earn one's subsistence. This agency can be a profession or an art that essentially ties a person to the community where, while he / she provides a service to the community, his / her presence becomes a necessity within that society, and thus one realizes his / her importance. Owing to fierce competition among artisian peers, one cannot do without perfecting one's art or profession. Yet, professions and arts grow according to the development and needs of society; people then realize their mutual inter-dependence on one another and start to exchange their services to satisfy their necessities. At first, exchange assumes the form of bartering one item for another, or one service for an item,or a certain behavior for a certain kind of needs that a particular person is capable of satisfying. The essentiality of such mutual activities of trading confirms the common wisdom commemorated by the ancient Arab poet when he insightfully maintained that: aware or not, people to people in all walks of life are only, one to another, servants.*

تمثل الآثار النتاج الحضاري المادي، الذي خلفته الأمم السابقة، وتنقسم إلى : آثار ثابتة، مثل المنشآت الدينية والمدنية والعسكرية وغيرها؛ وآثار منقولة، وهي التحف المصنوعة من عدة مواد، مثل الحجر والرخام والعظم والفخار والخزف والخشب والزجاج والنسيج والسجاد. أما التراث فهو الموروث الحضاري للأمة، الذي ورثته عن

العدد الثالث شوال ١٤٢١هـ - يناير (كانون الثاني) ٢٠٠١م
(ص ص ٢٩ - ٤٠) ردمد : ٨٩٤٧ - ١٣١٩

أسلافها، سواء كان ذلك الموروث مادياً أو أدبياً. وارتكزت الحضارة الإسلامية في انطلاقتها، على تراث حضاري مادي ورثته عن الممالك العربية، التي قامت في الجزيرة العربية قبل الإسلام مثل ممالك سبأ ومعين وحضرموت وقتبان وأوسان وحمير واللحيانيين والأنباط وكندة وتدمر. فكل آثار تراث، وليس كل تراث آثاراً، وبينهما عموم وخصوص والتداخل واضح بين الآثار والتراث، سواء كان منه المادي أو الفكري أو الروحي.

وفي ضوء التعاليم الإسلامية، افترق التراث عن الآثار فيما له صلة بالعقيدة، والتقيا فيما دون ذلك، أي مايمس جوانب الحياة المختلفة. فارتبط التراث بالاثار في العمارة المدنية والفنون والكتابة واللغة والزراعة والحرف والصناعات اليدوية.

ويظهر افتراق التراث عن الآثار، فيما يتصل بالعقيدة جلياً في المعتقدات الدينية الخاصة بالحج والزكاة. فقد كان العرب قبل الإسلام يحجون إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة، ومنذ أن أقدم عمرو بن لحي الخزاعي، على نصب الأصنام حول الكعبة، فاتخذها العرب آلهة من دون الله سبحانه وتعالى ، أو كما زعموا لتقربهم إلى الله زلفى، فانحرفوا بذلك عن التوحيد، على الرغم من أنهم كانوا يقومون بتأدية بعض أركان الحج وشعائره، مثل الطواف والإحرام والتلبية. لكنهم أدخلوا عليها إضافات وثنية، مثل قولهم في التلبية "لبيك لاشريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك" وغير ذلك؛ ومثل سنهم عادة الطواف عرايا والتصفيق والتصفير أثناء الطواف "وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية" (سورة الأنفال ، الآية ٣٥) ومع مرور الزمن حفلت الكعبة المشرفة بالأصنام، مثل آساف ونائلة وهبل (السهيلي ١٣٣٢ : ١/٦٢-٦٦) ، وعندما جاء الإسلام، وتمكن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، بدأ أول مادخل إلى المسجد الحرام بإزالة الأصنام والصور والتماثيل من حول الكعبة، وطهرها من هذا الرجس (الأزرقي ١٣٥٢: ١/٧٠؛ ابن الكلبي ١٣٤٣: ٣١) "قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً" (سورة الإسراء الآية ٨١).

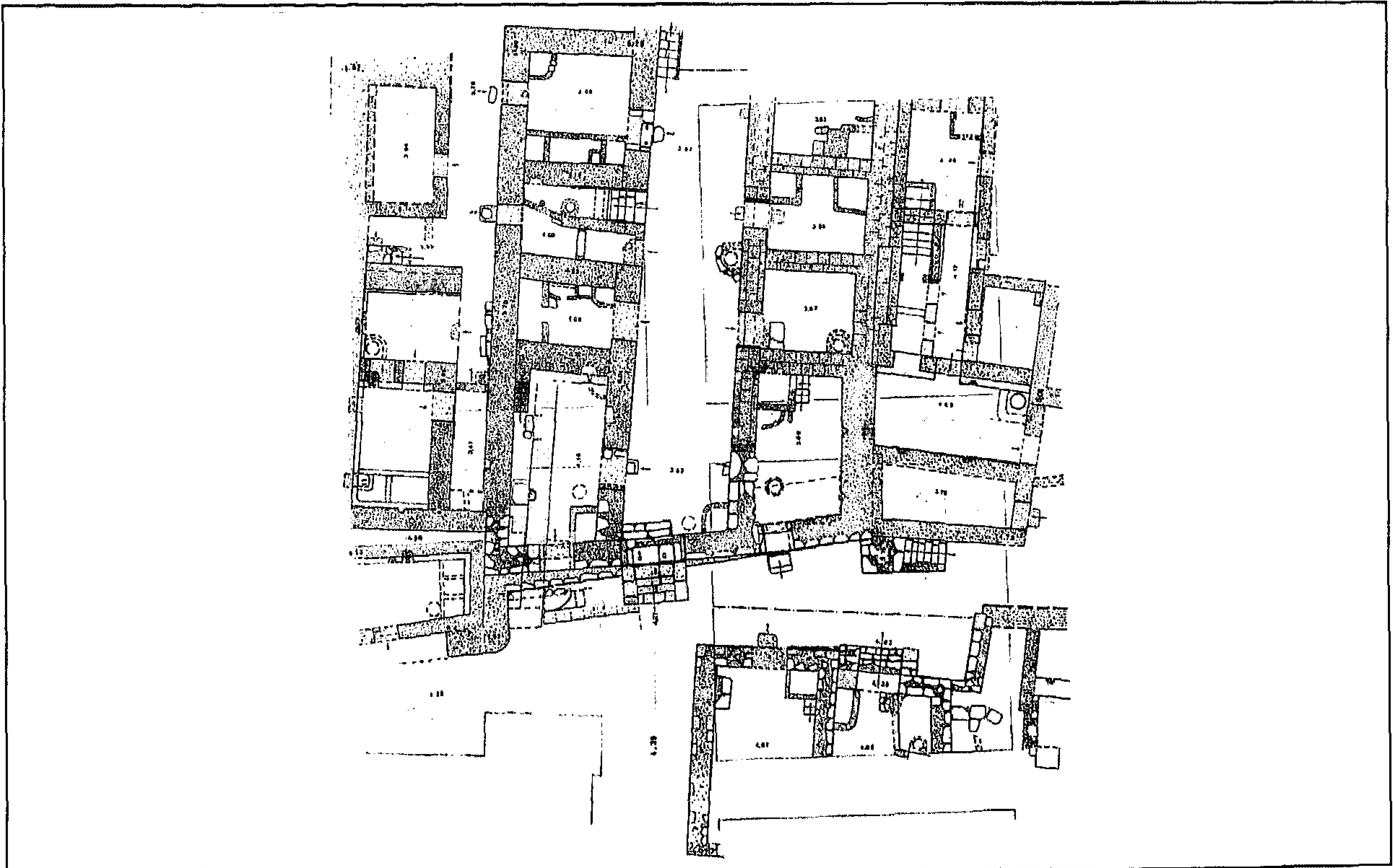
وبهذا فقد ابتعد التراث الديني عن الآثار ،لأن الأمر هنا يخص العقيدة ، فلا يوجد أي ارتباط بينهما. فقد كانت التعاليم الإسلامية واضحة وصريحة، في الفصل بين المعتقدات الدينية والماديات، من أصنام وصور وغيرها. كذلك ينطبق الأمر على الزكاة، التي كان يعرفها العرب قبل الإسلام. وتشير الأدلة الأثرية إلى أنهم قدموا الزكوات والقرابين ، إلى معبوداتهم الكثيرة في مختلف أنحاء الجزيرة العربية، تقرباً إلى تلك المعبودات. كما فرضت عليهم زكوات على الزروع والحيوانات ولتجارة، تقدم سنوياً إلى المعبودات. وكان القيم على تلك الزكوات، إما الحكام أو الكهنة (الفاسي ١٤١٤: ٢٧٦-٢٨١؛ أبو الحسن ١٤١٨: ٣٨٧-٣٨٩). ولكن بعد دخول الإسلام تغير الأمر تماماً، حيث أوضحت التعاليم الإسلامية أن الزكاة فرض على المسلم تقدم من أجل مرضاة الله وطلباً لغفرانه. وحددت التعاليم الإسلامية وجوه الزكاة، من زكاة المال والزروع وعروض التجارة وأوجه صرفها. وبعد انتقال الرسول، صلى الله عليه وسلم، إلى الرفيق الأعلى ، ومنع بعض القبائل العربية دفع الزكاة، حاربهم خليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وقال قولته المشهورة : "والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله على وسلم لقاتلتهم عليه". وينطبق الأمر نفسه على الصدقات والنذور ، التي كانت تقدم للمعبودات، والأضاحي التي تذبح لغير الله. فقد وقفت التعاليم الإسلامية هنا حائلاً دون التأثر بالتراث أو بالاثار، التي دلت على تقديم الصدقات والنذور والأضاحي للمعبودات، وخلصت الناس من التعلق بالأوثان من شجر وحجر ،كما خلصت الحج مما لحقه من أوشاب وأدعية وتلبية، تحمل في ثناياها الشرك بالله الواحد الأحد.

العمارة :

اقتبس العرب قبيل الإسلام البناء المتجانس مع تراثهم الحضاري، الذي ورثوه عن الممالك العربية، التي قامت في الجزيرة، إلى جانب مانقلوه عن طريق اتصالهم المباشر بالحضارات المعاصرة. وتحدثت النقوش

العربية القديمة، عن مواد البناء والعمال والمقاييس والمعدات، وانواع المباني والمنشآت الدينية والعسكرية والسكنية، ومنشآت الري والزراعة، وتقسيم البيوت إلى مداخل وأبهاء وحجرات وقاعات، ومرافق خدمية ومنافذ وملاحق. وعرف العرب البناء بالأحجار أو اللبن. وكان تخطيط المدينة يتمحور قبل الإسلام، حول المعبد وقصر الحكم والسوق (لوحة : ١). وبعد الإسلام كان المسجد هو مركز المدينة الإسلامية، فقد أسس رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده في المدينة المنورة، وكان هو مركز العمران بها. وبعد ذلك عندما تأسست مدن الكوفة والبصرة والفسطاط والقيروان، كان المسجد هو البناء، الذي تتمحور حوله بقية مرافق المدينة وبيوتها. وبجوار المسجد كان يوجد قصر الوالي أو الحاكم والسوق، ثم تحاط المدينة بسور ليسهل الدفاع عنها. وبذلك لم يكن المسلمون متأثرين في تخطيط المدن بالفرس أو الروم. فقد كانت أهم المكونات المعمارية في قرية الفاو، على سبيل المثال، تهتم بالمعابد والسوق والقصر والمساكن والمقابر (شكل ٢،١)

ثم تأثرت طريقة تخطيط المدن والبيوت بالتعاليم الإسلامية، مثل القبلة وكونها أحد العوامل المؤثرة في توجيه البيت ، مثل النهي عن استقبال القبلة أو استدبارها عند قضاء الحاجة، وعدم اختلاط الرجال بالنساء، وحقوق الجار، وحقوق الطريق. وارتبط التراث المعماري بالآثار في تخطيط العديد من المدن الإسلامية وبنائها ، خاصة تلك التي نشأت بجوار بعض المراكز الحضارية القديمة، أو على أنقاضها. فاستعانت في عمرانها بالأساليب المعمارية الموروثة، إلى جانب إعادة استخدام ما أمكن من أحجار وأعمدة وأعتاب وغيرها. واستمر العرب في البناء بالطين، في الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر، بعد ظهور الإسلام. وهو الأسلوب نفسه الذي اتبعه سكان قرية الفاو (مابين نهاية القرن الرابع قبل الميلاد إلى بداية القرن الرابع الميلادي) بل أن بيوت قرية الفاو كانت تعلوها شرفات مثل الشرفات الموجودة في المباني المشيدة من الطين في نجد، وغيرها من مناطق الجزيرة العربية (الأنصاري ١٤٠٢: ١٨)، وهي نفسها التي تأثرت بها الشرفات



شكل ١ : مخطط مفصل لأحد القصور في قرية الفاو.

الموجودة في المساجد الإسلامية المبكرة، في العصرين الأموي والعباسي، والتي حاول المستشرقون تأصيلها إلى عناصر معمارية مستمدة من الآثار الرومانية والبيزنطية. وشيد العرب بعد الإسلام العديد من القصور، التي تأثرت في عمارتها بالقصور العربية، التي شيدت قبل الإسلام ، ومنها القصور الأموية في صحراء الشام، مثل قصر الحير الغربي، وقصر الحير الشرقي، وقصر هشام في خربة المفجر، وقصر الحلابات، ومجموعة من القصور الأموية، التي شيدت على ضفاف وادي العقيق بالمدينة المنورة. واستمرت العمارة الإسلامية تنهل من التراث المعماري العربي، وظهر ذلك جلياً في عمارة قصر الأخيضر، الذي شيد في العصر العباسي. وفي تخطيط البيوت نجد تشابهاً كبيراً، بين تخطيط بيوت قرية الفاو وبين البيوت المشيدة في الجزيرة العربية بعد الإسلام (شكل : ١)، وإلى يومنا هذا، حيث يتكون البيت من باحة فسيحة، توجد حولها الغرف، وفي الغالب يوجد البئر بداخل هذه الباحة (الأنصاري ١٤٠٢: ١٨). وقد نقل العرب، بعد الإسلام، هذا التخطيط إلى سائر أنحاء العالم الإسلامي، فنجده في الشام وشمال أفريقيا والأندلس.

ومن العناصر المعمارية الإسلامية، التي تأثرت بالتراث المادي الموروث :

١- المآذن : خاصة بعض أنواع مآذن المساجد ، مثل مئذنة مسجد سامراء (ق ٣هـ) التي شيدت على طراز الزقورة، ثم شيدت مثلها مآذن عدة، بقي منها مئذنة مسجد أبي دلف في سامراء (ق ٣هـ)، ومئذنة مسجد أحمدبن طولون بالقاهرة (ق ٣هـ) (شافعي ١٩٧٠: ٤٠٠-٤٠٦، ٤٧٩).

٢- الملاقف : عرفت البيوت في الجزيرة العربية قبل الإسلام، نظام تهوية البيوت من الداخل (الملاقف)، واستمر هذا النظام في البيوت بعد ظهور الإسلام، خاصة أنه يناسب التعاليم الإسلامية، التي تحرص على حرمة البيوت، وعدم كشف عورات ساكنيها. ويعزى أسلوب تهوية البيوت من الداخل، إلى أن الإنسان العربي لايهمه المظهر الخارجي، بقدر ما يهمه الجوهر.

٣- شبكات المياه : عرفت بعض المدن العربية القديمة نظاماً فريداً، لتوصيل مياه الشرب الى البيوت، وصرف مياه المجاري عنها. وتشير الأدلة الأثرية، التي عثر عليها في مناطق مختلفة، ومن بينها الفاو ، إلى وجود مجار للمياه النظيفة، وخزانات للمجاري، مما يؤكد وجود مراحيض في الطوابق العليا من المنازل. كما عرفت مدينة العلا نظاماً متقناً في توزيع المياه على المزارع والمنازل (الأنصاري ١٤٠٢ : ٢٢)، ثم ظهر هذا الأسلوب، الذي وجد في الفاو والعلا، في مدينة الفسطاط، التي شيدت بعد الفتح الإسلامي لمصر سنة ٢١ هـ ، حيث يعد نظام تزويد بيوت الفسطاط بالمياه من أرقى النظم ، التي عرفت آنذاك.

٤- المحاريب : هو مكان وقوف الإمام للصلاة في المسجد. وقد أرجع المستشرقون أصل المحراب الإسلامي الى أصول معمارية هلنستية وبيزنطية، حيث أكدوا أنه تأثر بحنية أفروديت. ونسى هؤلاء، أو تناسوا، أن المنطقة الدينية في (الحجر)مدائن صالح، تضم العديد من المحاريب، التي تشبه في شكلها وتخطيطها، بل وزخارفها، المحاريب الإسلامية (الفاسي ١٤١٤: ٢٥٤-٢٥٥؛ هيلي ١٤٠٦: ١٤٠-١٤٤). وحتى لو قيل أن الأنباط تأثروا في تصميم محاريبهم بما لدى الرومان ، فإن تأصيل المحاريب الإسلامية يجب أن يعود إلى المحاريب النبطية، وليس إلى حنية أفروديت الرومانية.

كما تأثرت المدن الإسلامية بتخطيط المدن العربية قبل الإسلام. فالأحياء المتلاصقة المتصلة، التي تتخللها الطرق الضيقة، التي تؤدي من الخارج إلى الداخل، وتفضي غالباً إلى مركز التجمع الرئيسي، حيث المسجد والسوق. وتهدف هذه الطرق الضيقة إلى تحقيق عدة مزايا، منها :

أ- ضيق الشوارع، مما يؤدي الى اتقاء حرارة الشمس والأمطار.

ب- سهولة الدفاع عن المدينة في حالة الحرب ، عن طريق سرعة الانتقال عبر أسطح المنازل.

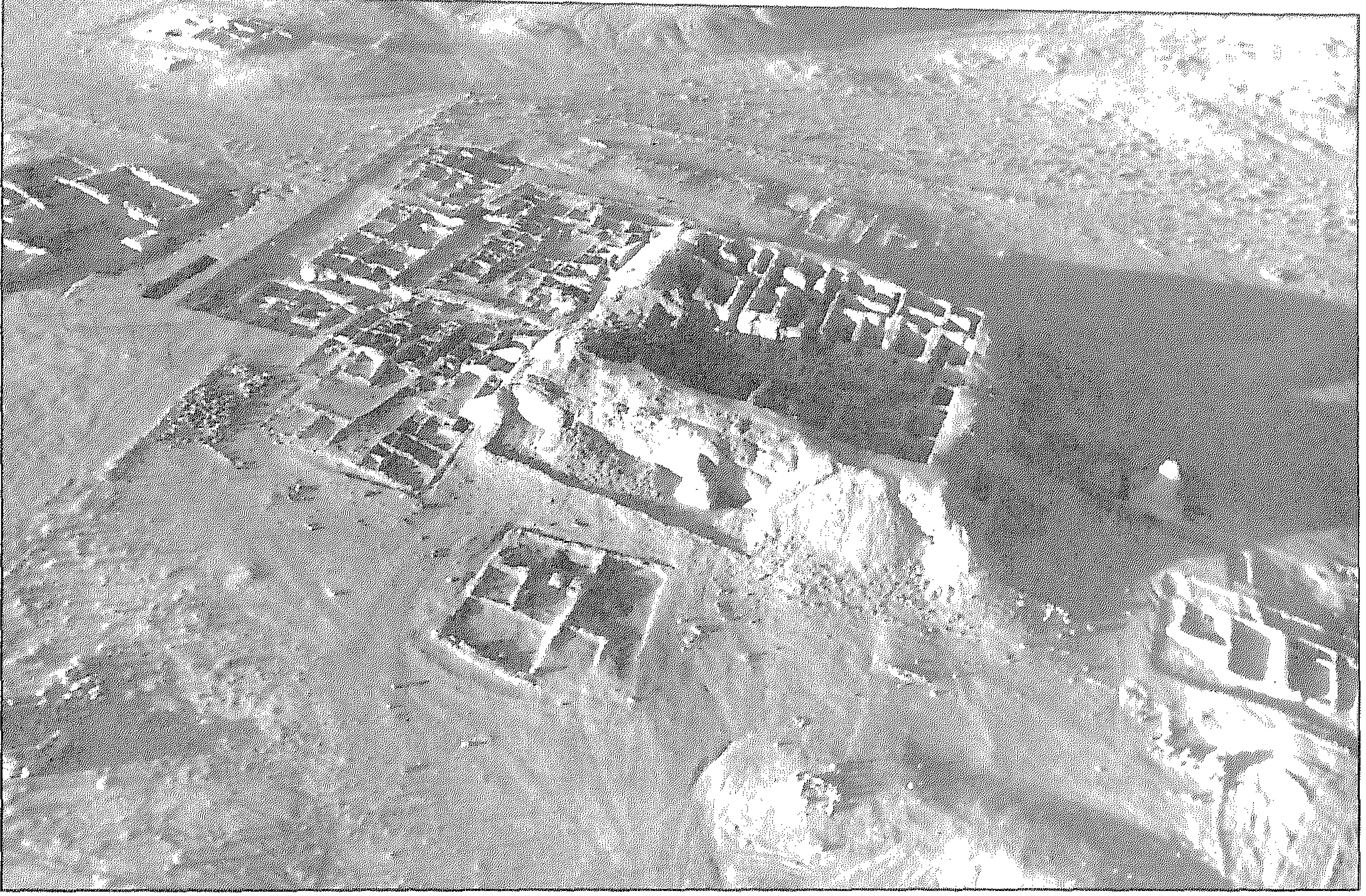
ج- ضيق الشوارع وتعرجها يجعل من الصعب على الغريب السير فيها، فينكشف أمره في سهولة ويسر.

وعلى الرغم من كل هذا التراث المعماري، الذي ارتكزت عليه العمارة الإسلامية، أرجع المستشرقون أغلب عناصر العمارة الإسلامية الى أصول فارسية وهيلينستية وبيزنطية وقوطية، بل أن بعضهم تمادى في تجريد العرب من كل مظهر حضاري، ووصفهم بأنهم يعانون عقدة الرعب المتأصل، من الأماكن المغلقة !!.

وقبل الانتهاء من ارتباط الآثار بالتراث المعماري، يجدر أن نعرج على موضوع يتصل بالعمارة، وهو ماعرف في الشعر العربي بالبكاء على الأطلال. فقد درج الشعراء العرب في الجاهلية، في مطالع قصائدهم، على البدء بعدة أبيات يتحدثون فيها عن لوعتهم وحسرتهم، على أيام مضت، وأطلال اندرست. (وما الأطلال، إلا الآثار). وقد ظهر البكاء على الأطلال في الشعر الجاهلي قبيل الإسلام عقب الفترة، التي شهدت انهيار الممالك العربية وسقوطها. فقد سقطت مملكة الأنباط في القرن الأول الميلادي، ومملكة تدمر في القرن الثالث الميلادي، ومملكة كندة في القرن الرابع الميلادي فكأن الشاعر العربي كان يبكي سقوط هذه الممالك في اللاوعي ، دون أن يشعر أنه يتحدث عن ماض عريق ولى ، بسقوط تلك الممالك. ثم شهدت الجزيرة العربية فيما بعد، فترة اضطرابات تغلبت فيها التوجهات القبلية على التوجهات القومية ، ولم تعد للعرب دولة يتحدون تحت لوائها، فعاشت القبائل على الغزو والقتال. ولكن إرهاصات التوحد بدأت في الظهور مرة أخرى قبيل الإسلام، عندما توحدت القبائل العربية وقاتلت جيوش الفرس في موقعة ذي قار، وانتصر العرب على غير العرب لأول مرة، بعد أن كانت أيام العرب كلها حروب أهلية طاحنة. ثم جاء الإسلام ليتوحد العرب تحت رايته ويحملون لواءه إلى شتى بقاع الأرض.

الفنون :

كانت الفنون في حضارات الجزيرة العربية قبل الإسلام، مقترنة -إلى حد كبير- بالمعتقدات الدينية، خاصة في النحت والتصوير. ومن الجدير بالذكر أن العرب عندما عبدوا الأصنام، لم تكن عبادتهم اياها خالصة، أي أنهم كانوا يؤمنون ويعتقدون بأن الله، سبحانه وتعالى، هو خالق الكون ومبدعه. ولذلك لم يبرع العرب في عمل التماثيل والأصنام، بل كانت عبارة عن أشكال تجريدية، لأن الذاكرة العربية أيقنت بأن الإله الحق، لا يمكن تمثيله ولاتشبيهه تشبيهاً كاملاً. وكما يحدثنا القرآن الكريم، فإن بداية فكرة عبادة الأصنام جاءت عن طريق عمل تماثيل لبعض الصالحين، يقول الله تعالي "ولاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولا سواعا ولايغوث ويعوق ونسراً" (سورة نوح ، الآية ٢٣) ، ومن ثم تحول الناس لعبادتهم. لذا، فإن أصنام العرب لم تكن مثل المعبودات الفرعونية ، أو الإغريقية ، أو الرومانية، التي كانت تمثل مخلوقات حقيقية، أو خرافية، تمثيلاً كاملاً ومتقناً؛ بل جاءت تماثيل معبودات العرب في شكل تجريدي (Nielsen 1927: 163) . وبعضها، مثل اللات ، رمز له بصخرة، وبعضها لم تعرف له تماثيل، مثل المعبود ذو غيبة ، الذي عبد في العلا أيام اللحيانيين (أبو الحسن ١٤١٨: ٣٩٤-٣٩٥) ، وكذلك كهل والمقه في كندة وسبأ. وظل اعتقاد العرب راسخاً بأن هذه المعبودات لا تمثل الله. ولذلك كان جدالهم مع الرسول، صلى الله عليه وسلم، بعد البعثة أنهم إنما يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى. وبعد الإسلام انعكست تعاليمه على الفنون، فابتعد الفنان المسلم عن تصوير الأشكال الآدمية والحيوانية، وبرع في الزخارف النباتية والهندسية. وأدت التعاليم الإسلامية، أيضا، إلى قيام فن جديد هو الخط العربي، الذي برع فيه الفنان المسلم، من خلال الاعتزاز بالقرآن الكريم، والحرص على كتابته بأشكال فنية مختلفة، سواء على المخطوطات، أو على واجهات المساجد والمنابر. وبدأت بواكير فن الخط العربي تظهر على قبة الصخرة، التي شيدت في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة ٧٢هـ/ ٦٩١ م . واستمرت الخطوط العربية تظهر على جميع الآثار الإسلامية، من عمائر وتحف منقولة، مثل الخزف والرخام



لوحة ١ : منظر لسوق قرية الفاو.

والخشب والنسيج والسجاد وغيرها، إضافة الى المخطوطات والتي شملت القرآن الكريم، وكتب العلوم المختلفة.

أما الزخارف النباتية، فقد برع فيها الفنان المسلم، حتى يبتعد عن تصوير الرسوم الحية، وإن كانت بعض الآثار الإسلامية المبكرة، من عمائر وتحف منقولة قد زخرفت بالرسوم الحية، ومنها القصور الأموية في صحراء الشام، مثل قصر هشام بخربة المفجر، وقصر الحير الغربي، وقصر الحير الشرقي، وقصير عمرة، فقد حفلت هذه القصور بلوحات من الفسيفساء، أو الألوان المائية (الفريسكو)، التي تمثل مناظر صيد أو صوراً آدمية وحيوانية، لموضوعات مختلفة. وقد حاول المستشرقون هنا أيضاً تأصيل طريقة الرسم بالألوان المائية (الفريسكو)، إلى أصول رومانية وبيزنطية. إلا أن الاكتشافات الأثرية في قرية الفاو، وفي شبوة بحضرموت، أثبتت أن العرب قد عرفوا هذا النوع من الرسوم، التي تقوم أساساً على طلاء الجدران بطبقة رقيقة من الجص، والرسم عليه قبل أن يجف (لوحة ١).

ومن المشاهد التي نراها حتى اليوم في البيوت العربية، تزيينها ببعض صور الحيوانات والطيور والناس؛ إن ما يرسم على البيوت في بعض البلاد العربية والإسلامية، من مناظر رحلة الحج وغيرها، فإن ذلك كان صدى لما عرفه العرب قبل الإسلام. فقد عثر في دكان فنان قرية الفاو على ثلاث لوحات، تمثل الأولى رحلة صيد للجمال قام بها شخص يمتطي صهوة جواده؛ والثانية رسم شخص كتب فوقه اسمه، والثالثة تمثل كلاباً تسير في معية أحد المواكب، ورسم لبعض الكواكب ورسوم آدمية في شكل تجريدي (الأنصاري ١٤٠٢: ٢٤-٢٥).

ولكن شيئاً فشيئاً تخلص الفنان المسلم من الزخارف الحية، وتركز إبداعه في الزخارف النباتية، التي أبدع فيها مع مرور الزمن فناً إسلامياً خالصاً، هو ماعرف في تاريخ الفن بالتوريق "الأرابيسك"، وهو عبارة عن زخرفة نباتية غير متناهية كما برع الفنان المسلم في تشكيل نماذج رائعة من الرسوم الهندسية المبتكرة،

تمثلت بصفة خاصة في أعمال الفسيفساء وفي أعمال الخزف والزجاج والخشب والحجر والرخام والنسيج والسجاد.

إذن فإن التعاليم الإسلامية، التي لاتسمح بتصوير الكائنات الحية، من إنسان وطير وحيوان، حالت دون أن يكون الفن وسيلة تقرب من أجل الدين. كما كان الحال في الحضارات العربية قبل الإسلام. فأوقف الإسلام اقتران المظاهر المادية بالعقيدة، وفي هذا الصدد يروي المؤرخون أن رجلاً اسمه أبو نجزأة، جاء إلى ابن عباس رضي الله عنهما وقال له : انه كان رساماً يرسم الصور ويرتزق منها . والآن فقد حرم الإسلام التصوير. فقال له ابن عباس: صور ماليس فيه روح.

وانتج إبداع الفنان المسلم في الزخارف النباتية ، ماعرف في تاريخ الفن بطراز سامراء (بداية القرن الثالث الهجري)، وهي طرز زخرفية قامت أساساً على الزخارف النباتية. وكانت في الطراز الأول محاكية للطبيعة، وفي الثاني أقل تجريداً أما الطراز الثالث فكان أكثر تجريداً.

في الإطار نفسه يجدر أن نذكر أن المسكوكات، التي كانت متداولة لدى العرب قبيل الإسلام، من الدراهم الفارسية والدنانير والفلوس البيزنطية إضافة إلى مسكوكات بعض الممالك العربية، مثل المسكوكات الحميرية، كانت تحمل صوراً للملوك، ورموزاً تعبر عن عقائد تلك الأمم. فقد صور على الدراهم الفارسية بيت النار والكهنة، وعلى الدنانير والفلوس البيزنطية الصلبان وصور الأباطرة البيزنطيين. وبعد الإسلام أقر الرسول، صلى الله عليه وسلم، استخدام هذه المسكوكات في التداول، ثم بدأت خطوات التعريب. فبدأ الخلفاء من عهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في إضافة بعض العبارات على تلك المسكوكات، مثل بسم الله، وبسم الله ربي وغيرها. وبدأت أولى خطوات التعريب في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، الذي ضرب في البداية مسكوكات نقش عليها صورته، متقلداً سيفه، وضربت في عهده مسكوكات عليها رسم لثلاثة أشخاص. ثم عربت المسكوكات الإسلامية تماماً، وحذفت منها الصور والرموز الدينية، وصارت زخرفتها الأساسية هي الخط العربي وبعض الزخارف النباتية. وكانت بداية التعريب في سنة ٧٧هـ / ٦٩٦م، لكن الصور ظلت تظهر على بعض الفلوس، التي ضربت في العصر الأموي، كما ظهرت الصور على المسكوكات الإسلامية من حين لآخر، خاصة على المسكوكات التذكارية. كما أن بعض الدول الإسلامية كانت مسكوكاتها حافلة بالصور، مثل بني أرتق في شمال العراق، مابين القرنين السادس والسابع الهجريين (محمد ١٩٦٥: ٤٢؛ العش ١٤٠٤: ١٩٧؛ Lane-Poole 1877: 221).

اللغة والكتابة :

عرف العرب الكتابة، وكانت لهم عدة أنواع من الخطوط. فالخط المسند استعمل في ممالك جنوب الجزيرة العربية: سبأ، ومعين ، وقتبان ، وحضرموت، وأوسان ، وحمير ،وكندة . كما عرف أيضاً في الشمال، حيث استعمله اللحيانيون في العلا، إلى جانب الخط الآرامي، الذي تطور على يد الأنباط فكتبوا به في البتراء، وفي الحجر، ثم في تدمر. أما أرباب القوافل وسكان البادية، فقد استخدموا ماعرف اصطلاحاً بالكتابات الثمودية والصفوية، إذ كتب أرباب القوافل بخط الأعراب، عندما كانوا ينتقلون بقوافلهم بين شمالي الجزيرة العربية وجنوبيها وينزلون في حواضر اليمامة والحجاز واليمن. وكانوا يختارون من حروف هذا الخط وسوماً يسمون بها أنعامهم، ومازالت هذه العادة معروفة لدى العرب حتى يومنا هذا .

وتعد الكتابة من أهم الموروثات التراثية ، بل لولا الكتابة لما كان هناك تراث. فقد كانت الكتابة هي الأداة، التي انتقل عن طريقها التراث من جيل إلى جيل. وقد تطور الخط العربي من الكتابات العربية النبطية. وبعد ظهور الإسلام اهتم المسلمون بالكتابة، من أجل تدوين القرآن الكريم. وكانت الكتابة تتم على العسب (جريد النخل)، والعظم والرق والأديم والبردي. ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن كثيراً من المصادر التاريخية



لوحة ٢ : رسم ملون (فريسكو) وجد في معبد من معابد قرية الفاو ، وهو لمعبود من المعبودات ، لعله (باخوس).

العربية، تحدثت عن جهل العرب بالكتابة قبل الإسلام، إلا أن الأدلة الأثرية، التي تزخر بها الجزيرة العربية، تدل على العكس من ذلك تماماً. فما ترك العرب مكاناً في جزيرتهم إلا وسجلوا عليه نصوصاً قيمة، بجانب ماكشف عنه من كتابات في المراكز الحضارية ، في شتى أنحاء الجزيرة العربية. ففي قرية الفاو، أظهرت الاكتشافات العديد من الأسماء والمفردات، منها شاهد قبر الملك معاوية بن ربيعة ملك قحطان ومذحج. كما استطعنا من خلال الكتابات، التي عثر عليها في الفاو، التعرف على أسماء بعض المعبودات، مثل: كهل وإل واللات وعثتر – أشرق والعزى ومناة وود وشمس. ومن أسماء الأعلام : عبد العزى وعبد شمس وأقصى ، وبهذا يتضح أن العرب لم يكونوا أمة لايجيدون بل يعرفون القراءة والكتابة (الأنصاري ١٤٠٢ : ٢٣-٢٤)، وإلا ما معنى القدر الكبير من ألفاظ الكتابة، التي وردت في القرآن الكريم؟ وهل يمكن لمجتمع أن يرتفع إلى هذا المستوى من البلاغة والفصاحة، وأن يكون القرآن الكريم معجزاً له ، وهو جاهل بالقراءة والكتابة ؟ وهل يتفق أن يجتمع لرسول الله، صلى الله عليه وسلم ، حوالي ٦٠ كاتباً للوحي، مع ماقيل من ندرة العارفين بالقراءة والكتابة؟

وكذلك تأثرت طريقة الكتابة بعد الإسلام بما كان متبعاً في الكتابات، التي عثر عليها في قرية الفاو. فالنص الكتابي يوجد داخل إطار محدد، وهي الطريقة التي استخدمت على نطاق واسع من قبل الخطاطين العرب المسلمين بعد الإسلام.

وظل العرب بعد الإسلام يستخدمون البردي والرق في الكتابة، حتى دخلت صناعة الورق في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد. ولم يمر زمن طويل، حتى كان المسلمون قد أدخلوا تحسينات كبيرة على هذه الصناعة. وساعدت صناعة الورق وسهولته في الكتابة، على تسجيل التراث الإسلامي. فبدأت في العصر العباسي حركة تدوين كل العلوم والمعارف، التي توصل إليها المسلمون ، إلى جانب ازدهار حركة ترجمة

علوم الأمم الأخرى، مثل الفرس واليونان.

وارتبط التراث بالآثار أيضاً في اللغة ومفرداتها، فما زالت بعض الكلمات العربية القديمة مستعملة حتى الآن في اللهجات الفصيحة والعامية، لدى الشعوب العربية. ونذكر منها المسجد على سبيل المثال. وقد عرف العرب المسجد بوصفه مكاناً للعبادة قبل الإسلام، وقد جاء في نقوش المنطقة الدينية في الحجر (مدائن صالح) نقش نصه :

"هذا المسجد الذي أنشأه شكوم بن ثورا لأعرا الموجود ببصرى إله رب إل ...." (الأنصاري ١٤٠٤: ٤٠-٤١).

ومن أمثلة وجود بعض الكلمات القديمة، استعمال اللغة الحميرية، التي تقوم على حذف حرف اللام من أداة التعريف، وإبدالها بحرف الميم. وكانت هذه اللغة -ومازالت دارجة- بين سكان تهامة وعسير وبعض مناطق اليمن ،وورد بها حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد روي عاصم بن مالك الأشعري رضى الله عنه قال :

"سأل سائل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يارسول الله هل من امبر امصيام في امسفر قال صلى الله عليه وسلم : ليس من امبر امصيام في امسفر".

الزراعة :

كانت ندرة المياه في الجزيرة العربية هي الشغل الشاغل للإنسان منذ أقدم العصور، في بيئة عرفت بقلة مصادر المياه وشحها. فاعتمدت الزراعة بصفة أساسية على مياه الأمطار والآبار والعيون. مما استدعى معرفتهم بالأمطار وصفاتها، وعلامات سقوطها وانحباسها، والآبار وطرق حفرها، ووسائل رفع المياه من الآبار، والأدوات المستعملة في ذلك، وصيانة الآبار وحمايتها، ووسائل خزن المياه، كالمآجل والبرك والكرف والأحواض والصهاريج والمقالد والأهوار والبحيرات والمناضح، وتوضح هذه المسميات مدى الغنى الواضح في مفردات مصانع جمع المياه، ومدى الحاجة إليها.

وتحدثت النقوش العربية عن الأراضي الزراعية، ومواسم الزراعة وأساليبها ومحاصيلها، والحصاد والدياسة وتخزين المحاصيل الزراعية، والمعاملات الزراعية، ومايتبع ذلك من عقود وضرائب وتنظيمات زراعية، إضافة الى الآفات والكوارث الزراعية وحظائر الحيوانات (الفاسي ١٤١٤: ١٩٥-١٩٦)؛ أبو الحسن ١٤١٨: ٣٩٩-٤٠٢؛ النعيم ١٤٢٠: ١٩٥-٢٠٤). واعتمد العرب على أساليب عديد لرفع المياه من الآبار والعيون، وتوزيعها على الأراضي الزراعية. وقد عرفت العديد من المدن العربية أساليب متقدمة في الري، منها مدينة العلا ، التي عرفت تنظيماً متقدماً لقنوات الري. فقد كانت القنوات تحمل المياه من الآبار، ويتم تبطين القنوات بالأحجار حتى تمنع المياه من التسرب ، توزع القنوات المياه على المزارع (Jussen & Savignac 1997: 38-40).

وتعد الزراعة أحد المظاهر التي تتطابق فيها الآثار مع مانعرفه من التراث في عدة مجالات، مثل : طرق الري والحصاد، وأنواع المحاصيل، ووقت الزراعة، مع مايلزم ذلك من معرفة بأوقات دخول الفصول وانتهائها، واستخدام بعض المعدات، مثل الساعات الشمسية.

الحرف اليدوية والصناعات التقليدية :

ذكرت النقوش العربية القديمة العديد من الصناعات، التي أتقنها العرب، مثل: صناعة الخشب والكتان، ودباغة الجلود، والغزل والنسيج وأسماء المنسوجات وأنواعها، وآلات النسيج، وأسماء النساجين والصباغة والأصباغ، وبالبحث في نقوش المسند الجنوبي وجد ما يقارب من ثلاثمائة مفردة تدل على حرفة، أوصناعة، أو مهنة، عرفت في ممالك جنوب الجزيرة العربية : أوسان ، وقتبان ، وحضرموت، ومعين وسبأ وحمير وكندة (الأنصاري ١٤٠٢ : ٢٥-٣٠).

وتوجد العديد من الحرف والصناعات، التي ارتبط فيها التراث بالآثار ارتباطاً وثيقاً، مثل الصناعات المعدنية، من سيوف وخناجر وحلي ذهبية وفضية ، وهي صناعة شهدت الكثير من الرواج عند العرب قبل الإسلام، ومازال من الصناعات التراثية المتوارثة حتى اليوم، ومن الصناعات الأخرى النجارة، والغزل والنسيج،

والفخار، والصناعات الحجرية، وصناعة الخوص، والأطعمة، التي مانزال تحتفظ بأسمائها القديمة، مثل السويق.

١- النجارة : تعتمد أساساً على الأخشاب المتوفرة في البيئة المحلية، مثل خشب أشجار النخيل في الواحات، أو خشب أشجار السنط والأثل، وغيرها. وتتكون المصنوعات الخشبية من الأبواب، والشبابيك، والأسرة، والصحاف، والأقداح.

٢- الصياغة : وهي صناعة الحلي والجوهرات، وتعتمد على الذهب والفضة، وتتكون أدواتها من سندان ومطارق، ومقارض وبوتقات للصهر، والقوالب للصب.

٣- تعد الصناعات الحجرية هي الصناعة الأكثر انتشاراً وشيوعاً، لأنها صناعة ذات إنتاج كبير، لحاجة الناس الماسة إليها في حياتهم اليومية، لاستعمالها في صناعة المجامر والمذابح والموائد والتماثيل وصحائف الكتابة والمعاصر والجارش والمطاحن والبناء، وتعد الرحى من أشهر الصناعات الحجرية الباقية إلى الآن، وتتكون من قطعتين من الحجر، السفلى ثابتة على الأرض والعليا توضع وتدار بواسطة مقبض من الخشب ، مثبت في طرفها، وتوجد فتحة في منتصف القطعة العليا توضع من خلالها الحبوب. وقد وجدت الرحى ضمن آثار كثير من المدن العربية، ومانزال مستخدمة حتى الآن.

٤- الفخار : صناعة موغلة في القدم، ومانزال متوارثة وموجودة حتى الآن، وتعتمد على الطين بوصفه المادة الخام الأساسية للصناعة، والدولاب، الذي يدار بالقدم، وبعض أدوات زخرفة يرسم بها الصانع بعض الرسوم والنقوش، ثم الفرن لحرق الفخار بعد تشكيله ، واشتهرت الممالك العربية بإنتاج أنواع جيدة من الفخار، مثل مملكة الأنباط. كما اشتهرت بعض المدن، مثل تيماء، بإنتاج أنواع كثيرة ومتعددة من الفخار (أبو درك ١٤١٩ : ٦٩-٧٤)، وتعد صناعة الفخار من الصناعات التقليدية، التي تشهد بوضوح على ارتباط الآثار بالتراث.

٥- الخوص : من الصناعات التي ازدهرت في الواحات، التي يكثر بها النخيل، مثل : اليمامة والأحساء والقطيف والعلا وتيماء والمدينة المنورة وغيرها . وتعتمد هذه الصناعة على خوص سعف النخيل، وعمل أبسطة وأدوات منزلية تحفظ فيها الأطعمة وتحمل فيها الثمار، مثل المكتل. واستخدمت عيدان جريد النخيل في صناعة الأقفاص، والأسرة، وأسقف المنازل، ولاتزال هذه المنتجات مستعملة حتى الوقت الحاضر، في بعض مناطق الجزيرة العربية، وفي بلاد الشام، ووادي النيل، وشمال أفريقيا.

٦-الغزل والنسيج : برع العرب في غزل صوف الأغنام، ووبر الجمال، إلى خيوط، ومن ثم حياكتها إلى ملابس وأشرعة، وكان الصوف هو المادة الخام الأساسية في صناعة الملابس، إلى جانب استخدام الأنوال اليدوية، في صناعة الأبسطة والسجاجيد.

٧- الحدادة : تعتمد على الحديد وصهره وطرقه وتشكيله، بواسطة أدوات متنوعة، مثل : المطارق والمثاقب والمبارد والكير والسندان. وقد برع العرب في هذه الصناعة وبصفة خاصة السيوف، التي كانت السلاح الوحيد للدفاع عن النفس ، وأطلقوا عليها عدة مسميات، مثل المهند والصمصام وذو الفقار، إلى جانب صناعة الخناجر والأدوات المنزلية العديدة، التي يحتاج اليها الإنسان في حياته اليومية. وقد تفوق العرب في صهر الرصاص والبرونز وصبهما، وقد صنعوا من البرونز المسكوكات والمكاييل والموازين، كما صنعوا منه تماثيل آدمية وحيوانية ومصابيح ومسارج ولوحات الكتابة ، التي توضع في المعابد، أو تعلق على جدرانها من الخارج. ووجدت إحدى تلك اللوحات معلقة على جدران معبد (عثتر-ود) من الخارج ، في قرية الفاو (الأنصاري ١٤٠٢ : ٢٨) ويذكر هذا بما كان يعلق على أستار الكعبة، وصحيفة قريش التي علقتها عند مقاطعتها لبني هاشم، والحدادة، أيضاً من الصناعات التي ارتبط فيها التراث بالآثار، ارتباطاً وثيقاً.

الفنون الشعبية :

كان العرب مولعون بالفنون منذ القدم. وقد ارتبطت هذه الفنون قبل الإسلام بالدين والعقيدة في الأغلب. وكانت الرقصات والأغاني تؤدى باعتبارها جزءاً من الطقوس الدينية. وعثر على الكثير من النقوش، التي تمثل مناظر الرقص والطرب ، وغيرها، على العمائر والتحف المنقولة، التي تعود للحضارات العربية قبل الإسلام، ومن أمثلتها لوحة تمثل منظر رقص عثر عليها في سفوح جبل مريبخ، الذي يقع غربي قرية الفاو. وتأثرت بذلك الفنون الإسلامية فيما بعد، فرأينا العديد من التحف الإسلامية، التي صورت عليها مناظر الرقص والمطربين، وغير ذلك، فنجدها على الخزف والخشب. وفي وقتنا الحاضر نحس أن الرقصات والأغاني الشعبية، ماهي إلا صدى لما عرفه العرب قبل الإسلام وبعده، مثل :

١- العرضة : وهي رقصة الحرب، ويؤديها صفان من الرجال يقفات متقابلين، وبينهما يقف حاملي الدفوف والطبول. وربما كانت العرضة تعني استعراض الجيوش قبل خروجها للقتال ، ومن ثم إلقاء بعض الأشعار والخطب الحماسية لشحذ همم المحاربين، ثم صارت من الرقصات التراثية، ويطلق على الشعر الذي يقال أثناء العرضة "حربيات" ، وقد أصبحت العرضة فيما بعد، رقصة النصر على الأعداء.

٢- الهجيني : هو غناء أرباب القوافل ، وقد عرف العرب السفر والترحال منذ القدم، عندما كانوا ينقلون تجارتهم بين جنوبي الجزيرة العربية وشماليها. وكانوا يقطعون المسافات الشاسعة بالغناء، وهو الفن الذي عرف بالحداء ، واستمر هذا الفن بعد الإسلام، فقد استقبل الأنصار الرسول، صلى الله عليه وسلم ، بعد وصوله إلى المدينة المنورة وهو ينشدون:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا مادعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة مرحبا يا خير داع

كما كان الصحابة رضوان الله عليهم ينشدون أثناء بنائهم مسجد قباء :

لاعيش إلا عيش الآخرة
اللهم فأرحم الأنصار والمهاجرة
(السهيلي ١٣٣٢، ٢/١٢).

وفي موقعة أحد كانت هند بنت عتبة ، تستحث جيش المشركين على الثبات في القتال قائلة:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق
مشى القطا النواتق
إن تقبلوا نعانق وإن تدبروا نفارق
فراق غير وامق
السهيلي ١٣٣٢، ٢/١٣٠).

كما ارتجل أحد الصحابة، الذين كانوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة، حداء يلتزم فيه بالتعاليم الإسلامية، ويعبر عن عقيدته فكان يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا
ولاتصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا

وعرف العرب، منذ القدم أيضاً، بعض الآلات الموسيقية، مثل الربابة والسمسمية والمزمار، وهناك صور للسمسمية في جبال عكمة بالعلا، ترجع الى فترة حكم اللحيانيين.

وقد ساعدت الأعمال الرائدة، التي أنجزها نخبة من الدارسين العرب، في مجال الدراسات اللغوية والحضارية والثقافية، من خلال خلخلة النصوص العربية القديمة، وفك طلاسمها، وإخراجها للباحثين، في فهم هذه الحقائق والوصول اليها، بعد أن كان هذا العلم حكراً على من يكتبون أو يقرأون بلغات أجنبية من المتخصصين في هذا الجانب، وبذلك لم يعد تراثنا حكراً للآخرين يفسرونه كيفما يشاءون، ليوافق توجهاتهم الثقافية والأيدلوجية.

أ. د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري : عضو مجلس الشورى.

المراجع :

أولاً : المراجع العربية :

الأزرقي ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ١٣٥٢ هـ **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، تحقيق رشدي ملحس ، المطبعة الماجدية.

الأنصاري ، عبد الرحمن الطيب ١٤٠٢ هـ **قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية**، جامعة الرياض ، الرياض.

الأنصاري ، عبد الرحمن الطيب وأحمد غزال ، جيفري وكنج ١٤٠٤ هـ **مواقع أثرية وصور من حضارة العرب في المملكة العربية السعودية العلا (ديدان) الحجر (مدائن صالح)** ، قسم الآثار والمتاحف - جامعة الملك سعود، الرياض.

أبو الحسن ، حسين بن علي ١٤١٨ هـ **قراءة لكتابات لحيانية من جبل عكمة بمنطقة العلا**، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض .

أبو درك ، حامد إبراهيم ١٤١٩هـ : **مقدمة عن آثار تيماء**، الطبعة الثانية، وكالة الآثار والمتاحف ، الرياض.

السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ١٣٣٢هـ : **الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام** ، مطبعة الجمالية ، مصر.

شافعي ، فريد ١٩٧٠م **العمارة العربية في مصر الإسلامية**، المجلد الأول ، عصر الولاة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

العش ، محمد أبو الفرج ١٤٠٤هـ **النقود العربية الإسلامية المحفوظة في متحف قطر الوطني** ، وزارة الإعلام، الدوحة، قطر.

الفاسي، هتون أجواد ١٤١٤ هـ **الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية في الفترة مابين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي** ، الرياض.

ابن الكلبي ، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب ١٣٤٣ هـ **كتاب الأصنام** تحقيق: أحمد زكي، الهيئة القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر .

محمد ، عبد الرحمن فهمي ١٩٦٥م **موسوعة النقود العربية وعلم النميات - فجر السكة العربية**، دار الكتب ، القاهرة ، مصر.

النعيم ، نورة علي عبد الله ١٤٢٠ هـ **التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير**، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض.

هيلي، جون ١٤٠٦ هـ "الأنباط ومدائن صالح"، **أطلال**، ١٠ : ١٣٥-١٤٤.

ثانياً : المراجع غير العربية :

Jussen. A. et Savignac. R, 1997 **Mission Archeologique en Arabie II EL-'ELA, D'HEGRA ATEIMA, Harrah de Tebouk.** Institut - LE CAIRE.

Lane-Poole, S, 1877 **The Coins of the Turkman Houes of Seljock. Urtuk, Zengee etc. in the British Museum**, London.

Nielsen, D, 1927 **Handbuch det Altarabischen Altertumskunde** Leipzig.

دراسة لمشغولات فنية من موقع الأخدود بنجران

حميد بن ابراهيم المزروع

ملخّص : يدرس هذا البحث ثلاث مشغولات فنية (لم تنشر من قبل) ، من موقع الأخدود الأثري في نجران. تجسد هذه المشغولات أشكالاً آدمية ، اثنين منها مصنوعان من البرونز ، والثالث من الحجر الجيري . وتركز الدراسة على تحليل المظاهر الأسلوبية لهذه الأعمال الفنية ، كما تحاول الوصول إلى بعض النتائج الأولية المتصلة ببعض المفاهيم والدلالات الحضارية ، التي قد تعكسها هذه الأعمال المتميزة، إضافة إلى الفترة الزمنية التي قد تنتمي إليها.

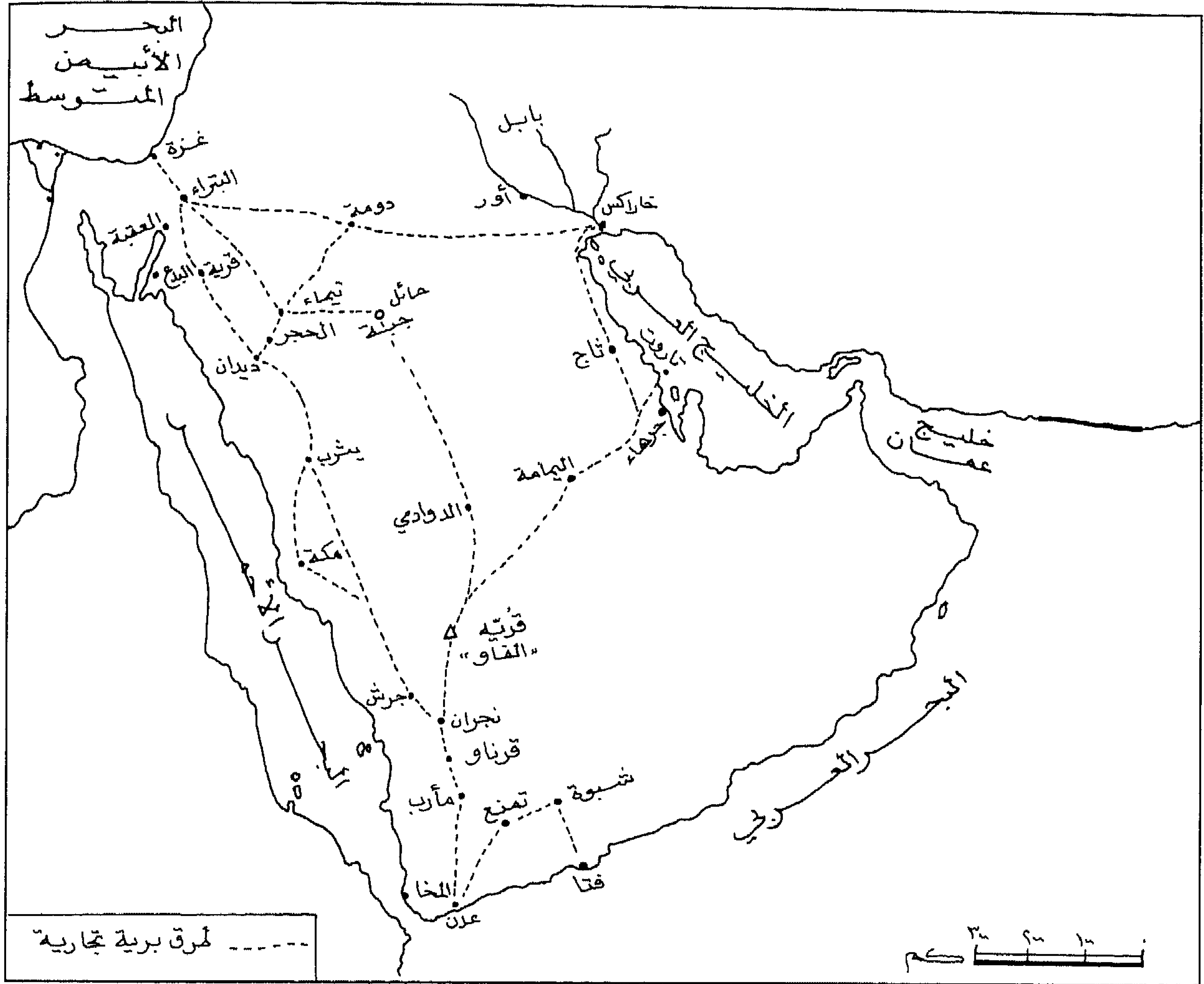
Abstract: *This study addresses three sculptural objects discovered in the archaeological site of al-Ukhdud in Najran. All three objects depict human figures; one of the three is made of limestone, and the other two of bronze. While concentrating on the analysis of the objects' stylistic features, the study also seeks certain preliminary conclusions pertaining to their date and cultural significance.*

يُعد موقع الأخدود، الذي يقع إلى الجنوب من وادي نجران، من المواقع الأثرية المهمة التي شهدت استيطاناً حضارياً مبكراً ، وتعود أهمية هذا الموقع، عبر التاريخ القديم للجزيرة العربية ، لعدة أسباب حيوية، لعل أبرزها : كونه يقع في وادي نجران حيث التربة الخصبة، والنشاط الزراعي، كما اكتسب أهمية اقتصادية متزايدة حيث أصبح محطة تجارية، على الطريق التجاري القديم (Groom 1981: 187-188)، الذي يربط الممالك العربية القديمة في اليمن السعيد، وتلك التي ظهرت في وسط وشمال الجزيرة العربية (خارطة ١).

ورد ذكر نجران في العديد من كتب الرحالة والمؤرخين، التي لايتسع المجال لذكرها (زارينس وآخرون ١٤٠١) ، إلا أن آخر الدراسات الأثرية (زارينس وآخرون ١٤٠٣)، تشير إلى أن موقع نجران الأثري يتكون من مساحة شبه مستطيلة، تبلغ حوالي ٢٣٥ متراً مربعاً ، ويحتوي على العديد من المعالم الأثرية، منها المنشآت المعمارية، وكذلك الأسوار المرتفعة، كما يشتمل الموقع على مجموعة من أنظمة الري القديمة، منها سد للتحكم بمياه الأمطار والسيول، يقع في أقصى الطرف الجنوبي للموقع ، إلى جانب مجموعة من الآبار. كما كشفت هذه الدراسات نفسها، عن أنماط الفخار المستخدم . ومن ناحية أخرى، توصلت هذه الدراسات إلى تحديد الفترة الزمنية ، التي شغلها الموقع، وقد امتدت بناء على نتائج تحليل الكربون المشع، من ٥٣٥ ق.م - ٢٣٥م، وهي فترة تزيد عن سبعة قرون.

لاشك أن موقعاً بهذا الحجم والعمق الحضاري، جدير بأن يكشف عن مشغولات فنية في غاية الأهمية، منها ماهو محل هذه الدراسة (١) ، وأخرى ربما ماتزال كامنة تنتظر الاكتشاف والدراسة. وتشتمل مادة الدراسة لهذا البحث على الآتي :

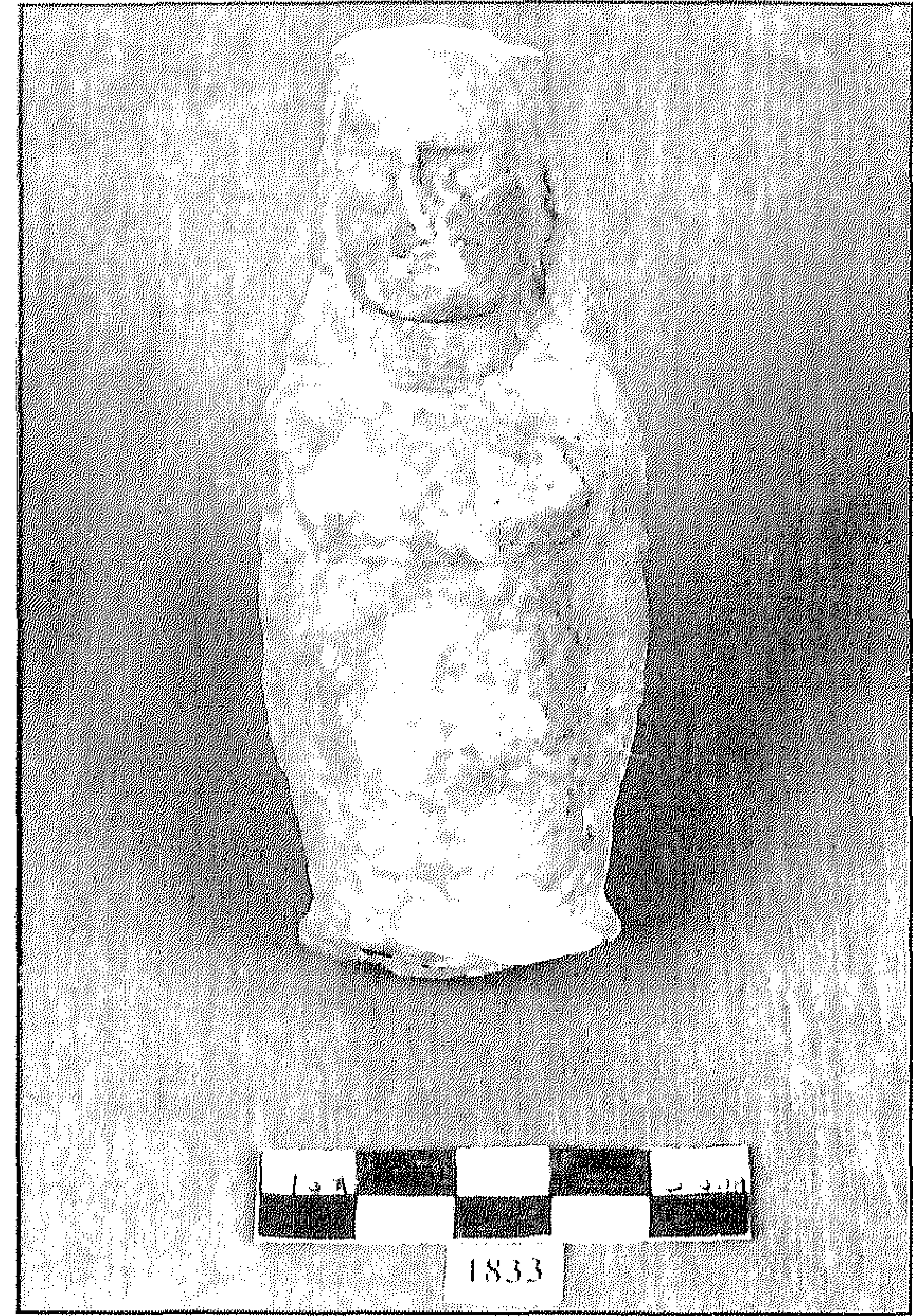
١- تمثال صغير من الحجر الجيري، مسجل لدى وكالة الآثار والمتاحف تحت رقم ١٨٣٣، ويبلغ ارتفاعه ١٠سم وعرضه ٤ سم، يمثل امرأة واقفة (لوحة ١)، الجزء الأسفل من التمثال مفقود، والأيدي مسدولة على



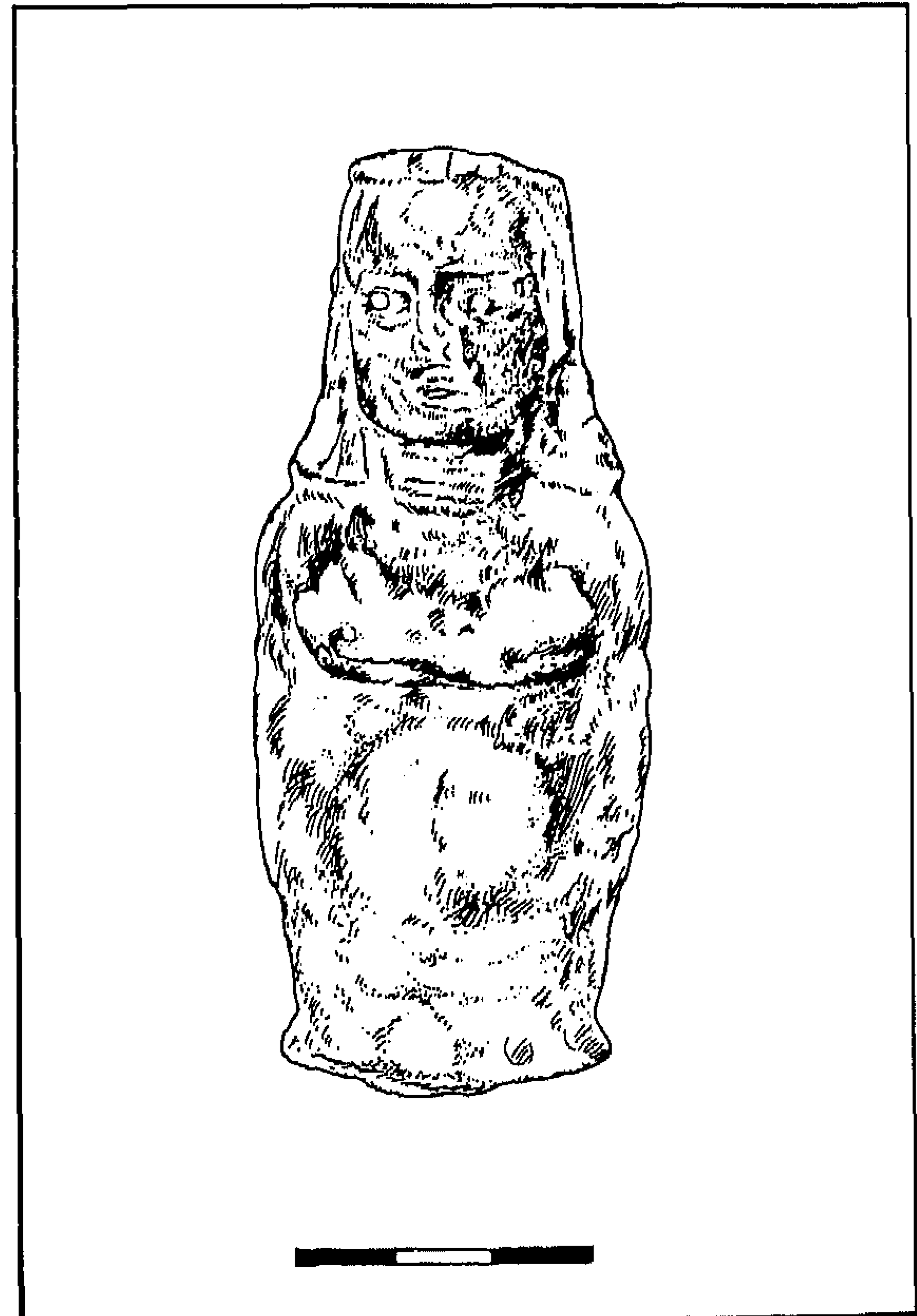
خارطة ١ : موقع نجران - الأخدود ، والطرق التجارية القديمة.

الجنبين موازية للجسم. وقد حرص الفنان على تفاصيل الرأس والوجه، حيث جسد الشعر على نحو قصير مسدول على الكتفين. ويبدو أن تفاصيل الشعر كانت مزينة بخطوط سوداء، تسير باتجاه الخطوط المحززة ، التي تمثل اتجاه تسريحة الشعر. أما تفاصيل الوجه، فتعكس بوضوح ملامح امرأة عربية، خاصة طريقة تصميم الأنف، الذي يلتقي مع الجبهة بشكل شبه مستقيم. أما العينان فصممتا وهما مفتوحتان، تنظران إلى الأمام ولهما شكل لوزي. ويتضح أن هذه المرأة تتقلد عقداً على الرقبة، حيث يوجد عليها ثلاثة حزوز متوازية. أما الرداء، وعلى الرغم من فقدان جزء التمثال السفلي الذي يمثل الأرجل، فيبدو كأنه رداء طويل ربما يصل الى القدمين. له أردان قصيرة . كما يظهر الحزام، الذي تتمنطق به المرأة في وسطها (شكل : ١).

وتشير الخصائص الأسلوبية لهذا التمثال ، إلى تحرر الفنان في نجران من تأثير المدارس الفنية التقليدية في الجنوب، التي تتميز بإنتاج تماثيل آدمية شكلها الخارجي شبه عامودي، يخضع أسلوب صناعتها -غالباً- إلى اتباع التصميم التخطيطي (Linear design). كما أنها من الناحية الأخرى، تكون مشطوفة الرأس في معظم الأحيان، في حين تصمم الأيدي وهي ممدودة الى الأمام (Pirenne 1977 : 357) . أما التمثال موضوع الدراسة، فينسجم في خطوطه الفنية العامة، مع المدارس الفنية الشمالية ، وكذلك تلك التي ظهرت في وسط الجزيرة العربية، وعلى وجه



لوحة ١ : تمثال من الحجر الجيري لامرأة واقفة.


شكل ١ : تفريغ لوحة (١).

التحديد قرية الفاو، خاصة فيما يتصل بالجوانب الفنية الآتية: نزعة الفنان إلى إنتاج أعمال فنية تميل إلى الواقعية، وضع الأيدي، وأخيراً طريقة تصفيف الشعر. ويذكر أسلوب صناعة هذا التمثال، وكذلك الشخصية المجسدة فيه، بتمثال امرأة ذات مكانة دينية أو اجتماعية عثر عليه في إحدى مقابر قرية الفاو (AL-Mazroo 1990)، حيث يتطابق التمثالان في معظم الملامح الفنية، وكذلك التفاصيل، مثل أدوات الحلي والزينة والشعر، وكذلك نوعية الخامة الحجرية المستخدمة. ولعل الاختلاف يكمن في عدم ظهور الحزام، الذي يتوسط الخصر على تمثال قرية الفاو.

كما يمكن أن يقارن التمثال محل الدراسة، مع تمثال آخر لامرأة واقفة عثر عليه في موقع يعرف باسم الضالع في اليمن (Pirenne 1986 : II.299-II.302). اذ يعكس الأخير أوجهاً فنية متطابقة مع تمثال نجران. ويظهر الاختلاف بينهما فقط في وضع الأيدي، حيث صممت في تمثال الضالع وهي ممدودة إلى الأمام، حسب الوضع التقليدي للتماثيل الجنوبية، في حين تظهر الأيدي لتمثال نجران وهي مسدولة على الجنبين. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الباحثة جاكلين بيرين، قد أرخت لتمثال في موقع الضالع بالقرون الأول الميلادية (Pirenne 1986 : II.299-II.302). ولاشك أن التمثال محل الدراسة، وتمثالا الفاو والضالع المشار اليهما في المقارنة، تنتمي كلها إلى المدرسة الفنية نفسها، الشمالية التوجه، وأن التباين الثانوي الظاهر عليها، المتمثل في كيفية وضع الأيدي واختفاء الحزام، إنما هو ناتج عن اختلاف الورش الفنية، التي أنتجت هذه الأعمال الفنية. مما سبق يمكن القول أن هذا التمثال ربما يؤرخ إلى القرنين الأول والثاني الميلاديين.

٢- تمثال نصفي لامرأة، مسجل لدى وكالة الآثار والمتاحف تحت رقم ١٨٣٦، ويبلغ ارتفاعه ٣,٥ سم (لوحة : ٢)، مصنوع من البرونز. صمم على الهيئة

الموضحة في (اللوحة : شكل: ٢). اليد اليمنى للتمثال مرفوعة إلى الأعلى، في حين تظهر اليد اليسرى، غير المكتملة، مضمومة إلى الجسم أسفل الصدر البارز المعالم . وقد حرص الفنان على الرأس ، خاصة تسريحة الشعر المنسدل على الجبهة، على شكل حزوز شبه مستقيمة. ويظهر على وسط الرأس مايبدو شريطاً لتزيين الشعر. أما الوجه، فعلى الرغم من عدم وضوح ملامحه، فمن المؤكد أنه يعكس ملامح أنثوية، لامرأة لها أنف صغير، ووجه شبه دائري (شكل : ٢).

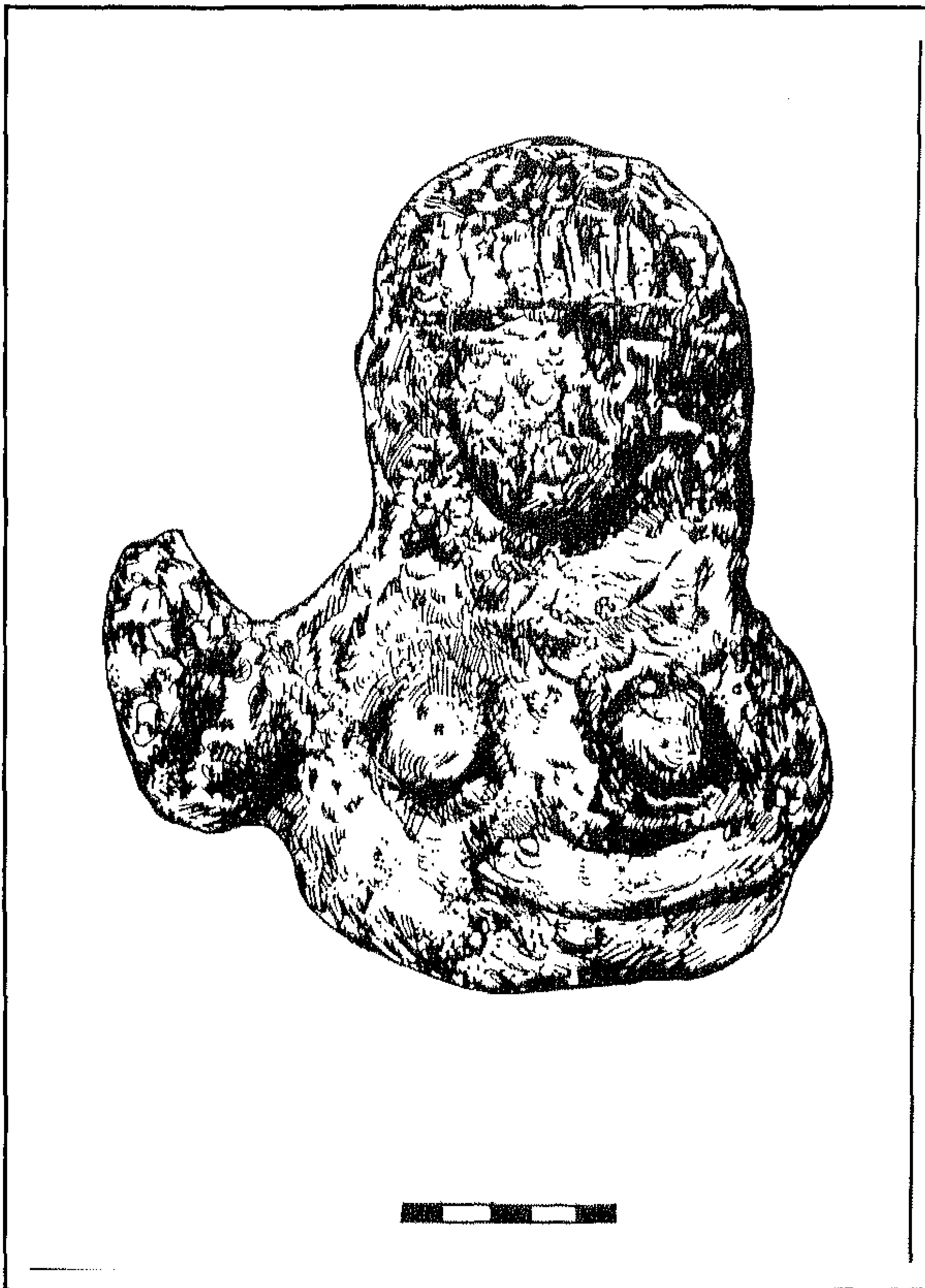
وتنسجم الملامح الأسلوبية لهذا العمل الفني، وعلى وجه التحديد كيفية وضع الأيدي، مع العديد من الأعمال الفنية العربية الجنوبية، التي منها ما اكتشف في مقبرة تمنع (Cleveland 1951: 49,51). وأخر في مواقع سبئية مختلفة في مأرب (Pirenne 1977 : I.441-I.449). ويتضح من كثافة تكرار ظهور كيفية هذا الوضع في الفنون العربية الجنوبية، بأنها أصبحت، من ناحية، سمة أسلوبية متأصلة تميز المدارس الفنية الجنوبية ، ومن ناحية أخرى، تجسد شخصية تعبدية، غالباً ما تظهر في الفنون الجنوبية، وهي تحمل رموزاً لها مدلولات دينية، مثل حزمة القمح في اليد اليسرى.

أما من الناحية التقنية ، فيعد هذا التمثال متطوراً نسبياً ، إذا تجاهلنا الطريقة البدائية التي صممت بها اليد اليسرى. ويبدو أن الفنان قد استخدم طريقة الشمع المذاب بعد تجهيز القالب ، الذي يتضح من طبيعة الشكل شبه الدائري للجذع من الأسفل، أنه كان قالباً مقفولاً، ومستدير الشكل.

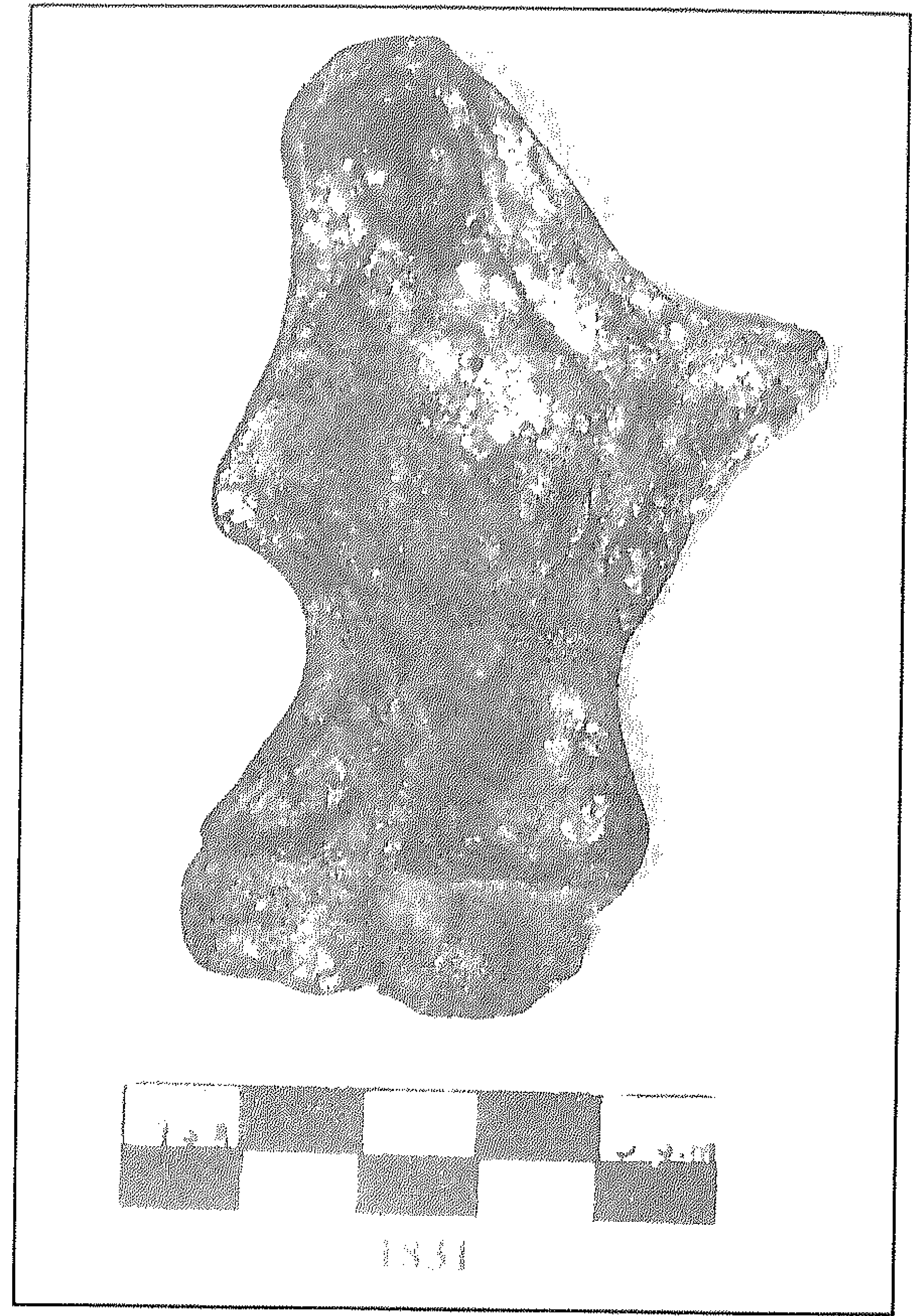
٣- تمثال برونزي ، مسجل لدى وكالة الآثار والمتاحف تحت رقم ١٨٣١، وتبلغ أطواله ٨ سم طولاً و ٥ سم عرضاً ، و ٠.٦ سم سماكة ، يمثل هذا التمثال شكل امرأة واقفة بصورة مائلة (لوحة : ٣). ترتدي عباءة



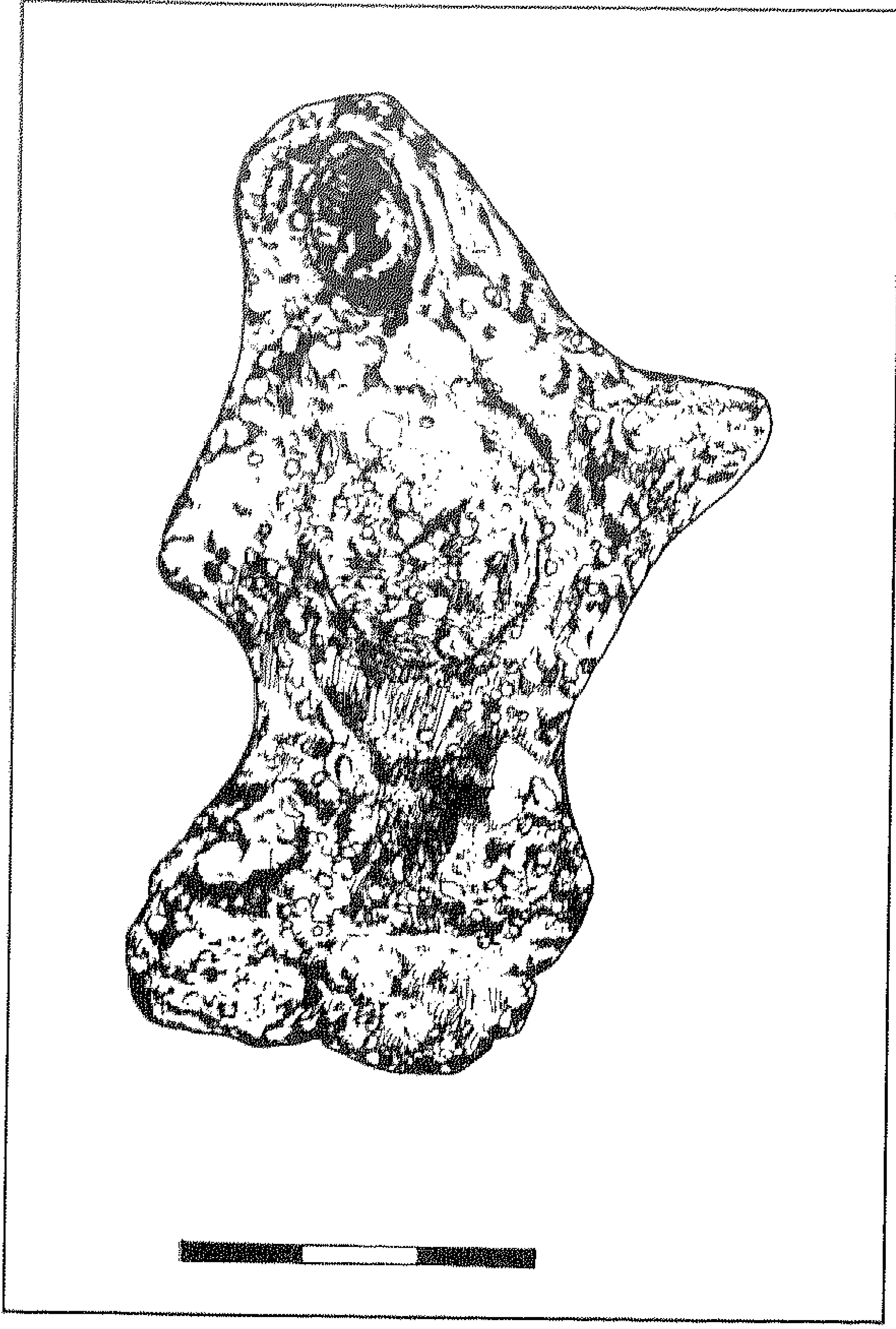
لوحة ٢ : تمثال نصفي من البرونز لامرأة.



شكل ٢ : تفريغ لوحة (٢).



لوحة ٣ : تمثال برونزي لامرأة (بشكل مائل).



شكل ٣ : تفريغ لوحة (٣).

طويلة وفضفاضة تغطي القدمين. وتحمل المرأة مايبدو دفاً في يدها اليسرى . أما الجزء الخلفي من التمثال فمسطح، مما يشير إلى أن هذه القطعة الفنية قد أنجزت بأسلوب القالب المفتوح، ثم الصب (شكل : ٣) .

ومن الواضح أن الخطوط الفنية العامة لصناعة هذا التمثال، تختلف اختلافاً جذرياً عن أسلوب صناعة التماثيل التقليدية ،السائدة في حضارات الممالك العربية الجنوبية، فقد تميز هذا التمثال، بتحرر الفنان في تشكيل كيفية الوقفة، التي تحاكي المدارس الفنية الشمالية، من حيث المرونة والواقعية. كما نجح الفنان في هذا العمل في تصوير مشهد احتفالي.

ولاشك أن المشغولات محل الدراسة، تشكل إضافات جديدة لرصيد معرفتنا عن أساليب الفنون الصغرى في نجران، فهي تؤكد، من ناحية، أهمية الدور الاقتصادي الذي لعبه نجران كمحطة تجارية تمثل عنق الزجاجة، كما تعكس مهارة الفنان العربي في هذه المنطقة، على استيعاب تقنية الصناعات المعدنية . وأخيراً يمكن القول أن القيمة الحضارية لهذه المشغولات، تكمن في أنها تقدم كنذور وهدايا (Votive Offering) للالهة المحلية. أما الفترة الزمنية التي تنتمي إليها، فإن أساليبها الفنية تنسجم إلى حد كبير مع أساليب الفنون الصغرى المتأخرة، في جنوب الجزيرة العربية، وكذلك في قرية الفاو، مما يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن هذه المشغولات، ربما تنتمي إلى الفترة الاستيطانية المتأخرة من موقع الأخدود، أي القرون الأولى الميلادية.

د. حميد بن ابراهيم المزروع : قسم الآثار والمتاحف -كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص.ب ٢٤٥٦ - الرياض ١١٤٥١ - المملكة العربية السعودية.

هامش :

١) يتقدم الباحث بخالص الشكر والعرفان لسعادة الأستاذ الدكتور / سعد الراشد ، وكيل وزارة المعارف للآثار والمتاحف، على إتاحة الفرصة لدراسة هذه القطع الفنية المحفوظة تحت الأرقام : ١٨٣١، ١٨٣٣، ١٨٣٦ .

المراجع :

أولاً : المراجع العربية :

زارينس، يوريس وعبد الجواد مراد وخالد اليعيش ١٤٠١ هـ "التقرير المبدئي الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية" **أطلال** ، ٥ : ٩-٢٦. إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية.

زارينس، يوريس وعبد الرحمن كباوي وعبد الجواد مراد وسيد رشاد ١٤٠٣ "تقرير مبدئي عن مسح وتنقيب نجران / الأخدود" **أطلال** ، ٧ : ٢١-٣٨ . إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية.

ثانياً : المراجع غير العربية :

Groom. N. 1981. **Fran kincense And Myrrh**. London. Longman.

Pirenne, J. 1977. Corpus des Inscriptions ET **Antiquites** Sud-Arabes. Peeters, Louvain.

Pirenne, J. 1986. Corpus des Inscription ET **Antiquites** Sud-Arabes. Peeters, Louvain.

AL-Mazroo, H. 1990 A stylistic and Comparative Study of Unpublished Pre-Islamic Stone Sculptures from Arabia. University College, London.

Cleveland. R. 1965 **An Ancient South Arabian Necropolis**. Objects from the Second Campaign (1951) in the Timna Cemetery. Baltimore: The John Hopkins press. PLS-49, 51.

درهمان من مسكوكات الدعوة العباسية

فرج الله أحمد يوسف

ملخّص : ارتبطت الدعوة العباسية ضد الخلافة الأموية بأبي مسلم الخراساني على الرغم من أنه لم يتول قيادتها إلا في سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٥م . وترجع بداية انطلاق الدعوة العباسية إلى سنة ١٠٠ هـ / ٧١٨م ، عندما أرسل محمد بن علي بن عبدالله بن عباس دعاته إلى العراق وخراسان. ويهدف هذا البحث إلى إثبات أن الدعوة قد أعلنت سنة ١٢٧هـ / ٧٤٥م، وليس سنة ١٢٩هـ / ٧٤٧م، كما جاء في المصادر التاريخية. كما يسلط الضوء على دور الدعاة العرب، الذين تولوا قيادة الدعوة العباسية طوال ثمانية وعشرين عاماً، قبل مجيء أبو مسلم ، ضربوا خلالها المسكوكات التي منها الدرهمان موضوع البحث.

ABSTRACT. The Abbasid movement against Umayyad Caliphs had been associated with Abu Moslem al-Khorasani, although he had not assumed a leadership role until 128 A H (745 AD). The Abbasid movement started in 100 A H (718 A D) when Mohammed bin Ali bin Abdullah bin Abbas had sent his supporters to Iraq and Khorasan. This paper aims to shed more light on the role played by the Arab advocates who led the Abbasid movement for twenty eight years. Of particular importance here is their minting coins, an activity under which the focus of this paper, the two Dirhams, falls.

بدأت الدعوة العباسية ضد الخلافة الأموية، عندما أرسل محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، الدعاة إلى العراق وخراسان سنة ١٠٠هـ / ٧١٨م. واستند العباسيون في مطالبتهم بالخلافة، على تنازل عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب، لمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس، عن حق العلويين في المطالبة بالخلافة، عندما قابله في الحميمة ، وقال له : "إن هذا الأمر الذي نطلبه ونسعى فيه فيك وفي ولدك. حدثني أبي أن علياً قال له : يابني لا تسفكوا دماءكم فيما لم يقدر لكم بعدي ، فإن الأمر كائن في بني عمكم من ولد عبد الله بن عباس" (مؤلف مجهول ١٩٧١: ١٨٦؛ ابن الأثير ١٩٨٣ : ٤/١٥٩). ويدور حول هذا التنازل رأيان يشكك في صحته أحدهما اعتماداً على أن مطالبة العلويين بالخلافة، لم تتوقف بتنازل عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب. فبعد وفاته سنة ٩٨هـ / ٧١٦م، خرج على الخلافة الأموية زيد بن علي العلوي سنة ١٢١هـ / ٧٣٨م، وابنه يحيى سنة ١٢٥هـ / ٧٤٢م، فضلاً عن حضور العباسيين الاجتماع الذي عقد في الأبواء سنة ١٢٧هـ / ٧٤٥م، وضم بني هاشم، عباسيين وعلويين، أختير فيه محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، "النفس الزكية" إماماً لبني هاشم، وخليفة بعد سقوط الخلافة الأموية (الطبري ١٩٧٩ : ٩/٨٠؛ ابن الأثير ١٩٨٣ : ٤/٣٨٠؛ الأصفهاني د.ت : ٢٧٠-٢٩٥؛ الليمل ١٩٩٠ : ٤٧-٤٩).

وأما الرأي الآخر فيؤيد صحة التنازل، مستنداً على ما كان يتناقله الناس من نبوءات، حول انتقال الخلافة، من بني أمية إلى بني العباس، مثال لذلك ما يروى عن خالد بن يزيد بن معاوية، في قوله للخليفة الوليد بن عبد الملك ، عندما سأله رأيه في سجن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب، لخشيته من خروجه عليه ، فرد خالد بن يزيد بقوله : "لست أخاف عليك



لوحة ١ : درهم ضرب مدينة جي سنة ١٢٧هـ ، محفوظ في إحدى المجموعات الخاصة ، لم ينشر من قبل.

الآن . ولكن عندما يقتل سميك (الخليفة الأموي الوليد بن يزيد)، وتظهر الرايات السود بالمشرق، فبؤساً لبني أمية عندما يزول الأمر عنهم". (مؤلف مجهول ١٩٧١ : ١٧٩) . ومن أدلة خوف بني أمية من العباسيين، أنهم كانوا يمنعونهم من زواج أي امرأة من بني الحارث، نظراً لما يروى أن الخلافة ستكون فيهم "لابن الحارثية". فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة استأذنه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس في زواج ابنة خاله ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله من بني الحارث ، فتزوجها فولدت له أبا العباس السفاح. (الأزدي ١٩٨٨ : ٧٢-٧٣).

ويستند هذا الرأي، أيضا، على ما حدث من أبي سلمة الخلال ، الذي عندما بلغه مقتل ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، في صفر سنة ١٣٢هـ / سبتمبر ٧٤٩م أراد تحويل الخلافة إلى العلويين. فبعث رسالتين إلى كل من جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (جعفر الصادق)، وعبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عبدالله المحض)، يدعو كليهما لتسلم الخلافة. فأحرق جعفر الصادق الرسالة دون أن يقرأها. ولكن الرسالة لاقت قبولاً لدى عبدالله المحض، فجاء إلى جعفر الصادق يشاوره في الأمر. فرد عليه جعفر الصادق مستنكراً : "أنت بعثت أبا مسلم إلى خراسان؟ وأنت أمرته بلبس السواد؟ وهؤلاء الذين قدموا العرق، أنت كنت سبب قدومهم، أو وجهت فيهم. وهل تعرف منهم أحداً ؟" فقال عبد الله المحض : "إنما يريد القوم ابني محمداً -النفس الزكية- لأنه مهدي الأمة". وفشلت خطة أبي سلمة وبويع أبو العباس السفاح بالخلافة. (مؤلف مجهول ١٩٧١ : ٣٢٧؛ الطبري ١٩٧٩ : ٨/١٥٣-١٣٦؛ ابن الأثير ١٩٨٣ :٤/ ٣١٠) أما القول باشتراك العباسيين في اجتماع الأبواء، ومبايعتهم لمحمد بن عبد الله (النفس الزكية)، فمردود عليه بأن الاجتماع عقد سنة ١٢٧هـ / ٧٤٥م، بعد سبعة وعشرين سنة من إرسال محد بن علي بن عبدالله بن عباس دعاته إلى العراق وخراسان. فلا يعقل أن يرضى العباسيون بعد كل ذلك، مبايعة محمد النفس الزكية.

وبعد سبعة وعشرين عاماً من الكفاح، استطاع الدعاة الذين أرسلهم محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، نشر الدعوة العباسية، التي تخفت وراء شعار الرضا عن آل محمد صلى الله عليه وسلم، وضرب

العباسيون المسكوكات، التي تحمل شعارات الدعوة العباسية ضد الخلافة الأموية، قبل أن يتولى أبو مسلم الخراساني قيادتها. ومن تلك المسكوكات درهمان : الأول منهما محفوظ في إحدى المجموعات الخاصة، ولم يسبق نشره من قبل، وهو من ضرب جي سنة ١٢٧هـ . (لوحة : ١) ونصوص كتاباته كما يلي :

الوجه : مركز: لا إله إلا

الله وحده

لاشريك له

هامش داخلي : بسم الله ضرب هذا الدرهم بجي سنة سبع وعشرين ومئة.

هامش خارجي : قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا.

الظهر: مركز: الله أحد الله

الصمد لم يلد

ولم يولد ولم يكن

له كفوا أحد

هامش : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

(شكل :١) الوزن : ٢.٨٧ جرام . القطر : ٢٢ مليمتر.

ويمتاز هذا الدرهم باكتمال الآية ٢٣ من سورة الشورى، إلى قوله تعالى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا" وأنفرد بذلك عن مسكوكات الدعوة العباسية ، التي نقشت عليها الآية كما يلي : "قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى" (يوسف ١٩٩٧ : ٤٣-٥٢).

أما الدرهم الثاني ، فهو أيضاً من ضرب جي سنة ١٢٧هـ (لوحة :٢، شكل :٢)، ونصوص كتابته كما يلي:

الوجه : مركز: لا إله إلا

الله وحده

لاشريك له

هامش داخلي : قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى.

هامش خارجي : بسم الله ضرب هذا الدرهم بجي سنة سبع وعشرين ومئة .

الظهر : مركز: الله أحد الله

الصمد لم يلد

ولم يولد ولم يكن



شكل ١ : تفريغ لوحة (١).

له كفوا أحد

هامش : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . (شكل : ٢) (Broome 1985: 21) .

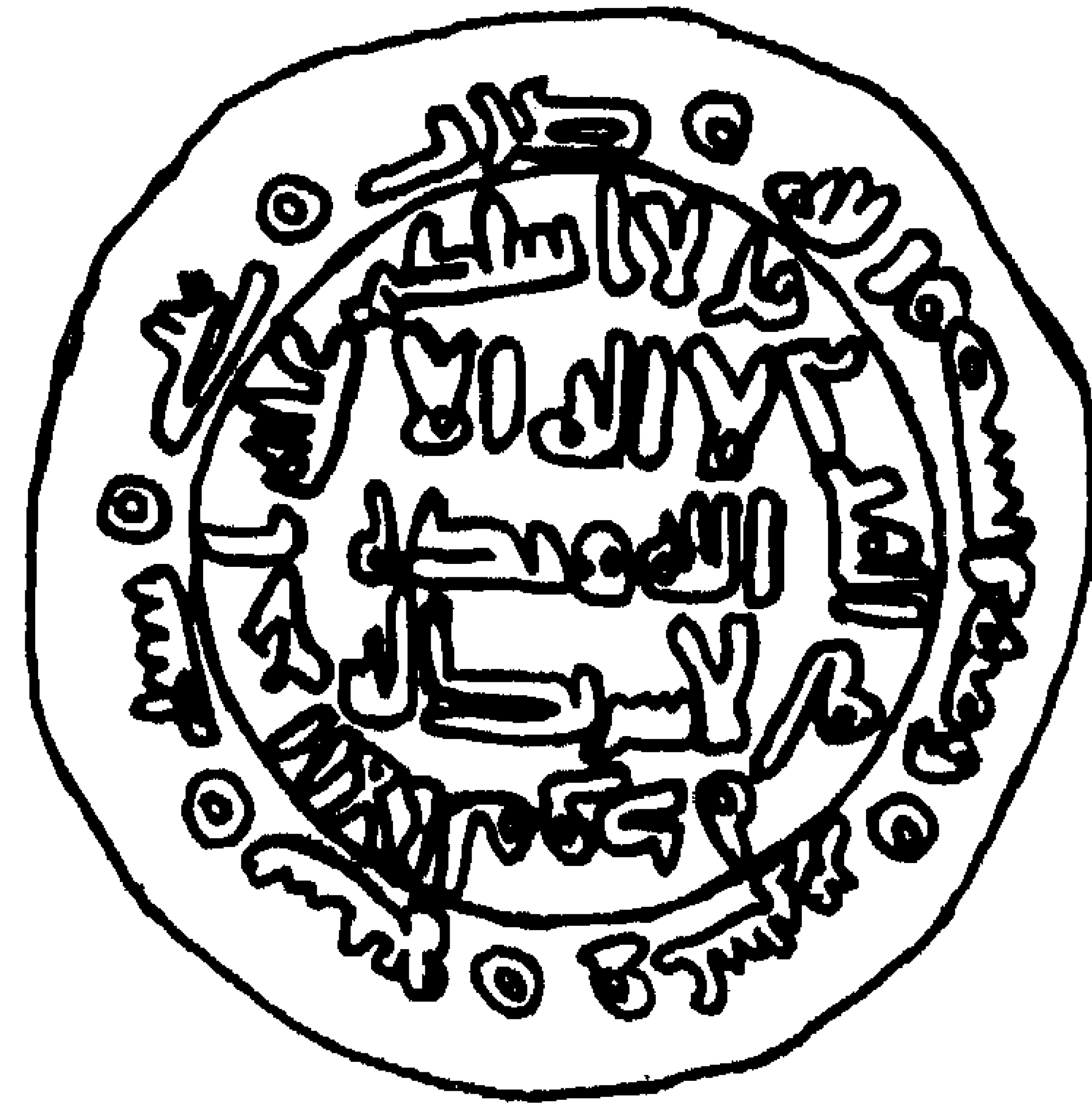
وأجمعت المصادر التاريخية، على أن الدعوة العباسية ظهرت إلى العلن سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٧م. فقد ذكر الطبري في أحداث تلك السنة : "وفي هذه السنة (سنة ١٢٩هـ) أمر ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس أبا مسلم، وقد شخص من خراسان يريده حتى بلغ قومس ، بالانصراف إلى شيعته بخراسان، وأمره بإظهار الدعوة والتسويد" (الطبري ١٩٧٩ : ٣٥٣/٧)، وكذلك يروي ابن الأثير أن الدعوة العباسية قد أعلنت بخراسان سنة ١٢٩هـ / ٧٤٧ م. (ابن الأثير ١٩٨٣ : ٢٩٩/٤)، ويذكر د. فاروق عمر في كتابه "طبيعة الدعوة العباسية"، أن الدعوة العباسية قد أعلنت في سنة ١٢٩هـ / ٧٤٧م : "وجاء أمر إبراهيم الإمام لأبي مسلم يدعوه إلى إخبار سليمان الخزاعي بضرورة إعلان الثورة، ثم وصل قحطبة الطائي ومعه علمين من ابراهيم الإمام: الأول الظل، ويرمز إلى أن الدعوة العباسية ستبقى بقاء الظل في هذه الأرض، والثاني السحاب، ويرمز إلى عالمية الدعوة حيث ستشمل كل العالم المعروف آنذاك، فكان إعلانها في ٢٥ رمضان ١٢٩هـ - حزيران ٧٤٧م، (عمر ١٩٨٧ : ١٧٣-١٧٤).

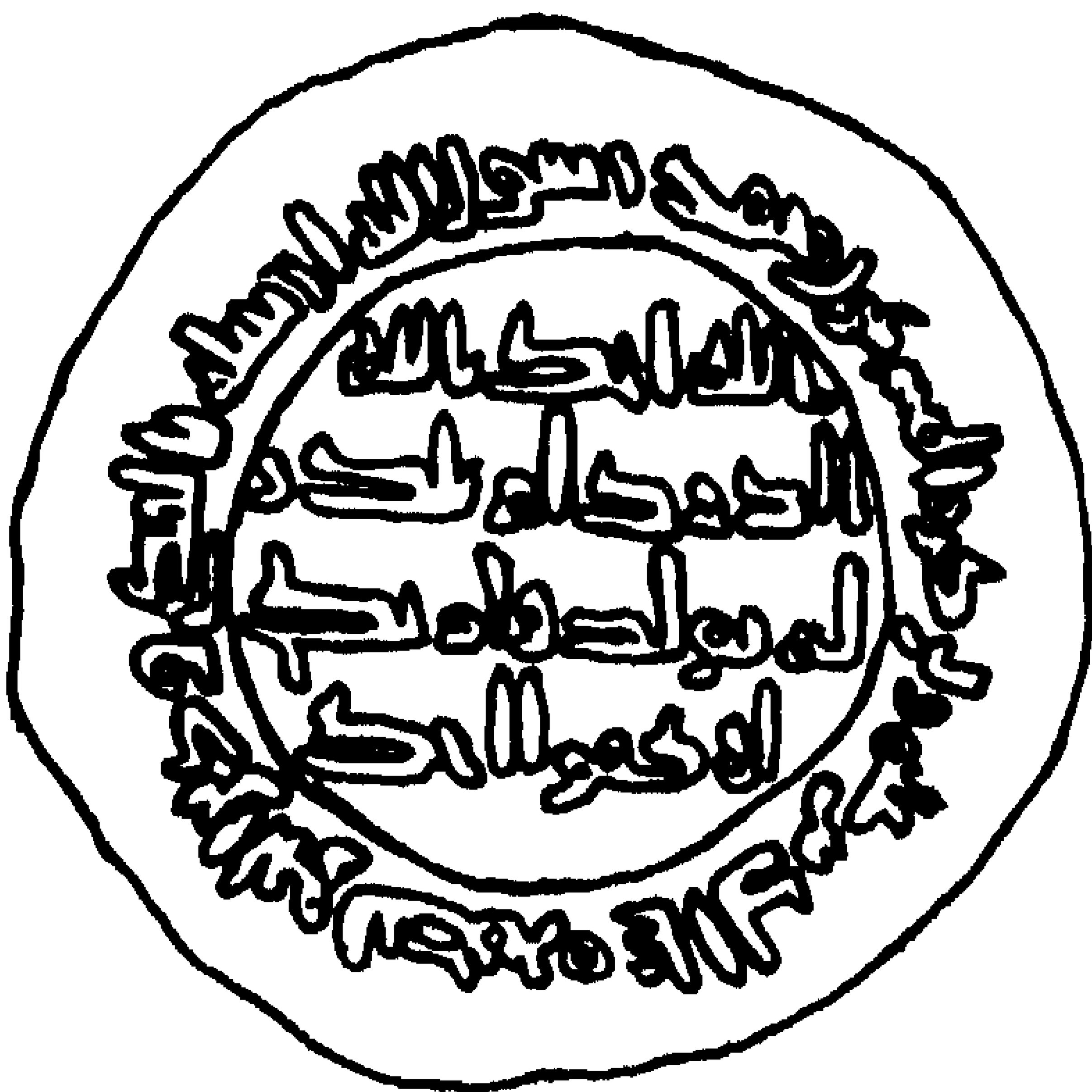
لكن تاريخ ضرب هذين الدرهمين، الذي يعود إلى سنة ١٢٧ هـ /٧٤٥م ، يدل على أن الدعوة العباسية قد أعلنت في السنة نفسها على أقل تقدير، إذ لايعقل أن تكون الدعوة العباسية مازالت سرية وتقوم بضرب مسكوكات تحمل شعاراتها !

وفي سنة ١٢٨هـ / ٧٤٦م، تولى أبو مسلم الخراساني قيادة الدعوة العباسية التي استمرت في ضرب المسكوكات على نمط الدرهم الثاني ، ومنها درهم ضرب جي سنة ١٢٨هـ ، (لوحة: ٢ ؛ شكل: ٣) ومحفوظ في إحدى المجموعات الخاصة، ولم يسبق نشره ، ونصوص كتاباته كما يلي :

الوجه : مركز: لا إله إلا
الله وحده
لاشريك له

هامش داخلي : قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى .





شكل ٢ : تفريغ لكتابات درهم ضرب مدينة جي سنة ١٢٧ هـ .(After Broom 1985)

هامش خارجي : بسم الله ضرب هذا الدرهم بجي سنة ثمان وعشرين ومئة.

الظهر : مركز : الله أحد الله
الصمد لم يلد و
لم يولد ولم يكن
له كفوا أحد

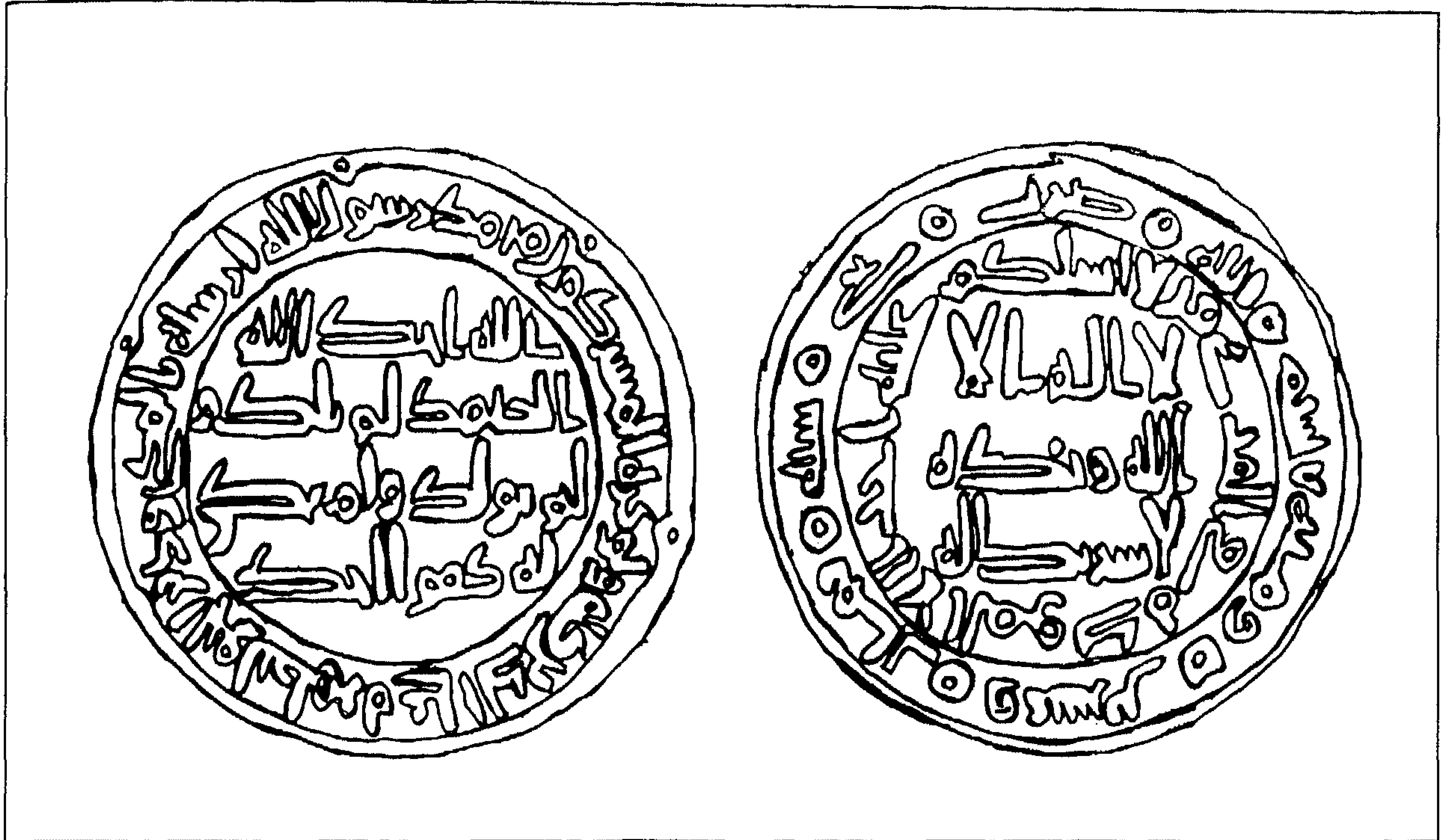
هامش : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. الوزن ٢،٨٠ جرام ، القطر : ٢٢ مليمتر.

واستمرت مسكوكات الدعوة العباسية تضرب في العديد من المدن مثل أصطخرن في سنتي ١٢٨، ١٢٩هـ، وبلخ في السنوات ١٣٠، ١٣١، ١٣٢ هـ، والتيمرة في سنتي ١٢٨، ١٢٩هـ، وجي في سنتي ١٢٨، ١٢٩هـ، ورامهرمز في سنة ١٢٨هـ، ومرو في سنة ١٣٢ هـ، حتى مبايعة أبي العباس السفاح بالخلافة في ربيع الأول سنة ١٣٢هـ / أكتوبر ٧٤٩م. (Lane-Poole 1874 : 35, 1875 : 33, Lavoix 1891 : 133-4, Miles 1938: 17, Wurtzal 1968 : 188).

واتخذت الدعوة العباسية من الآية ٢٣ من سورة الشورى : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً). شعاراً لها. وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير هذه الآية : لما نزلت سئل الرسول صلى الله عليه وسلم، من هؤلاء الذين تجب مودتهم فقال : علي وفاطمة وأبناؤهما". وقال في تفسير قوله تعالى : "ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً" أي من يكتسب المودة لآل محمد صلى الله عليه وسلم. (القرطبي ١٩٦٧ : ١٦/ ٢٤) ، وبذلك يتضح أن العباسيين استغلوا أو وجهوا أو وظفوا هذه الآية، على الرغم من أنها نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وفاطمة الزهراء، وأبناؤهما، رضي الله عنهم، لأنها تخدم دعوتهم التي كانت -حتى ذلك الوقت- تتخفى وراء شعار الرضا عن آل محمد صلى الله عليه وسلم. وظل العباسيون يرفعون هذه الآية بعد سقوط الخلافة الأموية ، فقد كانت من الآيات التي استشهد بها أبو العباس السفاح على أحقية العباسيين بالخلافة، في خطبته التي ألقاها بعد مبايعته بالخلافة بالكوفة، في ربيع الأول ١٣٢هـ / أكتوبر ٧٤٩م فقال:




لوحة ٢ : درهم ضرب مدينة جي سنة ١٢٨هـ ، محفوظ في إحدى المجموعات الخاصة ، لم ينشر من قبل.



شكل ٣ : تفريغ لوحة (٢).

"وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته، وأنشأنا من آبائه، وأنبتنا من شجرته وأنزل على أهل الإسلام كتاباً يتلى عليهم، فقال عز من قائل، فيما أنزل في محكم القرآن (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا، وأوجب عليهم حقنا ومودتنا .." (الطبري ١٩٧٩: ١٢٥/٩)، وظلت هذه الآية تكتب على المسكوكات العباسية حتى سنة ١٣٦هـ (Tornberg 1862: 8) .

وقد اسهم العرب بالنصيب الأوفر في نجاح الدعوة العباسية، التي اقتضت طبيعة الصراع أن يكون مركزها خراسان، لبعدها عن مركز الخلافة الأموية في الشام. وأخذت العبرة من الإخفاق المستمر والدائم للثورات العلوية، التي قامت في العراق ضد الأمويين، نتيجة لقرب العراق من مركز الخلافة الأموية في الشام. ومما يؤكد اعتماد الثورة العباسية على العرب، أن ثمانية من الدعاة الاثني عشر، الذين أرسلهم محمد بن علي بن عبدالله بن عباس منذ سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨م، كانوا عرباً والأربعة الباقين من موالي العرب. والدعاة هم : سليمان بن كثير، ومالك بن الهيثم ، وطلحة بن رزيق من خزاعة، وقحطبة بن شبيب الطائي من طيئ، وموسى بن كعب ،والقاسم بن مجاشع، ولاهز بن قريظ من بني تميم ، وأبو داود بن إبراهيم من بكر بن وائل، ومن موالي العرب : عمران بن إسماعيل أبو النجم مولى آل أبي معيط، وعمرو بن أعين مولى خزاعة، وعيسى بن أعين مولى خزاعة، وشبل بن طهمان أبو علي الهروي مولى بني حنيفة. (ابن الأثير ١٩٨٣: ١٥٩/٤).

واعتمدت الدعوة العباسية على القبائل العربية المنتمية إلى ربيعة، إضافة إلى القبائل اليمنية. ويروي ابن الأثير في أحداث سنة ١٠٢هـ/ ٧٢٠م، أن والي خراسان سعيد بن عبد العزيز بن الحرث بن الحكم (سعيد خذينة)، لما بلغه نشاط الدعاة استدعاهم "وقال لهم : من أنتم ؟ قالوا: أناس من التجار. قال : فما هذا الذي يحكى عنكم ؟ قالوا: لاندري قال : جئتم دعاة؟ قالوا : لنا في أنفسنا وتجارتنا شغل عن هذا فقال : من يعرف هؤلاء ؟ فجاء ناس من أهل خراسان أكثرهم من ربيعة واليمن فقالوا : نحن نعرفهم وهم علينا إن أتاك منهم شئ تكرهه. فخلى سبيلهم ".

وبعد وفاة محمد بن علي، استمر ابنه إبراهيم في موالاة ربيعة وقبائل اليمن . فقد أوصى ابراهيم أبا

مسلم الخراساني عندما اختاره لقيادة الدعوة العباسية بقوله : "انظر هذا الحي من اليمن، فالزمهم واسكن بين ظهرانيهم، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم .. وأما مضر فإنهم العدو القريب الدار". ولم تركن الدعوة العباسية إلى القبائل العربية المضرية، لأنها كانت الداعم الرئيس للخلافة الأموية (مؤلف مجهول ١٩٧١ : ٣٢٧؛ الطبري ١٩٧٩ : ٨/١٥٣-١٣٦؛ ابن الأثير ١٩٨٣ : ٨٢/٦) ونزل أبو مسلم الخراساني في قرية سيفذنج، التي كانت تسكنها قبيلة خزاعة، بعد وصوله إلى خراسان سنة ١٢٨هـ / ٧٤٦م. (الطبري ١٩٧٩ : ١٢٥/٩).

وقال أبو مسلم الخراساني : "أمرني الإمام (ابراهيم بن محمد بن علي) أن أنزل في أهل اليمن، وأتألف ربيعة ولا أدع نصيبي من صالحي مضر، وأحذر أكثرهم من اتباع بني أمية وأجمع إلى العجم" (عمر ١٩٨٧: ١٥٢). وكان أغلب جنود الدعوة العباسية من قبائل ربيعة واليمن. ويدل على ذلك ما روي عن حرص نصر بن سيار، على عدم إثارة العداوة معهم، حتى لايدفعهم إلى الانضمام الى الدعوة العباسية، ومن ذلك قوله لجنده : "انكم إن فعلتم ذلك خالفتكم أحياء اليمن، ورأوا أنكم تريدون هضمهم وإذلالهم، بدخولكم عليهم في منازلهم". وأشار أحد قادة نصر بن سيار إلى ضرورة عزل قبائل ربيعة واليمن عن تأييد الدعوة العباسية ومناصرتها بقوله : "وما أهون شوكة هؤلاء، إن كفت اليمن وربيعة " (عمر ١٩٨٧: ١٧٤).

وإذا كان المؤرخون قد سلطوا الضوء على دور أبي مسلم الخراساني، فإنهم أغفلوا الدور البارز والخطير، الذي قام به الدعاة العرب، أمثال سليمان بن كثير الخزاعي، ومالك بن الهيثم الخزاعي، ولاهز بن قريظ التميمي، إضافة إلى دور القائد العربي لجيوش الدعوة العباسية، وأحد الذين تولوا عبء الدعوة منذ انطلاقها في سنة ١٠٠هـ / ٧١٨م وهو الداعية والقائد، قحطبة بن شبيب الطائي، الذي بدأ فتوحاته من نيسابور في شعبان ١٣٠هـ / أبريل ٧٤٨م، ثم استولى على جرجان في ذي الحجة من السنة نفسها، واستطاع ضم قومس والري في صفر ١٣١هـ / سبتمبر ٧٤٨م، وساوة وأبهر ، وهمذان ، وقم ، وأصفهان ، ونهاوند، وشهرزور ، ثم توجه إلى العراق في ذي الحجة ١٣١ هـ / يوليو ٧٤٩م ففتح مدنه واستمر في قيادة جيوش الدعوة العباسية حتى وفاته في المحرم ١٣٢هـ أغسطس ٨٤٩م (مؤلف مجهول ١٩٧١ : ٣٢٧-٣٥٧، الطبري ١٩٧٩ : ٨/١٥٣-١٣٦.٩ / ٨٣ ؛ ابن الأثير ١٩٨٣ : ٤/ ٣١٠).

وفي الختام يتضح من دراسة نصوص هذين الدرهمين، أن الدعاة العرب قد ضربوا المسكوكات قبل مجئ أبي مسلم إلى خراسان، ومن ثم، فإن الدعوة العباسية قد أعلنت على أيديهم منذ سنة ١٢٧هـ / ٧٤٥م، ولم تعلن في سنة ١٢٩هـ / ٧٤٧م، كما ذكرت المصادر التاريخية، وأن دور الدعاة والقادة العرب في الدعوة والقتال لم يتوقف واستمر حتى قيام الخلافة العباسية، وإذا كان أبو مسلم الخراساني قد قدم خدمات جليلة للدعوة العباسية، فإن دوره لا يجب أن يحجب دور الدعاة العرب، الذين عملوا طوال اثنين وثلاثين عاماً متصلة، حتى أثمرت جهودهم في إسقاط حكم بني أمية، وقيام الخلافة العباسية.

د. فرج الله أحمد يوسف -ص.ب ٤٥٥٦ - الرياض ١١٤١٢- المملكة العربية السعودية
farajyousef@hotmail.com

المراجع

أولاً : المراجع العربية :

ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، **الكامل في التاريخ**، (الطبعة الرابعة). بيروت.

الأزدي، جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر بن الحسين بن غازي، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، **أخبار الدول المنقطعة - تاريخ الدولة العباسية**، (تحقيق : محمد مسفر الزهراني)، القاهرة.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين د.ت **مقاتل الطالبيين**، (تحقيق أحمد صقر) بيروت.

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، **تاريخ الأمم والملوك**، دار الفكر.

عمر، فاروق ، ١٩٨٧م، **طبيعة الدعوة العباسية ٩٨ هـ/٧١٦ م - ١٣٢هـ/٧٤٩م : دراسة تحليلية لواجهات الثورة العباسية وتفسيراتها**، مكتب دار الفكر العربي - بغداد.

القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري : ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، **الجامع لأحكام القرآن**، الطبعة الثالثة، القاهرة.

الميلم، عبد العزيز محمد ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠م، **العلاقات بين العلويين والعباسيين** ، الطبعة الأولى، بيروت.

مؤلف مجهول ، ١٩٧١م، **أخبار الدولة العباسية**، تحقيق عبد العزيز الدوري ، وعبد الجبار المطلبي، بيروت.

يوسف، فرج الله أحمد ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، دراسة مقارنة للآيات القرآنية على السكة الإسلامية في ضوء بعض المجموعات الخاصة، مخطوط رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة .

ثانياً : المراجع الأجنبية :

Broome, M. 1985. **A Handbook of Islamic Coins**. London.

Lane-Poole, S. 1874. **Catalogue of Collection of Oriental Coins - Coins of Amawi Khalifhs**, London.

Lane-Poole 1875. **Catalogue of Oriental Coins in the British Museum. (Coins of the Eastern Khaleeffs in the British Museum,** London.

Lavoix, H. 1891. **Catalogue des Monnaies Musulmanes des la Bibliotheque Nationle, Khalifes Orientaux**. Paris.

Miles, G. 1938. **The Numismatic History of Rayy.** The ANS, New York.

Tornberg, c.J. 1862. **Symbole ad rem Numariam Muhammedaorun.** Upsalle.

Wurtzal, C. 1968. **The Coinage of the Revolutionaries in the Late Ummayyad Period,** PP. 161-99, the ANS Museum Notes 23.

مؤتمرات وندوات علمية

المؤتمر الدولي الخامس عشر لجمعية آرام

الجهة المنظمة : جمعية آرام، جامعة أكسفورد
مكان الانعقاد : مدينة أكسفورد - انجلترا
تاريخ الانعقاد : ١٧-١٩ يوليو ٢٠٠٠م

عقدت جمعية آرام لدراسات بلاد الشام ووادي الرافدين ، مؤتمرها الدولي الخامس عشر، وكان موضوع المؤتمر هذا العام : "المياه في الشرق الأدنى، قبل العصر الحاضر". وعلى الرغم من أهمية الموضوع، إذتعد المياه من القضايا المهمة، في تاريخ حضارات الشرق الأدنى في مختلف العصور، إلا أن محدودية المشاركة، وطبيعة الأوراق، التي قدمت خلال جلسات المؤتمر ، لم تعكس تاريخ تقنيات المياه واستخداماتها في حضارات الشرق الأدنى ، وهو أمر سوف نعرض له، عند استعراض جانب من الأوراق المقدمة.

وقبل استعراض جلسات المؤتمر، والأوراق التي قدمت فيها، أود الإشارة الى عدة ملاحظات:

أولاً : محدودية المشاركة العربية في هذا المؤتمر، على الرغم من أهمية موضوعه، فقد تضمن البرنامج الأولي للمؤتمر ثلاث مشاركات عربية، من كل من لبنان والأردن والمملكة العربية السعودية. إلا أن اثنين من الباحثين العرب لم يتمكنوا من الحضور، وأصبحت المشاركة العربية الوحيدة في هذا المؤتمر، هي الورقة التي تقدم بها كاتب هذا التقرير.

ثانياً : وجود مشاركة كبيرة من الباحثين الإسرائيليين، حيث قدم ستة من الباحثين اليهود أوراقاً بحثية في جلسات المؤتمر، تركزت حول المياه في فلسطين على وجه الخصوص، وبلاد الشام بشكل عام.

ثالثاً : تقليص مدة المؤتمر من ثلاثة أيام، كما هو مقرر في برنامجه المعلن مسبقاً، إلى يومين، نظراً لاعتذار عدد من الباحثين، وعدم تمكنهم من الحضور.

إن محدودية الحضور العربي في هذا المؤتمر، في مقابل الحضور الكبير للباحثين الإسرائيليين، يثير عدداً من علامات الاستفهام، ربما يأتي في مقدمتها أسباب احجام الباحثين العرب عن حضور هذه المؤتمرات الدولية، ومن ثم غياب وجهة النظر العربية في القضايا المطروحة، التي تمس عمق تاريخنا الحضاري العربي، وترك الباب مفتوحاً أمام الباحثين الآخرين للخوض في قضايا تمسنا تاريخياً وحضارياً، وتطرح أفكاراً مسيسة وغير محايدة، بل إنها تطرح -في كثير من الأحيان- أفكاراً مغلوطة وبعيدة عن الحقيقة العلمية المجردة.

إن إحجام الأكاديميين والباحثين العرب، عن حضور المؤتمرات الدولية ذات العلاقة بتاريخ البلاد العربية وحضارتها، يجب أن تدرس أسبابه، لأن غياب وجهة النظر العربية، ينعكس سلباً على اتجاه الدراسات الآثارية والحضارية والتاريخية. لذا، فلابد أن تسعى المؤسسات الأكاديمية والبحثية في الوطن العربي، إلى الإسهام في رفع مستوى الحضور العربي في المؤتمرات الدولية المتخصصة .

عقدت خلال أيام المؤتمر ست جلسات عمل ، ألقي فيها عشرون بحثاً، ناقشت عدة جوانب من تاريخ المياه وتقنياتها واستخداماتها في الزراعة إضافة إلى نظم إدارة وتقنيات المياه وعلاقة ذلك بالاستيطان والمستوطنات في الشرق الأدنى القديم.

ومن الأوراق التي ألقيت، على سبيل المثال : أنظمة خزانات المياه في بلاد الشام ، وأنابيب المياه الحجرية، والمستوطنات الزراعية القديمة في بلاد الشام، وإدارة المياه في الحضارة الآشورية خلال الفترة من القرن

التاسع الى القرن السابع قبل الميلاد، وينابيع تدمر من خلال النقوش التدمرية. وقد ركزت هذه الأوراق على تاريخ وتقنيات المياه في بلاد الشام ووادي الرافدين، في العصور القديمة، إلا أن مايلاحظ على معظم الأوراق، التي تناولت بلاد الشام تركيزها على فترات محددة، مثل : الفترة الهلنسية والرومانية، وإغفال فترات حضارية مهمة، مثل الحضارات المحلية، التي سبقت دخول الاسكندر الأكبر الى بلاد الشام والعصور الإسلامية. وهذه انتقائية في طرح الأوراق، تعكسها هوية مقدميها.

وإضافة إلى الأوراق السابقة، ألقيت أربع أوراق عن تاريخ المياه وتقنياتها في الجزيرة العربية. تناولت الورقة الأولى "أصول نظام قنوات الري في مدينة العلا، بالمملكة العربية السعودية، في ضوء نقوش جبل عكمة". أما الورقة الثانية، فكان موضوعها "أحواض المياه ومنشآت الضخ في تقاليد إدارة المياه في الجزيرة العربية "، والموضوع الثالث تحدث عن "نظام الري في العصر البرونزي المبكر في شبه جزيرة عمان : أدلة من موقع هيلي". أما موضوع الورقة الرابعة، التي قدمها معد هذا التقرير فكان "نظام مائي فريد في وادي الشويحطية شمال الجزيرة العربية "، وقد درست الورقة مجموعة من الآبار المخفية (المطمورة)، التي كشف عنها في وادي الشويحطية، شمال مدينة سكاكا بالمملكة العربية السعودية. ويعد هذا النظام المكتشف أحد أنظمة المياه، التي استخدمها العرب في تأمين مصادر ثابتة ومخفية، في بعض مسارات طرق قوافل التجارة القديمة، و تعود أصول هذا النظام المائي، الى العصر النبطي.

ويُعد المؤتمر على الرغم من الملاحظات التي أبديناها، بداية للاهتمام بتاريخ المياه وتقنياتها في العصور القديمة في بلاد المشرق، حيث احتلت المياه حيزاً كبيراً في تاريخ الاستيطان والتحضر في الشرق الأدنى، خلال عصوره المختلفة، بل أن تقنيات استخراج المياه واستخداماتها وتخزينها، تعد من أبرز إنجازات حضارات الشرق الأدنى القديم.

د. خليل بن إبراهيم المعيقل

النـدوة العلمية الثانية لجمعية الآثاريين العرب

الجهة المنظمة : جمعية الآثاريين العرب
مكان الانعقاد : جامعة القاهرة ، مصر
تاريخ الانعقاد : ١١ - ١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠٠٠م

انعقد بمباني جامعة القاهرة، خلال الفترة من ١٥-١٧ شعبان ١٤٢١هـ ، الموافق١١-١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠٠٠م، الملتقى الثالث لجمعية الآثاريين العرب . وتنضوي الجمعية الوليدة تحت مظلة المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي، التابع لاتحاد الجامعات العربية. وتضم الجمعية في عضويتها نحواً من ثلاثمائة من الأكاديمين، العاملين في مجال علوم الآثار والمتاحف والترميم في مختلف الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في الوطن العربي. وقد سبق أن عقدت الجمعية لقاءين، كان أولهما تمهيدياً ، بينما شكل ثانيهما الندوة العلمية الأولى.

وقد سبق الإعداد لهذا اللقاء، تكوين لجنة علمية وأخرى تنظيمية، ضمت عدداً من الأساتذة للاضطلاع بالإعداد للمؤتمر . وقد خرج المؤتمر في صورة مشرفة للآثاريين العرب ، نالت استحسان المؤتمرين ورضائهم. وقد شارك في المؤتمر اثنان وتسعون باحثاً وأكاديمياً ، من عدد من الأقطار العربية، كان ترتيبهم حسب كثافة حضورهم : مصر، والأردن، والسعودية، والسودان، والجزائر ،وسوريا، واليمن، ولبنان، وتونس، والبحرين. كما سجلت جلسات الملتقى حضوراً مكثفاً، ضم إلى جانب المشاركين وأعضاء الجمعية، عدداً من طلاب

الدراسات العليا، وطلاب البكالوريوس، من مختلف الجامعات المصرية.

وبعد اكتمال إجراءات التسجيل، افتتح المؤتمر بآيات من الذكر الحكيم، ثم كلمات الترحيب والتقديم، من اتحاد الجامعات العربية ، والمجلس العربي للدراسات، ومقرر الجمعية، وأمينها العام.

وقسمت جلسات المؤتمر إلى ثلاثة محاور رئيسة هي : الآثار القديمة، والآثار الإسلامية، والترميم؛ وزعت على قاعتين : ضمت القاعة الأولى الآثار القديمة، وحوت القاعة الثانية الآثار الإسلامية والترميم. أما جلستا الافتتاح والختام، فقد عقدتا في قاعة مشتركة.

محور الآثار القديمة

ضم محور الآثار القديمة نحوستة وأربعين بحثاً، غطت مسيرة الحضارات القديمة، بدءاً من حقب ماقبل التاريخ، ثم حضارات الشرق الأدنى القديم والجزيرة العربية، وانتهاء بالفترة الكلاسيكية. وقد شملت هذه الأبحاث موضوعات في ثقافات ماقبل التاريخ، وفي اللغات القديمة، وفي مفهوم ودلالات الأسماء والرموز والنقوش والأختام. كما حوت أبحاثاً عن الطقوس الجنائزية وعادات الدفن، وأخرى في الأسطورة والسحر. كما تناولت موضوعات عن العبادات القديمة. وقدمت أبحاث عن العمارة، والمنشآت القديمة بشقيها؛ الديني والمدني ، إلى جانب موضوعات في الفنون القديمة، الثابتة والمنقولة.

محور الآثار الإسلامية

حوى محور الآثار الإسلامية إثنين وثلاثنين بحثاً، في آثار المشرق والمغرب الإسلامي، غطت الحقبة الإسلامية بوجه عام، وإن تركزت على الفترات المتأخرة (المملوكية - العثمانية). وقد تناولت هذه الأبحاث دراسات عن العملات الإسلامية ، والخزف الإسلامي ، إلى جانب الفنون والزخارف. وركزت الأبحاث في موضوعات العمارة الإسلامية، حيث تناولت العمارة الدينية والمدنية والمائية والعسكرية . وإن احتلت المساجد الحيز الأكبر منها.

محور الترميم

أما محور الترميم والصيانة، فقد اشتمل على أربعة عشر بحثاً، تناولت صيانة المباني الشاخصة، من معابد وقلاع وقباب، وصيانة المصنوعات وترميم المشغولات الخشبية والزجاجية والمعدنية. كما ناقشت بعض الأبحاث مناهج الصيانة والترميم ووسائلهما، والخواص الكيميائية الخاصة بالأثر، ومواد الترميم والصيانة .

وقدمت أبحاث في موضوعات أكثر شمولية، مثل تسلسل الأدوار والأطر الحضارية، ونقد مناهج العمل الآثاري، إلى جانب بحث في الآثار الغارقة .

إختتام الملتقى

أجاز المؤتمرون توصية سابقة، صادرة عن مجلس الإدارة، بتكريم الأستاذ الدكتور حسن الباشا ، أستاذ الآثار الإسلامية بجامعة القاهرة، على مساهماته في حقل -تخصص دراسة الفنون الإسلامية، وتأهيل الكوادر الأكاديمية في هذا الحقل - التخصص.

وأختتم الملتقى بلقاء عام، طرحت فيه التوصيات التي جرت مناقشتها، وإجازة بعضها، وتكليف مجلس الإدارة بالعمل بما جاء فيها. أعقب ذلك اجتماع مجلس الإدارة، ثم ودع المشاركون بذات الحفاوة والتكريم، اللذين استقبلوا بهما.

ملاحظات حول الملتقى

- كان الملتقى فرصة طيبة، أتاحت لمجموعة كبيرة من الآثاريين العرب، بمختلف تخصصاتهم اللقاء في بوتقة واحدة، ماكان لها أن تتوفر دون هذا المؤتمر. وكانت الفرصة سانحة للتعارف، وتبادل الآراء والخبرات، والإلمام بما يدور في مجال الدراسات

الآثارية، في مختلف أرجاء الوطن العربي.

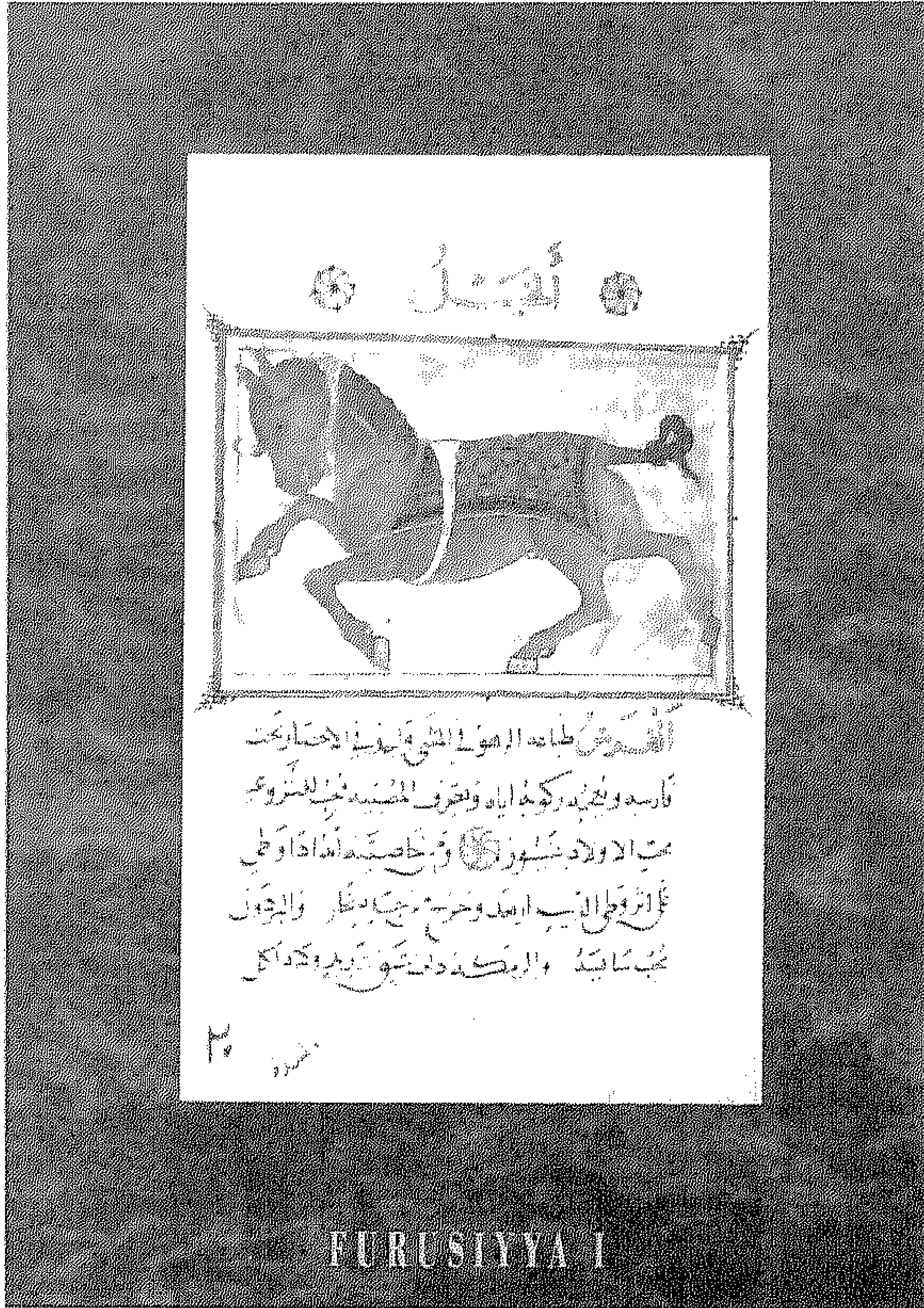
- مقارنة بلقاء العام المنصرم، شهد هذا الملتقى إقبالا أوسع وسط قاعدة الآثاريين العرب، حيث كانت المشاركة، سواء في تقديم الأبحاث أو حضور الجلسات، أكبر عدداً وأوسع مساحة.
- تركت اللجنة العلمية الباب مفتوحاً للمشاركين، للمساهمة كل بالموضوع الذي يطرحه، ولم تحدد موضوعاً محدداً تتناوله الأبحاث جميعها، كل من زاوية معينة، وهو ما درجت عليه المؤتمرات العلمية، ولعلنا نجد العذر لجمعية الآثاريين العرب، وهي تخطو خطواتها الأولى في هذا المجال، إلا أن جلساتها المقبلة لابد أن تنحى منحى التحديد، سواء في الموضوع، أو في زاوية معالجته.
- يلاحظ أن عدداً غير قليل من الأبحاث المقدمة، ركزت على أمور تقريرية، وابتعدت، في معظمها عن القضايا الجدلية الملحة، التي تطرح نفسها على بساط البحث، كقضايا تبلورت من واقع ما وصل إليه البحث في مختلف مجالات العمل الآثاري في الوطن العربي.
- فيما عدا بعض الأبحاث، التي قدمت في محور الترميم، وعدد قليل من المحاور الأخرى، يلاحظ أن الكثير من الأبحاث لم تستند على مادة أثرية مكتشفة حديثاً، ولم تطرح تقارير مبدئية ميدانية، لمسح آثاري، أو تنقيبات حقلية، وإنما استندت على مادة أثرية، أو فيلولوجية سابقة، تناولها الباحثون بإبداء بعض الملاحظات ووجهات النظر، وذلك أمر لاغبار عليه، غير أن المشارك يحتاج إلى الإلمام بآخر مايدور في مجاله في أرجاء الوطن العربي، وهو أحد الأهداف التي تعمل الجمعية على تحقيقها .
- ليس من شك أن الملتقى الرابع سيشهد خطوات إيجابية، وقفزة إلى الأمام نحو بلوغ غايات هذا الملتقى ، وبلوغ أهدافه.

د. عباس سيد أحمد محمد علي

عرض الكتب

اسم الكتاب : الفروسية (Furusiyya)
المحرر : د. ديفيد الإسكندر
الناشر : مكتبة الملك عبد العزيز العامة
سنة النشر : الطبعة الأولى ١٩٩٦م
رقم تسجيل النسخة الإنجليزية :
٧-٢٧-٦٢٤-٩٩٦٠ (المجلدان)
٥-٢٨-٦٢٤-٩٩٦٠ (المجلد الأول)
٣-٢٩-٦٢٤-٩٩٦٠ (المجلد الثاني)
عدد الصفحات : المجلد الأول ٢٤٨ صفحة
المجلد الثاني ٢٨٨ صفحة
مقاس الكتاب : ٢٧٥ × ٣٧٠ سم

عرض : د. عبد الله بن محمد الشارخ



تمثل الفروسية واحدة من أشهر الرياضات، التي عرفها العرب وأعظمها. ويعود تاريخها إلى بضعة آلاف سنة مضت. لأن الحصان هو العنصر الأساسي لهذه الرياضة. فقد بذل العربي جهداً كبيراً في سبيل التعرف على طبيعة حصانه، وكيفية التعامل معه، ومعرفة أحواله وطباعه، من خلال رعايته المستمرة، واعتباره أحد أفراد الأسرة. وبالمقابل، فإن الحصان العربي، الذي يتصف بصفات لا تتوفر في غيره من بني جنسه، كان كريماً على الدوام مع صاحبه، يفعل ما يريده منه، ويتحمل الكثير من العناء والجهد، دون تذمر أو خذلان لصاحبه، عند الكر والفر، والسراء والضراء. وقد ساعده كمال قوامه، وسرعة عدوه، على حوز ثقة فارسه. عرّف الفيروز آبادي الخيل في القاموس المحيط بأنها جماعة الأفراس، وجمعها أخيال وخيول. وعرف الحصان بأنه الفرس الذكر، أو الكريم المضنون بمائة (تحقيق مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ : ١٥٣٦، ١٢٨٨)

وقد قال الرسول، عليه الصلاة والسلام، "الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"، وكذلك قوله عليه السلام: "علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل". ومن هنا جاءت فكرة تكريم الحصان العربي، الذي يعد رمزاً من الرموز الحضارية، للأمتين العربية والإسلامية عبر العصور، من خلال هذا الإصدار القيم، الذي يعد رصيداً علمياً لمحبي الفروسية وتاريخها المجيد، في جزيرتنا العربية، وعملاً جاداً تفخر به المكتبة العربية.

يعد كتاب "الفروسية"، المكون من مجلدين ضخمين، الذي أصدرته مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، أحد أهم الإصدارات العلمية المتخصصة بالفروسية في الساحة العربية. وقد صدر باللغتين العربية والإنجليزية، شارك في تأليفه نخبة من المتخصصين، في مجالات الآثار والتاريخ والفروسية والمتاحف والتراث. كما امتدت المشاركة جغرافياً، لتشمل مناطق متعددة ومختلفة من العالمين العربي والإسلامي، وأمثلة من مناطق أخرى في العالم.

إن رعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن

عبد العزيز، ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء، ورئيس الحرس الوطني، ورئيس مجلس إدارة مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ورئيس الهيئة العليا للفروسية، بالمملكة العربية السعودية، لهذا المشروع الضخم، ومساندته له . بعد الدعامة الأساسية، التي ارتقت بمستوى المشاركة، وكذلك الإشراف المباشر من قبل صاحب السمو الأمير فيصل بن عبد الله بن محمد آل سعود، وكيل الحرس الوطني للقطاع الغربي، رئيس الاتحاد السعودي للفروسية والسهم، ورئيس اللجنة التنفيذية للمشروع، وصاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود، نائب الرئيس، اللذان كانا يعملان حثيثاً لتحويل الجهود المبذولة على كافة المستويات، إلى نتاج راق، استحق كتاب "الفروسية" بموجبه جائزة أفضل كتاب مطبوع في أوروبا لعام ٢٠٠٠م.

ولعلي قبل الولوج في استعراض هذا العمل الموسوعي ، الذي شارك فيه خيرة الباحثين السعوديين والعرب والأجانب، أذكر أن أعداد المساهمين في خروج هذا العمل إلى النور، هم أكثر من أن يحصيهم هذا العرض الموجز؛ فهناك اللجنة الأكاديمية، واللجنة الاستشارية، والمترجمون ، والمصممون، والعاملون على النسخة العربية، والمصورون ، وباحثو أرشيف الصور، والقانونيون، وكثير من الذين ساهموا في دعم هذا الإصدار بخبراتهم، من مختلف دول العالم. ولعله من الإنصاف الإشارة إلى الدور الوطني الفاعل، الذي قام به منسوبو مكتبة الملك عبد العزيز العامة، وعلى رأسهم الأستاذ فيصل المعمر، المشرف العام على المكتبة، في سبيل تهيئة كافة الظروف لخدمة هذا الإصدار القيم.

وقد رافق حفل تدشين هذا الإصدار القيم، معرض مصاحب أقيم في مكتبة الملك عبد العزيز العامة، بمركز الملك عبد العزيز التاريخي بالرياض، افتتحه صاحب السمو الأمير فيصل بن عبدالله بن محمد آل سعود. وفيه عرضت أفضل مجموعات القطع الأثرية المرتبطة بالخيل والفروسية؛ وكذلك الأعمال الفنية الحديثة والقديمة على كافة المواد الطبيعية. وقد تميز المعرض بالأصالة والمستوى الرفيع، في عرض المقتنيات المتحفية الأصلية، بأسلوب رفيع ينم عن حس فني، وخبرة كبيرة في إقامة المعارض العالمية. كما عرض أمام بوابة المعرض نموذج برونزي ضخم، يحمل شعار هذا الإصدار، المنشور في الصفحة الرابعة من المجلد الأول، ويمثل رأس حصان على قرص دائري ضخم، في أعلاه حمامة ترمز للسلام. وقد نفذ هذا النموذج الفنان ضياء عزيز ضياء.

وعنوان المجلد الأول من هذا الإصدار: "الحصان في فنون الشرق الأدنى". وقد رأس تحريره الدكتور ديفيد الإسكندر.

اشتمل هذا المجلد على اثنين وثلاثين بحثاً . في مختلف الفنون ، والإسلامية منها على وجه الخصوص. ويشتمل المجلد على العديد من المشاركات العلمية القيمة، التي تبحث في جوانب عديدة من رياضة الفروسية، بما في ذلك مستلزمات اللباس والعتاد والدروع، التي تعد أساسية لحماية الحصان، عند المواجهات والهجمات العسكرية، التي تشكل مصدر خطر للفارس والفرس. كما تناول العربات التي تجرها الخيول. وقد تميزت النماذج والأمثلة المعروضة، في عدد من الأبحاث بصناعتها الفاخرة، وهيئتها الملكية، وزخارفها الراقية، سواء تلك التي بقيت أمثلة منها حتى وقتنا الحاضر، مثل العربة الذهبية للملك "توت عنخ آمون" . وما يعرف بإسم "غنيمة الشويندي" العثمانية الأصل والصناعة، التي قدمها القائد العسكري النمساوي "شويندي"، إلى الأرشيدوق فرديناند، كأحد الغنائم الحربية التي حصل عليها في قتاله ضد العثمانيين. وهي تشتمل على سرج مخملي فاخر، وسيف مطعم بالذهب والجواهر، وكلاهما يظهران عناية العثمانيين بالحصان ، من ناحية، ومستوى الصناعة، الذي وصلوا إليه فيما يخص الجوانب المرتبطة برياضة الفروسية، وتأهيل الخيول لخوض الحروب، وتحمل الجهد الجسمي لفترة طويلة دون أن يخذل الحصان فارسه في المواقف الحرجة والعصيبة .

من ناحية أخرى.

وهناك أمثلة كثيرة على الرسومات الصخرية التي تعود لعصور ما قبل التاريخ في المملكة العربية السعودية، التي تظهر الحصان كوسيلة لصيد الحيوانات البرية، وخوض الحروب . ففيها يظهر الفارس ممتطياً صهوة جواده، شاهراً سيفه في وجه خصومه، أو موجهاً رمحه نحو فريسته. وقد أظهرت بعض هذه الرسومات الصخرية، الفارس العربي ممتطياً جواده دونما سرج أو غيره، بينما أظهرت أخرى الحصان بكامل لباسه، من سرج وعتاد. وقد وجد العديد من الأمثلة في موقع بئر حما، بالقرب من نجران، وموقع جبة ، بالقرب من حائل. وكذلك منها ما وجد في منطقة تبوك، بالمملكة العربية السعودية، التي تعد غنية بالرسومات المصورة لعلاقة العربي بالحصان، ومدى اعتماده عليه في كافة شؤونه اليومية.

وهناك أيضاً الرسوم الجدارية ، مثل تلك التي وجدت عليها أمثلة عدة من موقع الفاو، وجزيرة صقلية بإيطاليا. ثم الأعمال الفنية المنحوتة، كتلك التي تعود للحضارة الآشورية، ويصور أحدها الملك "آشورنصربال الثاني" ، وهو يهاجم أعداءه على ظهر عربة تجرها مجموعة من الأحصنة، التي تظهر عليها عدة اللباس الخاصة بها، من سرج وأربطة مختلفة الطرز والزخرفة.

كما اشتمل المجلد الأول على العديد من البحوث ، التي تتناول ذكر الخيل في المصادر المخطوطة. وهذه تكمن أهميتها العلمية في أن بعضها يحوي رسومات قيمة، تشرح بعض القضايا المرتبطة بترويض الخيول وتدريبها، مثل كتاب الفروسية والبيطرة لابن أخي حزام، الذي كتب في أوائل العصر العباسي. ويحتوي المخطوط على العديد من الأشكال، التي تبين كيفية تدريب الخيل الأصيلة والمهجنة. كما يشتمل الكتاب على قسم خاص بأمراض الخيول، وكيفية مداواتها من الأمراض التي تصيبها عادة. كما استعرض أحد الأبحاث الأعمال المخطوطة، المرتبطة بالفروسية في الفترة المملوكية ، التي ضمت رسومات بديعة ، تتناول جوانب متعددة من التدرب على القتال بالسيف ، والرمي بالسهم، واستخدام الرمح. كما عرضت مخطوطتان من كتاب منافع الحيوان لابن بختيشو، الذي اختيرت صورة غلاف المجلد الأول منه ، وهي رسم لحصان يمشي في تؤدة واعتزاز، وهو في أبهى حلة. وأخرى من كتاب البيطرة، الذي يتضمن معلومات جمة عن الأعراض التي تصيب الخيول، وموقعها من الجسم. وقد تضمن المخطوط رسومات مفصلة، تبين مواضع الألم لكل جزء من جسم الحيوان. واشتملت مخطوطات فارسية عدة، على معلومات قيمة عن الحصان، كما تضمنت رسومات غاية في الدقة والجمال ، تعبر عن مشاهد من الحياة اليومية ، مثل الصيد. ومن هذه المخطوطات ، مخطوطة فرس – نامة، التي اشتملت على رسومات جميلة وملونة، تبين طباع الحصان وخصائصه الجسمية.

وقد تناول أحد الأبحاث، المخطوط المعروف باسم مخطوط عباس باشا، الذي قدم بحثاً موسعاً حول أصل الحصان العربي، من خلال إيفاد مبعوثين لجمع معلومات من قبائل الجزيرة العربية، التي تملك خيولاً أصيلة، ذات نسب معروف. وقد ساعدت العلاقة الوطيدة بين عباس باشا، والإمام فيصل بن تركي، جد الملك عبد العزيز، يرحمهم الله، في تسهيل مهمة مبعوثي عباس باشا، في الحصول على جياد معروفة النسب والأصل.

وقد اشتمل بحث فريد على معلومات عن تدريب الحصان وتعليمه، كتبت بالخط المسماري على رقم طينية، تعرف باسم "رقم الكوكيلي" . وقد تضمن البحث وصفاً دقيقاً للخطوات، التي ينبغي اتباعها لتهيئة الحصان للمهام المطلوبة منه.

وتناول بحث آخر تطور سلاح الفرسان في العصور الإسلامية، حيث أشار الباحث إلى ندرة الخيل في عصر الرسول ، عليه الصلاة والسلام، ثم شيوع استخدامها بشكل أوسع، مع توسع الفتوحات الإسلامية.

ركز أحد الأبحاث على استخدام الحصان، كعنصر زخرفي في النحت على المعادن الإسلامية. وفيه أظهر النحات براعة في إبراز تفاصيل دقيقة على الأواني

والقطع المعدنية؛ فيما تناول باحث آخر الحصان على العملات الإسلامية، وهو أمر يمثل تأثراً بالحضارات المتداخلة مع الحضارة الإسلامية.

كما استعرض بحثان آخرين، تماثيل الخيل المصنوعة من الخشب أو الطين، التي وجدت في أفريقيا ، وآخر استعرض وجود الحصان في أفريقيا، وتضمن استعراضاً لعدد من الأسرجة الجلدية الأفريقية.

المجلد الثاني

يحمل المجلد الثاني من كتاب الفروسية عنوان "الكاتالوج" ، حرره الدكتور ديفيد الاسكندر، احتوى هذا المجلد على سبعة فصول ، يمثل كل فصل منها مبحثاً مطولاً حول موضوع ذا علاقة بالحصان، في السجلات الآثارية والتاريخية، وراوحت صفحات كل مبحث على ما بين عشرين إلى ستين صفحة تقريباً.

وقد اشتمل كل مبحث على دراسة حول موضوع محدد، يعقبه استعراض وصفي موثق لقطع أثرية، أو رسومات ، أو مخطوطات، لها علاقة مباشرة بالموضوع، الذي جرى استعراضه أولاً.

وأما عناوين المباحث السبعة التي اشتمل عليها هذا المجلد فهي مايلي:

أولاً : استئناس الحصان وعصر العربة:

يستعرض هذا المبحث بداية استئناس الإنسان للخيل ، وتعود إلى حوالي ستة آلاف سنة مضت، ويعتقد أنه تم في منطقة البحر الأسود، من قبل البدو الرحل. بعد ذلك أدركت المجتمعات المستقرة، في منطقة بلاد الرافدين، قيمة الحصان، فاستفادت منه في العديد من أمور الحياة اليومية. ومن الاستخدامات العديدة للحصان، عملية جر العربات، التي تخفف عبئاً كبيراً عن التاجر أو المزارع في ذلك الزمن ، مما يسهل نقل البضائع والمحاصيل، وتفعيل التبادل التجاري في إطار جغرافي واسع، بين القرى والمدن. وقد عرفت المجتمعات البشرية، في منطقة الشرق الأدنى القديم، الحصان واستفادت منه في أمور الحياة اليومية المختلفة.

وتدل على ذلك آثارهم المادية، والأعمال الفنية المحفورة والمرسومة، وكتاباتهم.

تناول هذا المبحث، أيضاً، استخدام الخيل وأهميته في بلاد الرافدين ، ومصر، وإيران ، وقبرص، والجزيرة العربية. وقد ألحق بهذا الجزء، وصف علمي مفصل لمجموعة من القطع، والبقايا الآثارية المتنوعة، التي تصور علاقة الإنسان بالخيل، لدى العديد من المجتمعات القديمة.

ثانياً : الحصان في المعركة:

يستعرض هذا المبحث الدور الحيوي للحصان، في الجوانب العسكرية، عبر كافة العصور، حيث ساهم في ترجيح كفة الفرق المتحاربة، لما له من قدرات جسمية، ومرونة عالية في المناورة الميدانية. وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ...) ، (الأنفال، الآية ٦٠). ولأهمية دوره في وقت الحرب، حرصت الشعوب على تهيئته بالشكل المناسب، لحمايته من الإصابات ، التي قد تودي بحياة فارسه. لذا، صنعت له ألبسة ودروع واقية، تتلاءم مع طبيعة دوره الميداني، وتتناسب مع مكانة الفارس، الذي يركبه. ومن الشعوب التي عرفت استخدام الحصان في الحروب، على سبيل المثال لا الحصر، الآشوريين، والسكيثيون ، والصينيون، والفرس ، والعرب، قبل الإسلام وبعده، والمغول، والساسانيون، وغيرهم. وعلى الرغم من استخدام العرب للحصان في الحرب ، قبل الإسلام وبعده، لم يصلنا الشئ الكثير من آثارهم. وقد أعقب هذا المبحث، استعراض لمجموعة من القطع والبقايا الآثارية، التي تبين دور الخيل في الحروب، أو قطع تمثل بقايا من الألبسة التي تستخدم للخيل، عند بعض المجتمعات البشرية القديمة. كما تشتمل المجموعة على قطع وحلي وأدوات، فيها تصوير للخيل في ميدان القتال. وقد عرضت في هذا الجزء مخطوطات تعود للعصر السلجوقي ، تظهر فيها مشاهد قتال حربية، تصور مشاهد معركة. وهناك العديد من الأمثلة على مستوى وجودة

الصناعـــة للبـاس الذي يـرتديه الحـصـــان في المنازلات الحـربية، وبعـضهـا يعد فـريداً في مـسـتـوى صناعتـه وفـخامـتـه ، كالسـيـوف ، والدروع، والأسـرجة، والخـوذ، وغيرها.

ثالثـاً : الصـيـد ورياضـة البـولو والرمـي بالنبـال (السهام):

الصيد من أقـدم النشاطات البشرية، التي عـرفها الإنسان ، وتكون ، غالباً، مصدراً أساسياً للحصول على الغـذاء الكافي. وقـد ساعـد استئناس الحـصـان على الإستـفادة منه في نشـاطات الصيد ذاتهـا، لما يمتلكه من قـدرات بدنيـة، تجـعله قـادراً على اللحـاق بالطريدة والتـمـكن منهـا. وقـد صــورت العـديد من الـلوحـات الجدارية، رحـلات الصيد التي يـقوم بها الملوك ، خـاصة صيد الحيوانات المفترسة، مثل الأسود، والنمور، وغيرها . كـما ظهـرت رياضـة الصـيـد هذه عند الـسـاسـانيين، والبيزنطيين، وغيرهم.

كـما أن رياضـة الصـيد بالنبل، تـعد من الرياضـات القـديمة، لما لهـا من ارتبـاط مـبكر بصـيد الحـيـوانات . وتشـيـر النقـوش الساميـة المبكرة، إلى أن الأدومـيين، سموا مـعبود الحرب باسم "قـوس"، وهو الاسم العربي المعـروف، لهذه الأداة الحـربيـة. وقد أظـهرت المنحـوتات الآشـورية، مناظر قـتـال بين الآشـوريين وعـرب البـادية، الذين كانوا يركـبون الجمـال ، ويستخدمـون القوس في الدفاع عن أنفسـهم. كـمـا عرف عن القبائل الرحل في أواسـط آسيـا، استخدامـهم للقوس بصورة أساسـيـة فـي حروبهـم، وفـي أعمال الصـيـد. وقـد عرف عن التـتـار والمغول، براعتهم في استخدام القوس والنبل.

وأما رياضــة البـولو ، فـقـد نشأت فـي بلاد فارس، بين القـرنين الســادس قـبـل الميلاد ، والأول الميـلادي. ويعـد الخليفـة هارون الرشيـد، من أوائل من شجعوا على ازدهار هذه اللعبة في العالم العـربي. وقد دلت البقايا الأثرية على انتشـار هذه اللعبة في الصين. كـمـا أظهرت ذلك التماثيل القزمية التي تعود لعصر حكم أسرة تانغ.

وقـد تضمن هـذا الجزء عـدداً من الأمـثلة، التي تمثل هذه الرياضـات، بما فيهـا رياضة الصـيد بالصـقـور، التي تستحق أن يتوسع في الحـديث عنها. لما تمثله من تقليد عـربي عـريق. كـمـا تظهـره بعض أمـثلة المشـغـولات الفـاطمية العاجية، ذات المستوى الفني الرفيع.

رابعاً : الاحـتـفـاليـة والـفـخـامـة :

حظيت الخـيل بدور كـبـيـر ومـهـم، في المناسـبـات والاحـتـفـالات الرسـمـيـة عـبـر العـصـور. ومن أهم تلك المناسبات، مـراسيم تنصيب الحاكم، والـفوز في المعارك الحربيـة، وحتى عند نقل رفات زعيم أو قـائد للدفن. وقد بلغ من شـأن الحـصـان، أنه كان يمثـل هدية ذات قيـمـة عاليـة، يتهادى بهـا الزعماء والأمـراء. وقد انعكس ذلك، أيضاً، عـلى اللباس الخاص بـالخيل، والجهـد الذي بذل في خياطته، وتطريزه، وتطعيمـه بالجواهر النفيسـة وخيوط الذهب والفـضة. وكذلك الأسـرجة والأربطة الفـاخرة، التي تسـتـخـدم فـقـط في المناسـبـات السلـمـية. وقـد عرضت العـديد من القطع، التي يشـملهـا هذا المبحث، وفيها الكثير من القطع العثـمانية والأفريقية، وكذلك المخطوطات التي تحمل رسوماً متعددة.

خامساً : العناية البيطرية والعلم :

يعنى هذا المبـحث بإبراز معرفـة الشعـوب القديمة، بكـيـفـيـة الـتـعـامـل مع المتطلبـات الـضـرورية، التي يحتـاجها الحـصان، عند إصـابته، أو تعرضـه لمرض. وقد وجد فـي الكتابات اليـونانية القـديمة عند الإغريـق، ما يدل على مـعـرفـتـهم وممارستهم لعـلاج الخيل. كـما أن العرب كان لهم دور كبير ومشاركة علمية متميزة، في مجـال الطب البيطري. ومـن الأمثلة على ذلك، كـتـاب البـيطرة لابـن الأحنف، الذي أورد فــيـــه العـــديد من القـضايا الطبية المرتبطة بعـلاج الحيوان، واشتمل على عرض مصور لكيفية إجراء بعض العمليات البسيطة، أو كيـفـية تدريب الحـصان على أداء مـهـام معـينة. وقد اشـتـمل هذا الجزء على مـعلومات عن السـرج ، وأصله، واسـتـخـدامـه، وهو أمـر يبـدو لي أنه في المكان غـيـر المناسـب لعـدم وجود علاقـة واضحـة بينه وبين العناية

البيطرية. وربما لو أنه ضمن مع المبحث الأول، لكان أكثر ملائمة. وقد تضمن هذا المبحث عرض للعديد من اللوحات والمخطوطات المصورة، التي تبين مشاهد لعلاج الحصان وتدريبه.

سادساً : الأحصنة المجنحة، والأحصنة البطولية، والحصان في الأدب والاسطورة:

يعرض هذا المبحث للعلاقة الوثيقة بين الحصان والأسطورة من نواح عدة؛ فالحصان ملازم للفارس في بطولاته، ويمثل جزءاً من الخيال الأسطوري، في آداب الشعوب العربية و غيرها. وقد ورد في الكثير من الأساطير الإغريقية الصراع الذي يدور مع حيوانات خرافية، ومنها الحصان جزء من هذا الصراع. كما أن الحصان نفسه قد أصبح أسطورة، بتصويره على هيئة كائن مجنح يستطيع الطيران في الفضاء الرحب. وقد وجدت أمثلة عديدة للأحصنة المجنحة والأسطورية والبطولية في العديد من التصاوير الجدارية، والعملات والأواني الخزفية ، والزجاجية.

سابعاً : الحصان في القرآن والحديث النبوي :

يشمل هذا المبحث عرضاً لنشأة الحصان العربي، والموقع الجغرافي ، الذي ترعرع فيه، وما إذا كانت الجزيرة العربية تمثل فعلاً الموطن الأصلي له . وقد بلغ من اهتمام العرب بالخيل، أنهم سجلوا لها نسباً متصلاً، واعتنوا بحفظه، وعدم تداخل أنسابه مع بعضها. وقد ورد ذكر الخيل في كثير من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، التي تظهر أهمية الحصان في العديد من شؤون الحياة اليومية للمسلم. فهناك مايتعلق بالجهاد ، والدفاع عن حقوق المسلمين المغتصبة، وكذلك استخدام الخيل في الركوب، والانتقال من مكان لآخر، بهدف السفر والترحال؛ أو اتخاذها مصدراً غذائياً.

وقد تضمن هذا المبحث عرضاً لبعض المخطوطات القرآنية، التي كتبت بخطوط عربية مختلفة، وزينت بزخارف جميلة، بينما لم تضمن أمثلة مصورة من الحديث النبوي الشريف، تحمل إشارة لذكر الخيل.

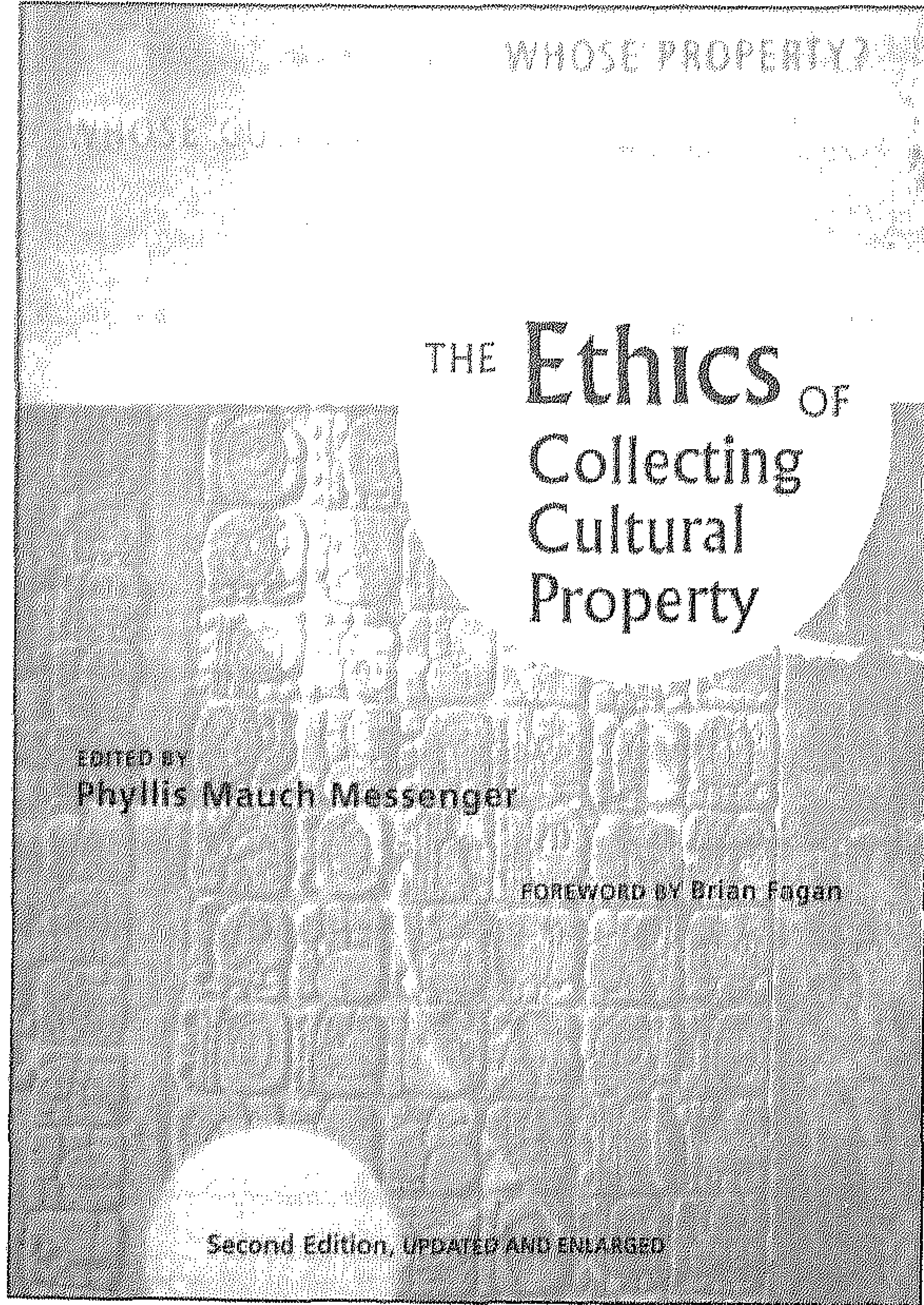
وقد تضمن المجلدان الأول والثاني رصداً شاملاً لكافة المراجع، التي تم الرجوع إليها في هذا الكتاب القيم، وكذلك قائمة بالنقوش العربية والفارسية، التي وردت داخل النص.

إن هذا العرض السريع، لهذا الإصدار القيم، الذي يفخر به كل باحث ومهتم بالفروسية، يهدف - في واقع الأمر - إلى التعريف بالإصدار، الذي لا غنى من الرجوع إليه للتعمق فيما احتواه من معلومات، ودراسات علمية قيمة، قلّ أن تتوفر في إصدار واحد.

وقد أظهر هذا المجلد وجهاً مشرقاً، وقيمة عالية، للمسوحات والدراسات الاثارية، التي تمت من قبل وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف، وقسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود، على مدى ما يزيد عن ربع قرن، من العمل الدؤوب، والجهود المخلصة، للكشف عن تراثنا الحضاري الغزير. ولعل مكتبة الملك عبد العزيز العامة، تأخذ بالاقتراح ، الذي طرحه الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري، في حفل تدشين كتاب الفروسية، الذي حضره جمع من المهتمين بالفروسية على كافة الأصعدة والمستويات، المتمثل في إعداد إصدار مماثل عن الجمل ، يظهر فضله ودوره في حياة المجتمعات العربية والإسلامية. وقد لقي هذا الاقتراح الدعم والقبول من صاحب السمو الأمير فيصل بن عبدالله بن محمد آل سعود، الذي وعد بتفعيله، والعمل على الخروج به إلى النور.

ولعلي أقترح في ختام هذا العرض، أن يتسنى للقائمين على هذا الإصدار القيم والمفيد، إصدار نسخة أخرى من الكتاب، تكون ذات حجم أصغر ، مما يسهل حملها، ويجعلها تتوفر في المكتبات بشكل أكبر، لخدمة أكبر عدد من المهتمين بالفروسية، على كافة المستويات.

د. عبد الله بن محمد الشارخ - قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص.ب ٢٤٥٦ - الرياض ١١٤٥١ - المملكة العربية السعودية asharekh@ksu.edu.sa



اسم الكتاب : أخلاقيات جمع الممتلكات الثقافية
المحررة : فيلس موش ميسنجر
الناشر : مطابع جامعة نيو مكسيكو
سنة النشر : ١٩٩٩ (الطبعة الثانية)
رقم التصنيف الدولي : 5-8263-2125-9
مقاس الكتاب : ٢٣،٤ سم × ١٥،٤ سم
عدد الصفحات : ٣٠١ + xxviii صفحة (وتشمل ٣٠ لوحة).

عرض : د. يوسف مختار الأمين

تصدر موضوع الممتلكات الثقافية وحمايتها في العقدين الأخيرين، قائمة اهتمامات الحكومات والمنظمات الإقليمية والدولية، والجمعيات الأهلية، والأكاديميين العاملين في قطاع الآثار والمتاحف، والمثقفين المهتمين بقضايا الثقافة والتراث، ويقصد عادة، بالممتلكات الثقافية كل المصنوعات الآثارية والتاريخية والتراثية، التي تمثل العناصر المادية، المعبرة عن ثقافات الشعوب في الماضي والحاضر. ولاتتوقف الإشارة إلى هذه المصنوعات الفنية فقط ؛ وإنما تشمل المواقع الأثرية، والمستوطنات التاريخية، والمحيط البيئي، الذي وجدت فيه.

وقد تعرض التراث المادي للأمم، للتخريب والسرقة والاستحواذ منذ أمد بعيد؛ وبذلك لأسباب كثيرة منها : نقل القطع الفنية والأثرية المهمة ، إلى متاحف أو معاهد تعليمية، خارج دولها الأصلية ، عندما كانت الدول الغربية تفرض سيطرتها على معظم دول العالم. وازدهر نشاط سرقة المواد التراثية والأثرية بمرور الوقت، نتيجة للأوضاع الأمنية والاقتصادية في بعض الدول. فالحروب الأهلية والإقليمية، على سبيل المثال، لاينتج عنها تدمير المباني والمنشآت العسكرية والمدنية فقط؛ وإنما يمتد الخراب إلى المتاحف، مستودعات التراث الإنساني، وإلى المواقع الأثرية. وفي مثل هذه الظروف ينفرط عقد الأمن حيث تغيب النظم والقوانين، ويلجأ بعض ضعاف النفوس إلى نهب الكنوز الأثرية، وتهريبها خارج البلاد، لتجد طريقها للأسواق العالمية.

وقد فقدت بعض الدول نتيجة لمثل هذه الظروف، معظم ماتحويه متاحفها الوطنية (ديبري ١٩٩٦). وفي حالات أخرى، كان العائد المادي هو السبب الرئيس، الذي يجعل المواطنين ينهبون القطع الأثرية، ويبيعونها لتجار العاديات. ويساعدهم في ذلك ضعف الأجهزة الأمنية، والإدارية، وغياب الوعي العام بأهمية الممتلكات الثقافية، ووجوب المحافظة عليها ورعايتها.

ومن المعلوم أن نشاط الجهات، التي تعمل على الاتجار في المواد التراثية بطرق غير مشروعة، قد بلغ في الآونة الأخيرة درجة عالية من التنظيم، وامتدت شبكاته السرية على نطاق واسع، ويقال أن حجم التجارة العالمية غير المشروعة في الأثريات، والقطع الفنية، والمخطوطات التاريخية، يبلغ الملايين من الدولارات سنوياً ليأتي الثاني بعد تجارة المخدرات.

وفي مقابل هذه الأوضاع، ازداد الاهتمام بالموروثات الثقافية، والمحافظة عليها من كل ضروب الاعتداء والضياع، وذلك من قبل المسؤولين في الدول الأكثر تضرراً، وهي مايطلق عليه، عادة، دول الجنوب. وقد عانت هذه الدول من نقل وتهريب الآثار، منذ زمن الإدارات الأجنبية، حين كانت الإرادة الوطنية بعيدة عن تقرير مصير أوضاعها. وفي هذه الفترة جمعت الآثار والوثائق، باعتبار أنها حق مشروع للمستعمرين، لدراستها وحفظها في المتاحف. وتتمثل ردة الفعل الحديثة في المطالبة برد الحقوق، واستعادة ذلك التراث الذي نقل من مواطنه بطرق غير مشروعة، وفي ظروف غير طبيعية. وصدرت نداءات المطالبة من الحكومات، ومن المنظمات الإقليمية والعالمية، برد الحقوق، ومكافحة نقل الممتلكات الثقافية. وتلخصت هذه المطالبة المتكررة في العديد من المواثيق الدولية، التي ترعاها الأمم المتحدة، فقد أصدرت منظمة اليونسكو أول معاهدة لها في هذا الخصوص عام ١٩٥٤م، ثم طورت لاتفاقية تحظر الاستيراد والتصدير غير المشروع، للممتلكات الثقافية في عام ١٩٧٠م.

وتوالت الاتفاقيات الدولية والثنائية بعد ذلك بدرجة، تعكس تنامي الاهتمام بالمحافظة على التراث الثقافي، لدى كل الأطراف. وقد وقع على وثائق اليونسكو بحلول عام ١٩٩٧م، ثمانية وثمانون دولة . وعلى المستوى الشعبي، ينعكس الاهتمام بالموروث الثقافي في ما تبثه وسائط الإعلام المختلفة، وأوعية النشر الأكاديمية، من أخبار تتعلق بسرقات المتاحف، والتعدي على مواقع الآثار، ثم القضايا الكبرى، التي تفصل فيها المحاكم لمصلحة أصحاب التراث، أو بلد المنشأ. وقد أسهم ذلك في المطالبة بالمزيد من الإجراءات الرادعة، وإصدار القوانين والأنظمة، التي تزيد من مستويات الرقابة، وتقييد نشاط المتاجرين بالتراث.

ومن الناحية المهنية، لعب الاثاريون دوراً متعاظماً في العمل على حماية التراث الإنساني وصيانته، بصفة عامة. وفي السنوات الماضية، عقد العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية المخصصة لهذا الموضوع. واتجه كثير من الآثاريين والانثروبولوجيين للكتابة، عن أهمية المعثورات الأثرية ومخلفات الماضي، من مبان، ومخطوطات، وفنون، ودورها في إجلاء مكونات الهويات الثقافية الحالية. وصار لعلم الآثار، نتيجة لمثل هذه البحوث الجديدة، القدح المعلى في إثبات حقوق السكان المحليين، في بلدان مثل أمريكا، واستراليا، في مجالات الثقافة، ومن ثم التمتع بالحقوق المدنية، والسياسية، والأمر نفسه ينطبق على تلك الدول ، التي تعيش فيها أقليات إثنية، لها ثقافاتها المتميزة.

كذلك، طرح الآثاريون، في أكثر من مكان، قضية حماية التراث الإنساني، وأوضحوا دورهم المهني في ذلك. وهكذا صار الحوار المستمر، حول تأسيس قيم أخلاقية للعمل الآثاري، بصفة عامة بدءاً من الطرق المشروعة، والعلمية، في التنقيب الآثاري وحفظ المعثورات وصيانتها، ثم نشر معلومات عنها للرأى العام، بالقدر نفسه الذي يفعلونه في قنوات النشر الأكاديمية. وقد بدا أن لعلماء الآثار آراء، وأفكاراً، تبدو متباينة أحياناً، في الأسس التي تقوم عليها مبادئ توزيع الآثار والمحافظة عليها، ومطالبات الدول باستعادة ممتلكاتها الثقافية، التي أخذت منها بطرق مختلفة. ومما زاد في أهمية المناقشة للموضوع، بين الآثاريين، عندما صارت مواقفهم يعول عليها كثيراً، في ترجيح بعض القرارات الرسمية المتعلقة بمختلف شؤون استرداد الموروثات الثقافية (Green 1984) .

ويأتي الكتاب، الذي نحن بصدد مراجعته، في سياق هذه المحاولات الرسمية والأكاديمية، لحماية الممتلكات الثقافية. وهو عمل مهم يمثل احدى المحاولات الجادة، في جمع عدد كبير من المهتمين من تخصصات مختلفة، ليبحثوا في القضية من جوانبها المختلفة. والكتاب أيضاً محاولة متخصصة،

في اتجاه تأطير مسألة الحقوق والواجبات، في المحافظة على التراث الثقافي، من ناحية نظرية وعملية. وتعود فكرة الكتاب إلى مقترحات نوقشت، في مؤتمر جمعية المايا في مينسوتا الأمريكية عام ١٩٨٣م، تتعلق بالسرقة والتخريب، الذي تتعرض المواقع الأثرية في المكسيك وأمريكا الوسطى، أكثر بلدان العالم تضرراً من هذه الأعمال.

وقد عقد مؤتمر خاص لمعالجة الموضوع في ١٩٨٦م في مينوبولس، تحت عنوان : "المبادئ الأخلاقية لجمع الممتلكات الثقافية"، وذلك من خلال مناقشة جريئة، اشترك فيها متخصصون في الآثار والمتاحف، والفلسفة، والقانون، وتجارة التحف الفنية، وتاريخ الفن، والإدارة، والجمارك. ونشرت مداولات ذلك المؤتمر بعد إضافة بحوث متخصصة إليه، عام ١٩٨٩م لأول مرة . وعندما شعر القائمون على أمر المؤتمر بأهمية الكتاب، وتأثيره المباشر في الدوائر الرسمية، والأهلية، أعيد نشره ثانية في ١٩٩٩م، حيث صدرت منه نسخة مزيدة، ومنقحة، وشارك في كتابته ثلاثة وعشرون باحثاً. وكتب له تصديراً قصيراً الأثاري الشهير براين فيغان ، وقدم له محررة الكتاب فيلس ميسنجر، بشرح لتاريخ فكرة المؤتمر ونتائجه.

وقد قسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام، يشتمل كل قسم منها على عدد من الفصول، التي تمثل واحداً من المحاور الرئيسة في الموضوع. وأضيفت لفصول الكتاب، السبعة عشر، ثلاثة ملاحق، تكتسب أهميتها عند قراءتها في ضوء الاطروحات التي ناقشها الباحثون في ضوء مواقفهم الفكرية المختلفة. فالملحق الأول فيه القوانين والأنظمة في الولايات المتحدة الأمريكية التي تعني بالممتلكات الثقافية المحلية منها، والعالمية، التي وجدت طريقها إلى أمريكا عبر قنوات مختلفة، غير شرعية، وأخرى يعتقد أنها شرعية، ولكن أصحابها يطالبون بها. كذلك فيه لوائح وأنظمة الهيئات والقطاعات، ذات الصلة بالموروث الثقافي، مثل الغابات، والحياة الفطرية، والأسماك. أما الملحق الثاني، فهو عبارة عن لائحة جمعية الآثار الأمريكية، التي تحدد المبادئ الأخلاقية لحماية الممتلكات الثقافية وصيانتها. والملحق الثالث يشتمل على أسماء المنظمات والهيئات، العاملة في مجال الآثار والتراث في أمريكا وعناوين الإتصال بها .

كتبت كارن وارن فصلاً مطولاً كمقدمة في القسم الأول، قصد به معالجة الجوانب الأخلاقية، ومنطلقاتها الفلسفية، في قضايا الممتلكات الثقافية، وعرضت فيه لكل المواقف الفلسفية، التي طرحت في مساهمات الباحثين المشاركين في الندوة. ولهذا السبب، فيبدو من المناسب عرض النقاط التي وردت في هذا الفصل بشئ من التفصيل.

بدأت الباحثة بطرح الأسئلة المعهودة : من يملك الماضي (التاريخ) إن كان هناك من أحد ؟ ومن له الحق، أو تقع عليه المسؤولية في الحفاظ على الموروثات الثقافية ؟ متى تعلو الاعتبارات التعليمية، وقيم المحافظة على التراث الإنساني، فوق رغبات الإرادة الوطنية، عند تحديد مصير الممتلكات الثقافية ؟ ما الذي يمكن وصفه بالتجارة القانونية أو غير القانونية في المواد الثقافية ؟ وما القيم التي توضع في المحك، في حالات النزاع حول هذه المواد الثقافية ؟ وما السبيل لإيجاد الحلول المناسبة لها ؟

تبرز هذه الأسئلة وغيرها في كل مرة تطرح فيها قضية الممتلكات الثقافية، وحقوق الأطراف المختلفة في امتلاكها وحمايتها. وهي أسئلة مهمة؛ لأنها تثير قضايا ذات طبيعة فلسفية، في نظرتنا لماضي الإنسانية ، ورموزه المادية . فمن له الحق في تشكيل صورة ذلك الماضي (التاريخ)، أو أن يدعيه أحد، إن كان ذلك ممكناً ؟ كذلك، تثار مجموعة من القيم الأكاديمية والتربوية والاقتصادية المتصلة بالممتلكات الثقافية وحيازتها ، تعكس تضارب المصالح والاختصاصات، بين

الأطراف المختلفة، من حكومات ومؤسسات تعليمية ومتاحف وتجار عاديات، وتعبر هذه التساؤلات عن مواقف متضاربة، في النظر للموروثات الثقافية، من جهة امتلاكها والمحافظة عليها. كما تعبر عن موضوع شائك، لم يتفق الناس حوله حتى الآن . إن الشيئ المهم في هذه الحالة هو أن يتفق الجميع، أولاً، على الوسيلة المناسبة للمعالجة، ثم الدخول في تفاصيل القضية المتنازع عليها.

وبالرجوع إلى الأدبيات المنشورة حول قضايا الممتلكات الثقافية، يتضح مباشرة هيمنة الرؤية الغربية، في هيكلة الإشكاليات المتعلقة بالتراث على ما عداها وترى الكاتبة أن هذه الرؤية الغربية تمثل إشكالية في حد ذاتها، كما أنها ليست مؤهلة للإحاطة الكاملة بالموضوع وتشير إلى أن المطلوب، الآن، إيجاد رؤية أو أطروحة شاملة، تعيد النظر في قضايا الممتلكات الثقافية، ومحاور النقاش فيها وتمزج مابين الروية الغربية، ورؤى الشعوب الأخرى، التي فقدت جزءاً من تراثها.

وتتلخص منطلقات النزاع حول الممتلكات الثقافية، في ثلاثة أمور رئيسة تتعلق باستردادها، ثم الحقوق المستحقة لكل طرف، من أطراف النزاع. وتتحدد المواقف في مثل هذه الحالة، بطبيعة الحال، من قيم أخلاقية متباينة، مثل تلك التي تطرحها الأسئلة آنفة الذكر، وهناك ثلاثة أجوبة يمكن أن تقدم كبدائل متنافسة : الأولى أن الماضي (التاريخ) ملك لكل الناس، والثاني أنه ملك لمجموعة محدودة، والثالث أنه غير قابل لأن يمتلكه إنسان ، أو مجموعة من الناس . وبمتابعة المناقشة المستمرة حول هذه الآراء، تبلورت عدة مواقف، تساند أو تعارض، دعاوى أصحاب الرأي القائل بأحقية الدول في ملكية المواد الثقافية، التي تكتشف فيها؛ فالذين يعارضون إعادة الممتلكات الثقافية، ومبدأ تقييد حركتها بالتصدير والاستيراد، يقدمون ست حجج لدعم موقفهم المعارض:

الحجة الأولى تقوم على مبدأ إنقاذ التراث ، إذ يرون أن معظم المواد الثقافية، التي يدور حولها الحديث تم إنقاذها فعلاً بواسطة الدول الغربية، التي تحفظها الآن بطرق علمية حديثة. وقد كانت معرضة للتلف والضياع، إما بفعل الطبيعة، أو الحروب، أو الإهمال في أوطانها. ومن ثم فإن الإمكانيات المادية والعلمية للدول الغربية، تمكنها من العناية بهذه المواد الثقافية، ولذا يصبح الاحتفاظ بها أمراً مشروعاً، ولايحق لأي أحد المطالبة بها، بعد كل الجهد الذي بذل في رعايتها ودراستها. فالملكية تؤول للجهات التي أنقذت الممتلكات الثقافية وحفظتها.

الحجة الثانية تقوم على مبدأ الاتفاق القديم، بين هذه الدول والدول الغربية، الذي يسمح بنقل الممتلكات الثقافية، خاصة في فترات الإدارات الأجنبية لبعض البلدان. أما الآن فلا يحق لهذه الدول المطالبة بما نقل في تلك الظروف . والنزاع في مثل هذه الحالات، أساسه أخلاقي بحت؛ لأن الأمر ليس قانونياً صرفاً، وإنما تلفه أمور عاطفية.

وتقوم الحجة الثالثة على مبدأ الاستحواذ ، من منطلقات إنسانية، إذ يظن البعض أن كثيراً من الممتلكات الثقافية التي تم نقلها لها قيمة فنية، وأكاديمية، وتربوية تفيد المجتمع الإنساني بصفة عامة، وهي لذلك حق للإنسانية جمعاء، ولايحق لبلد واحد إدعاء ملكيتها. وبناء على ذلك فليس هناك من جهة قانونية، يمكن لها أن تقضي في هذا الموضوع. ومثل هذا الرأي لايمر دون اعتراض، فهناك من لا يعتقد على الأقل، من ناحية فلسفية بوجود "طبيعة إنسانية مشتركة".

تقوم الحجة الرابعة على مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة". فنقل الممتلكات الثقافية من أماكنها، إلى مختلف القارات وتداولها بالبيع والشراء، يسهم في تطوير بعض القيم الإنسانية المهمة، مثل إثراء القيم الجمالية، والتذوق الفني، ومستويات البحوث

الأكــاديمـيــة. كــذلك يؤدي إلى المحافظة عــلى القطع الفنيــة النادرة، التي لا تقــدر بثمن ونتـيـجــة لكل هذه العمـليـات، تعلو قيم المـشاركة الإنسـانيـة، والانفـتـاح الثقـافي، والتآلف بين الأمم ، خصـمـاً على قيم الفـرقة والانكفاء.

ويدعـو أصـحـاب الحـجـة الخـامـسـة، إلى الاحـتـفـاظ بالممتلكات الثقـافية في أماكنهـا الحالية، لكي تكـون في متـناول الأكاديميين والباحـثيين في التراث الانساني ، لدراستها ونشـر المعلومات عنها. لأن اعادة هذه المواد لأوطانهـا، سـوف يـحـرم هـؤلاء البـاحـثـين من إنجـاز مهمـاتهم . وهذه حجة من نوع الغاية تبـرر الوسيلة. ويبقى التـساؤل مـشـروعـاً عن مصدر هذه المسـؤولية التي يتمـتع بها هؤلاء لتجـعلهم قيـمين على التراث. ويبدو ضعف هذه الحجة أكثر وضوحاً، إذا توفرت ظروف مواتية للعلماء لدراسة هذه المواد في أوطانها.

وتنادي الحـجـة السـادسـة بحرية نقل المـمـتلكات الثقـافية، لأن تقـيـيد عـمليات البيع والشـراء يشجع على النشـاط غيـر المشروع. فتـتوسع بذلك ممارسات نهب المواقع الأثرية، وسـرقـة التـحف، وتنتـعش تجـارة السـوق السـوداء فـيها. ويعتـقـد البعض أن حرية تدفق المواد الثقـافيــة، أفضل بكثـير من منعـها. وهذا الرأي يثير هو الآخـر الجانب الأخلاقي، المتعلق بـحق الشعوب في التحكم في ماتعتقد أنه من حقوقها المشروعة.

وفي مقـابل هذه الحجج، يقدم الذين يقـفون على الجـانب الآخـر ، مـؤيدين لحـقـوق الدول المنـهـوبة في استرداد ممتلكاتها الثقافيـة، ثلاث حجج يدعمـون بها موقفهم :

تقول الحـجة الأولى بمبـدأ الحق المشروع، في الموروث الثقافي لكل أمة، لأنه يمثل الهوية الثقافية والتاريخ. لذلك فإن نقل الممتلكات الثقـافية من أوطانها، يحرم سكان تلك البلاد من موروثهم، وهو أمر لامبرر له، وهو تعد صريح يجب إيقافه. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الرأي يعتمد على أن جزءاً من هذا التراث يمثل أهمية خاصة للشعـوب، من نواحي دينيـة، أو اثنية، أو تاريخـيـة. وفي هذه الحـالـة يصـبـح من المهـم تحديـد هذه المـمتلكات الثقافية، وتقديم دراسات مفصلة عنها، فمن دون ذلك تفقد هذه الحجة شيئاً من قوتها وبريقها.

وتبدو الحجة الثانية بسيطة في فحواها ، إذ تقول : إن المـمتلكات الثـقـافيـة حق لأصـحـاب المكان، الذي وجدت فيه، ولابد أن تعود وتبقى فيه. والافتراض هو أن وجود الشعوب المختلفة في أماكنها الحالية، موثق منذ حـقب التـاريخ الأولى، أو أن الأمر يتـوقف على الحـدود السياسية الحالية.

أمـا الحـجـة الثـالثـة فـتـقـوم على فكرة وحـدة المـمتلكات الثقافـيـة وتكاملـها. فـإذا ما أريد لهـا أن تحتفظ بفـائدتها الجمالية والأكاديميـة، فلابد أن تبقى كاملة في مكان واحـد. فالتجـزئة تفقدها كثـيراً من خواصها الثقافية.

هذه هي الحجج والمـواقف التقليدية، التي تـتبناها الأطراف المختـلفـة، في الدفـاع عن حـقـوقـهـا في الممتلكات الثـقافيـة، من ناحية حيـازتها، أو بيعـها، أو عرضها في مـؤسسات علمية. وبمتابعـة مايحدث في أروقـة الأجـهــزة، التي تـعنى بفض النزاعـات بين الحكومـات، والمؤسـسـات، والأفـراد، حـول المـمتلكات الثقافية، يتضح أن الدفاع يقوم على قوة الحجة، الأمر الذي ينقل القضـية إلى حالة أربح، أو أخـسـر . وهكذا يصبح النقـاش محصـوراً في حدود ضيقـة لا تفضي إلى حلول مناسـبة، كمـا توضح معظم البـحوث في هذا الكتاب. فالخطوة الأولى نحو إيجاد حلول مناسبة، فيـما يبـدو تكمن في تحديد القـواسم المشـتـركة في الأهداف والمفـاهيم، ومن ثم الاتـفـاق علـى القنوات، التي تفصل في قضايا فض النزاعـات. وتقترح الكاتبة أن أفـضل الحلـول هي ، التي تؤسس على التـراضي أو دخـول طرف ثالث للتوسط، والابتـعاد -قـدر الإمكان- عن منطلقات الربح والخسارة. ولابد لأي حلول مقترحة أن تراعي الجوانب النفسيـة والتاريخية، لكل الأطراف.

على أن يتم تحديد معنى "الملكية" بدقة. خاصة أن بعض الناس لاينظر للمواد الثقافية من هذه الزاوية، بقدر نظره إليها على أنه هو أمر رعاية أو حماية لها.

ويضم بقية القسم الأول من الكتاب خمسة فصول، تمثل في مجموعها منظورات "الضحايا". في شكل دراسات حالات لبلدان، أو مجموعات اثنية، فقدت كثيراً من تراثها المادي، وانتقل لجهات مختلفة في الولايات المتحدة . وفيما عدا حالة واحدة، وهي نيبال فإن كل ما نوقش في هذا الكتاب يعود للأمريكيين. وفي هذه المساهمات يبرز التناقض بين السكان المحليين، من قبائل الهنود مثل : النفاجو ، والزوني، وأنباكي ، الذي ينظرون لتراثهم المادي من منطلقات يجهلها الأوروبيون. وتطور التناقض إلى حركات منظمة، سخرت لها إمكانيات مالية وعلمية لتأمين حقوق هذه القبائل في حفظ تراثها، مثل إعادة الهياكل البشرية، التي تحفظها المتاحف، أو إعادة بعض المواد التراثية، التي يعدونها رموزاً دينية واجتماعية مهمة. وجدير بالإشارة أن بعض أبناء هذه القبائل من الآثاريين، قد شاركوا في كتابة فصول الكتاب المشار إليها.

وفي ما يتعق بالنهب والاتجار في الآثار من بلدان أمريكا الوسطى والجنوبية، وتسريبها إلى الولايات المتحدة تتكرر الشكوى من ضعف الإجراءات والأنظمة ، التي تتبعها تلك الدول. ويلاحظ أن الاتهام لابد أن يوجه للذين يفتحون أسواقاً لبيع المقتنيات الثقافية، وتسهيل حركتها، وذلك في مواجهة بعض من يدعون أن السكان المحليين يساعدون، بدورهم في نهب المواقع الأثرية ونقل محتوياتها. لذلك برز اتجاه عام يعترف بفشل القوانين وأنظمة المراقبة ، في الحد من تهريب الآثار، ما يحتم إعادة النظر في القضية بطريقة عملية، وفتح قنوات التسوية والتراضي بين الأطراف المتنازعة.

ويتكون القسم الثاني من الكتاب من أربعة فصول قصيرة نسبياً، خصصت لمحور رعاية الممتلكات الثقافية، والسبل الكفيلة بتقييد تداولها، والبحث عن بدائل مجدية في هذا الخصوص. وأهم هذه الفصول يتناول دور المتاحف العالمية الكبرى في جمع الممتلكات الثقافية، والتشريعات التي تتبعها في المحافظة عليها، ومساعدة الآخرين في الاستفادة منها. وهناك مناقشة لأخلاقيات المهنة في الأجهزة الرسمية، مثل المتاحف، والتطور الذي طرأ عليها مؤخراً. فالمتاحف الأمريكية والاوروبية مؤسسات عريقة، توفرت فيها الإمكانيات المادية والفنية، وساعدتها الظروف التاريخية ، لتصبح مستودعاً لأهم نماذج التراث الإنساني، التي جمعت من كل بقاع العالم بطرق شتى. بسبب المنافسة بين المتاحف، في اقتناء التحف الفنية والأثرية ، فقد شجع ذلك بطريقة مباشرة التداول غير المشروع في الممتلكات الثقافية، وتخريب الآثار في مواقعها.

وكمثال لما يمكن أن تكون عليه المعايير الأخلاقية المعيبة، في جمع المواد الثقافية ، محاولة مجلس النواب الأمريكي إجازة مايسمى "مشروع قانون الودائع التراثية" في الثمانينات، الذي وضع كما قيل، لحماية المتاحف الأمريكية، من مطالبات الحكومات الأجنبية المتزايدة، باسترداد جزء من ممتلكاتها الثقافية، التي تحصلت عليها تلك المتاحف في ظروف غير مواتية بالنسبة لأصحابها. وتقول إحدى فقرات ذلك القانون إن أي قطعة أثرية، أو تحفة فنية تبقى في المتحف لمدة سنتين فقط، تؤول ملكيتها نهائياً له بعد ذلك، ولا يحق لأي جهة المطالبة بها بغض النظر عن الكيفية التي وصلت بها إلى المتحف المعني. وقد وجد مشروع القانون معارضة شديدة من جهات عدة، منها اتحاد متاحف الفنون الأمريكي (١٥٠ متحفاً)، لأنه تشريع يحمي لصوص الآثار والتراث بصورة مكشوفة.

ويتضح ما ورد في بقية فصول هذا المحور، إشكالية

تنفيذ القوانين والأنظمة الموضوعة لحماية المواد الثقافية، وتقييد تداولها، بالبيع والشراء في المؤسسات التعليمية والمتاحف، وأصحاب المجموعات الخاصة. فعدم توفر الإمكانيات في كثير من بلدان المنشأ، وقلة الوعي بأهمية هذه المواد، وحاجة بعض القطاعات لما يتحصلون عليه من عائد مادي، شجع الاستمرار في عمليات النهب والتهريب، التي تتسع دوائرها يوماً بعد يوم. وفي كثير من الحالات تقف الجهات المسؤولة عاجزة، عن ملاحقة خطط شبكات سرقة المواد الثقافية وتسريبها. يحدث هذا في الوقت الذي مايزال بعض الناس يدافع عن أحقية المتاحف الكبرى في الحصول على القطع الأثرية والفنية، بكل الطرق الممكنة. ويبدو جلياً مدى صعوبة محاربة مثل هذا النشاط، والحد من تأثيره السلبي.

وفي القسم الثالث أربعة فصول، عالج كُتّابها أنظمة إدارة الممتلكات الثقافية من منطلقات رؤى الجهات المعنية، بدءاً من جامعي التحف العالمية والمتاجرين فيها، إلى الحكومات التي ترى أن المساس بممتلكاتها الثقافية، بمثابة طعن في الإرادة الوطنية، وعليه يصبح الدفاع عنها أمراً محتماً . ومن النقاط المهمة، التي أثيرت، تتعلق بتلك القطع الفنية والأثرية، التي أنتزعت من أماكنها بعد تخريب المواقع الأثرية، بواسطة أفراد لايعلمون أهمية وجودها في إطارها الأصلي. وفي سبيل الحصول على مواد ثقافية على هذا النحو، تفقد المواقع الأثرية العناصر الأساسية التي تتطلبها الدراسة العلمية المبدئية، وتكون الخسارة مضاعفة، لأنها فقدان للأثر، وحرمان الآثاريين من وجوده في محيطه الطبيعي، يأملون أن يتعرفوا إلى تفاصيل حياة الناس، الذين تركوا تلك المخلفات الأثرية.

وعلى هذه الخلفية يجدر النظر في رأي الذين يقولون إن المتاحف التي تشتري المعثورات الفنية، بغض النظر عن مصدرها، تقدم خدمة علمية للباحثين بجمعها، وحفظها لهم في مكان واحد. ولكن الجزء الأعظم من مثل هذه المواد، يعرض أو يحفظ في المتاحف، دون تحديد المكان، الذي وجدت فيه، ولا تصحبه معلومات عن الأشياء الأخرى المصاحبة له في ذلك المكان، مما يخل بأبسط قواعد الدراسة الآثارية المعروفة.

أما القسم الرابع من الكتاب، فقد خصص لمراجعة كاملة لما طرح في المؤتمر من خلال حوار عميق حول نقاط الاختلاف والاتفاق، جرى هذا الحوار عندما جلس كل الاختصاصيين معاً وطرحوا أفكارهم مرة أخرى، حول حماية الممتلكات الثقافية والقوانين والأنظمة المقيدة لتداولها، ودور الأفراد والمؤسسات في ذلك. وكان التيار العام يتجه نحو الاتفاق على حلول وسط، يمكن تطبيقها بنجاح. ونوه المشاركون بالتطورات الحديثة في معالجة قضايا التراث الثقافي، من ناحية الاهتمام الرسمي والأكاديمي، المتمثل في عقد الندوات ونشر البحوث، وكذلك محاصرة نشاط المتاجرين في التحف الأثرية، بطرق غير مشروعة.

وعلى صعيد إنفاذ القوانين أو تطويرها داخل الولايات المتحدة الأمريكية، يذكر التشريعات الجديدة ، التي روعي فيها حقوق الآخرين من الأقليات الهندية داخل أمريكا ، أو الدول الأجنبية. ومن الملاحظ أيضا، التوجه في تطبيق العقوبات بصورة حاسمة كما جرى تطبيق معاهدة اليونسكو لحماية التراث الصادرة عام ١٩٧٠م، باهتمام مقدر، وقد وقعت الولايات المتحدة الأمريكية اتفاقيات ثنائية، لحماية التراث مع السلفادور عام ١٩٩٥م، ومع المكسيك في عام ١٩٩٧م . ومن الإجراءات المهمة ماحدث في قمة الدول الأمريكية عام ١٩٩٤م ، حيث تمت الموافقة على التشديد على القيم الثقافية العليا، والعمل على حماية الممتلكات الثقافية وتقنين جمعها في الأقطار الأمريكية، ومن جهة أخرى جرى، تسوية الكثير من القضايا المعلقة، بين الحكومة وممثلين لقبائل الهنود

المختلفة، حيث أعيدت لهم بعض الممتلكات الثقافية، التي تمس معتقداتهم وحياتهم الجماعية. وقد سمح لبعضهم بإعادة دفن عدد من الهياكل العظمية، التي جمعت في أوقات سابقة من أجل الدراسة الانتروبولوجية. ويشار إلى أن هذه التطورات المهمة، التي حدثت في أمريكا، لها تأثيرها الإيجابي في ما يتعلق بحماية الممتلكات الثقافية العالمية، خاصة أن أمريكا تعد من أكبر الأسواق لترويج الآثار والفنون المسروقة. وخلص المؤتمرون إلى أن النجاح في قضية الممتلكات الثقافية، رهين بإتباع سياسات طويلة المدى، وبتكثيف الجهود، في محاربة التجارة غير المشروعة إقليمياً وعالمياً . ويتوقف النجاح على الالتزام بأخلاقيات المهنة، وضمان تنفيذ مجموعة القوانين والمعاهدات الدولية، ثم التوعية الشعبية بأهمية التراث الثقافي، ورموزه المادية.

والكتاب، من بعد، يعد مساهمة مهمة، لها وقعها في حقل قضايا الممتلكات الثقافية، الذي أصبح اليوم موضوعاً ملحاً، وحاضراً في الأروقة الرسمية والأكاديمية، على الرغم من أن محتويات الكتاب تكاد تكون محصورة بالكامل، في منظومة الدول الأمريكية. ومما لاشك فيه أن قضية حماية الممتلكات الثقافية، وما حدث فيها في أفريقيا والشرق الأوسط مثلاً لها أبعادها المتميزة، وخصوصيتها الثقافية والتاريخية، التي لايتسع المجال للخوض فيها. إذ أن تناولها لابد أن يقوم على أسس مغايرة في بعض جوانبها، لما جاء في هذا الكتاب. ويلاحظ القارئ أيضاً أن بعض فصول الكتاب، التي تعالج حالات دراسة محددة، لم تذكر فيها إحصائيات دقيقة لحجم التجارة غير المشروعة في المواد الأثرية أو الفنية. كذلك ، اتسمت بعض فصوله بالإسهاب، في شرح نقاط عامة وواضحة، وبدا أن التكرار غير المرغوب سمة بارزة في تلك المساهمات، وهذا الأمر ربما كان مرده طبيعة البحوث نفسها ، إذ أن معظمها قدمت في مؤتمر تتداخل فيه المحاور، مما يجعل التكرار أمراً متوقعاً.

أنهي هذه المراجعة بالعودة لتساؤل طرحته محررة الكتاب، في مقدمة الطبعة الثانية منه قائلة : هل يحق لنا أن نكون أكثر تفاؤلاً بمستقبل أفضل لماضينا (تراثنا) ؟ وتجيب : نعم . فالمشاركون في هذا المؤلف قدموا مساهمة مقدرة ، وأثروا -مع غيرهم- الحوار حول التراث الإنساني، وحمايته، وأبقوا جذوته متقدة. فبمثل هذا العمل تتسع دائرة الاهتمام بحماية ممتلكات الشعوب الثقافية، وتعلو القيم الأخلاقية الرفيعة، التي تنظم التعامل مع ذلك التراث لمصلحة البشرية جمعاء.

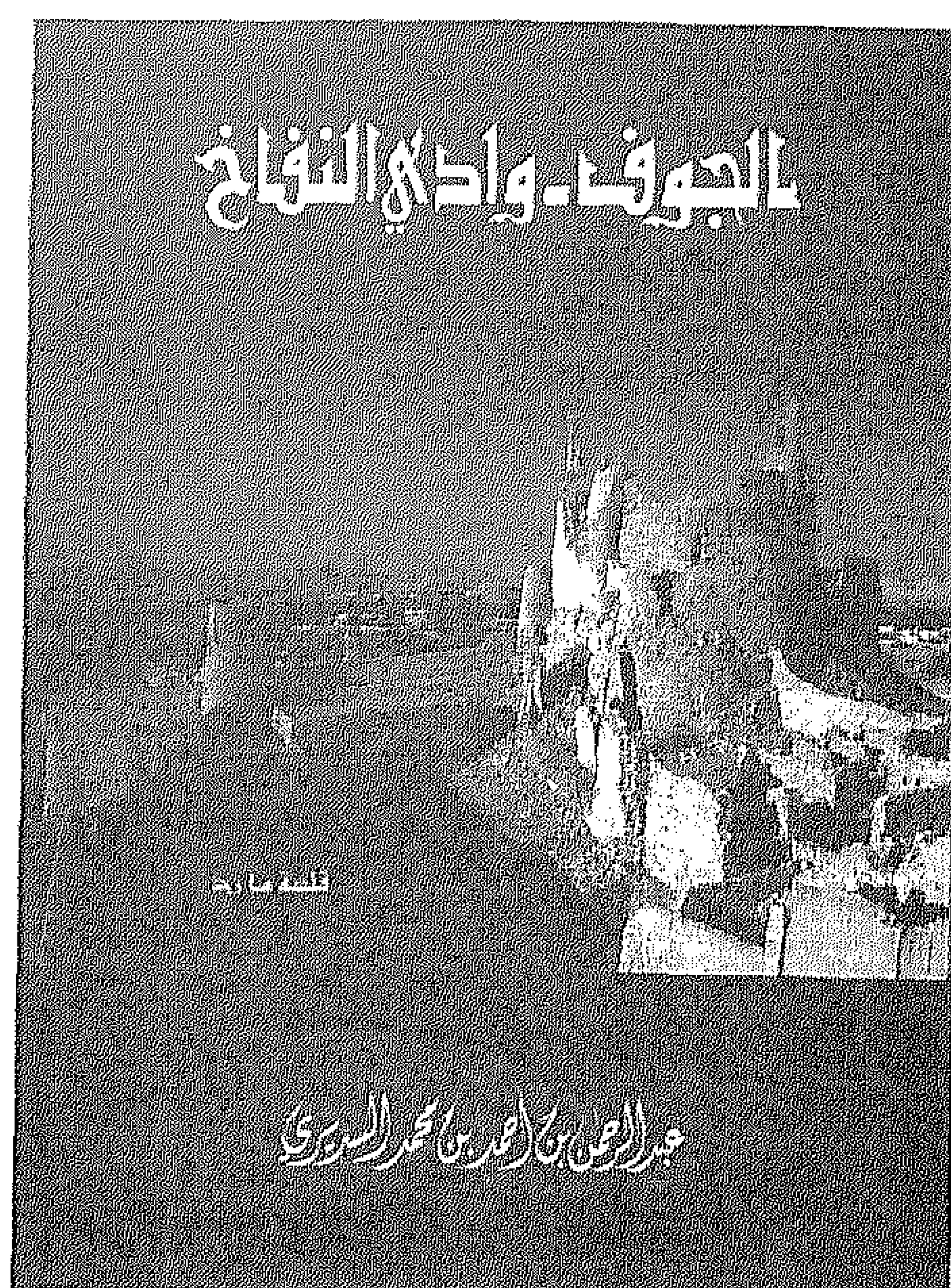
المراجع :

ديبري ، نانسي هاتش ١٩٩٦م. "متحف تحت الحصار: القصة الكاملة لتدمير متحف أفغانستان الوطني ونهبه. "**صحيفة الحياة**" . العددان ١٢١٩٥ و ١٢١٩٦ ، ١٦ و ١٧ يوليو . ترجمة د. يوسف مختار الأمين.

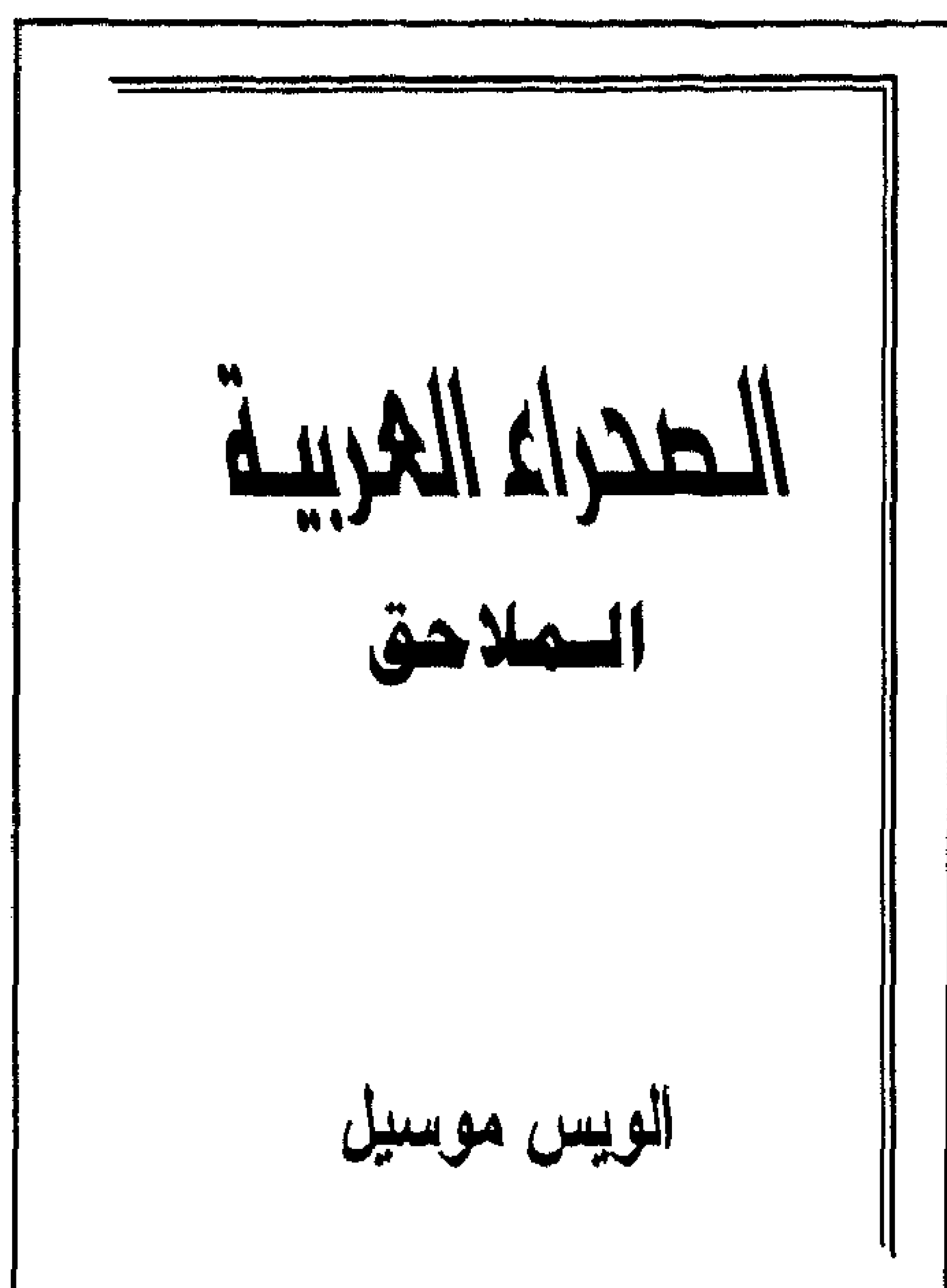
Green, E. L. (ed.) 1984. **Ethics and Values in Archaeology** . The Free Press, New York.

د. يوسف مختار الأمين - قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص.ب ٢٤٥٦ الرياض ١١٤٥١ - المملكة العربية السعودية

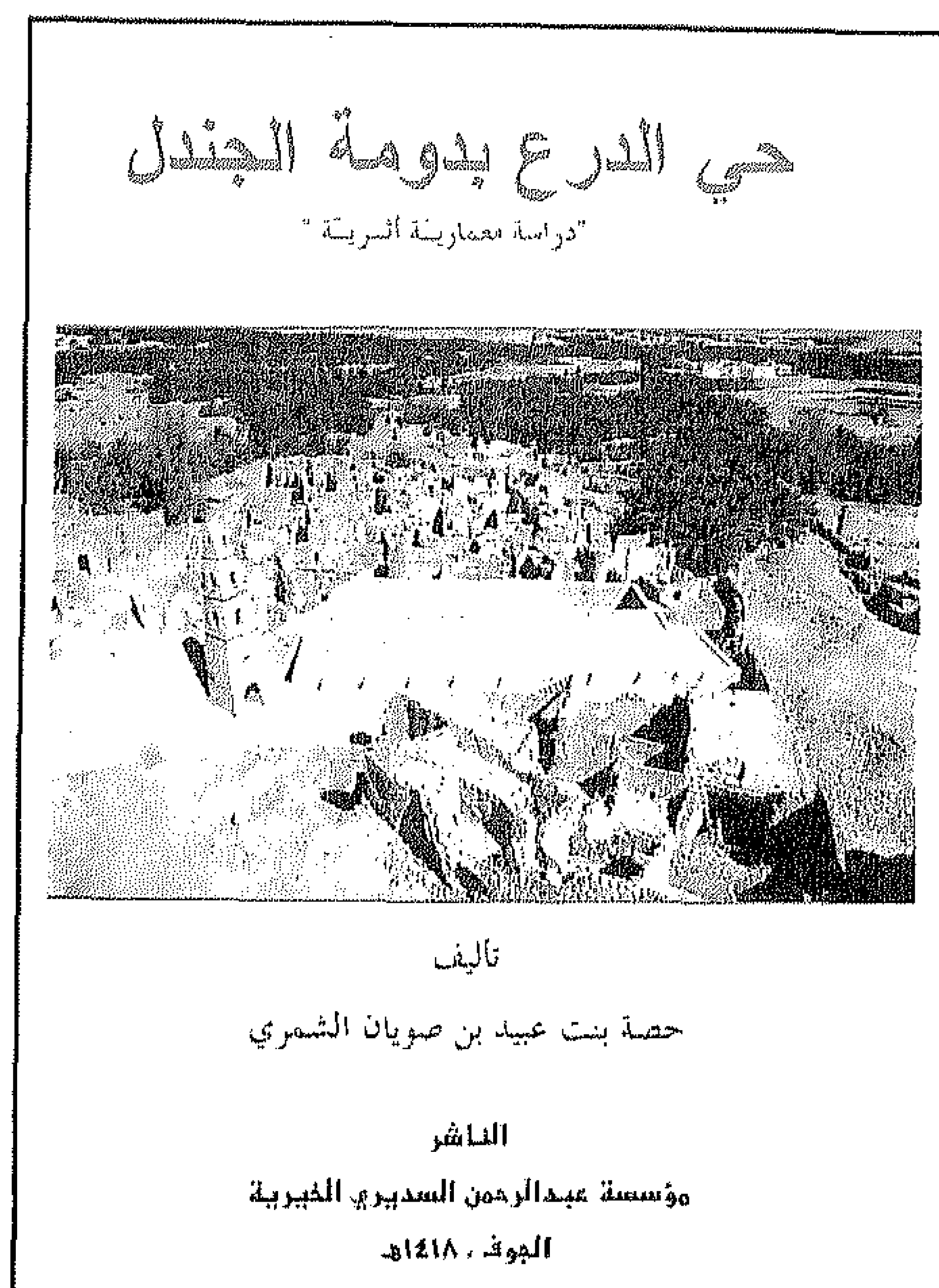
من مطبوعات مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية



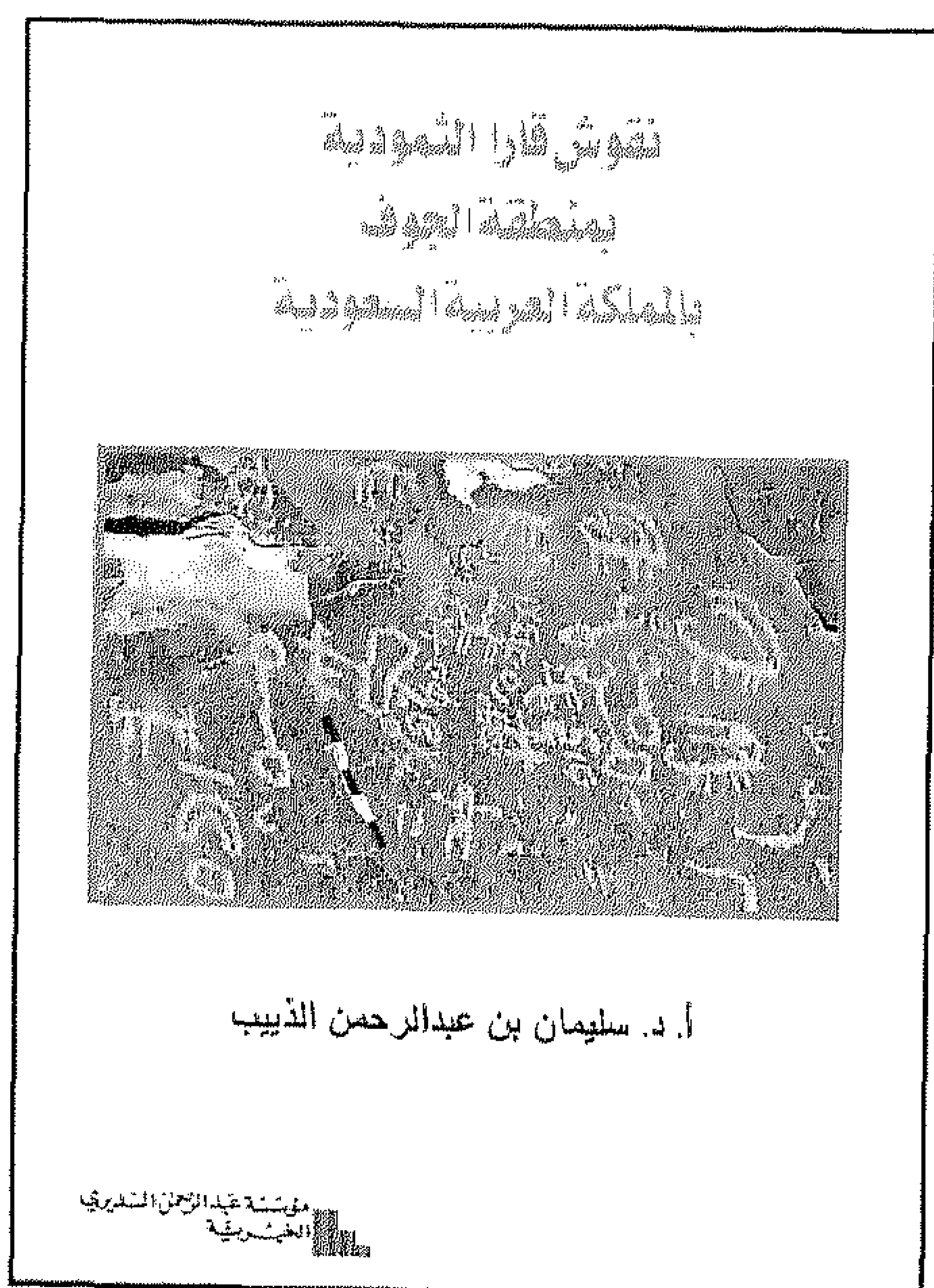
الجوف – وادي النفاخ
المؤلف : عبد الرحمن بن أحمد السديري
السعر : ٧٥ ريالاً.



الصحراء العربية – الملاحق
المؤلف : الويس موسيل
ترجمة : مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية
السعر : ٣٥ ريالاً.

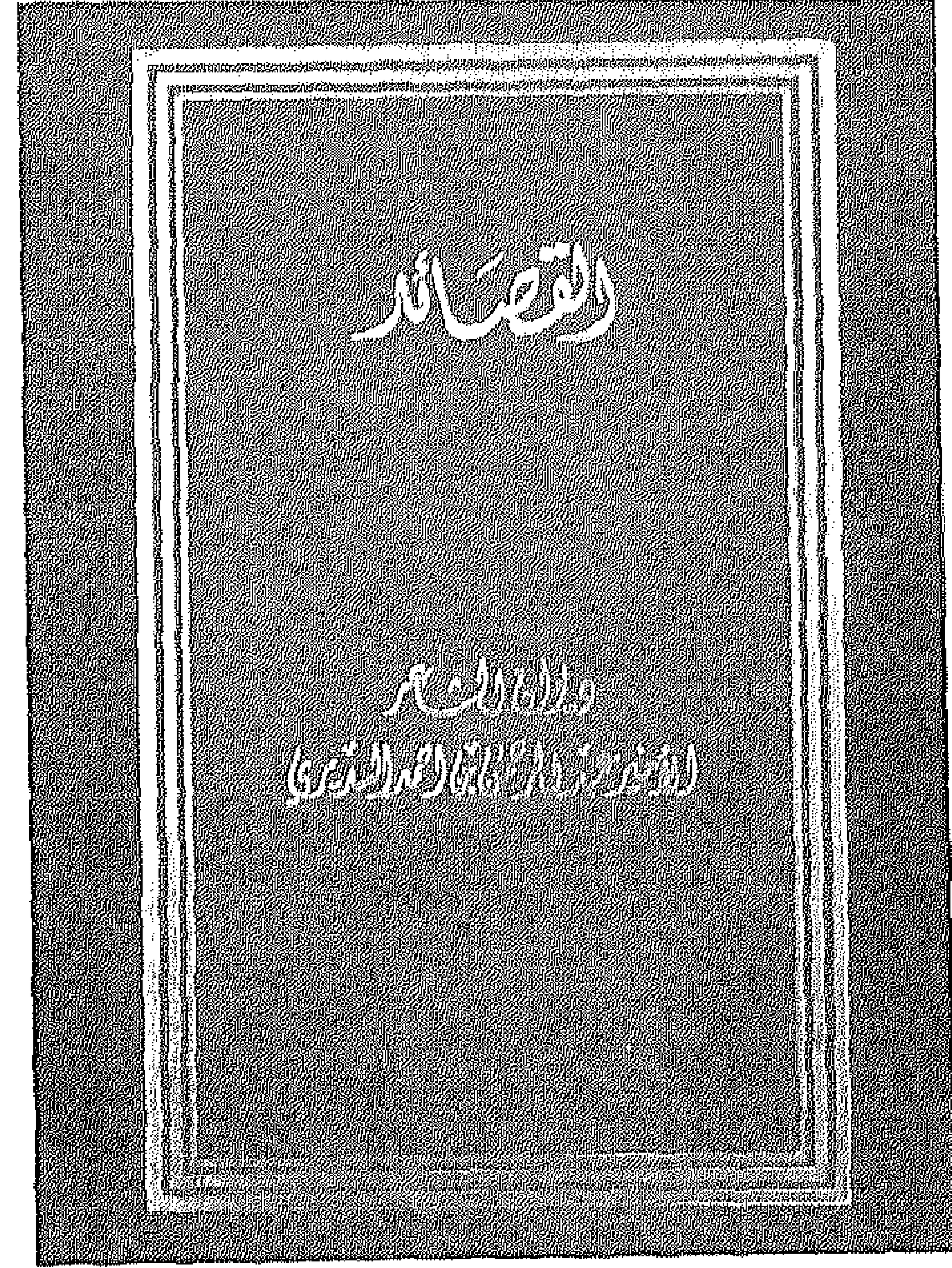


حي الدرع بدومة الجندل – دراسة معمارية أثرية
المؤلف : حصه بنت عبيد صويان الشمري
السعر : ٥٥ ريالاً.

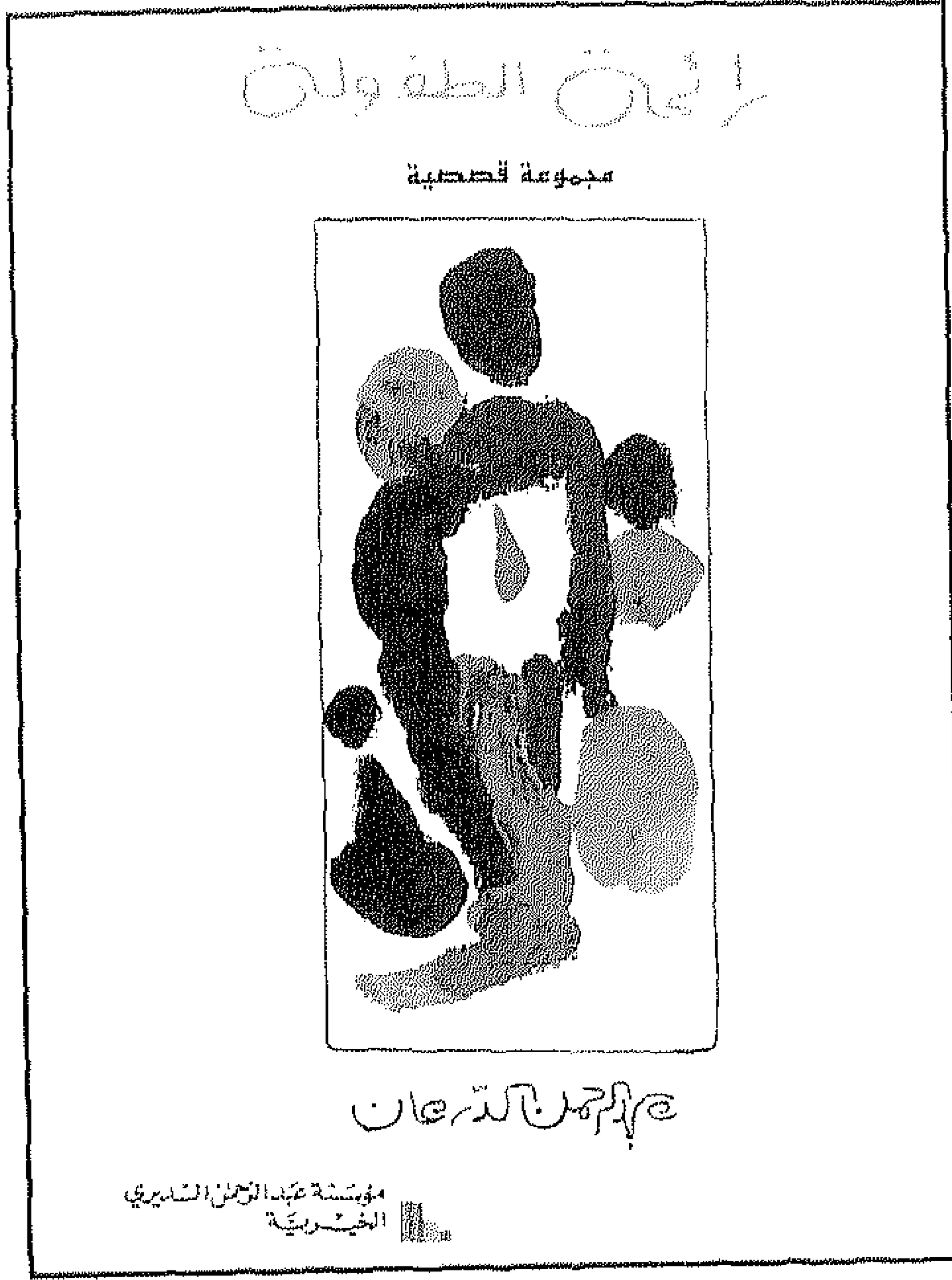


نقوش قارا الثمودية بمنطقة الجوف
بالمملكة العربية السعودية
المؤلف : أ. د. سليمان الذييب
السعر : ٢٠ ريالاً.

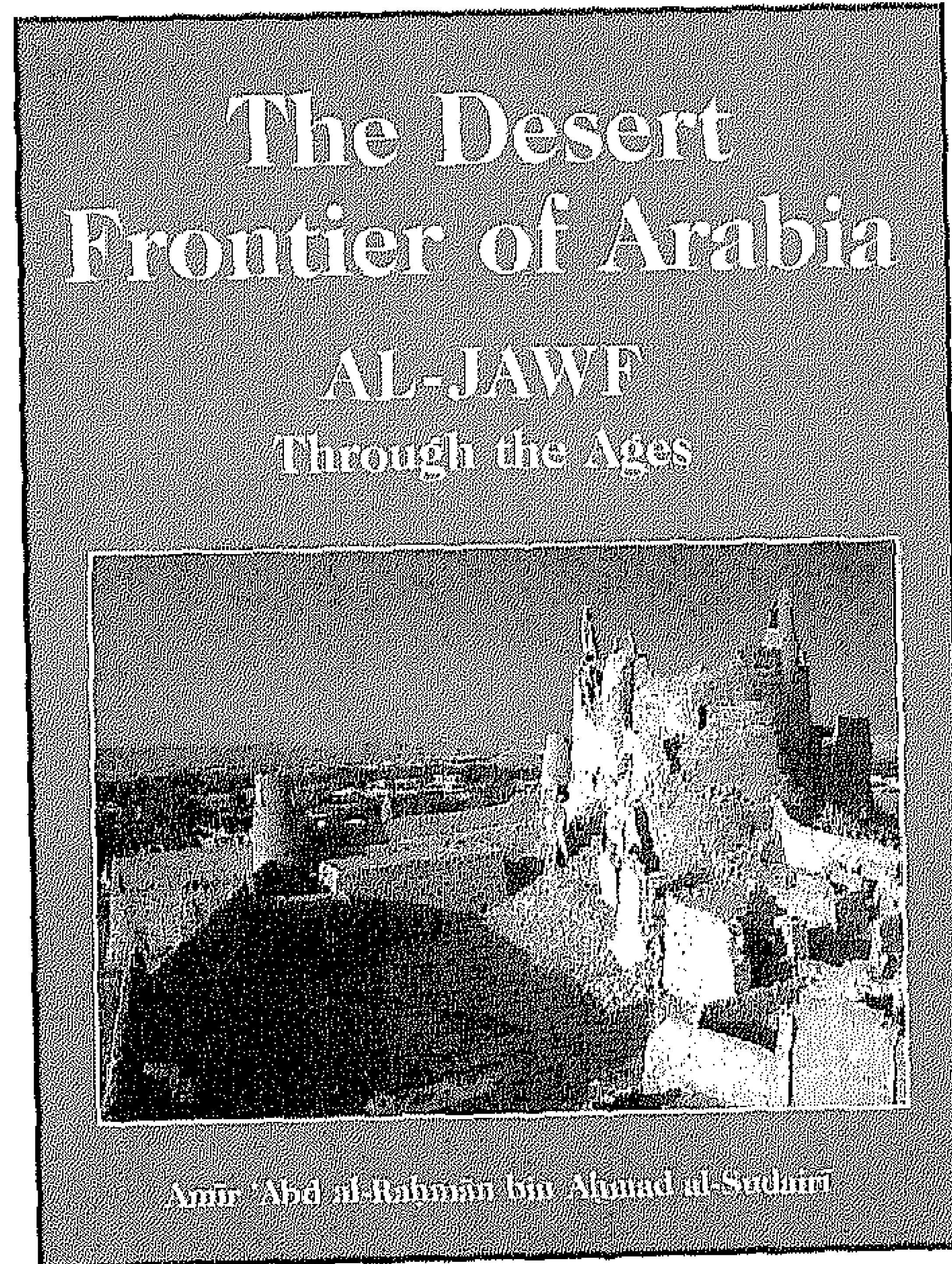
من مطبوعات مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية



القصائد
ديوان الشاعر الأمير عبد الرحمن بن أحمد السديري
السعر : ٥٠ ريالاً للديوان المطبوع
٩٠ ريالاً للتسجيلات



رائحة الطفولة
مجموعة قصصية للقاص : عبد الرحمن الدرعان
السعر : ١٥ ريالاً.



The Desert Frontier of Arabia
AL-JAWF Through the Ages.
Author : Amir Abd Al-Rahman bin
Ahmad Al-Sudairi
Price : SR 80 ($ 22) (paperpack)
SR 150 ($ 40) (hard copy)

تطلب هذه الكتب من :
مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية
الجوف – ص.ب : ٤٥٨ المملكة العربية السعودية
هاتف : ٦٢٤٥٩٩٢ ٠٤ – فاكس : ٦٢٤٧٧٨٠ ٠٤
بريد الكتروني : info@alsudairy.org.sa

These books could be ordered from
Abdul Rahman AL-Sudairy Foundation
Al-Jouf P.O. Box 458 Kingdom of Saudi Arabia
Tel. : +966 4 6245992 - Fax : +966 4 6247780
Email : info@alsudairy.org.sa

أدوماتو

استمارة طلب اشتراك

الاسم : ....

العنوان : ....

رقم الهاتف : .... رقم الفاكس : .... البريد الإلكتروني : ....

طريقة الدفع :

◯ أرفق لكم شيكا بمبلغ .... ريال سعودي، لأمر مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية – مجلة أدوماتو.

مقابل اشتراك لمدة : ◯ سنة واحدة ◯ سنتين ◯ ثلاث سنوات

◯ أرفق لكم صورة عن حوالة بنكية بمبلغ .... ريال سعودي لأمر مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية،

حساب رقم : (٠٠٠١٨١٦٣٦٥)، البنك السعودي الأمريكي، الفرع الرئيسي ، الرياض.

◯ أرجو أن ترسلوا لنا فاتورة بالمبلغ المطلوب.

◯ أفوضكم بخصم قيمة الإشتراك من خلال بطاقتي الإئتمانية.

◯ ماستر كارد ◯ أمريكان إكسبريس ◯ فيزا

رقم

تاريخ الإنتهاء : التوقيع : التاريخ :

الرجاء إرسال هذه الإستمارة بالبريد أو بالفاكس إلى :

مجلة أدوماتو ص.ب ١٠٠٧١ الرياض ١١٤٣٣ المملكة العربية السعودية فاكس : ٤٠٢٢٥٤٥ (١) (٩٦٦+)

أدوماتو

استمارة طلب اشتراك

الاسم : ....

العنوان : ....

رقم الهاتف : .... رقم الفاكس : .... البريد الإلكتروني : ....

طريقة الدفع :

◯ أرفق لكم شيكا بمبلغ .... ريال سعودي، لأمر مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية – مجلة أدوماتو.

مقابل اشتراك لمدة : ◯ سنة واحدة ◯ سنتين ◯ ثلاث سنوات

◯ أرفق لكم صورة عن حوالة بنكية بمبلغ .... ريال سعودي لأمر مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية،

حساب رقم : (٠٠٠١٨١٦٣٦٥)، البنك السعودي الأمريكي، الفرع الرئيسي ، الرياض.

◯ أرجو أن ترسلوا لنا فاتورة بالمبلغ المطلوب.

◯ أفوضكم بخصم قيمة الإشتراك من خلال بطاقتي الإئتمانية.

◯ ماستر كارد ◯ أمريكان إكسبريس ◯ فيزا

رقم

تاريخ الإنتهاء : التوقيع : التاريخ :

الرجاء إرسال هذه الإستمارة بالبريد أو بالفاكس إلى :

مجلة أدوماتو ص.ب ١٠٠٧١ الرياض ١١٤٣٣ المملكة العربية السعودية فاكس : ٤٠٢٢٥٤٥ (١) (٩٦٦+)

SUBSCRIPTION ORDER FORM



Name: ____________________

Address: ____________________

____

Tel.: __________ Fax: __________ E-Mail: __________

PAYMENT DETAILS

○ I enclose a Cheque for US$.......................... made payable to :
(Abdul Rahman al-Sudairy Foundation - Adumatu Journal).

Aa a subscription for: ○ 1 year ○ 2 years ○ 3 years

○ I enclose a Xerox copy of a Bank Transfer made to Abdul Rahman al-Sudairy Foundation, Account No. (0002809303) Saudi American Bank, Main Branch, Riyadh.

○ Please invoice me.

○ Charge my credit card: ○ Master Card ○ VISA ○ American Express

Card No. | | | | | | | | | | | | | | | | |

Expiry Date: Signature Date:

Please send this form by mail or fax to:
Adumatu Journal P.O. Box 10071, Riyadh 11433, Kingdom of Saudi Arabia, Fax: (+966) (1) 4022545



SUBSCRIPTION ORDER FORM

Name: ____________________

Address: ____________________

____

Tel.: __________ Fax: __________ E-Mail: __________

PAYMENT DETAILS

○ I enclose a Cheque for US$.......................... made payable to :
(Abdul Rahman al-Sudairy Foundation - Adumatu Journal).

Aa a subscription for: ○ 1 year ○ 2 years ○ 3 years

○ I enclose a Xerox copy of a Bank Transfer made to Abdul Rahman al-Sudairy Foundation, Account No. (0002809303) Saudi American Bank, Main Branch, Riyadh.

○ Please invoice me.

○ Charge my credit card: ○ Master Card ○ VISA ○ American Express

Card No. | | | | | | | | | | | | | | | | |

Expiry Date: Signature Date:

Please send this form by mail or fax to:
Adumatu Journal P.O. Box 10071, Riyadh 11433, Kingdom of Saudi Arabia, Fax: (+966) (1) 4022545

Ibn Battutah, Muhammad b. Abd Allah. 1987. **Rihlat Ibn Battutah (tuhfat al-nuzzar fi ghraib al-amsar wa ajaib al-asfar)**, Ihya al-Oloum Press, Beirut.

Ibn Hisham, Abu Muhammad Adulmalik. 1375 H/ 1955. **Alsirah Alnabawiyah**, verified by Mustafah Alsaqah, Ibrahim Al-Ibyari and Abdul Hafeez Shalabi, 2 nd edn, Cairo.

Jomier, J. 1953. Le Mahmal et la caravane egyptienne des pelerinages de la Mecque. **I. F. A. O.** Le Caire.

Rifat Pasha, Ibrahim. n. d. **Miraat al-Haramayn**.

Sadig, Muhammad Pasha. 1896/ 1313 H. **Daleel al-Hajj liwarid ila makkah wa al-Madinah min koli Faj**, 1st edn. Bolaq, pp. 36-38.

ملخص: كان طريق الحج المصري هو الطريق الرئيس، الذي تستخدمه قوافل مسلمي أفريقيا من مصر، إلى الديار المقدسة في الحجاز. ويبدأ هذا الطريق من القاهرة باتجاه شرقي عبر صحراء سيناء ليتجه نحو شمال غرب شبه الجزيرة العربية، ثم يتجه جنوباً إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة. وقد تغذى طريق الحج المصري - عبر عصور التاريخ الإسلامي المختلفة - من طرق كثيرة، نبعت من أجزاء مختلفة من القارة الأفريقية. فالحجاج الأفريقيون، القادمون من مناطق شرق أفريقيا ومن غربها ووسطها وجنوبها، اعتادوا التجمع في القاهرة، حيث يلتحقون بقافلة الحج المصرية الرسمية، المعروفة باسم (المحمل). وتحاول هذه الورقة أن ترسم صورة واضحة لطريق الحج المصري، ومراحله التاريخية، وآثاره، كما تعالج على نحو موسع، الطرق الرئيسة، التي سلكها حجاج أفريقيا، في طريقهم لتأدية مناسك الحج.

References

Abu Shoiba, Mustafa. 1405 H/ 1984. **Al-Barnu Fi Ahd Al-Osrah Al-Kanemiyah, 1814-1969**. Dar Al-Oloum, Riyadh.

Al-Harbi, Abu Ishaq. 1389 H. **Al-Manasik Wa Amakin Turug Al-Hajj Wa Maalim Al-Gazirah,** edited by Al-Jasir, Hamad, Dar Al-Yamamah, Riyadh.

Al-Iraqi, Seid Ahmed. "Tigarat Al Gawafil biyn shimal wa gharb afriqiya wa athruha al-Hadhari". In: **Tigarat Al Gawafil wa Dawraha Alhadhary Hata Nihayat Algarn Altasi Ashr,** (Convoys' Trade & Its Civilizing Role UpTo The End Of The Nineteenth Cintury), Institute of The Arab Research and Studies, p. 150.

Al-Jasir, Hamad. 1977/1397 H. **Al-Mujam al-Jugrafi lilbilad alarabiyah al-Saudia, Shamal al-mamlakah**, 1st edn. Dar al-Yamamah, Riyadh.

Al-Jasir, 1402 H/ 1982. **Mulakhas Rihlatai Bn Abul Salam Al-Diri,** Dar Al-Rifai, 1st edn. Riyadh.

Al-Maqdisi, Shams Al-Din Abu Abdallah Muhammad ibn Ahmad, **Ahsan Al-Taqaseem Fi Marifat Al-Agaleem,** Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, Beirut, 1408 H/ 1987.

Al-Meqrizi, Tegi Aldin Ahmed Bin Ali 1955. **Al-Dhahab Al-Masbuk Fi Thikr Mun Hagah Min Alkhulafa Wa Almulouk**, Ciaro.

Al-Maqdisi, n. d. **Al-Mawaiz Wa Al-Itibar Bi-thikr Al-Khitat Wa Al-Athar**. Beirut.

Al-Shikhaly, Sabah Ibrahim. 1984. "The commercial activities across the Western Saharan route till the end of the 5 th century H". In: **Tigarat Al Gawafil wa Dawraha Alhadhary Hata Nihayat Algarn Altasi Ashr.** Bagdad, pp. 32-38.

Anati, E. 1968/ 1972. **Rock Arts in Central Arabia.**

Awadallah, Sheikh Al-Amin. 1404 H/ 1984. "Tigarat Al Gawafil biyn Al-Maghreb wa Al-Sudan Al-Gharbi wa Athariha Al- Hadhariya fi Algarn Al-sadis Ashr Al-Miladi" In: **Tigarat Al Gawafil wa Dawraha Alhadhary Hata Nihayat Algarn Altasi Ashr**, Institute of The Arab Research and Studies, P. 73.

Ghabban, Ali. I. 1988. **Introduction a letude archeologique des deux Routes syrienne et egyptienne de pelerimage au Nord-Quest de I arabie Saoudite**. These de doctorat d Etat, pp. 61-68.

Hassan, Hassan Ibrahim. 1984. **Intishar Al-Islam Fi Al-Garah Al-Afriqiyah,** 3 rd edn. Maktabat Al-Nahdha.

Hassan, Yousif Fadl, 1985. **Afro-Arab Cultural Relations.** Tunis.

period of the Ashraf rule, and the period of the Kingdom of Saudi Arabia. Throughout this phase pilgrims again abandoned using the land route. Travelling by train to Suez, they then sailed to Jiddah.

Next, we shall survey the remaining archaeological monuments in Arabia on the Egyptian Pilgrim Route.

This route, both internal and coastal, received the greatest attention of the rulers of the early Islamic periods, particularly the Egyptians. They dug wells; constructed cisterns, removed or levelled obstacles, and built mosques at certain stations. Historical sources recorded a few of such achievements. There is the record of 'Aqabat Aylah by Fatin, a partisan of Khamarawayh b. Ahmad B. Tulun (Al Meqrizi: 184), and another of the seven wells at Wadi Duba (al-Jasir). Khan al-Ashirah at Yanbu was described by al-Maqdisi as being second to none (al-Maqdisi: 83). There are also the mosques which Egyptian rulers built at Badr, in addition to the canal and cistern of Khulays (*op. cit:* 81-83). Some monuments of the Egyptian Route, dating to the early Islamic period, are still remaining today, especially along the internal track. Such monuments are The cistern at 'Ayn al-Nabi near Shaghab, the cistern of Buda and the wells of Balatah between Buda and Khushaybah. Hundreds of early Arabic inscriptions spread upon the internal track. Most important of these are those on the rocks of northern Shuhaybat Bida (Ghabban 1988: 515-530).

Early Islamic archaeological monuments still remaining on the coastal route are very few, being some early Arabic inscriptions and some reservoirs built at city stations. Examples of these reservoirs are at al-Jar and Midian. The present scarcity of monuments on the coastal route during the early period, in my opinion, is probably the result of the maintenance works and additions to the route which had been carried out during the Mamluk and Ottoman periods.

On the other hand, the dearth of inscriptions on the coastal track of this route is acounted for by the absence of adequate rocks for engraving in the area of Tihamah coastal plain. Extant ones are found at places where water is abundant in the valleys surrounded by mountais. Such places are Naq' Bani Murr, Hafa'ir al-'Arja' to the south of al-Wajh, Wadi Fatimah.

The late Islamic Archaeological remains on the Egyptian pilgrim route date to the Mamluk and Ottoman periods. Built along the Egyptian route and its stations by Mamluk and Ottoman Sultans of Egypt and their viceroys, these are mainly architectural structures consisting of cisterns, wells , birkas (water reservoirs), caravanserai, and bridges. Archaeological remains also include those related to road construction and provision of comfort and safety for road users. As examples of such remains of the Mamluk period, one cites the cisterns of Nahl in Sinai, al-'Aqaba in Jordan, al-Aznam cistern, the well of al-Muwaylih and birkat Hafay'ir Shu'ayb in the Kingdom of Saudi Arabia. On the other hand, Ottoman archaeological remains on the Egyptian Pilgrim route are numerous. Of these, one can cite the cisterns of al-Muwaylih and al-Zuraib, and birkas of Traym, Antar and Khulays in Saudi Arabia.

Conclusion :

The African pilgrimage journey was extremely harsh, exhausting and difficult. It was also time-consuming, sometimes exceeding a whole year. The pilgrim had to cross jungles,deserts, rivers, and mountainous areas before reaching Makkah. For this reason, within the Muslim society in Africa, whoever held the title of Hajj would enjoy a remarkable social prestige, especially in relation to those who were not fortunate enough to make the trip.

Dr. Ali Ghabban Department of Archaeology and Museology, College of Arts, King Saud University, Riyadh, K.S.A.

were unable to pay for maintaining and running the road. Moreover, the Crusaders occupied Aylah, the main station of the road and the only gateway to Arabia (Ghabban 1988: 61-68). The coastal route was totally abandoned for about two centuries. The impact of this situation on the road was negative, affecting constructional development and settling activities in onrthern Hejaz. Pilgrim caravans returned to travelling on the coastal route only in 667 A.H, when the Mamluk Sultan al-Zahir Baybars instructed pilgrims not to travel through 'Aidhab. He sent Kiswat al-Ka'bah and the official pilgrim Caravan along the land route (al-Meqrizi : 202). Since then, and throughout the Mamluk and Ottoman periods, pilgrim caravans, coming from Egypt, gathered at Birkat al-Hajj near Cairo. From there, they moved along the Suez road, passing through al-Buwayb, 'Ajrud and then across Sinai at the point between the gulf of Suez and the gulf of 'Aqabah. Then, caravans crossed a number of stations like al-Munsarif, Nakhl, Bir al-Qrays, 'Arqub al-Baghalah and Sath al-'Aqabah. Afterwards they went down to Naqab al-'Aqabah until they arrived at 'Aqabat Aylah on the 9th day of their departure from Cairo.

After leaving 'Aqabat Aylah, pilgrim caravans passed through Haql, 'Aqabat Zhr al-Himar, al-Sharaf and Magha'ir Shu'ayb. From there, they proceeded southwest up to 'Aynuna. From 'Aynuna, they travelled parallel to the sea coast, crossing some such important stations as al-Musala (Sharmah), Traym, al-Nabak (al-Muwaylih), Wadi al-Ghal (Wadi al-Qastl), Duba', al-Azlam, Birkat 'Antar, Qal'at al-Wajh, Bayn al-Nahdayn, Wadi al- 'Arja', Birkat Akra, Bir al-Qarawi, al-Hawra', Nabat, Wadi al-Nar, al-Wa'rat al-Sab', al-Dahna, Wasit and Badr. After Badr, they went to Rabigh, Khulays, 'Usfan and Makkah. On reaching Makkah, they would have spent one full month since their departure from Cairo (Fig. 6).

The coastal road continued to be used by pilgrims coming from Egypt until 1301 A.H. This was the date for the last official caravan to have used the coastal road. Thereafter, the Egyptians used the sea from Suez to Jeddah in sailing and steam-ships (Sadig 1896: 36-38; Rifat Pasha: 184). During its course of history the Egyptian route passed through four phases. These are the following:

The First phase:

This one extended from the Muslim conquest of Egypt to the middle of the fifth century A.H. During this period, the route followed two tracks through Arabia, one internal and the other coastal.

The Second Phase:

This was the phase of 'Aidhab way. Its use spanned the period from about 440 to 666 A.H. During this time the land route, crossing northern Hejaz, was no longer in use, because Egyptian pilgrims used ships over the Nile to Qus. From there they took caravans to 'Aidhab, and then crossed the sea to Jeddah.

The Third Phase:

This phase is the longest of the four because it lasted from 667 to 1301 A.H., covering the Mamluk and the Ottoman periods, in addition to the period when Hejaz was under the rule of the First Saudi Sate. The First Saudi State was able to have full control over both the Syrian and the Egyptian Pilgrim Routes of northern Hejaz.Its authority was even extended up to Ma'an. During this phase pilgrims once again returned to using the coastal road across northern Hejaz.

The Fourth Phase:

This one covered the beginning of the fourteenth century A.H. (20th A.D.), which included the end of the Ottoman period, the

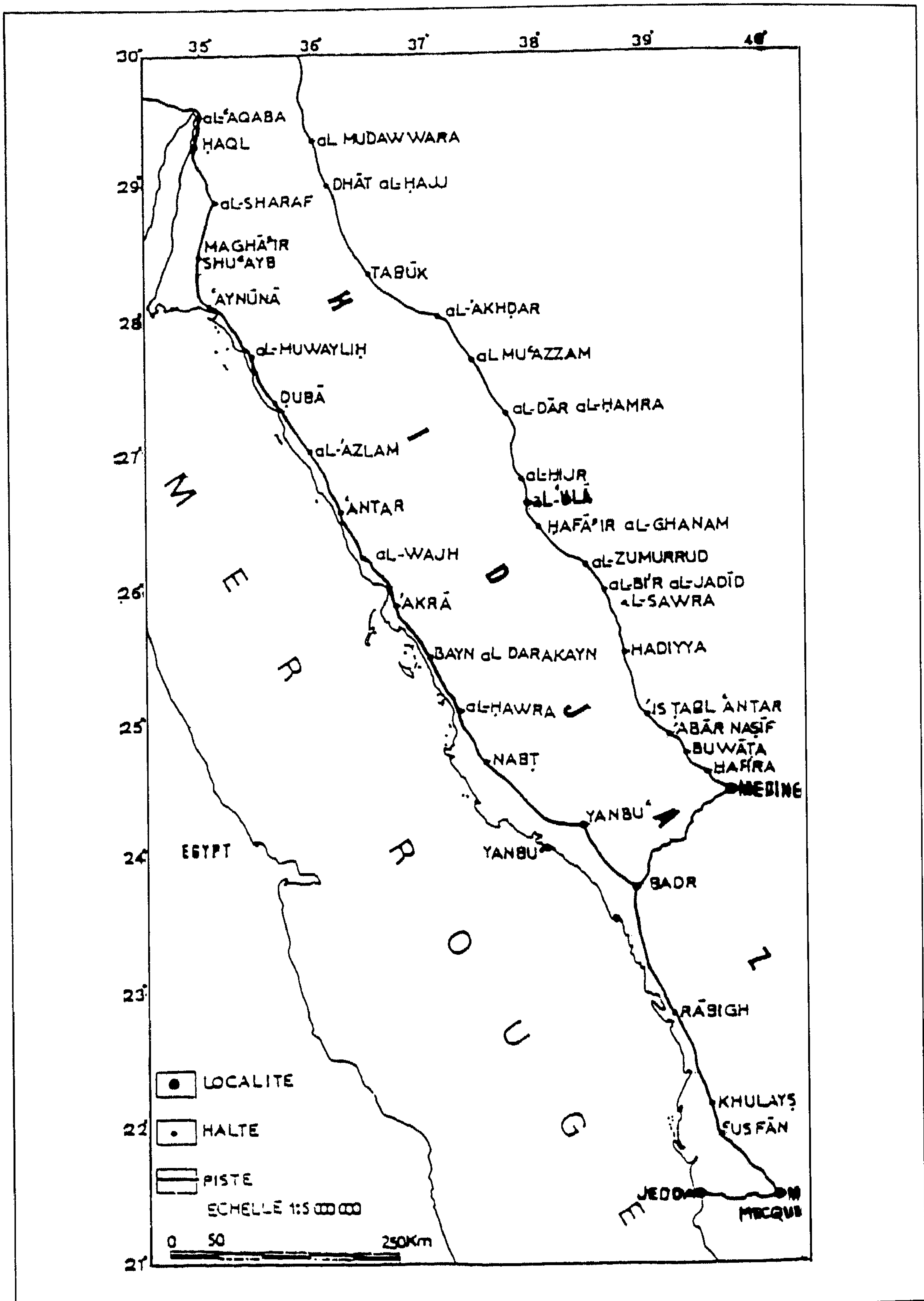


Fig. 6: The Egyptian pilgrim routes during the Mamluke and Ottoman periods.

Mosques in Hejaz, there were also direct sea-routes from the seaports of the Horn of Africa and coast of Zanzibar to the seaports of Yemen and Hejaz. Those routes were used by the pilgrims of those areas in their trip to preform Hajj. However, such routes were not considered ramifications of the Egyptian Hajj road to which we now turn our attention and address its history throughout the different Islamic periods.

For pilgrims of Egypt, North Africa, Andalus (Spain) and the rest of Africa, it was necessary to cross the Sinai Peninsula in order to reach the town of Aylah ('Aqabah), which was the first station on the Egyptian Pilgrim Route in Arabia. After this station, pilgrim caravans used to pass through Haql, al-Sharaf and then Midian (Maghair Shu'ayb-al-Buda'). During the early Islamic ages, pilgrims coming from Egypt, after leaving Midian, followed internal and coastal routes (Fig.3). The internal route stretched southward passing through Shaghab, Bada and a number of stations afterwards, to reachWadi al-Qura where it joined the Syrian Pilgrim Route at al-Suqya (al-Khushaybah); and then the two would form one single route thereafter. Therefrom, the route led to al-Madinah, as explained earlier. After leaving Midian, the coastal route followed the Red Sea Coast, passing 'Aynuna, al-Nabak (al-Muwaylih), Duba', al-'Uwaynid, al-Wajh, al-Hawra', al-Ahsa (Mughirah-Nabat), Yanbu', and al-Jar. From there it took the direction of Makkah through al-Juhfah, Khulays, 'Usfan and then to al-Madinah across Badr (Fig.4). The internal route was extensively used during the first and second centuries A.H. (7^{th} and 8^{th} A.D.). During the third century the use of the coastal route intensified and the internal route was finally abandoned at a later date (al-Harbi 1389 H: 694; al-Maqdisi 1408).

Pilgrim caravans continued to travel along the coastal route up to the middle of the fifth century A.H. (11^{th} A.D.) . Afterwards, they travelled by sea through 'Aidhab (Fig. 5). At the beginning this was due to the recession through which Egypt was passing towards the end of the Fatimids rule, who at that time,

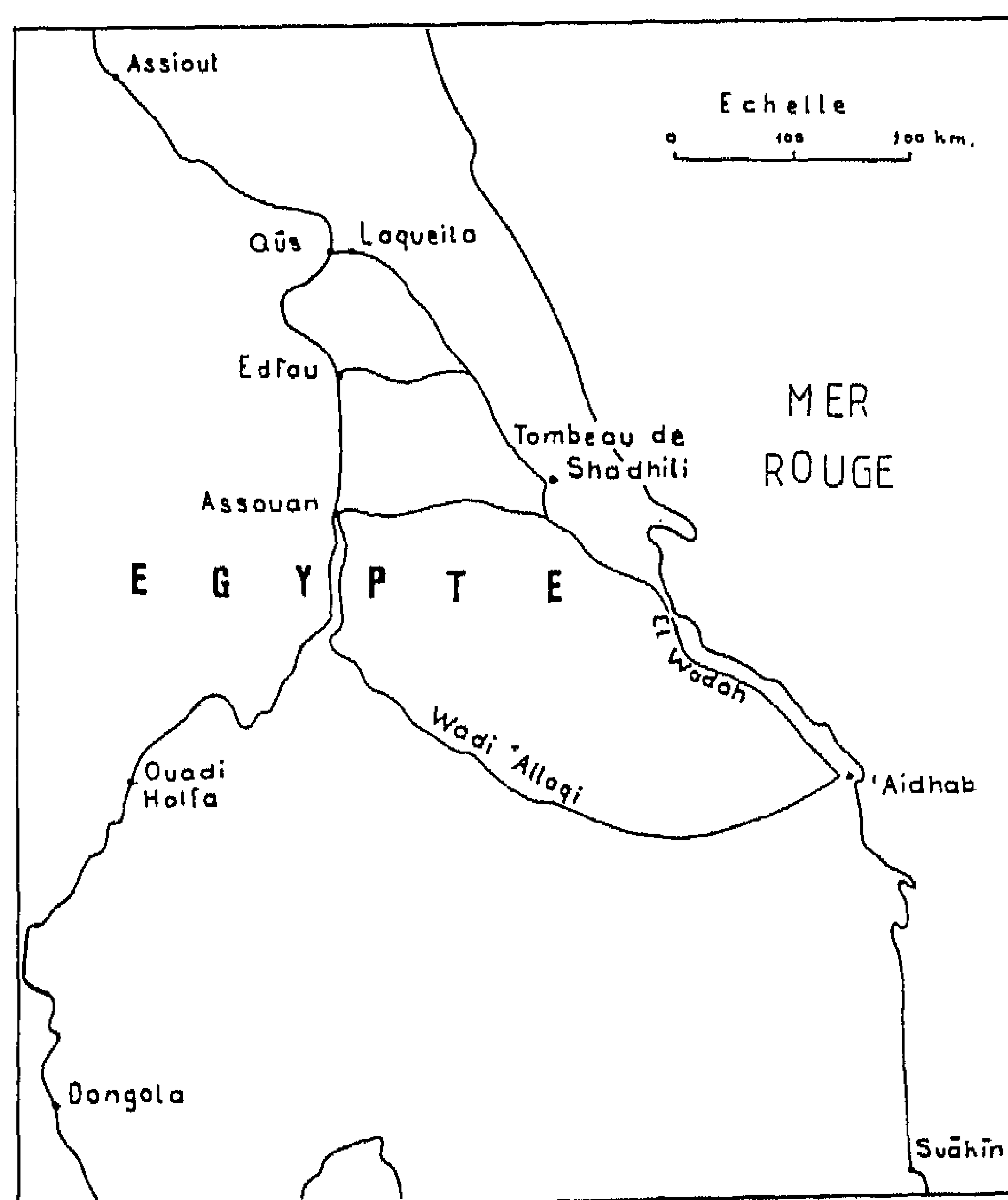


Fig. 5: Aydhab route.

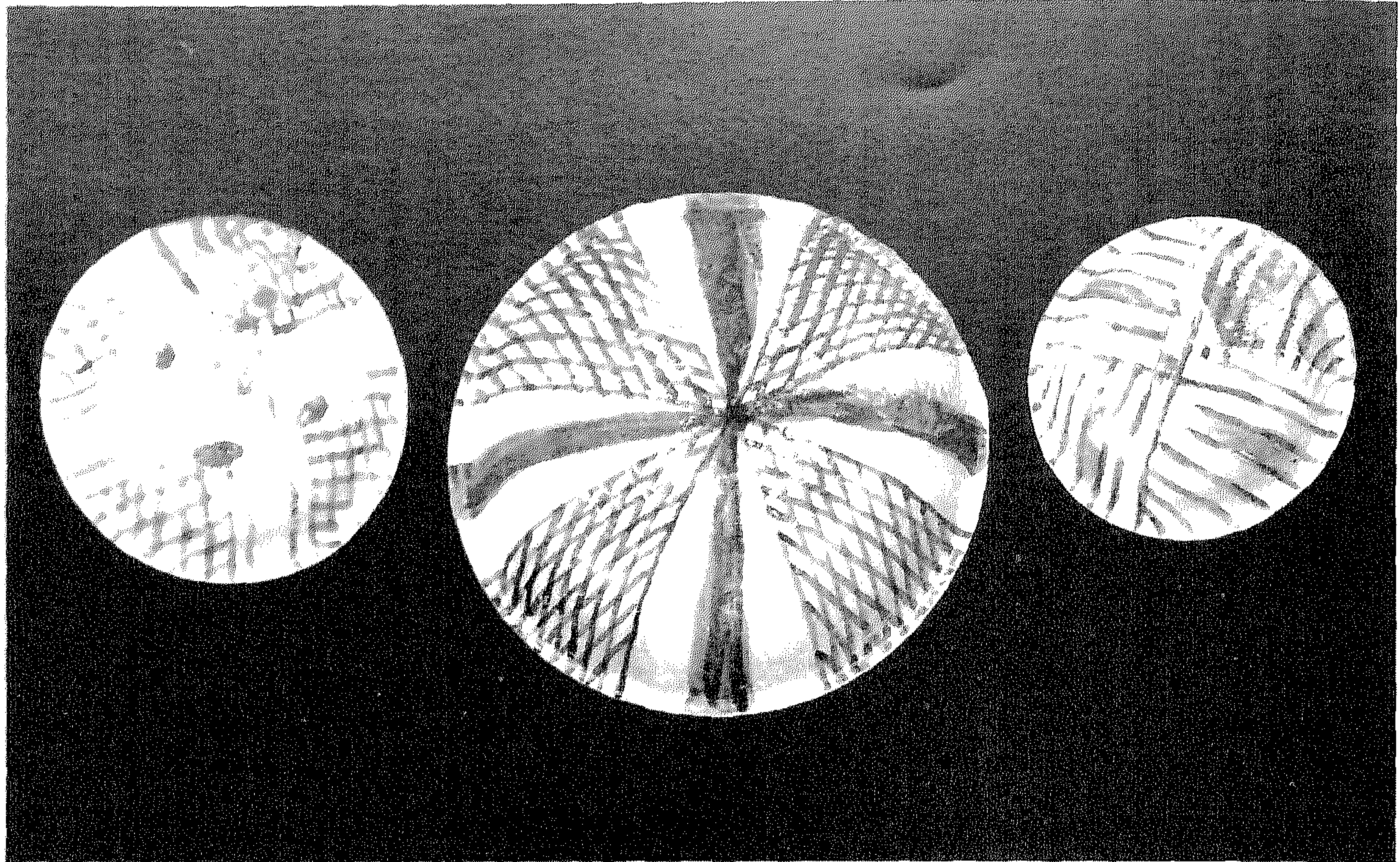


Fig. 4 : A Blate with painted decoration from Hejaz.

Fourth: Eastern Sudanic Routes :

The importance of these routes had emerged during the 17th century A.D. after the rise of the Islamic Sultanate of Darfur. The most significant roads were three, the primary route for Darfur pilgrims and Western Sudan pilgrims had been described above. It started from the westernmost regions of the Sudan, passing through Borno, Wdai, Darfur and the Funj Kingdom until it reached the seaports on the west coast of the Red Sea, where pilgrims would take boats to the Hejazi land (al-Nagar 1972 : 106; Diyab 1984: 114).

The second route was mainly a trade route proceeding from Darfur to Tripoli on the Libyan coast, or to Tunisia through Fezzan, or Kufra passing through Jallo Oasis. Darfur pilgrims might have used this route also, through which (as sources indicate) gifts were sent in to the Two Holy Mosques *(op.cit. 106)*.

The third route, known as el-Arbaeen route, was a major road for trade and Hajj. It linked the Islamic Sultanate of Darfur with Ottoman Egypt. It extended from el-Fasher to Asyut, a distance of 1117 miles. It used to take camel caravans forty days to cover that distance, which was the actual travelling time (Diyab 1984 : 115). The starting point was the town of Kobi, the trading centre of Darfur. From there, it proceeded through a desert area to Bier al-Natroun, Ligya, Siwa Oasis, Beir-Tarfawi, Shibb, Beir Kasbah, Beir Abu Hussien, Beir al-Murr, then to al-Kharja Oasis located 90 miles away from Asyut, where the road joined the Nile Valley *(op.cit: 116)*.

By this route, the sultan of Darfur used to send his Darfur mahmal (camel-borne litter) that comprised a shuttle caravan accompanying the pilgrims to be sold in Egypt; the proceeds would be sent with the Egyptian mahmal to Makkah as a contribution to the expenses of the Two Holy Mosques (al-Nagar 972: 106).

In addition to the land routes used by the African pilgrims via Egypt to the Holy

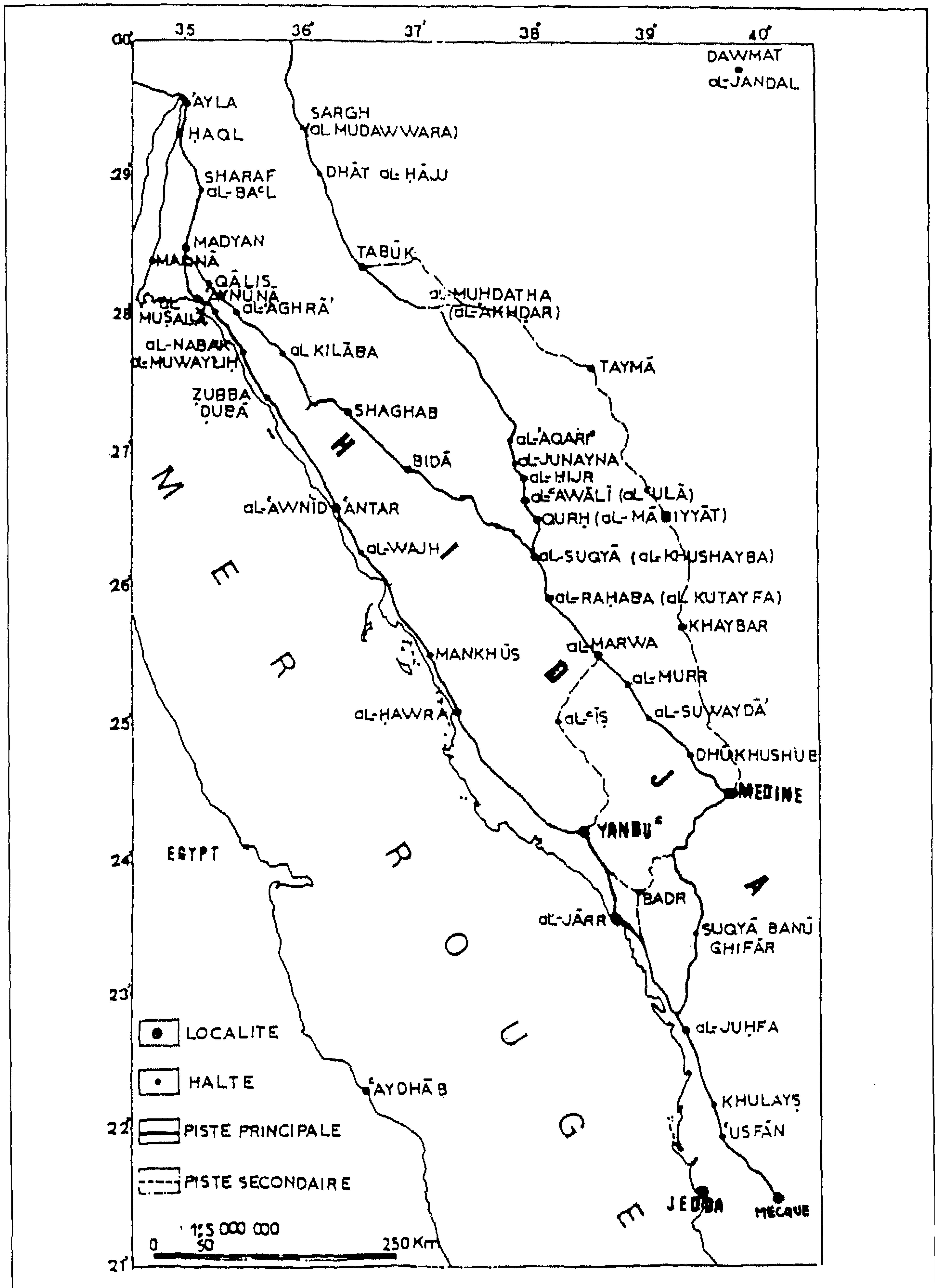


Fig. 3: The Egyptian pilgrim routes during the Ummayad and Abassid periods.

lar attention: the Muravids had managed to extend their influence over most parts of its tracks, Ghana kings had embraced Islam, and the spread of the Islamic call across the territories of Senegal and Niger rivers.

2- Gao, Dejenne, Timbuktu, Walata, and Sijilmassa, Route.

3- Timbuktu, Tawat and Tlemcen Route.

4- Gao, Wargla, Tekrut and Algiers Route.

5- Gao, Fazan, Ghadames and Tripoli Route.

After Muravids had established the city of Timbuktu, and Islam had spread to Dejenne, those two cities became the most important centres for spreading the religion of Islam in west Africa, particularly after the collapse of the Kingdom of Ghana in the seventh century A.H/13th century A.D. (Awadallah 1984: 73) and the appearance of the Kingdoms of Mali and Songhay. Remarkably, during the period extending from the seventh to the tenth centuries A.H (13-16 A.D.) Timbuktu, Dejenne and Gao became gathering centres of pilgrim caravans arriving from central and western Africa on their way to Marrakesh, Tlemcen, Algiers or Tripoli, where they would accompany the Moroccan pilgrim caravans heading towards Egypt and Hejaz. (Fig. 2).

6- Timbuktu-Siwa Oasis Route

In addition to the above routes, there was a direct road from Timbuktu running north-east to Siwa Oasis in Egypt and ending in Cairo. This route acquired special attention during the period of the Kingdom of Mali. It seems that this route was followed by the sultans of Mali Kingdom such as Mansa Wali bin Mari Jata during the reign of al-Dhahir Baybars, Sakaboora and Mansa Musa who visited Egypt in the year 724 A.H. during the reign of the Mamluk Sultan Muhammad bin Qalawoun, and was accompanied by a group of his people and dependants (al-Meqrizi 1955: 110).

Third : Central Sudanic (Bilad Al Sudan) Roads (Sub-Saharan Africa) :

During the middle of the 12th century A.D. pilgrim and trans-trade routes in Central and Eastern Africa acquired remarkable significance owing to the rise of the Sultanate of Kanem in the north eastern region of Lake Chad. Also, the Sultanate of Borno founded by Sultan Ali Ghazi (1472 - 1504 A.D.) west of Lake Chad had successfully extended his influence east of Lake Chad and unified Kanem and Borno into one empire (Abu Shoaiba 1984: 16). Moreover, the fall of the Songhay Sultanate in the hands of a Saadi (the Saad Dynasty) in the 16th century A.D. had contributed to the efficiency of these routes. Thus they became more active than the western roads (Awadallah 1984: 77). On the other hand, the wide spread of Islam among Hausa tribes after the 13th century A.D. had contributed to increasing the number of people performing Hajj from Hausa states situated in northern Nigeria. (Kano, Rano, Zaria, Doura, Katsima, Zamphra and Ghowair). During the period running from the 16th to the 19th centuries A.D. Kano had become the most important centre from which Hajj caravans initiated their trip from Central Africa (Hassan 1984: 116).

The most important Hajj routes that started from Central Africa were two. The first one used to start from Kano, passing through the territories of Kanem-Borno, Bilma, Marzuk, Augila, Siwah Oasis, and then to Cairo. That route had ramifications that led from Marzuk to Tripoli (al-Iraqi 1984: 150).

The second route started from Kano passing through Borno land, Wadai, Darfur to the Nile Basin via Darb el-Arbaeen. The travellers could then proceed to Cairo or cross the Red Sea via the ports of 'Aidhab or Sawakin to Jedda in Hejaz *(op. cit: 106).*

1987: 34-41). This route was pursued by a great number of Moroccan and Andalusian travellers and geographers who described its stations and defined its stages and distances. Of those travellers one may mention the names of al-'Uzari al-Andalusi who travelled along this route in the beginning of the fifth century A.H. (11th cent. A.D), Abu 'Ubaid Allah al-Bakri who pursued it at the end of the same century, and al-Idrisi who described the towns along the same route at the end of the sixth century A.H. (12th century A.D). Among other travellers were Ibn Rushid who reached Madinah in the year 648 A. H., 'Abdari who performed Hajj in the year 689 A.H. and travelled through Egypt (al-Jasir, 1982 : 19) and Ibn Battuta, the most famous Moroccan traveller who started his journey from his home town (Tangier) in the month of Rajab, 725 A.H/ 1546 A.D (Ibn Battuta 1987 : 33), in addition to others of medieval and late Islamic periods (al-Jasir, 1982: 22-31) (Fig. 1).

Second : The Western Sudanic Routes

1- Ghana - Sijilmassa Route

This route connected the Far Maghreb with the western Sudanic regions (Ghana and al-Tekror). In the early Islamic periods this route had two main branches : the first started from Ghana in the south and ended in Sijilmassa in the north, after passing through the town of Awdaghost. As determined by al-Bakri in the fifth century A.H (al-Shikhaly 1984: 32-38), it took twenty days for covering the route which passed through the Saharan Sanhajan Berbers. The second branch started from Ghana, passed through nearly ten stages until it reached the territories of Lamtuna-Sanhajan tribes, then it crossed the Great Sahara Desert in eight days until it reached Wadi Dira'h in Maghreb. It is noteworthy that after the appearance of the Muravid State in the Far Maghreb much attention was paid to this route. Various reasons can be cited for this particu-

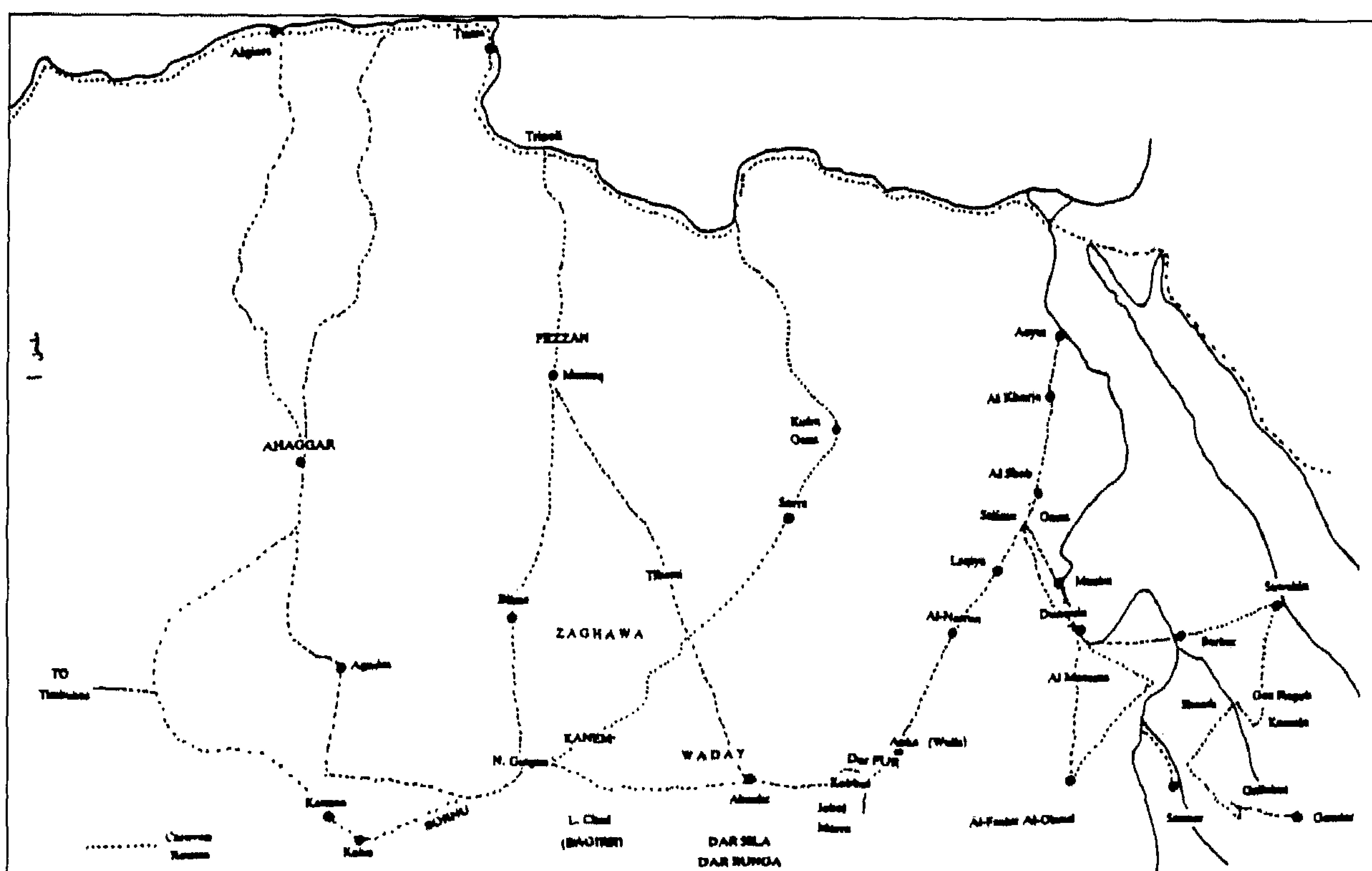


Fig. 2 : Subsidiaries of the Egyptain pilgrim route in Africa.

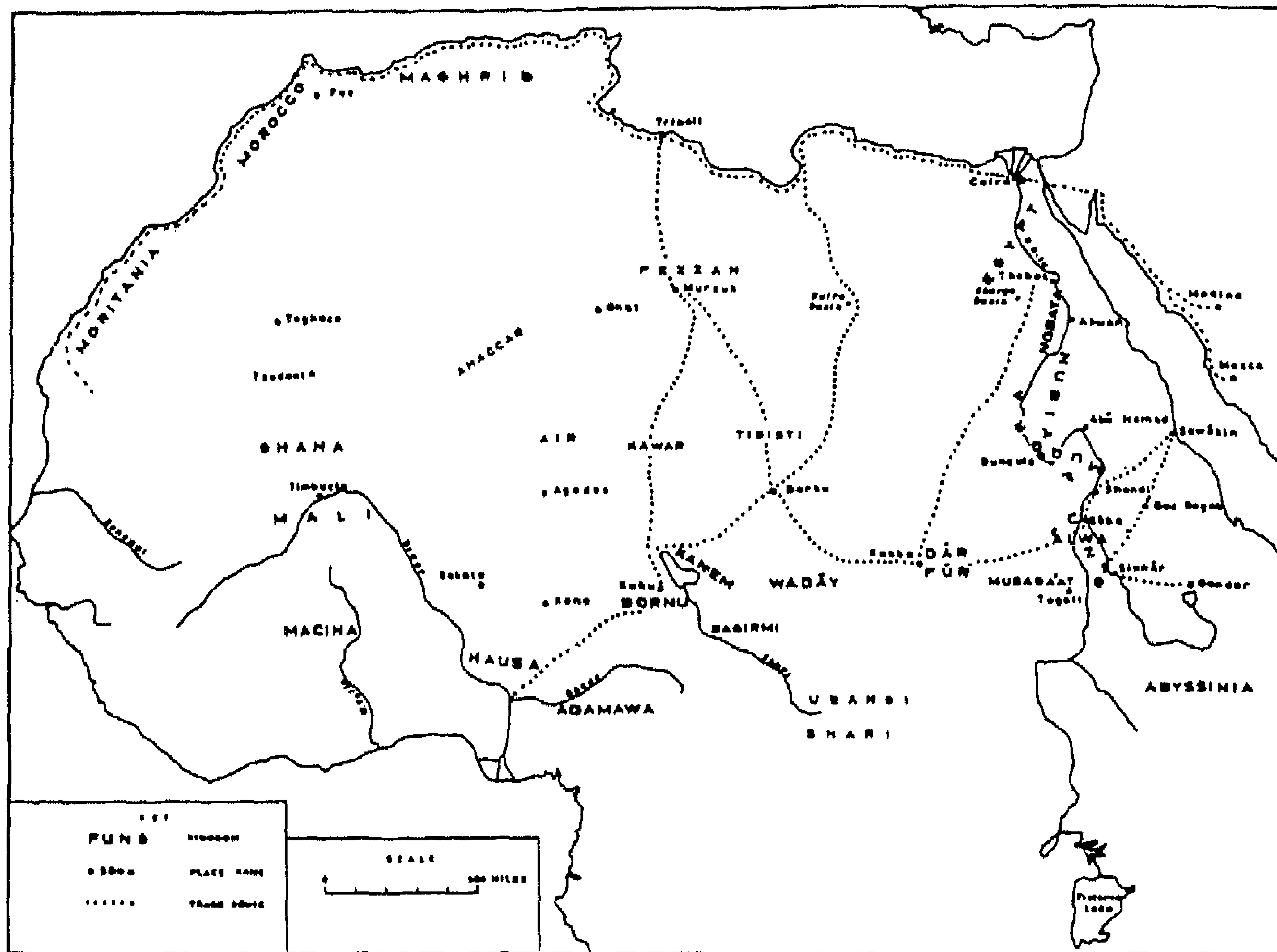


Fig. 1: Subsidiaries of the Egyptian pilgrim route in Africa, after Convoys' Trade & It's civilized Role.

one was financially and physically able to do so. Therefore, African pilgrim caravans started going to Makkah and al-Madinah every year coming from eastern, western, northern and southern parts of Africa. The number of the pilgrims increased steadily every year owing to the dissemination of Islam to the south of the great Sahara (Sahara Desert).

It is worth mentioning that, in the beginning, pilgrims travelled along the old trade routes as individuals and irregular groups. Later on main routes appeared to have been pursued by huge and organized pilgrim caravans. However, that was not the general phenomenon in the whole African continent. In spite of their conditions and starting-points, all those land-routes led to Egypt, at which point African pilgrims gathered before their departing to Makkah and Madinah. At that time the African pilgrims had to reach Egypt before the end of Shawal in order to accompany the formal Egyptian pilgrim caravan. The Egyptian pilgrim caravan used to be prepared by governors, caliphs and sultans of Egypt who rendered to it the means of protection, security and other necessities including sponsership and organization (Jomier, J. 1953). The most important routes pursued by pilgrim caravans from Africa towards Egypt, being branches to the Egyptian pilgrim route, are as follows :

First : The Northern Coastal Route

This is a main route used by Moroccans and North African pilgrims outside the Egyptian frontier. The route started from Marrakesh and Tangier in the far Maghreb, then it ran eastward toward Tlemcen which was an important station along the route and a gathering point for the pilgrims. After Tlemcen its track continued in a long journey parallel to the Mediterranean coast, passing through a great number of stations and towns, the most important of which were Malyana, Algiers, Bejaya, Pastantina, Bona, Tunis, Susa, Safaqis, Pabis, Tripoli, Masalata, Masrata, Sert and Alexandria in addition to a number of Egyptian towns until the route ended in Cairo (Ibn Battuta

The Sudanic feeding-routes of the Egyptain Pilgrim Road

Ali Ghabban

Abstract. *The Egyptian pilgrim route was the main road used by the African Muslim caravans from Egypt to the sacred places in Hijaz. The route begins at Cairo and eastward across Sinai Peninsula to the North West of Saudi Arabia and thence southward to Makkah and Madinah. During its different periods of Islamic history the Egyptian pilgrim route had many subsidiary inland routes coming from different parts of the African continent. The African pilgrims used to gather from northern, western, eastern, central and southern regions of Africa and congregate in Cairo where they join the official caravan of pilgrimage (mahmal). The research attempts to give a clear portrait of the Egyptian pilgrim route, its historical stages and archaeological remains. It will deal elaborately with the major routes used across Africa by pilgrims in their way to perform the Hajj or pilgrimage.*

Introduction

In the beginning of the 7th century A.D. God Almighty dispatched in the Arabian Peninsula the Seal of the prophets, Muhammad, for Arabs and for other nations, inviting all to accept Islam. At the time of his death in the year 11 A.H (632 A.D.), the Islamic call spread all over the Arabian Peninsula, and it started to prevail outside Arabia. During the reign of the Four Guided Caliphs the call reached the neighbouring regions of the Arabian Peninsula (Syria, Iraq and Persia) and across the Red Sea towards Africa where it extended to many parts of the continent (Egypt, Libya and Tunisia). Even prior to that date and during the lifetime of Prophet Muhammad himself (as a result of the emigration of the Prophet's Companions who fled from the hostilities of the Makkan atheists), Islam reached Abyssinia on the eastern African coast of the Red Sea. It is noteworthy that, according to some sources (Ibn Hisham 1955 : 341), the presence of the Prophet's companions in Abyssinia was the reason for the conversion of the Abyssinian King into Islam. Thus Africa was the first place where Islam spread outside the territory of the Arabian Peninsula.

The Arabian and African cultural relations started since time immemorial, and the archaeological findings provided concrete evidence showing that their roots dated back to ancient periods in prehistoric times (Anati 1968/1972). Those relations were manifest in various forms of human migrations and cultural interactions. During the course of history the desert climate of Arabia might have been one of the reasons for this area's inhospitability and motivated its inhabitants to migrate to the northern and eastern coasts of Africa. However, the abundance of trade goods in Africa such as ivory, gold and perfumes as well as the practice of trade by the Arabs and the fame they acquired in this occupation, were major reasons behind the expansion of commercial activities between Arabia and Africa during the period of the ancient southern Arabian Kingdoms extending from the eighth century B.C. to the seventh century A.D (Hassan, 1985 :33).

With the advent of Islam, a new stage in the history of cultural relations between Arabia and Africa started. It is worth noting that Islam paved the way for the spread of many aspects of Arabian culture in Africa, particularly Islamic culture itself and the Arabic language, which is the language of the Holy Quran (op. cit: 44). As a result, every African Muslim was required to visit Arabia to perform Hajj at least once in a lifetime, if

Issue No. 3 January 2001
ISSN: 1319-8947 (pp 51 - 62)

Ciuk, C. and Keall, E. 1996. **Zabid Project Pottery Manual 1995. Pre-Islamic and Islamic Ceramics from the Zabid Area, North Yemen**. BRA S655. British Archaeological Reports, Oxford

Cressey, G. B. 1958. "Qanats, Karez, and Foggaras," **The Geographical Review,** 48: 27-44.

Crowfoot, J.W. 1911. "Some Red Sea Ports in the Anglo-Egyptian Sudan", **Geographical Journal** 37: 523-50.

Goblot, H. 1979. **Les Qanats: Une Technique d'Acquisition de l'Eau.** Mouton. Paris.

Insoll, T. In Press. "An Analysis of the Chinese pottery from the Settlements of Mtambwe Mkuu and Ras Mkumbuu on Pemba Island, and Tumbatu and Mkokotoni on Zanzibar Island," In: M. Horton, (ed.), **The Zanzibar and Pemba Excavations**. British Institute in Eastern Africa, Nairobi

Insoll, T. 1996. "The Archaeology of Islam in sub-Saharan Africa: A Review", **Journal of World Prehistory** 10: 439-504.

Insoll, T. 1998. "Islamic Glass from Gao, Mali" **Journal of Glass Studies** 40: 77-88.

Insoll, T. 1999. **The Archaeology of Islam.** Blackwells, Oxford

Lane, A. 1947. **Early Islamic Pottery, Mesopotamia, Egypt and Persia.** Faber and Faber. London.

Lewis, I. M. 1994. (repr.). **Peoples of the Horn of Africa**. Red Sea Press. Asmara.

Munro-Hay, S. 1982. "The Foreign Trade of the Aksumite Port of Adulis" **Azania,** 17: 107-25.

Munro-Hay, S. 1989. "The British Museum Excavations at Adulis" 1868. **Antiquaries Journal,** 69: 43-52.

Oman, G. 1974. "The Islamic Necropolis of Dahlak Kebir in the Red Sea. Report on a Preliminary Survey Carried out in April 1972", **East and West** 24: 249-95.

Paice, E. 1996. **Guide to Eritrea**, Chalfont St Peter: Bradt.

Paribeni, R. 1907. "Richerche nel Luogo dell'Antica Adulis" **Monumenti Antichi, Reale Accademia del Lincei,** 18: 438-572.

Paul, A. 1955. "Aidhab: A Medieval Red Sea Port" **Sudan Notes and Records,** 36: 64-70.

Phillipson, D. 1998. **Ancient Ethiopia**. British Museum. London.

Puglisi, G. 1969. " Alcuni Vestigi Dell'Isola di Dahlac Chebir e la Leggenda dei Furs", **Proceedings of the Third International Conference of Ethiopian Studies.** Institute of Ethiopian Studies, pp. 35-47. Addis Ababa.

Schneider, M. 1969. "Steles Funeraires de la Region de Harar et Dahlak (Ethiopie)" **REI,** 37: 339-43.

Tedeschi, S. 1969. "Note Storiche Sulle Isole Dahlak", **Proceedings of the Third International Conference of Ethiopian Studies**. Institute of Ethiopian Studies, pp. 49-74. Addis Ababa

Whitcomb, D. 1983. "Islamic Glass from Al-Qadim Egypt," **Journal of Glass Studies** 25: 101-108.

Wiet, G. 1951. " Roitelets de Dahlak," **Bulletin d'Institut de l'Egypte** 34: 89-95.

from the very beginnings of the religion itself. Significantly enough, Dahlak Kebir was defined very early as being in the *Dar al-Islam,* attesting to the degree of its evident Islamisation. In conclusion, although only a very preliminary reconnaissance has been completed, the potential and importance of the site of Dahlak Kebir merit more efforts. It is hoped that others will take up the challenge of further investigating Dahlak Kebir and the Dahlak Islands.

Acknowledgements: I am grateful to many people for their assistance and co-operation in Eritrea. First and foremost gratitude is owed to Dr Yoseph Libsekal, the Director of the National Museum in Asmara for permission to facilitate the reconnaissance visit, and to all our kind hosts at Dahlak Kebir. Many thanks are extended to Dr Charles Spence of Oxford University, Dr Chris Hillman of the Ministry of Marine Resources in Eritrea, and Yassin Adem of the same Ministry, who so expertly guided us to, on, and from, the Islands. Funding for the research has been kindly provided by the Haycock Fund, administered by the British Institute in Easern Africa, and St John's College, Cambridge. I would also like to thank the anonymous reviewers of this paper for their helpful comments.

Dr Timothy Insoll **School of Art History and Archaeology, University of Manchester, Oxford Road, Manchester, M13 9PL, U.K.**

Email: Tim. Insoll@man.ac.uk

ملخّص: ان بقايا الآثار التي سجلت أثناء زيارة الاستطلاع الأولى لموقع دهلك كبير في جزر دهلك بأرتيريا تؤكد أهمية جزر دهلك التي ظهرت في السجلات التاريخية حوالي ١٠٠ قبل الميلاد، والتي كانت مدخلاً رئيساً لتجارة البحر الأحمر كما كانت محطة وصل بين أفريقيا والجزيرة العربية خلال الحقبة الأكسومية والحقبة الإسلامية. وفي هذه الزيارة تمت ملاحظة وتدوين مظاهر مختلفة منها : قبور ومقابر (سبق أن درسها باحثون آخرون)، مناطق سكنية مكونه من بقايا طينية وآثار مدينة حجرية، كذلك هنالك مايبدو أنه منطقة ميناء، إضافة إلى صهاريج وخزانات مياه. وغالبية سطح الموقع تزخر بالمواد الآثارية مثل الخرز الزجاجي والصخري، والأوعية الزجاجية، وشذرات الأساور، والفخار غير المزجج المصنوع محلياً على مايبدو، إضافة إلى الفخار المزجج ذي الأصول الصينية والإسلامية الذي يعود (حسب النظرة الأولية) إلى حقبة القرون الوسطى (من القرن الثاني عشر الى القرن الخامس عشر). وقد أفضت زيارة جزر دهلك إلى عدة ملاحظات أولية حول الموقع ودوره في تجارة البحر الأحمر. ومن أهمها الرابطة الأكيدة بين نمو دهلك كبير وتطور التجارة التي كانت تجارة محلية ودولية، وهذه الحقيقة تؤكد أهلية هذا الموقع المهم لبحث آثاري معمق. فالموقع مفتاح أساس في اعادة هيكلة آليات تجارة البحر الأحمر عبر العصور.

References

Allen, J. De V. 1993. **Swahili Origins**. James Currey. London.

Bassat, R. 1893. "Les Inscriptions de L'Ile de Dahlak," **Journal Asiatique** 9: 77-111.

Bassat, R. 1913. "Dahlak" **Encyclopedia of Islam,** 1: 893.

Chami, F. 1998. "A Review of Swahili Archaeology" **African Archaeological Review,** 15: 199-218.

sherds of celadon are also found (Figure 7), and six sherds of whiteware are noted, two with a definite bluish tinge to the glaze (Qingbai or Ying-Ching?), very similar to pieces examined previously by this author from Pemba and Zanzibar Islands on the coast of Eastern Africa (Insoll in press). Similar wares have also been reported from Aidhab on the coast of the Sudan (Lane 1947: 31). These are perhaps of twelfth-thirteenth century date, but this is not certain. One large sherd of brown and olive glazed ware, perhaps Dusun ware, and a single black glazed sherd (outer surface only) are also recorded.

The Islamic wares include two pieces of Sgraffiato ware, with characteristic orange-brown fabric with green glaze; a similar fragment of tile is also noted. No sherds of Sasanian or Sasanian-Islamic wares are recorded, a surprising fact considering the probable Persian connection and Sassanid control of South Arabia from A.D. 575 until the Muslim conquest (Tedeschi 1969: 51-2). Similarly, the presence of Arabian wares, and more specifically those from the "Persian Gulf," at Aksum (Phillipson 1998:67) makes their lack in Dahlak Kebir the more surprising. However, this author does not claim to be specialist in this material, and thus it is possible that such wares are present.

Metals and Miscellany: Various pieces of iron slag are seen, along with three copper coins --one with an Arabic inscription (not read) -- a piece of a small copper dish and a fragment of impressed/hammered copper are also noted. Many fragments of coral are seen scattered throughout the surface of the site, perhaps the residue of jewellery manufacture.

Summary and Conclusions

The importance of Dahlak Kebir, described in the historical sources, is supported by the archaeological evidence. However, few conclusions can at this stage be drawn, though a number of preliminary observations can be made. Firstly, the correlation between the growth of Dahlak Kebir since the Aksumite period and trade is indisputable. Trade is evident on inter-regional scales (i.e., with Ethiopia and across the Red Sea with Arabia), and also on a much greater scale, with Dahlak Kebir tied to the Indian Ocean and Persian Gulf networks, as well as northward up the Red Sea, perhaps to the Mediterranean World. Slaves probably make up a major commodity of this trade, sourced from the interior, shipped to Dahlak Kebir, and then traded onward. Puglisi (1969) suggests that 3000-4000 slaves pass through Dahlak Kebir each year. A sizable transient slave population en-route from the African mainland would certainly justify the excess cistern capacity which has been noted previously. Other commodities which could have been involved in this trade include ivory, skins and fragrant woods, in addition to foodstuff coming from the African mainland and luxury and manufactured goods from long-distance trade. Futhermore, Dahlak Kebir appears to have been a manufacturing centre, possibly producing various items for trade with the interior; a fact attested to by, for instance, the bead manufacturing debris.

A further important and evident point pertains to the Red Sea; rather than being a physical barrier, it seems to have been a means of communication. In fact, connections with the Arabian shore of the Red Sea have often been as strong as those with the African mainland. However, the historical legacy intimately ties the Dahlak Islands to Eritrea. Thus, perhaps much as the Swahili of the Eastern African coast can be described as Indian Ocean in origin, the Dahlak can be seen as a similar product of trade and other contacts conducted over many centuries in the Red Sea region. The long-standing connection between Islam and the population of Dahlak Kebir can also be seen to be significant, with contacts dating almost

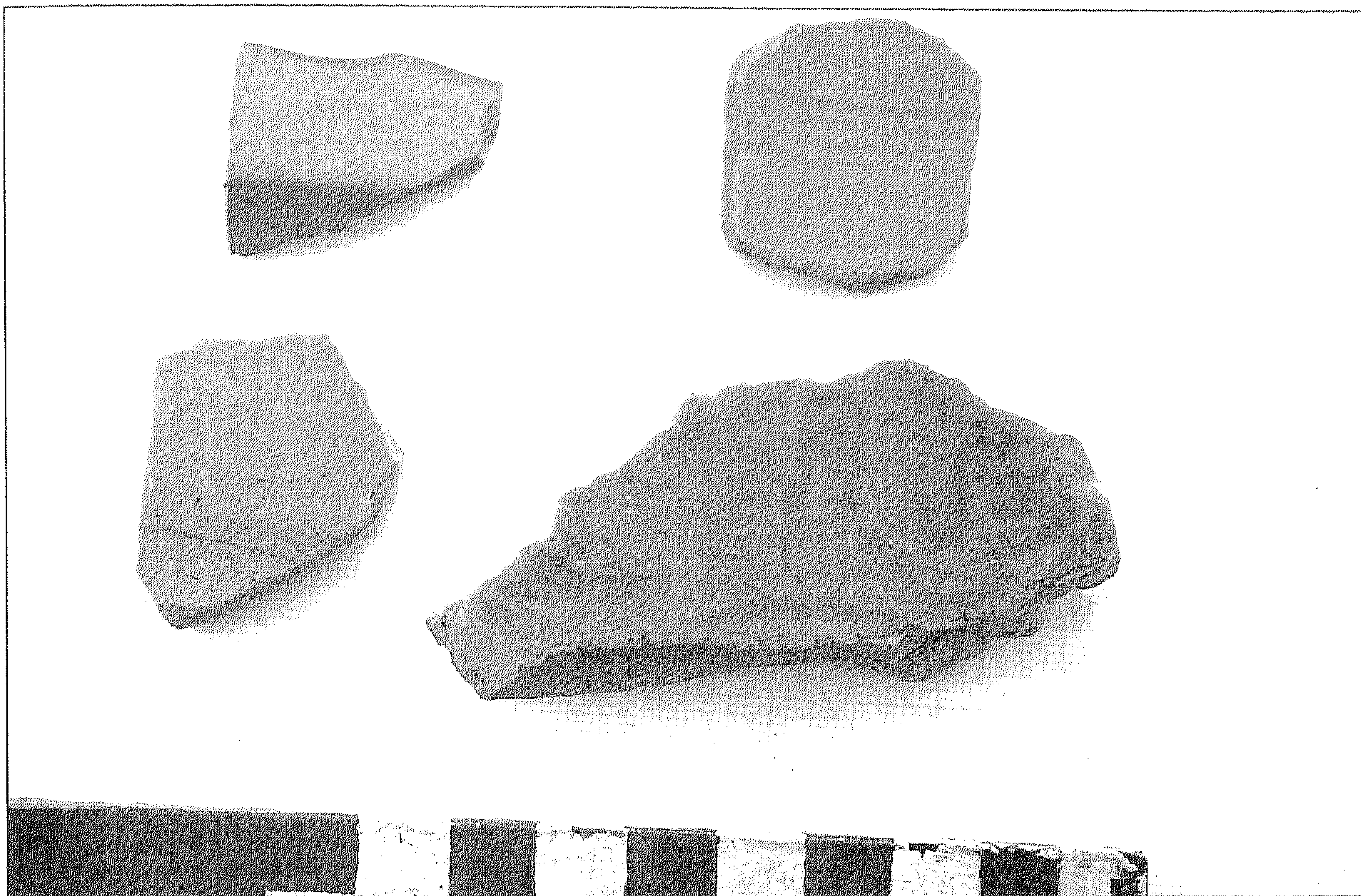


Fig. 7: Chinese celadons (Photo T. Insoll).

drilled, clearly showing that the drilled holes did not meet. Various misshapen glass beads and the contents of two crucibles used for melting glass (one blue, one black) are also found. These are too small to have been used for making glass vessels, and seem to have been similarly used for glass bead manufacture.

Glass: Many fragments of glass bracelet are found, and ten different types are recorded. Some are monochrome, others are multi-coloured, and of types recorded elsewhere on the Red Sea. Comparable assemblages include those from Aden, a major centre of production, and Quseir al-Qadim in Egypt, where they are dated predominantly to the thirteenth-fourteenth centuries (Whitcomb 1983). One large, cut glass pink bottle fragment is found, of very good quality and of unknown date (for similar material, see Insoll 1998).

Pottery: No attention has been paid to unglazed wares because of the brevity of the visit and of the inability to remove any material for further analysis. Moreover, the large-scale absence of comparable material (but see Cuik and Keall 1996), at least from the African side of the Red Sea, has further complicated the analysis of the unglazed pottery. It is recognised that this is a major omission which needs rectifying by future research projects. However, glazed-wares are briefly looked at as possible sources of information on long-distance trade contacts and as a potential dating aid, being somewhat more easily identifiable in the short time space available. Various categories of imported ceramics are found. However, it should be noted that these have yet to be examined in any great detail, and any identifications remain at present provisional and extremely tentative in nature.

Both Chinese (Far Eastern) and Islamic wares are represented; the former include large quantities of blue and white, thus later in date (post sixteenth century?). Four

land, a building is recorded and described as a "Persian church," a thesis which is dismissed by Puglisi (1969). Ascribed a second-third century A.D. date, the function of this latter structure is unknown; perhaps it was a temple. The existence of the enigmatic building in Dahlak Kebir village raises many interesting questions. If it is indeed a Christian church, who would have used it? The only reasonable answer to this is that part of the community was formerly Christian. This is perhaps not too inconceivable considering the island's proximity to Ethiopia with its predominantly highland Orthodox Christian tradition. Alternatively the church could have been reused in another form. However, at the present, this remains mere speculation. The important point to stress is that this building merits further investigation, and it is quite possible that, unless protected, the columns would disappear as portable souvenirs, once the islands become more accessible.

The Archaeological Material

As already stated, large quantities of archaeological material (beads, glass, locally produced and imported pottery, coral debris, copper coins and slag) were liberally strewn across the settlement and the possibly port areas of the site. The opportunity is taken to briefly examine some of this material, all are surface finds without context, and none are removed.

Beads. Large quantities of beads and, more importantly, bead manufacturing debris are found. These include small yellow and blue glass barrels, a small shell bicone, fragments of faceted bicones in what appears to be carnelian, an amber? sphere, and a pierced disc of mother of pearl (Figure 6). The latter is the only possible evidence found for the earlier importance of pearling. It is evident that bead manufacturing was taking place. This is indicated by for example, one of the carnelian bicones which seems to have been discarded when shattered whilst being



Fig. 6: Bead debris and glass fragments (Photo T. Insoll).



Fig. 5: Spiral column in the Aksumite? building (Photo T. Insoll).

prising considering the paucity of water on the Dahlak Islands and the obvious suitability of the cisterns for water storage.

Miscellany: A further monument which is less easy to place within a specific category is also recorded. This cosists of the remains of a well-built structure situated on top of a small mound, surrounded by a cemetery to the west of the site complex. In its location, it is therefore similar in certain respets to the tomb mentioned previously. Of especial interest is the use within this structure of a spiral carved marble column. The use of such columns is not recorded elsewhere at Dahlak Kebir though another solitary example is found lying on the surface nearby. This obviously has once formed part of the same building (Figure 5). Puglisi (1969: 38) also records the existence of this building as "a Christian church with Syrian influence", and relegates its date to the fourth-fifth centuries A.D. It is described as being composed of a podium, with several arches and an access staircase. Puglisi also describes the fragment of the marble column, and from his proposed date it appears that this is an Aksumite structure. The use of marble components within Aksumite churches is described by Munro-Hay (1989: 46-8) at Adulis on the Eritrean mainland (see also Paribeni 1907). However, the columns described, which are "almost square" (Munro-Hay 1989: 49), or alternatively octagonal, appear different from the examples from Dahlak Kebir. Interestingly, it also seems that some of the church fragments from Adulis "including screen posts and columns ... were manufactured from local marbles in Asia Minor, and were sent out from there prefabricated to be assembled at their destination" (Munro-Hay 1989: 50). This raises the interesting question of whether the Dhalak Kebir fragments also be of Eastern Mediterranean origin.

Aksumite ruins have been reported from elsewhere in Dahlak Kebir Island. At Gim'hile in the northeast corner of the Is-



Fig. 4: View of cisterns from the air (Photo courtesy Dr. Chris Hillman.

that the coral-built town forms a separate physical entity within a ring of mounds. The total settlement area could be even larger if one considers the probable existence of more ephemeral "suburbs" of impermanently built huts as well as possible areas for confining large numbers of slaves, features which are by their nature less archaeologically visible.

The standing houses themselves are well-built out of coral, the pieces of which are elaborately carved (Figure 3). Some buildings are better preserved than others, and it is possible, but as yet unproven, that many are associated with the Turkish period of control of the Island. In 1673 A. D, when the village of Dahlak Kebir was visited by the Turk Evliya Celibi, it had 600 houses, some of stone, others of mud and thatch, and each with a cistern (Tedeschi 1969: 71-2). The settlement mounds, four large and several small, do not merit further description other than to note that they can reach up to 4 meters in height and are again rife with archaeological material.

Cisterns and Water Collection Systems.

The remains of the water collection systems, along with the cemeteries have been reasonably well-reported, partly as a result of their number, but mainly as a result of their superb construction. One tradition relates that there has been one cistern for every day of the year; even more if the Turkish visitor, Celibi, is to be believed. Numerous cisterns have been found; it seemed pointless at present to record these individually. Their ubiquity is well indicated by aerial photographs (Figure 4).

The cisterns vary in their state of preservation, ranging from a couple of examples recently renovated to others only their mouths are visible, but otherwise are filled with sand, it will be seen that they are lined with plaster, obviously watertight, and that columns are used to support the roof. No one structural techniqus is uniformly employed, many styles are evident, which in itself deserves further investigation. Local tradition also associates the cistern construction with the Farsi or Persians (Puglisi 1969). This seems a reasonable attribution considering the history of Persian contacts with the area and the well-known Persian *Qanat*, a similar form of waterstorage technology (see for example Cressey 1958, Goblot 1979). In summary, this water storage and collection technology provide further possible indications of trading links with, or connections of some sort directed to, the Persian Gulf.

The existence of so many cisterns, often with rock cut channels to allow maximum catchment of water, implies a sizeable population. This, however, need not have been wholly permanent, but could have been supplemental, owing perhaps to a transient slave population (Puglisi 1969: 43-5). Similar cisterns, though in much smaller numbers, have been reported from elsewhere on the Red Sea, at Er-rih and Aidhab in the Sudan and at Massawa in Eritrea (Puglisi 1969; Crowfoot 1911; Paul 1955; Insoll 1996). Today water is collected from wells by the population of the village at Dahlak Kebir; the cisterns, except for one instance, appear to be no longer in use. This is sur-

also attest to the large population which formerly inhabited the site as well as to the racial variety and admixture in the Islands, referred to previously.

Several of these tombs also continue today to be of religious significance to the local population; these tombs seem to belong to prominent religious figures or saints (*Wali*, pl. *Auliya*)where various rituals are carried out. This is indicated, for example, by a structure, which is recorded, situated to the southeast of the site complex, on a small mound within a cemetery. At this structure-- a small tomb-- numerous pieces of rags have been tied to the remains of the tomb and to a black basalt column. The latter feature appears to have been deliberately moved, and incorporated at a later date within the building, for otherwise it does not fit structurally. Scattered around this tomb/shrine are many fragments of incense burners in coarse reddish-brown clay, indicating that other offerings are made here. These are also practices mirrored on the close Eritrean mainland, or rather immediately offshore on Sheikh Sa'id (Green Island) near Massawa. Here, the remains of another saint's tomb are recorded in which are found the remains of incense burners and offerings, including a sacrificed desiccated sheep, all concentrated within the mihrab (Insoll 1999). The function of these offerings is not certain, but obtaining blessings for safety in trading and fishing expeditions is a major factor underlying these ritual practices (C. Hillman pers. comm.). The importance of both shrines and the Cult of Saints seems a significant feature throughout this rigion (Lewis 1994).

The Port Area. For a major trading centre, the existence of a port is expected, and the bay certainly offers sheltered anchorage, and is utilised today by the local fishermen for this reason, as many timber huts on the waterline testify. A former port area appears to be represented by a zone of reasonably flat ground running down to the sea from the settlement area. This zone is partially submerged at high tide (Figure 2). The whole of the surface of the possible port area is liberally riddled with archacological material: beads, imported and locally produced pottery, glass and various types of more modern debris (see below). It is suggested that, depending upon the tide, vessels are brought up to this area to unload, and that the collected surface-material is the remains of rubbish and, more importantly, of breakages of goods whilst off-loading. This hypothesis appears to be supported by the existence of a channel, cutting through the area of the flat ground just described. This, it can be further suggested, might also be relating to a former harbour facility as an artificial creek or channel used for mooring and unloading vessels. Alternatively, it might be wholly natural in origin.

The Settlement. The settlement area is composed of the occupation debris over several centuries, comprising both an extensive area of coral houses and also various settlement mounds (Figure 2). Without excavation, it will not be known whether the different areas of the settlement represent different phases of occupation (with, for example, the mud houses, which have melted to form the mounds, being abandoned whilst the coral houses occupied). It is apparent

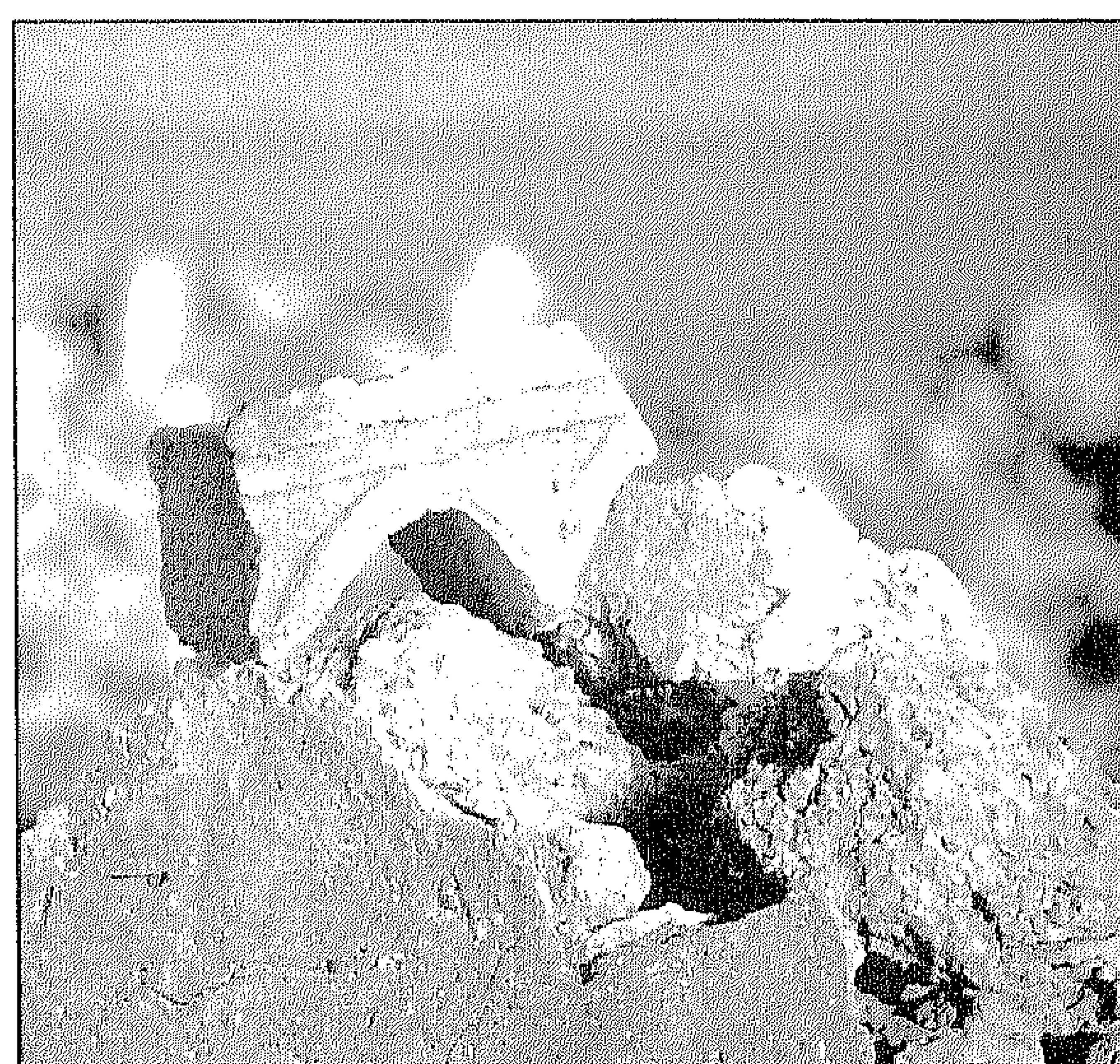


Fig. 3: Block of carved coral from the stone-town (Photo T. Insoll).

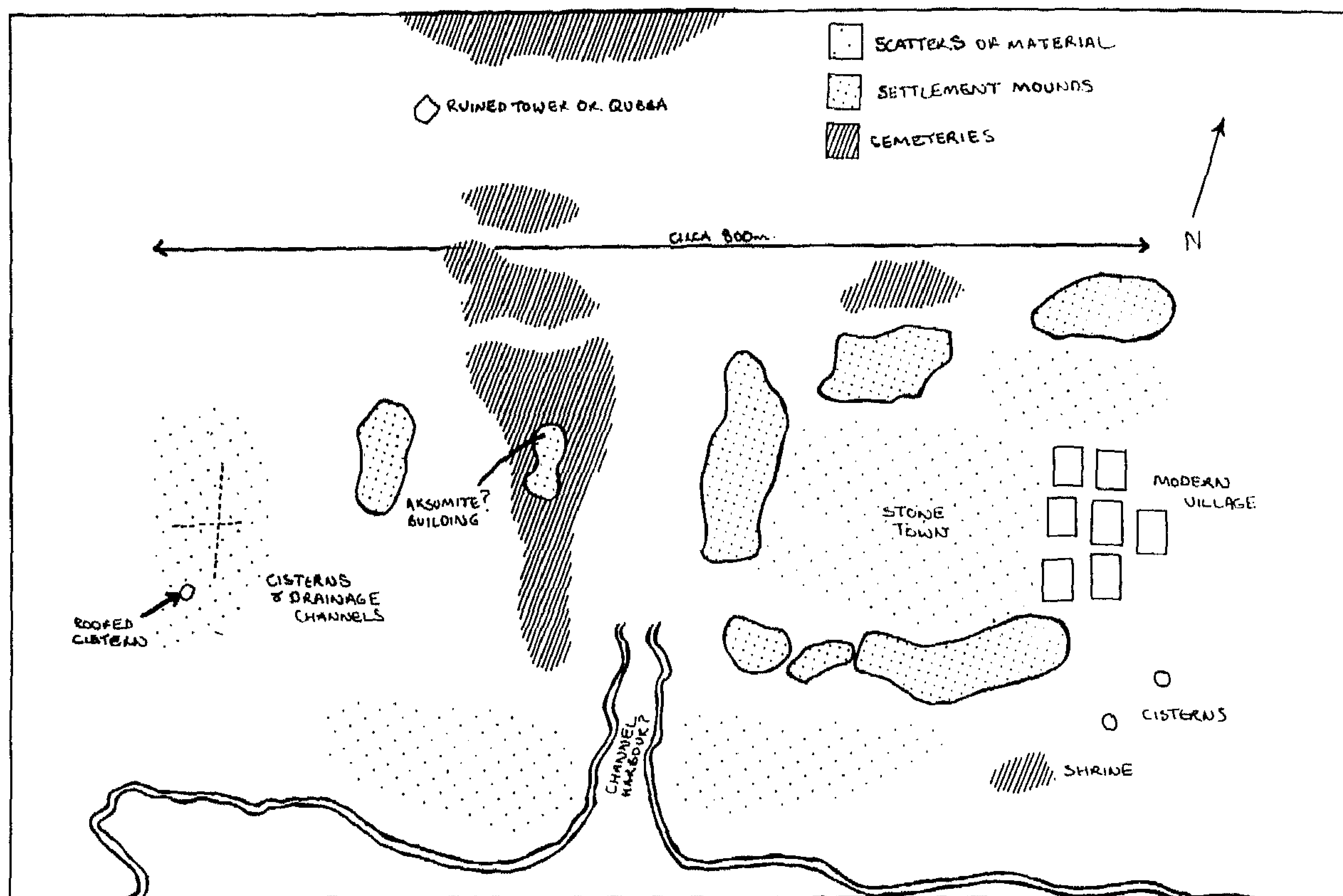


Fig. 2: Sketch-plan of the site.

resent a complete town site made up of a number of different elements, including cemeteries, a multi-period settlement, extensive cisterns and water collection systems, and what appears to be a port area (Figure 2).

Cemeteries and Tombs. The cemeteries have been examined in some detail by various scholars (Bassat 1893, Wiet 1951, Schneider 1969, Oman 1974, Insoll 1996). Of primary attraction are the over 200 Arabic funerary inscriptions on basalt, incised or carved in relief in both Naskhi and Kufic script. These date from between 911-1539 (Oman 1974). The inscriptions have provided information on the Sultanate of Dahlak, as, for example, by a reference on a stele (dated to 1093) to a Sultan al- Mubarak, apparently the name of a sovereign of the Dahlaks in the late eleventh century (Tedeschi 1969: 63). One individual has even been commemorated by four stelae, "a case unique in the epigraphy of Dahlak Kebir and also in Islamic epigraphy" (Oman 1974: 259). As this material has already been well-studied (*Ibid*), no attempt is made to further record the funerary inscriptions.

Besides the inscribed Muslim gravestones, which have been somewhat dispersed over the years, numerous other Muslim tombs have been noted. These are to be found in the cemeteries situated to the north of the settlement area. Standing *Qubba* tombs have been photographed in the recent past (see, for example, Puglisi 1969; Fig. 8), but these have partially collapsed over the course of the last three decades, and will probably continue to deteriorate. Thorough mapping of the cemetery area needs to be undertaken, and an inventory needs to be made of what still exists, to supplement the partial corpus provided by Oman (1974). The importance of the cemeteries need not be overemphasised; they represent the evolution of Muslim funerary monuments over the course of several centuries, possibly from the first century A.H. Moreover, they

viously has led to a great intermingling of peoples within the Islands analogous in a way to the processes which have created the Swahili culture of the Eastern African coast (see for example Allen 1993, Chami 1998). The Dahlakin likewise live on fishing and limited pastoralism. Formerly, pearl diving was of importance, but recent artificial cultivation of pearls, predominantly in Japan, has made the old activity unviable economically (Idris Usman pers. comm.).

The Eritrean government is keen on developing the economy and amenities on the Islands. The development of the archaeological site at Dahlak Kebir, as a tourist attraction, is one possibility under consideration. This will certainly be appreciated by the local population as a possible source of income and as a mechanism for ensuring the future survival of the monuments.

Historical Sources. The history of Dahlak Kebir testifies to its importance as a trade centre, and we are fortunate that many of the historical sources are analysed by Tedeschi (1969), whose work is drawn upon here. In this respect it is also important to record that in so far as this paper is a working note, only a summary introduction to the historical sources can be provided. Readers interested in the original sources are here referred to Tedeschi (*Ibid*) and Bassat (1913).

Beginning in 100 B.C. the Dahlak Islands appear in historical sources, when Artemidorus refers to Elaia (apparently to be identified with Dahlak Kebir) as perhaps the "Alalaios" of the *Periplus of the Erythraean Sea*, an anonymous Greek source probably written in the first century A.D. The Alalaios of the Periplus is recorded as a source of tortoiseshell (Tedeschi 1969: 50). Various other classical allusions exist, and it is known that between the third-sixth centuries A.D. the islands are controlled by the Aksumite kingdom (see Munro-Hay 1982). Following the decline of Aksum in late sixth - seventh centuries the islands become a centre of piracy, a fact which has direct implications for their Islamisation. The Dahlaks role as a pirate base hampered the trade of the early Muslim state; in 702-3, for example, "Abyssinian" pirates were recorded as having attacked Jeddah (Tedeschi 1969: 25). For this aggressive action, the Dahlaks were occupied in the early eighth century by Muslim naval forces led by Sulayman b. 'Abd al-Malik (Munro-Hay 1982: 121). Subsequently, Dahlak Kebir became a place of exile known as "the Island of Thorns" (Tedeschi 1969: 52).

Thus Islam and Dahlak Kebir were linked since that date, and for the next three centuries the importance of Dahlak Kebir as the Muslim bridgehead into Ethiopia had increased and also remained, for a while, tributary to the King of Zabid in Yemen. By the end of the eleventh century, it was a fully independent Sultanate of great prosperity, and was referred to as a frontier zone of Islam (according to the testimony of the funerary epigraphy). This polity lasted some time; Maqrizi, writing in the fifteenth century for example, recorded that in 1393 "the Egyptian Sultan received from the sovereign of the Dahlaks several elephants" (*Ibid: 60*). By the late fifteenth century,the power of Ethiopia was resurrected, and the sultanate of Dahlak again took on a tributary status, this time to Ethiopia. The last known mention of a Sultan of Dahlak occured in 1541 A.D. in connection with a Potuguese raid on the Island. In A. D. 1557 the Dahlaks and the mainland port of Massawa were occupied by the Turks. The region very much assumed the character of a province of secondary status to the Ottomans, and Dahlak Kebir gradually declined in importance. By the late eighteenth century, when visited by James Bruce, the island was described as home to twelve villages of miserable huts. The more recent situation has already been described.

The Archaeological Site

The remains at Dahlak Kebir village rep-

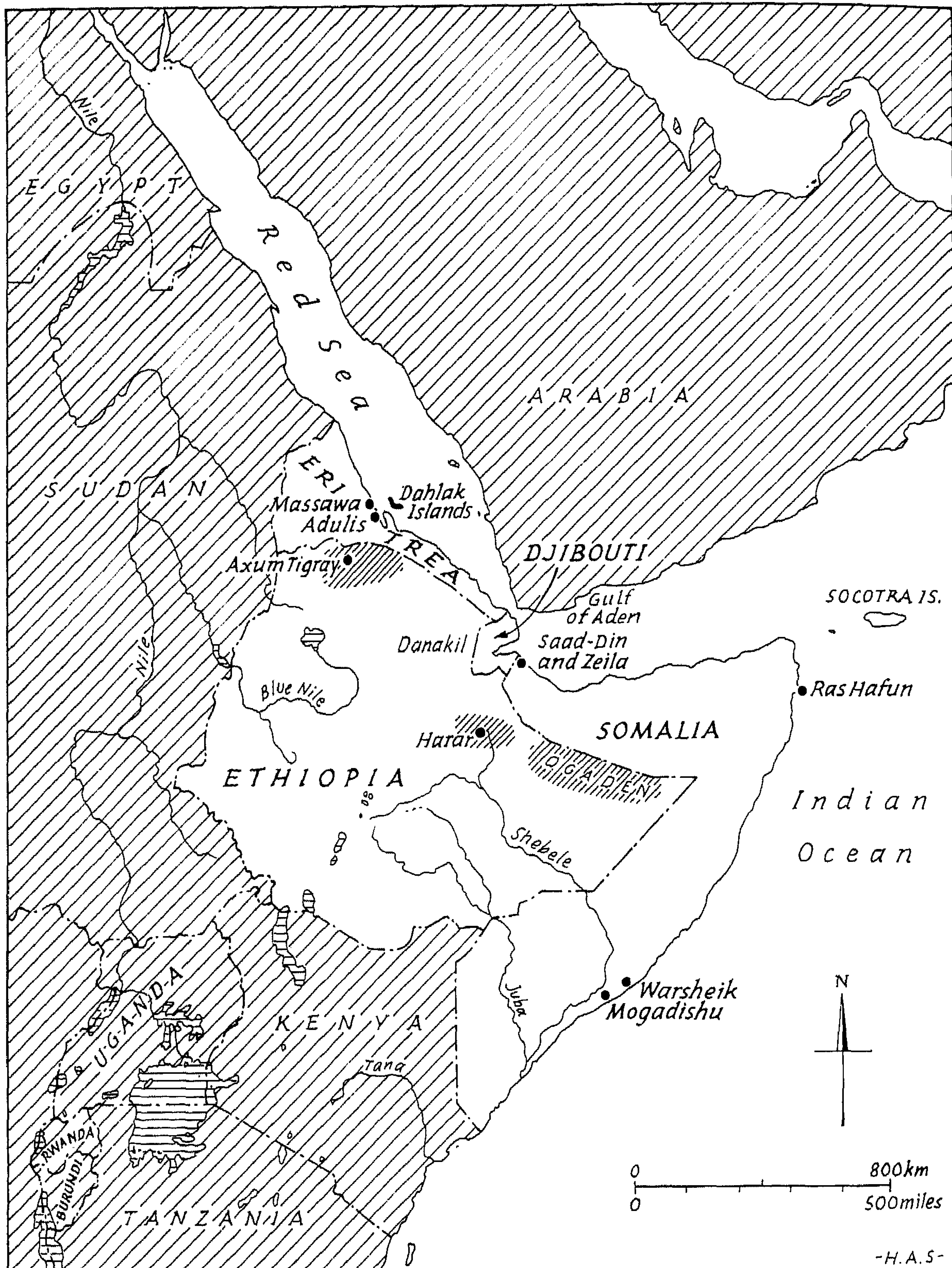


Fig. 1: The location fo the Dahlak Islands.

Dahlak Kebir, Eritrea: From Aksumite to Ottoman.

Timothy Insoll

Abstract. *A preliminary reconnaissance visit was recently made to the site of Dahlak Kebir in the Dahlak Islands, Eritrea. The archaeological remains which were recorded attested to the importance of the Dahlak Islands which appeared in historical annals around 100 B. C., and functioned as major entrepot of Red Sea trade and a staging point between Africa and Arabia during both Aksumite and Islamic periods. Various features were noted including tombs and cemeteries (both were previously investigated by other researchers), settlement areas comprising both settlement mounds and remains of a stone town, what appeared to be a harbour area, and numerous cisterns and tanks for storing water. Much of the surface area of the site was rife with archaeological material such as glass and stone beads, glass vessel and bracelet fragments, unglazed pottery of probable local manufacture, and Chinese and Islamic glazed pottery, tentatively dated to the medieval period (twelfth-fifteenth centuries A. D.). The visit to Dahlak Kebir allowed a number of preliminary observations about the site and its role in Red Sea trade. Of prime importance was the indisputable link between the growth of Dahlak Kebir and trade which was both local and international in focus. The potential for further archaeological research on this important site is thus indicated. After all, the site is a key location in reconstructing the mechanisms of Red Sea trade over time.*

Introduction

This paper outlines the results obtained during a brief exploratory visit recently made to the Dahlak Islands, Eritrea, to assess the feasiblity of conducting a long term co-opertive archaeological research project at the site of Dahlak Kebir. The country's present lack of full antiquities legislation (and consequently the absence of a formal research permit) has influenced the amount of work that could have actually been achieved. Nevertheless, these factors have not been disarming within the scope of this mission because it is observatory in nature, and for which a letter of introduction (obtained from the National Museum in Asmara) has been enough. In fact, the achieved results unexpectedly exceeded the original anticipations. All things considered, however, this paper should be regarded as a working note only.

Contemporary Situation.

The site of Dahlak Kebir is located on the Island bearing the same name, and is one of 209 islands which collectively form the Daklak Archipelago (Paice 1996: 106; Figure 1). Dahlak Kebir is the largest island (760 km^2). Rainfall is low; temperature is extreme, reaching up to 48^o Celsius during the months of summer (June - September). Consequently, vegetation on the island is sparse; where found, it is composed mainly of doum palm and acacia scrub. However, birdlife is abundant, and gazelle are still present.

The current inhabitants who live within the vicinity of the archaeological site of Dahlak Kebir are divided into two groups. In the upper village live the self-named Dahlak Afar. These number approximately 170 persons who, for their living, depend mainly on fishing and pastoralism. In the lower village, actually built amidst the ruins of the stone town and surrounded by settlement mounds, live the Dahlakin, who are described as the mixed people of the Islands, an amalgam of Arabs, Afars, and Persians (Idris Usman pers. comm.). This definition is broadly in accord with Tedeschi's (1969: 49) description of the Islands inhabitants as Muslims, Arab in origin, who speak a Tigre dialect. Over the centuries, trade ob-

Issue No. 3 January 2001
ISSN: 1319-8947 (pp 39 - 50)

Epigraphy, 6 (1): 62-65. Copenhagen.

Sedov, A.V., 1996. "Qana' (Yemen) and the Indian Ocean: Archaeological Evidence". In: **Tradition and Archaeology. Early Maritime Contacts in the Indian Ocean. Proceedings of the International Seminar Techno-Archaeological Perspectives of Seafaring in the Indian Ocean, 4th cent. BC- 15th cent. AD. New Delhi, February 28- March 4, 1994,** Ray H.P.and Salles J-F. (eds.)New Delhi/Lyon, Manohar: 11-35.

Sedov, A.V., 1998. **Moneti drevnego Hadramauta (The Coinage of Ancient Hadramawt).** Moscow, RosCentr.

Sedov, A.V., 'Aydarus, 'U. 1995. "The Coinage of Ancient Hadramawt: The Pre-Islamic Coins in the al-Mukalla Museum". **Arabian Archaeology and Epigraphy,** 6 (1): 15-60. Copenhagen.

Seyring, H., 1986. "Une question de numismatique greco-arabe". In: **Seyring H. Scripta Numismatica**. Paris: 7-10. Bibliotheque archeologique et historique, tome CXXVI.

Walker, J., 1937. "A New Type of South Arabian Coinage". **The Numismatic Chronicle,** VIII (5): 260-279. London.

Walker, J., 1948. "A mysterious South Arabian Coin Legend". **The Numismatic Chronicle,** VIII (6): 39-49. London.

Hill, G.F. 1922. **Catalogue of the Greek coins of Arabia, Mesopotamia and Persia,** London, The British Museum.

Irvine, A.K., 1964. "Some Notes on Old South Arabian Terminology". **Journal of the Royal Asiatic society,** pp 18-36. London.

Jamme, A., 1958. "The She'b edh-Dhaqab inscriptions". In: **Le Baron Bowen, R., Albright F.P. Archaeological Discoveries in South Arabia.** Baltimore, The Johns Hopkins Press: 143-147. Publications of the American Foundation for the Study of Man. Volume II.

Jamme, A., 1976. " A. K.Irvine's paper coinage and weight, and Ja 2873". In: **Jamme A. Carnegie Museum 1974-1975 Yemen Expedition.** Pittsburgh: 125-137. Carnegie Museum of Natural history. Special Publication no. 2.

Kubitschek, J.W., 1899. "Munzen". In: **Muller D.H. Sudarabische Altertumer im Kunsthistorisch Hofmuseum.** Wien: 67-78.

Le Rider, G., 1961. "Monnais grecques recemment acquises par le Cabinet des Medailles". **Revue Numismatique**, T. III, VIe ser., Paris: 11-13, pl. I, 6.

Mitchiner, M. 1985. "Unusual Early South Arabian Coins of the Himyarite-Katabaian Series". **Coin Hoards,** 7: 75-77. The Royal Numismatic Society, London.

Munro Hay, S.C.H. 1992. "The Coinage of Shabwa (Hadhramawt), and Other Ancient South Arabian Coinage in the National Museum, Aden". In: **Fouilles de Shabwa. II. Rapports preliminaires.** Breton J. - F., ed, Paris, Geuthner: 394-418.

Munro Hay, S.C.H., 1994. "Coins of Ancient South Arabia (1)". **The Numismatic Chronicle,** 154: 191-203. London.

Munro Hay, S.C.H., 1996. "Coins of Ancient South Arabia, II". **The Numismatic, Chronicle,** 156 : 33-47. London.

Munro Hay, S.C.H., 1997. "South Arabian Coins in a Private Collection (PC 1996)". **Arabian Archaeology and Epigraphy,** 8 (2): 230-240. Copenhagen.

Munro Hay, S.C.H., 1997a. "La monnaie dans l'Empire himyarite". In: **Yemen au pays de la reine de Saba'.** Paris, Flammarion: 197.

Nordbo, J.H. 1985. "En myntskatt fra Arabia Felix". **Norsk Numismatik Forening Nytt 1,** Oslo: 6-26.

Nordbo, J.H. 1987. "The First Arabic Coinage". **Araby** 1: 20-23. Oslo.

Oddy, A. 1998. "Two Putative Coin Hoards from South Arabia". **Arabian Archaeology and Epigraphy,** 9 (1): 131-136. Copernhagen.

Pirenne, J., 1990. **Les temoins ecrits de la region de Shabwa et l'histoire.** Paris, Geuthner. Fouilles de Shabwa, I.

Potts, D.T., 1994. "Augustus, Aelius Gallus and the Periplus: A Re-Interpretation of the Coinage of San'a' Class B". In: **Arabia Felix. Beitrage zur Sprache und Kultur des vorislamischen Arabien. Festschrift Walter W. Muller zum 60. Geburtstage.** Nebes N., ed. Wiesbaden, Harrassowitz Verlag.

Robinson, E.S.G., 1948. "Greek Coins Acquired by the British Museum 1938-1948. I". **The Numismatic Chronicle,** III (6) : 48-55. London.

Schlumberger, G., 1880. **Le tresor de San'a (monnaeis himyaritiques).** Paris, Ernest Leroux.

Sedov, A.V. 1992. "New Archaeological and Epigraphical Material from Qana (South Arabia)". **Arabian Archaeology and Epigraphy**, 3 (2): 110-137. Copenhagen.

Sedov, A.V., 1995. "Two South Arabian Coins from Mleiha". **Arabian Archaeology and**

8. The exact meaning of symbols and monograms occurring on South Arabian coins and its relation to this or that deity, or dynasty, or ruler is a highly disputed question, althogh some of such signs are recordered also on South Arabian votive and architectural inscriptions, stelae and every-day objects. Only in a few cases such correlation could be established with certainty (cf. still the best work on this subject: Grohmann 1914).

9. D. T. Potts in the recently published article argued ((a Flavian date for arrival of Augustan models in South-Arabia)) (Potts 1994: 212-222).

10. Usually this symbol is considered to be a variation of the symbol of Ilmaqah (Grohmann 1914: 6-17), but one should take into consideration that practically all stelae from Awwam temple bore its "oblong" variant, which very rarely appeared on the carvings and inscriptions from other places. Thus, it could be assumed that the so-called "twisted oblong symbol" pertains to Awwam temple in the Marib oasis, which was dedicated, as we know, to Ilmaqah, the "federal" deity of Saba'.

11. See also the find of copper fraction ((series with "Bucranium")) in the 4th - early 7th centuries AD strata in Aksum in 1958 (Contenson 1963: 8, Pl. XIVe).

12. In fact, Sumhuram is a suitable royal name for Hadramawt (cf., for instance, the Hadrami rock inscription 'Uqayba 5 from the Shabwa region where a certain Sum[hu]ram 'Alh [an], *mukarrib* of Hadramawt [*s^{1}m[h]rm 'lh[n]mkrb hdrmt*] is mentioned: Pirenne 1990: 53-54).

References

'Abdullah, Yu.M., Galeb, 'A.O., Sedov A.V. 1997. "Early Qatabanian Coinage: the as-Surayrah Coin Hoard". **Arabian Archaeology and Epigraphy,** 8 (2) : 203 - 229, Copenhagen.

Albright, F.P. 1982. **The American Archaeological Expedition in Dhofar, Oman, 1952-1953.** Washington DC. Publications of the American for the Study of Man. Volume VI.

Andreev, M.S., Chehovich, O.D. 1972. **Ark (kreml') Bukhari v konce XIX - nachale XX vv.** Dushanbe, Donish.

Avanzini, A. 1997. "L'hegemonie qatabanite". In: **Yemen au pays de la reine de Saba'**. Paris, Flammarion: 98-102.

Avanzini, A., Bafaqih, M., Batayi ', A., Robin, Chr. 1994. "Materiali per il corpus qatabanico". **Raydan. Journal of Ancient Yemeni Antiquities and Epigraphy,** 6: 17 - 36. Louvain.

Beeston, A.F.L. 1962. **A Descriptive Grammar of Epigraphic South Arabian.** London, Luzac.

Beeston, A.F.L., Ghul M.A., Muller W.W., Ryckmans J. 1982. **Sabaic Dictionary (English-French -Arabic).** Louvain-la-Neuve/Beyrouth, Editions Peeters/Librairie du Liban.

Biella, J.C. 1982. **Dictionary of Old South Arabic. Sabaean Dialect.** Harvard. Harvard Semitic Studies, no. 25.

Contenson H., de 1963. Les fouilles a Axoum en 1958. Rapport preliminaire. **Annales d'Ethiopie,** T. V., Paris: 1-40.

Davidde, B. 1992. "Le monete di 'Amdan Bayyin Yuhaqbid rinvenute nelle tombe di Harabat al-Ahgar, presso Waragah (Damar)". In: **Yemen. Studi archeoligici, storici e filologici sull'Arabia meridionale,** 1: 41 - 54. IsMEO, Roma.

Davidde, B. 1995. "Observation on 29 silver coins from the Bagil hoard". **Arabian Archaeology and Epigraphy,** 6 (4) : 246-258. Copenhagen.

ملخّص: إن المسكوكات النقدية، التي اكتشفت حديثا في الحفريات الآثارية، وفي مجموعات المتاحف، أعانت في رسم صورة أولية عامة عن المسكوكات، في الممالك العربية الجنوبية، مع ابداء بعض الملاحظات العامة عليها. فأصبح باستطاعتنا، الآن، أن نضع بعض التعريفات الأكثر دقة؛ مثل النقد القتباني، والنقد السبأي، والنقد الحضرموتي، والنقد الحميري. وتعود بدايات التداول النقدي في جنوب الجزيرة العربية، إلى أوائل القرن الرابع قبل الميلاد؛ حيث كانت قتبان هي المملكة، التي بدأت ضرب قطع عملتها "الوطنية". ومنذ البداية الأولى، تأثر سك العملة في ممالك جنوب الجزيرة العربية، تأثراً عميقاً بالعملة الاثينية؛ حتى إن القطع ذات الصور المحلية، لم تبدأ بالصدور قبل القرن الثاني قبل الميلاد. وقد سجلت وحدات نقد جزئية، ضربت من الفضة والنحاس، في سبأ، وحضرموت، وحمير. إلا أن سك العملة المحلي في جنوب الجزيرة العربية، توقف مع أواخر القرن الثالث، وأوائل القرن الرابع الميلاديين. ومن المحتمل أن الإصدارات السابقة بقيت قيد التداول، إبان أواخر القرن الميلادي الرابع، وأثناء القرن الميلادي الخامس.

Notes

1. Probably part of such work was done already by S.C.H.Munro Hay, whose book Coinage of Arabia Felix was announced several years ago as to be published in 1998 by the Staatliches Museum fur Volkerkunde, Munchen, but has not yet appeared.

2. As a good parallel see, for instance, the description of the 19^{th} century castle (*the ark*) of emir of Bukhara, where gold, silver and copper coins were struck at the mint (*sikkakhona*) located in the royal residence (Andreev, Chehovich 1972: 72).

3. The so-called "Minean coinage" (Hill 1922: 75) is not the subject of the present study as well as coinages of other small kingdoms in the Wadi al-Jouf. Despite the fact that single imitations of Alexander's tetradrachms found in Arabia were previously considered as the coinage of the Kingdom of Ma'in or certain Minean rulers, such attribution still needs justification. Recent comprehensive study of imitations of Alexander's tetradrachms from Arabia made by D.T.Potts allows the attribution of these series to the eastern part of the peninsula (Potts 1991).

4. Among six big imitations of Athenian tetradrachms acquired in Yemen by Mordtmann and Glaser at least two must be attributed to (1) a genius Athenian issue with countermarks (Berlin Munzkabinett, no. 474/1886) and (2) an "oriental imitation" (Berlin Munzkabinett, no. 183/1886); four others must be identified as Qatabanian "tetradrachms" (Berlin Munzkabinett, nos. 184-187/1886) (Kubitschek 1899: 76). About other acquisitions of genius Athenian tetradrachms in Yemen, see Hill 1922: lxxx; Munro-Hay 1996: 33-34, pl. 12, 1-2. See also, the note of G. Schlumberger about the genius Athenian tetradrachm of the "old style" countermarked on the obverse by the South Arabian letter 𐩬 = *n*, which he saw "au bazar de Constantinopole" (Schlumberger 1880: 22).

5. It is usually accepted that the word of bitt/blt appearing in several Sabaean inscriptions (cf. CIH 376, CIH 73, RES 4765, Ja 624, Gl 1533=Ja 2855) must be translated as ((coin/coins)) (Beeston 1962: 42, 54-55; Biella 1982: 43-44; Beeston et al. 1982: 29). Etymologically the South Arabian term might be connected to Greek παλλάς/παλλάδες, which in 5^{th} - 4^{th} cent. BC was used as a designation for the Attic tetradrachms with the head of the goddess Athena Pallada on the obverse (Irvine 1964: 22-23; but cf. Jamme 1976: 125-137 who strongly rejected both etymology and translation).

6. See, for instance, inscriptions Ja 405, Ja 2361 (Jamme 1958: 143-147), MuB 36, MuB 525 (Avanzini et al. 1994: 19-20, 32).

7. M. Macdonald strongly rejected the identification of script of the legend as "Aramaic" or "Lihyanite" (pers. com.).

nian coin with a male head with curly hair on the obverse and a male head with a "chignon" on the reverse. Only few differences must be pointed ont: The name of Rydan (*rydn*) in the exergue on the reverse denoting the royal mint, different monograms and symbols, and the "arabisized" style of the head with a "chignon" (cf. France Bibliotheque Nationale, Cabinet des medailles, no. Y. 19184). The year 115 BC or, alternatively, 110 BC may mark not only the beginning of the so-called Himyarite era but also the starting point for the new coinage.

Rather soon, and again as in Qataban, the early type of Himyarite coinage was replaced by a "series with two heads": Sometimes accompanied by a monogram, the obverse displayed a beardless male head with "South Arabian hair-style", probably the king's portrait. The reverse showed a similar but smaller head supplemented by the name of Raydan (*rydn*) in the exergue, king's name on round top, another monogram and/or kind of symbol of ruling dynasty (⚴) on either side. Variations of the same series even borrowed the sign (⌂) from the late Qatabanian issues (Hill 1922: lxiv-lxxix).

The following king's names are known from the coins' legends: Karibil Yuhan'im (*krb'l yhn'm*),'Amdan Yuhaqbid (*'mdn yhqbd*), 'Amdan Bayan (*'mdn byn*), Shamnar Yuhan'im (*s2mnr yhn'm*), and Tha'ran Ya'ub (*t'rn y'b*). The coins of smaller denomination sometimes showed a monogram instead of a head on the obverse, and a short king's or mint-name Ya'ub (*y'b*), Watar (*wtr*) or Na'am (*n'm*) in the exergue on the reverse. Himyarite pieces unlike the Qatabanian ones were usually very scyphate.

Almost all names occurring in the coin legends could be related to Himyaritic rulers of the 1st through the 2nd centuries AD known from the South Arabian inscriptions. It is quite certain, for instance, that coins with the names of 'Amdan Yuhaqbid and 'Amdan Bayan were struck by one person, namely 'Amdan Bayan Yuhaqbid, king of Saba' and dhu-Raydan (c. 80-100AD). On the other hand, these coins are very numerous, and this fact may indeed indicate that they enjoyed a high popularity without any iconography changes during the reigns of several Himyarite rulers of the 2nd century AD. Coins with the name of Tha'ran Ya'ub are associated with Tha'ran Ya'ub, king of Saba' and dhu-Raydan, who probably reigned in the late 2nd or early 3rd centuries AD. It appears that these pieces were the latest in the Himyarite "pre-Imperial" coinage bearing the king's name.

The lack of "federal" Himyarite issues of the late 3rd and 4th centuries AD, i.e. the period of Himyarite Empire, is rather striking. Probably from this period the British Museum possesses three bronze coins with portrait of a ruler and Himyarite monograms and royal sign on the obverse and reverse respectively, but it is not clear who struck these coins (The British Museum, nos. 1929-11-7-2, 1929-11-7-3,1929-11-7-4). We cannot exclude the possibility that they repersented a coinage of a local tribe or tribal federation (*s^2'b*). Archaeological contexts of the 3rd and 4th centuries AD produced a huge number of coins registered as ((small crude copper fraction of series with "Bucranium")) (Sedov 1998: 152). Apparently, the Himyarites borrowed the late Sabaean type for the internal use, while Axumite gold coins probably substituted the currency for international trade (Munro Hay 1997a: 197).

Prof. Alexander V. Sedov Head of the Department of Ancient East Studies, Institute of Oriental Studies, Russian Academy of Sciences, Rozhdestvenka str., 12 Moscow 103753 Russia. e-mail: sedov@sed.msk.ru

reasons was not mentioned in the inscriptions[12]. Following a second interpretation, we have to come to the conclusion that series with winged caduceus on the reverse was a local coinage, and the pieces were minted, for instance, in Sumhuram/ Sumuram, the Hadrami daughter-city on the coast of Dhofar (Sedov 1998: 70-75).

Around the early 1st century AD, Yashhur'il Yuhar'ish, son of Abiyasa', *mukarrib* of Hadramawt, started a completely new type of coinage. It is the well-known coins with the male head facing right (most probably, the oprtrait of *mukarrib*), a large letter 𐩣 = m (reversed) and the name of the "federal" deity Sayin (𐩬𐩺𐩪 = s'yn) on the obverse, and on the reverse an eagle with open wings (undoubtedly the manifestation of Sayin) and two names, Shaqar (s^2qr) and Yash(a)h 𐩢𐩪𐩺 = ys'h. Coins of this type were cast in a mould. They varied in size, and their weight presumably depended on the coin's value (three denominations could be distinguished) (Walker 1937: 260-263; Munro Hay 1992: 399-400; Sedov, 'Aydarus 1995: 19-21). There is some evidence that at least some of the coins of this type were minted not in copper, but in billon (Sedov 1995: 62-63). Images on both sides showed strong Roman influence, and the biggest coins usually had very clear representations and legends. In contrast, the images of small denominations were sometimes completely "decomposed": Often one could only recognise the big letter 𐩣 = *m* and something similar to the head on the obverse. The eagle on the reverse was converted into a kind of chicken and the legends disappeared almost completely.

The appearance of the most common types of Hadramawt coinage (1. small square copper coins with the name of Shaqar (s^2qr) on the obverse, and a bull's head and name of Sayin (s^1yn) on the reverse, and 2. coins with radiate head on the obverse, and a bull standing on line accompanied with legend Shaqar (s^2qr) on the reverse) could also be associated with Yashhur'il Yuhar'ish, son of Abiyasa', *mukarrib* of Hadramawt. There is plenty of evidence that bull was the animal manifestation of Sayin, the "federal" deity of Hadramawt.

The next type of Hadramawt coinage showed a radiated head facing left with the letter *alif* in front of the face on the obverse. The reverse bore a bull standing to the right, and two names, Shaqar (s^2qr) and Sayin (s^1yn), in the legend. As to the question of who minted these coins, some Hadramawt inscriptions of the 1st century AD mention'Ili'adh Yalut, son of Yada''il, king of Hadramawt. He is attested to in the texts from both Khor Rori (ancient *Sumhuram/ Sumuram*) and Shabwa, and was, most probably, Eleazos, king of the "frankincense-bearing land" in the *Periplus Mare Erythraeum*. 'Ili'adh Yalut, son of Yada''il, King of Hadramawt, was one of the successors of Yashhur'il Yuhar'ish, son of Abiyasa ', *mukarrib* of Hadramawt, and his reign probably lasted up to the third quarter of the 1st century AD. The *alif* letter could be the initial letter of his first name.

The stratigraphy of coin finds at Bir ' Ali (ancient *Qani'*) as well as the tentative deciphering of the obverse and reverse monograms allowed us to associate other series with a bull on the reverse with various Hadramawt kings ruling in the 3rd century AD. The monograms seem to denote rulers' names, and such coins were very common in the strata of the "middle" (BA-II) period at Bir ' Ali settlement (ancient *Qani'*) which dated between the late 2nd and late 4th centuries AD. It seems that Hadramawt royal coinage came to an end around the last quarter of the 3rd century AD, but undoubtedly the pieces continued to circulate in the territory of the former independent kingdom in the 4th and even in the early 5th centuries AD (Sedov 1998: 81-85).

The coinage of Himyar.

The Himyarite Kingdom seems to have started its mintage in the late 2nd century BC copying in detail the contemporary Qataba-

for their coinage a standard which, since Kubitschek's and Hill's publications, was considered rather similar, if not identical, to a weight system common in Persia and Asia Minor, and was based on a drachma of 5.6 gm (Hill 1922: lxxix-lxxx). We can suppose that such a standard was close to the local, Sabaean weight system. In addition, there is evidence for the existence of gold and copper issues of the Sabaean imitations of the "new style" (Munro Hay 1992: 402). The weights of the coins of the so-called ((series with "Bucranium")) are very irregular ranging, according to Hill, from 0.30 to 3.63 gm. It gives no clear idea on a fixed standard but can perhaps be related to the weight of Neronian denarius (Hill 1922: lxxxi). Both silver and copper fractions of "series "with "Bucranium" were struck.

The coinage of Hadramawt:

As is the case in other South Arabian states, the first coins minted and circulated in Hadramawt were imitations using Athenian tetradrachms as models. Pieces of the so-called ((series)) according to Hill's classification might be considered as the earliest samples imitating, probably, Attic coins from the time of Philip II and Alexander the Great. Early Hadramawt imitations were minted in silver and copper in several denominations following, as was the case in Sabaean coinage, the local weight standard with the highest denomination close to 5.6 gr. The Hadrami letters =*n*, =*g*, x =*t* and =s^2 were placed, usually reversed, on the Athena's cheek to mark coin values of a whole, half, quarter and one eighth denominations (it seems there were no copper coins with the letter = *g* as a value mark). Doubtless the copper coins were struck using the same dies as the silver pieces.

It seems that early Hadramawt imitations were minted for quite a long period of time: While the earliest samples kept very accurate legend and faithfuf style of image, comparable to the Greek models, the later issues bore images with various degrees of debasement in legend and representations. With those, one could barely recognise Athena's head on the obverse and a crude outline of the owl with only traces of the first and last letters of the legend on the reverse.

The early Hadramawt imitations were replaced by another type of coinage the obverse of which bore a male (?) head facing right instead of the head of Greek goddess. Its reverse still showed an owl facing left or right, but pseudo-Greek legend was replaced by a Hadrami one with the name of Shaqar = s^2qr, the name of the royl residence in Shabwa, and most probably denoting the royal mint as well.

For several reasons, one is very tempted to consider the beginnig of the Hadramawt coinage to have started with the names of Shahr ' Alhan, son of Yada "il, king of Hadramawt (*c.* 360-345 BC), and his successors Yada "il Bayan, son of Sumhuyafa' (*c.* 345-340 BC) and Ilsama' Dhubayan, son of Malikkarib (*c.* 340-325 BC)known from inscriptions RES 2778=M 30 and RES 3869.

Around the late 1st century BC the type of Hadramawt coinage was completely changed, probably, under the influence of the late Hellenistic Mediterranean coinage. A radiated male (?) head appeared on the obverse perhaps representing a Hadrami solar or lunar deity (cf. representation of Helios in Hellenistic and Roman coinage). The reverse showed a winged caduceus, the symbol of god of trade in Greek and Roman mythology, accompanied with the name of Shaqar (*s^2qr*) and a monogram ( ) which can be deciphered as a name of Sumhuram (*s^1mhrm*). The possible interpretation of the monogram could take one of two ways: (1) as a part of the name of Hadrami ruler who struck the coins, or (2) as a mint-name. In the first case we can suppose that around the late 1st century BC (the most probable date of the coinage) Hadramawt was under the rule of a certain Sumhuram who for some

in pairs, of which the specific relation to coins is not yet clear (they might be considered as mint-names or signs of a kind of magistrates)[8].

The oldest type of Sabaean coinage was minted from the second half of the 4 th to the late 2 nd - early 1st centuries BC, then to be replaced by a completely new issues known as the imitations of the "new style" Athenian coinage. The flan of the new coins becomes larger and thinner than the old ones. The obverse bears now a beardless male head with what is called the "South Arabian hair-style" wearing a diadem. It might be the representation of a king or a god. It is quite probable that the image on the obverse was influenced by the well-known representation of Apollo's head on the Egyptian seals of the 2 nd century BC. The reverse shows an owl sitting on a lying amphora as was the case on Attic coins of the "new style". It is accompanied by a value-mark, a South Arabian monogram, the pseudo-Greek legend AOE with wrongly rendered characters (one can presume that the inscription has lost its real meaning and become a purely decorative one), and symbols of Sabaean mukarribs and of Ilmaqah. In the latest issues roughly dating from the mid-1 st century BC the legends and symbols of Sabaean mukarribs have disappeared being replaced with pairs of South Arabian monograms except for the symbol of Ilmaqah which remains unchanged (Hill 1922: liv-lxii).

The last issues of the series described above shows the obvious Roman influence reflecting the establishment of close commercial and political ties between the Roman Empire and the Sabaen Kingdom. A portrait very similar to that of the Roman emperor Augustus Caesar or one of his successors now replaces the obverse male head with "South Arabian hair-style"[9]. The reverse still bears an owl sitting on the amphora associated with pairs of South Arabian monograms and symbol of Ilmaqah. It has been suggested that the mintage of these coins is inspired by the military campaign of Aelius Gallus against Arabia Felix in 26/25 BC indicating the Roman penetration into the region. The coins are limited in number and can be dated to the period immediately following the event. We cannot exclude the possibility that again shortly thereafter the coins bearing the head with "South Arabian hair-style" replaced the coins with "Augustan head". The assumption is based on a silver coin with the "South Arabian hair-style" head on the obverse, which was struck over the "Augustan head". (now in Paris, Bibliotheque nationale de France, Cabinet des medailles, inv. no. Delepierre 3001).

It appears that Sabaean coinage with an owl on the reverse was minted until the early 1 st century AD when the Kingdom was absorbed into a new state whose rulers bore the title "kings of Saba' and dhu-Raydan" and struck the coins denoting below as Himyarite coinage.

The revival of independent Sabaean state fell on the early 2 nd century BC, and changes in political and economical situation were reflected by the introduction apparently at that time of a new type of coinage charactertised by strictly indigenous elements - the so-called "series with "Bucranium" " (Hill 1922: lxii-lxiv). The obverse showed now a beardless male head with "South Arabian hair-style", rather similar to the previous series, flanked with two symbols of Sabaen deities, Ilmaqah ( ) and Athtar ( ). The reverse bore an antelope head with long lyre-shaped horns and plume between them, probably an animal manifestation of Ilmaqah, flanked by a monogram and symbol of Awwam temple ( )[10], the principal temple of Sabaean folk in Marib oasis devoted to the "federal" deity. According to stratified coin finds from Bir 'Ali settlement (ancient *Qani'*), the "series with "Bucranium"" was circulated until the end of the Kingdom in the second half of the 3rd century AD (Sedov 1998: 148-149)[11].

It seems very likely that Sabaeans used

two male heads, surely the king's portraits - on the obverse, and, smaller, on the reverse. The reverse bore on round top the name of the ruler who struck the coins, the name of the royal residence and mint Harib (*hrb*) in the exergue, sometimes different monograms and/or letters, and symbol [symbol] . The following names of kings were known from the coins' legends: Yad'ab Yanuf (*yd''b ynf*), Shahr Hilal (*s²hr hll*), Dhamar'alay Dhubayan (*dmr'lydbyn*), Waraw'il Gaylan (wrw'l gyin) denominations of this series showed a head with curly hair on the obverse, smaller male head and king's or mint-name Yuhabir (*yhbr*) in the exergue on the reverse. Unfortunately, it is rather hard to correlate the above mentioned names with the Qatabanian rulers known from inscriptions.

The weights of the late Qatabanian issues are so irregular and the number of known pieces is so small that it is hard to come to any conclusion about their standard. There is no evidence for the existence of Qatabanian copper coins.

There are three groups of coins which can be identified as Qatabano-Sabaean and Sabaeo-Qatabanian series: They either show a combination of both Qatabanian and Sabaean features or bear the name of a Qatabanian (?) ruler.

The Qatabano-Sabaean series consists of the issues struck according to the Sabaean weight standard (see below). its obverse bore a male head with curly hair facing to the right, and reverse - an owl in more upright position than on pure early Qatabanian or Sabaean pieces flanking by a pair of monograms (Hill 1922: 52). The image on the obverse is iconographically very close, nearly identical, to the pieces which I tentatively identify with Yada''ab Dhubayan Yuhargib, king of Qataban (*c.* 155-135 BC.), while the reverse strictly resembles some series of Sabaean coinage (see below) although the monograms are not attested to in it.

The Sabaeo-Qatabanian series consists of Sabaean "old style" and "new style" imitations bearing a legend in cursive script on the reverse which was formerly identified as "Aramaic" or "Lihyanite" ([legend])[7]. The reading and interpretation of the legend have raised many questions and prompted numerous theses. Generally, it is identified as the name of a Qatabanian king, a certain Shahr Hilal, but there is no understandable reason why the Qatabanian royal name written on Sabaean coins and in such a script, "Aramaic" or "Lihyanite." One may say that the coin of such features was probably used in order to facilitate trade with the people who were accustomed to it (though those people were definitely not Sabaeans) (Hill 1922: lii-liv; Walker 1948: 39-49).

In any case, we may suggest that the existence of both series (one with Sabaean typological features but with the image of Qatabanian ruler on the obverse, and the other with the name of Qatabanian king on the reverse of Sabaean coins) reflects a kind of political subordination or suzerainty of the South Arabian kingdoms, when Qataban dominated the big part of the pre-Islamic Yemen (Avanzini 1997: 98-101).

The coinage of Saba'.

The Sabaean coinage is characterised by four different typological series of which three show both Athenian and Roman influences in their iconography. The oldest coin type can be considered an accurate imitation of the Attic coins of the so-called "old style" although smaller and lighter than the Qatabanian ones. The Sabaean letters on the obverse distinguished coin values. There are more characteristic features on the reverse of the oldest type of Sabaean coins: The appearance of the two symbols ([symbols]) indicating the political and religious power of the Sabaean *mukarribs* of the 5 th - 4 th centuries BC, the symbol of Ilmaqah, the "federal" deity of Saba' ([symbol]) as well as different South Arabian monograms, sometimes

the most widespread in antiquity. They were highly esteemed for the regularity of their weight, the quality of their alloy, and the continuity of their issue. To put it briefly, they had become a sort of international currency that represented a certain economic stability. For this reason, it is very likely that societies dependent on long distance trade like the South Arabian kingdoms of Qataban, Saba' and Hadramawt introduced for their local and, probably, international trade a coinage that was equally well-known and appreciated at international market places, and that existed alongside traditional barter.

The coinage of Qataban.

Qatabanian coinage was probably the earliest in pre-Islamic Yemen. Its oldest coins can be considered highly accurate imitations of the Attic pieces. Their obverse bears the head of Athena with lozenge or triangular eye, circular earring and helmet adorned with olive leaves, while on the reverse we find the owl with large globular eyes, the lunar crescent and olive-spray on the top left and Greek legend ΑΘΕ on the right downwards. South Arabian letters ⌈⌉/⌈⌉ = *k*, ⌈ = *n* and ⌈ = *g* were added on Athena's cheek to distinguish different values. The "nationality" of the early coins or, probably better to say, their royal mint was marked by the monogram on the reverse identified from the inscriptions as the royal Qatabanian monogram [6].

It seems likely that the "Qatabanian owls" were based on the weight system, which was rather close to the Attic standard for coinage. Their weights were very close to those of Athenian tetradrachms (from 16.0 gm to 18.0 gm for pieces without South Arabian letter on Athena's cheek), didrachms (from 7.2 to 8.7 gm for pieces with letter ⌈⌉/⌈⌉ = *k*), drachms (from 3.8 to 4.1 gm for pieces with letter ⌈ = *n*) and hemidrachms or triobols (from 1.8 to 2.0 gm for pieces with letter ⌈ = *g*). On the other hand, we cannot exclude the possibility that such a coincidence was accidental, and in fact, the weight system of Qatabanian coins was purely local, although we do not know anything about it from other material, least of all from known inscriptions. Such heavy valuated coins as Qatabanian "tetradrachms", "didrachms" and "drachms" might have been used for both international commerce and local transactions.

Probably around the early 2 nd century BC Qatabanian imitations of Athena, at least the pieces of "hemidrachm (triobol)" denomination, were replaced by a type with local iconography. The image of the Greek goddess on the obverse was changed into a diademed male head (portrait of a local ruler?), and two monograms now accompanied the owl on the reverse - Qatabanian royal monogram e on the right and an additional one, m, on the left.

Changes on the next "hemidrachm (triobol)" issues were more drastic. The obverse now bore a bearded male head with curly hair, and the owl on the reverse was replaced by a "hellenized" male portrait with hair in "chignon" accompanied by the royal monogram , letter x = *t* and symbol . The ruler who made those changes put his name Yada' 'ab (*yd''b*) and his title "king of Qataban" (*mlk qtbn*) or "king of Qataban set up" (*mlk qtbn s* ^{2} *ym*) on the obverse and reverse of the coins. It is very tempting to identify him with Yada''ab Dhubayan Yuhargib, king of Qataban (*c.* 155-135 BC.), a king also known from inscriptions (there is a unique piece with preserved remains of the letters]⌈⌉ = *ḏb[* in the legend which might be considered as initial letters of the second name of the king) ('Abdullah et al. 1997: 227). Most likely, the same ruler also replaced the royal monogram by the name of Harib (⌈⌉) = hrb) in the exergue on the reverse of his latest series (Hill 1922: 52).

The latest known Qatabanian issues were pieces, sometimes slightly scyphate, with

age is the most disputed question. For early imitation issues we have, at least, the *terminus post quem*, but the dating of the pieces with local iconography is very uncertain. There are no dates or other chronological indicators in the coin legends. There are very few iconographical features with well established chronology that can be compared with the elements of Hellenistic or Roman coinage. There are no coin hoards from south Arabia which have dated foreign issues in addition to the local ones. The names of rulers who issued South Arabian coins, where they do occur, are very rare, and it is difficult to correlate them with the rulers attested to in South Arabian inscriptions. Thus, the only means of arriving at an approximate chronology of South Arabian coinage is evidence of archaeology.

The Russian excavations at the Bir 'Ali Settlement (ancient *Qani'*) recovered a bulk of different Hadramawt, Sabaean and Himyarite issues in the strata which could be assinged to the three main archaeological periods. These have been dated by the presence of imported pottery, mainly of Mediterranean origin, and by other chronologically sensitive archaeological material (Sedov 1992: 110-137; 1996: 11-35). Thus, we have now the possibility to determine a general chronological framework for some of the South Arabian coins, particularly the Hadramawt and late Himyarite issues. However, at least two serious difficulties disqualify the precise use of this method: (1) the wide range given by pottery dating, and (2) according to the finds in controlled excavations, the custom of withdrawing old coins from circulation upon the introduction of new ones does not seem to be the practice in ancient Yemen.

The first coins in South Arabia.

The beginning of coin circulation in the Arabia Felix could be dated close to the late 5 th - early 4 th centuries BC, and probably it was closely relating to the commercial ties which existed at that period between South Arabia and the Mediterranean world. The first coins known to South Arabians were, no doubt, the Athenian tetradrachms of the so-called "old style" and their "oriental imitations". Several such pieces coming from Yemen were registered in public and private collections, and appeared on the illegal antiquity market in San 'a' [4]. In 1948 a hoard consisting of Attic tetradrachms and their "oriental imitations" including a unique coin of Persian satrap Tissaphernes was published as coming from near the town of Marash in ancient Commagena (south-eastern Anatolia). Many pieces in the hoard, and the coin of Tissaphernes among them, were countermarked on the reverse above the owl with a sign bearing a very strong resemblance to the South Arabian letter ኸ = *k*. One piece from the hoard had an additional sign on Athena's cheek in the form of the South Arabian letter ⨅ = *b* shown in relief (i.e. the letter was not countermarked on the coin, but incised on the obverse die - a practice which became later very typical of South Arabian coinage). According to scholars, the genius Athenian tetradrachms from the hoard were minted between 475 and 400 BC, and the very early 4 th century BC was apparently the date when the entire hoard was buried (Robinson 1948: 48-55, pl. V. 6-8; Le Rider 1961: 11-13, pl. I. 6; Seyrig 1986: 7-10). It is very tempting to consider the above mentioned countermarked tetradrachms as the first coins being in use in South Arabia along with the pieces of purely Attic origin and their "oriental imitations" which were documented as belonging to the region.

The beginning of the minting in South Arabia.

Taking into account the type of the first coins used in the region, it is not surprising that the first coins minted in South Arabia typologically were deeply inflenced by the Athenian coinage [5]. Undoubtedly, the deliberate imitations of Attic coins were among

The Coinage Of Pre-Islamic Yemen: General Remarks

Alexander V. Sedov

Abstract. *The appearance of new numismatic finds, in both archaeological excavations and museum collections, now makes it possible to draw a general picture of the pre-Islamic coinage of South Arabian states. Naturally this is only a sketch with some general remarks. First of all, we can now use more precise definitions such as Qatabanian, Sabaean, Hadramawt and Himyarite coinage. The beginning of the coin circulation in South Arabia might be dated close to the early 4 th century BC, and Qataban was the kingdom where first "national" pieces had been struck. From the very beginning the mintage of South Arabian states was deeply influenced by Attic coinage, and pieces with local iconography started to be issued not before the early 2 nd century BC. Both silver and copper fractions were registered in Sabaean, Hadramawt and Himyarite coinage. The local mintage came to an end in South Arabia about late 3 rd - early 4 th century AD, but probably the previous issues continued to circulate in the late 4 th and 5 th centuries AD.*

The most important of the early numismatic studies on pre-Islamic South Arabian coinage was without doubt the 1922 British Museum *Catalogue of the Greek coins of Arabia, Mesopotamia and Persia* (Hill 1922: lxiv-lxxvii, 68-75). In preparing this fundamental volume G. F. Hill had studied all known South Arabian pieces from major European collections and publications. The new phase of South Arabian numismatic studies started in the 1980s and 1990s, when pieces from different regions of Yemen including several very important coin hoards surfaced in private and public collections or in the hands of coin dealers (Mitchiner 1985: 75-77;Nordbo 1985: 6-26; 1987: 20-23; Sedov, Aydarus 1995: 15-60; Davidde 1995: 246-258; Abdullah et al. 1997: 203-229; Munro Hay 1994: 191- 203; 1996: 33-47; 1997: 230-240; Oddy 1998: 131-136). At the same time numerous archaeological reports brought to light important numismatic finds, including those from Khor Rori (ancient *Sumhuram/Sumuram*), Shabwa, the capital of Hadramawt Kingdom, Bir 'Ali settlement (ancient *Qani'*), and sites in the Yemeni Highlands (Albright 1982: 90-92; Munro Hay 1992: 394-418; Sedov 1992: 110-137; 1998; Davidde 1992: 41-54). But till now there is no corpus that assesses purely numismatic aspects such as typology, iconography and weight together with historical and epigraphical studies[1].

Usually the numismatic material from South Arabia are classified in general terms as South Arabian coinage, but the more specific definitions like "Sabaean coinage", "Himyarite coinage", "Katabanian" or "Himyarite-Katabanian series", or "Hadramautic coinage" also occur (Hill 1922: lxiv-lxxvii; Walker 1937: 260-279; Mitchiner 1985: 75-77). In my opinion, the "national" coinage of the different South Arabian kingdoms can be defined more precisely. The presence of the names like Harib (*hrb*), Raydan (*rydn*) or Shaqar (s^2qr), the names of the royal residences in Qataban, Himyar and Hadaramawt, on the reverse of the coins can be considered as the names of the royal mints denoting at the same time the "nationality" of coinage, the mintage of different South Arabian states[2]. The so-called "twisted symbol" or "the club", and its "oblong" variation, the symbols of the "federal" Sabaean god Ilmaqah and its principle temple Awwam in the Marib oasis, and the "signs of Sabaean *mukarribs*" may have had a similar function on Sabaean coinage [3].

The chronology of South Arabian coin-

Issue No. 3 January 2001
ISSN: 1319-8947 (pp 27 - 38)

ElMahi A, T. 1994 "Traditional wildlife conservation: A vanishing Tribal lore in the Sudan." In: Ahmed M. M., (Ed.) **Indigenous Knowledge for sustainable development in the Sudan.** Sudan Library series: 20: 81 - 114.

ElMahi A, T. 1996. **The wildlife of the Sudan in a historical perspective.** Beitrage zur Sudan Forschung: 6: Wein.

ElMahi A, T. 1996. **Paintings with guinea fowl: An early evidence of Snaring in the Sudanese Nile Valley".** Archaologie du Nil Moyen: 7

ElMahi A, T. 2000. "The Ibex Hunt in the Rock Art of Oman". **New Arabian Studies** vol. 5 Exeter University Press. England.

Fuller E. 1987 **Extinct Birds**. London.

Gallagher M. and Harrison D. 1988 "The small mammals of the sand". Special Report: 3, PP. 437-42. **Journal of Omani Studies.**

Gallagher M. and Woodcock M. 1994 **The Birds of Oman.** Quartet Books, London.

George, W. 1962 **Animal Geography.** Heinemann, London.

Godman E.M. 1937 **The Birds of British Somaliland and the Gulf of Aden.** Vol. I : London.

Grzimek B. 1988 **Grzimek's Animal Life Encyclopedia** Vol. 5. New York.

Harrison D. L. 1968 **The Mammals of Arabia: Garnivora, Hyracoidea, Ardiodactyla.** Vol. II, PP. 195-381, Ernest Benn LTD, London.

Harrison D. L. 1977. "Mammals obtained by the Expedition with a check-list of the mammals of southern Oman: the Special report: Flora and Fauna." **Jouranl of Omani Studies.**

Harrison D. L. and Bates P. J. 1991 **The Mammals of Arabia,** Zoological Museum Pubication. 2nd Ed, London.

Illies, J. 1974 **Introduction to Zoogeography,** Trans. W.D. Williams, Macmillan, England.

Jackli, R. 1980 Al-fan al-saqri fi Oman, **Al-Hasad,** Parts 9, 10, The Ministry of Culture and Heritage, Sultanate of Oman.

Jackli, R. (Unpublished report) "Rock Art in Oman. An introductory Presentation". The Ministry of Culture and Heritage, Sultanate of Oman.

Jung M. 1994 "A map of southern Yemeni rock seminar for the Arabian Art with notes on some of the subjects depicted." **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies:** 24.

Khan, M. 1993 **Prehistoric rock art of Northern Saudi Arabia.** Ministry of Education, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia.

Laufer, 1926 **Ostrish egg-shell cups of Mesopotamia,** England.

Leroi-Gourhan, A. 1979 "The Evolution of Paleolithic Art. Scientic Hunters, Farmers, and Civilizations": **Old World Archaeology.** Scientific American. San Francisco.

Lewicki, T. 1974 **West African food in the Middle Ages.** Cambridge.

McHugh, W. 1974 " Late prehistoric cultural adaptation in Southwest Egypt and the problem of the Nilotic origins of Saharan cattle." **JARCE** XI. PP. 9-22.

Nayeem, M. 1995 **Prehistory and Protohistory of the Arabian Peninsula, Saudi Arabia.** Vol. I, Hidarabad, India.

Olsen, S. J. 1968 **Fish, Amphibian and Reptile Remains from Archaeological Sites.** Papers of the Peabody Museum of Archaeology and Ethnology. Vol. 56. no. 2.

Petroleum Development of Oman 1990 **Oman's Geological Heritage,** Published by Petroleum Development, Oman.

Preston, K. 1976 "An introduction to the anthropomorphic content of the rock art of Jebel Akhdar." **Journal of Omani Studies :** 2, PP. 17-38.

Siegfried W. R. 1984 "Ostrich". In: Mason I., ed. **Evolution of Domesticated Animals.** Longman, London.

Smith, P. 1968 "Problems and possibilities of the prehistoric Rock Art of North Africa." **African Historical Studies.** 1. 1, PP 1-39.

Strabo, S. 1917 **The geography of Strabo.** Trans. Jones H. L 32: 1,2. London.

The administration of Aniquity and Museums 1975 **An introduction to the Archaeology of the Kingdom of Saudi Arabia.** Publications of the Ministry of Al Marif.

Ward, P. 1987 **Travels in Oman.** The Oleander Press LTD, England.

gations may reveal more substantial osteological and cultural evidence to render more solid answers to this issue.

Finally, this paper has highlighted a rock scene presenting the ostrich at Wadi Sahtan on the Jabal Akhdar in Oman. The paper has taken the description of the rock art graphic delineation to find a reasonable meaning to this rock scene. To this end, rock scenes are viewed as a series of snapshots. This approach by necessity assumes that a rock scene can be one single snapshot of a series of snapshots that actually represent the main theme of a particular activity that the artist had in mind when he depicted the scene. The ancient artist had chosen to depict a certain moment of activity from a wider temporally extended activity (cf. ElMahi 2000). In reality such chosen parts of temporally extended activities can instantaneously render a theme conceptualized by virtue of our common experience and shared knowledge of the nature of the activity, be it a horse racing on a track or an ostrich hunt.

Ali Tigani ElMahi **Department of Archaeology, College of Arts, Sultan Qaboos University, Muscat, Sultanate of Oman.**

ملخّص: موضوع هذا البحث رسم صخري، من منطقة وادي سحتن بالجبل الأخضر بعمان. ويمثل الرسم الصخري مشهداً لمجموعة من طائر النعام ، وفرسان على ظهور خيل وابل، وبعض الراجلة. وهذا المشهد يعد الوحيد الذي يمثل فيه طائر النعام في عمان. البحث محاولة لتفسير هذا الرسم الصخري، على أنه مشهد لصيد النعام. وفي سعي البحث لإثبات هذا التفسير، يستعرض اشكاليات دراسة عنصر الحيوان في الرسومات الصخرية، وسجل الرسومات الصخرية لهذا الطائر، وطرق صيده في كل من الجزيرة العربية وشمال إفريقيا. كما يبرز البحث بعض الجوانب الإحيائية والسلوكية عند هذا الطائر، في التأقلم والدفاع عن النفس. ومن ناحية أخرى، ينظر البحث للرسم على أنه يمثل مشهداً واحداً، من مجموعة مشاهد، ممتدة في نطاق زمني ومكاني ، اختار الفنان منها مشهداً واحداً فقط ليعبر به، عن ذلك النشاط الممتد. ويستعين البحث بأساليب صيد النعام في المجتمعات التقليدية، في كل من الجزيرة العربية وإفريقيا.

References

The Holy Qur'an: surah Al Ma'idah: 1-4

The Old Testament: The Book of Job (xxx, 29 & xxxi 13-18); micah (I, 8); and Isaiah (xxxiv, 13 & xii, 21).

Al-Qaysi, N.H. 1982 **Al-tabeah fi al-sher al-jahili. The nature in the Jahili poetry.** Aalam Al-Kutub, Beirut.

Al-Shahri, A. 1994. **Dhofar**. Dubai.

Anati, E. 1968. **Rock-Art in Central Arabia. The "Oval-Headed" People of Arabia.** Volume 1. Ouvrage publie avec le concours de la Fondation Francqui.

Anati, E. 1972. **Rock-Art in Central Arabia Corpus of the Rock Engravings.** Volume 3, parts I & II. Louvain-La-Neuve.

Anati, E. 1974. **Rock-Art in Central Arabia Corpus of the Rock Engravings.** Volume 3, parts III & IV. Louvain-La-Neuve.

Barfield, T 1997. **The Dictionary of Anthropology.** Blackwell Publishers. Oxford.

Brown L., Urban E. and Newman K. 1982 **The Birds of Africa** Vol. I. London.

Clarke C. 1975 "The rock art of Oman." **Journal of Omani Studies:** 1, PP. 113-122.

will start the pursuit and eventually the fleeing ostriches will end in the direction of another waiting group which in turn takes over the pursuit. Every group will be waiting for the ostriches in their flight. This organization offers each hunting group a break to rest and be ready to resume the pursuit again. In many cases, the fleeing ostrich will keep changing directions and circling around frightened by the presence of hunters in every direction. In this way the ostriches are eventually exhausted and overtaken by the horsemen. In fact, Laufer (1926: 14) maintains that Arab horsemen in hunting ostriches arrange themselves in relays to be able to overtake ostriches. Similarly, Lewicki (1974: 94) reports that on the borders of the western Sudan and the Sahara, horsemen use a comparable technique for hunting ostriches. The horsemen follow ostriches until the birds are completely worn out.

As has been mentioned before, horses cannot overtake ostriches without being changed by fresh ones at certain points in the pursuit. In such an organization of team pursuit, horsemen, camel riders and even men on foot can successively cover a portion of the hunt course. As much as this indicates the importance of relays in hunting ostriches, it also underlines the fact that ostriches cannot be hunted without such an organization. Therefore, the position of the horseman and the camel rider in the rock from Wadi Sahtan (Fig. 1) can possibly reflect a single phase of the ostrich hunt. The fact that any of the horsemen can expect the ostriches to come from any direction and to go in another unexpected direction during the pursuit, justifies the position of the two riding figures and the men on foot in the scene.

The presentation of ostriches in rock art brings into focus an important point. It is noticeable that the ostrich is only once presented in the rock art of Oman (cf. Preston 1976 & Jackli 1980). In comparison with other elements of the indigenous fauna, such as the Nubian ibex *Capra ibex,* the ostrich has a vague and a limited presentation. Yet it remains unclear why the ostrich has a restricted presentation in the rock art of the Oman! As far as the author is aware, records of zooarchaeology in Arabia contain no substantial osteological evidence of this bird. Although bits and pieces of ostrich's eggshells are generally encountered in archaeological contexts, the bones of this bird are rarely reported. In general, bird bones are seldom encountered in the archaeological context (ElMahi 1996: 63). The scarcity of osteological evidence of avi-fauna in archaeological deposits is justifiable. Birds have hollow bones and the weight of their skeletons is reduced. Accordingly, being light and hollow, osteological materials of avi-fauna hardly survive the many processes of destruction that usually overtakes bones in the archaeological context (Olsen 1968: 109). Rock art, therefore, is the sole source that offers indirect evidence on the ostrich, although the bird is an indigenous species of the Arabian Peninsula.

The limited presentation of this bird in the Omani rock art can perhaps rest on another likelihood; namely, the low ostrich poulation densities and the consequent restricted interaction (hunting) between man and these birds. The reports of early travellers in Oman may cast some light on the question of man/ostrich interaction. In 1775, Abraham Parsons visited Muscat and reported that ostrich-feathers were among the commodities brought by caravans overland (cf. Ward 1987: 8). Moreover, in 1816 James Silk Buckingham wrote about his visit to Muscat and mentioned the commodities brought from Zanzibar that included ostrich-feathers (cf. Ward 1987: 11). Until recent times, ostrich-feathers were in great demand in Mesopotamia, Persia, India and the Far East. Therefore, these reports may signify that ostrich-feathers were brought to Oman to be re-exported to those markets. The reports also indicated that there were no local markets of ostrich-feathers in Oman. It is conceivable that low population densities of ostrich on the one hand, and local demands for ostriches' feathers on the other hand, explain the situation. However, future investi-

fore, ostriches with flapping wings can be identified as being on the run or leaping away whether or not this action is caused by a sense of danger.

Second, the scene in question also exhibits a camel rider. It is not surprising that camels were equally involved in ostrich hunting. In Africa, some traditional societies (e.g. the Sudan) in ecosystems with similar environmental characteristics use camels in their pursuit of game. Up to the present, traditional hunting in many societies maintains methods and techniques similar in organization and function to those used in prehistoric times.

Third, this hunting scene is a realistic portrayal of form and movement. One may recall that the horseman and camel rider are portrayed facing the opposite direction the ostriches are facing. This position may give the impression that the riders are not pursuing the ostriches. However, on a closer look at the techniques of ostrich hunting by horse, one will realize immediately that this scene probably presents part or an episode of a hunting operation. To explain this we need to understand that ostrich hunting by horse cannot be done in one single pursuit or leg. This type of hunting is not simply a group of fast horses racing against ostriches to make a successful hunt. It takes more than that to run down a single ostrich. Perhaps the statement of Xenohpon when he accompanied the army of Cyrus through the desert along the Euphrates, in northern Arabia (Laufer 1926: 21), can support this argument. In his description of the area, he mentioned abundance of animals such as asses, ostriches, bustards and antelopes, which the horsemen of the army hunted. Further on, he reported that although the horsemen succeeded in hunting asses, they failed to capture an ostrich and that the horsemen soon desisted from the pursuit of ostriches. The ostriches outstripped them in their flight using their feet for running and raising their wings like a sail. This statement explains the fact that those horsemen lacked an adequate technique of ostrich hunting by horse and that they depended entirely on the speed of their horses, not knowing that ostriches can out-run horses. Ostriches are reported to run at a speed of 26 miles an hour (Godman 1937: 4). Therefore, to comprehend the technique of ostrich hunting by horse, we need to know also something about the ostriches themselves.

Ostriches are extremely keen-sighted birds and can detect danger when feeding much more readily than many antelopes in the same habitat (Brown 1982: 29). Also, it has already been mentioned that ostriches prefer open plains. In such a setting they seldom allow a person (riding or on foot) to approach within 500 yards of them before they take off (Godman 1937: 3). In an ecological sense their instinct of flight distance permits only 500 yards (the flight distance between prey-predator is a function of the prey's defense mechanism of survival) which enables the bird to out-distance any predator. Moreover, ostriches are known to outdistance horses over any period of time or space (Godman 1937: 4). They are also recognized for their incredible ability to go through thornbushes with great maneuvering speed. Moreover, if a predator chases ostriches, two or three young birds will split from the flock and feign injury by dropping their wings. Seeing an easy catch, their pursuer will follow them; once this happens, the young ostriches speed away taking their predator in away from the flock which flee to safety.

A bird with such abilities and in such environs cannot be outrun by a group of horsemen in one single leg or pursuit. What is the technique of ostrich hunting by horse? The method of hunting ostriches by horse rests on the simple fact that ostriches are usually circling around their home range. A home range can be a seasonal habitat for feeding, breeding, or a favourable habitat with good pasture. Taking into consideration the speed and the sharp eyesight of the ostrich, and its incredible ability of maneuvering in bushes, the horsemen are compelled to pursue ostriches in relays. The hunters organize themselves into teams or groups, each consisting of one or two individuals. The groups are scattered in different directions. One group

opment in the techniques of pursuing this bird. It is preceded by techniques involving men on foot armed with spears or using various types of traps. Nonetheless, the ostrich hunt involving the horse and other animals of burden such as the camel must have been more effective than earlier methods. Ostrich hunt by horse or camel is a collective effort and depends on the number of hunters. Along with the horse, men on foot can also contribute effectively in the ostrich hunt since the hunt's basic technique aims at exhausting and wearing down the pursued ostriches.

Discussion

As mentioned previously, the rock scene from Wadi Sahtan (Fig. 1) presents three birds and three anthropomorphic figures, one on horseback, another on a camel, and one on foot. The three birds are facing the opposite direction the men are facing. What is visible on the outer surface of the arrangements of figures made by the artist bears on designative properties of an ostrich chase. Understanding traditional methods of ostrich hunt and the ostrich's reaction to danger may throw some light on this rock scene and offer an explanation. The following argument identifies the rock scene of Wadi Sahtan (plate 1) as an ostrich hunt.

First, it is noticeable in this scene that the ostriches are presented with their wings spread (cf. Fig. 1). It is known that ostriches flap their wings when they are leaping away. The wings in fact serve as a rudder especially when the bird changes its direction and runs in zigzags or makes shrap turns. Xenophon reported that ostriches in northern Arabia used their wings like a sail while running (cf. Laufer 1926: 21). There-

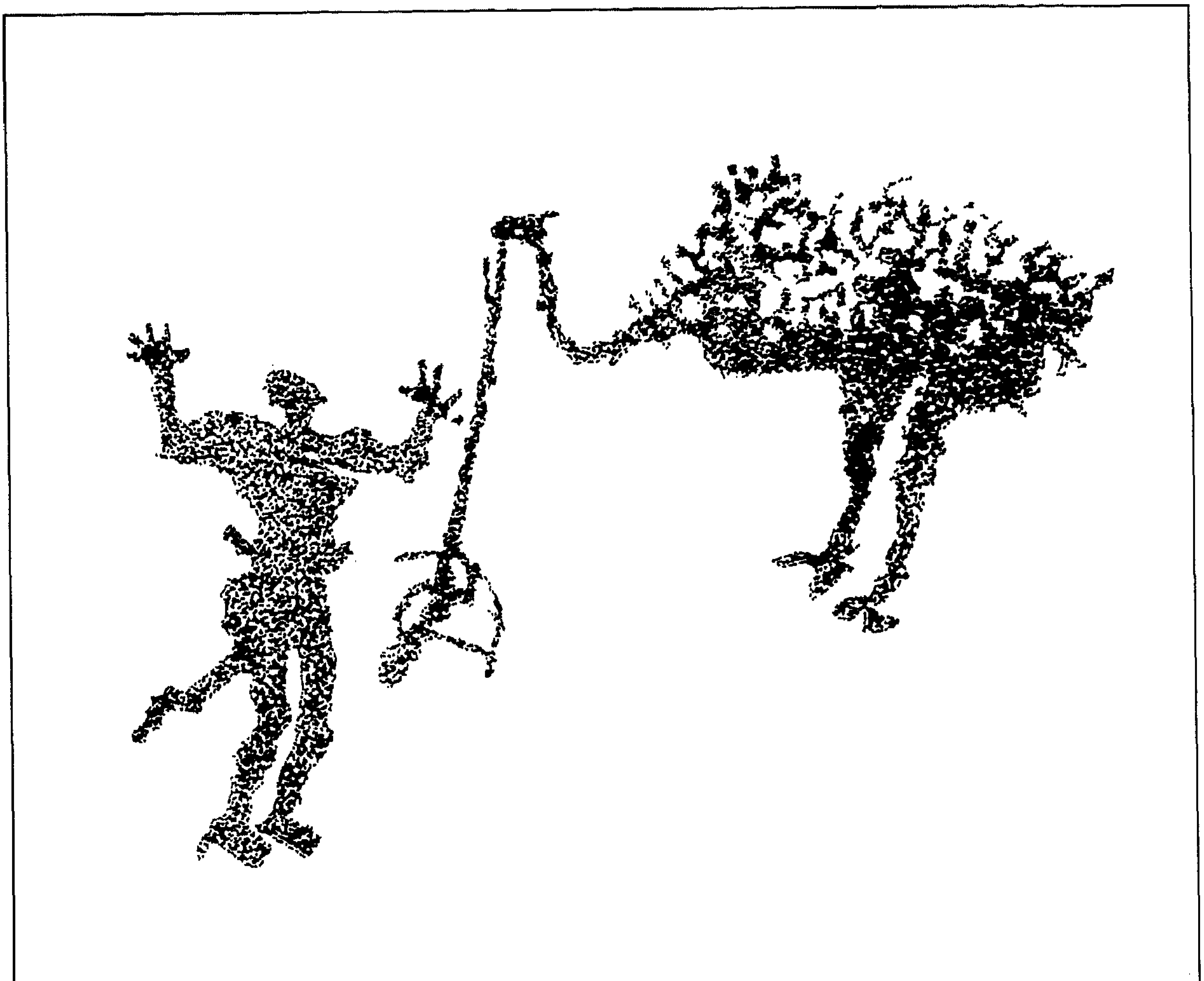


Fig. 4 : Trapped ostriches, Kingdom of Saudi Arabia. (After Nayeem 1995).



Fig. 3 : Hunting ostriches with spears. West of Najd Sahi, Kingdom of Saudi Arabia. (After Anati 1968).

Ostrich hunting methods are also traceable in several reports from various parts of the world. One of the earliest reports is made be Strabo the Greek geographer (63 BC -AD 19). He reported on a tribe in Ethiopia, the Struthophagi, "Bird-eaters," who hunt a bird of the size of a deer. The classical writer also mentioned that some of these people hunt this bird with bows and arrows, and others disguise themselves in ostrich skin with feathers to be able to get close enough to the ostriches and kill them with cudgels (Strabo 1917-32: 1,2). In South Africa another method is used by the natives: they hide themselves in a hole close to an ostrich nest and stick an ostrich hide up on a pole to fool another ostrich. Other tribes are reported to have used tame ostriches and await wild ones to approach them and then shoot them with poisoned arrows (Laufer 1926: 22). In Somali, the Migdan tribe poisons wild figs (part of the ostrich's diet) and spread them where ostriches feed (Laufer 1926: 22). Furthermore, it is known that horsemen on the borders of the western Sudan and the Sahara chase ostriches until the birds are exhausted and easily fall into their hands (Lewicki 1974: 94). Elderly people also informed the author about the nature of the traditional techniques of ostrich hunting in the Sitat River and the Blue Nile regions in the Sudan. They claim that ostriches are fast and clever enough to take advantage of the rough terrain and thorny bushes in order to escape their pursuers. Until recent times, horsemen and camel riders were compelled to exhaust and thus run down ostriches by using maneuvering tactics to relieve one another in the uninterrupted chase.

What is interesting in this context is the ostrich hunting in the Arabian Peninsula. As has previously been mentioned, the ostrich is widely reported in pre-Islamic and early Islamic poetry. Arabic poetry testifies to the great popularity this bird has acquired. Yet, the corpus of Arabic poetry contains no detailed description of the ostrich hunt that can reveal the methods and techniques of pursuing this bird. Nonetheless, it is evident that Arab horsemen in hunting ostriches arrange themselves in relays to be able to overtake ostriches (Laufer 1926: 14). Moreover, the introduction of the horse as a new element in the ostrich hunt is certainly a subsequent devel-

etarian and these nomadic movements are in fact geared to the potentiality of pasture across the seasons.

The Ostrich Hunt

In Central Arabia, pictorial evidence of early ostrich hunt is easily traced in the corpus of rock art. Ostriches are frequently depicted on the rock of Saudi Arabia and over different phases and periods. They are depicted in association with man in hunting scenes and also portrayed independently (Fig. 2). Some scenes portray the hunting of ostriches with spears on foot (cf. Anati 1968: plate XL-a-figs 84-a) (Fig. 3). Ostriches are also depicted trapped (cf. Nayeem 1995: Fig. 52: 4) (Fig. 4). Other engravings are recorded near Dahthami well, 50 km. North of Bisha (Anati 1972: fig. 12 [B7-R. 15.05]). According to Anati (1972: 47-48), this engraving seems to be a hunting scene. It presents four horse-riders surrounding an ostrich. Again, another rock scene portrays a man on horse back with a spear chasing three ostriches. This scene is associated with inscriptions and attributed to the Iron Age (Khan 1993: Plate 71: fig. 507). Anati (1974: 250) concludes that ostriches are consistently depicted in the rock art of Central Arabia especially in later periods. He (*ibid.*) also points out that these birds are rarely engraved during earlier periods.

Other early pictorial evidence of early ostrich hunt is provided by African rock art. The corpus of its rock scenes has proved to be revealing and meaningful for the understanding of the early conditions that prevailed in the Nilo-Saharan region. In this region the ostrich has been expansively depicted and in an articulate and compelling fashion. In some scenes, it is depicted caught in traps or chased by hunting dogs or hunted by bow-men (cf. Allard-Huard 1993: Fig. 36 scene 9-14; Fig. 48 scene 9-11 & 13; Fig. 49 scene 2; Fig. 50 scene 8,13,14,16; Fig. 51 scene 21,24; Fig. 59 scene 4; Fig. 60e scene 5&8; Fig. 60f scene 1; Fig. 70 scene 6; Fig. 74 scene 2; Fig. 87 scene 2,5,7,8). This early African rock art is very informative when it comes to methods and techniques of ostrich hunting. A chronological sequence has been postulated to place these rock scenes within the dates of the Stone Age traditions.

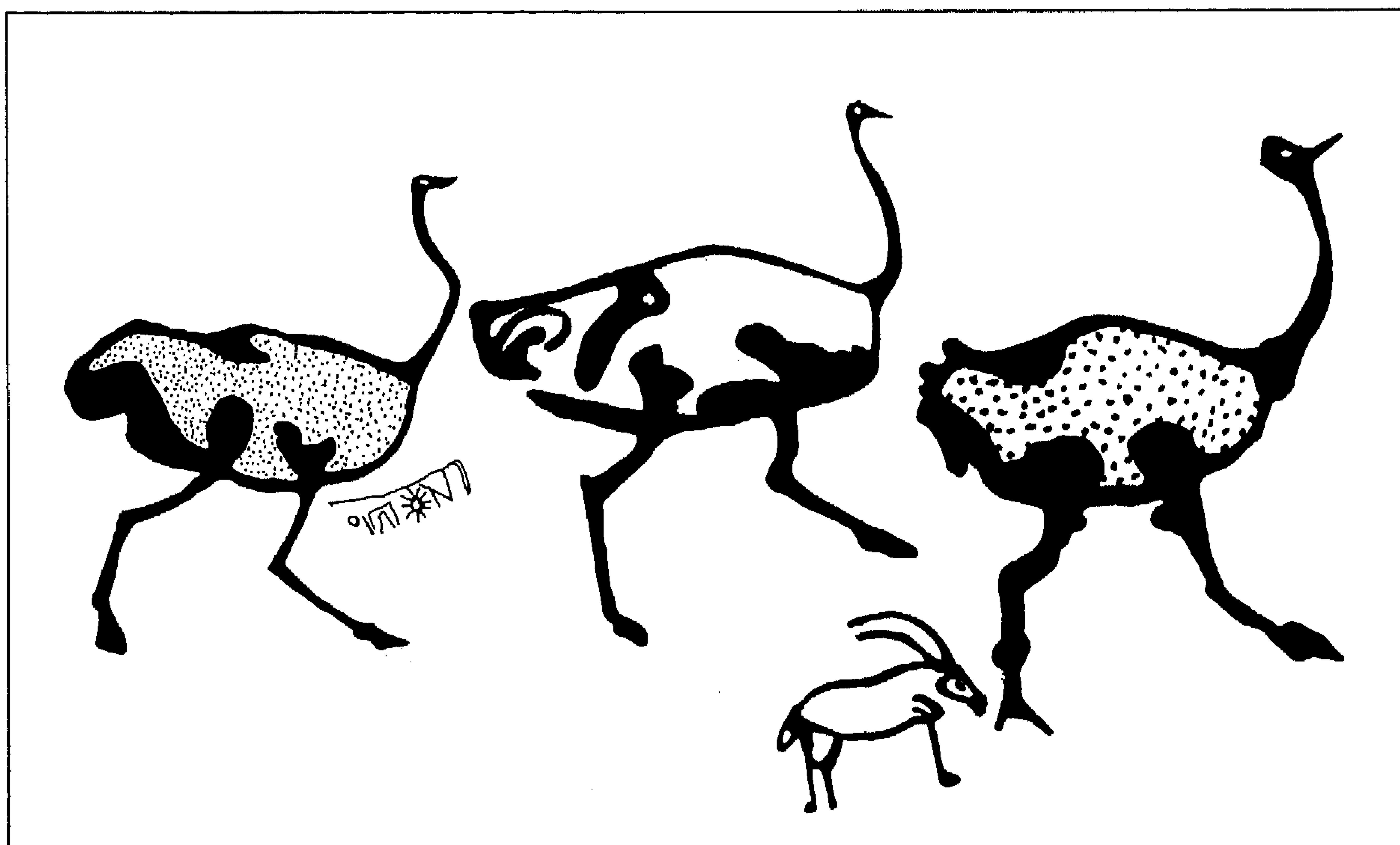


Fig. 2 : Three ostriches. The eastern side of Shaib Huqul, Kingdom of Saudi Arabia. (After Anati 1968).

about the eighth century BC. These seal-cylinders present ostriches with the gods Assur and Marduck (Laufer 1926: 7). Equally, ancient records inform us that the ostrich was a well-known bird to the ancient communities of this region. For instance, the ostrich is known in the Sumerian language as "gir - gide-da" which means "the long-legged bird," while in the Assyrian language it is known as "gamgam - mu" "the long-legged" (*ibid.*).The ostrich is also among the ave species exhibited by the rock art of Southern Yemen (Jung 1994), Oman (Preston 1976 & Jackli 1980) and Saudi Arabia (Anati 1968; 1972; 1974; Khan 1993; Nayeem 1995). This captivating bird occupied a considerable space in the Arabian poetry during pre-Islamic and post Islamic times. The corpus of early Arab poetry reveals a great deal of the ostrich's qualities in intelligent metaphors. The wide reference to the ostrich in poetry indicates genuine early Arab observation of this bird's qualities and behaviour. The ostrich's graceful walk, its speed and charm were highly appreciated qualities among the early Arabs. The behaviour of the ostrich was another quality early Arabic poetry took advantage of to show the ostrich's caution and protection of its clutch and chicks (Al-Qaysi 1982: 151-160). The legislation of Islam neither prohibits the ostrich hunt nor bans eating its meat (Al-Qur'an: surah Al Ma'idah: 1-4). The legislation recommends the method by which game is slaughtered according Islamic law. This clearly shows that the ostrich was familiar to the early inhabitants of the Arabian Peninsula, although this does not necessarily mean it was widely hunted or its meat was frequently eaten. Being such a well-liked bird for its qualities may not competely exclude the fact that ostriches had a restricted geographical distribution in the Arabian region. In other words, it is quite possible that the ostrich did not inhabit every part of the Arabian Peninsula and had a low population density. This might have made the qualities of the ostrich not only more appreciated in this region but widely visible metaphors in the poetry of the early inhabitants of Arabia.

In zoogeographical terms, ostriches are indigenous species of the Ethiopian region that covers the African continent south of the Atlas Mountains and the Sahara, including the southern parts of the Arabian Peninsula. They are exclusive to the Ethiopian fauna of that particular region. (Illies 1974: 64, 65 & George 1962: 24, 27). Although ostriches had a wide geographical distribution that extended over two continents in the past, now their habitat is limited to the African continent. In earlier times, the Arabian ostrich *S. c. syriacus* was found in the Arabian Peninsula, but it became extinct by the 1960s (Laufer 1926: 13), (Siegfried 1984: 365). In Oman, *S. c. syriacus* was also present and breeding until it was exterminated in the 1930s (Gallagher and Woodcock 1994: 40). This subspecies of the largest living bird was distinguished by its smaller size when compared with its African counterparts (Fuller 1987: 17). Yet, it remains uncertain if there were phylogenetic relationships between ostriches and other avian species (Siegfried 1984: 364).

Ostriches have a very characteristic habitat. They usually inhabit an open arid country of scattered acacia trees and semi-desert shrubberies and bushes. A full-grown male ostrich can weigh between 110-130 kilograms and may stand up to 2.2 meters in height; the female is relatively smaller (Siegfried 1984: 364). At the age of two years, a male attains his black and white adult plumage. Breeding varies in response to the conditions of the habitat, especially since ostriches are irregular opportunists in arid conditions (Siegfried 1984: 364-6). Ostriches are also known as nomadic birds that travel in search of pasture and water in flocks of 20-30 birds. They coutiously avoid dense forests and swamps and prefer open plain where they can spot and flee predators. Like other birds of arid ecosystems, ostriches have irregular nomadic movements. These movements are usually unpredictable and do not necessarily take place every year. Therefore, these movements are not true migration, but nomadic movements (Brown et. al. 1982: 34). Ostriches are exclusively veg-

tence, but also as a perstigious delight and a sport of amusement. At length, rock art imposes certain questions that add to the difficulties of this endeavour. Were ancient artists depicting actual scenes and events from their immediate environment or was it the work of their imagination or their memories? Answers to these and other questions cannot be gauged by our present methods and techniques of investigating rock art. Nonetheless, rock art remains a useful source of data that contributes effectively to our understanding of the human past. The study of rock art has also developed greatly in the last decades. It has shifted its focus-from the aesthetic and magic-religious significance to the classification of this art in terms of time and place and the relations among such art forms. In essence, rock art is no longer regarded as gradual accumulations of isolated pictures each created by the need of the moment (Leroi-Gourhan: 1979: 37).

The rock scene of Wadi As-Sahtan

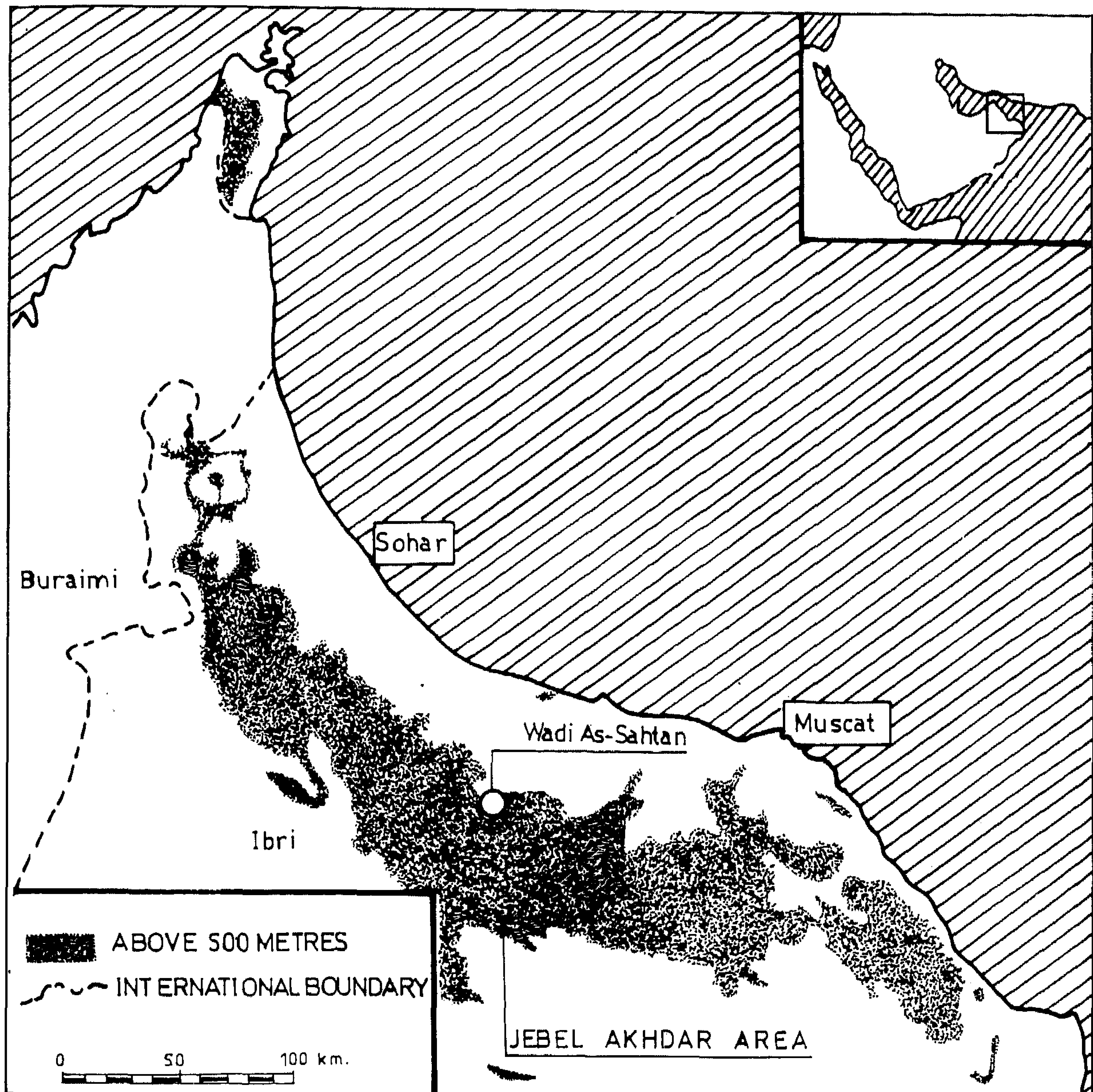
Wadi As-Sahtan, the setting of this rock scene is located in the Jabal Akhdar in Oman (cf. Map 1). The range of the Jabal Akhdar is very dense with limestone (Cretaceous limestone dated to the geological period 140- 100 million years) and erosion has scooped out the crest and created amphitheatres such as Wadi Mistal, and Wadi As-Sahtan. Major Wadis cutting magnificent gorges through the dense limestone (Petroleum Development Oman: 1990) drain these localities. This interaction has created favourable areas for human settlements and smooth walls n the limestone. The sandstone equally proved suitable for rock drawing and particularly for the "pecking" technique, which is very common in the rock art of northern Oman.

The reported evidence of the ostrich in the rock art of Oman comes from Wadi Sahtan (Fig. 1) in the Jabal Akhdar (Map 1) (Clarke 1975: 114), (Jackli 1980 & an unpublished report). In this scene, three birds are presented in association with three other figures of a horseman, a camel rider, and a man on foot. The anthropomorphic figures are in a position with their backs to the ostriches. In other words, they are not facing the same directions. This is a position that can easily argue against a scene of pursuance and hunting. Nonetheless, this scene deserves further examination in order to understand the possible objectives of this delineation. For this reason, a rock scene will be viewed as one single representation (a snapshot) of a wider and an inclusive activity.

The rock scene's very entity presents particular themes. The concept of viewing rock scenes as snapshots is introduced as a possible attempt to comprehend the meaning and the themes of this ancient art form (ElMahi 2000). The idea is simple; it regards rock scenes as a series of snapshots. In essence, a rock scene presenting certain figures can be one single snapshot of a series of snapshots, which actually form the main theme of a particular activity that the artist had in mind when he/she depicted the scene. In other words, the ancient artist had chosen to depict a ertain moment of activity from a wider temporally extended activity. On that account, it is important to focus on the essential quality (the moment of activity depicted by the artist) of rock scenes that convenes beyond the mere graphic delineation and aesthetic property (ElMahi *ibid.*). Accordingly, it would be useful to view the earliest evidence of ostriches, their ecology, habitat and behaviour in order to furnish this attempt with the adequate knowledge.

The ostrich struthio camelus

Throughout time, the ostrich has always captured the interest and fantasy of man. The Greek comedian Aristophanes (415 BC) described the ostrich as a bird of awesome stature, a fearful and the enormous creature and the largest of all things that fly (cf. Laufer 1926). Early evidence of ostriches in the ancient Middle East comes from various sources. The Old Testament contains one of the earliest records that frequently mentioned the ostrich: The Book of Job (xxx, 29 & xxxi 13-18), Micah (I, 8), and Isaiah (xxxiv, 13 & xii, 21). The same region yielded Assyrian seal-cylinders dating to



Map 1 : Wadi As-Sahtan

ments in the rock art of Oman. Among these difficulties is the scarcity of osteological evidence of the animals depicted in the rock art of Oman. The association between the rock scenes of animals and faunal remains in the archaeological context is hampered by the partially limited available knowledge about the prehistory of Oman. For instance, the Neolithic tradition as a crucial phase of technical and socio-economic development and man / animal relationship evolvement is not fully comprehended. Moreover, the history of wildlife and domestic animals in Oman is not thoroughly grasped. It has been upheld that the history of wildlife and domesticates is a valuable furtherance of understanding the cultural ecology of human societies and the characteristics of the environment and landscape (ElMahi 1994). Furthermore, in the absence of an unfailing method of dating rock art, scenes of hunting cannot be assigned with confidence to any particular period in the history of a country simply because hunting has survived in the course of time in many societies. Hunting has endured not only as an act of subsis-



Fig. 1 : Ostriches in a rock scene from Wadi As-Sahtan, Sultanate of Oman. (After Clarke 1975 and Jackli 1980)

would be most useful in context to review the difficulties that usually impede any study of faunal elements in rock art.

Difficulties of faunal elements in rock art

Certain problems haunt this valuable source of information. Some of these problems are in essence related to rock art as a source of information and others are of a regional nature or geographical provenance. Nonetheless, one of the outstanding problems of rock art is the dating of scenes to an absolute chronology. Currently, the rock art of Oman stands in need of detailed and systematic studies of documentation and conservation. The study and the detailed mapping of the geographical distribution of this art form in the country also remain to be an urgent necessity. In this line, few studies have been undertaken. The work of Preston (1979), Clarke (1975), Jackli (1980; unpublished report), Al-Shahri (1994), and ElMahi (2000 & in press) are the only efforts that address the rock art of Oman. It is to be acknowledged that there are numerous undocumented rock scenes in the country. The absence of these basics is responsible for our limited knowledge not only of this crucial source of data but also of an ancient intellectual expression of technical skill and aesthetics.

In addition, there are certain difficulties usually encountered in studying faunal ele-

The Ostrich in the Rock Art of Oman

Ali Tigani ElMahi

Abstract. *Up to the present, efforts of recording rock art in Oman have succeeded in reporting one single rock scene of the ostrich Struthio camelus from Wadi Sahtan in the Jabal Akhdar. This paper is an attempt to examine and look into this rock scene that presents one species of the ave fauna of Oman and the records of this bird in the rock art of the Arabian Peninsula and North Africa. Interpretations of rock scenes have always been tediously difficult and disputable. Therefore, the paper looks at rock scenes as a series of snapshots. It is assumed that a rock scene presenting certain figures can possibly be one single snapshot of a series of snapshots, which actually form the main theme of a particular activity that the artist had in mind when he / she depicted the scene. It is also believed that the artists usually chose to depict a certain moment of activity from a wider temporally extended activity. Aided by the traditional techniques of hunting ostrich and the abilities of the ostrich to evade its enemies the paper concludes with an analogical interpretation and argues that this scene is an ostrich hunt.*

Introduction

The quiescene of rock art has always accommodated the eloquent and fascinating quintessence of human experience and endurance. Rock art has been an ancient unequivocal intellectual expression of technical skill and aesthetics. The ancient form of art has unceasingly communicated allusions and subliminal images of the past to the scholarly interest and scrutiny of archaeologists, anthropologists, artists, and historians. The mere graphic delineation of this ancient art has illuminated persuasively certain traits of the biotic palaeo-environmental conditions, socio-economics, technology and the spiritual beliefs of early human organizations. Equally, rock art has raised more frustrating queries and unanswered paradoxes. The current limited comprehension of the cultural values, impetus and motives of those who depicted their art, ideas and concepts on the rock surface cause this state of uncertainty. Therefore, to outline the reason and the meanings of rock scenes is notoriously difficult.

The Sultanate of Oman has a remarkable-wealth of rock art distributed over the area of the North Mountains in the country and the Southern Mountains of Dhofar. Initiatory explorations indicate a diversity of subjects illustrating human figures, animals, boats and cultural symbols. Although the rock art of Oman depicts a wide range of faunal elements, bird species are exceptionally rare. At the present, the whole corpus of the rock art of Oman grants one single rock scene in which the ostrich *Struthio camelus* is categorically presented (Fig. 1) Jackli (1980: fig. 31). The rock scene comes from Wadi Sahtan in the Jabal Akhdar in Oman (Map 1). This paper is an attempt to examine and look into this rock scene that presents one species of the ave fauna of Oman. Interpretations of rock scenes have always been tediously difficult and disputable. Nonetheless, the paper aims to achieve an explanation for this rock scene. Aided by the traditional techniques of hunting ostrich, the paper concludes with an analogical interpretation and argues that this scene is an ostrich hunt. Ethnographic analogy has been acknowledged as an operative principle of archaeology and a corner stone in the archaeological reconstructive approach (cf. Barfield 1997: 156). Indeed, it seems that a considerable number of rock drawings cannot be thoroughly understood without a constructive analogical approach. However, it

Issue No. 3 January 2001
ISSN: 1319-8947 (pp 15 - 26)

M. A Kelly and C. S. Larsen (ed), pp: 279-293. Wiley-Liss, New York.

Holland, T. D. and M. J. O'Brian 1997." Parasites, Porotic Hyperostosis and the Implications of Changing Perspectives", **American Antiquity** 62 (2): 183-193.

Klepinger, L. K. 1992. "Innovative Approaches to the Study of Past Human Health and Subsistence Strategies". In: **Skeletal Biology of Past Peoples: Research Methods**, S. R. Saunders and M. A. Katzenberg, M. A. (eds), pp: 121-130. Wiley-Liss, New York.

Lukacs, J. R. 1989. "Dental Paleopathology: Methods for Reconstructing Dietary Patterns". In: **Reconstruction of Life from the Skeleton**, M. Y. Iscan and K. R. Kennedy (eds), pp: 261-286. Alan R. Less, New York.

Martin, D. L., A. H. Goodman, G. J. Armelagos, and A. L. Magennis, 1991. **Black Anasazi Health: Reconstructing Life from Patterns of Death and Disease**. Carbondale Center for Archaeological Investigations, Illinois

Mays, S. 1998. **The Archaeology of Human Bones**. Routledge, London

Molnar, S. 1971. " Human Tooth Wear, Tooth Function and Cultural Variability", **American Journal of Physical Anthropology** 34: 175-190.

Potts, D. T. 1989. "Excavations at Tell Abraq, 1989",**Paleorient** 15/1: 269-271.

Potts, D. T. 1990. **The Arabian Gulf in Antiquity: From Prehistory to the Fall of the Archaemenid Empire,** Vol. I. Clarendon Press, Oxford.

Potts, D. T. 1990a. **A Prehistoric Mound in the Emirate of Umm al-Qaiwain, U.A.E.: Excavation at Tell Abraq in 1989**. Munksgaard, Copenhagen.

Potts, D. T. 1991. **Further Excavations at Tell Abraq: The 1990 Season**. Munksgaard, Copenhagen.

Potts, D. T. 1993. "Four Seasons of Excavation at Tell Abraq", **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies** 23: 117-126.

Potts, D. T. 1993a. "A New Bactrian Find from Southeastren Arabia", **Antiquity** 67: 591-6.

Potts, D. T. 1993b. "Rethinking Some Aspects of Trade in the Arabian Gulf", **World Archaeology** 24 (3): 423-440.

Potts, D. T. 1997. "Before the Emirates: An Archaeological and Historical Account of Developments in the Region c. 5000 BC to 676 AD". In: **Perspectives on the United Arab Emirates**, E. Ghareeb, and I. al Abed (eds), pp: 36-73. Trident Press, London

Roberts, C. and K. Manchester, 1995. **The Archaeology of Disease** (2nd ed). Cornell University Press, New York.

Smith, H. B. 1991. "Standards of Human Tooth Formation and Dental Age Assessment". In: **Advances in Dental Anthropology**, M. A. Kelley and C. S. Larsens (eds), pp: 143-168. New York, Wiley-Liss.

Smith, P. and B. Peretz, 1986. "Hypoplasia and Health Status: A Comparison of Two Life-Styles", **Human Evolution** 1: 535-544.

Stuart-Macadam, P. 1991. "Anaemia in Roman Britain: Poundbury Camp". In: **Health in Past Societies: Biocultural Interpretation of Human Skeletal Remains in Archaeological Contexts**, H. Bush and M. Zvelebil (eds), pp: 101-114. British Archaeological Reports, International Series 567, Oxford.

Walker, P. L. 1986. "Porotic Hyperostosis in a Marine-Dependent California Indian Population",**American Journal of Physical Anthropology** 69: 345-354.

Wilkinson, R. G. 1997. "Violence Against Women: Raiding and Abduction in Prehistoric Michigan". In: **Troubled Times: Violence and Warfare in the Past**, D. L. Martin and D. W. Frayer (eds), pp: 21-43. Gordon and Breach Publishers, Canada.

tant site for understanding human existence in the past in the Oman Peninsula. The discovery of 1059 has expanded further the interest of this site, providing insight into one young and relatively unhealthy individual.

Acknowledgements

Comments provided on drafts of this paper by Dan Potts and Tim Denham are most appreciated. Reponsibility for the content is however, my own.

Dr. Soren Blau Department of Archaeology & Natural History, Research of Pacific & Asian Studies, Australian National University, A.C.T. 0200, Australia. soren@coombs.ana.edu.au.

ملخّص : تعالج هذه الورقة مدفناً واحداً واضح المعالم، اكتشف في موقع "تل أبرق". ويصف البحث بنية القبر، ثم يعطي تقريراً مفصلاً عن عمر الشخص المدفون، وعن صحته وجنسه. وتظهر على الهيكل العظمي لهذا الجثمان (الذي قد يكون لامرأة شابة) آثار مرضية، من أهمها كسر في الجمجمة. وتوحي العلاقة المعمارية، بين المدفن وبرج القلعة، في تل أبرق، أن تاريخ الدفن يعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد. وبما أنه قد سبق بحث القبر الجماعي في موقع "أم النار" وتوصيفه، فان لوجود هذا القبر منفرداً - في هذا الموقع - أهمية خاصة.

Notes

1- The final recording of the fortification tower at Tell Abraq was undertaken by Anne-Marie Mortensen (Moesgard) who also discovered the burial described in this paper. I would like to thank Anne-Marie for inviting me to excavate and record this burial. Thanks to both Anne-Marie and Neils for their assistance in excavation.

2- See Potts 1990a: 22, for detailed plans of the foundations of the tower.

3- Two teeth, a left second and a left third maxillary molar were collected for DNA analysis.

References

Benton, J. N. forthcoming. **Excavations at Jabal al-Emaleh: A Third Millennium Site in the Emirate of Sharjah**. Turnhout, Brepols.

Blau, S. 1998. "Finally the skeleton: an analysis of archaeological human skeletal remains from the United Arab Emirates", ph.D. Dissertation, Department of Archaeology, The University of Sydney, Australia.

Bullion, S. K. 1986. "Information from Teeth on the Growth and Developmental History of individuals" . In: **Teeth and Anthropology**, E. Cruwys, and R. A. Foley (eds), pp: 133-136. Oxford, British Archaeological Reports, International Series 291.

Chamberlain A. 1994. **Human Remains**. British Museum Press, London.

Goodman, A. H., Martin, D. L. and Armelagos, G.J. 1984. "Indications of Stress from Bone and Teeth". In: **Paleopathology and the Origins of Agriculture**, M. N. Cohen and G. C. Armelagos, (eds), pp: 13-49. Academic Press,Orlando.

Goodman, A. H. and Rose, J. C.1991. "Dental Enamel Hypoplasias as Indicator of Nutritional Stress" In: **Advances in Dental Anthropology**,

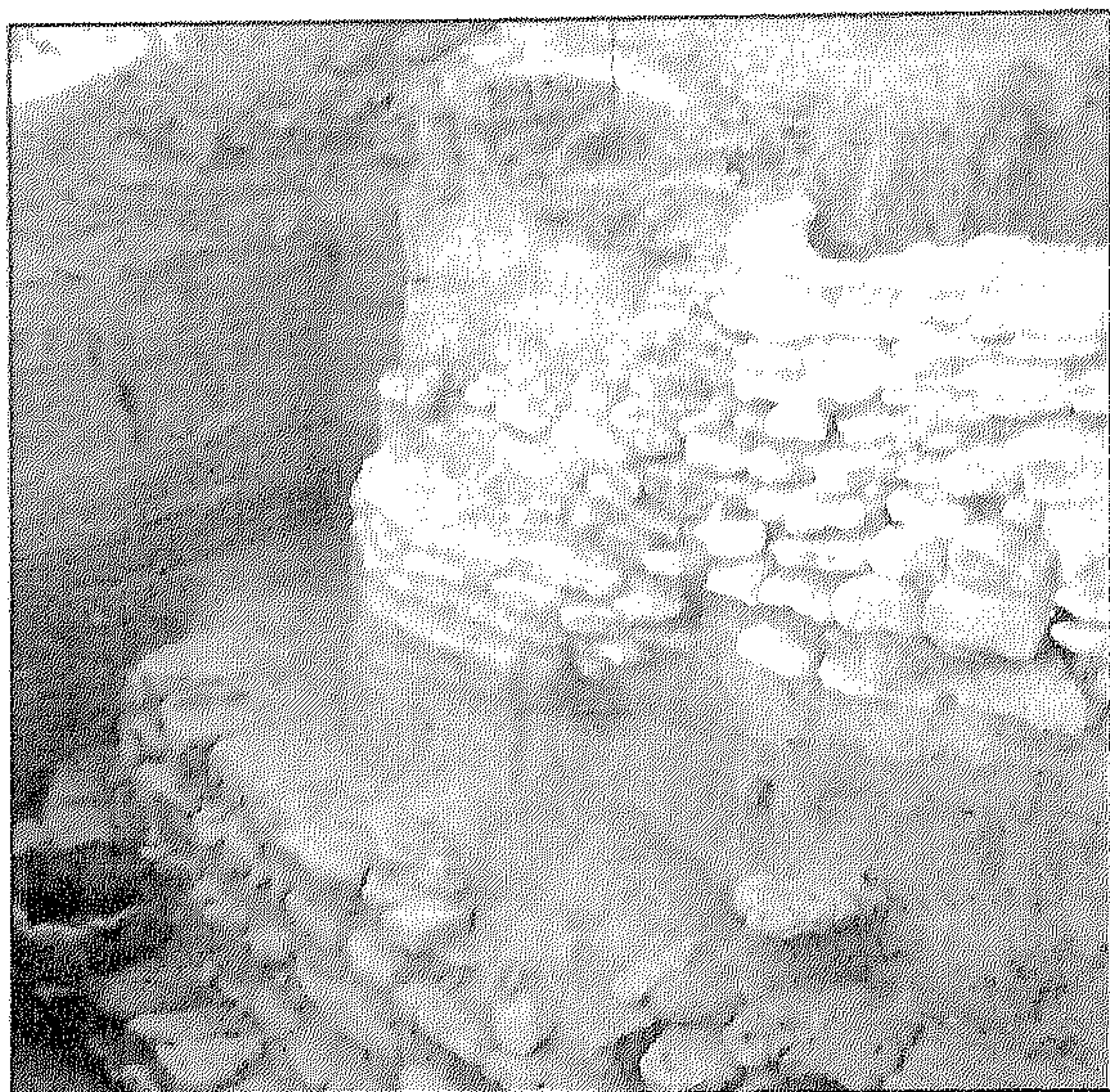


Fig. 8: View of third millennium BC tower (looking west) with locus 1059 built into the foundations of the wall.

erts and Manchester 1995: 166), and/or diseases such as gastro-intestinal or parasite infections (Mays 1998: 142; *cf.* Holland and O'Brian 1997; Walker 1986).

Studies have shown that in general, more cases of orbital lesions occurred in the Umm an-Nar period than the Wadi Suq period (Blau 1998: 266-267). The dietary stress experienced by the individual in 1059 perhaps accounts for the occurrence of non-specific infection, although such infection is considered typical of most prehistoric skeletal collections (Goodman *et al.* 1984: 32).

Although it is interesting that a relatively young individual showed evidence of joint disease in three different articulations, the deterioration of the joints was only minor, manifesting as pitting as opposed to osteophytes and/or eburnation.

The dental health of this individual appears to be typical of people who lived in the third millennium BC (Blau 1998: 245). That is, while the molar teeth showed some wear, the front teeth were relatively more worn and evidence of caries was common. While in general there was a decrease in the prevalence of enamel hypoplasia and wrinkled and / or pitted enamel between the third and second millennia BC, interestingly, specific site idiosyncrasies occurred. For example, individuals at Tell Abraq showed a higher frequency of enamel hypoplasia than individuals from other sites (Blau 1998: 247-248). The fact that the individual in 1059 was relatively young and already had evidence of five dental caries almost certainly suggests a high reliance on dates (Potts 1997: 47). The high prevalence of enamel hypoplasia also suggests an unbalanced diet.

The isolated occurrence of the cist burial 1059 is unusual because it provides a rare example of articulated skeletal remains, allowing detailed osteological analyses, so often limited in the UAE (Blau 1998). Further, the age of the grave, dating to the late third millennium BC, raises many questions about burial practices in the past: why was this individual singled out for an isolated burial when a communal burial dating to the same period was located only 10m to the west of the tower? Why was the cist grave attached to the tower and not built as a free standing structure?, and why were no grave goods included?

It is possible that both the relatively young age of the individual and the fact that she (?) suffered severe head trauma, in some way made the individual unique in the community. It is also possible to suggest that she (?) had high standing in the community and was therefore provided with her own resting place. While such an interpretation may call into question the lack of associated material culture, it is possible that grave goods were only included with older individuals. Alternatively, her age and cause of death (which can only ever be speculative), perhaps meant she was required to be set apart. It is interesting to note however, that an articulated female (also recovered in a crouched position but lying on the left side), of similar age (20 years old), and with possible poliomyelitis (a crippling disease which would also have inevitably set the individual apart), was not given a unique burial, but was recovered in the communal tomb (Potts 1997: 50).

Conclusion

Tell Abraq is unquestionably an impor-

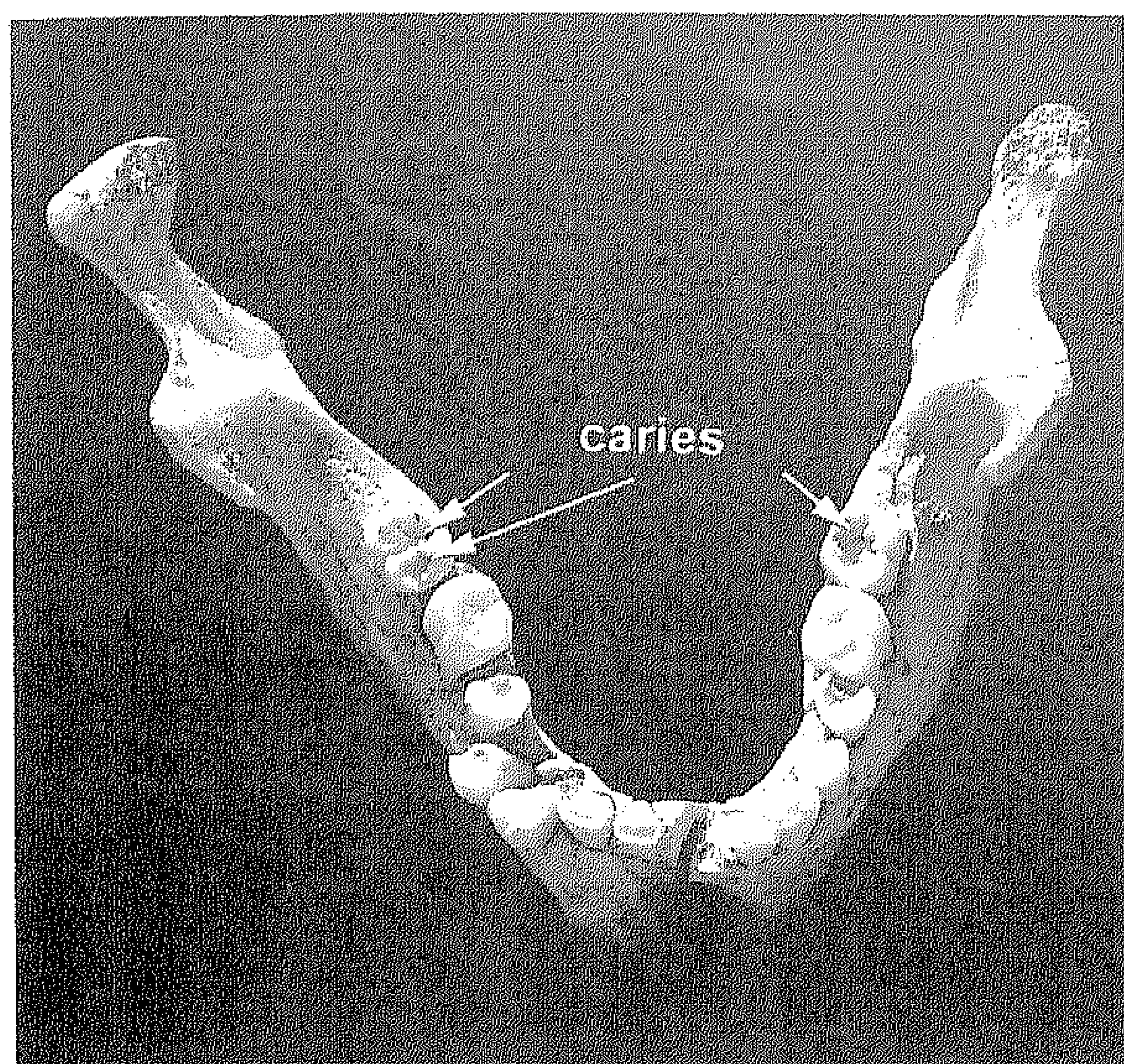


Fig. 6: Plan view of mandible showing example of dental wear and caries.

Material Culture

No grave goods were associated with this individual. The undisturbed state of the burial suggests the grave had not been robbed. The only items recovered from the fill of the burial were a number of date seeds.

Dating the Burial

Rectangular cist burials similar to 1059 have been recorded elsewhere in the UAE such as that associated with Tomb III, Jabal al-Emalah (Benton and Potts forthcoming: 23) (see Figure 1). While only unidentifiable bone fragments were recovered from the cist burial at Jabal al-Emalah, the discovery of two well-preserved bronze bracelets indicated that this grave dated to the Iron Age (*Ibid*: 23). Further, the cist burial at Jabal al-Emalah was obviously a later addition as evidenced by the way it abutted, rather than formed part of, the wall of Tomb III (which was dated to the early third millennium BC) (*Ibid*: 23). In contrast, the burial structure 1059 at Tell Abraq was clearly built as part of the foundation of the tower (Figure 8), and consequently cannot be much later than the tower itself dated to c. 2200 BC (Potts 1993: 118).

Discussion

The individual recovered form the cist burial showed signs of trauma, non-specific infection, slight joint and metabolic disease, and generally poor dental health. The depressed nature of the head trauma suggests that the injury was inflicted with a blunt instrument. If it can be accepted that 90% of the worlds' population are right handed, then the fact that the cranial injury occurred on the left side of the individuals cranium may indicate that the wound was a result of some kind of hand-to-hand fighting (Roberts and Manchester 1995: 80). This is an interesting interpretation given the relatively young age of the individual and the fact that the sex was estimated to be female.

The presence of enamel hypoplasia on the majority of teeth and the occurrence of cribra orbitalia in both the left and right orbits (although only slight), suggests that the individual was under some kind of systemic metabolic stress. While the exact aetiology of enamel hypoplasia is unknown (Skinner and Goodman 1992: 62), these enamel defects are often associated with dietary deficiencies (Goodman and Rose 1991: 281; Smith and Peretz 1986: 536; Bullion 1986: 133). Similarly, the skeletal changes associated with cribra orbitalia are indicative of a common form of anaemia caused by iron deficiency, also commonly associated with dietary changes (Klepinger 1992: 122; Rob-



Fig. 7: Left mandible showing lingual surfaces of dentition all exhibiting linear enamel hypoplasia.

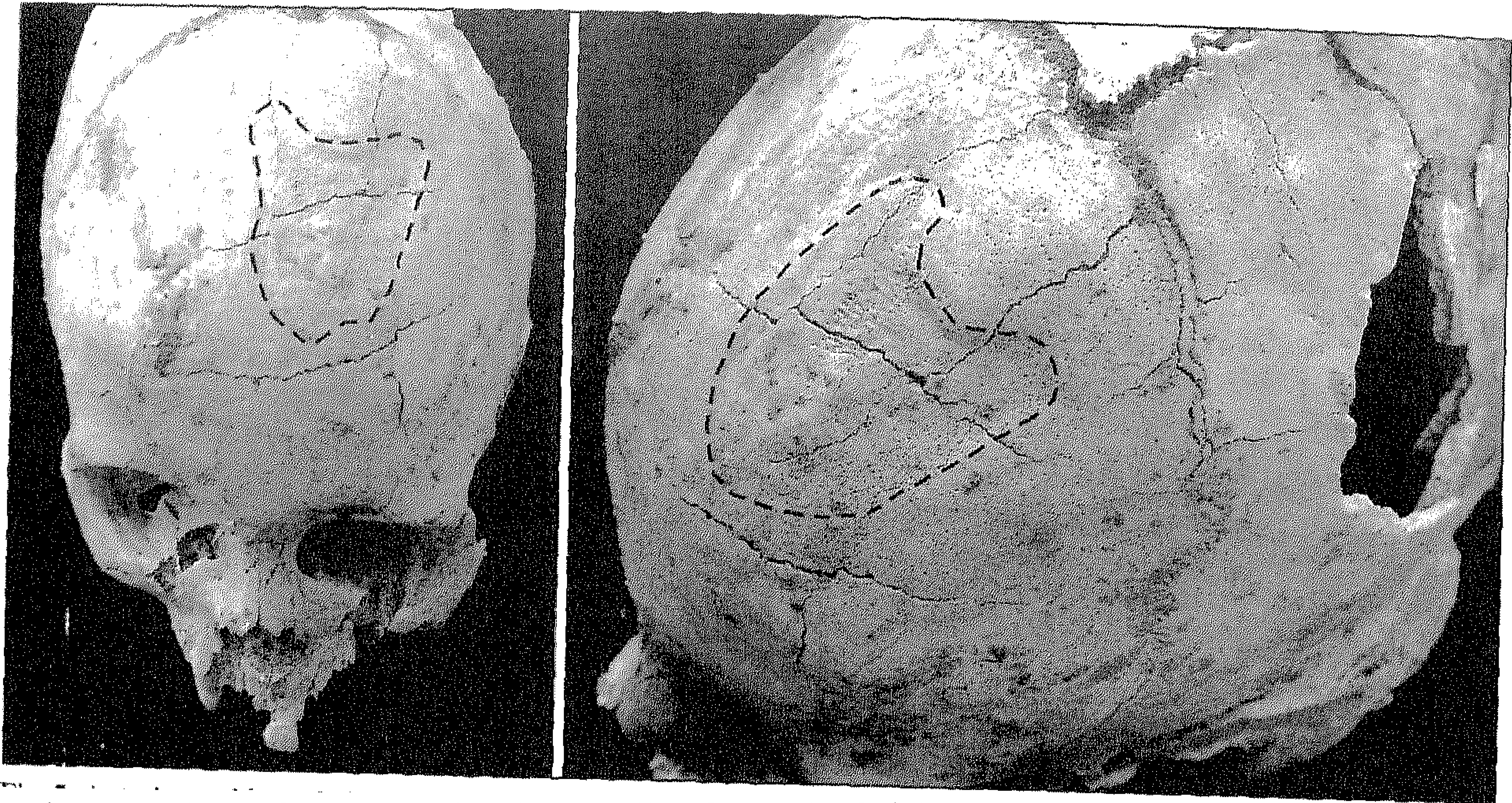


Fig. 5: Anterior and lateral views of head trauma. Note the associated pitting.

Metabolic Disease

Alterations in the form of scattered fine foramina were present in the left orbit. Large and small isolated foramina were present in the right orbit. Such lesions, although only moderate, are indicative of anaemia (Stuart-Macadam 1991: 109).

Joint Disease

Some kind of joint disease was indicated by pitting on the left radial tuberosity and the proximal articular sufrace of the right clavicle. The disorganised new bone on the distal articular surface of the left tibia was also indicative of joint disease.

Dental Disease

Dental attrition is not a disease in itself (Martin *et al.* 1991: 166; Molnar 1971: 175; Roberts and Manchester 1995: 52) and is often omitted from discussion of dental palaeopathology (see for example, Lukacs 1989). Studies of dental attrition (wear), however, provide information about aspects of prehistoric diet, including the types of food consumed as well as methods involved in processing food. Both the mandibular and the maxillary teeth were well preserved. In general, both the mandibular and maxillary front teeth, including the premolars, were noticeably more worn than the molar teeth. Wear predominantly occurred on the lingual surfaces of the teeth (Figure 6).

Although the molar teeth were relatively unworn, evidence of occlusal caries were recorded on both the maxillary and mandibular molars. These included a large carious lesion on the left second mandibular molar, two small lesions on the right second mandibular molar (Figure 6), a small lesion on the right first maxillary molar and a small lesion on the left first maxillary molar.

A defect in the enamel in the form of wrinkling and / or pitting was identified on seven teeth. These included the buccal surface of the right first and second mandibular premolars, the occlusal surface of the right second molar, the buccal surface of the left maxillary first premolar, the occlusal surface of the left maxillary second molar and the occlusal surfaces of the left and right third maxillary molars.

All mandibular teeth except the right first incisor, the second premolar and the first molar exhibited evidence of linear enamel hypoplasia (Figure 7). Only the right maxillary first incisor showed evidence of enamel hypoplasia.

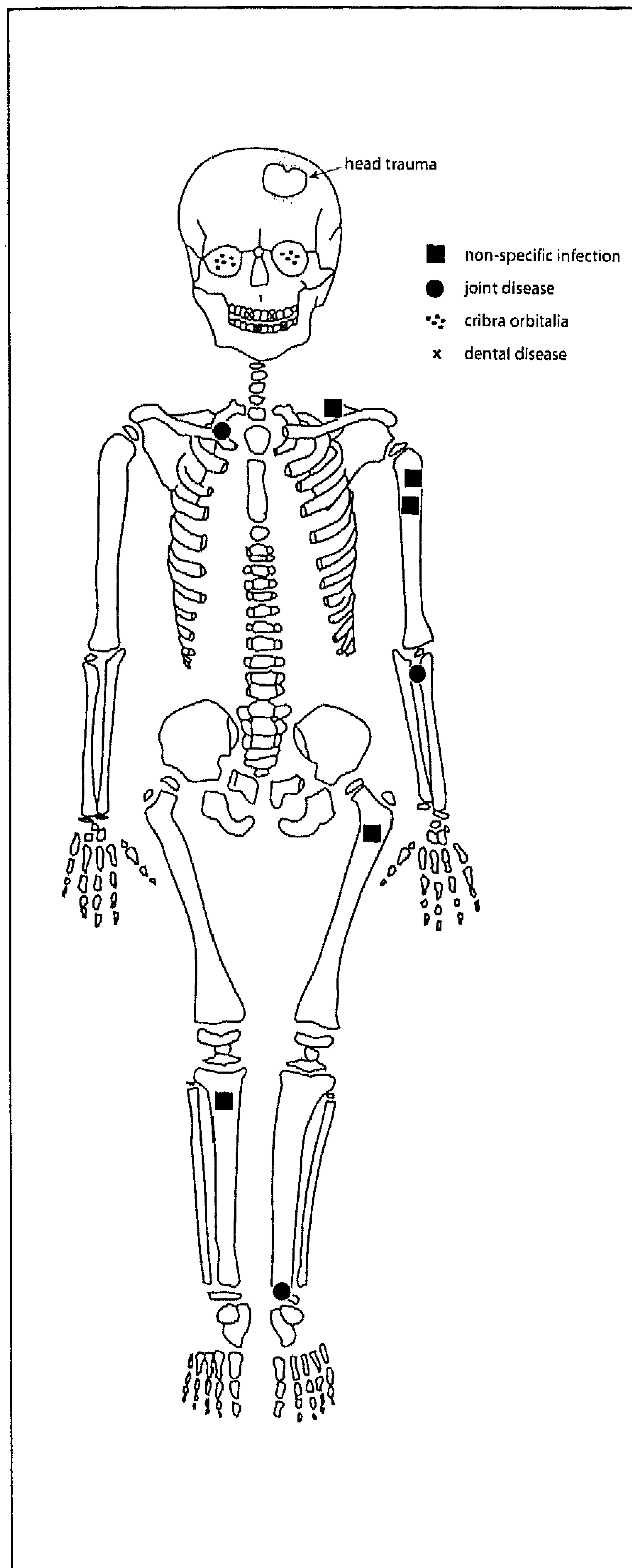


Fig. 4: Distribution of different pathological alterations throughout the body.

physeal surfaces and the examination of the dentition (Chamberlain 1994: 14-16) including the formation of crowns and roots, the eruption of teeth (Smith 1991: 143), and dental attrition (i.e. tooth wear). With the exception of the distal humeri, all long bone epiphyses were completely unfused. The mandibular third molars had not erupted and the maxillary third molars were just beginning to erupt. Such evidence suggests that the individual was approximately 18 years old. It is interesting to note that the individual exhibited dental wear (see below) suggestive of a significantly older person.

Sex Determination

Estimating the sex of an individual ideally requires the assessment of measurements of dimorphic dimensions as well as morphological features known to differ between males and females (Mays 1998: 33-42). An assessment of the morphology of the cranium and the pelvic region suggested that this individual was possibly female. Given that the individual was still developing and had therefore not reached full sexual maturity, such an assessment of sex can only be tentative.

An Assessment of Recorded Pathology

A number of different pathological alterations were identified on the skeleton (Figure 4).

Trauma

The most obvious pathological deformation was a head trauma, consisting of a large (ca. 28.72 x 34.81 mm) depression fracture with associated pitting on the middle to left side of the frontal bone, almost in line with the sagittal suture (Figure 5). No obvious endocranial damage to the frontal bone was identifiable. This is perhaps not unusual given "the frontal bone has twice the resistance strength of the parietals" (Wilkinson 1997: 32) Interestingly the left mastoid process was significantly longer (29.23 cm) than the right (25.36 cm). This has no known clinical significance.

Infection

New woven bone indicative of possible non-specific infection was recorded on two areas on the proximal anterior surface of the left humerus, the left acromion on the scapula, the right proximal anterior tibia, and on the posterior mid-shaft of the left femur.



Fig. 2: Plan view of the burial structure.

The Skeletal Remains

Treatment of the Skeletal Remains

Paraloid B72 was applied as a consolidant to the majority of remains except those collected for DNA analysis [3]. Following photographic and descriptive documentation, the remains were lifted and packaged for further analysis. The sandy matrix around the burial was sieved using 5mm mesh to insure that no teeth or smaller bones were lost.

Assessment of Numbers of Individuals

One articulated individual was recovered lying on the base of the grave. Lying in a tightly flexed position, the person was positioned on the right side and orientated roughly north-south, with the face directed towards the west (Figure 3). Both hands were positioned underneath the chin. The chamber was excavated down to bedrock however no other evidence of human remains were recovered .

Bone Preservation and Completion

Although in-situ, the skeletal remains were fragile (partially due to the relatively young age of the individual - see below). There was evidence of fragmentation on some of the bones, for example, left parietal, left tibia and right radius, probably a result of a rock fall soon after initial burial. The majority of mandibular and maxillary teeth were found in situ, although the left mandibular first incisor, the left maxillary first and second premolar and the right maxillary second molar were lost post-mortem and the right maxillary first premolar was broken post-mortem. There was no evidence of burning or root and foliage disturbance.

Age Determination

The accepted methods of ageing an individual from skeletal remains include examination of the fusion of epiphyses (growth centres), the appearance of the pubic sym-



Fig. 3: The articulated individual in-situ in the burial structure.

Young and Alone: Discussion of an Articulated Third Millennium BC Burial at Tell Abraq, United Arab Emirates

Soren Blau

Abstract. *This paper describes a single articulated burial recoverd at the site of Tell Abraq. The grave architecture is described and followed by an in-depth report on the age, sex and health of the interred individual. The person (possibly female) was a young adult with a number of skeletal pathologies, most notably, a cranial depression fracture. The architectural relationship of the burial to the fortification tower at Tell Abraq suggests the burial dates to the third millennium BC. Given that a communal Umm an-Nar tomb has been previously recorded at the site, the presence of this single burial is significant.*

Introduction

The site of Tell Abraq is located on the west coast on the Oman Peninsula, on the border of the Emirates of Umm al-Qaiwain and Sharjah, United Arab Emirates (UAE) (Figure 1). The site consists of a roughly rectangular mound that covers approximately four hectares, with part of the mound rising 10 m above sea level (Potts 1993: 117). Excavations began at Tell Abraq in 1973; however, it was not until the late 1980's- early 1990's, that a wealth of information pertaining to settlement and burials was recovered (Potts 1989; 1990; 1990a; 1991; 1993; 1993a; 1997). Excavations have revealed a continuous sequence of occupation extending from the middle of the third millennium to the middle of the first millennium BC (Potts 1993b: 591). Of particular note are the 40m diameter, stone and mudbrick round structure described as a "fortification tower" (Potts 1990a: 22; Potts 1991: 21; Potts 1993b: 591) and the Umm an-Nar-type tomb located approximately 10m to the west of the tower (Potts 1989; 1997). This paper details one particular, previously unpublished burial (locus 1059), discovered during the final season of excavation at Tell Abraq.

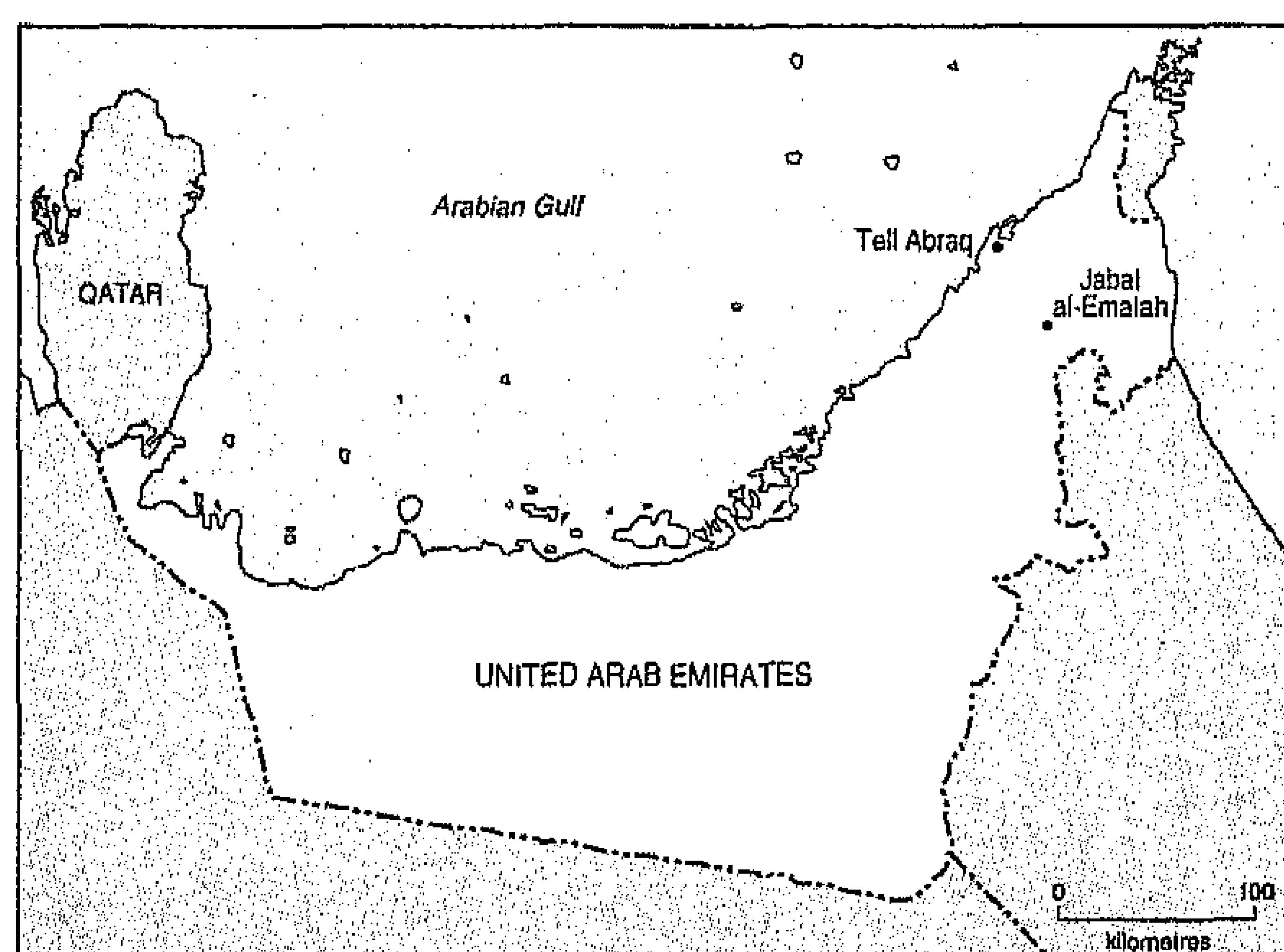


Fig. 1: Map of the United Arab Emirates showing sites mentioned in the text.

The Burial Structure

During the final days of recording at Tell Abraq in February 1998[1], a structure protruding from the foundation of the fortification tower was identified. The presence of human bones within the feature initially identified it as a burial. The burial structure is rectangular in shape, measuring about 46 cm (roughly east-west) and 142 cm deep (Figure 2). The walls are constructed out of irregular, unworked, *farush* blocks, (the same material as the tower), while the base of the grave consists of a densely packed surface of small *farush* "pebbles". The grave was constructed directly onto the natural sand ground surface and protruded from the north-west base, the lowest foundation step[2] of the tower. Apart from the absence of one *farush* block in the north-east corner, the grave is well preserved.

Issue No. 3 January 2001
ISSN: 1319-8947 (pp 7 - 14)

Studies of the Arabian Peninsula hosted in 1979 by King Saud University. Having then presented a paper on the pre-Islamic civilization of the Arabian Peninsula, he only showed how poor familiarity with the topic he had. In fact, his ignorance provoked the most acrimonious criticism of the audience, especially that of non-Arab scholars. He had to admit publicly on the spot to his utter ignorance of the history of the Arabian Peninsula and its civilization. He further promised to undertake, in the future, a more thorough study of the area, and apolgized for his position's serious limitations.

*****

This incident signifies one of two things: al-Salibi thought the quality of the forum would be way shy of what scholars are used to in the West, and thus took his contribution lightly, a disposition unbecoming of a scholar. Or he really had no idea about the history of the Arabian peninsula and only presented what he knew; this too is inappropriate for a scholar. Still, years later, he reappeared with this book. Strangely enough, the book was hailed and promoted by one of the most respected German journals, and then was translated into several hanguages. Should not we stop a moment to reflect on th matter?

*****

Since then , the author published other books with similar theses. Other similar books by other authors also appeared, among those is Muna Ziyàda's Bilqis in which she disseminated some of al-Salibi's claims and ideas. Again, al-Salibi's thesis made its way to Sayyad al-Qimeni to materialize in a number of books. The clearest point in those was al-Qimeni's attempt to reinterpret many of the theological facts and relate them to pre-Islamic paganism, especially his claim that the word Makkah was a late metamorphosis of Sabae's god Ilmaqah. Such a claim, of course, had tainting intent against monotheism.

*****

The crowning touch of sush activities is the London-based Egyptian who, from time to time, publishes works which hand in, on a golden plate, the ancient history of Egypt and its kings to those who allege that Jews have a right to Egypt's ancient civilization. He has maintained that some of Egypt's kings were Israelite prophets, a claim that has no substantiation in Torah or Quran (among holy books) nor in historical records discovered in archaeological sites in Egypt. Yet, his works too are translated into different languages, and Arab newspapers give his claims wide coverage. In his loose way, he even addressed the history and archaeological heritage of the Arabian peninsula only to have yoked together bits and piece that made no sense when read. His was only the scribble of the non-specialist who only harms for no profitable end.

*****

The band of darkness has thus quickened to squirt out its venom at a time when the Arab power is at its lowest. This sudden activity only diverts the attention of the people from what is important to what is trivial. I wonder: instead of insisting on the Arabian Peninsula origin of Abraham and Solomon among other prophets, why those researchers, being adroit polemicists and ingenious debaters, have not directed their energy to the refutation of the beliefs on which Israel has grounded its right to our land and the land of those prophets!

*****

Had those prophets actually come from the Arabian Peninsula, we would have been all the happier. However, confirmed facts (historical, archaeological, and religious) lend no credence, proof, nor authority to the course those researchers have been pursuing. Yet, is their adopted course preparing the region for catastrophes worse that what it is currently living? Such is the hope for the realization of which certain schemers are in hot pursuit. Should not Arab scholars then reconsider their indifference to what they have thought mere bubbles that would sooner or later disappear?

Editor-in-chief

the Arabian Peninsula: genealogies and lineage of the people, history of the people and the land, geographical locations and places, the literature of the area, critical editing of related manuscripts, etc. Through this magazine, Al-Jasser contributed immensely; he passed away (may God bless him), but the magazine is still young in her third blooming decade.

*****

It is perhaps noteworthy that his first book was about the city of Riyadh, but he sealed his life with another about al-Broud, the village in which he was born and in which he learned the alphabets of reading and writing. In this book, Al-Jasser talked in particular about his familial lineage and the genealogy of the tribe to which he belonged; namely, the tribe of Harab of which some two hundred years ago a branch moved to Najd from Al-Madinah Al-Munawarah. Of his scholarly work, Al-Madinah Al-Munawarah has also received a generous share.

*****

May God have mercy on Al-Jasser; he was an overflowing spring of fresh knowledge, and was altruistically generous. His home (dubbed the Arab Society) in Worwod neighborhood in Riyadh was the destination of men of letters who chanced to visit the Kingdom. Few indeed -if any- among those whose agenda of visits in Riyadh excluded a call on Hamad Al-Jasser.

*****

With his death we have lost a great figure who was perhaps the first to defend the Arabian Peninsula against the allegations advanced by Dr. Kamal al-Salibi in his book: "Torah Came from the Arabian Peninsula." In refuting al-Salibi's claims, Al-Jasser (May God bless him) appealed to incontrovertible historical, geographical and linguistic evidence. He never suspected that al-Salibi's claims would seep into the memory of Arab youths and become part of the discourse of their young generation-some, in fact, seem as if they had made a new discovery, or better yet: as if they had not read history. A few days ago, a young man from one of the Gulf States visited me; most of his questions about the Arabian Peninsula and about the characteristics of Torah embodied the claims of al-Salibi who forced and twisted these characteristics to lend support to his thesis.

*****

Throughout the discussion, I have noticed my interlocutor's deep absorption of al-Salibi's ideas such as the claim that prophet Abraham (Peace Be Upon Him) came from a certain area in the Arabian Peninsula, that he had never been to Iraq, that he had not passed through Palestine, that he had not visited Egypt nor married there. My visitor even asserted that Egypt was a certain place in the Northern part of the Arabian Peninsula, etc.

*****

The exposition of this youngster has reminded me of "a roundtable talk" aired recently on a sky channel committed to the Palestinian Cause. In the seminar, the participants took it for granted that prophet Abraham (Peace Be Upon Him) came from Asir in the Arabian Peninsula. From there, the prophet used to visit and return from Makkah, and so and so on forth marshalling the rest of the devious claims the seed of which al-Salibi had sowed.

*****

Unfortunately, ancient history scholars specializing in old civilizations of Mesopotamia, Syria and Egypt have paid no attention to the claims of al-Salibi. In these areas, the course of events (be they the finds of archaeological excavations or writ in holy books) run counter to his orientation the reasons behind which we have yet to discover. Al-Salibi had no knowledge whatsoever of the history of the Arabian Peninsula. This fact became more than obvious when he attended the Second International Forum on the

Editorial

Once again, here we are, dear readers, submitting to you the third volume of your Journal: *Adumatu*. Our commitment has always been that each issue embodies a bouquet of studies that are substantial in terms of erudition, rich in terms of content, methodological in terms of execution, and scholarly in terms of conclusions.

*****

We have no doubts that our objective has been achieved. Has it not? The standard by which we gauge this certainty is the extensive dissemination of the journal among its readers along with the wide ranging feed-back that we have received through various channels, of which the internet is perhaps the most important. Guests of our Internet site have multiplied; they seem to find a new fresh spring quenching the thirst of those who crave after Arab archaeological knowledge. As the saying goes, the pleasant water place invites the crowds.

*****

It was the midmorning of Thursday 16 Jumad II, 1421 H (14 Septembr 2000); we were a group of friends. A colleague suddenly arrived and asked: "have not you heard the latest news"? I thought the news had something to do with the Arab Cause, Palestine and its extraordinary Intifada. But he went on saying: "Al-Jasser has passed away in the USA." We were all stunned, and a deep silence reigned. He added, "His coffin will arrive tomorrow, Friday." Each of us said something relating to the sad occasion; then the group dispersed.

*****

His funeral was an overwhelming sight, attended by his immediate family members along with crowds of his friends and admirers. To witness a great man being buried in dust, yes in dust, is a harsh scene. His admirers and friends shed their tears, prayed for mercy and forgiveness for his soul, exchanged condolences, and parted. I remained for sometime contemplating this world. Al-Jasser had been a father to anyone having any kind of knowledge relating to the Arabian Peninsula: to him Al-Jasser would give advice, help, guidance, encouragement, recognition, and with him he would share his own ideas. Today Al-Jasser faces his Maker who granted him a long fruitful life, almost a full century.

*****

Through what had been repeatedly said about Shaikh Al-Jasser, one could surmise that he was born in the village of al-Broud in 1328 H. Should this date be accurate, he would have lived through the decade of his 90s, a long life during which God has blessed him with erudition and knowledge. Throughout almost half a century, Al-Jasser had fought for his education and learning; he sought his living in writing for newspapers and in criticizing published works and studies, thus establishing a scholarly dialogue with a number of learned intellectuals. Later, he began publishing his own original work, the first of which was *Riyadh through the Stages of History* in 1386H (1966). He was about 60 years old at that time. Since then he became a proliferate writer. He edited manuscripte and authored works covering the places in the Arabian Peninsula, authenticated scholarly expeditions in fields the most important of which was history, geopraphical places, biography, and literature (both poetry and prose). In all these areas, his work showed a strict, discriminating methodology.

*****

Earlier he fought a bitter battle to issue a journal entitled Al-Riyadh, then he founded al-Yamama Press Establishment, pioneering thereby the Press in Najd. He later inaugurated al-Yamama Magazine, and soon after he launched al-Arab Journal. The latter has been an encyclopedic magazine covering all aspects of

CONTENTS

ADVISORY BOARD



A Semi-Annual Archaeological Refereed Journal on the Arab World

PUBLISHER

ABDUL RAHMAN AL-SUDAIRY FOUNDATION

GUIDELINES FOR AUTHORS

1. Submitted manuscripts must be written in Arabic or English and should be typed on A4 size paper, along with a 3.5 floppy disk typed on an IBM Compatible PC using Microsoft Word 6 or any updated version of it.
2. Two abstracts, one in Arabic and one in English, should be submitted; they should not exceed 100 words each.
3. Submitted manuscripts should not have been published previously elsewhere; accepted manuscripts cannot be published elsewhere without prior written permission from the Editorial Board.
4. The text should not exceed 5,000 words; photos, illustrations, and graphs ....etc. should not exceed 30% of the text.
5. Photos: B & W photos printed on glossy paper are preferred; they must be suitable for publication.
6. Maps, figures and illustrations should be drawn with China Ink on tracing paper, and their captions should be submitted on a separate sheet.
7. References should be ciled parenthetically as follows: (Owen 1998: 11).
8. Notes (Comments) should be arranged at the end of the text, followed by the bibliography which should be arranged alphabetically at the end of the text as follows:

   a) Books: Mauger, T. 1987. **Bedouins of Arabia.** Alsagi Bookshop, London.

   b) Edited Books: Goldberg, P. and Ian Whitbread 1993. "Micromorphological Study of a Bedouin Tent Floor". In: P. Goldberg, D. Nash and M. Petraglia (eds), **Formation Processes in Archaeological Context**, pp. 165-188. Monographs in World Archaeology No. 17, Prehistory Press.

   c) Journals: lewis, Roger 1993. "Paleolithic Paint Job" **Discorver**, 14 (7): 64-70.

   d) Dissertations: Al-Ghamedi, Abdul Kareem, 1983. "The Influence of the Environment on Pre-Islamic Socio-Economic Organizations in Southwestern Arabia", Ph.D Dissertation, Department of Anthropology, Arizona State University, Tempe, U.S.A.

9. Authors will be provided with twenty-five offprints and a copy of the journal, free of charge.
10. Submitted manuscripts will not be returned to their authors, whether published or not.
11. A brief c.v. and the present address of the author should accompany submitted manuscripts.

SUBSCRIPTION

(Two issues per annum, including mailing charges)

The Arab Warld

• Individuals	SR 70
Institutions	SR 120

Rest of the World

• Individuals	US$ 30
Institutions	US$ 40

Subscription Form can be found inside this issue.

CORRESPONDENCE ADDRESS

Adumatu Journal
P.O. Box 10071, Riyadh 11433
Kingdom of Saudi Arabia
Tel: (+966) (1) 403 6780
403 4751
Tel: (+966) (1) 402 2545
Email: adumatu@suhuf.net.sa
WebSite: www.adumatu.com

Legal Deposit Number: 3719 / 20
ISSN: 1319-8947

Abdul Rahman Al-Sudairy Foundation: Was established by Prince Abdul Rahman bin Ahmad Al-Sudairy, the Emir of Al-Jouf region from 5.9.1362H - 1.7.1410H / 4.9.1943 - 27.1.1990, for the purpose of managing and financing the public library, known as "Dar Al-Jouf Lil 'Ulum", which he has established in 1963, and contributing to the preservation of literary traditions and cultural heritage, and the support of the scientific development in Al-Jouf region, and other charitable activities. Abdul Rahman Al-Sudairy Foundation hopes that Adumatu Journal will contribute to the identification of, and shedding light upon the antiquities of Al-Jouf region, within the framework of its broader concern about the antiquities of the Arab World.

* **Cover Photo:** A Blate with painted decoration from Hejaz.

الافتتاحية

كلٌّ يهتف، كلَّ عام: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك؛ استجابة لدعوة إبراهيم الخليل - عليه السلام - الذي أمره الله - عزّ وجلّ - أن "يؤذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً، وعلى كلّ ضامر، يأتين من كلّ فجٍّ عميق" (الحج: ٢٧). وتهفو قلوب المسلمين، في كلّ عام، إلى بيت الله الحرام، ذلك البيت الذي رفع قواعده سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل: "إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين" (آل عمران: ٩٦). تلك هي الأولية التي أرادها لعباده، لتكون في مكة، في وادٍ غير ذي زرع. ولعل اختيار الله هذا المكان استكمال لتجرُّد قاصديه من كلّ صلة بزخارف الحياة، بما في ذلك الزرع والضرع. وكلّ شيء يأتيها من خارجها، فالمؤمنون يأتونها من كلّ فجّ عميق، والثمرات يرزق الله بها أهلها؛ وتلك دلالة على عناية الحق بهذه البقعة الجرداء من كلّ شيء، باتت لكل من يؤمن بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، وبالقرآن كتاباً منزلاً من عند الله.

إن خليل الله، إبراهيم، هو رمز وحدة المنطقة، فمن جنوب العراق هاجر إلى شمال بلاد الشام، ومن حران نزل إلى القدس، ومن القدس إلى مصر، ومنها إلى الأرض التي اختارها الله، إلى مكة؛ وهكذا، يكتمل "هلال التوحيد"، طرفه الأول في أور، والثاني في مكة. وكما لاقت دعوته - عليه السلام - صدوداً ونكراناً، كذلك لاقت دعوات الأنبياء والرسل من بعد.

وقد تركت التعاليم الربانية، التي جاء بها إبراهيم، أثرها في التعاليم والقوانين، التي سطرتها حضارة الرافدين، في ما يعرف بقوانين حمورابي، ما حمل بعض المؤرخين على الإشارة إلى أنه قد يكون أحد الأنبياء، الذين لم يأتِ ذِكرهم في الكتب السماوية، وبالأخص القرآن الكريم؛ وذلك لتطابق كثير من تلك القوانين مع تعاليم التوراة، وخاصة الوصايا العشر، التي نزلت على موسى - عليه السلام -. ولم يغفل القرآن الكريم تلك النفحة الروحانية، التي بثها إبراهيم الخليل حيثما مر، فكانت منطلقاً لحضارات في وادي الرافدَين وبلاد الشام وفلسطين ووادي النيل. ولئن لم تلتزم تلك الحضارات التوحيد منهجاً وسبيل حياة، إلا أنها كانت المنطلق الحضاري المادي للشرق كلّه.

هذا الشرق، مهد الحضارات: الروحانية والمادية، وبؤرة الصراع المستعر بين الوحدانية والوثنية، هو الذي فتح آفاق المعرفة للعالم، من إيران شرقاً حتى الجزر البريطانية غرباً. وانصرمت قرون وقرون، قبل أن يشع نور الإسلام، ليقرن شعلة الحضارة المادية بشعلة التوحيد، ويسير بهما قروناً طوالاً. وفي خضم اصطراع الحق والباطل، تسربت شعلة الحضارة المادية إلى أوروبا، وانقبعت المنطقة العربية الإسلامية، وانبرت دول أوروبا وأمريكا تطوِّر نفسها؛ وتغيّر العالم غير العالم، وإذا بنا نستيقظ على الأساطيل الغربية تروم على أرضنا باحتلال: سياسي واقتصادي وثقافي. وإذا كان الوجه السياسي للاحتلال، قد توارى قرابة ثلاثة عقود، فقد استمر صنواه: الاقتصادي والثقافي يعيشان في بلادنا. لا، بل إن الاحتلال ما برح يجثم على صدورنا وقلوبنا، وأين! في حرم من أحرام الإسلام، في فلسطين، قِبلة المسلمين الأولى. ثم جاء، أخيراً، ليكتم أنفاس العرب والمسلمين، ويسلبهم عزهم وكرامتهم وثرواتهم.

*****

استشاط الغرب لتحطيم الأفغان تمثالَين بوذيَّين، وها هو لا يتورع عن تحطيم حضارات وادي الرافدَين، دونما خجل،

ولا وازع. لقد نبّه بعض العلماء الأمريكيين في جامعة شيكاغو لأهمية هذا التراث الحضاري العالمي، وقدمت اليونسكو خرائط للمواقع: التاريخية والحضارية؛ ولكن، أنّى للغاصب والمحتل، أن يتنبه لتراث الماضي، وهو في نشوة التقدم التكنولوجي والسيطرة الجوية وسبق الأقمار الصناعية التي نشرها في مدار الكرة الأرضية! إنه يأنس إلى الفوق التقني، ويخال أنه يصنع التاريخ ويكتبه، ولم يأنِ له أن يستقرئ مصائر الطغاة على مدى التاريخ. ولئن فوضنا قتلة البشر إلى الله، فإنه ليضيرنا أن يمحو معالم حضارة، استطالت ستة آلاف سنة، شاهدة على عظماء، شادوا وأعلوا، وعلى أقزام غزاة يتطاولون على حضارة ارتضعوا لبنها، فلمّا اشتد ساعدهم، واستد سلاحهم، رموها!

*****

التقيت، في عمّان، في المملكة الأردنية الهاشمية، الزميل الكريم، الأستاذ ناصر بن حسن العبودي، خبير الآثار في وزارة الإعلام والثقافة، في الإمارات العربية المتحدة. وتداولنا هموم الآثار ومشاكلها في العالم بعامة، وفي البلاد العربية بخاصة، وانتهى حديثنا إلى الاتجار فيها ومشروعيته، ووجوب القضاء عليه. وبعد يومَين، ناولني مجلة فصلية، تعنى بالدراسات: الاجتماعية والإنسانية، يصدرها اتحاد كتاب وأدباء الإمارات. وتصفحتها، وإذا بي أجد ملفاً كاملاً، ناهز الستين صفحة، يرصد أحداث "الورشة الإقليمية حول الاتجار غير المشروع بالممتلكات الثقافية في الوطن العربي"، والتي عقدتها اليونسكو في بيروت، في فبراير ٢٠٠٠م؛ وقد أعده الزميل الكريم نفسه.

إن الملف يعكس المشكلة، التي يعيشها العالم العربي، حقيقة، ويعانيها أشد المعاناة؛ ولذلك، شارك فيها ممثلو خمس عشرة دولة عربية، هي: الجزائر، مصر، العراق، الأردن، لبنان، موريتانيا، المغرب، عُمان، المملكة العربية السعودية، السودان، سوريا، تونس، الإمارات، اليمن، فلسطين؛ إضافة إلى بعض المراكز والمنظمات الدولية، مثل: الشرطة الدولية (الإنتربول)، والمجلس الدولي للمتاحف (ICOM)، والمنظمة العالمية للجمارك، والمعهد الدولي لتوحيد القانون (UNIDROIT). وقد تمخض الملف بست عشرة توصية، منها:

١) نظراً إلى عدم توقيع الدول العربية بعد اتفاقية (UNIDROIT)، فإننا ندعو منظمة اليونسكو، والمعهد الدولي لتوحيد القانون الخاص (UNIDROIT)، إلى عرض الاتفاقية المسماة: "اتفاقية الممتلكات المسروقة أو المصدَّرة بطرق غير مشروعة عام ١٩٩٥م"، على الدول العربية، لشرحها وتوضيحها. ويكون ذلك بعقد ورش عمل أو اجتماع، يضم المتخصصين بالآثار والقانون، والمسؤولين في دوائر الآثار، ورجال الشرطة والجمارك، في الدول العربية.

٢) تقرير التشريعات الوطنية والقوانين الجزائية ذات الصلة، لكي تعكس أهمية تأكيد ملكية الدول لكلّ قطع الآثار والممتلكات الثقافية الأخرى؛ بهدف التمكّن من تطبيق كلّ التشريعات الوطنية في المحاكم الأجنبية ضد المهرِّبين والتجّار، أفراداً أو مؤسسات، الذين يتبادلون ممتلكات ثقافية، استخرجت بطرق غير مشروعة من الدول المنهوبة آثارها.

٣) تسريع عملية جرد الممتلكات الثقافية وتوثيقها، الخاصة منها أو المودعة المتاحف أو المستودعات، أو المواقع الأثرية، أو المعالم التاريخية؛ وتعزيز توحيد عمليات الجرد.

٤) التشهير بالاتِّجار غير المشروع في الممتلكات الثقافية، على المستوى الوطني، من خلال البرامج التربوية في

المدارس، والحملات الإعلامية الموجهة إلى العامة، بالتعاون مع اللجان الوطنية لليونسكو، والجمعيات الثقافية، ووسائل الإعلام.

٥) إطلاع الاختصاصيين، وصانعي القرار، بل الجمهور كذلك، على أهمية التراث التحتمائي، وخطر نهبه والتنقيب عنه بطرق غير قانونية.

إن هذه التوصيات الخمس، تمثّل لبّ المشكلة، التي يعانيها حماة التراث والمدافعون عنه؛ فلا القوانين الخاصة بالاتجار فعلت، ولا تلك الجزائية طبّقت، ولا أنظمتها وحّدَت بين الدول العربية، ولا التراث جُرِد، ولا الشعوب واعية بتراثها وحضارتها. تلك هي القضية، وإلا فما معنى أن يصدر المنتدون توصيات في هذه الموضوعات،

التي هي في حقيقتها من أساسيات عمل الدول العربية، للحفاظ على هويتها وشخصيتها، وكيانها: الحضاري والثقافي!

*****

على الرغم من كلّ الاهتمام، الذي يبديه المهتمون بالآثار والتراث، على المستويَين: الإقليمي والدولي، إلا أن النفوس الضعيفة، والشرهة، واللامنتمية، ما زالت تعيش بيننا، وتفرِّط، بِخِسَّةٍ مُتناهيةٍ، مقابل دراهم معدودة، في تراثنا. فقد فاجأتنا جريدة "الأهرام"، في طبعتها العربية، في العدد ٤٢٤٤٦، بتاريخ السبت ٢١ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ، الموافق ٢٢ فبراير (شباط) ٢٠٠٣م، في الصفحة ٢٤ منها، وهي صفحة "حوادث وقضايا"، بالعناوين التالية: (٣٢٦ قطعة مهربة فتحت الملف من جديد: لماذا نسلم "القط" مفتاح "الآثار"؟!... مدير هيئة الحيازة، ومفتش بالهيئة اعتادا تمرير القطع الأثرية إلى خارج الحدود... آثارنا داخل طرود الخضر والفاكهة وخان الخليلي، وكلمة السر: "قرية البضائع").

حقيقة، إنها فاجعة كبرى! لم أحسب أن مقترفيها هم الأمناء على تراثنا وتاريخنا ومصدر عزتنا: الآثار الفرعونية والإسلامية وغيرها. ما هو الجزاء الرادع، الذي سيناله هؤلاء؟ هذا ما سنتركه للقانون.

إن سرقة الحضارة، لا تقل فداحةً وجرماً عن سرقة خاصة أموال الناس. فهل نطبق عليهم ما يطبق على السارق؟ بل أشد؛ لأن هؤلاء ينهبون كنوز الأمة وأموالها. إن هذه القضية ليست الأولى، ولن تكون الأخيرة، وهي مشكلة عامة في معظم البلاد العربية. هكذا، نفقد تراثنا، ليستفيد منه الآخرون؛ وكم سيكلفنا استرجاعه من مال وقضايا وزمن!

رئيس هيئة التحرير

النيل والصحراء خلال العصور الحجرية
تباين بيئي وتكامل حضاري

عباس سيد أحمد محمد علي

ملخص: تشير الدلائل المناخية والجيومورفولوجية من وادي النيل وشرق الصحراء الكبرى، إلى أن حقبتي البلايستوسين والهولوسين شهدتا تحولات مناخية، تراوحت بين الجفاف والرطوبة، استطاع الإنسان والحيوان والنبات التفاعل معها بنجاح، فقد ظلّت الجماعات البشرية تفد على وادي النيل، خلال فترات الجفاف والشح البيئي. وعندما تتحسن الأحوال المناخية، تعود تلك الجماعات إلى استغلال الغطاء الصحراوي. وخلال ذلك يتم تبادل الكثير من الانجازات. إن استيعاب تسلسل الأحداث وطرق التكيّف، في وادي النيل وشرق الصحراء خلال تلك الفترة، هو السبيل لفهم الاختلافات التقنية والنوعية، التي عرفتها حضارات العصر الحجري القديم الأوسط في المنطقة؛ وكذلك فهم التباين الحضاري بين جماعات متعاصرة، عاشت معاً في بيئة واحدة، خلال العصر الحجري القديم الأعلى المتأخر؛ وإلى تفسير ظهور حضارات تحمل خصائص العصر الحجري الحديث في وادي النيل دون مرتكزات محلية؛ بل وإلى بزوغ الدولة في وادي النيل، إلى جانب قضايا أخرى.

Abstract*. Environmental and geomorphological evidence from the Nile valley and the adjacent eastern part of the Sahara shows that, during the Pleistocene and the Holocene, this area has experienced a series of climatic fluctuations alternating between extreme aridity and extreme humidity. Man, animal and plant have adjusted themselves successfully to these conditions. When the Sahara was not favorable to sustain human settlements, the Nile Valley acted as a refuge. But when better conditions prevailed, the Sahara had to be repopulated. These alternating conditions have reflected on human adaptations; and cultural elements from both areas were exchanged. Grasping the sequence of events in the Nile Valley and the Sahara is vital for explaining, among other issues: the technological and qualitative variations and phases of the Middle Paleolithic, the cultural diversity among cohesive contemporary groups of the final Paleolithic, the lack of evident Nilotic antecedents for the Neolithic, and even the rise of State in the Nile Valley.*

مقدمة

ليس من شك في أن كل دراسة آثارية لحضارة ما، تتطلب معرفة مفصلة وفهمًا عميقًا للبيئة المحيطة والمعاصرة لتلك الحضارة؛ فقد ظلّت البيئة دومًا احدى العوامل المؤثرة، في التحول الحضاري. ويشهد تاريخ علم الآثار على اهتمام الآثاريين، بدرجات متفاوتة، على دور المناخ في التكيّف الحضاري. فمنذ القرن التاسع عشر وما بعده، أُدخلت دراسات المناخ في علم الآثار على أيدي آثاريين وجغرافيين أوربيين وأمريكيين، من أمثال: فوكس وكروفورد وويدل وهوري (Willey and Sabloff, 1974: 152- 3; Daniel 1981:164- 167)؛ ثم أخذ هذا الاهتمام الخاص بالتفاعل بين البيئة والحضارة، يأخذ منحىً أكثر عمقًا خلال القرن العشرين، مسايرًا النهج الجغرافي مع آثاريين وأنثروبولوجيين من أمثال جوليان استيوارد، الذي نادى بربط البيئة بالحضارة لفهم دينامية التطور. وكان لهذه النظرة آثارها الإيجابية على الأعمال الآثارية اللاحقة في البيرو والمكسيك، التي قادها غردون ويلي وآخرون. وفي المقابل، قدّم غراهام كلارك دراسة رائدة على النهج ذاته، عن علاقة الإنسان بالبيئة وانعكاساتها على التكيّف، في موقع أستار كار (Star Carr) في بريطانيا. وتبلور هذا المنهج عبر دراسات كارل بوتزر (Butzer

العدد السابع ذو القعدة ١٤٢٣هـ - يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٣م
(ص ص ٧ - ٣٠) ردمد ١٣١٩-٨٩٤٧

1971). وآخرين، من أنصار الحتمية البيئية (Trigger 1989: 302- 303).

أوضحت هذه الدراسات وغيرها، ضرورة الإلمام بالظروف البيئية السائدة، بعد أن انقضى الوقت، الذي كان يُظن فيه أن محتويات الموقع الأثري كافية لتفسير كل الظواهر، والإجابة على كل التساؤلات الخاصة به. وتحولت دراسة البيئة من محاولة لرسم المسرح الجغرافي، الذي دارت فيه الأحداث الحضارية، إلى دراسة العوامل المؤثرة في المنظومة الحضارية.

حقيقة إن المعرفة بالبيئة السائدة في منطقة ما، خاصة في حقب ما قبل التاريخ، ليست من الأمور المتيسرة دومًا؛ فقد يواجه الباحث بشح معلوماتي بالتفاصيل البيئية، كما توجد بعض العقبات التي تعترض الإلمام بدور البيئة حين يتداخل دورها مع عوامل أخرى في إحداث التغير. غير أن تكامل الدراسات الآثارية والبيئية وارتكازهما على بعضهما، وعلي دراسات علمية أخرى، يجعل الأمر أيسر مما يبدو؛ خاصة مع ملاحظة الارتباط بين التحولات البيئية والتحولات الحضارية، في الكثير من مناطق العالم، وعلى مسار عدد من الحقب الحضارية؛ فنهاية العصر الحجري القديم الأسفل، مثلاً، ارتبطت بنهاية البلايستوسين الأوسط، كما ارتبطت بداية الهولوسين ببداية العصر الحجري الحديث والتحول إلى إنتاج الغذاء.

ذكر كل من بوتزر وهانسن مرة عبارة تقول:

"It may ultimately be possible to correlate palaeoclimatic events as well as prehistoric cultures along the length of the Nile corridor". (Butzer and Hansen, 1968: 7).

أي: "ربما يصبح من الممكن في الختام، الربط بين تقلّبات المناخ القديم وحضارات ما قبل التاريخ على امتداد مجرى النيل".

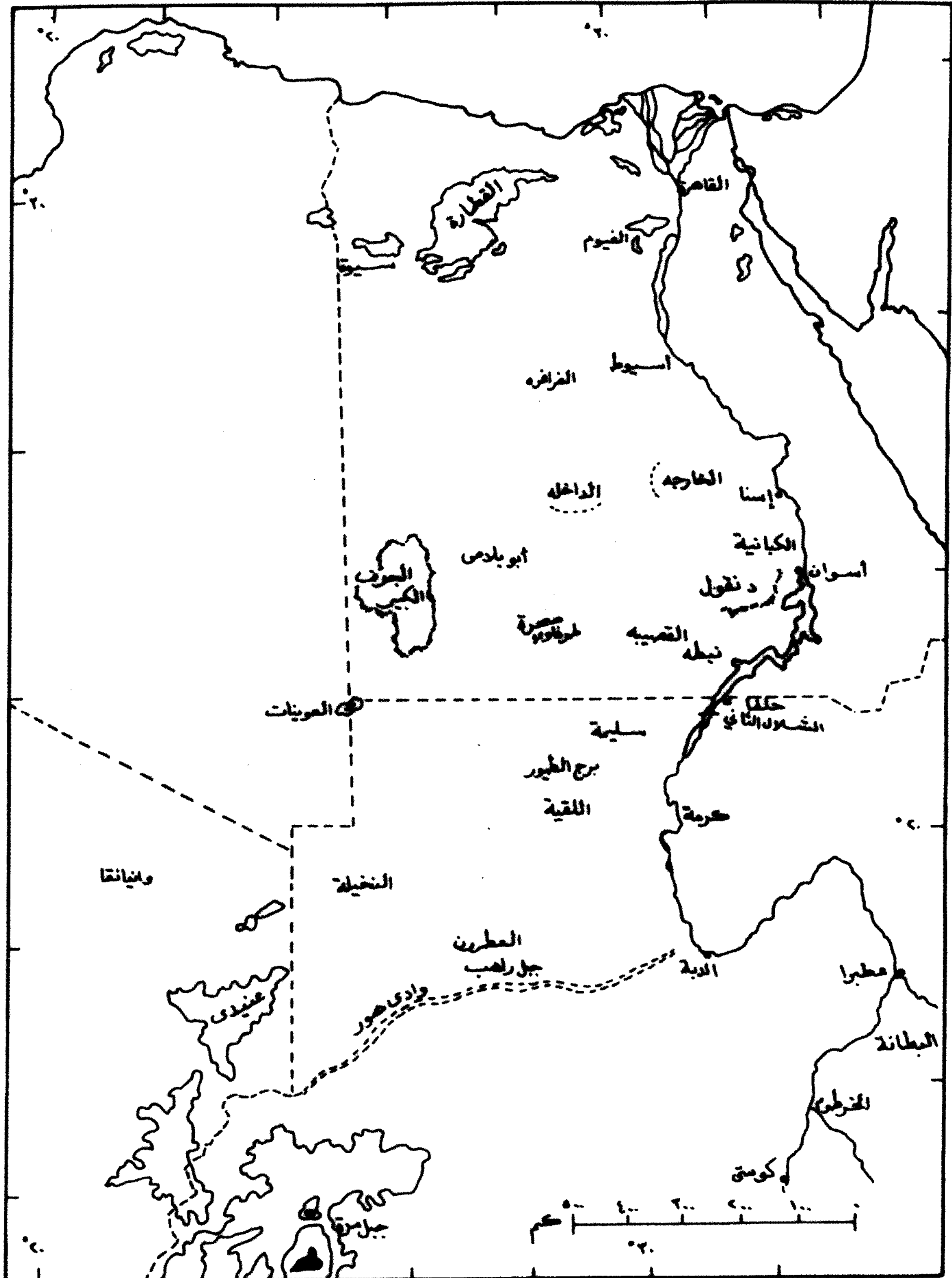
وإذا جاز لنا أن نضيف إلى نهاية تلك العبارة "and the adjacent Sahara" (أي: والصحراء المجاورة) نكون قد لخصنا هدف هذا البحث. إذ بعد مضي نحو ثلاثة عقود على العبارة تلك، ونتيجة ما تمَّ من أبحاث، توافر من المعلومات ما يسمح بخطوه في ذلك الاتجاه. إن التفكير في مثل هذه المماثلة، التي اقترحها بوترز، تعود إلى نهاية القرن التاسع عشر حين ارتبط تسلسل أدوار ما قبل التاريخ بتعاقب العصور الجليدية؛ إذ لا يجوز الحديث عن مرحلة حضارية دون وضعها في إطارها البيئي.

إن المنطقة التي ترسم إطار هذا البحث هي الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى (وليس الصحراء الشرقية)، الذي يقع إلى الغرب من مجرى نهر النيل في مصر وشمالي السودان، بين دائرتي عرض ١٢ و٣٢ شمال، وخطي طول ٢٢ و ٣٢ شرق (الخريطة ١). هذه المنطقة اليوم هي إحدى أكثر مناطق العالم جفافًا، إذ فيما عدا جيوب معزولة، تنعدم فيها أى مصادر مياه دائمة أو غطاء نباتي، الأمر الذي جعل الحياة فيها متعذرة تمامًا.

وبفضل الجفاف فإنها تشكل اليوم وحدة بيئية، على الرغم من التباين في تضاريسها. فهي تتراوح في ارتفاعها ما بين دون سطح البحر، إلى نحو ٢٠٠٠م فوق سطح البحر. وتحوي منخفضات في الفيوم والقطارة وسيوه؛ وواحات في الداخلة والخارجة وسليمة؛ وبحيرات وسبخات مائية في نبتة Nabta وطرفاوي؛ وأودية في شو واللقية؛ وأنهارًا قديمة في وادي هور؛ وهضابًا في الجرف الكبير؛ ومرتفعات جبلية في العوينات (الخريطة ١).

وعلى الرغم مما تعانيه اليوم من جفاف، فإن شرق الصحراء تمتّعت في العديد من الحقب القديمة بمناخ رطب وممطر، وصل فيه منسوب الأمطار إلى ٥٠٠مم، تكونت على إثرها بحيرات وسبخات وأودية موسمية، بل وأنهارًا جارية (Wendorf and Schild 1998: 99 - 100).

في مثل تلك الظروف حظيت المنطقة بتباين في مناخها، وربما في عطائها البيئي. فالمناطق الشمالية منها تتأثر بمناخ البحر الأبيض المتوسط، بينما تخضع المناطق الجنوبية لتأثيرات مناخ السّافنا. والمناطق التي تخضع لأمطار شتوية في الشمال، تتيح مناخاً أكثر رطوبة وأغنى عطاءً من المناطق الجنوبية، التي تستقبل أمطارًا صيفية وتتعرض لدرجات حرارة أعلى. كذلك، فإن الجيوب الجبلية كانت تستقبل أمطارًا أكثر مما حولها بحكم ارتفاعها. وقد ساعدت طبيعتها



الخريطة ١: أهم مواقع حوض نهر النيل، ومنطقة شرقي الصحراء الكبرى.

على قلة التسرب، ما أسهم في تكوين بيئة غنية نسبياً، في عطائها النباتي والحيواني. أما الأودية، فقد توافرت فيها المياه عند هطول الأمطار، التي ترسّبت تحت السطح في شكل مخزون مائي هائل. وشكلت المجاري القديمة، مثل وادي هور، شريطًا نباتيًا ذا عطاء حيواني ممتدًا من مرتفعات عنيدي في تشاد إلى النيل في شمال السودان، عبر منطقة هي اليوم إحدى أكثر صحارى العالم جفافًا.

عملت في هذه المنطقة، خلال النصف الثاني من القرن المنصرم، عدد من البعثات في مختلف فروع المعرفة (آثارية، وجيولوجية، وجيومورفولوجية ونباتية)، من مختلف المؤسسات الأكاديمية، نتج عنها كم كبير من المعلومات، عن الأحوال المناخية والبيئية والاستيطان البشري خلال حقب ما قبل التاريخ. وكشف عن مئات المواقع الأثرية، التي توزعت بين عصور ما قبل التاريخ، مثلما توزعت بين وهاد تلك المنطقة ونجودها.

وعلى الرغم مما أُنجز من دراسات جيولوجية وجيومورفولوجية، فإن تاريخ نهر النيل في عصوره القديمة لا يزال محل خلاف، وإن ارتبط بأحداث سابقة لشق مجراه الحالي ليس من شك في أنها قد شكلت وجوده. ففي الوقت الذي يرى فيه بعض الدارسين أن نهري عطبرة والنيل الأزرق قد التحقا بمجرى النهر في نهاية حقبة البلايستوسين الأعلى، يرى آخرون أن الطمي، ذو الأصول الأثيوبية، المتراكم في أجزاء من مجراه، يشير إلى تاريخ قديم لنهري عطبرة والنيل الأزرق يتجاوز البلايستوسين ليصل، على الأقل، إلى العصر الثلاثي. أما خلال الحقبة المتأخرة من البلايستوسين الأعلى والهولوسين، فإن تاريخ النهر يصبح أكثر وضوحًا بفضل سلسلة من نتائج التاريخ الكربوني، وعبر دراسات جيومورفولجية تمت في منابعه، وفي أواسط السودان، ومنطقة النوبة ومصر. وخلال تاريخه الطويل، شهد فترات انحسار وجفاف، كما شهد فيضانات عارمة وترسبات، نتيجة تحولات مناخية متباينة في منابعه وحول مجراه (Williams and Adamson 1982: 222- 231 ؛ الأمين ١٤٢٢هـ: ١٠ - ١٢).

وعلى الرغم من الأعمال الآثارية الهائلة، التي شهدتها منطقة النيل في مصر والسودان، على مدار القرن العشرين، إلا أن مواقع العصور الحجرية حظيت بالجزء اليسير من اهتمام الباحثين، حيث اختصرت التنقيبات على مواقع معزولة في البلدين، حتى كانت حملة إنقاذ آثار النوبة وما تبعها من أعمال، لتضع وادي النيل على الخارطة الآثارية لحقب ما قبل التاريخ. فقد شكّلت تلك الأعمال فهماً أعمق، ليس للدور الحضاري لنهر النيل خلال تلك الحقب فحسب، بل لتاريخ مجرى النهر وسلوكياته أيضًا.

العصر الحجري القديم

تعود أقدم الأدلة الحضارية في النيل وشرق الصحراء، إلى العصر الأشولي الأوسط والأعلى، الذي يتزامن مع حقبة البلايستوسين الأوسط (نحو ١٫٠٠٠٫٠٠٠ - ١٣٠٫٠٠٠ ق.ح. = قبل الحاضر).

والمواقع الأشولية في مجملها مواقع سطحية، سواء تلك التي كشف عنها على النيل حول وادي حلفا والخرطوم (Arkell 1949a, Chemielewski 1968, Guichard and Guichard 1965: 64,) أو تلك التي كشف عنها في شرق الصحراء، والتي تركزت في مناطق الخارجة، والداخلة، ودنقول، وكركور، وبيرطرفاوي، والعوينات، ووادي بخت، ووادي هور، وخلافها، وعلى السبخات القديمة وأطراف الأودية، مثل: الوادي العريض، والوادي المنخفض، وبير صفصاف (Safsaf) (الخريطة ٢)؛ التي كانت تتغذى من الأمطار المحلية، حيث وفرت غطاءً نباتياً من نوع السافنا الفقيرة، عاشت عليها حيوانات متوسطة وصغيرة الحجم، مثل تلك التي تعيش اليوم في شريط الساحل الأفريقي (Mchugh 1975: 32, Wendorf and Schild 1980: 182- 3, 226- 228, 243 - 247, Pachur and Kropelin 1987: 299). وشملت الأدوات فؤوساً حجرية، وأدوات ثنائية الوجه، وسواطير. وهي جميعها مصنّعة من مادة خام محلية، ما قد يعني محدودية الحركة والتنقل لهذه المجموعات -ربما لوفرة مرتكزاتهم الاقتصادية من صيد وجمع- وإكتفائهم بالمادة الخام المتوافرة حولهم. تعود تلك الأدلة في أقدم حالتها إلى أكثر من مليون سنة، وإن لم يتوافر

تاريخ مؤكد لها.

تزامنت مع نهاية هذه الحقبة الأشولية فترة جفاف، جفت خلالها الأودية والسبخات، وانخفض منسوب المياه السطحية إلى طبقات أعمق مما كانت عليه، ومما هي عليه اليوم؛ ومن ثم انحسر الغطاء النباتي والحيواني، وسادت بيئة فقيرة وجافة. وقد لوحظ أن المواقع الأشولية في منطقة سليمة وبرج الطيور، مغطاة بطبقات كثيفة من الرمال إلى جانب أن الأدوات تُظهر آثار تعرية، ما يوحي إلى تعرض المنطقة لظروف جفاف حادّة، أعقبت نهاية العصر الأشولي واستمرت لفترة طويلة (Schuck 1993: 239). وقد فصلت هذه الفترة الطويلة نسبيًا بين العصر الأشولي المتأخر وبداية العصر الحجري القديم الأوسط، أفرغت خلالها الصحراء ربما من سكانها، عدا بعض المواقع المعزولة حول المنخفضات الصحراوية، وهجرت على إثرها المجموعات السكانية المنطقة إلى مصادر المياه الدائمة، شرقًا نحو النيل، وربما جنوبًا نحو شريط السافنا، وشمالاً نحو ساحل البحر المتوسط.

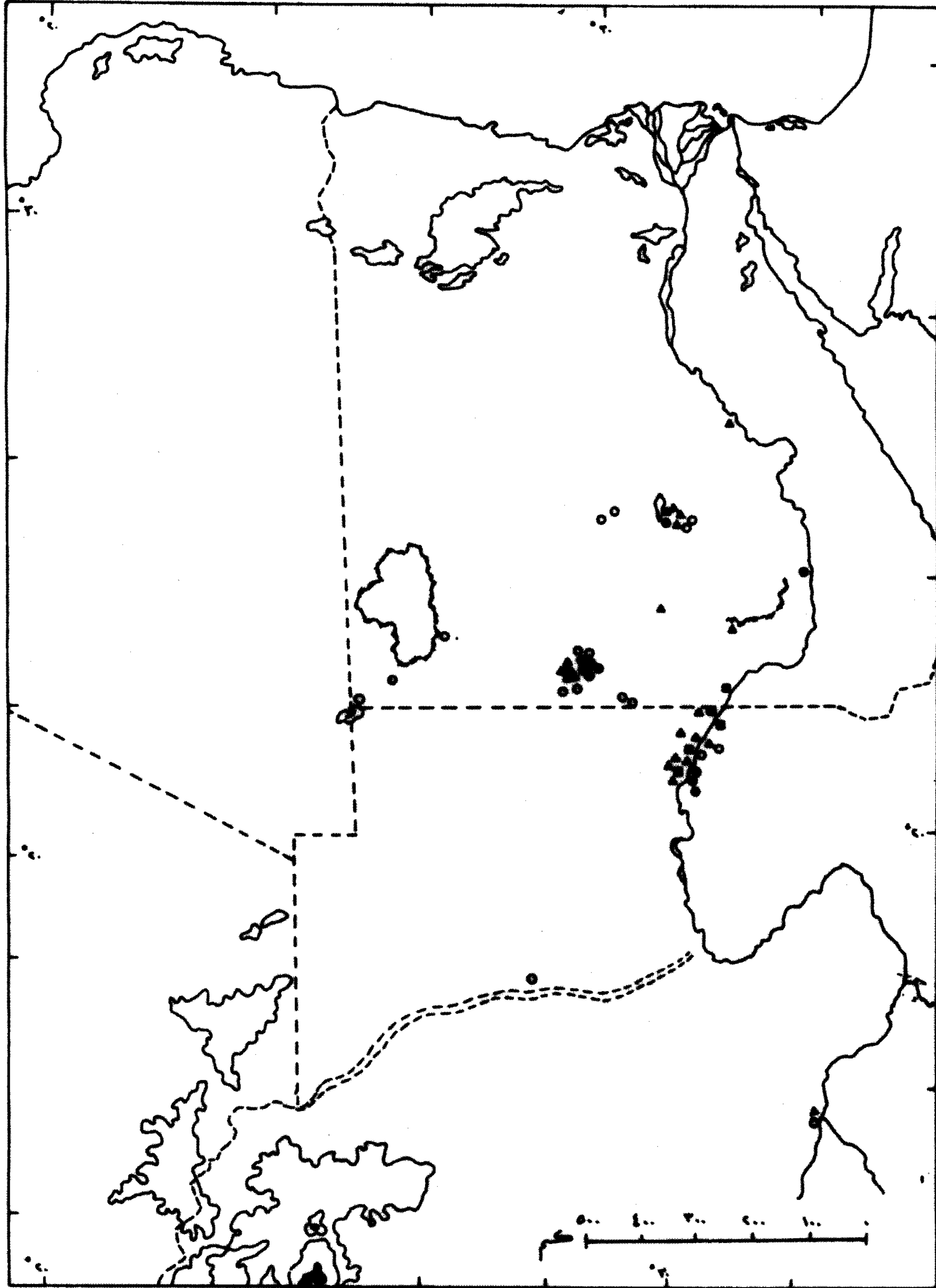
ولعل ذلك ما يفسر توجه الصناعات الأشولية المتأخرة على النيل، نحو التقنية اللفلوازية، من جهة، واتجاه الفؤوس للشكل الرمحي (Lanceolate)، من جهة أخرى، وهي سمات ظهرت مع بداية العصر الحجري القديم الأوسط، في الوقت الذي تغيب فيه هذه الظواهر بشكل واضح في الصحراء، خلال تلك الحقبة، انظر: (Guichard, op. cit.: 79- 84, Wendof and Schild, 1980: 182).

أعقبت فترة الجفاف تلك فترة مطيرة مع بداية البلايستوسين الأعلى، نتجت عن تحول نسبي في اتجاه الرياح الموسمية الجنوبية أدى إلى ارتفاع في هطول الأمطار، التي وصل منسوبها إلى ٥٠٠ مم في الصحراء، ما أدى إلى تكون بحيرات كبيرة دائمة، وسبخات وينابيع وأودية، كشف عنها في بير طرفاوي وبير صحراء، على بعد نحو ٤٠٠ كلم .k.m غرب أسوان (Wendorf and Schild 1996: 305). فأدت وفرة المياه في الصحراء وارتفاع منسوب المياه السطحية، إلى سيادة ظروف بيئية ملائمة للعيش حيث توافر غطاء نباتي من نباتات السافنا، ووفرة في أنواع وكم الحيوانات، شمل: حيوانات وحيد القرن والجاموس المنقرض، والجمل المنقرض، والحمار الوحشي، والزراف، والتمساح، وبعض الغزلان، وغيرها من أنواع حيوانية كبيرة ومتوسطة الحجم، كشف عن مخلفاتها العظمية في المواقع (Wendorf and Schild 1980: 229- 230, 256, Wendorf et, al. 1991: 333, Gautier 1993: 124) وهي كائنات لا تتوافر اليوم بشكل طبيعي شمالي شريط السافنا، الغنية، أي نحو ١٠٠٠ كلم جنوب الصحراء. فقد كان بمقدور هذه الحيوانات الحركة بسهولة، إذ إن منطقة الصحراء بكاملها كانت قابلة للعيش. وفي الفترات التي يجف فيها المناخ قليلاً، تعود تلك الحيوانات إلى ضفاف البحيرات، ثم ترحل عنها إلى السهول المحيطة حين تتحسن الأحوال فيها.

أظلت هذه الحقبة المطيرة الحضارة الموستيرية، بمختلف تقنياتها، وحضارة بير الطير (Aterian)، اللتين كشف عن مخلفاتهما في شرقي الصحراء، في بير طرفاوي وبير صحراء ضمن مواقع أخرى عديدة تنتشر على امتداد الصحراء (Wendorf et. al., 1993: 108). حوت المواقع تعاقبًا طبقيًا وكشفت في طياتها عن أدوات الشظايا والأدوات اللفلوزية، التي ميزت هذه الحقبة، إلى جانب المناجل والمثاقب وخلافها. وقد صُنعت الأدوات من مختلف أنواع المادة الخام، ومنها ما هو غير متوافر قرب المواقع (Werdorf and Schild 1980: 255 - 256) ما يعكس حرية واسعة في الحركة، ومن ثم قابلية بيئة الصحراء للتجوال. كذلك، كُشف عن مواقع تحوي أدوات مشابهة في برج الطيور، إلى الجنوب الغربي من سليمة (Schuck 1993: 243) (الخريطة ٢).

وعلى النيل كشفت بعض المواقع، إلى جانب حضارة خور موسى، عن حضارات موستيرية، تباينت فيها الأدوات بين تركيز على المكاشط والمناجل (Marks 1968; Elamin 1981: 196- 197)، بينما أظهرت مواقع أخرى تشابهًا في أدواتها بالأدوات السنقوانية (Sangoan)، التي عُرفت من يوغندا، وانتشرت في أفريقيا الأستوائية، (Guichard and Guichard 168: 184, Chmielewski 1968: 146) وتميزت ثالثة بأدوات حضارة بير الطير الصحراوية (Hassan 1980: 428).

ودعمًا لدراسات سابقة أجراها ساندفورد وآركل،



• أشولي ▲ موستيري • بير الطير ■ خور موسى

الخريطة ٢: بعض مواقع العصرين: الحجري القديم الأسفل، والأوسط (١٠٠٠٠٠٠-٤٠٠٠٠ ق.م).

وواصلتها كاتون طومسن وغاردنر، أشار حسن إلى أن بحيرة الفيوم، التي تتغذى من النيل، كان منسوبها خلال حقبة العصر الحجري القديم الأوسط قد وصل إلى نحو ٣٤ - ٤٠م فوق سطح البحر، كما أشار إلى التوافق بين ارتفاع منسوب بحيرة الفيوم وبحيرة تركانا (رودلف)، في كينيا، التي تتغذى من مياه الأمطار، التي تهطل على الهضبة الأثيوبية (Hassan 1986: 495).

شهدت الحقبة الأخيرة من البلايستوسين الأعلى بداية فترة جفاف، لم تعرف المنطقة لها شبيهًا خلال تاريخها، استمرت حتى بداية الهولوسين، أُسدل خلالها الستار في الصحراء على الحضارات الموسيترية، وحضارة بير الطير، وخلافها، وبلغت ذروتها خلال الفترة الممتدة بين ٢٠٠٠٠ - ١٢٠٠٠ ق.ح. جاءت الأدلة على حقبة الجفاف تلك عبر وسائل طوبغرافية وآثارية، مدعومة بنتائج تأريخ الكربون - ١٤. وخلافًا لما كان يظن سابقًا بمحدودية تلك الفترة، فيما عرف «بحقبة بلانة/ مصمص وحقبة صحابة/ دراو (Wendof and Schild 1980: 234)، فقد سادت تلك الحقبة الجافة، بوجه عام، لنحو ٦٠ ألف سنة، من ٧٠٠٠٠ - ١٢٠٠٠ ق.ح.، وإن تخللتها فترات مطيرة قصيرة.

خلال هذه الفترة شحت الأمطار نسبة لتحول في اتجاه الرّياح، وسادت حالة تصحر تامة اختفت خلالها البحيرات، وجفّت السبخات، وانقطع جريان الأودية، واختفى الغطاء النباتي والحيواني. وزحفت الحدود الجنوبية للصحراء إلى مدى أبعد كثيراً عن حدودها الحالية، وتقهقرت حدودها الشمالية كثيراً نحو ساحل البحر الأبيض المتوسط، أي بما مقداره نحو ٥٠٠ كلم في كل اتجاه عن حدودها الحالية (Petit- Maire 1988: 20; Grove 1993: 34; Servant and Servant 1972: 88).

تشهد بذلك عدة دراسات من شمال أفريقيا، وشرق الصحراء، ووادي النيل. فالأدلة من شمال أفريقيا تشير إلى تمركز الاستيطان قرب الساحل، بدءً من نحو ٢٢٠٠٠ ق.ح. تأتي تلك الأدلة من حضارات وهران والأبرومورسيه وحضارة الضبعة، في مواقع: تمرحات، وحقفة الضبعة، وهواء الفطايح، وغيرها، حيث اعتمدت تلك الجماعات في معيشتها على الصيد البرى والبحري والجمع (Close and Wendorf 1989: 42-49). ويلاحظ غياب هذه الحضارات جنوبًا في الصحراء (Camps 1975)، التي يبدو أنها ظلت خالية من السكان حتى بداية الهولوسين.

كذلك، فإن الأعمال الآثارية، التي جرت شرقي الصحراء، من سيوه شمالاً حتى وادي هور جنوباً، تشير إلى خلو المنطقة من مستوطنات تؤرخ إلى فترة الجفاف تلك. فالأدلة من سيوه والقطارة والجرف الكبير والعوينات وغيرها (Hassan 1976, 1978)، تؤكد سيادة فترة الجفاف هذه.

وعلى النيل كشفت الأعمال الآثارية في صعيد مصر، شمال أسوان، عن توقف نشاط الأودية، التي تصب في النيل، عند الضفة الغربية في سهل الدشنة، ومنطقة قنا، ودير الفاخوري (Hassan 1974: 14; Lubell 1974: 3-4). كذلك، يوضح الدليل من وادى الكبانية، قرب أسوان، أن الكثبان الرملية سدت مجرى الوادي نحو ١٨٠٠٠ - ١٦٠٠٠ ألف ق.ح. وتوقفت مساهمة الوادي في جلب المياه إلى مجرى النيل، خلافًا لما كان عليه الحال في الفترات المطيرة (Wendorf and Schild 1980: 235).

خلال هذه الفترة (١٨٠٠٠- ١٠٠٠٠ق.ح.) كُشف في سهل كوم أمبو، وعلى شريط ضيق شمالي أسوان لا يتعدى ٥٠ كلم، عن عدة حضارات متباينة، تشكل في مجموعها خريطة حضارية فسيفسائية تجمَّع فيها الكثير من «الحضارات»، التي تحمل تقنيات حجرية متباينة، على الرغم من أنها كانت تستغل بيئة واحدة (Phillips 1973: 98-99)، كان من بينها حضارات: السبيل والسلسلة والمنشية والكبانية والفاخوري وأدفو والعافية وأسنا وخلافها (Wendorf and Schild 1989: 804 -818) (الخريطة ٣).

وفي الفترة ذاتها تجمّعت، كذلك، في منطقة جغرافية محدودة إلى الجنوب من أسوان، وحتى الشلال الثاني في شمالي السودان، عدد من «الحضارات»، وإن لم تكن متعاصرة تماماً ولكنها متقاربة زمنياً، مثل رصيفاتها الشمالية. وقد شملت حضارات: جمى وحلفا وبلانة وعبد القادر، وخلافها (الخريطة ٣)؛ وارتكزت صناعاتها على إنتاج الشظايا، وبعضها على الشفرات، قزمية وغير قزمية، وتباينت فيها

أنواع المادة الخام، بين الشيرت والعقيق، واختلفت نسب الأدوات وأنواعها، التي تميّز كل حضارة (Wendorf 1968: 1046-1053).

لا شك أن النسيج، الذي تمثله ثقافات متباينة في تقنياتها، محصورة جغرافيًا، في رقعة محدودة، لا تحمل في معظمها خصائص محلية، أو جذورًا محلية، عاشت تحت ظروف مناخيه قاسية وشح بيئي، هو نسيج يصعب تفسيره بشيء سوى كونه نتيجة لنزوح جماعات بشرية، جاءت تحمل ثقافاتها من بيئات أخرى. ونسبة لمحدودية عطاء البيئة النيلية في فترة الجفاف تلك، كان لابد لهذه المجموعات من أن تتنافس على قلة ذلك العطاء. وتمثل ذلك الصراع في قمة عنفوانه حول مصادر العيش، وانعكس في عراك بين تلك الجماعات مثلتها مقبرة جبل الصحابة، حيث أوضحت الهياكل العظمية البشرية والسهام الحجرية الملحقة بها، أن أصحابها لقوا حتفهم نتيجة الاقتتال بين تلك الجماعات حول مصادر العيش (Wendorf 1968: 994).

ومن أواسط السودان يأتي دليل آخر من النيلين الأبيض والأزرق، جنوبي الخرطوم، إذ كشفت دراسة جيومورفولوجية ونباتية عن انخفاض كبير في منسوب النيل الأزرق، خلال الفترة من ١٧٠٠٠- ١٢٠٠٠ ق.ح. أما النيل الأبيض فقد تعرض لانقطاع، ربما شبه تام، خلال تلك الفترة، ولم تعد بحيرة فكتوريا، المصدر الرئيس لمياه النيل الأبيض، تسهم في تغذيته. وقد تراكمت الرمال حول مجرى الوادي جنوبي الخرطوم وزحفت الكثبان الرملية لتسد بعض أجزاء المجرى، وتراجعت الأحزمة النباتية نحو ٤٥٠ كلم جنوب حدودها الحالية، لتصل الحدود الجنوبية للصحراء إلى نحو دائرة العرض ١٠شمال (Williams and Adamson 1974: 584- 586; Adamson et. al., 1982, 177, 190 - 193; Wickens 1982: 38 -9).

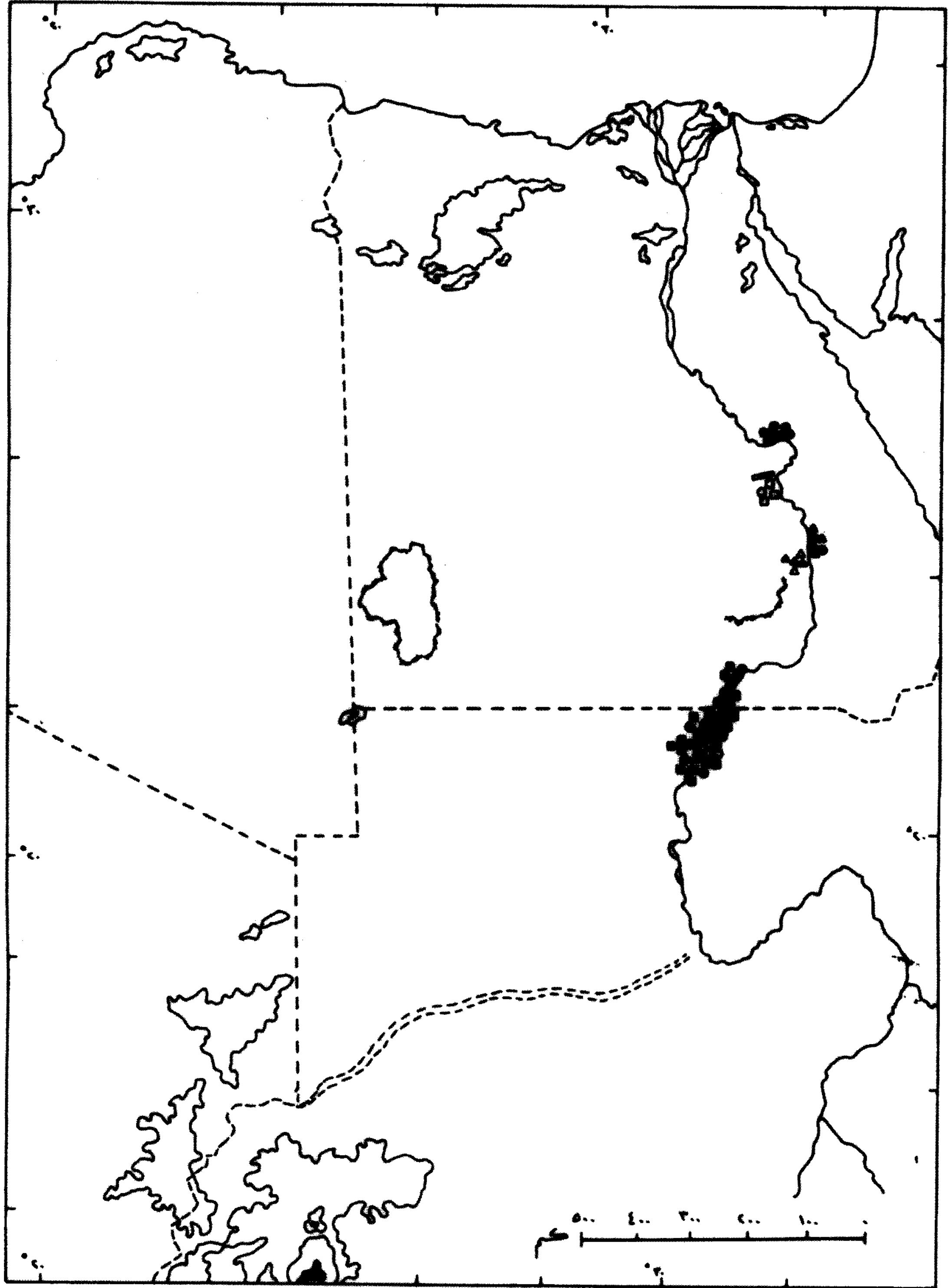
وخلافًا لما هو متوقع، ولما كشفت عنه الأعمال الآثارية بين الشلالين الأول والثاني، فإن المنطقة الممتدة على النيل بين الشلال الثاني والخرطوم (الخريطة ١)، لم تكشف عن أية مواقع أثرية تعود إلى فترة الجفاف، التي شهدتها نهاية البلايستوسين، أياً كانت الأسباب المتسببة في تلك الظاهرة: سواءً أكانت خلو المنطقة من السكان وقتها، أم تدمير المواقع، أم غياب السمات التقليدية المميزة لتلك الحقبة، أو خلاف كل ذلك (الخريطة ٣). غير أن التنقيبات في سهل البطانة شرقي السودان، كشفت عن مواقع حوت صناعات حجرية، ارتكز بعضها على إنتاج الشظايا وبعضها الآخر على إنتاج الشفرات، التي ربما تورخ لنهاية البلايستوسين (Elamin 1987: 33-46).

العصر الحجري الحديث

بنهاية البلايستوسين في نحو ١٢٠٠٠ ق. ح، وبداية حقبة الهولوسين، أخذت الأحوال المناخية تدور في الاتجاه الآخر؛ فارتفعت درجة الحرارة بعد فترة البلايستوسين الباردة، وتقهقر الجليد نحو القطب، وارتفع منسوب المياه في البحار. وبدأت تسود فترة مطيرة في الصحراء، كشفت عنها عدة حقول معرفية. ومرة أخرى تهطل الأمطار بغزارة على المنطقة، لتغذي الأودية والبحيرات والسبخات، ويرتفع منسوب المياه تحت السطح، وتتراكم طبقات الطمي في القيعان، وتتماسك الكثبان الرملية السابقة، وتتقارب خطوط المطر الشمالية والجنوبية، وتسود بذلك بيئة غنية بعطائها النباتي والحيواني، لتنحصر الصحراء في شريط ضيق للغاية.

ففي منخفض سيوه والقطارة في شمالي الصحراء سادت فترة مطيرة خلال حقبة الهولوسين الأسفل، نحو ٩٠٠٠ ق.ح. كشفت عنها مخلفات نباتية، وملاحظات جيومورفولوجية (Hassan 1978: 146- 148; Neumann 1993: 158-159).

وفي واحة الخارجة، ارتفع منسوب المياه السطحية، وانتشرت السبخات، وتوافرت بيئة غنية حوت غطاء نباتيًا سمح لحيوانات السافنا، مثل الزراف والغزلان، بالوجود في الواحة وحولها. وهناك استقرت بعض الجماعات، التي صنعت فخارًا غير مزخرف، وأدوات حجرية سيطرت عليها المناجل والمكاشط واختفت بينها الشفرات (Wenorf and Schild 1980: 189-203, 236- 241). وفي أبو بلّاص، جنوبي الداخلة، سادت ظروف بيئية مشابهة، لتلك التي عرفتها منطقة الواحات خلال حقبة الهولوسين. وقدعُثر في



■ عبدالقادر ▲ الكبانية ● السبيل ● حلفا ● عافية .

□ إسنا ○ جمي ▬ فاخوري ▲ سلسلة .

الخريطة ٣: بعض مواقع العصر الحجري القديم الأعلى والأعلى المتأخر (٢٠٠٠٠-١٠٠٠٠ ق.م.).

أحد المواقع على مخلفات عظمية للزراف تؤرخ إلى نحو ٩٠٠٠ ق.ح. (Kuper 1993: 221)، وسط أدلة نباتية تشير إلى غطاء نباتي غني في الكم والكيف (Neumann 1993 159 - 158 :1993).

كذلك، كشف المسح في منطقة نبته (الخريطة ١) عن العديد من السبخات، التي تؤرخ إلى أنّ بداية الهولوسين نتجت عن ارتفاع هائل في تساقط الأمطار محلياً وجريان الأودية، وتكوّن البحيرات، ونمو طبقة نباتية من أشجار وحشائش حول مصادر المياه، وتوافر حيوانات كشف عن مخلفاتها، مثل: البقر الوحشي والخنزير البري والنعام والغزلان (Wendof and Schild 1980: 236).

تعرضت منطقة نبتة، أكثر من أي منطقة أخرى في شرق الصحراء، لأعمال آثارية مكثفة كشفت عن عدد من المواقع، التي تركّزت حول السبخات والبحيرات. وقُسّمت مواقع العصر الحجري هناك إلى ثلاث مراحل (Wendorf and Schild 1998: 100-107): سادت المرحلة الأولى خلال الفترة (١٠٨٠٠- ٨٩٠٠ ق. ح)، وفيها تركزت المواقع على التلال، وشملت أدواتها المكاشط والشفرات وأدوات هندسية تحمل خصائص العصر الحجري القديم الأعلى المتأخر، والقليل من الفخار. وارتكز اقتصادهم على جمع الذرة والدخن البري وصيد الأبقار. وفي نهاية المرحلة ظهر عندهم الفخار ذو الخطوط المموجة المتقطعة، الذي ظهر في حضارة الخرطوم في الألف التاسع ق.ح. (Wendof and Schild 1998: 100 -104, Arkell 1949b). ويرى المنقبون أن هذه الجماعة وفدت، في بداية الهولوسين مع تحول بيئة الصحراء، من مكان ما، ربما من المنطقة بين الشلالين الأول والثاني.

وفي المرحلة الثانية (٨٣٠٠- ٧٦٠٠ ق.ح.)، التي أعقبت فترة جفاف نسبي قصيرة، سادت الأبقار المستأنسه، في وقت سابق للمعرفة بها في وادي النيل وفي بلاد الشام. وقد ظل الذرة البري (حشيشة السودان) (Sorghum)، أحد النباتات المستغلة في الغذاء ليشكل في هذه المرحلة أكثر أنواع البذور استقلالاً (Wasylikowa et. al. 1997: 936)، وعثر على أساسات لمخازن وموقع احتفالات، وظهر الماعز والضأن المستأنس. وسادت المرحلة الثالثة خلال الفترة من (٧٥٠٠ - ٦٢٠٠ ق.ح.)، وأصبح الفخار فيها مصقولاً، وعرفت منشاءات حجرية تحوي أحجارًا ضخمة، ومقابر دفنت فيها أبقار، وأنصاباً حجرية، وأساسات أكواخ، ومعالم فلكية، ما يشير إلى مجتمع طبقي ذي خواص إدارية، ويحمل معتقدات دينية ويشكل مركزًا حضاريًا (Wendorf et. al. 1997: 92; Mckim et. al. 1998: 488 - 491).

وتؤكد الأدلة من القصيبة (Bir Kiseiba) وصفصاف، ارتفاع معدّل الأمطار خلال فترة الهولوسين الأسفل والأوسط (نحو ١٠٠٠٠ - ٧٦٠٠ ق.ح.)، حيث ظلت البحيرات والسبخات تتلقى مياهها من الأمطار والأودية المحلية. في تلك البيئة كشف عن ١٣٠ نوعًا من النباتات، من بينها الذرة البري والشعير البري. وكان البقر والغزلان أكثر الحيوانات توافراً (Wendorf and Schild 1998: 100-106; Schild and Wendorf 2001: 23).

تدعم سيادة الفترة المطيرة تلك، أدلة أخرى من مواقع الوادي الأخضر، والجرف الكبير، وجبل العوينات، ووادي بخت، حيث كشفت المواقع هناك عن مستوطنات تعود إلى حقبة العصر الحجري الحديث، حوت شفرات ورءوس سهام ومكاشط وفخارًا، تباينت فيه الشوائب بين عضوية وغير عضوية، ذا سطح أملس. وقد زخرف القليل من الفخار بخطوط متوازية، متصلة ومنقطعة (McHugh 1975: 52-54). وإلى الشمال الشرقي من الجرف الكبير، عُثر على مواقع أرخت إلى (٨٧٠٠ - ٨٢٠٠ ق.ح.) حوت أدوات قزمية، ورءوس سهام، ومخارز، وفخارًا يحمل زخارف شبيه بتلك، التي عرفها فخار الخرطوم (Kuper 1993: 214 - 217) (الخريطة ٤).

وفي مراحل لاحقة، خلال الحقبة المتأخرة من العصر الحجري الحديث، تحولت معظم الأدوات إلى شظايا كبيرة الحجم. وفَقَدَ الفخارُ تلك الأنواع المبكرة من الزخرف، ليصبح أشبه بفخار حضارة عبكة، وحضارة المجموعة «أ» على النيل. كذلك، يلاحظ أن التاريخ الكربوني لتلك المواقع يتركز في معظم الحالات، شأن بقية مواقع شرقي الصحراء، بين (٦٤٠٠- ٥٢٠٠ ق.ح.)، (Schon 1996: 120).

وتشير الرسومات الصخرية، التي تؤرخ إلى تلك الحقبة، إلى وجود حيوانات مثل: الزراف والوعول والغزلان والأبقار والنعام (Mchugh 1975: 57). وتؤكد ذلك الأدلة في وسط الصحراء، حيث غذّت مياه الأمطار، في نحو (٨٥٠٠ ق.ح.) الأودية والسبخات، في عنيدي وفزان وتبستي وهقار ومنيت، فوجدت حيوانات السافنا مثل: الأبقار والأفيال والجاموس والزراف والغزلان (Gabriel 1976: 36; Mal-ey 1977: 5573-578).

وإلى الجنوب من نبتة، أظهرت صور الأقمار الاصطناعية وجود أودية قديمة في منطقة سليمة عاودت نشاطها خلال حقبة الهولوسين، فارتفع منسوب بحيرة سليمة (Haynes 1987: 73)، وتكونت سبخات، وجرت الأودية إلى الغرب من سليمة، فيما يعرف بطبقة الرمال في منطقة وادي شو، ووادي سهل، وبرج الطيور، حيث ساد غطاء نباتي من نباتات السافنا (Gabriel and Kropelin 1984: 295; Neumann 1993: 160 - 162).

وفي أحد مواقع برج الطيور كُشف عن أدوات حجرية، تعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط، تعلوها طبقة تعود إلى العصر الحجري الحديث، تؤرخ للألف السابع ق.ح.، حوت أدوات قزمية وشفرات وفخار، من أنواع مشابهة لما عُثر عليه في: اللقية، ووادي شو، ومواقع أخرى في برج الطيور، تؤرخ جميعها إلى الألف السابع وبداية الألف الخامس ق.ح. (Schuck 1993: 243). ويكشف هذا الموقع، حسب تعاقب طبقاته (Stratigraphy) ، الانقطاع الاستيطاني بين نهاية العصر الحجري القديم الأوسط وبداية العصر الحجري الحديث، في شرقي الصحراء.

ومن بين الظواهر التي عرفتها هذه المنطقة، أشكالاً حجرية تمثلت في دوائر من أحجار صغيرة تحوي القليل من الفحم والرماد، وقطعًا من قشرة بيض النعام. تناثرت هذه الدوائر في منطقة سليمة ووادي شو. وقد أرّخ معظمها إلى الفترة التي سبقت ٥٠٠٠ ق.ح. وهي مواقد للنار استخدمها رعاة العصر الحجري الحديث، خلال تجوالهم وراء قطعانهم في الصحراء (Gabriel 1986, 1984: 394). وربما يؤكد اختفاؤها بعد ذلك التاريخ، جفاف الصحراء التي لم تعد قادرة على توفير متطلبات تلك القطعان.

وتشارك هذه المواقع في الكثير من معثوراتها مواقع نبتة والقصيبة، وتلك التي عرفتها مواقع الداخلة، خلال ما عرف بالفترة المبكرة والوسيطة من العصر الحجري الحديث. فالفخار يظهر خصائص مشتركة، والنسيج يحوي شوائب رملية، والأواني صغيرة الحجم، والزخرف يتميز بخطوط مموجة (wavy)، ومتعرجة (zigzag)، (Schuck 1993: 245-246)، من ذلك النوع الذي عُرف بـ "فخار الخرطوم".

وفي العطرون، نحو ٩٠ كلم إلى الشمال من وادي هور، عُثر على عظام زراف أرخت لنحو ٧٣٧٠ ق.ح. بجانب بحيرة أرخت لنحو ٩٢٠٠ ق.ح. وفي واحة النخيلة عثر على عظام لوحيد القرن أرخت لنحو ٧٨٠٠ ق.ح. (Kuper 1995: 129; Pachur and Kropelin 1987: 299-300).

ليس من شك، الآن، في أن وادي هور كان أحد فروع نهر النيل، خلال حقبة الهولوسين (Gabriel et. al. 1985: 106) حيث كان يتغذى من مصادره العليا في مرتفعات دارفور وتشاد، إلى جانب الأمطار، التي تهطل عليه، مشكلاً شريطًا نباتيًا يمتد لنحو ٧٠٠ كلم، لا يتوافر حاليًا سوى على مسافة ٦٠٠ كلم إلى الجنوب من موقعه الحالي (Neumann 1993: 163). كذلك، كشفت المخلفات العظمية حول الوادي، وجود مخلفات عظمية لحيوانات السافنا، مثل: البقر الوحشي والأفيال ووحيد القرن والزراف وفرس البحر، إلى جانب البقر المستأنس، تؤرخ إلى الفترة بين ٩٢٠٠ - ٧٨٠٠ ق.م.

وعلى ضفاف الوادي تنتشر العديد من مواقع العصر الحجري الحديث، التي تحوي أدوات حجرية وفخار، تمثّل في قطع صغيرة ذات بنية جيدة، وسطح أملس، وشوائب غير عضوية، وتبدو عليه آثار التعرية. ويحوي الزخرف تلك الأنواع، التي عرفها موقع الخرطوم من خطوط مموجة ومتقطعه وخطوط متعرجة متقطعة (Keding 2000: 91; Jesse 2000: 83). وقد توافرت في المواقع عظام حيوانات ثديية، من أفيال وفرس البحر وعظام أسماك، إلى جانب عظام أبقار مستأنسة. وقد أرخت المواقع إلى الفترة بين ٨٠٠٠ - ٦٠٠٠ ق.ح. (Kropelin 1993: 254; Pachur and Kropelin 1987: 299-300).

وفي الأجزاء الوسطى من الوادي، قرب جبل راهب، كُشف عن موقع جبرونة، الذي يغطي مساحة تصل إلى ١ كلم٢، ويبلغ عمق التراكم فيه مترين تتركز فيهما الأدوات الحجرية، وأدوات الطحن، والفخار، والمخلفات العظمية (Keding 1993: 372) (الخريطة ٤).

وفي الأجزاء الجنوبية من وادي هور، عثر على مواقع تعود إلى نحو ٥٠٠٠ ق.ح. حوت أنواعًا من الفخار، زُخرف بإشكال هندسية يشابه ما عثر عليه في بعض مواقع الأجزاء الوسطى من الوادي، وكذلك ما عثر عليه إلى الغرب من وادي هور في بركو وعنيدي (Mohammed Ali 1982: 98 -104). ويدعم ذلك، الرسومات الصخرية في عدد من المواقع حول وادي هور، حيث تظهر حيوانات السافنا، كالزراف والأفيال ووحيد القرن والبقر الوحشي والغزلان والأبقار المستأنسة (ibid 1982: 105-108).

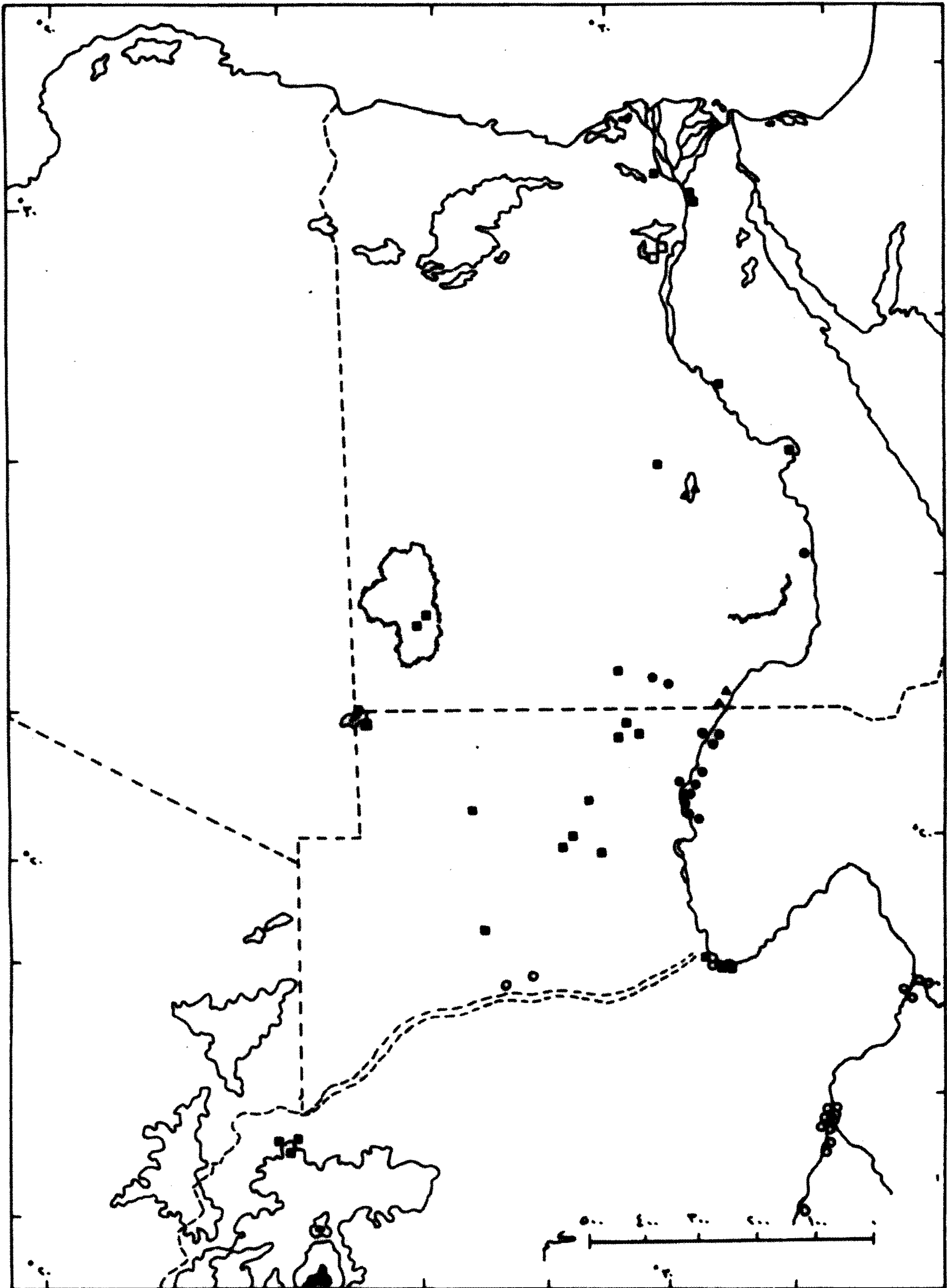
انعكست الظروف المناخية، التي شهدتها بداية الهولوسين، على نهر النيل وفروعه. فقد ارتفع منسوب المياه في بحيرات وسط وشرق أفريقيا حيث منابع النيل، نتيجة للزيادة الهائلة في هطول الأمطار. ومن ثم زاد منسوب المياه في النيل إلى نحو ثلاثة أضعاف ما هو عليه اليوم. وشهد حوض النيل فيضانات وترسبات من الطمي. وتشير الدلائل من الفيوم، شمالي وادي النيل، إلى فترة مطيرة، وارتفاع في منسوب البحيرة خلال الهولوسين الأسفل (Hassan 1986: 485 - 486). وتؤكد ذلك الدلائل من النيل الأبيض، الذي جدد سريانه بعد أن عاود اتصاله ببحيرة فكتوريا، مع بداية الهولوسين، وغطى الطمي الكثبان الرملية، التي تراكمت على ضفتي النهر (Williams and Adamson 1974: 585).

خلال حقبة الهولوسين الأسفل، عرفت الأجزاء الشمالية والوسطى من النيل، شمالي الشلال الثاني، جماعات مارست حضارات العصر الحجري القديم الأعلى المتأخر، مثل: حضارات قارون في منخفض الفيوم، التي تؤرخ إلى نحو ٧٥٠٠ ق.ح.، وحضارة الكاب في صعيد مصر وتؤرخ إلى نحو ٨٠٠٠ ق.ح.، وحضارة أرقين وتؤرخ إلى نحو ٩٥٠٠ ق.ح.، وحضارة شارمكة، التي تؤرخ إلى نحو ٧٧٠٠ ق.ح. عند الشلال الثاني، إلى جانب حضارات أخرى (Hassan 1980: 436). هذه الحضارات كانت معاصرة لحضارات العصر الحجري الحديث في الصحراء. وفي الوقت الذي عرفت حضارات الصحراء الأبقار المستأنسة وصناعة الفخار، لم تكشف الحضارات النيلية عن أي دليل للاستئناس الحيواني أو النباتي، خلال هذه الفترة.

وعلى امتداد المنطقة من الدلتا إلى الشلال الثاني، لم تعرف حقبة الهولوسين الأوسط والأعلى حضارات العصر الحجري الحديث إلا بعد فترة جفاف قصيرة أعقبت (٧٠٠٠ ق.ح.)، (Wendorf and Schild 1976: 225). ففي جنوبي غرب الدلتا يحتل موقع مرمدة بنى سلامة مساحة واسعة، ويحوي جدرانًا لبيوت بنيت من طوب غير محروق مخلوط بالتبن، وأساسات أكواخ ومخازن ومقابر في داخل المستوطن، دفن فيها الموتى بشكل قرفصائي. وقد ارتكز الاقتصاد جزئيًا على القمح والشعير، وأرخ الموقع إلى نحو ٥٦٠٠ ق.ح.

أما أقدم دليل على ظهور بعض سمات العصر الحجري الحديث في شمالي مصر، فقد عرف من مواقع الفيوم، التي أرّخت إلى نحو ٦٥٠٠ ق.ح. حيث عكست أوجه شبه في صناعتها الحجرية مع المجموعات الصحراوية (Wendorf and Schild 1984: 404-428). وتميزت الأدوات الحجرية المرتكزة على الشظايا، برؤوس سهام وفؤوس مصقولة. وكشفت عن فخار غير مزخرف، واستغلال محدود للقمح والشعير المستأنس، إلى جانب القليل من الحيوانات المستأنسة، والعديد من الحيوانات البرية، التي شكلت الأساس في غذائهم (Catan- Thompson and Gardner 1934; Wendorf and Schild 1976: 370-381). أما موقع العمرى قرب حلون، الذي يؤرخ إلى نحو (٦١٠٠ ق.ح.) (Hassan 1985: 105)، فقد حوى نحو مئة كوخ مستدير شملت مخازن ومواقد للنار، حيث دفن السكان موتاهم داخل المستوطن في وضع قرفصائي.

ونسبة لعدم وضوح جذور محلية لحضارة مرمدة، فقد عزاها بعض الدارسين لجماعات قيل إنها وفدت من الشمال والشرق، ويعني بذلك جنوبي شرق آسيا (Hayes 1964: 176- 175). وكذلك الحال لحضارة الفيوم، إذ تحت تأثير



• عبكة ▫ الفيوم ◦ الخرطوم ▴ مابعد شامركة ▴ كرالجان ■ أخرى

الخريطة ٤: بعض مواقع العصر الحجري الحديث (٨٠٠٠-٣٠٠٠ ق.م).

الأفكار الانتشارية ذهب بعض الباحثين بخصائصها الحضارية إلى أصول آسيوية (Arkell 1975:18)، في وقت لم يجد فيه آخرون علاقة تربط هذه الحضارات بمثيلاتها في سيناء (Butzer 1976: 11). كذلك، فإن الأعمال اللاحقة في الفيوم لم تكشف عن علاقة تطورية، بين حضارة الفيوم وحضارة قارون السابقة لها في منخفض الفيوم (Wendorf et. al. 1970: 1161-1171)، التي تفصلها عنها نحو ١٠٠٠ عام.

وفي صعيد مصر، كُشفت عدة مواقع وجبّانات عن حضارة عرفت بحضارة البداري، ازدهرت نحو (٦٠٠٠ ق.ح.) تميزت بأكواخ دائرية، وأوانٍ فخارية، ذات فوهة سوداء جيدة الصقل بجدار رقيق وتقنية عالية. وقد ارتكز غذاء أصحابها، جزئياً، على القمح والشعير ولحوم البقر والضأن والماعز، إلى جانب حيوانات برية. دفن البداريون موتاهم في قبور، وقدموا القرابين لهم، وصنعوا دمى وأدوات للزينة، وصنانير للصيد، ومقالع ومناجل حجرية (Arkell 1975: 35- 34; Hassan 1985: 106). وهنا أيضًا يرى المنقبون أن الجماعة، التي حملت هذه الحضارة، كانت قد وفدت إلى النيل من الجنوب الشرقي، بحكم وجود أنواع من المحار تتوافر في البحر الأحمر (Arkell 1975: 34). وربط آخرون جذورها بحضارة الشهيناب، شمالي الخرطوم (Arkell 1975: 28).

أعقبت البداري حضارة نقادة -١، كما يشير التعاقب الطبقي في الهمامية. وقد انتشرت حضارة نقادة -١ عبر عدة مواقع إلى الجنوب حتى الشلال الأول، وتميزت بفخار مصقول مزخرف بخطوط متقاطعة، وأشكال هندسية، وسكاكين حجرية، وصولجانات، ودمى حيوانية وبشرية. وتشهد نتائج التاريخ من المواقع إلى ازدهارها في نحو ٥٦٠٠ ق.ح. (Hassan 1985: 109). وقد لوحظ غياب أية مواقع في منطقة نقادة تؤرخ إلى الفترة بين (١٠٠٠٠ - ٧٠٠٠ ق.ح.) (Hassan 1985: 108).

سجّلت حضارة نقادة -٢ انتشارًا أوسع من سابقتها، نقادة -١، وإن لم تسجل أي مستوطنات في الدلتا. وتشير المواقع إلى مجتمع طبقي عُرف فيه استخدام النحاس، واتخذت الأواني الفخارية أشكالاً فنية وحوت رسومات حيوانية ونباتية. وقد لوحظ بعض أوجه التطور في الصناعة الحجرية بين حضارتي نقادة -١ ونقادة -٢ (Arkell 1975: 42- 46). أرّخت هذه الحضارة إلى نحو (٥٤٠٠ ق.ح.) (Hassan 1985: 110).

ومن جبانة قرب الكاب، جاء تاريخ في نحو (٥٢٠٠ ق.ح.) لما عُرف لاحقاً بنقادة -٣، التي شكّلت مرحلة الانتقال إلى الدولة المصرية في نحو (٥١٠٠ ق.ح.) (Hassan 1985: 110).

شهدت المنطقة جنوب الحدود السودانية المصرية الحالية حتى الشلال الثاني، ازدهار حضارتي عبكة ودبيرة عرفت بـ (Khartoum Variant)، اللتين أرختا إلى نحو (٦٠٠٠-٥٠٠٠ ق.ح.) وعلى الرغم من تعاصرهما زمنيًا وانحصارهما في رقعة جغرافية ضيقة، إلا أنهما عاشتا ظروف تكيف متباينة. فقد تميزت حضارة عبكة بنسبة عالية من المخارز الحجرية وفخار غير مزخرف، وتظهر بعض الارتباط بحضارة عبد القادر السابقة لها. أما حضارة دبيرة، فقد تميزت بفخار حوى بعض الزخارف العامة، التي عرفتها حضارة الخرطوم والشهيناب وحضارات الصحراء (Nordstrom 1972; Shiner 1968a, 1968 b) وإن غابت عنها الزخارف المميزة لتلك الحضارات، كما غابت أي أدلة للاستئناس (Mohammed- Ali 1982: 145).

وكشف مسح استطلاعي في منطقة الدبة، في شمال السودان (الخريطة ١)، عن عدة مواقع حوت أدوات حجرية وفخارًا أمكن تقسيمها إلى أربع مجموعات حضارية، عُرفت بأسماء مواضعها، وهي: تغّرس، وكارات، والملك، وأم بكول (Shiner et. al. 1971) (الخريطة ٤)، تباينت جميعها في صناعاتها الحجرية وطرز الفخار وزخارفه. وليس بينها ما يشير إلى سمة حضارية مشتركة، كما لم ينتج عنها أي تاريخ، أو أي دليل للاستئناس. ولم يكشف المسح في المنطقة عن حضارات سابقة لها، يمكن ربط أي منها بها (Mohammed- Ali 1982: 153).

وخلال أعمال تنقيبية في منطقة عطبرة، كُشف عن ثلاثة من مواقع العصر الحجري الحديث في الدامر وعنيبس وأبو

دربين (الخريطتان: ١و ٤) تركزت نتائج تأريخها بين (٨٠٠٠-٧٠٠٠ ق.ح.)، وقد حوت بعض أنواع الفخار، التي ميزت حضارة الخرطوم إلى جانب أدوات حجرية وعظمية، شملت الشفرات ذات الظهر والأهلة والمخارز والخطاطيف. وقد اعتمد الاقتصاد كليًا على الصيد البري والنهري وجمع البذور (Haaland and Abdulmagid, 1995: 49, 58, 113, 132, 191-194).

وحول مدينة الخرطوم، التي شكلت نواة لأبحاث حضارات العصر الحجري الحديث في حوض النيل، وشريط الساحل والصحراء الأفريقية، كُشف عن العديد من مواقع العصر الحجري الحديث، بعد التنقيبات التي جرت هناك خلال العقد الخامس من القرن العشرين (Arkell 1949b, 1953)، والتي نتجت عنها حضارتا الخرطوم والشهينات. وقد ازدهرت الأولى خلال الفترة بين (٩٠٠٠ - ٥٥٠٠ ق.ح.)، وحوت أدواتها الأهلة والمكاشط والخطاطيف العظمية، وشكّل الفخار ذو الخطوط المموجة السمة المميزة لها، وارتكز الاقتصاد كليًا على الصيد والجمع. أما الثانية التي أرخت إلى نحو (٥٥٠٠- ٤٥٠٠ ق.ح.)، فقد تميزت بفخار مصقول وفؤوس مصقولة، وعرفت القليل من الحيوانات المستأنسة، إذ ارتكز الغذاء في الجانب الغالب منه، على الصيد البري والنهري والجمع (الخريطتان: ١ و ٤).

وإلى الجنوب من الخرطوم، على الضفة الشرقية للنيل الأزرق، تنتشر الكثير من مواقع العصر الحجري الحديث، التي كُشف في إحداها (شابونة) عن مخلفات أرخت إلى نحو (٧٥٠٠- ٧٠٠٠ ق.ح.) حوت أدوات حجرية، غلبت عليها المكاشط والأدوات الهندسية القزمية وأدوات الطحن والخطاطيف العظمية إلى جانب فخار يحمل بعض خصائص فخار موقع الخرطوم. وقد ارتكز الغذاء على الكائنات النيلية وحيوانات السافنا (Clark 1989: 389-405). وإلى الجنوب من شابونة، كُشفت مواقع قرب كوستي عن مخلفات شبيهة بتلك، التي عرفها موقع الشهيناب، خاصة الفخار المصقول. وقد أرخت المواقع إلى نحو ٦٠٠٠-٤٥٠٠ق.ح. (Haaland 1984 :45 -40)، (الخريطتان: ١ و ٤).

وخلال أعمال آثارية في منطقة البطانة، بين نهري عطبرة والنيل الأزرق (الخريطتان: ١ و ٤)، كشف موقع "شق الدود" عن أعمق تعاقب طبقي، وأطول تسلسل حضاري، لحقبة العصر الحجري الحديث في وادي النيل، امتد منذ نحو ٨٥٠٠ وحتى ٤٠٠٠ ق.ح. حوت طبقاته السمات الحضارية المميزة لحضارتي الخرطوم والشهيناب، وما بعدهما (Marks and Mohammed- Ali 1991). ومن مواقع متفرقة حول مدينة خشم القربة تمثل العصر الحجري الحديث في مواقعه المبكرة، نحو ٦٥٠٠- ٦٠٠٠ ق.ح. بسمات شبيهة بتلك التي عرفتها حضارة الخرطوم، غير أنها اخذت في مراحل لاحقة سمات محلية خاصة بها، قبل أن تتحول من مستوطنات صغيرة إلى قرى كبيرة ذات تراكم حضاري عميق، نحو (٤٥٠٠- ٢٠٠٠ ق.ح.) (Marks, et. al., 1986: 44-50).

وفي نحو ٥٠٠٠ ق.ح. بدأت منطقة النيل والصحراء تدخل في مرحلة جفاف نسبي. وأخذ حزام السافنا يتحول إلى حزام الساحل، أي أخذت خطوط المطر تتراجع جنوبًا، كما أخذ حزام البحر المتوسط يتقهقر شمالاً. وبدأت الواحات الصحراوية تجف تدريجياً، وكذلك مصادر المياه السطحية الدائمة. واقتصرت المياه على الآبار قرب الأودية والمنخفضات، حيث يرتفع منسوب المياه، وتقلص الغطاء النباتي والحيواني (Neumann 1993: 157, 163-164).

ظهرت آثار فترة الجفاف تلك في الأجزاء الوسطى والشمالية من الصحراء، في وقت سابق لمثيلاتها في جنوب الصحراء، التي بقيت لبعض الوقت تحت تأثير حزام السافنا. فالأدلة، من عدة مواقع من شمال ووسط شرق الصحراء، تشير إلى بدء فترة جفاف وتدهور بيئي، منذ منتصف الألف السادس ق.ح. (Hassan 1980: 413). كذلك تشير الأدلة من نبته والجرف الكبير ووادي بخت، إلى بداية حقبة جفاف بعد ٥٠٠٠ ق.ح. (Wendorf et. al. 1997: 92) وكذلك الحال في وادي شو، حيث كان الوضع المناخي في برج الطيور يسمح برعي الأبقار حتى نحو ٥٧٠٠ ق.ح. (Kropelin 1993: 250 - 251). وأخذت مواقع العصر الحجري الحديث المتأخر تتركز حول الأودية فقط كما هو الحال في

الجرف الكبير واللقيَّه (Schuck 1993: 247)، وافتقرت الواحات للغطاء النباتي اللازم للرعي.

ومع تقهقر خطوط المطر جنوباً، أصبح وادي هور يتغذى فقط من مصادره المائية الجنوبية في الجبال، ما أدى إلى تحوّل المجرى لاحقاً إلى سلسلة من السبخات، تغطيها الكثبان الرملية، وانقطع اتصاله بالنيل.

انعكست فترة الجفاف تلك على منسوب النيل، إذ أشارت الدراسات في الدلتا إلى توقف الفيضانات الموسمية الكبيرة، التي كانت تشهدها المنطقة خلال الفترة المطيرة السابقة. وانخفض منسوب النيل بدء من منتصف الألف السادس ق.ح. (Pawlikowski 1993: 356; De Wit 1993: 318). وتشير الأدلة من الفيوم إلى هبوط كبير في منسوب البحيرة في نهاية الألف السادس ق.ح. (Hassan 1986: 495)، سواءً كان ذلك بسبب انخفاض منسوب النيل، أو شح الأمطار المحلية، أو الأثنين معًا. يدعم ذلك الدليل من النيل الأبيض جنوبي الخرطوم، حيث انخفض منسوب النيل مع بداية فترة الجفاف، وتحول شريط السافنا إلى شريط الساحل منذ من نحو ٤٠٠٠ ق.ح. (Williams and Adamson 1974: 585).

إزاء استمرار فترة الجفاف تلك وسيادتها، انحسرت حركة الترحال في الصحراء بين الجماعات البشرية، وتقلصت إمكانات الاتصال والتبادل، التي سادت بينها في الفترات المطيرة حين شكّلت الصحراء ما يشبه الوحدة الحضارية، خلال الحقب المبكرة من العصر الحجري الحديث، التي تمثلت في انتشار الفخار ذي الخطوط المموَّجة المتصلة والمتقطعة، وغيرها من السمات (Mohammed- Ali and Khabir, op. cit.). أخذت المجموعات الصحراوية على إثرها تبحث عن أماكن تؤمّن لها مصادر غذائها، ومرتكزاتها الاقتصادية. فزحفت نحو مصادر المياه الدائمة وشبه الدائمة، تماماً كما حدث في المرات السابقة. فزحفت شرقًا نحو النيل وشمالاً نحو ساحل البحر المتوسط وجنوبًا نحو حزام السافنا. وانحصرت بعض الجماعات في الجيوب الجبلية الصحراوية، في تبستي وعنيدي وتسيلي وهقار وغيرها.

تدعم ذلك عدة شواهد، من بينها هجرة مواقع شرق الصحراء وخلوها من أية أدلة تؤرخ إلى الفترات اللاحقة لبداية فترة الجفاف هذه، ووفود تأثيرات صحراوية إلى المناطق المجاورة.

وقد كان نزوح تلك الموجات الصحراوية هو آخر سلسلة التأثيرات الصحراوية على المناطق، التي تحد الصحراء، إذ تلاشت بعدها الوحدة الحضارية الصحراوية، وأخذ كل إقليم يسير في اتجاه تطوري يختلف عن الآخر.

أما على ضفاف النيل، فقد أسهمت موجات صحراوية مبكرة في بزوغ حضارة الفيوم في شمالي الوادي، تماماً كما أسهم وصول الموجة الأخيرة من تلك المجموعات، في بزوغ ثقافات نهاية العصر الحجري الحديث، أي ما يعرف بثقافات ما قبل الأسرات. فالواقع الحضاري في نبتة على سبيل المثال، في تاريخ سابق لظهور حضارات ما قبل الأسرات وقبيل موجة الجفاف الأخيرة في الصحراء، عرف المقابر الركامية، ومدافن الحيوانات، والمنشاءات الحجرية الضخمة،، والمباني الشاخصة والأشكال الفلكية، وكل ما يوحي بوجود نظام اجتماعي متماسك ومعقد، منذ الألف السابع ق.ح. غير أن ظروف الجفاف المحلية قادت إلى وقف تلك المسيرة. وقد وصلت هذه السمات إلى النيل مع الهجرات الصحراوية، وانصهرت في السمات النيلية، لتتولد عنها حضارات ما قبل الأسرات، التي عكست -على الرغم من تباينها- مجتمعات مستقرة، أو شبه مستقرة، على ضفاف النيل. مجتمعات مارست اقتصاداً مختلطاً، وبداية نمو قرى زراعية، ومجتمعاً طبقياً، كما يتضح من حجم المواقع والمقابر الملحقة بها، وما تحويه، أحياناً، من دلائل طقوس جنائزية. وتطورت القرى والمشيخات، التي عرفتها البداري ونقادة -١ ونقادة - ٢، لتُرسى قواعد الدولة في نقادة - ٣.

وفي أواسط وادي النيل، وفدت جماعات صحراوية مماثلة، لتلك الأسباب ذاتها، خلال الألف الخامس ق.ح. بعد أن جفت الواحات كلياً، في وقت لاحق لمثيلاتها في الشمال. وانعكست تلك الهجرات أيضاً على الحضارات النيلية (عبكة ودبيرة ذات التأثيرات الصحراوية السابقة)، لتظهر بوادر حضارة المجموعتين «أ»، ومن بعدها «ج»، بين الشلالين الأول والثاني، ومن بعدهما حضارة كرمة عند الشلال الثالث.

فالحضارات «أ» و«ج»، امتزجت فيهما سمات صحراوية نيلية وأخرى صحراوية. ففي الوقت الذي تحول فيه اقتصاد المجموعة «أ» إلى اقتصاد رعوي، لعبت فيه الأبقار الدور الرئيس ما قاد إلى ارتحالهم إلى الأودية المجاورة، بعد أن كانت مجموعاتهم مستقرة على ضفاف النيل، كشفت المجموعة «ج» عن أدوات حجرية وأنواعًا من الفخار، مشابهة لتلك التي عرفتها مواقع الصحراء المتأخرة حول وادي هور، في الألف الخامس ق.ح. (Mohammed-Ali, 1982: 154, 173). وعسكت حضارة كرمة لاحقاً كثافة سكانية عالية، تمثلت في بناء «الدفوفات» الضخمة والمقابر الجماعية الهائلة، التي حوى بعضها ما يزيد على الخمسمائة هيكل بشري، لأفراد دفنوا أحياءً قربانًا للحاكم (Reisner 1923).

على الرغم من كثافة الأعمال الآثارية، التي تمت في منطقة الخرطوم، فإنها لم تكشف عن أية مواقع يمكن أن تسد الفراغ بين مواقع العصر الحجري القديم الأوسط، التي تنتشر على المنحدرات الجبلية على الضفة الغربية للنيل غربي الخرطوم، وبين مواقع العصر الحجري الحديث، التي تنتشر على ضفتي النيل. وفي غياب جذور محلية واضحة لحضارة العصر الحجري الحديث (حضارة الخرطوم)، وملاحظة الفارق الزمني والتقني الهائل بينها وحضارات العصر الحجري القديم الأوسط، نجد من الضروري، على الأقل، البحث عن جذور أو تأثيرات خارجية. هذه التأثيرات لم تأتِ من الشمال أو الجنوب، أولاً: لأن تاريخ المستوطنات الشمالية والجنوبية المشابهة، تاريخ لاحق لحضارة الخرطوم وليس سابق لها؛ وثانياً: لأن تشابه البيئة النيلية على امتداد أواسط السودان، لا يشكل عامل جذب لاية مجموعة نيلية للانتقال على امتداد النيل، نحو الشمال أو الجنوب. وعلى ذلك، وفي غياب أي دليل لتأثيرات من شرق النيل، يبقى الأصل الصحراوي هو أكثر الفرضيات احتمالاً.

وإلى الشرق من النيل يتزامن هذا التحول المناخي الحضاري، مع تحول مشابه شهدته منطقة البطانة في أواسط السودان، حيث برزت بشكل مفاجئ في منتصف الألف الخامس ق.ح. مستوطنات كبيرة الحجم، عرفت بمواقع البطانة، يغطى الواحد منها نحو ١٠ هكتارات، تحوي تراكمًا حضاريًا يصل إلى مترين ونصف (Marks et. al. 1986: 47- 48)، وتمركزت هذه المواقع على ضفاف نهر عطبرة. وكانت الفترة السابقة لظهور هذه المواقع قد عرفت حضارة الصاروبا، التي تعود إلى أواسط العصر الحجري الحديث، وهي مواقع صغيرة الحجم تنتشر في سهل البطانة بعيدًا عن ضفة النهر (Mohammed- Ali and Jaeger 1987: 58). ولعل هذا التجمع في مستوطنات البطانة الزراعية، دليل على جفاف السهل بعيدًا عن النهر، وقصوره عن حاجة الرعاة ما قاد، ربما، إلى تحول في المرتكز الاقتصادي للمجموعات السكانية من الرعي إلى الزراعة؛ ومن ثمَّ تحوّلها إلى مجموعات زراعية ونمو قرى زراعية تمركزت حول النهر، وظهور مجتمع طبقي شأن مجتمعات "ماقبل الأسرات" في الشمال.

يبدو من الواضح، إذن، أن حضارات العصر الحجري الحديث المبكرة على امتداد وادي النيل، تفتقر إلى أي دليل يشير إلى تطور محلي. فالجذور المحلية لتلك الحضارات غير واضحة، ويصعب ربطها بالحضارات السابقة لها. وينطبق هذا تماماً على حضارات مرمدة والفيوم والبداري ودبيرة والدبة والخرطوم وعطبرة وشق الدود وشابونة. ولعل هذا ما دفع كثيراً من الباحثين إلى ربط بعضها بجذور آسيوية، بحكم الاعتقاد بالسّبق الآسيوي لخصائص العصر الحجري الحديث، وبحكم سيطرة الفكر الانتشاري، في تفسير ظاهرة التحول الحضاري آنذاك.

كذلك، يصعب الربط بين حضارات العصر الحجري الحديث، على امتداد وادي النيل، فيما بينها؛ فالسمات المميزة لكل منها تظهر تبايناً واضحاً، ما يشير إلى ضعف الاتصال بينها. ولعل هذه الاختلافات تعكس اختلافاً، في جذورها الصحراوية.

الشرح والاستنتاجات:

إن النزوح إلى مجاري المياه الدائمة والأنهار والمناطق ذات الوفرة النباتية والترحال بينها، أمر درجت عليه مجموعات الصيادين، والمجموعات الرعوية، في الماضي. أما مدى ذلك الترحال وحجمه، فأمور يحكمها نوع الممارسة وطرق التكيف

والبيئات المتاحة؛ وربما يذهب الأمر بهذه المجموعات، أحياناً، إلى تحول تدريجي في مرتكزاتهم الاقتصادية. فالصيادون وجامعو القوت الحاليون، يرتحلون إلى حيث توفر لهم البيئة متطلبات حياتهم. إن قبائل السان الحالية في صحراء كلهاري، على سبيل المثال، ترتحل تحت وطأة حدة الجفاف، إلى حيث تسمح الظروف المناخية بتوافر الحد الأدنى من الحيوانات والنباتات البرية الكافية لغذائهم (Yellen 1977).

وفي المنطقة، التي يتناولها هذا البحث، درجت المجموعات الرعوية على نمط من الترحال وراء المرعى، حين تقصّر البيئة عن الحد الأدنى لمتطلباتهم (Sadr 1991: 6-11)، و ما تزال هذه المجموعات تمارس ذلك النوع من الترحال. فالقبائل الرعوية في شمال السودان وغربه، درجت على النزوح إلى ضفاف النيل وفروعه كلما اختلت الموازنة، بين عطاء البيئة وحاجة حيواناتهم. فالجفاف الذي ضرب شريط الساحل الأفريقي خلال العقدين الثامن والتاسع من القرن العشرين، مثلاً، قاد تلك المجموعات الرعوية إلى النزوح شرقاً نحو النيل، وجنوباً نحو شريط السافنا. ذلك هو حال قبائل البديرية حول وادي الملك في شمال السودان، وقبائل المسيرية حول بحر العرب في غرب السودان. وعلى الرغم من أن بعض تلك المجموعات عاودت ترحالها حين تحسنت الأحوال، واستقرت في بيئاتها السابقة، إلا أن بعضها آثر البقاء على النيل، وتخلى تدريجياً عن الاقتصاد الرعوي، لتمارس اقتصاداً مشتركاً تلعب فيه الزراعة دوراً أساسياً.

وخلافاً لما عليه الحال في الصحراء، التي ارتبط الاستيطان فيها بسيادة ظروف بيئية ملائمة لطبيعة التكيّف، فإن تسلسل أدوار ما قبل التاريخ على ضفاف النيل ما يزال يحوي الكثير من الثغرات، التي نتجت: إما عن شح، أو غياب المواقع، التي تعود إلى بعض الحقب، وإما لخلل في استراتيجيات الأعمال الآثارية في الماضي والحاضر، وإما لضياع المواقع تحت وطأة الاستغلال المكثف للأرض. وتجسد هذه الحقيقة بعض الصعوبة أحيانًا في كشف طبيعة التناغم بين النيل والصحراء في بعض تلك الحقب، على الرغم من وضوح ذلك التناغم خلال المسيرة بوجه عام.

إن المناقشة السابقة عن علاقة النيل والصحراء، وما كشفت عنه التنقيبات في كليهما، تقودنا إلى عدة مؤشرات نوردها فيما يلي:

١- لا تزال الأدلة، إلى حدٍ بعيد، تدعم الرأي القائل بظهور الإنسان وبزوغ الحضارة البشرية لأول مرة في شرق أفريقيا. وعلى الرغم من أن وادي النيل والصحراء المجاورة له، كان لهما دورهما في انتشار الإنسان وحضارته المبكرة، إلا أننا لا نزال نفتقر إلى ذلك الدليل؛ فالأعمال الآثارية لم تكشف في أي منهما عن أدوات الدوانية أو اشولية مبكرة. غير أن المراحل الوسطى والمتأخرة من العصر الأشولي، شهدت انتشاراً واسعاً للمواقع في النيل والصحراء، وإن لم تحظ هذه المواقع جميعها بالدراسة الكافية، في وقت سمحت فيه الأحوال البيئية بتكيف محلي، على الرغم من توافر الظروف الملائمة للترحال. وحين أسدل الستار على حقبة البلايستوسين الأوسط، هُجرت المواقع الصحراوية لتركز النشاط البشري، خلال حقبة الجفاف، حول ضفاف النيل.

٢- مع بداية البلايستوسين الأعلى، سادت في الصحراء ظروف مناخية جاذبة دفعت بعض الجماعات البشرية، التي انحصرت حول مجرى النيل في فترة الجفاف السابقة، نحو الصحراء. وهناك ازدهرت الثقافات الموسيترية وغيرها باختلاف تقنياتها، حيث تلاقحت ثقافات وافدة من مختلف المناطق المجاورة للصحراء.

٣- إن كثافة مواقع حضارات العصر الحجري القديم الأعلى والأعلى المتأخر، وتنوعها على ضفاف النيل في نهاية حقبة البلايستوسين الأعلى، توحي بهجرات متعددة ومن بيئات متباينة، أو على الأقل بأنماط تكيف مختلفة، دفعت بها ظروف الجفاف إلى مصادر المياه الدائمة، أو شبه الدائمة، على النيل. لقد عكست تلك الحضارات اختلافات ليست فقط في مرتكزاتها التقنية ونوع الأدوات، بل حتى تفاوتًا في درجة الاعتماد على تقنية بعينها، أو نوع بعينه. لقد تباينت الصناعة بين إنتاج الشظايا والشفرات، وبين التقنية اللفلوازية وغيابها، وبين

وجود أدوات قزمية وعدمها، عدا الاختلاف الهائل في أنواع الأدوات ذاتها؛ بل ومن بينها حضارات تفرّد وجودها في موقع واحد.

٤- مع بداية حقبة الهولوسين بدأت الأحوال المناخية في الصحراء تتحسن تدريجياً، ما دفع ببعض المجموعات النيلية إلى الارتحال غرباً، والتمركز حول السبخات، حيث يُلاحظ غياب مواقع العصر الحجري الحديث المبكر حول الأودية، التي لم تكن قد بدأت جريانها. ولعل تلك هي الفترة التي شهدت البدايات الأولى للاستئناس (حيث تتوفر الأصول البرية للأبقار)، وصناعة الفخار، في الصحراء. فأقدم الأدلة على صناعة الفخار والاستئناس في وسط الصحراء وشرقها، تأتي من أماكن تجمع المياه في الجيوب الصخرية والمنخفضات، في: هقار وتميدون وتسيلي وتبستي وطن الطورة ونبتة وخلافها، وتؤرخ إلى الألفين التاسع والعاشر ق.ح.

٥- يشير الكم الهائل من نتائج تأريخ الكربون - ١٤ إلى أن ظهور استئناس الأبقار، وإنتاج الفخار في مواقع الصحراء، قد سبق مثيلاتها في شمال أفريقيا ووادي النيل (باستثناء فخار الخرطوم) بعدة آلاف من السنين؛ ما يعني قيام مراكز مستقلة في الصحراء، نتيجة تكيف بيئي محلي لمجموعات بشرية عاشت ظروفًا قاسية، خلال حقبة نهاية البلايستوسين، تاركة رصيفاتها على النيل، ولفترة طويلة بعد ذلك، في مرحلة لم تعرف الاستئناس والفخار بعد.

٦- قادت فترات الجفاف القصيرة خلال الهولوسين، بعض المجموعات الصحراوية إلى النزوح إلى ضفاف النيل، حاملة معها بعض سمات العصر الحجري الحديث؛ إذ يلاحظ، مثلاً، أن ظهور استئناس الأبقار والفخار على المواقع النيلية، لأول مرة ،لم يكن مفاجئًا فحسب، بل كان متزامنًا مع بداية فترة جفاف قصيرة في نحو ٧٠٠٠ ق.ح. يدعم ذلك أوجه الشبه في تقنية الأدوات وأنواعها، بين الحضارات الصحراوية وحضارات العصر الحجري الحديث المبكرة على النيل (الفيوم مثلاً).

٧- على الرغم من وجود نباتات مستأنسة (القمح والشعير) في الشام، منذ مرحلة العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار - أ (PPNA) إلا أن تلك النباتات لم تعرفها حضارات وادي النيل إلا في مرحلة متأخرة من العصر الحجري الحديث. كذلك فإن الحيوانات المستأنسة (الماعز والضأن) لم تظهر في الشام إلا في مرحلة متأخرة من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار - ب (PPNB). غير أنه لا مناص من التسليم بأن القمح والشعير والماعز والضأن، أضيفت إلى التراث الحضاري النيلي الصحراوي بعد ٧٠٠٠ ق.ح.، لتمتزج بالعناصر المحلية كاستئناس الأبقار وصناعة الفخار.

٨- ظهرت الزراعة كإحدى سمات العصر الحجري الحديث متأخرة نسبياً، عن السمات الأخرى في النيل والصحراء. وخلافاً لتعذر العثور على الدليل المباشر عليها،فإن النبات أكثر حساسية تجاه التحولات المناخية من الحيوان، بحكم مقدرة الأخير على الحركة، وقابليته للتكيف مع ظروف الجفاف. وقد حفلت مواقع الصحراء بالكثير من أدوات الطحن، ما يشير إلى مرحلة من الاستغلال المكثف للنبات في الفترات المطيرة، دون القفز به إلى مرحلة الزراعة.

٩- على الرغم من الظروف البيئية، وطرق التكيف المتشابهة على ضفاف النيل، إلاأن هناك اختلافات هائلة بين حضارات العصر الحجري الحديث النيلية، المتعاصرة منها وشبه المتعاصرة، ما يعكس ضعف الاتصال بينها، من ناحية، وجواز اختلاف جذورها الصحراوية، من ناحية أخرى. يبرز ذلك عند مقارنة حضارات: مرمدة والفيوم والبداري ودبيرة والخرطوم، مثلاً. إن هذه الاختلافات لا تدعم فكرة الانتشار أو الهجرة من الشمال إلى الجنوب، خاصة أن حضارات الجنوب، (البدارى مثلاً)، أكثر تطورًا من رصيفاتها الشمالية المعاصرة.

١٠- هناك توافق زمني بين بداية فترة الجفاف الأخيرة في الصحراء، ووصول سمات صحراوية إلى النيل. فقد سادت آخر مراحل العصر الحجري الحديث في الصحراء خلال الألف السادس ق.ح.، نزحت بعدها

الجماعات الصحراوية بشكل تدريجي إلى المناطق المجاورة. ففخار البداري المصقول، ذو اللون الأحمر والأسود، عرفته المواقع الصحراوية المتأخرة في نبتة. وكذلك، أنواع فخار أخرى في حضارتي دبيرة وعبكة، خلافًا لما جادت به نبتة على مجتمعات ما قبل الأسرات من بنية، وضعت المجتمعات النيلية على عتبة المدنية.

١١- إن التحولات الحضارية، التي شهدتها منطقة النيل وشرق الصحراء خلال حقب العصور الحجرية، مرتبطة، إلى درجة ما، بظروف بيئية متقلبة بين الرطوبة والجفاف خلال تلك الحقب، قادت، في الكثير من الأحيان، إلى امتزاج ثقافي سكاني بين الجماعات المحلية على النيل، والجماعات الوافدة من الصحراء، تولدت عنها حضارة هجين، جمعت بين شرائح الاقتصاد والتقنية والمعتقدات والعمارة وخلافها. وقد كانت الجماعات الصحراوية هي صاحبة الريادة في تلك التحولات، بحكم أنها عاشت في منطقة أكثر حساسية للتحولات البيئية، كما كانت أكثر قابلية للتكيف. ولعل هذا الوضع، فيما نظن، يقدم تفسيرًا، مؤقتاً، على الأقل، لظاهرة التحولات الحضارية المفاجئة للحضارات النيلية، وإرساء قاعدة الدولة عند فجر التاريخ في وادي النيل.

د. العباس سيد أحمد محمد علي: قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود، ص. ب: ٢٤٥٦ - الرياض ١١٤٥١ - المملكة العربية السعودية.

هامش:

يتقدم الباحث بالشكر لكل من الدكتور يوسف مختار الأمين، والأستاذ الدكتور عبد القادر محمود عبد الله، على ما أبدياه من ملاحظات أثرت بعض جوانب هذا البحث.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

الأمين، يوسف مختار، ١٤٢٢هـ "العصور الحجرية في وادي النيل" **العصور**، ١٢، ص ٧ - ٣٣.

ثانياً: المراجع غير العربية:

Adamson, A., Gilleopie, R. and Williams, M. 1982. "Palaeogeography of the Gezira and of the Lower Blue and White Nile Valleys", in M. Williams and A. Adamson (eds), p. 165-219.

Arkell, A. 1949a. **The Old Stone Age in the Anglo-Egyptian Sudan**, S.A.S., Khartoum.

Arkell, A. 1949b. **Early Khartoum**, Oxford University Press, Oxford.

Arkell,A. 1953. **Shaheinah**, Oxford University Press, Oxford.

Arkell, A. 1975. **The Prehistory of the Nile Valley**, E. Brill, Leiden.

Butzer, K. 1971. **Envionment and Archaecology**, Aldine, Chicago.

Butzer, K. 1976. **Early Hydraulic Civilization in Egypt**, University of Chicago Press, Chicago.

Butzer, K. and Hansen, C. 1968. **Desert and River in Nubia**, University of Wisconsin Press, Madison.

Camps, G. 1975. "The Prehistoric cultures of North Africa: Radiocarbon Chronology". In: Wendorf, F. and Marks, A. (eds) **Problems in Prehistory: North Africa and the Levant**, S.M.U. Press, Dallas, p. 181-192.

Caton-Thompson G. and Gardner, E. 1934. **The Desert Fayum**, R.A.I. G.B.I. London.

Chmielewski, W. 1968. "Early and Middle Palaeolithic sites near Arkin "in Wendorf, F. (ed.) p.110-147.

Clark, J. 1989. "Shabona: an Early Khartoum settlement on the White Nile "in Krzyzaniak and Kobusiewiez (eds), p. 387-410.

Close, A. 1984. "Current Research and Recent Radiocarbon Dates from Northern Africa", **Jour. of African History**, 25, p. 1-24,

Close, A. 1987. **Prehistory of Arid North Africa**, S.M.U. Press, Dallas.

Close, A. and Wendorf, F. 1989. "North Africa at 18000 B.P.". In: C. Gamble and Soffer, O. (eds.), **The World at 18000 B.P.**, Unwin Hyman, London, p. 42-57.

Daniel, G. 1981. **A Short History of Archaeology**, Thomas and Hudson, New York.

DeWit, H. 1993. "The evolution of the eastern Nile Delta as a factor in the development of human culture" in Kryzaniak et. al. (eds.). p. 305-320.

Elamin, Y. M. 1981. **Later Pleistocene Cultural Adaptations in the Sudanese Nubia**, B. A. R. Oxford.

Elamin, Y. M. 1987 "The later Palaeolittic in Sudan in the light of new data from the Atbara". In: Hagg, T. (ed.) **Nubian Cultures Past and Present**, Kungl, Stockholm, p. 33- 46.

Gabriel, B. 1976. "Neolithische steinplatze und Palaeokologie in den Ebenen der ostlichen Zentral-Sahara" **Paleoecology of Africa**, IX, p. 25-40.

Gabriel, B. 1984. "Great plains and mountain areas as habitats for Neolithic man in the Sahara" in Krzyzaniak and Kobusiewicz (eds), p. 391-398.

Gabriel, B. 1986. "Paleoecological evidence from neolithic fire places in the Sahara", a paper read in a conference in honour of J. Desmond Clark, April 12-16th 1986.

Gabriel, B. and Kropelin, S. 1984. "Holocene lake deposits in north western Sudan", **Paleoecology of Africa**, vol. 16, p. 295-299.

Gabriel, B., Kropelin, S., Richter, J., Gziesla, E. 1985. "Parabeldunen am Wadi Howar" Geowissenchaften in unserer Zeit, 4, p. 105-12.

Gautier, A. 1993. "The faunal spectrum of the Middle Palaeolithic in Bir Tarfawi, western desert of Egypt." in Krzyzaniak et al. (eds). P. 123-127.

Grove, A.T., 1993. "Africa's climate in the Holocene". In: Shaw et al. (eds.) **The Archaeology of Africa**, Routledge, London.

Guichard, J. and Guichard, G. 1965. "The Early and Middle Palaeolithic of Nubia". In: Wendorf, F. (ed.) **Contribution to the Prehistory of Nubia**, S. M. U. Press, Dallah, p. 57-116.

Guichard, J. and Guichard, G. 1968. "Contributions fo the Study of the Early and Middle Palaeolithic of Nubia" in Wendorf, F. (ed.), p. 148-193.

Haaland, R. 1984. "Continuity and discontinuity", **Norwegian Archaeological Review**, 17, p. 39-51.

Haaland, R. and Abdulmagid, A. 1995. **Aqualithic Sites along the Rivers Nile and Atbara, Sudan,** Alma Mater, Borgen.

Hassan, F. 1974. **The Archaeology of the Dishna Plain, Egypt,** The Geological Survey of Egypt, Cairo.

Hassan, F. 1976. "Prehistoric studies of the Siwa oasis region, northwestern Egypt", **Nyami Akuma**, No. 9, p. 18-34.

Hassan, F. 1978. "Archaeological explorations of the Siwa oasis region", **Current Anthropology**, 19, p. 146-148.

Hassan, F. 1980. "Prehistoric settlements along the Main Nile". In: Williams, M. and Faure, H. (eds), **The Sahara and the Nile**, Balkema Rotterdam.

Hassan, F. 1985. "Radiocarbon chronology of Neolithic and Predynastic Sites in Upper Egypt and the Delta", **The African Archaeological Review,** 3: 95-116.

Hassan, F. 1986. "Holocene lakes and Prehistoric settlements of western Fayum, Egypt", **Jour. of Archaeological Science**, 13: 483-501.

Haynes, C., Mehringer, P., Zaghloul, S. 1979. "Pluvial lakes of northwestern Sudan" **Geog. Journal**, 145: 437-445.

Haynes, V. 1987. "Holocene migration rates of Sudano-Sahelian wetting front, Arabian Desert Eastern Sahara" in A. Close (ed), p. 69-84.

Jesse, F. 2000. "Early Khartoum ceramics in the Wadi Howar, Northeastern Sudan" in Krzyzaniak et al. (eds) p. 77-87.

Keding, B. 1993 "Leiterband sites in the Wadi Howar, Northern Sudan" in Krzyzaniak et. al. (ed), p. 371- 386.

Keding, B. 2000. "New data on the Holocene occupation of the Wadi Howar region, Eastern Sahara, Sudan" in Krzyzaniak et al. (eds), p. 89-104.

Kropelin, S. 1993 "The Gilf Kebir and Lower Wadi Howar..." in Krzyzaniak et. al. (eds), p. 249- 258.

Krzyzaniak, L. and Kobusiewicz, M. (eds) 1984. **Origin and Early Development of Food-Producing Cultures in Northeast Africa**, poznan.

Krzyzaniak, L. and Kobusiewicz, M. (eds) 1989. **Late Prehistory of the Nile Valley and the Sahara**, Pznan.

Krzyzaniak, L., Kobusiewicz, M., Alexander, J. (eds), 1993. **Environmental Change and Human Culture in the Nile Basin and Northern Africa until the 2nd Mill. B.C.**, Poznan.

Krzyzaniak, L., Kobusiewicz, M., Kroeper, K. (eds), 1996. **Interregional Contadcts in the Later Prehistory of Northeastern Africa**, Poznan.

Krzyzaniak, L., Kobusiewicz, M., Kroeper, K., (eds) 2000. **Recent Research into the Stone Age of Northeastern Africa**, Poznan.

Kuper, R. 1993. "Environmental change and cultural development in the Abu Ballas area" in Krzyzaniak et al. (eds), p. 213-223.

Kuper, R. 1995. "Prehistoric research in the southern Libyan desert: A brief account and some conclusions of the B.O.S. Project", **The 8th Conference for Nubian Studies**, Lille, p. 123-140.

Lubell, D., 1974. **The Fakhurian**, The Geological Survey of Egypt, Cairo.

Maley, J. 1977. "Paleoclimates of Central Sahara during the early Holocene", **Nature** 269: 573-578.

Marks, A. 1968. "The Moustrian industries of Nbia" in

Wendorf (ed.) p. 194- 314.

Marks, A. and Mohammed-Ali, A. 1991. **The Late Prehistory of the Eastern Sahel**, S.M.U., Dallas.

Marks, A., Mohammed-Ali, A., Fattovich, R. 1986. "The Archaeology of the Eastern Sudan", **Archaeology**, 39: 44-50.

McDonald, M. 1996. "Relations between Dakhleh Oasis and the Nile in the Mid-Holocene: A Discussion" in Krzyzaniak et al. (eds.) p. 93-99.

McHugh, W. 1975. "Some archaeological results of the Bagnold-Mond expedition to the Gilf Kebir and Gebel Uweinat, southern Libran desert ", **Journal of Near Eastern Studies**, 34: 31-62.

McKim, M., Wendorf, F. Mazar, A. Schild, R. 1998. "Megaliths and Neolithic astronomy in southern Egypt", **Nature**, 392: 488-491.

Mohammed- Ali, A. and Khabir, A. "The wavy line and the dotted wavy Line pottery in the prehistory of the Nile and the Sahara- Sahel belt", **African A rchaeological Review**, in press.

Mohammed- Ali, A. 1982. **The Neolithic Period in the Sudan: 6000-2500 B.C**. B. A. R., Oxford.

Mohammed- Ali, A. and Jaeger, S. 1987. "Early ceramic assemblages of the eastern Sudan: a re- evaluation of the Khartoum Horizon Style", **Ages,** 2: 54- 59.

Neumann, K., 1993. "Holocene vegetaiton of the Eastern Sahara", in Krzyzaniak and Kobusiewicz (eds.) p. 153-169.

Nordstrom, H. 1972. **Neolithic and A. Group Sites**, Scandinavian University Books, Stockholm.

Pachur, H. and Kropelin, S. 1987. "Wadi Howar: Paleoclimatic Evidence from an extinct river system in southeastern Sahara", **Science**, 237: 298-300.

Pawlikowski, M. 1993. "Mineralogy of Nile Valley sediments as indicator of change of climate". in Krzyzaniak et. al., p. 355- 357.

Petit-Maire, N. 1988. "Climatic changes and Man in the Sahara". In: Bower, J. and Lubell, D. (eds), **Prehistoric Cultures and Environment in the Late Quaternary of Africa**, B.A.R. Oxford, p. 19-42.

Phillips, J. 1973. **Two Final Paleotithic Sites in the Nile Valley and thien Exlernal Relations,** The Geological Survey Egypt, Cairo.

Reisner, G. 1923. **Excavations at Kerma**, H.A.S., Cambridge, Mass.

Sadr, K. 1991. **The Development of Nomadism in Ancient Northeast Africa**, Univ. of Penn. Press, Philadelphia.

Schild, R. and Wendorf, F. 2001. "Geoarchaeology of the Holocene", **Geoarchaeology**, Vol. 16, No. 1: 7-28.

Schon, W. 1996. "The Late Neolithic of Gilf Kebir: evolution and relations" in Krzyazniak et al. (eds.) p. 115-120.

Schuck, W. 1993. "An archaeological survey of the selima Sandsheet, Sudan" in Krzyzaniak et al. (eds), p. 235-248.

Servant, M. and Servant, S. 1972. "Nouvelles donnees pour une interpretation paleoclimatique de series continentals du Basin Tchadien", **Palaeoecology of Africa**, vol. 6: 87-92.

Shiner, J. 1968a. "The Cataract Tradiction" in Wendorf (ed), p. 535-629.

Shiner, J. 1968b. "The Khartoum Variant Industry" in Wendorf. (ed.) p. 786-790.

Shiner, J., Marks, A., Chemielewski, V., de Heinzelin, J. and Hays, T., 1971. **The Prehistory and Geology of Northern Sudan**, a report for N. S. F. Dallas.

Trigger, B. 1989. **Ahistory of Archaeological Thought**, Cambridge University Press, Cambridge.

Wasylikowa, K., Milka, J., Wendorf, F., Schild, R. 1997. "Exploitation of wild plants by the Early Neolithic hunder-gatherers of the Western desert, Egypt: Nabta Playa as a case study", **Antiquity**, 71(274), p. 932-941.

Wendorf, F. 1968. **The Prehistory of Nubia**, S. M. U. Dallas.

Wendorf, F. and Schild, R. 1976. **Prehistory of the Nile Valley**, Academic Press, New York.

Wendorf, F. and Schild, R. 1980. **Prehistory of the Eastern Sahara**, Academic Press, New York.

Wendorf, F. and Schild, R. 1984. **Cattle- Keepers of the Eastern Sahara**, S. M. U. dallas.

Wendorf, F. and Schild, R. 1989, **The Prehistory of Wadi Kubbaniya,** S.M.U., Dallas.

Wendorf, F. and Schild, R. 1996. "The Middle Palaeolithic settlements system in the Eastern Sahara". In: Conard, N. et al. (ed.) **Middle Palaeolithic and Middle Stone Age Settlement Systems**. U.I.S.P. XIII Congress, Forli-Italia, p. 305-312.

Wendorf, F. and Schild, R. 1998. "Nabta Playa and its role in northeastern African Prehistory", **Journal of Anthropological Archaeology**, 17, p. 97-123.

Wendorf, F., Said, R. and Schild, R. 1970. "Egyptian Prehistory: some new concepts" **Science** 169: 1161-1171.

Wendorf, F., Schild, R., Applegate, A., Gautier, A. 1997. "Tumuli, cattle burials and society in the eastern Sahara", **Proceedings of the Forum for African Archaeology**, p. 90-104.

Wendorf, F., Schild, R., Close, A. 1993. "Middle Palaeolithic occupations at Bir Tarfawi and Bir Sahara east, Western desert of Egypt" in Krzyzaniak et al. (eds). P. 103-111.

Wendorf, F.; Close, A.; Schild, R. 1991. "Libyan Desert" a paper read in the Symposium for Palaeoenvironment and Prehistoric Population of the Sahara in the Upper Pleistocene, Solignac, France 13-15 June.

Wickens, G. 1982. "Palaeobotanical speculations and Quaternary environments in the Sudan" in M. Williams and Adamson (eds) p. 23-50.

Willey, G. and Sabloff, J. 1974. **A History of American Archaeology**, Freeman and Company, San Francisco.

William, M. and Adamson, A. 1974. "Late Pleistocene desiccation along the White Nile", **Nature**, 248: 584-6.

Williams, M. and Adamson, A. (eds) 1982. **A Land between Two Niles**, Balkema, Rotterdam.

Yellen. J. 1977. **Archaeological Approaches to the Present Models for Reconstructing the Past**, Academic Press, London.

علاقات شمال إفريقيا بالصحراء الكبرى وجنوب جزيرة العرب خلال العصور القديمة: الحيوانات المتوجة نموذجا

عفراء محمد الخطيب

ملخص: تتناول هذه الدراسة مقارنة بين رسوم ونقوش صخرية، من منطقة المغرب القديم (المغرب والجزائر وتونس وليبيا)، والصحراء الكبرى، والجزيرة العربية، وبشكل خاص جنوبها، الذي كان معبراً للهجرات من وإلى إفريقيا. وبادرنا بهذه المقارنة بعد أن وجدنا تشابهاً بينها في طريقة تصوير بعض الحيوانات، خاصة التي تحمل بين قرونها قرصاً، أو أن القرون تأخذ شكلا دائريا بالتقاء القرنين. ذلك الشكل الدائري أو القرص، الذي يرى غالبية الباحثين أنه يمثل قرص الشمس. ما دفع بنا إلى البحث عن مكانة هذه الحيوانات (الثور والكبش والوعل) ومدلول القرص والقرون، عند إنسان هذه المناطق. وقد دفعنا ذلك إلى البحث عن هذه الظاهرة في بلاد الرافدين، حيث توجد بشكل أوضح ضمن "الثالوث الكوكبي المقدس": القمر والشمس والزهرة، الذي رمُز إليه بالهلال والقرص والنجمة. وكان يصور قرص الشمس، في أغلب الأحيان، داخل هلال القمر، وهو الشكل نفسه الذي يوجد على الرسوم والنقوش الصخرية. وقد قادنا ذلك إلى طرح عدة فرضيات وتساؤلات، منها مثلاً: هل تم التوصل إلى تأليه وعبادة هذه الحيوانات وهذه الآلهة - الكواكب، والإشارة إليها بالرموز نفسها، وبالطريقة ذاتها محلياً؟ أم أنها نتيجة التفاعلات والتأثيرات بين المجموعات البشرية التي كانت تتنقل وتهاجر طيلة العصور القديمة ؟

***Abstract**. This paper presents a compatative study between rocky drawings and carvings of ancient Maghreb (present Morocco, Algeria, Tunisia and Libya), the Great Sahara and Arabian Penninsula, especially its southern part which was a passage of immigration from and into Africa. We took the initiative to make such comparison after we have found out that there is a similarity in the drawing of some horned animals in these places. In fact, their horns were drawn either in a spherical shape; i.e. the tips of the two horns almost in touch, or carrying a disk between them. Most of the researchers believe that this disk represents the disk of the Sun. This has urged us to try to look for the significance of these animals (Taurus, Sheep and Antelope), the disk and the horns in these drawings. On the other hand, we tried to look at these same drawings in Mesopotamia where they figure out clearly in the Divine Asral Triad (the Moon, the Sun and Venus) which was represented respectively by the Crescent, the Disk and the Star. Most of the time the disk of the Sun was drawn inside the crescent of the Moon; the same picture is to be found in these rocky drawings and carvings. Thus, in our research, we raised many questions and hypotheses such as: were these animals and these planets worshiped and represented in the same way and by the same signs locally? Or whether it had been the result of the interaction and influence betweem human groups who used to move and migrate all throughout the ancient times?*

مقدمة

من المؤكد أن الصحراء الكبرى ما تزال تحتفظ بالكثير من أسرار نشأة حضاراتها؛ إذ لم يُكشف بعد من آثار سكانها القدماء إلا القليل. وهذا يعني أن الإشارات الخاصة بعلاقاتها مع المناطق المجاورة خلال العصور القديمة قليلة، ولا يمكن التعرّف عليها إلا بتلقطها من خلال المدافن، وأساليب الدّفن، والرسوم والنقوش الصخرية، التي تشكّل أعرق الإسهامات الفنية، لإنسان عصور ما قبل التاريخ؛ ولكنها صامتة ولا تحتوي على أي نص مكتوب. ما يُحتم بدوره ضرورة الاستعانة بالحضارات المدونة في وادي النيل، وبلاد الرافدين، والهلال

العدد السابع ذو القعدة ١٤٢٣هـ - يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٣م
(ص ص ٣١ - ٤٦) ردمد ٨٩٤٧-١٣١٩

الخصيب، لفهم بعض الرموز، خاصة منها التي تتكرر وتتشابه، إلى درجة تدعو إلى المقارنة فيما بينها. أما المقارنة بين مخلفات الصحراء الكبرى والحضارات المجاورة، فهي مقبولة ويمكن الاعتماد عليها، لأنها تستند إلى حقيقة تاريخية مهمة، وهي أن الصحراء الكبرى كانت أثناء المراحل الرطبة مسرحاً لتحركات وتنقلات وهجرات بشرية متتالية، حملت معها مكوناتها الحضارية، وأمّنت بذلك التواصل الفاعل، والتأثير والتأثر بين مختلف المناطق.

انتشار الحيوانات "المتوّجة"

إن أحد المجالات، التي تقدم مادة أثرية قابلة للمقارنة هي الرسوم والنقوش الصخرية، التي تستمر زمنيا آلاف السنين، وتعد مصدراً غنياً بالمعلومات عن حياة الانسان، وتفاعله مع البيئة المحيطة به. فهي تصور تفاصيل مهمة عن مختلف المجموعات الثقافية، وعن حياتهم اليومية، من صيد ورعي، واستعمال العربات، وملابس، وسلاح، ونشاطات اجتماعية وعقائدية، (مثل الدين والسحر والنظرة إلى الحياة والموت...). الأمر الذي يسمح بطرح بعض الافتراضات والاستنتاجات، عن التّحولات المناخية والتحركات البشرية، التي حدثت في مواقع انتشارها على مر العصور. لذلك، يمكن القول إنها تشكل "كتاباً مصوراً"، يوثّق تاريخ تجارب الانسان في العصور القديمة.

ويلاحظ من خلال دراسة الرسوم والنقوش الصخرية في الصحراء الكبرى، أن هناك تكراراً غريباً للأكباش والثيران، التي تحمل على رأسها شكلاً كروياً (الشكلان: ١ و٢). وقد عرف هذا النوع من الحيوانات، انتشاراً واسعاً، في منطقة المغرب القديم (المغرب والجزائر وتونس وليبيا) (Germain G. 1948; Camps G. 1991)، وموريطانيا (Vernet R. 1993)، والهكار، وتاسيلي، وفزان وتبيستي والعوينات (Muzzolini A. 1983 ; Tschudi Y. 1956; Huard P. 1961)، أي من أقصى غرب الصحراء الكبرى إلى أقصى شرقها (الخريطة رقم١). هذا بالإضافة إلى أراضي الحبشة والصومال (Baillaud G., 1954, Joussaume R., 1977)، والجزيرة العربية (أبو العيون بركات ١٩٨٧؛ مجيد خان ١٩٩٣؛ Anati E. 1974). (الخريطة ٢) و (الشكلان: ٣ و٤). إن رسوم ونقوش هذه الحيوانات ترجع في مجملها إلى عصور ما قبل التاريخ، وبشكل خاص إلى العصر الحجري الحديث (بين الألف السابع والألف الثالث قبل الميلاد)، الذي استمر في أقصى غرب الصحراء الكبرى حتى النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد.

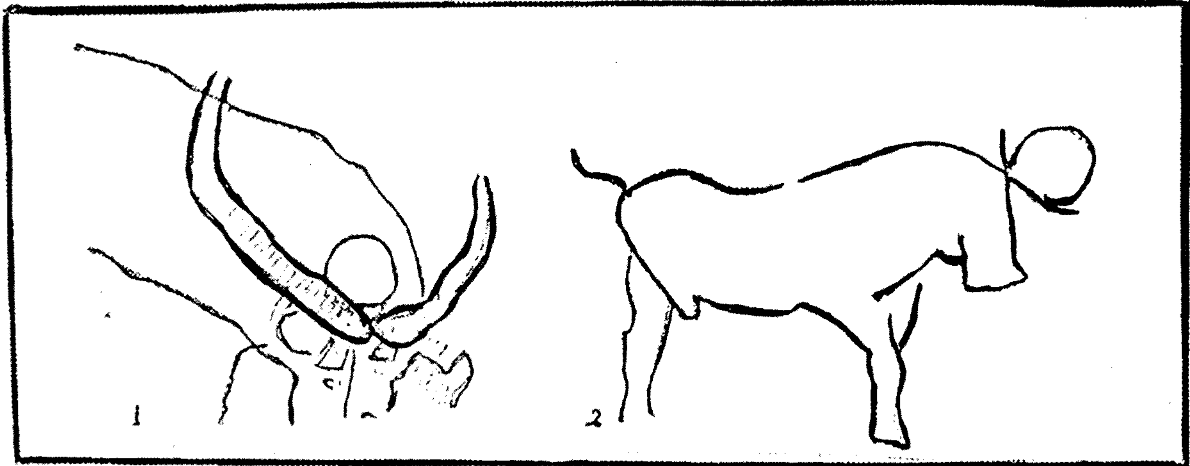
الكبش ذو الهالة

وعلى الرغم من هذا الانتشار، فقد حظي، (دون غيره) في منطقة المغرب القديم، الكبش، الذي يسمى "الكبش ذو الهالة"[1] (Bélier à sphéroïde) (الشكل رقم ٥)، بالكثير من الاهتمامات والدراسات (Camps G., 1991 , Germain G., 1948, Lhote H., 1984)، وطرحت حوله[2] العديد من الفرضيات والتساؤلات، التي منها مثلاً: هل كان متصلا بشعائر دينية خاصة، أم أنه كان مخصصاً للأضحية ؟ وهل كان يمثل معبوداً محلياً، أو أنه كان ذا أصول مصرية ؟ وإلى أي شيء كان يرمز الشكل الكروي، الذي على رأسه ؟

فبينما رأى كامبس (Camps G., 1991: 1431)، في وجود الشريط المزخرف على رقبة الكبش، وظهور رسم إنسان أمامه (في بعض اللوحات)، دليلين كافيين لتصنيفه ضمن الحيوانات المخصصة للأضحية، رأت فئة أخرى من الباحثين، أن هذا الحيوان كان ينتمي إلى المعبودات، إذ يظهر إلى جانب الثيران في عدد من مقابر عصور ما قبل التاريخ. فضلاً عن أن ممارسة عبادة الحيوانات (Zoolâterie)، كانت معروفة منذ أقدم العصور، في المنطقة الممتدة من جنوبي المغرب حتى النوبة، مرورا بفزان (Germain G., 1948:94-101). وكان السكان يرسمون وينقشون الحيوانات - المعبودات، من أجل ضمان وجودها الدائم بينهم. أما الرجل، الذي يظهر في بعض الأحيان أمام الكبش (وكذلك أمام الثور)، ممثلا براحة يد مرفوعة وموجهة إلى الأمام، فيبدو أن حركته هذه كانت لها علاقة بالتعبد، ومرتبطة بالمعبود الموجود معه، سواء الكبش أم الثور (Decret F., Fantar M., 1981:253-254).

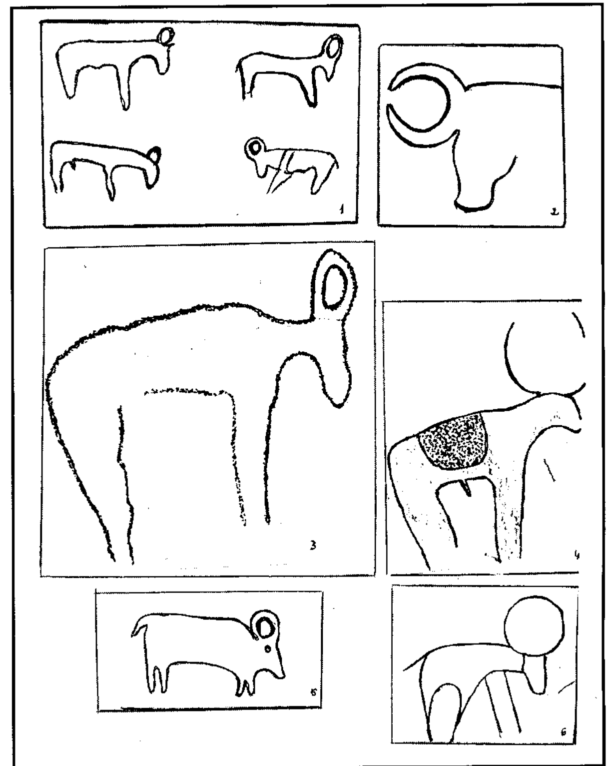
أصل الكبش ذي الهالة

اعتقد بعض الباحثين أن "الكبش ذي الهالة"، هو الإله المصري نفسه، الذي عُبد كإله لـ"آمون"، في مدينة طيبة وواحة



الشكل ١: حيوانات متوّجة: (1- نقش من الجزائر، 2- نقش من مصر قبل الاسرات [L. Frobenius 1933]).

سيوا، على شكل كبش، والذي امتزج فيما بعد مع الإله "رع". وأنه ظل يُعبد في منطقة المغرب القديم في شكله البدائي، على شكل كبش؛ لأن حضارة سكان المنطقة ظلت نسبياً متأخرة. واعتقد أيضا، أن الكبش نفسه هو الذي اقرض قرونة، في مراحل لاحقة، إلى الإله "بعل حمون"، في المغرب القديم (Germain G. 1948: 107; Decret F., Fan-



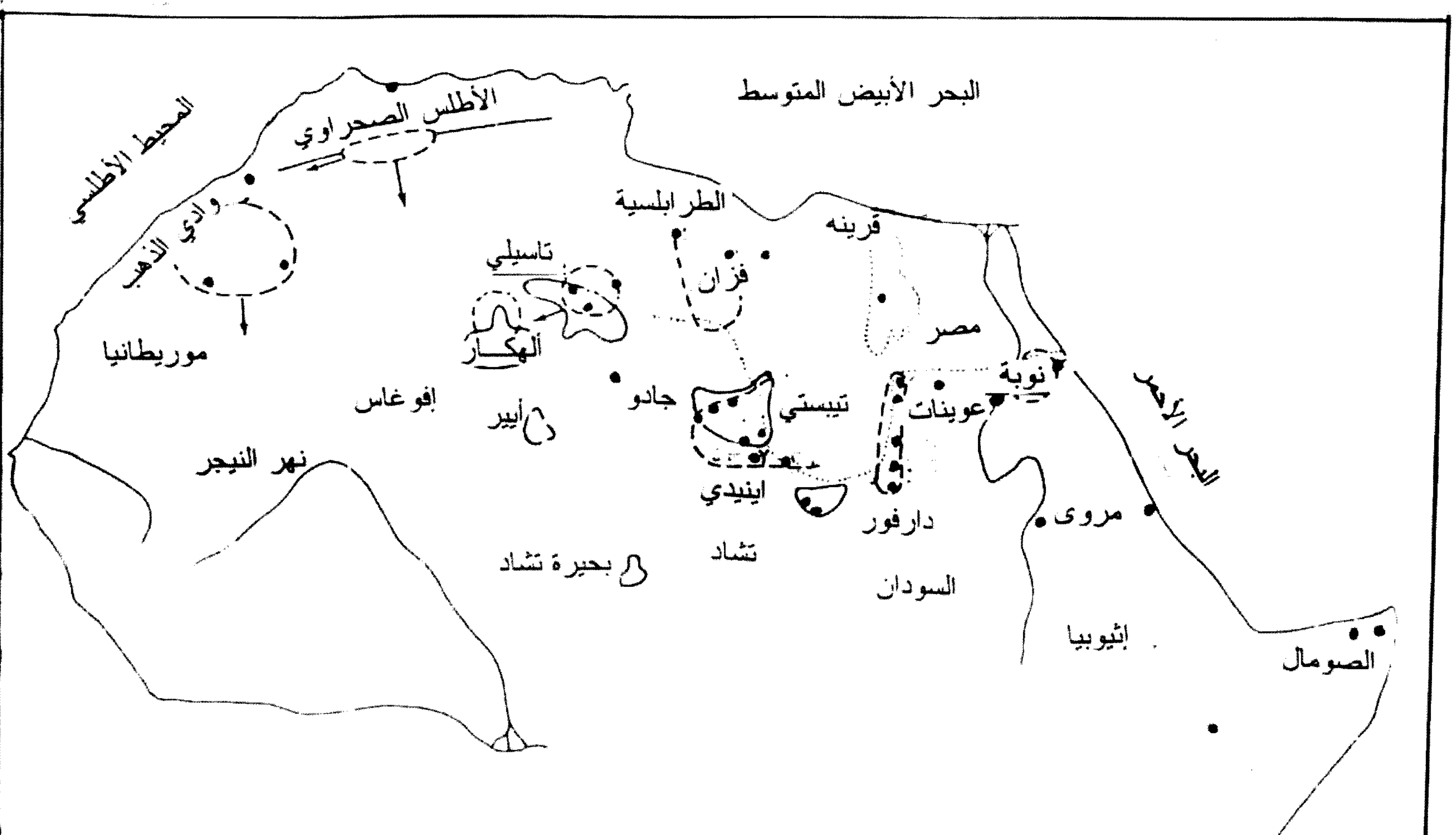
الشكل ٢: رسوم ونقوش من الصحراء الكبرى تظهر الاهتمام بقرون الحيوانات: (1: كامبس ١٩٩١ ؛ 2-4: هنري لوت ١٩٨٤؛ 5: بازما ١٩٧٣؛ 6: كامبس ١٩٩١).

tar M. 1981: 260.)؛ ولكن اليوم، بعد أن أثبتت الدراسات الحديثة انتماء نقوش شمال إفريقيا ورسومها إلى أوائل العصر الحجري الحديث، أي أنها أقدم من انتشار عبادة "آمون" في مصر بحوالي ثلاثة آلاف سنة (Camps G. 1991: 1419)، يمكن القول إن "الكبش ذا الهالة" لا علاقة له بالإله المصري "آمون رع". إضافة إلى أن الرسوم والنقوش الصخرية، التي وجدت في ليبيا، تصور "الثيران والأكباش ذات الهالة"، ترجع إلى ما بين الألف السادسة والخامسة (٦٠٠٠-٥٠٠٠)، قبل الميلاد، أي إلى عهد أبعد بكثير من عهد الأسرات (بازما ١٩٧٣).

الشكل الكروي

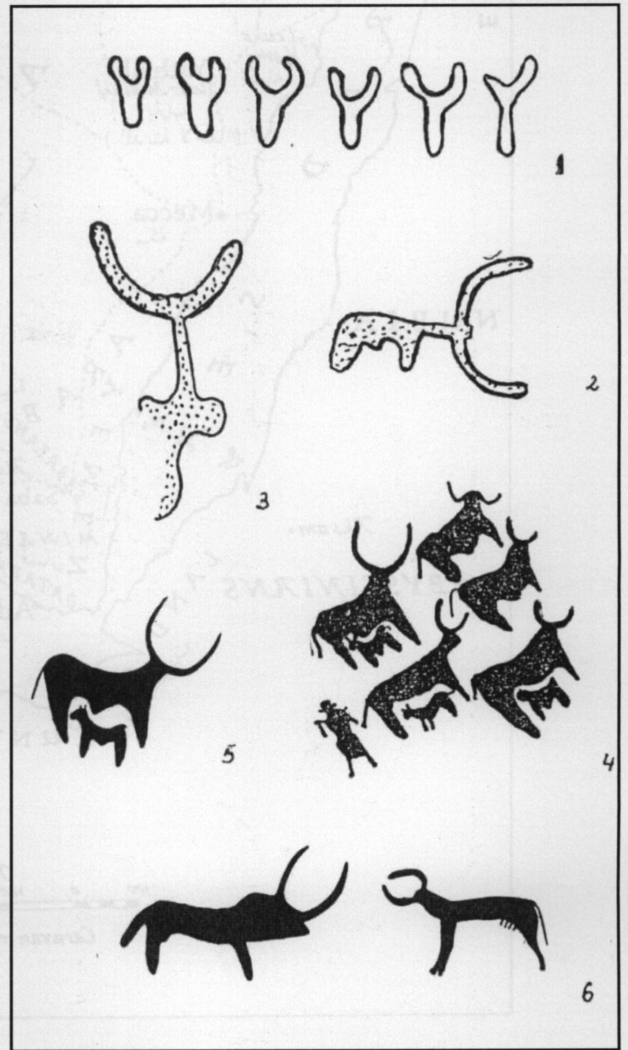
اختلفت الآراء، كذلك، حول الشكل الكروي (La sphé-roïde)، الذي يحمله الكبش على رأسه؛ فرأى كامبس (Camps G., 1991: 1423-1425) أن هذا الشكل كان يمثل خوذة، أو قلنسوة من الجلد. أما جرمان (Germain G., 1948: 97)، فيشير إلى أن الاختلافات في الأشكال المرسومة، أو المنقوشة، فوق رأس الكبش (وكذلك الثور) ترجع إلى اختلاف الأشخاص، الذين تعاملوا مع المادة، أي الفنانين، وأن الهدف في جوهره كان دائماً واحداً، هو إبراز الشكل الكروي، أو القرص، الذي كان لا يوضع إلا على رؤوس الحيوانات المقدسة، مثل الأكباش والثيران.

كما أقرّت فئة أخرى من الباحثين، أن الشكل الكروي (La

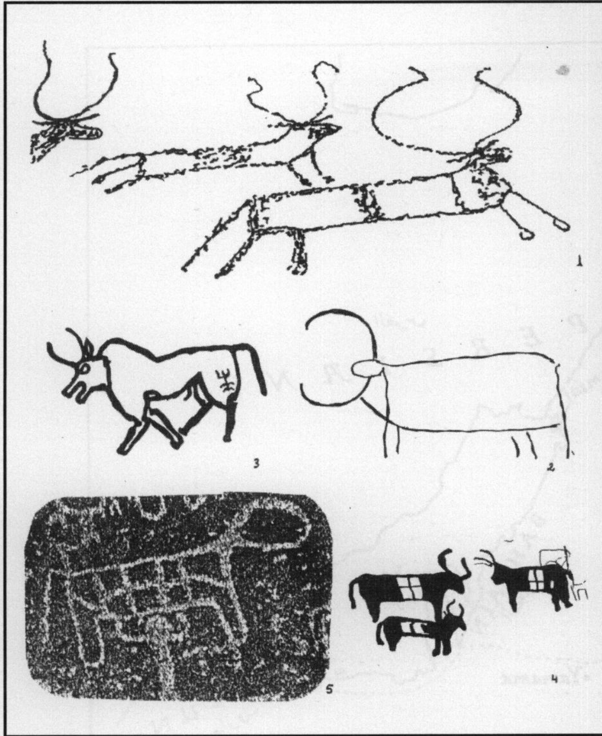


خريطة رقم ١ : مواقع انتشار الحيوانات "المتوجة"

spheroïde) يمثل قرصا، وأنه يرمز إلى أحد الكواكب. وهنا اختلفت الآراء وسادت الحيرة: هل يتعلق الأمر بكوكب الشمس؟ أم بكوكب القمر؟ فيقول ل. فروبينيوس (.Frobenius L 1933: 202-204, fig. 26). "... إن الشكل الذي يوجد بين قرون الحيوان، هو دون شك، رمز كوكبي؛ ولكن هل هو رمز الشمس أم رمز القمر؟". وفي الموضوع نفسه يقول محمد مصطفى بازاما (بازاما ١٩٧٣: ٢٣٥) "...لقد عثر على رسوم ونقوش لبقرات وثيران في مناطق عدة في الصحراء الليبية، تحمل بين قرونها دائرة لعلها ترمز إلى قرص الشمس، وإن جهلنا نحن الكيفية، التي تم بها الربط بين الشمس وهذه الحيوانات...".



الشكل ٣: رسوم ونقوش من الحبشة: (1-4 : [G. Baillaud 1954]، 6-5 : [R. Joussaume 1977]).



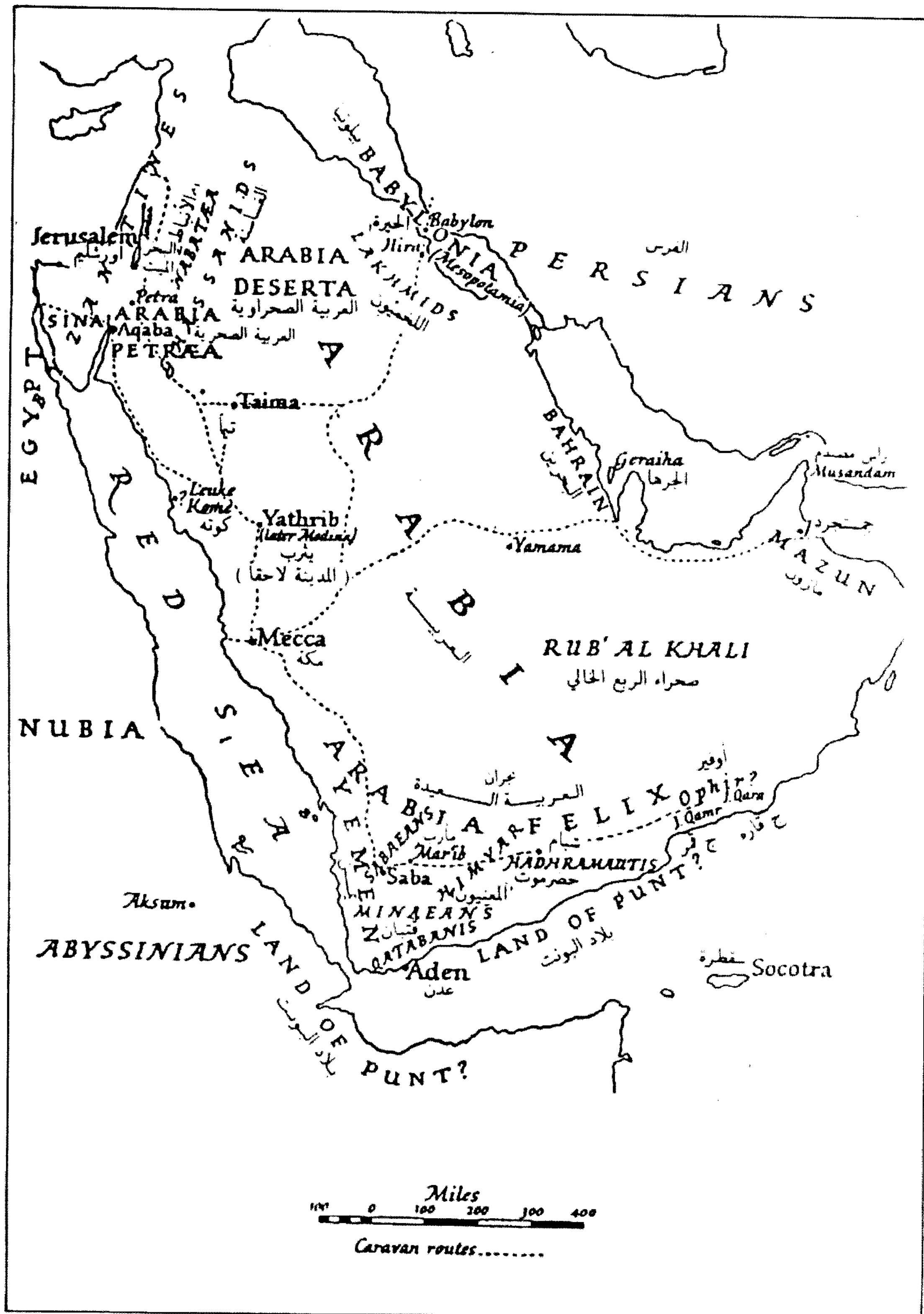
الشكل ٤: رسوم ونقوش من الجزيرة العربية:
(1-2: خان ١٩٩٣)، (3-4 : Anati 1974)، (5 : الأنصاري ٢٠٠٢).

الحيوانات الأخرى ذوات الهالة

هذا بالنسبة للكبش في منطقة المغرب القديم، ولكن ماذا عن الحيوانات الأخرى (الثور والوعل والكبش)، التي كانت تحمل الشكل الكروي نفسه (أو القرص) على رأسها، وتنتشر في جميع المناطق ،التي سبقت الإشارة إليها؟ وماذا عن مكانة هذه الحيوانات عند إنسان العصور القديمة؟ ولِمَ وضع هذا الشكل الكروي (أو القرص) على رأس هذه الحيوانات، بشكل خاص؟ وما المدلول أو الرمز الذي كان يتضمنه هذا الشكل؟

الثور

ترجع عبادة الثور في أصولها الأولى -كما هو معروف- إلى أقدم العصور. فقد وجد الثور ممثلاً بين أولى الإنتاجات الفنية، التي خطتها يد الإنسان في الكهوف الأوروبية (فرنسا وإسبانيا وإيطاليا) وترجع إلى ما بين ٣٢,٠٠٠ - ١٠,٠٠٠ سنة قبل الميلاد. وبعد هذه الحقبة من التاريخ، عندما قضت التبدلات الجوية على الكثير من أنواع الحيوانات الوحشية



الخريطة ٢: شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام (عدنان تريسي ١٩٩٠).

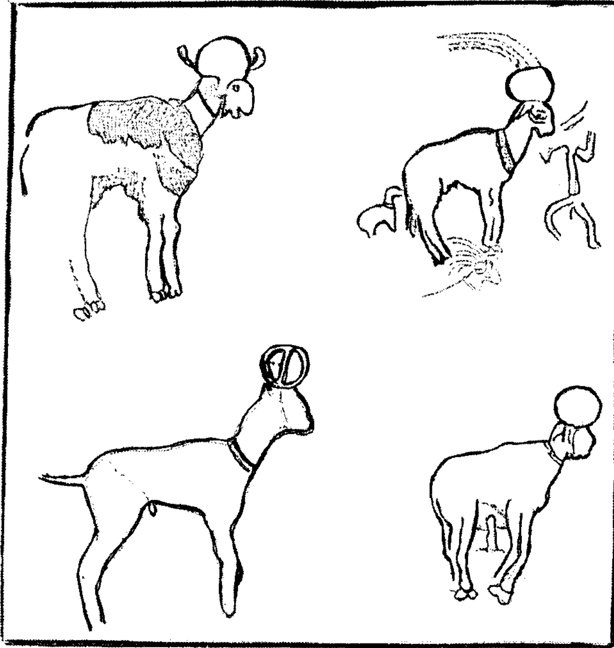
(المفترسة)، ظل الثور ملازماً للإنسان خلال انتقاله من مرحلة الترحال والصيد، إلى مرحلة التدجين والزراعة. فقد استُؤنس الثور (Choffray T. 1984:1664)، وجعلته قواه الإخصابية، أي القدرة على التكاثر والتوالد، نموذجاً للعنصر المذكّر في الطبيعة. وأصبح على مر الزمان الإله - الأب، الذي يقابل الإلهة - الأم، التي كانت تجسد مبدأ الإنتاج والخصوبة (Choffray T. 1984:1665)، فوجدت بعض الرسوم في المعابد الأناضولية (شاطال هويوك - الألف العاشرة قبل الميلاد)، التي تمثّل الإلهة - الأم وهي تلد رأس ثور، أو رأس كبش. ومنذ ذلك الزمان كان لهذين الإلهين، (الإلهة - الأم، والإله - الثور) الهيمنة المطلقة على الفكر الديني في الشرق، أي - في بلاد الرافدين، وأراضي الشام[٣]، ووادي النيل، وجزيرة كريت، والهند (Couvin J. 1994: 46) وانتشرت عبادتهما أثناء العصر الحجري الحديث[٤] وعصر البرونز، إلى أن سيطرت سيطرة تامة على الفكر الديني في حوض البحر الأبيض المتوسط (Choffray T. 1984:1665).

إضافة إلى ذلك، كان الثور مرتبطاً بعالم الكواكب وله علاقة بالقمر، الذي كان بدورته الشهرية يمثل "إيقاع الحياة"، أي كان يرمز إلى الولادة المتجددة والخصوبة والنمو، من ناحية، وإلى التناقص[٥]، أي الموت بشكله المؤقت من ناحية أخرى (Le Quellec J., 1993:194) ويشير ديتلف نيلسن (١٩٥٨: ٢٠٧) إلى أن أحد أسباب اختيار الثور كرمز لإله القمر، هو أن قرنيه يذكران بالهلال.

وتشير الدراسات إلى أن القدرات، التي يتمتع بها الثور، مثل: الفحولة، وقوة التكاثر، والخصوبة، واقترانه بإله القمر، كانت تنطبق كذلك على الوعل (أبو العيون بركات ١٩٨٧)، وعلى الكبش (أحمد أمين سليم ١٩٨٨: ١١١ ؛ .,Cauvin J 1994:146)، وأن بعض الاختلافات، التي توجد في تمثيل هذه الحيوانات، ترجع أصلاً إلى الاختلاف في الزمان والمكان (Le Quellec J., 1994: 193).

أشكال القرون ودلالاتها

إضافة إلى أن هذه الحيوانات (الثور والوعل والكبش)، كانت تجسد العنصر المذكر في الطبيعة، وترمز إلى إله القمر، الإله الأب، فإنه يبدو أن قرونها[٦]، التي شبهت بهلال القمر،

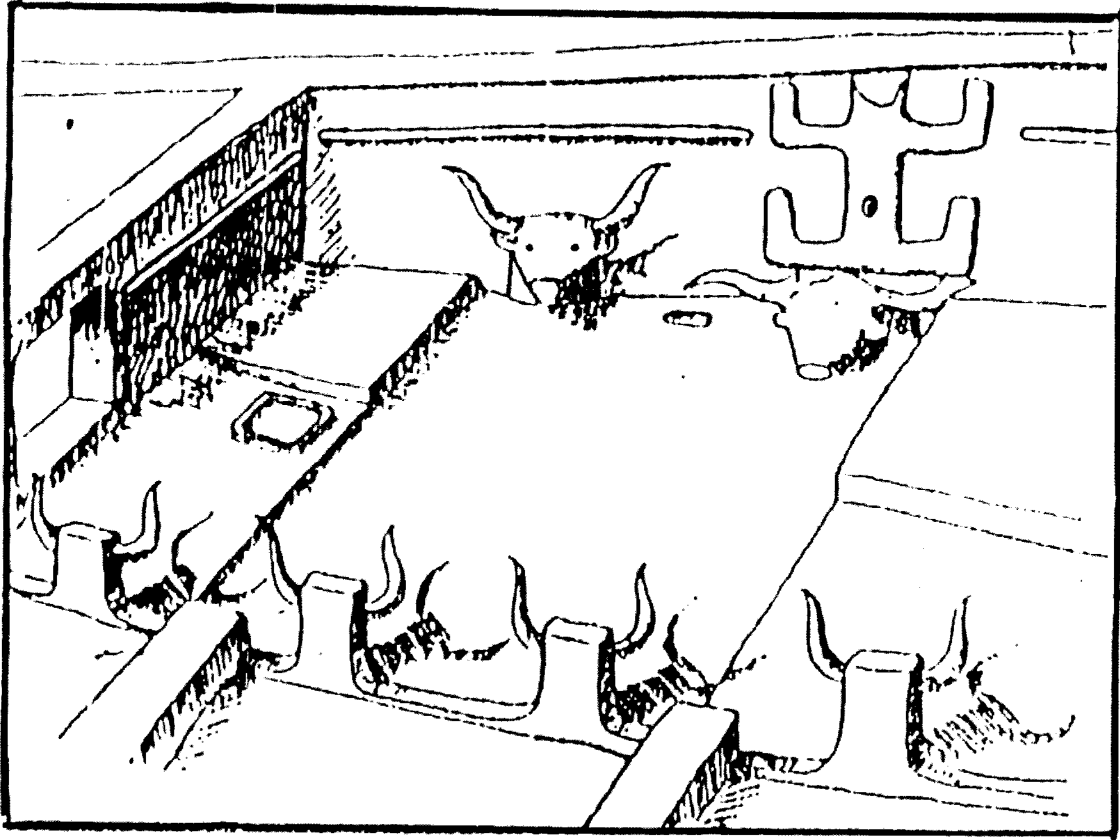


الشكل ٥: أكباش "متوّجة" من جنوب المغرب القديم (شمال إفريقيا)، (كامبس ١٩٩١).

كانت بدورها لها مدلولها الخاص، وترمز إلى القوة وقدرة التوالد (Le Quellec J., 1994:183) لذلك، نجد أن إنسان الأناضول ومنطقة الفرات (الالف العاشرة قبل الميلاد) كان يحرص على دفن القرون في مسكنه، أو يزين بها، بشكلها الطبيعي، رؤوس الثيران المصنوعة من الصلصال (الشكل ٦)، ليضعها فوق المصاطب المستخدمة كمقاعد (رشيد الناضوري، ١٩٧٦: ١٦٤ ؛ Cauvin J. 1994: 46).

ويُستدل من الرسوم والنقوش الصخرية في الصحراء الكبرى، أن القرون في هذه المنطقة كانت، كذلك، مرتبطة بالتوالد والخصوبة، إذ وجدت ممثلة إما بمفردها، أو مع أشكال النساء المعروفة بـ « Les femmes ouvertes» (Le Quellec J., 1993:400-402)، (الشكل ٧).

وكانت القرون تأخذ أشكالا مختلفة: منها ما يشبه القوس (Lyre)، ومنها ما هو نصف دائري، ومنها ما كان يأخذ شكلا دائريا[٧] بالتقاء القرنين (Le Quellec J., 1993:127, 138, 184) (الشكل ٨). ويبدو أن هذه الأنواع من القرون كانت تعد رموزاً مقدسة، ولا تحملها إلا الحيوانات، التي لها علاقة بالقوة والتكاثر والخصوبة، مثل: الثور والوعل



الشكل ٦: رؤوس الثيران فوق المصاطب - موقع شطال هويرك، (P. Levêque 1997).

والكبش (Tschudi Y. 1956: 39-44).

ويتبين من كل ذلك، أن هذه الحيوانات وقرونها كان لها ارتباط وثيق بالفكر الديني، خلال العصور القديمة. أما انتشارها على الرسوم والنقوش الصخرية في شمال إفريقيا والصحراء الكبرى وجنوب الجزيرة العربية (Anati E., 1974)، فيقودنا تلقائيا إلى المقارنة فيما بينها، من ناحية، وبلاد الرافدين، من ناحية أخرى، حيث توجد أرض خصبة للمقارنة مع الحيوانات الممثلة على النقوش والنذور واللوحات التذكارية والآواني الفخارية. ويتبين من خلال دراسة هذه الأشكال الآتي :

الثالوث الكوكبي:

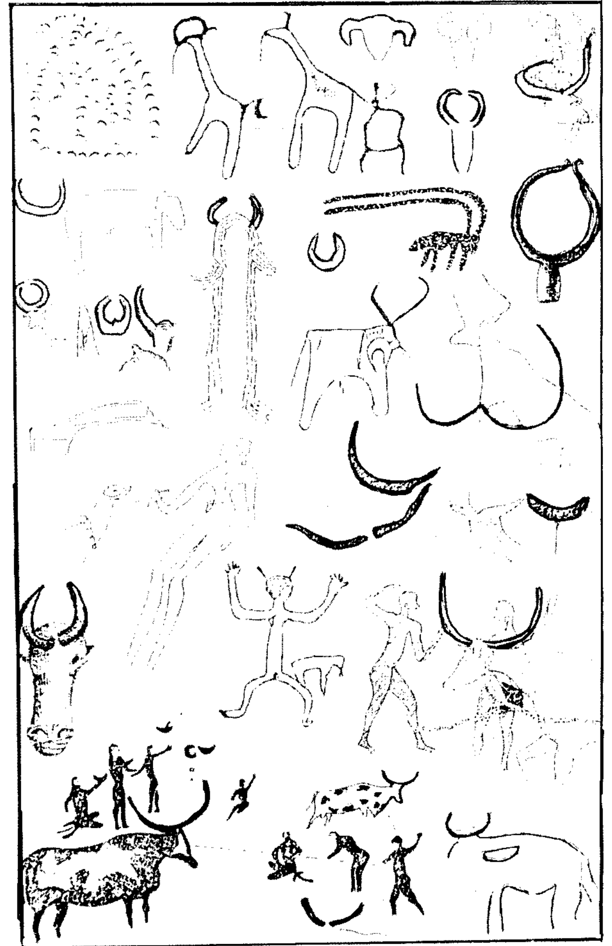
أولاً: إن إنسان هذه المنطقة ارتفع إبان تطوره نحو مزيد من التجريد لآلهته، وجعل لكل منها رمزاً يتمثل في نجم أو كوكب. ونسب لها صفات خاصة، جسّدها في رموز دينية أصبحت بمرور الزمن شارات، أو علامات مميزة، استعملها تجنباً لذكر اسم الإله، الذي كان مشحوناً بقوة المقدس. أي كان الرمز أو الشارة، بحد ذاتها، تعادل كلمة: "إله". وهكذا، أشار أهل الرافدين، بواسطة الهلال والقرص والنجمة، إلى "إله القمر"، و"إله الشمس"، و"إله الزهرة" (الشكل ٩). ويشير ج. كونتينو (Contenau G., 1950: 249-320) إلى أن هناك تطابقاً تاماً بين الهلال والقرص والنجمة مع كوكب القمر والشمس والزهرة، من ناحية، ومع إله القمر وإله الشمس وإله الزهرة من ناحية أخرى، أي لا يوجد فرق بين الإله والكوكب والرمز.

ومما يؤكد ذلك التطابق، ما جاء في اللوح الخامس من أسطورة الخلق البابلية : "... إن النجوم هي صورة الآلهة... وهي رموزها" (القمني ١٩٩٣: ٥٥). هذا إضافة إلى أن الآلهة كانت لا تصوّر في هيئة آدمية، إلا في حالات نادرة، إذ كانت الرموز، أو الشارات الخاصة بها، توضع بجانبها (Contenau

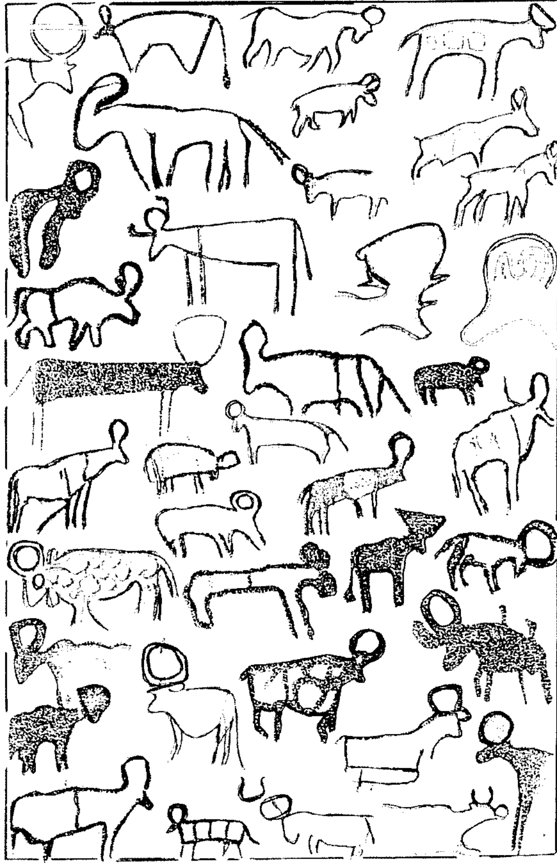
(1950: 249-250) .

وهكذا وضع أهل المنطقة في مقدمة آلهتهم، القمر والشمس والزهرة، وهي التي يطلق عليها: "الثالوث الكوكبي المقدس". فقد كان إله "سين" هو الأب، وإله الشمس "شماش"، وإله الزهرة "عشتار" هما ولداه، أي البنت والولد. واختلف وضع هذين الإلهين من مجتمع إلى آخر؛ فتارة كانت الشمس ذكراً، وتارة زوجة أنثى، وتارة كان كوكب الزهرة أنثى، وتارة ابنا ذكراً، وقد اختلف ذلك تبعاً لاختلاف المجتمعات، وطبيعة البيئة، وعلاقتها بالشمس والزهرة. ويبدو من ذلك أن الفكر الديني في المنطقة، كان يتميز بمجموعات إلهية ثلاثية، تتكون -في الغالب- من الأب والأم والابن (الناضوري ١٩٧٦: ١١٣).

وتشير الأدلة الأثرية إلى أن رموز الثالوث الكوكبي،



الشكل ٧: رسوم ونقوش من الصحراء الكبرى،
(J. Le Quellec 1993).



الشكل ٨: قرون دائرية الشكل من الصحراء الكبرى،
(J. Le Quellec 1993).

كمجموعة ثلاثية واحدة، ترجع في أصولها الأولى إلى بلاد الرافدين، حيث ظهرت منذ الألف الثالثة قبل الميلاد على آثار سلالة أور (Ur)، ومن هناك انطلقت إلى مختلف الجهات مع الشعوب المهاجرة، خاصة الأفواج السامية منها (Belgbeder 1968: 58).

ثانياً: اشتهر إله القمر بأسماء عديدة، ولكن كان الاسم "سين"، الذي يكتب (Si-in)، أو (Si-en-nu) ويعني "الثلاثين"، أي أنه كان إله الثلاثين يوماً، أو إله الشهر، هو الاسم الأكثر انتشاراً (Contenau 1950) وهناك تفسير آخر يقول فيه محمود القمني: "إن الاسم "سين" يتركب من "س" و"ن"، والنون الأخيرة كانت أداة التعريف في لغة عرب الجنوب، وكانت تلحق بآخر الاسم المراد تعريفه. أما "س"، فكانت بشكل عام تطلق على الشياة (الخراف والماعز والبقر والثيران...)، وعليه فإن اسم "سين" كعلم دال على إله القمر، إنما يعني الإله



الشكل ٩: رموز آلهة القمر والشمس والزهرة في بلاد الرافدين،
(S. Langdon 1947).

الثور. وهو ما يلتقي تماما مع ألقاب القمر المنتشرة في الجنوب اليمني، وهو اللقب (الثور)". (القمني ١٩٩٣: ١١٥). مع الإشارة إلى أن اسم "ثور" وجد، كذلك، ضمن أحد أسماء ملوك السلالة الثالثة في أور (Ur) (Langdon 1947: 389).

كما عُرف إله القمر، أيضاً، كذلك باسم: "ثور بعلم" (Thwr B'lm)، بمعنى "سيد الثور" و"سيد العنز". أي أن الصفات، التي كان يتميز بها الثور، مثل تجسيده العنصر المذكر وقوة التوالد، وارتباطه بالأمطار، كانت تنطبق، أيضا، على الماعز والأكباش (جواد علي ١٩٩٣ : ج.٦، ١٧٤). ومن ناحية أخرى، كانت تنطبق، كذلك، على إله القمر، الذي كان هو الأب والضّلع الأساسي في الثالوث الكوكبي المقدس، فقد رُمز إليه بثور يافع (جذع)، ذي قرنين ضخمين يشبهان هلال القمر (عبد الكريم ١٩٨٨ : ١١٠). وفي غالب الأحيان صور في داخله قرص الشمس (Chevalier 1982: 927-934).

إضافة إلى ذلك، يوجد الكثير من الأدلة، التي تشير إلى أن تأليه الثور في بلاد الرافدين عُرف منذ أقدم العصور. فقد وجدت رموز الثيران مرسومة على لويحات حجرية، تعود إلى الألف التاسع قبل الوقت الحاضر[٨] (Dufour 1996: 19). وكذلك، نقش رأسه وقرونه أو أظلافه على المصنوعات الحجرية، وعلى عدد من التحف المنتمية إلى عصر حلف، النصف الثاني من الألف الخامس قبل الميلاد (سليم ١٩٩٨: ١٠٦-١١١).

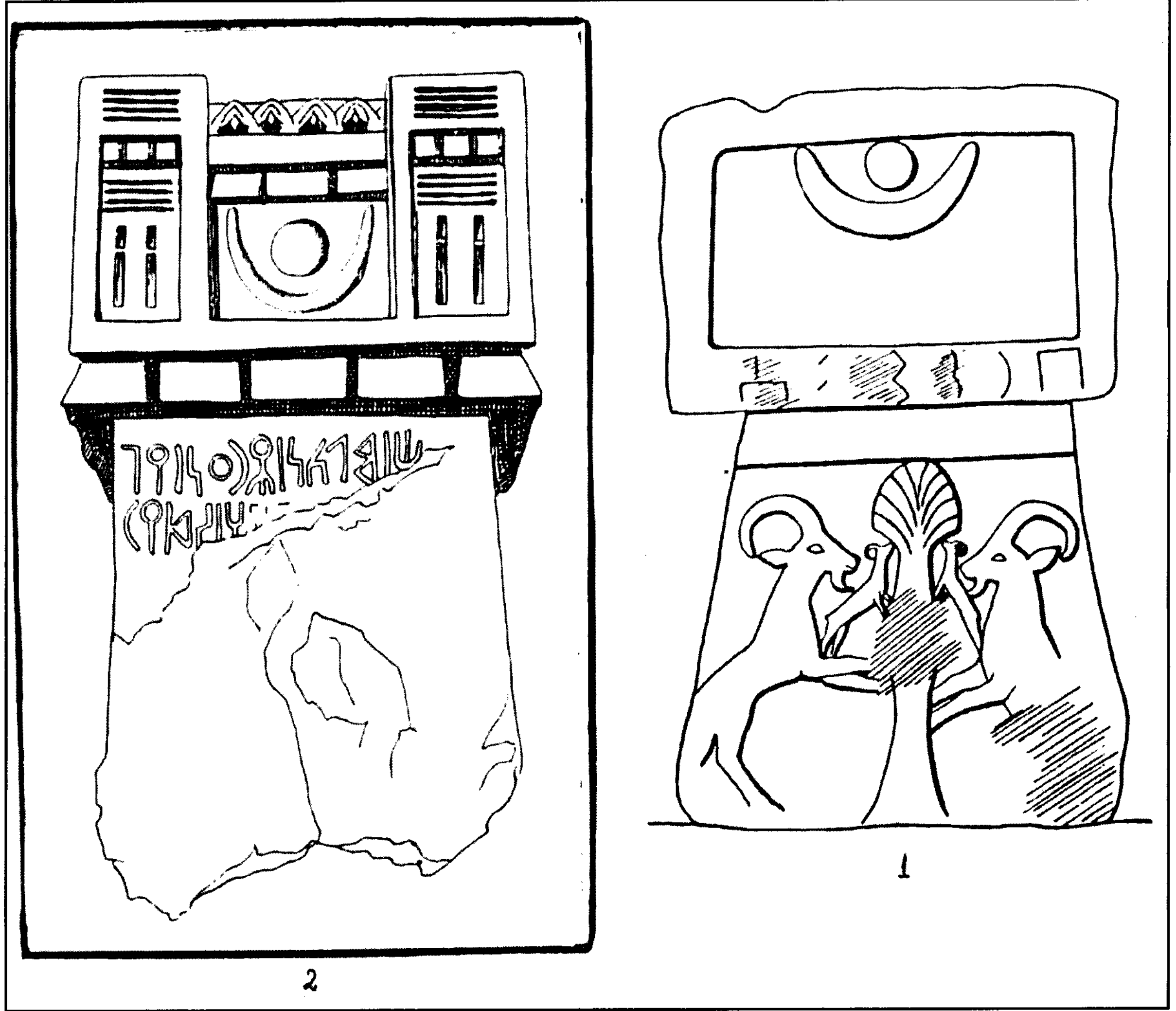
أما إله الشمس "شماش"، فكان يأتي في المرتبة الثانية بعد إله القمر، وقد رُمز إليه بالرقم عشرين (٢٠)، وبالقرص، وبعجلة (دولاب) بأربعة مفارق، تتموج بينها الأشعة الخاصة بالشمس (Contenau 1950: 256).

وفي المرتبة الثالثة كان يأتي كوكب الزهرة، "عشتار"، ابنة الإله "سين"، التي تميزت بمكانة خاصة بين الآلهة الكبرى. ويبدو أن عبادتها نشأت ونمت في مدينة الوركاء السومرية، قبل الألف الرابعة قبل الميلاد، حيث عرفت باسم "إننا"، "إنانا" (Ininna - Ininni) بمعنى "سيدة السماء". وبدخول الساميين إلى الرافدين، وتأسيس الدولة الأكادية، تحوّل اسمها من "إنانا" إلى "عشتار"، بمعنى "نجمة" (فاضل عبد الواحد علي، ١٩٩٣ : ٤٥-٤٢) لذلك، رُمز إليها بنجمة بثمانية أشعة، أو ستة عشر شعاعاً داخل الدائرة، التي -في الغالب- صورت إلى جانب هلال القمر وقرص الشمس (Bonnet 1996: 99-108).

وهكذا، يتضح أن أهل بلاد الرافدين كانوا يرمزون إلى إله القمر بالهلال، وإلى إله الشمس بالقرص، وأنهم -في أغلب الأحيان- صوروهما معا على الشكل التالي ، أي أنهم كانوا يستعملون الشارات والرموز من أجل الإشارة إلى آلهتهم، وذلك لتفادي قوة المقدس، التي يتضمنها الاسم الإلهي.

وفي الغالب كان يُتوصل إلى تمثيل هذا الرمز[٩]، أو المجموعة من الرموز، بوضع قرص الشمس بين قرون الحيوانات الهلالية الشكل. وفي حالة غياب القرص، كان يعوض بدائرة، أو بالتقاء القرنين على شكل دائري (الأشكال: ٢، ٤، ٥، ٨). ولا شك، أن التقاء القرنين حالة غير طبيعية من الناحية العلمية، ولكن يبدو أن الهدف كان أقوى من ذلك، وأن الهدف كان التوصل إلى تصوير قرص الشمس داخل القرون.

ويلاحظ على الرغم من تصوير رأس الحيوان جانبياً (en profile)، فإن الشكل الدائري، أو القرص، كان مقابلا للناظر (en face)، أي أن الاهتمام كان منكباً بالدرجة الأولى على القرص والقرون، وليس على الحيوان ذاته؛ لذلك يجب التمييز بين الثيران والأكباش، التي تحمل



الشكل ١٠: رمـوز إله القمر وإله الشمس فـي : 1- جنوبـي الجزيـرة العربيـة (العريقـي ٢٠٠٢)؛ 2- الحبشـة (J. Doresse 1954).

على رأسها الرمز المقدس، والحيوانات الأخرى المخصصة للأضحية.

ويلاحظ في وقت لاحق، أن الرمز نفسه أو المجموعة من الرموز، مثلث، كذلك، على شواهد تذكارية وجنائزية ونذرية، في جنوبي الجزيرة العربية والحبشة (الشكل ١٠).

الخلاصة

وبعد هذا العرض الملخّص لأهم خصائص رموز آلهة الثالوث الكوكبي المقدس، التي كانت من ركائز الفكر الديني السامي، المنتشر في جميع الأراضي الممتدة بين بلاد الرافدين والهلال الخصيب والجزيرة العربية[١٠] والشاطئ الشرقي لإفريقيا، يبدو واضحاً أن هناك تشابهاً كبيراً بينها، وبين الرسوم والنقوش الصخرية، المنتشرة على طول الصحراء الكبرى وشمال إفريقيا. (الخطيب ٢٠٠٢: ١١-١٢) ما سمح، بعد الدراسة والمقارنة، باستخلاص بعض العناصر المشتركة التي نوجزها في الآتي:

أولاً - وجود عبادة الحيوانات، خاصة تلك التي كانت تعد العنصر المذكر في الطبيعة، وترمز إلى التكاثر، مثل: الثيران والأكباش.

ثانيا - الاهتمام الخاص، الذي حظيت به قرون هذه الحيوانات - المعبودات.

ثالثا - الشكل الكروي، الذي كان يُوضع بين قرون الحيوانات - المعبودات. فقد كان في منطقة المغرب القديم يصور، في بعض الأحيان، مغروسا بخطوط مستقيمة، أو متموجة (الشكل ٣)، متناسقة في الغالب، ويتراوح عددها ما بين ثلاثة وتسعة خطوط (:Camps 1991 1418, fig. 2; p. 1422, fig. 1) ، مما يوحي أن هذا الشكل الكروي كان كمثيله في أراضي الهلال الخصيب، وبين الرافدين، وجنوبي الجزيرة العربية، وشرق إفريقيا، يجسد إله الشمس.

واستناداً إلى هذه المعطيات، يمكن الافتراض، بحذر شديد، أن "الأكباش والثيران ذوات الهالة"، في الصحراء الكبرى وشمال إفريقيا، كانت مرتبطة بعبادة الحيوانات، التي تمثل العنصر المذكر في الطبيعة، من جهة، وترمز إلى الإله الأب، إله القمر، من جهة أخرى. وأن تصوير الشكل الكروي بين قرونها، كان من أجل تمثيل الهلال والقرص، رموز إله القمر وإله الشمس معاً، أي أن هذه الحيوانات كانت تحمل على رؤوسها رموز إلهين كبيرين. ونظراً لذلك نرى من الأفضل أن تُسمى بـ"الحيوانات المتوّجة".

ويبدو من هذه المقارنة، أن عبادة الكواكب -القمر والشمس- كانت معروفة في الصحراء الكبرى والمغرب القديم، منذ عصور ما قبل التاريخ (Frobenius L. 1933:104-124)، وأنها تتشابه، إلى حد بعيد، مع نظيراتها في الهلال الخصيب، وبلاد الرافدين، وجنوبي الجزيرة العربية، والشاطئ الشرقي لإفريقيا ؛ لا في أنواع الحيوانات المعبودة فقط (الأكباش والثيران والماعز)، بل أيضاً في الرموز والطريقة، التي استعملت للإشارة إلى المعبودين: القمر والشمس.

إن هذا التشابه يطرح بدوره تساؤلات عديدة، منها مثلا: هل تم التوصل إلى تأليه وعبادة هذه الحيوانات وهذه الكواكب، والإشارة إليها بالرموز نفسها والطريقة نفسها، محلياً، أي في كل منطقة على حدة نتيجة ظروف معيشية متشابهة ؟ أم أنها تنقلت وانتشرت مع الأفواج البشرية خاصة السامية منها، التي كانت تتحرك وتهاجر طيلة العصور القديمة، خاصة العصر الحجري الحديث ؟

وكيف ما كان الأمر، فيبدو أن وجود رموز الآلهة - الكواكب، على الرسوم والنقوش الصخرية، هو دليل مادي يشير إلى تواصل وتفاعل سكان الصحراء الكبرى ومنطقة جنوب المغرب القديم، مع العناصر السّامية الآتية من الجزيرة العربية، منذ عصور ما قبل التاريخ. وهذا ليس مستبعداً إذا سلمنا بمقولة كامبس "علينا قبل كل شيء أن نتحرر من التصور الضيق المرتبط بمفهوم الحدود والدولة في العصور القديمة..." (Camps G., 1987: 109) أي إن المنطقة كانت خلال هذه العصور مفتوحة للتواصل والتفاعل والتأثر والتأثير... فعندما نقول "اتصال"، لا يعني هذا أنه كان يتم من طريق معبد، يمتد من أقصى شرق إفريقيا إلى أقصى غربها، بل كان يتم بالانتقال من منطقة إلى أخرى، ومن جماعة إلى أخرى، بواسطة الهجرات والتنقلات والمبادلات التجارية، خلال قرون عديدة من الزمان...

أ. د. عفراء محمد علي الخطيب: معهد الدراسات الإفريقية- جامعة الملك محمد الخامس - ص. ب. ٨٩٦٨- أكدال - الرباط - المغرب.

الهوامش:

(١) وجد "الكبش ذو الهالة" على الرسوم والنقوش الصخرية، المنتشرة في المناطق الجنوبية من المغرب والجزائر وتونس، التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ وبشكل خاص العصر الحجري الحديث.

(٢) إلى وقت قريب عُدَّ "الكبش ذو الهالة" (Bélier à sphéroïde) حالة خاصة بمنطقة الأطلس الصحراوي انظر (Lhote 1964: 194) ولكن مع اكتشاف الأشكال المماثلة في موقع كَارة أم المنصور (Garat Umm el-Mansour)، سقطت هذه النظرية المبنية على الفراغات الموجودة على خارطة الصحراء الكبرى الأثرية (Le Quellec 1993, 154).

(٣) في قصر مدينة ماري توجد مجموعة من الرسوم الجدارية، تصور مشهد موكب ديني يسير فيه رجال وثور. وقد زينت جبهة الثور بهلال كبير من الذهب، وغطي قرناه بغلاف من المعدن نفسه (هشام صفدي ١٩٨٤:٣٠٤).

(٤) جزيرة العرب: توجد أشكال الثيران المتوحشة على أقدم الرسوم الصخرية في المنقطة (آدمز وآخرون ١٩٧٧: ٤٥؛ القحطاني، ١٩٩٧: ١٩٩).

في البحرين، عثرت البعثة الدنماركية على آثار تعود إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وكان من جملة ما عُثر عليه تمثالان صغيران لثورين. (جواد علي، ١٩٩٣: ج ١: ٥٦٦)

وفي أبو ظبي: عُثر في مقابر جزيرة "أم النار" على رسوم تمثل مجموعة من الثيران (جواد علي ١٩٩٣: ج ١: ٥٦٦).

(٥) تحدث المؤرخ المصري مانيتو (Manetho) عن ثورة قام بها الليبيون في مصر في أوائل الأسرة الثالثة، ضد الملك (نفر - كارع)، وأنه عندما زاد حجم القمر تشاءم الليبيون وألقوا أسلحتهم (الاثرم ١٩٩٤: ٥١). تجب الإشارة إلى أن الاعتقاد نفسه بـ "زودة" و"نقصة" القمر، كان موجوداً لدى الأقوام السامية. انظر (جان صدقة ١٩٨٩: ١٣٢، ١٣٦).

(٦) وجدت كلمة (ق ر ن) في الكتابات البابلية (١٥٠٠ ق. م.)، ويبدو أنها سامية الأصل (Chaim Robin 1975 :88).

(٧) يرى (Baumann) أن تصوير القرون على شكل دائرة، كان من خصائص الحضارة الحامية الشرقية (Baumann 194 :48-52, fig. 3-4).

(٨) في تنقيبات أجريت في عام ١٩٩٦ على ضفاف نهر الفرات، في الموقع الأثري "الجرف الأحمر"، الذي يرجع إلى الألف العاشر ق. م.، اكتشفت العديد من اللوحات الحجرية الصغيرة، وعلى أربع وثلاثين منها كان منقوشاً الشكل التالي . وتقول سلفيني (Salvini)، الأستاذة المختصة في كتابات الشرق القديم في متحف اللوفر بباريس، إن هذا النحت كان يصور قرني حيوان وفي وسطهما نقطة. أما اللوحات ذاتها فهي لوحات نذرية (Dufour J. P., Il y a onze mille ans en Mésopotamie, l'écriture avant l'écriture. Le Monde, 8-9 décembre, Paris 1996, p. 19).

(٩) هذا الرمز في بلاد الرافدين وجزيرة العرب يرمز إلى القمر والشمس؛ ولكن في مصر كان القرص والهلال يرمزان للقمر فقط، أي يشيران إلى الإله "تحوت". وكان "تحوت" إلها أيضا للحكمة والمعرفة. أما الإلهة "حتحور"، فإذا تأملنا في صفاتها، التي ظهرت بها في العصور المبكرة في التاريخ المصري، نجد أنها كلها صفات ترتبط بمناطق أجنبية، خاصة بمنطقة البحر الأحمر (فاطمة عبد الغني سالم ٢٠٠٠: ٣٤٧ و٣٥٤).

(١٠) عُثر في العربية الجنوبية على كهوف قد صورت على جدرانها حيوانات، وصور الشمس والهلال، وذلك على طريق التجارة القديمة بين وادي "يبعث" ووادي "عرمة" (جواد علي ١٩٩٣: ج. ١: ٥٣٢).

المراجع

أولا : المراجع العربية:

الاثرم، رجب عبد الحميد ١٩٩٤، **محاضرات في تاريخ ليبيا القديم**، بنغازي، ليبيا.

الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، وآخرون ٢٠٠٢، **البدع، تاريخها وآثارها**، دار الهلال للأوفست، الرياض.

آدمز ، روبرت، وآخرون ١٩٧٧، "الاستكشافات الأثرية للمملكة العربية السعودية ١٩٧٦"، مسح المنطقة الشمالية: **أطلال** حولية الآثار العربية السعودية، ص ٣٦-٤٥، الرياض.

بازاما، محمد مصطفى ١٩٧٣، **تاريخ ليبيا، الجزء الأول، في عصور ما قبل التاريخ**، بنغازي، ليبيا.

بركات، أبو العيون ١٩٨٦، "الوعل في الحضارة اليمنية القديمة"، **اليمن الجديد**، العدد الثاني عشر، السنة الخامسة عشرة.

تريسي، عدنان ١٩٩٠، **بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى (اليمن)**، دار الفكر المعاصر، بيروت.

خان، مجيد ١٩٩٣، **الرسوم الصخرية لما قبل التاريخ في شمال المملكة العربية السعودية**. الإدارة العامة للآثار والمتاحف، الرياض.

الخطيب، عفراء علي ٢٠٠٢، **الثالوث الكوكبي المقدس: أحد مظاهر علاقات المغرب القديم بشرقي إفريقيا وجنوبي شبه جزيرة العرب**، الرباط.

سالم، فاطمة عبد الغني ٢٠٠٠، دراسة مقارنة لرموز الآلهة في كل من مصر الفرعونية واليمن القديم. **ندوة "دراسات في آثار الوطن العربي"**، الجزء الأول، ص. ٣٣٩ - ٣٦٩، جمعية الاثاريين العرب، القاهرة.

سليم، أحمد أمين ١٩٩٨، **تاريخ العراق وإيران وآسيا الصغرى**، الاسكندرية.

سيرنج، فيليب ١٩٩٢، **الرموز في الفن، الأديان، الحياة**. ط. ١ ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، سوريا.

صدقة، جان ١٩٨٩، **رموز وطقوس**، رياض الريس للكتب والنشر، لندن.

الصفدي، هشام ١٩٨٤، "دراسات مقارنة لأختام الخليج العربي : الصلات الحضارية مع وادي السند والرافدين". في "**الجزيرة العربية قبل الإسلام**" إشراف عبد الرحمن الأنصاري. الرياض ص. ٢٩٥-٣١٠.

عبد الكريم، عبد منذر ١٩٨٨، "دراسات في الميثولوجيا العربية: الديانة الوثنية في بلاد جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام"، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ص: ١٠٣-١٣٦**، جامعة الكويت.

علي، فاضل عبد الواحد ١٩٩٣، **عشتار ومأساة تموز**، بغداد.

علي، جواد ١٩٩٣، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، (أجزاء ١ - ١٠)، (الطبعة الثانية)، بيروت، لبنان.

العريقي، منير عبد الجليل ٢٠٠٢، **الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم**، مكتبة مدبولي، القاهرة.

العمير، عبد الله بن إبراهيم، وسليمان بن عبد الرحمن الذييب ١٤١٨هـ، "الرسوم والنقوش الصخرية بالجواء في منطقة القصيم"، **الدارة**، السنة ٢٣، العدد ٢، ص. ١٠٧ - ٢١١، الرياض.

القحطاني، محمد سعد حسن ١٩٩٧، آلهة اليمن القديم الرئيسية ورموزها حتى القرن الرابع الميلادي. رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة صنعاء.

القمني، سيد محمود ١٩٩٣، **الأسطورة والتراث**، سنا للنشر، القاهرة، مصر.

المعمري، عبد الرزاق أحمد راشد ١٩٩٥، "العصر الحجري الحديث في جنوب الجزيرة العربية"، **مجلة الثقافة**، العدد ٢٠: ٩٨-١١٢.

الناضوري، رشيد ١٩٧٦، **المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا**، الكتاب الأول، بيروت، لبنان.

نيلسن، ديتلف ١٩٥٨، **التاريخ العربي القديم**، ترجمة فؤاد حسنين، القاهرة.

ثانيا: المراجع غير العربية:

Anati, E. 1974. **Rock Art in Central Arabia,** Institut Orientaliste, Louvain-La Neuve, part III-IV.

Baillaud, G. 1954. "La préhistoire de l'Ethiopie", **Cahiers de l'Afrique et l'Asie**, n° V: 1543.

Baillaud, G. 1997. **Art rupestre en Ennedi**, Paris.

Baumann, A. 1949. **Les peuples et les civilisations de l'Afrique**, Paris, Payot.

Belgbeder, O. 1968. **La symbolique, Que sais-je?** Presses Universitaires de France, Paris

Bonnet, C. 1996. **Astarté,** Dossier documentaire et perspectives historiques, Roma.

Camps, G. 1991. Le Bélier à sphéroïde (Gravures rupestres de l'Afrique du Nord). **Encyclopédie Berbère**. t. IX: 1417-1433.

Camps, G. 1987. **Les Berbères, mémoires et identité,** Editiobs Errance, Paris.

Cauvin, J. 1994. **Naissance des divinités,** naissance de l'agriculture, Paris.

Chaim, R. 1975. Lexicostatistics and the internal divisions of semitic, **dans: Hamitosemitica**, p. 85-99.

Chevalier, J. Gheerbrant A. 1982. **Taureau, Dict. des symboles**, p. 927-934, Paris.

Choffray, T. 1984. **Culte du Taureau. Dictionnaire des religions,** (dir. P. Poupard) p. 1663-1665, Paris.

Contenau, G. 1950. **La vie quotidienne à Babylone et en Assyrie,**Paris.

Decret, F. Fantar M. 1981. **L'Afrique du Nord dans l'antiquité,** Histoire et civilisation. Paris.

Delporte, H. 1990. **L'image des animaux dans l'art préhistorique,** Picard Editeur, Paris.

Doresse, J. 1957. **Empire du prêtre - Jean,** t. I, II. Paris.

Dufour, J. P. 1996. "Il y a onze mille ans en Mésopotamie. L'écriture avant l'écriture. dans", **le Monde**, 8-9 Décemente, Paris.

Frobenius, L. 1933. **La civilisation africaine,** Paris.

Germain, G. 1948. **Le culte du Bélier en Afrique du Nord**, Hespéris, 1-2, p. 93-124.

Huard, P. 1952-1953. **Recherches rupestres au Tchad, dans Tropiques**, fasc. II, p. 1-12.

Huard, P. 1961. "Les figurations d'animaux à disques", **IFAN** (Inst. Français d'Afrique Noire, Dakar), 34: 476-517.

Joussaume, R. 1977. **L'art rupestre de l'Ethiopie, Recherches sur les grandes civilisations, Synthèse** n° 6. Mélanges offerts au doyen Lionel Balout. Paris. P. 159-175.

Langdon, S. 1947. **La religion assyro-babylanienne, Dans Hustoire Générale des Religions** (dirigée par M. Gorce et R. Mortier), t. 1, Paris, p. 381-404.

Le Quellec, (Jean Loïc) 1993. **Symbolisme et art rupestre au Sahara,** L'Harmattan. Paris.

Levêque, P. 1997. **Introduction aux premières religions,** Librairie Générale Française.

Lhote, H. 1984. **Les gravures rupestres de l'Atlas saharien,** Alger.

Lhote, H. 1964. "Gravures rupestres de Tachoukent et de Tan Zega" (Sud Marocain), **L.A.P.E.,** XII, p. 225-245 (Libyca. Anthropologie, Préhistoire, Ethnologie) Alger.

Muzzolini, A. 1983. L'art rupestre du Sahara central : classification et chronologie, Thèse, Université de Provence.

Tschudi, Y. 1956. **Les peintures rupestres du Tassili-N-Ajjer,** Neuchatel.

Vernet, R. 1993. **Préhistoire de la Mauritanie,** Nouakchott

تتبع ثقافة العبيد في دولة الإمارات العربية المتحدة

وليد ياسين التكريتي

ملخّص: نشأت ثقافة العُبيد في جنوبي وادي الرافدين في الألف الخامسة قبل الميلاد، وإمتدت لتغطي مناطق من شمال وشمال شرقي سوريا، وجنوب غربي إيران، والساحل الشرقي للجزيرة العربية، بما في ذلك جزيرة البحرين وقطر. وفي هذا البحث يحاول الكاتب أن يتتبع آثار تلك الثقافة في دولة الإمارات العربية المتحدة، إذ إن أول إشارة إلى احتمال وجود آثار من تلك الثقافة فيها، وردت في عام ١٩٨٥، من قبل الكاتب نفسه. إضافة إلى موقع مفرق الحمرية في إمارة الشارقة، الذي اكتُشف من قبل الكاتب والبروفيسور موريزيو توسي، وهو أول موقع عُبيدي يكتشف في الإمارات، فإن التحريات التي أجريت في ستة من المواقع العُبيدية الأخرى، التي جرى اكتشافها منذ ذلك الحين، قد تناولها هذا البحث. والمعروف أن منشأ فخار العبيد، الذي يرجع إلى عصر دوريّ العبيد ٣ و ٤، هو وادي الرافدين. أما الفخار، الذي يرجع إلى عصر العبيد من الدورين ١ و ٢، فلم يتم التحقق من اكتشافه بشكل قاطع في منطقة الخليج بعد، على الرغم من أن وجوده ليس بأمر مستغرب. ويتطرق هذا البحث لأول مرة، إلى احتمال كون العلاقات الحضارية مع وادي الرافدين، تعود إلى مرحلة ما قبل العبيد، إذ يعتمد الكاتب على أدلة من تل الصوان، الذي يرجع إلى ثقافة سامراء في وسط العراق. ولرسم صورة أوضح عن طبيعة تلك العلاقات، يقترح الكاتب إعادة تقييم المكتشفات الأثرية، التي ترجع إلى عصر العبيد ١ و ٢، وكذلك تلك التي من عصر سامراء في وادي الرافدين، من أجل التعرّف على العناصر الخليجية الموجودة فيها، بدلاً من البحث في طبيعة تلك العلاقات، من خلال منطقة الخليج العربي فقط.

Abstract. The Ubaid Culture originated in southern Mesopotamia during the 5th millennium BC and extended to cover north and northeast Syria, southwest Iran and the western coast of the Arabian Gulf including Bahrain and Qatar. This manuscript traces the presence of the Ubaid culture in the United Arab Emirates. First reference to the presence of this culture in the Emirates was made in 1985 by the author. In addition to the site of Mafraq al Hamriyah in Sharjah, the first Ubaid site located by Tosi and the author, explorations carried out on six more sites of the same date are summarised. It is known that the painted pottery from Ubaid 3 and 4 discovered in the Gulf Region is of Mesopotamian origin. The pottery from Ubaid 1 and 2 has not yet been firmly confirmed though its existence in the Gulf Region would be of no surprise. Association between Mesopotamia and the Gulf region, prior to the Ubaid Period, has been discussed using evidence from Tell es-Sawwan of the Samarra culture in central Iraq. To understand the history of this association, this subject requires a re-evaluation of the discoveries belonging to Ubaid 1 and 2 and those of the Samarra culture from Iraq, rather than looking for association in the Gulf Region alone.

في الفترة التي أعقبت ثقافة سامراء في بلاد وادي الرافدين، والتي كانت قد سادت في النصف الثاني من الألف السادس قبل الميلاد، بدأت بالظهور ثقافة جديدة تُسمى: "ثقافة العُبيد" (تلفظ بضم العين). وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى الموقع الأثري، الذي اكتشفت فيه معالم تلك الثقافة لأول مرة في عام ١٩١٩، وهو "تل العُبيد"، الواقع قرب مدينة أور في محافظة ذي قار (الناصرية)، جنوبي العراق. وقد انتشرت آثار هذه الثقافة، التي تغطي في بلاد وادي الرافدين حقبة الألف الخامس قبل الميلاد، في أماكن أخرى من منطقة المشرق العربي، حيث امتدت لتغطي الأجزاء الشمالية والشمالية الشرقية من سوريا، والمناطق الجنوبية الغربية من إيران. وقبل ما يزيد عن ثلاثة عقود بقليل، اكتُشف فخار تلك

(ص ص ٤٧ - ٦٤) ردمد ٨٩٤٧-١٣١٩

الثقافة في مواقع أثرية، تقع على امتداد الساحل الغربي للخليج العربي.

وقبل أن نتتبع ثقافة العُبيد في دولة الإمارات العربية المتحدة، لا بد -أولاً- من الإشارة إلى عناصر تلك الثقافة في موطنها الأصلي، ثم تناولها في منطقة الخليج العربي، دون الاسهاب في ذلك.

ينقسم عصر العُبيد في بلاد وادي الرافدين إلى أربع حقب، هي: العُبيد ١، والعُبيد ٢، والعُبيد ٣، والعُبيد ٤ . ويُعد العُبيد ١ الأقدم، وقد اكتُشفت معالمه في الطبقات الأسفل من موقع أريدو، في جنوبي العراق[1]. أما العُبيد ٢، فقد تميّز بأنواع من الفخار تُسمى: "فخار حاج محمد"، نسبة إلى اسم الموقع الذي اكتشف فيه، وهو فخار أكثر شيوعاً من فخار العُبيد ١ (Oates:1978). وبينما اقتصر وجود فخار هاتين الحقبتين في جنوبي العراق، وربما في وسطه كذلك، فإن فخار الحقبتين الأخريين (العُبيد ٣ و ٤) معروف في المناطق الشمالية من بلاد وادي الرافدين وكذلك في الشمال الشرقي من سوريا، كما انتشر في جنوب غربي إيران وفي منطقة الخليج العربي. وتميّزت مرحلة العُبيد في وادي الرافدين بالعمائر الدينية والمدنية، وهي ليست موضوع هذا البحث؛ بينما تأتي صناعة الفخار على رأس قائمة الصناعات والفنون لتلك الحقبة.

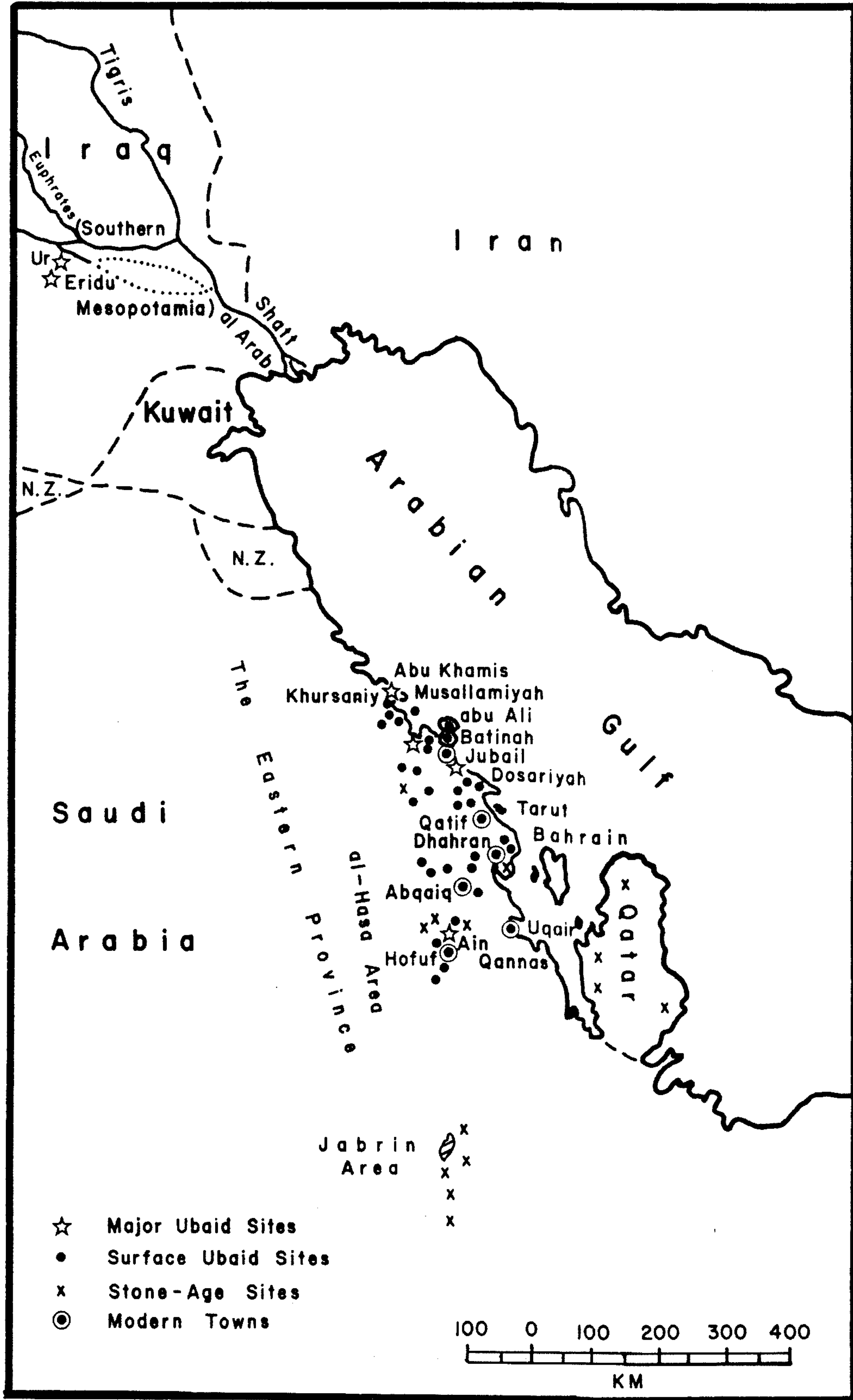
وعلى الرغم من أن فخار العُبيد متعدد الأشكال والزخرفة ويختلف من دور لآخر، نستطيع القول إنه -في العادة- ملون بلون واحد، هو الأسود المائل إلى البني، أو الأحمر الفاتح، أو البني، ولا يجتمع لونان على إناء واحد. أما لون الطينة، فيكون مائلاً إلى الاخضرار، في أغلب الأحيان. وفخار العُبيد محروق بدرجة حرارة عالية، إذ تبدو الكسر الفخارية صلبة إذا ما قورنت بأنواع كثيرة من الفخاريات الأخرى، وهو مصنوع من طينة قليلة الشوائب. وكما سبق، فإنه يختلف من دور لآخر، ضمن أدواره الأربعة.

وبينما تم التعرّف على فخار العُبيد في بلاد وادي الرافدين، خلال العقود الأولى من القرن الماضي، فإنه لم يكتشف في منطقة الخليج إلا في الستينيات من ذلك القرن، وذلك حين عثرت السيدة جريس بوركهولدر، التي كانت مقيمة في الظهران، على مجموعة من هذا الفخار، في أكثر من موقع شرقي المملكة العربية السعودية، في عام ١٩٦٩ (Burkholder: 1972, 264-269). ومنذ ذلك الحين أجرى عدد من الآثاريين مزيداً من البحوث والدراسات، ويأتي على رأس هؤلاء الدكتور عبدالله مصري، الذي أعدَّ رسالته للدكتوراه عن هذا الموضوع، كما نقّب، كذلك، في ثلاثة من المواقع المكتشفة (Masry: 1974). ومن خلال كتاب مصري، الذي صدر في عام ١٩٧٤، فقد نوقش التفاعل الحضاري ما بين الجزيرة العربية وبلاد وادي الرافدين. وما يزال هذا الكتاب يُعَدُّ المرجع الرئيس عن فترة العُبيد، في المملكة العربية السعودية. وعلى الرغم من أن الاكتشافات الأثرية في شرقي الجزيرة العربية، كانت قد سبقت ما قام به الدكتور مصري، إلا أنها كانت اكتشافات متواضعة، لم ترقَ إلى درجة العمل الآثاري الصحيح، باستثناء مسح البعثة الدنمركية في الستينات من القرن الماضي (Kapel: 1968, 64)، الذي أسفر عن العثور على مواقع عبيدية، تناولها الدكتور مصري في دراسته كذلك.

ومما يميّز المواقع العُبيدية المكتشفة في شرقي المملكة العربية السعودية، ويقرب عددها من الأربعين موقعاً، هو وجود عدد منها في مناطق بعيدة عن البحر (الشكل ١). وهذه المواقع، كانت في الحقيقة، تقع على حافات خيران (جمع خور)، وكانت في الأصل متصلة بالبحر، أو على ضفاف بحيرات، جفّت بمرور الزمن وتحولت إلى سبخات.

لقد عُثر على كميات من الفخار العُبيدي، الملون وغير الملون، وعلى الكثير من الآلات والأدوات المصنوعة من حجر الصوان، بينما لم يعثر على المناجل، التي تستخدم في حصد المزروعات ما يشير إلى أن مجتمع العُبيد، في شرق الجزيرة العربية، لم يكن مجتمعاً زراعياً. وفي الوقت الذي غابت فيه المناجل، عُثر على أدوات السّحق والسهام والأنصال الحجرية والمسنات، التي تستعمل في شحذ السكاكين، كما عثر على كميات غير قليلة من الخرز وأدوات الزينة الأخرى (Masry: ibid).

ومن أهم المواقع المكتشفة في شرقي المملكة العربية السعودية، موقع "الدوسرية"، في المنطقة الساحلية الوسطى إلى الجنوب قليلاً من مدينة الجبيل، شمالي الظهران، وهو على بعد كيلومتر ونصف فقط عن ساحل البحر. وكذلك، موقع "عين قناص" في منطقة بقيق، ويبعد، اليوم، حوالي ٦٠



الشكل ١ : الساحل الغربي للخليج العربي، مبين عليه مواقع العبيد وبعض مواقع العصر الحجري، (نقلاً عن عبد الله مصري ١٩٧٤).

كيلومتراً عن الساحل؛ ولكنه كان متصلاً بالبحر قبل ستة آلاف عام، حيث يقع على شاطئ بحيرة جافة. وتمثلت المواد الأثرية، التي كانت على السطح قبل التنقيب، في عدد قليل من الكسر الفخارية[٢]، وهي في الأصل أجزاء من أوانٍ عريضة الفوهات. وبالمقارنة مع موقع الدوسرية، فإن الفخاريات المكتشفة في موقع عين قناص قليلة، وذلك لأن هواة الآثار، غالباً، ما يمارسون هوايتهم على حساب الحقيقة العلمية، ومن ثم فإن الكثير من الأدلة العلمية قد ضاعت بفعل المسوحات غير الشرعية، التي ما تزال تمارس للأسف في مناطق متعددة من دول الخليج.

وجدير بالذكر أن هنالك مواقع عبيدية أخرى، في بعض الجزر الكائنة إلى الجنوب والجنوب الغربي من موقع "أبو خميس"، مثل جزيرتي المسلّمية وجنّه (Masry: ibid). وعلى العموم يمكن القول إن المواقع العُبيدية المكتشفة، في منطقة الساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية، والمنتشرة في أماكن متعددة، لا تمثل الصورة الكاملة عن انتشار العُبيد في تلك المنطقة، على الرغم من عددها الكبير، مقارنة بالمناطق الأخرى من الخليج، وذلك بسبب الحركة العمرانية، التي شهدتها المنطقة. يضاف إلى ذلك ضياع الشواهد الأثرية بفعل أعمال هواة الآثار الذين يكونون سبباً في تجريد المواقع الأثرية من محتوياتها السطحية.

أما في دولة البحرين، فقد تمكّن فريق بريطاني ترأسه السيد مايكل رووف من اكتشاف آثار لثقافة العُبيد، بعد بضع سنين من اكتشافها في الساحل الشرقي للجزيرة العربية (Roaf 1976). ولا عجب في ذلك، إذ تُعدُّ البحرين مركزاً لحضارة دلمون وريثة الحضارات القديمة. وعلى الساحل الغربي من جزيرة البحرين، تمكّن رووف من اكتشاف موقع أثري يُسمى "المرخ"، ولا يفصله عن البحر اليوم إلا مسافة كيلومتر ونصف فقط، تغطيها أرض سبخة لم تكن موجودة في الأصل. ومن خلال دراسة الدكتورة جون أوتس على الفخاريات المكتشفة في هذا الموقع، خلصت إلى أن تلك الفخاريات تنسب إلى العُبيد المتأخر، بل ربما يعود بعضها إلى فترة ما بعد العُبيد[٣].

أما في قطر، فقد بلغ عدد المواقع العُبيدية المكتشفة خمسة مواقع، على أقل تقدير، يقع إحداها على الساحل الغربي وكان قد اكتشف أثناء مسح البعثة الدنمركية في عام ١٩٦١؛ ثم نقّبت فيه الآثارية البريطانية بياترس دي كاردي فيما بعد (de Cardi 1978). كما اكتشف فريق فرنسي موقعين آخرَين، في منطقة الساحل الشرقي لشبه جزيرة قطر. وقد تبين كذلك أن واحداً من المواقع الحجرية، التي سبق اكتشافها من قبل البعثة الدنمركية في الستينات من القرن العشرين، على الأقل، يعود إلى عصر العُبيد. ويعد موقع الدعاسة، على الساحل الغربي من شبه جزيرة قطر، أحد المواقع المهمة هناك حيث عُثر فيه من خلال بعض الحفائر، التي أجرتها بعثة بريطانية، على طبقة رقيقة من الدفن المشغول. ومن خلال التنقيب، عُثر على تسع وعشرين كسرة من الفخار تعود إلى دور العُبيد الثالث، إضافة إلى عدد أكبر من الكسر، التي تعود إلى ما بعد ذلك بقليل. أما موقع رأس أباروك، على بعد ٤٠ كيلومتراً إلى الشمال من موقع الدعاسة، والذي سبق اكتشافه من قبل بعثة الآثار الدنمركية، فيقع على هضبة قليلة الارتفاع، ويبعد مسافة لا تزيد عن كيلومترين عن ساحل البحر. وقد اختُبر من قبل البعثة البريطانية بواسطة خندق تجريبي، كشف عن كمية قليلة من الفخار، الذي يرجع إلى عصر العُبيد؛ ولكنه أحدث من الفخار المكتشف في موقع الدعاسة (Smith: 1978, 84). أما في منطقة الخور، على الساحل الشرقي لقطر، فقد اكتشفت البعثة الفرنسية، في سبعينات القرن الماضي، موقعين من عصر العُبيد، على الأقل، يوصف أحدها بكونه ورشة لصنع الآلات الحجرية ذات الوجهين، كما اكتشفت فيه كسر قليلة من الفخار العُبيدي المتأخر.

كان عقدا الستينات والسبعينات من القرن العشرين، عقدي اكتشاف العُبيد في كل من: المملكة العربية السعودية، والبحرين، وقطر. ولم يكتشف -آنذاك - أي موقع من ذلك العصر في دولة الكويت، أو في دولة الإمارات، حيث بقيت آثار تلك الثقافة غير معروفة فيهما. كما بقيت المسافة الفاصلة بين موقع أبو خميس، في المنطقة الشمالية للساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية، وموقع أريدو، في جنوبي العراق، وهي مسافة تزيد على أكثر من ثلاثمائة كيلومتراً، منطقة مجهولة فيما يتعلق بانتشار المواقع العُبيدية فيها. ولم يستمر الأمر كذلك طويلاً، إذ عُثر على موقع عبيدي في دولة الكويت في منتصف الثمانينات، بينما ظل الشاطئ الجنوبي للخليج التابع لدولة الإمارات، والممتد من منطقة السلع قرب الحدود

القطرية حتى شمالي مدينة رأس الخيمة، خالٍ من أي موقع أثري من ذلك العصر، حتى العام ١٩٨٣ .

وقبل أن نتتبع آثار ثقافة العُبيد في دولة الإمارات، نستعرض أهم النتائج التي أمكن التوصل إليها عن آثار تلك الثقافة، في دولة الكويت.

لقد اكتشف موقع عبيدي في منتصف الثمانينات، في منطقة الصبية، واهتم الدكتور فهد الوهيبي (المدير السابق لإدارة الآثار والمتاحف في الكويت) بذلك الاكتشاف، نظراً لأهميته. وحين زيارة الكاتب للموقع بعد فترة قصيرة من اكتشافه، اكتشفنا عدداً من الآلات الحجرية الدقيقة الصناعة، ولاحظنا انتشار القواقع على سطحه وآثار الاستيطان، دون أن نتمكن من اكتشاف المزيد من الكسر الفخارية[٤].

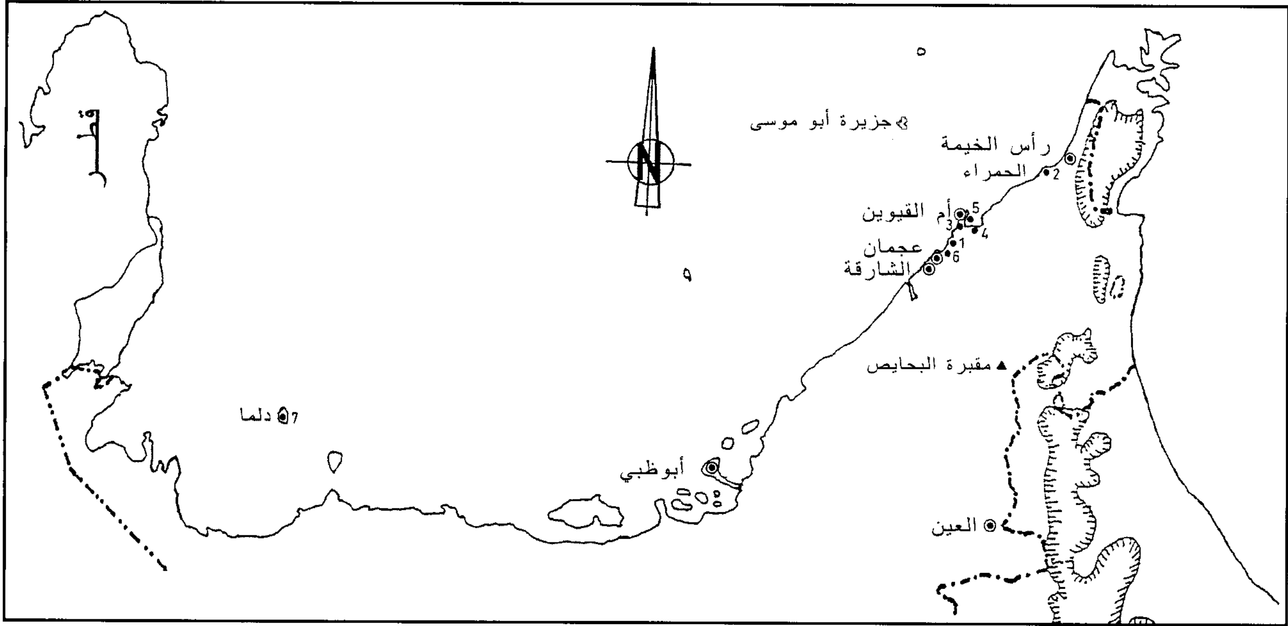
لقد أثبت التنقيب، الذي أجرته البعثة البريطانية مؤخراً في هذا الموقع، الذي يرمز إليه بـ (H3)، ويعدُّ من المواقع الكبيرة بحكم المساحة التي يغطيها، وتبلغ حوالي ٩٠ ×٨٠ متراً، عن أهميته على الرغم من أن المساحة التي نُقّب فيها تبلغ ١٠٤ أمتار مربعة فقط. وكشفت البعثة البريطانية عن ٥٠٩ كسر فخارية، تسع عشرة منها كانت قابلة للتمييز؛ لأنها تعود لفوهات أو قواعد أوانٍ من عصر العُبيد أو تحمل نقوشاً معروفة في ذلك العصر. فالفخاريات الملونة نسبت إلى عصر العُبيد، دون أي شك، بسبب العناصر الزخرفية التي عليها. وقد كان المنقّبون أكثر دقة، إذ نسبوها إلى الدور الثالث من ذلك العصر، على الرغم من اعتقادهم باحتمال وجود فترة انتقالية بين الدورين الثاني والثالث، لم تتأكد بعد. وكانت بعض هذه الكسر في الأصل أجزاء من أطباق أو أقداح، ذات فوهات مائلة إلى الخارج شبيهة بأخواتها المعروفة في المواقع العراقية، مثل: رأس العمية، وجوخة مامي، وتل العويلي (Carter, Crawford, Mellalieu and Barret: 1999).

إن اكتشاف موقع العُبيد في الصبية له أهميته الكبيرة، إذ يعطي الدليل على أن المواقع العُبيدية الأخرى، المنتشرة إلى الجنوب منه في مناطق الخليج الأخرى، (سبق ذكرها) هي امتداد لهذه الثقافة، وإن كان لها طابع خاص بها (خاصة فيما يتعلق بالصناعات الحجرية، ذات الطابع المتميز عن صناعة الآلات الحجرية العراقية). كما يضيّق الرقعة الجغرافية الخالية من المواقع، التي تفصل بين جنوب وادي الرافدين، حيث مواقع العُبيد، ومنطقة الخليج العربي. ونعتقد كذلك، أن مواقع عبيدية أخرى على غرار الصبية، لا بد أن تُكتشف في حالة إجراء مسح مكثف في المناطق المحيطة بالصبية، وكذلك في المنطقة الفاصلة بينها وبين أقرب موقع عبيدي معروف إلى الجنوب منها، وهو موقع أبو خميس، في المملكة العربية السعودية. إن طبيعة المكتشفات الأثرية، التي توصلت إليها البعثة البريطانية، وكذلك الموقع الجغرافي لموقع الصبية، جعل المنقبون يعدونه مبدئياً ذا طبيعة تجمع بين المواقع العُبيدية العراقية، والمواقع العُبيدية الخليجية، إن صحّ التعبير[٥].

أما في دولة الإمارات العربية المتحدة (الشكل ٢)، فقد كان اكتشاف أول دليل على وجود آثار للعبيد فيها على يد كاتب هذا المقالة، الذي تمكّن في عام ١٩٨٤، ومعه البروفيسور موريزيو توسي، من التقاط بعض الكسر الفخارية، التي ترجع إلى عصر العُبيد، من أحد المواقع الساحلية عند مفرق الحمرية في إمارة الشارقة، وإن لم يكن في الإمكان تأكيد ذلك في حينه (الشكل ٣). وكان كاتب هذا البحث قد أرشد، قبل سنتين من ذلك التاريخ، بعض الآثاريين المتخصصين في عصور ما قبل التاريخ، إلى أحد مواقع ذلك العصر. وفي الهامش رقم ٢٤ من مقالة الكاتب، المنشورة في كتاب الآثار في دولة الإمارات العربية المتحدة/ العدد الخامس، يطالع القارئ الفقرة الآتية:

"تشير الدلائل إلى وجود مواقع أثرية تعود إلى الألف الرابع وربما الخامس قبل الميلاد على امتداد الساحل بين إمارتي الشارقة ورأس الخيمة، حيث زار الكاتب برفقة كل من الدكتور هانس بيتر والسيد هانس جوج جيبل أحد هذه المواقع، وهو عبارة عن تل من الأصداف البحرية (shell midden) عليه قليل من شظايا حجر الصوان الصغيرة."

"كما وأن الكاتب والأستاذ موريزيو توسي قد قاما بكشف موقع آخر، يبدو إنه يعود إلى الألف الخامس قبل الميلاد، حيث عثرا فيه على كمية قليلة من الفخار ذي الطينة المخضرة. أما الفخار الملون فلم يعثر منه إلا على كسرة واحدة متناهية في الصغر لم تمكننا من البت في أمر تاريخها، رغم شبهها بفخار العُبيد. وإذا ثبت لدينا بأن هذا الموقع يعود بالفعل إلى عصر العُبيد، فإن لهذا الكشف أهمية كبيرة إذ يعني أنه أول موقع من ذلك العصر يتم اكتشافه في دولة الإمارات العربية المتحدة، علماً أن مواقع العُبيد المعروفة في وادي الرافدين قد امتدت



الشكل ٢ : ساحل الإمارات المطل على الخليج العربي مبين عليه مواقع العبيد : ١- موقع مفرق الحمرية ٢- موقع الحمراء رقم ٤ (ند الوليد) ٣- موقع رقم ٦٩ في أم القيوين (المدر) ٤- الموقع RA 3 5- موقع عكاب ٦- موقع الحمرية (عجمان سابقاً) ٧- موقع جزيرة دلما.

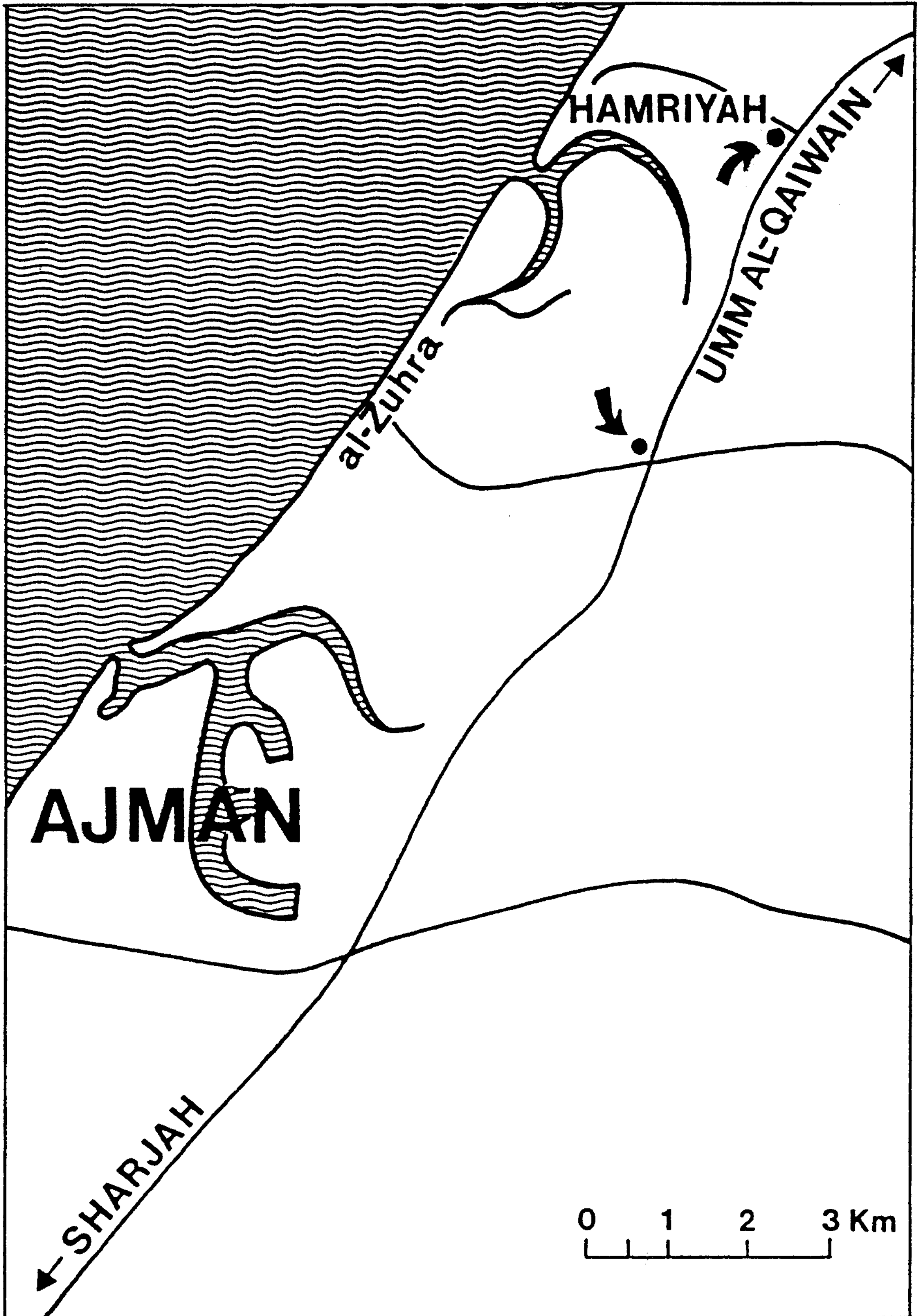
لتغطي مناطق عديدة من الساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية والبحرين وقطر".

وعلى الرغم من العدد القليل من الكسر الفخارية السالفة الذكر، وكونها من الفخاريات العادية غير الملونة، فقد ثبت لديّ بأن تلك الفخاريات (الشكل ٤) هي من فخار العُبيد، بدليل ما اكتشف فيما بعد من مؤشرات على ذلك. ففي شهر حزيران من عام ٢٠٠٠، تمكّن الكاتب من العثور على كسرة فخارية غير ملونة من الموقع العُبيدي رقم ٦٩ في إمارة أم القيوين، الذي سيرد ذكره لاحقاً. وبمقارنة الكسر الفخارية غير الملونة موضوع البحث، مع كسرة الفخار غير الملونة المكتشفة في الموقع ٦٩، والمرافقة لفخار ملون من عصر العُبيد، أستطيع القول إن تلك الفخاريات ما هي إلا فخاريات عبيدية الأصل كذلك. يضاف إلى ذلك، اكتشاف ثقالة لشبكة صيد غير مثقوبة من نوع الحصى، الذي كان معروفاً في عصر العُبيد، وعدد قليل من الشظايا الصوانية، مرافقة للفخاريات غير الملونه. وعلى الرغم من أننا لم نجد بين تلك الشظايا آلات مميزة، إلا أنها تعطي مؤشراً على أن هذا الموقع يعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وأنه ليس من المواقع الحديثة العهد. ومما يؤكد ذلك، أنواع القواقع التي تنتشر عليه، وتوجد -عادة- على سطوح المواقع الأثرية، التي تعود إلى مثل تلك العصور[٦].

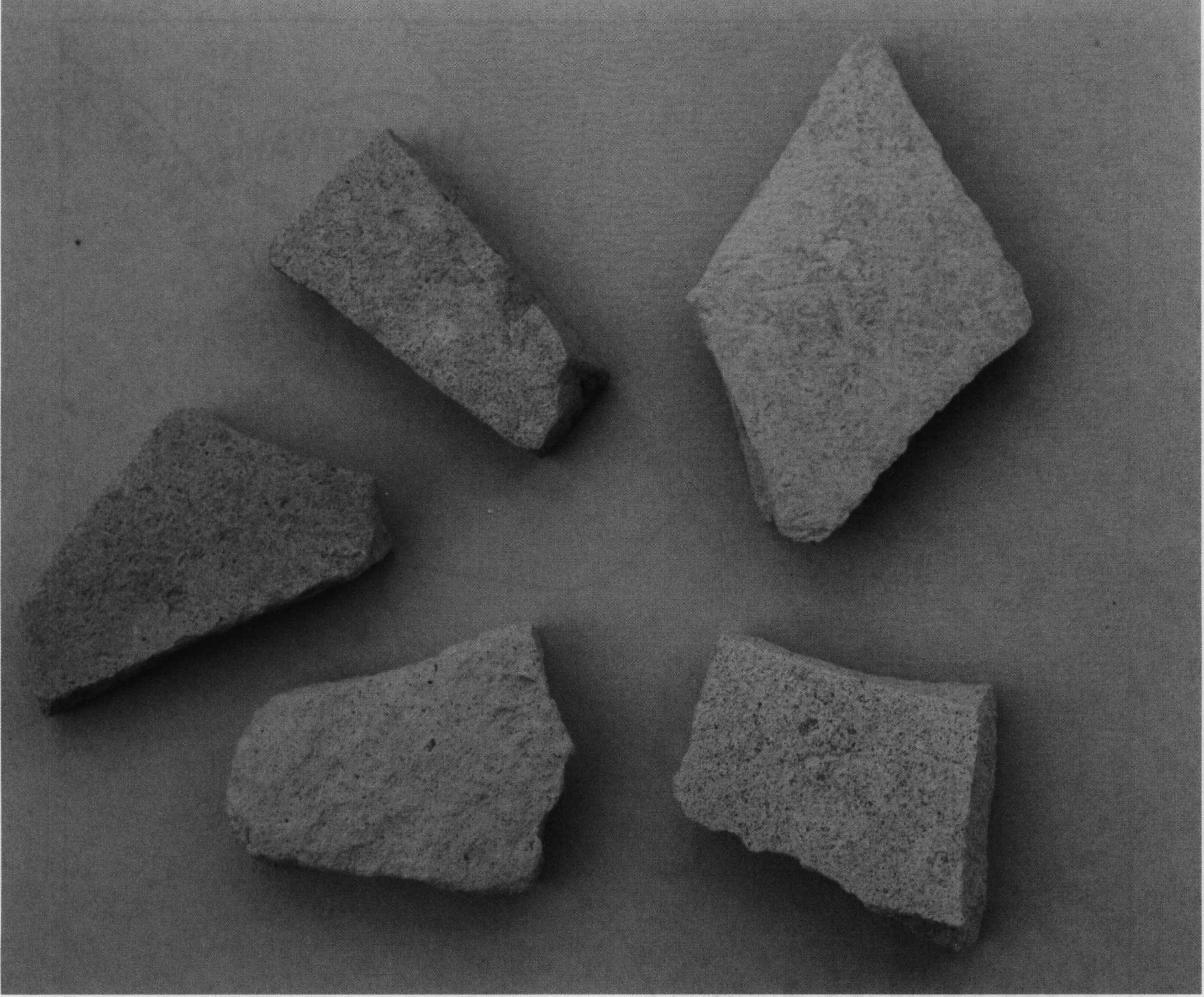
وقبل الحديث عن الموقع ٦٩، تجدر الإشارة، كذلك، إلى اكتشاف تل من الأصداف (shell midden) يمكن أن يكون من عصر العُبيد كذلك، جنوبي جزيرة الحمراء في رأس الخيمة[٧]. وكما ذكر سابقاً، فقد أرشد كاتب هذا البحث كلاً من أوربمان وجيبل إلى هذا الموقع، ومواقع أخرى في المنطقة نفسها؛ فاستعملا، إثر ذلك، طريقة الإشعاع الكربوني على قوقعتين التقطتا من الموقعين ١ و ٢ . وقد أظهرت طريقة التحليل الكربوني (بعد التعديل)، أن القوقعتين تعودان إلى النصف الأول من الألف الخامس قبل الميلاد.

إن الاسم الصحيح للموقع ٦٩ (السالف الذكر) هو "المدر"، ويعد أول موقع عبيدي تُكتشف فيه كسرة فخار ملونة، من عصر العُبيد في دولة الإمارات (الشكل ٥)[٨]. يقع المدر بين خور أم القيوين وساحل البحر، الذي يبعد عنه كيلومتر واحد.

ومن خلال الخرائط والصور الجوية القديمة، يظهر أن جزءاً من خور أم القيوين كان يمتد لمسافة قريبة من الموقع من جهته الشرقية، وقد كان في العصور القديمة محاطاً بالأراضي السبخة وأشجار القرم، التي ما يزال الكثير منها موجوداً في إمارة أم القيوين (الشكل ٦). وكانت تغطي سطح الموقع، قبل



الشكل ٣ : خريطة تبين موقع العبيد في منطقة الحمرية (عن هايرنك ١٩٩١). تم إضافة موقع مفرق الحمرية على الخريطة من قبلنا.



الشكل ٤ : كسر فخارية عبيدية غير ملونة من موقع مفرق الحمرية في الشارقة.

تعرّضه للتخريب، طبقة من القواقع البحرية، التي تنتشر بين الرمال الرمادية، أو السوداء، الناتجة بفعل أعمال الطبخ، التي شهدها الموقع منذ عصور ما قبل التاريخ. كما لاحظنا أثناء زياراتنا المتكررة للموقع وجود عظام، لحيوانات بحرية وبرية محروقة.

وبُعيد اكتشاف هذا الموقع بقليل، نقّب فريق من الآثاريين الفرنسيين فعثروا على كسرتين ملونتين من فخار العُبيد، وعدد من الكسر غير الملونة (Boucharlat and others: 1991). كما نقّب في الموقع، كذلك، فريق ألماني صغير (Uerpmann and Uerpmann 1996). وإضافة إلى الفخار العُبيدي المستورد (الشكل ٧/ب)، تمكّن الفرنسيون من اكتشاف آلات حجرية من النوع الثنائي الوجوه، وقد نسبوها مبدئياً إلى نهاية الألف الخامس وبداية الألف الرابع قبل الميلاد. كما تمكّنوا من تقدير عمر الموقع من خلال تحليل عيّنة من القواقع، بواسطة طريقة التحليل الكربوني أعطت الرقم ٥٨٩٠ + / - ١٧٠ سنة قبل الحاضر (المقصود بالحاضر هو عام ١٩٥٠ م). وقد صنّفت بعض الأصداف والقواقع، التي تبين أن معظمها كان يعيش في بيئة تطغى عليها أشجار القرم (mangroves). وقد استدل الفريقان، الفرنسي والألماني، على وجود مقبرة، من خلال بعض العظام البشرية، التي عُثر عليها مبعثرة في الموقع.

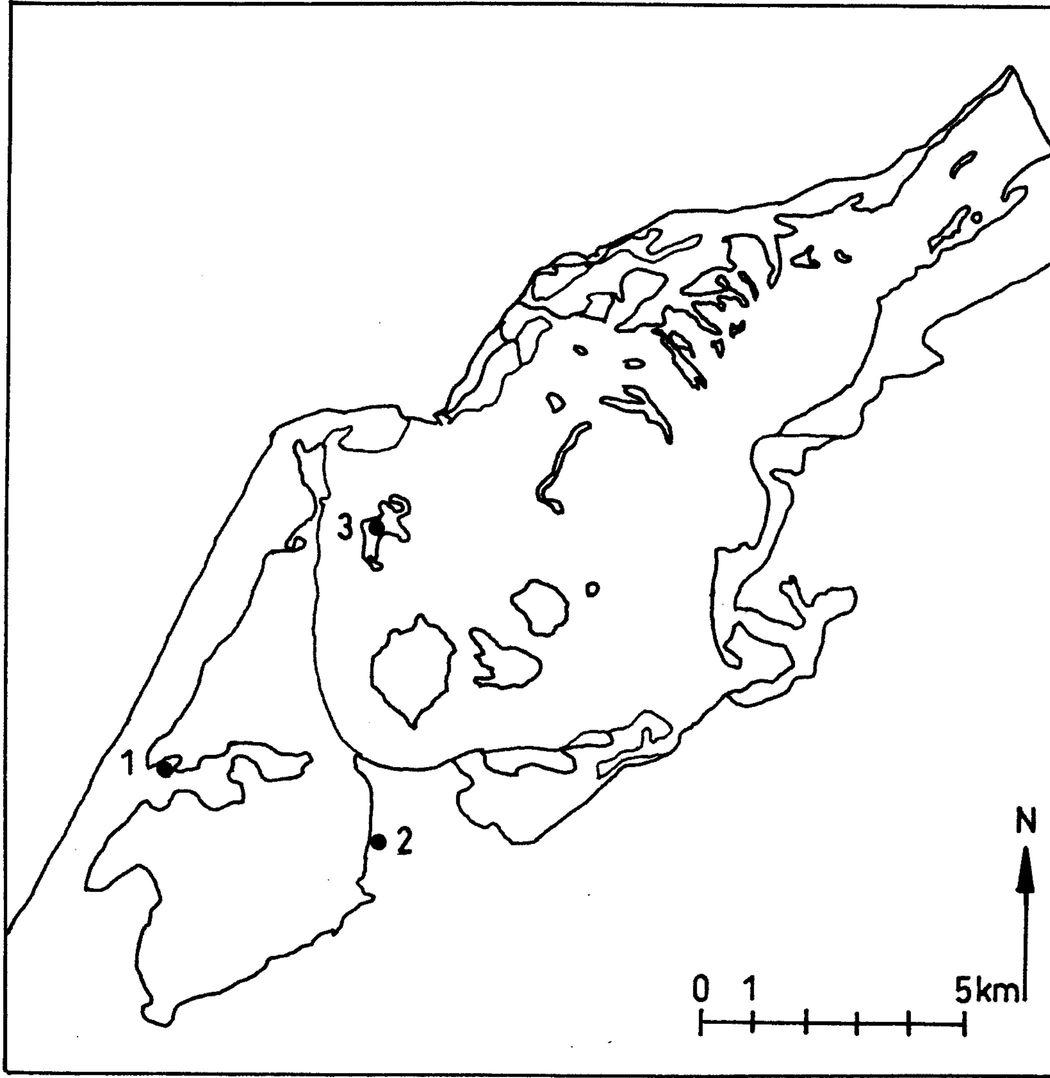
وعلى الرغم من أن الحفائر، التي جرت في هذا الموقع



الشكل ٥ : كسرة صغيرة من فخار العبيد الملون عثر عليها الكاتب على سطح موقع العبيد ٦٩ في أم القيوين.

كانت محدودة، بحكم طبيعته ودرجة التخريب الكبيرة التي أصابته، فهو -بالتأكيد- أحد أهم المواقع العُبيدية في الإمارات الشمالية. ولم يكن موقع المدر إلا واحداً من سلسلة من مواقع ما قبل التاريخ، في منطقة خور أم القيوين. فقد عُثر على عدد من هذه المواقع على أطراف الخور من جهته الجنوبية، من خلال مسوحات البعثة الألمانية. ومن سطح أحد هذه المواقع، الذي يرمز إليه RA 3، عثر على كسرة من فخار العُبيد الملون (الشكل ٧ /ج)، يمكن أن ترجع، استناداً إلى تحليل لقوقعة معاصرة لها، إلى ٥٦٢٠ قبل الحاضر (Uerpmann and Uerpmann 1996: 130). وكما يعتقد البروفيسور أوربمان، فإن الموقع RA 6 يعود إلى عصر العُبيد كذلك، على الرغم من عدم العثور على أية كسر فخارية. وقد استند في تأريخه هذا على رأس سهم من النوع، الذي غالباً ما يعثر عليه في مواقع العُبيد.

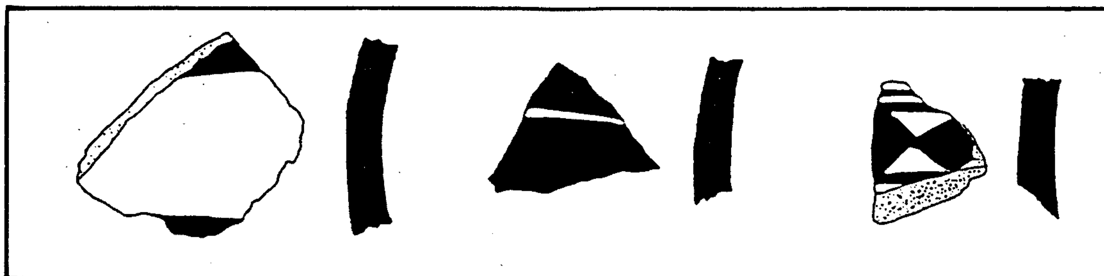
وفي إحدى الجزر في خور أم القيوين، المقابلة لمبنى الديوان الأميري، والمسماة "عكاب"، اكتشف الفرنسيون وسبروا في عام ١٩٨٩ موقعاً أثرياً فيها. وعلى الرغم من عدم العثور على فخار العُبيد في هذا الموقع، الذي وصف بأنه (aceramic) (أي من عصر ما قبل الفخار) حتى الآن، فإن تاريخه، حسب التحاليل المخبرية، يرجع إلى الألف الرابع ق.م[٩]. لقد فسر المنقبون الكميات الكبيرة من عظام بقر البحر على أنها سبب في ارتياد هذا الموقع، في فترة وجود هذا الحيوان في منطقة الخور



الشكل ٦ : خريطة تبين الموقع ٦٩ (المدر) و RA 3 وعكاب في أم القيوين (معدّلة عن أوريمان وأوريمان ١٩٩٦).

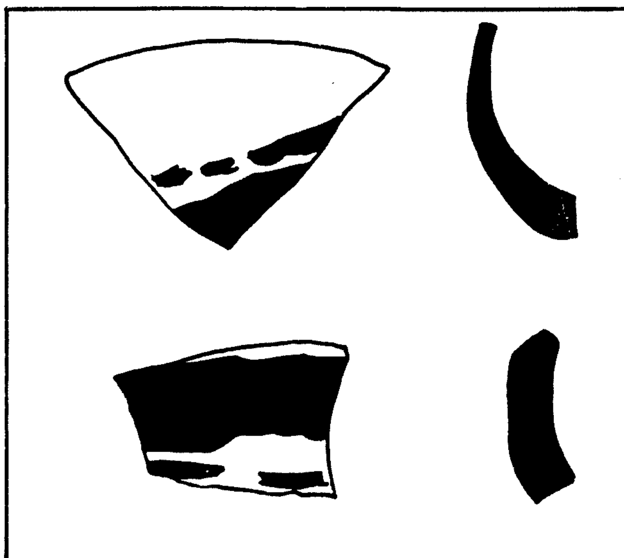
(Prieur and Guerin:1991). ونظراً لأهميـة هذا الموقع، ولعدم إجراء تنقيب واسع فيه عند اكتشافه، أجرى الفرنسيون المزيد من التحريات في العام ٢٠٠٢، ومن أجل التحضير لذلك، زار كل من رئيس الفريق الدكتور فيليب ماركي، وكاتب هذه المقالة، الموقع في شهر أبريل من العام ٢٠٠١، للوقوف على حالته. وقد عثرا على الكثير من القواقع وعظام الحيوانات البحرية.

وفي إمارة أم القيوين، كذلك، اكتُشفت بقايا مستوطنة من الفترة المعاصرة لفترة العُبيد، نقّب فيها السيد كارل فيليبس، الأستاذ في معهد الآثار في جامعة لندن سابقاً، وذلك في عامي ١٩٩٢ و ١٩٩٣، وتمكّن -من دون أن يكون ذلك في الحسبان- من اكتشاف اثنين وأربعين قبراً، تعود إلى الفترة الزمنية نفسها. وتقع هذه المستوطنة قرب حدود أم القيوين مع إمارة رأس الخيمة، بمحاذاة الطريق الموصل إليها. لم تكن القبور المكتشفة -للأسف- في وضع يسمح بالتوصل إلى الكثير من الحقائق العلمية، إذ إن القليل منها فقط كان في وضعه الطبيعي؛ بينما أزيحت العظام الطويلة للهياكل الأخرى، وتحركت جماجم بعضها من أماكنها الأصلية. وعلى الرغم من ذلك، تمكن المنقّب من التمييز بين ثلاثة أدوار من هذه القبور، وتمكّن، كذلك، أن ينسب تسعة منها إلى الدور السفلي. كما



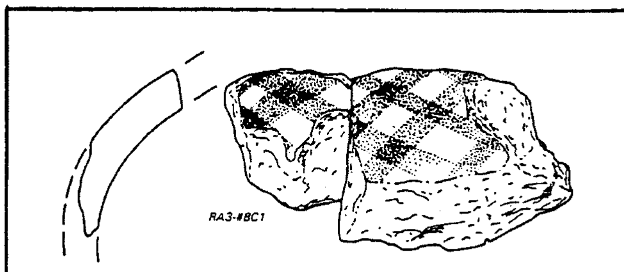
(أ)

الشكل ٧ /أ: ثلاث كسر من الفخار العبيدي اكتشفت في موقع الحمراء ٤ (ند الوليد) وفي موقع الحمراء ٣٨ (نقلاً عن فوكت).



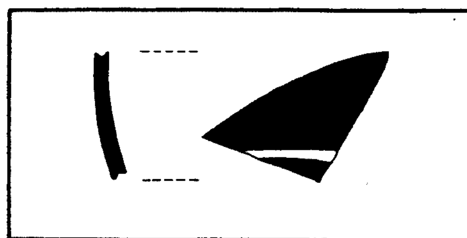
(ب)

الشكل ٧ /ب : كسرتان من فخار العبيد الملون عثرت عليها البعثة الفرنسية في الموقع ٦٩ (نقلاً عن بوشارلات وآخرين).



(ج)

الشكل ٧ /ج : كسرة من فخار العبيد عثر عليها في الموقع RA 3 في أم القيوين (نقلاً عن أوريمان وأوريمان ١٩٩٦).



(د)

الشكل ٧ /د : كسرة من فخار العبيد من موقع الحمرية (نقلاً عن هايرنك ١٩٩١).

تبين أن عدد البالغين من تلك الهياكل هو اثنان وثلاثون (١٨ ذكراً و ١٤ أنثى)، وأن أطولهم عمراً قد عاش حوالي ٣٥ سنة فقط، في حين لم يُعثر إلا على ثلاثة صبية. ومن بقايا هذه العظام، تبين أن وضعية القرفصاء هي الطريقة التي أتبعت في دفن هؤلاء الموتى. ولا عجب في ذلك، لأنها الطريقة التي اتبعت منذ عصور ما قبل التاريخ، حتى نهاية العصر الحديدي.

وفي طبقات الدفن المعاصرة لهذه المقبرة، عُثر على الكثير من العظام الحيوانية، التي يظهر على الكثير منها آثار الحرق الدالة على كونها من بقايا الطعام. وتغلب على تلك العظام، عظام الأغنام والماعز والبقر، وكذلك عظام الغزلان والمها. ومن طبقات الدفن هذه، وكذلك من المدافن نفسها، اكتشفت مجموعة صغيرة من كسر فخار العُبيد المستورد من وادي الرافدين، يعود إلى فترات العُبيد المتأخرة في الألف الخامس قبل الميلاد. وقد اكتُشف سهمان من حجر الصوان، وخرز مصنوع من الصدف والقار. كما عُثر، كذلك، على جزء من سوار مصنوع من الصدف، شبيه بتلك التي سبق اكتشافها في موقع رأس الحمراء، على خليج عمان قرب مدينة مسقط، وعلى كتلة من المغر الأحمر (كحل ؟)، ولؤلؤة عُثر عليها داخل أحد القبور (Phillips C.: forthcoming).

وفي إمارة رأس الخيمة، كشف الدكتور بوركارت فوكت، خبير الآثار المقيم في الإمارة، سابقاً، العشرات من تلال الأصداف، التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ. وتمثلت هذه المواقع في تلال من القواقع، التي تولدت بفعل الاستهلاك المستمر لهذا النوع من الغذاء. كما كشف عن آلات من حجر الصوان، والكثير من شظايا الصوان الناتج بفعل عملية التصنيع، التي كانت تتم في المنطقة. وعشرة من هذه التلال، على الأقل، التي تقع جميعها في منطقة جزيرة الحمراء، عُثر على عدد قليل من الكسر الفخارية العُبيدية المنشأ (الشكل٧/ أ)، منها الملون ومنها غير الملون (Vogt B. 1994).

وفي إمارة الشارقة، عثرت البعثة البلجيكية على موقع يعود إلى عصر العُبيد في منطقة الحمرية، قرب حدودها مع إمارة عجمان. مع أن البعثة عدّته من المواقع التابعة إلى إمارة عجمان، فقد تبين فيما بعد أنه يقع ضمن حدود إمارة الشارقة[١٠]. وقد سُبر هذا الموقع من قبل الدكتور إيرني هايرنك، الذي عثر فيه على كسرتين من الفخار العُبيدي/ الدور ٢-٣ (الشكل ٧ /د)، وبعض الآلات الحجرية دقيقة الصنع (Haerinch:1991). وبعد تأسيس متحف الشارقة للآثار، نقّب فريق من ذلك المتحف، برأسه الدكتور صباح جاسم، في الموقع، كذلك، واكتشف عدداً قليلاً من كسر الفخار العُبيدي (الشكل ٨) وبعض الآلات الحجرية (Jasim: 1996). وعلى الرغم من أن الموقع يبعد عدة كيلومترات عن ساحل البحر، فقد كان قبل خمسة آلاف سنة أقرب من ذلك بكثير، بل إن هايرنك يعتقد أنه كان جزيرة تحيط بها المياه، من كل جانب. ومما يؤيد ذلك وجود الأراضي السبخة المحيطة بالموقع من جميع جوانبه، التي يعتقد أنها كانت حينذاك مغطاة بالمياه الضحلة.

لم تقتصر مواقع العُبيد على شواطئ الخليج، بل امتدت إلى الجزر القريبة من الساحل والبعيدة عنها. ومن أهم تلك الجزر، جزيرة دلما، الواقعة بين منطقة جبل الظنة وشبه جزيرة قطر، وتبعد ٤٥ كيلو متراً عن اليابسة. ففي الطرف الجنوبي من هذه الجزيرة تم العثور على أحد أهم مواقع العُبيد في دولة الإمارات (Flavin and Shepherd 1994). لقد تمكنت بعثة بريطانية تعمل في مشروع مسح الجزر التابعة للإمارة، من اكتشاف هذا الموقع قبل عشر سنوات، وهو الوحيد الذي استمر التنقيب فيه لعدة أعوام، نظراً لكبر مساحته وسمك طبقاته المشغولة، التي تبلغ المتر أو أكثر أحياناً، واشتمل الموقع على ستة أدوار (phases). وعلى الرغم من العثور على ثقوب الأعمدة، الحاملة لسقوف البيوت، التي لا يُعرف شكلها بالضبط، فإن هذا الموقع يعدُّ مستوطناً لمجتمع من الصيادين (hunters)، والسمّاكين (fishermen). فقد ورد في تقرير المنقّبين أن موقع دلما، يرمز إليه بـ دلما (DA 11 and DA 12)، كُشفت فيه بقايا أبنية سكنية استُدل على وجودها من كسر اللبنِ، كما كشف عن أكوام من تلال الأصداف، في الوقت نفسه (Beech, Elders and Shepherd 2000). ومن الجدير بالذكر، أنه لم تكتشف في المواقع المعاصرة لمرحلة العُبيد، التي اكتشفت في دولة الإمارات، أية بقايا أبنية أو عمارة فعلية من قبلُ؛ لذا، يمكن القول -وكما يرى المنقبون- إن جزيرة دلما شهدت أقدم محاولة للاستيطان الدائم.

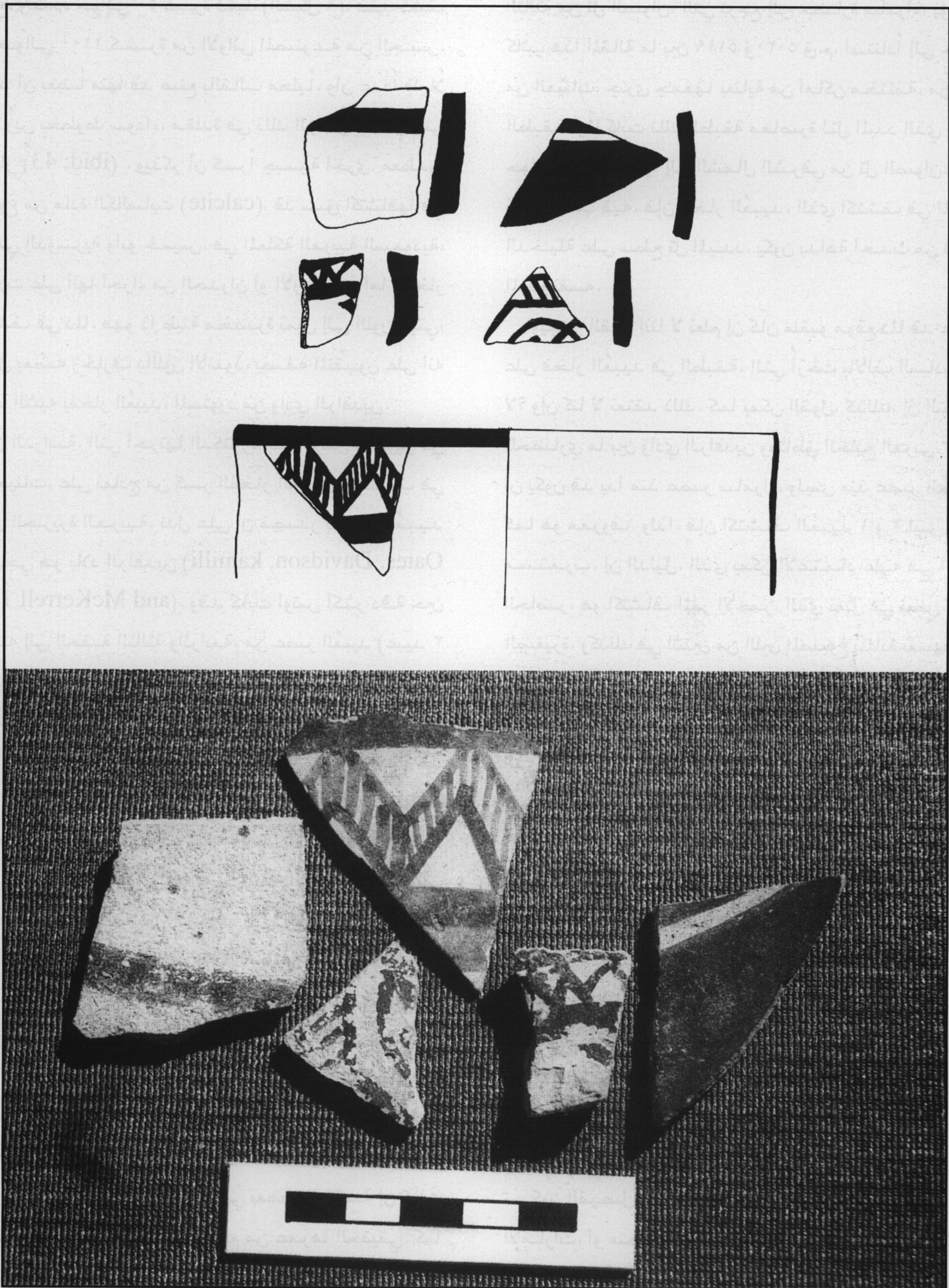
وإضافة إلى فخار العُبيد المستورد، الذي اكتشف في هذا

الموقع، وعدده حوالي ٥٠ كسرة فقط (الشكل ٩)، فقد كشف عن حوالي ١١٠٠ كسرة من الأواني المصنوعة من الجبس، يعتقد أن بعضاً منها قد صنع بالقالب محلياً، وأن عدداً قليلاً منها زُين بخطوط سوداء، مقلدة في ذلك الزخارف التي على الفخار (ibid: 43) . ويذكر أن كسراً جبسية أخرى، معظمها مصنوع من مادة الكالسايت (calcite)، قد سبق اكتشافها في موقعي الدوسرية وأبو خميس، في المملكة العربية السعودية، وفسّرت على أنها أجزاء من الجدران أو الأرضيات. أما الفخار المكتشف في دلما، فهو ذا طينة مخضرة تميل إلى اللون البني، يحمل بعضه زخارف باللون الأسود، يصفه المنقّبون على أنه شديد الشبه بفخار العُبيد، المستورد من وادي الرافدين.

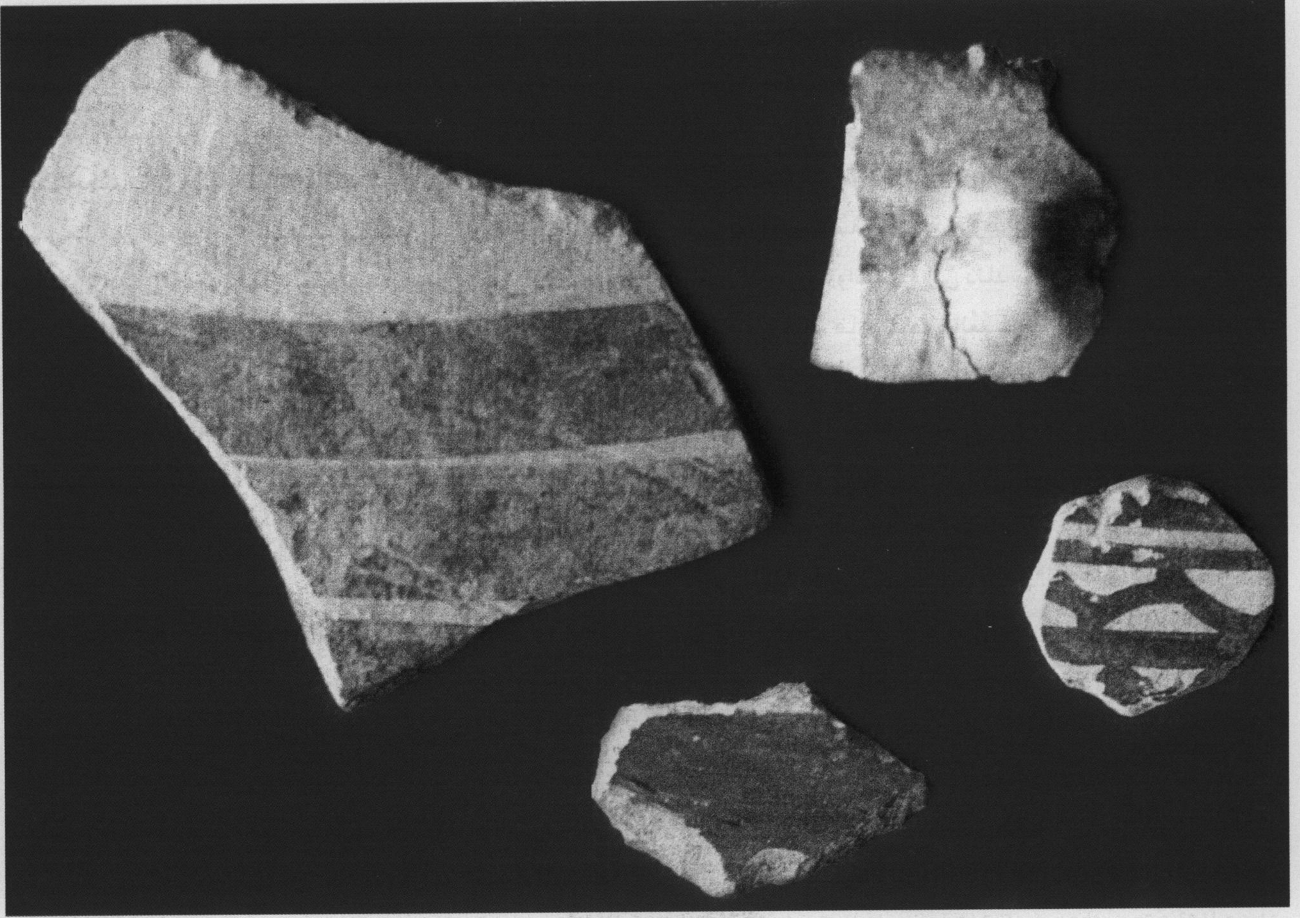
إن الدراسة، التي أجرتها الدكتورة جون أوتس وآخرين في السبعينات، على نماذج من كسر الفخار العُبيدي المكتشف في شرق الجزيرة العربية، تدل على أن مصدر فخار العُبيد الخليجي هو بلاد الرافدين (Oates, Davidson, kamilli and McKerrell 1977). وقد كانت أوتس أكثر دقة حين أرجعته إلى الحقبة الثالثة والرابعة، من عصر العُبيد (عبيد ٣ و٤). وقد توصلت الدكتورة صوفي ميري، في دراستها المشتركة مع شنايدر في عام ١٩٩٦، إلى النتيجة نفسها (Mery and Schneider: 1996). ويذكر أن نواتين من التمر المتفحم قد عثر عليهما في دلما، وتبين أن تاريخ إحداها (حسب طريقة الإشعاع الكربوني) يعود إلى نهاية الألف السادس قبل الميلاد (٥١١٠ +/- ١٦٠ ق. م)، بينما يعود تاريخ الثانية إلى منتصف الألف الرابع قبل الميلاد (٤٦٧٠+/- ١٣٠). وبناءاً على التاريخ الأول، الذي يرجع إلى نهاية الألف السادس قبل الميلاد، يعدُّ الدكتور مارك بييج (وهو من المنقّبين الذين عملوا في هذا الموقع) موقع دلما، من المواقع القديمة للعبيد إذ يرجعه إلى حقبة العُبيد الأولى والثانية (عبيد ١ و ٢). وفي رأي كاتب هذه المقالة، لا يمكن البت بهذا التاريخ في الوقت الحاضر، لعدم معرفتنا بعدد العيّنات، التي خضعت للتحليل بواسطة كربون ١٤، ولا نوع تلك العيّنات، التي يُعطي بعضها، خاصة إن كانت من الأصداف أو القواقع، نتائج أقدم من عمرها الحقيقي. كما نعتقد أن فترة العُبيد، التي شهدتها منطقة الخليج العربي، بما فيها عبيد ١ و ٢ اللذان لم يتأكد وجودهما بعد، لا يمكن أن ترجع إلى ما قبل بداية الألف الخامس ق.م بدليل أن الطبقة الثالثة من تل الصوان، التي ترجع إلى حضارة سامراء، يؤرخها كاتب هذا المقالة ما بين ٥١١٩ و٥٠٣٠ ق.م، استناداً إلى خمس من العيّنات، جرى جمعها بعناية من أماكن مختلفة، من تلك الطبقة. ولمّا كانت تلك الطبقة معاصرة لتل المبدد الذي يبعد حوالي ٧٠ كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من تل الصوان، وقد نقّب الكاتب فيه، فإن فخار العُبيد، الذي اكتشف في المقابر الدخيلة على سطح تل المبدد، يكون بداهة أحدث من تاريخ الموقع نفسه.

ويجدر القول أننا لا نعلم إن كان منقبو موقع دلما قد عثروا على فخار العُبيد في الطبقة، التي أُرّخت بالألف السادس أم لا؟ وإن كنا لا نعتقد ذلك. كما يمكن القول، كذلك، إن التفاعل الحضاري ما بين وادي الرافدين ومناطق الخليج العربي، يمكن أن يكون قد بدأ منذ عصر سامراء، وليس منذ عصر العُبيد، كما هو معروف. ولذا، فإن اكتشاف العُبيد ١ و ٢ ليس بأمر مستغرب. إن الدليل، الذي يمكن الاعتماد عليه في الوقت الحاضر، هو اكتشاف المغر الأحمر، الذي تمثل في بعض الكتل الصغيرة، وكذلك في اثنتين من اللبن المصبوغ بالمادة نفسها، في الطبقة الثالثة من تل الصوان، والذي يحتمل أن يكون مصدره جزيرة أبو موسى. يضاف إلى ذلك صدف الودع (cowrie)، الذي يمكن أن يكون قد استخدم كتعاويذ، أو كعملة، كما هو معروف في بعض مناطق أفريقيا، وبعض أنواع الأصداف الأخرى. وكذلك الخرز المصنوع من أجزاء القواقع الرفيعة والطويلة المجوّفة، وتحديداً ذلك النوع الذي يطلق عليه الدنتاليا (dentalia) وقد اكتُشف في تل الصوان بكميات غير قليلة. إن وجود الودع، وكذلك الخرز السالف الذكر، هو دليل آخر على اتصال أهل تل الصوان بالخليج العربي، ومن ثم يمكن أن نستنتج أن هناك مواد أخرى قابلة للتلف، قد جرى التبادل بها بين أعالي الخليج وأسفله، منذ عصر سامراء على أقل تقدير.

وخلاصة القول هو، أن اكتشاف موقع آخر من عصر العُبيد في المستقبل، بطبقات جيدة ومكتشفات أثرية متنوعة، ربما سيكون الفيصل في تحديد البدايات الأولى للعبيد في دولة الإمارات، أو منطقة الخليج. كما يمكن أن تساعد نتائج التنقيب في موقع الصبية في الكويت، على إلقاء الضوء على طبيعة ثقافة العُبيد في منطقة الخليج، لا سيما وأن ذلك الموقع هو الأقرب جغرافياً إلى مواقع العُبيد في جنوب العراق،



الشكل ٨ : فخار عبيدي من موقع الحمرية (نقلاً عن جاسم ١٩٩٦).



الشكل ٩ : نماذج من الكسر الفخارية التي اكتشفت في جزيرة دلما (نقلاً عن البعثة البريطانية- مشروع مسح الجزر).

ونقطة الوصل مع مواقع العُبيد في غربي وجنوبي الخليج .

ومما يؤيد صحة الاعتقاد في وجود آثار أقدم من فترة العُبيد في منطقة الخليج، هو ما اكتُشف في إحدى الجزر الأخرى من المنطقة الغربية، وهي جزيرة مروّح. ففي هذه الجزيرة اكتشف موقع من عصور ما قبل التاريخ، يمكن أن يكون أقدم من مواقع العُبيد إذ إن الآلات الحجرية المكتشفة وعدم العثور على الفخار، قد يكونا دليلين على ذلك. وفي هذا الموقع اكتشفت أكبر مجموعة من السهام والآلات الأخرى، المصنوعة من الصوّان[١١] .

أما في منطقة جبل البحايص، الواقع في سهل المدام من إمارة الشارقة، ويبعد حوالي ٦٠ كيلو متراً عن شاطئ الخليج العربي، فقد اكتشفت مقبرة جماعية من العصر الحجري المتأخر (Late Stone Age) . ومما يزيد من أهمية هذه المقبرة، التي يرمز لها باسم "حايص ١٨"، عمرها الزمني، الذي يرجع إلى الألف الخامس قبل الميلاد، حسب التحليل الكربوني؛ وكذلك كبر مساحتها، حيث اكتشف أكثر من مائتي قبر، حتى الآن، لذكور وإناث دفنوا بطريقة القرفصاء، إضافة إلى مكتشفاتها الأثرية، التي اشتملت على الكثير من الخرز المعمول من الأصداف والقواقع، التي وجد بعضها على رقاب الإناث، أو خصورهن وأيديهن. وقد كان للؤلؤ وجود ضمن هذه المكتشفات، إذ عُثر على عدد من حبات اللؤلؤ المثقوبة كانت تزين رؤوس النساء. ومن أنواع الخرز الأخرى، عُثر على خرز العقيق الذي ينم عن تبادل تجاري.

وقد كشف التنقيب الدقيق لهذه المقبرة أنها قد استعملت لعدة أجيال، إذ تبيّن أن بعض حُفَر القبور القديمة قطعت بحُفَرٍ تعود لمدافن أحدث عهداً. ومن خلال دراسة بعض الهياكل

العظمية، تبين أن جمجمة إحدى الإناث قد شهدت عملية جراحية أزيل بموجبها ورم منها، قبل سبعة آلاف سنة (محادثة مع هانس بيتر أوربمان). وعلى الرغم من أن هذه المقبرة توصف بعبارة: (aceramic cemetery)، أي "مقبرة من عصر ما قبل الفخار"، بسبب عدم العثور على أية فخاريات فيها، فإن هذا الوصف ربما لا يكون دقيقاً، إذ إن فخار العُبيد على ندرته، كان معروفاً في المواقع الساحلية المعاصرة لتلك المقبرة. وعلى أي حال، فإن المنقّبون يستعملون في بعض الأحيان مصطلح (Ubaid related sites)، أي: "المواقع المعاصرة للعبيد"، لمثل هذه المقبرة ولمواقع أخرى مشابهة[١٢].

الخلاصة

ما تزال الأبحاث، التي جرت في مواقع عصور ما قبل التاريخ، محدودة، بالمقارنة مع الأبحاث الأخرى. ولو أضفنا إلى ذلك طبيعة هذه المواقع، التي لم تكشف عن أية عمارة فعلية حتى الآن، نكون قد بررنا سبب عدم وضوح الرؤيا، عند التعامل مع تلك المواقع. ومما هو مؤكد أن الأجزاء الشرقية من أرض الجزيرة العربية، وساحل دولة الإمارات العربية المتحدة المطل على الخليج، قد شهدا استيطاناً سبق ظهور فخار العُبيد فيهما بعدة قرون، وربما ببضعة آلاف من السنين، وإن كان ذلك الاستيطان خالٍ من عناصر العمارة الفعلية. وعلى الرغم من عدم العثور على آثار من العصر الحجري القديم أو الوسيط، في المناطق الممتدة على شواطئ الخليج، فإن المرحلة، التي يتفق الكثير من الآثاريين على تسميتها بالعصر الحجري المتأخر، تتداخل بشكل غير واضح مع الحضارة الخليجية اللاحقة، التي تعاصر ثقافة العُبيد، بحيث يصعب -في كثير من الأحيان- التمييز بينهما، خاصة في ظل غياب الفخار.

إن اكتشاف فخار العُبيد في شرق المملكة العربية السعودية، كان قد فُسّر من قبل الدكتور عبدالله مصري بأنّ الجزيرة العربية هي المنشأ الحقيقي لهذه الحضارة، التي امتدت - حسب رأيه- إلى وادي الرافدين، لتنمو وتكبر في موطنها الجديد. ولكن الدراسة، التي أجرتها الدكتورة جون أوتس (التي تم ذكرها من قبلُ) تضمنت إجراء تحاليل على عيّنات من الفخار العُبيدي، في كل من العراق والمملكة العربية السعودية.

وبموجب هذه الدراسة، وتلك التي أجريت مؤخراً من قبل كل من صوفي ميري وشنايدر، تبين أن فخاريات العُبيد، التي اكتشفت في مواقع الساحل الشرقي للجزيرة العربية كان مصدرها وادي الرافدين، وأنها تعود إلى أدوار العُبيد المتأخرة، لا إلى الفترات المبكرة منه. أما الأواني المصنوعة من الجبس، فهي من الصناعة المحلية، وأريد بها أن تكون تقليداً للفخار الملون المستورد. واستناداً إلى ذلك، وإلى ما تم التوصل إليه من نتائج من قبلُ، فإن ظاهرة العُبيد في دولة الإمارات العربية المتحدة، وكذلك في مناطق الخليج الأخرى، يمكن أن تُفسر على أنها نتيجة تفاعل حضاري مع بلاد وادي الرافدين، منشأ الفخار العُبيدي، ويجب أن لا يُنظر إليها من جانب واحد فقط. وللتعرف على البدايات الأولى لهذا التفاعل، لا بد من إعادة تقييم المكتشفات الأثرية، التي ترجع إلى فترة العُبيد ١ و ٢ في وادي الرافدين، وتلك التي ترجع إلى حقبة الطبقة الثالثة في تل الصوان، على أقل تقدير. وعلى الرغم من هذا التفاعل، الذي يحتمل أن تعود جذوره إلى مرحلة ما قبل العُبيد، نتفق - في الوقت نفسه- مع البروفيسور أوربمان، وعدد آخر من الباحثين، على أن الصناعة الحجرية المرافقة لفخار العُبيد، التي يُطلق عليها (Arabian Bifacial Tradition)، هي صناعة خاصة بالخليج ومنطقة الجزيرة العربية، وأنها تختلف عن صناعة الآلات الحجرية من بلاد وادي الرافدين (Uerpmann and Uerpmann 1996: 131).

وعن وسيلة العيش، لا يمكن القول بأن أقوام العصور الحجرية، ممن أمكن التعرف على بعض مواقعهم حتى الآن، كانوا جامعين للقوت لا منتجين له؛ بل إنهم -حسب رأي أوربمان- كانوا رعاة وصيادين، في آن واحد. وفي اعتقاده، أن أولئك الأقوام كانوا يعتمدون على البحر كمصدر رئيسي للغذاء، على الرغم من أنهم كانوا يربّون الحيوانات، كذلك.

أما فيما يتعلق بطريقة الصيد البحري، التي اتبعت في الألف الخامس قبل الميلاد، فيعتقد أوربمان أن السكان كانوا يمارسونها في المياه الضحلة، ولم تكن هناك حاجة لاستعمال القوارب لهذا الغرض. وقد استند في هذا الاستنتاج على عظام الأسماك، التي اكتشفت في الحفائر التي جرت في بعض المواقع، وهي لأسماك من النوع الذي يعيش في مثل تلك المياه. وفي كثير من الأحيان يعثر على ثقالات لشباك الصيد المصنوعة من الحصى، التي كانت تستعمل في شباك ترمى من

قبل الصيادين وهم واقفون في وسط الماء. وجدير بالقول إن لدينا بعض التحفظ على هذا الاستنتاج، إذ إن قوارب أهل العُبيد، خاصة الصغيرة منها، لا بد إنها كانت معروفة لدى أهل الخليج، الذين كانوا يتعاملون مع البحر منذ أقدم العصور. وقد أثبتت التنقيبات، التي جرت في مواقع مختلفة من شواطئ الإمارات، بغض النظر عن عصورها الزمنية، أن وسيلة العيش الرئيسة كانت الاعتماد على البحر كمصدر للرزق، وأن عظام بقر البحر (dugong) هي الأكثر شيوعاً. ولذا، فمن البدهي أن يكون فخار العُبيد مرتبطاً بمواقع الأصداف (-shell mid dens)، المنتشرة على امتداد ساحل الخليج، وهو غير معروف حتى الآن في المناطق الداخلية إذ تسمى مواقع الألف الخامس هناك بـ (Ubaid related sites). ويدل انحصار هذه المواقع في المناطق الساحلية، على أن مهنة الصيد البحري كانت المهنة المشتركة، التي تجمع بين سكان أعالي الخليج وأسفله. وقد كان لهذه المهنة الأثر غير المباشر في تنشيط التجارة بين المنطقتين، والتي نرى أنها امتدت لتشمل سكان المناطق الداخلية، في حقبتي حفيت وأم النار.

د. وليد ياسين التكريتي - خبير آثار - إدارة الآثار والسياحة - العين - دولة الإمارات العربية المتحدة.

الهوامش:

١ - "أريدو" هو الاسم القديم للموقع المسمى أبو شهرين، وتقع على بعد ٢٥ كيلومتراً إلى الجنوب الغربي من مدينة أور، وقد اشتهرت لكونها مركزاً لعبادة الإله "انكي"، إله الحكمة والمعرفة. انظر كتاب أريدو لمؤلفيه فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى وسيتن لويد/ إصدار المديرية العامة للآثار والتراث - بغداد، ١٩٨١ .

٢ -يذكر البروفسور بوتس في الهامش ١٠ من كتابه (The Arabian Gulf in Antiquity) بأن أكثر من ٢٠٠ كسرة من الفخار الملون، والكثير من الفخار غير الملون، إضافة إلى السهام الحجرية وقطع البلاستر، التي تحمل طبعات القصب، قد جمعت من على سطح الموقع (قبل تنقيبه من قبل د. مصري). وفي ذلك إشارة إلى إختفائها إلى الأبد بين هواة جمع الآثار.

٣ - تعد الدكتورة أوتس المرجع الرئيسي في حضارة العبيد، إذ قامت منذ الخمسينات من القرن العشرين بإعداد رسالتها للدكتوراة في هذا الموضوع، ثم أتبعتها بالعديد من البحوث منذ ذلك الحين. وقد أشرفت على أكثر من رسالة دكتوراة في الموضوع نفسه. بخصوص ملاحظاتها عن موقع المرخ، أنظر مقالتها لعام ١٩٧٦ .

٤ -على الرغم من أن الكسر الفخارية، التي التقطت من على سطح هذا الموقع عند اكتشافه، كانت قد نسبت إلى عصر العبيد، فقد أكّد المؤلف ذلك حين عُرضت عليه، أثناء زيارته للكويت في عام ١٩٨٥ . وأود أن أشكر الدكتور فهد الوهيبي، الذي نظم لي هذه الزيارة بمعيته شخصياً، وكل من الأستاذين سليمان سعدون البدر ومحمد خير نمر ياسين.

٥ - بحث قدمه روبرت كارتر في ندوة الدراسات العربية في أدنبرة ٢٠٠١ .

٦ - تعرضت الأجزاء الشمالية من هذا الموقع في عام ٢٠٠٢ إلى التخريب، نتيجة لتوسيع التقاطع على الطريق المؤدية إلى ميناء الحمرية.

٧ - أطلق أوربمان وجيبل اسم "ند الوليد" على هذا الموقع، وهو الموقع نفسه، الذي عثر فوكت فيه على كسر من فخار العبيد، وقد اعطاه الرقم ٤، كما جاء في الخريطة المنشورة في مقالة فوكت المشار إليها.

٨ - تم ملاحظة هذا الموقع من قبل السيدة شيرلي كي في عام ١٩٨٦، حين كانت احدى الجرافات تقوم بتسويته فأعلمتني بالأمر حين كنت أنقّب في إمارة عجمان. وطلبت بدوري من سائق البلدوزر حين مشاهدتي للموقع ايقاف العمل مؤقتاً حتى استلام التعليمات من البلدية، التي كان العمل يجري لحسابها. وبعد مراجعة رئيس بلدية أم القيوين صدرت التعليمات للبحث عن مكان بديل لنقل الأتربة، وبذلك تم إنقاذ ما أمكن إنقاذه. وقد تمكّن المؤلف من العثور على كسرة صغيرة من الفخار العبيدي الملون.

٩ - عدم العثور على كسر الفخار لا يعني، بالضرورة، أنه يرجع إلى عصر ما قبل الفخار.

١٠ - هذا الموقع ليس الموقع نفسه، الذي تم الكشف عنه من قبلنا والبروفيسور توسي، بل يقع إلى الجنوب منه وكلاهما يقعان غربي طريق عجمان - أم القيوين

١١ - مما يؤسف له أننا لم نتمكن من الإطلاع على المكتشفات الأثرية، التي حصلت عليها البعثة البريطانية العاملة في الجزر التابعة إلى إمارة أبو ظبي.

١٢ - اكتشفت هذه المقبرة من قبل البعثة المحلية التابعة لمتحف الشارقة للآثار، برئاسة الدكتور صباح عبود جاسم. وقد نقّبها الفريق الألماني من جامعة توبنجن، الذي يرأسه البروفسور هانس اوربمان، بالإشتراك مع المتحف المذكور. وقد زار الكاتب هذه المقبرة عدة مرات أثناء عملية التنقيب، وناقش مع منقبيها طبيعتها وتاريخها.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

Beech M., Elders J. and Shepherd E. 2000. "Reconsidering the Ubaid of the Southern Gulf: new results from excavations on Delma Island, U.A.E." **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies**, Vol. 30: 41-47.

Boucharlat R. and others 1991. "Note on an Ubaid-pottery site in the Emirates of Umm al-Qaiwain", **Arabian archaeology and epigraphy**, Vol. 2: June 1991, pp.65 - 71.

de Cardi B. 1978. **Qatar Archaeological Report Excavations 1973**, Oxford University Press.

Carter R., Crawford H., Mellalieu S. and Berret D. 1999. "The Kuwait British Archaeological Expedition to As-Sabiyah: Report's on the first season's work", **Iraq** Vol. LXI: 43-58.

Flavin K. and Shepherd E. 1994. "Fishing in the Gulf: Preliminary investigations at an Ubaid site, Dalma (UAE)", **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies**, Vol. 24: 115-134.

Frifelt K., 1989. "Ubaid in the Gulf Area". In: Henricksen and Thuesen (eds.) **Upon this Foundation - The Ubaid reconsidered**. Copenhagen: Museum Tusculanum, pp. 405-415.

Haerinch E. 1991. "Heading for the Straits of Hormoz, an Ubaid Site in the Emirate of Ajman (U.A.E.)", **Arabian archaeology and epigraphy** ,Vol. 2: No. 2: June

Jasim S. 1996. "An Ubaid site in the Emirate of Sharjah (U.A.E.)", **Arabian archeology and epigraphy** , Vol. 7, No.1, May, pp. 1-12.

Kapel H. 1973 "Stone - Age Survey". In Biby's **Preliminary survey in East Arabia 1968, Jutland Archaeological society publications**, Volume XII.

Masry, Abdullah Hassan 1974. **Prehistory in Northeastern Arabia: The Problem of Interregional Interaction**, Published by Field Research Projects, Coconut Grove, Miami, Florida .

Mery S. and Schneider 1996. "Mesopotamian pottery wares in Eastern Arabia from the 5 th to the 2 nd millennium BC: A contribution of archaeology to the economic history", **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies** ,Vol. 26: 79-96 .

Oates J. 1976. "Prehistory in Northeastern Arabia", **Antiquity**, 50: 24.

Oates J. 1978. "Ubaid Culture and its Relation to Gulf Countries" in de Cardi's edition **Qatar Archaeological Report - Excavations 1973**, Oxford University Press, 39-52.

Oates J. et al., 1977. " Seafaring Merchants of Ur?", **Antiquity**, 51.

Phillips C., forthcoming "Prehistoric middens and a cemetery from the southern Arabian Gulf".

Potts D. 1990. **The Arabian Gulf in Antiquity,** Vol. 1, Clarendon Press, Oxford

Prieur A. & Guerin, C. 1991. "Decoverte d'un site prehistorique d'abbatage de dugongs a Umm al Qaiwain, Emirats Arabes Unis", **Arabian archaeology and epigraphy**: 2: 1991.

Roaf M. 1976. "Excavations at Al Markh, Bahrain", **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 6**.

Safar F., Mustafa M.A and Loyed S. 1981. **ERIDU,** State Organization of Antiquities and Heritage, Baghdad.

Smith G. H. 1978. "Two prehistoric sites on Ras Abaruk, site 4". In: de Cardi (eds), **Qatar Archaeological Report**, 80-106.

Uerpmann M. and Uerpmann H. 1996. "Ubaid pottery in the eastern Gulf- new evidence from Umm al-Qaiwain (U.A.E)", **Arabian archaeology and epigraphy**, Vol. 7: No. 2: November 1996, 125 - 139

Vogt B., 1994. "In Search for Coastal Sites in Pre-Historic Makkan: mid-Holocene (shell-eaters) in the coastal desert of Ras al-Khaima, U.A.E.", Published in: **From Sumer to Meluhha**, in Memory of George Dales, Jr., edited by Jonathan Mark Kenoyer.

نقش سبئي جديد من جدران[1]
دراسة تحليلية في دلالاته اللغوية

عميدة محمد شعلان

ملخّص: يُقَدِّم هذا البحث دراسة تحليلية لغوية لنقش جديد من موقع جَدْرَان، أطلقت الباحثة عليه: "جَدْرَان ١"، وهو أول نقش من نقوش المنطقة يُحصل عليه. وتنوي الباحثة، في حال حصولها على نقوش جديدة أن تعطيها أرقاماً متتابعة. وبعد الاطلاع على مدونات النقوش اليمنية القديمة، بشكل عام، والسبئية بشكل خاص، المعروفة حتى الآن، تبين أن نقش جَدْرَان جديد، ولم يسبق أن نشر من قبل[٢]. ويُستدل من محتوى النقش أنه واحد من نقوش البناء السبئية، المتعلقة ببناء المقابر[٣]. وقد وضع أصحاب النقش نقشهم هذا بعون (معبودهم) ربع، وحاميهم (المعبود) عثت [ر]. كما تجدر الإشارة هنا إلى أن اسم القبيلة نكعن، لم يَسْبق ذكرها من قبل في النقوش اليمنية القديمة، وكذلك في المصادر التاريخية؛ وبذا يعد الاسم نكعن، إضافة جديدة إلى أسماء القبائل اليمنية الأخرى، المعروفة في تاريخ اليمن القديم.

Abstract. This paper presents a linguistic analysis of a new inscription from Gadran site. Named Gadran 1, the inscription is the first one found in the location. If others are found, they will be numbered successively. After examining the known corpus of the ancient Yemeni inscriptions in general, and Sabaean inscriptions in particular, it is obvious that the inscription of Gadran is a new unpublished one. On the basis of its content, it is concluded that this inscription belongs to the Sabaean tomb structure inscriptions. The transcribers of the inscription had performed it with the help of (their god) RBb' and their defender (the god) 'TT[R]. It is necessary to point out here that neither ancient Yemeni inscriptions nor historical sources have mentioned the tribe's name NK'N. Thus, the name NK'N is a new addition to the names of Yemeni tribes known in ancient Yemeni history.

رقم النقش: جَدْرَان ١ .

مادة النقش: حجر جيري.

مصدر النقش: جَدْرَان، ويوجد النقش حالياً في الجدار الغربي لمنزل أحد أبناء قرية الجيرف، ويدعى محمد غالب الديلمي.

أبعاد النقش: الطول ٣٤سم، العرض ٥ر٢٤ سم. إرتفاع الحروف ما بين ٧سم، ٥سم، ٥ر٢سم، ٥ر١سم.

مادة النقش: حجر جيري.

وصف النقش: عبارة عن قطعة من الحجر الجيري، نُفِّذ عليها نقش في أربعة أسطر مكتوبة بخط المسند، بطريقة الحفر الغائر، بها بعض الخدوش البسيطة. كما أن بعض الحروف في الجانب الأيسر من النقش قد تلفت، ومع ذلك يكاد يكون محتوى النقش مكتملاً. الملاحظ في هذا النقش: أن السطر الأول منه تكاد تكون حروفه جميعاً كبيرة، وبالأبعاد نفسها، أي أن طول كل حرف منها حوالي ٧سم؛ أما بقية الأحرف في السطور الأخرى، فطول كل حرف منها حوالي ٥سم.

تأريخ النقش: بناء على نمط الخط، يمكن إرجاع تأريخ النقش إلى حوالي القرن الثالث الميلادي.

النص بالحرف العربي

١- ثْ و ب/ أ ز أ د/ و أ ث ت هـ و/ ن ع .../.]

٢- [.] ن ع م/ و ر ث د/ و هـ و ف ع ث ت/ و ش ر ح ث ثّ.../]

٣- ب ن و/ ن ك ع ن/ هـ و ث ر و/ و هـ ش ق ر ن/ م ق ب ر هـ /م و/ ...

٤- ب م ق م/ ر ب ع هـ مُ و/ و ب م ق م/ ش ي م هـ م و/ ع ث ثّ]ر/...

محتوى النص باللغة العربية

١ - ثوب أزْأد وزوجتهُ (المسماة) نعـ[.... (وابناؤهم المسمّوْن)

٢ - [.]نعم ورثد وهوف عثت وشرحثتْ [....

٣- بنو نكعن (هؤلاء جميعاً)، أسسوا وعلوا (أو) أكملوا مقبرتهـ [.م...

٤- (وذلك) بعون (قوة معبودهم) ربعهم وبعون (قوة) حاميهم (المعبود) عثتـ [ر...

الحاشية

السطر الأول:

ثوب/أزأد: اسم علم لصاحب النقش، وهو -حسب علمي-اسم يرد لأول مرة في النقوش اليمنية القديمة بهذه الصيغة: ثوب/أزأد. وردت أسماء أشخاص بصيغة الاسم الأول كاسم العلم، والأسم الثاني كصفة لصاحبه، مثل: رثدثون/أزأد، أو هوف عثت/يهشع، في النقش السبئي (CIH 1/1-2)...إلخ. فالاسم الأول **ثوب**، ورد في النقوش اليمنية القديمة كاسم علم مذكر في النقوش القتبانية (Hayajneh 1998:110)، والنقوش السبئية (Harding 1971: 149)، وكاسم امرأة في نقش سبئي (Sholan 1999: 41; 85). ولعله يُقرأ، كما في الموروث العربي: ثَوَاب (الهمداني ١٩٨٦: ٢٩٤) على وزن فَعَال. فالجذر **ثوب** مشهور جيداً في اللغات السامية ث/شوب بمعنى "عاد"، قارن باللغة العربية ثَابَ (الفيروز آبادي ١٩٥٢(١): ٤٣)، بالأرامية ش/ثوب، بالأوجاريتية ثب، بالعبرية شوب وبالأمورية شوب (Jongeling Müller 1962: 35; Hoftijzer-1995: 1114; Gelb 1980: 33) . أما الاسم الآخر **أزأد**، فهو اسم صفة لصاحبه، على وزن أفعل من الجذر زأد بمعنى "محصول" بالسبئية (بيستون وآخرون ١٩٨٢: ١٦٩)؛ قارن بالعربية زيادة (الفيروز آبادي ١٩٥٢(١): ٣٠٩). أزأد جاء كاسم علم مذكر بالسبئية (Harding 1971: 39).

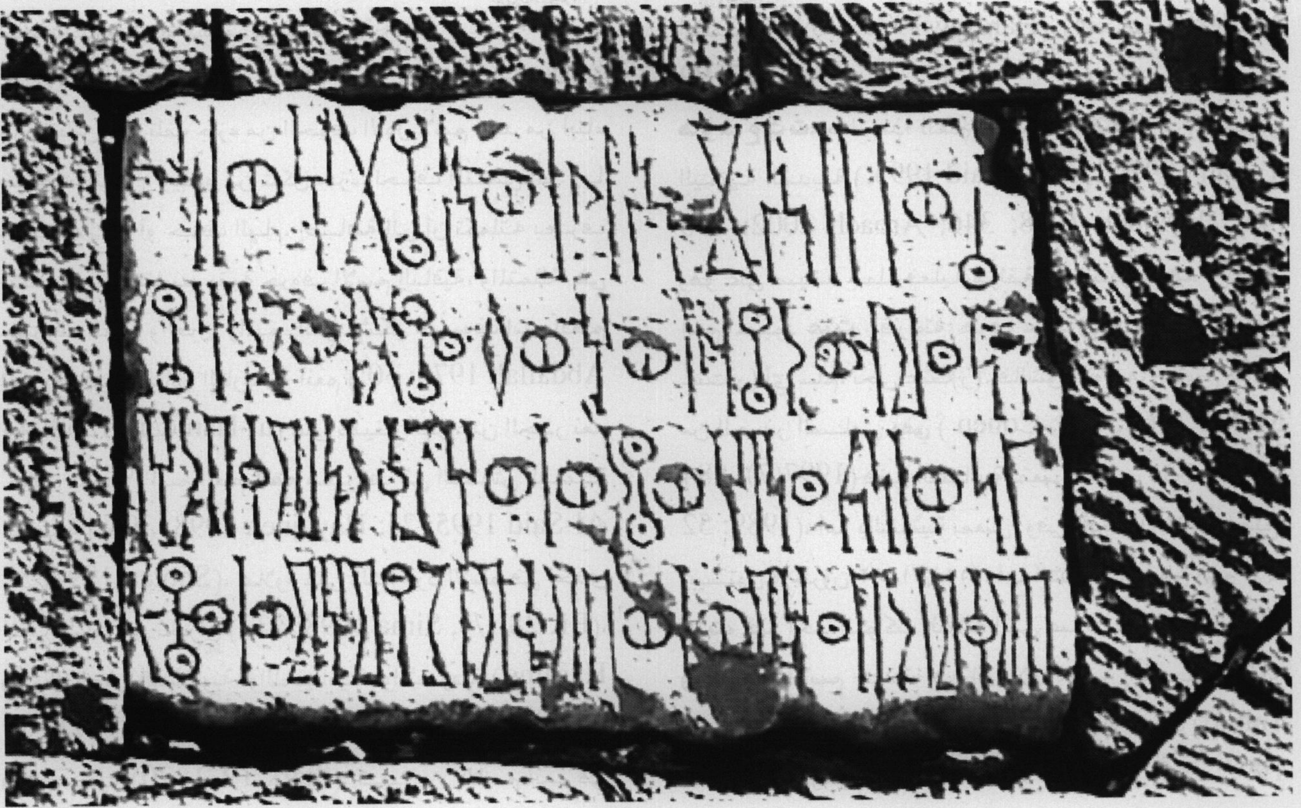
أ ث ت هـ و: "زوجتهُ": الكلمة مركبة من الاسم **أثت** بإدغام النون، والضمير هو للمفرد الغائب. وقد عرفت إلى جانب ذلك الصيغة أنثت بإثبات النون. ففي اللهجة السبئية وردت أثت وأنثت في حالة المفرد، وفي حالة الجمع أأنث (بيستون وآخرون ١٩٨٢: ٧)؛ وفي المعينية أنث، وأنثت بالمفرد وبالجمع أنثهت (Arbach 1993: 6)؛ وفي القتبانية أثت وأنثت بالمفرد (Ricks 1989: 14)، أما بالحضرمية إلى جانب الصيغة أنثت، وردت صيغة المفرد أسـ٣ت (Frantsouzoff 1977: 114). أيضاً الكلمة أثت، أنثت لها معان أخرى "ابنة؛ صبية" (Ry 375/6-7, s. Beeston CIAS II, 75;) (Born 1970: 553) قارن بالعربية أُنثة، بالعربية الجنوبية الحديثة: المهرية، الشحرية والحرسوسية تِث، بالإثيوبية أنْست، بالأمهرية سِت، أنْست، بالتيجري أسَّيت، بالعبرية إشَّا، بالسريانية أتتا، بالأوجاريتية أث، في الفينيقية-البونية أشت وبالأكادية أشاتو (Johnstone 1977: 3; 1987: 6; Leslau 1991: 32; Kane 1990: 530; Cohen 1970(1): 27)[٤].

ن ع [...: اسم زوجة مقدم النقش ثوب/أزأد. وبسبب الكسر، الذي أصاب نهاية السطر الأول فقد تلف حرف، أو حرفان، لاسم زوجة صاحب النقش. وتقترح الباحثة تكملة الحرف أو الحرفين التالفين بالميم؛ أو بالميم والتاء، أو بالميم والميم (نعم؛ نعمت، أو نعمم). وهي إضافة تناسب حرفي الاسم الموجودين، والمتمثلة بحرفي النون والعين، التي تشكل حروف أسماء الأعلام المعروفة في النقوش اليمنية القديمة: نعم، نعمت أو نعمم (Sholan 1999: 136, 137; Hayajneh 1998: 294).

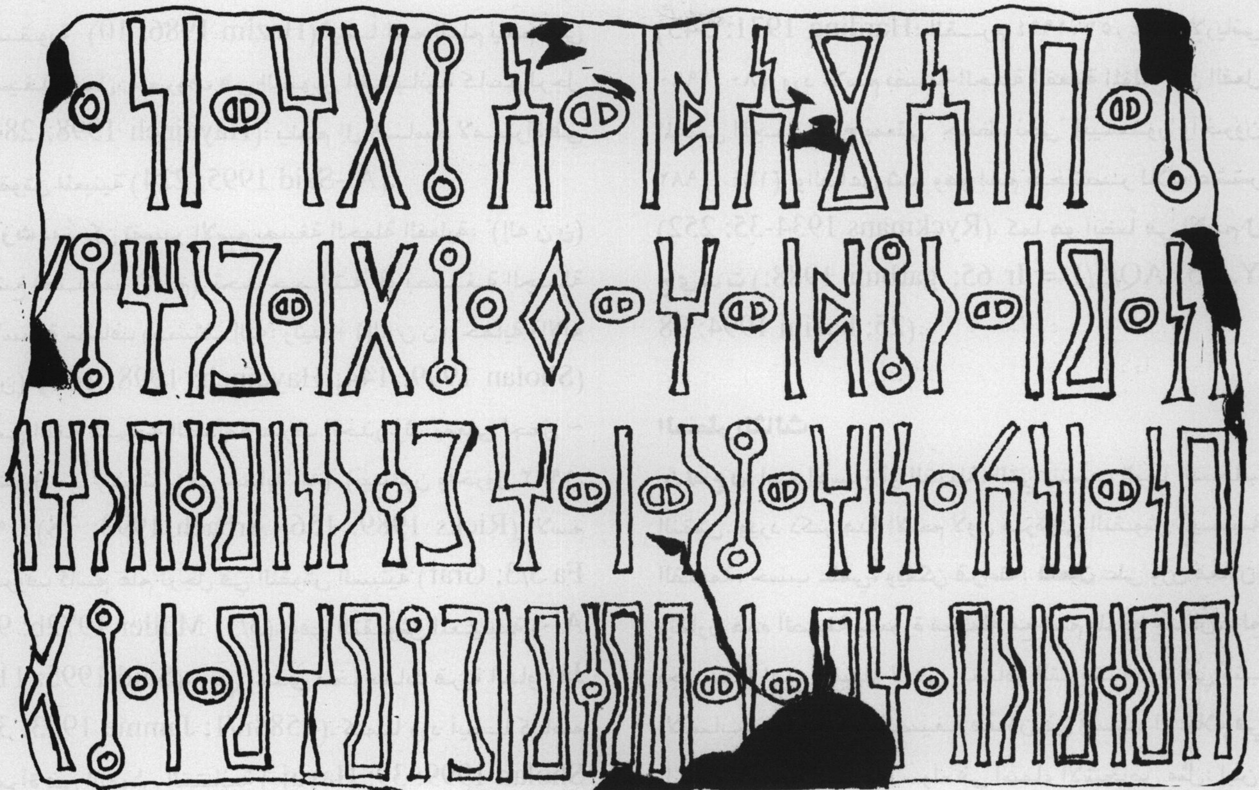
وفي نهاية السطر الأول ما يدل على أن هناك حروفاً مفقودة، تتضمن بقية حروف اسم زوجة صاحب النقش (ثواب)، وكذلك الكلمة، التي يُتوقع أن تأتي بعد اسم الزوجة، وهي كلمة: (و ب ن ي هـ م و) حتى يستقيم سياق المعنى في النص.

السطر الثاني:

[.] ن ع م/ و ر ث د/ و هـ و ف ع ث ت/ و ش ر ح ث تْ [...: كلها



لوحة ١: قطعة من الحجر الجيري عُثر عليها في قرية الجيرف باليمن، تحوي نقشاً جديداً من نقوش جَدران، لم يسبق نشره.



شكل ١: تفريغ كتابات النقش في لوحة ١.

أسماء أعلام لأبناء مُقَدِّم النقش ثوب/أزأد.

[.] ن ع م: تسبب الكسر، الذي أصاب بداية السطر الثاني من النقش، في تلف جزء من الحرف الأول لاسم أحد من أبناء صاحب النقش، ويبدو من شكل جزء الحرف المتبقي أنه: إما حرف الألف، أو حرف الياء، إضافة إلى أن تكملته بحرف الألف أو الياء تناسب بقية حروف الاسم الباقية، والمتمثلة في حروف النون والعين، والميم، التي تشكّل حروف اسم العلم المعروف في المصادر التاريخية أَنْعَم (Abdallah 1975: 30; al-Hamdani 1953: 44) على صيغة أَفْعَل، من الجذر نعم "طاب، نَعِم"[٥]. اسم العلم **انعم** معروف في النقوش اليمنية القديمة (Al-Said 1995: 21; Hayajneh 1998: 304; Sholan 1999: 32)، علاوة على ذلك، ورد الاسم في إحدى المخربشات من نجران (P1. 28/1/1, Sima 1998: 232)، وفي النقوش الصفوية، واللحيانية، والثمودية (Harding 1971: 80)، والنبطية (al-Khraysheh 1986: 40) والتدمرية (Stark 1971: 70)؛ كما ورد الاسم أنعم في أسماء الأعلام المركبة **أب انعم** في نقش سبئي (Kortler 6a/2; Müller 1978: 129)؛ وكذا **انعم لت** في النقوش الصفوية (Hazim 1986: 10) أيضاً اسم العلم ينعم علي صيغة يفعل، معروف في النقوش القتبانية كاسم لرجل (Hayajneh 1998: 284)؛ **ينعم إل** كاسم لامرأة في النقوش المعينية (Al-Said 1995: 224).

رث د: يُمكن تفسير الاسم بصيغة الجملة الفعلية: "(إله ن ن) وضع (صاحب الاسم) تحت حمايته" أو بصيغة الجملة الإسمية مضاف ومضاف إليه: رَثِيد + (إله ن ن) "حماية (الإله ن ن)" (Sholan 1999: 144; Hayajneh: 1998: 148) ففي اللغة اليمنية القديمة عرف الجذر رثد بمعنى "جعل ~ وضع (احداً/ شيئاً) (في حماية إله)" (بيستون وآخرون ١٩٨٢: ١٩١؛ Ricks 1989: 156; Arbach 1993: 78) الاسم معروف كاسم علم لرجل في النقوش السبئية (Fa 3/3; Graf 3/1; Müller 1972b: 99)، وفي النقوش المعينية (Al-Said 1995: 110)، وفي إحدى مخربشات قرية الفاو (Ja 2588n/1; Jamme 1973: 32)، كما ورد أيضاً كاسم لإمرأة في النقوش القتبانية (Sholan 1999: 39; Hayajneh1998: 316)، علاوة على ذلك ورد ذكره في النقوش الثمودية (Harding 1971; 269)، والصفوية (Müller 1972: 99)[٦].

هـ و ف ع ث ت: جاء هذا العلم المركب في كثير من النقوش اليمنية القديمة (Tairan 1992: 226; Al-Said 1995: 45; Hayajneh 1998; 346; Arbach 2002: 230) وهو على صيغة جملة فعلية مؤلفة من الفعل **هوف** والفاعل اسم المعبود **عثت**، وقراءته: هَوف عثت(ر)، ولعل معناه: أوفى عثت(ر) أي سَلَّمَ، نجَى عثت(ر). فالشق الأول من الاسم هوف، من الجذر السامي **وفي** (Müller 1962: 110; Cohen 1997(7): 584) ففي القتبانية بمعنى "حمى، منح" (Ricks 1989: 52)، أما بالسبئية بمعنى "وفّى، أنجز (التزاماً)، منح" (بيستون وآخرون ١٩٨٢: ١٥٨). أما الشق الثاني من اسم الإله **عثت** فهو أحد الكواكب الثلاثة التي عبدت في اليمن القديم، ويأتي هذا الاسم -عادة- في الاعلام المركبة إما بحذف الراء، كما هو في هذا الاسم، أو بحذف الثاء والراء عت (Tairan 1992: 261; Al-Said 1995: 227; Hayajneh 1998; 292; Sholan 1999; 292; Arbach 2002: 230).

ش رح ث ت: اسم لعلم مركب جاء ذكره في النقوش السبئية (Harding 1971: 345؛ القرم ١٩٩٤: ٥١، ٧٤ ؛ الإرياني ١٩٩٠: ٨٠). ورد الاسم بصيغة الجملة الفعلية المؤلفة من الفعل الماضي المجرد **شرح** بمعنى "حفظ، نجى" (بيستون وآخرون ١٩٨٢: ١٣٤)، والفاعل ثت، وهو اسم مختصر للإله عثتر (Ryckmans 1934-35: 252)، كما هو أيضاً في الاسم **ل ح ي ث ت** (Y. 85. AQ/5/1 = Ir 65; garbini 1988: 25; hazim 1994: 98).

السطر الثالث:

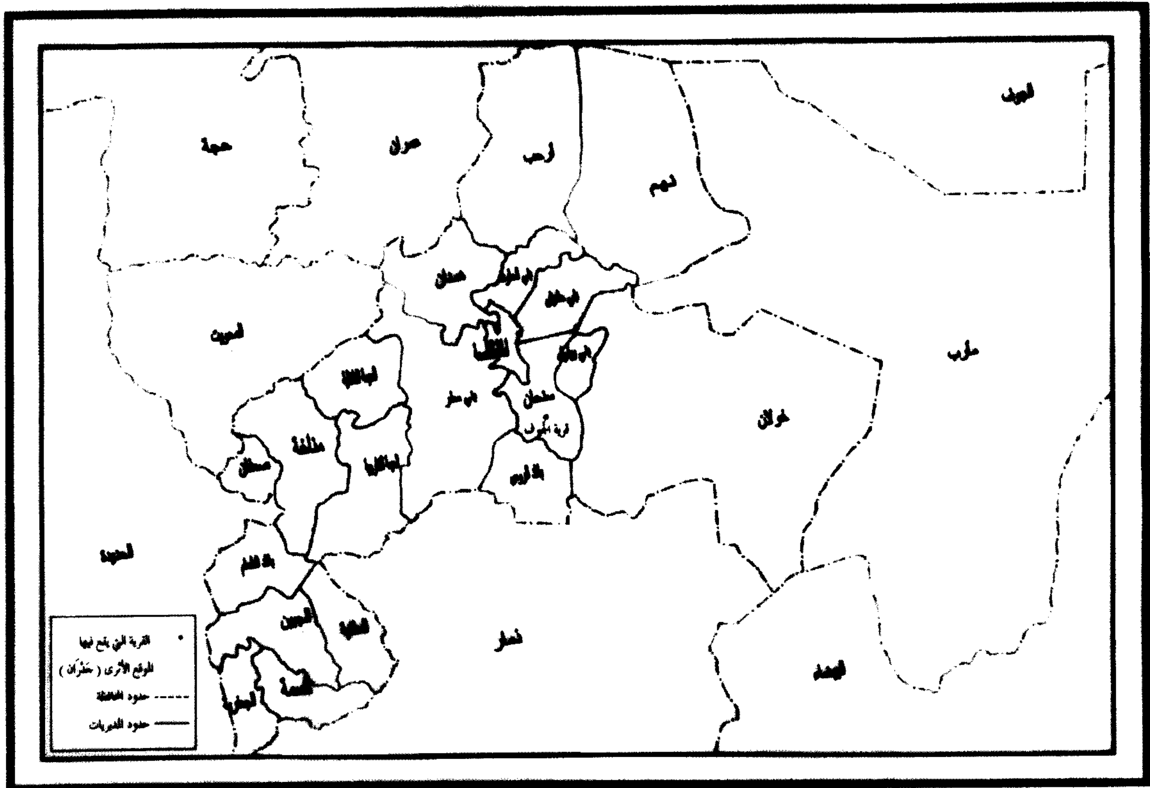
ن ك ع ن: اسم الأسرة أو القبيلة، التي ينتسب اليها أصحاب النقش. ويرد ذكر هذا الاسم لأول مرة في النقوش اليمنية القديمة، حسب علمي، ويمكن قراءته: **نَكْعَان** على وزن فَعْلاَن، وتقارن هذه الصيغة بصورة محتملة مع اسم الموقع جَذْرَان. ولم نجد ذكراً لهذه القبيلة لا في المصادر التاريخية، ولا في كتب الأنساب. وقد عُرفت الصيغة فَعْلاَن في أسماء الأعلام في النقوش اليمنية القديمة، سواء في أسماء الأشخاص مثل: إبلن، أوسن، بسلن، بوسن، ثوبن، ذرحن، علهن ...إلخ (Hayajneh

15 ;1998: 21; Al-Said 1995)، أو في أسماء القبائل، مثل: نجرن، نضحن، نهلن (مكياش ١٩٩٣: ١٢٠)، شرعن، رحضن (YM 11757, Ryckmans et al. 1994; 44)، أو في أسماء الأماكن، مثل: نجرن، نشن، نعمن (Al-Sheia 1987; 56-57). والاسم نكعن من الجذر **نكع**، وفي اللهجة اليمنية النُّكْعُ والنُّكْعَةُ: "الوثب، والوثبة" (الإرياني ١٩٩٦: ٨٨١)، ونَكَعَ بمعنى "برز"، والناكع أي "البارز". وفي اللغة العربية النُّكَعَةُ "المرأة الحمراء، ومن الشفاة: الشديدة الحُمرة" والنُّكعة "صمغة القتاد، وثمر النقاوي، وطرف الأنف، وثمر شجر أحمر" والاسم من الرجل النُّكَعُ، للذي يُخالط سواده حُمرةٌ (الفيروز آبادي ١٩٥٢ (٣): ٩٤).

هـ و ث ر و: "أسَّسوا". فعل ماضٍ مزيد بحرف الهاء في أوله في السبئية، مشتق من الجذر وثر بمعنى "أسَّس" (بيستون وآخرون ١٩٨٢: ١٦٦) والواو في آخره للدلالة على الجماعة. وما تزال الكلمة معروفة ومستخدمة في لهجات اليمن اليوم. ووَثَّرَ بمعنى "وضع أساس"، ومنها أشتقت الصيغ المختلفة: تَوْثَرَ وجمعها تواثِر؛ هَوثَرَ، مَوْثَر، مَوْثِر وجمعها مَواثِر، مَياثير بمعنى "أساس" (الهمداني ١٩٧٩: ٩٩ ؛ al-Selwi 1987: 217).

هـ ش ق ر ن: "علو، رفع". فعل بصيغة المصدر، يأتي بزيادة حرف النون في آخره بمعنى "علَّى، رفع؛ أكمل، أتم" من الفعل **هشقر** بالسبئية، **سشقر** بالقتبانية (بيستون وآخرون ١٩٨٢: ١٣٣؛ Ricks 1989: 171). وما تزال الكلمة معروفة في لهجة أهل اليمن: المُشْقُر، وجمعها مَشاقِر، وهي التي توضع فوق الرأس من الورد والريحان وغيره، طلباً للزينة والرائحة الطيبة (الإرياني ١٩٩٦: ٥٠٢).

م ق ب ر هـ [م و/...: "مقبرتهـ [م]". يبدو من شكل جزء الحرف المتبقي أنه ربما كان حرف الميم، لأن الفعل الأول: هوثرو، جاء في حالة الجمع. ويعتقد أن الاسم "**مقبر**" جاء كذلك في حالة الجمع، أي مقبرهـ [مو]. فالصيغة هنا مركبة من المضاف، وهو الاسم **مقبر**، والمقبر هو موضع القبر (الفيروز آبادي ١٩٥٢ (٢): ١١٧)، ومن **هـ [مو]**ضمير الغائبين للجمع، وهو المضاف إليه، والواو في آخره لاشباع حركة الضم،



خارطة ١: موقع قرية "الجيرف" بمحافظة صنعاء - اليمن، التي عُثر فيها على نقش جدران١ .

والمعنى "مقبرت [هم]" وربما أن هناك حروفاً تالفة بعد كلمة مقبرهـ[مو/... تُكَوِّن اسم المقبرة، وغالباً ما يأتي ذكر اسم المقبرة بعد كلمة مقبر[٧].

ب م ق م: "بعون (قوة)". صيغة جار ومجرور بمعنى "بعون (قوة)".

ر ب ع هـ م و: "معبودهم (الهلال)". صيغة مركبة من المضاف، وهو الاسم **ربع** "(معبود راع (لجماعة) في صورة قمر في ربع شهر)" (بيستون وآخرون ١٩٨٢: ١١٣)، ومن **همو**، ضمير الغائبين للجمع وهو المضاف إليه، والواو في آخره لاشباع حركة الضم، والمعنى: "معبودهم (الهلال)". ويرد ذكر (المعبود) ربع في النقوش السبئية والقتبانية، النذرية منها ونقوش المباني الخاصة. وحسب علمي لم يرد ذكره في النقوش المتعلقة ببناء المقابر. ففي النقوش السبئية عرف ربع(ن)، وفي القتبانية ربع شهر؛ والمعنى "ربع"، "ربع القمر" أي الهلال (Höfner 1965: 525). فقد ذكر ربع في النقوش السبئية، التي تؤرخ للقرنين الثاني والثالث الميلاديين، **هقني/ربعن/يهعن/ذن/ثورن/ذذهبن**: (YM 358/2' Fa 119; CIASI,: 47-50) = **وبعثر/شيمم/وربعهمو/وشمسهمو**: (CIH 398/20)؛ **بشمسهمو/ وربعهمو/وب/امراهمو**: (CIH 587/2)؛ **ربعهمو/هرن/بعل/رحبن**: (YM 2403/3-4; Yémen) أما في النقوش القتبانية، فقد ذُكر **شمسهمو/ربع/شهر**: (RES 3688-3692)؛ **ربعهمو/ذت/حميم/عثتر/يجر**: (Ja 269).

ش ي م هـ م و: صيغة مركبة من الاسم المضاف **شيم** (شايم)، بمعنى "الإله الحامي (لشعب)" (بيستون وآخرون ١٩٨٢: ١٣٦)، ومن المضاف إليه **همو** ضمير الجمع للغائبين، بمعنى: "حاميهم (المعبود عثتر)".

ع ث ت [ر/...: اسم معبود الزهرة، أو نجمة الصباح في اليمن القديم (الجرو ١٩٨٩: ٢٢٤؛ Höfner 1965: 497-50). ويعتقد أن الحروف التالفة هي صفة للمعبود عثتر، ربما الشارق، فصفة "شرقن" وردت كثيراً في نصوص المقابر. فقد أقام اليمنيون القدماء المنشآت المعمارية ومنشآت الري بعون هذا المعبود، ووضعوها في حمايته. كما كانوا ينجزون بناء قبورهم ويدونون عليها دعاء يتضرعون فيه اليه، بأن يهلك كل من ينبشها أو يتعرض لها بأذى.

الخاتمة

يتبين من دراسة هذا النقش الآتي:

- الاسم **ثوب/أزاد**، اسم علم لشخص يرد لأول مرة في النقوش اليمنية القديمة؛ وكذلك اسم القبيلة **نكعن**، اسم جديد لم يسبق ذكره من قبل في النقوش اليمنية القديمة، ولا في المصادر التاريخية، وهذا يمثل إضافة جديدة لأسماء القبائل اليمنية الأخرى.
- دلت صيغ الأفعال المستخدمة في النقش، أنه نص معماري يتعلق ببناء المقابر، وهي تشير إلى عملية البناء؛ وكذلك إلى ملكية المقبرة، ومن الجلي أنها مقبرة عائلية خاصة بالزوج والزوجة والأبناء[٨].
- وضع القبر تحت حماية معبودهم ربع (الهلال)، وحسب علمي أنه لم يرد ذكر هذا الاسم في نقوش المقابر من قبل؛ وحماية معبودهم **عثتر** (الشارق)، الذي عُرف كثيراً في نقوش المقابر.
- ينظم هذا النقش إلى مجموعة نقوش المقابر الغير مؤرخة، ونقوش المقابر بـ١ عام جاءت غالباً غير مؤرخة[٩].

د. عميدة محمد شعلان: قسم الآثار - كلية الآداب - جامعة صنعاء - ص.ب. (١٢٣٥٧)- صنعاء - الجمهورية اليمنية.

amida_sholan@hotmail.com

قائمة اختصارات مدونات النقوش:

CIAS:	Corpus des inscriptions et antiqutes sud-arabes.
CIH:	Corpus Inscriptionum Semiticarum, IV.
DJE:	Müller, W. Walter, 1972a.
Fa :	A. Fakhry 1952.
Gl:	Eduard Glaser.
Graf:	Müller, W. Walter, 1972b.
Ir:	الإرياني، مطهر علي، ١٩٩٠م
Ja:	Jamme, Albert, 1952, 1973.
RES:	Répertoire d'Epigraphie Sémitique.
Ry:	Ryckmans, Gonzague, 1949.
Wadi-al-Sirr:	Stiegner, Roswitha, G., 1981.
Y. 85. AQ:	Garbibi, Giovanni, 1988.
YM:	Ryckmans, Jacques; Walter W. Müller; Yusuf M. Abdallah, 1994; Yémen1997. نقوش المتحف الوطني، صنعاء
YMN:	عبدالله، يوسف محمد، ١٩٧٩م

الهوامش:

(١) أجرى فريق من قسم الآثار بجامعة صنعاء، أعمال المسح والتنقيب الأثري في موقع جَدْرَان، الواقع إلى الجنوب الشرقي من صنعاء بمسافة ٣٤ كم في قرية الجيرف بمديرية سنحان (الخارطة ١). وقد امتد الموسم الأول خلال الفترة من: (٢٠٠٢/٨/٤م حتى ٢٠٠٢/٨/١٤م) بغرض تدريب طلاب الآثار على طرائق وتقنيات المسح والتنقيب الأثري. وقد أجريت أعمال المسح والتنقيب الأثري في الموقع بإشراف الدكتور عبد الغني علي سعيد، رئيس قسم الآثار، وبمشاركة الدكتور إبراهيم موسى، رئيس الفريق، والدكتور محمد باسلامة، والدكتور محمد القحطاني، والدكتورة عميدة شعلان، والدكتور عبدالله الحداد، والدكتور علي سعيد، والدكتور عبد الرحمن جار الله، والدكتور إبراهيم المطاع.

(٢) أفاد الأخ محمد أحمد فيروز، أحد أبناء قرية الجيرف، بوجود نقش في منزل أحد أبناء القرية، ويدعى محمد غالب الديلمي. وقد زارت الباحثة في يوم ٢٠٠٢/٨/١٤م، وهو أخر يوم لعمل البعثة في الموقع، القرية لقراءة النقش وتصويره، ورافقها في الزيارة كلٌّ من: الأخ محمد أحمد فيروز، والطالبين أسامة ناصر الحبشي ومحمد حسين سِنه، طالبي الدراسات العليا في قسم الآثار؛ ورسم النقش الطالب أسامة ناصر الحبشي.

(٣) حول نقوش المقابر أنظر (شعلان ١٩٩٢: ٨٢؛ Müller 1988: 621).

(٤) لمزيد من الأمثلة عن الكلمة أثت أنظر:

(Müller 1974: 129-130; Sholan 1999: 16-17).

(٥) حول الجذر نعم ومقارنته باللغات السامية أنظر:

(Al-Said 1995: 66 Hayajneh 1998: 88; Sholan 1999: 90).

(٦) النقش رقم ١٠١: عند يوسف محمد عبد الله، النقوش الصفوية في مجموعة جامعة الرياض عام ١٩٦٦م، الجامعة الإمريكية، بيروت، رسالة ماجستير، غير منشورة، ١٩٧٠م" (Müller 1972b: 99).

(٧) على سبيل المثال: مقبرهو/صنعن: (YMN 1/3)؛ مقبرس/صنعن: (YMN 2/3)؛ مقبرهمو/صنعن: (RES 4050/2-3)؛ مقبرتن/ربخ: (Wadi al-Sirr 1/2)؛ مقـ[برتن/...]" : (DJE 10/1)؛ مقبرهن/مربخم: (CIH 21/2, 3).

(٨) عن الوثائق الشرعية التي تشير إلى ملكية المقابر أنظر (النعيم ٢٠٠٠: ٢٤٠).

(٩) من نقوش المقابر المؤرخة أنظر (الحمادي ١٩٩٧: ٨٩).

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

الإرياني، مطهر علي ١٩٩٠م، **في تاريخ اليمن: نقوش مسندية وتعليقات**، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني.

الإرياني، مطهر علي ١٩٩٦م، **المعجم اليمني (أ). في اللغة والتراث. حول مفردات خاصة من اللهجات اليمنية**، دمشق، دار الفكر.

بيستون، ألفريد ف. ل.؛ محمود الغول؛ والتر مولر؛ جاك ريكمانز ١٩٨٢م، **المعجم السبئي**، بيروت، لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، ودار نشريات بيترز.

بيستون، ألفريد ف. ل. ١٩٩٥م، **قواعد النقوش العربية الجنوبية "كتابات المسند"**، ترجمة رفعت هزيم، مؤسسة حمادة، اربد، الأردن .

الجرو، أسمهان ١٩٩٨م، "الفكر الديني عند عرب جنوب شبه الجزيرة العربية"، **أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، المجلد ١٣، العدد الأول، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

الحمادي، هزاع محمد عبد الله سيف ١٩٩٧م، أنظمة التأريخ في النقوش السبئية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الآثار والأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

شعلان، عميدة محمد أحمد ١٩٩٢م، عادات الدفن في حضرموت: دراسة أثنوأثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الآثار والأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب ١٩٥٢م، **القاموس المحيط**، ٤ أجزاء، بيروت، المؤسسة العربية للطباعة والنشر.

القرم، توفيق محمود ١٩٩٤م، **أسماء الأعلام المركبة مع أسماء الآلهة في النقوش السبئية مستقاه من سجل النقوش السامية (PEΣ)**، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الآثار والأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

مكياش، عبد الله أحمد ١٩٩٣م، أسماء القبائل في النقوش العربية الجنوبية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الآثار والأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

النعيم، نورة بنت عبد الله بن علي ٢٠٠٠م، **التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب ١٩٧٩م، **الإكليل** ٨، تحقيق محمد بن علي الأكوع، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب ١٩٨٦م، **الإكليل** ٢، تحقيق محمد بن علي الأكوع، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

ثانياً: المراجع غير العربية:

Abdullah, Yusuf M. 1975. **Die Personennamen in al-Hamdānī's al-Iklīl und ihre Parallelen in den altsüdarabischen Inschriften. Ein Beitrag zur jemenitischen Namengebung**, Tübingen, Dissertationsdruck.

Arbach, Mounir 1993. **Lexique madhābien . Comparé aux lexiques sabéen, qatabamite et hadramatique**, Aix-en-Provence, Unveroff. Dissertation.

Arbach, Mounir 2002. **Inventaire des inscriptions sudarabiques, Tome 7, Les Noms Propers du Corpus Inscriptioum Semiticarum Pars IV: Inscriptiones Himyariticas et Sabaeas Continens**, Paris-Rome.

Beeston, Alfred F.L. 1984. "Sabaic Gramer", Manchester, **Journal of Semitic Studies**, Monograph No. 6.

Born, Francois 1970. "Antiquités sud-arabes dans les collections suisses", **AION** 30 549-554.

Cohen, David 1970. **Dictionnaire des raciness sémitiques ou attestées dans les langues sémitiques**, Fasc. 1: '/H-'TN, Paris, Mouton.

------------------1997. **Dictionnaire des raciness sémitiques ou attestées dans lis langues sémitiques, avec la collaboration de Francois Bron et Antoine Lonnet**, Fasc. 6: WKW/Y-WTT. Louvain, Peeters.

Corpus Inscriptioum Semiticarum, pars Quarta, Inscriptions himyariticas et sabaeas continens, Tomus I, 1889 II, 191, III, 1929, Paris.

Corpus des Inscriptions et antiquités sud-arabes 1977-1986. Tome I/1: inscriptions I/2: **Antiquités**, Tome II/1: Inscriptions, II/2: Antiquites, Louvain, Peeters.

Fakhry, Ahmad 1952. **An Archaeological Journey to Yemen (March-May 1947)**. Part II Epigraphical Texts by G. Ryckmans, Cairo, Government Press.

Frantsouzoff, Serguei A. 1997. "Regulation of conjugal relations in ancient Raybun", **PSAS** 27, 113-127.

Garbini, Giovanni 1988. "The Inscriptions of **Šiʼb** Al-**Al-Ǧafnah and Yalā/Ad-Durayb"** . In: **The Sabaean Archaeological Complex in the Wādī Yalā (Eastern Hawlān at-Tiyāl, Yemen Arab Republic), A Preliminary Report,** hrsg. Von Alessandro de Maigret. Instituto Italano per il Medo ed Estrimo Oriente, **Centro Studi e Scvi Archeologici**, Reports and Memoirs, Vol. 21, Rome: IsMEO, 21-40.

Gelb, I. J. 1980. **Computer-Aided Analysis of Amorite** , Chicago, The Oriental of the University of Chicago.

Al-Hamdānī, Abū Muhammad al-Hassan Ibn Ahmed Ibn **Ya'qūb** 1953. **Sudarabisches Muštabih , Verxeichnis homonymer und homographer Eigennamen aus dem Berliner Unikum des Iklīl ,** husg, Von O. Lofgren, Uppsala, Almqvist und Wiksells Boktryckeri AB.

Harding, Lankester, G. 1971. "An Index and Concordance of Pre-Islamic Arabian Names and Inscriptions, Toronto", **Near and Middle East Serieds** 8.

Hayajneh, Hani 1998. "Die Personennamen in den **qatabānischem** Inschriften. Lexikalische und grammaatische Analyse im kontext der semitischem Anthroponomastik", Hildeshiem, **Texte und Studien xur Orietalistik** 10.

Hazim, Rafat 1986. **Die safaitischen theophoren Namen im Ramen der gemeinsemitischen Namengebung**, Marburg, Dissertationsdruck.

Hazim, Rafat 1994. "Ein Tupus altsudarabischer theophorer Namen". In: **Arabia Felix.**

Beiträge zur Sprache und Kultur des vorislamischen Arabien, Festschrift, Walter W. Müller zum 60 Geburstag, hrsg. Von Norbert Nebes, Wiesbaden, Harrassowitz, 95-99.

Höfner Maria 1965. "Sudarabien", In: **Wörterbuch der Mythologie: Götter und Mythen im Vorderen Orient,** hrsg. von Hans W. Gaussig, Stuttgart, Ernst Klett, 485-567.

Höfner Maria 1976. **Sammlung eduard Glaser XII. Inschriften aus Sirwāh, Haulān** (II. Teil), mit einem Anhang von Waltrt W. Müller, Wien, Sitzungsberichte der **Österreichischen** Akademie der Wissenschaften Phil.-Hist. Kl. 304.

Hoftijzer, J.-Jongeling, K. 1995. **Dictionary of the Northe-West Semitic Inscriptions**, I-II (with Appendices by R. C. Steiner, A. Mosak Moshavi and B. Porten), Leikden, Handbuch der Orientalistik, 1. Abteilung, der Naha und Mittlere Osten 21.

Jamme, Albert 1952. **Piéces épigraphiques de Heid bin ʻAqîl, la nécropole de Timnaʻ (Hagar Kohlân),** Bibliotheque du Muséon 30, Louvain, Publications universitaires.

------1962. **Sabaen Inscriptions from Mahram Bilqîs (Mârib),** Baltimore, Publication sof the American Foundation for the Study of Man III.

------- 1973. **Miscellanées d'ancient (sic) arabe** IV, Washington.

Johnstone, Thomas M. 1977. **Harsūsi Lexicon and English-Harsūsi Word-List**, London, Oxford University.

-----------1987. **Harsūsi Lexicon and English-Mehri Word-List,** London, School of Oriental and African Studies.

Kane, Thomas L. 1990. **Amhric-English Dictionary**, 2Bde, Wiesbaden, Otto Harrassowitz.

Al-Khraysheh, Fawwaz 1986. **Die Personennamen in den nabataischen Inschriften des Corpus Inscriptionum, Semiticarum**, Marburg, Dissertationsdruck.

Leslau, Wolf 1991. **Comparartive Dictionary of Ge'ez, Classical Ethiopic**, Wiesbaden, Harrassowitz.

Müller, Walter W. 1962. **Die Wurzeln Mediae und Tertiae y/w im Altsudarabischenm Eine etymologische und lixikographische Studie**, Dissertationsdruck, Tubingen.

-------1972a.. Epigraphishe Nachlese aus **Hāz**, **NESE** 1:75-85.

--------1972b. **Sabäische** Inschriften aus dem Museum in Ta'izz, **NESE** 1: 87-101.
--------1974. **Sabäische** Tezte zur Polyandrie, **NESE** 2: 125-138.

-------1978. **Sabäische** Felsinschriften von der jemenitischen Grenze zur Rub' al-Hli, **NESE** 3: 113-136.

--------1988. **Altsüdarabische** und fruhnordarabische Grab-, Sarkophag-, Votiv-und Bauinschriften, **TUAT** II, Lieferung 4: 621-640.

Ricks Stephen 1989. **Lezicon of Inscriptional Qatabanian**, Romm Studia Pohl 14.

Al-Said, Said F.1995. **Die Personennamen in den minäischen Inschriten, Eine etymkologische und lizikalische Studie im Bereich der semitischen Sprachenm** Wiebaden, Veröffentlichungen der Orientalischen Kommission der Akademie der Wissenschaften und der Literatur, Mainz 41.

Al-Selwi, Ibrahin 1987. **Jementische Worter in den Werken von al-Hamdānī und Našwān und ihre Parallelen in den semitschem Sprachem**, Marburger Studien zur Afrike-und Asienkunde, Serie B,Band 10, Berlin, Reimer.

Al-Sheiba, Abdallah, H. 1987. Eie Ortsnamen in den altsüdarabischen Inschriften, Mit dem Versuch ihrer Identifizierung und Lokalisierung, **ABADY** IV: 1-62.

Sholan, Amida 1999. **Frauennamen in den altsüdarabischen Inschriften**, Hildesheim, Texte und Studien zur Orientalistik 11.

Sima, Alexander 1998. Anmerkungen zu einigen jungst publizierten Felinschriften aus Saudi-Arabein, **WZKM** 88:229-259.

Strak, Jurgen K. 1971. **Personal Name in Palmyrene Inscription**, Oxford, The Clareneon.

Tairan, Salemm A. 1992. **Die Personennamen in den altsüdarabischen Inschriften, Ein Beitrag zur altsudar abischen Namengebung**, Hildesheim, Texte und Studien zur Orientlistik 8.

Repértoire d'Epigraphie Sémitique publié par la commission du Corpus inscriptionum semiticarum, Paris, Tome I:1900-1905, Tkome II, 1907-1914, Tome V, 1929, Tome VI, 1935, Tome VII, 1950, Tome VIII, 1968.

Ryckmans, Gonzague 1934-35. **Les noms propres sud-sémitiques, Tome I: Répertoire analytique, Tome II: Répertoires alphabetiques Tome III: Concordance générale des inscriptions sud-sémitiques**, Bibliothéque du Muséon 2, Louvain, Muséon.

Ryckmans, Jacques; Walter W. Müller; Yusuf M. Abdallah 1994. **Textes du Yémen antique in scrits sur bois**, Publications de l'Institut Orientalist de Louvain 43, Lovain-la-Neuve, Université Catholique de Louvain.

Wissmann, Hermann von 1964. **Sammlung Eduard Glaser III. Zur Geschichte und Landeskunde von Alt-Südarabien**, Wien, Sitzungsberichte der Österreichischen Akademie der Wissenschaften Phil. -Hist, Kl. 246.

Yemen 1997. **Yémen au pays de la reine de Saba: Exposition présentée a' lInstitut du monde arabe du 25 octobre 1997 au 28 février 1998**, Paris, Flammarion.

دراهم صفارية نادرة ضرب عمان

عاطف منصور محمد رمضان

ملخّص: يتضمن هذا البحث دراسة لثلاثة دراهم صفارية ضرب عُمان، الدرهم الأول مؤرخ بسنة٢٩٤هـ، والدرهم الثانى مؤرخ بسنة٢٩٥هـ، باسم طاهر بن محمد، وهما محفوظان بجامعة تيوبنجن بألمانيا ولم يسبق نشرهما. أما الدرهم الثالث فهو محفوظ بمتحف قطر الوطنى، ومؤرخ بسنة ٢٩٨هـ، ويحمل اسم سبكري غلام عمرو بن الليث. وتُعَدُّ هذه الدراهم دليلاً أثرياً على امتداد حكم الأسرة الصفارية إلى عُمان، فى عهد الأمير طاهر بن محمد، وسبكري، وهو الأمر الذى لم يرد له ذكر فى المصادر التاريخية. ومن ثم، فإن هذه الدراهم ذات أهمية خاصة؛ لأنها تلقى الضوء على هذه الحادثة التاريخية المهمة، التي أغفلت المصادر التاريخية ذكرها، سواء أكان ذلك عمداً أم عن غير قصد.

Abstract. This paper studies three Saffarid Derhams, struck in Oman. The first is dated 294 H. and the second 295 H. They bear the name of Taher Ibn Mohamed, and are kept in Tubingen University in Germany, and they haven't been published yet. The third one, bearing the name of Sobkry, is kept in Qatar National Museum and is dated 298 H. These Derhams are archaeological evidence on the extension of the rule of the Saffarid Dynasty in Oman during the reign of prince Taher Ibn Mohamed and Sobkry. This matter has not been mentioned in the historical sources, and thus these derhams have a special importance since they focus on this historical event which was ignored intentionally or unintentionally.

تعد النقود الإسلامية مصدراً مهماً من مصادر التاريخ والحضارة الإسلامية، فهى وثائق رسمية يصعب الطعن فيها؛ لأنها صادرة من دار سك الدولة. وقد اكتسبت النقود أهميتها في دراسة التاريخ والحضارة الإسلامية، من كونها إحدى شارات الملك والسلطان، التي حرص الحكام على اتخاذها حال اعتلائهم كرسى الحكم، إلى جانب خطبة الجمعة وشريط الطراز. وتعد النقود الإسلامية مرآة صادقة للعصر، الذي ضربت فيه، تعكس جميع أحوال الدولة التي سكتها، سواء أكانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو دينية أو غيرها.

وقد ألقت النقود الإسلامية-أحيانا- الضوء على كثير من الأحداث التاريخية، التي أغفلت المصادر التاريخية ذكرها، سواء أكان ذلك عمداً أم عن غير قصد. ومن هذه الأحداث المهمة، التي لم يرد لها ذكر في المصادر التاريخية -حسب علمي- خضوع عُمان فترة من الوقت لحكم الأسرة الصفارية الأولى، في فارس وسجستان (٢٥٤-٢٩٦هـ/٨٦٧-٩٠٨م).

ومؤسس الدولة الصفارية هو يعقوب بن الليث الصفار، من أهل قرية قرنين بالقرب من مدينة زرنج، عاصمة إقليم سجستان. كان أبوه يعمل في صناعة الصفار (النحاس)، فَعَمِل يعقوب وأخوته الثلاثة عمرو وطاهر وعلي بمهنة أبيهم. ولكن يعقوب انضم إلى المطوعة والعيّارين، وسرعان ما علا شأنه وصار أحد قواد صالح بن النضر الكناني، الذي استولى على سجستان. وبعد أن تغلب درهم بن الحسين على سجستان، صار يعقوب قائداً لجنده، وتمكّن من الانتصار على الخوارج. ثم اشتدت شوكة يعقوب، فاستولى على سجستان وهراة، ونجح في دخول نيسابور سنة ٢٥٩هـ، وتمكن من القضاء على الدولة الطاهرية بها.

ولم ينل يعقوب رضاء الخليفة العباسي، المعتمد على الله، بسبب أطماع يعقوب وازدياد نفوذه؛ فأمر الخليفة بلعنه. وقد

أثار هذا الفعل من الخليفة يعقوب، فَتَوَجّه إلى الأهواز قاصداً غزو العراق. وأرسل إلى الخليفة يطلب منه إبطال كتاب اللعن، وكذلك الولاية على خراسان وبلاد فارس وما كان مضموماً إلى طاهر بن الحسين الخزاعى من الكور، وشرطتي بغداد و"سُرَّ مَنْ رأى"، وأن يعقد له على كرمان وسجستان والسند.

وقد استجاب الموفق، أخو الخليفة المعتمد على الله، لطلبات يعقوب، وجمع الناس وقرأ عليهم ما أحبه الصفار، وأجيب يعقوب إلى الولاية التي طلبها. وقد ظل يعقوب على حكم الدولة الصفارية حتى وفاته في سنة ٢٦٥هـ/٨٧٩م، حين خلفه أخوه عمرو، الذي استمر في حكم الدولة الصفارية حتى هُزم أمام إسماعيل بن أحمد السامانى في سنة٢٨٧هـ/٩٠٠م. وكانت تلك الهزيمة هي بداية النهاية للأسرة الصفارية الأولى، فقد تولى الحُكم طاهر بن محمد، حفيد عمرو بن الليث، وكان ضعيفاً، وغير جدير بالأمر، وانشغل عن الملك باللهو والصيد، وتنازع حكم الدولة الصفارية، في تلك الأثناء، كل من الليث بن علي الصفار، الذي استولى على سجستان وكرمان، وسبكري، غلام عمرو بن الليث، الذي بسط سيطرته على بلاد فارس، وقبض على طاهر وأخيه يعقوب، وأرسلهما أسرى إلى الخليفة العباسى المقتدر بالله (٢٩٥- ٣٢٠هـ/ ٩٠٨- ٩٢٣م)، وذلك في سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م. (ابن الأثير١٩٩٥: ٦/١٩٣؛ إقبال ١٩٨٩: ٩٧-١٣٢؛ حسن ١٩٩١: ٣/٧٢-٧٣).

ومن المعروف أن الأسرة الصفارية قامت في منطقة سجستان وفارس، ولم يمتد حكمها إلى بلاد عُمان، سواء في عهد مؤسسها يعقوب بن الليث، أو خليفته عمرو بن الليث. كما أن المصادر التاريخية لم تشر إلى خضوع عُمان للأمير طاهر بن محمد؛ ولكن وصلنا دراهم باسم الأمير طاهر بن محمد تحمل مكان سكها عُمان، ومؤرخة بعامي ٢٩٤هـ، و٢٩٥هـ. كما وصلنا، أيضاً، درهم ضرب عُمان سنة ٢٩٨هـ يحمل اسم سبكري، غلام عمرو بن الليث الصفار، الذي خلف طاهر في حكم الدولة الصفارية، في بلاد فارس. وهذه الدراهم تُعد وثيقة تاريخية آثارية، تؤكد خضوع عُمان لحكم الأسرة الصفارية في عهد الأمير طاهر بن محمد، وخليفته سبكري . وهذا ما يتضح من خلال دراسة هذه الدراهم، وتحليل نصوص كتاباتها، في ضوء الأحداث التاريخية المعاصرة لها، ومحاولة إلقاء الضوء على هذه الحادثة التاريخية، التي أغفلت المصادر التاريخية التعرض لها. وندرس هذه الدراهم[١] على النحو الآتي:

الدرهم الأول: باسم طاهر بن محمد، ضرب عُمان سنة٢٩٤هـ

هذا الدرهم محفوظ بجامعة تيوبنجن بألمانيا تحت الرقم (EA4B6)، يبلغ وزنه ٢,٥١جم، وقطره: ٢٨مم. وهو درهم وحيد في العالم، لم يسبق نشره أو نشر مثيل له[٢] -حسب علمي-من قبل (اللوحة ١، الشكل ١). ويتميز الشكل العام لهذا الدرهم بوجود دائرة خطية، تحيط بكتابات مركز الوجه؛ كما تحيط دائرة خطية أخرى بكتابات الهامش الداخلي للوجه، بينما تحيط دائرتان خطيتان بكتابات الهامش الخارجى للوجه. أما الظهر فتحيط دائرتان خطيتان بكتابات المركز، كما تحيط دائرتان خطيتان أيضاً بكتابات الهامش من الخارج. وقد نُفّذت نصوص كتابات هذا الدرهم بالخط الكوفي ذي الطرف المتقن[٣]، وجاءت على النحو الآتي:

الوجه:

مركز: لا إله إلا
الله وحده
لا شريك له

هامش داخلى: بسم الله ضرب هذا الدرهم بعمان سنة أربع وتسعين ومائتين.

هامش خارجى: لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

الظهر :

مركز: لله
محمد
رسول
الله
المكتفي بالله



لوحة ١: درهم صفاري ضرب عُمان سنة ٢٩٤هـ، باسم طاهر بن محمد؛ محفوظ بجامعة تيوبنجن بألمانيا تحت رقم (EA4B6)، الوزن ٢,٥١ جم، والقطر: ٢٨مم، لم يسبق نشره.



شكل ١: رسم توضيحي لدرهم عُمان المؤرخ بسنة ٢٩٤هـ (لوحة ١).

طاهر بن محمد

هامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

ويُلاحظ أن هذا الدرهم يحمل السِّمات العامة للنقود العباسية والصفارية[٤] المعاصرة له، حيث تشتمل كتابات مركز الوجه على شهادة التوحيد كاملة، في ثلاثة أسطر متتالية، نصها: "لا إله إلا/ الله وحده/ لا شريك له". كما يضم الهامش الداخلي للوجه البسملة غير كاملة، واسم مكان السك "عُمان"، وتاريخ الضرب، وهو "سنة أربع وتسعين ومائتين". أما الهامش الخارجي للوجه، فيشتمل على الاقتباس القرآني من سورة الروم (الآية ٤، وجزء من الآية ٥)، ونصه: "لله الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ الله".

وجاءت كتابات مركز الظهر في ستة أسطر، تشتمل على الرسالة المحمدية في ثلاثة أسطر نصها: "محمد/رسول/الله"، تعلوها كلمة "لله"، بينما نقش اسم الخليفة العباسي "المكتفي بالله" (٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠٢-٩٠٨)، بالسطر الخامس، يليه اسم الأمير الصفاري "طاهر بن محمد" بالسطر السادس والأخير.

ويضم هامش الظهر الاقتباس القرآنى من سورتي الفتح (جزء من الآية ٢٩)، والصف (جزء من الآية ٩)، ونصه: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون".

ويتبين من دراسة نصوص كتابات هذا الدرهم المضروب في عُمان سنة ٢٩٤هـ، باسم الأمير الصفاري طاهر بن محمد، أن عُمان خضعت في هذا العام لحكم الأسرة الصفارية، سواء أكان ذلك طوعاً أم كرها، وهو الأمر الذى أغفلت ذكره المصادر التاريخية -فى ضوء ما اطلعت عليه-.

ومن الغريب حقاً أن يمتد حكم الأسرة الصفارية إلى عُمان في عهد الأمير طاهر بن محمد، لأنه لم يكن بالكفاءة المطلوبة لحكم الدولة الصفارية نفسها. فقد انشغل عن أمور الملك باللهو والملذات والصيد (الطبرى ١٩٧٦: ١٢١/١٠، ابن الأثير ١٩٩٥: ٤٣١/٦). وتنازع حكم الدولة الصفارية، في تلك الأثناء، كل من: الليث بن على الصفار، وسبكري غلام عمرو بن الليث. وقد تمكن سبكري من الانفراد بحكم بلاد فارس في سنة ٢٩١هـ، بعد أن توجه طاهر إلى سجستان في ذلك العام (إقبال ١٩٨٩: ١٢٦).

وفي ضوء ما سبق، يتضح أن طاهر بن محمد لم يكن بالطموح السياسي، أو القوة العسكرية، التى تدفعه لتوسيع رقعة الدولة الصفارية بالاستيلاء على عُمان. ولكن يغلب على الظن أن خضوع عُمان للأسرة الصفارية، كان بفضل سبكري، الذى سيطر على مقاليد الأمور في بلاد فارس، في تلك الأثناء، وهذا ما يؤكده الدرهم المضروب باسمه في عُمان سنة ٢٩٨هـ. ولكن من غير المعروف كيف تم لسبكري الاستيلاء على عُمان: هل كان ذلك بالقوة العسكرية، أم أنه وصلته بيعة من أهلها؟ خاصة أن بلاد عُمان كانت تعيش في حالة من الاضطرابات السياسية والعسكرية، في ذلك الوقت.

كما يتضح من تسجيل اسم الخليفة العباسى المكتفي بالله على هذا الدرهم، موافقته (أي الخليفة) على حكم الأمير الصفارى لعُمان، خاصة إذا وصل للخليفة خراجها؛ لأن الخلافة العباسية فقدت سيطرتها على أجزاء كبيرة من بلاد عُمان، منذ خضوعها لحكم الأئمة الإباضية.

الدرهم الثانى: باسم الأمير طاهر بن محمد، ضرب عُمان سنة ٢٩٥هـ

هذا الدرهم محفوظ بجامعة تيوبنجن بألمانيا تحت الرقم (EA4C1)، ويبلغ وزنه: ٣,١٥جم وقطره: ٢٥مم، وهذا الدرهم لم يسبق نشره، وينشر في هذا البحث لأول مرة(٥) (لوحة ٢، شكل٢)، ويمثل النموذج الثالث المعروف عالميا، والنموذج الأول نشره تيزنهوزن (Tiesenhausen) سنة ١٨٧١ (Tiesenhausen 1871:178, No.20)، ثم أعاد نشره ماركوف (Markow) سنة ١٨٩٦ (Markow 1896: 106, No.27)، ثم أعاد نشره مرة ثالثة فاسمر (Vasmer) فى دراسته لنقود عُمان سنة ١٩٢٧ (Vasmer 1927: 277, No.1)، أما النموذج الثانى فأشار إليه السيوفى (Siouffi) فى سنة ١٨٧٩ (Siouffi 1879: No.106).

ويتميز الشكل العام لهذا الدرهم، بوجود دائرة خطية تحيط بكتابات الوجه، أما الظهر فتحيط دائرة خطية بكتابات المركز أيضاً، كما تحيط دائرة خطية أخرى بكتابات الهامش، من الخارج. ونفذت نصوص كتابات هذا الدرهم بالخط الكوفي ذي الطرف المتقن، وهى كما يلى:

الوجه:

مركز: لا إله إلا

الله وحده

لا شريك له

طاهر بن محمد

هامش داخلي: بسم الله ضرب هذا الدرهم بعمان سنة خمس وتسعين ومائتين.

هامش خارجي: لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

الظهر:

مركز: لله

محمد

رسول



لوحة ٢: درهم صفاري ضرب عُمان سنة ٢٩٥هـ، باسم طاهر بن محمد؛ محفوظ بجامعة تيوبنجن بألمانيا تحت رقم (EA4C1)، الوزن ٣,١٥ جم، والقطر: ٢٥مم، لم يسبق نشره.



شكل ٢: رسم توضيحي لدرهم عُمان المؤرخ بسنة ٢٩٥هـ (لوحة ٢).

الله

المكتفي بالله

ع

هامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

ويلاحظ على نصوص كتابات هذا الدرهم، أن اسم الأمير الصفاري "طاهر بن محمد"، سُجّل بأسفل كتابات مركز الوجه، وليس تحت اسم الخليفة المكتفي بالله بكتابات مركز الظهر، كما في الدرهم السابق. وقد أتاح نقل اسم طاهر بن محمد إلى كتابات مركز الوجه، الفرصة للنقاش في دار السك لنقش حرف العين "ع"، تحت اسم الخليفة المكتفي بالله. ويغلب على الظن أن هذا الحرف يمثل الحرف الأول من اسم الشخص، الذى كان يحكم عُمان نيابة عن طاهر بن محمد وسبكري، الذى ضربت هذه الدراهم برعايته، ولعله، أيضاً، الشخص الذى ساعد سبكري، في احتلال عُمان(٦).

كما يتضح من خلال نصوص كتابات هذا الدرهم، أن تاريخ

الضرب هو سنة "خمس وتسعين ومائتين"، ما يؤكد استمرار خضوع عُمان للأسرة الصفارية للعام الثانى على التوالى. كما يدل نقش اسم الخليفة العباسى المكتفي بالله، على أن هذا الدرهم ضُرب قبل شهر ذى القعدة من سنة ٢٩٥هـ/ اغسطس٩٠٨م، وهو التاريخ الذى توفي فيه الخليفة المكتفي بالله، وتولى فيه الخليفة الجديد، المقتدر بالله (الطبري ١٩٧٦: ١٣٨/١٠). وهذا الدرهم يمثل الإصدار الأخير من نقود الأمير طاهر بن محمد، المضروبة في عُمان[7] - في ضوء ما وصلنا- حيث ألقى سبكري القبض عليه وعلى أخيه يعقوب في بداية العام التالى (٢٩٦هـ/٩٠٨م، واستولى على حكم بلاد فارس (الطبري ١٩٧٦: ١٤١/١٠؛ ابن الأثير ١٩٩٥: ٤٦٤/٦).

الدرهم الثالث: درهم ضرب عُمان سنة ٢٩٨هـ، يحمل اسم سبكري، غلام عمرو بن الليث

هذا الدرهم محفوظ بمتحف قطر الوطني تحت الرقم ١٥٩٣ف (لوحة ٣، شكل٣)، وقد نشر المرحوم الدكتور محمد أبو الفرج العش هذا الدرهم ثلاث مرات؛ المرة الأولى سنة ١٩٧٤م، وقرأ التاريخ خطأ على أنه سنة ٣٠٨هـ (Al-Ush 1974: p.200)، ثم أعاد نشره مرة أخرى، بعد أن قرأ التاريخ بصورة صحيحة في سنة ١٩٨٤م، في دراسته عن النقود العُمانية من خلال التاريخ الإسلامى (العش ١٩٨٤: ١٤-١٥ رقم ٤). أما المرة الثالثة، فكانت في سنة ١٩٨٤م أيضاً وذلك ضمن كتالوج النقود العربية الإسلامية، المحفوظة في متحف قطر الوطنى (العش ١٩٨٤م رقم ٢١٦٧). وهذا الدرهم وحيد على مستوى العالم، وهو في حالة غير جيدة، ويبلغ وزنه: ٢,٤٢جم وقطره ٢٢,٨مم.

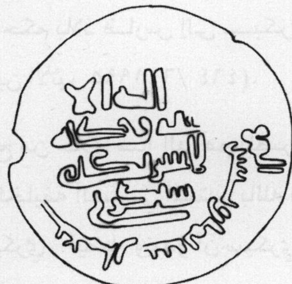
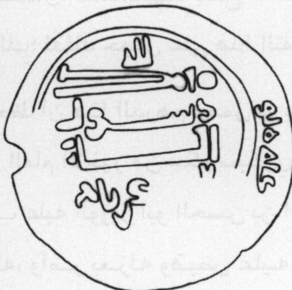
ويتميز الشكل العام لهذا الدرهم بوجود دائرة خطية تحيط بكتابات مركز الوجه، كما تحيط دائرة خطية أخرى بكتابات الهامش الخارجي. وتحيط بكتابات مركز الظهر دائرة خطية، مماثلة لدائرة خطية أخرى تحيط بكتابات هامش الظهر من الخارج. ونفّذت نصوص كتابات هذا الدرهم بالخط الكوفى البسيط، وجاءت على النحو الآتي:

الوجه:

مركز: لا إله إلا
الله وحده
لا شريك له
سبكري




لوحة ٣: درهم ضرب عُمان سنة ٢٩٨هـ، باسم سبكري غلام عمرو بن الليث؛ محفوظ بمتحف قطر الوطني تحت رقم (١٥٩٣ ف)، الوزن ٢,٤٢ جم، والقطر: ٢٢,٨مم، وهو فريد على مستوى العالم.

شكل ٣: رسم توضيحي لدرهم عُمان المؤرخ بسنة ٢٩٨هـ (لوحة ٣).

هامش داخلي: [بسم الله ضـرب هذا الدرهم] بعـمـان سنة ثمان وتسعين ومائتين.

هامش خارجي: [لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله]

الظهر :

مركز: لله

محمـد

رسـول

اللـه

المقتدر باللـه

هامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

ويلاحظ من دراسـة نصوص كـتابات هـذا الدرهم، أن اسم "سبكري" نُقش بأسفل كتابات مركز الوجه بدلاً من اسم الأمير الصـفـاري "طاهر بن مـحـمـد"، الذي سُـجِّل على الدرهـمين السـابقين، وذلك بعـد أن نجح سـبكري في عـزل طاهـر بن مـحـمـد عن حكم الدولة الصـفـارية، وقبض عليه وعلى أخيـه يعقوب، وأرسلهـمـا أسرى إلى الخليفة العباسى المقتدر بالله، الذى فـوّض حكم بلاد فـارس إلى سـبكري (ابن مـسكاويه ١٩٣٤: ١٦؛ ابن الأثير ١٩٩٥: ٦/ ٤٦٤).

كما يتضح من خلال هذا الدرهم المضروب في عُمان باسم سبكري، أن الخليفة العباسي المقتدر بالله قد فوض حكم بلاد عُمان إلى سبكري أيضاً. ويبدو أن سبكري تعهد بدفع الخراج المقـرر على عُـمان، كـما تعـهـد بدفع الخراج المقرر على بلاد فارس قبل ذلك؛ لذلك حصل على هذا التفويض بحكم عُمان.

كما يُلاحظ أن هذا الدرهم يحمل تاريخ سنة ٢٩٨هـ، وهذا التاريخ يمثل العام الأخير من حكم سبكري لبلاد فارس وعُمان، بعد أن غضب عليه الوزير أبو الحسن بن الفرات، وزير الخليفة المقـتـدر بالله، وأمـر بعـزله وقـبض عليـه فـي ذلك العـام (ابن مسكاويه ١٩٣٤: ١٩؛ ابن الأثير ١٩٩٥: ٦/٤٦٦).

وقد خضعت عُمان، بعد ذلك، لحكم أحمد بن هلال الذي سجّل اسمه على النقود المضروبة بها، منذ سنة ٢٩٩هـ، وحتى عام ٣٠٥هـ، وكان ذلك برعاية الخليفة العباسى المقتدر بالله (دوران ١٩٩٠: ١٢٩-١٣٠).

وهكذا، يتبين من خـلال دراسـة هذه الدراهـم المهمـة، التي ضربت في عُمان في أعوام ٢٩٤هـ، ٢٩٥هـ، ٢٩٨هـ، أن عُمان خضعت لحكم الدولة الصـفـارية في عـهـد الأمـيـر طاهر بن محمد، في عامي ٢٩٤ و ٢٩٥هـ، ثم خضعت، بعد ذلك، لحكم سبكري، غـلام عـمـرو بن الليث، حـتى سنة ٢٩٨هـ. وإن كـان استيلاء الدولة الصفارية على عُمان لم يرد له ذكر في المصادر التـاريخيـة، فإن هـذه الدراهم تقف دليـلاً اثرياً يصعب الشك فيـه، على امتداد حكم الأسـرة الصـفـارية إلى عُـمـان، في تلك الفـتـرة المضطربة من تاريخـهـا. وكـان خـضـوع عُـمـان للأسـرة الصفارية بفضل سبكري، الذى استولى على مقاليد الأمور في بلاد فـارس في تلك الأثناء، بعـد رحـيل طاهر بن مـحـمـد إلى سجستان، وانصـرافه عن أمور الملك. وهذا مـا يؤكده استـمـرار عُمان بيد سبكري، حتى سنة ٢٩٨هـ، بعد أن قبض على طاهر وأخيـه يعـقـوب في سنة ٢٩٦هـ. وقـد ضـرب سبكري الدراهم باسـمه في عمـان، كما يتضح من الدرهم المضروب باسمـه في عُمان سنة ٢٩٨هـ.

وقـد نشـرت في هذا البـحـث درهمين مـحـفـوظين بجامـعـة تيـوبنجن بألمانيا؛ الدرهـم الأول منهـمـا ضـرب في عُـمـان سنة ٢٩٤هـ، لم يسبق نشره، وهو النموذج الوحيد المعروف حتى الآن على مستوى العـالم. وأما الدرهم الثانى، فهو درهم ضـرب في عُمان سنة ٢٩٥ هـ، ولم يسبق نشره أيضاً، ويعد النموذج الثالث المعـروف حتى الآن على مسـتـوى العـالم. بالإضـافـة إلى درهم سبكري المضروب في عُمان سنة ٢٩٨هـ، والمحفوظ بمتحف قطر الوطنى، الذى أعدت نشـره -من خـلال صـورة حديثـة لـه- ودراسته مرة أخرى، في هذا البحث.

د. عاطف منصور محمد رمضان- مدرس المسكوكات الإسلامية قسم الآثار الإسلامية -كلية الآداب بسوهاج- جامعة جنوب الوادي، مصر. Email: atef_mansour2000@yahoo.com

الهوامش

(١) أتوجه بخالص الشكر للدكتور: ايلش لوتز (Illisch Lutz) على إمدادى بصور الدرهمين الأول والثانى ضرب عمان عامى ٢٩٤هـ، ٢٩٥هـ، المحفوظين فى جامعة تيوبنجن. كما أتوجه بخالص شكرى للزميل العزيز الأستاذ إبراهيم جابر الجابر، بمتحف قطر الوطني، الذي أمدني بصورة حديثة للدرهم الثالث المضروب فى عمان سنة ٢٩٨هـ باسم سبكري.

(٢) أشار إلى هذا الدرهم دوران (Doran) فى كتابه عن تاريخ النقود فى سلطنة عمان، ولم يذكر أى معلومات عنه، والمعلومات التى توافرت له عن وجود هذا الدرهم فى مجموعة جامعة تيوبنجن، كانت بواسطة ستيفن ألبوم (S.Album) (دوران١٩٩٠: ١٢٩).

(٣) الخط الكوفى ذو الطرف المتقن: أولى النقاش فى هذا النوع من الخط اهتماماً خاصاً بنهايات الحروف، وبصفة خاصة حرف اللام، والألف، أو نهايات بعض الحروف، مثل الراء والواو، بحيث يجعل نهاية الحرف أعرض من الحرف نفسه، أو أن يشقها شقاً جميلاً فيجعل قمة الحرف تنتهى بخطين، أو تنتهى قمة الحرف بدائرة صغيرة، أو نقطة، أو مثلث. (النبراوي ٢٠٠٠: ص ٩).

(٤) تميز الشكل العام للنقود العباسية فى تلك الفترة -فى الغالب- بوجود دائرة تحيط بكتابات مركز الوجه، ويحيط بالهامش الخارجي دائرتان متحدتا المركز، أما الظهر فتحيط بكتابات المركز دائرة مماثلة لدائرة مركز الوجه، كما تحيط بهامش الظهر من الخارج دائرتان مماثلتان للوجه. أما نصوص الكتابات، فيشتمل مركز الوجه على شهادة التوحيد كاملة فى ثلاثة أسطر متتالية. أما هامش الوجه الداخلي، فكان يضم البسملة غير كاملة، واسم مكان السك والتاريخ، بينما سُجِّل بالهامش الخارجي للوجه الاقتباس القرآنى من سورة الروم (آية٤، جزء من الآية٥). أما كتابات الظهر، فسجلت الرسالة المحمدية فى ثلاثة أسطر يعلوها كلمة لله، بينما نُقش أسفل منها اسم الخليفة العباسي. واشتمل هامش الظهر على الاقتباس القرآنى "محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون". وقد سارت النقود الصفارية على الطراز العام للنقود العباسية نفسه، ولكن اسم الأمير الصفارى كان ينقش إما أسفل كتابات مركز الوجه، أو تحت اسم الخليفة العباسي، بأسفل كتابات مركز الظهر.

(٥) أشار دوران إلى هذا الدرهم أيضاً دون ذكر تفاصيل عنه، ولكن عَلم بوجوده فى جامعة تيوبنجن من خلال ستيفن ألبوم (S.Album) (دوران١٩٩٠: ١٢٩).

(٦) هناك تفسير آخر لوجود حرف "ع" على هذا الدرهم، كأن يكون، مثلاً، رمزاً من دار السك، أو يمثل الحرف الأول من اسم المشرف على دار السك، ولكنها تفسيرات لا تتناسب مع الظروف، التي ضرب فيها هذا الدرهم، ولكنها قد تكون أكثر ملاءَمة وأقرب إلى الحقيقة فى حالة الإصدارات النقدية المنتظمة للدول ذات النظام السياسى والاقتصادى المستقر.

(٧) الإصدار الأخير لطاهر بن محمد هو درهم ضرب فارس سنة ٢٩٦هـ، وذلك قبل خلعه من الحكم فى ذلك العام. (رمضان ٢٠٠١: ٦٤ رقم ٢٢)

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

ابن الأثير، أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد ١٩٩٥، **الكامل فى التاريخ**، راجعه وصححه: د. محمد يوسف الدقاق، ١٠ مجلدات (المجلد السادس) دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بيروت.

ابن مسكاويه، أبو علي أحمد بن محمد ١٩٣٤، **كتاب تجارب الأمم**، القسم الأخير، تحقيق: هـ.ف. أمدروز، الجزء الأول. شركة التمدن الصناعية، مصر المحمية.

إقبال، عباس ١٩٨٩، **تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٥هـ/٨٢٠م-١٢٤٣هـ/١٩٢٥م)**، نقله من الفارسية وقدم له وعلق عليه: د. محمد علاء الدين منصور، راجعه: أ. د. السباعى محمد السباعى، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة.

حسن، حسن إبراهيم ١٩٩١، **تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى، والاجتماعي، الجزء الثانى: العصر العباسى الثانى**

فى الشرق ومصر والمغرب والأندلس (٢٣٢-٤٤٧هـ/٨٤٧-١٠٥٥م)، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة عشر، القاهرة.

دوران، روبرت دارلي ١٩٩٠، **تاريخ النقود فى سلطنة عمان**، البنك المركزى العماني، مسقط.

رمضان، عاطف منصور محمد ٢٠٠١، "نقود الخلافة العباسية والقوى المتصارعة فى فارس وسجستان (٢٨٧-٣٠٧هـ/٩٠٠-٩٢٠م)"، **أدوماتو**، العدد الرابع، ربيع الثانى١٤٢٢هـ/يوليو (تموز) ٢٠٠١م، "ص ص٥٥-٨٨) الرياض.

الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير ١٩٧٦، **تاريخ الطبرى، تاريخ الرسل والملوك**، ١٠ أجزاء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة.

العش، محمد أبو الفرج ١٩٨٤، "النقود العمانية من خلال التاريخ الإسلامي"، **سلسلة تراثنا**، العدد الرابع والخمسون، أبريل ١٩٨٤م، وزارة التراث القومى والثقافة، سلطنة عمان.

العش، محمد أبو الفرج ١٩٨٤، **النقود العربية الإسلامية المحفوظة فى متحف قطر الوطني**، الجزء الأول؛ وزارة الإعلام فى دولة قطر، الدوحة.

النبراوي، رأفت محمد٢٠٠٠، "الخط العربى على النقود الإسلامية"، **مجلة كلية الآثار**، جامعة القاهرة، العدد الثامن ١٩٩٧ (ص ص ١-٧٣) القاهرة.

ثانياً: المراجع غير العربية:

Tiesenhausen, W 1871. **Ueber Zwei in Russland Gemachte Kuofische Munzfunde NZ** 1871 (pp. 166-191) Wien.

Vasmer, R.1927. **Zur Geschichte und Munzkund Von Oman**. ImX jahrbundert in Zeitschrift fur Numismatik (pp. 247-287) Berlin.

Al-Ush, M. Abu-L-Faraj 1974. "Rare Islamic Coins, Additions". In: George C. Miles, (eds)، **Near Eastern Numismatics, Iconography, Epigrophy and History, Studies in Honar**, Beirut.

Markow, A.1896. **Inventarny Katalog Musulmansitich Monet,** Saint-Petersburg (enRusse).

Siouffi, N. 1879. **Tables Numismatiques**, Mossoul.

نحو مصطلح آثاري موحد

ملخّص: أظهرت نتيجة البحث العلمي المطرد، في الفروع المختلفة لعلم الآثار، العديد من المصطلحات والأسماء الجديدة بلغات أجنبية، أبرزها الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، وغيرها. ورغبة من مجلة أدوماتو في حث الباحثين والمتخصصين العرب، على الإسهام في تأصيل، وربما تعريب، عدد من المصطلحات الآثارية، فقد خصصت هذه الزاوية لتمكين الراغبين في تناول عدد من الأمثلة، وابداء وجهة نظرهم العلمية حولها، والإشكاليات الناتجة من استخدامها، سواءً أكانت مرتبطة بالجوانب الآثارية الحضارية، أم الاقتصادية، أم الاجتماعية، أم التقنية... وغيرها.

المصطلح لأدوات عصور ما قبل التاريخ

أحمد يوسف ذياب

يكتنف الكتابة في الموضوعات المتعلقة بعصور ما قبل التاريخ، شيء من الصعوبة. ويُعزى سبب ذلك إلى قلة الأبحاث المكتوبة باللغة العربية في هذا المجال. فهذا العلم يعد من أحدث العلوم الأثرية، التي دخلت البلاد العربية، وأضيقها انتشاراً بين صفوف الآثاريين؛ لاعتماده على الأدوات الحجرية والعظمية مصادر رئيسة له، الأمر الذي يجعله غامضاً نوعاً ما، حتى على بعض الآثاريين المختصين في العصور التاريخية.

دخل علم عصور ما قبل التاريخ البلدان العربية حاملاً معه مشاكل اصطلاحية كثيرة، جاءت نتيجة طبيعية لنقل المصطلحات من تسميتها الأصلية في اللغات الأجنبية، إلى اللغة العربية، شأنه في ذلك شأن أي علم جديد يدخل الوطن العربي. وإذا كان بعض الباحثين العرب قد ألّفوا كتباً ومقالات باللغة العربية حول هذا الموضوع[1]، فإن جهودهم في إيجاد تسميات عربية خاصة بعصور ما قبل التاريخ لم تفلح كثيراً، وظلت أغلب مصطلحات هذا العلم أسيرة الترجمة الحرفية، لانعدام معايير محددة تضبط عملية الترجمة، وتمكّن القارىء من التعرف على ماهية المصطلح.

وفي ظل غياب معجم موحد للمصطلحات يرجع إليه الباحثون، وانعدام التنسيق المطلوب فيما بينهم، راح كل منهم يجتهد في هذا المجال، ويضع المصطلح الذي يراه مناسباً، حتى أصبح لبعض المصطلحات أكثر من مسمى. ونقف هنا عند مقالة للباحث محمد عبدالجليل الهجراوي حول المصطلح، نشرت في كلية الآداب بالرباط (الهجراوي ١٩٩٠)، تصدى فيها الباحث لمشكلة كتابة مصطلحات عصور ما قبل التاريخ باللغة العربية، وفق معايير معينة تعرّف القارىء بماهية المصطلح. وعلى الرغم من أهمية هذه المقالة، إلا أنها لم تتناول سوى عدد قليل من المصطلحات، كما أنها لم تُرفد بمحاولات أخرى تغني هذا المجال.

ولا بد من الإشارة إلى المقالتين اللتين نشرتا في العددين الأول والثاني من مجلة أدوماتو: الأولى للدكتور عبدالله الشارخ بعنوان: "إشكالية المصطلح الآثاري" (الشارخ ٢٠٠٠) والمقالة الثانية للدكتور العباس محمد علي بعنوان: "الجذور التاريخية لإشكالية المصطلح الآثاري: حالة ما قبل التاريخ"(محمد علي ٢٠٠٠). وقد كانت هذه المقالة سرد تاريخي للمراحل، التي مرَّ بها مصطلح (Prehistory) في

اللغات الأجنبية، والتقسيمات التي حصلت على عصور ما قبل التاريخ، دون أية إشارة من جانب الباحثينَ إلى مصطلحات محددة، نستطيع أن نبني عليها في إيجاد مصطلح موحّد على الرغم من أهمية عمل كل منهما.

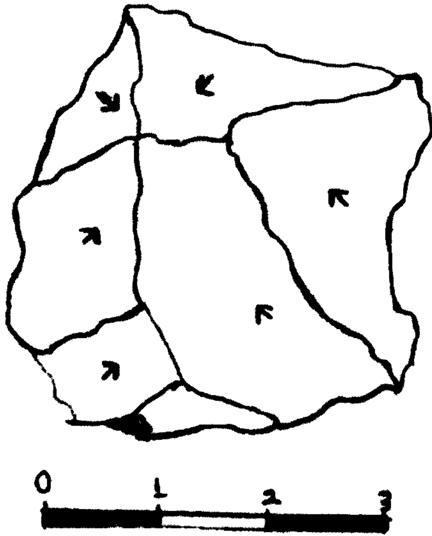
ونشير في هذا البحث إلى بعض مصطلحات العصر الحجري القديم الأدنى والأوسط، التي تمكّنا من إيجاد مقابل لها وفق معايير معينة - يرد ذكرها في مكانها - بالاعتماد على قائمة بورد، التي أوردها في مقالته (Principes une me-thode des techniques de (debitage et de la typologie du paleolithique ancian et moyen)[٢]، وسنورد هذه المصطلحات لاحقاً في المكان المخصص لها من هذه المقالة (الجدول رقم ١)، على أن نستكمل في بحث قادم (إن شاء الله) المصطلحات، التي تغطي كافة عصور ما قبل التاريخ[٣].

١ . (Eclat Levallois): إن مسمى "لوفالوازيه" جاء من موقع "لوفالوا"، الذي عُثر فيه على هذه الأداة لأول مرة (الهجراوي ١٩٩٠: ٢٧٥). أما كلمة "شظية" (Eclat) فإنها تعني في اللغة العربية "كل فلقة من شيء"، و"الشظية" هي شقة من خشب أو قصب أو فضة أو عظم أو غيره (الإفريقي د. ت، ج ١٤: ٤٣٤). وإذا أنعمنا النّظر في هذا التعريف نجد تشابهاً بينه وبين تعريف فرانسوا بورد (Francois Bordes) لكلمة (Eclat)، التي قال عنها: إنها كسرة من صوان أو حجر آخر انفصلت عن النواة بضربة من القادح (Bordes 1961: 16). ونطلق عليها اسم "شظية لوفالوازيه" لتمييزها عن غيرها من الشظايا الأخرى ، التي تم تحديد شكلها مسبقاً بالتحضير الجيد للنواة، قبل انفصالها عن النواة (Bordes 1961: 32). وانطلاقاً من اسم المكان الذي وجدت فيه الأداة أول مرة، وماهية هذه الأداة، اقترحنا اسم "شظية لوفالوازية" لمصطلح (Eclat Levallois) ولهذه الأداة أشكال متعددة، منها الدائري، والمثلثي، والبيضوي، (الشكل ١).

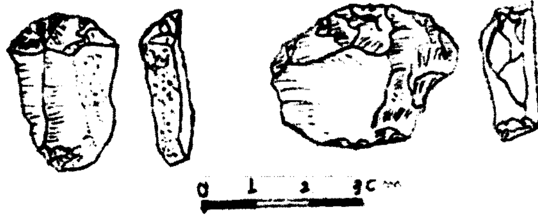
٢ . (Lame Levallois): إن مسمى "لوافالوازية"، كسابقتها "الشظية اللفالوازية"، جاء من الموقع الذي عُثر عليه فيها أول مرة، ويعرّف بريزلون (Brezillon) كلمة (Lame) على أنها الأداة الناجمة عن عمليات التقطيع، ذات شكل متطاول (Brezillon 1971: 257). وقد عرفت المعاجم العربية كلمة "نصلة" أو "النصيل" على أنها: (حجر طويل رقيق كهيئة الصفيحة المحددة... والنصيل حجر طويل مدملك قدر شبر) (الإفريقي د ت: ٦٦٤-٦٦٥). وإذا أمعنا النظر في هذين التعريفين وجدنا تشابهاً بينهما؛ إذ ينطلقان من معيار واحد في تعريف الأداة، ألا وهو الشكل المتطاول.

أما ما نقصده بـ "النصلة اللوفالوازية"، فهي تلك الشظية من الحجر الناتجة عن نواة لوافالوازية محضرة بطريقة جيدة، طولها يساوي أو يزيد عن ضعفي عرضها، وبهذا حددها بورد (Bordes 1961: 32). إذاً فالمعيار، الذي على أساسه سُمي مصطلح (Lame Levallois) "نصلة لوفالوازية"؛ هو شكل الأداة إضافة إلى المكان، الذي عثر عليها فيه أول مرة، (الشكل ٢).

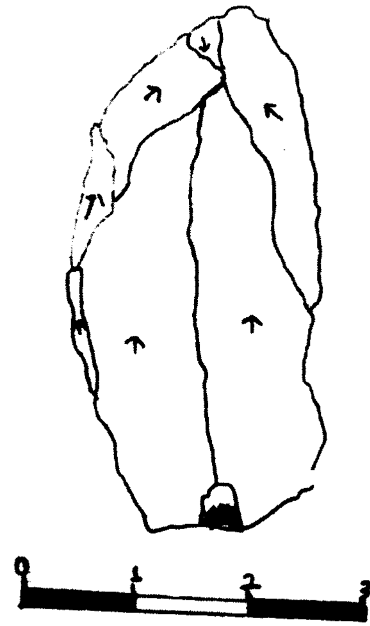
٣ . (Pointe Levallois): هي: (شظايا مثلثة، حُصل عليها من ضربة واحدة على النواة اللوفالوازية الخاصة بالرؤوس). وانطلاقاً من هذا التعريف حدّد (بورد) مصطلح (Pointe Levallois) (Bordes 1961: 32) . وأما بريزلون فقد عرّف كلمة (Pointe) بأنها شظية تُرمى من قريب، أو بعيد، على أجسام الحيوانات، بغية اصطيادها (Brezillon 1971: 292)، وتتشابه وظيفة (Pointe)، من وجهة نظر بريزلون، مع وظيفة سنان الرمح، الذي هو عبارة عن قطعة حديدية



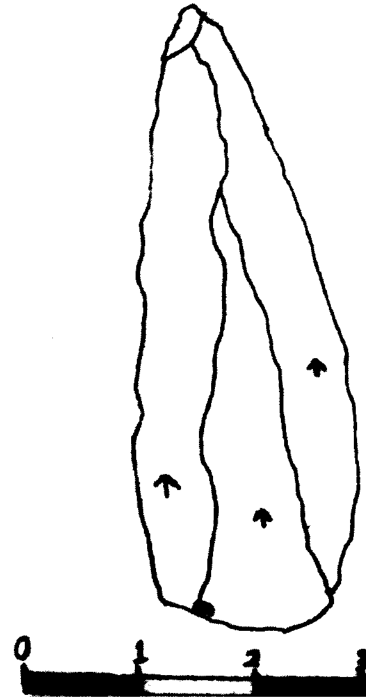
الشكل ١: شظية لوفالوازية (Eclat Levallois).



الشكل ٤: نماذج من المكشط (Grattoire).



الشكل ٢: نصلة لوفالوازية (Lame Levallois).



الشكل ٣: الشظية المثلثة (Pointe Levallois).

مصقولة ملساء تكون على رأس الرمح (الإفريقي د. ت، ج ١٣: ٢٣٢).

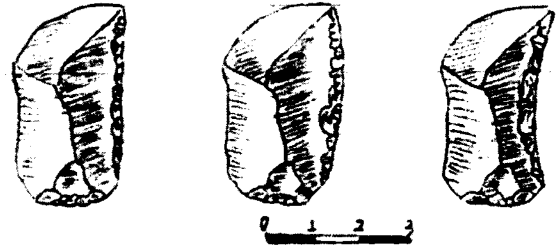
ولكننا لا ندري إذا كانت "الشظية المثلثة" قد استخدمت حقاً في صيد الحيوانات؛ من فوق رمح أو قوس. و نظراً لخصوصية السنان بالرُّمح، فاننا نقترح تسميتها: "رأس لوفالوازي"، (الشكل ٣).

٤ . (Grattoire-Racloire): هناك صعوبة كبيرة في التفريق لغوياً بين معنى كل من (Grattoire) و (Racloire)، وهذا ما ذهب إليه كل من بريزلون والهجراوي (الهجراوي ١٩٩٠: ٣٧٧؛ Brezillon 1971: 228-229). وأمام هذا التداخل في التسميات فاننا نبقي على تسمية "مكشط" لكلمة (Grattoire)، (الشكل ٤).

أما الأداة (Racloire)، فتستخدم لتحضير الجلود وجرف ما عليها، بغية إعدادها للاستخدام، كما يرى (Brezillon) (Brezillon 1971: 229) وقد أورد معجم لسان العرب كلمة "قحف؛ بمعنى الجرف (الإفريقي د. ت، ج ٩: ٢٧٥).

وبناء على هذا التعريف، وانطلاقاً من وظيفتها، فإننا نقترح تسمية هذه الأداة بـ "المقحف"، علماً بأن هذا الاسم يرد كثيراً في كتب ومقالات د. سلطان محيسن وآخرين، ممن يتحدثون عن هذه الأداة، لا سيما المقحف اليبرودي المشهور. وللمقحف عدة أشكال، منها: المزدوج المحدب، والبسيط المستقيم، والبسيط المقعر، والمزدوج المحدب، والبسيط المحدب. والمقحف الأخير أكثر وجوداً في مواقع العصر الحجري القديم الأوسط في المشرق، (الشكل ٥).

٥ . (Burin): أجمعت التعاريف التي أوردها بريزلون لكلمة



الشكل ٥: نماذج من المقحف (Racloire).

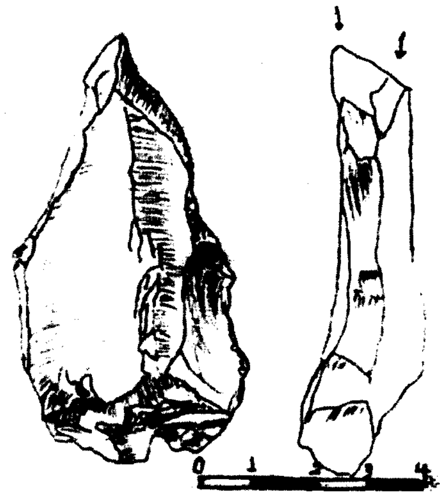
(Burin) على أنها قطعة حجرية نصلة أو شظية، تنتهي عموماً برأس حاد مائل وقاطع.

وهذا الوصف يتشابه مع تعريف لسان العرب للإزميل، وهو شفرة الحذاء، التي تنتهي بطرف قاطع وسميك عند مقبضها(الإفريقي ج ١١: ٢١١). وبناء على ذلك فإننا نسمي الأداة (Burin) إزميلاً (الشكل ٦).

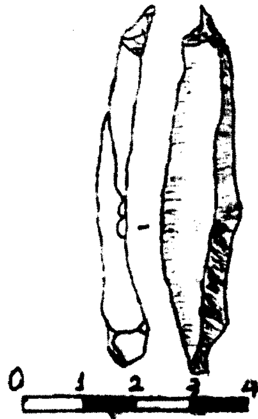
٦ . (Percoire): وتعني الشظية أو النصلة، ما ينتهي طرفه برأس حاد تم تشذيبه، باقتطاعات جعلته حاداً تقريباً. هذا أحد التعاريف التي أوردها بريزلون لمصطلح (Percoire) (Brezillon 1971:280) وأشار في تعريف آخر للأداة على أنها كانت تستخدم في ثقب الجلود (Brezillon 1971:280). وانطلاقاً من وظيفة هذه الأداة وشكلها، نقترح تسميتها "مثقباً" أو "مخرزاً"، (الشكل ٧).

٧ . (Encoch): تعمل على حافة الشظية أو النصلة بتشذيب متبادل(Bordes 1961: 23)، ويترك هذا التشذيب أثراً على حافة الأداة كأنه ثلم، وقد جاءت الكلمات (يثلمه ثلماً وثلمة فانثلم، وتثلم..) في لسان العرب بمعنى كسر حرفه وثلم، والثّلمه: الموضع الذي انثلم (الإفريقي)، وبناء على ذلك نقترح تسمية المصطلح (Encoch) ثلم؛ معتمدين على شكل الأداة، (الشكل ٨).

٨ . (Denticule): أداة لها أطراف ناتئة نجمت عن عمليات



الشكل ٦: الإزميل (Burin).



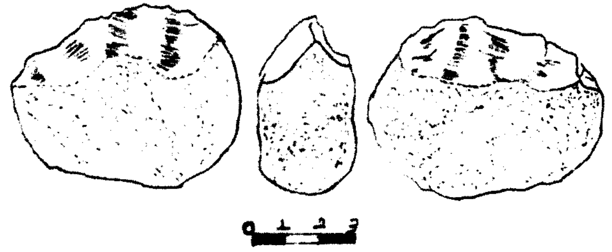
الشكل ٧: المثقب (Encoch).



الشكل ٨: الثلم (Encoch).



الشكل ٩: المسنن (Denticule).

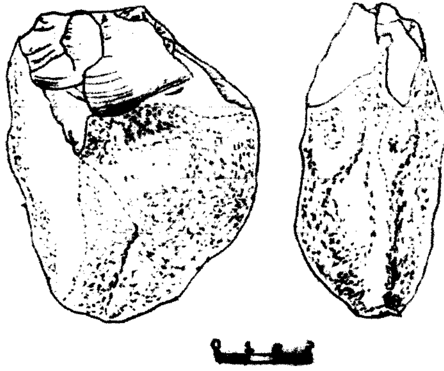


الشكل ١٠: حجر معدّل (Chopper).

تشذيب إرادية (Brezillon 1971:206). ويشبه شكل هذه الأداة الأسنان، ومن هنا اقترحنا تسميتها بـ "المسنن" (الشكل ٩).

٩ . (Chopper): هي عبارة عن حصى أو حجر عُدِّل بنحته من جهة واحدة (الهجراوي ١٩٩٠: ٢٧٦). وانطلاقاً من طريقة تصنيع الأداة اقترحنا تسمية مصطلح (Chopper) بـ "حجر معدّل"، (الشكل ١٠).

١٠ . (Chopping-Tool): هي - كسابقتها - عبارة عن حصى أو حجر، لكنه نُحت من الجانبين قصد التوصل إلى جهة حادة وقاطعة (الهجراوي ١٩٩٠: ٢٧٦). وانطلاقاً من طريقة تصنيع الأداة اقترحنا تسمية مصطلح (Chopping-Tool) بـ "حجرقاطع"، (الشكل ١١).



الشكل ٦: حجر قاطع (Chopping-Tool).

ويبين (الجدول رقم ١) الأدوات، التي اقترحنا لها تسميات باللغة العربية، إلى جانت تحديد المعيار، الذي اقترحت المسميات على أساسه.

وكما أسلفنا سابقاً، فإن هذه الأدوات مختارة من قائمة الباحث فرانسوا بورد، التي تضم ٦٣ أداة من العصر الحجري القديم الأدنى والأوسط.

الخاتمة:

وبعد، فقد طرح هذا البحث مشكلة بعض مصطلحات علم آثار عصور ما قبل التاريخ، وحاولت جاهداً إيجاد مصطلحات عربية لأدوات هذا العلم، على أمل أن نرفد هذا البحث - في المستقبل القريب بإذن الله - بدراسات جديدة تغطي جل مصطلحات عصور ما قبل التاريخ، إن لم نقل جميعها؛ لنصل في نهاية المطاف إلى كتابة هذا العلم باللغة العربية بمصطلحات موحدة تمكن القارىء العربي - أياً كان موطنه في المشرق أو المغرب - من تناول المصطلح والتعامل معه، دون اللجوء إلى المصطلح الأجنبي.

أحمد يوسف ذياب: قسم الآثار - كلية الآداب - جامعة دمشق - سوريا.

المعيار	المصطلح العربي	المصطلح الأجنبي
المكان + نوع الأداة	شظية لوفالوازية/ نموذجية	Eclat Levallois Typique
المكان + نوع الأداة	شظية لوفالوازية/ غير نموذجية	Eclat Levallois Atypique
وظيفة الأداة	رأس لوفالوازي	Point Levallois
وظيفة الأداة + شكلها	رأس لوفالوازي مشذب	Point Levallois Retouche
ترجمة حرفية	رأس لوفالوازي مزيف	Point Pscudo-Levallois
وظيفة الأداة + الحضارة	رأس موستيري	Pointe Mousterienne
وظيفة الأداة وشكلها + الحضارة	رأس موستيري متطاول	Pointe Mousterienne Allongee
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف بسيط مستقيم	Racloir simple droit
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف بسيط محدب	Racloir simple convex
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف بسيط مقعر	Racloir simple concave
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف مزدوج مستقيم	Racloir double droit
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف مزدوج مستقيم-محدب	Racloir double droit-convex
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف مزدوج مستقيم-مقعر	Racloir double droit-concave
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف مزدوج محدب	Racloir double biconvexe
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف مزدوج مقعر	Racloir double biconcave
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف مزدوج محدب-مقعر	Racloir double convex-concave
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف متلافي الاتجاهات مستقيم	Racloir convergent droit
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف متلافي الاتجاهات محدب	Racloir convergent convex
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف متلافي الاتجاهات مقعر	Racloir convergent concave
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف منحرف	Racloir dejete
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف معترض مستقيم	Racloir transversal droit
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف معترض محدب	Racloir transversal convex
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف معترض مقعر	Racloir transversal concave
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف على وجه مستو	Racloir sur face plane
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف ذو تشذيب شديد الانحدار	Racloir retouch abrupte
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف ذو ظهر مرقق	Racloir ados aminci
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف ذو تشذيب على الوجهين	Racloir retouch biface
وظيفة الأداة + شكلها	مقحف ذو تشذيب متبادل	Racloir a retouch alterne
نقلاً عن الهجراوي	مكشط نموذجي	Grattoir typique
نقلاً عن الهجراوي	مكشط غير نموذجي	Grattoir atypique
وصف الأداة	إزميل نموذجي	Burin typique
وصف الأداة	إزميل غير نموذجي	Burin atypique
وظيفة الأداة	مثقب نموذجي	Percoir typique
وظيفة الأداة	مثقب غير نموذجي	Percoir atypique
شكل الأداة	ثلم	Encoche
شكل الأداة	مسنن	Denticule
طريقة تصنيع الأداة	حجر معدل	Chopper
طريقة تصنيع الأداة	حجر قاطع	Chopping tool

الجدول ١: قائمة ببعض المصطلحات الأجنبية لأدوات عصور ما قبل التاريخ مع ما يقابلها من المصطلحات العربية يقترحها الباحث .

الهوامش:

(١) نذكر في هذا المقام د. سلطان محيسن، الذي وضع عدة مقالات باللغة العربية في عصور ما قبل التاريخ مثل: عصور ما قبل التاريخ؛ بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ (الصيادون الأوائل)؛ بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ (المزارعون الأوائل)، وعدة مقالات نشرت في دوريات، مثل: الحوليات الأثرية السورية، ومجلة دراسات تاريخية، التي تصدر عن قسم التاريخ في جامعة دمشق.

(٢) جاءت هذه المقالة في مجلة (L, Anthropologie. Tom 54K 1`950, P 26)، كانت تضم في البداية ٤٠ أداة ثم اكتملت فيما بعد حتى أصبحت على الشكل الموجود في الجدول رقم ١ .

(٢) هنال مصطلحات أخرى، لم يتم تعريبها ضمن سلسلة قائمة بورد (Bordes)، ما تزال الحاجة ماسة لتصنيفها، وهي:

(Limace, Coutteau a dos typique, Coutteau a dos atypique, Coutteau a dos naturel, Raclette, Eclat tronque, Tranchet Mousteriene, Bec burinant alterne, Retouche sur face plane, Retouche abrupte alterne epaisse, Retouche abrupte alterne mince, Retouche bifce, Pointe de tayac, Triangle a encoche, Pseudo microburin, Encoche en bout, Hachoir, Rabot, Pointe pedonculee, outil pedonculee, Chopper inverse, Divers, Pointe foliacee).

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

دياب، أحمد يوسف، ١٩٩٩، العصر الحجري القديم الأوسط في سورية (الديدرية نموذجاً)، بحث قدم لنيل درجة الدكتوراة (السلك الثالث)، في المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، الرباط، المغرب، العام الدراسي ٩٨/١٩٩٩ .

الشارخ، عبدالله محمد، ٢٠٠٠ . "إشكالية المصطلح الآثاري"، **مجلة ادوماتو**، العدد الأول:٧١-٧٢ .

محمد علي، عباس سيد أحمد، ٢٠٠٠، "الجذور التاريخية لإشكالية المصطلح الآثاري: حالة ما قبل التاريخ"، **مجلة ادوماتو**، العدد الثاني: ٧١-٧٣ .

الهجراوي، محمد عبدالجليل، ١٩٩٠، "اقتراح أسماء جديدة لأدوات ما قبل التاريخ (من قضايا المصطلح)، **مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية**، العدد ١٥ : ٢٧٤-٢٧٨، الرباط، المغرب.

الإفريقي، ابن منظور، د. ت.، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت.

ثانياً: المراجع غير العربية:

Bordes, F. 1961. **Typologie du Paleolithique ancien et moyen,** C. N. R. S, Paris.

Bordes, F. 1980. "Le debitage levallois et ses variants", **B.S.P.F** Tom77L21.

Brezillon, M. N. 1971. La **denomination des objets de Pierre taillee,** C.N.R.S, Paris.

Inizan, Marie-Louis 1992. **Technology of knapped ston,** C.N.R.S, Paris.

Muhesen, Sultan 1992. "The transitional Lower - Middle Paleolithic industries in Syria". In: Akazawa Takeru, **The evolution and dispersal; of modern Humans in Asia.** Tokyo.

Naama Goren Inbar 1992. The acheulien site of Gesher Bento Ya'koub: An African or Asian entity. In: Akazawa Takeru,**The evolution and dispersal of modern humans in Asia**, Tokyo.

Phellips, J. P. 1988., The upper Paleolithic of the Wadi Feiran southern Sinai, **Paleorient** Vol 14/2.
Muhesen, Sultan 1988. Prospection prehistorique dans la region d. Afrin (Syrie). **Paleorient** Vol 14/2.

مؤتمرات وندوات علمية

مؤتمر العلوم والتكنولوجيا في الآثار

الجهة المنظمة: معهد الملكة رانيا للسياحة والتراث الجامعة الهاشمية - الأردن.

مكان الانعقاد: الجامعة الهاشمية.

تاريخ الانعقاد: ١٥-١٦ ربيع الآخر ١٤٢٣هـ، الموافق ١١-١٧ آب ٢٠٠٢م.

عقد في الأردن مؤتمر "العلوم والتكنولوجيا في الآثار والمحافظة عليها"، في الفترة ما بين الثاني عشر والسابع عشر من شهر آب ٢٠٠٢م، نظّمة معهد الملكة رانيا للسياحة والتراث في الجامعة الهاشمية، تحت رعاية ملكية وبدعم من منظمة اليونسكو.

ويعد هذا المؤتمر الدولي الأول في نوعة في الأردن، في الموضوعات، التي تركّزت محاورها الرئيسة حول: الحقول المعرفية المتمثلة في الآثار والسياحة، وإدارة الموارد التراثية، ونظم المعلومات الجغرافية، ونظم المعلومات الأثرية، والتقنيات القديمة، والحت والتعرية، وترميم المباني، والقطع التراثية والأثرية، واستراتيجيات الترميم والمحافظة على التراث، إضافة إلى موضوعات جيولوجيا الآثار، وعلم المتاحف، وغيرها.

تناول عدد من الباحثين والعلماء محور الآثار من جوانب مختلفة، تمثلت في تناول مشرعات مسحية وحفريات أثرية جرت في الأردن خاصة، والعالم العربي عامة، أو في مناطق أخرى من العالم. فضمن أعمال المسح الآثاري جاءت ورقة الباحث تيسير عطيات، حول: جهود المسح في وادي الموجب، لاستيضاح طبيعة هذا الوادي الذي يفصل بين مملكتي مؤاب وعمون من جهة، ثم لتوثيق المواقع الأثرية في الوادي، سواء تلك التي رصدها (كلوك) في النصف الأول من القرن الماضي، أو تلك المواقع الجديدة التي يمكن تسجيلها، من جهة أخرى.

أما ورقة الباحثين معاوية إبراهيم وخالد دغلس، فقد تناولت موقع خربة الزرقون شمالي الأردن، الذي يعود إلى العصر البرونزي المبكر، ويشير إلى استيطان الموقع في النصف الأول من الألف الثالثة قبل الميلاد، وإلى عمائر الموقع الدفاعية والسكنية والدينية والإدارية، وإلى مناطق وأنظمة الري المعقدة، آنذاك، ما يجعل خربة الزرقون مثالاً ممتازاً لطبيعة بدايات حياة التمدن في الشرق الأدنى القديم.

وتطرقت الورقة كذلك إلى وصف حالة المباني الأثرية، التي عُثر عليها في الموقع، ومدى التخريب، الذي تعرضت له خلال العقد الماضي. وقدمت الورقة تصوراً لطرق صيانة المباني الأثرية وترميمها في الموقع، وكيفية استثمار الموقع سياحياً وآثارياً.

كما نوّه الباحث زيدان كفافي في ورقته إلى المخاطر، التي تهدد المواقع الأثرية، خصوصاً خلال عمليات تأسيس البنى التحتية، التي تفرضها طبيعة التوسع والتطور، خاصة في ميدان إنشاء الطرق الدولية، وما تتطلبه بعض المواقع من حفريات إنقاذية، وإيجاد سبل محافظة على بعضها الآخر، إذ تشكل بعض المواقع الأثرية أمثلة نموذجية نادرة للفترات، التي تمثلها، كموقع عين غزال، على سبيل التمثيل لا الحصر.

وفي مجال المسوحات الكتابية، التي أجريت مؤخراً في الأردن، ركّزت ورقة الباحث سلطان المعاني، على نتائج المسح النقشي، الذي أُجري في منطقة الجفر في الجنوب الشرقي من الأردن، الموقع الذي لم تطاله أيدي الباحثين، على الرغم من أهميتة الفائقة، التي تنحصر في موقعي وادي السرحان وباير والحسمى. وقد أسفرت أعمال المسح في الموسم الأول عن الكشف عن قرابة ٧٥٠ نقشاً عربياً شمالياً، وقرابة ٣٠٠ نقش إسلامي مبكر. وهذا العدد من النقوش ينبيء عن إمكانية وجود أعداد أخرى في الموقع، قد تُسفر عنها أعمال المسح المستقبلية. وتشكل هذه النقوش إضافة جديدة إلى أسفار النقوش العربية الشمالية.

وعن المكتشفات الأثرية الحديثة في موقع المغطس الديني،

على الضفة الشرقية لنهر الأردن، أكّد الباحث محمد وهيب أهمية وادي الخرار الدينية، إذ شهد عمّاد السيد المسيح عليه السلام، حيث كان محجّاً في الفترات المتعاقبة. وقد شهد في الفترة البيزنطية بناء عدد وافر من الكنائس والأديرة، التي تكرس الاهتمام الديني بالموقع، وتجعله محجّاً لاتباع الديانة المسيحية. وتناولت الورقة الاكتشافات الأثرية في الموقع، في مجالات العمارة والفنون وارتباطها بالدلائل الواردة في الكتب المقدسة، وأقوال الرحالة والمؤرخين. وخلص الباحث إلى أهمية هذه المكتشفات، التي ترجع في تاريخها إلى العصرين الروماني والبيزنطي.

أما في مجال التوثيق الأثري ومناقشة سبل المحافظة على الآثار والمواقع التراثية، فقد قُدّمت أوراق مهمة عديدة تحت هذا المحور. فدرست الباحثة شذا أبو خفاجة كنيسة البازيليكا، والكنيسة الصغيرة في ياجوز، من المنحى التوثيقي والإداري للموقع والمحافظة عليه، إذ ركّزت الباحثة على الأهمية الكبرى لتوثيق موقع أثري مهم مثل ياجوز، ما يتيح الفرصة لاستنباط القيم الحضارية، التي ينطوي عليها الموقع الأثري، من قيم جمالية وعلمية واجتماعية والعمل على إظهارها. وقد جاء التوثيق بواسطة الرسم الهندسي المعماري المتقن للمساقط الأفقية، والمقاطع العرضية والواجهات والتفاصيل المعمارية لهذين الموقعين، الذي رافقته الصور التوثيقية والرسومات ثلاثية الأبعاد، المبنية على الأدلة الأثرية الموجودة في الموقع. وقد تلت مرحلة التوثيق والتقييم مرحلة إعداد الخطط ووضع الاستراتيجيات لإدارة الموقع الأثري، ضمن المعطيات المادية والخبرات المتوفرة لإدارة المواقع الأثرية في الأردن.

كما قدّم الباحث طلال العكشة ورقتين حول مدينة البتراء الأثرية، كانتا حصيلة سنوات من البحث والتحليل. وقد تمخضت الورقة الأولى عن رؤية جديدة لتاريخ المعالم الأثرية في البتراء، إذ تناول البحث المعالم، التي وثّقها كل من: (برونو) و(دوماسوفسكي)، في بدايات القرن التاسع عشر، ثم (ماكينزي)، وبدراسة إحصائية لهذه المعالم وما طالها من عوامل الحت والتغير. وقد حاولت الدراسة الاقتراب من عمر هذه المعالم الأثرية. وتناول العكشة في ورقته الثانية، التي شاركه فيها الباحث بلال خريسات، من معهد الملكة رانيا للسياحة والتراث بالجامعة الهاشمية، خطوات عملية في حماية البتراء، أبرزت مشكلة محمية البتراء والجهود السابقة، التي بذلتها منظمة اليونسكو، وغيرها من المؤسسات العلمية الدولية والوطنية لإدارة المحمية. وقيّمت مدى ملائمة الجهود لحماية هذه المواقع. وقد تبين أن هنالك مبالغة نسبية في العرض مقارنة مع الواقع، فجاءت البحوث التي أجراها معهد الملكة رانيا للسياحة والتراث لتعرض حلولاً بديلة تتلاءم والواقع المحلي.

وتحت عنوان: "حماية المواقع الأثرية وتغطيتها"، كانت ورقة الباحثة لين فاخوري، التي تناولت تغطية الموارد التراثية بجانب المواقع الأثرية في الأردن، إذ استعرضت الورقة التجارب في هذا المجال. وقد أكدت الدراسة على أن عملية حماية المواقع وتغطيتها لا بد أن تعتمد على منهجية في التصميم، وتهدف إلى إعادة تأويل المواقع، إضافة إلى حماية شاملة لتطوير خطة دائمة لإدارة الموارد التراثية.

كما تناولت ورقة الباحث نايف حداد موضوع: "الخصوصية في العمارة الشرقية وخاصة في الفترة الهلنستية"، فأكدت من خلال تطور الواجهات المعمارية لكل من القبور المكدونية، والواجهات المنحوتية في البتراء، من الناحية المرفولوجية، على المعالجات المختلفة، إذ طرحت منهجية عامة لاسلوب التعامل مع موضوع الكرونولوجية لواجهات البتراء. ومن ناحية المسقط الأفقي العام لهذه المباني من الفترة الهلنسية إلى المسيحية المبكرة، وضّحت خصوصية التوزيع الثلاثي الشرقي في نهاية هذه المباني.

أما ورقة محمد الخليلي وبلال خريسات، فكانت عن: "عوامل الاتلاف للمواد الحجرية المستعملة في معبد أرتيمس في جرش". فقدمت دراسة وتوثيق ميداني لجميع عوامل الاتلاف الناتجة عن العوامل الجوية، وتلوث البيئة، وعملية الاتلاف الناتج عن العوامل الانشائية". كذلك تناولت الورقة محاولة إعطاء تقدير أولي عن مدى الاتلاف وأنواعه، والتدهور في بعض أجزاء المعبد، والحجارة الكلسية.

وحول الجهود الأثرية السابقة والحالية من الجزيرة العربية عموماً، والمملكة العربية السعودية على وجه التحديد، جاءت ورقة الباحث عبدالرحمن الطيب الأنصاري لتستعرض هذه الجهود، وفق المنحيين التاريخي والعلمي، وتبين أهمية هذه

الجهود في تاريخ الجزيرة العربية، بينما جاءت جهود أخرى لتكرس معلومات عن تاريخ المنطقة وحضارتها مدعمة بالدليل العلمي.

وقد حظيت مدينة البتراء الأثرية الأردنية، بمساحة واسعة من برنامج المؤتمر؛ فتناولتها أوراق تتحدث عن الآثار المكتشفة فيها مؤخراً، وأخرى عن سبل المحافظة على آثارها من عوامل البيئة البشرية والطبيعية، وكيفية التعامل معها. فجاءت أوراق كل من: زياد السعد، ونزار أبو جابر، وخيرية عمرو، وفلك الصراف، وفيليب هاموند. وقد ركزت مارثا شارب جكوسكي على التقنية، التي استخدمت في حفر المعبد الكبير في البتراء وسبل الحفاظ عليه. وفي مجال المحافظة علية التراث المعماري في العالم العربي تحديداً، تحدثت أمل القبيسي عن استخدام التكنولوجيا في توثيق التراث المعماري في دولة الامارات العربية المتحدة، عن طريق التصوير الجوي والخرائط والمساقط ذات الأبعاد الثلاثية باستخدام الحاسوب. وانصب الاهتمام في أوراق ريتشرف شمعون وطوني لحود، على الاهتمام بالتراث المعماري والمناطق الأثرية وضرورة المحافظة عليها، من التوسع العمراني وضرورات التمدن، وجاءت شواهدهما من واقع التوسع، الذي يحدث في لبنان وقد يؤدي إلى الإضرار بالمواقع التراثية والأثرية. وجاءت ورقة ماريوس اوانيدس لتؤكد أهمية استخدام التكنولوجيا والتقنيات الحديثة في هذه المجالات.

وعن أعمال الصيانة والترميم في الأردن، جاءت بعض الأوراق لتتطرق إلى الجهود، التي بذلت في هذا السياق، خلال العقدين الماضيين. ومن هذه الأوراق ما قدّمه كل من باتريشا بقاعي، وبيير بقاعي، فنالت مواقع مهمة في الأردن اهتماماً خاصاً في هذا المجال، مثل قلاع عمان ومأدبا والبتراء. وفي السياق ذاته تحدث دوغلاس كومر عن أهمية المواقع التراثية، على وجه العموم، وأهمية دراسة البيئة الثقافية والبيئية والاجتماعية المحيطة بالمواقع الأثرية، وضرورة التوافق بين البيئتين، من جهة، والموقع الأثري، من جهة أخرى.

وقد أكد برنرو فتسنر على ضرورة الحفاظ على الشواهد، أو المعالم الحجرية الأثرية، وسبل المحافظة عليها من التعرض للدمار، جراء عوامل الحت والتعرية، أو الاستخدام الجائر من قبل الانسان.

ومن الجدير بالاشارة أن عدد المشاركين في المؤتمر بلغ مائة وثلاثين باحثاً وأكاديمياً، مثّلوا خمساً وعشرين دولة، توزعت على قارات العالم. وقد كان الحضور العربي جيداً، مثّله علماء من الأردن والسعودية وقطر والامارات ومصر وليبيا وسوريا ولبنان والعراق، إضافة إلى علماء من دول عديدة من العالم.

د. سلطان المعاني - معهد الملكة رانيا للسياحة والتراث - الجامعة الهاشمية- الزرقاء - المملكة الأردنية الهاشمية.

المؤتمر الدّولي للفنون والحرف الإسلامية

الجهة المنظمة: **مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسكا)**

مكان الانعقاد: **أصفهان - إيران**

تاريخ الانعقاد: **٢٨ رجب - ٣ شعبان ١٤٢٣هـ الموافق ٤-٩ أكتوبر ٢٠٠٢م**

نظّم "مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا)" باستنبول، التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي ووزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ورابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية في الجمهورية الإيرانية المؤتمر الدولي حول الفنون والحرف الإسلامية، في مدينة أصفهان خلال الفترة من ٤-٩ أكتوبر عام ٢٠٠٢م.

وقد حاول المؤتمر إبراز الثقافة الإسلامية من خلال فنونها وحرفها اليدوية، وإظهار جمالياتها وقيمها، واقتراح الطرق والوسائل الممكنة لتهيئة حياة معيشية جيدة للفنانين والحرفيين، وتشجيعهم على تطويرها، إضافة إلى نقلها إلى الأجيال القادمة، وهي خطوات ضرورية لحماية التراث الثقافي للعالم الإسلامي واستمراره.

كما تناول المؤتمر قضايا التصميم والطرق المتبعة، والتعاون الفني وتنمية المهارات، وتبادل التقنيات المطبقة، وتحسين جودة المنتج، والتعليم والتدريب، والتمويل،

والاقتصاد، والسوق والمصاعب الموجودة، والرعاية والسياسات الوطنية.

قُدمت خلال المؤتمر ٧٥ خمس وسبعون ورقة بحث لخبراء أكاديميين وأساتذة متخصصين في هذا الميدان أتوا من ٣٣ دولة من دول العالم.

وفّر المؤتمر الفرصة لتبادل الخبرات بين المنظمات والدول المعنية. وناقشت الأوراق المقدمة العديد من الموضوعات المهمة في الجلسات، التي كانت كالآتي:

الجلسة الأولى: العمارة الإسلامية - رئيس الجلسة: الدكتور روبرت سكسلتون.

الجلسة الثانية: فن الخط - رئيس الجلسة: الأميرة وجدان علي، كما ترأست أعمال الجلسة العامة أيضاً.

الجلسة الثالثة: الفنون والحوار الثقافي - رئيس الجلسة: أ. د. صالح لمعي.

الجلسة الرابعة: الرسوم والمنمنمات الإسلامية - رئيس الجلسة: د. عبدالرحمن أيوب.

الجلسة الخامسة: تأثير الفنون والحرف الإسلامية على الفن الأوروبي- رئيس الجلسة: أ. د. كونسل رندا.

الجلسة السادسة: النسيج والتطريز والزي الإسلامي- رئيس الجلسة: د. علي صالح المغنم.

الجلسة السابعة: إحياء الفنون والحرف الإسلامية- رئيس الجلسة: أ. د. أتيليو بيتروشيولي.

الجلسة الثامنة: السيراميك والقاشاني الإسلامي- رئيس الجلسة: د. صبيحة الخمر.

الجلسة التاسعة: حياة المدينة والحلي والأسواق الإسلامية- رئيس الجلسة: أ. د. ماكييل كيل.

الجلسة العاشرة: الورق اليدوي والتذهيب والتجليد والأبرو- رئيس الجلسة: د. حمدان طه.

الجلسة الحادية عشرة: الفنون والحرف الخشبية- رئيس الجلسة: د. مهرانجيز مظاهري.

الجلسة الثانية عشرة: الوضع الحالي للحرف اليدوية والتنمية- رئيس الجلسة: الشيخة ألطاف الصباح.

الجلسة الثالثة عشرة: التسويق والتنمية والرعاية- رئيس الجلسة: د. أسعد عرابي.

الجلسة الرابعة عشرة: التصاميم والإسلامية والحرف المعدنية- رئيس الجلسة: الأستاذ ناوتو سوزوكي.

أهداف المؤتمر

هدف المؤتمر إلى تحقيق الآتي:

١- تقييم الوضع الراهن للفنون والحرف الإسلامية، وتحديد المعايير الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الواجب مراعاتها للتطوير المستقبلي لهذا الميدان.

٢- مناقشة الإجراءات التي يمكن اتخاذها لتفادي فقدان القيم والتقاليد الإسلامية، بهدف المحافظة على الطبيعة المميزة والخاصة لتراث الفنون والحرف الإسلامية.

٣- حث الحرفيين على إنتاج أعمال جديدة.

٤- اتخاذ التدابير اللازمة لحماية بعض الفنون والحرف التقليدية، التي تتعرض للخطر وضمان استمراريتها.

٥-تطوير إستراتيجية للتعاون الدولي في هذا المجال.

وقد بدأ البرنامج بكلمة سماحة الشيخ محمد العراقي، رئيس منظمة الثقافة والعلاقات الإسلامية، افتتح بها معارض الحرفيين في قصر شهلستون (جهلستون) بمدينة أصفهان، مؤكداً أهمية الحدث كوسيلة للمزيد من الحوار الثقافي في العالم، واقترح تأسيس مركز للفنون والحرف الإسلامية في مدينة أصفهان، بهدف تشجيع المزيد من خطوات التعاون بين الأطراف المعنية، في هذا الميدان.

وبدأ حفل افتتاح المؤتمر بتلاوة آي من الذكر الحكيم ثم ألقى وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي كلمة دعا فيها إلى تأسيس اتحاد للحرفيين، ومتحف مدينة أصفهان، وتخصيص جائزة إيرانية للروّاد الحرفيين، في العالم الإسلامي.

ثم ألقى د. عبدالواحد بلقزيز، أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي، كلمة أكد فيها أن مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية -الذي أنشئ منذ سنوات عديدة من قبل منظمة المؤتمر الإسلامي لإحياء تراث شعوب الأمة الإسلامية ودولها- قام بأعمال جبارة للكشف عن هذا التراث، وبذل جهداً حثيثاً لإنقاذه من التلف لما تعرّض له طيلة الفترة الاستعمارية من

نهب وتشويه، وأصبح المركز مرجعاً للباحثين والمؤرخين. ودعا المشاركين للخروج بإستراتيجية تستجيب للتطلعات الجديدة، والحلول الممكنة، للمشاكل الرئيسة، التي تواجه مستقبل حركة تنمية الفنون والحرف الإسلامية وإيجاد آفاق تنموية لها.

أما أ. د. أكمل الدين إحسان أوغلي، مدير عام مركز إرسيكا فقد أشار في كلمته إلى أن منظمة المؤتمر الإسلامي كانت أول منظمة دولية تقدّر رسمياً أهمية الفنون، كميدان لتنمية التعاون الدولي. وكان المركز أول مؤسسة دولية حكومية تحتل الفنون أهم ميادين عملياته الرئيسة. وأصبح المركز يُعرف عالمياً بميادين عمله كنقطة رئيسة للفنون الإسلامية.

واختُتم الحفل بكلمة المهندس حسني، والي أصفهان، الذي رحب بالمشاركين باسم المدينة، وأعرب عن وضع كافة الإمكانات تحت تصرف المؤتمر. كما رحب بفكرة إنشاء متحف مدينة أصفهان للفنون والحرف الإسلامية.

توصيات المؤتمر

أصدر المؤتمر التوصيات الآتية:

الحوار بين الثقافات:

دعا المؤتمر إلى البدء بالحوار الثقافي الإسلامي أولاً، وتوسعة نطاقه ثانياً ليشمل الحوار بين الحضارات، لتحقيق الوعي الثقافي والتفاهم والتعايش السلمي، إذ لا يمكننا العيش بمعزل عن الآخرين.

إحياء الفنون والحرف الإسلامية

الاهتمام بالجانب الجمالي والفني للأعمال الفنية والحرفية، لإيجاد مضمون إسلامي فاعل ومؤثر. والاهتمام بما تمتاز به الفنون والحرف من قدرة وقابلية، ليس لإثراء الجانب السياحي أو تصديرها الى الأسواق الخارجية فحسب، وإنما بهدف تنمية مشاعر الاعتزاز بالذات والوعي، وتطوير هذه التقاليد الثرية وإحيائها. لذا فنحن بحاجة إلى الآتي:

١- تفعيل بحوث ودراسات العمارة الإسلامية، في كليات العمارة والفنون، بهدف التعرّف على القيم والمفاهيم الجمالية، وتطوير مجالات التخطيط المدني.

٢- تأسيس معاهد تتولى تعليم الحرفيين والفنانين وتدريبهم.

٣- ترتيب زيارات طلابية جماعية للمتاحف، بهدف تعرّيف الطلاب على المميزات الجمالية الفنية.

إعادة بناء التراث المعماري

يواجه التراث المعماري الإسلامي، الذي يشكل جانباً مهماً من الحضارة العالمية، تهديدات بيئية واجتماعية واقتصادية، من شأنها أن تؤدي إلى زواله بالكامل، أو تعرضه للضرر. وهناك مجتمعات كثيرة تناضل من أجل تقديم تعريف عن هويتها أمام العولمة الغربية، وعلينا أن نعكف على إحياء أنماط قيّمة ونماذج عريقة من التراث الإسلامي المعماري، كجزء من هذا النضال العام. ويجب تنسيق الجهود، على الأصعدة الوطنية والإقليمية والعالمية، لنتمكن من ترميم المباني الضخمة، التي تمثل التراث المعماري الإسلامي وصيانتها، والمحافظة عليها من أية أخطار تهددها. وسيؤدي ذلك إلى إحياء ورش الصناعات اليدوية، وتوظيف الفنانين في جوانب مختلفة من عملية إعادة بناء التراث المعماري، ما يؤدي إلى تفعيل حركة إعادة البناء والإعمار، وبالتالي تطوير المعايير الثقافية والقيم الاجتماعية.

تدريب الحرفيين

أكد المؤتمر أهمية إيجاد مؤسسات تتولى مهمة تدريب الرواد الحرفيين، وتطوير وتحسين عملية التصميم، وتقديم خدمات استشارية في مجال التسويق، لتحقيق أفضل النتائج فيما يتعلق بأساليب الإنتاج، أو المباني العصرية .

حملة للحفاظ على القيم الثقافية

دعا المؤتمر إلى القيام بحملة وطنية، للعودة إلى قيّمنا الثقافية وجوانبها المادية (المعمارية)، والفنون والصناعات اليدوية والملابس التقليدية، ترافقها حملة إعلامية، للارتقاء بمستوى الوعي العام بتراثنا الوطني؛ من خلال الاهتمام بقيام مشروعات تساعد على إحياء الصناعات والحرف التقليدية، خاصة أنها تتميز بأهمية ثقافية، وألا تُعدُّ سلعاً استهلاكية. كما ينبغي دعمها من خلال المصادر المالية الخاصة بالتنمية، ومنحها تخفيضات ضريبية. كما يجب تبني الحكومات إحياء الأزياء التقليدية، وعرضها في المتاحف المحلية، لتعزيز الشعور بالانتماء للتراث، إضافة إلى تمويل الدراسات الجامعية المتخصصة في هذا

المجال. ومن الضروري أن لا نهمل حرَفاً، مهمّة مثل: الحياكة والصباغة والغزل، ولا نتركها تندثر مع الزمن.

وأوصى المؤتمرون أصحاب المجموعات الشخصية للفنون والحرف اليدوية، بأن يودعوا سجلاً عن مجموعاتهم الموثقة لدى مركز إرسيكا لحمايتها من الاندثار والزوال. كما دعوا إلى الارتقاء بمستوى الفنون والحرف اليدوية الإسلامية، بين الجاليات المسلمة المقيمة في دول غير إسلامية.

الدعم الحكومي

من الضروري أن تعكف الحكومات والجهات المعنية، على تقديم دعم أوسع بغية تفعيل هذا القطاع، على أوسع نطاق ممكن، وذلك عبر بعض الإجراءات، التي تكفل أجوراً ومكافآت مناسبة للحرفيين لحثهم على الإبداع المتواصل.

ودراسة مكامن الضعف والقصور، التي توجد في محيط العمل، لتمكين منتجي الحرف اليدوية من الاستفادة من فرص العمل، كوسيلة لتطوير الإنتاج الفني بشكل مؤثر. كما ينبغي تفعيل وتحديد أدوار المؤسسات الحكومية والمنظمات غير الحكومية والجامعات، والجهات العاملة في مجال خدمات التنمية التجارية، وإدراجها ضمن الاستراتيجيات التنموية.

التعليم

تحقق الحرف التقليدية والفنون عائداً اقتصادياً مهماً، وتتمثل المشكلة الوحيدة الموجودة في مجال تدريب الفنون والحرف الإسلامية، في نقص عدد المؤهلين، لذا لا بد من إدخال التقنيات التقليدية في المدارس المحلية، وتدريس هذه التقنيات عبر فصول ودورات فنية، ليصبح ذلك ضماناً لتحقيق تطور دائم متزايد في مجال المهارات التقليدية، وحفز الأجيال القادمة للاهتمام بها.

متحف مدينة أصفهان

طرح المؤتمر فكرة تأسيس متحف مدينة أصفهان، المتمثل في مجموعة نقش جهان، وذلك لما تتميز به مدنية أصفهان كمتحف مفتوح للتراث الثقافي الحي.

العلاقة بين السياحة والفنون والحرف الإسلامية

أكد المؤتمر أهمية إقامة علاقة بين الفنون والحرف، من جهة، وبين السياحة، من جهة أخرى، وذلك بهدف الارتقاء بمستوى الوعي العام إلى أقصى حد ممكن، نظراً لأهمية القطاع السياحي. ويمكن تحقيق هذا الهدف من خلال إنشاء أو تعزيز المراكز الخاصة بتنمية الحرف والفنون، كإيجاد قرى الفنون والحرف التقليدية. وهذه القرى من شأنها أن تعمل كمراكز تقوم بالوظائف الآتية:

١ . التطوير التقني.

٢ . التسويق والخدمات الاستشارية والتجارية.

٣ . تقديم الدعم والرعاية للحرف التقليدية.

٤ . السياحة.

٥ . تسهيل عملية الاتصال بالمؤسسات الدولية غير الحكومية والمراكز الدولية وتحريك قنوات التسويق في هذا المجال.

مراقبة الجودة

يجب العمل على تحقيق تنمية جماعية لمجموعة من الحرف والفنون، لتحسين مسار الإنتاج والتصميم وفتح الأسواق الجديدة، ودعم الجهود الجماعية الرامية لتلبية الحاجات وعملية التسويق، لتحسين الجودة والنوع، وإجراء بحوث حول القطاعات الفرعية للحرف اليدوية.

الجوانب الاقتصادية وشبكة التعاون الإقليمية

على واضعي السياسات والخطط العمل على تنمية الحرف والصناعات الريفية، والاهتمام بتنمية الفنون والحرف المتميزة بقابليتها الواسعة، لإيجاد فرص عمل جديدة، وتحقيق الإيرادات المالية. وتوثيق علاقة المؤسسات الحرفية، مع الجهات الدولية المعنية بالفنون والحرف اليدوية، لأن ذلك يكشف مساحة رحبة من الخدمات التجارية، ويسهم في زيادة التصدير، من خلال أدوار المؤسسات الدولية في توفير التطوير النوعي، وتحسين الجودة، خاصة الصناعات والحرف التقليدية في المناطق الريفية والجبلية النائية، ما يشكل عنصراً مهماً للنجاح في التطوير التقني، وتنمية سوق الصادرات لهذه الحرف.

د. خالد محمد عزب: مكتبة الاسكندرية - الشاطبي - الاسكندرية - ٢١٥٢٦ - جمهورية مصر العربية.

المؤتمر الخامس للآثاريين العرب

الجهة المنظمة: جمعية الآثاريين العرب
مكان الانعقاد: القاهرة
تاريخ الانعقاد: ١٣-١٤ شعبان ١٤٢٣هـ، الموافق ١٩-٢٠ أكتوبر (تشرين ١) ٢٠٠٢م

عُقدت أعمال المؤتمر تحت عنوان: "دراسات في آثار الوطن العربي ٣"، في مقر جامعة الدول العربية بميدان التحرير بالقاهرة. وبدأت جلسة الافتتاح صباح السبت ١٣شعبان ١٤٢٣هـ، الموافق ١٩ أكتوبر ٢٠٠٢م الساعة ٣٠و٩ صباحاً، جلسة الافتتاح في قاعة الاجتماعات الكبرى. واستهلت بتلاوة آيات بينات من الذكر الحكيم، أعقبتها مجموعة من الكلمات لكل من: أمين عام الآثاريين العرب، وممثل الوفود العربية، ومقرر عام الآثاريين العرب، ونائبه، ومندوب جامعة الدول العربية، ورئيس مجلس إدارة المجلس العربي للدراسات العليا.

ثم جرى تكريم السادة الحاصلين على درع الآثاريين العرب للعام ٢٠٠٢م، وهم: السيد عمرو موسى، أمين عام جامعة الدول العربية، وتسلمته عنه السيدة مدير إدارة الشؤون الثقافية بالجامعة، وأ. د. أحمد زايد، أستاذ الحضارة المصرية القديمة (مصر)، وأ. د. عبدالقادر الريحاوي، أستاذ الآثار والحضارة الإسلامية (سوريا).

وفي الجلسة العامة (٤٥و١٠-١٢)، وموضوعها: "فلسطين والقدس: أصالة وحضارة وعروبة"، ألقيت أربعة أبحاث وهي:

بحث أ . د. محمد بهجت القبيسي، وتحدث عن: "القدس في المصادر القديمة". وبحث أ . د. عبدالحميد أحمد زايد، وكان موضوعه: "فلسطين والقدس". أما أ . د. أحمد عبدالحميد يوسف، فألقى بحثاً بعنوان: "القدس في الحضارات القديمة". كما قدم أ. د. محمد عبدالستار عثمان بحثه المعنون: "الدلالات الحضارية للتراث المعماري في القدس".

وعقدت جلسة الآثار الإسلامية في المساء (٣٠و٤-٧)، وترأسها كل من أ. د. عبدالقادر الريحاوي، و أ. د. أمال العمري، و أ. د. محمد عبدالستار عثمان. وألقيت خلالها مجموعة من الأبحاث، وكانت كما يلي:

د. إبراهيم محمد أبو طاحون، من كلية الآداب بجامعة حلون في مصر، وقدّم بحثاً عن: "جامع الأمير طينال بمدينة طرابلس الشام". وتناول البحث -الذي دعّمه بالرسوم والصور- دراسة أثرية معمارية لهذا الجامع، شملت التخطيط والعناصر المعمارية والزخرفية، إضافة إلى قراءة جديدة لنص وقفية كل من الجامع والتربة.

د. جمال عبدالعاطي، من كلية الآداب بجامعة طنطا في مصر، وقدّم بحثاً عن: "مداخل المنشآت الإسلامية في مدينتي فوه ورشيد في العصر الإسلامي"، ودرس في البحث أنواع هذه المداخل وطرزها المتعددة، كما ألقى الضوء على المواد الخام وما تخللها من فنون مختلفة، وما يوجد عليها من كتابات تستحق الدراسة.

أ. د. حسن عبدالله، من معهد الدراسات الإفريقية في مصر، قدّم بحثاً عن: "أعمال الخديوي إسماعيل المعمارية في السودان: دراسة وثائقية للفترة من ١٨٦٣-١٨٧٩م"، تناول حركة ونشاط الإعمار المصري في السودان بنظمه الإدارية والفنية والمالية، وذلك من خلال الوثائق التاريخية في عهد الخديوي إسماعيل.

أ. د ضيف الله يحيى الزهراني، من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وقدّم بحثاً عن: "عمارة المسجد الحرام في العهد السعودي"، تناول عمارة المسجد الحرام في عهود كل من: الملك عبدالعزيز والملك سعود والملك فيصل والملك خالد، ثم في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز.

كما قدم الدكتور عبدالله عطيه عبدالحافظ، من كلية الآداب بجامعة المنصورة بمصر، بحثاً بعنوان: "نظام القبة المركزية في الجوامع العثمانية"، ووضّح كيفية نجاح المعمار العثماني في ابتكار طرز معمارية متنوعة، ظهرت في عصور متعاقبة نتيجة تطور العمارة العثمانية، وتميزها في الابتكار. أما الدكتور محمد مصطفى نجيب، من كلية الآثار بجامعة القاهرة فقدم بحثاً عنوانه: "الفكر المعماري لابتكار المروحيات، القبو- المروحي"، تناول فيه جهد المعماري المسلم

في تطوير المثلثات الكروية.

وفي ثاني أيام المؤتمر، ترأس الجلسة الصباحية (٣٠: ٩-١١) كل من أ. د حسين عليوة، وأ. د أحمد بن عمر الزيلعي، و أ. د. محمود إبراهيم، وألقيت خلالها مجموعة من الأبحاث على النحو الآتي:

ألقى الدكتور إحسان عرسان الرباعي، من جامعة اليرموك بالأردن، بحثاً عن: "القاشاني في الجامع الأموي بدمشق بين العلم والفن"، وتناول فيه القاشاني في العمارة والفنون الإسلامية واختيار القاشاني في الجامع الأموي بدمشق، مع تحليل وظائفه الإنشائية وقيمه الجمالية.

أما الدكتورة أمال منصور أبو دنيا، من المعهد العالمي للدراسات النوعية بالهرم في مصر، فقدمت بحثاً عن "أدوات الفتح والغلق في ضوء مجموعة مختارة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة"، ألقى الضوء على المفاتيح والمغاليق في الفن الإسلامي، إلى جانب المواد الخام وطرق الصناعة والأسلوب الزخرفي، مع الاعتماد على الأبواب والدواليب الحائطية والشكماجيات وصناديق المصاحف والعلب والمباخر والمقالم وأواني الطعام وبعض أدوات الزينة، كنماذج أثرية.

وقدم الدكتور عبدالعزيز لعرج، من جامعة الجزائر، بحثاً عن: "مظاهر التأثير العثماني على المنتجات الفنية بالجزائر"، أوضح التأثير العثماني على الفنون الإسلامية بالجزائر، تحت راية الدولة العثمانية في فترة احتلال إسبانيا لعدد كبير من المدن الساحلية في المغرب الإسلامي.

وألقى الدكتور عبدالناصر محمد، من جامعة جنوب الوادي في مصر، بحثاً عن: "الأسلحة الدفاعية في العصر الإسلامي، بالتطبيق على زخارف الفنون التطبيقية والعمائر"، وتناول الباحث الأسلحة الدفاعية، التي استخدمها الجنود أثناء الحروب، أو رجال الشرطة، وكذلك صائدو الحيوانات المفترسة، إضافة إلى الأسلحة التي شاع استخدامها أثناء المواكب والاحتفالات، التي يشهدها السلاطين والملوك.

وقدم الدكتور محمد الجهيني، من جامعة جنوب الوادي أيضاً، بحثاً عن: "غطاء الرأس في العصر العثماني"، تناول بالدراسة أغطية الرؤوس في ذلك العصر، من حيث المسميات وأسلوب الصناعة والمواد الخام. كما تشير الدراسة إلى الوظائف التي شاعت في العصر العثماني، ومدى ارتباط كل وظيفة بغطاء رأس معين.

أما الدكتورة منى محمد بدر، من فرع الفيوم بجامعة القاهرة، فقد ألقت بحثاً عن: "العلم ومجالسه في الفن الإسلامي"، تناول التعريف بمجالس العلم المختلفة وأماكنها وهيئة المدرس والتلاميذ والملابس والتحف المنقولة المختلفة، التي استُخدمت في هذا النطاق.

وفي جلسة الظهيرة (١٢-٢:٣٠) التي ترأسها أ. د عبدالقادر الريحاوي، و أ. د. محمد عبدالهادي، و أ. د. صلاح البحيري، ألقيت مجموعة من الأبحاث على النحو الآتي:

قدّمت الدكتورة انتصار صغيرون، من جامعة الخرطوم، بحثاً عن: "الوجود العثماني في السودان"، تناول الوضع في السودان قرابة مائتين وخمسين عاماً، هي فترة الوجود العثماني، وأثر ذلك على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

كما ألقى الدكتور صالح خضيري، من العراق، بحثاً عن: "التواصل الحضاري بين بغداد والأندلس من خلال المصادر البغدادية في الدراسات اللغوية والنحوية والأدبية"، وضح كيفية انتقال الكتب والدواوين من بغداد والمدن المقدسة إلى الأندلس، ثم تدريسها في حلقات الدرس بالمساجد والمدارس وغيرها.

كما قدم الدكتور عوض الإمام، من جامعة جنوب الوادي بمصر، بحثاً عنوانه: "أرباب الخبرة المعمارية في مصر المملوكية والعثمانية - دراسة وثائقية"، حاول فيه إلقاء الضوء على طائفة البنّائين والمهندسين، من خلال وثائق مصر في العصرين المملوكي والعثماني.

أما الدكتور مجاهد توفيق الجندي، من جامعة الأزهر بمصر، فألقى بحثاً عن: "المرأة في حلقات العلم بالأزهر الشريف والمعاهد الدينية العلمية الإسلامية، في أواخر القرن التاسع عشر - دراسة أثرية عمرانية موثقة بالوثائق النادرة من واقع السجلات القديمة"، وتناول البحث كيف دعا الإسلام إلى تعليم المرأة، وذلك من خلال الدراسات

التاريخية.

وفي الجلسة المسائية (٤:٣٠-٧) التي ترأسها أ. د. سامح عبدالرحمن فهمي وأ. د. محمد عبدالهادي و أ. د. محمد علي زينهم، قدّمت فيها الأبحاث الآتية:

بحث أ. د. أحمد بن عمر الزيلعي، من جامعة الملك سعود بالرياض، وعنوانه: "أضواء جديدة على الكتابات الشاهدية المنسوبة إلى عبدالرحمن بن أبي حرمي المكي في جزائر دهلك"، تناول فيه دراسة مجموعة من النماذج الخطية، التي تحمل تواريخاً متفاوتة ترجح أن هذه النقوش كانت تُشترى من مكة وتحمل إلى دهلك، لتنصب على قبور أصحابها.

أما الدكتور خلف فارس الطراونه، من جامعة مؤتة بالأردن، فقدم بحثاً عنوانه: "نقود عربية إسلامية ضرب إفريقية"، أوضح فيه أن النقود، التي تحمل اسم إفريقية، على قدر كبير من الأهمية، وهي نقود ذات دلالات سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية، وقد وثّق ذلك من خلال درهم وفلس ينشران لأول مرة، ويختلفان عن معظم الطرز التي سبق نشرها.

كما قدم الدكتور خليل بن ابراهيم المعيقل، من جامعة الملك سعود بالسعودية بحثاً عن: "تطور الكتابة العربية قبيل الإسلام، في ضوء نقوش شمال الجزيرة العربية"، وعالج البحث قضية نشأة الكتابة العربية قبيل الإسلام وتطورها، من خلال دراسة النقوش العربية النبطية، التي اكتشفت بدءاً من بداية القرن العشرين.

وألقت الدكتورة ناهض دفتر القيسي، من جامعة بغداد، بحثاً عن: "أول درهم معرب بالكوفة في العراق"، تناولت فيه دور البصرة والكوفة في ظهور درهم عربي معرب تعريباً كاملاً عام ٧٨هـ، بعد أن كانت هناك نقود عربية على الطراز الساساني.

أما الدكتور محمد عبدالرحمن فهمي، من المجلس الأعلى للآثار بمصر، فقدم بحثاً عنوانه "شواهد قبور أثرية في مجموعة خاصة لحائز آثار"، تناول فيه مجموعة من شواهد قبور أثرية من الحجر الجيري والرخام عليها كتابات كوفية، بعضها مؤرخ وبعضها الآخر تم تأريخه.

وقدم الدكتور مشلّح المريخي، من جامعة الملك سعود بالسعودية، بحثاً عن: "مناهج التأريخ وأساليبه عند العرب في ضوء النقوش العربية المبكرة"، ويعد هذا البحث مدخلاً لدراسة أساليب ومناهج التأريخ عند العرب، في ضوء ما اكتشف من نقوش عربية مبكرة مع إيضاح الطرق المتباينة، التي اتبعها العرب لذكر حوادثهم التاريخية البارزة في فترة ما قبل الإسلام.

وعقدت بعد ذلك جلسة ختامية للتوصيات، كما اشتمل برنامج المؤتمر على زيارات سياحية للمواقع الأثرية في القاهرة والجيزة وسقارة، زار المشاركون فيها كلاً من: المتحف المصري، وقلعة صلاح الدين وما حولها من آثار، وأهرام الجيزة، وآثار سقارة.

د. أسامه طلعت - كلية الآثار - جامعة القاهرة - القاهرة - جمهورية مصر العربية. osamatlaat@hotmail.com

مؤتمر التراث العالمي في العصر الرقمي

الجهة المنظمة: **مكتبة الإسكندرية- مصر**
مكان الانعقاد: **مكتبة الاسكندرية**
تاريخ الانعقاد: **١٥-١٧ شعبان ١٤٢٣هـ، الموافق ٢١-٢٣ اكتوبر (تشرين ١) ٢٠٠٢م**

افتتح الدكتور اسماعيل سراج الدين، مدير مكتبة الاسكندرية، والسيد اللواء عبدالسلام المحجوب، محافظ الاسكندرية، المؤتمر الدولي للتراث الحضاري في عصر المعلومات، الذي عقد في مكتبة الاسكندرية، برعاية كل من: منظمة اليونسكو، والمركز القومي لتوثيق التراث الثقافي والطبيعي والحضري، ووزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات بجمهورية مصر العربية، وصندوق التراث العالمي، إضافة إلى مكتبة الإسكندرية.

ويأتي المؤتمر في إطار احتفالات اليونسكو بمرور ثلاثين عاماً على توقيع الاتفاقية الدولية، لحماية التراث الحضاري

والطبيعي. ورأس المؤتمر الدكتور فتحي صالح مدير المركز القومي لتوثيق التراث الحضاري والطبيعي.

ناقش المؤتمر عدداً من الموضوعات، مثل: الابداعات الموروثة، ووضع خطط لإدارة وتنظيم الموروث الثقافي والأثري إضافة إلى كيفية تطبيق الأنظمة الرقمية، وكيفية تعليم الجمهور والأفراد الاستفادة من هذه الأنظمة، وموضوع تنمية علاقات الشراكة بين المؤسسات في هذا المجال إلى جانب عمل سياسات ومؤسسات ونظم التعليم لتدعيم المشروع.

وسعى المؤتمر إلى إيجاد ساحة لمناقشة واستكشاف التطبيقات الناجحة لتكنولوجيا المعلومات، في الميادين المرتبطة بإدارة مناطق الميراث الثقافي والطبيعي. وقدم المؤتمر فرصة للمؤسسات والسلطات المهتمة بهذا الموضوع في الوطن العربي، لتبادل المعلومات والعمل معاً من أجل سياسة إقليمية لإدارة الميراث الثقافي، في الدول العربية.

كما سيمر هذا المؤتمر بمراحل عديدة، كانت أولها المرحلة التي عقدت في مكتبة الاسكندرية، تحت عنوان: "إدارة التراث باستخدام نظم المعلومات الجغرافية والوثائق المتعددة". أما المرحلة الثانية فسوف تعقد في بكين حول: "العمارة والتراث العالمي والسياحة"، بينما ستكون المرحلة الثالثة في داكار بالسنغال بعنوان: "تدريس التراث العالمي في أفريقيا"، وأما الرابعة، في مكسيكو سيتي بعنوان: "إدارة المدن التراثية". وفي باريس سوف تلتئم المرحلة الخامسة بعنوان: "اللامركزية في إدارة المواقع الأثرية"، وتختتم مراحل المؤتمر بالمرحلة السادسة، التي ستعقد في ستراسبورج، بعنوان: "التطبيقات الفضائية للحفاظ على التراث".

وفي بداية المؤتمر، تحدثت أنجي بيرتلز من بلجيكا عن مشروع (VL-ICON)، وهو مشروع بحثي يقوم على أساس دعم تطوير إدارة الحفاظ على الآثار والمواقع الموجودة في الدول الواقعة في جنوب غرب أوروبا الشمالية، التي تتضمن بلجيكا وفرنسا وهولندا. وفي شهر أكتوبر من عام ١٩٩٩ م بدأت مجموعة (K. U. LEUVEN) مشروع (VL-ICON) ليستمر لمدة ثلاث سنوات.

ويهدف هذا المشروع إلى إثبات أنه في ظل التعاون، المتمثل في تبادل الخبرات بين شركاء المشروع، وهم: مركز رايموند ليمير للحفاظ على التراث، وشبكة (LIBIS)، بالإضافة إلى إدارة الحفاظ على تراث ومواقع مجموعة دول الفلاندرز، فإنه يمكن تطوير قاعدة بيانات تحتوي على كل المعلومات اللازمة، عن الميراث المعماري الأثري في هذه الدول. كما يحاول المشروع أن يسهم في إظهار فائدة "قاعدة بيانات الصور للتراث المبني"، لعدد أكبر من جمهور المهتمين بهذا المجال.

كذلك قدم ديل أندريه من فرنسا بحثاً بعنوان: "التحول إلى المحلية المستدامة والاتصال بالعامة وحماية التراث"، ذكر فيه أن إرسال نظامين لحصر التراث المشترك بين العديد من البلدان، كمشروع (Strabon)، ومشروع حصر الفنادق، يؤدي إلى إمكانية شرح العديد من نظم العمارة، وإلى اتخاذ العديد من الخطوات لتحويله إلى تراث محلي مستدام، وذلك باشتراك جميع الدول المعنية. إن البث العام متعدد اللغات للمحتويات والعناصر المهمة لحماية هذه المجموعات التراثية، التي يهدف إلى توضيحها، يفرض اللجوء إلى شعارات رسمية محددة ترتكز على (XML)، ويفرض كذلك اللجوء إلى حلول مرتبطة بالحاسب الآلي.

وأما لوريترو بيانكيني من أيطاليا، فعرض في بحثه المعنون: "الحفاظ على التراث في المدينة وبعض المناطق" تجاربه، خلال الأعوام القليلة الماضية، إذ أعدت مجموعة بحثية تابعة لقسم المشروعات المعمارية بجامعة فلورنسا بايطاليا، دراسة لايجاد طريقة تجمع بين أجهزة تكنولوجيا المعلومات الحديثة (IT)، وإدارة الحفاظ على التراث الثقافي والمعماري بنظامها، الذي يتضمن المسح والتصميم.

أما جون كونسيل من المملكة المتحدة، فعرض دور نظم المعلومات الجغرافية (GIS) في الحصول على سجلات الحدائق والمساحات المفتوحة التاريخية، وتوحيد هذه السجلات. ووصف بحثه استخدامات (GIS) في الحصول على تسجيل فيديو حي للحدائق والمساحات المفتوحة التاريخية، وكذلك استخداماتها لتوحيد هذه النتائج مع السجلات الأخرى.

وقدم كل من بوب هدسون وإيان جونسون من استراليا، خبراتهم في مجال البيانات الأثرية لميانمار (بورما). فعلى الرغم من أن تكنولوجيا الكمبيوتر الحديثة تمثل فرقاً هائلاً

في عملية عرض المعلومات ونشرها، إلا أنه ينبغي ألا يُغفل محتوى هذه المعلومات ألا وهي البيانات. ويتناول هذا البحث عدداً من الموضوعات الخاصة بعملية جمع البيانات الأثرية الخاصة بميانمار، وذلك بصورة الكترونية، بدلاً من استخدام وثائق مكتوبة على الآلة الكاتبة، أو بخط اليد.

وقدمت بريان زوتول من تايلاند، بحثاً عن المصادر التاريخية المستخدمة في عملية التخطيط لإدارة التراث، من خلال نظام المعلومات الجغرافي، من قلعة هيو (Hue Cita-del) حتى مدينة هوي أن (Hoi An) بفيتنام. ويتناول هذا البحث عملية تطبيق نظام المعلومات الجغرافي على المصادر التاريخية الخاصة بتراث العالم في "هيو وهوي أن" بفيتنام. إن التحليل الموسع يدفعنا إلى إعادة التفكير في فكرة شاعت في الكثير من الكتابات" التي دارت حول فيتنام، ألا وهي وجود فرق قاطع بين أشكال النظم الاجتماعية بين الأقاليم الشمالية والجنوبية. إن الحكمة التقليدية تؤكد أن حضارة القرى الواقعة في دلتا النهر الأحمر، تتسم بتماسك المجتمع وتوزيع مصادر القرى بين أفرادها بصورة عادلة.

وعرض كانر جوني، من تركيا، بحثاً عن تطبيق نظم المعلومات الجغرافية (GIS) ثلاثي الأبعاد. وفي هذا البحث تلعب أحدث صور التقدم التكنولوجي دوراً في مجال الأبحاث التاريخية أيضاً، ومن ثم فإن هذا البحث يوضّح كيف يمكن للباحثين في مجال التاريخ، التفاعل مع صور التقدم التكنولوجي، مثل: التطبيقات متعددة وسائل الإعلام، التي تعتمد على نظم المعلومات الجغرافية، على سبيل المثال مشروع التوثيق التاريخي الخاص بالقلعة العثمانية. ويُعدُّ توفر قدر كبير من البيانات أحد متطلبات نظام المعلومات الجغرافي؛ ولذا فإن أحد الأهداف الرئيسة لهذا المشروع هو إيجاد مجموعة كاملة ودقيقة من الخرائط الخاصة بالقلاع، والبيئة الخاصة بها. وتوضح هذه المقالة عملية إعداد وتحضير نظام معلومات جغرافي، يعتمد على وسائل الإعلام متعددة الصور، وذلك بغرض دعم عملية التوثيق التاريخي الموجه جغرافياً، الخاص بقلعتي سيدولبحير (Seddulbahir) وكومكال (Kumkale) العثمانيتين.

كما قدّم إيان جونسون من استراليا بحثاً عرض فيه البيانات الثانوية، والصور المتحركة، والبحث من خلال الشبكة وتخطيط المعلومات الخاصة بالتراث الحضاري. ويتناول البحث عرضاً ثرياً وزمنياً لمحتوى معلومات التراث الحضاري، من خلال الخرائط المستوحاة من قاعدة البيانات.

وقدم كمال نيكنامي من إيران بحثاً بعنوان: "إدارة المساحات المفتوحة التاريخية في عصر المعلومات: مدخل نظام المعلومات الجغرافي للتنبؤ بمواقع الأماكن، التي كانت موجودة في عصر ما قبل التاريخ في وادي نهر جارانجو (Garrangu River) بشمالي غرب إيران، والتوقعات الخاصة بتطوير نظام المعلومات الجغرافي بإيران في المستقبل".

وقد أسهم هذا التغير المستمر في إضفاء الطابع العالمي على التطبيقات، وهو ما يضيف بدوره إلى مهنة الآثار بصورة عامة، وإلى خدمات إدارة الآثار بصورة خاصة. كما أدى ظهور النظام الجديد- ميكروسوفت ويندوز المعتمد على البيئة التخطيطية- إلى دمج البيانات الإحصائية داخل قاعدة البيانات، وهو ما سيسمح بإثراء المعلومات الموجودة بقاعدة البيانات الأثرية، برسومات من الصور المأخوذة للقطع الموجودة، إلخ. وأصبحت عملية التطوير، التي تعتمد على الإبداع والخرائط الرقمية ممكنة، بعد انتشار مجموعة برامج الكمبيوتر الجديدة، التي تم تعريفها وفقاً لبرنامج المعلومات الجغرافي.

ويستخدم علماء الآثار حالياً أنواعاً مختلفة من المواد، التي تُستخدم لرسم الخرائط؛ ولذا فان المنظور، قد أصبح الآن مفتوحاً لرسم الخرائط الأثرية بمجموعة من المعلومات الخاصة بوضع تلك الأماكن، وذلك في صورة المعلومات المتعلقة برسم الخرائط. إن تحقيق هذا الشرط يفتح مداخل جديدة لاستخدام الكمبيوتر لأغراض الحفاظ على المناطق الأثرية، على سبيل المثال، والقيام بسلسلة من الأنشطة الروتينية الخاصة بالقائم على الحفاظ على الآثار.

إن تكنولوجيا نظام المعلومات الجغرافي لم تُطبق على نطاق واسع (حتى فترة قريبة من خلال المشروع الحالي) في إيران، كطريقة لاكتشاف وتوثيق الأماكن الأثرية. ويعد حجم المعلومات التي تم جمعها عن الأماكن الأثرية - لدرجة ما- محدوداً لاتخاذ قرار صحيح. إن وجود أداة فعالة مثل نظام المعلومات

الجغرافي سيجعل عملية دمج نواتج هذا الأسلوب، مع نتائج مسح السطح والبحث الجغرافي المادي عملية ممكنة.

أما ريما الحسن من المملكة المتحدة، فقدمت عرضاً لتطبيقات نظام المعلومات الخاصة باستراتيجيات الحفاظ على التراث، وقالت: إن التدخل من أجل الحفاظ على التراث الحضاري، المتمثل في الأبنية في العديد من المدن، يتطلب الإلمام بالتشريعات المختلفة الخاصة بكل نوع من المباني والمساحات والأماكن الأثرية. فالقدرة على مقارنة ووصف أنواع التراث الحضاري المختلفة، المتمثلة في الأبنية، سواء كان ذلك من خلال الصورة المادية أو المساحة أو الفترة الزمنية لكل نوع محدود، بل إن هناك -حتى الآن - علاقة ضعيفة جداً بين هذه الأنواع. ويواجه الموظفون المسؤولون عن عملية الحفاظ الأثري العديد من المشكلات، عند تعاملهم مع التطبيقات الخاصة بالحفاظ على المناطق التراثية في المدن، التي تشمل مراجعة الأنواع المختلفة وفهمها، إلى جانب استيعاب القيم المختلفة والعلاقة بينها والوصول إلى أنظمة المعلومات المختلفة. وتعتمد هذه العملية بدورها على قدر كبير من الأعمال الورقية، كما أنها أيضاً عملية مملة ومهدرة للوقت، ولا تتسم بالكفاءة.

وعلى الرغم من المساعي، التي تقوم بها العديد من منظمات الحفاظ على التراث لوضع النماذج، التي يمكن استخدامها لإدارة عملية اتخاذ القرار في المدن، إلا أنه حتى الآن لم يتم التوصل إلى نموذج يمكن الاعتماد عليه، لدمج مستويات التحليل المختلفة الخاصة بتركيب البيانات وخواصها. وقد أدى غياب مثل هذا النموذج إلى وجود العديد من المشكلات والتضارب، فيما يتعلق بعملية اختيار وتقييم سياسات التدخل البديلة للحفاظ على المناطق التراثية في المدن.

إن هذا البحث يقدم نموذجاً يهدف إلى مواجهة الصعوبات، التي تؤثر على الاستخدام الكامل لـ (GIS)، خلال عملية تقييم التراث الحضاري المتمثل في الأبنية. فما هو إلا جزء من المشروع الكامل، الذي يهدف إلى وضع نظام لدعم عملية اتخاذ القرار، وذلك للتدخل في مناطق الحفاظ على التراث في المدن.

كما قدم رودريجو بارايزو من البرازيل بحثاً عن التراث الموجود في المدن، في صورة وثائق رقمية، ووضّح فيه كيف يمكن أن تؤثر الصور المختلفة للوثائق الرقمية (شبكة من الوثائق المسرودة والمعروضة من خلال وسائل رقمية) على عملية عرض التراث الموجود في المدن، وذلك من خلال عدد من الأمثلة المستوحاة من الوثائق الرقمية الأكاديمية الخاصة بالتراث الموجود في المدن، لإعداد مجموعة من النماذج من الوثائق الرقمية المسرودة. وقد قام معمل تحليل المدن والعرض الرقمي (PROURB/FAU-UFRJ) بمعظم الأعمال التحليلية.

وأخيراً جاء بحث شرين راشد من مصر، وهو عن استخدام الحقيقة التخيلية من أجل الحفاظ على التراث الحضاري المصري، إذ تُعدُّ الحضارة المصرية القديمة من أقدم الحضارات في تاريخ البشرية وأعرقها. وقد تمكّنا اليوم من تطويع التكنولوجيا للحفاظ على تلك الآثار، من أجل الأجيال القادمة، بل ولضمان تمتُّع العالم كله بتلك الثروة. إن الهدف من هذا المشروع هو تسجيل جميع الآثار والمقابر في شكل ثلاثي الأبعاد، والسماح لأكبر عدد من الزائرين بمشاهدة هذه النماذج، الخاصة بأكثر المقابر المصرية جمالاً، مع الحفاظ عليها من العبث، الذي قد يقوم به عدد من الزائرين، لإتلاف الرسوم والنقوش الرائعة المرسومة والمحفورة على الحوائط. وتتطلب هذه التكنولوجيا إعداد مجموعة كاملة من النماذج الرقمية للمقابر المصرية القديمة، ثم عرضها في مركز الحقيقة الذي يعتمد على تكنولوجيا عالية من أجهزة الكمبيوتر ذات القدرات الفائقة في مجال التخطيط، التي تقدم الصور عالية الجودة، وأفضل صور البيئة التفاعلية التخيلية. وتضم هذه العملية، عدة خطوات بدءاً من تخطيط موقع الأثر، وإعداد مجموعة من الصور الرقمية والطرق، التي يمكن للزائر أن يجوب خلالها من خلال أجهزة الفيديو، إلى جانب مجموعة من البيانات التفصيلية. وتأتي الخطوة الأخيرة، وهي إعداد نماذج ثلاثية الأبعاد خاصة بالمقابر، مع تطبيق الصور الرقمية على ذلك النموذج، وذلك لانتاج نماذج متكاملة لتلك المقابر.

د. خالد محمد عزب

المؤتمر الدولي السابع لمنتدى اليونسكو والجامعات حول التراث

الجهة المنظمة: معهد الآثار والانثروبولوجيا/ جامعة اليرموك
مكان الانعقاد: جامعة اليرموك - اربد - الأردن
تاريخ الانعقاد: ١٢-١٦ شوال ١٤٢٣هـ، الموافق ١٦-٢٠ ديسمبر (كانون ١) ٢٠٠٢م

برعاية الملك عبد الله الثاني، ملك المملكة الأردنية الهاشمية، نظَّم معهد الآثار والانثروبولوجيا في جامعة اليرموك، المؤتمر الدولي السابع لمنتدى اليونسكو والجامعات حول التراث الحضاري، تحت عنوان: "السياحة الثقافية وحماية التراث العالمي". و يمثِّل هذا المؤتمر النشاط الرئيسي لمنتدى اليونسكو والجامعات، الذي أُنشئ عام ١٩٩٥، كمشروع مشترك بين منظمة اليونسكو وشبكة واسعة من الجامعات، تتوزع على أنحاء العالم كافَّة، برئاسة جامعة فالنسيا الإسبانية.

وقد شارك في المؤتمر، الذي عُقد على مدار خمسة أيام في الفترة الواقعة ما بين ١٦-٢٠٠٢/١٢/٢٠، باحثون ومختصُّون في مجال التراث الحضاري، إضافة إلى شخصيات علمية وسياسية بارزة من ٣٥ دولة، بمشاركة عربية واسعة، يأتي على رأسها المشاركة المتميزة من المملكة العربية السعودية، التي شاركت بأكبر وفد في المؤتمر، ضمَّ خبراء، ومختصِّين، ومسؤولين برئاسة صاحب السموِّ الملكي الأمير سلطان بن سلمان، الأمين العامُّ للهيئة العليا للسياحة في المملكة.

وقد افتُتح المؤتمر في جامعة اليرموك، فتحدَّث في الجلسة الافتتاحية كلٌّ من: معالي رئيس جامعة اليرموك، الدكتور فايز خصاونة، ورئيس منتدى اليونسكو والجامعات/ رئيس جامعة فالنسيا الإسبانية، الدكتور خوستو نيتو، والدكتوره ندية فال من منظَّمة اليونسكو، نيابة عن رئيس اليونسكو، ومعالي وزير السياحة الأردني الدكتور طالب الرفاعي. وقد أجمع المتحدِّثون على أهمِّية عقد مثل هذا المؤتمر العلمي المهمّ، الذي يوفِّر فرصة للحوار وتبادل المعلومات، حول السُّبل الكفيلة بالحفاظ على التراث الحضاري العالمي، وكيفية استخدامه لصالح الإنسانية جمعاء. كما أكَّد المتحدِّثون على ضرورة الوصول إلى التوازن الحسَّاس والدقيق، بين استغلال التراث الحضاري لغايات تشجيع السياحة وتطويرها وبين الحفاظ على هذا التراث من الخراب والتدمير الناتج عن التطوير السياحي لمواقع التراث العالمي.

وتقديرًا للدور الريادي المهمّ لسموِّ الأمير سلطان بن سلمان، ولاهتمام سموِّه بقضايا التراث الحضاري وهمومه في العالم العربي، فقد دُعي سموُّه للتحدُّث في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر. فقدَّم تحليلاً معمَّقًا للدور الحيوي الذي يمكن أنْ يلعبه التراث الحضاري العالمي، في تعزيز الحوار والتفاهم بين الحضارات المختلفة، كبديل عن صدام الحضارات، الذي يروِّج له البعض.

وعقب حفل الافتتاح، قدَّمت مجموعة من خبراء التراث العالميين محاضرات تناولت موضوعين رئيسيين هما: التراث الحضاري ودوره في التنمية المستدامة؛ والتراث الحضاري والعولمة.

وقد بيَّن المحاضرون السياسات والإستراتيجيات الواجب أتباعها، لتوظيف مصادر التراث الحضاري لتحقيق التنمية المستدامة، وكيفية توظيفها لفائدة السكَّان المحليين، في مناطق مواقع التراث العالمي بشكل خاصٍّ. كما تناول المحاضرون في هذه الجلسات الدور الخطير والحسَّاس، الذي يمكن أنْ يلعبه التراث الحضاري في ترسيخ مفهوم الانتماء والشعور بالاعتزاز القومي بشكل إيجابي، لإحداث التوازن المطلوب أمام ضغوطات العولمة المتزايدة.

وعلى مدار الأيَّام الأربعة التالية من المؤتمر، التي عُقدت جلساتها في عدَّة مدن ومواقع تراثية في الأردن، ناقش المؤتمرون ١٢٠ ورقة وبحثًا علميًا توزَّعت على المحاور التالية: إدارة وتطوير التراث الحضاري، التراث الحضاري، ودوره الاقتصادي، السياحة والقطاع الخاصُّ، السياحة والمجتمع المحلِّي، السياحة والحكومة، السياحة والتعليم، أخلاقيَّات مهنة السياحة، دور المتاحف في الترويج السياحي والمحافظة على التراث العالمي.

كذلك، عُقدت على هامش المؤتمر مجموعة من ورش العمل والمعارض، تمحورت حول كيفية الوصول إلى الإستراتيجيات

والأساليب، التي تضمن تفعيل دور التراث الحضاري في حياة الناس، دون إهمال حمايته من الأخطار المتزايدة المحدقة به، طبيعية أم بشرية، على حدٍّ سواء.

وقد خُصِّص اليوم الأخير لصياغة توصيات المؤتمر، فتوزَّع المشاركون في فرق عمل، تولَّت كلُّ فرقة مناقشة الأبحاث والآراء ،التي طُرحت في محاور المؤتمر جميعها؛ فصاغوها على شكل توصيات محدَّدة، ليسهل تقديمها لأصحاب القرار في الدول المختلفة.

وتداول المشاركون توصيات المؤتمر في الجلسة الختامية، فأجمعوا على اعتماد مجموعة من التوصيات الخاصَّة بزيادة فاعلية منتدى اليونسكو والجامعات، وإسهامه بشكل أكبر في الإدارة، والحفظ، والتطوير للتراث الحضاري العالمي، وكذلك توصيات خاصَّة بدور الجامعات المشاركة، والحكومات، والقطاع الخاصّ. وفيما يلي مجمل لأهمِّ هذه التوصيات:

١ . دعوة الجامعات أعضاء منتدى اليونسكو والجامعات حول التراث، إلى تشكيل فرق متخصِّصة لإقامة مشاريع علمية مشتركة، تُعنى بالصيانة، والترميم والحماية للتراث الحضاري في البلدان، التي تنتمي إليها، بحيث تراعي حقول التميُّز في هذه الجامعات للوصول إلى التكاملية المطلوبة.

٢ . ضرورة قيام الجامعات بإعداد وتطبيق برامج تدريبية وتوعوية، تستهدف أبناء المجتمع المحلِّي، وذلك لتفعيل دور الجامعات في حماية مواقع التراث الحضاري من التخريب المتعمَّد، والناتج من الجهل بأهمِّية هذه المواقع، وعن الاتجّار غير المشروع بالآثار، على أنْ تنسِّق الجامعات جهودها مع السلطات المحليِّة عند إعداد هذه البرامج وتنفيذها.

٣ . ضرورة أنْ تقوم الجامعات المشاركة بإعداد وتنفيذ برامج دورات تدريبية للعاملين في قطاع السياحة، خاصة لمرشدي السائحين، وذلك لتطوير مهاراتهم وقدراتهم، وخصوصًا في مجال حماية مواقع التراث الحضاري من الآثار السلبية التي يمكن أنْ تسبِّبها عملية السياحة.

٤ . ضرورة تفعيل تبادل المعلومات والخبرات بين الجامعات، وتشجيع استخدام نظم المعلومات ووسائل الاتِّصال الحديثة في هذا المجال، والإشادة بهذا الخصوص بالخطوات التي قام بها معهد الآثار والانثروبولوجيا في جامعة اليرموك، في استخدام تقنيّات التعلُّم عن بُعد في التدريس والتدريب في مجال حفظ وصيانة التراث الحضاري.

٥ . تشجيع الجامعات على التفاعل الإيجابيِّ مع المجتمعات المحلِّية، وإشراك هذه المجتمعات منذ المراحل الأوَّلية للبرامج الخاصَّة لحماية التراث الحضاري وتطويره، وذلك لضمان نجاح هذه البرامج وتعظيم الفائدة منها.

٦ . ضرورة تضمين المناهج المدرسية موضوعات تعالج قضايا التراث الحضاري، وضرورة مشاركة الجامعات في الإعداد، والتطوير، والتنفيذ لهذه البرامج.

٧ . تشجيع الدول المتجاورة المشتركة في التراث الحضاري، على التنسيق عند إعداد خطط التطوير السياحي، للوصول إلى التكاملية المطلوبة في هذه الخطط.

٨ . التأكيد على ضرورة إيجاد قواعد بيانات في كلِّ بلد، تحتوي على المعلومات الأساسية عن مواقع التراث الحضاري في ذلك البلد، وتيسير الوصول إلى هذا المعلومات للاستفادة القصوى منها.

٩ . ضرورة تفعيل الدور التعليمي والتوعوي للمتاحف، عبر تطبيق برامج تُعَدُّ إعداداً مشتركًا من فرق متخصِّصة من الجامعات، مع مراعاة الخصوصية الثقافية لكلِّ بلد.

١٠ . تشجيع الدول على استثمار جزء من عائدات السياحة في مجال الصيانة، والترميم، والتطوير لمواقع التراث الحضاري.

١١ . الطلب من الحكومات تفعيل دورها، وبذل المزيد من الجهود، في سبيل حفظ مواقع التراث الحضاري وإدارته، وحثُّ هذه الحكومات للتعاون مع المؤسَّسات الدولية المعنية بالتراث الحضاري، للحصول على الدعم الفنِّي والمادِّي بما يساعدها على القيام بدورها.

١٢ . حثُّ الجامعات على تفعيل دور الطلبة في حماية مواقع التراث العالمي، وذلك عبر برامج تطوعيه يقوم بها الطلبة برعاية الجامعات.

كما تقرر أن يعقد المؤتمر الدولي الثامن لمنتدى اليونسكو والجامعات في اسبانيا، في نهاية هذا العام.

د. زيـــاد السعد - معهد الآثار والأنثروبولوجيا - جامعة اليرموك - اربد - الأردن.

د. محمد الشناق - معهد الآثار والأنثروبولوجيا - جامعة اليرموك - اربد - الأردن.

عرض الكتب

اسم الكتاب: البدع تاريخها وآثارها.

المؤلفون: أ. د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري، وأ. د. سعد بن عبد العزيز الراشد، وأ. د. علي غبان، ود. عبد الله بن سعود السعود، وأ. خالد أسكوبي، ود. مجيد خان.

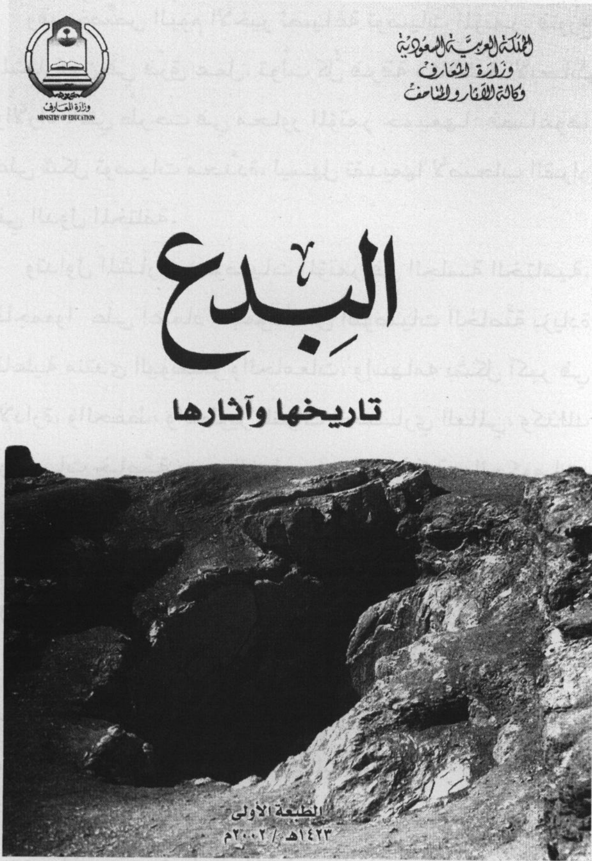
الناشر: وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف المملكة العربية السعودية.

سنة النشر: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

ردمك: ٩-٦٥٦-١٩-٩٩٦٠

مقاس الكتاب: ١٧× ٢٤ سم.

عدد الصفحات: ١٥٣ صفحة، باللغة العربية، و٨٦ صفحة باللغة الإنجليزية، ٧١ صورة، ٩ لوحات وخريطتان.



عرض: د. عواطف أديب سلامة.

يضطلع المؤرخون والدارسون لتاريخ الجزيرة العربية القديم، بأدوار مهمة تتمثل في استنباط تاريخ الجزيرة وكتابته، وجمعه ونشره في مؤلفات، تسجل حضارة هذه المنطقة، التي لعبت دوراً حضارياً وتاريخياً متميزاً، خلال عصور ما قبل التاريخ، وفي فترات ما قبل الإسلام، ثم العصر الإسلامي المجيد، والى وقتنا الحاضر. وقد بدأنا نحظى بجهود علمية في هذا المضمار، منها "كتاب البدع تاريخها وآثارها".

وصُدّر الكتاب بكلمة لمعالي وزير المعارف، أ. د. محمد بن أحمد الرشيد. وجاء في التصدير أخبار سارة عن سلسلة الكتب الآثارية المزمع إصدارها، لكتابة تاريخ المنطقة الحقيقي، بالإفادة من المادة الآثارية، والتأكيد على أصالة هذا التاريخ وعمقه.

وقدّم للكتاب أبرز مؤلفيه أ. د عبد الرحمن الطيب الأنصاري، بمقدمة علمية، أرسى فيها قواعد وحقائق ثابتة عن موقع المنطقة الجغرافي، وأهميته بين مراكز الحضارات القديمة، وقواها السياسية والاقتصادية، ونشاطات سكانها وشعوبها من بلاد فارس وبلاد الرافدين، إلى بلاد الشام ومصر وحوض البحر الأبيض المتوسط، مشيراً إلى النشاط التجاري لسكان بلاد العرب مع هذه الشعوب؛ بل وصل إلى شرق آسيا. ولتأكيد العمق التاريخي لشمالي غرب المملكة العربية السعودية، أشار إلى حضارات بلاد العرب القديمة، مثل: حضارة مدين وعاد وثمود وقيدار وأدوم ولحيان والأنباط.

كما أشار إلى قصة لجوء النبي موسى (عليه السلام) إلى أرض مدين، والتماس الديني، الذي حدث بين المناطق والشعوب القاطنة فيها. ثم تساءل عن اللغة التي كان يتحدثها، ورجّح أنها لغة أهل مدين، وهو استنتاج طبيعي، كما أكّد العزم

على كتابة تاريخ المنطقة.

والملاحظ في تقديم الأستاذ الدكتور الأنصاري ذكره قصة لجوء النبي موسى (عليه السلام) إلى مدين، بعد أن سرد تفاصيل عن أرض سيناء، والمن والسلوى، و الـ ١٢ عيناً،وجبل الطور، والألواح، والعجل وقتل المصري، ثم الفرار إلى مدين والإقامة بها، كما جاء في القرآن الكريم. والواقع أن اللجوء، أو "الفرار"، وقع قبل أن يكلم الله كليمه موسى (عليه السلام)، أي قبل تكليفه بحمل الرسالة، وقبل توالي الأحداث الأخرى.

كما أكد الأنصاري على الأبعاد السياسية لفرار موسى إلى مدين، ما يدل إلى منعة المكان والسكان، والبعد عن طائلة النفوذ المصري. وتساءل عن وضع سيناء السياسي. والمعروف أن الامتداد أو الانتشار المدياني، وصل إلى سيناء، بدليل الشراكة المصرية مع قبائل المنطقة (مدين وعماليق - وبنو القين)، في أعمال التعدين في مناجم سيناء، لاستخراج النحاس والفيروز، في القرنين ١٤، ١٢، ق.م.

ثم أثار الدكتور سؤالاً عن لغة موسى (عليه السلام)، وهل كانت لغة مديانية ؟ كما تساءل عن لغة ألواح موسى ؟ ويرى الدكتور الأنصاري، بحدسه التاريخي، أن لغة العصر كانت " اللغة المديانية " (البحث ص ١٢). وهي نقطة تسجل له.

منطقة البدع موقعها وجغرافيتها:

تقع منطقة البدع ما بين خطي طول ٣٠َ-٣٤ْ وَ٣٠-٣٥ْ شمالاً، وخطي عرض ٠٠َ،٢٨ْ و٠٠َ،٢٩ْ شرقاً، شمالي غرب الجزيرة العربية (المملكة العربية السعودية). وهي منطقة جبلية؛ فهي جزء من منطقة الدرع العربي، وتسمى هذه الجبال باسم "جبال مدين"، وصخورها جرانيتية بركانية. وتشكل امتداداً لسلسلة جبال السروات، وأشهر جبالها: جبل اللوز، وجبل دباغ، وجبل دفدف، وتشقها الأدوية، التي منها: وادي عفال، وادي الأبيض ووادي عينونة. وهي جزء من هضبة حسمى. والجزء الغربي للبدع سهل ساحلي، مطل على خليج العقبة.

وتمتاز منطقة حسمى بتدني نسبة مياه الأمطار، وشح المياه الجوفية، بسبب ارتفاع نسبة المعادن. وينمو بها نبات القتام. وتقع واحة البدع في بطن وادي عفال، و اشتهرت باسم "مدين"، وهي من مدن قوافل الطريق التجارية. وقد نمت وازدهرت في عهد مملكة الأنباط (١٠٠-١٠٦ م)، نظراً لازدهار تجارة الأنباط وظهور البتراء. وعندما انتقل النشاط التجاري إلى " بصرى"، أدى ذلك إلى تأثير سلبي على البدع وموانئ المنطقة، مثل: أيلة، ومقنا، ولوكي كومة عينونة) فظهرت مدن قوافل أخرى، مثل: تيماء، وتبوك. وعادت البدع إلى النشاط التجاري في العصر الإسلامي، إذ كان طريق الحج يمر بها.

وكان من الجدير بالمؤلفين أن يوفروا مزيدا من الخرائط (موجود خريطتان فقط)، لاستيعاب بعض المواقع غير المذكورة في الخريطتين.

الفصل الأول: الدراسات السابقة

أولاً: البدع في المصادر الإسلامية:

أشار المؤلفون إلى كتابات الرحالة و الجغرافيين المسلمين، ومنهم: اليعقوبي(ت / ٢٨٤هـ / ٨٩٧ م) وابن حوقل(٣٢٠هـ) والمقدسي (ت:٣٩٠هـ/١٠٠٠م) والبكري (ق ٥هـ /ق ١١م)الإديسي (ت:٥٦٠هـ/ ١١٦٦م) والحموي (ت: ٦٢٧هـ / ١٢٢٠م) والأندلسي (٧٨٤هـ/١٣٨٢م). البلوي (٧٨٧هـ / ١٣٨٥م) وابن الجيعان (٨٨٤ م/١٥٦٩) الحجري (ق ٩هـ). والجزيري (٩٧٧هـ ١٥٦٩م) والعياشي (١٠٧٣هـ/١٦٦٢م) وعبد السلام الدرعي (١١٦٩هـ/ ١٧٨١م).

وأجمع هؤلاء الكتّاب على ذكر المنطقة باسم "مدين"، ثم وصفوها مع ذكر النبي شعيب وبناته ودرب الحج.

ثانيا: البدع في مؤلفات الرحالة الغربيين:

توافد بعض الرحالة الغربيين، في أوائل القرن التاسع عشر والى القرن العشرين الميلاديين، وزاروا منطقة مدين، وكتبوا عنها، ومنهم:

١ . ريتشارد بيرتون (Richard Burton): زارها سنة ١٨٧٧م للبحث عن الذهب، وأصدر مؤلف "مناجم الذهب في مدين" (The Gold Mines of Midian) ، وفي كتابه وصف مدين وتحدث عنها.

٢ . ألويس موزيل (Alois Musil): زار شمال الحجاز وكتب

مؤلفه "شمال الحجاز" (The Northern Hejaz) عام ١٩٢٦م، وبيّن أنه من المحتمل أن تكون البدع هي مدين.

٣ . الرحالة عبد الله فلبي (H. ST. John Philby) زار شمالي غرب المملكة عام ١٩٥٣، وكتب مؤلفه أرض مدين (The land of Midian)، الذي صدر سنة ١٩٥٧ .

ثالثاً: البدع في مؤلفات الكتاب المعاصرين:

كتب عنها الدكتور جواد علي، والشيخ حمد الجاسر. والأستاذ حمود بن ضاوي القثامي، الذي زارها مع بوغو، صديق فلبي، و أشار إلى أنها "مملكة مدين". وقدّر فترة ظهور الأضرحة النبطية. وكتب عنها الدكتور مسعد بن عيد العطوي سنة ١٩٩٣م في كتابه: (تبوك قديماً وحديثاً)، كما ذكرها الأستاذ أحمد بن حسين شرف الدين سنة ١٩٨٤م في كتابه: (المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية). وكذلك الدكتورة هتون الفاسي، في كتابها: (الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية) سنة ١٩٩٣ م.

رابعاً: الدراسات الميدانية الحديثة في منطقة البدع:

مسحت الإدارة العامة للآثار والمتاحف، أثناء برنامج المسح الآثاري، المنطقة في الموسم الخامس عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، الذي شمل المنقطة كلها تقريبا، خاصة منطقة مدين وحسمى.

الفصل الثاني: المواقع الأثرية في منطقة البدع

تناول المؤلفون أهم المواقع الأثرية في البدع على اختلافها.

أولاً: مواقع العصور الحجرية:

يعود تاريخها إلى العصر الحجري القديم والوسيط والحديث، من حوالي٨٠,٠٠٠ - ٤٠٠٠ق. م. أما البدع، بالذات، فتاريخها يبدأ من العصر الحجري الحديث، وتتمثل آثارها في منطقة جبل اللوز، وأهم المواقع هي: مصير الخراج، وشعيب نخلة، وعريق اليسرى الجش (مصيون)، وجبل حيفا، وأبا البيبان.

وقد وجدوا قطعاً أثرية عبارة عن مجموعة أدوات حجرية، منها: مكاشط، وشفرات، ومدى، ثم رؤوس سهام، وقطع فخارية، إضافة إلى مقابر قديمة، ونقوش ثمودية، ورسومات صخرية.

ثانياً: مواقع العصور التاريخية:

أ- البدع: تشتمل واحة البدع على مواقع أثرية كثيرة، هي: موقع المقابر(مقابر البدع)، والتلال القريبة من المقابر، والمدينة النبطية (المالحة)، والرديدة أو(متنة الرديدة) ، وبئر السعيدني، والبرح المدينة الإسلامية (الملقطة)، ومغاير الكفار، والديسة، وآبار البدع. وأبرز آثارها أربع مجموعات مقابر عددها حوالي ١٦مقبرة، وعدد من اللحود، وكسر الفخار المدياني والنبطي والفيومي، إضافة إلى مسارج وأواني طبخ، وشاهد قبر إسلامي، وكتابة كوفية.

ذكر مؤلفو الكتاب تعاصر مدين وأدوم (أيدوم ، يدوم)، وتشابه اسم ":اليدوميون" أو "الادوميون" مع "الجذاميين"، وانحدار جذام من مدين. وذكروا قبائل المنطقة في الوقت الحاضر (بنو عقبة وبنو عطية والحويطات)، وأكدوا انحدارهم من جذام.

ب. مقنا: تقع قرب مدخل خليج العقبة، وكانت مأهولة بالسكان في فترة صدر الإسلام، ومن آثارها: أوان زجاجية وفخار روماني .

ج . طيب اسم: يقع قرب مقنا، ويشتمل على بقايا معمارية وكسر فخارية، مشابهة لفخار تيماء الزهري، ويحمل تأثيرات هلينستية.

د. موقع عينونة والخريبة: من المستوطنات القديمة، وآثارها نبطية وإسلامية. ومن أهم المواقع فيها: القبية بوادي عينونة، ومسيوق/ بوادي عينونة، وجبل صفراء عينونة الشمالي، وكذلك جبل صفراء الجنوبي، وجبل عريق الكفرة بوادي عينونة، وبئر درويش بالخريبة، وتنتشر في المنطقة بقايا معمارية وقنوات مائية ومواد أثرية.

هـ مواقع شرمة: وهي إسلامية قديمة ذكرها الجغرافيون المسلمون باسم (الصلا) أو(المصلى)، وكانت منزلاً على طريق

الحج المصري. ومن أهم مواقعها: تلة عين شرمة، جبل أصفر أنقيرة بوادي شرمة، والمزيرع بوادي شرمة، أم حواويط بوادي غر سيل، أم سريبيطات بوادي أرنب. وأهم ما عثر عليه كسر من الفخار (مدياني ونبطي وإسلامي)، وبقايا معمارية لأبنية وسور من الحجارة.

ويلاحظ في الكتاب بعض الأخطاء الطفيفة، مطبعية ولغوية، لا داعي للتوقف عندها وإنما ننوه بمثل ما ورد عند الحديث عن الشيخ المدياني، أنه (شيخ مؤمن من أهل مدين تسميه جثرو لا علاقة له بشعيب الوارد ذكره في القرآن الكريم (البحث ص ٤٠). وقصة " شيخ مدين، الذي اتصل به موسى (عليه السلام) وهل هو شعيب أم لا، تثير إشكالية تاريخية لا تنتهي بجرة قلم، بل تحتاج إلى مزيد من الدراسة التاريخية نظراً لثباتها في الموروث والمصادر الإسلامية. أما اسم " جثرو"، كما ذكره البحث، يكتب (Jethro)، ولكن لفظه وتعريبه في نصوص التوراة يكتب بصورة " يثرو " باعتبار أن حرف (J) يلفظ في اللغة العبرية (ي)، على غرار اسم يوسف (Joseph).

تحتاج مقابر شعيب، أو المقابر النبطية، أو مقابر البدع، كما سماها الباحثون (البحث ص ٣٤) إلى دراسة آثارية تاريخية، تعتمد على وسائل التحليل والكشف الآثارى الدقيق، ومقارنتها مع مقابر مدائن صالح والبتراء، حتى نتمكّن من التأريخ لها بدقة. فقد زرت المنطقة عام ١٤١٤هـ، ولاحظت أن مقابر شعيب. أقل تقنية واتقاناً من مثيلاتها في مدائن صالح والبتراء، اللتين اتصفتا بدقة العمل وتطوره؛ فمقابر شعيب أكثر تطوراً واتقاناً في الزخارف. أما إن كانت معاصرة لهما، فلماذا أثّرت عوامل التعرية على مقابر شعيب فقط، ولم تؤثر على الأخريين؟ حتى مع كون صخورها رملية، فلا أظن أن ذلك هو السبب هو الفارق أو المؤثر الوحيد، بل أضيف إليه طول الفترة الزمنية وبعدها التاريخي أيضا؛ إذ ربما كانت مقابر شعيب أقدم، ما يجعل تحديد تاريخها مسألة ما تزال مطروحة للبحث والدراسة.

الفصل الثالث: الرسوم الصخرية والنقوش والكتابات

أولاً: الرسوم الصخرية:

عندما مسحت وكالة الآثار المنطقة، عثرت على رسوم صخرية كثيرة في مواقع عدة، في كل أنحاء المملكة، ومنها البدع كغيرها من المناطق. وتعود رسوم البدع إلى فترتين:

١ . رسوم ملونة، تؤرخ في الفترة ٤٥٠٠ - ٤٠٠٠ ق.م.

٢ . رسوم محفورة، وتؤرخ في الفترة ٣٠٠٠ - ١٥٠٠ ق.م.

و تشمل موضوعات الرسوم الأشكال الآدمية وأجزاء منها، مثل: طبعات الأيدي والأرجل، والأشكال الحيوانية، مثل: الجمال والنعام والأسود والوعول والأبقار، مع وجود زخارف هندسية، واختلاف شكل القرون. وقد استنتجوا من هذه الرسوم بعض الطقوس الدينية، وتقديس البقر. وتتشابه هذه الرسومات مع رسومات الأبقار في كتال هيوك في تركيا، وكذلك رسومات جمال. كما وجدت النقوش (كتابات ثمودية ،أو بدوية ، وأخرى نبطية وإغريقية وكوفية) أحيانا مع الرسوم الصخرية، إذ عُثر عليها في البدع في مناطق: جبل اللوز، وممر البطينة، وقاع بني مر.

ثانياً: الكتابات والنقوش القديمة:

تنتشر الكتابات القديمة في المنطقة- وهي نصوص قصيرة مكتوبة بالخط المسند الجنوبي والشمالي، وبالخط الثمودي، وبالخط الآرامي والنبطي- في عدة مواقع، منها: علقان، وحسمى، وأريط، ومقابر شعيب، ووادي حجيه (نصلة الجرة)، وجبل خوي رشود. ويقدم الكتاب قراءة لبعض هذه النصوص.

ثالثاً: الكتابات الإسلامية:

عُثر في البدع على مجموعة من الكتابات الإسلامية، نظراً لمرور طريق التجارة والحج بها. وجمع الكتاب حوالي ستين نقشاً من مواقع مختلفة، منها: ثميلة بجدة، وطوى الحمدة، والقارة الحمراء (قاع بني مر). والنصوص واضحة ومتنوعة، بعضها ذات سطرين، وبعضها يصل عدد أسطرها إلى ستة، وهي مكتوبة بطريقة النقر الخفيف. كذلك بعض أحرفها منقوطة، وبعضها مؤرخ، وجميعها ذات صبغة دينية، يطلب أصحابها المغفرة والرحمة. وتعود النصوص إلى فترة القرنين الأول والثاني الهجريين، مع الإفادة من أسماء الأعلام للتّعرف على أسرهم وقبائلهم. ولكن الكتاب لم يحوِ لوحات لأصول نصوص

النقوش والكتابات المشار اليها، واكتفى الباحثون بنشر قراءة للنصوص فقط! وكان من المناسب لو فعلوا ذلك لتكتمل الفائدة.

الفصل الرابع: الأعمال الحقلية في منطقة جبل اللوز وما حوله:

أولاً: حضرية موقع "أبا العجل"، في منطقة جبل اللوز:

أحاطت وكالة الآثار المواقع الأثرية بشبك حديدي لحمايتها، ومنها هذا الموقع، عند سفح جبل اللوز. أجرى الفريق عملية التنقيب حسب خطة العمل، فكشفوا عن وجود مبنى معماري مقسم إلى أربع غرف، مع وجود كمية من الرماد، والمواد العضوية. فاتضح أن المبنى استعمل للسكن، وزرائب للحيوانات، وأن هنالك بقايا أحجار رخامية من محجر الرخام السفلي، وهي معدة للنقل. ثم عثروا على كمية من كسر فخارية، مؤلفة من قواعد وحواف وأبدان من فخار متنوع، صنّف إلى سبعة أنماط؛ ولكنه مصنوع بطريقة الدولاب. وتعود الأنماط الفخارية إلى عصر الأنباط (من القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن الأول الميلادي).

ثانياً: أعمال التنقيب في أنصاف الدوائر الحجرية بموقع "أبا العجل":

كانت الدوائر الحجرية عبارة عن صفين من الأحجار المرصوصة بشكل مستطيل. وقد مُلىء الفراغ بين هذين الصفين بحجارة صغيرة متناثرة، وبأحجام مختلفة (دبش). والدوائر من حيث الحجم نوعان: كبيرة، وصغيرة. وهي منشآت حجرية مبنية من أحجار جرانتية، وتخلو من أي مادة أثرية أو عضوية، لذلك كان من الصعب تأريخ فترتها.

ثالثاً: تحليل الرسوم الصخرية ودراستها:

١ . مثّلت الرسوم عدة فترات ثقافية، ولا توجد علاقة تربطها بالرسوم الملونة. كما لا توجد علاقة بين الرسوم، بنوعيها المحفورة والملونة، وبين موقع السكن والمحجر. وفترات الرسوم المحفورة هي (٤٥٠٠ - ٤٠٠٠ ق.م) و (٣٠٠٠ - ١٥٠٠ ق.م).

تتشابه رسوم جبل اللوز مع نظائرها في وادي ضم ووادي البقار، ووادي العصافير بمنطقة تبوك، وكذلك في موقع بالخماسين وتثليث وجبال كوكب والطائف، ثم في جبه بحائل، وموقع الحناكية، شرقي المدينة المنورة.

وينتمي الموقع السكني ومحجر قطع الرخام، إلى فترة الأنباط، والدليل على ذلك وجود الفخار النبطي. وتوقع نقل أعمدة الرخام إلى البتراء، عاصمة الأنباط، أو قريَّة، وغيرها.

رابعاً: محجر قطع الرخام بجبل اللوز:

الأول: طريق (أبا العجل): توجد بقايا طريق مرصوف يبلغ عرضه بين ٣ - ٣,٥ م، أوصل الفريق إلى محجرين، أحدهما: يقع في شعيب الوادي، وتنتشر فيه كتل صخرية مصمتة ذات لون ابيض، وأخرى تحيط بها كُتل ذات لون اسود. كما توجد أعمدة رخامية أسطوانية (قطرها ٦٠ سم)، وهناك غرفة(٥× ٥م) للراحة وحفظ معدات العمل و أدواته.

الآخر: محجر في أعلى الجبل على ارتفاع حوالي ٢٥٠٠م، صخوره بيضاء رخامية مشابهة لسابقتها في المحجر الأول.

وقد استخلص الفريق استنتاجات، منها: الأولى: أن طريق البغال أو(أبا العجل) يبرهن على استخدامات مختلفة، لنقل الأحجار الرخامية؛ والثانية، تشابه الأُسطوانات الحجرية الرخامية الموجودة في المحجر العلوي، مع الأخرى السفلية في موقع السكن، يثبت قطعها من المحجر، ثم نقلها إلى الأسفل؛ والثالثة، أن المحجر هُجر ولم يستخدم، بدليل وجود الأحجار الرخامية.

خامساً: مصيون (الجش) :

يقع إلى الغرب من مدينة تبوك على بعد ١٩٠ كم، على الحافة الغربية لوادي الأبيض عند سفوح السلسلة الشرقية لجبل اللوز. ويحتوى الموقع على أدوات حجرية (حوالي ٥٠ أداة) صغيرة الحجم، متنوعة الأشكال والوظائف، ثم عدد ٧٦ أداة غير مكتملة الصنع. وقد تآكلت بعض الأدوات، بسبب كثرة الاستعمال أو بالتعرية الجوية، وهي مصنوعة - بطريقة الطرق الخفيف- من صخور الجرانيت، والكوارتز، والشرت والصوان،

والابسيديان، وعليها طبقة من غشاء العتق (Patina)، وتصنيفها كالتالي:

١- مناقيش صغيرة (Burins) وأخرى صغيرة جداً (Micro burins)؛ ٢- المدببات؛ ٣- المثاقب؛ ٤- السكاكين : منها المشحوذة ذات الشكل البيضاوي، وبعضها مسنن؛ ٥- أداتان على شكل الكتف؛ ٦- أدوات ثلب عميق مشحوذة ومكشط مسنن؛ ٧- المسننات؛ ٨- المكاشط (Scrapers)؛ ٩- السهام؛ ١٠- أدوات ورقية الشكل؛ ١١- أداة على شكل لسان (نصل)؛ ١٢- الأشكال المقتطعة من النويات الحجرية.

المقارنات والاستنتاجات لموقع مصيون (الجش).

١ . يعود تشابه المناقيش الصغيرة والصغيرة جداً، إلى عامل بيئي.

٢ . تتماثل معظم هذه الأدوات الحجرية مع أدوات الصناعات القيعية في شمالي غرب أفريقيا، والمعروفة باسم: الأدوات القزمية من الصّوان. وتعود إلى فترة العصر الحجري القديم الأعلى حتى العصر الحجري الحديث. كما تعود المدببات إلى الفترة الزمنية نفسها، في شرقي البحر المتوسط، وجنوبي الأردن.

٣ . تتماثل الأنصال الصغيرة والرقائق والمكاشط في مصيون الجش، مع نظائرها في وادي تثليث، وسدوس. وتنتمي إلى فترة العصر الحجري القديم الأعلى حتى العصر الحجري الحديث.

٤ . ندرة رؤوس السهام المصقولة والأدوات الورقية الشكل والمكاشط، وغياب أدوات الطحن الحجري (الرحى) والفخار.

٥ . وجود طبقة من غشاء العتق، على بعض الأدوات الحجرية.

٦ . لا يفترض خلو شبه الجزيرة العربية من السكان في الفترة ٢٢٠٠٠ - ١٠,٠٠٠ ق.م مع هطول أمطار غزيرة، وامتدت الرطوبة النسبية من أواخر الحقبة الانتقالية ما بين العصر الحجري القديم الأعلى، إلى نهاية العصر الحجري الحديث، بدليل العثور على بقايا حيوانية، كالأبقار وفرس النهر.

٧ . احتمال أن هذا الموقع شهد استقرار بشرى دائم، حتى أوائل العصر الحجري الحديث.

ويلاحظ قارىء الكتاب بعض التكرار في المعلومات الواردة، واختلافاً في الاسماء (مثال: البحث ص ص ٣٢، ٦٧، ٧٧). وهناك عدم دقة في إطلاق مسميات الأدوات الحجرية بين النصين العربي والإنجليزي؛ كما أن تسميات المواقع تفتقد إلى الدقة والثبات بين النص والخريطة. (البحث ص ٣٢). كما أن مواقع الرسوم الصخرية يعود تاريخ بعضها إلى ٢٠,٠٠٠ سنة (البحث ص ٨٥). بينما الرسومات المذكورة في الكتاب فأقدمها يعود إلى ١١,٠٠٠سنة (البحث ص ٨٦) . أما أشكال الأبقار في جبل اللوز، فذكر الباحثون أنها متزامنة مع الفترة النبطية والرسوم الملونة، فهي تعود إلى ٧٥٠٠ - ٦٥٠٠ ق.م (البحث ص ص ٩٢، ٩٣)، وسابقاً تم تاريخها بفترتين. (٤٥٠٠ - ٤٠٠٠ ق.م) و (٣٠٠٠ - ١٥٠٠ ق.م) (البحث ص ٥٤). كما نلاحظ اختلافاً في كتابة التوثيق مثلاً (البحث ص ص ٨٩، ٩١) الأدوات الحجرية: ورد اسم الأداة باللغة العربية ويقابله الاسم باللغة الإنجليزية مرتين فقط (البحث ص ص ٧٨، ٧٩).

النتائـــج

خُتم المسح الأثرى بنتائج مهمة هي:

١ . ظهور حضارات المنطقة (جبل اللوز) منذ فجر التاريخ، مع استمرارها إلى العصور الإسلامية، إضافة إلى اتصالها بحضارات مناطق أخرى، مثل: قرية وتيماء وحائل ودومة الجندل وسكاكا.

٢ . تحديد فترة بدء تاريخ استيطان المنطقة منذ ٢٠,٠٠٠ سنة.

٣ . كانت أودية منطقة جبل اللوز، مثل وادي الأبيض، مسرحاً للرعي والتجوال. وتتوافر فيها أيضا معادن ومواد بناء، مثل الرخام . وقد ازدهرت المنطقة في الفترة النبطية. وقدمت الرسوم الصخرية مناظر الصيد بحيواناتها، منها: الوعول والأبقار والماعز والذئاب. وهي مصادر جيدة

لتاريخ الشعوب، يضاف اليها كتابات تدخل المنطقة إلى العصر التاريخي.

٤ . استنتاج ملامح الفكر الديني، ومنها عبادة الشمس والقمر، وعبادة العجل المذكورة في القرآن الكريم. وكانت هذه العبادات سائدة في منطقة الشرق تقريبا.

٥ . تأريخ الرسوم الصخرية في جبل اللوز وحسمى بحقبة زمنية تمتد من ١١,٠٠٠ إلى ٤٥٠٠ ق. م.

وقد حدد الباحثون فترة الأنباط في أكثر من صفحة بين ١٠٠ق.م - ١٠٠م. (البحث ص ص ١١، ٣٦، ٧٣، ٩٢)، وهذه الفترة خاصة بوجود الأنباط في البدع، إذ يؤكد المؤلفون في مصادر البحث، ومنهم هتون الفاسي و إحسان عباس، أن الأنباط موجودون منذ القرن الرابع ق. م ومن المعروف أن "أنتيجو نوس" شن عليهم حربين: الأولى سنة ٣١٢ ق. م بقيادة ابنه اثنايوس، والأخرى بقيادة ديمتريوس. ويؤرخ لأول ملك من ملوك الأنباط بحوالي سنة١٦٩ أو ١٦٥ ق.م. أما "حتحور" (Hathor) الإلهة المصرية " سيدة الفيروز" (Lady of Tur-quoise) امرأة مليحة الوجه لها أذنا بقرة، وترمز للإلهة الام. وقد تصور على شكل بقرة ذات وجه بشري وأذني بقرة، وأحسب أن البقر المرسوم هنا في المنطقة من نوع بقر الوحش "الأيائل"، بدليل وجود القرون.

الخاتمة

انتهى الباحثون في هذه الخاتمة، إلى أن شمالي غرب المملكة العربية السعودية (الجزيرة العربية) كان مركزاً لحضارات وثقافات متنوعة، ما جعله يشهد استقرار بشرياً مختلفاً ومكثفاً، ونقطة جذب لقوى خارجية، من الشرق والغرب؛ وتأكيد أهمية المنطقة لكونها نقطة اتصال وربط، بين مناطق الجزيرة ومراكز الحضارات في وادي الرافدين، وبلاد الشام ومصر. وكل ذلك هيأ للبدع دوراً استراتيجياً، إذ هي واحة على طرق تجارية برية وبحرية، ولأنها محطة للقوافل التجارية، ثم درباً للحجاج في العصر الإسلامي.

كذلك، قرر الباحثون عدم ربط منطقة البدع بالنبي موسى (عليه السلام)؛ لان النتائج الآثارية لم تثبت ذلك، ثم قدموا تلخيصاً للمسوحات الآثارية، التي رصدت آلاف الرسومات الصخرية في حوالي ٣١١ موقعاً. و تصور الأشكال الآدمية والحيوانية أبقاراً مستأنسة، وجمالاً غير مستأنسة، وأنها حيوانات البيئة، مع نفي وجود التأثير الحضاري المصري. وكذلك إثبات أن " مقابر شعيب " مقابر نبطية، على غرار المقابر النبطية المنحوتة في البتراء ومدائن صالح.

وتبيّن أن الدوائر الحجرية تتوافر في أكثر من ستين موقعاً، إضافة إلى مدافن ركامية ورجوم دائرية، ومنشآت حجرية، ولكن يندر وجود مواد أثرية؛ لذا صعب تحديد تاريخ الفترة. وأشارت الدلائل الأثرية إلى محدودية الاستقرار في منطقة البدع، وأن التمركز السكاني لمدين كان في موقع قرية، في فترة القرنين ١٣ - ١٢ ق. م؛ لكن تاريخها يعود إلى الألف الثاني ق. م. أما النقوش والكتابات، فهي تعود إلى الفترة الثمودية واللحيانية والنبطية والفترة الإسلامية المبكرة.

وجاء في هذه الخاتمة نفي علاقة النبي موسى (عليه السلام)، بالبدع نفيا قاطعاً، وأن كل ما تناقله الكتاب السابقون يدخل في عداد القصص والأساطير (البحث ص ١٧)، والأجدر أن تحدد البدع بأنها إحدى مدن منطقة مدين، أو إنها مدينة مدين، وبعيدة عن منطقة الحدث التوراتي.

تُعد منطقة البدع بآثارها امتداداً لحضارات الجزيرة العربية القديمة. وقد حددت فترات الرسوم الصخرية، الموجودة في البدع وجبل اللوز وحسمى إلى العصر الحجري الحديث ٦٥٠٠ - ٥٥٠٠ ق. م، والفترة النبطية (١٠٠ق. م-١٠٠ م)، بناء على أسلوب رسم الأبقار المشابه لما وجد في تبوك، وجبة في منطقة حائل، وفي الحناكية في منطقة المدينة المنورة. أما الثيران، فتشابه المرسوم في وادي ضم، ووادي البقار، ووادي العصافير، في منطقة تبوك. واستدل الباحثون من تنوع أشكال القرون المرسومة، على أن الرسامين كانوا ينتمون إلى مجموعات بشرية، ذات ثقافات مختلفة.

ومن الجدير ذكره أن المؤلفين أوردوا ملاحظة أخيرة حول صدور كتابين، بعد فراغهم من كتابة البحث، وبيّنوا أن الكتابين لا يصلحان كمصدرين للتاريخ، فمؤلف الكتاب الأول (لاري ويليامز) مسوق بضائع، وهو غير متخصص بالآثار ودخل

المنطقة بصحبة ضابط بوليس، ولم يلتزم بأدبيات البحث العلمي؛ أما مؤلف الكتاب الثاني (بلوم) فهو صحفي ليس له صلة بعلم الآثار، وغير مطلع على تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها. والكتابان هما:

الكتاب الأول: Larry Williams, The Mountain of Moses / The Mount Sinai Myth , New York , 1995.

الكتاب الثاني: Howard Blum, The Gold of Exodus: The Discovery of The True Mount Sinai , New York, 1998.

وإذا كان كل بحث علمي جاد له قيمة وأهمية، تنبثقان من إضافاته العلمية الجديدة، وإسهاماته في إلقاء الضوء على الجديد في مجال المعرفة، وتقديمها للبشرية؛ فالبحث الذي بين أيدينا يعد من ذلك النوع، بل امتاز بالكشف الأثرى ونتائجه الجديدة في منطقة البدع، والكتابة عنها. ولكن لا بد من التعليق لإبداء بعض الملاحظات والتنويه عن بعض الهنات، ولاستجلاء التساؤلات، التي أثارها البحث. وذلك حق على كل عمل، مهما تم واكتمل.

أخيراً، نحتاج أن نعرف الكثير عن الفخار المدياني والنبطي، هل هو مصنوع محليا أم مجلوب من منطقة أخرى؟ وهل هناك أفران لهذا الفخار ؟ كما نتساءل حول وجود تقنيات الري، كما في مدينة " قرية المديانية " مثلا.

كنا نود أن نتعرّف على صانع التاريخ في هذه المنطقة، التي أورد الباحثون إشارة طفيفة عن سكان المنطقة في الوقت الحاضر، وامتداد جذورهم إلى جذام ومدين (البحث ص ٤٠).

وأشير إلى أن الجملة التي وردت في البحث، وهي: (يضاف إلى ذلك الملامح التراثية والدينية والفنية للإنسان (البحث ص ٨٥)، وأتساءل: هل هي ملامح تراثية أم ملامح تاريخية؟؟ كما يلاحظ عدم الاستفادة من معطيات المنطقة، من رسوم وأدوات وأوانٍ ونقوش لكتابة تاريخ أهل المنطقة، ومقارنتها مع ما جاء في كتاب (Rothenberg, B,.Timna T& H,1972)، أو الرجوع إلى كتاب عواطف أديب سلامة: "أهل مدين: دراسة للخصائص والعلاقات ١٣٥٠-١١٠٠ق.م، الرياض،١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. وهو رسالة دكتوراة غير منشورة، تتناول تاريخ هذه المنطقة بالتفصيل.

وأخيراً أؤكد إن العمل رائد، وإن كان بحاجة إلى مزيد من التدقيق والمراجعة، لما له من قيمة في مجاله.

د.عواطف أديب سلامة - قسم التاريخ ، جامعة الملك سعود. ص. ب ٧٣٠١ - الرياض ١١٤٦٢

عرض الكتب

اسم الكتاب: **ديانة الأنباط**
(The Religion of the Nabataeans:
A Conspectus)

المؤلف: **جون هيلي** John Healey

الناشر: **بريل، ليدن** Brill, Leiden

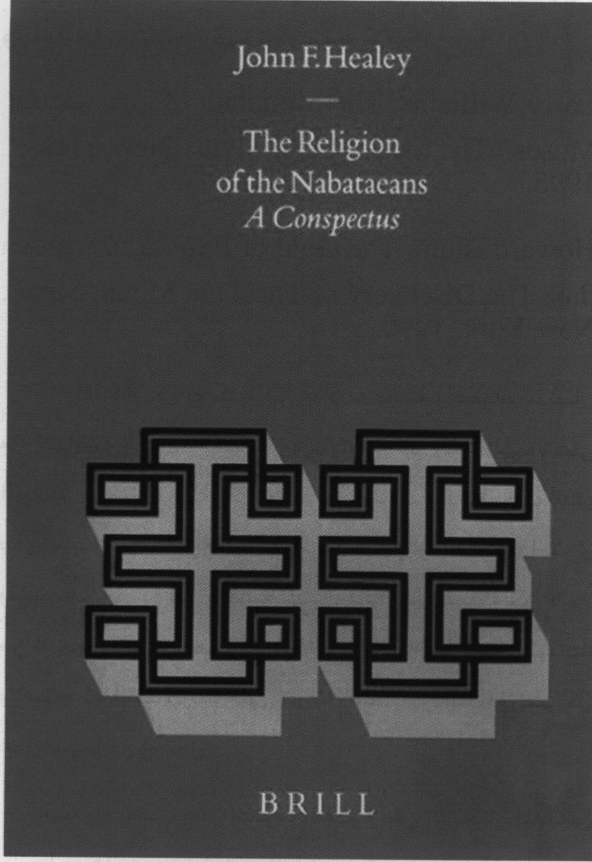
سنة النشر: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

التصنيف الدولي: ٩٠٠٤١٠٧٤٥١

مقاس الكتاب: ١٦×٢٣ سم

عدد الصفحات: (i-ix) صفحة + ٢٤٢ صفحة
(وتشمل خريطتين، و٤٢ شكلا ولوحة)

عرض: مولاي محمد جانيف



شهدت سنة ٢٠٠١ صدورَ كتاب مهم في حقل الدراسات النبطية، سَيَسُدُّ -لا شك- شيئاً من النقص، الذي تعانيه معارفُنا فيما يتعلق بديانة الأنباط. فمنذ صدور دراسة الأب ستاركي، قبل ما يزيد عن ثلاثة عقود (J. Starcky 1966, Pétra et la Nabatène, Dictionnaire de la Bible,Supplément 7: 886-1017)، خلا ميدانُ الدراسات النبطية من أي محاولة في التركيب (Synthesis)، لمقاربة موضوع شائك ومعقد، من قبيل ديانة الأنباط. ولذلك، فإن محاولة جون هيلي في هذا الباب جاءت لتلقى الترحيبَ كلَّه، سيما وأنها ستسهم، لا شك، في إلقاء الضوء على موضوع ما يزال محاطاً بكثير من الغموض؛ وغموض، كما لاحظ المؤلفُ، سببه النقصُ الشديد، الذي يعتري معلوماتِنا فيما يتعلق بديانة الأنباط الخالصة، أو ما ذهب هيلي إلى تسميته: الموروث الديني النبطي الكلاسيكي.

يتكون الكتاب من سبعة فصول غطّت، على امتداد ما يزيد عن ٢٥٠ صفحة، جوانبَ مختلفة مما وصلنا عن ديانة الأنباط. وقد أبدى المؤلفُ عزمَه، منذ البداية، على التعامل مع المصادر الأولية (المصادر النبطية الخالصة)، التي تمثل المصادر المباشرة، وحرصَه على التعامل مع المصادر الثانوية بحذر؛ لأنها -حسب رأيه- محصلة جملة ملاحظات وانطباعات سجلها أجانب، لم يستطيعوا فهمَ ما وصفوه.

وقد فعل المؤلف خيرا إذ حاول، منذ البداية، التصدي لسؤال مطروح بقوة، هو: هل هناك ديانة نبطية بالفعل ؟ يرى هيلي أن الجواب بالإيجاب، على هذا السؤال، تدعمه مسألتان اثنتان:

أولاً: هناك ما يكفي من الدلائل الآثارية والنقوشية الدالة على أن الأنباط، كانت لهم تصوراتهم الدينية الخاصة بهم.

وثانياً: هناك -حسب هيلي- مسألة الوحدة الثقافية، التي ميزّت الشرقَ اليوناني-الروماني، طبعت بميسمها ديانةَ هذه المنطقة، خلال فترة ما بعد الإسكندر، أي وفق الإطار

الثقافي الهلنستي.

المسألة الأخيرة، وهي مسألة منهجية بالأساس، دعت المؤلف إلى إعادة النظر في مصطلح "توفيق" (Syncretism)، الذي ساد استخدامه في الدراسات، التي تناولت موضوعات مشابهة، على اعتبار أن هذا المصطلح -حسب هيلي- مضلِّل، بل ومغرض؛ لأنه يفترض أن هناك ديناً نقياً خالصاً، وأديانا أخرى اعترتها الشوائب؛ وهو ما لا يمكن تصوره، حسب المؤلف؛ لأن التأثير الثقافي المتبادل، الذي ساد بين حضارات البحر المتوسط خلال أزمنة مختلفة، وبلغ ذروتَه في الفترة الهلنستية، يدعو إلى رفض هذه الفكرة، واستبدال بمصطلح الـ"توفيق" مصطلح آخر هو: الـ "مثاقفة" (Acculturation)، أو الـ"مماثلة " (Assimilation).

بيد أن هذين المصطلحين، اللذين استُخدما أصلاً في حقل الأنثروبولوجيا الثقافية، يحتاجان، نظراً لما يحيط بهما من غموض، إلى توضيح لم يبذل المؤلف أيَّ جهد لتحقيقه. فإذا كانت كلمة "مثاقفة" هي المصطلح الأنسب، حسب هيلي لتوصيف تفاعل الأنباط مع العوالم الثقافية، التي احتكوا بها، فعن أي "مثاقفة" يمكن أن نتحدث في هذه الحالة: عن "مثاقفة" عفوية، أم عن "مثاقفة" مفروضة ؟ عن هَلْيَنَة (Hellenization)، أو رَوْمَنَة (Romanization) فرضها الآخر (المحتل السلوقي / البطلمي ثم الروماني)!؟ ومن ثَمَّ عن "مثاقفة" مفروضة، أم عن تعايش بين المعتقدات المحلية، وبين تلك، التي جلبها هذا الآخر وبالتالي عن "مثاقفة" عفوية ؟

أسئلة من هذا القبيل تدعو إلى التمييز بين ما هو رسمي، وبين ما هو شعبي في ديانة الأنباط. بيد أن أول ما نستنتجه حال استطلاعنا للصفحات الأولى من الكتاب، هو تركيز المؤلف على المستوى الأول، مع إغفال شبه تام للمستوى الثاني، على الرغم مما تكتسبه العناصر الدالة على المعتقدات الشعبية من أهمية بالغة؛ لأنها تعكس الممارساتِ الدينيةَ والشعائريةَ لفئات الشعب المختلفة. ولذلك، يبدو مفهوماً احتفاء المؤلف بالنقوش والكتابات على حساب الأيقونوغرافيا، التي لا تقل عناصرُها فصاحة في التعبير عن المعتقد الديني.

شكلت المعطيات الآثارية والنقوشية، الدالة على ديانة الأنباط، مادَّةَ الكتاب الأساسية؛ إذ حظيت بالعرض والتحليل، على امتداد أربعة فصول. بدأ المؤلف استعراضَ هذه الدلائل انطلاقاً من الفصل الثالث، أي بعد الفصل الأول، الذي خصصه لمشاكل المنهج وللمصادر، والفصل الثاني، الذي أراده مقدمةً عامةً عن الأنباط وتاريخهم.

بدأ هيلي استعراضَ هذه الدلائل بدراسة كرسّها للأماكن المقدسة (الفصل الثالث)، حاول فيها تقديم خلاصة عن الآثار الدينية المهمة، في أبرز المواقع النبطية: البتراء، الحجر (مدائن صالح)، روافه وخربتي الذريح والتنور، دون استبعاد المناطق المجاورة: جنوبي سورية (حوران)، النقب، سيناء ومصر. هذا الاستعراض، مشفوعاً بجملة من الدراسات السابقة، جعل هيلي يذهب إلى أن الفضاء، أو الحيِّز المقدس (sacred space) في هذه المواقع، تقاسمته أصنافٌ ثلاثة: (١) المنشآت الدينية العامة، ممثَّلة في المعابد الرئيسية والأماكن المقدسة العالية أو المعلّيات (high places)، (٢) المنشآت الدينية العامة، لكن المقصورة على جماعات ربطت بين أفرادها صلاتٌ دينية (الارتباط بعبادة إله معين)، و/أو اجتماعية (الانتماء إلى جمعيات مِهْنِيَّة معينة ضمن إطار ما يُعرَف بالـ م ر ز ح)، ثم (٣) المنشآت الدينية، التي تعكس نمطاً من العبادة الفردية، مثلما هو الأمر في المشاكي المنحوتة في الصخر (cult niches).

بعد ذلك ينتقل المؤلف إلى الحديث عن الآلهة، التي عبدها الأنباط. وقد خصص لهذا الموضوع، المهم والشائك، فصلين هما: الفصل الرابع (ص ٨٠-١١٩)، تناول فيه بالدراسة الآلهةَ النبطية الخالصة؛ بينما خصص الفصلَ الخامسَ (ص ١٢٠-١٥٤) للآلهة الأخرى، التي عبدها الأنباط. وقد بدأ هيلي دراستَه عن آلهة الأنباط ببحث قصير عن الآلهة، وفق تصور الأنباط لها. وهذا أمر يُعجب له، لأن هذا البحث، الذي يبدو استنتاجاً عاماً عن منظور الأنباط للآلهة، بدل أن يكون خاتمة لهذا الفصل، بل ربما للفصلين الرابع والخامس، جاء مقدمةً لهما !

وفي هذا المبحث عن الآلهة وفق التصور النبطي، حاول هيلي الإجابةَ عن سؤال صعب: هل كان للأنباط مَجْمَع آلهة (Pantheon) ؟ هل كان لهم تصور للآلهة، باعتبارها معبودات تربط بينها شبكة من العلاقاتُ وتميز كلَّ واحد منها: وظيفةٍ؛ أو وظائف، أو سمةٌ، أو سماتٌ معينة ؟ يرى هيلي أن ثمة عباراتٍ مبثوثةً في النقوش النبطية، وبعض المصادر

اليونانية اللاتينية، قد توحي بأن الأنباط ربما تصوروا آلهتَهم وفق مَجْمَع. من هذه العبارات مثلا: "ذو الشرى وكل الآلهة"، "أم آلهة سيدنا رب إل"، أو حديث إبيفانيوس، أسقف سلاميس، عن العذراء كعمو أو كعبو أم ذو الشرى... بيد أن هذه الإشارات كلَّها تظل، حسب هيلي، قاصرةً عن أن تنقل لنا تصوراً واضحاً عن الآلهة ككل، وعن الصلات والأدوار، التي تقاسمتها، مثلما هو الأمر في أوغاريت، أو حتى عند عرب ما قبل الإسلام.

وإذا كان هيلي قد استحضر أوغاريت مثالا للمقارنة، انطلاقا من معرفته بديانة هذه المدينة الكنعانية، وهو الذي كرّس أطروحته للدكتوراه لموضوع: "الموت والعالم السفلي وما بعد الحياة في نصوص أوغاريت" (J. F. Healey 1977, Death, Underworld and Afterlife in the Ugaritic Texts, University of London, Ph. D. Thesis.)، فإن استحضاره لتصور عرب الجاهلية نموذجاً للمقارنة، جعل عرضَه للموضوع لا يخلو من تهافت. فهو، من جهة، يؤكد بأن الكعبة في مكة كانت تتوافر خلال الجاهلية على مَجْمَع آلهة، وإن كان في طور النشوء، أي على مجموعة من الآلهة ذات السّمات الواضحة، التي عبدها عرب ما قبل الإسلام وتصوروها كأسرة؛ إلا أنه يتدارك، من جهة أخرى، هذا الاستنتاج حين يكتشف أن التصور الجاهلي لا يستجيب كلَّ الاستجابة للتصور اليوناني البحت، أي لمفهوم الـ بانثيون (Pantheon)، كما عرفه الإغريق؛ فيجد نفسَه مجبراً على الارتداد إلى مفهوم آخر، هو مفهوم "الشرك" (associationism)، الذي ميّز ديانة الجاهلية، بدل مفهوم تعدد الآلهة (polytheism)، الذي ميّز التصور اليوناني. وحسب هيلي، فإن تصور الأنباط للآلهة وثيق الصلة بالتصور الأول، أو بفكرة الشرك أو -على الأغلب- بفكرة تركيز العبادة على إله واحد، دون غيره من الآلهة. هذه الفكرة، التي طرحها ستاركي في الأصل، تجسد شكلا آخرَ من أشكال الـ (Henotheism)، الذي فسر وفقه مؤرخو الأديان ديانة بني إسرائيل، خلال العصر الحديدي: هناك يهوه إله بني إسرائيل القومي؛ لكن ذلك لا ينفي أن للأقوام الأخرى آلهتَها، حسب التصور الوارد في العهد القديم.

بعد ذلك ينتقل هيلي للحديث عن الآلهة النبطية، وعلى رأسها كبيرُها "ذو الشرى"، معترفاً، بادئ ذي بدء، بصعوبة المهمة، تلك الصعوبة الناشئة عن مشكلة عويصة تواجه الباحث في هذا الميدان: هوية الآلهة بين الأسماء والألقاب، كيف السبيل للتمييز بين الاسم الصّرف واللقب؟ حاول هيلي طرحَ هذه المشكلة من خلال تناوله لهوية "ذو الشرى"، الذي كرّس له ما يزيد عن عشرين صفحة (٨٥-١٠٦). ومرة أخرى، نجد المؤلف يسوق استنتاجاً، منذ البداية، كان من المفروض أن يكون خاتمة لهذا المبحث العام عن "ذو الشرى". يقول هيلي: "تدل كل الشواهد على أن الأنباط حينما يعبدون "ذو الشرى"، فأنهم كانوا يوجّهون عبادَتَهم إلى إله أعلى يسمو فوق جميع الآلهة. والحق أن الاسم "ذو الشرى" هو لقب في الأصل؛ ولذلك فإن الدارسين انشغلوا بمحاولة العثور على الاسم الحقيقي لهذا الإله الأعلى." (ص ٨٥).

هكذا يذهب هيلي إلى أن "ذو الشرى" هو الإله الأعلى عند الأنباط، أو بعبارة أخرى: هو الإله النبطي بامتياز (The Nabataean God)؛ وكأن "ذو الشرى" زال عنه الغموض، فأضحت هويته واضحةً كلَّ الوضوح، مع أن هيلي يعترف في أكثر من موضع بغموض هذه الهوية، التي تتوارى وراء أكثر من اسم/ لقب، وتطرح -بقوة- إشكالية عويصة تتعلق بمسميات الآلهة: هل هذه المسميات هي أسماء فعلاً، أم ألقاب فقط؟ فيما يخص "ذو الشرى"، سبق أن ذهب ستاركي إلى أن غياب "ذو الشرى" عن قائمة أسماء الأعلام النبطية المركبة، مع أسماء آلهة (Theophoric names)، يدل على أن هذه التسمية ليست الاسمَ "الأصليَّ" لهذا الإله. ونقتبس هنا العبارةَ في أصلها الإنكليزي (ص ٨٦):

"Starcky [...] took the view that this [i. e. Dushara] was not his "original" name. Such divine titles are commonplace in Ancient Near Eastern religion."

ولا نعلم حقيقة على من يعود ضمير الغائب (his) في هذه العبارة: هل يعود على الإله الأعلى ؟ أم على إله مجهول الهوية، غامض الملامح ؟ أما تعليق هيلي على استنتاج ستاركي بقوله: "إن مثل هذا اللقب أمر مشترك في ديانة الشرق الأدنى القديم. قارنْ على سبيل المثال (بعل فغور) الوارد ذكره في سفر التثنية ٤:٣، (بعل حرّان) في نقوش زنجرلي..." (ص ٨٦-٨٧)، فهو تعليق سليم؛ ولو أنه كان سيكون أسلمَ، وفي صلب ملاحظة

ستاركي، لو أن هيلي أشار إلى أن غيابَ أسماء الآلهة الكبرى، عن قائمة الأسماء المركبة مع أسماء آلهة، هو أمر يكاد يكون مشتركاً في ديانات الشرق الأدنى القديم، أو على الأقل في الفضاء السامي الشمالي الغربي (قارن الحالة العمونية، على سبيل المثال، كما لاحظ ذلك "ف. إسرائيل " (F. Israel) الاسم (إيل) يدخل في تركيبة ٥٤ اسما ثيوفوريا، من بين ٧٣ اسم علم سجلتها لنا نقوش الأختام العمونية، وهو ما قد يدل على أن كبير آلهة العمونيين هو (إيل)، وأن اللفظة (ملكوم) مجرد لقب له. انظر في هذا الإطار:

F. Israel, 1991, Note Ammonite II. La religione dei Ammoniti attraverso le fonte epigrafiche, Studi e materiali di Srtoria delle Religioni 57: 307-337.

وانظر كذلك:

P. M. Daviau & P. E. Dion, 1994, El, the God of the Ammonites ? The Atef-Crowned Head from Tell Jawa, Jordan, Zeitschrift des Deutshen-Palästina Vereins 10: 158-167.)

مع ضرورة الإشارة هنا إلى أن بعض أسماء الأعلام المركبة، التي تقدمها لنا منطقة حوران، قد تدفع إلى إعادة النظر في هذا التعميم. صحيح، أن معظم هذه الأسماء وردت في نقوش يونانية، ترجع إلى الفترة الرومانية (على سبيل المثال عبد ذو الشرى Αβοδουσαρης / Αβδουσαρης، الاسم الشائع في نقوش بصرى، انظر في هذا الإطار (M. Sartre, 1985, Bostra. Des origines à l'Islam, Paris: Geuthner) في منطقة قد يصعب إدماجُها ثقافياً في العالم النبطي، وهي منطقة حوران، إلا أنها أسماء تدعو إلى التساؤل حول ما إذا كانت هذه المنطقة قد نحت نحو التخلص من الموروث النبطي، مع دخولها في فلك التأثير الروماني.

بعد ذلك يحاول هيلي استكشافَ هوية "ذو الشرى"، في ضوء علاقته ببعض الآلهة النبطية، مثل: رُضى، أو غير النبطية، مثل: أعرى إله بصرى، أو ديونيزوس، أو زيوس، أو هليوس... وهي كلها علاقات إن دلت على شيء، فإنما تدل على تعدد أوجه هذا الإله، الذي ما زلنا بعيدين عن فهم هويته. ضمن قائمة الآلهة النبطية، يضيف هيلي إلى "ذو الشرى" آلهتين، هما: اللات والعزى، ليعبرَ بذلك عن وجهة نظر مايكل مكدونالد (M. Macdonald)، الذي ذهب إلى أن الديانة النبطية لم تعرف سوى إلهين اثنين، أحدهما ذكر والآخر أنثى. هذا الوفاء لوجهة نظر مكدونالد، دفع هيلي إلى اعتبار جملة من الآلهة، الحاضرة بقوة في الفضاء الديني النبطي، آلهةً دخيلةً على الأنباط، مثل: كتبى أو الكتبى، بعل شمين، قوس، هُبل، منوتو، قيشه، وإن عدّها مألوفةً في الفضاء السامي، الكنعاني والآرامي تحديدا، على خلاف آلهة أخرى دخيلة تماماً على الساميين، مثل: إيزيس، التي اكتسبت عبادتها شعبيةً كبيرةً في كل المنطقة، خلال الفترة الرومانية، وإن اقتصرت عبادتها، مثلها مثل عطرغتيس، حسب هيلي، على فئة قليلة من الأنباط.

هذه الفئوية تدفع إلى التساؤل حول ما إذا كانت انعكاساً، لتعايش مجموعة من الثقافات والاتجاهات الدينية داخل العالم النبطي، في إطاره الأكثر اتساعاً، أي من التخوم الجنوبية (سيناء، النقب، شمال الجزيرة العربية)، حتى أقصى الشمال (حوران ومنطقة دمشق). ومع أن هيلي يعترف في أكثر من موضع بوجود هذا التعدد الثقافي، إلا أنه يخرج باستنتاج عام مفاده: أن احتكاكَ الأنباط بالثقافة اليونانية-الرومانية دفعهم إلى التخلي، نوعاً ما، عن أيديولوجيا عدم تجسيد الآلهة (Aniconic ideology)، وهو بذلك يصدر عن وجهة نظر ما تزال مسيطرة في الدراسات المتعلقة بديانة الأنباط، نقصد وجهة النظر القائلة بأن ديانة الأنباط حاربت في جوهرها الصور؛ ولذلك علينا أن نعزوَ أي تجسيد طارئ في هذا الإطار للآلهة، إلى تأثير الإغريق والرومان. صحيح أن وجهة النظر هذه ترتكز على قرائن لا يمكن تجاهلُها؛ ولكنها تظل رهينةَ نظرة أحادية، تجتثُّ الثقافة النبطية من سياقها الحضاري العام (الفضاء السامي الشمالي الغربي)، وتستبعد التأثيرات، أو التفاعلات، التي تبادلتها الديانة النبطية مع ديانات المراكز الشرقية الأخرى، مثل: ديدان في الجنوب. والحق أن هذا الاجتثاث قد يدفع للوقوع في مفارقات تاريخية، ليس أقلَّها دلالة، على سبيل المثال، القول إن "بعل شمين جُلب إلى العالم النبطي من خلال تغلغل الأنباط في حوران، وهي منطقة ليس من السهل إدماجُها في إطار الديانة النبطية." (ص ١٨٢)؛ مع أن ثمة شواهدَ تدل على أن ديدان، المنطقة الواقعة جنوباً،

عرفت عبادة بعل شمين، ما يجعلنا نتساءل حول المصدر الذي أخذ عنه الأنباط عبادة هذا الإله: حوران، ديدان، أم هما معاً؟

مع الفصل السادس (صور وطقوس) ينتقل هيلي من المجرد إلى الملموس؛ فإذا كانت الفصول السابقة قد تناولت الديانة النبطية، من خلال ما وصلنا من تصورات وأفكار، فإن الفصل السادس هو محاولة لدراسة الديانة النبطية، باعتبارها طقوسا وممارسة. فالتصورات والأفكار نقلتها النصوص، أو المصادر الكتابية، بشكل عام، أما الممارسة فلا يمكن تناولها إلا من خلال اللقى (artifacts)، لذلك، جاء هذا الفصل تناولاً مباشراً للمعطيات، التي قدمها علم الآثار في هذا الإطار.

إن هذا التقسيم غير المتكافئ: خمسة فصول كرست لدراسة الديانة النبطية، في جانبها التصوري، مقابل فصل واحد حاول تقديمَ تصور لهذه الديانة، كما مارسها الأنباط، يعكس الاهتمام، الذي أبداه هيلي تجاه النصوص على حساب اللقى والمستمسكات الآثارية. فـ "الأيقونوغرافيا" (صور الآلهة)، لم تحظ بأكثر من أربع صفحات (١٥٥-١٥٨) قيل فيها الكثير عن الأنصاب، التي تعكس الاتجاه التجريدي غير التصويري (aniconic)، في حين لم تحظَ الاتجاهات التصويرية التجسيدية (iconic)، بأي تحليل يذكر.

بعد ذلك، يتناول هيلي الممارسة الدينية النبطية، من خلال مظاهر مختلفة: الاحتفالات الدينية، الطقوس والقرابين، الكهانة، العبادات الخاصة أو الفردية، القبور وعالم الأموات، ثم الصيغ الدينية.

أما الفصل السابع والأخير (عالم الديانة النبطية)، فقد أراده المؤلف خاتمةً عامة لدراسته، التي استطاعت، على امتداد سبعة فصول، تقديمَ صورة شاملة عن ديانة الأنباط. وعلى الرغم من أن هيلي لم يُوَفَّقْ التوفيقَ كلَّه، في دراسة الديانة النبطية ضمن سياقاتها المختلفة، كما أنه لم يستطع التخلصَ من بعض الهِنَات - (انظر، على سبيل المثال، الصفحة ١٣٨ إذ يرد (Zayadine 1991a, 301) والصواب: (Zayadine 1991a, 290)، أو الخطأ الوارد في ص ١٤٠، إذ تتخذ -في رأي هيلي- عيْنَا نصب وادي السيغ في البتراء شكلَ نجمة (star-like eyes)، بينما هما في الواقع مربعتا الشكل، أو ذلك، الذي نجده في قائمة المراجع، إذ يُنسب مقال (À propos du temple dit de 'Dusarès' à S+') إلى (J.-M. Dentzer)، بينما كاتبتُه هي (J. Dentzer) ، أو -أخيرا لا آخراً- سقوط دراسة (Williams) من قائمة المراجع، إلا أن مؤلَّفَه يُعدُّ محاولةً جادَّةً لدراسة ديانة الأنباط نتمنى أن تليها محاولات أخرى تواكب الاكتشافاتِ المتتاليةَ في عالم الأنباط.

أ. مولاي محمد جانيف - فرنسا؛ Moulay M'hamed Janif - 1, rue Maurice Arnoux C207 - 92120 Montrouge France. archaeologia77@yahoo.com

Macdonald, M. et al, 1996. « Mu`azzin, Macdonald et Nehmé, Laïla, Les inscriptions safaïtiques syrie, cent quarante ans après leur découverte», **Académie des inscriptions & Belles-Lettres**, Paris, p. 435-494.

Maani, S. 1997, New North Arabic Inscriptions from the Ḥarra in Jordan, **Journal of King Abdulaziz University**, vol. 10: 3-21.

Maani, S. 1999. Analytical Study of New Safaitic Inscriptions from Jordan, **Journal of Kink Saud University**, vol. 11, part 1: 105-138.

Maraqten, M. 1988. **Die semitischen Personennamen in den alt-und reichsaramäischen Inschriften aus Vorderasien.** Texte und Studien zur Orientalistik 5. Hildesheim: Olms.

al-Muḥīṭ: Fairūz, 'Abādi. **'al-Qāmūs al-Muḥīṭ**, Šarikat wMaṭba'at Muṣṭafa, al-Bābi al-Ḥalabi w'wlāduhu.
A. Negev, 1991. Personal Names in the Nabataean Realm, **Qedem** 32, al-Qudrah 2001, The Semitic Personal Names in Greek Inscriptions in Jordan, Athens-Greece, unpublished Ph. D dissertation. (In Greek.).

RES:South Arabaean inscriptions in: **Repertoire d'Epigraphie Semitique**, Academie des Inscriptions et, Belles-Lettres, Paris.

Ricks, S. 1989. **Lexicon of Inscriptional Qatabanian.** Studia Pohl 14, Pontificio Istituto Biblico, Roma.

al-Said, S. 1995. **Die Personennamen in den minäischen Inschriften. Eine etymologyische und lexikalische Studie im Bereich der semitischen Sprachen**, Veröffentlichungen der Orientalischen Kommission der Akademie der Wissenschaften und Literatur Mainz 41, Harrassowitz, Wiesbaden.

SD: Beeston, A. F. L, M. A. Ghul, W. W. Müller and J. Ryckmans 1982. **Sabaic Dictionary** (English-French-Arabic), Louvain-la-Neuve: Peeters.

SIJ: Safaitic inscriptions in: F. V. Winnett 1957. "Safaitic Inscriptions From Jordan", University of Toronto, **Near and Middle East** Series 2, Toronto.

Ṣifat: al-Hamdany, Ḥassan. 1990. **Ṣifat Jazirat al-'Arab**, Edited by Muhmmad bin al- Akwa', Maktabat al-'Iršad, San'a'.

SSA: az-Zubayr, M.1991. **Sijil 'Asmā' al-'Arab, Mausū'atu as-Sulṭān Qābūs li 'Asmā' al-'Arab.** Jami'at as-Sulṭān Qābūs. Maktabat Lubnan. Beirut..

Stark, J.K. 1971. **Personal Names in Palmyrene Inscriptions**, Clarendon Press, Oxford.

Tag: az-Zubaidi, Muhammad. **Tag al-'Arus**, dar al-Fikr. 10 vols.

al-Theeb, S. 2000a. **al-Mu'jam an-Nabaṭy, Dirasah Muqāranah lil-Mufradāt wa-l'alfāẓ an-Nabaṭiah**, King Fahd National Library, Riyadh.

al-Theeb, S. 2000b. **Nuqūš Qārā aṯ-amūdyah bi-Manṭiqat al-Jawf bi-al-Mamlakah al-'Arabiah as-Su'ūdyah**, 'Abd al-Raḥmān al-Sudairy Foundation, Riyadh.

Thompson, 1944. C. **The Tombs and Moon Temple of Hureidha (Hadhrmout)**, Oxfrd, London.

TIJ: Harding, G. 1952. **Some Thamudic Inscriptions from the Hi*shimite Kingdom of the Jordan***, E.J. Brill, Leiden.

VdB: Branden, v. d. 1950. **Les inscriptions thamoudéennes**. Bibliothéque du Muséon vol. 25. Louain.

VdB. Tham.: Branden, v. d. 1956. « Les text thamoudéenns de Philby I. II », **Bibliothéque du** Muséon vols. 39, 41. Louain.

WH: Winnett, F. V. and G, Lankester Harding, 1978. "Inscriptions From Fifty Safatic Cairns", **Near and Middle East** Series 9, University of Toronto, Toronto.

Wuth.: Wuthnow, H. 1930. **Die semitischen Menschennamen in griechischen Inschriften und Papyri der vordern Orients**, Studien zur Epigraphik und Papyrus Kunde, Leipzig.

Fowler, J. 1988. "Theophoric Personal Names in Ancient Hebrew: A Comparative Study", **Journal of the Study of the Old Testament Supplement,** Series 49.

GARI: *A* **Grammar of the Arabic Language**, Translated from the German of Caspari and edited with numerous additions and corrections by W. Wright, LL.D. 1967.

Gelb, J. 1980. **Computer-Aided, Analysis of Amorite**, The Oriental Institute of the University of Chicago, Chicago.

Ghul, M. "Ghaza fi Nuqūš Gunūb Gazzīrat al-ʿArab", **al-Mu'tamar aṯ-āliṯ li-Tarīḫ Bilād aš-Šam "Filisṭīn".Guġrāfiyat Filisṭīn wa-Ḥaḏāratuhā**, Vol. 2, University of Jordan–Amman, Yarmouk University–Irbid, Jordan.

Gordon, C. H. 1967. "Ugaritic Textbook, Texts in Transliteration: Glossary", **Analecta Orientalia** 38. Pontifical Biblical Institute, Rome.

Gordon, C. H. 1987. "Eblaitica". In: Cyrus Gordon, Garay Rendsburg and Nathan Winter (eds), **Eblaitica: Essays on the Ebla Archives and Eblaite Language**, vol. 1: 19-30, Publications of the Center for Ebla Research at New York University, Eisenbrauns, Winona Lake, Indiana.

Harding, G. L. 1969. "The Safaitic Tribes", **Al-Abhath** xxii, 3& 4: 3-25, American University of Beirut.

Hasan, A. ***al-Naḥwu al-Wāfy***, vol. 3, Dar al-Maʿārif, Egypt.
Abu al-Hasan, H., 1997. **Qirā'atun li-Kitābāt Lihyāniah min Jabl ʿAkmah bi-Manṭiqat al-ʿulā**, Maktabat al-Malik Fahd al-Waṭania, al-Riadh.

Hazim, R. 1986. Die safaitischen theophoren Namen im Rahmen der gemeinsemitischen Namengebung, (Dissertation), Marburg.

Hayajneh, H., 1998. **Die Personennamen in den qatabāniscen Inschriften, Lexikalische un grammatische Analyse im Kontext der semitischen Anthroponomastik,** Georg Olms Vrlag, Hildesheim, Zürich, New York.

HIN: G. L. Harding, 1971. "An Index and Concordance of Pre-Islamic Arabian Names and Inscriptions", **Near and Middle East** Series 8, University of Toronto.

GamhD. Ibn Durayd, Abu Bakr b. Muhammad b. al-Hasan (D. 321H), 1962. **Kitāb Gamharat al-Luġah**, Ḥaidar 'Abād, Maṭbaʿat Maglis Da'irat al-Maʿārif al-ʿUṯmānyah, part I. A. C, 1345 H.

al-Iklil 1:al-Hamdāny, al-Hasan, (D.350 ca), 1986. **al-Iklil**, Dar at-Tanwir lilṬibaʿa wanašr. Taḥqīq Muhmmad al-Akwaʿ, Beirut.

al-Iklil 10: al-Hamdāny, al-Hasan,(D.350 ca) 1987. **al-Iklil**, Dar al- Manahil. Taḥqīq Muḥib ad-Dīn al-Haṭīb, Beirut.

Jamme, A. 1963. **The al-ʿUqlah Texts**: (Documentation sud-arabe III), The Catholic University of America, Washington.

Koehler, L. and Baumgartner, W. 1958. **Lexicon in Veteris Testamenti Libros**, Leiden.

Lane, E. 1872, 1877. **مد القاموس an Arabic-English Lexicon**, Gilbert and Rivington, Book I, parts 4& 6, London.

Lane, E. 1872, 1877. **مد القاموس an Arabic-English Lexicon**,1968, 1980, Beirut- Lebenon, Librairie du Liban, parts 6 & 8, 1968, 1980.

Lawton, R. 1984. Isrealite Personal Names on Pre-Exilit Inscriptions. **Biblica**, 65.
Leslua, W. 1987. **Comparative Dictionary of Geʿez (Classical Ethiopic)**, Harrassowitz, Wiesbaden.

Lidzbarski, J. M. 1902. **Ephemeris für Semitische Epigraphik**. Ricker, Gießen.

Lisan:Ibn Manẓūr, M. 1999. **Lisan al-ʿArab**, Edited by Amin ʿAbd al-Wahāb and Muhmmad al-ʿUbaidi, Dār 'Iḥyāt at-Turāṯ al-ʿAraby, Mu'assat at-Tārīḫ al-ʿAraby, Beirut-Libanon.

LP:Littmann, E 1943. **Safaitic Inscriptions**, Publications of the Princeton University Archaeological Expeditions to Syria in 1904-5 and 1909, Divition 4, Section C, Leiden.

MAA: az-Zubayr, M.1991. **Muʿjam 'Asmā' al-ʿArab. Mawsūʿat as-Sulṭān Qābūs li-'Asmā' al-ʿArab**. Sultan Qaboos University, Maktabat Lubnan, Beirut.

Macdonald, M. 1993. Nomads and the Ḥawrān in the Late Hellenistic and Roman Periods: a Reassessment of the Epigraphic Evidence, **Syria,** 70: 303-413.

Dr. Sultan A. Maani - Queen Rania's Institute of Tourism and Heritage - Hashemite University - Zarqa - Jordan.

Mr. Ibrahim S. Sadaqah - Ministry of Education - Ramtha - Jordan.

ملخّص: تلقي هذه الدراسة الضوء، على أربعة نقوش صفوية، اكتشفت في صحراء شمال شرقي الأردن. أما خصائص هذه النقوش فمختلفة: إذ النقوش الثلاثة الأولى (١، ٢، ٣) كتبت بخط جميل وبحروف عريضة جدا؛ أما النقش الرابع فكتب بخط رديء وبحروف صغيرة جدا. يحاول هذا البحث أن يعرض خلفية مرجعية، للأسماء والكلمات الواردة في النصوص؛ وهي نصوص تكشف عن أسماء أعلام صفوية جديدة، وكلمة جديدة، وبنية نحوية جديدة هي بنية الإضافة.

Notes :

(1) See LP342 which reveals that 'wd who had hmy "sanctuary" is semi-nomadic, and LP 361 spoke of a person who passed by the tombs of 'l 'wd which reveal that this tribe had tombs and the person is semi-nomadic. On this point see Maani 1998: 85.

(2) Maani 1997: 6; al-Theeb 2000 b/ 1421 No. 59: 60; Ph. 14 in vdB. 501, Ph 271 i, 1, in vdB Tham. II: 32; Ph 363 v, in vdB Tham. II: 80; Ph. 319 l, in vdB Tham. II: 80; RES 4763/ 2; Abdallah 1975: 79; Hayajneh 1998: 97; Ja 962/ 1 in Jamme 1963; RES 3700/ 9, see also Arbach 1993: 33 and al- Ansary 1966, Nos 1-3: 116; al-Ansary 1966, No. 1: 118; 1 Stark 1971: 104, 105; Abbadi 1983: 148; Maraqten 1988: 95, 196; Cantineau II,1930: 128, Negev 1991, No 851: 49; al-Iklil 10: 143).

References

al-Ansari, A. 1966. A Critical and Comparative Study of Lihyanite Personal Names, (Unpublished Disertation), The University of Leeds.

Abbadi, S. 1983. **Die Personennamen der Inschriften aus Hatra**, Texte und Studien zur Orientalistik 1, Hildesheim: Olms.

Abdallah, Y. 1975, **Die Personennamen in al-Hamdānī's al-Iklīl und ihre Parallelen in den altsüdarabischen Inschriften**, Ein Beitrag zur jemenitischen Namengebung, Tübingen, Dissertation.

Ahmad, Salahuddin. 1999. **A Dictionary of Muslim Names**, C. Hurst & Co. Publisher Ltd, London.

ʿAlūlu, Gh. 1996. Dirāsat Nuqūš Ṣafwiah Jadīda min Wādī as-Sūʿ, Unpublished M. A. Theises, Yarmouk Universty–Irbid, Jordan.

Arbach, M. 1993. Rệpertoire des noms propres madhābien, Aix-en-Provence, Unpublished Dissertation.

Bakri, A. 1949. **Muʿjam ma Istaʿjam**. 2 Vols, Goettingen.

(BDB): Brown, F.; Driver, S. and Briggs, C., 1979. **A Hebrew and English Lexicon of Old Testament**, Clarendon Press, Oxford.

Cantineau, J. 1978. **Le Nabateen**, Reimppessionde L'Editron, Paris.

CIH: **Corpus Inscriptionum Semiticarum**, Pars Quarta, Inscriptiones Himyariticas et Sabaeas Contines, IV.

CIS: "Safaitic inscriptions". In: **Corpus Inscriptionum Semiticarum pars V**, (1950-1), Paris.

Clark, V. 1979. A Study of New Safaitic Inscriptions from Jordan, A Thsis Presented for the Dgree of Doctor of Philosophy, Department of Middle East Studies, University of Melbourne.

DISO: J. Hoftijzer and K. Jongeling, 1995. **Dictionary of the North-West Semitic Inscriptions**, I-II (with appendices by R.C. Steiner, A. Mosak Moshavi and B. Porten). Handbook of Oriental Studies, 1. Abteilung: Der Nahe und Mittlere Osten, 21, Brill, Leiden.

Ibn Durayd, 'Abu Bakr b. Muhammad b. al-Hasan (D. 321H), 1991. **al-Ištiqaq**, ed. ʿAbd as-Salam Hārūn, Dār al-Jīl, Beirūt.

maybe to the Sabaic "fall rain" (SD 162). And *yrd h'mq* in Hebrew means "to descend in the valley," and "to bring down, to deport" in Yiph, and in Hoph hūrad "to be sent away" (DISO: 469; BDB: 432-434).

'ḍyt:

'ḍyt is defined in the genitive case, diminutive noun, can be read **'uḍaiat** أضَيَّت from the root **'ḍa** أضا; **'aḍātu** أضاتُ is "singular " and **'iḍūn** إضُون / 'iḍīnإضين are the plural means "the pool, swamp (in the rough of the ground [الغدير في الغلظ من الأرض], stagnating water" (Lisan: 'aḍa, GamhD, 1962, I: 184).

'Aḍā'at أضاءة is pointed out as a place near al-Madīna al-Munawara in Saudi Arabia **"'Aḍā'at bany Ġafār"** (al-Bakri 1949: 164). This indicates that **'wḏ** got a pool or, alternatively, got a certain place named after it. Because of the pool that this tribe owned, we may suggest that **'wḏ** stayed a long time of the year around and near the pool. This tribe could have been a semi-nomadic tribe[1]. Furthermore **'ḍyt** may also be considered a normal form parallel for **al-'aḍāt** الأضاة meaning "pool, puddle, brook, swamp". This word-structure is probably new in Safaitic.

h'wḏy:

It is from the root *'wḏ* عَوْذ meaning in Arabic "sought protection or preservation, took refuge" (Lane 1874, part 5: 2192). ***h-'wḏy*** is "the *'Awḏite*" and is identified by using the definite article *h-* (See also LP 87; Macdonald 1993: 308), with the genitive or adjectival suffix *-y- **nisba***. It forms the adjectival clause with the preceding substantive *'ḍyt*. It can be considered genitive.

It is a well known tribe, and is also attested as a personal name in many Semitic inscriptions (LP342/3;Harding 1969: 14; HIN: 411)[2], the name also occurs in Greek ***Αυδος***, ***Αουδος***, ***Αυειδος***, ***Αουδηνοι***, ***Αουειδος***, ***Αυιδιου*** (Cantineau II, 1930: 128; Negev 1991, No. 851: 49; al-Qudra 2001:).

bn:

It is a third masculine singular verb from the root bnn "remained, settled, stayed in place" (Lisan 1999, vol. 1: 505, BNN). It has a cognate meaning in Qatabanian inscriptions: "set in, establish in" (Ricks 1989: 30). It is attested in Safaitic *bn* "to remain" (Clark 1979, No. 375, 480, 859), and is also found in similar form and meaning in Thamudic (Ph. 258f in vdB. Tham 1956).

ṭrd:

It is derived from the transitive verb *ṭarada*, and can be classified as a verbal adjective. These forms of adjective are like or assimilated to the participle, called in Arabic صِفة مُشبَّهة. This kind of adjective expresses a quality inherent and permanent in a person. It can be considered as ***fa'īl*** form *ṭarīd* that stands for ***maf'ūl*** (See GAR I, No. 231-232: 133-136) and thus means "he who was pursued" (Lisan 1999, vol. 8: 138, ṬRD). The inscription perhaps reveals a case of social suffering which Qdm escaped or felt.

al-Hamdāni (*al-Iklil* 2: 69; the reading is from Ṣifat: 125, ft. 3) quotes some verses which mention the Yemenite tribal name *Qudam* قُدَم, which is a justified form of *Yaqdum*:

قلت والأسود تردى خيله
يا ابن مصفود غدرتم بالحرم
رَامَهُ تُبَّعٌ فِي مَـــنْ جَنَّدتَ
حِمْيَر والحَيُّ مِنْ آل قَدَم

Inscription no. 4.
lqdm bn ghm wwrd 'ḍyt h'wḏy bn ṭrd
"For ***Qdm*** son of ***Ghm***, and he goes down to stagnating water of ***'Awḏite***, pursued man stayed (there).

Ghm:

Structure: one-word name, fi'l,"***Gihm***", or fa'l "***Gahm***".
Meaning: the lion.
Parallel: ***Gihm***, ***Gahm***.

Comments:
It means "he became frowned", **gahmun** جَهْمٌ and **gahimun** جَهِمٌ "a coarse, or harsh and repulsive, and ugly face." In addition, **al-gahmu** الجَهْمُ means "the lion" (Lane 1865, part 2: 478). al-Hamdani read it as ***Gihm*** جهم (*al-Iklil* 10: 101). It is a well-known personal name in Safaitic (HIN: 170), and as theophoric personal name ***ghml*** "mürrisch" (Hazim 1986: 25). It is attested in Arabic ***Gahm*** جَهْم, ***Guhaim*** جُهَيْم, ***Gaiham*** جَيْهَم and ***Gahīm*** جَهِيم from ***gahama*** "have harsh and repulsive features" (Ibn Durayd 1991: 86, 139, 211).

wwrd:
w:
It is said that ***wa-*** is an ancient morphem and its use as a conjunction is an innovation. That could be traced back to Eblaite as an indicator prefixed to verbs (Gordon 1987: 21). It is an inseparable conjunction which connects words, verbs or clauses, and it means "and". It has the same sense in Arabic (see LP= Littman 1943: 310). In this inscription, as is known to Arab grammarians, it implies a fresh start particle. It has the value of implying a sequence or subsequence in relation to the preceding expression or the following one.

wrd:
It is third masculine singular perfect of the common Semitic verb with variant yrd in North-West Semitic for. "drew near, reach, go down, attend, came to or arrived at/ namely a water or a place, whether he entered into or did not" (Lane 1968, part 8: 2935; SD 162.; Leslau 1987: 617; LP 406,. 426, 532; Clark 1979: No. 762, P. 347; 'Alūlu 1997: No. 48, p. 40; DISO 469; BDB: 432-434; LS 309; Koehler 401; Gelb 22; Gordon 1967: 414). Although the Qur`nic text insures the meaning of entering the place for watering "**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ**" (The Holy Qur'an 28: 23), in another text it seems to mean "pass over", "reach without entering". "**وَإِن مِنْكُم إلا وَارِدُهَا**" (The Holy Our'an 19:71). The Jāhilī poet strengthens and supports the meaning of entering the place; 'Amru bin Kulṯūm said in his Mu'allaqa: (az-Zūzany 1990: 142, 144).

وَرَدْنَ دَوَارِعاً وَخَرَجْنَ شُعْثاً كَأَمْثَالِ الـــرَّصَائِعِ قَدْ بَلِينَــا
وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا المَاءَ صَفْواً وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِراً وَطِينَا

Also the word *wrd* reveals how one reaches the place: it is on foot, since "*wrd h'ḍyt*", he reached there on foot. It occurs as a verbal phrase with *mn* meaning "arrive from"; *wrd mn tl 'nt* "he arrived from 'Ānat hill [Tell] ('Ānat is the name of the Hill)" (LP 742). Also *wrd* is mentioned in Safaitic as a noun meaning "watering-place" (SIJ 281, 289), and thus bears a similarity with North West Semitics (DISO 469; BDB: 432-434; Koehler 401; Gelb 22; Gordon 1967: 414), , and وِرْدwhich is parallel to the Arabic wird



Fig. 1: A rock boulder with Four Safaitic Inscriptions, northeast of Mafraq, Jordan.

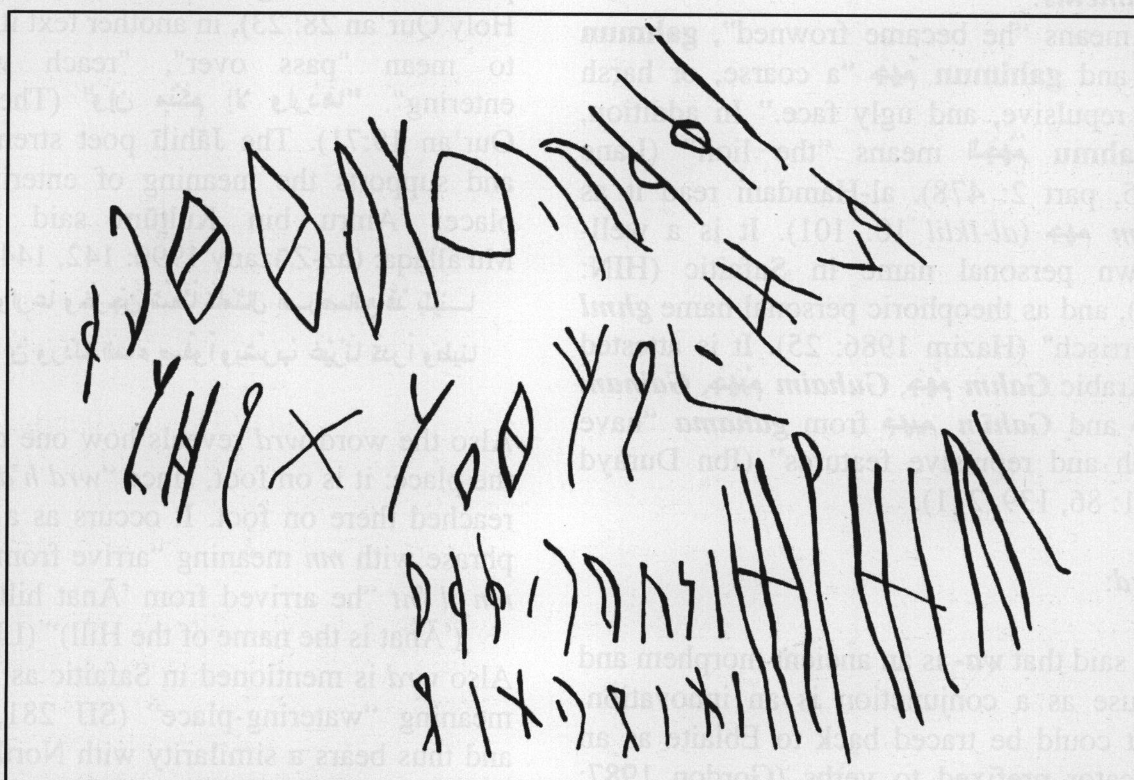


Fig. 2: A tracing of the inscriptions in Fig. 1.

Gsm:

Structure: one- word name, verbal adjective, ***faʿīl***, ***Gasīm***.

Meaning: became great, large.

Parallel: ***Gsmt***, ***Gsmw***, ***Γοσαμος***.

Comments:

It is a simple masculine personal name, it can be classified as a verbal adjective, derived from ***fiʿl*** form; the adjective is similar or assimilated to the participle, called in Arabic صِفة مُشَبَّهَة. This kind of adjective expresses a quality inherent and permanent in a person (see GAR I, No. 231-232: 133-136).

This personal name has been derived from a form cognate with Arabic structure faʿīl. This derivation is to be slightly preferred, because the concept of the name bearer is known as verbal adjective.

In Arabic, ***Gsm*** means "became great, large", ***gism*** "a peson, body", ***gasīm*** "huge body" (Tag. gsm, Lane, part 2: 424, 425). Also it is mentioned in Ḥaḍramite as an adjective or a noun as is the case in Arabic "***wgsmhy / gn' / qlt***" (RES 2687 / 3), and as a verb meaning "perform construction" "../ *bn mlkkrb/ mlky/ ḥḍrmt/ qtdm/* ***wgsm/*** *gn['/ my]fʿt*" (RES 3869/ 2), "*wsḥds*[3]*/* ***wgsm/*** *b'mntsmn/ b'rhn/ šʿbt*" (CT 4/ 5-7 in Thompson 1944).

It is known in Safaitic (HIN.: 455). In modern books on Arabic personal names there is evidence for name *Gāsim* جاسِم which is pronounced as *Gāsīm* جاسيم (SAA. vol. 3: 1390). It can be guessed that fāʿil form *Gāsim* is not old since it is another pronunciation of ***Qāsim*** (MAA. Vol. 2: 1363). ***Gasīm/ ʿAbd Gasīm*** is mentioned as an Islamic personal name[1] (Ahmad 1999: 89-90). Traditional Arabic books before *Lisan* did not mention *Gāsim* جاسِم as a personal name. On the other hand, al-Lisan and al-Fairūz 'Abādi (who is a century later than Lisan) mentioned ***bnw Gāsim*** as an old family name (al-Muḥīṭ: gsm), and so did Tag which was four centuries later.

It is worth pointing that Arabic Dictionaries mentioned the verbal adjective derived from the first form of the verb, ***faʿīl*** فعيل, but did not mention the nomina agentis form ***fāʿil*** فاعِل as a derivation of *gasama*. It is likely to read ***Gsm*** as ***Gasīm***, since there is not enough evidence indicating Gæsim as a widely spread old personal name. It is possible that ***fāʿil*** فاعِل form is known at the time of al-Lisan and after. Similarlities are found in Minaean ***Gsmʿl*** (Glaser 1018 in Ghul, Ghaza), Li...yanite ***Gsmt*** (al-Ansary 1966, No. 6: 91), Nabataean ***Gsmw***, Greek ***Γοσαμος*** (Negev 1991, No. 259: 20). Perhaps the West-Semitic ***Ḫa-si-ma'*** carried a possible similarity to Arabic gasama and Safaitic ***Gsm*** and ***'Gsm*** (Zadok 1977: 232).

Qdm:

Structure: one-word name, fāʿil, ***Qādim*** or fuʿal ***Qudam***.

Meaning: who comes before, step forward, first; good deed.

Parallel: ***Qādim*** or ***Qudam***.

Comments:

Qdm "come before", and *qadamu* قَدَمُ in *qadamu* ṣidqin قَدَمُ صِدْقٍ "good deed or high position/ rank", and Ḏu-ar-Rima said:

وأنْتَ امرؤٌ ومَن أهْلِ بَيْتِ

لَهُم قَدَمٌ مَعْروفَةٌ ومَفاخِرٌ ذُؤابَة.

In a footnote in *al-Iklil*, al-Hamdani quoted the poem verse of Farwa bn Musaik (*al-Iklil* 10: 86, footnote 7):

فإن نَغلب فغلابون قِدْما وإن نُهزم فغير مهزّمينا

Qidman means "go forward toward the enemy" (see Tag. Qdm), and the same meaning is rendered in Safaitic (Hazim 1986: 102-103, see also his discussion); for more cognate meanings in other Semitics see the South Arabic meaning in: SD: 103; Ricks 1989: 142, Arbach 1993: 70; in Nabataen: al-Theeb 2000a: 226.

Four New Safaitic Inscriptions from Mafraq

Sultan A. Maani
Ibrahim S. Sadaqah

Abstract. *This study sheds light on four safaitic inscriptions from a lava region in the north-eastern Jordanian desert. The quality of the inscriptions varies: three are beautifully inscribed and their letters are greatly extended (e.g.: 1, 2, 3). The fourth one is poorly written in very thin letters. This paper tries to give a background for the names and the words examined in these texts. These reveal new Safaitic personal names, a word: 'ḍyt, Ḥṭyṭ, a new structure: genitive case.*

Inscription no. 1.
lḥṭyṭ
For *Ḥṭyṭ*.
This inscription is found adjacent to the following three on a small basalt stone.
Ḥṭyṭ:
Structure: one-word name, fuʿail.
Meaning: smooth.
Parallel: Arabic tribal name ***Banu Ḥutayṭ*** (Ibn Durayd 1991: 301).

Comments:
The general interpretation assumes that the infix –y– of the name is an alternative spelling of the Arabic ***Ḥutayṭ***. As far as we know, the name in this form is new in Safaitic inscriptions. It is a diminutive form *Ḥutayṭ* from the root *ḥṭṭ* "smooth body" of the well known Safaitic personal name ***Ḥṭṭ*** (Clark 1979, No. 1188: 440, HIN. 193). In any case, this form with infix –y– is observed in Ḥaḍramatic inscriptions from al-ʿUqlah *Ḥṭytm* (Ja 1006/ 2 in Jamme 1963). It is attested as a female personal name in Old South Arabian inscriptions (***Ḥṭt***), whereas al-Said explained it as "erleichterung" (al-Said 1995: 211).

Inscription no. 2.
lḫlṣ bn ḫlṣ
For *ḫlṣ* son of *ḫlṣ*.

ḫlṣ:
Structure: one- word name, fāʿil "***Ḫāliṣ***", or fiʿl "***Ḫilṣ***".
Meaning: rescue, client, pure.
Parallel: attested most in Semitic inscriptions (HIN. 226, Macdonald et al 1996: 458, 461, Maani 1999: 108; TIJ. 58a, 520; Hayajneh 1998: 130; CT 14 in Thompson 1944; CIS 1449; Lidzbarski 1902: 275; CIS 542; Fowler 1988: 191; Lawton 1984: 337).

Comments:

The interpretation depends on the word infliction. One account may vocalize this personal name by adapting the form of ***ḫilṣ*** the singular of ***ḫulaṣā'*** "intimate friend" (Tag. ḫlṣ), as an alternative vocalization by posting ***fāʿil ḫāliṣ*** form "the white thing, or every pure and bright color" (Tag. ḫlṣ). It is attested in Thamudic in the invocation term "salvation" (TIJ 502). This change of meaning affects our proposed vocalization to the extent that "pure and bright color" will be for ***ḫāliṣ***,or "client" for ***ḫilṣ***.

Inscription no. 3.
lgsm bn qdm
For *Gsm* son of ***Qdm***.

Issue No. 7 January 2003
ISSN: 1319-8947 (pp. 49 -56)

von Musawwarat es Sufra, Berlin.

Hintze, Fr. 1971. **Musawwarat es Sufra I.2 Der Löwentempel,** Berlin.

Hintze, Fr. 1973. "Some Problems of Meroitic Philology", **Sudan in Altertum. MEROITICA** 1: 321-330.

Hintze, Fr. 1974. "Some Problems of Meroitic Philology". In: Abdalla, Abdelgadir Mahmoud 1974a (ed.), **Studies in Ancient Languages of the Sudan,** pp. 73-78, Khartoum.

Hintze, Fr. 1993. **Musawwarat es Sufra I.1 Der Löwentempel Textband,** Berlin.

Hintze, Fr. with de Villard, U. Monneret 1960. "Die meroitischen Stele des Königs Tanyidamani aus Napata", **Kush** 8: 125-161, Khartoum.

King, L. W. 1901. **Assyrian Language,** London.

Leclant, J. 1963. "Kashta. Pharaon en Egypte", **Zeitschrift für Agyptische Sprache,** 90: 74-81.

Leclant, J. 1969-70. "Historie et diffusion des cultes égyptiennes: II Etudes meroïtiques", **Annuaire de l'EPHE** 87: 190-200, Paris.

Leclant, J. 2000. **Répertoire d'Epigraphie Méroïtique,** Paris.

Lepsius, C. 1880. **Nubische Grammatik,** Berlin.

Luckenbill, D. D. 1924, 1926. **Ancient Records of Assyria and Babylonia,** Chicago.

Macadam, M. F. L. 1949a. **The Temples of Kawa I. The Inscriptions,** London.

Macadam, M. F. L. with Dunham, D. 1949b. "Names and Relatioinships of the Royal Family of Napata", **Journal of Egyptian Archaeology,** 35: 139-149, London.

Marks, A., Mohammed-Ali, A., Fattovitch, R. 1986. "Archaeology of the Sudan. A First Look", **Archaeology,** 39, 5: 44-50.

Millet, N. B. 1974. "Writing and Literarcy in the Ancient Sudan". In: Abdalla, Abdelgadir M. (ed.), 1974: 49-57.

Posener, G. 1940. **Princes et pays d'Asie et de Nubie,** Bruxelles .

Priese, K-H. 1968. "Nichtägyptische Namen und Wrter in den Agypischen Inschriften der Knige von Kusch", **Mitteilungen des Instituts für Orientforschung,** 14 .2: 165-191, Berlin.

Priese, K-H. 1972. "Zur Sprache der Agypischen Inschriften der Knige von Kusch", **Zeitschrift für Agyptische Sprache,** 98: 99-14, Leipzig.

Reisner, G. A. 1923a. **Excavations at Kerma. Part I-III. Harvard African Studies** V, Boston.

Reisner, G.A. 1923b. "The Meroitic Kingdom of Ethiopia", **Journal of Egyptian Archaeology,** IX: 34-79, London.

Säve-Söderbergh 1949. "A Buhen Stela from the Second Intermediate Period. Khartum 18", **Journal of Egyptian Archaeology,** 35: 50-58, London.

Säve-Söderbergh 1963. "The Tomb of Prince of Teh-Khet, Amenemhe", **Kush** 11: 159-174, Khartoum.

Sauneron, S. and Yoyotte, J. 1952. "La campagne nubienne de Psammetique II et sa signification historique", **BIFAO** 50: 157-207.

Schäfer, H. 1895. "Die aethiopischen Knigsinschrif des Louvre", **Zeitschrift für Agyptische Sprache** 33: 101-152, Leipzig.

Schäfer, H. 1901. **Die aegyptischen Königsinschrift der Berliner Museums,** Leipzig.

Schäfer, H. 1905. **Urkunden der älteren Athiopenknige,** Leipzig.

Shinnie, P. 1967. **Meroe, A Civilization of the Sudan,** London.

Smith, H. S. and Smith, Alexandrina 1976. "A Reconsideration of the Kamose Texts", **Zeitschrift für Agyptische Sprache** 103: 48-76 Leipzig.

Steindorff, G. 1951 (?). **Lehrbuch der koptischen Grammatik,** Chicago.

Woolley, C.L. & Randall-MacIver, D. 1910. **Karang. The Romano-Nubian Cemetery. Text,** Philadelphia.

References

Abdalla, Abdelgadir Mahmoud 1974a (ed.). **Studies in Ancient Languages of the Sudan,** (Khartoum).

Abdalla, Abdelgadir Mahmoud 1974b. "Mobility of Components in Meroitic Personal Names". In: Abdalla, Abdelgadir Mahmoud 1974a (ed.). **Studies in Ancient Languages of the Sudan,** Khartoum, pp. 79-108.

Abdalla, Abdelgadir Mahmoud 1977. "Some Examples of Incremental Repetition in Meroitic Personal Names", **Agypten und Kusch**: 17-40, Berlin.

Abdalla, Abdelgadir Mahmoud 1986/1407 (in Arabic). **The Meroitic Language. Part 1. What is it? History of the Decipherment of its Script,** Riyadh.

Abdalla, Abdelgadir Mahmoud 1416 A. H./1995 (in Arabic). Alphabetic Writing in Ancient Egypt, Riyadh.

Abdalla, Abdelgadir Mahmoud 1999. "K3-ML[Y]: *AQO-MLO-[Y(E/I)], The 'Meroitic' name on El-Kurru Plaque 19-3-704", **Studien zum Antiken Sudan. Meroitica** 15: 428-456.

Abdalla, Abdelgadir Mahmoud and El-Amin, Yusuf Mukhtar 2001 (in Arabic). "Ancient Sudan. Confusion of Names and in Meanings of Concepts", **Studies in the Archaeology of The Arab Homeland** 2: 315-329, Cairo.

Abdalla, Abdelgadir Mahmoud 1989. "Napatan-Meroitic Continuity: Kush and Kushiteness/ Meroiticness", **Meroitica** 10: 878-883 Berlin.

Al-Hakem, Ahmad M. Ali 1990 (in Arabic). **The Cultural Identity of the Sudan,** Khartoum.

Arkell, A.J., 1973 ed. of 1961. **A History of the Sudan. From the earliest times to 1821,** Westport, Connecticut.

Bonnet, Ch. 1990. **Kerma. Royaume de Nubie,** Genève.

Breasted, James H. 1906. **Ancient Records of Egypt** IV: 406-473, Chicago.

Budge, E. A. W. 1907. **The Egyptian Sudan. Its History and Monuments,** London.

Budge, E. A. W. 1917. **Annals of Nubian Kings,** London.

Crowfoot, J. W. with Griffith, F. Ll. 1911. **The Island of Meroë, with Meroitic Inscriptions**, Part 1, London.

Dunham, D. 1955. Royal Cemeteries of Kush II. Nuri (Boston, Mass.).

Dunham, D. 1957. **Royal Cemeteries of Kush IV. Royal Tombs at Meroe and Barkal,** Boston, Mass.

Dunham, D. 1977. **The Barkal Temples,** Boston, Mass.

Gardiner, A. H. 1957. **Egyptian Grammar,** London.

Grapow, Hermann 1940. "Die Inschrift der Könige Katimala am Tempel von Semne", **Zeitschrift für Agyptische Sprache** 76: 24-41, Leipzig)

Griffith, F.Ll. 1911a. **Karanög. The Meroitic Funerary Inscriptions from Shablûl and Karanog,** Philadelphia.

Griffith, F. Ll. 1912. **Meroitic Inscriptions, Part II . Napata to Philae and Miscellaneous,** London.

Griffith, F.Ll. 1916. "Meroitic Studies II. Progress of Decipherment", **Journal of Egyptian Archaeology,** III: 111-124.

Griffith, F.Ll. 1935-37. **Catalogue of the Demotic Graffiti of the Dodecaschoenus**, Parts I & II , Oxford.

Griffith, F. Ll. with Crowfoot, J.W. 1911b. **The Island of Meroë, with Meroitic Inscriptions,** Part 1, London.

Griffith, F. Ll. with Garstang, G. and Sayce, A.H. 1911c. **Meroe, The City of the Ethiopians,** Oxford.

Grimal, N-C. 1981. **Quatre Stèles Napatéennes au Musée du Caire**, Le Caire.

Herodotus. 1960 ed. **History,** II, Loeb Classical Library, London.

Hintze, Fr. 1959. **Studien zur meroitischen Chronologie und den Opfertafeln aus den Pyramiden von Meroe,** Berlin.

Hintze, Fr. 1962. **Die Inschriften des Löwentempels**

dealing with such a complex subject as languages and literacy in the ancient Sudan during the period specified above, which spans more than a millennium, one may present the following main stages thereof in conclusion.

1. Exclusive use of Ancient Egyptian as written language

The first stage was the exclusive use of ancient Egyptian as the written language, and of the ancient Sudanese language, now known as Meroitic, as the main spoken language. This was during periods II iii 1-5 above.

2. Alternate use of ancient Egyptian and Meroitic as written languages

The second stage was the alternate use of ancient Egyptian and Meroitic as written languages, and Meroitic as the main spoken language. This was during period II iii 6 above.

3. Predominance of Meroitic as the written language

The third stage was when Meroitic became the main spoken and written language, during period II iii 7.

Prof. Dr. Abdelgadir M. Abdalla - Formerly: University of Khartoum (Sudan) and King Saud University (Saudi Arabia). P.O. Box: 231062 Riyadh 11321.

ملخّص: البحث عن القراءة والكتابة في السودان القديم، الذي كان اسمه كوش في المصادر القديمة، المصرية والسودانية والأشورية، والعبرية، وإثيوبيا في المصادر اليونانية والرومانية. يبدأ البحث بتمهيد فيه حديث عن أول ظهور مملكة كوش، فعصور التاريخ السياسي، ثم عصور الكتابة والقراءة. يلي ذلك تعريف بالكتابتين المصرية القديمة والكوشية، التي اشتهرت باسم "المروية". في قسم الكتابة المروية يتحدث الباحث عن أول ظهور لها، مبيناً إيمانه بأن الكتابة المروية أبجدية وإن شملت بضعة رموز ذوات صفات مقطعية. بعد التمهيد، وفي صلب الموضوع، يستعرض الباحث مراحل استخدام الكتابتين المصرية القديمة والمروية في السودان، ومدى انتشارهما، ليخلص في نهاية الأمر بأن هناك ثلاث مراحل للكتابة والقراءة في السودان، هي الآتية:

١ . انفراد الكتابة المصرية القديمة.

٢ . التبادل بين الكتابتين المصرية القديمة والمروية.

٣ . غلبة الكتابة المروية.

ashoenus (Abdalla 1989: 879-880).

But this situation is not contradicted by the relatively disproportionate meagreness of the inscribed material so-far recovered. As explanation thereof, one gives two phenomena. One is the excessive plundering to which main cemeteries, royal or private and of all periods, had been subjected since antqiuity; namely, the cemeteries of Meroë, Jabal Barkal, Sanam, Faras, Qasr Ibrim, Karanóg, Shablûl and Gebel Adda. The other is that during the period in question, papyri inscribed in Meroitic cursive were used for daily-life purposes. As was the case with Ancient Egypt, so here too, papyri were highly vulnerable and short-lived.

The disproportionately infinitesimal amount of texts on papyri fragments from Qasr Ibrim is no consolation. It is nothing, when contrasted with what vast amounts of texts on papyri that should have once existed, and now lost, in Qasr Ibrim itself, Sedeinga, Faras, Gebel Adda, Arminna West, Naga' Gamus, Karanǵ, Shablul, Dakka, Kawa, Napata, Meroe, Soba, etc. texts written on papyri were lost with the deterioration and eventual vanishing of the fragile material.



Fig. 6: Offering-table Kar 18, of Wetkidlbe, Cairo 40178, from Karang, Griffith 1911a: 57, pl. 18. New photograph. Courtesy of late Prof. G. Mokhtar.

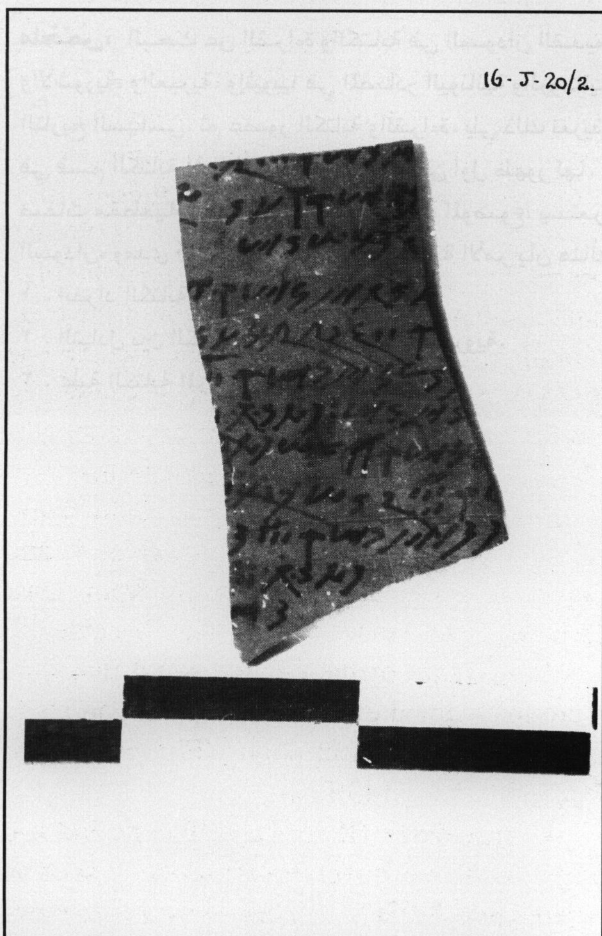


Fig. 5: Ostracon 16.J.20/2, unpublished, Attiri, Sudan National Museum no. 20150. Courtesy of A. J. Mills.

Virtually all of the material we now have is on stone. Of this, the vast majority is funerary, stereotyped and repetitous. The efforts of Leclant and his colleagues over long years to collect a repertory of Merotic inscriptions come to a happy conclusion with the appearance of the *Répertoire d'Epigraphie Méroïtique* (2000).

III. Conclusion

In spite of the difficulties involved when

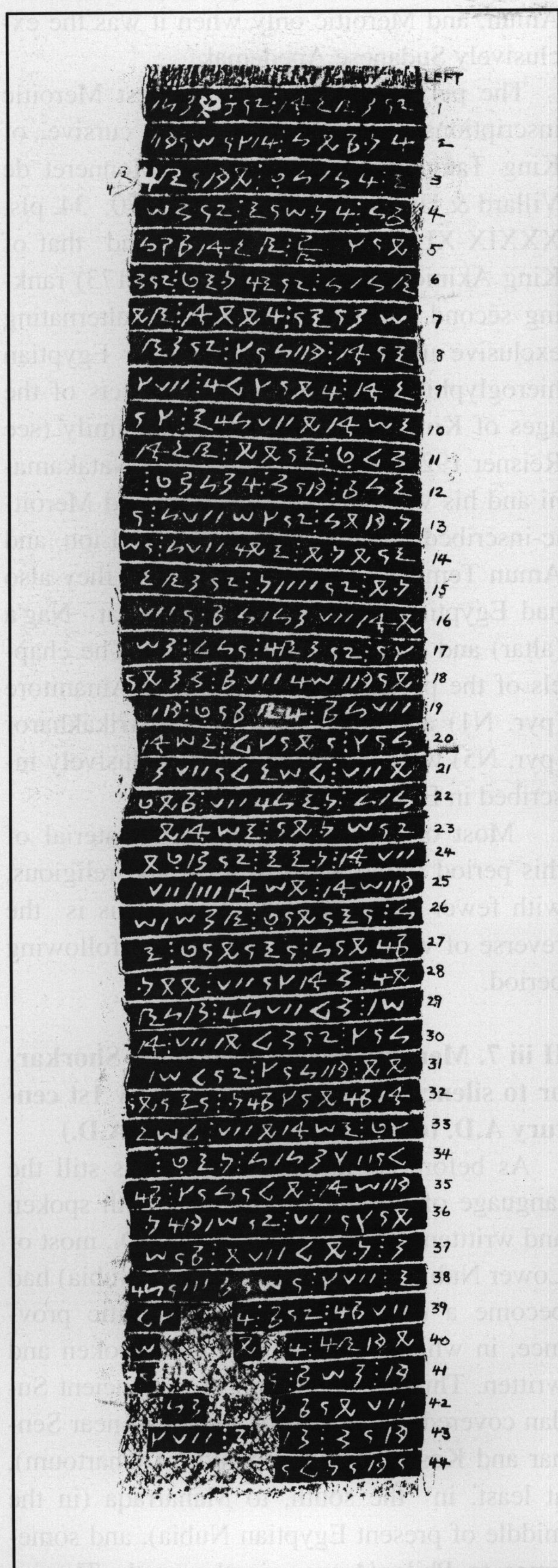


Fig. 4: The inscription of Tanyideamani, Boston MFA 23.736, from Jabal Barkal, Dunham 1977, 16, pl. XLI, C.

el walls, offering-tables, stelae and stone blocks, papyri, ostraca and diverse other objects.

Of great importance are the Meroitic graffiti of the so-called "Meroitic Chamber" in Philae (Griffith 1912: 34-42), as well as the Sudanese Demotic graffiti of the Dodecaschoenus (Griffith 1935-37).

The period is acknowledged to have been of relatively wide-spread literacy in Meroitic in the Sudan (for instance, Millet 1974). This can be attributed to the alphabetic nature of the Meroitic script, which was much easier to master than was the complex Egyptian writing system. Classical writers of the age stated that "the hieroglyphic script was more widely known to the vulgar in Ethiopia than in Egypt" (Crowfoot 1911: 32). But they were not specific, whether they meant the Egyptian or Meroitic hieroglyphic script. It is not improbable that they could have mistaken literacy in Meroitic hieroglyphics for the Egyptian, and thereby judged the *vulgar* (that is common and ordinary) Sudanese to be more literate in it than was any Egyptian. At any rate, testimony for relatively widespread literacy is in the high quality of both language and script of the texts found, the diversity of hand-styles, even in one and the same site (e.g. Meroë and Karang, in Griffith 1911b, 1911c). The excessive lengths of tails in the cursive script indicate that Meroitic cursive was extensively used in daily-life and on soft material, ostraca (Fig. 5) and papyri in particular, as proven from Qasr Ibrim, for instance. Long tails became so much a feature of the cursive script that they were maintained even in inscriptions on stone in Late Meroitic inscriptions (Fig. 6; and see Griffith 1911b: 143ff. too).

As previously (II iii 4), in this period too were "royal (i.e. government) scribes", such as *sẖ(w) n nsw n K3š* "King's/Royal (i.e. Government) Scribe(s) of Kush" (Ph. 409, 410: 10) of Sudanese Demotic graffiti from the Dodec-

later". Had this been the case, his monuments would have testified to such a praiseworthy achievement, by being inscribed in Meroitic, and not to Egyptian regeneration (Abdalla 1986: 154-155). Use of Meroitic would not have waited for the next period (II iii 6).

II iii 6. Meroitic period from husband of Shanakdakhete to King Shorkaror (from early 2nd century B.C. to early 1st century)

The relative meagreness of the inscribed material of this period retrieved does not discourage one from claiming this period to have been one of relatively high literacy and possibly multilingualism in the Sudan. Moreovere, it is the period of the inception and consequential universal adoption of the Meroitic script, of which the earliest evidence found, in Meroitic hieroglyphic, was the name of Queen Shanakdakhete (pyr. N11 ?. Fig. 1. Griffith 1911a: 66 Ins. 39, Hintze 1959: 36-37, Abb. 6). From then onwards, Meroitic became the second language that was both spoken and written in the ancient Sudan. Naturally, as the indigenous language, it would have been more widely spoken than Ancient Egyptian. Where the latter was written, it was a second language that was either only written, or both spoken and written, restrictedly at the time.

This period itself comprises the reigns of the owner of pyr. N8 (husband and predecessor of Queen Shanakdakhete ?), Queen Shanakdakhete herself (pyr. N11 ?), King Tayideamani (pyr. N20), Queen Nawidemak (pyr. Bar 6) and her son King Amanikhabale (pyr. N5), King Teriteqas with his wife Queen Amanirenas, King Natakamani (pyr. N22) with his wife Queen Amanitore (pyr. N1) and their son King Shorkaror (pyr. N10). King Natakamani and his wife Queen Amanitore outstandingly used Egyptian and Meroitic hieroglyphic alternately on their temples as befitting the deity involved; Egyptian or Meroitic when it was the jointly Egypto-Sudanese Amun, and Meroitic only when it was the exclusively Sudanese Apedemak.

The period produced the longest Meroitic inscriptions ever, and in Meroitic cursive, of King Tañyidemani (Fig 4; also Monneret de Villard & Hintze 1960, Dunham 1970: 34, pls. XXXIX-XLII also) ranking first, and that of King Akinidad (Griffith 1917: 159-173) ranking second. It also witnessed the alternating exclusive use of either Meroitic or Egyptian hieroglyphic on monuments or objects of the ages of King Natakamani and his family (see Reisner 1923b: 67-68). While King Natakamani and his wife Queen Amanitore had Meroitic-inscribed monuments at Nag'a (Lion and Amun Temples), Amara and Meroë, they also had Egyptian-inscribed monuments at Nag'a (altar) and Meroë (Amun Temple). The chapels of the pyramids of both Queen Amanitore (pyr. N1) and (their son) Prince Arikakharor (pyr. N5) were extensively and exclusively inscribed in Egyptian hieroglyphics.

Most of the Meroitic-written material of this period found was historical and religious, with fewer funerary inscriptions. This is the reverse of what shall be seen in the following period.

II iii 7. Meroitic Period after King Shorkaror to silence of records (from early 1st century A.D. to middle of 4th century A.D.)

As before (II iii 6), Meroitic was still the language of the Sudan, that was both spoken and writtten. By the 2nd century A.D., most of Lower Nubia (i.e. present Egyptian Nubia) had become a densely populated Meroitic province, in which Meroitic was both spoken and written. Thus the dominion of the ancient Sudan covered the area from anywhere near Sennar and Kosti (450 kms. South of Khartoum), at least, in the south, to Maharraqa (in the middle of present Egyptian Nubia), and sometimes to Philae/Aswan, in the north. The inscribed material consisted of temple and chap-

and probably other scribes were appointed.

From the reign of King Asoilto to that of King Sabrakamani, the evidence at our disposal for Egyptian decreases progressively, while the quality of Egyptian written itself is not uniform or consistent. Such progressive meagreness is not to be explained as being the result of increasing decline in proficiency in the language in question only, for one has to take into account three important factors. One is the universal and exhaustive plundering of ancient Sudanese burials at Nuri, Sanam, Meroë (South, West and North) and Barkal, not in modern, but in ancient, times. The second is the deterioration of chapel walls, bearing scenes and texts, of these burials. The third is that certain tombs of important rulers were in too bad a state for excavation, and still remain unexcavated. This explanation is applicable to the tombs not only of this period, but also of the following periods.

Nonetheless, and on the basis of the material available, the reign of King Amaninoteyarike (1st half of the 5th century B.C.) appears, somehow, to have been the water-shed in literacy in Egyptian of the period. The quality of Egyptian inscriptions of the same king, or around his age, varied from one inscription to another. To this latter period, of insconsistent quality of Egyptian, belong the famous inscriptions of Harsiyotef and Nastasen (Schäfer 1901, 1905), of which authors are generally accepted to have been Sudanese, with knowledge of Egyptian (see Schäfer 1901: 61-71 on the language of Nastasen's stela).

By the time of King Aryamani and King Sabrakamani, ability to compose intelligible Egyptian in the Kingdom of Kush had obviously been lost. This is clear in the inscriptions Kawa XIV and XV, of the former king, and Kawa XIII of the latter, early in the 3rd century B.C. (Macadam 1949a, text: 68). Their authors were presumably Sudanese, with inadequate knowledge of Egyptian. But soon afterwards, followed a period of Egyptian revival, which is the next.

III iii 5. Meroitic Period from King Arikakamani to the owner of pyramid N9 (King Tabirqo/Adikhlamani; from early 3rd century B.C. to beginning of 2nd century B.C.).

The period from the time of King Arikakamani, early in the 3rd century B.C. to that of the owner of pyramid N9, proposed to be either King Tabirqo or King Adikhlamani, of the beginning of the second century B.C., spans the century preceding the inception of Meroitic writing. It comprises the reigns of Kings Arikakamani (pyr. S6) and Amanislo (pyr. S5). Queens Bartare (pyr. S10) and Amniïtekha (pyr. N4), Kings Arnekhamani (pyr. N.5 ?), Arqomani (Ergamenes ; pyr. N7) and Tabirqo/ Adikhlamani (? pyr. N9). It was characterised mainly by detailed decoration of the walls of their chapels and, sometimes, burial chambers with good quality Egyptian scenes and well-written Egyptian texts (Reisner 1923b: 40-43, Dunham 1957). To these may be added various other inscribed objects. Additionally, one has the Lion Temple of King Arnekhamani (Hintze 1962, 1971, 1993). It was a period of regeneration of Egyptian styles and language. The Egyptian language used was of the Ptolemaic period.

Owing to the evident association of the period with Egyptian regeneration, I wish to dissociate King Arqomani's (Ergamenes') age from the invention of Meroitic writing. This is against the old, now abandoned, view, pioneered by Lepsius (18 : cxxiv) and sustained by Griffith (1912: 24), that it was probably during the reign of this king that "the Meroitic alphabet was invented and the native language employed in writng instead of the barbarous Egyptian of the priests, which, however, continued in use for religious purposes till long

written for them on their monuments. Such have been the cases of Djehuty-hotpe and his brother Amenemhe of Debeira, who bore Egyptian names, whereas their parents had indigenous names (see Säve-Söderbergh 1963: 171 on family).

Thus, it is perhaps safe to assume that, both Ancient Egyptian and the ancient Sudanese language, now known as "Meroitic", were spoken at one and the same time, and that only the former of them was written.

II iii 3. First Napatan, 25th Dynasty and Second Napatan Periods from King Kushto to King Anlamani (c. 770-623 B.C.)

From this period onwards, one can speak with lesser difficulty than before about languages and literacy in the ancient Sudan. At the start, one can say authoritatively that the native language of the period was definitely the one now known as "Meroitic"(see Macadam 1949b: 140, Leclant 1969-1970: 199, Priese 1968: 165, Abdalla 1969: 20-21, 1977: 18-20). It was spoken, but not written. Obviously, and as a result of the circumstances of the earlier periods, a larger number of Sudanese, than previously, would have spoken, written and read Egyptian. The kind of Egyptian used in the Sudan then, and as described in II ii 1 above, was a form of 18th Dynasty Egyptian. This, itself, was a continuation of Middle Egyptian, and, therefore, finer in quality than Late Egyptian used in Egypt of the time itself (see, too, Macadam 1949a: xiii).

The best existing specimens are the inscriptions on the monuments, stelae, offering-tables, ushahbtis, ornaments, etc. of Kushto, Piye (Pi'ankhy in older reading), Tarqo (Taharqa in older reading), Tanwiteamani (Tanwetamani in older reading), Analamani Schäfer 1901, 1905, Budge 1912, Breasted 1906, Dunham 1955, 1970, Macadam 1949a, Leclant 1970, Grimal 1981).

II iii 4. Second Napatan and Meroitic Periods from King Aspilto to King Sabrakamani (c. 593 to early 3rd. century B.C.)

This period may be devided into two. One, from King Asoilto (widely read Aspelta), full-brother and successor of Analamani, to King Amaninoteyarike (c. 481-405 B.C.). The other, thereafter to King Sabrakamani (c. 280-270 B.C. ?). During all this period, Meroitic was the spoken, but not written, native language. Ancient Egyptian was still spoken, though not universally, and also written by elite Sudanese.

From the Dedication Stela (Ded. St.: 19. Schäfer 1895, Budge 1912: 105-112) of King Asoilto, one learns of the existence of a scribe of the Egyptian language, in *sš mdw-nṯr* "Scribe of Egyptian (lit. Sacred Utterance)", who was an official of high rank, fourth in the list of fifteen high-ranking witnesses to the Dedication in question. Unfortunately, the scribe's name is now damaged. So, one is not sure whether he was Sudanese or Egyptian, by name at least. Besides him, and among the same witnesses, were two scribes, with Sudanese names, of whom one was *hry* sš n K3š "Chief Scribe of Kush", Mlowibeamani (Ded. St. 7), and the other was sš nsw šnwt "King's/Royal (i.e. Government) Scribe of the Granary" Tokelto (Ded. St. 7-8). A third was *sš nsw 'imy-r šnwt* "King's/Royal (i.e. Government) Scribe, Overseer of the Granary" Khonsirdis (Ded. St. 7). The last could have been Sudanese with an Egyptian name. If not all, at least definitely two, of these four scribes are Sudanese by names; namely the second (Mlowibeamani) and third (Tokelto). The existence of, at least, the two definitely Sudanese scribes is clear evidence of the existence of high-ranking Sudanese literate in Ancient Egyptian.

Moreover, in *sš mdw-nṯr* "Scribe of Egyptian", it is suggested that there could have been a special department of Egyptian composition, responsible for documentation, in which all these

mer and Piye in the latter. For me, it is only Piye. Its first component is found written in Kushite (Meroitic) as *ap/p/pē /pī-* (conventional *ap/p/pe/pi-*). In its meaning of "life, living", or the like, this component has proved to be very useful for me in deciphering a number of Meroitic words and personal names that gave suitable senses relating to the meaning given to the component. These shall see the light shortly.

II iii 1. Indepndent Kush of the time corresponding to the Egyptian Second Intermediate Period (c. 1675-1555 B.C.)

It is virtually impossible to say definitively what indigenous language the ancient Sudanese spoke during this period, or the extent to which any of them were literate in Egyptian, the only language of the Nile Valley written at the time. All that one can do, perhaps, is to assume, and within reason, that in the ancient Sudan of the time, the only, or main, indigenous language spoken was the one later known as "Meroitic". One would also assume Egyptian to have been spoken by certain Sudanese in the northernmost regions of the Sudan that were in contact with Egypt and familiar with individual Egyptians.

When it comes to literacy, the question becomes even more complex and hypothetical. However, one would find it too difficult to accept the notion that no ancient Sudanese would have been literate in Egyptian, the only written language of the Nile Valley at the time.

It would be expected that certain ancient Sudanese would have been literate in Egyptian, if not at certain times during the period in the ancient Sudan corresponding to the Egyptian Middle Kingdom, at least during the Egyptian Second Intedmediate Period.

The presence of such Egyptian notables as Ka, the uncle, on the mother's side, of I'ahwosre (Khartoum 18) and as Sopdhor (Philadelphia 10984) in the service of the kings of Kush (II I above) during the period in Kush corresponding to the latter part of the Second Intermediate Period (16th and 17th Dynasties), would suggest the presence of some Sudanese both versant and literate in Egyptian, with whom such notable employees communicated.

Since the kingdom in which such expatriates worked would have had some of its affairs involving them conducted orally, then Egyptian, to a limited extent at least, could have been used orally for the execution of such affairs. One should not overlook the possibility that certain affairs could have been conducted in written Egyptian.

Kamose's inscription proves the existence of close and friendly contacts between the Hyksos King Apophis (16th Dynasty) and the father and predecessor of the new Kushite king of the said inscription, in which exchanges were made in Egyptian; as was the case of the Hyksos letter claimed to have been captured and quoted by Kamose in the said inscription. Thus, there must have been some individual, or individuals, in the Sudanese courts who were able to read and reply to correspondance in Egyptian.

II iii 2. Northern Kush under Egyptian occupation of the New Kingdom (c. 1550-1110 B.C.)

During the 18th Dynasty, Egyptian occupation of northern Kush would have increased familiarity with Egyptian in Kush. It was the mother-tongue of the "King's Son of Kush", the non-royal Egyptian personnage administering the territories under Egyptian control. Many of such personnages had their own inscriptions, conducted local affairs and communicated with the Egyptian court in Egyptian. At the same time, Egyptian acculturated Sudanese would have used Egyptian, at least as a spoken, if not written, language too. They would also have had Egyptian inscriptions

where a vowel was to be inserted.

On my part, and as explained above, I have propsed the substitution of Griffith's *e*, *i* and *ê*, with long vowels ē, ī and ū, consecutively (Fig. 3.2-4), and his tê and te with tū and tē (Fig. 3.5-6).

Figure 3 (below) summarizes Griffith, Macadam, Hintze's and my modifications of Griffith's standard values of *z, e, i, ê, tê, te,* ñ, š and s.

In the light of the above I wish to argue that the presence of the signs proposed collectively by Hintze and Griffith to be for tê/to, te, ne and, se, though being (short open) syllables, cannot exclude the Meroitic writing system from being alphabetic. The presence of a handful of syllabic, or potentially syllablic, signs does not necessarily exclude any, otherwise fully alphabetic, writing system from being so. The Greek writing system, with its biliteral Ξ (ks) and Ψ (ps) for instance, is still alphabetic.

Even if all the consonantal signs of a script are also potentially syllables, the system will still remain fully alphabetic. The old Semitic writing system in all its versions is a case in point (Phoenician, Aramaic, Old Hebrew, Moabite, North and South Arabian, Ethiopic before Aezana, Nabataean and unvowelized early Classical Arabic). Since neither short nor long vowels were expressed by the Semitic writing system in its early stages, then all its consonants functioned as both consonants and syllables. Short and long vowels, though undelineated, were pronounced according to the convention of pronouncing the written word or words in question. Despite the dual function of consonants, the system is alphabetic. With time, long vowels came gradually into being, for ī and ū only. Long vowel ā, remained unexpressed. The sign for a remained as a consonont, and was never used as a vowel. Such, I believe, is the case of the Meroitic script, which followed the Semitic pattern at its latter stage.

As I see it, the Meroitic script is alphabetic, with few signs (5) capable of being syllables. It does not express short vowels. Of the long vowels it has signs for ē, ī and ū Griffith's standard *e, i* and *ê* are my ē, ī and ū, consecutively. Thereby, his te and tê will be my tē, and tū, respectively.

II iii. Chronological Survey Ancient Egyptian and Meroitic in the ancient Sudan

Next is the survey of language and literacy in the ancient Sudan during the periods listed in section II i above.

It shall be noticed below, that I have occasionally departed from the usual convention of writing Kushite personal names. This departure was deliberate, whenever found justifiable. Owing to the fact that the names of Kushite kings and queens from Aror (Alara, in older reading) downwards, with the exception of Harsiotef, were definitely in the Kushite language now known as Meroitic, I have transcribed such names as "Meroitic", whenever that was justifiable meroitically. This view is demonstrated in various of my papers (e.g. 1974b, 1977, 1999). Thus, **t3-n-w3-tī** in Tanwiteamani is a variant with *-t-* instead of *-d-* of proper Meroitic *tn-ye-wi-de* Ins 96 1-2, which is increased over it with medial -ye- (More in Abdalla 1977: 27). Perhaps *-n-* of the former is pronounced *-n-ye-*, of the latter. In the light of the above, in my use of *-wite-*, in which *-i-* is to be understood as being long, instead of *-wet-* in writing Tanwiteamani, I have departed from conventional Tanwetamani.

The name Piye (Pi'ankhy, in older reading) is unique. I still believe that Priese's analysis of it (1968) is correct and sound, and that the name is written in such a way as to be read and understood in both languages, Egyptian and Kushite (Meroitic); Pi'ankhy in the for-

Griffith's standard Values		Modifications Griffith	Macadam	Hintze	Abdalla
1.	*z*		*d*		
2.	*e*				*ē*
3.	*i*				*ī*
4.	*ê*	*o/u* (possibly)	*ē*	*o*	*ū*
5.	*tê*	*to/tu* (accordingly)	*tē*	*to*	*tū*
6.	*te*				*tē*
7.	*ñ*	*ne*		*ne*	
8.	*š*	*se*		*s*	
9.	*s*			*se*	

Fig. 3: Griffith's standard values of certain signs and proposed or adopted modifications thereof.

322.2, 197: 74.2) that "Every consonant, which is written without a vowel sign, signifies Cononant + vowel *a*".

The third point is that in his authoritative and convincing discussion of Meroitic signs, Griffith (1916: 117) concluded that (a) ñ = n followed by *e* (Fig. 3.7) and that (b) it was probable however that *s* = š followed by *e* (Fig. 3.9).

According to the last point, with Griffith's two already known open syllables te and *tê* (two last but two of the alphabet above), one would have four open syllables; namely *tê* , *te, ne* and še (Fig. 3.5-7, 9).

The fourth point is that the writing in Griffith's opinion (1911a: 22) "indicates that the language consisted mainly of open syllables commencing with a consonant", and that "there were closed syllables, as is shown by the Greek transcriptions Ἐργαμένης and Κανδάκη".

Macadam (1949a: 94), on the other hand, adopted d and ē for Griffith's z and ê respectively (Fig. 3.1,2).

In a study that was published twice (1973, 1974), Hintze pointed out a number of things, of which three shall be presented and discussed here.

The first thing is how "the additional observations and considerations, which Griffith published in his Meroitic Studies 1916", of which are the above, " have not been used systematically", and thus set out to reconsider these and propose modifications. Of Griffith's points above, (1) of *o/u* for *ê* (first point), he adopted *o*, (2) accepted *ne* for *n* third point, a) and (3) diverged by making *s* = *se* and š = *s* (third point, b). His divergence is his only new thing.

The second thing (1973: 322.12, 1974: 74.1), already pointed out, is his statement that "Every consonant which is written without *a* vowel sign signifies Consonant + Vowel a". This echoes Griffith's second point, but emphatically and conclusively. At the same time, it has its refutation in Griffith's second point itself, where he stated how impossible it was "to decide in most cases where a vowel is to be inserted, and some other vowel than a may often be required".

The third point is his statement (1973: 322.2, 1974.74.2) that all Meroitic letters denote syllables. This, too, runs against Griffith's correct point 2, in which he stated clearly how impossible it was to decide in most cases

Such a vowel, as Griffith himself already observed, need not necessarily be short vowel *a*. It does not express short vowels. Where vowels are expressed, these are long vowels ē, ū and ī. Vowel *a,* short or long, is unexpressed.The argument for Semitic influence on the Meroitic writing system is clearly evident in certain features that are un-Egyptian, at the time when Egyptian influence was to be expected and taken as a fact, as was done by Schäfer (1895) and Erman (1897), and were led astray. Such Semitic features are: (1) the direction of most of the hieroglyphic signs to the end of the line, in the Old Canaanite fashion, rather than the beginning of the line, as was in Egyptian, (2) the use of a word-divider and (3) non-use of the sign of consonantal *a* (aleph) as a vowel.

Here four points made by Griffith about Meroitic and its alphabet need to be made, for their usefulness (see also Fig. 3 at the same time).

The first point, as stated by Griffith (1916: 121), is that there was "cogent evidence for an o/u value" for his *ê* (Fig. 3.4). Further evidence for this was given by him shortly after (1916: 122).

The second point is that he (1911a: 16) stated how in his transcriptions (sic!) he frequently supplied *a* where no vowel was marked. He, at the same time, admitted that "it was impossible to decide in most cases where a vowel is to be inserted, and some other vowel than a may often be required". Thus, there is no justification for Hintze's statement (1973:

TABLE OF
THE MEROITIC ALPHABETS

initial aleph or *a*	*l*
e	*ḫ* (*kh*)
ê	*ẖ* (*kh*)
i	*s*
y	*š* (*sh*)
w	*k*
b	*q*
p	*t*
m	*te*
n	*tê*
ñ	*z*
r	stop to separate words.

Fig. 2: The Meroitic hieroglyphic and cursive alphabet and standard values according to Griffith (1911b: 49).

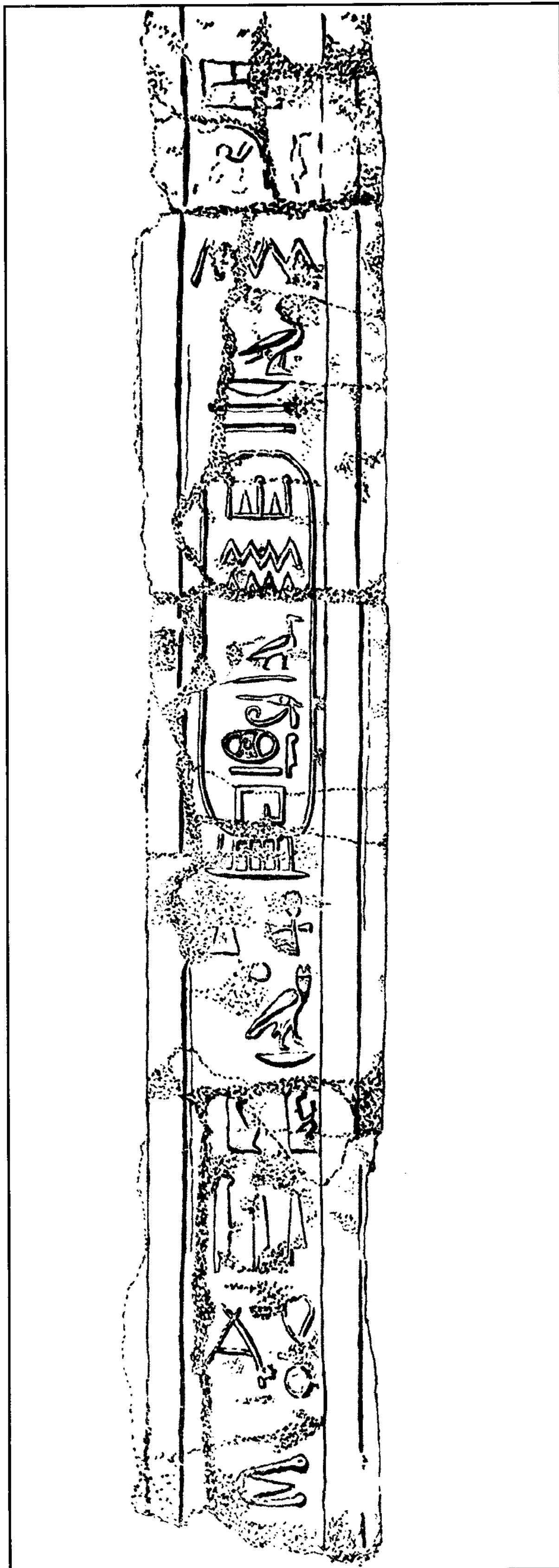


Fig. 1: The inscription Ins 39, of Queen Shanakdakhete, Temple F, Meroë, Hintze 1959: 37, Abb. 6.

had her name written in Meroitic hieroglyphic in the middle of an otherwise Egyptian hieroglyphic inscription (Fig. 1; also Griffith 1911b: 66, Hintze 1959: 36-37). Subsequent evidence showed that the language was alphabetically written in two scripts, one hieroglyphic and the other cursive (Fig. 2, and Griffith 1911a: 3-31 & Abdalla 1986: 87-110). Both scripts availed themselves of their Egyptian counterparts; the hieroglyphic from the hieroglyphic and the cursive from Demotic. It was Griffith (1909, 1911a, 1916) who convincingly deciphered the Meroitic scrips (Fig. 2) and a large number of words and phrases.

My description of the Meroitic writing system as being alphabetic is contrary to my previous, and long-held view (Abdalla 1986A.D./ 1406 A.H., in Arabic), that it was "incompletely alphabetic" or "semi-alphabetic". New lines of thought on my part made me believe that the Meroitic writing system was genuinely alphabetic, and on the Semitic pattern (Abdalla 1421 A.H./1992). Thus, short vowels are not expressed in the Meroitic alphabet, while the signs previously held for *e, i* and *o*, were proposed in this work to be for long vowels ā, ī and ū, consecutively. On second thoughts, I wish to replace ā with ē. Thereby, Griffith's *e, ê* and *i* would be my ē, ū and ī consecutively (Fig. 3.2-4). In consequence, his syllabic tê and tū would be my *tu* and *te* respectively (Fig. 3.5-6). Thus, as seen by me and proposed here, vowel *a*, short or long as ā, and on the Semitic pattern too, is not delineated. Nor, on the same pattern too, is the sign for *a* (aleph) ever used as a vowel. It is always a consonant and at the beginning of a word. It does not begin a final or medial syllable in a word at all, unless such a syllable is preceded by the word-divider extraordinarily falling in the middle of the word involved. Thus, as I see the Meroitic writing system, any consonant of it, and on the Semitic analogy, is also potentially a short open syllable, or consonant and short vowel.

the owner of pyramid N9 (King Tabirqo/ Adikhlamani; from early 3rd century B.C. to beginning of the 2nd century B.C.);

6. Meroitic period from husband of Shanakdakhete to King Shorkaror (from early 2nd century B.C. to early 1st century A.D.);

7. Meroitic Period after King Shorkaror to silence of records (from early 1st century A.D. to middle of 4th century A.D.)

II ii. Ancient Egyptian and Meroitic

Below shall be a brief introduction of each one of Ancient Egyptian and Meroitic, the two languages of the survey.

II ii 1. Ancient Egyptian

Ancient Egyptian is the name of the language used by the Egyptians in ancient times, down to the Coptic Period. But in the latter it was more or less a Graeco-Egyptian language, known as Coptic. It was Ancient Egyptian with a large number of Greek loan-words, written in a different, fully alphabetical, script of 32 letters. Twenty-four of them were Greek and seven Egyptian, in their Demotic forms (Steindorff 1951: 8, 20-21, ff.) for detailed derivation).

Before the Coptic stage, Ancient Egyptian passed through three main periods of development, corresponding to the periods of Egyptian political history. In theory these are Old Egyptian, of the Old Kingdom; Middle Egyptian of the Middle Kingdom; and Late Egyptian of the New Kingdom. In practice, these stages did not begin and end with their respective ploitical periods. Thus, Middle Egyptian, for instance, exceeded the Middle Kingdom, and survived into the 18th Dynasty of the New Kingdom.

The earliest specimens of Ancient Egyptian documented from ancient Sudanese annals are of a form of 18th Dynasty Middle Egyptian (see Macadam 1949a: xiii). That was at the time when any form of Middle Egyptian had long ceased to be used in Egypt itself. As is clear in an important study by Priese (1972), even two styles of it could be distinguished; what he called "Kawa style" and "Napatan style", named after two important ancient Sudanese centres. The former is a famous site, a religious centre, with massive temples, while the latter was the capital of the ancient Sudan immediately before and after the Sudanese conquest of Egypt and establishment of its 25th Dynasty, that lay in a very important archaeological region.

Ancient Egyptian was the language of the inscriptions of the earliest Kushite rulers and personnages. It remained in use in the Sudan down to the 4th centrury A.D., even during the times when Meroitic came into use, as a written language, in the 2nd century B.C. The Egyptian writing system was complex (see, for instance, Gardiner, 1957: 6-10 and (Abdalla 1995). It consisted of ideograms (word-signs), phonograms and determinatives, all used at the same time, whether the script was hieroglyphic or cursive (hieratic or demotic). Ideograms were word-signs, of which each sign was a word with one, or more than one, meaning. Phonograms were mere sound signs, of three categories; alphabetic, mono-syllabic and multi-syllabic. Determinatives were ideograms originally, added to words to explain their meanings.

II ii 2. Meroitic

The Kushite language, best-known as Meroitic, was the language of the ancient Sudanese. Sporadic evidence of it is found in Kushite personal names in Egyptian inscriptions from the Egyptian New Kingdom and Late Period. The most expressive evidence is the name of ancient Sudanese King Kushto, which meant "The Kushite" and is Kushite (Meroitic), in both of content and construction.

The earliest written instance of Meroitic dates to the 2nd century B.C., to the reign of Queen Shanakdakhete, whose short inscription

Saite-Kushite hostilities and Saite threat of Napata, proven true by Psammetik II's attack of Napata in 591 B.C. (Sauneron and Yoyotte 1952), is most plausible and needs to be more justly examined and adopted. Before such an attack, in the last year of King Analamani, Kushite troops led by Aspilto had already set out for Egypt before they were recalled at the Holy Mountain (Jabal Barkal) by the sudden death of Analamani, as reported on Aspilto's Election (better Selection) Stela (text in Budge 1912: 89-104). Then, this aborted move was followed by Psammetik II's attack on Napata in 591 B.C. Such an atmosphere of mutual hostilities perhaps made royal residence in Napata precarious, and its presence in Meroe, farther south, safer. It is then that the capital was transferred to Meroe. I am aware of the convention among Sudanologists, adopted in Berlin 1971 (of which I was party), that the transference of the royal burial to Meroe in c. 300 B.C. be taken as the beginning of the Meroitic period. This was a convention, not fact, that runs contrary to historical truths and reason.

It is a well-known historical fact that Herodotus, when he was in Egypt c. 450 B.C., spoke of Meroe as being the capital city of all other Ethiopians (II.29). By "other Ethiopians" was meant those dark-skinned people farther south, and not adjoining the Egyptian frontier. This explicit evidence is implicitly corroborated by passage IX: 5 in the inscription Kawa IX of Amaninoteyerike, who describes how his predecessor King Talakhamani had died "in his palace in Meroe" (Macadam 1949a Inscriptions, Texts: 51, Plates: Pl. 22). Talakhamani's regnal years are c. 423-418 B.C. according to Reisner (1923: 75), c. 439-435 B.C. according to Dunham (1957: 6) and 435-431 B.C. according to Hintze (1959: 23). Irrespective of their disagreements, these dates are all after the middle of the 4th century B.C. and not much later than Herodotus' time in Egypt.

These two historical truths prove that Meroe was capital and royal residence in the 5th century B.C. On the basis of Herodotus' statement, it should have come to be capital much earlier than his time in Egypt, so as to be established as such by his time. The disparity between convention and the historical truths would make Meroe the capital of Kush and royal residence in c. 450-418 B.C. (at latest), according to the evidence presented, but about 150-118 years outside and before the Meroitic period had begun c. 300 B.C. according to convention. This sort of thing is contradiction, not only in terms, but also in logic. Therefore, irrespctive of convention, I maintain the view that the Meroitic period began c. 591 B.C., while the royal burial continued in Nuri, until such a time, and for reasons unknown to us, as it was thought fit to transfer it to Meroe.

After the political periodization given, there will be periodization of the literary history of the ancient Sudan, correponding not to political events but to the kind of written material available and possible extent of literacy. It begins with the first mention of *hk3 n* K3š "King of Kush" in ancient intelligible records and ends with the silence of such records about Kush. So that this literary periodization be well understood, it is perhaps necessary to familiarize the reader with the political and historical periodization itself. This, in brief, is as follows:

1. Independent Kush of the time corresponding to the Egyptian Second Intermediate Period (c. 1675-1555 B.C.);
2. Northern Kush under Egyptian occupation of the New Kingdom (c. 1550-1110 B.C.) ;
3. First Napatan, 25th Dynasty and Second Napatan Periods, from King Kushto to King Anlamani (c. 770-593 B.C.);
4. Second Napatan and Meroitic Periods from King Aspilto to King Sabrakamani (c. 593 to early 3rd. century B.C.);
5. Meroitic Period from King Arikakamani to

pia" and "Tarcos, King of Ethiopia" in its Greek and modern European language versions. Both of "Tirhakah" and "Tarcos" here are renderings of Sudanese "Tarqo". Other supporting instances of "Kush/Ethiopia" and "Kushites/Ethiopians", in different contexts, occur in Isiah 18: 1-2, 7, 20: 3-5 and 2 Chronicles 16: 7-8, "Kush" persisted as the name of the land of the Sudan after Kushite loss of Egypt (c. 664 B.C.), during the main subsequent periods of ancient Sudanese history known as the Second Napatan Period (660 - 481 B.C.) and Meroitic Period (481 B.C. - 350 A.D.). It is partiuclarly evident in ancient Sudanese records of the period, written in Ancient Egyptian. To this period belongs the explicit mention in ancient Sudanese inscriptions of *nswt n* K3š "king(s) of Kush" and *nsyt n* K3š "kingship of Kush" (Abdalla 1989: 878-879). Evidence for the former is in the Election Stela (El. St.: 12, 22. Budge 1912: 89-104) of King Asoilto in Egyptian hieroglyphics, and Sudanese graffiti (Ph. 409, 410: 7, 421: 15. Griffith 1935-37) in Demotic from the Dodecaschoenus. Evidence for the latter is on the same Election Stela (El. St.: 13) cited.

National filiation to the land is evident in personal names borne by indigenes, royal and non-royal. But for one, all such instances are in Ancient Egyptian. These are masculine P3-K3šy and feminine T3- K3šyt "The Kushite", borne by males and females respectively, and *P3y-n-K3š* "The One of Kush", borne by males (Lüddeckens 1977 also). The exceptional instance is K3što "Kushto" (widely read, Kashta). In fact, it is most significant of them all, on two counts. One is its being in the ancient Sudanese (Kushite) language, now known as Meroitic, and meaning "One of Kush", that is "The Kushite". The second is that it was borne by an ancient Sudanese (Kushite), who was also the first ancient Sudanese ever known to conquer part of Egypt and bear the well- known Egyptian (later on, also Sudanese) title of "King of Upper and Lower Egypt" (see Leclant 1963).

So that one may follow the periodization of the literary history of the Sudan made below, it is perhaps essential to introduce the main periods of the political history of the Sudan, beginning with the first mention of *hk3 n K3š* "Ruler of Kush (i.e. King of Kush)" in ancient intelligible records and ending with the silence of such records about Kush. These periods, as I see them, are:

1. Independent Kush of the Egyptian Second Intermediate Period (c. 1675- 1555 B.C.);
2. Northern Kush under Egyptian occupation of the Egyptian New Kingdom (c. 1550-1110 B.C.);
3. First Napatan Period. This includes the reigns of Kushto (Kashta in older reading) and Piye and before. This witnessed the conquest of Upper Egypt under the former and most of Egypt under the latter, with the Kushite king residing in Napata; hence its designation with the First Napatan Period, as being distinct from the Second Napatan Period (5 below), that was after the 25th Dynasty;
4. 25th Dynasty, during which Kushite kings beginning with Shabako resided in Egypt, from which they ruled both Egypt and Kush (the Sudan). It practically ended with King Tanwiteamani, the fourth king of the 25th Dynasty;
5. Second Napatan Period. Right after King Tanwiteamani down to the reign of Aspilto (Aspelta in older reading), when the capital is believed to have been transferred to Meroe (c. 591 B.C.);
6. Meroitic Period, from c. 591 B.C. to the silence of intelligible ancient sources about Kush (c. 4th century A.D.).

It is seen that I have dated the beginning of the Meroitic Period at c. 591 B.C. This is not a new idea. One of its earliest publications is Arkell's (1973 repr.: 145-146, to cite one early source). The association of the event with

tively). The first of the three inscriptions (Khartoum 18) named the king at the time as being Nd̲h (read Njh). He is the first Kushite king (*hk3 or nsw*) ever known by name. That *hk3*, in these particular inscriptions, stood for "king" and not a mere ruler, is proven by the fact that this was the same word found on the stela of Egyptian 17th Dynasty King Kamose, in which it was referred to him as *hk3 n Kmt* "Ruler (i.e. King) of Egypt", to his Hyksos adversary Apophis II, as *hk3 n Hwt-w'rt* "Ruler (i.e. King) of Awaris (Avaris)", and to the newly arisen Kushite as *hk3 n* K3š , who will be "Ruler (i.e. King) of Kush" on their analogy (Smith & Smith, op. cit.: 68-69). But both of Kamose and Apophis II are aknowledged kings of their respective parts of Egypt, sharing the land together; the former as the last king of the 17th Dynasty, in Upper Egypt, and the latter as the last king of the Hyksos 16th Dynasty, in Lower Egypt. Thus whatever was meant by *hk3*, "ruler", "king" or both here, the Kushite was, de facto, of the same status (i.e. king) as that of both of the Hyksos and Egyptian well-known kings, his contemporaries.

Moreover, it is clear from Kamose's stela, that the king of Kush at the time had just aceded to the Kushite throne after his deceased father, who had been a good friend and potential ally of the Hyksos king. Thus, that king was one of a series of Kushite kings.

That more than one Egyptian official was in the service of one *hk3 n* K3š "King of Kush" or other of the same period (Khartoum 18, Philadelphia 10984) proves (1) that the presence of an independent kingdom of Kush was accepted as being normal in the opinions of Egyptians, and (2) that Egyptian notables not only served in it, but also felt so proud of having done so to the satisfaction of the king of Kush (Philadelphia 10984: 9), their employer, that they had this fact documented in their annals.

The occupation of Northern Kush by Egypt in the 18th Dynasty of its New Kingdom ended the threat to Egypt by "vile Kush". But Egypt did not control all Kush, nor was the part of it under occupation completely docile. It was frequently rebellious.

The decline of Egypt during the Late Ramesside Period, particularly from Ramesses V in the 20th Dynasty, paved the way for Kushite independence and eventual conquest of Egypt and formation of the 25th Dynasty. This dynasty was described by Manetho as being "Ethiopian", meaning "Kushite/Sudanese", with nothing to do with present Ethiopia. It is significant, and as will be pointed out later on, that the first Kushite king documented as "King of Upper and Lower Egypt" (Leclant 1963: 74-81) is named Kushto (widely written Kashta), which means "The Kushite" in the ancient Sudanese language, now best known as "Meroitic". By their formation of the 25th Dynasy of Egypt (747-664 B.C.), the kings of Kush, became kings of both of Egypt of and the Sudan; that is, of the Nile Valley, in the true sense of the word. This is attested in Assyrian *shar Musri wa* Qūsi "King of Egypt and Kush" used by Essarhaddon and Ashurbanipal, in reference to their contemporaries Tarqo (widely read, Taharqa) and his nephew and successor Tanwiteamani, of the 25th Dynasty (Luckenbill 1924, 1926: 293-297, King 1901: 153-168). Noteworthy is the writing of the name of Kush with *q (*qāf*)* instead of the familiar *k*, and *s* instead of š . The former is always used in Kushite (Meroitic) for writing the same place-name as qeš "Kush".

The Old Testament too, when narrating events of the same period in the Near East, in which Egypt of the Sudanese 25th Dynasty is involved, speaks of "Kush" and "Tirhakah, King of Kush", in its Aramaic, Hebrew (2 Kings 19: 8-10, Isiah 37: 8-9), and Arabic (الملوك الثاني ١٩: ٨-١٠، إشعيا ٣٧: ٨-٩) versions. These, unfortunately, are rendered with "Ethio-

Millet's text of Kharamadoye, in my opinion, are unjustifiable and must be untenable. I have cited Millet's attempt as a case in point, with no intention of detracting from his unquestionable scholarly abilities. I will still wait to see how the inscription is convincingly dated to the 5th century A.D., and what information, if any, it has on Kush that would make me change my statement above, which I have modified with the word "intelligible".

Thus, so far as information on Kush is concerned, the inscription of Kharamadoye, irrespective of its date, is as silent as dead. The reason is that it is as yet unintelligible, and no one is sure of its content. It cannot be proven that is has any specific information on any thing of Kush. Thus, the fact will remain that since the 4th century A.D., intelligible sources are still silent about Kush,

II. Kingdom of Kush, Ancient Egyptian and Meroitic and Literacy

II i. Kingdom of Kush

"Kush" is the indigenous name of the land that lay to the south of Egypt in antiquity. Its earliest appearance in historical records was in royal inscriptions of the 12th Dynasty (1991-1785 B.C.) of the Egyptian Middle Kingdom. One of such inscriptions described an Egyptian invasion of Kush that claimed to have reached its southern boundary, capturing all its towns, and bringing all its inhabitants and cattle. Factual in describing the land as having towns and a southern boundary, the inscription is an exaggeration in saying that all the inhabitants and cattle were brought (to Egypt, naturally). The existence of towns, such as are mentioned in the inscription, and villages in Kush dates to long before that invasison. The Middle Kerma period (Kerma Moyen, c. 2000 B.C., Bonnet 1990: 43), partaking of both of the Egyptian First Intermediate Period and Middle Kingdom (Tableau chronologique, Bonnet 1990: 8), for instance, witnessed not only the growth of the town of Kerma to important proportions, but also the rise of cities and villages elsewhere in the North of the Sudan. Even before that, Yam, contemporary with the Egyptian Old Kingdom, is proposed to have probably had its capital at Kerma (Bonnet 1990: 11, citing Säve-Söderbergh 1941). Farther south, evidence for villages and large settlements is reported to have been found in the Butana (Marks et al. 1986; 47-49), dating to the middle of the 5th Millenium at least.

Back to the Egyptian Middle Kingdom, it is too well-known a fact that inscriptions of the Egyptian 12th Dynasty acknowledge the existence of "vile Kush (sic!)", as a hostile land beyond the Egyptian southern border. But they neither name any one as being specifically "king" thereof nor refer to the land as a kingdom. My attention has been drawn to intentionally broken statuettes from the 12th Dynasty, yielding the names of two "princes of Kush", a certain 3w33 (or 3w3w) and his son Wttrrss (Posener 1940). This does not negate my statement, for these are "princes", with unspecific capacities, and not "kings". It is only in the Egyptian Second Intermediate Period (1674-1553 B.C.), that there appears the first mention of a "ruler (i.e. king) of Kush". This, naturally, implied the existence of a "kingdom of Kush".

The Second Intermediate Period inscriptions of such Egyptian officials as I'ahwosre (Khartoum 18, from Buhen) and Sopdhor (Philadelphia 10984. both in Säve-Söderbergh 1949: 50-58) and of 17th Dynasty King Kamose (Smith & Smith 1976: 66-69,) collectively inform of the existence of a kingdom of Kush then, of which king was referred to, in all of them, as *hk3 n* K3š "Ruler of Kush (i.e. King of Kush)" (see Abdalla 1989: 876. In Egyptological convention, 3 = ā, dotted *h* and *k* = Semitic *h* and *q*, i.e. hā' and qāf, respec-

Consequently, justifiably and logically, one obtains the following two ancient Egypto-Sudanese/Muslim-Arab "Kush/ Bilād as-sūdān" and "Kushite(s)/Sudanese" equivalences. As a result, it will be quite poper to use the term "Sudan(ese)" as a substitute for "Kush(ite)" in this paper, wherever that was unobtrusive. In a recent joint-paper by the author and Yusuf Mukhtar El-Amin (Abdalla, and El-Amin, 2001 (in Arabic)), it is concluded how erroneous it is to use the words "Nubia" and "Nubians" as substitutes for "Kush" and "Kushites", and in consequence "Sudan" and "Sudanese". That is because of the late appearance of Nubians in the Sudanese historical scene, and of Nubia (Sudanese Nubia for that matter) being part of the Sudan, that cannot stand on a par with the whole area of the Sudan known as Kush in antiquity. This suffices for the land.

As regards literacy, what has been written on the subject is very little and tentative indeed (e.g. Millet 1974; Al-Hakem 1990). Here is the first of two new tentative attempts to do so, in which two ancient languages shall be Egyptian and Meroitic. This survey shall be chronlogical, from the beginnings of the Kingdom of Kush and the indications of languages and literacy therein, down to the 4th century A.D., the time at which intelligible ancient sources went silent about Kush. The next attempt shall deal with Proto-Bidāwī, Old Nubian and Arabic, and literacy in them, from the the 6th century A.D. onwards.

Section II of the present study falls into three main sub-sections. Of these, II i is introductory, dealing with the Kingdom of Kush, II ii briefly introduces the two languages in question, and II iii contains the chronological survey of the two languages, spoken, written, or both. Section III is the Conclusion.

Before going much further, I am informed of an objection to my dating the silence of ancient sources about Kush from the 5th century A.D. onwards, and of the advice that it must be replaced by the 5th century A.D. That was thought to be done, because, as was said, "Török has recently produced evidence that Kharamadoye's inscription at Kalabsha must be dated from the first half of the 5th century"; meaning 5th century A.D. First, it must be pointed out that by such sources one means convincingly datable and intelligible ones in which is definite information about Kush. Secondly, much as I would have been pleased to learn of any possibility of information on Kush after the date I gave, I cannot accept the reason given for changing it. My reasoning is as follows.

As a Meroitic language specialist and too familiar with the said inscription and its archaeological and historical contexts, I find it too hard to envisage how Török, with due respect to him, or any other Meroiticist, myself included, can produce conclusive evidence as to its date. Besides, even if the dating proves to be incontrovertible, what information does the inscription have on Kush? Who knows convincedly, and convincingly, what the inscription is about? This is an inscription, like any of the few other non-funerary and long inscriptions, that has proved to be too difficult to render with scientific satisfaction. All of us Meroitic language specialists, the relatively few in the field, have failed to make any advance over those cautious renderings of those few phrases in this long inscription (34 lines), ably made by Griffith more than 90 years ago (1912: 27-32). Millet's full rendering of the inscription presented at the Paris Table Ronde in 1972, was no sooner presented than detracted by him at the very time and place of presentation. He, at the time, never wished it to be used in citations, nor did he even have it properly published, so far as I know. Sadly, it is quoted here and there profusely, as decipherment. Thus any conclusions, not necessarily by Török, based on

Survey of Languages and Literacy in the Ancient Sudan (the Kingdom of Kush): (1) Ancient Egyptian and Meroitic

Abdelgadir M. Abdalla

Abstract. *The paper is on literacy in the ancient Sudan, known as Kush in ancient Egyptian, Sudanese, Assyrian and Hebrew sources, as well as Ethiopia in Classical sources. The paper starts with a prelude which introduces the first appearance of the kingdom of Kush, and its political and literacy periods. Next, both of the Egyptian and Kushite, best-known as Meroitic, writing systems are presented. In presenting the latter, the author insists that it is alphabetic despite the fact that it has a few signs in it that are syllabic. After the prelude, the author surveys the periods and extent of literacy in the ancient Sudan. In the conclusion, he distinguishes three phases thereof; namely,*
1. Exclusive use of Ancient Egyptian as the written language;
2. Alternate use of Ancient Egyptian and Meroitic as written languages;
3. Predominance of Meroitic as the written language.

I. Prelude

It is no easy task for any one to make an adequate survey of languages and literacy in the Ancient Sudan, the land that used to be known as "Kush" and "Ethiopia" in antiquity (on names of land see (Abdalla, and El-Amin 2001 (in Arabic)) .

The Greeks used the term Αθίοψ, -πος (ethiopian) "burnt face", (Liddell and Scott, abridged, 1963 edn. : 19) i.e. "black", to designate black-skinned peoples of the area from India in the east to the Atlantic Ocean in the west. Αθιοπία (Ethiopia), in that sense, is "land of the black(s)". When they, as well as Roman historians and geographers afterwards, spoke specifically of "Ethiopia" and "Ethiopians" to the south of Egypt, they meant the land, and ancient inhabitants, of the present Sudan. They also knew, as early as Herodotus in the middle of the 5th century B.C., that its capital at the time was Meroë (Herodotus II. 29. In Woolley & MacIver 1910: 55 n.†). That land was Kush of ancient Egyptian and Sudanese records. Its inhabitants were Kushites (II i below). Neither "Ethiopia" nor "Ethiopian", of the Classical writers, Old Testament and Christian works, has any thing to do with present Ethiopia and Ethiopians. Present Ethiopia adopted this name, much later on and early in the Christian era, so as to attribute to itself the land of this name, and personnages and events associated therewith in the Old Testament and Christian works.

Adopting the same Greek and Roman concepts, Muslim and Arab geographers rendered "Ethiopians" with Sūdān "blacks", which is the plural of the plural Sūd "blacks (too)", and "Ethiopia" with Bilād as-sūdān "Land of the Blacks". Also, when used specifically, the latter meant "Sudan" of the Nile Valley, of which inhabitants, in consequence, would be "Sudanese".

Thus, one has the two ancient Egypto-Sudanese/Greek "Kush/Ethiopia" and "Kushite(s)/Ethiopian(s)" equivalences, on the one hand, and the two Greek/Muslim-Arab "Ethiopia/ Bilād as-sūdān" and "Ethiopian(s)/ Sudanese" equivalences, on the other.

Issue No. 7 January 2003
ISSN: 1319-8947 (pp. 29 -48)

Neo-Lithics 2/99: 608.
Rollefson, G. O. 2001. "Jordan in the Seventh and Sixth Millennium B. C.". In: **Studies in the History and Archaeology of Jordan**, G. Bisheh (ed.), Vol.7: 95-100, Amman: The Department of Antiquities of Jordan.

Rollefson, G. O., Z. Kafafi and A. Simmons 1999. "The Neolithic Village of 'Ain Ghazal, Jordan: Preliminary Report on the 1988 Season", **Bulletin of the American Schools of Oriental Research Supplement,** 27: 95-116.

Schmandt-Besserat, D. 1998. "Ain Ghazal Monumental Figurines", **Bulletin of the American Schools of Oriental Research,** 310: 1-17.

Simmons, A. H. 1995. "Town Planning in the Neolithic. Is 'Ain Ghazal Normal?". In: **Studies in the History and Archaeology of Jordan,** G. Bisheh (ed.), Vol.7: 119-122, Amman: The Department of Antiquities of Jordan.

Simmons, A. H. 2001. "Core and Periphery Models during the Neolithic. Is the Analogy Appropriate?". In: **Studies in the History and Archaeology of Jordan**, G. Bisheh (ed.), Vol.7: 143-147, Amman: The Department of Antiquities of Jordan.

Simmons, A., Z. Kafafi, G. Rollefson and K. Moyer 1989. "Test Excavations at Wadi Shu'eib, A Major Neolithic Settlement in Central Jordan", **Annual of the Department of Antiquities of Jordan** 33: 27-42.

Simmon, A. H. and M. Najjer 1998. "Preliminary Report of the 1997-1998 Ghwair 1 Excavation Season, Wadi Feinan, Southern Jordan", **Neo-Lithics,** 1/98: 5-7.

Simmon, A. H. and M. Najjer 1999a. "Ghwair 1, An Exceptionally Well Preserved Pre-Pottery Neolithic B Community in Wadi Feinan", **Occident and Orient,** 5/1-2 : 30-32.

Simmon, A. H. and M. Najjer 1999b. "Preliminary Field Report of the 1998-1999 Excavations at Ghwair 1, A Pre-Pottery Neolithic B Community in Wadi Feinan Region of Southern Jordan", **Neo-Lithics,** 1/99 : 4-6.

Simmon, A. H. and M. Najjer 2000. "Preliminary Report of the 1999-2000 Excavation Season at the Pre-Pottery Neolithic Settlement of Ghwair 1, Southern Jordan". **Neo-Lithics,** 1/00: 6-8.

Singh, P. 1974. **Neolithic Cultures of Western Asia,** Harcourt Brace Jovanovich, New York.

Solecki, R. L. and R. S. W. Solecki 1997. "Grooved Stone from Zawi Chemi Shanidar, A Protoneolithic Site in Northern Iraq", **American Anthropologist,** 72: 831-841.

Waheeb, M. 1996. "Archaeological Excavations at Ras an-Naqab-Aqaba Road Alignment: Preliminary Report (1995)", **Annual of the Department of Antiquities of Jordan,** 40: 339-348.

Waheeb, M. and N. Fino 1997. "'Ain Jammam: A Neolithic Site Near Ras an-Naqab, Southern Jordan".In: **The Prehistory of Jordan II. Perspectives from 1997. Studies in Early Near Eastern Production, Subsistence, and Environment,** H. G. K. Gebel, Z. Kafafi and G. O. Rollefson (eds.), 4: 215-219.

Wasse, A. 1997. "Preliminary Results of an Analysis of Sheep and Goat Bones from'Ain Ghazal, Jordan". In: H. G. K. Gebel, Z. Kafafi and G.O.Rollefson (eds.), **The Prehistory of Jordan II. Perspectives from 1997. Studies in Early Near Eastern Production, Subsistence, and Environment** 4: 575-592.

Wechler, K. p. 1997. "Transverse Grooved Stones and the Neolithisation of Eastern Europe", **Neo-Lithics** 1/97: 18-19.

nal of the University of Jordan 23 : 135-151.

Mahasneh, H. M. 1997a. "A PPNB Settlement at es-Sifiya in Wadi el-Mujib". In: **Studies in the History and Archaeology of Jordan,** G. Bisheh (ed.), Vol.6: 227-234, The Department of Antiquities of Jordon, Amman.

Mahasneh, H. M. 1997b. "A Pre-Pottery Neolithic B Site in the Wadi el-Mujib". In: **The Prehistory of Jordan II. Perspectives from 1997, Studies in Early Near Eastern Production, Subsistence, and Environment,** H. G. K Gebel, Z. Kafafi and G. O. Rollefson (eds.), 4: 203-214.

Mahasneh, H. M. 1998. "Spatial and Functional Features of Area B in the Neolithic es-Sifiya, Jordan". In: **Central Settlements in Neolithic Jordan. Studies in Early Near Eastern Production, Subsistence, and Environment,** H.-D. Bienert, H. G. K. Gebel and R.Neef (eds.), 5: 77-95.

Mahasneh, H. M. 2001. The Neolithic Burial Practices in Wadi al-Mujib During the Seventh Millennium B. C. In: **Studies in the History and Archaeology of Jordan**, G. Bisheh (ed.), Vol.7: 121-141, Amman: The Department of Antiquities of Jordan.

Mahasneh, H. M. and H.-D. Bienert 1999. "Anthropomorphic Figurines from the Early Neolithic Site of es-Sifiya (Jordan)". **Zeitschrift des Deutschen Palastina Verieins** 115/2: 109-126.

Mahasneh, H. M. and H.-D. Bienert 2000. "Es-Sifiya, a Large Pre-Pottery Neolithic B Settlement in Southern Jordan". In: **Essays of the Archaeology, History and Current Affairs of the Middle East**, H-D. Bienert and B. Möller-Neuhof (eds.), pp. 1-14, Amman : The German Protestant Institute of Archaeology.

Mahasneh,H. M. and H.G.K.Gebel 1998. "Geometric Objects from LPPNB es-Sifiya, Wadi Mujib, Jordan", **Paleorient,** 24/2: 105-110.

McAdam, E. 1997. "The Figurines from the 1982-1985 Seasons of Excavations at 'Ain Ghazal", **Levant,** 39: 115-145.

Mellaart, J. 1975. **The Neolithic of the Near East,** Thames and Hudson, London. .

Najjar, M. 2001. "Towards a Commonly Accepted Chronological Framework of the Pre-Pottery Neolithic B Period in Jordan". In: **Studies in the History and Archeology of Jordan,** G. Bisheh (ed.), Vol. 7: 101-105, The Department of Antiquities of Jordan, Amman.

Nissen, H. J. 1990. Basta: 'Excavations of 1986-1989". In: **The Near East in Antiquity: German Contribution to the Archaeology of Jordan, Palestine, Syria, Lebanon and Egypt**, S. Kerner (ed.), Vol.1: 87-94, Amman: Al-Kutba Publishers.

Nissen, H. J., M. Muheisen and H. G. Gebel 1987. "Report on the First Two Seasons of Excavations at Basta (1986-1987)", **Annual of the Department of Antiquities of Jordan,** 31: 79-119, Amman.

Nissen, H. J., M. Muheisen and H. G. Gebel 1991. "Report on the Excavations at Basta 1988", **Annual of the Department of Antiquities of Jordan,** 45: 13-40.

Peterson, J. 2000. "Test Excavations at PPNB/PPNC Khirbet Hammam, Wadi el-Hasa, Jordan", **Neo-Lithics** 1/00: 2-4.

Powell, D. F. and J. Gervsoni 1999. "A Brief Note on the Projectile Points from Ghwair 1, Jordan", **Neo-Lithics** 3/99: 1-3.

Rollefson, G. O. 1992. "Neolithic Game Board from 'Ain Ghazal, Jordan", **Bulletin of the American Schools of Oriental Research** 286: 1-6.

Rollefson, G. O. 1996. "Spiele aus dem Neolithikum: Den Urprungen des Spiels auf der Spur", **Fachdient Spiel: Informtionsdienst des Deutschen Spiele-Archivs in Zusammenarbiet mit der Jury Spiel des Jahres**, Vol. 5/96: 22-28.

Rollefson, G. O. 1997a. "Changes in Architecture and Social Organization at 'Ain Ghazal". In: **The Prehistory of Jordan II. Perspectives from 1997. Studies in Early Near Eastern Production, Subsistence, and Environment,** H. G. K. Gebel, Z. Kafafi and G. O. Rollefson (eds.), 4: 287-308.

Rollefson, G. O. 1997b. "Neolithic 'Ain Ghazal in its Landscape". In: **Studies in the History and Archeology of Jordan,** G. Bisheh (ed.), Vol. 7: 241-244, The Department of Antiquities of Jordan, Amman.

Rollefson, G. O. 1998. "The Aceramic Neolithic of Jordan". In: **The Prehistory of Jordan**, D. O. Henry (ed.), BAR International Series no. 705, pp. 102-126, Oxford: University of Oxford Press.

Rollefson, G. O. 1999. "El-Hemmeh: A Late PPNB-PPNC Village in the Wadi el-Hesa, Southern Jordan",

Al-Kutba Publishers.
Gebel, H. G. K. 1997. "Preface", **Neo-Lithics** 2/97: 1-2.
Gebel, H. G. K. 1999. "Ba'ja Neolithic Project 1999: Short Report on Architectural Findings", **Neo-Lithics** 3/99: 18-21.

Gebel, H. G. K. 2000. "Excavations at Neolithic Ba'ja, 1999-2000", **Occident and Orient** 5/1-2: 45-46.

Gebel, H. G. K. 2001a. "Ba'ja: Aussergewohnliche Neubefunde aus dem Vorderasiatischen Fruhneolithikum". **Alter Orient Gesellschaft** 2001/Juni: 14-17.

Gebel, H. G. K. 2001b. "Ba'ja in Süd-Jordanien Stellt Jungsteinzeiforschung Neurtige Fragen", **Antike Welt: Zeitschrift fur Archologie und Kulturgeschichte**,Vol. 32/3: 275-283.

Gebel, H.G. K. and H-D. Bienert, with Contribution by T.Kramer, B.Müller -Neuof, Neef, J.Timm and K.Wright 1997a. "Hidden in the Mountains: Preliminary Report on the Results from the 1997 Excavations". In: **The Prehistory of Jordan II. Perspectives from 1997. Studies in Early Near Eastern Production, Subsistence, and Environment,** H. G. K. Gebel, Z. Kafafi and G. O. Rollefson (eds.), 4: 221-262.

...............1997b. "Excavating Ba'ja, Greater Petra Area, Southern Jordan", **Neo-Lithics** 1/97: 9-11.

...............1997c. "The 1997 Season at Baja Southern Jordan', **Neo-Lithics** 3/97: 14-18.

Gebel, H. G. and B. D. Hermansen 1999. "Ba'ja Neolithic Project 1999: Short Report on Architecture Findings", **Neo-Lithics** 3/99: 18-21.

Gebel, H. G. and B. D. Hermansen 2000a. "LPPNB Ba'ja 2001: A Short Note", **Neo-Lithics** 2/01: 15-20.

Gebel, H. G. and B. D. Hermansen 2000b. "The 2000 Season of Late PPNB Ba'ja", **Neo-Lithics** 2-3/00: 20-22.

Gebel, H. G., M. Muheisen and H. J. Nissen, 1988. "Preliminary Report on the First Season of Excavations at Basta". In: **The Prehistory of Jordan: The State of Research in 1986**, A. Garrard and H.G.Gebel (eds.), pp. 101-134, BAR International Series no. 396/i, Oxford: Oxford University Press.

Gopher, A. 1985. Flint Tool Industries of the Neolithic Period in Israel. Unpublished ph. D. Dissertation, Jerusalem: Hebrew University.

Gopher, A. 1994. **Arrowheads of the Neolithic Levant**, American Schools of Oriental Research, Dissertation Series 10, Winona Lake, Eisenbrauns.

Goring-Morris, N., R. Burns, A. Davidson, V. Eshed, Y. Goren, I Hershkoviz, S. Kangas and J. Kelecevic 1998. "The 1997 Season of Excavations at the Mortuary Site of Kfar-Ha-Horesh, Galilee, Israel", **Neo-Lithics,** 3/98: 1-4.

Görsdorf, J. 2000. "C14 Datings of es-Sifiya Settlement (Area C)". In: **Essays on the Archaeology, History and Current Affairs of the Middle East**, H-D. Bienert and B. Müller-Neuhof (eds.), pp. 15-20, Amman: The German Protestant Institute of Archaeology.

Kafafi, Z. 1986. "White Objects from 'Ain Ghazal, Near Amman", **Bulletin of the American Schools of Oriental Research** 261: 51-56.

Kirkbride, D. 1966a. "Beidha: An Early Neolithic Village in Jordan", **Archaeology** 19/3: 199 - 207.

Kirkbride, D. 1966b. "Beidha:1965 Campaign", **Archaeology** 19 (4): 268-272.

Kirkbride, D. 1966c. "Five Seasons at the Pre-Pottery Neolithic Village of Beidha in Jordan", **Palestine Exploration Quarterly** 1966, 8-72.
Kirkbride, D. 1968. "Beidha: Early Neolithic Village Life South of the Dead Sea", **Antiquity** 42: 263-274.

Köhler-Rollefson, 1. 1992. "A Model for the Development of Nomadic Pastoralism on the Transjordan Plateau". In: **Pastoralism in the Levant**, O. Bar-yosef and A.Khazanov (eds.), pp. 11-18, Madison: Prehistory Press.

Köhler-Rollefson, 1. 1997. "Proto-Elevage, Pathologies and Pastoralism: A Post-Mortem on Goat Domestication". In: **The Prehistory of Jordan II. Perspectives from 1997. Studies in Early Near Eastern Production, Subsistence, and Environment,** H.G.K Gebel, Z. Kafafi and G.O. Rollefson (eds.), 4: 557-565.

Köhler-Rollefson, 1. 1988. "The Aftermath of the Levantine Neolithic Revolution in Light of Ecological and Ethnographic Evidence". **Paleorient** 14/1: 87-93.

Mahasneh, H. M. 1996. "Es-Sifiya: A Pre-Pottery Neolithic B Site in Wadi el-Mujib, Jordan", **Dirasat: Jour-**

References

Abu Dayyeh, A. S., Z. Aslan, G. Palumbo, M. Shwemat and M. Waheeb 1993. "The Cultural Resources Management Project in Jordan. Cultural Resources Impact Assessments and CRM Projects in 1992-993", **Annual of the Department of Antiquities of Jordan** 37: 85-86.

Banning, E. B. 1998. "The Neolithic Period. Triumphs of Architecture, Agriculture, and Art", **Near Eastern Archaeology** 61/4: 188-237.

Bastert, K., H. -D. Bienert, R. Lamprichs and D.Vieweger 2000. "Baja Regional Project Report on the First Field Season 1999", **Occident and Orient** 5/1-2: 39 - 42.

Becker, C. 1991. "Analysis of Mammalian Bones from Basta, A Pre-Pottery Neolithic Site in Jordan", **Paleorient** 17/1: 59 - 75.

Bienert, H.-D. 1991. "Skull Cult in the Prehistoric Near East", **Journal of Prehistoric Religion** 5: 9 - 23.

Bienert, H.-D. 1995. "The Human Image in the Natufian and Aceramic Neolithic Period of the Middle East". In: **Ritual, Rites and Religion in Prehistory, IIIrd Deya International Conference in Prehistory**, W. H. Waldren; J. A. Ensenyat and R. C. Kennard (eds.), pp. 75-103, Oxford: Tempus Reparatum, BAR International Series no. 611/i.

Bienert, H.-D. 2001. "The Pre-Pottery Neolithic B (PPNB) of Jordan: A First Step Towards Proto-Urbanism". In: **Studies in the History and Archaeology of Jordan**, G. Bisheh (ed.),Vol. 7: 107-119, Amman: The Department of Antiquities of Jordan.

Bienert, H.-D. and H. G. K. Gebel 1997a. "Ba'ja Early Neolithic Settlers in the Petra Mountains", **Occident and Orient** 2/2: 2- 4.

Bienert, H.-D. and H. G. K. Gebel 1997b. "Ba'ja Investigations into one of the Earliest Settlements in Jordan", **Occident and Orient** 2/1: 13-14.

Bienert, H.-D. and H. G. K. Gebel 1998. "Archaeology Excavations at Late PPNB Ba'ja: A Preliminary Report on the 1997 Season", **Annual of the Department of Antiquities of Jordan** 42: 75-90.

Bienert, H.-D., R. Lamprichs and D.Vieweger 2000. "Ba'ja, the Archaeology of a Landscape 9000 years of Human Occupation: A Preliminary Report on the 1999 Field Season", **Annual of the Department of Antiquities of Jordan** 44: 119-149.

Bienert, H.-D and H. M. Mahasneh 1998. "Es-Sifiya-eine Siedlung des Fruhen Neolithikums in Sudjordanie.". In: **Nach Petra und ins Konigreich der Nabataer. Notizen von Reisegefahrten**, U. Hübner; E. A. Knauf and R. Wenning (ed.), pp. 9-21, Fur Manfred Linder zum 80. Geburstag: Bodenheim.

Bisheh, G., S. Farajat, G. Palumbo and M.Waheeb 1993. "The Cultural Resources Management Project in Jordan: Archaeological Rescue Survey of the Ras an-Naqab-Aqaba Highway Alignment 1992", **Annual of the Department of Antiquities of Jordan** 37: 119-134.

Campana, D. 1989. **Natufian and Protoneolithic Bone Tools: The Manufacture and use of Bone Implements in the Zaqros and the Levant**, BAR International Series no. 494, Oxford.

Campana, D. 1991. "Bone Implements from Hayonim Cave: Some Relevant Issues". In: **The Natufian Culture in the Levant**, O. Bar-Yosef and F. Valla (eds.), pp. 459-466, Ann Arbor: International Monographs in Prehistory.

Fino, N. 1997. "Al-Baseet, A New LPPNB Site Found in Wadi Musa, Southern Jordan", **Neo-Lithics** 3/97: 3-14.

Fino, N. 1998a. "Al-Baseet Neolithic Site, Southern Jordan", **Annual of the Department of Antiquities of Jordan**: 42: 103-111.

Fino, N. 1998b. "Al-Baseet Neolithic Site in Southern Jordan", **Occident and Orient** 3/1: 22.

Frick, F.S. 1997. "Cities". In: E. M. Meyers (ed.), **The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East**, Vol. 1, pp. 14-19 New York and Oxford : Oxford University Press.

Gebel, H. G. K. 1992a. Neolithic 'Ain Jammam, Near Ras an-Naqab: Observations on the Site Preservation Since 1986 and Field Operation in September 1992. Unpublished Report Submitted to the Department of Antiqquities of Jordan, Amman.

Gebel, H. G. K. 1992b. "Territories and Palaeoenvironment: Locational Analysis of Neolithic Site Settings in the Greater Petra Area, Southern Jordan". In: **The Near East in Antiquity**, S. Kerner (ed.), pp. 85-96 Amman:

Late PPNB sites.

The worked bone industry represents the entire range of items found in the contemporaneous Neolithic sites; they are standardized in terms of their manufacture. The selection of the splinters (awls) and the shafts was dependent on the type of bone used and the animal from which it originated. Generally, gazelle was the preferred, if not the only species used for most of the tools.

The advantage of single-period sites like es-Sifiya, which only could grow vertically due to limited space on steep slope terraces besieged by two wadis, is that it offers undistorted insights into the internal settlement organization and its spatial crowding, and thus giving clear evidence of the social organization of a Late PPNB community in southern Jordan. Future field work in the site might offer additional information about major activities practiced at such settlement because of its limited space for expansion.

Dr. Hamzeh M. Mahasneh - Department of Archaeology, Faculty of Arts - Muâtah University , P. O. Box 7, Al- Karak, Jordan

ملخّص: بعد النجاح الذي حققته مواسم التنقيب الأثرية السابقة في موقع الصفية، شجّع ذلك على موسم تنقيب مكثّف في المنطقة (ج) من الموقع نفسه، خلال عامي ١٩٩٧/١٩٩٨ م. وكان هدف مشروع التنقيب هذا، الكشف عن مزيد من الزخم الحضاري لموقع الصفية، والحصول على تواريخ كربون ١٤ المشع. ولتحقيق هذين الهدفين، حُفرت ثلاثة عشر مربعاً (٥ م X ٥ م)، أسفرت عن نتائج مهمة، إذ أرخّت الموقع بشكل قطعي إلى الفترة "ب" المتأخرة من العصر الحجري الحديث؛ إضافة إلى الكشف عن بقايا معمارية لوحدات سكنية ذات غرف متعددة، وأدوات حجرية لطحن الحبوب، وأدوات صوّانية، ومشغولات عظمية، وبقايا نباتات متفحّمة، وعظام حيوانات، ولقى فنية عديدة ومتنوعة.

Notes :

(1) I am deeply indebted to my colleague Hans Georg K. Gebel who has been most instrumental and supportive through the visits he made to our excavation. His encouragement and constructive comments on this subject are highly appreciated.

(2) The obtained carbonized seeds were analyzed by Professor Sayyed Khattari from the Faculty of Agriculture at Mu'tah University.

(3) I thank my Canadian colleague Kathy Gruspier for analyzing this faunal collection.

These large PPNB settlements are located in the mountainous areas running in a north-south direction east of the Jordan Rift Valley. The size of these settlements, their architecture and the rich material culture led the specialists on this period to propose different terms for these settlements like: proto-urban settlements (Frick 1997, 15), mega-sites (Gebel 1992b, 91; 1997, 1), towns (Simmons 1995, 119; 2001, 144), central settlements and site giganticism (Rollefson 1997b, 241; 1998, 111; 2001, 97). However, Bienert (2001, 107) believes that these settlements represent the first step of development towards early urbanism in the area.

The architectural remains uncovered at Area C of es-Sifiya are impressive, exhibiting a great investment of effort. Best known are the rectilinear houses with their plastered floors, intact windows, door lintels and the unusual system of channels beneath the floors. The crafts of building and making plaster floors testify to the investment of great effort. The inhabitants of es-Sifiya have left what appears to be their permanent settlement.

With reference to the ground plan of Area C and those of Area A and Area B, previously excavated at es-Sifiya, the architectural remains represent the cellular Late PPNB architecture now known from many Late PPNB sites in Jordan. The uncovered architecture in all of the thirteen excavated squares, which represented a pueblo-type terraced housing, is well preserved. The wall ruins occur just below a thin layer of colluvial deposits or are exposed on surface. The principal rooms in the excavated area are more or less rectangular and thus probably planned on even terraces.

The construction formula consists of a courtyard or large room with surrounding rows of small cells, common for the Late PPNB of southern Jordan. These elements of Late PPNB planning were altered according to the dictates of the topographical conditions, as on the slopes of es-Sifiya. Gebel (1997, 235) believes that regional climate should receive more attention in the interpretation of Late PPNB building units. This building system represents closed units centering inwards, which would have been shady and cool in summer and retained warmth in winter.

One of the most striking aspects of es-Sifiya is the intensity and concentration of the occupation, where the exotic resources are acquired. The need for timber for houses, palisades, and firewood must have made extensive demands on the surrounding environment, as did grazing and cultivation.

The impressive achievements of the Neolithic of southern Jordan, encompassing village life, crop domestication and animal husbandry, make the period one of the most attractive and compelling objectives of archaeological inquiry (Banning 1998, 219-221). From the material culture of Area C of es-Sifiya, it is obvious that we are dealing with well preserved dense terraced housing, comparable to that of present-day villages in areas of similar settings. Rich cultural layers provide typical Late PPNB industries with their evidence of specialized labor and crafts, substantially devoted to the production of what was needed for the settlers of es-Sifiya village.

It is striking that the chipped lithic industry of es-Sifiya seems to have had specialized naviform workshops. This element is known from other Late PPNB mega-sites in southern Jordan. Both the ground stone and the chipped lithic industries are well represented and do reflect the spectra of types known from other

the deposits of Area C. The analysis of this collection shows that es-Sifiya represents an important source of information for documenting the increasing cultural control exercised by the early Neolithic over domesticable animals(3). The majority of the animal bones of this collection belongs to goats while sheep are minimally present. Both species were domesticated and herded in Wadi Mujib. The analysis also shows that Bos, boar, gazelle, ibex, onager, hyrax, hare, badger, jackal and birds were hunted and utilized. These results indicate that hunting wild animals and birds still played a role in the diet of es-Sifiya occupants.

Bos and boar are forest creatures, and their presence in the faunal remains suggests that climatic conditions were wetter than today. While onager, gazelle and hare are steppe animals, bezoar, hyrax and ibex prefer rocky environments and would have been widely available right on the terraces near Wadi Mujib.

I was told by the locals of modern village es-Sifiya that there are no longer any ibex and hyrax in the area. This does not necessarily mean they have been shot and killed. It could easily be that their habitats have been destroyed by the advent of cars and bulldozer work in addition to electric generators used by the farmers in the wadi.

Both ibex and hyrax prefer the quiet places, and a few can still be found in the more remote areas to the west. However, jackals, hyenas, foxes, wolves and hares are the only wild animals that occasionally visit the area. Concerning birds, numerous could be seen, but the number and variety is not as great as it used to be. This decrease in bird life is due to increase in the local agricultural activities and the unorganized shooting of large birds. Wasse (1997, 586); Becker (1991, 64) and Kohler-Rollefson (1988, 88; 1992, 12; 1997, 558) believe that the amount of food obtained from hunting in the Late PPNB period declined sharply.

The domestication and exploitation of plants and animals had a profound effect on the es-Sifiya community. The people became sedentary and the assured supply of food gave rise to a rapid increase in the population, which led to the expansion in the settlement size during the Late PPNB era.

9. Discussion and Conclusion

The excavations of Area C at es-Sifiya have revealed a large settlement dating to the first half of the seventh millennium BC. The material culture and associated architectural remains indicate that this site had a long continuous occupation. Inhabitants had access to a range of local and distant resources, which resulted in a richness of archaeological material that is known also from contemporaneous Late PPNB settlements in southern Jordan. As research continues, it is clear that it will have to consider the regional integration of the site and its immediate neighborhood.

The most notable developments in PPNB of the Levant were the enormous growth of settlement sizes and the rapid growth of regional populations. In Jordan, in addition to es-Sifiya, the sites of the period became very large villages exceeding 6 hectares, e.g. 'Ain Ghazal (Rollefson 2001, 97), Wadi Shu'eib (Simmons et al. 1989, 29), al-Basta (Nissen et al. 1987, 81; Gebel et al. 1988, 07), 'Ain Jammam (Gebel 1992a, 3; Bisheh et al. 1993, 122; Abu Dayyeh et al. 1993, 86), Ghwair 1 (Najjar 2001, 103; Simmons and Najjar 1998, 5; 1999, 30; Powell and Gervasoni 1999, 1), al-Basit (Fino 1997, 13; 1998a, 103; 1998b, 22), Ba'ja (Gebel 2000, 45; Bienert et al. 2000, 121), el-Hammeh (Rollefson 1999, 6) and Beidha (Kirkbride 1966a; 1966b; 1996c;1968).



Fig. 21: Two fragments of naturally shaped soft limestone pieces bearing parallel incisions (Sq. C3. locus. 7), and a cone shaped facetted pebble having horizontal incision (Sq. C4. locus. 10).



Fig. 22: Two rounded (pebble-like) pieces of plaster, and a flat cylindrical piece of plaster (Sq. C2. locus. 14).

such decoration.

The excavation of Area C uncovered a production area of geometric objects and human and animal figurines made of clay in square C11 (Locus 9) (Mahasneh and Gebel 1998; Mahasneh and Bienert 1999). They are similar to clay figurines found at other PPNB sites in Jordan (McAdam1997; Schmandt-Besserat 1998).

8. Subsistence and Food Production

We do not know what kind of vegetation covered the terraces and valley floors of Wadi Mujib in Neolithic times. It is worth mentioning that today the catchment on the slopes of Wadi Mujib bears small patches of oak, juniper, hawthorn, sycamore figs, retama and pistachio.

These species may indicate former conditions. On the valley floors nothing exists except a few pistachio and juniper trees and oleander bushes. We think that the valley beds or floors once included fringe forests. From such habitats the early farmers of es-Sifiya may have still gathered wild plants.

Concerning the botanical record from Area C of es-Sifiya, flotation samples have been analyzed[(2)]. The analysis shows that domestic emmer wheat, barley, lentils and chick peas were cultivated and harvested by the occupants of the site. All the examined specimens showed certain features of full cereal domestication. The environment and ecological setting of the site especially in the wet and fertile banks of the perennial water sources of Wadi Mujib were responsible for such advanced development in food production.

People living in Wadi Mujib today plant small stands of cereals in favored places. The large wadi beds and terraces are covered by small olive groves, grape vines, and small plots of tomatoes, beans and melons. The alluvial fans at the point where the wadis of the uplands debauch into Wadi Mujib are also exploited to the maximum.

Many animal remains were uncovered from

vex outer contours (Fig. 17). The flat surfaces show mortar-like depressions (depths ca. 1.2 cm., top diameter 3.5 cm.). The height of the piece is 5.3 cm. and the maximum diameter is 7.8 cm. The function of the piece remains under discussion. It bears several interpretations including: as a weight, a double mini-mortar, an unfinished perforated cylinder (mace-head type), or a cylinder used to roll out or grind material. Since only the outer convex surfaces bear traces of red pigments, the latter interpretation might be the best explanation.

The fourth artifact is a naturally shaped cuboid fragment of gray limestone with a groove having a rounded base (width: 7 mm., depth: 5 mm.) (Fig. 20). Central parallel incisions lead off from the groove on one side at angles of 55-80 degrees. Usually such pieces are made in the PPNB from steatite; parallel incisions occur commonly on them. The interpretation normally is that they are shaft straighteners.

Figure 21 shows two fragments of naturally shaped soft limestone pieces with parallel incisions. One piece also shows incisions crossing these lines obliquely. The function of these fragments remains unclear. The same plate shows a natural cone-shaped facetted pebble (height: 28 mm., max. width: 19 mm.) with roughly horizontal incisions running almost all around the piece. Some incisions cross each other. The function of these pieces also remains unclear, although the latter piece resembles cone-shaped tokens made of clay.

Two rounded (pebble-like) pieces of plaster or oil-shale decorated with parallel incisions running all around the pieces in two directions (meeting approximately at right angles to form a net of incisions) were recorded (Fig. 22). One piece has four deep incisions crossed by two deep incisions, while the other piece bears many very neat incisions leaving spaces of less than one square mm. In the same plate, there is a flat cylindrical piece of plaster or oil-shale decorated with parallel and crossing incisions running not all around much of the piece in the same pattern and at the same distances. These pieces resemble the shape of a clay tokens, which also can have



Fig. 19: Flat piece of limestone with a non-concentric depression (Sq. C8. locus. 7).



Fig. 20: Naturally shaped cuboid fragment of grey limestone (Sq. C8. locus. 7).

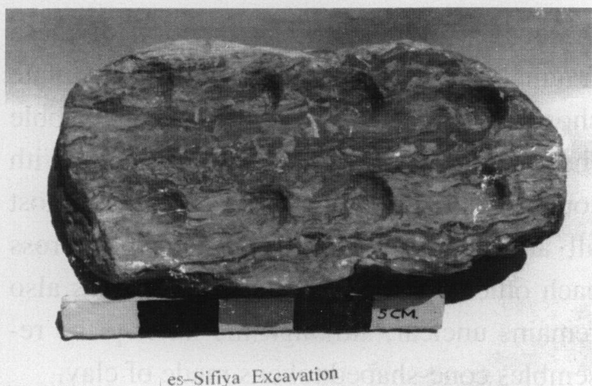


Fig. 18: Gameboard made of marble slab, with two rows of four heavily worn holes in surface (Sq. C8, locus. 11.).

ment in order to make it sturdier.

Awls or points made chiefly on long-bones of goat or ibex are the most numerous class, varying in length and width and in the relationship of the length of the worked portion to the rest of the shaft. Asymmetrical points formed on one edge of broad, rectangular sections of bones are comparatively rare. Shafts with rounded ends may have been used for softening leather. The awls as well as the points were polished along the entire length of the piece, and none of them had drilled holes at their proximal ends.

Spatulas of various sizes were found, all made of long bone splinters. One is an intact thin needle with an eye. The raw material of the worked bone industry came from both domesticated animals (goat and sheep) and wild animals, including gazelle and ibex. They were worked into tools by the techniques of cutting, sawing, percussion and scoring.

7. Other Finds

The excavation of Area C uncovered objects that differ from the mundane artifacts that normally don't obscure or define the individual residents they represent. The most important of these artifacts is a game board (Fig. 18). It is a rectangular marble slab with curved corners, measuring some 32x17x9 cm. It has two parallel rows of circular holes in surface, four in each row. The diameters and the depths of these holes are 3.5-cm. wide and 2 cm. deep. The base of this game board slab is flat. An incised line running between each row of holes is heavily worn in many places. Apparently this incised line served to line-up the holes during manufacture. Similar artifacts were recorded at the sites of Beidha (Kirkbride 1966c, 34, fig. 8:1) and 'Ain Ghazal (Rollefson 1996, 23, fig. 1; 1992, 1) and identified by the excavators as game boards.

The presence of the three complete game boards at Beidha, 'Ain Ghazal and es-Sifiya in the Aceramic Neolithic period should be taken to represent the earliest evidence of human game playing in Jordan. The Neolithic people of these mega-sites had leisure time to win or lose games during their cultural and social development. The design of these game boards has similarity to what is called today *"seeja"* or *"manqala"*, a modern wooden board game played throughout the villages of the Fertile Crescent, Persia and Turkey, by using small rounded pebbles or olive and date stones as counters.

The second artifact is a naturally shaped flat piece of soft limestone (Fig. 19) with a non-concentric depression from which grooves (width: 6mm. depth: 4mm.) with a pointed section lead off. The grooves do not really meet the center of the depression. The function remains unclear. It must have been seen as a common tool since several pieces were found in other Neolithic sites (e.g. Goring-Morris et al. 1998, 4).

The third artifact is made of a cylindrical basalt igneous rock with two opposed depressions. The piece is symmetrically pecked into the shape of a flat cylinder with slightly con-

no-convex in section. On the convex face a deep, concave groove runs across the long axis in the approximate center of the stone. The recovered grooved stones of Area C are made of basalt. Similar grooved stones were common and recorded at the Aceramic and Ceramic Neolithic sites of the Ancient Near East. R. L and R. S. Solecki (1970, 836-838) studied the function of the grooved stones, and they believed that grooved stones were heated and used for the straightening of shafts. This led Wechler to believe that these artifacts were connected with a special technique for weapons, and not directly with a Neolithic economy (Wechler 1997: 18).

The grooved stones were found scattered throughout all the squares of Area C. They have in common a loaf-shaped profile, a flattened base, and a symmetrical cross-profile around the groove. All have been carefully, even finely made with a surface as smooth as the material permitted. The qualities of straightness, flatness, and cross profile make it seem more likely that the tools were used to straighten and smooth arrow-shafts, and for sharpening bone points.

6. Worked Bone Industry

The worked bone industry of Area C almost exclusively represents tools and tool fragments belonging to the classes of awls and spatulas. But there is also an element of fine highly polished implements. There is little evidence for bone artifacts that do not represent tools. This tool class of Area C conforms well to other records (e.g. Gebel et al. 1988, fig.16; Nissen et al. 1987, 114; 1991, 23; Kirkbride 1966c, fig. 6).

In terms of definitions, the awls differ from points : awls have pointed working edges with a flat cross-section. Points have a rounded cross-section and are usually narrower than awls. They are highly polished, especially at the tip which is never found to be burned as it sometimes is shown by the awls. Campana (1989, 45; 1991, 465) reached the conclusion that both awls and points were used as perforating and drilling materials rather than projectiles.

The average length of these awls ranges from 6 to 8 cm. They are delicate and are made on splinters and on shafts. The tip and working edges of splinters are formed in order to give the tool a symmetrical shape. Shafts were longitudinally cut with parallel symmetrical sides. Most of the tips are rounded and have a polished appearance due to use. Some awls of both types have burned tips, perhaps for hardening the end of the imple-

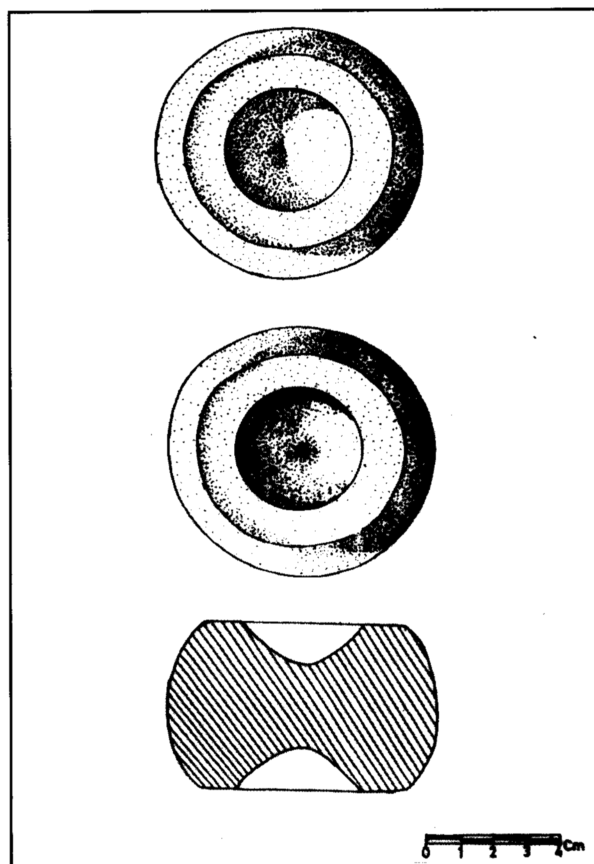


Fig. 17: Cylindrical basalt igneous rock artifact with two opposed depressions (sq. C8. locus. 7).



Fig. 16: Large basalt quern uncovered through Bulldozer work in Area C.

erate 1%.

Despite the variety of flint raw material used at es-Sifiya, it appears that the source of most common raw material was the Hordos formation exposed near the site, containing many Eocene flint nodules and tabular layers that are easy to exploit. The major raw material classes were: 1- Dominating dark-brown to black flint of good quality. 2- Beige flint, some of which is homogeneous and good in quality, some of a lower quality containing "chalk" inclusions. 3- Purple, pink, orange-brown and beige flint, homogeneous and of high quality. This flint may have undergone heat treatment. 4- Heavily patinated and "worn" flint in low quantities.

This flint sample tends to be characterized by blades struck from naviform cores. This blade technology represents a highly standardized technology well-known from all the other PPNB mega-sites in southern Jordan (Gebel et al. 1988: 87). Projectiles in this sample constitute 27.1% of the tool assemblage from square C8, numbering 16 in all. Among the points 9 are complete and 6 are broken. 12 of these projectiles are of the Amuq type, 3 of the Byblos type and 1 of the Jericho type. Thus, the Amuq type dominates, a feature that might be true for all the es-Sifiya assemblages. These points are defined as leaf-shaped created on long blades blanks. The angle between the body and the tang is greater than 160 degrees. Amuq tangs may be shaped rectangular or trapezoid, but are usually pointed at the base of the tang (Gopher 1994: 39).

The preliminary observation of the tool kit shows that the chipped stone material reflects the ordinary Late PPNB daily kit used on household levels rather than including a major specialized export manufacturing at the site.

5. Other Stone Implements

Transverse grooved stones are a very interesting group of artifacts. In their typical form they are roughly ovate in shape and Pla-

	No.	%
Primary Elements		
Blades	80	48.2
Flakes	68	41.0
Bladelets	10	6.0
Cores	3	1.8
Hammer stones	5	3.0
secondary Production		
Arrowheads	16	27.1
Burins	9	15.3
Sickle Blades	8	13.6
Scrapers	7	11.9
Truncated Pieces	7	11.9
Celts	4	6.8
Borers	3	5.1
Chisels	3	5.1
Adzes	2	3.4
Total	**225**	

Table 2: Frequencies of tool classes from square C8.

Tool Classes	No.	Percentage
Hand stones	21	19.4
Grinding Stones	16	14.8
Grinding Slabs	14	13
Bowls (fragments)	20	18.6
Pestles	10	9.3
Celts	8	7.4
Adzes	7	6.5
Pounders	6	5.5
Querns	6	5.5
	108	**100%**

Table 1: Ground stone tool classes and percentages (Area C).

ridge running along both walls of the trough. Above this ridge the walls are smooth but unpolished, while below they are polished and very smooth.

Experiments suggest that the most convenient way to use such querns is to kneel with the apron gripped between the knees. The grain is pushed from the apron into the trough for grinding, and the flour is emptied from the open end by tilting the quern forward.

Heavy-duty ground stone tools such as mortars and large and small bowls were recorded. Many such tools were minimally modified and left unshaped on their exterior, whereas the interior surfaces were intentionally hollowed out.

The raw materials exploited for manufacturing ground stone tools and stone vessels are generally available locally. These include limestones of varied quality, carbonate rocks, quartz, and quartzitic sandstones. Other materials such as sandstones appear to have been brought from outside the area.

Fifteen fragments of white ware bowls were collected from Area C squares (Fig. 15). White ware is considered as one of the characteristics of the PPNB (Kafafi 1986, 54). It does not contain clay, and is a mixture of lime minerals with little quartz or chaff. The white ware manufacture is considered to be the experimental stage towards pottery production in the area throughout the following period.

4.Chipped Lithic Artifacts

The chipped stone artifacts obtained from Area C provides an excellent example of a typical Late PPNB domestic technology and tool kit (Gopher 1985). The recorded pieces of square C8 (Table 2) are selected here as a sample for the chipped stone industry of es-Sifiya. Most of these artifacts are made of flint (93%), but there are also pieces made of quartzite 4%, limestone 1%, igneous rock 1% and conglom-

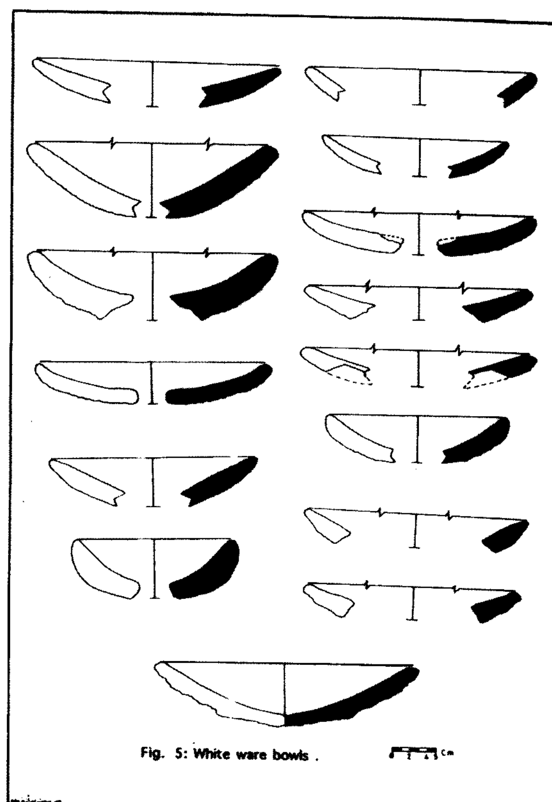


Fig. 15: White ware bowls.

Hemmeh (Rollefson 1999,7) and Khirbet Hammam (Peterson 2000, 3) in Wadi el-Hasa.

With the completion of the 1997/1998 field seasons at Area C, six samples of wood charcoal were obtained from room floors (squares: C1 Locus 6; C3 Locus 5; C4 Locus 8; C5 Locus 9; C7 Locus 8 and C8 Locus 8). The samples were analyzed at the C14-Laboratory



Fig. 13: Terrace wall with foundations contruted form limestone and basalt boulders.



Fig. 14: Part of the channels excavated in square C13.

at the German Archaeological Institute, Berlin (Görsdorf 2000, 16). The calibrated radiocarbon dates of these samples range between 7040 cal BC and 6760 cal BC. This dating accords well with the typological correlations between the finds from es-Sifiya and the other Late PPNB sites in Jordan.

3. Ground Stone Tools and Stone Vessels

The ground stone and stone vessels assembled from es-Sifiya during the 1997/1998 season of Area C are characteristic of the PPNB period of the southern Levant. Plenty of heavy-duty tools, mainly handstones, grinding stones, adzes, celts, pestles, pounders and grinding slabs, were recorded (Table I). Handstones represent the highest percentage among all the collected ground stones. They are made of quartzite.

Various kinds of grinding stones were present in a range of different sizes: spherical, ovoid, and rectangular in shape with rectangular, triangular, Plano-convex or globular cross-sections. These tools were used in trough-querns. They have striations that run across the shorter sides of the working surfaces, and the ends of the longer sides are turned up.

Heavy querns were rare at es-Sifiya, having presumably been replaced by trough-querns. Five fragments of trough querns and a complete one were recorded at the site. Figure 16 illustrates a well fabricated quern formed from a large, heavy block of basalt (65 x 35 cm). As might be expected, the depth increased with use, ranging from 2-15 cm. The base of the quern is rounded in both long and short sections, and the trough is open at one end and at the other slopes down from a flat area or apron that occupies around 20 percent of the total length. The quern has a distinct

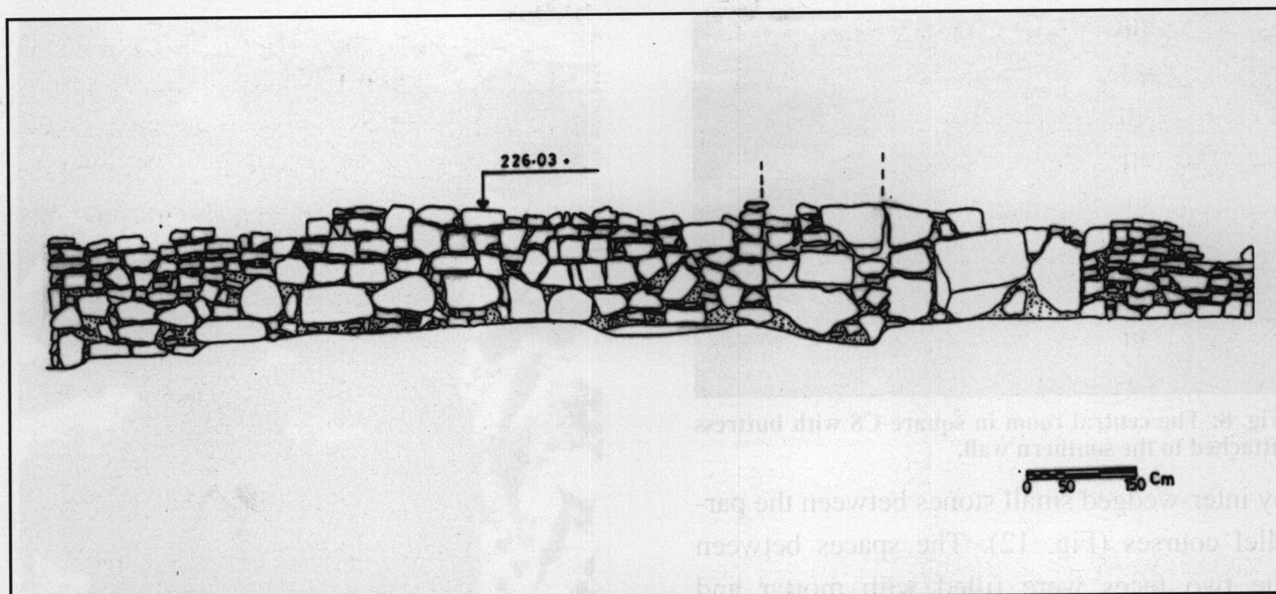


Fig. 11: Southern face of wall loci 8,13 and 16 in squares C7, C8 and C9. There is blocking of a doorway in this wall plan which indicates a functional change in the groundplan.

characteristics of Late PPNB architectural traditions in southern and central Jordan; such architectural elements never seem to have existed outside Jordan during this period. They are attested in Basta (Nissen et al. 1987, fig. 5; 1991, Plate. 1-3; Gebel et al. 1988, Plate. 1-2 and fig. 7), Ghwair 1 (Simmons and Najjar 1999a, 3), 'Ain Jammam (Gebel 1992a, fig. 7; Waheeb and Fino 1997, 218), al-Basit (Fino 1998b, 22), Khirbet el-Hammeh (Rollefson 1999, fig. 3) and 'Ain Ghazal (Rollefson 1997b, plate 1-C; Rollefson et al. 1999, 105 and fig. 7).

The stone building material was exploited from two sources; the majority was selected from the nearby limestone formations, while the large basalt boulders used as foundation stones and sometimes as building material existed in Area C. This was evidenced in square C8 (Locus 4) (Fig. 9).

The spatial organization of the es-Sifiye buildings is also attested at other contemporaneous sites in southern Jordan, e.g. Basta (Nissen et al. 1987, fig. 7; 1991, fig. 1; Gebel et al. 1988, 110), 'Ain Jammam (Gebel 1992a, fig. 7; Bisheh et al. 1993, 122; Waheeb 1996, 343; Waheeb and Fino 1997, 217), Ba'ja (Gebel 1999, 18-20; 2000a, 45; 2001a, 15; 2001b, 279-281; Gebel and Hermansen 1999, 19; 2000a, figs. 3-4; 2000b, fig. 2; Bienert and Gebel 1997a, 3-4; 1997b, 14; 1998, 77; Bastert et al. 2000, 42; Gebel and Bienert 1997a, 238; 1997b, 10; 1997c, 15), el-Basit (Fino 1997, 13; 1998a, 106; 1998b, 22), Ghwair 1 (Najjar 2001, 103; Simmons and Najjar 1998, 6; 1999a, 30; 1999b, 4; 2000, fig. 1), and el-



Fig. 12: Double-faced wall in square C10 with fine quality of stone masonry.



Fig. 8: The central room in square C8 with buttress attached to the southern wall.

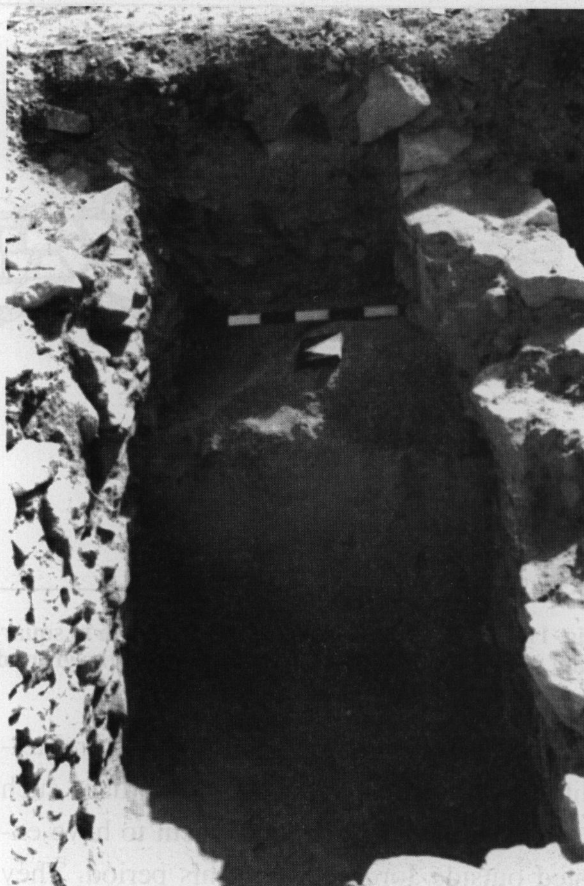


Fig. 9: Small room in square C8 with a large basalt boulder used as part of the construction.

by inter-wedged small stones between the parallel courses (Fig. 12). The spaces between the two faces were filled with mortar and smaller stones of different sizes. The mortar appears to consist of dirt material mixed with settlement debris. All the walls of Area C have foundations constructed from large limestone and basalt boulders of different sizes and irregular shapes (Figs. 11, 13). Wall plaster is rarely attested in situ; larger pieces of red-stained wall plaster were found just above the floor on the walls (Loci 4, 5 and 7) of a large room in square C13.

Most of the floors of the building units were found intact. They were constructed from large to medium-sized gravel that was filled and leveled by finer stones, and a superimposed thick lime layer. The fine near-surface "slip" was smoothed and sometimes stained in red. Beneath, human burials were often in flexed positions (Mahasneh 2001), representing typical Neolithic burials (Bienert 1991, 19; 1955, 78; Mellaart 1975, 61; Singh 1974, 44).

The floors rested on dry-stone grill-type structures; their parallel walls were bridged over by rows of relatively large and flat slabs (Fig. 14). The excavation of Area C assured us that the existence of these sub-floor channels pertained to the entire area. In es-Sifiya, as is the case in many other Neolithic sites located on a slope, these sub-floor channel-like constructions allowed the settlers to create level building areas.

These sub-floor systems are one of the



Fig. 10: A small intact doorway connects the central room of square C8 with one of the small rooms.


Fig. 4: Overview of excavated remains in Area C seen from northwest.


Fig. 5: Excavation in Area C seen from north.

even terraces. Three terrace walls exist. The first runs east-west between squares C2, C5, C6; the second runs between squares C4, C5, C6 and C7, C8 and C9. The third extends between squares C7, C8, C11, and C12; there is a blocked doorway in this wall which indicates a later functional change in the ground


Fig. 6: Part of the central room in square C4 with objects and artifacts in situ.

plan (Fig. 11). Terrace walls protected the central rooms, most likely against slope pressure. Their masonry is not different from ordinary walls, although they are thicker.

Major walls, including the outer walls of the buildings, run down slope, thus providing better stability than the walls following contour lines. This shows that the settlers of Area C learned during their occupation of the steep slopes of es-Sifiya that walls running perpendicular to the contour lines remained stable longer, and that the rooms? walls set between them allowed for more flexible ground plans, an observation also made in Ba'ja, Areas D and F (Gebel, personal communication).

The double-faced walls of Area C were made of selected regular thick local limestone slabs that were roughly dressed and stabilized


Fig. 7: The central room in square C6 with objects in situ.

terrace (Fig. 2). The results of the work in this area are presented here.

2. General Architectural Features and Ground Plans

The archaeological investigations in Area C started in September 1997 and lasted until August 1998 (on a weekend basis, two days each week). During the first week the surveyor started mapping the area and prepared the grid system. Thirteen squares (5x5m). were set up for excavation. Work concentrated on the exposure of the architectural remains, some of which with their typical Late PPNB masonry, were already visible on the surface.

Area C contains an extremely well preserved display of architecture (Fig. 4); some of the walls are still standing to the height of a little more than two meters. Walls were built double-faced to form rectangular, sometimes polygonal rooms. The latter features occurred in slope situations when room shapes had to adapt to topographic needs (Fig. 3). The ground plan of Area C resembles that of the Late PPNB architecture known from the previous excavations at es-Sifiya (Mahasneh 1996, fig. 3) and Area B (Mahasneh 1998, fig. 3). However, the ground plans of Area C appear more spacious.

The domestic ground plans consist of multi-roomed houses or building units, densely neighboring each other with no open spaces (Fig. 5). The general house plan is organized around a large, regularly shaped central room, which must have been the only room suitable for most household activities. Discussions with H.G.K. Gebel[(1)] supported the interpretation that the ground plan represents basement floors of two-storey buildings. On the floor of the central room (Square C4, Locus 10; Fig. 6) a very large mortar, three fragments of querns, a few pestles, hammer stones were exposed. The lower parts of two vessels, made of lime or lime-marl containing materials, were found in situ; a later analysis showed that they were fired at a low temperature. On the floor of the central room in square C6 two querns with grinding stones, a grinding slab, two rubbing stones, and a small stone bowl were found (Fig. 7). On the floor of the central room in square C8 (Locus 12) (Fig. 8) and square C9 (Locus 14) three querns, rubbing stones and fragments of stone bowls were uncovered. These artifacts and objects from the three central rooms indicate that food processing characterized the function of these large rooms.

Due to the large size of the central rooms, buttresses were built to support the walls and the roof-beams. Two preserved buttresses were recorded in Area C, one is attached to the eastern wall of the central room in square C4 (Locus 11), and the other one is attached to the southern wall of the central room in square C8 (Locus 14) (Fig. 8).

The central rooms of these building units or houses of Area C are surrounded on two or three sides by smaller rooms that could hardly serve any other function than storage (Fig. 9). The connections between the smaller rooms and the central rooms apparently were window-like wall openings, the size of which often would not allow an adult to pass through. These passages have nicely built jambs and lintels of regular dressed tabular limestone (Fig. 10).

Squares C2, C4, C1 and C13 (Fig. 3) of the excavation contained well-preserved architecture, presenting a pueblo-type terraced housing. The central rooms are more or less rectangular and thus probably planned on

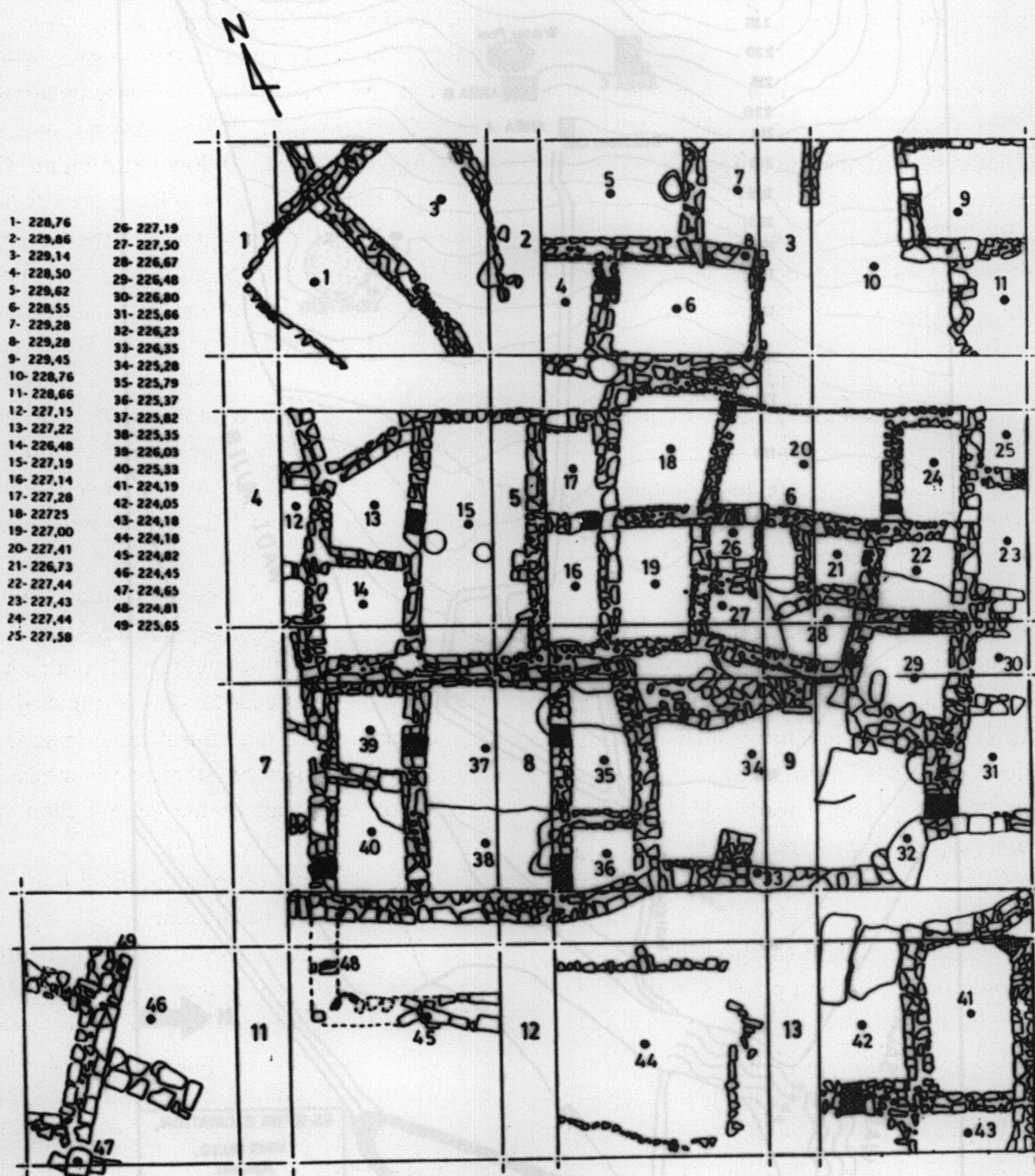


Fig . 3 : General plan of architectural remains excavated in Area C during the 1997 / 1998 field season.

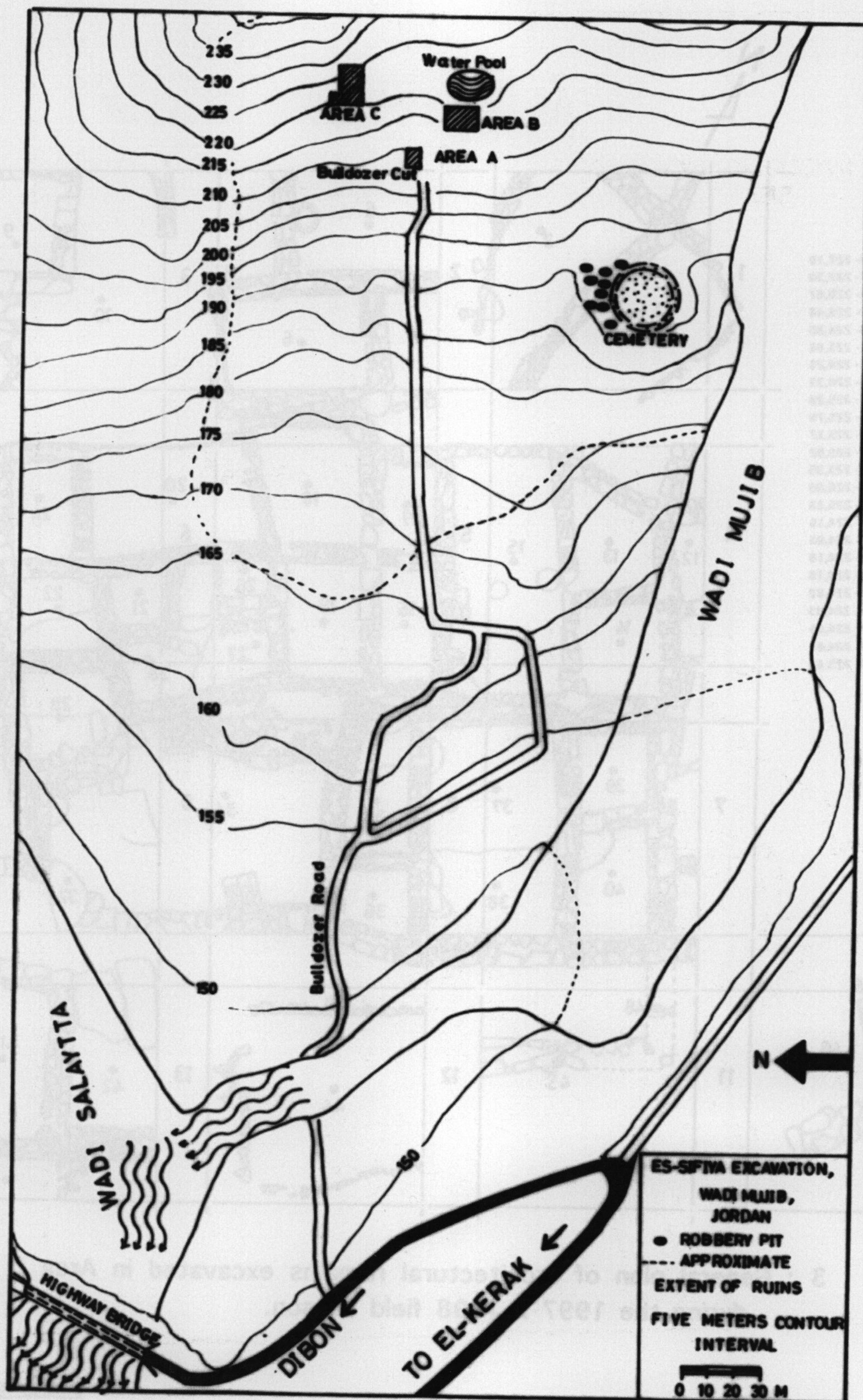


Fig. 2: es-Sifiya site map, showing the locations of the excavation areas.

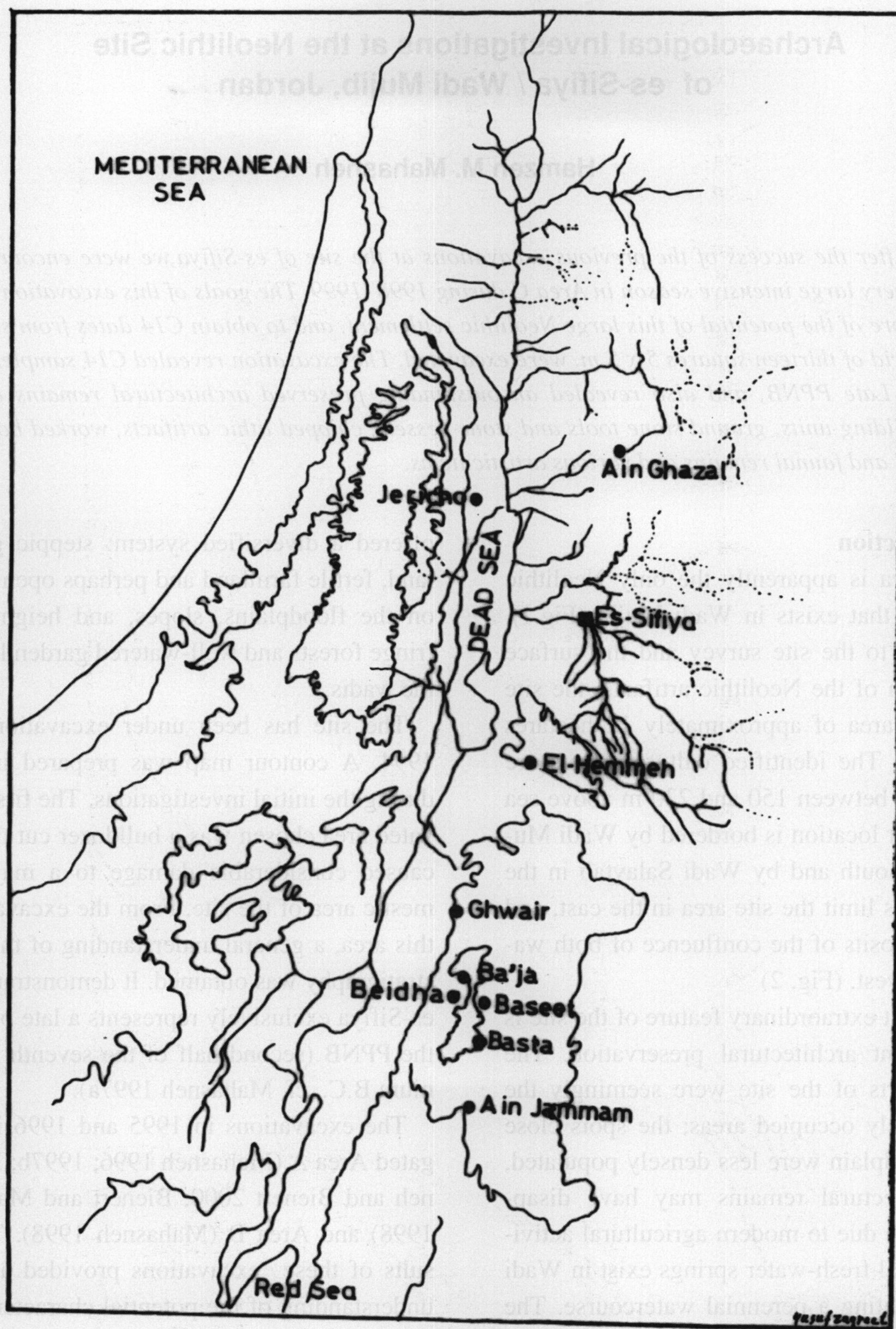


Fig. 1: PPNB Villages along the Rift Valley, expected to relate to the Megasite of the seventh millennium B.C.

Archaeological Investigations at the Neolithic Site of es-Sifiya / Wadi Mujib, Jordan

Hamzeh M. Mahasneh

Abstract. *After the success of the previous excavations at the site of es-Sifiya,we were encouraged to conduct a very large intensive season in Area C during 1998 /1999. The goals of this excavation were to uncover more of the potential of this large Neolithic settlement, and to obtain C14 dates from stratified layers. A grid of thirteen squares 5 x 5 m. were excavated. The excavation revealed C14 samples dating the site to Late PPNB, and also revealed an outstanding preserved architectural remains of multi roomed building units, ground stone tools and stone vessels, chipped lithic artifacts, worked bone artifacts, floral and faunal remains and various artistic items.*

1. Introduction

Es-Sifiya is apparently the only Neolithic settlement that exists in Wadi Mujib (Fig.1). According to the site survey and the surface distribution of the Neolithic artifacts, the site covers an area of approximately 12 hectares (30 acres). The identified cultural layers are distributed between 150 and 230 m above sea level. Their location is bordered by Wadi Mujib in the south and by Wadi Salaytah in the north; cliffs limit the site area in the east, and fluvial deposits of the confluence of both wadis in the west. (Fig. 2)

The most extraordinary feature of the site is its excellent architectural preservation. The highest parts of the site were seemingly the most densely occupied areas; the spots close to the floodplain were less densely populated, and architectural remains may have disappeared here due to modern agricultural activities. Several fresh-water springs exist in Wadi Mujib, creating a perennial watercourse. The enormous capacity of these springs allowed permanent year-round settled life in the early Neolithic. The undisturbed habitats around es-Sifiya must have had a vast extension, and offered a diversified system: steppic grazing land, fertile farmland and perhaps open forests on the floodplains, slopes, and heights; and fringe forests and well-watered garden lands in the wadis.

The site has been under excavation since 1994. A contour map was prepared in 1994 during the initial investigations. The first excavated area chosen was a bulldozer cut that had caused considerable damage to a major domestic area of the site. From the excavation in this area, a general understanding of the site's stratigraphy was obtained. It demonstrated that es-Sifiya exclusively represents a late phase of the PPNB (second half of the seventh millennium B.C., cf. Mahasneh 1997a).

The excavations in 1995 and 1996 investigated Area A (Mahasneh 1996; 1997b; Mahasneh and Bienert 2000; Bienert and Mahasneh 1998) and Area B (Mahasneh 1998). The results of these excavations provided a basic understanding of the potential character of the Late PPNB Neolithic culture in that part of central-southern Jordan. In 1997 and 1998 large-scale excavations were carried out in Area C, situated on the slope of the wadi upper

الافتتاحية

كثير هم أولئك الذين غمرتهم الغبطة والبشر بفوز أستاذ الأجيال، أستاذنا الكبير والجليل، علامة الأدب العربي، شوقي ضيف بجائزة الرئيس مبارك، أعلى جائزة تمنحها مصر العروبة علماءها ومفكريها. لقد تتلمذ جيلي، وأجيال قبلنا، وأجيال بعدنا، لهذا العملاق تلمذة مباشرة؛ نصغي إليه، ونستلهم أفكاره، ونعيش معه حياة الفكر والثقافة العربية الأصيلة، منذ العصر الجاهلي، إذ نَسيح معه في مسارح ذي الرمة الشاعر التصويري الجميل؛ وفي العصر الإسلامي المبكر، مع الشعراء المخضرمين، أمثال حسان ولبيد؛ ثم ندرج حتى نصل العصر الأموي، حيث شعراء الحجاز وشعرهم الرقيق، وشعراء نجد وشعرهم الفائق، والنقائض وفرسانها من نجد. وهكذا ننطلق من عصر إلى عصر، ومن صور إلى أخرى، ترتقي بنا تذوقًا وأسلوبًا وفكرًا.

لقد هيئ لجيلنا أن نتتلمذ لجيل من العمالقة الكبار، من أمثال سهير القلماوي وانطلاقاتها في مجال النقد الأدبي الحديث ومدارسه ومناهجه، والبطل في الأدب الكلاسيكي. وعبد الحليم النجار، ذاك الجهبذ الذي فقدناه مبكرًا، ولمّا ينجز ترجمة أعمال بروكلمان، التي عهدت إليه بها الجامعة العربية. ويوسف خليف، الأكاديمي الشاعر الرقيق، الذي يذوب رقة، صاحب الصعاليك. وشكري عياد، ذلك الشاب الذي جاء مزهوًا بشهادة الدكتوراه، فكان من نصيبه أن يدرسنا البلاغة، وكان يستعصي عليه، أحيانًا، تبسيط المفاهيم المنطقية لنا، ولكنه، في النهاية، يبين عمَّا يريد شرحه. وعبد العزيز الأهواني، ذلك العالم الجليل، الأنيق، المهتم بالأندلس، حضارة وأدبًا. ومحمد كامل حسين، أستاذ الأدب الفاطمي، ذلك الذي يقدم لتلاميذه أفضل ما يملك، ولا تفوته النكتة عندما تحبك؛ ولا يبخل بكتبه ومكتبته. أما عبد الحميد يونس، ذلك العالم الذي يسيل علمه من بين شفتيه، فنسمع له بشغف وحب، وهو يتحدث عن الأدب الشعبي في مصر والعالم العربي.

حقاً، لقد كان قسم اللغة العربية، في كلية الآداب، في جامعة القاهرة، قسمًا للحضارة العربية! لقد كنا ندرس فيه إلى جانب التخصص بالأدب واللغة، لغات شرقية، ومواد في الجغرافيا والتاريخ والتفسير، طيلة الأربع سنوات؛ فتكتمل بذلك الصورة الصادقة للحضارة العربية.

*****

لفتنا، في السنوات الأخيرة، قطيعة واسعة، بين أقسام اللغة العربية ونظيراتها المختصة بالآثار والمتاحف والتاريخ والجغرافيا؛ حتى إن أُوْلاَهما، تنكرت للدراسات الآثارية، ولا سيما منها تلك المتعلقة باللهجات والخطوط القديمة. وأَعَدَتْ تلكم الأقسام مجامع اللغة العربية، فتوانت في الدراسات الآثارية، الخاصة باللهجات العربية القديمة. وقد حالت هذه القطيعة دون قيام دراسات جادة، تبحث في العلاقات بين فصحى العرب ولهجاتهم القديمة.

إن كثيرًا من مفردات الفصحى و اللهجات العربية القديمة، تنتهي إلى جذور ودلالات واحدة. فقد لاحظت، مثلاً، أثناء دراستي للنصوص العربية الجنوبية القديمة، وجود حرف ميم زائد على أصل الاسم في أسماء الأعلام. وعند العودة إلى الدراسات السابقة، لم أجد إجابة شافية عن هذه الميم الزائدة، التي يطلق عليها: "التمييم"؛ ولم تدرس دراسة عميقة، تسبر أغوارها. وعندما استحدث قسم الآثار والمتاحف، في جامعة الملك سعود، برنامج الماجستير، وضعنا ضمن خطة الدراسة فرعاً، يهتم بالكتابات العربية القديمة. وقد أغريت أحد طلابي بدراسة ظاهرة "التمييم" في أسماء الأعلام

العربية الجنوبية (كتابات المسند)، فانبرى لها. وجمع ما استطاع من الأسماء، التي تختتم بحرف الميم. وبعد قيامه بعمل برنامج خاص في الحاسب الآلي على قاعدة بيانات، لفرز الأسماء حسب أنواعها وانتماءاتها؛ و بعد مقارناته قاعدة استخدام الميم الزائدة في كتابات المسند، بقواعد التنوين في اللغة العربية الفصحى، تبيَّن أن تلك الميم هي أُمّ التنوين وأصله، أيْ أنه كان في البداية ميمًا، تلحق بالأسماء، ومع مرور الزمن، تغير النطق، أولاً، إلى نون، ثم تغير الرسم، ليكون ضمتين أو فتحتين أو كسرتين، تختلف بحسب إعراب الاسم، رفعًا ونصبًا وجرًا.

ويجدر بي أن أنوه بالجهود، التي بذلها كلّ من الأستاذ الدكتور خليل يحيى نامي، والدكتور سيد يعقوب بكر، اللذَين يعدان من الرواد في دراسة العلاقات اللغوية بين اللهجات العربية القديمة واللغة العربية الفصحى. ولكنهما لم يتركا للأسف! تلاميذ، يستنون بنهجهما، ويقتدون بهديهما. وبوفاتهما - عليهما رحمة الله - توقفت الدراسات الآنفة. لذا، فإنني أوجّه الدعوة إلى المجامع اللغوية وأقسام اللغة العربية، للاهتمام بدراسة العلاقات اللغوية الوثيقة، التي تربط بين العربية القديمة والعربية الفصحى، سواء في دلالة الكلمات أو في صيرورة قواعد النحو. وأن تكون هناك أبحاث ودراسات مشتركة بين الآثاريين المختصين بالعربية القديمة وعلماء اللغة العربية، تبحث في أوجه العلاقة التي تربط بينهما كافة، بما فيها تطور الخط العربي خلال العصور المختلفة، قبل الإسلام وبعده.

*****

تراوح خطط الدراسة، في أقسام الآثار والمتاحف وكلياتها ومعاهدها في الجامعات العربية، بين نظرية وعملية؛ وتستفيد من بعض النظريات الجديدة في الدراسات الآثارية؛ فضلاً عن التدريبات: الميدانية والمعملية، من تنقيب، وترميم، وتصوير، ورسم مساحي، وهندسة خرائط وغيرها. وكل ذلك لتخريج جيل مهني بارع.

إن ما ألاحظه أن المؤسسات الأكاديمية، في الآثار والمتاحف، تعاني، إلى حدٍّ كبير، عدم التنسيق فيما بينها، وضعف تواصلها؛ فانحسرت عن إقليمية ضيقة، لا تهتم كلٌّ منها إلا بآثار إقليمها فقط.

فمصر تُوْلِي اهتمامها الحضارتين: المصرية (الفرعونية) والقبطية، وما يتصل بها من الحضارة الإسلامية. والعراق يهتم بحضارات وادي الرافدين، والمملكة العربية السعودية واليمن، يُبْرِزان حضارة الممالك العربية قبل الإسلام. أما الحضارة الإسلامية، فإن كلّ قسم، يخطط للاقتصار منها على معا يعني إقليمه، وقد يربطه بالأقاليم المجاورة؛ ذلك على الرغم من أنها حضارة واحدة، لا يمكن أن تتجزأ. فمتى نلتقي!

إنني، في هذه العجالة، لا أطالب المؤسسات الأكاديمية لدراسات الآثار والمتاحف، في الجامعات العربية، بالتقليل من أهمية الحضارات، التي عاشتها أقاليمها، بل أدعو إلى إيجاد حد أدنى من التنسيق فيما بينها، يربط الحضارات، التي نشأت في الوطن العربي، مثل: حضارة وادي النيل، في مصر والسودان؛ وحضارات وادي الرافدين، في العراق وسورية؛ وحضارة الممالك العربية، في بلاد الشام والجزيرة العربية. أما الحضارة الإسلامية، التي عمّت أرجاء الوطني العربي، فيجب أن يُخطَّط لتدريسها على أساس أن العرب أمة واحدة، شاركت في صنع التراث الحضاري الإنساني، قبل الإسلام بقرون عدة؛ ولم تبدأ حضارتهم المادية مع فجر الإسلام، وهو ما ينتهجه بعض الجامعات ، وكأن الجزيرة العربية، كانت خلواً إلاّ من حضارة بدوية، لا تستحق أن يلتفت إليها! إن هذه الحضارات قد تواصلت، وتفاعل بعضها مع بعض؛ فلماذا لا نصل ما انقطع؟ ونجعل الحضارة الإسلامية، التي اعتمدت في عقيدتها على التوحيد، وفي حياتها المادية على الحضارات،

التي اعتمدت عليها الحضارات: اليونانية والرومانية والبيزنطية، منطلقًا، يدلل على أننا أمة ذات حضارة عريقة. فمتى تعكس خططنا الدراسية هذا العمق الحضاري، من دون الانكفاء على ذواتنا، وتعميق القبلية الحضارية!

*****

ظلت إدارة الآثار، في المملكة العربية السعودية، منذ نشأتها، في سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، مرتبطة بوزارة المعارف. واستمر الارتباط قائمًا حتى، بعد أن صارت الإدارة وكالة للآثار والمتاحف. وفي ربيع الأول سنة ١٤٢٤هـ/ مايو ٢٠٠٣م، صدر قرار يدمج الوكالة في الهيئة العليا للسياحة. وبما أن الآثار تمثل العمق التاريخي، والحضاري، للمملكة العربية السعودية التي تقوم على ثوابت، ترتبط بأصالتها؛ لذا، نأمل أن يكون اندماج وكالة الآثار والمتاحف في الهيئة العليا للسياحة خيرًا لكلتيهما؛ وأن لا تؤثر الأهداف الاقتصادية للسياحة في الأدوار: الحضارية والتاريخية والثقافية والمعرفية، للآثار. كما نأمل أن يتيح الاندماج مزيدًا من الاهتمام بالمواقع الأثرية، من طريق إنشاء المرافق السياحية اللازمة، وإباحة الزوار المواقع الأثرية.

إن اندماج وكالة الآثار والمتاحف، في الهيئة العليا للسياحة، وما يتبعه من إعادة هيكلة لكل من قطاعي الآثار والسياحة، يجب أن يسفر عن كيان واضح للآثار، يتمكن من الاستمرار في دوره، المتمثل في التنقيب عن الآثار ودراستها والتعريف بها؛ لنعيد كتابة تاريخنا، من خلال ما تومض إليه المكتشفات الأثرية، سواء في العصور القديمة أو العصر الإسلامي.

لقد حقق الارتباط بين الآثار والسياحة نتائج إيجابية، في بعض الدول العربية. لذا، علينا دراسة تلك التجارب والاستفادة منها، بما يوافق ظروف المملكة وأوضاعها. ويبقى السؤال، لما تظل إدارات الآثار في الوطن العربي تابعة لجهات أخرى، تتراوح بين السياحة والثقافة؟ ومتى تستقل إدارات الآثار في كيانات أو قطاعات خاصة؟

رئيس هيئة التحرير

العصور الحجرية في المملكة العربية السعودية
دراسة تقويمية

يوسف مختار الأمين

ملخّص: يستعرض هذا البحث حقب العصور الحجرية في المملكة العربية السعودية، من ناحية خصائصها الحضارية، ومسيرة التطور فيها، ودورها في انتشار بواكير الثقافة الإنسانية، في العالم القديم. ويقدم الباحث مراجعة نقدية للأبحاث الأثرية في هذا المضمار، وشرحًا لمكونات فترات العصور الحجرية الحضارية، من أدوات وفنون وغيرها من مؤشرات دالّة على أنماط حياة المجموعات البشرية، وانتشارها المكاني في بيئات المملكة المتنوعة. ويبرز البحث الخصائص المميزة لتعاقب فترات ما قبل التاريخ في المملكة، مقارنة بالمناطق المجاورة، ومواضع القصور في معرفتنا بتفاصيل تلك الفترة، إذ يقدم بعض المقترحات لأبحاث مستقبلية ربما تعين في حل بعض الإشكاليات العلمية، التي أفرزها التناول التقويمي للمعلومات المنشورة.

Abstract. *This paper presents a critical evaluation of the available literature on the stone ages of the Kingdom of Saudi Arabia. It discusses the cultural characteristics of the main prehistoric periods as they have been deduced from various archaeological components. The prehistoric cultural achievements of the prehistoric populations in the kingdom are compared with those of neighbouring regions. The paper shows the richness of the kingdom's Stone Age cultures as they are reflected in stone tools manufacture, rock art, dwellings and changing adaptive settlement systems, pointing at the same time to areas that need further clarification. It finally concludes with a summary of the cultural sequences along with a number of suggestions for future research.*

مقدمة:

يعود الفضل في معرفتنا بفترة ما قبل التاريخ في المملكة العربية السعودية، إلى مجهودات الأفراد والمؤسسات العلمية، التي نتج عنها دراسات وملاحظات تاريخية، أُنجزت في أوقات مختلفة، وعلى مستويات متعددة. فالاستكشافيون الغربيون زاروا الجزيرة العربية منذ أمد بعيد، وفي مطلع القرن الميلادي المنصرم سجل بعضهم ملاحظاته عن مواقع الأدوات الحجرية، التي وجدوها على السطح، أو الرسوم والنقوش الصخرية البدائية، المنتشرة في معظم أنحاء الجزيرة (Thomas 1932; Cornwall 1946). وتأتي بعد ذلك البعثات الأجنبية المبكرة، وأعمال الأفراد المهتمين بفترة ما قبل التاريخ، وأكثرهم ممن عملوا ضمن بعثات المسح الجيولوجي، الذي قامت به أرامكو بحثًا عن مصادر النفط (Zeuner 1954, Smith and Maranjian 1962, McClure 1971, Overstreet 1973). تلى ذلك الأعمال التي أنجزتها مؤخرًا بعثات الوكالة العامة للآثار والمتاحف السعودية، وأبحاث عبد الله مصري من السعوديين (Masry 1974).

إن أعمال الأفراد المبكرة كانت تحكمها الصدفة، وما كُتب عنها كان -في الغالب- انطباعات عابرة، عن معثورات تعود للعصور الحجرية. وعلى النقيض من ذلك، نجد أعمال "هنري فيلد"(H. Field)، بدءاً من عشرينيات القرن الميلادي الماضي وحتى السبعينات منه، إذ هي أكثر تميّزًا بمنهجيتها، وقربها من الدراسات الحديثة، في هذا المضمار. وقد نشر فيلد

العدد الثامن جمادى الأولى ١٤٢٤هـ - يوليو (تموز) ٢٠٠٣م
(ص ص ٧ - ٤٠) ردمد ١٣١٩-٨٩٤٧

معلومات عن مواقع العصور الحجرية في المملكة في دوريات عالمية، مبديًا رأيه عن التاريخ الحضاري لتلك الفترة، وأحوال البيئة القديمة، التي عاش فيها سكان الجزيرة. وقد اتسع نشاطه بعد ذلك عندما تعددت المكتشفات، التي نجمت عن أعمال أرامكو في المسح الجيولوجي، الذي بدأ في الثلاثينات من القرن الميلادي الماضي. ونشر مع مكلور وغيره وصفًا للأدوات الحجرية المكتشفة آنذاك، في الربع الخالي ووادي الدواسر وحفر الباطن، على سبيل المثال، حيث وضعوا لها تسلسلاً زمنيًا، يمكن مقارنته بالبلدان المجاورة (Field 1951, 1955, 1960, 1973).

ويُذكر في هذا السياق اهتمام هاري سانت جون فيلبي، بالنقوش والفنون الصخرية، وإشارته للعصور الحجرية في الربع الخالي (Philby 1933). كذلك، يجدر ذكر أعمال البعثة البلجيكية (ريكمانز وليبنز وفيلبي) في بداية الخمسينات، بتسجيل الفنون الصخرية في وسط وجنوب غربي المملكة، وهي المادة التي درسها ونشرها "أناتي" فيما بعد في أربعة مجلدات (Anati 1968 Vol. 1: 3-4, 1968 Vol. 2, 3. 4, 1971, 1974). وعلى الرغم من أهمية هذه المعلومات في إثبات وجود مجتمعات العصور الحجرية في الجزيرة العربية، إلا أنها لم تتسرب إلى الأدبيات المنشورة عن تطور حضارات ما قبل التاريخ في الشرق الأدنى، بصورة مرضية. وقد كان الظن عند كثير من العلماء، أن دور الجزيرة العربية في تلك الفترة كان هامشيًا؛ إذ هي لم تسهم في مجريات التطور الحضاري، خلال فترة ما قبل التاريخ، كما فعلت غيرها من بلدان الشرق الأدنى. وقد انصّب الاهتمام من قبل الباحثين الأجانب حتى وقت قريب، على فترة ما قبل الإسلام، والكتابات العربية القديمة، كالنبطية واللحيانية والثمودية، وعلى آثار الممالك القديمة، من مبانٍ ورسوم صخرية. حدث هذا في الوقت الذي تعددت فيه أعمال البعثات الأوربية والأمريكية، التي كانت تنقب في مواقع الحضارات القديمة، في وادي النيل، وبلاد الشام، وبلاد الرافدين، والأناضول، وغيرها.

وخلال النصف الأول من القرن الميلادي الماضي، امتد الاهتمام بالبحث الآثاري ليشمل العصور الحجرية، إذ اتضح أن تلك المنطقة تحتوي على مادة أثرية مهمة تكشف عن تسلسل حضاري طويل ومشابه لأوروبا وشمال أفريقيا، بل أقدم منه زمنًا. ونال العصر الحجري الحديث وظهور القرى الزراعية، الحظ الأوفر في الدراسة العلمية المفصّلة. وساد الاعتقاد لدى العلماء بأنها الأقدم في العالم، وهي التي أفضت إلى ظهور الدويلات القديمة بنظامها الإداري المركزي المعروف، ومنجزاتها الحضارية الشاملة، في مجالات الفنون والمعتقدات والاقتصاد والاجتماع (Redman 1974: 89-95). وكان المجتمع العلمي الغربي، عامة، والآثاريون، خاصة، ينظرون للشرق من هذا المدخل. وقد كان ذلك أحد العوامل، التي أسهمت في تأخر أبحاث ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية عامة، والسعودية على وجه التحديد. ولم يتغيّر الحال إلا بعد أن أجرت الوكالة العامة للآثار والمتاحف المسح الأثري الشامل، عندما وضُعت أبحاث ما قبل التاريخ ضمن قائمة الأهداف الرئيسة له. ويضيف "مكلور" (McClure) في هذا الخصوص، أن طبيعة الصحارى القاسية حدّت من دخول الباحثين عن الآثار؛ ولهذا ظلت الجزيرة العربية عمومًا منطقة غير معروفة، ومكانها شاغرًا في مجالات الدراسات الآثارية والإثنوغرافية والجغرافية (McClure 1971: 1-18).

وقد كانت نتائج المسح الأثري الأولية، وتلك التي أبرزتها أبحاث عبد الله مصري الميدانية، في المنطقة الشرقية، حول حضارة العبيد، كافية لجذب انتباه المجتمع العلمي لأهمية العصور الحجرية، في المملكة العربية السعودية. وعلى الرغم من أن مدة المسح الأثري الشامل لم تكن كافية، لبلد في مساحة السعودية، فضلاً عن محدودية الدراسة العلمية للمواد التي جُمعت، إلا أن هامشية المنطقة المفترضة لم تعد مقنعة لأحد. فالتنوّع الطبيعي والبيئي في المملكة، خلال عصري البلايستوسين والهولوسين، ساعد في ظهور تطورات حضارية متفردة، تتجاوز أحيانًا التجارب المعروفة في بقية أقطار غربي آسيا. ومن جهة أخرى، برزت على السطح أهمية الموقع الجغرافي للجزيرة العربية، من حيث دورها في انتقال الجماعات البشرية المبكرة، ومعها أقدم الصناعات الحجرية، من أفريقيا إلى أنحاء العالم القديم. كما دلّت على ذلك المكتشفات الأثرية الحديثة.

وفي حديثنا عن تعاقب العصور الحجرية في المملكة وموادها الأثرية، سوف نتبع النظام والمصطلحات المتعارف عليها عالميًا، في تقسيم تلك العصور وتقاليد الصناعات الحجرية فيها، على الرغم من بعض الإشكاليات المتوقعة، التي تظهر عند تطبيقها، كما أشير إلى ذلك مرارًا في تقارير الوكالة العامة للآثار والمتاحف. إن ايصال هذه المعلومات الجديدة للباحثين في حقل دراسات ما قبل التاريخ، يتطلب استخدام المناهج والمصطلحات المتعارف عليها، حتى نضمن تداولها، ومن ثم إدراجها ضمن الأدبيات الخاصة بفترة ما قبل التاريخ. ومع اتباع هذا الأسلوب فلن يُغفل أحد هذه الإشكاليات، بل سوف نتناول في هذا الاستعراض إمكانية تجاوزها من خلال طرح مقترحات محددة. وقبل الدخول في سرد تسلسل أدوار العصور الحجرية الحضارية، نُقدم نبذة مختصرة عن التكوين الجغرافي للمملكة، وملامح البيئة القديمة فيها، إذ يشكل ذلك الإطار الطبيعي، الذي تكونت فيه أولى محاولات الإنسان في بناء حضارته.

الظواهر الطبيعية والبيئية القديمة للمملكة:

للمملكة العربية السعودية موقع جغرافي إستراتيجي، فهي تربط بين قارات العالم القديم الثلاث: آسيا وأفريقيا وأوربا. ومن ناحية المساحة، تمثل أربعة أخماس الجزيرة العربية، ذات التاريخ الجيولوجي الطويل. وهي تنقسم إلى منطقتين، هما: الدرع العربي (جبال الحجاز والهضاب الغربية المكوّنة من الصخور النارية)، والرّف العربي المكوّن من الصخور الرسوبية، التي تغطي تكوينات الدرع العربي في المنطقتين الوسطى والشرقية. وكانت الجزيرة العربية متصلة بأفريقيا، وانفصلت عنها منذ ما لا يقل عن ٢٠ مليون سنة. وقد وجدت تكوينات جيولوجية وعظام حيوانات متحجرة، تماثل تلك التي عرفتها، آنذاك، القارتان: أفريقيا وآسيا. وفي المملكة أقاليم تضاريسية متباينة، منها: السهول الواطئة، والجبال العالية، والهضاب المنبسطة، وبحار الصحارى الرملية، والأودية الكبيرة، ما يوفّر تنوعًا طبيعيًا يشمل الحيوان والنبات والمناخ، في الماضي والحاضر. إن دراسة الظواهر الجيولوجية، التي تعكسها الجبال والأودية والتكوينات الصخرية والصحارى، تعد من أفضل المؤشرات لأحوال المناخ القديم (وزارة المعارف ١٩٩٩: ٤٥-٤٨؛ McClure 1971: 18-21).

وتشير الدراسات الجيولوجية والبيئية، إلى أن الجزيرة العربية -مثل غيرها من بقاع الأرض- تعرضت لتحولات مناخية مؤثرة، خاصة في الزمن الجيولوجي، الذي انتشر فيه النوع البشري (أواخر عصر البلايوسين وبداية عصر البلايوستوسين ٣,٥ - ١,٢ مليون سنة قبل الوقت الحاضر). ومن الثابت، أيضًا، تعاقب فترات مناخية جيّدة، وأخرى جافة تقل فيها الموارد الطبيعية، ما يؤثر في حياة الإنسان والحيوان معًا. وبدأ انتشار الجفاف الحالي يعم بصورة تدريجية منذ الألف الرابع ق. م؛ ولكن هذا الوضع كان خاتمة لسلسة طويلة من التاريخ الطبيعي في المنطقة. فإذا ما عدنا إلى الزمن الجيولوجي الأقرب إلى انتشار البشر في المنطقة، نجد أن الجزيرة العربية عاشت في أوضاع مناخية مطيرة، أدت لوجود غطاء نباتي، وتجمع حيواني من النوع الاستوائي المعروف في أفريقيا. وقد تكونت خلال هذه الفترة الأودية الكبيرة، التي تتجمع فيها مياه الأمطار.

كذلك، شهدت الفترة تكوّن صحارى الجزيرة عندما جرفت المياه الرمال إلى منطقة الربع الخالي الحالية التي كانت تغطيها مياه البحار في الأزمان الجيولوجية الأقدم. وفي العصر الجيولوجي التالي، أي عصر البلايوستوسين (الذي يقابله العصر الحجري القديم في التقسيم الحضاري)، خطا الإنسان أولى خطواته في التكيّف على أحوال الطبيعة المتقلبة، من خلال تشكيل الأدوات الحجرية البسيطة وتطويرها، من حيث أشكالها وطريقة صنعها. كذلك بناء المأوى وكل ما يعينه في حياته، من استغلال لهذه البيئة ومواردها. ومما لا شكل فيه، أن الجزيرة العربية كانت تتأثر - مثل غيرها - بتحولات المناخ الإقليمية والعالمية؛ فتعاقب العصور الجليدية، على سبيل المثال، في شمال الكرة الأرضية، يؤثر في مستويات مياه البحار. ففي الأقاليم الشرقية من الجزيرة العربية، كانت تتكرر ظاهرة ارتفاع مستوى البحر وانخفاضه، منذ نحو ١٢٠,٠٠٠ قبل الوقت الحاضر. وقد كان أكبر انخفاض له في الفترة ما بين ٧٠,٠٠٠ و ١٧,٠٠٠ ق.م،

ليرتفع بعد ذلك. ويبلغ أعلى مستوى للبحر خلال عصر الهولوسين ما بين ٧،٠٠٠ و ٤،٠٠٠ سنة، قبل الوقت الحاضر. وقد حدث تنوع بيئي شديد في منطقة الخليج، كان له الأثر المباشر في أنماط استيطان الجماعات البشرية واقتصادها المعيشي، خاصة تلك الجماعات القريبة من السواحل.

وخلال هذه الفترة ظهرت الينابيع والبحيرات السطحية، داخل أراضي المملكة (Rice 1994: 69, 73-75). وهكذا، فإن المرحلة الأولى من عصر البلايوستوسين سادت فيها أحوال مطيرة، ونشطت الأودية الكبيرة، حيث انتشرت مواقع العصر الحجري القديم الأسفل في أكثر من مكان، كما سيأتي ذكره. عقب نهاية ذلك العصر، بدأ الجفاف يزحف تدريجيًا، مع حلول فترات رطبة ومطيرة متقطعة، يدل عليها وجود البحيرات في الربع الخالي، في الفترة الممتدة ما بين ٣٦،٠٠٠ و ٢٠،٠٠٠، قبل الوقت الحالي، لتحل بعدها فترة جفاف شديدة، تعقبها بعد ذلك فترة مطيرة بعد ١٠،٠٠٠ لتستمر حتى ٤،٠٠٠ ق . م، أذ تنتشر مواقع العصر الحجري الحديث في كثير من أرجاء المملكة، بما فيها صحراء الربع الخالي (Zarins et al. 1979: 10).

إن الأحوال المناخية، التي رُصدت من خلال تحليل الظواهر الجيولوجية، وترسبات البحيرات والمواد العضوية (مثل عظام حيوانات الأبقار الوحشية، والجاموس والغزال والحمار الوحشي والنعام... الخ)، تشبه إلى حد كبير تلك، التي سُجلت في بقية أنحاء الجزيرة العربية، بل تتماثل مع ما يقابلها زمنيًا في الصحراء الكبرى وشمالي أفريقيا (McClure 1994: 6-7).

إن المعلومات المستقاة من هذه المصادر المختلفة، على الرغم من محدوديتها، تتيح للباحثين وضع المكتشفات الأثرية ومراحلها الحضارية المختلفة، في الإطار الطبيعي على وجه التقريب، ما يسهّل معرفة أنماط الاستيطان البشري، خلال العصور الحجرية؛ وكذلك الموارد الطبيعية المتوافرة في مناطق المملكة. وبناء على هذه الخلفية، نستعراض تعاقب العصور الحجرية في المملكة، ونناقش نتائج الأبحاث، التي أجريت حولها.

العصر الحجري القديم:

يُقَسّم العصر الحجري القديم، عادة، إلى ثلاثة مراحل متعاقبة: (أسفل، أوسط، وأعلى)، وذلك بناء على نوع الأدوات الحجرية وطرق تصنيعها، إضافة إلى ظهور بعض الخصائص الحضارية، التي ترصد لأول مرة في السجل الأثري (سوف نناقش هذه الخصائص عند استعراضنا لهذه المراحل وتسلسلها، في المملكة العربية السعودية).

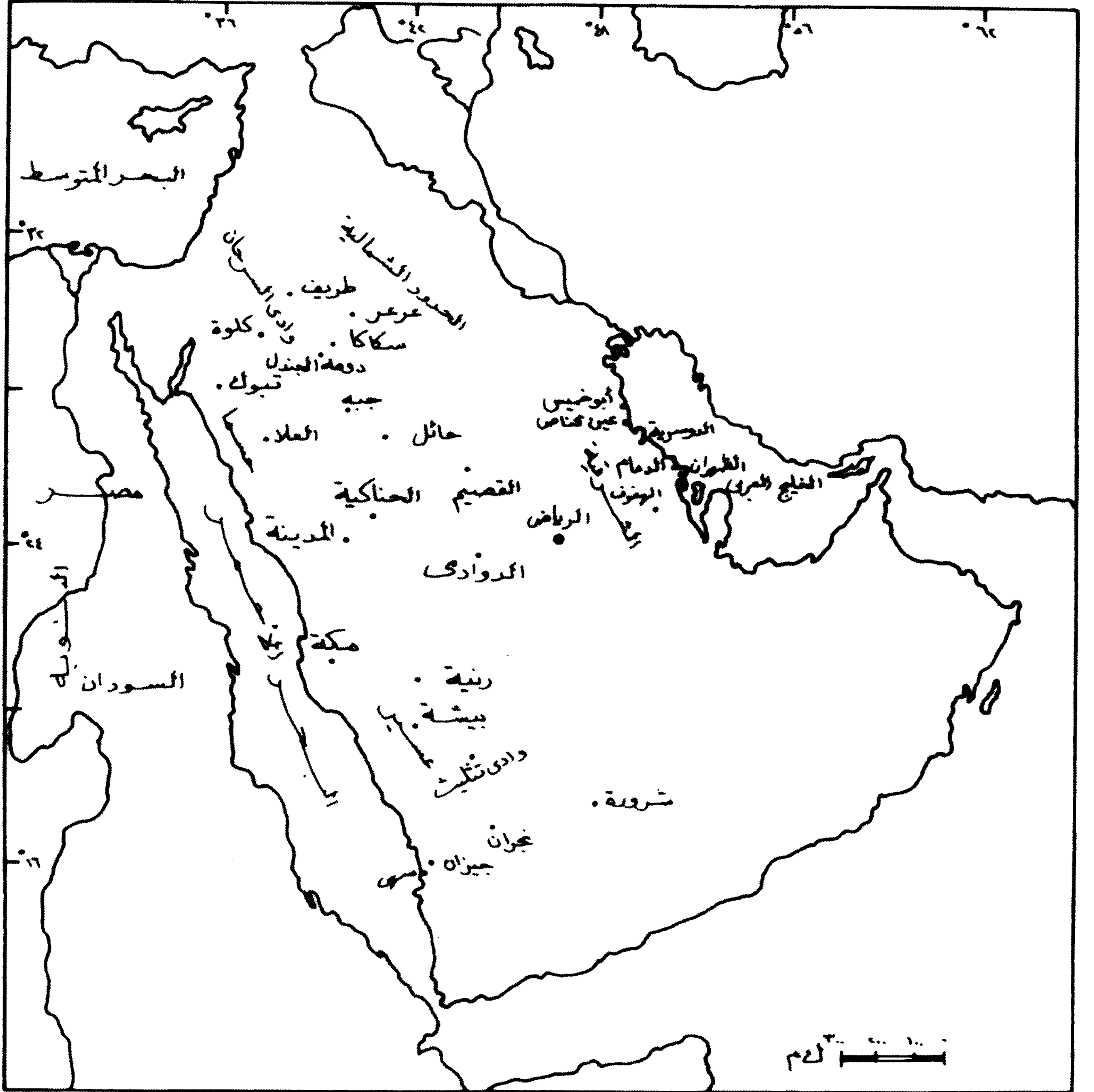
أولاً- العصر الحجري القديم الأسفل:

تمثل هذه المرحلة المحاولات الأولى، لتكوين الجماعات البشرية من الصيادين وابتكاراتهم البسيطة، مثل: تشكيل الأدوات الحجرية وممارسة الصيد، وهي المرحلة التي يعود تاريخها في شرق أفريقيا إلى أكثر من مليونين ونصف مليون سنة. وتمثل هذه المرحلة تقليدين في صناعة الأدوات الحجرية، يرمز كل منهما لسمات حضارية متميزة عن الأخرى. كما أنهما يعدان نقطتين مهمتين في مسيرة التطور الحضاري الإنساني. وفيما يلي نقدم عرضًا لهذين الدورين الحضاريين المهمين:

أ- الصناعات الأولدوانية:

كان من أبرز نتائج المسح الأثري الشامل المتعلق بالعصور الحجرية في المملكة، اكتشاف مواقع تعود نسبتها لأقدم الصناعات الحجرية، التي عرفتها البشرية، وذلك في مكانين، أحدهما: بالقرب من قرية الشويحطية في الشمال؛ والثاني: في نجران جنوب غربي المملكة (الخريطة ١).

وكان اكتشاف موقع الشويحطية ملفتًا للمختصين، بسبب نوع الأدوات الحجرية وأشكالها البدائية، التي تمثل خطوة مبكرة في مراحل تقنية تصنيع الأدوات الحجرية. وهي تماثل أدوات مؤرخة وجدت في مواقع مشهورة في شرقي أفريقيا، يعود تاريخها لنحو مليون سنة، على الأقل. ولهذا السبب وجدت الشويحطية اهتمامًا خاصًا، حيث أجريت دراسة ميدانية مفصلة، أعقبتها أخرى جرى خلالها تحليل المعثورات ومقارنتها بمجاميع أدوات حجرية، من خارج المملكة. وكانت النتائج في جملتها تشير إلى استيطان بشري مبكر، ما شجع



الخريطة ١: أقاليم المملكة والأماكن الرئيسة.

الباحثين على الاستمرار في البحث عن المزيد في مناطق المملكة المختلفة (Whalen et al. 1986: 94). وقد وجد الموقع المشار إليه (٢٠١ - ٤٩) بالقرب من قرية الشويحطية نحو ٤٥ كلم شمالي سكاكا، ويشمل منطقة واسعة تتكون من ستة عشر تجمعًا لأدوات حجرية فوق السطح. ونسبة لقرب هذه المواضع من بعضها فقد جعلها الباحثون موقعًا واحدًا.

وقد تمكّن فريق البحث، في نهاية أبحاثه في المنطقة، من جمع كمية كبيرة من الأدوات المشحوذة، التي يبدو من مظهرها القدم الشديد، وهي تشبه أقدم الأدوات الحجرية المعروفة في مناطق أخرى خارج المملكة. بلغ مجموع الأدوات ٧١٥ قطعة، ما يجعلها مناسبة لأغراض الدراسة الإحصائية المفصّلة والمقارنة بمجاميع أخرى. ويضاف إليها ٨٠٢ قطعة

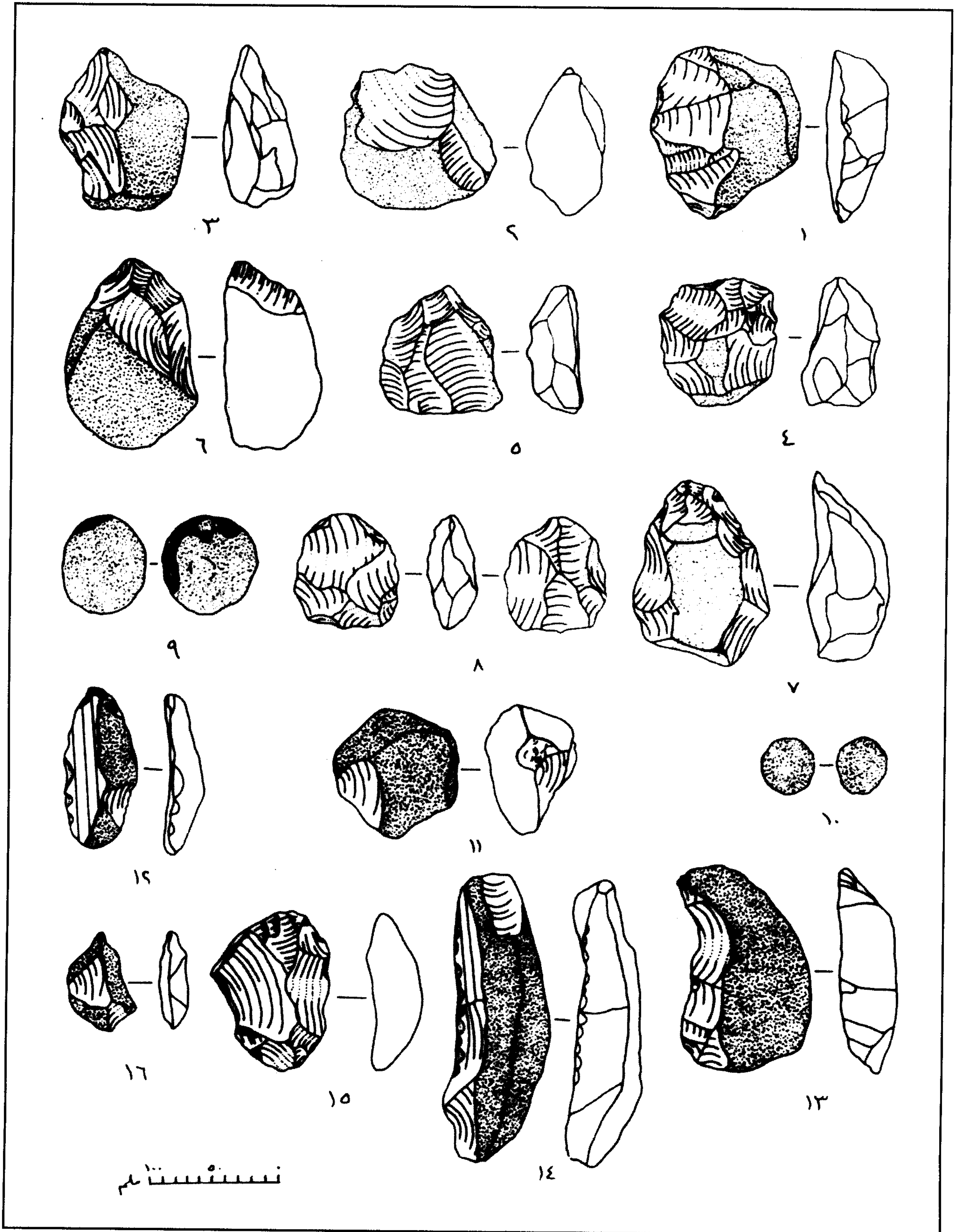
أخرى من النوى والرقائق وكتل الحجر الناتجة عن عمليات تصنيع الأدوات. والأنواع الرئيسة منها هي الأدوات الثقيلة، مثل: القواطع، والسواطير، والقطع متعددة الأسطح، وذوات الأشكال الكروية، والقرصية وشبه القرصية. كذلك، توجد الأدوات المشظية من وجهين، مثل: الفؤوس البسيطة، والمفارم، والمعاول. كذلك وجدت أعداد من المكاشط الجانبية البسيطة، والطرفية، والمثاقب، والسكاكين، والمناقش (شكل ١ ibid: 96,).

أما الموقع الثاني (٢١٧-٦٣)، الذي أمدنا بأدوات من هذا النوع، فقد اكتشف في الأقليم الجنوبي الغربي بوادي نجران. وعلى الرغم من قلة عدد الأدوات التي تمّ جمعها (٣٤ أداة)، وما أحدثته العوامل الطبيعية من أثر فيها، إلا أنها شديدة الشبه بتلك التي جمعت في الشويحطية. كما أنها تقع ضمن نوع الأدوات، التي تنسب لبداية العصر الحجري القديم الأسفل. وقد أجرى هويلن وآخرون دراسة إحصائية للأدوات من الموقعين، تشمل الخصائص النمطية وقياسات أبعاد الأدوات، إضافة لمجاميع أدوات أخرى من موقع اولدفاي (Olduvai) الشهير في تنزانيا، بشرقي أفريقيا. واختير هذا الموقع للمقارنة لأنه حوى عددًا من المواضع، التي وجدت فيها تجمعات أدوات حجرية، وبقايا عظمية آدمية وحيوانية، إضافة إلى ظواهر أخرى على امتداد أربع طبقات من الترسبات الجيولوجية. وقد أمكن تأريخها بالطرق العلمية، مثل أرقونات البوتاسيوم. وقد كان هو الموقع المثالي، الذي اتفق علماء ما قبل التاريخ على اعتباره نموذجًا لتعاقب أدوار صناعة الأدوات الحجرية خلال العصر الحجري القديم الأسفل. ففي هذا الموقع تأكد تطور هذه الصناعات، من النوع الحصوي البسيط، الذي أطلق عليه الدور الأولدواني الذي يشمل الأنواع آنفة الذكر، إلى الأدوات الأشولية بفؤوسها اليدوية المتميزة. ففي الطبقة السفلى وجد ما عُرف بالصناعة الأولدوانية (Oldowan)، التي تمتد زمنيًا من ١,٩ إلى ١,٦ مليون سنة. وتستمر هذه الصناعة في الطبقة الثانية، مع تغيرات طفيفة في أشكال ونسب الأدوات، وقد أُطلق عليها الأولدواني المتطور (أ)، الذي يؤرخ من ١,٦ إلى ١,٣ مليون سنة؛ ويليه الأولدواني المتطور (ب)، الذي يؤرخ من ١,٣ - ١,٠ مليون سنة. وفي منتصف هذه الطبقة الثانية، تظهر الفؤوس اليدوية في مواقع أخرى متزامنة مع الأولدواني المتطور (ب) (Gowlett 1984: 40-41). ويرى هويلن وآخرون تطابقًا كبيرًا في الخصائص، بين أدوات الشويحطية ونجران وتلك التي تنسب للنوع الأولدواني المتطور (أ)، الموجود في موقع اولدفاي، آنف الذكر.

إن اكتشاف مثل هذه المواقع المبكرة في السعودية، على الرغم من قلتها، وعدم إمكانية تأريخها بصورة قطعية، أثارت قضايا بحثية أنثروبولوجية وآثارية مهمة، تتعلق بانتشار السلالات المبكرة خارج منطقة شرقي أفريقيا، حيث تشير الأدلة الأثرية هناك على أنها هي الأقدم. وبناء على ما هو متوفر للباحثين في الآثار السعودية، فقد اقترحوا وصول سلالة الإنسان منتصب القامة (Homo erectus) المعروفة، إلى الجزيرة العربية من خلال طريقين، أحدهما: عبر مضيق باب المندب، وتدل عليه أدوات موقع نجران المبكرة؛ الثاني: عبر صحراء سيناء، ويدل عليه ما وجد في موقع الشويحطية وموقع العبيدية في جنوبي فلسطين، الذي يؤرخ إلى نحو مليون أو أكثر بقليل (Whalen et al. 1989: 69-73).

إن هجرة السلالات البشرية المبكرة من أفريقيا، إلى بقية أنحاء العالم القديم، ظلت موضوعًا مؤرقًا للباحثين، في الأنثروبولوجيا والآثار لفترة طويلة، وذلك بسبب قلة المكتشفات المؤرخة علميًا، من جهة، وخلو بعض المناطق منها تمامًا، حتى الوقت الحاضر، من جهة أخرى. فعلى سبيل المثال، نجد أن الاكتشافات الحديثة في شرقي آسيا تمدنا بتواريخ لأقدم أدوات حجرية، إلى ما يقرب من مليون ونصف مليون سنة، على أقل تقدير، لبعض المواقع في إندونيسيا والصين؛ بينما تواريخ غرب آسيا لا تزال معطياتها القليلة تؤرخ إلى نحو مليون سنة مضت، على أكثر تقدير، وذلك مثل موقع الشويحطية.

ومن جهة أخرى، تشير نتائج الأبحاث الحديثة في أفريقيا نفسها، إلى أن بداية تصنيع الأدوات الحجرية، ومن ثم السلالة المسؤولة عنها، تعود إلى أزمان أقدم بكثير من تلك، التي تعبر عنها طبقات موقع اولدفاي السفلى، آنفة الذكر. ففي أثيوبيا، على سبيل المثال، يرجع تاريخ أقدم الأدوات



الشكل ١: أدوات أولدوانية من موقع الشويحطية - المنطقة الشمالية. ١-٥ سواطير، ٦- معول، ٧- أداة ثنائية الوجه، ٨- أداة قرصية، ٩ - ١٠ أدوات كروية، ١١- مطرقة، ١٢- سكين، ١٣ - ١٥ مكاشط جانبية، ١٦- مثقب (Whalen et al. 1986).

الحجرية إلى نحو (٢،٦ - ٢،٣ مليون سنة). كما أن الصناعة الأشولية، التي أعقبت الأولدوانية عرفت في كينيا في حدود مليون ونصف مليون سنة. وهكذا فإن النتيجة العامة هي أن التسلسل، الذي اعتمد في موقع اولدفاي ربما كان أحدث زمنًا بكثير، مما هو واقع فعلاً في أماكن أخرى في أفريقيا (Harris 1983: 9-10, Gamble 1993: 64-73). ومما يدعم هذا الرأي أن هناك اكتشافات حديثة في أوروبا، تشير إلى تاريخ وصول سلالة هومواركتوس في تاريخ أقدم مما كان موضوعًا له من قبل. ويدل على ذلك اكتشاف أدوات حجرية مؤخرًا من نوع الأولدوانية في موقعي (Fuentenuevaو Barranco) في إقليم (Orce)، جنوب شرقي أسبانيا، وجدت ضمن طبقات رسوبية، أوضحت الدراسة الجيولوجية والتأريخ العلمي لها أنها قريبة زمنيًا من رسوبيات الطبقة الأولدوانية في أفريقيا (Gibert et al. 1998: 19-23).

كذلك أعلن أخيرًا عن اكتشاف بقايا عظمية وعظام جمجمتين وفك بالقرب من تبليسي، عاصمة جورجيا نسبت لسلالة (Homo erectus) وبعد دراستها تمّ تأريخها إلى ١،٧٥ مليون سنة مضت (Rose. 2002: 10-11) إن الاستنتاج الطبيعي من هذه المعلومات الحديثة، هو أن تاريخ انتشار السلالات المبكرة، أقدم بكثير مما كان معروفًا من قبل؛ وعلى ذلك فإن المملكة العربية السعودية والمناطق الجنوبية الغربية من اليمن، مرشحة لمدّنا بمواقع أثرية مبكرة، أقدم بكثير من الشويحطية أو مثيلاتها. وذلك نسبة لموقع الجزيرة العربية وسطًا بين شرق آسيا وأوروبا.

ب- الصناعة الأشولية:

تمثل الصناعة الأشولية (Acheulian Industry) الدور الثاني في تطور بواكير الحضارة الإنسانية، خلال العصر الحجري القديم الأسفل. وتتميز هذه الفترة بظهور أسلوب جديد لتشكيل الأدوات الحجرية، ضمن منجزات ونشاطات أخرى تدل على التوسع في قدرات الإنسان، وعلى الانتشار الجغرافي النسبي والتكيف على بيئات متنوعة، واستغلال مكوناتها الطبيعية بدرجة غير معهودة. فمن جملة الأدلة الأثرية المتحصل عليها، من مواقع في مختلف أنحاء العالم، نستدل على استغلال الإنسان للموارد النباتية، وممارسة صيد الحيوانات المختلفة، والاستفادة من لحومها وعظامها وجلودها. وكذلك، تمكن الإنسان من الحصول على بعض الموارد المائية، مثل الأسماك وغيرها. إن التقدم النسبي في قدرة الإنسان على استغلال هذه الموارد، يعود أساسًا إلى ما أنتجه من أدوات، مثل ما يعود إلى تراكم التجارب واتساع القدرات الذهنية. ويتميز الدور الأشولي أساسًا بظهور تقنية تشكيل الفأس اليدوية، وهي أداة مشحوذة (مشظية) الوجهين، ومدببة الرأس، ومثلثة الشكل، ذات طرفين حادين. كما يوجد عدد من أنواع الفؤوس، التي تصنّف عادة حسب شكلها، مثل شكل الرمح، أو القلب أو اللوزة وهي ذات أحجام مختلفة. وقد حاول الباحثون رصد التطور التقني في تشكيل هذه الأداة المتميزة، إذ تبين أنها مرت بمراحل مختلفة؛ فالفؤوس الأقدم غير مكتملة التشظية، تحتفظ بجزء من القشرة الطبيعية (Cortex). كما استخدم في أسلوب شطر الشظايا ما يعرف بالمطرقة الصلبة مباشرة (hard hammer)، وهي التي تترك ندبات عميقة في سطح الفأس. ذلك، لم تكن الفؤوس في هذه المرحلة متسقة الشكل والأبعاد، الأمر الذي لم يحدث إلا بتقدم الزمن، حيث ابتكر الإنسان أسلوب الطرق الناعم (soft hammer) باستخدام العظم أو الخشب، دون المطرقة الحجرية، وتمكن بذلك من توجيه ضربات محكمة لشطر الشظايا، ومن ثم أصبحت الفؤوس أكثر اتساقًا ودقة، في أشكالها وأطرافها الحادة. فأبسط أشكال الفؤوس في التقنية وأكبرها حجمًا، تنسب عادة للنوع المبكر حيث تصاحبها بعض الأدوات المعروفة في الصناعة الأولدوانية. أما الأشولي الأوسط والأعلى، فيفرق بينهما استخدام الطّرْق المباشر القاسي في النوع الأول، والطرق الناعم الخفيف في الثاني (الأعلى)، الذي تغلب فيه الفؤوس الصغيرة الحجم وجيّدة التشذيب، من الأنواع التي تشبه شكل القلب، أو الشكل البيضوي، ثم ظهور التقنية اللفالوازية المتميزة والأوسع انتشارًا في الفترة الحضارية اللاحقة للأشولية. وقد اعتمدت هذه الصفات الشكلية والتقنية في تصنيف المواقع الأشولية، في المملكة العربية السعودية (Zarins et al. 1981).

لم تكن الفأس اليدوية هي الأداة الوحيدة في الصناعة

الأشـولية، بل توجد معـها أنواع أخرى، مثل: المعاول، والسـواطير، والأدوات الكروية، والمكاشط، والسكاكين، والمثاقب، وغيرها. وأول ما يلاحظ في هذه الفترة، كثرة أنواع الأدوات المشحوذة؛ إذ تبلغ القائمة النمطية للأدوات ضعف ما هو موجود في الصناعة الأولدوانية، ناهيك عن أسلوب التصنيع والمهارة التي يعكسها. وقد حاول الباحثون، أيضًا، تقسيم الصناعة الأشولية إلى ثلاثة أقسام: مبكر وأوسط وأعلى، وذلك بناء على ما توافر لهم من أدلة من مواقع أمكن تأريخها علميًا، وفيها طبقات متعاقبة يمكن من خلالها رصد تسلسل أنواع الأدوات، وتسجيل الفروق في أشكالها ونسبها وأساليب تصنيعها. وهناك من الباحثين من يرى عدم موضوعية تقسيم الأشولية إلى مراحل متعاقبة.

ومن المعروف، أن أقدم صناعة أشولية عثر عليها كانت -حتى الآن- في عدد من المواقع في كينيا وتنزانيا وأثيوبيا بشرق أفريقيا، وتم تأريخها إلى نحو مليون ونصف مليون سنة، قبل الوقت الحاضر. ولم يعثر على تاريخ بهذا القدم للأشولية خارج أفريقيا، حيث نجدها منتشرة في بعض أنحاء أفريقيا وفي آسيا حتى الباكستان والهند وأوروبا. ويعود تاريخها في هذه الأماكن بين نصف مليون إلى نحو ٨٠,٠٠٠ سنة قبل الوقت الحاضر، أو إلى أقل من ذلك في بعض الأماكن. ومن ضمن ما حقق إنسان تلك الفترة، بناء الأكواخ البسيطة في السهول، مثلما استخدم الكهوف والملاجئ الطبيعية، التي نظم أرضياتها بطريقة بدائية في بعض الحالات. كذلك صار من الشائع في المواقع الأشولية استخدام النار، وهو ابتكار عاد للإنسان بفوائد جمة، أقلها طهو الطعام الذي يؤدي إلى تحسين مستوى قيمته الغذائية. ومن خلال هذا الوصف الموجز للحضارة الأشولية، نعود لنرى ما وجد منها في المملكة العربية السعودية، التي أشرنا إلى وجود المجموعات البشرية فيها منذ أزمان مبكرة، كما يدل على ذلك وجود مجاميع الأدوات الأولدوانية، سابقة الذكر.

عرف عن وجود الأشولية في المملكة منذ نصف قرن تقريبًا، من خلال اكتشاف الفؤوس الأشولية المتناثرة على السطح في كثير من المواضع، في معظم مناطق المملكة، التي وصفها الجيولوجيون العاملون في أرامكو وغيرهم من المهتمين. وعلى الرغم من أن الكثير من هذه المكتشفات لم يكن نتيجة عمل ميداني منظم، إلا أن بعض مجاميع الأدوات الأشولية وغيرها، وجدت عناية خاصة من قبل بعض الأفراد، ومنهم المختصين. فقد وصف هنري فيلد وسورديناس واوفرستريت هذه الأدوات، في أكثر من عمل منشور. فقد أشاروا إلى وجود الأشولي الأوسط والأعلى في المنطقة الشرقية، بالقرب من الظهران ويبرين وعين غنامي وعين قوينصة وغيرها من الأماكن.

وفي الإقليم الشمالي والشمالي الغربي ذكر وجود معثورات أشولية شبيهة بتلك، التي وجدت في المنطقة الشرقية، بل أشير إلى وجود أنواع من الفؤوس ربما تمثل المرحلة المبكرة للأشولية (Parr et al. 1978: 34). وينطبق الأمر نفسه على منطقة صحراء الربع الخالي، حيث جمع زيمرمان (Zimerman) مجموعة كبيرة من الأدوات الحجرية بعضها فؤوس أشولية. وفي المنطقة الجنوبية الغربية والوسطى والغربية، اكتشف العديد من المواقع، التي تعود إلى هذه الفترة (Overstreet 1973).

ولم يتأكد موقف هذه الاكتشافات الأشولية في المملكة، إلا بعد إجراء المسح الأثري الشامل، الذي قامت به وكالة الآثار والمتاحف، عندما جرى تسجيل أضعاف تلك المواقع المعروفة من قبل، كما جمعت منها مواد أثرية بطريقة منهجية، إضافة إلى الدراسات الجيولوجية والجيومورفولوجية المصاحبة لهذه الأعمال، إذ أمكن -في بعض الحالات- وضع تصور مبدئي لأحوال البيئة الطبيعية، التي أثرت في حياة الصيادين في ذلك الوقت.

وقد أكدت نتائج المسح الأثري الشامل، استمرار الوجود البشري في المملكة خلال المرحلة المبكرة، التي تمثلها مكتشفات الشويحطية ونجران، بل توسع الاستيطان في المرحلة الأشولية التالية ليشمل معظم أقاليم البلاد. وقد عُني الباحثون بمواقع الأشولية باعتبار أن المعثورات فيها تشكّل أدلة واضحة، على اتصال هذه المنطقة بالمراكز الحضارية الأخرى المبكرة، في أفريقيا وشرقي البحر المتوسط. وبما أن أكثر المواقع، التي وصفت في تقارير المسح الأثري المتتالية، كانت تجمعات لأدوات حجرية وجدت فوق السطح فقط، كما

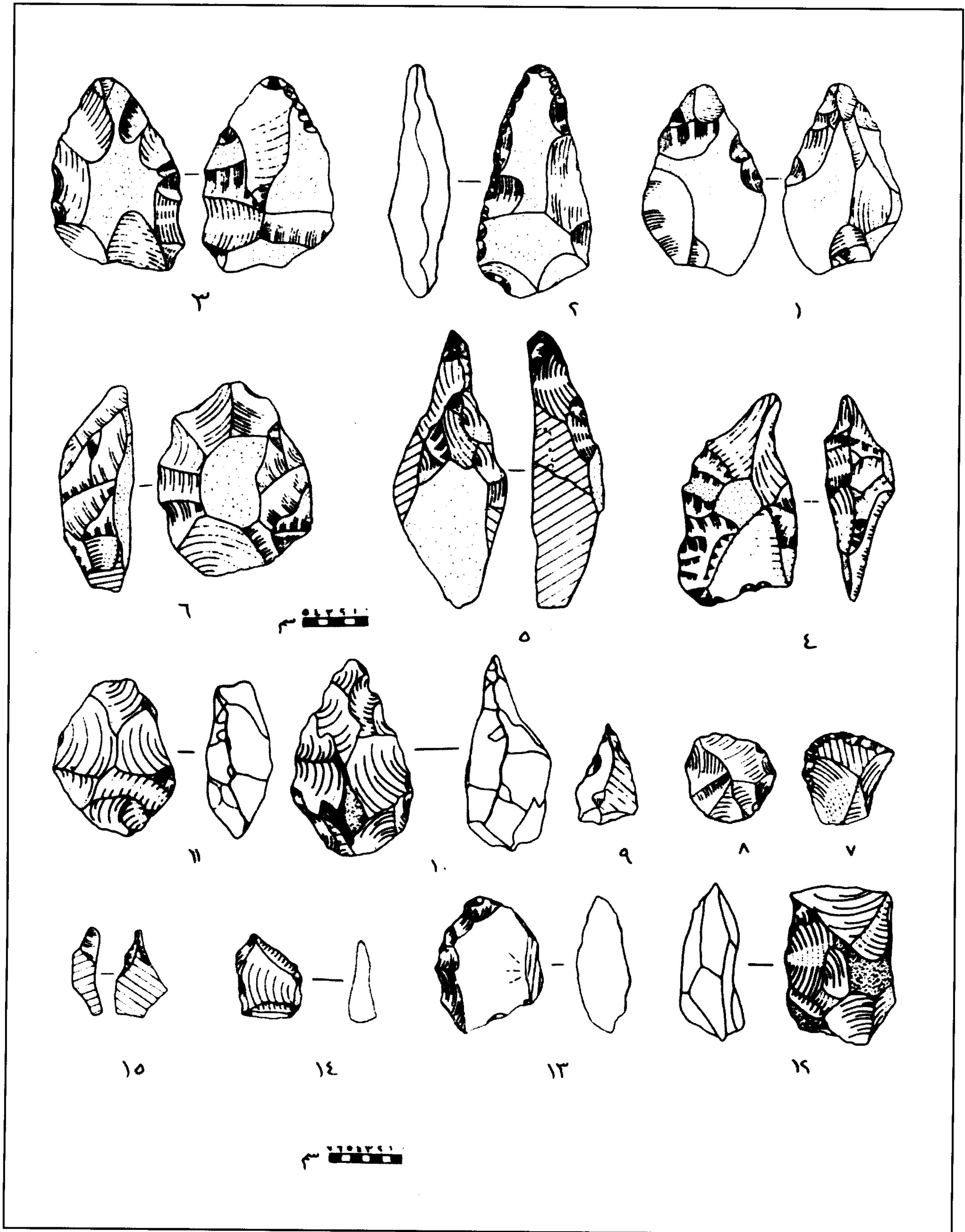
كان بعضها قليل العدد ولا يسمح بالدراسة المفصلة، فسوف نتناول في هذا الاستعراض تلك المواقع، التي أمدتنا بمعلومات مناسبة عن هذه الفترة وذلك من منطقتين، هما: الدوادمي في المنطقة الوسطى، ووادي فاطمة في المنطقة الغربية، كعينة ممثلة للحضارة الأشولية في المملكة. وتمدنا المواقع الأشولية من هاتين المنطقتين بمعلومات مفيدة، عن إنسان تلك الفترة وقدراته التقنية في تشكيل الأدوات، والتكيّف مع البيئة، واستغلال مواردها الطبيعية.

إن وجود الأدوات الأشولية في منطقة الدوادمي، أشار إليه من قبل سوردیناس (Sordinas) في ١٩٧١م. وقد وجدت ستة مواقع خلال المسح الأول للمنطقة الوسطى، نسبت الأدوات فيها إلى الأشولي الأوسط، بناء على التصنيف النمطي للفؤوس، وغيرها من الأدوات. أما الاكتشافات المهمة في المنطقة، فقد كانت ضمن نتائج موسمين لاحقين حيث تم تسجيل خمسة وعشرين موقعًا، بالقرب من صفاقة جنوب شرقي الدوادمي. وقد وصفت تلك المواقع بأنها تنتسب للأشولي الأوسط، ما عدا موقعاً واحداً وصف بأنه من نوع الأشولي الأعلى. وتمتاز هذه المواقع بسعة المساحة، على الرغم من أنها تتباين في جملة الوظائف أو الأنشطة، التي قدر الباحثون أنها مورست فيها (Whalen et al. 1984: 16).

إن أهم موقعين من جملة هذه المواقع، هما: ٢٠٦-٧٦ ، و ٢٠٦-٦٨ بسبب كثافة الأدوات الحجرية، التي جمعت منهما، ولما لوحظ فيهما من مؤشرات دالة على تنوّع الأنشطة التي مارسها الإنسان الأشولي في تلك المنطقة إضافة للأحوال البيئية القديمة المواتية لحياة أعداد مقدرة من جماعات الصيادين. كذلك، فإن هذين الموقعين قد يكونان الوحيدين اللذّين توجد فيهما أدوات تحت سطح الأرض، إذ كانت في الموقع ٢٠٦-٧٦ ممتدة حتى عمق متر ونصف المتر، وأقل من ذلك قليلاً في الموقع الآخر ٢٠٦-,٦٨ وقد وجد الموقعان في المنحدرات الشمالية لهضبة مكوّنة من حجر الانديسيت والريوليت والجرانيت، تقع إلى الجنوب من قرية صفاقة.

وتقدم نتائج الدراسات الجيولوجية، التي أجريت في المنطقة، وكذلك الظواهر الجيومورفولوجية، التي كشفتها عمليات التنقيب في الموقعين، مشهدًا واضحًا للظروف الطبيعية، التي عاش فيها الصيادون في ذلك الوقت. ففي المساحة الواقعة بين طرفي هضبة الانديسيت، أي ما بين الموقعين المذكورين، لوحظ مجرى شلالين فرعيين يجلبان المياه من المرتفعات، إلى منطقة منخفضة في الوادي كانت توجد فيها بحيرة نشطة خلال معظم الفترة الأشولية. وتؤكد الملاحظات الجيولوجية الدالة على تصريف المياه، تعاقب فترات الجفاف والأمطار، الأمر الذي دعمته الظواهر الطبيعية لمكونات التربة، التي تتكون منها طبقات الأرض في المجسات التي حفرت في كلا الموقعين. ومما يجدر بالذكر خلو طبقات الموقعين من أي مواد عضوية، كان من الممكن أن تساعد في معرفة أحوال الناس المعيشية، وفي الغالب قد أتت العوامل الطبيعيةعلى هذه المواد. ومثال ذلك التفاعل الكيماوي للصخور الموجودة في المنطقة (Whalen et al. 1983: 9-11).أجرى الباحثون دراسة مفصلة للمعثورات المكتشفة في هذين الموقعين، تشمل تسجيل مكان كل أداة في الطبقة المعينة، لمعرفة اتصال أنواع المعثورات ببعضها في بقع مخصصة، ولتحديد ما إذا كانت هناك تجمعات للأدوات تدل على نشاط معين. كذلك، أجريت دراسة إحصائية تحليلية استُعملت فيها (Cluster analysis) لمواد الموقع ٢٠٦-٦٧ ، مع أخرى من واحد وعشرين موقعًا أشوليًا من المنطقة الوسطى. وكان نتيجة تلك الدراسة مؤشرات قوية، تدعم اتجاه التفسير الوظيفي لارتباط مجاميع أنواع الأدوات المختلفة. ومن جهة أخرى، فإن نتائج التصنيف النمطي للأدوات من هذين الموقعين، والمقارنة مع مواقع أشولية مؤرخة علميًا في شرقي المتوسط وأفريقيا، تشير إلى أنهما يعودان لفترة الأشولي الأوسط نحو ٢٥٠,٠٠٠ / ٣٠٠,٠٠٠ سنة، قبل الوقت الحاضر تقريبًا (Whalen et al. 1984: 11).

وبالنظر إلى قائمة أنواع الأدوات، نجد أن أدوات التقطيع تشمل: الفؤوس اليدوية، التي تمثلها الأشكال الرمحية أو القلبية، والسواطير، وثنائية الوجه، والسكاكين الكبيرة. وتشمل مجموعة أدوات الأشغال الثقيلة: المعاول، والأدوات ثلاثية السطح، والقواطع، والأقراص، والمستديرات، وكلها مصنوعة من نوى ثقيلة. ولم تكن تقنية التصنيع متطورة إذ



الشكل ٢: أدوات أشولية من الدوامي ووادي فاطمة (جدة) ١ - ٣ فؤوس يدوية، ٤- ساطور، ٥ - معول، ٦- قرص، ٧ مكشطة أمامية، ٨- رقيقة لفالوازية، ٩- مثقب، ١٥- منقاش، الدوادمي. ١٠-١١ فؤوس يدوية، ١٢- مفرمة، ١٣- مكشطة، ١٤- مثقب، وادي فاطمة (Whalen et al. 1983, 86).

كان أسلوب الطَّرق من النوع المباشر بالمطرقة الصلبة، حيث تترك ندبًا عميقة على أسطح الأدوات. كما أن الفؤوس، وغيرها من أدوات غير مكتملة الاتساق، لا تعكس نسبًا محفوظة في أبعادها. كذلك، لوحظ وجود التقنية اللفالوازية في مرحلتها البدائية، التي تنسب، عادة، لفترة الأشولي الأوسط. أما بقية الأنواع، فتتمثل فيما يسمى بالأدوات الخفيفة، كالمكاشط بأنواعها، والمثاقب، والمناقش، والسكاكين، الرفيعة. كذلك، توجد القطع المستعملة في تصنيع الأدوات، مثل: المطارق والنوى، وما ينتج عنها من شظايا وكسر مختلفة الأحجام (شكل ٢ ,Ibid 18).

ويلاحظ أن هذه الأدوات بأنواعها المختلفة، لم يطرأ عليها تغيير تقني يذكر، بل ظلت موجودة بأشكالها نفسها تقريبًا، على امتداد أكثر من متر تحت السطح، أي على امتداد فترة الأشولي الأوسط الطويلة نسبيًا. ويظهر الاختلاف الواضح في تجمع بعض أنواع الأدوات وتركيزها، في مستويات معينة من المساحات، التي عاش فيها الصيادون ومارسوا أنشطة مختلفة، كما يفترض الباحثون. ويرى الباحثون أيضًا أن الدراسة التحليلية لأنواع الأدوات، وأماكن وجودها، جعلتهم يقترحون سبعة استعمالات أو أنشطة مارسها الصيادون، على امتداد طبقات الموقع ٢٠٦-٧٦ ، بدرجات متفاوتة في التركيز. وتتمثل هذه الأنشطة في: تجهيز الصيد، وتقطيع اللحوم التي تستخدم فيها الفؤوس والسواطير والسكاكين، ثم كسر العظام للحصول على النخاع، وذلك باستعمال القواطع والنوى والأدوات متعددة الأسطح. أما أعمال الجلود، فقد خصصت لها المكاشط المقوسة والسكاكين، وأخيرًا أعمال الخشب أو العظم، وأدواتها المكاشط المستقيمة والمقعّرة والمثاقب، أو المخارز والمثاقب على التوالي. وهناك مجموعة أدوات بينها المعاول، يرى الباحثون أنها مناسبة لمعالجة النباتات وتجهيزها، ومجموعة أخرى يستفاد منها في تصنيع الأدوات، وهي النوى والمطارق وكتل الأحجار المتبقية بعد استخراج الشظايا. ويخلص الباحثون إلى أن كثرة المواقع الأشولية في هذه المنطقة، يعود إلى وجود البحيرة ووفرة النباتات والحيوانات والصخور المناسبة لعمل الأدوات. كما أن عمق الترسبات التي وجدت فيها المعثورات، يشير إلى أن جماعات الصيادين عاشوا في المنطقة لفترة طويلة؛ ولكن ليس بالضرورة بشكل مستمر، وإنما على أساس موسمي.

وعلى الرغم من عدم ملاحظة أي تنوع في أشكال الأدوات وأنواعها على مرّ آلاف السنين، إلا أن هناك إشارات لتحولات في التركيز على بعض الأنشطة، التي تخصص فيها الناس، لسبب أو لآخر. ويبدو أن هجرة الصيادين من المنطقة حدثت عندما جفت البحيرة، خلال فترة الأشولي الأوسط نفسها، حيث لم تعد مكانًا صالحًا للإقامة، إلا بصفة متقطعة في فترات لاحقة (ibid: 11-19). ومهما يكن من أمر، فإن صحة فرضية التفسير الوظيفي المقترحة، تبقى رهينة لتأكيدات إضافية. كما أن طرحها لا يعني إلغاء تفسيرات أخرى، يمكن استشفافها من خلال إجراء دراسة تحليلية على أسس مختلفة.

ويأتي المثال الثاني للصناعة الأشولية من منطقة وادي فاطمة، بالقرب من جدة. فقد كان من نتائج المسح الأثري في المنطقة اكتشاف ٣٢ موقعًا أشوليًا، ضمن مواقع أخرى، وجدت متوزعة على الجانب الشمالي من الوادي، وبالقرب من الأودية الفرعية، التي تصب في الوادي الرئيس. وتتوافر في المنطقة أنواع مناسبة من الصخور لتصنيع الأدوات. كذلك، تشير الملاحظات الجيولوجية إلى أن المناخ كان ممطرًا ورطبًا، خلال فترة الاستيطان. وأوضح التصنيف النمطي للأدوات الحجرية غلبة الأنواع المعهودة في الصناعة الأشولية، وهي: الفؤوس اليدوية، والمفارم، والمعاول، والأدوات الكروية، ومتعددة الأسطح؛ إضافة للأنواع الصغيرة، مثل: المكاشط المتنوعة، والأزاميل، والمناقيش، والمثاقب (الشكل ٢). وهناك مؤشرات على ظهور التقنية اللفالوازية، التي يعتقد أنها متزامنة مع الأشولي الأوسط. كذلك، فإن مقارنة الأدوات بمثيلاتها، في صفاقة بالدوادمي وغيرها في بلاد الشام (سوريا)، ترجّح نسبتها إلى الأشولي الأوسط أيضًا. ويدعم هذا الرأي الحصول على تاريخ علمي بواسطة يورانيوم/ثوريوم المشع، أُجري على حصى جيرية متكلسة، وكان في حدود ٢٠٠,٠٠٠ سنة ق.م. وهو تاريخ قريب جدًا من التاريخ المذكور من صفاقة، حيث أرخت عينة من المادة الكلسية نفسها (Whalen et al. 1988: 78).

إن الأمر المهم في دراسة الفؤوس اليدوية والأدوات الثقيلة الأخرى، هي تلك الظواهر التي تدل على أسلوب التصنيع. وفي حالة الأشولي الأوسط أو المبكر، نجد أن التشظية تترك ندبات عميقة، كما أن الفؤوس لم يكتمل تنسيق أبعادها بعد. والأدوات المصنّعة، مهما كانت بسيطة في أشكالها، فإن الباحث يسعى دائمًا لمعرفة وظائفها، وبذلك تكون المدخل إلى معرفة بعض جوانب الاقتصاد المعيشي لجماعات العصور الحجرية. وفي مواقع وادي فاطمة، حاول الباحثون تطبيق الفرضية نفسها، التي وصفت من قبل لتفسير استخدامات مجموعات الأدوات الحجرية، في المواقع الأشولية بصفاقة. ويرى هؤلاء أن وجود أنواع معينة من الأدوات في مواضع بعينها، يشير إلى تخصيص تلك المواضع لعمل أنشطة معينة. فأحد المواقع الصغيرة في شمالي بحرة، على سبيل المثال، وجدت فيه أدوات قليلة ومحدود الأنواع، مثل: القواطع، والمكاشط، وقليل جدًا من الشظايا الثانوية، الناتجة عن إعادة تشذيب الأدوات؛ ولهذا السبب عدّه المنقبون بقعة نشاط محدود، ربما كان يتعلق بإعداد الطعام من النبات، أو لحوم الحيوان (ibid: 81). وكما أشرنا أعلاه، فإن هذا التفسير الوظيفي، يعد أحد المداخل لتفسير مكونات مجاميع الأدوات الحجرية وتوزيعها في المكان والزمان إلا إن استخدامه في حالة المعثورات السطحية تحفه الشكوك.

ومهما يكن من أمر طبيعة مجاميع الأدوات الحجرية، وما طرأ عليها من تغييرات بفعل عوامل الطبيعة بسبب وجودها على السطح، وقلة المواقع المكتشفة حتى الآن، ومحدودية إمكانية تأريخها بطرق علمية، فإن مجمل المعلومات المتوافرة تشير إلى أن أرض المملكة العربية السعودية، كانت مأهولة بجماعات الصيادين، في أزمان موغلة في القدم، تعود لنحو مليون سنة على الأقل. ومن المتوقع أن تكشف الأبحاث المستقبلية عن مخلفات أثرية أقدم منها في ضوء ما قدمنا من مؤشرات. ومن جهة أخرى، تؤكد هذه المعلومات، أيضًا، أن الصناعات الحجرية، خلال فترة العصر الحجري القديم الأسفل، كانت متوافقة بدرجة كبيرة مع مثيلاتها في أفريقيا، وغربي آسيا، والأجزاء الجنوبية من أوروبا. وهي تبدأ بالأدوات الحصوية (الأولدوانية)، ذات المواصفات التقنية البسيطة، لتعقبها الأشولية بفؤوسها اليدوية مكتملة الصنع، وبقية قائمة الأدوات، التي شُكّلت بأسلوب تقني متطور يتميز عن سابقه، بمستوى درجة التحكم في التنفيذ. ويقودنا ذلك - بطبيعة الحال- للمرحلة التالية من تطور حضارات العصر الحجري القديم، التي تجمع من الصفات ما يبرر تناولها تحت عنوان مستقل.

العصر الحجري القديم الأوسط

يتفق علماء ما قبل التاريخ، على مجموعة خصائص ومعايير حضارية تميّز هذه الفترة عن غيرها، بناء على ملاحظات وشواهد آثارية، جُمعت من آلاف المواقع في قارات العالم. كما أنهم اتفقوا، في الوقت نفسه، على أن الإنسان قد خطا خطوات مهمة نحو التنوع والتمايز الثقافي/ الحضاري الإقليمي، وذلك لأسباب مختلفة، منها استمرار الموروث الثقافي وتراكمه، والتكيّف البيئي والموارد الطبيعية المتاحة. وتتمثل التقنية الأساسية المميزة لهذه الفترة، في ما يعرف بتجهيز، أو تهيئة النوى الحجرية، لشطر عدد من الرقائق (الشظايا)، التي يُختار بعضها، ومن ثم تشكّل بالشحذ والتشذيب في أدوات متعددة الأنواع ذات سمات متكررة، تعكس قدرات أكبر في تقنية الشحذ الرفيع والتنويع في الشكل، يفوق كل ما عُرف في الصناعة الأشولية. وتقل تدريجيًا أنواع الأدوات الثقيلة الخشنة التصنيع، والفؤوس اليدوية حتى تختفي تمامًا في أواسط هذه الفترة، لتحل محلها الأدوات المصنّعة على الرقائق (الشظايا). ومن نتائج هذه الدراسات، أيضًا، تحديد تقاليد حضارية متوزعة على أنحاء العالم بما يعرف بالمناطق الثقافية (Culture areas)، حيث تنتشر سمات حضارية مشتركة، في المنطقة المعنية.

تعرّف الباحثون على طريقتين متميزتين في تجهيز النوى، في الصناعات الحجرية لهذه الفترة، ضمن طرق أخرى بسيطة، هما: اللفالوازية والموستيرية؛ فالطريقة الأولى، نجد بداياتها في الصناعة الأشولية نحو ٢٠٠,٠٠٠ قبل الوقت الحاضر، ليكتمل نضوجها وتميزها في العصر الحجري القديم الأوسط. وهي تعني -ببساطة- تجهيز النواة بطرقها من الحافة نحو الوسط، لإبعاد القشرة الطبيعية، ثم يتبع ذلك

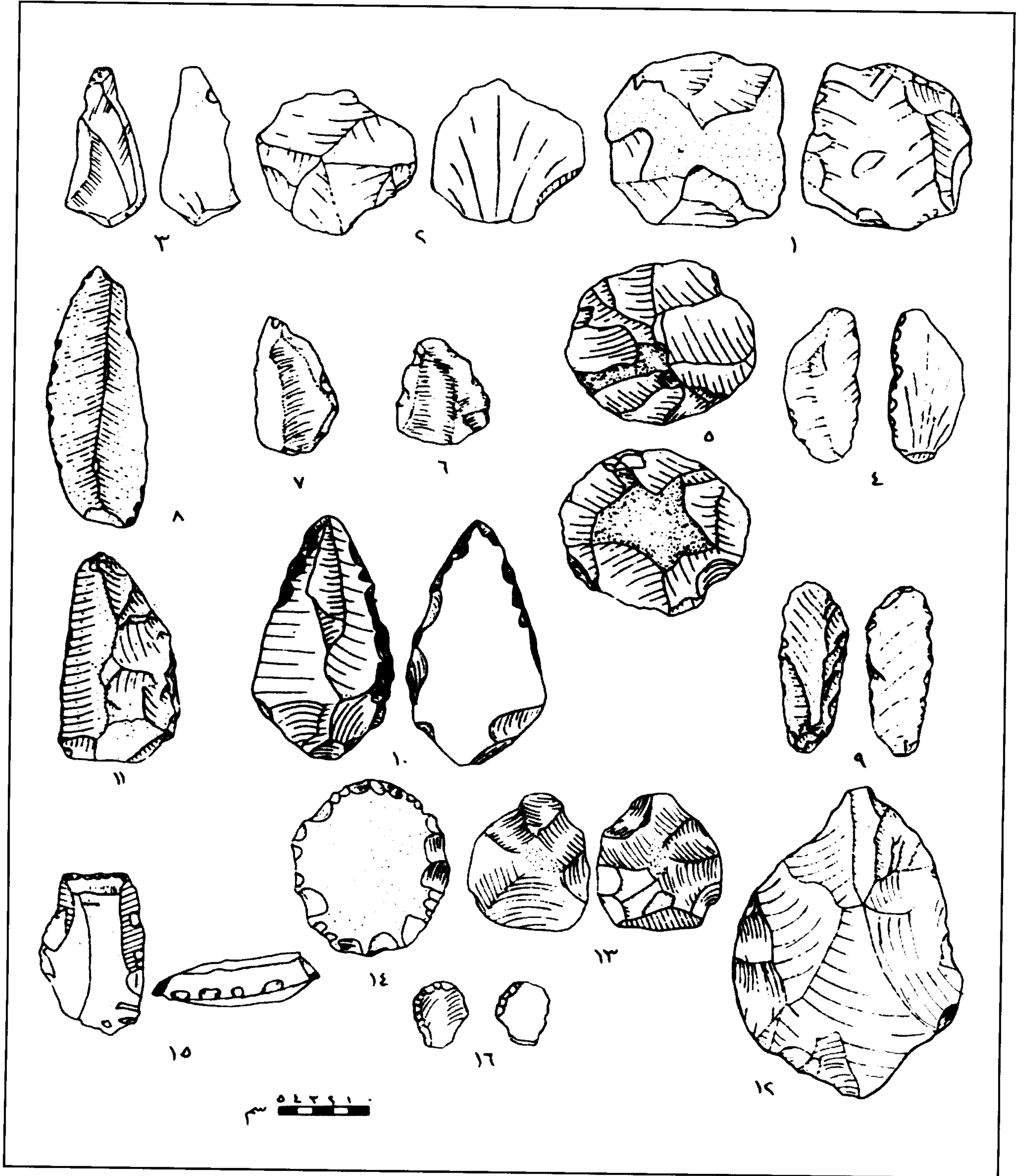
خطوات تشطير متعاقبة، تؤدي في النهاية إلى شطر ما يسمى بالشظية اللفالوازية، أو الرأس اللفالوازي.

أما الطريقة الثانية: الموستيرية، فقد عرفت بعد فترة من الطريقة الأولى، وهي تتبع بعض الخطوات الفنية المعروفة في اللفالوازية، ولكنها تهدف إلى الحصول على عدد أكبر من الشظايا (الرقائق) من النواة الواحدة، التي تُشبه، عادة، ظهر السلحفاة. ويضاف إلى هاتين التقنيتين نوع الأدوات المصنعّة، التي تتمثل في المكاشط، والسكاكين، والرؤوس، والمسننات (المنشارية)، والأدوات ذات الثلم، وقليل من النصال، والفؤوس اليدوية، في المراحل المبكرة من هذه الفترة الحضارية. ويعكس تسلسل الأدوار الثقافية خلال هذه الفترة، وجود تقاليد في تشكيل الأدوات يُطلق عليها: "الصناعات الموستيرية"، التي تمثل حضارات تنتشر بمواصفاتها المذكورة، في وسط وغربي أوروبا، وشمالي أفريقيا، وغربي آسيا (شرق المتوسط). وكلما ابتعدنا عن هذه المراكز، يقل انتشار التقنيتين الموستيرية واللفالوازية بشكلهما النمطي المعروف، وتحل محلهما أساليب تصنيع محلية، تعتمد، أيضًا، إنتاج الشظايا لعمل الأدوات، مثل ما هو الحال في أفريقيا جنوبي الصحراء، وبعض بلدان شرقي آسيا.

فالصناعات الموستيرية في غربي أوروبا، على سبيل المثال، قسّمت إلى عدد من التقاليد في صناعة الأدوات، لكل واحدة منها خصائص شكلية وتقنية، ونسب متوافقة في أنواع الأدوات، توجد، عادة، في المجموعة المعينة. ويختلف العلماء في التفسير الحضاري لهذه التقاليد، أو المجموعات الموستيرية. ونتيجة لدراسات مطولة للعديد من مجاميع الأدوات الحجرية، ومن مواقع مختلفة، وضع دارسو تلك المجاميع قوائم للتصنيف، بناءً على رصد الخصائص المورفولوجية والتقنية للأدوات وأنواعها، وأنواع الصخور المستعملة في تشكيلها (Bordes 1972: 48-54). وقد نقل هؤلاء العلماء هذه المنهجية لتطبيقها في أماكن خارج أوروبا، حيث ثبتت جدواها وفائدتها في بعض الحالات، مثل شمالي أفريقيا وشرقي البحر المتوسط؛ ولكنهم استخدموا أحيانًا بعض المسميات المحلية من اجل إبراز بعض السمات الخاصة بالمنطقة. وتظهر الصعوبة عندما تكون مجاميع الأدوات قيد الدراسة من مناطق بعيدة عن هذه المراكز، وغير متوافقة مع قوائم التصنيف تلك، ما يسبب بعض الإشكاليات العملية عند تطبيقها. وقد حدث هذا الأمر في أكثر من مكان في أفريقيا والشرق الأدنى (Elamin 1981: 118-120, 177-185).

وإكمالاً للصورة، علينا أن نذكر أن إنسان هذه الفترة خطا خطوات مهمة في تحسين موارد المعيشة، من صيد بري وبحري وجمع للمواد النباتية. إن مجموع ما اكتشفه الآثاريون يشير بوضوح إلى التوسع في استغلال الموارد الطبيعية المتباينة، وتمدد الاستيطان البشري، في معظم أجزاء العالم القديم، بما في ذلك شمالي أوروبا. وقد صنع الإنسان كذلك قليلاً من أدواته من العظم والقرون، كما استعمل أدوات الزينة، مثل قطع الخرز البسيطة إضافة إلى ممارسة دفن الموتى، وعمل بعض الفنون البدائية البسيطة، التي كانت الأساس لانطلاقة الفنون الكبرى، في المرحلة الثالثة من العصر الحجري القديم.

في ضوء هذه المعلومات العامة، ننظر في مجاميع الأدوات الحجرية في المملكة العربية السعودية، التي نسبت إلى هذه الفترة. فقد أثمر المسح الأثري الشامل، ومن قبله تقارير الرواد أمثال هنري فيلد وسورديناس واوفرستريت، في الكشف عن العديد من مواقع هذه الفترة، في شتى أقاليم البلاد؛ وإن كانت هذه الواقع وجدت بكثافة واضحة في الشمال والجنوب الغربي للبلاد. مثل غيرها من مواقع ما قبل التاريخ في المملكة، فإن المعثورات كانت محصورة في الأدوات الحجرية التي وجدت على السطح، وهي خالية -بطبيعة الحال- من المواد العضوية، أو أي مصنوعات أخرى ذات دلالة فنية. ويزيد الأمر تعقيدًا أن الكثير من هذه المواقع، يوجد فيها أكثر من مكّون حضاري؛ إذ تنتشر الأدوات الأشولية مع أخرى موستيرية، أو غيرها من الفترات اللاحقة من فترات العصور الحجرية، ما يشكل صعوبة أمام الباحثين. والملاحظة العامة الأخيرة هي، أن هذه المجاميع، التي دُرست، تعكس توافقًا في بعض أساليب التصنيع، مثل التقنية اللفالوازية أو الموستيرية، وبعض الأنواع المعروفة من الأدوات. كما أنها، من جهة أخرى، تعكس، أيضًا، صفات محلية تميّزها عن الصناعة الموستيرية النموذجية، التي وصفناها من قبل، ما يجعلنا أمام



الشكل ٣: نماذج لأدوات العصر الحجري القديم الأوسط: ١-٤ نوى وأدوات لفالوازية. المنطقة الشمالية (Gilmore et al. 1982)؛ ٥-٧ نوى ورقائق لفالوازية، ٨-٩ نصال، ١٠-١١ مكشطة جانبية. المنطقة الجنوبية الغربية (Zarins et al. 1981)؛ ١٢فأس موستيرية، ١٣ نواة موستيرية، ١٤ مكشطة قرصية، ١٥ إزميل، ١٦ مكشطة طرفية - المنطقة الغربية (Killick, A. et al. 1981).

حالة اختلاف أو تباعد حضاري. ومما لا شك فيه أن هذا الوضع يطرح العديد من التساؤلات العلمية، التي تصلح لصياغة موضوعات أبحاث مستقبلية.

ومن ضمن مكتشفات المسح الأثري في الإقليم الشمالي، ما وجد في منطقة الجوف وسكاكا من مواقع كثيرة تحوي أدوات حجرية، تنسب للصناعة الموستيرية. وتنتشر هذه المواقع السطحية فوق المرتفعات، أو المنحدرات المطلة على الأودية والقيعان، أو بالقرب من السبخات، ومجاري القنوات القديمة. وتتميز هذه المواقع بكثرة بقايا النوى والشظايا والكسر الحجرية، الناتجة عن تجهيز الأدوات، وندرة الأدوات المشحوذة أو المشذبة. والأخيرة، على قلتها، تعد من نوع الأدوات الموستيرية النموذجية. كذلك، وجدت نوى من النوع الموستيري، قرصية الشكل، وقليل آخر يماثل النوى اللفالوازية المعروفة. ويخلص بار وآخرون إلى أن الجزيرة العربية لم تكن بعيدة عن المناطق الغنية بالصناعات الموستيرية، على الرغم من أن ما سمح به البحث يشير إلى توافق محدود، يتمثل في وجود التقنيات الأساسية المعروفة في هذه الفترة (Parr et al. 1978: 35).

وإذا كانت هذه المواقع عبارة عن أماكن أو ورش لتجهيز الأدوات، فإن مواقع أو معسكرات إقامة الصيادين لا تزال تنتظر من يكتشفها مستقبلاً. أما في بقية أجزاء الإقليم الشمالي، فلم يوجد سوى القليل جداً من مثل هذه المواقع. وفي المنطقة الشمالية الغربية لم يكشف المسح الأثري عن مواد موستيرية واضحة المعالم، وإنما كشف عن القليل من الأدوات المبعثرة على السطح، التي يصعب تصنيفها بسبب ما أحدثته فيها عوامل التعرية. وبينما لم تكتشف مواقع تعود للعصر الحجري القديم الأوسط في شمالي الحجاز أو في حسمى، فقد وجد بعضها في منطقة تبوك، وهي تحوي أدوات موستيرية. وعلى الرغم من محدودية هذا الاكتشاف، إلا أنه يشير إلى ضرورة القيام بأبحاث ميدانية أكثر كثافة، من المسح المشار إليه (Ingraham et al. 1981: 65-66).

وفيما عدا عدد محدود من مواقع هذه الفترة عثر عليها على ضفتي وادي السهباء، فإن المسح الأثري لم يوثق مثلها في بقية أنحاء المنطقة الشرقية. وكانت الأدوات من مواقع وادي السهباء قليلة العدد، كما أن نوع المادة الخام رديئة إلى درجة أثرت في مستوى تشذيبها (Adams et al. 1977: 30). وقد نشر مكلور مؤخراً معلومات عن موقع فريد في نوعه، في الطرف الجنوبي الغربي من صحراء الربع الخالي، وجدت فيه ٣٠٠ أداة، معظمها رؤوس ومكاشط مجنّحة. وتمثل الرؤوس جيدة الشحذ من جانب واحد، النوع الغالب. كما كان هناك أيضًا، شظايا ونصال مشذبة ذات أشكال هندسية وسكاكين وأدوات مسننة وأخرى متنوعة. واعتماداً على أشكال هذه الرؤوس، وغياب أي خصائص أخرى تربطها بالصناعات الحجرية المعروفة في صحراء الربع الخالي، ووجود ظواهر طبيعية في منطقة الموقع تشير إلى ارتباطها بالفترة المطيرة نسبيًا، التي سادت في المنطقة خلال الفترة ٣٥,٠٠٠ - ٢٠,٠٠٠ قبل الوقت الحاضر، فقد رُجّح أن يكون ذلك تاريخًا لهذا الموقع. وأضاف أن هذا الموقع، وإن كان وحيداً، إلا أن أدواته تشبه لحد كبير صناعة بئر الطير، ذات الصبغة الموستيرية المنتشرة في شمالي أفريقيا حتى صحراء مصر الغربية، في الفترة بين ٤٠,٠٠٠ و ٢٥,٠٠٠ قبل الوقت الحاضر. وقد ذكر مكلور أن ذلك كان نتيجة لاتصال حضاري بين المنطقتين، على الرغم من أن هذا الرأي قد لا يجد سنداً من واقع هذه المجموعة المحدودة من الأدوات، التي جمعت من بقعة واحدة (McClure 1994: 1-6).

وفي منطقتي الرياض ووادي الدواسر، عُثر على كمية من الأدوات الحجرية من مواقع سطحية، وصفت بأنها من نوع الصناعة الموستيرية، بناء على وجود النوى الموستيرية وقليل من اللفالوازية، وكذلك المكاشط الجانبية والطرفية، وغيرها من الأدوات المعروفة في هذه الفترة. وأجرى الشارخ مسحًا أثريًا مكثفًا في منطقتي الطراق والدغم، في شمال شرقي الرياض، وهي جزء من المنطقة التي مسحها فريق وكالة الآثار من قبل، حيث ذكر وجود عدد أكبر من مواقع العصر الحجري القديم، إلى جانب منشآت حجرية. وفيما يتعلق بالأولى فقد وصف الشارخ المواقع بأنها ورش لتصنيع الأدوات الحجرية، وذلك لكثرة الشظايا والنوى والمطارق،

وكثرة الأحجار مختلفة الأحجام، والقليل جداً من الأدوات المشحوذة. ومن المتوقع، بطبيعة الحال، أن تكون الأدوات المشحوذة قد أخذت إلى أماكن أخرى. وبعد عمل الدراسة التحليلية لعناصر هذه المادة، توصل الشارخ إلى أنها تعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط، بناءً على مواصفات تقنية وشكلية، وكذلك لخلوها من الفؤوس الأشولية، على الرغم من ندرة الأدوات المشحوذة التي تمثل الأساس، عادة، في تحديد الفترة الزمنية للمعثورات (Al-Sharekh 1995: 70,114-115). وفي الإقليم الجنوبي الغربي اكُتشف أيضًا عدد من المواقع التي تحوي أدوات موستيرية تعكس الخصائص النوعية والتقنية نفسها. وتشمل تلك الأدوات المشحوذة، الشظايا اللفالوازية، ونسبة عالية من المكاشط بأنواعها المختلفة، والمناقيش، والرؤوس، والمثاقب، إضافة إلى قليل من الفؤوس اليدوية في بعض المواقع (الشكل ٣). وقد وجدت هذه الواقع الموستيرية في وادي حما، ووادي تثليث، وأودية جنوب ظهران الجنوب وعلى ساحل البحر الأحمر (Zarins et al. 1981: 16-18).

وفي المنطقة الغربية أثمر المسح الأثري عن اكتشاف أربعة عشر موقعًا، وُصفت بأنها من النوع الموستيري. وكانت المعثورات الحجرية المكتشفة محدودة العدد، إذ يبلغ متوسطها ثلاثين قطعة في أحد عشر موقعًا، وما يقل عن مائة قطعة، في موقعين آخرين، ما يجعل التصنيف والمقارنة في غاية الصعوبة. وتعكس الأدوات المشحوذة على قلتها، بصفة عامة، سمات الصناعة الموستيرية، وأشكال أدواتها المعهودة. أما الموقع الأخير، ٢١٠-٢٣٢، فهو الأوفر حظًا في عدد الأدوات المشحوذة، إذ تبلغ ٢٣٥ قطعة، معظمها مكاشط متنوعة، تليها الأدوات المسننة، وذات الثلب، وقليل من الفؤوس اليدوية. وبسبب وجود الأخيرة ضمن الأدوات الموستيرية الأخرى، حاول هويلن وآخرون مقارنتها بما يعرف بالموستيري ذي التقليد الأشولي، وهو أحد نماذج الصناعات الموستيرية، التي عرّفها فرانسوا بوردز، في مطلع الستينات من القرن الماضي. لقد وجد هويلن وآخرون الشبه كبيرًا، بين الاثنين، خاصة بعد استبعاد بعض أنواع الأدوات من قائمة أدوات موقع (Pech de L'Aze)، في فرنسا، ولا تتوافر في الموقع ٢١٠-٢٣٢، الأمر الذي يضعف من قيمة نتيجة هذه المقارنة، على كل حال (Whalen et al. 1981: 47-49).

قامت دراسة بوردز على تحليل عدد كبير من مجاميع الصناعات الموستيرية، في جنوب غربي فرنسا، حيث أخضعها لمنهجية كانت نموذجية في وقتها. وهي تتناول مجمل الخصائص التقنية والشكلية والمواد الخام وغيرها. كانت مجاميع الأدوات هذه، جمعت من مواقع فيها طبقات متعاقبة، ومؤرخة بطرق علمية. وهي تحوي إلى جانب الأدوات، مواد عضوية وظواهر حضارية أخرى عديدة (Bordes 1961)، ومهما يكن من امر فإن مواقع المنطقة الغربية بالسعودية، تعكس بالفعل صفات موستيرية عامة، إلا أن مطابقتها بأخرى في فرنسا، أمر لا يسنده واقع المعلومات المتوافرة لدينا، في الوقت الحاضر.

وخلاصة القول، أن هذه المجاميع الموصوفة بالموستيرية، تشكل دليلاً قاطعًا على انتشار واسع لتقنيات العصر الحجري القديم الأوسط، في عمق الجزيرة العربية؛ ولكن الدراسة الميدانية تشير إلى أنها، تمثل تقليدًا في صناعة الأدوات مختلفًا في كثير من جوانبه عن الصناعات الموستيرية المعروفة، في بقية أنحاء الشرق الأدنى. ومن جهة أخرى، فقد أوضح الباحثون أن تقنية تشذيب أدوات الرقائق (الشظايا) المشطورة من نوى تختلف -عن الموستيرية التقليدية قد استمرت لفترة طويلة، بل كانت هي الأكثر شيوعًا في المملكة العربية السعودية. ويرى هؤلاء، أيضًا، صعوبة الجزم بتصنيف محدد لهذه المجاميع، في ضوء المعلومات المتاحة من الدراسة المبدئية، التي اعتمدت، في الغالب، على الملاحظات الميدانية (Zarins et al. 1979: 15,16, Zarins et al. 1981: 16-18, Zarins et al. 1982: 30). وانطلاقًا من هذه الإشارات، تتضح الحاجة الماسة لتناول موضوع الصناعات الحجرية المنسوبة للعصر الحجري القديم الأوسط بدراسة تحليلية موسعة، تقوم على حصر السمات الشكلية والتقنية وقياسات أبعاد الأدوات ونوع المواد الخام، والاستعانة في ذلك بالمناهج والنماذج الإحصائية/ الرياضية واستخدام الحاسب الآلي. وبذلك يمكن التوصل إلى تعريف موضوعي لتقاليد صناعة الأدوات

الحجرية خلال هذه الفترة، وتحديد سماتها المميزة وإمكانية مقارنتها بغيرها.

العصر الحجري القديم الأعلى

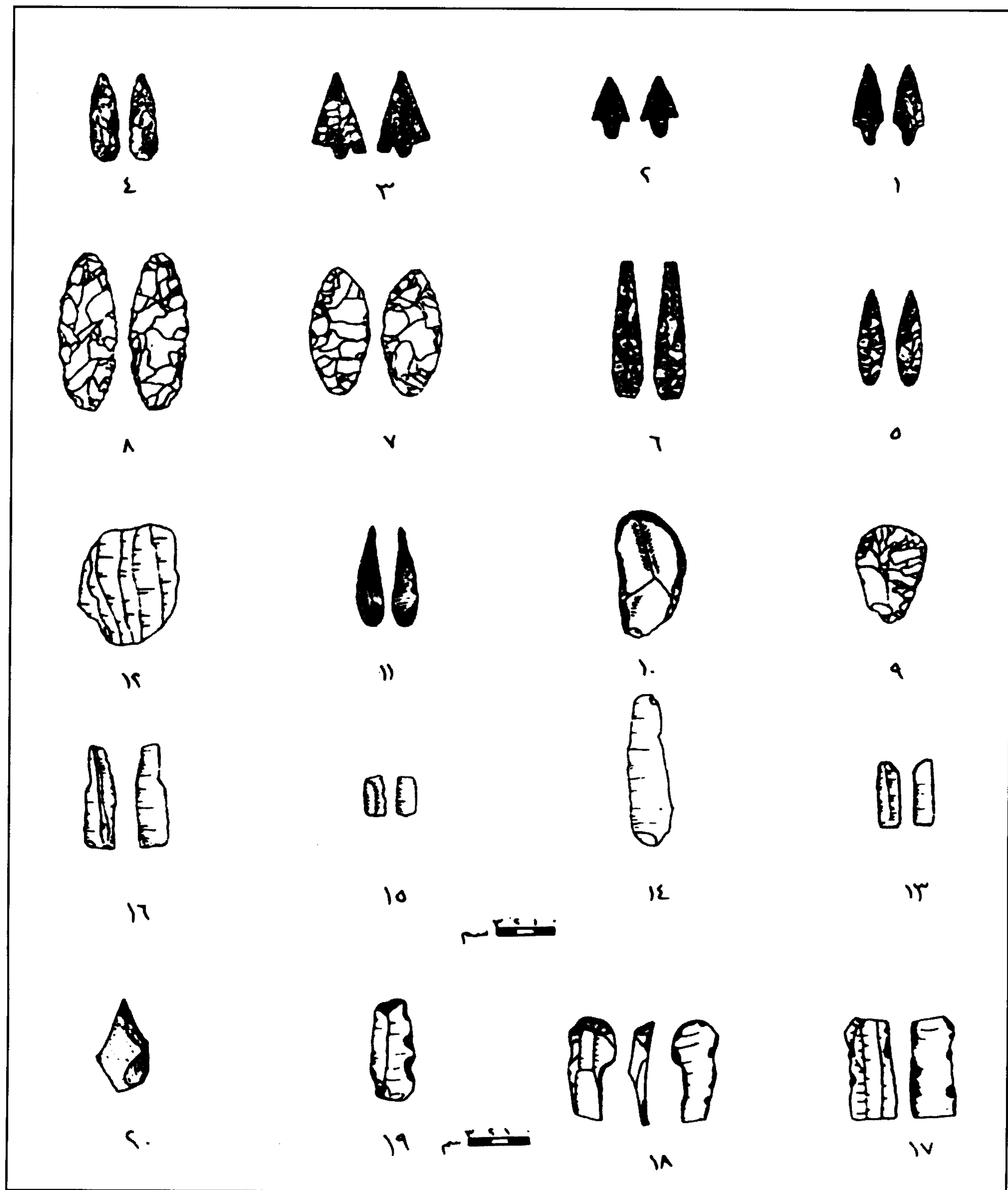
تُعد هذه الفترة (٤٠,٠٠٠ - ١٠,٠٠٠ قبل الوقت الحاضر) من أهم الفترات الحضارية في العصر الحجري القديم، نسبة لما حققه الإنسان خلالها من ابتكارات تقنية وفنية، مع تمكّنه من تحسين أنماط الاقتصاد المعيشي، وتوفير الأدوات المناسبة، لتأمين القدر المطلوب من الغذاء، لمجموعات الصيادين المتزايدة في أعدادها. وفي هذه الفترة عمّ الاستيطان البشري جميع أنحاء المعمورة، بما في ذلك العالم الجديد (أمريكا واستراليا). فالأدوات الحجرية المتنوعة، صارت تصنع من أنصال طويلة متوازية الأضلاع ورفيعة السمك، وأصبحت تدريجياً شفرات رفيعة ودقيقة الشحذ، الذي ينفّذ بواسطة الضغط. ويحصل على هذه النصال من نوى هرمية الشكل تجهز بحيث يشطر النصل في اتجاه طولي واحد، من قاعدة معدة سلفًا.

ومن الأدوات المعروفة في هذه الفترة: المكاشط، والسكاكين الرفيعة، والنصال المظهّرة، ذات الأشكال الهندسية والمناقيش والمثاقب الرفيعة. وأضاف إنسان تلك الفترة إلى معداته، الأدوات العظمية، مثل: الخطاطيف والإبر والرؤوس المدببة. وتشير الأدلة الأثرية، أيضًا، إلى التنويع في مواد الغذاء، وطرق إعداده؛ فشمل الصيد البري، والطيور، والموارد المائية، والحبوب البرية، وغير ذلك مما تنتجه البيئة. كذلك، لوحظ التوسع في بناء الأكواخ في شكل مجموعات، مثلما كانت الكهوف ملاجئ للإنسان في المناطق البادرة في أوروبا، على سبيل المثال، حيث ترك فيها نماذج للفنون الرائعة، تتمثل في اللوحات الملوّنة والرسوم المحفورة على الجدران. ومن نماذج الفنون المنقولة، المنحوتات الآدمية والحيوانية المصنوعة من العظم والحجر والعاج وغيرها، وأدوات الزينة، كقلادات الخرز والأساور العاجية. وقد شهدت مناطق الشرق الأدنى معظم هذه التطورات الحضارية، وأسهمت فيها بقدر كبير. ومثل غيرها من مناطق العالم القديم، تتباين هذه المناطق في تجاربها المحلية بين إقليم وآخر، بسبب أحوال البيئة وتوفر المواد الخام (Redman 1978: 59-71).

ويتفق الباحثون، الذين أجروا المسح الأثري لمواقع العصور الحجرية في المملكة، على خصوصية الجزيرة العربية بصفة عامة، خلال هذه المرحلة من مراحل العصور الحجرية حيث لم يُكشف بعد عن مواد أثرية، تعكس الخصائص آنفة الذكر. وتشير الأدلة المتوافرة إلى أن هذه الفترة الزمنية، ربما سادت فيها تقاليد في تجهيز الأدوات كانت استمرارًا طبيعيًا للفترة الحضارية السابقة (Zarins et al. 1982: 30, Gilmore et al. 1982: 12-13, Parr et al. 1978: 35-36).

وعلى الرغم من ذلك، فإن المسوحات الأثرية كشفت عن وجود مواقع في مناطق متفرقة من المملكة، تحوي أدوات هي مزيج من الصناعة الموستيرية، وبعض الأدوات والنوى النصلية، وهي مجاميع يصعب تحديد موقعها، في تسلسل الصناعات الحجرية المعروف. ويعتقد بعض الدارسين أن الصناعة الموستيرية، مع ما أضيف إليها، استمرت لفترة حتى حلول الجفاف في نحو ٢٠,٠٠٠ قبل الوقت الحاضر واستمراره، إلى أن تحسنت الأحوال البيئية في نحو ٩٠٠٠ قبل الوقت الحاضر (Zarins et al. 1981: 19). أما تصنيع النصال وشحذ الأدوات في أشكال ورقية، فقد ازداد انتشارًا في المرحلة التالية للعصر الحجري القديم، في أكثر من مكان في المملكة. ومهما كان تأثير الأحوال المناخية، فإن المعطيات الحالية تجعل مشكلة العصر الحجري القديم الأعلى معلقة، حتى إجراء دراسات مفصلة للصناعات الموستيرية المذكورة، ولتلك التي وصفت بأنها تحمل صفات مشتركة بين مرحلتين، مثلما هو الحال في بعض المواقع في بئر حما أو وادي تثليث.

إن إشكالية ظهور تقنيات العصر الحجري القديم الأعلى، ليست مقصورة على المملكة؛ فالأمر نفسه يتكرر في أكثر من مكان من دول الخليج العربي، وبعض بلدان شرقي أفريقيا. ففي السودان، على سبيل المثال تنحصر صناعات العصر الحجري القديم الأعلى النصلية، بشكلها التقليدي المعروف، في أقصى الشمال بينما تنعدم في بقية القطر، ولا تظهر إلا



الشكل ٤: نماذج لأدوات العصر الحجري الحديث: ١-٣ رؤوس أسهم، ٤-٨ أدوات ورقية الشكل، ٩-١٠ مكاشط، ١١ مثقب. الربع الخالي (Edens 1982) ١٢ نواة نصلية، ١٣ - ١٥ نصال/ شفرات، ١٦ منقاش. كلوة (Gilmore et al. 1982) ١٧ نصل، ١٨-١٩ أدوات مركّبة نصلية، مكشطة برأس مدبب. أم وعال (Adams et al. 1977).

في المرحلة الفاصلة، بين العصر الحجري القديم والحديث وذلك في مناطق محدودة. كما اتضح، أيضًا، أن الصناعات الحجرية المعتمدة على شطر الشظايا دون النصال، هي التي استمرت حتى نهاية العصر الحجري القديم (Elamin 1987: 42-44).

العصر الحجري الحديث:

عند نهاية العصر الجليدي الأخير في نحو ١٠,٠٠٠ قبل الوقت الحاضر، انحسر الغطاء الجليدي، وسادت العالم أحوال مناخية جديدة (عصر الهولوسين)، كانت عظيمة الأثر في حياة سكانه. فالجفاف، الذي غطى مناطق واسعة، دفع بجماعات أواخر العصر الحجري القديم، إلى التجمع في المناطق ذات الوفرة المائية والطبيعية. وتشير الأبحاث، التي أجريت على مدى أكثر من نصف قرن، إلى تحولات حضارية مهمة حدثت في مسيرة التاريخ البشري، أجمع الباحثون على تسميتها بفترة العصر الحجري الحديث، أو مرحلة إنتاج القوت. واجتمعت عدة أسباب لإحداث هذا التحول؛ فمع التغير البيئي، يُشار إلى التفوق التقني، والزيادة السكانية، والتراكم الحضاري. كما يتفق العلماء على أن منطقة الشرق الأدنى تحققت فيها هذه التحولات المهمة، في تاريخ مبكر نحو الألف التاسع قبل الوقت الحاضر. وخلال هذه الفترة تمكن الإنسان من استئناس الحيوان، وتدجين النبات، وصناعة الفخار، وتطوير الأدوات المصقولة الجديدة والفنون، ما أحدث نقلة نوعية في أنماط الاقتصاد المعيشي، وأساليب الحياة الاجتماعية والعقائدية والثقافية.

وكان من نتائج الاستغلال المكثّف للموارد الغذائية الجديدة، نمو التجمعات السكانية الكبيرة، التي أنشأت القرى الزراعية الأولى، التي تحولت في وقت وجيز إلى بلدات ومدن كبيرة، توجتها التجربة الإنسانية بظهور الكتابة وأنظمة الحكم المركزي والإدارة والتجارة والمعتقدات الدينية، عندما دخل المجتمع الإنساني ما يسمى بعهد الحضارات القديمة، في مطلع الألف الرابع قبل الميلاد. ومن المتفق عليه في الدراسات الآثارية، أن معرفة الإنسان بالزراعة وتربية الحيوان وصناعة الفخار، تمثل -ضمن أشياء أخرى- السمات الحضارية لفترة العصر الحجري الحديث. وفي الوقت نفسه يشير مجمل الأبحاث في المنطقة إلى أن ذلك التحول الحضاري، كان تدريجيًا، ولم تنجز كل تلك الخطوات في وقت واحد. كما أنه ليس بالضرورة أن توجد كلها في مجتمع واحد. ومن المتفق عليه، أيضًا، وجود مستويات من التنوّع الثقافي في أقاليم المنطقة المختلفة، إذ كان لكل إقليم تجربته المحلية، التي أثرت فيها عدة عناصر تتصل بالبيئة الطبيعية، والمستوى التقني، ودرجة الاتصال بين المجموعات السكانية، ومعدلات التراكم الحضاري. وأكدت الأبحاث الميدانية المتخصصة في كثير من بلدان الشرق الأدنى بوضوح، أن تعاقب التطورات والابتكارات الحضارية، خلال فترة العصر الحجري الحديث، لم تكن، بصفة عامة، تسير في خط أحادي، بل إن تعبيراتها المادية لم تكن متساوية في كل الأحوال (Redman 1978: 88-87). ولم تكن هذه الملاحظات بعيدة عن أذهان الذين درسوا آثار هذه الفترة في المملكة، حيث عبروا عن آرائهم وتقييمهم لما وجدوه، من خلال هذه الملاحظات.

اكتشفت آثار العصر الحجري الحديث في أماكن متفرقة من المملكة، ونُشرت عنها مقتطفات منذ أكثر من نصف قرن؛ ولكنها لم تلفت انتباه المجتمع العلمي بدرجة كافية. ولم يحدث ذلك الأمر إلا بعد أن اكتُشف فخار حضارة العبيد في المنطقة الشرقية، في أوائل الستينات من القرن الميلادي الماضي (مصري ١٩٨٤: ٧٩).

وقد أثار اكتشاف فخار العبيد، المعروف أصلاً في جنوب بلاد الرافدين (الألف الخامس قبل الميلاد)، في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، على امتداد الساحل الغربي للخليج، أسئلة كثيرة، اختلف حولها العلماء عند محاولاتهم إعطاء تفسير لهذه الظاهرة، المتمثلة في التشابه في نماذج الفخار، في الوقت الذي لم تنل فيه بقية المخلفات المادية الأخرى الاهتمام نفسه. فحضارة العبيد في العراق تنقسم إلى خمس مراحل (صفر - ٤)، وذلك بناء على تاريخ المواقع، وتصنيف محتوياتها من مبانٍ ومعثورات فنية، وأدوات حجرية، وأوانٍ فخارية. ويذكر أن حضارة العبيد بدأت في الألف السادس ق. م، حيث عُرفت بثراء تراثها المادي، المتمثل

في المنجزات الاقتصادية، القائمة على الزراعة وتربية الحيوان والصيد البري والبحري وتبادل الموارد المختلفة.

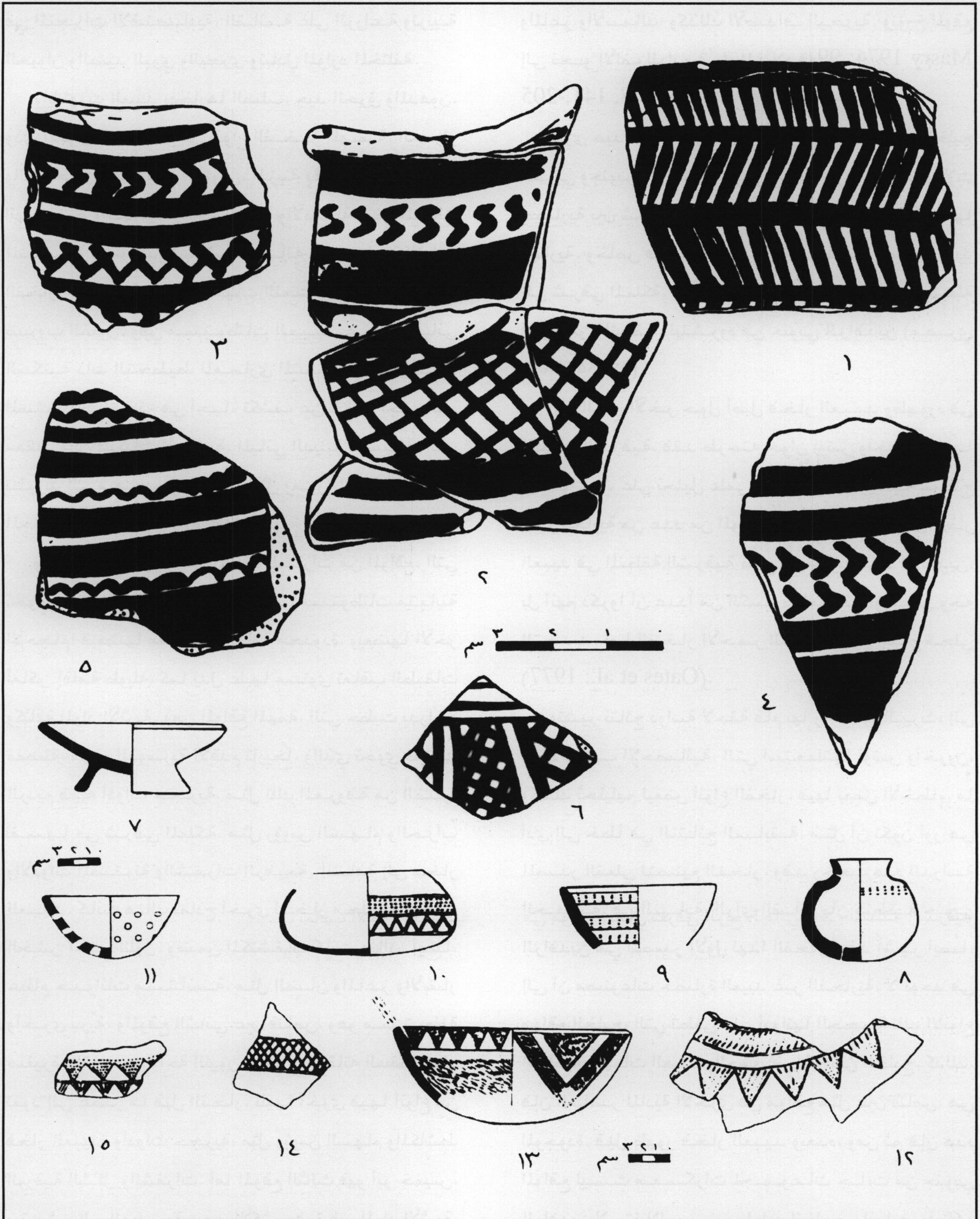
واشتهرت العبيد بفخارها الصلب، جيد الحرق والمدهون، وذي الألوان الرائعة. ومن أنواع الفخار المهمة، الجرار والصحون والأباريق والكؤوس، المزينة بالخطوط والأشكال الهندسية والنباتية والحيوانية والآدمية. وفي المراحل المتأخرة، ابتكر الدولاب لاستعماله في صناعة الأواني الفخارية. كذلك، ازدهرت تقنيات النحت والتشكيل ومختلف ضروب الفنون. وفي مستوطنات العبيد عُرفت المباني السكنية ذات التخطيط المعماري المتميز. وقد توسعت المستوطنات لتتوزع في أحياء تكشف عن تنظيم اجتماعي معقد. ومن المنشآت المعمارية، المباني الدينية البسيطة، التي تطورت إلى معابد ضخمة تمثل رموزًا لمكانة الدين في المجتمع (Masry 1974: 96-142).

وقد اكتشف في شرقي المملكة العشرات من المواقع، التي تحوي بعض أنواع فخار العبيد، وهي مستوطنات متباينة الأحجام؛ فبعضها معسكرات إقامة محدودة، وبعضها الآخر أماكن إقامة طويلة، كما يدل عليها مستوى تعاقب الطبقات وكثافة المواد الأثرية. ومن المواقع المهمة، التي حظيت بدراسة مفصلة، موقع الدوسرية الأقدم تاريخًا، والذي تحوي طبقات الرديم فيه أدوات حجرية، مثل تلك المعروفة من الفترة نفسها في شرقي المملكة، مثل رؤوس السهام والحراب والأدوات المصقولة والشفرات الرفيعة. إضافة إلى فخار العبيد، كانت هناك نماذج أخرى لفخار محلي، من النوع الخشن أحمر اللون. وضمن المكتشفات كانت هناك، أيضًا، عظام حيوانات مستأنسة، مثل الضأن والماعز والأبقار وأخرى بريّة. والموقع الثاني عين قناص، وهو مستوطنة صغيرة بالقرب من واحة الليون، وتحوي طبقاته السفلى مواد تعود إلى عصر ما قبل الفخار، تليها أخرى فيها أنواع من فخار العبيد، وأدوات حجرية، مثل رؤوس السهام والمكاشط الورقية الشكل والشفرات. أما الموقع الثالث فهو أبو خميس، ويقع شمالي الدوسرية ويعد الأكثر وفرة في المواد الأثرية، مثل الأدوات الحجرية وفخار العبيد ونماذج أخرى من الفخار الخشن (الشكل ٥). وتوجد كميات من عظام الغزال والضأن والماعز والأسماك، وكذلك الأصداف البحرية. ويؤرخ الموقع إلى نحو الألف الرابع قبل الميلاد (Masry 1974: 99-108, 141,-205).

ويرى عبد الله مصري أن وجود فخار العبيد في الخليج العربي وجنوبي الرافدين، دليل واضح على وجود اتصالات حضارية بين شعوب المنطقة، كانت أسبابها بيئية أكثر منها تجارية. وخلص في أبحاثه إلى أن أصل فخار العبيد يعود إلى شرقي المملكة، حيث استغلت تقنية تصنيعه بواسطة أقوام من المنطقة، لينشروه في جنوبي الرافدين (مصري ١٩٨٤: ٨٥-٨٧).

أما الرأي الآخر حول أصل فخار العبيد وظهوره في المنطقة الشرقية، فقد طرحته جوان اوتس وآخرون عندما توصلوا، بناء على تحليل علمي للمكوّنات الطبيعية لنماذج كسر فخارية من عدد من المواقع من المنطقتين، إلى أن فخار العبيد في المنطقة الشرقية صُنع في جنوبي بلاد الرافدين، بل أنهم ذكروا أن عدداً من الكسر صنعت في أور، على وجه التحديد. أما الفخار الأحمر الخشن، فهو إنتاج محلي (Oates et al.: 1977).

وتشير نتائج دراسة لاحقة قام بها رووف وقالبيرث، إلى أن الأساليب الإحصائية، التي استعملتها أوتس وآخرون، وكذلك تحليلهم لبعض أنواع الفخار، فيها بعض الأخطاء، ما أدى إلى خطأ في النتائج السابقة، مثل أن تكون أور هي المصدر الفعلي لتصنيع الفخار. وقد رجّحت هذه الدراسة الحديثة، في النهاية، الرأي القائل بأن منطقة جنوبي الرافدين هي المصدر الأول لهذا الفخار. وقد أُشير أيضًا، إلى أن مصنوعات حضارة العبيد غير الفخارية، لا توجد في مواقع الخليج، التي تطغي على أدواتها الحجرية تلك الأنواع الخاصة بمهمات الصيد والجمع، في شواطئ الخليج. كذلك، فإن العناصر المادية الأخرى في مواقع مثل عين قناص، هي الموجودة، قبل ظهور فخار العبيد وبعده، ومن ثم فإن هذه المواقع ليست معسكرات لمجموعات جاءت من جنوبي الرافدين لاستغلال موسمي لموارد الخليج، وإنما هي أماكن إقامة لسكان محليين، جاءتهم نماذج فخار العبيد في شكل أوانٍ استُبدلت ببعض الموارد المحلية (Roaf and Gal-



الشكل ٥: نماذج لفخار العصر الحجري الحديث: ١-٦ زخارف فخار العبيد بالمنطقة الشرقية (Masry 1974). ٧-١٥ أواني وزخارف من فخار سهي، تهامة (Zarins et al. 1985).

.(braith 1994: 770-83

تتميز مواقع المنطقة الشرقية، التي تعود لهذه الفترة، عن غيرها في أرجاء المملكة، بكثرة المواد الأثرية المكتشفة فيها، وتنوعها وتعدد طبقات المعثورات، التي أمكن الحصول على تواريخ علمية لها. كذلك، تتوافر للباحثين إمكانية معرفة التقدم، الذي أحرزته هذه المجموعات السكانية، في عمليات إنتاج القوت واستغلال الموارد البرية والبحرية، على السواء، وتبادل المواد مع مجموعات أخرى، من سكان الخليج العربي وحتى جنوبي الرافدين. أما مواقع العصر الحجري الحديث في بقية مناطق المملكة، فمعظمها مواقع سطحية وتنقصها المواد العضوية والفخار، ما جعل كثير من الباحثين يتحدثون عن إشكالية في تحديد المعالم الحضارية، لهذه الفترة في المملكة؛ إذ الأدلة الماثلة لا تشير بوضوح إلى إنتاج القوت. ويعزي بعضهم ذلك إلى الأوضاع البيئية في المنطقة، واعتماد أنماط للمعيشة تختلف عن المجتمعات الزراعية (محمد علي ٢٠٠٠: ١٢١). ومهما يكن من أمر، فإن التوزيع الجغرافي للمواقع، التي نسبت لهذه الفترة وعناصر محتوياتها من الأدوات الحجرية، التي تختلف عن العصر السابق تمامًا وارتباطها ببعض المنشآت الحجرية البسيطة وبقايا الأكواخ، تدل، دون شك، على وجود مجموعات سكانية في مستوطنات ذات كثافة مناسبة، في بعض مناطق المملكة. لقد استغلت هذه الجماعات الموارد المتاحة، عندما كانت الظروف الطبيعية مواتية؛ فمناطق صحراوية، كالربع الخالي والنفود والدهناء كانت صالحة للعيش، بسبب تعاقب الأحوال المناخية الجيدة، التي أشرنا إليها أعلاه. وهي مناطق أمدتنا بمعطيات أثرية تميزها عن غيرها من المناطق الساحلية، أو الشمالية، في المملكة، في هذه الفترة الحضارية نفسها. وقد أنجز ايدنز دراسة تحليلية مجاميع أدوات حجرية من أربعة مواقع في الربع الخالي الغربي، هي: جلدة وشرورة والمتبطحان والمندفن، جمعت في أوقات سابقة وهي تمثل نموذجًا لأدوات العصر الحجري الحديث، في كل أنحاء الربع الخالي، والمنطقة الشرقية، وبعض أجزاء المنطقة الوسطى. إن التقنية الأساسية، التي تعكسها هذه المجموعة، هي تشذيب الأدوات في الوجهين، ومنها أنواع مختلفة من رؤوس السهام المدببة، وأخرى ذات أشكال ورقية، ويتم التشذيب بواسطة الضغط أو المطرقة الخفيفة، وهو أسلوب معروف في الجزيرة العربية، يميز تقنيات أدوات العصر الحجري الحديث.

وتشمل قائمة الأدوات عدة أنواع، منها: رؤوس السهام مشحوذة الوجهين، أو وجه واحد، من النوع الشوكي ذات الغمد، وأخرى مدببة ثلاثية المقطع. وهناك مجموعة الأدوات ذات الأشكال الورقية والرمحية، وكلها مشحوذة الوجهين. وتأتي بعدها مجموعة المكاشط، ومنها الأمامية والطرفية والدائرية والجانبية، وأخيرًا هناك أدوات أخرى خفيفة، كالمثاقب والمخارز (الشكل ٤). كذلك، تتضمن المجموعة كسر أحجار من الكوارتزايت، عبارة عن بقايا رحى لا يُعرف تحديدًا مجال استخداماتها. ويذكر ايدنز أن تعدد الأنواع في هذه المجاميع، يشير إلى أنها تعكس استخدامات متنوعة، ما يعني أن هذه المواقع كانت معسكرات أقام فيها الصيادون، ومارسوا فيها الأنشطة الحياتية المختلفة، خلال الفترة الممتدة ما بين الألف السادس والألف الرابع قبل الميلاد، اعتمادًا على التواريخ المتحصل عليها من ترسبات البحيرات القديمة في المنطقة. وقد وُجد القليل من عظام الحيوانات، التي تم صيدها، مثل: الغزلان والماعز، وأخرى غير معروفة. وتوضح الدراسة عدم وجود دليل على استئناس الحيوان، أو صناعة الفخار. ويخلص الباحث إلى أن هذه الأدوات تمثل تقليدًا في صناعة أدوات العصر الحجري الحديث، ينتشر في مواقع شمال شرقي الربع الخالي، وفي المنطقة الشرقية، وقطر، وحتى المرتفعات الجنوبية من أطراف الربع الخالي (Edens 1982: 109-123).

كان من نتائج المسح الأثري في منطقة الرياض، اكتشاف عدد من المواقع وجدت فيها معثورات حجرية، تنتمي إلى الأفق الحضاري نفسه، الذي وجد في الربع الخالي، والمنطقة الشرقية، وجبل طويق. وهي تعكس تقليد صناعة الرؤوس مشحوذة الوجهين، والشوكية ذات الغمد، والأدوات ذات الأشكال الورقية، إضافة للشفرات المشحوذة، والشظايا، والمكاشط، والنوى. وتتوزع المواقع على أربع بيئات، هي: مصاطب الأودية المنخفضة، وشواطئ البحيرات القديمة،

وفوق التلال الرملية، وأخيرًا مرتفعات الحجر الرملي.

وإضافة للأدوات الحجرية، وجد في بعض المواقع القليل من كسر بيض النعام، وأدوات الطحن (الرحى)، وكذلك خرزة واحدة من الصدف، ربما جلبت من الخليج. وفي الموقع (٢٠٧-١٠٢) وجدت قطعة صغيرة من الخبث المعدني، ربما تُعد دليلاً على تصنيع النحاس. ومن ضمن الموجودات، أيضًا، كسر فخار من النوع الأحمر الخشن. ويعتقد أن هذا الموقع يمثل مرحلة متأخرة من العصر الحجري الحديث، الذي يمتد زمنه في المنطقة من ٥٠٠٠ حتى ٢٠٠٠ ق. م. ويفيدنا الباحثون أن وصفهم لهذه المواقع، أو نسبتها للعصر الحجري الحديث، كان انطلاقًا من نوع الأدوات الحجرية وتقنية صناعتها، وليس لأي خصائص أخرى تتعلق بأساليب الاقتصاد المعيشي، التي تتسم بها هذه الفترة في بلاد الشام، على سبيل المثال (Zarins et al. 1982: 30-2).

وفي المنطقة نفسها، وبالقرب من قرية الثمامة، اكتشف موقع أثري، وصف بأنه يمثل بقايا أهم مستوطنة تعود لفترة العصر الحجري الحديث في نجد. وقد كانت هذه القرية، حسب وصف المنقبين، مأهولة في الفترة ٥٠٠٠ - ١٠٠٠ ق. م. ، التي شهدت خلالها أكثر من فترة حضارية، بدءًا بالعصر الحجري الحديث حين اعتمد الناس على الزراعة وتربية الحيوان والصيد؛ ولكنهم لم يتمكنوا من صنع الفخار. ولم يذكر الباحثون دليلاً على الزراعة، أو استئناس الحيوان. واتخذوا من نوع الأدوات الحجرية مؤشرًا لنسبة الموقع لهذه الفترة. ومن الأدوات الحجرية: الحراب والرؤوس مشحوذة الوجهين، والمخارز، والنصال، إضافة لبقايا منشآت بدائية عبارة عن أكواخ دائرية بسيطة. يلي ذلك مرحلة استعملت فيها المباني الدينية، مثل الأبنية الشريطية أو الدائرية أو المستطيلة، وعدد من المدافن. ويستمر الاستيطان في المنطقة حتى الفترة التاريخية (أبو درك وآخرون ١٩٨٤: ٩٧-١٣). إن ارتباط المنشآت الحجرية بمواد العصر الحجري الحديث، ظاهرة متكررة في أكثر من مكان في المملكة ولم يجر حولها استقصاء دقيق حتى الآن. كما أن النتائج، التي توصل إليها فريق البحث المذكور، تحتاج، هي الأخرى، إلى مراجعة متعمقة، خاصة ما يتعلق بإنتاج القوت وتاريخ الموقع[1].

وفي المنطقة الشمالية، وجدت مجموعة من المواقع بين المجمعة وشمال شرقي سكاكا، (وادي عرعر) وفي جبل أم وعال، تشتمل الأدوات الحجرية فيها على النصال المشحوذة على الظهر أو الجانب، والمناقش، والنوى الهرمية الشكل. وهي تماثل، بصفة عامة، أدوات العصر الحجري الحديث، قبل الفخار في بلاد الشام المؤرخ في حدود الألف الثامن قبل الميلاد. وتعد هذه الأدوات من أقدم الأدوات النصلية المعروفة في المملكة (Adams et al. 1977: 34، شكل ٤). وقد وجد عدد من المواقع المماثلة فوق كثبان النفود، فيها نصال وشفرات صغيرة ومخارز وقليل من رؤوس السهام. ولاحظ الباحثون وجود أنواع أدوات أخرى مختلفة، مختلطة مع سابقة الذكر، إضافة لقطعتين من الفخار. ومن المرجح أن تكون هذه المجموعة عائدة لفترة العصر الحجري الحديث المعدني (النحاسي/ الكالكوليثك).

ومن الملاحظ أن مواقع العصر الحجري الحديث في المنطقة الشمالية، لا ترتبط بمبانٍ مثل الدوائر الحجرية والدوائر الحلقية؛ بينما نجدها ضمن مخلفات مواقع العصر الحجري الحديث النحاسي (الألف الرابع قبل الميلاد). إن محتويات بعض هذه المواقع شبيهة، بمواقع الفترة نفسها في بلاد الشام، التي يوجد فيها من الأدوات المكاشط المتنوعة والمثاقب والسواطير... الخ. وتنتشر هذه المواقع بكثرة في المنطقة الممتدة من شمال وادي السرحان حتى حائل، وجنوبًا حتى الكهيفية كما توجد في المنطقة جنوبي النفود. ويقدر تاريخ هذه المنشآت بالألف الرابع أو بداية الألف الثالث ق. م (Parr et al. 1978: 36-40). وتنتشر في هذه المنطقة، أيضًا، أنواع أخرى من المنشآت الحجرية، ذات الأشكال المربعة والمستطيلة، والنُصب، والركامات الحجرية، والجدران المذيّلة. ومن الممكن تقسيم هذه المنشآت إلى أنواع مختلفة، حسب تفاصيلها المعمارية ومستوى رصف الأحجار. وتمثل المنشآت الحجرية، بصفة عامة، ظاهرة أثرية يحفها الغموض، وتثير كثيرًا من الأسئلة. فهي من ناحية جغرافية واسعة الانتشار، وتوجد في بيئات مختلفة، كما أنها تتباين في أشكالها ومستوياتها المعمارية. وهناك صعوبة حقيقية في الحصول على تواريخ مؤكدة لها، لخلوها، عادة، من المواد

القابلة للتأريخ العلمي، أو معثورات أخرى يمكن تقدير أعمارها. وهي، عمومًا، تغطي فترة زمنية طويلة، تمتد من العصر الحجري الحديث النحاسي، حتى تاريخ قريب. وعلى الرغم من إجراء قليل من الدراسات المنهجية حولها (Al-Sharekh: 2002)، فهي لا تزال مصدر إشكاليات علمية، تتعلق بانتشارها ووظائفها وتاريخها. وهذه موضوعات سوف تظل تشغل بال العاملين في حقل الآثار السعودية لوقت طويل.

اكتشفت بعثة وكالة الآثار والمتاحف في المنطقة الشمالية الغربية، عددًا من مواقع العصر الحجري الحديث، التي تشبه محتوياتها من الأدوات الحجرية تلك التي سبق وصفها في الإقليم الشمالي ومثيلاتها، من الفترة نفسها بالأردن. ومن أهم هذه المواقع الموقع (٢٠٠-١٠٤) في شمال غربي تبوك بالقرب من العيينة، حيث وجدت المخلفات الأثرية فوق تل صغير يطل على قاع بحيرة. وتشمل الأدوات الحجرية النصال الرفيعة، والشفرات الصغيرة، والأدوات القزمية، والرؤوس والأدوات ذات الشكل الهلالي. وقد وجدت هذه الأدوات منتشرة داخل الدوائر الحجرية. وهي، عمومًا، مماثلة لأدوات العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار، في الأردن وفلسطين.

ومن ضمن المعثورات السطحية، أيضًا، وجدت أحجار الرحى وعظام الطيور، كما كشف عن أساسات لمبانٍ مهدمة من الحجارة، عبارة عن غرف مختلفة المساحات، وأسوار وفناءات. ويبدو من حجم المنشآت أنها كانت مستوطنة شبه مستقرة، أقيمت في تاريخ مبكر نسبيًا، يقدر ببداية الألف الثامن أو السابع ق. م. وهذا الموقع شبيه بتلك المواقع الشمالية، مثل أم وعال وغيرها في وادي عرعر ووادي السرحان وكلوة. وفيما يتعلق بمواقع العصر النحاسي في هذه المنطقة، فهي غير معروفة بصورة قطعية. فقد وجد العديد من المنشآت الحجرية المعروفة، مثل الركامات والدوائر الحجرية والمصائد، ولكن القليل منها تحوي الأدوات المتوقع وجودها في هذه الحالة، ما يصعب معه تحديد ما إذا كانت هذه المنشآت تعود للعصر النحاسي، أو الفترة اللاحقة له، أو حتى تاريخ حديث (Ingraham et al. 1981: 66-68).

وفي المنطقة الجنوبية الغربية، كشف المسح الأثري، الذي أجرته وكالة الآثار والمتاحف، عن مواقع مهمة، وصفت بأنها من العصر الحجري الحديث المتأخر، وفيها من الأدوات الحجرية: رؤوس السهام ثنائية الوجه، والأدوات ورقية الشكل، التي تؤرخ مثيلاتها في الشام والعراق إلى الفترة ما بين ٥٠٠٠ و ٢,٥٠٠ ق. م. وقد عرفت مواقع العصر الحجري الحديث في أجزاء متفرقة من المنطقة الجنوبية الغربية؛ ففي بئر حما، غربي جبل طويق، وفي شمالي نجران، ووادي تثليث، ومرتفعات عسير من جبل السودة، والمنخفضات حتى غربي نجران، وجدت أكثر هذه المواقع. وتشمل الأدوات الحجرية: النصال، والشفرات، والرقائق المشحوذة، والمكاشط الجانبية والطرفية، وأدوات ثنائية الوجه، ورؤوس الحراب النصلية، والرؤوس المجنحة والشوكية.

ومن الملفت أن الأدوات صُنعت من صخور مختلفة الأنواع، تشمل: الكوارتزايت الأبيض، والشيرت، والحجر الرملي، والأوبسيديان، وحجر الصوان، وبعضها جلب من أماكن بعيدة عن هذه المواقع. ومن المعثورات، أيضًا، بقايا بيض النعام، وعظام الحيوانات المتكلسة، كذلك كسر أحجار الرحى وأواني الحجر الصابوني. وهناك، أيضًا، منشآت بسيطة البناء، عبارة عن دوائر حجرية صغيرة ورصفات أحجار مواقد النار. ولم يكشف المسح الأثري عن وجود مواقع مماثلة في المنطقة الممتدة من تهامة، حتى ساحل البحر الأحمر، عدا أدوات حجرية متناثرة، فوق مساحات واسعة. وبناءً على نوع تلك الأدوات، قدّر تاريخها إلى فترة الألف الخامس/ الثالث ق. م.

ويمثل أسلوب تشكيل أدوات العصر الحجري في عسير، تنوعًا آخر من تقنيات تلك الفترة في المملكة. وتفتقد هذه المواقع في المناطق الداخلية، الفخار مثل غيرها. وعلى النقيض من ذلك، فقد وجد الفخار ضمن المكونات الحضارية للمواقع المكتشفة على ساحل البحر الأحمر، التي وصفت بأنها ركامات من الصدف والمحار. ولم يتمكن الباحثون من تحديد العلاقة التاريخية أو الحضارية، بين مواقع أكوام الصدف ومواقع العصر الحجري الحديث في عسير.

ومن أكبر مواقع ساحل تهامة موقع سهي (٢١٧-١٠٧)، الذي يبعد نحو ٤٠ كلم من الحدود اليمنية. والموقع عبارة عن

كوم من المعثورات مساحته ١٥٠×١٥م، ويبعد عن الشاطئ الحالي بنحو ٦٠ مترًا. ومن ضمن المعثورات كمية كبيرة من كسر الفخار، ذات اللونين الأحمر والبرتقالي، والعجينة الفخارية، ممزوجة بحبيبات الرمل الخشن. ومن أنواع الفخار البارزة، وجدت سلطانيات كاملة أو مكسورة، وهي متنوعة الأشكال والأحجام والزخارف. كذلك الأواني واسعة الفوهة، والجرار الكبيرة والصغيرة، والفناجين، وأرجل الأواني.

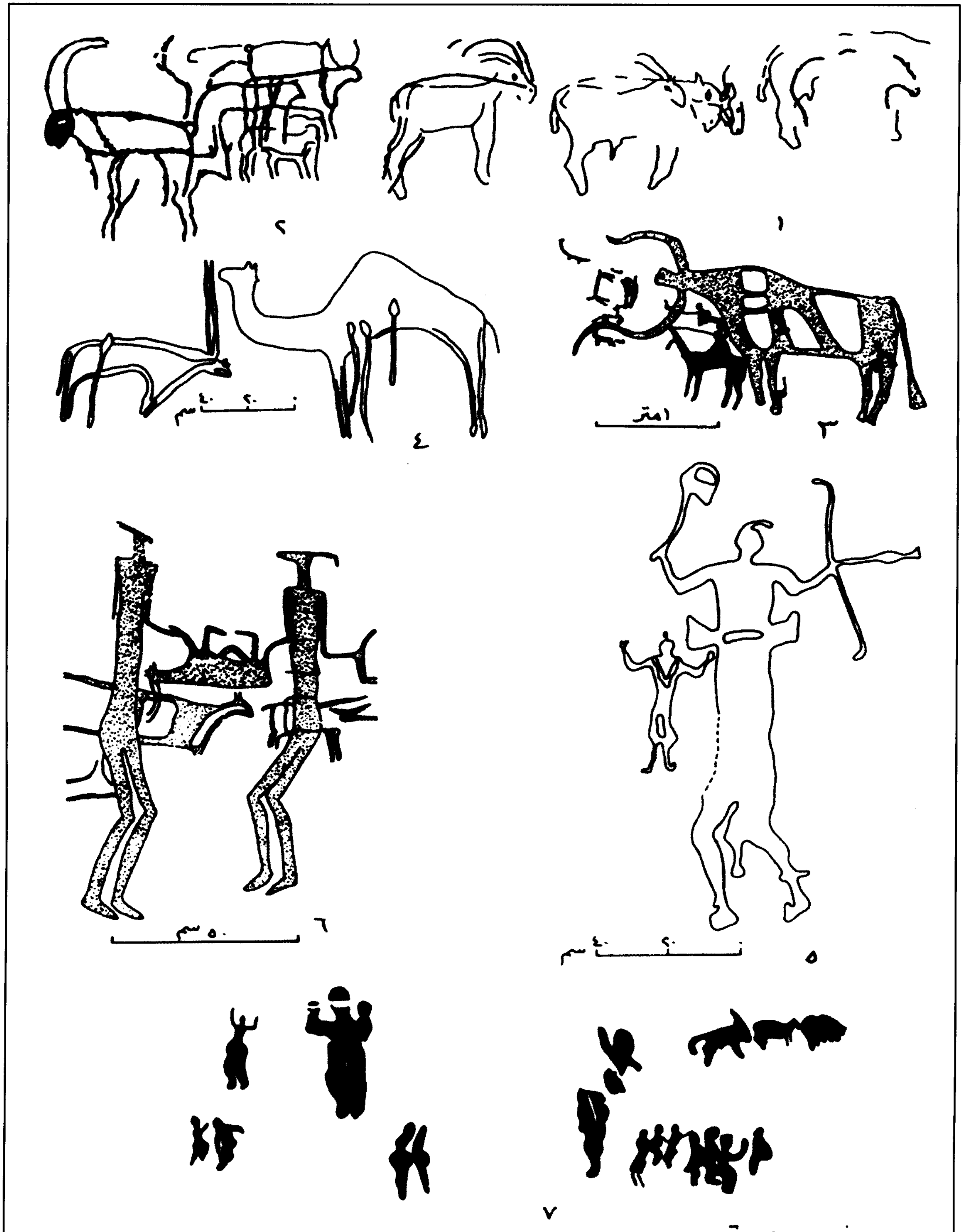
وتشمل الزخارف الخطوط المتموجة، والتنقيط، والأشرطة الرأسية، والأفقية، والتخريم (الشكل ٥). أوضحت التنقيبات، التي أجريت، أن الموقع كان مستوطنة موسمية، قصدتها جماعات الصيادين للاستفادة من الموارد البحرية. وتوجد المعثورات حتى عمق ٣٠سم فقط تحت السطح، ولم تكتشف بقايا منشآت معمارية.

وقد أجريت اختبارات تأريخ كربون ١٤ على ثلاث عينات من المحار، الموجود بالموقع. وكان متوسط التأريخ بين ١٥٤٠-١٢٠٠ ق. م. ومن ثم يكون الفخار الموصوف هنا من أقدم أنواع الفخار، في جنوبي الجزيرة العربية. وبمقارنة أنواع هذا الفخار وزخارفه، تبيّن أنه منتشر في أكثر من موقع على ساحل البحر الأحمر، وفي جزيرة فرسان. وفي خارج الجزيرة العربية، يمكن مقارنة فخار سهي بفخار حضارة المجموعة (ج)، المعروفة في بلاد النوبة، وحضارة كرمة المؤرخة لنحو ٢٢٠٠-١٠٠٠ ق. م في شمالي السودان. ويتخذ بعض الدارسين من هذا دليلاً على وجود صلات قوية بين الجزيرة العربية، وشمال شرقي أفريقيا، في الألف الثاني ق. م. ومن المعثورات الأخرى المكتشفة في سهي، أحجار الرحى من الصخر البركاني، والحجر الرملي، والجرانيت؛ وكذلك، كسر أواني الحجر الصابوني. كما عُثر على عدد من قطع النحاس كاملةً، مثل المثاقب والحلقات ورؤوس الإبر أو النصال، أو أشكال غير معروفة. ومن الملفت أن النحاس لم يعرف في أماكن أخرى في المنطقة، في مثل هذا التاريخ (Zarins et al. 1981: 20-22, Zarins and Zahrani 1985: 92-97).

ويتضح من مجمل هذه المعلومات، أن فترة العصر الحجري الحديث وما بعده، شهدت تطورات حضارية مهمة تتصل بالتوسع في الاستيطان، في أماكن توافر المياه والموارد الطبيعية، في شتى أرجاء المملكة، خاصة الشمال والشرق والجنوب الغربي. وفي ذلك العصر اتجه بعض السكان إلى استغلال الموارد البحرية في المنطقة الشرقية، وفي ساحل تهامة. وتعكس المعثورات المكتشفة تنوعًا ثقافيًا في أقاليم المملكة، مع وجود قواسم مشتركة بينها. ومما لا شك فيه، أن التباين البيئي وتنوع الموارد الطبيعية، كانا أحد أسباب هذه الاختلافات الحضارية. وفي هذا الوقت برزت، أيضًا، حركة الاتصالات الحضارية، داخل أقاليم الجزيرة العربية والشام، بدليل وجود كثير من أنواع المواد الخام في غير أماكن توافرها الطبيعية. ومن السمات البارزة في هذه الفترة المنشآت الحجرية، التي تعد ظاهرة ملفتة لها مغزاها الحضاري الكبير. وتتصل ظاهرة المنشآت الحجرية، في بعض جوانبها، بالانتشار الواسع لممارسة الرعي، الذي أصبح أسلوب حياة لقطاعات كبيرة من السكان، في تاريخ مبكر. إن المنشآت الحجرية ومستوطنات ما بعد العصر الحجرى الحديث، لا تزال تنتظر الدراسات المتعمقة، لكونها تمثل نقطة مفصلية في ربط فجر التاريخ وبدايته، في الجزيرة العربية عمومًا.

الفنون الصخرية:

لا يكتمل الحديث عن العصور الحجرية في المملكة، إلا بالتطرق إلى الفنون الصخرية الأكثر بروزًا في آثار المملكة، من ناحية تنّوعها وثرائها. ولا يوجد إقليم من أقاليم المملكة، يخلو من الرسومات والنقوش الصخرية، التي تتوافر في بعض المناطق بكثرة ملفتة، تجعل منها سمة من سمات التاريخ الحضاري القديم في المنطقة. وهي على كثرتها، وتنوع موضوعاتها، لم تنل بعد الحظ الوافر من الدراسة والتحليل، على الرغم من المجهودات المقدرة، التي بّذلت مؤخرًا في هذا الشأن. فقد انتبه كثير من المستكشفين، منذ أوائل القرن الميلادي الماضي إلى أهمية الفنون الصخرية في الجزيرة العربية، وعدّوها مصدرًا من مصادر التاريخ والمعرفة ببعض جوانب حياة السكان والبيئات، التي عاشوا فيها منذ قديم الزمان. ولكن لم تكن متوافرة، لهؤلاء المستكشفين، الوسائل،



الشكل ٦: نماذج للرسوم الصخرية: ١، ٢، ٣ (Anati 1968, 1974) ٣، ٤، ٥، ٦ (Adams et al. 1977).

التي يؤرخون بها هذه الفنون، ولا المنهجية المطلوبة لتصنيفها وتحليل محتوياتها. أعقب ذلك وصول البعثات العلمية الأجنبية، في العقود الأولى من القرن الميلادي الماضي، التي يأتي في مقدمها بعثة فيلبي وريكمانز وليبنز، التي وثقت عددًا كبيرًا من مواقع الفنون الصخرية، في مناطق متفرقة من المملكة. وهي المادة التي اعتمد عليها أناتي في دراسته المفصلة، عن الفنون الصخرية في الجزيرة العربية. وقد وضع أناتي في هذه الدراسة الأسس المنهجية في هذا الحقل من الدراسات الآثارية في الجزيرة العربية، ولا تزال آراؤه متداولة بين الباحثين (Anati 1968: 3-6).

وفي منتصف الثمانينات من القرن الماضي، أطلقت الوكالة العامة للآثار والمتاحف مشروع البحث الميداني، لتوثيق وتحليل الفنون والنقوش الصخرية في المملكة، ضمن خطة البحث الأثري الشامل. وانتهت أعمال هذا المشروع باكتشاف مئات المواقع، التي تحتوي على ثروة هائلة من الفنون الصخرية، في معظم أرجاء المملكة. وقد أوضحت الدراسات الأولية أنها تعبر عن كم هائل من المعلومات، التي تعيننا في معرفة التاريخ الحضاري لسكان الجزيرة، خلال العصور الحجرية المتأخرة وما بعدها.

وضع أناتي الأسس، التي رأى أنها مناسبة لاعتمادها في تصنيف الرسوم، بعد أن رتبها في جدول زمني، نتيجة لتطبيق تلك الأسس. وتتمثل تلك الأسس في أشكال وقياسات الحيوانات المرسومة، والأفراد، والخطوط، وأسلوب تنفيذ الرسم. وتوصل إلى إنها، من ناحية تاريخية، يمكن تقسيمها إلى عدة مراحل، تبدأ بما سماه: عصر الصيد القديم، ويعني به أقدم النماذج، التي قدّر لها تأريخًا يتجاوز ٦٠٠٠ ق. م ويليه عصر الصيد والرعي القديم (٦٠٠٠-٤٠٠٠ ق. م)، ثم عصر الصيد والرعي الوسيط، وفيه ثلاث مراحل (٤٠٠٠-١٠٠٠ ق. م)، وأخيرًا ثلاثة عصور تاريخية، آخرها العصر الإسلامي. ويعنينا أن أناتي لم ينسب شيئًا من هذه الفنون للعصر الحجري القديم الأمر الذي أيدته نتائج المسح الأثري الأخير بصورة عامة. وقد حدد أناتي، من خلال دراسته التحليلية، نحو خمسة وثلاثين أسلوبًا، يمكن تمييزها في هذه الرسومات. وعلى الرغم من النقد والمراجعة لبعض استنتاجاته، إلا أن عمله يعد من أميز ما أنجز عن دراسة الفنون الصخرية في الجزيرة العربية (Anati 1968: 5, 153-184, 197, 1974: 30-75, Khan 1993: 30-39).

يغطي الفن الصخري في المملكة العربية السعودية فترة زمنية طويلة. وتتداخل في مسيرة تطوره أساليب التنفيذ، ونوع الأشكال المرسومة، وكذلك موضوعات الرسم، ما يجعل التصنيف الزمني أمرًا صعبًا. ويزيد الأمر صعوبة ارتباط الرسوم، أحيانًا، بمعثورات أثرية تعود لفترات حضارية مختلفة. ويعتمد الأثاريون، عمومًا، في تأريخهم لنماذج هذه الفنون، على المقارنة الشكلية للعناصر المرسومة، وعلى درجة لون غشاء العتق، ثم خطوط الحفر أو النقر، وتراكب الرسومات في السطح الواحد. وقد حاول مجيد خان وضع تسلسل زمني للرسوم الصخرية في منطقة وادي ضم، يبدأ بمرحلة العصر الحجري القديم الأعلى المتأخر (Epi-Palaeolithic)، الذي تليه مرحلتان منسوبتان للعصر الحجري الحديث، ثم فترة العصر الحجري المعدني (٣٥٠٠-٢٠٠٠ ق. م)، ثم العصر البرونزي (٢٠٠٠-١٥٠٠٠ ق. م) والعصر الحديدي نحو (١٥٠٠ ق. م). وفي ظل غياب أدلة مباشرة تعين في تأريخ هذه الرسوم، تظل هذه التقديرات الزمنية مبدئية، على أحسن الفروض(Khan 1993: 103-111).

ومن المتفق عليه، أن النماذج المبكرة للفنون الصخرية توجد في شمالي وشمال غربي المملكة في مواقع، مثل: كلوة، سكاكا، الجوف، المليحية وجبة ووادي ضم والحناكية وحائل. فرسومات كلوة على سبيل المثال، تعد الأقدم (٩٠٠٠-٧٠٠٠ ق. م تقريبًا) في المملكة، نسبة لأسلوب تنفيذ الرسم بنقر الخطوط الخشنة، ثم تآكل السطح موضع الرسومات، إضافة إلى نوع الأدوات الحجرية الموجودة بالقرب منها. ورسوم الحيوانات والأشكال الآدمية بطريقة تخطيطية وتجريدية، ولم تكن متقنة. وقد نُفذت كما اعتمد الرسم على النقر المباشر غير المنتظم، وهو أسلوب وجد في أماكن محدودة في شمالي المملكة، ما يعني أنها تمثل مرحلة أولية، في تاريخ الرسوم الصخرية في تلك المنطقة (Adams et al. 1977:

39-40). وتتغير أساليب الرسم في غالب الفنون، التي تعود لفترة العصر الحجري الحديث في المنطقة، حيث تبرز دقة التفاصيل المتعلقة بحجم الشكل الطبيعي، والخصائص الجسمية للإنسان أو الحيوان (Parr et al. 1978: 47-48) (الشكل ٦).

ومن المكتشفات المهمة في فنون ما قبل التاريخ، ما وجد في المنطقة الجنوبية الغربية، خاصة في المنطقة الواقعة بين وادي الدواسر وبئر حما وبيشة. ويرى زارينز أن الفنون الصخرية، وما تعكسه من أساليب في التنفيذ ومن موضوعات، تماثل ما وجد في شمالي المملكة. وتؤكد في - الوقت نفسه -، صحة التقسيم الذي وضعه أناتي بصفة عامة. ويرى زارينز أيضًا أن أقدم نماذج هذه الفنون هو ما يسمى: بأسلوب الصيادين الأوائل، ويؤرخ لفترة ما قبيل العصر الحجري الحديث. وهذا الأسلوب المبكر هو نفسه، الذي وجد في المناطق الشمالية والوسطى والغربية. ويليه في التسلسل رسومات العصر الحجري الحديث، أو ما يسمى: بأسلوب الصيد والرعي، المعروف، أيضًا، في جبة وحائل والحناكية في المنطقة الشمالية؛ بينما يتركز في المنطقة الجنوبية الغربية في بئر حما. ومن الحيوانات التي رسمت، الأبقار الوحشية، ذات القرون الطويلة والقصيرة، والأغنام، والغزلان، والوعول، والطيور. كذلك، تشمل اللوحات رسومات للرجال الصيادين ذوي الرؤوس البيضوية، بالحجم الطبيعي، وتبين تفاصيل الملابس والأسلحة المستخدمة في الصيد، مثل الرماح والعصي (Zarins et al. 1981: 34-35).

وبصفة إجمالية تمدنا نماذج الفنون الصخرية، العائدة لفترة ما قبل التاريخ بموضوعات إنسانية مختلفة، ومضامين متنوعة، تعكس الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والشعائرية والفنية والنشاط اليومي، لجماعات الصيادين والرعاة في تلك الفترة. ويرى في مشاهد الصيد أنواع الحيوانات في البيئة، المحلية مثل: الوعول والغزلان والبقر الوحشي والجاموس، وكذلك الأدوات المستخدمة في الصيد، مثل: الحراب والسهام. أما مشاهد القتال، فتوجد فيها الأشكال الآدمية وهي تحمل الأقواس والسكاكين والرماح والهراوات. كما تعكس رسومات الأفراد ملامح الوجه، من شوارب ولحى وملابس وأغطية الرأس والزينة، المتمثلة في العقود والدلايات والأسورة. وأما مشاهد الرقص، بما فيها من حركة وتعبير، فتعطي لمحة عن حياة هذه الجماعات اليومية. كما أن رسوم الأشكال غير المعروفة، وبعض الأشكال الآدمية والحيوانية في أوضاع مختلفة، وأبعاد مبالغ في أحجامها، فلا بد أنها انعكاس عن معانٍ ومفاهيم كانت تجيش في صدور أصحابها، أرادوا أن يعبروا من خلالها عن مشاعرهم ورؤاهم حول الطبيعة، وما تزخر به من معطيات.

خلاصة

إن استعراض المعلومات المتوافرة عن فترة ما قبل التاريخ، في المملكة العربية السعودية، أبرز عددًا من النقاط، التي تشير إلى أهمية الاكتشافات الأثرية الحديثة، حول ما وجد من مواقع ومستوطنات، بما فيها من مواد أثرية. وكان من نتائج الدراسة المبدئية لهذه المكتشفات، ظهور بعض الإشكاليات العلمية، التي تستحق المتابعة. وانطلاقًا من الوصف والمناقشات في الصفحات السابقة، يمكن إبداء الملاحظات التالية:

١- إن البحث الميداني المنظم للكشف عن مواقع ما قبل التاريخ، ودراسة محتوياتها بمنهجية حديثة، بدأ متأخرًا نسبيًا، وما أنجز منه كان محدودًا في بعض الحالات، ولم يُعْطِ إجابات وافية لما كان مطروحًا من أهداف، كما ذكر الذين قاموا بالمسح الأثري أكثر من مرة. ومن ضمن أسباب القصور أن المسح الأثري لم يغطِّ كل أرجاء المملكة، بل إن الدراسات التي نشرت كانت مبنية على الملاحظات الميدانية، التي لم تعقبها دراسات مفصلة للمعثورات المكتشفة، عدا حالات محدودة. ومما زاد الأمر تعقيدًا تلك الصعوبات الواضحة، التي واجهت الباحثين عندما وجدوا أن الغالبية العظمى من مواقع العصور الحجرية توجد موادها على السطح فقط، وهي أساسًا أدوات حجرية أو منشآت متصلة بها، وتخلو -في الغالب الأعم- من المواد العضوية، أو الظواهر الدالة على النشاط اليومي للصيادين، مثل مواقد النار أو عمل الأدوات أو غيرها من مواد. ومن ثم يصعب الحديث عن نمط الاقتصاد المعيشي، الذي كان سائدًا، ولا

أعـداد الجـمـاعـات، التي تركت هذه الأدوات... الخ. وظل الباحثون محصورين في افتراض ممارسة الصيد والجمع والالتقاط، كنمط للاقتصاد المعيشي، خلال العصر الحجري القديم، أو الزراعة وتدجين الحيوان، خلال العصر الحجري الحديث، دون الحصول على أدلة مباشرة عليه. ولم يكن في الإمكان، أيضًا، الحصول على تواريخ علمية لمعظم هذه المواقع ما جعل ترتيب حقب ما قبل التاريخ وصناعاتها الحجرية يعتمد أساسًا على نوع الأدوات، ومقارنتها الشكلية. ومهما يكن من أمر هذه الصعوبات العملية، فإن قاعدة المعلومات المتوافرة الآن أوضحت بجلاء، مساهمة المنطقة في تطور بواكير الحضارة الإنسانية، بما وجد فيها من مؤشرات أثرية مهمة، تضع المملكة في الخريطة الآثارية العالمية، التي ظلت بعيدة عنها لفترات طويلة. ومن جهة أخرى، يجدر القول إن المملكة العربية السعودية ليست هي البلد الوحيد، الذي تغلب فيها المواقع السطحية، فهي موجودة في أكثر من مكان في المنطقة. وهناك مشكلة أخرى تتعلق بأن عدداً كبيراً من مواقع ما قبل التاريخ في المملكة، تحتوي على مواد تعود لأكثر من فترة حضارية وتكون موجودة في حيزٍ مكاني واحد، ومن ثم يجد المرء نفسه أمام كرونولوجيا أفقية يتطلب فهمها تطبيق مناهج خاصة، لفرز هذه المعطيات وتحليلها.

٢- تمكّن الباحثون من عمل تسلسل لمراحل العصور الحجرية وتقسيماتها في المملكة متبعين في ذلك المنهجية المتعارف عليها في الشرق الأدنى وأوروبا. وقد سبب الالتزام، الصارم أحيانًا، بقوائم التصنيف النمطي للأدوات الحجرية المعروف في تلك المناطق، الذي تحدد المرحلة بناء عليه، في إشكاليات منهجية ومعرفية. فعلى سلبيل المثال، اتضح ان استعمال بعض المصطلحات، أو مسميات المراحل الحضارية المعروفة في تلك المناطق، قد يحد من استيعاب التنوّع أو الاختلاف، الذي تعكسه الصناعات الحجرية في المملكة. ويبدو أن مراجعة المصطلح، أو أسس التصنيف، ستبقى في مقدمة اهتمام الأبحاث المستقبلية عن العصور الحجرية في المملكة. وبالنظر إلى التسلسل الحضاري، الذي تعكسه الدراسات الحالية، تبرز السمة الأساسية لعصور ما قبل التاريخ، هي ظاهرة الاتساق أو التوافق مع النموذج الحضاري المعروف في العالم القديم أحياناً، أو الابتعاد عنه أحياناً أخرى، عندما تسود تجارب حضارية مختلفة، ذات صبغة محلية.

٣- في فترة العصر الحجري القديم بمرحلتيه، الأولدوانية والأشولية، تتوافق المعطيات الأثرية في المملكة مع ما هو معروف في أفريقيا وآسيا إذ وجد فيها أدلة تدل على انتشار أقدم السلالات البشرية. كما تشير إلى احتمال اكتشاف المزيد والأقدم زمنًا، وعندها يتضح الدور، الذي لعبته الجزيرة العربية، بصفة عامة، كمعبر لانتقال الجماعات البشرية المبكرة بين شرقي أفريقيا وآسيا. كذلك، فإن القليل من مواد المواقع الأشولية، التي حظيت بدراسة مفصلة، كشفت بجلاء السمات المشتركة مع المناطق المجاورة. كما عكست نوعًا من الوحدة الحضارية، داخل أرجاء المملكة نفسها.

٤- ليس معروفًا متى انتهت المرحلة الأشولية لتحل محلها مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط، التي عرفت فيها تقنية تجهيز النوى لشطر الشظايا، وعمل الأدوات المشذبة منها. وتقدر بداية هذه الفترة، عادة، بنحو ١٠٠,٠٠٠ عام، قبل الوقت الحاضر. وتستمر في معظم أنحاء المملكة لفترة زمنية طويلة، تشمل الزمن المحدد للعصر الحجري القديم الأعلى في المناطق المجاورة، كبلاد الشام على سبيل المثال. فالصناعة الموستيرية ،التي عرفت في المملكة، لا تلتقي مع مثيلاتها في شرقي المتوسط أو شمالي أفريقيا، إلا في صفات عامة يصعب معها الحكم بتقارب حضاري، بل هناك ما يشير إلى أن مسيرة تطور حضارات العصور الحجرية، اتخذت اتجاهًا مغايرًا في بعض جوانبه عن التسلسل الزمني المعروف، في بقية أنحاء الشرق الأدنى. ولم تظهر التقنية النصلية إلا في، أو بعد، نهاية العصر الحجري القديم، وذلك في حيز جغرافي محدود في المنطقة الشمالية والمنطقة الجنوبية الغربية. وهكذا، فإن استخدام مصطلح: العصر الحجري القديم الأعلى، غير مطابق لواقع الحال، الذي تعكسه المادة الأثرية المعروفة لدينا حتى الآن.

٥- يزداد الأمر تعقيدًا عند النظر في فترة العصر الحجري الحديث ومعطياتها الأثرية، إذ تم تعريفها بناءً على تصنيف الأدوات الحجرية ومقارنتها بالمناطق المجاورة. وفيما

عدا حضارة العبيد في المنطقة الشرقية، وبعض المواقع في جنوب غربي المملكة، التي لا يتعدى تاريخها الألف الرابع ق. م، فإن مواقع العصر الحجري الحديث تخلو من الفخار. أضف إلى ذلك غياب الأدلة المباشرة لتدجين الحيوان، أو ممارسة الزراعة، في تلك المواقع، التي يظن أنها مبكرة في تاريخها. وهكذا، فإن الانتقال لمرحلة إنتاج القوت ونشوء المستوطنات في المنطقة، يصبح موضوعًا مهماً للأبحاث الآثارية المحلية، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار تطور المستوطنات الزراعية الصغيرة، بالقرب من السواحل، أو أحواض الأودية الكبيرة، التي تأسست بحلول الألف الرابع ق. م. ودخولها عصر المعادن (النحاس والبرونز). كما تؤكد على ذلك الأدلة الأثرية المباشرة. ومن جهة أخرى، شهدت المملكة تطورًا حضاريًا آخر يتمثل في ممارسة نمط اقتصاد الرعي، إذ إن جزءاً من السكان اتجه نحو ذلك، ربما منذ الألف الخامس ق. م. إن آثار الجماعات الرعوية هي الأكثر إشكالية وغموضاً، فبعضها يوجد في المنشآت الحجرية أو القبور المعزولة ومحدودة العدد، التي تملأ فضاء المملكة، وبعضها الآخر في الفنون والنقوش الصخرية، الأكثر ثراءً في آثار المملكة.

٦- إن مسيرة التطور الحضاري وتفاصيله في المملكة، خلال أواخر العصور الحجرية، في هذين الاتجاهين، يتطلب البحث الموجه نحو إيضاح معالم التنوع الحضاري الداخلي، ودور التحولات المناخية والطبيعية، وانعكاساتها على حياة الجماعات السكانية، في ذلك الوقت. ويبقى، أيضاً، السؤال الملّح عن الكيفية، التي أفضت بها تجارب العصور الحجرية المتأخرة، إلى ظهور قرى ومستوطنات المدنيات التاريخية، أو ما يُعرف بالممالك العربية القديمة. وبمعنى آخر، ما دور المنجز الحضاري المحلي، الذي تكّون خلال العصور الحجرية المتأخرة في ما يليها من أنظمة جديدة في الاستيطان، والاقتصاد المعيشي، وتنظيم المجتمع؟ ذلك نوع من الأسئلة، التي تبدو صعبة، ولكنها، من جهة أخرى، شيقة وذات أهمية معرفية ، تجعل البحث الآثاري فيها أكثر جاذبية وجدوى علمية.

د. يوسف مختار الأمين: قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود، ص. ب: ٢٤٥٦ - الرياض ١١٤٥١ - المملكة العربية السعودية.

هامش:

(١) تجري حاليًا دراسة ميدانية شاملة لموقع الثمامة الأثري، برئاسة د. عبد الله الشارخ، وعضوية: د. العباس محمد علي، ود. يوسف الأمين (قسم الآثار والمتاحف - جامعة الملك سعود)، بدعم من مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

أبو درك، حامد ومراد، عبد الجواد والبراهيم، محمد، ١٩٨٤، "الاستكشافات والتنقيبات الأثرية في موقع الثمامة الذي يرجع تاريخه إلى العصر الحجري الحديث"، **أطلال** ٨: ٩٧-١٠٣ .

محمد علي، العباس سيد أحمد، ١٤٢١، "ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية"، **الدارة** ٣٠، السنة ٢٦، ٨٩-١٣١ .

محيسن، سلطان، ١٩٩٤، **بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ - المزارعون الأوائل**، الأبجدية للنشر، دمشق.

مصري، عبد الله حسن، ١٩٨٤، "ما قبل التاريخ في شرق المملكة العربية السعودية وشمالها"، **دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية قبل الإسلام**، إشراف د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري، جامعة الملك سعود.

وزارة التعليم العالي، ١٤١٩، **أطلس المملكة العربية السعودية**، الرياض.

المراجع

ثانياً: المراجع غير العربية:

Adams, R, McC, Peter J. Parr, Muhammad Ibrahim, Ali S. al Mughannum. 1977. "The Preliminary Report on the first Phase of the Comprehensive Archaeological Survey Program" **Atlal: The Journal of Saudi Arabian Archaeology**, 1: 21-40.

Alsharekh, Abdullah M. 1995. **The Archaeology of Central Saudi Arabia: Investigations of Lithic artefacts and Stone Structures in Northeast Riyadh**. Ph.D Dissertation, University of Cambridge, U.K.

Alsharekh, Abdullah M. 2002. "An Archaeological Study of Stone Structures in Northeast Riyadh, Saudi Arabia", **Adumatu** 5: 35-66.

Anati, E. 1968. **Rock Art in Central Arabia, Vol. 1. The 'oval headed' people of Arabia**. Bibliotheque du Museon, Louvain.

Anati, E. 1974. **Rock Art in Central Arabia. Vol. 4, Corpus of the Rock Engravings**. Bibliotheque du Museon, Louvain.

Bordes, F. 1961. **Typologie du Palaeolithique Ancien et Moyen**, Bordeaux.

Bordes, F. 1972. **A tale of Two Caves.** Harper and Row.

Cornwall, P. B. 1946. "Ancient Arabic: Explorations in Hasa, 1940- 41", **The Geographic Journal**, No. 107.

Edens, C. 1982. "Towards a Definition of the Western Ar-Rubcal-Khali 'Neolithic'", **Atlal**, 6: 109-123.

Elamin, Y. M. 1981. **Later Pleistocene Cultural Adaptations in Sudanese Nubia,** B.A.R 114. Oxford.

Elamin, Y. M. 1987. "The Later Palaeolithic in Sudan in the Light of New Data from the Atbara". In: Tamas Hagg (ed.) **Nubian Culture Past and Present,** Almqvist and Wiksell int., Stockholm. Pp. 31-46.

Field, H. 1951. "Reconnaissance in Saudi Arabia", Journal, **Royal Central Asian Society,** Vol. 38, 185-97.

Field, H. 1955. "New Stone Age Sites in the Arabian Peninsula", **Man,** No. 145. P. 136.

Field, H. 1960. "Stone Implements from the Rubcal-

Khali", **Man**. No. 30. P. 25.

Gamble, C. 1993. **Timewalkers: The Prehistory of Global Colonization**. Alan Sutton. U. K.

Gibert, J., Gibert, LL, Ighesias, A. and Maestro, E. 1998, 'Two Oldowan' assemblages in the Plio-Pleistocene deposits of the Orce region, Southeast Spain', **Antiquity** Vol. 72, No. 275, pp. 17-25.

Gilmore, M., Mohammed Al-Ibrahim and Abduljawad S. Murad 1982, "Preliminary Report on the Northwesten and Northern Region Survey 1981 (1401)", **Atlal**, 6: 9-23.

Gowlett, John, 1984. **Ascent to Civilization. The Archaeology of Early Man**. Roxby Archaeology Limited, London.

Harris, J. 1983. "Cultural beginnings : Plioctocene Occurrences from the Afar, Ethiopia", **The African Archaeological Review**. 1. 3-31.

Ingraham, Michael, L., Theodore D. Johnson, Baseem Rihani and Ibrahim Shatla. 1981. "Preliminary Report on A Reconnaissance Survey of the Northwestern Province (with a note on a brief survey of the Northern Province)", **Atlal**, 5: 59-84.

Killick, A. Whalen, N, James, N. Morsi, G. and Kamal. M. 1981. Saudi Arabian Archaeological Reconnaissance 1980. Preliminary Report on the Western Province Survey. **Atlal**, 5: 34-59.

Khan, Majeed. 1993. **Prehistoric Rock Art of Northern Saudi Arabia**. Ministry of Education. Department of Antiquities and Museums. Riyadh.

Masry, Abdullah Hassan, 1974. **Prehistory in Northeastern Arabia: The Problem of Interregional Interaction.** Field Research Projects, Coconut Grove, Miami, Florida.

McClure, Harold A. 1971. **The Arabian Peninsula and Prehistoric Populations**. Field Research Project, Coconut Grove, Miami, Florida. Edited by Field, H.

McClure, Harold A. 1994: "A new Arabian Stone tool assemblage and notes on the Aterian industry of North Africa", **Arabian Archaeology and Epigraphy**, 5: 1-16.

Oates, J, Davidson, J. E, Kamilli. O. Mckerrell, H. 1977. "Seafaring merchants of Ur?", **Antiquity** 51: 221-34.

Overstreet, W. C. 1973. **Contributions to the Prehistory of Saudi Arabia: Vol. I Field Research Projects.** Coconut Grove, Miami, Florida.

Parr, Peter J., Juris Zarins, Muhammed Ibrahim, John Waechter, Andrew Garrard, Christopher Clarke, Martin Bidmead and Hamad al-Badr. 1978, "Preliminary report on the second phase of the northern province survey 1397/1977", **Atlal**, 2: 29-50.

Philby, H. St. J. "Rubcal-Khali", **Geographical Journal,** No. 82. P. 1.

Redman, C. L. 1978. **The Rise of Civilization. From Early Farmers to Urban Society in the Ancient Near East**. Freeman and Co.

Rice, M. 1994. **The Archaeology of the Arabian Gulf.** Routledge, London.

Roaf, M., Galbraith, J. 1994. "Pottery and P-values: 'Seafaring merchants of Ur?' re-examined", **Antiquity** 68: 770-83.

Rose, Marks, 2002. "Skulls make headlines", **Archaeology.** September/October: 10-11.

Smith, P. L. and Maranjian, G. 1962. "Two 'Neolithic' Collections from Saudi Arabia", **Man**. No. 17. P. 21.

Thomas, B. 1932, **Arabia Felix**. New York.

Whalen, N., Killick, A., James, N., Marsi, G. and Kamal, M. 1981. "Preliminary Report on the Western Province Survey, **Atlal**, 5: 43-85.

Whalen, N., Sindi, H., Wahidah, G. and Siraj, J. 1983. "Excavation of Acheulian Site Near Saffaqah in al-Dawadmi (1402/1982), **Atla**, 7: 9-21.

Whalen, N., Siraj- Ali, J, and Davis Wibon. 1984. "Excavation of Acheulien Sites Near Saffaqah, Saudi Arabia, 1403/1983", **Atlal**, Th 8: 9-24.

Whalen, N., Siraj-Ali, J., Sindi, H. and Pease, D. 1986. "A Lower Pleistocene Site Near Shuwayhitiyah in Northern Saudi Arabia", **Atlal**, 10: 94-101.

Whalen, N., Siraj-Ali, J. Sindi, H., Pease, D. and Badein, M. 1988. " A Complex of Sites in the Jeddah-Wadi Fatimah Area, **Atlal**, 11: 77-85.

Whalen, N., Davis, W., and Pease, D. 1989. "Early Pleistocene Migratians into Saudi Arabia", **Atlal**, 12: 59-75.

Zarins, J., Ibrahim, M., Potts, D. and Edens, C. 1979. "Prelininary Report on the Survey of the Central Province 1978", **Atlal**, 3: 9-42.

Zarins, J., Murad, A. and A;--Yaisk, kh. 1981. "The Second Preliminary Report on the Southwestern Province", **Atlal**, 5: 9-42.

Zarins, J., Rahbini, A. Aziz, and Kamal, M. 1982. "Preliminary Report on the Archaeological Survey of the Riyadh Area", **Atlal**, 6: 25-38.

Zarins, J. and Zahrani, A. 1985. "Recent Archaeological Investigations in the Southern Tihama Plain. The Sites of Athar and Sihi, **Atlal**, 9: 65-107.

Zeuner, F. E. 1954. "Neolithic Sites from The Rubcal-Khali, Southern Arabia", **Man**, No. 209. P. 133.

نشأة الكتابة بين واديي النيل والرافدين في ضوء الأختام الاسطوانية المبكرة

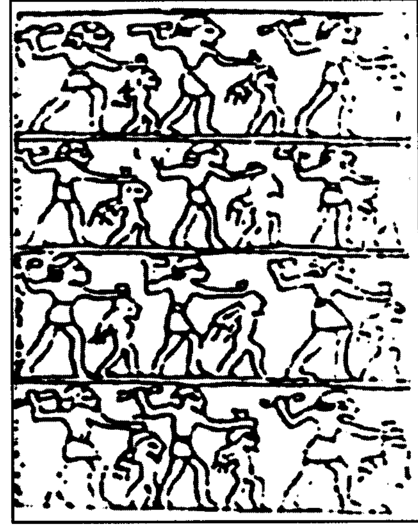
اسماعيل عبدالفتاح محمد عبدالفتاح

ملخص: استعملت الأختام الأسطوانية في جنوبي العراق ووسطه، منذ الربع الأول للألف الثالث ق. م، خلال الحقبة الزمنية، الممتدة ما بين نهاية عصر جمدة نصر وبداية عصر فجر السلالات السومرية. وترجع معرفة إنسان ما بين النهرين للاختام الأُسطوانية، الى ما قبل معرفته الكتابة. وقد استخدمت هذه الأختام في الأنشطة التجارية، كختم بضائعهم لتأمينها ضد السرقات، أو لتمييزها عن البضائع الأخرى، ما يشير إلى زيادة النشاط التجاري، وإلى نمو الشعور بالذات والملكية الخاصة. وربما كانت تلك الأختام تشير إلى رموز دلالية ارتبطت بالختم . ومن أهم الرسوم، التي امتازت بها الأختام، مناظر ذات طابع ديني، ومناظر الأعداء والأسرى، ورسوم للحيوانات والطيور، وأطلقوا على هذه الأختام اسم: "البروكيد"، لتشابه زخرفتها مع النسيج أو حياكة الحصر والسلال. وكان نظام الكتابة في اللغة الخاصة بأهل العراق القدامى يشبه الكتابة التصويرية (pictographic)، التي استخدمها المصريون القدماء، وذلك برسم الشيء المراد كتابته، أو جزء مميز منه، للتعبير عنه وسهولة فهم المقصود منه. ويرجع تاريخ الأختام الأُسطوانية في مصر الى الالف الثالث ق. م، وهو يقدم أمثلة تقليدية ناشئة عن تأثيرات حضارية متبادلة، في منطقة الشرق الأدني القديم.

Abstract. *Cylinder seals were discovered in central and southern Iraq in the first quarter of the third millennium B.C., during the time falling between the end of Jamdat Nasr period and the beginning of that of the Sumerian dynasties. The Mesopotamian man knew cylinder seals before having known writing. Merchants and business people used those seals in their commercial activities to insure their goods against theft and to distinguish their properties from those of others. This fact indicates increasing commercial traffic and growing sense of personal ownership and identity. Again, the characteristics of those seals might have reflected the traits of those who used them. The drawings and engravings on those seals were mainly of religious nature, and included scenes of offerings to the gods, enemies, prisoners of war, different animals, and birds. Those seals were so intricately knitted that they were named "Brocade" because they were similar to knitted straw mats and baskets. Those seals, however, represented an early form of writing in Mesopotamia; and ancient Iraqi writing was a form of pictography similar to the system of writing used by ancient Egyptians. In Egypt, the history of cylinder seals goes back to the third millenium B.C. and thus presents a classic example of mutual cultural influences in the region of the Near East.*

من المعروف أنه منذ الربع الأول للألف الثالث قبل الميلاد، اكتُشفت الأختام الأُسطوانية في جنوبي العراق ووسطه، التي ترجع إلى الفترة الزمنية ما بين نهاية عصر جمدة نصر، وبداية عصر فجر السلالات السومرية. وكان قد سبق ذلك انتقال سكان العراق القدامى، من حياة البداوة – التي تعد سمة من سمات العصور الحجرية – إلى حياة التحضر، المتمثلة في معرفة الاستيطان في تجمعات، ومعرفة الزراعة وسائر الفنون الحضارية الأخرى؛ وكذا اختلاط أو اندماج الشعوب العراقية القديمة، من ساميين وسومريين وغيرهم، بعضهم ببعض، الأمر الذي نتج عنه ظهور الارهاصات الأولى لحضارة راقية. وكان ذلك أثناء الألف السادس والخامس والرابع قبل الميلاد (فرج ١٩٨٦ : ٣٣٠).

العدد الثامن جمادى الأولى ١٤٢٤هـ - يوليو (تموز) ٢٠٠٣م
(ص ص ٤١ - ٦٦) ردمد ١٣١٩-٨٩٤٧



الشكل ١: يوضح منظرا للأسرى والأعداء، من مناظر أختام جمدة نصر (نقلاً عن: عطالله ١٩٩٨: ص ٢١٢).

وقد استخدم العراقيون القدماء الأختام بكثرة، وربما كانت تشير إلى علامات شخصية مميزة لهم. فقد اعتاد الإنسان القديم بالعراق على استخدام الأختام للتوقيع على الوثائق، إذ لم يترك نظام الكتابة هنالك مجالاً كبيراً، للخطوط والكتابات الشخصية المتميزة. وكان الشكل الأُسطواني هو الأكثر شيوعا لتلك الأختام. وكان الختم، آنذاك، عبارة عن أُسطوانة مثقوبة على طول محورها، ويراعي أن يسمح الثقب بإدخال خيط أو حبل بداخله، حتى يمكن تعليق الختم على رقبة صاحبه (موسكاتي ١٩٥٧: ١١٢). كما ظل يحدث إلى فترة قريبة جدا في عصرنا، ليس فقط في العراق، بل في مصر وبلدان عربية أخرى.

أهم المناظر

إن المناظر التي كانت على هذه الأختام بشكل عام، كانت ذات طابع ديني، إلى جانب تسجيل اسم صاحب الاسطوانة "الختم" وإهداء للإله. وكانت هناك مناظر لملحمة "جلجاميش"، خاصة الصراع مع الوحوش، إلى جانب مناظر المآدب والشجرة المقدسة (موسكاتي ١٩٥٧: ١١٢؛ Gibson 1977: 65-68).

ومن أهم مناظر أختام جمدة نصر مناظر الصيد، التي من بينها منظر لبطل عراقي يظهر فيه وهو يتحكم في الأسود أو الفهود. ومن الجدير بالذكر، أن الأطوار الأولى لتلك الأختام الأُسطوانية من الوركاء/ أوروك وجمدة نصر، كانت تُقلد بمناظرها في مصر، كما كانت العناصر المصورة عليها، هي الأخرى من مجموعة العناصر الفنية المصرية القديمة (عطاالله ١٩٩٨: ١٨١-١٨٢).

ومن مناظر أختام جمدة نصر أيضاً، من مناظر الأعداء والأسرى، على بعض الاسطوانات العاجية ضمن ودائع أساسات معبد "هيراكينوبوليس"، التي يُشاهد عليها منظراً لاقتياد الأسرى المقيدة أذرعهم إلى الخلف، وكذلك ضربهم بالمقامع (الشكل ١) (عطاالله ١٩٩٨: ١٨٣-١٨٤؛ Helck 1971: 8).

وقد وجد العديد من الأختام الأُسطوانية، التي تحمل نقوشا هندسية محفورة، يتخللها في معظم الأحيان رسوم للماشية: كالغزلان والماعز، أو مناظر للطيور والأسماك؛ لذا، عُدت بداية لعصر جديد، أُطلق عليها اسم "البروكيد"، لتشابه زخرفتها بالنسيج، أو بشكل حياكة الحصر والسلال. وقد وجدت هذه الأختام الأُسطوانية في العديد من المواقع، مثل: "تولوب" حاليا-"خفاجي"- في الطبقات من الرابعة إلى السابعة من طبقات معبد "سن"، وفي معبد الإلهه الأم "تنتو"، وفي "تل أسمر- "أشنونا" في معبد آبو إله النبات"، وكذلك في أعماق معبد "شارة"، و في حفائر منطقة "أور"، خاصة في الطبقات من الرابعة للثامنة، و في منطقة الوركاء، فضلا عن مناطق "كيش" و"نفر" و"فارة". وتتميز تلك الأختام، التي تُعرف باسم "البروكيد"، بأنها نحيفة وطويلة الشكل، صممت على نحو يمكّن من دحرجتها على الطين باستمرار، لتشكيل أو لنقش المناظر المطولة التي لا نهاية لها (فرج ١٩٨٦: ٣٤-٣٥؛ Grawford 1991: 9, 23-27).

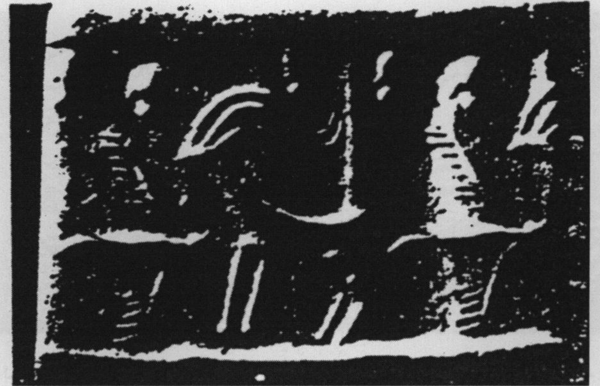
ولقد أكتشف نوعان من هذه الأختام الأُسطوانية، التي ترجع إلى عصر فجر السلالات. النوع الأول، الذي سبق الحديث عنه، وهو ما يطلق عليه "البروكيد"، وينسب إلى نهاية عصر جمدة نصر، ذات الزخارف الهندسية. اما النوع الثاني، فينسب إلى عصر فجر السلالات الأول. وكان ذلك النوع من الأختام، يطبع أو يختم به على أغطية الجرار الفخارية. ويختلف النوع الثاني من تلك الأختام عن النوع الأول، في



الشكل ٢: نموذج للأختام الأُسطوانية، التي تعرف باسم أختام "البروكيد" محفوظ بالمتحف العراقي، عُثر عليه في منطقة تل أسمر، (نقلاً عن: فرج ١٩٨٥: صورة رقم "١").

طريقة الحفر؛ فتبدو فيه خشنة. أما المناظر، فكانت غالباً ما تمثل الملاحم الأسطورية السومرية، مثل: شجار الحيوانات، وهجوم الأسود على الماشية، التي يحميها راعيها البطل، وكذلك مناظر الولائم والحفلات الموسيقية، ونقشت كلها بطريقة الكشط، مكونة خطوطاً عريضة وعميقة غير دقيقة المعالم (فرج ١٩٨٦: ٣٥-٣٦).

ويوجد بالمتحف العراقي العديد من نماذج الأختام الأُسطوانية، التي تنتمي إلى النوع الأول "البروكيد" (فرج



الشكل ٣: نموذج للأختام الأُسطوانية "البروكيد"، محفوظ بالمتحف العراقي، عثر عليه في منطقة تل أجريب. (نقلاً عن: فرج ١٩٨٥: صورة رقم "٣").

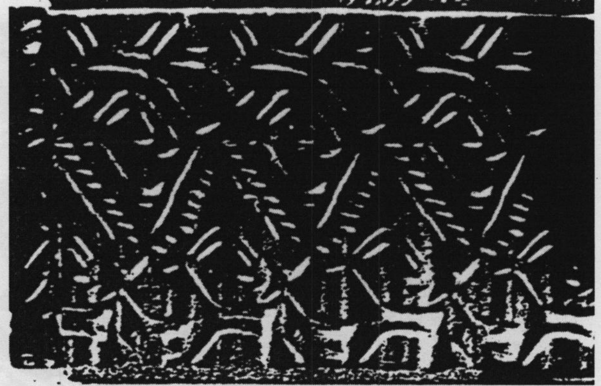
١٩٨٦: ٣٦؛ Postgate 1992: 77). وترجع، كما ذكرنا، إلى عصر جمدة نصر.

وفيما يلي عرض لأهم تلك الأختام مع الوصف الأثري لها:

الختم رقم (١) (الشكل ٢): "مقاساته (٥,٥ × ٠,٩) سم": وجد هذا الختم في منطقة تل أسمر"أشنونا". وعليه منظر ثور، وفوقه ثور آخر مقلوب، وإلى جانبيهما ما يشبه ورقة الشجر، أو ربما طير صغير.

الختم رقم (٣) (الشكل ٣): مقاساته "٥,٧ × ١,٨ سم": وجد على سطح تل في موقع "تل أجرب"، وينسب إلى أختام البروكيد، التي ترجع إلى نهاية عصر جمدة نصر. رسم هذا الختم بطريقة الكشط، وتتخلله خطوط عميقة عريضة تصور "ايلاً" كبيراً، له قرنان يشبهان الأجنحة، أو شكل المشط، ويتبعه حيوان آخر صغير الحجم. أما في الصف العلوي، فمنظر لماعز مقلوب، يتبعه ماعز آخر صغير الحجم.

الختم رقم (٤) (الشكل ٤): مقاساته ٣,٢ × ١سم: يُعد من أجمل أختام صنف البروكيد، التي ترجع لنهاية جمدة نصر. عثر عليه في موقع"خفاجي"، وهي منطقة سكنية، تنسب إلى



الشكل ٤: نموذج للأختام الأُسطواني "البروكيد"، محفوظ بالمتحف العراقي، عثر عليه في منطقة خفاجي، (نقلاً عن: فرج ١٩٨٥: صورة رقم "٤").

عصر فجر السلالات الأول، مع أن طراز حفره يعود به إلى نهاية عصر جمدة نصر. يحمل الختم نقشاً لغزال، ويشف النقش عن رشاقة متناهية في الذوق. ويلاحظ أن أرجل الغزال تنتهي ببكرات صغيرة، كأنها حفرت بالمثقاب، مثلما نقشت غالبية نقوش جمدة نصر، ويُرى أمام الغزال أحد الطيور باسطاً جناحيه أحدهما على الآخر، ويشاهد وهو يطير بعكس اتجاه الغزال، ويُشاهد في أعلى مناظر لأباريق مقلوبة لها مصابها.

الختم رقم (٦) (الشكل ٥): مقاساته ٣,٩ × ١ سم: منشأه المعبد المربع من تل أسمر، نقش عليه صفّان من الماشية، في الصف العلوي ماعز له قرنان منحنيان على ظهره، في الصف الأسفل حيوان صغير الحجم، ويحيط بالمناظر من أعلى وأسفل ما يشبه الأسماك، أو ربما طيور.

الختم رقم (٧) (الشكل ٦): مقاساته ٤,٨ × ١ سم: عُثر عليه



الشكل ٥: نموذج للأختام الأُسطوانية "البروكيد"، محفوظ بالمتحف العراقي، عثر عليه في المعبد المربع من تل أسمر، (نقلاً عن: فرج ١٩٨٥: صورة رقم "٦").

في تلول خطاب، في الجهة المقابلة لموقع الشحالي وخفاجي من نهر ديالي؛ لذا، يعد ذلك الختم ضمن أختام منطقة ديالي، التي أمدتنا بالعديد من أختام "البروكيد"، ذات الزخارف الهندسية، ولو وصفنا نقوش ذلك الختم نقول: عليه صفان من الماشية تبدو كأنها تقفز في تتابع، ويلاحظ في الصف الأسفل نقش لماعزين جبليين متتابعين، ولو دُقق النظر يُشاهد للماعز الكبير قرنان، أما نظيره الصغير فله قرن واحد فقط (فرج ١٩٨٦: ٣٧، ١٤٦).

التقنية:

في البداية، لا بد أن نشير إلى أن مادة الأختام الأُسطوانية العديدة، التي وجدت على مر العصور العراقية القديمة، لا تعد دليلاً مؤكداً يُرشد إلى العصر، الذي تنتمي اليه، وإن كانت بعض تلك المواد هي الأكثر شيوعاً وشعبية، خلال عصور معينة؛ فمن أختام (أوروك) الأُسطوانية، نعرف أنها صُنعت من بعض المواد الشائعة آنذاك، كالرخام الأبيض، أو القرنفلي اللون. وقد استمرت الأختام تصنع من تلك المواد، حتى عصر جمدة نصر، الذي فضل استخدام حجر الكلس الملون، خاصة الأبيض اللون، الذي يميل إلى اللون الرمادي وكان شائعا آنذاك هنالك. وفي نهاية ذلك العصر، استخدمت الأختام الأُسطوانية، القصيرة الشكل والسميكة الحجم، التي كانت تصنع من حجر الكلس، الأخضر أو الرمادي. كما كانت هناك، أيضاً، الأختام الأُسطوانية الطويلة الشكل، ذات الأشكال الهندسية، أو التي تحوي أشكالا هندسية. وكانت مادة صناعتها من الفيانس، أو



الشكل ٦: نموذج للأختام الأُسطوانية، محفوظ بالمتحف العراقي، عثر عليه في منطقة تلول خطاب في الجبهة المقابلة لموقع الشمالي وخفاجي من نهر ديالي، (نقلاً عن: فرج ١٩٨٥: صورة رقم "٧").

الخزف، أو الإستياتايت المزجّج (Frankfort 1939: 4).

أما مع بداية عصر الأسرات الأولى في العراق، فان تقنية ومادة الصُّنع لتلك الأختام الأُسطوانية ذات الاطار أو الشكل المزخرف، كانت من حجر الكلس الأخضر، أو الأزرق، أو الأسود، أو من حجر السربنتين الأسود. وفي النصف الأخير لعصر الأسرات الأولى، استُخدم الحجر الأبيض نصف الشفاف، أو الأخضر وحجر السربنتين الأخضر، والحجر الأرجواني، ولب المحار أو الصدف، الذي ظل مستخدما حتى بداية الأسرة الثالثة، وكان يجلب من الخليج العربي (الشكل ٧). و ظلت الأحجار البيضاء نصف الشفافة، تستخدم لعمل الأختام الأُسطوانية الصغيرة، التي كانت غالبا ما ينقش عليها مناظر دينية، أو مناظر رعي، بينما كان هناك إفريز مزين بالحيوانات المتصارعة. وكان هذا الطراز من المناظر شائعاً آنذاك على الأختام الأُسطوانية (Heuzey 1969: 383).

واستمر ذلك الطراز من المناظر، على الأختام الأُسطوانية الصغيرة من اللازورد، وفي بعض الأحيان على الأختام الأُسطوانية المصنوعة من الذهب والفضة، سواء كانت صلدة أو مصنوعة من رقائق معدنية طليت بالقار. أما في العصور الآكادية، فتنوعت مادة صنع تلك الأختام الأُسطوانية؛ فمنها ما صنع من حجر اليشب، أو من صخر الكريستال. وقد استخدمت هذه المواد عند ندرة وجود لب الأصداف الرّخوة، وكان ذلك قبيل نهاية ذلك العصر. أما أختام الأسرة الثالثة لأور، فقد صنعت من المواد نفسها، التي صنعت منها أختام العصر الأكدي. ومع ذلك، فإن اللازورد استخدم أحياناً كما كان من قبل، بشكل استثنائي لصناعة الأختام النفيسة والقيّمة. وفي سورية، استخدم لصناعة تلك الأختام الهيماتيت، وبعد ذلك استخدم الفخار المطلي أو الفيانس، خاصة في عصر الميتانيين. وقد استمر استخدام هذه المواد بشكل كبير فيما بعد (Frankfort 1939: 4).

أما الأدوات والآلات المستخدمة في تقنية صناعة الأختام الأُسطوانية، فقد ارتبطت بظهور المعادن في بلاد النهرين، التي كانت تستخدم في نحت تلك الأختام وقطعها. وكانت تلك الأختام تثقب بواسطة مثاقب من النحاس. وقد عُثر على



الشكلان ٧- ٨: من: Frankfort M. A. H; op.cit ; pl.II.

الشكل ٧ : مناظر تمثل بداية عصر الأسرات الأولى في العراق، عليه مناظر دينية ومناظر رعي، ويزينه إفريز من الحيوانات المتصارعة.

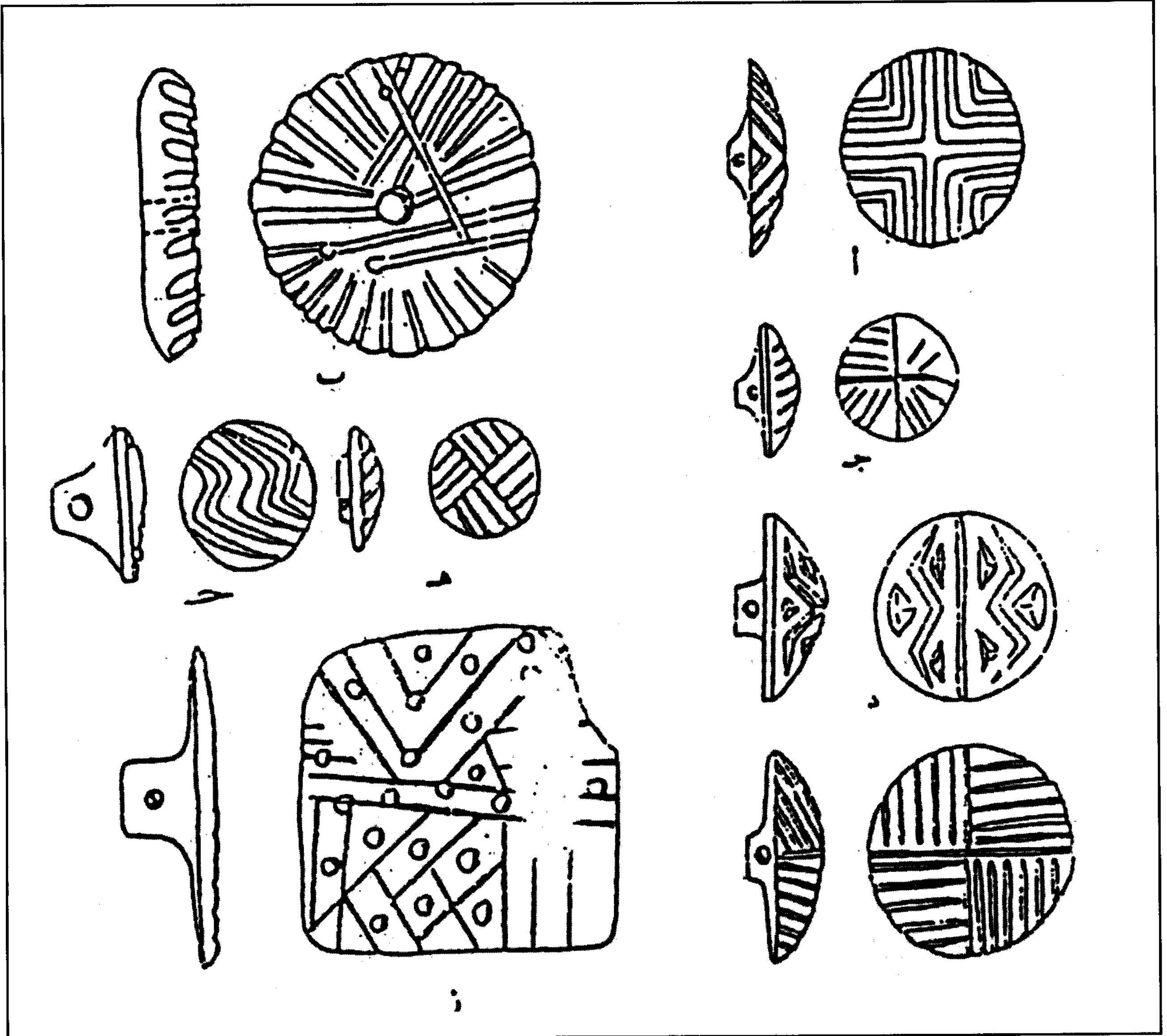
الشكل ٨: يوضح الآلات المستخدمة في تقنية الأختام، ويؤرخ بعصر سرجون الأول، عثُر عليه في منطقة تل أسمر.

العديد من تلك الأدوات، التي كانت تستخدم لثقب الأختام في منطقة (تل أسمر)، وفي بعض المنازل الخاصة، التي تؤرخ بعصر سرجون الأول في (آكاد). وكانت تلك الآلات عبارة عن كومة في قدر صغير، يحوي بعض الأختام الأُسطوانية غير مكتملة الصناعة، مع بعض حبيبات من الخرز، إضافة إلى قطع نحاسية وفضية (الشكل ٨). ويلاحظ أن عملية ثقب تلك الأختام الأُسطوانية، لم تكن فى اتجاه واحد؛ بل كانت تصنع فى كل نهايات الختم الاسطواني، لتشكل بذلك زوايا صغيرة الحجم داخل الختم. ويوجد أمثلة قليلة كانت معروفة فى العصر البابلي، فقد وجدت مجموعة من الأختام الأُسطوانية بها ثقوب دائرية وإسطوانية. وكان شكل الختم، آنذاك، أكثر عرضاً وعمقاً فى المنتصف، منه في النهاية الخاصة به. أما فى العصور الآشورية، فاستخدمت الأختام السابقة بتقنية الصناعة نفسها. لم تكن تلك التقنيات -بداهة- تشبه ما تقوم به عجلة الفخراني، التي كانت تدار بالقدم فى حركة دائرية سريعة. وهناك بعض الأختام الأُسطوانية من ميزوبوتانيا، ظهر

عليها تأثيرات أرمينية، تمثلت في شكل نقوش مزيّنة بمناظر، يغلب عليها الطابع الأرميني، وإن كنا لا نستطيع تحديد تاريخها تماماً (Frankfort 1939: 4-5).

أما أختام أوروك وجمدة نصر، فكانت عملية الثقب فيها، الخاصة بالأختام الأُسطوانية، عبارة عن ثقوب محورية. وهذه الطريقة لم تكن سائدة آنذاك. كما استخدموا تلك الثقوب لتُعلّق الأختام منها.

أما في عهد سرجون الأول، فظهرت بعض الأختام المقعّرة أو المحدبة الشكل، خلافاً للأختام الأخرى، التي تنتسب إلى الفترة نفسها، التي تتميز بأحجامها المختلفة؛ ثم شاعت، بعد ذلك الأختام الأُسطوانية الصغيرة الحجم والارتفاع، واستمر استعمالها في الاستعمال حتى العصر الكاشي.



الشكل ٩: يمثل أقدم ختم أسطواني عراقي من الحجر الرمادي، "ج، د، هـ "تمثل ختماً عراقيا آخرا من الحجر، ولكنه أكثر تطوراً ومزيناً بأشكال هندسية؛ "و" يمثل نموذجاً آخر من الأختام الأُسطوانية العراقية؛ "ز" نموذج يعد الأكبر من أختام العراق الحجرية يميل لونه إلى الأخضر الضارب بالزرقة؛ "ح" يمثل نموذجاً من الأختام العراقية الحجرية، تشبه أشكال الأزرار، ومزين بخطوط مموجة (نقلاً عن: سليم١٩٩٥: الشكل "٩١").

أختام اسطوانية عراقية من الحجر:

أقدم ما يمثل تلك الأختام الحجرية نوعان: الأول ختم مصنوع من الحجر الرمادي، وهو على شكل قرص مثقوب من المنتصف، نحتت عليه خطوط مزدوجة (الشكل ٩)، أما النوع الثاني: فيبدو أكثر تطوراً ومزيناً بأشكال هندسية (الشكل ٩ "ج، د، هـ"). وفي طبقات أثرية أخرى، وجد العديد من تلك الأختام (الشكل ٩ " و")، لعل من أبرزها الختم الذي يعد الأكبر فيها، وهو مصنوع من حجر يميل لونه إلى الأخضر الضارب للزرقة، ومزين بخطوط وفتحات دائرية صغيرة أنظر (الشكل ٩ "ز"). أما الختم، الذي في (الشكل ٩ "ح")، فهو مصنوع من حجر ضارب للخضرة وهو على شكل الزر وقد زين بخطوط مموجة (سليم ١٩٩٥: ٢٩٧-٢٩٨).

الأختام وبدايات الكتابة العراقية:

استخدمت تلك الأختام في الأنشطة التجارية، في ختم البضائع، ربما كنوع من التأمين ضد السرقات، أو لتميزها عن البضائع الأخرى، ما يشير إلى زيادة النشاط التجاري، ويشير، أيضاً، إلى نمو الشعور بالذات والملكية الخاصة (سليم ١٩٩٥: ٢٩٨).

وبناء على ما تقدم، يتضح أن معرفة انسان ما بين النهرين القديم للأختام الأُسطوانية، يرجع إلى ما قبل معرفته لاختراع الكتابة -وربما كانت تلك الكتابة شأنها شأن التصوير والنحت- نشأت فناً خزفياً، إذ بدأت ضرباً من ضروب النقش والرسم. وبذلك، تكون الطينة نفسها، التي تحولت في يد الخزّاف إلى آنية، وفي يد النّحات إلى تمثال، وفي يد البناء إلى قالب من الطابوق، قد هيأت للكاتب العراقي مادته، التي خط عليها كتابته.

وكانت تلك الأختام شائعة جداً بين الإنسان العراقي القديم، في تعاملاته المختلفه. ولم تكن تلك الرموز، التي على الأختام، صوراً، بل كانت في معظمها علامات تجارية، تدل على الملكية والكمية، أو غير ذلك من معلومات يقتضيها التبادل التجاري؛ اذن لم تكن تلك العلامات حروفاً كالمصرية القديمة، لأن العلامة الواحدة كانت كلمة واحدة، أو فكرة بأسرها. ومع ذلك، فمعظم تلك الرموز، أو العلامات، كانت شديدة الشبه بأحرف الهجاء الفينيقية. ويرى بتري (Petrie F.) أن مجموعة كبيرة من تلك الرموز، استخدمت شيئاً فشيئاً في العصور الأولى لأغراض شتى، كالتجارة؛ ثم ما لبثت أن تدولت من قُطْر إلى آخر، حتى -كما يقول بتري- كتب النصر لنحو ستة من تلك الرموز، فأصبحت ملكاً مشاعاً لطائفة من التجار، بينما أخذت سائر الأشكال، التي اقتصر استعمالها على قطر واحد دون بقية الأقطار، تموت في عزلتها شيئاً فشيئاً " (ديورانت: ١٨٢-١٨٣).

واقدم ما وصل الينا من تلك الأختام الأُسطوانية، وجد على السّدادات الصلصالية. وتمثل تلك الأختام الأُسطوانية مرحلة بدائية جداً للكتابة العراقية القديمة؛ اذ كانت تحوي أرقاماً منحوتة، ربما لتساعد الإنسان العراقي القديم على التذكر؛ ثم تلي تلك المرحلة إضافة أحرف الكتابة إلى الأرقام (Frankfort 1939: 1; Falkenstien 1936: 37).

وعندما أصبحت الكتابة التصويرية هي المعتادة، آنذاك، تحولت العلامات أحادية (الصوت) وهي الأرقام والأحرف- التي عرفت سابقاً- إلى مجموعات كتابية تصويرية، بإضافة الاسم إليها. وقد وجدت طريقة الكتابة الجديدة هذه، في العقود والخطابات والوثائق وغيرها، كطريقة شرعية، وفقاً لتلك النقوش، التي أصبحت سمة خاصة بالختم الشخصي الرسمي. وكان يُستخدام ذلك الختم بتمريره، أو دحرجته، على سطح الصلصال اللّين.

ولم يكن استخدام تلك الأختام الأُسطوانية قاصراً على العراق القديم وحده، بل كانت في مصر خلال الألف الثالث قبل الميلاد، وكذلك في فترات أخرى مختلفة في كلٍ من سورية وفلسطين والأناضول. وكانت أختام تلك المناطق يبدو عليها واضحاً التأثيرات البابلية القوية. وقد انتشرت تلك الأختام بكثرة في بلاد ما بين النهرين، خلال الألف الأول ق٠م، على الرغم من أنه في حالات استثنائية وجدت تلك الأختام الأُسطوانية في كل الفترات. ولكن يلاحظ في الفترة الآشورية ازدياد شهرة تلك الأختام. وبحلول القرن السابع الميلادي خاصة، أصبحت تلك الأختام الأُسطوانية تستخدم محل الأختام، التي كانت موجودة فى الفترة الفارسية. أما أقدم

اللوحات، التي وجدت تحمل طبعات تلك الأختام، فإنها تؤرخ بالألف الرابع ق٠م، في حين أن تاريخ الكتابة على الأختام الأُسطوانية يغطى فترة الثلاثة آلاف عام (Frankfort 1939: 1).

ويُستنتج من الوجود البدائي لتلك اللوحات، التي تحمل طبعات الأختام الأُسطوانية، أن الختم الرسمي، الذي اشرنا اليه من قبل، أو ما يسمي بـ "ختم الوثائق"، الذي كان يعد وسيلة شرعية للاستخدام الشخصي في مختلف التعاملات، لم يكن هو الوحيد الممثل للوظيفة الأساسية لتلك الأختام، ذات الطبعات الأُسطوانية؛ بمعنى أن كلاً من الأختام ذات الأرقام والأحرف، وتلك اللوحات التي تحمل الطبعات الأُسطوانية، تمثلان معاً الوظيفة الأساسية للأختام الأُسطوانية، مع الأخذ بعين الاعتبار أن احتمال كتابة الوثائق بواسطة طباعة الأختام، يعد استخداماً ثانوياً للأختام الأُسطوانية، يفهم من مضمون محتوى الختم، عن الختم الذي يعبّر عن ملكية خاصة. وقد عثر على العديد من تلك الأختام الأُسطوانية، التي كانت تستخدم، غالباً، في المعاملات التجارية، معبأة أو مكدسة داخل الجرار. وكانت تلك الأختام ملفوفة في كل الاتجاهات.

وقد ظهرت بدايات الكتابة في العراق القديم، في ما يُطلق عليه: عصر التاريخ المدون، في منتصف الألف الرابع ق٠م، بينما هناك من يرجّح ظهور بدايات الكتابة العراقية، منذ المراحل الأخيرة لحضارة الوركاء، وحضارة جمدة نصر، وذلك في أواخر فجر التاريخ العراقي القديم. وقد بدأت الكتابة بالطريقة التصويرية، ثم تطورت على أيدي السومريين باضافتهم المقاطع الصوتية لها (باقر ١٩٦١: ٢٣٤-٢٣٦؛ Kramer 1944: 43). فقد كانت الكتابة عبارة عن صور، ثم اتخذت طابعاً مقطعياً رمزياً عبارة عن خطوط مستقيمة، لها دلالة أو قيمة صوتية، بدلا من الصور السابقة. بدأت الكتابات بالطريقة التصويرية، التي كانت تعبّر عن الماديات، أكثر من تعبيرها عن الفكرة المعنوية، التي غالبا ما عبرت عنها بشيء مادي يرمز اليها، كالذراع الذي يرمز إلى القوة، والقدم التي تدل على حركة المشي، وغيرها. ثم عُرفت بعد ذ لك بالكتابة المسمارية (العتيقة)، أي القديمة، وسرعان ما استخدمت تلك الكتابة لتدوين أسماء الملوك والمعتقدات الدينية والأساطير، وكل ما يتعلق بحياتهم اليومية. وكانت ألواح الحجر أو الطين والمسلات الرخامية، تستخدم للكتابة على أسطحها (فرج ١٩٨٥: ٣٣؛ Cottrell 1965: 47).

كانت الكتابة بذلك الخط المسماري الأركائي القديم، الذي يرتبط ببداية عصر فجر السلالات العراقية القديمة. وقد كتب ذلك الخط على ألواح حجرية أو طينية، وعلى مسلات الرخام. واذا رجعنا إلى الوراء قليلاً، أي إلى ما بعد منتصف الألف الرابع ق٠م، فاننا نجد كتابات تصويرية على ألواح حجرية وطينية، وجدت فى الطبقة الرابعة من حضارة الوركاء، وأسفل طبقات حضارة أور، وفى منطقة فارة، وتل الصلابيخ، والعقير؛ وكلها ترجع إلى نهاية عصر أوروك، وعصر جمدة نصر، أي منذ بداية الألف الثالث ق٠م. وقد تطورت تلك الكتابة فيما بعد، وعرفت باسم الكتابة المقطعية الرمزية. ومع أنها البداية المهمة لتطور الكتابة العتيقة المسمارية، بعد أن أُدخلت عليها الصيغ الفعلية والقيمة الصوتية، إلا أنها كانت تدون باللغة السومرية، وإن كانت تلك الكتابة تحوى في بعض الكلمات والألفاظ السّامية. وكانت تستخدم فى تدوين الأخبار وقوائم الأشخاص، والمواد المختلفة (فرج ١٩٨٥: ٣٥).

وبدأ فك طلاسم تلك الكتابة العراقية القديمة، عندما اكتشف رولنسون (H. C. Rawlinson) -قنصل بريطانيا في بغداد آنذاك، وكان شغوفاً بالبحث عن النصوص القديمة- فوق الهضبة الايرانية بأرض الرافدين، بالقرب من منطقة بهستون (Bwhistun) بفارس، نقشاً مسمارياً قديماً مكتوباً بثلاثة خطوط، أحدها الخط الفارسي "مكتوباً بالخط البابلي القديم". وقد أمكن استعمال ذلك الخط الفارسي - الذي كان سلفاً قد استطاع العلماء فك طلاسمه - كمفتاح لتفسير الخطوط الأخرى في ذلك النقش القديم (موسكاتي ١٩٥٧: ٦٢؛ Kramer 1963: 37-39).

وفي عام ١٨٥٧، عهدت الجمعية الآسيوية الملكية بلندن، إلى أربعة من علماء الآشوريات ترجمة نص واحد، كل على حدة؛ فكانت ترجماتهم الأربعة متطابقة تقريباً، ما ساعد على فك طلاسم نقوش وكتابات بلاد الرافدين القدامى. واتضح من خلال تلك الدراسات والترجمات، أن الإنسان العراقي القديم استخدم نظاماً واحداً للكتابة، بلغتين مختلفتين تماماً. كانت

الأولى لغة السومريين، وهم سكان هذه البلاد في الألف الثالث ق.م، والثانية لغة البابليين والآشوريين، وهما من الشعوب السامية، التي جاءت في شكل موجات متعاقبة وأقامت اقامة مستقرة في بلاد الرافدين القديمة. أما عن تفسير اللغتين البابلية والآشورية، فقد تم من خلال معرفة اللغات السامية الأخرى ومقارنتها بها (موسكاتي ١٩٥٧: ٦٣-٦٤؛ Tostado 2001: 1-2).

وكان نظام الكتابة في اللغة الخاصة بأهل العراق القدامى، نظاماً سومرياً وهو عبارة عن علامات مستنبطة من صور مختلفة، وذلك ما جعله نظاماً بالغ التعقيد والصعوبة، وهو ما يشبه الكتابة التصويرية (pictographic)، التي استخدمها من قبل المصريون القدماء، وذلك برسم الشيء المراد كتابته، أو جزء مميز منه، للتعبير عنه وسهولة فهم المقصود منه .

وكانت الكتابات ترتب على هيئة خطوط رأسية، تبدأ عند الطرف الأيمن العلوي للوح الكتابة، المصنوع من الصلصال الأملس؛ وللتيسير كانوا يديرون لوح الصلصال إلى اليسار، بما يعادل ٩٠ درجة. فكانت الكتابة تبدأ في الركن الأيسر العلوي، ثم تُرتب في خطوط أفقية، تُقرأ من اليسار إلى اليمين، كما فعل الآكاديون. أما الساميون، فكانوا يفضلون الكتابة من اليمين إلى اليسار.

وما يؤخذ على الكتابة المسمارية، أنها لم تكن قادرة على التعبير عن الأفكار المجردة، والصيغ المختلفة للفعل. وفي خطوة نحو تلافي ذلك، بدأت تلك الكتابة تستعمل العلامات، ليس للتعبير عن معاني الصور، التي اشتقت منها تلك العلامات، بل للتعبير عن القيمة الصوتية المتعلقة، أو المتصلة بها؛ وكمثال لذلك استخدمت الكتابة المسمارية كلمة: (جا - ga)، للدلالة على اللبن، فأصبحت هذه الكلمة تستعمل لكتابة المقطع (جا - ga) بغض النظر عن معناه. وأطلق على ذلك التطور كتابة صوتية وهي خطوة نحو تبسيط الكتابة الا أن واقع تلك الكتابة كان شديد التعقيد والصعوبة، إذ أصبحت القيم الرمزية لعلامات تلك الكتابة تترجم أو تفسر تارة على أساس رمزي، وأخرى على أساس صوتي، وذلك وفقا لسياق الجملة. ومما يؤخذ، أيضاً، على تلك الكتابة العراقية القديمة، عدم تطورها إلى مرحلة الحروف الهجائية، فضلا على عدم استفادة أصحابها من مواد الكتابة، التي عرفها المصريون، لا سيما صفحات البردي (Kromer 1944: 431).

وهكذا، نرى أن نظام الكتابة، الذي عرفه الإنسان العراقي القديم، يعدُّ من أصعب النظم الكتابية، التي استعملت في العصور القديمة؛ ولكن، في الوقت نفسه، يمثل تقدماً لا بأس به في فن الكتابة، خاصة بعد أن تمكنت شعوب سامية أخرى في العصور المتأخرة، أن تضيف إلى نظم تلك الكتابة الملاءَمة العملية والقيمة الذاتية، بإضافة الأبجدية إلى تلك النظم (موسكاتي ١٩٥٧: ٦٤-٦٥).

أختام مصر الأسطوانية

يقدم تاريخ الأختام الأُسطوانية في مصر، أمثلة تقليدية ناشئة عن تأثيرات حضارية متبادلة، في منطقة الشرق الأدنى القديم. فقد استخدمت تلك الأختام بشكل عملي واضح، في كل أنحاء مصر خلال الألف الثالث قبل الميلاد. وقد اتسمت أشكال تلك الأختام بهيئة مصرية خالصة. ويعد استخدام الأختام الأُسطوانية الملفوفة في "نقادة". وكذلك رسم مناظر الحيوانات على تلك الأختام، خاصة ما عثر عليه من نماذج لذلك في مقبرة (واجي) بسوهاج، مخالفاً لما كان قبله، دليل تقدم عما وجد في مقابر "هيراكينوبوليس"، "وأمبوس" "وديسبوليس بارفا" (Helck 1990: 87; Kaiser 1990: 296).

ومن دلائل التقدم نفسه، رسم النجوم فوق القرون والأذنين والجبهة، مشبهة في ذلك الحيوانات الإلهية أو المقدسة ذات القوى الكونية، قبل بداية الأسرة الأولى بحوالي ثلاثمائة عام على الأقل (Petrie 1912: 7; Kaiser 1987: 296).

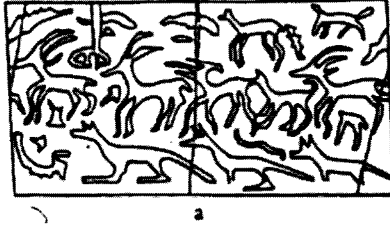
وقد عُثر بمقبرة صغيرة بأبيدوس، على بعض الأشياء الصغيرة، مثل: قوارير غريبة المصدر، وختم عليه منظر حيواني من عصر "عحا"، وختم آخر من المقبرة رقم ١٠٣٥ في "أبو صير الملق". وهذا النوع من الأختام عرف قبل تلك الأختام التي عرفت حتى الآن بحوالي مائتي عام (Kaiser 1987: 296; Scharff 1931: 379). (الشكل ١٠) فقد عُرف منذ عصر نقادة الثالثة، ويعد نموذجا لتلك الأختام، ويرجح أن له

صلة بغرب آسيا، إذ كان معترفاً بوجوده هناك، وخلافاً لمجموعة الأختام الأخرى، التي تعود إلى أبعد من ذلك الزمن، على الأقل، وربما لبداية عصر نقادة الثانية. ويمثل ذلك الشكل ختماً دائرياً من عصر الملك "عحا" .

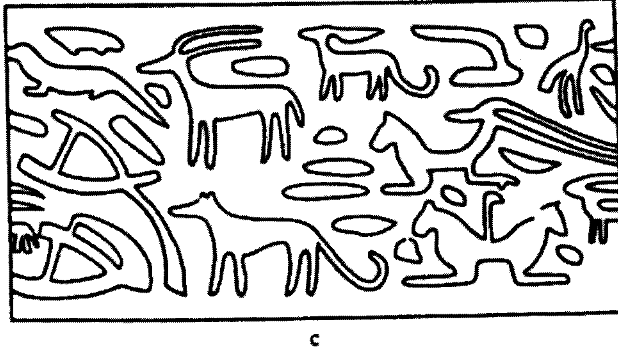
وقد وصفت هذه الأختام بأن بها طابعاً آسيوياً، ومع ذلك أظهر المصريون القدماء طابعاً جديداً لها (Kaiser 1987: 298).

ويخلص الباحث مما تقدم إلى أنه، وإن كانت بعض تلك الأختام قد استوردت ونقلت من الجانب الآسيوي، المتاخم لمصر القديمة، أو ربما قلدت، فإن المصري القديم استطاع أن يطوع هذه التقنية لصالحه، بل أضاف اليها وابتكر وجدد فيها .

ومن الأختام، التي تتشابه مع هذه التصنيفات تلك الأختام المحفوظة تحت الأرقام (١، ٢، ٦، ١٠، ١٥)؛ بينما الأختام المحفوظة تحت الأرقام (٣، ٥، ١٢) يظهر النظر إلى المناظر التي عليها، أنها تتشابه فقط مع مثيلاتها الآسيوية، مع مراعاة عدم الخلط بينهما، إذ وجد نوع الختم المقارن نفسه مع شبيهه الآسيوي في عصري نقادة الثانية والثالثة (Kaiser 1987: pl. 68; Kantor 1952: 269; berkeley 1965: 197; Brunton 1948: 5).









الشكل ١٠: ختم من أختام مصر الأسطوانية، عثر عليه بالمقبرة ٣٥.١ في أبو صير الملق، ويعد من أقدم الأختام الأسطوانية التي عرفت في مصر، (من : Kaiser , w; op.cit; abb 2).

ويوجد ختم أكثر تطوراً من

سابقيه، هو الختم رقم (١٢) النقادي الأصل، كما يوجد ختمان (رقم ١٣، ١٤) هما أيضا كالختم رقم (١٢). وتعد هذه الأنواع من الأختام ذات أهمية وقيمة، لما تحويه من نقوش ومناظر، فضلا عن استخداماتها العملية. وهناك سلسلة من الأختام الدائرية الشكل، التي عثر عليها في "أبيدوس" تحت أرقام (u.k - u.j)، يعود أقدمها إلى بداية عهد نعرمر (نارمر)، الذي يرجع إلى عهد قريب جداً، قبل استخدام الأختام على الاطلاق (Kaiser 1987: 298; Kaplony: 70).

أهم المناظر على أختام تلك الفترة:

توجد مناظر لأسماك ونسيج، أو ما يشبه الشبكة، ومنظر لبناية صغيرة، ربما منزل. كما توجد على بعض الأختام كتابات قديمة، ترجع إلى عهد "عحا"، ومناظر أخرى ربما لمخازن قصر أو مبنى له. كذلك توجد على بعضها مناظر للنحلة، خاصة على الختم رقم (١٢)، ما يدل على أن الختم له علاقة بمصر السفلى (kaplony: 295; Kaiser 1987: 298).

أختام الأسرة الأولى:

إذا دققنا النظر في أختام الأسرة الأولى، نجد أن الأختام الأسطوانية لتلك الفترة تشبه أختام بلاد النهرين الأسطوانية، مع ملاحظة أنه على الرغم من ذلك التشابه، فإن التأثير الناتج عن اتصال مصر القديمة ببلاد النهرين، لم يؤد إلى النسخ الحرفي للأصل الميزوبوتامي لتلك الأختام، لدرجة أنه من النادر أن يوجد ختم أسطواني مصري يمكن اعتباره نسخة من أختام بلاد النهرين الأُسطوانية. والحقيقة أنه في الوقت الذي ظهرت فيه الأختام المصرية ذات الطابع المصري الصميم، كانت الأختام الميزوبوتامية قد وصلت إلى وادي النيل، (Frankfort 1939: 292). وربما ظهرت، فيما بعد، بعض الصيغ الفنية والتقنية لتلك الأختام، التي استقتها مصر خلال تواصلها مع آسيا. وكان ذلك خلال عصر الأسرات السومرية، خاصة عصر جمدة نصر، الذي كان يعد عصر الانتشار لحضارة بلاد النهرين في كل الاتجاهات. ولذلك، فإن الأختام الأُسطوانية الخاصة ببلاد النهرين، التي وجدت مثيلاتها بمصر القديمة، تتناسب تماما مع صورة ذلك العصر وسماته الفنية (Frankfort 1939: 292-93).

ويستنتج مما سبق، أن الأختام المصرية الأُسطوانية لم تصطبغ بصبغة الأختام الميزوبوتامية في بادىء الأمر، بل اتخذت لنفسها طرازاً خاصاً بها، فضلاً عن أن النظر إلى الآثار المبكرة لبلاد النهرين، خاصة أختامها الأُسطوانية، يظهر أنها في تصنيفاتها لم توضح تأثيرات آسيوية على حضارة وادي النيل، وربما كانت المراحل الحضارية لكلا البلدين، مصر والعراق، مشتركة.

وقد عثر (فلندرز بتري) في حفائره بنقادة، على مقبرة ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات، بها جرتان وختم أسطواني واحد، من تلك الفترة، التي تُؤرخ بالفترة المتأخرة من حضارة جرزة. وكان الختم الأُسطواني، نوع من الأختام العادية لحضارة بلاد النهرين في عصر جمدة نصر، إضافة إلى أن مادة صنع الختم من الحجر الجيري الأشهب، الذي كان نادر الوجود في مصر، وكذا في بلاد ما بين النهرين، ما عدا فترة جمدة نصر، التي شاع استخدام ذلك النوع من الأحجار الجيرية فيها .

وينطبق الشيء ذاته على ختم أسطواني آخر من الأقصر، يتميز تصميمه بأنه مغطي بطلاء أزرق. ويعتقد أن هذا الختم غير مصري الصنع، نظراً لما هو معروف من أن الأختام الأسطوانية لم تعرف في مصر قبل الأسرة الأولى، وحينذاك كانت تلك الأختام الأُسطوانية على نوعين، أحدهما: قصير ومعوج، والآخر منحني. بينما الشكل المذكور لم يكن مألوفا بين أختام عصر جمدة نصرالأُسطوانية، في بلاد ما بين النهرين، ولا توجد أي طبعات له في مصر، ما يرجح احتمال أن تلك الأختام كانت تستخدم لأغراض أخرى، غير الاستخدامات العادية لتلك الأختام الأُسطوانية (Frankfort 1939: 293).

ونظراً لأن تلك الأختام وجُدت في بعض المقابر- خاصة التي على شكل مصطبة- فمن المحتمل أن تكون استخدمت كتمائم جنائزية، خاصة أنها، في معظم الأحيان، تُظهر شخصاً على مائدة مليئة بالأرغفة. وعندما بدأت النقوش في الاستخدام، مع بدايات عصر الدولة القديمة، ظهر شكل آخر يشبه الشكل السابق، ويبين بوضوح شخصاً جالساً على سرير،

باسطاً يديه على منضدة مليئة بأصناف الطعام. كما ظهرت نقوش تمثل دعوات للمتوفى، حفظتها نصوص الأهرام في صيغ متعددة، فيها يعامل المتوفى كشخص نائم، تدعوه تلك النقوش إلى تلك المنضددة العامرة بأصناف الأطعمة، أو ما يُطلق عليه مائدة القرابين (Frankfort 1939: 293)، إذ تقول النقوش: "هلم (انهض) أيها الملك "ببي" انهض، اجلس على آلاف الأرغفة والبيرة ... وما إلى ذلك" (Petrie 1917).

وبالنظر إلى التشكيلات العادية لتلك الأختام، المعوجة أو المنحنية، لحضارة ما بين النهرين، التي كانت في الغالب من نوع الأختام الأُسطوانية نفسها، المصرية المنشأ أو الصنع، نلاحظ - مرة أخرى- ديناميكية تقنية الاقتباس المصري، التي لم تتمثل في التقليد فقط، بل في استخدامات فنية محددة، للتعبير عن أفكار مصرية خالصة نابعة منهم كمصريين. وينطبق ذلك الأمر على الأختام الأُسطوانية المصرية المبكرة، وتحديداً تلك التي كانت تستعمل كأختام عرفت من خلال الطابعات الخاصة بها. ومن المهم معرفة أن استخدام تلك الأختام في مصر، كان شبيهاً باستخدام مثيلاتها في حضارة ما بين النهرين خلال عصر جمدة نصر، وعصور بداية الأسرات المبكرة. وكانت تستخدم لختم الطرود والجرار، التي كانت تحتوي على مواد ومنتجات تجارية (Frankfort 1939: 294).

ونادراً ما تعكس مناظر تلك الأختام المصرية مناظر حيوانية، كالتي كانت شائعة في ما بين النهرين (Petrie 1912: 101-104; Ayrton and Loat 1911: pl. xxvii, 1)، إذ دمجت الحضارة المصرية تلك التأثيرات بقوة، بطريقة تتلائم مع شخصيتها وقوميتها، لدرجة أن معظم تلك الأختام، خاصة في بداية الأسرات المصرية، لا توضح أي تأثير أجنبي. فلقد تعددت وظائفها إذ صممت لا لاستخدامها كأدوات زينة فقط، بل كأدوات للاستعمال اليومي في الحياة العادية. وقد صممت تلك الأختام من مواد لم تستخدم من قبل في بلاد النهرين، لمثل تلك الأغراض أو الاستخدامات السابقة. فهي صنعت من الأخشاب الصلدة والعاج (Frankfort 1939: 294).

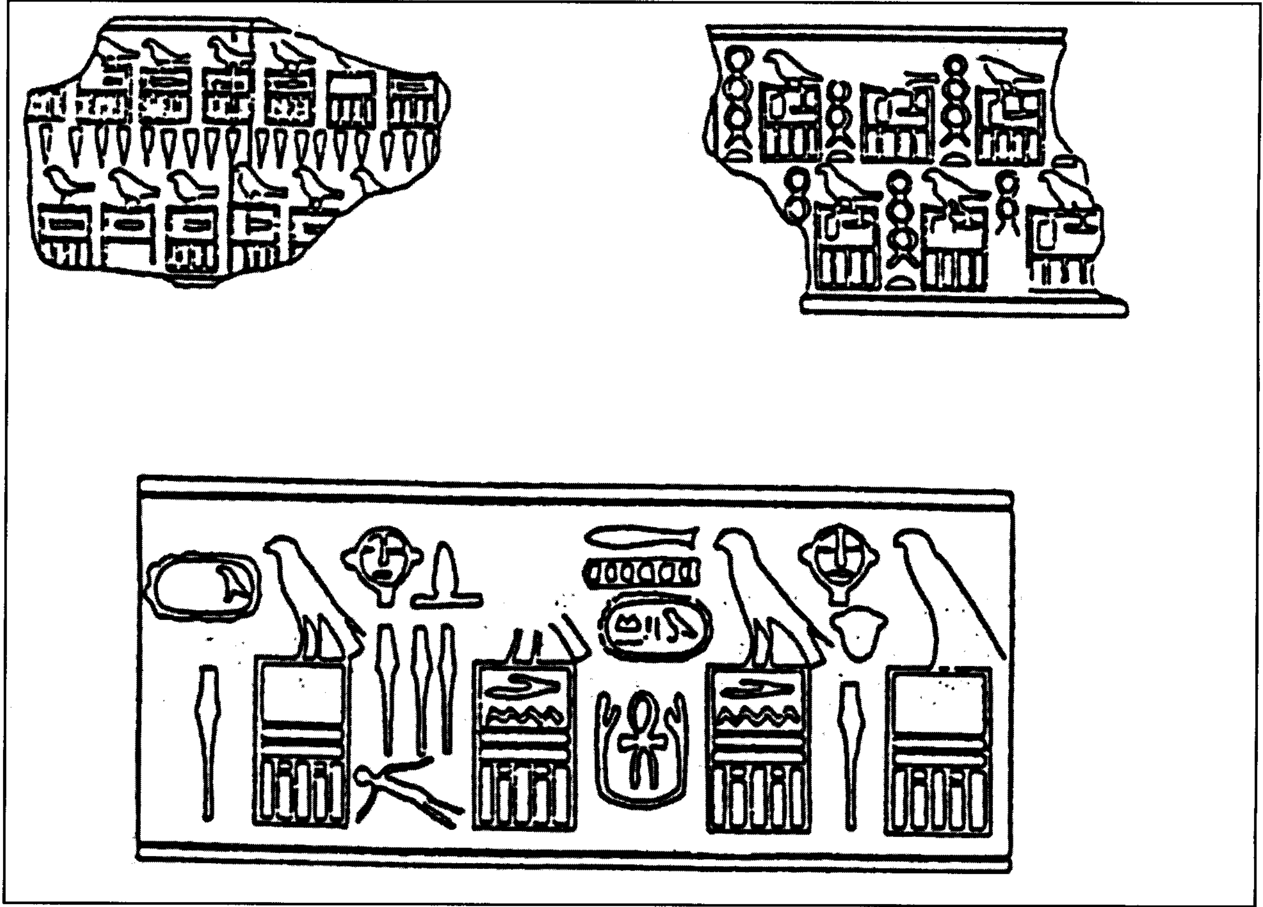
وبناء على ما تقدم، يرى الباحث، أن فكرة استخدام الأختام الأُسطوانية في مصر القديمة، وإن كانت فكرة مستعارة من الخارج، الا أن التعبير عنها كان مصرياً خالصاً، لأن تشكيلات الأختام الأُسطوانية المبكرة في مصر القديمة، كانت تمثل البدايات الأولى للكتابة الهيروغليفية. فقد كانت تحوي نقوشاً صغيرة جداً، تحوي في الغالب اسم أحد الملوك وألقاب موظفيه (Frankfort 1939: 294).

ومن ناحية أخرى، تختلف أختام هذه الأسرة عن غيرها، بشكل عام، في الكيفية أو الجودة، عن مثيلاتها، التي كانت في الدولة القديمة. وقد شهدت أختام أواخر عصر الأسرة الأولى (الشكل ١١) تقدماً ملموساً، فيما يتعلق بالتقنية الواضحة، بالمقارنة مع مثيلاتها المبكرة أو البدائية (الشكل ١٢) (Frankfort 1939: 295).

ونجد في هذه الأسرة، أن الأختام ذات التصميم الزخرفي اختفت، وأنها نقشت أو حفرت بالكتابة فقط؛ فمثلاً الأختام، التي كانت تستخدم لأغراض رسمية، فإنها تحوي اسم الملك ولقب الموظف وليس اسمه الشخصي، أو كانت تحوي اسم الوظيفة فقط. ومن ثم اختلف الشكل الخاص بهذه الأختام، مقارنة بأختام ميزوبتاميا، وكذا بأختام مصر المبكرة (Frankfort 1939: 29).

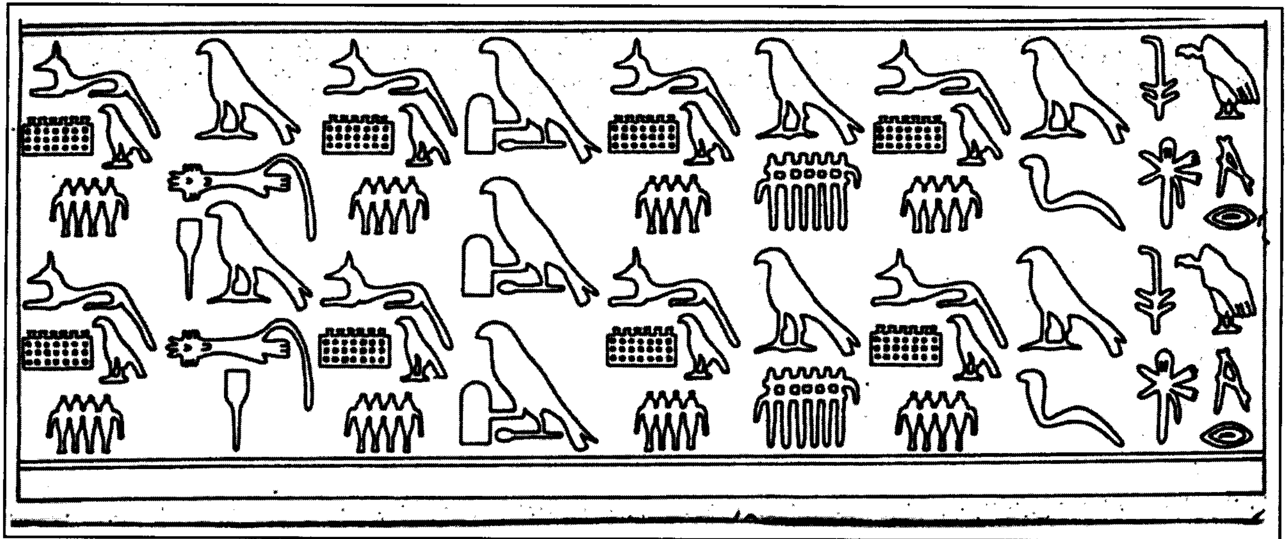
وكمثال مهم على أختام تلك الفترة، لدينا ذلك الختم، الذي أسفرت عنه إحدى بعثات الحفائر الحديثة بمنطقة أم الجعاب:
أولا: قصة اكتشافه: هذا الختم من اكتشاف المعهد الألماني للآثار بالقاهرة، برئاسة "دراير" (G. DREYER)، في إطار المشروع الرابع لحفائر المعهد بأم الجعاب. عُثر عليه بالقرب من مدخل حجرة الدفن بمقبرة "دن" (Dewen). وهو ختم أسطواني (الشكل ١٣). ويرى "دراير" (G.DREYER) أنه منذ عصر "نارمر" حتى عصر "دن" (DEWEN) لم تكن هناك قائمة ملكية، بل فقط شخصيات إدارية، وأن هذا الختم ربما يرجع إلى أحد الملوك أو القادة، وذلك من خلال الطقوس الجنائزية، التي أجريت له. وربما يوضح وجود الختم بالقرب من مدخل حجرة دفن "دن" علاقة الختم بصاحبه (Kaiser 1987: 115).

إن هذا الختم، الذي وجد في أم الجعاب، ربما يؤكد أن الملك العقرب قد دفن هنالك. أما عن تحديد عصره، فإنه



الشكل ١١: من: Frankfort 1939; op.cit ; text.fig. 96.،

الشكل ١٢:من: Frankfort 1939; op.cit ; text.fig. 94-95.، وكلاهما يمثل أختام الأسرة الأولى المصرية ذات التقنية المتقدمة مع المقارنة بمثيله في الفترات المبكرة .



الشكل ١٣: ختم أسطواني من حفائر المعهد الألماني للآثار بالقاهرة بأم الجعاب، عثر عليه بالقرب من مدخل حجرة الدفن بمقبرة "دن" ، (Kaiser , w. 1987: op.cit; abb 2).

يرجع إلى ما بين عصري الملك "نارمر" و "عحا" (Kaiser 1987: 118).

التقنية: لا تبدو على الختم أي تغييرات يدوية، قد تكون طرأت عليه، فسحب الختم على الطين الرخو يبدو واضحاً. كما أن الجزء المطبوع من الختم لا يمثل كل أجزاء الختم، لأن الطينة ربما كانت غير مكتملة في سطحها العلوي، أو ربما رمم جزء منها. وكذلك، يلاحظ وجود جزء معدني يغطي محيط الختم بقطر ٥ سم، أو ربما كان هذا الجزء يلتف حول اسطوانة خشبية أو حجرية، وهو أمر لم يكن مألوفاً مقارنة بالأختام الأسطوانية السابقة (Kaiser 1987: 119; Peisner: 1, 31, 44).

ويلاحظ أن تقنية صناعة ذلك الختم، كانت خاصة فقط بمنطقة أم الجعاب، خاصة في عهد الملك (دن). أما بعد موته، فيبدو أن الحاجة أو الوقت لم يكونا كافيين لصناعة ختم جديد. وكل ما فعله من أتى بعده، آنذاك، هو إكمال ما هو ضروري لذلك الختم، وبالتقنية نفسها(Kaiser 1987: 119).

وكمثال لأختام الأسرة الأولى، ذلك الختم الأُسطواني، الذي يُعرف باسم "ختم طرخان"، وقد عثر عليه في مقابر طرخان، وجاء ذكره في معبدي "أوسركاف" و "نيوسررع" الجنائزية. وهو من عصر الملك "نعرمر"، أحد ملوك الأسرة الأولى (الشكل ١٤) (عبدالفتاح ١٩٩٦: ١٦٤، شكل ١٤؛ Kaplony 1981: 122, pl. 50; Dolzani 1961: 172-4, pl. 3).

وهناك ختم آخر مهم للأسرة الأولى أيضاً، عليه نقش لتمساحين كاملين، وآخرين غير مكتملين، يتخللهما بعض الرموز الهيروغليفية (bti Sbk)، التي ربما تعني نبات الغاب الخاص بالمعبود "سوبك" [1] (عبدالفتاح ١٩٩٦: ٤٩؛ Dolzani 1961: 172-4).

أختام الأسرة الثانية المصرية:

استمرت أختام هذه الأسرة على التقنية نفسها ذات الهدف الواضح، الذي صنعت من أجله (الشكل ١٥) حتى العصر الكلاسيكي للدولة القديمة،التي أدخلت على هذه الأختام نوعاً من التحسين والوضوح، خاصة من الناحية التقنية. كما توجد مجموعة مما يُطلق عليها "أختام اسطوانية"، من الصعب أن يُطلق عليها أو تصنف كتمائم، أو حتى كأختام. وهي ذات أشكال قصيرة وسميكة، ويظهر عليها بعض النقوش الهيروغليفية، وإن كان ينقصها وجود أسماء ملكية عليها (Frnkfort 1939: 295, pl. XLv1h-K).

كما توجد مجموعة مما يُطلق عليها "أختام أُسطوانية"، من الصعب أن يُطلق عليها أو تصنف كتمائم، أو حتى كأختام. وهي ذات أشكال قصيرة وسميكة، يظهر عليها بعض النقوش الهيروغليفية، وإن كان ينقصها وجود أسماء ملكية عليها.

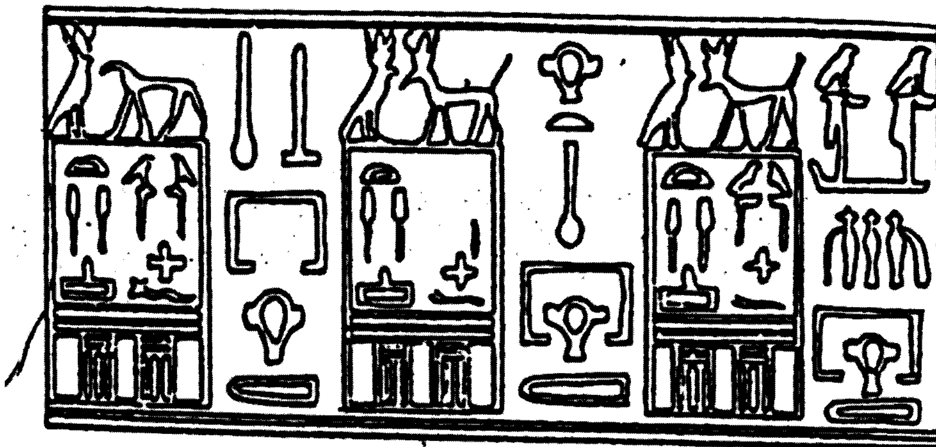
أختام الدولة القديمة وعصر الانتقال الأول:

كانت أختام الدولة القديمة عبارة عن أنبوبة طويلة، اسطوانية الشكل، ذات ثقب عريض من دون ذلك التصميم الزخرفي، الذي كان يُمَيِّز، أو يُفرِّق، بين الأختام المصرية وبين نظيرتها، التي كانت في بلاد النهرين (Frnkfort 1939: 296). وعلى كلٍ فالأختام الأُسطوانية، التي كانت سائدة في مصر آنذاك، تأثرت نسبياً بالتأثيرات الآسيوية، التي نلحظها (الشكل ١٦) في بعض الأشكال الغريبة، خاصة في الفراغ الموجود بالأختام الأُسطوانية، التي كانت سائدة خلال الدولة القديمة بوجه خاص. أما أختام عصر الانتقال الأول، الذي يمثل فترة انهيار تام للسلطة المركزية، بعد حروب دارت ما يقرب من ثلث فترة حكمه الأخيرة، المقدرة بـ ٩٤ عاما في فترة حكم "ببي الثاني". فقد احتل البدو منطقة الدلتا، وساد عدم الرضى، وانهارت وحدة البلاد وأصيبت بالشلل التام. ففي ذلك العصر دخلت الزخرفة آخذة طريقها إلى تقنية الأختام. ويوضح الشكل ١٦ أحد هذه الأختام الأُسطوانية، التي تنسب لأحد موظفي الملك "ببي الأول"، نُحت بشكل خشن التقنية، ويشبه إلى حد كبير تقنية الأختام الدائرية الشكل، التي تشبه "الأزرار"، وقد كانت سائدة في جميع أنحاء مصر، منذ الفترة المتأخرة للأسرة السادسة وما تلاها (Frnkfort 1939: 296; Scharff 1936: Heft 8)

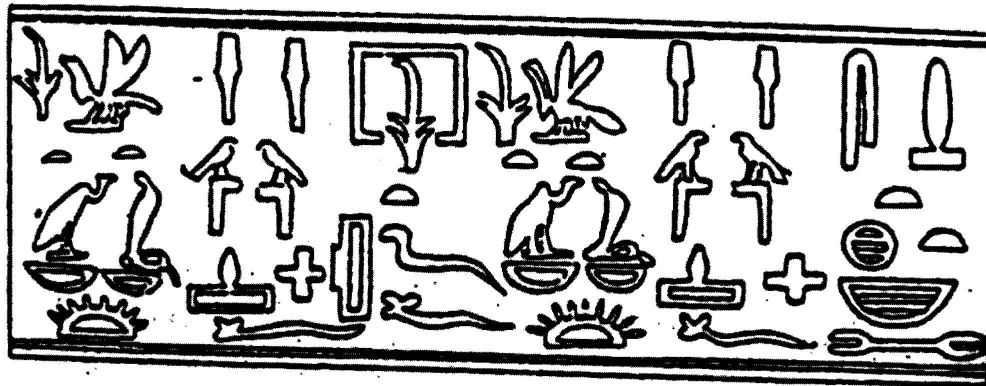
لم تكن هذه الأختام ترتبط بأي شيء معروف في مصر،



الشكل ١٤: ختم طرخان، مثال على الأختام الأسطوانية للأسرة الخامسة المصرية، ويؤرخ بعصر الملك "نعرمر" الأسرة الأولى (نقلاً عن: عبد الفتاح ١٩٩٦: الشكل رقم "١١".



Text-fig. 97. Sealing from the tomb of Khasekhemuy.



الشكل ١٥: يوضح نموذجاً لأختام الأسرة الثانية المصرية، ويبدو عليه نوع من التحسين والوضوح، أكثر ما كانت عليه، خاصة من ناحية التقنية، (Frankfort 1939. op.cit ; text.fig.97- 98).



الشكل ١٦: يمثل أختام الدولة القديمة الأسطوانية، ويبدو عليه التأثير النسبي بالتأثيرات الآسيوية (.Frankfort 1939; op.cit ; text.fig. 99).

قبل فترة عصر الانتقال الأول. وكانت التصميمات الخاصة بها ترتبط بالأختام السورية والكريتية (نسبة إلى جزيرة كريت بالبحر المتوسط) (:Frnkfort 1939: 297; Matz 30-38).

ولم تكن بها تأثيرات أجنبية في الشكل العام، بل ظلت الشخصية المصرية واضحة فيها تماما. وهكذا نرى، مرة أخرى، أن المصري القديم طوّع ذلك التصميم، أو التأثير الأجنبي، بدرجة تواكب استعماله وأنماطه الخاصة به، حتى أن الأصول الأجنبية لهذه التصميمات، في ظل ذلك التطويع المصري، أصبحت غير ذات أهمية إطلاقاً. ويعني ذلك أن التطويع المصري القديم كان متقناً، في إطاره وتقنيته وأنماطه المصرية الأصيلة (Frnkfort 1939: 297).

وفي ذلك العصر ظهرت قاعدة الجعارين، على شكل نماذج منحوتة تشبه تلك الخاصة بالأختام الدائرية، التي تشبه الأزرار. وكانت أشكالها عبارة عن عدة نماذج لأختام تحوي أشكالاً ذات مقابض، في شكل حيواني وقاعدة منحوتة (Brunton 1927: 1, 56).

ويخلص الباحث، مما سبق، أن المصريين القدماء أدركوا الفوائد العملية، لاستعمال جعارين دقيقة الشكل، بدلاً من استعمال الأختام، ذات الأشكال الكبيرة. ولا غرو في ذلك، فقد كتبوا قديماً على ورق البردي، وليس الصلصال كما فعل انسان بلاد النهرين القديم. كما نجدهم، أيضاً، حافظوا على وثائقهم ومنتجاتهم، بأختام ليست أكبر حجماً من الختم الذي يُستعمل في عصرنا الحاضر.

وقد ذكر "برنتون" أنه حتى في مصر، فإن الكثير من هذه الجعارين ربما كانت تستخدم كتمائم. وقد استخدمت الأختام الصغيرة في المحافظة على المخازن، وذلك بختم الجرار والسلال للاحتياط من السرقات والسطو عليها. وكذلك لبيان محتوياتها بالأرقام. وفي تلك الفترة استخدمت سورية الأختام كأداة قانونية، حيث كانت تشكّل من الأقراص الطينية (Frnkfort 1939: 297). أما تأثير الأختام الأُسطوانية الآسيوية، فلم يكن معروفا بشكله الواضح في مصر قبل عصر الانتقال الأول.

طابع الأختام الأسطوانية المصرية

كانت الأختام الأُسطوانية الأولية تمتلك روحاً خاصاً بها، لا توحي بأنها تقليد لنظيرتها الآسيوية، وإن كانت الأختام الأُسطوانية التي كانت سائدة في مصر آنذاك، قد تأثرت نسبيا بالتأثيرات الآسيوية (الشكل ١٦). ومن أهم النقوش، التي حملتها تلك الأختام المصرية حيوان الإله "ست" (Seth)، يقابله عمود "جد" (Ded). كما نشاهد الكوبرا في الأمام رافعة جسدها، وأسفلهم منظر لرجل رياضي وقزم وقرد. وهذه الأشكال كانت معروفة جيدا في نقوش الطقوس الجنائزية ومناظرها. وكذلك هناك منظر النحلة وحروف هيروغليفية تحمل اسم ملك مصر السفلى. يلي ذلك منظر لتمساح، أو ربما ورل، ومنظر لرأس الالهه حتحور، وأجزاء أمامية من ثيران، وأسدان منحنيان يقابلان بعضهما من أعلى. وتمثّل أرجل الأسود الأمامية قرون الالهه حتحور. وكان ذلك الختم منقوشاً في نهايته، وقد تكررت خاصية النقش هذه مراراً في ختم أسطواني آسيوي، ذي علاقة بذلك الختم السابق. وكما عرفت أيضاً أختام اسطوانية ودائرية عديدة

بهـذا الشكل (Frnkfort 1939: 296; pl. xlvll. m. n.; Scharff 1931: 95-102; Jequier 1933: 33, fig. 16; Brunton: pl. LX, 2).

ومن التأثيرات الآسيوية- خاصة من حضارة جمدة نصر- على بعض الأختام المصرية، بعض المناظر، التي وجدت في مصر قبل بدء الكتابة المبكرة، وهي تتمثل في مجموعتين: المجموعة الأولى تصور مجموعة من الحيوانات ومائدة للقرابين، لا علاقة لأحدهما بالآخر. وإذا حاولنا تفسيراً لذلك، من خلال مشاهدتنا للختم المصري، الذي يصور صفوفاً من الحيوانات تسير رافعة ذيولها (الشكل ١٧ " ٤٢")، فانه يمكن مقارنته بشبيهه تماماً من حضارة جمدة نصر (أنظر شكل رقم ١٧ "٤٧")، والشيء نفسه مع صفوف الأسماك، التي تبين، إضافة إلى ترتيبها، المصري المتناسق (الشكل ١٧ "٤٨-٤٩")، جانبا زخرفياً من بلاد النهرين، إضافة إلى صفوف الحيوانات، التي يبينها ختم "أبو صير الملق" (الشكل ١٧ "٤١")، توجد أمثلة عديدة مشابهة من حضارة الوركاء ٤ (الشكل ١٧ "٤٦") فهذه الحيوانات ترى مرتبة تارة، وأخرى تسير في صف وراء بعضها، وحينما يكون الأسد بينها، فإنه يهاجم الحيوانات من الخلف (Scharff 1941: 29).

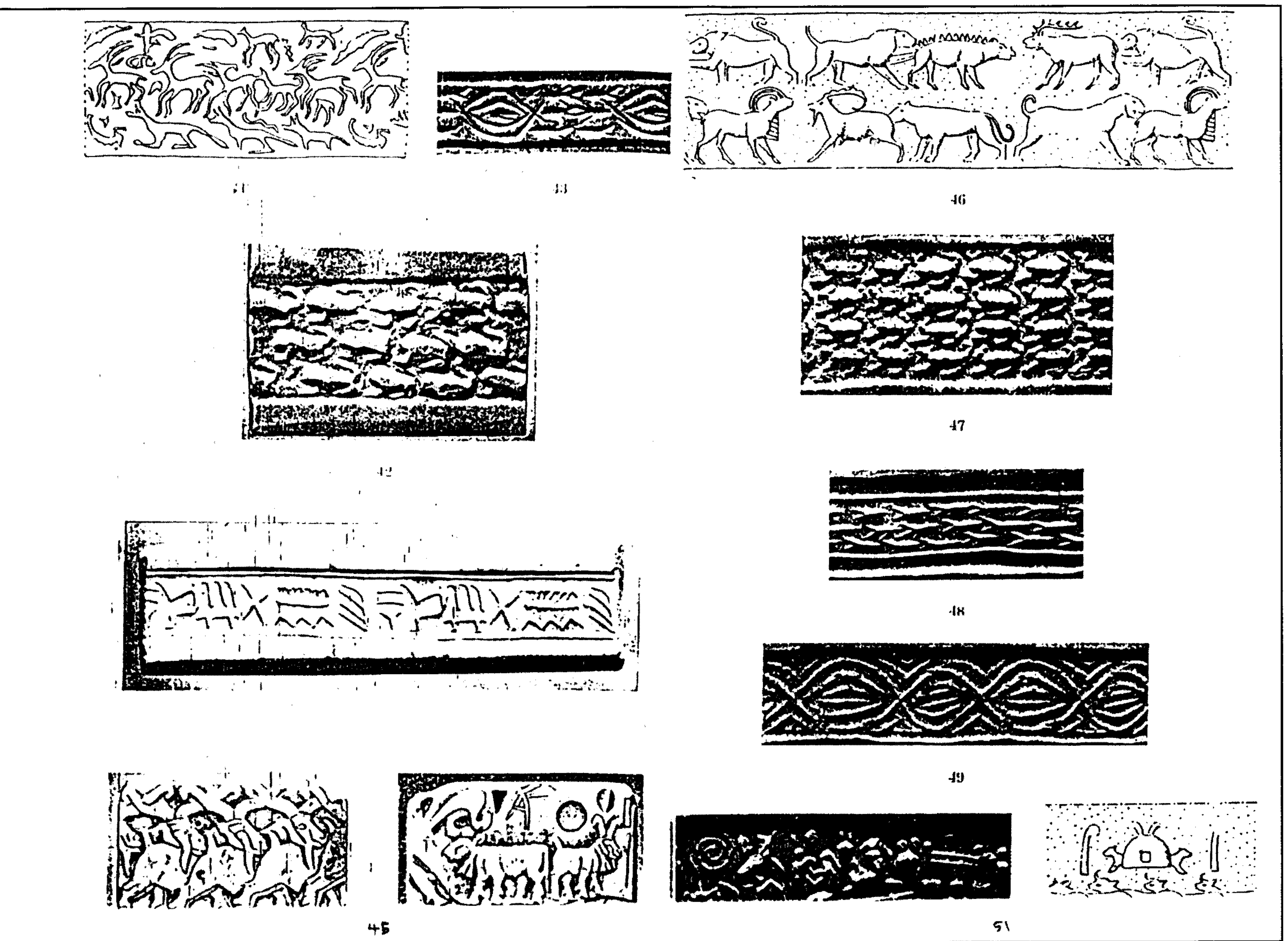
ولعل من العلامات المميزة لصفوف الحيوانات، التي رأيناها من قبل على رؤوس المقامع، وجدت -على الأقل- على الأختام المستديرة في حضارة الوركاء (الشكل ١٧ "٥١")، ولكن هذا العنصر الخاص من تلك العلامات المميزة، فيدل على الأشياء المستديرة، مثل المقامع والأختام الأسطوانية، لكنه لا يوجد على اللوحات ذات الزوايا، التي لا بد أن يقطع فيها الحيوان الأول والأخير. وهذا يتطابق، أيضاً، مع ملعقة للزينة من الصدف- نرى أنها مصرية، لوجود الكتابات الهيروغليفية عليها؛ ولكن المناظر على كلا الجانبين متأثرة تأثراً شديداً بالفن العراقي (الشكل ١٧ "٤٥"). وهناك أيضا بعض المناظر التي تعد مثاراً للجدل، إذ نجد على الوجه الأمامي لها (الشكل ١٧ رقم "٤٥")، التي عليها مناظر للأبقار، وفي (الشكل ١٧ "٥١") تمثيلاً أو تأثيراً عراقياً تماماً بالنسبة للقرون، وعلى ظهر اللوحة (الشكل ١٧ "٤٥") نشاهد صفوفاً من الماعز متقاطعة مع بعضها، وتلك المناظر على ختم مستدير عراقي، عليه صور لماعز في صفوف غير منتهية.

أما المجموعة الثانية من الأختام، فيُرى فيها الشيء نفسه. إلى جانب العلامات الهيروغليفية غير المفهومة؛ فنجد شكلاً بشرياً بشعر طويل، يجلس خلف منضدة (الشكل ١٧ رقم "٤٤") عليها العديد من أرغفة الخبز، هلالية الشكل، والكرسي الصغير مزيّن بسيقان الثور وحوافره، وهناك ختم مشابه اكتشف في العراق، يرجع إلى عصر حضارة جمدة نصر (الشكل ١٧ رقم "٥٠") به منظر للشراب بالكيفية نفسها، وما يلفت النظر إلى ذلك، التشابه مع الكرسي الصغير، المزيّن بسيقان الثور وحوافره (Scharff 1941: 30).

الأختام الأسطوانية ونشأة الكتابة

تُعَدُّ الكتابة الحد الفاصل، الذي نقل المصري القديم من مراحل عصور ما قبل التاريخ، إلى العصور التاريخية. وكان ذلك مع بداية الأسرة الأولى، التي بدأت في القرن الواحد والثلاثين قبل الميلاد تقريباً. وعلى كلٍ فإن محاولات الإنسان القديم في مجال الكتابة، بدأت قبل الأسرة الأولى بحوالي قرنين من الزمان، على أقل تقدير، أي في العصر الحجري الحديث، وعصر ما قبل الأسرات (نورالدين ١٩٩٨: ٨-٩). وتعد أقدم الرموز التصويرية، التي عُرفت بمصر القديمة، وجدها "بتري" (Petrie) على قطع الفخار وآنيته، وعلى قطع من الحجر، في مقابر ما قبل التاريخ، وحدد عمرها بنحو سبعة آلاف سنة. وبمرور الزمن حدث تطور تمثل في نقل الرسم، أو الرموز الأولى، إلى كتابة يعبّرون بها عن أفكارهم، هي "الكتابة الهيروغليفية". وكان ذلك في عام ٣٦٠٠ ق٠ م، أو قبل ذلك التاريخ بزمن طويل (ديورانت د. ت: ١٨٠-١٨٣).

ومما لا شك فيه، أن أقدم الأختام الأُسطوانية استخدمت في نطاق الثقافة النقادية. ومعنى ذلك أن الكتابة ترجع إلى عصر نقادة الثانية، أهي من نتاج الثقافة النقادية، أم من نتاج حضارة مصر السفلى، أم هي من نتاج تأثير آسيوي ؟ وقد أظهرت النتائج بشكل واضح، أن المحاولات الأولى للكتابة في



الشكل ١٧: ٤١ ختم أبو صير الملق، تظهر عليه صفوف من الحيوانات؛ "٤٥" ختم أسطواني عراقي عليه صور الماعز بصفوف غير منتهية؛ "٤٦" ختم من حضارة الوركاء عليه مناظر لحيوانات يهاجمها أسد من الخلف؛ "٤٧" ختم أسطواني من جمدة نصر؛ "٤٨" ختم أسطواني مصري يظهر عليه صفوف متناسقة من الأسماك، وتبدو الزخارف، التي تعود إلى بلاد النهرين؛ "٥٠" ختم أسطواني من عصر جمدة نصر عليه منظر للشراب؛ "٥١" ختم يمثل أختام الوركاء الأسطوانية، (Scharff1941; pls.8 (41-42)- 9 (46, 47, 48, 49, 50, 51) .

مصر القديمة كانت منذ عام ٣٤٠٠-٣٣٠٠ ق.م، وربما يدلل على ذلك البرهان الواضح، المتمثل في خطوط هيروغليفية قديمة وجدت في مقبرة (واجي)، بما يعد دليلاً مباشراً من التاريخ القديم على اكتشاف ومعرفة الكتابة في مصر في وقت مبكر. هذا ومما يعضد ذلك تلك الوثائق والمكتشفات الأثرية وهي بحالة جيدة والتي تعد في حد ذاتها حقائق عاملة (Kaiser 1987: 299).

ومن ناحية أخرى، يعتقد "فلندرز بتري" أن أهل نقادة كان لهم دور لا يُستهان به في الرقي والتحضر، في مصر القديمة آنذاك؛ وذلك من خلال العلامات، التي خطّوها على أوانيهم التي كانت ترمز في البداية إلى أصحابها أو صانعيها؛ أي كانت بمثابة علامات كتابية تخطيطية شخصية؛ ثم ما لبثت تلك العلامات أن أصبحت من أدوات التفاهم بين الناس.

بدأت هذه العلامات - كما يري بتري - بثلاثين علامة في عصر نقادة الأولى، اختفت منها ست علامات في نقاد الثانية وحلت محلها أربع عشر ة علامة أخرى جديدة، في حين ظل أهل نقادة الثانية في استخدام تلك العلامات في تعاملاتهم الكتابية. و بلغ عدد هذه العلامات في الأسرة الأولى ثلاثاً وخمسين علامة. وظلت هذه العلامات حتى الدولة الوسطى، على أقل تقدير. وفي عصر الأسرة الثانية عشرة ظهرت ثلاث علامات جديدة، كتب بها رجال المناجم في شبه جزيرة سيناء، ثم احتضنها الكنعانيون وتعلموها من نصوص سيناء. كذلك تعلم الكنعانيون نظرية المصريين القدماء، في استخدام شكلٍ خاصٍ للتعبير عن أول حرف هجائي من اسمه. وقد أسفر ذلك عن تعلمهم اثنين وعشرين علامة هجائية، كتبوا بها نصوصهم. وعن الكنعانيين، تعلم أهل جنوب شبه الجزيرة العربية هذه العلامات، كما اقتبس منهم قدماء الإغريق وزودوا بها كتاباتهم المقطعية القديمة (صالح ١٩٧٩: ٥٣-٥٤؛ pertie 1940: 41).

بداية الأسرات ونشأة الكتابة

من نتائج الحفائر الحديثة بأم الجعاب، يتضح وجود بعض المقابر التي ترجع إلى عصر نقادة الثالثة، وذلك من خلال فحص ما عُثر عليه في تلك المقابر من ثقافات تعود إلى العصر نفسه، ومن حفائر أخرى أجريت في شمال شرقي الدلتا، أوضحت أيضاً، أن الثقافة النقادية ربما عمت كل مناطق مصر السفلى. كما توضح حفائر (بوتو) أن النتاج المادي للثقافة النقادية وصل إلى كل مصر تقريباً، ويبدو أن لهذه الحضارة المصرية العليا "الصعيدية" طابعاً خاصاً ومميزاً، عمَّ مصر القديمة كلها (Kaiser 1990: 288).

وفضلاً على ما تقدم، فإن ما عُثر عليه في احدى تلك المقابر الملكية بأم الجعاب، على بعض القطع العظمية، التي عليها نقوش هيروغليفة، يوضح أن الثقافة والاقتصاد والادارة في مصر القديمة، كانت على مستوىً عالٍ آنذاك، وهو أمر لم يكن موجوداً قبل ذلك العصر. وترجع تلك النقوش أو الكتابات الهيروغليفية إلى ما قبل الأسرة الأولى بحوالي مائة وخمسين عاماً. وأن أقدم المخربشات التي عُثر عليها لم تكن أقدم الا بعشرات السنين، إذ تعود لحوالي مائتين وخمسين عاما قبل الأسرة الأولى. وخلال تلك الفترة كانت الحضارة النقادية تعم الدلتا كلها، وساحل البحر المتوسط.

ويرى الباحث أن انتشار الثقافة النقادية في كل أرجاء مصر القديمة، آنذاك، ربما ساعد على انتشار الكتابة في الدلتا ومصر السفلى، وكذا في جميع أرجاء مصر القديمة في ذلك العصر.

وربما يدل ذلك التطور المبكر للكتابة في مصر القديمة، آنذاك، أن ثمة اتصال ما بين حضارة الأسرة الأولى، وما قبلها في عصور ما قبل التاريخ؛ وأن هذا التطور المبكر للكتابة المصرية القديمة، ساعد على تطوير النتائج التاريخية، ثقافياً واقتصادياً قبل الأسرة الأولى، بنحو مائتين وخمسين عاماً تقريباً.

وكان استخدام الكتابة في بداية الأمر، مقصوراً على دائرة الملوك والأمراء والجهاز الإداري للمملكة المصرية القديمة، التي كانت قبل الأسرة الأولى تتألف من مصر العليا ومصر السفلى. ووجدت تلك الكتابة على قبر (واجي)، و (إري حور) بأبيدوس. وتدلل هذه الكتابات أن كليهما كانا ملكين، وأنهما حكما كل المصريين، سواء في مصر العليا أو السفلى. كما وجدت بعض العلامات البدائية "المخربشات"، على جنبات جرار النبيذ (Kaiser 1987: 290).

ووجدت في منطقة "بأبيدوس" نفسها، نماذج أخرى من هذه الكتابة، على ما يسمى: "واجهة القصر"، تتضمن أسماء هيروغليفية ورموزاً أخرى تصور الصقر المزدوج، ما يبرهن أن مملكة مصر العليا كانت آنذاك تحكم المملكة المصرية القديمة كلها. كما يبرهن على وجود طراز راقٍ من الادارة، قبل الأسرة الأولى بنحو مائة عام، على الأقل (Kaiser 1987: 291).

رؤية حول نشأة الحروف الهجائية

اختلفت الآراء حول منشأ الحروف الهجائية؛ فهناك من يُرجعها إلى الخط المصري القديم، وهنالك من يرجعها إلى الخط المسماري البابلي. وقد دار جدل حول ذلك الأمر، الذي تبنته مدرستان: فالمدرسة، التي تبنت الأصل المصري لحروف الهجاء، من أبرز أعضائها "دي روجيه" (De Rouget)، الذي يعتقد أن الحروف الفينيقية مشتقة من المصري الهيراطيقي، على اعتبار أن الخط الفينيقي يشترك مع الخط المصري القديم، في الصفة الهجائية الصوتية، أي الحروف "هجائية صوتية". وهذا الرأي على خلاف ما هو معروف عن الخط المسماري البابلي، من أنه مكون من مقاطع. ويتبع دي روجيه في اعتقاد ه" د. اسحق تيلر" (Dr. Isaac Taylor)، وكذلك "جون بيترس" (John p.Peters) و "بتري" (Petrie)، الذي يرى أن نشأة الحروف الهجائية كانت في مصر من الرموز، التي اكتشفت في المقابر الملكية للسلالات المصرية الأولى. وقد تطورت تلك الرموز، فيما بعد، إلى حروف هجائية، تكوّن منها الخط الهيروغليفي والهيراطيقي والديموطيقي (Taylor: 145; Peters 1901: 177-198; Petrie 1900: 31-32, pl. 52).

أما المدرسة الثانية، التي تُرجّح أن أصل حروف الهجاء تُعزى إلى الخط المسماري البابلي، فتضم مجموعة من المستشرقين، من بينهم "ديكه" (Deecke)، و"هومل" (Hommel) اللذان يرجحان الأصل البابلي للخط الفينيقي، وأن حروف الهجاء جاءت إلى الفينيقين، وإلى الشعوب الأخرى المجاورة لهم، من جزيرة العرب، محل ولادتها ومنشأها. ويستند أصحاب هذه النظرية، إلى بعض القرائن، التي من أهمها: اعتقادهم أن اللغة المصرية والخط المصري القديم، كانا منتشرين خارج مصر، ببلاد الشرق القديم. وفي المقابل، يرون أن اللغة البابلية والخط البابلي، كانا منتشرين في الشرق الأدنى، خاصة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد؛ وان كانت اللغة المصرية القديمة، دخلت فينيقية وفلسطين من بلدان الشرق الأدنى - خلال عهد الأسرة التاسعة عشرة- فإن اللغة البابلية وخطها البابلي، كانا متداولين في تلك الأقطار في مراسلات الملوك المصرية الرسمية وأتباعهم، في تلك الأقطار (باقر ١٩٦٥: ٤٥؛ Curdy: vol. III Sec. 873).

وهناك مدرسة معتدلة بين هاتين المدرستين السابقتين، دُعي أصحابها بـ "الموفقين"، أي إن آراءهم تقوم بعملية توافق بين آراء أصحاب المدرستين السابقتين. ويمثل أصحاب مدرسة التوفيق هذه "فردريك ديلتش" (Friedrik-Delitzsch) الذي يري أن مخترعي الحروف الفينيقية، أخذوا عن الخط المصري القيمة الصوتية الهجائية؛ بينما أخذوا معظم حروفهم عن الخط البابلي المسماري، مستنداً إلى أن معظم الحروف الفينيقية -خمسة عشر حرفاً من مجموع اثنين وعشرين حرفا- لها معانٍ في اللغات السامية، ولا سيما البابلية، مع وجود تحريف بسيط أحدثه الفينيقيون أنفسهم، وفقاً لما اقتضته خصائص لهجاتهم. وهذا يعني -في رأيه- أن الحروف الهجائية اخترعها الفينيقيون أو الكنعانيون، لا الآراميون أو العرب الجنوبيون، كما يرى بعض الباحثين (باقر ١٩٦٥: ٤٥؛ Delitzsch 1897: 34).

وهكذا، رأينا أن هناك جدلاً دار بين العلماء، ولا يزال، حول منشأ الحروف الهجائية؛ ولكن يؤخذ على شكل الأحرف - التي كانت محكاً أو محلاً للنقاش أو الجدل بين العلماء- أن لا بد كان لها أشكالا حروف أخرى أبسط، نشأت أو انبثقت منها، على أن يتوافر لتلك الحروف صفة القدم. لذا، رأى بعض العلماء أن مثل هذه المخطوطات غير كافية، لحل مشكلة أصل الحروف الهجائية. وتركوا الأمر إلى ما قد يظهره المستقبل من مخطوطات تحوي أحرفاً أقدم وأبسط. وتدور عجلة الزمن، وتأتي حفائر شبه جزيرة سيناء بما اشتهاه العلماء. فقد كُشف النقاب عن نقوش كتابية اشتهرت باسم: "مخطوطات سيناء" اكتشفها "فلندرز بتري " (Flinders Petrie) عام ١٩٠٤ م، في منطقة "سرابيط الخادم"،؛ لذا، انكب فريق من العلماء

لبحث تلك المخطوطات ودراستها؛ وعلى رأسهم "جاردنر" (Gardiner)، و"زيته" (Sethe) (Gardiner 1916: 1-6;) (Zethe 1916: 78-161)، و"جرم" (Grimme)، و"ليك" (Lake)، و"بليك" (Blake)، وغيرهم (Grimme 1923: 34).

وتعد هذه المخطوطات على قدر كبير من الأهمية، إذ عدها هؤلاء العلماء بمثابة مفتاحٍ لأحرف الهجاء، لكونها أبسط وأقدم نقوش سامية مكتوبة بحروف هجائية، عُثر عليها إلى الآن؛ بل هي على الأرجح أول حروف هجائية عالمية، نشأت منها بقية أنواع الحروف الهجائية المعروفة.

ونخلص مما سبق من أراء، حول أسبقية معرفة الكتابة بين مصر والعراق، إلى الآتي:

أولاً: العراق: هناك من العلماء مَنْ يرجّح ظهور بدايات الكتابة العراقية، منذ المراحل الأخيرة لحضارتي الوركاء وجمدة نصر، وذلك في أواخر فجر التاريخ العراقي القديم. بينما يحدد آخرون تلك البداية بالكتابة على الألواح الطينية، وذلك في ٣٢٠٠ ق٠م تقريباً، في حين حددوا تاريخ النقوش السومرية بعام ٣٦٠٠ ق٠م تقريبا.

ثانياً: مصر: يرى "ول ديورانت" أن الرموز التصويرية، التي وجدها "فلندرز بتري" على فخار ما قبل التاريخ بمصر، هي التي أرخت لتلك الرموز التصويرية بسبعة آلاف سنة. وبمرور الزمن حدث تطور تمثل في نقل الرسم أو الرموز الأولى، إلى كتابة يعبرون بها عن أفكارهم هي "الكتابة الهيروغليفية"، وكان ذلك في عام ٣٦٠٠ ق٠ م، وقد يكون قبل ذلك التاريخ بزمن طويل، فضلا عمّا أثبته بعض العلماء في هذا المضمار، من أن أهل نقادة خطّوا على أوانيهم علامات كتابية تخطيطية ٠ إضافة إلى الرأي الذي يقول: إن المحاولات الأولى للكتابة في مصر، ترجع إلى ٣٤٠٠- ٣٣٠٠ ق٠م تقريباً.

وهناك من يرى أن محاولات الكتابة الأولى في مصر، ترجع إلى ما قبل الأسرة الأولى بقرنين من الزمان، على أقل تقدير، أي في العصر الحجري الحديث وعصر ما قبل الأسرات. ومما يؤكد ذلك، العثور باحدى المقابر الملكية بأم الجعاب، على بعض القطع العظمية، التي عليها نقوش هيروغليفة.

إضافة إلى ذلك يرى "دي روجيه" وهو - كما أوردنا سابقا- من أنصار أن الخط المصري القديم هو الأصل في الحروف الهجائية (الكتابة)، أن الحروف الفينيقية مشتقة من الخط الهيراطيقي، ويشاطره رأيه كل من: "إسحق تيلر، وجون بيترس، وبتري، وجاردنر".

فضلاً عما جاءت به "مخطوطات طور سيناء"، التي اكتشفها "فلندرز بتري" (Flinders Petrie) عام ١٩٠٤ م في منطقة "سرابيط الخادم". وتعد هذه المخطوطات على قدر كبير من الأهمية، إذ عدّها هؤلاء العلماء بمثابة مفتاحٍ لأحرف الهجاء، لكونها أبسط وأقدم نقوش سامية مكتوبة بحروف هجائية عثر عليها إلى الآن، بل هي، على الأرجح، أول حروف هجائية عالمية، نشأت منها بقية أنواع الحروف الهجائية المعروفة.

وفضلاً على كل ما تقدم، فإن ما عُثر عليه من نقوش وأجزاء من كتابات "واجهة القصر"، التي وجدت في "أبيدوس- محافظة سوهاج بصعيد مصر"، تتضمن أسماء هيروغليفية، وأجزاء أخرى للصقر المزدوج. وترجع هذه الكتابات والنقوش إلى ما قبل الأسرة الأولى بنحو مائة عام على الأقل، وذلك دليل مادي على أن الكتابة عرفت بمصر قبل ذلك التاريخ.

وفي ضوء ما سبق، يرى الباحث، بعد تحليل ومقارنة مختلف الآراء، التي دارت في ذلك المضمار، والجدل العلمي حوله، وكذلك النظر إلى ما أتيح للباحث من المصادر الأثرية، التي نعدها المصدر الرئيسي والأهم للتأريخ، أن الكتابة عرفت في مصر القديمة قبل أن يعرفها الإنسان العراقي القديم بنحو أكثر من قرنين من الزمان على أقل تقدير. وان كانت هذه الدراسة لا يعدها الباحث نهائية، في معرفة المدى الزمني الحقيقي، الذي سبق به إنسان مصر القديمة في معرفة الكتابة. فلا يزال يساورني الشك في أن ذلك التاريخ التقريبي، الذي وصلت اليه الدراسة، أقل بكثير من التاريخ الحقيقي لمعرفة الإنسان القديم في مصر للكتابة. ونأمل أن تكشف الحفائر الآثارية العلمية المستقبلية، المدعومة بجهد وبحث ودراسة، للعلماء والمتخصصين في العالم العربي، ما يعينهم في تحديد هذا التاريخ على نحو دقيق.

أهم النتائج

١- استعملت الأختام الأُسطوانية في جنوبي العراق ووسطه، منذ الربع الأول للألف الثالث قبل الميلاد، وهي الفترة التي ترجع إلى الحقبة الزمنية ما بين نهاية عصر جمدة نصر، وبداية عصر فجر السلالات السومرية.

٢- استخدم العراقيون القدامى الأختام بكثرة، خاصة في الأنشطة التجارية؛ في ختم البضائع، كنوع من التأمين ضد السرقات، أو لتمييزها عن البضائع الأخرى، ما يشير إلى زيادة النشاط التجاري، وكذلك إلى نمو الشعور بالذات والملكية الخاصة. وربما كانت تلك الأختام تشير إلى رموز دلالية ارتبطت بالختم.

٣- أهم المناظر، التي كانت على هذه الأختام بشكل عام، هي مناظر ذات طابع ديني، إلى جانب تسجيل اسم صاحب الاسطوانة "الختم"، وإهداء للآلهه، إلى جانب مناظر المآدب والشجرة المقدسة. ومن مناظر أختام جمدة نصر، مناظر الأعداء والأسرى، إلى جانب الأختام الأُسطوانية التي تحمل نقوشاً هندسية محفورة، يتخللها - في معظم الأحيان - رسوم للماشية، كالغزلان والماعز، أو مناظر للطيور والأسماك. هذه الأختام أطلقوا عليها اسم: "البروكيد"، وذلك لتشابه زخرفتها بالنسيج، أو بشكل حياكة الحصر والسلال. أما مناظرالأختام الأُسطوانية الصغيرة، فكانت مناظر دينية أو رعي، بينما كان هناك إفريز، هو عبارة عن نسيج مزين بالحيوانات المتصارعة.

٤- أكتُشف نوعان من هذه الأختام الأُسطوانية، يرجعان إلى عصر فجر السلالات؛ النوع الأول، وهو ما يطلق عليه "البروكيد"، وينسب إلى نهاية عصر جمدة نصر، وهي الأختام ذات الزخارف الهندسية. أما النوع الثاني، فينسب إلى عصر فجر السلالات الأول.

٥- تنوعت مادة الأختام الأُسطوانية العديدة، التي وجدت على مر العصور العراقية القديمة؛ فأختام (أوروك) الأُسطوانية، صنعت من بعض الموادالشائعة، آنذاك، كالرخام الأبيض، أو القرنفلي اللون. واستمرت الأختام تصنع من تلك المواد حتى عصر جمدة نصر، الذي فضّل استخدام حجر الكلس الملون، وخاصة الأبيض اللون، المائل إلى اللون الرمادي، شائع الاستخدام آنذاك. وفي نهاية ذلك العصر، صنعت تلك الأختام من حجر الكلس الأخضر، أو الرمادي، ومن الفيانس، أو الخزف، أو الاستياتايت المزجّج. أما مع بداية عصر الأسرات الأولى في العراق، فإن تقنية ومادة الصنع لتلك الأختام الأُسطوانية، ذات الاطار أو الشكل المزخرف، فكانت من حجر الكلس الأخضر، أو الأزرق، أو الأسود، أو من حجر السربنتين الأسود. وفي النصف الأخير لعصر الأسرات الأولى، استخدم الحجر الأبيض نصف الشفاف، أو الأخضر، وحجر السربنتين الأخضر، والحجر الأرجواني، ولب المحار أو الصدف (الذي استمر مُستَخْدَماً حتى بداية الأسرة الثالثة، وكان يجلب من الخليج العربي). وظلت الأحجار البيضاء، نصف الشفافة، تستخدم لعمل الأختام الأُسطوانية الصغيرة، وكذلك اللازورد أو الذهب والفضة، سواء كانت صلدة أو مصنوعة من رقائق معدنية مطلية بالقار. وفي عصر سرجون الأول، تنوعت مادة صنع تلك الأختام الأُسطوانية، فمنها ما صنع من حجر اليشب، أو من صخر الكريستال. كما استخدمت تلك المواد السابقة، في حالة ندرة وجود لب الأصداف الرخوة، قبل نهاية ذلك العصر. أما أختام الأسرة الثالثة لأور، فصنعت من المواد نفسها، التي صنعت منها أختام العصر الأكدي، ومع ذلك فإن اللازورد استخدم أحياناً، كما كان من قبل، بشكل استثنائي، لصناعة الأختام النفيسة والقيمة. وفي سورية استخدم لصناعة تلك الأختام الهيماتيت، وبعد ذلك استخدم الفخار المطلي أو الفيانس، خاصة في عصر الميتانيين.

٦- معرفة إنسان ما بين النهرين القديم للأختام الأُسطوانية، يرجع إلى ما قبل معرفته لاختراع الكتابة. وتمثل تلك الأختام الأُسطوانية مرحلة بدائية جداً، للكتابة العراقية القديمة، إذ كانت تحوي أرقاماً منحوتة، لتساعد الإنسان العراقي القديم على التذكّر؛ ثم تلي تلك المرحلة اضافة أحرف الكتابة للأرقام، وكان ذلك في منتصف الألف الرابع ق٠م. وكانت الكتابة عبارة عن صور، ثم

اتخذت طابعاً مقطعياً رمزياً في شكل خطوط مستقيمة، لها قيمة صوتية بدلاً من الصور السابقة. ثم عُرفت بعد ذلك بالكتابة المسمارية (عتيق) أي القديمة، وسرعان ما استُخدمت لتدوين أسماء الملوك، والمعتقدات الدينية، والأساطير.

٧- كان نظام الكتابة في اللغة الخاصة بأهل العراق القدامى، يشبه الكتابة التصويرية (pictographic)، التي استخدمها المصريون القدماء، وذلك برسم الشيء المراد كتابته، أو جزء مميز منه، للتعبير عنه لسهولة فهم المقصود منه. ومما يؤخذ على الكتابة المسمارية، أنها لم تستطع التعبير عن الأفكار المجردة، والصيغ المختلفة للفعل.

٨- أما أختام مصر الأُسطوانية، فان تاريخها يقدم أمثلة تقليدية، ناشئة عن تأثيرات حضارية متبادلة في منطقة الشرق الأدنى القديم. فقد استخدمت الأختام الأُسطوانية بشكل عملي واضح، في أنحاء مصر كلها خلال الألف الثالث قبل الميلاد. واتسمت أشكال تلك الأختام الأُسطوانية بهيئة مصرية خالصة. واستطاع المصري القديم أن يطوّع تلك التقنية لمصلحته، كما أضاف اليها وابتكر وجدد. وكانت تلك الأختام الأُسطوانية الأولية، تمتلك روحاً خاصة بها، فلا توحي بأنها تقليد لنظيرتها الآسيوية.

٩- وإن كانت فكرة استخدام الأختام الأُسطوانية في مصر القديمة، فكرة مستعارة من الخارج؛ فإن التعبير عنها كان مصرياً خالصاً، لأن تشكيلات الأختام الأُسطوانية المبكرة في مصر القديمة، كانت تمثل البدايات الأولى للكتابة المصرية.

١٠- شهدت أختام أواخر عصر الأسرة الأولى تقدماً ملموساً، فيما يتعلق بالتقنية الواضحة ذات المعنى، مع المقارنة بمثيلاتها المبكرة، أو البدائية ٠ ونجد في هذه الأسرة اختفاء الأختام ذات التصميم الزخرفي، وأنها نقشت أو حفرت بالكتابة فقط؛ ومن ثم اختلف الشكل الخاص بهذه الأختام، مع المقارنة بأختام بلاد النهرين، وكذا بأختام مصر المبكرة.

١١- أدرك المصريون القدماء الفوائد العملية، لاستعمال جعارين دقيقة الشكل بدلاً من استعمال الأختام، ذات الأشكال الكبيرة. ولا غرو في ذلك، فلقد كتبوا قديماً على ورق البردي وليس الصلصال، كما فعل انسان بلاد النهرين القديم، ونراهم أيضا قد حافظوا على وثائقهم ومنتوجاتهم بأختام، ليست أكبر من الذي يُستعمل في الوقت الحاضر.

١٢- انتشار الثقافة النقادية في أرجاء مصرالقديمة، آنذاك، ساعد على انتشار الكتابة في الدلتا ومصر السفلى، وكذا جميع أرجاء مصر القديمة، في ذلك العصر.

١٤- التطور المبكر للكتابة في مصر القديمة، آنذاك، يدل على أن هناك اتصالاً ما بين حضارة الأسرة الأولى، وما قبلها من عصور ما قبل التاريخ؛ وأن هذا التطور المبكر للكتابة المصرية القديمة، ساعد على تطوير النتائج التاريخية، ثقافياً واقتصادياً قبل الأسرة الأولى بنحو مائتين وخمسين عاماً تقريباً.

١٥- كان استخدام الكتابة، في بداية الأمر، مقتصراً على دائرة الملوك والأمراء والجهاز الإداري، للمملكة المصرية القديمة.

١٦- عرف الإنسان المصري القديم الكتابة قبل الإنسان العراقي القديم بنحو مائتي عام، على أقل تقدير ٠

د٠ اسماعيل عبد الفتاح محمد عبد الفتاح - كلية الاداب- جامعة جنوب الوادي بقنا - (حالياً ـ كلية التربية للبنات بتبوك - قسم التاريخ - المملكة العربية السعودية؛ تبوك ص٠ ب؛ ٧٩٦). Email: altaawoos@hotmail.com

الهوامش :

(١) من المعروف أن نبات الغاب ونبات البردي كانا يمثلان الأحراج، التي كانت بمثابة الموطن الطبيعي للتمساح، الذي عبد فيه قدماء المصريين قوته وضراوته؛ لذا عبدوه - كما اعتقدوا - درءاً لشروره بالتقرب اليه بالعبادة والقربان كغيره من معبودات مصر القديمة .

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

باقر، طه ١٩٦٥، "أصل الحروف الهجائية وانتشارها"، **مجلة سومر**، مجلد رقم (١).

ديورانت، ول، **قصة الحضارة، المجلد الأول، نشأة الحضارة، الشرق الأدنى**، ترجمة د.زكي نجيب محمود، محمد بدران .

سليم، أحمد أمين ١٩٩٥، **دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم منذ الدهور الحجرية وحتي بداية العصور التاريخية في مصر وبعض مناطق الشرق الأدنى القديم**، جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

صالح، عبد العزيز ١٩٧٩، **الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول مصر والعراق**، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية.

عبد الفتاح، اسماعيل ١٩٩٦، سوبك منذ بداية الأسرات وحتي نهاية الدولة الحديثة، دراسة حضارية لغوية، رسالة دكتوراة غير منشورة في الحضارة المصرية القديمة ، جامعة الزقازيق.

عطالله، مصطفى ١٩٩٨، "الهيئات الآدمية غير التقليدية في عصور ما قبل التاريخ والعصر المبكر في مصر (من خلال مناظر الصيد ومناظر وتماثيل الأعداء والأسرى)"، **مجلة كلية الآثار**، العدد التاسع، جامعة القاهرة.

فرج، بصمة ١٩٨٥-١٩٨٦، الحقبة الزمنية بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية في بلاد الرافدين، **سومر**، الجزء الأول والثاني، المجلد الرابع والأربعون.

نور الدين، عبد الحليم ١٩٩٨، **اللغة المصرية القديمة**، جامعة القاهرة.

موسكاتي، سبتينو ١٩٥٧، **الحضارات السامية القديمة**، ترجمة: د. السيد يعقوب أبو بكر، دار الكتاب العربي للطبع والنشر، لندن.

ثانياً: المراجع غير العربية:

Ayrton, E., W. Loat 1911. **Pre-dynastic Cemetry at El Mahasna**, London.

Brunton, G. 1927. O. B. E. with chapters by Alan Gardiner and Flinders Petri, 'Qau and Badari I", **BSAE** XLIV, London.

Brunton, G. 1928. "Qau and Badari II", **BSAE,** London.

Brunton , G. 1948. **Matmar**, London.

Cottrell, L. 1965. **The quest for Sumer,** G. P. Putnamsson, New york.

Crawford, H. 1991. **Sumer and the Sumerians**, Cambridge University Press, New York .

Cros, Nouvelles Fouilles de Telloh.

Curdy, MC . **History probhecy and the monuments**, vol. III, section 873.

Delitzsch, F. 1897. **Die Entstehung des altesten Schriftsystems** .

Dolzani, C 1961. II Dio Sobk, atti de/lla accademia nazionale dei lincei, CI. Di scienze morali, storiche e filologiche, **Serie** VIII, 10.4, Rome .

Frankfort, M. A. H. 1939. **Cylinder seals, a documentary essay on the art and religion of the ancient near east**, London.

Falkenstien 1936. **Archaische Texte aus Uruk**, Berlin.

Gardiner, A. 1916. "The Egyptian origin of the Semitic", **J. E. A**; III.

Gibson, M., R. D. BIGGS 1977. **Seals and sealing in the ancient near east**.

Grimme 1923. **Althebaische Inschriften Von Sinai**.

Helck, Z 1990. "Untersuchungen zur Thinitenzeit gesamtagyptischen, Staates", **MDAIK**, 46.

Helck, W. 1971. **Die Beziehungen Agyptens zu Vorderasien** i, 3. und 2. Jahrtausend v. Chr. Agyptologische Abhandlungen 5.Wiesbaden (Second Edition) .

Heuzey, 1969. **Catalogue des Antiquites Chaldeennes** .

Jequier 1933. **Les Pyramides des Reines Neit et Apouit, Fouilles de Saqqarah**.

Heuzey 1969.**Catalogye des Antiquites Chaldeennes**.

Kaiser, W. 1990. "Zur Entstehung des samtagyptischen staates", **MDAIK**, 46.

Kaiser, W. 1987. "Zum Siegel mit fruhen Konigsnamen von Ummel-Qaab", **MDAIK**, 43.

Kaiser, W. 1990. "Zur Entstehung des gesamtagytishen Staates", **MDAIK**.

Kaplony, P. 1981 . **Die Rollsiegel des alten Reich II B, Brussels.**

Kaplony, **Die Inschriften der Egyptischen Fruhzeit 1.**

Kramer, N., S. 1963. The **Sumerians**, University of Chicago.

Lythgoe, A., M. 1965. **Edited by Dows Dunham, The predeynastic cemetery, N 7000: Naga-ed-Der**, Berkeley, university of California.

Petrie F. 1900. **The Royal Tombs of the earliest dynasties,** part I, London.

Petrie, E. G. 1917. **Scarabs and cylinders with names,** illustrated by the collection in university collegge, London.

Peters, J, P. 1901. **Journal of The American Oriental Society first half**, vol.22.

Petrie, Wainwright, Mackay. 1912. The Labyrinth, Gerza and Mazguneh, **BSAE**, XXI, London.

Petrie, F. 1940. **The Wisdom of Egyptians,** London.

Postgate, J. N. 1992. **Early Mesopotamia, Society and Economy at the Dawn of History**.

Scharff, A. 1941. **Die fru"hkultur A"gyptens und Mesopotamiens**, Leipzig.

Scharff, 1931. **Zeitschrift fur Aegyptische Sprache,**

LXV11.

Scharff 1936. **Sitzungsberichte der Bayerischchen Akademie der Wissenschaften**, Phil.-Hist. Abt, Heft .
Sidney, S. **Early History of Assyria.**
Tostado, C ; A. Taylor, 2001. **Middle east and west Asia chronology, Sumer 3500-1900 BC**.

Zethe, 1916. **Der Ursprung des Alphabets, Nachrichten der K.Gesellschaft der Wissenschaften zur Gottingen Geschaftliche Mitteilungen**.

أضواء على الجريمة والعقاب في مصر القديمة

سمير أديب

ملخص: يُلقي هذا البحث بعضاً من الأضواء، على جانب من جوانب القانون والقضاء في مصر القديمة، هو جانب "الجريمة والعقاب". فقد عرفت مصر القديمة أنواعاً من الجرائم مثل: القتل، والسرقة، والرشوة، والاختلاس، والزنا، والشهادة الزور، وجرائم عسكرية، وأخرى تمس الملك، وغيرها من الجرائم. كما عرفت أيضا العقوبات، التي يمكن توقيعها ضد المخالفين. ونجد كثيرا من النصوص، التي تدعو إلى حسن الأخلاق، وتهدف إلى منع خرق اللوائح والقوانين. وكانت من تلك العقوبات الرادعة: الإعدام بأنواعه المختلفة، والأشغال (الشاقة)، والسجن، والنفي، كما عرفوا أيضا العقوبات المالية، والجزاءات الدينية. كما يتناول البحث الوسائل والإجراءات الجنائية، ثم يعرض نماذج لأشهر الجرائم وطريقة مكافحتها، والعقوبات التي طُبقت عليها. وهكذا يتضح أن تلك الأنظمة القضائية والإجرائية كانت من أدق الأنظمة القديمة، في الوصول إلى العدالة والحقيقة.

Abstract. *The paper highlights one aspect of the judiciary system in Ancient Egypt; namely, crime and punishment. Ancient Egypt did know many crimes such as, among others, murder, theft, bribe, misappropriation, adultery, perjury, those of military nature, and those that touched the King. Consequently, Ancient Egypt knew corresponding punishments imposed on violators. In addition to texts calling for decent behavior and abstention from violating laws and statutes, there were severe punishments which included all kinds of capital sentencing, hard labor, incarceration, and exile. Religious and financial penalizations were also known. The paper then addresses the judicial means and procedures, and presents samples of the most notable crimes and how they were fought and what punishments were enforced. The paper makes clear that those judicial statutes and procedures were among the most refined and accurate ancient systems in the service of justice and truth.*

بنى المصريون القدماء أساس سلطة حكومتهم، على مجموعة من المبادئ والقواعد، التي ينبغي أن يسيروا عليها. وقد حدّدت هذه المجموعة وظيفة كل فرد وعلاقته بغيره. وحاولت أن توجد نظاماً عملياً لكل شئ، يبعث على حسن النظام واستتباب الأمن. وكان الملك يصدر عدة مراسيم لحفظ النظام، وقمع المجرمين والمخالفين، والتعيينات في المناصب، وتخصيص الأوقاف. ومن الواضح أن القانون نشأ في مصر منذ عهد بعيد، وكان يتضمن مبدأ المساواة في المعامله. وسوف يتضح من هذه الدراسة أن القضاء في مصر القديمة، كان منظماً تنظيماً جيداً، ويقوم على قانون متقدم ومكتمل.

يمكن تصنيف الجرائم في مصر القديمة إلي قسمين:

١- جرائم جنائية، بالمعنى الفنى الدقيق (أو جنايات).

٢- جرائم جنائية بسيطة (أو جنح).

١- جرائم الجنايات وعقوباتها:

اتسمت عقوبات الأفعال الجسدية بكونها بدنية وقاسية، مثل (الإعدام - التشويهات الجسدية - قطع أنف أو قطع لسان - أو قطع يد - جَلد)، وإن كان (Pirenne) يعتقد أن قدماء المصريين لم يعرفوا عقوبة قطع اليد (Pirenne 1943:139).

وقد لاحظ (Breasted) أن عقوبة قطع الأنف كانت من العقوبات الشائعة، ليست تجاة جريمة الزنا فحسب، بل أيضا

حيال جرائم أخرى متنوعة (Breasted 1926: 50).

ويتمثل أساس العقاب البدني لدى المصريين القدماء، في ضرورة معاقبة الشخص في جسده لأنة ارتكب الجريمة بهذا الجسد. وتطبيق ذلك يؤكد القاعدة؛ فالجاسوس يُقطع لسانة، ومزّيف العملات تُقطع يداه.

وبجانب هذه العقوبات الأصلية وجدت عقوبات تبعية، من أبرزها الحرمان من الحقوق المدنية والدينية. كما كان العقاب الأصلي يستتبع مصادرة الأموال، في جرائم معينة، أو حرمان الجاني من الانتماء إلى أسرته، ما يؤدي إلى حرمان أولاده من الميراث من أموال الأسرة (صدقي ١٩٨٦ : ٢٩).

٢-جرائم الجنح وعقوباتها:

كان أمر تجريمها وعقوبتها يخضع لتقدير القضاة، أي كان القاضي يختص بالبحث فيما إذا كانت الواقعة تُشكل جرماً جنائياً أم لا؛ فإذا ما انتهى بحثه إلى وجود جرم جنائي بسيط، حَكم بالعقاب الذي يراه مناسبا للجرم حسب الظروف والملابسات (Mcdowell 2001: 315-320).

ونتناول الآن بشيء من التفصيل موضوع "الجريمة والعقاب" في مصر القديمة:

أولا: الجرائم:

١- القتل:

كان القتل جريمة يُعاقب عليها بالإعدام إذا وقع عمداً، سواء أكان القاتل حراً أم عبداً، على أساس أن حياة الإنسان أمر مستقل عن حالته المدنية. ويتضح من هذا الحكم أن المصريين القدماء توصلوا إلى فكرة "العمد الجنائي".

أما في حالة قتل الأباء، فكان القاتل (الابن أو الابنة) يُقتل حيا على أشواك، وفى حالة قتل الأبناء فكان على الأب أو الأم القاتل أن يحضن ابنه أو ابنته القتيل ثلاثة أيام. (الصقلي: فقرة ٧٧).

٢-الحنث باليمين، أو اليمين الكاذبة:

كان يعاقب بالإعدام على الحنث باليمين، ولا يجوز التسامح بهذه العقوبة أو العفو عنها. والحكمة من تقرير هذه العقوبة هي أن هذه الجريمة تُعد اعتداءً على مصلحتين مهمتين في المجتمع، هما: الاحترام الواجب للمعبودات وعدم إهانتها، وكذلك احترام العقيدة.

ويتضح من هذا العقاب أن المجتمع المصري القديم لجأ إلى هذا القانون، لحماية الأخلاق والدين، بل والضمير من الانحراف، ووجدوا في تغليظ القانون الوسيلة المثلى لتحقيق المجتمع المثالي. وكان من أنواع الحلف المقدسة الحلف على قبر "أوزيريس".

٣-الامتناع عن تقديم المساعدة لمن يحتاجها:

عاقب المشرِّع الجنائي المصري القديم على فعل الامتناع عن تقديم المساعدة لمن يحتاجها؛ فمن يقابل في طريقه إلى عمله (أو حقله) رجلاً يعتدى على غيره، بأي صورة من صور الاعتداء البدنيي كمحاولة قتله أو هتك عرضه، أو أي من الأمور التي ينبذها المجتمع (كالسرقة مثلاً)، ولم يدافع عنه مع استطاعته ذلك، يعاقب بالإعدام. أما إذا كان لا يستطيع مساعدته، فيجب -على الأقل- أن يسارع بالتبليغ عن المعتدي، ويقّدم المعلومات التي عرفها بنفسة.

وإذا ما قصّر الشخص في واجب التبليغ عمّا شاهده من جرائم بوجه عام، تعرض هذا الشخص لعقاب بدني ونفسي يتمثل في الجلد، وكذا بعقاب الترك بلا غذاء ثلاثة أيام.

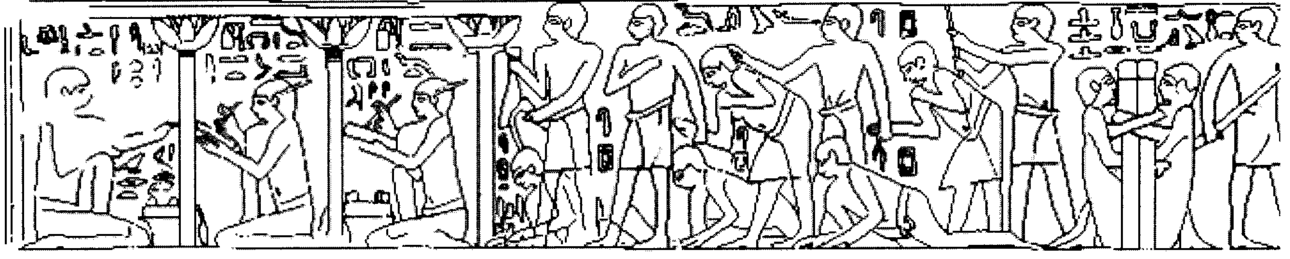
٤- تقديم إقرارات الذمة المالية بصورة مزورة:

وفقاً لأحكام القانون المصري القديم، كان من الواجب على كل مصري أن يقدم إقراراً يتضمن إسمة ومهنتة أو حرفتة ودخلة للسلطة القضائية، وإذا ما تبين من فحص هذا الإقرار ورود بيانات غير صحيحة فيه، أي ثبت وجود تزوير في هذا الإقرار، كان الشخص يعاقب بالإعدام. وكان العقاب نفسه يوّقع على الشخص، الذي يثبت بعد فحص إقرارة أن مهنته هى مهنة غير مشروعة.

ونقرأ في تعاليم "أمنمؤوبى لابنة:

- "لاتؤلفن لنفسك وثائق مزيفة، لأن ذلك خيانة عظمى (تستحق) الإعدام".

- "لا تزيفن في الدخل على دفاترك، وبذلك تفسد تدبير الأله" (حسن ١٩٤٥/ ج ١ : ٢٦٨).



الشكل ١: مناظر مختلفة من تنفيذ عقوبة الضرب على المحكومين.

وتجدر الإشارة إلى أنة من الثابت تاريخياً أن "صولون". واضع التشريع اليوناني القديم المعروف. قد اقتبس هذا الحكم من المصريين ليسنه في أثينا. ومن الجدير بالذكر أيضاً أن اليونانيين، اقتبسوا من التشريع المصري القديم مبدأ تأجيل تنفيذ عقوبة الإعدام في الجرائم الأربعة السابق ذكرها، على الحوامل حتى يضعن حملهن.

٥- تزييف أو إستخدام العملات أو الموازين أو المقاييس أو المعايير المغشوشة، أو غير السليمة:

كانت هذه الجريمة تواجة بعقوبة قطع يدي الجاني، وكذا يسري العقاب نفسه على الكتبة العموميين، الذين يزوّرون أو يضيفون أو يلغون بعض العقود، في مستندات التصرفات، التي يقومون بتحريرها أو بتوثيقها. (الصقلي: فقرة ٧٨).

ونقرأ أيضا في تعاليم "أمنمؤوبى "لابنة:

- "لا تتلاعبن بكفتى الميزان، ولا تطفغن الموازين، ولا تنقصن المكاييل، فإن تحوت يراقب الميزان، وإذا رأيت إنسانا يغش ابتعد عنه ".

-"لا تطفف في الكيل، وأوف المكيال بالدقة الواجبة، لا تتخذ لنفسك مكيالاً ذا حجمين، لا تغش فإن الله يمقت الرجل المدلّس ".

كذلك نقرأ في الاعتراف السلبى للمتوفى، أمام محكمة الآلهة قولة: "أنا لم أنتقص من المكيال، لم أنتقص من الأرورا، لم أغش فيما يتعلق بمساحة الأراضى المزروعة، لم أطفف الميزان، لم أزد أو أنقص مقياس الحبوب ".

٦- السرقة:

كانت السرقة تُعد جريمة جنائية عامة تمس المجتمع كله، لا الضحية وحدها. وكان عقابها ألف جلده على حسب قانون "حورمحب". وفي حالات أخرى كانت تصل العقوبة إلى الحبس أو الإعدام. كما كان السارق يوصم بعلامات ظاهرة، في خمسة أوضاع مختلفة من جسمه، كما نص عليه في المادة السابعة من قانون "حور محب " (لبيب ١٩٤٢: ٣٧ -١٤٧).

ويعقّب Bedell بأن فرعون مصر كان يملك إصدار القرار الأخير حيال السارق، يعني أنه يستطيع أن يعفو عن هذه العقوبة (Bedell 1973: 147- 148). كما ثبت أن عقاب السرقة كان يوقّع على الرجل وعلى المرأة على قدم المساواة، مما يوضح أخذ المصريين القدماء بمبدأ المساواة في العقاب.

وهناك رأي آخر يرى أنّ عقاب السرقة كان قطع الأنف، كما في معاقبة جريمة الزنا (De Boys 1845: 20)، ورأي ثالث يرى أن عقاب السرقة كان الجلد؛ ولكن تُجمع كل الآراء على أن عقوبة السرقة في أواخر عهد الفراعنة أصبحت عقوبات مالية (غرامات)، ومن ثم لم يكن لها أي فاعلية (Bluche 1975: 144).

وفي النصوص المصرية نجد مثلاً، "ونى" من الأسرة السادسة يتباهى في حملاتة بأن في عصره" لم يسرق أحد رفيقه "، وفى قصة "الفلاح الفصيح "نجده يصف الحالة التي وصلت إليها البلاد بقوله: "إن من يكيل أكوام الحبوب يغش لصالحه، ومن يملأ مخزن غلال الغير لا يكيل بالقسطاس أملاك هذا الأخير، ومن كان عليه أن يشرف على (تطبيق) القوانين يأمر بالسرقة... "

وفى الاعتراف السلبى للمتوفى يقر بقولة: "أنا لم أسرق، أنا لم أسرق ملكية إله، أنا لم أسلب طعاما، أنا لم أسرق حصة الخبز".

ونقرأ في مرسوم "نورى" من عهد "سيتى الأول ": "أي

فرد يوجد سارقاً متاعاً خاصاً ببيت "من ماعت رع" سيعاقب بجلده مائة جلدة وينتزع منة المتاع الخاص ببيت "من ماعت رع" بوصفة متاعاً مسروقاً بنسبة مائة لواحد".

ومن أمثلة جرائم السرقة ما نُصّ عليه في معاهدة التحالف، التي عُقدت بين الملك "رمسيس الثاني "وملك الحيثيين: "إذا ارتكب أحد رعايا الطرفين سرقة، وجب نفيه وتسليمه لدولته ".

وهذا النص يدل صراحة على أن الإبعاد كان محتماً على كل فرد من رعية أحد المتحالفين، إذا ماترك وطنة لسبب جنائي. وويقابله في القانون الحديث "اتفاقيات تسليم المجرمين". (لبيب ١٩٤٢: ١٠٣).

ومن أهم الأمثلة على جرائم السرقة، ما حدث في الأسرة العشرين من سرقة عدة مقابر لأفراد وموظفين وملوك. ويُفهم من تطبيق العقوبة على فاعليها، أن هذه الجريمة كانت في حكم ما نسميه الآن: "حق النظام العام "، فكانت الدولة هى المجني عليها في هذه السرقات، باعتبارها جريمة مخلة بأمن المجتمع وكيانه.

٧- الرشوة:

من جرائم الرشوة ما نُصَّ عليه في قانون "حورمحب "، في المادة الرابعة من مجموعة قوانينه من معاقبة المرتشي بالنفي إلى الحدود وجدع أنفة. كما نص كذلك على مجازاة الموظفين المكلفين بجباية الضرائب، الذين يقبلون الرشوة من جانب المكلفين بدفعها. كما نص على عقوبة الموت للقاضي المرتشي، وكذلك عقاب مختلسي أموال الناس بالباطل.

ونقرأ في قضية السرقات الكبرى، التي حدثت في عهد "رمسيس التاسع"، أن "حعبى ور" قال: "إننى رتبت الأمور لكي لا يكون حرس الجبأنه في نوبتهم الليلة. لقد كان الأمر يسيراً، فقد رشوت الكاتب التعس في قسمنا ليكتب مذكرة بإمضاء مجهول أمليتها بنفسي تشير إلى أن كاتبها علم أن محاولة ستتم الليلة على قبر في الوادي بواسطة عدد ضخم من الرجال، ثم أرسلت المذكرة إلى مدير البوليس، وإنني سوف أحس أنني استحق الاتهام بالغباء بقية أيام حياتي إن لم يرسل رجال الشرطة الليلة إلى الوادي نتيجة هذه الأشارات المزيفة" (شورتر ١٩٥٦: ١٩٧-١٩٨).

و نقرأ فى النصوص المصرية، في تعاليم الملك "خيتى"، قوله لإبنة "ريكارع": "أكثر العطاء لكبار رجالك ليقيموا أحكامك، الانسان الثرى في داره لن يكون منحازاً، لأنه يمتلك الخيرات وليس له إحتياجات، أما الإنسان المعوز فلن يتحدث طبقاً للحقيقة، ولن يستطيع أن يكون عادلاً ذلك الذي يقول: آه لو كان عندى، ولسوف يميل ناحية من يرضيه ويحابى من يقدم له المكافآت (أي الرشاوى) ".

ونقرأ في تعاليم "أمنمؤوبى" لولده:

- لا تقبل هدية رجل قوي لتظلم الضعيف من أجله، فالعدل هبة غالية من الله يهبها لمن يشاء".
- "لا تتقبل رشوة من صاحب نفوذ".

وفى عهد الرعامسة نجد كثيراً من النصوص، التي تُعَبِّر عن صورة لقضاء مرتشٍ تقوم العدالة الصادرة عن العالم المقدس بالتعويض عنه، فنقرأ مثلا: "آمون رع يا أول من ولى المُلك، يا رب الأصول ووزير البائسين، يا من لا يقبل رشوة من متهم ولا يوجة كلاما إلى شاهد، ولا ينظر إلى من يغدق بالوعود، آمون يستكشف الأرض بأصابعة وينطق وفق ضميرة، إنه يُصدر حكمه على المدان ويضعه في النار الشرقية ويضع العادل في الغرب، آمون قاضي الفقراء ". (هوسون وفالبيل ١٩٩٥: ١٣٢-١٣٣).

٨- اختلاس الأموال الأميرية:

وهى جريمة عقابها واضح في قانون "حورمحب "، وهو جدع أنف المختلس ونفيه إلى بلدة "ثارو "على الحدود الشمالية الشرقية، كما جاء ذلك في المادة الأولى من مجموعة قاونينة، وكما جاء كذلك في مرسوم "نورى "من عهد "سيتي الأول ".

٩- الزنا:

كان الزنا في مصر القديمة يُعدُّ خطيئة دينية، ولهذا كان المصري يقر دائماً على نفسة في وصيته أنة لم يرتكب أثناء حياتة هذا الفعل القبيح، ففعل الزنا للرجل والمرأة يُعد إهانة (Capart 1899-1900: 15).

وفيما يتلق بعقوبة الزنا، فتوجد نظريتان:

- **النظرية الأولى:** ويأخذ بها (ديودور الصقلي) الذي يميز بين "فعل الزنا"، وفعل "هتك العرض" أو "الأغتصاب"؛ إذ يقرر أن الزنا لو تم بالغصب أو بالعنف، كان الجزاء يتمثل في قطع الأعضاء التناسلية. أما لو تم بغير عنف، فإن الرجل الزاني يجلد ألف جلدة والمرأة الزانية تجدع أنفها (Dagallier 1914: 177- 178).

وواضح أن الحكمة من إقرار هذا العقاب، هو ايلام الرجل يقصد إيلامة في رجولته، مقابل اللذة الأثمة؛ أما المرأة فيجعلها العقاب عبرة ومحل خدش حياء وعار دائماً، وكذلك يحرمها نهائياً من جمالها وفتنتها، التي أثارت في الرجال الانحطاط في غرائزهم.

- **أما النظرية الثانية:** فتذكر أن العقوبة الإعدام، وكانت تطبق على الجناة حتى لو كانت الجريمة في مرحلة الشروع.

كما كانت تتطلب في الغالب شاهدين، كشرط أساسي لتطبيق عقوبة الإعدام. وواضح أن عقوبة الإعدام لم تكن تُوقع إلا في حالة الفعل الفاضح العلني ذائع الصيت بين الناس، استناداً إلى نصوص بردية (بولاق ١). وكما نرى في بردية (ليد)، فإن الناس كانوا يكفِّرون عن خطاياهم حينما يرتكبون فعل الزنا بالإعدام، وأن الشروع في الزنا كان يواجة العقوبة نفسها، أي حتى لو لم يُرتكب فعل الزنا بأبعادة المادية.

وهناك من ينتقض نظرية (ديودور) السابقة بناءً على قصة "خوفو والسحرة"، التي توضح أن الالقاء في الحطب لإعدام النساء الزانيات علناً، كان الطريق المتبع لتنفيذ عقوبة الإعدام (Bedell 1973 :166).

وربما امتد عقاب الإلقاء في الحطب (أي الحرق بالنار) إلى الرجل الزاني أيضا، فنقرأ في "كتاب الموتى"، الفصل ٢٥، السطر ١٥، على وجة التحديد اعتراف الرجل بأنه لم يزنِ، وفى السطر ١٩، من اعتراف الرجل أو شهادتة بأنه لم يرتكب أي فعل شائن مع أيّ امرأة متزوجة أو أيّ زنا.

و نقرأ فى القصص المصرية في قصة "الأخوين" أن "أنوبيس" ألقى بزوجته غير المخلصة إلى الكلاب بعد قتلها؛ وكذلك الدعوى التي رفعها "بيتان" ضد زوجتة الزانية أمام محاكم فرعون، وتأكيد "حتحور" بأن الزانية لاقت عقاب الإعدام بتقطيعها بالسكين، وكذلك إحراق زوجة "أوبنير"، وإلقاء رفاتها في النيل هي وعشيقها. وكما هو واضح هنا فإن عقاب الزاني بالمتزوجة (العشيقة)، هو عقاب الزوجة الزانية نفسه (Sedky 1981- 82: 479).

ونتذكر ما جاء في نصائح "بتاح حتب" لولده قائلا:

"إذا أردت أن تطيل صداقتك في بيت تزوره، سيداً كنت أم أخاً أم صديقاً فاحذر من الاقتراب من النساء في أي مكان تدخلة، فهو مكان غير لائق لمثل هذا العمل، وليس من الحكمة أن تُفرط في الملذات، فقد انحرف ألف رجل عن جادة الصواب بسبب ذلك، إنها لحظة قصيرة كالحلم، والموت جزاء الاستمتاع بها".

كذلك يُحذِّر الحكيم "آني" من الاتصال بزوجة رجل آخر بقوله:

"إن المرأة التي غاب عنها زوجها تقول لك كل يوم إني حسناء، وليس هناك مَن يشهدها وهى تحاول إيقاعك في فخها؛ إنها جريمة يستحق صاحبها الموت، عندما يعرف الناس أمرها".

ومن تعاليم عنخ شاشنقى:

- "من زنا بامرأة من الطريق، كان كمن نقب كيسه وحمله".
- "من نكح امرأة جاره، نُكحت زوجته على عتبة داره".
- "من نكح زوجة غيره على سرير، نُكحت زوجته على الطين".

ومن الاعتراف السّلبي للمتوفى أمام محكمة الآلهه:

"أنا لم أكن شهوانيا، أنا لم أقترف زنا، أنا لم أدنس نفسي"، أي لم تكن لدى علاقات جنسية مع زوجة رجل آخر. (بريتشارد ١٩٨٧ /ج٥،: ١٢٦).

وكذلك يقول: "أنا لم أزن في المكان الطاهر المخصص لإلهة مدينتي".

١٠ - البلاغ الكاذب وشهادة الزور:

كان يُعاقب على الكذب أو التبليغ الكاذب، بقدر ما كان يُعاقب على حلف اليمين الكاذب،ومع ذلك فقد كانت الظروف المحيطة بالكذب في التبليغ، تؤثر في تقدير العقاب تخفيفاً

وتشديداً؛ فمثلاً، مَن كان يكذب أمام القضاة عن طريق تعيشه كان يعاقب بالإعدام. وكقاعدة عامة كان يعاقب مقدِّم البلاغ الكاذب بالعقاب المخصص للجريمة المبلغ عنها كذبا، أي أن مبدأ القصاص كان يُطبق في هذه النوعية من الجرائم. أما إذا اتخذ الكذب صورة إقدام على تزييف عملات، أو تقليد أختام، عُوقب المزيف أو المزور بقطع يديه، أي أداة الجريمة، (Pastoret 1817: 181-270).

ونقرأ في الاعتراف السلبي للمتوفى:

- "أنا لم أرو كذباً، أنا لم أشوة سمعة عبد عند رئيسه".
- "أنا لم أنهمك في القيل والقال".

وفى تعاليم "أمنمؤوبى "يحذر ولده قائلا:

- "لا تشهد زوراً ولا تستعمل قلبك في الباطل، والله يمقت مَن يزوِّر الكلام".
- "لا تتحدث بالإفك والبهتان، فإن الكذب يمقته الله".
- "لا تدخل المحكمة وتزيِّف كلماتك".
- "قل الصدق أمام القاضي ولا تجعل لأحد سلطاناً عليك".

١١- الجرائم الماسة بالعدالة:

تضمّن القانون المصري القديم جزاءً على بعض الأفعال، التي تنطوى على مساس بالعدالة. فقد جعل - مثلاً - من خروج القاضي على ما تقتضية وظيفته من نزاهة واستقامة، جريمة يعاقب عليها بمنتهى الشدة. فقد رأينا كيف كان قانون "حورمحب" يعاقب القاضي المرتشى بالموت، كذلك الجزاء الذي وقِّع على القاضيين اللذين سمحا لبعض النساء المتهمات في قضية المؤامرة ضد "رمسيس الثالث" بزيارتهما واستمتعا معهن بمجلس الشراب، والذي تمثل في صلم آذانهما وجدع أنفيهما (زناتى ١٩٧١: ٢٠٠).

١٢- قتل الحيوانات:

كانت حياة الحيوانات محمية بقانون العقوبات المصري، كحياة الانسان تماماً، بمعنى أن قاتل الحيوان كان يعاقب بالإعدام، إذا ثبت تعمده قتله. أما قتل الحيوان بصورة غير مُتعمّدة، فكان يستوجب الغرامة. وفيما يتعلق بالمعاملة السيئة للحيوان، كالضرب مثلاً، فقد كانت جريمة عقوبتها دفع غرامة للكاهن، وقد تصل العقوبة إلى حد الإعدام لو كان الاعتداء واقعاً على حيوان مقدس، إذ إن الأمر في هذه الحالة يتعلق بالآلهه لا بالحيوان. وكان الشعب غالباً - في حالة الاعتداء على حيوان مقدس - يتولى القيام بدور الجلاد والمنفِّذ للعقاب، دون انتظار لصدور حكم ضد الجاني (صدقي ١٩٨٦: ٥٢-٥٣).

١٣ - الجرائم العسكرية:

عرف قدماء المصريين النظام العسكري، وفطنوا إلى حتمية إيجاد نظام جنائي خاص بأفراد القوات المسلحة، وخصصوا عقوبات جسيمة، بل أكثر جسامة من عقوبات النظام المدني، لضمان حسن الانضباط بين صفوف الجنود.

ومن الجرائم العسكرية وعقوباتها المقررة:

أ - الهروب من الحرب:

كانت تُعد جريمة تستوجب الإعدام؛ ولكن إذا قام المتهم بهذه الجريمة بعمل بطولى بعد ذلك، يعوض بة جريمة الهروب، كان يُعفى من عقاب الإعدام ويعاقب بعقوبة أخرى، هى فقدان الاعتبار.

وعلق (ديودور الصقلي) على موقف القانون المصري في هذا الخصوص بقوله: إن المشرِّع جعل عقوبة فقدان الاعتبار أشد من عقوبة الإعدام، حتى يتعود الناس النظر إلى العار باعتباره أعظم الشرور. فضلاً عن أن المشرِّع رأى أن الذين يُقضى عليهم بالإعدام لا يفيدون الحياة العامة بشئ، بينما الذين يفقدون اعتبارهم قد يكونوا مصدر خير كثير، لحرصهم على استرداد اعتبارهم (الصقلي: فقرة ٧٨).

ب - عدم إطاعة الأوامر:

اعتبر عدم إطاعة الأوامر أو عدم تنفيذها أمراً يستوجب الحكم بالإعدام؛ ولكن كان القيام بعمل بطولى من قبل الجاني مبرراً ليُعفى من تنفيذ العقوبة. وبهذا الأسلوب المتميز في باب الأعفاء من العقوبة، جعل المشرِّع الجنائي الغاية من العقاب، قبل تنفيذ العقاب لا العقاب في حد ذاته.

ج - إفشاء الأسرار:

كان الجندى يواجة إفشاء الأسرار العسكرية بعقاب قطع اللسان. وكما هو واضح، فالمشرِّع الجنائي كان يتخير نوع العقوبة لتكون مشتقة من الجريمة ذاتها، ومن وسيلة ارتكابها. ففي عقوبة إفساء الأسرار يقطع اللسان، فيتأكد المشرِّع من أن الجاني لن يعود مطلقا لإرتكاب هذا الفعل، ويضمن استحالة العود الجنائي في الجريمة ذاتها، التي أُوقع عليها العقاب الجنائي (صدقي ١٩٨٦: ٥٤).

د - الخيانة العسكرية:

تُطالعنا النصوص بأن الهكسوس استطاعوا أن يستغلوا بعض الخونة من المصريين، ليقفوا بجانبهم. فقد كان على "كامس" أن يعاقب "تتى بن بيبى"، الذي كان على ما يبدو شخصية مصرية، أغلق على نفسه مدينة "نفروسى"، التي جعلها بؤرة للأسيويين. وعلى أي حال فقد لقى الخونة من "كامس" جزاءً مناسباً، إذ يقول عنهم كما ذكرت لوحة (كارنارفون): "خربت مدنهم وأحرقت أماكنهم، أذقتهم العار لما فعلوة مع مصر، لأنهم جعلوا أنفسهم يخدمون الأسيويين، ولأنهم تركوا مصر تعانى الأحتلال".

واستمر الخونة يعملون في صفوف المصريين، خلال حرب التحرير، التي قادها "أحمس" وفي ذلك يقول قائده "أحمس بن إبانا "، على جدران مقبرته في الكاب: "وبعد ذلك جاء (آتا) صاحب الجنوب، إذ ساقه حتفه وآلهة الوجه القبلى مستولون عليه. وقد وجده جلالته في (تنتاعا) وأحضره جلالته أسيراً، ثم أتى بعد ذلك الخائن المسمى (تتى عن) وقد جمع العصاة معة فذبحه جلالته وقضى على بحارته" (إبراهيم ١٩٨٦: ٤٣).

١٤-الخيانة العظمى:

وكان القاضي أو القضاة، الذين يتولون هذا النوع من القضايا، معينين من قبل الفرعون نفسه، وكانوا يتمتعون بسلطات واسعة مؤقتة، أي محددة بوقت إنتهاء القضية. ففى حكم الملك "بيبى الأول"، من الأسرة السادسة، نجد أنه عهد إلى وزيره "ونى" الفصل في قضية سرّية وقعت في حريم الملك؛ ولكن لا نعرف طبيعة الجريمة، أو طبيعة الحكم الذي صدر فيها، وإن يبدو أنها كانت مؤامرة ضد شخص الملك. ونجد أن الوزير سمع زوجة الملك بمفرده، دون أن يشاركه جلسة التحقيق أحد، إذ يقول "ونى": "وقد حدثت أن أُثيرت مسألة سرية كانت محل تحقيق في الحريم الملكى ضد زوجة الملك المحظية الكبرى، وقد طلب منى جلالته أن أتولى الحكم بمفردى دون أن أشرك معى أي وزير، أو قاضٍ خلافي".

ثم يذكر بعد ذلك: "لقد قمت بنفسي بتحرير المحضر، ولم يشترك معي إلا واحد من الموظفين المندوبين في هيراكونبوليس ". (هوسون وفالبيل ١٩٩٥: ١٣٥).

١٥ - الجرائم الماسة بالملك:

عندما حدثت مؤامرة في حريم الملك "رمسيس الثالث"، عهد الملك بالتحقيق فيها إلى لجنة فوق العادة مكونة من اثني عشر عضواً، قُسِّموا إلى قسمين، القسم الأول: يتكون من خمسة أعضاء، وكان يُطلق عليهم (الأمراء العظام لمحكمة العدالة)؛ والقسم الثانى: يتكون من سبعة أعضاء من الضباط. وكما يبدو فقد كانت لجنة مخصصة لمواجهة المهام الصعبة، ومشكلة من مستويات مختلفة؛ فهناك عضوان اثنان من مديرى الخزانة، واثنان من حملة الرايات، وخمسة من السّقاة، وأحد المنذرين الملكيين، وكاتبان (Buck 1937 : 152-164).

وقد أختير نصف أعضاء هذه اللجنة فقط ليحضروا المحاكمة كمحكمين لإصدار الحكم على مجموعة أولى من المتهمين، وكلّف باقي أعضاء اللجنة بالفصل في أمر مجموعتين أخريين من المتهمين. وبصفة عامة كانت الأحكام والعقوبات محدّدة، وقد انتحر كثير من المتهمين. وأصدرت المحكمة أحكاماً مختلفة، فبرّأت المتآمر الذي عَدل عن الأشتراك في الجريمة، وحكمت بإعدام الأمير "بنتاؤر"، الذي طُلب منة أن ينتحر. كما حكمت بقطع أذني ويدي من سهل للمتآمرين تنفيذ الشروع في المؤامرة، دون الأشتراك معهم.

وقد فوّض الملك هذه اللجنة في إصدار القرار، بإعدام أو تبرئة كل من يتعرضون لهم أثناء التحقيق؛ أي كان لأعضاء اللجنة حق حياة أو موت من يرونه مستحقاً لذلك. وكان من حقهم كذلك الاحتفاظ بأسماء المذنبين، وألا يطلعوا الفرعون

عليهم، ولا على العقوبات، التي اختاروها حيالهم.

وهنا نرى شبهاً كبيراً بين ما اتخذتة المحكمة من تبرئة المتآمر، الذي عَدل عن الاشتراك في المؤامرة، وما يتبعه القانون الحديث حيال "شاهد ملك". كما نرى أيضا احترام الملك لسيادة القانون ونزاهة القضاء، وتطبيقاً لمبدأ الفصل بين السلطات (لبيب ١٩٤٧: ١٠٢).

وكان الفرعون يقصد من هذا كلة ضمان استقلال وحرية القضاة، عند الفصل في القضايا الخطيرة والماسة مباشرة بشخصه. وقد يكون قصد الملك من هذا التفويض عدم السماح للمدانين بطلب العفو منه (Capart 1899 - 1900: 30).

ولكن من الملفت للنظر أنه قد لوحظ محاكمة أعضاء هذه اللجنة، في حالة تعسفهم في استعمال سلطتهم القضائية، وخيانتهم لثقة الملك، كما حدث في قضية "بنتاؤر" (Dagallier 1914: 171).

ثانيا: العقوبات

نجد بياناً بالعقوبات، التي يمكن توقيعها ضد المخالفين، في النصوص التي تدعو إلى حسن الأخلاق، أو التي تهدف إلى منع خرق القوانين واللوائح. وتعد المراسيم الملكية بالتأكيد من أهم المصادر التي تعطينا بيانات في هذا الشأن (Lorton 1977: 1 - 64).

ففي عصر الأسرة الخامسة، يهدد الملك "نفر إير كارع" رجال الأقليم، الذين يحاولون إعاقة الكهنة والعمال في معبد أبيدوس عن أداء مهامهم، أو تحويلهم عنها، بعقوبة الأشغال الشاقة في محاجر الجرانيت، وحرمانهم من المقررات المخصصة لهم من القمح والشعير. أما القضاة والقائمون بأعمال الملك ممن يرتكبون مثل هذه الأعمال، فهم معرضون بأن تصادر ممتلكاتهم وخدمهم.

وقد تضمّن مرسوم ملكي آخر، يرجع إلى عصر الإنتقال الأول، تدابير أخرى، منها: الحرمان من الأموال الخاصة والعائلية، لمن يعتدي على حرمة التماثيل الجنائزية وعلى موائد القرابين؛ ومنها كذلك الحرمان من حق الدفن في مدينة الأموات، والقيد بالسلاسل؛ وأكثر من هذا، فإن أقل تواطؤٍ أو تساهلٍ من جانب الموظفين نحو المذنبين، كان يستتبع فقد الوظيفة. كذلك صدر مرسوم في الأسرة السابعة عشر جاء فيه إن أي رئيس (أي حاكم او أمير محلي) يعفو عن مذنب بعد صدور حكم ضده، فهو معرض لأن يفقد عرشه.

وفى الدولة الحديثة ربط "حورمحب" كل مادة من مواد قانونه بتهديدات مناسبة بتوقيع عقوبات بدنية، مثل: الضرب بالعصا، وبتر الأعضاء، والنفي إلى ثارو. أما مرسوم "نورى"، الذي صدر في عهد الملك "سيتى الأول"، فقد أورد مجموعة من العقوبات البدنية، مشابهة لتلك التي وردت في قانون "حورمحب"، إضافة إلى أنه قرر أنه بعد استرجاع الأموال، التي جرى تبديدها وتحويلها عن هدفها، أن يُلحق الجاني بفريق الرقيق، الذي يخدم في المؤسسه المعتدى عليها (Allam : 1 - 6).

بعض أنواع العقوبات:

١ - عقوبة الإعدام:

من الثابت أن مصر القديمة عرفت الإعدام، وكان على نوعين: نوع بسيط، ونوع مصحوب بتعذيب. وكان يتولى تنفيذ عقوبة الإعدام ممثلو السلطة العامة، ومع ذلك فيبدو أنه كان يُفَرّق بصدد تنفيذها بين النبلاء والعامه. فالنبلاء، وخاصة أفراد الأسرة المالكه، لم يكونوا يقتلون أو يعدمون بواسطة ممثلى السلطه؛ وإنما كانوا يتركون ليضعوا بأنفسهم حداً لحياتهم، أو بعبارة أخرى كان يفرض عليهم الانتحار.

وقد جاء في قضية مؤامرة الحريم ضد "رمسيس الثالث"، عن بعض المتهمين، أن القضاة "قد فحصوا أمرهم ووجدوهم مذنبين، لقد تسببوا في جعل الأحكام تُوقّع عليهم، وقبضت عليهم جرائمهم"، وهى طريقة مهذبة بدلا من القول إن حكم الإعدام نُفّذ فيهم. أما المجرمون ذو المكانة الكبيرة فقد عوملوا بما يقتضيه قانون الشرف، "وجدوهم مذنبين وتركوهم لأنفسهم في ساحة المحكمة، فانتحروا ولم توقع عليهم العقوبة " (زناتى ١٩٧١: ٢٠٦).

كان الإعدام يُنفذ علناً، ولكن عادة ما كان يوقف تنفيذه على المرأة الحامل، إلى أن تضع حملها.

أ - الإعدام البسيط:

وكان إما بالشنق أو قطع الرأس. وكانت هذه العقوبة تُوقع في حالات، منها:

- السحر وانتهاك الحرمات المقدسة، أو أي جريمة تمس الدين.
- عدم الكشف أو التبليغ عن المؤامرات، التي تحاك ضد فرعون.
- عدم إطاعة الأوامر.
- القتل.
- الإخلال والخطأ، أو عدم مراعاة القواعد الفنية لممارسة الطب.
- الحنث باليمين.
- البلاغ الكاذب، وفى بعض حالات الكذب.
- من يشهد جريمة قتل ولا يساعد الضحية، إذ كان موقفه السلبي يعد نوعاً من الاشتراك في القتل.
- عدم تقديم إقرارات الذمة المالية، أو تقديم إقرارات مزورة، أو تقديم إقرارات تتضمن مصادر دخل غير مشروعة للكسب.
- الفنان أو الصانع الذي يتدخل في السياسة العامة، أو المسائل العامة، على أساس أن انشغاله في هذه الأعمال يقلل من مهارته الفنية.
- جرائم الرشوة والإختلاس.
- قاتل الحيوانات المقدسة.

ويبدو أيضا أن الإعدام بقطع العنق كان مقرراً للجرائم السياسية، إذ نشاهد على صلاّية "نعرمر"، الملك وهو يقطع رؤوس عشرة من أعدائه الثائرين عليه. كما نشاهد أيضا على رأس دبوس الملك العقرب، سكان مدن الدلتا وقد ظهروا مشنوقين في رموز مقاطعتهم المختلفة. ونعلم من بردية "وستكار " أن مجرماً حبس حتى ينفّذ فيه حكم الإعدام بقطع عنقه.

ب - الإعدام المصحوب بتعذيب:

كان للقاضى الخيار في اختيار طريقة التعذيب، ونجد أن زوجة الملك "أمازيس" لم تسلم من التعذيب، عند اتهامها بالشعوذه.

وكان من أنواع الإعدام المصحوب بالتعذيب:

١ - التعذيب بالنار: كان عقاب الزانية والعاهرة، التي تنتمى إلى الطبقه الأولى في المجتمع، ثم أصبح عقابها بعد ذلك قطع الأنف.

٢ - التعذيب بالصلب: وكان يستخدم ضد الخائنين، وضد المتمردين، حتى لو مات المجرم قبل تنفيذ حكم الإعدام. وقد ورد في القرآن الكريم أن الفرعون المصري على زمن النبي موسى عليه السلام، توعَّد السحرة بعد إيمانهم بأن "يصلِّبهم" على جذوع النخل، (سورة الأعراف، آية ١٢٤، وسورة طه، آية ٧١).

٣ - الإعدام على خازوق: وهو من أنواع الإعدام المصحوب بالتعذيب، مثل ما جاء في مرسوم "نوري". كذلك جاء في بردية "ماير أ" الخاصة بسرقات المقابر في الأسرة العشرين، أن سبعة من اللصوص أُعدموا على الخازوق. وكان هذا العقاب يشار إليه كثيراً عند حلف اليمين أثناء تأدية الشهادة إذ يقول الشاهد: "إذا تكلمت كذباً فلأوضع على خازوق".

٤ - الإعدام بالأغراق: جاء ذكر هذه العقوبة، في بردية "وستكار "، فقد كان الموت عقوبة الزانية، أو الزاني، غرقا أو حرقا. ففي روايتها عن علاقة شاب بامرأة كاهن، أن الشاب افترسه تمساح بتنفيذ الكاهن نفسه، بعد أن نزل به إلى الماء؛ وأن المرأة أُحرقت علناً. وعلى كل حال فهناك ما يشير إلى تخفيف هذه العقوبة، فيما تلا ذلك من عصور.

٢ - عقوبة الأشغال العامة (الشاقة):

كانت هذه العقوبة تُفرض على المحكوم عليهم، إذا ما صدر عنهم عفو؛ إذ من الثابت تاريخياً قيامهم ببناء المدن، والمعابد، وشق الترع، وحفر المناجم...الخ. وكانت توجد معسكرات للأشغال الشاقه، وقد أصبحت محاجر الجرانيت

في أسوان - على الأرجح - منذ عصر الأسرة الخامسة تعد من ضمن هذه المراكز العقابية.

وقد أشارت وثيقتان من وثائق دير المدينة، ترجعان لعصر الرعامسة، إلى ورشة لتقطيع الأحجار كانت قائمة في (مكان الحقيقة)، على الضفه الغربيه لطيبه، وكانت هذه الورشه مكانا يعمل فيه المحكوم عليهم لتنفيذ العقوبات الصادره ضدهم. ويتعلق الأمر في هاتين الوثيقتين بأعمال شاقة، كان يُكلف بها الأشخاص الذين صدرت ضدهم أحكام في جرائم خطيرة؛ ولكن العمل في هذا المكان لم يكن قاصراً على المذنبين وحدهم (هوسون وفاليل ١٩٩٥: ١٣٩، ١٤٠). و(مكان الحقيقه) "st - mAat" في اللغة المصرية القديمة هو الأسم الأصلي لقرية عمال دير المدينة.

٣ - عقوبة السجن:

يبدو أن عقوبة السجن كانت من العقوبات القاسيه. فقد كُتب في نقش على جدران مقبرة "بايرى"، في جبّانة شيخ عبد القرنة رقم ١٣٩، خاص بـ "باو اح " من عظماء عهد الملك "توت عنخ أمون ": "إن قلبي لفرح يا آمون يا ناصر الفقير... إنك مثل نَفَسٌ الحرية إلى رجل كان في السجن"، وجاء في إحدى الأناشيد لأمون رع: "السجين يتطلع إليك، والذي أصابه المرض يناديك".

وكان المجرمون يحتجزون في سجون خاصة ما داموا رهن التحقيق؛ فإذا صدر الحكم عليهم أرسلوا إلى سجون أخرى، لينفذ فيهم العقاب. وقد يقترن السجن بتسخير المذنب في أداء بعض الأعمال. ومن قبيل ذلك ما نص عليه المرسوم الصادر من الملك "نفر اير كارع"، الذي أعفى كهنة معبد أوزيريس بأبيدوس من أداء السخرة، وقضى بمجازاة من يأخذ أحد الكهنة الموجودين في حقل الأله، والذين يؤدون عليه خدمة كهنوتية من أجل السخرة أو أي عمل آخر، بإيداعه سجن المعبد، واستخدامه هو نفسه في أي سخرة.

ومن تعاليم الملك "خيتى" لولده "مريكارع" نقرأ: "إذا وقعّت عقوبة فليكن بالضرب أو السجن، ومن ثم تستقر أحوال البلاد". وعلى الرغم من ذلك يحدثنا الملك "إنيوتف الثالث"، من الأسرة الحادية عشرة، بأنه فتح السجون وأفرج عمّن فيها.

وكانت المحاكم تطّبق عقوبة السجن على عامة القوم، فضلا عن كبارهم من الموظفين والكهان؛ ومن ثم فقد سجل "ببى عنخ "، من وزراء الأسرة السادسة على جدران مقبرته أن محكمة السّراه برأته من تهم وجهّت إليه، عندما كان الكاهن الأكبر لحتحور في مدينة قوص، وأن هذه الاتهامات كانت عقوبتها السجن (مهران، جـ ٥ ١٩٨٤ :٢٢٥، ٢٢٦).

٤ - عقوبة النفي:

لم يكن النفي لبلاد أخرى غير مصر، أو ممتلكتها، التي تشرف عليها؛ ومع ذلك فالتعبير بالنفي تعبير غير دقيق، وإن استخدمته النصوص المصرية، لأن معناه إبعاد المجرمين خارج البلاد، بينما كان يجري -في الواقع- إبعاد المجرمين، إلى منطقتين تُستخدمان لهذا الغرض، داخل البلاد، هما: النوبة (كوش) في الجنوب، و "ثارو "على الحود الشماليه الشرقيه للبلاد. ولذلك كان الأصوب إستخدام التعبير الحديث: "اعتقال المجرمين ".

ومن الحالات التي كان يُقضى فيها بالنفي، الاستيلاء على قارب يستخدم في نقل الضرائب. فقد نص قانون "حورمحب "على مجزاة الفاعل بقطع أنفه، ونفيه إلى "ثارو "؛ وكذلك جاء في قضية سرقات المقابر في الأسرة العشرين: أن الشخص في قاعة المحكمة رغبة منه في الإقناع بصحة ما يذكره، كأن يقول: "لتجدع أنفي، وتصلم أذناي وأرسل إلى كوش، لو أن ما قلته كذباً ". ويظهر أن بعض المجرمين كانوا يرسلون إلى بلاد كوش للعمل في مناجم الدهب، أو لمجرد العقوبة فقط.

وفي عهد الأسرة الحادية والعشرين نشبت ثورة في طيبة، واستطاع الملك "بانجم" أن يسحق الفتنة، وأن ينفي بعض الثوار إلى الواحات، ويولي ابنه "من خبر رع" كرئيس لكهنة أمون، الذي استقبل عهده سائلاً الإله أمون: "ألا فلتعطف على من أمرت بنفيهم، ألا فلتأمر بألا يقاسي واحد مرارة النفي بعد اليوم"، وقد استمع أمون إلى رجائه، وأعيد أولئك الذين كانوا قد عوقبوا بالنفي إلى طيبة (إبراهيم ١٩٨٦: ١٦٣).

٥ - العقوبات التعبيرية:

وكانت من نماذجها:

- قطع يد المزيفين والمزورين.
- قطع لسان الجواسيس ومن يكشفون أسرار الدولة.
- قطع يدي المرأة المتهمة بنكاح المحارم.
- قطع العضو التناسلي للرجل المغتصب الأعراض (Dagallier 1914 : 177).
- صلم الأذنين وجدع الأنف.
- كسر أداة الجريمة حتى لايعود المجرم إلى إرتكابها، بواسطة هذه الأداه.
- قطع الأذنين لمن يزحزح الحدود (كما جاء في مرسوم نوري).
- قطع الأذنين وجدع الأنف للسرقه (كما جاء في مرسوم نوري).

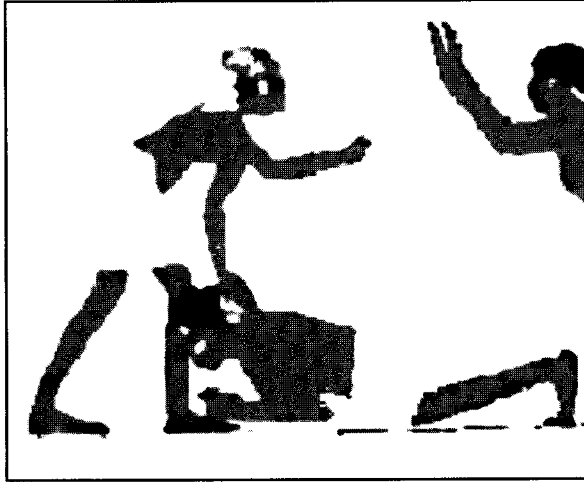
٦- العقوبات الأستثنائية:

عرفت مصر القديمة العقوبات الاستثنائية لمواجهة جرائم إستثنائية، كجرائم قتل الأبناء آباءهم (فالجاني تقطع أطرافه، ويحرق تحت أشواك)، وقتل الآباء أبناءهم (فالجاني يحمل جثة ابنه ثلاثة أيام في الطرق)، كنوع من العقاب النفسي.

٧- العقوبات البدنية:

كان الضرب هو أكثر الجزاءات شيوعا على الأطلاق؛ ففي عصر الدولة القديمة نجد "نزإيب" رئيس الأسرار، الذي عاش في عهد الملك "إسيسي"، يقول: "لم أُضرب قط منذ ولادتي أمام عضو محكمة السراه". ومن الجرائم التي كان يُعاقب عليها بالضرب، ما نصّ عليه المرسوم، الذي أصدره الملك "سيتى الأول"، بهدف حماية مؤسسة دينية في أبيدوس. فقد قضى هذا المرسوم بمعاقبة أي شخص يأخذ بالقوه ودون وجه حق، راعياً من رعاة المؤسسة، فيتسبب عن ذلك خسارة في الماشية، بالضرب مائتي عصا، ودفع مائة مِثْلٍ للماشية المفقودة، على سبيل التعويض.

كذلك، ما نصَّ عليه قانون "حورمحب" من مجازاة الجندي الذي يغتصب جلوداً من أحد الفلاحين بالضرب مائة عصا، فضلا عن شق جلده في خمسة مواضع. ويبدو أن جُرح الجزء المضروب كان ضرورياً عقب الجلد، حتى لا ينحبس الدم.



الشكل ٢: أحد مناظر العقاب بالضرب من مقبة مننا.

كما كان الضرب بالسياط من العقوبات البدنيه المنتشرة، وفي عصر الانتقال الأول ينصح "خيتى" ولده "مريكارع" فيقول: "اذا وقعّت عقوبة فليكن بالضرب أو السجن، ومن ثم تستقر أحوال البلاد. كما ينصحه في الوقت نفسه بعدم توقيع عقوبة الإعدام، إلا في حالة الخيانة، وقد كان مقدار عقوبة الجلد يتراوح ما بين جلدة واحدة إلى ألف جلدة.

ويلاحظ أن العلاقة الوثيقة، التي توجد أحياناً في العقلية المصرية، بين فكرة سؤال الأعضاء المحققين في المحكمة، وبين فكرة الحض على جواب صادق، قد عُبر عنها في اللغه المصرية ببعض جمل مثل "يمتحن بالضرب". وكانت الطرق التي تُستعمل في حضّ الشاهد على الكلام ثلاثاً، وكلها ذكرت في بردية بالمتحف البريطانى رقم (١٠٠٥٢) وهى خاصة بسرقات المقابر في الأسرة العشرين، وهى العصا أو فرع الشجره وكذلك الضرب بالفلقة. وقد كان التعذيب من أي نوع يستمر حتى يقول الشاهد "قف سأعترف"، وبعد ذلك يتلو بيانه، فإذا وُجد أنه غير مُرضٍ ضُرب ثانية أو عُذب. وقد يحدث أن يُشفع ذلك بالضرب مره ثالثة. وكان هذا الضرب يؤدي الى الاعتراف، عادة، بالمعلومات المطلوبة؛ وإذا لم يؤد إلى ذلك، فإن هذا الجزء من المحاكمة كان ينتهى بقول الشاهد "إنى لم أرها"، أو يكتب الكاتب الذي يسجل الشهادة: "إنه لا يريد الاعتراف". وقد كان يعترف أحياناً بغير الحقيقه

من شدة ألم الضرب.

٨ - العقوبات المالية:

وكان من أمثلتها:

أ - المصادرة والعزل من الوظيفة:

كانت هذه العقوبة شائعة الاستعمال، لدرجة أن المؤرخين عدوا الملك "مازيس" متعسفاً في استعمالها بقصد الثراء لنفسه. وقد كانت هذه العقوبة مخصصة لمن لا يحترم أوامر الملك. ونقرأ ما قضى به مرسوم "نفر اير كارع"، من الأسرة الخامسة، بمجازاة أي موظف، أو أي قريب ملكي، أو معاون زراعي يخالف أحكام هذا المرسوم، بالعزل من وظيفته، وتقديمه إلى المحكمة، ومصادرة البيت والحقول والناس وكل شيء في حيازته.

كما نقرأ في خاتمة قصة (الفلاح الفصيح): "عندئذ أمر رئيس الحجاب"، رنسي بن مرو ، "اثنين من الحرس بأن يتوجهوا لإحضار "جحوتى نخت "، وأحضروه، ثم جرى تجريده وتجريد رجاله من أملاكه، خلافا لمؤنه وشعيره في الوجه القبلى وقمحه وحميره والماشية وخنازيره وأغنامه، وسُلم "جحوتى نخت" هذا (كخادم في خدمة) هذا الفلاح (الى جانب) تسليم كل أملاكه للفلاح".

وفى أمر ملكي يرجع إلى الأسرة السابعة عشرة، نجد بياناً للعقوبات، التي أمر الملك بتوقيعها على أحد كهنة معبد، فقط جزاء على الجرائم الخطيرة التي ارتكبها. فقد قضى الأمر الملكي بفصل الكاهن من الوظيفة، ومحو اسمه من الوثائق الرسمية، ومصادرة ما يمتلكه في المعبد. وفيما يلى نص الأمر الملكي: "فليطرد من معبد أبي مين، وحولوا بينه وبين وظيفته في المعبد، وكذلك (أبناؤه) ابناً بعد ابن (وورثته)، وريثاً بعد وريث، اطرحوه على الأرض وخذوا ايراده، وعقد تمليكه وما يحصل عليه ككاهن، وامنعوا ذكر اسمه في المعبد، فهذا ما يستحقه من كان مثله، ثائراً على الإله وعدواً له، ولا تتركوا شيئا كتبه في معبد مين، سواء أكان في وثائق الخزينة، أو أي وثائق أخرى مماثلة" (Wilson 1963: 387).

كذلك، نقرأ في مرسوم "نورى" أن أي، شخص يغتصب، أو يسلب، أي شيء من مستحقات بيت "من ماعت رع"، تنتزع من الشخص المغتصب وتصادر، الأشياء المغتصبة.

ب - الغرامة:

تتمثل الغرامة في الحكم على الجاني بقدر من المال. وفي جرائم الأموال قد تتخذ الغرامة صوره مضاعفة لقيمة المال المسروق، أو المختلس. ومن قبيل ذلك ما نص عليه مرسوم الملك، "سيتى الأول" الذي قضى بمجازاة من يستولي على أحد الرعاة الخاصين بوقف معبد أبيدوس، بحيث ينجم عن عمله هذا ضياع ماشية، بالحصول من الجاني على الماشية المفقودة بمعدل مائة رأس مقابل كل رأس، فضلاً عن جلده مائتي جلدة. كذلك، كانت تطبق عقوبة الغرامة على من يقتل حيواناً مقدساً دون عمد، وكان يحدد قيمة الغرامة كاهن المعبد؛ وكذا من يدفن موتاه في حرم المعبد.

٩ - الجزاءات الدينية:

لم تكن العقوبات، التي سبق استعراضها، هى الجزاءات الوحيدة التي يتعرض لها الجناه. فقد كان الأشرار يتعرضون - طبقا للمعتقدات المصرية - لجزاءات من نوع آخر، وهى جزاءات توقعها المعبودات بالجناة في الحياة الدنيا وفى الآخرة، على السواء. فهناك إشارة صريحة في النصوص الدينية إلى تدخل الآلهة وإنزال العقاب، لا على الجاني وحده بل حتى على أفراد أسرته؛ فيذكرون أن "أوزيريس" سوف يطارد الشخص، الذي يعلم بوجود جريمة ولا يبلغ عنها، هو وزوجته وأولاده ليقضي على اسمه، ويحطّم روحه، ويمنع جثته من أن تستقر في الجبانه: "أما من يتجاهل هذا الأمر فإن أوزيريس سيطارده، وستطارد إيزيس زوجته، وسيطارد حورس أولاده، وسيحاسبه الآلهه العظام سادة الجبانة " (Wilson 1963: 387).

كذلك، جرت عادة المصريين بأن ينقشوا على جدران مقابرهم عبارات، تتضمن استنزال لعنة الآلهة على من يتجاسر على العبث بمحتوياتها. وكان الخوف من هذه اللعنة وآثارها، عاملاً فعالًا في معظم الأوقات، في توفير الحماية اللازمة لهذه المقابر؛ ولكن في فترات الشدة والقحط، وفى عهود الفوضى والاضطراب، كانت المقابر كثيراً ما تتعرض

للنهب والسرقات، وكانوا أحياناً يضربون عُرض الحائط بما كان على جدرانها من تحذيرات ولعنات. ومن هذه اللعنات: "كل من قام بأي عمل ضد ما هو موجود بهذا المكان، فليهاجمه التمساح في الماء، والثعبان في الأرض، ولن تُعمل له أبدا احتفالات جنائزية والإله هو الذي سيتولى إدانته".

وفي مقبرة لأحد حكام أسيوط، نقرأ على جدرانها: "كل الرجال، وكل الكتبة، وكل العلماء، وكل أفراد الطبقة الوسطى وأفراد الطبقة العامة، الذين يثيرون ضوضاء داخل هذه المقبرة أو يتلفون الكتابات المنقوشة عليها، أو يحطمون تماثيلها، سوف يتعرضون لغضب تحوت، أسرع الآلهه انتقاماً، وتُسلط عليهم سكين جلادي الملك المستقرين في القصور الكبرى، ولن تَقبل آلهتهم قرابينهم من الخبز". وعلى العكس، "فإن البركات العميمة سوف تُمنح للزائر المحتشم، الذي يقدّس هذا المكان، وسوف يُعمّر طويلا في بلده، ويكون موضع الاحترام في مقاطعته". (مونتيه ١٩٦٥: ٣٥٠).

وقد جاء في وصايا الملك "خيتي"، لابنه "مريكارع" قوله: "يجب ألا تؤمن بأن كل شيء سينتهي إلى عالم النسيان في يوم الحساب، لا تعتمد على طول سني الحياة فإن الحياة عند الآلهة ساعة واحدة مما تعدون، ذلك أن حياة الانسان تستمر بعد وفاته، وإن أعماله تتكدس بجواره، ومن تقدم بين يدي قضاة الموتى دون ذنوب كان بمثابة إله، واستطاع أن يسير بحرية مثله مثل سادة الأبديه".

وانطلاقاً من هذا الاعتقاد، كان المصريون يحرصون على أن يدوّنوا على جدران قبورهم من العبارات ما يفيد ابتعادهم عن الشرور والآثام، وتجنبهم ارتكاب المعاصي والذنوب، وأنهم عاشوا حياه فاضلة أحسنوا فيها إلى ذوي القربى، ومدّوا يد العون إلى المحتاج (زناتي ١٩٧١: ٢١٢، ٢١٣).

وقد تضمن كتاب الموتى فصلاً به تصريحٌ مطولٌ من المتوفى، ببراءته من عدد من الذنوب والآثام، نقرأ منها: "أنا لم أرتكب إثما ضد البشر، لم أسئ معاملة أحد من رجالي، لم أكلفهم القيام بعمل فوق طاقتهم، لم أفترِ على الآلهة، ولم أعذّب الفقير، لم أجوّع أحداً، ولم أطفف الكيل، لم أقلل في القياس بالقصبه، لم أغش في مساحة الحقول، لم أقلل في الوزن، لم أحذف شيئا من ثقل الميزان، لم أغش في الوزن، لم أنزع اللبن من فم الأطفال، لم أعوق سير المياه في مواسم الفيضان، لم أعطل سير الإله عند خروجه ...".

وهكذا يتضح مما تقدم أن الأنظمة القضائية والإجرائية في مصر القديمة، كانت من أدق الأنظمة - بوجه عام - في الوصول إلى العدالة والحقيقة. وإذا كانت بعض الأخطاء، قد حدثت في التطبيق، فهي إنما ترجع للأشخاص لا إلى سلامة النظام.

ثالثا: وسائل البحث الجنائي

اتُبعت في عملية البحث الجنائي عدة طرق ووسائل مختلفة منها:

١- سجلات الجرائم والمجرمين:

تتلخص أحدث وسائل التحقيق الجنائي في عصرنا الحديث، في حفظ سجلات المجرمين مقسمه، حسب أنواع جرائمهم ووسائل ارتكابها؛ فإذا ارتكبت جريمة ولم يُعرف الفاعل، يمكن الرجوع إلى هذه السجلات لمعرفة المجرمين المتخصصين في ارتكاب مثل هذه الجريمة، بالأسلوب الذي ارتكبت به. وبذلك يمكن حصر الشبهات في عدد محدود من المجرمين، إذ لوحظ أن المجرم لا يغير نوع الجرائم التي يرتكبها، ولا اسلوبه في ارتكابها. فهل استُخدمت هذه الطريقة نفسها في مصر القديمة؟ (إبراهيم ١٩٨٦: ١٤١ - ١٥١).

ويتضح من نقوش مقبرة "رخميرع" أن من واجبات الوزير، عند سماع قضية في قاعته عن موظف لم يكن كفئا في أداء عمله، (وينبغي هنا أن يؤخذ هذا التعبير بمعنى أوسع، أي هو الموظف الذي يرتكب جريمة تتعلق بعمله، كالرشوة أو الإختلاس مثلا، لأنه من غير المعقول أن يُقيد الموظف في سجل المجرمين، فقط بسبب إهماله أو تراخيه في عمله)، فينبغي أن يسمع الوزير حجة الموظف في هذا الموضوع؛ فإذا وجده مذنبا عند سماع ظروف القضية، فعلى الوزير إذن أن يقيد الموظف في سجل المجرمين.

وتذكر برديات سرقات المقابر في الأسرة العشرين مثل هذه السجلات. فقد جاء في بردية (أبوت) أنه عندما أُجري التحقيق مع النحاسين، واتضح أنهم لا يعرفون مكان قبر

الفـرعـون، أطلق الأشـراف سـراحـهم، ووضـعـوا تقـريراً عن الإجراءات التي اتُخذت، ووضع التقريرفي سجلات الوزير.

بل إن برديات (أبوت وأمـهـرست وليـوبولد الثـانى)، التي تحتوى على تفاصيل دقيقه عن المجرمين: أسماؤهم وألقابهم ووظائفهم واتهاماتهم والتحقيقات التي أُجريت معهم. كانت في رأي بعض المؤرخين سجلات حقيقية. وكانت صورة من هذه السجلات تُحفظ في المعابد والأدارات العامة. وهكذا يتضح أنه كان لكل قضية أوراق تُحفظ في السجلات الخاصة.

أما استخدام هذه السجلات والأستعانة بها لمعرفة اللصوص، فيتضح من بردية (أبوت)؛ فعندما ثبت للجنة الأولى المُشكّلة لفحص المقابر برئاسة "بويرو" أن بعض المقابر قد سُرقت فسرعان ما وضعت أمام الوزير ورجاله قائمة كتابية بأسماء اللصوص، في سرعة مدهشة. وكان من بينهم "بيخال بن خارى"، الذي قيل في تعليل اتهامه: "وكان هذا الرجل قد وُجد هناك بالقرب من المقابر، وضبط مع اثنين آخرين تابعين للمعبد القريب من المقابر، وهو الذي كان عمدة المدينه قد حقق معه هو والوزير نب ماعت نخت في السنة الرابعة عشرة ".

أي أن السبب في اتهام هذا الرجل بسرقة المقابر، في ذلك الوقت الذي اكتشفت فيه سرقات المقابر، وبدأ البحث عن مرتكبيها، هو أنه سبق أن اتهم بذلك الجرم قبل عامين وحُقق معه.

وليس من المنطق أن نتصور أن "بويرو"، بعد ما اكتشف سرقة بعض المقابر، وظهرت رغبته الملحة في معرفة مرتكبي الجرائم لتقديمهم للوزير، أنه رجع بذاكرته عامين مضيا يبحث عمن سبق اتهامه في قضايا مشابهة، ثم اختار" بيخال بن خارى" بهذه السرعة؛ إنما الأوقع والأصح أن نتصور أن "بويرو" حال معرفته بسرقات المقابر، أسرع إلى السجلات يبحث فيها عمّن سبق اتهامه في جرائم مشابهة، ومن ثم قدم "بيخال" وزملاءه على هذا الأساس.

وهكذا نرى أنه كانت هناك سجلات للجرائم وللمجرمين، وأن هذه السجلات كانت مقسمه في بعض الأحيان حسب أنواع الجرائم، ولهذه السجلات كان يُرجع اليها لمعرفة الفاعلين الحقيقين، في الجرائم المجهولة.

٢ - استخدام الكلاب في اقتفاء أثر المجرمين:

يُشاهد في لوحة يرجع تاريخها للأسرة الثانية عشرة أُقيمت تذكاراً لموظف كبير أُوكلت إليه مهام أعمال الشرطة في الصحراء الغربية (وكانت في ذلك الوقت مأوى المجرمين الهاربين من وجه العدالة، وكان من واجب الشرطة البحث عن المجرمين في هذا المكان وضبطهم) صاحب اللوحة وقد تسل بالقوس والسهام ويصحبه كلبه.

ولعل في اصطحاب هذا الرجل لكلبه، وقد خرج إلى الصحراء يبحث عن المجرمين، دليل على أن الكلب كان يؤدي دورا مهماً في اقتفاء آثار المجرمين ومهاجمتهم، وإن كان لا يستبعد -على أي حال- أن يكون اصطحاب الكلب لحراسة شخصه (إبراهيم ١٩٨٦: ١٤٩ - ١٥١)

٣ - استخدام المرشدين:

استخدم رجال الشرطة في مصر القديمة المرشدين بنجاح، لمعرفة الجريمة قبل وقوعها وضبط المجرمين. ومن أمثلة ذلك ماجاء في بردية (ماير أ)، الخاصة بسرقة صناديق صغيرة فيها كنوز كانت موضوعة في بيت المال الخاص بمعبد مدينة هابو. وقد استطاع رئيس الشرطة أن يقبض على اللصوص متلبسين. وقد أعلن عنهم رئيس الشرطة "نسأمون" حسب دور كل منهم، وكان واقفا مع اللصوص، عندما وضعوا أيديهم على صناديق النفائس.

ويُسأل رئيس الشرطة في التحقيق عن ظروف ضبطهم: "وأُحضر رئيس الشرطة "نسأمون " وقالوا له: كيف وجدت الرجال (أي اللصوص)... فقال: لقد سمعت أن رجالا قد ذهبوا ليرتكبوا عسفاً في صندوق النفائس هذا، وقد ذهبت ووجدت فعلا هؤلاء الرجال الستة الذين ذكرهم اللص "باك إمن"، وإني أشهد عليهم اليوم".

ومن الواضح أن رئيس الشرطة استطاع أن يقبض على المجرمين متلبسين، من طريق استخدامه للمرشدين، الذين أفشوا اليه وقت ارتكاب الجريمة ومكانها.

رابعا: الإجراءات الجنائية

يُعد عصر الأسرة العشرين هو أكثر العصور إمداداً لنا بالمعلومات عن الإجراءات الجنائية، ومنها:

١ - البلاغ الجنائي والتحقيق الأولي:

تصل الدعوى الجنائية، أو بمعنى أدق الواقعة الجنائية، إلى علم الجهات بإحدى ثلاث طرق، وهي:

أ - التبليغ عن الجريمة: أن يتقدم المتضررون من الجريمة مباشرة عند وقوعها بالبلاغ عنها إلى الجهات المختصة بالبلاغ نفسه.

ب - الشكاوى: أن يُرفع الأمر إلى جهاز الشرطة، ذاته أي إلى الأشخاص المنوط بهم حفظ الأمن العام.

ج - التقارير: أن يتقدم برفع الأمر فئة من المراقبين، أو المهيمنين على الإدارة، في البلاد مثل: عمدة المدينة أو حاكم المقاطعة، أو أي عضو آخر. وكان يُخطر بالأمر الى الملك أو إلى الوزير. أو إلى قضاة التحقيق، وهذا ما تشهد به بردية (أبوت).

وقد جرت العاده أن تُقدم صور البلاغ الجنائي الثلاثة إلى الوزير، وفى حالة توجيه اتهام إلى شخص ما، يُلقى القبض عليه، ويحبس حبساً تحفظياً وقائياً إلى حين استجوابه. كما كان الوزير في بعض الحالات يُجري الاستجواب بنفسه، ويعاونه في ذلك بعض أعضاء المحكمة. (Dagallier 1914: 168).

٢- إثبات الحاله:

وكان على رئيس الشرطة أن يثبت الحالة فور تلقي البلاغ، ثم يُخطر حاكم المدينة عقب ذلك مباشرة وكان تقاعس رجل الشرطة في واجبه، يستوجب عقاباً قاسياً، كما نقرأ ذلك في بردية (أبوت).

٣ - التحقيق الابتدائي:

كان التحقيق الابتدائي، أو الأولي، يُلجأ اليه في كثير من القضايا الجنائية، وفى حالة ثبوت التهمة يحال الجاني إلى المحكمة المكونة من أربعة أعضاء هم: الوزير (عضو ورئيس)، وضابط ملكي، ونائب ملكي، وعضو رابع متغير حسب الدعوى.

٤ - المعاينة:

في بردية (أبوت) إشارة إلى وجود المعاينة إذا ما أثبت التحقيق ضرورة إجرائها. وكان قاضي التحقيق (عادة الحاكم في الإقليم، أو الوزير في العاصمة) يفوض لجنه لإجراء المعاينة.

وحسب ما ورد بهذه البردية، فقد شُكلت لجنة مكونة من: كاتب الحاكم، وكاتب رئيس خزانة الملك، ورئيس الجّبانة، وضابطين من الشرطة النظامية، وكاهنين من درجه عالية، ورجال شرطة الجبانة، وغيرهم من الشخصيات، إلى جوار من ضبط الواقعة أساساً، وذلك لإجراء المعاينة.

وبعد هذه المعاينة الأولية - التي غرضها خدمة التحقيق الجنائي - كان الحاكم يقوم يجري مع عدد من القضاة معاينه ثانية للخسائر والتلفيات. وفى نهاية التحقيق يقدم الحاكم نتائج التحقيق، التي اهتدى اليها بنفسه، كما يقدم رئيس الشرطة النظامية تقريره الجنائي، وهذا ما يتضح من مطالعة بردية (أبوت) (Capart 1899-1900: 22).

٥ - القبض والحبس الاحتياطي:

من المعروف أن المتهم يُحجز قبل صدور الحكم الجنائي عليه. ومن الثابت تاريخياً حسب النصوص، أن إلقاء القبض كان يتم كذلك في حالة التلبس، إذ بمطالعة محاضر جلسات إلقاء القبض، التي كان يحررها كُتّاب المحاكم، يلاحظ وجود محضر خاص بـ "القبض"، حرَّره كاتب على لسان أحد القضاة، جاء فيه: "القضاة يسألون رئيس الشرطة المدعو "نسأمون"، بعد أن استدعوه، بأي طريقة وجدت هؤلاء الناس (المجرمين) المقبوض عليهم ؟ فرد عليهم قائلا: سمعت أن هؤلاء الأشخاص ذهبوا من أعلى لسرقة ما بداخل هذه المقبرة، فذهبت وانتظرتهم فوجدت هؤلاء الأشخاص الستة".

وفى حالة التلبس كان لا بد أن يسبق إلقاء القبض إجراء تحريات كبيره وأكيده، وهذا يعنى تعقّب من يثبت ارتكابه لجريمة ما، وهذا واضح في شاهد مقبرة رئيس الشرطة

"مــاهو". وكــان رجــال الشــرطة يقــدمــون تقــارير بنتــائج تفويضهم، في مراقبة المتهمين قبل القبض عليهم. (صدقي ١٩٨٦ : ٩٦).

٦ - الاستجواب الأولي في المحكمة :

بعد استيفاء التحقيق الأولي وإلقاء القبض على المتهمين واستدعاء الشهود، تبدأ المحاكمه. وقد عُثر على الديباجة الأفتتاحية لمحضر إحدى جلسات المحكمة، وكان نصها: "العام الأول...... تحت حكم رمسيس العاشر بدأت محاكمة من سرق مقبرة رمسيس الثاني ومعبد سيتي الأول القريب من خزانة رمسيس الثالث".

وكان المتهمون يساقون إلى المحكمة في صحبة حرس مزودين بعصا. وقد أبرزت النقوش بدقه الإجراءات، التي تتبع أثناء الاستجواب، سواء حيال المتهمين أو حيال الشهود. وعند الاعتراف بالتهمة يتم التحقيق في صحة الوقائع، التي وردت في الاعتراف. أما في حالة الإنكار، فتبدأ إجراءات البــحث عن الإثبــات الجنائي والأدلة الجنائيــة (Capart 1899-1900: 23-24).

٧ - الأدلـه الجنائيــة:

وكانت تُجمع من طريق وسائل عدة، منها:

أ - **حلف اليمين:** كان حلف اليمين يجري داخل المعبد، ويكون الحلف بالآلهة أو برأس الملك وحياته، أو بالحيوانات المقدسة. وكان من يحلف اليمين يقرر أنه سينتحر، إذا لم يقل الحقيقة. وفى حالة ثبوت كذب في شهادة من حلف اليمين، كان يعاقب جنائياً على كذبه، وعلى انتهاكه حرمة المقدسات.

ومن صيغ الحلف باليمين، المتضمنة عقاب من يحنث في يمينه، مــا جــاء في بردية بالمتـحف البـريطاني: "إذا كنت أكذب فلأشوه ولأقاسِ الأعمال الشاقة ... كل ما أقوله هو الحق، وإذا ظهـر غـداً ... بأمون وبحق الأمـيـر أني كـاذب فلأرسل إلى المناجم ... إذا ظهر أن أحداً أعطاني ذهباً أو فضـة لأشـهد كـذبا فلتشـوهوني ولتعـذبوني". (pap. B M. 10052، ٣، ٢٢، ٢٣).

ويبدو أن القضاة في بعض الأحيان كانوا يحكمون بناء على حلف اليمين، وهذا يدل على المكانة العليا، التي كان يحظى بها حلف اليمين. ويبدو أن العقوبات الشديدة للحنث باليمين، كانت ترهب كل من تسول له نفسه الكذب من الشهود فيما حلف باليمين عليه، ومن هذه العقوبات قطع الأذنين أو الأنف، وكذلك الأشغال الشاقة في بلاد كوش (Dagallier 1914 : 168).

ب - **الأستعانة بأهل الخبرة:** استعان المصريون القدماء بالخبراء أثناء التحقيق، وذلك في المسائل التي تحتاج لخبرة خاصة، ومن ذلك ما جاء في بردية (هاريس) رقم ١٠٠٥٤ بالمتحف البريطاني. وهي تحتوى على عدة نصوص خاصة بالسـرقـات، التي كانت تحدث في المقـابر في الأسـرة العشرين. ففي إحدى هذه السرقات، اعترف الكاهن "بنو ان حاب" أنه ذهب مع كهنة آخرين إلى مكان لم يُعَيّن، وسرق أوراقاً من الذهب كانت تغشى تمثال الإله، "نفرتوم" الخاص بالملك "رمسيس الثاني"؛ فضلا عن أن الكاهن اتهم بأنه ذهب إلى مكان خاص بهذا الإله وسرق منه أربع قطع من الفضة، ووضع مكانها أخرى مصنوعة من مادة غيرها.

ولما كان موضوع نزع الذهب والفضة، ووضع مواد أخرى بدلاً منهما من المسائل الفنية، التي لا يستطيع المحقق العادي أن يجزم فيها برأي، فقد دُعي صائغ للتحقيق في الموضوع.

ج - **التعذيب:** كان التعذيب إحدى الوسائل، التي يُقصد بها معرفة الحقيقه. وكانت إحدى وسائله الضرب بالعصي، وقد حدد الضرب بالعصي أو الجلد مائة جلدة، أو ظهور خمسة جروح على الجسم. كما كان يستعمل التعذيب أيضاً لمعرفة شركاء المجرمين في السرقة، لمعرفة مكان إخفاء المسروقات. وكان أي اعتراف من الجاني أثناء تعذيبه، يدوّنه الكاتب، وكذلك كان أي اعتراف يصدر من الجاني، فلا بد من التحقق من صحته.

٨ - التفتيش:

من الثابت تاريخياً أن اللجنة المكلفة من قبل المحكمة، كانت تستطيع تفتيش منزل المتهم، وكذا المنازل المشتبه إخفاء

المسروقات فيها. ونقرأ في بردية (أبوت) أن اللجنة المشكلة برئاسة "خعمواست"، اتجهت إلى غربي طيبة لإجراء معاينة بإرشاد المتهمين. وقد أخذوا معهم "بيخال" معصوب العينين. فذهب إلى مقبرة "رمسيس الثاني"، وكانت مفتوحه لم يدفن فيها أحد، وإلى منزل عامل الجبانة "أمنمؤوبي" وقال: "انظروا هذين المكانين الذين دخلتهما".

٩ - المناقشه أو الأستجواب النهائي:

بعد حلف اليمين واللجوء إلى الضرب، يبدأ الاستجواب النهائي. وتجدر الإشارة إلى النصائح، التي قدّمها "بتاح حتب" الى القضاة: "إذا عُهد إليكم بالتحكيم بين الناس، فاصغِ إلى أقوال الأطراف ولا تُسيء معاملتهم، فإن ذلك لا يشجعهم ويثبط همتهم عن القول، ولا تقل لهم: لقد قلت ذلك سلفا، إن التسامح يشجع المستجَوب في توضيح أقواله، كما يجب أن توسع صدرك للضحيه في توضيح ملابسات الحادثة كتوضيح الحادثة نفسها ". وعندما يتضح للقضاة براءة المتهم، فعليهم أن يطلقوا سراحه فوراً.

١٠ - المواجهـة:

كانت المواجهة شائعة لا سيما بين الشهود والمتهمين، وكانت تُسفر عن تبرئة المتهم لو قرر الشاهد عدم رؤيته المتهم ضمن اللصوص. كما استخدموا أيضاً المواجهة بين المتهمين بعضهم بعضاً، ومثاله ما ورد في الجزء الأول من البردية رقم ١٠٠٥٢، بالمتحف البريطاني، الخاصة باتهام الراعي "بو خع اف "وآخرين، بالهجوم على المقابر الملكية. وقد لجأ المحقق إلى مواجهة المتهمين بعضهم بعضاً: "وأُحضر الراعي "بوخع اف"، ومطلق البخور "شد سو خنسو "، ونافخ البوق "بربثو"، والمواطنة "نسموت"زوجته، والمواطنة "موت م ويا" زوجة كاتب السجلات المقدسة "نسأمون"، ليتهم كل واحد منهم زميله، في أثناء وقوفهم جميعاً هناك".

ولم تقتصر المواجهة على المتهمين فقط، بل كان من حق المتهم أن يطلب مواجهته بالشاهد. فقد جاء في بردية (ماير أ): "وقد حُقق مع أحد المتهمين" أمن منتو "فقالوا له: ما لديك لتقوله عمّا قرره النوتي "نسأمون"، الذي عبر بك إلى هذا الجانب مع شركائك في الجريمة الذين سيأتون ليتهمونك. لقد قلت: دع إنسانا يأتي ليتهمني. وقد أُحضر البحار "نسأمون " واتهمه فقال: لقد كنت أنا الذي عبرت به مع الراعى "آهومح".

١١ - التحقيق من صحة ما ورد في اعترافات المتهم:

ثبت من بردية (أمهرست) إصطحاب المعترفين بسرقة الملك "سوبك ام ساف"، بواسطة حاكم المدينه، والمندوب الرقابى الملكى "نسأمون"، إلى مكان الجريمة. وكذلك ما ثبت من واقعة أخرى من بردية (أبوت)، من اقتياد حاكم المدينة، المتهم بسرقة مقبرة وهو معصوب العينين، إلى مكان الحادث، ليصف له ما بداخل المقبرة، التي اتهم بسرقتها.

وإذا تؤكد من صحة الاعتراف وجب توقيع العقوبة؛ فإذا كانت الجريمة بسيطة صدر فيها الحكم بالحبس أوبالجلد والضرب بالعصى؛ أما إذا كانت الجريمة جسيمة، فيرفع تقرير للملك ليوقّع عقاباً أقسى، على أساس أنه صاحب الحق في توقيع العقوبات الجسيمة.

خامسا: نماذج من الجرائم وعقوباتها

١ - من قضايا سرقات المقابر

بدأت سرقات المقابر في وقت مبكر من التاريخ المصري القديم، ولم تنقطع اللعنات

ضد مخربي المقابر وناهبيها طوال عصر الدولة القديمة. كما يُشاهد تحذير بين نقوش مقابر أمراء الأسرتين الخامسة والسادسة لكل من يستولي عليها: "سيحاكم على أفعاله أمام المعبود الكبير".

ففي نهاية عصر الدولة القديمة، وأثناء عصر الانتقال الأول، اقتحم الثّوار قبور الملوك والأمراء وكبار رجال الدولة؛ فنهبوها وعبثوا بكل ما فيها. واستمر الاعتداء، إذ نجد في نصائح "خيتي" لابنه "مريكارع" ما يحذّره من الاعتداء على آثار الآخرين، وان عليه الحصول على ما يلزمه من أحجار، من محاجر طرة، لبناء قبره، وألا يأخذ أحجار مما تخرب من قبور الناس (حسن ١٩٩٢ ج ١: ٣٤٥ - ٣٤٦).

ويصور "إيبوور" الاعتداء على المقابر، وقد بُذلت جهود

عـديده لإيقـاف هذه الاعـتـداءات. ولم تكن جـهـود إيقـاف السـرقـات سلبـيـة، بل اهتـمت الحكومـة منذ وقت مـبكر، بتشديد الحراسة على المقابر. وكانت محاكمات سرقات المقابر من أهم القضايا وأخطرها. وكان قضاتها يُختارون من أعلى الوظائف. ففي أيام الملك "رمسيس التاسع"، اشترك في محاكمة لصوص المقابر، الوزير "خعمواست"، والكاهن الأكبر لأمون رع في الكرنك، وكاهن معبد فرعون الجنائزي، وشخصان مهمان من رجال الحاشية، وأحد كبار الفرسان، وحامل علم في البحرية، و "باسر" حاكم طيبة.

أما عن العقوبات، التي كانت تُوقّع على سارق المقبرة وناهبها، فيُعلم شيء عنها مما جاء في بردية (أبوت)، الخاصة بسرقات المقابر. ففي الصفحة السادسة ورد أنّ "بورعا" أمير غرب المدينة، كانت لديه خمس تهم خاصة بسرقات المقابر، قال عنها: "لم يكن في الامكان إخفاؤها، لأنها تهم خطيرة تُعاقب بالبتر والوضع على خازوق، أو أقسى العقوبات".

كما يوجد من عهد الأسرة العشرين، اعتراف "أمن نفر" بسرقة مقبرة الملك "سخم رع شد تاوي" فيقول: "لقد قسّمنا الذهب الذي وجدناه مع مومياتها، والغنائم والحلى والتوابيت، إلى ثمانية أقسام، وخص كل منا عشرون دبنا من الذهب، فكان المجموع ١٦٠ دبنا من الذهب، ولم أُقسّم باقى الأثاث".

والواقع أنه على الرغم كل الوسائل، التي اتخذت للمحافظة على المقابر، وجهود الشرطة وتشديد العقوبات، استمرت سرقات المقابر وانتشرت عن ذي قبل؛ فالعمال أنفسهم كانوا أحياناً هم لصوص مقابر ومعابد؛ فمثلا ظهر أن هرم "أمنمحات الثالث "فى اللشت، شُيد بأحجار أخذ الكثير منها من المعابد، أو المقابر الأقدم عهداً، ومنها أحجارا منقوشة أتوا بها من معبد ملوك الأسرة الرابعة من الجيزة، والأسرة الخامسة من سقارة. وقد كان الكهنة أنفسهم يسرقون المقابر، إذ من السهل عليهم الوصول إليها بحكم أداء الشعائر الدينية للمتوفى؛ فقبر الملك "سقنن رع " -مثلاً- ، فالغالب أن يكون الكهان القائمون على حراسته ورعايته هم الذين سرقوه، وتدل على ذلك الطريقة التي اتبعت في نهب القبر؛ فاللصوص لم يكونوا من عامة الشعب، إنما كانوا من رجال الدين، الذين يؤمنون بالآلهة لأنهم انتزعوا صفائح التابوت الذهبية وأبقوا على رسوم الآلهة، التي ازدان بها التابوت؛ ثم عادوا فلوّنوا مكان الصفائح بلون الذهب، ليخفوا معالم الجريمة.

وهكذا، لم يكن أمام الحكومة في النهاية إلا أن تعترف بعجزها التام عن إيقاف هذه السرقات؛ فاضطروا إلى هجر المقابر، التي كانت معرضة للخطر واكتفوا بمحاولة إنقاذ المومياوات الملكية، ونقلوها سراً من مقبرة إلى أخرى، وأخفوها هي ومومياوات كهنة وكاهنات أمون، واحتفظ الزمن بهذه الوديعة الغالية حتى عام ١٨٨١ (إبراهيم ١٩٨٦: ١٧٥ - ١٨٠) وكذلك (هورنونج ١٩٩٦: ٨١، ٨٢).

٢ - من قضايا مؤامرات الحريم

أ - مؤامرة زوجة الملك "بيبي الأول":

اتهم الملك "بيبي الأول" زوجته الملكة "إمتس" فى أمر ما، وربما اتهم معها أيضاً وزيره، وهو أمر لم تُفصح النصوص المعروفه حتى الآن عن كُنْهِه. وقد يكون الاتهام خيانة زوجية، أو تآمراً من هذه الزوجة على إحدى ضرائرها الأثيرات لدى زوجها، أو تآمراً على أحد أبناء هذه الضرة للحيلولة دون بلوغه العرش، أو ربما تآمراً على زوجها الفرعون نفسه.

ويبدو أن الملك لم يرد أن ينفرد بمساءلة زوجته أو إدانتها، ولذلك عهد إلى أحد كبار رجال بلاطه، وهو "ونى"، بالتحقيق معها؛ ورفع التقرير إليه. ومره أخرى لم يسجل التاريخ فحوى هذا التقرير، ولا قرار الملك بشأنه.

جاء في حديث "ونى": عن القضية قوله: "عندئذ عُرضت دعوى تخص الحريم ضد "إمتس"، الزوجة الملكية الكبيرة، وكانت دعوى في غاية السرية، وأدخلني جلالته لأستمع أنا وحدي، ولم يكن موجوداً هنا أي قاضٍ أو وزير، أي موظف كبير، (لا أحد) بمفردي، ذلك لأنني كنت طيباً، وكنت لطيفاً على قلب جلالته، فقلب جلالته كان مفعماً بي، وأنا الذي أصدرت (الحكم) كتابةً، أنا بمفردي، ومعي قاضٍ واحد ملحق بمدينة نخن، بينما كنت أشغل منصب رئيس مشرفي الأملاك الملكية، ولم يكن قد حدث قط من قبل

لواحد من نظرائي أن أستمع إلى سر من (أسرار) الحريم، ولكن جلالته سمح لي بالاستماع..... ". (صالح ١٩٨٨: ٣٥ ؛ لالويت ١٩٩٦: ٢٢٩).

ب - مؤامرة الحريم في عهد الملك "رمسيس الثالث":

وردت قصة هذه المؤامرة في بردية (تورين القضائية)، وبردية (رولن)، (de Buck 1937 : 152 - 164). وقد تآمرت الملكة "تى"، إحدى زوجات الملك"، رمسيس الثالث" على حياته، وأرادت تولية ابنها "بنتاؤر" على العرش. واشترك معها في المؤامرة رئيس الحجرة المسمى "بيبككامن". واسمه يعني الخادم الضرير. وساقي الملك المسمى "مسد سورع". وقد حصل الأول من المشرف على ماشية الفرعون، المسمى "نبحوابن"، على عدد من التماثيل السحرية، كما قدّم شخصان آخران تماثيل أخرى مماثلة، هُرِّبت إلى داخل الحدود الملكية. ومن طريق هذه القوى السحرية، اعتقد المتآمرون أنه سيكون في يدهم قوة يستطيعون بها أن يشلُّوا قوة الحرس الملكي.

تتضح خطورة هذه المؤامرة في أن معظم المتآمرين، كانوا في خدمة الفرعون الشخصية، إضافة إلى أن المؤامرة لم تقتصر على داخل القصر، بل امتدت إلى خارجه. وكانت الرسائل إلى المتآمرين خارج القصر، على هذا النحو: "أثيروا القوم، حرّكوا الأعداء لكي يبدأوا الأعمال العدوانية ضد مولاهم". وكان على الفرق العسكرية في بلاد النوبة أن تشق عصا الطاعة على الفرعون، وتهجم على مصر. وكان رئيس هذه الفرق "بانحسى"، قد انضم إلى المؤامرة بتحريض من أخته التي اشتركت فيها ضمن حريم القصر.

قبل أن تُنفذ المؤامرة كاملة، كُشف أمر المتآمرين بطريقة ما، وأمكن الحصول على براهين قاطعة عن الجريمة، التي أرادوا تنفيذها. وكانت المؤامرة من الخطورة بحيث لا يحسن تطبيق إجراءات القانون الرسمي العادي ضد المتآمرين، وذلك حتى لا تُعلن أمور من الخير أن تبقى بعيده عن أذهان الشعب. وكان التقرير القصير بشأن إجراءات المحاكمة، قد أُعد لكي يحفظ في قسم المحفوظات الملكية. وتظهر صيغة التقرير - التي ستعمل فيها الحذر كله أن كاتب التقرير تجنب بحكمته الدخول في التفصيلات.

شُكّلت المحكمة من أربعة عشر عضواً: اثنين يحملان لقب المشرف على الخزانة، واثنين من حاملي الأعلام للجيش، وسبعة من سقاة فرعون، وحاجب ملكي، وكاتبين. وكان من بين هؤلاء الأعضاء أربعة من الأجانب. أما إجراءات المحاكمة فهي أن يبيّن المتهمون حالتهم البدنية، وتعلن التهم المنسوبة إليهم. ويُلاحظ أن بعض التهم، التي وجهت لبعض المتهمين، كانت جرائم سلبية؛ أي أنهم علموا بالمؤامرة ولم يبلّغوا عنها. وكان على المحكمة أن تقرر أخيراً مدى صحة الاتهامات، وتنطق بالحكم. وانتهت المحاكمات الثلاث، التي أُجريت، بإدانة ٣٢ موظفاً من مختلف المراتب وجدوا مذنبين. وكان المحكوم عليه بالإعدام يترك وحيداً في غرفة المحاكمة لينهى أيامه بيده؛ إضافة إلى أنه قد حُكم على أربعة من المتهمين بجدع أنوفهم، وقطع آذانهم. (مونتييه ١٩٦٥: ٢٩٥ - ٢٩٧؛ حسن ١٩٩٢، ج ٧: ٥٤١ - ٥٥٨).

٣ - من قضايا الاختلاس

قضية "خنوم نخت":

وردت هذه القضية في بردية محفوظة بمتحف تورين - في القسم الثالث منها - من عهد الملك "رمسيس الخامس". وتتلخص وقائعها في أن معبد خنوم باليفنتين كان يمتلك أرضاً في الشمال في الدلتا، وكان المحصول الذي يورد له منها ثابتاً ومقداره ٧٠٠ غرارة من الغلال سنوياً. وكان المفترض أن يختلف هذا المقدار من عام لآخر، تبعاً لحالة النيل؛ ولكن يبدو لبعد المعبد عن الأرض المملوكة له في الشمال، لم يكن باستطاعة المعبد إحكام الإشراف على عماله المزارعين هناك، ففرض عليهم توريد هذا المقدار الثابت ضماناً لحقه في كل الأحوال (إبراهيم ١٩٨٦: ٢٣١، ٢٣٢).

وتعاقد المعبد مع ربّان السفينة على نقل المحصول سنوياً إلى المعبد، ولكن هذا الربّان مات في السنه التاسعة والعشرين من حكم "رمسيس الثالث"، وحل محله أحد كاهن معبد آخر، هو "خنوم نخت"، الذي استمر يؤدي عمله، على ما يظهر، أربعة أعوام بالذمة والأمانة، "ولكن في العام الأول من حكم الملك رمسيس الرابع، الإله العظيم، حدث تزوير في

الغلال ".

وسجّلت الوثيقة في النهاية مجموع غرائر معبد خنوم، التي تآمر ربّان السفينة مع الكتبة والمفتشين والعمال الزراعين التابعين للمعبد، ليسرقوها، ويستولوا على ٥٠٠٤ غرارة ويبدو ان كاتب الوثيقه قد أخطأ في الجمع، لأن المقدار المستولى عليه هو ٥٦٢٤ غرارة، فربان السفينة لم يورّد إلا ٦٧٦ غرارة فقط، ومعنى هذا انه ورّد أقل من ١٠٪ مما تسلمه، على أساس ٩ سنوات × ٧٠٠ غرارة المقررة = ٦٣٠٠. وقد وردت في البردية تهم أخرى ضد ربّان السفينة، ولكن يحيط بها الغموض بسبب تمزّق البردية. كما وردت تهمتان خاصتان بالبحار "بن خت تا". كذلك تحدثت البردية في جزئيها الأول والثاني، عن تهم وجّهت للكاهن "بن عقت "، التابع لمعبد خنوم، وآخرين، باختلاسات وسرقات وهتك عرض ورشوة (حسن، ج ٨، ١٩٩٢: ١٤٥ – ١٥٦).

وهكذا يتضح من هذه الوثيقة أن الربان الجرئ وقع في يد القانون، هو والمتسترون عليه، أو المشتركون معه. وقد جاء ذكرهم في البردية، وهم: الكتبة والمفتشين والعمال الزراعين التابعين لمعبد خنوم. وما من شك في أن حصول هذا الربان على تلك الاختلاسات الضخمة واستمراره في الاختلاس دليل على الحالة المحزنة، التي وصلت اليها إدارة المعابد في تلك الفترة؛ بل أكثر من ذلك، فهويدل على انهيار النظام وضياع الماعت من الروح المصرية حينذاك.

٤ - من قضايا الزنا التي وردت في الأدب المصري القديم

أ - قصة الزوجة الخائنة:

وهذه القصة من مجموعة قصص محفوظة في بردية بمتحف برلين، تعرف باسم: بردية (وستكار). وقعت أحداث هذه القصة في عهد الملك "نب كا"، من الأسرة الثالثة. فقد ذهب الملك إلى معبد بتاح في منف. وكان "وبا أونر" كبيراً للكهنة المرتلين وكان متزوجا من امرأة أحبت أحد شباب المدينة وأخذت تراسله من طريق إحدى خادماتها، وتبعث اليه بالهدايا حتى قبل أخيرا الاتصال بها، والحضور اليها.

ونفهم من أحداث القصة أن الغرق كان عقاب الزاني، والحرق كان عقاب الزانية (فخري ١٩٦٥: ٣٩٧).

ب - قصة الأخوين:

تحكي هذه القصة أخوين كانا يعيشان معاً، اسم أصغرهما "باتا" وكان شاباً لم يتزوج بعد، واسم أكبرهما "أنوبيس" وكان متزوجاً. وكان "باتا" يساعد أخاه في الحقل، ويقوم بكل عمل شاق؛ لأنه يحب أخاه ويحترمه، فقد ربّاه ورعاه. وقد حاولت زوجة "أنوبيس" أن تُغري الشاب الصغير، فدعته إليها، فأبى، فاتهمته كذباً وحرضت عليه أخاه، الذي انتظره ليقتله؛ ولكن "باتا "استطاع الهرب. فجرى أخوه وراءه حتى تدخل إله الشمس فأنقذه منه، بأن جعل بين الأخوين بحيرة ملأى بالتماسيح. ووقف الأخوان أمام بعضهما، قال "باتا "لأخيه كل شئ، وأعلمه بجريمة زوجته، وأراد أن يثبت لأخيه براءته وعزوفه عن النساء، فمثّل بنفسه وقطع جزءاً من جسمه، وقال له إنه ذاهب إلى وادي الأرز، وسيضع قلبه فوق شجرة أرز، فاذا ما عرف "أنوبيس" بوفاة أخيه، وذلك بظهور علامة خاصة فليذهب وليبحث عن قلبه ويضعه في الماء، فيعود إلى الحياة لينتقم لنفسه. ويرجع "أنوبيس" إلى منزله، ويقتل زوجته الخائنة.

وتستمر القصة ولكن ما يهم هنا أنها تعالج موضوعاً مهماً في الحياة الأنسانية، وهو موضوع الزوجة الخائنة، التي تحاول إيقاع شاب طاهر عفيف، فاذا رفض وأبى، اتهمته وحاولت القضاء عليه انتقاما منه، لكنها تلقى العقاب المناسب لمثلها.

٥ - قراءة في بردية تقدم عريضة اتهام بعدة جرائم، ضد أملاك معبد

ذُكرت هذه التهم في بردية بمتحف تورين. والواقع أن محتويات هذه البردية تشبه في مجموعها ما جاء في بردية (سولت ١٢٤)، المحفوظة بالمتحف البريطاني تحت الرقم ١٠٠٥٥، وهي ترجع إلى عصر الملك "رمسيس الخامس". وقد كان المتهم الأعظم فيها كاهناً يُدعى "نبعا نكو"، وآخر يدعى "بنب "، ونقرأ فيها التهم، التي وجهها "أمن نخت " إلى رئيس العمال في الجبانة الملكية، المسمى "بنب "، وتشمل: السرقة، والزنا، وهتك العرض، والحنث باليمين (حسن ١٩٩٢، ج ٨: ١٢٢ – ١٥٦)

٦ - مجموعة تهم أخرى متنوعة

وهناك وثيقة أخرى تحتوى أيضاً على مجموعة تهم،

ضد أشخاص مختلفين، منها:

عدة تهم لهتك العرض، وسرقه للعجول المقدسة، والاستيلاء على صناديق مقدسة وأشياء تخص المعبد، سرقة من خزانة معبد خنوم، ورشاوى.... وغير ذلك.

وهكذا يتضح مما سبق، سوء الحالة الاجتماعية في ذلك العصر، وكيف أن الأمور كانت سائرة بالبلاد نحو التدهور السريع، الذي أدى في النهاية إلى سقوط عصر الرعامسة وقيام أسرة الكهنة.

وأخيراً فإننا نجد أن مصر الفرعونية تُعلن في وثائقها الرسمية، وفى توجيهات الفراعنة لوزرائهم، إلغاء الفوارق الإجتماعية، وأن يُعامل كل الناس، رجالاً ونساء، على قدم المساواة. وهكذا يبدو أن مصر القديمة قد اتخذت مبدأ: "الدولة تجسيم العدالة المنظم"، الذي قال به أفلاطون في مقالته عن السياسة، وان هذا المثل الأعلى كان هو الهدف، الذي يصبو إليه الحكام في مصر القديمة.

د. سمير أديب: قسم التاريخ - كلية التربية - جامعة قناة السويس. samiradib_60@hotmail.com

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

إبراهيم، بهاء الدين ١٩٨٦، **الشرطة والأمن الداخلي في مصر القديمة**، القاهرة.

بريتشارد، جيمس ١٩٨٧، **نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم**، ج ٥، ترجمة، عبد الحميد زايد، مراجعة، محمد جمال الدين مختار، القاهرة.

حسن، سليم ١٩٤٥، **الأدب المصري القديم**، ج ١، القاهرة.

حسن، سليم ١٩٩٢، **مصر القديمة**، ج ١، ٧، ٨، مطبوعات مكتبة الأسرة، القاهرة.

زناتي، محمود سلام ١٩٧١، **تاريخ القانون المصري**، القاهرة.

شورتر، آلن ١٩٥٦، **الحياة اليومية في مصر القديمة**، ترجمة، نجيب ميخائيل، مراجعة، محرم كمال، القاهرة.

صالح، عبد العزيز ١٩٨٨، **الأسرة المصرية في عصورها القديمة**، القاهرة.

صدقي، عبد الرحيم ١٩٨٦، **القانون الجنائي عند الفراعنة**، القاهرة.

عبد المتعال، زكى (بدون تاريخ)، "التراث القانوني لمصر القديمة "، **تراث مصر القديمة**، القاهرة.

فخري، أحمد ١٩٦٥، "الأدب المصري القديم "، **موسوعة تاريخ الحضارة المصرية**، ج ١، القاهرة، ص ٣٩٧.

لالويت، كلير ١٩٩٦، **نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة**، ج ١، ترجمة، ماهر جويجاتي، مراجعة، طاهر عبد الحكيم، القاهرة.

لبيب، باهور - وأبو طالب، صوفي حسن ١٩٧٢، **تشريع حورمحب**، القاهرة.

لبيب، باهور ١٩٤١، "من آثار التاريخ القانوني، مجموعات قوانين مصريه"، **مجلة القانون والاقتصاد**، العدد الخامس، السنة الحادية عشر، القاهرة.

لبيب، باهور ١٩٤٢، "القانون العقابي الفرعوني"، **مجلة**

القانون والاقتصاد، العدد الأول، السنه الثانية عشرة، ، ص ٣٧ - ١٤٧، جامعة القاهرة.

لبيب، باهور ١٩٤٧ "شيء من القانون الجنائي عند الفراعنة "، **لمحات من الدراسات المصرية القديمة**، القاهرة، ص ١٠٢.

مونتيه، بيير ١٩٦٥، **الحياة اليومية في مصر في عهد الرعامسه**، ترجمة، عزيز مرقس منصور، القاهرة.

مهران، محمد بيومي ١٩٨٤، **الحضارة المصرية**، ج ٥، الاسكندرية.

هورنوج، إريك ١٩٩٦، **وادي الملوك، أفق الأبدية العالم الآخر لدى قدماء المصريين**، ترجمة، محمد العزب موسى، مراجعة محمود ماهر طه، القاهرة.

هوسون، جونيفييف – وفاليل، دومنيك ١٩٩٥، **الدولة والمؤسسات في مصر من الفراعنة الأوائل إلى الأباطرة الرومان**، ترجمة، فؤاد الدهان، القاهرة.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

Allam, S., " La droit egyptien ", **ZAS**, 105 pp. 1 - 6.

Bedell, E. D. 1973. **Criminal Law in the Egyptian Ramesside Period**, Michigan, U.S.A.

Bluche 1975. **La Peine de mort dans L, Egypte**, Rev. Int., de de L, astique, t. 22, p. 144, note. 5 et p. 168.

Breasted, J. H. 1906. **Ancient Records of Egypt,** iii, Chicago.

Breasted, j. H. 1926. **Histoire de L, Egypte**, 2, Bruxelle.

Capart, J. 1899 - 1900. **Esquisse d une histoire du droit penal egyptien**, t. V, Bruxlles.

Dagallier, J. 1914. **Les institutions judiciaire de L, Egypte Ancienne**, Paris.

de Buck, A. 1937. " The Judicial papyrus of Turin", **JEA**, 23, pp. 152 - 164, London.

Du Boys 1845. **Histoire du droit criminal des peoples anciens depuis la formation des societes jusque**, paris.

Lorton, D. 1977. " Treatment of Criminals in Ancient Egypt", **JESHO**, 20, pp. 1- 64.

Mcdowell, A. G. 2001. "Crime and Punishment", **The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypte**, vol. 1: 315-320, Cairo.

Pastoret, De 1817. **Histoire de la Legistation**, v, 2, Paris.

Peet, T. E., 1930. **The Great Tomb Robberies in the Twentienth Egyptian Dynasty**, 2 vol., Oxford.

Pirenne, j. 1943. **Histoir des institutes et du droit prive de L, ancienne Egypte**, t. 2, Bruxelles.

Sedky, A. R. 1981 _ 82. **Aspects de la Criminalite egyptien compare**, t. 2, Paris.

Wilson, J., 1963. **The Culture of Ancient Egypt**, Chicago.

الآثار العثمانية في السودان

انتصار صغيرون الزين

ملخص: تتناول هذه الورقة تاريخ وآثار فترة مهمة من تاريخ السودان، هي فترة الوجود العثماني - وهي فترة من الفترات التي تجاهلتها المصادر التاريخية، عدا الشذرات القليلة. وتحاول هذه الورقة إبراز أهم آثار هذه الفترة، الموجودة في مناطق النفوذ العثماني التي شملت المنطقة من الشلال الثالث حتى الحدود المصرية شمالاً. إضافة لميناء سواكن على البحر الأحمر. وتشمل الدراسة الآثار والقلاع، والمنازل، والمساجد، والخلاوي والزوايا. كما تطرق البحث بإيجاز إلى آثار التركية الثانية بعد حملة محمد علي باشا الألباني للسودان ١٨٢١م، من دون الدخول في مقارنات بينها وبين آثار مملكة الفونج، التي شملت أجزاء كبيرة من السودان جنوبي الشلال الثالث، ولا مع الآثار العثمانية في بقية الإمبراطورية؛ لأن الهدف من البحث تعريف الباحثين في هذا المجال للالتفات لهذه الفترة، ووضعها في إطارها الصحيح داخل منظومة الآثار العثمانية، بصورة خاصة، والآثار الإسلامية، بصوره عامة.

Abstract. *This paper throws light on one of the most important but ignored periods of the history of the Sudan, the Ottoman period. The Ottomans' advances into the Sudan go back to 1523 when they annexed Suakin at the Red Sea. Then they marched south through the Nile Valley from the mid 16th century onwards; that march culminated in 1584 in the agreement with the Fung rulers by which the territory between the two powers was fixed at Hannek, 10 km south of the 3rd cataract region. The archaeological remains included fortresses, forts, houses, mosques, seclusions (khalwas) and corners (zawyas). The area was in the periphery of the great Ottoman Empire and its archaeological remains have to be approached with caution. The paper seeks to draw the attention of scholars of Ottoman archaeology in particular and Islamic archaeology in general to the wealth of this period.*

مدخل:

كان للسودان، القطر المترامي الأطراف، القاري مناخاً وسكاناً، ثقافات وحضارات موغلة في القدم، ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ القديم، وامتدت فروعها حتى العصور الوسيطة والحديثة. وقد كُشف - حتى الآن - عن بعض هذه الثقافات والحضارات، ولا تزال الأرض حبلى بالكثير من المواقع الأثرية، التي لم تكتشف بعد.

والملاحظ أن البحث الأثري في مجال العصور الوسيطة والحديثة، لا يتناسب مع ما خلفته هذه الفترات من آثار، إذ لا يزال معظمها شاخصاً منتظراً تقديم العون، قبل أن تختفي هذه الآثار تماماً، خاصة الآثار الإسلامية، التي تجاهلتها كل حملات إنقاذ النوبة تجاهلاً واضحاً. وقد استطاب هذا التجاهل مؤرخو هذه الفترة، إذ انحصر معظم عملهم على تاريخ دخول العرب السودان، وعلى قيام وسقوط ممالك الفونج والفور، فلا نجد بحوثاً تتناول الوجود العثماني في السودان قبل تركية عام ١٨٢١م، عدا بعض الشذرات القليلة هنا وهناك، التي تشير إلى وجود الأتراك شمالي الشلال الثالث، وفي سواكن، منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي، التي تتزامن مع قيام مملكة الفونج الإسلامية، التي حكمت معظم أرجاء السودان الحالي، عدا سواكن وشمالي الشلال الثالث وبعض أجزاء دارفور.

غير أن الصحوة التي بدأت في إعادة دراسة آثار الإمبراطورية العثمانية بصورة عامة، واكبها مجهود فردي للدكتور جون الكسندر، من جامعة كمبريدج، وذلك بدراسته

العدد الثامن جمادى الأولى ١٤٢٤هـ - يوليو (تموز) ٢٠٠٣م
(ص ص ٨٩- ١٠٢) ردمد ٨٩٤٧-١٣١٩

العميقة والمتأنية للوجود العثماني في السودان. ومن خلال هذه الدراسة اتضح لنا وجود ثلاث فترات للأتراك في السودان؛ وهي التركية الأولى ١٥٢٤-١٨٢١ (العثمانية)، والتركية الثانية ١٨٢٢-١٨٨٥ (حملة محمد علي باشا)، والتركية الثالثة ١٨٩٨-١٩١٦ (الحكم المصري - البريطاني).

١- مقدمة تاريخية:

سيطرت الإمبراطورية العثمانية على أجزاء كبيرة من شمالي أفريقيا، وذلك في الفترة من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر. ولعل اهتمامها بسلامة ولاية مصر، من جهة، وسياسة التحكم في الجزيرة العربية وشواطئ البحر الأحمر، من جهة أخرى، من أجل التجارة مع الهند، كانا من أقوى الأسباب التي أدت لتوغلها في السودان، عبر النيل وعلى شواطيء البحر الأحمر (Alexander 2000: 15).

بدا هذا التوغل في السودان منذ بداية القرن السادس عشر، أي قبل أكثر من ثلاثة قرون من الغزو التركي المصري للسودان عام ١٨٢١م، الذي يعده الكثيرون البداية الحقيقية لوجود الأتراك في السودان، وهو الرأي الذي أثبتت الدراسات الحديثه خطأه. فقد ثبت أن الوجود التركي كان واضحاً في الشلال الثالث، وخاصة جزيرة صاي، وكذلك شمال الشلال الثاني في منطقة قصر إبريم (الآن داخل النوبة المصرية)، إضافة إلى وجود الأتراك في سواكن على البحر الأحمر. وهكذا أصبح في الدراسات السودانية ما يعرف بـ "التركية الأولى"، وهي الفترة الممتدة منذ ١٥١٧-١٨٢١م؛ ثم "التركية الثانية"، وهي الفترة التي تلت حملة محمد علي باشا للسودان، والممتدة من: ١٨٢١-١٨٨٥م.

٢- مصادر الدراسة:

أقدم المصادر التي تحدثت عن هذا الموضوع ما كتبه الرحالة التركي أوليا شلبي، الذي يُعتقد أنه زار المنطقة في عام ١٦٧١م، في مجلده العاشر عن مصر والسودان (شلبي ١٩٣٨).

وكما ذُكر سابقاً فهنالك بعض الإشارات القليلة العابرة عن الوجود التركي الأول في شمال السودان، التي ذكرها بعض المؤرخين، أمثال: نعوم شقير (١٩٠٣)، ومكي شبيكة (١٩٩١)، وهي في مجملها إشارات قليلة. غير أن الوضع تغير بعد إكمال العمل الأثرى بموقع قصر إبريم وبعد بدء العمل الأثرى بموقع جزيرة صاي. فقد كُشف في قصر إبريم عن مجموعة كبيرة من الوثائق، التي تعود لتلك الفترة. كما نشرت أكثر من ٢٠٠ مخطوطة بالتركية والعربية، إضافة للأرشيف العثماني بالقاهرة واسطنبول (Soghayroun 2000-101).

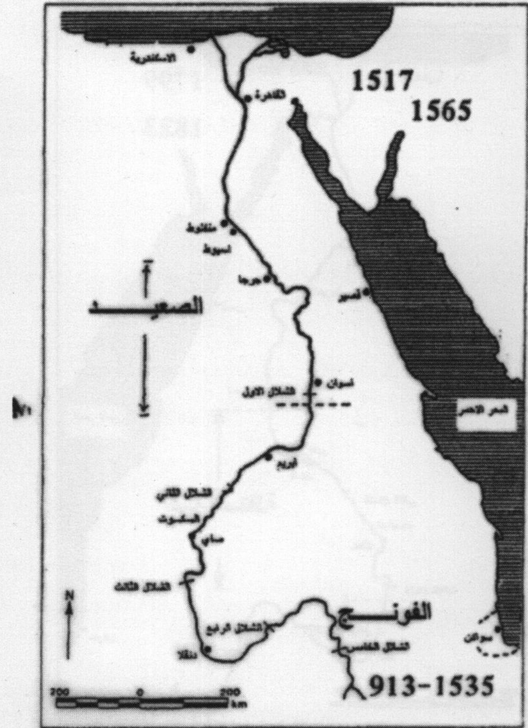
شرحت هذه الوثائق الكثير عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية والتاريخية، كما استُقي منها الكثير من المعلومات، مثل تلك الخاصة بالقضاء مثلاً، وكيفية دفع أجور عساكر الحاميات. كما أوضحت هذه الوثائق التدهور الواضح في استخدام اللغتين العربية والتركية، في وثائق القرنين ١٧-١٨م، ما يجعلنا نفترض أن النوبية أصبحت هي اللغة السائدة. كما لوحظ من الوثائق أن سكان قلعتي إبريم وصاي، في نهاية القرن ١٩م، صاروا يفخرون بأنهم "أتراك عثمانيون"، كتمييز لهم عن النوبيين والعرب. كما ادعى بعضهم الأصل البوسني (Bosnian)، مثلما ادعى آخرون الأصل المجري (Hungarian) في منطقة وادي حلفا، وهي ادعاءات دعّمت بالأدلة والوثائق من قصر إبريم (Alexander 2000: 52).

٣- التركية الأولى (١٥١٧-١٨٢٠) م:

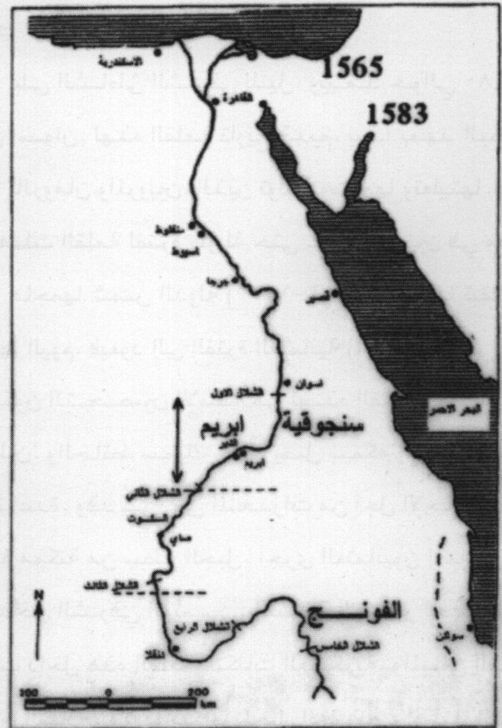
٣-١ التركية الأولى في وادي النيل:

طوّرت الإدارة التركية طريقتها في التحكم الحدودي في وادي النيل. فقد كانت مشكلتها الأساسية كيف تحمي ولاية مصر من الهجوم القادم من الجنوب. ومن خلال الأدلة الأثرية والوثائق ميّز الكسندر خمس مراحل، حدث فيها تغيير لسياسة الحدود بين الأعوام ١٥١٦-١٨٢٣م (Alexander 1996).

المرحلة الأولى (١٥١٧-١٥٦٠) م: وهي المرحلة التي أصبحت فيها مصر إحدى مقاطعات الإمبراطورية العثمانية، تسمى (إيالات). أصبحت المنطقة ما بين أسيوط وأسوان، وهي منطقة الصعيد، منطقة حدودية تسمى: "سنجوقية" (Sanjak) أي محافظة. وفي هذه الفترة وصل نفوذ الفونج دنقلا، ومنها، وعبر وكلائهم، وصل حتى الشلالين الأول والثاني، ما حدا



خريطة رقم (١)
الحدود العثمانية ١٥١٧-١٥٦٥
(عن: الكسندر ١٩٩٦)



خريطة رقم (٢)
الحدود العثمانية: ١٥٦٥-١٥٨٣. سنجوقية ابريم الجديدة (عن: الكسندر ١٩٩٦)

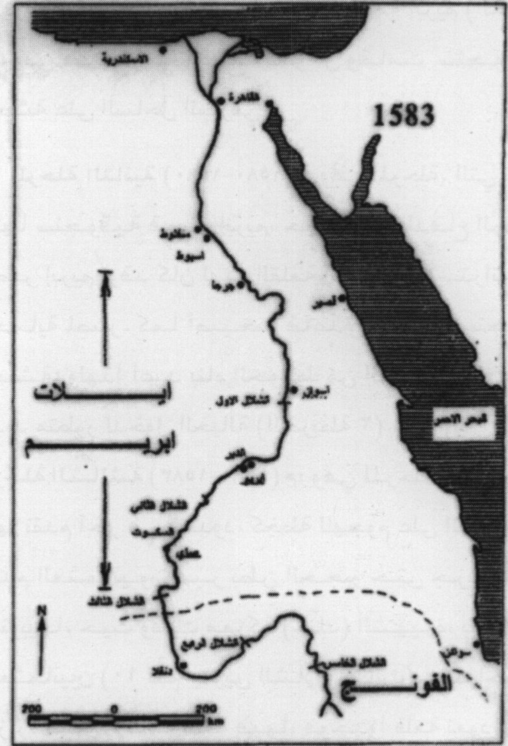
بالأتراك بناء برج مراقبة عام ١٥٥٠م بقلعة إبريم (الخريطة ١). وفي هذه المرحلة احتُلت سواكن وقامت "سنجوقية" الحبشة على الساحل الشرقي.

المرحلة الثانية (١٥٦٠-١٥٨٠)م: وهي المرحلة، التي تكونت فيها سنجوقية قصر إبريم، حيث وضع الدفاع الرئيسي بقصر إبريم، وقد كان لهذه القلعة أهميتها الإستراتيجية، كحماية لمصر. كما أصبحت قاعدة لسواكن وسنجوقية الحبشة؛ ولهذا أعيد بناء الحوائط من الحجر، وبناء مدخل جديد متطور لدخول الخيالة (الخريطة ٢).

المرحلة الثالثة (١٥٨٣-١٥٨٦) م: وهي المرحلة، التي حدث فيها تقدم آخر في الحدود، كخطة للهجوم على الفونج. فقد تقدم العثمانيون عبر بطن الحجر حتى جزيرة صاي وجنوبيها، حيث وقعت معركة (حنّك) الشهيرة، بين الفونج والعثمانيين (١٠ كلم جنوبي الشلال الثالث). وقد اختيرت جزيرة صاي لإقامة قلعة فيها، فوجدوا قلعة تعود للفترة المسيحية المتأخرة، تحطمت جدرانها الشمالية بينما بقيت الجدران الأخرى حتى بداية القرن التاسع عشر. أعاد الأتراك بناء الحائط الشمالي، وشيدت سنجوقية جديدة، لتغطي منطقة الشلالين الثاني والثالث (سنجوقية المحس)، إضافة لسنجوقيتي إبريم والصعيد. وقد قصد من ذلك الحصول على موارد السودان، من ذهب وعاج وأبنوس وقطن وصمغ ورقيق. وقد ألغيت سنجوقية المحس بعد عام واحد من إنشائها. ومن أهم أحداث هذه المرحلة السماح للجنود بالزواج وممارسة أعمال إضافية، مثل الزراعة (الخريطة ٣).

المرحلة الرابعة (١٥٨٦-١٧٨٦) م: في هذه المرحلة استمرت قلعة صاي قلعة رئيسية، بها حامية منتظمة. وقد اتضح من الوثائق أن دور القلعتين (ابريم وصاي)، بدأ في التحول تدريجياً من دور عسكري إلى دور إداري، بغرض جمع الضرائب. وقد سُمح للجنود بالسكن داخل القلعة في إبريم حيث بنيت منازل سكنية من الحجارة، المعاد إستخدامها من المباني السابقة.

وقد بنيت المنازل على الطراز الإسلامي، وطليت باللون الأبيض، وكانت ذات أسقف مسطحة. كما شيدت مبانٍ



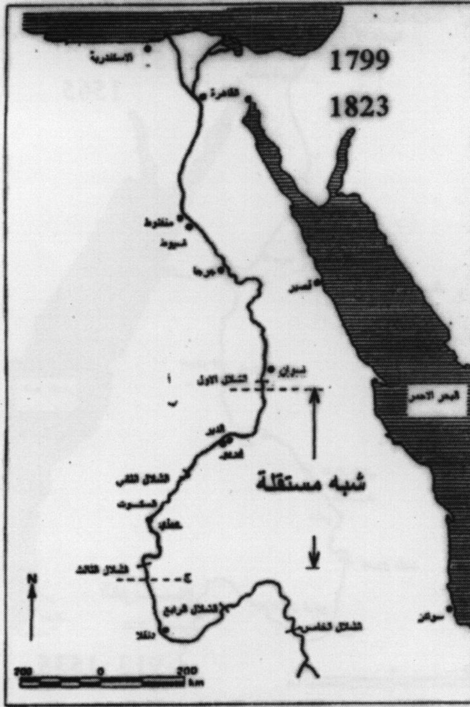
خريطة رقم (٣)
ايالات ابريم : ١٥٨٦
(عن: الكسندر ١٩٩٦)

عسكرية وإدارية ومسجد ومخازن وغرف للحراس. وبنهاية هذه المرحلة، أصبحت قلعة إبريم قرية محصنة، يسكنها ما بين ٥٠-٧٠ أسرة، وظهر في هذه الفترة اسم "الكشاف" بكثرة.

المرحلة الخامسة (١٧٨٦-١٨٢٣) م: شهدت هذه المرحلة إعادة التنظيم الأخير للحدود الجنوبية. فقد أصبحت سنجوقية الصعيد تمتد حتى الشلال الأول جنوباً. أما المنطقة بين الشلالين الأول والثالث، فقد أصبحت تحت أمراء الهوارة (الخريطة ٤). وأوضحت الوثائق أن مرتبات الجنود في قلعتي إبريم وصاي، ظلت تصل إليهم حتى عام ١٧٩٦ . كما أوضحت الصور الجوية من قلعة صاي، سلسلة من المباني ذات الأسقف المسطحة، التي تركزت في الجانب الشرقي والجنوب الغربي، كما وجدت المباني ذات الطابقين والثلاثة طوابق.

٣-١-١ قلعة ابريم:

تقع هذه القلعة على جبل صخري معزول، يرتفع ٧٠

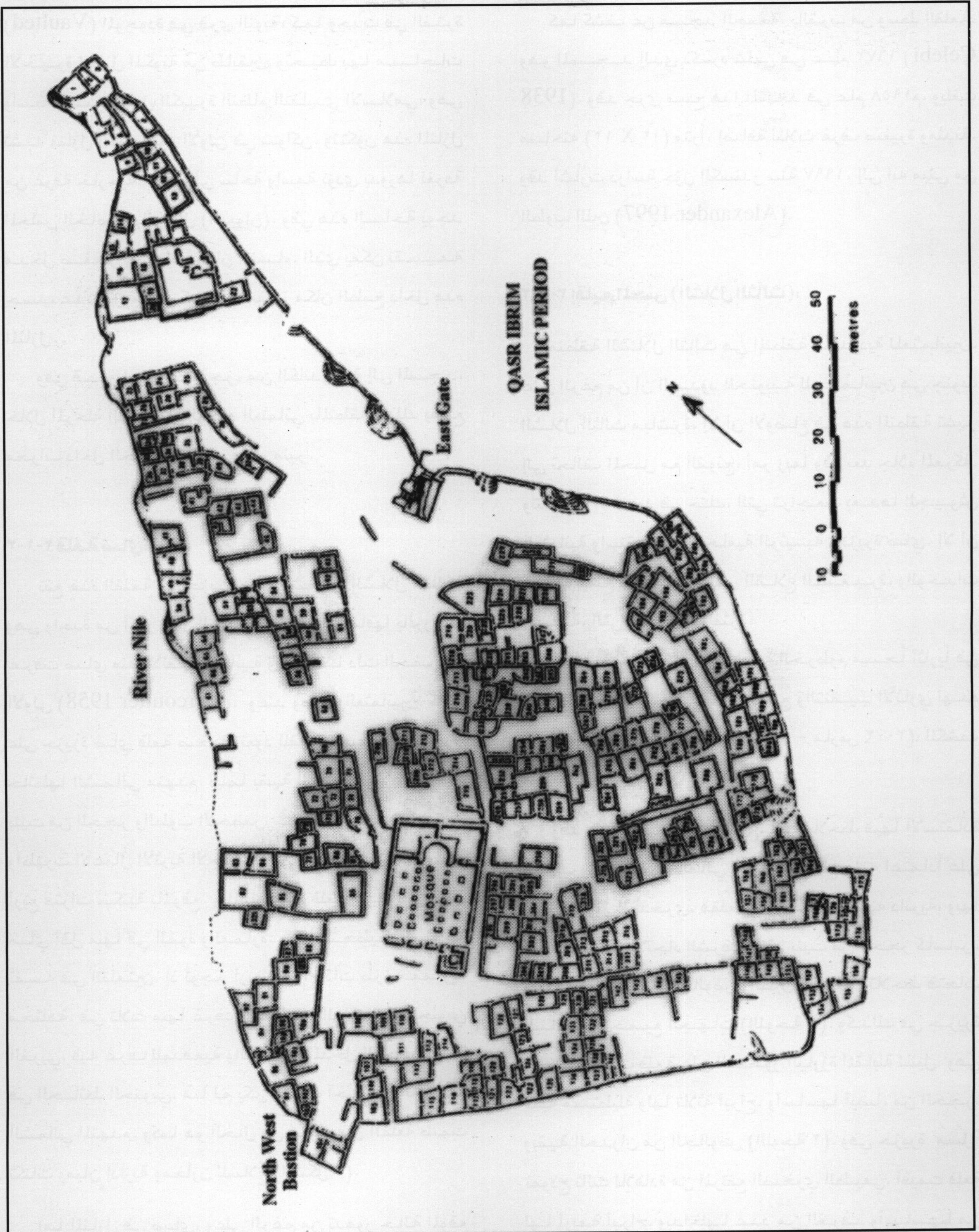


خريطة رقم (٤)
(أ) الفرنسيين (١٧٩٩-١٨٠٢) و (ب ، ج) الحدود العثمانية (١٨٠٢-٢٣).
(عن: الكسندر ١٩٩٦)

متراً على الشاطئ الشرقي للنيل، ويبعد حوالي ١٨٠ كلم جنوبي أسوان. لهذه القلعة تاريخ قديم، يبدأ بعهد البطالمة، مروراً بالرومان والمرويين، الذين تولوا توسيعها وتعليتها. وبعد ذلك أهملت القلعة لفترة طويلة حتى عهد الأيوبيين في مصر، عندما هاجمها شمس الدولة (١١٧٢-١١٧٣)م. أما ما تبقى من جدرانها اليوم، فيعود إلى الفترة العثمانية (الشكل ١).

يتكون التحصين الإسلامي لهذه القلعة من حائط ومدخلين. والحائط سميك جداً، يصل سمكه إلى ثلاثة أمتار في القاعدة. وقد بُني على المنحدرات من أجل الإحاطة بأكبر مساحة ممكنة من سطح الجبل. أجرى العثمانيون إضافة مهمة هي المدخل الشرقي الرئيسي، إضافة إلى ممر لجلب المياه. وأقيمت داخل هذه القلعة الثكنات العسكرية، والمباني العامة، ومخازن السلاح. ولا يوجد أثر لمحال الحرفيين، أو نُزل التجار.

أما المنازل السكنية، فكانت القاعدة العامة أن تتكون من طابق واحد، بسقف مسطح، خلافاً للأسطح المقنطرة



الشكل ١: مسقط أفقي لقلعة إبريم (نقلاً عن: Alexander 2000).

(Vaulted) الموجودة في قرى النوبة. كما وجدت في الفترة الأخيرة المنازل المكوَّنة من طابقين، وتحيط بها مساحات واسعة. وتتبع المنازل الكبيرة النظام التقليدي الإسلامي، وهي تشبه منازل العثمانيين الأولى في سواكن. وتتكون هذه المنازل من غرفة خارجية، تؤدي إلى ساحة واسعة تؤدي بدورها لغرفة المجلس الخاصة بالرجال (الديوان). وفي هذه الساحة يوجد مدخل صغير يؤدي إلى مكان النساء، الذي يمكن تقسيمه حسب عدد الزوجات. كما تم تمييز مكان الطبخ داخل هذه المنازل.

وفي قصر إبريم حوّل جزء من الكاتدرائية إلى المسجد، خلال المرحلة الثانية من الوجود العثماني بالمنطقة، وذلك بقطع محراب داخل الحائط الشرقي وبناء منبر.

٣-١-٢ قلعة صاي:

تقع هذه القلعة في جزيرة صاي، شمالي الشلال الثالث، وهي واحدة من أكبر جزر النيل، التي تسمح ضفافها بالزراعة. عرفت صاي منذ الألفية الثانية ق. م، كما دلت الحفريات الأولى (Vercoutter 1958). وعند وصول العثمانيين، كانت على جزيرة صاي قلعة ضخمة، تعود للفترة المسيحية المتأخرة، حائطها الشمالي متهدم، بينما بقية الجدران والأبراج، التي بنيت من الحجر والطوب الأخضر، شامخة لارتفاع ١٢ متراً. وأظهرت الأعمال الأثرية الأخيرة (Alexander 1997) وجود أربع فترات سكنية بالموقع. وبالمقارنة مع قلعة إبريم، فان قلعة صاي أقل منها في القوة والعمارة؛ ولكن التخطيط العام هو نفسه في القلعتين، إذ توجد أربعة أبراج ذات طُرز معمارية مختلفة، في ثلاث منها غرف. أما البرج الرابع وهو الجنوبي الغربي، فيه غرف للمدفعية والبنادق. والمدخل الوحيد للقلعة في الحائط الجنوبي، ما لم يكن هنالك آخر في الحائط الشمالي المتهدم. وكما هو الحال في إبريم، فان القلعة ضمت ثكنات ومبانٍ إدارية ومخازن للسلاح (الشكل ٢).

أما المنازل في صاي، وعلى الرغم من تدهور حالة الموقع الأثري فيمكن تمييز تسعة منازل كبيرة من الطراز الإسلامي التقليدي، ذات المشربيات التي أوضحتها رسومات "بلفوندز".

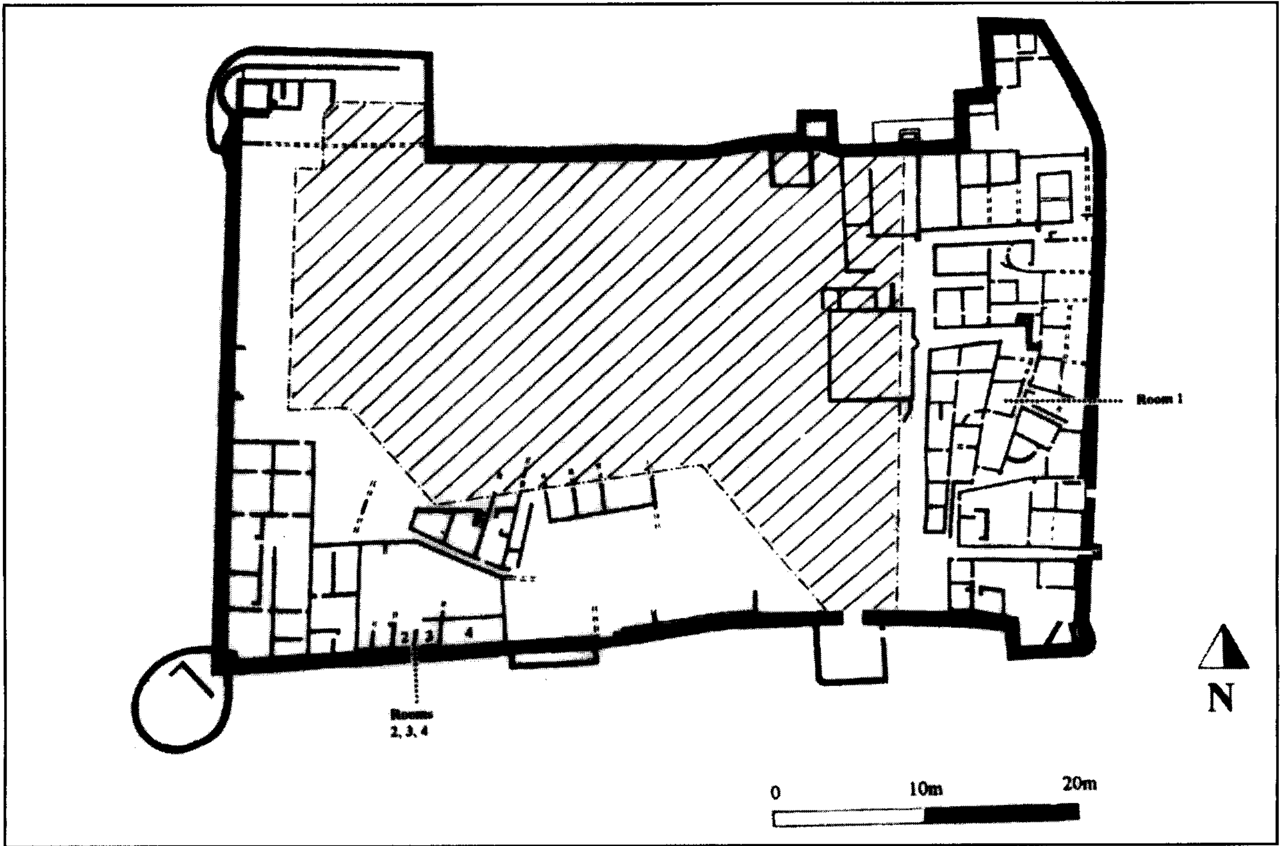
كما كُشف عن مسجد الجمعة، بالقرب من وسط القلعة، وهو المسجد الذي ذكره شلبي في عام ١٦٧٢ (Çelebi 1938). وقد جرى مسح هذا المسجد في عام ١٩٥٨م، وبلغت مساحته (١٢ X ١٢) متراً، إضافة لثلاث غرف صغيرة ومئذنة، وقد أشارت دراسة جون الكسندر سنة ١٩٩٧، إلى انه مبني من الطوب اللبن (Alexander 1997).

٣-١-٣ إقليم المحس (الشلال الثالث):

منطقة الشلال الثالث هي المنطقة الحدودية للعثمانيين. على الرغم من أن الحدود الجنوبية للعثمانيين هي جنوب الشلال الثالث مباشرة، إلا أن الأوضاع في هذه المنطقة تشير إلى تحالف المحس مع الفونج، أمر ربما وقع بعد جلاء المعركة، وتثبيت الحدود في حنّك، التي تراجعت بعدها الجيوش العثمانية واستقرت في الحامية الرئيسية بجزيرة صاي. إلا أن هذا لم يمنع من وجود بعض القلاع الصغيرة، والوحدات السكنية، التي تعود لهذه الفترة.

أجرى قسم الآثار في جامعة الخرطوم مسحاً آثارياً في هذه المنطقة، ضمن برنامج المسح والتنقيب الآثاري لهذه المنطقة في موسمه الأخير (فبراير - مارس ٢٠٠٢)، للكشف عن بعض هذه المواقع.

وقد وجد العديد من القلاع، التي يلاحظ فيها الاستفادة من البروز الصخري العالي، وإقامة القلاع عليه اعتماداً على شكل البروز الصخري، فقلعة موقع "دوني" شبه دائرية، وبها برج واحد في الاتجاه الشرقي، وقد بنيت من الحجر كأساس، وبقية الحوائط من الجالوص (الطين النيئ) ، وتلاحظ فتحات البنادق في جميع الجهات (اللوحة ١). وكذلك في جزيرة "سِمت"، قامت قلعة على الصخور البارزة المقابلة للنيل، وهي شبه مستطيلة ولها ثلاثة أبراج، وأساسها أيضاً، من الحجر، وبقية الجدران من الجالوص (اللوحة ٢). وفي جزيرة "مُسُل" نموذج ثالث للإفادة من المرتفع الصخري الطبيعي، أقيمت قلعة لها أربعة أبراج، وبداخلها عدد من الغرف، وأساسها من الحجر، وبقية الجدران من الطوب الأخضر والطوب المحروق (اللوحة ٣)، كما يلاحظ وجود فتحات للبنادق.



الشكل ٢: مسقط أفقي - قلعة صاي (نقلاً عن: Alexander 2000)

وفي منطقة "نوري"، وجد مجمع سكني ضخم شمال جبل نوري، حائطه الجنوبي جزء من تحصينات العصور الوسيطة، ويتكون من أربع وحدات سكنية، أكبرها الشرقية (الشكل ٣)، التي نجد أن مدخلها من الناحية الشرقية، يؤدي لغرفة بها مصاطب للجلوس، وفيها مدخل إلى فناء داخلي تفتح فيه بعض الغرف. كما يوجد درج يقود للطابق الأعلى في الجزء الجنوبي الغربي (لوحة ٤). وداخل هذه الغرف نجد الرفوف الحائطية والتجاويف ثلاثية الفصوص. كما تلاحَظ بقايا الأبواب الخشبية المعروفة من قصر إبريم وسواكن حتى وسط السودان.

٣-١-٤ الأسلحة:

كانت الإمبراطورية العثمانية رائدة في مجال استخدام السلاح الناري، وكانت لديها وحدات من المشاة، الذين يستخدمون القرنيبه (سلاح ناري من طراز قديم) والمدافع.

ومع بداية القرن السابع عشر، أصبح استخدام البنادق والبارود شائعاً، إذ عثر على بقايا البنادق والطلقات في حفريات إبريم وصاي. كما عُثر في إبريم على مدفع بعيد المدى، تحت إحدى البنايات. كما توجد أيضاً إشارة لمدفع نحاسي في قلعة صاي، منقوش عليه اسم (سليم)، وقد جرى صهره خلال التركية الثانية (Bellefonds 1824)، كما أشار شلبي إلى استخدام البنادق في مملكة المحس (Çelebi 1938).

أما الأسلحة البيضاء، فقد عثر في قصر إبريم على بقايا السيوف المعقوفة، التي استخدمها سلاح الفرسان؛ ولكن لم يُعثر على بقايا دروع (Adams 1992).

٣-٢ التركية الأولى في شاطئ البحر الأحمر (سواكن):

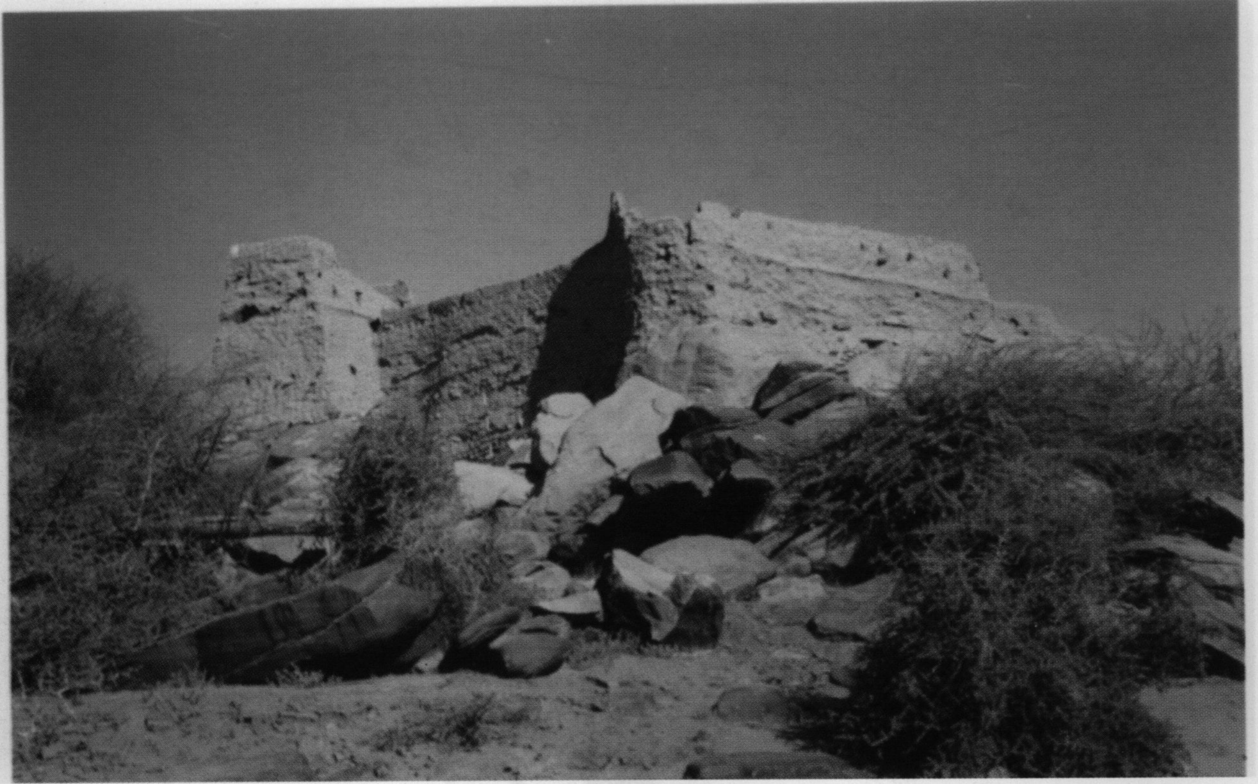
تعدُّ سواكن مثالاً لمدينة تركية بنيت بين القنون، التي



اللوحة ١: قلعة دوني (نقلاً عن: Soghayroun 2002)



اللوحة ٢: قلعة جزيرة سمت (نقلاً عن: Soghayroun 2002)



اللوحة ٣: قلعة جزيرة مُسل (نقلاً عن: Soghayroun 2002)

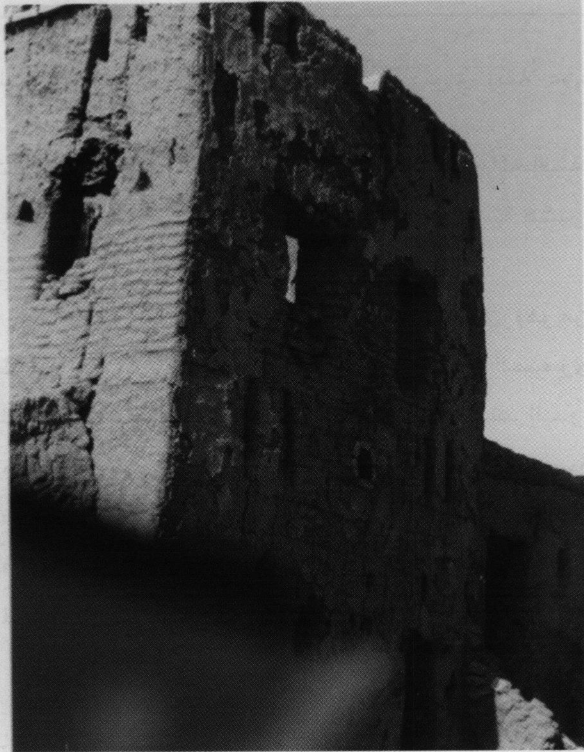
أصبحت المصدر الرئيسي لدراسة فنون سواكن وعمارتها (Greenlaw 1976).

وكما هو معلوم، فان المناخ الساحلي يتطلب نوعاً من البناء، يختلف عن متطلبات الصحراء، وهو البناء الذي يجذب هواء البحر، ويجعله يدور بحرية داخل المنزل، مع إخراج الهواء الساخن وإبعاد ضوء الشمس. وقد تطور طراز البناء في ساحل البحر الأحمر ليقابل هذه الاحتياجات. فنجد المنازل تتكون من طابقين أو ثلاثة، تقطعها المشربيات، كما نجد النوافذ المفرعة والأسطح المجهزة للنوم.

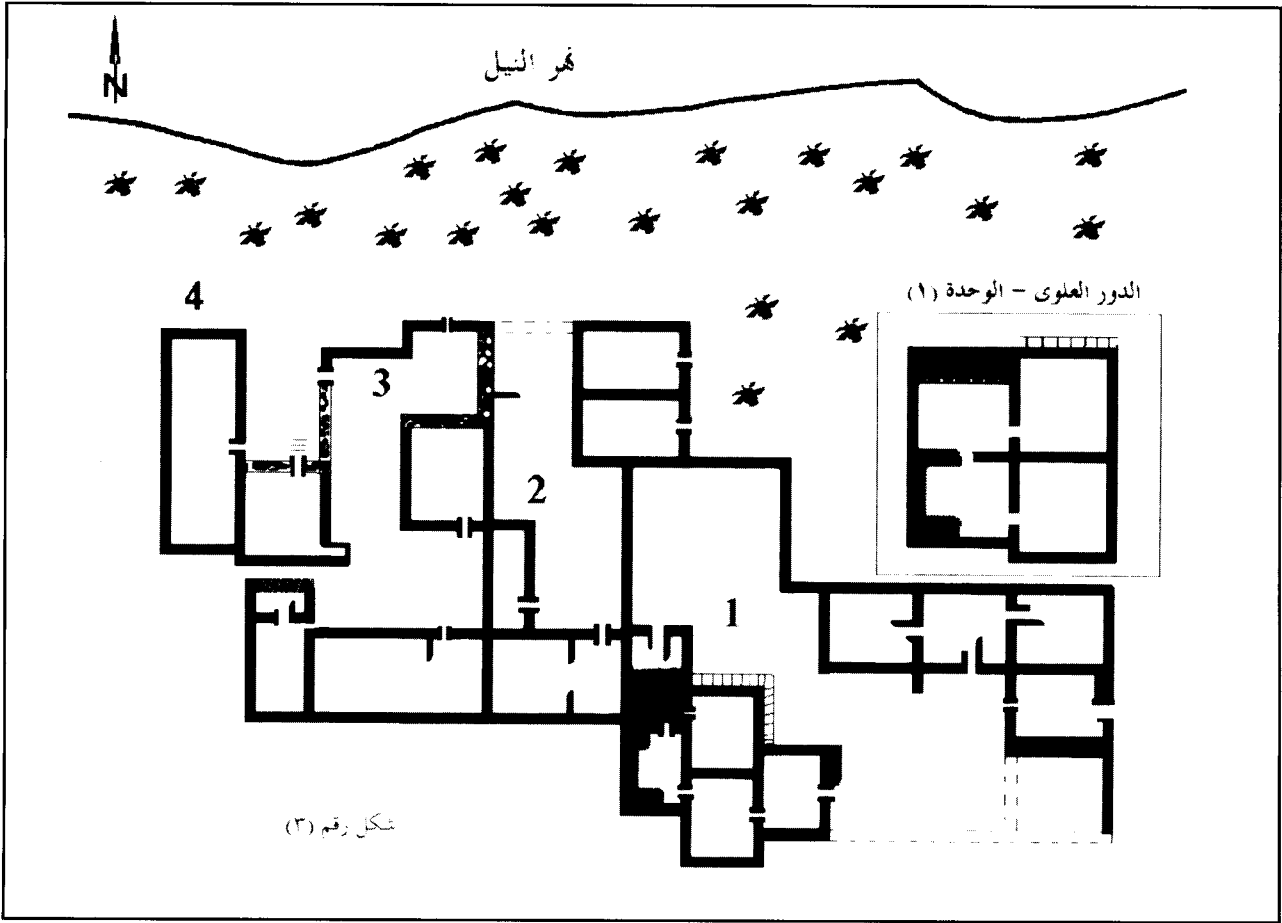
لم تُخطط سواكن، فقد نمت مثل معظم المدن القديمة، مدينة ذات شوارع ضيقة، ومنافذ صغيرة بين بلكونات المنازل. وتحيط بها تحصينات كتشنر، التي أقامها عام ١٨٩٠، ذات المدخل الحصين.

٣-٢-١ المنازل:

بُنيت المنازل الأولى، عدا منزل خورشيد، في الجزء الجنوبي من الجزيرة وقليل منها بُني في الجزء الشمالي، ومعها بعض المساجد، مثل الحنفي والشافعي، وهو الجزء نفسه، الذي



اللوحة ٤: البرج - الوحده السكنية _ نورى (نقلاً عن: So-ghayroun 2002).



الشكل ٣: مسقط أفقي – الوحدة السكنية – نوري (نقلاً عن: Soghayroun 2002)

شهد مباني نهاية القرن التاسع عشر، التي تضم المحافظة، والجمارك، والتلغراف، والبنك الأهلي المصري، ورئاسة كتشنر، وغيرها.

قسّم "قرينلو" المنازل إلى نوعين: النوع التقليدي، وهو من طابق واحد، ويتكون من غرفتين أو ثلاث غرف، الصغرى للعائلة والثانية للضيوف وهو يشبه نظام الخيمة عند البدو. ويوجد بداخل هذا النوع من المنازل، مميزات المنازل الكبيرة نفسها، مثل: الرفوف داخل تجويف الجدران، والمنظمة في ثلاثة أدوار باستخدام فواصل خشبية؛ كذلك زخارف أعلى المداخل والنوافذ الخشبية المفرّغة (الشكل ٤).

أما النوع الثاني، فهو الذي يتكون من طابقين فأكثر، ويحتوي على غرفة استقبال كبيرة، تجاورها غرفة صغيرة وحمام. وعندما تكون الغرفة في المدخل، فإنها تسمى "الدهليز" ويوجد في نهايته الديوان. ويتكون الديوان من جزئين، يرتفع الجزء الثاني منهما عن الأول بدرجين أو ثلاثة، ويحتوى على مصاطب للجلوس بارتفاع ٥ سم من الأرض إضافة للمشربية. أما الطابق الأول، وما بعده من طوابق، فهي أكبر حجماً وتحتوى على (الحرملك)، وهو للعائلة، ويتكون، عادة، من عدد من الأجنحة أو غرف للجلوس، تسمى المجلس. ويحتوي كل جناح على غرف صغيرة تسمى "الخزانة"، ومطبخ مستقل وحمام. وتتصل الطوابق العليا للمنازل –عادة– مع بعضها لتسهُل عملية خروج النساء دون اللجوء للشارع. وكما هو الحال في منازل إبريم وصاي، يوجد مدخلان للمنزل: مدخل للنساء والآخر للرجال.

من الملامح المهمة في منازل سواكن، "الروشان"، كما يعرف في سواكن وجدة، وهو "المشربية"، كما هو معروف في مصر،

و"الشناشيل" في العراق. ويطل الروشان يطل على الشارع، ويصنع من خشب التيك المستورد من جاوة، ويسمى "جاوى"، ويشحن من شرق الأنديز. ويمكن تتبع الروشان حتى الهند شرقاً، وليما في بيرو غرباً. وهو ظاهرة معروفة في جنوبي أسبانيا ومالطة ومصوع والصومال. إن حجم الروشان له علاقة بطول الإنسان، فهو عريض لينام فيه الشخص ومرتفع ليقف عليه ويطلع على الشارع بنحو ٦٠ سم؛ فإذا أضفنا هذا لسمك الحائط، يصبح الروشان أعمق وأعرض ما يسمح بجلوس اثنين أو ثلاثة لشرب القهوة. وتسمى أرضيته "الجلسة" ويضاء بمصباح كهربائي ينزل من السقف. وتتنوع الرواشين في زخرفتها وحجمها، وقوام الزخرفة أشكالا هندسية.

٣-٢-٢ المساجد :

توجد العديد من المساجد التركية في سواكن، التي من أقدمها المسجد المجيدي، ويتكون من رواق القبلة بمحرابه ومنبره ودكّة المبلّغ. وللمسجد ثلاثة مداخل، وملحقة به خلوة ومئذنة في الجانب الجنوبي الغربي. وهي مئذنة مبنية من الحجر، مثمّنة بها مقرنص، وبنيت شرفتها من الحجر خلافاً لبقية المآذن في سواكن، التي شرفاتها خشبية. يلي الشرفة جزء أسطواني تعلوه قبة صغيرة. كما يوجد أيضاً المسجد الحنفي، وهو في عمارته أفضل من المجيدي، ولكن في الحجم نفسه. ويتميز المسجد الحنفي بكثرة الزخارف على المحراب والمنبر، وله مئذنة. كذلك يوجد المسجد الشافعي، وهو أكبر من الحنفي والمجيدي وأكثر زخرفة، وله أربعة أروقة، وملحق به خلوة في الناحية الشمالية الغربية، ومئذنة في الجانب الجنوبي الغربي، وله ثلاثة مداخل. وهناك أيضاً عدد آخر من المساجد في سواكن.

أما الزوايا فهي على نوعين، النوع البسيط المكشوف في شكل مربع أو مستدير، له حائط قصير واتجاه القبلة ومدخل واحد من جهة الغرب. يتفرع من هذا النوع البسيط، نوع يتكون من أكثر من مساحة: جزء مفتوح، وجزء مظلل ومفتوح الجوانب، وجزء مسقوف. أما النوع الثاني، فهو ذو السقف المقبب، مثل زاوية موسى وزاوية المجذوبي.

وفيما يتعلق بالعمارة العسكرية، فهي في شكل تحصينات وبوابات رئيسية يعود معظمها للعهد الثنائي المصري البريطاني.

٤- آثار التركية الثانية:

من أهم آثار فترة التركية الثانية (١٨٢١-١٨٨١) م، قباب الأتراك في الخرطوم. تقع هذه المقابر في شرقي شارع القصر وشمالي شارع البلدية، وتتكون من قبتين: قبة أحمد باشا جركس المعروف بـ (أبو ودان)، الذي توفي عام ١٨٤٤م، وهي القبة الشرقية؛ أما القبة الغربية، فيرقد فيها موسى باشا حمدي، المتوفى عام ١٨٦٥م، وتضم أيضاً رفاة أحد أفراد عائلته.

أما في صحن المقبرة، فيوجد مدفن محمد ممتاز باشا، الذي حكم بين (١٨٧١- ١٨٧٣) م، وكذلك يضم هذا الفناء آدم باشا العريفي، وهو سوداني من ضباط الجيش المصري، والماظ باشا (سوداني) ، وإبراهيم بك مرزوق، وهو كاتب مصري، وآخرين.

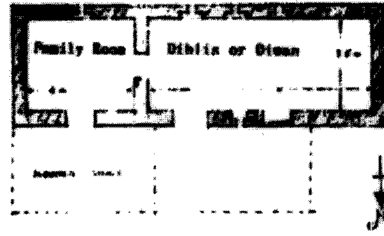
وإضافة إلى مقابر المسؤولين الأتراك، كانت هذه المقابر عامة وتعرف بمقابر الخرطوم، وتمتد غرباً حتى الجامع الكبير، الذي يعرف باسم (جامع عباس). وقد كان هذا الموقع على بعدٍ كافٍ من المباني الحكومية والسكنية في ذلك الوقت، كما أن اختيار الموقع كان بغرض أن يستطيع الناس رؤية هذه القباب، فيدركون أن الحكم التركي باقٍ.

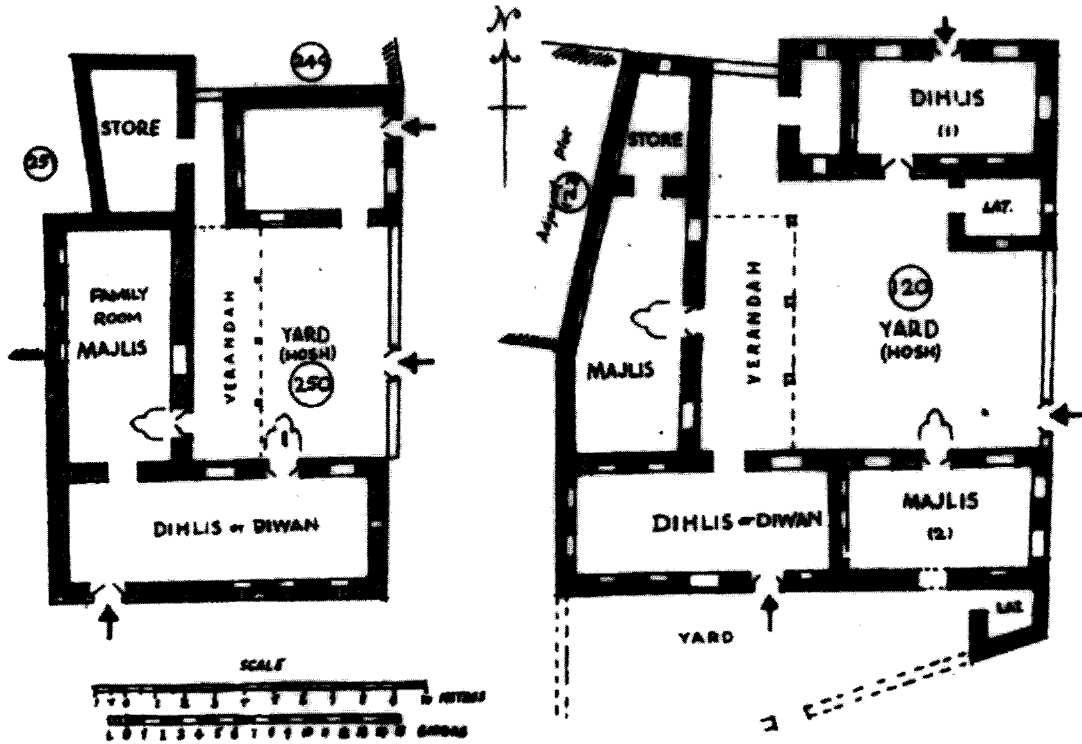
ومن المعلوم أن نظام الدفن تحت القباب كان معروفاً في السودان، ولكن يدفن الشيوخ فقط تحتها، وليس الحكام.

ولم تكن هذه القباب هي كل ما شُيّد في تلك الفترة، ولكن معظم العمائر طالتها يد التغيير، مثل قصر الحكمدارية (وزارة المالية الآن)، وسراي الحاكم (القصر الجمهوري)، وغيرها من دواوين الحكومة.

٥- خاتمة :

وهكذا بدأت في السودان دراسات جديدة حول الوجود العثماني، أو التركية الأولى (١٥١٧-١٨٢٠) م، ولكنها دراسات لا





الشكل ٤: مسقط أفقي للمنازل في سواكن – النوع الأول. (نقلاً عن: Greenlaw 1976).

تزال تخطو خطواتها الأولى. فعلى وادي النيل، اكتمل العمل الأثري في موقع قصر إبريم، كما شارف على الانتهاء في موقع جزيرة صاي، التي ستصدر عنها كتب خلال الفترة القليلة القادمة، وهي، بصورة عامة، تتحدث عن القلاع الرئيسية، ويبقى البحث والتنقيب داخل المراجع والأرشيف العثماني وداخل المواقع الكثيرة المنتشرة شمالي السودان، وذلك من أجل فهم الوضع الاجتماعي والسياسي، الذي نجم عن وجود الجنود من مختلف أنحاء الإمبراطورية، في منطقة النوبة، خاصة بعد السماح لهم بالزواج والاستقرار. وقد تلاحظ أن تلك الفترة تزامنت مع هجرة شيوخ الطرق الصوفية جنوباً وهي الهجرة التي ربما كانت بسبب الوجود العثماني السني في هذه المنطقة. كما وجدت العديد من المنازل المحصنة، التي عُثر على كتابات بالتركية على عتبات مداخلها، وهي قد تفيد في دراسة الأوضاع الاجتماعية.

كذلك يجب الاهتمام بدراسة منطقة الشلال الثالث، التي تمثل معضلة في حد ذاتها بحسبانها منطقة حدودية. وتشير المخطوطات إلى وجود الحكام المحليين جنباً لجنب مع الاداريين

العثمانيين، كما تشير إلى تحالف ملوك المحس مع ملوك الفونج.

أضف إلى ذلك المشكلة المتوارثة، منذ تطور علم الاثار الاسلامية فى نهاية القرن التاسع عشر، ألا وهى دراسة أثر الصفوة من قصور و مساجد ضخمة، و قطع فنية رائعة، نفتقدها في الدول الإسلامية جنوبي الصحراء.

وبصورة عامة، فإن هذه المنطقة تعد على أطراف أو هامش الامبراطورية العثمانية. وقد كانت، ولأزمان طويلة، منطقة حدودية تتقدم وتتراجع خلال التاريخ القديم للسودان؛ أما الجزء منها، الذي سادت فيه مملكة الفونج الإسلامية، فلم يكن فى يوم من الأيام جزءاً من الخلافة الأسلامية. وهكذا فإن دراسة هذه المنطقة، كجزء من الامبراطورية العثمانية، يجب أن تلتمس بحذر كمنطقة هامشية، كما يجب مقارنتها بالدول الأخرى، التي كانت يوماً من الأيام على هامش تلك الأمبراطورية العظيمة.

إن هذه الدراسات لا تزال في بدايتها، وقد بدأ قسم الآثار بجامعة الخرطوم في تشجيع طلاب الدراسات العليا وتوجيههم نحو هذا النوع من الدراسات، باعتبارها جديدة، وجديرة بالبحث والدراسة، وفيها الكثير، الذي يمكن اكتشافه وإضافته لفهم جزئية من المجتمع السوداني، في فترة ما بعد العصور الوسيطة.

د. انتصار صغيرون الزين: قسم الآثار - كلية الآداب - جامعة الخرطوم - السودان.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

مكي شبيكة ١٩٩١ . **السودان عبر القرون**، دار الجيل، بيروت، لبنان.

نعوم شقير ١٩٠٣ . **جغرافية وتاريخ السودان**، دار الثقافة، بيروت.

ثانياً: المراجع غير العربية:

Adams, N. K 1992. "Life in Ottoman Times at Qasr Ibrim", **Etudes Nubiennes,** Vol. I. Geneve.

Adams, W. Y 1987. "Islamic Archaeology in Nubia: An Introductory Survey", **Tomas Hagg**, PP: 327-361. Uppsala.

-------------- 1996. **Qasr Ibrim: the Late Medieval Period. Egyptian Exploration Society**. London.

Alexander, J. A 1996. "The Turks on the Middle Nile". **Archéologie du Nil Moyen**. Vol. 7. Lille.

-------------- 1997. "Qalat Sai: The Most Southerly Ottoman Fortress in Africa. Sudan and Nubia", **SARS**. No. 1. PP: 16-19. London.

-------------- 2000. "The Archaeology and History of The Ottoman Frontier in the Middle Nile Valley 911-1233 AH/1504-1820 AD", **Adumatu**. Vol.1. PP: 47-61. Riyadh.

-------------- & Schlee, N forthcoming The Ottoman Fortress of Sai. Lille

-------------- forthcoming The Ottoman Fortress of Qasr Ibrim, Lille

Çelebi, E 1938. **Seyahatnameh, Misr, Sudan Habes 1672-1680,** Book X, Istanbul.

Greenlaw, J. P. 1976. **The Coral Building of Suakin**, Leeds.

Hinds, M 1991. **Qasr Ibrim in the Ottoman Period: Turkish and further Arabic Documents. Memoir,** Egyptian Exploration Society, London.

Luigi, M 1960. "Khartoum in 1842: One of the Three Impressions of Khartoum during the Turkiiya", **Sudan Notes and Records,** Vol xl. PP: 101-106, Khartoum.

Marill, W 1964. "The Wooden Locks of Wadi Halfa Region", **Sudan Notes and Records,** Vol. xxxxv, PP: 24-34, Khartoum.

Mathew, D. H 1953. "The Red Sea Style". **Kush**. Vol. I. PP. 65-86, Khartoum.

Menage, V.L 1988. "The Ottomans and Nubia in the Sixteen Century", **Annales Islamologiques,** Vol, xxiv, Cairo.

Plumley, J. M 1971. "Qasr Ibrim and Islam", **Etudes et Travaux,** xii. PP: 158-70. Cairo.

Sakkout, H & Hinds, M 1986. **Arabic Documents from the Ottoman Period from Qasr Ibrim,** London.

Soghayroun, I. E 2000. Islamic Archaeology in The Sudan. Unpublished Ph.D., Thesis, University of Khartoum.

Udal, J. O. N. 1998. **The Nile in Darkness: Conquest and Exploration 1504-1862,** Norwich.

Vercoutter, J 1958. "Excavation at Sai", **Kush,** Vol, 6. PP: 144-169, Khartoum.

Walkey, C. E.J 1933. "The Story of Khartoum", **Sudan Notes and Records,** Vol. xviii.Part ii, PP: 221-242, Khartoum.

صناديق أندلسية من العظم وقرون الوعول [ق ١٢-١٣م] ورشة قلعة تورّي جروسة دي خيخونا [أليكانتي](١)

تأليف: ر. أثوار و خ. أزلوبيث باديا (٢)
ترجمة: عبد الله بن إبراهيم العمير

مقدمة المترجم:

كان لاستقرار الدولة الفتية في الأندلس، أثر إيجابي بارز انعكس بشكل سريع على العديد من اهتمامات المجتمع الأندلسي، على المستويين الرسمي والشعبي، ومن ذلك العناية بمجالات الفنون الإسلامية المتنوعة، التي كانت تعد أحد أهم الوسائل، التي عبرت من خلالها الحضارة الإسلامية إلى خارج حدود أقاليمها. ولعل من أبرز مجالات الفنون الإسلامية، التي أولاها الفنان الأندلسي نصيباً وافراً من اهتمامه، مجال نحت وصناعة العاج والعظم، إذ تبين له أنّ بإمكانه أن يحوّل هذه المادة الخام الصّلبة، إلى مادة طيّعة سهلة التصنيع؛ فاستطاع أن يشكّل منها ما يتوافق ومواصفاتها الفريدة.

ونظراً لأن مصدر مادة العاج هو مما تشح به بلاد الأندلس، فقد حرص الخلفاء والولاة والتجار على جلب هذه المادة من مصادرها الأساسية، سواء كان ذلك من أفريقيا أو من شبه القارة الهندية، حتى أن الخليفة الناصر وابنه المستنصر (٣٠٠-٣٦٦هـ) أوليا اهتماماً خاصاً لهذا الأمر، فسهّلا سبل جلب العاج والذهب إلى الأندلس عن طريق السفارات، التي كانت تتوافد على قرطبة، عاصمة الخلافة آنذاك.

وقد انتهج الحرفي في بداية إنتاجه لهذه المادة أساليب صناعية، كانت مزاولة في حضارات سابقة داخل شبه الجزيرة الإيبيرية وخارجها، إلاّ أنه سرعان ما ابتدع أساليب جديدة تنسجم وثوابت حضارته الفتية، حتى أصبحت مصنوعات العاج الأندلسية سلعة نفيسة تستحق التقدير والإعجاب؛ إذ استطاع الفنان الأندلسي أن يُكيّف مادتي العاج والعظم ويستثمرهما لصناعة العديد من المستلزمات الثمينة، التي نالت إعجاب الخلفاء والأمراء والأثرياء وعِلية القوم، حتى أصبح اقتناء المصنوعات العاجية أحد مظاهر الترف والرخاء. فقد دخلت هذه المادة في صناعة مقابض السيوف والخناجر والسكاكين وأبواق الصيد، بل واستغلت حتى في مجال العمارة، وذلك لتجميل الحنايا والعقود والتيجان ومصاريع الأبواب والمنابر، ورصّعت بالذهب وأصناف الجوهر. كما كثر استخدامها في صناعة الصناديق المستطيلة الشكل، التي تتخذ لحفظ الحلي والمجوهرات، وكذلك لصناعة العلب الأسطوانية الخاصة بحفظ المسك والعنبر والكافور ونحوها. وهي استخدامات بينّها أحد النصوص الشعرية المنفّذة على إحدى العلب، حيث يقول الشاعر على لسانها:

منظري أحسن منظر   نهد خود لم يكسر
خلعةُ الحسن عليّ   حلة تزهى بجوهر
فأنا ظرف لمسك   ولكافور وعنبر

وقد ارتبطت حرفة نحت العظام والعاج واستخدامهما ارتباطاً وثيقاً بالبلاط الخلافي، فأُنشئت ورش صناعتها على مقربة من قصور الخلافة ورجال الدولة، حتى أصبح للمشتغلين بهذه الصنعة مكانة مميزة عن غيرهم من الحرفيين وأرباب الصناعات، إذ وجد أن منتجاتهم تمثل أحد أنفس التحف، التي يمكن تبادلها على سبيل الإهداء بين الأمراء والأميرات والسفراء والملوك، داخل وخارج بلدان الأندلس وحواضرها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن التحف العاجية المحفوظة في متاحف عالمية متفرقة، تعد أوفر مجالات الفنون الأندلسية حظاً في البقاء ووضوح الهوية، على الرغم من شح مادتها

وندرة منتجاتها، مقابل مصنوعات أخرى كالفخار والخزف والمعادن والمنسوجات ونحوها. ويعود الفضل في ذلك إلى جودة مادة صناعتها، ثم إلى الحرص عليها من قبل الجهات أو الأشخاص الذين وصلت إليهم، إلى جانب الاهتمام بما تحمله هذه التحف من عناصر زخرفية وكتابية متنوعة؛ فقد اتخذت بعض المصنوعات العاجية، وخصوصاً الصناديق المستطيلة والعلب الأسطوانية، من قبل رجال الدين المسيحيين، أوعية مقدسة لحفظ رفات القديسين والشهداء داخل الكنائس والكاتدرائيات. وبذلك تغيّرت وظيفتها من استخدام للأغراض الدنيوية إلى وظيفة مغايرة ذات أغراض دينية، فبقيت عبر قرون طويلة محل العناية والصيانة والتقدير. أما فيما يتعلق بما تحمله أسطحها من عناصر تجميلية، فإنها كانت تعد في المقام الأول رافداً متيناً يعتمد عليه في معرفة هويتها، كما يعتمد عليها - في الوقت نفسه - عند تأصيل وتأريخ القطع، أو العناصر الزخرفية المماثلة. ذلك أن معظم هذه التحف تحفل بنصوص كتابية معبّرة، تتضمن - في الغالب - جملة من المشتملات المفيدة في عملية التأريخ، مثل اسم الشخص الذي أمر بصناعتها، أو المهداة إليه، أو اسم صانعها، أو تاريخ ومكان صناعتها، ونحو ذلك.

وإلى جانب العناصر الكتابية، هناك العناصر النباتية والهندسية، التي أسهمت في الإبانة والكشف عن الكثير من المعطيات، حول نشأة وتطور وانتشار هذه العناصر على معظم مجالات الفنون الإسلامية، إضافة إلى العناصر الآدمية، التي تمثل مشاهد متنوعة للحياة اليومية لذلك المجتمع؛ فمن خلالها أصبح من الممكن التعرّف على أشكال اللباس، وأسلوب تصفيف الشعر، وكيفية الجلوس، وغيرها. وهكذا تتجلى أهمية هذه العناصر ليس فقط كزخارف تجميلية، بل كوثائق تاريخية ذات قيمة بالغة للمقارنة والتأصيل.

وخلال هذا البحث يحاول الكاتبان ر. أثوار، و خ. أ. لوبيث باديا، استجلاء وتقصّي بعض المفاهيم أو المسلّمات المتعلقة بالعظام وقرون الوعول والعاج، وذلك من حيث مادة وأساليب صناعتها وزخرفتها، ومراكز إنتاجها وتاريخها واستخداماتها، معتمدين في ذلك على مجمل نتائج الحفائر الأثرية، التي أجرياها خلال سنوات عديدة في مواقع إسلامية شرقي الأندلس.

وختاماً، لا بد من التنويه إلى أن المراجع، التي اعتُمد عليها في البحث قد أدرجت مختصرة بين هلالين داخل المتن الإسباني، ثم استكملت مشتملاتها حين رصدها في قائمة المراجع في نهاية البحث، وقد أبقيت كما جاءت مختصرة بمواقعها في هذه الترجمة العربية.

الترجمة:

كان للدعوة اللطيفة للمشاركة في أعمال هذه المجلة، أثر مباشر حفزني إلى الدخول في مجالات سبق أن أوعز بها لي في حينه صديقي كلاوديو توريس، من خلال أعماله المثيرة للحماس، وذلك حول القيمة الثقافية والشعبية للمواد المصنوعة من العظام أو قرون الحيوانات، لا سيما بحثه، الذي يعد خير مرجع لهذا الموضوع (Torres 1986). إذ تمكّن في بحثه المشار إليه من أن يقدم تحليلاً رصيناً، بدا عليه الطابع الثقافي والاثنوغرافي، متجاوزاً بذلك تلك التفسيرات التقليدية السهلة لاستخداماتها، التي طالما عرفت بأنها "مقابض سكاكين"، أو "قطع شطرنج"، كتعريف أكثر أرستقراطية - وهو تعريف لا يزال متبعاً في بعض الدراسات والكتلوجات (Granada 1995; no 182, 429) - وقد أشار في معرض حديثه أنها مما يستخدم كمقابض للمغازل التقليدية الخاصة بالنسيج.

ويبدو أن الخوض في هذا الموضوع غير مجدٍ في الوقت الراهن، فقد تعرّضت لهذا الأمر في حينه (Azuar 1989)، لذلك تبين لي أنه أكثر ملاءمة القيام بمراجعة وفحص مجموعة متنوعة ومهمة جداً من القطع المصنوعة من العظام، التي اكتشفت في حفائر أثرية سابقة أجريت في قلعة توري جروسة الواقعة في خيخونا بأليكانتي وتعود إلى العصور الوسطى. وقد نشرت معلومات عنها في حينه (Azuar 1985) لكن دون التعرض لها تفصيلاً. وإنما كان التركيز على تلك النواحي المتعلقة بالتعرف على ورش خاصة بصناعة القطع المعدة من العظم، أو قرون الوعول، مثل مقابض المغازل، والجوز المعد لإمساك وتر القوس الفولاذي، والأغطية، وخرز القلائد،

ونحوها (Azuar 1989). بل إن الأمر يتجاوز ذلك إلى تلك الجوانب، التي سنسلط الضوء عليها في هذا البحث، و تهتم على وجه الخصوص بتصنيع "الصناديق الصغيرة"، التي ربما تكون تقليداً للصناديق الصقلية - النورماندية، حسب رأي (Casamar 1985)؛ لكنها دون مجال للشك أندلسية الأصل، ومصنوعة من قرون الوعول، على قاعدة أو خلفية خشبية لتقويتها، وهي مواد ليست فاخرة كالعاج، لكنها مصنّعة وفق تقنية نحت متقدمة تفصح بجلاء عن الدرجة العالية، التي بلغها الصنّاع غير التابعين للبلاط وغير العاملين في الحواضر، بل من صُنّاع المجتمع الريفي، الذين يقطنون في أماكن محصّنة، كما هو حال قلعة خيخونا.

إن وجود هذه الورشة يضعنا أمام احتمالية فريدة، لظاهرة أو وضعية محلية صرفة (Azuar 1989: 366-7)، لكن ظهور ألواح مماثلة في السنوات الأخيرة، تابعة لصناديق صغيرة موشورية الشكل، ومن المادة الخام نفسها والتقنية الصناعية ذاتها في مواقع بعيدة جداً، مثل قلعة الأرك في ثيوداد ريال، أو في مورا بالبرتغال، يدحض هذه الفكرة، ويضعنا أمام تعميم هذه الصناعة داخل حدود الأندلس، وذلك في فترة متأخرة جداً يحتمل أن تكون خلال القرن الثالث عشر الميلادي، على وجه التحديد. لهذه الأسباب أصبح من الملح جداً إعادة الشروع في البحث في هذا المجال، الذي توقف في نهاية حقبة الثمانينات. والفضل في ذلك يعود لتعاون السيد خ. ل. لوبيث باديا، المتخصص بتكنولوجيا العظام في فترات ما قبل التاريخ وحتى العصور الوسطى، إذ تمكّن من إجراء دراسة تفصيلية عن جميع مراحل عملية إنتاج تلك الصناديق، كما تمكّن، في الوقت نفسه، من تحديد هوية قرابة مائة لوح عُثر عليها في الموقع، وأجرى دراسته تلك على مجموعة منها.

١ - ورشة قلعة توري جروسة دي خيخونا:

كشفت نتائج الحفريات الأثرية، التي أُجريت في قلعة خيخونا خلال فترة الأربعينات، عن معلومات جوهرية متنوعة، إلى جانب مجموعة من المعثورات، التي أسهمت بدورها في عمل قائمة تفصيلية من المعطيات المادية (Azuar 1985). ولقد أمدت هذه المكتشفات والمعطيات بقدر مهم من مواد العظام، من أبرزها كمية كبيرة من ألواح مستطيلة الشكل، ذات أحجام متفاوتة واستخدامات متعددة. ومن بين هذه المواد يمكن التعرف على: زهر النرد، جوز القوس الفولاذي، ومقابض المغازل، وغيرها من المعثورات، التي تشير لأول وهلة إلى أننا أمام بقايا ورشة صغيرة لإنتاج المصنوعات العاجية (Azuar 1989: 365).

إن احتمال وجودنا أمام ورشة لنحت العظام أو القرون، وليس لنحت العاج، قد تأكد فعلاً من خلال نتائج الدراسة المتأنية لبقايا العظام والقرون المشغولة، على وجه الخصوص (لوبيث باديا ١٩٩٥م). ولعل مما يدعم هذا التوجه ليس آثار النحت والأساليب المختلفة لمراحل صناعة الألواح فحسب، بل العثور على الكثير من المنتجات المعدة من مادة العظم، مثل: خرز القلائد، مقابض مغازل النسيج المتنوعة، وغيرها من المشغولات (Azuar 1989: fig. 126-127). وإلى جانب الأشياء الآنفة الذكر، لا بد من التنويه إلى أن هناك مجموعة من القطع المهمة والقرون المشغولة جزئياً، عُثر عليها أثناء التنقيب ولم تدرج في قوائم الجرد الخاصة بهذا الموقع، لكنها حفظت في متحف الآثار في أليكانتي، وتولى دراساتها السيد (Lopez P. 1995).

كان العثور على المنتجات المصنّعة وبقايا التصنيع في موقع إعدادها، العامل الذي مكّن من تتبّع خطوات تصنيع قطع العظام، التي تمت في هذه الورشة، ابتداءً من الحصول على المواد الخام، وحتى وضع اللمسات النهائية للمصنوعات. ومما لا شك فيه أن القرون، التي عُثر عليها في القلعة تخص أنواعاً من "الوعول المحلية"، لكن ليس من اليسير معرفة ما إذا كانت هذه القرون قد أُخذت من رؤوس الوعول بعد صيدها، أم أنه يتم جمع القرون في فترة سقوطها تلقائياً من تلك الحيوانات. ويمكن من خلال نماذج خيخونا أن نستنتج أن أحد هذه القرون، على الأقل، قد انفصل بصورة تلقائية عن رأس الحيوان، وهو أمر يشير إلى أن هذا النوع من المواد الخام يجمع بشكل انتقائي، ومن ثم يجلب للورشة لتصنيعه.

وحول هذا الموضوع تبدو من الأهمية بمكان تقديرات السيد (Benito 1990: 169)، الذي أشار إلى أن من أسباب ندرة بقايا عظام الغزلان والوعول في مواقع أخرى من أليكانتي

في العصور الوسطى، تعود إلى تفضيل المستهلك المسلم للحوم الأغنام والماعز الطرية، وكذلك لحوم الأرانب، على لحوم الحيوانات المصطادة، بما في ذلك أنواع الغزلان. ومع ذلك وحسب المعلومات الحالية، ربما يكون من غير المجدي الدخول في مناقشات تفصيلية مطولة، وإن كانت، في الوقت نفسه، شائكة، وذلك حول طبيعة تلك التوجهات المطروحة، وما قد ينشأ عنها من تشعبات متفرعة (Macgregor 1985: 35). لذلك لا بد من قبول احتمال وجود بقايا الوعول - على الرغم من قلة شأن هذا الرأي - في المواقع المعاصرة لقلعة خيخونا (Benito 1988:1993)، وذلك كأمر ربما يسهّل تدبّر معلومات هذا النوع من المنتوجات، ضمن حدود إطار منطقة إمداد محصورة بالمناطق الجبلية للموقع، الذي توجد فيه قلعة خيخونا، على مقربة من التكوينات الجبلية لسلسة جبال أليكانتي، التي تحتوي على غابات السنديان، وذلك على ارتفاع ١٠٢٠م فوق سطح البحر، وكذلك بالقرب من سلسلة جبال أتيانا، التي ترتفع ١٥٥٨م فوق سطح البحر أيضاً.

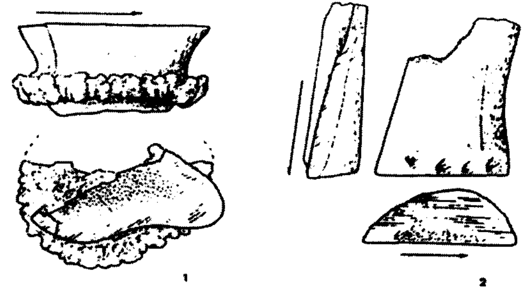
إن تجهيز ألواح، أو رقائق العظام، لصناعة، أو تركيب، الصناديق المصقولة، تُعد عملية معقدة جداً، ويظهر ذلك جلياً في دقة التفاصيل المنفّذة على أسطح المشغولات المختلفة المعدة من العظام. ويلاحظ في المقام الأول أن أغلب الألواح المصنعة تم قطعها بواسطة منشار معدني، بينما لم يكن من اليسير التأكد من أن بعضها الآخر قُطع بالمنشار فقط، أم بأدوات قطع مختلفة كالمدية الصغيرة. وفي قطع أخرى يمكن التعرف على بعض التعديلات، التي تطرأ على اتجاه القص أثناء التصنيع. وفي هذه الحالة يمكن القول إن هذه الخطوة لم تنفذ بواسطة المنشار المقوس. ومن جهة أخرى، يكثر على وجه الخصوص أسلوب نشر القطع بشكل مستقيم، وذلك بمساحات واسعة في ألواح القواعد المجزأة (شكل ١-١). وعلى الرغم من أنه تم العثور في القلعة على أدوات صناعة معدنية أخرى مثل الأزاميل، والمثاقف، والمحززات ونحوها (Azuar 1989)، فإنه لا توجد أية معلومات عن العثور على شفرة المنشار الخاصة بهذه الصنعة. إلا أنه يمكننا أن نتصور استخدام المنشار في هذا الموقع انطلاقاً من آثار استخدامه على القطع المصنعة، ويؤيد ذلك كون هذه التقنية معهودة منذ القرن الحادي عشر

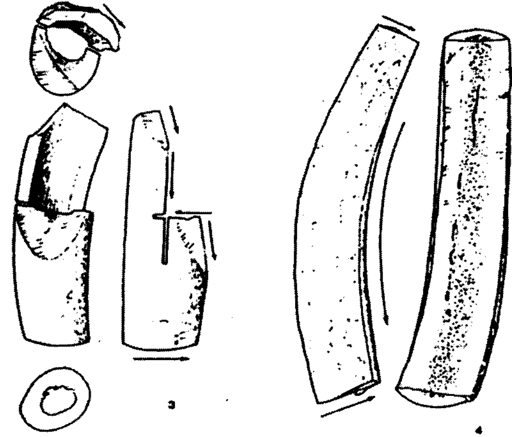


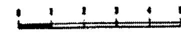
لوحة ١: عينّة من العظام وقرون الوعول، مع بعض المصنوعات التي تنتجها ورشة قلعة تورّي جروسة دي خيخونا.

الميلادي، كما هو مثبت على قطعة عُثر عليها في ليبتر بالباثيتي، وسنحت لي الفرصة للتعرف عليها عن كثب، وذلك بفضل لطف السيد (خ. نبارو)، الذي مكّنني من الإطلاع على مخطوطة دراسة تلك القطعة قبل نشرها.

إن أسلوب القطع بالمنشار يمثل، دون أدنى شك، أهم مراحل التشكيل الأساسية عند تجهيز القرون للصناعة؛ إذ إن التعامل مع كل نوع من القطع يتطلب عملاً محدداً، أو سلسلة من الأعمال المتتابعة المخصصة، للحصول على جزء مناسب من المادة الخام، لكي يسمح بتصنيعه في المراحل اللاحقة بصورة ملائمة. ويشكل فصل القرون من موضعها الطبيعي في الجمجمة خطوة أولية، لكنها تعد خطوة ضرورية عندما تؤخذ







(الشكل ١)

القرون من حيوانات تم قنصها، على وجه الخصوص. ومهما يكن الأمر، فإن كيفية فصل بعض القرون يمكن أن تدل على أن نشرها بطريقة عرضية، بالقرب من نقطة التحام القرن بالجمجمة هو شيء معتاد، حيث كانوا يستبعدون لاحقاً ذلك الجزء الدائري الملتحم بالرأس، وربما كان ذلك بسبب طبيعته الإسفنجية وهيئته غير المتناسقة (الشكل ١-١). ومع ذلك لا بد من القول إن هذه الخطوات ثبتت مزاولتها في بعض المواقع الأوروبية (Macgregor 1985)، لكن يصعب، في الوقت نفسه، البت حالياً في مدى مقارنة هذه الخطوات، بما هو متبع في ورش المناطق الأخرى من شبه الجزيرة الإيبيرية، نظراً لندرة المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع. وبعد قطع قاعدة القرن الدائرية يشرع مباشرة بتهذيب طرفه، وما قد يتبعه من زوائد أجزائه السفلية. ومما يلفت الانتباه أن كيفية قص الزوائد بالمنشار عرضياً، لا يتم في بعض الحالات بشكل كلي، بل إن ذلك يتم بنشره جزئياً ثم يكسر يدوياً. ويستخدم هذا الأسلوب، في الغالب، عند صناعة بعض أنواع المقابض وما هو على شاكلتها من المواد الأخرى.

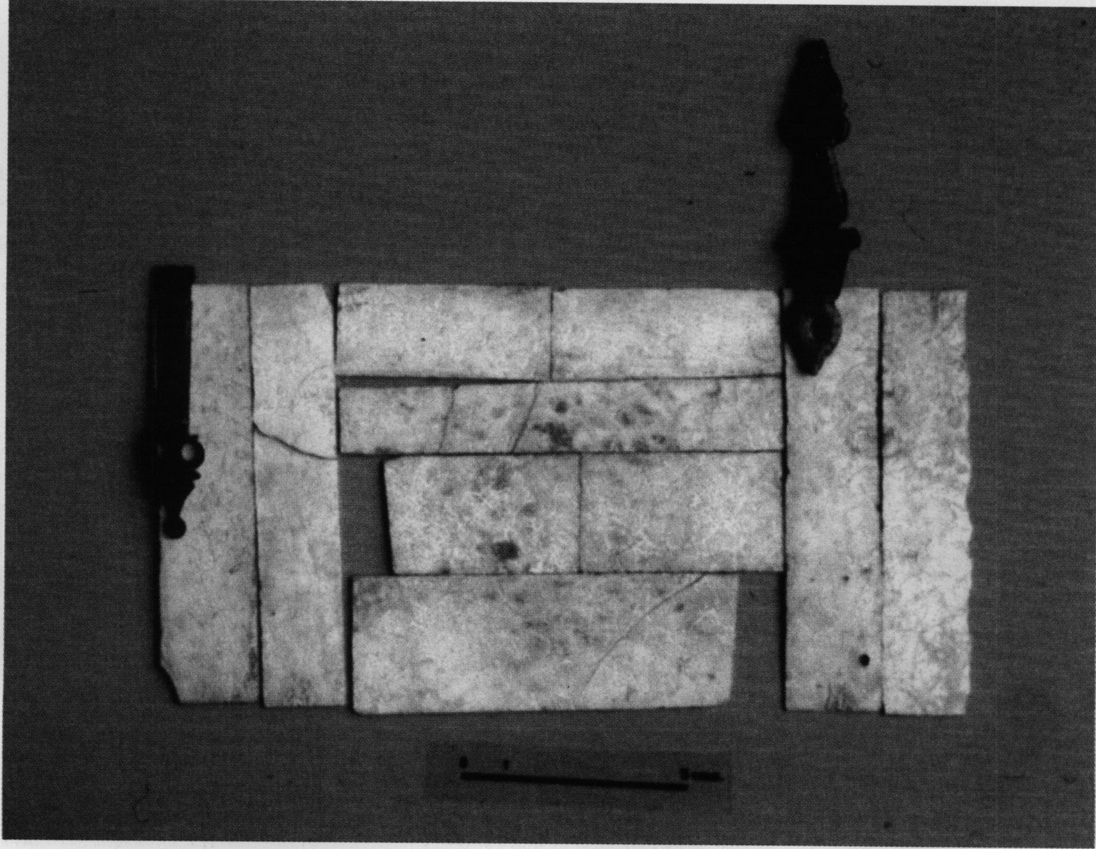
وعندما تكون أطراف القرن مقطوعة بهذا الأسلوب، فإن العمل يتم فيها لاحقاً بالتقنيتين التاليتين:

الأولى: تعتمد على طريقة الربط بين النشر الطولي والمتعامد، التي تسمح بنزع قصاصات مقطوعة من القرون، وقد عُثر فعلاً على العديد من هذه القطع في الموقع (شكل ١-٢) وعلى الأجزاء الصغيرة المقطوعة. ويلاحظ جلياً في هذه الأخيرة تلك الخطوط المتقاطعة المحزوزة بالمنشار، التي تسمح بتركيب القطع فيما بينها (شكل ١-٣).

التقنية الأخرى: تعتمد على نشر جدران القرون طولياً، خصوصاً عند الأطراف المقطوعة في مراحل سابقة. وتؤثر عملية النشر هذه، على وجه التحديد، في تلك الأجزاء التي تحتوي على كميات قليلة من النسيج الإسفنجي في العظام، كما تؤثر بالطريقة نفسها على تلك الأجزاء السميكة من جدران القرون، وذلك بإعطائها شكلاً شبه مستطيل، خصوصاً في تلك الأسطح المنفذة عرضياً.

ويعد المراحل التحضيرية الأولى، تخضع - غالباً - أجزاء القرون المعدّة بالطرق السالفة لعملية نزع الأجزاء الزائدة، المخصّصة لمراحل الصناعة النهائية للمنتجات. ولا بد من الإشارة إلى أن الشكل النهائي لكل نوع من القطع، يتحدد في كثير من الأحيان بناءً على هيئة أو تكوين قطعة القرن المستخدمة للصناعة، وذلك بالقدر نفسه الذي يفرضه، إلى حدٍ ما، اختيار جزء معين من القرن، بسبب شكل القطعة المراد صناعتها. ويبدو أن الكشط يستخدم بشكل مستمر في هذه المرحلة من علمية التصنيع، وتظهر آثاره بشكل واضح في بعض القطع المصنّعة كجوز القوس الفولاذي، التي تتعاقب فيها تقنية نشر ونزع أجزاء العظام، إلى جانب تقنية كشط وصقل الأسطح الخارجية، التي تنفذ خلال معظم مراحل تصنيع القطع.

ومما يلاحظ أن تلك الثقوب، التي تظهر على القطع المصنَّعة، إضافة إلى تلك الدوائر المزودة بحفرة صغيرة في



لوحة٢: صفائح عظمية وحدائد صندوق توري جروسة.

مركزها، تم تنفيذها بواسطة مثاقب، أو مخارط الشد، المستخدمة لتنفيذ مثل هذه العناصر، والتي تكثر - على سبيل المثال - على مقابض أدوات الغزل. وهو أسلوب يزاول في هذه الصنعة في أوروبا (Macgregor 1985)، وكذلك في شبه الجزيرة الإيبيرية (Menenedz-Pidal 1984)، على الرغم من أنه لم يتم اكتشافها في موقع التنقيب.

وبناءً على هذه المعطيات يمكن القول إنه إذا كانت وفرة المنتجات المصنوعة من مادة العظام تدعو إلى افتراض وجود ورشة مخصصة لصناعة هذا النوع من المستلزمات (Azuar 1985)، فإن تحليل بقايا المواد المصنعة، إلى جانب التعرف على التقنية المستخدمة في إنتاجها، تبرهن قطعياً على وجود صانع واحد على الأقل في قلعة توري جروسة دي خيخونا متخصص في صناعة هذا النوع من المواد، في الوقت الذي تظهر فيه بوضوح أهمية قرون الوعول، كمادة خام أساسية في هذه الصنعة مقابل العظم والعاج، وهو أمر يرتبط، دون أدنى شك، بأسباب لا تتعلق بوفرة المادة فحسب، بل بعملية صناعتها.

٢ - ورشة صناعة الصناديق المعدة من قرون الوعول:

سُجل العديد من القطع المكتشفة خلال مراحل التنقيب في الموقع، وذلك في سجل مهم وحافل بما يقرب من خمسين قطعة من مواد متفاوتة؛ من بينها الخزفيات، والمعادن، والعظام والمحار.. ونحوها. وقد جرى فرز واختيار جميع تلك القطع ذات العلاقة بوظيفة الورشة، لا سيما ما يرتبط بصناعة الصناديق الصغيرة. وبذلك جمع الكثير من المواد المتعلقة بمراحل صناعتها، ومن ذلك ألواح أو رقائق القرون، والأجزاء الخشبية المتبقية من هياكل بعض الصناديق، إضافة إلى جميع المواد المعدنية ذات العلاقة، من قبيل الحدائد والصفائح التجميلية والمفصلات والأقفال وغيرها. وهذه، باختصار، عبارة عن مجموعة متناسقة تحتوي على أكثر من مائة قطعة

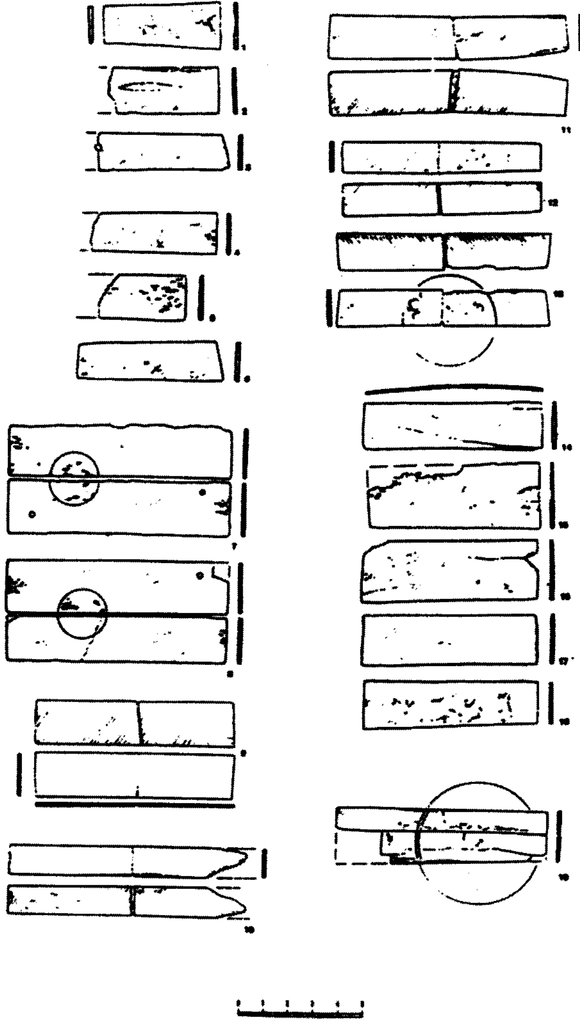
سبق وصفها بشكل دقيق (Azuar 1989; Lopez-Padilla 1995, 1995)، الأمر الذي يمكننا معه تجنب اختلال تصنيفها، وبذلك يقتصر الجهد على المعالجات الرئيسية، وذلك من خلال فقرتين عامتين تتعرضان للمواد العظمية والمواد المعدنية. وخلال هاتين الفقرتين ستجرى التعديلات المطلوبة لأخطاء ارتكبت حين حُددت وظائف تلك القطع، خلال الدراسات المشار إليها.

٢ - ١ - المواد العظمية:

يبلغ العدد الكلي للمجموعة المعدة من العظام، التي تم تحليلها ودراستها ٧٤ قطعة، منها ٣٦ قطعة ضمت أسطحها عناصر زخرفية؛ سواء كانت حزوز سطحية، أو رسم بالدهان أو التذهيب. ويلاحظ أن ما نسبته ٩٥٪ من الألواح مصنوعة من قرون الوعول، ويتضح ذلك في تكوين النسيج الإسفنجي المتبقي على وجه الكثير من القرون وظهرها (الشكل ٢: ٤-٥، ١٥-١٦؛ الشكل ٣: ١١). وفي المقابل، هناك كمية قليلة تحتفظ بآثار القناة النخاعية، الأمر الذي يشير إلى استخدام هذا النمط منها (الشكل ٢: ١-٢، ١٥)، بل إنه يمكن في بعض الحالات التعرف على موقع ذلك الجزء المستخدم لاستكمال مراحل الصناعة (الشكل ٢: ١١). وبناءً على هذه المعطيات فإنه يمكن تصور كيفية الحصول على الكثير من هذه الرقائق وذلك بواسطة نشر القناة العظمية، أو طرف القرن بشكل طولي، بحيث تكون الرقائق ذات هيئات غير منتظمة، فتصقل أطرافها وأسطحها لاحقاً بالأساليب والأدوات المناسبة.

ويجدر التنويه إلى أن نتائج دراسة وتحليل الرقائق العظمية، كشفت عن العديد من الاستنتاجات، التي أسهمت بدورها بمعلومات قيّمة عن التقنيات المستخدمة في عمل البطائن الملحقة بالإطارات الخشبية الداخلية للصناديق الصغيرة، وكذلك أنواع العناصر الزخرفية، التي تجمّل تلك الصناديق. وقد تم إصلاح وتركيب أذرع مكتملة التشكيل، بطول يتراوح بين ١٥ سم و٣٥ سم، ومكونة من رقائق بطول ٥ سم، منشورة عرضياً وبشكل دقيق جداً.

وإلى جانب الأمثلة الآنفة الذكر هناك النماذج المكونة من قطعتين من رقائق العظم، وقد تم العثور على أعداد كبيرة منها (شكل ٢: ٩-١٣). ومهما يكن الأمر، فإن هذه النماذج وما قبلها تعبر بوضوح عن سلسلة من القطع، التي يتم الحصول عليها بأسلوب النشر، يتوقف عددها وطولها على الأطوال المتباينة للقطع الأساسية، التي تعد المصدر الأصلي للرقائق. وللحصول على الألواح المعدة للتركيب، فإن جميع الألواح تنشر كخطوة أولى بالأسلوب نفسه، وذلك بإحداث شق أو فجوة معينة على هيئة "V" بعمق ٧ر٠ مم على أحد الحواف، دون أن تقطع كاملة، بل يتم نزع ذلك الحيز بلطف (شكل ٢: ٩). وتبدو معظم أوجه القطع المعدة بهذه التقنية، التي يتم إحداث تلك الفجوة فيها، أقل صقلاً من الأوجه الداخلية، في حين يلاحظ أنها



(الشكل ٢)

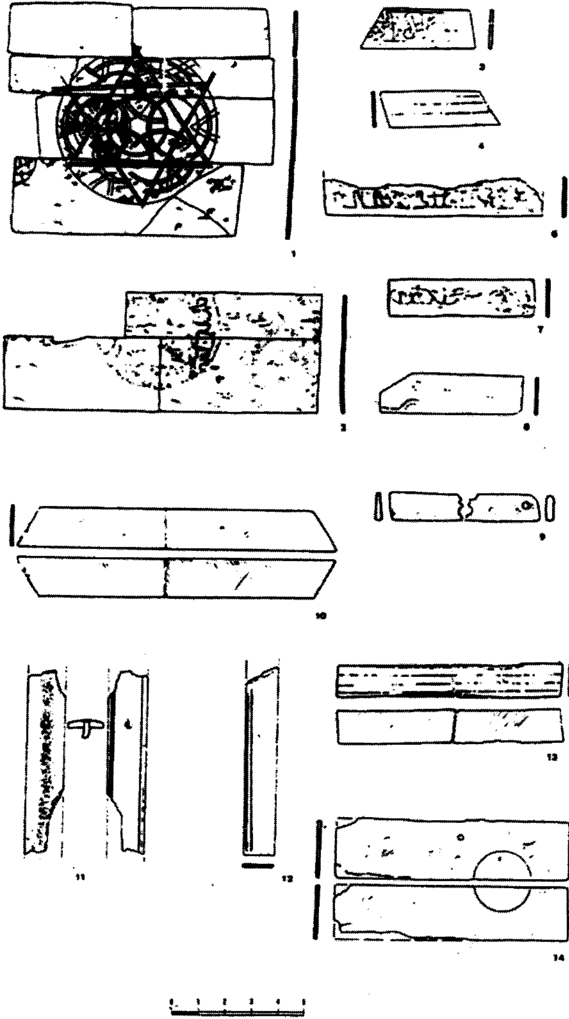
ذات نصيب أوفر من نسيج العظام الإسفنجي. وفي المقابل، فإن الصناديق، التي تحتوي على عناصر تجميلية، تنفّذ زخارفها على الأوجه المصقولة.

وفيما يتعلق بكيفية التمييز بين وجه وظهر الألواح المعدة من العظم، فيمكن التأكيد على أنه أمر ميسور في كل الحالات تقريباً؛ إذ إن الظهر أو الجهة الداخلية تبدو ذات حزوز عميقة خشنة، في حين يبدو الوجه الخارجي أملس ومصقولاً بعناية.

وفيما يختص بالتقنية المستخدمة بعمل بطانة الصندوق الخشبي، فإن القطع المدروسة تقدم معلومات قيمة حول هذا الجانب؛ إذ إتضح في المقام الأول أن تلك الثقوب الصغيرة المنفذة على كثير منها، و يتراوح قطرها بين ١٧ر٠ و ٢ر٠سم، لم تستخدم لإيواء المسامير المعدنية، حيث لم يُعثر على بقايا الأكاسيد المعدنية، التي تبقى في مثل هذه الأوضاع، بل إن تثبيت الأطر الخشبية يتم بوساطة شظايا صغيرة من العظم نفسه، إضافة إلى مادة غرائية لاصقة، لم يتم الوقوف على بقاياها حتى الآن. وهذا في الواقع استنتاج مردة إلى عدم وجود أية ثقوب على أسطح أو واجهات الألواح. وكحالة استثنائية عثر على قطعة واحدة بها بقايا مسمار برونزي (شكل ٣: ١١)، ومن المحتمل جداً أن يكون لهذا المسمار صلة بطريقة استخدام الصندوق.

أما فيما يتعلق بتركيب الألواح وترتيبها على الواجهات، فقد تبين أنها تتكون من مجموعات مشكلة من لوحين أو ثلاثة أو حتى خمسة آلواح، ويبدو ارتباطها ببعض من خلال العناصر الزخرفية المحزوزة، أو المرسومة بالدهانات على أسطحها (شكل ٣: ١ و ٢). وتبدو الألواح المتصلة فيما بينها، في بعض الحالات غير متناسقة الطول والعرض (شكل ٣: ١)، بينما في حالات أخرى تبدو الألواح ذات أبعاد متساوية (شكل ٢: ٧-٨ و شكل ٣: ١٤) بل هي في حقيقة الأمر أجزاء متشابهة استلت من القطعة الأساسية الأم نفسها (شكل ٢: ١٣ و ١٩). ومن الطريف والمهم جداً أن هذه الحالة الأخيرة تقود إلى التساؤل عن سبب قطعها وفصلها عن بعض، إذا كانت سترص من جديد بجانب بعضها البعض على اللوح الخشبي. ويبدو من نافلة القول أن نذكر أن هذه الرقائق تنفصل عن بعضها البعض بشكل عرضي طارئ، حيث تظهر عليها جميعاً، وكما أشرنا إلى ذلك آنفاً، آثار المنشار، الذي يستخدم لقطعها. ولعل التفسير المحتمل لهذه الوضعية مرتبط بالطريقة المميزة لقطع القضبان الصغيرة؛ وهي عدم قطعها كلياً، بل يعمل شق مناسب مقداره ٧ر٠ مم، يفصل من مكانه بلطف من حافة اللوح المنشور بواسطة المنشار. وهذا الحيز يسمح بالتحرك وفق هذا الهامش الصغير لضبطها بصورة ملائمة على الإطار الخشبي بحيث يمكن تقريبها أو إقصاؤها، حسب المسافة المتاحة. وأياً كان السبب، فيبدو أن هذا الأسلوب متبع في ألواح الواجهات الجانبية، وكذلك في ألواح الغطاء، على حد سواء (شكل ٣: ١٠).

ويبدو أن هناك بعض التعديلات المنفذة على الألواح، وإن



(الشكل ٣)



لوحة ٣: حدائد ومفصلات معدنية.

لم يكتمل تقدير نمط قياسي واضح لهذه المواد؛ وذلك مقارنة بقطع محددة الطول والعرض (شكل ٢: ٧-٨ و ١٤-١٨)، إذ تبلغ مقاسات قطع المجموعة الأولى ٢ × ٩ سم، ومقاسات المجموعة الثانية ٢ × ٧ سم، بينما تظهر قطع أخرى ذات أبعاد مختلفة؛ لكنها، بالرغم من ذلك، تشكل فيما بينها مجموعة متجانسة (شكل ٣: ١-٢). ومع هذا كله يمكن المخاطرة بإجراء تصور لإعادة تركيب افتراضية جزئية، اعتماداً على كيفية تطابق بعض القطع فيما بينها (الشكل ٦).

وترتبط المرحلة النهائية بأسلوب الزخرفة المتبع؛ إذ يتم تنفيذ هذه المرحلة عندما تنتهي كسوة الألواح الخشبية الداخلية برقائق العظام، المعدة بالأبعاد نفسها. ففي بعض الحالات تظهر آثار استخدام الفرجار، الذي تنفذ بواسطته الحزوز الدائرية التي تُغطى فيما بعد بعناصر زخرفية مذهبة. ويبدو من المحتمل أن الكتابات، التي تُجَمّل بها واجهات بعض القطع، يتم تنفيذها، كذلك، بعد مطابقة رقائق العظام على الألواح الخشبية (شكل ٣: ٣ و ٦-٧).

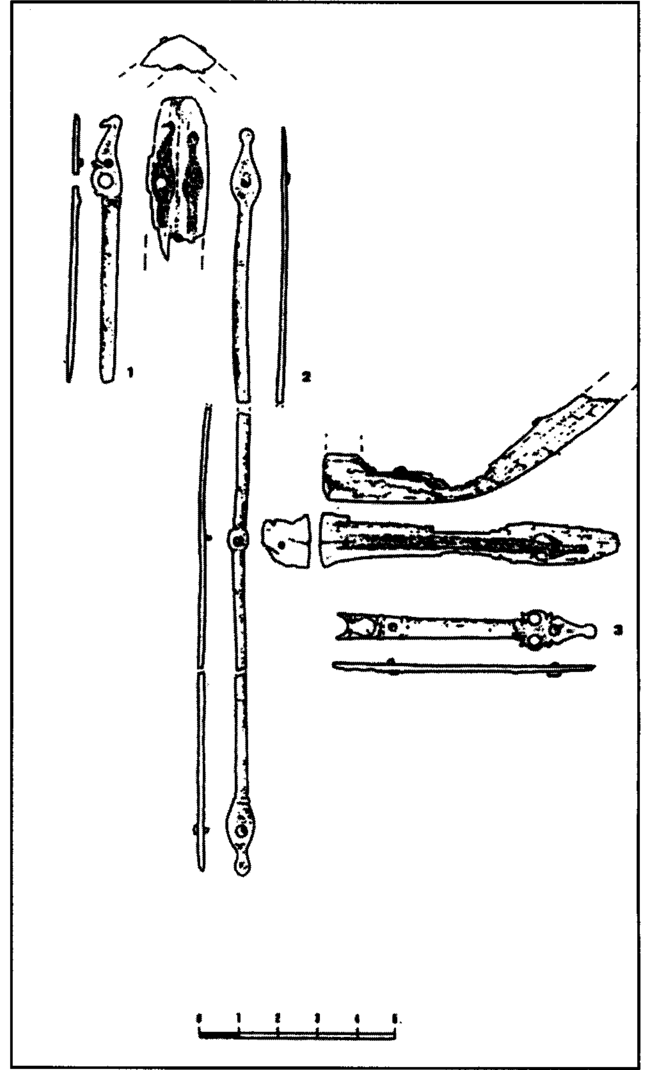
٢ - ٢ - المواد المعدنية:

ضمن مجموعة المواد المختلفة، التي عُثر عليها مع ألواح العظام، يوجد عدد من القطع المعدنية غير المكتملة، ومعظم هذه القطع مصنوع من البرونز، وبعضها مصنوع من النحاس، وقليل منها من مادة الصفر. وهي بمجملها تشكل أجزاء من مفصلات الصناديق، أو من قطع التصفيح والتقوية، أو من الصفائح التجميلية، التي تزود بها الصناديق في مرحلة التشطيب النهائية.

تجدر الإشارة إلى أن قائمة القطع المنشورة في حينه (Azuar 1989: 203)، اشتملت على خطأ يتعلق بالمفصلات: ٧٠٧٠، ٧٠٧٢، ٧٠٧٣، (Azuar 1985: 103 lote 214)، إذ صُنّفت في ذلك الوقت على أنها مفصلات خاصة بالصناديق، والأصح أنها عبارة عن أبازيم أحزمة جلدية، أو ذات وظيفة خاصة باللباس. أما تحديد وظيفة بقية القطع المشار إليها، فيبدو أنها لا تزال مقبولة حتى الآن.

وهناك قطع معدنية يُرجّح أنها ذات ارتباط وثيق بتصنيع، أو تركيب، الصناديق المصنوعة من العظام، وهي على النحو التالي: الواقيات أو قطع التقوية رقم ٦٩٣٠ و ٧٠٩٦ (Azuar 1985: 103 no. 215) (الشكل ٤: ٣ و ٥: ٦) المصنوعة من البرونز على هيئة مستطيلة، أو رأسية، مع نهاية رمحية مدببة تتوّج أحد الأطراف، إضافة إلى ثقبين جانبيين متجاورين، بينما يبدو بالطرف الآخر أساس لما قد يكون برشامتي المفصلة المعدنية، ويلاحظ ذلك خصوصاً على القطعة رقم ٦٩٣٠، في حين تبدو القطعة رقم ٧٠٩٦ مجزأة في منتصفها على هيئة العيون. وتظهر العناصر الزخرفية في هذه القطع في أحد أطرافها محصورة داخل شريطين محزوزين، وفي الطرف المقابل هناك حزوز أخرى تحيط بمسمار أو برشامة التثبيت، وهناك حزوز سطحية أخرى ذات طابع زخرفي، لا سيما على القطعة رقم ٦٩٣٠ .

كذلك تم جرد مفصلات معدنية أخرى تحمل الأرقام ٧٠٦٨



(الشكل ٤)

و ٧٠٦٩ (Azuar 1985: 103 no. 214) (الشكل ٥: ٣ و ٢)، وهذه القطع مصنوعة من البرونز، وتتبع صفيحة المفصلة نفسها، وهي، من ثم، تدل على وجود مفصلتين للصندوق؛ مقطع القطع يبدو شبه دائري وذلك بفعل انحناء جوانبها، أما طولها فيبلغ ٧٫٥ سم، في حين يبلغ عرضها ٠٫٨ سم. ويبدو من هيئة المفصلة، أو المصراع، أنها تعد من صفيحة طويلة على هيئة السهم، ثم تثنى من منتصفها وتبرشم لاحقاً في موقعها المناسب.

يجدر التنويه إلى أن المفصلة الوحيدة، التي عثر عليها مكتملة الشكل، هي التي تحمل الرقم ٧٠٧١ (Azuar 1985: 103 no. 214) (الشكل ٥: ٥)، وهي مصنوعة من النحاس، و طرفها مزوّد بزائدتين قصيرتين، أما طولها فيبلغ ٧ سم في حين يبلغ عرضها ١سم. ويلاحظ أن حجم الزائدتين مختلف إلى حد ما؛ فالصغرى أو الثابتة طولها ٣ سم وذات شكل مدبب، وبمنتصفها ثقب صغير مهيأ لإدخال مسمار التثبيت، كما أنها خالية من العناصر الزخرفية، ويبدو طرفها قابل للانطواء على نفسه، وعبر طرفيها السفليين يتم ربط الجزء الآخر من المفصلة بطريقة البرشمة. أما الكبرى المتحركة، فهي أدق صناعة من سابقتها؛ طولها يبلغ ٤٫٢ سم وعرضها يبلغ ١٫٢ سم. وتبدو مدببة على هيئة طرف الرمح، وبها ثلاثة فصوص صغيرة، وأعلاها مزوّد بثقب في منتصفه، أما الجانبين ففيهما حزوز سطحية، وعليهما زخرفة محزوزة بين الفصوص وفي مكان التقائهما، وينتهي هذا الجزء من المفصلة بطرف معكوف ومبرشم على غرار القطعة السابقة. أما خابور تثبيت القطعتين فيما بينهما، فهو مجرد قضيب رفيع من النحاس يدخل بثقوب المفصلة، ثم تعكف أطرافه لمنع سقوطه ولمزيد من إحكام المفصلة.

وفي إطار العناصر التجميلية، يمكن أن تلحق بها القضبان المعدنية التالية: مجموعة كبيرة من عدة قطع غير مكتملة مصنفة كمجموعة واحدة تحت الرقم ٢١٢، قيدت ببيان التسجيل رقم ٧٠٧٥، وخصص للنهايات المعدنية الرقم ٧٠٧٦ (Azuar 1985: 103 no. 212) (الشكل ٤: ٢). وتمثل هذه الكسر المعدنية قطعة تجميلية واحدة، هي عبارة عن قضيب نحاسي مقطعة كروي مبسط بمنتصفه فتحة دائرية، وتنتهي بطرفين متشابهين على هيئة سهم مثقوب عند منتصف نهايته، وذلك لتسهيل برشمته أو تثبيته بمسمار معدني صغير. ولا تزال تظهر على القطعة آثار المسامير المعدنية، التي تغرز عادة في سمك الألواح الخشبية الداخلية، كما هو الحال في القطعة رقم ٧١٥١ (Azuar 1985: 123 no. 245) (الشكل ٢: ٤). والأمر لا يختلف كذلك بالنسبة لجزء القضيب المعدني رقم ٧٠٧٤، وإن كانت نهاية هذه القطعة تنتهي بما يشبه منقار الطائر، المزود بفتحة لمسمار التثبيت على شكل العين (الشكل ٤: ١).

وفيما يتعلق باللسان التابع لمزلاج الصندوق الصغير (العلبة)، فمن المحتمل أن تكون القطعة رقم ٩٠٩٨ من البيان الآنف الذكر (Azuar 1985: 103 no. 215) (الشكل ٧:

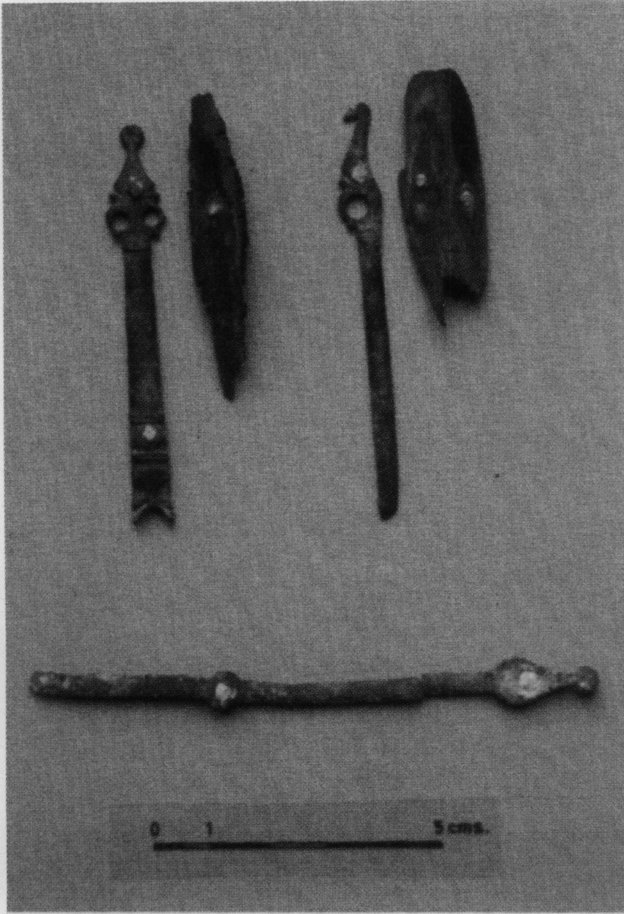
٥). ويبدو اللسان على هيئة ذراع ثماني المقطع: بثلثة العلوي من الخارج عناصر زخرفية الماسية الشكل، وينتهي طرفه العلوي بما يشبه كف اليد المبسوطة، وهي تمثل بقايا مفصلة الصندوق، ويقابلها في الطرف السفلي حلقة عرضية مواجهة مثبتة بترباس عرضي محكم.

وعلى الرغم من التعرف على وظيفة هذه القطعة، من خلال الاستنتاج والمعاينة السابقة، فإن هناك ما يؤيد ذلك مادياً، إذ تم العثور على جزء من لوح قفل تالف، يحمل الرقم ٧٠٣٢ (Azuar 1985: 105 no. 227) (الشكل ٥: ٨) مصنوع من النحاس وشكله مستطيل، طوله ٨ ر٤ سم وعرضه ٥ر٣ سم، ومزود بثقبين صغيرين في زوايا مؤخرته، أما منتصف مقدمته فتحتوي على فتحة صغيرة مستطيلة الشكل، وذلك لإيواء اللسان الخاص بموضع المفتاح.

ولعل إضافة القطعة المعدنية، التي سنقدمها في هذه الفقرة، تثري معلوماتنا عن استخدامات الأطقم، أو العدد المعدنية الملحقة بالصناديق المصنوعة من العظم. وتتمثل القطعة المعنية بمقبض معدني مكسور اعتبر حين العثور عليه أنه أداة مكونة من جزءين (Azuar 1989: 203)، أما في الوقت الراهن فقد تحددت ماهية استخدامها كقطعة واحدة وأخذت الرقم ٧٠٧٧ . وتميل هيئة القطعة إلى شكل شبه المعين بطول ٣٠٨ سم، وبها ثلمتان في الجزء الأكثر عرضاً، إضافة إلى حزوز عرضية في منتصف سطحها المواجه. طرف الأداة ينتهي بمقطع دائري غير حاد، وهو يمثل، في واقع الأمر، نقطة انطلاق المقبض المعهود، الذي يأخذ شكل " S نحو الداخل "، (Azuar 1985: 103 no. 213)، (الشكل ٥: ٩).

كذلك هناك جزء من قطعة معدنية أخرى عبارة عن القسم الرئيسي الأوسط، أي أن أطرافه المكملة هي المفقودة، والتي تشكل فيما بينها المفصلة الأساسية للصندوق (Azuar 1985: 103 no. 215) (الشكل ٥: ١).

ويدخل ضمن استخدامات القطع المعدنية في صناديق العظم، أداتان معدنيتان مصنوعتان من النحاس، الأولى: عبارة عن الخابور الخاص بتثبيت المقبض المعدني في غطاء الصندوق، ويأخذ هذا شكل طاقية كروية مزودة بثقب مركزي صغير، وذلك ليغرز من خلاله قضيب معدني مزدوج يخترق

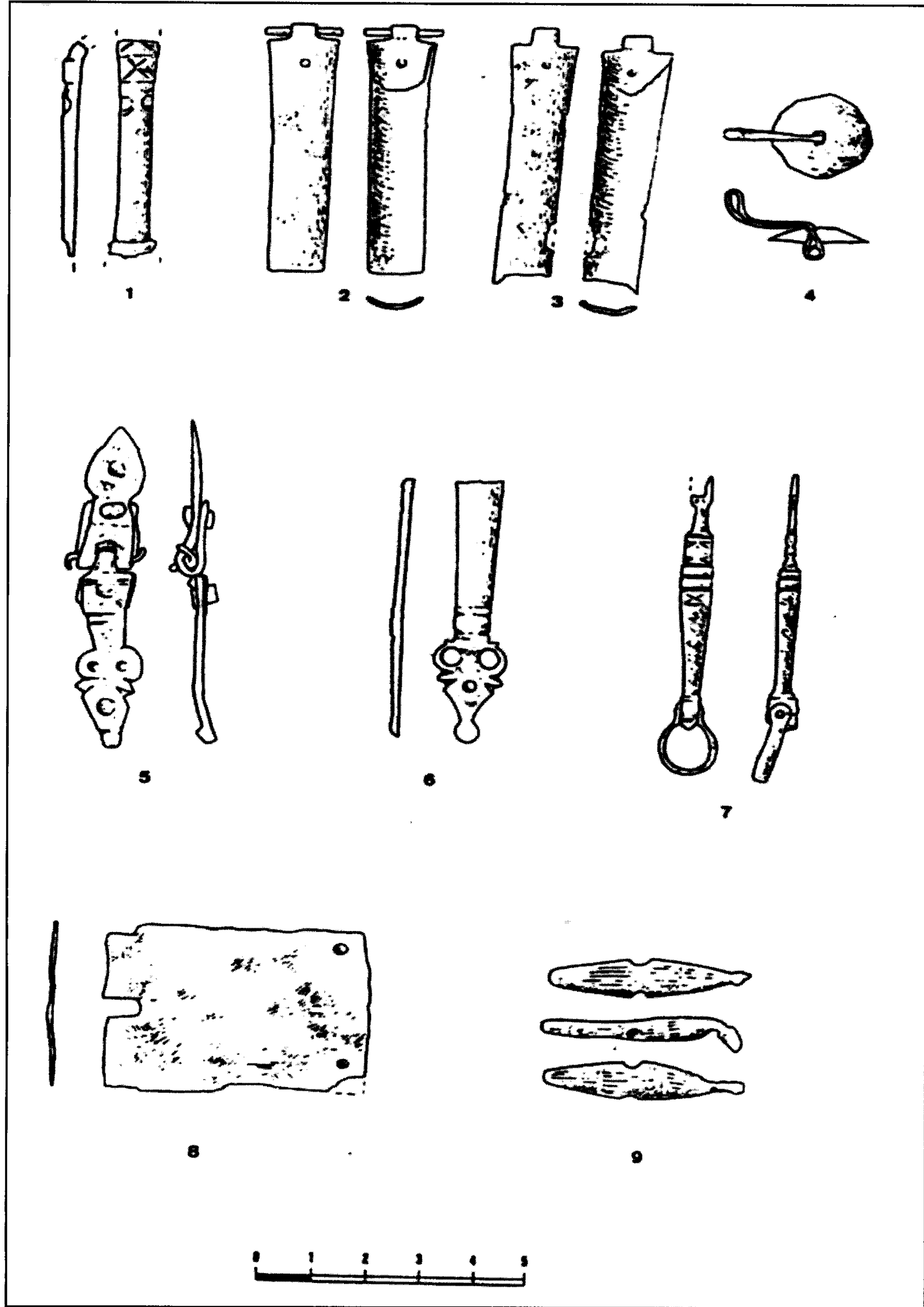


لوحة ٤: حدائد معدنية مع رقائق خشبية تبين آثار تثبيت الحدائد عليها.

لوح غطاء الصندوق نحو الداخل، ثم توسّع أطرافه لتثبيته ولمنع خروجه، رقم ٧٠٣٥ (Azuar 1985: 105 no. 227) (الشكل ٥: ٤). أما القطعة الثانية: فيبدو أنها ذات طابع تجميلي، وهي عبارة عن قرص متعدد الفصوص ومزود بثقب مركزي للتثبيت، رقم ٧٠٩٥ (Azuar 1985: 105 no. 227).

وإلى تلك القطع المعدنية يمكن إضافة الكسر الخشبية الأربع، المسجلة ضمن المجموعة رقم ٢٤٥ (Azuar 1985: 118)، والمخصصة عادة لتثبيت زوايا الصناديق. وهذه القطع لا تزال تحتفظ ببقايا المسامير، أو البرشامات المعدنية المستخدمة لتثبيت الألواح العظمية على الأطر الخشبية، وكذا آثار بقايا القضيب المعدني المسجل برقم ٧٠٧٦، الخاص بالقطعة رقم ٦٩٣٠ والقطعة رقم ٧٠٧٤ (الشكل ٤).

وتجدر الإشارة إلى أن أنماط العناصر الزخرفية المجملة

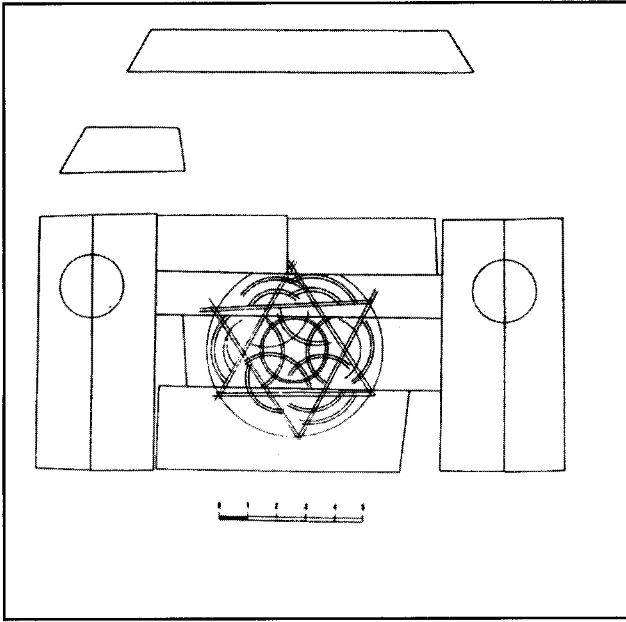


(الشكل ٥)

بها صناديق العاج الصقلية، هو مما يستخدم بشكل شائع واعتيادي جداً (Cott 1939)، سواء كان ذلك على الصناديق الموشورية الشكل، أو العلب الأسطوانية، التي انتشرت ابتداء من القرن الثاني عشر الميلادي، حسب دراسة (Kuhnel 1971) الأثرية المعمقة. وفيما يتعلق بالصندوق الذي ندرسه ونحلّله، فإنه يحتوي على مفصلات معدنية ذات مقطع محدب، وتنتهي بشكل رمحي مدبب، وأخرى ذات مقطع مستوٍ مسطح؛ ونماذج النوع الأول شائعة جداً في تلك العلب العاجية الأسطوانية منذ العهد الفاطمي (كونيل ١٩٧١م)، وإن كانت مجمّلة بحدائد تنتهي بشكل منقار طائر وعين واحدة فقط. وهناك نموذج معبر لهذا النوع الأسطواني تم نشره في كتالوج معرض إستكهولم (١٩٨٥م، رقم ٤٢، ص ١٢٢).

إن الملحوظات المدونة على حدائد هذه الصناديق، تبين أننا أمام مجموعة تكاملية تتميز بظهور نهايات فريدة ثلاثية الفصوص، وهي تذكر بالعنصر النباتي التقليدي المستخدم على نطاق واسع، ضمن العناصر الزخرفية الشائعة، الذي غالباً ما يكون مزوداً بعيون أو ثقوب في وسطها. وتلازم هذه الزخرفة خطوط محزوزة لإبراز شكل نهايات، أو أطراف الحدائد التجميلية، والمناطق المزودة بمسامير التثبيت. ويعد هذا الأسلوب التجميلي تطوراً واضحاً لتلك النهايات المدببة، التي تتميز بها حدائد الصناديق العاجية المصنوعة في صقلية (Cott 1939) والتي لا يعرف منها سوى أعداد محدودة؛ ويعد الصندوق العاجي المعروف بصندوق كاتدرائية تورتوسة، أحد النماذج التي تحتوي على حدائد مماثلة لما هو بين أيدينا الآن (Ferrandis 1940: 262 no. 163, fig. 83) وقد حدد تاريخ تلك القطعة حديثاً بواسطة خ. ثوثايا (غرناطة، ١٩٩٢م، ص ٢٦٥، رقم ٥١) بنهاية القرن الثاني عشر وبداية الثالث عشر الميلادي.

وفيما يتعلق بالقطع المزودة بحدائد تنتهي بزهرة معدنية متعددة الفصوص، فإن هناك نماذج قليلة جداً منها، والغريب أنها جميعاً من ذلك النوع الأسطواني الشكل؛ ومنها تلك العلبة المحفوظة بمجموعة سيرا بيلارو (Ferrandis 1940: 196 no. 74, fig. 53)، (التي تنسب إلى صقلية النورماندية، وتؤرخ بالقرن الثاني عشر الميلادي. وكذلك علبة القديس



(الشكل ٦)

دومينجو دي سيلوس ذات الغطاء شبه الكروي، التي تماثل حدائدها حدائد القطع المقدمة هنا، وتعود إلى القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين (Casamar 1985: 26 no. 6). وأخيراً، هناك النموذج الخاص بصالة والتر للعروض الفنية في بلتيمور، الذي حصل عليه آنذاك ب. ب. كوت (١٩٣٩م، ص ٤٥ رقم ٩٦، لوحة ٦٠) ونسبها إلى القرن الثاني عشر الميلادي، لكنه أشار إلى أن حدائدها ربما تعود إلى فترة لاحقة.

ويتضح مما سبق أن نهايات هذه الحدائد المميزة، تخالف ذلك النمط التقليدي السابق، الذي يتسم بأطرافه المدببة، التي تكون أسطحها ملساء خالية من الزخرفة، وذات مقطع محدب؛ وهي بالتالي تقود إلى الاقتناع بأنها سابقة لتلك النماذج، التي تتميز بأشكالها الدقيقة والمزودة بحبال رفيعة محزوزة على الصفائح النحاسية. ولعل الأمثلة المشابهة لهذه الحدائد هي تلك الموجودة على صندوق غرناطة، المحفوظ بمتحف الآثار بمدريد (Granada 1992: 268-9 no. 53) وكذلك على العلبة العاجية المثمنة الشكل، المحفوظة في معهد بالنثيا دي دون خوان بمدريد، تحتوي على حدائد بديعة الصنع، وهي كذلك تنسب إلى ورش غرناطة (Ferrandis 1940: 266-7 no. 168, fig. 87). وينطبق ما أسلفناه كذلك على القطعة المحفوظة في كاتدرائية طليطلة، التي ربما لا تعود إلى ورش غرناطة، وأرجعها م. كاسامار إلى القرنين الثالث والرابع عشر

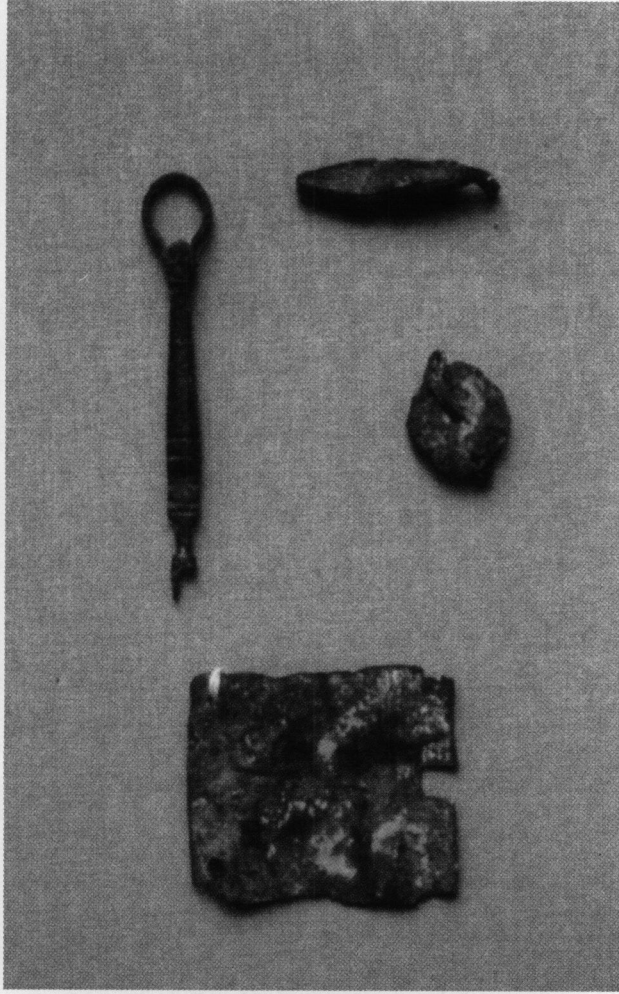
الميلاديين (١٩٨٥م، ص ٣٣، رقم ٤)؛ أي أنها تعود إلى فترة متأخرة بعض الشيء عن سابقاتها.

إن ظهور هذه الحدائد، إلى جانب مجموعة ألواح الصناديق وبقايا القرون، لا تترك مجالاً للشك في أن مصدر جميع هذه المعثورات هو هذه الورشة، التي تم اكتشافها في بلدة خيخونا، وبالتالي لا يمكن ربط هذه الحدائد بورش غرناطة، أو نسبتها إليها. وإذا ما افترض نسبتها إلى إحدى ورش الصناعات البرونزية الأندلسية، التي ربما كانت في إحدى مناطق بلنسية، حيث يمكن نقش وتجميل العلب المزخرفة المجلوبة من صقلية، فإن هذا الأمر معزز بظهور هذه الحدائد في صندوق كاتدرائية تورتوسة.

٢ - ٣ - أنماط الصناديق وعناصرها الزخرفية :

من خلال المعاينة الأولية لحجم وتقنية نحت الصفائح، أو الألواح العظمية المتخذة من قرون الوعول، يستطيع المرء أن يتحقق من وجود ورشة مخصصة لإنتاج صناديق مضلّعة الأشكال، وليس لإنتاج علب أسطوانية. كما يدل وجود بعض الألواح، التي تأخذ أشكالاً شبه منحرفة (الشكل ٣: ١٠)، على احتمالية كون نمط الصناديق المصنعة في هذه الورشة من النوع التابوتي الشكل.

ويبدو أن هذا النمط مرتبط بالعدد القليل من القطع، أو الصناديق المعدة من ألواح صغيرة الحجم. وقد عُدَّ إنتاج هذا النوع، حسب رأي كل من ب. ب. كوت و ج. فيرانديس، صناعة أندلسية أنتجت في إحدى ورش غرناطة، التي تعود لفترة بني نصر إبان القرن الرابع عشر الميلادي؛ ويمكن أن يدرج ضمن هذه المجموعة تلك القطع الكبيرة الحجم، كذلك الغطاء التابوتي الشكل المحفوظ في مجموعة السيد أوليجاريو جونيينت (Ferrandis 1940: 212 no. 92, fig. 62)، وصندوق سانتا مارية دي هويرتا (فيرانديس، ١٩٤٠م، ص ٢١٤، رقم ٩٤، لوحة ٦٣)، وكذلك صندوق كوليخياتا دي سوريا (Ferrandis 1940: 214 no. 95, fig. 64). والقطعة المحفوظة في مجموعة لاثارو جالديانو (Ferrandis 1940: 220 no. 101, fig. 69). وإلى هذه القطع لا بد من إضافة صندوق مهم جداً، وذلك بسبب صغر



لوحة ٣: حدائد وصفائح معدنية خاصة بغلق الصناديق.

حجمه (إذ يبلغ طوله ٩ سم وعرضه ٦ر٦سم وارتفاعه ٥ر٧سم) لكنه مصنوع في المكان نفسه ،الذي صنعت فيه القطع السابقة ويعود إلى الفترة التاريخية نفسها، ذلك هو الصندوق المحفوظ في متحف فيكتوريا وألبرت في لندن رقم ١٨٦٦/١١ (Cott 1939: 51 no. 132 fig. 57; Ferrandis 1940: 219 no. 100).

لقد مرَّ أكثر من نصف قرن منذ دراسة ونشر هذه القطع، وأعتقد أنها في الوقت الراهن تحتاج إلى شيء من المراجعة والتقويم، كتلك التي يقوم بها م. كاسامار، إذ طرح سلسلة من القطع غير المنشورة، التي لم تعرض في مثل هذه الدراسات التقليدية المعهودة. كما هو الحال في ذلك الصندوق التابوتي الصغير (٥ ر١٢ × ٨ سم × ١٠ سم) المحفوظ في كاتدرائية

طليطلة والمسجل بقائمة عام ١٩٧٦م، رقم ١٣٦، والذي اعتبره صقليّ المصدر ووضعه تاريخياً في أفق القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين؛ ويشتمل هذا النموذج على حدائد شبيهة بالحدائد المعروضة هنا، وإن كانت ذات عناصر زخرفية أكثر تطوراً من عناصر القطع المدروسة.

إن ما تتضمنه مجموعة الصناديق العاجية المهمة، من قطع مصنَّعة من ألواح صغيرة الحجم، يعد في حكم النادر، إذ لا توجد منها، حتى وقتنا الراهن، سوى ستة نماذج فقط، وهو عدد لا يمكن مقارنته، بأي حال من الأحوال، مع عدد تلك الصناديق الكبيرة. ومما يلفت الانتباه أن هذه الألواح، أو الصفائح الصغيرة المعدة من القرون، كان يُعتقد حتى يومنا هذا أنها ألواح عاجية، وكان يعزى سبب صغر حجمها إلى شح مادة العاج (Ferrandis 1940)؛ كما كانت تعد طريقة صناعتها الشاذة كأسلوب مستحدث في عهد بني نصر، دون الاعتماد على أدلة واضحة يعتد بها.

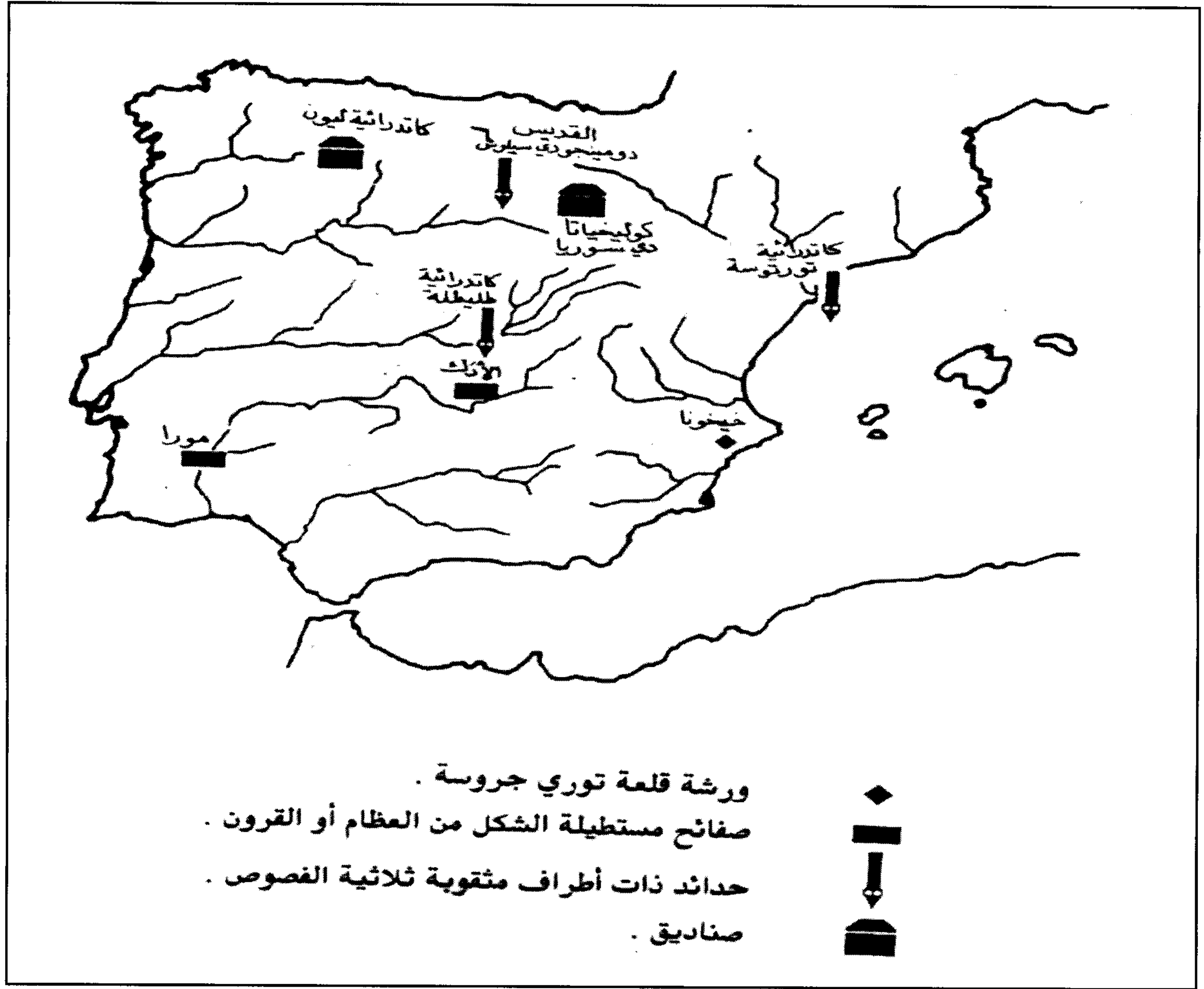
والواقع أن المصنوعات العاجية المنتجة في القرن الرابع عشر الميلادي، تتميز بأن صفائحها العاجية إما أن تكون مخرمة أو مرصّعة. وبناءً عليه، أرى أنه من المستحسن العمل، في المقام الأول، على تحديد نوع مادة صناعة هذه الصناديق، التي يبدو أن بعضها مصنوع من القرون، وليس من العاج كما هو سائد، بل إنه يمكن نسبتها إلى ورش أندلسية سابقة لدولة بني نصر.

وفي هذه المرحلة سيستند تحليلنا لهذه الأمور على المعطيات الموثّقة، الخاصة بورشة خيخونا على وجه التحديد؛ وكذلك على نتائج اكتشافات حديثة لألواح ذات حواف مثلومة، في مواقع مختلفة من شبه الجزيرة الإيبيرية. وعليه، ينبغي أن نشير إلى اكتشاف ما يصل إلى عشرين لوحاً أثناء الحفريات الأثرية، التي أجريت في قلعة الأرك (ثيوداد ريال)، وجدت مجتمعة مع بعضها البعض داخل غرفة واحدة، وهي ذات أحجام مختلفة. ويلاحظ على أسطح بعضها أنها مزخرفة برسوم مذهبة، أساسها عناصر نباتية محورة على هيئة الجامات الدائرية، بينما يلاحظ على بعضها الآخر بقايا زخارف كتابية. وقد نشرت جميع هذه الألواح من قبل م. كاسامار (Ciudad Real 1995: 282-3 no. 128) واعتبرها معاصرة لمعركة الأرك التي حدثت عام ١١٩٦م.

وهناك مجموعة أخرى من الألواح ذات أهمية بالغة، وهي تشكل فيما بينها الألواح الخاصة بصندوق محفوظ بالمتحف البلدي في مدينة مورا بالبرتغال، وقد عرّف بها السيد س. ماثياس في أحد أعداد هذه المجلة (Arqueoolgia Medieval 1993, p. 137, Figure 18)، ثم تناولها فيما بعد خلال دراسة مفصلة في الحلقة الأثرية الخامسة التي عقدت في لشبونة عام ١٩٩٣م (Macias 1994). ولقد دفعت تلك الأجزاء المكتملة بالسيد ماثياس خلال معاينته لها، إلى أن يتصور شكل الصندوق على هيئة موشورية طولها ٨ ر١٢ سم وعرضها ٢ر٦ سم، كما تبين له أن الصندوق صُنع من الخشب ثم ألصقت به من الخارج صفائح من العظم وليس من العاج. كذلك تعرّف الباحث على كيفية تثبيت الألواح وذلك عن طريق حدائد صغيرة لا زالت أجزاء منها باقية في أماكنها الطبيعية. ولقد تم إعادة تركيب اثنين من الواجهات الطولية للصندوق، وتبين أنهما يحتويان على عنصر تجميلي مركزي، يتمثل بزهرة ذات فليقات مشتبكة، وهي تماثل ذلك العنصر الذي يجمّل صندوق متحف فيكتوريا وألبرت الآنف الذكر، ويحيط بحواف العنصر زخرفة نباتية، مع أشكال آدمية متقابلة.

وفيما يتعلق بتاريخ هذه القطعة، فيمكن القول إنه حسب تشابه عناصرها الزخرفية مع تلك، التي تجمل خزفيات مورسية المرسوم عليها بالجرافيت، أنها تعود إلى النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، كما لا يستبعد أن يكون مصدر صناعتها هو أحد ورش مدينة غرناطة (Macias 1994: 297) علماً بأن أجزاء القطعة تم اكتشافها أثناء التنقيب في طبقات الفترة الإسلامية بقلعة مورا، التي تعود للعصر الموحدي، التي استردت من قبل المسيحيين عام ١٢٣٢م.

جدير بالتنويه أن التشابه الملحوظ، بين الصندوقين المكتشفين في قلعة الأرك وبلدة مورا البرتغالية، والقطع المكتشفة في قلعة خيخونا، وخصوصاً فيما يتعلق بالشكل والحجم وكذلك الحدائد المضافة، تدعو إلى تأكيد ما ألمحنا إليه في حينه (Azuar 1989) وهو وجود ورشة محلية لنحت قرون الوعول، وصناعة أدوات متنوعة، مثل: مقابض المغازل، وجوزة القوس الفولاذي، والأغطية.. ونحوها، إلى جانب



(الشكل ٧)

صناعة الصناديق الخشبية المجملة بألواح من العظم.

أما فيما يتعلق بالفترة التي تعود إليها هذه القطع، فإنها تتزامن وعصر القطعتين اللتين عثر عليهما في حفريات الأرك ومورا، وهو عصر الموحدين أو نهاية القرن الثاني عشر الميلادي وحتى النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، كما أنه عثر عليها في الطبقات الأثرية نفسها، التي تعود للفترة الإسلامية.

وأمام هذه المعطيات البالغة الأهمية، فإنه من الواضح أننا نجد أنفسنا، وللمرة الأولى، أمام قطع موثقة بواسطة تاريخ الطبقات الأثرية، وليس عن طريق تحليل أشكالها ومقارناتها ونحو ذلك. وعلى الرغم من المسافة الكبيرة، التي تفصل بين مجموع هذه القطع، فبعضها من أقصى الشرق والبعض الآخر من أقصى الغرب، لكنها تعود للتاريخ نفسه. وهذا في واقع الأمر يدل على أن صناعة هذه الصناديق كانت تزاول في هذه الفترة بشكل مستمر، وليس في ورش ريفية صغيرة، كما هو الحال في خيخونا، بل من المؤكد أن هذا كان يتم في أسواق المدن الأكثر أهمية.

ونظراً لندرة مادة العاج، فقد اضطر الصنّاع (النحات) إلى تطبيق خبراتهم التقليدية في نحت قرون الوعول لصناعة الصناديق، انطلاقاً من مقاساتها الطبيعية المحدودة، التي تحتم على هؤلاء أن تكون ذات أشكال موشورية، مع أغطية مسطحة،

أو تابوتيـة، أو هرميـة. وتتطابق مـجـمـوعـة الصناديق هذه مع المجموعة، التي استعرضها خ. فيرانديس، وكذلك مع المجموعة الأندلسية؛ لكن نظراً للمعلومات المستجدة الحالية، فقد أصبح من الضـروري إعادة النظر بتلك الصناديق المصنوعة من ألواح ذات أحجام صغيرة؛ فقد لا تكون مصنوعة من العاج، كما قد يعاد النظر في أمر تاريخها. ذلك إن معاينة الحالات المشار إليها سالفاً، التي تأكدت المعلومات الخاصة بها آثارياً، تُمكّن من اعتبار معظمها من القرن الثالث عشر الميلادي.

وهناك معلومة مهمة أخرى مصدرها ورشة خيخونا، تتعلق بالحدائد الملحقة بالصناديق، إذ تبين أن عناصرها الزخرفية تختلف عمّا هو على منتجات صقلية، وكذلك الحال في تاريخها ونمطها؛ وعليه يمكن اعتبار معثورات ورشة خيخونا، التي تحمل هذه الخصائص، نماذج صنعت بشرقي الأندلس، وذلك قبل قيام دولة بني نصر.

د. عبدالله بن ابراهيم بن عثمان العمير: قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود، ص. ب: ٢٤٥٦ - الرياض ١١٤٥١ - المملكة العربية السعودية.

الهوامش:

(١) نشر هذا البحث باللغة الإسبانية في مجلة "Arqueologia Medieval" (آثار العصور الوسطى) العدد الخامس، مرتلة، ١٩٩٧م. ولا يفوتني أن أتقدم إلى الباحث ر. أثوار بجزيل الشكر والتقدير، حينما أذن لي بترجمته إلى اللغة العربية، ونشره في أحد الأوعية العلمية في المملكة (المترجم).

(٢) متحف الآثار بمنطقة أليكانتي، طريق المحطة، (٦-٠٣٠٧١ أليكانتي).

المراجع

Azuar Ruiz, R. 1985. "Castillo de la Torre Grossa (Jijona) ", **Alicante**.

--------------- 1989. "Denia Islamica. Arqueologia y Poblamiento", **Alicante**.

Benito Iborra. M. 1988. "Algunas aportaciones sobre la caza en el senorio de los Maca de Licana", **Betania**, 36.

----------------- 1993. "La evolucion estructural de las sociedades historicas del Sur de la Comunidad Valenciana a traves de la reconstruccion arqueozoologica". IV CAME, I, **Alicante**, 151-168.

Billamboz, A. 1979. "Les vestiges en bois de cervides dans les gisements de l'epoque holocene. Essai d'identification de la ramure et de ses differentes composantes pour l'etude technologique et l'interpretaion Palethnographique", Industrie de l'os Neolithique et de l'Age des Metaux (Paris), 93-129.

Casamar, M. 1985. "Marfiles islamicos poco conocidos", Cuadernos de la Alhambra, 21 (Granada), 11-29.

Ciudad Real 1995. "Alarcos. El fiel de la balanza", Toledo.

Cott, P. B. 1939. "Siculo-Arabic lvories", Princeton.

Estocolmo 1985. "Islam kunst och kultur", Stockholm.

Ferrandis, J. 1928. "Marfiles y azabaches espanoles", Barcelona.

----------------- 1935. "Marfiles arabes de Occidente",

vol. 1, Madrid.

----------------- 1940. "Marfiles arabes de Occidente", vol.2 , Madrid.

Granada 1992. "Al-andalus. Las artes islamicas en Espana". Granada.

Kuhnel E. 1971. "Die Islamischen Elfenbeinskulpturen VIII.XIII Jahrhundert", Berlin.

Lopez Padilla, J. A. 1995. "El castillo de la Torre Grossa de Xixona (Alicante). Un taller de eboraria del siglo XIII", Castells, 5 (Alicante), 33-36.

----------------- 1995a. "Instrumentos de asta de ciervo. Un taller medieval en el castillo de la Torre Grossa (Xixona, Alicante)", XXIII CNA, Elche (e.p.).

Macias. S. 1993. "Moura na baixa idade media: elementos para um estudo historico e arqueologico", **Arqueoolgia Medieval**, 2: 127-157, Mertola.

----------------- 1994. "A arqueta pintada do periodo islamico do Museu de Moura", V Jornadas Arqueologicas, 2 (Lisboa, 1993), Lisboa.

Menenedz-Pidal, G. 1984. "la Espana del siglo XIII leida en imagenes ". Cuadernos de La Alhambra, 19-20 (Granada), 3-61.

Macgregor, A. 1985. Bone, Antler, Ivory and Horn. The Technology of Skeletal Materials Since the Roman Period, Londres.

Motos Guirao, E. 1991. El poblado medieval de "El Castillon "(Montefrio, Granada). Estudio de sus materiales, Granada.

Navascues y De Palacio, J. de 1964. "Una escuela de eboraria, en Cordoba, de fines del siglo IV de la Hejira (XI de J.C.), o las inscripciones de la arqueta hispano musulmana llamada de Leyre", **Al-Andalus**, 29: 199-206, (Madrid) .

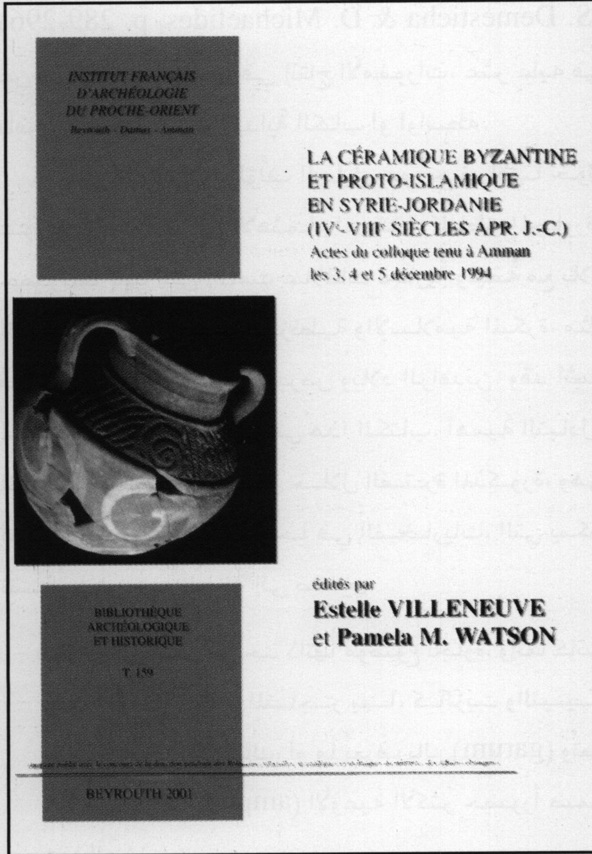
Palma De Mallorca 1979. "Exposicion de cajas, cofres y arquetas a traves de la historia", Palma de Mallorca.

Valdes Fernandez, F. 1985. La Alcazaba de Badajoz I. Hallazgos islamicos (1977-1982) y testar de la Puerta del Pilar, E.A.E, 144, Madrid.

Varela Gomes, R. 1988. "Ceramicas muculmanas Do Castelo De Silves", XELB, 1.

Zozaya, J. 1986. "Arqueta andalusi ", en Thesaurus/ Estudis, "L'art als Bisbats de Catalunya, 100-1800"; cat. Exp., pp. 26-27, Barcelona (1985).

عرض الكتب



اسم الكتاب: الفخاريات البيزنطية والإسلامية المبكرة في سورية والأردن (بين القرنين الرابع والثامن بعد الميلاد).

أعمال ندوة عمان المنعقدة بتاريخ ٣، ٤ و ٥ كانون الأول ١٩٩٤.

المحررتان: إستيل فيلنوف و باميلا واطسُن.
E. Villeneuve & P. Watson

الناشر: المعهد الفرنسي للآثار في الشرق الأدنى (IFAPO)، بيروت.

سنة النشر: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

التصنيف الدولي: ٥-١٠-٩١٢٧٣٨-١٠-٥.

مقاس الكتاب: ٢٢ × ٢٨ سم.

عدد الصفحات: i-v صفحة + ٣٣٢ صفحة (وتشمل ١٥٩ شكلاً ولوحة).

عرض: مولاي محمد جانيف

صدر مؤخراً، ضمن السلسلة المعروفة باسم (Bibliothèque archéologique et historique)، أو "المكتبة الآثارية والتاريخية"، التي يُصدرها بشكل منتظم المعهدُ الفرنسيُّ للآثار في الشرق الأدنى (IFAPO /IFPO)، كتابٌ مهم عن الإنتاج الفخاري في سورية والأردن، خلال الفترتين البيزنطية والإسلامية المبكرة، عنوانه:

La céramique byzantine et proto-islamique en) Syrie-Jordanie (IVe-VIIIe siècles apr. J.-C.) Actes du colloque tenu à Amman les 3, 4 et 5 décembre 1994)

والكتاب، إذ يختار هذه الفترة بالذات، فهو يختار الأصعب، لأن دراسة الفخاريات العائدة لفترة انتقالية بالغة الأهمية في تاريخ بلاد الشام، تطرح من الصعاب الشيءَ الكثيرَ، وتتطلب جهوداً استثنائية لتتبع التغيّرات، التي طرأت على الإنتاج الفخاري في المنطقة طيلة خمسة قرون (الفترة الممتدة بين القرنين الرابع والثامن الميلاديين).

ولتحقيق هذه الغاية، تضافرت في هذا الكتاب جهودُ ما يزيد عن ثلاثين باحثاً، قدّموا دراساتٍ متباينةً موضوعاً، متحدةً هدفاً، إذ سعت كلُّها إلى فهم التطورات، التي ميّزت مسيرةَ الصناعة الفخارية في منطقة بلاد الشام، وتتّبعها، خلال الفترة المذكورة. ولذلك، يبدو مفهوماً أن تختار محرِّرتا الكتاب (إستيل فيلنوف و باميلا واطسُن) للدراسات المقدَّمة، ترتيباً عبر الزمان (diachronic)، بدل ترتيبها عبر المكان (synchronic). بيد المحررتين لم تُحافظا على التزامهما بهذا المبدأ، على امتداد صفحات الكتاب. فبدا أمراً غيرَ مفهوم، مثلاً، تصنيف دراسةُ هايس (.J. W Hayes, p. 275-282) عن الفخار الروماني المتأخر المعروف باسم (Late Roman Fine Ware)، وهو فخار

رفيعٌ كان يُستَورد إلى المنطقة وتتم محاكاتُه على الصعيد المحلي، في نهاية الكتاب تقريبا، وكان أولى أن تحتلَّ هذه الدراسةُ، مثلها مثل دراسة س. دمستيكا و د. ميكايليديس (S. Demesticha & D. Michaelides, p. 289-296) عن فرن فخار مختص في إنتاج الأمفورات، عُثر عليه في بافوس بجزيرة قبرص، بدايةَ الكتاب أو أواسطَه.

ومع أن عنوانَ هذا المؤلَّف الجليل يدور جغرافيا حول سورية والأردن، إلا أن الاهتمامَ لم يُغفل المناطقَ المجاورة، خصوصا تلك التي أقامت علاقاتٍ تجاريةً وثيقةً مع بلاد الشام، خلال الفترتين البيزنطية والإسلامية المبكرة، مثل منطقة بحر إيجه وجزيرة قبرص وبلاد الرافدين. وقد أثبت عددٌ من دراسات المقدمة في هذا الكتاب، أهميةَ التبادل، الذي ساد بين هذه المناطق خلال الفترة المذكورة، وهي أهمية تبدو أكثرَ وضوحا في الفخاريات، التي يمكن تقسيمُها في هذه الحالة إلى صنفين:

١- فخاريات لم تكن في حد ذاتها موضوعَ تجارة، وإنما كانت أوعيةً لنقل المواد المتاجَر بها، كالزيت والنبيذ ومستحضرات الأسماك، أو ما يُعرف بالـ (garum) وتُعدُّ الأمفورات (amphorae) الأوعيةَ الأكثرَ حضوراً ضمن هذا الصنف.

٢- أوانٍ فخارية كانت تُباع وتُشترى على نطاق واسع. وقد تمثل هذا الصنفُ أساسا في أوانٍ من الطراز الرفيع، كانت تُستخدم في أغراض المائدة. وقد كشفت بعضُ دراسات هذا الكتاب، على تركز الفخاريات من هذا النوع في مواقع تحتل الساحلَ الشامي، وإن عُثرَ على نماذج منها في مواقع داخلية، مثل القدس وجرش... على أن الموقعَ الأخيرَ تفرَّد بإنتاج فخاري مشهور، تمثل أساساً في الصحون المعروفة باسم: "زبادي جرش" (Jerash Bowls)، التي يمكن أن تُعدّ تقليداً لبعض الفخاريات المستوردة؛ وهي بذلك لعبت دورَ هذه الفخاريات على الصعيد المحلي، فكانت موضوعَ تجارة جَهَويَّة نَشطة.

ولعل النتيجةَ الأهم، التي يمكن استخلاصُها من هذه الدراسات، هو أن التغيرات الجذرية، التي طرأت على الصناعة الفخارية في المنطقة خلال هذه الفترة، لم تحدث في منطقة الساحل، بل في الأجزاء الداخلية من بلاد الشام، التي عرف إنتاجُها الفخاريُّ تغيّراً بطيئاً، وصل أوجَه في القرن الثامن مع ظهور فخاريات تمثل تجديداً حقيقياً في هذا الحقل. ولئن تركز هذا التجديدُ في منطقة شمالي سورية والجزيرة وأعالي الخابور (قلعة سمعان، الرقة، الرصافة...)، فهو لم يكن سوى صدىً لتغيّر أكثرَ عمقاً عرفه العراق، مع ظهور الدولة العباسية، حين برزت صناعاتٌ فخاريةٌ مالت بشكل واضح نحو محاكاة الأواني المعدنية، أو اتخذت منحىً أكثرَ أصالة تمثل بوجه خاص- في الفخاريات المزجَّجَة، التي انطلق إنتاجُها من سامراء والرقة... ليعمَّ منطقة بلاد الشام والمشرق العربي.

إن ما يمكن قولُه في ختام هذه المراجعة القصيرة، هو أن هذا المؤلَّف يشكّل قفزة نوعية في حقل الدراسات المهتمة بالصناعات الفخارية في بلاد الشام، خلال فترة انتقالية لا زالت معارفُنا عنها ناقصة إلى حد بعيد. فكم يبدو مثمراً ذلك اللقاءُ، الذي جمع نخبةً من المختصين في عمان قبل بضع سنين، وها نحن اليوم نستفيد من نتائجه القيّمة كاملةً دون نقص! وإذا كان انتظارنا لهذا المؤلَّف قد استغرق سنواتٍ قبل صدوره في ربيع سنة ٢٠٠١، فإننا جوزينا على طول انتظارنا كأحسنَ ما يكون الجزاء، وحسبُنا أن الكتاب خرج إلى النور جليلاً حسنَ الإخراج، خالياً من الأخطاء، عظيمَ الفائدة؛ وهذه حسناتٌ لا تجتمعَ -عادة- في مؤلَّف إلا إذا أولاهُ واضعوه أو المشرفون عليه من الاهتمام، ما يستدعي جهوداً جبارة...

غير أن عيبَ هذا الكتاب وطامَّتَه الكبرى يكمنان في رداءة ترجمة ملخصات الأبحاث إلى العربية. ولأن حرصَنا كبير على لغة الضاد، ورغبتَنا أكيدة في تصحيح الأخطاء الفادحة الكثيرة الواردة في هذه الترجمة، ارتأينا أن نقدم في هذا المقام عرضاً مفصلاً لمعظم العثرات، التي وقع فيها المُترجم.

عندما يُعْهَدُ بالترجمة إلى غير أهلها، ماذا تكون النتيجة ؟!

في المنشورات الأخيرة الصادرة عن المعهد الفرنسي للآثار في الشرق الأدنى (IFAPO / IFPO)، سواء في

حوليته (Syria)، أو في السلسلة، التي يُصدرها بشكل دوري تحت اسم: "المكتبة الآثارية والتاريخية" Bibliothèque archéologique et historique =) BAH)، ثمة دأبٌ محمود على إرفاق الدراسات الصادرة ضمن هذه المنشورات، بملخصات مكتوبة بالعربية. وهو إجراء قلّما نجد له نظيراً في المنشورات، التي تصدرها المعاهدُ الأجنبية الأخرى الناشطة، في حقل الدراسات المتعلقة بآثار المنطقة والموجودة في أكثر من قطر عربي. ونحن لا نملك إلا أن نُثني على هذه الخطوات، التي تيسر للقارئ العربي غير المتمكّن من الفرنسية، الاطلاعَ على خلاصة هذه المنشورات التي تغطي - عادة - فتراتٍ طويلةً، تمتد من عصور ما قبل التاريخ حتى العصور الإسلامية، ومساحةً شاسعةً تشمل كلَّ المشرق العربي.

غير أن النياتِ الحسنةَ يمكن أن تُحدثَ من الخسائر، أحياناً، أضعافَ أضعافِ ما يمكن أن تحدثه النياتُ السيئة. ويصح ذلك بشكل خاص على بعض هذه المنشورات، التي صدرت خلال السنوات القليلة الماضية، وبها ملخصاتٌ مكتوبةٌ باللغة العربية أقل ما يمكن أن يقال عنها هو أنها تسيء إلى لغة الضاد، وتوجّه سهاما مسمومة لكل الجهود الخيرة، التي يبذلها بعض أهل الاختصاص من علماء الآثار العرب، لإيجاد المصطلحات العربية السليمة، كلٌّ حسب اختصاصه. كما تعصف بكل جهد يسعى إلى توحيد هذه المصطلحات، وتكريس ما تم التعارفُ عليه في هذا الإطار. ونقصد هنا تحديداً المؤلَّفَ الذي نحن بصدد تقديم مراجعة قصيرة له في هذه الصفحات.

عندما أهدتني السيدة إستيل فيلنوف، مشكورةً، نسخةً من الكتاب، الذي حرّرته بالاشتراك مع السيدة باميلا واطسُن، عن فخاريات سورية والأردن خلال الفترتين البيزنطية والإسلامية المبكرة، أثار إعجابي هذا المؤلَّف الجليل بمحتواه، الذي ضم عدداً كبيراً من الدراسات القيّمة، التي أنجزها مختصون تناولوا مسائلَ تنوّعت موضوعاتها، لكن أهدافها واحدة، إذ حاولت كلُّها تقديمَ فهمٍ واضحٍ للتغيّرات، التي طرأت على الصناعات الفخارية، خلال فترة انتقالية شديدة الأهمية في تاريخ المنطقة تقع بين القرنين الرابع والثامن بعد الميلاد. وقد تجاوز إعجابي مضمونَ الكتاب إلى شكله، الذي نال قسطَه الوافرَ من الاعتناء، فخرج هذا السِّفرُ أنيقا حسنَ الديباجة، يُغري الناظرَ بتصفحه.

غير أنني ما إن استرسلت في قراءة الترجمة العربية لبعض الملخصات، حتى أصابني الذهول وأدركت حجمَ الاختلاف بين النص الفرنسي، الواضح والمسبوك العبارة، وبين النص العربي، الذي خرج ركيكاً متهافتاً، ومليئاً بالأخطاء والسقطات. ولو أن تهافتَ الترجمة العربية اقتصر على الأخطاء النحوية لهان الأمر، لأن هذه الأخطاء قد بلغ بها الشيوعُ، للأسف، في كثير من المنشورات العربية حداً، بات معه غضُّ الطرف عنها أحفظَ للوقت والعقل؛ ولكن تهافت الترجمة تجاوز الخطأ النحوي، إلى تشويه المعاني، وتقويلُ الباحثين ما لم يخطر لهم على بال؛ وهو أمر من الخطورة، لا يمكن تفويتُه أو السكوتُ عنه.

وفيما يلي عرضٌ لهذه الأخطاء، بدءاً بعنوان الكتاب وانتهاءً بدراسة ألن والمسلي (A. Walmsley) عن الفخار ذي اللون الأبيض الداكن المائل إلى الصفرة (Cream Ware)، الذي ظهر في الأردن وفلسطين خلال القرن الثامن بعد الميلاد، مع الإشارة إلى أن مواطنَ الخطأ والتصويبات المقترحة أُبرزت بخط عريض يختلف عما سواها.

١- عنوان الكتاب:

La céramique byzantine et **proto-islamique** en Syrie-Jordanie (IVe-VIIIe siècles apr. J.-C.) Actes du colloque tenu à Amman les 3, 4 et 5 décembre 1994.

نقل المترجمُ عنوانَ الكتاب إلى العربية على النحو التالي:
الفخاريات البيزنطية **وما قبل الإسلامية** في سورية والأردن (من القرن الرابع إلى الثامن ميلادي)
أبحاث ندوة عمان في ٣، ٤ و ٥ كانون الأول ١٩٩٤ .

يبدو أن المترجم لا يفرق بين (**pré**-islamique) وبين (**proto**-islamique)، وشتان ما بين العبارتين؛ فالأولى تعني: (ما قبل إسلامي)، والثانية، وهي الواردة في عنوان

الكتاب، تعني (إسلامي مبكر)، وهو بالتحديد معنى عبارة: (Early Islamic)، التي استُخدمت في نصوص الملخصات الإنجليزية. وبناء عليه، تكون الترجمة السليمة لعنوان الكتاب على النحو التالي:

(الفخاريات البيزنطية والإسلامية المبكرة في سورية والأردن). ولأن هذا الخطأ يتكرر على امتداد صفحات الكتاب، فإننا سنكتفي بالإشارة العابرة إليه بين الفينة والأخرى، دون الإمعان في التشديد عليه كثيرا.

٢- مقدمة الكتاب:

قدَّم للكتاب جان-بيار سوديني (J.-P. Sodini)، أستاذ الآثار البيزنطية في جامعة باريس الأولى، مستعرضاً على امتداد ثلاث صفحات (٣-٥) الآفاقَ التي عبر عنها المؤتمر من خلال المداخلات المختلفة.

اتخذت المقدمة العنوانَ التالي:

Les céramiques byzantines et proto-islamiques du Proche-Orient : quelques remarques introductives

وفي الترجمة العربية لملخص المقدمة، نلاحظ أن المترجم لم يقدم سوى ترجمة جزئية للسطرين الرابع والخامس:

L'ampleur du champ couvert sur une longue durée a mis en lumière la juxtaposition de deux mondes pré-islamiques, l'un romain et l'autre sassanide, le premier se distinguant par la présence d'amphores et de vaisselles fines héritières des sigillées.

إذ اكتفى بترجمة ركيكة وناقصة، جاءت على النحو التالي:

إن توسع ميدان الدراسة على زمن طويل قد أثار تواصل عالمين يعودان لما قبل الإسلام أحدهما روماني والثاني ساساني.

لاحظْ أن المترجم قد انتبه هنا إلى المعنى السليم لكلمة (pré-islamique)، فترجمها بعبارة (ما قبل الإسلام)، وحبذا لو كان يقظا بالقدر نفسه فجنب نفسه خطأ الخلط بين (pré-islamique)، و (proto-islamique) ذلك الخطأ الذي يتكرر على امتداد صفحات الكتاب.

ولهذه الفقرة نقترح الترجمةَ التالية:

إن زخم الميدان، الذي غُطي على امتداد زمن طويل قد ألقى الضوءَ على تجاور عالمين سابقين للإسلام، أحدهما روماني والآخر ساساني، والأول ميزته الأمفورات والأواني الناعمة، التي تُعد امتداداً للفخاريات المدموغة الصقيلة الناعمة.

نقترح هنا مصطلحَ "**الفخار المدموغ الصقيل الناعم**"، كترجمة عربية موفقة إلى حد ما، لمصطلح لاتيني شاع استخدامُه في الدراسات المختصة المكتوبة بلغات أوروبية مختلفة، المقصود مصطلح (terra sigillata)، الذي تقابله في الفرنسية كلمة (terre sigillée). واللفظة اللاتينية (sigillatus) تفيد معنى "الشيء المدموغ أو المزين بزخارف منقوشة أو نافرة". أما مصطلح (terra sigillata)، فيستخدم للدلالة على فخار صقيل ناعم، يتخذ في الغالب لوناً بنياً ضارباً إلى الحمرة، شاع إنتاجه في إيطاليا وشبه الجزيرة الإيبيرية، خلال القرون الأولى من عهد الإمبراطورية الرومانية، وظهرت صناعاتٌ فخارية محلية مشابهة له في عدد من الولايات الرومانية، على امتداد حوض البحر الأبيض المتوسط، لعل أبرزَها على الإطلاق ما عُرف باسم "**الفخار الإفريقي ذو البطانة الحمراء**" (African Red Slip Ware)، أو باسم آخر لاتيني هو (terra sigillata clara) أي "**الفخار المدموغ الصقيل اللامع**" أو (terra sigillata africana) أي الفخار الإفريقي المدموغ؛ وهو فخار رفيع ظلَّ يُصنَّع في إفريقية (تونس) ويُصدَّر إلى مختلف بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط على امتداد الفترة بين القرنين الثالث والسابع بعد الميلاد؛ ولذلك، لا غرو أن بعضَ أهل الاختصاص يكتفون باستخدام عبارة (Late Roman) للدلالة على هذه الصناعة الفخارية، مثلما هو الأمر عند هايس، الذي أصبح يُعَدُّ حُجَّةً في هذا الباب بعد أن كرس عددا كبيرا من الدراسات لهذا الموضوع. وقد رسَّخ هايس هذا المصطلح من خلال كتابه الشهير:

J. W. Hayes. 1972. **Late Roman Pottery**. London: British School at Rome.

ومن جانب آخر، إذا كان من الممكن اعتبار اقتصار الترجمة الكاملة للعربية في هذا الكتاب، على المقدمة دون النصوص الأخرى أحدَ أهون الشرور، بالنظر إلى حجم

الخسائر المهول، الذي كان سيحصل لو أنه نُقلت النصوص كاملةً إلى العربية، من قبل المترجم نفسه، فإن ترجمةَ صفحات التمهيد الثلاث إلى العربية لم تَخْلُ من أخطاء عديدة، نورد الفادحَ منها:

1) ... four d'amphores de type Carthage Late... Roman 1 à Paphos. (p. 3)

نقل المترجم هذا النص إلى العربية على النحو التالي:

أربع مزهريات من نمط قرطاج في العصر الروماني المتأخر في بافوس.

يبدو أن "الترجمان" قد اختلط عليه الأمر كثيرا في هذه الفقرة، فلم يعد يعرف هل النص الذي ينقله إلى العربية فرنسيٌّ أم إنجليزيٌّ، وهو ما يتضح من خلال ترجمته للكلمة الفرنسية (four) بـ"أربع"، بينما معناها هو "فُرْن"! أما كلمة (amphores) فتعني للمترجم "مزهريات". وهكذا تتحول، بقدرة قادر، عبارة (four d'amphores) أي "**فرن أمفورات**" إلى "**أربع مزهريات**". والمزهريات، على حد علمي، أوانٍ توضَع فيها باقات الزهور الفوَّاحة، فأينَ منها الأمفورات، تلك الجرار الخشنة، التي خزَّن فيها أجدادُنا إنتاجَهم من الزيت وغير ذلك من المُنْتجات السائلة، التي كانت تعرَض للبيع في هذه الأوعية ؟!

الترجمة السليمة لهذا النص تكون، إذن، على النحو التالي:

فُرْن أمفورات من نمط قرطاج (الطراز الروماني المتأخر ١) في بافوس.

ولا حرج إطلاقا في استخدام كلمة "أمفورات" لتعريب الكلمة الأعجمية (amphores / amphorae).

2) Dans le nord, on constate dans la vaisselle à cuire en pâte rouge, la célèbre Brittle Ware. (p. 4)

عرَّب المترجم هذا النص على النحو التالي:

أما في الشمال، فنلاحظ **داخل الأواني ذات الجلد** وعجينة أو طينة حمراء، أواني برتليه الشهيرة (Brittle Ware) .

مرة أخرى يكشف "الترجمان" عن قدرة عجيبة على الخلط بين الكلمات المتشابهةِ لفظا، المختلفةِ معنىً، وإلا فكيف نفسّر ترجمتَه للفعل (cuire) بـ"**جلد**" إلا إذا كان لا يميِّز بين (cuire) بمعنى "**طَبَخَ**" و(cuir) بمعنى "**جِلْد**" في اللغة الفرنسية ؟ ثم قولوا لي ما هي هذه "**الأواني ذات الجلد**" ؟ هذه العبارة لن يكون لها في ذهن القارئ العربي غير العارف بالفرنسية سوى معنىً واحدٍ ووحيد: أن هذه الأواني قد كساها صانعوها برداء من الجلد. وإذا كان هذا القارئ ملحاحاً وفضولياً، فإنه سيتساءل: لماذا عمد أجدادُنا لفعل ذلك ؟ أما إذا كان له من الخيال حظٌّ ونصيبٌ فقد يجد ضالَّتَه في جواب من قبيل: ربما فعلوا ذلك لمساعدة هذه الأواني على حفظ مخزونها من السوائل (؟) وفق درجة حرارة معقولة !!!

"**الأواني ذات الجلد**"، التي يذكرها المترجم، ما هي إلا "**أواني الطبخ**" أو (vaisselle à cuire) كما يرد في النص الفرنسي. المقصود، إذن، أوانٍ استُخدمت في أغراض الطهي، وليس لها أدنى علاقة بالجلد ومشتقاته. وبناء عليه، تقتضي الترجمةُ السليمة قولَ ما يلي:

أما في الشمال، فنلاحظ **ضِمْنَ أواني الطَّبخ ذات العجينة الحمراء**، الأواني المشهورةَ المعروفةَ باسم "**الفخاريات الهشة**" (Brittle Ware).

3) Au sud, la **Soft Creamy Ware**, que A. Walmsley considère comme la première céramique vraiment islamiqueìì (p. 4)

نقل المُعَرِّب هذا النص على النحو التالي:

أما في الجنوب، فإن **الفخار الرفيع** (Soft creamy Ware) الذي يعتبره أ. **فالمسلي** كأول فخار إسلامي حقيقي...

والصواب:

أما في الجنوب، فإن **الفخار الناعمَ ذا اللون الكريمي** (Soft creamy Ware) الذي يُعدّه أ. **والمسلي** كأول فخار إسلامي حقيقي...

4) Toutefois la réunification politique de la Syrie du Nord avec la Mésopotamie [ì] a pu faciliter l'adoption de certaines formes (marmites à tenons verticaux) [p. 4]

وهو نص ترجمه المعرِّب هكذا:

وتذكر بأن التوحيد السياسي لسورية الشمالية وبلاد ما بين النهرين (...) قد سهّل تبني بعض الأشكال (**قصعات بمسكات أفقية**).

والصواب:

وَمَعَ ذلك فإن التوحيد السياسي لسورية الشمالية وبلاد ما بين النهرين (...) قد سهّل تبني بعض الأشكال مثل **القُدُور** ذات المقابض **العمودية**.

5) Dans le Hauran également, la céramique de Bosra est de mieux en mieux connue. (p. 5)

عرَّب المترجم هذا النص على النحو التالي:

وفي حوران - بصرى أصبح الفخار **أكثر معرفة**.

والصواب:

وفي حوران أيضاً، تحسنت معرفتُنا بفخار بصرى.

٣- دراسة إيفون جربر عن فخار الزنطور:

Yvonne Gerber, A Glimpse of the Recent Excavations on ez-Zantur/Petra: The Late Roman Pottery and its Prototypes in the 2nd and 3rd Centuries AD. Pp. 7-12.

في الترجمة العربية لملخص هذه الدراسة القصيرة، التي كرستها جربر للفخار الروماني المتأخر، الذي كُشف عنه في الزنطور وسط مدينة البتراء، نُسجل الأخطاءَ التالية:

1) Grâce aux fouilles de la Suisse et du Liechtensteinì (p. 7)

ينقلها المترجم هكذا إلى العربية:

يعود الفضل إلى حفائر **ليختنشتاين السويسرية**...

والصواب:

يعود الفضل لحفائر (بعثة) **سويسرا وليختنشتاين**...

لأن سويسرا وليختنشتاين دولتان منفصلتان، وليختنشتاين ليست سويسرية بكل الأحوال؛ إنما هناك بعثة مشتركة تضم علماءَ آثار من الدولتين ينقبون منذ سنة ١٩٨٨ في الزنطور، غيرَ بعيد عن معبد قصر البنت، وسطَ البتراء. وقد كشفت هذه البعثة في ذلك الموقع عن مجموعة من المباني السكنية، المتميزة بعمارتها وزخارفها الجميلة.

2) ...Il y eut un hiatus dans l'occupation des deux terrasses d'ez-Zantur. (p.7)

عرَّب المترجم هذا النص على النحو التالي:

... كان يوجد في **الزنتور ترسينتان** إنقطاع في الإستيطان.

ولا ندري من أي قاموس استمدَّ كلمة "**تَرسينتان**" (هكذا!) لتعريب كلمة (terrasses) الفرنسية. والصواب يقتضي قولَ ما يلي:

... كانت ثَمَّة **فجوة** في استيطان **سطحَيْ الزنطور**.

3) Ces résultats étant assez récents, cette communication ne fournit qu'une rapide présentation du matériel céramique et les premières réflexions et analyses. (p.7)

شوَّه "الترجمان" معنى هذه الفقرة حين عرَّبها على النحو التالي:

لقد كانت النتائج جديدة تماماً، ولهذا السبب تعطي الأوراق عرضاً موجزاً فقط للمواد الفخارية وأول التحاليل والتأملات. وسيعطي دراسة نهائية في وقت لاحق.

لاحظْ أن العبارة الأخيرة: "**وسيعطي دراسة نهائية في وقت لاحق**" هي من اختلاق "**الترجمان**".

أما التعريب السليم فيقتضي قولَ ما يلي:

ونظرا لحداثة هذه النتائج، فإن هذه المُداخَلة لا تقدم سوى عرضٍ سريع للفخاريات وكذلك للتأملات والتحاليل الأوَّلية.

٤- دراسة مي توما:

وهي عن الشواهد، التي تقدمها الفخاريات عن التبادلات التجارية بين سورية وقبرص خلال الفترة البيزنطية:

May Touma, Quelques témoignages de la céramique sur les échanges syro-chypriotes à la période byzantine. Pp. 49-58.

في الملخص القصير نسجل الخطأ التالي:

... **وسرج " مكورة" سورية فلسطينية، متفرعة من افريقيا الشمالية أو مدارة.**

هكذا يعرِّب المترجم النصَّ الفرنسي التالي:

...des lampes dites “en galet", syro-palestiniennes, dérivés d'Afrique du Nord ou tournées. (p. 49).

والصواب يقتضي قولَ ما يلي:

... وأسْرِجَة " مُدَوَّرة " (**باستخدام حجارة مكوَّرة**) (en ga-

let)، سورية - فلسطينية مُتأصلة من شمالي إفريقيا، أو مصنوعة بالدولاب الخزّاف.

٥- دراسة ألكسندرا أوسكاتسكو عن فخاريات جرش البيزنطية المتأخرة:

Alexandra Uscatescu, L'apport des fouilles du macellum (Jérash, Jordanie) à la connaissance des céramiques byzantines tardives de Géra-sa. Pp. 59-76.

نسجل من الأخطاء في الترجمة العربية الخاصة بهذه الدراسة ما يلي:

1) Bâti au IIe s. après J.-C., le macellum de Jérash a été utilisé sans interruption jusqu'au VIIIe s. (p. 59)

نقل المترجم هذا النص على النحو التالي:

لقد بني **مصنع فخار** جرش في القرن **الثانن** (هكذا) واستخدم دون توقف حتى القرن الثامن.

يستخدم "الترجمان" مصطلح "**مصنع فخار**" تعريباً للكلمة اللاتينية (macellum)، التي تؤدي معنىً مختلفا تمامَ الاختلاف. ذلك أن كلمة (macellum) تعني "**السوقَ العامةَ**". وبناء عليه، تكون الترجمة السليمةُ لهذا النص كما يلي:

بُنيَت **سوقُ العامةَ** جرش في القرن الثاني بعد الميلاد واستُخْدِمَت دون توقف حتى القرن الثامن.

2) Cet article recense les différents types de céramique importée (sigillée tardive, amphores et unguentaria) et examine les techniques décoratives des productions locales comprenant la céramique fine dite »Jerash Bowl« et la céramique utilitaire commune. (p.59)

عرّب المترجم هذه الفقرة هكذا:

ويخص هذا المقال أنماط الفخار المستورد (**متأخر مختوم و مظفر**) ويتفحص آلية التزيين للإنتاج المحلي المتضمن فخار رفيع يدعى طاسات جرش والفخار المعروف للاستعمال.

والتعريب الصائب يقتضي قولَ ما يلي:

يستعرض هذا المقال مختلفَ أنماط الفخار المستورد (**الفخار الصقيل المدموغ** (sigillée) **والأمفورات والقوارير**) ويتفحص التقنيات الزخرفية، التي ميزت الإنتاج الفخاري المحلي، الذي يضم الفخار الرفيع المعروف باسم "زَبَادي جرش" والفخار الشائع الاستخدام.

٦- دراسة جمعة كريّم عن فخاريات خربة النخيل:

Jum'a Kareem, The Pottery from the First Season of Excavations at Khirbet Nakhil. Pp. 77-93.

في هذه الدراسة، التي أنجزها المرحوم الدكتور جمعة كريّم، ثمة استعراضٌ لفخاريات بيزنطية وأموية عُثر عليها في خربة النخيل، الواقعة في منطقة مؤاب، وسطَ الأردن.

في الملخص القصير نلاحظ الخطأ التالي:

Deux sondages ì ont livré du matériel stratifié des périodes concernées par le colloque. (p.77)

وهو نصٌّ عرَّبه المترجم على النحو التالي:

وقد قدم **سدان ... مواد طبقية اثرية** تعود الى العصور المعنية في هذه الندوة.

والصواب:

وقد قدم **سَبْران/ مجَسّان... قطعا متُراتِبة طَبَقيًا** تعود إلى الفترات المعنية في هذه الندوة.

استخدم المترجم كلمة "**سد**" ترجمةً للكلمة (sondage)، وهيَ المقابل الفرنسي للَّفظة الإنجليزية (sounding)، وكان أحرى به أن يستخدمَ إحدى كلمتين ترسَّخ استخدامُهما في الكتابات العربية المتعلقة بالآثار هما: **سَبْر** و مجَسّ". أما عبارة (matériel stratifié)، فالمقصود بها "**القطع الأثارية المتراتبة طبقيا**". وفي اعتقادنا أن التعريبَ السليمَ لكلمة (stratification)، سواء في الفرنسية أو الإنجليزية، هو "**التراتب الطبقي**"، بل لا مانع إطلاقا من الاستخدام الحرفي للكلمة الأعجمية (stratigraphy) لنقول "**تراتب استراتيغرافي**"، بدلاً من: "**تراتب طبقي**"، درءاً للالتباس، الذي يمكن أن تُحدثه كلمة "**طبقي**" في هذه العبارة.

٦- دراسة توماس فاليشفسكي عن الفخار البيزنطي والإسلامي المبكر:

وعُثر عليه في خربة الذريح/ جنوبي الأردن:
Tomasz Waliszewski, Céramique byzantine et proto-islamique de Khirbet edh-Dharih (Jordanie du Sud). Pp. 95-106.

يُسلط توماس فاليشفسكي في هذا المقال الضوء، على الفخاريات العائدة للفترتين البيزنطية والإسلامية المبكرة، التي كشفت عنها التنقيباتُ الجارية في موقع نبطي يبعد حوالي ٧٠ كلم إلى الشمال من البتراء، هو موقع خربة الذريح.

في الترجمة العربية لملخص هذه الدراسة، نسجل من الأخطاء ما يلي:

1) Bien que relativement peu abondant et provenant presque exclusivement du secteur du temple nabatéen, ce matériel remplit une lacune dans notre connaissance de la céramique byzantine tardive et proto-islamique dans la région de Wadi el-Hasa. (p. 95)

شوَّه "الترجمان" معنى هذه الفقرة حين عربها على النحو التالي:

ومع أن هذه المواد **محدودة المواصفات**، وعثر عليها في المعبد النبطي ومحيطه القريب حصراً، فإنها يمكن أن تسد ثغرة معرفتنا عن فخار العصر البيزنطي المتأخر، **وما قبل الإسلامي** في منطقة جنوب وادي **الحسا**.

بينما المقصود هو ما يلي:

ومع أن هذه المواد **غير وفيرة** عُثر عليها في **منطقة المعبد النبطي** وحدها تقريبا، إلا أنها كفيلةٌ بسدّ ثغرة في معارفنا عن الفخار البيزنطي المتأخر **والإسلامي المبكر** في المنطقة الواقعة إلى الجنوب من وادي **الحسا**.

2) La datation précise de cet ensemble pose des problèmes dûs (sic) à la stratigraphie : la plupart du matériel vient de couches non scelléesì (p. 95)

عرَّب المترجم هذا النص على النحو التالي:

ويطرح التأريخ الزمني الدقيق لهذه المجموعة **مسائل** بسبب **طبيعة الطبقات الأثرية في التل؛ إذ أن معظم المواد تأتي من طبقات ليست راسخة ومتكونة من هدم متدرج وتراكم بطيء**.

لاحظْ أنه استخدم خمسَ كلمات (**طبيعة الطبقات الأثرية في التل**) لترجمة الكلمة الفرنسية (stratigraphie)، مضيفاً كلمة (تل)، وهي كلمة مختلفة تماماً، لأن خربة الذريح ،التي كان لي شرفُ التنقيب فيها، ليست تلاً على الإطلاق؛ ثم ما هي هذه "**الطبقات** "**غير الراسخة والمتكونة من هدم متدرج وتراكم بطيء**" ؟ يستخدم "الترجمان" هذه الجملة الطويلة المكونة من تسع كلمات، لترجمة العبارة الفرنسية (couches non scellées)، وهي سياقات آثارية يُقصَد بها في عُرْف علماء الآثار (**الطبقات غير المختومة**) أو (**الطبقات غير المُغلقة**)، أي الطبقات التي لم تسلم من عبث لاحق مسَّ بها، فجعلها تتعرض للقلب والخلط، وهو ما يُفقدها "المصداقية" الآثارية.

والترجمة الصائبة تقتضي قولَ ما يلي:

يطرح التأريخُ الدقيق لهذه المجموعة **مشاكلَ** عائدةً إلى **الاستراتيغرافيا**، ذلك أن معظم الفخاريات جاءت من طبقات غير مختومة...

ولا حرج، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، في استخدام كلمة "**استراتيغرافيا**" تعريباً للكلمة الإنجليزية (stratigraphy) والفرنسية (stratigraphie)، وحسبنا ما كُتِبَ من نجاح وتوفيق لكلمات مُعَرَّبة مماثلة، من حيث المَبْنى مثل "جغرافيا"... ولأنَّ كلمة (stratigraphy) تبدأ بحرف ساكن، فإن تعريباً يحترم قواعدَ اللغة العربية يقتضي كتابتَها على النحو التالي: "**استراتيغرافيا**"، وفي حالة التعريف هكذا "**الاستراتيغرافيا**".

ونشير أخيراً، فيما يتعلق بملخص هذه الدراسة، إلى أن "الترجمان" عمد إلى اختلاق فقرة كاملة، ليس لها وجود لا في النص الفرنسي ولا في مقابله الإنجليزي !

٧- دراسة خيريه عمرو، وروبرت شيك:

وهي عن فخاريات بيزنطية وإسلامية مبكرة عُثِرَ عليها في الحميمه/ جنوبي الأردن:

Khairieh 'Amr & Robert Schick, The Pottery from Humeima: The Closed Corpus from Lower Church. Pp. 107-127.

لم تخلُ الترجمة العربية لملخص هذه الدراسة من أخطاء، نوردها على النحو التالي:

1) Le lot de 19 vases comprend des amphores, des jarres de stockage, une petite jarre, des marmitesì (p. 106)

عرَّب المترجم هذا النص على النحو التالي:

وتتضمن المجموعة ١٩ **مزهرية وجرار مستطيلة صغيرة،** وجرار تخزين، **وقصعات ومشربيات...**

والصواب يقتضي قولَ ما يلي:

وتتضمن المجموعة ١٩ آنيَةً وأمفورات وجرارَ تخزين، فضلاً عن جرة صغيرة وقدور...

2) A l'exception d'une amphore, le lot est entièrement de provenance jordano-palestinienne méridionale et montre les grandes différences entre les traditions du sud et celles, mieux connues, du nord.

تم تعريب هذه الفقرة على النحو التالي:

باستثناء **جرة** واحدة فإن مصدر المجموعة هو أردني فلسطيني جنوبي، مما يظهر الاختلافات الكبرى بين التقاليد الجنوبية والشمالية **الأكثر معرفة.**

والصواب:

باستثناء أمفورة واحدة، فإن المجموعة الفخارية، التي جاءت كلياً من مصدر أردني-فلسطيني جنوبي، تكشف الاختلافات الكبرى بين تقاليد الجنوب وتقاليد الشمال، **التي نعرفها بشكل أحسن.**

٨- دراسة جان- باتيست أمبير حول فخار خربة السمرا والمفرق:

Jean-Baptiste Humbert, Arguments chronologiques pour expliquer le déclin de Khirbet es-Samra et de Mafraq : des jarres, du vin et des images. Pp. 149-161.

قدَّم المترجم تعريباً متهافتاً وناقصاً ومليئاً بالأخطاء لملخص هذه الدراسة المهمة، التي حاول جان- باتيست أمبير من خلالها تقديمَ مستمسكات كرونولوجية، لتفسير اضمحلال الاستيطان في موقع خربة السمرا خلال بداية القرن التاسع بعد الميلاد، مركزا على طرازين فخاريين شاعا في المنطقة خلال الفترة الأموية، أحدهما مزين بزخارف مدهونة، والآخر لم يُستخدم في صنعه الدولابُ الخزاف.

ونظراً لأن الترجمة العربية لملخص هذه الدراسة ناقصة وزاخرة بالأخطاء، فأننا سنقدم أدناه إعادةَ كتابة كاملةً لها:

Khirbet es-Samra, à la limite de la steppe du Nord-Est jordanien, est une fondation romaine qui s'est épanouie sous les Byzantins et dont l'apogée se situe à l'époque omeyyade avant qu'une lente et régulière dégradation aboutisse à sa désaffectation au IXe s. Deux catégories de céramique sont directement impliquées dans la datation et l'histoire du site: la céramique peinte et la céramique non tournée, utilisées en fragments pour armer les enduits des murs d'églises dans leur dernière phase. La datation de ces céramiques est celle de l'ultime restauration des édifices chrétiens de Samra.

Après en avoir brossé les pâtes, décors et répertoires, l'auteur passe en revue tous les éléments de leur datation : évolution de la chronologie à travers les publications, chronologie des églises de Samra où les murs armés sont postérieurs à deux mosaïques datées de 620 et 638/639, discussion de la fin du palais omeyyade proche de el-Fedein en 833 (?) où le même assemblage de tessons peints et non tournés est présent. Enfin une réflexion sur la fonction de la vaisselle peinte liée au service du vin propose de comprendre sa disparition au IXe siècle en conséquence de l'interdit du vin par les Abbassides comme mesure anti-chrétienne.

نورد فيما يلي الترجمة العربية لهذا الملخص، كما وردت حرفيا في الكتاب:

إن خربة السمراء من تأسيس روماني الذي إزدهر في العهد البيزنطي. ويبدو أن أحداث السيطرة الأموية لم

تحدث انقطاعاً؛ إذ يمكن القول أن أوج المسيحية في سمراء هو أموي. ويستند التقويم الزمني على بعض عناصر مؤرخة بدقة تقريبا.

لقد اقترح أن يُفهم تاريخ سمراء مقارنا مع نظيره لبصرى وسيدرَّج بناء الكنائس بين النصف الثاني من القرن الرابع ومنتصف القرن السابع. ويعبر رصف الفسيفساء عن مرحلة ثانية من البناء. أخيرا، فقد رممت طينة الجدران بمونة من الفخار المهشم (فخار ملون وخزف أسود غير مدار). يوجد مثل هذه المجموعة، في قصر الأمويين في الفدين التي ذكر الإخباريون العرب تهديمها في٨٣٣ م. هل يجب تأريخ نهاية المسيحية في سمراء في الدور العباسي ؟

إن القارئ، حتى غير العارف بالنص الفرنسي يمكنه أن يلاحظ مدى تفاهة هذه الترجمة، التي تستهين بذكاء هذا القارئ. وتقتضي الأمانة فضحَ تشويهها لما هو وارد في النص الفرنسي، بإعادة ترجمتها كليا:

خربة السمرا، الواقعة على حدود البادية الشمالية-الشرقية الأردنية، مستوطَنَة رومانية ازدهرت خلال الفترة البيزنطية، وبلغت أوجَها في عهد الأمويين، قبل أن يؤدي اضمحلالٌ بطيء ومنتظم إلى هجرانها خلال القرن التاسع. ثمة طرازان فخاريان لهما صلة مباشرة بتاريخ الموقع، وتتابع الاستيطان فيه: الفخار المدهون والفخار غير المُدار (= غير المصنَّع بالدولاب الخزاف). وقد استُخدمت كسرٌ من الطرازين لتقوية قصارة جدران الكنائس في مراحلها الأخيرة. وبناء عليه فإن تاريخ هذه الفخاريات يرجع إلى آخر ترميم أدخلَ على الأبنية المسيحية في السَّمرا.

بعد استعراضه لعجينة وزخارف وسجلات هذه الفخاريات، يُراجع الباحث كل العناصر المتعلقة بتأريخها: تغير الكرونولوجيا عبر المنشورات، كرونولوجيا الكنائس في السمرا حيث الجدران التي تمت تقويتُها (بكسَر الفخار) لاحقة زمنيا لأرضيتين فسيفسائيتين ترجعان إلى ٦٢٠ و ٦٣٨/٦٣٩، مناقشة مسألة نهاية استيطان القصر الأموي القريب من الفدين سنة ٨٣٣ (؟) حيث عُثر على الفخاريات نفسها بطرازيها المدهون و غير المُدار. وأخيراً هناك ملاحظة حول وظيفة الأواني المدهونة، التي كانت تُقَدَّم فيها الخمور، وهي ملاحظة تقترح إرجاعَ اندثار هذا النوع الفخاري في القرن التاسع إلى منع الخمور من قبل العباسيين، كإجراء مناوئ للنصرانية.

٩- دراسة مخبرية عن فخاريات بيزنطية مزججة من دَيْر عين عباطا، جنوب-شرقي البحر الميت:

I. C. Freestone, K. D. Politis, C. P. Stapleton, The Byzantine Glazed Pottery from Deir 'Ain 'Abata, Jordan. Pp. 197-205.

في الترجمة العربية لملخص هذه الدراسة، نسجل من الأخطاء ما يلي:

Ces glaçures, quoiqu'à un stade clairement expérimental, sont sans aucun doute intentionnelles.

نصٌّ عرَّبه المترجم هكذا:

ومن الواضح أنه في مرحلة تجريبية، فإن **الخزاف** كانت **مستوردة** بدون شك.

لاحظْ أن حديثه عن "الاستيراد" مختلق تماما ولا وجود له في النص الأصلي. والترجمة الصائبة تقتضي قولَ ما يلي:

ومع أن عمليات **التزجيج** هذه تعود بوضوح إلى طور تجريبي، إلا أنها **مقصودة** دون شكّ.

١٠- دراسة دونالد ويتكمب عن الإنتاج الفخاري في العقبة خلال الفترة الإسلامية المبكرة:

Donald Whitcomb, Ceramic Production at Aqaba in the Early Islamic Period. Pp. 297-3003.

استعرض دونالد ويتكمب في هذه الدراسة الصناعة الفخارية في مدينة العقبة، خلال القرنين الأولين من تاريخ الإسلام، معتمدا على المستمسكات، التي قدمها عددٌ من الأفران الفخارية، التي كشفت عنها البعثة الأمريكية العاملة في الموقع.

وفي الترجمة العربية لملخص هذه الدراسة، نسجل خطأين، أحدهما طفيف، والآخر من الفداحة بحيث يثير

كلَّ تعجُّب !

1) Dans l'actuel secteur résidentiel du nord-ouest de la ville de 'Aqaba, une zone de fours de potier a été découverte et fouillée lors de la campagne de fouilles menées en 1993 par la mission américaine de l'université de Chicago, en collaboration avec le département des Antiquités de Jordanie.

وهي فقرة عرّبها المترجم على النحو التالي:

كانت **البعثة الأثرية الأمريكية لمعهد الدراسات الشرقية** في جامعة شيكاغو، وبالتعاون مع قسم **الآثار الأردني** قد كشفت عن دائرة أفران فخارية في المنطقة السكنية الحالية في الجزء الشمالي الغربي من مدينة العقبة، خلال موسم الحفائر لعام ١٩٩٣ .

والصواب:

كشفت بعثة **جامعة شيكاغو** بالتعاون مع **دائرة الآثار العامة الأردنية**، خلال تنقيبات موسم ١٩٩٣ عن أفران فخار في المنطقة السكنية الحالية، الواقعة شمالي غرب مدينة العقبة.

2) Dans ces fours ont été cuites des amphores, vraisemblablement destinées à la conservation et au transport des préparations de poissons.

وقد عرّب المترجم هذا النص هكذا:

وكان قد شوي في هذه الأفران قوارير أو جرار معدة على ما يبدو لحفظ ونقل مستحضرات **المشروبات**.

يبدو أن المترجمَ لا يفرق في الفرنسية بين (poisson) بمعنى "سمكة" وبين (boisson) بمعنى "مشروب"، إذ ترجم العبارة الفرنسية (préparations de poissons) بـ"مستحضرات المشروبات" !!!

والترجمة السليمة تقتضي قولَ ما يلي:

حُرق في هذه الأفران **أمفورات**، كانت مخصَّصةً، على الأرجح، لحفظ مستحضرات **الأسماك** ونقلها.

وفي ختام هذا الاستعراض الجزئي للأخطاء العديدة الفادحة، التي ارتكبها مترجم مقدمة الدراسات وملخصاتها، التي ضمها الكتابُ المذكورُ أعلاه، لا يسعنا إلا أن نعرب عن امتعاضنا الشديد من الاستهانة، التي تكشف عنها أعمالٌ من هذا القبيل، بعقل القارئ العربي، القارئ المختص قبل القارئ العام. وكان أحرى بهؤلاء أن يتذكروا أن الترجمةَ بحثٌ قبل أن تكون نقلاً، استقصاءٌ وتحرٍّ قبل أن تكون تعريباً أعمى ... ولكن، قاتَل اللهُ الكسل!

أ. مولاي محمد جانيف - فرنسا:
Moulay M'hamed Janif - 1, rue Maurice Arnoux C207 - 92120 Montrouge France.
archaeologia77@yahoo.com

عرض الكتب

اسم الكتاب: الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية: دراسة مقارنة.

المؤلف: د. فرج الله أحمد يوسف.

الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض، المملكة العربية السعودية.

سنة النشر: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

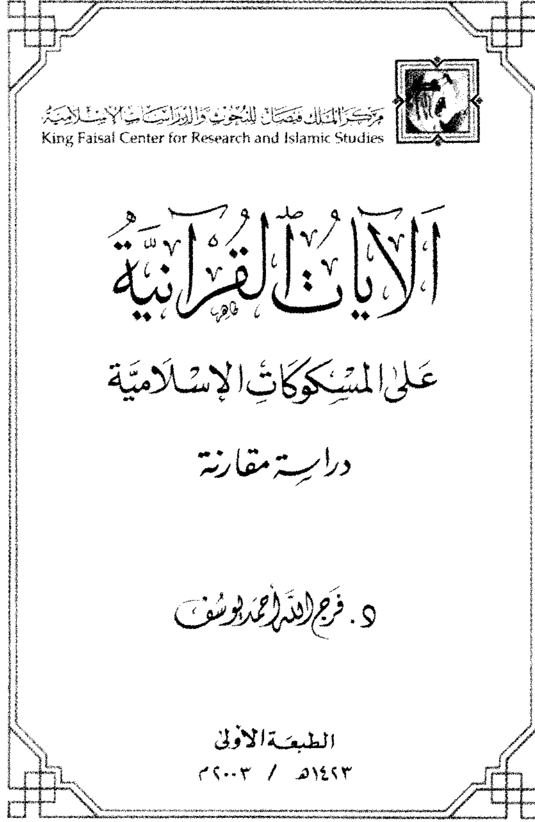
رقم الإيداع: ٠٨٠٣ / ٢١

التصنيف الدولي: ردمك: ٦- ٦٠ - ٧٢٦- ٩٩٦٠

مقاس الكتاب: ١٧× ٢٤ سم

عدد الصفحات: ٤٤٠ صفحة (وتشمل ٨٠ لوحة)

عرض: د. عاطف منصور محمد رمضان.



يشتمل الكتاب على تقديم، ومقدمة، ثم تصنيف للآيات القرآنية (التى تناولها الكتاب)، ويبلغ عددها اثنتين وسبعين آية، رتبت في الكتاب حسب تاريخ ظهورها على المسكوكات الإسلامية. ويلي ذلك المسكوكات، التي تنشر لأول مرة، ثم جداول الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية. وتليها المصادر والمراجع، ثم كشاف الأعلام والبلاد، وأخيراً اللوحات الخاصة بالكتاب، وعددها ثمانون لوحة، تشتمل على صور لقطع النقود التي دُرست، وبعض الأشكال التوضيحية لها.

وقد عرض المؤلف في التقديم المنهج، الذي اعتمد عليه في دراسة الآيات القرآنية، منذ ظهورها على المسكوكات الإسلامية في عهد عبدالملك بن مروان سنة ٧٧هـ، متتبعاً كل آية على حدة وفق تاريخ ظهورها على المسكوكات، مع دراسة أسباب تسجيلها على النقود، وربط ذلك بالظروف السياسية والمذهبية و الاقتصادية لكل عصر. وقد أشار الباحث إلى دراسته لنحو اثنتين وسبعين آية وردت على المسكوكات الإسلامية، إضافة لنشره حوالى ست وسبعين قطعة نقدية، ما بين دينار ودرهم وفلس، لم يسبق نشرها من قبل.

وتناول الباحث في المقدمة المسكوكات، التي سكّتها الممالك العربية قبل الإسلام، مثل: مملكة سبأ، ومملكة الأنباط، وقد وصف الباحث نماذجاً لبعض هذه النقود. كما أشار إلى النقود البيزنطية والساسانية، التي تعامل بها العرب قبل الإسلام، التي أقر الرسول (صلى الله عليه وسلم) التعامل بها في صدر الإسلام، وذلك قبل أن يأمر الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب- رضى الله عنه -بسك الدراهم الساسانية، ويضيف إليها بعض الكتابات العربية، مثل: "الله - بسم الله ربي- الحمد لله - لا إله إلا الله- محمد رسول الله". كما أشار الباحث إلى سك الخليفة عمر بن الخطاب الفلوس على الطراز البيزنطي، وتسجيل بعض الكتابات العربية عليها، مثل: طيب، واف، جائز. كما نُقشت على هذه الفلوس أسماء مدن سكها باللغتين العربية

واليونانية معاً، مثل: دمشق وحمص، وطبرية وبعلبك وإيليا وقنسرين، وقد سجل عليها التاريخ الهجرى باللغة اليونانية، كذلك سك أمير المؤمنين عثمان بن عفان الدراهم الساسانية ونقش عليها عبارة: "الله أكبر".

كما تناول أيضا التطورات، التي ظهرت على المسكوكات في عصر الدولة الأموية، منذ عهد الخليفة الأول معاوية بن أبي سفيان حتى تعريب عبدالملك للنقود في سنة ٧٧هـ، موضحاً أن معاوية بن أبى سفيان نقش اسمه باللغة الفهلوية، على الدراهم المضروبة على الطراز الساسانى منذ سنة ٤١هـ. كما عرض المؤلف لنماذج من النقود، التي سكها عبدالملك بن مروان أثناء مرحلة التعريب، سواء كانت دنانير أو دراهم أو فلوس، وقد تميزت جميعها بأنها اشتملت على صورة تمثل عبدالملك بن مروان - الرمز السياسى للخلافة الإسلامية- إضافة إلى بعض الألقاب، مثل: "أمير المؤمنين - خلفت الله" .

وقد عرض الباحث إلى الآراء المختلفة، التي ساقها المؤرخون - القدماء منهم والمحدثون - بشأن الأسباب، التي دفعت عبدالملك بن مروان لتعريب النقود. وأوضح الباحث خمسة آراء لعملية التعريب، الأول: الخلاف بين عبدالملك والإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني، بسبب حذف عبدالملك بن مروان لعبارات التثليث المسيحية، من أوراق البردى المصرية، التي كانت تُصدر إلى الدولة البيزنطية، ونقش بدلاً منها الآيات القرآنية، ما دفع الإمبراطور جستنيان إلى تهديد عبدالملك بسك دنانير عليها سب لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، إن لم يوقف عبدالملك ذلك. بينما أشار آخرون إلى أن الخلاف بين عبدالملك وجستنيان، يرجع إلى رسالة بعث بها عبدالملك إلى جستنيان وبصدرها "سورة الإخلاص"، في حين ذكر رأي ثالث أن تعريب عبدالملك للنقود، كان بسبب نصيحة خالد بن يزيد بن معاوية لعبد الملك بن مروان، بأن أطول الخلفاء عُمْراً من قدّس الله درهمه. في حين زعم رأي رابع أن سبب تعريب النقود يرجع إلى المعاهدة، التي عقدت في سنة ٧٠هـ/٦٩٠م بين عبدالملك وجستنيان، وتعهد فيها عبدالملك بدفع جزية للإمبراطور البيزنطي قدرها: "ثلاثمائة وخمسة وستين ألف دينار"، وأن هذه الدنانير كانت تحمل الشارات المسيحية، لذلك عرّبها عبدالملك . أما الرأي الخامس والأخير الذي يعده المؤلف الدافع الرئيسى لتعريب النقود، فهو تحقيق الاستقلال الاقتصادى للخلافة الإسلامية، وعدم الحاجة للتعامل بنقد أجنبي، حتى لا تكون الخلافة الإسلامية ناقصة السيادة. وقد تناول الباحث الخطوات المختلفة، التي قام بها عبدالملك من أجل تعريب النقود، حتى أصدر الطراز العربي الإسلامي الخالص للدنانير في سنة ٧٧هـ، والدراهم في سنة ٧٨هـ.

وقد تميز الطراز العربي الإسلامي الجديد، بنقش شهادة التوحيد كاملة بمركز الوجه، والاقتباس القرآني من سورة الإخلاص بمركز الظهر، والاقتباس القرآني من سورة التوبة بهامش وجه الدنانير، كما دوّن أيضاً بهامش ظهر الدراهم. ورأى المؤلف أن هذه الآيات القرآنية، تعد تعبيراً عن الشخصية المستقلة للدولة العربية الإسلامية.

وأخيراً، فقد تناول الباحث في هذه المقدمة عرضاً لأهم النتائج، التي توصل إليها من خلال دراسته للآيات القرآنية على السكة الإسلامية. فقد وظفت هذه الآيات للتعبير عن التوجهات السياسية والمذهبية والاقتصادية والاجتماعية للعديد من الدول الإسلامية، وعرض المؤلف بعض نماذج منها:

أولاً: استخدام الآيات القرآنية للتعبير عن التوجهات السياسية:

مثل الاقتباس القرآني: (**العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً**)، الذي سجله عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث على نقوده، أثناء ثورته ضد الخليفة الأموى عبدالملك بن مروان. كذلك، وظّف العباسيون الاقتباس القرآني: (**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**)، للدعاية لدعوة الرضا من آل محمد أثناء ثورتهم ضد الخلافة الأموية ، وقد سُجِّل هذا الشعار على النقود، التي سكها أبو مسلم الخراساني. ثم تناول الباحث بعد ذلك العديد من الآيات، التي كان القصد منها الترويج للأفكار والآراء السياسية المختلفة.

ثانياً: استخدام الآيات القرآنية للتعبير عن التوجهات المذهبية:

أشار المؤلف إلى بعض النماذج، التي تؤكد الدور الإعلامي المهم للنقود في التعبير عن التوجهات المذهبية لبعض الحكام،

مثل قيام المعز بن باديس، حاكم بني زيري في إفريقية، بنقش الاقتباس القرآني: (**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ**)، على نقوده بسبب خروجه على الفاطميين، حين أبطل العمل بالمذهب الشيعي، وأعلن المذهب السني مذهباً رسمياً للدولة؛ ثم نقش المعز بعض الآيات الأخرى، التي تشير إلى المعنى نفسه. وهذا الأمر حدث أيضاً حين اعتلى السلطان المغولي "أولجايتو خدابنده محمد" الحكم، واعتنق الإسلام على المذهب السني، وسجل على نقوده بعض الآيات القرآنية، التي تشير إلى فضل صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، مثل: (**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ**) ... الآية". إضافة إلى أمثلة عديدة نجح المؤلف في عرضها، وربطها بالأحداث، التي شهدتها الدول المختلفة، من الناحية المذهبية.

ثالثاً: استخدام الآيات القرآنية للتعبير عن الأوضاع الاقتصادية:

عرض المؤلف نماذج لبعض الآيات القرآنية، التي سُجّلت على النقود الإسلامية نتيجة للظروف الاقتصادية المختلفة لبعض الدول، ومنها الاقتباس القرآني (**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ**)، (**فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ**)، الذي سجل على النقود، التي سكها السلطان محمد بن عبدالله، حاكم أشراف فيلالى بالمغرب، تعبيراً عن الظروف الاقتصادية السيئة، التي عاشتها بلاد المغرب بسبب الحروب وما أسفر عنها من خراب البلاد؛ لذلك، سجل هذا الاقتباس القرآني ليحذر الأغنياء من اكتناز الأموال، ويحثهم على مساعدة الفقراء، وإيتاء الزكاة، ليتمكن وليّ الأمر من إنفاقها في مصارفها الشرعية.

يلي ذلك دراسة للآيات القرآنية، التي وردت على المسكوكات الإسلامية، مرتبة وفق تاريخ ظهورها. وقد بدأ الباحث بالاقتباس القرآني من سورة الإخلاص، الذي ظهر لأول مرة على النقود الإسلامية بعد تعريب عبد الملك لها في سنة ٧٧هـ. وقد عرض المؤلف الآيات القرآنية منذ القرن الأول الهجري وحتى القرن الثالث عشر الهجري، مختتماً دراسته بالاقتباس القرآني: (**رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ**)، الذي ظهر على النقود، التي سكها الأمير عبدالقادر الجزائري في سنة ١٢٥٦هـ. وقد اعتمد المؤلف في دراسته لهذه الآيات على منهج يُفَسِّر الآية، ثم يتناول النقود التي ظهرت عليها الآية لأول مرة، ثم يتتبع ظهور هذه الآية على نقود الدول المختلفة، في شرقي العالم الإسلامي وغربيّه، حسب تاريخ ظهورها، مبيناً الأسباب المختلفة وراء نقشها على نقود تلك الدول، سواء كانت أسباباً سياسية أو اقتصادية أو مذهبية أو غيرها. وقد وفّق الباحث، إلى حد كبير، في الربط بين هذه الآيات وأسباب تسجيلها على نقود الدول المختلفة، في ضوء الأحداث المعاصرة لها.

وقد تناول المؤلف، بعد ذلك، المسكوكات التي تنشر لأول مرة، وعددها نحو ست وسبعين قطعة، ما بين دينار ودرهم وفلس. وقد سجل المعلومات الخاصة بكل قطعة، من حيث: قراءة نصوص الكتابات، وبيان مكان الحفظ، والوزن والقطر. ويلي ذلك جداول بالآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية، يشتمل على: الآيات القرآنية على المسكوكات الأموية، ومسكوكات الخارجين على الخلافة الأموية، والمسكوكات العباسية، ومسكوكات الدول التابعة للخلافة العباسية، ومسكوكات الخارجين على الخلافة العباسية في شرقي العالم الإسلامي، ومسكوكات الخارجين على الخلافة العباسية في غربي العالم الإسلامي، ومسكوكات الدول التي قامت بعد سقوط الخلافة العباسية.

ويمكن القول إن هذا الكتاب يمثل إضافة جديدة ومهمة للدارسين في مجال المسكوكات الإسلامية؛ فهو أول دراسة متخصصة من نوعها في هذا الميدان، تتناول الآيات القرآنية، التي سُجِّلت على النقود الإسلامية، وتعرض للدور الدعائي والإعلامي، الذي لعبته النقود في العصر الإسلامي للتعبير عن مظاهر الحياة المختلفة، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو مذهبية أو غيرها.

ولا يخلو هذا العمل الجديد من بعض الملاحظات، التي لا يقلل سردها من جهد الباحث، ولا تنقص من قيمة عمله، ويمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً عنوان الكتاب:

اختار المؤلف لهذه الدراسة عنوان: "الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية، دراسة مقارنة". ولو أن المؤلف اقتصر على الشطر الأول من العنوان وهو: "الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية" لكان ذلك تعبيراً دقيقاً عن محتوى هذا

الكتاب ومضمونه، والأهداف التي تسعى إليها هذه الدراسة. ولكن إضافة عبارة: "دراسة مقارنة" إلى العنوان، ألقت عليه غموضاً لا مبرر له؛ فما المقصود بهذه العبارة؟ هل قصد المؤلف دراسة مقارنة للآيات القرآنية، أم دراسة مقارنة لمدلولها، أم دراسة مقارنة لأسباب تسجيلها، أم دراسة مقارنة بين نقود الدول المختلفة شرقا وغرباً، التي نُقشت عليها هذه الآيات..؟. ومما زاد الأمر غموضاً أن المؤلف لم يوضح في مقدمة الكتاب- أو أى جزء منه- تفسيراً لهذا العنوان، وماذا يقصد بعبارة "دراسة مقارنة "، علماً بأن الكتاب لم يتضمن أية دراسات مقارنة. وكان ينبغى على المؤلف أن يذكر في مقدمة الكتاب تعريفاً توضيحياً لهذا العنوان.

ثانيا: منهج البحث:

اتبع المؤلف منهجاً يقوم على دراسة الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية، منذ تعريبها سنة ٧٧ هـ في عهد الخليفة الأموى عبدالملك بن مروان، متتبعاً كل آية على حدة، منذ ظهورها على المسكوكات الإسلامية، مع دراسة وتحليل أسباب تسجيلها على المسكوكات، وربط ذلك بالظروف السياسية والمذهبية والاقتصادية لكل عصر (الكتاب: ص١٣).

وفى حقيقة الأمر، لم يلتزم المؤلف -أحياناً- بهذا المنهج في دراسته، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي:

١-لم يلتزم المؤلف بالترتيب التاريخى لبعض الآيات التي درسها مثل:

أ- تناول المؤلف الآيات التي وردت على دينار الحسن بن زيد العلوي، المضروب في نيسابور سنة ٢٦٢هـ (الآية ٣٩ من سورة الحج، الآية ٣٣ من سورة الأحزاب: ص٩٧- ١٠٠) قبل دراسته للآيات القرآنية، التي وردت على دينار صاحب الزنج، المضروب في المدينة المختارة سنة ٢٦١هـ. (الآية ١١١ من سورة التوبة، الآية ٤٤ من سورة المائدة: ص ص١٠٣- ١٠٥).

ب-تناول المؤلف الآيات القرآنية على نقود السلطان محمد بن تغلق، من سلاطنة دلهي، في غير ترتيبها التاريخى السليم، إذ عرض للآية ٣٨ من سورة محمد، التي سُجل جزء منها على النقود بدءاً من سنة ٧٣٢هـ. (انظر ص٢٠٢ من الكتاب)، قبل تناوله للآية ٥٩ من سورة النساء، التي ورد جزء منها على نقود هذا السلطان في سنة ٧٣٠هـ (انظر ص٢١١ من الكتاب).

ج- رتب المؤلف الآية ٢٠٠ من سورة آل عمران، التي جاءت على دنانير حاكم بني نصر السلطان محمد الخامس، الذي حكم فترتين بين عامي ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م، و٧٩٣هـ/١٣٩١م، (ص٢٠٣ من الكتاب)، قبل الآية ٥٩ من سورة النساء، التي ورد جزء منها على نقود السلطان محمد بن تغلق (٧٢٥-٧٥٢هـ)، المضروبة في سنة ٧٣٠هـ (ص ٢١١ من الكتاب)، والخطأ ذاته تكرر في دراسة الآيات القرآنية من ص ٢٠٨ إلى ص ٢١٠ من الكتاب، قبل الآية ٥٩ من سورة النساء (ص ٢١١) التى ظهرت على النقود قبل هذه الآيات.

٢- لم يحصر المؤلف الآيات القرآنية، التي سجلت على النقود الإسلامية حصراً دقيقاً، ما حدا به إلى دراسة بعض الآيات في غير تاريخ ظهورها الصحيح، أو عدم تناولها أصلاً في دراسته، مثل:

أ- ذكر المؤلف أن الآية ١١١ من سورة التوبة، والآية ٤٤ من سورة المائدة، سجلت على دينار صاحب الزنج المضروب في المدينة المختارة سنة ٢٦١هـ (ص ص١٠٣- ١٠٥ من الكتاب)؛ ولكن هذه الآيات ظهرت لأول مرة على دراهم صاحب الزنج، المضروبة في معسكر الإمام سنة ٢٥٨ هـ Miles 1960: 585).)

ب- ذكر المؤلف أن الاقتباس القرآني: (واللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)، قد ظهر على تنكة فضة غير مؤرخة للإمبراطور المغولى همايون، ما حدا بالمؤلف إلى تفسير أسباب تسجيل هذا الاقتباس بصورة غير صحيحة (انظر ص٢١٦ من الكتاب، وانظر الملاحظات العامة في هذا البحث ثالثاً: رقم١٢)، على الرغم من أن هذا الاقتباس ظهر على نقود فضية أخرى للسلطان نفسه، ضرب كابل مؤرخة بأعوام ٩٤٤هـ، ٩٤٥هـ، ٩٤٦هـ (Brown1922:pp.3-4,Nos.11-11d)، وأخرى غير مؤرخة (whitehead 1910:p.161).

جـ- لم يتناول المؤلف في دراسته بعض الآيات، على الرغم من ظهورها على النقود الإسلامية، مثل: الاقتباس القرآني: (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (جزء من الآية٤٠سورة الحج)، الذي ظهر على دينار تذكارى ضرب الدينور سنة ٢٧٧هـ باسم الموفق طلحة أخ الخليفة العباسي المعتمد على الله (Spink 22/1987: 344).

- الآية الكريمة: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (الآية ٥٥ من سورة المائدة) التي ظهرت على دينار جعفر بن القاسم، حاكم العلويين في طبرستان، والمضروب في أمل سنة ٣١١هـ (طباطبائي ١٣٧٢ش:٣٦٥).

- الاقتباس القرآني: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ) (جزء من الآية ٧٨ سورة الحج)، الذي نقش على درهم غوري باسم السلطان سيف الدين أبى الفتح محمد، لا يحمل مكان السك ولكنه مؤرخ بسنة ٥٥٧هـ (Zambaur 1906: 396).

د- هناك بعض الآيات تناولها المؤلف على نقود بعض الحكام والدول، ولم يتناولها على نقود حكام ودول أخرى، مثل:

- الآية ١٢٣ من سورة التوبة: تناولها المؤلف على نقود أحمد بن عبدالله الخجستاني، ولم يتناولها على نقود رافع بن هرثمة (Vasmer 1930: 17).

- ذكر المؤلف أن الاقتباس القرآني من سورة الإخلاص ظهر على نقود الخلافة العباسية حتى سنة ١٣٣ هـ، على الرغم من أنه سجل بعد ذلك على فلوس الخليفة العباسى أبي جعفر المنصور، المضروبة في نيسابور سنة ١٥٦هـ. (شما١٩٩٨: ص ٣١٩ رقم ٢؛ Lavoix 1887: 1637).

- أشار المولف إلى أن الاقتباس القرآني من سورة الشورى (الآية ٢٣)، سُجل على النقود العباسية حتى سنة ١٣٦هـ، على الرغم من أن هذا الاقتباس ظهر على ثلاثة دراهم تذكارية للخليفة هارون الرشيد، لا تحمل مكان أو تاريخ سكها، الأول في تركيا (Artuk, 1966: 499)، والثاني في إيران (طباطبائي ١٣٧٢ش: ص ١٩١)، والثالث محفوظ بإحدى المجموعات الخاصة (يُعد كاتب المقال الآن بحثاً خاصاً بهذا الدرهم).

- تناول المؤلف الآية ١٦٣ من سورة البقرة، على نقود العديد من الدول في بلاد المغرب منذ عهد الموحدين، ولم يقم بدراستها على نقود دولة السلاجقة في آسيا الصغرى، على الرغم من أنها سجلت على دينار تذكاري باسم السلطان غياث الدين كيخسرو الثاني، ضرب قونية سنة ٦٣٥هـ (Artuk 1971: 1109)؛ وكذلك، الاقتباس القرآني من سورة هود (الآية ٨٨)، الذي نقش على هذا الدينار التذكارى أيضاً، لم يتناوله المؤلف بالدراسة، على الرغم من دراسته إياه على نقود بعض الدول في المغرب.

٣- لم يلتزم المؤلف بمنهجه في الدراسة، حين ترك العديد من الآيات دون تفسير، أو دراسة لها، أو لأسباب تسجيلها على نقود بعض الحكام والدول، فضلاً عن سرده - في بعض الأحيان - بعض الأحداث التاريخية، التي لا ترتبط بأسباب تسجيل الآيات. ومن أمثلة ذلك:

أ- الاقتباس القرآني من سورة الصف (الآية ١٣)، على نقود الأمير السامانى منصور بن نوح، ونقود بني غانية في الأندلس، واتابكة السلغار، وبني زيان.

ب- الاقتباس القرآني من سورة التوبة (الآيتان: ٣٤، ٣٥)، على نقود الأمير السامانى نوح بن منصور.

جـ- الآية ٨٥ من سورة آل عمران، لم يفسرها المؤلف على نقود العديد من الدول (ص ١٣٩، وما بعدها من الكتاب).

د- الاقتباس القرآني من سورة يوسف (الآية ٦٤)، على نقود بني مرين.

هـ- الاقتباس القرآني من سورة الطلاق (الآية ٣)، على نقود كل الدول التي تناولها (ص١٨٠ وما بعدها من الكتاب).

و- انظر أمثلة أخرى في الصفحات (١٩٧- ١٩٨، ص ٢٠٨، الآية ١٠٥ من سورة الإسراء، ص ٢١٥- ٢١٦، وغيرها).

٤- من الملاحظ أن المؤلف كان يتناول بالدراسة الآيات القرآنية على النقود فقط، دون الاستفادة من الكتابات الأخرى المسجلة على النقود ذاتها؛ ولو أن المؤلف حاول الاستفادة من هذه

الكتابات لساعده ذلك كثيراً في تفسير الآيات بصورة صحيحة، وبصفة خاصة النقود غير المؤرخة في المغرب والأندلس. ومن أمثلة ذلك:

أ- الآية الكريمة من سورة آل عمران: رقم ٢٠٠، التى نقشت على دنانير حاكم بني نصر محمد الخامس، والمضروبة في كل من غرناطة، وسبتة، وفسّرها المؤلف في ضوء الصراع العسكرى بين السلطان محمد ونصارى الأندلس، في الفترة من سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٧م إلى سنة ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م (الكتاب ص٢٠٤)، هذه الفترة، التي تناولها المؤلف، لا تتفق مع هذه الدنانير، بما سُجِّل عليها من كتابات. فمن الملاحظ أن هذه الدنانير يحمل بعضها مكان سكه سبتة، وهى مدينة مغربية كانت تحت سيطرة دولة بني مرين، وكان السلطان النصري محمد الخامس قد استولى عليها في سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م، واستمرت تحت سيطرته حتى سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م، حين أعادها لحكم بني مرين مرة أخرى (ابن خلدون ١٩٧٩: ٧/ ٣٥٠، ٣٥٤)، ومن ثم، فإن هذه الدنانير قد ضربت في سبتة في الفترة من سنة ٧٨٦هـ، حتى سنة ٧٨٩هـ لذلك كان ينبغى تفسير الآية الكريمة في ضوء الأحداث التاريخية المعاصرة لسك هذه النقود، وليس التفسير الذي ساقه الباحث قبل هذا التاريخ بنحو خمسة وعشرين عاماً.

٥- تناول المؤلف الآيات القرآنية، التي ظهرت على نقود كل من الدول ذات المذهب السني، والدول ذات المذهب الشيعى وفق منهج واحد في التفسير. وهذا المنهج غير صحيح، لأن مدلول الآية وأسباب تسجيلها يختلف عند أهل السنة عنه لدى الشيعة، فمثلاً: فسر المؤلف الاقتباس القرآني: (**مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله أرسله بِالْهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ولَوْ كَرِهَ المُشْرِكُون**) على نقود كل من أهل السنة والشيعة (أنظر الكتاب ص ص ٤٥-٦٤) بأن الله سبحانه وتعالى يأبى إلا أن يتم دينه، ولو كره المشركون الجاحدون، فأرسل رسوله محمداً (صلى الله عليه وسلم) بالدين الحق، دين الإسلام ليظهره على الأديان كافة". وهذا التفسير إن كان مناسباً لتسجيل هذا الاقتباس على نقود أهل السنة، فإنه لا يتوافق مع أفكار الشيعة ومبادئهم؛ لأن مدلول كلمة المشركين عند الشيعة هو كل من حاول الإشراك في ولاية الإمام علي، كما قصد بها أيضاً كل المخالفين لهم. (حسين ٢٠٠٢م: ٦٤١).

٦- من الغريب حقاً أن يخلو منهج الدراسة من عرض لمشكلة نقش الآيات القرآنية، على المسكوكات الإسلامية، والجدل الذي دار حولها في عصور مختلفة ، على الرغم من ارتباطها الوثيق بموضوع الكتاب، وكنا نتمنى لو ناقش المؤلف هذه المشكلة، وخلص من خلال دراسته إلى نتيجة نطمئن إليها. والحق أن الباحث تحدث عن هذه المشكلة بصورة عارضة وغير مناسبة، في فقرة من ص ٣٨-٣٩ وذلك نقلاً عن المقريزى.

وكان ينبغي تناول هذه المشكلة منذ ظهورها في عهد عبدالملك بن مروان - أول من سجَّل الآيات القرآنية على المسكوكات- حين أطُلق على الدراهم، التي سكها الحجاج بن يوسف الثقفى ونقش عليها سورة الإخلاص، لفظة: "المكروهة"، لكراهية الفقهاء نقش الآيات القرآنية عليها (البلاذري ١٩٦٨: ص ٨١ . المناوي ١٩٨١ : ص٦٤، ٦٧، ٨٠)؛ ثم تجددت المشكلة مرة أخرى في عهد عمر بن عبدالعزيز، حين رفض محو هذه الآيات بوصفها خير تعبير عن عقيدة الدولة (المقريزي ١٩٨٨: ١٢٨؛ المناوي ١٩٨١: ص٨١-٨٢). كما ظهر الجدل حول نقش الآيات القرآنية على السكة مرة أخرى في العصر العثمانى، حين رفض العثمانيون تسجيلها على نقودهم، واتخذوا من نقشها على نقود دولة المماليك الجراكسة ذريعة لمحاربتها، في مصر والشام (فهمي ١٩٨٧: ٩٨- ٩٩).

ولو أن المؤلف تفحص في دراسته قليلاً، لوجد أن غالبية الكتابات القرآنية، التي سجلت على النقود الإسلامية هي مجرد اقتباس من بعض الآيات القرآنية، ولم تسجل الآيات القرآنية كاملة إلا على نماذج قليلة من النقود، ولعل لذلك صلة -بصورة أو بأخرى- بمشكلة نقش الآيات القرآنية على المسكوكات.

ثالثاً: ملاحظات عامة على تفسير الآيات وأسباب تسجيلها

١- ذكر المؤلف في تفسير الاقتباس القرآني "العزة لله"، أنه ظهر على أحد دراهم الخوارج، ولم يذكر اسم صاحب الدرهم، وأحال المعلومة إلى عالم النميات الإيرلندي لين بول (ص ٦٦ من الكتاب)؛ ولكن هذا الدرهم ينسب لأبى يزيد مخلد بن

كيداد، صاحب الحمار (رمضان ٢٠٠٢ب: ٧ - ٢٧) الذي تناول المؤلف دنانيره، التي تحمل الشعار نفسه، في الصفحة ذاتها (ص ٦٦).

٢- أشار المؤلف إلى أن أسباب تسجيل الاقتباس القرآني (**المُلْكُ اليَوْمَ لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ**) على نقود أبي محلى أبي العباس، الثائر ضد السلطان السعدى الناصر زيدان، ترجع إلى بعض الحروب التي دارت بينهما (ص ١١٩)؛ ولكن هذا الاقتباس، الذي ورد على نقود هذا الثائر بصيغة "الملك لله الواحد القهار"، يرتبط بالطموح الشخصى لهذا الثائر في الوصول إلى الملك. فقد كان يطوف بالكعبة أثناء حجة -قبل ثورته- ويقول: "يارب قلت وقولك الحق (**وتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**)، فاجعل لى يارب دولة بينهم ..." (الوفرانى د.ت: ٢٠٤)، وكان يحث الناس -أثناء دعوته -على تغيير المنكر، وأخذ يوضح لهم أن أبناء المنصور (والد الناصر زيدان) قد تكالبوا في طلب الملك حتى قُتل كثير من الناس، ونهبت أموالهم ... وأخذ يُطمع الناس في الملك والسلطان حتى التفّوا حوله (رمضان ٢٠٠٢ أ: ٣٥٤- ٣٥٥)، ويقول الوفراني: "واستخف قلوب العوام وتبعوه.." (الوفراني د. ت: ٢٠٥).

٣- ذكر المؤلف أن يوسف بن تاشفين، حاكم المرابطين (٤٨٠-٥٠٠هـ)، سجل الآية ٨٥ من سورة آل عمران على نقوده رداً على النقود، التي سكها ألفونسو بن شنجة في طليطلة بعد الاستيلاء عليها سنة ٤٧٨هـ ونقش عليها العبارات المسيحية (انظر ص١٤٥ من الكتاب).

وفى حقيقة الأمر أن هذا التفسير به مغالطات تاريخية، لأن ألفونسوا بن ستجه (وليس شنجة كما ذكر المؤلف)، لم يكن معاصراً ليوسف بن تاشفين، ولم يكن معاصراً لدولة المرابطين، ولكنه كان معاصراً لدولة الموحدين، وقد سك النقود على الطراز العام نفسه للنقود المرابطية، وسجل عليها العبارات المسيحية، وذلك في الفترة من سنة ١٢١٢- ١٢٥٥ بعد الصفر (وهو التاريخ المسجل على النقود) /١١٧٤- ١٢١٧م/ ٥٨٠-٦١٤هـ (Gomez 1992: pp,385- 387).

٤- أشار المؤلف إلى أن تسجيل آية الكرسى على الدينار التذكاري، للخليفة العباسى المستضئ بأمر الله، والمؤرخ بسنة ٥٧٥هـ، كان بسبب شفاء الخليفة من المرض الذي ألم به، واعتمد الباحث في هذا التفسير على رأى الدكتور عيسى سلمان (سلمان ١٩٧٢: ٢-٣).

ولكن هذا التفسير لا يتفق مع ما ذكرته المصادر التاريخية، أو النصوص الكتابية الأخرى، المسجّلة على هذا الدينار. فقد أشارت المصادر التاريخية إلى مرض الخليفة المستضئ في شهر ذى القعدة سنة ٥٧٤هـ/ أبريل ١١٧٩م (ابن الجوزي ١٩٥١: ٣٥٣/٨). وفى سنة ٥٧٥هـ اشتد المرض بالخليفة، وأصيب بالحمى في يوم عيد الفطر من ذلك العام، ثم توفى متأثراً بهذا المرض في شهر ذى القعدة من العام ذاته (ابن الجوزي ١٩٥١: ٣٥٦/٨؛ ابن كثير ١٩٨٧: ٣٢٥/١٢)

ومن ذلك يتضح أن الخليفة كان مريضاً في سنة ٥٧٥هـ، التي سك فيها هذا الدينار التذكارى، ويؤكد ذلك تسجيل بعض الأدعية الأخرى على هذا الدينار، وهي تمثل ابتهالاً من الخليفة المستضئ إلى الله بأن يرفع عنه هذا البلاء (رمضان ١٩٩٨: ٣٤٨- ٤٤١). ومن ثم سك هذا الدينار التذكاري وعليه هذه الأدعية، ليوزع صلة على الفقراء والمساكين، وغيرهم، حتى تلتهج الألسنة بالدعاء لخليفة المسلمين ليرفع الله عنه هذا البلاء.

٥-ذكر المؤلف أن الآية ١٦٣ من سورة البقرة قد سجلت على دنانير حكام الموحدين محمد الناصر (٥٩٥- ٦١٠هـ)، وأبى يعقوب يوسف الثاني (٦١٠- ٦٢٠هـ) (الكتاب، ص١٦٢، ج، د)؛ ولكن هذا غير صحيح، لأن هذه الآية لم تسجل على نقود كلا الحاكمين مطلقاً، وأن آخر مرة سجلت فيها هذه الآية على نقود حكام الموحدين، كانت في عهد أبي يوسف يعقوب (٥٨٠-٥٩٥هـ)، بينما حذفت هذه الآية منذ عهد محمد الناصر، وسُجِّل بدلاً منها بهامش الوجه اسم وألقاب حاكم الموحدين. كما أن المصادر التي أشار إليها المؤلف في تأكيد رأيه، لم تذكر ذلك؛ بل أشارت إلى عدم تسجيل هذه الآية على نقود كلا الحاكمين.

٦-فسر المؤلف سبب تسجيل محمد بن يوسف بن هود، الاقتباس القرآني: (**وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**) على نقوده، بأنه يمثل شكر محمد بن هود لله على ما حباه به من فضل، بعد أن تمكن من الاستيلاء على مرسية سنة ٦٢٥هـ؛ ولكنني اختلف مع المؤلف في هذا التفسير، لأن المقصود من

تسجيل هذا الاقتباس هو إعلان محمد بن يوسف بن هود الخروج على مذهب المهدي بن تومرت، واعتناقه مذهب أهل السنّة والجماعة ، وقيامه بالدعوة للخليفة العباسي في بغداد (رمضان ٢٠٠١: ٧٩٠).

٧-ذكر المؤلف أن سبب تسجيل الآية الرابعة من سورة الفتح، على درهم السلطان الإيلخاني أبي سعيد بهادرخان، المضروب في بغداد سنة ٧١٩هـ، يرجع إلى اعتناق السلطان أبي سعيد للمذهب السني، وإظهار محبته للصحابة (الكتاب، ص٢٠١).

وإن هذه الآية الكريمة لم تظهر فقط على درهم بغداد سنة ٧١٩هـ كما ذكر المؤلف؛ ولكنها نقشت أيضاً على درهم ضرب مرو في العام نفسه (Butak 1947: 143). وهذه الدراهم بما سجل عليها من كتابات قرآنية، وغير قرآنية، تمثل إصداراً تذكارياً بمناسبة نجاح السلطان أبي سعيد في استعادة إقليم خراسان في ذلك العام (٧١٩هـ)، من أيدي الأمير سيول بن سنتاف صاحب خوارزم، الذي كان قد استولى عليه بعد اعتلاء السلطان أبي سعيد الحكم مباشرة (ابن خلدون١٩٧٩: ٥/ ٦٢٠). لذلك سك أبو سعيد هذه النقود التذكارية في مرو، قاعدة إقليم خراسان، وبغداد، عاصمة الدولة، احتفالاً بهذه المناسبة، ونقش هذه الآية الكريمة على النقود ليعلن من خلالها أن النصر، الذي تحقق على أعدائه، كان بفضل تأييد الله له.

٨- ذكر المؤلف في تفسير أسباب تسجيل الاقتباس القرآني: (**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**)، على نقود السلطان محمد بن تغلق، حاكم سلاطنة دلهي، أنه كان الأجدر بهذا السلطان ألا يسجل هذه الآية على نقوده، لأنه بعيد كل البعد عما تحض عليه هذه الآية... (ص٢١٢ من الكتاب). ويسجل المؤلف في تناوله لهذه الآية اعتراضه على نقش محمد بن تغلق لهذه الآية على نقوده، ولكنه لم يقدم تفسيراً منطقياً لأسباب تسجيل هذا الاقتباس على نقود محمد بن تغلق.

وفي حقيقة الأمر أن تسجيل هذا الاقتباس على نقود السلطان محمد بن تغلق - النقود النحاسية فقط - يرتبط بحادثة اقتصادية مهمة في تاريخ النقود الإسلامية. ذلك أن الظروف الاقتصادية الصعبة، التي عاشتها دولة بني تغلق في تلك الفترة، دفعت السلطان محمد إلى ابتداع نظام نقدي جديد، فضرب عملة نحاسية جديدة، لتحل في التداول محل الدنانير والدراهم، وبالقيمة الاسمية ذاتها، بضمان بيت مال الدولة. ولكن لم تلق هذه العملة الجديدة قبولاً في التداول بين الناس، وكثر الغش والتزييف فيها، ورفض التجار الأجانب والمحليون البيع والشراء بهذه النقود الجديدة، إلا بقيمتها الحقيقية (الساداتي ١٩٥٧: ١/١٥٤-١٥٥)، وقد عرفت هذه النقود الجديدة بالنقود الإجبارية (Brown1920: p. 73; Wright 1936: p. 166; Rajgor: p. 80).

وقد سجّل السلطان محمد هذا الاقتباس القرآني على نقوده النحاسية الجديدة، التي ضربت خلال الفترة من سنة ٧٣٠هـ إلى سنة ٧٣٢هـ، لحث الناس على التعامل بهذه النقود، والالتزام بأوامر السلطان في هذا الشأن. وقد كان السلطان محمد موفقاً، إلى حد كبير، في اختيار هذا الاقتباس من الآية الكريمة، التي ورد في تفسيرها: عن سهل بن عبدالله التستري: "أطيعوا السلطان في سبعة: ضرب الدراهم والدنانير والمكاييل والأوزان والأحكام والحج والجمعة والعيدين والجهاد" (رمضان١٩٩٨: ٥٦٤- ٥٦٥).

٩- كما ذكر المؤلف أن سبب تسجيل الاقتباس القرآني: (**وَاللَّهُ الغَنِيُّ وَأَنتُمُ الفُقَرَاءُ**)، على نقود السلطان محمد بن تغلق كان تعبيراً عن سخائه وكرمه (ص٢٠٢ من الكتاب). وهذا التفسير لا يتوافق أيضاً، مع ما وصلنا من نقود تحمل هذا الاقتباس، أو ما ورد في المصادر التاريخية. فهذا الاقتباس سجل على النقود الذهبية والفضية منذ سنة ٧٣٢هـ، حتى سنة ٧٣٩هـ. (Allan 1922: 204 ; Abdul Wali Khan 1974: 55).

وقد أشارت المصادر التاريخية إلى فشل النظام النقدي، الذي وضعه محمد بن تغلق لإنقاذ البلاد من حالة الضيق الاقتصادي، فألغاه في سنة ٧٣٢هـ، بعد أن زاد الأمر سوءاً (الساداتي ١٩٥٧: ١/١٥٥). وفي الوقت نفسه، سادت دلهي، عاصمة البلاد، مجاعة شديدة، اضطرت السلطان محمد إلى مصادره أموال الأغنياء والأعيان والتجار، وفرض ضرائب جديدة، ما اضطر الناس إلى هجرة أعمالهم، وأرضهم (الساداتي ١٩٥٧: ١/١٥٢-١٥٧؛ النمر ١٩٩٠: ١٣٠). لذلك، سك السلطان محمد هذه النقود، وسجّل عليها هذا الاقتباس القرآني، مخاطباً الأغنياء يحثهم على الإنفاق في سبيل الله، حتى يساعدوا الدولة في الخروج من أزمتها الاقتصادية،

وليُذكّرهم أن المال مال الله، فهو الغني، وهم الفقراء. ويبدو أن دعوة السلطان محمد لم تلق قبولاً لدى الأغنياء، ما دفعه إلى مصادرة أموالهم.

١٠- أشار المؤلف إلى أن الصراع بين بني مرين وبني زيان، كان السبب الرئيسى في تسجيل الاقتباس القرآني: (**إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإحْسَانِ وإيتَاءِ ذِي القُرْبَى ويَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنكَرِ والْبَغْيِ**) (ص٢١٢- ٢١٤)، على نقود حاكم بني زيان، السلطان أبي زيان محمد (٧٩٦- ٨٠٢هـ).

وفي حقيقة الأمر أن الظروف، التي عاشها هذا السلطان قبل وبعد اعتلائه للحكم، كان لها تأثير كبير في اختياره لهذا الاقتباس. فقد لعب الطمع في الملك دوراً كبيراً في قطع صلة الرحم، بين أفراد أسرة هذا السلطان؛ وذلك حين ثار أخوه، أبو تاشفين عبدالرحمن، ضد والده وإخوته، وتمكّن من قتل أبيه في سنة ٧٩١هـ، واستولى على حكم بني زيان. ولكن أبا زيان محمد هب محارباً أخاه، أبا تاشفين عبدالرحمن، مطالباً بثأر أبيه ، لكنه هزم وهرب إلى بني مرين، ثم عاد ونجح في الانتصار على أخيه أبي تاشفين، واستولى على الحكم في سنة ٧٩٦هـ. وما لبث أن ثار ضد أبي زيان محمد أخوه يوسف بن الزابية على رأس جموع بني عامر، وتمكن أبو زيان محمد من القضاء على فتنة أخيه وقتله (ابن خلدون ١٩٧٩: ١٤٥/٧- ١٤٧).

١١- ذكر المؤلف أن الاقتباس القرآني: (**ومَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم**)، قد سجل على نقود حاكم بني زيان محمد الرابع؛ ولكن هذا غير صحيح. فهذا الاقتباس ظهر فقط على نقود السلطان أبي العباس أحمد المعتصم، حاكم بني زيان. ومن الجدير بالذكر، أن المؤلف لم يذكر سبب تسجيل هذا الاقتباس على نقود الحاكم الأخير. وقد أشارت المصادر التاريخية إلى محاولة السلطان الحفصي، أبي فارس عبد العزيز، الهجوم على تلمسان والانتقام من السلطان أبي العباس أحمد، لاعتلائه الحكم دون موافقة أبي فارس عبدالعزيز، ولكن السلطان الحفصي توفي في الطريق أثناء سيره لغزو تلمسان. (الجيلالي د. ت: ١٩١/٢)، لذلك سجل السلطان أبو العباس أحمد هذا الاقتباس، ليعلن أنه اعتصم بالله والتجأ إليه؛ فكفاه الله شر عدوه.

١٢- أشار المؤلف إلى أن نجاح الإمبراطور المغولي همايون، في العودة إلى عرشه مرة أخرى في سنة ٩٦٢هـ، كان السبب الرئيسى في تسجيله للاقتباس القرآني: (**اللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**)، على تنكة فضية لا تحمل مكان السك أو تاريخه (ص ٢١٦- ٢١٧).

ولكن هذا التفسير غير صحيح، في ضوء ما وصلنا من نقود مؤرخة تحمل هذا الاقتباس، وما ذكرته المصادر التاريخية . فقد سجل هذا الاقتباس على النقود الفضية المضروبة في كابل، في السنوات ٩٤٤هـ، ٩٤٥هـ، ٩٤٦هـ، أي أن هذا الاقتباس ظهر على النقود المضروبة فقط في الفترة الأولى من حكم همايون، وقبل خلعه في سنة ٩٤٧هـ.

وقد أشارت المصادر التاريخية إلى الأزمة الاقتصادية الشديدة، التي كانت تعيشها دولة أباطرة المغول في أعقاب اعتلاء همايون الحكم، حين ترك له والده، الإمبراطور بابر، خزائن البلاد خاوية، إضافة إلى اشتعال الثورات في أرجاء الهند منذ سنة ٩٤٢هـ (الساداتي ١٩٥٩: ٧٥/٢- ٦٤؛ النمر ١٩٩٠: ١٨٢- ١٨٣)، لذلك سجل همايون هذا الاقتباس على نقوده، ليكون دعاءً إلى الله بطلب الرزق، وأن يرفع الله من قدره في مواجهة أعدائه؛ لكن دعاءه لم يغن عنه من أمر الله شيئاً، فقد هُزم أمام سير شاه سوري، وهرب إلى إيران في سنة ٩٤٧هـ.

د. عاطف منصور محمد رمضان: قسم الآثار الإسلامية بكلية الآداب بسوهاج، جامعة جنوب الوادى. مصر.
Email: atef_mansour2000@yahoo.com

المراجع:

أولاً: المراجع العربية:

البلاذري أبو الحسن بن يحيى ١٩٦٨م. **أمر النقود**، تحقيق Daniel Eustace- مجلة Hesperis Tamuda المجلد التاسع (pp.75- 107).

ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي ١٩٥١ . **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، ج ٨، القسم الأول ، حيدرأباد.

الجيلالي، عبدالرحمن د. ت. **تاريخ الجزائر العام**، جزءان، الجزائر.

حسين، فرج حسين فرج ٢٠٠٢ . النقوش الكتابية الفاطمية على الآثار المعمارية في مصر (٣٥٨- ٥٦٧هـ/ ٩٦٨- ١١٧١م). مخطوط رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى قسم الآثار الإسلامية، كلية الآداب بسوهاج - جامعة جنوب الوادي، مصر.

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد ١٩٧٩ . **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ٧ أجزاء، بيروت.

رمضان، عاطف منصور محمد ١٩٩٨ . الكتابات غير القرآنية على السكة في شرق العالم الإسلامي، مخطوط رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآثار، جامعة القاهرة.

رمضان، عاطف منصور محمد ٢٠٠١، "نقود الثوار والخارجين في نهاية عصر الموحدين بالمغرب والأندلس (٦٢٥-٦٦٨هـ/١٢٢٨-١٢٦٩م)" **كتاب المؤتمر الرابع للآثاريين العرب، الندوة العلمية الثالثة،١١-١٣ شعبان١٤٢٢هـ/٢٧-٢٩ أكتوبر ٢٠٠١م**، القاهرة، (ص ص٧٦٥- ٨٣٨).

رمضان، عاطف منصور محمد٢٠٠٢ أ . **الكتابات غير القرآنية على النقود الإسلامية في المغرب والأندلس**، القاهرة.

رمضان، عاطف منصور محمد ٢٠٠٢ ب . "درهم نادر لأبى يزيد مخلد بن كيداد صاحب الحمار"، **حوليات المتحف الوطني للآثار**، ص ص٧- ٢٧ ، الجزائر.

الساداتي، أحمد محمود١٩٥٧- ١٩٥٩ . **تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم**، جزءان، القاهرة.

سلمان، عيسى١٩٧٢ . "دينار نادر للخليفة المستضئ بأمر الله"، **مجلة المسكوكات**، بغداد.

شما، سمير ١٩٩٨م. **ثبت الفلوس العباسية**، لندن.

طباطبائي، سيد جمال ترابي ١٣٧٢ش. "سكه هاى إسلامي إيران حملة عرب تاحملة مغول"، **انتشارات أزادي**، تبريز.

فهمي، عبدالرحمن ١٩٨٧ . **النقود العربية ماضيها وحاضرها**، مكة المكرمة.

ابن كثير، عماد الدين إسماعيل الدمشقي ١٩٨٧ . **البداية والنهاية**، تحقيق: أحمد أبو ملجم وآخرون، بيروت.

المقريزي، تقى الدين أحمد بن علي ١٩٨٨ . "النقود القديمة والإسلامية (شذور العقود في ذكر النقود)"، تحقيق: رأفت محمد النبراوي، **مجلة العصور**، المجلد الثالث، الجزء الأول، (ص ص١١٧- ١٤٧)، دار المريخ، لندن.

المناوي، محمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن على١٩٨١ . **النقود والمكاييل والموازين**، تحقيق: رجاء محمود السامرائي، بغداد.

النمر، عبدالمنعم ١٩٩٠ . **تاريخ الإسلام في الهند**، القاهرة.

الوفراني، محمد الصغير بن الحاج بن عبدالله د. ت. **نزهة الحادى بأخبار ملوك القرن الحادى**، تحقيق: هوداس، الرباط.

ثانياً: المراجع غير العربية:

Abdul Wali K. M. 1974. **Coins of Sultans of Dehli in the Indhra Prades State Museum**, Hydrabad.

Allan, J. 1922. **Indian Coins Acquired by the British Museum**, N.Chr. (pp. 200- 213), London.

Artuk, I. 1966. **Denizbaci Definsi, Turk Tarih Kurmu Basimevi**, Ankara.

Brown, C. J. 1920.**The Coins of india,** London.

Brown, C. J. 1922. **Catalogue of Coins in the Provincial Museum Luknaw, Coins of the Mughol Imperors,** 2 Vols. London.

Butak, B. 1947. **Resmili Turk Paralar,** Istanbul.

Gomez, A. M. 1992. **Monedas Hispano Musulmanas,** Toledo.

Lavoix, H. 1887. **Catalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibliotheque Nationale**, Vol. I: Les Kalifes Orientaux, Paris.

Miles, G. C. 1960. "Aninth Century Hoard of Dirhems found at Susa., Memoires de la Mission Archeologique en Iran", **Tom** XXXVII, Paris.

Spink, 22/1987. **Coins of the Arabe World, Other Important Islamic Coins in Gold, Silver and Copper**. Auction22, Tuesday 17th March 1987.

Rajgor, D. (n. d.) **Standard Catalogue of Sultanate Coins of India**, Amropale Publication.

Vasmer, R. 1930. **Uber dir Munzen der Saffariden und ihrer Gegner in Fars und Hurasan**. NZ. Wien.

Whitehead, R. H, 1910. **Catalogue of the Collection of Coins illastrative of the History of the Rulers of Dehli up to 1858 A. D. in the Dehli Museum of Archaeology,** Calcutta.

Wright, N. 1936. **The Coinage and Metrology of The Sultans of Dehli**, Delhi.

Zambaur, E.V. 1906. **Contribution a La Numismatique Orientalle**. NZ, Wien, (pp. 114-198).

عرض الكتب

اسم الكتاب: نقود الدولة العيونية في بلاد البحرين.

المؤلف: نايف عبد الله الشرعان.

الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض، المملكة العربية السعودية.

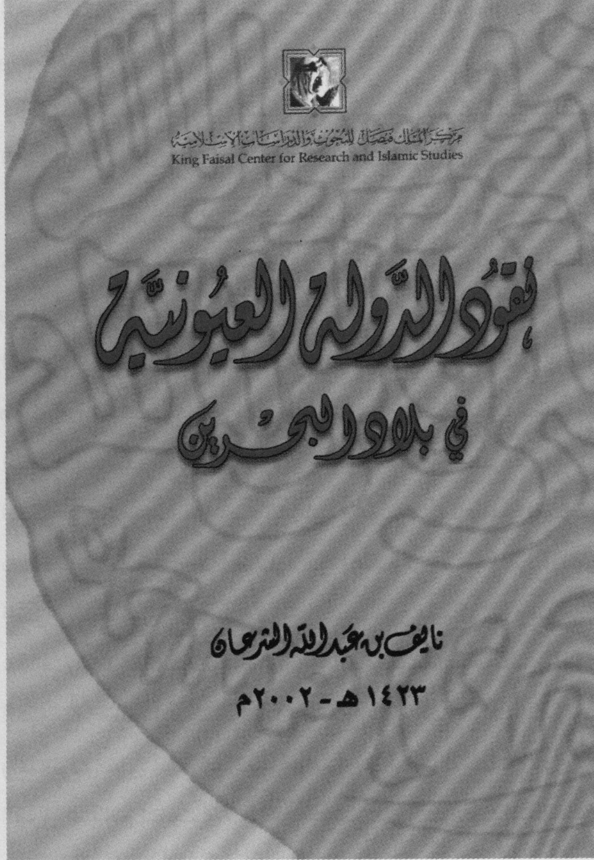
سنة النشر: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

التصنيف الدولي: ٢٢/٥١٣٩.

مقاس الكتاب: ١٧× ٢٤ سم

عدد الصفحات: ٣١٥ صفحة (وتشمل ٥٠ لوحة، و ٥٢ شكلاً)

عرض: د. فرج الله أحمد يوسف.



يتكون الكتاب من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، ثم قائمة بالمصادر والمراجع، تعقبها اللوحات والأشكال والكشاف.

ناقش المؤلف في المقدمة أهمية المسكوكات الإسلامية، بوصفها أهم المصادر، التي يمكن من خلالها تدوين التاريخ الإسلامي لأنها وثائق رسمية تحمل شارات الدول ورموز سيادتها، ويمكن من خلال نقوشها الكتابية، دراسة أوضاع الدول السياسية والاقتصادية والمذهبية والاجتماعية. لذا، يعد هذا الكتاب أهم مصدر لدراسة تاريخ الدولة العيونية حتى الآن، نظرًا لافتقارنا لأية مصادر تاريخية مكتوبة عن الدولة العيونية، التي يعتمد المؤرخون في دراستهم لتاريخها على ديوان الشاعر علي بن المقرب، والشروح الموجودة على بعض نسخ الديوان، مثل النسخة المحفوظة في المكتبة الرضوية بمشهد، التي يعود تاريخها إلى سنة ٩٦٣هـ (المديرس ٢٠٠١: ١٧٣)، وقد سجل الشارح بها أسماء حكام العيونيين حتى سنة ٦٣٣هـ؛ ولكن بعد دراسة هذه المجموعة من النقود العيونية ونشرها، أصبح لدينا مصدرًا مهماً لتاريخ الدولة العيونية، سوف يكشف عن الكثير من الجوانب الغامضة في تاريخ هذه الدولة.

تحدث المؤلف في المقدمة عن العثور على مجموعة النقود العيونية، في ما يعتقد أنه كان دارًا لسك النقود، أو بالقرب منها، نظرًا لأن العديد من قطع المجموعة لم يتم قصها وتشذيبها. ولمّا كانت هذه النقود مسكوكة من معدن الرصاص، فقد تطلّب تنظيفها وإعدادها للدراسة الكثير من الحذر والحيطة، على أيدي مختصين في ترميم الآثار.

يشتمل الفصل الأول على الإطار الجغرافي لبلاد البحرين. فبعد أن يعرض المؤلف آراء الجغرافيين والمؤرخين، يخلص إلى أن بلاد البحرين تمتد على الساحل الغربي للخليج العربي، من البصرة شمالاً، إلى جلفار جنوبًا؛ وبذلك فهي تشمل، في الوقت الحاضر: البحرين، وقطر، والكويت، والمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية. ويلي ذلك مقدمة تاريخية عن بلاد البحرين، منذ صدر الإسلام حتى قيام الدولة العيونية في

النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. ولما كانت بلاد البحرين مأوى للمعارضين والخارجين، فقد اهتم المؤلف، بصفة خاصة، بالفرق الخارجة على الخلافتين الأموية والعباسية، مثل: الخوارج، والزّنج، والقرامطة.

قسّم المؤلف الفصل الثاني إلى قسمين، تناول في أولهما الأحوال السياسية للدولة العيونية، منذ تأسيسها على يدي عبد الله بن علي بن محمد بن إبراهيم العيوني سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٥م، بعد أن تمكّن من القضاء على دولة القرامطة. وبعد أن أحكم عبد الله العيوني سيطرته على بلاد البحرين، اتخذ من الأحساء عاصمة لدولته، وظل في الحكم حتى وفاته؛ فخلفه ابنه الفضل، ثم ابنه أبو سنان محمد، الذي اتخذ من القطيف عاصمة للدولة العيونية. وشهد عصره صراعًا داخليًا انتهى بمقتله سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م. وانقسمت الدولة العيونية بعده حتى تمكّن أحد أحفاده من إعادة توحيدها في أواخر القرن السادس الهجري/ الثالث عشر الميلادي. وفي سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م عادت الخلافات الداخلية تهز أركان الدولة العيونية. فانتهز عصفور بن راشد، زعيم بني مالك، الفرصة واستولى على أملاك الدولة العيونية في النصف الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي؛ وبذلك انطوت صفحة الدولة العيونية.

وفي القسم الثاني من الفصل الأول، تناول المؤلف نقود بلاد البحرين حتى منتصف القرن الخامس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. فبدأ بمقدمة عن النقود، التي كانت متداولة في المنطقة قبل الإسلام ثم تناول النقود، التي ضربت بها بعد الإسلام. ويلاحظ الاعتماد على الرصاص، في صناعة النقود البحرينية منذ العصر الأموي. ويؤكد المؤلف أن دور السك في البحرين، لم تصدر نقودًا ذهبية أو فضية، وحتى النقود الذهبية والفضية، التي أصدرها الزنج والقرامطة، صدرت في مراكز سك خارج بلاد البحرين، مثل: المدينة المختارة (بالقرب من البصرة)، ومكة المكرمة، والرملة، وطبرية، ودمشق. وقد ذكر الرحالة ناصر خسرو، الذي زار الأحساء في القرن الخامس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، أن النقود المتداولة في الأحساء، كانت مصنوعة من الرصاص.

يتضمن الفصل الثالث الدراسة الوصفية لمجموعة النقود العيونية، وعددها خمسون درهمًا، منها أربعة دراهم ضربت في أرض الخط، وتسعة ضربت في جزيرة أوال، وسبعة وعشرون في الخط، أما تواريخ السك، فتتراوح ما بين سنتي ٥٤٤-٥٤٩هـ. وقدم المؤلف وصفًا شاملاً لكل قطعة نقدية على حدة، تضمّن: مكان السك وتاريخه، والوزن والقطر والسماكة، وقراءة للنصوص الكتابية، التي كانت في الغالب عبارة عن شهادة التوحيد والرسالة المحمدية، ومكان السك وتاريخه، واسم الحاكم، الذي ضربت نقود هذه المجموعة في عهده، وهو: جمال الدين الحسن بن عبدالله بن علي، والآيات القرآنية، التي نقشت على نقود المجموعة. ويتضح من الدراسة الوصفية، أن الدولة العيونية سارت على نهج سابقيها، في الاعتماد على الرصاص مادة أساسية لضرب النقود.

خصّص المؤلف الفصل الرابع والأخير، للدراسة التحليلية والفنية للمجموعة، وتناول من خلالها مراكز السك. وقد أضافت هذه المجموعة ثلاثة مراكز سك جديدة، لم تكن معروفة من قبل، وهي: أرض الخط، وجزيرة أوال، والخط؛ ثم عرض المؤلف أنواع الخطوط، وطرق تنفيذها على نقود المجموعة. وتبين له استخدام نوعين من الخط، هما: الكوفي والنسخ. وأعد المؤلف جدولاً أوضح فيه أشكال الحروف، كما وردت على نقود المجموعة. أما الآيات القرآنية والعبارات والألقاب، الواردة على نقود المجموعة، فقد ناقش المؤلف دلالات العبارات وتفسيرها، مثل: لا إله إلا الله محمد رسول الله، علي ولي الله، وورد على نقود المجموعة جزء من سورة الإخلاص (اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ)، والاقتباس القرآني من الآية ٣٣ في سورة التوبة (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون). وتتبع المؤلف ظهور هذه الآيات والعبارات على المسكوكات الإسلامية، ثم انتقل إلى اللقب، الذي ظهر على نقود المجموعة، وهو: "جمال الدنيا والدين" وقد تلقّب به الحسن بن عبد الله بن علي العيوني (٥٣٩-٥٤٩هـ/١١٤٤-١١٥٤م)، الذي ضربت نقود هذه المجموعة في عهده. لذا فقد تعرّض المؤلف إلى الألقاب المضافة إلى (الدين) منذ أول ظهورها على المسكوكات الإسلامية. فوجد أن نقود هذه المجموعة تنفرد بأنها أول نقود إسلامية، يسجل عليها لقب: جمال الدنيا والدين. ويعد الدرهم المضروب في أرض الخط

سنة ٥٤٤هـ، أقدم نقد إسلامي نقش عليه هذا اللقب حتى الآن.

ومن أهم النتائج، التي توصلت إليها الدراسة، على سبيل المثال لا الحصر:

١- لم تنضوي الدولة العيونية تحت سلطة أي من الخلافتين العباسية أو الفاطمية.

٢- كان المذهب الشيعي هو المذهب الرسمي للدولة العيونية، استنادًا إلى وجود عبارة: (علي ولي الله)، التي لا تسجل إلا على نقود الدولة، التي تتبع المذهب الشيعي. ولقد وردت بعض الإشارات التاريخية، التي تشير إلى اعتناق الدولة العيونية للمذهب الشيعي، ومن ذلك ما جاء بمخطوطة في التراجم مجهولة المؤلف والعنوان، محفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة. وكان أكثر من ترجم لهم مؤلف المخطوطة من الشيعة، بجانب حكام الدولة العيونية ومدنها، مثل: القطيف، وأوال (المديرس ٢٠٠١: ١٧٢). وتوصلت بعض الدراسات، التي تناولت شعر علي بن المقرب العيوني إلى ترجيح تَشّيُعه، وتعد قصيدته العينية، التي رثا فيها الحسين بن علي (رضى الله عنهما)، من أقوى الأدلة على ذلك (العماري د.ت: ١٧٣-١٨٠). كما أشار بعض الرحّالة المسلمين، الذين زاروا بلاد البحرين، إلى أن أهلها كانوا شيعة (ابن بطوطة ١٩٩٧: ٢/ ٥٨). (وقد أثبت المؤلف الأدلة على تشيّع الدولة العيونية، في تفسيره لعبارة: علي ولي الله. أنظر الكتاب ص ص ١٩٥ - ٢٠٤)، وهناك العديد من المراجع، التي تناولت تاريخ الدولة العيونية من خلال ديوان علي بن المقرب العيوني، وتحفل بالإشارات، التي ترجّح تشيّع الدولة العيونية (العمران ١٩٦٨؛ الخضيري ١٩٨١؛ آل خليفة ١٩٨١).

٣- إضافة ثلاثة مراكز سك جديدة، لم ترد في مراكز المسكوكات الإسلامية من قبل وهي: أرض الخط، والخط، وجزيرة أوال.

٤- ظهور لقب: "جمال الدنيا والدين"، لأول مرة على النقود الإسلامية.

٥- سكت نقود الدولة العيونية من الرصاص المخلوط بالبرونز أو النحاس، ولم تكن ذات أوزان ثابتة، والفروق بين أوزانها كبيرة جدًا.

ولمّا كان أي عمل علمي لا يخلو من بعض الهنات والملاحظات، فإن من الملاحظات، التي لا تقلل من جهد المؤلف وأهمية الكتاب، الآتي:

١- كان على المؤلف، وهو يستعرض تاريخ بلاد البحرين في صدر الإسلام، أن يشير إلى وفد بني عبد القيس، الذي قدم إلى المدينة المنورة وقابل الرسول (صلى الله عليه وسلم) في السنة الأولى للهجرة. وكان على رأس ذلك الوفد الأشج المنذر بن عائذ؛ وكذلك تجدر الإشارة إلى مسجد جواثى، الذي شُيّد في السنة الثانية للهجرة في بلاد البحرين.

٢- عند حديثه عن نقود بلاد البحرين قبل الإسلام، اقتصر المؤلف على ذكر النقود اليونانية والسلوقية، التي كانت متداولة في المنطقة، وفاته أنه عُثر في المنطقة على مسكوكات تعود لممالك عربية، مثل: مملكة معين، ومملكة حضرموت، ومملكة الأنباط، ومملكة ميسان.

٣- ذكر المؤلف أن ثورة الزنج بدأت سنة ٢٥٤هـ (ص ٣٥)، ثم قال إنها بدأت سنة ٢٥٥هـ (ص ٨٣)، والتاريخ الأخير هو الصواب.

٤- أشار المؤلف إلى النقود الفضية لصاحب الزنج، وأغفل نقوده الذهبية ومنها الدينار المضروب في المدينة المختارة سنة ٢٦١هـ.

٥- هناك اختلاف في العناوين الفرعية للفصل الثالث؛ ففي الفهرس (ص ٦) جاءت العناوين كما يلي:

الفصل الثالث: الدراسة الوصفية

أولاً: تعريف بالمصطلحات.

ثانيًا: طرز النقود العيونية.

ثالثًا: وصف القطع النقدية.

أما في افتتاحية الفصل (ص ٨٩)، فقد جاءت العناوين كما يلي:

الفصل الثالث: الدراسة الوصفية.

أولاً: تعريف بالمصطلحات.

ثانيًا: وصف النقود وطرزها.

وكان ينبغي تعديل ما جاء في الفهرس، ليتوافق مع ما جاء في افتتاحية الفصل.

٦- ملاحظات على الدراسة الوصفية:

- عند دراسته للقطعة رقم ٢، ذكر المؤلف أن تاريخ ضربها

سنة ٥٤٩هـ، في الوقت الذي يشير فيه إلى أن كتابات الظهر ممسوحة (ص ٩٦).

- أشار إلى أن تاريخ ضرب القطعة رقم ٣ غير واضح، مع أنه سجل كتابات هامش الظهر كما يلي: (بسم الله ضرب هذا الدرهم بأرض الخط سنة ... وأربعين وخمس ومائة) (ص ٩٧).

- ذكر أن تاريخ ضرب القطعة رقم ١٣ غير واضح، وسجل كتابات هامش الوجه كما يلي: (بسم الله ضرب هذا الدرهم بجزيرة أوال سنة ... وأربعين وخمس ومائة)، وكان عليه أن يسجل التاريخ كما فعل في القطعة رقم ١٢ (×٥٤هـ) (ص ١٠٦-١٠٧).

٧- عند حديثه عن أرض الخط قال المؤلف: (... وتضم مجموعة الدراسة خمسة دراهم للسلطان جمال الدنيا والدين الحسن بن عبد الله بن علي، جرى سكها في أرض الخط ما بين سنة ٥٤٤هـ وسنة ٥٤٩هـ...) (ص ١٥٤-١٥٥)، وعند مراجعة الدراسة الوصفية نجد الدراهم المضروبة في أرض الخط أربعة فقط (ص ٩٥-٩٨).

وفي الختام، يعد هذا الكتاب إضافة للمكتبة العربية، بصفة عامة، ولعلم المسكوكات الإسلامية، بصفة خاصة، لما توصل إليه المؤلف من نتائج جديدة نتجت عن دراسة هذه المجموعة من النقود، التي تعد الوحيدة من نوعها؛ إذ لم يسبق أن نُشرت من قبل أية نقود للدولة العيونية، في بلاد البحرين.

د. فرج الله أحمد يوسف - الرياض ١١٤١٢ - ص ب ٤٥٥٦ farajyousef @ hotmail.com

المراجع:

ابن بطوطة، شمس الدين أبي عبدالله محمد ١٩٩٧ . **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** (تحقيق عبدالهادي التازي)، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط.

الخضيري، علي عبدالعزيز ١٩٨١ . **علي بن المقرب العيوني حياته وشعره**، بيروت.

آل خليفة، عبدالله خالد ١٩٨١ . "دولة العيونيين في البحرين"، **الكتاب السنوي الأول، للأمانة العامة للمراكز والهيئات العلمية في الخليج والجزيرة العربية**، الرياض.

آل خليفة، عبدالله خالد ١٩٨٢ . دراسة في دولة العيونيين **الوثيقة**، العدد الأول، رمضان ١٤٠٢هـ/يوليو ١٩٨٢م.

العماري، فضل بن عمار (دت)، **ابن المقرب وتاريخ الإمارة العيونية في بلاد البحرين**، الرياض.

العمران، عمران ١٩٦٨ . **ابن المقرب حياته وشعره**، الرياض.

المديرس، عبدالرحمن مديرس ٢٠٠١ . **الدولة العيونية في البحرين**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

Maani, S. 1999. "Dirāsa Taḥlīliya Linuqūš Ṣafawiyya Jadīda Min al-'Urdun/Mafraq", **Journal of King Saud University**, Vol. 1, insc. 3.

Malkawi, A. 1997. 'Aṣiyaġ aṯṯalabiyya fi an-Nuqūš aṣ-Ṣafawiyya, unpublished MA. Thesis, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Maraqten, M. 1988. **Die Semitischen Personennamen in den alt-und reicharamaeischen Inschriften aus Vordasien**, Texte Und Studien zur Orientalistik, Band 5, Georg Olms Verlag, Hildesheim.

Negev, A. 1991. Personal Names in the Nabatean Realm", **QEDEM** 32, (Jerusalem: Hebrew University of Jerusalem, p40 .

Repertoire "Epigraphie Semitigue", **paries, Academic des Inscriptions et Belles-Lettress**, no 3610.

Ryckmans, G. 1934-5. Les noms propers Sud-Semitiques, **Tom** I, repretpire analytique **Tom** II repertoire alphabetiques, louvain, p. 47.

Ryckmans, G. 1950-51. "Le sacrifice DBH dans les inscription safaitiques", In Hebrew **Unicn College Annual** v:XXIII, (Seventy-Fifth Anniversary Publication 1875-1950, Cincinati, Ohio, Pp. 431-438. .

RES: 3537.

Stark, J. 1971. **Personal Names in Palmyrene Inscriptions,** Oxford, Clarendon Press, p 107.

Theeb, S. 1991. "Nuqus Safawiyah Jadidah min Shamaliy al-Mamlakah Al-Arabiah al-Saudiah", **Al-Osour Journal**, 6: 39.

Theeb, S. 1997 Nuqus 'Arabiyyeh Samaliyeh min Tabhar . . . , Dirasat, Jordan University, , insc. 16.

Theeb, S. 1998. **Nuquš al- Ḫigr an-Nabaṭiyya**, King Fahr Library, Riyaḍ.

Qudra, H. 1993. Dirasa Mu'jamiyyah li-Alfaz an-Nuqus al-Luhyaniyyah fi Itar al-Lugat as-Samiyyah aj-Janubiyyah, (unpublished MA. Thesis, Yarmouk University), p. 77.

'Ulūlu, Ġazī 1996. Dirārasat Nuqūš Ṣafawiya Jadīda min Wādi as-Sū' Janūb Sūriya, unpublished MA. Thesis, Yarmouk University, Ins. 279.

Winnett, F. V. 1957. Safaitic Inscriptions From Jordan, **Near and Middle East Series** 2, no. 730, University of Toronto Press, Toronto.

Winnett, F. and L. Harding 1978. "Inscriptions from Fifty Safaitic Cairns", **Near and Middle East Series** 9, no 1849,University of Toronto PressToronto.

Wuthmow,H. 1930. **Die Semitischen Menschennamen in griechischen Inschriften und Papyri des Vordern Orients**, Leipzig.

Zambauer 1951. **Mu'jam al-Ansāb wa-Al'Usar al-Ḫākimafi al-Tārīḫ il-'Islāmī,** Zaki Muḥammad Bek wa-Ḥasan Maḥūmmud, Mat'at Fu'ād il-'Awwal, Eygpt, 3.

Cantineau, J. 1978. **Le Nabateen**, 2vols (Nachdruck der Ausgabe Paris 1930-32), Osnabrueck, p. 134 .

Caskel, W. 1954. **Lihyan und Lihyanisch**, koeln, west Deutscher Verlag Koeln und Opladen, p 144.

Caskel, W. 1966. **Gamharat an Nasab, das genealogische Werk des Hisam ibn Muhammad al-Kalbi**, 2Vols. Leiden, II,p. 581.

Corpus Inscriptionum Semiticarum (CIS), 1950. Paris, Nos: (12, 21, 310, 847, 1172, 1656, 1895, 2998, 3031, 4358, 4360, 4409, 4748, 5293).

Gelb J. et al, 1980. **Computer- Aided, Analysis of Amorite**, University of Chicago, Chicago.

Harding, G. L. 1969. "The Safaitic Tribes", **Al-Abhath**, 23.

Harding, G. L. 1971. "An Index and Concordance of Pre-Islamic Arabian Names and Inscriptions", **Near and Middle East Series**, Toronto University, p 144.

Harding, G. L. and E. Littmann 1952. **Some Thamudic Inscriptions from the Hashemite Kingdom of the Jordan**, Leiden E. J. Brill no, 144.

Hazim, R . 1986. Die Safaitischen theophoren Namen im Rahmen der Gemeinsemitischen Namengebung, (Unpublished Ph. D. Marburg).

Hoftijzer, J. and k. Jongeling 1995. **Dictionary of the North-West Semitic Inscriotions**, Handbuch der Orientalistik, E. J. Brill Leiden, New York, Koeln, p. 173-5.

Ibin Duraid, 'Abu Bakr 1991. **'Al-'Ištiqāq**, Taḥqīq ‘Abd al-Salām Hārūn, Beirut , p. 29.

Ibin il-Kalbi 1924. **'Al-'Aṣnām**, taḥqiq 'Aḥmad Zaki, al-Maktaba al-‘Arabiyya Misr, 56.

Ibin Manẓūr, Abu il-Faḍl Jamāl id-Dīn 1955. **Lisān al-‘Arab**, Beirut, Dar Sader, , ṯūm.

'Il-'Andalusi, Ibn Ḥazm 1983. **Jamharat 'Ansāb il-‘Arab**, Dār il-Kutub, Beirut, p. 166.

Il-'Aṣfahāni ‘Abu al-Faraj (N. D). **Al-'Aġāni**, Dāt at-Tawgih 'al-Lubnāni, Beirut, Vol. 3, P. 123.

Jamme, A. 1967. "The Safaitic Verb wgm", **Orientalia** 36, 159-172, p. 171-172.

Jamme, A. 1967. “The Safaitic Verb rgm mny and its Variants”, **Orientalia,** 36: 345-348.

Jaussen, A. and R. Savignac 1909-14. **Mission archaeologique en Arabie**, 2Vols (Paris, Librairi Paul Geuthner, 75.

King, G. 1990, Early North Arabian Thamudic E, (Submitted for the degree of Ph. D. School of Oriental and African Studies, p. 541.

Koehler L. 1958. **Lexicon in Veteris testamentibros**,Leiden, E. J. Brill.

Littmann, E. 1943. **Safaitic Inscriptions**, Publications of the Princeton University Archaeological Expeditions to Syria in 1904-5 and 1909, Division IV, section C. Leiden, Brill, P 540.

Littmann, E. 1949. Muhadarāt fi al-Luġāt as-Sāmiyya, 'Asmā' al-A‘lam, **Magallat al-Adab**, 10: 1-55. p. 6-7, Qairo University.

Ma'ani, S. 1988. Allat: An Epigraphical Approach. A Study on Allat in the safaitic Inscriptions (Unpublished M. A. thesis), Yaromuk University,Irbid, Jordan.

Notes:

1) Corpus Inscriptionum Semiticarum, (Paris, 1950) no. 21
2) See Insc. No. 11.
3) Repertoire "Epigraphie Semitigue (paries, Academic des Inscriptions et Belles-Lettress), no 3610
4) Many Thanks for Mr. Abd El-Qadir al-Husan for giving me the Photos to be published.

References:

Ar-Rummānī, A. 1973. **Kitāb Ma'āni al-Ḥuruf**, Dār al- Nahḍa, Misr, p. 36.

Ajrami, M. 1992. Ḥayāt al-Ra'y was-Ṣaid 'ind as-Ṣafawiyīn min Ḫilāl Nuqūšihim, (Unpublished MA, Yarmouk University, p. 84.

Abābneh, M. 1994. Ba'al Šamīn 'Ind as-Sāmiyīn (Unpublished MA, Yarmouk University.

Abbadi, S. 1983. **Die Personennamen der Inschriften aus Hatra**, (Texte und Studien zur Orientalistik, Band 1, Georg Olms Verlag, Hildesheim).

Abu al-Ḥasan, Ḥ. 1997. **Qirā'atun Likitābātin Liḥyāniyatin Min Gabal 'Akma Bi-Manṭiqat al-'Ulā**, Maṭba'at al-Malik Fahd, Al-Riyaḍ, ins. 46.

Aḏ-Ḏahabi M. 1962. **Al-Muštabah fi ar-Rigāl wa-'Ansābuhum**, Qahira.

Al-Ansary. A. 1966, A Critical and Comparative Study of Lihyanite Personal Names, (Leeds University, Ph. D. Thesis, p 110.

Al-Bakri, 'Abdullah N. D. **Mu'jam ma Ista'jam, taḥqīq Musṭafa al-Saqā**, 'Ālam al-Kutub, Beirut, Vol. 1: 630.

Al-Kharysheh F. 1986. Die Personennamen in den Nabataeischen Inschriften des Corpus Inscriptionum Semiticarum, (Unpublished Ph. D. Marburg).

Al-Said, S. 1995. **Die Personennamen in den Manaeischen Inschrifcn**, Wiesbaden, Harrassowitz.

Aš-Šammari, Hazzā' 1410 h. **Gamharat 'asm' an-Nisā' wa-'A'lāmuhun**, Dār 'Umayya llinašr, , p. 419.

As-Sarqasṭi, Abu 'Uṯmān 1978. **Kitāb al-Af'āl**, al-Hay'atu l-Maṣriyya, Qahira.

Az-Zubaidi, , M. 1965. **Tāg il-'Arūs, taḥqīq 'Abd. as-Sattār Farrāg**, Kuwait, , mn'.

Beeston, A. F. , M. A. Ghul, W. W. Mueller and J. Ryckmans 1982. **Sabaic Dictionary, (Publication of the University of Sanaa**, Yar, Editions Peeters Louvain-la-Neuve, Librairie du Liban Beyrouth, p. 29.

Benz, F. L. 1972. **Personal Names in the Phoenician and Punic Inscriptions,** Rome, Biblical Institute Press.

Braue, H. 1925. "Die altnordarabischen Kultischen Personennamen", **Wiener Zeitschrift fuer die kunde des Morgenlandes**, 32 , 31-59 und 58-115, p. 95.

Dr. Sultan A. Maani – Queen Rania's Institute of Tourism and Heritage – Hashemite University – Zarqa - Jordan.

Fardous al Ajlouny – Queen Rania's Institute of Tourism and Heritage – Hashemite University – Zarqa - Jordan.

ملخص: تعتبر منطقة الحرة واحدة من أغنى المناطق بالنقوش العربية والإسلامية وتقسم هذه الدراسة عشرة نقوش صفوية أكتشفت في المسوحات الأثرية التي إجريت في الرويشد، وادي سلمى، الأشاقف الجنوبي في المواسم ١٩٩٠، ١٩٩٢، ١٩٩٤، وتؤكد هذه الدراسة وجود أسماء ندر وجودها في النقوش الصخوية مثل رهط ,كهف وأجزم وتحتوي إسمين لم يردا في النقوش الصفوية سابقاً وهما: حوس وحرم



Fig. 9: Inscriptions No. 7, 8, 9, 10.

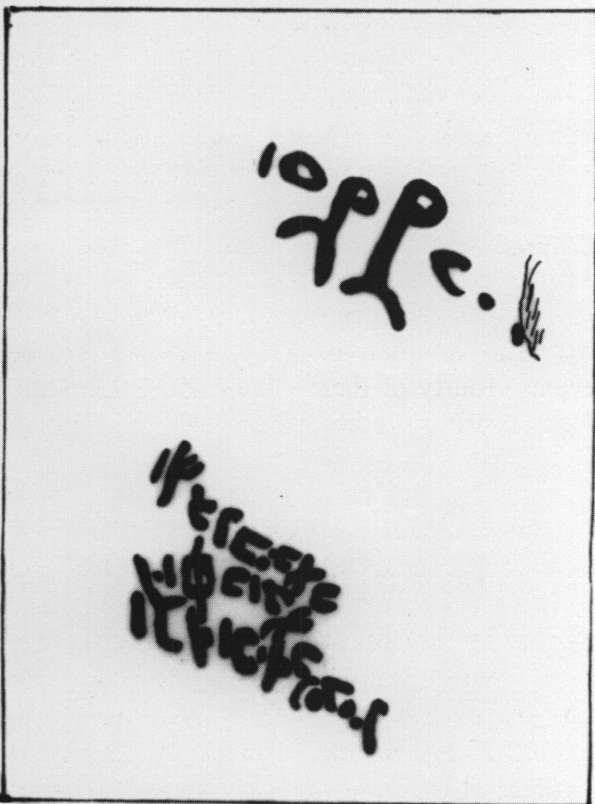


Fig. 10: A transcriptoin of Fig. 9.

fah̲tanaqa means: the rope was fastened around the neck of him till he was suffocated. In the traditions of **Miʿrāj** comes the following: "**fa id̲ā naḥnu bi qawmin duriʿa anṣafuhum bidun wa anṣafuhum sūdun**".

The expression **Daraʿa fi –s- sayr** means: "he went further" (Ibin Manẓūr: dr').

n r is a simple personal name in the form of the verb stated by Safaitic (Harding 1971: 585) as well as by Palmyraean (Harding & Littmann 1952 no. 162, 224) inscriptions. It could be interpreted as **Nār** (fire) or **Nūr** (Light). **Nār** was also used as a masculine (Caskel 1966: 445) and as part of a composite name. It was mentioned as a singular Arabic name (Ibn ḥazm 1983: 51). Since the Fatimid period, it has appeared as a part of the composite name **Nūr Eddin**, the light of religion (Zambawar 1951: 511).

Discussion

It is a short Safaitic inscription written from top bottom with a short shrift. The letters are a bit close, but clearly read. This inscription is written on the same stone as the previous one, close to other two inscriptions. The reading was clear and confirmed.

Interpretation of words

D̲ k r is a singular personal name frequently stated in Safaitic inscriptions (Harding 1971: 255). Its parallels in Classical Arabic are: **D̲ikr** (Aṣbahāni 7/189) and **D̲akir** (Caskel 1966: 235). It might have been derived from **Al D̲ikr**: the severe rain or the dense vegetation or the strong thing (Ibin Manẓūr: d̲kr). In the context of personal names, it gives the implications of strength, power and courage (Theeb 1998: 310). The name is also parallel in lihyanite (Al-Ansary 1966: 101), and Southern Arabic (Al-Said 1995: 105-6; Harding 1971: 255) inscriptions, whilst the Nabatean inscriptions report the name **d̲ k r u** (Cantineau 1978 II: 82; Negev 1991: 21) and in Palmyraean the name **d̲ k r y** (Stark 1971: 83)

S h̲ r is a simple name used in Safaitic inscriptions (Harding 1971: 312) and has its parallels in Thamudic (King 1990: 508). In Arabic "**Sah̲ira fulana suh̲riyan**" means some one was offensively forced to do something (Ibin Manẓūr sḫr).

Inscription number 9 (Figure 5, picture 5)

Text

L ʿ n q b n s h̲ r

Translation

"By **ʿInaq bn Sah̲r**"

Discussion

The inscription was placed left to the previous one with the same shrift and orientation. It seems as though the two inscribers were brothers.

Interpretation of words

ʿ n q is a simple name in the form of **faʿila** or **fiʿal** which was reported in a number of Safaitic inscriptions (Harding 1971: 445). It has its parallels in Thamudic (King 1990: 531), and in Nabatean as **ʿ n q u** (Cantineau 1978 II: 134).

The name must have come either from **ʿInaq** (Harding 1971: 445; Negev 1991: 53) or **ʿUnq** (King 1990: 531), more properly the former for it came in Arabic resources as **Ibn ʿInaq** (Aṣbahāni 4/144).

Inscription number 10 (Figure 5, picture 5)

Text

L bd l b n d r ʿ b n n r . . .

Translation

"By **Badd'el bn Daraʿa bn Nūr**"

Discussion

The inscription was placed left to the two previous ones written in the same way and orientation. The letters are relatively clear and as a result it was properly read.

Interpretation of words

b d l is a name mentioned in Safaitic inscriptions (Harding 1971: 98) and has its parallels in Arabic (Caskel 1966: 218) **Budayl** in Arabic may have been regarded as a diminutive form of **badal** (Ibn Duraid 1991: 472-6). **badal** means "instead of". **Abdal** are apathetic people who are said to be found everywhere. when one of them dies, god will create an alternative. They are said to be seventy, fourty of them are in **Bilad Aš -šam**, the rest are in other countries (Ibn Duraid 1991: 476).

D r ʿ is a singular personal name frequently recorded in Safaitic inscriptions (Harding 1971: 238), and as we believe it is like the other names in exaggerating form (**faʿal**). Tthe Arab reporters mentioned the name **Draʿa ibn badr** (Aṣbahāni Vol 21: 22). It is derived from the verb **Daraʿa**, the expression **Darʿa Al Dabihah** means: the sacrifice was slaughtered by striping the skin from the neck. The expression **Daʿara fi ʿunqehi hablan**



Fig. 7: Inscription No. 6.

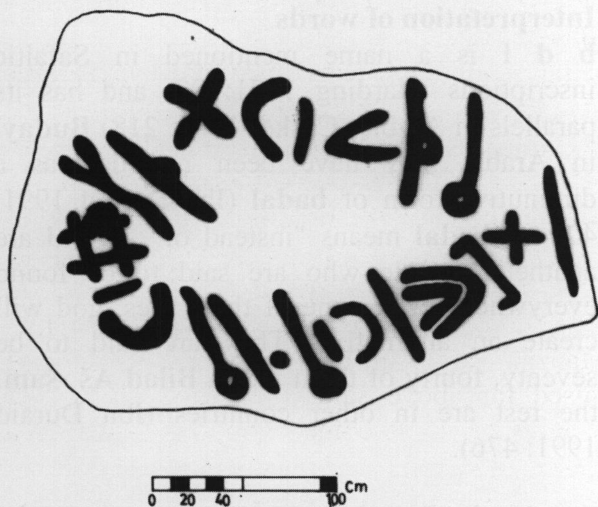


Fig. 8: A transcriptoin of Fig. 7.

surface. The inscription was escarped from the top to the bottom, and as a result the writing was clear, but was exposed to weathering, and thus the last word was omitted. The last word could have only been a small personal name for the area left was very small.

Interpretation of words

ʿAṣṣ is a simple name maintained by Safaitic inscriptions which came twice with only one sad (Harding 1971: 422). **ʿAṣṣa** means: "to become hard". Here, it could be used as a diminutive form **"ʿUṣayṣ"** from **"ʿAṣy"** which is frequently used in Arabic (Ibn Duraid 1991: 53, 82, 139). **Al "ʿAaṣ** is derived from **"ʿAṣaya"**, **Yaʿṣy ʿIṣyanan** and **Maʿ ṣya** and it means the disobedient. The boy who does not obey his mother is **ʿAaṣ** , **Iʿtaṣat An Nāqa** "the she camel disobeyed and escaped from the male".

The noun is **"Iʿ tiyaṣ"** man say: **ʿAṣaytu bi sayfi** which means "to be hit with the sword as a result of disobedience (Ibn Duraid 1991: 53-4).

Inscription number 8: (figure 5, picture 5)

Text

L ḏ k r bn s h̲ r

Translation

"By **Ḏikr** son of **Sah̲ir**"

one completed. Two beads were unstitched and as a result they became one "wa'atima fulan bi –l-makan" means one was settled in a place. "Atima fi Sayrehi" means: one slowed down (Ibin Manẓūr: 'tm). In this way it was stated often in Safaitic (Harding 1971: 19), lihyanite (Abu al-Hasan 1997: insc. 54), Qatabanaean (Harding 1971: 19), Sabaic (Ryckmans 1934-5: 47), and Nabateans (Theeb 1998: 92) inscriptions. Atheeb regarded it as personal name and a part of nominal sentence which means "complete" or perfect and is attributed to god (Theeb 1998: 109). The next word preceded by **waw** is a name of one of the most famous Safaitic gods (Al-Ma'ani 1988).

Inscription number 6: (Figure 4, picture 4)

Text

L ẖ r m l b n y ' l y b n ḍ h d t b n s d y

Translation

By **H̲arim bn Yuʿly bn Ḍahidat bn Saday**.

Discussion

This inscription is comprised of two lines written in the so called boustrophen way, beginning form left to right, then back to left. The stone was basalt with a smooth surface suitable for writing.

The inscription was framed with a wide line escarped somehow deeply. The letters were neatly escarped tending to belong slightly to the so called square script. The letters were complete, clear and properly read.

Interpretation of words

H̲ r m l is a personal name mentioned, as far as we know, for the first time in northern and southern Arabic inscriptions. We cannot decide whether it is a singular or composite noun. If it were singular, it could mean according to the language lexicon: the plenty of people. **Al-H̲armal** could mean the hair of the camel falling out because of fats "**Al-H̲armal**" could means the imprudent woman (Ibin Manẓūr: ẖrml). If it were a composite noun which has never been mentioned in Safaitic inscription, it would be comprised of two parts: **ẖ r m** and the abbreviation of the god **el**.

The first part **ẖ r m** is a known name in Safaitic, Thamudic, Lihyanite and Sabaic (Harding 1971: 219). In our opinion this interpretation is not right because it does not fit the whole context.

Y ʿ l y is a personal name in the form of the present verb, stated often in Northern Arabic inscriptions (Harding 1971: 677). It was mentioned in Nabatean ones, too (Cantineaus 1978 II: 104; Negev 1991: 34). It has its parallels in classical Arabic as **yuʿla** (Ibn Duraid 1991: 70). **Yaʿli** means to get a higher rank. **ʿala** means superiorty (Ibn Duraid 1991: 55).

ḍ h d t: is a noun included in Safaitic inscriptions (Harding 1971: 385), **ḍahada** means: to oppress and to treat wrongly. In Arabic it has a similar meaning to insult and oppress **wa aḍahdatu** has the meaning of predominance and surmounting, or the one who was frequently oppressed by others (Ibin Manẓūr: ḍhd).

s d y is a simple name mentioned in Safaitic inscriptions (Harding 1971: 314), but lacks its parallels in other old Arabic inscriptions. However, one finds in Nabatean the noun **Š d y** (Cantineau 1978: II: 149). **Sada** means: to get your hand towards something. Sada is the grace or favour. **Sadaya** and **nadaya** and **As-Sada** could have the meaning of ignorant (Ibin Manẓūr: sdy). In the holy Koran: God be raised far above said: Does man think that everything would come to nothing (al-Qiyama 36).

Inscriptions number 7 (Figure 5, picture 5)

Text

L ʿṣ ṣ b n . . .

Translation

By ʿṣ ṣ b n

Discussion

This inscription was written on a front of limestone with a gray shell of an irregular

l ġ d f: **lam** is the preposition, and **Ġadf** is a new word in Safaitic inscriptions. In Arabic Lexicons the word **ġadf** belonges to the root **ġadafa**: "**Aġdafa Al Baḥr**" means: the waves of the sea were unsettled (Ibin Manẓūr: ġdf). This might be interpreted as" he came to the plentiful water with lots of waves or he came to the troubled water as a result of fast flowing. The season might have been winter where the valleys were flooded with troubled water.

One meaning of **ġadafa** in Arabic in the phrase **ġadafa Al laylu** is: "The night was lowered (Ibin Manẓūr: ġdf). Harmonized with the context the meaning is related to the previous sentence **w bayata bi' bilihi wa-warada l ġ df**, which means: he put up his camels for a night, and came to the watering place as soon as the night was lowered.

f h b ' l s m n: **fa** is a conjunction and **ha** is for invoking the god. It preceded the name of the deity **Al ilah sayyed as- samawat**, this deity name is composite consisting of **Ba'al:** Sayyid (Master) and **"s m n"** the plural of **sama** meaning skies. The same name came without **nun** in other inscriptions; however, it is masculine plural name (Ababneh 1994).

r w ḥ: it cannot be dogmatized in singular form in case it is substantive, which means "Rest", but if it is verbal it means: to relax somebody. The substantive form **rawaḥa** means rest, the opposite of tiredness. The phrase **Araḥ ar- Rajul** means: the man was refreshed after being exhausted (Ibin Manẓūr: rwḥ). It was so read by scholars (Winnett 1957: 24; Winnett & Harding 1978: 395; Littmann 1943: 107). Reading it as imperative was also stated by Winnett, Harding in the *Madwaneh of Al Niqush Al Samyah* (Winnett & Harding 1978: 409; CIS no. 60).

w s l m: if the pervious word was substative, this word would be read as **Salaman** which is familiar in Safaitic readings (Littmann 1943: 3). It means: "protection and security" (Winnett 1957: 13). It doesn't give the meaning of "greeting" as suggested by Ryckmans (CIS no. 12). If the previous word was considered a verb, which is also possible, this word **s l m** would be an imperative form of the verb which means "surrender and be saved" (Littmann 1943: 234). The formula "**sallamahu allahu min al amri**" means "one was rescued" (Ibin Manẓūr: slm). These two words are demand forms frequently used in Safaitic inscriptions (Malkawi 1997: 82-5, 89-92). The inscriptions moved after the conjunction **waw** into the cursing formula as follows: **w m h l t l d ʿ w r h s f r**. The word **m h l t** means "sterility, famine and catastrophe" (CIS no. 3339).

L ḏ: The **lam** is a preposition, while the **ḏal** is abbreviation of the demonstrative noun **Al-Laḏy** (which). In this context "**Al Balyal Aw Al Mahl llaḏi** means "cursed be he who". But **y a ʿa w r** is a present form of the verb which means "to defect". This is a verb ending some inscriptions and sometimes it is frequently followed by **h ẖ ṭ ṭ Aw h s f r** which means " the inscriptions.

Inscription number 5 (figure 3, picture 3)

Text

L ? ? I l b n ' t m b n g ? ? ? w h l t

Translation

By ? ? the tribe of **bn 'tim bn ?j** and O **al Lat**.

Discussion:

This short inscription occupies the right bottom corner of the stone on which the last two inscriptions were written. However, it came different in style and shrift. Despite the thin line of the shrift, it is engraved deeper than the previous ones. It is comprised of two lines the first of which starts from right to left towards the empty area of the stone, then goes back to the right in a small area. Unlike those of the first line, the letters tended again to be stringed. Three letters after the **jīm** were missed, which makes it difficult to analyze the first name in the inscription.

Interpretation of words:

Two words can only be interpreted:

A t m: It is a simple personal name in the form of verb. In Arabic lexicon: **'Atamma as Siqa'**,

other Semitic personal names (Harding 1971: 537).

ʿu r s: a well known personal name in Safaitic inscriptions (Harding 1971: 415). It might be interperated as **ʿArisa**" which means "surprised, amazed" or "**ʿArasa**" which means "was modified" or **ʿArrasa** "meaning": married off (Ibin Manẓūr: ʿrs), **ʿurs** is an Arabic name (aḏ-Ḏahabi 1962: 454).

r ġ m: a name used in Safaitic (Harding 1971: 282), and has its equivalent in Manaean (3). In Arabic : **Raġma Qawmehi** means: he left his people.

Arġam is a name derived from **Raġam**. The origin of **Raġam** is Heritage (Ibn Duraid 1991: 372). **Raġm** means also hatred, disgrace, and disgust (as-Sarqasṭi 1978: 3/24). In Safaitic **R ġ m** came as a transitive past verb meaning "to hate death" (Jamme 1967: 345-8).

Š h r: is a simple name in the form of verb or agent which came as singular in Safaitic inscriptions; it also came as composite (Harding 1971: 360-61). The name might have been derived from **shuhra**, and the whiteness arouned the yellowness of narcissus (Ibn Duraid 1991: 521). The name was reported in Thamudic (Harding & Littmann 1952: no. 38), Lihyanite (Al-Ansary 1966: 89), Qatabanaean (RES 3537), Sabaic (Abu al-Ḥasan 1997: 87), and Manaean (RES 3537). It came in Nabatean as **Š h r u** (Negev 1991: 62; Cantineau 1978 II: 149). In Arabic the name **Šahīr** (Ibn Hazm 1983: 387), and **Banu Al-Šahar** (King 1990: 517) are familiar. **Šahr** is a name of Lihyanite king, too (Abu al-Ḥasan 1997: 87).

The name **r ṭ ẖ** came in a few of Safaitic Inscription (Harding 1971: 280), and has no parallels in old Arabic, nor mentioned in the sources of Arab reporters. Despite the correctness of the reading, no meaning can be given to this name.

ʿAwḏ is stated in Safaitic inscriptions (Harding 1971: 447). It could be read as **ʿAwaḏ** or **ʿUweiḏ**. It is derived from **ʿĀaḏa, Yaʿūḏu**, and so one is **'aʿaṭā** which means to exorcize. Moreover, man seeks for protection, I pray that god protects me from something. I invoke the protection of God, to whom belongs might and majesty (Ibn Duraid 1991: 34).

The root **ʿAwaḏ** indicates the demand for protection and security (Ibin Manẓūr: ʿwḏ.). The parallels of the name appear in Thamudic (Harding & Littmann 1952: no. 65), Nabatean (Negev 1991: 49), Palmyrean (Stark 1971: 44, 104), and Hatraean (Abbadi 1983: 149). It came as composite word in more than once in Safaitic inscription (Hazim 1986: 95-6). Its parallel in Arabic is **ʿĀ'iḏ** and **ʿAwaḏ** (Ibn Duraid 1991: 43 & 277).

The name **w h b ' l** comes often in Safaitic inscription, and is considered by Littmann as one of the historic linguistic names, whose roots can be traced to Akkadian origins. The Akkadian name **nadanu**, the Hebrew **Natin** and the Aramaic **yahub** are all derivations of the same name. In composite names one can find **Asur idin** in akkadian related to it. **Ashur** is a name of deity, In Aramaic **yahabullah** "God gave". It could be changed into **wahab** or **ʿAta Allah** or **ʿAtiyah** (Littmann 1949: 1-55).

Following this kinship chain comes the verb **w b y a t a** preceded by the conjunction **waw:** this is a past verb in the form of fa'ala, **Bayata** which means he stayed for a night (CIS no. 310).

The verb came sometimes without the weak letter **B T** (CIS no. 3031). This verb was reported in Thamudic (Harding & Littmann 1952: no. 99), and Lihyanite (Qudra 1993: 77).

b ' b l: **ba** is a preposition used in the same way by Safaitic and Arabic (Ar-Rummani 1973: 36). In the inscription it designates accompaniment, and **'bl** is a personal name often used in Safaitic inscriptions (Ajrami 1992: 84).

Wa warad: **waw** is a conjunction, **warada** is an intransitive past verb in the form of **fa'ala**. It means: some one came to the watering place (CIS no. 1656, 1995; Littmann 1943: no. 406-426). In Arabic **warada** means whoever came to a watering place or spring (Ibin Manẓūr: nhl).

In southern Arabic it is **y r d n** (Beeston 1982: 162), In northwestern Semitic dialects it came as **bimahha** which means one stops at a place (Koehler 1985: 401; Gelb et al 1980: 22).

Interpretation of words

Š q q is a simple personal name, which was once mentioned in another Safaitic inscription, as we know (Winnett & Harding 1978 no 3712), **šiqaq** means aggressiveness and conflict, whilst **šaqiq** means brother, and **Šiqq** is a name of Arab priest (Manẓūr 1955) **Šaqiq** is also a personal Arabic name (Ibn Duraid 1991: 353). We believe that the name in this inscription is similar to its Arabic equivalent.

Š h y t is a masculine name frequently mentioned in Safaitic inscriptions (CIS no. 1172; Winnett 1957 no. 87; Littmann 1943 no. 386; 607 Winnett & Harding 1978: no. 1816, 2162). Littmann suggested that **Šahiyah** is a diminutive form of **šahiy** (Littmann 1943: 344). If Littman's claim were true, the "shin" should with be vocalized with **fatḥa** (short **a**) not **ḍamah** (short **waw**). The word might have been derived from **šahwat**, which once came in another Safaitic inscription (Harding 1971: 362). It means "desire, wish", one of the females names is **Šahyah**, and **Šuhyah** meaning the beautiful, good looking girl (aš-Šammari 1410H: 419). A derivation of this word is **Šahwat Al Sinajah** the Beauty of cymbals ('Aṣbahāni 5/99).

a s is a simple personal name which was frequently mentioned in Safaitic inscriptions (Harding 1971: 41), It is derived from **Awas**, It means "gift, grant". In Arabic **'ustu al-qawm** gives the meaning of "If you give them" (Ibn Manẓūr: Aws). **'Aws and 'Uwais** are also different names of the wolf (Ibn Duraid 1991: 133). It could have been used as abbreviation of the compound name in addition to the name of deity, this was familiar in semitic inscriptions (Hazim 1986: 2-5), It was mentioned in Thamudic (King 1990: 495), Lihynite (Abu al-Hasan 1997: insc. 188), Sabaic (Harding 1971: 40-41), Manaean (Al-Said 1995: 67), Nabatean (Cantineau 1978 II: 57-58) inscriptions. In Palmyrean it came in the form of **'A w s y** (Strak 1971: 66).

Ḥj is a personal name in Safaitic inscriptions (Harding 1971: 177), it is a simple name paralled to **Ḥajj** in Arabic (Caskel 1966: 291). It came as **Ḥjw** in Thamudic (King 1990: 490), in Nabetean (Cantineau 1978 II: 93-4; al-Khraysheh 1986: 76-77), and in Palmyrean as **Ḥja** (Stark 1971: 87). According to Starck, it means, "born during the Pilgrim"(Stark: 1971: 20). It was stated in Manaean and Sabaic, too (Harding 1971: 177).

Š b ḥ r a personal name reported in other Safaitic inscriptions, Harding considered it as a derivation from the compound noun **šab** and **ḥur** (Harding 1971: 338). **Šab** a Safaitic name (Harding 1971: 337) meaning "one was grown up". The second part **ḥ r** came as an individual name in Safaitic (Harding 1971: 181).

J r m l is a complex personal name that came in Safaitic inscriptions (Winnett & Harding 1978: no. 518), derived from **j r m l** (See Insc. No. 11.).

The next personal name: **ʿ b ṭ**, is written in a verb form, and frequent in Safaitic (Harding 1971: 403), it means "to spoil"or "to defect" (Littmann: 1943: 333), It is a familiar name up to this date, **ʿAbaṭah" abd ʿAbṭan** derived from the same root.

ʿ z h m is a complex personal name frequent in Safaitic inscriptions (Harding 1971: 419). It is composed of: **ʿAzza** and the adjacent pronoun (الضمير المتصل) for the plural third person pronoun: **hum** (they). According to Littmann, it means "their glory, their strength". The name is also known for Egyptians (Littmann 1943: 334), In Safaitic it came as a complex name in **ʿA z** (Hazim 1986: 87-9) **ʿazal**, **ʿz jd**, and **ʿ z l t** (Winnett & Harding 1978: no. 355. 2, 365 & 3516).

The plural third person pronoun was stated in other complex Safaitic names such as: **bn hm** and **t 'a m h** k (Littmann 1943 no. 444 & 900). **M r a' a** is a personal simple name, frequently stated in Safaitic inscriptions (Harding 1971: 536). It came in Thamudic (King 1990: 545). Lihyanite (Jaussen & Savignac 1909-14 240), and Palmyrean (Stark 1971: 37, 96). It came in Nabatean as **m r l y** (Negev 1991: 41), in phoencian as **m r** (Benz 1972: 353), and in Aramaic as **m r '** (Maraqten 1988: 151).

M r a in Arabic means the man, with a real manhood. Accordance with Brau, the name is derived from Syriac **"Mar"** the master (Braue 1925: 95). It came as a composite noun for

'ẖzam: A personal name infrequent in Safaitic inscriptions. The only case mentioning this name in Safaitic is Winnett and Harding's inscription no. 957. It is written in the form of comparative adjective derived from the verb **ẖazama**, the Arabic references point to **'Aẖzam** the grandfather of **Hatim Al-Tā'y**. It is mentioned in the Proveb **Shinshanah A`arifuha min Aẖzam**. The noun is derived from **Al-ẖazm**, a kind of trees with barks used for making ropes (Ibin Duraid 1991: 29).

w d: A personal name mentioned by Safaitic inscription as singular (Hading 1971: 636) or compound (Harding 1971: 637-38), it could be either the well known idol **wd**, a certain deity cited in verse of Noah (The Holy Qu'ran: Noah 33), whose sculpture showed a great man, dressed in two jewels, and wrapped oneself in loincloth. He adorned himself with a sword and leaned on a bow, in his hands he held a spear with a flag and a wallet full of arrows. The tribe **Kalb** adopted him in **Dawmat Al-Jandal** (Ibn il-Kalbi 1924:10, 56), **w d** might have been derived from **Al-Widd** meaning love and desire (Ibin Manẓūr 1955) and in this sense; it was mentioned in the holy Qu'ran (Maryam 96). It was a familiar Arabic name, too (Caskel 1966: II/581). In ancient inscription it can be used in both singular and complex form (Abu alHassan 1997: insc. 7).

ʿAqrab is a simple personal name appearing frequently in Safaitic inscription (Theeb 1991: 39; Harding 1971: 427). It is the singular, form of **ʿAqabrib** It was used as a name by the Arabs (Il-'Aṣfahāni 15/7) the name ʿAqrab was mentioned in Thamudic (Theeb 1997: insc. 16; King 1990: 527), Lihyanite (Jaussen & Savignac 1909-14: 75; Al-Ansary 1966: 110; Caskel 1954: 144), Qatabanaean (Harding 1971: 472), Nabatean (Cantineau 1978: 134; Negev 1991: 54). In Palmrean inscriptions it came in a form of **ʿAqrbu** (Stark 1971: 107) and in Hatraean as **ʿAqraban** (Abbadi 1983: 155-56).

The inscriber ended the inscriptions by attributing them back to his own tribe: **Ḏ'l Ġayr**. The word **Ḏ'l** is an abbreviation of **Ḏū 'āl** and it means: it belongs to a certain tribe and it precedes the names of the northern Arab tribes (Harding 1969: 472). And **Ġayr** is one of the Safaitic tribes whose homeland is **Tell Al ʿAbad** in the northeastern **Ḥarra** in modern Jordan (Winnett 1957: no. 730). In the resources of Arab historians, it is referred to as: **Banū Ġayra** is a clan of **Ṯaqeef** (Ibin Duraid 1991: 19). **Ġayr** could also mean blood money (Zubaidi 1965: ġyr)

Inscriptions 4: (Figure 3, picture 3)

Text:

[l] š q q b n š h y t b n a s b n ḥ j b n š b ḥ r b n j r m ' l b n ʿ b ṭ b n ʿ z h m b n m r ' b n ʿ r s b n r ġ m b n š h r b n r ṭ ẖ b n ʿ w ḏ b n w h b ' l w b y t b ' b l w w r d l ġd f f h b ʿ l s m n r w ḥ w s l m w m ḥ l t l ḏ y ʿ w r h s f r

Translation:

By **Šaqīq bin Šahya bin 'Aws bin Ḥaj bin Š b ḥr bin Jarm'īl bin ʿAbṭ bin ʿIzuhum bin Šahr bin r ṭ ẖ bin ʿAwaḏ bin Wahab'īl**. He lodged his camels for the night and came to the water (the filthy water or he came to the water at night). I pray for **Baʿalsamīn** for relief and peace. God may bring sterility to those who defect this inscription.

Discussion:

This Inscription is the longest one in this group, where the attribution of the ancestry reaches back to fifteen persons. It was written on the same stone of the previous inscription. It consisted of five lines beneath the previous one. The direction of writing started from right to left in the so called boustrophedon method known in northern Arabic inscriptions, The letters are slender and shallow. In the fourth line there was a kind of abrasion over the letters **r**, **w** and **h**. Therefore, the upper part of the **waw** was scratched off. However, this did not have a negative impact on the accuracy of the reading which was proper and clear.

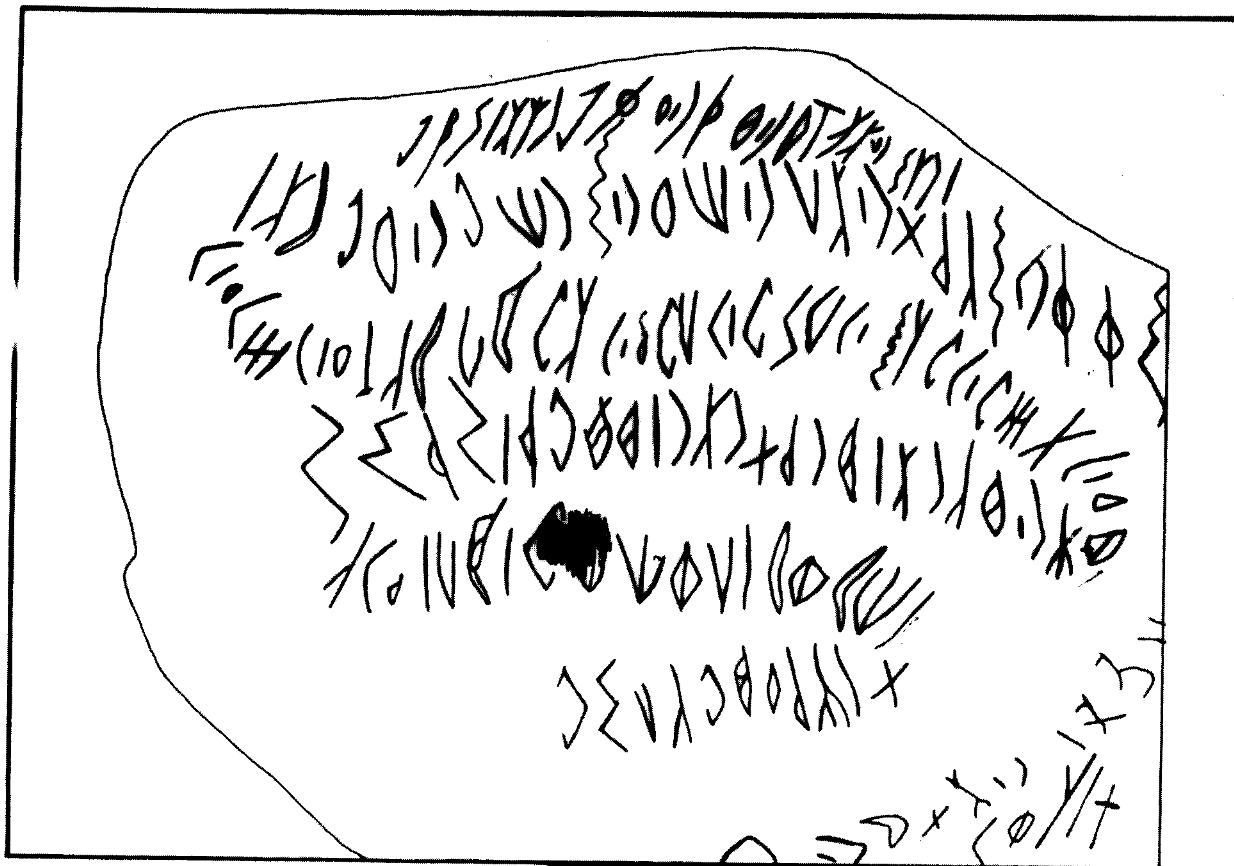


Fig. 6: A transcriptoin of Fig. 5.

S k r n: This is a personal name in the form of **faʿlān** (على صيغة فعلان). It is used frequently in Safaitic inscriptions, only once time in Thamudic (Harding 1971: 323) and appears in **Ansab Al- Arab** ('Il-'Andalusi 1983: 166).

The last word **h j m l "Al jamal"** is a common Semitic word.

The Third Inscription: (Figure 3, picture 3)

Text:

l k h f b n ʾ h̲ z m b n w d b n ʿ q r b d̲ ʾ l ġ y r

Translation

"By Kahf the son of Ah̲ zam the son of Wadd the son of ʿAqrab, from the tribe of Ġayr".

Discussion:

The letters were slightly incised with a sharp tool on a smooth basalt stone; it is one of three inscriptions incised on the same stone. Writing moved from right to left in one line on the top of the stone. Directly beneath there was another longer inscription comprising five lines. Despite the similarity between the two inscriptions; the letters of the first were smaller than those of the second, which indicates that the first inscription was written later. The inscriber chose the upper area to line the words. The letters were clearly readable that the above reading is certain.

Interpretation of words:

K h f is a personal noun in the form of a verb which was not indicated in other Safaitic inscriptions except once by Littmann (Littmann 1943: no 957), It was mentioned in Thamudic, too (King 1990: 541), in Al-Aghani the name **Ibn umm Kahf** appeared (Il-'Aṣfahāni: 10/25), the **kahf** is a cave cut in the rock or **Malja'** (Rockshelter). One famous saying is: **Ar-rajul huwa khaf Qawmeh**. The real man is the resort of his people.

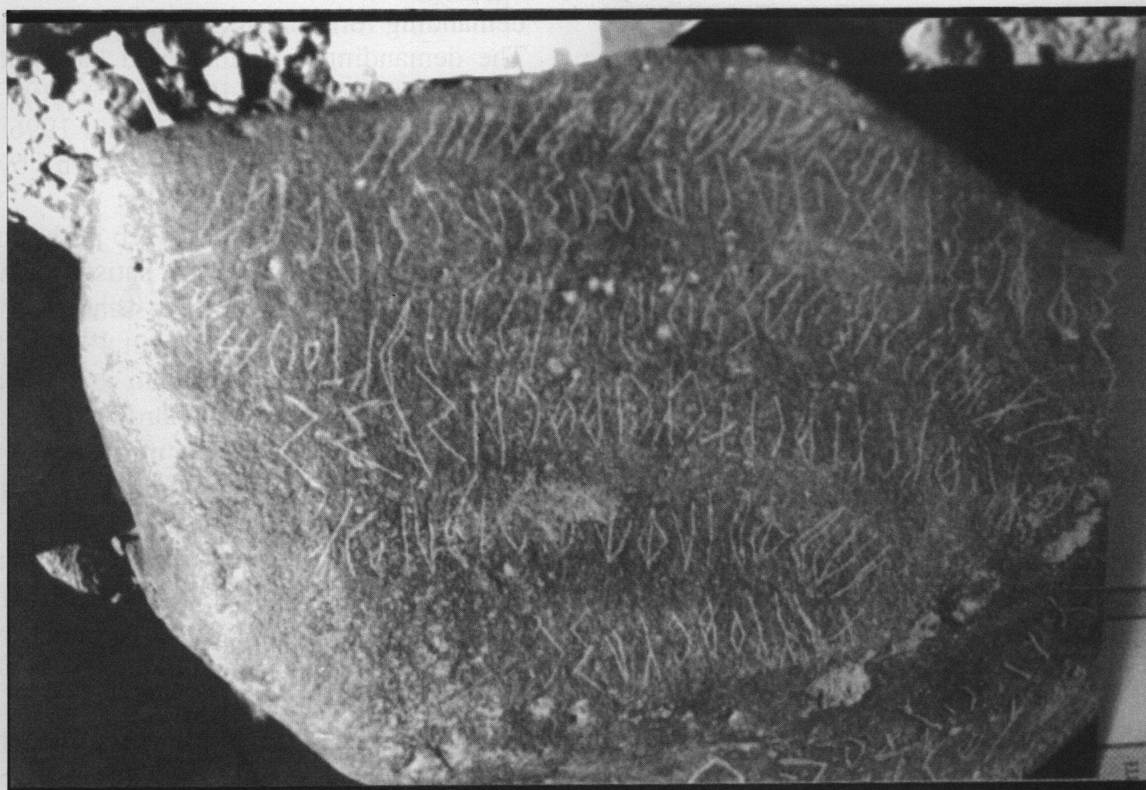


Fig. 5: Inscriptions No. 3, 4, 5.

Winnett & Harding 1978: no 576, 1234).

The second Inscription (Figure 2, Picture 2)

Text:

l m n ʿ b n h ʾ w s b n s k r n h j m l

Translation

The camel belongs to Mānīʿ bin Al Awas bin Sakran.

Discussion

The Inscription was written on a basalt stone with smooth surface. The letters were written clearly and properly in a thin script scraped lightly with sharp tools. The script was similar to the so-called square form. It moved spherically starting at the upper half of the stone from left to right then to periphery downwards, finally towards left.

In the middle of the frame there is a good drawing of a camel with a camel rider holding a spear and chasing a horse-rider. The Inscription however does not explain the nature of this chasing.

Interpretation of words

M n ʿ is a proper name mentioned frequently in other Safaitic inscriptions. It came in Lihyanite (Harding 1971: 568), Nabatean (Negev 1991: 40), and its pronunciation in Greek is Μαναυοσ (Wuthmow 1930: 78, 149). In Arabic it is read as **Maniʿan** and **Mannaʿan** (Az-Zubaidi 1965), and used as a title for an Alawitien leader who ruled in Al Madineh between 583 to 1100 H (Zambauer 1951: 3).

H ʾ w s: This name has never been included in Safaitic inscriptions; the formula is derived from **aws** (Inscription 4). The same formula, however, was used for other Safaitic names such as **h'sd** (Maani 1999: insc. 3), **and h ʾ ḥ w r** (Winnett & Harding 1978: no 3353), the "ha" in the names is a definite article; and when preceding the name, it is used as a title. The phenomenon of using the title as a substitute for a name appeared in some Arabic references such as **Al aḥnat** (Il-'Aṣfahāni: 3/123), and **Al aḥwas** (Il-'Aṣfahāni: 1/116).



Fig. 3: Inscription No. 2.

includes the name of the inscriber and ends with the verb **ḏ b ḥ** (literally means killed). In the second, the name of deity to which the sacrifice is dedicated follows the verb. In the third, the verb and the demanding formula follows the name of the deity. In the fourth, the name of the deity is not indicated whereas the place of the sacrifice is mentioned followed by demanding formula (Ryskmans 1950: 431-38). The demanding formula could have included asking for protection (CIS no. 4360), safety (CIS no. 847), for support ('Ulūlu 1996: 279), or winning booty as is shown by this inscription.

r ḍ y is an intransitive past verb in the form of agent. It means: one was satisfied. Ar-rida (satisfaction) is opposite of as-saht (resentment or dissatisfaction) (Ibin Manẓūr 1955: r ḍ y). It was frequently mentioned in other Safaitic inscriptions (Winnett & Harding 1978: 149, 799). The next word is **ġ n m** a transitive past form of the verb frequently mentioned in other Safaitic inscription (Littmann 1943: 259). Littmann has read this verb with stressed **ġannam** (Littmann 1943: 63-4), Rcykmanns has read it as imperative verb **ġanim**, which means winning something very easily (Rcykmanns 1995: 299).

N q t: **An-naqatu** the feminine of camel (she-camel). It was mentioned in a number of Safaitic inscription (CIS: no 2998, 5293;

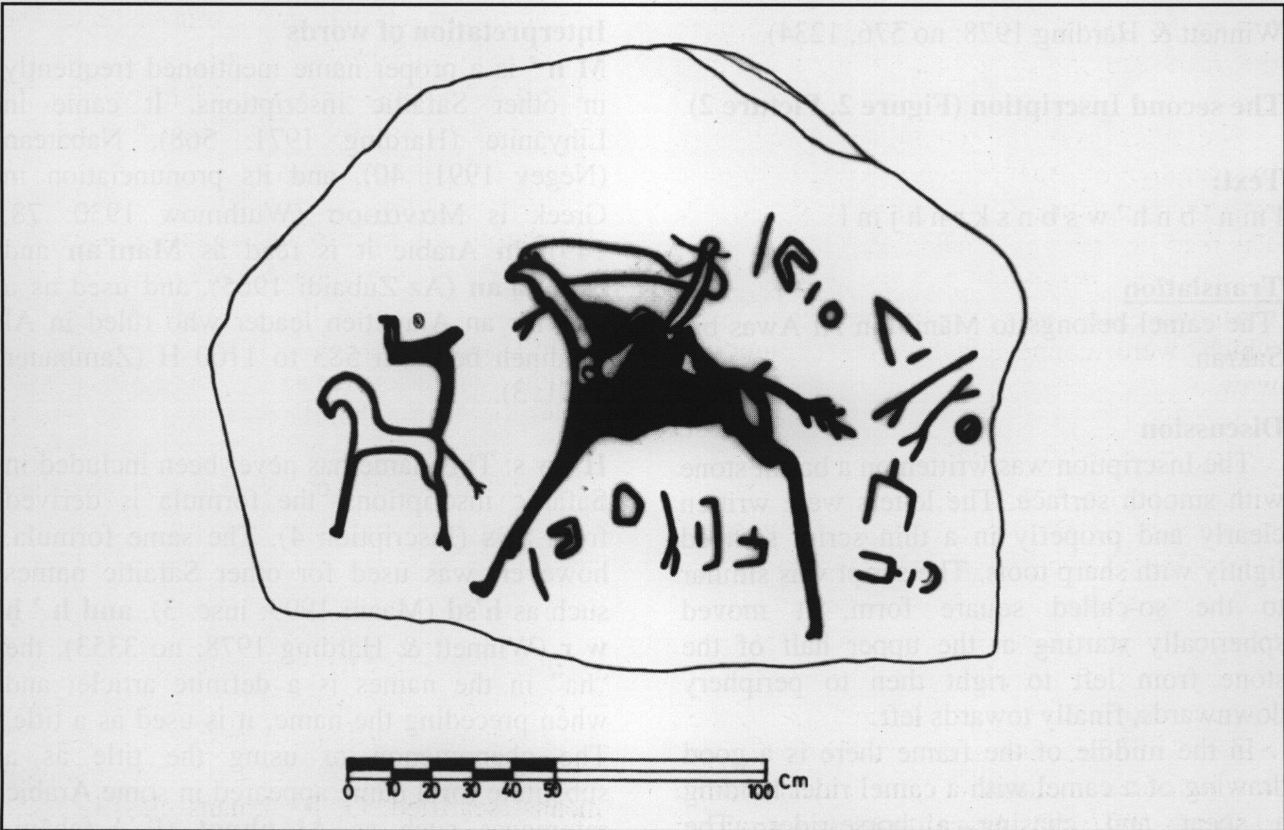


Fig. 4: A transcriptoin of Fig. 3.

Inscription no. 1: (Figure 1, picture 1)

Text
l ṯ r m b n r h ṭ w b n [y] w ḏ b ḥ w r ḍ y w ġ n m n q t

Translation
To **ṯaram bin Rahiṭ** who built (married), scarified and was consequently satisfied. He gained a she-camel.

Discussion

This inscription was scraped on a solid chalky stone with a smooth surface. The stone may have been exposed to a kind of oxidization since the letters tend to become brown in color. The letters were slightly scraped in spiral course starting from left to right in the following letters: **ṯ r m b n r**, afterwards from left to right in: **h ṭ w** and finally from right to left in: **b n w**. The inscription descended vertically in the letters: **ḏ b ḥ w** and then turned horizontally towards left in the letters: **r ḍ y** then in spiral form to the inside moving right then left in: **w ġ n m n q t.**

The letters were in general readable except for conjunction **waw** which preceded the verb **rḍy** (was content). It was partially wiped off. The reading above is reasonable.

After two personal names which were separated by *bn* four the text mentions verbs which were connected by the conjunction waw.

Interpretation of words:

Ṯ r m, a personal name in the form of fa`ala, is frequent in Safaitic (Harding 1971: 144) and Thamudic (Harding & Littmann 1952).

It is derived from the verb **ṯ r m** which means: his tooth was broken (Ibin Manẓūr 1955).

r h ṭ: a personal name seldom used in ancient Arabic inscription was referred to in one Safaitic inscription (Harding 1971: 289), and was indicated in Sabaic (1) and Lihyanite (Abu al-Ḥasan 1997: 46). **Ar-rahṭ** means a group of people fewer than ten persons, the verb **rahaṭa** also means: one stays on the back of the animal, one does not get down.

The **rahṭ** means too the tribe to which a man belongs (Ibin Manẓūr 1955), and as an agent proun **rahiṭ** could be used as an adverbial expression referring to a place. **Marj Rahiṭ** is, for example, a name of a place a few miles off Damascus where Marwan bin Al Hakam entrapped Al-Dahhak bin Qais Al fahry (Al-Bakri: 630).

W b n y: The **waw** is a conjunction. B n y is a verb frequently mentioned in Safaitic inscriptions (Winnet & Harding 1978: 1849), and is a transitive past verb which means in Safatic : One has built a house similar meaning in Classical Arabic (Ibin Manẓūr 1955). This is a common Semitic word. The verb was successively mentioned in the context of construction of gravestones; see for instance, b n y h r j m (Littmann 1943: 540). In the inscription it did not refer in other to a certain person mentioned in the context. However, Safaites normally indicate the name of the person to which the gravestone refers. The Manner is as follows:
l t m b n h j wa . . . w b n y h r j m l a ḥ r b f h l t s l m w ' w r l ḏ y ' w r h s f r (Littmann 1943: 678).

"wa-bana Al rujum li Ahrab means the Grave stone was built for **Ahrab**. Jamme has studied the tense of the verb **banaya** in ten forms (Jamme 1967: 159-172).

Building and sacrifice in this context leads us to the conclusion that the inscriptions is related to a ceremonial act fulfilled in contest. However, the way of construction was not revealed.

animal to sacrifice it) (Littmann 1943: no. 925, CIS no 860). This word **ḏ b ḥ** is often related to ceremonial sacrifice for a certain deity (CIS no. 4409, 4358, 4360). In such inscriptions it means: scarified. G. Ryckmans classified the inscription in which the verb **ḏ b ḥ** was mentioned into four categories: the first

Safaitic Inscriptions From the Eastern Part of Mafraq Governorate/ Jordan

Sultan A. Maani
Fardous al Ajlouny

Abstract*. This study is based on the ten Safaitic inscriptions recovered from al Harra Region in the northeastern part of Jordan. These inscriptions were discovered in the surveys of 1990, 1992 and 1994 in a Ruweished, Wadi Salma al Ashaqif al Januby. The significance of the study comes from the fact that the inscriptions include some personal names that were rarely mentioned in Safaitic inscriptions like* ***Rhṭ****(no.1), khf (no. 3), and* ***aḫzam*** *(no. 3). Moreover, they produce two totally new names that were never stated in the Safaitic corpse of personal names like haws (no.2) and hrn 1 (no.6)*

The **Harra** area in northeastern part of Jordan is considered to be one of the richest in ancient Arab and Islamic inscription, particularly Safaitic. This study is based on investigating 10 Safaitic inscriptions from ar-**Ruwaished, wadi Salma** and **al-Ashāqif** al-Janūbi (the south Ashaqif) recovered during the surveys of 1990, 1992 and 1994*.

This group of inscriptions emphasizes stating some personal names, which were rarely mentioned in Safaitic Inscriptions. These are: **r h ṭ** (no. 1), **k h f** (no. 3), **aḫ za m** (no. 3), **w r t** h (no. 4). They predicated two totally new names, which have never been cited in the corpus of published Safaitic names. These are: **h a w s** (no. 2). **Awas** and **wa'as** similarily pronounced names and often reported in many Safaitic inscriptions. This name **h a´ a w s** was only mentioned in this group. It may have been used as a written title instead of a name. The second new name is: **h r m** l (no. 6). The sixth inscription includes a new word in terms of pronunciation and meaning.



Fig. 1: Inscription No. 1.

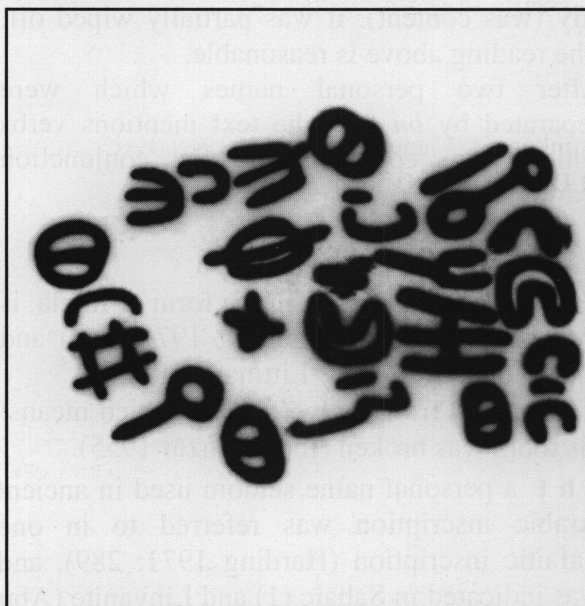


Fig. 2: A transcriptoin of Fig. 1.

Issue No. 8 July 2003
ISSN: 1319-8947 (pp. 33 -49)

ملخّص: يسعى هذا البحث إلى معالجة الأحوال السكنية في وادي الأردن، خلال العصر الحديدي (حوالي ١٢٠٠ - ٤٠٠ق.م) ، وذلك على ضوء المسوحات والحفريات الأثرية التي أجريت في المنطقة . ويخص الباحث النتائج، التي تمخضت عنها أعمال التنقيب في موقع تل ديرعلا، خلال العصر الحديدي . نظراً لكثافة العمل في هذا الموقع عبر العقود الأربعة الأخيرة . ولعل إشراف الباحث على بعثة دير علا الأثارية، وكذلك مشاركته في أعمال المسح الأثارية في الضفة الشرقية لوادي الأردن، قاده إلى إعداد هذا البحث . يتناول البحث الكثافة السكانية لوادي الأردن خلال الفترة المشار إليها، وكذلك المراحل، التي مرّت على المنطقة خلال ثمانية قرون، منذ نهاية العصر البرونزي الحديث وحتى العهد الفارسي . ويتبين من الشواهد، التي حصلنا عليها في تل دير علا، انتقال سهل من العصر البرونزي الأخير إلى العصر الحديدي، وعدم وجود تغيّر في بنية السكان الآتية ، وان المنطقة المشار إليها كانت على تبعية أو ارتباط سياسي بالمملكة العمونية، التي اتخذت من عمان عاصمة لها . ويشير الباحث أيضا إلى أهمية موقع تل ديرعلا خلال المرحلة الثانية للعصر الحديدي من خلال الموقع السكني ومكتشفاته ، وخاصة النص الآرامي/ العموني الذي كشف عنه في الطبقة التاسعة .

References

Albright, W.F. 1926. "The Jordan Valley in the Bronze Age", **AASOR** 6: (1924 -25), 13- 74.

Contenson, H.de 1960. "Three Soundings in the Jordan Valley", **ADAJ** 4-5, (12-98).

Contenson, H. de 1964. "The 1953 Survey in the Yarmouk and Jordan Valleys", **ADAJ** 8-9, 30-46.

Fischer, M.F. 1992. "Tell Abu Al-Kharaz, the Swedish Jordan Expedition 1994, Third Season Preliminary Excavation Report", **ADAJ** 38, 127-145.

Flanagan, J. W., McCreery D. W. 1994. "Tell Nimrin . Preliminary Report on the 1993 Season", **ADAJ** 28, 205-227.

Franken, H. J. and Kalsbeck, J. 1969. **Excavations at Deir 'Alla I**, Leiden.

Franken, H. J. and Ibrahim, M. M. 1977-1978. "Two Seasons of Excavations at Tell Deir 'Alla, 1976 -1978", **ADAJ** 22, 57-80.

Glueck, N. 1945-49. Explorations in Eastern Palestine Vol. 4, Part 1, 1951 AASOR 25-28.

Van der Kooij, G. & Ibrahim, M. M. 1989. **Picking Up the Threads, a Continuing Review of Excavations at Deir 'Alla**, Jordan, Leiden.

Ibrahim, M. M. & van der Kooij, G. 1994. "Excavations at Deir 'Alla", **News Letter of the Institute of Archaeology and Anthropology** - Yarmouk University No. 16, 16-20, Irbid, Jordan.

Ibrahim, M., Sauer, J. and Yassine, K. 1976. The East Jordan Valley Survey, 1975 (Part One) **BASOR** 222, 41-66.

Pritchard, J. B. 1985. **Tell es-Sa'idiyyeh. Excavations on the Tell, 1964-1966,** (Philadelphia)

Tubb, J. N. 1985. "Preliminary Report on the 1985 Season of Excavations at Tell es-Sa'idiyyeh, Jordan", **ADAJ** 29.

Tubb, J. N. and Dorrell, P. G. 1991. "Tell Sa'idiyyeh: Interim Report on the Fifth Season of Excavations", **LEVANT** 23, 67-86.

Walmsley, A. G., Macumber, P, Edwards, P. C., Bourke, S. J. and Watson, P. M. 1993. "The Eleventh and Twelfth Seasons of Excavations at Pella (Tabaqat Fahil), 1989-1990", **ADAJ** 27, 165-240.

Yassine, K. N. 1988. **Archaeology of Jordan, Essays and Reports,** Amman.

Yassine, K., Ibrahim, M., and Sauer, J. 1988. The East Jordan Valley Survey, 1976 (Part Two) in: Khair Yassine, **Archaeology of Jordan: Essays and Reports** , Amman, 189-207.

Abu Al-Kharaz-- Sub-phases G-C found in Trench VII and other Trenches (Fischer 1993, 281-282; 1994, 129-130).

A major mud-brick building from the seventh century B. C was excavated by K. Yassine at Tell el-Mazar-- Strata IV-III (Yassine 1988, 75 -113). The plan and defensive character of the building led the excavator to describe it as a "Palace Fort". An earlier mud-brick building with a central courtyard of Phase V at Tell el-Mazar has similarities with that of Phase VI at Tell Deir 'Alla and might be assigned to the same period of the second half of the eighth-early seventh century B. C. Yassine likes to attribute the destruction of these buildings to the military campaign of Sennacherib in 701 B. C (Yassine 1988, 92). Another Iron II building of el-Murabba' was identified during the East Jordan Valley Survey of 1976 (site # 148). The building is square in shape which justifies its name el-Murabba', i.e., the square. This stone structure, is located south of Deir 'Alla on a high qatar hill dominating the Zerqa River, and it includes a large open courtyard and two projecting towers.

According to the excavators of Tell Nimrin along Wadi Shu'eib, the site seemed to be abandoned from the eighth-sixth centuries B.C (Flanagan et al 1994, 216). Iron II sherds were collected from the site during the East Jordan Valley Survey of 1976 (Ibrahim et al 1988, 198). It is possible that Tell Bleibel to the east of Tell Nimrin became more important during this period.

The last occupational Phases V-II at Deir 'Alla date from 600 to 350 B.C, and settled life at the site ends with very little evidence of the early Hellenistic period. These later phases were represented on the Tell by fragmentary walls and a large number of pits dug into open courtyards. During this time, Deir 'Alla along with its surroundings was part of the Babylonian empire and then under the Persian control. In the second half of the first millennium B. C the site simply lost its importance as a religious and economic center.

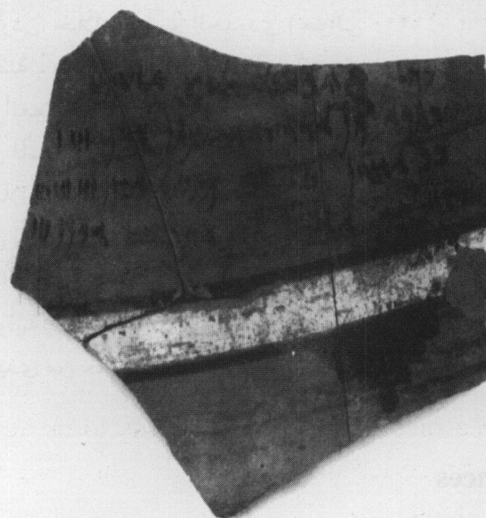


Fig. 11: Ostracon with Aramic Script of the Persian period from a pit at Tell Deir 'Alla.

As can be seen at some of the major excavation sites, the end of the Iron Age or the Persian period (5th-4th century B.C) is marked by fragmentary evidence and less substantial architectural remains. The number of sites from this period and the following Hellenistic period is considerably less than the preceding Iron II or the following Roman periods. Sites in the central Jordan Valley such as Deir 'Alla, Mazar, and Sa'idiyyah witnessed several destructions and reoccupations. Occupational phases of this period at these sites are characterized by a large number of storage pits and silos dug into earlier deposits (Yassine 1988, 79-85; Ibrahim and van der Kooij 1989, 89-90).

Prof. Moawiyah Ibrahim- Department of Archaeology, Faculty of Arts, Sultan Qaboos University, Muscat, Sultanate of Oman.

Phases VIII and VII at Deir 'Alla were heavily destroyed, mainly as a result of leveling off for the constructions of Phase VI. The excavations of 1994 have revealed a massive mud-brick wall (1.5m thick) on the northeastern part (squares BIB 7-8), running east-west. This seems to be part of a much larger enclosing wall of Phase VII.

Phase VI (ca. 750 - 650 B.C) is characterized by a major building complex in an excavated area of ca. 1000 m^2. It seems to be surrounded by series of rooms with a large open space or courtyard. The building was defended by a heavy wall (1.4m thick) built of large mud-bricks (60x30x15 cm) on stone foundations. The pottery and other objects from this phase show a strong Assyrian influence. A golden earring, a 2-shekel weight, several terracotta figurines and some ostraca (Fig. 11) are assigned to this phase. This complex of Phase VI was destroyed by fire after which some of its walls were restored and litter of them have survived.

Phase VI corresponds to Phases IV-V at Tell es-Sa'idiyyah (Pritchard 1985, Tubb & Dorrell 1991) where the settlement indicates a considerable planning and an organized community. This is probably equivalent to Tell

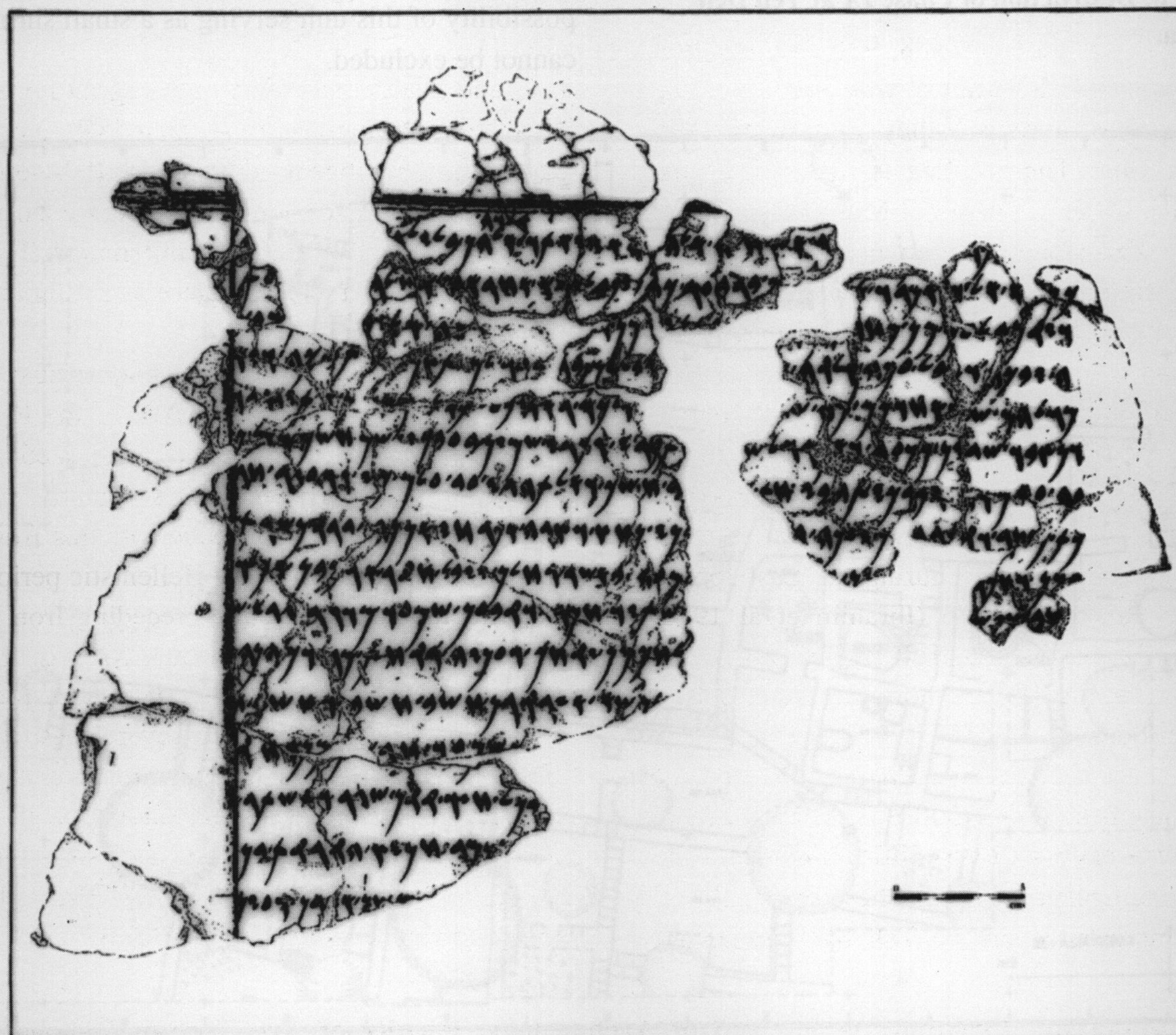


Fig. 10: Bal'am text of Phase IX at Tell Deir 'Alla.



Fig. 8: Destruction of Phase IX at Tell Deir 'Alla.

ities including living quarters in the northern side, and more evident cooking, storage, and weaving activities. The function of the settlement can be concluded from the finds left in sites as a result of an earthquake. Although it was difficult to determine the function of some of the rooms, some units may have had communal use. This is in addition to specialized ones.

The most popular room in Phase IX is the one which housed the unique Balaam text (Fig. 10). Although the text itself together with some other objects indicate a religious function of the room and its surroundings, there are no clear indications of a suitable Temple. The possibility of this unit serving as a small shrine cannot be excluded.

Fig. 9: Plan of excavated rooms of Phase IX at Tell Deir 'Alla.

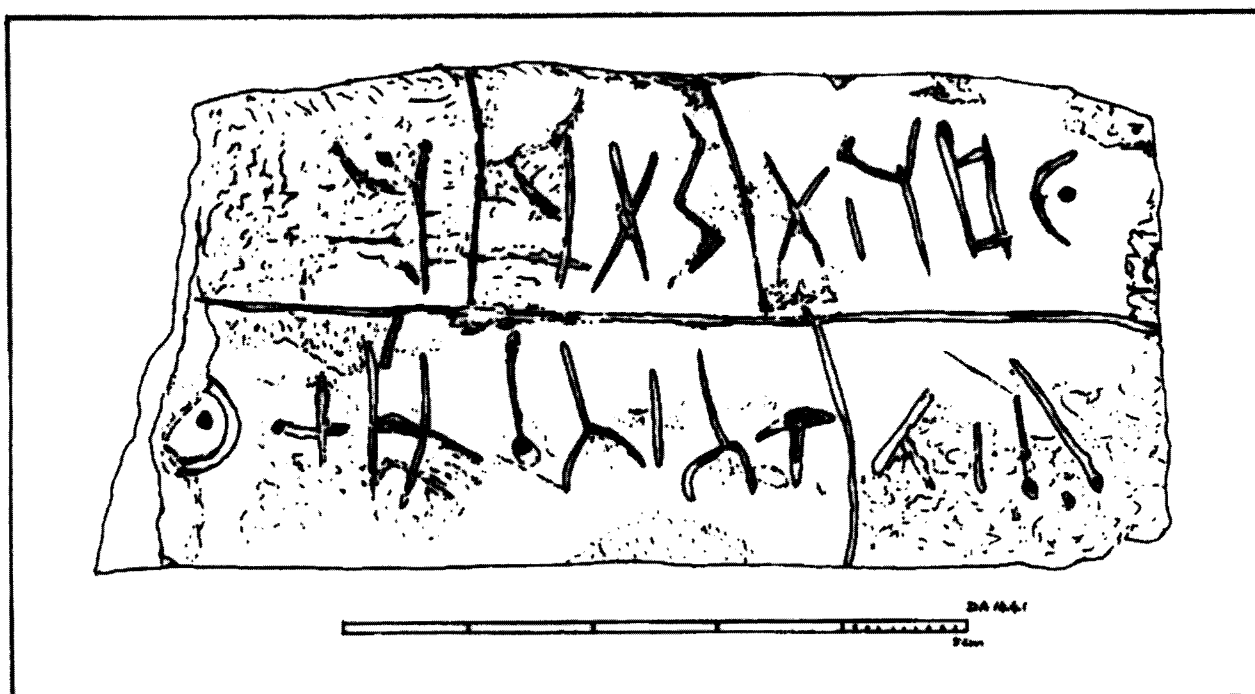


Fig. 7: Clay tablet with early Canaanite letters from Tell Deir 'Alla.

which shows continuity throughout four successive phases. And a massive mud-brick tower ca. 1 m. in diameter connecting a major wall might have served as a tower wall. Further excavations of 1984-1994 have revealed limited evidence of phase X in two separate locations towards the eastern summit of the mound. Two exceptional finds belong to this phase. The first is a sizeable room with fourteen large storage jars which were originally filled with unknown liquid and sealed with clay stoppers. The second was a sequence of rubbish deposits and the remains of two children's skeletons.

Most of the Iron I sites in the Jordan Valley were reoccupied in the Iron II. Sites became smaller in size but better planned and their number doubled. Many of these sites show defensive features and they are located on foothills or on high rises on the floor of the valley or on qatar hills bordering the Jordan River.

The following major occupation at Deir 'Alla is related to Phase IX. A large area with substantial evidence of this phase was explored on top of the Tell. The material, belonging to Phase IX, were preserved to a large extent. This is due to the destruction of the settlement as a result of an earthquake. The debris of this phase was less affected by erosion or later disturbances; the exception is leveling work of Phase VI on the eastern edge.

Phase IX (Figs. 8&9) was attested in an area of ca. 1000 m2, where major architectural units were uncovered. These units do not follow any symmetrical order and there are no signs of any definite pre-planning. There are no indications of an enclosing town wall. Over 45 rooms of this phase have been excavated, most of which were roofed over. Courtyards were opened to the sky and some large rooms were partially roofed. The main access to the site was probably from the south.

The finds inside the rooms show that the settlement was used mainly for domestic activ-

lie at a distance of 30 m to the north. Two architectural phases were recognized. The walls of the later phase were preserved to a height of ca. 1.5 m and consist of baked and unbaked bricks. Neither a uniform architectural plan nor any definite function for the room that was uncovered can be established in the small area so far exposed. Two uses for the room can be suggested, however. Large fragments of crucibles, found at the west side of square C/B 14 surrounded by heavily burnt materials, indicate bronze work activities. Secondly, large storage vessels of the collared-rim jar type, as well as a fragment of a jar stopper impressed with a scarab seal (Fig. 6:2), indicate trade and storage. So far the seal impression has not been attributed to the reign of any particular pharaoh, nor has it been given a precise date, although its size and some of its iconographic details indicate the 14th -13th centuries B. C. Another interesting object is an inscribed clay tablet of the same type as those found in the debris of the Late Bronze Age phase E (ca. 1200 B.C) in buildings associated with the temple at the north side of the mound (Fig. 7). This tablet was found at the edge of a high standing wall, close to the floor of the second phase. Its inscription is not yet understood.

The following phases of the Iron I (11th - 10th century B. C) are represented at the northern slope and on top of the Tell. These are phases E-L as designed by Franken, and phases X-XI as designated by Ibrahim and Van der Kooij. The character of the settlement differs fully from the previous stages. It is distinguished by a heavy mud-brick construction

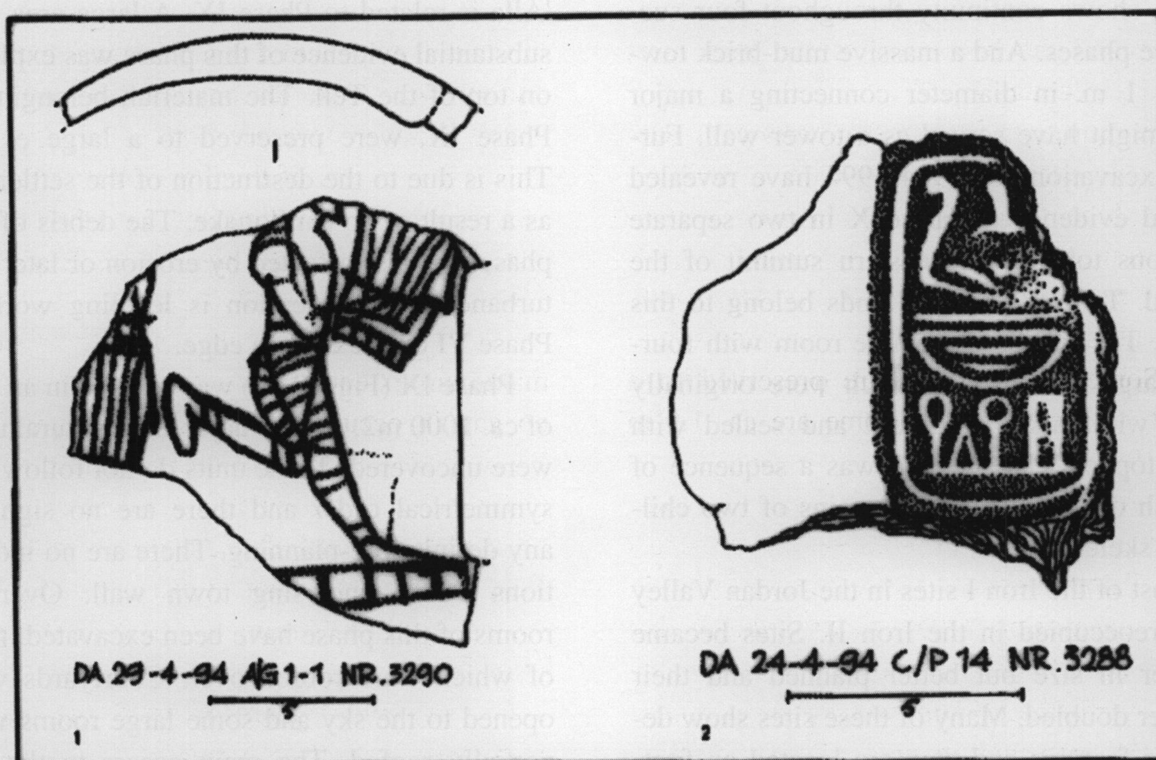


Fig. 6: Painted sherd with lyre player (Early Iron Age) and an Egyptian seal impression (End of Late Bronze Age) .Both from Tell Deir 'Alla.

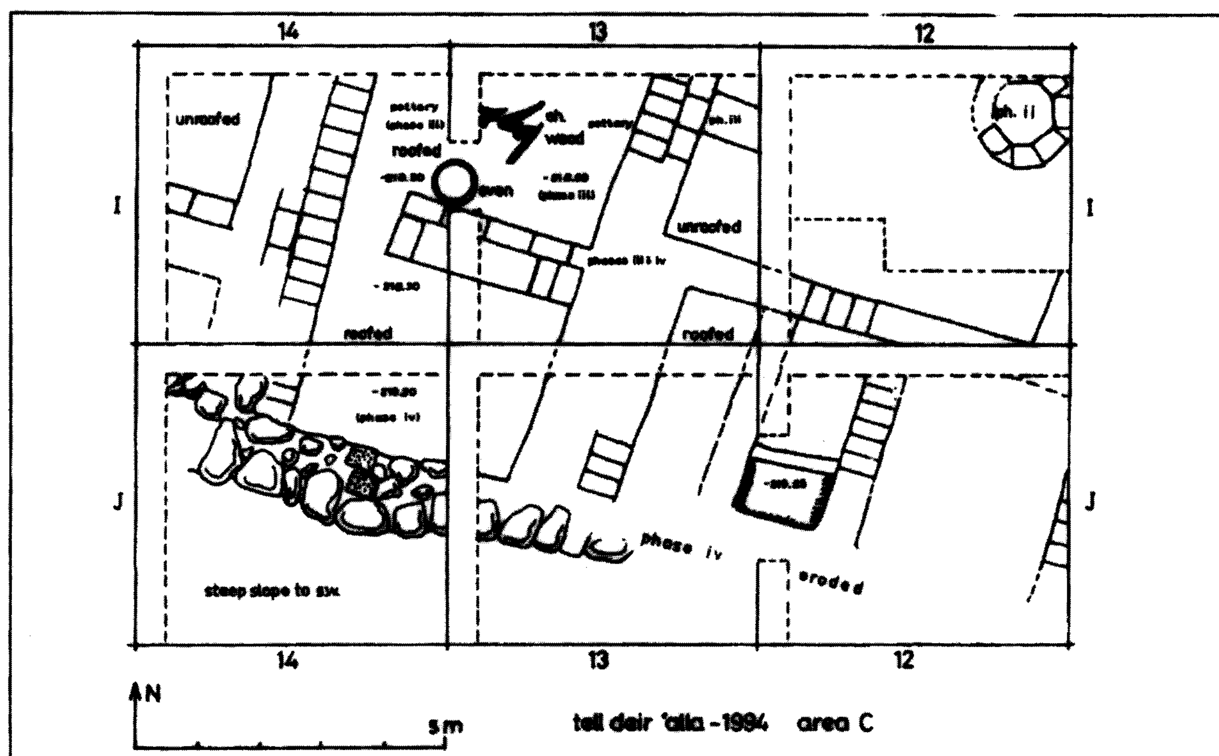


Fig. 5: Late Bronze excavationa at SW solpe of Tell Deir 'Alla.

Bronze and the beginning of the Iron Ages (13th/12th century B.C).

The main Late Bronze structures consist of a massive enclosure mud-brick wall built on heavy stone foundations connected to other thick, mud-brick walls; the latter are perpendicular to the main wall (Fig. 5). The enclosure wall curves to follow the contours of the site. Some of the walls are preserved to a height of over 1 m and some are ca. 1.5 m wide. So far, floors have been identified in small areas only. The enclosure wall may indicate an urban character of the settlement at this stage. Taken together with evidence found in earlier excavations, these finds indicate that the site must have been a town of considerable size towards the end of the Late Bronze period. In this area another major phase of occupation was identified, during which the walls of the earlier phase were reused, additional walls were constructed, and floors and courtyard pavements were laid down. The settlement apparently extended far beyond the city wall, which seems to have been reused as part of the domestic quarters of this later phase. As indicated by the excavations of the 1994 season and earlier seasons, the site was no longer surrounded by a city wall during the 13th-12th centuries B.C, when it must have reached its maximum extent. It should also be noted that no gap in occupation is visible between this period and the earlier one. The dating of this phase is based on collared-rim jars and other objects. At the end of this phase the site must have witnessed a major destruction, accompanied by intense burning of most of the parts excavated, including the walls and floors.

The two other squares (C/B 13-14), located at the foot of the Tell, correspond in chronology, orientation of architecture, and building material as well (at least in part) to the last phases in the squares mentioned above, which

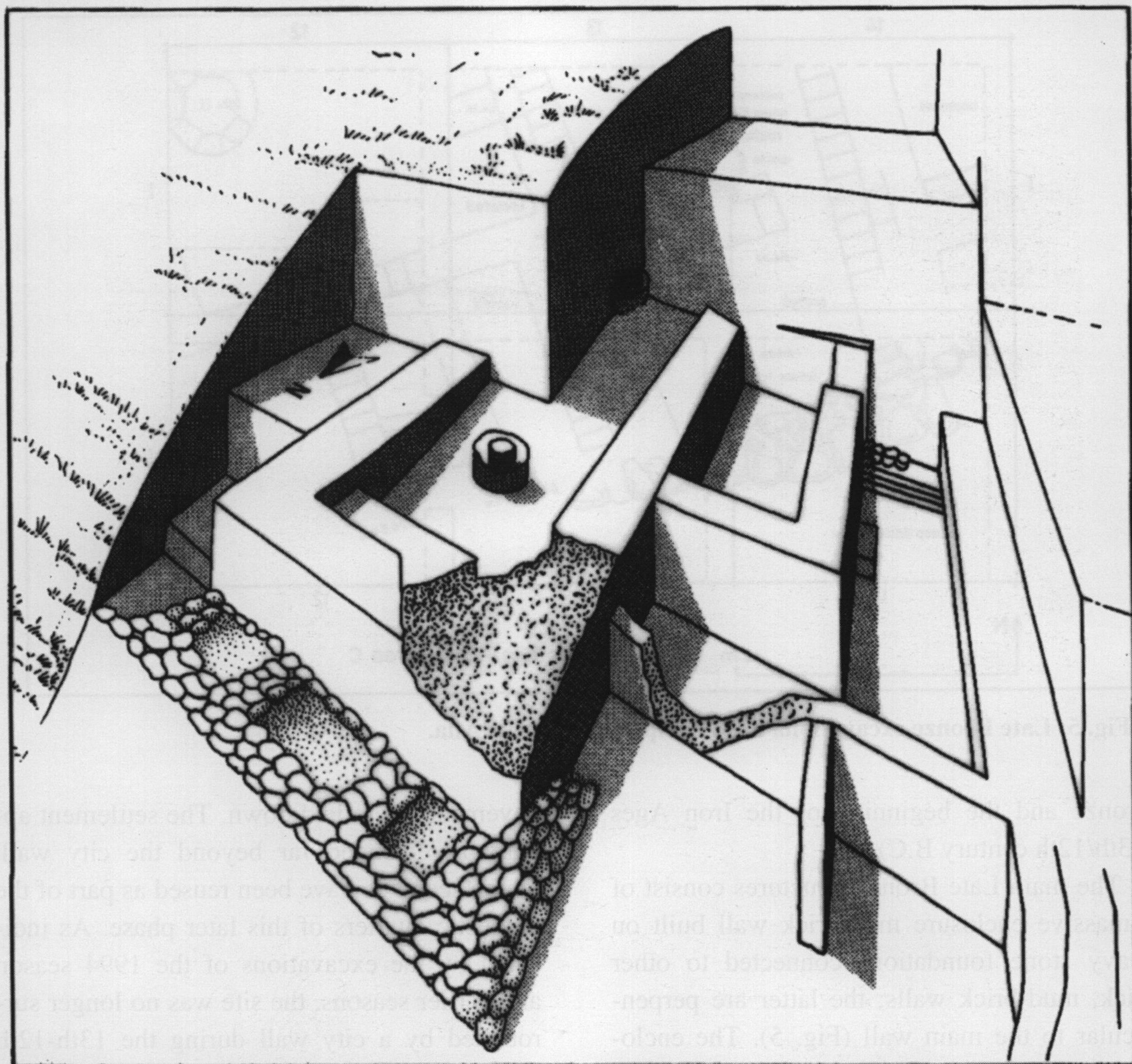


Fig. 4: Reconstruction of Late Bronze temple at Tell Deir 'Alla.

ment Deir 'Alla might have served as a camp-like site. The following find is related to three furnaces from Phase B (Franken). Franken believes that these furnaces were used for casting bronze objects. Excavations at a small scale were resumed in this area during the season of 1994. These excavations failed to throw more light on melting activities. The only possible indication of bronze casting is related to a fragment of crucible without an obvious connection with the ovens identified by Franken. Among special objects in this trench are two sherds of cylindrical fenestrated stands, one of them representing a dancing lyre player (Fig. 6: 1).

Major excavations in 1994 were undertaken on the southwestern slope where interesting LB/Iron I (13th-12th century B.C) materials have been uncovered (Ibrahim & Van der Kooij 1994). The main results obtained in this area correspond to the last stages of the Late



Fig. 2: Aerial View of Tell Deir 'Alla in the Central Jordan Valley.

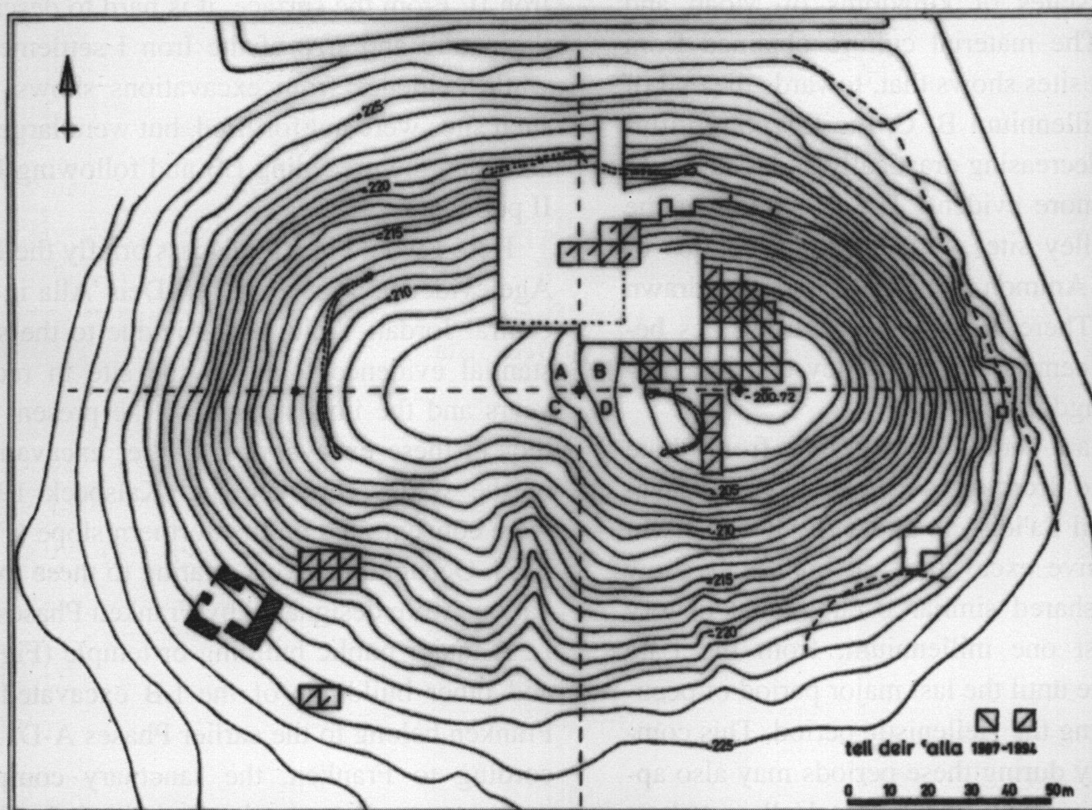


Fig. 3: Tell Deir 'Alla site plan showing excavated areas.

Kharaz and others. Sites with extensive excavations such as Pella, Sa'idiyyeh, and Deir 'Alla, show that the Iron I period witnessed a recession in the material culture and in international contacts. Major LB sites including Pella, Sa'idiyyeh and Deir 'Alla were surrounded by walls. These sites were extended during the Iron I beyond the enclosing walls. Urban sites of the LB became open settlements during the following period. Such observation was also made at similar sites on the highland. It should also be noted that several sites were founded during the Iron I. Such conclusions could be made from surface work, not from excavation sites. These would include sites located around the Zerqa river: Tell el-Hemmeh East, Tell er-Rabi', Tell Zakari, Tell er-Remalah, Tell Damiyah, Tell er-Rashidiyyah (Fig. 1).

From the evidence obtained so far, it seems that individual city-states as known in the Late Bronze Age were integrated in much larger territorial states or kingdoms of Moab and Ammon. The material culture obtained from excavation sites shows that, towards the end of the 2nd millennium B. C, the Egyptian influence was decreasing drastically and local traditions are more evident. The affiliation of the Jordan Valley sites with the main centres or capitals of Ammon and Moab cannot be drawn precisely. There are, however, strong ties between the central Jordan Valley and the Ammonite Kingdom.

Significant cultural material from Late Bronze and Iron Ages comes from Excavations at Tell Sa'idiyyeh and Tell Deir 'Alla. In fact extensive excavations at both sites show that they shared similar occupational history for at least one millennium, from the Late Bronze Age until the last major period of occupation during the Hellenistic period. This common history during these periods may also apply to other sites in the Jordan Valley such as Tell el- Mazar, Pella, Tell Abu el-Kharaz, and Tell esh-Shunah South.

The transition between Late Bronze and Iron I periods is probably best attested at Sa'idiyyah and Deir 'Alla. The two sites flourished during the Late Bronze Age and may have served as administrative or religious centers. They also witnessed a major destruction in the twelfth century B. C. and seemed to have been resettled after a short period of abandonment. This was at least the case at Deir 'Alla. The new phase is also assigned to the twelfth century B.C and falls within the beginning of the Iron I period.

On both sides of the Jordan River there are ca. 40 Iron I sites. Most of these sites are located on the eastern side of the valley. On the surface of the sites there is little evidence from the first phase of the Iron I, while Iron I B. C periods are well represented (Ibrahim et al 1976). Almost all Iron I sites continued to be occupied during the following phases of the Iron II. From the surface, it is hard to describe the nature and size of the Iron I settlements, while evidence from excavations shows that such sites were not fortified, but were larger in size than the preceding LB and following Iron II periods.

Here I would like to discuss briefly the Iron Age evidence as seen at Tell Deir 'Alla in the central Jordan Valley. This is due to the substantial evidence found at the site in recent years and the involvement of the present author in these excavations. Earlier excavations of the sixties (Franken and Kalsbeck 1969) were concentrated on the northern slope (Figs. 2, 3). Occupation levels relating to these excavations were designated by Franken Phases A-L. A major public building or temple (Fig. 4) and other buildings of the LB excavated by Franken belong to the earlier Phases A-D. According to Franken, the sanctuary complex was destroyed at the beginning of the Iron Age, and after the destruction of the LB settle-

1- Tell el-Maqbereh
2- Tell 'Abu el-Kharaz
3- Tell 'Abu Qamel
4- Tell es-Sliklineh
5- Khirbet Mar'ōth
6- Tell er-Rayy
7- Tell Mudawwar
8- Tell el-Qaseibeh
9- Tell el-ʿArbaʿīn
10- Tell er-Radaif
11- Tell el-Maʿajajah
12- Tell 'Abu Habil
13- Tell Hejaijah
14- Tell 'Abu el-ʿAqārib
15- Tell 'AbuDabsūn
16- Tell es-Saʿidiyyeh
17- Tell el-Quliiye
18- Tell el-Qōs
19- Tell el-Mazār
20- Tell ʿAmmata
21- Khirbet Buweib
22- Tell el-Ghazālah
23- Tell el-Kharābeh
24- Tell el-Hemmeh East
25- Tell Deir ʿAllā
26- Deir ʿAllā Village
27- Tell er-Rabīʿ
28- Bain el-ʿAqlī
29- Tell ʿUmm Hammād esh-Sharqi
30- Tell Zakarī
31- Tell er-Remeileh
32- Mihith
33- Tell el-Mazāriq West
34- Tell Dāmiyeh
35- 'Abū Zeighān
36- Tell esh-Shūneh
37- Er-Rashīdiyyeh
38- Tell esh-Sharāb(el-Kufrein)
39- Esh-Sharāb East
40- Tell et-Tahūneh
41- Tell el-Hammām
42- Tell 'Iktanū North
43- El-Muhayyadeh
44- Esh-Shāghūr
45- Tell Bleibel
46- Mwais
47- ʿAzeimeh South

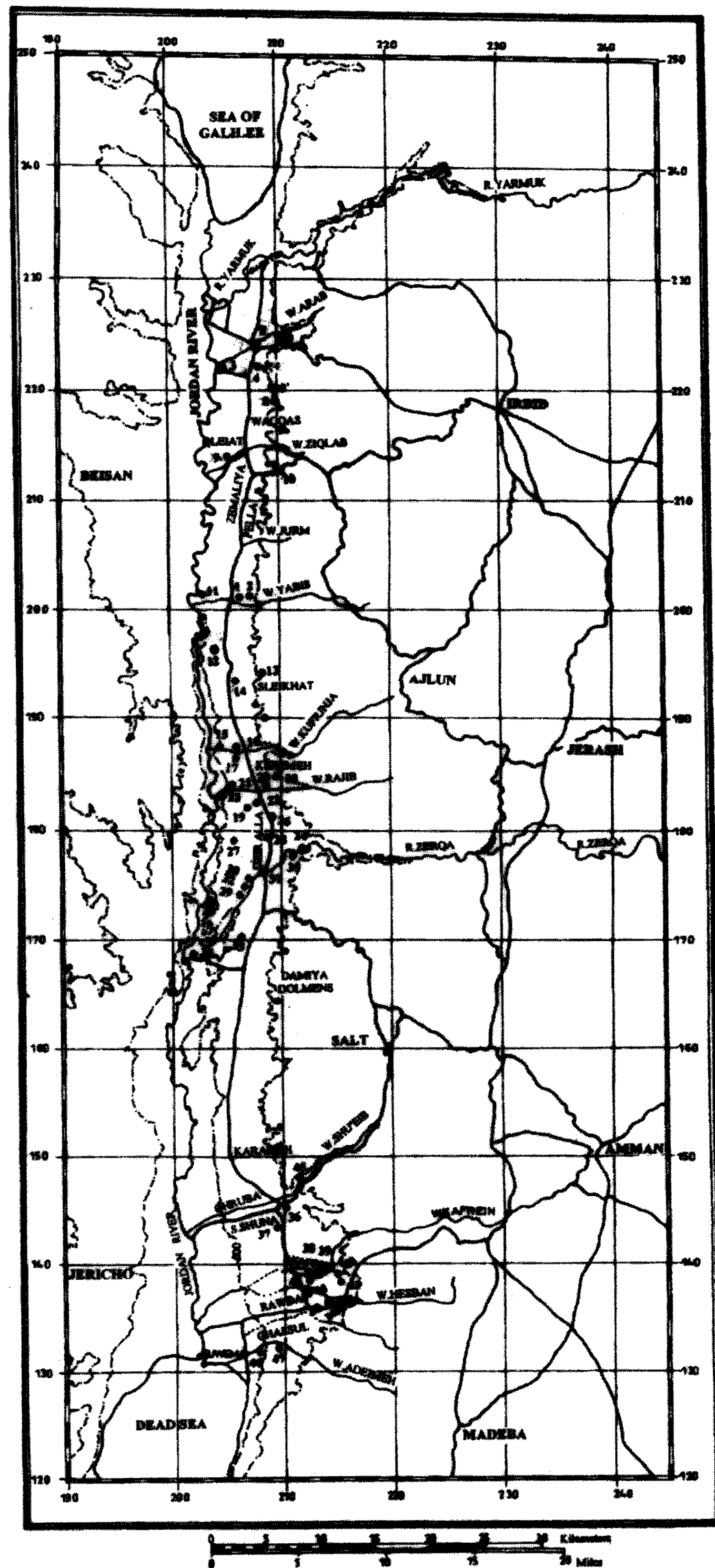


Fig. 1: The Jordan Valley in the Iron Age.

The Jordan Valley during the Iron Age and the Evidence from Deir 'Alla

Moawiyah Ibrahim

Abstract. *This paper addresses briefly the occupational history of the Jordan Valley during the Iron Age. The conclusions here are based on extensive archaeological work in the area, including a major survey (1975, 1976) conducted by the author with James Sauer and Khair Yassine, and the excavations at Deir 'Alla (1976 onwards) jointly with Henk Franken and later with Gerrit van der Kooij. The work in this area has shown that there was a smooth transition from the Late Bronze Age to the following period of the Iron Age without any ethnic change. The material culture shows that strong ties or some kind of integration existed with Ammonite Kingdom on the highland during the major stages of the Iron Age. This is also supported by the epigraphic evidence of the Bala'am text found in Phase IX at Tell Deir 'Alla.*

The archaeology of the Jordan Valley including its occupational history of the Iron Age is known through a number of previous surveys (Albright 1926; Glueck 1951; Contenson 1964; Ibrahim et al 1976; 1988), and through excavations which took place in the Rift Valley since the twenties. The work has been intensified with the excavations at Tell es-Sa'idiyyeh, Tabaqat Fahil (Pella), Tell Abu el-Kharaz, Tell el-Maqbarah, Tell al-Mazar, Tell Deir 'Alia, Tell Abu ez-Zeighan, Tell Umm Hammad esh-Sharqi (Tell et-Twal), Tell Nimrin.

Since the major survey of the East Jordan Valley in 1975, 1976 (Fig. 1), a number of Iron Age sites have been demolished or heavily destroyed. Many of those places were fortunate when, after the completion of 1975-76 survey, a number of colleagues responded positively to our lists of potential sites for excavations or salvage operations.

With the exception of a few sites (Jericho, Beisan, Tell es-Sa'idiyyeh and Tell Deir 'Alla) no special attention was paid to Biblical identification of the Iron Age sites in the Jordan Valley, as was the case in Western Palestine. This fact contributed to a better understanding of the material culture and the stratigraphic evidence without being oriented by preconceived views.

Based on the archaeological evidence alone it is hard to determine a precise date for the Iron Age, although the period around 1200 B.C has been generally accepted by many scholars as the end of the late Bronze and the beginning of Iron I. The end of the Iron Age is associated with the fall of Babylon in 539 B.C. and the control of the region by the Persians .

There seems to have been a smooth transition from the Late Bronze Age into the Iron Age. Most major LB sites were reoccupied in the Iron I and the following phases of the Iron Age. This cultural continuity can be observed at several excavated sites including Jericho, Nimrin, Deir 'Alla, Sa'idiyyeh, Pella, Abu el-

Issue No. 8 July 2003
ISSN: 1319-8947 (pp. 21 -32)

Betts A. 1998. The Harra and the Hamad : excavations and surveys in eastern Jordan. Sheffield Academic Press, **'Sheffield Archaeological Monographs** 9', Sheffield.

Betts A., Helms, S. 1986. Rock Art in Eastern Jordan: 'Kite' Carvings ? **Paléorient** 12/1: 67-72.

Beyer D. 2001. Emar IV. Les sceaux. Orbis Biblicus et Orientalis 20, Series Archaeologica, Fribourg.

Christides V., 1982. Heracles-Nergal in Hatra. **Berytus Archaeological Studies** XXX:105-115.

Colledge M. A. R. 1967. The Parthians. Thames and Hudson, **'Ancient peoples and places'**, London.

Collon D. 1988. First Impressions. Cylinder Seals in the Ancient Near East. : Chicago University Press-British Museum, Chicago - London.

Echallier J.C., Braemer F., 1995. Nature et fonction des 'desert kites' : données et hypothèses nouvelles. Paléorient 21/1: 35-63.

Green A. (éd.) 1993. Abu Salabikh Excavations Volume 4. The 6G Ash-Tip and its content: cultic and administrative discard from the temple ?., British School of Archaeology in Iraq, Melksham (Wiltshire).

Hammade H. 1994. Cylinder seals from the Collections of the Aleppo Museum, Syrian Arab Republic. II Seals of known provenance. BAR International Series 597, Oxford.

Helms S. W. 1981. Jawa, a Lost City of the Black Desert. Methuen, London.

Homes-Fredericq D. 1970. Les cachets mésopotamiens protohistoriques. Brill, 'Documenta et monumenta Orientis antiqui 14', Leiden.

Jans G., Bretschneider J. 1998. Wagon and Chariot Representations in the Early Dynastic Glyptic. "They came to Tell Beydar with wagon and equid ." Subartu 4/2: 155-194.

Joannes F. (dir.) 2001. Dictionnaire de la civilisation mésopotamienne. Robert Laffont,'Bouquins', Paris.

Keel O., Uehlinger C. 2001. Dieux, déesse et figures divines. Les sources iconographiques de l'histoire de la religion d'Israël. Editions du Cerf, Paris.

Marchettin., 1998. The Mature Early Syrian Glyptic from the Khabur Region : Subartu 4/2: 115-153.

Orthmann W., (ed.) 1989. Halawa 1980-1986. Vorläufiger Bericht über die 4.-9. Grabungskampagne. Rudolf Habelt, 'Saarbrücke Beiträge zur Altertumskunde, Bd. 52', Bonn.

Rosenfeld A., Smith C., 1997. Recent developments in radiocarbon and stylistic methods of dating rock-art. Antiquity 71: 405-411.

Selz G., 1983. Die Bankettszene. Entwicklung eines 'überzeitlichen' Bildmotivs in Mesopotamien von der Frühdynastischen bis zur Akkad-Zeit. Franz Steiner Verlag, Wiesbaden.

Taçon P.S.C., Chippindale C., 1998. An Archaeology of rock-art through informed methods and formal methods. In : The Archaeology of Rock-Art, Chippindale C., Taçon P.S.C. (eds). Cambridge University Press, Cambridge: 1-10.

Uyanik M., 1974. Petroglyphs of South-Eastern Anatolia. Akademische Druck- u. Verlangsanstalt, Graz.

van Berg P.-L., 2001a. Art rupestre en Syrie. L'archéologue - Archéologie nouvelle, 52:32-36.
van Berg P.-L., 2001b. Art rupestre et archéologie à Khishâm (Hassake, Syrie). Paleo-Express, 8 (octobre): 9-12.

van Berg P.-L., PICALAUSE V., 2001. L'art rupestre à Khishâm. Les Annales archéologiques arabes syriennes, vol. XLIV: 97-105.

van Berg P.-L., PICALAUSE V, .sous presse a. Structures archéologiques et art rupestre à Khishâm (Hassake, Syrie). Subartu IX: 12 p., 6 pl.

van Berg P.-L., Picalause V., sous presse b. Archéologie et gravures rupestres en Djezireh septentrionale. Les Annales Archéologiques Arabes Syriennes, vol. L V :p., 5 pl.

VILA E., 1998. L'exploitation des animaux en Mésopotamie aux IVe et IIIe millénaires avant J.-C. CNRS Editions 'Monographies du CRA', Paris.

von der Osten-Sacken E., 1991. Hürden und Netze. Mitteilungen der Deutschen Orient-Gesellschaft zu Berlin 123: 133-148.

von der Osten-Sacken E., 1992. Der Ziegen-'Dämon', 'Obed- und Urukzeitliche Gtterdarstellungen. V. Butzon & Bercker Kevelaer, Neukirchen-Vluyn.

and Kefra.

The archaeological landscape of the Hemma plateau thus begins to get coherence and consistency. The following seasons will continue to define the chronology and nature of the settlements. We will also have to understand what stages have involved so dense occupations at the periphery and within the plateau, often close to the discontinuous series of tells along the wadi Aweidj.

Furthermore, it becomes possible, on the basis of comparison with the iconography known in other archaeological sources, among other glyptics, to argue the belonging of the rock carvings to several cultural stages, stretching from the 5th or 4th millennium BC to the 3rd century AD. We are thus approaching the construction of a global chronology of the rock art of the Hemma plateau.

P.-L. van Berg, N. Cauwe, J.-P. Hénin,S. Lemaitre,V. Picalause, Marc Vander Linden-
Centre de recherche interfacultaire »Espaces et Sociétés - approches comparatives .« C.P. 175 / Faculté de Philosophie et Lettres. Université Libre de Bruxelles. Avenue F.D. Roosevelt, 50. B - 1050 Bruxelles. E-mail: pvberg@ulb.ac.be

ملخّص: تمتد هضبة الحمة البازلتية في شمال شرقي سوريا (منطقة الحسكة) لمسافة ٣٠ كم، بين مدينتي الحسكة في الجنوب والدرباسية في الشمال. أما باتجاه الشرق فيهيمن مد الحمم هذه على سهل وادي عويج، بارتفاع يبلغ ما بين ٢٠-٢٥ متراً. وعلى هذا الجانب، فإن حافة الهضبة والأودية، التي تتقاطع عليها، كانت مأهولة بشكل مكثّف، خلال الستة آلاف سنة الأخيرة ق. م. وتشهد بذلك بقايا وآثار مئات المباني الحجرية الدائرية والمربعة، وكذلك آلاف المشغولات الصخرية، التي تشكّل أولى مواقع الفنون الصخرية، التي دُرست بانتظام في سوريا.

Note:

(1) The authors wish to warmly thank the Direction Générale des Antiquités et des Musées de Syrie that has authorized and helped the recording of the carved rocks and the test excavations on the site of Khishâm (Hassake), as well as the surveys on the Hemma plateau. May the Department of Antiquities of Hassake and all the members of this institution find here our deepest thanks for their support. We want to warmly thank Dr Antoine Suleyman, researcher at the Direction Générale des Antiquités et des Musées de Syrie, for the preliminary identification of the various archaeological elements found during the survey.

References

Extensive field reports may be found on the web at the following URL's:
http://www.espasoc.org/khi_1acc.html
http://www.espasoc.org/2002/hem_1acc.html.

Amiet P. 1979. L'iconographie archaïque de l'Iran _ Quelques monuments nouveaux. Syria LVI: 333-352.

Amiet P. 1980. La glyptique mésopotamienne archaïque, Contribution pour les inscriptions de Maurice Lamber, **CNRS**, Paris.

Anati E., 1979. L'**art rupestre. Negev et Sinaï. L'Equerre 'Les traces de l'Homme'**, Paris.

Barnett R. D. 1966. Homme masqué ou dieu-ibex ? Syria XLIII: 259-276.

to particular persons during the 4th and the 3rd millennium?

Religion

The sites of Khishâm not only exemplify cynegetic practices, but also relationships with the supernatural world. Among others, some hybrid-headed animals evoke the »goat-god« known from both glyptics and ceramic decoration from western Iran and northern Mesopotamia during the later Ubaid period and the Gawra culture (von der Osten-Sacken 1992; Barnett 1966; Amiet 1979). Furthermore, the religious content of the aforementioned mural painting of Halawa, with zoomorphic headed characters, is also assured by the large idol face present at the centre of the composition.

It is possible that the major part of the rock art of Khishâm serves religious purposes. All these animal figures, often repeated with no other apparent function than their sole presence, do not suggest anecdotal representations. They could represent, for instance, propitiatory offerings, acknowledgements to a divinity, or have a talismanic value, as it is frequently the case for the glyptics. Rock art images of supernatural beings or animals associated with them could thus have their own efficiency. They could also, like those of the cylinder-seals, mark an individual presence.

Glyptics, like reliefs or statues, show that official artistic communication with gods and men is made, thanks to icons, of recurrent formulas. The graphical and plastic language is coded in the same vein as oral or written praying formulas. In this sense, rock art is not so different from urban art: the variety of represented subjects is even more restricted, as is the case with the modalities of representation.

Cultural Interactions

The rock art of the Hemma belongs to a large interaction zone and of rock art activity that extends from the Caucasus to Yemen. During the second half of the 3rd millennium, this art seems to be at the crossroads of two cultural streams. The first one, to the west, is related to the rock art expressions found in eastern Anatolia (Uyanik 1974), northwestern Jordan (Betts, Helms 1986; Betts 1998), in the Negev and the Sinai (Anati 1979). The second one is related to the iconography of southern Mesopotamia the influences of which are evident in the glyptics, particularly during the EJ IIIb (Marchetti 1998) and seem to have passed into rock art.

Kites are systematically found in steppic environments (Syria, Jordan, Palestine, Arabia, Central Asia), and it is likely that they were all erected by nomadic populations for whom a massive hunting and the following exchanges represented a major economic income. At Hemma as in Jordan, their representations massively take advantage of the rock surface as a natural landscape, showing an adaptative quality seldom found in most of the other carved subjects, reflecting a mentality very different from the one that prevailed in the confection of the urban art. It is thus probable that steppic populations carved those images. Furthermore, there are no representations of kites in urban art.

There remains to know to which milieu belonged the ideas of representing them in plan. The question is much intriguing since most known ancient representations of enclosures on cylinder-seals belonged to the Elam and Syrian Jazira (Uruk period), as did the representations of the goat-god (von de Osten-Sacken 1991).

Conclusion

The surveys carried out during the 2002 season begin to partially fill a gap in the archaeology of northeastern Syria, generally dedicated to the exploration of tell settlements. Furthermore, this work offers a contextual framework for the local studies undertaken in Khishâm

of the caprid, a human character with raised arms in sign of adoration ì) « Keel, Uelinger, 2001: 153-155, figs 178a-b-c). These figures evoke some images of Khishâm-1 (KH1-N27).

- In en-Nabia, a rock exposes the association of two divine symbols: a scorpion (Ishtar) and a thunderbolt (Adad). The style of the thunderbolt recalls the neo-Assyrian period (9th-7th century BC).

Parthian period:

- A few large figurations of warriors holding a sword and having a sheath at the belt (e.g. KH2-B11) could belong to this period.

- A couple composed of a seated character and of another one standing, holding an axe and having a bird on the head (KH1-S53). The style of this frontal representation, where the eyes of the main character are not pecked, is exceptional in the rock art at this moment and is rather similar to a Parthian relief of Hatra in northern Iraq dating to around 150 AD (Colledge 1967: 159, fig. 46; Christides 1982: 110, fig. 4; van Berg et al.; in press).

- Two or three representations of characters dressed with a flared skirt (KH2-F104) could be assigned to the end of the Parthian period, around the beginning of the 3rd century AD (fig. 5, e).

Interpretive elements

Hunt

The figured wild fauna, the multiple hunting scenes, the real kites and their representations show that during part of their existence, the sites of Khishâm had a cynegetic function. Representations of kites surely constitute the most promising elements for interpretative possibilities. What was their meaning? Was the Kakhort valley related to a pilgrimage, a necessary passage or a gathering place? Did one come in order to illustrate the good hunt gained elsewhere, in order to consider sacred its own enclosure by carving it on the rocks, or in order to offer its image to the gods? Different functions must be investigated.

Generally speaking, wild fauna does not play a fundamental role in the dietary system during the 4th and 3rd millennia BC (Vila 1998). Therefore, several research paths are open.

1. The iconography of the »goat-god « or in Elam and upper Mesopotamia « ibex-god » during the 4th millennium shows that this animal had an important symbolic value. The presence of an ibex in a banquet scene in Khishâm-2 (EJ IIIb?) gives an indication of this sense.

2. The archaeological documentation for the 4th and 3rd millennia suggests that the ibex did not belong at that time to the diet of the populations of the Upper Mesopotamian tells (Vila 1998). The situation seems to have been similar during former millennia, at least according to the restricted available data. Von der Osten-Sacken states that ibex is hunted all over the Zagros (von der Osten-Sacken 1991). Was the ibex hunted by and for non-urban populations?

3. Rock art representations of ibex hunting, present throughout the Near East, always show an individual archer hunt but never a collective one, thanks to an architectural device inscribed in the landscape. Did hunt modalities change in the region since the 4th-3rd millennium because of the growing success of breeding, leading to the abandonment of collective hunting? Could such a change reflect a modification of the structure of the human groups?

4. Neo-Assyrian kings hunted ibex (Joannès 2001 179). Was this practice already reserved

1980: pl. 40, fig. 611).

- Banquet scenes (KH2-F81b)-- associating a character seated on a stool and once an ibex, once another animal (fig. 4, d)-- also bear comparisons with the glyptics since the Early Dynastic II/IIIa (Selz 1983: II, pl. 13, fig. 162, feminine character seated in front of a caprid). In Mari, a cylinder-seal (M 7928-H563), dating to around 2600 (Early Dynastic II), shows a character with a bird head seated in front of an animal (Hammade 1994).

- The gesture and the attitude of a character carrying a quadruped on his chest (KH2-F60: plate 4, lower left) are reminiscent of representations of the Early Dynastic glyptics (Amiet 1980: pl. 100, no. 1319 et 1327, pl. 102, no. 1355 et 1356).

- A character in profile fighting against a standing animal (KH2-E53) can be compared with a seal attributed to the Early Dynastic in upper Syria (Amiet 1980: pl. 85Bis, fig. K).

- A lion attacking a bull from behind (KH2-D42: fig. 4, f). This theme is present In lower Mesopotamia since the Uruk period when it becomes the main subject of the "contest scenes" (Collon 1988: 27 and nr 940). The bull with three legs folded under his body with the fourth leg semi-flexed in front is present in Abu Salabikh since the Early Dynastic IIIb (Green 1993 : fig.2, no. 80 et 88; also Amiet 1980: pl. 33, fig. 530, pl. 38bis, fig. G, proto-Elamite; in Fara: pl. 53, figs 740, 743, 746,747, pl. 54 no. 752-A, 758, 762, 780).

- Representations of isolated horses: in Syria, the horse is attested since the period of Ebla (24th century B.C.).

2nd millennium

- It is too early to evaluate the presence of a 2nd millennium B.C. rock art in Khishâm. The only element that seems evident enough is a representation of a character standing on an altar (column surmounted by a thick table) and with a pointed hat (fig. 5, a), which recalls the Hittite or Syro-Hittite art (KH-2-B25). Comparable altars are known in the glyptics of this period in Emar, on the Euphrates (Beyer 2001: A62, p. 84 et A74, p.92). A segment of the northern wall of Building 1 stands on a rock with carvings of a similar style.

- Some representations of lion could also belong to this period (Keel, Uelinger 2001: fig. 51 BR, style common Mitanni).

- In Khishâm-1 North-3, a character with a sword on his side and holding a trident probably represents a divinity (fig. 5, b). A dating to the 2nd millennium B.C. seems probable.

- Animals of which the body is represented by two triangles opposed by the summit have been found in Kefra-East and in Khishâm-1-South (fig. 5, c), an iconographic convention known in the Palestinian ceramic decoration of the Late Bronze Age (2nd half of the 2nd millennium BC; Keel, Uelinger 2001: figs 80-81).

1st millennium

For this period-- the first millennium corresponding to the installation of Arameans, its western Semites, in northern Syria-- it is probable that links with Palestinian and Phoenician iconography are more important.

- Representations of horsemen (KH1-S18; KH2-H7; fig. 5, d) should not be earlier than the end of the 2nd millennium BC. Keel and Uelinger mention some representations relating to Phoenician and north-Syrian influences in Palestinian glyptics (Keel, Uelinger 2001: 143-157).

- One also finds, in Palestine, dated to the Iron Age II A-B (1000-800), »a group of cylinder-seals [ì] of local production that show, in front

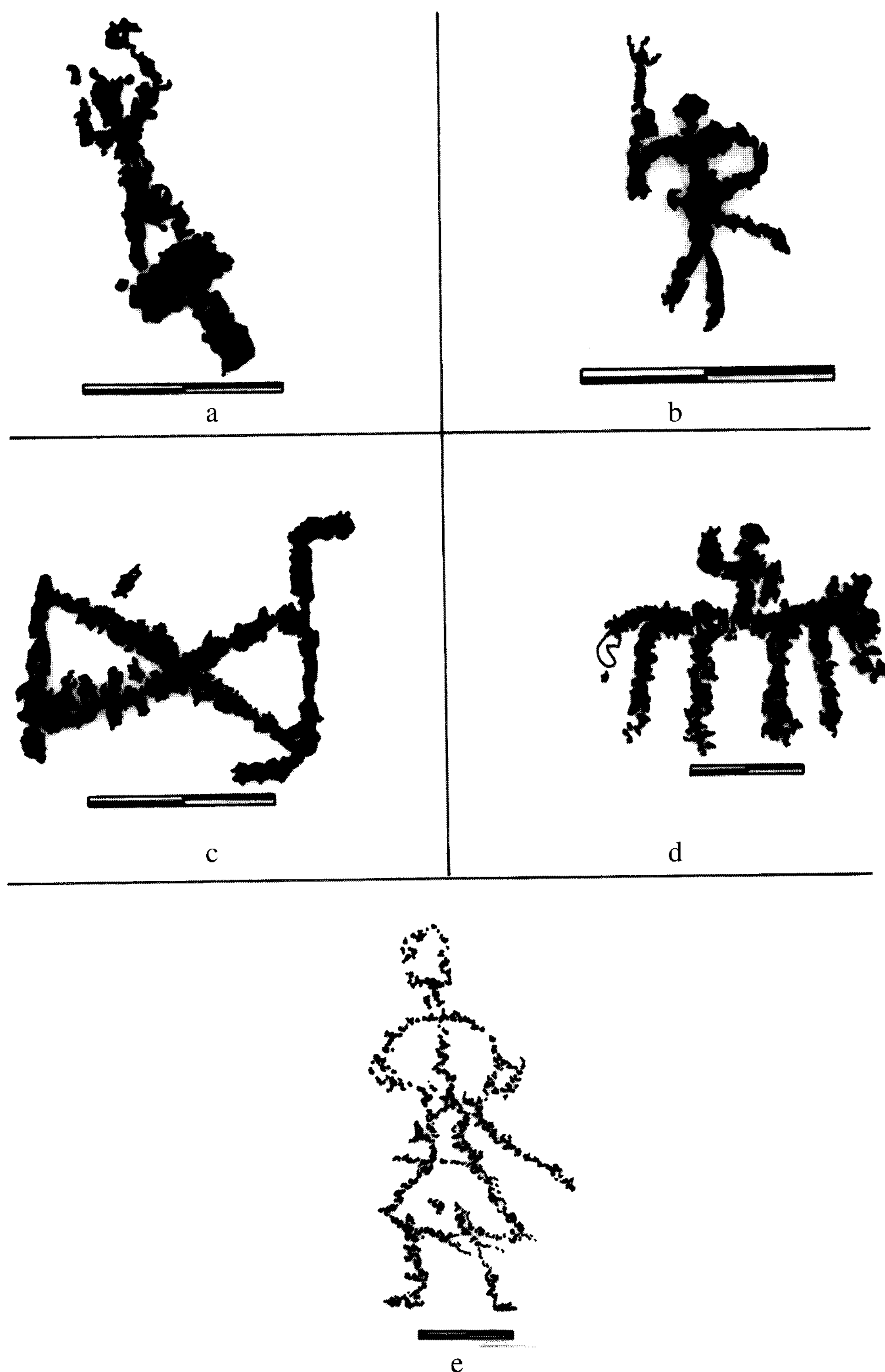


Fig. 5:
a: Khishâm-2: character with a pointed hat standing on an altar (KH-2-B25, detail).
b: Khishâm-1, North-3: character with a sword at its belt and holding a trident.
c: Khishâm-1-South: animal of which the body is represented by two triangles opposed by the summit.
d: Khishâm-2: representation of horseman (KH2-H7).
e: Khishâm-2: character dressed with a flared skirt (KH2-F104).

nothing close to the supple artistic forms of the Preceramic Neolithic. The chronological presentation only indicates a terminus post quem for the apparition of a given theme, based on its introduction in the traditional archaeological iconography. Unless there is a contrary indication, the carvings can thus be of later date. When they do not rest on direct and probing comparisons with the glyptics, our chronological estimations must be confirmed by excavations and results gained from other rock art sites of the Near East.

5th-4th millennium

- A character with ibex horns (KH1-S-50) finds counterparts in the Suse-A pottery, dating to the 5th millennium (von der Osten-Sacken 1992: pl. VI, fig. 9).

- A frontal character holding two lions (KH2-C42) or two bovids (KH2-D33) in profile and symmetrical, in the so-called posture of the , belongs to a type known« master of animals » since the 4th millennium.

- A human character, with a triangular chest, raised arms and semi-flexed legs, evokes figures found on seals and sealings of the later northern Ubaid and Gawra cultures, dated between 4,400 et 3,000 BC (Homès-Frédéricq 1970: pls. II, VI, 73-76; von der Osten-Sacken 1992: plate 10 n*5).

- Characters with a long neck and elongated head on the side or maybe with an animal head, are close of the same series (Homès-Frédéricq 1970: pl. III, 37-38, pl. VIII, 109-110, pl. XI, 150 ; von der Osten-Sacken 1992) and are also present in a mural painting discovered in Halawa and dated, according to Orthmann, to the first phases of the Early Dynastic (Orthmann 1989: 101-104; plate 10, no. 2, 6).

- Representations of kites could be placed between 4,500 and 2,000 BC. If this hypothesis is confirmed by excavation, one should therefore assign, grosso modo, to this period other carvings made in a similar style.

3rd millennium

Several representations find their direct counterpart in cylinder-seals of the Early Dynastic (or Early Jazira) IIIb.

- Found on several rocks, the character standing on an animal that he holds by a tether fastened to the nostrils is similar to representations of divinities known by glyptics and by other related material of the 3rd millennium (Amiet 1980: pl. 39, fig. 603, Predynastic). The character of the rock KH2-E1, above a bull, could be Adad, the Mesopotamian god of thunder and of good rain, or one of his Ammorite or Aramaean successors.

- A character seated on a four-wheel chariot towed by two animals (KH2-F81b) can be dated to the second third of the 3rd millennium BC, on the basis of comparison with the glyptics. In Kefra, a closely related representation (fig 4, a) must be given a similar date (Jans, Brettschneider 1998).

- In Kefra (KF-J51), a cow presents an excrescence between the horns (fig. 4, b). This type of representation is also found in the glyptics since the Early Dynastic (Amiet 1980: pl. 100 nr 1329).

- A plough scene (KH2-G27) also has a direct counterpart in the glyptics (Collon 1988: 146 no. 615 sealing of Fara, Iraq, Early Dynastic A-B, Collon's Period IIe; Amiet 1980: pl. 106, fig. 1403).

- Lion hunting with a spear (KH2-D41: fig. 4, c): the theme is already present on an Uruk stele dated to the Predynastic period (Amiet

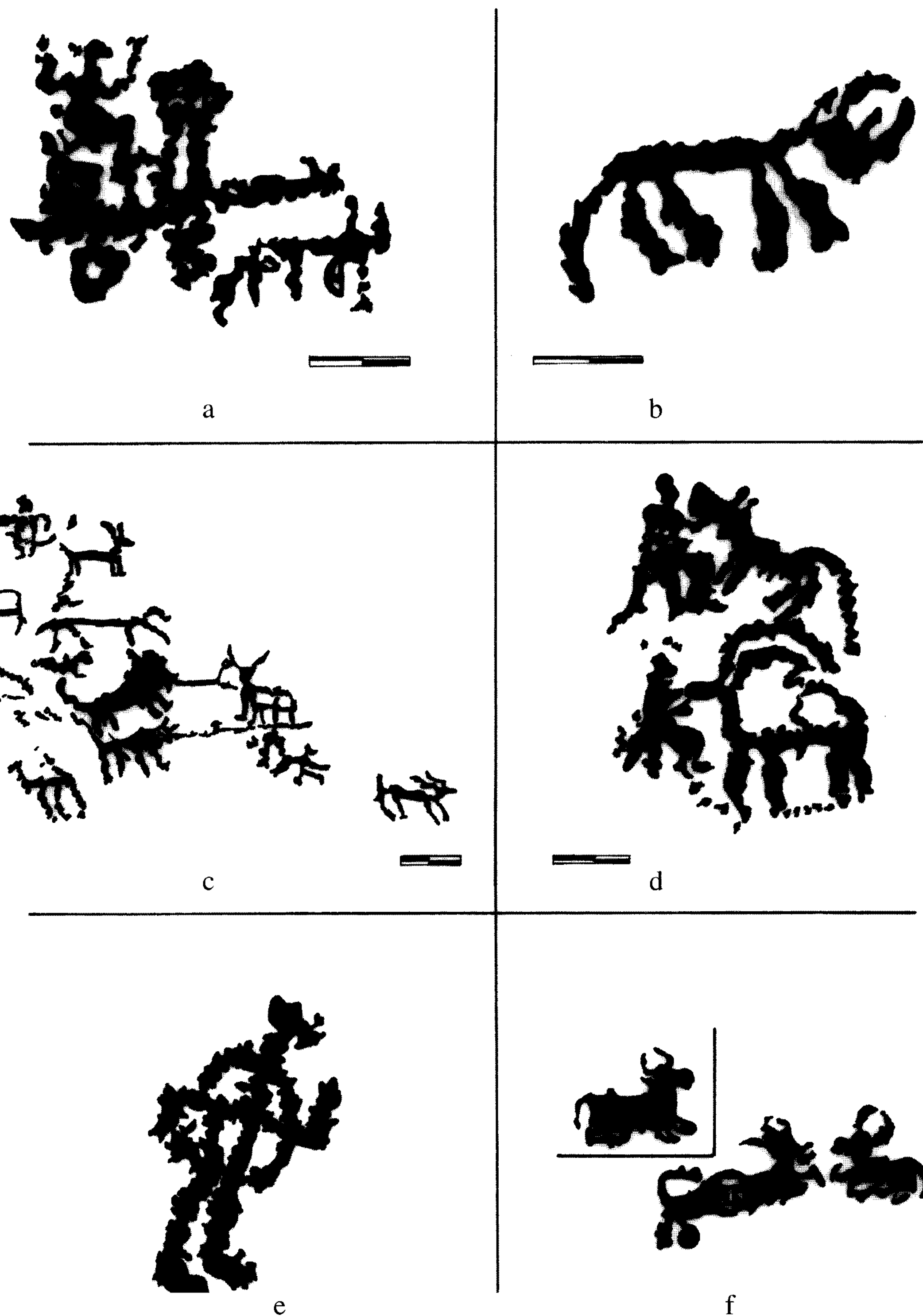


Fig. 4:
a: Kefra: chariot (KF-I61).
b: Kefra, bull with an excrescence between the horns (KF-J51, detail).
c: Khishâm-2: lion hunting with a spear (KH2-D41).
d: Khishâm-2: banquet scenes associating a character seated on a stool and, once an ibex, once another animal (KH2-F81b, detail).
e: Khishâm-2: character carrying a quadruped on his chest (KH2-F60).
f: Khishâm-2: lion attacking a bull from behind (KH2-D42).

tion suggest the existence of three supplementary inhumations. All the bodies are buried in a crouched position and oriented on an East-West axis, head being eastwards or westwards, facing north or south, body laid on the left or on the right side. Two children, 5-7 years old, were buried side by side (fig. 2, b). The grave goods include few ornaments of poor chrono-cultural value: simple copper earrings, a small glass bead, and some bone beads.

A second necropolis lies inside Building 3. At least 5 graves have been built there as small basaltic coffins. Several were empty, but sparse bones found close indicate that the coffins were plundered. One of these graves has yielded a very young child, crouched on the right side, the head towards the East, facing North.

Chronology of the sequence

The floor found within Building 1 has yielded potsherds typical of the neo-Assyrian period and a bronze fibula belonging to the 7th century BC (fig. 2, c). The majority of the potsherds found on the site belong to the same period. It is thus likely that the succession of the buildings was fairly quick. The stratigraphy shows that the second cemetery intervenes at the end of the sequence. The poor state of conservation of the bones, identical in both necropoleis, suggests a restricted chronological gap between them.

Rock art

General characteristics

(The study of the rock art at Khishâm-2 and Kefra is carried on by Vincianne Picalause and by Serge Lemaitre respectively.)

In Khishâm-2, the repertoire encompasses animal and anthropomorphic figures (ibex, gazelles, bovines, lions, dogs, wild canids, wild donkeys, horses, cervids and scorpions, hunters, characters with raised arms or holding weapons [axe, sword, spear]).

The figures may be isolated, juxtaposed or form real scenes. Among those, the most frequent show interactions between anthropomorphs and animals: character touching an animal, lion or bovid hunting, animal held by a tether, horseman. Few original scenes depict the hunting of a fantastic animal, archers or a young animal suckling its mother. One also notes few scenes of agrarian type, among which an anthropomorphic character using a plough. Divinities can be easily identified since these are represented standing on their associated animal, according to an old Mesopotamian tradition (Fig. 3, c). One must also add 50 representations of desert-kites, to which are associated animals, hunters and divinities.

In Kefra, the themes are very close to those of Khishâm-2 (fig. 3, d). Nevertheless, isolated representations of animals and of human characters constitute more than 50% of the corpus. One observes local thematic variations: for instance, ibex are dominant in Area B, while anthropomorphic figures are in majority in Area C. Many scalariform and geometric figures (squares, rectangles, ovals sometimes segmented) have also been recorded.

Carving techniques

Three carving techniques have been observed: pecking, grooving, and scraping. The last two techniques are mostly recorded in Kefra. All may be combined, grooving sometimes appearing as a preliminary stage to pecking.

Dating elements

Dating rock carvings is a very difficult issue (Taçon, Chippindale 1998; Rosenfeld, Smith 1997). In the Khishâm case, we however have some chronological indications since rock art corresponds to the Mesopotamian iconography known to traditional archaeology.

From a stylistic point of view, there is

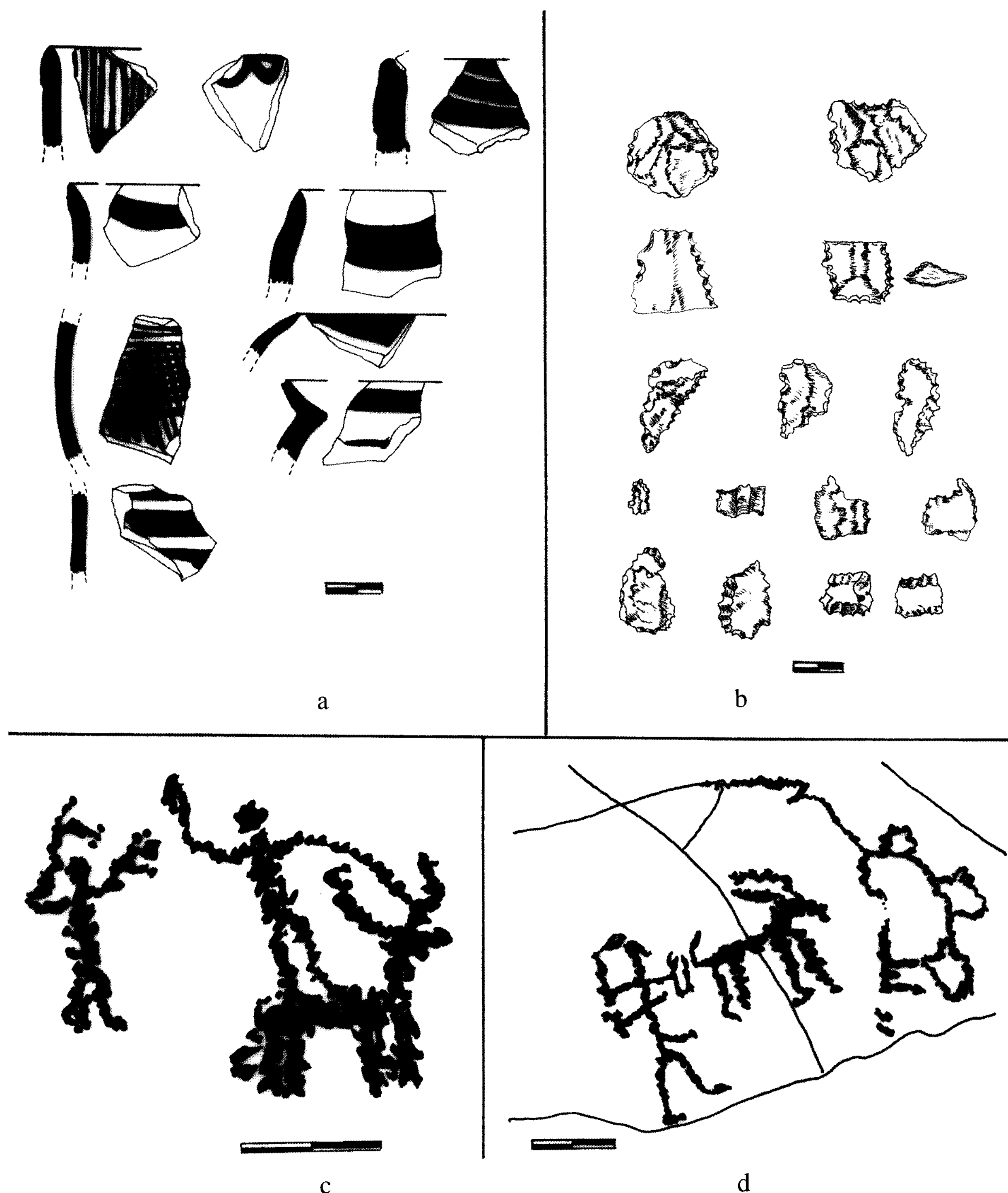


Fig. 3:

a: Halaf ware: 1-5 - Haramshadad; 6-7 - Kefra; 8-Khishâm-2, Area VII.

b: Umm el-Masamir. Lithic material: 1-7, 12 - Flint 1 - flaked element; 2 - nucleus on flake; 3-4 -blade fragments; 5, 7 - flaked pieces; 6 - borer; 12 - flaked element, part of a sickle? 8-11 - obsidian. 8 - flaked element; 9 -fragment of a small blade; 10-11 - troncatures.

c: Khishâm-2: divinity standing on a bull (KH2-E1).

d: Kefra, Sector F: hunter pushing an ibex towards a desert-kite.

alongside visible streets. In both cases, large buildings with thick walls suggest the existence of an official architecture, while ruins cover superficies between 60 and 100 hectares. These are thus rural or urban major settlements, even if all buildings were not contemporaneous. On various sites, surface potsherds show that other rectangular constructions probably belong to the Seleucid (323-150) and to the Parthian period (150 BC to 224 AD).

4. In Haramshadad and in Kefra, two small tells have been found in the close vicinity of the plateau.

Material culture

So far, the gathering of surface material has only been carried out in a restricted series of rich sites. Nevertheless, some trends can be drawn out.

The Neolithic and Chalcolithic periods are well represented. The tells of Haramshadad and of Kefra have yielded, among others, ceramics dating to the Halaf culture, most probably in its later phase for Haramshadad (fig. 3, a). Moreover, few potsherds of the northern Ubaid and Uruk cultures have been discovered in Khishâm-1-North and Kefra.

An important Neolithic stone industry (polyedric nucleus, denticulates, small-size retouched elements, borers,ì) has been gathered on the sites of Umm el-Masamir (fig. 3, b) and al-Halalia, both located less than 10 km north-west of Tell Kashkashok.

The Bronze Age is poorly documented by one potsherd of Metallic Ware and few elements typical of the 3rd millennium; some forms discovered in Kefra-East may be assigned to the medio-Assyrian period (1350-1200 BC).

The Iron Age delivers a majority of neo-Assyrian potsherds, suggesting that the basaltic plateau be densely settled during this period. Few Hellenistic and Islamic elements have also been recorded.

An undated basalt workshop has also been discovered in Umm el-Masamir.

A neo-Assyrian house and two necropoleis in Khishâm-2, Area V

In 2001, Paul-Louis van Berg had carried out two test excavations in a rectangular house of the Area V of Khishâm-2 (Building 1). The building (13 x 6, 5 m) is flanked to the south by a 150m2 semi-circular enclosure. A grey floor covered by potsherds was then excavated in the house, as well as 4 human skeletons, inhumed at different heights above it (van Berg, Picalause in press b). The enlargement of the test trenches was undertaken by Nicolas Cauwe in 2002.

The complete cleaning of the walls allowed to recover an architectural sequence, of which the most ancient phase corresponds to Building 1 (fig. 2, a). The dry stone walls (width = 1 m) are built by courses of large bonds. They are preserved on more than 1m high in the south, and 50 cm in the north. A carved rock was found in stratigraphical position, under the northern wall.

In front of the southern wall, but resting on its external facing, other more recent buildings have been found. In the south, a basaltic wall, oriented on a north-south axis is pierced by a door preceded by a stone pavement preserved on 2 m* (Building 2). Resting on the eastern facing of that wall, a third building defines a quadrangular surface of a little bit more than 20 m* (Building 3). Southwards, a large basaltic wall (Building 4) partially doubles the eastern wall of Building 1 and seals up the door of Building 2.

Re-use of the area as a necropolis

In the sediment filling Building 1, seven more human skeletons have been found, showing that the funeral function of the house followed its abandonment. A small basaltic pack along the northern wall and few bone fragments preserved at the centre of the construc-

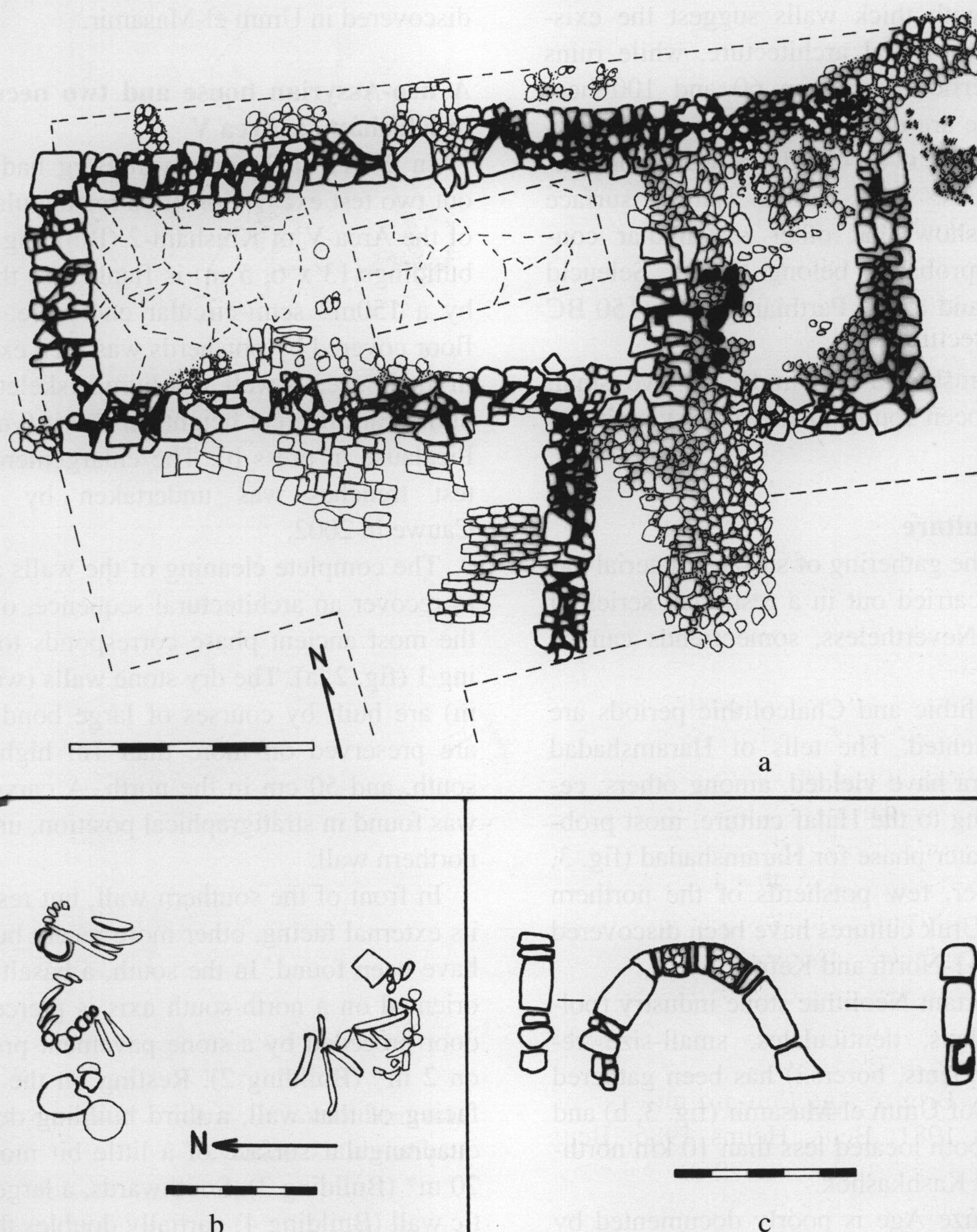


Fig. 2:

a: plan of the excavated architectures in Area 5 Khishâm 2 (Kakhort valley): 1 - bedrock; 2 - walls of the buildings 1 (large rectangular house), no. 2 (north-south wall preceded by a pavement) and no. 3 (small construction east of Building 1); 3 - pavements of Building 4; 4 - Building 5; 5 - walls of the enclosure built south of the buildings 1 and 2; 6 - collapsed walls of the different buildings; 7 - built tombs (cists or covering cairns); 8 - pavement preceding building no. 2; 9 - limit of the tested zone; 10 - hypothetical prolongation of the non entirely unearthed walls.

b: Plan of the child inhumations found in building 1 of Area 5 (Khishâm 2): 1 - tomb no. 11; 2 - tomb no. 12.

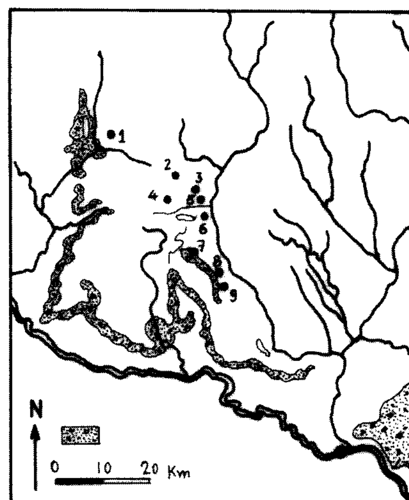
c: Fibula discovered on the floor of Building 1.

and rock art are omnipresent.

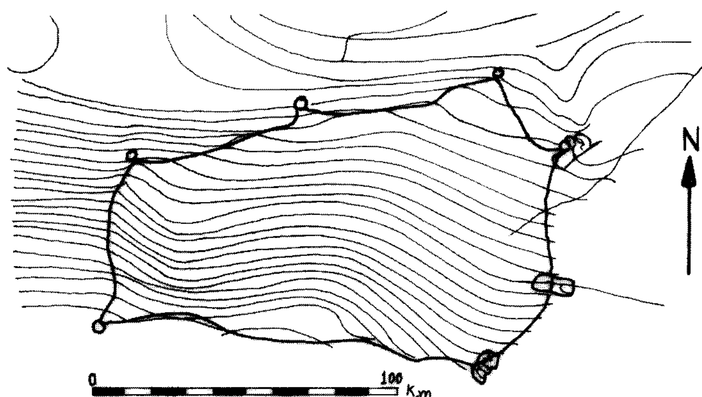
Four main categories of stone remains may be defined:

1. Desert-kites: These monuments, relating to the capture of wild animals, are formed by a polygonal enclosure flanked by small circular cells, mainly at the angles of the polygon and alongside its lower wall; two long rectilinear walls converge towards the entrance. Kites are generally settled on a slope, equilibrated on a natural crest, the opening walls on one side, the enclosure on the other, so that it could not be immediately seen by the entering animals. Two kites were known in 2001, nine more have been found in 2002. The largest one (Khishâm-2, Kite-1) has an enclosure of 140 m long and opening walls of some 500 m (fig. 1 b). Other kites have been found at Kefra (2), between Tell Beydar and Qasrek (2), Khishâm-1 North (2), Khishâm-2 (3) and el-Barfoïya (1). This abundance on such a restricted territory suggests a global economical organisation relating to the capture of animals. Comparison with other Near Eastern sites suggests assigning these monuments to the Chalcolithic or the Early Bronze Age (5th-3rd millennium BC; Helms 1981; Betts, Helms 1986; Betts 1998; Echallier, Braemer 1995). Anyway, kites in Khishâm-2 and Kefra must have preceded large-scale sedentary settlement of these localities.

2. Dozens of undated circular buildings (diameter from 3 to 15 m) are settled near the watercourses in all the surveyed sites. Thick walls (c. 1 m) and careful construction tend to exclude an attribution to nomadic populations, as well as an exclusive enclosure function. Stone circles in Khishâm-2, Umm el-Masamir and el-Rahmaniya have yielded abundant ceramic and/or lithic material.



a



b

Fig. 1:
a: general map of the Hemma plateau indicating the sites surveyed in 2002. 1-En-Nabia; 2-Haramshadad; 3 - Kefra; 4 - Qasrek; 5 - Tell Beydar; 6 - Bashkoy; 7-Khishâm-1 and -2; 8 - el Barfoïya; 9 - Umm el-Masamir; 10 - Al-Rahmaniya. Lower part: Khishâm-2.
b: Khishâm-2: desert-kite 1 (drawn by F. Depuydt).

3. Hundreds of quadrangular structures of various sizes could represent neo-Assyrian settlements (934 - 609 BC), like the one tested in Khishâm-2. In Khishâm-2 and Kefra, these structures may be gathered in organized areas

Fieldwork at the archaeological and rock art sites of the Hemma plateau (Hassake, Syria): season 2002[1]

P.-L. van Berg, N. Cauwe, J.-P. Hénin,
S. Lemaitre, V. Picalause, Marc Vander Linden

Abstract. *In northeastern Syria (prov. of Hassake), the basaltic plateau of the "Hemma" extends over 30 km between the towns of Hassake, in the south, and of Derbasiye, in the north. Eastwards this lava flow dominates the neighbouring plain of the wadi Aweidj of about 20/25 m. On this side, the edge of the plateau and the wadies that cross it were densely settled during the last six millennia BC, as testified by the remains of hundreds of circular and rectangular stone buildings as well as by thousands of carved rocks, constituting the first rock art sites systematically studied in Syria.*

The mission

In 1998 and 1999, two brief survey and recording campaigns have been carried out by Paul-Louis van Berg on the site of Khishâm-1, as part of the Euro-Syrian mission of Tell Beydar (fig. 1 a). Since 2001, the archaeological study of the area has been undertaken by a joint Belgo-Syrian mission, which associates the Direction Générale des Antiquités et des Musées de Syrie and the Interfaculty Research Center Spaces & Societies - Comparative Approaches of the Université Libre de Bruxelles (ULB). This mission intends to survey the whole plateau, to dig several test trenches and to study the rock art. It is directed by Paul-Louis van Berg for the Belgian part and by Khaled Ahmo (Department of Antiquities, Hassake), for the Syrian one. The fieldwork has been funded by the Fonds d'Encouragement à la Recherche de l'Université Libre de Bruxelles, the Research Center »Spaces & Societies -comparative approaches) « ULB), the National Fund for Scientific Research (Communauté Française de Belgique), the National Geographic Society (USA, grant 7202-02), and the Musées Royaux d'Art et d'Histoire (Brussels).

Archaeology

Overview

The first studied sites in this project are Khishâm-1 and -2 (fig. 1 a). Khishâm-1 is located more or less 300 m west of the village of Khishâm, and about 5 km south of Tell Beydar. This area includes numerous stone buildings and one hundred carved rocks. Khishâm-2, 500 m south of the former site, extends in the valley of the wadi Kakhort, a small affluent of the wadi Aweidj, of which the lower flow crosses the plateau from west to east for about 1 km. The rock art site, encompassing some 450 carved rocks, covers the whole left bank. Archaeological remains are located alongside both flanks, but with a higher density on the left (van Berg 2001a, b; van Berg, Picalause 2001, in press a-b). Kefra, another large site, extends in a vast cirque opened to the south, 3 km north of Tell Beydar (van Berg, Picalause in press b). Archaeological structures are accompanied by 1200 carved rocks.

In the Fall of 2002, 25 km of systematic pedestrian survey have covered the eastern slope of the plateau, between the villages of Haramshadad in the north and of al-Halalia in the south, showing that archaeological remains

ISSN: 1319-8947 (pp. 7 -20)

الافتتاحية

النّمط المثالي للباحث والأكاديمي، الذي وهب نفسه للعلم ومن أجله سعى واجتهد وبذل، هذا النمط من علمائنا بدأ يتساقط. وإذا كنا قد فقدنا حمد الجاسر، العالم الجليل، الذي يُعد نموذجًا للعالِم الذي بنى نفسه وكوّن شخصيته، فإن الأنموذج الآخر هو ذلك الطود الشامخ الأستاذ الدكتور إحسان عباس، ومَنْ منّا لا يعرفه؟!! فلا تكاد مكتبة تخلو من عمل أو أكثر من أعماله المتنوعة، التي طاولت كل فرع من فروع المعرفة العربية والإسلامية. كتب عنه وعن أعماله كثيرون، ممن عرفوه عن قرب، أو عرفوه من طريق أعماله، وعدّدوا الجوانب العلمية التي تناولها؛ ولكن جانبًا واحدًا لم يقفوا عنده: اهتمامه بالجانب التاريخي لما قبل الإسلام.

عندما أراد أن يكتب عن فترة ما قبل الإسلام، اختار حضارة عربية أصيلة نفخر بمنجزاتها، هي الحضارة النبطية، إذ يُعد كتابه عن الأنباط: "تاريخ دولة الأنباط" واحدًا من أجَلِّ المؤلفات وأقيمها، التي كتبت باللغة العربية. فقد استطاع إحسان عباس أن يلم بكل ما يتصل بالأنباط، أصلاً وسياسيةً وحضارةً ومجتمعاً. وأن يضع تلك المعرفة بين دفتي كتاب كُتب بأسلوب أدبي، ناصع اللغة، سهل التناول، معتمدًا على المصادر والمراجع الأصيلة؛ فأضحى ذلك الكتاب واحدًا من الأسفار، التي لا يستغني عنها الطالب ويسترشد بها الباحث.

وإذا كان الغربيون في جامعاتهم يرعون شوامخهم بعد وفاتهم، بإحياء ذكراهم وذلك بإنشاء كرسي يحمل اسمهم ويسير في اتجاههم، فإن إحسان عباس حري بالجامعة التي كان يعمل بها أن تثبت بصماته الخيرة، التي أسدت للمعرفة ما لا ينتهي بوفاته، بل سيظل علامة من علامات الفخار في ثقافتنا العربية والإسلامية؛ لذا كان حصوله على جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي عام ١٩٨٠م، تتويجًا لجهده وتقديرًا ممَّن رشحوه لكل ما قدمه.

أما ثاني الشوامخ في مسيرتنا العلمية المعاصرة الذي سقطت رايته، فهو العالم الكبير الأستاذ الدكتور صالح العلي، ولعل سقوط بغداد كان ذا أثر فعّال في نفسه، فمات كمدًا على ما أصاب محبوبته بغداد، عاصمة الخلافة الإسلامية قرابة خمسة قرون. مات العالم، الجدير بالصدارة في علمه وفضله، في شهر شوال ١٤٢٤هـ/ ديسمبر ٢٠٠٣م. كان الدكتور العلي عالمًا بتاريخ العرب وحضارتهم منذ ما قبل الإسلام، ولذا يعد كتابه: "محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام" مرجعًا لطلاب العالم العربي، منذ أربعة عقود حتى الوقت الحاضر. كما كان اهتمامه بالحواضر العربية الإسلامية واضحًا فيما كتبه عن الكوفة والبصرة وبغداد، والأعمال التي نشرها في منشورات المجمع العلمي العراقي، وما نشره في مجلة "العرب"، التي كان يصدرها الشيخ حمد الجاسر، من أبحاث عن الحجاز جغرافيا وتاريخيًا، وقد نال بأعماله جائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات الإسلامية عام ١٩٨٩م، فكان نيله لها مفخرة للباحثين في مجال التاريخ العربي والإسلامي.

*****

عندما طُلب مني أن ألقي محاضرة في مكتبة الإسكندرية في العام الماضي في ندوة "الخطوط: نشأتها وتطورها"، اخترت أن أتحدث عن دلالات ما يكتب ويرسم على الصخور في الجزيرة العربية، وما تمدنا به هذه

الكتابات والرسوم من معلومات وأحداث، تسد الفراغات والفجوات التي تملأ تاريخنا العربي والإسلامي. وعرضت نماذج من هذه النصوص والرسوم والأحداث، وهي كثيرة تحتاج إلى عمل خاص يلقي الضوء عليها وعلى أهميتها واحدة تلو الأخرى. ولعل من أهم النصوص، التي وجدناها مؤخرًا وأشرت إليها في كتابنا "نجران: منطلق القوافل"، هو أن خط البادية كان معروفًا كتابة وقراءة حتى القرون الأول للهجرة؛ "طوق بن الهيثم" كتب اسمه بخط بادية حمير، ولكن بأجرومية عربية فصيحة، كما كتبه أيضًا بالحرف العربي، الذي يؤرخه البعض بالقرن الثاني أو الثالث الهجريين. أليس هذا ممَّا يجعلنا نقف أمام هذا النقش، ونقلب أفكارنا، ونعيد تقييمنا لهذا النوع من الكتابات، الذي نجده ممتدًا من اليمن جنوبًا إلى بلاد الشام شمالاً، ومن شرق الجزيرة العربية إلى سيناء والصحراء الشرقية في مصر غربـاً؟ إن هذا الكشف يذكرني بما تحدث به إلى الزميل الأستاذ محمود الروسان، عندما قال لي: "إنني أحس أحيانًا وأنا أتصفح نقوش بادية الصفا أنني أقرأ نقوشًا كتبت في العصر الإسلامي"، ولعل اكتشافنا لذلك في جنوبي المملكة العربية السعودية، يميط اللثام عن أن البادية في العصور الإسلامية كانت تستعمل قلم المسند، وأن ما أشار إليه الهمداني من قدرته على قراءة المسند كان صدقًا لا افتئاتا.

وهذا الكشف ليس الأخير، ولكن سبقه اكتشاف الأستاذ خالد إسكوبي لبضع نصوص لبعض عمال نبونيد، أكدت وجوده وسلطانه على المنطقة أرضًا وسكانًا، وهذه إضافة ما كان لنا أن نعرفها لولا الجهد الذي بذله الباحث، خلال إعداده لأطروحته للحصول على درجة الماجستير.

وصنو هذا العمل ما قام به الدكتور حسين بن علي أبو الحسن، عندما درس نقوش جبل عكمة في العلا، واكتشف الدور الكبير الذي كان لمعبود دولة لحيان "ذي غيبة"، الذي كانت تدفع له النذور من عُبَّاده، ابتداء من عمان في الأردن شمالاً حتى بدر جنوبي المدينة المنورة، ما يعني وجود سلطة دولة لحيان الواسعة في هذه المنطقة، التي تمتد من بلاد الشام شمالاً إلى قرب مكة جنوبًا. وهو اكتشاف يضيف إلى معرفتنا عن دولة لحيان شيئًا كنا نجهله.

أما في العصور الإسلامية، فإن للأستاذ الدكتور سعد بن عبد العزيز الراشد اليد الطولى في الكشف عن كثير من النقوش الإسلامية حول المدينة المنورة، فكان له فضل نشر مجموعة من النصوص في منطقة رواوة، جنوبي المدينة المنورة، ينسب بعض أصحابها إلى الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه، مما كنا في غفلة عنه؛ فأضاف بذلك إلى معلوماتنا قوائم أنساب كنا نجهله، خلال القرون الأولى للهجرة.

وبعد ذلك كنت و أ. د. سعد الراشد والدكتور العباس سيد أحمد في رحلة إلى المدينة المنورة، في العقد الأول من القرن الهجري الحالي، فزرنا سد الخنق وهناك اكتشفنا نقشًا يحمل اسم الخليفة معاوية بن أبي سفيان كبانٍ لهذا السد، كما كشف عن دور معاوية في الاهتمام بمصادر المياه في منطقة المدينة المنورة، مما هو موضح فيما كتبه ونشره زميلنا الأستاذ الدكتور الراشد.

ولا أشك في أن الدكتور لو تفرغ لأمدنا بفيض من الأعمال العلمية، خاصة أننا زرنا شمال غربي المملكة قبل عقدين من الزمن في مهمة رسمية، قصدنا خلالها منطقة حسمى فوجدنا كمًا هائلاً من النصوص الإسلامية ذات الأهمية التاريخية، خاصة أن هذه المنطقة تقع ضمن طريق الحج بين الأندلس والحجاز وما بينهما.

*****

وإذا كان لنا أن نُبدي سرورنا وفخرنا بما يظهر مجهودات باحثينا فإن تسجيل أول نقش إسلامي في "ذاكرة العالم" في اليونسكو، هو لعالمٍ وباحث سعودي في مجال الآثار، هو الأستاذ الدكتور علي غبان، أستاذ الآثار الإسلامية في قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود بالرياض. إنني أعرف شخصيًا معاناة الدكتور في مسيرته العلمية، فهو الذي يحسب له رصد طريق الحج المصري والشامي، واكتشاف كثير من الأعمال الخيرية لمماليك مصر، من إنشاء السبل وحفر البرك والآبار وتعبيد الطرق.

ولعلي لا أكشف سرًا إذا قلت إن اهتمام الدكتور غبّان بالعمل الأثري دفعه إلى التدرب على ركوب الجمال، ركوب المحترف لا الركوب السياحي، لكي يساعده ذلك على قياس المسافات، والوصول إلى الأماكن، التي لا تصلها مركبة أخرى. إن اكتشافه لنص زهير، الذي يعود إلى سنة ٢٤ للهجرة، يعد تحولاً واضحًا في تاريخ بداية النصوص المؤرخة. فقد كان نص أسوان بصعيد مصر، المؤرخ سنة ٣١ للهجرة هو البداية لأقدم شكل من أشكال الخطوط المنقوشة على الحجر، ولكن نص زهير، الذي عُثر عليه على الواجهة الصخرية الواقعة إلى الجنوب من قاع المعتدل شمال شرقي محافظة العلا، أصبحت له الصدارة والبداية. إننا إذ نشير إلى هذا العمل الفذ، فإنما نشير إليه حافزاً للآخرين من الباحثين لكي يعملوا عمله؛ فينالوا شرف تسجيل هذا العمل في "ذاكرة العالم". وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

*****

"القرون الثلاثة الأولى" تُعد مصطلحاً مقدساً لدى الباحثين في الآثار الإسلامية، وهو منجاة لمن يكتشف نصًا غير مؤرخ. أما ما بعد هذه الفترة، فهم يعطون لها تاريخًا واضحًا إلى حد كبير. وإذا كان الباحثون في مصر وبلاد الشام اتبعوا من سبقهم من الباحثين، عربًا وأجانب، في ذلك، فإن المهتمين بالنقوش الإسلامية في الجزيرة العربية تقع عليهم مهمة محاولة دراسة الحروف وأشكالها لكل عصر، مما يعرف باسم: (Palaeography)، خاصة أن المادة العلمية بين أيدينا، مما يفتقده الآخرون من زملائنا الباحثين العرب.

إن الوصول إلى ثبت بالحروف مقسمة حسب العصور التاريخية، عمل يحتاج إلى جهد وصبر؛ ولكن من يصل إلى نتيجة تغنينا عن مصطلح "القرون الثلاثة الأولى"، يكون قد حقق ما لم يصل إليه الأوائل من دارسي الأبجدية الإسلامية. وتهنئتي له مقدمًا.

رئيس هيئة التحرير

دراسة آثارية لموقع الثمامة: النتائج الأولية

عبدالله بن محمد الشارخ

ملخّص: يتناول هذا البحث دراسة آثارية ميدانية لمنطقة الثمامة، الواقعة على بعد ٩٠ كيلومتراً شمال شرقي مدينة الرياض. وتتمثل أهداف الدراسة في التعرف على طبيعة الاستيطان البشري بمنطقة الثمامة، والتحقق من النتائج، التي سبق نشرها في دراسة سابقة من قبل وكالة الآثار والمتاحف. وقد أظهرت المسوحات الميدانية التي أجراها فريق البحث العلمي للموقع غنى المنطقة بأنواع مختلفة من البقايا الأثرية. وقد جُمعت عينات من عدد من المواقع، التي تحتوي على كثافة عالية من الأدوات الحجرية. كما جرى تنقيب عدد من مواقع المنشآت الحجرية، التي تعكس تنوعاً في طبيعة الاستيطان البشري في منطقة الثمامة. وقد حقق العمل الميداني بموقع الثمامة الأثري أحد أهم الاكتشافات الأثرية في منطقة الرياض، وهو تسجيل عشرات المواقد الحجرية المحتوية على كميات من الخشب المتفحم.

Abstract. *This paper relates to an archaeological field work study conducted at the site of Thumamah, about 90 Km. NE of Riyadh. The objectives of this study focus on the nature of human occupation in the Thumamah area, and also on verifying the conclusions reached by an earlier field work team from the General Directorate of Antiquities and Museums. This study shows the richness of the study area with a wide variety of archaeological remains; A number of lithic samples were collected, and some stone strucutres were excavated. This paper presents important discoveries related to past human occupation of the Thumamah site, in particular, the documentation of tens of hearths that contain burnt wood.*

المقدمة

يُعد موقع الثمامة الأثري، في وسط المملكة العربية السعودية، واحداً من أهم المواقع الأثرية المنسوبة لفترة العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية. وعلى الرغم من كثافة الأعمال الأثرية التي أنجزت في الكثير من مناطق الشرق الأدنى، إلا أن الجزيرة العربية، بصورة عامة، ووسطها، بوجه خاص، لم تحظ بالقدر نفسه من الاهتمام؛ إذ ظلت الجزيرة العربية تشكل، إلى حد كبير، فراغاً في الخارطة الآثارية.

وقد ذكر بعض المهتمين (محمد علي ١٤٢١هـ: ٨٩؛ Taha 1982: 1-2) عدداً من الأسباب، التي أسهمت، منفردة أو مجتمعة، في محدودية الدراسات الآثارية، التي تمت في الجزيرة العربية. ويمكن إيجاز هذه الأسباب فيما يلي:-

١- انحصار الجزيرة العربية بين المراكز الحضارية المعروفة في العالم العربي (بلاد الرافدين وبلاد الشام ووادي النيل)، التي تميزت بوجود مظاهر معمارية بارزة وجذابة ساعدت في لفت أنظار المهتمين نحوها .

٢ - صعوبة الظروف المناخية في الماضي القريب، وصعوبة اجتياز المناطق الصحراوية إلى وسط وجنوبي الجزيرة العربية، ما أسهم في الحد من عدد الأجانب، الذين تمكّنوا من اختراق الأجزاء الداخلية من الجزيرة العربية .

٣- خلو الجزيرة العربية من الآثار التوراتية، التي شكلت دفعة لعلم الآثار في مراحل تبلوره.

٤- وقوع الجزيرة العربية خارج نطاق الاستعمار.

٥ - تركيز الاهتمام على المنشآت المعمارية البارزة، مثل: مدائن صالح، والنقوش والرسوم الصخرية، الموجودة في مناطق متعددة من الجزيرة العربية، التي تنسب لبعض الأقوام البائدة الواردة في القرآن الكريم .

٦ - صعوبة التعرف على نوع البقايا الآثارية، التي تعود لفترات ما قبل التاريخ من قبل أبناء المنطقة؛ وكذلك انقطاع التواصل الحضاري بين فترة ما قبل التاريخ والفترات التي تعقبها، إضافة إلى عدم وجود سجلات مكتوبة تتحدث عن هذه الفترة .

غير أن الوقت قد حان لمراجعة هذا الوضع، والقيام بأعمال أثرية تكشف طبيعة التكيف البشري في الماضي، من ناحية، وسد الثغرات الماثلة في الإطار الحضاري، وتسليط الضوء على بعض القضايا، محل تساؤل دارسي آثار الجزيرة العربية وحضارتها، من ناحية أخرى.

ومن هذا المنطلق، تبرز أهداف "مشروع الثمامة الآثاري"، التي تتلخص في السعي نحو كشف طبيعة التكيف والاستيطان البشري في منطقة الثمامة، كعينة مُمثلة لوسط الجزيرة العربية؛ بما تحويه من مواقع تعود إلى بعض فترات العصور الحجرية. كذلك، هدف المشروع إلى كشف طبيعة المنشآت الحجرية الموجودة في المنطقة، التي تتباين فيما بينها من حيث الشكل والحجم وربما الوظيفة.

إضافة لذلك، فإن المشروع هدف إلى فهم التسلسل الحضاري ومراحل الاستيطان البشري في المنطقة، خاصة مع وجود تنوع بيئي وحضاري. يضاف إلى ذلك كله، أن فهم التسلسل الحضاري بمنطقة الدراسة سيُمهد، بلا شك، لفهم أوسع لطبيعة الظواهر الآثارية المماثلة في مناطق أخرى، من الجزيرة العربية.

ولتحقيق أهداف المشروع، تشكّل فريق علمي برئاسة كاتب هذا البحث، وعضوية الزميلين أ. د. العباس سيد أحمد محمد علي ود. يوسف مختار الأمين ودعم مالي من مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، لإعداد وتنفيذ برنامج مسح ميداني لكافة الظواهر الأثرية بمنطقة الدراسة، من مستوطنات ومواقع أدوات حجرية ومنشآت حجرية[1]. وكخطوة منهجية أولية، قسّمت منطقة الدراسة لثلاثة أقسام، بحسب تباينها الطبوغرافي. وقد أظهر المسح الشامل لمنطقة الدراسة وجود أعداد كبيرة جداً من المواقع الأثرية، التي استغرق مسحها وتحديد مواقعها بدقة فترة زمنية طويلة جداً، وذلك لوجود تباين طبوغرافي كبير، إلى جانب إتساع الرقعة الجغرافية لمنطقة الدراسة، ووعورة بعض أجزائها، ما أعاق مهمة المسح.

وقد أظهرت الأعمال الميدانية، غنى منطقة الدراسة بالمواقع الأثرية، من ناحية، وكثافة الوجود البشري خلال فترات زمنية طويلة، من ناحية أخرى، فقد كشفت الدراسة الأولية كثافة الأدوات الحجرية، إلى جانب تعدد المهام التي استخدمت فيها تلك الأدوات، ووجود أماكن إقامة للجماعات البشرية، حسبما دلت على ذلك مواقد النار، التي عثر عليها في أحد المواقع المهمة. كما تميزت مواقع المنشآت الحجرية بكثافتها العالية وتعدد أنماطها وأحجامها.

الدراسات السابقة

عند استعراض الدراسات العلمية المتعلقة بهذا الموضوع، كان لا بد من الإشارة إلى أن العمل الأثري، بصفة عامة، والمتصل منه بدراسات ما قبل التاريخ، بصفة خاصة، قد اتسعت أبعاده في الربع الأخير من القرن الماضي. فالجزيرة العربية، عامة، والمملكة العربية السعودية، خاصة، لم تكن معروفة للباحثين والمهتمين بدراسات ما قبل التاريخ، وقلَّ أن نجد لها ذكراً في الكتب العامة، التي تتناول حضارات ما قبل التاريخ. ومن جهة أخرى، نجد أن بلدان منطقة جنوب غربي آسيا الأخرى قد شملتها المسوحات والتنقيبات الأثرية، منذ القرن التاسع عشر الميلادي، وتسارعت وتيرتها بعد ذلك بحثاً عن أصول المدنيات القديمة، وفنون الحضارات الكبرى في بلاد الرافدين، أو في حوض وادي النيل، على سبيل المثال. كذلك، نشطت الأبحاث المتعلقة بفترة ما قبل التاريخ، وخاصة فترة العصر الحجري الحديث، أو ما يطلق عليها أحياناً "مرحلة إنتاج القوت". إذ اتضح منذ وقت مبكر بأن منطقة الشرق الأدنى شهدت المراكز الأولى، التي عرف فيها الإنسان استئناس الحيوان، ومعرفة الزراعة، وممارسة الطقوس والشعائر الدينية. وقد أنجز مختلف الفنون، وصنع الأدوات

من الحجر المصقول وعظام الحيوانات وقرونها. كما استغل الإنسان بيئته بطريقة ناجحة، مكنته من الاستقرار والعيش في تجمعات سكانية كبيرة، كانت هي الأساس في تكوين القرى الزراعية الأولى؛ كان ذلك في الفترة الممتدة بين الألف التاسع وحتى الألف الرابع قبل الميلاد. وقد تطورت بعض تلك القرى لاحقاً إلى مدن كبرى، شكلت نواة لدويلات المدن، حيث ابتكر الإنسان الكتابة، وأسس النظم الإدارية والاقتصادية والسياسية، وأتقن الفنون المختلفة. ودخل المجتمع البشري إلى ما يسمى: عهد الحضارات، أو المدنيات القديمة (Redman 1978; Renfrew & Bahn 1991).

ولكثرة الأبحاث الأثرية في منطقة الشرق الأدنى واستمرارها لأكثر من قرن، وضع المختصون تسلسلاً دقيقاً لتتابع المراحل الحضارية في فترة ما قبل التاريخ، بدءاً بظهور أول آثار لجماعات بشرية في المنطقة منذ نحو ١,٣ مليون سنة مضت (Whalen et al 1986). وقد أتاح لهم الدليل الآثاري، المتميز بالوفرة وإمكانية تأريخه علمياً، رسم إطار تعاقب الأدوار الحضارية، محددين لكل واحد منها خصائصه الحضارية، وكذلك مقارنته مع بقية أقاليم الشرق الأدنى.

وقد أظهرت الأبحاث الآثارية الحديثة أن المملكة العربية السعودية لم تكن بعيدة عن هذه المسيرة الحضارية، كما تدل على ذلك المكتشفات، التي سنشير إلى بعضها في هذا البحث. ومع ذلك، لا بد من القول إن ما اكتشف حتى الآن لا يكفي لإعطائنا صورة كاملة عن مسيرة حياة الجماعات البشرية خلال فترة ما قبل التاريخ؛ فهناك الكثير من الفجوات، أو المسائل المُعلقة، التي تحتاج للإيضاح. فالعمل الأثري في المملكة، على الرغم من الاهتمام به مؤخراً، يظل مطلوباً لسد هذه الثغرات (محمد علي ١٤٢١هـ: ١٢٣-١٢٥).

وتشير الأبحاث المنشورة، أيضاً، إلى أن المملكة شهدت من التجارب الحضارية، خلال فترات العصور الحجرية، ما يميزها عن غيرها. ويظهر ما بها من منتجات حضارية، ودلالات لاتصالات حضارية بالمناطق المجاورة لها. إن السجل الحضاري للمملكة يظهر تنوعاً حضارياً واضحاً، خاصة وأنها تغطي مساحة جغرافية شاسعة، مرت بالعديد من التغيرات والتحولات البيئية خلال عصري البلايستوسين والهولوسين، ما كان له الأثر الكبير في حياة الجماعات البشرية الأولى. وقد وجدت البقايا المادية لهذه الجماعات المبكرة في بعض المواقع، التي يعود تاريخها لأكثر من مليون سنة (Rice 1994).

ففي موقع الشويحيطية، شمالي المملكة العربية السعودية، على سبيل المثال، عُثر على أدوات حجرية تعود للعصر الحجري القديم الأسفل، قارنها مُكتشفوها بأدوات حجرية من موقع أولدفاي قورج بتنزانيا، وهو أحد أهم المواقع الأثرية بشرق أفريقيا. وتدل البقايا الأثرية بموقع الشويحطية على عمق الاستيطان البشري في هذا الجزء من العالم القديم (Whalen et al 1986, Whalen et al 1989). وقد أكدت التقارير الأثرية وجود تجمعات بشرية في المملكة العربية السعودية، على امتداد فترة العصر الحجري القديم، خاصة في الشمال والوسط والجنوب الغربي. وتشير الدراسات الآثارية والأنثربولوجية إلى أن المجتمع البشري بصفة عامة، اتجه خلال الفترة اللاحقة نحو التوسع والتعقيد في العلاقات الاجتماعية، وفي المنتجات المادية، والنظم الاجتماعية، وفي المعتقدات الفكرية والدينية. وقد أشرنا إلى إرهاصات هذا التطور الحضاري، الذي يوسم بالعصر الحجري الحديث، آنفاً . ومن المعروف أن منطقة جنوب غربي آسيا كانت إحدى أقدم الأماكن، التي حدث فيها هذا التحول المهم في حياة الإنسان. وقد تمثّلت معايير هذا التحول في إنتاج القوت من خلال تربية الحيوان والزراعة، وصناعة الفخار والفنون المختلفة (كما ذكرنا من قبل)، إلا أن وتيرة هذا التطور الحضاري لم تكن متساوية في كل الأماكن. وبيّن العلماء أنه لم يكن تطوراً في خط آحادي (Linear) جامد، كما أن تعبيراته المادية لم تكن هي الأخرى متساوية في كل المجتمعات (Binford 1974).

وتُعد هذه المعلومات مدخلاً ضرورياً لتناول خصائص فترة العصر الحجري الحديث في المملكة، وذلك من خلال دراستنا لموقع الثمامة، الذي وصفه فريق وكالة الآثار في عام ١٤٠٣هـ بأنه يمثل مستوطنة أو قرية تعود إلى تلك الفترة. ويمثل التأكد من هذه الافتراضات أحد الأهداف الأساسية لمشروع الثمامة الأثري. وقد ذُكر في تقرير بعثة وكالة الآثار والمتاحف أن مستوطنة الثمامة، يمتد تاريخها خلال العصر الحجري

الحديث والفترات التاريخية اللاحقة، وقُدِّر لها الفترة بين ٥٠٠٠- ١٠٠٠ ق. م. وفي المرحلة الأولى من استيطان موقع الثمامة، يشير التقرير إلى اعتماد الناس على الصيد واستئناس الحيوان والزراعة البدائية، ولكنهم لم يصنعوا الفخار بعد (أبو درك وآخرون ١٤٠٤).

إن ما يجدر ذكره في هذا المقام، أن بعثة وكالة الآثار والمتاحف لم تذكر دليلاً واحداً على استئناس الحيوان أو الزراعة. وقد كان اعتماد الباحثين في تحديد انتماء الموقع للعصر الحجري الحديث، منصباً على نوع الأدوات الحجرية، التي وجدت بالموقع، وهي الحراب المميزة الصنع من حجر الصوان، التي شُحذت من الوجهين بواسطة تقنية الضغط أو الطرق الخفيف، إضافة إلى صناعة المخارز والنصال ورؤوس السهام الدقيقة. وقد كشف فريق العمل ما وصف بأنه مبانٍ سكنية، تتمثل في منشآت حجرية دائرية الشكل. أما مرحلة ما بعد العصر الحجري الحديث، فمثلتها المباني الدينية، التي صنفت إلى خمسة أنواع، مثل: الأبنية الشريطية، أو الدائرية، أو البيضاوية، أو المستطيلة؛ والنوع الآخر من المنشآت هو المدافن، التي لم يرد وصف دقيق لها في ذلك التقرير. ولعل من أكبر الاشكالات التي ارتبطت بأعمال التنقيب بالموقع، عدم نشر تقرير علمي مفصل للعمل الأثري بموقع الثمامة، وطبيعة البقايا الأثرية التي كشف عنها، وعلاقتها بعضها ببعض (أبو درك وآخرون ١٤٠٤)، وهي ما ستناقش في ثنايا هذا البحث.

توضح التقارير والأبحاث المنشورة أن آثار العصر الحجري الحديث، وجدت بنسب متفاوتة في كل أقاليم المملكة العربية السعودية تقريباً. وقد نشرت بعض هذه التقارير في شكل ملاحظات ميدانية، كتبها مستكشفون أو هواة، منذ بداية القرن الميلادي الماضي. ولكن الأدبيات العلمية يمكن إرجاعها لثلاثة مصادر أو أعمال ميدانية رئيسية؛ أولها، مكتشفات بعض الجيولوجيين العاملين في شركة أرامكو، عندما قدموا للمساهمة في عمليات التنقيب عن البترول. وكانت مساهمتهم تتركز في المنطقة الشرقية وصحراء الربع الخالي. فقد وصفوا فيما كتبوه ملتقطات سطحية، مثل: الأدوات الحجرية المختلفة، وكذلك عظام الحيوانات المتحجرة.

أما المصدر الثاني من الأدبيات الحديثة، فهو ما قامت به فرق البحث، التي شكلتها وكالة الآثار والمتاحف، عندما بدأ المسح الأثري الشامل للمملكة في العام ١٣٩٦ هـ. وقد كان لفترة ما قبل التاريخ نصيب وافر من نتائج هذه الأبحاث، التي أوضحت مناطق انتشار مستوطنات هذه الفترة، كما أبرزت في الوقت نفسه، العديد من التساؤلات، التي ما زالت تنتظر الإجابة. وفي المقام الثالث، يقع ضمن الأدبيات الحديثة ما قام به باحثون سعوديون، نقّبوا أو مسحوا بعض مواقع ما قبل التاريخ، وخاصة فترة العصر الحجري الحديث (Masry 1974). إن محتويات الكثير من هذه التقارير تفيدنا في مجال المقارنة والتحليل، لما اكتشفناه من مواد أثرية في موقع الثمامة.

تُعد صحراء الربع الخالي الغربي من أول المناطق، التي حظيت بنشر معلومات عن وجود مواقع العصر الحجري الحديث، منذ أكثر من نصف قرن، عندما وصف بعض الأوربيين والأمريكيين الأدوات الحجرية، التي جُمعت من المنطقة، مثل: رؤوس السهام، والحراب، والأدوات الورقية المشحوذة من جانبين، وكذلك الأدوات المصقولة. وقد تضمنت تلك التقارير معلومات مفيدة عن الأحوال البيئية في الصحراء، التي كانت مناسبة للاستيطان البشري في فترات معينة، إذ عرفت فترات مطيرة، تعقبها أخرى جافة، حيث تقل المستوطنات أو المواقع الأثرية (Smith and Maranjian 1962). ونشر مكلور ملخصاً لتعاقب أدوار ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية عموماً، مع التركيز على المنطقة الشرقية من المملكة. وربط ذلك بالتحولات المناخية والتاريخ السكاني في المنطقة. وهو يطرح في ذلك أفكاراً أولية، ناقش من خلالها العلاقات الإقليمية للجزيرة العربية خلال العصور الحجرية (McClure 1971). أما مجموعات الأدوات الحجرية من الربع الخالي، التي جمعها في أوقات متباينة، أشخاص من أرامكو، فقد أجريت عليها دراسة تفصيلية تعد مرشدة لدراسات أخرى مماثلة، لأية أدوات تعود للعصر الحجري الحديث يمكن اكتشافها في المنطقة، خاصة إن كانت تحمل السمات التقنية والنوعية نفسها (إيدنز ١٤٠٢هـ).

وبحكم مواقعها على ساحل الخليج العربي، كانت المنطقة

الشرقية مثار اهتمام العلماء منذ وقت مبكر، بسبب كثرة مواقع العصر الحجري بها، وما حوته من مواد أثرية؛ خاصة بعد اكتشاف مواقع لحضارة العبيد فيها. وقد توالت الأبحاث في المنطقة، حيث شملتها وكالة الآثار والمتاحف ضمن مشروع المسح الأثري، كما جرى التنقيب في عدد من المواقع (Oates 1978 ; Masry 1974).

وفي المنطقة الشمالية والشمالية الغربية، بدأ المسح الأثري في ١٩٧٦م، واستمر لسنوات عدة، كُشف خلالها عن الكثير من مواقع العصر الحجري الحديث، التي تحوي أدوات حجرية مثل: النصال، والشفرات المبتورة، والمناقش. وقد وجد في بعض هذه المواقع منشآت حجرية، مثل الدوائر وبقايا الأكواخ، ويعتقد أن بعضها يعود للفترة الزمنية نفسها. وهكذا، فإن ارتباط المنشآت الحجرية بمستوطنات العصر الحجري الحديث في المملكة، ظاهرة متكررة في أكثر من مكان (آدمز وآخرون ١٩٧٧، بار وآخرون ١٩٧٨، انجراهم ١٩٨١ كأمثلة للتقارير عن المنطقة الشمالية من المملكة) وما وجد في الثمامة يجب أن ينظر إليه من خلال هذه المعطيات.

كذلك، لا بد من الإشارة إلى المسح الأثري الشامل، الذي أجرته وكالة الآثار والمتاحف في منطقة الرياض، وهي المنطقة التي تشمل موقع الثمامة وما يحيط بها من مواقع أخرى. يحتوي التقرير على معلومات مفصلة عن البيئة الطبيعية والجيولوجيا في المنطقة، ما يؤسس قاعدة معلومات ضرورية لفهم التسلسل الحضاري، الذي يبدو أنه استمر من الفترة الآشولية إلى ما بعد العصر الحجري الحديث . ويُذكر في هذا التقرير أن معثورات العصر الحجري الحديث في منطقة الرياض تنتمي، من ناحية التصنيف الآثاري، إلى المواد، التي اكتشفت في الربع الخالي الغربي وكذلك المنطقة الشرقية. واعتمد الباحثون على أن ظهور رؤوس السهام مشحوذة الوجهين والشوكية منها، علامة على بداية هذه الفترة في منطقة نجد. وقد أمكن تمييز ثلاثة وعشرين موقعاً من ثمانية وخمسين موقعاً حول مدينة الرياض، تعود لهذا العصر (زارينس وآخرون ١٤٠١هـ).

ومن الأدوات المعروفة، أيضاً، الشفرات المشذبه والشظايا والمكاشط . وقد أشار التقرير إلى وجود ثلاث بيئات في المنطقة، تنتشر فيها مواقع العصر الحجري الحديث بطريقة مشابهة تقريباً لما لاحظناه في منطقة الثمامة. كما جاء في التقرير، أيضاً، وجود مواقد للنار من الحصى وبقايا منشآت مؤقتة، إضافة لظاهرة كميات الحصى المتشققة بسبب حرارة النار. وقد ورد في التقرير من المعلومات الميدانية، ما يتيح لنا قدراً وافياً من المقارنة.

كذلك، وصف التقرير أنواعاً مختلفة من المنشآت الحجرية السكنية، ومنشآت ذات طبيعة دينية نُسبت إلى فترة حضارية أعقبت العصر الحجري الحديث، أُطلق عليها فترة "البادية المبكرة" (زارينس وآخرون ١٤٠١هـ) .

ومن جهة أخرى، قدم كاتب هذا البحث نموذجاً منهجياً لدراسة وتصنيف المنشآت الحجرية ومقارنتها ببعضها، في دراسة مستقلة في منطقة الدغم، شمال شرقي مدينة الرياض. ومما لاشك فيه أن نتائج تلك الدراسة تحيلنا إلى مناقشة ظاهرة المنشآت الحجرية، ليس في منطقة الثمامة فحسب، بل في كل أنحاء المملكة (Alsharekh 2002)، خاصة أن القاسم المشترك بين تلك الدراسة ومشروع الثمامة الأثري، يتمثل في أن المنطقتين كلتيهما تقعان ضمن التكوين الجيولوجي لهضبة العُرمة، شمال شرقي مدينة الرياض.

منطقة البحث وطبيعتها:

تُعرف المنطقة التي تغطيها هذه الدراسة بـ: "متنزه الثمامة"، وتقع شمال شرقي مدينة الرياض على بعد ٩٥ كلم منها، بين خطي طول ٣٠َ ٤٦ْ و ٥٠َ ٤٦ْ ودائرتي عرض ٢٥َ ٢٥ْ و٠٥َ ٢٥ْ. وقد اشتقت المنطقة اسمها من نبات الثمام ، وهو نبات بري ينمو طبيعياً في المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية ، وتتغذى عليه أنواع مختلفة من الحيوانات.

وتشكل هذه المنطقة جزءاً من التشكيل الجيولوجي المعروف باسم "الرف العربي" (Arabian shelf)، الذي يغطي الأجزاء الوسطى والشرقية من الجزيرة العربية، وهو هضبة رسوبية تحوي تكوينات رملية وجيرية، تتخللها جروف صخرية ، من تكوينات العصر الجوراسي. وتنحدر من الغرب



اللوحة ١: المعالم الطبوغرافية الرئيسة بمنطقة الدراسة.

إلى الشرق باتجاه الخليج العربي، مرتكزة على تكوينات الدرع العربي (Arabian Shield)، الذي تشكّل من تكوينات صخور ما قبل الكمبري (زارينس وآخرون ١٩٧٩: ٩-١٠؛ ١٩٨٠: ١٠؛ ١٩٨١: ١٠). وتُظهر تضاريس السطح في منطقة البحث ثلاثة تكوينات متباينة في طبوغرافيتها وتكوينها الجيولوجي (اللوحة ١)؛ (الخريطة ١).

أ - السلسلة الجبلية :

وتعرف بسلسلة جبال العارض ومنحدراتها. وتمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي. وتحوي تكوينات من الحجر الرملي والجيري الطباشيري، تخللها حجارة متحولة. وقد تعرضت لبعض التصدعات بفعل عوامل التعرية، ما أدى إلى تكوين الكثير من الأخاديد والشقوق والمخابئ الصخرية. ينمو فيها القليل جداً من النباتات الصحراوية، ويتراوح ارتفاعها بين سفوح الجبال ومنحدراتها بين ٨٠٠-٦٤٠م فوق سطح البحر.

ب- الهضبة السفلية:

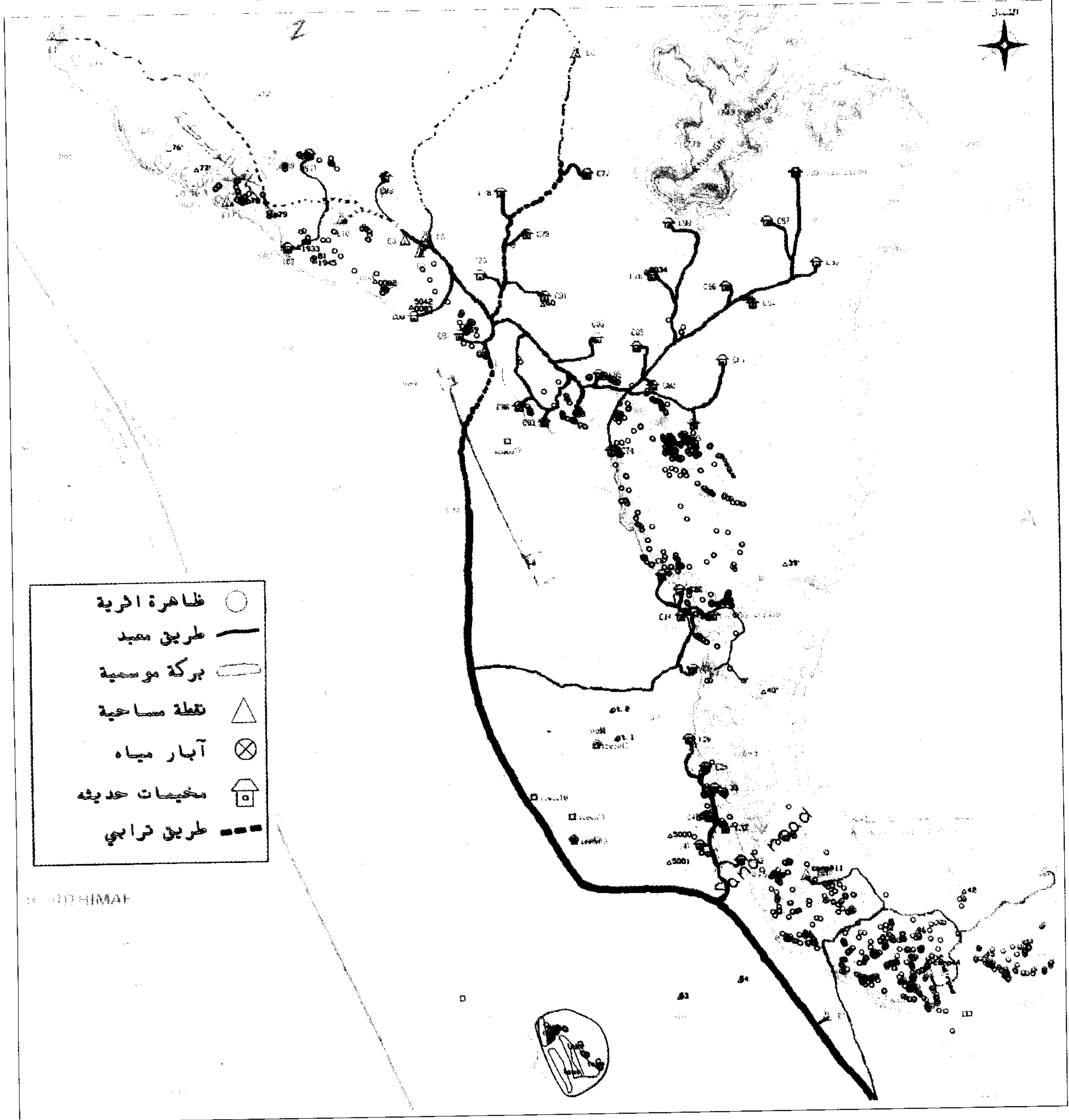
وهي المنطقة التي تلي السلسلة الجبلية مباشرة من ناحيتي الغرب والشمال وتسير بمحاذاتها. وتستند على قاعدة صخرية من الحجر الرملي والجيري، الذي يشكل امتداداً سفلياً للسلسلة الجبلية. وتغطي سطحها طبقة متفتتة من الحجر الرملي والتكوينات الحصوية بفعل التقلبات المناخية. ويتخلل هذه الهضبة الكثير من الشعاب والأودية، التي تنحدر من السلسلة الجبلية حاملة مياه الأمطار الشتوية، وتتراوح في ارتفاعها بين ٦٤٠-٦٠٠م فوق سطح البحر. وتنمو على هذه الهضبة عدة أنواع من الشجيرات والنباتات الصحراوية وشبه الصحراوية .

ج - المنطقة السهلية :

وتعرف باسم "البُطين"، وهي أكثر مناطق الدراسة الثلاث انخفاضاً، حيث يقل ارتفاعها عن ٦٠٠ م فوق سطح البحر. وتلي الهضبة السفلية من ناحيتي الشمال والغرب وتسير بمحاذاتها. وتغطي هذه المنطقة طبقة من الرمل والتكوينات الطينية، التي نتجت عن تفتت الحجر الرملي والترسبات، التي نشأت عن حركة الأودية التي تنحدر إليها من السلسلة الجبلية والهضبة السفلية. وتتسم هذه المنطقة بوجود كثبان

رملية ومنخفضات شكلت بركاً وسبخات قديمة، لا يزال بعضها يحوي تجمعات للمياه في موسم الأمطار. وتشير هذه الظواهر السطحية إلى تأثير الفترات الجافة والمطيرة، والحارة والرطبة، خلال العصور الجيولوجية المتأخرة، خاصة العصر الرباعي بشقيه البلايستوسين والهولوسين. وتنمو في المنطقة حالياً الكثير من النباتات الصحراوية والشجيرات، خاصة في المناطق المنخفضة وحول البرك (السبخات) القديمة.

وكان لا بد من معرفة الظواهر الطوبغرافية لمنطقة البحث، بحكم أنها تقدم دلالات عن اختيار مواضع المواقع الأثرية وأنماط توزيعها. وقد حَكَمَ هذا التباين لاحقاً تقسيمنا للمنطقة وانتقاء العينة، عند إجراء المسح والتنقيب.



الخريطة ١: المواقع الأثرية في متنزه الثمامة بشمال شرقي الرياض (مقياس الرسم ١: ٥٦٠٠٠).

المسح الاستكشافي والمسح الشامل:

في إطار الوقت والإمكانات المتاحة لهذا المشروع، حرص فريق العمل على جمع أكبر قدر من المعلومات، بمناهج علمية، عن التكيف البيئي للجماعات البشرية، التي مارست نشاطاً حضارياً في هذه المرحلة عبر الزمن، من خلال الظواهر واللقى الأثرية، التي يمكن الكشف عنها.

وقد استعان فريق العمل ببعض الخرائط الطبوغرافية المتوافرة للمنطقة، من هيئة المساحة الجيولوجية، التي تظهر بعض معالم السطح والخطوط الكنتورية . غير أنها لم تكن ذات فائدة فيما يختص بالمواقع الأثرية؛ إذ لم تُرصد عليها أية مواقع، بحكم أن المنطقة لم تتعرض لمسح آثاري سابق، ولم تخضع للمسح الآثاري الشامل الذي أجرته الوكالة العامة للآثار والمتاحف (زارينس وآخرون ١٩٧٩، ١٩٨٠ ، ١٩٨١)

وقد تضمنت أولى الخطوات الميدانية مسحاً استكشافياً في منطقة الدراسة، متخذاً من الحافة الجبلية من ناحية الشرق وحدود المتنزه من ناحية الغرب والشمال والجنوب حدوداً للمنطقة. وقد أُجري المسح الاستكشافي بالسيارة والسير على الأقدام، بدءاً بالمواقع التي سبق اختبارها بواسطة فريق من الوكالة العامة للآثار والمتاحف (أبو درك وآخرون ١٤٠٤). وقد اثبت هذا المسح كثافة الظواهر الأثرية وتباينها في الشكل والحجم. كما أثبت -في ذات الوقت ذاته- وعورة المنطقة والمنحدرات الجبلية، حيث تتركز معظم الظواهر الأثرية، الأمر الذي تطلب جهداً خاصاً عند إجراء المسح الشامل.

عقب ذلك، بدأ إجراء المسح الأثري الشامل، وكان مخططاً أن تُقَسّم المنطقة إلى مربعات شبكية (Grid System) أو مسارات متوازية، كما هو متعارف عليه (McIntosh 1999: 48-49)؛ غير أن طبيعة المنطقة ووعورتها أدت إلى تغيير خطوط المسارات، لتساير تضاريس المنطقة تجنباً للأخاديد العميقة والحافات الصخرية، التي حالت أحياناً دون مواصلة السير حتى على الأقدام. وعند تقسيم منطقة الدراسة إلى أقسام فرعية لإجراء المسح، اتبعنا منهج التقسيم الطبوغرافي، فقسّمناها إلى ثلاثة أقسام طبوغرافية أعطيت الرموز التالية (أ، ب، ج- A, B & C) حسب الترتيب أعلاه. وقد نُفّذ المسح عبر وسيلتين: السيارة والسير على الأقدام، في خطوط متوازية أو شبه متوازية.

وفي الحالتين جرت معاينة المعالم الظاهرة على السطح، والوقوف عندها وتمييز ما هو أثري منها عما عداه.

عُرّف "الموقع الأثري" بأنه: الموضع الجغرافي الذي يحوي بقايا حضارية تجمع بينها وحدة مكانية. وتختلف المواقع من حيث عدد الظواهر، التي يحويها كل موقع، من أدوات حجرية، ومبانٍ، وأكوام، ومساطب حجرية، ومقابر.

وقد أمكن الوقوف عند كل ظاهرة أثرية، ووضعت علامة هي عصا خشبية ملونة بطول متر واحد على أعلى الظاهرة، ووضع في أعلى العصا شريط براق بعدة ألوان، وطرفان طافيان لتسهل رؤيته. ومن ثم رؤية الظاهرة عند رصد الإحداثيات من قبل فريق المسح الميداني. وقد حوى "متنزه الثمامة" من الظواهر الأثرية ما فاق تصورنا، إذ بلغت مئات الظواهر، التي تجمّع بعضها مشكّلة وحدة متجانسة في شكلها، حيناً ومتنافرة، أحياناً أخرى. وكانت بعض هذه الظواهر متقاربة، بينما كان بعضها الآخر متباعداً، ما شكّل سؤالاً حول كيفية تحديد أبعاد كل موقع، وما يحويه من ظواهر أثرية. وقد تركنا ذلك لتقديرنا في مواقع المنشآت الحجرية. أما مواقع الأدوات الحجرية، فقد حكمت كثافة وانتشار الأدوات أبعاد الموقع، واضعين في الاعتبار إمكانية انتشار الأدوات الحجرية بسبب عوامل الطبيعة.

وقد استغرق فريق العمل في رصد وتحديد مواقع الأدوات والمنشآت الحجرية، وقتاً فاق ما هو مقدّر له عند إجراء المسح الشامل بسبب كثافة الظواهر الأثرية في المنطقة، من ناحية، وصعوبة الوصول إليها في بعض المناطق الوعرة، من ناحية أخرى (الخريطة ١). وقد تمكن فريق العمل من الوصول إلى تلك الظواهر الأثرية ورصد أغلبها، ما أثر سلباً على الوقت المتاح لبقية جوانب العمل .

التوثيق :

كان لا بد من رصد كل الظواهر والمواقع المكتشفة، وتحديد مواضعها على خريطة طبوغرافية. وقد استعمل فريق من المساحين، ضمن فريق العمل جهازي (جي بي اس



اللوحة ٢: تحديد مواقع الظواهر الأثرية باستخدام جهاز (GPS).

GPS)، أحدهما محمول يدوياً، والآخر ثابت من نوع (Radian)، وهو الأكثر تطوراً، استُعين به لأخذ القراءات الإحداثية لكل ظاهرة أثرية (اللوحة ٢)، ومن ثم إسقاطها على الخارطة. وقد رأينا عند تحديد المواقع أن نعطي الموقع رقماً عربياً يعقب الإشارة لمتنزه الثمامة، الذي أشرنا إليه بالأحرف العربية (ثم) واللاتينية (TH)، ثم وضع رمز أحد مناطق الدراسة الثلاث، التي أشرنا إليها بالأحرف العربية (أ، ب،ج) واللاتينية (A, B, C)، ومن ثم يشار إلى الموقع رقم ٢٠، مثلاً، على النحو الآتي: (ثم-أ-٢٠)، وباللغة الانجليزية (Th-A-20). أما الظاهرة الموجودة داخل الموقع فيرمز لها بحرف أبجدي عربي، أو لاتيني مماثل له في حال نشرت هذه الدراسة بغير اللغة العربية؛ فيشار إلى الظاهرة الرابعة في الموقع ٢٠ مثلاً بـ (ثم-أ-٢٠-د)، وبالحرف اللاتيني (Th-A-20d).

وقد درجنا عند توثيق المواقع الأثرية على تعبئة استمارة مسح لكل موقع، تحوي رقم الموقع وما يحويه من ظواهر، مع وصف مختصر لها ووصف عام للموقع والمنطقة المحيطة به وأبعاده، ونحو ذلك. ثم تؤخذ الصور الفوتوغرافية اللازمة للمواقع، بوجه عام، وتفاصيل الظواهر من اتجاهات مختلفة، حسب الوقت من النهار الذي فيه التصوير. كذلك، جُمعت ملتقطات سطحية من مواقع الأدوات الحجرية لتكون ممثلة للموقع لاختبارها قبل البدء في التنقيب .

اختيار المواقع واختبارها :

بعد رصد المواقع والظواهر الأثرية وتوثيقها، كان لابد من انتقاء منهج يسمح باختيار عينة مُمثلة للمواقع بكل أنواعها، آخذين في الاعتبار كذلك مواضعها حسب التوزيع الطبوغرافي، وأنماط ذلك التوزيع (الخرائط ٢-٤). واستناداً على ذلك، اختيرت مواقع من المناطق الثلاث شملت الأنواع المتوافرة في المنطقة؛ فوقع الاختيار مبدئياً على المواقع الآتية من المناطق الثلاث :

١- **منطقة أ (السلسلة الجبلية):**

مواقع المنشآت الحجرية: (ثم-أ-١١) و (ثم-أ-١٢).

مواقع الأدوات الحجرية: (ثم-أ-٨)، (ثم-أ-٩)، (ثم-أ- ١٠).

٢- **منطقة ب (الهضبة السفلية):**

مواقع المنشآت الحجرية: (ثم-ب-١).

٣- **منطقة ج (المنطقة السهلية):**

مواقع الأدوات الحجرية المتضمنة لمواقد النار: (ثم- ج - ١).

وعند اختيار هذه المواقع تطلّب كل منها منهجاً يتناسب وطبيعة الموقع ، كتحديد منطقة تجميع أدوات حجرية واحدة

أو أكثر (collection area)، بأبعاد تتراوح بين (٤ × ٤)م أو (٤ × ٨) م مثلاً، حسب امتداد الموقع بالنسبة لمواقع الأدوات الحجرية . وجمع كل ما تحويه المساحة المختارة من أدوات حجرية، ثم اختبار ما تحت السطح على أمل أن يكون للموقع امتداد رأسي وتراكم للمعثورات الأثرية. وحين نلاحظ اختلافاً في نوع المعثورات على السطح، ما يوحي بنشاط مختلف بين مكان وآخر، تُقسّم المساحة المختارة إلى مربعات أصغر، وتجمع معثورات كل مربع على حدة.

أما المنشآت الحجرية، على اختلافها، فقد حُفرت مجسات عند جدرانها لكشف أساساتها وأبعادها، إلى حين إجراء التنقيب.

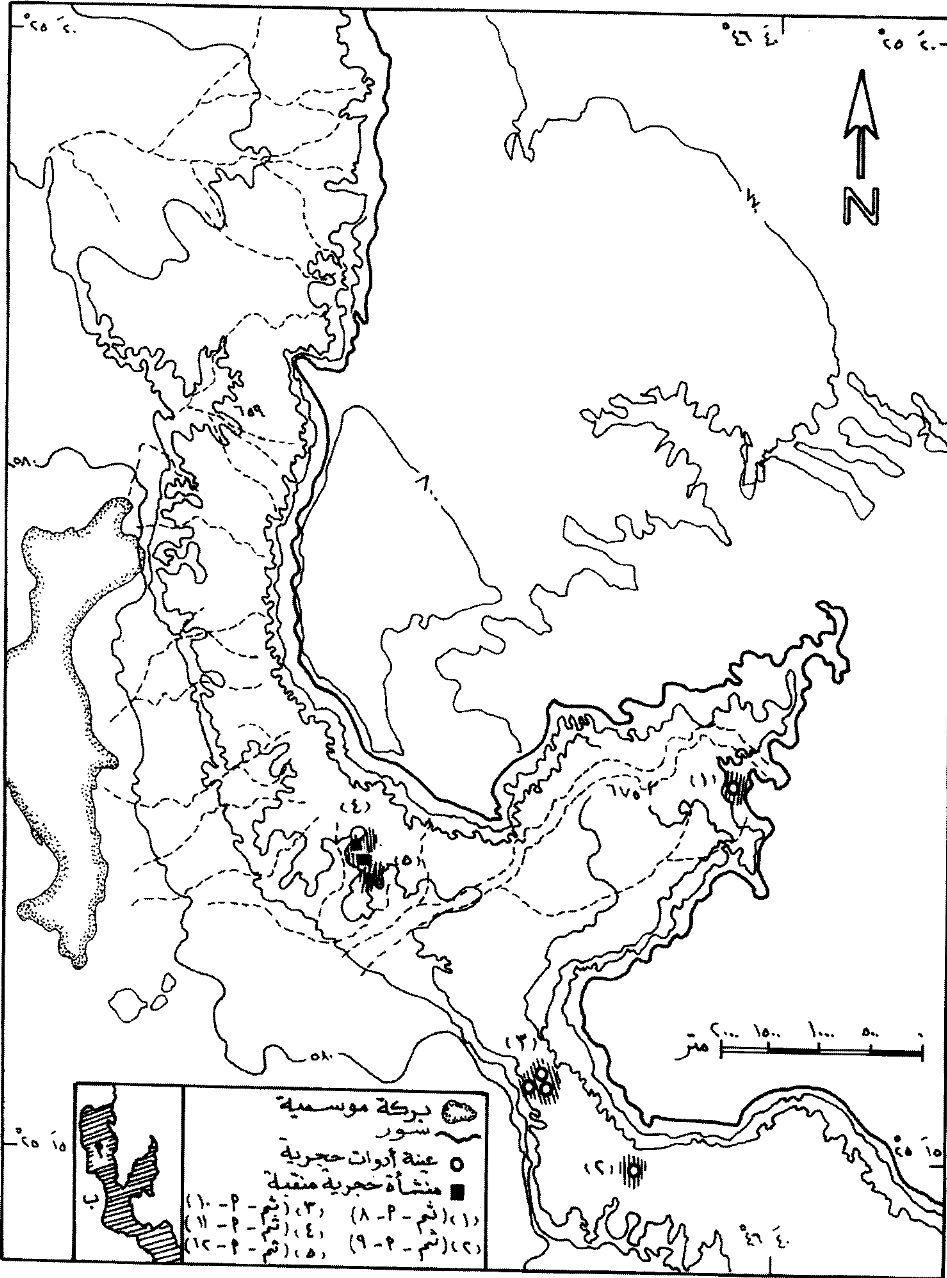
التنقيبات الآثارية

مواقع المنشآت الحجرية:

أسهم الجهد المكثف، الذي بُذل في مسح الأجزاء المختلفة من منطقة الدراسة، والتوثيق المساحي الدقيق لكافة الظواهر الأثرية، في التعرف على التنوع الكبير لأنماط المنشآت الحجرية، الذي تتمتع به الثمامة. وكجزء من خطة العمل لهذا المشروع، حرص فريق العمل على تنقيب عدد مختار من هذه المنشآت الحجرية، بحيث تعكس التنوع المعماري، الذي تزخر به منطقة الدراسة.

وقد بُدء باختيار عدد من المنشآت الحجرية من منطقة (أ)، كونها الأكثر غزارة في هذا النوع من الظواهر الأثرية، من جهة، ولتعدد أنماطها، من جهة أخرى.

ولما كانت المنشآت الحجرية بمنطقة (أ) تتوزع جغرافياً، إما على شكل مجموعة وحدات أثرية مرتبطة مكانياً ببعضها، أو على شكل وحدات منفردة ليس لها ارتباط مكاني بأية ظواهر أثرية أخرى، حرص الفريق البحثي على اختيار نماذج تعكس هذا التنوع الحضاري، الذي يشير إما إلى علاقة مكانية (Spatial) بين الظواهر الأثرية المختلفة، أو زمانية (Temporal) أو إليهما معاً (الخريطة ٢).



الخريطة ٢: المواقع الأثرية المنقبة وعينات الأدوات الحجرية بمنطقة (أ).



اللوحة ٣: منظر عام يبين الظواهر الأثرية بموقع (ثم-أ-١١).

ويشتمل التقرير الحالي على وصف لتنقيب كامل لثلاث ظواهر أثرية من موقعين في منطقة (أ)، وظاهرة واحدة من منطقة (ب)، كعينة للمنشآت الحجرية الموجودة بمنطقة الدراسة.

منطقة (أ):

أ- الموقع (ثم - أ- ١١/ Th-A-11)

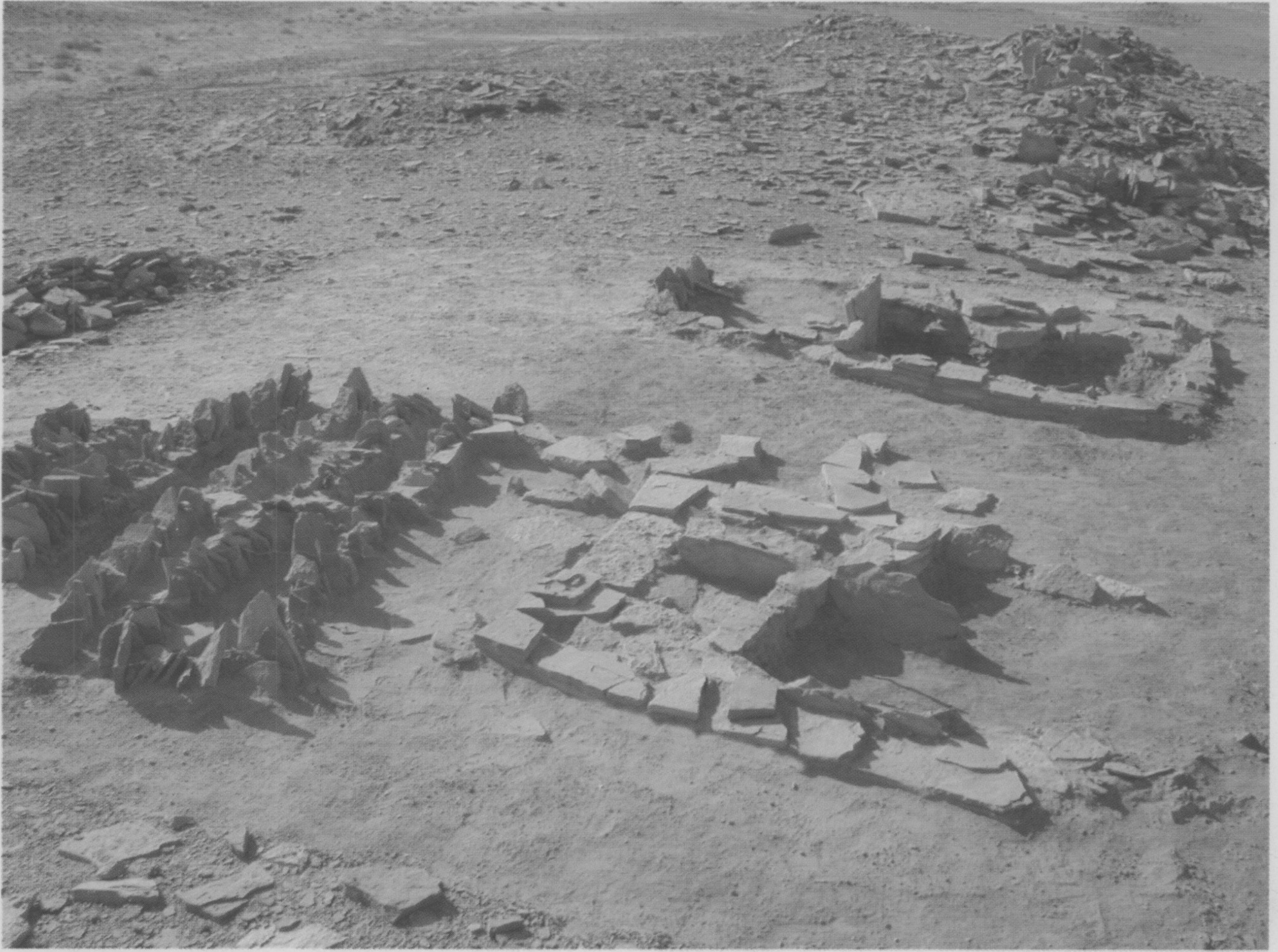
وقع الاختيار على ظاهرتين أثريتين من الموقع (ثم-أ-١١)، الواقع على ربوة صغيرة، ويشتمل على سلسلة من المنشآت الحجرية المختلفة الشكل والحجم (اللوحة ٣).

أُعطيت كل واحدة من الظاهرتين رمزاً خاصاً بها، كما ذكرنا، أحدهما (ثم-أ-١١-أ)، والثانية (ثم-أ-١١-ب). وبُدء بوضع مخطط شبكي أبعاده ١٠ × ١٠ م، ليشمل كلا الظاهرتين.

الظاهرة (أ): بعد التصوير أُزيلت الأحجار المتناثرة على الظاهرة (أ) وحولها، إضافة إلى الرمال وكتل الأحجار غير المنتظمة التي تغطي الظاهرة، حتى ظهر الشكل الخارجي لها. وبعد إزالة العديد من الأحجار الساقطة حول الظاهرة، اتضح أنها تأخذ شكلاً مستطيلاً، حيث تبلغ أبعادها (٢٦٠ سم × ٢٣٥ سم). وقد أظهر التنقيب الرأسي للظاهرة أن عمقها يبلغ ٤٠ سم. وبعد ذلك أُزيلت الرمال الموجودة داخل الظاهرة، التي تخللتها ألواح حجرية (Slabs) بأحجام مختلفة. ولم يُظهر المقطع الذي حُفر في جزء من الظاهرة أي دلائل حضارية بعد ذلك العمق. وأما مجموعة الأحجار الطولية الصغيرة المصفوفة شرقي الظاهرة (أ)، فقد بلغ طولها من الشمال إلى الجنوب ٩٠ سم، وارتفاعها نحو ٣٥ سم؛ ولم تكن هناك دلالة تفيد بوجود بقايا أثرية تحتها. وبعد انتهاء التنقيب، ظهر الشكل الكامل لهذه المنشأة الحجرية، وهي عبارة عن بناء من الحجر المرصوف، بألواح حجرية غير متساوية الحجم والأبعاد فوق بعضها بشكل أفقي، من الجهتين الشمالية والجنوبية بعمق ٣٢ سم.

وأما الجهة الغربية من الظاهرة (أ)، فلا توجد فيها سوى أحجار صغيرة موضوعة بشكل أفقي، ولا تشكل جداراً متماسكاً، كما هو الحال في بقية الأضلاع. وقد خلت الظاهرة من أية بقايا مادية، عضوية كانت أو غير ذلك.

الظاهرة (ب): تقع إلى الشمال من ظاهرة (أ)، وتفصل بينهما مسافة تقدر بمترين. تشتمل هذه الظاهرة على قسمين رئيسين: الأول خمسة صفوف من الأحجار المرصوفة



اللوحة ٤: لقطة للموقع (ثم-أ-١١) باتجاه ج/ش بعد التنقيب، وتظهر الظاهرتان (أ)، في منتصف الصورة، و(ب)، في مقدمتها، وإلى الشرق منها صفوف من الأحجار الرأسية.

بشكل رأسي، لا يتجاوز ارتفاعها أكثر من ثلاثين سنتميتر عن سطح الأرض. وأما القسم الثاني، فيتمثل في كميات من الأحجار الطولية المتساقطة والمتناثرة بكميات كبيرة غربي الأحجار الطولية الواقفة.

عقب تصوير الظاهرة، نُظِّف سطحها الخارجي بإزالة الأحجار الساقطة، وأُزيلت الأتربة التي تغطي الجزء العلوي منها، فظهرت مجموعة من الأحجار المتكتلة بشكل أفقي، على بعض أجزاء الظاهرة. ومن ثم تتبعت الجدران الخارجية بحفر مجسات على امتداد الجدران، أوضحت أن الظاهرة تنقسم إلى أربعة أقسام. كما يوجد جدار مكون من صفوف من الأحجار الموضوعة بشكل أفقي، فيما عدا الجهة الغربية. ويوجد في وسط الظاهرة ما يشبه الجدار الحجري المكّون من ألواح حجرية، باتجاه شمال-جنوب، بينما يوجد حجران موضوعان بطريقة رأسية، باتجاه شرق-غرب. وقد غطي القسمان الواقعان باتجاه الشرق بمجموعة من الحجارة ذات الشكل المصفح، بينما لا يوجد في القسمين الواقعين إلى الشرق سوى الأتربة والأحجار المتساقطة. وبعد ذلك، أُزيلت الأحجار، التي تغطي القسمين الواقعين شرقي الظاهرة، وحفرت الظاهرة إلى عمق ٣٠ سم، لتصل إلى الطبقة الصخرية الطبيعية. وعند إزالة الرديم بين صفوف الأحجار الواقعة شرقي الظاهرة (ب)، لم تكن أجزاؤها السفلية عميقة بدرجة كبيرة.

ولم تسفر أعمال التنقيب في الظاهرة (ثم-أ-١١-ب) عن كشف أي بقايا أثرية (اللوحة ٤)، ما يثير العديد من التساؤلات حول الدور الوظيفي للظاهرتين (أ) و (ب) بالموقع (ثم-أ-١١).

ب- الموقع (ثم-أ-١٢/ Th-A-12)

يحتل الموقع موضعاً في مجرى ماء صغير منخفض نسبياً، وهو ركام بيضاوي الشكل تغطيه الأتربة والأحجار، كما يبدو ظاهرياً. وتقع هذه الظاهرة في منخفض ينتهي إلى أحد الشعاب، التي تنحدر باتجاه الجنوب لتلتقي بأحد الأودية الكبيرة، الذي يصب غرباً في المنطقة (ج). وقد رصف أعلى التل بمجموعة من الحجارة، وضعت بشكل عشوائي فوق بعضها، وتغطيها كميات من الأتربة. وفي الجهة الغربية، يظهر مدخل لهذه الظاهرة، تُشاهد على جانبيه حجارة مصفوفة بشكل منظّم على أرضية صخرية، وينتهي بحجر طولي يأخذ وضعاً رأسياً. ويبلغ طول الظاهرة نحو ٤م أقصى عرض لها نحو ٢,٥ م (اللوحة ٥).

بعد إزالة الحجارة الخارجية التي تغطي سطح الظاهرة، ظهر بناء مستطيل الشكل مغطى بحجارة وتربة طينية/ رملية متماسكة. وقد اتضح وجود مجموعة من الألواح الحجرية، التي ترتكز على حائطين حجريين على الجانبين، ما يوحي بوجود لحد قبر. وبعد إزالة الألواح الحجرية ظهرت تربة تغطي الجزء العلوي من المدفن، يبدو أنها تسربت عبر فجوات الألواح الحجرية. وبعد إزالة هذه الأتربة بشكل تدريجي، وعلى عمق نحو ٧-١٠ سم، ظهرت كسر عظمية صغيرة لجزءٍ من هيكل عظمي بشري، تمثلت في أجزاء من عظام الأطراف، كما يبدو، من تجويفة النخاع. وهناك كسر عظام أخرى صغيرة من الجمجمة، كما يبدو من سمكها والثقوب التي بها. فغربل فريق العمل التربة، وجمع منها نحو ٠,٧٥ كيلوجرام من العظام الصغيرة المتفتتة. وبالقرب من الأرضية الصخرية التي تقف عليها الظاهرة، وجد حجر مستطيل الشكل موضوع بصورة أفقية لا تتجاوز سماكته ٥ سم، يُمثل مسنداً خاصاً لوضع رأس الميت عليه؛ وبالقرب من



اللوحة ٥: الظاهرة (ثم-أ-١٢) بعد إزالة بعض الأحجار الخارجية التي تغطي سطحها.

هذه الوسادة الحجرية عثر على جزء من عظم العضد، ما يشير إلى أن الجثمان قد وضع على جانبه الأيمن متجهاً إلى الشمال، والرأس في اتجاه الشرق. وفي موضع الجزء الأسفل من الهيكل، عُثر على جزء من عظم القصبة، (أحد عظمي الساق)، بينما لم يُعثر على بقية أجزاء الهيكل (اللوحة ٦).

لم يُعثر على أية بقايا أثرية أخرى داخل هذه الظاهرة. وتبلغ أبعاد اللحد، الذي وجدت فيه بقايا الهيكل ٢,٣٥ م طولاً و٠,٣ م عرضاً، ويبلغ عمقه ٠,٤ م. وعلى مسافة ٢,٢م من نهاية اللحد إلى جهة الغرب رصت ألواح حجرية بطول ٠,٧ م.

منطقة (ب)

أ- الموقع (ثم-ب-١/ Th-B-1)

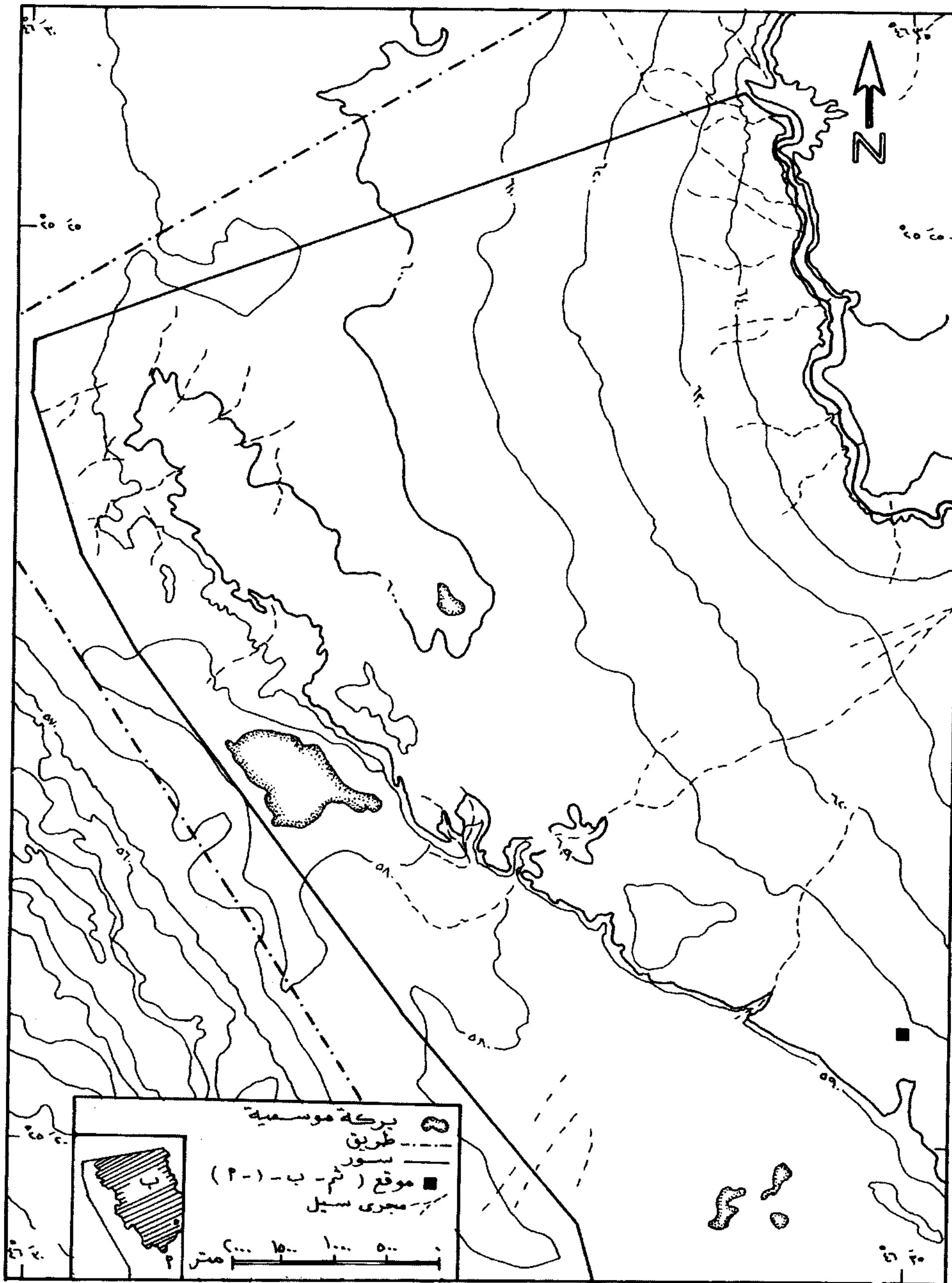
يحتل هذا الموقع ربوة مرتفعة نسبياً في المنطقة (ب)، تلي منحدرات السلسلة الجبلية من جهة الغرب، وتطل على المنطقة السهلية (الخريطة ٣). يمتد الموقع لمسافة ٣٠٠م شرق-غرب، ونحو ٢٠٠م شمال-جنوب، ويحوي عدداً من المنشآت الحجرية.

ومن بين هذه المنشآت الحجرية مبان حجرية، وأكوام ركامية يصل عددها إلى ثماني ظواهر أثرية (اللوحة ٧).

يرتكز الموقع على طبقة متفتتة من الحجارة الرملية التي تعلو الطبقة الصخرية، تشكل امتداداً للسلسلة الجبلية في المنطقة (أ). ويشق الموقع من الشرق إلى الغرب طريق حديث بعرض ٣م. وقد اختير مبنى حجري للتنقيب بحكم أنه يشكل ظاهرة تختلف عما حولها، ومن ثم يمكن اتخاذه عيّنة للمباني الحجرية في منطقة (ب)، وقد أُعطي المبنى رقماً خاصاً به.

الظاهرة: (ثم-ب-١-أ).

تحتل هذه الظاهرة الحجرية الجانب الغربي من الموقع، وهي بناء مستطيل الشكل يرتفع تقريباً إلى نحو ١,٣٠م، ما



الخريطة ٣: ظاهرة أثرية منقبة في منطقة (ب).



اللوحة ٦: الظاهرة (ثم-أ-١٢) بعد إزالة الرديم وكشف اسلوب عمارة المدفن.

عدا الجانب الغربي، الذي يقل ارتفاعه قليلاً. وتشير الأحجار الموجودة داخل وخارج المبنى، إلى تساقط كميات كبيرة من الأحجار من الجزء العلوي من المبنى، يبدو أنها سقطت بفعل عوامل طبيعية. ويصل طول المبنى إلى نحو ٧,٤م وعرضه إلى ٢م، وهناك بناء شبه مربع شمالي البناء المستطيل، والذي ربما أضيف في فترة لاحقة، ومكون من مجموعة من الألواح الحجرية.

بدأ العمل بحفر مجسات على امتداد جدران المبنى الحجري من الخارج، وكذلك إزالة الرمال والأحجار المتراكمة داخل المبنى، وذلك بتتبع أساسات جدران المبنى الحجري حتى الوصول إلى أرضية المبنى. وأظهرت أعمال التنقيب بالموقع أن جدران المبنى تتكون من ألواح حجرية كبيرة إلى متوسطة الحجم، ورصت فوق بعضها بطريقة منتظمة، ودون وضع أي مادة مُثبتة.

ويتوسط الجدار الجنوبي للمبنى الحجري لوح حجري كبير الحجم، يصل عرضه إلى نحو ١,٤م، يشكل الجزء



اللوحة ٧: الظاهرة (أ) في موقع (ثم-ب-١) قبل البدء بتنقيبها.

الأعظم من الجدار، وبطول يبلغ نحو ١,٣٠م. وبعد إزالة ٠,٥م من الرمال والكتل الحجرية الكبيرة والمتوسطة الحجم المطمورة داخل المبنى، كُشف عن حائط حجري يمتد باتجاه شرق-غرب، ويبعد نحو ٣,٥م من الجدار الشمالي للمبنى الحجري؛ ويقسم المبنى إلى قسمين متساويين تقريباً. كما وجدت رصة من الحجارة متوسطة وصغيرة الحجم تغطي جزءاً من أرضية المبنى (اللوحة ٨). ولم يُعثر على أية بقايا مادية في هذه الظاهرة تكشف عن وظيفتها وطبيعة استخدامها.

مواقع الأدوات الحجرية :

كان أحد نتائج المسح الأثري الذي أجري في منطقة الثمامة، اكتشاف عدد من مواقع الأدوات الحجرية، التي يبلغ عددها نحو ١٥ موقعاً، في مناطق المسح "أ" و"ب" و"ج". وقد اختيرت ثلاثة من هذه المواقع المكتشفة لجمع عينات من الأدوات الحجرية المنتشرة فيها ودراستها. كما سُجِّلت كل الملاحظات المتعلقة بها من معلومات جيمورفولوجية، أو ظواهر طبيعية، لها علاقة مباشرة بتوزيع المواد الأثرية في مساحة الموقع، التي حددت بالطريقة الموصوفة سابقاً. وقد جمعت الأدوات من أكثر من قطاع من المساحة الكلية للموقع لمعرفة مدى التنوع في أشكال أو أعداد أنواع معينة من هذه الأدوات. وما يجدر ذكره أن هذه المواقع لم تمدنا بمواد عضوية من أي نوع كان، وذلك بسبب وجود المعثورات الحجرية على السطح فقط. كذلك، وجدت بعض هذه المواقع بالقرب من منشآت حجرية متنوعة، أو في المكان نفسه. وفي حالات أخرى، وجدت معزولة عن أي ظاهرة أثرية أخرى. وفيما يلي وصف لهذه المواقع، وما وجد فيها من أدوات حجرية .

موقع (ثم-ج-١/ (Th - C- 1)

يعد هذا الموقع أكبر مواقع الأدوات الحجرية بالمنطقة (ج)، إذ تنتشر فيه البقايا الأثرية على مساحة واسعة وبكثافة متباينة، تبلغ نحو كيلو متراً مربعاً (الخريطة ٤). وعلى الرغم من أن هناك مساحات فاصلة بين تجمعات الأدوات الحجرية، إلا أنها تمثل موقعاً واحداً هو أحد المعسكرات المؤقتة للصيادين، الذين عاشوا بالقرب من أماكن تجمع مياه الأمطار في برك صغيرة في المنطقة (ج) (اللوحة ٩).



اللوحة ٨: الظاهرة (أ) في موقع (ثم-ب-١) بعد إزالة كميات كبيرة من الرديم.



اللوحة ٩: منظر عام لموقع (ثم-ج-١)، وفيه أحد مناطق تجميع الأدوات الحجرية.

ومن الظواهر الأثرية الملفتة للنظر في هذا الموقع، وجود العديد من مواقد النار التي تتمثل في أكوام من الحصى في مساحة دائرية محدودة، يبلغ متوسط قطر كل من تلك المواقد نحو نصف المتر. وتشير المعطيات الميدانية إلى أن هذه المواقد ربما كانت جزءاً من مخلفات الصيادين، الذين تركوا لنا تلك الأدوات الحجرية، كما سيتضح من الوصف التالي. وقداختيرت ثلاثة قطاعات لجمع الأدوات الحجرية، كعينة مُمثلة للموقع، هي :

أ- منطقة التجميع الأولى: (ثم-ج-١-أ):

تبلغ مساحتها ٥ × ٥م، وجمعت منها أدوات حجرية وما نتج عن تصنيعها من كسر وبقايا نوى (cores)، وهي محدودة العدد ولا تزيد كثافتها عن أربع قطع في المتر المربع الواحد (اللوحة ٩). ويبلغ عدد الأدوات المشحوذة نحو (١٨) أداة، تشمل مخارز ومثاقب وشظايا مشحوذة جزئياً. وهي أدوات محدودة التنوع ومشحوذة بطريقة سطحية ولم يبذل فيها جهد واضح. وهناك قرصان (discs) من الحجر الرملي، أحدهما مكسور والآخر دائري يبلغ قطره نحو ٨ سم ، وهو أملس في وجه ومتآكل في الآخر .

وتبدو هذه المجموعة من الأدوات محدودة، ولا يوجد فيها أثر لتقنية النصال، كما أن مستوى الشحذ ضعيف ولا يشبه ما وجد في مناطق أخرى، من الموقع نفسه. كذلك، تغيب عن هذه المجموعة الأدوات المشحوذة من كلا الوجهين، ورؤوس السهام. وليس واضحاً حتى الآن ما إذا كان هذا الأمر يعكس تنوعاً أو اختلافاً بين المساحات، التي جمعت منهما هذه الأدوات، وما إذا كانت تعكس تنوعاً وظيفياً في الموقع، أم أنها مسألة تتعلق بالفارق الزمني بين هذه المجموعات؟

ب- منطقة التجميع الثانية (ثم-ج-١- ب) :

تبلغ مساحة هذه المنطقة من الموقع (٤ × ٤م)، جمع منها مجموعة من القطع الحجرية، كثافتها محدودة أيضاً. وكالعادة، فإن معظم القطع، وعددها (٩٧) قطعة، هي كسر وشظايا أولية وأخرى ناتجة عن عمليات تصنيع الأدوات. أما الأدوات المشحوذة (Retouched Pieces) فعددها ٢٦ قطعة، أكثرها تميزاً رؤوس السهام، وعددها (٢)، وهي مشحوذة بطريقة رفيعة في أحد وجهي الأداة (اللوحة ١٠)، وهي جيدة الصنع مدببة الرأس تماماً، وأحدها مسنن الأطراف ويبلغ طوله نحو ٣ سم.

ويضاف إلى ذلك جزء من حربة، وهي نصل مستطيل الشكل مشحوذ بطريقة الضغط من الجهتين (اللوحة ١٠). أما

بقية الأدوات المشحوذة، فقليلة العدد، وتحوي المكاشط شبه الدائرية والمثاقب والشظايا، التي عليها تشذيب سطحي ومحدود. ويلاحظ أن هذه المجموعة تشمل القليل من النصال، وهي أكثر تشابهاً من تلك الموجودة في منطقة التجميع الثانية.

وقد وجد في هذه المنطقة من الموقع موقد نار (hearth)، ويتكون من مجموعة من حصى الكوارتز والشيرت، الذي جمع في شكل شبه دائري. وقد رصفت الحجارة بعناية واضحة، بعد أن حفر سطح الأرض قليلاً بنحو ١٥ سم. وخلال عملية إزالة الحصى، بدت كتل التربة المحروقة والرماد وقليل من بقايا الفحم، الذي جمعت منه عينة للتأريخ الكربوني (C14).ومن الناحية المبدئية، فإن كل المؤشرات الميدانية تشير إلى ارتباط الأدوات الحجرية بموقد النار (اللوحة ١١).

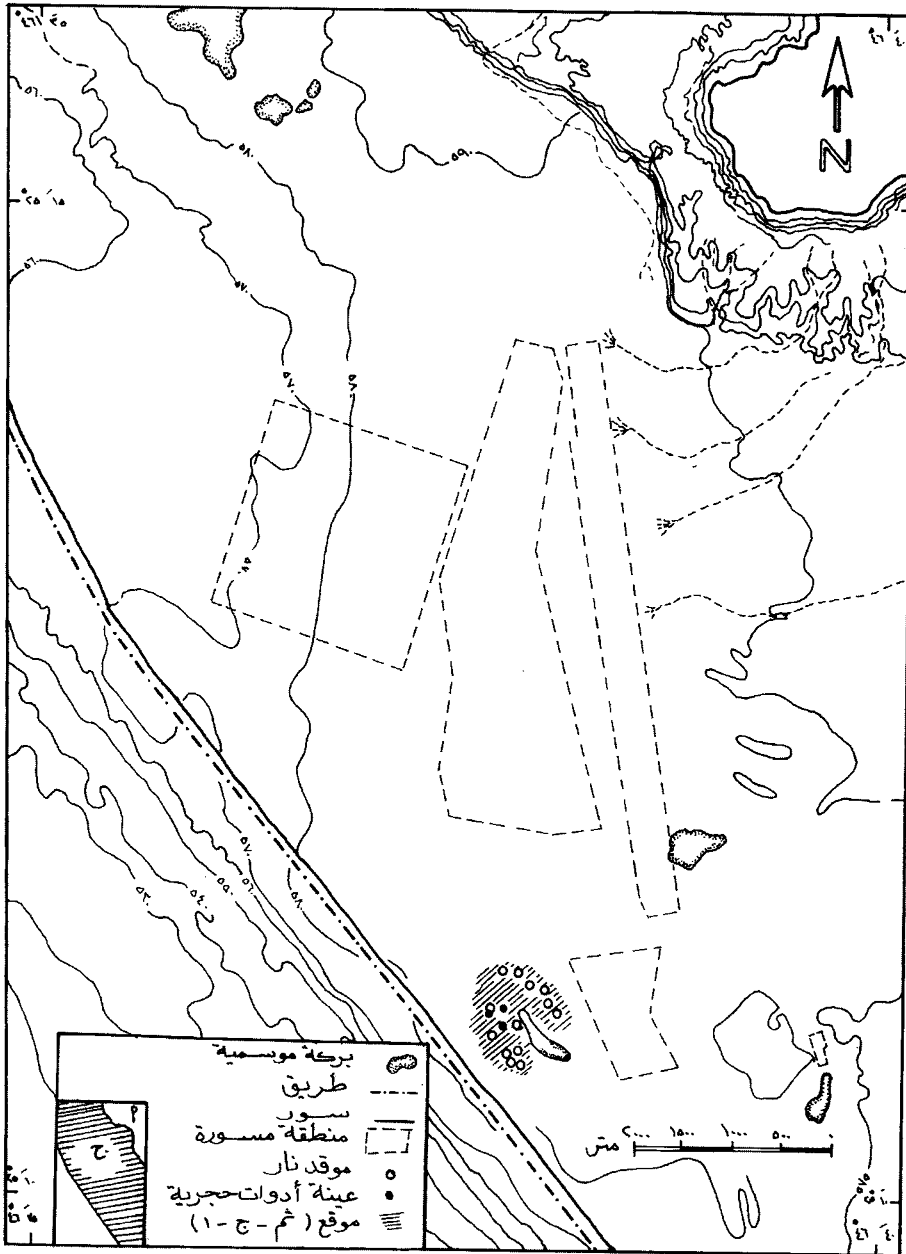
ورد فيما سبق أن مثل هذا النوع من المواقد، ينتشر في أكثر من مكان بالموقع. كما توجد أنواع أخرى أكثر اتساعاً، يبدو الحصى في بعضها مفتتاً بسبب الحرارة التي تعرض لها. ومن القطع التي وجدت قريبة من موقد النار في هذا الموقع، جزء من حجر رحى صغير ربما استعمل في طحن الحبوب، أو مواد أخرى.

ج- منطقة التجميع الثالثة: (ثم-ج-١-ج/TH-C-1-c)

تمثل منطقة تجميع للأدوات الحجرية، تبلغ أبعادها (٤ × ٨م).

وقد جمع نحو ١٨٠ قطعة حجرية، شملت النوى والأدوات المشحوذة والكسر والرقائق (الشظايا) العادية، ما يعني أن كثافة الأدوات في هذه المنطقة محدودة نسبياً.

حوت المعثورات خمس نوى كاملة ومثلها مكسورة، وأهم صفاتها التجهيز الجيد لإنتاج النصال الرقيقة (blades). وهذه النوى النصلية (blade cores) صغيرة الحجم نسبياً، نحو٤ × ٢سم. أما الأدوات المشحوذة، التي يبلغ عددها (٤٥)



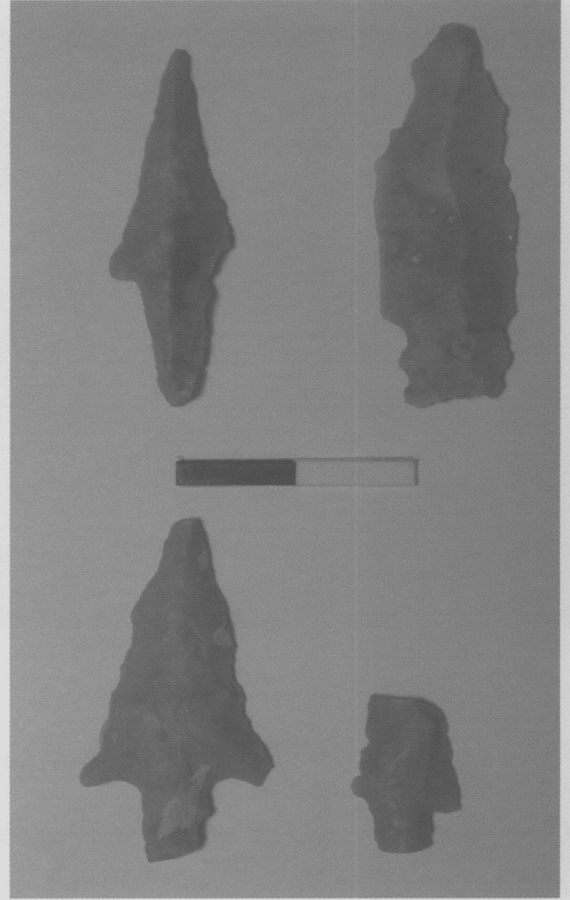
الخريطة ٤: انتشار الظواهر الأثرية وعينات الأدوات الحجرية بمنطقة (ج).

قطعة، فيمكن تصنيفها إلى خمسة أنواع من الأدوات، الرؤوس على الشظايا ثلاثية الشكل، ويبلغ عددها (١٣)، اثنان منها رؤوس شبه مجنحة تشبه رؤوس السهام. وهذه الفئة من الأدوات مشذبة في أحد أو كلا الطرفين، والنوع الثاني، رقائق مشحوذة الجانبين بعناية فائقة، ما يوحي بتحكم تقني لدى صانعيها. أما النوع الثالث فهو المثاقب (borers)، وعددها (٧) مثاقب مجهزة، إما بالشحذ أو الكسر المباشر للحصول على رأس مثقب رفيع. وتشير كثرة المثاقب والرؤوس (points) إلى التركيز على صناعة أدوات الثقب، أو ربما التحزيز (اللوحة ١٢).

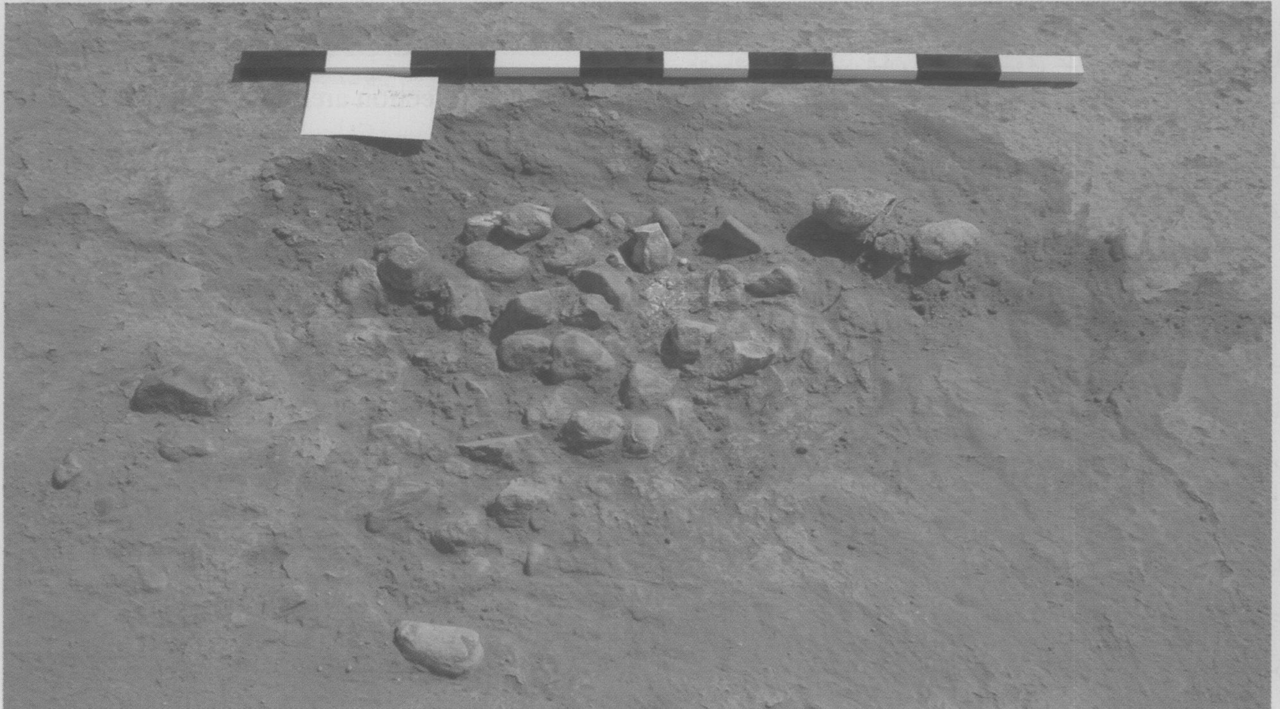
والفئة الرابعة هي النصال مشحوذة الظهر (backed blades)، وعددها أربعة، وقد يكون الشحذ فيها كاملاً أو جزئياً. وأخيراً هناك ١٦ قطعة من الشظايا (الرقائق) صغيرة الحجم، التي شذبت بطريقة عشوائية. وهكذا، فان قائمة الأدوات تعد متوسطة من حيث تنوع أدواتها، كما تشمل التقنية مستويين من صناعة النصال والشظايا في الوقت نفسه.

موقع (ثم-أ-٨):

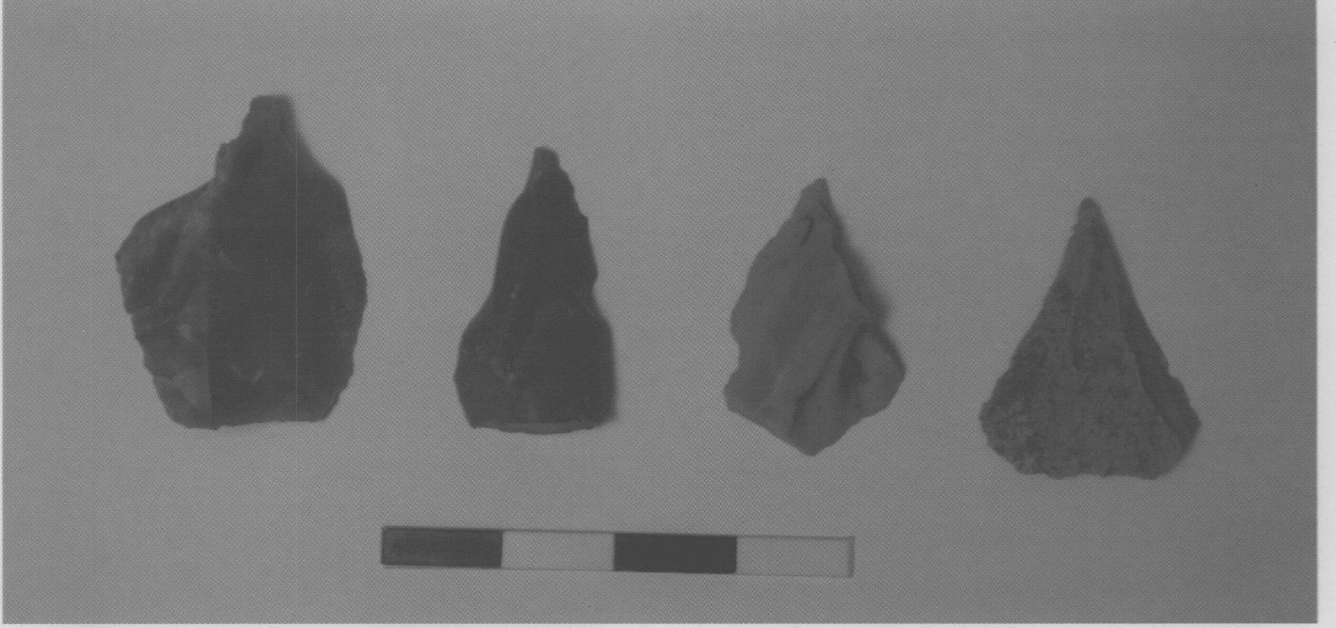
يرتفع هذا الموقع على ربوة صغيرة بمحاذاة السلسلة الجبلية



(لوحة ١٠) رؤوس سهام وحربة (أعلى اليمين) من منطقتي التجميع (ب) و(ج) بموقع (ثم-ج-١).



اللوحة ١١: أحد المواقد الحجرية التي تم تنقيبها بمنطقة تجميع (ثم-ج-١-ب).



اللوحة ١٢: مثاقب حجرية من منطقة تجميع (ثم-ج-١-ج).

المشرفة على منطقة (أ) من جهة الشرق، وتحيط به مجاري الأودية الصغيرة (الخريطة ٢). وتبلغ مساحة الموقع نحو (٣٠×٤٠م)، ويتميز بعدم انتظام سطحه. وعلى الرغم من صغر حجم هذا الموقع، فإنه يحتوي على عدد من تجمعات الأدوات الحجرية المصنوعة من حجر الكوارتزايت. ومن الملاحظ وجود بعض كتل الأحجار الكبيرة بالقرب من المناطق، التي توجد فيها الأدوات الحجرية، ما يشير إلى دلالات إقامة مؤقتة.

اختيرت منطقة تجميع (collection area) مساحتها (٥ × ٥م)، في منطقة مرتفعة من الموقع، لضمان عدم تأثر الأدوات الحجرية بعوامل الطبيعة (اللوحة ١٣). ومما تميزت به هذه المجموعة الحجرية، كثافة عدد الكتل الحجرية الكبيرة نسبياً في منطقة التجميع، التي تحوي آثار تكسير شظايا حجرية؛ ما يحمل دلالات على استخدام هذا المكان كمنطقة لتصنيع الأدوات الحجرية (workshop).

تظهر الدراسة الأولية لمجموعات الأدوات الحجرية بالموقع، استخدام تقنية التصنيع بالمطرقة الصلبة (hard hammer percussion) لصناعة الأدوات الحجرية، وكذلك ارتفاع نسبة الشظايا الحجرية نسبة إلى عدد الأنصال الحجرية. وتتميز الشظايا الحجرية الموجودة بالموقع بكبر حجمها، وقلة عدد الشظايا المشذبة منها.

موقع (ثم-أ-٩):

يقع هذا الموقع في الجهة الجنوبية الشرقية من منطقة (أ)، وتتميز طبوغرافية الموقع، الذي تبلغ مساحته نحو (٥٠ ×٧٠م) بالانحدار باتجاه الشمال (الخريطة ٢). وتنتشر في الموقع الكتل الصخرية المتساقطة، التي تتخللها مجموعات من الأدوات الحجرية المتناثرة، بصورة غير منتظمة (اللوحة ١٤). إضافة إلى ذلك، فإن الموقع يحتوي على منشأة حجرية يبلغ طولها نحو (٨م) ويتراوح عرضها ما بين (٦, ٠-٦, ١ م). وقد اختيرت منطقة تجميع لعينة من الأدوات الحجرية تبلغ مساحتها (٥ × ٥م). ويدل العدد الكلي للقطع على كثافة متوسطة في المتر المربع.

هناك إشارات إلى أن الأدوات المشحوذة مع غيرها من شظايا وكسر، ما زالت في أماكن تصنيعها، وهو ما دل عليه وجود الكسر الصغيرة؛ وكذلك تناسب أعداد فئات القطع الحجرية: النوى، والشظايا الأولية والثانوية، والأدوات المشحوذة .

وقد بلغ مجموع النوى الحجرية (٢٢) نواة حجرية، مصنوعة من حجر الشيرت. وتعد هذه النوى صغيرة الحجم نسبياً، ولا يغلب عليها نوع أو شكل محدد، وإنما هي مجهزة لطرق - أو تشكيل الشظايا من قاعدة أو قاعدتين في النواة؛



اللوحة ١٣: منطقة تجميع أدوات حجرية من موقع (ثم-أ-٨).

وكثير منها ذات أشكال غير منتظمة.

ويبدو من إنتاج الشظايا أن النوى لم تعد إعداداً جيداً، كما لا يوجد أثر لإنتاج النصال في هذه المجموعة. أما الأدوات المشحوذة، فيبلغ عددها (٨٠) قطعة يغلب عليها التشذيب الرفيع أو السطحي، وقليل منها شُكّل بطريقة جيدة، أو بعناية ملحوظة. ومن هذه الأدوات المكاشط (Scrapers)،



اللوحة ١٤: منظر عام لموقع (ثم-أ-٩).



اللوحة ١٥: مدقان حجريان من الحجر الرملي من موقع (ثم-أ-٩).

التي وجد منها أنواع مختلفة، مثل: المكاشط الجانبية، أو الطرفية، أو شبه الدائرية، وهي الأكثر بروزاً من المخارز والأدوات ذات الشكل الهلالي . كذلك، وجدت قطعتان عبارة عن مدقين من الحجر الرملي، وتظهر على أطرافهما آثار الاستخدام (اللوحة ١٥).

موقع (ثم-أ-١٠):

هو أحد المواقع في المنطقة (أ) في أعلى الهضبة، ومنه جمعت معثورات حجرية من مساحة تبلغ أبعادها ٥ م × ٥ م (اللوحة ١٦). وتختلف هذه المجموعة الحجرية كثيراً عن مجموعات الأدوات الحجرية في المنطقتين (أ) و (ج)؛ فهي تتكون من مئات الكسر والشظايا الأولية، وأجزاء النوى غير المكتملة، إضافة إلى عدد قليل من القطع المشحوذة. وتنحصر أنواع الأدوات في المكاشط الجانبية أو الشظايا المشذبة، على جانب واحد أو جانبين. فالعدد المحدود من الأدوات المشحوذة، وندرة النوى الكاملة، مع العدد الغالب لفئة الشظايا الأولية والكتل الأخرى من الأحجار، يوحي بأن هذه المنطقة كانت ورشة تصنيع تؤخذ منها النوى والأدوات المصنعة، إلى مكان آخر يقيم فيه الصيادون.

إن التأكد من هذا التصور الأولي لطبيعة استخدام الموقع رهين بتحليل المجموعات الحجرية، التي جمعت من منطقتين إضافيتين من الموقع نفسه.

الخلاصة والاستنتاجات:

أظهرت النتائج الأولية، التي جرى استعراضها في هذا البحث، أهمية منطقة الثمامة، وعمق الاستيطان البشري فيها؛ كما تشير الكثافة العددية للمنشآت الحجرية، من جهة، ومواقع الأدوات الحجرية، من جهة أخرى.

وعلى الرغم من عدم وصول نتائج العينات العضوية، التي أرسلت إلى بعض معامل التأريخ خارج المملكة، إلا أن هناك عدداً من النتائج الأولية التي أمكن التوصل إليها، فيما يتعلق بالأنواع المختلفة من البقايا الأثرية الموجودة بموقع الثمامة



اللوحة ١٦: منظر عام لموقع (ثم-أ-١٠).

الأثري، وهي على النحو الآتي:

المنشآت الحجرية:

- تدل كثافة المنشآت الحجرية بمنطقة الدراسة، على استغلال الجماعات البشرية للظروف البيئية والموارد الطبيعية الموجودة فيها.

- يشير التنوع الكبير في أنماط المنشآت الحجرية بمنطقة الدراسة إلى التنوع الوظيفي في استخداماتها. كما تظهر مجموعة الظواهر الأثرية، التي جرى تنقيبها إلى ثبوت استخدام أحدها كمكان للدفن (ثم-أ-١٢)، بينما لم يساعد غياب البقايا الأثرية على معرفة الاستخدام الفعلي للظاهرتين (أ، ب) الموجودتين في موقع (ثم-أ-١١)؛ وأما الظاهرة (أ) في موقع (ثم-ب-١)، فعلى الرغم من حفر غالبية أجزائها، لم تظهر مؤشرات كافية على وظيفتها، وإن كان يغلب الاحتمال أنها ذات وظيفة دينية.

- تظهر المسوحات الميدانية لمنطقة الدراسة وجود أنواع رئيسة من المنشآت الحجرية، تدخل في إطارها كافة المنشآت الحجرية الموجودة بمنطقة الدراسة. ومن هذه الأنواع ما يلي: ١- الدوائر، ٢- الأكوام، ٣- المباني الحجرية، التي يتبعها عدد من التقسيمات الفرعية.

- يعكس التوزيع الطبوغرافي لغالبية المنشآت الحجرية على الأجزاء المرتفعة من منطقة الدراسة، إلى حد كبير، مدى تفضيل الجماعات البشرية للأماكن المرتفعة، من ناحية، وربما يعكس بشكل غير مباشر الظروف البيئية الجيدة، المتمثلة في كثرة هطول الأمطار وجريان مياه الأودية، طوال أكثر شهور السنة. ما يعني أن المنشآت التي تُبنى في مجرى مياه الأمطار يسهل جرفها وتدميرها.

- يعتمد الكثير من النتائج العلمية لهذه الدراسة الميدانية، بشكل رئيس، على نتائج العينات العضوية، التي أُرسلت لأحد معامل الكربون ١٤ . فهي ستسهم في فهم أفضل لطبيعة ومراحل استيطان المنشآت الحجرية، وكذلك مواقع الأدوات الحجرية بمنطقة (ج).

- زاد الغياب الواضح للبقايا الأثرية عامة، والفخار، بوجه خاص، من غموض طبيعة المنشآت الحجرية بمنطقة الدراسة. وفيما عدا بعض القطع الفخارية الحديثة الموجودة على السطح، فإن موقع الثمامة يُعد خالياً من دلائل وجود صناعة أو مواد فخارية قديمة، وهذا ما أثبتته هذه الدراسة والدراسات السابقة، التي تمت في موقع الثمامة.

الأدوات الحجرية:

١- يشير التحليل المبدئي للأدوات الحجرية، التي جمعت من عدد محدود من المواقع المكتشفة في المنطقة، على تنوع تقني (Technological) ونوعي (Typological) في

صناعة الأدوات، يمثله نوعان من تصنيع الأدوات. الأول، هو الأسلوب الذي يعتمد إنتاج النصال من نوى نصلية تُجهّز بطريقة خاصة، للحصول على نصال رفيعة طويلة الشكل يشذب بعضها في أدوات معينة، أو تستعمل كما هي دون تشذيب. وقد وجدت هذه التقنية في المكان نفسه، مع تقنية إنتاج الشظايا أو الرقائق، وذلك في الموقع (ثم-ج-١). فكلا الأسلوبين في صناعة الأدوات، نجده في مكان واحد وربما وقت واحد. وينطبق الأمر نفسه على المنطقة (أ) في أعلى الهضبة، حيث تشير المجموعة التي وصفناها، إلى تقنية الشظايا. أما الصناعة النصلية فقد وصفها فريق وكالة الآثار من قبل. وهكذا يظهر أن كلا التقنيتين قد جرى استخدامهما معاً.

٢- تعكس العينة المجموعة من الموقع (ثم-أ-١٠-أ) ظاهرة ورش التصنيع، كما ذكرنا آنفاً، وهي بذلك تضيف إلى التنوع في مستويات النشاط الذي مارسه الصيادون في تلك المنطقة .

٣- لا يوجد دليل على صناعة الفخار في المواقع التي درسناها حتى الآن ، ومن ثم فمن المرجح أن تنسب هذه المواقع إلى فترة العصر الحجري القديم المتأخر - أو نهايته، ولن نتمكن من تحديد الزمن بصورة قاطعة إلا بعد حصولنا على التواريخ العلمية المتوقعة من المختبرات، التي أرسلت إليها عينات الفحم من الموقع (ثم-ج-١-ب). ومن جهة أخرى، لا يُستبعد أن تكون هذه المجموعات الحجرية عائدة إلى فترة العصر الحجري الحديث المبكر السابق للفخار.

٤- لم يُعثر على أي مواد تدل على أن الجماعات البشرية، التي عاشت في تلك المواقع، عرفت الزراعة أو استئناس الحيوان؛ خاصة أن هذه المواقع سطحية يندر أن يعثر فيها على مواد عضوية.

وفي الختام، فمن المؤمل أن يكون هذا البحث قد ساعد بقدر من المعرفة، في إلقاء الضوء على طبيعة وكثافة الوجود البشري في موقع الثمامة الأثري، من ناحية، وأن الأعمال الميدانية المتبقية بمنطقة الدراسة سوف تسهم في الإجابة على العديد من التساؤلات حول تاريخ الاستيطان البشري بالمنطقة وتسلسل الأدوار الحضارية، وعلاقة البقايا الأثرية المختلفة ببعضها بعضاً.

د. عبدالله بن محمد الشارخ: قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص.ب ٢٤٥٧ الرياض ١١٤٥١ - المملكة العربية السعودية. asharekh@ksu.edu.sa

الهوامش:

١- يتقدم الباحث بجزيل الشكر والتقدير لمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، على تقديم الدعم المادي والمعنوي لهذا المشروع البحثي الميداني، رقم أت-٢٠-٥١، خاصة الإدارة العامة لبرامج المنح البحثية، التي حرصت على مساندة هذه الدراسة العلمية خلال المراحل المختلفة للمشروع. إن كافة الأفكار والطروحات العلمية الواردة في البحث هي مسؤولية الباحث وحده.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

أبو درك، حامد ومحمد مراد ومحمد إبراهيم ١٤٠٤ هـ، "الاستكشافات والتنقيبات الأثرية في موقع الثمامة الذي يرجع تأريخه إلى العصر الحجري الحديث"، **أطلال** ٨ :٩٧-١٠٣، وكالة الآثار والمتاحف، الرياض.

آدامز، روبرت ومحمد البراهيم وبيتر بار وعلي المغنم. ١٩٧٧م، "الاستكشاف الأثري للمملكة العربية السعودية ١٩٧٦م- تقرير مبدئي عن المرحلة الأولى من برنامج المسح الشامل"، **أطلال** ١: ٣٦-٤٥، وكالة الآثار والمتاحف.

انجراهام، مايكل وت. جونسون و ب. الريحاني و أ. شتلة ١٩٨١م، "تقرير مبدئي عن مسح المنطقة الشمالية الغربية"، **أطلال** ٥: ٥٣-٧٦ وكالة الآثار والمتاحف.

ايدينز، كريستوفر. ١٤٠٢ هـ، "العصر الحجري الحديث في الربع الخالي"، **أطلال** ٦: ١٠٧-١٢٣، وكالة الآثار والمتاحف.

بار، بيتر وم. البراهيم وج. ويشتر وأ. جاراد وس. كلارك وم. بيدميد وح. البدر ١٩٧٨م، "التقرير المبدئي عن المرحلة الثانية لمسح المنطقة الشمالية"، **أطلال**: ٢: ٣١-٥٨ ، وكالة الآثار والمتاحف. .

زارينس، جوريس وم. البراهيم ود. بوتس وس. إيدينز ١٩٧٩م، "التقرير المبدئي عن المسح في المنطقة الوسطى"، **أطلال** ٣: ٩-٤٨، وكالة الآثار والمتاحف.

زارينس، يوريس ون. ويلن وم. البراهيم وأ. مراد وم. خان ١٩٨٠م، "التقرير المبدئي عن مسح المنطقة الوسطى والجنوبية الغربية"، **أطلال** ٤: ٩-٣٤، وكالة الآثار والمتاحف.

زارينس، يوريس وأ. مراد وخ. اليعيش. ١٩٨١م، "التقرير المبدئي الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية"، **أطلال** ٥: ٩-٣٦، وكالة الآثار والمتاحف.

زارينس، يوريس وأ. الرحبيني وم. كمال ١٤٠١هـ، "مسح منطقة الرياض (العارض)"، **أطلال** ٦: ٢٣-٣٤، وكالة الآثار والمتاحف.

محمد علي، عباس سيد أحمد. ١٤٢١ هـ، "ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية"، **الدارة** ٣: ٨٩-١٣١ ، الرياض.

ثانياً: المراجع غير العربية

Alsharekh, A. 2002. "An Archaeological Study of Stone Structures in Northeast Riyadh, Saudi Arabia", **Adumatu**. 5: 35-68.

Banning, E. and B. Byrd. 1989. "Alternative Approaches for Exploring Levantine Neolithic Architecture", **Paleorient**, Vol. 15 (1): 159-160.

Binford, L. 1974. "Post-Pleistocene Adaptations". In: **An Archaeological Perspective**, Pp. 421-444. Seminar Press.

Gabriel, B. 1976. "Neolithische Steinplatze und Palaeockologie in den Ebenen der Osttichen Zentral-Sahara". In: **Palaeolecology of Africa,** IX: 25-40.

--------- 1986. "Paleoecological Evidence from Neolithic Fireplaces in the Sahara". A Paper read in a **Conference in Honour of J. Desmond Clark**, Berkely, 12-16 April.

--------- 1987. "Paleoecological Evidence from Neolithic Fireplaces in the Sahara", **The African Archaeological Review** 5: 93-103.

Masry, A. 1974. **Prehistory of Northeastern Arabia: The Problem of Inter-regional Interaction**, Miami, Florida.

Mc Clure, H. 1971. **The Arabian Peninsula and Prehistoric Populations**, Miami, Florida.

McIntoch, J. 1999. **The Practical Archaeologist,** Checkmark Books, New York.

Oates, J. 1978. " 'Ubaid Mesopotamia and its Relation to Gulf Countries". In: B. De Cardi (ed.) **Qatar Archaeological Report,** 39-52, Oxford.

Redman, C. 1978. **The Rise of Civilization: From Farmers to Urban Societies in the Ancient Near East,** W. H. Freeman & Co.

Renfrew, C. and P. Bahn 1991. **Archaeology: Theories, Methods and Practice,** Thames and Hudson, London.

Rice, M. 1994. "Climate, Sea-Level, Man and his Companions", **The Archaeology of the Arabian Gulf,** Routledge, Pp. 63-77. London.

Smith, P. and E. Maranjian. 1962. "Two Neolithic Collections from Saudi Arabia", **Man** 14: 21-25.

Taha, S. 1982. Analysis and Interpretation of a Lower Palaealithic Site in Saudi Arabia. M. Phil Dissertation, Cambridge University, Cambridge.

Whalen, N. , H. Sindi, J. Siraj-ali and D. Pease 1986. "A Lower Pleistocene Site near Shuwayhittiyah in Northern Saudi Arabia", **Atlal** 10: 6-27.

Whalen, N., W. Davis and D. Pease 1989. "Early Pleistocene Migrations into Saudi Arabia", **Atlal** 12: 59-75.

البحوث والدراسات الآثارية عن حضارة نبتة الكوشية وارتباطها بتطور علم الآثار: دراسة تقويمية

جمال جعفر عباس

ملخص: تميز التاريخ السوداني بتراث حضاري ومجموعات ثقافية متفردة. وقد كان لعلم الآثار أكبر الأثر في الكشف عن هذا التراث، ومن بين ذلك التعرف على ملامح وسمات واحدة من أهم حضارات السودان القديم، هي حضارة نبتة الكوشية (٨٥٠ ق. م -٣٠٠ ق. م). فقد شهدت السنوات الأولى من القرن العشرين أولى محاولات تنقيب وتحليل وتفسير مخلفات هذه الحضارة، إلا أنها كانت مسيرة لوجهة النظر السائدة آنذاك، المرتبطة أساساً بنظريات الانتشار والهجرة والتفسيرات العرقية المختلفة. وهو أمر وقع فيه العديد من الباحثين الأوائل، الذين درسوا هذه الحضارة. بدأ هذا الوضع في التغيّر شيئاً فشيئاً، مع تطور نظريات علم الآثار ومناهجه وتقنياته. وشهد العقدان الأخيران من القرن العشرين طفرة مهمة، في الدراسات والبحوث المتعلقة بهذه الحضارة. ويقدم هذا البحث تقويماً لهذا التطور، ومحاولة لربطه بالتطور العام لعلم الآثار.

Abstract. *The Sudan's history is characterized by its unique cultural heritage. Through the discipline of archaeology most of this heritage has been uncovered and allowed us to recognize the aspects of one of the most important civilizations of ancient Sudan, the Kushite kingdom of Napata (850-300 BC). The early years of the 20th century witnessed handful of excavations, analyses and explanations of the remains of that civilization. Unfortunately, most of these interpretations were affected by the general theoretical trend at that time which attributes cultural changes to the diffusion, migration, or racial interpretation. The situation has started to change with the developments achieved in theories, methods and techniques of archaeology whereby the last decades of the 20th century have witnessed new steps towards the understanding of Sudanese civilizations. This paper attempts to evaluate these developments in Sudanese archaeology and to link it to the general development of the discipline of archaeology.*

تتناول هذه الورقة تقويماً عاماً للنظريات، التي تناولت حضارة نبتة الكوشية، وهي نظريات جاءت نتاجاً للبحوث والدراسات الآثارية، التي أجريت حول مواقع هذه الحضارة في منطقة ازدهارها في شمالي السودان (الخريطة ١). ولعل تقويم هذه النظريات يعتمد على منهجية البحث الآثاري في المقام الأول. وحتى يؤتي هذا التقييم ثماره، فلا بد من ربط هذه النظريات بتطور علم الآثار، في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين.

تاريخ علم الآثار وتطوره

مما لا شك فيه أن الحديث عن علم الآثار، فضلاً عن تاريخه وتطوره، ينبغي ألا يكون موجزاً؛ لأن مدارك هذا العلم تتسع إلى حد بعيد. إلا أن ما تمليه طبيعة هذه الورقة تحتم الإيجاز.

بدأ علم الآثار في مرحلته الأولى على يد صائدي الكنوز، إلى جانب لمحات من الإعجاب والانبهار من قبل الرحّالة والهواة، أدت إلى نوع من وصف المواقع والتعليق عليها في كثير من بلدان العالم القديم. ثم أعقب ذلك، في مرحلته الثانية، جهود بعض الباحثين والمستكشفين، الذين ثابروا على وصف المواقع وجمع النصوص الكتابية للحضارات القديمة وعكفوا على حل رموز هذه النصوص وتفسير مضامينها. وقد اقترنت هذه الجهود بكثير من المحاولات لاستخراج الآثار من مواقعها، بأيدي بعض العلماء أحياناً وبعض المغامرين أحياناً أخرى. ثم انتهى ذلك في مرحلته الثالثة إلى عمليات التحليل وإعادة التركيب لهذه الآثار ونصوصها، في إطار من الالتزام

العدد التاسع ذو الحجة ١٤٢٤هـ - يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٤م
(ص ص ٣٣ - ٤٢) ردمد ١٣١٩-٨٩٤٧

العلمي ومسؤولية التاريخ (Daniel 1975).

بعد ذلك تغلغل علم الآثار بين معالم الحضارات القديمة، لا سيما المصرية والبابلية والآشورية والإغريقية والرومانية والبيزنطية وغيرها، وإن جُذب في كثير من الأحيان إلى السعي - بالقصد حيناً وبالمصادفة حيناً آخر- إلى القول بوحدة النفس البشرية وأخوة البشر والحضارات، على الرغم من اختلاف الأجناس واللغات والمواقع. وكانت هذه واحدة من الأطروحات النظرية في علم الآثار، أعقبتها أطروحات أخرى (Ibid).

وتواصلت مسيرة هذا العلم بعد ذلك وتنظّم تدريجياً، ولم يعد اهتماماً فردياً يختص به الأفراد، بل أصبحت له هيئات منظمة من الأكاديميات والمعاهد والجامعات، ما أحدث منافسة مستمرة بين هذه المنظمات، أدت بالضرورة إلى ارتفاع مستوى العلم وتعدد مجالاته، وزيادة أعداد المتخصصين فيه.

نتج عن ذلك أن أسهم علم الآثار، بشكل فاعل، في كتابة تاريخ حضارات غابرة، وكشف اللثام عن أمم مجهولة، وتجارب إنسانية مختلفة، ليس في الشرق الأدنى فحسب، وإنما في الهند والصين وإفريقيا وأمريكا اللاتينية وغيرها. وعلى الرغم من أهمية هذا العلم، لاسيما لبلدان الشرق القديم، إلا أن بداياته كانت مجالاً خصباً وواسعاً لنهب تراث هذه البلدان وكنوزها، ما جعلها هدفاً دائماً ومستمراً لكل من سوّلت له نفسه جمع الآثار.

الموقع الجغرافي لحضارة نبتة الكوشية

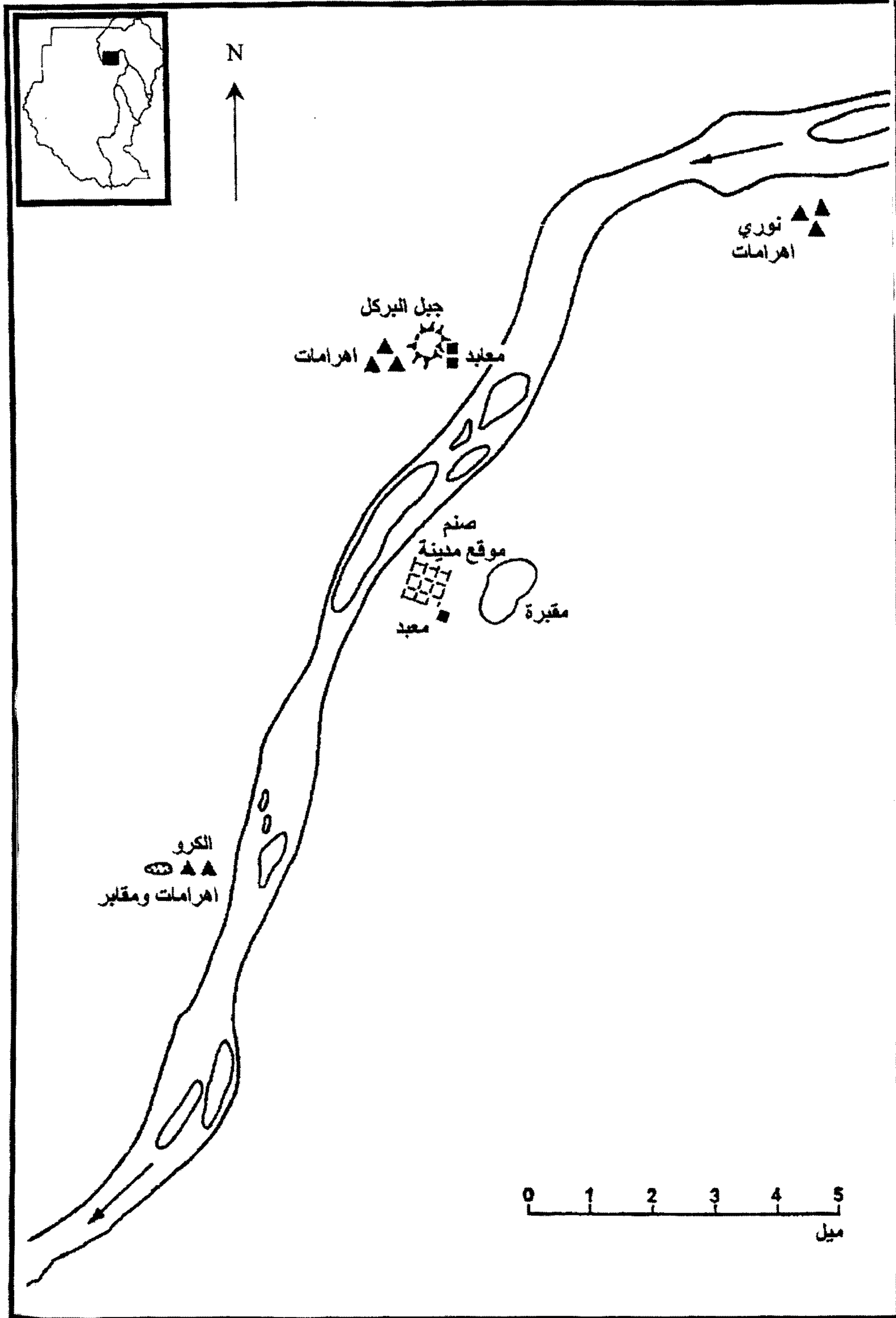
اعتمدت الدراسات والبحوث الآثارية، التي أجريت في مواقع حضارة نبتة الكوشية، في المقام الأول على الأوصاف، التي كتبها الرحّالة الكلاسيكيون من الإغريق والرومان. ولكن قبل الخوض في موضوع هذه البحوث والدراسات، نتساءل: ما هي نبتة؟ فعند طرح هذا التساؤل نقف عند إحدى المشكلات الرئيسة في الحضارة النبتية، باعتبار أن موقع نبتة لم يحدد حتى الآن بشكل قاطع، لدى كثير من الباحثين والمهتمين بالآثار السودانية.

لقد اختلفت الآراء حول نبتة، ماهيتها وموقعها الجغرافي، هل هي مدينة أم إقليم؟ وإن كانت مدينة، فما هو موقعها تحديداً؟ وكان أول الباحثين الأكاديميين في مواقع هذه الحضارة هو الآثاري الأمريكي جورج اندرو رايزنر، أستاذ علم المصريات بجامعة هارفارد، الذي حدّد موقع مدينة نبتة على ضفتي النيل، في المنطقة بين نوري والكرو؛ ولكن الضفة الغربية للنيل ربما تكون هي المكان المفضل لإطلاق اسم نبتة عليه، وهو موقع جبل البركل (Reisner 1917: 23)، (الخريطة ١). أما دوس دانم، المساعد الأول لرايزنر، فيعتقد أن نبتة ارتبطت بالمركز الديني، الذي يختص بعبادة الإله آمون في جبل البركل بالقرب من مدينة كريمة (Dunham 1950: 5).

وقد أطلق كل من رايزنر ودانم على الفترة التاريخية من الأسرة ٢٥ وحتى وفاة الملك نستاسين اسم: مملكة نبتة (٨٠٠-٣٠٠ ق. م)، اعتماداً على أن ملوك هذه الفترة دفنوا في منطقة نبتة (الكرو ونوري) (Dunham 1947: 7). وعلى هذا الأساس ساد اعتقاد أن نبتة منطقة، وليست مدينة تشمل الكرو ونوري وجبل البركل (الخريطة ١).

كذلك يرى أنطوني جون اركل أن نبتة منطقة تقع في نهاية حوض دنقلا وأسفل الشلال الرابع، وقد عرفت منذ الأسرة المصرية ١٨ باسم (كاري - Karei)، على أنها منطقة أكثر من كونها مدينة (Arkell 1961: 110). ويضيف اركل أن جريفث (Griffith) أجرى حفريات في الأعوام من ١٩٢٢-١٩٢٣ إلى الشرق من معبد آمون، الذي بناه الملك "تهارقا" في موقع صنم أبو دوم، حيث كشف عن مبنى دارت الشكوك حوله، فيما إذا كان هو قصر ملوك نبتة. ومن ثم ظهر اتجاه يقول إن نبتة هي المدينة، حيث موقع صنم أبو دوم (مروى الحالية) (Ibid:112)، (الخريطة ١).

أما الآثاري الأمريكي تيموثي كندال (T. Kendall)، فقد كان يعتقد حتى عام ١٩٩٠م أن نبتة هي مدينة عند جبل البركل، وهي مدينة أسسها فراعنة المملكة المصرية الحديثة في حوالي ١٤٥٠ ق. م، كحامية عسكرية تتحكم في طرق التجارة وتسيطر على مجرى النيل، لتصبح بعد ذلك مركزاً سياسياً ودينياً مهماً عند قيام مملكة نبتة (Kendall 1990: 103). إلا أن كندال عدل عن رأيه هذا، بعد فحصٍ وتمحيص في يوميات رايزنر، التي عثر عليها في مخازن متحف بوسطن للفنون الجميلة، إذ كشف عن معلومات جعلته يعتقد أن نبتة هي مدينة، وهي بلدة الكرو الحالية، التي تقع إلى الجنوب من جبل البركل، بحوالي ١٥ كلم، وتحوي مقابر الأسرة الخامسة



الخريطة ١: المواقع النبتية الكوشية بمنطقة نبتة بالسودان.

والعشرين وأسلافهم (الخريطة ١).

من ذلك نرى أن الباحثين اختلفوا حول تحديد نبتة: هل هي مدينة أم إقليم؟ وفي هذه الورقة نرى أن نتمسك بأن نبتة هي حضارة وليست مدينة أو إقليماً، لأن هنالك مواقع أثرية تؤرّخ إلى الفترة النبتية، مثل موقعي الكوة، وصادنقا، تقعان خارج حدود الإقليم المشار إليه.

كتابات الرحّالة حول نبتة

إن معرفتنا بالحضارة السودانية تعتمد على كتابات الإغريق والرومان بشكل رئيس. فقد سجلت هذه الكتابات الكثير من المعلومات عن الحضارة الكوشية. وبتطور البحوث الآثارية، تدعّمت هذه المعرفة وأضيف إليها أبعاد جديدة. فقد كان السودان معروفاً لدى الإغريق منذ القدم باسم (أثيوبيا)، للدلالة على الأراضي الواقعة جوار مصر. وكلمة "أثيوبيا" تعني لون البشرة الداكنة، واتضح أخيراً أن الإغريق قصدوا بذلك الكوشيين، وحسب مفهوم الإغريق فقد عاملوا الكوشيين على أساس أنهم جزء من أثيوبيا.

وقد كتب هيرودوت بشيء من الإسهاب عن مملكة مروي (المرحلة الثانية من كوش، التي أعقبت نبتة، ٣٠٠ ق. م- ٣٥٠ م)، واصفاً امتدادها الجغرافي، وعلاقتها مع الفرس والبطالمة. وقد كتب آخرون من الرحّالة والمؤرخين عن عادات وتقاليد الكوشيين، أمثال ديوردورس الصقلي واسترابو؛ ثم انتقل هذا التراث إلى الكتّاب اللاتينيين، الذين أضافوا بدورهم بعض المعلومات المهمة، ومن بين هؤلاء بليني واسبلينكا وغيرهما، حتى فترة القرن الثالث الميلادي.

وفي عام ١٨٢١م أرسل محمد علي باشا، حاكم مصر، جيوشه إلى السودان للقضاء على المماليك، وللاستفادة من موارد السودان البشرية والطبيعية. وقد رافق هذا الجيش عدد مقدر من الرحّالة والمغامرين. وكان قد سبقهم الرحّالة براون، الذي ذكر قدراً من المعلومات القيّمة عن آثار السودان. كما زار السودان خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر الرحّالة كايو الفرنسي، الذي فحص بعض الآثار على ضفتي النيل. ويعد كايو من أوائل من كتبوا عن الآثار الكوشية، وذلك لنقله كتابات ومشاهد وجدها على جدران المعابد.

البحوث والدراسات المنظمة

تُعد الفترة من ١٨٩٨م والأعوام التالية، نقطة تحوّل كبيرة في تاريخ البحث الآثاري في السودان. فقد بدأ العاملون في المتحف البريطاني، وغيرهم، زيارة السودان. وأبرز هؤلاء السير واليز بدج، الذي زار السودان في الفترة من ١٨٩٦-١٩٠٣م، وأجرى حفريات في المدن والجبانات الملكية في البركل ومروي، بهدف الحصول على مواد للمتحف البريطاني. كما نشر ترجمات إنجليزية لبعض نقوش الملوك البارزين من نبتة، أمثال: بيي (Piye)، تانوتامني، اسبلتا، حاريستيوف ونستاسين. كما أجرى جون وارد في عام ١٩٠٢م مسحاً للأهرامات السودانية، ضمّنه مؤلفه (السودان أهراماته وتطورها).

وفي عام ١٩٠٧م بدأت حملة إنقاذ آثار النوبة الأولى، نتيجة للتعلية الأولى لخزان أسوان (Adams 1977: 71)، وأسندت رئاسة هذه الحملة لجورج أندرو رايزنر، وانتهت أعمال هذه الحملة عام ١٩١١م. إلا أن رايزنر عاد للسودان عام ١٩١٣م، على رأس بعثة مشتركة بين جامعة هارفاد ومتحف بوسطن للفنون الجميلة. وأجرى خلال الأعوام ١٩١٣-١٩١٦م تنقيبات أثرية في مواقع حضارة كرمة. ومن ثم قام رايزنر برحلات إلى مناطق الشلال الرابع ووادي حلفا مسجلاً عدداً كبيراً من المواقع الآثارية، التي لم يجر حفرها، ومن بين هذه المواقع جبل البركل والكرو ونوري. كما بدأ في دراسة النقوش والنصوص والسجلات، التي عثر عليها في هذا الإقليم. وفي عام ١٩١٦م قام رايزنر بسلسلة من الأعمال الآثارية، التي استمرت دون توقف حتى عام ١٩٢٣م، شملت منطقتي نبتة ومروي. وظل رايزنر يكتب عن كل ما قام به حتى وافته المنية عام ١٩٤٢م. وأوصى مساعده دانم بمواصلة نشر تقارير الحفريات، التي لم يتمكن من نشرها بنفسه (Dunham 1946: 378). وعلى وجه العموم، تعد أعمال رايزنر فصلاً قائماً بذاته في تاريخ البحث الآثاري في السودان، إذ شملت أبحاثه الفترة من القرن الحادي عشر قبل الميلاد حتى القرن الرابع الميلادي. كما تعد أعمالاً حقيقية ورائدة في مجال دراسة الحضارة الكوشية، فقد استطاع أن يضع اللبنات الأولى لعملية دراسية طويلة، اكتملت بواسطة باحثين آخرين جاءوا من بعده واعتمدوا على دراساته وأبحاثه (Hakem 1983: 41).

إلا أن دانم رأى أن هنالك حاجة لإعادة دراسة المواد، التي

استخرجت من حفرياتهما في مواقع حضارة كوش. ويرى دانم أن رايزنر تعجّل في نشر بعض تقاريره، باعتبار أن هذه الحفريات كشفت عن فترة تاريخية مجهولة وملوك مجهولين. واستطاع دانم أن يصنف بعض الحقائق عن الفترة الكوشية، لا سيما أن هنالك بعض الخطوط العريضة والتفاصيل الدقيقة، في تاريخ كوش تحتاج إلى تعديل. فعلى الرغم من أن رايزنر نقّب كل الجبانات الملكية لنبتة ومروي، إلا أنه لم يكمل دراسة المواد، التي حصل عليها من هذه الجبانات. وعلى ضوء ذلك، بدأ دانم في إصدار سلسلة من المؤلفات عن حضارة كوش (نبتة ومروي)، عالج فيها آراء رايزنر، ما مثل مرحلة ثانية مهمة في تاريخ البحث الآثاري للفترة الكوشية (Dunham 1946: 380).

قامت بعثة جامعة أكسفورد بأبحاث آثارية في السودان في عدد من المواقع، التي تؤرخ للفترة الكوشية. ففي عام ١٩١٣م أجرى الآثاري غارستتاج حفريات في موقع الكوة، ثم خلفه ماكدام في الأربعينيات. وفي عام ١٩٢٢م، أجرت البعثة نفسها حفريات في صنم أبو دوم، بحفر جبانة ترجع للفترة النبتية، ومعبد أمون الذي بناه الملك تهارقا. وقد توصلت البعثة إلى نتائج مهمة عن هذا الموقع (Griffith 1922-1923). كذلك، قامت الوحدة الفرنسية بالسودان تحت قيادة الآثاري جون لكلانت بحفريات في موقع صادنقا، الذي احتوى على آثار تؤرخ للفترة النبتية، وقد نُشرت مؤلفات عن أعمال لكلانت هذه (Leclant 1961; 1963; 1965).

وقد شجّعت هذه الدراسات والأبحاث حركة البحث الآثاري في الحضارة الكوشية. وتمثّل ذلك في ظهور عدة مؤلفات ودراسات تناولت موضوعات عدة، مثل: مقال الآثاري هاري سميث عن: (إشكالية الانتقال من نبتة إلى مروى) في عام ١٩٥٥م، ومقال ديكسون عن: (أصل نبتة) في عام ١٩٦٤م، وكتاب أنطوني آركل عن: (تاريخ السودان) عام ١٩٥٥م، ومن ثم مؤلف وليم آدمز الذي تناول فيه موضوعات متعددة عن الحضارة الكوشية (Adams 1977).

البحوث والدراسات الآثارية، وارتباطها بتطور علم الآثار:

عُرف معظم تاريخ إقليم النيل الأوسط القديم (السودان) من خلال المصادر، التي كُشف عنها خلال الأعمال الإنقاذية والحفريات الأثرية، التي أجريت خارج إطار حملات إنقاذ آثار النوبة، ولكنها جرت بمنهجية دراسة الأعمال الإنقاذية ذاتها. ولعل هذا يعكس محدودية المناهج والدلائل، التي اعتُمد عليها، في جانب، والسرعة التي تمت بها بعض هذه الأعمال، في الجانب الآخر، ما أدى في كثير من الأحيان إلى الحصول على نتائج غير مؤكدة (Torok 1992: 111).

إن الدراسات، التي قامت في وادي النيل، بشكل عام، وقدّمت في السودان بشكل خاص، في تلك الفترة، صورة معقدة عن هذا البلد، تمثلت في البحث عن امتداد الإمبراطورية المصرية، إضافة إلى سيادة النظرية العرقية الدونية لأصحاب الحضارة الكوشية. فقد كان الباحثون مشغولي البال باكتشاف الإمبراطورية البيضاء في إفريقيا، في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين (Trigger 1982: 224). وقال بدج (Bidge, W) على سبيل المثال: "إن كل المعابد والقلاع والحصون والقصور والأديرة في النوبة هي من أعمال الأجناس الأخرى الأجانب غير النوبيين"، وذهب إلى أبعد من ذلك بأن نسبها إلى الإمبراطوريتين المصرية والفينيقية (Ibid: 224).

إن الأمر الأكثر أهمية هو تباين الإستراتيجيات والأهداف في علم الآثار. وهذا الأمر لم يعد موضع خلاف، والحقيقة أنه ليس هنالك اتفاق في الآراء حول الأولويات والمناهج للبحث الآثاري في السودان. والجدير بالذكر هنا، أن كل هذه المناهج، التي اتبعت والمتّبعة الآن، فشلت في لفت اهتمام المجتمع السوداني لأهمية الآثار. وحتى المسوحات الأثرية، التي تُجرى بين وقت وآخر، تحمل التناقض التام بين ما يظُن أنه منهج آثاري متجانس، من جهة، وبين منهج المؤرخين ومؤرخي الفن، من جهة أخرى. وهنا يحس الباحث توروك أن هذه التناقضات فعلية وليست اسمية. ويبدو أن الصراع يتسع بين الآثاريين كمؤرخين للحضارة، في جانب، وبين الوضع الحقيقي للأبحاث الفيلولوجية، التي تهتم بالمصادر الكتابية ، من جانب آخر (Torok 1992: 111).

وعلى ذلك، فيجب ألا نغفل ونهمل تاريخ بلاد السودان وثقافتها. وينبغي أن تقوّم المعالجات، التي تمت، والتي كتبت بواسطة آثاريين من خلال استخدامهم للدلائل الآثارية، مثال ذلك نظرية رايزنر عن سكان حضارة المجموعة (أ)، الذي رأى

أنهم مجموعة من المهاجرين المصريين، اعتماداً على تشابه فخارهم مع الفخار المصري، الذي يؤرخ لفترة ما قبل الأسرات (ibid: 111-112).

إن الأجيال الأولى من الآثاريين، الذين درسوا التاريخ النوبي القديم، خاصة مَنْ درسوا الحضارة الكوشية، انجذبوا نحو النقوش والكتابات الملكية، التي حُفظت منذ القرون الأولى لمملكة كوش، التي بدأت بملوك الأسرة الخامسة والعشرين. ويعزى ذلك لخلفيات الآثاريين المصرية. وقبل دراسة أي من النواحي الأخرى من التاريخ والثقافة النوبية، التي تمثل البعد الصحيح للدراسة، بدأت تظهر وتتضح صورة العقائد الملكية الكوشية، على أساس هذه المصادر النصية، ما أثر في التصنيفات التاريخية والثقافية لإقليم النيل الأوسط القديم (Torok 1995: 11). كما أن بعض الآثاريين الأوائل لم يكتشفوا موقع المستوطنات والجبانات الملوكية الكوشية، خلال مجريات حملتي إنقاذ آثار النوبة الأولى والثانية، وفي فترة لاحقة بدأ بعض الباحثين، من أمثال دون لكلانت وفرتز هنتزا وسيف سودربيج وآخرين، دراسة هذه المواقع.

وعلى الرغم من أن هؤلاء كانوا متخصصين في علم المصريات، إلا أنهم بدأوا في كشف الملامح المحلية للثقافة الكوشية (ibid: 11). غير أن رايزنر حين قدم إلى منطقة النوبة لإجراء المسح الآثاري الأول، كانت المفاهيم السابقة راسخة في ذهنه، وهي المفاهيم العرقية ونظرية الانتشار الثقافي والبحث عن الإمبراطورية البيضاء في إفريقيا، إضافة إلى نظرية الهجرة. ويُلتمس ذلك بوضوح في رؤيته عن أصل ملوك نبتة، وترجماته الخاطئة لبعض النصوص، وإغفاله لعادات الدفن الكوشية المستمرة من أقدم الحقب (حضارة كرمة). فقد فسّر رايزنر التاريخ الثقافي النوبي في سلسلة من التفسيرات العرقية، إضافة إلى موجات ثقافية وفدت إلى منطقة النوبة من الشمال. ومن ثم هاجر إليها الليبيون ليؤسسوا نبتة، إذ يعتقد رايزنر أن هناك هجرة لليبيين الجنوبيين نحو نبتة، وفيها دُفن أول زعيم ليبي في القبر رقم (١) بالكرو. واستند في ذلك إلى عدد من رؤوس السهام في الكرو، يعتقد أنها ذات أصل ليبي، وعلى لوح حجري به كتابة تشير إلى الملكة تابيري ابنة ألارا وزوجة بعانخي. ويرى رايزنر أنها لُقبت باسم "سيدة التمحو" أي الليبيين الجنوبيين (Reisner 1919: 227). وقد سار مع رايزنر في هذا الاتجاه أنطوني آركل، خاصة في مؤلفه (تاريخ السودان) (Arkell 1961). إلا أن هذه الأفكار كانت عنده بقدرٍ يسير، أقل من سيطرتها على رايزنر، لأنه كتب في مرحلة انهيار هذه المفاهيم (Trigger 1982: 224).

إن هذه المفاهيم السابقة كانت تتماشى مع الأوضاع السياسية وقتذاك، وهي فترة الاستعمار وفرض الوصاية. فقد كانت الدول المستعمرة وقتها ترفع شعار انتشال الشعوب المستعمرة الفقيرة في إفريقيا من واقعها المتخلف، في حين كانت حضارة تلك الشعوب عميقة الجذور تدل عليها آثارهم، التي تقف شاهداً مادياً حتى الآن. وكان رايزنر، وغيره من الآثاريين آنذاك، متأثرين أشد التأثير بتلك المفاهيم، ما انعكس على تفسيراته للآثار الإفريقية بشكل عام، والكوشية على وجه الخصوص.

وما يؤخذ على رايزنر في الجانب المنهجي تسرعه في حفر المواقع النبتية. فقد حدد هذه المواقع للحفر وكأن ذلك من أجل السبق العلمي لا غير. وقد ذكر رايزنر أن التنقيب في مقابر أربعة من ملوك الأسرة الخامسة والعشرين في جبانة الكرو الملكية، هم كاشتا وبيي وشبكا وشباتكو، اكتمل في خمسة عشر يوماً فقط! وقد خرج من ذلك بسلسلة من الاكتشافات المذهلة، لم يسبق لأي بعثة أن حصلت عليها في هذه الفترة الوجيزة (Reisner 1921: 23). ولا نريد أن نحكم على رايزنر من خلال مفهوم اليوم (القرن الحادي والعشرين)، لأن علم الآثار تطور تطوراً كبيراً عن تلك الفترة، التي نقّب فيها رايزنر ، ومن ثم يمكن أن يُلتمس العذر له في ذلك الوقت، باعتبار أن تقنيات علم الآثار تختلف بين الماضي والحاضر. ولكن لا نلتمس له العذر في السرعة الكبيرة، التي حفر بها جبانة الكرو الملكية.

كذلك، يؤخذ على رايزنر اهتمامه وانشغاله بالنصوص المكتوبة المتعلقة بالعقائد الملوكية، لأنه عالم مصريات في المقام الأول (أستاذ علم المصريات في جامعة هارفارد الأمريكية)؛ لذلك انصب اهتمامه على الجانب الديني والملكي من خلال حفرياته، التي تركّزت بشكل كامل على تنقيب الجبانات الملكية في المواقع النبتية في الكرو ونوري وجبل البركل، والمروية في البجراوية الشمالية والجنوبية والغربية.

ومن ثم أهمل رايزنر تماماً البحث في حياة عامة الشعب، التي تتمثل في مواقع المستوطنات السكنية. فقد خلت كتاباته عن المجتمع النبتي، وركّزت فقط على دراسة الأهرامات الملوكية والنقوش والكتابات الدينية، كما أنه لم يجر مسحاً، وإنما عَمِل في مواقع شاخصة.

وقد تابع دانم أعمال رايزنر ودرس المواد الأثرية، التي تحصّل عليها من حفرياتهما، وكتب التقارير، التي لم يتمكن رايزنر من كتابتها ونشرها قبل وفاته. وقد كرس دانم نفسه لدراسة هذه المواد بصورة مستفيضة، ونشرت له عدة مؤلفات (Dunham 1947, 1951, 1966, 1970)، صحح فيها بعض آراء رايزنر اعتماداً على ما تكشّف له من حقائق. وتُعد دراسات دانم هذه أكثر واقعية لأنها كانت متأنية. وبحكم محدودية البحث مع رايزنر سار دانم في خط رايزنر، ولكن في اتجاه تصحيحه فقط؛ فلم يتوسع في الجوانب، التي لم يتطرق إليها رايزنر، مثل المجتمع النبتي وإعادة كتابة التسلسل التاريخي وغيرها من الآراء، التي عدلت من بعد دانم عن طريق الباحثين المتأخرين. ولعل هذا ما دفع تريقر إلى أن يقول إن علماء آثار تلك الفترة لم تكن تسيطر عليهم جميعهم الأفكار العرقية، وغيرها من المفاهيم، التي ذكرت سابقاً (Trigger 1982: 224). والدليل على ذلك أن دانم أعطى جهداً مقدراً في البحث عن أصول مصطلح نبتة، ورأى أن هذا المصطلح يعطي مبرراً للفصل بين حضارتي نبتة ومروي، جاعلاً من مصطلح (مملكة كوش) حلاً لإبطال هذا الفصل، بحيث يُطلق ليدل على فترة واحدة ذات مسميين مختلفين. كما عدّل دانم في السنوات، التي حددها رايزنر للفصل بين كل جيل وآخر في جبانة الكرو، لتصبح عنده عشرين عاماً بدل ثلاثين.

وفي الفترة، التي أعقبت عام ١٩٥٠م (فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية)، بدأ علم الآثار يسير في اتجاهات جديدة وسّعت أفق هذا العلم، وبدأت مرحلة مهمة من مراحل تطوره. وكان العامل الأساس وراء هذا التغيّر هو توظيف بعض العلوم الأخرى، في خدمة علم الآثار وأهدافه. فقد غيّرت هذه العلوم والتخصصات مسيرة علم الآثار، من المنهج الوصفي إلى نظام دراسي تحليلي. وقد انعكس ذلك في ظهور نظريات ومناهج جديدة.

شهدت هذه الفترة في النوبة تغيّراً واضحاً في إستراتيجيات البحث الآثاري؛ فمثلاً كان لحملة (اليونسكو) لإنقاذ آثار النوبة الأثر الواضح في زيادة الاهتمام العالمي بالآثار السودانية. فَقَدِمَ الآثاريون إلى النوبة يحملون معهم مميزات هذه المرحلة المهمة من تطور علم الآثار، وفهم منهجي جديد متوسع عن الآثار والحضارة النوبية. فكان التغيير والتفسير من فهم ودراسة الانسان القديم والحضارة من وجهة نظر علم الآثار الأنثروبرولجي، إلى فهم السلوك البشري بصورة عامة (ibed: 225). وتحررت النظريات، التي ظهرت في هذه الفترة من هيمنة النظريات التقليدية السابقة، والإستراتيجيات القديمة لعلم الآثار، وشكّل هذا قاعدة علمية واسعة.

تتضح سمات هذه المرحلة بوضوح في دراسات الباحث ديكسون، عن أصل حضارة نبتة (Dixon 1964)، التي ناقش فيها هذا الموضوع بصورة جدية، مستعيناً بأدلة آثارية واضحة المعالم، منتقداً آراء رايزنر السابقة. وكانت أهم هذه الأدلة هي استمرار عادة الدفن تحت تلال ركامية، منذ الفترات النوبية المبكرة (المجموعتان أ و ج). كما أن العادات السودانية تبدو واضحة تماماً في مقابر الكرو، لأن معظم مقابر الأسلاف في ذلك الموقع كشفت عن عادة الدفن على "عنقريب"، وهي عادة جنائزية كانت تمارس منذ عهد المجموعة (ج). وعلاوة على ذلك ظهرت بوضوح على الصور والتماثيل، التي تركها الملوك، السمات الأفريقية الخالصة.

وقد اختص الكوشيون بملابس مميزة، خاصة الطاقية، التي تعد أحد رموز الملكية في مملكة نبتة. إضافة إلى دلائل أخرى قوية، أهمها الأسماء المحلية الخالصة لملوك وملكات نبتة، واختلاف وراثة العرش بين الكوشيين والمصريين (عند المصريين عن طريق الأب مباشرة، وعند الكوشيين من الأخ للأخ أو من الأخ إلى ابن أخته، أو من الملك إلى أكبر أفراد العائلة المالكة وأقواها). وتمثل دراسة ديكسون هذه بداية الالتفات للحقائق التفصيلية (Dixon 1964: 130-131).

أما وليم آدمز، فقد كانت آراؤه تحمل النزعة الأنثروبولوجية بحكم أنه أمريكي الجنسية. وفي أمريكا يدّرس علم الآثار على اعتبار أنه فرع من علم الأنثروبولوجيا. فقد فسّر التاريخ النوبي في ضوء هذه النزعة اعتماداً على الاستمرارية في الثقافة السودانية، ويتضح ذلك جلياً لمن يقرأ

مــؤلفــه (Nubia Corridor to Africa 1977)، الذي استخدم فيه منهجاً جديداً في دراسة الحضارة الكوشية، خاصة الفترة النبتية منها.

شكلت هذه المرحلة، أيضاً، الأساس المتين، الذي انطلقت منه الأبحاث والدراسات عن حضارة نبتة، التي أنجزها كل من كندال وتوروك وموركوت ويلين. فقد اعتمدت بحوثهم على مراجعة البحوث الآثارية والدراسات السابقة وتحليلها، والوقوف على الأدلة الآثارية. وقد كانت هذه الدراسات ذات فائدة عظيمة، خاصة في تصحيح المفاهيم القديمة، ومن ثم ارتادت آفاق جديدة في البحوث الآثارية للفترة النبتية.

فيما يخص الباحث تيموثي كاندل، وهو آثاري كان يعمل في قسم الفن المصري وفنون الشرق الأدنى بمتحف بوسطن للفنون الجميلة، وهو المتحف الذي يُختزن فيه كمٌ من الآثار النبتية، فقد ارتاد مجال الدراسات الكوشية في عام ١٩٨٢، بنشر مؤلفه (Kush: Lost Kingdom of the Nile). ثم انطلق بعد ذلك في البحث عن الفترة النبتية، مركزاً على جوانب لم يتطرق إليها أسلافه، أمثال رايزنر ودانم، في مجال العقائد الملكية، والتسلسل التاريخي لجبانة الكرو، والقصر الملكي النبتي (قصر الملك إسبلتا في موقع جبل البركل). وقد أعطى كندال لجبانة الكرو تسلسلاً تاريخياً أطول من الذي وضعه رايزنر، اعتماداً على تأريخ بعض الأواني، التي عثر عليها بالقبر (١)، وتعود إلى أواخر المملكة المصرية الحديثة. كما أظهر كندل اهتماماً خاصاً بالنقوش الملكية بجبل البركل، وخلص إلى نتيجة مفادها أن الملوك النبتيين كانو قد ربطوا أصلهم بالإله آمون، وبوصفهم يمثلون حلقة الوصل بين الإله والشعب (Kendall 1982). وتُعد دراسات كندل مواكبة للتطور الحالي لعلم الآثار، في استخدامه الحاسب في إعادة رسم المعابد بموقع جبل البركل والبنيات الفوقية للمدافن الملكية بموقع الكرو.

أما الباحثة الأمريكية جانيس يلين (Yellin)، فقد ركزت في دراستها على دور الديانة المصرية، في تكوين السلطة السياسية النبتية. وأوضحت أن العلاقة بين الملوك النبتيين والآلهة المصرية كانت تمتاز بالتعقيد، وكانت تمثل لهم وسيلة للاستيلاء على السلطة والاحتفاظ بها في أسر وصفت بالملكية، دون غيرها من عامة الشعب (Yellin 1994: 8). وتعد هذه الدراسة إضافة مهمة لمعلوماتنا عن كيفية تشكيل مملكة نبتة. وقد اعتمدت على المواد المتحفية المعروضة الآن في متحف بوسطن، وعلى تقارير رايزنر. يمكن القول -من ثم- إن هذه الدراسة تعد من الدراسات القيمة، التي اعتمدت على تحليل وتفسير الأدلة الآثارية بشكل منطقي.

اقتحم الباحث المجري توروك مجال الدراسات الكوشية، على الرغم من أنه لم يجر أي أعمال آثارية في السودان، بل قام بزيارة استكشافية لبعض المواقع الكوشية عام ١٩٨٨م. وجاءت آراء هذا الباحث بناءً على تقارير الحفريات، التي جرت في المواقع الكوشية، ومن ثم مراجعة كل الدراسات والكتابات السابقة ليضع العديد من الآراء الحديثة القيّمة، التي تتعلق بالأيدولوجيه الدينية ذات الجذور المصرية لملوك نبتة، وظهور الدولة النبتية والتسلسل الوراثي لملوكها. كما أنه انتقد بعض الآراء السابقة نقداً بناءً، مواكباً للتطور الذي صاحب علم الآثار، الذي ينادي بتقليل الاعتماد على الحفر في البحوث والدراسات.

أما الباحث البريطاني روبرت موركوت (Morkot)، فقد طرح أفكاراً جيدة عن حضارة نبتة، وعن فترة المملكة المصرية الحديثة في النوبة، وعن زعم بعض الباحثين أن هناك فترة مظلمة بين نهاية احتلال المملكة الحديثة وبداية بزوغ حضارة نبتة. فقد شق موركوت طرقاً جديدة في البحث عن آثار نبتة، وحاول أن يربط كل خيوط الأحداث في مصر والنوبة والشرق الأدنى. وقد ذهب أبعد من ذلك ليبحث عن نبتة في النصوص الآشورية، إلى أن خرج بنظرية ظهور السلطة السياسية النبتية، والظروف التي أدت إلى تكوينها، إضافة إلى تأريخ جبانة الكرو الملوكية، وبداية الدفن فيها، ووراثة العرش، والنسل الملكي. وقد جاءت نظريات موركوت بآراء لم يسبق أن تطرق لها أحد من الباحثين قبله خاصة فيما يتعلق بالاقتصاد النبتي (Morkot 1991, 1994a, 1994b).

وعلى ذلك يمكن القول إن معظم البحوث والدراسات الآثارية، التي أجريت في مواقع حضارة نبتة، خرجت بنظريات متعددة عن هذه الحضارة، إلا أن هناك بعض المواقع، التي أرخت إلى الفترة النبتية لم تكتمل فيها أعمال التنقيب. فموقعا الكوة وصنم أبو دوم لم ينالا ما يستحقانه من تنقيب، ولم تجر أي دراسات تفصيلية على هذين الموقعين. إن إكمال تنقيب هذين الموقعين قد يمد الباحثين بأدلة آثارية جديدة، وبمواد تساعد في حل العديد من المشكلات، التي وقف عندها الباحثون كثيراً، خاصة أن كلا

الموقعين لهما أهمية خاصة في خريطة الحضارة النبتية.

خلاصة:

إن البحوث والدراسات الآثارية، التي أجريت في مواقع حضارة نبتة تمخضت عنها نظريات وآراء متعددة، في مختلف أوجهها؛ فمنها ما تناول الأصل، ومنها ما تناول السياسة والدين. وقد حاولنا تقويم هذه النظريات وربطها بتطور علم الآثار في ذلك الوقت، خاصة أن هذه الدراسات ظهرت في بداية القرن الماضي، معتمدين في ذلك على الأدلة، التي استندت إليها، والظروف، التي نشأت فيها.

وكانت بداية هذه النظريات تلك الآراء، التي ظهرت على يد رايزنر في العقد الثاني من القرن الماضي، إذ يعد رايزنر أول من أجرى حفريات في مواقع الحضارة النبتية. ويمكن تقييم أعماله في النقاط الآتية:

١- جاء رايزنر للعمل في السودان وهو مؤمن بالنظرية العرقية البحتة، التي كان هدفها الأساس خدمة الجوانب السياسية ذات الأغراض الاستعمارية في إفريقيا، بصفة عامة، وفي السودان، بصفة خاصة، تمشياً مع طبيعة علم الآثار في ذلك الوقت.

٢- مع أن رايزنر يعد أول من أجرى حفريات في المواقع النبتية، وكشف عن الجزء الأعظم مما تبقى من الأطلال والمقابر والأهرامات في المواقع المختلفة، إلا إنه يؤخذ عليه التسرع في إجراء هذه الحفريات، وانعكاس النظريات السائدة وقتذاك على نتائجه وآرائه.

٣- لم تكن إستراتيجيات رايزنر واضحة المعالم في أبحاثه؛ فقد كرس بحثه على حفر أكبر عدد من مواقع حضارة نبتة، في أقل وقت ممكن. على الرغم من أن ذلك قد يعود في الأصل للنظرية السائدة، وليس لضعف المنهج الذي اتبعه.

٤- اهتم رايزنر، لكونه عالم مصريات، في دراساته بالطبقة العليا الحاكمة في حضارة نبتة، عندما نقّب فقط المواقع الآثارية البارزة، المتمثلة في الجبانات والأهرامات الملكية، ودراسة النقوش والكتابات الملكية، ولم يجر أي مسح آثاري للتعرف على المواقع الأخرى لهذه الحضارة. ولذلك أهمل رايزنر دراسة المواقع النبتية غير البارزة، ما تسبب في افتقار بحوثه إلى أي معلومات تخص عامة الشعب النبتي.

٥- جاء رايزنر للعمل في السودان بخلفية النظر للآثار السودانية على أنها امتداد طبيعي للآثار الفرعونية جنوباً، وكونها منطقة ظل حضاري.

وعلى الرغم من ذلك تعد أبحاث رايزنر ودراساته الأساس، الذي كشف النقاب عن الحضارات السودانية. وقد استطاع أن يضع اللبنات الأولى للتسلسل التاريخي الكوشي، من خلال دراسته للجبانات الملوكية، التي لم يسبقه أحد. وقد اعتمدت كل دراسات الآثاريين المتأخرين على أعماله، لذا يمكن أن نعدّه (أب الآثار السودانية).

أما الآثاري أنطوني آركل، فقد كتب عن الفترة النبتية من إستراتيجيات رايزنر نفسها؛ ولكن يبقى هناك فارق واضح بينهما، وهو أن آركل لم يكن يؤمن بالنظريات العرقية والنظريات الانتشارية بشكل مطلق، لأنه كتب في فترة اضمحلال هذه المفاهيم.

ثم توالت الأبحاث والكتابات عن الحضارة السودانية بعد عام ١٩٥٠م، بواسطة علماء يحملون طرق ومناهج بحثية جديدة، مستفيدين مما طرأ على علم الآثار من تطور، ومن العلوم الأخرى المساعدة لعلم الآثار، محاولين معالجة التاريخ الثقافي لبلاد السودان.

ومنذ الثمانينيات من القرن الماضي وحتى الآن، ظهرت مجموعة من الدراسات في الحضارة الكوشية، اتسمت بالميزات الحديثة لعلم الآثار كمصدر للمعلومات. وقد اعتمد أغلبها على مراجع وتقارير الحفريات الماضية، ودراسة المواد المتحفية المستخرجة من هذه الحفريات، وعالجت عدداً من الموضوعات، التي كانت غائبة عن أذهان الكثيرين من الباحثين، ما انعكس في تطور الفهم وازدياده عن الحضارة النبتية، التي عالجتها النظريات السابقة، التي كانت تنسبها للعنصر الليبي تارة، وللعنصر المصري تارة أخرى؛ ولكن تبقى نبتة سودانية الأصل والمنشأ.

أ. جمال جعفر عباس: قسم الآثار - كلية الآداب والدراسات الإنسانية - كريمة - جامعة دنقلا - السودان.

المراجع
أولاً: المراجع غير العربية:

Adams, W. Y. 1977. **Nubia corridor to Africa**, Allen Lane University Press, Princeton.

Arkell, A. J. 1961. **A History of Sudan from Earliest Times to 1821**, 2nd ed., The Athlone Press, London.

Daniel, A. J. 1975. **A Hundred and Fifty Years of Archaeology**, Duckworth, Britain.

Dixon, D. M. 1964. "The Origins of the Kingdom of Kush: Napata-Meroe", **JEA**, vol. 50: 121-132 London.

Dunham, D. 1946. "Notes on the History of Kush: 850 BC.-350 AD.", **AJA**, vol. 3: 380-90.

-------------- 1947. "Outlines on the Ancient History of Sudan", **SNR**, vol. Xxviii, Khartoum.

-------------- 1950. El Kurru, **RCK**, 1, Boston.

-------------- 1963. "The West and the South Cemeteries of Meroe", **RCK**, II, Boston.

-------------- 1970. **The Barkal Temples**, Boston.

Groffith, F. L. 1922. "Oxford Excavations in Nubia", VIII-XVII, Napata, Sanam Temple, Treasuty and Town, **LAAA** 9: 67-171.

-------------- 1923. Oxford Excavations in Nubia, **LAAA** 10: 73-171.

Kendall, T. 1982. **Kush: the Lost Kingdom of the Nile**, Boston.

-------------- 1990. "Discoveries at Sudan's Sacred Mountain of Jebel Barkal Reveal Secrets of Kingdom of Kush", **National Geographic**, vol. 178 No. 5: 96-126 Washington.

Leclant, J. 1961. "Sur un Contropide de Menat au nom de Taharqa, Allaitement et Apprition Royale mel, Mariette", **BDE** 32.

-------------- 1963. "Kashta, Pharaon en Egypt", **ZAS**, vol. 90: 74-78.

-------------- 1965. Recherches sur les Mounuments Thebains de la xxv dynastic dite Ethiopienne", Caise Institut Francais d' Archeologie Orientate, Bibliotheque d' Etude, vol xxxvi: 160-61.

Morkot 1991. "Nubia in the New Kingdom: The Limits of Egyptian Control". In: W. V. Davies (ed), **Egypt and Africa: Nubia from Prehistory to Islam**, London, 294-301.

-------------- 1994a. "The Foundations of the Kushite State: a Response to the Paper of Laszio Torok". In: F. Geus (assembled): **Nubia Thirty Tears Later, Society for Nubian Studies Eighth International Conference 11-17 September 1994**, Pre-Publication of Main Papers, Lille.

-------------- 1994b. "The Nubian Dark Age". In: Ch. Bonnet (ed.), **Etudes Nubiennes Conference de Geneve, Actes du Vlle Congres International d'Euudes Nubiennes 3-8 Septenbre 1990**, vol. II: 45-47, Gebeve.

Reisner, G. A. 1917. "Excavation at Napata the Gapital of the Ethiopia", **MFAB** Vol xv, no 89: 25-34, Boston.

-------------- 1919. "Discovery of Tombs of the Egyptian XXV Dynasty at El Kurru in Dongola Province", **SNR** vol II:237-57.

-------------- 1921. "The Royal Family of Ethiopia", **MFAB** vol. Xix no. 112: 29-35, Boston.

Torok, L. 1992. "Ambulatory Kingship and Settlenent History, A Study on the Contribution of Archaeology to the Meroitec History". In: Bonnet, Ch, (ed.), **Etudes Nubiennes**, vol. I: 111-126, Geneva.

-------------- 1995. "The Birth of an Ancient African Kingdom: Kush and her myth of State in the first Millenium BC", **Cahers de recherches del instit de Papyrologie et d' Egypyolohie, de Lille, Supplement No. 4**, Universite Charles, de, Gaulle, Lille iii.

Trigger, B. 1982. From Reisner to Adams: Paradigms of Nubian Cultural History". In: Plumpey, J. M. (ed.), **Nubian Studies**, Cambridge, 223-26.

Yellin, J. 1994. "Egyptian Religion and the Formation of Napatan State", **Paper Presented at the 8th International Conference for Nubian Studies**, Lille.

خربة الذريح:
إضاءات جديدة على ديانة الأنباط ومعتقداتهم

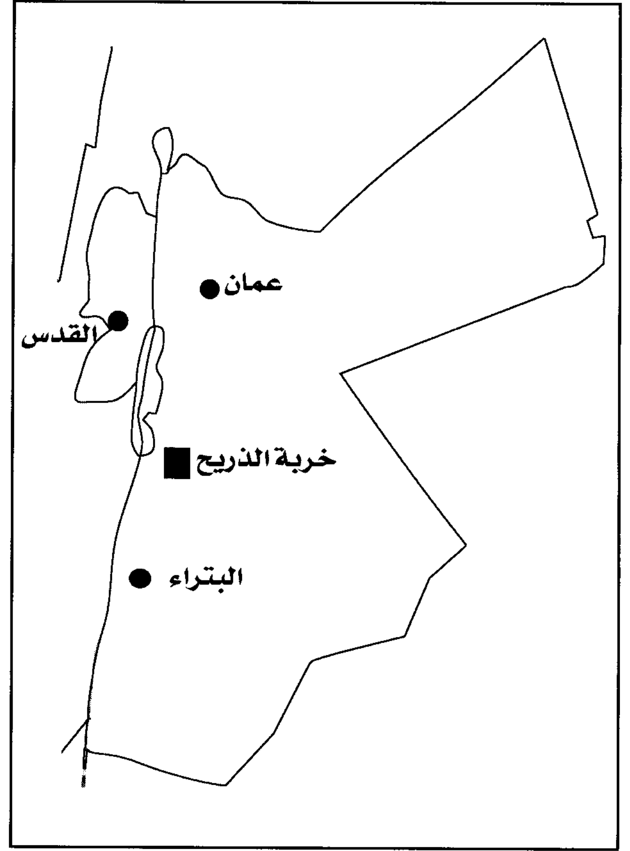
زيدون المحيسن، فرنسوا فيلنوف، مولاي محمد جانيف

ملخص: أسفرت التنقيبات الجارية منذ سنة ١٩٨٤ في موقع خربة الذريح، الواقع على بعد حوالي ٧٠ كم إلى الشمال من البتراء، عن نتائج مهمة تخوّل دراستها إلقاء الضوء على الحياة الاجتماعية والدينية للأنباط، خارج عاصمتهم البتراء. وهذا البحث هو إسهام متواضع في دراسة ديانة الأنباط من خلال آثار خربة الذريح، خصوصا الهيكل. وتركز الدراسة بشكل أساسي على المعبد وآثاره الدالة على كيفية ممارسة الطقوس الدينية، تحديداً في قدس الأقداس. وتهدف المقابلة بين الجزء الداخلي من المعبد، المكرّس تماماً لعبادة الأنصاب وللطقوس الدينية كما مارسها عرب الجاهلية، وبين واجهة المعبد، التي "زينتها" تماثيل نصفية ومنحوتات بالغة الغنى دالة على فضاء ثقافي مختلف، إلى إبراز التنوع الذي ميّز ديانة الأنباط في فترة انتقالية خطيرة تلت سقوط البتراء وضم مملكة الأنباط لروما. ولا تدّعي هذه الدراسة الإجابةَ على كل الأسئلة المتعلقة بهذا الموضوع، إذ سعيُها هو فتح آفاق جديدة من خلال إثارة التساؤلات حول ديانة الأنباط، وتحولاتها بين الأصيل والدخيل.

Abstract. *The archaeological excavations carried out since 1984 at the Nabataean site of Khirbet edh-Dharih, some 70 km north of Petra, led to important results the study of which will shed light on different aspects of the social and religious life of the Nabataeans outside their capital Petra. The present research is a partial contribution to the study of the religion of the Nabataeans through the archaeological vestiges of Khirbet edh-Dharih, especially the sanctuary. Particular interest is devoted to the temple and its main features, which reflect the cult and rituals practiced in the holy of holies. In order to highlight the varied aspects of the Nabataean religion, especially during the transitional period that followed the annexation of Petra by the Romans, two main religious contexts have been studied: the square cultic platform and its elements which characterize the adytum and reflect the ancestral tradition, and the façade of the temple which seems to emanate from another tradition.*

عندما اختار يوليوس فلهاوزن (Wellhausen 1897)، لكتابه المنشور سنة ١٨٩٧ حول ديانة العرب قبل الإسلام، عنوانَ: "بقايا وثنية العرب" (Reste arabischen Heidentums)، فإنما كان يريد التعبيرَ عن مدى قلة ما وصلنا عن هذا الموضوع في المصادر العربية. ومع أن اكتشافَ "كتاب الأصنام"، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، ونشرِه كاملاً من قِبَل أحمد زكي سنة ١٩١٤، كان بمثابة نقطة تحوّل في تاريخ البحث في هذه المسألة، لما يحويه الكتابُ من معلومات مهمة عن معتقدات العرب في الجاهلية، بعد أن كان كل ما يتوافر من "كتاب الأصنام" لا يزيد عن شذرات مبثوثة في كتب التراث، إلا أن الصورة لم تتغير كثيراً إلا بعد أن استفادت الدراسةُ في هذا الميدان من معلومات مهمة قدمها علْمَا الآثار والنقوش، اللذان مكّنا الباحثين من الاتصال مباشرة ودون وساطة بالنص الأول: النصِّ الخالص من الشوائب، سواء أكان وثيقةً مكتوبة أم أثراً مادياً.

في هذا الإطار تأتي التنقيباتُ الجارية منذ ما يقارب العقدين في موقع خربة الذريح، لتلقيَ مزيداً من الضوء على ديانة الأنباط ومعتقداتهم. وهي بذلك تساعد على فهم السِّمات الوثنية في ديانة عرب الجاهلية، إذا افترضنا، من جهة، أن الأنباط عرب، على الرغم من غياب الإجماع التام



الخريطة ١: موقع خربة الذريح.

في هذا الشأن (Dussaud 1955: 2-5; Healey 1989; 2001: 25-32, 80 and passim; Restö 1999)، وأخذاً بالرواية الشهيرة الواردة في ابن الكلبي "... ثم إنه (عمرو بن لحيّ) مرض، فقيل له: إن بالبلقاء من الشام حمّةً إن أتيتها برأت. فأتاها فاستحم بها، فبرأ. ووجد أهلَها يعبدون الأصنام، فقال: ما هذه؟ فقالوا نستسقي بها المطرَ ونستنصر بها على العدو. فسألهم أن يعطوه منها، ففعلوا. فقدِم بها مكّة ونصبها حول الكعبة" (ابن الكلبي ١٩٢٤: ٨).

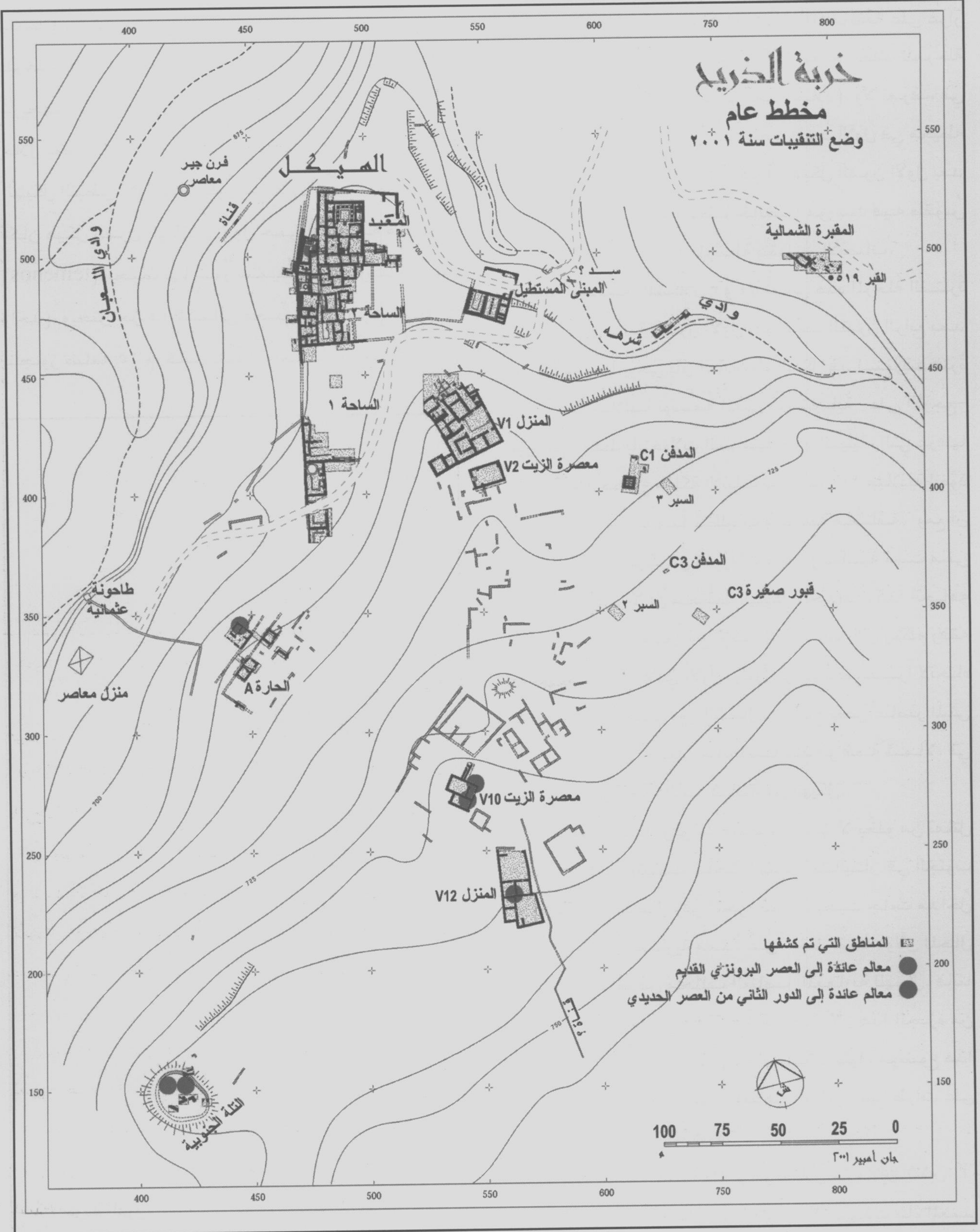
يتعلق الأمر، إذن، بإطارٍ جغرافي يمكن أن يُعدُّ موقعَ خربة الذريح جزءاً منه، في حين يمكن أن يُعد الموقع نفسه جزءاً من عالم الأنباط[1] (الخريطة ١). ذلك أن خربة الذريح تقع في وادي اللعبان، بين الكرك والطفيلة، على الطريق السلطاني القديم، على بعد ٧٠ كم تقريبا شمالي البتراء؛ وهي بذلك تجاور خربةَ التنور، الموقع الذي يمكن أن يُعد بحق توأمَ خربة الذريح وقرينَه. غير أن ما يميز موقع الخربة هو عدم اقتصار آثاره على الأوابد ذات الطابع الديني، مثلما هو الأمر في خربة التنور، حيث يقع هيكلٌ نبطيٌّ مبنيٌّ في منطقة معزولة، بل يتجاوز ذلك إلى أبنية سكنية وصناعية، ستساعد دراستُها على معرفة المزيد عن حياة الأنباط الاجتماعية والاقتصادية خارج عاصمتهم البتراء (انظر مخطط الموقع، الشكل ١).

وقد شهد الموقع فتراتِ استيطان مختلفةً، يرقى أقدمُها إلى العصر الحجري الحديث الفخاري أ (الألف السادسة ق.م.)، وأحدثُها إلى الفترة العثمانية، مرورا بالعصرين البرونزي والحديدي، والفترات النبطية-الرومانية، والبيزنطية، والأموية (Villeneuve and al-Muheisen 2000: 1527-1528).

غير أن أهم هذه الفترات على الإطلاق في الموقع، هي فترة الاستيطان النبطي-الروماني، التي عرفتها خربة الذريح بين القرنين الأول والرابع بعد الميلاد. وقد أسهمت التنقيباتُ، التي تُجريها في الموقع منذ سنة ١٩٨٤ بعثةٌ أردنية - فرنسية مشتركة، تحت إشراف زيدون المحيسن (جامعة اليرموك/ الأردن)، و فرنسوا فيلنوف (المعهد الوطني للبحث العلمي/ فرنسا)، بالتعاون مع دائرة الآثار العامة الأردنية والمعهد الفرنسي للآثار في الشرق الأدنى، أسهمت إلى حد بعيد في تحسين معرفتنا عن الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية للأنباط، خارج عاصمتهم البتراء (انظر نتائج هذه التنقيبات في التقارير الأولية المفصلة، التي أصدرتها البعثة بشكل منتظم (al-Muheisen and Villeneuve 1988; 1994; Villeneuve and al-Muheisen 2000).

وسندع جانباً في هذه الدراسة المجالَين الاجتماعي والاقتصادي، مركزين على الجانب الديني في آثار خربة الذريح النبطية كما برز وتجلّى على وجه التحديد في الهيكل (Sanctuary) ومعالمه.

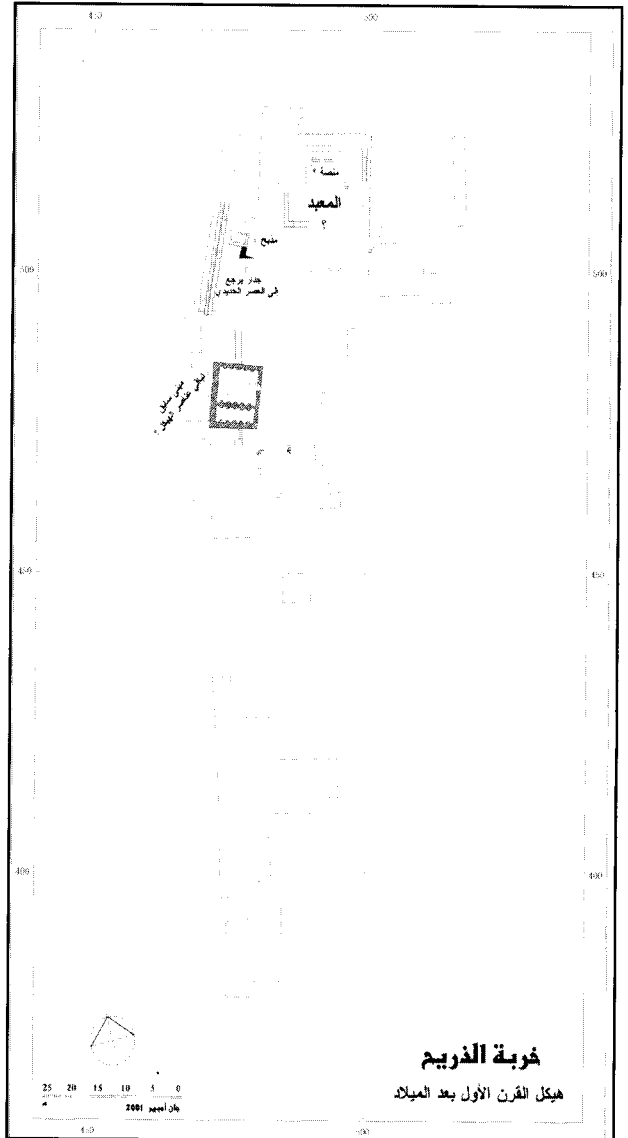
يحتل هيكل خربة الذريح، الذي يمكن أن يُعد واحدا من أكثر الأبنية الدينية التي تركها الأنباط اكتمالاً، مساحةً تناهز ١٥٠ م طولا و ٥٠ م عرضاً. غير أن المبنى، الذي أكتُشف لا يمثل المرحلةَ الأولى الأصليةَ للهيكل، بل يعكس حالةَ توسعته التي تمت في وقت لاحق؛ ذلك أن بناءَ الهيكل قد مر



الشكل ١: مخطط عام للموقع بعد تنقيبات موسم ٢٠٠١؛ (رسم جان أمبير J. Humbert وآخرون).

بمرحلتين اثنتين:

المرحلة الأولى (الشكل ٢): وهي المرحلة التي يمكن إرجاع تأريخها إلى القرن الأول الميلادي، ولم نتعرَّف عليها إلا من خلال بعض الآثار القليلة، التي يمكن الاستنتاج من خلالها أن الهيكل النبطي الأول يكاد يكون بني على أرض عذراء تماماً. وكان هيكل القرن الميلادي الأول حِمَى أو ساحة مقدسة (temenos)، يحيط بها سورٌ سميكٌ نسبياً (سمكه متر واحد)، ويحتل جزءَها الشماليَّ معبدٌ صغيرٌ مربعُ الشكل لا يتجاوز ضلعه ١٥ م، كانت تتخلل واجهتَه أبوابٌ ثلاثةٌ على



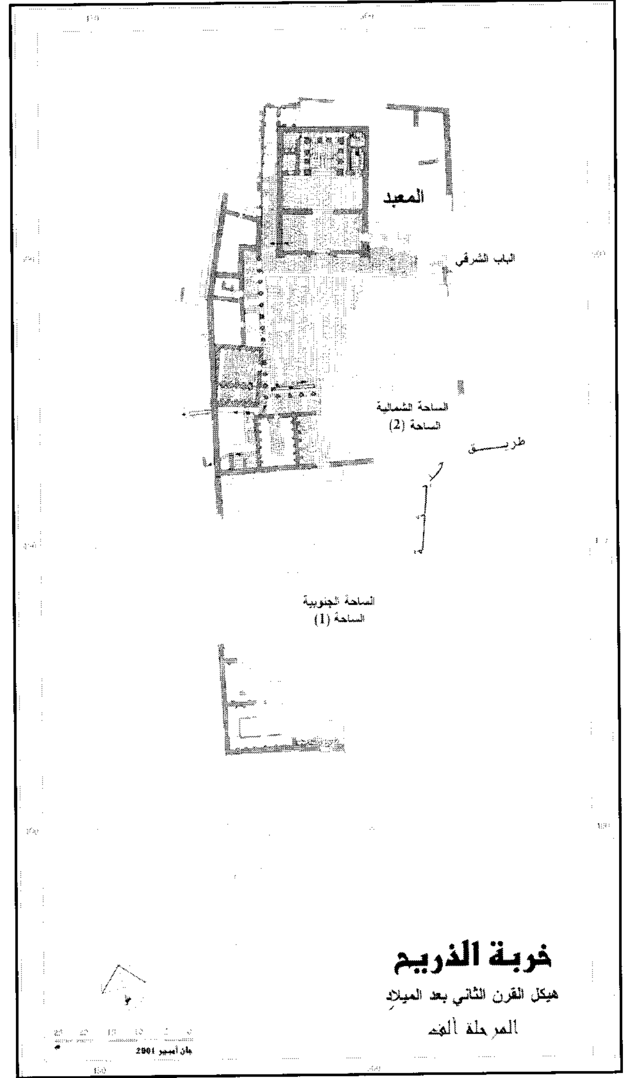
الشكل ٢: مخطط هيكل القرن الأول ب. م. (رسم جان أمبير وآخرون).

الأرجح، وتشغل مركزَه منصةٌ (platform) مرتفعةٌ على غرار تلك التي ستحتل مركزَ قدس أقداس المعبد العائد للمرحلة اللاحقة (معبد القرن الثاني بعد الميلاد). ولا نعرف، في الواقع، أهميةَ الدور الديني الذي لعبه المعبدُ الأولُ في محيطه القريب؛ لكن ما يبدو مؤكداً هو أن هيكل القرن الأول بعد الميلاد كان مبنىً دينياً نبطياً خالصاً، مورست فيه طقوسُ العبادة العربية التقليدية المرتبطة بتقديس الأنصاب.

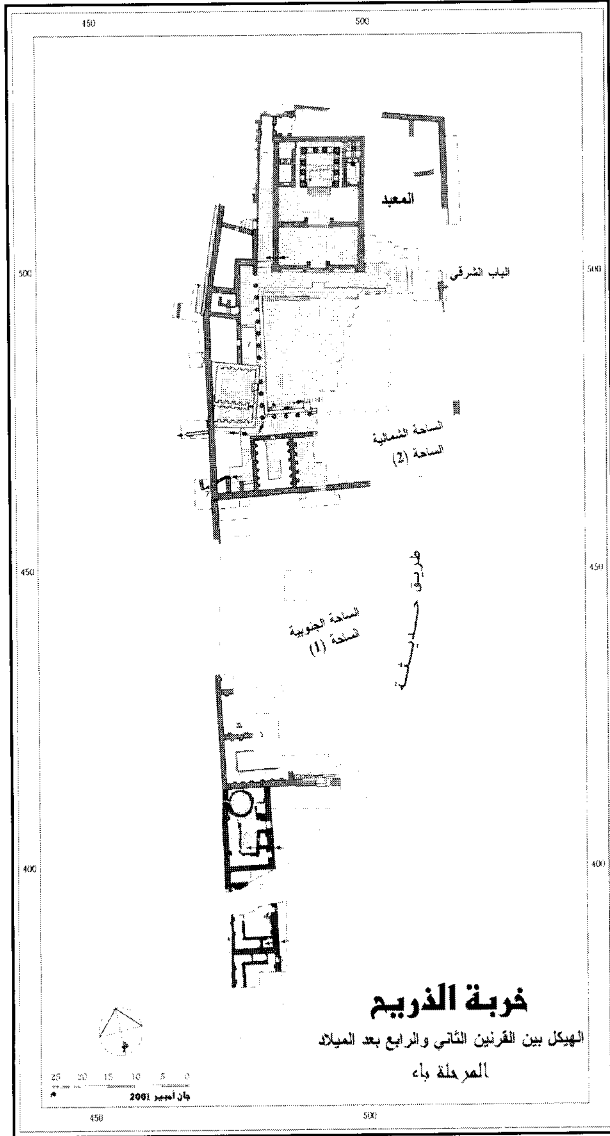
المرحلة الثانية (الشكلان ٣ و ٤): تغطي هذه المرحلةُ الفترةَ الممتدة بين بداية القرن الأول ومنتصف القرن الرابع بعد الميلاد، وهو ما يوحي بأن إعادةَ بناء الهيكل قد استغرقت فترةً زمنية، تم خلالها توسعةُ المبنى، استجابةً -على الأرجح- لبرنامج مرتبط بالتحولات السياسية و/أو الدينية، التي عرفتها المنطقة، مع خضوع مملكة الأنباط بعد سنة ١٠٦ ميلادية لنفوذ روما، وكذلك خضوعاً لمتطلبات وظيفية مختلفة. ومع أن التوسعةَ قد أسفرت عن تعديلات كثيرة وأساسية مَسَّت مبنى المرحلة الأولى، إلا أنَّ مخطَّطَ الهيكل الجديد، وكذا اتجاهَه نحو الشمال، ينسجمان مع الإطارَ العامَّ، الذي كان ينتظم وفقه هيكلُ القرن الميلادي الأول. ولعلَّ في ذلك تفسيراً لاتجاه التوسعة نحو الجنوب دون الشمال، ولإدماج بعض عناصر المبنى الأول في المبنى الجديد، خصوصا تلك الواقعة شمالا، في المعبد، أي في الجزء الأكثر قداسة من الهيكل.

صُمِّم الهيكلُ وفق مخطط متّسق لا يخلو من تماثل محوري. فقد انتظمت ساحتا الهيكل المتتاليتان في الجنوب والمعبدُ في الشمال وفق المحور نفسه، بحيث جاءت مداخلُ هذه الوحدات المعمارية ممتدةً على الخط نفسه. ولأن المجالَ لا يتسع هنا لعرض مختلف العناصر المعمارية للهيكل، فإننا سنركّز على المعبد ومكوناته المختلفة، لأن هذا الجزء من الهيكل هو الأكثر دلالة على الممارسات الدينية، موضوع هذا البحث، مشيرين، باختصار، لمظاهر التطور، التي طرأت على الهيكل خلال الفترة المذكورة.

تتضح ملامحُ هذه المظاهر من خلال مرحلتين اثنتين: "أ" (الشكل ٣) و "ب" (الشكل ٤). فالمرحلة "أ" شهدت بناءَ المعبد وساحتي الهيكل الجنوبية (S1) والشمالية (S2)، خلال النصف الأول من القرن الثاني بعد الميلاد (١٠٠-١٥٠ ميلادية)،



الشكل ٣: مخطط هيكل القرن الثاني ب. م. - المرحلة أ (رسم جان أمبير وآخرون)



الشكل ٤: مخطط هيكل القرن الثاني ب. م. - المرحلة ب (رسم جان أمبير وآخرون)

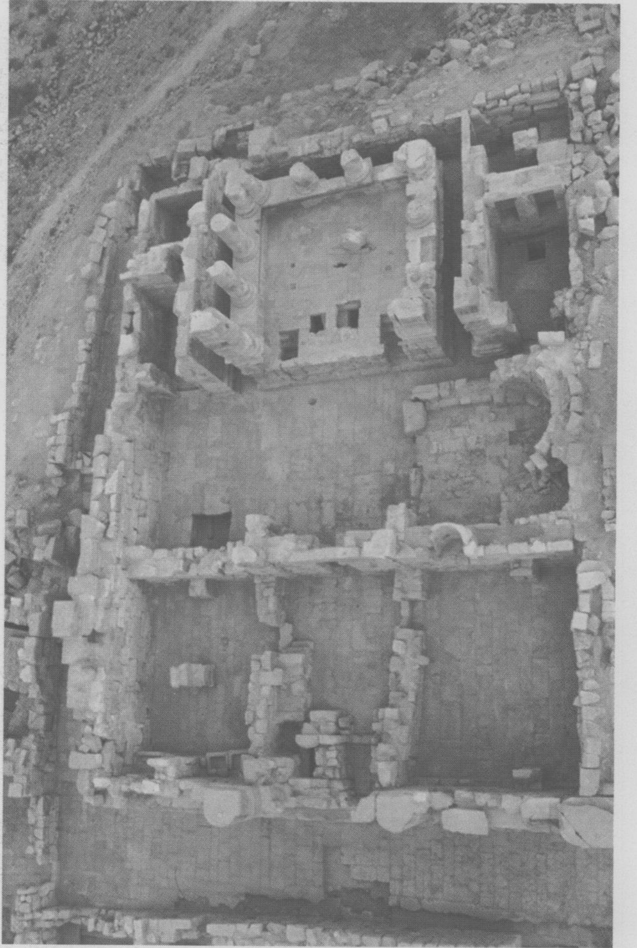
في حين تميّزت المرحلة "ب" بإضافة عدد من الغرف في المنطقة الجنوبية من الهيكل (المنطقة S7)، وكذلك بعض التغييرات، التي أُدخلت على المعبد (إغلاق الباب الشرقي للرواق الجنوبي، تعديل المداخل المُفضية إلى المنصة التي تحتل مركزَ قدس الأقداس)، وعلى الساحة الشمالية (S2).

معبد خربة الذريح: معطيات جديدة حول ديانة الأنباط

يبلغ طول معبد خربة الذريح، الذي كان يرتفع إلى ما يُقارب ١٥ مترا تقريباً، ٢٢ متراً وعرضه ١٥ متراً (اللوحة ١). ويحتل المعبد الجزءَ الشماليَّ لسلسلة متتالية من الساحات. وهو يتكون من مجاز، أو ما يمكن أن يُعد رواقاً أمامياً يتقدمه بابٌ ضيق (٤٠ر٢م). وعلى ما يبدو فقد كان هذا المجاز، الذي يشغل الجزءَ الجنوبيَّ من المعبد، خلواً من أي زينة، إلا من شريط زخرفي من الجص كان يزيّن الأجزاءَ العلوية من جدرانه. وكان هذا الرواق يُفضي عبر باب أكثر اتساعا يبلغ عرضه ٧٠ر٣م، شغل الجزءَ الأوسط من واجهة زيَّنتها مجموعةٌ من المشاكي (niches) المكسُوَّة بالجص، إلى

المَقْدِس (Cella)، الذي اتخذ شكلَ صالة مستطيلة تحتل عرض المعبد كلَّه. وقد تميز المَقْدِسُ بزخارفه الجصية الغنية والمتنوعة (اللوحة ٢). ومن المقدس كان يُعبر إلى الجزء الأكثر قداسة من المعبد، أي إلى قدس الأقداس (Holy of Ho-lies).

إن ما يثير الانتباهَ بشكل أساسي في قدس الأقداس هو



اللوحة ١: صورة شاملة للمعبد، مأخوذة من فوق باتجاه الشمال. وتبدو واضحةً أجزاءُ المعبد التي تتعاقب من الجنوب إلى الشمال على النحو التالي: جدار الواجهة ثم المجاز فالمَقْدِس (Cella) وأخيراً في أقصى الشمال قدس الأقداس، الذي تحتل مركزَه منصة مربعة (موتاب) كانت توضع عليها أنصابُ الآلهة، ويحيط بها رواقٌ ضيقٌ كان على الأرجح بمثابة ممر للطائفين حول المنصة. لاحظْ في المقدس، باتجاه الشرق، حنيةَ الكنيسة البيزنطية التي بُنيت خلال النصف الثاني من القرن السادس ب. م. في هذا الجزء من المعبد (تصوير فرنسوا فيلنوف F. Villeneuve).

المصطبة أو المنصة (Platform)، التي بُنِيَتْ فوق قبوين سفليين، ويعزلها عن الغرف الجانبية رواق ضيق، ربما كان ممراً للطائفين حولها. وإن هذا العنصرُ الدينيُّ المهم، ليقدم - إذن- مثالاً للعمائر الدينية، التي عُرفت في نقوش البتراء باسم الـ"موتاب"، وهي كلمة أثار تفسيرُها جدلاً بين الدارسين لأن سياقات ذكرها في نقوش البتراء غير واضحة بما فيه الكفاية، وإن غلب الاعتقاد حاليا بأن هذه اللفظةَ دالَّةٌ على المجالس أو العروش، التي كانت توضع عليها أنصابُ الآلهة (Healey 2001: 158-159)[٢]. فمن المؤكد، إذن، أن "موتاب" معبد خربة الذريح قد احتل مكاناً أساسياً في طقوس العبادة، التي كانت تجري في هذا المبنى الديني، الذي - لا شك - أنه اكتسب أهميةً كبيرةً تجاوزت بكثير محيطَه المتواضعَ. بيد أن السؤال، الذي يتبادر إلى الأذهان هو: ما طبيعة هذه الطقوس ؟ ممَّ تكوَّنت، وما الجامع بينها وبين التماثيل النصفية والمواضيع الميثولوجية، التي جُسّدت على واجهة المعبد ؟

تفرض الإجابةُ على هذه التساؤلات معالجةَ الموضوع وفق مستويين: مستوى يتعلق بالجزء الداخلي من المعبد، إذ يقدم قدسُ أقداس معبد خربة الذريح معلوماتٍ مهمَّةً عن عبادة الأنصاب وطقوس التضحية للآلهة، كما سادت عند عرب ما قبل الإسلام، ومستوىً يرتبط بواجهة المعبد، التي تُحيل بمنحوتاتها وتماثيلها الآدمية النصفية إلى فضاء ديني وثقافي مختلف.

قدس الأقداس وعبادة الأنصاب (الشكل ٥):

وكما سبقت الإشارة إلى ذلك، فقد احتلت قدسَ أقداس المعبد منصةٌ أو مصطبة مربعة الشكل، يبلغ طولُ ضلعها سبعةَ أمتار، وارتفاعُها ١٫٤ م، كان الارتقاء إليها بواسطة درجين جانبيين ضيقين، وتعلوها مظلة ذات أعمدة. وفي وقت لاحق، على الأرجح خلال القرنين الثاني أو الثالث بعد الميلاد، أُغلقت الدرجتان واستبدلتا سلماً ثابتاً يوصل إلى المنصة، التي تدل التجاويف الثلاثة المحفورة على سطحها على أنها كانت قاعدةً توضع عليها الأنصاب. ومع أننا لم نعثر على أي نصب في هذه المنطقة من المعبد؛ وهو أمر يسهل فهمه إذا

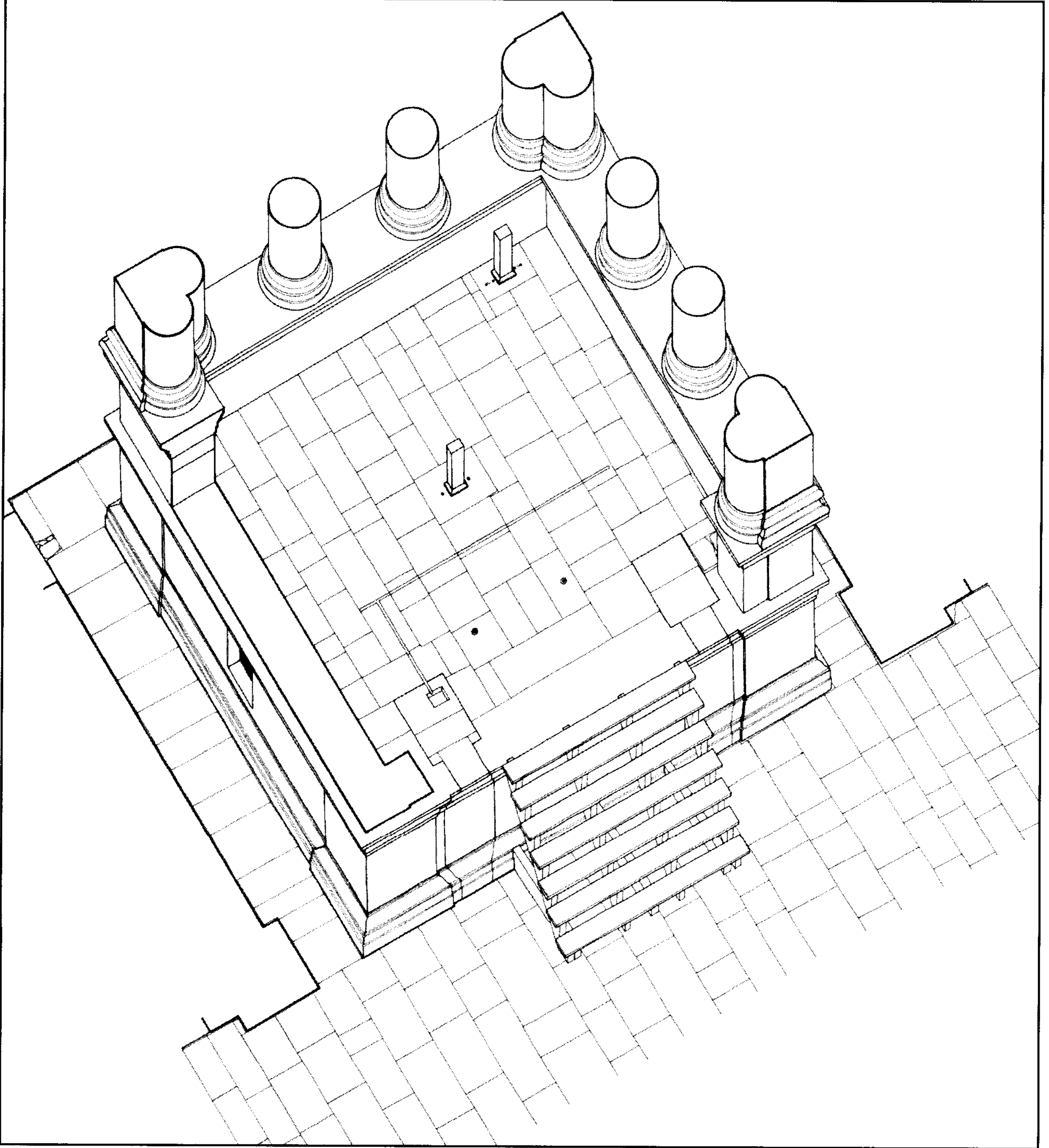
أخذنا بعين الاعتبار عواملَ إعادة استيطان المبنى خلال الفترتين البيزنطية والإسلامية المبكرة، التي أدت إلى طمس جزء من معالم المعبد النبطي، إلا أنه ما من شك أن هذه الأنصاب لم تختلف في شيء عن تلك، التي يحتويها بأعداد كبيرة موقعا البتراء والحِجْر (اللوحة ٣).

بيد أن معبد خربة الذريح يتفرَّد بغنى المعلومات، التي تقدمها عناصرُه المعمارية، وتحديداً ما يتعلق بالطريقة، التي كانت تقام وفقاً لها الطقوسُ الدينيةُ في الأجزاء الأكثر



اللوحة ٢: قطعة من الجص تمثل رأسَ أنثى (آلهة ؟). شكلت هذه القطعة الجميلة جزءاً من الزخرفة، التي زينت جدران مقدس المعبد (تصوير إيغ فونطين H . Fontaine).

قداسة من المعابد النبطية، ما يتيح تعميقَ فهمنا لبعض المباني الدينيـة النبطيـة المشـابهـة، مـثل مـعـبـد اللات في إرم (انظر Tholbecq 1998)، أو المعبد المعروف باسم "معبد الأسود المجنحة" في البتراء، أو حتى المعبد الصخري المعروف باسم "المذبح"، الواقع بين المسرح ووادي فَرَسَه، غير بعيد عن سيق البتـراء، دون أن ننسى أخيـراً المعبـد الأهم في البتـراء، أي



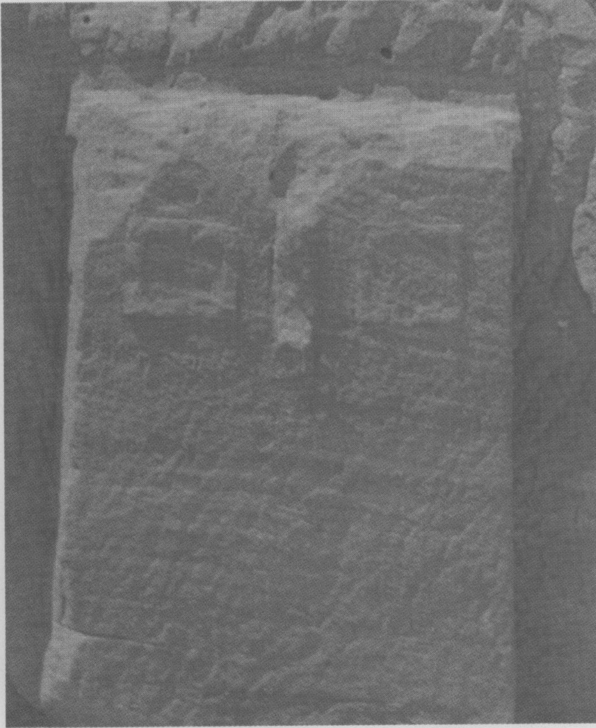
الشكل ٥: رسم ثلاثي الأبعاد (axonometric) لمنصة المعبد. لاحظْ موضعَ النَّصَبَيْن والميزابَ، الذي يوصل دمَ الأضاحي لحوض يقع دون مستوى المنصة، ثم الدرجَ الخشبي المُوصلَ إلى المنصة (رسم جان أمبير).

"قصر البنت". ذلك أن العناصر، التي تقدمها المنصةُ، بوصفها قاعدةً للأنصاب ومجلسا للآلهة، تعكس جانباً أساسياً من الطقوس والاحتفالات الدينية الموسمية، التي كانت تقدَّم خلالها الأضاحي للآلهة.

وفي نص متأخر كتبه القديس إبيفانيوس (Saint Epi-phanius) أسقف سلاميس، حوالي ٣١٥-٤٠٣ ميلادية)، في معرض حديثه عن البتراء والإسكندرية وإلوسا أو الخالصة، وهي مدينة نبطية في النقب، ثمة ما يوضح هذه الطقوس ويُلقي الضوءَ عليها. يقول إبيفانيوس متحدثا عن أهالي هذه المدن وطقوسهم الدينية:

"... *وهم يسهرون الليلَ كلَّه مرنِّمين أناشيدَ للصنم تصحَبُهم المزامير. وعندما يُنهون سهرَهم مع صياح الديك، ينزل حاملو مشاعلَ إلى مكان مقدس سفلي ويأخذون من هناك صنما من خشب [...] فيدورون بالصنم سبعَ مرات حول الـ"ناووس" الداخلي بمزامير وطبول وأناشيد، ثم يولِمون (يصنعون وليمة) ويعيدون الصنمَ إلى مكانه السفلي. [...] يحدث هذا أيضا في البتراء [...] في الـ"أيدوليون" eidôlion، حيث يرنمون بالعربية أناشيدَ للعذراء التي يسمونها كعمو Xaauov* [٣] *يعني كوري Kopnv أو العذراء في العربية. والابن الذي وُلد لها يسمونه ذو الشرى Dousarès أي "الابن الوحيد للرب". وقد حدث هذا أيضا هذه الليلة في إلوسا". (Villeneuve and al-Muheisen 2000: 1557).*

إن النزعة الإسقاطية أو التوفيقية في هذا النص لا يمكن أن تُغفلَها العين؛ إذ يُلاحظ إسقاطَ مفردات هي من صميم اللاهوت النصراني: (العذراء، الابن الوحيد للرب) على مفردات وثنية خالصة. وبغض النظر عمَّا إذا كانت هذه النزعة تعبيراً عن نظرة الكاتب (إبيفانيوس) للأمور، أو كونَها انعكاساً لاتجاه توفيقي تبناه الأنباطُ كردة فعل تُجاه المد المسيحي، الذي عرفته المنطقة ابتداءً من القرن الرابع بعد الميلاد، فإن هذا النص يكتسب أهميةً كبيرة. فهو لا يقتصر على إلقاء الضوء على المعالم، التي تُقدمها بعض المعابد النبطية فحسب، بل يتجاوز ذلك بتقديمه وصفاً حياً للطقوس الدينية، كما كانت تُجرَى داخل هذه المعابد. والاتفاق المثير بين المعلومات الواردة في النص، وبين المعطيات الآثارية، التي



اللوحة ٣: حت تجريدي يمثل نصباً ذا عينين وأنف. من المحتمل أن نصبي معبد خربة الذريح كانا يتخذان شكلا مماثلا لهذا الأثر المنحوت على جبل إثلب في الحجر-مدائن صالح (نقلا عن الأنصاري وأبو الحسن ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م: ٦٩).

يقدمها "موتاب" معبد خربة الذريح، يُضفي على نص إبيفانيوس مصداقية تجعلنا نقبل ما ورد فيه دون تحفظ، بما في ذلك المعلومات، التي لا يمكن أن نفحص صحتَّها باللجوء إلى الآثار؛ نقصد تحديداً الجوانبَ المتعلقةَ بالاحتفالات الدينية، بما فيها من ترانيم وولائم طقوسية.

فـ "موتاب" معبد خربة الذريح يجد نظيرَه الأمثل في الـ"ناووس"، المذكور في نص إبيفانيوس، والقبوين الواقعين أسفلَ الـ"موتاب"، حيث كانت تودَع الأنصابُ وقطعُ العبادة عندما تنفض الاحتفالات الدينية، يقابلهما المكانُ السفليُّ المقدَّس الوارد في النص نفسِه. أما الوليمة، التي ذكرها إبفانيوس، فربما وجدنا تجسيداً لها في المجالس الطقوسية (triclinia)، التي ما زالت آثارُ الهيكل تحتفظ ببعضها.

وإذا كان نص إبيفانيوس يقدم معلوماتٍ قيِّمةً، لا نستطيع الاستدلالَ عليها من خلال الآثار، مثل تلك المتعلقة بمواقيت تنظيم الطقوس (الليل) أو كيفية إحيائها (الطواف،

الترانيم والولائم)، فإن آثار معبد خربة الذريح تقدم معلومات لا تقل أهمية، لأنها تتمم هذا النص وتجعلنا ندرك ما ورد فيه عينَ اليقين، ونقصد هنا تحديداً ما تعلق بالأضاحي وكيفية تقديمها للآلهة/ الأنصاب، على "موتاب" المعبد. فقد عثر في هذا الجزء من المعبد على كل ما من شأنه إبراز هذا الجانب، الذي احتل مكانةً مهمة في ديانة الساميين عموماً، والعرب خصوصا خلال فترة ما قبل الإسلام.

كان "موتاب" معبد خربة الذريح يشهد، على ما يبدو، خلال الأعياد الدينية تقديمَ الأضاحي والقرابين للآلهة، التي نجهل أسماءَها بسبب عدم العثور، حتى الآن، على أي نقش يذكر الآلهة، التي كُرّس لها المعبد. بيد أن وجودَ ثلاث حفر صغيرة نُفذت على سطح الـ"موتاب" وفق خط منحرف، يدل -دون شك- على أن نصبين اثنين كانا يشغلان الحفرتين الوسطى والشمالية-الشرقية، كما يبدو في (الشكل ٥)، بينما كانت الحفرة الجنوبية-الغربية تتلقى، على الأرجح، الدماءَ المسكوبة على النصبين عبر ميزاب ضيق حُفرَ أمام النصب الأوسط، كانت وظيفتُه ايصالَ هذه السوائل إلى حوضٍ قُدَّ من جذع عمود. وكان هذا الحوض يوضَع في الزاوية الجنوبية-الغربية للـ"موتاب"، دون مستوى أرضية المنصة، حتى يكون في إمكانه تلقي وجمع سوائل الأضاحي المسكوبة على النصبين. أما الثقوب التي تخللت سطحَ الـ"موتاب" (الشكل ٥)، فقد أدت وظيفةً مماثلةً، إذ كان الغرضُ منها تمرير الدماء إلى أحواض تقع أسفل الـ"موتاب" (Villeneuve and al-Muheisen 2000: 1556-1557; Villeneuve and al-Muheisen: In Press).

وقد اعتقدنا في البدء أن الحفرَ الثلاث، التي تتخلل قاعدةَ المنصة بشكل منحرف، كانت مواضعَ لتثبيت ثلاثة أنصاب، وهو ما دعانا إلى الاعتقاد بأنَّ آلهةً ثلاثةً كانت تَتَسيَّد الهيكل. بيد أن مزيداً من الفحص والتدقيق دفعنا إلى تعديل هذا الاستنتاج، وذلك بالذهاب إلى أن الأمرَ ربما تعلق، على الأرجح، بنصبين اثنين لا ثلاثة. وقد يصح هذا الاعتقاد بالنظر إلى أن الحفرتين الشمالية-الشرقية والوسطى تنفردان بوجود ثقبين يحاذي كلَّ واحدٍ منهما الحفرة على حدة، بينما لا تحظى الحفرة الجنوبية-الغربية بهذه الخاصية (الشكل ٥).

ونتساءل هنا حول هوية الآلهة، التي جسّدتها هذه الأنصاب، هل يتعلق الأمر بآلهة "نبطية" خالصة، من قبيل ذو الشرى أو اللات/ العزى ؟ هل يتعلق الأمر بآلهة دخيلة على الـ"بانثيون" النبطي، لعلها ذات صلة بالآلهة التي سادت عبادتُها في هذه المنطقة من الأردن خلال عصر الحديد (قوس كبير آلهة الإدوميين مثلا...) ؟ هل يتعلق الأمر بتوفيق (syncretism) أو مماثلة (assimilation)، بين مجموعة من الآلهة المختلفة اسماً، المتشابهة جوهراً ووظيفة ؟

من الصعب الإجابة على هذه الأسئلة في الوقت الراهن؛ وما دام النص غائبا فأن أقصى ما يمكن الطموح إليه عند محاولة الرد على هذه التساؤلات، هو الزعم بأن هيكل خربة الذريح قد تَسَيَّده زوجٌ من الآلهة قد لا يختلف كثيرا عن الزوج (هدد/ عطرغتيس)، الذي نجد صداه موجوداً بقوة في مواقع مجاورة، مثل خربة التنور (McKenzie et al. 2002: 76)، أو قصيَّة مثل إدسَّا-الرُّها (أورفه)، في الجزء الشمالي من الرافدَيْن (Ross 2001: 89-90).

إن ما يثير الانتباهَ، كذلك، هو أن هذه الحفر، التي كانت تُثبت فيها الأنصابُ، انتظمت وفق خط منحرف لا يتعامد مع الخط المحوري شمال-جنوب، الذي ينتظم وفقه الهيكل، ولا يتوازى مع واجهة المعبد وعناصرها المعمارية المنحوتة. وإذا كنا غير قادرين، بعدُ، على فهم السبب وراء اختيار تقديم الأنصاب على منصة المعبد وفق خط منحرف، فإن المعطيات، التي يقدمها "موتاب" معبد خربة الذريح باتت تناقض ما ذهب إليه، على سبيل المثال، ميشال جافليكوفسكي (M. Gawlikowski) حين عدَّ المصاطبَ أو المنصات (platforms)، التي تحتل مراكزَ بعض معابد الشرق الأدنى العائدة للفترة الرومانية، "موضعا لإقامة طقوس التضحية لا لعرض الأنصاب [...]، ساحةً معمَّدةً ضمن مَقْدِس المعبد لا قاعدة معمارية مخصَّصة لحمل قطع العبادة" (Villeneuve and al-Muheisen 2000: 1556, n. 37).

إذن من الثابت أن هذا الجزء من معبد خربة الذريح قد خُصِّصَ لطقوس دينية عربية خالصة، احتلت فيها شعائرُ

معينةٌ، مثل: التضحية، وسكب دماء الأضاحي على الأنصاب، والطواف، وإقامة الولائم الطقوسية... مكانةً أساسية. ويبدو أن الـ"موتاب" كان قابلا للكشف أو للحجب، بفضل حاجز معدني في مقدمة المنصة، مثلما هو الأمر في معابد نبطية أخرى، كمعبد "الأسود المجنحة" في البتراء.

ونستطيع، إذن، من خلال المستمسكات الآثارية المتاحة، تصوُّرَ إجراء هذه الطقوس على نحو يتفق تمامَ الاتفاق مع الوصف، الذي قدمّه أسقف سلاميس (المبيّن سابقاً)، مضيفين أن الغرف الجانبية، التي تحيط بـ"الموتاب" (أربع غرف: غرفتان ذات اليمين وغرفتان ذات الشمال) لا تنفصل عن هذا السياق الطقوسي؛ وحتى الغرفة الشمالية-الشرقية، التي شغلتها مرقاة دَرَج، لا بد أن الكهنة كانوا يصعدونها حاملين أنصابَهم لمعاينة تجليات الآلهة (Theophanies)، على الأرجح، خلال اللحظات الأخيرة من إحياء هذه الطقوس. بعد ذلك، وفور انفضاض الاحتفالات الدينية، كانت تودع الأنصاب ومتعلقات العبادة في القبوين الواقعين أسفل الـ"موتاب"، أو في القبو الموجود تحت الغرفة الجنوبية-الشرقية (.Villeneuve and al-Muheisen 2000: 280 1556-1558; 2000/2001). أما القيّمون على تنفيذ هذه الطقوس، فلا بد أنهم كانوا ينتمون إلى "أسرة" اضطلع أفرادُها بدور محوري في إدارة شؤون الهيكل والقرية. ولعل أبرز الآثار الدالة في الموقع على تميّز أفراد هذه "الأسرة" عن غيرهم، تكمن في المنزل الفخم (V1)، الذي ربطته جادَّةٌ مبلطة بالهيكل، وكذا في الضريح التذكاري (C1)، الذي تفوّق كثيراً بحسن عمارته على باقي مدافن القرية (انظر الدراسة المستفيضة لهذا الضريح، كما لمدافن القرية، في Lenoble et al. 2001).

وكما سبقت الإشارة إلى ذلك، فإن إبيفانيوس يقدّم في نصه المذكور أعلاه معلومةً في غاية الأهمية، لا يمكن الاستدلالُ عليها من خلال المستمسكات الآثارية، وهي: إحياء هذه الطقوس ليلاً، واستمرارها حتى طلوع الفجر. بيد أن هذا التحديد الدقيق لا يمنع من التساؤل حول الموسم، الذي كانت تُجرى فيه هذه الاحتفالات الدينية. ما موقعه من السنة؟ أكان يحل في الخريف أم في الصيف ؟ هل ارتبط إحياء هذه الطقوس بحدث معين، أو بظواهر طبيعية محدَّدَة (منازل النجوم مثلا) ؟

إن الإجابة على هذه الأسئلة، تستوجب الانتقالَ إلى جزءٍ آخرَ مهمٍ من معبد خربة الذريح، إلى الواجهة، التي شكل الكشفُ عن بعض أجزائها في السنوات الأخيرة حدثا في حد ذاته.

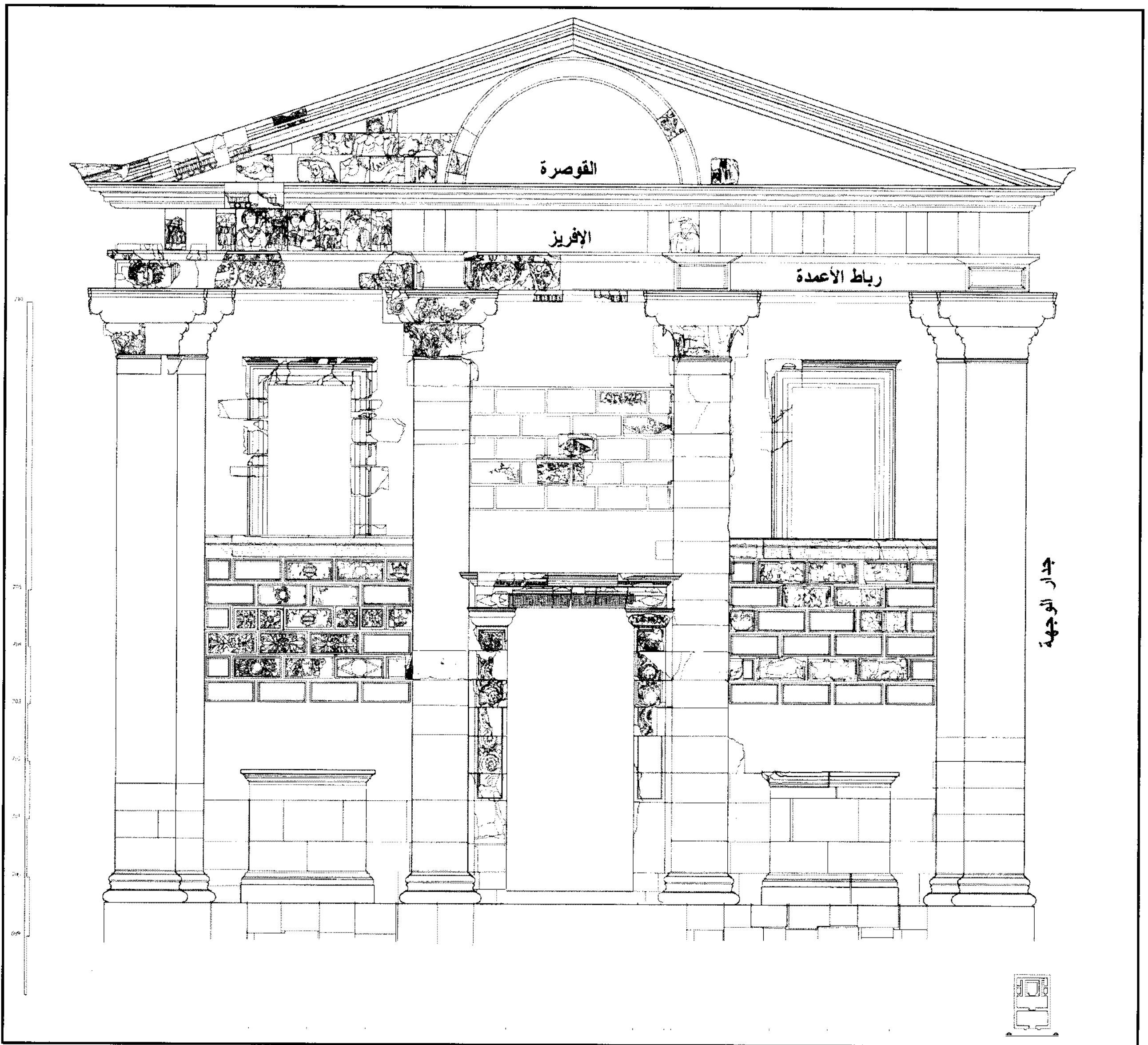
واجهة المعبد: الفن الديني النبطي بين الأصيل والدخيل:

حتى سنة ١٩٩٤، لم تكن البعثة الأردنية-الفرنسية قد أماطت اللثام سوى عن عناصرَ قليلة من هذه الواجهة، كان أبرزها على الإطلاق، في ذلك الحين، التمثال النصفي، الذي عُثر عليه خلال الموسم السابع من التنقيبات وعُدّ حينَها تمثالاً نصفيا يجسد هرمس أو على الأرجح أكتب/الكُتبى، نظيرَ هرمس في الـ"بانثيون" النبطي (al-Muheisen and Villeneuve 1994: 745-746. Fig. 5). بيد أنه إذا كان هذا التحديد قد أملته اعتباراتٌ أيقونغرافية في ذلك الحين، فإن توالي اكتشافات عناصر الواجهة، خصوصا خلال الموسم التاسع (موسم ١٩٩٨)، قد دفع إلى إعادة النظر في هذا التحديد، وذلك عن طريق ربط التمثال النصفي المكتَشَف بسياق أكثر شمولاً واتساعاً هو سياق الواجهة، التي كانت "تزيّن" معبدَ خربة الذريح بين القرنين الأول والرابع بعد الميلاد.

وقد ناهز ارتفاعُ الواجهة (الشكل ٦) ١٥ مترا؛ وهي بذلك تُعَدُّ واحدةً من أكثر الواجهات، التي تركها الأنباطُ ضخامةً واكتمالاً. وتشكل واجهة معبد خربة الذريح الامتدادَ الرأسيَّ للجدار الجنوبي للمعبد، وهو امتداد كان يظهر على شكل مُنشأة بارزة، ترتكز على أربعة أعمدة استنادية أو عضادات، تزيّنها تيجانٌ كورنثية، وتتوزع بشكل متماثل محورياً على يمين ويسار بابٍ ضخم يناهز علوُّه خمسةَ أمتار، يُفضي إلى مجاز جنوبي يحتل عرض المعبد كلَّه. ونجد التماثل المحوري مطبقاً بإحكام في مختلف أجزاء الواجهة، حيث تتوافر العناصرُ الواقعة في النصف الغربي من الواجهة، على ما يناظرها في النصف الشرقي. فإذا انطلقنا من الأسفل إلى الأعلى وجدنا

قاعدتين، ربما حملت كلٌّ واحدة منهما على حدة تمثالَ حيوانٍ حامٍ (apotropaic) للمعبد. ويدل عثورُنا أمام الواجهة على بعض الكسر المنحوتة أن هذا الحيوان، على الأرجح، من فصيلة السِّنَّوريات (فهد أو نمر ؟). ثم توجد بعد ذلك إطاراتٌ منحوتةٌ ضمت أشكالاً مختلفة تفتقد نسبياً إلى التجانس، يبرز بينها بشكل خاص نحتٌ قد يرمز إلى الذئبة الرومانية وهي ترضع التوأمَ ريموس و رومولوس، مؤسسيْ روما حسب الأسطورة اللاتينية الشهيرة (Villeneuve and al-Muheisen 2000: 1546; Villeneuve 2002). وتعلو هذه الإطاراتِ نافذتان، يدل وجودُهما على أن الصالة الواقعة مباشرة خلف الواجهة (المجاز الجنوبي للمعبد) لم تكن غرفةً بالمعنى الدقيق، بل ساحةً أو مجازاً غيرَ مسقوف، يفضي باتجاه الشمال إلى مَقْدِس المعبد[cella] (Al-Muheisen and Villeneuve 2000: 1543).

بيد أن أهمَّ ما في الواجهة على الإطلاق هي العناصر المنحوتة، التي كانت تشكل الأجزاءَ العلوية للجدار الجنوبي للمعبد: رباط الأعمدة (architrave) ثم الإفريز (frieze) فالجبهة المثلثة أو الجبلونة أو القَوْصَرة (pediment). وعلى



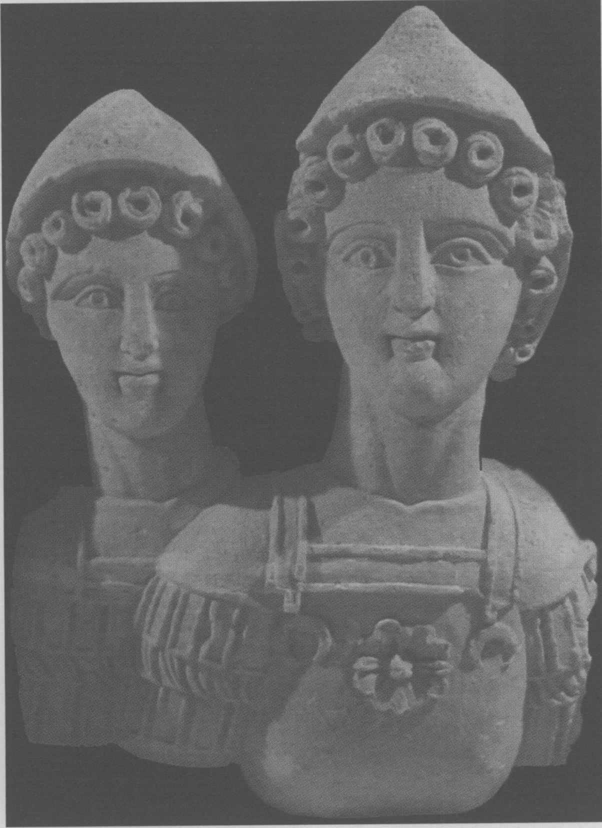
الشكل ٦: رسم تصوري لواجهة معبد خربة الذريح، حيث يمكن تبيُّن عناصر الواجهة المختلفة: رباط الأعمدة ثم الإفريز ذو التماثيل النصفية فالقَوْصَرة المثلثة في الأعلى... (إنجاز رونو دو لانو R. de La Noue رسم رفائيل دريزار R. Drizard وآخرون).

الرغم من تعرّض الكثير من هذه العناصر للتحطيم من قبل مناهضي الأيقونات (Iconoclasts)، أو لإعادة الاستخدام خلال الفترتين البيزنطية والأموية، إلا أن سنوات من العمل الدؤوب قد مكنتنا من وضع تصور شبه تام لهذه الواجهة (الشكل ٦).

رباط الأعمدة (architrave): تشكّل من حجارة ضخمة، زينتها زخارف بارزة زاوجت بين الأشكال النباتية (الكرمة، سعف النخيل...) والحيوانية (الوعول والطيور...)، وقدمت في بعض الأحيان صدىً لموضوعات ميثولوجية إغريقية أو رومانية (إيروس قاطفا للعنب...؟) غير واضحة بما فيه الكفاية. وقد تشكَّل طرفا رباط الأعمدة من نحتَيْن، يمثل كل واحد منهما رأسَ مِدُوزة (Medusa).

الإفريزُ (frieze): مَثَّلَ بعناصره المنحوتة البارزة أهمَّ أجزاء الواجهة على الإطلاق. وقد تشكّل من تماثيل نصفية تعاقبت بشكل أفقي مع رباتِ نصر مجنَّحَة، حيث توَّجت كلُّ ربة نصر مجنَّحَة (Nike) التمثالَ النصفيَّ، الذي كان يعقُبُها. ولعل ما عُثر عليه إلى الآن من تماثيل نصفية كافٍ للتأكيد على أن الأمر يتعلق هنا بمنحوتات رمزت للأبراج الإثني عشر؛ وقد اتخذت أشكالاً آدمية وانتظمت بشكل أفقي على هيئة شريط، ناهز عرضُه اثني عشر متراً (الشكل ٦). وهاتان ميزتان يندر أن نجدَهما في المنحوتات الدالة على الأبراج في فن الشرق الأدنى القديم، إذ اتخذت تلك المنحوتات، في الغالب الأعم، أشكالاً آدمية وَ/أو حيوانية، وانتظمت داخل حلقات أو أنصاف دوائر (Ness 1990: 79-90). ويكفي أن نتأمل بعض العلامات الموجودة على التماثيل النصفية المكتشَفَة، لنستطيعَ تحديدَ البرج المقصود: القرنان لبرج الثور، والقُرَص لبرج السرطان، ثم الميزان مرسوماً على الصدر لبرج الميزان (الشكل ٦)، أما برج الجوزاء فدلَّ عليه التمثالُ النصفيُّ المزدوَج، الذي نُفِّذَ وفق أسلوب بالغ السلاسة (اللوحة ٤).

القَوْصَرَة أو الجبهة المثلثة (pediment)، على غرار باقي



اللوحة ٤: تمثال نصفي يرمز لبرج الجوزاء. شكل هذا الأثر المنحوت جزءا من إفريز الواجهة (تصوير كريستيل مارك C. March).

أجزاء الواجهة، فقد تماثَل جزءاها الأيمن والأيسر محورياً دون أن يقدما عناصرَ بالغة البروز، مثلما هو الأمر في الإفريز. ويبدو أن عقداً قد شغل مركزَ القَوْصَرَة، لكن يظل من غير المعروف ما إذا كان هذا العقد في الأصل فارغاً أو ممتلئاً؛ ولأن قاعدةَ التماثل المحوري هي السائدة في كل أجزاء الواجهة، فإن أشكالاً مماثلة لتلك، التي كُشف عنها في الجزء الأيسر من القوصرة، لا بد أنها كانت "تُزيِّن" الجزءَ الأيمن كذلك. ويتعلق الأمرُ تحديداً بأشكال منحوتة قليلة البروز تمثل قنطوراً بحرياً (Centaur)، أو ما يُعرف في الميثولوجيا اليونانية باسم تريتون (Triton)، وهو وحش هجين جزؤُه العلوي بشري والسفلي حيواني، ينتهي بذَنَب حلزوني طويل. ويُلاحظ هنا بأن الـ"قنطور" قد صُوِّر بشكل مُواجِه (frontal) تماماً، وهو يرفع إحدى يديه، تُتَوِّجُه ربةُ نصر مجنَّحة، بينما يفصله عن منطلق العقد نسرٌ قد أفردَ جناحيه، وفي أقصى اليسار ثمة نحتٌ قليل البروز يمثل سمكة

(Villeneuve and al-Muheisen 2000: 1554).

إن المجالَ هنا لا يتسع للخوض في المدلول الميثولوجي لهذه "المشاهد"، وحسبُنا أن نعترفَ بأننا ما زلنا بعيدين عن فهم مدلول الواجهة، ليس لأن ثمة نقصا في معارفنا حول هذا الموضوع، ولكن لأن السياق العام لهذه المنحوتات هو في غاية الغرابة. ولعل في هذه "المشاهد" ما يدل على مزج واعٍ ومدروس، قام به الفنان النبطي بين عناصر محلية وأخرى دخيلة (شرقية وفارسية بالأساس)، وهو ما يؤيد ما ذهبت إليه جوديث مكّنزي حين استنتجت بأن " [...] الثقافةَ النبطية لم تنتُج عن سوء فهم محلي للمعالم الكلاسيكية، بل إن سماتِها المميزة ناتجة بالأحرى عن اختيار مقصود لبعض العناصر المحلية ومزاوجتها مع عناصر كلاسيكية من مصر وأخرى من الشرق القديم (آشور وبابل). والتركيبة الحاصلة جعلت معنى هذه الأمثلة غيرَ واضح بالنسبة للدارس المعاصر." (McKenzie 2001: 109).

هدفنا هنا تحديداً الإجابةُ على سؤالين:

- ما هي الآلهة التي كُرِّسَ لها هيكل خربة الذريح ؟
- في أي فترة من السنة كانت تُقامُ الاحتفالاتُ الدينيةُ في المعبد ؟

في دراسة لهما قيد النشر، حاول فرنسوا فيلنوف وزيدون المحيسن (Villeneuve and al-Muheisen: In Press) الإجابةَ على هذين السؤالين، عن طريق استحضار بعض الشواهد، التي يقدمها في هذا الشأن موقعٌ مهم مجاور هو خربة التنور؛ فالموقعان معاً، أي خربتا الذريح والتنور، يقدمان شواهدَ متعددة، أيقونوغرافية بالأساس، على ارتباط الطقوس في الهيكلين إلى حد ما بالنجوم والكواكب. هذا ما تؤكده المكانة، التي احتلتها الأبراجُ الإثنا عشر في الذريح، كما في التنور. ومع أن القياس في هذه الحالة قد لا يخلو من مجازفة، إلا أنه بالإمكان الافتراض أن الآلهة، التي تَسَيَّدت هيكلَ خربة التنور (الزوج هدد/ عطرغتيس على الأرجح أو ذو الشرى/ العُزَّى ؟) هي نفسُها، التي كانت محطَّ عبادة وإجلال في هيكل خربة الذريح. وحسبنا أن الموقعَ الأخير قدم بعض الشواهد الأيقونوغرافية، التي قد ترجح هذه الفرضية؛ ونخص هنا بالذكر قِرْنَيّ وفرة (horn of abundance = cornucopi-ae) ونحتاً يمثل رأسَ رجلٍ مُلتحٍ. وإذا كان من غير المشكوك فيه أن هذه القطع المنحوتة كانت تشكل جزءاً لا يتجزأ من منحوتات الواجهة، فإن مكانَها الأصليَّ في الجدار الجنوبي للمعبد يظل موضعَ تخمين.

هل يجوز أن نرى في رأس الرجل الملتحي ما يرمز إلى ذو الشرى، وفي قِرنيّ الوفرة ما يحيل إلى إلهة خصب ونماء، من قبيل تايكي أو ربما العزى، التي أجلَّها الأنباطُ وعربُ الجاهلية أيما إجلال ؟ قد يبدو من الغريب أن تسودَ الطقوسُ ذاتُها والآلهةُ ذاتُها في هيكلين متجاورين، لا تفصل أحدَهما عن الآخر سوى بضعة كيلومترات! والغرابة لا تنتفي إلا إذا افترضنا أن الهيكلين متكاملان، وأنَّ زيارةَ أحدهما كانت تحدث في مواقيت غير المواقيت التي كانت تقع خلالها زيارة الآخر.

والملاحظة الأخيرة قد تؤكدها الوجهة، التي اتخذها كلُّ هيكل على حدة: نحو الغرب لهيكل التنور، وباتجاه الشمال فيما يخص هيكل الذريح. وربما دل ذلك على أن مواسمَ الحج إلى الهيكلين كانت مختلفة، إذ كانت تجري للتنور، على الأرجح، خلال فترتي اعتدال السنة (الاعتدال الربيعي أو الخريفي = equinoxes)، عند غروب الشمس أو شروقها، للذريح، على الأرجح، خلال شهر شباط، عندما كان شروق الشمس أو غروبها يشكل خطا متعامدا مع محور المعبد المتجه (شمال-جنوب) (Al-Muheisen and Villeneuve: In press).

إن ما يمكن قوله، أخيراً، هو أن هيكل خربة الذريح، مثله مثل هيكل خربة التنور، يقدم مجموعة من الشواهد المهمة، التي تلقي الضوءَ على ديانة الأنباط في هذا الجزء من مملكتهم. وعلى الرغم من أنه يصعب إدماج مجمل هذه الشواهد ضمن "الثقافة النبطية"، لأنها شواهد تفتقد إلى التجانس دينياً، وإن تجانست فنياً (جانيف: قيد الطبع)، إلا أن دراستَها بعمق وتأنٍّ ستسهم، دون شك، في فهمنا للثنائيات أو "الأضداد"، التي قد تبدو مميِّزَةً لديانة الأنباط.

أ. د. زيدون المحيسن - معهد الآثار والأنثروبولوجيا - ص. ب. ٥٦٦ جامعة اليرموك، إربد / الأردن.
E-mail: muheisenz@yahoo.fr
د. فرنسوا فيلنوف - مدرسة المعلمين العليا و المركز الوطني للبحث العلمي - وحدة آثار وعلوم العصور القديمة)
(Maison René Ginouvès 21, allée de l'Université F 92023 Nanterre Cedex, France
E-mail: francois.villeneuve@ens.fr
أ. مولاي محمد جانيف - جامعة باريس الأولى. 1, rue Maurice Arnoux C207 - 92120 Montrouge France
E-mail: archaeologia77@yahoo.com

الهوامش

(١) يرد في العديد من كتب التراث العربي ذكر مجموعة من الأماكن الواقعة جنوبي الأردن، مثل الحميمة وجبل الشراة، أي المنطقة التي استوطنها الأنباط قديما، ضمن منطقة البلقاء (انظر على سبيل المثال القضاعي ١٩٨٥: ٢/٣٣٩)، وهو ما يجعلنا نقبل بتحفظ رأيَ جون ستاركي (J. Starcky)، الذي حصر هذه المنطقة في بلاد مؤاب واعتبر أن الحـمَّة المذكورة في ابن الكلبي ربما كانت العينَ الحارَّة المعروفة باسم عين الزارة (Kallirohé) الواقعة جنوبي البحر الميت (Starcky 1966: col. 999).

(٢) ردت كلمة "موتاب" مرتبطةً في نقوش البتراء باسم ذو الشرى كما في نقش التركمانية (د و ش ر ا / إ ل هـ / م ر ن ا / و م و ت ب هـ / ح ر ي ش / ... د و ش ر ا / و م و ت ب هـ)، وهو ما دفع إلى الاعتقاد بأن (ذو الشرى) قد اختص وحده بالـ"موتاب"، انظر في هذا الإطار (Healey 2001: 158-159).

(٣) تطرح الكلمة الواردة في نص إبيفانيوس، كاسم للعذراء أم ذو الشرى، إشكالا على مستوى التفسير. فاللفظة (Xaaμov) تخفي وراءها، لا شك، أصلاً عربياً أو سامياً اختلف الباحثون في تحديد اشتقاقه ومعناه : هل له صلة بالكعبة أم بالمبنى المكعب على وجه الإطلاق؟ وفي هذه الحالة يمكن اعتبار اللفظة دالةً على مبنى ذي شكل مكعب (معبد قصر البنت في البتراء ؟) "جَسَّد" الإلهةَ الأم ودلَّ عليها، أم هي لفظة دالة على معنى البتولة، الذي تؤديه كلمة "كاعب" في العربية، وهي الكلمة التي ربما كانت أصلَ اللفظة الواردة في نص إبيفانيوس ؟ (انظر مناقشة المسألة في (Healey 2001: 104). ونميل إلى ترجيح الرأي الأخير على ما ذهب إليه (Milik 1982: 262) من أن (Xaaμov) المذكورة في هذا النص هي (غ ل م و) ذات الصلة بالكلمة الآرامية (عَلْمَه)، وهي المرأة في مقتبل الشباب. ومع أن اقتراح (Milik) يظل مقبولا على مستوى المعنى، إذ لا يخرج عن دلالات البتولة والشباب، التي تؤديها الكلمة الآرامية (عَلْمَه) ومقابلها في العربية (غُلامة)، إلا أنه يصادف مشاكلَ على المستوى اللفظي أو الصوتي ليس من السهل تجاوزُها، ذلك أن الكلمة المستخدمة من قبل إبيفانيوس لا تحمل أيَّ أثر لحرف اللام، الذي يشكل جزءاً أساسياً من جذر الكلمة (ع ل م / غ ل م)، عدا عن أن إبدالَ الغين كافاً في المقابل اليوناني يبدو ضعيفَ الاحتمال. كل ذلك يدعو إلى ترجيح كون (ك ع ب و / كاعب) أصلا للكلمة (Xaaμov)، إذ يسهل صوتيا قلبُ الباء ميما كما في بكّة / مكّة.

المراجع

أولا: المراجع العربية

الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، وحسين بن علي أبو الحسن، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢ م، **العلا ومدائن صالح (حضارة مدينتين)**. **سلسلة قرى ظاهرة على طريق البخور (١)**، دار القوافل، الرياض.

جانيف، مولاي محمد، قيد الطبع، "توفيق، مثاقفة أم مماثلة: أجوبة من خربة الذريح"، **مؤتمر دراسات الأنباط الثاني** (تحرير خيريه عمرو وآخرون)، جامعة الحسين بن طلال / بيت الأنباط.

الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب، (المُتوفّى سنة ٢٠٤ هجرية)، ١٩٢٤، **كتاب الأصنام**، تحقيق أحمد زكي باشا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

القضاعي، محمد بن أبي بكر (المتَوفّى سنة ٦٥٨ هجرية)، ١٩٨٥، **كتاب الحلّة السيراء**، القاهرة.

ثانيا: المراجع غير العربية

Dussaud, R. 1955. **La pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam,** Librairie orientaliste Paul Geuthner, Paris.

Healey, J. 1989. Were the Nabataens Arabs? **Aram** 1: 38-44.

Healey, J. 2001. **The Religion of the Nabataeans. A Conspectus,** Leiden, Brill.

al-Muheisen, Z. and Villeneuve. 1988. Fouilles à Khirbet edh-Dharih (Jordanie), 1984-1987 : un village, son sanctuaire et sa nécropole aux époques nabatéenne et romaine (Ier-IVe siècle apr. J.-C.). **Comptes Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres**: 458-479.

al-Muheisen, Z. and Villeneuve, F. 1994. Nouvelles recherches à Khirbet edh-Dharih (Jordanie), 1991-1994 : Autour du sanctuaire nabatéen et romain. **Comptes Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres:** 735-757.

al-Muheisen, Z. and Villeneuve, F. 1999. Khirbet edh-Dharih, **Dossiers d'Archéologie** 244: 54-59.

Lenoble, P., Al-Muheisen, Z. and Villeneuve, F. (with the collaboration of Ch. Augé, R. Boyer, A. Chambon, A. Desreumaux, F. Le Mort, al-Muheisen-Tarrier, D. and L. Nehmé). 2001. Fouilles de Khirbet edh-Dharih (Jordanie), I: Le cimetière au sud du Wadi Sharheh. **Syria** 78: 89-151.

McKenzie, J. S. 2001. Keys from Egypt and the East: Observations on Nabataean Culture in the Light of Recent Discoveries, **Bulletin of the American Schools of Oriental Research** 324: 97-112.

McKenzie, J. S., Gibson, S. and Reyes, A. T. 2002. Reconstruction of the Nabataean Temple Complex at Khirbet et-Tannur, **Palestine Exploration Quarterly** 134: 44-83.

Milik, J. T. 1982. Origines des Nabatéens. In A. Hadidi (ed.), **Studies in the History and Archaeology of Jordan I**: 261-265.

Ness, L. J. 1990. Astrology and Judaism in Late Antiquity. Unpublished Ph. D. Thesis, Faculty of Miami University.

Ross, S. K. 2001. **Roman Edessa. Politics and Culture on the Eastern Fringes of the Roman Empire, 114-242 CE,** Routledge, London & New York .

Restö, J. 1999. Nabataeans Origins - once again, **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies** 29: 115-118.

Starcky, J. 1966. Pétra et la Nabatène. In: H. Cazelles and A. Feuillet (eds): **Dictionnaire de la Bible. Supplément 7**: cols 886-1017.

Tholbecq, L. 1998. The Nabataeo-Roman Site of Wadi Ramm (Iram): A New Appraisal, **Annual of the Department of Antiquities of Jordan** 42: 241-254.

Villeneuve, F. 2002. Une louve romaine à sabots chez les Nabatéens ? **L'archéologie à l'Ecole normale supérieure. Ouvrage dédié à Christian Peyre**: 93-94.

Villeneuve, F. and al-Muheisen, Z. 2000. Nouvelles recherches à Khirbet edh-Dharih (Jordanie du Sud, 1996-1999), **Comptes Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres:** 1525-1571.

Villeneuve, F. and al-Muheisen, Z. 2000/2001. Rites et mythes des Nabatéens. Le cas de Khirbet edh-Dharih. Cahier des thèmes transversaux, **Archéologies et Sciences de l'Atiquité II**: 279-281.

Villeneuve, F. and al-Muheisen, Z. In Press. Dharih and Tannur, Sanctuaries of Central Nabataea. In G. Markoe (ed.), **Splendors from a Caravan Kingdom. The Nabataeans and the City of Petra**.

Wellhausen, J. 1897. **Reste arabischen Heidentums gesammelt und erlautert.** Berlin, G. Reimer.

نقش غيل المَنْضِج (المبرح) الإسلامي المؤرخ في سنة ٩٨ هـ (٧١٦-٧١٧م) (محافظة ظهران الجنوب-المملكة العربية السعودية)

محمد بن عبد الرحمن الثنيان

ملخّص : يعنى هذا البحث بدراسة نقش إسلامي مؤرخ في سنة ٩٨ هجرية (٧١٦-٧١٧م) تم العثور عليه بالقرب من محطة غيل المنضج (المبرح)، في محافظة ظهران الجنوب، الواقعة على مسار طريق الحج اليمني الأعلى (النجدي) بين صنعاء و مكة المكرمة. تكمن أهمية هذا النقش المؤرخ لكونه أول نقش إسلامي مؤرخ يكشف عنه لحد الآن على مسار طريق الحاج اليمني الأعلى، هذا إلى جانب ما يحتويه نص النقش من مضامين مهمة تشتمل على تاريخ تنفيذه المبكر، والإشارة الصريحة إلى حرفة صاحب النقش. ووفقاً للخاصية الأخيرة فيعد هذا النقش فريداً في نوعه عند مقارنة نصه بنصوص النقوش والكتابات العربية الإسلامية المبكرة.

***Abstract.** This paper studies an early Islamic rock-inscription, dated back to 98 A.H (716-717 A.D), found in the vicinity of Ghayl al-Mandaj (al-Mabrah) pilgrim station which is located on the Yemeni highland pilgrim route (so called al-najdi) which connects San'a' and Makkah. In addition to being the first dated rock-inscription to be discovered so far alongside that road, the text of the inscription provides valuable information such as the date of its early execution and the open declaration of the profession of its scribe. This last feature deems the inscription one of a kind when comparing its text with the texts of other early Arab Islamic rock-inscriptions.*

الموقع:

تبعد محافظة ظهران الجنوب عن مدينة أبها مسافة تقارب ١٦٠ كيلاً، ويرجع تأسيس مركز إمارة مدينة ظهران الجنوب إلى عام ١٢٤٥هـ /١٨٢٩م. تتصف المدينة بموقعها المتميز الكائن بين منطقة نجران، الواقعة إلى الجنوب الشرقي، ومحافظة سراة عبيدة وجازان في الجنوب الغربي. وتضم محافظة ظهران الجنوب العديد من الأودية الخصبة، منها: وادي ظهران، ووادي العرين، ووادي كتام، ووادي الغيل. (الحربي ١٩٩٧: ج٢/: ١٠٥٢) .

وصفت مدينة ظهران الجنوب في عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م بأهميتها لكونها محطة حيوية في التعامل التجاري بالبن اليمني، وكانت آنذاك: " (. . .) ، تتكون من بيوت صغيرة حسنة العمارة من الخارج وذلك بطرازها المعماري المتخذ شكل عمارة الحصون، أما في الداخل فهي مظلمة الدهاليز، (. . .) " (Philpy 1938: 1, 14).

يقطن مدينة ظهران الجنوب ومنطقتها وما يجاورها مُنذ القدم حتى وقتنا الراهن قبيلة همدانية تدعى وادعة، وهي بطن من بطون قبيلة حاشد[1] (الهمداني ١٩٣١: ج٨، ٣٥؛ ابن حجر ١٩٩٥: ج١، ٣٣٠) . تنتشر هذه القبيلة الآن في ثلاث جهات جغرافية، هي: وادعة حاشد في بلاد حاشد باليمن، ووادعة صعدة في بلاد صعدة في اليمن، ووادعة عسير في جنوب المملكة العربية السعودية (الحجري ١٩٨٤: ج٣ ص ٧٦١- ٦٢)، وقد أطلق الهمداني على الأخيرة مسمى وادعة النجدية، وحدد بلادها وأراضيها بقوله: "بلد وادعة النجدية:

العدد التاسع ذو الحجة ١٤٢٤هـ - يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٤م
(ص ص ٥٩ - ٨٢) ردمد ٨٩٤٧-١٣١٩

بقعة وعوذان والثُويلة وغيل علّي، ووادي عرد وأعلى وادي نجران فإلى جبل شوك فقاضي دين فالزبران فإلى مَهْجَرة فالمَنْضَج فغيل عليّ فأقاويات فأرينب (فجلاجل). (الهمداني ١٩٧٤: ٢٥٠)

تبعد منطقة المَنْضَج (المبرح) ، حيث أكتشف هذا النقش المؤرخ، مسافة تقدر بحوالي ١ كم إلى الشمال من الخط المعبد (المسفلت) الذي يربط مدينة ظهران الجنوب بمحافظة سراة عبيدة؛ ويمكن الوصول إلى موقع النقش عن طريق مسلك ترابي، يمر عبر منطقة المحاجر، ويتفرع من هذا الطريق المعبّد قبل وصوله مدينة ظهران الجنوب، (الخريطة: ١).

يحد منطقة المبرح من الجنوب جبل القهرة الرابض على الضفة الغربية لوادي المبرح، وجبل أقاوية الواقع على الضفة الشرقية للوادي، وعقبة ووادي أقاوية. أما من الجهة الشرقية فيحدها بالتسلسل من الجنوب إلى الشمال، جبل أقاوية، ومن ثم سلسلة جبال المحجر المتصلة بسلسلة جبال الحرشة، ومن ثم سلسلة جبال بني نظار، ومن ثم جبل النظار. أما من الحدود الغربية فتشرف على امتداد الوادي منطقة المحاجر، وهي المنطقة التي تفصل ما بين المبرح والطريق العام الأسفلتي الذي يربط مدينة ظهران الجنوب بسراة عبيدة. وفي الأقصى الشمالي من الوادي، وعلى ضفته الغربية يقع جبل عثيث حيث يوجد في سفحه موقع غيل المبرح المكتظ بمجموعة من أشجار النخيل، بالإضافة إلى وجود الرسومات والكتابات الصخرية بما فيها هذا النقش العربي الإسلامي المؤرّخ.

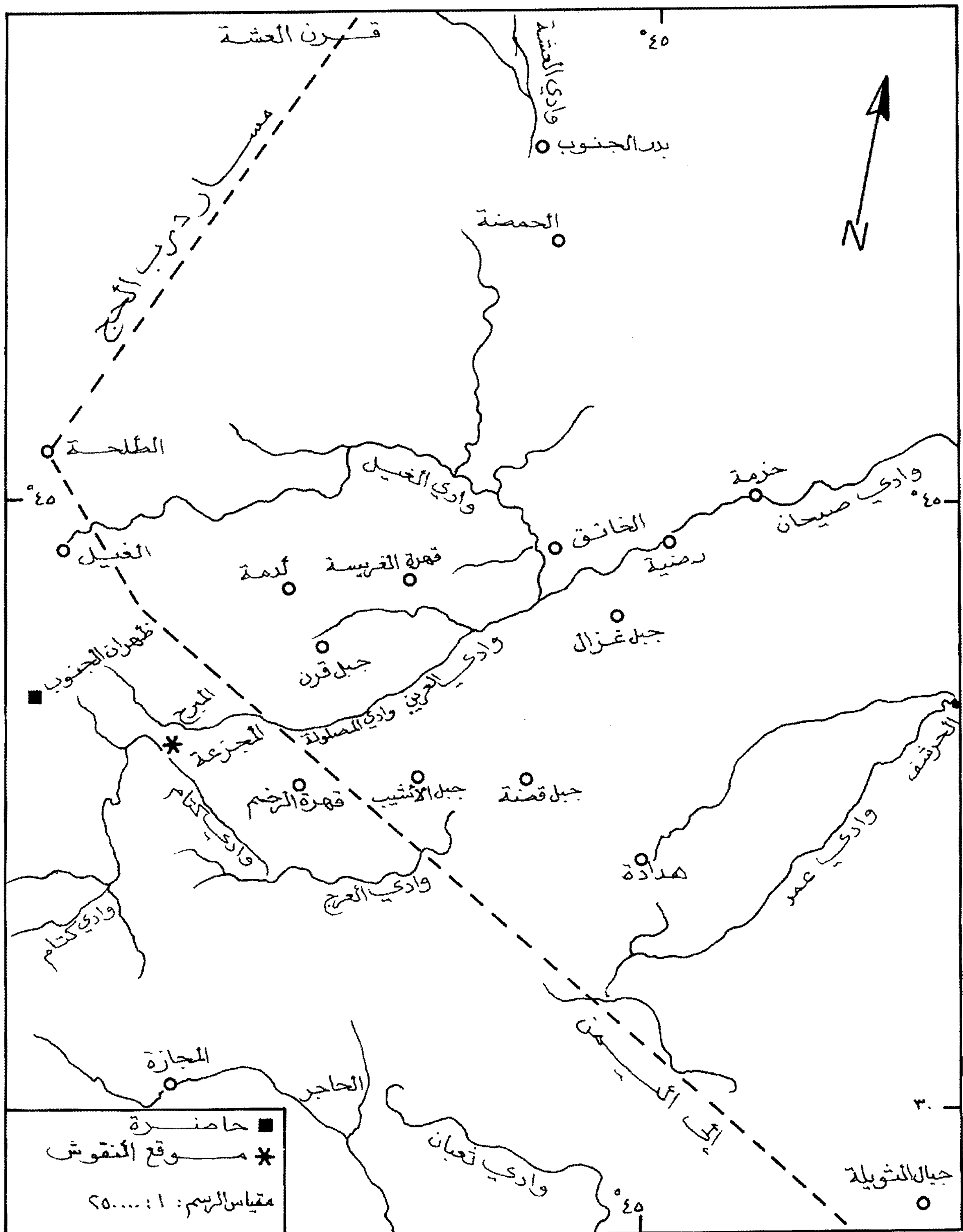
هذا، وقد أمدنا كبار السن في منطقة ظهران الجنوب بمعلومات قيمة عن منطقة المبرح مفادها أن الوادي كان يحتوي قديماً على عين ماء دائمة النضوح، واستمرت على هذه الصفة حتى حفرت الآبار في الآونة الأخيرة مما تسبب في تراجع منسوب المياه في عين المبرح. واشتهرت المنطقة بعذوبة مياهها الجوفية، وخير شاهد هو كثرة أعداد الآبار الجوفية في المنطقة. كما أنها عرفت في الماضي مكاناً يقصده أهالي البادية، إلى جانب المقيمين حوله والمسافرين بقصد التزود بالمياه العذبة من الغيل لأنفسهم ولسقيا بهائمهم. وان الوادي كان بمثابة محطة استراحة للمسافرين عامة، والقادمين من بلاد اليمن ونجران على وجه الخصوص. أما سبب التسمية فيذكر كبار السن في المنطقة بأنه نتيجة أن الأراضي هناك واسعة وفسيحة والجبال تحيط بها من جميع الجهات؛ وهذا المفهوم لسبب التسمية، نرى تطابقه تماماً مع ما ذكره أصحاب المعاجم للمعنى اللغوي لكلمة المبرح.

شهدت محافظة ظهران الجنوب نشاطين من المسح الأثري قامت بهما وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف[٢] وكانتا منطقتي المنضج (المبرح) والمصلولة مضمنتا في النطاق الجغرافي للمسح الأثاري الأول (الناصر ١٩٨٨: ١٠٥-١٠٦). أما المسح الآثاري الثاني فتركز على توثيق الرسوم والنقوش الصخرية في المنطقة[٣] (كباوي ١٩٩٢: ٩٩-١٠٨؛ اسكوبيك ١٠٩-١٢٤)؛ وكان نصيب منطقة المنضج (المبرح) من النصوص الكوفية الموثقة في التقرير عشرة نقوش فقط، ويشير التقرير ذاته إلى خلو منطقة المنضج (المبرح) من الرسومات الآدمية والحيوانية والنقوش السبئية أو الثمودية، (الجدول: ١) .

أما دراستنا الميدانية الأخيرة لمنطقة المنضج (المبرح) ، التي تشكل جزءاً من دراسة آثارية شاملة لطريق الحج اليمني الأعلى من صنعاء إلى مكة المكرمة، فتشير إلى توثيق مجموعة من الرسومات الصخرية، الآدامية والحيوانية، والكتابات القديمة والنقوش العربية الإسلامية[٤] بما فيها هذا النقش المؤرخ في الطرف الشمالي من وادي المبرح (al-Thenayian 2000: 43, 54, 88-91, 196-208). وجميع هذه الآثار الخطية نفذت على صخور الجبل المطل على المبرح من الجهة الشرقية، وتقع في أسفل هذا الجبل شعاب صغيرة تلفها أشجار النخيل وآثار غير واضحة بالتمام لمنبع غيل المبرح. وأكدت الدراسة على أن هذه المنطقة وما اشتملت عليه من رسومات وآثار خطية وغيل وبقايا من مسار الدرب قد استخدمت محطة رئيسة على طريق الحج اليمني الأعلى. وما عدا موقع الغيل، فلم يلاحظ وجود آثار إنشائية قديمة في الموقع ترتبط مباشرة بأستخدامات الدرب، (الجدول: ٢).

المنضج (المبرح) وغيله في المصادر العربية المبكرة:

يعد غيل البردان وغيل وادي المنضج (المبرح) هما العينان المائيتان الوحيدتان اللتان كشف عنهما حتى الآن على القسم



الخريطة ١: توضح الموقع الجغرافي لنقش غيل المنضج (المبرح) المؤرخ.

السعودي من مسار طريق الحج اليمني الأعلى من صنعاء إلى مكة المكرمة[٥] (al-Thenayian 2000: 102-3; Biella 1982: 394).

والمبرح هو المسمى المعاصر الذي يطلق الآن على الموضع الجغرافي الذي كشف فيه عن هذا النقش بدلاً من مسمى المنضج ويبدو أن التسمية مشتقة من: " (. . .) براح الأرض، وهو البارز الظاهر"؛ "وأرض براح: واسعة ظاهرة لا نبات فيها ولا عمران. والبراح: المتسع من الأرض لا زرع فيه ولا شجر" (ابن منظور ١٩٩٥: ج٤ ص ٢٢٢) . ولجذر الكلمة: بَرَحَ (ب ر ح) ورود ودلالة في نصوص النقوش السبئية القديمة لعرب جنوب الجزيرة العربية بمعنى: "ماء سائب أو جار بلا ضابط (نعتاً لمسيل الماء) "(بيستون ١٩٨٢: ٣١) .

أما المصلولة (وهو الاسم الحالي لمسار درب الحج المرصوف بالحجارة وبديلاً عن مسمى المنضج التاريخي الذي اختفى نهائياً) فهو اسم وصفي للدرب الجبلي المرصوف بالحجارة، وهي كلمة شائعة الاستخدام بين سكان جنوب المملكة وجنوبها الغربي؛ كما أنهم، أيضا، يستخدمون كلمة المُدَرَّجة التي تعني الدرب الجبلي المرصوف بجانب كلمة

م	الموقع	رسوم	مسند جنوبي	ثمودي	كوفي	التاريخ
١	قهرة العتر (على درب الحج).	أدمية وحيوانية (جمال و٣ أشخاص).	٦٤ نصاً	-	٥٨ نصاً	الألف الأول ق.م- الفترة الإسلامية.
٢	الراكبة (على درب الحج).	نقوش أكثرها.	٤٠ نصاً	-	٥٦ نصاً	-
٣	السئويلة (على درب الحج).	نعام، وعول، وأبقار، وأسد، وذئاب.	-	-	-	-
٤	الحاجر (بالقرب من علب).	خيول ورسوم هندسية.	-	-	-	-
٥	المجمع (شمال ظهران الجنوب).	أدمية وحيوانية.	-	-	-	-
٦	حجر المدخن.	-	١٤ نصاً	-	-	-
٧	**المبرح (على درب الحج).**	-	-	-	**١٠ نصوص**	-
٨	الرواكب (على درب الحج).	-	-	-	٥ نصوص	-
٩	الهياج.	-	-	١٤ نصاً	-	-
المجموع	-	-	**١١٨ نصاً**	**١٤ نصاً**	**١٢٩ نصاً**	-

(المصدر: هذا الجدول المعلوماتي من تصميم الباحث).

الجدول ١: يوضح أهم المواقع الأثرية في محافظة ظهران الجنوب التي تم مسحها وتوثيق نقوشها ورسومها الصخرية وفقاً لتقرير وكالة الآثار والمتاحف.

اسم العقبة	الحالة الإنشائية لمسار الدرب						النقوش الصخرية		الرسوم الصخرية		طبيعة مسار الدرب
	رصف	تسوية	مفرد	مزدوج	تكتيف	تعتيب	قديم	إسلامي	آدمي	حيواني	
الجدلية	+	+	+	−	+	−	−	−	+	−	سيئة
كريف العلب	+	+	+	+	+	+	−	−	−	−	جيدة
العرقة	+	+	+	−	+	+	+	+	−	−	جيدة
محذا النعال	+	+	+	−	+	+	+	−	−	−	جيدة
المنضج	+	+	+	+	+	+	−	+	+	+	ممتازة
أقاوية	−	+	+	−	+	−	−	+	+	−	سيئة
المبرح	−	+	+	−	−	−	+	+	+	+	سيئة

+: هذه العلامة تدل على الإيجاب، -: هذه العلامة تدل على النفي. (المصدر: هذا الجدول المعلوماتي من تصميم الباحث).

الجدول ٢: يوضح صفة الحالة الإنشائية لمسار درب الحج اليمني والآثار الخطية والرسومات الصخرية الواقعة عليه أثناء اجتيازه لبعض العقبات الجبلية الواقعة في محافظة ظهران الجنوب، وفقاً لدراسة الباحث:

المصلولة[٦] (ابن منظور: ج٢، ٢٦٦-٢٦٧) . ويبدو أن جذر الكلمة: صَلَلَ (ص ل ل) مشتق من اللغة السبئية القديمة لعرب جنوب الجزيرة العربية الذي يعني: " كساء أو غطاء بصفائح من الحجر أو الطين "(بيستون ١٩٨٢: ١٤٢) . كما أنها وردت بصيغة فعل بمعنى يغطي بصفائح حجرية أو بالجبس (الجص) أو بالطين (Biella 1982: 424-425).

يعد أحمد بن عيسى الرداعي من أقدم من ذكر غيل المنضج ومنطقة المبرح وأشار إلى وقوعهما على مسار طريق الحج اليمني الأعلى خلال رحلة ذهابه وإيابه من مسقط رأسه مدينة رَدَاع في اليمن إلى مكة المكرمة لتأدية فريضة الحج (الهمداني: ٤٠١-٤٥٨؛ الحموي: ج٣، ٣٩-٤٠)[٧]، (الجدول: ٣).

وفي هذا الشأن يقول الرداعي في أرجوزته المشهورة عند ذهابه لمكة المكرمة ومروره من خلال منطقة الغيل:

" ثم اندَهُوا خُوصَ المطايا الوُسّج ××× إن مُضحّاها بغيل المَنْضَج "

و علّق الهمداني (وفاته تقريباً بعد: ٣٤٤هـ/٩٥٥م) على هذا البيت بقوله: " غَيْلُ المَنْضَج غيل علَيّ من وادعة والمنضج نقيل عظيم "[٨] . أما عند عودة الرداعي من مكة المكرمة وخلال عبوره المنطقة، ذكر التالي (مخاطباً مطيته المهرية) :

"تجشم من أُرَيْنِب المجشوما ××× ومن ذوات المبرح الحُزوما " (الهمداني: ٤٥٥؛ بيستون: ٩٧) .

ضمّن الحربي (وفاته: ٢٨٥هـ/٨٩٨م) ، وقدامة (٣١٠-٣٢٠هـ/٩٢٢-٩٣٢م) مسمى المنضج في أعمالهما، إلا أن تهجئة الاسم ترد بصورة محرفة وغير صحيحة، فظهرت في العمل المنشور للجغرافي الأول وفقاً لهذا الرسم (غيل المنضح) وفي مخطوطة الكتاب ظهرت باسم (المنصح)؛ أما قدامة فأوردها بالصورة التالية: (النصح) وبدون إشارة للغيل أو مسماه (الحربي ١٩٦٩: ٦٤٣، هامش ١٢-١٣؛ قدامة ١٩٦٧: ١٩٢) . وفيما عدا ما ذكرنا من أقوال وأستشهادات مستقاة من أرجوزة الرداعي وكتابات الهمداني، والحربي، وقدامة، فأن أعمال بقية الجغرافيين العرب المسلمين الأوائل تخلو من ذكر المنضج أو المبرح أو الغيل بكونها محطة على درب الحج اليمني الأعلى، وبدلاً منها فقد حل مسمى محطة المَهْجَرة، التي لا يعرف إلى الآن موقعها الجغرافي بالتحديد[٩] (الجدول: ٤) (الهمداني: ٩٩) .

تاريخياً، يشير الهمداني إلى أن منطقة المنضج كانت



اللوحة ١: المنطقة التي عثر فيها على النقش بالمصلولة في ظهران الجنوب.



اللوحة ٢: جانب من مسار طريق الحج اليمني الأعلى (النجدي) في منطقة المصلولة ، ظهران الجنوب.

تمثل، في العصور القديمة التي سبقت ظهور الإسلام، البوابة الرئيسة التي يتمركز عندها حُجاب ملوك حمير، وأنها تقع على مسافة مرحلتين من صعدة في اتجاه الحجاز (الهمداني ١٩٨٦ ج ٨: ٣٤-٣٥).

أما في الفترة الإسلامية فشهدت منطقة المنضج (المبرح) في عام ١٤٢هـ/٧٦٠م وخلال العصر العباسي الأول، صداماً عسكرياً بين الوالي العباسي على اليمن معن بن زائدة الشيباني (المُعين من قبل الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، ١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٥م) وعمر بن زيد الغالبي. وكان من نتائج هذا الصدام العسكري قتل الغالبي وقيام الزعيم الخولاني محمد بن أبان برفض ولاية معن بن زائدة على اليمن ومحاربته في نواحي مدينة صعدة للأخذ بالثأر من قتل الغالبي[10] (الهمداني ١٩٨٦ ج ٢: ١٤٠ هامش ٥١٥؛ al-Mad'aj 1988: 181, 184, 199).

يظهر من نتائج مسحنا الميداني الآثاري في عام ١٩٩٠م لهذه المنطقة بان مسمى المنضج، وهو الاسم القديم والتاريخي لهذه المنطقة قد تلاشى تماماً واختفى واستبدل المسمى باسم المصلولة الذي يطلق الآن على عقبة المنضج التاريخية ومنطقتها ومسار الدرب من خلالها، من قبل السكان المحليين في منطقة ظهران الجنوب، أما مسمى المبرح فلا يزال معروفاً ومتداولاً إلا أن محيطه الجغرافي قد تقلص ليشمل الوادي فقط حيث وجد هذا النقش المؤرخ (al-Thenayian 2000: 88-91, 196-206).

نقش غيل المنضج (المبرح) المؤرخ:

يعد طريق الحج اليمني الأعلى، المعروف في المصادر المتقدمة باسم النجدي، من صنعاء إلى مكة المكرمة من أهم دروب الحج اليمنية الواقعة في القطاع الجنوبي للجزيرة العربية؛ ويشكل جزءاً لا يتجزأ من ضمن منظومة مترابطة من الدروب البرية القديمة التي ربطت عواصم وأمصار العالم الإسلامي وحواضره آنذاك بعضها ببعض، ويسرت وسهلت وصول الحجاج والمعتمرين من هذه البقاع المترامية الأطراف للأماكن المقدسة (اللوحتان ١-٢). وتأتي الآثار الخطية الإسلامية في مستهل قائمة الآثار الإسلامية الشاخصة للعيان على امتداد مسار طريق الحج اليمني الأعلى؛ إذ تم الكشف عنها في مواقع على الدرب متباينة التضاريس، من هذه المواضع: بطون وضفاف الأودية، وصفحات وعقبات الجبال، وفي محيط المناهل المائية والمنازل ومحطات الطريق الرئيس منها والثانوي. وتشير الدراسات والأعمال الآثارية المتعلقة بهذا الطريق إلى عدم العثور على نقوش صخرية إسلامية تتضمن نصوصها تواريخ مثبتة ومحددة. وبذلك تكمن أهمية نقش المنضج (المبرح) في المقام الأول بأنه أول أثر خطي إسلامي مؤرخ يكشف عنه على مسار طريق الحج اليمني من صنعاء إلى مكة المكرمة؛ كما تكمن أهميته بوقوع تأريخه في نهاية العقد الأخير من القرن الأول الهجري. وعليه، يمكن إضافته إلى قائمة النقوش الإسلامية المؤرخة المكتشفة على أراضي المملكة العربية السعودية والعائدة للقرن

م	الموقع	رسوم	مسند جنوبي
١	الثويلة	سجع	عقبة.
٢	مسجد خالد	-	تحت الثويلة عليه حواء بلا سقف.
٣	محذا النعال	-	موضع لبني حيف من وادعة.
٤	ثائبة	-	موضع لبني حيف من وادعة.
٥	معرضين	-	موضع في بلد وادعة.
٦	**مهجرة**	-	**قرية في المنضج.**
٧	**غيل المنضج**	**المبرح**	**غيلَ عَلِيٍّ من وادعة. المنضج نقيل عظيم.**
٨	**الظليف**	-	**جبل في رأس المنضج.**
٩	شتات	أينب	موضع في بلد وادعة من همدان وهي من أحواز أرينب.
١٠	رية	-	موضع في بلد وادعة من همدان وهي من أحواز أرينب.
١١	ثلات	-	موضع في بلد وادعة من همدان وهي من أحواز أرينب.
١٢	الطلاح	الطلحة	موضع طلحة الملك في بلد وادعة من همدان وهي من أحواز أرينب.
١٣	جلاجل	سروم (الفيض)	واد ضيق، وهو آخر بلد وادعة.

-: هذه العلامة تدل على عدم وجود اسم الموقع في رحلة الإياب. (المصدر: هذا الجدول المعلوماتي من تصميم الباحث).

الجدول ٣: يوضح أسماء المحطات والمنازل والمناهل والمواضع الواقعة على مسار درب الحج اليمني الأعلى (النجدي) عند اجتيازه محافظة ظهران الجنوب، وفقاً لأرجوزة أحمد بن عيسى الرداعي خلال رحلة ذهابه لمكة المكرمة وإيابه منها بقصد تأدية فريضة الحج في القرن الثالث الهجري/ القرن التاسع الميلادي.

م	الحربي (٢٨٥هـ)	ابن خرداذبة (٣٠٠هـ)	قدامة (٣١٠ - ٣٢٠هـ)	قدامة	الهمداني (٣٣٤هـ)	المقدسي (٣٩٠هـ)	الإدريسي (٥٤٨هـ)	الإدريسي
١	عمدان	-	-	-	-	-	-	-
٢	مهجره	+	-	+	+	+	+	+
٣	غيل المنضح	-	(النصح)	-	-	-	-	-
٤	أُرينب	-	-	-	-	-	-	-
٥	سروم الإبل	سروم راح	القصبة	شروم راح	سروم الفيض	شرو راح	سدوم راح	سروم راح
٦	جلاجل الجُميلين	-	-	-	-	-	-	-

+: هذه العلامة تدل على ورود اسم الموقع كما عند الحربي، -: هذه العلامة تدل على عدم ورود اسم الموقع كما عند الحربي.
(المصدر: هذا الجدول المعلوماتي من تصميم الباحث).

الجدول ٤: يوضح أسماء بعض المحطات والمنازل الواقعة على مسار درب الحج اليمني الأعلى (النجدي) عند اجتيازه محافظة ظهران الجنوب، وفقاً لكتابات أشهر الجغرافيين العرب المسلمين الأوائل.

الأول الهجري/ السابع الميلادي. وتشتمل هذه القائمة، لغاية الآن، على تسعة عشر نقشاً مؤرخاً أبكرها نقش زهير مولى بنت شيبة المؤرخ في سنة ٢٤ للهجرة (٦٤٤م) وأخرها نقش أبو سلمة بن عبد الله بن عبد الله بن عمر المؤرخ في سنة ١٠٠ للهجرة (٧١٨-٧١٩م)[١١] (الجدولان: ٥ -٦) .

تغطي هذه النقوش المؤرخة جميع عقود القرن الأول الهجري ما عدا العقد الأول والثاني والسابع إذ لم يكشف عن أي أنموذج يمثل هذه العقود الثلاثة من القرن الأول الهجري؛ وتتمثل نقوش العقدين التاسع والعاشر (ستة نقوش لكل عقد) بتزايدها مقارنة مع نقوش العقود السابقة لها في القرن نفسه. تعكس لنا النقوش الستة المؤرخة للعقد العاشر من القرن الأول الهجري، إذ يمثل غرة هذا العقد نقش الخشنة المؤرخ في سنة ٩٠ للهجرة (٧٠٨-٧٠٩م) بينما خاتمة العقد فيمثله نقش رواوة المؤرخ في سنة ١٠٠ للهجرة (٧١٨-٧١٩م) ، ويقع ما بين نقشي بداية ونهاية العقد أربعة نقوش مؤرخة؛ فأولها نقش الأوجرية المؤرخ في سنة ٩١ للهجرة (٧٠٩-٧١٠م) ، أما النماذج الكتابية الثلاثة الباقية فتمثلها نقش الحُرُمان ونقش العسيلة بمنطقة مكة المكرمة ونقش غيل المنضج (المبرح) في منطقة ظهران الجنوب، وجميعها متزامنة بفترتها التاريخية ومؤرخة في سنة ٩٨ للهجرة (٧١٦-٧١٧م). فالنقش الأول عثر عليه في موقع الحُرُمان ويتضمن نصه بيت من الشعر الحِكَمِي واسم كاتبه (أبو جعفر بن حسن الهاشمي) وتاريخ تنفيذ الكتابة، أما النقش الثاني فعثر عليه في موقع العُسيلة ويشتمل على نص مستوحى من الآية رقم: ٣ من سورة الطلاق، واسم كاتبه (أمية بن عبد الملك). (الراشد ١٩٩٥: ٦٠-٦٦؛١٦٣١٦٢؛ الراشد ١٤٢٣: ٢٦٥-٢٧٠) .

وبذلك يتضح لنا بأن نقش غيل المنضج (المبرح) يمثل النموذج السادس للنقوش الإسلامية المؤرخة والعائدة جميعها للعقد العاشر من القرن الأول الهجري، وبنفس الوقت يعد المثال الثالث بالنسبة للنقوش المؤرخة والعائد تنفيذها جميعاً لسنة ٩٨ هجرية (٧١٦-٧١٧م) ، (الجدولان: ٥-٦) .

ولنقش غيل المنضج (المبرح) المؤرخ أهمية بالغة، أيضا، لارتباطه المكاني الوثيق بمحطة غيل المنضج (المبرح) ، وهي من المحطات الرئيسه الواقعة على درب الحاج اليمني. وتزداد هذه الأهمية بسبب تضمين صاحب النقش في نهاية اسمه مسمى حرفته وقيامه بتأريخ كتابته للنص بصيغة دقيقة ربما تعتبر فريدة بنوعها. وفي ضوء هذه المعطيات التاريخية والحضارية فدراسة هذا النقش ستكون خير عون في عملية وضع التأطير التاريخي لمراحل استخدامات طريق الحج اليمني الأعلى، بسبب غياب التدوين التاريخي الموسع - حسب علمنا الحالي- لحالة الدرب واستخداماته خلال العصور والفترات الإسلامية المبكر منها والمتأخر. كما أن هذه الدراسة ستمثل قاعدة ومرجعاً للاستئناس بنتائجها عند التعرض للنقوش الصخرية الإسلامية الأخرى غير المؤرخة، وسبيلاً ربما سيهتدى بها لبقية الآثار الإسلامية الواقعة على ضفتي مسار هذا الطريق.

الدراسة التحليلية للنقش

و فيما يلي الدراسة التحليلية لنقش غيل المنضج (المبرح) المؤرّخ (اللوحة ٣، الشكل ١):

معلومات أولية:

الموقع والمنطقة: غيل المبرح (المنضج) ، (ظهران الجنوب).
المقاسات التقريبية: ٥٥ سم طولا ×٤٥ سم عرضا.
خط الطول ودائرة العرض: َ٤٥ ً٤٣ -َ٣٠ ً٤٣ شرقاً / َ٤٥ ً١٧ -َ٣٠ ً١٧ شمالاً.
نوع الخط: كوفي بسيط.
عدد الأسطر: ١٠ أسطر.
نوع الصخر: جرانيتي يميل للاحمرار.
موضوع النقش: طلب الرحمة من الله، وتوقيع الصانع.
صاحب النقش: ثابت بن أبي تميم.
تاريخ النقش: يوم السبت ١٠ جمادى الآخرة سنة ٩٨ هجرية (٧١٦-٧١٧م).

قراءة نص النقش:

١ . رحمـ(ـت ا) لله
٢ . على ثبت (ثابت) ابن (كذا) أ
٣ . بي تميم صانع
٤ . الجرار وعلى أهله
٥ . أجمعين أمين رب
٦ . العلمين (العالمين) وكتب



اللوحة ٣: صورة ضوئية (فوتوغرافية) لنقش غيل المنضج



الشكل ١: تفريغ النقش في لوحة ١.

٧ . ثبت (ثابت) يوم السبت

٨ . في عشر ليل (ليالٍ) خلون من

٩ . من (كذا مكررة) جمدى (جمادى) الأخرة

١٠ . سنة ثمان وتسعين

التحليل العام للنقش:

تم تنفيذ النص على مساحة صخرية غير مستوية السطح وشبه مستطيلة الشكل للجانب الغربي من كتلة صخرية جرانيتية التكوين يميل لونها إلى الاحمرار ومنفلقة من الصخر الجبلي المحاذي لها. إلى جانب وجود هذا النقش المؤرخ، يوجد - أيضا - على الواجهة الشمالية لنفس الكتلة الصخرية نقش إسلامي آخر غير مؤرخ سبق التعرض له بالدراسة التفصيلية، (al-Thenayian 2000: 207-208).

نفذ النص الكتابي، المتضمن عشرة أسطر، بالخط الكوفي البسيط بواسطة الحز الغائر للسطح الصخري. تخلو جميع حروف كلمات هذا النص من عملية التنقيط أو التنميق الخطي. ومن الملاحظ، بشكل عام، على الأسطر الكتابية للنص أنها تخلو من التناسب المتوازن في عدد الكلمات فيما بينها، ويتضح ذلك عند مقارنة عدد كلمات السطر الأول (كلمتان فقط) مع عدد الكلمات في السطر الثامن (خمس كلمات فقط) ، إلا أن المعدل العام في عدد الكلمات لنص السطر الواحد هو ثلاث كلمات في كل منها. وتظهر بعض السمات الكتابية في رسم وصياغة حروف الكلمات التي تستحق الإشارة إليها، منها: لحوق الشكل الخطافي بقاعدة حرف الألف المنفردة عند مجيئها في بداية ووسط الكلمة (الجرار: ٤، أهله: ٤، أجمعين: ٥)؛ إغفال قفل الطرف النهائي لحرفي الباء والتاء النهائيتين (ثابت: ٢، ٧، رب: ٥، كتب: ٦، السبت: ٧)؛ ظهور حروف الجيم والحاء والخاء في بداية الكلمة بالشكل المُثلث (الجرار: ٤، اجمعين: ٥، رحمت: ١، خلون: ٨)؛ وورود حرف العين مفتوحة القمعة (القنطرة) عند مجيئها في وسط ونهاية الكلمة (اجمعين: ٥، العالمين: ٦، تسعين: ١٠، صانع: ٣)؛ إحكام وكمال إستدارة محيط حرف الميم المبتدئة (أمين: ٥) والوسطى (العالمين: ٦) والنهائية وقصر ذيلها (تميم: ٣، يوم: ٧)؛ نزول جسم حرف النون النهائية تحت السمت الوهمي للسطر الكتابي وعدم إقفال طرفه النهائي (ابن: ٢، اجمعين: ٥، أمين: ٥، العالمين: ٦، ثمان: ١٠)؛ الرجوع العكسي لذيل الياء النهائية (على: ٢، أبي: ٢-٣، وعلى: ٤، جمادى: ٩). وهذه السمات الخطية تحمل في طياتها جانباً من التزاوج الحضاري بين القلم العربي الإسلامي والقلم النبطي القديم وتمكن الخطاط المسلم من تقعيد الخط الأخير ليكون في خدمته.

يعتبر النص الكتابي للنقش مكتمل اللفظ والمعنى ومقروء بأكمله، ويخلو من الأخطاء الإملائية واللغوية ما عدا وجود حرف الألف الزائدة قبل لفظة البنوة (ابن: ٢) ، وتكرار كلمة "من "(سطر رقم: ٩) . أما الحالة العامة الطبيعية للنقش فلا بأس بها ما عدا وجود كسر صخري عميق واقع في منتصف السطر الأول، الذي يبدو لنا بأنه قريب الحدوث، وأدى هذا الكسر إلى إخفاء وذهاب حرفين هما: حرف التاء النهائية المبسوطة من كلمة رحمت (رحمة: ١) وحرف الألف في بداية كلمة (الله: ١) .إلى جانب وجود بعض النتوءات والتجاويف الصخرية الطبيعية التي تتخلل صفحة المساحة الصخرية المنفذ عليها نصوص الأسطر الثلاثة الأخيرة من النقش (رقم: ٨-١٠) .

الرقم	التاريخ	صاحب النقش	الموقع	المنطقة	النشر
١	٢٤ هـ	زهير مولى بنت شيبة	قاع المعتدل، بالقرب من الحجر	العلا - درب الحج	لم ينشر
			(مدائن صالح).	الشامي	
٢	٤٠ هـ	خالد بن العاص	الباثة، درب زبيدة	مكة المكرمة	منشور
٣	٤٦ هـ	عبدالله بن ديرام	وادي سبيل	نجران	منشور
٤	٥٦ هـ	جهم بن عل بن هبيرة	الخشة - درب زبيدة	مكة المكرمة	منشور
٥	٥٧ هـ	"غير معروف"	الخشنة - درب زبية	مكة المكرمة	لمن ينشر
٦	٥٨ هـ	معاوية بن أبي سفيان	سد سيسد	الطائف	منشور
٧	٧٦ هـ	رباح بن حفص بن عاصم بن عمر	رواوة	المدينة المنورة	منشور
		بن الخطاب			
٨	٨٠ هـ	عثمان بن وهران	العسيلة	مكة المكرمة	منشور
٩	٨٠ هـ	عثمان بن وهران	العسيلة	مكة المكرمة	منشور
١٠	٨٠ هـ	ميمون مولى أبو مريم مولى رباح	الأسعد - درب الحج الشامي	شمال غرب المملكة	منشور
١١	٨٣ هـ	عفير بن المضارب	الأقرع - درب الحج الشامي	شمال غرب المملكة	منشور
١٢	٨٤ هـ	عبدالله بن عمارة	الحرمان	مكة المكرمة	منشور
١٣	٨٤ هـ	حكيم بن عمارة	الحرمان	مكة المكرمة	منشور
١٤	٩٠ هـ	"غير معروف"	الخشنة - درب زبيدة	مكة المكرمة	لم ينشر
١٥	٩١ هـ	مخلد بن أبي مخلد مولى علي بن	الأوجرية - درب الحج الشامي	شمال غرب المملكة	منشور
		أبي طالب			
١٦	٩٨ هـ	أبو جعفر بن حسن الهاشمي	الحرمان	مكة المكرمة	منشور
١٧	٩٨ هـ	أمية بن عبدالملك	العسيلة	مكة المكرمة	منشور
١٨	**٩٨ هـ**	**ثابت بن أبي تميم**	**غيل المنضج (المبرح): درب الحج**	**عسير (محافظة**	**موضوع هذا**
			اليمني الأعلى.	**ظهران الجنوب)**	**البحث**
١٩	١٠٠ هـ	أبو سلمة بن عبدالله بن عبدالله	رواوة	المدينة المنورة	منشور
		بن عمر			

(المصدر: هذا الجدول المعلوماتي من تصميم الباحث).

جدول رقم (٥): يتضمن النقوش الإسلامية المؤرخة المكتشفة على أراضي المملكة العربية السعودية والعائدة للقرن الأول الهجري/ السابع الميلادي:

م	المنطقة	العقد الثالث	العقد الرابع	العقد الخامس	العقد السادس	العقد السابع	العقد الثامن	العقد التاسع	العقد العاشر	مجموع النقوش
١	مكة المكرمة	–	٤٠ هـ	–	–	–	–	٨٠ هـ، ٨٠ هـ، ٨٤ هـ، ٨٤ هـ.	٩٠ هـ، ٩٨ هـ، ٩٨ هـ.	١٠
٢	شمال غرب المملكة	٢٤ هـ	٢٤هـ	–	–	–	–	٨٠ هـ، ٨٣ هـ.	٩١هـ	٤
٣	المدينة المنورة	–	–	–	–	–	٧٦ هـ	–	١٠٠ هـ	٢
٤	الطائف	–	–	–	٥٨ هـ	–	–	–	–	١
٥	ظهران الجنوب	–	–	–	–	–	–	–	٩٨ هـ	١
٦	نجران	–	–	٤٦ هـ	–	–	–	–	–	١
	مجموع نقوش العقد	١	١	١	١	–	١	٦	٦	١٩

(المصدر: هذا الجدول المعلوماتي من تصميم الباحث).

الجدول ٦: يوضح توزيع النقوش المؤرخة في مناطق المملكة العربية السعودية وفقاً لعقود القرن الأول الهجري/السابع الميلادي:

أولاً: النص الدعائي:

يفتتح صاحب النقش نصه بصيغة دينية دعائية شائعة الاستخدام في النقوش العربية الإسلامية الصخرية إذ يطلب من خلالها الرحمة من الله سبحانه وتعالى، يتبع ذلك اسم صاحب النقش وتعريفاً بصنعته، ومن ثم يستكمل صاحب النقش دعاءه بطلب شمولية الرحمة من الله سبحانه وتعالى وإسباغها على أهله أجمعين، ويختتم الدعاء بالتأمين لقبول واستجابة هذا الدعاء من رب العالمين. وفي نهاية النص، يثبت صاحب النقش بأنه هو الكاتب للنص، يتبعه بتاريخ مفصل لزمن تنفيذ نص النقش.

وبذلك يعد هذا النقش فريداً في مضمونه، مقارنة بالنقوش الصخرية الإسلامية المؤرخة التي كشف عنها حتى الآن على أراضي المملكة العربية السعودية، إذ إنه يبرز لنا بجلاء تام عن أقدم نموذج مؤرخ مشتمل على توقيع الصانع واسمه.

١. "**رحمت الله على** (. . .) ": (**السطر رقم: ١-٢**) :

مصطلح ديني يتكرر مراراً في نصوص النقوش والكتابات التذكارية الصخرية، بشكل فردي أو بشكل مركب مع مصطلحات دينية أخرى، كما يرد بصيغ أخرى مختلفة، مثل: "رحم الله فلان" أو "يرحم الله فلان" أو "ترحم الله على فلان". وقياساً بالفراغ الناتج عن عملية كسر الصخر الواقع مباشرة بعد الكلمة الأولى بالسطر الأول فمن شبه المؤكد أن هذه الكلمة تنتهي بتاء مفتوحة وليست منتهية بتاء مربوطة "رحمت، لا: رحمة "، لذا فتحت التاء النهائية حيث يجب الربط؛ وهي ظاهرة كتابية بارزة تتكرر كثيراً في نصوص النقوش والكتابات الصخرية الإسلامية المبكرة والوسيطة. ومن الثابت، علمياً، أن هذه الظاهرة الخطية تعد سمة من سمات الخط النبطي وبالتالي فهي من تأثيرات الكتابة النبطية القديمة، ولهذه الظاهرة وجود ملحوظ في رسم كلمات محددة في بعض الآيات القرآنية الكريمة. وبمقارنة منهجية كاتب هذا النص، في تنفيذ التاء الأخيرة من الكلمة، فإننا نلحظ قيامه بتثبيت التاء المربوطة في كلمة "سنة "(السطر رقم: ١٠) بدلاً من جعلها مبسوطة.

٢. "(. . .) **وعلى أهله أجمعين** (. . .) ": (**السطر رقم: ٤-٦**) :

يكاد يكون في حكم المؤكد أن صاحب هذا النقش حينما قام بصياغة هذا الدعاء الاستهلالي المتضمن طلب الرحمة من الله تعالى وإسباغها عليه وعلى جميع أهله فأنه، بلا شك، كان يتبع في ذلك هدي الآيات القرآنية التالية ويستمد تراكيب دعائه من وحيها الرباني؛ وهذه الآيات الكريمات، على سبيل المثال لا الحصر، هي:

قال الله تعالى في محكم كتابه:

أ. "(فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾) (الأنبياء: ٨٤).

ب. (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾) (ص: ٤٣).

ج. (فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾) (الشعراء: ١٧٠).

د. (إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾) (الصافات: ١٣٤).

أما ما يتصل بكلمة "أهل"، الواردة في النص، فتعني لغوياً: أهل الرجل، وهم عشيرته وذووه، وأهل الدار؛ ولنفس الكلمة "أهل" معان عديدة أخرى تخضع عادة لموقع الكلمة وسياقها في الجملة ومدى ارتباطها المعنوي بما يسبقها أو يلحقها من ألفاظ، ولذا نجد أنها وردت بصيغ مختلفة لمعان متباينة، ومنها: أهل القرآن، وأهل مكة، وأهل الله، وأهل بيت الله، وأهل المذهب، وأهل الإسلام، وأهل بيت النبي (صلى الله عليه وسلم)، وأهل الأمر، وأهل البيت، وأهل الرجل، وغيرها من أوجه الاستخدام[١٢]. (ابن منظور ج٢٨: ١١-٢٩؛ حميدالله ١٩٨٧: ٥٨٣).

ويختم صاحب النقش (النقاش)، ثابت بن أبي تميم، نص دعائه بالقول:

٣. "(...) أمين رب العالمين (...)": (السطر رقم: ٥-٦):

التأمين كلمة تقال في أثر الدعاء، كذلك يستحب لمن يقرأ أمّ الكتاب (سورة الفاتحة) أن يقول في نهايتها وبعد الفراغ من قرأتها: "آمين". والتأمين، (وهو قول: آمين/ أمين) يعني: "اللهم استجب ليّ"، وتعني أيضاً: "يكون" (المباركفوري ٢٠٠٠: ٢٧). وورد بأن العرب تقول أمِين بقصر الألف، وآمين بالمد، والمد أكثر. (ابن منظور: ج ١٣: ٢٦-٢٧).

والرب هو الله المالك المتصرف، ولا يقال إلا لله عز وجل، ويستثنى من ذلك عندما تلحق إضافة بكلمة الرب، مثل: رب الدار، وهكذا، والعالمين جمع عالم وهو كل موجود سوى الله عز وجل، وورد في تعريف العالم: "كل ماله روح ترفرف، وكل ما خلق الله في الدنيا والآخرة "(المباركفوري ٢٠٠٠: ٢٣). **هذا وورد في القرآن الكريم (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾) (الشعراء: ٢٣-٢٤). ولهذا النص الدعائي "آمين رب العالمين "وجود في العديد من الصيغ النصية للنقوش الصخرية الإسلامية المبكرة** (Grohmann 1962: 31-32, z. 23, 34-35).

ثانياً: شخصية صاحب النقش:

١. " ثابت بن أبي تميم ": (السطر رقم: ٢-٣):

يظهر الاسم الأول من شخصية النقش على أنه "ثابت"، ويلاحظ في رسم الاسم إهمال ألف المد النهائية، هكذا: "ثبت". وتتكرر هذه الظاهرة الكتابية في نص هذا النقش المتمثلة في حذف ألف المد في كل من الكلمات التالية: العلمين = العالمين (السطر رقم: ٦)، وليل = ليال (السطر رقم: ٨)، وجمدى = جمادى (السطر رقم: ٩)؛ وهي سمة خطية تعد من سمات الكتابات النبطية القديمة الشائعة ووجدت طريقها للخط العربي وذلك في ظهورها في بعض كلمات الآيات القرآنية الكريمة والنقوش الكتابية الإسلامية المبكرة[١٣] (المنجد ١٩٧٩: ٢٠-٢١، ٤٠-٤١، ١٠١-١٠٢؛ شرف الدين ١٩٧٧: ٧٣-٧٤، لوحات: ٤٩-٥٠). وخلافاً لهذا الحذف، فأن النقاش قام بتثبيت ألف المد الوسطى في كلمات معينة أخرى في النص، منها: "صانع" (السطر رقم: ٣)، و"الجرار" (السطر رقم: ٤)، و"ثمان" (السطر رقم: ١٠).

٢. (ابن):

تتبع لفظة البنوة الاسم الأول من شخصية صاحب النقش، ويلاحظ أنها مسبوقة بألف مع العلم بأنها تقع بين علمين ولم تقع في بداية السطر. والقاعدة اللغوية والإملائية تشير إلى حذفها لتصبح (بن) لعدم وقوعها في بداية السطر، وبذلك يصبح اسم شخصية النقش: ثابت بن أبي تميم. وزيادة الألف من الظواهر الكتابية الشائعة في النقوش الصخرية الإسلامية.

٣. (ابن أبي تميم):

يظهر "ابن أبي تميم" بالنقش اسم أول منسوب إليه ثابت، وهو شخصية النقش (ثابت بن أبي تميم). والتميم يعني لغوياً: الطويل، التام الخلق "، وتميم -أيضا- اسم لقبيلة مضرية تنسب إلى تميم بن مر بن أُد بن طابخة بن إلياس بن مضر (ابن منظور ج١٢: ٦٩-٧٠).

و"تميم" اسم علم مذكر له ذكر في الكثير من النقوش الصخرية غير المؤرخة، التي تعود إلى القرنين الأول والثاني الهجريين، التي كشف عن نماذج منها في منطقة الطائف(١٤) (الحارثي ١٩٩٤: ٩٧-١٠٠؛ Grohman 1962; 44-47). ويرد اسم أبو تميم في ا سماء أعلام لشخصيات مبكرة، منها: أبو تميم الحَيْسُماني (ابن حجر ج٢: ١٢٩) ، وأبو تميم الأسلمي (ابن سعد ج٤: ٣١٠؛ ابن حجر ج٥: ٢٨٢) ، وأبو تميم الجيشاني (ابن حجر ج٧: ٣٧). ومن الصعوبة نسبة صاحب النقش لأي شخصية من هذه الشخصيات لخلو اسم أبي تميم من نسبته؛ هذا ولم نجد، في المصادر المتاحة، معلومات تراجمية تخص سيرة شخصية هذا النقش، مع العلم بأن تراكيب اسمه (ثابت، تميم) لم تزل تستخدم في عالمنا العربي والإسلامي حتى يومنا هذا.

ثالثاً: مهنة صاحب النقش:

١. "(. . .) صانع الجرار (. . .)" (السطر رقم: ٣-٤) :

وكما أسلفنا، يظهر ويثبت صاحب هذا النقش ومنفذه مهنته التي كان يزاولها في حياته، وربما أنه كان معروفاً بها وبمزاولتها على نطاق واسع في منطقته، وبهذا يقوم بتوقيع اسمه في ثنايا النص (صانع الجرار) ، ولعله بمثابة الاسم التجاري له - إذا صح التعبير - للتعريف بنفسه وبصنعته(١٥) . ويبدو أن هناك علاقة قوية بين الحرفة والصناعة ووجود ارتباط وثيق ولصيق في الطبيعة التطبيقية لكل منهما، فالمصطلح الأول يعني الصناعة التي يرتزق منها وتعد مصدر الكسب؛ أما مصطلح الصناعة: فمصدرها الصُنع وهي حرفة الصانع وعمله، فيقال امرأة صناع اليدين أي حاذقة وماهرة بعمل اليدين، ورجل صنيع اليدين أي صانع حاذق. ومن الملحوظ أن الحرفة والصناعة يفهمان على أنهما مصطلحان متباينان لمدلول واحد، فوفقاً لقول ابن منظور: "المحترف الصانع وفلان حريفي أي معاملي والمُحْرف الذي نما ماله وصلح والاسم الحرفة، والحرفة الصناعة، وحرفة الرجل صنعته أو صنيعته، وحرف لأهله واحترف كسب وطلب واحتال" (ابن منظور ج٢: ٨٣٩) . ويؤيد هذا المعنى اللغوي ما ذهب إليه الجوهري بأن الصناعة هي حرفة الصانع، وعمله الصنعة؛ أما الصانع فهو عامل الشيء، والصناعة تكون حرفة له (الخزاعي ١٩٩٩: ٧٧٦-٧٧) .

ويمكن الخروج من هذه المفاهيم والتعريفات اللغوية بنتيجة إيجابية مفادها بأن صاحب هذا النقش كان يعمل في مجال صناعي محدد وهو صناعة الفخار المشتملة على صناعة الجرار، وهذه الصنعة الحيوية كانت حرفته وعمله ومعاشه في حياته، فهو إذاً بالتالي صانع محترف الصنعة للأواني الفخارية بشكل عام، وصناعة الجرار بأنواعها بشكل خاص.

أما المفهوم العام والشائع للحرفة والصناعة فيمكن تأطيره على أنه مصدرا من مصادر الكسب المادي التي يجيدها الشخص في حياته سواء كان ذلك تجارة أو فلاحة أو عمل يدوي كالسقاية والحمالة ونحوهما، ويدخل تحت مظلة هذا المفهوم العام جميع الأعمال الفكرية من تعليمية وتثقيفية وبحثية وغيرها (العمري ١٩٨٥: ٣٨).

أما ما يتعلق بلفظة الجرار فورد لها تعريف لغوي مفصل موضحاً التالي "الجرار، مفردها: جرة: إناء من خزف كالفخار، وجمعها جَر وجِرَار. وفي الحديث أنه نهى عن شرب نبيذ الجَر. قال ابن دريد: المعروف عند العرب أنه ما أتخذ من الطين، وفي رواية: عن نبيذ الجرار، وقيل: أراد ما ينبذ في الجرار الضارية يدخل فيها الحناتم وغيرها. قال ابن الأثير: أراد النهي عن الجرار المدهونة لأنها أسرع في الشدة والتخمير. التهذيب: الجر: آنية من خزف، الواحدة جَرَة، والجمع جَر وجرار. والجِرارة: حرفة الجَرّار" (ابن منظور ج٤: ١٣٠-١؛ ابن الأثير ١٩٩٧: ج١: ٢٥١) .

وبهدف فهم وإدراك الصفات الدقيقة لأواني الجرار وطبيعة استخداماتها العملية والتعرف على الفروقات ما بينها من خلال هذا التعريف، فيلزم علينا التعرض بشكل موجز على ماهية وكنه الأواني المُسماة والمشار إليها في مضمون

هذا التعريف اللغوي الشامل. يحتوي هذا التعريف اللغوي على مسميات لأواني وأوعية تفهم على أنها نظائر للجرار من ناحية الشكل والوظيفة (الاستخدام)، وهي كالتالي: الخزف، والفخار، والحناتم. فالخزف هو كل آنية عملت من الطين، ومن ثم عرضت وشويت بالنار لتصبح فخاراً، وواحدته خزفه؛ وذكر الجوهري بأن الخزف هو الجُر (جمع جرة) الذي يبيعه الخزاف (ابن منظور ج٩: ٦٧)، كما ورد بأن الجُر هو "كل ما عمل من الطين وشوي بالنار حتى يكون فخاراً " (الفيروز آبادي ٧٢٣). أما الفخار (مفرده فخارة) فإنه مُعرف على أنه الجُر أو الخزف. وفي الحديث: (أنه خرج يتبرز فأتبعه عمر بإداوة وفخارة) والفخار: ضرب من الخزف معروف تعمل منه الجرار والكيزان وغيرها (ابن منظور ج٥: ٤٩-٥٠)، وورد في **التنزيل العزيز قول الله تعالى: (خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾) (الرحمن: ١٤)، ووفقاً لقول ابن إسحاق فإن** الصلصال هو "الطين اليابس الذي يصل من يبسه أي يصوت، وهو صلصال ما لم تصبه النار، فإذا مسته النار فهو حينئذ فخار. قال الجوهري: الصلصال: الطين الحر خلط بالرمل فصار يتصلصل إذا جف، فإذا طبخ بالنار فهو الفخار ". (ابن منظور ج١١: ٣٨٢).

أما الحنتم فورد بشأنها التعريف التالي: "جرار خُضر تضرب إلى الحمرة، والواحدة: حنتمة، وأصل الحنتم الخضرة، والخضرة قريبة من السواد. وفي الحديث: أن النبي (ص) نهى عن الدباء والحنتم، قال أبو عبيد: هي (يعني الحنتم) جرار حُمر كانت تحمل إلى المدينة فيها الخمر. وفي النهاية، الحنتم: جرار مدهونة خضر كانت تحمل الخمر فيها إلى المدينة، ثم اتسع فيها فقيل للخزف كله حنتم، واحدته حنتمه" (ابن منظور ج١٢: ١٦١-١٦٢؛ الفيروز آبادي: ٩٩١).

يفهم من هذه التعاريف اللغوية للجرار وللأواني والأوعية الفخارية الأخرى بأن معظم الأواني المعمولة من الطين الحر (الصلصال) أو الطين المحروق (الفخار) سواء كانت تلك الأواني فخارية أو خزفية أو حناتم فأنها جميعاً تعرف باسم الجرار (مفردها: جرة). هذا إلى جانب إطلاق مسمى جرار على أواني فخارية أخرى تشتمل على مسميات معينة ومحددة وفقاً لاستخداماتها، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: الحُب[١٦]، والقلة[١٧]، والمكوك[١٨]، والشقيط[١٩] (ابن منظور ج١: ٢٩٥، ج١١: ٥٦٥، ج٧: ٣٣٥؛ الفيروز آبادي: ٦٧-٦٨، ٣٢٨، ٩٤٩). لذا فمفردة الجرة تعد لفظة فنية لغوية تعريفية تطلق بشكل شمولي لا انتقائي على جميع الأواني والأوعية المصنعة من الطين الصلصالي، سوى كان الطين حراً أو محروقاً، والمستخدمة للأطعمة والأشربة السائلة أو شبه السائلة (المائعة) كالدبس والعسل مثلاً.

اشتهرت جزيرة العرب في عصورها التاريخية القديمة والإسلامية المبكرة بعدة حواضر تشكلت كمراكز صناعية وإنتاجية معاً، وبؤر تصدير للصناعات الحيوية آنذاك؛ ومن هذه الحواضر والمراكز العربية الإسلامية المشهورة: مدينة صعدة، ومدينة نجران، ومدينة جُرش، ومدينة الطائف، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، واليمامة، ومدينة هجر. وتركزت تجارة وصناعة هذه البلدان على ما تجود به بيئة كل منطقة من تلك المناطق، وعلى مدى توفر الثروات الحيوانية والزراعية في كل منها، وبذلك تمثلت المتاجرة والإنتاج الصناعي المحلي في هذه المراكز والحواضر، مثلاً، في: تصدير التمور والقمح (البر) ومشتقاتهما، والمصنوعات الجلدية وما يلحق بهذا المجال الصناعي من دباغة للجلود وتصنيع للأدم، والمصنوعات الخصفية، ونحت الأقداح والبروم، وصناعة الجرار بمختلف أصنافها وأشكالها وأحجامها[٢٠].

وفي هذا السياق الحضاري، تشير المعلومات المتوفرة (الفاكهي ١٩٩٤: ج٣ ص ٣١٧؛ البابطين ١٩٩٨: ١٨٢-٣) إلى بروز طبقة اجتماعية محترفة تقوم بأعمال وصناعات يدوية[٢١] تشتمل على حرفة نحت الأقداح في مكة المكرمة، مع ظهور الإسلام، ووفقاً لما ورد عند الخزاعي (الخزاعي: ٧١٢-١٣) فأن أبا رافع القبطي (مولى العباس بن عبد المطلب- رضي الله عنه) كان يمتهن حرفة نحت الأقداح في حجرة زمزم.

و كانت صناعة الجرار من المهن المشهورة في مكة المكرمة لدرجة أن شعب من شعاب مكة المكرمة، واقعاً بالقرب من المحُصَب والحُجون، كان ينسب إلى المشتغلين بهذه المهنة[٢٢] (البابطين ١٩٩٨: ١٨٣؛ الفاكهي: ج٤ ص ٧٢-٧٣). كما كان

هناك ارتباط مهني وثيق بين صناعة الجِرار ومهنة السقاية في مكة المكرمة، وكانت الجِرار الحمر المُزفتة والقِلال والحناتم، إضافة إلى القرب والدلاء الجلدية، هي الأواني والأوعية المستخدمة في نزع وتحميل وجلب وحفظ المياه من قبل السقائين، ومن النماذج الحياتية اليومية في عملية جلب الماء في مكة المكرمة هو قيام أم سعيد (أمة آل العاص) بجلب كل يوم ثلاث جرار مملوءة بالماء بناءً على طلب سيدها.

وهكذا كان الشأن التجاري والصناعي في المدينة المنورة يكاد يتطابق مع الحالة السائرة في مكة المكرمة، فيذكر بأن سوق المدينة المنورة كان يستقبل مجلوبات من القبائل ومنها الخمور - قبل تحريمها - المعبأة في جرار خضر مدهونة يطلق عليها اسم الحناتم (مفردها حنتمة) (ابن ادريس ١٩٩٢: ٢١٣؛ ابن منظور ج١٢: ١٦١-٢). كما كان المجتمع المدني يضم طبقة صناع يصنعون آنية وأدوات المنزل من فخار ونحاس للأغراض المعيشية (مغربي ١٩٩٣: ٢٦٤). ويلاحظ المدقق والمتفحّص في سيرة وحياة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، مدى توفر ما ذكر من مسميات متنوعة للأواني وللأدوات وللأوعية الفخارية واستخداماتها في الحياة اليومية في عهده (صلى الله عليه وسلم) لأغراض متعددة ومختلفة وذلك إما للأكل أو للشرب أو للكيل أو للحفظ أو للوضوء والتطهر أو لتبريد الماء (ابن ادريس ١٩٩٢: ٢٤٢)، ومن نماذجها: الفخار، والتور، والبرمة، والحنتم، والقلة، والنقير، والمُزفت (المُقير) (الجميل ١٩٩٤: ٩٦- ١٩٣) . وتعد وفرة هذه الأواني والأوعية المختلفة في المجتمع المدني خلال العهد النبوي من الدلائل والمؤشرات القوية على وجود طبقة اجتماعية عاملة في المدينة المنورة تتولى صناعة وإنتاج وتسويق الجرار بمختلف أصنافها وأشكالها وأحجامها.

ويمكنا الجزم بأن صناعة الجرار الفخارية في المدينة المنورة استمرت فيما بعد لفترات طويلة لارتباطها بحرفة السقاية، وجدير بالذكر بأن جودة تربة المدينة المنورة كان لها دور في رقي هذه الصناعة وتطورها إذ كانت الدوارق (ابن منظور ج١: ٩٦؛ الفيروزآبادي: ٧٩٤) المصنّعة في المدينة المنورة يتم تصديرها للبلدان المجاورة، وإلى مكة المكرمة على وجه الخصوص (المديرس ٢٠٠١: ١٠٤) .

كما كانت الجِرار تستخدم مكاييل لحمل الضرائب العينية فيها في بلاد مصر في العهد الأموي من أجل حفظها في دار الرزق بالعاصمة الفسطاط، ومن أصنافها جرار العس[٢٣] (ابن الأثير ج ٤: ٥٣) . واشتملت هذه الجرار بمختلف أحجامها على أختام مستديرة الشكل مضغوطة على أبدانها تتضمن مأثورات كتابية تشير إلى سعة الجرة ومكان ورودها واسم صانعها إضافة إلى وجود هذا الختم المضغوط على بدن الجرة، فكانت فوهات جميع الجرار، المراد إرسالها إلى الفسطاط، تسد سداً محكماً بواسطة سدادة تعمل من نفس عجينة الجرة أو من مادة الجص لمنع حصول تلوث لمحتويات الجرة، وغالبا ما تحمل سدادة فوهة الجرة الختم الرسمي للمالك. وتتم صناعة هذه المكاييل الفخارية بنفس الطرق والوسائل المتبعة في صناعة الفخار العادي، إلا أن الاهتمام كان ينصب على تحقيق السعة والتأكد من دقتها لكل جرة فخارية وذلك على يد مندوب عامل الخراج (فهمي ١٩٨١: ٥٤-٥٥، ٦٨-٦٩، لوحات: ١٧-٢٠) .

وبالتالي نجد أن الصناعات اليدوية، ومن ضمنها صناعة الجرار، تعتبر من الصناعات الرائجة في المجتمعات العربية القديمة والإسلامية لتعدد أغراض استخدامها؛ وبذلك تنامى تطويرها تدريجياً بحكم الفتوحات الإسلامية الذي مكن المجتمع الإسلامي من الاتصال الحضاري بالمجتمعات المفتوحة وبالتالي الاستفادة من معطياتها الثقافية والحضارية وجعلها، واقعياً، تتماشى مع هدي وتعليمات الدين الإسلامي. ومن المعلوم بأن الصناعات الفخارية الإسلامية بدأت تتشكل وتأخذ طابعها الإسلامي مع بداية قيام الخلافة الأموية، إذ اتسم الفخار الإسلامي خلال هذه الفترة بصفات فنية صناعية بارزة ناتجة عن العمق المعرفي بإجادة تقنيات هذا الفن من الصناعات اليدوية، وتتمحور هذه الصفات الفنية، بإيجاز، في الصياغة الرقيقة لعجينة الآنية الفخارية وتضليع البنية الجسمية لها، وإيقاع الزخارف الهندسية والنباتية وغيرهما على سطح جسم الآنية باستخدام أصباغ مختلفة الألوان، وخاصة صبغة المَغْرَة[٢٤] (ابن منظور ج٥: ١٨١-١٨٢) ، والتركيز في صهر الآنية لدرجة الحرق. وبالتالي أخذت صناعة الفخار في هذا العصر الإسلامي المبكر بالتخلص من

التأثيرات الفنية الأجنبية، وخاصة الساسانية والبيزنطية، بعد أن كانت الجرار الضخمة (المشهورة باسم الجرار الساسانية – الإسلامية، أو الجرار الخضراء/ الزرقاء) هي المهيمنة والشائعة في التداول بين الناس (Fehervari 1973: 27-32).

رابعاً: التأريخ:

"*(. . .) وكتب ثابت يوم السبت في عشر ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين*".

١ . "(. . .) **وكتب ثابت** (. . .) "**(السطران: ٦ و٧)**:

هذه إشارة صريحة على أن صاحب النقش (ثابت بن أبي تميم) هو الذي قام بتنفيذ النص الكتابي للنقش، كما تعد مؤشراً على تفشي القراءة والكتابة بين أصحاب وأرباب العمل والمهن اليدوية في منطقة ظهران الجنوب. وتعد صيغة: "كتب فلان"، أو "كتب لسنة"، أو "وكتب بيده "من الصيغ الشائعة في نصوص النقوش والكتابات الصخرية الإسلامية المبكرة سواء المؤرخ منها أو غير المؤرخ، ومن المعتاد رسمها في موضعها الصحيح وهو نهاية أو خاتمة نص النقش متبوعة باسم منفذ النص أو تاريخ تنفيذ النص أو بكليهما معاً. وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى ما ذكره الواقدي بأن أول من كتب لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين قدم للمدينة المنورة أُبي بن كعب (وفاته سنه ١٩هـ/٦٤٠م) ، ويعتبر أُبي أول من كتب في آخر الكتاب: "وكتب فلان "(كتبه تعني خطه) (الخزاعي: ٨٥، ١٢٠، ١٨١) .

وعند تسليمنا بالحقيقة التالية أن ثابت بن أبي تميم كان صانعاً محترفاً للجرار طوال حياته، فما هو الأمر الذي جعله يختار هذه الصنعة بالذات مهنة وحرفة له مع أنه كان ينتمي إلى الطبقة المتعلمة؟ وهل كانت الطبقة الاجتماعية العاملة في المجتمع الإسلامي آنذاك لا يحدها حدود طبقية، وكانت تنهل من المعارف التعليمية والعلمية مثل ما تنهل الطبقات الأخرى؟ ولمحاولة تلمس إجابة علمية على هذه الفرضية لا بد لنا من البسط في القول أنه في سنة تنفيذ نص هذا النقش (٩٨هـ) كان قد مضى على قيام الخلافة الأموية سبعة وخمسين عاماً، وبقي من عمرها الزمني ما يقارب الثلاثة والثلاثين عاماً؛ وخلال هذه الفترة التاريخية ظهرت الحاجة لدى خلفاء بني أميه إلى إيجاد مراكز تعليمية في أرجاء أراضي الدولة الإسلامية، فتم تأسيس مراكز الكُتَّاب الذي أدى دوراً هاماً في نشر التعليم الأولي من خلال تأسيس ونشر الكُتّاب والكتاتيب في الأرياف والتجمعات السكانية النائية كانتشارها في المدن والحواضر الكبيرة، وعرفت مدن منها مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وصنعاء وغيرها دور الكتّاب، وخلال هذه المسيرة التعليمية استخدمت طريقة التلقين واستعمال الألواح الصغيرة كوسائل تعليمية أولية في تلك المرحلة المبكرة من التاريخ الحضاري للدولة الإسلامية. إلى جانب توفر الكُتّاب، أوجدت ونظمت حلقات التعليم في الجوامع والمساجد التي عنيت بالتفقه في العلوم الدينية (علوم القرآن الكريم، والحديث، والفقه). كما اهتم بنو أمية بنفس الوقت في نشر العلم في أرجاء وربوع البادية وفي أوساط الجند المرابطين في ثغور الدولة الإسلامية (العقيلي ٢٠٠٢: ١٥٥-١٧٤) . ومع هذه الجهود الرسمية من قبل الخلافة الأموية، فلا بد من الإشارة في هذا الخصوص أن مسيرة عجلة التعليم آنذاك وخاصة في البلدان النائية كانت، أيضا، من الأمور التي تخضع لوعي وإدراك الأهالي ووعي السلطة المحلية.

وعند النظر إلى هذه الجهود التعليمية الهادفة للخلافة الأموية الرامية إلى نشر التعليم في مشارق ومغارب حدود الدولة الإسلامية آنذاك، فأننا نجد لا غرابة من تغلغل التعليم في جميع أوساط الطبقات الاجتماعية في مختلف فئاتها بما فيها الطبقة العاملة من عرب أو موالي، وبذلك لا بد أن يكون ثابت بن أبي تميم من ضمن هؤلاء الأشخاص الذين استفادوا من نشر العلم والتعليم في ذلك الوقت المبكر من تاريخ الحضارة الإسلامية.

وعليه، يتضح لنا أن التعليم آنذاك لم يكن قاصراً على الحواضر الكبيرة فقط، وكان المتعلمين يعملون في المهن والحرف اليدوية وبذلك يُعد ثابت بن أبي تميم أنموذجاً للمسلمين في إبداعه لمعرفة الكتابة وهي لغة القرآن الكريم وعدم استنكافه عن القيام بأعمال حرفية ومهنية لكسب الرزق الحلال من عمل يديه.

٢. " (. . .) يوم السبت في عشر ليال خلون (. . .) " (السطران: ٧ و٨) .

قام صاحب ومنفذ هذا النقش بتحديد تاريخ نقشه الصخري بدقة متناهية من حيث تضمينه لعناصر مهمة في تراكيب تأريخ نص النقش، وهذه العناصر هي: اليوم (السبت) ، وتاريخ هذا اليوم (عشر ليال خلون)[٢٥] (ابن كثير: ١١٤٣)، واسم الشهر (جمادى الآخرة) ، والسنة (ثمان وتسعين)، وهذا التاريخ الإسلامي يتوافق مع التاريخ الميلادي التالي:

- **النقش: الأول.**
- **السنة الهجرية: ٩٨ هـ.**
- **التاريخ الميلادي المصادف للأول من شهر محرم: ٢٥ أغسطس/ ٧١٦ م (السنة كبيسة مؤلفة من ٣٦٦ يوماً).**
- **عدد الأيام المنصرمة من السنة الميلادية: ٢٣٧ يوماً.**
- **يوم بداية السنة الميلادية: الأربعاء.**

ومن النقاط المهمة الجديرة بالإشارة إليها في صيغة تأريخ هذا النقش هو تميزه وليس انفراده (Grohmann 1962: 124, Z- 202, Pl. xxiii) ، مقارنة بالنقوش الإسلامية المؤرخة، بتضمين الكاتب لكلمة ليال (مفردها: ليلة) واستخدامها عنصراً تأريخياً لتثبيت وتحديد التأريخ وجعلها تمييزا للعدد. وتعد لفظة ليلة أو ليال من صيغ تمييز العدد الوارد لها ذكر في القرآن الكريم، ومنها على سبيل المثال، قول الله تعالى:

- **(قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) (مريم: ١٠) .**
- **(سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾) (الحاقة: ٧).**
- **(وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾) (البقرة: ٥١) .**
- **(وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾) (الأعراف: ١٤٢) .**

وعليه، يثبت بأن ثابت بن أبي تميم نفّذ نصه في وقت غير معلوم من نهار يوم السبت المصادف للحادي عشر من شهر جمادى الآخرة، أي بعد انقضاء عشر ليالٍ، ومضي طرف غير معروف من نهار اليوم الحادي عشر من شهر جمادى الآخرة لسنة ثمان وتسعين هجرية، **قال الله تعالى في محكم كتابه (لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾). (يس: ٤٠)**

٣. "(. . .) **من جمادى الآخرة** (. . .) "**(السطور: ٨-٩)** :

من الصعوبة بمكان الوصول إلى معرفة المغزى من وراء اختيار صاحب ومنفذ هذا النقش (ثابت بن أبي تميم) وتوقيته لشهر جمادى الآخرة ليكون الزمن المناسب لتنفيذ نصه؛ إلا أنه تتوفر بعض الحقائق التاريخية التي من خلالها ربما يمكن لنا أن نستشف بصورة غير قطعية سبب اختياره لهذا الشهر بالذات من دون شهور السنة، وهي:

أولاً: قيام الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك بتأدية فريضة الحج في العام السابق من تاريخ هذا النقش، وتوليه إمامة الحج بالناس في هذا العام (ابن الأثير ١٩٧٨: ج٤: ١٤٦).

ثانياً: اعتياد قيام شريحة عريضة من المسلمين في شهر رجب من كل عام بتأدية "العمرة الرجبية "(ابن جبير ١٩٨٠: ١٠٦-١١٦) .

ويبدو، احتمالاً، أن هذين السببين هما اللذان جعلا حشود من الحجيج والمعتمرين والزوار، القادمين من بلدان جنوب وغرب الجزيرة العربية، التوافد على مكة المكرمة في وقت مبكر، إذا أخذنا في الاعتبار أن القوافل المنظمة للحج وللعمرة كان عليها أن تقطع مسيرة شهر أو أكثر من بلاد اليمن لتصل إلى مكة المكرمة. وبالتالي فقد كانت ربما فرصة سانحة لثابت بن أبي تميم العمل على استغلال توافد هذه الحشود من الناس عن طريق الحج اليمني الأعلى من صنعاء إلى مكة المكرمة، وقيامه بتنفيذ نقشه في شهر جمادى الآخرة. وتبقى هذه الإحتمالية واردة مع اعتقادنا بعدم وجود رابط قوي يتمثل بالدليل المادي الملموس بين كتابة نص هذا النقش ومناسبة حج الخليفة الأموي أو تأدية العمرة الرجبية.

٤. "(. . .) سنة ثمان وتسعين " (السطر رقم: ١٠) :

يتزامن تاريخ تنفيذ هذا النقش (سنة ٩٨هـ) مع فترة خلافة الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك الذي حكم ما بين ٩٦-٩٩ للهجرة / ٧١٥-٧١٧ للميلاد، وعند توليه زمام

الخلافة كانت دعائم الحكم الأموي متجذرة داخل حدود الدولة الإسلامية، بفضل جهود من سبقوه في الخلافة أمثال والده عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٥-٧٠٥م) وأخيه الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م).

اتسمت فترة خلافة سليمان بن عبد الملك بالاهتمام بفتح القسطنطينية، وخلال فترة خلافته تعاقب على ولاية مكة المكرمة وما جاورها ثلاثة ولاة معينين من قبله، وهم بالترتيب: خالد بن عبدالله القسري، وطلحة بن داود الحضرمي، وعبدالعزيز بن عبدالله بن خالد (البابطين ٤٧٥)؛ أما بلاد اليمن فكان واليها عروة بن محمد السعدي (تاريخ ولايته: ٩٦-١٠١هـ/٧١٥-٧٢٠م)، إذ عينه الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، ومن ثم عُين مرة أخرى في خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧٢٠م) (الحمزي ١٩٩٢: ٣٢؛ al-Mad'aj 1988: 169-172). وكان على هؤلاء الولاة وغيرهم إدارة الشؤون المتعلقة بولاياتهم من إدارية وحربية وغيرها؛ إذ كانت الخلافة الأموية خلال مراحل تاريخها تتسم في حكمها بتطبيق مبدأ اللامركزية في الحكم (إمارة استكفاء)، ولذلك أصبحت من صلاحيات الوالي جباية الخراج، وإشهار الجهاد، وتوزيع الأعطيات على مستحقيها، وتنفيذ الأمور القضائية[٢٦] (ابن الأثير ج٤: ١٤٦-١٥١؛ العقيلي: ٦٥، ٢٩٩-٣٠١).

وفي خاتمة القول يمكننا الوصول إلى نتيجة مفادها أن نص هذا النقش المؤرخ يحمل في طياته مفردات لعناصر حضارية ثقافية إسلامية وهي القراءة والكتابة والصناعة، وأن صاحب هذا النقش "ثابت بن أبي تميم"، قام بعمل تاريخي لم يسبقه أحد من قبل - حسب علمنا الحالي - في مجال النقوش الكتابية الصخرية في الفترة الإسلامية المبكرة وذلك بإضافة مسمى حرفته الذي يعد بمثابة توقيعه الشخصي لمضمون النقش. وبهذا يعد ثابت بن أبي تميم من الشخصيات العاملة في مهنة صناعة الأواني الفخارية (الجرار) وخاصة تلك الأواني والأوعية المخصصة للمواد والمشروبات السائلة والأطعمة الجافة وشبه السائلة (المائعة)، ويبدو أن هذه المهنة كانت حرفته الرئيسة في حياته، وكان يعمل بيديه لكسب معاشه الدنيوي، وبذات الوقت يُعد من الشخصيات المنتمية للطبقة المتعلمة في منطقته من خلال إجادته القراءة والكتابة. وبذلك نجده لم يقف عند تعلم القراءة والكتابة فحسب بل عمل بيديه لكسب رزقه ليرسم بذلك المسار الحياتي الصحيح والقدوة الحسنة للمرء المسلم الصالح.

كما أن تدوين صنعته في نص هذا النقش يدل بدون شك على نهضة الصناعات الفخارية وازدهارها في العصر الأموي؛ وهو بذلك يُؤرخ ويوثق، بطريقة غير مباشرة، عن مسيرة هذه الصناعة الحيوية في الحضارة الإسلامية، إلى جوار توثيقه البَيِّن لاستخدام طريق الحج اليمني وازدهاره فى عصره.

ويظهر من النقش، أيضا، بأن ثابت بن أبي تميم قام بمجهود طيب في تنفيذ نص النقش واعتنائه برسم حروفه وكلماته، واختياره موقع إستراتيجي وحيوي ليكون النقش بجوار مصدر مائي (غيل المنضج: المبرح)، وهو من المناهل الرئيسة على مسار طريق الحج اليمني الأعلى بين صنعاء ومكة المكرمة؛ وفضلاً عن استخدامه من قبل حجاج وزوار بيت الله الحرام، فإنه كان يستخدم من قبل السكان المحليين والمسافرين.

وتأسيساً على ذلك، تتضح أهمية مرور واجتياز مسار درب الحج اليمني بين صنعاء ومكة المكرمة لأراضي منطقة ظهران الجنوب وموقع غيل المنضج (المبرح) بوجه خاص لما له من أثر إيجابي في نشوء وتطور صناعة الجرار؛ ولربما كانت هذه الصناعة مفردة من مفردات اقتصاديات المجتمع المحلي في المنطقة.

وكما نرى أن نص النقش خرج لحيز الوجود ربما بسبب أن المنطقة آنذك كانت مشهورة بهذا المُنتج الفخاري وتعج بصُناع الجرار. وعليه، رغب ثابت بن أبي تميم التميز عن غيره ومنافستهم بواسطة الإشارة إلى حرفته من خلال هذا النقش مع عدم علمنا إن كان ينتمي شخصياً لسكان المنطقة ومعروف بينهم ولديهم، أو أنه صانع طارىء على المنطقة يكسب رزقه من صنع يديه وفي المواسم فقط، أو حيثما وجد التوقيت المناسب؛ أو أنه مجرد من عابري السبيل، وأنه أحد الحجاج اليمنيين العابرين الذين كانوا في طريقهم إلى مكة المكرمة.

وعلى الرغم من تحري الدقة العلمية، حسب المستطاع، في دراسة نص هذا النقش، إلا أنه ما تزال توجد بعض الفرضيات العلمية المهمة التي تطرح نفسها حيال المضامين النصية للنقش، وستبقى الفرضيات التالية تساؤلات صامتة حتى يقيض الله سبحانه وتعالى لمنطقة ظهران الجنوب المزيد من الاكتشافات الآثارية والبحوث التاريخية الجادة، ومن هذه الفرضيات:

أ. في حالة تناسي الإشارة الواضحة من كاتب النص لحرفته ومصدر رزقه "صناعة الجرار"، هل يُعتبر مضمون هذا النقش نصاً دعائياً دينياً بحتاً؟، أو أن "صانع الجرار" ليس إلا مجرد لقباً، مركب تركيباً إضافياً، تلقب به صاحب النقش، ومعروف في مجتمعه بهذا اللقب بدلاً من اسمه الحقيقي "ثابت بن أبي تميم"؛ أم أن إضافة مهنته في نهاية اسمه هي بالحقيقة تعريف بشخصه وبحرفته لمن يعرفه ومن لا يعرفه؟

ب. وبصرف النظر عن تراكيب الجمل الدعائية الدينية الترحمية المضمنة في نص النقش، هل يُعد هذا النقش مجرد لوحة تجارية، بمثابة شارة إعلانية، قصد بها صاحبها التنويه عن مدى مهارته وتسويق بضاعته خاصة عند مستخدمي المورد المائي لغيل المنضج (المبرح). وما هو المحفز من وراء قيامه بهذا العمل؟ أم أن المنطقة آنذاك كانت تمر بمراحل اقتصادية وسياسية عصيبة لم توثق تاريخياً؟

د. محمد بن عبد الرحمن راشد الثنيان - قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص. ب. ٢٤٥٦ الرياض ١١٤٥١- المملكة العربية السعودية.

الهوامش:

١ . يذكر أن قبيلة وادعة الهمدانية تنحدر من أبناء وادعة بن عمرو بن عامر بن ناشح بن دافع بن مالك بن جشم بن حاشد المهري . ووردت نسبة وادعة عند ابن حجر عن ابن الكلبي بأنها وادعة بن عمرو بن عامر بن ناشح بن قانع بن مالك بن جُشَم بن حاشد بن جُشَم بن خيران بن نوف بن همدان .

٢ . تضمنت المرحلة الأولى من هذا المسح الآثاري حصر عدد من المواقع (إذ بلغت ٢٣ موقعاً: ابتداءً من الجدلية وإنتهاءً بوادي الأرنب) على مسار الدرب؛ أما بقية مراحل مسح الدرب فستنشر تباعاً بالأعداد القادمة من حولية أطلال .

٣ . أتت نتائجه وفقاً للإحصاء التالي: ١١٨ نصاً بخط المسند الجنوبي، و١٤ نصاً بالخط الثمودي، و١٢٩ نصاً بالخط الكوفي . ويشتمل العدد نفسه من حولية أطلال على دراسة لبعض النقوش القديمة المنفذة بخط المسند الجنوبي المكتشفة بظهران الجنوب، ومنها نقوش واقعة على امتداد مسار طريق الحج اليمني .

٤ . من أبرزها نقشان غير مؤرخين يتضمنان إشارة واضحة وصريحة إلى اسم الأمير اليعفري محمد بن يُعْفِر (وفاته: ٢٦٩هـ/٨٨٢م)، وابنه الأمير اليعفري إبراهيم بن محمد بن يُعْفِر (وفاته: ٢٨٢هـ/٨٩٥م) .

٥ . تعد لفظة غيل من الألفاظ العربية القديمة إذ تمتلك تأصيلاً ودلالة في نصوص النقوش السبئية القديمة بمعنى: سال، أو جرى، أو مجرى ماء، أو قناة؛ عرفت بلاد اليمن منذ القدم جر الغيول من مصادرها، ولم تزل كلمة غيل تستخدم في بلاد اليمن حتى يومنا هذا بالمعنى اللغوي نفسه .

٦ . كلمة المُدْرَجَة (جمعها مدارج)، تعني: "الثنايا الغلاظ بين الجبال"، واحدتها مدرجة، وهي المواضع التي يدرج فيها أي يمشي .

٧ . من أصحاب القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وهو مؤلف أرجوزة الحج المشهورة باسم الرداعية .

٨ . النقيل، هنا، هو إشارة إلى الطريق الجبلي الذي يتخلل مساره عبر المضائق الجبلية، ووردت هذه اللفظة بنفس المعنى والصفة والدلالة للكلمة العربية في نصو ص النقوش السبئية القديمة؛ وتجدر الإشارة بأن لفظة نقيل، التي تعني العقبة الجبلية، لم تزل شائعة الاستخدام بين سكان جنوب المملكة وسكان المناطق الجبلية في الجمهورية اليمنية، ويقصد بها الدرب الجبلي .

٩ . وضع الهمداني المهجرة على قمة جبل المنضج وأعتبرها الحد الشمالي لمنطقة صعدة، وعدّها جزءاً من بلاد بني حيف الوادعية .

١٠ . يذكر الهمداني ما يلي: " ومحمد بن أبان الذي قاوم معن بن زائدة بصعدة وحاربه وأخذ بثأر عمر بن زيد الغالبي، لأن معناً كان قتله بالمنضج " .

١١ . تتوزع هذه النقوش الإسلامية المؤرخة على ست مناطق متفرقة من مناطق المملكة العربية السعودية؛ وتحتل منطقة مكة المكرمة العدد الأكبر منها (١٠ نقوش مؤرخة)، يليها منطقة شمال غرب المملكة (٤ نقوش مؤرخة)، من ثم منطقة المدينة المنورة (نقشان مؤرخان)، فمنطقة الطائف، ومنطقة ظهران الجنوب (عسير)، ومنطقة نجران (نقش مؤرخ واحد في كل منطقة من هذه المناطق الثلاث الأخيرة .

١٢ . وردت في النصوص التاريخية العائدة للعهد النبوي والخلافة الراشدة على وجهين، وهما: "أرسلت إليكم من صالحي أهلي": وردت أكثر من مائة مرة في الوثائق؛ أما الوجه الثاني لورودها فهو: " أهل رسول الله ": وردت أكثر من ثلاثين مرة في الوثائق . وقد عرف محمد حميد الله كلمة أهل: بأنها " أهل الرجل أخص الناس به ولا يلزم أن يكون من الأقارب " .

١٣ . لهذه الظاهرة الكتابية شواهد متعددة في النقوش العائدة لفترة ما قبل الإسلام، وفي النقوش الإسلامية المبكرة، واستمرت هذه الظاهرة الكتابية إلى فترات إسلامية متأخرة .

١٤ . ومن هذه النقوش، على سبيل المثال، النماذج التالية: أ . " آمن تميم بالله "، ب . " أنا تميم بن سعد العتيقي ربي الله "، ج . " ترحم الله على تميم بن مهران أمين " .

١٥ . تشتمل كلمة "صنع" على عدة تخريجات في بعض آيات القرآن الكريم، وتتمحور معاني وتفسيرات هذه الألفاظ القرآنية للكلمة بالتالي: الأعمال التعبدية العضوي منها والحسي (هود: ١٦)، وصناعة المصنوعات الحديدية والخشبية (الأنبياء: ٨٠؛ هود: ٣٧)، وأعمار العمارات والمزارع (الأعراف: ١٣٧)، وفعل الله وقدرته العظيمة بإتقان كل ما خلق وأودع فيه من الحكمة ما أودع (النمل: ٨٨)، والاصطفاء والاجتباء للنفس (طه: ٤١).

١٦ . الحُب: الجرة الضخمة، الذي يجعل فيه الماء .

١٧ . القُلة: قيل الجرة العظيمة، وقيل الجرة عامة .

١٨ . المكوك: قال ابن الأعرابي: الجُرُ: جمع الجُرة، وهو المكوك الذي يثقب أسفله .

١٩ . الشقيط (الشقيظ): الجرار من الخزف يجعل فيها الماء، وقال الفراء: الشقيط: الفخار عامة .

٢٠ . خلقت هذه الحركة التجارية والأعمال الصناعية بمرور الوقت أجيالاً متعاقبة اتسمت بالخبرات المتراكمة والمتوارثة من مهارة وبراعة في الحقول الصناعية والإنتاجية والتصديرية في محيطيها المحلي والإقليمي . وبهذا انعكست هذه الحركة التجارية والصناعية في تطور وازدهار هذه الحواضر بمجتمعاتها السكانية ونمو اقتصادياتها المحلية .

٢١ . ومن هذه الصناعات اليدوية، بجانب نحت الأقداح وصناعة الجرار، قطع حجارة البرام من الجبال في مكة المكرمة، ومن ثم تسوى وينحت منها القدور والأواني الأخرى، ويطلق على هذه الفئة العاملة "البرامون"، وهي من الحرف القديمة المعروفة في مكة المكرمة قبل ظهور الإسلام، وعُرفت شخصيات تنتمي لقبيلة قريش لها ذكر في العمل بحرفة بيع البُرم مثل أمية بن خلف الجمحي . ولا زالت هذه الحجارة تُعرف وتُنحت في المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية من المملكة العربية السعودية؛ هذا وتعرف حجارة البرام علمياً باسم " التالك/التالكوم: (*talc/talcum*) أو الحجر الصابوني " .

٢٢ . إلا أنه يبدو أن اسم هذا الشعب هو "شعب الجزّارين" وليس "شعب الجرارين" .

٢٣ . كما عرفت مصر صنفين من الجرار مكيالين، فالجرة الكبيرة تصل سعتها إلى حوالي ٢٤ قسطاً، أما الجرة الصغيرة فسعتها تبلغ حوالي أربعة أقساط . وتقدر سعة القسط بنصف الصاع، وكان القسط، أيضا، يستخدم كإناء للوضوء .

٢٤ . المَغَرَة والمَغْرَة: عبارة عن طين أحمر يستخدم لصباغة الجرار الفخارية والثياب .

٢٥ . وورد بأن "العرب تسمى كل ثلاث ليال من الشهر باسم باعتبار القمر، فيسمون الثلاث الأول غُرَر، واللواتي بعدها نُفَل، واللواتي بعدها تُسَع، لأن أخراهن التاسعة، واللواتي بعدها عُشَر لأن أولاهن العشرة، واللواتي بعدها البيض، . . . " . وعند تطبيق هذا التصنيف الحسابي العربي القديم لمنازل القمر على التاريخ المذكور في نص هذا النقش (في عُشَر ليال خلون) فأنه يصادف أم يوم العاشر أو الحادي عشر أو الثاني عشر من شهر جمادى الآخرة لسنة ٩٨هـ .

٢٦ . من أبرز الأحداث التاريخية في الدولة الإسلامية المتزامنة آنذاك مع سنة تنفيذ نص هذا النقش، ما يلي:

أ . يعهد الخليفة سليمان بن عبد الملك بولاية العهد لابنه أيوب، فمالبث أيوب أن يتوفى فاختار لولاية العهد عمر بن عبد العزيز .

ب . قيام أمير أفريقية محمد بن يزيد القرشي بعزل أيوب بن حبيب اللخمي عن إمارة الأندلس، وتولي الحّر بن عبد الرحمن الثقفي ولايتها .

ج . قيام أمير خراسان يزيد بن المهلب ببناء مدينة جرجان .

كما شهد العقد الأخير من القرن الهجري الأول المراحل الأولى لقيام الدعوة العباسية في طورها السري الذي استمر لأكثر من ثمان وعشرين سنة فيما بعد .

المراجع

أولا: المراجع العربية

ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الواحد الشيباني، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، **الكامل في التاريخ**، ٩ أجزاء، بيروت.

ابن الأثير الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ٥ أجزاء، خرج أحاديثه وعلق عليه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، ط١، بيروت.

ابن إدريس، عبدالله عبد العزيز، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، **مجتمع المدينة في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)**، الرياض.

اسكوبي، خالد محمد، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، "دراسة تحليلية للنقوش الواقعة في: أ. عشن (ذهبان)، ب. المعلمات، ج. ظهران الجنوب بالمنطقة الجنوبية - المسح الأثري عام ١٤١٢هـ/١٤١٣هـ"، **أطلال**، العدد الخامس عشر، ١٠٩-١٢٤، الرياض.

البابطين، إلهام أحمد، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، **الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي**، ط١، الرياض.

بيستون، أ.ف. ل ؛ مولر، والتر ؛ الغول، محمد ؛ ريكمانز، جاك ١٩٨٢م، **المعجم السبئي**، بيروت ولوفان.

ابن جبير، محمد بن أحمد، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، **رحلة ابن جبير**، بيروت.

الجميل، محمد بن فارس ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، "الآنية والأوعية المستخدمة في العهد النبوي: دراسة مستمدة من كتب الحديث الشريف"، **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**، العدد الثاني عشر، ٩٦-١٩٣، الرياض.

ابن جنيدل، سعد بن عبد الله ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، **معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري**، الرياض.

الحارثي، ناصر بن علي، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، **النقوش العربية المبكرة بمنطقة الطائف**، ط١، الطائف.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، **الأصابة في تمييز الصحابة**، ٩ أجزاء، دراسة وتحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط١، بيروت.

الحجري، محمد بن أحمد، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ٤ أجزاء، تحقيق وتصحيح ومراجعة: إسماعيل بن علي الأكوع، ط١، صنعاء.

الحربي، علي بن إبراهيم ناصر، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، **المعجم الجغرافي للبلاد السعودي (منطقة عسير)**، ٣ أجزاء، بيروت.

الحربي، أبو إسحاق إبراهيم، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، **كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**، تحقيق حمد الجاسر، ط١ الرياض.

حمزة، فؤاد، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، **في بلاد عسير**، ط٢، الرياض.

الحمزي، إدريس بن علي بن عبد الله، ١٩٩٢م، **تاريخ اليمن من كتاب كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار**، دراسة وتحقيق عبد المحسن مدعج المدعج، ط١، الكويت.

الحموي، ياقوت بن عبد الله ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، **معجم البلدان**، بيروت، لبنان.

حميد الله، محمد، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، **مجموعة الوثاق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، ط٦، بيروت.

خان، مجيد ؛ المغنم، علي، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، "سدود أثرية في منطقة الطائف"، **أطلال**، العدد السادس، ١٢٥-١٣٤، الرياض.

الخزاعي، علي بن محمد بن سعود، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، **تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية**، تحقيق إحسان عباس، ط٢، بيروت.

الراشد، سعد بن عبد العزيز، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، **كتابات إسلامية من مكة المكرمة: دراسة وتحقيق**، الرياض.

الراشد، سعد بن عبد العزيز، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، "نقش مؤرخ من العهد الأموي مجهول الموقع من منطقة جنوب الحجاز"، **دراسات في الآثار، الكتاب الأول**، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض.

الراشد، سعد بن عبد العزيز، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، **كتابات إسلامية غير منشورة من (رواوة) المدينة المنورة**، ط١، الرياض.

الراشد، سعد بن عبد العزيز، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، **كتابات إسلامية**

من مكة المكرمة: **دراسة وتحقيق**، الرياض.

ابن سعد، محمد بن منيع، (ب.ت). **الطبقات الكبرى**، دار صادر، بيروت.

شرف الدين، أحمد حسين، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، "النقوش الإسلامية بدرب زبيدة"، **أطلال**، العد الأول، ٧٣-٧٤، الرياض.

عسلان، عبد الوهاب محمد، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، **غيول صنعاء: دراسة تاريخية أثرية وثائقية**، ط١، دمشق.

العمري، عبد العزيز إبراهيم، ١٩٨٥م، **الحرف والصناعات في الحجاز: في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم**، ط١، الدوحة

العقيلي، عمر بن سليمان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، **تاريخ الدولة الأموية: ٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م** ، ط١، الرياض.

غبان، علي بن إبراهيم، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، **الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة: مدخل عام**، ط١، الرياض.

الفاكهي، محمد بن إسحاق، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، ٦ أجزاء، دراسة وتحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط٢، بيروت .

فهمي، سامح عبد الرحمن، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، **المكاييل في صدر الإسلام**، مكة المكرمة .

فهمي، سامح عبد الرحمن، ١٩٨٧م، "نقشان جديدان من مكة المكرمة"، **المنهل**، مج ٤٨.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، **القاموس المحيط**، بيروت.

قدامة، بن جعفر البغدادي، ١٩٦٧م، **نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة**، تحقيق دي غويه، ليدن.

كباوي، وآخرون، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م، "تقرير عن الرسوم والنقوش الصخرية جنوب غرب المملكة (أبها- جازان): الموسم السابع، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م"، **أطلال**، العدد الخامس عشر، ٩٩-١٠٨، لوحات: ٢٧-٣٩، الرياض.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، **المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير**، إعداد جماعة من العلماء بإشراف الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، ط٢، الرياض.

كنودستاد، جيمس، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، " مشروع درب زبيدة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م: تقرير مبدئي عن المرحلة الأولى لمسح درب زبيدة "، **أطلال**، العدد الأول، ٤٧-٧٢، الرياض.

المديرس، عبد الرحمن مديرس، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، **المدينة المنورة في العصر المملوكي(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م): دراسة تاريخية**، ط١، الرياض.

مغربي، محمد علي، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، **لمحات من تاريخ الحجاز قبل الإسلام**، ط١، القاهرة.

المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد، ١٩٠٦م، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق دي غوية، ط٢، ليدن.

المنجد، صلاح الدين، ١٩٧٩م، **دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي**، ط٢، بيروت.

ابن منظور، محمد بن مكرم، (ب.ت)، **لسان العرب**، ١٥ مجلداً، دار صادر، بيروت.

الناصر، علي ناصر ؛ الرويتع، عبد العزيز، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، "دراسة مبدئية لدرب الفيل: طريق الفيلة"، **أطلال**، العدد الحادي عشر، ١٠٣ - ١٠٧، الرياض.

الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، ١٩٣٣١م، **الأكليل**، ج ٨، تحقيق الأب أنستاس ماري الكرملى البغدادى، بغداد.

الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، الرياض.

الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، ١٨٨٤م، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق موللر، ليدن.

الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، **الأكليل**، ج ٢، تحقيق محمد الأكوع، ط٣، بيروت.

الهمزاني، سعد، ١٩٩٩م،" نقشان في السعودية يقلبان تاريخ ولادة الخط العربي"، **جريدة الحياة**، عدد الجمعة ٦ رجب، ١٤٢٠هـ، ص ١، ٦.

الوادعي، محمد، (ب.ت). **ظهران الجنوب وروعة الحاضر**، منشورات إمارة ظهران الجنوب، اللجنة الفرعية للتطوير السياحي، أبها.

ثانياً: المراجع غير العربية:

Biella, Joan Copeland 1982. **Dictionary of Old South Arabic: Sabaean Dialect**, U.S.A.

Fehervari, Geza 1973. **Islamic Pottery,** 1st.ed., London.

Grohmann, A. 1962. **Arabic Inscriptions**, Louvain.

al-Mad'aj, 'Abd al-Muhisn Mad'aj M. 1988.**The Yemen in early Islam, 9-233/630-847 : a political History**, London.

Philby, st.John 1938. ' The Land of Sheba', **Geographical Journal**.vol.xcii.no.1, London.

Smith, Rex. J. 1978. **The Ayyubids and Early Rasulids in the Yemen (567-694/1173-1295)**, vol.ii, London.

al-Thenayian, Mohammed A. R. 2000. **An Archaeological Study of the Yemeni Highland Pilgrim Route between San'a' and Makkah** 1st.ed., Riyadh.

Wilson, Robert.T. O. 1989. **Gazetteer of Historical North-West Yemen in the Islamic Period to 1650**, New York.

مؤتمرات وندوات علمية

نقوش وآثار جنوب الجزيرة العربية

(ندوة دولية بمناسبة الذكرى السبعين لميلاد البروفسور والتر مولر)

الجهة المنظمة : قسم الدراسات السامية بجامعة فيلبس - ماربورج- ألمانيا.

مكان الانعقاد : جامعة فيلبس.

تاريخ الانعقاد : ٢٨-٢٩ رجب ١٤٢٤هـ.
الموافق ٢٦-٢٧ سبتمبر ٢٠٠٣م.

عُقدت في جامعة فيلبس بمدينة ماربورج بألمانيا، الندوة الدولية حول: "نقوش وآثار جنوب الجزيرة العربية. بمناسبة الذكرى السبعين لميلاد البروفيسور والتر موللر"، عميد الدراسات السامية السابق في جامعة فيلبس، والمتخصص في نقوش وحضارة اليمن القديم. وقد أمضى موللر أكثر من أربعين عاماً في خدمة البحث العلمي في مجال دراسة تاريخ وحضارة جنوب الجزيرة العربية، وتخرج على يديه جيل من المتخصصين والباحثين العرب والأجانب.

اتسمت هذه الندوة بمشاركة عربية ودولية واسعة، شارك فيها من الجانب العربي باحثون من: الأردن، والسعودية، واليمن؛ ومن الجانب الدولي، شارك باحثون من: ألمانيا (الدولة المضيفة)، وإيطاليا، وبريطانيا، وروسيا، وفرنسا، والنمسا، وأستراليا وأمريكا.

وقد عقدت الندوة على مدار يومين، قُدمت فيها تسعة عشر بحثاً علمياً بثلاث لغات: الألمانية، والإنجليزية، والفرنسية. وقد ألقت الأبحاث الضوء على جوانب مختلفة من الحضارة اليمنية القديمة.

اشتملت الندوة على خمسة محاور رئيسة، ضم كل محور مجموعة من الأوراق والأبحاث العلمية المرتبطة بعضها ببعض، وتنحصر جميعها جغرافيا في منطقة جنوبي الجزيرة العربية.

وجاءت محاور المؤتمر موزعة على النحو الآتي:

- المحور الأول بعنوان: "نقوش ونتائج تنقيبات جديدة" ، تناولت الورقة التي ألقاها الأستاذ الدكتور يوسف محمد عبدالله - اليمن- دراسة تحليلية لـ "نقش سبئي جديد من مأرب"، وهو من ضمن مجموعة النقوش المكتشفة حديثاً من قبل بعثة المعهد الأمريكي لدراسات الإنسان في معبد أوام، المعروف حالياً (محرم بلقيس) باليمن. فيما عرض الأستاذ الدكتور "ريكاردو أيشمان" -ألمانيا- موضوعاً حول: "المنشورات الأثرية في مدينة مأرب"، المدينة التاريخية لحاضرة مملكة سبأ، والكشف عن الآثار الغامضة لهذه المدينة، وعن قصة ملكة سبأ، التي جاء ذكرها في المصادر التاريخية. كما قدمت الدكتورة عميدة شعلان -اليمن- بحثاً بعنوان: "أسماء جديدة لطيوب عربية جنوبية قديمة: نقوش على مباخر غير منشورة"، من مجموعة متحف قسم الآثار بجامعة صنعاء. وتكمن أهمية هذا البحث في أنه أضاف اسمين جديدين من أسماء الطيوب العربية الجنوبية القديمة، إلى أسماء الطيوب المعروفة في اليمن القديم. أما ورقة الدكتور سعيد السعيد -السعودية- فقد جاءت تحت عنوان: "نقش نذري معيني، فيه ذكر لزوجة الملك المعيني وقه إيل صادق"، تناول فيها دراسة تحليلة لغوية للنقش. ومن جهتها تحدثت الدكتورة "إيرِس جِرلاخ" -ألمانيا- عن: "الأبحاث الأثرية للمعهد الألماني بصنعاء في المدينة السبئية صرواح"، وهي من الأوراق العلمية التي تعكس مجهودات بعثة المعهد الألماني في المدينة السبئية صرواح. استعرضت خلالها أهم الاكتشافات الأثرية الجديدة في منطقة صرواح، العاصمة السبئية الأولى لمملكة سبأ. كما ألقى الدكتور سالم طيران - السعودية- بحثاً بعنوان: "نقش سبئي جديد من متحف جامعة الملك سعود بالرياض - المملكة العربية السعودية"، وهو من النقوش السبئية المبكرة المكتوبة بخط المحراث، تناول فيه دراسة تحليلية لغوية للنقش. أما الأستاذ الدكتور "فرانسوا برون" -فرنسا- فقد ألقى ورقة بعنوان: "نقش معيني جديد بخط المحراث" من مجموعة نقوش (Moussaieff) ويحمل رقم (Moussaieff 14) وهو شبيه من حيث إطار الزخرفة المحاطة بالنقش وكذلك أسلوب الكتابة، بالنقش الذي عرضه الدكتور سالم طيران. ويعتبر هذا النقش من النقوش المعينية النادرة التي كتبت بخط المحراث.

- المحور الثاني: "الديانة" : ألقيت في هذا المحور ورقتان تتعلق بديانة اليمن القديم، وكانت الورقة الأولى للدكتور "سيرجوي فرانتسوزوف" -روسيا- بعنوان: "آلهة سبئية في حضرموت وعبادتها في معبد رحبان". فيما قدم الورقة الثانية الأستاذ الدكتور "كريستيان روبان" -فرنسا- بعنوان: "حكم ثأران يهنعم: نحو رفض الديانات المتعددة".

- المحور الثالث: "الخط واللغة" : اشتمل هذا المحور على أربع

أوراق، قُدمت الورقة الأولى من قبل الدكتور هاني هياجنه - الأردن- بعنوان: "خواطر حول نشأة الخط السامي الجنوبي". أما الورقة الثانية فقد كانت للباحث "ميشال ماكدونالد "- بريطانيا- بعنوان: "نحو إعادة تقيم خطوط شمال الجزير العربية القديمة، التي استخدمت في واحة العلا". وكانت الورقة الثالثة للدكتور "بيتر شتاين" -ألمانيا- تناولت "الكتابة ومدرسة الكتابة في جنوبي الجزيرة العربية"، وذلك من واقع النصوص الخشبية (خط الزبور اليماني)، المحفوظة في متحف ميونخ. أما الورقة الأخيرة في هذا المحور فقد كانت للدكتور "الإكسندر سيما" -ألمانيا- وتحدثت عن "مكانة اللهجات السبئية المتأخرة".

- المحور الرابع: "الثقافة والعمارة": حمل هذا المحور الأوراق التالية: الأولى للأستاذ الدكتور "والتر دوستال" -النمسا- عن: "ملاحظات نقدية حول مسألة نظام القرابة العائلية في الجزيرة العربية". أما الدكتور "ويليام جلانزمان" -إمريكا- فقد كانت ورقته حول: "العلاقة بين فخار جنوبي الجزيرة العربية وأراضي الممالك المختلفة خلال الألف الأول ق.م." أما ورقة الدكتور "بوركهارد فوجت" -ألمانيا- فقد حملت العنوان: "هجر يَهر-عاصمة مملكة أوسان؟" استعرض خلالها المكتشفات الأثرية الجديدة في موقع حاضرة عاصمة مملكة أوسان".

- المحور الخامس والأخير: "التاريخ السياسي والتأريخ": ألقى الأستاذ الدكتور "اليساندرو دي ميجري" -إيطاليا- بحثه حول "إدلة جديدة للتسلسل الطبقي لتأريخ مدينة تمنع (قتبان)"، مستعرضاً نتائج التنقيبات والنقوش الجديدة المكتشفة في مدينة تمنع، عاصمة مملكة قتبان. وآخر أبحاث هذا المحور بشكل خاص والندوة بشكل عام قُدِّمت من قبل الدكتور "دانيال بوتس" -أستراليا- عن "جنوبي الجزيرة والإمبراطورية الفارسية".

وقد مثّلت غالبية الأوراق عرضاً لنتائج أعمال ميدانية - قام بها مقدم، أو مقدمو الورقة - التي ربما كانت ضمن جهود فريق علمي متكامل، وهذ ما ترتب عليه مستوى عالٍ في طرح الأوراق، ومحاكاة الدليل الأثري.

وقد أوصى المشاركون في الندوة بنشر بحوث المؤتمر في كتاب خاص، بمناسبة مرور سبعين عاماً على ميلاد البروفسور والتر موللر.

د. عميدة محمد شعلان: قسم الآثار-كلية الآداب-جامعة صنعاء- ص.ب. ١٢٣٥٧- صنعاء- الجمهورية اليمنية.
e-mail: amida_sholan@hotmail.com

ندوة التراث العمراني الوطني في المملكة العربية السعودية

الجهة المنظمة : الهيئة العليا للسياحة

مكان الانعقاد : مركز الملك عبد العزيز التاريخي - الرياض.

تاريخ الانعقاد : ٤-٧ شعبان ١٤٢٤هـ، الموافق: ٣٠ سبتمبر - ٣ اكتوبر ٢٠٠٣م.

برز موضوع إدارة الموارد الثقافية على الساحة العلمية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، في أوائل السبعينات من القرن الماضي. ويتجلى هذا الاهتمام في أدبيات الأنثروبولوجيا والآثار المنشورة، وفي البرامج الدراسية في الجامعات والمؤسسات العلمية. كذلك صار الاهتمام إلى قيام الحكومات بتكوين مؤسسات لإدارة الموارد الثقافية، التي تشمل الآثار والتراث الشعبي والمتاحف والفولكلور وغيره. كما أصدرت القوانين والأنظمة، التي تحكم عمل هذه المؤسسات وتحدد مسؤوليتها. ومن ثم انتشر هذا الاهتمام بإدارة التراث إلى مناطق أخرى من العالم، من ضمنها المملكة العربية السعودية التي عملت على الحفاظ على تراثها الحضاري. وكان من نتائج اهتمام حكومة المملكة بتراثها، أن أصدرت نظام الآثار سنة ١٣٩٢هـ، الذي اشتملت بنوده على كل ما يتعلق بحماية وحفظ الآثار الثابتة والمنقولة. كذلك، يتضمن النظام العناية بالتراث الشعبي أو التقليدي، الذي يتمثل في المصنوعات التقليدية ذات الأهمية الثقافية والتاريخية، والمباني العمرانية التراثية.

ومن الجدير بالذكر أن دستور منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) عرّف في مادته الأولى التراث الثقافي (الآثار) بأنه: "تلك النصب ومجموعة المباني والمواقع الأثرية التي لها قيمة عالمية مميزة لجهة التاريخ والفن والعلوم". وتركت المادة الثالثة للدول الأطراف تحديد تلك الملكيات الواقعة على أرضها، التي تراها جزءاً من هذا التراث"، (حمدان ١٩٨٨). ويعني ذلك أن التراث الشعبي التقليدي لا يتحدد بفترة زمنية معينة، بل يرجع ذلك إلى

التحديد، الذي تتخذه كل دولة لتراثها الخاص، حسب قدمه وأهميته لها. وفي حالة المملكة العربية السعودية، نص نظام الآثار على أن الأثر هو ما تم صنعه أو إنتاجه أو رسمه من قبل الإنسان قبل ٢٠٠ سنة (وزارة المالية والاقتصاد الوطني ١٣٩٢هـ، الفصل ١، المادة ٥)

وبجانب العمارة التقليدية، تتمتع أقاليم المملكة العربية السعودية بتنوع عمراني فريد، يعكس البيئة المحلية والعادات والتقاليد والحالة الأمنية، ومن هذه الطرز:

- طراز المنطقة الوسطى (منطقة نجد)، ومن خصائصها مباني اللبن المتلاصقة والأفنية الداخلية والطرقات الضيقة، لتلطيف حرارة الجو.
- طراز المنطقة الشمالية (حائل والجوف والقريات وتيماء وتبوك)، ويشبه طراز نجد.
- طراز المنطقة الغربية (مكة والمدينة وجدة وينبع) حيث المباني الحجرية ذات الزخارف الجبسية والرواشين الخشبية المزخرفة.
- طراز المنطقة الشرقية (الإحساء وساحل الخليج العربي) الذي يجمع بين طرازي نجد والحجاز، ويختلف مظهره الخارجي حسب قربه أو بعده عن الساحل.
- طراز المنطقة الجنوبية (أبها وعسير ونجران والباحة) وفيه يختلف العمار حسب الارتفاع، حيث يبنى من الحجر في المناطق الجبلية، أو الحجر والطين معاً في المناطق القليلة الارتفاع.

وتعد العمارة بمختلف أنماطها وعناصرها، مرآة تعكس ثقافة وقيم ومعتقدات الأمم والشعوب، وتسلط الضوء على التطور الحضاري والقدرات المادية والمعرفية والحياة الاقتصادية والبيئية، التي شهدتها هذه المجتمعات. ومن هنا، كان على هذه الأمم أن تولي هذا التراث الاهتمام بالعناية والمحافظة على بقائه وصيانته، لأنه ذكرى ماثلة أمامها لماضيها، كما أن له فائدة اقتصادية وعلمية وثقافية لحاضرها ومستقبلها.

وإدراكاً من حكومة المملكة العربية السعودية لأهمية هذا المورد الثقافي، في تكوين الشخصية الوطنية والهوية الثقافية لشعب المملكة، فقد خصصت بعضاً من بنود نظام الآثار للعناية بالتراث العمراني. وبناء على ذلك أعطت الدولة الصلاحية لوكالة الآثار للإشراف على هذه المباني، والحق في تعيين ما يجب أن يُحافظ عليه من مناطق أثرية، أو أبنية تاريخية، أو أحياء قديمة، وذلك لحمايتها وتأمين صيانتها. (نظام الآثار: الفصل الثاني، مادة ١٦). وقد أجرت بالفعل الوكالة أعمال الصيانة والترميم في أكثر من موقع، منه على سبيل المثال: قصور الملك عبد العزيز في كل من الرياض ومكة وجدة. وتنص المادة ١٧ من الفصل الثاني من نظام الآثار السعودي، على التنظيمات الخاصة بصلاحية الوزارات والجهات المختصة بتخطيط وتجميل المدن والقرى، حيث نص القرار على ضرورة مراعاة المباني الحديثة في المناطق التاريخية لطراز وشكل المباني القديمة، ليكون بناؤها منسجماً مع المباني القديمة من ناحية التصميم واللون ومواد البناء. وهذا القرار يوحي بضرورة التنسيق بين الجهات المختصة بتخطيط المدن، مع الوكالة العامة للآثار عند القيام بأي مشروع تنموي أو ترميمي. ومن الملفت أن هناك أكثر من جهة تتصل مسؤوليتها بحماية هذا التراث، ما يحدث تداخلاً في المهام يؤثر في تحقيق إدارة فعالة لهذه الموارد الثقافية.

ومنذ صدور نظام الآثار في المملكة، حتى دمج وكالة الآثار مع الهيئة العليا للسياحة، أي لما يقارب أربعة عقود، أنجزت وكالة الآثار ما يزيد على مئة مشروع ترميم لمباني تاريخية، في مختلف مناطق المملكة، إضافة إلى مسح أثري شامل وتسوير العديد من المواقع الأثرية. وبعد دمج وكالة الآثار مع الهيئة العليا للسياحة، تُجرى الآن محاولات لتقويم الأداء الرسمي العام في مجال التراث والسياحة وتنشيط الفعاليات العلمية، في الوقت نفسه.

ومن ضمن هذا النشاط، دعت الهيئة العليا للسياحة إلى ندوة خاصة تعنى بالتراث العمراني، عقدت في الفترة ما بين ٤-٧ شعبان ١٤٢٤هـ. وفي ضوء إعلان الندوة كانت أهدافها كالآتي:

١- زيادة الوعي بأهمية التراث العمراني، كمصدر ثقافي واقتصادي.

٢- التعرف إلى سبل حماية التراث العمراني في المملكة،

وإعادة استخدامه ضمن إطار معاصر.

٣- استنتاج أسس ومعايير تخطيطية وتصميميه لتطوير الأحياء التقليدية، والرقي بالبيئة العمرانية الحديثة.

٤- التعرف على العوامل البيئية والثقافية المؤثرة في نسيج العمارة المحلية وطابعها.

٥- إبراز القيمة الاقتصادية للتراث العمراني وأهميته في التنمية الاقتصادية، وإلى توظيف التراث العمراني كرافد أساسي من روافد السياحة.

٦- تبادل الخبرات والتجارب في مجال توثيق مواقع التراث العمراني، وتسجيلها وتصنيفها والمحافظة عليها وإعادة تأهيلها.

٧- دراسة سبل التوفيق بين المحافظة على طابع وأصالة المدنية المحلية، ومتطلبات المدن العصرية، وإبراز أسس ومعايير تخطيط البناء والعمارة المحلية، والاستفادة منها في الارتقاء بالبيئة العمرانية.

وللحصول على نظرة شاملة لإدارة التراث العمراني، جرى اختيار باحثين من المملكة العربية السعودية، ومن خارجها من: اليمن وسوريا والأردن ومصر والإمارات العربية والمغرب. وقد جاءت الأوراق المقدمة في الندوة متوافقة مع المحاور المطروحة. وتركز الندوة على المحاور الآتية:

١ . الوضع الراهن للتراث العمراني.

٢ . حصر مواقع التراث العمراني وتصنيفها.

٣ . تقويم الوضع الراهن للتراث العمراني.

٤ . الأهمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للتراث العمراني.

٥ . حماية التراث العمراني وتنميته وإعادة استخدامه.

٦ . التحديات والمعوقات التي تواجه الحفاظ على التراث العمراني وتنميته وتوظيفه.

٧ . دور الجهات المختلفة من أفراد وقطاع عام وقطاع خاص، في تنمية التراث العمراني وتطويره وإدارته.

٨ . التجارب المتميزة للدول والمؤسسات والمنظمات في مجال الاستخدام السياحي للتراث العمراني، على المستوى المحلي والعربي والعالمي وسبل تنميته والمحافظة عليه.

ولإدارة التراث العمراني كان لا بد للهيئة العليا للسياحة من دراسة الوضع الراهن للتراث العمراني حتى تتلمس المشكلات، التي يعيشها هذا المجال؛ ومن ثم تقوّم هذا الوضع. ومن التقرير الذي قدمته الهيئة العليا للسياحة في هذه الندوة، نستطيع أن ندرك وجود بعض المعوقات، التي تواجه هذا القطاع في المملكة، ومن أبرزها عدم وجود تنظيم مؤسسي خاص بالتراث العمراني، أو نظام تشريعي يتعلق بالتراث العمراني الوطني، ولا قائمة به، ولا سياسية للتعامل مع القرى العمرانية. هذا إضافة إلى تعدد الجهات المتعاملة معه، إذ تتداخل المسؤوليات ما قد يؤثر سلباً على الأداء المطلوب. فنظام الآثار السعودي يتطرق إلى المباني التاريخية ضمن الآثار الثابتة، التي يجب حمايتها؛ ولكن وكالة الآثار لم تستطع الإشراف على كل المباني التراثية، بسبب عجز التمويل ونقص الكادر الوظيفي المدرب وبعض السياسات الحكومية، على الرغم من الجهد الذي بُذل من ناحيتي الحماية والدراسة.

وقد أشار د. مشاري عبد الله النعيم إلى القيمة الأثرية لبعض المدن السعودية، مثل مدينة الهفوف خاصة الوسط التاريخي منها، الذي يضم عمارة تعود لعدة قرون. وهذه المدينة ورثت الكثير من أساليب البناء وتقنياته، ولها قيمة معمارية توجب على الجهات المسؤولة المحافظة عليها، بإجراء مسح ميداني لها وتصنيفها. كما تناولت ورقة الدكتور محمد عبد الهادي الشيباني مدينة العلا التاريخية، التي خُططت متوافقة مع ظروف الزمان والمكان، وقسّمت مبانيها تقسيماً وظيفياً يعكس الحياة الاجتماعية بجميع جوانبها. ولكن هذه المدنية تعيش حالة من الإهمال ويهددها الزحف العمراني، لذلك جرت المناشدة لبذل الجهود لإنقاذ ما تبقى منها.

ومن القضايا الأساسية، التي تتقاطع مع عملية إدارة التراث العمراني الوطني، قضية الحماية والمحافظة. ففي تقرير "الوضع الراهن للتراث العمراني"، في ضوء دراسات الهيئة العليا للسياحة، وجد أن الحماية محدودة وتنحصر فقط على المباني، التي تحت سلطة الآثار. أما المباني الأخرى

المملوكة للمواطنين، فإن العديد منها قد هُجر بسبب التحديث، وأصبحت مأوى للحيوانات والمخالفين للقانون. ومما يزيد الأمر سوءاً أن هذه المباني تتعرض للدمار يومياً، بسبب العوامل الطبيعية، وتعديات البشر بسبب التوسع العمراني الحديث، أو غيره من نشاط، خاصة بعد ارتفاع أسعار الأراضي. وعند التخطيط للمدن والقرى تُتجاهل هذه المباني من قبل الجهات الحكومية. وحتى المباني التي جرى مسحها وترميمها لم توظّف سياحياً، وأصبحت عبئاً مادياً على وكالة الآثار. وتعاني الجهات المسؤولة عن التراث العمراني من غياب الوعي بأهميته، وهو أمر يعد من العوامل المهمة في الحفاظ على التراث العمراني وتنميته. والجدير بالذكر أن الإدارات المسؤولة عن التراث في بعض الدول الغربية، تنفق ٣٠٪-٤٠٪ من ميزانياتها على تنمية الوعي، وعلى الدعاية والتعريف بهذا التراث (Fowler 1982: 19).

ولحل بعض هذه المشكلات، تستطيع الهيئة العليا للسياحة الافادة من التجربة المصرية في الحفاظ على التراث العمراني، من خلال البحث الذي قدمه م. حسن الجبالي وم. علاء عباس، ذلك أن المدن المصرية شهدت في مرحلة التطور والتوسع الصناعي هجرة عالية من الأرياف، ما أدى إلى الضغوط على البنية المعمارية؛ فاستبدلت المباني ذات القيمة التاريخية بالمباني المرتفعة. ونتيجة لذلك اندثرت المباني القديمة، وأصبحت الطرز المعمارية الأصيلة قاصرة على المناطق الأثرية والتاريخية. ومن خلال خطط تنمية شاملة للأقاليم والمدن المصرية، استطاعت الجهات المعنية من الحفاظ على الطابع الأصلي، والارتقاء بالبيئة العمرانية. واشتملت هذه الخطط على إستراتيجيات للتحكم في العمران في كل منطقة، في ضوء طبيعتها وخصائصها وإمكاناتها. ونتيجة لهذه الجهود، فإن هذه المناطق لم تعد تعاني من خلط مسبوق في الأشكال والمعالجات المعمارية، إضافة إلى أنها حافظت على تكويناتها المعمارية القديمة.

أما تجربة أمانة المدينة المنورة فتستحق الذكر هنا، بسبب حرصها على توثيق المعمار في هذه البلدة الطاهرة خلال تاريخها الممتد من نهاية العصر العباسي حتى بداية العهد السعودي، وذلك بعمل مجسم للمدينة داخل الأسوار، تضمّن أهم المعالم المعمارية، مثل: الحرم النبوي والمساجد والأحياء السكنية والأحواش والأسواق والمباني العسكرية والمباني الخدمية (المدينة المنورة في نهاية العصر العثماني وبداية العصر السعودي، د. جهاد الصفدي). وهناك تجربة مشابهة قدمها أ.عبد العزيز اللهيم، أورد فيها نتائج المسح التراثي للمباني الطينية في مدينة الرياض، وذلك لمعرفة الوضع الراهن لهذه المباني ومعرفة العناصر المعمارية المميزة لها، ووضع حلول علمية مدروسة من أجل المحافظة عليها. وقد استفاد الباحث من التقنية الحديثة في هذه الدراسة إذ أعدَّ برنامجاً خاصاً لإدخال نماذج المسح في الحاسب الآلي، وتسجيل البيانات ميدانياً وبصرياً. وفي مرحلة تحليل المعلومات وتصنيفها، تم تقييم المباني وتحديد مستوى أهميتها.

وفي تجربة لتأصيل التراث العمراني والمحافظة عليه، عرض م. حاتم عمر طه ورقة عمل تتناول المباني التراثية في مكة المكرمة، وطرق البناء المحلية، ومواد البناء المتوافرة، والملامح المعمارية المختلفة، لما لهذه المدنية من تاريخ طويل تعاقبت عليه الأجيال. وقد وفّت تلك العمارة باحتياجات المجتمع ،فهي عمارة وظيفية جاءت بنسب توافقية، فيها من الابتكار والأصالة ما يعكس القيم الإسلامية. ولذلك لا بد من الحفاظ على هذا الطابع الأصيل، وترميم بعض المباني التقليدية. وركّز الباحث على الرواشين والمشربيات كعناصر جمالية ووظيفية، إضافة إلى كونها حلولاً جيدة للفراغات، تُستخدم لواجهات المباني في المنطقة الغربية، ولها وظائف نفعية كثيرة. ويقترح الباحث إعادة استخدام الرواشين والمشربيات في العمارة بطرق عصرية، بحيث يستفاد منها في الناحية الجمالية والوظيفية، وكذلك لاستمرار هذا الطراز الجميل من التراث المعماري.

وفي عملية إعادة التأهيل والتوظيف، لا بد من التأكيد على ضرورة تحقيق الفوائد للمجتمع المحلي من طريق مشاركة الأهالي في المشاريع السياحية، خاصة الفعاليات الثقافية والاجتماعية، حتى يشعروا بقيمة المواقع الأثرية أو التراثية، وحتى يصبح هذا التراث جزء من حياتهم الآنية. وقد اقترح م. محمود زين العابدين أن يعاد تأهيل البيوت التقليدية بترميمها وإعادة الحياة إليها، من خلال تحويلها إلى مساكن أو مطاعم أو فنادق، وبذلك يُحافظ عليها من التدهور بعدما هجرها

أصحابها. ومن فوائد إعادة تأهيل هذه المباني، التواصل التاريخي بربط الحاضر بالماضي، وإعادة الحياة إلى هذه المناطق من طريق دعوة الأهالي للسكن فيها.

وقد كان من أهداف هذه الندوة دعوة القطاع الخاص للاستثمار في التراث العمراني، أسوة بالدول الأخرى التي بادرت إلى توظيف التراث لأغراض سياحية. وقد تناولت ورقة الغرفة التجارية توجهات القطاع الخاص نحو الاستثمار، في مواقع التراث العمراني في المملكة العربية السعودية. وكان واضحاً أن توجه القطاع الخاص نحو الاستثمار في هذه المواقع، يتطلب عرض حوافز للاستثمار من قبل الهيئة العليا للسياحة، كما يتطلب التغلب على المعوقات، التي قد تعترض المستثمرين لتلك المواقع. وهنا يمكن الاستعانة بالدول الأخرى، التي لها تجارب من النجاحات أو الإخفاقات، في استغلال التراث العمراني لأغراض سياحية. وتُذكر هنا تجربة الأردن في تنمية السياحة في مدينة الكرك التاريخية، التي أشارت إليها م. مرفت خليل، وقد استطاعت أن تحقق تنمية سياحية مستدامة، من خلال التغلب على بعض المعوقات، مثل: القوانين والأنظمة وملكيات الأراضي.

وعرض م. عبد الحكيم السياغي النجاحات والإخفاقات في تجربة مدينة صنعاء في اليمن، حيث قامت الهيئات الدولية بدراسة الوضع، ثم تبعها تدشين حملة وطنية ودولية لحمايتها وإنشاء المكتب التنفيذي للمحافظة على المدينة القديمة. وبدأت أعمال الحفاظ من خلال تنفيذ مشاريع البنية التحتية والترميم وإعادة التأهيل، للعديد من المعالم والمباني والرقابة والتفتيش والإشراف على أعمال الترميم، وإعادة البناء، ورفع مستوى الوعي بأهمية الحفاظ على التراث الثقافي والعمراني. وقد حققت هذه الأعمال نجاحاً كبيراً بتقديم بيئة أفضل للعيش والعمل، أدت إلى عودة السكان وزيادة فرص العمل والاستثمار. كما استطاعت اليمن التغلب على بعض المشاكل، التي نتجت عن هذه التنمية، مثل: التوسع العشوائي ومخالفات البناء. ولكن تم تدارك بعض هذه المشاكل بإقرار استراتيجية الثقافة وقانون المحافظة على المدن التاريخية، وتعديل مهام الهيئة، وإنشاء بيت للتراث في صنعاء، والمزيد من الصلاحيات، ومواصلة برامج التأهيل والتوعية، والتأكيد على تعزيز التعاون والتنسيق المتواصل بين الجهات ذات العلاقة.

من خلال هذه الأوراق ربما تستطيع الهيئة العليا للسياحة تلمس المعوقات، التي تعترض سبل الحفاظ على التراث وحمايته وتنميته. كما تجد الوسائل، التي سوف تساعدها على التغلب على هذه المعوقات، ومن ثم تحقيق تنمية مستدامه لهذا القطاع المهم من الثقافة. ولذلك جاءت التوصيات استجابة للحاجة الماسة لرفع شأن إدارة هذا الموروث الثقافي والرقي به.

أهم التوصيات:

خلصت الندوة إلى التوصيات التالية :

١- الدعوة إلى النظر إلى التراث العمراني في إطار التراث الوطني بمفهومه الشامل، الذي يضم التراث الأثري والعمراني والشعبي والحرف والصناعات التقليدية، والحفاظ عليه وتنميته واستثماره سياحياً، ومطالبة الهيئة العليا للسياحة بالعمل على وضع إطار مؤسسي ونظام وخطة تنفيذية.

٢- تنفيذ برنامج للتوعية بأهمية التراث العمراني يعتمد أسلوب المشاركة التفاعلية، وإدخال موضوع التراث العمراني في المناهج الدراسية.

٣- إعداد قائمة وطنية للتراث العمراني المحمي للمملكة العربية السعودية، وربطها بقاعدة معلومات إلكترونية مبنية على نظام المعلومات الجغرافية.

٤- إيجاد برامج تساعد على تأهيل الكوادر الفنية القادرة على الاضطلاع بمهام صيانة وترميم وتنمية مباني التراث العمراني.

٥- إحياء مواقع التراث العمراني المهمة في كافة مناطق المملكة، بإقامة أسواق شعبية دائمة وموسمية فيها، وتحويل بعضها إلى مراكز للحرف والصناعات التقليدية، وتنظيم فعاليات ومناسبات ذات علاقة بالتراث.

٦- العمل على توظيف قصور الملك عبد العزيز في كافة مناطق المملكة، بوصفها مباني تراث عمراني مميزة،

ولأهميتها التاريخية يجدر ترميمها وتوظيفها.

٧- إيجاد الظروف والبيئة الاستثمارية المناسبة، التي تشجع القطاع الخاص والمجتمعات المحلية على المشاركة والإسهام في تنمية التراث العمراني، ومنها وضع سياسة استثمارية واضحة ومغرية لمواقع التراث العمراني.

٨- تشكيل فريق من الجهات المنظمة لوضع برنامج عمل لتنفيذ هذه التوصيات، ومتابعة عملية التنفيذ.

وفي تقديري، يمكن النظر إلى هذه التوصيات من خلال إطار منهجي يرتكز على ثلاثة عوامل أساسية، تتعلق بإدارة التراث العمراني، بصفة عامة، ويمكن إجمالها في المحاور التالية:

١- الحماية : التراث العمراني مورد نادر، وهو السجل الأساسي لنشاط الإنسان في الماضي، ولذلك ينبغي على الهيئة العليا للسياحة أن تعمل على حماية هذا القطاع من الهدر والإهمال. وتتطلب الحماية إصدار قوانين تشريعية محلية تحدد صلاحيات ومسؤوليات الجهات الحكومية المعنية، وتوضّح الآليات التي يمكن بواسطتها حماية التراث العمراني، مثل: المسح، والتوثيق، والتسجيل، والترميم، ونزع الملكيات في الحالات الضرورية، ونشر الوعي. كما تتطلب الحماية الانصياع للقوانين الإقليمية والدولية، التي توقع عليها المملكة.

٢-البحث العلمي : في مجال البحث العلمي يُنظر للموارد الثقافية على أنها أوعية للمعلومات الحالية أو المحتملة، لنشاط الإنسان في الماضي؛ ولذلك فإن من وظائف إدارة الموارد الثقافية تحديد الوسيلة، التي يمكن أن تُستخلص بها هذه المعلومات. وللتراث العمراني في المملكة عدة وظائف، أهمها الوظيفة العلمية، التي من خلالها نستطيع الحصول على المعلومات الأثرية، والأدلة على نشاط الإنسان في الماضي. وقد يتعارض البحث العلمي للتراث العمراني مع قضية حمايته، إذ كيف يمكن لنا الحصول على المعلومات إذا لم نقم بهدم جزء من الموقع لدراسته، والتوصل إلى معرفة طريقة وتاريخ ومواد بنائه والأدوات المستخدمة في بنائه، وخاصة أن القوانين لا تسمح إلا بدراسة المواقع المهددة بالمشاريع التوسعية ؟ وبعبارة أخرى، كيف نوفق بين إدارة الموقع (حمايته)، وبين دراسته دراسة علمية؟ يذكر أحد الباحثين أنه يمكن عمل ذلك عن طريق إعداد خطة بحث مناسبة، تركّز على منطقة صغيرة بحيث تكون المعلومات الناتجة لها قيمة أكاديمية كبيرة (Fowler, 1982: 21).

٣- التنمية الاقتصادية : بعد عمل إجراءات الحماية اللازمة، وتحقيق أغراض البحث العلمي، يصبح التراث العمراني جاهزاً للتوظيف السياحي. ويمكن القول إن التراث أحد مقومات السياحة في العالم، وهو في حالة المملكة أبرز هذه المقومات. ويتطلب تحقيق سياحة مستدامة إشراك القطاع الحكومي والقطاع الخاص، نظراً لصعوبة قيام الهيئة العليا للسياحة بهذا الأمر وحدها. ولجذب المستثمرين ينبغي على الهيئة أن تقوم بالدراسات الاستثمارية، وتبرز عوامل الجذب السياحي، وتسهل الإجراءات القانونية، وتضمن وجود بنية تحتية، من مواصلات ومرافق خدميه لهذه المواقع. وأقترح على الهيئة العليا للسياحة أن تقوم بدراسات، وتضع اقتراحات لمشاريع تتعلق بتوظيف أنشطة وفعاليات ملائمة للاستثمار، في مواقع التراث العمراني، التي لها عوائد ومنافع مالية واقتصادية، بجانب مردوداتها الاجتماعية والترفيهية. وإذا عُرضت هذه المنافع الاقتصادية والاجتماعية على المستثمرين، فإن ذلك سوف يؤثر على عوائد وتنمية القطاع السياحي، وعلى سبل وكيفية استثمار القطاع الخاص لمواقع التراث العمراني.

وأخيراً يمكن القول إن الندوة كانت ناجحة بكل المقاييس؛ فمستوى الأوراق المقدمة ينم عن اهتمام كبير بالتراث المعماري كما أن التوصيات تصب في صميم خطط الهيئة العليا للسياحة، التي تعمل على تخطيط وتنفيذ مشروعات طموحة لحماية جميع ضروب التراث الوطني، والاستفادة منه ثقافياً واقتصادياً. ونظراً لنجاح هذه الندوة واستقطابها للعديد من المتخصصين في التراث العمراني، أدعو إلى عقد ندوات مشابهة في المستقبل القريب، لا تتناول التراث العمراني الوطني فقط، بل تتعداه إلى التراث الآثاري، بصفة عامة، بالنظر لانتشاره في أرجاء المملكة. كما آمل أن تنال المواقع الآثارية في هذا البلد الاهتمام والعناية، فيعمل على ترميمها وصيانتها، وحفظها، وتوظيفها للسياحة، باعتبارها رافداً من روافد الثقافة والإقتصاد الوطني.

أ. خيريه عبد الله الأصقه - قسم الآثار والمتاحف -الرياض
kh_alaska@yahoo.com

المراجع:

حمدان، هشام، ١٩٨٨، "مسأله الحماية الدولية للآثار"، **الفكر العربي**، مجلة الاتحاد العربي للعلوم الإنسانية، معهد الاتحاد العربي، بيروت م ٥٢، ص ٢٨ .

الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية، مجلد العمارة، دار الدائرة الثقافية للنشر والتوثيق ، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م.

وزارة المالية والاقتصاد الوطني ١٣٩٢هـ ، **نظام الآثار**، الرياض.

Fowler, Don 1982. "Cultural Resources Management". In: Michael B. Schiffer (ed), **Archaeological method and Theory**, Vol. 5: 19-21, Academic Press, New-York.

الندوة العلمية الخامسة لجمعية الآثاريين العرب

الجهة المنظمة: جمعية الآثاريين العرب.
مكان الانعقاد: جامعة القاهرة/ مصر.
تاريخ الانعقاد: ٨ - ١٠شعبان ١٤٢٤هـ، الموافق ٤-٦ أكتوبر ٢٠٠٣م.

عقدت جمعية الآثاريين العرب مؤتمرها السادس في جامعة القاهرة، خلال الفترة ما بين ٨-١٠شعبان ١٤٢٤هـ، ٤-٦ أكتوبر ٢٠٠٣م، وندوتها العلمية الخامسة تحت عنوان "دراسات في آثار الوطن العربي- ٤".

افتُتحت جلسات المؤتمر بآيات من الذكر الحكيم، وكلمات الترحيب والتقديم من الأمين العام للجمعية،: ومندوب كل من: مدير المجلس العربي للدراسات العليا، والأمين العام لجامعة الدول العربية، وأمين عام المجلس الأعلى للآثار المصرية، وأمين عام إتحاد الجامعات العربية، ورئيس جامعة القاهرة. وختمت جلسة الافتتاح بكلمة ألقاها المقرر العام للجمعية أ.د. علي رضوان.

وتلا جلسة الافتتاح تكريم الباحثين، الحاصلين على درع جمعية الآثاريين العرب لعام ٢٠٠٣م، وهم: أ. د. السيد محمود عبد العزيز سالم - أستاذ الحضارة الإسلامية (مصر)، المرحوم أ. د. طه باقر - أستاذ الحضارات القديمة (العراق)، أ. د. عبد القادر محمود عبد الله - أستاذ المصريات واللغة المروية (السودان). وتخلل الاستراحة افتتاح معرض اللوحات الفوتوغرافية (أضواء وظلال) للمواقع الأثرية ،التي زارها الآثاريون العرب خلال رحلتهم في سورية ولبنان، بعدسة أ. د. ياسين زيدان (جامعة القاهرة).

تفاعل المؤتمر هذا العام مع الكارثة التي ألمت بالعراق، وما لحق آثاره من تدمير وسلب ونهب، إثر الاحتلال الأمريكي له. ورفع المؤتمرون شعار: (آثار بلاد الرافدين قضية أثرية)، وخُصصت الجلسة الصباحية لآثار العراق القديمة والإسلامية، وفيها ألقيت محاضرات عامة، منها: "لمحات عن المجد العراقي القديم"، قدمها أ. د. علي رضوان؛ و"آثار بلاد الرافدين وريد العروبة وشريانها في الشرق الأوسط"، قدمها أ. د. ابراهيم العدوي، بينما قدّم د. ناهض القيسي، من جامعة بغداد ورقة بعنوان: "الوضع الراهن لآثار العراق تحت الاحتلال"، واستعرض قائمة الآثار المدمرة والمسروقة من المتحف الوطني في بغداد، والحالة المزرية التي أعيدت بها بعض القطع، التي أمكن إرجاعها إلى متحف بغداد.

وتابع المؤتمر الجلسة المخصصة لآثار العراق، إذ انقسمت إلى شقين: الأول: عالج آثار بلاد الرافدين القديمة، ألقيت فيها أربع محاضرات، بدلاً من تسع محاضرات مقررة ؛ كانت على التوالي: " تغيّر العواصم الآشورية القديمة"، و"مسمى العين في السومرية والمصرية القديمة وتأثيرها على العربية"، و"فكرة الملك البديل في العراق القديم"، و"التأثيرات الدخيلة في منحوتات مدينة الحضر بالعراق".

بينما عالج الشق الثاني: آثار بلاد الرافدين في العصر الإسلامي، وفيه ألقيت ثلاث محاضرات، بدلاً من سبع مقررة، ركّزت على بعض التأثيرات الفنية العراقية على مصر، منذ القرن السابع الهجري و" التأثيرات الزخرفية بين آثار العراق ومصر منذ العصور الوسطى". أما المحاضرة الثالثة

فقد تناولت "نقود الخليفة المهدي العباسي بمدينة السلام".
كما ألقيت محاضرة لم تكن مقررة في جدول أعمال المؤتمر، للباحثة العراقية قبيلة فارس المالكي بعنوان: "ضرورة الحفاظ على الموروث الأثري خلال الحروب، العراق أنموذجاً"، مع عرض للمواقع الأثرية التي لحقها الخراب أثناء الحروب، التي مرت بالعراق خلال العقود الثلاثة الأخيرة.

ولا شك، فإن عدم تمكّن عدد من أعضاء الوفد العراقي من الوصول إلى القاهرة، حرّم الحضور من الاستماع إلى محاضرات عدة كانت مدرجة على جدول أعمال الجلسة. ومن جانب آخر، أدى تغيّب عدد من الباحثين من دول عربية أخرى لظروف مختلفة، الى إلغاء بعض المحاضرات، التي كانت مقررة في برنامج المؤتمر.

وقد قسّمت جلسات المؤتمر- كالعادة في كل مؤتمر - إلى ثلاثة محاور رئيسة، هي: الآثار القديمة، والآثار الإسلامية، والترميم. ووزعت الجلسات على قاعتين: ضمت الأولى محور الآثار القديمة، وحوت الثانية محوري الآثار الإسلامية والترميم.

١- **محور الآثار القديمة:** أُلقيت في المؤتمر حوالي خمسين محاضرة، ركّزت على عدة جوانب، أهمها: الأديان، وتشمل عبادة الآلهة ورموزها وخصائصها والطقوس الدينية المقامة لها، وبناء المعابد الدينية إلى النصب الجنائزية.

كما ألقيت محاضرات في اللغات القديمة واشتقاقاتها ومدلولاتها الحضارية، وتبادل التأثر الحضاري، خاصة بين مصر وكل من ليبيا والسودان وفينيقيا، وبين الجزيرة العربية وشمال إفريقيا.

وشهد المؤتمر عدة محاضرات عن الاكتشافات الأثرية الجديدة في بعض المواقع الآثارية في الوطن العربي، مثل: بسيون غربية في مصر، وشمال نوميديا في الجزائر، وكهوف عراق الأمير في الأردن.

وكان نصيب عصور ما قبل التاريخ ثلاث محاضرات فقط، هي: "الأختام في الشرق الأدنى في فترة ما قبل التاريخ"، و"موقع عين حنش ومكانته الثقافية خلال العصر الحجري القديم الأسفل"، و"الحفريات الجزائرية في ما قبل التاريخ". إلى جانب موضوعات مختلفة، مثل: " التسلسل الزمني لكل من مملكتي سبأ ومعين من خلال الشواهد الأثرية"، وتبيان أيهما أقدم، إضافة إلى بعض المحاضرات في الفنون القديمة وإشكالية الحفاظ على التراث، ودراسة أ. د. عبدالقادر محمود عبدالله، بعنوان: "دراسة مقارنة بين موائد القرابين السودانية القديمة (مويه) والمصرية (بطليمه)".

٢- **محور الآثار الإسلامية:** ركّزت الأبحاث بشكل رئيس في هذا المحور على العمارة الإسلامية، سواء المدنية منها أم الدينية. وعالجت عدة موضوعات، منها " إحياء المنزل الإسلامي وخصائصه في مدينة الفسطاط "، و"وحدة وتنوع العمارة الإسلامية"، و"القصر العباسي في بغداد نموذجاً"، و"مجموعة العمائر الإسلامية الدينية الباقية في دمشق من العصر المملوكي"، و"الزوايا الدينية في العمارة الدينية الليبية"، إضافة إلى محاضرتين عن "الأبواب الخشبية في العمارة الدينية والمدنية في المغرب والأندلس"، "والمدخل المنكسر في التراث المعماري".

كما ألقيت محاضرة عن كلٍ من: النقود والفن والمخطوطات، وهي: "نقود محمد بن بيهسي من دمشق وتبوك"، و"دراسة نماذج الأمومة لدى الطير والحيوان في الفن الإسلامي"، و"دور المرأة في المجتمع المغربي في القرن العاشر الهجري من خلال مخطوط عبد الله الهبطي"، إضافة إلى أعمال التنقيب في القيروان، و" إلقاء الضوء على الآثار والتراث والقوانين في الأردن وسوريا ولبنان".

٣- **محور الترميم:** توزعت أبحاث محور الترميم بين: "الاعتبارات من ترميم الزجاج الملون الأثري باستخدام أجهزة القياس الطيفي"، و"دراسة تجريبية لبعض المواد المستخدمة في العلاج الكيميائي للزجاج"، و"تقدير الثبات الحراري للرق والجلود المعالجة بالتقوية".

كما قُدّم بحث مشترك من قبل ثلاثة باحثين مصريين حول: "دراسة لعلاج وترميم وصيانة قبة ضريح الإمام الحسين رضي الله عنه في القاهرة"، إلى جانب بحث عن "ترميم القطع الخزفية والبلاطات بقصبة الجزائر في العهد العثماني". وباستثناء هذا البحث الأخير، فإن أبحاث الترميم الأخرى قدمت من قبل باحثين مصريين.

اقتصرت محاضرات الندوة على يومين فقط، وذلك بسبب

تغيب عدد من الباحثين العرب، الذين أدرجت أسماؤهم في جدول أعمال المؤتمر ، سواء من سورية، والسعودية، والعراق، وتونس. ومع ذلك فقد شهدت جلسات المؤتمر حضوراً مكثفاً، ضم إلى جانب المشاركين في المؤتمر باحثين وطلاب الدراسات العليا من جامعة القاهرة والجامعات المصرية الأخرى، ما أثرى المناقشات في كل جلسة.

إلى جانب ذلك فقد عقدت ندوات خاصة على هامش أعمال المؤتمر بين ذوي الاختصاص الواحد، كانت تقام في الاستراحات أو في نهاية الجدول اليومي لأعمال المؤتمر ما أدى إلى زيادة التفاعل وتبادل الخبرات بين المشاركين والحاضرين من الدول العربية، وإيجاد سبل التعاون بينهم، كل من موقعه في بلده.

توصيات المؤتمر

خرج المؤتمرون بعدد من التوصيات، هدفت في المقام الأول إلى الحفاظ على الآثار العربية، بشكل عام، وآثار وتراث العراق، بشكل خاص، وضرورة تشكيل لجنة لترميم وإصلاح الآثار العراقية، التي لحقها التخريب، وعمل قاعدة بيانات وموقع على الإنترنت للآثار العراقية والدول العربية الأخرى، والتوصية بتشكيل فريق يتولى صياغة مشروع آثار يُصادق عليه من جامعة الدول العربية.

وإلى جانب ذلك صدرت بعض التوصيات التنظيمية الخاصة بجمعية الآثاريين العرب، إذ اقترح تسميتها : "الإتحاد العام للآثاريين العرب"، إضافة إلى التوصية بعقد المؤتمر كل سنتين، في دولة عربية.

وقبل أن يعلن عن انتهاء أعمال المؤتمر، وجهت دعوة للحضور في اليوم التالي لافتتاح مكتبة جمعية الآثاريين العرب، وأكد المؤتر على التوصية بدعم المكتبة بالرسائل والأطروحات والكتب، من قبل الباحثين العرب لتكون مكتبة متخصصة في آثار الوطن العربي. وقد حضر افتتاح المكتبة عدد كبير من أعضاء الجمعية، وقدموا للمكتبة مجموعات من المؤلفات والكتب الآثارية القيّمة.

أحمد يوسف ذياب: قسم الآثار - كلية الآداب - جامعة دمشق - سوريا.

ملتقى اليرموك الثاني لدراسة النقوش والكتابات القديمة

الجهة المنظمة: **قسم النقوش بكلية الآثار والأنثروبولوجيا - جامعة اليرموك - الأردن.**

مكان الانعقاد: **جامعة اليرموك.**

تاريخ الانعقاد: **١١ - ١٣شعبان ١٤٢٤هـ، الموافق ٧-٩ أكتوبر ٢٠٠٣م.**

عُقد في جامعة اليرموك بمدينة إربد "الملتقى الثاني لدراسة النقوش والكتابات القديمة"، في الفترة ما بين ٧-٩ أكتوبر ٢٠٠٣م، والذي نظمه قسم النقوش بكلية الآثار والأنثروبولوجيا بجامعة اليرموك. وتأتي أهمية هذا الملتقى في أنه ناقش الموضوعات الجديدة والمهمة، المتعلقة بالنقوش والكتابات القديمة في منطقة بلاد الشام والجزيرة العربية. وقد حفل الملتقى بالعديد من الأبحاث والأوراق العلمية القيمة، التي ألقت الضوء على جوانب مختلفة من حضارة بلاد الشام وجنوبي الجزيرة العربية.

وقد عقد المؤتمر على مدار ثلاثة أيام، توزعت خلالها الأبحاث والأوراق المقدمة على اثنين وثلاثين جلسة علمية، بواقع ثلاث إلى أربع جلسات علمية متزامنة يومياً. وقد اشتملت على موضوعات متنوعة، خاصة بنقوش وكتابات منطقة بلاد الشام والجزيرة العربية: مثل النقوش الصفوية، والنبطية، والسريانية، والآرامية، واليونانية، واللاتينية، التي وجدت في مناطق مختلفة من بلاد الشام، والأردن، وسوريا، ولبنان، إلى جانب موضوعات أخرى جديدة تتعلق بحضارة جنوبي الجزيرة العربية، منها نقوش سبئية جديدة؛ ودراسات جديدة تتعلق بتأريخ اليمن القديم. وقدمت الأوراق والأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية.

شارك في الملتقى أربعة وثلاثون باحثاً وأكاديمياً، من الدول العربية والأجنبية؛ فمن الدول العربية، شارك باحثون من: الأردن (البلد المضيف)، وسوريا، ولبنان، واليمن، كما حالت الظروف دون حضور مشاركين من

السعودية – وذلك لتزامن هذا الملتقى مع مؤتمر دراسات الجزيرة العربية المنعقد في السعودية في الفترة نفسها؛ ومن الجانب الأوروبي شاركت كلٌ من: ألمانيا، وبريطانيا، والدنمارك وفرنسا.

وقُسّمت جلسات الملتقى بمعدل ثلاث إلى أربع جلسات علمية متزامنة يومياً. وقد اشتمل محور الجلسة الأولى لليوم الأول من الملتقى، على النقوش والرسوم الصفوية، فجرى استعراض ومناقشة أربعة أبحاث. فتحت عنوان: "قواعد اللغة الصفوية"، قدمت الدكتورة "كيرستن إيكسل" – فرنسا– ورقة حول "الأفعال الدالة على العواطف في النقوش الصفوية"، ناقشت فيها بعض الأفعال الصفوية، مثل: "وجم، نجع، مظلل، وجع...إلخ"؛ كما ألقى الدكتور زياد طلافحة –الأردن– ورقة بعنوان: "ظاهرتا الإمالة والإبدال في النقوش الصفوية"؛ أما ورقة الباحث إبراهيم صدقة –الأردن– فقد كانت عن "فهم جديد للفعل "خ ر ص" في النقوش الصفوية. وعن جانب الرسوم الصفوية جاءت ورقة الباحث محمد إبراهيم عبابنة –الأردن– بعنوان: "مشاهد الرقص والموسيقى في الرسومات الصفوية"، وفيها استعرض مشاهد الرقص والأدوات الموسيقية المرافقة للراقصين في الرسوم الصخرية. وقد تميز بحثه بالعرض الجيد من خلال الصور والشرائح التوضيحية المصاحبة له.

وضم محور الجلسة الثانية، ثلاثة أوراق متنوعة، قدمها كلٌ من الدكتور محمد علي عبابنة –الأردن– فكانت الورقة الأولى بعنوان "روث" دراسة إثنوغرافية ولغوية في ضوء الحياة الريفية في شمال الأردن". أما الدكتور محمود الزعبي –سوريا– فكانت ورقته الثانية بعنوان: "كتابة أسماء المدن الأردنية في النصوص المصرية". فيما قُدمت الورقة الأخيرة من قبل الدكتور عمر الغول –الأردن– عن: "الهويات اللغوية في أسماء الأعلام المتضمنة اسم الإله قوس".

وأما الجلسة الثالثة، فحمل محورها: الكتابات اليونانية واللاتينية، ألقى فيها الدكتور حسين القدره –الأردن– موضوعاً حول "العناصر اللغوية العربية في النقوش اليونانية"، استعرض فيه الأسماء العربية التي جاءت في النقوش اليونانية. أما د. إسماعيل ملحم فقد قدم بحثاً مشتركاً مع الباحث عبد القادر الحصان –الأردن– بعنوان: "كتابات فسيفسائية من بيت إيدس وزمال في شمالي الأردن"، وهي كتابات مكتشفة على أرضيات فسيفسائية. وتميزت المحاضرة بالعرض الجيد من خلال الشرائح والمخططات التوضيحية للموضوع. فيما قدّم آخر أبحاث الجلسة د. نبيل عطا الله –الأردن– بعنوان: "نقش لاتيني من شمالي الأردن".

وأما الجلسة الرابعة والأخيرة في اليوم الأول، فقد اشتملت على ثلاث أوراق متنوعة، جاءت الورقة الأولى للدكتور يحي عبابنة –الأردن– عن: "البرزخية واللغات السامية: دراسة تاريخية"؛ أما الورقة الثانية فقد كانت بعنوان: "إله تدمر الأعلى"، للباحث د. زياد الشرمان – الأردن–. كما قدم د. نبيل عطا الله ورقة مشتركة مع الباحث نوفل خصاونة –الأردن– بعنوان: "نقوش يونانية مؤرخة للفترة الإسلامية من الأردن".

وحفلت الجلسة الأولى في اليوم الثاني بأربعة أوراق، متعلقة بالنقوش الآرامية والسريانية، منها بحث الدكتور كابي أبو سمرة –لبنان: قراءة جديدة لـ "نقش سرياني من كنيسة القديس ميماس في شمالي لبنان". أما الدكتور "راينهار ليمان" –ألمانيا– فكانت ورقته حول: "الحيز والنحو والعروض في نقش يحو ملك من جبيل". كما قدمت الدكتورة "فرانسواز بريكيل شاتونيه" –فرنسا: "النقش الآرامي المنشور مؤخراً من يانوح (لبنان) ومسألة اليطوريين". وأخيراً الدكتورة "ماريا غوريا" –فرنسا– التي أختتمت الجلسة الأولى ببحث عنوانه: "نقشان سريانيان من الحرة الأردنية".

وفي الجلسة الثانية نوقشت ثلاث أوراق، اثنين منهما أرتبطا بالكتابات العربية المبكرة، الأول للدكتور فالح حسين –الأردن– عن: "مسألة تنقيط الحروف العربية في ضوء النقوش والبرديات العربية المبكرة"؛ والثاني للدكتور نايف القسوس –الأردن– عن: "دلالة الكلمات الدنيوية المضروبة على العملة النحاسية الأموية قبل إصلاح النقد وبعده". أما البحث الثالث في هذه الجلسة، فقدمه الأستاذ حميد حمادة –سوريا– عن "طقوس دينية سورية قديمة من إيمار

(مسكنة) على الفرات من القرن الثالث عشر قبل الميلاد".

وكانت الجلسة الثالثةعن موضوعات تتعلق بحضارة جنوبي الجزيرة العربية (اليمن القديم)، قدمت خلالها الدكتورة عميدة شعلان -اليمن- بحثاً بعنوان: "مبخرة عليها نقش سبئي جديد للمعبود إلمقه"، استعرضت أهمية البخور في منطقة الشرق القديم، وأنواع المباخر التي عرفت في منطقة الجزيرة العربية، ثم دراسة تحليلية لغوية للنقش. أما الدكتورة "إيفونا غايدا" -فرنسا- فقد جاءت بنقش سبئي جديد بعنوان: "نقش جديد لرب شمس، ملك سبأ وذو ريدان". كما قدم الباحث "مايكل ماكدونلد" -بريطانيا- ورقة حول: "استدلالات جديدة لوضع تسلسل زمني مطلق لليمن القديم"، وتتمثل أهمية هذه الورقة في إجراء دراسات علمية بالطرق والتقنيات الحديثة، والإفادة من نتائج تحليل عينات من النصوص الخشبية (نصوص الزبور اليماني) بكربون ١٤، في وضع تصور علمي، حول التسلسل الزمني لتاريخ اليمن القديم.

وألقيت في الجلسة الرابعة: ورقتان، الأولى للدكتور سلمان القضاة -الأردن- عن: "الأسماء، وألفاظ الحضارة في القرآن الكريم"؛ والثانية للدكتورة آمنة الزعبي -الأردن- عن: "اللغات غير العربية معياراً لغرابة اللغات".

واشتمل اليوم الثالث والأخير في هذا الملتقى على جلستين: محور الجلسة الأولى منها، حول أسماء المواضع ودلالاتها، ألقى فيها الدكتور زيدان كفافي -الأردن- ورقة بعنوان: "رحوب" و "ينو عام": موضعان من العصر البرونزي المتأخر في شمالي الأردن: دراسة في أسماء المواضع". أما الدكتور "شتيفن فيننغر" -ألمانيا- فقد كانت ورقته بعنوان: "يَفْعَلُ: صيغة قديمة من صيغ أسماء المواضع العربية ودلالاتها". وفيما جاء بحث الدكتور هاني هياجنة -الأردن- بعنوان: "نظام الفعل في لغة النقوش العربية الجنوبية القديمة المكتوبة على الخشب"، ويعد هذا البحث إضافة جديدة لقواعد اللغة اليمنية القديمة، وذلك من واقع النصوص الخشبية (خط الزبور اليماني).

أما الجلسة الثانية، فقد تناولت موضوعات تتعلق بتاريخ الأنباط وحضارتهم، وقد ألقى الدكتور أحمد العجلوني - الأردن- ورقة بعنوان "الملك النبطي الحارثة الرابع: تناول نقوشي وتاريخي". وقدم الباحثان: د. يونس شديفات ود. رافع حراحشة -الأردن- بحثاً مشتركاً بعنوان: "نقش ثنائي اللغة نبطي صفوي في مدفن من البادية الشمالية الشرقية الأردنية"، كما قدم الباحث صلاح سعيد - الأردن- ورقته حول: "ملاحظات على النقوش النبطية واليونانية من حملة جامعة برنستون إلى أم الجمال". واختتمت الجلسة الأخيرة للملتقى بورقة مقدمة من الدكتورة "ماري جان روش" -فرنسا- بعنوان: "نقش حيان على الصنم ذي العيون من البترا".

وقد أوصى المشاركون في الملتقى بنشر بحوث المؤتمر.

د. عميدة محمد شعلان: قسم الآثار-كلية الآداب-جامعة صنعاء، ص.ب. ١٢٣٥٧، صنعاء- الجمهورية اليمنية، البريد الإلكتروني: Amida_Sholan@hotmail.com

المؤتمر الثاني للعلوم والتكنولوجيا في الآثار والمحافظة عليها

الجهة المنظمة: **معهد الملكة رانيا للسياحة والتراث - الجامعة الهاشمية الزرقاء - الأردن.**

مكان الانعقاد: **الجامعة الهاشمية.**

تاريخ الانعقاد: **١٣ - ١٧شوال ١٤٢٤هـ، الموافق ٧-١١ ديسمبر**

للعام الثاني على التوالي، يعقد "معهد الملكة رانيا للسياحة والتراث" بالجامعة الهاشمية في الزرقاء بالأردن، مؤتمراً حول "علوم وتكنولوجيا الآثار والمحافظة عليه". ويهدف هذا المؤتمر، الذي يُدعى إليه مختصون في علوم وتكنولوجيا الآثار، إضافة إلى الآثاريين من شتى أنحاء العالم، إلى البحث بشكل خاص في كيفية المحافظة على التراث الآثاري، وإدارة المصادر الثقافية، وكان الأمر لا يخلو، عادة، من عرض لآخر المكتشفات الأثرية.

ولهـذا المؤتمر لجنة علميـة، تتـشكل - فـي الغـالـب - من المتـخـصـصـين في الآثار والعلوم ذات العـلاقـة، في الأردن وخـارجـه. ويرأس اللجنة أ. د. طـلال العكشـه، نـائب رئيس الجامعة الهاشمية، عميد معهد الملكة رانيا للسياحة والتراث في الجامعة. وتتولى هذه اللجنة تقويم الأبحاث ودراستها، قبل قبولها في المؤتمر. كما أن للمؤتمر لجنة تحضيرية، تتكون من أعضاء الهيئة التدريسية، وكبار العاملين في معهد الملكة رانيا.

ولأهمية هذه الدراسات، ولإعطائها أولوية، لدى جميع دول العـالم، فـقـد عـقـد مـعـهـد الملكة رانيا العـزم على انـعـقـاد هذا المؤتمر بشكل دوري كل عـامين، كـمـا أقـر عـقـد ندوة أو ورشـة عمل بين كل مؤتمر وآخر، يتـركـز البـحث فـيـهـا حـول مـوضـوع محدد.

وقـد انـعـقـد المؤتمر، هذا العـام في فندق البـحـر الميت العلاجي، بينما جرى حفل الإفتتاح ومحاضرات اليوم الأول في مـقـر الجـامـعـة الهـاشـمـيـة بالزرقـاء. وقـد شـاركت في تمويل المؤتمر هذا العام، إضافة إلى اليونسكو والجامعة الهاشمية، مجموعة من المؤسسات الوطنية.

اسـتـمـرت جلسـات المؤتمر خـمـسـة أيام، بمشـاركـة علمـاء ومتخصصين من ٢٥ دولة، من مختلف إنحاء العالم، ناقشـوا خلالها ١٥٠ ورقة عمل متخصصة في: البحث الآثاري، وكيفية المحافظة عليه، واستثمار التراث الأثري في الدخل القومي، عن طريق تسويقه سياحياً وعالمياً. وإضافة إلى أوراق العمل، فقد نظّم القائمون على المؤتمر ورشات عمل، مدة كل منها ساعتين لمناقشة موضوع مهم ذو علاقة بالتراث الثقافي.

محاور المؤتمر:

١ . المحـور الأول، وعنوانه: "تخـريب المخلفات الأثرية"، وناقش ست أوراق بحثيه، تناولت دراسات حول كيفية مواجهة تخريب المواقع الأثرية، واقتراحات حول كيفية حماية الآثار من السرقة والتخريب، إضافة إلى دور دائرة الجمارك الأردنية، في ضبط الآثار العراقية المسروقة.

٢ . المحـور الثـاني، ويتـعلق بـ "دراسـة القطع والمواقع الأثرية"، وتناول فـيـه البـاحـثـون مـجـمـوعـة من المواقع الأثرية الأردنيـة بالدراسة، خاصة مدينة البتراء.

٣ . المحور الثـالث، وتناول "إدارة المصـادر التراثيـة"، مـن خـلال ستة أبحاث، ركّزت على ضرورة توعية المواطنين بأهمية التراث الثقافي.

٤ . المحـور الرابع، وركّـز على أهمـيـة الأسـاليب الحـديثـة في دراسـة الآثار، وتوظيف طرق الاسـتـشـعـار عن بعـد في البـحث االأثري، والاكـتـشـافـات الأثرية وتوثيق المواقع والمعالم الأثرية، باستـخدام الطـرق العلميـة الحـديثة. كمـا تطـرق المؤتمرون إلى أهمية إدارة المواقع السياحة بشكل علمي.

٥ . المحور الخـامس، وعنوانه: "المتاحف وكيفية إدارة المصادر التراثية"، وقدّم فيه الباحثون ست أوراق علمية، أهمها الورقة، التي تحدثت عن "المتحف الوطني الأردني"، الذي ما يزال تحت الإنشـاء. ويرى القـائمـون عليـه أن وظيـفـة المتـحف هـي في الأسـاس تربوية، إضـافـة إلى تقديم قـصـة الأردن الحـضـارية للزائر من خلال معروضات المتحف.

٦ . المحـور السـادس، وفيـه قـدّمت دراسـات حـول إمكانيـة دراسـة العنـاصـر الآثارية وتحليلها، والمحـافظة علـى الآثار من خـلال استخدام طرق من شأنها حماية هذه المقتنيات الآثارية المهمة، دون تدمير أجزاء من هـذه الآثار لأغـراض الدراسـة "(Non Destructive Technique). كما كانت هناك أوراق ناقشت موضوعات مختلفة، مثل: الجيور أركيولوجي والبيئة والآثار والنقوش.

٧ . المحـور السـابع وعنوانه: "الآثار وإدارة المصـادر التـراثيـة"، وللأسف فإن عدد الأوراق التي قدّمت لهذا المحور كان قليلاً، مقـارنة بما قدم في المحاور الأخرى. ولغياب بعض المشاركين، فقـد تركّزت الأبحاث حول منطقة مدينة الزرقـاء في الأردن "قصر شبيب والسخنه".

٨ . أمـا المحور الثـامن، فـقـد تنـاسب وأحـداث هذا العـام، إذ تناول بالدراسـة كيفـيـة حمـاية التـراث الثقـافي، خـلال الأزمـان العسكرية مع إعطاء أمثلة من فلسطين والعـراق. وقـد أثارت الأوراق، التي ألقيت في هذه الجلسة، نقاشاً بين عدد كبير من المشاركين بالمؤتمر.

٩ . وقـد تناول المحـور التـاسـع قـضـيـة المحـافظة والتـرمـيم، للمـصـادر الثـقـافـيـة. وتركـزت الأوراق، التي قـدمت في هذه الجلسة، على إعطاء أمثلة من الأردن واليمن.

١٠ . وأما المحور العاشـر، فقد تناول بالبحث دراسة التقنيات القـديمة في الصناعات الأثرية. وقـد كـانت الأوراق المقـدمـة

مفيدة وشيّقة، قدّم فيها الباحثون أفكاراً جديدة، مثل كيفية نحت الصخر في مدينة البتراء الأثرية، وكذلك صناعة المفاتيح عبر العصور، وطرق الحصول على الماء بواسطة الشادوف.

١١ . تركز المحور الحادي عشر حول الدراسات السياحية ، فقد قدّمت ست أوراق، تحدثت جميعها عن السياحة في الأردن؛ منها دراسة حول السياحة الدينية بجنوبي الأردن، من وجهة نظر تاريخية وأثرية، وأخرى حول تأهيل ثلاثة من مدن الديكابوليس، هي: أم قيس، وقويلبه، وطبقة فحل الشمالي، في الأردن. كما كانت هناك ورقة عمل تحت عنوان: (The Jordan Tourism Board as the National Marketing Organization).

١٢ . وتناول المشاركون في المحور الثاني عشر "إدارة المصادر الثقافية"، قدمت عدة دراسات، أهمها الدراسة، التي تناولت تحويل مبنى دار السرايا في مدينة اربد إلى متحف من حيث إعادة تأهيل المبنى، بعد إجراء الصيانة اللازمة له.

١٣ . أما المحور الأخير، فقد تناول بالدراسة استخدام طرق غير مدمره في دراسة الآثار وتحليل الفخار (Archaeometery). وقد قدم الباحثون في هذه الجلسة، التي كانت الأخيرة، مجموعة من الدراسات، تناولت، بشكل خاص، الملاط الذي يربط بين الحجارة المستخدمة في البناء، وكذلك الفسيفساء، إضافة إلى موضوع آخر هو "التأريخ باستخدام حلقات سيقان الأشجار" (Dendrochronology).

ورشتا العمل:

وإضافة إلى محاور المؤتمر الثلاثة عشر المذكورة أعلاه، فقد نظّم المشرفون على المؤتمر ورشتي عمل وكلمة رئيسية (Keynote) عنوانها: "القيمة الثقافية للتراث لدى المجتمعات المتوترة" (Valuing Cnltural Bn: It Heritage in Tensioned Societies)، قدمها الدكتور هشام القاضي، وهو أستاذ هندسة العمارة في جامعة " أولستر Ulster"، في المملكة المتحدة. أما ورشتا العمل فقد كانتا على النحو التالي:

١ . الورشة الأولى، وعنوانها: "حماية التراث الثقافي في وقت الأزمات" (Protection of Cultural Heritage During Times of Conflicts) وتحدث فيها ستة من المشاركين، ركزوا دراساتهم على ضرورة حماية الآثار في كل من العراق وفلسطين.

٢ . الورشة الثانية، وعنوانها: "خصخصة وإدارة المواقع الأثرية في الأردن"، وشارك فيها خمسة من الباحثين، ناقشوا إمكانية خصخصة الموارد الأثرية الأردنية. وعلى الرغم من أن بعض المشاركين وافق على الخصخصة، إلاّ أن الغالبية، لم توافق عليها. وقد رأى معظم المشاركين ضرورة توعية المواطنين بأهمية التراث الثقافي، وإصدار القوانين والتشريعات الملائمة، قبل السماح بخصخصة التراث الثقافي.

توصيات المؤتمر:

اتفق المشاركون في المؤتمر، على أن موضوع الدمار والتخريب، الذي تواجهه المواقع الأثرية هو من أهم المشكلات، الواجب مواجهتها، بتطبيق المواثيق والقوانين الدولية الخاصة بالحفاظ على المواقع الأثرية. وحددت لجنة التوصيات، التي انبثقت عن المؤتمر، أنواع الدمار والتخريب، التي تندرج تحت هذا الموضوع، وهي ناتجة، في الغالب، بسبب الحروب والصراعات الإقليمية والدولية، والاتجار غير المشروع بالآثار، وكذلك المشاكل الاجتماعية مثل تدني مستوى الوعي بأهمية التراث. كما أكدت التوصيات أهمية توعية الناس بأهمية موروثهم الثقافي، وأن التعليم والتقدير والاحترام والتسامح والتبادل الثقافي، هي الركائز الأساسية في التعامل مع التراث الثقافي في حالة السلم. أما في حالة وجود نزاعات أو صراعات، فقد أوصت اللجنة بضرورة وجود لجنة طوارئ، تكون جاهزة للتصدي للأخطار، التي ستؤثر على التراث الإنساني.

كما أكدت التوصيات أهمية التوعية الثقافية، وأعمال التوثيق والتسجيل للآثار المنقولة وغير المنقولة، والمحافظة عليها خلال الأزمات، ووضع إستراتيجية لمراحل التدخل للحفاظ عليها، والتخطيط لصيانة وإدارة هذا التراث في فترة الصراعات، للوصول إلى تراث ثقافي محمي وبلا حدود.

أ.د. زيدان عبدالكافي كفافي - كلية الآثار والأنثروبولوجيا - جامعة اليرموك- اربد - الأردن

عرض الكتب

اسم الكتاب : من الإسكندر إلى زنوبيا. تاريخ بلاد الشام القديمة من القرن الرابع ق. م. إلى القرن الثالث ب. م.

المؤلف: موريس سارتر.

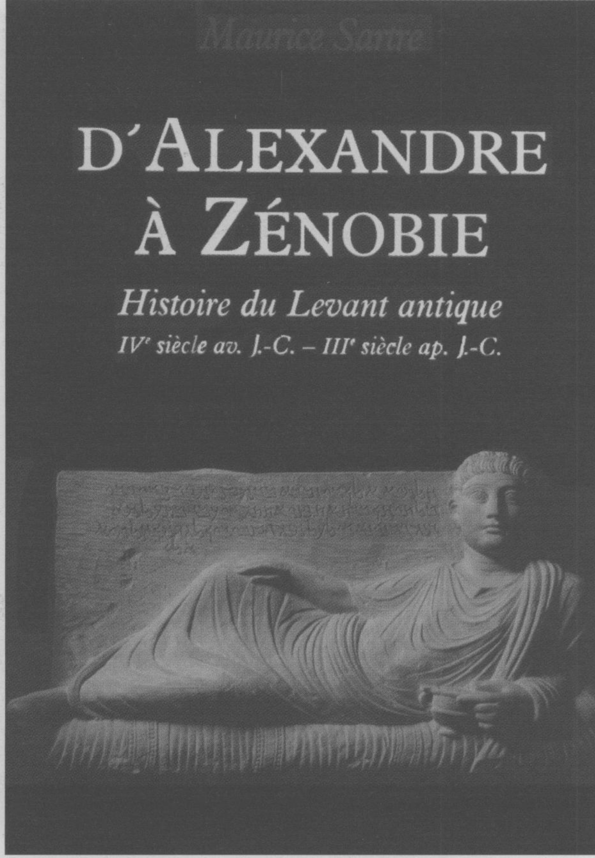
الناشر: دار فايار.

سنة النشر: ٢٠٠٢م.

رقم التصنيف الدولي: ٧-٦٠٩٢١-٢١٣-٢.

مقاس الكتاب: ١٥ × ٢٣,٥ سم.

عدد الصفحات: ١١٩٤ (وتشمل ٧٢ شكلا ولوحة).



عرض : مولاي محمد جانيف

شكّل كتاب موريس سارتر (D'Alexandre à Zénobie. Histoire du Levant antique, IVe siècle av. J.-C. - IIIe siècle ap. J.-C.)، الصادر مؤخراً عن منشورات دار فايار الباريسية، حدثاً علمياً ذا أهمية خلال سنة ٢٠٠١، مثيراً العديدَ من التعليقات والردود. وكان نفاد طبعته الأولى حافزاً للناشر على طَبْعِه ثانيةً. والكتاب إذ يُغطي تاريخَ بلاد الشام -كلَّ بلاد الشام- خلال الفترة الممتدة بين القرنين الرابع قبل الميلاد والثالث بعد الميلاد، يُعدُّ محاولة جادة في التركيب (synthesis) لا نجد ما يماثلها إلا في أعمال فرانسوا-ماري أبل (F.-M. Abel)، أو جون غرينغر J. D. Grainger)؛ مع تفرد كتاب موريس سارتر بالشمولية، التي تستلزم معرفةً عميقةً بمختلف الجوانب المتعلقة بتاريخ المنطقة، خلال الفترتين الهلنستية والرومانية.

والحق، فإن المؤلف، الذي اشتغل طويلاً على النقوش اليونانية والرومانية، جمع منها كماً كبيراً نشره في مدونات جليلة الفائدة، وألّف مصنفاتٍ مهمةً، نذكر منها، على سبيل المثال لا الحصر، كتابَه الذي حمل عنوان: "الشرق الروماني" (L'Orient romain)، ومصنّفَه عن بصرى قبل الإسلام، قد أبان في كتابه الأخير "من الإسكندر إلى زنوبيا. تاريخ بلاد الشام القديمة من القرن الرابع ق. م. إلى القرن الثالث ب. م." عن مقدرة مذهلة على التركيب وجمع شتات مادة مبثوثة في مصادر عدة، لا تخلو من ثغرات.

يتألف كتاب موريس سارتر من واحد وعشرين فصلاً غطّت على امتداد ما يزيد عن ألف صفحة تاريخَ بلاد الشام، خلال فترة تكاد تناهز سبعة قرون، تبدأ قبيل اجتياح الإسكندر المقدوني للمنطقة سنة ٣٣٣ ق. م. ولا تنتهي إلا مع تصاعد نفوذ ملوك الحيرة اللخميين، خلال النصف الأول من القرن الرابع ب. م.

لِمَ سورية ؟ ولِمَ هذا الإطار الزمني تحديداً؟ سؤالان حاول المؤلف الإجابة عنهما باختصار في مقدمة كتابه. فلموريس سارتر، فإن سورية في العهود القديمة هي حيز جغرافي، قد يضيق ليقتصر فقط على الأجزاء الداخلية من بلاد الشام، أي على المنطقة، التي استوطنها الآراميون وأطلقوا

عليها اسمَ "كلّ آرام"، منذ مستهل الألف الأولى ق. م. على الأقل. وقد يتسع ليشمل كلَّ المنطقة الممتدة من البحر الأبيض المتوسط غرباً، حتى نهر الفرات والبادية السورية شرقاً، بما في ذلك فينيقيا وجنوبي بلاد الشام. والإطار الجغرافي الأخير هو الذي اختاره المؤلف حيزاً جغرافيا لدراسته. أمّا لمَ الفترة الممتدة بين القرنين الرابع ق. م. والقرن الثالث ب. م.، أو تحديدا بين سقوط المنطقة تحت سيطرة الإسكندر المقدوني وخلفائه، وبين احتلال تدمر من قبل أورليانُس (Aurelianus)، فإن موريس سارتر أراد تتبعَ الأحداث ودراستَها على المدى البعيد. وإذا كان اختياره لاحتلال الإسكندر الكبير للمنطقة كمنطلق لدراسته، اختيارا مبرَّرا لأن هذا الحدث شكل نقطة تحول عظمى في التاريخ السياسي لسورية، فإن توقفه عند سقوط تدمر في يد الرومان لم يكن مبرراً إلا بالقدر الذي يمكن أن نُعدّ فيه هذا الحدث فاتحةً لأحداث لاحقة، بلغت ذروتَها في عهد ديوكلتيانُس (Diocletianus) وإصلاحاته، خلال نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع ب. م.

الفصل الأول (المصادر، ص ١٧-٣٣) هو عرضٌ مستفيض للمصادر المختلفة، التي ضمت أصنافاً أربعة: المصادر الأدبية والتأريخية، النقوش، البرديات والمخطوطات الجلدية ثم الآثار. وفي استعراضه للصنف الأول من المصادر، لا يُخفي موريس سارتر أحاسيسَه المتراوحة بين الأمل والخيبة؛ الأمل الذي تمليه النصوص عندما تكون معاصرة، غزيرة وصادقة تسعف المؤرخ على إعادة بناء الحدث، والخيبة عندما تنتفي كل الشروط السابقة فتنعدم المصادر المعاصرة، ويكثر الغموض والثغرات. والحق أنه إذا كانت المصادر الأدبية والتأريخية المتاحة عن فترة الإسكندر وخلفائه تبعث نسبيا على الأمل، لأن هذه الفترة موثقةٌ بنصوص نُقلت عن أشخاص عاصروا الإسكندرَ، بل منهم من كان ضمن حاشيته مثل بَطليمُس وكليطارخُس وأرسطوبولُس، فإن ما نمتلكه من مصادر عن فترة ما بعد الإسكندر، تحديداً القرن الثالث ق. م.، لا يبعث إلا على الخيبة. ذلك أن المصادر المتعلقة بتاريخ سورية خلال هذه الفترة لا تعدو كونَها شذراتٍ ضئيلةَ الفائدة، وعلينا انتظار المؤرخين الكبار، الذين عاشوا خلال الفترة الرومانية المبكرة، مثل ديودوروس الصقلي وسترابو ونيقولا الدمشقي وفلافيوس يوسفوس... لنحصل على نصوص بالغة الأهمية عن الفترة الهلنستية بأكملها.

أما الفترة الرومانية المبكرة، فلا تقدم المصادرُ المتاحة عنها فيما يخص تاريخَ سورية سوى شذرات متفرقة، إفادتُها ضئيلة في رسم معالم تاريخ المنطقة خلال هذه الفترة؛ وإن وجب القول إن التعميم هنا لا ينطبق على كل المناطق السورية، إذ نتوافر على معلومات لا بأس بها عن تاريخ فينيقيا، خلال هذه الفترة، بفضل بعض المؤلفات، التي وإن لم تصلنا كاملة، مثل "التاريخ الفينيقي" لـ فيلون البيبلوسي (Philo of Byblos)، إلا أنها أسهمت في تعميق معرفتنا بتاريخ الساحل السوري-اللبناني، خلال الفترة الرومانية. ولعلنا نستغرب ما ذهب إليه المؤلف حين استنتج أننا لا نجد نظيراً سورياً لـ مانيثون المصري، أو لـ بيروسوس البابلي، أي مؤرخاً محلياً صنّف باليونانية تاريخاً موجهاً للإغريق (صفحة ١٩)، ذلك أن فيلون البيبلوسي يشكل النظيرَ الحقيقيَّ للاثنين، وإن جاء زمنياً بعدهما، أو اقتصر تاريخُه على فينيقيا.

وقد نالت المصادر النقوشية والكتابية (البرديات والمخطوطات...) بدورها اهتمامَ المؤلف، الذي خصص لها سبعَ صفحات استعرض فيها أنواعَ النقوش المتاحة خلال الفترتين الهلنستية والرومانية، من نقوش فينيقية وعبرية وآرامية وعربية ويونانية ولاتينية. ولم يستبعد المؤلفُ من دائرة اهتمامه النقوشَ الجنائزية، التي غالبا ما تجاهلها المؤرخون، مقدراً أن هذه النقوش تقدم للباحث، من خلال الأسماء وسلاسل النسب الواردة فيها، معلوماتٍ كافيةً لتحقيق دراسة جيدة عن سكان المنطقة.

أما المصادر الآثارية، فلم يكرّس لها المؤلف أكثرَ من ثلاث صفحات استعرض فيها أهمَّ الاكتشافات، التي تحققت في هذا الميدان، منذ ما يناهز القرنين. وهو لم يُخفِ أسفَه على إندثار المآثر الهلنستية. صحيح أن هناك الكثيرَ من المدن السورية العائدة لهذه الفترة، مثل أنطاكية وأفامية واللاذقية... ولكن هذه المدن، التي استمر الاستيطان في معظمها حتى الفترة الإسلامية، فقدت إلى حد كبير معالمَها الهلنستية بفعل الاستيطان اللاحق، خلال الفترتين الرومانية والبيزنطية. بيد

أن الوضع يختلف للآثار العائدة للفترة الرومانية، التي احتوت مدنُ تدمر وبصرى وبعلبك وجرش... الكثيرَ منها. و لا ينسى المؤلف في معرض حديثه عن المصادر الآثارية، الإشارةَ إلى أهمية المعالم، التي تقدمها القرى السورية العائدة لهذه الفترة، وأبرزها قرى المنطقة المعروفة باسم الكتلة الكلسية (le Massif Calcaire)، أي منطقة أنطاكية وجوارها في الشمال، ثم قرى حوران في الجنوب.

"سورية في عهد الغزو" هو العنوان الذي أعطاه موريس سارتر للفصل الثاني (ص ٣٤-٦٥) من كتابه. و"الغزو" هنا المقصود به -بداهة- غزو الإسكندر المقدوني لسورية. وإذا كان هذا الفصل استعراضا للجغرافيا البشرية للمنطقة، وكذا للعلاقات، التي ربطت بين سكان سورية الكبرى وبين الإغريق، خصوصا في منطقة الساحل أثناءَ الاحتلال الإخميني للمنطقة، فإن هذا الفصل ليس في حقيقة الأمر سوى تمهيد للفصل التالي.

وأما الفصل الثالث : "الغزو: من الإسكندر إلى وفاة سلوقس الأول"، (ص ٦٧-١١٠)، فخصص لفترة ناهزت نصفَ قرن من تاريخ سورية، إذ بدأت مع انطلاق الغزو المقدوني لسورية سنة ٣٣٣ ق. م. وانتهت بوفاة سلوقس الأول سنة ٢٨١ ق. م. وهذه الفترة، على قصرها، قابلة للتقسيم، حسب رأي المؤلف، إلى ثلاثة أطوار: الأول، بدأ مع انتصار الإسكندر الأكبر سنة ٣٣٣ ق. م. على دارا (داريوس) الثالث في معركة إيسُوس، وانتهى سنة ٣٢٣ ق. م. بوفاة الزعيم المقدوني الشاب؛ والثاني، الذي تميز بعدم الاستقرار والتناحر بين خلفاء الإسكندر، استغرق العقودَ الممتدة بين سنتي ٣٢٣ و ٢٩٠ ق. م. أما الثالث، فلم يبدأ إلا مع نهاية العقد الأول من القرن الثالث ق. م. حين برزت قوتان تقاسمتا النفوذَ في المنطقة، تمثلتا في السلوقيين والبطالمة.

وفي هذا الفصل أبان موريس سارتر عن قدرته الكبيرة، في التعامل مع النصوص التاريخية العائدة لهذه الفترة، وهي في مجملها نصوصٌ عاصرَ كاتبوها الوقائعَ والأحداثَ، أو نقلوها عن أشخاص عاصروا الإسكندرَ وغزواتِه، فاكتسبت مصداقيةً كبيرةً نجح المؤلف، إلى حد كبير، في توظيفها لصالح البحث. غير أن ذلك لا يعني أن سارتر اكتفى بالنقل عن هؤلاء دون تمحيص، بل قابل نصوصَهم بعضَها ببعض، واعتمد الراجحَ منها واستبعد المرجوح. وقد صاحب تحليلَه العميقَ للموضوع استعراضٌ شامل لمختلف الدراسات، التي تناولت الغزو المقدوني للمنطقة، وبداية تقاسم خلفاء الإسكندر نفوذَهم على شرق المتوسط.

أما الفصل الرابع : "مظاهر الاحتلال: المدن ومنشآتُها حتى منتصف القرن الثالث ق. م."، (ص ١١١-١٥٢) ، فبدأه باستعراض نقدي لبعض الدراسات، التي قدمت تحليلا لآثار غزوات الإسكندر على المنطقة. وهو إذ اختار في هذا الإطار أعمالَ مؤرخَيْن بارزيْن، هما آرثُر جونز ((A.H. M. Jones) و وليَم تارن (W. W. Tarn)، فإنما أراد تسليطَ الضوء على منهج، أو أنموذج تفسيري (model)، لم يستطع التخلُّصَ من الروح الكولونيالية، التي طبعت بميسمها النصفَ الأول من القرن الماضي. إنه أنموذج تفسيري رأى في غزوات الإسكندر وأعمال خلفائه، سلوقيين وبطالمة، نقطةَ تحول تاريخي مهم، خلَّص المنطقة من البربرية وأدمجها في ركب الحضارة الإغريقية !

ولا نملك هنا سوى الاتفاق مع موريس سارتر في أن الوعيَ الكولونيالي الزائفَ، جعل هؤلاء يُخطئون السبيلَ نحو الأسئلة الصحيحة؛ تلك الأسئلة، التي أعشى عيونَهم عنها سؤالٌ إنكاريٌّ سقيمٌ، لا يعدو كونَه مصادرةً على المطلوب: كيف يمكن أن نتصور أناسا متحضرين (الإغريق)، يبخلون عمَّن هم دونَهم حضارةً وتقدما (أهل الشرق) بقيمهم السامية وحضارتهم الراقية ؟

وإذا كان الفصلُ الرابع من الكتاب دحضاً بارعاً لمقولات هؤلاء، فإن باقي فصول الكتاب ليست، بصورة أو بأخرى، سوى مراجعة نقدية للنموذج التفسيري المذكور أعلاه، ومحاولة لتقديم نموذج تفسيري آخر، يمكن القول إنه استطاع التخلصَ فعلا من النظرة الكولونيالية، أو من التمركز حول فكرة الإغريقية (hellénocentrisme)، التي ما زالت سائدة حتى اليوم في بعض الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع. ومع أن المؤلف ركّز في أكثر من فصل على الزخم، الذي عرفته حركة التمدّن في سورية زمنَ السلوقيين، خصوصاً في عهد سلوقُس الأول (توفي سنة ٢٨١ ق. م.) و أنطيوخُس الأول (٢٨١-٢٦١ ق. م.)،

إلا أنه لم ينفك يدعو في أكثر من موضع من كتابه إلى التخلي عن الفكرة التي تقول إن سورية كانت، باستثناء منطقة الساحل الفينيقي، قليلةَ المدن ضئيلةَ العمران؛ لأنها فكرة باطلة.

فعندما قدمَ الإغريق إلى المنطقة وجدوا مدنا عظيمة، مثل حلب ودمشق وبيروت وصور... وأسسوا أخرى جديدةً إلى حد ما، مثل سلوقية وأنطاكية وأفامية واللاذقية... والقائمة قد تطول جداً إذا نحن قبلنا دون تحفظ كلَّ أسماء "المدن" المذكورة في بعض النصوص الكلاسيكية. وقد لاحظ سارتر - عن حق - أن كثيراً من هذه النصوص استخدمت كلمة "بوليس polis"، أي "مدينة"، لنعت أي إنشاءات إغريقية جديدة في المنطقة، دون تفريق بين مستعمرة عسكرية أو قرية أو مدينة، أقام فيها الجنودُ اليونانيون معسكراتِهم. وحتى المدن، التي يمكن أن تُعدّ جديدةً، لم تقم على أراضٍ عذراء، تماماً مثلما أن الأراضي المُلحقة بهذه المدن، أي مجالَها الحيوي، أو ما أطلق عليه المحتلون اسمَ "كورة" (chôra)، لم تكن خلواً من قرى مأهولة مزدهرة.

ومع الفصل الخامس: "إدارة واستغلال الأراضي السورية خلال الفترة الهلنستية" (ص ١٥٣-١٨٦)، ينتقل سارتر إلى موضوع متمم لما تمَّ التعرض له في الفصل السابق: طرق إدارة واستغلال الموارد السورية من قبل الملوك السلوقيين والبطالمة. وقد أبرز المؤلف في هذا الفصل إلى أي مدى لعبت فكرة تأليه هؤلاء الملوك، سواء بعد مماتهم أو أثناءَ ممارستهم الحكم، دوراً في إخضاع الشعب، وفق أيديولوجيا سُخّرت سياسياً واقتصادياً لإدارة واستغلال موارد منطقة شكَّل السوريون، عرباً وآراميين، الكثرةَ الكاثرةَ من سكانها، ولم يكن الإغريق فيها سوى أقلية.

وإذا كان المؤلف قد ألقى الضوءَ في الفصل السادس المعنون: "سورية بين البطالمة والسلوقيين" (ص ١٨٧-٢٠١)، على الصراع، الذي نشب بين السلوقيين والبطالمة لبسط النفوذ الكامل على سورية، ذلك الصراع الذي امتد عقودا طويلة ولم ينتهِ إلا مع انتصار أنطيوخُس الثالث على بطليمُس الخامس إبيفانُس سنة ٢٠٠ ق. م. وخضوع سورية الكبرى لحكم السلوقيين، فإن هذا الجزءَ من الكتاب شكَّل خاتمةَ الفصول المخَصَّصة للجوانب السياسية والعسكرية، في تاريخ المنطقة خلال الفترة الهلنستية. ذلك أن المؤلف ينتقل بعد ذلك من جمود القضايا الإدارية والسياسية والعسكرية، إلى حيوية وقلق القضايا الاقتصادية والبشرية، التي شكلّت موضوعَ الفصلين السابع: "اقتصاد سورية الهلنستية" (الصفحات ٢٠٣-٢٦٥)، والثامن: "السكان والمجتمعات في سورية الهلنستية" (ص ٢٦٧-٣٠١). وقد تصدّى موريس سارتر بكل اقتدار، على امتداد ما يزيد على ستين صفحة، لموضوع بالغ الأهمية والصعوبة يتعلق بالأنشطة الاقتصادية في سورية خلال الفترة الهلنستية. وبدأ المؤلف تناولَه لهذا الموضوع بدراسة مستفيضة عن الأراضي الزراعية، وطرق امتلاكها في سورية خلال الفترة الهلنستية، مستنتجاً أن المَلِك، سلوقياً كان أو بطلمياً، استفاد من القانون المعروف باسم: "حق الرمح"، الذي لم يخوله فحسب أن يكون المالكَ الأول بامتياز في مملكته، بل أن يُقطعَ ما شاء من الأراضي لمن شاء، جماعاتٍ كانوا أو أفراداً.

كما أوضح المؤلف في الفصل السابع، إلى أي حدٍ لعبت القرية السورية دوراً أساسيا في الإدارة السلوقية والبطلمية للبلاد، مستعرضاً في هذا الإطار مختلف أوجه ملكية واستغلال الأراضي الزراعية، التي انتمى مالكوها إلى فئات اجتماعية مختلفة، برز في قمتها الملكُ وأعوانُه، وفي قاعدتها مزارعون بسطاء، نجهل ما إذا كان لهم حرية التصرف في هذه الأراضي، أم أنهم كانوا خاضعين لإدارة معينة (إدارة القرية مثلا باعتبارها جماعةً تتحكم في توزيع الأراضي والإنتاج ؟). وقد أولى المؤلف أوجها اقتصادية أخرى كثيرا من الاهتمام؛ فاستعرض الصنائعَ والمنتجات المختلفة، من فخاريات وزجاجيات وأدوات معدنية وأقمشة... دون إغفال المبادلات التجارية والإصدارات النقدية، التي حظيت بقسط وافر من التحليل. وأتبع المؤلف استعراضَه هذا بمجموعة من النصوص التاريخية المتعلقة بهذا الموضوع، لعل أبرزَها على الإطلاق نصوص زينون من قونوس (Zenon of Caunos) منتصف القرن الثالث ق. م.، الذي قدم عرضاً مفيداً عن المبادلات بين مصر البطلمية وجنوبي بلاد الشام.

ويمكن أن يُعدَّ الفصل الثامن المعنون: "الناس والمجتمعات في سورية الهلنستية" (ص ٢٦٧-٣٠١)، الفصلَ الأكثرَ إثارةً للاهتمام، إذ حفل بالتساؤلات القَلِقَة حول سكان المنطقة خلال

الفترة الهلنستية: حول ثقافتهم الأصيلة وتفاعلهم مع ثقافة المحتلين الإغريق والمقدونيين. ومع أن المؤلف أبدى حذراً وتحفظاً كبيرين في استخدام مصطلحات لا تخلو من غموض والتباس، بات استخدامُها في الأدبيات شراً لا بد منه، مثل "تَهَلْيُن/ تَأَغْرُق" (hellénisme) أو "هَلْيَنَة/ أَغْرَقَة" (hellénisation)، أو "مُثَاقَفَة" (acculturation)، عندما حاول وضعَ حدودٍ بين ما هو إغريقي وبين ما هو محلي في ثقافة السكان السوريين خلال الفترة الهلنستية، إلا أنه لم يَأْلُ جَهدا على امتداد صفحات هذا الفصل (٢٦٧-٣٠١) في إبراز مظاهر التأثير الثقافي المتبادل، الذي مارسه الغزاةُ على السكان المحليين، من جهة، و"السوريون" على مستعمريهم الإغريق، من جهة أخرى. وهذا ما دعاه، خاصة، إلى استخدام مصطلح "هَلْيَنَة/ أَغْرَقَة" (hellénisation) بتحفظ؛ لأن هذه الكلمة لا تخلو - حسب رأيه - مثلها مثل كلمة "رَوْمَنَة" (romanisation)، من نزعة استعمارية؛ لكنه لم يُخْفِ - في المقابل - تبرُّمَه من أولئك الذين يتمادون في الحطّ من شأن الثقافة الإغريقية، والمغالاة في مدح الثقافات المحلية، بدعوى تخليص التاريخ من هذه النزعة (décolonisation de l'Histoire). وهنا نتساءل: إلى أي حد استطاع المؤلف الالتزامَ في دراسته هذه بموقف متوازنٍ بين الاتجاهين المذكورين ؟

الإجابةُ على هذا السؤال يمكن تلمُّسُها في فصول أربعة هي بالإضافة إلى الفصل الثامن:

- الفصل التاسع: "اليهود واليهودية: من الإسكندر إلى حكم أنطيوخس الرابع" (ص ٣٠٣-٣٣٢).

- الفصل العاشر: "اليهودية الهلنستية: الإصلاح ذو النزعة الإغريقية ونتائجُه"، (ص ٣٣٣-٣٧٠).

- الفصل الحادي عشر: "لتحولات في سورية الهلنستية بين وفاة أنطيوخس الرابع وجلاء تيغران ١٦٤-٦٩ ق. م." (ص ٣٧١- ٤٣٣).

شكلت هذه الفصول استعراضا وافيا للجغرافيا البشرية، التي ميزت المنطقة خلال الفترة الهلنستية. وقد استهل المؤلف استعراضَه هذا بدراسة للسكان، بادئا بالغزاة المقدونيين والإغريق، ومنتهياً بالسكان المحليين. وإذا كان الأوائل قد حظوا في الكتاب بدراسة مستفيضة، متوصلا إلى أن عددَ سكان سورية من المقدونيين والإغريق كان ضئيلا خلال هذه الفترة، خصوصاً في منطقة جنوب بلاد الشام، فإن المؤلف لم يستبعد السكانَ المحليين من دائرة اهتمامه. غيرَ أن هذا الاهتمام انحصر في سكان المدن، خصوصا مدن الساحل الفينيقي، التي تقدم مادة كافية نسبياً لوضع تصور عن سكان هذه المنطقة، وتفاعلهم ثقافيا مع الغُزاة.

حاول المؤلفُ التعرفَ على سكان سورية خلال الفترة الهلنستية، عبر ثلاثة محاور:

١- محور اجتماعي: أبدع فيه موريس سارتر كثيراً، إذ استطاع التخلصَ من رتابة التاريخ الرسمي ليميط اللثام عن بعض مظاهر التاريخ الشعبي، مستفيداً في ذلك من بعض الوثائق الاجتماعية النادرة (عقد زواج، رسالة تظلُّم كتبها سجين...). ويلاحَظُ هنا أن المؤلف وجد نفسَه مضطراً، حسب وفرة المصادر أو قلتها، لإيلاء مختلف الفئات الاجتماعية قدراً متفاوتا من الاهتمام. وهو أمرٌ يفسر بالطبع نصيبَ الأسد، الذي حظي به المستعمرون والجنود المقدونيون والإغريق، في هذا الجانب.

٢- محور ديني: عوَّل المؤلف كثيراً على هذا المحور، الذي حمل عنوان: "آلهة ومعابد"، لقياس درجة تفاعل السكان المحليين دينياً مع مستعمريهم. وقد قسّم موريس سارتر الآلهةَ، التي عبدها "السوريون" خلال هذه الفترة، إلى ثلاثة أقسام: آلهة إغريقية غريبة تماما على مجامع الآلهة السورية؛ وآلهة محلية اكتست صبغةً يونانية؛ ثم آلهة ظلت بمعزل عن أي تأثير إغريقي. بيد أن هذا التصنيف لا يخلو من تبسيط، لأنه يُغفل التفاعلَ الدينيَّ والثقافيَّ السابقَ للفترة الهلنستية، بين منطقة الساحل السوري، التي يستقي منها المؤلف كثيرا من أمثلته، وبين منطقة بحر إيجه. هذا التفاعل يبرز بقوة في علاقة بعض الآلهة اليونانية الكبرى، مثل أفروديت مع آلهة فينيقية أو كنعانية مثل عشتارت.

٣- محور فكري وفني: اعتمد المؤلف في دراسته لهذا المحور، على مادة وافرة نسبياً تقدمها مصنفاتٌ ألفها باليونانية مفكرون وأدباء "سوريون" و/أو إغريق، عكست انتماءَهم لمدارس فلسفية معينة، كالرواقية (مؤسسُها زينون الفينيقي)،

والأبيقورية. وأكدت إسهامَ السكان المحليين الفعال في الحركة الفكرية والثقافية الناشطة، آنذاك، في الجزء الشرقي من حوض البحر الأبيض المتوسط. وهذا الإسهام ليس أقلَّ بروزاً في مجالات أخرى تتعلق بالفنون، وعلى رأسها العمارة والنحت.

قد يُخيِّل - بشكل عام - لقارئ هذه الفصول أن سارتر تعمَّد إغفالَ السكان المحليين، ودورهم في صناعة الأحداث. فقد وجد المؤلف نفسَه مضطراً إلى عدم الوقوف طويلا على هذا الموضوع، نظراً لضآلة المصادر المتاحة. لذلك، كان على القارئ انتظار الفصول اللاحقة للتعرف بشكل أعمق على سكان المنطقة، ودورهم تحديداً في التاريخ السياسي لسورية، خلال فترة كان فيها الحكم السلوقي سائراً نحو الزوال.

ومع الفصل الثاني عشر: "نهاية الحكم السلوقي وبداية السيطرة الرومانية ٦٩-٣١ ق. م." (ص ٤٣٥-٤٦٨)، ينتقل المؤلف إلى فترة انتقالية خطيرة في تاريخ المنطقة، وهي الفترة الممتدة بين سنتي ٩٦ و ٣١ ق. م. حين شهدت سورية زوالَ حكم السلوقيين، والبداياتِ الأولى للسيطرة الرومانية. وإذا كان موريس سارتر قد اختار حدثاً داخلياً يتمثل في انسحاب تيغران وجيوشه الأرمنية من المنطقة سنة ٦٩ ق. م. كبداية لهذه المرحلة، فإن نهايتَها سنة ٣١ ق. م. ترتبط بحدث وقع خارج سورية: معركة أكتيوم، التي شكلت نهايةَ الحرب الأهلية الرومانية، بانتصار أوكتافيانُس أغسطس على أنطونيُس. هذه الفترة، على قِصَرها، شهدت تحولاتٍ مهمةً مهدت السبيلَ للرومان نحو التوسع شرقاً، وبسط نفوذهم - بشكل مباشر أو غير مباشر- على سورية الكبرى. لم يصل التدخل الروماني في الشرق مرحلةَ الحسم إلا في سنة ٦٣ ق. م.، مع مجيء بومبي إلى المنطقة وإنشاء الولاية السورية. وفي دراسته لهذه التحولات، عرّج مورس سارتر على واحد من أبرز مظاهرها: نشوء مجموعة من الممالك العربية المحلية، لعل أبرزَها مملكة اليتوريين في لبنان وشمالي فلسطين، وفي أقصى الشمال مملكة إدسّا (الرُّها)، وجنوباً مملكة الأنباط، التي امتد نفوذُها بشكل تدريجي ومتصاعد، ليشملَ مع بداية القرن الأول ق. م. منطقةً شاسعةً، تمتد من الحجاز جنوباً حتى دمشق شمالاً، ومن وادي السرحان شرقاً حتى سيناء وجنوبي فلسطين غرباً.

أما الفصل الثالث عشر الذي حمل عنوان: "من أغسطس إلى تراجان: اكتمال عصر الولايات" (ص ٤٦٩-٥٢٧)، فهو تحليل تاريخي لمرحلة تمت فيها السيطرة للرومان بشكل تدريجي على سورية. بدأت هذه المرحلة بمعركة أكتيوم (٣١ ق. م.) وانتهت بسقوط البتراء في يد سنة ١٠٦ ب. م. ونظراً لطول هذه الفترة، فقد كرّس لها المؤلف ما يزيد عن خمسين صفحة (ص ٤٦٩-٥٢٧)، كانت بمثابة استعراض وافٍ لمظاهر التدخل الروماني في المنطقة، سواء بشكل مباشر (عبر الولاية السورية، التي أنشئت سنة ٦٣ ق. م.، والولاية اليهودية (la Judée)، التي يعود تاريخ إنشائها إلى سنة ٧٠ ب. م.)، أو غير مباشر (عبر ممالك يطلق عليها المؤلف اسمَ "الممالك التابعِة" Etats clients). ويبدو أن موريس سارتر أراد من خلال هذا الفصل التعبيرَ بوفاء، عن وجهة نظر شائعة تقول إن كلَّ الممالك، التي قامت في سورية الكبرى خلال هذه الفترة، بما في ذلك مملكة الأنباط، كانت تابعةً لروما، ولم تستطع الحفاظَ على استقلالها النسبي إلا بالتراضي مع الرومان. وبغض النظر عما إذا كانت وجهة النظر هذه صحيحةً أو غيرَ صحيحة، فإن المؤلف استطاع أن يحلل بعمق الدورَ الذي لعبته هذه الممالك، سياسياً واقتصادياً وثقافياً على امتداد قرنين أو يزيد من تاريخ سورية. وقد خصص لمملكة الأنباط بوصفها أبرزَ "الممالك التابعة"، قدراً وافراً من التحليل، تعرض خلاله للجوانب السياسية (العلاقة مع روما، النزاع الطويل مع هيرود والهيروديين...) والثقافية (مظاهر التأثر بالحضارة الهلنستية...).

أما الفصل الرابع عشر، الذي حمل عنوان: "أزمات اليهودية من هيرود إلى بَرّ كوخبا" (ص ٥٢٩-٦٠٧)، فقد خصصه المؤلفُ كليا للولاية، التي أطلق عليها المحتلون الرومان اسمَ: ولاية سورية-فلسطين، والتي شكل فيها اليهود أقليةً قامت بتمَرُّدَيْن، الأول بين سنتي ٦٦ و ٧٤ ميلادية، والثاني بين سنتي ١٣٢ و ١٣٥ ميلادية. ويواصل موريس سارتر استعراضَه للتاريخ السياسي للمنطقة في ظل سيطرة الرومان، من خلال الفصل الخامس عشر، الذي حمل عنوان: "من تراجان إلى الأسرة السيفيرية: غزوات وإعادة تنظيم" (الصفحات ٦٠٩-٦٣٧). ونحن إذ نمر هنا بسرعة على هذه الفصول، فلأنها لا تقدم جديداً، وإن واصل فيها المؤلف الإبانةَ عن قدرة لا تُنكر

على التركيب (synthesis). بيد أن هذه القدرة تتفجر عندما ينتقل بنا إلى موضوعات ذات صلة بالمجتمع والعمران والثقافة والاقتصاد، ففيها يؤكد علوَّ كعبه مؤرخاً قادراً على جمع مادة مشتتة، وعلى محاورة أكثر من مصدر للخروج باستنتاجات مفيدة عن هذه الجوانب جميعاً.

تصدى المؤلف لهذه المهمة الصعبة في الفصل السادس عشر، المعنون: "العمران ومظاهر تطوره خلال الفترة الرومانية المبكرة" (ص ٦٣٩-٧٣٣)، خصّصه للعمران وتطوره في سورية، خلال القرنين الأول والثاني ب. م. موضوعاً من هذا القبيل، يفرض البدءَ -بداهةً- بالمدن والتمدّن، وهذا ما فعله المؤلف حين استعرض حركات إنشاء المدن والمستعمرات في سورية خلال هذه الفترة، مستنتجاً أن ثمة تفاوتاً بين منطقة وأخرى في هذا الشأن، وأن المدن، الجديدة أو "التي ظهرت من العدم" (ex nihilo)، كانت قليلةَ العدد. لذلك فأن التطور، الذي عرفه العمرانُ في سورية خلال الفترة الرومانية المبكرة تمثل، أساساً في إدخال جملة من المؤسسات العمرانية إلى مدن قائمة أصلاً. أما القرى، التي تمت ترقيتها إلى مدن، فالأمثلة عليها قليلة، تكاد تنحصر في منطقة حوران، ويبرز بينها مثالُ الشّهبا أو الشّهباء، التي تحولت بفضل أحد أبنائها، وهو الإمبراطور فيليب العربي، إلى مدينة حملت اسمَ هذا الإمبراطور (مدينة فيليب = فيليبوبوليس).

وفي دراسته للمؤسسات المدينية (les institutions civiques)، يتوصل موريس سارتر إلى أن شكلَ إدارة المدينة في سورية، لم يختلف كثيراً عن أشكال الإدارة، التي سادت في باقي أرجاء الإمبراطورية. حاول المؤلف العثورَ على تجليات هذه الأشكال، التي يعترف بأنها تبدو أقلَّ بروزاً في المدن السورية، أولاً في النقوش التشريفية (les inscriptions honorifiques) الدالة، حسب رأيه، على وجود سلطات جماعية كانت تدير هذه المدن، ثم من خلال الإدارة المالية (النفقات والضرائب...)، معتمداً في ذلك على عدد من النقوش والمصادر التاريخية. أما الشواهد الأثرية، وهي الأكثر دلالة على أشكال هذه الإدارة، وخصوصاً على التطور العمراني، الذي عرفته المدن السورية خلال هذه الفترة، فقد استعرض المؤلفُ أبرزَها محاولاً -في الوقت نفسه- إعادةَ النظر في الرأي الشائع، الذي يقول إن العمرانَ في سورية لم يعرف تطورا كبيرا بين الفترتين الهلنستية والرومانية. ولتحقيق ذلك، درس وحلّل الشواهد، التي تقدمها المدنُ السورية، بدءا بمدن الشمال، وعلى رأسها أنطاكية، وانتهاء بمدن الجنوب، وعلى رأسها جرش، مستنتجاً، في النهاية، أن التجانس الذي تبديه هذه المدن ظاهرياً على المستوى العمراني، يُخفي وراءَه تبايُنات ترتبط بالبيئة التاريخية لكل مدينة.

وقد أبدع المؤلف أيضاً في الفصل السابع عشر المعنون: "الحياة في القرى خلال الفترة الرومانية المبكرة"، (ص ٧٣٥-٧٩٠)، خصوصا أنه كُرِّس لموضوع طالما عانى من التهميش، هو موضوع القرية ودورها في المجتمعات السورية خلال الفترة الرومانية. في هذا الفصل، يجد القارئ تحليلاً وافياً لهذا الدور، سواء على مستوى الملكية (الصفحات ٧٣٦-٧٥٥)، أو الإنتاج ووسائله (الصفحات ٧٥٥-٧٦٦)، أو العمارة والإدارة في القرية (الصفحات ٧٦٦-٧٧٩). وقد اعتمد في هذا التحليل على الدراسات المهمة، التي أجراها جورج تشالنكو (G. Tchalenko)، ثم جورج طات (G. Tate) في "الكتلة الكلسية" (le Massif Calcaire) شمالاً، و فرنسوا فيلنوف (F. Villeneuve) في منطقة حوران جنوباً. ولم يتردد المؤلف في التصدي لموضوع قلما أثار انتباهَ الدارسين ، هو: دور البدو في المجتمع السوري خلال الفترة المذكورة (الصفحات ٧٧٩-٧٨٩)؛ فتحدث عن قبائل الحَرَّة (يكتبها حَرًّا)، محاولا اقتفاءَ آثار هؤلاء البدو الخُلَّص من خلال نقوشهم الكثيرة، ثم عرَّج بعد ذلك على أهل البداوة من العرب الأنباط والقبائل، التي ارتبطت بهم في منطقة الحجاز وشمالي الجزيرة العربية (أساسا القبائل المعروفة باسم "الثموديين")، ثم، أخيراً، على بدو الفرات ومنطقة الجزيرة، مستخلصاً في النهاية أن معرفتَنا عن سكان البادية خلال الفترة الرومانية، لا زالت في غاية الضآلة.

أما الفصل اللاحق المعنون: "اقتصاد المدن في سورية الرومانية" (ص ٧٩١-٨٥٠) ، فهو دراسة مستفيضة لاقتصاد سورية في ظل سيطرة الرومان، استعرض فيها المؤلف مظاهر الاقتصاد المختلفة، من: صناعية (أرجوان وأقمشة، ومصنوعات معدنية وزجاجية وفخارية...)، ومالية (المسكوكات

والجمارك...) وشبكات طرق، وتجارة محلية، وتجارة بعيدة المدى، معترفاً -في النهاية- أن استخلاصَ نتائج عامة وشاملة من خلال لُقى متناثرة، قد يكون فيه شيءٌ من المجازفة، ومتسائلا -في الوقت نفسه- حول ما إذا كان الوضع الاقتصادي قد شهد في سورية تراجعاً وانحساراً مع بداية القرن الثالث ب. م. في وقت كان فيه انعدامُ الأمن في تزايد.

بعد ذلك ينتقل المؤلف إلى موضوعات تتعلق بثقافة، أو ثقافات، المجتمعات السورية خلال الفترة الرومانية، وذلك من خلال فصلين، هما الفصل التاسع عشر: "النزعة الإغريقية والثقافات المحلية" (ص ٨٥١-٨٨٣)، والفصل العشرون: "الوثنيون واليهود والنصارى في سورية الرومانية خلال القرنين الثاني والثالث ق. م." (٨٨٥-٩٥٨). وقد حاول فيهما تحليلَ المظاهر الحضارية، التي ميّزت هذه المجتمعات، بادئا بالنزعة الهلينية أو الإغريقية (l'hellénisme)، كما ظهرت في الأوساط المتأثرة بالحضارة اليونانية و/أو الرومانية. وقد تطرق للموضوع من خلال تساؤلات عامة بالغة الأهمية: من كان يتحدث اليونانية من أهالي سورية ؟ ومن كان يتحدث اللاتينية ؟ ولِمَ اختار هذه اللغة أو تلك ؟ مع أن اللاتينية اكتسبت بمرور الوقت صفةَ لغة الإدارة في أغلب مناطق سورية، إلا أنها لم تستطع إنزالَ اليونانية من عرشها في الشرق، بل تراجعت أمامَها، خصوصا في الأوساط البعيدة عن الإدارة. يتوصل المؤلف لهذه النتيجة بعد فحصه لجملة من الشواهد الكتابية (النقوش، البرديات...)، التي تُظهر إلى أي مدى ظلت الإغريقية اللغةَ المفضلةَ في المدن والقرى على حد سواء، مستشهداً على ذلك بنقوش حوران الجنائزية: أكثر من ألفي نقش كُتبت كلها باليونانية ! بيد أنه يعترف بأن هذه الشواهد لا تعكس كلَّ مظاهر الـ "مثاقفة" (acculturation)، محاولاً العثورَ على مظاهر أخرى تتجلى في الفنون (التوابيت، الفسيفساء، الفريسكو، النحت...)، والآداب والفلسفة والعلوم... عبر أسماء لامعة (فورفيرُيُس الصوري، نيقولا الدمشقي، فيلون البيبلوسي، لوقيانُس الأنطاكي...). أما الثقافات المحلية فنالت نصيبَها من اهتمام المؤلف. وهو إذ اعتمد كثيرا على أسماء الأعلام لاستخلاص بعض النتائج في هذا الباب، إلا أنه تساءل : إلى أي حد يكون الكتابي (l'écrit) انعكاسا صادقا للواقع ؟ بمعنىً آخر: هل أسماء الأعلام، التي توردها النقوشُ العائدة إلى هذه الفترة، هي انعكاسٌ حقيقي لواقع إثني ميّز الجغرافيا البشرية في سورية خلال الفترة الرومانية ؟ هل اللغات المكتوبة كانت محكيةً بالقدر نفسه ؟ حاول موريس سارتر الإجابة على السؤال الأخير بدراسته للوضع اللغوي، الذي ميز ثلاثَ ممالك عربية : مملكة تدمر، مملكة الأنباط ومملكة إدسّا (الرُّها). فهذه الممالك تقدم، حسب المؤلف، أوضاعاً لغوية متشابهة نسبياً: جميعُها اختارت لهجاتٍ آرامية في الكتابة، وإن ساد التباين بينها فيما يتعلق بالمكانة، التي أوْلَتْها كلُّ مملكة على حدة للغة اليونانية. وقد توقف بعضَ الشيء عند حالة إدسّا، التي عرفت كمعقل للسريانية وللنصرانية نهضةً ثقافية، وكانت كتاباتُ الفيلسوف العربي السرياني ابن ضيسان أحدَ أبرز مظاهرها.

والفصل العشرون، وهو الفصل قبل الأخير، يمكن أن يُعد متمما لسابقه، إذ كرسه المؤلف لجانب ثقافي آخر يتجسد في الديانات، التي عرفتها المجتمعات السورية خلال الفترة الرومانية. عرفت هذه الديانات، التي يقسّمها المؤلفُ إلى وثنية ويهودية ونصرانية، قدراً متفاوتاً من الشيوع في سورية. ومع أن المؤلف اعتمد هذا التقسيم العام في دراسته للأديان، التي اعتنقها "السوريون" خلال الفترة المذكورة، إلا أنه حاول التركيز على ظواهر التأثير والتأثر بين هذه الديانات، في زمن شاعت فيه نزعاتٌ غنوصية (gnostiques) وتوفيقية (syncrétiques) غير مسبوقة. بدأ موريس سارتر بدراسة الوثنية ومظاهرها المتعددة (الآلهة والمعابد...)، ملاحظاً شيوعَ عبادة آلهة ارتبطت بأماكن معينة (divinités topiques)، لكنها لم تكن في الواقع سوى المعبودات المقابلة محلياً لآلهة رئيسة من قبيل: هدد و بعل شمين و عطرغتيس... أما تلك، التي يعدّها المؤلف آلهةً عربية مثل: ذو الشرى و اللات و العزى و رُضى و مُنعِم... فلم تحظَ سوى بقدر يسير من التحليل، لم يخْلُ من التبسيط (مثال ذلك قولَه إن الأنصابَ الثلاثة، التي تظهر على بعض مسكوكات بُصرى الشام تمثل تجسيداً لفكرة الثالوث [la triade] كما سادت عند الأنباط !!!).

بعد ذلك يتناول المؤلف بالدراسة بعضَ العبادات، التي عرفت شعبية كبيرة في سورية خلال هذه الفترة، كعبادة مِثرا

(Mithra) و سيرابيس و إيزيس. غير أنه يبالغ حين يذهب إلى أن ثمة آثاراً متعددة دالة على عبادة إيزيس في البتراء، مع أن الجرد الدقيق لهذه الآثار، إذا استبعدنا الدمى الطينية، لن يسفر سوى عن محصلة هزيلة لا تتعدى في أحسن الأحوال أربعةً أو خمسةَ شواهد بينها تمثالٌ سد المريرية، الذي يشير إليه المؤلف، دون أن يسميه، على أنه تمثالٌ نصفي (buste)، والصواب أنه تمثالٌ كامل يمثل "إيزيس" جالسةً على عرش. أما المظاهر الدينية الدالة على الـ "مماثلة" (assimilation) أو الـ"توفيق" (syncrétisme) بين الآلهة، فخصص لها المؤلف ما يقارب عشرَ صفحات استعرض فيها كثيراً من هذه المظاهر. بيد أنه لم يحاول تحديدَ هذه المصطلحات المثيرة للجدل قبل استخدامها، ما جعله غيرَ قادر على التمييز بين الـ"مماثلة" والـ "توفيق"، بين حالات الـ "مماثلة" الحقيقية وبين حالات الـ "مماثلة" العابرة، أو ما يُعْرَف بالـ (interpretatio). ومع ذلك، فإن هذا الفصل يبقى واحداً من الدراسات القليلة، التي تقدم للقارئ صورةً عامة وشاملة عن الأديان وأشكال ممارستها في سورية، خلال الفترة الرومانية.

حمل الفصل الأخير الفصل الحادي والعشرون، ص ٩٥٩-٩٩٠) عنواناً في غاية الدّلالة: "زمن المحَن" (le temps des épreuves). والمحن هنا يُقصَد بها محَن الإمبراطورية الرومانية، حين دخلت مع بداية القرن الثالث ب. م. في طوْر الأفول والتراجع لأسباب داخلية (التطاحن على الحكم بين أباطرة شرعيين وآخرين أدعياء...) وخارجية (المواجهة مع الساسانيين...). وعلى الرغم من أن بعضَ مظاهر القوة العابرة (احتلال إدسَّا و الحَضْر و دورا أوروبُس ثم تدمر...) قد تحجب هذا الأفول، إلا أن هذه المظاهر نفسَها ليست سوى انعكاس لضعف السلطة المركزية، وظهور إمارات محلية قوية، لعل أبرزَها على الإطلاق إمارة تدمر. والمؤلف إذ يستخدم مصطلح "إمارة" (principauté) لا "مملكة" (royaume) نعتاً لـ تدمر، حتى في عهد زنوبيا و وهب اللات، فلأن تدمر لم تكن، حسب رأيه، سوى مدينة رومانية تمردت على روما، واستطاعت الاستقلالَ لبعض الوقت عن السلطة المركزية، بل وتكوينَ إمبراطورية شرقية لم تعمر طويلا.

وأخيراً، يختم المؤلف هذا الفصل بالحديث عن بعض القبائل العربية، التي تحالف معها الرومان لحماية الحدود الشرقية لإمبراطوريتهم. وقد ظهرت على رأس هذه القبائل قضاعة، وملوكُها من تنوخ، ثم اللخميون، ملوكُ الحيرة، الذين برز بينهم امرؤ القيس بن عمرو بن عدي "ملك كل العرب"، كما جاء في شاهد قبره الشهير، المعروف بنقش النمارة (٣٢٨ ب. م.).

وفي خاتمة الكتاب (الصفحات ٩٩١-٩٩٥)، يعيد المؤلف التأكيد على أن التغيرات الحقيقية في التاريخ تحصل على المدى الطويل. وهو إذ يطلب بتواضع جم في ختام كتابه من القارئ، أن يغفرَ له إقدامَه على هذه الخطوة المحفوفة بالمصاعب، فإننا نقول له باسم هذا القارئ أنه أنجز المهمةَ خيرَ إنجاز، وأن كتابَه الشامل والعميق، سيظل طويلا المرجعَ الأساسيَّ لكل مهتم بتاريخ سورية خلال الفترتين الهلنستية والرومانية.

أ. مولاي محمد جانيف - فرنسا: Moulay M'hamed Janif - 1, rue Maurice Arnoux C207 - 92120 Montrouge France. e-mail: archaeologia77@yahoo.com

عرض الكتب

اسم الكتاب: هندسة المياه والري عند الأنباط العرب.

المؤلف: أ. د. زيدون المحيسن.

الناشر: بيت الأنباط - الأردن.

سنة النشر: ٢٠٠٢م.

رقم الإيداع: ١٤٧٣ / ٢٠٠٢/٦.

مقاس الكتاب: ١٧× ٢٤ سم.

عدد الصفحات: ٢٥٢ صفحة (وتشمل ١٤٠ لوحة).

عرض: د. عبدالله نصيف.

هذا الكتاب أعد ضمن مشروع "بيت الأنباط" للتأليف والنشر، حول تاريخ الأنباط العرب وحضارتهم. وهذا البيت هو هيئة ثقافية مقرها البتراء في الأردن، تأسست في عام ١٩٩٧ لتسهم في سد الحاجة الماسة للتعريف بتاريخ الأردن القديم وآثاره.

وهذا البحث، الذي يناقش هندسة المياه والري عند الأنباط، لا يُسهم في سد هذه الحاجة فقط، وإنما يقدم طرقاً ووسائل ناجحة، ابتكرها الأنباط في عصور تاريخية للحصول على الماء وتوفيره للمجتمع النبطي؛ فالماء أساس الحياة لكل الكائنات الحية، كما هو معروف، والعجز في الموارد المائية مشكلة بدأت تطل برأسها منذ فترة في عدد من الدول العربية. وبدأت هذه الدول تفكر جدياً في كيفية التغلب على هذه المشكلة، وتبحث عن الحلول لإيجاد مصادر للحصول على هذا المطلب الأساسي المهم. ويبدو أن الأردن من بين هذه الدول، التي بدأت تعاني من هذه المشكلة، كما اتضح من حديث الباحث، الذي أنتقد غياب الدراسات العلمية لحل أسباب هذه المشكلة، وأشار إلى الأساليب الخاطئة - حسب رأيه - التي من المزمع اللجوء إليها للحصول على الموارد المائية، دون استفادة من التجارب السابقة، وما ترتب عليها من آثار سلبية.

وقد طرح الباحث عدداً من الحلول لعلاج هذه المسألة، ومنها وضع جميع المصادر المائية، كالينابيع والآبار الإرتوازية، في يد جهة واحدة، والحث على زراعة الأشجار في كل بقعة لما لها من تأثير في سقوط الأمطار، والعمل على بناء المزيد من السدود، وإنشاء الخزانات في كل بيت وفي كل موقع، وأن تتضمن رخص البناء وجوب إنشاء خزان كبير لجمع مياه الأمطار، وفق المعايير الصحية والطرق الحديثة. وهذا مشابه لما شاهدناه في بيوت مدينة الربذة، الواقعة شرقي المدينة المنورة على طريق الحج العراقي، التي كانت مزدهرة خلال القرون الثلاثة الأولى من الهجرة، حيث كشفت الحفريات الأثرية المكثفة التي قامت بها جامعة الملك سعود، عن وجود خزان واحد أو أكثر في كل بيت تقريباً لحفظ المياه، والاستفادة من مياه الأمطار بدرجة كبيرة. كما وجد

إلى جوار هذه المدينة قريباً من مجرى السيل، خزان مائي ضخم يبلغ قطره نحواً من ٦٥ متراً يمتلئ بمياه الأمطار بعد تصفيتها من خلال بركة مستطيلة أقل عمقاً (للمزيد: أنظر كتاب الربذة بقلم سعد الراشد، ١٩٨٦، ص٦٢و٦٩).

وعلى أية حال فقد جاء هذا الكتاب "هندسة المياه والري عند الانباط العرب" كما يقول المؤلف، ليعطي العبرة من الأجداد القدماء الأنباط الذين برعوا في سبل جمع مياه الأمطار وتخزينها، كما برعوا في ابتكار أساليب متطورة في هندسة توزيع قنوات المياه والري، وإنشاء السدود والخزانات والبرك، وجمعوا المياه في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية. وتمنى الباحث أن يكون هذا الكتاب حافزاً للاستفادة من الهندسة المائية عند الأنباط في مواجهة مشاكل البلاد الكبيرة ، التي قد تؤدي إلى الدمار والحروب في المستقبل.

وقد صدّر الباحث كتابه بمقدمة قسمها إلى ثلاثة أجزاء، هي: تقديم وتمهيد ومقدمة. استعرض في أولها مشكلة المياه في الأردن، الناتجة عن زيادة السكان ومحدودية الموارد المائية، وعدم اتباع الأساليب الصحيحة في الحفاظ عليها، وانتقد الحلول المقترحة للحصول على المياه. وتحدث في ثانيها عن جيولوجية الأردن ومناخه لما لها من ارتباط مباشر بموضوع المياه عند الأنباط، وغيرهم من الشعوب التي عاشت هناك. وقال بأن الأردن يشكل مظهراً تضاريسياً مهما ومتميزاً، بسبب تعاقب مجموعة من العصور الجيولوجية والمناخية عليه.

ويرى الباحث أن المناخ الحالي السائد في الأردن، يشبه المناخ السائد في الفترة المتقدمة من عصر البلايستوسين. ونتيجة للدراسات، التي قام بها في موضوع هندسة المياه والري، فإنه يرى أنه لم يطرأ أي تغيير يذكر على المناخ منذ ألفي عام؛ ولأن الأردن يعد من المناطق الفقيرة في الموارد المائية السطحية، فقد أصبح الاعتماد على مياه الأمطار والمحافظة عليها، هي شغل الإنسان الشاغل منذ العصور القديمة وحتى الآن.

وقد استعرض الباحث جهود الأنباط ومهاراتهم في التقنية المائية، وما وصلوا إليه من تقدم باهر في الزراعة، ليس في الأراضي الخصبة فحسب، بل في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية أيضاً. ويعدّ نظام المصاطب واحداً من الأنظمة التي استخدموها في الزراعة، ومنها كان يتم توجيه المياه بإبطاء نزول مياه الأمطار من خلال هذه المدرجات المزروعة. وبذلك نجح الأنباط في توسيع الرقعة الزراعية في الصحراء أكثر من أي إنسان آخر في هذا العالم، وتمكنوا في الفترة الواقعة بين القرن الثاني ق.م. والقرن الثاني الميلادي من إنتاج القمح والشعير وأنواع الحبوب الأخرى، إضافة إلى زراعة الزيتون والبلسم والكروم.

ومن الأدلة على قدرة الأنباط في مجال الحفاظ على المياه، أن صهاريج وأحواض المياه ما زالت مستعملة إلى اليوم. وكان هناك نوعان من الأنظمة، أحدهما يقوم على أساس تجميع المياه وتقنيتها إلى المناطق المختارة، وكان يتم خزن الزائد لاستعماله وقت الحاجة، وثانيها عمل رجوم من الحجارة، تُصف على سفوح التلال في أنماط متداخلة، لها دور في نظام التحكم بالماء؛ ولذلك فإن معظم التلال في الأراضي النبطية، كان مغطى بالقنوات المصنوعة من الحجارة، وقد تم بناؤها على محيط وشكل الجبل؛ ما يتيح للمياه أن تنحدر من هذه القنوات إلى الأحواض الموجودة في الأسفل.

أما الجزء الثالث من المقدمة، وهي المقدمة، فقد وضّح فيها الباحث أن التآكل وعوامل التدمير المختلفة كالزلازل، كانت وراء خراب العديد من المنشآت المائية، وإن إنجاز هذه الدراسة اعتمد على عدة أبحاث في البتراء، وفي مواقع أخرى من جنوبي الأردن، وقد اختير عدد من المواقع المتباينة من حيث الأهمية. كما اختيرت بعض الأمثلة من داخل النطاق النبطي، أو خارجه، للمقارنة.

وهكذا، باستعراض مضامين التقديم والتمهيد والمقدمة، لا نجد في مضمون أي منها ما يميز أحدها عن الآخر، وليس فيها ما يدعو إلى هذا التقسيم، الذي خالف به المؤلف المنهجية العلمية المعروفة والمألوفة من مقدمة وتمهيد، أو حتى من مقدمة فقط، يبيّن فيها أهمية الموضوع والدراسات السابقة عليه، والأسباب التي دعته لتأليف هذا

الكتاب ونحو ذلك.

وعلى أية حال، فقد قسّم المؤلف كتابه إلى خمسة فصول، تناول في الفصل الأول منها، الظروف الجغرافية والمناخية، ثم المصادر المائية التي تزود البتراء بالمياه. وتناول في الفصل الثاني المنشآت الهيدرولوجية في المواقع النبطية الأخرى في جنوب الأردن. وتحدث في الفصل الثالث عن المنشآت الهيدرولوجية والزراعية. أما الفصل الرابع، فتناول فيه النماذج المقارنة من مواقع أخرى في الأردن والجزيرة العربية وإفريقيا. وخصص الفصل الخامس للحديث عن أهمية التقنيات النبطية في مجال المياه، ثم عن الماء والسكان، وأتبعها بملخص باللغة الإنجليزية من صفحتين عنوانه في قائمة المحتويات (The Nabataeans) وفي المتن (The Nabataeans Period)، ثم أتبعها بملخص آخر باللغة الإنجليزية عنوانه (Water in the Naba-taeans Period)، وتلتها قائمة المصادر والمراجع واللوحات، وهذا التكرار والاختلاف في العناوين مخالف بطبيعة الحال للمنهجية العلمية الصحيحة، بل وخالف القاعدة المتبعة في تسلسل صفحات اللغة الإنجليزية، حيث نجدها مرتبة حسب تسلسل صفحات اللغة العربية، من اليمين إلى اليسار.

ونعود للفصل الأول، فنجد أنه على الرغم من أن المواقع التي تناولتها الدراسة تنتمي لمنطقة جغرافية واحده، إلا أن هناك تباينات كبيرة بينها، طبوغرافياً ومناخياً؛ فبعضها يشتمل على مجموعة من التلال الصخرية ذات الأخاديد الضيقة كالبتراء، وبعضها مناطق منخفضة جداً مثل الغور، وبعضها الآخر صحراوي مثل وادي رمّ. أما التباين في المناخ فيتمثل في درجة الحرارة والأمطار، التي فصّلها الباحث.

أما المصادر التي تزود البتراء بالماء فهي قسمان، أحدهما: الينابيع الطبيعية، وهي لا تزيد عن ثلاثة عيون في رأي المؤلف. والآخر عن طريق جمع مياه الأمطار في خزانات أو آبار. وقد حُفرت بعض الخزانات في الصخور، وشقت القنوات السطحية لتقود مياه الأمطار لتصب في هذه الخزانات، وبعضها ذو حجم كبير إذ تصل أبعاد أحدها إلى ٣٤ متراً طولاً، وخمسة أمتار عرضاً، ومتر واحد عمقاً، وبعضها الآخر أصغر حجماً وأكثر عمقاً، وأحياناً تفيض المياه الزائدة عن هذا الخزان لتصب في خزان آخر. ونجد لهذا الأسلوب ما يماثله في جبل ريدان في اليمن، جنوبي غرب الجزيرة العربية؛ فقد وجد على قمته عدد من الخزانات المحفورة في باطن الصخر لحجز مياه الأمطار، وكلما امتلأ خزان فاض الماء إلى خزان آخر. ويعتقد أن هذه الخزانات تعود إلى ما بين القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الميلادي الأول.

وقد أجاد الكاتب في إيراد عدد كبير من الخزانات المائية، وإعطاء وصف تفصيلي ودقيق لكل واحد منها. واستغرق هذا الفصل صفحات كثيرة من الكتاب، أدت إلى إخلال كبير في التوازن بين توزيع صفحات الكتاب على الفصول؛ فبينما نجد هذا الفصل قد استغرق ٦٦ صفحة من الكتاب، نجد الفصل الثاني أقل من ٩ صفحات، ومثل ذلك تقريباً الفصلين الرابع والخامس، وإن كان هذا ليس بالأمر المهم.

وقد خصص الباحث الفصل الثاني للحديث عن المنشآت الهيدرولوجية في المواقع النبطية الأخرى في جنوبي الأردن. واستعرض في هذا الفصل عدداً من المنشآت المائية، من قنوات وخزانات، وذلك في المنطقة الشمالية منها، المعروفة بالطفيلة، وفي وادي عربة بالمنطقة الغربية، ووادي رم بالمنطقة الجنوبية. وتعد هذه الأخيرة إحدى أقدم المناطق التي أستوطنها الإنسان في الأردن. وقد ذكر الكاتب نحواً من ١٤ عيناً، وعدداً من الأحواض والخزانات، التي تصب بها هذه العيون.

واعتماداً على ما جاء في الفصل الثاني وما قبله، حول مختلف المنشآت المائية، يرى الباحث في الفصل الثالث، أنه من المكن طرح دراسة تتناول الطرق التقنية التي استخدمها الأنباط. وتناول الكتاب في الفصل الرابع النماذج المقارنة؛ استعرض فيها المؤلف المنشآت المائية، التي نفّذها الأنباط في عدد من المناطق التي خضعت لحكمهم، مثل: النقب والحجر (مدائن صالح) داخل بلاد العرب، وأم الجمال.. وغيرها. وفي أم الجمال لجأ الباحث إلى حفر عدد من المربعات للكشف عن أنظمة المياه فيها. وقد أسفرت هذه الحفريات عن معلومات جديدة، حول تقنية بناء المجاري

المائية.

أما الفصل الخامس والأخير من الكتاب، فقد خصصه المؤلف لمناقشة أهمية التقنيات النبطية؛ فبيّن مهارة الأنباط وقدرتهم على الإفادة من مياه الأمطار، وتزويد مدنهم وقراهم بالماء، والتغلب على مشاكل قلة الماء في مختلف المناطق؛ وهذا ما فسح المجال أمام انتشار حضارتهم وازدهارها. وقد استمرت المنشآت المائية النبطية تقوم بدورها في استمرار الحياة ونموها، في عدد من المدن والقرى النبطية على مر العصور المتعاقبة، حتى بعد زوال كيانهم السياسي.

وأخيراً جاءت الخاتمة، ليعلن المؤلف أن هذه الدراسة تؤكد أن الاستنتاجات التي توصل إليها الباحث ليارد (A.H. Layard) صاحب كتاب (Early Adventures in Persia) في أن البتراء تعد صحراء جدباء طاردة للسكان، هي أبعد ما تكون عن الحقيقة. ويطمح الكاتب إلى إكمال هذه الدراسة بإجراء عدد من التنقيبات الأثرية في عدة مواقع نبطية وغيرها، لإثبات صحة ما أورده في بحثه.

ولا ننسى في ختام هذا العرض، الإشارة إلى أن الباحث قد أجاد بتزويد الكتاب بمئة وأربعين لوحة، ما بين خريطة وصورة ومخطط، وكلها ذات صلة مباشرة بموضوع البحث. ولا يخفى على القارئ ما لهذه اللوحات من أهمية في شرح الأثر والتعرف عليه.

د. عبدالله نصيف: قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب، جامعة الملك سعود.
Email: atef_mansour2000@yahoo.com

References

Atiat, T. 1986. "The excavation of umm er-Rasas "Mefa'a"", **Annual of the department of Antiquities**, 23-27.

Atiat, T. 1994. The mosaic of Madaba, Technical Study (Unpublished Ph.D, University of Sorbonne Paris IV).

Ahlstrom, G. W. 1978. "Winepresses and cup-marks on the Jenin-Magiddo survey", **American School of Oriental Research,** 231: 19-49.

Amiran, R. 1969. Ancient Pottery of the Holy Land, **Jerusalem**, P.141.

Avi-Yonah 1935. "Mosaic Pavements at El-Hammam", **Beisanm Quartery of the Department of Antiquities in Palestine**, V Nos 1-2, P. 11-30, Plate XIV, 1 .

Bisheh, G. 1982. "The second season of excavation at Hallabat, 1980", **Annual of the Department of Antiquities**, 133-144, PL XXXVII.

Browning, I. 1982. **Jerash and the Decapolis.**

Deut 7:13.

Douphin C 1987. T"he development of the 'Inhabited scroll' in Architectural sculpture and mosaic art from late imperial times to the seventh century A. D", **Levent**, 183-195.

Frankel, R, 1999. **Wine and Oil production in Antiquity in Israel and other Mediterranean countries,** Sheffield, England.

Genesis 9: 20.

Hirschfeld, Y. 1983. "Ancient wine presses in the park of ayalon", **Israel Exploration Journal**, 33, Nos 1-2, P. 207-218, Fig. 5.

Horn S, 1973. The excavation at Tell Hesban, 1973, **Annual of the Department of Antiquities**, 87-88.

Isaiah 5:1-2. 36:17, 55.

Jeremiah 6: 9, 31: 12, 48: 33

Joel 2:19.

John 2:1-11. 4:4 6. 15: 1, 5.

Kennedy D 1981. "Preliminary report of a survey of Roman Military Installations in North-Eastern Jordan", **Annual of the Department of Antiquities** 21-24.

King (2) 18:13.

Matthew 26: 26-29 , 39.

Piccirillo, M. 1985. **Rural settlement in Byzantine Jordan, Studies in the history and Archeology of Jordan**, 257-261.

Piccirillo, M. and Atiat, T. 1986. The complex of Saint Stephen At Umm Er-Rasas-Kastron MAFAA first campaigns, August 1986, 341-351.

Piccirillo, M. 1993. **The Mosaic of Jordan**, 40.41-44.

Prag, K, 1974. "The intermediate early bronze-middle bronze age: An interpretation of the evidence from Trans Jordan, Syria and Lebanon" , **levant** 6, P.99.

Prov. 9:2.

Roll 1 and Ayalon E. 1981. **Two large wine presses in the red soil region of Israel in Palestine exploration quanterly** 111-124, fig.7.

Ross J 1962. Vine, vineyard, the interpreters dictionary of the bible, 784-786.

Saller, S and Bagatti B, 1949. **The village of Nebo Jerusalem** .

Schick, R. Fiema, Z. and "Amr, Kh. 1993. The Petra Church Project, 1992-1993 A preliminary report, **Annual of the Department of Antiquities**, 55-66.

Scholl, T. 1986. The chronology of Jerash lamps. A preliminary report, Jerash Archaeological Project 1981-1983 1, 163-166, Fig 1.11.

Walso, P. 2001. **The Byzantine period in Levantine Archaeology** 1, P. 461-502.

Watson, P. N. and O'Hea, M. 1996. "The pella hinterland survey 1994: preliminary report", **Levant** 28, P.63-76.

Whitcomb, D.1994. **Ayla Art and Industry in the Islamic port of Aqaba**, 25-27, Fig D.

Zayadine, F. 1977-1978. Excavation on the upper citadel of Amman Area A (1975 and 1977), **Annual of the DeR.**

take realities in to consideration. The treaders represented are depicted occupied by their work. Their poise suggests movement, especially the raising hands and legs. Aspects of this presentation revealed that the mosaicists intended to represent a real wine harvest rather than an ideal one. Therefore, we can find differences in the technical way of pressing the grapes like using or not using a screw press, two or more treaders. Moreover, other differences can be seen as well in the clothing of the treaders in the three countries where colthing reflects the different tradition in these countries.

As for color, the mosaicist was guided by realities even though he seems to have had a good deal of freedom. The red wine represented in the churches of St. Stephen at um Er-Rassa certainly indicates the blood of the Christ. It symbolizes the blood of Jesus, when he sacrificed himself to save his people.

Taysir Atiat -Department of Archaeology and Tourism, Faculty of Arts - Mu'tah University P.O. 7, Mu'tah (61710), Al -Karak, Jordan

ملخّص: تشير أعمال التنقيب الآثري في الأردن بوضوح، إلى أن الأردن شهد كثافة سكانية خلال العصر البيزنطي، يُدل عليها اكتشاف العديد من الكنائس؛ إذ من المألوف تمثيل أغصان العنب في أرضيات تلك الكنائس، إضافة الى مشاهد من الحياة اليومية، كالمشاهد الزراعية، خاصة مراحل قطف ثمار العنب وعصرها تمهيداً لإنتاج النبيذ، المشروب المقدس في الديانة المسيحية، بوصفه رمزاً لدم المسيح عليه السلام، عندما ضحى بنفسه لانقاذ البشرية، حسب ما جاء في الإنجيل. وهذا البحث محاولة لإبراز التشابه في تمثيل ست معاصر نبيذ، في أرضيات مختارة في كل من الأردن ، وفلسطين، ولبنان، حيث يبدو التشابه واضحاً في تقنية العمل، وفي الادوات المستخدمة، وفي تمثيل صور الأشخاص القائمين بهذا العمل. وهذا التشابه يدفعنا إلى الاعتقاد بوجود وحدة عامة في إنتاج النبيذ، في منطقة شرق البحر المتوسط خلال العصر البيزنطي، على الرغم من وجود بعض الاختلاف في التفاصيل.

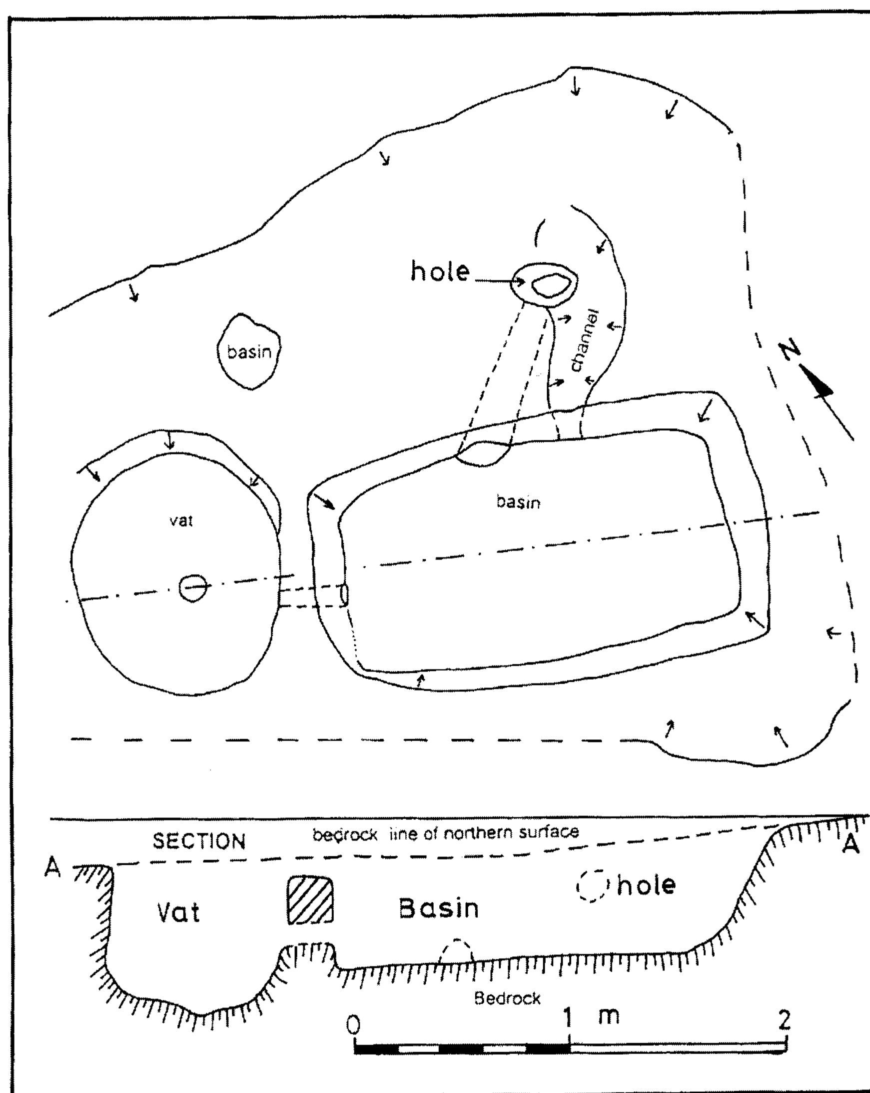


Fig 5 : The most common type of wine press found in Jordan , plan and section (After Watson ,1996,Fig .8).

wine, seems to practically explain the end of the cycle of the wine harvest.

Conclusion

On the bases of the corpus of the wine presses included in this paper, it is interesting to note that the mosaic pavements in Jordan are of great importance to understanding the art, society, and the Christian religion during the Byzantine and early Islamic periods. These pavements proved illuminating in the study of artistic, economic and religious patronages during those periods.

From the material presented in this article, we can conclude that the winepresses have much in common, in terms of material, style of representation, form of the screw press, and a lesser degree the dress of the treaders. Aspects of this presentation are closely parallelled by the depiction of the winepress, where the pattern in the mosaic floors could be derived from the iconography of the winepress on the ground. There is however a difference in certain elements; the depiction of the pressing and treading is mostly represent in the mosaic floors of Jordan during the Byzantine and Early Islamic periods.

It is immediately apparent that mosaicists

1.11; Bisheh 1982, Pl XXXVII; Whitcomb 1994, Fig d.26)

It is well known that the scenes of daily life are the common motifs in the art of mosaics in Jordan and in the Levant during the Byzantine Period.

The presence of an amphora with two loop handles beside the vat, filled with red



Figure 4,a Depicting of single fixed- screw wine press shows treading, pressing and collecting vat: mosaic, Tyre, Qabr Hiram in Lebanon ,the church of ST christopher

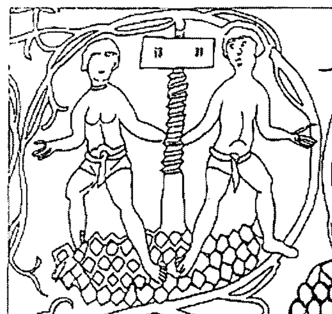


Figure 4,b Depicting of single fixed- screw wine press shows treading and pressing from the church of SS Lot and Procopius, el- Mekhayat in Jordan

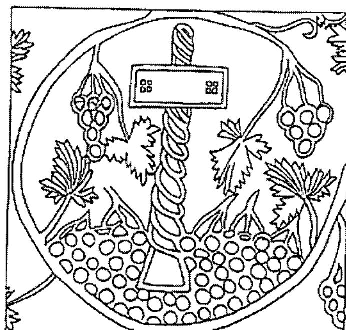


Figure 4,c Depicting of single fixed- screw wine press shows pressing from the church of the Bishop Sergios, um er-Rasas in Jordan.

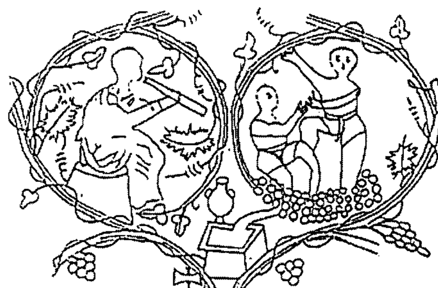


Figure 4,d Depicting treading, and collecting vat from the church of ST Stephen, um er-Rasas in Jordan,



Figure 4.e Depicting of single fixed- screw wine press shows treading and pressing from the church of ST.George, el-Mekhayat in Jordan

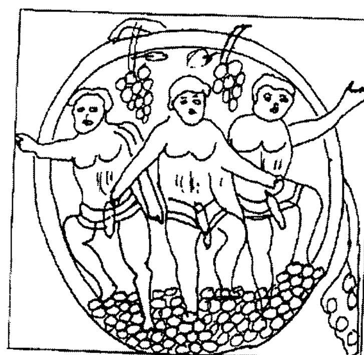


Figure 4,f Depicting three treaders without depicting screw wine from the mosaic of Hammam Bisan-Scythopolis

dan), we can observe a production of wine by treading and by using a screw without the presence of the receiving vat; however, the winepress of figure 4.c (found in Jordan) shows the production of wine by using a screw press but without the presence of the treaders.

The wine press of figure 4.d (found in Jordan) shows the production of wine by means just of treading, without the usage of a screw press. The wine press is made up of a few elements: a treading floor, a rectangular receiving vat, and the filling up of wine into an amphora which was depicted full with red wine beside the receiving vat.

It is clear that the mosaicist intended to present a real wine harvest rather than an ideal one. The depiction of the red wine, flowing from the treading floor to the receiving vat through a small canal and an amphora with two loop handles full with red wine, shows a representation of the end of the cycle of the wine harvest.

In the winepress of figure 4.e (found in Jordan), we can see the production of wine by treading and usage of a screw press, wherease the winepress of figure 4.f (found in Palestine) shows the production of wine by treading only, without the usage of a screw press. This figure shows the representation of three treaders intent upon their work while the others show only two treaders. Perhaps the mosaicist intended to show that the treading work needed more treaders.

The corpus of winepresses recorded in this paper are limited to only few elements; namely, the grapes, the screw in the center of the press and the depiction of two treaders represented almost nude on both sides of the screw. These elements are enclosed inside five volutes of vine, and one is represented inside an acanthus scroll. (Fig. 4). This observation may enhance the theory of Dauphin about the predominance of the vine scroll in Jordan during the Byzantine period.

From the previous compositions we understand that in the ancient times, grapes were certainly always first trodden and then pressed. This information was confirmed by classical literature, from which we learn the process of the pressing operation. Since treading was taken for granted, the representation of only the spirals of screw on mosaic pavements does not help us understand the manner in which this device functioned (Frankel 1999,42).

The mosaic pavements are standard features of almost all Byzantine churches in Jordan; these pavements include depictions of people and animals, as an element of the design. Such images are usually depicted inside volutes of vine.

The range of this composition can be observed in the churches. Beside the geometrical scenes, common are the scenes of branches of grape shoting forth from an amphora to form rows of vine scroll in which scenes of the daily life are often depicted. Those scenes include the scene of hunting, the scene of shepherd with his flock, and the scenes of the cycle of the wine harvest including the picking, transporting, and pressing of the grapes (Dauphin 1987,186).

It is most probable that the vine scroll in the art of mosaics was drawn as a Christian religious symbol after the parable of Christ were the intimate bond between Christ and the church is strongly emphasized.

The range of this composition can be observed on the lamps and on the mosaics where the decoration around the channel of the lamp consists most often of a vine-scroll. However, sometimes there are engravings of crosses, animals, amphorae and human figures on both the discus and the base (Fig 6). These lamps can be assigned to the Byzantine period and to the second half of the 8th Century and later (Scholl 1986,164, Fig

Hirschfeld 1983, 211-212, fig 5).

The wine presses in Jordan were located at the western edge of the western plateau which was heavily settled during the Roman, Byzantine and Early Islamic periods. The economy of these settlements was based on agriculture and the processing of agriculture products, especially wine and olive oil. The wine presses show that there had been a considerable number of farms and villages (Piccirillo 1985, 257-261).

According to Pamela Watson the wine presses are classified under seven types as follows:

A large shallow squared pressing or treading basin with white mosaic floor, connected to a receiving vat located outside the pressing floor.

A large circular or oval pressing or treading basin with white mosaic floor and central rectangular vat with conduits which channeled the juice after treading into the receiving vat.

A deep rectangular basin cut into the bedrock with oval or circular receiving vat connected with the basin by a canal cut into the bedrock. This type is the most common in Jordan (Fig.5); eleven wine presses of this type are recorded by Pamela Watson (Watson 1996, 72, Fig 8).

A shallow irregular treading basin with circular receiving vat.

A small circular or squared treading basin with central depression.

A number of small irregulated basin connected by channels.

A small flat shallow basin with channel.

Analysis of the elements of wine presses above shows a parallel with the wine presses in Palestine, and the symmetry existing between winepresses in to two countries enables us to emphasize this conclusion (Ahlstrom 1978, 19-49). However, it seems more prudent to read the red wine as a Christian religious symbol. The following verse bears out this reading: (and as they were eating, Jesus took bread, and blessed [it] and brake [it] and gave [it] to the disciples and said, take, eat; this is my body and he took the cup [of wine] and gave thanks and gave [it] to them saying drink ye all of it; for this is my blood of the new testament which is shed for many for the remission of sins) (Mat 26: 26-28).

The single fixed-screw press was the main wine press in Jordan and the surrounding countries. This device was meant to squeeze out the must left in the grapes skins after treading. (Fig 4). It appears on six mosaic floors in the Mediterranean region: one in the church of ST Christopher at Tyre-Qabr Hiram in Lebanon; two at el-Mekhayat in the Church of SS Lot and Procopius and in the church of ST George; two others at um er-Rasas in Jordan, in the church of St. Stephen and in the Church of the Bishop Sergios (Piccirillo and Atiat 1986,341-351); and one in the mosaic floor of Baisan-Scythopolis in Palestine (Frankel 1999, 140; Saller and Bagatti, 1949,55-67,67-78; Piccirillo, 1993, 178-179,238-239; Avi-Yohna 1935 19-55).

It will be observed that the single fixed-screw press, exposed in figure 4, shows assemblages in the composition. The treaders in the wine press are drawn with darker contour lines, since the bodies of the treaders are almost nude. They wore only a "cinctus" or loin-cloth.

In fact, many differences in the technique of pressing the grapes can be seen in winepresses of figure 4. We can see the production wine by treading and using a screw press in figure 4.a (found in Lebanon). The winepress in this figure is of few elements: a rectangular passing vat connected with a small rectangular receiving vat.

In the wine press of figure 4.b (found in Jor-



Fig. 3: The cycle of the wine harvest.

(Fig.3). This cycle is retrieved, for example, in the church of SS Lot and Procopius at al-Mekhayat (Saller and Bagatti 1949, 55-67, fig. 7). Other details included in these scenes are an isolated central pole of the winepress showing the sharp spirals of the screw in the church of Bishop Sergios and the vat receiving the red wine in the church of Saint Stephen at um Er-rasas. From this it was drawn off into an amphora depicted full with red wine (Fig 4. d). (Atiat 1994, 147-154).

It is well known that the scenes of daily life are often depicted in colored mosaic floors of the churches in the Mediterranean region of which Jordan part. These scenes are often represented inside rows of vine scrolls in the form of branches of grape.

According to Dauphin, the period between the fourth and the seventh centuries shows the predominance of the vine scroll in the Levant (Dauphin 1987, 185). This observation seems rather accurate and is especially supported by the corpus of winepresses included in figure 4 below. Although it is difficult to gauge the significance of the predominance of the vine scroll in Jordan during those centuries, it seems reasonable that this motif was connected to the importance of grapes and wine in Christian liturgy.

Wine Production:

The cities and towns in the Levant of the Bronze Age were basically agricultural communities. Because of the suitable climate and soil, the grapevine, along with the olive and fig trees, is one of the most distinctive plants of Jordan and Palestine today. As mentioned earlier, the earliest evidence for the yield of vine in the region is referred to by Sinuhe the Egyptian Prince who lived in the land of Canaan during the Middle Bronze Age (Ross 1962,785). Piliny, the Roman Historian, speaks of four colors of wine: white, brown, blood red and black. It seems clear that different colored grapes produce different colored-wine, but the red wine was considered a fine wine, and the best of all is the red fragrant wine (Frankel 1999, 200).

It will be useful here to provide some background information about the land of Jordan and its people during the Byzantine period. The abundance of towns and villages in the country in that period was supported by intensive farming of precious food, especially vine and olive and water resources. The existence of several small winepresses and oil presses in the Western plateau of Jordan proves that the lands were poor as they might have been used for farming some types plants in certain periods. A considerable number of small wine presses, usually hewn in the rock, have been found in this plateau, particularly in the central sector. The size and the distribution of these presses, according to Watson and O'Hea, reveal that such industry was of a small scale, and it was limited to serving local consumption rather than trade (Watson and O'Hea 1996, 63-76).

The archaeological surveys elsewhere in the northern hilly region reveal a similar pattern for these installations where the archaeological sites in the region are characterized as well by remains of wine and oil presses, reservoir and various agricultural implements (Wals, 2001, 481-482). A quic comparision between wine presses in Jorand and Palestine during the Byzantine period reveals different aspects. In Palestine wine installations are of larger scales than they have been in Jordan. In fact, the storage compartment is much larger, accommodating thereby larger quantities of grapes. If the small scale industry in Jordan meant to serve a local, small community, the larger scale in Palestine suggests that it was meant to serve a much larger community (Roll and Ayalon 1981, 111-125, Fig 7):

In Isaiah (36:17) the same point is made: (until I come and take you away to a land like your own land, a land of corn and wine, a land of bread and vineyards). This expression appears again in Jeremiah (31:12). It is also repeated in: (yea, the Lord will answer and say unto his people, behold, I will send you corn and wine and oil and ye shall be satisfied therewith) (Joel 2:19).

Wine appears in the Old Testament as a symbol of spiritual gifts. This symbol is observe in the following verses (she [wisdom] hath killed her beasts, she hath mingled her wine) (Prov. 9: 2). The same symbol appears in the book of Isaiah (55:1). The Old Testament points to the cycle of harvest (Jeremiah 6:9), and mentions the joy of treaders during the work (Jeremiah 48:33).

The Bible addresses the installation of the wine press as follows:

(Now will I sing to my wellbeloved a song of my beloved touching his vineyard. My well beloved hath a vineyard in a very fruitful hill: and he fenced it and gathered out the stones thereof and planted it with the choicest vine and built a tower in the midst of it and also made winepress thereinì) (Isaiah 5:1-2).

In the New Testament we can observe the significance of wine and grapes, their symbolic functions in the Christianity, the importance of the wine in Christian liturgy, and the cycle of the wine harvest. The information concerning these subjects and the connection between Jesus and wine is clearly made. According to Saint Matthew the red wine symbolizes the blood of Jesus as he has sacrificed himself to save his people. The reference to this personification appears in the following:

(For this is my blood of the New Testament, which is shed for many for the remission of sins. But, I say unto you, I will not drink henceforth of this fruit of the vine, until that day when I drink it new with you in my Father's kingdom and he went a little further and fell on his face and prayed, saying, O my father, if it be possible, let this cup pass from me: nevertheless not as I will, but as thou wilt) (Matthew 26: 28-29; 39). The greater significance of the vine is when Jesus describes himself as the true vine and his father as the vinedresser. This point appears clearly in the following verse: (I am the true vine, and my father is the husbandman) (John 15:1).

The grapevine, along with the olive and fig trees, is one of the most distinctive plants of Jordan and Palestine today as they were in ancient times; the climate is particularly well suited for growing vines. Besides, there is enough rainfall, heat and fertile land especially on hills where the vineyards were planted because such places were less suitable for cereals crops. It was customary to present wine to guests at feasts and marriages. In the New Testament (John 2: 1-11; John 4:46), we see Jesus miraculously turn water in to wine for the marriage celebration at Cana.

Furthermore, Christ chooses the vineyards in his parable to strongly emphasize the intimate bond between him and the churches. He said, "I am the vine, you are the branches" (John 15: 5).

This expression explains clearly the symbolic importance of vine for Christians.

The agricultural scenes of daily life are often shown in the mosaic floors of the churches in Jordan. In these the common motif usually represents the cycle of the wine harvest, and is always depicted as follows: 1- The harvester, a basket beside him, cuts grapes with a short billhook. 2- A basket full of grapes. 3- The transport of grapes on the back of a donkey, or on the back of a man. 4- The treaders in the wine press. 5- Usually the cycle of the wine harvest is accompanied by a flute-player.

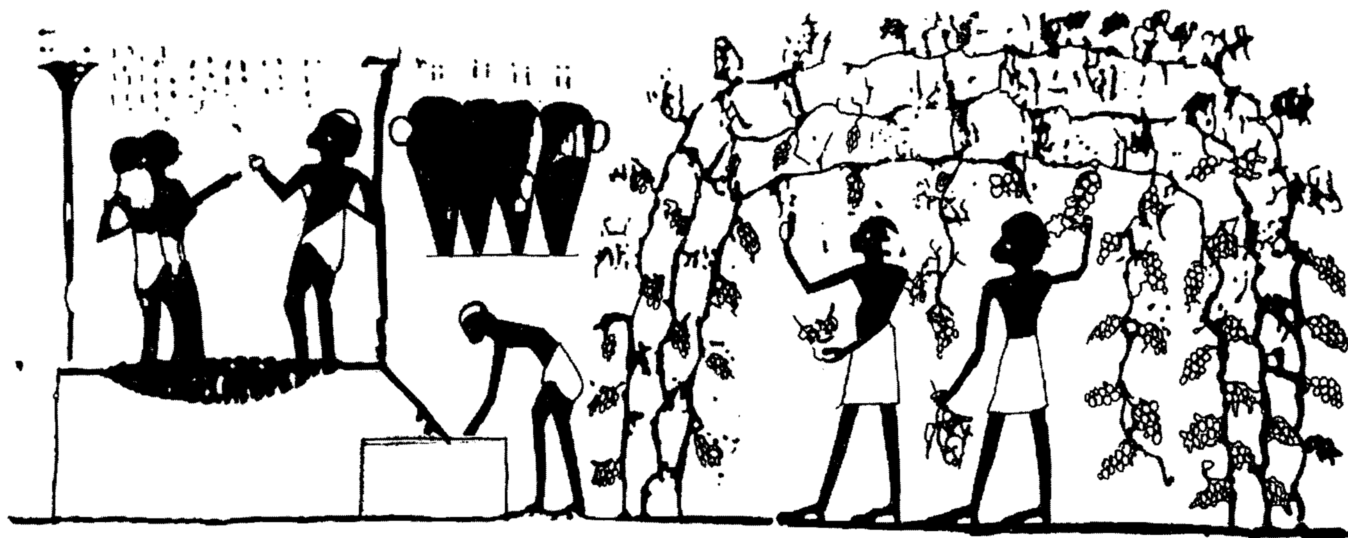


Fig. 2: Drawing of Wall - Paintings in the Tomb of Nakht at Thebes.

shedding light on rural and religious practices in Jordan during the Byzantine and early Islamic periods. It will offer new insights into wine presses in Jordan and enrich our acquaintance with the art of mosaics. It will hopefully add some more practical information about the significance of wine and grapes and their symbolic function in the Christian liturgy.

Vine and Branches

For ages, the Levant has been famous for the quality and quantity of its wine. The grapevine, along with its primary grapes product, is mentioned more than any other plant in the ancient sources, particularly in ancient Egyptian sources, and in the old and the New Testaments. In the book of Genesis, Noah was presented as the father of viticulture (Genesis 9:20). However, the Egyptian sources of the sixth Dynasty describe the grapes of Syria, while Sinuhe, the Egyptian Prince who lived in the land of Canaan, describes the wine of Palestine during the Middle Bronze Age (Ross 1962, 785; Prag 1974, 99).

The wall painting of Tomb 62 at Thebes in the region of Amenhotep III reveals the importation of wine from Canaan to Egypt inside jars with lids (Amiran, 1969, 141).

The cycle of the wine harvest, includimg the gathering of grapes, treading them and storing wine in jars in the form of spindle amphoras, was shown on the wall painting of the tomb of Nakht at Thebes during the Fifteenth century (Fig 2; Ross 1962, 785, Fig 16).

These scenes reveal the significance of wind and grapes for the Egyptians; the representation of the cycle of the wine harvest on the wall painting of the Egyptian tombs demonstrate the importance of the wine in the Egyptian liturgy.

As is pointed out below, viticulture has provided an abundant store of images in both the Old Testament and the New Testament:

Vineyards and vines are symbols for wealth and fertility (2 Kings 18:31)

Wine is one of the graces of the goods of lands. The point is made in the Bible as follows: (He [the lord] will also bless the fruit of thy womb and the fruit of thy land, thy corn, and thy wine) (Deut 7:13).

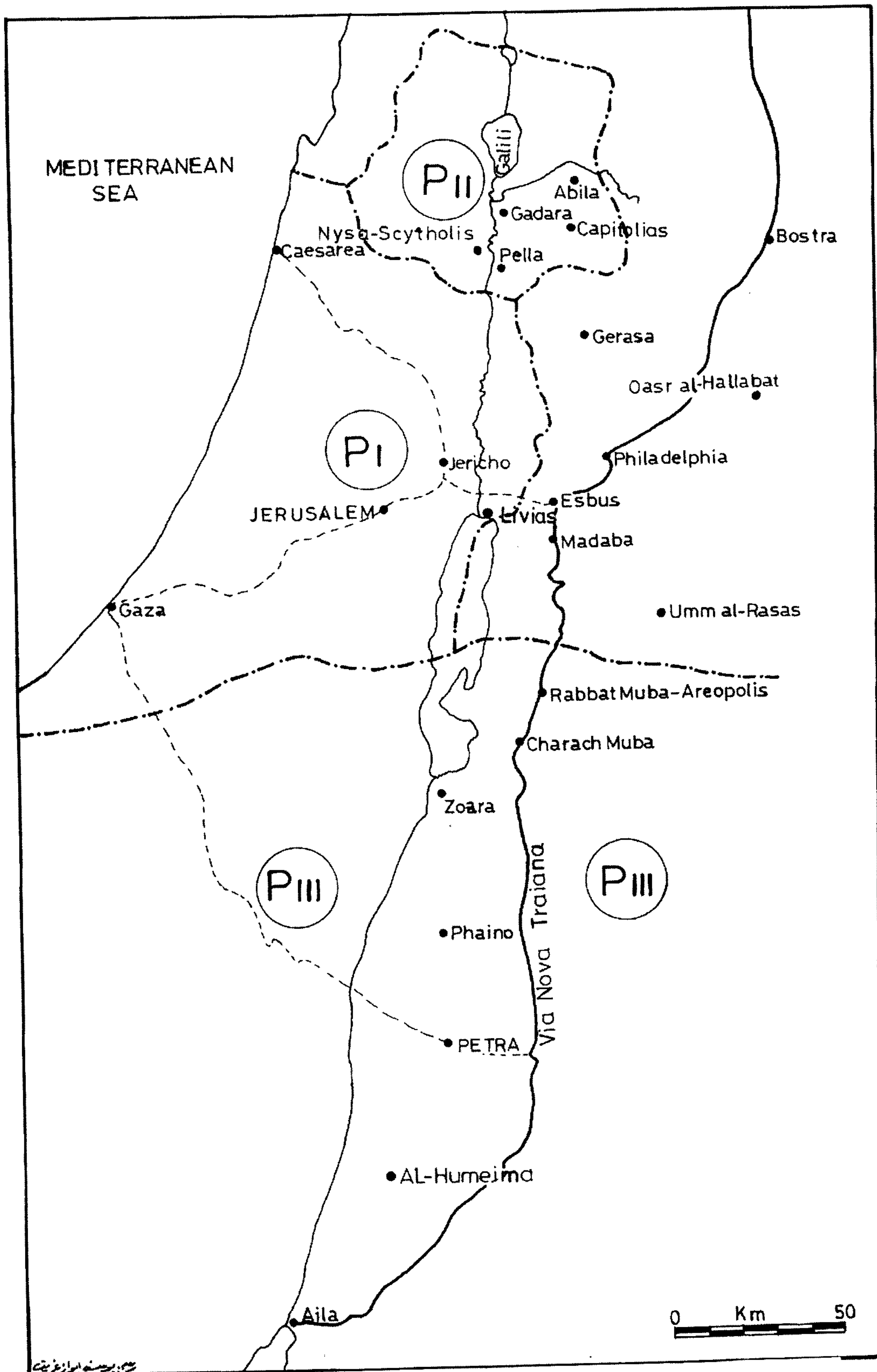


Fig. 1: Subdivision of Jordan Territory in the Byzantine Period.

Wine presses on mosaic pavements of Jordan, Palestine and Lebanon

Taysir Atiat

Abstract. *Archaeological projects carried out in Jordan pointed out that this country was extensively populated in the Byzantine period where the churches were numerous. Amphorae grape or vine scrolls were depicted in mosaics and scenes of daily life. A common motif depicted on the mosaic pavements is the agricultural scenes especially the cycle of the wine harvest. An attempt will be made here to discuss the representation of six wine presses on mosaic pavements of Jordan, Palestine and Lebanon. The materials of these devices represented on the mosaic floors have much common, in terms of their style of representation and in the iconography of the grape treaders figures. We can propose the existence of a broader Mediterranean vocabulary of the wine presses existing in the Levant as well.*

Introduction:

During the Byzantine period the present borders of Jordan embraced a great number of population and a great number of settlements, especially along Via Nova Traiana and inside the villages and towns of the province of Arabia. This fact led to the presence of churches and houses beyond the enclosure walls of several settlements such as Gerasa, Kherbeh El Samra, Madaba and Um er Rasas (Kennedy 1981-21-24). The natural justification of such a condition is that the settled population was continuously increasing in the region where the population was originally Arab as indicated by numerous inscriptions.

Prosperity extended throughout the pagan and the Christian eras; however, during the Christian period churches began to replace pagan temples in the classical cities of Philadelphia, (Zayadine, 1977-1978, 20-56) Gerasa (Browning, 1982, 94-95), Esbus (Horn, 1973, 87-88), and Petra (Schick et al, 1993, 55-56).

The significant discovery in the archaeological sites of Jordan is the size and shape of churches, which explains the density of population and the prosperity of the country during the Byzantine period. The basic architectural plan of the churches in Jordan was that of the basilica used extensively in the Mediterranean region.

The most impressive features of Byzantine churches in the Mediterranean region are the development and the extensive use of the art of mosaics in the ornamentation of floors. These mosaic floors can also be a valuable source of information on rural and urban lives, and on the religious administration of Jordan during the Byzantine period.

This paper aims to shed light on the agriculture features of Jordan between the sixth and the seventh centuries through selected winepresses depicted on mosaic pavements. The paper seeks to highlight a connection between the construction of wine presses and their depiction on the mosaic floors. It is an attempt to understand the technique of wine pressing and the importance of wine in Christian liturgy. This kind of study has the potential of

Issue No. 9 January 2004
ISSN: 1319-8947 (pp. 19 -30)

western Arabia (unpublished manuscript).

Wanpo, Huang, Russell I. Ciochon, Gu Yumin, Roy Larick, et al. 1995. "Early Homo and Associated Artefacts from Asia", **Nature**, 378: 275-278.

Whalen, Norman M., Jamaludein S. Siraj Au, Hassan O. Sindi, and David W. Pease. 1986. "A Lower Pleistocene Site Near Shuwayhitiyah in Northern Saudi Arabia", **Atlal**: The Journal of Saudi Arabian Archaeology, 10: 94-101.

Whalen, Norman M., Wilbon P. Davis, and David W. Pease. 1989. "Early Pleistocene Migrations into Saudi Arabia". **Atlal,** 12: 59-75.

Whalen, N. M. and K. E. Schatte 1997. "Pleistocene Sites in Southern Yemen", **Arabian Archaeology and Epigraphy**, 8: 1-10.

Whalen, Norman M. and Christopher M. Kolly. 2001. "Survey of Acheulean Sites in the Wadi al Sirhan Basin, Jordan, 1999", **Annual of the Department of Antiquities of Jordan**, 45: 11-18.

Whalen, Norman M. 2003. "Lower Palaeolithic Sites in the Huqf Area of Central Oman", Journal of Omani Studies, Vol. 13 (in press).

Wood, Bernard and Alan Turner. 1995. "Out of Africa and Into Asia", **Nature**, 378: 239-240.

References

Amirkhanov, Kh. 1987. "Understanding the Acheulian in Southern Arabia", **Sovietskaya Arkeologiya**, 4: 11-23 (in Russian).

Amirkhanov, Kh. 1991. **The Palaeolithic of Southern Arabia**, Moscow: Russian Academy of Sciences (in Russian).

Amirkhanov, Kh. 1994. "Research on the Palaeolithic and Neolithic of Hadhramaut and Mahra", **Arabian Archaeology and Epigraphy**, 5: 1-12.

Bar Yosef, O. and N. Goren-Inbar. 1993. **The Lithic Assemblage of Ubeidiya, a Lower Palaeolithic Site in the Jordan Valley,** Hebrew University, Jerusalem.

Clark, J. Desmond and H. Kurasbina. 1979a. "An Analysis of Earlier Stone Age Bifaces from Gadeb (Locality 8E), Northern Bale Highlands, Ethiopia", **South African Archaeology Bulletin**, 34: 93-109.

Clark, J. Desmond and H. Kurashina. 1979b. "Hominid Occupation of the East-Central Highlands of Ethiopia in the Plio-Pleistocene", **Nature**, 282: 33-39.

Clark, J. Desmond and H. Kurashina. 1980. "New Plio-Pleistocene Archaeological Occurrences from the Plain of Gadeb, Upper Webi Shebele Basin, Ethiopia, and a Statistical Comparison of the Gadeb Sites with Other Early Stone Age Assemblages". **Anthropologie**, 18(2-3): 161-187.

Etler, Dennis A. 1996. "The Fossil Evidence for Human Evolution in Asia". Annual Review of **Anthropology**, 25: 275-301.

Gabunia, L. and A. Vekua. 1995. "A Plio-Pleistocene Hominid from Dmanisi, East Georgia, Caucasus", **Nature**, 373: 509-523.

Gabunia, L., A. Vekua, et al. 2000. "Earliest Hominid Pleistocene Remains from Dmanisi , Republic of Georgia: Taxonomy, Geological Setting, and Age", **Nature**, 288: 1019-1025.

Goren-Inbar, N., and I. Sargusti. 1996. "An Acheulean Biface Assemblage from Gesher Benot Ya'aqov, Israel: Indications of African Affinities", **Journal of Field Archaeology**, 23(1): 15-30.

Isaac, Glenn L. 1997. **Plio-Pleistocene Archaeology, Vol. 5, Koobi Fora Research Project**, Clarendon Press, Oxford.

Kimura, Yuki. 1999. "Tool-using strategies by early hominids at Bed II, Olduvai Gorge, Tanzania", **Journal of Human Evolution**, 37:807-831.

LaPorte, Leo F. and Adrienne L. Zihlman. 1983. "Plates, Climate and Hominid Evolution", **South African Journal of Science,** 79: 96-110.

Larick, Roy and Russell L. Ciochon 1996. "The African Emergence and Early Asian Dispersals of the Genus Homo", **American Scientist**, 84: 538-551.

Leakey, M. D. 1971. **Olduvai Gorge: Excavations in Beds I and II 1960-1963**, Cambridge University Press, Cambridge.

Petraglia, Michael D. 2003. "The Lower Paleolithic of the Arabian Peninsula: Occupations, Adaptations, and Dispersals", **Journal of World Prehistory**, 17(2): 141-179.

Semaw, S., Harris, J. W. K., Feibel, C. S., Renne, et al. 1997. "Stone Tools of 2.5 Million Years Old from Gona, Ethiopia", **Nature**, 385(6614): 333-336.

Semaw, Sileshi. 2000. "The World's Oldest Stone Artefacts from Gona, Ethiopia: Their Implications for Understanding Stone Technology and Patterns of Human Evolution Between 2.6-1.5 Million Years Ago", **Journal of Archaeological Science**, 27(12): 1197-1214.

Swisher, C. C., C. H. Curtis, T. Jacob, et al. 1994. "Age of the Earliest Known Hominids in Java, Indonesia", **Science**, 263: 1118-1121.

Toth, Nicholas. 1985. "The Oldowan Reassessed: A Close Look at Early Stone Artifacts", **Journal of Archaeological Science**, 12(2): 101-120.

Vekua, Abesalom, David Lordkipanidze, C. Philipo Rightmire, Reid Herring, et al. 2002. "A New Skull of Early Homo from Dmanisi, Georgia", **Science**, 297: 85-88.

Walwer, Gregory E. 1997. Preliminary Evidence for Plio-Pleistocene Migrations from Africa through South-

clustering of the Yemen'92-DO, Oman'02-DO and Al Guza cave sites reinforces the relationships between these sites that were implied in the ANOVA tool dimension study.

Conclusion

In the absence of radiometric dating for any of the Arabian sites considered here, definitive conclusions cannot be drawn. However, the findings in the ANOVA suggest that Oldowan artefacts from the Arabian surface sites correlate with the Oldowan of the stratified Al Guza cave site to a degree that precludes mere chance. The comparison is interesting because it raises the possibility that certain Arabian surface sites, despite their deflated conditions and potential multi-component character, may retain relevant information. Furthermore, the MDS procedure relates these Arabian sites with the Plio-Pleistocene Oldowan of Olduvai Gorge, which has been substantiated with radiometric dating to be in the range of 1.8 million years old.

The southern route across Yemen and Oman, upon which the premise of this study was based, follows the trajectory emanating from early man sites in East Africa (see Fig. 1) but was not the only path accessible in the penetration and colonization of Asia. The other potential avenue was down the Nile and across the Sinai Peninsula to the eastern (Najd) or western (Tihama) side of the mountains that comprise the Arabian Shield, with a continuance eastward across Yemen and Oman. Obviously, much more survey and excavation work is needed in the regions of these potential routes--the Nile and both flanks of the Arabian Shield. In addition, Yemen and Oman have only been partially explored. All indications suggest that Arabia does contain Oldowan sites scattered along the paths of human migrations and occupations and may well hold the key to the time and place of the earliest human advance into Asia.

Norman M. Whalen: Department of Anthropology. Texas State University, San Marcos. Texas, USA. email: n4wdx@satx.rr.com
Glen A. Fritz :Department of Geography. Texas State University, San Marcos, Texas, USA.

ملخّص: لقد اقترحت عدة طرق، لتفسير حركة النزوح من إفريقيا إلى غربي آسيا؛ إحداها كانت الطريق، الممتدة جنوبي شبه الجزيرة العربية، عبر اليمن وعُمان، إذ توجد ثلاثة مواقع تحتوي على مشغولات يعتقد أنها من العصر الأولدواني. وأحد هذه المواقع، كان كهفاً من طبقات؛ بينما الآخران كانا موقعين سطحيين. وقد قورنت مواد الموقعين السطحيين إحصائياً مع مواد الكهف، كما تمت مقارنة مواد مواقع شبه الجزيرة العربية الثلاثة، مع أدوات الحقبة الأولدوانية المعروفة بـ "أولدوفاي جورج" في إفريقيا. كما أن تحليل التغيّر في أبعاد الأداة، والقياس متعدد الجوانب لهذه الأدوات، يشيران إلى علاقة مواد الجزيرة العربية بمثيلاتها في الحقبة الأولدوانية.

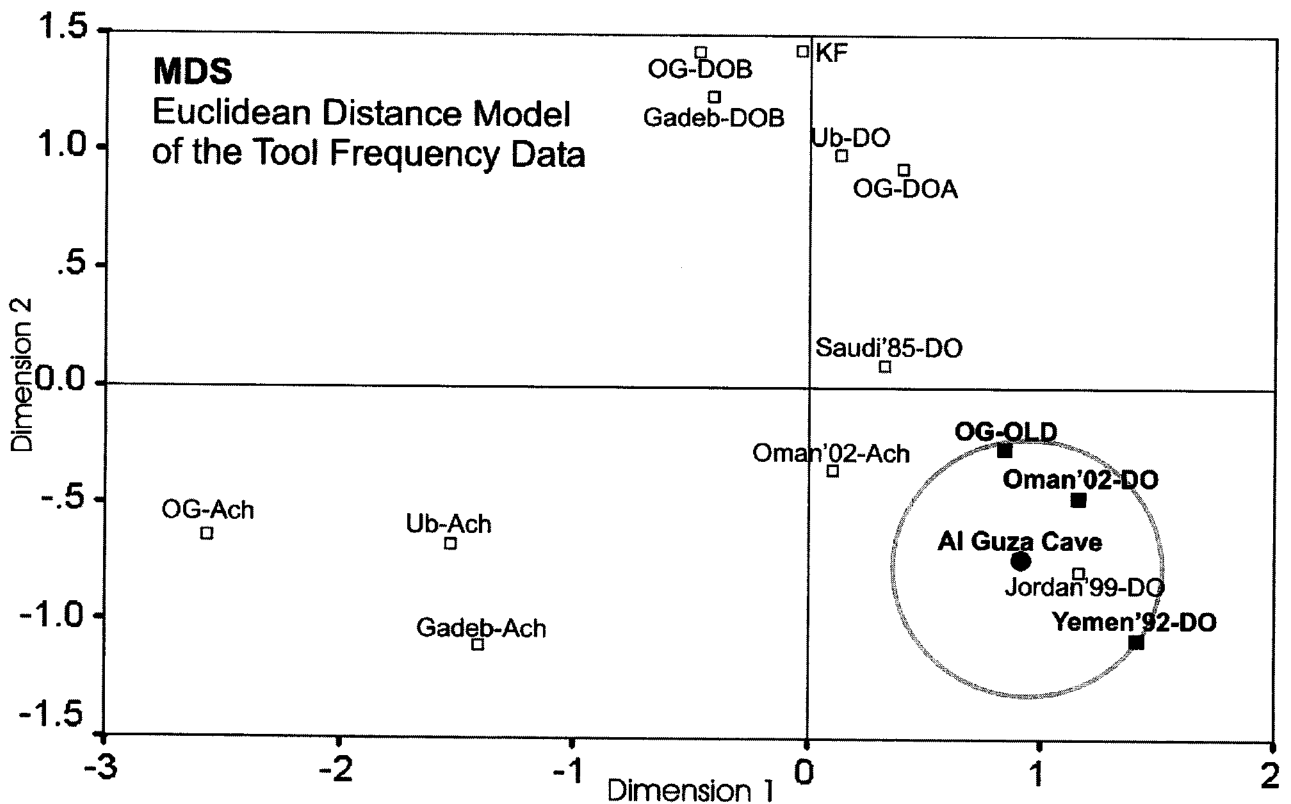


Fig 2: The MDS plot of the tool frequencies of selected sites from Africa and the Arabian Peninsula. The results show a grouping of the Yemen'92-DO and the Oman'02-DO sites with the Al Guza Cave site. In turn, these three Arabian sites appear to be related to the Olduvai Gorge oldowan (OG-OLD). Note the separate clusters for Acheulean (Ach) on the left and other Developed Oldowan (DO, DOA, DOB) sites at the top.

In the chopper category, the relationships were less conclusive as only two of eight null hypotheses were not rejected. However, taken as a whole, membership of the surface artefacts in the population of the Al Guza Oldowan artefacts could not be rejected in 62.5% of the ANOVA tests. Considering the extreme antiquity of these artefacts and their wide geographical separation, this result is rather interesting.

The MDS results (shown in Fig. 2) are based on the tool frequency characteristics of fifteen different sites/sub-sites. As explained previously, some of the sites were included for purposes of comparison and not because of suspected cultural relationships. The discrimination ability in the MDS mapping is illustrated by the grouping of Acheulean sites in the lower left quadrant and of several Developed Oldowan sites in the top center. Most importantly, the plot demonstrates a cluster involving the three Arabian Oldowan sites and the Oldowan of Olduvai Gorge. This pattern implies that a greater similarity exists between these sites than with any of the remaining sites which are plotted farther away. From a standpoint of specificity, the Arabian sites with Oldowan components show an affinity to the Olduvai Gorge Oldowan but not to the Developed Oldowan or Acheulean of Olduvai Gorge. Conversely, minimal relationships are suggested between the Arabian sites and the other African sites, or with Ubeidiya in the Levant. Finally, the

		Significance Values **Oman'02-DO**	*Significance Values* **Yemen'92-DO**	
Scrapers	length	**0.335**	**0.249**	*versus* **Al Guza Cave**
	width	**0.783**	**0.155**	
	length/width	**0.994**	**1.000**	
	thick./width	**0.188**	0.001	
Choppers	length	0.019	≤0.0005	
	width	≤0.0005	≤0.0005	
	length/width	0.005	**0.625**	
	thick./width	**0.797**	≤0.0005	

Table 3: Summary of the ANOVA results after applying Tamhane post-hoc testing. All null hypotheses stated that the Oman'02-DO and Yemen'92-DO chopers and scrapers were from the same population as the in situ Al Guza Cave Oldowan choppers and scrapers on the basis of their dimensions. The bold numbers indicate where null hypotheses could not be rejected at the 95% confidence level. In 7 of 8 scraper comparisons, the Oman and Yemen sites were not shown to be statistcally different from the Oldowan of Al Guza Cave. Two of the chopper dimensions were also not shown to be significantly different from the Oldowan of Al Guza Cave.

1997).

The sites (and sub-sites) from the Arabian Peninsula included the three Arabian sites under discussion plus neighboring sites for which suitable frequency data were available. The Oman and Yemen data consisted of the Oldowan from Al Guza Cave (Amirkhanov 1987, 1991, 1994), the Yemen'92-DO (Whalen and Schatte 1997), the Oman'02-DO (Whalen 2003) and an Oman'02 Acheulean component (Oman'02-Ach).

Other data from the Arabian Peninsula involved the Developed Oldowan from Wadi as Sirhan, Jordan in 1999 (Jordan'99-DO) (Whalen and Kolly 2001), the Developed Oldowan from Saudi Arabian site 201-49 at Shuwayhitiyah (Saudi'85-DO) (Whalen et al. 1986, 1989), and the Ubeidiya Acheulean (Ub-Ach) and Ubeidiya Developed Oldowan (Ub-DO) (Bar Yosef and Goren-Inbar 1993; Goren-Inbar and Sargusta 1996).

Results

The ANOVA tested the relationship of two Arabian surface sites with Al Guza Cave, the only known in situ Oldowan site in the Arabian Peninsula. The variables consisted of the chopper and scraper dimensions of length, width, length-to-width ratio and thickness-to-width ratio. Table 3 presents the ANOVA results. Of special interest is the finding that seven of eight scraper dimensions from the two surface sites were shown to be statistically indistinguishable from the Oldowan scraper dimensions of Al Guza Cave. In other words, 87.5% of the scraper null hypotheses were not able to be rejected at a 95% confidence level.

Table 2. Tool frequency data used in the MDS to compare the Arabian Peninsula Oldowan to the Olduvai Gorge Oldowan.

	Site	Chopper		Scraper		Biface		Polyhedron		Discoid		Spheroid		Other		Σn
		n	%	n	%	n	%	n	%	n	%	n	%	n	%	
Olduvai Gorge	OG-OLD	283	52.1	92	16.9	0	0.0	55	10.1	49	9.0	4	0.7	60	11.0	543
	OG-DOA	177	34.9	79	15.6	0	0.0	33	6.5	20	3.9	27	5.3	171	33.7	507
	OG-DOB	463	20.2	491	21.4	162	7.1	48	2.1	131	5.7	134	5.8	868	37.8	2297
	OG-Ach	14	15.4	6	6.6	49	53.8	5	5.5	8	8.8	2	2.2	7	7.7	91
Arabia	Saudi'85-DO	278	40.3	217	31.5	48	7.0	37	5.4	17	2.5	6	0.9	86	12.5	689
	Yemen'92-DO	323	71.0	75	16.5	7	1.5	11	2.4	11	2.4	1	0.2	27	5.9	455
	Jordan'99-DO	423	64.2	134	20.4	17	2.5	13	1.9	12	1.8	3	0.4	51	7.6	653
	Oman'02-DO	505	58.9	258	30.1	9	1.0	21	2.4	9	1.0	1	0.1	55	6.4	858
	Oman'02-Ach	335	42.6	253	32.2	122	15.5	4	0.5	5	0.6	0	0.0	67	8.5	786
	Al Guza Cave	114	61.0	36	19.3	11	5.9	5	2.7	1	0.5	0	0.0	20	10.7	187
Other	Gadeb-Ach	25	35.2	8	11.3	31	43.7	6	8.5	0	0.0	0	0.0	1	1.4	71
	Gadeb-DOB	96	21.5	147	33.0	27	6.1	123	27.6	0	0.0	6	1.3	47	10.5	446
	KF	112	22.0	196	38.4	4	0.8	88	17.3	88	17.3	0	0.0	22	4.3	510
	Ub-Ach	103	28.6	27	8.1	144	40.0	39	10.8	5	1.4	9	2.5	31	8.6	358
	Ub-DO	747	28.9	704	27.3	71	2.8	141	5.5	49	1.9	72	2.8	799	30.9	2583

Olduvai Gorge: Oldowan (OG-OLD), Developed Oldowan A (OG-DOA), Developed Oldowan B (OG-DOB), Acheulean (OG-Ach). Koobi Fora in Kenya (KF). Gadeb in Ethiopia (Gadeb-DO and Gadeb-Ach), Ubeidiya in the Jordan valley (Ub-DO and Ub-Ach). See text for other site abbreviations.

were suited to ANOVA because they were characterized by numerically sufficient collections of choppers and scrapers with detailed dimension measurements. However, this approach was not suited for the second question, which sought to compare the Arabian sites with Olduvai Gorge, because the African records lacked the needed dimension data detail. Therefore, the second question utilized tool frequencies and a technique called Multidimensional Scaling (MDS).

Question One Methods. The dimensions of choppers and scrapers were selected for the comparison because these tool types were the most plentiful and may also be the most diagnostic. Eight separate ANOVA tests were required, one for each chopper and scraper tool dimension comparison: length, width, length-to-width ratio and thickness-to-width ratio. Each ANOVA tool dimension test had an associated null hypothesis that stated that the tools from the two Arabian surface sites belonged to the same population as the Oldowan tools of the Al Guza Cave. A significance value of 0.05 (95% confidence level) was selected as the level required to reject any individual null hypothesis. Post-hoc testing was necessary because the means of the groups were not homogeneous. The Tamhane method was applied in this study. Table 1 summarizes the descriptive statistics of the data from the three Arabian sites.

Question Two Methods. The second question, concerning the potential relationship between the three Arabian sites and the Oldowan of Olduvai Gorge, was approached on the basis of tool frequency counts because these data were amply available. Due to the complex nature of the dataset, MDS was selected as the most appropriate analysis tool. In the MDS procedure, a computer algorithm creates a mathematical composite of all of the various tool frequency variables associated with each site. The program then calculates the relationships of the sites using multiple spatial dimensions or axes and Euclidian distance measures. In evaluating the net results, shorter distances between sites are suggestive of higher similarity.

Although Olduvai Gorge is the prime Oldowan site to employ as a standard of comparison, it was necessary to include additional sites of Plio-Pleistocene affiliation to demonstrate the MDS results in a meaningful perspective. Including the sites already under discussion, a total of nine Paleolithic sites were used, some having both Acheulean and Oldowan components. The tool frequency categories for these sites were determined on the basis of relative artefact prevalence: choppers, scrapers, bifaces, polyhedrons, discoids, spheroids and others. The final MDS calculations therefore involved fifteen tool assemblage groups, each with seven different tool frequency classes. A summary of the tool frequencies is shown in Table 2.

In regard to the MDS database, Olduvai Gorge was represented by four different subgroups: Oldowan (OG-Old), Developed Oldowan A (OG-DOA), Developed Oldowan B (OG-DOB), and Acheulean (OG-Ach) (Leakey 1971). The advantage of testing the Arabian sites against the Olduvai subgroups is that any unanticipated similarities or dissimilarities are given a chance to emerge. Overall, the inclusion of more artefact groups in the MDS increases the range of data available for comparison and may add greater specificity to the results.

The other African sites appearing in the MDS were Gadeb and Koobi Fora. Their data include the Gadeb Acheulean (Gadeb-Ach) and the Gadeb Developed Oldowan B (Gadeb-DOB) (Clark and Kurashina 1979a, 1979b, 1980) and Koobi Fora (KF) (Isaac

Tool	Site	n	length		width		thickness		length/width		thickness/width	
			mean	st. dev.	mean	st. dev.	mean	st. dev.	mean	st. dev.	mean	st. dev.
Choppers	AL Guza Cave	114	104.73	21.658	85.06	15.893	59.80	11.910	1.25	0.215	0.72	0.139
	Oman'02-DO	505	98.52	21.804	75.98	16.186	52.21	11.622	1.32	0.296	0.70	0.168
	Yemen'92-DO	323	118.81	28.446	93.90	20.747	54.49	14.029	1.27	0.206	0.59	0.149
Scrapers	AL Guza Cave	37	90.97	19.609	70.49	14.325	46.90	10.370	1.30	0.191	0.68	0.172
	Oman'02-DO	258	85.65	18.572	68.32	15.746	41.67	9.786	1.29	0.301	0.63	0.157
	Yemen'92-DO	75	98.12	23.037	76.55	17.589	41.53	13.253	1.30	0.213	0.55	0.162

Table 1: The descriptive statistics of the tool dimensions used in the ANOVA study that compared the surface finds of Oman' 02-DO and yemen'92-DO with the in situ Oldowan finds at Al Guza Cave.

polyhedrons, discoids and scrapers. Several layers of Acheulean artefacts were located above the Oldowan level but a distinction existed between the Oldowan and Acheulean layers. The Acheulean levels were characterized by numerous handaxes and several choppers (Amirkhanov 1994).

In 1992, from a series of 16 sites located on an escarpment overlooking Wadi Shahar in southwest Yemen, a survey team collected 729 Oldowan artefacts. Nearly half of the artefacts consisted of choppers, with scrapers, polyhedrons, and discoids comprising most of the remainder (Whalen and Schatte 1997). The Oldowan (or Developed Oldowan) component of these sites will be referred to as Yemen'92-DO.

In 2002, a survey undertaken in the Huqf district of central Oman revealed a grouping of 43 sites that yielded 2,113 Oldowan artefacts (Whalen 2003, in press). Within the Oldowan assemblages, choppers accounted for 59% of the tool inventory in addition to scrapers, polyhedrons, spheroids, discoids and protobifaces. The Oldowan (or Developed Oldowan) component of this survey will be referred to as Oman'02-DO.

The Oldowan artefacts found in southwestern Yemen in 1992 (Yemen'92-DO) and in central Oman in 2002 (Oman'02-DO) were all surface finds. In contrast, the 187 Al Guza Cave artefacts that Amirkhanov classified as pre-Acheulean or Oldowan were excavated from an intact, stratified site. In light of the overriding migratory questions and the circumstances of these discoveries, two research questions arise:

1) To what extent do the surface finds from Yemen'92-DO and Oman'02-DO correspond to the in situ Oldowan artefacts in the base level of Al Guza Cave?

2) Is there a potential relationship between artefacts from these three southern Arabia sites and the Oldowan artefacts recovered from Olduvai Gorge in East Africa?

To provide firm answers to these intriguing questions is important but difficult. First, except for the stratified Al Guza Cave site, the Lower Paleolithic assemblages of the Arabian Peninsula are only known from surface collections, which provide a very limited framework for classification and dating. Skeletal evidences, such as have been found in Africa and Asia, have not yet emerged in the Arabian Peninsula, and the Paleolithic tool finds have no diagnostic fossil associations to provide clues. Finally, radiometric dating opportunities, such as are associated with East Africa, have thus far been lacking in the archaeology research of the Arabian Peninsula.

Methodology

The statistical techniques employed in this investigation utilized artefact frequency counts and tool dimensions to evaluate potential relationships between the sites under discussion. The tool frequency is often the product of specific functional activities carried out in a particular environment. Artefact dimensional patterns may be dependent on the available raw material as well as the prevailing tradition of the culture in which they occur (Kimura 1999).

Two separate statistical approaches were required to address the study questions because of the differences between the databases available for the Arabian Peninsula sites and Olduvai Gorge. Analysis of Variance (ANOVA), using artefact dimensions, was selected to test the relationships between the two Arabian surface sites and the in situ Oldowan at Al Guza Cave. These Arabian sites

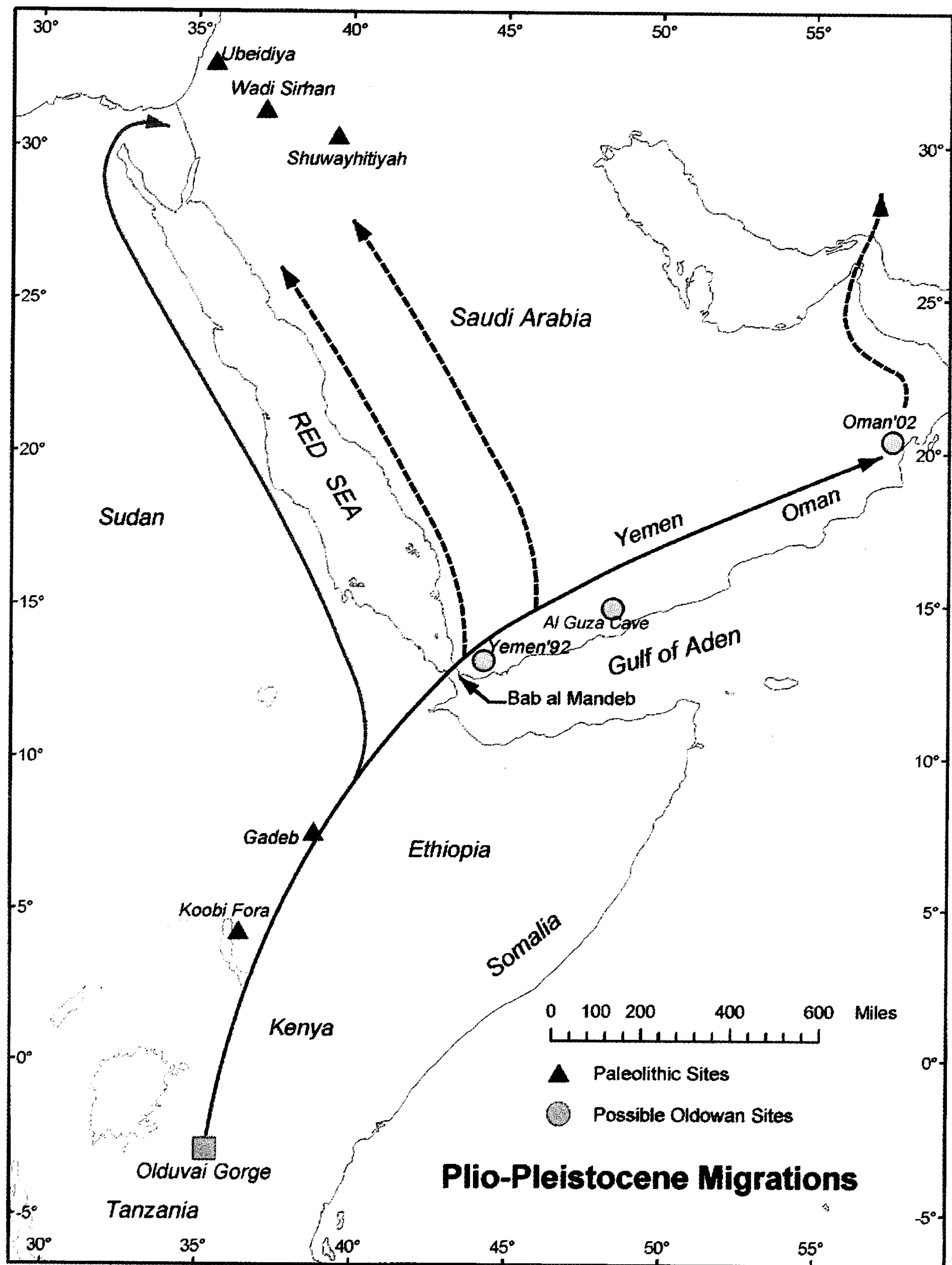


Fig. 1: Map of proposed migration routes and the Paleolithic sites mentioned in the text.

elsewhere, most industries are labeled as Acheulean. In lieu of the questions surrounding early migrations from Africa and the geographical distribution of artefact types, the archetypal nature of the Oldowan industry has value as a benchmark for evaluating Oldowan-like finds in the Arabian Peninsula.

The discovery of human remains at remote sites in eastern and southeastern Asia from the range of 1.8 mya would seemingly mandate a departure from Africa many thousands of years earlier in view of the great distances to be traveled and the wide range of environments to be exploited along the way. Although the original locus of the early migrants currently appears to have been in East Africa, questions regarding the migratory mechanisms and routes remain open.

Only two routes out of Africa appear feasible and both of them traverse Arabia. The first could proceed from Ethiopia down the Nile and across the Sinai Peninsula into the Levant and western Asia. The other would follow the arching trajectory of early man sites in East Africa from Olduvai Gorge to Djibouti, then across the mouth of the Red Sea at Bab al Mandab directly into Yemen (Fig. 1). At this juncture, three further routes were open, the first being along the flat coastal plain of the Tihama located between the mountains and the Red Sea. The second, paralleling the first, ranges between the east side of the mountains and the vast stretches of the Arabian desert. The third, continues eastward across Yemen and Oman in the southern Arabian Peninsula, across the Strait of Hormuz, into Iran, and to points east.

The apparent presence of Oldowan artefacts in a series of sites arching from Africa to Oman suggests the existence of an eastward human migration route in Plio-Pleistocene times. However, from the relative abundance of Acheulean artefacts in the Arabian Peninsula, one must also assume that some long term settlement and later population movements occurred as well.

With the onset of a cooler climate during the Upper Pliocene, heralding the beginning of the Ice Ages of the Pleistocene, sea levels declined as much as 100 meters, possibly exposing intermittent land bridges at the Bab al Mandab. In the same timeframe, the distance between the continents was likely less than today, which would also facilitate the passage of early human bands toward eastern and southeastern Asia (Walwer 1995). The same may apply to the Gulf of Hormuz separating Oman and Iran.

The decline in sea level had the potential to convert both the Red Sea and the Arabian Gulf into landlocked seas. Present day Perim Island, located between Djibouti and Yemen may be the sole remnant of a land bridge that once connected Africa and Asia. In this paper, we shall consider the southern route out of Africa, across Yemen and Oman as an option for the infiltration of early human migrants into Asia.

Survey and Excavation

Along the southern route, three sites have been identified as possible early way stations in the journey to the east. Two are in Yemen and one is in Oman and all were tentatively identified at the time of their discovery as pre-Acheulean or Developed Oldowan. The first area was found in 1983-1988 near Wadi Dauan in the Hadhramaut of southern Yemen (Amirkhanov 1987, 1991, 1994). It consisted of three stratified cave sites and two stratified open-air sites, with all five sites having layers of different ages. Two of the cave sites had very few artefacts but the third, Al Guza Cave, harbored many more. In its deepest level, in situ deposits of 187 Oldowan artefacts appeared, mainly choppers with some

The Oldowan in Arabia

Norman M. Whalen and Glen A. Fritz

Abstract. *Various routes have been proposed for the initial migrations out of Africa into western Asia. A potential route traversing Yemen and Oman contains three Paleolithic sites with artefacts presumed to be Oldowan. One site was a stratigraphic cave site while the other two were surface sites. The artefacts of the surface sites were statistically compared with those of the cave. These three Arabian sites were then compared with the Oldowan artefacts of Olduvai Gorge, Africa. Analysis of Variance on the tool dimensions and Multidimensional Scaling of artefact frequencies suggest that the Arabian artefacts have Oldowan affiliation.*

Introduction

The last decade of the twentieth century and the opening years of the twenty-first witnessed in both Africa and Asia a spectacular series of hominid discoveries and a rising interest in early human migration into Asia (Etler 1996; Gabunia et al. 2000; Larick and Ciochon 1996; Petraglia 2003; Swisher et al. 1994; Wood and Turner 1995). No less than four new hominid species were reported during the past few years, all found in Africa. The emerging interest in human migration may be attributed to two events: 1) the discovery of several human cranial and assorted skeletal remains in association with stone artefacts dated 1.77 million years ago (mya) at the site of Dmanisi in Georgia (Gabuma and Vekua 1995; Gabunia et al. 2000; Vekua et al. 2002); and 2) the surprisingly early dates of 1.8 mya at Longgupo Cave in China (Wanpo et el. 1995); together with the re-dated cranial remains found at Mojokerto (1.81 mya) and at Sangiran (1.66 mya) in Java (Swisher 1994).

Despite the Asian discoveries, the wealth of relevant Pliocene data still resides in Africa. Of the hominid findings that appear in Pliocene deposits, the earliest evidences date from about 3.6 mya at Laetoli, Tanzania and from about 3 mya at Hadar, Ethiopia and Sterkfontein, South Africa (LaPorte and Zihlman 1983). The oldest known stone artefacts, those found in 1992-1994 at Gona in northern Ethiopia, have been securely dated at 2.6-2.5 mya using magnetostratigraphy and radioisotope methods (Semaw et al. 1997; Semaw 2000). In addition, Omo, Ethiopia and Turkana, Kenya have yielded stone tools dated at about 2.3 mya (Semaw et al. 1997). Finds such as these affirm the priority of Africa as a likely birthplace of the hominid lineage.

Semaw (2000) observed that many of the African tool assemblages in the period of 2.6-1.5 mya conveniently group into the prototypical Oldowan Industry associated with Bed I at Olduvai Gorge in Tanzania (Leaky 1971). Olduvai Gorge has been one of the most informative Plio-Pleistocene sites owing to the richness of the finds and a stratigraphic column that is supported with radiometric dates. Olduvai has also yielded slightly later, and perhaps transitional, industries known as Developed Oldowan A and Developed Oldowan B. In the succeeding period of 1.5-0.2 mya at Olduvai Gorge and

Issue No. 9 Jan. 2004
ISSN: 1319-8947 (pp. 7 -18)

الافتتاحية

كانت المرة الثالثة التي أزور فيها اليابان، التي تُشرق عليها الشمس قبلنا بست ساعات؛ فتسعى في الأرض قبلنا وتنام قبلنا، ويعمل شعبها أضعاف ما نعمل، وينتج مالا ننتج مثله. المرة الأولى كانت في منتصف السبعينات من القرن الماضي، عندما كنا نقوم بالاعلام عن اعتزام قسم التاريخ في كلية الآداب بجامعة الملك سعود، إقامة ندوة عالمية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، وأنَّ أول موضوع سيكون عن مصادر تاريخ الجزيرة العربية. وقد اتصلنا -وقتذاك- بالجامعات اليابانية في طوكيو، وتحدثنا معهم حول الندوة؛ ولكن يبدو أننا لم نوفق في الوصول إلى ذوي الاختصاص في هذا المجال لكي يشاركوا. أما الزيارة الثانية فكانت عام ١٩٨٩م، بدعوة كريمة من الحكومة اليابانية. وكنت - آنذاك- عميداً لكلية الآداب. فكانت زيارة منظمة ببرنامج وضع سلفاً لزيارة الجامعات والمعاهد المهتمة بالحضارة والتراث والآثار.

وخلال تلك الزيارة تكشفت لي أشياء لم أكن على عهد بها. كنت أسمع أن اليابانيين مهتمين بالآثار، ولكنني كنت أظن أنه اهتمام عادي، وأنهم لم يصلوا بعد إلى ما وصل إليه الغرب. فقد نقب الغربيون في كل ركن من أركان العالم العربي، في العراق والشام ومصر والمغرب العربي وبعض دول الخليج واليمن، أما الجزيرة العربية فقد جاسوا خلالها دون تنقيب جائر فيها؛ فلم يمّسوا إلا موقعين في شرقي المملكة، أحدهم فحصته بعثة دانماركية كانت تنقب في البحرين، والآخر نقبته شركة أرامكو، وهو مقبرة جاوان. وقد نقّب فيه الأستاذ فيدال، الذي نشر تقريره بالعربية في مجلة المنهل. وكان في برنامجي زيارة موقع أثري في داخل مدينة طوكيو؛ فصعدنا تلا أثرياً والمطر منهمر كالقِرَب، والطريق الذي يسلكه الزوار بين المربعات المحفورة محدد بحبلين أصفرين وكلٌّ يحمل شمسية، أو لنقل "مطرية" ما يحمي نفسه من الماء المنهمر، وعشرات بل مئات الزوار يمرون في صمت، والمنقبون عن يمين وشمال يشرحون للزوار عن الطبقات والمعثورات.

وفي اليوم التالي حضرت اجتماعاً لجمعية الآثار اليابانية؛ فسألت عن هذه الجمعية، فقيل لي إنه الاجتماع السنوي، وهذا الاجتماع هو الخامس والخمسون. فسألت عن عدد الأعضاء، فقالوا ليس بالكثير إنه قرابة خمسة آلاف عضو، أما الحاضرون فلا يتجاوز عددهم عُشر الأعضاء. فذهلت وحضرت إحدى المحاضرات، وكانت عن موقع أثري. وما أروع ما رأيت! إنهم يستعملون كل وسائل التقنية الحديثة في عملهم؛ فإذا ما قابلتهم معضلة توقفوا، وذهبوا إلى إحدى الشركات لتصمم لهم جهازاً يساعد على مسيرة التنقيب، علمياً وعملياً. كما قُدِّر لي أن أزور كيوتو، وهي العاصمة القديمة لليابان. وقد حافظوا عليها معمارياً وحضارياً، فلا روائح ولا بقايا ولا صخب؛ بل روعة وهدوء في كل شيء، حتى كأنك تحسبها خالية وهي لا تزال مزهوله بالسكان، وبالقرب منها موقع "نارا"، وما أدراك ما "نارا"! إنها موقع متكامل، وعلى الرغم من مرور مئات السنين عليه إلا أنه يمكنك أن تتصور الحياة كيف كانت وكيف عاش فيها الأقدمون. أما متاحف التراث العالمي، فإنها تنقلك إلى العالم، لا بالصورة ولكن بالواقع الذي تعيشه من خلال التراث الشعبي العالمي المعروض أمامك من أقاصي الأرض إلى أقاصيها، حتى الشال الغباني والطاقية المكية المعروفة تجدها، فتشعر وكأنك في حواري مكة قبل خمسين عاماً. تلك هي الثقافة والحضارة، التي تنقل إليك بدل أن تنتقل إليها.

فتعرف عن الآخرين الشيء الكثير، فتشتاق إلى الرحلة لترى أولئك الأقوام وما هم عليه، وماذا تغير فيهم نتيجة لطغيان الحضارة الغربية، التي أخذت دورها في تغيير حياة الشعوب.

*****

ولكن لِمَ كانت هذه الزيارة الثالثة؟ قبل ثلاث سنوات رنّ الهاتف في مكتبي، وإذا على الطرف الآخر البروفيسور كاواتوكو يتحدث؛ إنه يريد مقابلتي، فرحبت به ومعه تلميذة من تلاميذه الكثر. إنه عالم الآثار الياباني الشهير، نقّب في الفسطاط، عاصمة الإسلام الأولى في مصر، بل في قارة أفريقيا، ونقب في سيناء، وفي الطور، إذ كشف عن ميناء إسلامي، ونشر عدداً كبيراً من الأبحاث عن أعماله. وكان الهدف من تنقيبه في الميناء السينائي في منطقة الطور، هو معرفة العلاقة بين الصين وموانئ البحار العربية: البحر الأحمر والبحر العربي والخليج العربي. وبعد أن تجاذبنا أطراف الحديث، وذهبنا فيه مذاهب شتى، قال لي: الآن وقد عرفت كل شيء، بماذا تنصح؟ لقد وافقت وكالة وزارة التربية والتعليم للآثار والمتاحف السعودية على مبدأ القيام بالتنقيب، وأود أن أقوم بمسح أثري أولاً، خاصة أن تلميذتي "ريزا توقوناقا" ترغب في مسح بعض النقوش العربية القديمة ودراستها، وأرغب أن أبدأ بالمسح ابتداء من نجران فالشمال. قلت له: جميل أن تبدأ زيارتك للمواقع الأثرية من نجران، ولكنني أعرف أنك ميال لمتابعة حركة التجارة بين الصين وموانئ البحر الأحمر. قال: نعم، قلت له: عليك بميناء "الجار"، فهو ميناء قديم وإسلامي تحدّث عنه كثير من العلماء، وآخر من زاره رائد الآثار الأول: عبدالقدوس الأنصاري. لقد ألف عنه كتاباً ورسم له خارطه. قال لي: لقد اطلعت على كل ذلك، وكأنّك تقرأ ما يجول في خاطري. نعم، إنني أتمنى أن أنقب في موقع له عمق تاريخي. قلت له: أما عن العمق التاريخي فلا تبحث، فكل مواقعنا ذات عمق تاريخي وحضاري؛ فالإسلام هو استمرار حضاري لِما كان في الجزيرة العربية وتحوّلٌ عَقَدِيٌّ لما كانت عليه. واستقر الرأي على ذلك. وقام برحلته المسحية وعاد، فاتفقنا أن "الجار" هو المكان المفضل. أما تلميذته "ريزا توقوناقا"، فقد هُيّء لها أن تجمع قرابة ألفي نقش من موقع بئر حمى وما حوله، وهذا موقع بالقرب من نجران. وشعرت "ريزا" أنها عادت بكنز ثمين. وتكررت زيارتهما لي. وفي إحدى هذه الزيارات استأذنني في أن أشارك في دراسة تلميذته لهذه النقوش، وأن أكون ممتحناً خارجياً لها عندما تنتهي من دراستها لهذه النقوش، في جامعة كويو بطوكيو. فقلت له: حُبَّاً وكرام.ة وأصبح الدكتور كواتوكو يبعث لي أجزاء من عمل الطالبة أولاً بأول، وأُبدى ملاحظاتي عليها. ومرت الأشهر تلو الأشهر، وإذا بالطالبة تُنهي دراستها وتصلني رسالتها في مجلدين. وبعدهما وصلتني دعوة كريمة من الجامعة لمناقشة الطالبة، ولإلقاء محاضرتين؛ إحداهما على طلاب الدراسات العليا، والأخرى على أعضاء هيئة التدريس.

ولعل القارئ لا يهمه هذا الجانب، ولكن الذي يهمه أنني اكتشفت أن طوكيو تختزن تراثاً حضارياً تحت سطحها؛ ولذا لا يمكن إقامة مبنى على أرض يُشك في إمكان كونها موقعاً أثرياً إلا ويوقف العمل ويعطى الأثاريون وقتاً كافياً لفحص الأرض وإجراء التنقيبات، وما أروع تلك التنقيبات! إن الطريقة التي يتبعها اليابانيون في أعمالهم تدل على مدى الحذق والدأب والصبر والتفاني في العمل، ما يجعل النتائج لا يرقى إليها الشك، ولا أظنهم يستعملون: "ربما،

ومن المحتمل، ومن الجائز".

ولقد أتاحت لي هذه الزيارة فرصة التعرف عن قرب على "الأكدمة اليابانية"، لعلك تعجب إذا وجدت أن أحدهم درس رحلة ابن بطوطه وترجمها إلى اليابانيين في مجلدات، وأنه حقّق المواقع التي جاءت في الرحلة، ورسم خرائط لهذه الرحلة وما هو مكتوب فيها عن مشاهدة أو عن سماع، ومقدار صدق هذا الذي سمعه ابن بطوطه. ونحن هنا لم نتعامل مع رحلة ابن بطوطه إلا من حيث هي متعة وتسليه وإزجاء للوقت. وقد فرحنا كثيراً عندما أعاد الأستاذ الجليل الدكتور عبد الهادي التازي تحقيق الرحلة وطبعها في خمسة مجلدات. أما دراسة الرحلة، بل ورحلات أخرى دراسة أنثروبولوجية، فذلك بعيد عن مدركاتنا مع أن المادة جاهزة، ولا تحتاج إلا إلى نظرة علمية فاحصة، ومنهج علمي واضح.

*****

أطلعني أحدهم على ألبوم كامل عن الآثار في المملكة، والمواقع التي زارها. وهو يتحرق شوقاً للتنقيب في مواقع العصر الحجري الحديث في شمالي المملكة. أما موقع قُرَيَّة غربي تبوك، فإنه يقول عنه: إنه الموقع المهم جداً في شمال غربي المملكة، لأنه يعبّر عن أصالة التاريخ العربي، نعم العربي. إن الموقع يُعَدُّ بحق نموذجاً متفرداً في فخاره ومعثوراته، ليس له شبيه فيما حولها من الحضارات؛ وآخر و أخر كل يتحدث عن جانب من جوانب الحضارة العربية السعودية.

لعل من أجمل الأشياء التي أسعدتني، حضور الأمير ميكاسا -عم الإمبراطور الياباني الحالي- محاضرتي على الطلاب. وقد طلب منه البروفيسور كاواتوكو أن يحضر محاضرة أعضاء هيئة التدريس، بدلا من الحضور مع الطلاب؛ فقال الأمير بكل تواضع: إن معلوماتي عن أثار المملكة لا تتعدى مستوى الطلاب. واستمتع هو بالمحاضرة، كما استمتعت أنا بحضوره وتواضعه وإنسانيته وبساطته.

أما تلميذتنا "ريزا توقوناقا" فقد أبلت بلاءً حسناً في دراستها، إذ درست ما لا يقل عن ٨٠٠ نقش مما جمعته من النقوش، وحللتها وشرحتها ووقفت عند مفرداتها. وحاولت أن تضع لها تسلسلاً تاريخياً، مع وضع صورة ورسم لكل نقش درسته. تلك هي العزيمة، التي تعكس صفة من صفات الفرد الياباني وهو الإصرار على الكشف المعرفي. فماذا يهم الياباني أن يعرف كل ذلك عن الفكر العربي والثقافة العربية؟ لذا، فشلنا نحن العرب في التّعرف على حضارة الأمم الأخرى وتاريخها، من خلال بعثاتنا للدراسات العليا؛ فلا يوجد في جامعاتنا من دَرَسَ العصور الوسطى في أوروبا لذاتها، ولكنه لكي يجد طريقه إلى العودة بالدكتوراه يربط عمله بما له علاقة بالمشرق العربي أو الإسلامي. وهكذا في كل التخصصات، نطلب الفكاك بأيسر الطرق ونعود.

رئيس هيئة التحرير

الصحة العامة للدلمونيين في مدافن تلال البحرين

عبدالعزيز علي صويلح

ملخّص: تهدف هذه الدراسة إلى اختبار واحد وستين هيكلاً عظمياً بشرياً، تعود للألف الثالث ق. م.، كشفت عنها التنقيبات في مدافن تلال البحرين، لتسليط الضوء – من خلال مناهج انثروبولوجية– على الصحة العامة لسكان البحرين قديماً. وعلى الرغم من أن جزءاً من المادة المكتشفة لم تكن في حالة تسمح باختبارها بشكل تفصيلي، إلا أن ما تبقّى منها يكفي لتقدير السن، وتحديد الجنس، ومعرفة الأمراض القديمة آنذاك، وتقديم صورة عن نوع الغذاء وطرق الدَّفن.

Abstract. *This study examines, through anthropological methods, 61 human skeletons excavated from a 3rd mill mounds field, with the aim of casting light on the general health of the Dulmunites (the early inhabitans of Bahrain). Though some of the skeletal remains were in a bad state of preservation to allow detailed examination, enough was available to determine age, sex, and diseases, and to provide a reliable picture of diet and funerary practices.*

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على الصحة العامة للدلمونيين (سكان مملكة البحرين القدماء)، من خلال دراسة أنثروبولوجية تحليلية لعيّنة من الهياكل العظمية البشرية لواحد وستين هيكلاً عظمياً، كُشف عنها في تلال مدافن مدينة حمد. وتعود هذه الهياكل للدلمونيين الذين عاشوا على جزر مملكة البحرين خلال الألف الثالث قبل الميلاد. وعلى الرغم من كون ما يزيد على سبعين في المائة من تلك البقايا العظمية تتكون من كسر صغيرة يصعب ترميمها، خاصة تلك التي تعود إلى أفراد دون سن البلوغ، فقد جُمعت معلومات تشريحية كافية لتسليط الضوء على طبيعتهم العضوية وحالتهم الصحية.

وقد أُخذت القياسات الأنثروبومترية اللازمة على الجمجمة والأطراف، لتحديد الجنس وتقدير السن والتعرف على السلالة التي ينتمون إليها، إضافة إلى تقدير معدل الارتفاع لدى الذكور والإناث، وتشخيص بعض الإصابات، والتعرّف على بعض الأمراض التي كانت منتشرة بين هؤلاء السكان آنذاك، وإبداء ملاحظات على الأسنان واستخلاص بعض المعلومات عن العادات الغذائية من خلالها.

وقد أمكن التوصل إلى النتائج الآتية:

١- تقدير السن:

جرى الاعتماد بشكل كبير على مناهج تحديد السن، التي وضعها عدد من العاملين في مجال الأنثروبولوجيا الطبيعية (Bass, W: 1994; White, T: 1991; Ubelaker, D: 1978)، لاستقاء المزيد من المعلومات حول كيفية تقدير السن. وعلى ضوء تلك المناهج، تم تصنيف السّن لهذه البقايا على النحو المشار إليه في الجدول أدناه. وقد اعتُمد في تحديد الأعمار وتصنيفها بشكل خاص على ظهور الأسنان، والاتحاد الكردوسي لأطراف العظام الطويلة، والتئام تداريز عظام الجمجمة. وقد لوحظ غياب هياكل تعود إلى مرحلة الطفولة المتأخرة (+٦ - ١٢ سنة) ضمن العينة المدروسة.

جدول تحديد السن والجنس:

ويلاحظ من خلال بيانات الجدول ١، الارتفاع الكبير في نسبة الوفيات بين الشباب البالغين، بين سن ٢٠ – ٣٠ سنة، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن الفتيات من الشباب يتزوجن في هذه السن (نحو ٢٠ – ٢٢ سنة) ويضعن

العدد العاشر جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ - يوليو (تموز) ٢٠٠٤م
(ص ص ٧ – ١٨) ردمد ١٣١٩-٨٩٤٧

مولودهن الأول. ويحدث عادة الكثير من التعقيدات عند وضع الجنين الأول سواء في مرحلة ما قبل الولادة أو من خلال الولادة وبعدها. ومثل هذه الحالات، التي عالجها الطب الحديث بالعمليات القيصرية والإجهاض ونقل الدم وخلافه، لم يكن من سبيل لعلاجها في الماضي فكانت تؤدي إلى وفاة نسبة ليست بالقليلة من الفتيات في سنوات الزواج الأولى، وتلك ظاهرة عرفتها مجتمعات ما قبل التاريخ. ولذلك نلاحظ أن أعلى نسبة للوفاة موجودة بين الشباب البالغ، إذ بلغت نسبتها٥٩٪. أما الأطفال حديثو الولادة، فإن مقاومتهم للأمراض تكون - عادة - ضعيفة في تلك السن المبكرة، وغالباً ما تؤدي الإصابات بمختلف الأمراض إلى الوفاة، وتلك أيضاً سمة لازمت المجتمعات القديمة، إذ ترتفع نسبة وفيات الأطفال دون سن الثانية. وقد بلغت نسبة الوفاة بين حديثي الولادة من الأطفال ٢١٪، تليها نسبة الوفاة بين كبار السن البالغين، التي بلغت ٦٪، وتتعادل نسبة الوفاة بين الطفولة المبكرة ومرحلة المراهقة، فقدبلغت النسبة في كل منهما ٥٪، وأقل نسبة وجدت بين كبار السن من المتقدمين في العمر، إذ بلغت نسبة الوفاة ٤٪.

٢. تحديد الجنس:

وفيما يختص بتحديد جنس الهيكل، فإن الأمر يتطلب التعامل مع هياكل لأفراد بالغين اكتملت عندهم جميع مراحل النمو، وبالتالي اكتمال ظهور المعالم العظمية التي تفرّق بين الجنسين. ولقد اعتُمد أساساً على شكل وزوايا وفتحات الحوض لتمييز الذكور عن الإناث، إضافة إلى النتوءات العظمية وخشونة مقابض العضلات، والعضد، والزند، والكعبرة، والشظية، والفخذ، والقصبة، وذلك عند تحديد فئات الجنس، التي تم التعرف عليها والمشار إلى نسبها في الجدول ١ .

٣. أوصاف السكان والسلالة:

للتعرف على أوصاف الدلمونيين، سكان مملكة البحرين القدماء، والسلالة التي ينتمون إليها، اعتُمد على علم الأنثروبومتري المختص بدراسة السلالات البشرية المعاصرة والمنقرضة، والذي يعتمد على دراسة أبعاد الجسم الإنساني عن طريق القياس. ويركّز الباحثون في هذا التخصص على قياس الجمجمة والعظام الطويلة والقصيرة، ويهتمون بقياس أبعاد الجمجمة لأهميتها في وصف وتصنيف السلالات البشرية المعاصرة أو المنقرضة؛ فالمعادلة المعتمدة لأخذ قياس الجمجمة كالآتي:

معامل الرأس =

$$\text{معدل استدارة الرأس} = \frac{\text{أقصى عرض للجمجمة} \times ١٠٠}{\text{أقصى طول للجمجم}}$$

فإذا كان المعدل الناتج أقل من ٧٥، فإن صاحب الرأس يعد من أصحاب الرؤوس الطويلة (Dolichocranic أوLong-headed)؛ ويكون الرأس متوسطاً (Mesocranic) إذا كان معدل الرأس الناتج بين ٧٥ - ٨٠ . ويكون عريض الرأس (Brachycranic) إذا كان ناتج معدل الرأس بين ٨٠ - ٨٥، ويكون الرأس عريضاً جداً (Hyperbrachyeranic) إذا زاد المعدل الناتج عن٨٥ (Brothwell, D : 1972, pp, 87- 88). يمكن مقارنة الجماعات الإنسانية المنقرضة مع الجماعات المعاصرة، ومحاولة تفسير أسباب التغيرات الأوستيولوجية التي طرأت على الإنسان منذ ظهوره وحتى الآن. كما يدرسون أيضاً بدراسات النمو وتطور الأعضاء الجسمية منذ الولادة، للتعرف على مصادر الاختلافات بين الجماعات البشرية المختلفة وربطها بالعوامل البيئية والثقافية.

وعلى ضوء هذا المنهج، أمكن التعرف على أشكال وأوصاف الدلمونيين والسلالة التي ينتمون إليها، فقد أُخذت القياسات اللازمة على المخلفات العظمية، ووضح إثرها أن معدل استدارة الجمجمة بلغ ٦٧،٦ لدى الذكور، و٧٢،٦ لدى النساء. وهذا المعدل يدل على أن الدلمونيين كانوا من ذوي الرؤوس الطويلة. أما معدل ارتفاع الجمجمة فقد بلغ ٦٩،٥ لدى الذكور، و٧٤،٦ لدى الإناث،

المرحلة العمرية	العدد	السن	ذكر	أنثى	غير محدد	النسبة
حديثو الولادة	١٣	صفر - ٢	-	-	١٣	٢١ ٪
الطفولة المبكرة	٣	+ ٢ - ٦	-	-	٣	٥ ٪
الطفولة المتأخرة	-	+٦ - ١٢	-	-	-	-
مرحلة المراهقة	٣	١٢ - ١٨ +٢		١	-	٥ ٪
الشباب البالغ	٣٦	٢٠ - ٣٠	٣	١	٣٢	٥٩ ٪
كبار السن البالغون	٤	+ ٣٠ - ٤٠	٢	٢	-	٦ ٪
المتقدمون في العمر	٢	+ ٤٠ - X	٢	-	-	٤ ٪
المجموع	٦١	-	٩	٤	٤٨	١٠٠ ٪

الجدول ١: تصنيف عينات الهياكل العظمية البشرية ، وعددها ٦١ هيكلاً عظمياً التي كُشف عنها في تلال مدافن مدينة حمد بالبحرين.

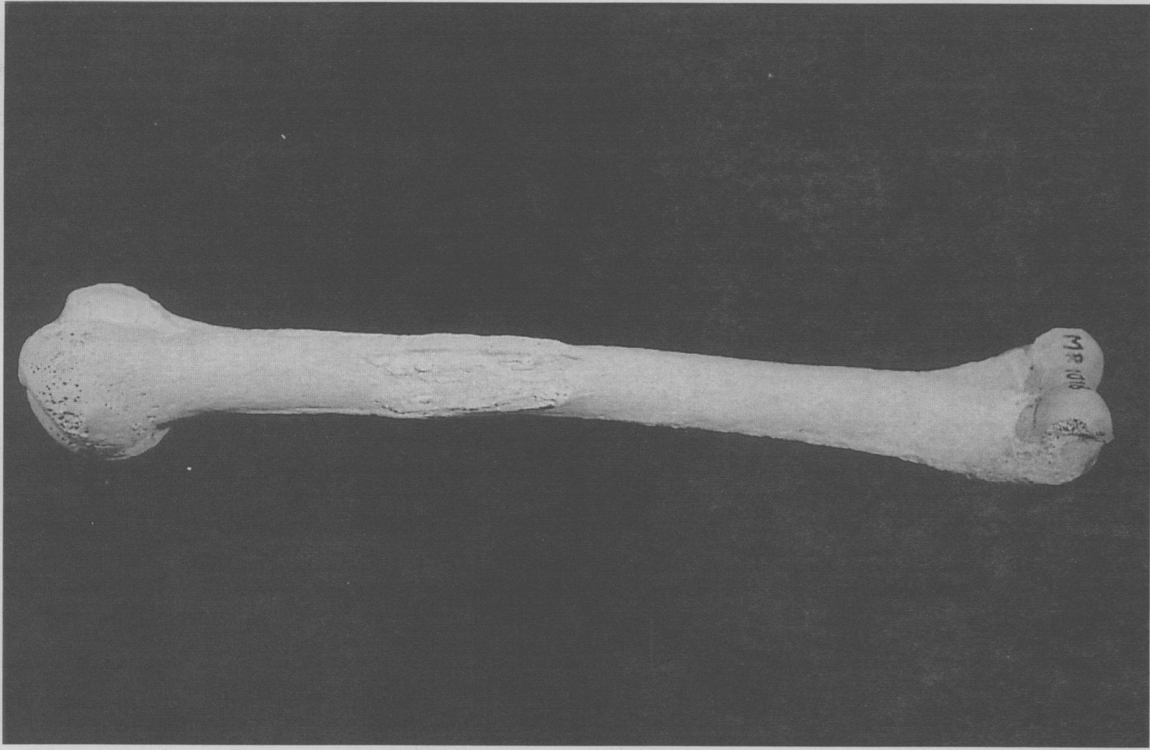
وهذا المعدل يدل على أن رؤوسهم كانت متوسطة الارتفاع، أما من حيث شكل الوجه فقد بلغ معدله ٦٥,٤ لدى الذكور و٦٧,٧ لدى الإناث، وهذا يدل على أنهم كانوا من ذوي الوجوه الطويلة جداً. أما من حيث شكل العيون، فإن معدل اتساع محجر العين لدى الذكور فهو ٧٤,٦ ولدى الإناث ٧٢,٨، وهذا المعدل يدل على أن عيونهم كانت واسعة. وبناءً على تلك المعادلات الخاصة بمقاسات الجمجمة، بشكل عام للذكور والإناث، فقد تم تصنيفهم من حيث انتمائهم السلالي إلى المجموعة القوقازية التي تشمل سكان أوروبا وحوض البحر الأبيض المتوسط ومنطقة البلقان والقوقاز وجنوب غرب آسيا، التي تقع مملكة البحرين ضمنها (Birkby, W.H: 1966, pp 21-28).

فهذه الجماجم تتميز بالخط العمودي الحاد في المنبسط السهمي، ما يجعل الوجه أشبه بالبلطة في مشهده الجانبي. وتميل الجمجمة - كما ذكرنا- إلى الطول بدلا عن الاستدارة. ولوحظ انبعاج جذر المنخر وبروز أطراف عظام المنخر من الجانبين لتتلاشى تحت بروز مفرق الحاجبين. ويميل محيط الجمجمة إلى الاستدارة، وفتحات المنخر إلى الضيق والاستطالة، وسقف الحلق مثلثاً، وعظام خلف الجمجمة ثقيلة مقارنة بالأجناس الأخرى. إضافة إلى، ذلك فإن صفات الأسنان من حيث شكل التاج والجذور تؤكد، أيضاً، على أن سكان مملكة البحرين القدماء من الدلمونيين ينتمون إلى السلالة القوقازية. أما الصفات الزنجية فقد ظهرت بشكل ضعيف، وربما يكون ذلك مؤشراً على وجود اتصال مع شعوب أفريقيا خلال الألف الثالث قبل الميلاد، منشأه وجود عمليات اتصال لتبادل تجاري على أغلب الاحتمالات؛ ولكن وبشكل عام طغت على السكان من الدلمونيين، من خلال دراسة عينة العظام، الصفات القوقازية المعروفة (Scott, G.R. and Turner II, C.G: 1997, pp 165-242).

٤- ارتفاع القامة:

لتقدير ارتفاع القامة تم الاعتماد على المعادلة الأكثر شيوعاً، والتي طوّرها " تروتر (Trotter) و" جليسر" (Glesser)، وقادت إلى نتائج مرضية في السلالتين القوقازية والزنجية (Trotter, M : 1970; Trotter. M, and Glesser. G : 1952, pp 463 - 514). وهي تعتمد على نتائج المعادلات الرياضية لمقاسات العظام الطويلة (عظام الفخذ والساق والعضد والذراع) لدى البالغين فقط، إذ لا يمكن أخذ القامة للأطفال لأن عظامهم لا تكون قد التحمت بعد، ولم يكتمل نموها الطبيعي.

ولقد أُخذت القياسات اللازمة على تسعة هياكل لذكور وأربعة لإناث. وعلى الرغم من صغر العينة، تبين أن أدنى طول للذكور هو ١٦٢,٩سم ، وأطولهم بلغ طوله ١٨١,٣سم، بمعدل بلغ ١٧٣,٩سم، أما الإناث فإن أدنى طول بلغ ١٥٠,٣سم وأطولهن كان ١٧٧,٣سم، بمعدل بلغ



(اللوحة ١)

١٦٥,٩سم، وتبين هذه المعدلات أنه لا يوجد بين الدلمونيين قصيرو القامة ولا شديدو الطول كما أن هذه المعدلات للذكور والإناث تقع ضمن المعدلات المتعارف عليها والمعتمدة علمياً لتحديد السلالة القوقازية.

٥. الأمراض والإصابات:

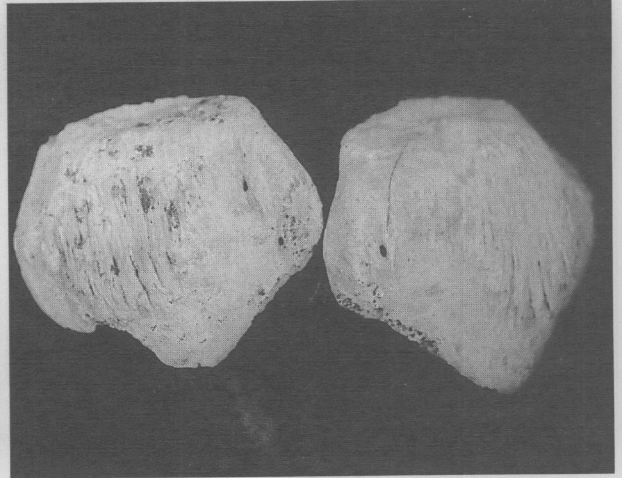
إن اهتمام الإنسان بالصحة والمرض ليس أمراً جديداً، بل يعود إلى عشرات الآلاف من السنين. فالإنسان القديم كان يعتني بالمرضى ويحاول معالجتهم بشتى الطرق، وخير دليل على ذلك ما عثر عليه في كهف "شانيدار" شمالي العراق، حيث عثر على بقايا لشخص كان يعالج من كسر في ذراعه، ربما سببه صخرة سقطت عليه من أعلى الكهف (جواد، عبد الجليل، وآخرون: ١٩٧١، ص ص ٢٥-٣٤؛ (Trinkaus.Erik: 1977, pp.9 - 41). والعظام هي المصدر الوحيد في الهياكل العظمية القديمة للتعرف على أصل الأمراض البشرية وأنواعها المختلفة، إذ تترك بعض الأمراض آثارها على العظام، أو في الأنسجة المحفوظة. ويقع اهتمام الباحثين في الأمراض القديمة ليس فقط على التعرف على المرض ذاته، بل على طبيعة هذا المرض الذي ابتلى به الإنسان القديم وكيفية استجابته له، فقد كانت أنواع العلاج المتوافرة في الماضي بسيطة جداً، ولا ترقى للأنواع المعروفة في الوقت الحاضر، إذ يصبح بالإمكان معاينة المراحل الأولية للمرض قبل تطوره.

وبعد معاينة عظام الهياكل وفحصها، أمكن تشخيص بعض الحالات المرضية، وذلك على النحو الآتي:

أ. الكسور والالتهابات:

وجدت عظام الساعد لأحد البالغين تحمل آثار كسور قديمة كانت قد التأمت قبل الوفاة، وتدل الحالة على أن نسبة من الدلمونيين كانوا كغيرهم يتعرضون للحوادث التي تؤدي إلى الكسور، وكانت تجري معالجتها بالطرق التقليدية القديمة (التجبير)، ولذلك لم تلتئم معظم أنواع الكسور التي تم التعرف عليها بطرق صحيحة (اللوحة١).

وأما الالتهابات الخارجية، أي التي تلاحظ على


(اللوحة ٢)

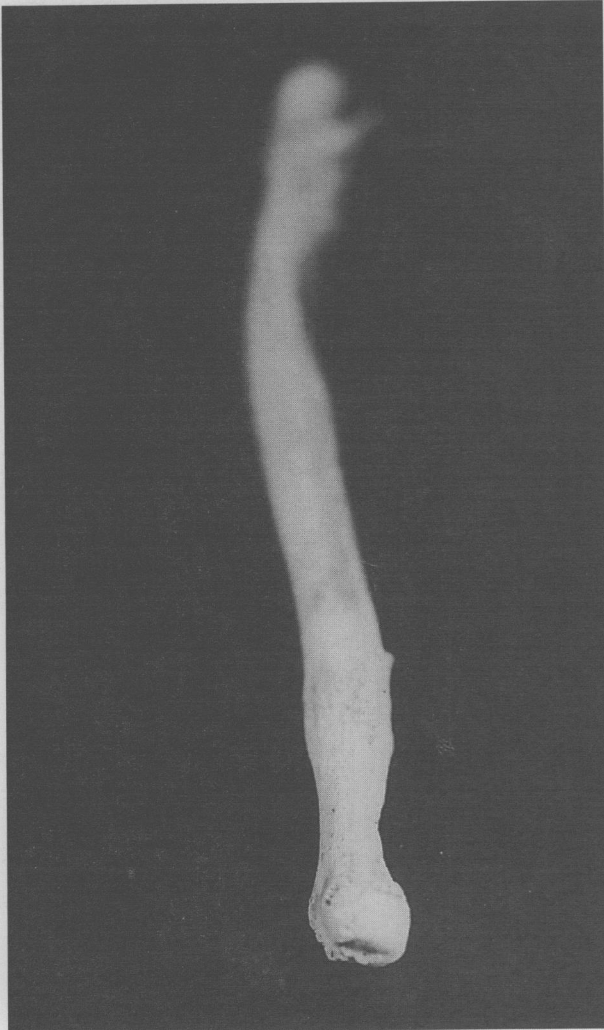

(اللوحة ٣)

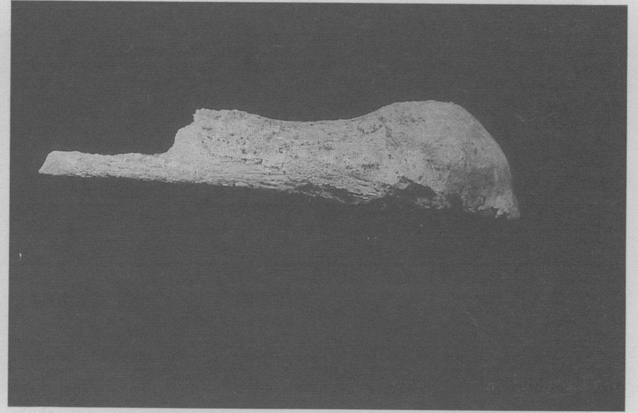
السطح الخارجي للعظام، فكانت هي الأخرى نسبتها متدنية. وقد أمكن التعرف على أربع حالات فقط، منها اثنتين على عظمة الركبة (الصابونة ـ Patella) لشخصين بالغين، أحدهما لذكر بالغ عمره ما بين ٣٠ ـ ٣٥ سنة (اللوحة ٢)، والأخرى لأنثى بالغة عمرها ما بين ٢٠ ـ ٢٥ سنة (اللوحة ٣)، وربما يكون سبب الالتهابات على هاتين العظمتين راجعاً إلى ممارسة بعض الأعمال التي تستلزم الجلوس على الركبة في الأعمال اليومية، لفترة طويلة.

وأما الالتهابات الواضحة على عظم العضد لدى ذكر بالغ (اللوحة ٤)، فهي مثال واضح على مقدار الجهد الكبير الذي كان يبذله الصيادون والعاملون في نقل الرّكاب بين الجزر، أثناء تحريك مجاديف قوارب الصيد والنقل. وأما بالنسبة لعظمة الساعد، التي تعود، أيضاً، إلى ذكر بالغ عمره ما بين ٢٥ – ٣٥ سنة، فيمكن معاينة أصابتها بالتهاب حاد بسبب تعرض صاحبها لحادث، وربما كان هذا الالتهاب سبباً في وفاته (اللوحة ٥).

ب. أمراض المفاصل:

وأما أمراض المفاصل (Osteoarthritis) فلم يعثر إلا على القليل منها (اللوحة ٦)؛ فالفقرات الثلاث في هذه اللوحة تعود إلى ذكر بالغ يزيد عمره على ٣٥ سنة، أما


(اللوحة ٤)



(اللوحة ٥)



(اللوحة ٦)

الفقرات في (اللوحة ٧)، فتعود، أيضاً، إلى ذكر بالغ عمره ٣٠ سنة عند الوفاة، والنتوءات الموجودة على منطقة حواف الفقرات هي من النوع الخفيف إلى المتوسط، ما يدل على أن الدلمونيين لم يمارسوا الأعمال الشاقة التي تتطلب جهداً كبيراً، ويقوم بها الشباب اليافع في أغلب الأحيان، وتؤدي إلى تشكيل ضغط غير عادي على المفاصل. وأمراض المفاصل، بشكل عام، تكون عادة نتيجة حتمية للتقدم في السن، والتي كان متوسطها للذكور حوالي ٣٤ سنة، مع ملاحظة أن درجة الرطوبة مرتفعة في مملكة البحرين، والرطوبة من الأمور التي تساعد على ارتفاع نسبة ذلك النوع من الأمراض.

ج. الثلاسيميا:

الثلاسيميا مرض وراثي يصيب الدم وينتشر في كثير



(اللوحة ٧)

من أنحاء العالم، خصوصاً في الشرق الأوسط وأسيا، ولهذا المرض اسمان أخريان هما: "أنيميا البحر المتوسط" و "أنيميا كولي"(كولي هو أول من أكتشف هذا المرض)، وهو مرض وراثي خطير تبدأ أعراضه في مرحلة الطفولة المبكرة، كما أنه نوع من أنواع مرض فقر الدم، التي تنتج عندما يكون الجسم غير قادر على تكوين كفايته من صبغة الهيموغلوبين، التي تحمل الأكسجين إلى أجزاء الجسم المختلفة، بمقدار كاف؛ لذا يحتاج المصابون به إلى عمليات نقل الدم بشكل دوري كل شهر تقريباً، لتعويض هذا النقص وغالباً ما يتوفى المريض في سن مبكرة (العريض، شيخة: د. ت، ص ١).

أما من حيث تأثير هذا المرض على عظام المصابين به، فأولها هو تضخم نخاع العظم في محاولته تكوين المزيد من كريات الدم الحمراء، ومن ثم تضعف هذه العظام وتصيبها التشوهات، فتتفلطح العظام وتتضخم بحيث تصبح إسفنجية المظهر (اللوحة ٨)، وتبرز الأسنان العلوية، وتتأثر عظام الوجه الأخرى، فيتفلطح الأنف ويصبح شكل العين مثل العيون المنغولية (العريض، شيخة، د. ت: ٢ - ٣).

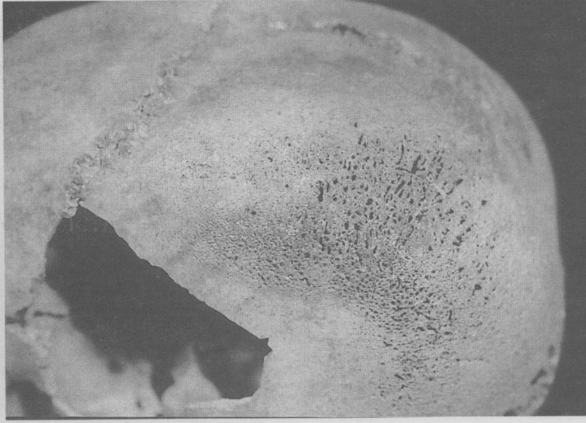
وقد أوضحت إحدى الدراسات حول هذا المرض أن ٩٠٪ من المرضى البحرينيين في الوقت الحاضر، يحملون العامل الآسيوي للمرض، الذي يعتقد أن مصدره طفرة جينية (تغير في المادة الوراثية) حصلت منذ القدم في

المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية، ومنها انتشرت شرقاً لتصل إلى الهند، وبعض دول آسيا أثناء الفتوحات الإسلامية، وكذلك عن طريق التجارة مع الهند (العريض، شيخة ١٩٩٨: ٢٨- ٣٢).

وفي هذا الصدد أثبتت الدراسات الأنثروبولوجية أن أعلى نسبة لمرض الثلاسيميا (من نوع بيتاثلاسيميا) موجودة في الهند حيث تصل إلى ١٥٪ (Ortner, D and Putschar, W: 1985, p251).

وحسب الشواهد والأدلة الأثرية فمن المؤكد أن مملكة البحرين خلال فترة الحضارة الدلمونية استقبلت وافدين من وادي السند، استقروا فيها لفترة من الزمن كمندوبين لتنظيم التعاون في مجال النشاط التجاري المشترك بين مراكز حضارة وادي السند والحضارة الدلمونية (الطلبي، جمعة حريز: ١٩٩٩، ص ص ٣٠ – ٣٥). وعلى أساس هذه الخلفية التاريخية، فإن "الجين" المسبب لمرض الثلاسيميا ربما انتقل إلى الدلمونيين، سكان مملكة البحرين القدماء، من مراكز حضارة وادي السند، أو ربما يكون منشأ "جين الثلاسيميا" هو الحضارة الدلمونية ذاتها.

وعلى كل حال، سواء كان هذا "الجين" نشأ في مركز حضارة دلمون بجزر مملكة البحرين، أو امتدادها الجغرافي على الساحل الشرقي للجزيرة العربية، ومنها انتقل إلى مراكز حضارة وادي السند أو عكس ذلك، فإننا نرى أن هناك صلة وانتماء عرقي وثيق بين سكان جزر مملكة البحرين من الدلمونيين، وسكان الساحل الشرقي للجزيرة العربية من الدلمونيين، بوصف أن الجزر والساحل تشكلان - ما تعارف عليه بين الباحثين في الآثار- الامتداد الجغرافي لانتشار الحضارة الدلمونية. ولذلك فلا يستبعد أن تكون الطفرة الوراثية للجين قد حدثت في مناطق الساحل الشرقي للجزيرة العربية أولاً، ثم انتشرت إلى جزر مملكة البحرين لتصل إلى أبعد مدى لها في مراكز حضارة وادي السند، حيث لعب الاتصال التجاري والتنقل البشري بين الجانبين، الذي استلزم الإقامة المؤقتة أو الدائمة، والتي ربما كان يتخللها اتصال جنسي مشروع



(اللوحة ٨)

بطريق الزواج أو غير مشروع أسهم بدور كبير في تسويق المرض ونشرهُ في المناطق أخرى وصل إليها النشاط التجاري الدلموني.

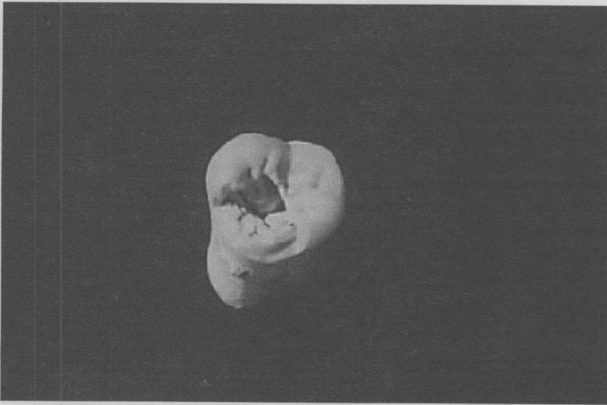
د . أمراض الأسنان:

يوفّر جهاز الأسنان لدى الجماعات الإنسانية قديمة، أو معاصرة، معلومات في غاية الأهمية لمعرفة أصول السلالات البشرية، وعمليات التكيّف البيولوجي والثقافي والسلوك الإنساني والتغيرات البيولوجية الوراثية. وتقع قيمة الأسنان في أنها بحكم مكوناتها العظمية، قد تقاوم التدهور لآلاف بل ملايين السنين وتحتفظ بخصائصها وسماتها الوراثية. كما أن تأثرها بالسلوك والنشاطات الإنسانية، مثل عادات الأكل وأنواع الطعام يمكن ملاحظتها وتسجيل المعلومات اللازمة عنها، سواء كانت في الأحياء أم في الهياكل العظمية القديمة. وهي من ثم توفر معلومات بالغة الأهمية عن الحياة القديمة، وعلاقة الإنسان بالبيئة، وأنواع الطعام المتوافرة؛ فمثلا يعتمد تآكل الأسنان على بنيتها ووظيفتها (القواطع، الأنياب، الأضراس الأمامية، الأضراس الخلفية)، وكيفية مضغ الطعام وعادات الأكل. كما أنها تتأثر بنوعية الطعام، سواءً كان صعباً أم سهل المضغ.

وأوضح أمراض الأسنان وأخطرها هو التسوس، وهو ظاهرة عالمية أكثر انتشاراً في الدول الصناعية، منها في



(اللوحة ٩)



(اللوحة ١٠)

المجتمعات البدوية والريفية، والمجتمعات التي كانت أو لا تزال تعتمد في معيشتها على الصيد والجمع، إذ يتوافر فيها الطعام الغني بالبروتينات الفقير في النشويات (El-najjar, M : 1975, pp 918 - 925). ويحدث مرض تسوس الأسنان حين تفقد القشرة البيضاء، وهي المادة التي تكوّن تاج السن (Enamel) أو عاج السن (Dentin) (الكالسيوم)، وتبدأ البقايا العضوية في التحلل بسبب الأحماض التي تكونها البكتريا من الأطعمة المخمرة، وخصوصاً النشويات. وقد أثبتت الكثير من البحوث الميدانية أن نسبة تسوّس الأسنان تزداد خطورة إذا استهلكت النشويات، أو السكر بين أوقات الطعام العادية. وتعتمد في خطورتها على بقاء هذه المواد على الأسنان لفترة طويلة، وعدم تنظيفها جيداً بعد تناول تلك المواد مباشرةً، حيث تتخزن في مناطق مختلفة من الأسنان وتتخمر وتكون السبب المباشر في تسوس الأسنان. كما أن نسبة التسوس تقل عند التوقف عن تناول الأطعمة الغنية بهذه المواد (Shaw, J, H: 1962, pp264 - 270).

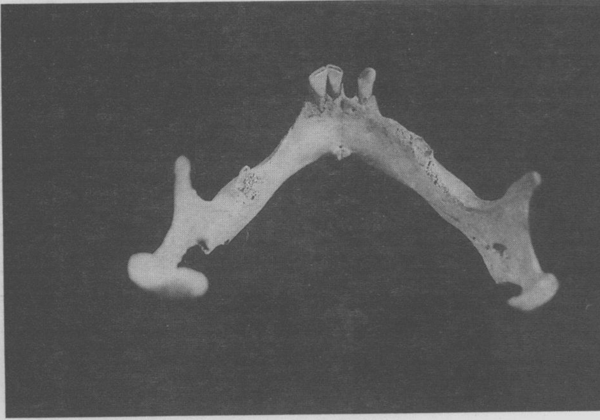
وقد وصلت نسبة تسوّس الأسنان إلى ٤٠٪، من مجموع الأسنان في الهياكل المدروسة (اللوحتان ٩، ١٠)، وربما نتج هذا التسوس بسبب كثرة أكل التمور، أو منتجاتها(عسل التمر) ضمن إحدى الوجبات اليومية أو كجزء من تحضيرها. وقد أثبتت الدراسات الآثرية أن التمور ومشتقاتها كانت المصدر الرئيس للغذاء خلال فترة حضارة دلمون (Kramer, S: 1963, pp 111-115). ومما يدعم مسألة وجود أشجار النخيل بكثرة في دلمون، أن التمر شكّل سلعة مهمة في التبادل التجاري مع بلاد الرافدين، حيث وردت سجلات شحن التمر واستبداله بالشعير والتفاح والزيت والطحين والملابس والفضة. وترد أيضاً سجلات شحن التمور والبصل، وكلاهما من السلع الخاصة بدلمون خلال فترة حكم " أور - نانشي "(رايس، مايكل ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م: ٣٨٥)، و يشير أحد النصوص المسمارية إلى أن تمر دلمون كان يُقدم ضمن طعام آلهة مدينة " الوركاء"، إضافة إلى التمر العادي. ويمكن تفسير ذلك على أن تمر دلمون من الأنواع الممتازة، التي تليق بموائد الآلهة، لكونه تمر الجنة (الهاشمي، رضا جواد ١٩٩١- ١٩٩٢: ١٩ - ٢٧) الذي ذكر باسم "سُم دلمون"(كور نوول، بيتر ١٩٩٩: ٢٣) .

وهذه الإشارات لتمر دلمون تدعم مسألة استخدامها مادة غذائية رئيسية مهمة بالنسبة للدلمونيين. وقد أكتُشف في موقع قلعة البحرين مخازن للتمور وغرف لصناعة عسل التمر (الدبس) ضمن معالم المدينة الثالثة، التي تعود إلى النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد (متحف البحرين الوطني: ١٩٩٤، ص ص ١٢ - ١٣). كذلك عُثر في معبد سار، الذي يعود للألف الثاني قبل الميلاد، على بقايا تمور (Crawford, H. killik, R. J, Moon: 1997, p79).

ومن جـانب أخـر نرى أن الـدلمونيين حـرصـوا على أن تكون التمور جزءً من التقدمات الجنائزية المرافقة للأموات في رحلتهم للعالم الآخر، فقد اكتشفت تمور في أحد تلال مدافن عالي (بريدو،أف، ب: ١٩٨٣: ١٧٠)، كما اكتشف في موقع المقشع على مصنع لعسل التمر. وقد أثبت ذلك الاكتشاف أن صناعة عسل التمور من الصناعات المحلية الرائجة والمربحة، خلال الألف الأول قبل الميلاد (نعمة، شيخة أحمد حسين: ١٩٩٧، ص ٢٠٠).

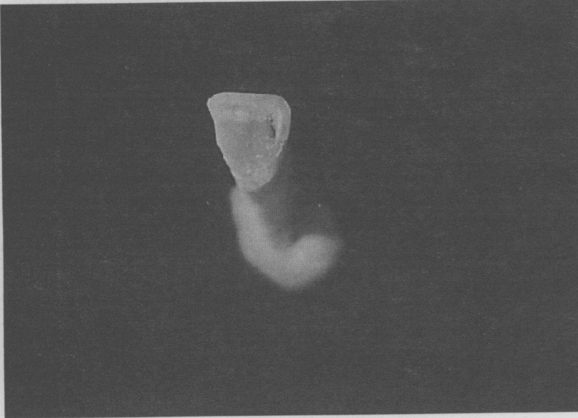
وكما تبيّن (اللوحتان ٩، ١٠)، فإن التسوس موجود على الأضراس، وهي ظاهرة منتشرة في أوساط الجماعات البشرية القديمة والحديثة، ويعود ذلك إلى أن الأضراس تمتلك سطوحاً واسعة، وثغرات أو أخاديد تتخمر فيها البكتيريا المسببة لجميع أنواع التسوس، وهي تعود في المقام الأول إلى تناول أطعمه مشبعه بالمواد النشوية، وعدم تنظيف الأسنان بعد الأكل بشكل جيد.

وبسبب استخدام الأسنان كأدوات، والاعتماد على بعض النشويات، فإن الأسنان تتخلخل وتتسبب في إحداث آلام حادة، ما اضطر الدلمونيين إلى خلعها في وقت مبكر من حياتهم. وهذا الخلع المبكر أدى إلى التئام والتحام عظم الفك في مواقع الأسنان المخلوعة (اللوحة ١١). ولأن أنواع العلاج المختلفة المعروفة في الوقت الحاضر لم تكن متوفرة في ذلك الوقت، فقد أدى ذلك إلى خلع الأسنان لتلافي الآلام الناتجة من عملية نخر الأسنان وآلامها. وتؤكد ذلك



(اللوحة ١١)

الفكوك السفلية للبالغين والمسنين، التي عثر عليها في مدافن التلال، وهي خالية من الأسنان، وربما كان استعمال الأسنان، في وظائف غير وظائفها، كأدوات في عمل شباك



(اللوحة ١٢)



(اللوحة ١٣)



(اللوحة ١٤)

صيد الأسماك وصناعة السلال (Molnar, S: 1972, pp 511- 552) سبباً آخر أيضاً، أدى إلى خلع الأسنان في وقت مبكر.

ويبدو أن درجة التآكل على الأسنان كانت بسيطة؛ فالتآكل، على سبيل المثال، الذي وضح على الأسنان من النوع الخفيف كما توضّح (اللوحات ١٢-١٤)، وعادة ما ينتج التآكل من عملية مضغ أنواع الطعام القاسية، التي ربما تكون ملوثة بالرمال، أو من استخدام الأسنان كأدوات.

ويمكن القول اعتماداً على دراسة هذه العينة من بقايا الهياكل العظمية البشرية، إن سكان مملكة البحرين القدماء من الدلمونيين كانوا يتسمون بالرأس الطويل المتوسط الارتفاع، والوجه الطويل جداً، والعيون الواسعة. أما من حيث القامة، فقد كانوا طوال القامة بشكل عام، وتتميز بنيتهم الجسمية بالصلابة والقوة والعظام الغليظة ذات الحجم الكبير. ومن دراسة هذه العظام يمكننا القول أيضاً إنهم كانوا يتمتعون بصحة وغذاء جيدين، وان حياتهم كانت ذات يسر وسهولة، وليست بالقساوة التي كانت تسيطر على حياه الجماعات القديمة، التي عاشت في مناطق أخرى في الفترة الزمنية نفسها. ويبدو ذلك جلياً من خلو عظامهم من الأمراض الخطيرة، التي تترك بصماتها على العظام، مثل: الزهري والسل والجذام والسرطان والأمراض (عدا مرض الثلاسيميا).

عبدالعزيز علي صويلح - باحث آثار بإدارة المتاحف بمملكة البحرين - مدينة عيسى. ص. ب ٣٣٨٠٢ - مملكة البحرين

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

النجار، محمود، ١٩٨٩ م، **العظام في الدراسات الأنثروبولوجية والطبية والجنائية**، مطبعة ذات السلاسل، الكويت.

جواد، عبد الجليل، وآخرون، ١٩٧١، "النياندرتاليون وتراثهم الثقافي"، **سومر**، المجلد ٢٧، ج ١و٢، مديرية الآثار العامة، بغداد، ص ص ٢٥ - ٣٤ .

العريض، شيخة، د. ت، **الوقاية خير علاج**، إصدار قسم الأمراض الوراثية بوزارة الصحة بمملكة البحرين.

العريض، شيخة، ١٩٩٨، "مرض فقر الدم المنجلي"، **علوم**، السنة الثانية، العدد ٦، ص ص ٢٨ - ٣٢ .

الطلبي، جمعة حريز، ١٩٩٩، أختام الخليج العربي - دراسة مقارنة - مع أختام بلاد واديي الرافدين والسند وبلاد عيلام، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب.

رايس، مايكل، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، **آثار الخليج العربي ٥٠٠٠ - ٣٢٣ ق.م**، ترجمة صالح محمد علي وسامي الشاهد، المجمع الثقافي - أبوظبي.

الهاشمي، رضا جواد، ١٩٩١ - ١٩٩٢، "دلمون في دلالات النصوص المسمارية"، **دلمون**، العدد ١٥، جمعية تاريخ وأثار البحرين، ص ص ١٩ - ٢٧ .

كور نوول، بيتر، ١٩٩٩، **دلمون تاريخ البحرين في العصور القديمة**، ترجمة، محمد علي الخزاعي، مطبعة برنتك، دولة البحرين.

متحف البحرين الوطني، ١٩٩٤، **المهرجان الثالث للتراث والثقافة، النخلة**، دولة البحرين.

بريدو، أ ف، ب، ١٩٨٣،"التقرير الرئيسي عن اكتشاف القبور المقببة بالبحرين" **الوثيقة**، العدد٣: ١٧٠ .

نعمة، شيخة أحمد حسين:، ١٩٩٧، شرق الجزيرة العربة في القرون الثلاثة الأخيرة قبل الميلاد "دراسة تاريخية اقتصادية"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية.

ثانياً: المراجع غير العربية:

Bass, W. 1994. **Human Osteology**, Missouri Archaeological Society, Columbia, Mo, U.S.A.

White, T. 1991. **Human Osteology**, Academic Press, San Diego, Ca, U.S.A.

Ubelaker, D. 1978. **Human Skeletal Remains: Excavation, Analysis, Interpretation**.

Brothwell, D. 1972. **Digging up Bones,** British Museum, London, pp. 87- 88.

Birkby, W. H. 1966. "An Evaluation of Race and Sex Identification from Cranial Measurements", **American journal of physical anthropology**, No, 24, 1966, pp 21-28.

Scott, G.R. and Turner II, C. G. 1997. **The Anthropology of modern human teeth: dental morphology and its variation in recent human populations,** Cambridge University press, pp. 165-242.

Trotter, M. 1970. " Estimation of Stature from Intact Long Bones". In: Stewart, T. D.(Ed) **Personal Identification in Mass Disasters, Washington**, Nat Museum Nat Hist.

Trotter. M, and Glesser. G. 1952. " Estimaton. of stature from long bones of American Whites and Negroes ", **American Journal of Physical Anthropology**, No, l0, pp. 463 - 514.

Trinkaus, Erik 1952."An Inventory Of The Neanderthal Remains From Shanidar Cave Northern Iraq", **Sumer**, Vol. xxx111, no.1, 1977, pp. 9 - 41.

Ortner, D and Putschar, W. 1985. "Identification of Pathological conditions, in Human skeletal Remains", **Smithsonian Contribution to Anthropology**, No, 28, p. 251.

El-najjar, M. 1975. " The paleo-epidemilogy of Porotic Hyperostosis in the American Southwest : Radiological and Ecological Considerations", **American Journal of Roentgenology**, Radium Therapy and Nuclear Medicine, vol, 126, No, 2, pp. 918 - 925.

Shaw, J. H. 1962. "The Relation of Nutrition to Periodontal Dsease", **Journal of Dental Research**, No, 41, pp. 264 - 270.

14-Kramer, S. 1963."Dilmun:Quest for Paradise", **Antiquity**, No, 37, pp. 111- 115.

Crawford, H. killik, R. J. Moon 1997. **The Dilmun Temple At Saar Bahrain and its Archaeological Inheritance,** Kegan Paul International, London and New York, first published, p. 79.

Molnar, S. 1972. "Tooth Wear and Culture :A Survey of Tooth Functions Among Some Prehistoric Populations", **Current Anthropology**, No, 13, pp. 511- 552.

لوحتان للملك "أمنحتب الثالث" بمدينة "إيونو" "دراسة حضارية تحليلية"

إسماعيل عبد الفتاح محمد عبد الفتاح

ملخص: توضّح هذه الدراسة، من خلال نشرها وترجمتها لنصوص لوحتين للملك أمنحتب الثالث بمدينة إيون القديمة بعين شمس والمطرية الحالية بالقاهرة ، مدى صلة ملوك الدولة الحديثة بعبادة الشمس، تلك العبادة العتيقة بمصر القديمة وبآلهتها ، على الرغم من تعاقب الأزمان والمعتقدات الأخرى، التي طغت في سطوتها وسيطرتها على جميع ما سواها من عبادات وآلهة مختلفة ، في الوقت الذي كان فيه "آمون" ملك الآلهة المصرية قاطبة، وإنْ دل ذلك على شيء، فإنما يدل على رسوخ عقيدة الشمس في أذهان المصريين القدماء آنذاك ، وأنها أيضا، كانت محط احترام كبير وتقديس للملوك على مر الزمان ٠ ومن ناحية أخرى، توضح الدراسة مدى الارتباط الوثيق بين الفن والعقيدة ، وأن جميع الأعمال الفنية، من نحت أو نقش أو تصوير وغيرها، كلها كانت تدور في فلك العقيدة، خلافاً لعلاقة الفن بالعقيدة في الحضارات القديمة الأخرى كاليونانية والرومانية القديمة ٠

Abstract. This study translates two texts in 2 plates belonging to King Imnhotep III found in the old city of Iwon situated now in modern Ain Shams and El-Mataryah in Cairo were contents of the texts show the extent to which kings of the new kingdom connected to the worship of the sun , that ancient form of worship in ancient Egypt and its various Gods . Such worship endures the passage of time and despite other beliefs which dominated forms of worship and deities during the time in which Amun rulesd supreme as the king of all Egyptian Gods . This shows the extent to which the worship of the sun had was steadfast in the minds of ancient Egyptians during that time . It also showed the great respect the kings paid to the worship of the sun . The study also shows the close connection between art and faith : all artistic works including engravings, inscriptions, pictures were religious faith, contrary to the relationship between art and faith in other ancient civilizations such as The Greeks and Romans.

مقدمة

أولا: مدينة "إيونو"

أ - الموقع: تقع هذه المدينة العتيقة حاليا في وسط حي "المطرية" و"عرب الحصن" على بعد قرابة ٢٠ كم من وسط العاصمة المصرية "القاهرة".

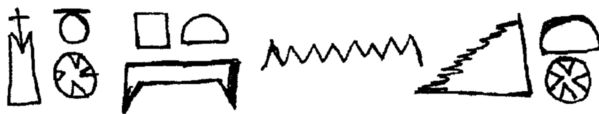
ب - الاسم: ذُكرت هذه المدينة في العديد من النصوص القديمة بمسميات عديدة ومختلفة، من أهمها: "إيونو" وقد أطلقه عليها المصريون القدماء. كما ذكرتها المتون المصرية القديمة باسم: "إيونو آخت إن بت" (Iwnw 3ht n pt) (إيونو أفق السماء) (الشكل ١).

كما ذكرتها تلك المتون أيضا باسم: "إيونو بت إن كمت" (Iwnw pt n kmt) (إيونو سماء مصر) (الشكل ٢).

وجاءت في النصوص الآشورية باسم: "أنو"، كما سميت "أون" و"بيت الشمس" في التوراة. كما أطلق عليها "هليوبوليس"، أي "مدينة الشمس" في اليونانية، وذلك نسبة الى إله الشمس "رع" (Armour, R; 1989: 23-25;



الشكل ١



الشكل ٢

.(Balbousch, M; GM; 22, 1976: 65-70

ج - التعريف: ينقسم هذا التعريف إلى: تعريف المدينة قديمًا بوصفها مدينة مصرية قديمة، ثم تعريفها حاليا بوصفها جبانة كبيرة تمثل الأطلال المتبقية منها ٠

أ- "إيونو المدينة القديمة": كانت عاصمة للإقليم الثالث عشر من أقاليم مصر السفلى والذي كان يُطلق عليه: "حقا عنج - أي- الصولجان العادل". وتعد من أوفر المدن المصرية القديمة حظا من الشهرة، لكونها أحد مراكز العقيدة و الثقافة والحكمة والعلم في مصر القديمة. فقد قامت بين ربوعها أقدم جامعة عرفتها البشرية، تعلم فيها أبناء الملوك وعلية القوم ونفر من الإغريق، حتى إن مؤرخي الإغريق الذين التحقوا بها كانوا إن لم تمهر شهاداتهم العلمية بخاتم تلك الجامعة لا يُعتد بهم كعلماء آنذاك. لذلك كانت مقصدًا للجميع، وعلى رأسهم ملوكهم، تبركًا بها وبكهنتها الذين كانوا يحملون على عاتقهم مهنة التعليم والتثقيف بمختلف فروعه. كما عدّها كهنتها، عاصمة مصر الدينية٠

ب - "إيونو الجبانة القديمة": تشتمل هذه الجبانة حاليا على جزء كبير من مناطق "المطرية وعين شمس الشرقية والغربية وحلمية الزيتون". وقد عرفت منذ بداية الأسرات المصرية القديمة. ولعل السبب في اختيار القدماء لها لتضم رفاتهم، هو قربها من أقدم عاصمة دينية في العالم القديم، إضافة إلى نوع تربتها الرملية، التي رأى المصري القديم فيها بيئة صالحة لصون رفاته وحفظه من التحلل والعدم، ومن ثم لا يحرم من الخلود في عالم الغرب. وكما نعلم، فقد كان الحرمان من الخلود أقسى شيء على قلبه. وقد استمر استخدام تلك الجبانة طيلة الفترات التاريخية القديمة المختلفة حتى الفترة اليونانية الرومانية. وهذا ما تشهد به العديد من المقابر والشواهد الأثرية المختلفة في تلك الجبانة، والتي تمثل فترات التاريخ المصري القديم بكامله، كما ذكرنا.

ثانيا: "الملك امنحتب الثالث"

بدأ هذا الفرعون عهده بمحاور مميزة اتسمت باعتداله وعدم ميله للحرب، وميله الى حب السلم و الجمال والفن. لذلك لم تلبث الحياة الاجتماعية في مصر كلها أن اتجهت نحو الدعة والاستمتاع بالحياة، كما بدأت الفنون تحتل مكانة عالية في عهده ٠

ولذلك يُعد عهد الملك "أمنحتب الثالث" بداية التجديد في الناحية الفنية، من ناحية، والتجديد في إحياء عبادة الشمس، من ناحية أخرى. أما من الناحية الفنية، فنجد أن فنون الأسرة الثامنة عشرة في عهده، بدأت تظهر اتجاهات لم تكن موجودة من قبل، تمثلت في اتجاهات تعطي للفنان الحرية في التعبير عمّا يحس به، وكذا إظهار عبقريته الشخصية، وميوله الفنية، بدلا من اتباع أساليب معروفة لا يحيد عنها. أما من الناحية العقدية، فمن المعروف أن لقب "سا- رع - (s3-Rc) ابن الشمس" لُقبّ به الغالبية العظمى من الملوك المصريين، بدءا من عهد الملك (خفرع) رابع ملوك الأسرة الرابعة، لتكتمل به ديباجة الأسماء الخمسة للملوك، وليسبق ذلك اللقب الخرطوش الملكي، الذي يحتوي على كتابة الاسم الشخصي للملك. أما في فترة هذه الدراسة، فنجد أن هذا اللقب لم يكن أحد ألقاب الملك "أمنحتب الثالث" فقط، بل لُقّب به معظم ملوك الدولة الحديثة، عندما أدمجوا عبادة "آمون" مع " رع"، فأصبح "آمون رع". وللملاحظ خلال عهد الملك "أمنحتب الثالث"، أن كهنة آمون بدأ يُنظر إليهم بشيء من الحيطة والقلق، الأمر الذي دفع بأمنحتب الثالث إلى إتباع سياسة تهدف إلى حفظ التوازن بين عبادة آمون، الذي ذاع صيته أبان عصر الدولة الحديثة وأصبح ملكاً للآلهة المصرية قاطبة، آنذاك، وبين إحياء عبادة الشمس الأقدم. كما إنه انتهج سياسة التوازن بين المعبودات المختلفة، فجعل من ابنه الأكبر كبيرًا لكهنة "الإله بتاح"، الأمر الذي لم ينظر إليه كهنة "آمون" بعين الرضا تجاه ذلك الفرعون، خاصة أنه بدأ التفكير في الدعوة الى عبادة الشمس، و أحد مظاهر الشمس، وهو "أتون"، كقوة كامنة في قرص الشمس، إلهاً له، (سليم، أحمد أمين، ١٩٨٩: ١٥٥-١٥٧).

ومن ثم، نرى أن العقيدة الشمسية بدأت في الظهور مرة أخرى[1] على ساحة العقيدة في مصر القديمة في أواخر عهد الملك "أمنحتب الثالث"، وربما كان ذلك نتيجة تشجيعه لكهنة "رع"، مما يدلل على تأثير مدينة "إيونو" على الساحة



اللوحة ١ : "الملك أمنحتب الثالث" مع الآلهة "حتحور".

السياسية للبلاد في تلك الفترة، فقد زار ذلك الملك مدينة "إيونو"، الأمر الذي نلمسه جليًا في النصب التذكارية، التي أقامها الملك "أمنحتب الثالث" للإله"حورس" و "رع- حور- آختي" بمعبد رع العظيم بمدينة "إيونو" (Leclant, j; Or, 40, 1971: 228-229 Sourouzian, p. 61 f; Bakry, H. S. K; 1967: 53ff; Moursi, M; and Balbousch, M; Mdaik, 31, 1975: 86 ff. abb, 1, taf. 29 b-c; Balbousch, M; Asae; 1964-1967: 63: 27-33; Shaw; Asae 63, 1979: PL. x.; El-Banna, E; Bifao. 86. 1986: 150 FF.).

تنشر هذه الدراسة فيما بعد بعضًا من تلك النصب لأول مرة، وفيها يظهر الملك وهو يقدّم القرابين والولاء والطاعة لعدد من الآلهة، منها: "حتحور"، و "رع حور آختي"، و"حورس" (العادلي، ٢٠٠٠: ١٢٠).

وإن كانت تلك السياسة التي أرساها ذلك الفرعون قد آتت أكلها في الناحية الفنية والمعمارية التي شهدت نهضة كبرى نتيجة لها، إلاّ أنها كانت وبالاً على مصر من الناحية السياسية. ذلك أن رسائل المودة وسياسة السلم بين مصر والبلاد الآسيوية المجاورة، لم تغنِ عن إثارة الاضرابات المتمثلة في تهديد الحيثيين لمصر من غربي آسيا.

وفيما يأتي نبدز بعرض اللوحتين ودراستهما:

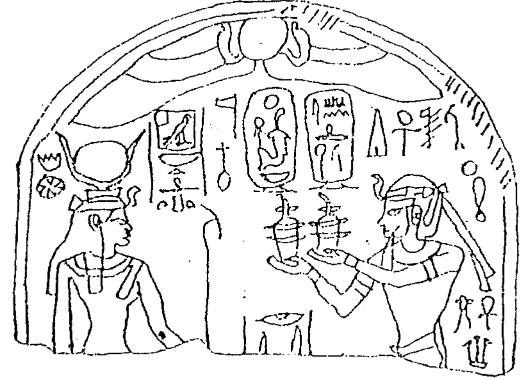
اللوحة الأولى:

لوحة الملك "أمنحتب الثالث" مع الآلهة "حتحور" (اللوحة ١) (الشكل ٣)

أ- التعريف والوصف الأثري للوحة:

هذه اللوحة موجودة حالياً بمخزن آثار المطرية، تحت رقم ١٥٦ بسجلات آثار المنطقة، وهي لم تنشر من قبل. وقد اكتشفت هذه اللوحة عام ١٩٩٣ /١٩٩٤، بواسطة بعثة المجلس الأعلى للآثار بحفائر السور الجنوبي لمدينة "إيونو" "حفائر مزرعة السجون بالمطرية". وهذه اللوحة من الحجر الجيري، وأبعادها: الطول: ٦١ سم، أقصى عرض: ٤٥ سم، السمك: ٨ سم.

ولهذه اللوحة قمة مستديرة، يظهر عليها قرص الشمس



الشكل ٣: تفريغ اللوحة رقم ١ .

المجّنح بالنقش الغائر، ويظهر من الجانبين ثعبان الكُبرا. يلي تلك القمة المستديرة وتحديدا أسفل قرص الشمس المجنح إلى اليمين، سبعة أسطر رأسية بالخط الهيروغليفي منقوشة بالنقش الغائر، ويتوسط تلك الأسطر الرأسية نقش يمثل الملك "أمنحتب الثالث" واقفا متجهاً ناظريه إلى اليسار صوب الآلهة "حتحور"، وهو يرفعُ يديه حاملا أنائين، ربما بهما نبيذ، قرباناً لها، مرتديا منديلاً قصيراً على الرأس، مربوطاً بما يشبه حلية الشعر" الفيونكة " من الخلف حتى الكتف، مرتديا في معصميه أساور للزينة من النوع العريض، الذي تتوسطه دائرة ربما تحوي أحد أسماء أو ألقاب ذلك الملك. ويظهر أمام الملك، وتحديدا أسفل اليدين مباشرة، بداية سطر من الهيروغليفية رأسيا بالنقش الغائر، لم يظهر منه سوى ربما كلمة "إري" (iry).

ب- الترجمة والتحليل

أما لأسطر السبعة من الكتابات الهيروغليفية، فهي تبدأ من اليسار إلى اليمين كالتالي (الشكل ٤):

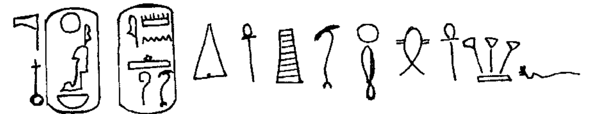
Ntr nfr (Nb M3ct Rc) (Imn htp hk3 w3s) di cnh dd w3s mi Rc s3 (Gardiner, A; 1978 : 523. cnh h3 (Erman, A; Grapow, H: 481) (f nb)(2).

الإله الطيب"نب ما عت رع" -أي- صاحب أو سيد عدالة رع، إمن - حتب حاكم إقليم "واست (نور الدين، ١٩٩٨: ١٩٣) - أي طيبة"، معطي الحياة و"الثبات والحكم" رع، الحماية والحياة خلفه ٠

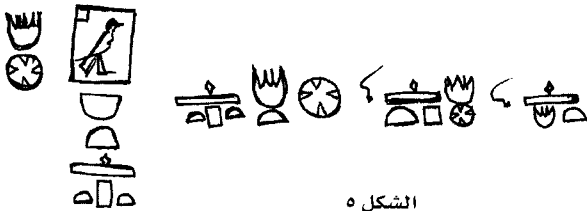
وفي اليسار، وهي الجهة المقابلة، نرى الآلهة حتحور بالنقش الغائر، مصوبة أنظارها نحو اليمين تجاه الملك "أمنحتب الثالث"، ممسكة بيدها اليسرى صولجان الواست - w3st وباليسرى ربما بعلامة عنخ - cnh، مرتدية غطاء للرأس، تتدّلى منه خصلة الشعر أسفل الأذن، ويظهر من أعلى الوجه ثعبان الكُبرا، الذي يعلوه قرص الشمس بين قرني البقرة، ويظهر أمامها من أعلى سطر رأسي من الكتابة الهيروغليفية، يبدأ من اليمين بالنقش الغائر أيضاً، كالتالي: Ht-Hr nbt Htpt (Vandier, J; Rde 16,) (1965: 55 ff. "حتحور سيدة حتبت".

ج- لقب " - nbt-htpt سيدة حتبت"[٣]

وعن هذا اللقب " - nbt-htpt سيدة حتبت"، فإنه يشير الى صلة حتحور بعبادة الشمس بمدينة إيونو. فقد كانت حتحور متداخلة أو متماثلة مع آلهات السماء آنذاك. وقد أطلق أيضاً، على حتحور: "عين الشمس" (Assmann, J; Rde, 30, 1978: S. 22-50). نسبة الى قرص الشمس الذي يظهر دائما بين قرنيها، وذلك ما يؤكد صلتها بعقيدة الشمس بمدينة إيونو القديمة، ومن ثم أخذت مكانتها المرموقة بين آلهة المدينة، وأصبح لها دُور عبادتها الخاصة بها. وكانت حتحور تحظي بشعبية كبيرة خاصة بين السيدات، لكونها رمزا للأمومة الراعية للأطفال. وقد ورد هذا اللقب " - nbt-htpt سيدة حتبت" في قاموس برلين، منذ عصر الأسرة الثامنة عشرة، كما يلي (WB. 111:



الشكل ٤



الشكل ٥



الشكل ٦



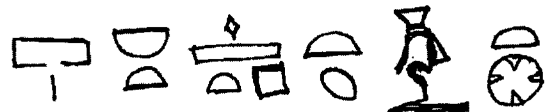
الشكل ٧

194-196) (الشكل ٥).

وقد ورد هذا اللقب أيضاً، على بعض النصب التذكارية والجنائزية بمدينة إيونو، خلال عصر الدولة الحديثة (عمر، ٢٠٠١: ٠-٢٣ ٠)، تشير إلى أن " حتحور" سيدة مدينة "حتبت" ويذكر "أحمد كمال" أن هناك مدينة تسمى "حتبت" (الشكل ٦) وبها بطحاء يقال لها (sn-wr) (الشكل ٧) (أحمد بك كمال، دت: ١١، ٢٩، ٣١ ٠) وربما "شن ور". هذه البطحاء السابق ذكرها هي "بركة الحاج" الحالية شمال شرقي مدينة إيونو القديمة. كما ذكر "بروجش -Brugsch" ما يفيد أن "سيدة حتبت - nbt-htpt" أي "حتحور" كان لها معبد خاص بها، وغالباً في المنطقة نفسها التي ذُكرت سابقاً، باسم "حتبت"، بمنطقة إيونو القديمة (Pr-Nbt-Htpt) (الشكل ٨).

وقد ورد اسم الآلهة حتحور في المركز الثالث خلف الإله "آتوم"، على اللوحة رقم ٢٤ من بردية "هاريس" الهيراطيقية، والمحفوظة الآن بمتحف اللوفر بباريس (أحمد، كمال، ص٣٠-٣٢ . (Grandet, P; RdE, 109, Paris, 1994: 263؛ كأحد آلهة مدينة إيونو على أن حتحور "سيدة حتبت". أما عن الهيئة التي ظهرت بها حتحور كـ"سيدة حتبت"، فكانت سيدة واقفة وممسكة بعلامة الحياة "عنخ" بيدها اليمني، وباليسرى علامة "الواس"، ويعلو رأسها قرص الشمس بين قرني البقرة، ويزين جبهتها ثعبان الكُبرا٠

ومن ألقاب حتحور أيضاً مدينة إيونو لقب: (إيو سعاس - سيدة حتبت) (الشكل ٩) Iws C3s(t) Nbt-Htpt



الشكل ٨



الشكل ٩

(Vandier, J; RDE 16, 1964: 55-146; RDE17,1965: 89-176; RDE,18, 1966: 67-142).

وأما السطر الذي يتوسط الملك والإله[٤] والذي لم يتبق واضحاً منه سوى حرف (r) فبالمقارنة تقترح الدراسة أن تكون تكملته كالتالي: rdit kdh(G.A; op.cit, p.596) ir.f di cnh، (الواهب للمياه الباردة الذي يقدمه ليعطي الحياة).

د- حتحور: " التعريف والخصائص"

ولو ألقينا الضوء بشيء من التركيز على الآلهة "حتحور"، نجد أنها من المعبودات المصرية القديمة الشهيرة. وقد ظهرت من صور وخصائص مختلفة منها: إله الموسيقي والحب والأمومة، وكذلك اندمجت مع الآلهة "ايزيس"، وقورنت في بلاد اليونان والرومان بالآلهة "أفروديت" آلهة الجمال عندهم (Daumas, F; 1983 : S; 1024)، وكانت تظهر كسيدة يعلو رأسها قرنا البقرة حتى ظهور الأسرة الأولى (Allam, S; MAS 4, 1963: 10-12; Derchaim, P; 1972:38-41)، ثم أضيف قرص الشمس بين قرني البقرة، اللذين يعلوان رأس حتحور بعد ذلك. ووفقاً لأحد الأساطير القديمة، فإن حتحور، سيدة السماء، رفعت ابنها إله الشمس "حور" على قرونها إلى السماء حتى جاءت الآلهة "إيزيس" وحلت بعد ذلك محلها (Daumas, F; W.D:1024 ff; El-adly, S; 2000: 50- 56.)، وقد ورد ذكر حتحور في متون الأهرام (Sethe, K;:1960: 466, 546, 705) (حت حر- Ht.-Hr) بمعنى "مسكن حورس". كما يُذكر أن البيت الكوني للإله "حورس" كان نفسه مَسْكناً خاصاً لحتحور. ويعتقد أن حتحور هي التي ربت الطفل "حور" في أحراش الدلتا. وقد عبدت تلك الآلهة في أماكن عدة في مصر القديمة من أهمها: دندرة - منف - أطفيح - سيناء - إيونو.

وقد احتلت تلك الآلهة مكانة مرموقة في مدينة الشمس القديمة "إيونو" ٠

هـ - موطن حتحور

أما عن موطنها الأصلي، فهناك من يرى أن موطنها الأصلي خلال باكورة التاريخ المصري القديم كان بالدلتا. لرعايتها للإله "حورس". بينما يرى آخرون أنه جنوب دندرة "بمنطقة أمبوس"، وربما من أجل ذلك عُبدت في الدير البحري إبان عصر الدولة الوسطى. وفي الدولة الحديثة، وتحديداً مع بدايات عصر الرّعامسة، احتلت حتحور مكان الصدارة في العبادة بغرب طيبة، وربما من أجل ذلك شُيّدت لها مقصورة رئيسية في دير المدينة. وفي هذه الأثناء مّثلوها على هيئة بقرة يحتضن قرناها قرص الشمس. وهكذا تميزت حتحور بهيئة البقرة وفي أحيان أخرى مثلت على هيئة سيدة تحمل فوق رأسها قرني البقرة الذّين يحتضنان قرص الشمس السابق (ايفان كونج، ١٩٩٨: ٤٠٥)٠

(و) حتحور والغرب

اشتهرت حتحور بأنها آلهة الغرب، وقد مثّلت واقفة وراء جبل عالٍ تسمح للشمس وللموتى بالدخول في العالم السفلي، إذ كانت تأخذ المتوفى في حمايتها، إما وراء الجبل الذي تقف وراءه أو في دغل من نبات البردي إلى عالم الغرب. وتذكر متون التوابيت أن حتحور كانت تنثر العطور على المتوفى وتمنحه الحياة في الغرب، مثل الإله رع، كل يوم، (Allam, op.cit:14 ff). وقد أصبحت تلك الموضوعات الفنية التي مثلت عليها حتحور موضوعات أساسية في مقابر الرّعامسة الخاصة، حيث ارتبطت فيه تلك الآلهة بالآلهة "إمنت - Imnt" ومن ثم أصبحت لحتحور مكان الصدارة بالغرب الجنائزي في تلك الفترة، وبالتالي تلقبت بلقب "حتحور سيدة الغرب - Ht-Hr Nbt Imntt" (إريك، هورننج:٩٠ ، نور الدين : ٣١٠؛ Daumas,: 1024).

كما عُدّت حتحور، فضلاً عن كونها مهيمنة على الغرب وراعية للمتوفين هنالك، أُمّاً متبنية، وأنها سيدة الحياة. ونظراً لأنها كانت مقرّبة إلى قلوب النساء، الأمر الذي استلزم أن تصبح أما لطفل، مُنحت طفلاً إلهياً يدعي "إيحي"، ظهر نائماً أو جالساً بحجرها، وربما ذلك تشبيها بايزيس وطفلها حورس، وإن كان "إيحي" بن حتحور هذا لم يرق في شهرته إلى ما وصل إليه "حورس" طفل إيزيس (Du Quesne, 1996: 66-67; Lacau, P; 1926, pp. 70-75).

ز- حتحور والإله "رع"

أما عن علاقتها بالإله رع، فكما ذكرنا لأعلاه أثناء حديثنا عن علاقة حتحور بالمتوفى، ما جاء في متون التوابيت، أن حتحور كانت تنثر العطور على المتوفى وتمنحه الحياة في الغرب، مثل الإله رع، كل يوم، وأيضاً كانت للإله رع وعينه - كما جاء في الأساطير المصرية القديمة؛ والمقصود بعين رع، أي حتحور في صورة "سخمت" القوية، التي أطفأت نار التمرد والتآمر عن أبيها رع - وربما اتخذت تلك الصفات لكونها - كما ذكرت - هي التي دافعت عن أبيها انتقمت له من أعدائه المتآمرين عليه من بني البشر، بذلك الدور الذي قام به "حورس" ابن الاله "رع"، الذي دافع عن والده ضد المتآمرين حتى انتصر عليهم. وقد جاء في الأساطير الدينية القديمة، أيضاً، أنها هاجرت إلى النوبة عندما غضبت من أبيها. ولكن ليس كعينٍ لأبيها، كما كانت من ذي قبل، إنما في شكل لبؤة متوحشة، ولكن سرعان ما أعادها الإلهين "تحوت" و"شو" في هيئة حتحور الجميلة (Allam, op.cit; p.12 ff).

ح- حتحور وشجرة الجميز

أما عن حتحور وشجرة الجميز، فمن المعروف أن شجرة الجميز لم تكن في بداية الأمر إلاّ واحدة من الشجيرات المقدسة، كآلهة مقدسة أحاطها المصري القديم بشيء من التقديس. وقد انتشر نفوذها بين السيدات خاصة. وقد لقبت الإله "حتحور" في منف بأنها سيدة شجرة الجميز (Ginzburg, 1900:. 34. Golan, A; 1991: 534).

ط - حتحور وقرص الشمس المجنح

أما عن قرص الشمس المجنح وعلاقته بحتحور، فيرى

البعض أن أقدم تمثيل لقرص الشمس المجنح بين قرني الثور يرجع إلى عصور ما قبل التاريخ (Maciver &Mace, (W.d.): 17 n. 19; Winker: pl. 37, no. 1; S. 9)، وربما يوضح أو يجسد ذلك التمثيل صلة الثور بالسماء وما تحوي من شمس ونجوم وأجرام فضائية أخرى، وربما، لذلك، مثلت قمة النصب واللوحات، التي يزينها من أعلاها قرص الشمس المجنح - مثلث- السماء، ثم بعد ذلك وجد تصوير لقرص الشمس المجنح على أعلى الزخرفة، التي تعلو منظر إبحار للملك " سا حورع "، أحد ملوك الأسرة الخامسة. وهذا التصوير موجود حالياً بالمتحف المصري (Gardiner, A; 1944: 46-47).

وفي بداية الأمر كان قرص الشمس يحيط به صقران ناشران أجنحتهما حوله، مع عدم وجود الحية المقدسة، وكان يلقب، آنذاك، بـ (C3 Bhdty S3b Swty-Ntr) أي "بحدث - الإله العظيم بالريش المبرقش". وقد كان ذلك اللقب في بداية الأمر أحد ألقاب الصقر المحلق. ومن الجدير بالذكر أن لقب "Ntr- C3 Bhdty - نثر عا بحدتي" هو أحد أسماء حورس في السماء. وقد خلعه عليه والده "رع حور أختي" عندما تآمر عليه الإله "ست" وأتباعه، فتحول حورس إلى قرص شمس مجنح، وحارب أعداء والده وهزمهم شر هزيمة. وعندما علم والده بصنيعه وهبه اسم "بحدتي" مكافأة له (Gardiner, A; op.cit:47; Holzi, R; 1992: 28).

وترى هذه الدراسة أن قرص الشمس المجنح وإن كان هو أحد الرموز الملكية، التي تمثل دمج ما بين الإله حورس والملك، بوصفه حورس على الأرض، إلاّ أن تلك الأجنحة هي أحد التأثيرات الفنية الخاصة بحضارة بلاد الرافدين، التي عرفت الفن الأسطوري، وانتشر فيها بكثرة على نقوش الأختام في العصر السومري، مثل مناظر الحيوانات ذات الأعناق الطويلة الملتفة، ومناظر الأبطال وهم يخضعون الأسود، وهم - أي الأبطال- على هيئة تجمع ما بين رؤوس وأيدي البشر، وبين أجساد وقرون الثيران (صالح ١٩٧٩: ٤٠٥).

ومنذ بداية الدولة الوسطى، فإن ذلك الرمز ربما استخدم لكي يزّين قمم النصب الملكية والنصب الخاصة المستديرة. أما الحيتّان الملتفتان حول ذلك الرمز، فترمزان إلى سطوة الملك شمالا وجنوباً أي مصر العليا والسفلي، (Holzi, R; op.cit: 285). وكان يطلق على الحية "واجيت"، وكانت رمزا لمصر السفلى، الآلهة الحامية للتاج الملكي ضد أعدائه. وكانت تلك الحية تبدو في اللوحات والمناظر الجنائزية وهي تحيط بمقصورات الآلهة للحماية، وكعنصر زخرفي أيضا لقمة تلك المقاصير. وكذلك، كان تمثل مصدر حماية، لقرص الشمس، وكذا للقارب الإلهي لرحلة الشمس في السماء ٠

ومن ناحية أخرى فإن فكرة تقديم القرابين تحت أشعة الشمس، فهي من طقوس وأعراف العبادة الشمسية، التي وصلتنا فكرة عنها، أو عُبّر عنها في المعابد الشمسية للأسرة الخامسة. والمتمثل في وضع القرابين في الأفنية المكشوفة بتلك المعابد تحت أشعة الشمس مباشرة، يُعد أحياء حقيقياً لطقوس وشعائر تلك العبادة الشمسية القديمة. (العادلي، ١٩٩٩: ٥٥).

وقد عُثر بتل العمارنة على لوحات مشابهة لأمنحتب الثالث، كتلك التي نحن بصددها، توضح خضوع الملك للإله آتون، إذ تصوره وأم الزوجة الملكية "تويا " أو بمفرده تحت أشعة الإله "آتون". تحفهما ألقاب وأسماء إله الشمس "آتون". وتظهر تلك الكتابات أنه قد تم نحت في النصف الثاني من حكم اخناتون. وإحدى هذه اللوحات موجودة بالمتحف البريطاني (Griffith, F; Ll; 1926: 1-2). ما يدفع إلى الاعتقاد أن فكرة وجود قرص الشمس كرمز للعقيدة الآتونية وإن كان قد سبق تلك الفترة، منذ بداية الأسرة الثانية عشرة، إلاّ أنها استمرت إلى الدولة الحديثة، حيث دللت على خضوع الملوك لآتون في لوحاتهم التذكارية العديدة تحت أشعة الشمس، بما في ذلك إحياء لتلك العقيدة القديمة قِدَم الديانة المصرية القديمة ٠

مما سبق يتضح أن ذلك الرمز- قرص الشمس المجنح - استخدم للتعبير عن الحماية والقوة والدفاع، وان تلك الأجنحة

- وإن كانت تأثيراً فنياً عراقياً قديماً- فإن المصري القديم وظفه ليعبر عن ارتباط الملك بالإله حورس. أما الحيتان فيمثلان الحماية لكل من التاج الملكي ومناظر الآلهه ولقرص الشمس والقارب الإلهي أثناء رحلة الشمس الليلية، وكذلك كقيمة زخرفية لمقاصير الآلهه، أي أن ذلك الرمز استخدم استخداما مزدوجا يجمع ما بين الاستخدام العقدي، المتمثل في الحماية لكل من التاج الملكي ومناظر الآلهة وقرص الشمس، والاستخدام الفني كعنصر فني زخرفي لتزيين قمم مقاصير الآلهة، وذلك من سمات الفنان المصري القديم، الذي كان غالباً يمزج الفكر العقدي بالفن. لذا خرجت إلينا أعماله مقترنة بعقيدته ولم يفصل بينهما، أو بمعنى آخر: أن ذلك الأمر يوضح ويؤكد أن المصري القديم استخدم الفن لخدمة العقيدة، ربما لاعتقاده أن هذه الأعمال وغيرها، مما تنتجه أفكاره الفنية، ستُعرض كما هي على آلهته في العالم الآخر، لذا اصطبغ فنه أو وظفه لأمر عقيدته ٠

اللوحة الثانية:

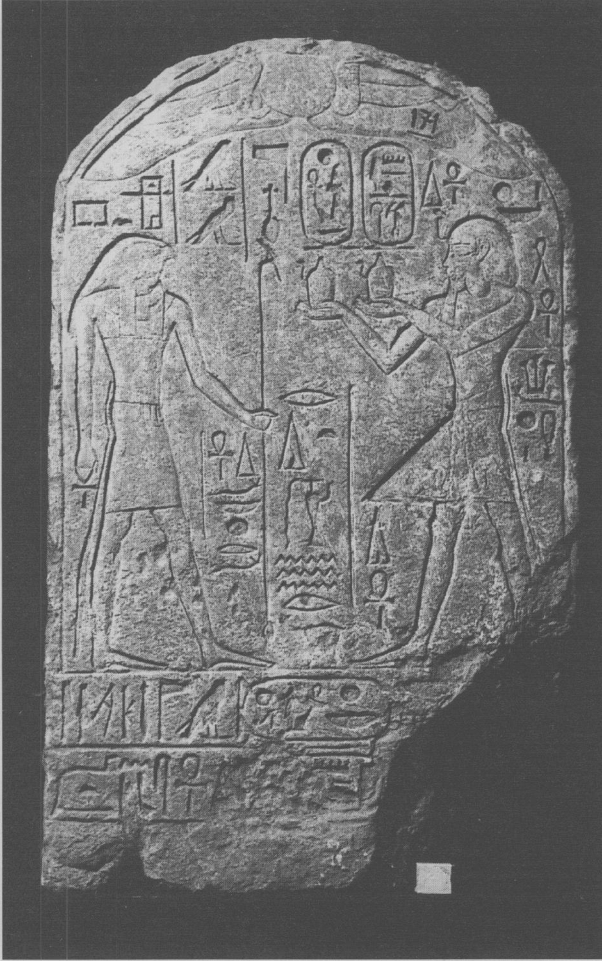
أ- التعريف والوصف الأثري

هذه اللوحة موجودة حاليا بمخزن آثار المطرية، تحت رقم ١٧١- ٨/١ بسجلات آثار المنطقة. وهي لم تنشر من قبل، وقد أكتشفت عام ١٩٩٣/١٩٩٤ بواسطة بعثة المجلس الأعلى للآثار بحفائر السور الجنوبي لمدينة "إيونو" "حفائر مزرعة السجون بالمطرية"، وهذه اللوحة من الحجر الجيري، وأبعادها كالتالي: الطول: ٥٩,٥ سم، أقصى عرض: ٣٨,٥ سم، السمك: ٧,٥ سم (اللوحة ٢) (الشكل ١٠) ٠

ويمكن تقسيم هذه اللوحة الى ثلاثة أقسام أو أجزاء رئيسية:

أ- الجزء العلوي: قمة مستديرة يظهر عليها قرص الشمس المجنح بالنقش الغائر، ويظهر من الجانبين الأيمن والأيسر رمز ثعبان الكُبرا

ب- الجزء الأوسط: نقش غائر في مجمله، يُمثل منظراً للملك "أمنحتب الثالث" وهو يقدم القربان للإله حورس، وتحفهما الكتابات الهيروغليفية من كل جانب، أما تفصيلا



اللوحة ٢: نقش غائر يظهر الملك "أمنحتب الثالث" رافعاً ذراعيه وهو يحمل آنيتين، ويرتدي غطاء "النمس" فوق رأسه.

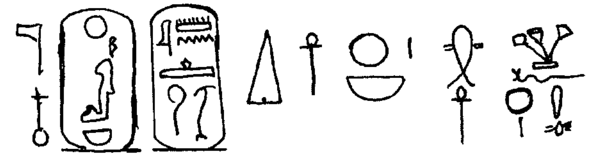
فإننا نقسم هذا الجزء إلى جزأين : جزء أوسط يمين، وجزء أوسط شمال ٠

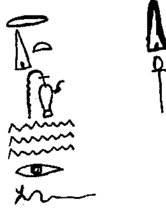
ففي الجزء الأوسط يمين: يظهر الملك "أمنحتب الثالث" في منظر منقوش نقشاً غائراً، واقفاً رافعاً ذراعيه، حاملاً على راحتيه آنيتين، ربما من النبيذ أو أي شيء سائل آخر، يقدمهما كقربان، مرتدياً غطاء ما يعرف بـ "النمس" فوق رأسه، ويخرج منه رمز للحية الكُبرا، ويغطي جسده بما يُسمي "بالرداء القصير"، ويتدلى من الخلف ذيل الثور، ويلاحظ أن ساق الملك اليسرى والقدم مهشمتان تماماً٠

ويظهر أعلى الملك وخلفه وأمامه، كما يعلو حورس وأمامه بعض الكتابات بالخط الهيروغليفي كالتالي:


الشكل ١٠: تفريغ نقوش اللوحة رقم ٢ .

ب- الترجمة: السطر الذي أعلي الملك وخلفه: - نظرا لأن السطر العلوي والخلفي متصلان أو مكملان بعضهما، لذا جاءت ترجماتهما في سطر واحد كالتالي (Ntr nfr (Nb-M3ct-Rc) (Imn-Htp-hk3-W3s) di cnh rc-nb s3 cnh h3.f mi Rc) (الشكل ١١)، الإله الطيب "نب ماعت رع" أي "صاحب عدالة رع" إمن حتب حقا واست أي "آمون راض، حاكم اقليم واست"طيبة" (معطي) له الحياة كل يوم، وحامي الحياة خلفه مثل رع أو الحماية خلفه مثل رع) .


الشكل ١١


الشكل ١٢

السطران اللذان أمام الملك (الشكل ١٢):

Rdit kdh (G.A; op.cit; 596.) ir.f di cnh

(الواهب للمياه الباردة الذي يقدمه ليعطي الحياة).

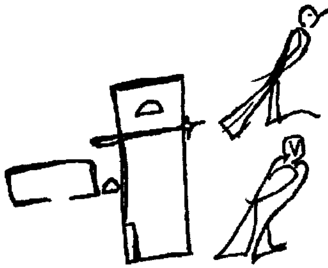
- أما في الجزء الأوسط يسار: فيظهر منظر للإله "حورس" بالنقش الغائر يبدو على هيئة آدمية بوجه ورأس الصقر الذي يمثل "حورس "، واقفا وممسكا بيده اليمني علامة الحياة "عنخ -cnh" ، وبيده اليسرى الصولجان "علامة الواس"، مرتديا رداءاً قصيراً، يتدلى منه من الخلف ما يمثل ذيل الثور.

الكتابات التي أعلى الإله وأمامه:

- السطر الذي أعلى الإله (الشكل ١٣) (Hr M Ht-c3.t. (Erman, A; & Grapow, H; 1971: S. 3)) (حورس في المعبد العظيم)

- السطر الذي أمام الإله (الشكل ١٤) (Di cnh.f nb Rc r-f)، (الواهب للحياة من أجله كل يوم).

ج- الجزء السفلي: به تهشيم من جهة اليمين أفقده جزءاً كبيراً من النص في تلك الجهة، أما باقي ذلك الجزء، وهو المتمم له من الجهة اليسرى، فبه سطران بالهيروغليفية


الشكل ١٣



الشكل ١٤

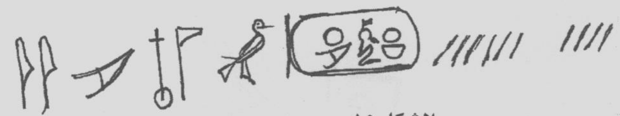
أفقيان بالنقش الغائر، اتجاه الكتابة فيهما من اليمين إلى اليسار كالتالي (llllll(Nb M3ct Rc mry Rc) Ntr nfr mry Hr (الشكل ١٥) (صاحب عدالة رع، محبوب رع، الإله الطيب محبوب حورس) ٠

وفي محاولة للدراسة لإستكمال الأجزاء الناقصة من النص بهذا السطر والسطر التالي، بالمقارنة بنصوص مشابهة(٦)، يُقرأ كالتالي: Cnh Ntr nfr nb t3wy(Nb (M3ct Rc mry Rc) Hr Mry Ntr nfr. الحياة للإله الطيب سيد الأرضين (صاحب عدالة رع، محبوب رع، حورس، محبوب الإله الطيب) ٠

(الشكل ١٦) (-lllll (Imn llllll cnh snb dt (Er (آمون ///////) (man, A; & Grapow, H; 458 "له" الحياة والصحة للأبد)٠ (cnh s3 Rc mri.f (Imn (htp hk3 w3s)cnh snb dt. الحياة لإبن الشمس ومحبوبه (أمن حتب حاكم طيبة) "له" الحياة والصحة للأبد٠

نظرة فنية وعقدية على هاتين اللوحتين:

بعد معرفة ما جاء في هاتين اللوحتين من الناحية اللغوية



الشكل ١٥



الشكل ١٦



اللوحة ٣ (لوحة للملك ."نب ماعت رع"أمنحتب الثالث"مع الإله"رع حورآختي" ، وهي تحت النشر من قبل الباحث في دراسة لاحقة باذن الله تعالى٠أورد الباحث هذه اللوحة لاستكمال الأجزاء الناقصة في اللوحتين مدار البحث، وسيقوم الباحث بنشرها لاحقاً).

- مدار البحث- يجدر بالباحث إلقاء الضوء بشيء من التركيز على جوانب أخرى حتى تكتمل الدراسة، ولا سيما من الناحيتين: الفنية والعقدية، وهما كما نعتقد وجهان لعملة واحدة. فكما نعرف، كان الفن في مصر القديمة في خدمة الدين، أو بمعنى آخر كان المصري القديم يوظف فنه لخدمة الدين والعقيدة الخاصة به، ولعل ذلك ما يوضّح الفرق فيما خلّفه المصري القديم من آثار خالدة وتماثيل ومناظر شخصية وعائلية، وما خلفته حضارات أخرى، مثل الحضارة الإغريقية والرومانية، وبالمقارنة بين تماثيل الأفراد ولوحاتهم بين الحضارتين، نلحظ مدى الحشمة والوقار كأسلوب عقدي في تماثيل المصريين القدماء يختلف عمّا سواه من حضارات أخرى؛ بينما يظهر خلاف ذلك من خلاعة وعدم وقار في تماثيل الإغريق والرومان. ولو تساءلنا

عن السر في ذلك نقول: إن كانت التماثيل اليونانية انتهجت في بداية ظهورها نهج المدرسة المصرية الفنية القديمة في نحت التماثيل، أو كانت تلك التماثيل تُحاكي في عريها اعتبارات أسطورية خاصة بهم، أو بما ساروا عليه من تصويرهم للرياضيين الأوليمبيين، الذين جرت العادة على تباريهم وهم عراة، وحيث كان يُحَرّم على النساء حضور تلك المباريات، فإن المصري القديم كان يعتقد أنه سُيعرض في العالم الآخر بنفس الهيئة التي مثله عليها فنانوه، لذا، أبى أن يصور في جلسة غير محتشمة أو غير وقورة، لاعتقاده أنه سُيعرض بالهيئة نفسها، على آلهته ومعبوداته، لذا جاءت مناظره بتلك الهيئة السابقة، ومن هنا نرى أن الفن بل وكل نواحي الحياة المصرية القديمة، كانت كلها تدور في فلك العقيدة المصرية القديمة ٠

أولا: الناحية الفنية

لو نظرنا إلى النقبة والحلي والشارات والأحزمة والقلائد والأساور لإلقاء الضوء عليها من الناحية الفنية، نجد أن النقبة كأحد الأزياء الملكية في مصر القديمة عُرفت منذ ما قبل الأسرات، ثم توارثه ملوك الوحدة وبداية الأسرات المصرية القديمة. وكانت في باديء الأمر رداء يغطي معظم الجسد و يستر عورته، ثم تطورت إلى ما يشبه النقبة الحالية، لها ما يشبه الحمالة إلى الكتف من الناحية اليسرى، ولها من الوسط نطاق مثبت به ذيل الثور من الخلف، وكانت تصنع في باديء الأمر، غالباً من سيقان بعض النباتات، ثم أضحت تصنع من نسيج خيوط الكتان. وكانت تلف حول النصف الأسفل مّن الجسد، ومن ثم تنسدل إلى ما فوق الركبة، وكانت تثبت حول وسط الرجل بحزام أو تعقد من الأمام لتثبيتها، وكان لونها، غالباً الأبيض بوصفه لوناً محبباً لديهم منذ باكورة تاريخهم القديم بدءا من تاج الوجه القبلي الأبيض ومدينة منف، التي أحد أهم أسمائها "ذات الجدار الأبيض". وتعد النقبة التي كان يرتديها الملك "نعرمر"، على لوحته الشهيرة بالمتحف المصري بالقاهرة، خير مثال لما ذُكر. وبمرور الزمن أدخل على ذلك اللباس الملكي العديد من الأشكال أبان الدولة القديمة، إذ نلحظ، آنذاك، أنها أصبحت قصيرة ضيقة بالنسبة للباس العامة، أما عند علية القوم فنجدها متسعة وأكثر طولا واستدارة وأناقة، تزينها من الأمام الثنايا الذهبية، أما بالوسط فكانت تشد بواسطة حزام محلي بمشبك أنيق يحمل اسم صاحبها أحيانا، وكان يرتدي فوقها جلد الفهد، الذي كان في بعض الأحيان يغطي الجسد كله (Staiehelin, E; 1966: S. 54 ff; Taf XXI, taf XXI-XXIV).

أما في الدولة الوسطى، فأصبحت تلك النقبة، كزي للرجال، متسعة قصيرة تشد الى الخصر من خلال حزامٍ مربوط من الأمام، له طرف مثلث الشكل، مزين بخطوط طولية أمامية. وقد استمر ذلك الطراز منذ أواسط الأسرة الحادية عشرة وما تلاها، كما ظهر، آنذاك، نوع آخر هو النقبة القصيرة المحبوكة أو الملتصقة بالجسد، من قطعة واحدة من القماش مفتوحة، ولكن معقودة من الأمام جهة الخصر فقط (LA, II,op.cit; 718; Pellegrini, A; (W.D): 93-95;) (I. 64. LACAU, P; op.cit).

أما في الدولة الحديثة، فنجد تجديداً، فضلا على ظهور أنواع من الترف والثراء أضفيت على تلك النقبة، وذلك بما يتمشى مع روح العصر آنذاك. فلو نظرنا الى اللوحات الخاصة بـ"أمنحتب الثالث"، من خلاله نصبه التذكارية إبان الأسرة الثامنة عشر، نجده والملك "أمنحتب الثاني من قبله قد ارتديا نوعاً من تلك "النقبة" كان يطلق عليها " شندوت - sndwt" أو " (Sndjt)[٧]. وكانت تلك النقبة ذات طرف أمامي مثلث الشكل، وكانت تربط بحزام حول الخصر، ينبثق منه شريط من الخلف يشبه ذيل الثور، كبديل للنطاق السابق الذي كان بالوسط، والذي كان مثبتا به ذيل الثور من الخلف مع بداية الأسرات، كما ذُكر آنفاً. أما في الأسرة التاسعة عشرة المصرية، فقد حدث تطوير وإضافات على تلك النقبة السابقة تجلت في أنها أصبحت قصيرة تنتهي بطرف مدبب من الأمام، وبذلك تختلف عن مثيلتها في الأسرة الثامنة عشرة، التي كان طرفها الأمامي مثلث الشكل، ولها حزام أسفل الخصر يتدلى منه من الخلف ما يشبه ذيل الثور، كما في النقبة الخاصة بالملك "رمسيس الثاني" في مناظره وتماثيله الخاصة. وقد ظهر نوع آخر من التطوير تجسد في

ارتداء ثياب فضفاضة وشفافة أسفل تلك النقبة تصل إلى أعلى رسغي القدم بقليل، وقد كانت تلك الثياب تزين بحليات متنوعة (MConald, J; 1981: 56. ; 1988:203; Simpson,W.K; LA, II,op.cit; p. 718.).

ثانيا: الناحية العقدية

سبق القول إن الفن، بل وكل نواحي الحياة المصرية القديمة، كانت كلها تدور في فلك العقيدة المصرية القديمة، ومن هنا كانت الملابس والحلي والشارات وغيرها توظف في غرض عقدي، إلى جانب وظيفتها الأساسية في اللباس والتزين وإظهار الترف. فالنقبة موضوع حديثنا، اعتقد القدماء أنها نوع من الرداء هو رداء الآلهة، لذا كانت قاصرة على الملوك فقط في بداية الأمر، ثم انتشرت جلياً منذ عصر الدولة القديمة، وأصبح الرجال يرتدونها بكثرة (Staehelin, E; taf XXI-XXV)، وقد كانت في طرفها الأمامي، المثلث الشكل السابق ايضاحه، تعبر عن قبضة الإله "آتوم"، وفقاً لرأي "ويستندورف"، أما الذيل أو ما يمثله فله غرض ديني أيضاً، فهو يمثل قوة الثور (ZAS, 92, 1967: 143. Westendorf, W; LA, II, op.cit; p. 813.;).

ونحن نعلم أن الثور من الحيوانات التي قدس القدماء المصرين القوة الكامنة بها، ومن ثم فإن ذلك الذيل الذي كان يتدلى خلف النقبة، ما هو إلاّ رمزٌ ديني للحماية والقوة ٠

أما للغرض العقدي من ارتداء الأحزمة، يجّدر الإشارة إلى أن الحزام كان يلف حول الوسط، ويغطي أسفل الخصر، والجزء العلوي من جلد الثور، ويرمز إلى القوة والحماية لمن يرتديه. لذا، كانت تلك الأحزمة في البداية من الرموز الخاصة بالملكية فقط، إذ كانت تحمل معناً تمائمياً دينياً متصلاً بإلههم "أوزوريس"؛ ولكن منذ الأسرة الخامسة، وشيوع الفكر العقدي بين طوائف الشعب القديم، آنذاك، أدى ذلك إلى ارتداء العامة من الشعب تلك الأحزمة، أملا منهم في أن يصبح "أوزيرا" (Wilkinson, 1971: 23-25). في عالم الغرب. وكما نعلم، فإن ذلك الأمر كان أقصى ما يتمناه هؤلاء القوم آنذاك ٠

أما الغرض العقدي من ارتداء القلائد، فيتمثل في الحماية. كما اعتقدوا أنها تهب الحياة لمن يرتديها، على أساس أنها كانت مرتبطة باعتقادهم في الإله "آتوم" رب التاسوع، فضلا عن غرضها الدنيوي بقصد الزينة للعامة، ومن أساسيات الزينة الملكية أيضاً. وقد عرف المصري القديم الغرضين، العقدي والدنيوي معاً، منذ باكورة تاريخهم القديم. والمتاحف المختلفة تشهد مقتنياتها بذلك. ولم يقتصر استخدام تلك القلائد على النساء فقط، بل كانت لباساً أيضا للرجال، ويعد وضعها على جسد المتوفى في اعتقادهم كأنها ذراعا"آتوم"، التي تبعد الشر عن المتوفى، وتمنح روحه الحياة من جديد، كما خلق "آتوم" التاسوع في البداية ٠

وقد كانت قلادة "الأوسخ - wsh" الشكل الأوسع انتشارا منذ الدولة القديمة، كما تُعد أيضاً من أكثر القلادات الممثلة على النصب الخاصة برجال ونساء عصري الدولة الحديثة والعصر المتأخر، بمدينة "إيونو". وقد استمرت في ذلك الدور الى نهاية التاريخ المصري القديم (Staehelin, E;: s.119-123, taf XXXVII).

أما الأساور فمثل القلائد، كان الغرض العقدي من ارتدائها حول الساعدين والرسغين، للرجال والنساء معاً، هو الزينة، بجانب غرض آخر تمائمي يتمثل في حماية تلك الأجزاء من الجسد وحفظها من الشرور، في عالم الغرب وحياة ما بعد الموت (Wilkinson,1971: 25).

رابعاً: الخاتمة والنتائج

أوضحت الدراسة أن عقيدة الشمس استمرت منذ البدايات الأولى للحضارة المصرية القديمة الى نهايتها، على الرغم من تعدد الآلهة وازدياد نفوذها من حين لآخر، خاصة في فترة هاتين اللوحتين اللتين تنتميان الى عصر الدولة الحديثة، في عصر "آمون" ملك الآلهة المصرية قاطبة. وإن دل ذلك على شيء إنما يدل على رسوخ عقيدة الشمس في أذهان المصريين القدماء آنذاك، وأنها كانت محط احترام وتقديس كبيرين للملوك على مر الزمان ٠

ومن خلال النشر العلمي للوحتي الملك أمنحتب الثالث"، أحد ملوك الدولة الحديثة، لأول مرة، مع الترجمة واستكمال النقص و عدم الوضوح في النصوص، وذلك بالتحليل والمقارنة بلوحات مشابهة، ما أمكن ذلك، توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:-

- محاولة إكمال النصوص المهشمة والناقصة في اللوحتين المنشورتين من الدراسة، وذلك بمطابقتهما ومقارنتهما غير المنشورة، تحت رقم (٥)، نظراً لتطابقهما تقريبا أو تماثلهما، كما أنهما للعصر نفسه، وفقاً لما هو مبين في متن الدراسة، كل في موضعه ٠
- نظرة ملوك الدولة الحديثة الى مدينة "إيون"مهد عقيدة الشمس القديمة نظرة تقديسية، لها وآلهتها خاصة "حتحور"و"حورس ٠
- يعد عهد الملك "أمنحتب الثالث" بداية التجديد في الناحية الفنية، من ناحية، والتجديد في إحياء عبادة الشمس، من ناحية أخري، وذلك ما أوضحته الدراسة جلياً، من خلال اللوحتين التذكاريتين لأمنحتب الثالث مع "الآلهة" حتحور والإله "حورس" ٠
- لقب " حتحور سيدة حتبت" يؤكد صلتها بعقيدة الشمس بمدينة إيونو القديمة، ومن ثم أخذت مكانتها المرموقة بين آلهة المدينة، وأصبح لها دور عبادتها الخاصة بها. فلقد كانت حتحور إحدى آلهات السماء، آنذاك، إذ كان يُطلق عليها في بادىء الأمر إسم: الإله "نوت"، قبل أن تأخذ تسمية الآلهة "حتحور" - أي بيت حورس - أيضا أطلق على حتحور "عين الشمس" نسبة الى قرص الشمس، الذي يظهر دائما بين قرنيها ٠
- قرص الشمس المجّنح وهو أحد الرموز الملكية، التي تمثل دمج ما بين الإله" حورس " والملك بوصفه حورساً على الأرض، إلاّ أن تلك الأجنحة تعد أحد التأثيرات الفنية الخاصة بحضارة بلاد الرافدين، التي عرفت الفن الأسطوري وانتشر فيها بكثرة على نقوش الأختام في العصر السومري، مثل مناظر الحيوانات ذات الأعناق الطويلة الملتفة، ومناظر الأبطال وهم يخضعون الأسود وهم - أي الأبطال- على هيئة تجمع ما بين رؤوس البشر، وأياديهم وبين أجساد وقرون الثيران ٠
- خلصت الدراسة إلى أن فكرة وجود قرص الشمس كرمز للعقيدة الآتونية، وإن كان قد سبق تلك الفترة المحددة للدراسة بزمن بعيد، إلاّ أنها استمرت الى الدولة الحديثة، إذ دللت على خضوع الملوك لآتون في لوحاتهم التذكارية العديدة تحت أشعة الشمس، بما يعد في ذلك ايحياء لتلك العقيدة القديمة قَدم الديانة المصرية القديمة؛ وكذلك يظهر علاقة ملوك الدولة الحديثة بمدينة" ايونو"، مهد العقيدة الشمسية القديمة ٠

استخدم المصري القديم قرص الشمس المجنح استخداماً مزدوجاً، يجمع ما بين الاستخدام العقدي، المتمثل في الحماية لكل من التاج الملكي ومناظر الآلهه وقرص الشمس، والاستخدام الفني كعنصر فني زخرفي لتزيين قمم مقاصير الآلهه ٠

- كان المصري القديم يوظف فنه لخدمة العقيدة الخاصة به، ولعل ذلك ما يوضح الفرق فيما خّلفه المصري القديم من آثار خالدة وتماثيل ومناظر شخصية وعائلية، وما خلفته حضارات أخرى، مثل الحضارة الإغريقية والرومانية. ولعل السّر في ذلك أن المصري القديم كان يعتقد أنه سُيعرض بالهيئة نفسها التي مثّله عليها فنانوه، لذا أبي أن يصور في جلسة غير محتشمة أو غير وقورة، لإعتقاده أنه سُيعرض بالهيئة نفسها على آلهته ومعبوداته.

د٠ اسماعيل عبد الفتاح محمد عبد الفتاح - كلية الاداب- جامعة جنوب الوادي بقنا - (حالياً.كلية التربية للبنات بتبوك - قسم التاريخ - المملكة العربية السعودية: تبوك ص٠ ب: ٧٩٦). Email: altaawoos@hotmail.com

قائمة باختصارات الدوريات المستخدمة بالبحث :

JEA : Journal of EgyptianArchaeology , London .
MAS : Mu``nchner A``gyptologische Studien , Berlien , Mu``nchen .
MDAIK: Mitteilungen des Deutschen Archa``ologischen Instituts, Abteilung Kairo, bis 1944 ; Mitteilungen des Deutschen Instituts fu``rAgypische Altertumskunde in kairo , Berlin Wiesbaden , ab 1970 : Mainz .
OR : Orientalia, Nova Series , Rom .

الهوامش

(١) للتوضيح فلقد ذكرت في الفقرة السابقة في الصفحة نفسها أن عهد "أمنحتب الثالث" يعد تجديداً في إحياء عبادة الشمس، ما يفيد أن تلك العبادة كانت معروفة من قبل. وزيادة في الإيضاح، فإن الاعتقاد في الشمس كقوة مقدسة بمصر القديمة، يعود الى بداية عصور ما قبل الأسرات (من الربع الأول للألف الرابع ق٠م)، وقد تجسد ذلك في معتقدات الدفن، وفي ظهور قرص الشمس على الصلايات التذكارية. أما في عصر الأسرتين الأولى والثانية، فقد تجسّد في اختيار الجهة الشرقية من المقابر لتكون موضعا للشعائر، ومكاناً لمقاصير القربان، كما تجسد في دخول اسم معبود الشمس (رع) في أسماء الملوك المصريين. أما في عصر الدولة القديمة، فتجسد ذلك في اتخاذ المقابر الملكية الشكل الهرمي، وهي بذلك تكون شديدة الصلة بالمعتقدات الشمسية، وكذلك في الأسطورة التي تزعم البنوة الجسدية لأوائل ملوك الأسرة الخامسة لمعبود الشمس (رع)، والتي جاءت في بردية (وستكار)، وكذلك في بناء - - معابد إضافية متعددة للشمس غربي النيل بمنطقة أبو غراب شمالي سقارة، وهي المعابد التي شهدت ظهور المّسلات كرموز خاصة بعبادة الشمس لأول مرة واستمرت طول الفترات التي تلت ذلك.

(٢) الذي بين القوسين تكملة مقترحة للنص بمقارنة تلك اللوحة بمثيلتها رقم (أنظر اللوحة ٥)، وهي تحت النشر في دراسة لاحقة إن شاء الله تعالى ٠

(٣) حتبت " إسم ضيعة في شمال "إيونو" ، وتقع في المنطقة الشمالية الشرقية للمدينة، وتعرف حاليا بـ"بركة الحاج" بحي السلام بشرق مدينة القاهرة ٠

(٤)، وذلك بمطابقة تلك اللوحة بمثيلتها السابقة (٥) وغير المنشورة كما أشرت سابقاً. ونظراً لتطابقهما تقريباً أو تماثلهما، كما أنهما من العصر نفسه، فان الدراسة ترجح تلك التكملة لهذا السطر المفقود، مع الاختلاف في كتابة كلمة (rdit).

(٥) وللتوضيح، فإن كلمة (أتون) ظهرت لأول مرة في المصادر المصرية القديمة في قصة (سنوحي)، التي تنسب أحداثها للملك (أمنمحات الأول) وابنه الملك (سنوسرت الأول) أول ملكين من الأسرة الثانية عشرة، كإشارة الى قرص الشمس كقوة مادية مجردة، لم تكن محملة آنذاك بأي معنى عقائدي، أما المغزى الديني لكلمة (آتون) بوصف آتون هو القوة الكامنة في قرص الشمس والطاقة المحركة لقوى الحياة على الأرض، فلم يكن له وجود قبل عهد الملك (تحتمس الرابع)، والملك (أمنحتب الثالث)، وهي فكرة تدعّمت في عهد (أمنحتب الثالث)، ثم بلغت ذروتها في عهد ابنه وخليفته على عرش البلاد (أمنحتب الرابع)، حينما اتخذ لنفسه اسماً جديداً وهو: (إخناتون) أي "النافع لآتون" ٠

(٦) وذلك بمطابقة تلك اللوحة بمثيلتها السابقة (٥) وغير المنشورة كما أشرت سابقاً. ونظراً لتطابقهما تقريباً أو تماثلهما، كما أنهما من العصر نفسه، فإن الدراسة ترجح تلك التكملة لهذا السطر المفقود ٠

(٧) للتوضيح : تلك النّقبة عُرفت كرداء قبل الدولة الحديثة، وهي زي توارثه ملوك الوحدة عن أسلافهم الشماليين ملوك "بوتو"، ولم يقتصر إرتدائها أيضاً على الملوك فقط، فلقد ارتداها كبار الأفراد أو الشخصيات، بدءا من الوزير (مرروكا) - وزير الملك" تتي" وصهره، أول ملوك الأسرة السادسة - كما ارتداها راقصي "الموو" كممثلين لشعائر "بوتو" القديمة، والتي جاءت مناظرهم في أماكن عدة من مقابر الأشراف، من عصور الدولة الحديثة بالبر الغربي بالأقصر ٠

المراجع العربية

أولاً: المراجع العربية والمعربة

أحمد بك كمال (د. ت)، **ترويح النفس في مدينة الشمس**.

العادلي، سناء عبد العظيم، **الفكر والديانة في مصر الفرعونية**، القاهرة، ١٩٩٩ .

------------ ، **تاريخ مصر الفرعونية**، القاهرة، ٢٠٠٠ .

هورننج، إريك، ١٩٩٦، **وادي الملوك: أفق الأبدية**، ترجمة محمد العزب موسى، القاهرة .

ايفان كونج، ١٩٩٨، **السحر والسحرة عند الفراعنة**، ترجمة: فاطمة عبد الله، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.

سليم، أحمد أمين، ١٩٨٩، **في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر- سورية القديمة**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

صالح، عبد العزيز، ١٩٧٩، **الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، مصر والعراق**، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

عمر، ناجح، ٢٠٠١، نصب ايونو التذكارية والجنائزية خلال فترتي الدولة الحديثة والعصر المتأخر، رسالة دكتوراة (غير منشورة)، آداب بنها، جامعة الزقازيق.

نور الدين، عبد الحليم، **اللغة المصرية القديمة**، القاهرة، ١٩٩٨ .

ثانياً: المراجع غير العربية:

Allam, S. 1963. “Beitrage Zum Hathor Kult”, **MAS** 4 .

Armour, R 1989. **Gods and myths of Ancient Egypt**, The American University in Cairo.

Assmann, J. 1978. “Eine Traumoffenbarung der Gottin Hathor”, **RdE**, 30.

Bakry, H . S. K 1967. “Was there a Temple of Horus at Heliopolis ?”, **MDA1K**, 22.

Balbousch, M . 1967. “Preliminary report on the new discovery of the temple of Ramesses II at Helioplis (seasons 1964-1967)". **ASAE** 63 .

----- 1976. “General Soundings in heliopolis”, **GM**: 22.

Daumas, F. 1983. **L`expression du socre dans la religion Egyptienne L ouvain** .

Derchaim, P. 1972. **Hathor Quadri frons, Istanbul**, p. 38-41 .

Du Quesne 1996. **Spirits of the hidden land, an analysis of the b3w-Imntt in Egyptian texts and iconography**.

El-Adly, S. 2000. “Hathor Herkunft und Entstehung”, **The eighth International Congress of Egyptologists, Cairo** .

El-Banna, E. 1986. “A propos de la de`signation (pe`re des dieux)" (it ntrw), **BIFAO** . 86.

Erman, A ; & Grapow, H. 1971. **Worterbuch der Aegyptischen Sprache** I ; III, Berline.

Gardiner, A. 1978. **Egyptian grammer**, Oxford.

-----------------1944. “Horus The Behdetite”, **JEA**, 30 .

Ginzburg 1900. **Myths, emblems, clues**, London.

Golan, A. 1991. **Myth and Symbol**, Jerusalem.

Grandet, P. 1994. “Le Papyrus Harris”, **RDE**, 109 .

Griffith, F; Ll. 1926. “Stela in honour of Amenophis III and Taya, from Tell El-Amarnah”, **JEA** ; vol. XII.

Holzi, R. 1992. “Topped stela from the middle kingdom to the late period” **SCIE**, I,Wiesbaden .

Lacau, P. 1926. "Suppression des noms divins dans les Textes de la chambre fun`eraire", **ASAE** ; 26 .

Leclant, j .1971. "Unter diesem Titel fortlaufend", **Or**, 40.

Moursi and Balbousch 197 .in **MDA1K**, 31 .

Mconald, J. 1981. "An Eighteenth Dynasty Linen in The Museum of Fine Arts", Boston, **JEA:** 67 .

Moursi, M ; and Balbousch, M. 1975. "Funde aus dem tempel Ramses II in Tell el-Hisn bei Heliopolis", **MDA1K**, 31 .

Staiehelin, E. 1966. "Untersuchungen zur Agyptischen Tracht im Alten Reich", **MAS**, 8.

Sethe, K. 1960. **Die Altagyptischen Pyramidentexte**, erster band, Hildesheim.

Shaw, in : **JEA**, 80, 1994.
Simpson, W.K. 1988. "A Protocol of dress the royal and private fold of the kiet" , **JEA** .

Vandier, J. 1965. RDE 16, Iousaas Et Hathor-Nebet-Hetepet, Paris, Sourouzian, Merenptah, p. 61 f.

Westendorf, W. 1967. in **ZAS**, 92.

Wilkinson. 1971. "Ancient Egyptian Jewellery", , London .

Winkler, Randall, Maciver &Mace, El-Amrah and Abydos, **Wb** ; III, S. 3 .

نموذج للمسكن النبطي من مدائن صالح

ضيف الله الطلحي

ملخّص: يتناول هذا البحث احد المساكن النبطية، التي اكتُشفت في المنطقة السكنية داخل موقع مدائن صالح، الذي يُعَدُّ أحد المواقع الأثرية المهمة، شمال غربي المملكة العربية السعودية. ويستعرض أهم عناصر الموقع الأثرية، والدراسات التي أجريت حوله، ثم يسرد بعض الأمثلة المشابهة من المدن النبطية الأخرى، مع التركيز على الوحدة السكنية المكتشفة في مدائن صالح، من جهة تخطيطها وأسلوب بنائها ومواد البناء المستخدمة فيها. كذلك، يستعرض البحث أهم المعثورات التي وجدت بالمنطقة من فخار، ومعثورات دقيقة. كما يحاول البحث تأريخ البناء استناداً إلى الأدلة الأثرية المقدمة.

Abstract. *This article is about a private Nabataean house that was discovered inside the residential area at Madain Salih, one of the most important archaeological sites in the north west of Saudi Arabia. The article discusses the main archaeological elements of the site, previous studies, and some parallel examples from different Nabataean sites. The main part of the article is about the residential unit: its plan, building technique, building material and function. The archaeological finds such as pottery and small finds have also been discussed. Finally, an attempt has been made to date the building according to the available archaeological evidence.*

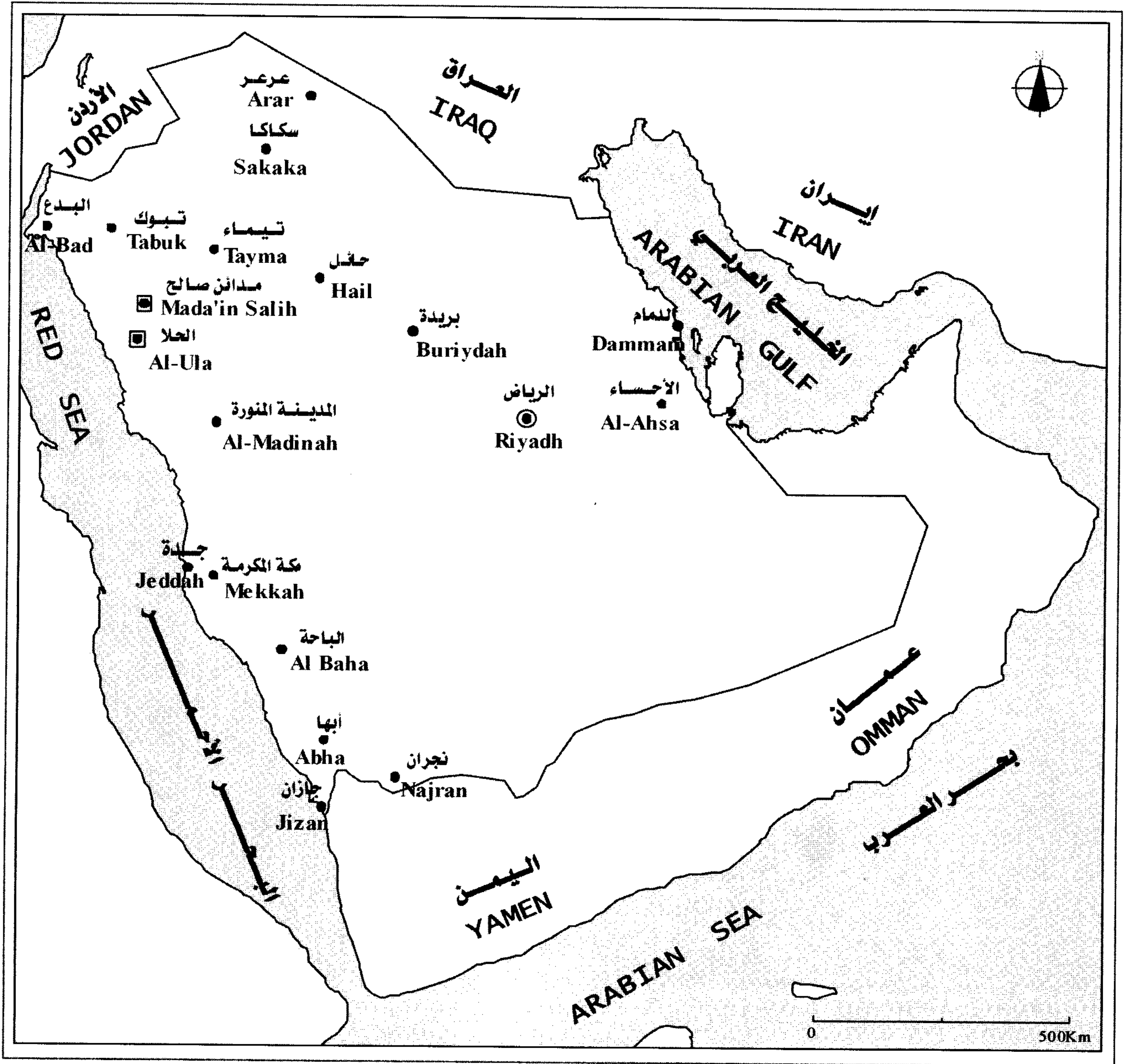
مدائن صالح: الموقع والأهمية

تقع مدائن صالح شمال غربي المملكة العربية السعودية، على بعد حوالي ٢٠ كيلاً شمالي مدينة العلا، عند خط طول ٥٢ ٣٧ شرقاً ودائرة عرض ٤٧ ٢٦ شمالاً (الخريطة ١). وقد عرُفت قديماً باسم الحِجْر. والموقع عبارة عن فيضة رملية تحيط بها الجبال من جميع الجوانب ، وهي جبال بديعة التكوين صخورها من الحجارة الرملية. والسهل الفسيح، الذي تقع به المنطقة السكنية هو نقطة التقاء واديي الحمض والمزز.

وأهم عناصر الموقع الأثرية المقابر (اللوحة ١) بما تحويه من كتابات بعضها مؤرخ، وهي نقوش تتفاوت في طولها من سطر واحد إلى أكثر من عشرة أسطر، وتزودنا بمعلومات مهمة عن حقوق الدفن، والغرامات التي تدفع في حالة التعدي، وأحيانا اسم النحّات الذي نفّذ العمل. ويبلغ تعداد هذه المقابر، حسب المسح الذي أجرته وكالة الآثار والمتاحف بالتعاون مع المعهد الجغرافي الفرنسي، ١٣٨ مقبرة، منها ٣٦ مقبرة تحمل نقوشاً ، ٣٣ منها مؤرخة. وتتراوح هذه التواريخ ما بين عامي ١ ق. م إلى ٧٥م.

وإضافة إلى المقابر، تعد منطقة جبال اثلب بمثابة المنطقة الدينية في الموقع، إذ تضم الديوان (اللوحة ٢)، وهو غرفة منحوتة في الصخر ولها واجهة مفتوحة وبداخلها مصاطب للجلوس منحوتة في الصخر، وربما استخدمت لإقامة الشعائر الدينية. وتضم المنطقة عدة خزانات للمياة، إضافة إلى قناة محفورة في الصخر، وربما استخدمت هذه المياة لغرض التطهر قبل القيام بالعبادات. وتنتشر بجوار الديوان تصاوير للآلهة محفورة في الصخر. ومن العناصر الأثرية المهمة في الموقع المنطقة السكنية، التي تقع في المنطقة السهلية في موقع متوسط بين المقابر. ويمكن مشاهدة أساسات الجدران الحجرية إضافة إلى كسر الفخار فهي ظاهرة على السطح. ومن معالم الموقع القلعة، وهي مبنية من الحجر وبداخلها بئر وملحق بها بركة في

العدد العاشر جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ - يوليو (تموز) ٢٠٠٤م
(ص ص ٣٥ - ٤٨) ردمد ٨٩٤٧-١٣١٩



الخريطة ١: موقع مدائن صالح في شمال غربي المملكة العربية السعودية.

الخارج، ومن المرجّح أنها تعود إلى العهد العثماني. وتجدر الإشارة إلى عنصر مهم في الموقع، وإن لم يكن تاريخه موغل في القدم، وهو سكة حديد الحجاز التي تخترق الموقع، إضافة إلى مباني المحطة المتعددة والتي خصصت إحداها لصيانة القطار (اللوحة ٣). ولا يزال القطار واقفاً ربما في انتظار دوره في الصيانة والانطلاق من جديد، ولكن ليس إلى المحطة التالية وبل لينقل الزوار والسيّاح في جولة حول المعالم الأثرية.

الدراسات السابقة عن الموقع

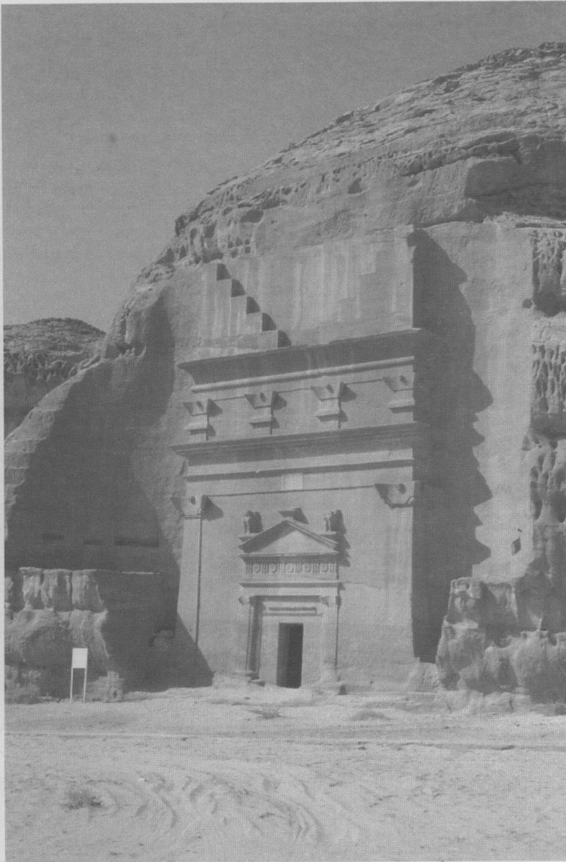
تركّزت معظم الدراسات التي أجريت في مدائن صالح على المقابر النبطية، وما تحتويه من كتابات، وهي تعد أبرز آثار الموقع وأكثرها لفتاً للانتباه. لقد بدأت هذه الأبحاث منذ وقت مبكر، عندما زار الرحالة الإنجليزي شارلز دوتي الموقع في عام ١٨٧٦م ، قادماً مع قافلة حجاج من سوريا. وتوقف في مدائن صالح، وأقام في القلعة، ثم تجول في الموقع ودوّن ملاحظاته واستنسخ بعض النقوش

(Doughty, 1888).

وقد تلا دوتي الرحالة هوبر، الذي قَدِمَ إلى الموقع مرتين، الاولى عام ١٨٨٠م، والثانية عام ١٨٨٤م بصحبة أويتنج (Huber 1884). كما زار الموقع العالمان الفرنسيان جوسن وسافيناك عامي ١٩٠٧و ١٩٠٩-١٩١٠ م، وأجريا دراسة علمية مميزة، بعد أن سجّلا معظم النقوش والكتابات في المنطقة وترجماها. كما رسما واجهات المقابر وصوّراها. وتعد دراستهما عن الموقع، خاصة النقوش، الأساس الذي قامت عليه معظم الدراسات اللاحقة في هذا المجال (Jaussen and Savignac 1909-1914).

ومن الأبحاث التي تناولت منطقة العلا، الأطروحة التي قدمها الأنصاري لنيل درجة الدكتوراة إلى جامعة ليدز، وموضوعها أسماء الأعلام اللحيانية (al-Ansary 1966). كما درس كل من وينت وريد بعض النقوش من مدائن صالح (Winnett and Reed 1970).

وقد زارت بعثة آثرية من معهد الآثار بجامعة لندن، وتضم كلاً من بيتر بار ، وهاردنج، ودايتون، موقع مدائن صالح، زيارة قصيرة، والتقطوا بعض الكسر الفخارية من


اللوحة ١: احدى واجهات المقابر النبطية المنحوتة في الصخر بمدائن صالح.


اللوحة ٢: الديوان، غرفة منحوتة في الصخر، جبل أثلب، مدائن صالح.

النوع النبطي الروماني، التي تؤرخ إلى القرن الأول الميلادي، إضافة إلى بعض الكسر من الفخار الملون التي أعادوها إلى القرن الأول ق. م. (Parr et al 1971).

ومن الأعمال المهمة التي أجريت بالموقع، المسح الذي نفّذه المعهد الجغرافي الفرنسي بإشراف وكالة الآثار في عام ١٩٧٩م، وشمل تسجيل المقابر والمعالم الأثرية في الموقع وتقديم خرائط تفصيلية عنه، إضافة إلى صور جوية؛ إلا أن هذا العمل وعلى الرغم من أهميته لم ينشر بعد.

ومن الأعمال التي تناولت الموقع، خاصة الناحية التاريخية، ما ذكره الجاسر في كتابه شمال غرب الجزيرة (الجاسر ١٩٨١). وفي مجمل الدراسة، التي أجراها عبدالله نصيف عن منطقة العلا، في رسالته المقدمة إلى جامعة مانشستر لنيل درجة الدكتوراة ، إذ تطرّق إلى بعض جوانب موقع مدائن صالح (Nasif 1988).

ومن الأعمال التي تناولت آثار منطقة العلا، ومن ضمنها آثار مدائن صالح، كما ضمنت دراسة للمقابر وما تحويه من نقوش، إضافة إلى العناصر الأثرية الأخرى في الموقع، تلك الدراسة التي أجراها كل من الأنصاري، وغزال وكنج (الأنصاري وآخرون ١٩٨٤). ومن الدراسات المهمة التي تناولت نقوش مقابر مدائن صالح، تلك التي أجراها جون هيلي الذي عمل لفترة مستشاراً لمشروع ترميم مدائن صالح. فقد نسخ النقوش ودرسها وترجمها (Healey 1993).

إلا أن أعمال الحفر والتنقيب لم تبدأ إلا في عام ١٩٨٦م، عندما شرعت وكالة الآثار والمتاحف في أعمال الحفر في المنطقة السكنية. واستمرت هذه الأعمال لأربعة مواسم، ثم توقفت منذ عام ١٩٩٠ . وقد نشرت نتائج مبدئية لها في حولية الآثار أطلال: (البراهيم ١٩٨٨، ١٩٨٩؛ علي ١٩٩٠؛ الطلحي ١٩٩٦).

كما أجرى أبو الحسن دراسة للكتابات اللحيانية من جبل عكمة من منطقة العلا (أبو الحسن ١٩٩٨). وكذلك للذييب دراسة عن نقوش الحجر النبطية تتضمّن دراسة تحليلية مفصلة لنقوش المقابر، إضافة إلى نقوش أخرى من المنطقة مصحوبة بفهرس للأعلام والآلهة والقبائل والأماكن (الذييب ١٩٩٨)



اللوحة ٣: محطة صيانة القطار في مدائ صالح.

ومن الدراسات التي صدرت حديثاً عن الموقع، تلك الدراسة التي أعدها الأنصاري وأبو الحسن عن العلا ومدائن صالح (الأنصاري وأبو الحسن ٢٠٠٢م)

المسكن النبطي

تعد أمثلة المساكن النبطية المكتشفة في حدود المملكة النبطية شحيحة للغاية، مقارنة بما وجد من دلائل أثرية متنوعة، كالمباني العامة، والكتابات، والعملات، والأواني الفخارية؛ ولذلك فهي أقل هذه العناصر حظاً من الدراسة. ولعل ندرة المساكن الخاصة دفع ببعض العلماء إلى الاعتقاد بأن المدن النبطية، مثل البتراء، لم تكن مخصصة للسكن، وإنما كانت مراكز للحياة العامة تنتشر بها المباني، مثل المسارح، والحمامات، والمقابر، بينما يعيش السكان خارج حدود المدينة في الخيام بالقرب من مواشيهم، ويفدون للمدينة للتجارة أو العمل، ثم يعودون إلى خيامهم.

ولعل من أبرز الأمثلة المعروفة عن المساكن النبطية الخاصة ما وجد في قريّة، حيث كشف عن مبنيين نبطيين، أحدهما تخطيطه غير واضح المعالم، به باحة فسيحة أطوالها ١٤ × ١٥م تلي المدخل وتتصل بها غرفة صغيرة أطوالها ٥ × ٣,٥م في ركنها الشمالي الشرقي. وعلى يمين المدخل غرفة صغيرة أطوالها ٣ × ٤م ربما استخدمت

للحراسة. وفي شمالي الساحة غرفة كبيرة أطوالها ٧,٥ × ١٤م لم تتضح علاقة اتصالها بالصالة.

ومن الملاحظ أن الجدران لم تُبْنَ من حجارة حسنة التشذيب، والمداميك ليست مستقيمة البناء، وهي من حجر رملي أصفر مع مونة طينية. ويوجد في الجدران الخارجية فتحات أفقية، ربما استخدمت ليستند عليها الخشب. وقد أرخ هذا المبنى إلى الفترة النبطية لوجود تاج عمود نبطي، وأربع من قواعد الأعمدة عليها آثار النحت المائل، الذي تميز به الانباط (Parr et al 1968: 228).

وفي وادي الشقري شمالي روافة، توجد أطلال مبانٍ أحدها مربع الشكل أطواله ٧ × ٧م، متبق من جدرانه مدماكان مبنيان من صفين من حجارة مربعةً الشكل، مُلء الفراغ بينهما بالرديم والأحجار. وقد وُجِدَ هذا الأسلوب من البناء في البتراء، وتحمل الجدران الخارجية آثار لياسة . وقد عثر في المبنى على فخار يؤرخ في الفترة من القرن الأول الى القرن الثاني الميلادي (Parr et al 1968: 27-28).

كذلك، من الأمثلة الأخرى ما وجد في البتراء ويعرف باسم (البيت الملون)، ويحتوي سقفه على رسومات نباتيه وأشكال طيور (McKenzie 1990: 152). وما وجد في البتراء أيضاً بالقرب من سور المدينة من غرف عديدة، تبدو وكأنها ملحق للبناء الرئيس، وقد بنيت الجدران الداخلية بحجارة من الحجر الرملي الهش، أما الجدران الخارجية فقد بنيت بحجارة مشذبة. ومن الملفت للنظر وجود فتحات أفقية في الجدران بينها مسافات تتراوح من ١,٥-٢ متر، وربما استخدمت ليستند عليها خشب السقف. وقد وجد في المبنى آثار لياسة ودهان على الجدران الداخلية. وفي ضوء المعثورات التي وجدت يمكن تأريخ المبنى إلى القرن الثاني الميلادي (Parr et al 1960: 30-127).

وفي شرقي البتراء كُشف عن أساسات مبنى ، صغير الحجم مستطيل الشكل ٢,٨ × ٢,٦ م، مبني من حجارة الوادي غير المهذبة، ومن دون مونة. وقد وجد في المبنى فرن من الفخار دائري الشكل، يستند على رقائق حجرية، إضافة إلى طابون لعمل الخبز. عُلِّلَ صِغَرَ حجم المسكن بأن السكان يؤدون كثيراً من أنشطتهم خارج المنزل. وقد أُرِّخَ هذا المبنى اعتماداً على المعثورات إلى القرن الأول قبل الميلاد (Zeitler 1990: 385-420).

ومن الأمثلة ايضاً المبنى الذي وجد في ممفس، والمسمى بالقصر (مبنى ١). للمبنى مدخل رئيس في واجهته الجنوبية ، بجواره غرفة يعُتقد أنها للحراسة. ومن المدخل يتم الوصول إلى صالة مبلطة تفتح عليها غرف عديدة. ومن الملفت للنظر أن إحدى هذه الغرف أرضيتها مبلطة بالخشب. كذلك وجدت بعض الجدران مليّسة ومدهونة باللون الأبيض. كما وجدت في بعض الجدران كوات ربما استخدمت لتوضع المصابيح بداخلها (Negev 1986: 59-36).

وفي خربة الذريح وجد مبنى مربع الشكل أطواله ٣٥ × ٣٥م، حفرت إحدى غرفه وهي مربعة الشكل طول ضلعها ٥م. وجدرانها الداخلية مبنية من حجارة غير مشذبة بعناية، ومليّسة من الداخل، وعلى أرضيتها لياسة من عدة طبقات. والمثير للاهتمام في هذا المبنى وجود أقواس من حجارة مشذبة يعتقد أن السقف كان يستند عليها (المحيسن و آخرون ١٩٩٠: ١٠).

وفي ذيبان كُشف عن مبنى مستطيل الشكل أطواله ١٧,٥ × ١٤,٥م، له أساسات من الحجر الصلب وضعت على الطبقة الصخرية، وقد أعطت بناية أركان المبنى اهتماماً خاصاً حيث إن زواياها قائمة ومشيَّدة من حجارة كبيرة مقصوصة بعناية؛ كذلك مُنح الوجه الخارجي للجدار من الخارج اهتماماً، فهو مبني من حجارة مشذبة بعناية عليها علامات نحت الأزميل المائلة، التي يتميز بها النحت النبطي (Tushingham 1954: 6-26).

الوحدة السكنية في مدائن صالح

كُشف عن هذه الوحدة ، داخل حدود المنطقة السكنية، التي تقع في منطقة متوسطة من الموقع الأثري، بين مجموعة مقابر قصر البنت شرقاً وخط الحجاز الحديدي غرباً. وتنتشر بالمنطقة التلال الأثرية، التي يكشف بعضها

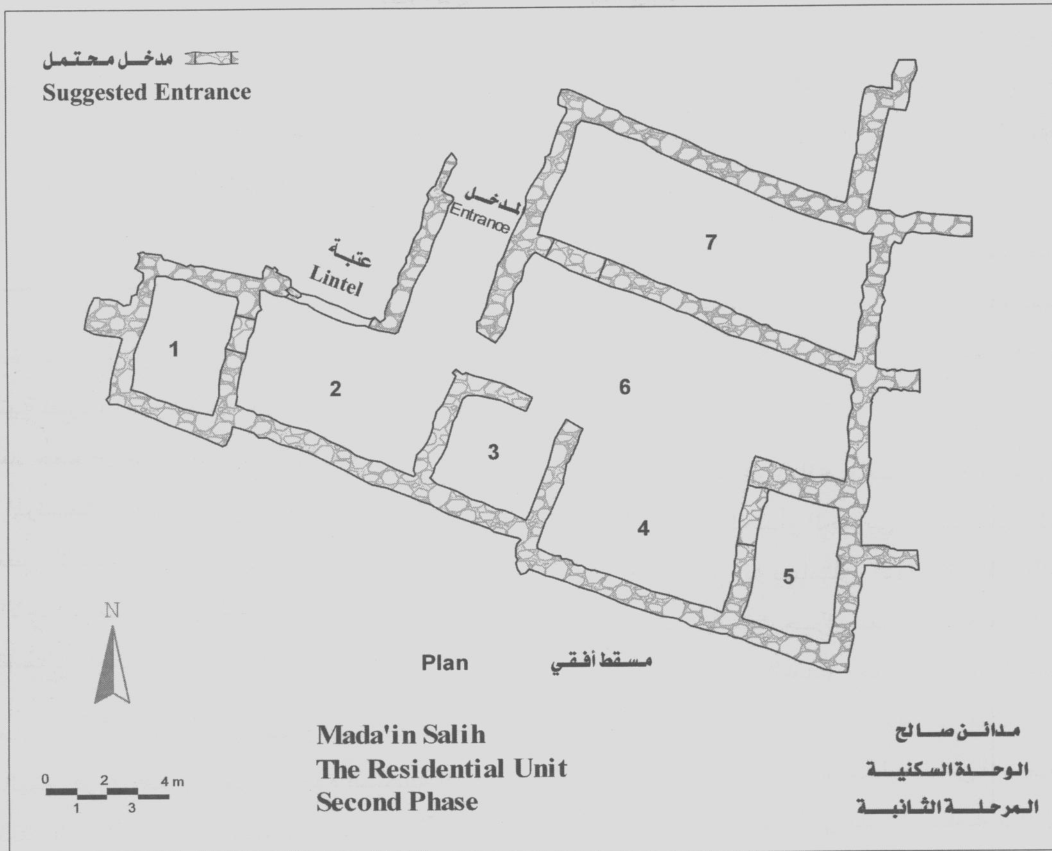


اللوحـة ٤: المنطقـة السكنيـة في مدائن صالح.

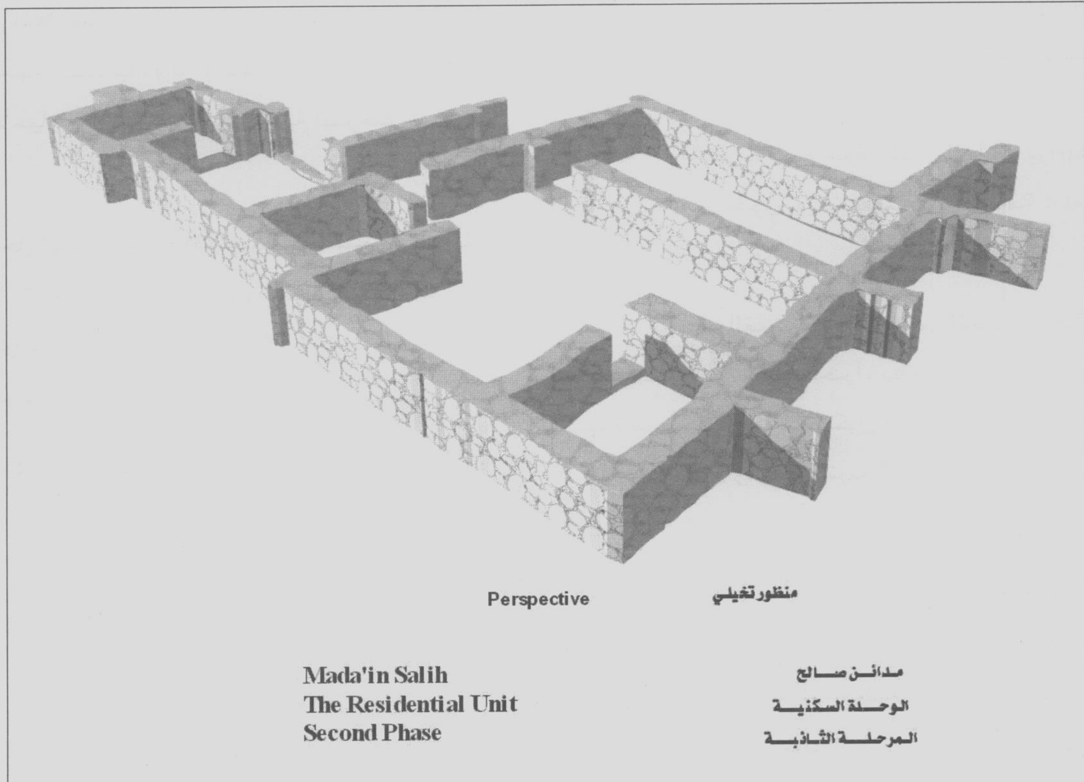
عن أساسـات حجـرية متـفاوتة في الأحـجام وفي أسلوب البناء. وتعد المنطقة السكنية صغيرة الحجم نسبياً مقارنة بحجم المنطقة الأثرية المحيطة، إذ تبلغ حوالي ٩٤ هكتاراً من إجمالي حجم الموقع الأثري الذي قد يصل إلى قرابة ٣٦٣ هكتاراً، إذ تشكل حوالي ١٣٪ من المساحة الإجمالية للموقع.

والمنطقة السكنية محاطة بسور ، تظهر معالمه واضحة في وسط الموقع حسبما اتضح من المجسات، التي أجريت عليه. ويدلنا السور على أن مدائن صالح كانت مدينة مسوّرة. وقد أظهرت المجسّات، التي أجريت حول السور في جزئيه الجنوبي والشرقي، الأسلوب المتّبع في البناء. فقد كشف المجس الذي أجري في الجهة الجنوبية عن أربع طبقات، تنتمي لفترة سكنية واحدة. فالطبقة العليا تتكون من تربة طينية سوداء صلبة ، تكّونت من تساقط لبن الجدران واختلطت بالتربة الرملية. والطبقة الثانية تتكون من تربة رملية حمراء، والثالثة من تربة طينية سوداء مختلطة بالرمل، والرابعة من رمل أحمر ناعم. وقد بني جدار السور في هذه الجهة فوق الرمل مباشرة من دون أساسات حجرية. ويتضح في الجزء الأسفل من الجدار وجود مدماكين من اللبن، أما مقاسات اللبنة فهي: ٢٣سم طولاً، ١٥سم عرضاً، ١٢سم ارتفاعا. ولا تظهر مداميك اللبن بوضوح في الجزء العلوي من الجدار. وبلغ عرض السور في هذه الجهة ٢,٣٥م وارتفاعه ١,٢-١,٤م.

أما المجس الذي نفذ في الجهة الشرقية، وعلى الرغم من أنه ينتمي للفترة نفسها، وقد ظهرت الطبقات نفسها مع اختلاف في السماكة، إلا إنه قد أظهر اختلافاً عن سابقة في أسلوب البناء، إذ وجدت بعض الأحجار في الجزء الأسفل، وقد استخدمت أساسات للبناء، حيث كُشف عن مدماكين من الحجر المشذب، كبير الحجم ٨٠ × ٣٥ × ٢٠ سم ربط بينهما بمونة طينية. بُنيا على الرمل مباشرة، بينما استكمل باقي الجدار بالطين، الذي تتضح لبناته وتبلغ مقاساتها ٤٠سم طولا، ١٠سم ارتفاعاً. وقد بلغ عرض الجدار في هذه الجهة متران، أي أقل بحوالي ٣٥سم عن الجزء الجنوبي، ولقد لوحظ حول هذا الجدار وجود مجموعة من الأحجار على هيئة دائرة توحي بوجود برج دائري، ولكن لم يسعف الوقت للكشف عنه.



الشكل ١: مسقط أفقي للوحدة السكنية في مدائن صالح.



الشكل ٢: منظور تخيلي للوحدة السكنية في مدائن صالح.

إن تصميم بناء السور، من حيث قلة السّماكة ومادة اللبن المستخدمة في البناء، وضعف الأساسات، لا يوحي بأن الجدار قد استخدم كعنصر دفاعي وحيد يؤمن الحماية للمدينة، ولربما استخدم ضمن منظومة دفاعية مع أبراج مراقبة تعطي إنذارا للمدافعين عن المدينة، أو ربما استخدم لرسم حدودٍ للمنطقة السكنية.

أما الوحدة السكنية ذاتها، فقد كُشف عنها في وسط المنطقة السكنية تقريباً (اللوحة ٤)، حيث اختيرت منطقة الحفر على بعد خمسين متراً جنوبي المقبرة رقم ١٣١ ، في أحد التلال المرتفعة ، والذي يظهر على سطحه كسر فخارية، وبعض الأساسات الحجرية. وقد سوّر الموقع واستخدمت الأحرف على المحور الشرقي الغربي، والأرقام على المحور الشمالي الجنوبي.

واتضح بعد اكتمال أعمال الحفر وجود مرحلتين سكنيتين متتاليتين في الموقع، وتنتمي الوحدة السكنية إلى المرحلة الأحدث (الشكلان: ١، ٢). وتأخذ الوحدة اتجاهاً شمالياً مع انحراف قليل للشرق ، وميل من الشرق باتجاه الغرب. ومن الملاحظ أن الجدران في الجهة الجنوبية أقل اتقاناً من الجهة الشمالية، وقد وضعت الأساسات الحجرية في معظم الأحيان فوق الأساسات الطينية للمرحلة السكنية الأقدم.

يقع المدخل لهذه الوحدة في جدارها الشمالي، ويبلغ اتساعه ٢,٢٥ متراً ويقود مباشرة إلى الغرفة رقم (٢) وتتراص الغرف ذوات الأرقام: ١، ٢، ٣، ٤، ٥ متجاورة على الجدار الجنوبي للوحدة.

والغرفة رقم ٢ مستطيلة الشكل ٦ × ٣,٨م، والى الغرب منها الغرفة رقم ١ وهي مستطيلة أيضا ٣,٧٥ × ٢,٧٥ م، وجدارها الشرقي أطول من الغربي بحوالي ٠,١٥م ، والمدخل إلى هذه الغرفة عبر غرفة أخرى هي الغرفة رقم (٢).

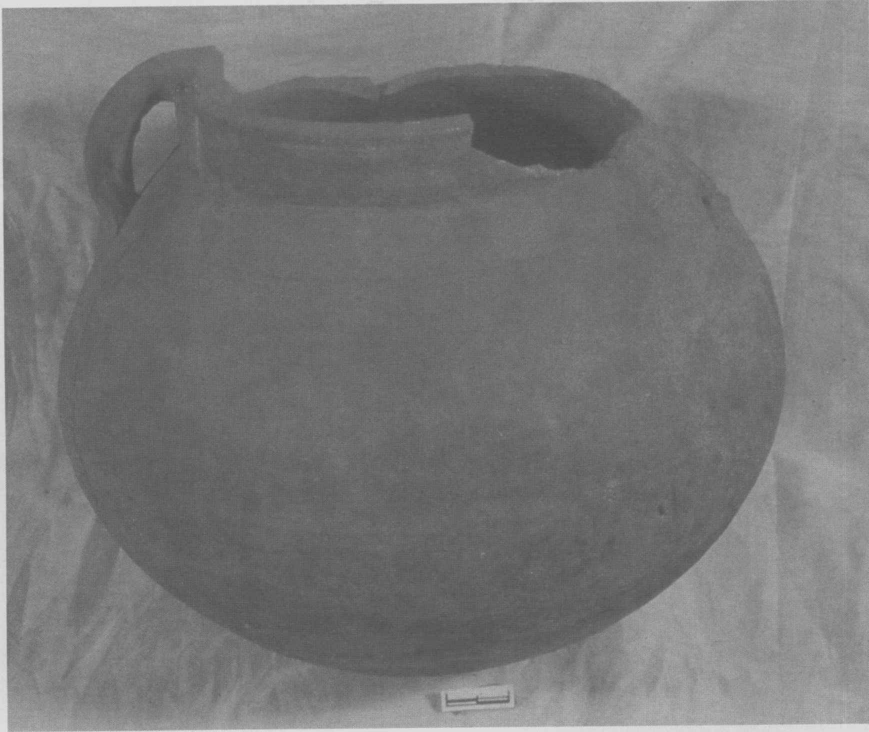
أما الغرفة رقم (٣)، فتقع إلى الشرق من الغرفة رقم (٢)، وهي مستطيلة أيضاً ٣ × ٣,٢٥م ومدخلها في جدارها الشمالي. والغرفة رقم (٤) مستطيلة الشكل وكبيرة الحجم ٦,٢٥ × ٤,١م. أما الغرفة (٥) فلم يتضح وجود مدخل لها وهي مستطيلة الشكل ٣ × ٤,٢م وتقع إلى الشرق من الغرفة (٤).

وتقع الباحة المفتوحة (٦) في مكان متوسط من البناء وهي مستطيلة الشكل ١١ × ٦م ، وتطل عليها معظم الغرف. وتعد الغرفة (٧) هي الأخيرة في الوحدة ، وهي أكبر الغرف حجماً، ١١ × ٧م.

وقد بنيت الجدران الخارجية للوحدة من الحجارة الرملية، ويمتد الجدار الجنوبي للوحدة من الشرق الى الغرب بطول ٢٤م وبه دعامتان، الأولى في ثلثه الأول باتجاه الشرق، وقد تشكّلت جرّاء انعطاف الجدار إلى الداخل بزاوية قائمة ، يمتد الجدار بعدها باتجاه الغرب، ويتكون من مدماك واحد من حجارة رملية غير مشذبة ذات ألوان وأحجام مختلفة. ويبلغ متوسط مقاس الحجر ٠,٤٥ × ٠,٢٣م. وتتكون الجهة التي تلي الدعامة من الجدار من ثلاثة مداميك من حجارة رملية أفضل حالاً من حيث الشكل وحسن التشذيب من الجزء السابق، خاصة المدماكين السّفليين حيث الحجارة متقاربة في الحجم(٠,١٩ × ٠,١٣ × ٠,٤٠م)، وبعد أن يمتد الجدار لمسافة ١٠ أمتار ينكسر مرة أخرى للداخل بزاوية قائمة مشكلاً دعامة أخرى، ويمتد بعد ذلك لمسافة ٤ أمتار إلى أن يلتقي بالضلع الغربي.

يُعد الجدار الغربي للوحدة أسوأ الجدران حالاً، حيث تعرض لتدمير شديد جراء دفع الرمال والطين لأجزاء كثيرة من أحجاره. وهو يتكون من ثلاثة مداميك، الأوسط منها من حجارة رقيقة وتتوسطه دعامة تبرز إلى الخارج، ويبلغ طوله ٥ أمتار.

أما الجدار الشمالي للوحدة، فيبلغ طوله ٢٤م ، ولم يتبقَ منه سوى مدماك واحد في اجزاء كثيرة منه. وقد بني الجدار من حجارة رملية مختلفة الأحجام والألوان، وتوجد به دعامات بنيت بالأسلوب نفسه، المعمول به في جدران الوحدة الأخرى السابق وصفها.



اللوحة ٥: آنية للطبخ من الفخار، المنطقة السكنية، مدائن صالح.

وكذلك الجدار الشرقي للوحدة ، فمبني من حجارة رملية مختلفة الأحجام والألوان، وقد بقي منه مدماك إلى ثلاثة مداميك في بعض أجزائه، ولوحظ وجود حجارة كبيرة مشذبة في المدماك الأسفل. أما السطح العلوي للجدار فقد رصت الحجارة فيه على صفين، الأولى طولية والثانية عرضية.

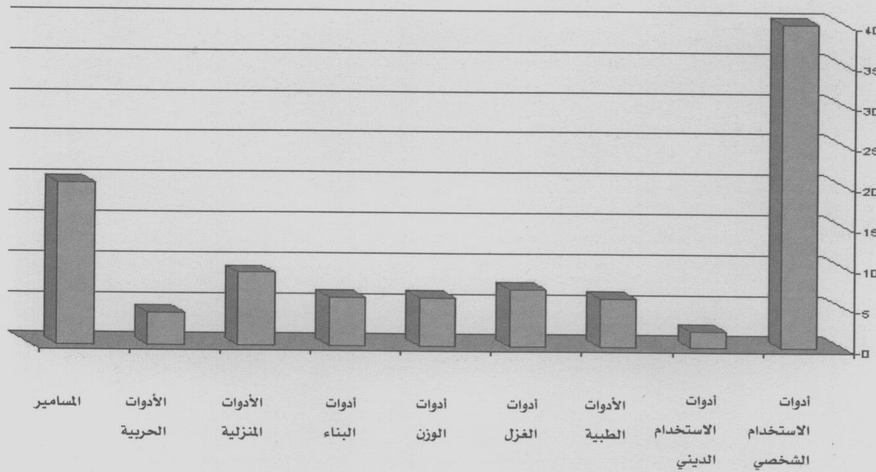
أما الجدران الداخلية للوحدة فهي مشابهة من حيث الشكل وأسلوب البناء للجدران الخارجية، ما عدا الجدار الشمالي للغرفة (٥)، الذي يتكون من ١٠ مداميك، الأسفل منها أساس للجدار ويبرز بحوالي ١٠سم للخارج. وفي منتصف الوحدة تقريباً وفي الغرفة رقم (٦)، وجدت أرضية مبلطة برقائق حجرية تبلغ سماكتها ٣سم.

ومن الملاحظ أن أسلوب البناء في هذه الوحدة بسيط ويخلو من المهارة، فالجدران ليست كاملة الاستقامة، والأحجار غير مشذبة بعناية. كما استخدمت الأحجار الصغيرة لملء الفراغات بين المداميك مع المونة الطينية. كذلك وجد اختلاف في مقاسات الجدران داخل الغرفة نفسها.

وقد استخدم البناء في مدائن صالح أسلوب تقوية الجدران بدعامات يتم عملها بانكسار الجدار للداخل، وهذا الأسلوب وجد في البتراء (Parr 1960, 127). كذلك رصت الأحجار في المداميك بحيث تكون إحدى الأحجار موضوعة بطريقة طولية والأخرى عرضية متعامدة عليها، وهذا الأسلوب وجد شبيهاً له في ذيبان (Tunshingham 1954:0 7).

لم يوجد اختلاف كبير بين أسلوب بناء الجدران الداخلية والخارجية، كما استخدمت المونة الطينية بشكل أساسي بين المداميك، واستخدم اللبن في البناء مع الحجر في آن واحد، وفي الجدار نفسه. وفي بعض الجدران عمد البناء إلى بناء الأركان بالحجارة ثم يكمل بقية الجدار فيما بينها بالطوب الطيني. كذلك وجدت في هذه الوحدة جدران مبنية بأكملها من الطين.

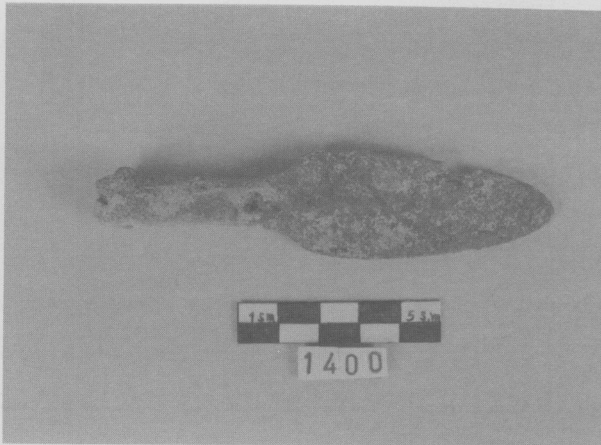
والحجر هو مادة البناء الرئيسة في هذه الوحدة ، ويلاحظ أن الأحجار المستخدمة غير مشذبة غالباً، وتبدو



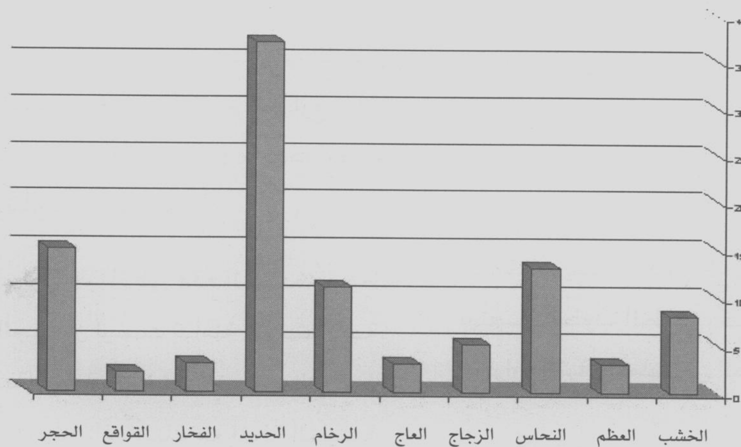
على بعضها علامات الأزميل المائلة. وقد استخدمت الأحجار الصغيرة لملء الفراغات بين المداميك مع المونة الطينية، إلا إنه لم يوجد مقاس موحّد للأحجار في المداميك. واللون السائد هو الأبيض يليه الأحمر ثم الأصفر، واستخدم الطين في هيئة طوب أو عروق.

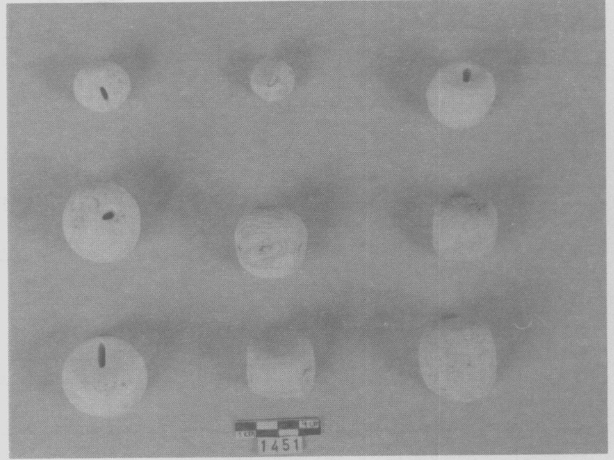
الاستخدام وأهم المعثورات

استخدمت هذه الوحدة لغرض سكني. وكان معظم الفخار المكتشف من النوع المستخدم في شؤون الحياة اليومية، حيث شكلت أواني الطبخ حوالي ٣٨٪ من جملة المعثورات (اللوحة ٥) ، إضافة إلى الأنواع الأخرى التي

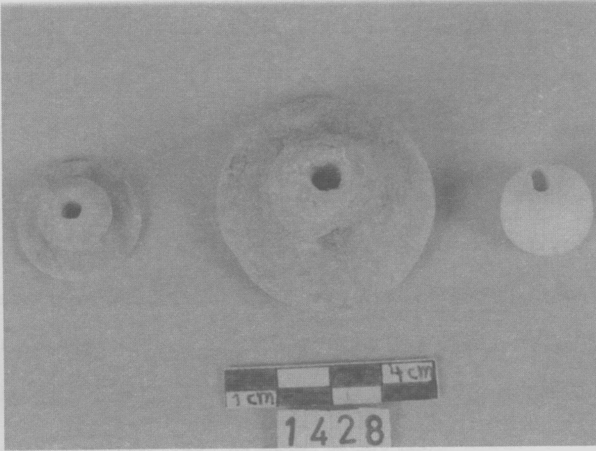


اللوحة ٦: رأس رمح من الحديد، مدائ صالح.





اللوحـة ٧: مجموعة من الخرز بها ثقوب نافذة، المنطقة السكنية.



اللوحـة ٨: رؤوس مغازل، المنطقة السكنية، مدائ صالح.

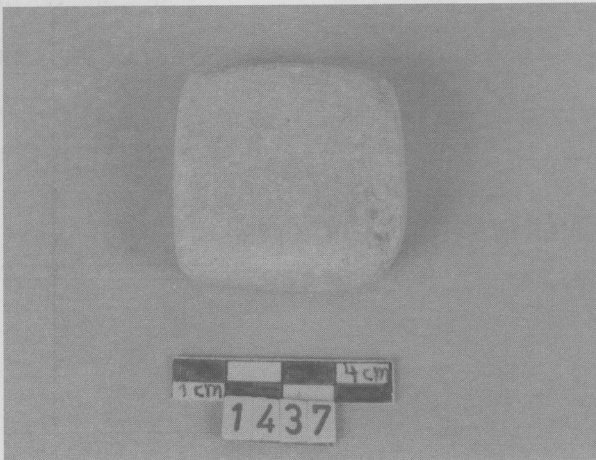
استخدمت للغرض نفسه مثل الأحواض، والأباريق.

كذلك، وجدت كميات كبيرة من المعثورات الدقيقة داخل هذه الوحدة مصنوعة من مواد مختلفة، من الخشب، والعظم، والنحاس، والزجاج، والعاج، والرخام، والحديد، والفخار، والقواقع، والحجر. ويوضّح الرسم البياني (الشكل ٣) المواد المستخدمة في صناعة هذه المعثورات، ونسب كلٍ منها.

استخدمت هذه المعثورات الدقيقة في استخدامات شتى يوضّحها الرسم البياني (الشكل ٤)؛ فأدوات المنزل تمثلها كسرة زجاجية هي جزء من آنية ربما استخدمت لحفظ العطور، والأدوات الحربية يمثلها رأس رمح من الحديد (اللوحة ٦)، والفئة الأكثر وجوداً في قائمة المعثورات الدقيقة هي التي تتصل بأدوات الاستخدام الشخصي، وتمثلها أنواع عديدة: منها الخرز الذي استخدم لصناعة حلي الزينة، وقد صنعت من مواد متنوعة منها: العظم، والرخام، والحجر، والقواقع، وقد وجدت في أشكال مختلفة منها المربع والدائري والمكعب والمستطيل. وقد وجد بها ثقب نافذ ما يؤكد أنها كانت تُربط بخيط (اللوحة ٧) ربما لتعليقها كعقد حول العنق أو أسورة حول المعصم. كذلك، عُثر على أساور، ومشابك للشعر، وخواتم أحدها من العاج ، ومادة العاج ليست محلية، ما يرجّح أنها مستوردة من خارج المنطقة من إفريقيا أو الهند، وهو دليل على وجود



اللوحـة ٩: ملعقة دقيقة من النحاس لخلط المساحيق.



اللوحـة ١٠: قطعة مصقولة من الحجر، ربما استخدمت ثقل للوزن.

صـلات تجـارية للمـوقع مع مناطق تجـارية أخـرى. ومن المعثورات المثيرة للاهتمام ما يتعلق بصناعة النسيج، ويمثّلها رؤوس مغازل من العظم والرخام (اللوحة ٨).

وقد ذكرت إحدى نقوش المقابر (المقبرة رقم ٤٤) أنها مقبرة الطبيب كهلان، ما يدل على أن مهنة الطب عرفت في الموقع. ويؤيد ذلك من المعثورات ملعقة دقيقة استخدمت لخلط المساحيق الطبية (اللوحة ٩). ولأن المنطقة كانت معبراً تجارياً، فإن العثور على أدوات تختص بالوزن والقياس أمراً مرجحاً، تؤكده قطعة مصقولة من الحجر استخدمت لغرض الوزن (اللوحة ١٠).

تأريخ الوحدة:

إن الأدلة المستخدمة في تأريخ الموقع في الدرجة الاولى هي النقوش المؤرخة على واجهات المقابر، ويراوح تاريخها ما بين (١ق .م- ٧٥م) (Healey 1993: 6)، مؤكداً أن الوجود في الموقع كان سابقاً لأقدم مقبرة مبنية. وقد أمدتنا الحفائر بمعلومات تساعد في تأريخ الموقع، مثل الفخار والعملات، إذ وجد في الموقع نوعين من العملات: النبطية والرومانية.

وترجع عشر من العملات النبطية، لهذه الفترة السكنية، إلى عهد الملك الحارث الرابع (٩ ق.م- ٤٠م) بينما ترجع عملتان أُخرتان إلى عهد رب أيل الثاني (٧٠-١٠٦م) أما العملات الرومانية فيعود آخر القطع المكتشفة منها إلى القرن الرابع الميلادي. كذلك الفخار وجدت له نماذج مشابهة من مواقع نبطية أخرى ، منها الفخار النبطي الرقيق، الذي اشتهر في القرن الأول قبل الميلاد، وقد عثر عليه في الطبقات السفلى من هذه الوحدة.

واستناداً إلى هذه الأدلة، فإنَّ فترة الاستيطان لهذه الوحدة تمتد من الربع الأخير من القرن الأول قبل الميلاد، إلى الربع الأول من القرن الثاني الميلادي، وهي الفترة التي شهدت بناء المقابر في الموقع.

لقد انضمت المملكة النبطية إلى الإمبراطورية الرومانية في عام ١٠٦م، ومدائن صالح جزء من هذه المملكة؛ ولكن لا يوجد لدينا دليل واضح من مدائن صالح على الأثر الذي أحدثة هذا الانضمام. فمن الواضح أن مدائن صالح اضمحلت بالتدريج، شأنها شأن المدن النبطية الأخرى، عندما حوّل طريق التجارة من البر إلى البحر بواسطة الرومان. وغني عن القول إن ضم المملكة النبطية إلى الإمبراطورية الرومانية حدث دون عمل عسكري كبير، حيث لم يرد في المصادر ذكر لأي معركة نشبت بين الرومان والأنباط، سوى نص موجز يذكر أن كورونيلس بالما، حاكم سوريا، جعل بلاد العرب تابعة لروما (Bowersock 1983: 79-80). ومن المؤكد أن الحياة قد استمرت بعد ذلك في المراكز النبطية، والشاهد على ذلك وجود إحدى المقابر في البتراء، التي بنيت عام ١٢٧ ميلادي أي بعد ٢١ عاماً من الضم. وعندما يذكر بار أن آخر مرحلة تاريخية في البتراء قد امتدت من نهاية القرن الأول الميلادي إلى القرن الرابع الميلادي، إذ بدأت العمارة وإنتاج الفخار في التدهور (Parr 1970: 369)، فلعل الامر يكون مشابهاً لما حدث في مدائن صالح. فالأدلة الأثرية، خاصة العملات، ترشّح أن يكون القرن الرابع الميلادي هو التاريخ الذي دخلت فيه المدينة طي الهجر والنسيان.

د. ضيف الله الطلحي: قسم الآثـار - وكالة الآثار والمتاحف، ص.ب ٣٧٣٤ الرياض ١١٤٨١ .

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

أبو الحسن، حسين بن علي ١٩٩٨، قراءة لكتابات لحيانية من جبل عكمة بمنطقة العلا، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،

الأنصاري عبد الرحمن الطيب، وحسين علي أبو الحسن، ١٤٢٣هـ، حضارة مدينتين: العلا ومدائن صالح الحجر، دار القوافل للنشر والتوزيع، الرياض

الأنصاري، عبد الرحمن، واحمد غزال، وجفري كينج ١٩٨٤، مواقع أثرية وصور من حضارة العرب، الرياض،

البراهيم، محمد، وضيف الله الطلحي ١٩٨٦،"تقرير مبدئي عن نتائج حفرية الحجر الموسم الاول ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، أطلال ١١: ١٤٠٩/١٩٨٨، ص ص ٥٧-٦٥ .

البراهيم، محمد، وضيف الله الطلحي ١٩٨٩، " تقرير مبدئي عن حفرية الحجر- الموسم الثاني ١٤٠٨هـ"، أطلال ١٢: ص ص ٢٥-٣٣ .

الجاسر، حمد ١٩٨١، في شمال غرب الجزيرة، الرياض.

الذييب، سليمان عبد الرحمن، ١٩٩٨، نقوش الحجر النبطية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية.

الطلحي، ضيف الله، ١٩٩٦، " تقرير مبدئي عن حفرية الحجر مدائن صالح الموسم الرابع"، أطلال ١٤: ص ص ٢٥-٤٢ .

علي، جمال الدين صالح سراج ١٩٩٠، " تقرير عن نتائج حفرية الخريبة الجنوبية بالحجر- الموسم الثالث ١٤١٠هـ "، أطلال ١٣: ص ص ٢٣-٣٧ .

المحيسن، زيدون و نيف فيل، ١٩٩٠، " خربة الذريح، موقع نبطي في وادي اللعبان"، حولية دائرة الآثار الاردنية ٣٤: ص ص٥-١٧ .

ثانياً: المراجع غير العربية:

Al-Ansary, A. 1966. A Critical and Comparartive Study of Lihyanite Personal Name. Ph. D Thesis, Leeds University.

Bowersock, G.W. 1983. **Roman Arabia**, Cambridge, Mass, and London: Harvard University Press.

Doughty, C.M. 1888. **Travels in Arabia Deserta**.

Healy, J. F. 1993. The **Nabtaean Tomb Inscriptions of Madain Salih**, Oxford University Press.

Huber, C. 1884. Voyage dans l'arabie centrale: Hamad, Sammar, Qacim, Hedjaz, **Bulletin de la Socite Geographical Journal** 76: 369-390.

Jaussen, A. and Savignac, R. **Mission Archaeolgique en Arabie**. I, 1909; II, 1914.

McKenzie, J. 1990. **The Architecture of Petra**. Oxford University Press.

Nasif, A. 1988. **Al-Ula an Historical and Archaeological Survey with Special Reference to its Irrigation system**, Riyadh.

Negev, A. 1986. **Nabataean Archaeology Today** .

Parr, P. J. 1960. "Excavations at Petra, 1958-59". **PEQ** 92:124-135.

Parr, P. J., G.L. Harding and J.E. Dayton 1968-69. "Preliminary Survey in N.W. Arabia, 1968", **Bulletin of the Institute of Archaeology**, No 8-9. p193-242.

Tushingham, A. 1954. "Excavation at Dibon in Moab, 1952-53", **BASOR**,133:6-26

Winnett, F. V., and W.L. Reed 1970. **Ancient Records from North Arabia**.

Zeitler, P.John 1990. A Private Building from the First Century B.C in Petra, **ARAM2**:1&2:385-420 .

تصنيف الفخار الأثري: إشكالات النظرية والمنهج

د. أحمد أبوالقاسم الحسن
أ. د. عباس سيد أحمد محمد علي

ملخّص: سواء كان حقيقة أو مبتدعاً، فقد ساد التصنيف في الدراسات الآثارية منذ أن طُرح نظام العصور الثلاثة. وقد عُني به التسلسل الحضاري، وتمييز الكيانات الثقافية والحضارية، ووضع نظام للمعثورات الأثرية (سواء كانت فخاراً أو غيره). ذلك أن أهداف هذا التصنيف والمتغيرات المختارة، هي التي تحدد نوع التصنيف، والأنواع التي تنتج عنه. ويناقش هذا البحث قضايا تصنيف الفخار، ويطرح - بوجه عام- النظريات والمناهج المستخدمة في التصنيف. كما يتناول الإشكالات الخاصة بتلك النظريات والمناهج.

Abstract. *Whether it is real or artificial, classification has dominated archaeological thinking since the introduction of the "three-age system". It was meant to establish sequence, define cultural entities and create order in archaeological artifacts (pottery or otherwise). Goals of classification and attributes selected determine the kind of classification and the kind of types formed. This paper discusses the issues of pottery classification and presents the broad theoretical and methodological approaches utilized in such study. Problems of such theoretical and methodological approaches are discussed along with current trends.*

١- مقدمة

تنبعث فكرة هذه الورقة من إحساس بالقصور في المراجع العربية، قديمها وحديثها، عند تناولها تصنيف الفخار الأثري، على الرغم من أهميته، إلا من إشارات عارضة (الدباغ ١٩٦٤: ٨٧ - ١٠٠؛ سليمان ١٩٧٢: ١٦١ - ١٨٧؛ رزق ١٩٩٦: ٢٢٨ - ٢٣٥؛ غالان ١٩٩٨م؛ الطيار ١٩٩٩م؛ القيسي ٢٠٠١م؛ الأسود ٢٠٠٢م). و تتمثل جوانب القصور في هذه الإشارات في رأى الكاتبين، في عدم مواكبتها لمناهج تصنيف الفخار الأثري وإشكالياتها. هذا من ناحية، ومن ناحية أخري فإن الدراسة تأمل، كذلك، أن تسلط الضوء علي تلك المناهج ذاتها، إذ إنها تعاني بدورها من إشكالات تتأرجح بين النظرية والمنهج، وتُشكّل في مجملها بعض العقبات في وقت خطت فيه فروع أخرى من علم الآثار نحو آفاق أرحب. وتأمل هذه الدراسة أن تسد جزءاً ولو يسيراً من جوانب هذا القصور وأن تقدم للعاملين في مجال الآثار، بصورة واضحة وميسرة، المناهج المختلفة لتصنيف الفخار الأثري وإشكالاتها. ويبقى تقديم نموذج أمثل للتصنيف رهيناً بأهداف كل بحث وطبيعته وتساؤلاته.

٢- دراسة الفخار

في هذه المرحلة من البحث، وقبل تناول موضوع تصنيف الفخار الأثري، علينا أن نقدم تبريراً للأسباب، التي يُدّرس الفخار من أجلها؛ فالفخار عُرف في السّجل الحضاري البشري منذ العصر الحجري الحديث. و تعود بدايته في بعض المناطق إلي مرحلة سبقت استئناس الحيوان وممارسة الزراعة؛ فالإشارات الأولى إليه تأتي من مواقع في جنوب غربي اليابان، يعود تاريخها إلي نحو ١٢٠٠٠ ق.م (Imamura 1996). وفي الشرق الأدنى عُرف من موقع شتل هيوك في الأناضول، في طبقات تؤرخ إلي الألف السابع (محيسن ١٩٩٤: ٧٧). وفي أفريقيا كشف عنه في مواقع في الصحراء الكبرى، تؤرخ إلي الألف السابع ق.م (Barich 1987: 197) وحول الخرطوم في أواسط السودان، يؤرخ إلي الألف التاسع ق.م (Elamin and Mohammed-Ali 2004). ويكاد لا يخلو موقع أثري منذ العصر الحجري الحديث من أوان وكسر فخارية. فالفخار،

العدد العاشر جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ - يوليو (تموز) ٢٠٠٤م
(ص ص ٤٩ - ٧٢) ردمد ١٣١٩-٨٩٤٧

خلافاً للمعثورات الأخرى، هو أكثر المعثورات قابلية للتهشم السريع، كما أنه أكثرها قابلية للبقاء، ويصعب نقله من مكان إلي آخر إلا في نطاق محدود. وبالتالي تتوافر منه مادة كافية في المواقع. وتجيء ضرورة دراسته لأسباب عدة، نوجز بعضها في الآتي:

أ. **التسلسل الزمني**: الفخار مؤشر تأريخي، ويقال إن الفخار أبجدية التأريخ، بها يقرأ وبها يُفهم ويُفسر. وهو من المعثورات، التي تساعد في تأريخ المواقع الأثرية تأريخاً نسبياً ومطلقاً. فهو يستخدم في التأريخ النسبي عبر ما يُعرف بوسيلة التتابع (seriation). كما يمكن أن يُستغل عبر وسيلة نسبية أخرى هي التأريخ بالمقابلة (cross-dating)، حيث يُؤرّخ موقع ما بحكم تأريخ موقع آخر. وفي جانب التأريخ المطلق يعد الفخار مادة يمكن أن تؤرخ بوسيلة التوهج الحراري (Thermolumiscence)، التي تُعطي تأريخاً مطلقاً ومحدداً للزمن الذي انقضى، منذ أن صُنع ذلك الإناء الفخاري.

ب. **التطور الحضاري**: يعكس الفخار التطور الحضاري الذي شهدته منطقة ما، أو مجتمع معين عبر الزمن، إذ بحكم التحولات والتغييرات، التي تنعكس عليه بشكل مباشر وسريع، نستطيع أن نتتبع التطور الحضاري من خلال ما طرأ علي الفخار من تطور وتحول، في الشكل أو الزخرف أو الوظيفة أو الحرق ونحو ذلك.

ج. **المستوى التقني**: يعكس الفخار المستوى التقني الذي وصل إليه المجتمع القديم. فالإناء الفخاري يمر بمراحل طويلة ومتعددة قبل أن يأخذ شكله النهائي؛ بدءاً منأ في اختيار المادة الخام واختيار الشوائب، ثم الخلط، ثم البناء (حسب الشكل والحجم)، ثم معالجة السطح، ثم الزخرف، ثم الحرق وهكذا. وهذه المراحل وغيرها مراحل تقنية، تتطلب قدراً من المعرفة بأوجه الصناعة، لا بد أن توجد في المجتمع المعين، قبل أن يتمكن من صناعة الفخار. هذا -بداهة- إن كان الفخار قد صنع محلياً.

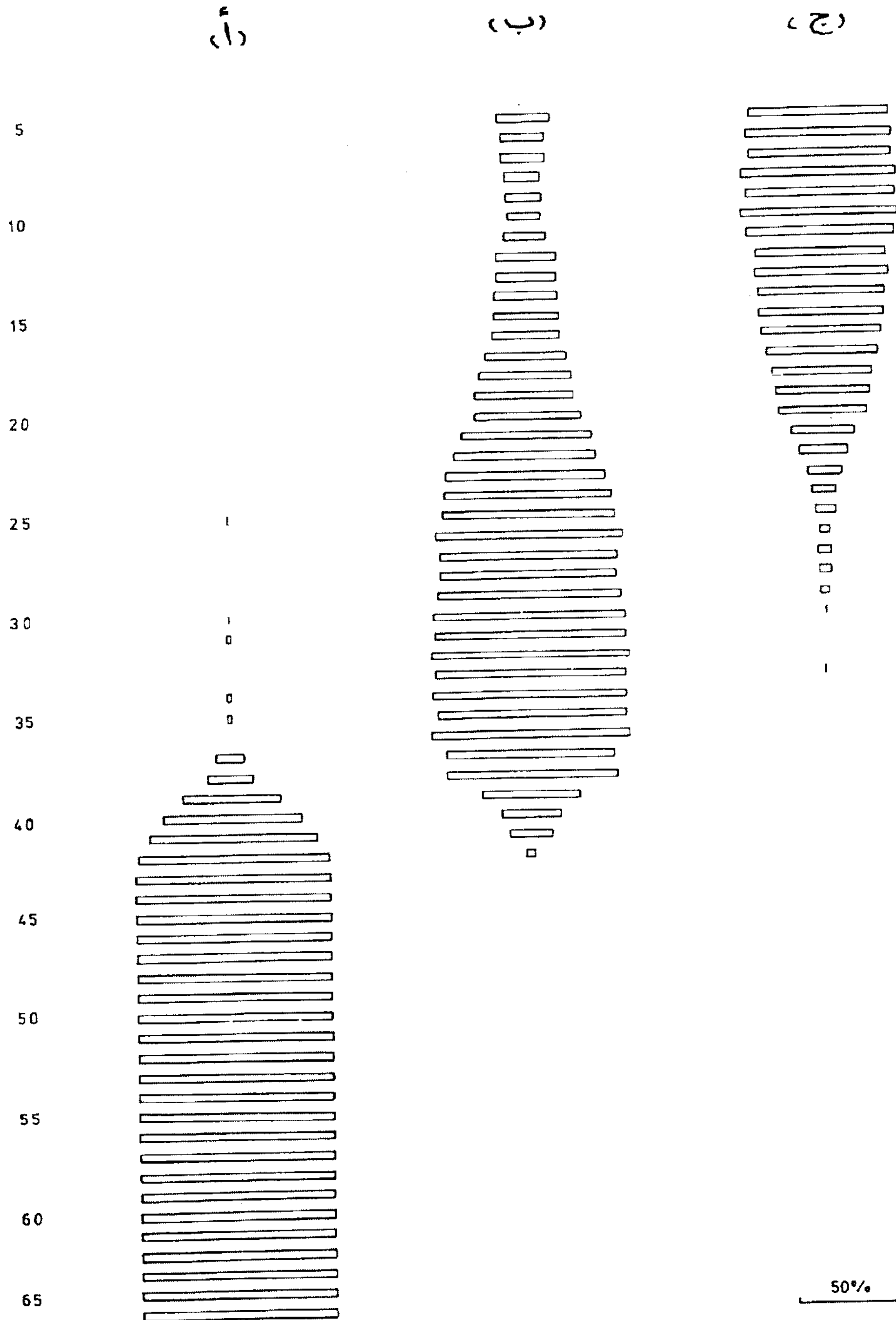
د. **المستوى الفني**: يعكس الفخار، كذلك، جوانب فنية، حيث تنعكس عليه الإبداعات الفنية التي بلغها المجتمع. فالإناء الفخاري في شكله وحجمه وزخرفته وطلائه يعكس جوانب فنية، ربما لا تكون لها علاقة بالوظيفة مثلاً، ولكنها تعطي الإناء بُعداً فنياً إضافيا وقيمة جمالية، يؤديان دورهما في تسليط الضوء علي ذلك الجانب في المجتمع.

هـ. **الوظيفة**: يعكس الفخار جوانب وظيفية بحكم المهمة، التي يؤديها في حياة المجتمع. ولذلك فهو يكشف تلك الجوانب، التي تنعكس عليه بشكل أو آخر. ففي الجانب الوظيفي، يُصنع الفخار للتخزين والطهي والشرب وتقديم الطعام. كما يصنع للزينة ويقدم كقرابين في المعابد والمقابر، ومن ثم فإنه يسلط الضوء علي تلك الجوانب أيضاً.

و. **الصلات الحضارية**: يعكس الفخار الصلات الحضارية بين المجتمعات؛ فالمجتمعات البشرية تؤثر حضارياً في بعضها، حيث تنتقل بعض الإبداعات والإنجازات من مجتمع إلي آخر، بحكم اتصال المجموعات البشرية وتأثرها ببعضها. والفخار من بين المعثورات التي تنعكس عليها تلك التأثيرات، سواء في الشكل أو الحجم أو الزخرف أو غير ذلك، ومن خلال الفخار يمكن تتبع تلك التأثيرات.

٣- التصنيف

تعد المخلفات المادية التي خلفها الإنسان محور اهتمام الآثاريين، إذ تشكل هذه الأشياء المدركة بالحواس والمصنوعة، كالفخار والأدوات الحجرية والمعادن والزجاج ونحو ذلك، جسم البُينة الأثرية. فهي بينة تعكس جانباً من تكيّف الإنسان في الماضي، ويمكن مشاهدتها وتحسسها وقياسها وتصنيفها. غير أن دراسة هذه المعثورات ليست هدفاً لذاتها، ولكنها وسيلة للتوصل إلى فهم للماضي الإنساني في حدود الأطر، التي تسمح بها البينة. ويمكن للآثاريين في محاولتهم فهم المجتمعات القديمة ودراستها، تفسير اللقي الأثرية إذا ما استطاعوا معرفة أنماط انتشار هذه الأدوات، زماناً ومكاناً. وللوصول إلى هذه الأنماط، عليهم أولاً تصنيف هذه الأدوات في مجموعات، بحيث تضم كل مجموعة أدوات متشابهة، تشترك في خصائص محددة وتختلف مع غيرها في تلك الخصائص. ومن ثم تختلف كل مجموعة عن المجموعات الأخرى. والتصنيف كمنهج معروف في كل فروع علوم المعرفة



الشكل ١: التحول في درجة صلابة الفخار عبر طبقات موقع شق الدود (السودان)؛(After Marks and Mohammed-Ali 1991) .

تقريباً، وهو الأساس للانطلاق لإجراء المزيد من الدراسات. وبتعبير موجز يمكن القول: إن التصنيف هو تقسيم اللقى (المعثورات أو المشغولات)، أو أفراد العينة إلى مجموعات متجانسة، بحيث يظهر تشابهاً بين أفراد كل مجموعة واختلافاً بين المجموعات. بمعنى أن المجموعة تتكون من أفراد، بينهم تشابه، ليس بالضرورة أن يكون هذا التشابه تطابقاً، حيث يشترك الأفراد في الكثير من الخصائص، أو -على الأقل- في الخصائص المميزة، وإن اختلفوا في بعض التفاصيل. ولذلك فكل مجموعة تضم أفراداً يشتركون في خصائص معينة تميزهم عن أفراد المجموعة الأخرى، التي يشترك أفرادها في خصائص أخرى تميزهم عن غيرهم.

٣-١- أهداف تصنيف الفخار:

يعد التصنيف أحد المظاهر أو الأدوات لدراسة الفخار وتحليله. ويلاحظ بصورة عامة، أن أهم متطلبات التصنيف توافر العينة الكافية، مع منهج للتحليل ناشيء من فهم لأسس الفخار. ويصاغ هذا التصنيف تبعاً لأهداف الدراسة، إذ لكل دراسة تصنيفية أهدافها وأغراضها الخاصة بها. ويمكن إيجاز الأهداف المشتركة بين التصنيفات المختلفة فيما يلي:

أ - يساعد التصنيف الآثاري في التحكم في بيانات المادة الأثرية، بترتيبها وتنظيمها وتقسيمها إلى مجموعات أو فئات متباينة (تعكس تشابهاً بين أفرادها واختلافاً بين مجموعاتها)، بحيث تضم كل مجموعة، أو فئة، أفراداً يشتركون في كل أو بعض الخصائص. وقد تعكس الاختلافات بين المجموعات أو الفئات فارقاً زمنياً، أو تنوعاً في الطرز، وأحياناً تأثيرات خارجية.

ب - يُمكّنُ التصنيفُ الباحثَ من معرفة خلاصة خصائص العديد من الأدوات المفردة، وتمييز الخصائص المشتركة فيما بينها. فكثير من التصنيفات تؤدي إلي تعريف الأنواع (types). وهذه الأنواع تمثل عناقيدَ من الخصائص ترد معاً بصورة متكررة بشكل نمطي، على الأدوات نفسها؛ فنجد - مثلاً- أن الكسر والأواني الكاملة لنوع معين من الفخار، يمكن أن تشترك في خصائص المادة الخام والصلابة. وهكذا فإن الإشارة للأنواع تمكّن الآثاري من وصف أعداد كبيرة من اللقى، ومعرفة خصائصها.

إن البديل للتصنيف ووضع المعثورات في مجموعات، هو التعامل مع كل قطعة فخارية كأداة فريدة في نوعها، قائمة بذاتها. وهذا يؤدى -دون شك- إلى تراكم معلومات هائلة، ولكنه في الوقت نفسه يحرمنا من النظرة الشمولية للمادة الأثرية، ولا يعكس أية مؤشرات توضح علاقة أفراد مجتمع البحث ببعضهم. إن دراسة هذه العلاقة تسهم في تتبع مسيرة التطور للمجموعات (الفئات أو الأنواع)، وتأثيراتها ببعضها. كما تمكّن من إجراء المقارنات بين طبقة وأخرى في الموقع الواحد، وبين مجموعة وأخرى في موقعين مختلفين، بغية الوصول إلى استنتاجات عن طبيعة الموقع وعلاقاته وتاريخه. ونخلص من ذلك إلى أن التصنيف يبرز خصائص المادة الأثرية، ويسّهل على الآثاري فهم الجوانب التقنية والفنية والصلات الحضارية، ونحو ذلك.

وقد أوجز أورتون (Orton 1980: 33) خصائص التصنيف ذي النتائج المفيدة كما يلي:

أ- المعثورات التي تعود لنوع واحد يجب أن تكون متشابهة.

ب- المعثورات التي تعود لأنواع مختلفة يجب أن لا تكون متشابهة.

ج - يجب أن تعرف الأنواع (أي المجموعات) بدقة كافية بحيث يتمكن الآخرون من مطابقة التصنيف وتكراره.

د- يصبح من الممكن معرفة وتحديد النوع لأي معثور، جديد إذا أضيف لمادة التصنيف.

٣-٢- تصنيف الفخار وتطبيقاته

يمكن تطبيق التصنيف في علم الآثار، بصورة عامة، على الفخار والمعادن والأدوات الحجرية وكل المعثورات، وحتى على الظواهر، مثل المدافن والمنازل وغيرها. وخلال تطور منهج التصنيف في علم الآثار، في النصف الثاني من القرن العشرين، هيمن الاتجاه النظري، الأمر الذي أدى إلي حدوث فجوة بين النظرية والتطبيق. هذه العلاقة العكسية وهيمنة الجانب النظري علي التطبيقي، أدت إلي ما عُرف بـ "الجدل

التصنيفي" (typological debate). وفي هذا الجدل طرح الآثاريون، من منطلق فلسفي عام، ضمن العديد من الأسئلة، سؤالاً حول حقيقة التصنيف، أي وجود النوع، وعمّا إن كان يعكس حقيقة ذات معنى أم أنه مبتدع ومن صنع الأثاري؟ وبتعبير بسيط، دار الجدل حول حقيقة وجود الأنواع ضمن بيانات المعثورات أم أنها مبتدعة من أجل مساعدة المصنف للوصول إلي أهدافه وتصبح الأنواع -من ثم- ليس لها واقع ووجود حقيقي (London, 1997: 460). هذا الجدل، في علم الآثار، له تقليده القديم والحيوي الخاص، على الرغم من أنه "صنف" الآثاريين أنفسهم. ودون الخوض في تفاصيل هذا الحوار، يمكن أن نستعرض بإيجاز المواقف والأفكار الرئيسة لأنها تعكس أهمية التصنيف في علم الآثار. ومن أبرز الآثاريين الذين يدعمون الرأي الأول، الذي يقول إن للتصنيف وجوداً حقيقياً في البيانات الأثرية، كل من كريقر (Krieger 1944: 273) وتايلور (Tylor 1948: 130) واسبولدينج (Spaulding 1953: 305) وقيفورد (Gifford 1960: 341-7) ومن منطلق أن النوع يشير إلى عنقود (Cluster) من الخصائص الأساسية، التي تتكرر كثيراً بحيث تكون صفة لأداة يمكن مشاهدة مثيلاتها، أو نماذج مشابهة لها يمكن تمييزها من أدوات فئة class أو فئات أخرى، يعتقد هؤلاء الآثاريون بأن الآثاري من خلال تصنيفه للأدوات الأثرية، يستطيع أن يميز كل مجموعة تضم أفراداً بخصائص مشتركة. ونسبة لورود هذه الخصائص بصورة متكررة، فإن هذا التعنقد (Clustering) لا بد أن يعكس اختياراً وتصنيفاً يعكس بنية فكرية قديمة، توجد ضمن المادة الأثرية بصورة حقيقية. وقد ساد هذا الرأي وسط الآثاريين في العقود اللاحقة، خاصة عندما جرى التركيزعلي الدراسات الكمية في الستينيات من القرن العشرين. أما الآثاريون أصحاب الرأي الثاني، من أمثال برو (Brew1946: 65) وراوس (Rouse 1960: 313-323) وفورد (Ford 1938; 1953) وشانج (Chang 1967: 6-17) وهودر (Hodder 1982:) وريد (Read 1982: 60-1)، فيعتقدون أن البنية الفكرية (Cognitive Structure) معقدة جداً، بحيث يصعب الوصول إليها من خلال تصنيف واحد. وعلى الرغم من اقتناع هؤلاء بضرورة التصنيف، إلا إنهم يصرون على أن يعدوه تصنيفاً تحكمياً اعتباطياً. ويرون ضرورة إجراء المزيد من التصنيف، باستخدام متغيرات عدة، لتعريف الأنواع (types) والفئات (classes). وهناك فريق ثالث من الآثاريين أخذ موقعاً وسطاً باعتقاده أن كل التصنيفات إلي درجة ما طبيعية وإلى حد ما مبتدعة (Willey and Philips 1958: 13; Adams 1991: 279) ويبقى هذا الجدل والنقاش دون حسم. ولكننا نرى أن التساؤل عن توافق التصنيفات الأثرية مع البنيات الفكرية القديمة، يبدو أكثر تعقيداً لإعطاء إجابة مبسطة. وتبقى الحقيقة أنه ما من شك في أن التصنيف أداة تنظيمية مريحة تنظم الأدوات، أو البيانات الأثرية في مجموعات (Groups) بصورة تسهّل استخدامها والتعامل معها.

إن أغلب تصنيفات الفخار يغلب عليها الاهتمام بالمسائل التأريخية. وهناك استخدامات عدة للتصنيف (London 1997: 460) تختلف باختلاف أهدافها وتساؤلاتها. ومن أنواع هذه التصنيفات، نشير بإيجاز إلى ما يلي:

٣-٢-١ التصنيف الزمني (Temporal typolgy)

يُعد هذا النوع أقدم أنواع التصنيف وأكثرها شهرة وانتشاراً، وهو تحليل لتطور أشكال الفخار عبر الزمن، ويُعرف بالتصنيف التتابعي (Seriation)، ويظهر علي شكل بارجة حربية (الشكل ١). وفيه تُصنف المعثورات ذات النوع الواحد في تسلسل يعكس التغيرات في الطراز عبر الزمن، مستندة علي افتراض أن الحضارة البشرية في تطور دائم، وأن الطرز تظهر ثم تنتشر ثم تضمحل وتختفي. ويمكن ربطه بوسيلة تأريخ أخرى، نسبية أو مطلقة.

كما يمكن تأريخ الفخار، الذي يُعثر عليه في الطبقات، بالمعثورات الأخرى المرافقة له، كالمسكوكات والنقوش والوثائق المكتوبة المعروفة التاريخ، أو الفخار المستورد المعروف المصدر والتاريخ، أو بأخذ عينات عضوية وتاريخها بأسلوب كربون ١٤ المشع، أو بتاريخ الفخار نفسه بأسلوب الوهج الحراري، لإضفاء المزيد من الدقة. وهكذا، فإن هذا يؤدى تدريجياً إلى إطار لتأريخ المجموعات الفخارية. وهذه الأنواع الأساسية من الفخاريات المعروفة التاريخ، يمكن أن تُساعد في تاريخ طبقات

ومعثورات أخرى، عند العثور عليها في المواقع الأخرى. ويُعرف هذا النهج بالتأريخ بالمقابلة (cross-dating). ونتيجة لاكتساب الفخار أهمية في الدراسات الآثارية كمؤشر تأريخي، فقد أرِّخ لكثير من المواقع تأريخاً نسبياً بواسطة الفخار، وذلك قبل اكتشاف وسيلة كربون ١٤ المشع ووسائل التأريخ المطلق الأخرى. ولا بد أن نشير هنا إلى أن تطور وسائل التاريخ المطلق والدقة المتزايدة لها، جعلت توجيه تصنيف الفخار لغرض التاريخ فقط أقل أهمية.

٣-٢-٢- التصنيف الشكلي (Morphological typology)

يتناول هذا التصنيف أشكال الأواني الفخارية وأحجامها. وهو إلى حد كبير تصنيف وصفي يسعى لتعريف الإناء عبر متغير الشكل، مثل "قصعة ضحلة"، أو "إبريق كمثرى"، أو "قدر بقاعدة مستوية" ونحو ذلك. والهدف الرئيس من هذا التصنيف هو إعداد وصف كاف للأدوات الفخارية، ليسهل مقارنتها بمواد فخارية من المواقع الأخرى.

٣-٢-٣- التصنيف التقني (Technological typology)

هذا التصنيف هو دراسة لكيفية صنع الآنية وتشطيبها. وهو محاولة لتحديد طرق صنع إناء أو مجموعة أوان، بمحاولة الإجابة عمّا إن كان الإناء مصنوعاً بوسيلة الحبل الطيني، مثلاً، أو بالدولاب، أو باليد. وتسعى الدراسة لمعرفة أنواع المادة الخام ومصادرها، بالتحليل بواسطة تنشيط النيترون الإشعاعي. كما يشمل التصنيف التقني معرفة الشوائب وأنواعها، وطرق التشكيل، وتقنيات التشطيب والزخرفة، واستخدامات الفرن. إن هذا النوع من التصنيف حديث نسبياً، ويتم أساساً بمساعدة الدراسات الرسوبية والبترولوجية، وبإجراء اختبارات إعادة الحرق بالأفران، وتحليل التآكل (Wear analysis).

٣-٢-٤ التصنيف الوظيفي (Functional typology)

تؤدي معرفة كيفية استخدام الأداة إلى معرفة وظيفتها. وفي حالة الفخار، فإن الغرض هو تصنيف الفخار بتقسيمه إلى مجموعات على أساس الوظيفية. وتعتمد معرفة وظائف الأواني الفخارية إلى حد كبير، على الملاحظة والإحساس العام. ومعرفة استخدام بعض الأواني قد يظل لغزاً محيراً، ما لم تجر عليها اختبارات معملية لفحص بقايا الطعام وآثاره عليها، أو تصنّع نماذج من هذه الأواني وتستخدم، عبر ما يُعرف بعلم الآثار التجريبي، وربما مقارنتها بشبيهاتها لدى مجتمعات معاصرة عبر الدراسات الأثنوآركيولوجية، مع ملاحظة أن العديد من الأواني قد تكون ذات استخدامات متعددة. وأخيراً، يجب الحذر من أن بعض الأسماء الوظيفية للأواني هي مجرد تخمين. وهناك أوانٍ فخارية قد يصعب معرفة وظائفها؛ فمثلاً الأواني التي توضع ضمن القرابين في القبور، أو تلك التي توضع في المعابد، قد يصعب معرفتها والتأكد من وظيفتها.

٣-٢-٥- التصنيف الإدراكي (Cognitive Typology)

يعد هذا النوع أصعب أنواع التصنيف، التي تشكل تحدياً للآثاري وهو يسعى ليتجاوز الوصف إلى التفسير، بحيث يصل إلى ما وراء الحدود الخارجية للوصف، حين يطرح مثلاً السؤال: لِمَ شُكِّل هذا الإناء بالطريقة التي نراها أمامنا؟ وما القيم الفنية والحضارية التي يجسدها لنا ؟ لِمَ نجد أن النوع (أ) يستعمل للاستخدام اليومي العادي، بينما النوع (ب) خلاف ذلك؟ هل يشكِّل التدهور في تقنية الفخار مؤشراً لانحطاط حضاري؟ وكما رأينا فإن الآثاريين الوظيفيين (Functionalists) يلقون بظلال من الشك حول هذا النوع من التصنيف، وربما كان في أذهانهم ما ذكره لويس بنفورد مراراً من " أن الآثاريين غير مؤهلين بما فيه الكفاية ليصبحوا علماء نفسانيين للمجتمعات القديمة".

على أن ذلك لاينفي حقيقة أن الأواني الفخارية تعكس وتعبر عن سلوك وفكر إنسانيين. وهناك معايير حضارية cultural normsتحكم ذلك، كما هو الحال في كل المجتمعات. والهدف الرئيس للتصنيف، كما يبدو، هو اكتشاف القيم الحضارية (cultural values)، التي تقف خلف الإنتاج الفخاري، وليس فقط تحديد تاريخ أنواع الفخار. غير أن التصنيف في أفضل الحالات قد يمكننا من معرفة شيء من حقيقة نظام اجتماعي قديم: تقنيته، قيمه الفنية وعلائقه واتصاله بالثقافات والحضارات الأخرى(London 1997: 461).

٣-٣ تطور تصنيف الفخار

تعود بداية ممارسة تصنيف الفخار في الدراسات الأثرية، إلى المراحل الأولى من نشأة علم الآثار وتطوره. فقد أدرك الآثاريون، آنذاك، ضرورة وجود منهج لدراسة المادة الأثرية (مثل الفخار، المعادن، الأدوات الحجرية، المدافن، المساكن ونحو ذلك) لوضع تسلسل زمني لأحداث الماضي. وكان التصنيف أحد المناهج التي اهتدى إليها الآثاريون لدراسة المادة الأثرية، بهدف الحصول على أكبر قدر من المعلومات، بعد أن أدركوا تعذر الوصول إلى حقائق دون وضع البيانات الأثرية في مجموعات، تحمل كل منها خصائص مشتركة، تسمح بمقارنتها ومعرفة مدى تطورها وانتشارها ونحو ذلك. و قد عُرف التصنيف في علم الآثار في القرن التاسع عشر، بتأثير من تطور علمي الجيولوجيا والأحياء (Greene 1992: 19).

ومن المحطات الرئيسة في علم الآثار، التي أسهم فيها التصنيف في فهم المادة الأثرية وبلورتها، كانت محاولة طومسن، صاحب نظام العصور الثلاثة، في متحف كوبنهاجن بالدنمارك، وتصنيفه للمواد الأثرية بالمتحف حسب نوع المادة الخام ومواصفاتها (حجري، برونزي، حديدي)، في النصف الأول من القرن التاسع عشر واضعاً حجر الأساس لعلم التصنيف، كمنهج لترتيب الأدوار أو التسلسل الحضاري (دانيال ٢٠٠٠: ٤٧؛ Trigger 1989: 75). ومن رواد التصنيف أيضاً، عالم الآثار السويدي أوسكار مونتليوس (Oscar Montelius) الذي بنى تسلسلاً تاريخياً تفصيلياً لحقبة العصر البرونزي لمعظم أوروبا، عبر تصنيف ارتكز على متغيرات محددة (Trigger 1989: 156-157; Aldenderfer 1996 : 727).

ويُعد عالم الآثار البريطاني فلندرز بترى من الرواد الأوائل في تصنيف المواد الأثرية، إذ أعدّ أول تصنيف للفخار عام ١٨٩٠م، وهو ما يعرف بالتصنيف التتابعي (Seriation) اعتماداً على تصنيف فخار مواقع ما قبل الأسرات في مصر. ثم أجرى حفريات في تل الحسي في جنوبي فلسطين، حين عمل قطاعاً طولياً في التل، متيحاً بذلك صورة واضحة للتعاقب الطبقي. واستطاع بترى أن يزامن بعض طبقات هذا التل مع طبقات من مواقع مصرية، فتمكن من إقامة تسلسل مطلق لطبقات ذلك الموقع. وكان ذلك عملاً يُضارع في أهميته التاريخ بالمقابلة، الذي قام به في موكيناي (Trigger 1989: 197, 200 - 201؛ دانيال ٢٠٠٠ : ١٥٤). كذلك صنّف بت-ريفرز (Pit - Rivers) في منتصف القرن التاسع عشر ودرس تطور أسلحة نارية، وانتهي إلى ترتيب مجموعات منها في تسلسل تطوري. وبعدها، توصل إلي أن كل عناصر الثقافة المادية يمكن ترتيب أدواتها في تسلسل نوعي، يظهر تطورها عبر الطبقات الحضارية. ولذلك يُعد بت-ريفرز من الآثاريين الرواد الذين طورا وسيلة التتابع كوسيلة للتأريخ النسبي، ولعله أول من أدخل كلمة "تصنيف" في علم الآثار (دانيال ٢٠٠٠: ١٧٢؛ Trigger 1989: 197).

وبإجراء المزيد من التنقيبات في المواقع الأثرية، اكتشف المزيد من أشكال الفخار، وجرى التركيز على تطوير وإكمال التصنيف التاريخي، الذي أنشأه بتري. وأدى الاعتماد المتزايد على طرق التنقيب الطبقي والتسجيل الدقيق للأواني الفخارية الكاملة، والكسر في أعمال التنقيب، التي قام بها رايزنر في سامراء (١٩٢٤م)، إلى تركيز الاهتمام بدراسة الكسر الفخارية في مواقع الشرق الأدنى والعالم الجديد(London 1997: 452).

وتنعكس أهمية التصنيف الضاربة في القدم في علم الآثار، في حقيقة أن المراحل الرئيسة في تاريخ علم الآثار في الأمريكتين، وهي مراحل تمتد لِما يقارب مئة عام، قد أُطلق عليها فترات التصنيف الوصفي والتاريخي، بسبب تركيزها على تلك الأهداف (Willey and Sabloff 1974: 5-6).

وفي أوائل القرن العشرين طور الآثاريان الأمريكيان نلس نلسون (Nels Nelson) وكايدر (A.V.Kidder) سلسلة تواريخ محلية في الجنوب الغربي للولايات المتحدة، اعتماداً على التعاقب الطبقي مقروناً بالوصف الدقيق للأساليب الفنية الفخارية المختلفة، وتقسيمها إلى أنواع (Aldenderfer 1996: 728).

وخلال تلك الفترة التي تلت أوائل القرن العشرين، أسهمت الدراسات التي جرت لتعريف التصنيف ووصفه وتسمية الأنواع

الفخارية في وضع الأساس لكثير من المفاهيم الحديثة الخاصة بتصنيف الفخار (Rice 1987: 282).

ينظر إلى التحليل التصنيفي -غالباً- بوصفه فناً، أكثر من أنه علم. أما الإلمام الكافي بالمادة الفخارية من قبل المصنف، والفروق البسيطة بين المتغيرات والخصائص، فينظر إليها كمتطلبات مهمة للحصول على نتائج تصنيفية جيدة. ولدى بعض الآثاريين فإن التصنيف الحدسي مثلاً (أنظر أدناه)، يفتقد إلي السند العلمي، كما أن اختيار المتغيرات أو الخصائص يتم بشكل اعتباطي. وكرد فعل لذلك، بُدء في تطبيق عدد من الأساليب الرياضية والإحصائية في التصنيف. ففي عام ١٩٥٣، نشر البرت اسبولدينج (Albert Spaulding) مقالاً قدم فيه لعلم الآثار إمكانية استخدام الأسلوب الإحصائي المعروف باختبار مربع كاي. ومنذ ذلك الوقت استخدمت العديد من الأساليب الإحصائية، مثل: التحليل العاملي، والتحليل العنقودي، وتحليل جدول الارتباط (Contingency table) ٠ وعلى الرغم من أن هذه الوسائل الإحصائية قد ثبت أهميتها وفعاليتها، إلا أن الجدل لا يزال مستمراً حول مدى جدوى هذه الأساليب وأهميتها، في تحليل التصنيف.

ولعل أحد أكثر أنواع التصنيف انتشاراً وتطبيقاً في دراسات الفخار، هو نظام التباين النوعي (Type variety system)، الذي طوّر في الولايات المتحدة في أواخر الخمسينات، كإطار عمل منظم لإعداد ووصف وحدات تصنيفية تاريخية يمكن مقارنتها. وقد أدى التوسع في منهج نظام التباين النوعي وتطبيقه على فخار المايا، إلى تطوره تطوراً كبيراً. وسنورد مزيداً من التفصيل لهذا المنهج التصنيفي، عند مناقشة مناهج تصنيف الفخار.

شهدت الفترة ما بين عامي ١٩٤٠م و١٩٧٠م، ظهور الدراسات التقنية وتطبيق الكثير من المناهج العلمية، في دراسة الفخار. وكانت الأهداف الرئيسة لهذه الدراسات العلمية هي معرفة مكونات مواد الفخار الأثري لمعرفة مصادره، وأماكن تصنيعه، ودراسة التقنيات المستخدمة في تصنيعه. ومن أهم الدراسات التقنية، التي شهدتها تلك الفترة، الدراسة التي أجرتها آنا شبرد في عدة مناطق من أمريكا الوسطي، وصدرت في عام ١٩٥٦م تحت عنوان (Ceramics for The Archaeologist) وقد درست شبارد تقنية الفخار ومصادره، باستخدام الشرائح المقطعية (thin-sections).

ومن الشخصيات البارزة في مجال دراسة تقنية الفخار، في حقبة الأربعينيات والخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، فرديك ماتسون (Frederick R. Matson) الذي أجرى العديد من التحليلات المجهرية لوصف الطين، الذي يصنّع منه الفخار في منطقة الشرق الأدنى في سلوقيا علي نهر دجلة (Matson 1965) وفي بريطانيا قام كل من هودجز (Hodges 1962; 1963) وهودجز وكورنول (Cornwall and Hodges 1964) بأعمال رائدة، في مجال دراسة تقنية الفخار. غير أن التطور ا لحقيقي في دراسة الشرائح المقطعية للفخار، كان علي يد الجيولوجي ديفيد بيكوك (David Peacock 1968) ، الذي أدرك قبل نحو أربعين عاماً أن التقنيات الجيولوجية المستخدمة في وصف الصخور، يمكن، أيضاً، استخدامها في دراسة الفخار الأثري.

وخلال النصف الأول من القرن العشرين، ظهرت وتطورت العديد من الوسائل والتقنيات التحليلية، التي استُفيد منها في دراسة الفخار، مثل: المجهر الإلكتروني وأشعة أكس. كما ظهرت في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات التحليلات الفيزيائية- الكيمائية (physicochemical analyses) للفخار الأثري، ونشرت العديد من المقالات التي تتناول العلاقة بين العلوم الطبيعية ودراسة الفخار الأثري.

كذلك، شهدت فترة الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين ظهور عددٍ من الدراسات الاثنوآركيولوجية للفخاريين المعاصرين. وقد اكتسبت تلك الدراسات الصبغة العلمية، وحظيت، نتيجة لذلك، بالكثير من القبول. وقد سعت هذه الدراسات لمساعدة الآثاريين، في حل بعض إشكالات دراسة وتصنيف الفخار الأثري. ففي مجال التصنيف حاولت الدراسات الأثنوآركيولوجية الإجابة علي الكثير من الأسئلة، التي تواجه الآثاريين فيما يتصل بطرق الصناعة والتشكيل

والحرق، وما يتعلق بوظيفة الإناء واستخداماته. كذلك، دُرست الأسماء المحلية للأواني الفخارية وأشكالها، ونظم تصنيفها، لدى أولئك الخزافين المعاصرين. ومن أمثلة تلك الدراسات ما قــام به دي بوير (DeBoer) و لاذراب (Lathrap) من دراسة لبعض الخزافين في بيرو (١٩٧٩). فقد درس هذان الباحثان وسائل التصنيع ومواده، وكيفية استخدام الأواني، كما درسا تهشمها وتراكمها ووصولها للسجل الأثري. ومن امثلة تلك الدراسات ما أنجزه ديفيد (David) وهنغ (Hennig) من دراسة خزافي منطقة الفولاني بالكاميرون (١٩٧٢)، ونذكر أيضاً ما قام به آخرون مثل لونقاكر (Longacre) في الفلبين (١٩٨٢) ونكلوسون وآخرون في جنوب مصر (Nicholson et al 1985).

وفي النصف الثاني من القرن العشرين، أيضاً، بدأ بعض الآثاريين (ربما تحت تأثير أعمال إسبولدينج) تدريجياً استخدام الوسائل الإحصائية الكمية، لتنظيم بياناتهم وتحليلها. وكان هذا الاهتمام نتيجة لعوامل كثيرة (Rice 1987: 285)؛ فموضوعية الوسائل الإحصائية والازدياد المضطرد لاستخدام الحاسبات في مراكز البحوث الأثرية، عزز من إغراءات استخدام هذه الوسائل. إضافة إلى ذلك، بدأ الآثاريون يتوقعون أن يخدم تصنيف المعثورات أهدافاً أكثر من وضع تسلسل زمني للمواقع الأثرية.

وفي أواخر الستينات وأوائل السبعينات تطور علم الآثار تطوراً ملحوظاً في الجانبين النظري والعملي. وأصبحت له لغته ومعرفته المعقدة الخاصة به، حتى عرف باسم "علم الآثار الحديث". ونالت التصنيفات الرقمية (Sokal & Sneath 1963)، والوسائل الإحصائية المتعددة التباين، اهتماماً واسعاً وسط الآثاريين لتصنيف مصفوفات بيانات كثيرة، اعتماداً على التشابه والاختلاف للخصائص. وهذه التصنيفات كانت دائماً تعد مبتدعة أكثر من كونها مكتشفة (Hodson 1982) ومن الوسائل الإحصائية، التي استخدمت في التصنيف، التحليل العاملي أو تحليل المكونات الرئيسة، والتحليل العنقودي.

ومن التطورات المهمة في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشري،ن ظهور منهج علم الآثار القياسي (Archaeometric approach). فالتحليلات الفيزيائية والكيميائية سَهَّلَ استخدام بياناتها الإحصائية باستخدام الحاسبات، التي أصبحت أداة حيوية في التصنيف والدراسات الإحصائية في الوقت الراهن. كما أن موضوعية الوسائل الإحصائية، والاستخدام المتزايد لاستخدام الحاسبات، عزز من استخدام هذه الوسائل الإحصائية، كما ذكرنا. ويعد تطور تكنولوجيا الحاسب في السبعينات و الثمانينات من القرن العشرين، من العوامل المؤثرة علي دراسات الفخار وتصنيفه، خاصة في مجال تنظيم البيانات، والمعاينة، والتحليل الإحصائي للبيانات، وتفسير نتائجه.

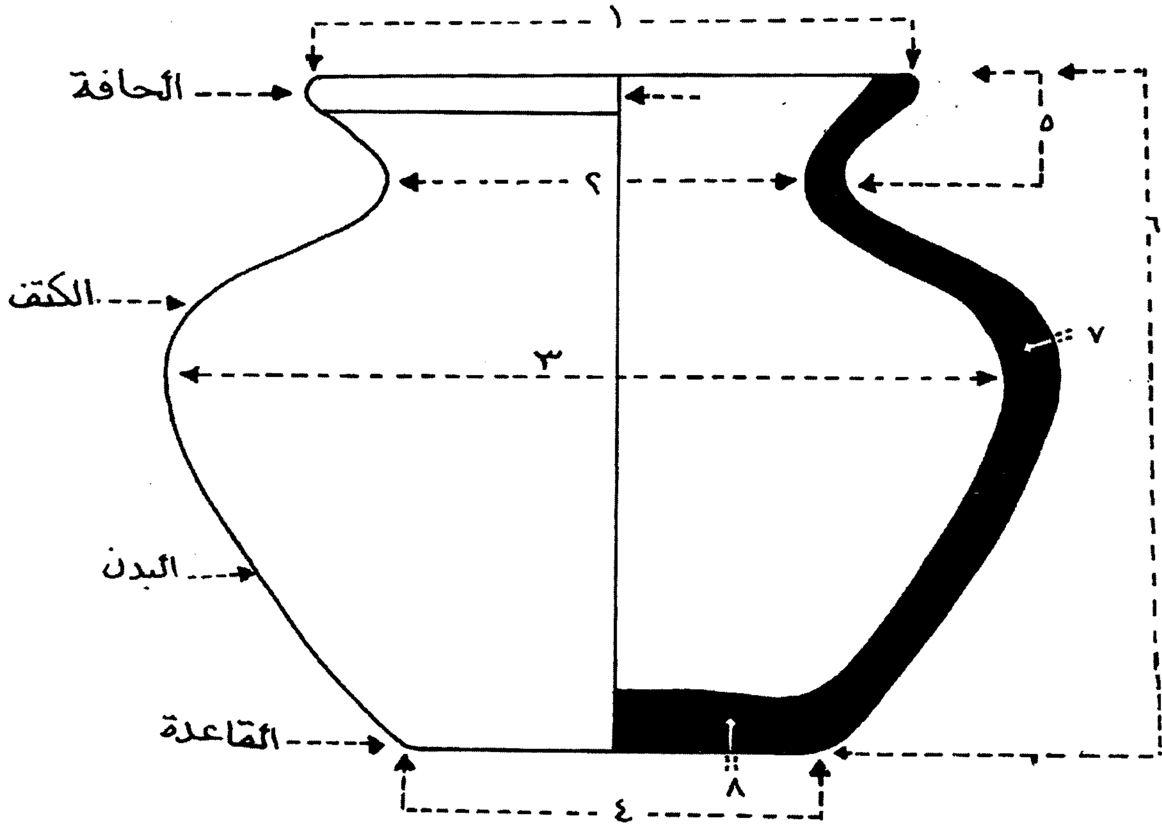
وعلى الرغم من أن الفخار من أكثر المواد الأثرية، التي يمكن أن تمدنا بمعلومات عن مكونات مادة الخام ومصادرها، والتقنية المستخدمة في تشكيلها، إلا أن التحليلات العلمية والتقنيات الحديثة فيما يبدو، قد تبناها الباحثون ببطء، مع الاستمرار في الاعتماد أساساً على الدراسات التصنيفية التقليدية والأسلوبية (Gibson and Woods 1990: 17).

٣-٤ مناهج تصنيف الفخار

عند الحصول على عينات الفخار، وبغض النظر عن الوسائل الإحصائية (المعاينة) المستخدمة في ذلك، فإن أول خطوة لتحليلها ودراستها هي التصنيف. ومن المعلوم أنه لا يوجد تصنيف يمكن وصفه بأنه سليم؛ أو غير سليم ولكن توجد طرق ومناهج جيدة وأخرى غير جيدة، للوصول إلى أهداف التصنيف. ونقصد بمناهج جيدة تلك التصنيفات الدقيقة، التي يسهل نقلها وإيصالها للآخرين. وسوف نتناول في هذا البحث ثلاثة مناهج لتصنيف الفخار، وهي:

٣-٤-١- التصنيف الحدسي (Intuitive typology)

وهو المنهج السائد والأكثر استخداماً في تصنيف الفخار الأثري. ونعنى بالتصنيف الحدسي، أو التقليدي، الممارسة الشائعة في وضع الأواني والكسر الفخارية على طاولة، ثم فرزها وتقسيمها إلى مجموعات بحيث تضم كل مجموعة كسراً متشابهة. وعلى الرغم من وجود معايير محددة تستخدم في تصنيف الفخار وفرزه، إلا أنها نادراً ما تكون واضحة أثناء عملية الفرز. فقد يتذكرها المصنف أحياناً، أثناء محاولته إيجاد خصائص كل مجموعة. والتصنيف الحدسي ناجح جداً؛



الشكل ٢: بعض المتغيرات القياسية .

لأنه يعتمد على علميات معقدة من الإدراك الإنساني. وهذا الإدراك هو مقدرتنا على رؤية ومعرفة الأنماط، على الرغم من عدم قدرتنا في تحديد العوامل، التي أسهمت في تشكيل هذه الأنماط (patterns) التي نراها. فعلى الرغم -مثلاً- من صعوبة تعريف المتغيرات، التي تحدد شكل إناء ما، إلا أننا نستطيع معرفة الفوارق في الشكل في مجموعة من الأواني الفخارية. ويكون التصنيف الحدسي، عادة، أكثر نجاحاً عندما يكون المصنف ذا خبرة واسعة في تصنيف الفخار، بشكل عام، وفي نوع محدد من الفخار على وجه الخصوص.

إن التصنيفات الحدسية لها جوانب قصورها بلا شك، ليس أقلها أن متغيراتها في أغلب الأحيان غير قياسية وغير واضحة بحيث يصبح من الصعوبة، وربما الاستحالة على الدارسين، تكرارها والتأكد من حقيقتها وصحتها. وهي مقيدة أو مرتبطة إلى حد ما بالفهم ونفاذ البصيرة والخبرة والانحياز الضمني للمصنف الفرد. ومن الأنسب أن تكون مثل هذه المفاهيم مشتركة بين الباحثين، بحيث يمكن لباحِثَيْن وهما يصنفان المجموعة الفخارية نفسها أن يحصلا على نتائج متشابهة. وليس بالضرورة أن يكون هذاالأمر لازماً بالضرورة، إذ يمكن لخبرة الفرد واهتمامه أن تقوده إلى تسلسلات أخرى مختلفة وذات أهمية. إضافة إلى ذلك فإن التصنيفات الحدسية (التقليدية) تعد تصنيفات ذات أهداف عامة وملائمة على وجه الخصوص، للإجابة على أسئلة معينة، مثل: التحولات والتطورات الحضارية؛ ولكنها أقل ملاءَمة للإجابة على أسئلة وقضايا تتعلق بالتقنية والأسلوب، أو الطراز ونظم الإنتاج، ونحو ذلك.

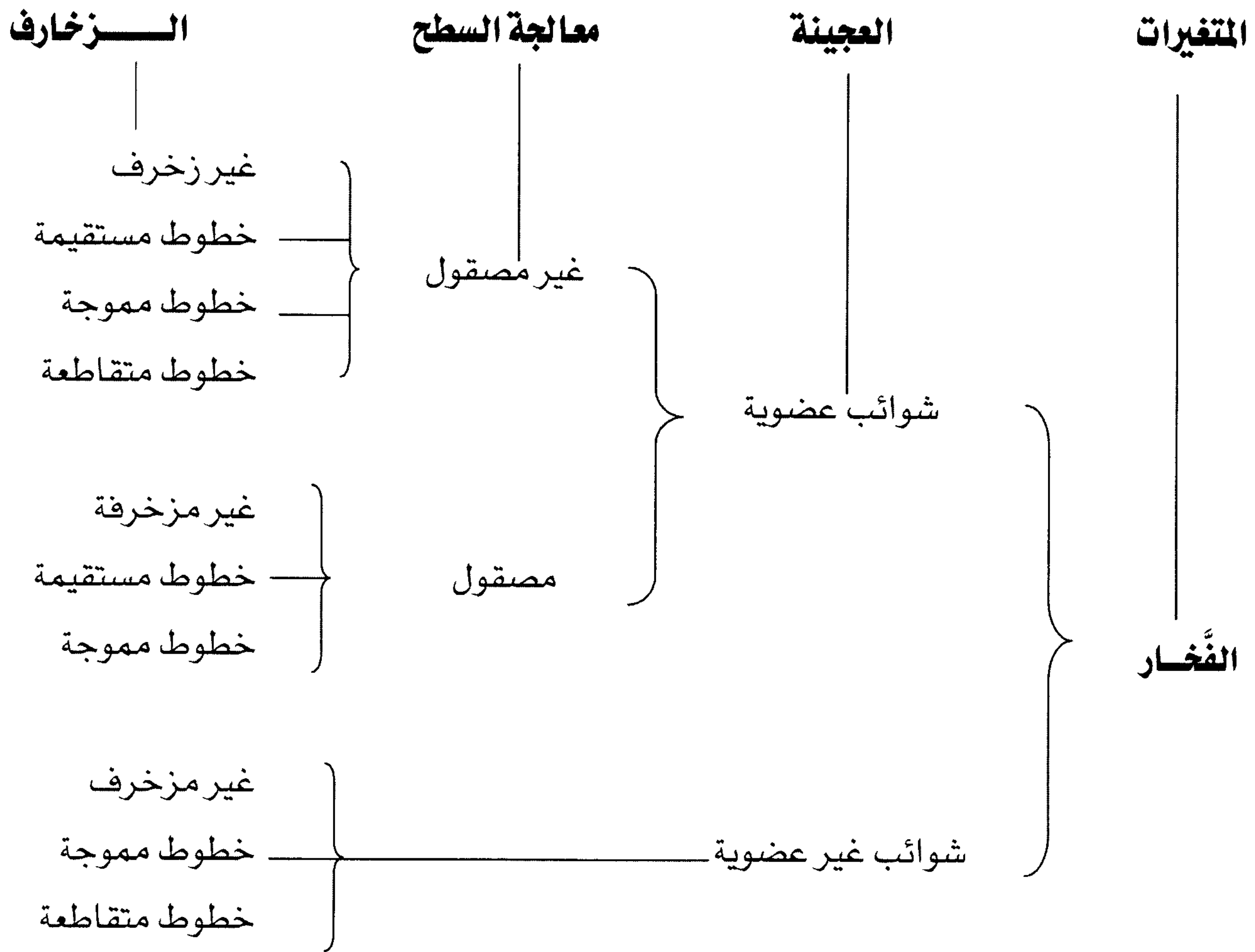
٣-٤-٢- التصنيف بأسلوب التباين النوعي (Type variety method)

طرح هذا المنهج التصنيفي المعروف بتباين النوع لأول مرة، وطبق من قبل الباحثين ويت (Wheat) وقيفورد (Gifford)، وويسلي (Wasley) في عام ١٩٥٨م كرد فعل على التكاثر والازدياد المضطرد لأنواع الفخار، في جنوب غربي الولايات المتحدة. فمع ازدياد وتيرة البحث الأثري في تلك المنطقة، ازداد ميل الآثاريين لتصنيف وتسمية المواد المكتشفة في مواقعهم الأثرية، دون اعتبار للتصنيف المحلي الأوسع. ويعد نظام تباين النوع هو أحد الحلول لتطوير مصطلحات موحدة. ولم يكن ويت وقيفورد وويسلي مهمومين بقضايا تعريف النوع (type)، التي أصبحت مهمة فيما بعد. والأنواع، في رأيهم، يجب أن تكون متباينة ومحصورة لفترات زمنية محدودة، ومقيدة مكانياً (Wheat, Gifford & Wasley 1958: 34). وقد كان نظام تباين النوع محاولة لربط الأسماء المحلية العديدة، في إطار واحد متماسك (Sinopoli 1991: 52).

وفي إطار تباين النوع، تشير كلمة نوع (type) إلى فئة (class) عريضة من الفخار، معرفة على أسس عدد قليل من الخصائص أو السمات المميزة (diagnostic traits) وتختلف المتنوعات (varieties) عن النوع العريض (broad Type) الذي تنتمي إليه عبر واحدة أو أكثر من الخصائص الفرعية. ويجب أن يقع المتنوع الواحد (variety) ضمن المدى المكاني والزماني للنوع، ولا يمكن للمتنوع (variety) أن يختلف اختلافاً جوهرياً عن النوع في متغيرمعالجة السطح، مثلاً، أوالطرز الزخرفية، أو المادة الخام .

ويسمى النوع ومنوعاته "عنقود النوع" (type cluster)، ويعد نموذجاً محلياً للفخار المشابه. ويمكن وضع عناقيد الأنواع الفخارية في مجموعات " نظم فخارية،" تعكس تشابهاً وإن كان ضعيفاً (Ibid: 52) ويمكن تفسير تشابه الفخار في إطار "عنقود النوع" و"النظام الفخاري" (ceramic system)، على أنه نتاج أفكار مشترك،ة أو أفكار سلوكية مشتركة فيما يخص شكل الفخار، زخارفه وتقنيات إنتاجه. كما أن تشابه الفخار قد يحدث للاتصال الوثيق بين الخزافين أنفسهم.

ومنذ إعلانه في عام ١٩٥٨م، أصبح نظام تباين النوع التصنيفي مؤثراً بشكل كبير في علم آثار العالم الجديد، لا سيما في جنوب غربي الولايات المتحدة، ومنطقة المايا في أمريكا الوسطى. ويبدو أن هذا المنهج التصنيفي كان له أثرٌ قليلٌ نسبياً في العالم القديم. إن أهم إسهام لنظام تباين النوع لا يَكْمُنُ في تأثيره في مفهوم التصنيف، ولكن في تركيزه في إعداد نظام محلي لوصف الفخار. وضمن هذا الإطار، فإن الفخار من المواقع المختلفة يمكن مقارنته، إذ أُخذ في الحسبان



الشكل ٣: نموذج لتصنيف الفخار بمنهج تباين النوع.

التغييرات المكانية و/ أو الزمانية (Ibid: 53).

وفي منهج تباين النوع تسمى الأنواع، عادة، بأسماء ثنائية (Philips 1970). الاسم الأول يشير إلى اسم المنطقة التي عثر فيها على الفخار، سواء أكانت منطقة كبيرة أم موقعاً، حيث كان التعرف على النوع لأول مرة. والاسم الثاني يشير إلى بعض السمات في معالجة السطح أو الزخرفة، مثل: مصقول، محزز، مختوم، ذو بطانة ونحو ذلك. ويتكون اسم المتنوع (variety) من كلمة واحدة تشير إلى تعريف الخاصية، أو سمة المتنوع. وهذه الكلمة يمكن أن تكون موقعاً أو اسماً محلياً أو سمة زخرفية أو تقنية (مثل شوائب الصدف والمحار). ولا يؤخذ في الحسبان شكل الإناء وتفاصيله في نظام تباين النوع التصنيفي.

وكمثال للتصنيف بمنهج تباين النوع، نتطرق بإيجاز للتصنيف الذي طُوِّر لفخار فترة ما قبل التاريخ المتأخرة بموقع ماوندفيل (Moundville) في غرب الباما الوسطى (Steponaitis 1983). وقد استخدمت في هذا التصنيف ثلاثة متغيرات لتحديد فئات النوع (type categories) وهذه المتغيرات هي: الشوائب، ومعالجة السطح والزخارف (

شكل ٣). وبصورة عامة، صُنِّف فخار ماوندفيل إلى نوعين رئيسيين اعتماداً على الشوائب، هما: فخار بشوائب صدف، وفخار بشوائب فخار مجروش. وقسّم الفخار ذو الشوائب الصدفية، أيضاً، بناءً على معالجة السطح إلى: فخار مصقول (burnished) وفخار غير مصقول (unburnished). والمتغير الثالث الذي استخدم في التصنيف هو الزخرفة (Sinopoli 1991: 54).

أما القوة الرئيسة لمنهج تباين النوع التصنيفي (type va-riety) كما هو الحال في المنهج الحدسي)، فتَكْمُنُ في الخصوصية الزمانية والمكانية. إن ثبات المعايير المستخدمة (المتغيرات المختارة) وتماسكها في تعريف الأنواع والمتنوعات (types & varieties) في منطقة ما، والوصف التفصيلي لهذه المعايير في النشر، يجعل من السهولة التكرار والتأكد من صحة هذه المعايير، بدرجة أكبر من التصنيفات الحدسية، التي نادراً ما تعرف فيها معايير التصنيف بشكل واضح. إن أنواع الفخار (types) وتفرعاتها (منوعاتها) (varieties) مفيدة في بناء التسلسلات المحلية والإقليمية، وفي معرفة العلائق والتفاعل بين المواقع، أي تعريف وتحديد المناطق الثقافية والحضارية المحلية. أما لقضايا استخدام الأواني الفخارية (الوظيفة)، والتباين التقني والأسلوبي (stylistic)، فيجب أن تستخدم فيها مناهج تصنيفية أخرى.

٣-٤-٣- التصنيف الكمي أو الإحصائي (Quantitative ty-pology)

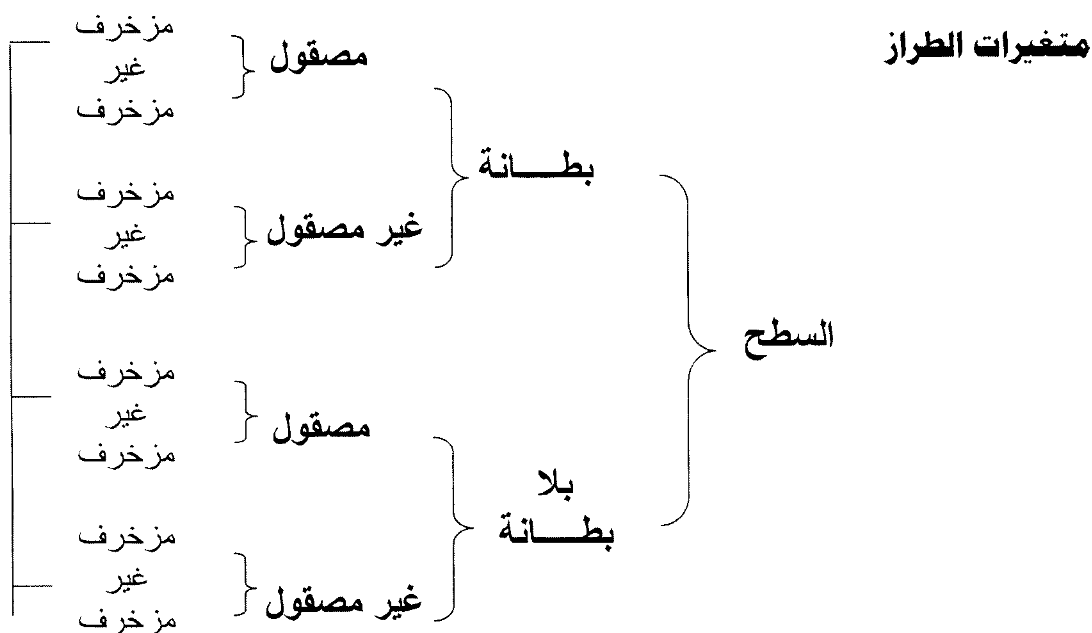
نعني بالتصنيف الكمي التصنيف الذي أُعدَّ وقُيِّمَ باستخدام الوسائل الإحصائية، بتحليل اثنتين أو أكثر من المتغيرات. إن التقنيات وأنواع وأعداد المتغيرات المستخدمة في التصنيف، تختلف باختلاف الأهداف ومستويات الدقة المطلوبة، وكذلك باختلاف صفات الفخار. ويعد اختيار المتغير أهم خطوة في التصنيف الكمي. ويمكن قياس المتغيرات المختارة اسمياً (nominal) أو تراتبياً، إذا كانت نوعية (qualitative)، كما يمكن قياسها رقمياً (numerical) إذا كانت كمية (quantitative). و يجب أن تكون المتغيرات المختارة، إما كلياً أو جزئياً، مقاييس للأبعاد، التي تهم الباحث. فالمقاييس الجزئية لحجم إناء فخاري، مثلاً، يمكن أن تشمل متغيرات محيط الحافة، ومحيط الإناء، وارتفاع الإناء، ومحيط قاعدة الإناء ونحو ذلك (الشكل ٢). ويلاحظ وجود ارتباط وعلاقة وثيقة بين هذه المتغيرات. فعندما يزيد ارتفاع مثلاً الإناء يزيد ارتفاع قاعدته، وهكذا. إن هذه العلاقات الارتباطية لن تكون مطلقة، على كل حال، لأن هذه المتغيرات مقاييس جزئية مثالية لأكثر من بعد واحد، وتنحصر في هذا المثال (شكل ٢) الوارد في متن البحث.

إن اختيار المقاييس الكمية أو الكيفية مرتبط بدرجة التباين (variation) في البيانات. فعندما تكون مثلاً صيغ (modes) أحجام الأواني الفخارية متفردة (Discrete) وغير متطابقة فقد يكفي في هذه الحالة أن تُصَنَّف الأواني إلى مجموعات كيفية (qualitative categories)، مثل: صغيرة، متوسطة، كبيرة. وحتى في هذه الحالة، فمن الأفضل أن نقيس عينة من أحجام الأواني للتأكد من أن فئات (classes) الأواني المتفردة (غير المترابطة) (discrete)، تتفق مع الأنماط الحقيقية (actual patterns).

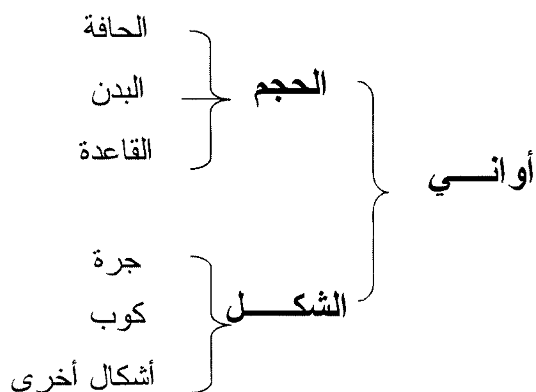
وعند التصنيف، لاسيما عند استخدام الأساليب الإحصائية، لا بد أن يكون قدر عينة الفخار كبير بما فيه الكفاية، وتكون ممثلة للمجموعة الفخارية التي يجري تصنيفها. ومن المستحيل، بالطبع، على أي آثاري أن يدرس كل مجموعة الفخاريات، من أية فترة أو موقع. وإذا اختيرت العينة بعناية، باستخدام أسلوب المعاينة الفرضي (العمدي) (judgemental) أو العشوائي يجب أن تكون العينة ممثلة للمدى العام للتباين (variation) الموجود في الموقع أو المنطقة (Ibid 57).

وفي المواقع الكبيرة تركز التنقيبات على جزء صغير من الموقع، ليس بالضرورة ممثلاً لكل أجزاء الموقع. وفي هذه الحالات، كما في حالات المجموعات الفخارية المجلوبة من مواقع كالمقابر والمستوطنات المؤقتة، لا يمكن أن نفترض أن الفخار ممثل للمعثورات الفخارية كلها. وهذا لا يعني أننا لا نستطيع استخدام هذا الفخار في دراسة الماضي، ولكن علينا

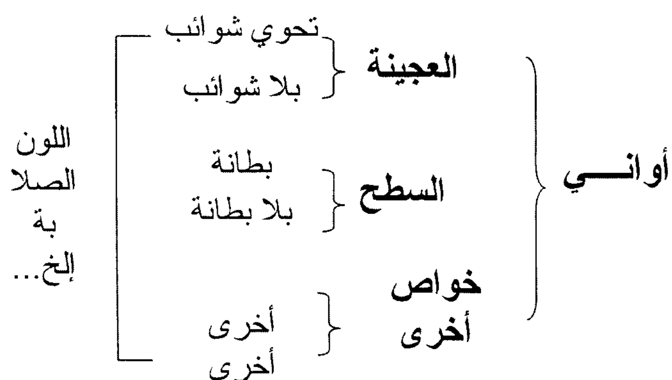
متغيرات الطراز



متغيرات الحجم والشكل



متغيرات التقنية



الشكل ٤: بعض متغيرات تصنيف الفَخّـــار.

أن ندرك قصور العينات فيما يخص تمثيلها للمجموعة الفخارية.

ومن الصعب تحديد القدر (الكم) الكافي من العينة الفخارية لأعداد التصنيف. ومبدئياً كلما كثرت الكسر والأواني الفخارية الكاملة، كانت كمية العينة أفضل. وتعتمد كمية العينة على طبيعة الأواني الفخارية قيد الدراسة. فإذا كانت الحدود والفوارق الفاصلة بين الأنواع واضحة ويمكن تمييزها في البيانات، فإن هذه الأنواع يمكن دراستها في عينات صغيرة نسبياً. إما إذا كانت العينات غامضة وغير واضحة ودون فوارق وفواصل وحدود مميزة، فيصبح لازماً وجود عينات كبيرة قبل الشروع في التصنيف.

٣-٥- اختيار المتغيرات وتعريفها

شأن كل المعثورات ينبغي الوقوف على خصائص الفخار (attributes) أو متغيراته عند تصنيفه (شكل ٤). والخاصية هي كل سمة مفردة ملاحظة، يمكن فرزها وتعريفها. وهذه الخصائص في الفخار هي:

٣-٥-١- الخصائص التقنية

تشمل المواد الخام (الطين)، والشوائب المستخدمة في تماسك الطينة لزيادة أو تقليل لزوجتها، وكل سمة تعكس طريقة صنع الأداة مثل الحرق. ويكون التصنيف حسب المتغيرات، التي نرى فيها إجابات على التساؤلات المطروحة. بمعنى آخر، إذا طلب منا أن نصنِّف عينة فخارية، فإننا نختار من المتغيرات ما يناسب الهدف من التصنيف؛ فإذا كان الهدف يتعلق بالمصدر، مثلاً، وهل الفخار محلي أم مستورد؟ فإننا ننظر في خصائص المادة الخام والشوائب.

ويمكن معرفة المواد الخام من خلال تقنيات عدة، تشمل الفحص المجهري والفحص بالعين المجردة، إضافة إلى التحليل الكيمائي. وكما أشرنا من قبل، تشمل المواد الخام المستخدمة في صناعة الفخار، الطين والشوائب والطلاءات والإصباغ (paints or pigments). ويمكن معرفة المادة الخام بطرق متعددة (الجدول ١). إن بلورات أو جزئيات الطين صغيرة لدرجة إنها لا ترى بالعين المجردة، ويمكن معرفتها باستخدام تقنيات عدة، تشمل ضمن تقنيات أخرى انحراف الأشعة السينية (x-ray diffraction) والمجهر الإلكتروني الماسح (electronic scanning microscope (Grim 1968 : 126 - 164 ; Rye 1981 : 30)). وقد جعل المجهر الإلكتروني رؤية تركيبة جزئيات الطين ممكنة، وذلك بتسليط سيل من الإلكترونات علي عينة الفخار؛ فترتد الإلكترونات من العينة ويُسجّل نمط رد فعلها بالتصوير الفوتوغرافي، أو على شاشة مشعة (fluorescent). وهذا التحليل، يسجل تركيبة جزيئات الطين مما يمكن من معرفة أنواع الطين والبطانات (Rice 1987: 402 - 403). وتجعل تقنيات انحراف الأشعة السينية معرفة التركيبة البلورية لعناصر الطين ممكنة. وتبدأ العملية بتسليط الأشعة السينية علي عينة من الفخار؛ فكل معدن طيني له تركيب بلوري مختلف ، وكل واحد منها يعكس، أو يحرف، الأشعة بطريقة مختلفة. ويُسجّل نمط الأشعة المنحرفة أو المنعكسة بواسطة كاشف، يسمح بالتعرف على المعادن الموجودة (Ibid 1987: 386 - 383) ويعمل انحراف الأشعة السينية بكفاءة، عندما يركّز على مجموعة صغيرة من المعادن، ذلك أن فحص عدد كبير منها يمكن أن يوجد انحرافاً مضطرباً، يجعل من الصعوبة معرفة أنواع معادنها.

وعلى الرغم من أن مادة الطين تتشابه معدنياً، فإن المعادن النذرة، التي توجد بنسب ضئيلة في الأطيان، يمكن أن تكون مؤشراً مهماً في معرفة مصادر الطين والتباين في المواد الخام. ويمكن التعرف على المعادن النذرة (trace minerals) باستخدام عدد من التقنيات المختلفة، تشمل التحليل بالتنشيط النيوتروني (neutron activation analysis) والتحليل الطيفي بالامتصاص الذري (atomic absorption spectroscopy) أو التحليل بالأشعة السينية (x-ray dif-fraction). (Rice 1981: 47).

إن إحدى أكثر الوسائل المستخدمة في معرفة العناصر النذرة (trace elements)، هي التحليل بالتنشيط النيوتروني، حيث تُسحق المواد الفخارية ناعماً بالنيوترونات، وهي فئة جزئيات فرعية من الذرة. وتتفاعل النيوترونات مع

التقنية	الغرض
المجهر الألكتروني	معرفة مكونات وبنية معادن الطين
انحراف الأشعة السينية	معرفة التركيب البلوري لمعادن الطين
تحليل تفعيل النيترون	معرفة العناصر النذرة
التحليل الطيفي بالامتصاص الذري	معرفة العناصر النذرة
التحليل البتروغرافي	معرفة الشوائب ودرجة المسامية

الجدول ١: بعض التقنيات المستخدمة لدراسة المواد الخام في الفخار (After Sinopoli 1991:56, table 3.1).

العناصر الموجودة في الطين، فتطلق أشعة قصيرة العمر تعرف بأشعة قاما (short - lived gamma rays). وكل معدن له شعاع قاما خاص به يمكن قياسه، ويمكن بذلك معرفة المكونات الرئيسة والكيماويات النذرة الموجودة في الكسرة الفخارية. وخلافاً للمكونات المعدنية الأولية لأنواع ا لطين، فإن المعادن النذرة نادرة نسبياً وأماكنها محددة (localized). ولذلك، فإن دراسة المعادن النذرة في غاية الأهمية لمعرفة مصادر الطين المستخدم في الفخار الأثري. ويمكن، أيضاً، التعرف على مكونات الشوائب والأصباغ والألوان في العينات بواسطة التحليل بالتنشيط النيوتروني.

إن تقنيات فحص مكونات الطين مكلفة ومستهلكة للوقت، ولذلك يجب استخدامها بعد الدراسات المجهرية، أو الدراسات بالعين المجردة الأقل كلفة. ويجب استخدام هذه التقنيات المكلفة فقط للدراسات الاسترشادية لعينات صغيرة حينما يكون ثمة سبب للاعتقاد بوجود تباين مهم في المادة الخام.

إن الشوائب الخشنة المضافة (nonplastic inclu-sions)، التي توجد في الفخار، يمكن التعرف عليها بالعين المجردة، أو باستخدام عدسة يدوية. ولكن التعرف المعدني يتطلب، غالباً، استخدام مجهر بتروغرافي لتحليل الشرائح المقطعية الفخارية، وهي شرائح من الفخار مقطعة بسماكة ٣ مايكرون لكل شريحة. ويُسلط ضوءٌ مستقطبٌ (polarized rays) على الشرائح، ونتيجة لذلك تتفاعل المعادن المختلفة وتبث ضوءاً مستقطباً بطرق مختلفة. ويمكن استخدام اللون والخصائص الأخرى لمعرفة مكونات الشوائب الكبيرة في الفخار. وتتأكسد الشوائب العضوية، في الغالب، أثناء حرق الفخار. ويمكن معرفتها بالفجوات أو الفراغات التي تتركها على جدران الأواني الفخارية. ويساعد التحليل المجهري في التعرف على أحجام الشوائب وأشكالها ما يتيح التمييز، مثلاً، بين الرمل النهري المستدير والشوائب الرملية الأخرى ذات الزوايا. وهكذا، فإن حجم الجزيئيات وشكلها يمكن أن يوفرا دليلاً على معرفة أنواع المواضع والمصادر، التي اختارها الخزّافون قديماً لإنتاج الفخار (Ibid: 58).

وتعد التفاعلات المعروفة لمعادن الطين والشوائب مع الحرارة أدوات مهمة في دراسة درجة الحرارة، التي أُحرقت بها الأواني الفخارية. فهناك معادن طينية مختلفة تتحلل عند درجة حرارة معينة، كما تتحلل، أيضاء الشوائب وتحترق أو تتغير حالتها عند درجات حرارة معينة. فالكوارتز (المرو) مثلاً، يتحول إلى شكل بلوري عند درجة حرارة ٥٧٣ مئوية. إن معرفة حالات مكونات المعادن المختلفة للفخار، توفر معلومات عن درجات الحرارة، التي تعرض لها الفخار أثناء الحرق. وكذلك، فإن دراسة درجات الحرق، تساعد في معرفة تقنيات الحرق سواء أكان الحرق في أفران مفتوحة أم مغلقة. وألوان سطح الأواني الفخارية ولون اللب (core)، يمكن أن يوفرا معلومات عن بيئة الحرق (أي الظروف التي تم فيها الحرق). ففي الحرق الغني بالأوكسجين (مؤكسد)، تحترق المعادن الكربونية احتراقاً تاماً، ويكون لون الإناء فاتحاً؛ بينما في الحرق الذي يقل فيه الأوكسجين (reduced)، تكتسب الأواني الفخارية لوناً أسودَ (Rye 1981: 114 - 118) وتساعد ألوان اللب، أيضاً، على معرفة ظروف تبريد الأواني الفخارية بعد الحرق.

٣-٥-٢- الخصائص الشكلية:

تشمل البعد الثلاثي لشكل الإناء وأشكال الأجزاء الأخرى منه االتي يمكن قياس الطول والعرض والسماكة فيها (الشكل

٢). وعلى الرغم من أن تصنيف خصائص الأشكال الفخارية له تاريخ طويل إلا أن هناك العديد من الإشكالات التي تواجه الباحث عند دراسة الأشكال، خاصة عندما يحاول استخلاص معلومات الكسر الفخارية، أو دراسته كمياً (quantitative). ومن الممكن دائماً ذكر شيء عن شكل الإناء من خلال كسرة فخارية، ولكن الوضع قد يختلف إذا كانت المادة الفخارية المتوافرة هي فقط كسر صغيرة. وإذا حاول المصنّف معرفة الشكل من هذه الكسر فقط؛ ستغيب عنه أو يفتقد الكثير من المعلومات عن الشكل. وقد تكون الخصائص المفقودة مهمة وفي مرتبة الخصائص المتوافرة.

وهناك طرق عدة لدراسة الأشكال وتصنيفها. والخيار يعتمد على أهداف البحث، وطبيعة الفخار موضع الدراسة. ومعظم المناهج العملية لتصنيف أشكال الفخار، تتبع واحداً من ما يلي: (Orton et. al 1993: 152).

٣-٥-٢-١ التسلسل النوعي (التقليدي) (type series)

في هذا المنهج تجمع الأواني، معاً اعتماداً على التشابه في خصائص الشكل، ويرسم مثالٌ لكل نوع ليمثل الأواني الأخرى من النوع نفسه. وأكثر التصنيفات نجاحاً في التصنيفات التسلسلية هذه (type series) هي تلك التي تعرف الأنواع على أساس نسيج البنية (fabric) أو (ware).

٣-٥-٢-٢ التصنيف الشكلي القياسي (measurement based classification)

يُعد هذا المنهج بسيطاً وفعالاً لمعرفة الأنواع عبر نسب القياس الرئيسة. فالمتغيرات القياسية لأبعاد حجم الإناء وشكله، كما أشرنا سابقاً، ذات علاقة متبادلة متداخلة في الغالب. والمقاييس النوعية، مثل: صغير، وسط أو كبير، قدر، كوب أو جرة تعد أقل أهمية من المقاييس الكمية؛ فإذا استخدمت فيجب تعريفها بوضوح وصفياً و/ أو رقمياً، أن تكون قابلة للتمييز والتحقق (Sinopoli 1987: 58). وعند تصنيف الفخار الأثري، حين لا نتمكن من تعريف وتمييز المجموعات الفخارية (categories) بسهولة، فإن المقاييس الكمية لمتغيرات الحجم والشكل قد تكون مفيدة. ويمكن أخذ مقاييس عدة لكسرة الحافة أو الإناء الكامل.

وتتحكم الأهداف المرجوة في اختيار المتغير. ويوضح الشكل (٢) مختارات من المتغيرات، التي تقاس عادة. ولا شك أن المتغيرات الأخرى قد تكون مفيدة، ويمكن تعريفها في تحليل مصفوفة البيانات المحددة (مثلاً قطر القاعدة). وإذا اختار المصنّف استخدام المعايير الكمية للمتغيرات، فمن المهم أن يتم تعريفها بدقة وقياسها بثبات. فإذا قاس أحد الباحثين، مثلاً، قطر حافة إناء من الداخل وقاسه الآخر من الخارج، فإنهما لا يسجلان معلومات يمكن مقارنتها. ويمكن تقليل أو إزالة الفوارق والتباين في القياسات، بالمراجعة المتكررة للتأكد من الثبات في أخذ القياسات وكذلك بتقليل عدد الأفراد العاملين في أخذ القياسات.

إن تحليل البيانات الكمية مفيد للتمييز بين المجموعات العامة للأواني الفخارية، ولتقييم مدى التباين والاختلاف داخل تلك المجموعات. بمعنى أنه يمكن، أولاً، تصنيف الأواني تصنيفاً عاماً اعتماداً على الشكل، إلى الأنواع التالية، مثلاً: قصعات، أكواب، أطباق، أباريق ونحو ذلك. ويمكن من ثم استخدام المقاييس الكمية لعمل تقسيمات داخل هذه الأنواع. ويساعد ذلك على إعداد تصنيف دقيق لأشكال الأواني. وقد يكون للتصنيف النوعي وللتباين بين أشكال الأواني الفخارية، دلالات مهمة في معرفة التحولات التاريخية، أو التباين في إنتاج الفخار، أو التباين في الأساليب، ضمن الأنواع الرئيسة للأواني.

٣-٥-٢-٣- تصنيفات مبنية على مراحل التصنيع: classification of manufacturing stages

أما الخيار البديل للمناهج المذكورة سابقاً، فيعتمد علي تصنيف وسائل وطرق التصنيع، ووصف الخطوات التي اتخذها الخزّاف لإنتاج الأواني، بدلاً من تصنيف الأواني فقط. ويركّز في هذا المنهج علي الفحص الدقيق والدراسة للآثار الموجودة علي الإناء الفخاري، التي تدل علي الخطوات التي اتُخذت أثناء التصنيع لتشكيل الإناء. وهذه الخطوات لا تشمل فقط تقنيات التشكيل الأساسية، وإنما تشمل تفاصيل كيفية بناء الشكل النهائي، وخطوات التحام أجزاء الإناء مع بعضها، وترتيب وتسلسل عمليات التمليس،

وتقنيات معالجة السطح، وكيفية عمل وإعداد الحواف والقواعد. وفي هذا المنهج فإن الخطوات المتتابعة، التي يتخذها الخزاف - ترتيب الخطوات- هي التي تميّز بين نوع وآخر (Orton et. al 1993: 163). ونجد مثالاً لهذا المنهج التصنيفي في ما قام به شورينغ (Schuring 1984) وطبّقه على مجموعة من الجرار الرومانية المتأخرة. ففي تلك الدراسة اقترح "أن كل فخار أنتج بطريقة واحدة مشابهة، ويقع في إطار الاختلافات التي تسمح بها تلك التقنية، يمكن تصنيفه كنوع واحد".

٣-٥-٣- الخصائص الأسلوبية (stylistic attributes)

(الشكل ٤)

تشمل هذه الخصائص السّمات الوصفية الواضحة للأدوات الفخارية مثل: اللون ومعالجة السطح والزخرفة ونحو ذلك من المتغيرات الأخرى التي يشملها التباين الفخاري ويمكن دراستها. وتختلف الصناعات الفخارية في درجة العناية والاهتمام بالأجزاء التي تُرى بوضوح في الأواني، مثل: السطوح الخارجية للجرار والسطوح الداخلية للقصاع. ويمكن أن تتراوح معالجة السطح من التمليس إلى الصقل والتلميع والتلوين (الطلاء) والتحزيز، أو إلى أنواع أقرب إلي الزخرفة. ويمكن تقسيم معالجة السطح إلى سمات نوعية. وهذه يمكن أن تشمل التمليس والصقل والتلميع والتبطين (slipping) والتزجيج (glazing) والتشطيب، ونحو ذلك من الخصائص. ويمكن تمييز البطانات بلونها، الذي يختلف عن لون لب الإناء، وهي في الغالب يصعب تمييزها عندما يكون لونها قريباً من لون اللب. والعدسات اليدوية مفيدة في فحص البطانات، التي تبدو في الغالب كطبقة منفصلة، وأحياناً تتقشر وتنفصل عن جسم الإناء.

ويمكن تسجيل لون عجينة الإناء وسطحه باستخدام لوحة ألوان مخصصة للقياس بدقة، لدرجة اللون وقيمته وصفائه وكثافته. وتعد لوحة "منسل" للألوان أكثر اللوحات انتشاراً واستخداماً في البحوث الأثرية، بغرض تسجيل ألوان التربة في التنقيبات، ولقياس ألوان المعثورات الفخارية. ويمكن معرفة مكونات البطانات وطبقات الترجيج بواسطة تقنيات التحليل الكيمائي، مثل تحليل تفعيل النيوترون (neutron activa-tion analysis).

أ ما في مجال الزخرفة، فقد شهد حقل تحليل الزخارف وتصنيفها الكثير من الأعمال. فإذا كانت أغلب الكسر الفخارية صغيرة، فربما يستحيل معرفة الشيء الكثير عن الإطار الزخرفي كامل؛ ولكن قد يكون من الممكن وصف التقنية الزخرفية المستخدمة، والتي قد تكفي للمساعدة في تصنيف الكسر الفخارية. وبما أن مدى المواد والتقنيات الزخرفية المستخدمة كبير، فقد اعتمدت الكثير من التصنيفات الجيدة على هذه الأنواع من البيانات (Orton, et. al 1993: 81).

واعتماداً على مدى الزخارف على الفخار قيد الدراسة، فقد يحتاج المرء إلى تصنيف للزخارف مشابه لتصنيف الشكل يُعرف بالتسلسل النوعي للزخارف (decoration type se-ries). وإذا كانت هنالك علاقة متداخلة بين الزخرفة والشكل، فربما يكفي تصنيف تسلسلي واحد. ويجب أن يحوي التصنيف وصفاً للزخرفة وتقنياتها، لأن بعض الأنواع قد تحوي تقنيات خاصة بها. وإذا كانت أغلب كسر الفخار الواقع تحت الدراسة صغيرة، فإن تقنية الزخرفة هي خير ما يمكن ملاحظته. ومما تجدر ملاحظته أن وصف أنماط الزخارف وتصنيفها مجال صعب وشائك، خاصة إذا أُجريت محاولات لفهم مغزى رموز أنماط هذه الزخارف.

٣-٦- تحليل البيانات (Data analysis)

عند تسجيل المعلومات عن الفخار بشكل نوعي أو كمي، فإن الخطوة التالية هي استخدام هذه البيانات الخام (raw data) لتحقيق الأهداف التحليلية مثل تعريف الأنواع (types). ويكون ذلك بالبحث عن أنماط الأساليب (stylistic patterning)، أو للإجابة على أية أسئلة أخرى قد تهم الباحث. ويهدف تحليل البيانات أصلاً إلي البحث عن الأنماط (patterning) (Sinopoli 1991: 65). وتتباين الوسائل المستخدمة في التحليل، من رسم بياني بسيط لمتغير واحد، إلى وسائل معقدة متعددة التباين (multivariate)، مثل: التحليل العنقودي أو العاملي (factor analysis). وكقاعدة عامة في المرحلة الأولى من تحليل البيانات، يجب

استخدام الوسائل البسيطة والوصف الإحصائي للحصول على معلومات مختصرة عن المتغيرات المفردة (individual var-iables). وتشمل وسائل الرسم البياني الوصفي، مثل المدرجات التكرارية (النسيجية) (histograms) أو مصفوفات القيم المنتشرة (scatter plots)، لتقييم توزيع المتغيرات وعلاقاتها المتبادلة. ويُعد إحصاء المتوسطات والمنوالات (modes) والتباين والانحرافات المعيارية، وسائل أساسية لوصف المتغيرات الكمية (Ibid: 66).

وعند تحديد توزيع المتغيرات المفردة، يمكن اختبار كل زوجين من المتغيرات، كما يمكن استخدام الاختبارات الاستدلالية لمقارنة متغيرين، أو مجموعة فرعية مختلفة، لمتغير واحد. وبعض الاختبارات الإحصائية البسيطة تشمل اختبار ما يُعرف بـ: اختبار استيودنات التائي (student t - Test)، واختبارات تحليل التباين (analysis of variance tests) للبيانات الكمية، واختبار مربع كاي للبيانات النوعية (الوصفية). وإذا أظهرت هذه الاختبارات اختلافاً نمطياً (patterned variation) ذا معنى، بحيث يمكن تمييز الأواني أو مجموعات الأواني، قد يصبح التحليل كافياً عند هذا الحد. وإذا كانت البيانات معقدة لدرجة أن المتغير الواحد والمتغيرات الزوجية غير كافية للاستجابة لاهتمامات الباحث وأسئلته، فإن استخدام المزيد من وسائل التحليل قد يكون ضرورة (Ibid).

وعند تحليل البيانات، يلاحظ، عادة، أن نوع البيانات تتأثر بأساليب اختيار العينة (sampling procedures)، التي تؤثر بدورها على تمثيل مجتمع البحث وأحجام العينات وتعريف المتغير واختبار المتغيرات ذات العلاقة بقضايا البحث الأثري وقياس المتغير. إضافة إلى ذلك يمكن أن تحدث أخطاء عند تشفير وتحويل معلومات البيانات الخام إلى تحليلات كمية لتحليلها بالحاسوب.

ومن الضروري في كل مرحلة من مراحل التحليل، مراجعة البيانات والتأكد منها، ومراجعة المنهج، كذلك، لمعرفة هل كانت البيانات متوافقة مع الأسئلة المطروحة في البحث.

إن فهم الشروط الواجب توفرها في تحليل معين، ومدى ملاءمة التحليل لبيانات البحث، والقدرة على إعطاء معنى لنتائج البحث، عن طريق ربطها بأهدافه، هي أكثر أهمية من معرفة المعادلات الرياضية واللوغريثمات، خاصة أن الحاسب الآلي يمكنه القيام بذلك بطريقة أكثر كفاءة من العقل البشري. فقد تقدمت أساليب التحليل الإحصائي كثيراً خلال العقود الثلاثة الأخيرة وتغيرت بيئة البحث كذلك في دراسة وتصنيف الفخار الأثري. وترجع أسباب ذلك إلى ثورة الحاسب الآلي الشخصي، الذي أمدَّ المصنّف بوسيلة غاية في القوة لتسهيل العمليات الحسابية المصاحبة للتحليلات الإحصائية. كما ترجع أسباب ذلك، أيضاً، للتقدم الهائل في عالم البرمجيات، مع سهولة استعمالها، بداية من الأحزمة المتكاملة، مثل اس بي اس اس (SPSS) وساس (SAS)، إلي البرامج المتخصصة مثل الشبكات العصبية (neural networks).

٤- الخاتمة والنتائج

أوضحنا في هذا البحث أن التحليل يبدأ بالتصنيف، الذي يُعد خطوة تحليلية أساسية نحو تفسير الماضي. والهدف من التصنيف هو ترتيب وتنظيم مصفوفة البيانات في وحدات يسهل التحكم فيها واستخدامها، بحيث تمكننا من فهم المادة الأثرية، وأخذ أكبر قدر من المعلومات. وهذا الترتيب والتنظيم قد يشيران إلى وجود علائق بين مصفوفة البيانات. وسواء أكانت فئات التصنيف (categories) ذات معنى للخزافين، أوالمستخدمين للأدوات الفخارية أم غير ذلك، فإنها تعد أدوات مفيدة للآثاري، إذ تشكل له نقطة انطلاقة لتنظيم وتحليل وتفسير المادة الأثرية.

ويعتمد التصنيف على الخصائص الخاصة بالأدوات والمعثورات الفخارية. وهذه الخصائص توجد في ثلاثة أنواع هي: أسلوبية (طرازية)، وشكلية، وتقنية. ويؤدى اختيار أنواع مختلفة من الخصائص بالمقابل إلى أنواع مختلفة من التصنيف (أسلوبي، شكلي، وتقني). وهذه التصنيفات الأثرية يمكن استخدامها كأساس للتحليلات، لكل نوع من أنواع المواد الأثرية، تبعاً لأهداف الدراسة.

إن بعض الإشكالات في أدبيات التصنيف الآثاري وتصنيف الفخار، مشتركة في كل التصنيفات، بوجه عام. ومثال لذلك

الحدود أو الفواصل بين الأنواع. وكل ما هو مبتدع في التصنيفات الأثرية لا ينشأ من طبيعة مفهوم النوع نفسه، أو الحاجة لوضع حدود فاصلة؛ ولكنه ينشأ من القرارات التي يصدرها المصنف.

ويمكننا القول، إن معظم التصنيفات الأثرية للفخار، قد تطورت وتوسعت خلال الخمسة أو الستة عقود الأولى من القرن العشرين، لإعداد وصف قياسي موحد للأدوات وتطوير الوسائل التاريخية والمساعدة في الدراسات المقارنة. وقد تحققت هذه الأهداف بدرجة كبيرة. وبتطوير وسائل جديدة – خاصة الوسائل والتقنيات التأريخية – مع التوجه النظري الحديث خلال الثلاثين سنة الماضية، تغيرت أهداف علم الآثار بقوة. وقد استفاد البحث الأثري في مجال دراسة الفخار كثيراً من هذه التطورات، مع الاهتمام المتزايد بالتحليلات التركيبية (compositional) والأثنوآركيولوجية وغيرها. ولكن مع هذا، يبدو أن نظم ومناهج تصنيف الفخار، لم تواكب هذه التطورات؛ فالوسائل التي تستخدم الآن هي نفسها، التي ابتدعت وصممت للبناء التأريخي قبل فترة طويلة. وقد طورت تصنيفات حديثة لحل إشكالات معينة، خاصة تلك التي تتعلق بالأساليب والمكونات والوظيفية (morphological and functional). وقد بذل القليل من الجهد، فيما نرى على أية حال، لتقييم وسائل وأساليب تصنيف الفخار الأثري، بشكل عام، أو لدمج التصنيفات التكوينية الحديثة (morphological classification) والتقنية (technological classification) مع الأساليب التصنيفية التقليدية. وحتى هذا الجهد على الرغم من قصوره، لا يزال بعيد المنال في المراجع العربية، التي يهتدي بها طلابنا في دراساتهم المعملية.

د. أحمد أبوالقاسم الحسن: قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص. ب. ٢٤٥٦ الرياض ١١٤٥١- المملكة العربية السعودية.
أ. د. عباس سيد أحمد محمد علي: قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص. ب. ٢٤٥٦ الرياض ١١٤٥١- المملكة العربية السعودية.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

الأسـود، علي حسين، ٢٠٠٢م، **تاريخ الخزف**، دار الأمل، إربد، الأردن.

الطيار، محمد شعلان، ١٩٩٨م/١٩٩٩م، **الفخار القديم والخزف، نشأته - تطوره - تقانات تصنيعه**، منشورات جامعة دمشق، دمشق.

دانيال، غلين، ٢٠٠٠م، **موجز تاريخ علم الآثار**، ترجمة عباس سيد أحمد محمد علي، دار الفيصل الثقافية، الرياض.

الدباغ، تقي، ١٩٦٤م، "الفخار القديم" **سومر**، العدد ٢٠ ، ص ٨٧-١٠٠ .

رزق، عاصم محمد، ١٩٩٦م، **علم الآثار بين النظرية والتطبيق**، مكتبة مدبولي.

سليمان، توفيق، ١٩٧٢م، **الفن الحديث في التنقيب عن الآثار**، منشورات الجامعة الليبية كلية الآداب.

غالان، رودريغو مارتين، ترجمة خالد غنيم، ١٩٩٨م، **مناهج البحث الأثري ومشكلاته**، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت.

القيسي، ناهض، ٢٠٠١م، **الفخار والخزف**، دار المناهج، عمان.

محيسن، سلطان، ١٩٩٤م، **بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ: المزارعون الأوائل**، الأبجدية، دمشق.

ثانياً: المراجع غير العربية:

Adams, William Y. and Ernest W. Adams. 1991. **Achaeological typology and practical reality**, Cambridge University Press, Cambridge.

Adler, K., M. Kampel, M. Penz, R. Sablatnig, K. Schindler and S. Tosovic. 2002. "Computer Aided Classification of Ceramics: Achievements and Problems".

Aldenderfer, M. S. 1983. "Review of Essays on Archaeological Typology, edited R. Whallon and J. A. Brown. **American Antiquity** 48: 652-654.

Aldenderfer, M. S. 1996. "Typological Analysis", In: Fagan, Brian M. (ed. in Chief), **The Oxford Companion to Archaeology**, pp. 727- 8, Oxford University Press.

Aldenderfer, M. S. 1998. "Quantitative methods in archaeology: A review of recent trends and developments", **Journal of Archaeological Research**, 6(2): 91-122.

Barich, B. 1987. "Adaptation in Archaeology: An example from the Libyan Sahara" in Close, A. (ed.) **Prehistory of Arid North Africa**. Pp. 189-210, S. M. U. Press, Dallas.

Beck, C. and G. T. Jones 1989. "Bias and archaeological classification", **American Antiquity** 54 (2): 244-62.

Binford, Lewis R. 1968. "Archaeological Perspectives". In: Lewis R. Binford and Sally Binford (ed). **New Perspectives in Archaeology**, pp. 5-32, Aldine Press, Chicago.

Binford, Lewis R. 1981. "Middle Range Research and the Role of Actualistic Studies". In: Lewis R. Binford (ed.). **Bones: Ancient Men and Modern Myths**, pp. 21-30, Academic, New York.

Brew, J. O. 1946. "The Use and Abuse of Taxonomy". In: **Archaeology of Alkali Ridge, Southeastern Utah**, Papers of the Peabody Museum 21, pp. 44-66, Peabody Museum, Cambridge, Mass.

Brown, James A. 1982. On the Structure of Artifact Typologies, in: R. Whallon and J.A. Brown (eds). **Essays on Archaeological Typology**, pp. 176-89, Center for American Archaeology, Evanston.

Clarke, David L. 1968. **Analytical Archaeology**, London, Metheun.

Clarke, David L. 1970. **Beaker pottery of Great Brit-**

ain and Irland, Cambridge University Press.

Cornwall, I. W. and H. W. M. Hodges. 1964. "Thin sections of British Neolithic pottery: Windmill Hill - A test - site", **Bulletin of the Institute of Archaeology** 4: 29-33, University of London, London.

Daniel, Glyn E. 1975. **A Hundred and Fifty Years of Archaeology,** 2nd edition. Duckworth, London

David, N. and Henning, H. 1972. **The ethnography of pottery: a Fulani study seen in archaeological perspective**, Addison-Wesley Modular Publications 21, Reading, Mass.

DeBoer, W. R. and D. Lathrap. 1979. "The making and breaking of Shipibo-Conibo ceramics". In: C. Kramer (ed). **Ethnoarchaeology: Implications of ethnography for archaeology**: 102 - 38, Columbia University Press, New York.

Deetz, J. 1967. **Invitation to Archaeology**. Natural History Press, Garden City, New York.

Doran, J. E. and F. R. Hodson. 1975. **Mathmatics and Computers in Archaeology**. Harvard University Press, Cambridge.

Dunnell, Robert C. 1986. "Methodological Issues in Americanist Artifact Classification". In: Michael B. Schiffer (ed). **Advances in Archaeological Method and Theory**, Volume 9: 267- 87, Academic Press, New York.

Elamin, Y. and Mohammed-Ali, A. S. 2004. "Umm Marrahi: An early Holocene ceramic site north of Khartoum, Sudan". **Adab** 21.

Ford, J. A. 1938. **Reports of the conference on southeastern pottery typology**. Mimeographed, Museum of Anthropology, Ann Arbor.

Ford, J. A. 1953. "Measurements of some prehistoric design developments in the southeasteren states". **Anthropological papers of the American Museum of Natural History**, vol. 44, pt. 3.

Franken, H. J., with contribution by Jan Kalsbeek. 1969. **Excavations at Tell Deir Alla A Stratigraphical, Analytical Study of the Early Iron Age Pottery**, Vol. 1, E. J. Brill, Leiden.

Gibson, A. and Woods, A .1990. **Prehistoric Pottery for the Archaeologist**, Leicester University Press, Leicester.

Gifford, J. C. 1960. "The type-variety method of ceramic classification as an indicator of cultural phenomena", **American Antiquity** 25: 341-7.

Gifford, J. C. 1976. **Prehistoric pottery analysis and the ceramics of Barton Ramie in the Belize Valley**, Harvard University, Cambridge, Massachusetts.

Greene, Kevin. 1992. **Roman Pottery**, British Museum Press, London.

Grim, R. E. 1968. **Clay mineralogy**. McGraw-Hill, New York.

Hester, Thomas R., Heizer, Robert F. and Graham, John Graham. 1975. **Field methods in Archaeology,** Mayfield Publishing Company, California.

Hodges, H.W. M. 1962. "Thin sections of prehistoric pottery: an empirical study". **Bulletin of the Institute of Archaeology**, University of London, 3: 58-68.

Hodges, H.W. M. 1963. "The examination of ceramic materials in thin section". In Pyddoke (ed.), **The Scientist and Archaeology**, Phoenix, pp. 101-10.

Hodson, F. R. "Some aspects of archaeological classification". 1982. In: Robert Whallon, and James A. Brown, (eds.). **Essays on Archaeological Typology**, pp. 21-29. Center for American Archaeology Press, Evanston.

Imamura, Keiji. 1996. **Prehistoric Japan: New Perspectives on Insular East Asia**, UCL Press, London.

Kramer, C. 1989. "Ceramic Ethnoarchaeology". **Annual Review of Anthropology** 14: 77-102.

Krieger, Alex D. 1944. "The typological concept". **American Antiquity** 9 (3): 271-88.

London, G. A. 1997. "Typology and Technology". In: Eric M. Meyers (ed. in Chief). **The Oxford Encyclopedia of Archaeology in The Near East**, pp. 450-53, Oxford University Press, Oxford.

Longacre, William A. 1991. **Ceramic Ethnoarchaeology**, Tuscon.

Matson, Frederick R. 1965. "Ceramic Ecology: An Approach to the study of the early cultures of the Near

East". In: Frederick R. Matson (ed.). **Ceramics and Man**: 202-17, Aldine Publishing Company, Chicago.

Matson, Frederick R. 1981. "Archaeological Ceramics and the Physical Sciences: Problem Definition and Results", **Journal of Field Archaeology** 8(4): 448-56.

Mueller, James W. 1975. **Sampling in Archaeology,** University of Arizona Press, Tucson.

Nicholson, Paul and Helen Patterson. 1985. "Pottery making in Upper Egypt: An Ethnoarchaeological Study". **World Archaeology** 17: 222-39.

Orton, Clive R. 1980. **Mathematics in Archaeology**, Cambridge University Press, Cambridge.

Orton, Clive R., Tyers, Paul and Vince, Alan. 1993. **Pottery in Archaeology**, Cambridge Manuals in Archaeology. Cambridge University Press, Cambridge.

Peacock, D. P. S. 1968. "A petrological study of certain iron age pottery from western England", **Proceedings of the Prehistoric Society**, 34: 414-27.

Peacock, D. P. S. 1970. "The scientific analysis of ancient ceramics: a review". **World Archaeology** 1: 375-89.

Petrie, W. M. Flinders. 1891. **Tell elHesy** (Lachish), London.

Petrie, W. M. Flinders. 1975. "Sequence dating Egyptian Tombs: Diospolis Parva", In: Heizer, R. F. (ed). **The Archaeologist at Work,** pp. 375-83. Reprinted by greenwood Press.

Phillips, P. 1970. **Archaeological survey in the Lower Yazoo Basin, Missippi, 1949 - 1955**, Papers of the Peabody Museum of Archaeology and Anthropology, 25.

Plog, Stephen. 1980. **Stylistic Variation in Prehistoric Ceramics**. Cambridge University Press, Cambridge.

Read, Dwight W. 1982. "Toward a theory of archaeological classification". In: Robert Whallon, and James A. Brown, (eds.). **Essays on Archaeological Typology,** pp.56-92. Center for American Archaeology Press, Evanston.

Rice, P.M. 1982. "Pottery Production, Pottery Classification, and the Role of Physiochemical Analyses". In: J. S. Olin and A.D. Franklin (ed.). **Archaeological Ceramics**, pp. 47-56, Smithsonian, Washington, D. C.

Rice, Prudence M. 1987. **Pottery Analysis: A sourcebook**. The University of Chicago Press, Chicago.

Rouse, Irving. 1939. **Prehistory in Haiti, a Study in Method**. Yale University Publications in anthropology 21.

Rouse, Irving. 1960. "The classification of artifacts in archaeology". **American Antiquity** 25, (3): 313-23.

Rye, O. S. 1981. **Pottery Technology: Principles and Reconstruction**. Taraxacum, Inc. Washington, D. C.

Schuring, J. M. 1984. "Studies on Roman amphorae I-II", **Bulletin Antike Beschaving**, 59: 137-95.

Sharer, Robert J. and Ashmore, Wendy 1987. **Archaeology Discovering Our Past**. Mayfield Publishing Company, California.

Shepard Anna O. 1976. **Ceramics for The Archaeologists**, Publication 609, Carnegie Institution of Washington, Washington, D. C.

Sinopoli, Carla M. 1991. **Approaches to Archaeological Ceramics**, Plenum Press, New York.

Sokal, R. R. and P. H. A. Sneath. 1963. **Principles of Numerical Taxonomy**, Freeman, San Francisco.

Spaulding, Albert C. 1953. "Statistical techniques for the discovery of artifact types". **American Antiquity** 18 (4): 305-13.

Spaulding, Albert C. 1982. "Structure in archaeological data: nominal variables". In: Robert Whallon and James A. Brown (eds.). **Essays on Archaeological Typology**, pp. 1-29, Center for American Archaeology Press, Evanston.

Steponaitis, V. P. 1983. **Ceramics, chronology and community patterns: an archaeological study at Moundville**, Academic Press, New York / London.

Thomas, D. Hurst. 1978. "The awful truth about statistics in archaeology". **American Antiquity** 43 (2): 231-44.

Trigger, Bruce G. 1989. **A History of Archaeological Thought**. Cambridge University Press, Cambridge.

Tylor, w. w., Jr. 1948. A **study of archaeology**. Memoir no. 69. Washington, D. C.: American Anthropo-

logical Association.

Whallon, R. J. 1872. A new approach to pottery typology. **American Antiquity** 37 (1): 13-34.

Whallon, R. J., and J. A. Brown, (eds). 1982. **Essays on Archaeological Typology**. Center for American Archaeology Press, Evanston.

Wheat, J. B. 1991. "Bradfield and Shepard, Types and Varieties". In (eds) Ronald L. Bishop and Frederick W. Lange. **The Ceramic Legacy of Anna O. Shepard**, pp. 121-31. University of Colorado Press, Boulder.

Wheat, J. B., J. C. Gifford, and W. Wasley. 1958. "Ceramic variety, type clusters, and ceramic system in Southwestern pottery analysis". **American Antiquity** 24 (1): 34-7.

Willey, G. R. and Philip Philips. 1958. **Method and theory in American Archaeology**. Chicago, University of Chicago Press.

Willey, G. R. and J. A. Sabloff. 1974. **A History of American Archaeology**. Freeman Co., San Francisco.

مؤتمرات وندوات علمية

مؤتمر: الصحراء والإنسان:
معرفة لكسب المهارات وحسن التصرف

الجهة المنظمة : كرسي بن علي لحوار الحضارات والأديان بجامعة تونس المنار.

مكان الانعقاد : مدينة دوز - تونس

تاريخ الانعقاد : ٤-٦ ذو القعدة ١٤٢٤هـ

الموافق: ٢٧-٢٩ ديسمبر ٢٠٠٣

نظّم كرسي ابن علي لحوار الحضارات والأديان، نظم مؤتمراً دولياً عنوانه: " الصحراء والإنسان: معرفة لكسب المهارات وحسن التصرف " وذلك في الفترة الواقعة بين ٢٧-٢٩ كانون أول ٢٠٠٣ في مدينة دوز (نزل المرادي) بمنطقة الواحات في الصحراء التونسية. وحضر المؤتمر عدد من العلماء العرب والأجانب لتقديم دراسات ، علّها تكون مفيدة لكسب المهارات وحسن التصرف. وكان لهذا الملتقى بُعْدٌ تعريفي واستشرافي، إذ قدّمت فيه مجموعة من الأفكار الجديدة، خاصة في مجال توثيق التراث الصحراوي، شملت المعمار والكتابات والمنقوشات والرسوم .

وكما ذكر الأستاذ الدكتور محمد حسين فنطر في كلمته للمؤتمرين، فإن صحراء تونس هي جزء من الصحراء الكبرى، حيث تتوارى الحياة على الرغم من كثافتها، نباتاً كانت أو حيواناً. وإن الإنسان ما أنفك يتردد أو يقيم في الصحراء منذ العصور الحجرية القديمة، وحتى وقتنا الحاضر . واستطاع الدارسون تعقّب ودراسة المخلفات الأثرية، التي تركها لنا هذا الإنسان بأشكال مختلفة. وإذا كانت هذه البقايا لم تخرج عن كونها أدوات حجرية مبعثرة على السطح في بداية الأمر، إلاّ أنها تطورت إلى بناء المخيمات والقرى والمدن عبر العصور. ومما تركه لنا هذا الإنسان مجموعة من النقوش الكتابية والرسومات الصخرية، تعكس في مجملها طبيعة الحياة اليومية.

أما تفاعل الإنسان مع البيئة الصحراوية، فقد أثّرت فيه وأثّر فيها . فنجده بداية الأمر، وخلال العصور الحجرية القديمة، يقيم على ضفاف البحيرات وتجمعات المياه في الصحراء، لكنه مع تغير البيئة لتغير الأحوال المناخية بنى السدود والبرك، ليجمع المياه التي تكفيه بقية أيام السنة . والزائر أو الدارس للصحراء، يجد نفسه محاطاً بكنوز طبيعية من نبات وحيوان ومجموعات بشرية، لها اقتصاد وعادات وتقاليد وتراث ولهجات وطقوس وعبادات وأديان، تعددت على مر الأيام والدهور. ولمعرفة ما دار في الصحراء: كيف عاش الناس فيها عبر العصور؟ وكيف سُخّر الجمل " سفينة الصحراء " خاصة لقطع الفيافي الصحراوية للاتصال بالمجموعات البشرية المنتشرة في إرجائها ؟ كان إنعقاد ملتقى الصحراء، الذي دعى إليه كرسي بن علي لحوار الحضارات والأديان بجامعة تونس المنار.

عُقدت جلسات المؤتمر في عدة محاور، توزعت على مدى ثلاثة أيام على النحو التالي:

اليوم الأول

خُصصت فترة ما قبل الظهر للافتتاح ولأربع محاضرات، تركّزت حول: "الصحراء ومستقبل الإنسان العربي"، و "المخطوطات ذاكرة الحياة الاجتماعية والثقافية في الصحراء"، "وأثر التقلبات المناخية على الاستيطان في الصحراء"، وأخيراً "أثر البيئة الصحراوية في العلاقات المصرية بجيرانها في شمالي إفريقيا".

وكما نرى، فإن موضوعات المحاضرات جاءت مختلفة ولا يحكمها محور واحد، فمثلاً المحاضرة الأولى بحثت في صورة الصحراء في الفهم العربي، وانعكاس هذا الأمر في اللغة والأدب العربي. وعاب المحاضر على الدول العربية إسقاط الصحراء من خطط التنمية، علماً بأن الاهتمام بالدراسات الصحراوية قد زاد في الوقت الحاضر، لأن الصحارى أصبحت تشكل مصدراً مهماً من مصادر الدخل القومي،

خاصة لوجود البترول والمعادن الثمينة فيها. كما أن كثيراً من الناس خلال الوقت الحاضر أخذوا في الاهتمام بالسياحة الصحراوية. وأكد المحاضر ضرورة إعادة تشكيل الوعي العربي بالصحراء، ووضع سياسة عربية وإفريقية للدراسات الصحراوية.

أما المحاضر الثاني فقد ذكر أن هناك كماً هائلاً من المخطوطات، بالخط العربي، تعالج موضوعات عربية خاصة بالصحراء. وهذا يؤكد على دور المخطوطات في توثيق الهوية العربية. ولاحظ أن حماية وصيانة المخطوطات، التي كتبت بخطٍ عربي في بعض البلدان الأفريقية مهملة، أي لم يدرسها أحد. كما عرض لواقع المخطوطات التي كتبت باللغة العربية في البلدان الصحراوية (موريتانيا ومالي والنيجر).

أما الدراسة الثالثة، فعرضت إلى التحولات المناخية والمراحل التي مرت بها. كما قدم الباحث دراسة لصحراء فزّان وواحة بركات بليبيا. فربط الاستيطان البشري في واحة فزّان بتغير مستوى البحيرات. كما أكد الباحث أن الذين سكنوا واحة بركات عرفوا صناعة الفخار قبل حوالي عشرة آلاف عام. وعرض إلى دراسة الرسومات الحيوانية، التي تدل على أنواع الحيوانات التي كانت تعيش في هذه المنطقة. وذكر أن الناس هناك عرفوا استخدام العربات وزراعة النخيل، قبل حوالي خمسة آلاف عام.

وفي المحاضرة الأخيرة، حاول الباحث تبيان العلاقة، التي كانت تربط الصحراء المصرية الغربية مع تلك الليبية، خلال فترات العصر الحجري الحديث والمصري القديم. واستند المحاضر على عدد من الوثائق الأثرية، منها: الرسومات المنحوتة على صلايات الكحل، التي تمثل أبراجاً وقبائل "تحنو" الليبية وهي منهزمة، وكذلك أسداً يفترس أسداً ربما يكون ليبيا. لكن العداوة لم تكن هي الأساس في العلاقة بين المصريين والليبيين القدماء، فقد كانت هناك تحالفات وصداقات حميمة. فعلى سبيل المثال لا الحصر، كان هناك ليبيون ضمن الحراس الشخصيين للفرعون المصري إخناتون.

ولمّا كان هذا المؤتمر الدولي يعقد في الوقت نفسه، الذي تعقد فيه الدورة (٣٦) للمهرجان الدولي للصحراء بمدينة دوز من ٢٧-٣٠/١٢/٢٠٠٣م، فقد دُعي المشاركون في المؤتمر في فترة ما بعد الظهر لحضور بعض فعاليات هذا المهرجان. وقد لوحظ وجود مشاركات عربية وأجنبية في فعالياته. فقد كانت هناك فقرات تدل على الثقافات والتراث الصحراوي العالمي، مثال ذلك فقرات حفل زفاف صحراوي، وكيفية استخدام الكلب "السلوقي" في الصين، وغيرها.

اليوم الثاني

عُقد في هذا اليوم أربع جلسات، اثنتان في الصباح ومثلهما في فترة ما بعد الظهر. وقدمت السيدة كاترين ستينو (Katherin Steneu)، ممثلة المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم (اليونيسكو)، كلمة نّوهت فيها بأهمية هذا المؤتمر وضرورة تكراره. وكانت بداية الأبحاث العلمية بحثاً يتحدث عن رمزية العصور (أماكن تجمع البوادي). وذكرت أن الأمم المتحدة أسمت عام ٢٠٠٤ (عام الصحراء). وأوضحت أن التراث الثقافي غير المادي يغذي العلاقات بين الشعوب، ويمثّل النسيج الأساسي الذي بفضله تنشأ المجموعات الجديدة، وكذلك التطورات والرؤى.

وقد نبّه الباحثان حبيب بلهادي (Habib Belhadi) وماريو البرتو زكيني (Mario Alberto Zecchini)، إلى ضرورة ربط الثقافة مع هندسة القصور، وذلك بدراسة النصوص المكتوبة، وكذلك الصور والرسومات. ويعتقد الباحثان أن حياة الناس في منطقة الصحاري ترتبط بالروحانيات، التي يُعّبر عنها برموز نجدها داخل القصور. علماً بأنهما لم يغفلا أنّ المجتمع، وقبل الكتابة والرسم على جدران الأبنية، تميز بالثقافة الشفوية. وعلى أية فإن المحاور التي تناولها الباحثان ركّزت حول عدة موضوعات هي:

- موضوع الرموز (نباتي أم حيواني).
- أشكال الرموز (منحنٍ أم دائري).
- أهداف الرسالة التي تحملها هذه الرموز (السياسي والديني).
- النقاط المحفورة بأشكال هندسية، مثل المربعات والمستطيلات.

- الحساب: فنجد الخطوط الدائرية والمستقيمة، التي يعتقد الباحثان إمكانية اعتمادها لتعداد أصحاب القبيلة وعبيدهم، وكذلك الاستدلال على طرق القوافل التجارية الصحراوية.

كما اهتم الباحثان بالأرقام، مثل الرقم (٣)، الذي يرمز للماضي والحاضر والمستقبل، وكذلك إلى الميلاد والعيش والموت. ويعتقدان أن التثليث مرتبط بالثقافة البربريه.

بعدها تحدث الأستاذ الأسباني خوزيه - ماريا بلازكيز مارتنيز (Jose-Maria Blazquez Martinez) عن. "العلاقات التجارية التي كانت قائمة بين منطقة شمالي أفريقيا وخاصة موريتانيا مع الدول التي كانت موجودة على شاطئ البحر المتوسط الشمالية"، فلقد تاجر أهالي الصحراء المغربية بشكل خاص بالملح والعبيد.

أما الدكتور ماهر عطية شعبان، فقد تحدث عن " دور قوافل الصحراء في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية في السودان الأوسط خلال القرن التاسع عشر" . وبعد أن حدد المحاضر ما المقصود بالسودان جغرافياً، ذكر أن هذه المنطقة التي تضم النيجر ونيجيريا والكاميرون وأفريقيا الوسطى وتشاد وغرب السودان، لا يزال يكتفنها الغموض، إذ لم يتناولها الدارسون بالبحث إلاَ في السنوات الأخيرة. علماً أن هذه المنطقة الصحراوية كانت عامل اتصال وسبباً في زيادة الوعي ونشر الدين الإسلامي. وركز الباحث في دراسته هذه على ثلاثة محاور، هي:

١ . دور القبائل المنتشرة في الواحات بمنطقة الصحراء في نشر الإسلام.

٢ . قوافل التجار والرحالة والمهاجرون والدعاة، ودورهم في نشر الإسلام في منطقة السودان الأوسط.

٣ . دراسة أهم الطرق التجارية والتبشيرية بين شمالي القارة الإفريقية وأواسطها.

٤ . دور القوافل التجارية في توثيق الصلات بين المغرب العربي والسودان الأوسط.

٥ . مظاهر التأثير الإسلامي في منطقة أواسط إفريقيا من جميع النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وأما في الجلسة الثانية لفترة ما قبل الظهر، فقد تركزت الأبحاث حول الصحراء في بلاد المغرب، ومحاولة استنباط معلومات مهمة تؤكد أو تحاول إثبات أهمية هذه المنطقة، في تطوير الثقافة والحياة الصحراوية.

وتحدث فيها خمسة محاضرون تناولت أبحاثهم. "استخدام الحصان والعربة عند الطوارق في منطقة الصحراء الجنوبية". وذكر الباحث إدموند بيرنوس (Edmond Bernus) أهمية استخدام هذا الحيوان وسيلة اتصال بين الثقافات والحضارات. كما تناول المحاضر الثاني " الخيمة والبئر كأساس للحياة الصحراوية "، وأكد أن الخيمة كانت المكان الذي تعلمت فيه المجتمعات الصحراوية تعاليم الإسلام. أما المحاضر الثالث، فكان الدكتور أحمد سراج، الذي أوضح في محاضرته أن المنطقة الصحراوية أعطت القبائل العربية المنتشرة فيها فضاء واسعاً، استفادوا منه في التعبير عمّا كان يجول في خواطرهم وعقولهم. كما تحدث عن العلاقات، التي تطورت بين القبائل العربية المسلمة في الشمال، وتلك الأخرى في منطقة الجنوب، وتمثل هذا في إنشاء المراكز التجارية التي كانت واقعة على حدود المغرب الجنوبية. ويعتقد الباحث أن هذه العلاقات قد تطورت بشكل تدريجي بمرور الأيام.

كما قدّم في هذه الجلسة الدكتور كرم كمال الدين الصاوي، بحثاً عنوانه: "نظم التجارة الصحراوية بين المغرب الأقصى والسودان في الفترة من القرن الثامن إلى القرن العاشر هجري (١٤-١٦) ". وأكد الباحث أن الصحراء لم تكن تمثل في يوم من الأيام حاجزاً بين اتصال المجموعات البشرية مع بعضها، بل يؤكد أنها ظلت في الفترة الواقعة بين ١١٠٠-١٥٠٠م منطقة عبور نشطة. وتُعد هذه الفترة العصر الذهبي للحركة التجارية، خاصة تجارة الذهب بين منطقة السودان الغربي على طول الطرق التجارية الصحراوية. وركز الباحث في دراسته على عدة نقاط، أهمها:

١ . الطرق التجارية بين المغرب الأقصى والسودان الغربي.

٢ . المراكز والمحطات التجارية.

٣ . الميزان الاقتصادي، وهل كان يميل لصالح التجار العرب أم لتجار السودان الغربي ؟

٤ . العائلات العربية المشتغلة بالتجارة، ودورها في ازدهار المحطات التجارية.

أما بعد الظهر، فتحدث ستة من المشاركين في المؤتمر توزعت محاضراتهم على جلستين، ثلاثة في كل جلسة. تركزت أبحاث الجلسة الأولى حول الرسومات النقشيه بشكل خاص، إذ ركز السيد كرستان ديبوي (Christian Dupuy) دراسته على: "الرسومات الصخرية في عصور ما قبل التاريخ في منطقة الصحراء". وقد طرح المحاضر مجموعة من الأسئلة، وحاول الإجابة عليها، مثل: إلى أي فترة تعود هذه الرسومات؟ وما نوع الأصباغ التي استخدمت في رسم بعض الأشكال؟ وما الدافع الذي دفع الفنان إلى رسم مثل هذه الرسوم ؟ وما طبيعة المجتمع الذي ينتمي إليه هذا الفنان ؟ وتبع ذلك محاضرة أخرى للسيدة زهرة شريف، تناولت: " النخلة والجريد كعناصر زخرفية قرطاجية ". واعتمدت الباحثة في دراستها على الوصف والمقابلة لأشكال النخيل.

أما الموضوعات التي بحثت في الجلسة الثانية لفترة ما بعد الظهر لهذا اليوم، فشملت ثلاثة موضوعات مختلفة، الأول مقدم من الدكتورة عفراء علي الخطيب وعنوانه: " الأشكال الآدمية التخطيطية بين الصحراء الكبرى والجزيرة العربية في العصور القديمة".

واستخدمت فيه المحاضرة الرسومات والنقوش الصخرية التي عثر عليها في صحراء الجزيرة العربية، وحاولت مطابقتها مع ما عثر عليه من أشكال مماثلة في الصحراء الأفريقية.

وطرحت المحاضرة مجموعة من التساؤلات حول نشأة أساليب التصوير في كل منطقة، وهل كان تطور الأشكال الآدمية التخطيطية المرسومة أو المنقوشة على الصخر، هو الأساس في ظهور أولى الكتابات التصويرية ؟!

وجاءت محاضرة الدكتور زيدان كفافي، التي عنوانها: "أثر الإنسان على البادية في الأردن خلال العصور القديمة"، مختلفة عمّا سبقها إذ إنها تدرس منطقة صحراوية خارج القارة الأفريقية. وقد استعرض الباحث فيها جغرافية البادية الأردنية وأهم النشاطات الميدانية، التي أجريت فيها، وطبيعة الاستيطان البشري والعمارة والفنون وطرق المعيشة. واستنبط معلومات من خلال دراسته للتقارير والأبحاث المنشورة حول نتائج الحفريات الأثرية، التي أجريت في هذه المنطقة.

اليوم الثالث

كان هذا هو اليوم الختامي لأعمال المؤتمر، وتضمن عدة أبحاث، وزعّت جميعها على فترة ما قبل الظهر. تحدث فيها السيد رضا بوكراع حول: " السياحة الصحراوية كرابطة بين الحضارات وضمان للتنمية المستديمة"، بيّن فيها أن ربط السياحة بالتنمية المستدامة يمثل منعرجاً ينقل التفكير السياحي الأناني والوظيفي، الذي لا يرى في السياحة إلاّ مضخة للأموال، وبيّن ضرورة وجود نظرة أكثر عقلانية تشترط أساساً خصائص الاستدامة، التي تقتضي المحافظة على الموروث الطبيعي، وإثراء وإنماء المخزون الثقافي. وأضاف الباحث أن السياحة الثقافية تتنافى مع علاقة الهيمنة والغزو، وتبني على الحوار بين الثقافات والثقة المتبادلة بين الغرب والبلدان المستقبله للسواح.

وقدم الدكتور أحمد الطويلي مداخلة بعنوان: "الصحراء في كتب الرحالة" استعرض من خلالها أهم ما كتبه المؤرخون العرب، خاصة كتاب (رحلة الصحراء الكبرى) للكاتب السوري صادق العظم الذي كتبه عام ١٨٤٠م، وصف فيه الصحراء وطبيعتها وأهلها وحيواناتها، وعلاقة سكانها بالنخيل والمخاطر التي يواجهونها.

وعلى المنوال نفسه، قدمت السيدة عليا برناز بكار محاضرة عنوانها: "اكتشاف الصحراء مع ابن بطوطه"، أشارت فيها إلى تنقلات هذا الرحالة في عدة أماكن من الصحراء، واكتشافه طريقة عيش الرحّل وعاداتهم وتقاليدهم، وإعجابه بجمال هذا الفضاء الصحراوي على الرغم من صعوبة العيش فيه.

وفي محاضرة أخرى بعنوان: "الصحراء هي موطن كل إنسان" تحدثت الأديبة الفرنسية كاترين سطول سايمون

(Catherine Stoll-Simon) عن العديد من الأدباء الغربيين في القرن التاسع عشر وولعهم بالصحراء، واستقرار بعضهم في هذه المنطقة لمدة طويلة. كما بيّنت المحاضرة أن العديد من المؤلفات، التي كتبها أدباء أوروبيون معرفون، مثل إزابيل ابهارت، والبير كامو، وسان اكزوبيري، مستوحاة من البيئة الصحراوية، ومن تجارب العديد من المبدعين أثناء رحلاتهم في صحراء تونس والجزائر وافريقيا السوداء.

كذلك، قدمت السيدة ماري - آن زوغي - كايم (Marie-Anne Zouaghi-Keime) عرضاً حول تجربة الكاتب الفرنسي "في دومو باسون"، تطرقت فيه إلى الصحراء في خيال دوموباسون، الذي برز في عدة كتب، منها: (الشمس) و(الحياة التائهة)، وذلك أثناء رحلاته العديدة إلى صحراء الجزائر وأفريقيا السوداء وتونس.

ومن الأبحاث المهمة التي ألقيت في هذا المؤتمر، ما قدمه الدكتور عبدالله عبدالرزاق ابراهيم حول: "دور قبائل الفولاني في نشر الإسلام وحضارته في الصحراء الكبرى في القرن التاسع عشر". وبّين في محاضرته أن الصحراء كانت عاملاً مهماً في الاتصالات الحضارية، وساعدت كثيراً على نشر تعاليم الإسلام الصحيحة خلال القرن التاسع عشر، كما لعبت دوراً حيوياً في الاتصالات التجارية، بين شعوب المنطقة وقبائلها.

وأشار إلى أن من بين هذه القبائل قبيلة " الفلاني، " التي كان لها نصيب وافر في هذا المجال. ويرى أن جهاد الشيخ عثمان بن فودي في شمالي نيجيريا، وتنقّله من مكان لآخر في مدن الصحراء، كان له الأثر الكبير في قيام دولة إسلامية في هذه المنطقة. كما إنه جعل اللغة العربية لغة الثقافة والفكر، في مختلف أرجاء الصحراء.

طرح المؤتمر قضايا تخص الصحراء، ولكنها جاءت متركزة على الصحراء الكبرى بإفريقيا، سوى ورقتين تحدثتا عن بادية الشام وصحراء الجزيرة العربية. كذلك، فإنني أود أن اقترح على المنظمين ما يلي:

١ . دعوة هيئات ومؤسسات عالمية تعنى بالدراسات الصحراوية خارج القارة الأفريقية، مثل: معهد الدراسات الصحراوية في ريو في نيفادا بالولايات المتحدة الأمريكية.

٢ . ضرورة توزيع أوراق البحث تحت محاور متخصصة، كأن تتناول الصحراء في أبحاث جلسة واحدة، وهكذا.

وقد نجح القائمون على هذا المؤتمر في جمع ثلة من العلماء العرب والأجانب، تناولوا في محاضراتهم ومداخلاتهم الصحراء ذاكرة الإنسان وذاكرة الأرض، كما أبرزوا مختلف الأوجه التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للحياة في الصحراء، خاصة من خلال أبحاثهم الميدانية واطلاعهم على الكتابات الأدبية وكتب الرحلات. ونحن نشدد على ما ذكره أ. د. محمد منظر، رئيس اللجنة المنظمة لهذا المؤتمر، أنه يجب أن تتحول الأقوال إلى أفعال، وإلاّ فإن ما قيل في المؤتمر سيبقى حبراً على ورق. وهذه دعوة للمسؤولين والمختصين للإطلاع على ما طرح في المؤتمر من مسائل.

أ. د. زيدان عبدالكافي كفافي - كلية الآثار والأنثروبولوجيا - جامعة اليرموك- اربد - الأردن

Note

(1) This article was presented at the Second Conference on Nabataean Studies, held at Petra on 29-31 Oct. 2002. The Author would like to thank his Excellency, Robert van der Meulen, Head of the Delegation of European Commission, Amman, Jordan, who kindly offered to translate this article from Arabic to English through his office.

References

Abass, I 1987. **The History of the Nabataean State**. (in Arabic), Amman.

Abdullah, Y. M 1988. **What are the Ancient Yemeniti Inscriptions talking about**?, (in Arabic), Tunis.

Abu Al-Hassan, H. A 2002. **Lihyanite Inscriptions from Al-'Ula** (in Arabic), Riyadh.

Al-Ansary, A. R 1982. **Qaryat al-Fau A Portrait of Pre-Islamic Civilisation in Saudi Arabia**. University of Riyadh.

Al-Ansary, A.R 1984. **Archeological Sites and Portraits of Pre-Islamic Civilization in Saudi Arabia**. (in Arabic), Riyadh.

Al- Ansary, A.R 2003. **Antiquities of Riyadh Region.** (in Arabic), Riyadh.

Al-Ansary, A. R & Abu-Al-Hassan, H. 2001. **The Civilization of Two Cities Al-'Ula and Madain Salih**. Dar Al-Qawafil, Riyadh.

Beston, A., 1982. **Sabaic Dictionary,** University of Sanaa.

Caskel, F. 1974. **Lihyanite Coinage (in Arabic) pp 100 - 101** (in Arabic) (al-maskokat, 5).

Farroukh, O. 1984. **History of Jahiliyyah**. (in Arabic) Bierut.

Al- Fasi, H. A. 1993. **Social Life in the North-Western Arabia Between the 6th Century B.C and to 2nd Century A.D** (in Arabic), Riyadh.

Hamawi, Y. 1957. **Muj'am Al-buldan**. (in Arabic) Beirut.

Healey, J. F. 1993. "The Nabataean Tomb Inscriptions of Mada'in Salih", **Journal of Semitic Supplement** 1, The University of Manchester.

Jonz, A. H 1987 **Syria during the Roman Period.** (in Arabic), Amman.

Kammerer, A 1929. **Petra et La Nabatene,** Paris.

Mahran, M.B. 1994. **Ancient Arab History**, (in Arabic), Alexandria.

Morgan, J 1979. **Manual de Numismatique Orientale de L'antiquite et du Moyen Age**, Chicago.

Musees Royaux d'Art et d'Histoire, 1980. **Inoubliable Petra Le royaume Nabateen aux Confins du Desert,** (1mars-1juin).

Al-Nua'im, N.A. 2000. **The Legislation's in South-Western Arabia up to the end of the Himyarite Kingdom**, (in Arabic), Riyadh.

Qadoos, I. H. 1999. **The Greek Coinage.** (in Arabic) Alexandria.

Al-Rawahna, M. 2002. **The Coinage of King Aretas IV**. (in Arabic), Petra - Jordan.

Potts, D. 1998. **Pre-Islamic Coinage in Eastern Arabia.** (in Arabic), Sharqa.

Sedov,A.V. 2001. "The Coins of Pre-Islamic Yemen: General Remarks", **Adumatu 3:** 28-38 .

Al- Tal, S.K 1983. **The Coinage of Jordan,** (in Arabic), Amman.

Al-Theeb, S.A. 1998. **The Nabataean Inscriptions of Mada'in Salih,** (in Arabic), Riyadh.

Winnett, F.V. and Reed, W. L. 1970. **Ancient Records from North Arabia**, Tornto.

of the Nabataean Kingdom. So the Nabataeans were no different from other Arab kingdoms who used to mint their currencies in places other than their capitals. For example, the two kingdoms of Hadramaut and Himyar had both minted their coins in places outside their capitals.

The controversy of whether Sela' is one of the names of Petra, the capital of the Nabataeans, merits a further note. Based on inscriptions recovered from Mada'in Salih tombs, as well as on the Lihyanite inscriptions, (Abu Al-Hassan 2002: 103), it may be safely said that the word (Sela') was applied to Mada'in Salih or somewhere near that place. It was also established that Mada'in Salih was the center for Nabataean coins since the reign of Aretas IV (9 BC - AD 40) and until the fall of the kingdom in AD 106.

Names of Nabataean coins.

Besides the names of Nabataean coins of sala', sl'yn, sala'at, sala'am, sala'atam and haretite, other names include: Kesf, which was mentioned in the inscription on the tomb of Kahlan, the physician, son of Wa'lan. Kesf means silver and bronze coins. It appeared on one of the bronze fils, minted during the time of King Aretas IV, as follows:

Text: H R T T/ M L K/ N B T W/ R H M/ A M H/ M A' H/ K S F

Reading: Aretas, king of the Nabataean, the philopatris, lover of his people with a Kesf. (Al-Fasi, 1994: 200; Rawahna, 2002: 82).

Note that the word "Haretite," which recurs several times, refers to king Aretas IV (Rawahna 2002: 82).

If we accept the interpretation of S. Al- Theeb and J. Healey of the word "Shamads" as a monetary unit, then we'll be adding another name for the Nabataean coins. However, referring to the inscription on Kamkam, the daughter of Wa'ilat tomb, where this word was mentioned, we find that the text, according to which the word was interpreted to mean a monetary unit, had imposed only 5 monetary units to the three Deities: Dushara, Hubalu and Monotu, whereas the priest was given 1000 coins. If Healey's justification of the small fine of 100 pieces, payable to the Deity, Tadhay, because she was one of the Deities of Tayma', was correct, then why were the shares of Dushara, the major Deity at Mada'in Salih and other Deities too small? This, in my view, supports the interpretation of A. R. Al Ansary of the word Shamads as meaning "curses" rather than a monetary unit.

Dr. Faraj Allah A. Yousef - P. O. Box: 4556 Riyahd 11412 Saudi Arabia -
e-mail: farajyousef@hotmial.com

ملخّص: لم يترك الأنباط تاريخًا مدونًا ولا نزال نعتمد في دراستنا لتاريخهم على مصادر تاريخية أشارت إليهم بشكل عارض، ويهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على مسكوكات مملكة الأنباط بوصفها من الوثائق المهمة التي يمكن من خلالها كتابة تاريخ الأنباط بما تحمله من نقوش تتضمن الأماكن التي ضربت بها وأسماء الملوك وألقابهم وأسماء زوجاتهم، ويناقش البحث الصلة بين المسكوكات والنقوش النبطية خاصة نقوش مقابر الحجر (مدائن صالح)، كما يناقش البحث موقع سلع التي ضربت بها المسكوكات النبطية، ويرجح الباحث استنادًا إلى نقوش مقابر الحجر (مدائن صالح) أن سلع إن لم تكن من أسماء البتراء (الرقيم) عاصمة مملكة الأنباط فإنها تقع في الحجر (مدائن صالح) أو في جوارها، وضربت بها المسكوكات النبطية منذ عهد الملك حارثة الرابع (٩ق.م-٤٠م) وحتى نهاية عهد مملكة الأنباط سنة ١٠٦م.

ic relations between the various Kingdoms of the Arabian Peninsula. It should be noted that Qatabanian and Sabaic coins (Sedov 2001: 30) carried phrases written in the Aramaic and Lihyanite script, thus indicating that they have been in circulation in the kingdoms of North Arabia. It should be noted that circulation of the Nabataean coins was not confined to the places in the south of the Arabian Peninsula, but extended to other places as well. Nabataean coins, dating back to King Aretas IV, carrying pictures of the King and his wife Queen Shiqilat have been discovered in Omana (Al Door) site in Umm Al Qiwain emirate (Potts 1998:136-137).

Is Sela' Synonymous with Petra?

Inscriptions on Mada'in Salih tombs gave different names to Nabataean coins, including: Sl'yn, sela'iyah, Haretite, and kesf. Thus, all inscriptions on Mada'in Salih three tombs were unanimous in attributing these coins to Sela'.

What is Sela', then? If the Nabataean capital had been known as "Al-Raqeem"(Petra), I would most likely say that Sela' is another name for it, in accordance with the Lihyanite and Sabaic, as well as the Mada'in Salih inscriptions.

Some historians and geographers affirm that Sela' is the name of the capital of the Nabataean kingdom. These include Yaqout Al Hamawi, who said that Sela'a is a fortress in Wadi Mousa (Hamawi 1957:2/236). J. Ali says: "Petra is the capital of 'Nabt' (Nabataean), meaning rock in Arabic. Its old name 'Sela" also means the rock in the Edomite language." (Ali 1980: 3/53). O. Farroukh says: Sela' is Petra, adding that (ì the Nabataean lived in Sela' since the 6th century BCìal Sela' is a crack in the mountain. Sela' is a castle in Wadi Mousa in Al Shobak district). O. Farroukh states that Sela' is identical with Petra, adding that the Nabataean of Sela' designate their country as Petra, following the Greek tradition (Farroukh 1984: 65).

A. H. Jones also agrees that Sela' is Petra: (ìNo doubt a very important city did exist in the Southern Desert oasis. The Greeks knew it as Petra, and probably it was mentioned in the Old Testament by its Semitic name Sela', the Rock) (Jones 1987:19). M. B. Marhan says: Petra is a Greek word meaning "rock," which may be a translation of the Hebrew world "Sela'" that was mentioned in the "Bible" Isaiah 1:16,11:42 which was used before to refer to Petra. It also means a crack in the rock. The Hebrew name may have been the most accurate, because the entrance to Petra is surrounded by two deep ridges between two mountains, known as the Sique, a terminology that has been perverted from "crack" (Mahran 1994: 2/335). Sela' (Petra) was part of the old Edomite Kingdom, until the Nabataeans came, and displaced the Edomites (Qadoos 1999: 2/266).

In a Lihyanite inscription recovered from Dedan (Al-'Ula), the capital of the kingdom of Dedan and Lihyan, it was held that the word Sela'an (Z - A S L A'N) referred to a crack or a hollow ground between mountains (Abu Al-Hassan 2002: 103). The reference in the inscriptions was made in praise of the king as: "the king of mountains that surround many Sela'an (plural)." In this sense the Arabic inscriptions support the view that Sela' means a "rock" or a crack between rocks.

Although Sela' may not be one of the names of Petra, the Capital of the Nabataeans, it nonetheless has been the place where Nabataean coins have been minted from the time of King Aretas IV to the fall

Halafu son of Qosnatan tomb inscription, as well as the inscriptions on the tomb of Wushuh daughter of Bagrat and Qaynu and Naskuyah).

Some inscriptions suggested that fines would be paid to the King rather than to the Deity (Hani'u son Tafsa tomb inscription, Wushuh daughter of Bagrat tomb inscription and Abdobadat son of Aribos tomb inscription) or to the Deity rather than to the King (the inscriptions on Sa'dallah son of Zabda and Sulley son of Radwa tombs).

The 100-coin fine payable to the goddess Tadhay was the lowest ever paid to any Deity. Some researchers attribute this to the fact that Tedhi was not one of Mada'in Salih Deities, noting that Tadhay was mentioned in an inscription on Wushuh daughter of Bagrat and her relatives, all of whom are from Tayma, and Tadhi was one of the Tayma Deities (Healey 1993:142).

During the rule of King Malichus II (40-70 AD), the Mada'in Salih Tombs inscriptions indicated that fines would be paid to the Ruler of Al-Hijr and to King Malichus II. However, deities resumed the previous practice of sharing the fines with the King, during the rule of King Rabel II. The inscription on Hinat daughter Abdobadat tomb refers to this point. The inscription divided the fine equally between Dushara and Monotu in terms of the amount payable to each of them. Previously, Monotu used to get half of Dushara's share of the fines during the rule of King Aretas IV.

Circulation of Nabataean Coins outside the Nabataean Kingdom

We have two texts of Lihyanite inscriptions referring to Nabataean coins. The first text is reproduced by Abu Al-Hassan (Abu Al-Hassan 1977: 288); here, he believes that the word Sela' refers to a unit of money.

The second Lihyanite text is cited by H. Al-Fasi (Al-Fasi 1994: 145) which may be rendered as follows:

"A man bought ten watering places for which he paid (40) Sala'at."

H. Al-Fasi makes the following comment:

[In this context, what invites our attention is the name of the currency "Sala'at," which appears to be very similar to the name of the Nabataean coin: "Sl'yn"] (Al-Fasi, p. 145).

Ferner Caskell also confirms this point when he states that silver drachmas bearing the portrait of the Nabataean king Aretas IV were in circulation among the Lihyanites (Caskell, 1974:100).

Nabataean coins in Southern Arab inscriptions

According to the Sabaic Dictionary, the word Sela' means a monetary unit (Beston 1982: 125). Sabaic inscriptions referred to the coins in circulation in Saba' Kingdom in its religious legislation, which provided for payment of financial fines on worship-related violations. The legislation proscribed that anyone, who sends out or drives away anybody from the temple, should pay 5 pieces of sala'am. One of the inscriptions included the following text: "It was a lawful share for him from Sala'atam and he spent it" (Al-Nua'im 2000: 315). Commenting on the word Sela'a, which was mentioned in the Southern Arab inscriptions, Yousef Abdullah said: (ìin the Nabataean language, Sela' means moneyì) (Abdullah 1988: 98).

Thus, the words Sela', Sala'am and Sala'atam refer to the kind of coins in circulation in the South of the Arabian Peninsula, which is connected to Sela' (Petra). This connection confirms the view that they are Nabataean coins, and their circulation in Saba' Kingdom signifies the importance of econom-

three thousand Haretite sela's "Sl'yn"ì) (Healey 1993: 131).

Inscription of the tomb of Wushuh daughter of Bagrat, dated 34 AD, mentions of the coins in lines 4-5:

(ì or remove her from this burial-niche for ever shall be liable to our lord Harretat, king of the Nabataeans, lover of his people, in the sum a thousand Haretite sela's "Sl'yn" ì) (Healey 1993:101).

Inscription of the tomb of Wushuh daughter of Bagrat and Qaynu and Naskuyah her daughters, Taymanite dated 34 AD mentions of the coins in lines 9-10.

(ì will be liable to Tadhay in the sum of hundred Haretite sela's "Sl'yn" and to our lord king Haretat for the same amount ì) (Healey 1993: 137).

Inscription of the tomb of Abdobadat son of Aribos, dated Dec. 35 AD- January 36 AD mentions of the coins in line 8:

(ì shall be liable to our lord in the sum of two thousand Haretite sela's "Sl'yn" ì) (Healey 1993:123).

Inscription of the tomb of Leader Sa'dallah son of Zabda, whose date is not clear, but it was built during the rule of King Aretas IV. mentions of the coins in the 11th line.

(ìwill be liable Dushara in the sum of thousand Haretite sela's "Sl'yn" ì) (Healey 1993: 206).

Inscription of the tomb of Sulley son of Radwa, whose date is not clear. It was also built during the time of King Aretas IV. The coins had been mentioned in lines 6-7:

(ìto Dushara, the god of our lord, in the sum of thousand Haretite sela's "Sl'yn" ì) (Healey 1993: 193).

Inscription of the tomb of Leader Tarsu son Tayemu, dating back to 64 AD during the rule of King Malichkus II mentions of the coins in lines 7-8:

(ì shall be liable to the governor in Hegra the sum of thousand Haretite sela's "Sl'yn" and to our lord king Maliku for the same amount ì) (Healey 1993: 234).

Inscription of the tomb of Hinat daughter Abdobadat, dating back to 72 AD during the rule of King Rabel II mentions of the coins in lines 12-13:

(... will be liable for a fine to Dushara and Manatu in the sum of thousand Haretite sela's "Sl'yn" and to our lord Rabel king of Nabataeans, for the same amountì) (Healey 1993: 219).

The inscriptions on the tombs at Mada'in Salih, which were built during the rule of King Aretas IV (9BC- 40AD) show the continuous change of the parties (bodies) to which fines were paid by those who desecrate the sanctity of tombs. During the years 1 BC-1 AD, it was paid to the priest (Kamkam tomb inscription). In AD 4, the inscription on Mada'in Salih tomb stated that fines would be paid to both Dushara and Aretas IV (the inscription on Haushab son of Nafi). In AD 7, inscriptions on tombs showed that payment of fines would be made to Dushara and Monotu, as it was the case in the inscriptions on the tombs of Muna'at and Hagaru. The inscription provided that a fine of 1000 pieces of Haretite coins had to be paid to Dushara, and a similar amount to Aretas IV. Again an additional 500 pieces had to paid to the goddess Monotu, which was apparently less important than Dushara, the major deity (worshipped God) of Nabataean. The fine continued to be paid equally to the Deity and the King until the year 34 AD (Kahlan the physician son of Wa'lan Tomb inscription, and

inscriptions carried reference to coins:

Inscription of the tomb of Kamkam, the daughter of Wa'ilat grand daughter of Haramu. The tomb dates back to the period from December of the first year BC to January of the first year AD. The coins carried in lines 7-9 the following:

And their offspring, and whoever does not implement what is written here shall be cursed five times by Dhushara, Hubalu and Monotu, and shall pay a fine to the priest.

1000 Haretite pieces from the city of Sala' (Petra) (Al Ansary 1984: 31-32).

There is another reading for the 8th and 9th lines:

Five coins for Dhushara, Hubalu and Monotu and a fine for the priest.

1000 Haretite coins (Al-Theeb 1998: 245).

The difference in readings centred on the interpretation of the word "shamad" by each of A.R. al Ansary, S. Al- Theeb and J. Healey. While Ansary interpreted it as "curses,"Al-Theeb, despite his agreement with Ansary that the root of the word is (S. M. D) “Shamad”, which means "cursed" in Syriac language, is of the view that it most likely means in this inscription a monetary unit (coin) (Al-Theeb 1998: 248). Healey agrees with Al-Theeb that the word "Shamad" means a monetary unit (Healey 1993:160).

Kumkum tomb inscription, as well as those on other Mada'in Salih tombs have been attributed to the city of Sela' (Petra). We notice that the word Sela' or the term "Haretite Sela'aiyah" refers to the capital or the place in which the coins have been minted. Haretite is attributed to King Aretas IV. It continued in this manner until the era of King Rabel II. Both Ansary and Healey attribute the coins to Sela'. Healey's reading attests to this: (for a fine of a thousand Heretite Sela's "Sl'yn") (Healey 1993:154-155).

The tomb inscription Haushab son of Nafi Al Kouf from Tayma of AD 4 mentions of the coins in lines 6-8:

(ì And whoever does other than what is written above shall be liabel to the god Dushara regarding the inviolability referred to above, for the full price of a thousand Harretite sla'a, "Sl'yn" and to our Lord King Haretat for the same amount ì) (Healey 1993:68).

The inscription on Mun'at and Hagaru tomb dated AD 7 mentions of the coins in lines 6-9:

(ìwill be liable to Dushara the god in the sum of one thousand Haretite sela's "Sl'yn" and to our lord Haretat for the same amount, the sum of one thousand Haretite sela's, "Sl'yn" and to ì the goddess in the sum five hundred sela's ì) (Healey 1993: 200; Winnet 1970: 153).

Inscription in the tomb of Kahlan the physician son of Wa'lan, dated April-May 26 AD mentions of the coins in lines 7-8:

(ì will be liable to Dushara in the sum of three thousand Haretite sela's "Sl'yn" and to our lord Haretat for the same amount ì) (Healey 199: 166).

Halafu son Qosantan tomb inscription dated 31 AD mentions of the coins in lines 8-9

(ì will be liable for a fine to Dushara the god of our lord in the sum of five hundred Haretite sela's "Sl'yn" and to our lord for the same amountì) (Healey 1993:226).

Hani'u son of Tafsa cemetery inscription dated March-April 31 AD. mentions of the coins in line 9:

(ì shall be liable to our lord in the sum of





Fig. 25

the King. This shows the unique status of Queen Khaldah (Holdou). In the case of King Malichus II, however, his image appeared on the obverse while the image of his wife, Queen Shiqilat, appeared on the reverse. Queen Shiqilat is the only Nabataean Queen whose image appeared on coins during the rule of her husband King Malichus II, and that of her son King Rabel (70-106AD) when she was Regent for him over the period from 70 to 75 AD. Later the image of Queen Gamilat, wife of King Rabel, had replaced that of Shiqilat.

Coins continued to be produced during the rule of King Rabel until the conquest of the Nabataean Kingdom by the Romans in 106 AD. The Roman governor in Syria Cornilus Palma became a ruler of the Nabataean Kingdom on behalf of the Roman Emperor Trajan (98-117 AD). At this time Nabataean coins ceased to be minted and the ones in circulation had been sealed with the Roman logo. Thus the Nabataean Kingdom had become a Roman province, known as Provincia Arabia (Abass 1987:67-68).

The Romans had minted coins carrying on obverse a Image of Emperor Trajan and reverse a Image of a girl representing the Arab countries, carrying in her right hand branches of Incense with a camel beside her. This image symbolized that the Romans had subdued the Arab Nabataean Kingdom.

The Roman coins carried the following phrase: (Arabia Capta), which means that Arabs have become subjects of the Roman Empire. The same phrase appeared on Nabataean coins, which remained in circulation after the fall of the Nabataean Kingdom (Fig. 25). By doing so, Trajan had followed in the footsteps of Scaurus, who commemorated his campaign on King Aretas III (85-62 BC) by issuing coins carrying pictures of the Nabataean King with a camel next to him.

Nabataean Coins in the Inscriptions of Hegra (Al- Hijr - Mada'in Salih) Tombs

Mada'in Salih is located half way on the old incense road linking the Southern parts of the Arabian Peninsula with its northern parts. Al-Hijr had witnessed, during the rule of Aretas IV (9 BC-40AD), a large construction boom, thus becoming a more or less second capital of the Nabataeans after Petra. Mada'in Salih tombs are better documented than those of Petra, containing inscriptions with the names of people and dates of construction. What concerns us here are the inscriptions relating to Nabataean coins found on tombs.

The following are some of the tombs whose

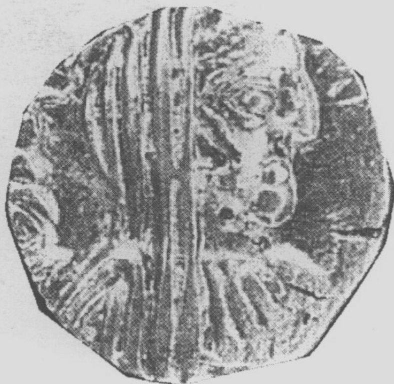



Fig. 22




Fig. 23




Fig. 24





Fig. 20

his sister Gamilat Queen Nabatu" (Kammerer 1929:534) (Fig. 23-24).

A bronze fils carrying on the obverse the image of the King and Queen Gamilat, while it was carrying on the reverse the Crossed Cornucopia, as well as the names of the King and the Queen (Rabel and Gamilat) (Kammerer 1929:534).

It seems that, after Queen Gamilat, King Rabel had married another wife, named Hajar. This was made apparent in the coins that carried on the obverse the image of the King and his second wife, and the Crossed Cornucopia, and the following phrase: Rabel, Hajro (Hajar) on the other (Al rawahna 2002:71). Rubel II managed to prevent the depreciation of the silver Nabataean coins (Healey1993:24).

Whereas King Aretas III (85-62 BC) was the first Nabataean King, whose image appeared on the coins, King Oboadas III (30-9 BC) was the first to engrave the Queen's image on the coins. His coins carried the image of the King on the obverse and the image of both the King and the Queen on the reverse. This testifies to the high status of women in general and the Queen in particular in Nabataean society.

During the rule of King Aretas IV (9BC-40AD), the King's image appeared on the obverse while Queen Khaldah's image appeared on the reverse, with the following phrase engraved surrounding it: "Queen Khaldah (Holdou) of the Nabataeans." After her death, King Aretas IV married Queen Shiqilat. However, her image did not appear separately on the coins, but appeared along with the image of



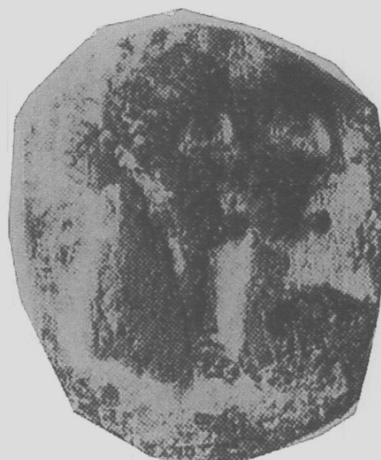


Fig. 21

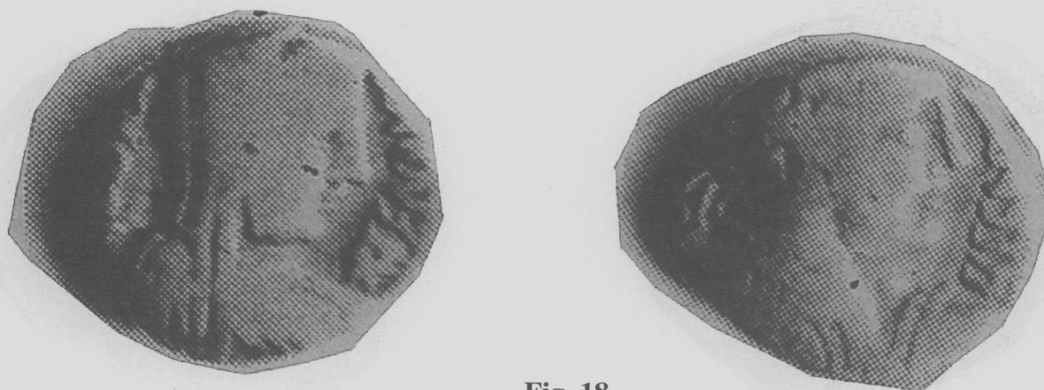


Fig. 18

1929:533-534).

During the rule of King Malichus II, Damascus became again the center for minting Nabataean coins. However, this practice came to an end during the last six years of his rule (Abass 1987:66-67).

The last Nabataean King was King Rabel II (70-106 AD), who was young when he assumed power, so his mother Queen Shiqilat was became "Regent." This explains the reason for having her picture, along with his, on the coins. She remained Regent until the year 75 AD. Some of the coins on which Queen Shiqilat appeared alongside her son Rabel were:

A drachma carrying the image of the young King on the obverse, while the reverse carried the image of his mother Queen Shiqilat (Fig. 20).

A bronze fils carrying on the obverse the image of the King and his mother Queen Shiqilat, and on the reverse the Crossed Cornucopia (Fig. 21). On this type of coins the following phrase was engraved: (Rabel and his mother Shiqilat) (Kammerer1929: 534).

Since the year 75 AD, coins began to show the picture of Queen Gamilat, wife of King Rubel, instead of the picture of his mother Queen Shiqilat. The coins included:

A drachma carrying on the obverse the King's image, and on the reverse the image of his wife Queen Gamilat (Fig. 22).

A bronze fils carrying on the obverse the King's image, and on the reverse the image of his wife Gamilat; the phrase read: "Rab-el and

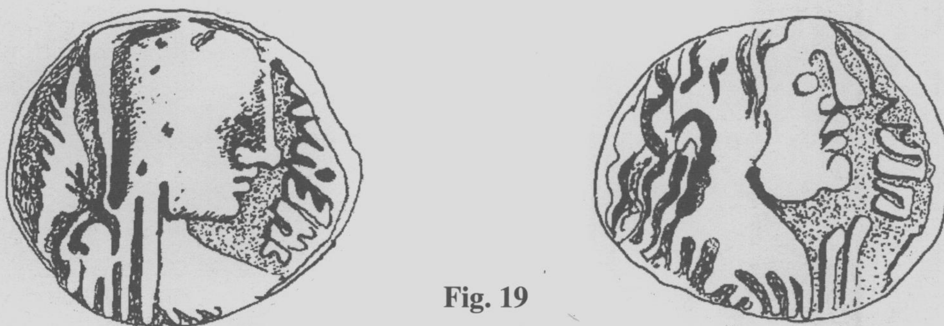


Fig. 19




Fig. 15




Fig. 16

Aretas IV was succeeded by his son, King Malichus II (40-70 AD). The following are examples of his coins:

A fils carrying on the obverse the King's image, and on the reverse the image of Queen Shiqilat (Fig. 18-19).

A fils with the image of the King and the following phrase appearing on one face: (MILKW MLK NBTW), and on the reverse the image of Queen Shiqilat with the phrase: "His sister Shiqila, Queen Nabatu" (Kammerer




Fig. 17





Fig. 12





Fig. 13

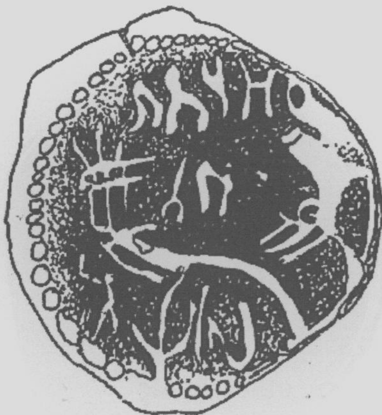




Fig. 14




Fig. 9

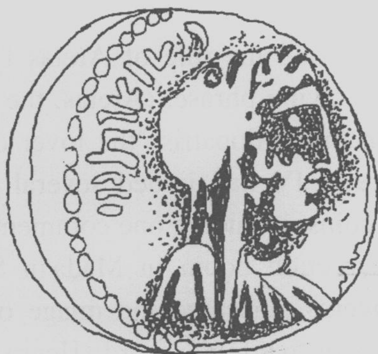



Fig. 10




Fig. 11 (Morgan 1979: 257)

Queen Khaldah (Holdou) surrounded by the phrase: (Queen Khaldah of the Nabataeans) (Fig. 8).

A drachma carrying on the obverse the King's image, and Queen Khalda's image on the reverse (Fig. 9-11).

A bronze fils carrying on the obverse the King's image with Queen Shiqilat, whom he married after the death of Queen Khaldah (Holdou); the reverse carried decorations reflecting the Crossed Cornucopia. Coins carrying the image of King Aretas and Queen Shiqilat were issued during the 20th year of his reign, corresponding to AD 11 (Fig. 12) (Abass 1987:61).

A copper fils carrying image of the King and Queen Shiqilat on the obverse and decorations reflecting the Crossed Cornucopia on the reverse (Fig. 13-14).

A bronze fils, carrying on the obverse profile of the King, and on the reverse the imege of the King standing with his hand up. This fils is considered one of the rarest coins during the time of King Aretas IV. (Kammerer 1929:532) (Fig. 15-16).

A bronze fils, carrying on the obverse the King's image, and on the reverse a decoration reflecting the Crossed Cornucopia (Kammerer 1929:533) (Fig. 17).

The Aretas IV coins included the issue date since the first year of his rule. An example of this is a silver dirham carrying the date of issue, inscribed as follows:

Text: H R T T/ M L K/ N B T W/ SH N T/ H D H

Reading: Aretas, king of the Nabataeans, first year (Al-rawahna, 2002, p. 78).

All coins during the rule of Aretas IV included the following phrase: (Aretas, the King of Nabataean the Philopatris "the lover of his people"). Aretas IV had issued several commemorative coins, including one commemorating the construction boom in Mada'in Salih. Here, on obverse, appeared the image of the King of the coin, while the word (Hegra) was engraved on reverse. Aretas IV also issued a commemorative coin carrying the name of his son fasi-el (Abass 1987:62, Qadoos 1999:187, Al-rawahneh 2002, 82, Al Ansary & Abul Al Hassan 2001:27-28,).



Fig. 8



Fig. 6

of coins. He nevertheless enlarged them in a bid to compete with the Roman denarius, particularly after the Romans controlled Egypt. The Roman denarius weighed 3,8 grams, and contained a high proportion of silver, which exceeded by almost 17% the proportion of silver in the Nabataean coins (Abass 1987:57).

During the rule of King Aretas IV (9BC-40AD), alias "the philopatris"(the lover of his people), the Nabataean Kingdom reached the climax of its cultural prosperity. His era witnessed a huge construction boom, covering the southern part of the Kingdom. Accordingly, Mada'in Saleh had become the second capital of the Nabataean Kingdom. Hardly a year passed of his rule without striking new coins. Reflecting on this, Ihsan Abbas writes: "It is for this reason that we may find that 8 out of 10 coins had been struck during his reignì" (Abass 1987:61).

King Aretas IV coins included A drachma carrying on obverse the King's image surrounded by the following phrase: (Aarertas, the King of Nabataeans and the Philopartis "the lover of his people"); the reverse carried the image of

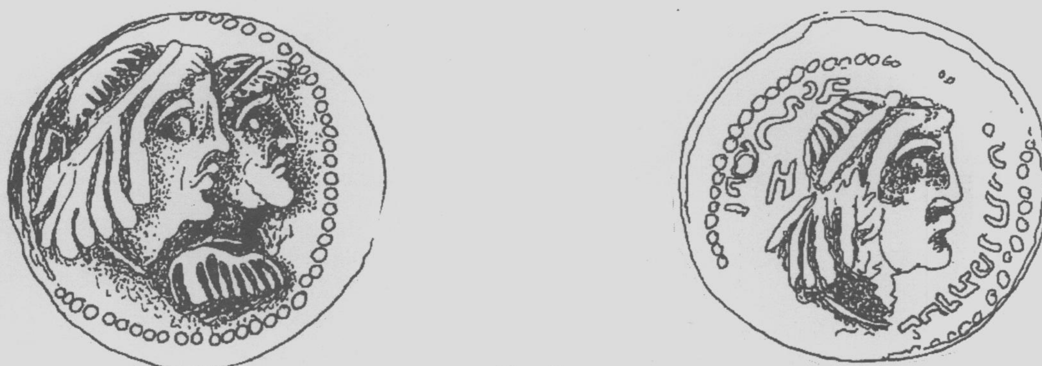


Fig. 7

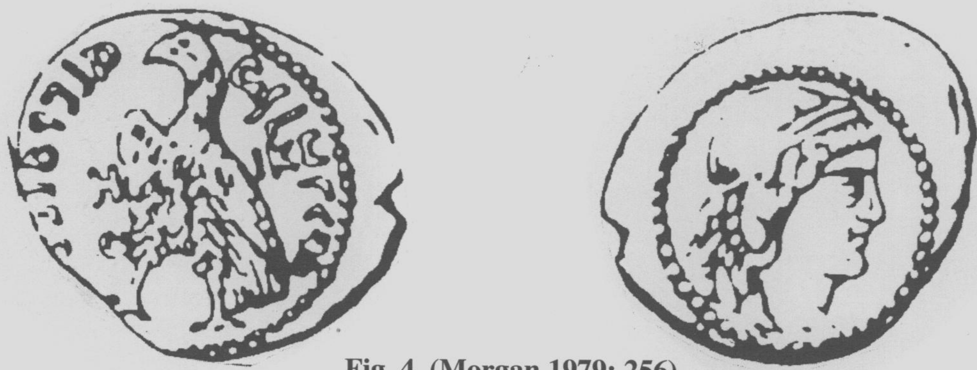


Fig. 4 (Morgan 1979: 256)

the year AD 106. The palm of the hand was also a distinctive Nabataean symbol (Al rawahna 2002:66).

King Oboadas III (30-9 BC) minted two types of coins; the first was issued at the onset of his rule. It had the same weight as the Ptolemaic coins, and that was why it was known as the Ptolemaic coins. The coins carried on the obverse the image of King Oboadas III, and on the reverse the image of an eagle. The second type, which was issued during the first 10 to 20 years of King Oboadas III's rule, was known as the Greek coins because their weight was similar to that of the Greek coins. The image of the King appeared on obverse; the reverse carried the image of the King and the Queen (Fig. 6-7). The following phrase was engraved on both types: ('BDH MLKA MLK NBTW'). It is believed that the King's mother was installed "Regent" during the early years of his rule; therefore, her image appeared next to his image on the coins during that period. However, later coins carried the picture of his wife (Ali 1980: 7/494).

During his rule, the weight of coins dropped to 4.4 grams, less than the official Nabataean standard weight of 6.61 grams. King Oboadas was forced to reduce the weight



Fig. 5





Fig. 2 (Morgan 1979: 256)

on reverse image of the Roman deity Jupiter (Fig. 3) (Abass 1987:47-48; Al rawahna 2002:95; Morgan 1979:256).

King Oboadas II (62-59 BC) minted only silver coins, according to available information. Therefore his coins are considered among the rarest Nabataean coins. The proportion of silver in these coins ranges from 87 to 96 per cent, with the image of the King on obverse, where the Hellenistic effect appears clear in the features of the face, and the hairstyle. On reverse, appears the image of the Ptolemaic falcon. King Oboadas II is the second Nabataean King who wrote down his name in the Nabataean script on the coins. His predecessors used to write down their names in Greek or initial their names in Aramaic scripts. Oboadas II's name was written on the coins as follows: ('BDH MLKA MLK NBTW') (Al rawhna 2002:64-65).

King Malichus I (59-30 BC) had minted fils coin among the coins, featuring the King's image. The fils coin clearly demonstrated that the Hellenistic impact on human image was still dominant. Similarly, the Ptolemaic effect was reflected in the image of the Falcon, with the following phrase in Nabataean script written around the image (MILKW MLK NBTW) (Fig. 4). It is during his reign that the number of bronze coins had increased; the wars he fought against the Jewish state made him in dire need for more money to spend on these wars (Al tal 1983:37; Al rawahna 2002:65) (fig .5).

King Malichus I coins carried their date of minting in Nabataean figures. They also showed decorations such as: the Nabataean eagle which was engraved on coins, and the decorations of the Crossed Cornucopia or "horn of plenty," which continued to appear on the Nabataean coins until the fall of the Kingdom in

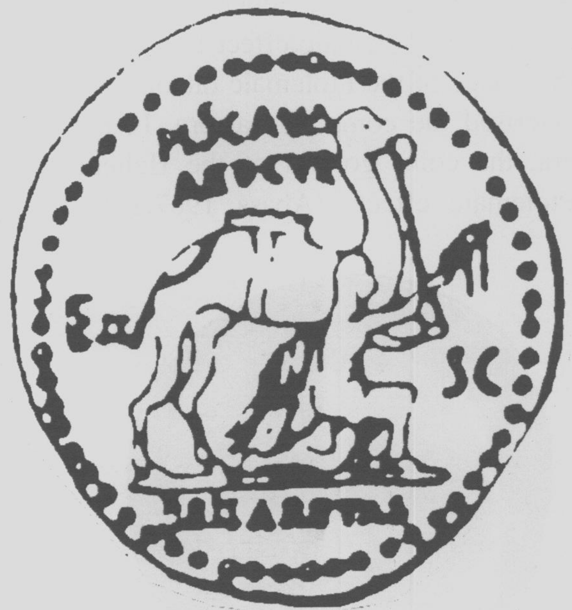


Fig. 3 (Morgan 1979: 256)

coins for circulation inside the cities, in addition to the State's official coins, which were used for international trade.

King Aretas II (120 - 96 B.C) was the first Nabataean king to mint coins. These coins reflected the influence of Greek coins, with an image of a man wearing a helmet on his head with his face to the right, on obverse, while reverse carried the image of Nike, and the letter "A," the first letter of the name of Aretas II. Other portraits of the Aretas's II coins carry the letter "H" in the Aramaic, in reference to his name (Abass 1987:40; Al rawahna 2002: 60-61).

Nabataean coins have seen two eras: The first era starts from the time of Aretas II until the year AD 7. During this era, the coins had high monetary value. The silver component in the coins during this era ranged between 96% and 63% so as to compete with the Roman dinarius in international trade. However, during the second era, from AD 7 until the fall of the Nabataean Kingdom in AD 106, the value of the Nabataean coins dropped by 41-20 per cent. On the technical sphere, the first phase coins were affected by the Hellenistic and Ptolemaic coins. The Ptolemaic effect translated itself in the image of the Ptolemaic falcon, which characterised the coins of that era. In the second era, the coins got rid of the Hellenistic and Ptolemaic effects (Abass 1987:148; Qadoos 1999:186; Musees Royaux 1980:59-62).

King Aretas III (85-62 BC) minted a series of coins in Damascus after annexing it to his Kingdom in 85 BC. What made these coins different from others is that they were the first to have the name of the Nabataean King imprinted on them. He also wrote down his title as (Philhellenos) on the coins. He was the first Nabataean King whose portrait appeared on coins. The writing on the coins was Greek.

Coins continued to be minted at Damascus during the era of Aretas III until the year 70 BC, when it was controlled by Dekran (Tigranes), the King of Armenia. The 2-fils coins, minted during the rule of Aretas III, carried the image of the King on obverse, while the reverse carried the image of Nike (Fig.1-2) (Al tal 1983:36; Abass 1987:42; Qadoos 1999:187; Kammerer 1929:531).

In the year 64 BC, the Roman commander Pompey launched a campaign against the Nabataeans but he shortly after that left the area to Rome and assigned the Roman Commander Scaurus to continue the campaign. Scaurus reached an agreement with King Aretas, under which the latter had to pay a tribute (head tax) to the Romans. After returning to Rome, Scaurus commemorated his campaign against the Nabataeans by minting coins carrying in obverse image of King Aretas beside a camel, and





Fig. 1

Peninsula, others say they came from North Najd (in Saudi Arabia) or from its easterly northern region. A third party states that they came from Northern Hijaz (Al Ansary & Abu Al Hassan 2001:68-73).

However, historians do not agree on the exact date on which the Nabataean Kingdom came into being, nor do they agree on the order or succession of their Kings, although there is a consensus that Aretas the First, was the first Nabataean King, who took office around the years 168 or 169 BC. The Nabataeans established Al-Raqeem (Petra) as their capital, while they also made Hegra (Al-Hijr -- Mada'in Salih) as their second capital, or as an advanced military base to control trade routes from the southern parts of the Arabian Peninsula (Abass1987: 37-39; Mahran 1994: 2/312, Al Ansary & Abu Al-Hassan 2002:97).

The Nabataean Economy

Like all other ancient communities, the Nabataeans were involved in trade exchanges. Incense and myrrh were the most prevalent at the time. However, the major role that the Nabataeans played was to control the northern part of the land trade route, where trade caravans used to pass through several Nabataean cities, most important of which were Mada'in Salih, Leuke kome (White Village) and Petra.

These cities played an important role in the trade activity in the region, including the commercial exchange and facilitation of the passage of trade caravans, and the collection of taxes there from the above trade activities in favour of the State or the Political governor of the region.

The Nabataean control of Mada'in Salih had enabled them to control trade routes coming from the Southern to the northern parts of the Arabian Peninsula, while their control of the Negev had enabled them to control the road passing through Gaza and Sinai to Egypt. Some historians attribute the transfer by King Rabel II (70-106 AD) of the Capital from Petra to Bostra (Bosra) to the change of commercial routes. Caravans ceased using the land route, linking the Southern parts of the Arabian Peninsula with the Northern parts, passing through Dedan (Al-'Ula) and Mada'in Salih; instead they started using the maritime route, which was used to transport trade coming from the Southern parts of Arabian Peninsula between the two Red Sea coasts since the 1st century BC, while caravans coming from the Gulf coast were heading to Dawmat al Jandal and then to Bosra, passing by Um Al Jimal. Thus, Bosra had replaced Mada'in Salih and Petra, and was one of the stations through which trade routes used to pass.

It is trade that drew the attention of the Nabataeans to raising camels and to acquire all the means needed to help them arrange, classify and store goods. The Nabataean trade activity was not confined to the mere transport of goods, but also extended to exporting some of their local production to Egypt, including tar bitumin which they extracted from the Dead Sea. Tar was used for colouring metals and for making jewelry, as well as for mummification. The Nabataeans' skill in the earthenware industry was reflected in the huge quantities discovered in Mada'in Salih, Petra, Dedan (Al-'Ula), and al Bid'. What also testifies to their craftsmanship in pottery is the presence of making kilns pottery found near al-Raqeem (Petra). This is in addition to fact that the Nabataean clay dating back to the first century BC, was found in al-Fau (Al Ansary 1982: 30, Abass 1987: 107-114, Al Ansary & Abu Al-Hassan 2002: 61-62, Al-Ansary 2003: 133-134).

Nabataean Coins

The Nabataeans minted coins of different denominations, including, for example, the half and the quarter. They had struck domestic

Coinage of the Nabataeans[1]

Faraj Allah A. Yousef

Abstract. *The Nabataeans have left no written record of their history. In studying their history we therefore depend on other contemporary sources which alluded to them casually. The present study attempts to shed some light on the coinage of the Nabataean kingdom. It is maintained that the study of coins constitutes an important instrument for surveying Nabataean history, in view of the fact that coins bear inscriptions that refer to the place of issue, name of the reigning monarch and his title, as well as to the name of his consort. The study also examines the relationship between the Nabataean coinage and the Nabataean inscriptions, especially as depicted in the tombs of Hegra (Al-Hijr - Mada'in Salih). Although Sela' may not be one of the names of the Nabataean capital (besides Al-Raqeem and Petra), nevertheless it may safely be stated that inscriptions found in the tombs of Hegra (Al-Hijr - Mada'in Salih) clearly indicate that Sela' lies in Hegra or somewhere thereabout, and that coins have been minted there since the reign of king Aretas* IV *(9 BC - 40 AD), and they continued to be produced until the fall of the kingdom in AD 106.*

Introduction

The Nabataeans have left no records. In studying Nabataean history we therefore depend on other contemporary sources which alluded to them in passing, especially from their neighbours: the Seleucids, the Ptolemies, the Hashmonite Dynasty in ancient Judaea and others.

We have also some glimpses of their history from some ancient writers, such as Diodorus Siculus, the Jewish historian Josephus Flavius and the Greek geographer Strabo - although the latter had derived his information mainly from one Athenodos who is reported to have been born in Nabataean country and lived there since then.

However, our knowledge of Nabataean history will continue to be incomplete until a full study of the antiquities and inscriptions of this kingdom is undertaken.

The Assyrian Annals referred to Nabataeans as Arabs, adding that until the 4th century BC, they were leading a nomadic way of life. In his description of the Nabataeans, Diodorus Siculus said: "They took it upon themselves not to sow seeds, nor to plant any fruit-bearing trees, nor to drink wine, nor to construct a house, and he who does that shall receive the death penalty" (Abass 1987: 29; Mahran 1994: 2/316).

Despite the nomadic life, the Nabataeans did not only work in grazing, but also worked in trade and excelled therein, and made tremendous achievements in this area. Diodorus Siculus remarks that their successful commercial activities have drawn the attention of Antigonus (a successor of the Alexander the Great), who tried to subdue them. Antigonus sent one of his officers in the year 312 BC, and managed to seize quantities of incense, myrrh and silver. However, the Nabataeans regained what the officer had seized. Antigonus repeated the attempt again, and sent his son Demetrious to fight the Nabataeans, who managed to make peace with Antigonus, thus putting an end to the hostility between the two parties (Abass 1987: 30:32; Mahran 1994: 2/317-318).

Historians are agreed on the Arabic origin of the Nabataeans, but they differ on the areas from which they came. While some historians say they came from the South of the Arabian

Issue No. 10 July 2004
ISSN: 1319-8947 (pp. 51 -70)

Notes

(1) The ΔR values currently available for the western Arabian Sea are those published by Dutta et al. (2001: 484) and Southon et al. (2002). The mean value proposed by Southon et al. (2002: 171) for this part of the ocean is of 190±25 years.
(2) The colours are those of the Munsell Soil Color Charts (2000). GetasMachbeth, New York. The colours are those of the Munsell Soil Color Charts (2000). GetasMachbeth, New York.
(3) In this paper the terminology employed for the measurements of the blanks is as follows >1.25 cm: hypermicroflakelets and hypermicrobladelets; 1.25-2.5 cm: microflakelets and microbladelets; 2.5-5.0 cm: flakelets and bladelets; 5.0-10.0 cm: flakes and blades; <10.0 cm: macroflakes and macroblades. In this paper the terminology employed for the measurements of the blanks is as follows >1.25 cm: hypermicroflakelets and hypermicrobladelets; 1.25-2.5 cm: microflakelets and microbladelets; 2.5-5.0 cm: flakelets and bladelets; 5.0-10.0 cm: flakes and blades; <10.0 cm: macroflakes and macroblades.
(4) For the classification of these "unconventional" instruments, see Maggi and Gebel (1990: 18-20).
(5) Corresponding to 4040-4020 (2.5%), 3990-3790 (65.7%) at 1σ; and 4250-4100 (3.7%), 4050-3700 (91.7%) at 2σ cal BC according to OxCal v3.8.

References

Bagolini, B. 1968. “Ricerche sulle dimensioni dei manufatti litici preistorici non ritoccati”, **Annali dell'Università di Ferrara**, NS, sez. XV, I (10): 195-219.

Biagi, P. 1988. “Surveys Along the Oman Coast: Preliminary Report on the 1985-1988 Campaigns”, **East and West**, 38 (1-4): 271-291.

Biagi, P. 1994. “A radiocarbon chronology for the aceramic shell-middens of coastal Oman”, **Arabian archaeology and epigraphy**, 5: 17-31.

Biagi, P. 1996. “Excavations at the shell-midden of RH6 1986-1988 (Muscat, Sultanate of Oman)", **Al-Rafidan**, 20: 57-84.

Charpentier, V. 2001. “Les industries lithiques de Ra's al-Hadd”, **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies**, 31: 31-45.

Dutta, K., Bhushan, R. and Somayajulu, B.L.K. 2001. “ΔR Correction Values for the Northern Indian Ocean”, **Radiocarbon**, 43 (2A): 483-488.

Ibrahim, M. and ElMahi, A.T. 2000. “A Survey between Quriyat and Sur in the Sultanate of Oman (1977)", **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies**, 30: 119-136.

Isetti, E and Biagi, P. 1989. “The polished stone earrings of Site RH5 and the distribution and chronology of the prehistoric earrings of coastal Oman”, **Rivista di Archeologia**, XIII: 5-17.

Maggi, R. 1990. “The Chipped Flint Assemblage of RH6 (Muscat, Sultanate of Oman) - Some Observations on Technological Aspects”, **East and West**, 40: 293-299.

Maggi, R. and Gebel, H-G. 1990. “A Preliminary Report on the Chipped Stone Industries of the Mid-Holocene Shell-midden Communities of Ra's al-Hamra 5, Layer 1 (Muscat-Sultanate of Oman)", **Rivista di Archeologia**, XIV: 5-14.

Southon, J., Kashgarian, M., Fontugne, M., Metivier, B. and Yim W.W-S. 2002. “Marine Reservoir Corrections for the Indian Ocean and Southeast Asia”, **Radiocarbon**, 44 (1): 167-180.

Tosi, M 1983. “Reconnaissance Activity”, **East and West**, 35: 331-332.

Tosi, M. and Usai, D. 2003. “Preliminary report on the excavations at Wadi Shab, Area 1, Sultanate of Oman”, **Arabian archaeology and epigraphy**, 14: 8-23.

Ürpmann, M 1992. “Structuring the Late Stone Age of South-eastern Arabia”, **Arabian archaeology and epigraphy**, 3: 65-109.

		Sites					
		FINS1 (298)		GAS1 (1526)		GAS3 (116)	
Category	Limits	n°	%	n°	%	n°	%
Elongation indexes							
Very narrow blades	>6	0	0.0	0	0.0	0	0.0
Narrow blades	6-3	0	0.0	19	1.3	0	0.0
Blades	3-2	14	4.5	125	8.2	4	3.5
Blade-like flakes	2-1.5	79	26.5	279	18.3	18	15.5
Flakes	1.5 -1	147	49.5	583	38.2	58	50.0
Wide flakes	1- 0.75	49	16.5	351	23.0	23	20.0
Very wide flakes	0.75-0.50	9	3.0	164	10.7	13	11.0
Extremely wide flakes	<0.50	0	0.0	5	0.3	0	0.0
Dimension indexes							
Hpermacroliths	>8	3	1.0	17	0.9	0	0.0
Macroliths	8-6	18	6.0	155	10.2	11	9.5
Normoliths	6-4	215	72.0	523	34.3	80	69.5
Microliths	4-2	62	21.0	820	53.8	25	21.5
Hpermacroliths	<2	0	0.0	11	0.8	0	0.0

Table 1: Elongation and dimension indexes of the complete, unretouched chipped stone artefacts from Fins 1 (FINS1), Ash Shāb 1 (GAS1) and Ash Shāb 3 (GAS3).

ملخّص: إن المسوحات التي قامت بها الحملة الآثارية الإيطالية في سلطنة عُمان، في الفترة ما بين ١٩٨٥ و١٩٨٨، أفضت إلى اكتشاف كثير من المواقع ما قبل التاريخية على الساحل، بين "ضباب" شمالاً و"قلهات" جنوباً. وقد احتوت هذه المواقع أكوام صدفية، وركامات حجرية، ومجموعات أدوات صوانية، ومنشآت حجرية. ويصف الباحث الأدوات الحجرية المشظّاة، التي جُمعت من تلك المواقع، ويرى أن بعضها ذو أهمية قصوى لفهم بدايات العصر الحديث لما قبل التاريخ، في ساحل عُمان.

Acknowledgements

The author is very grateful to Professor M. Tosi, Director of the Italian Archaeological Mission to the Sultanate of Oman, and to Dr. Ali Ahmed Bakhit al-Shanfari, former Director of Antiquities of the Ministry of National Heritage and Culture, as well as to those members of the Italian Archaeological Mission who took part in the 1985-1988 surveys, Dr. E. Isetti, R. Maggi, R. Nisbet, A. Pessina and E. Starnini.

At this point, it is important to stress the occurrence of several straight perforators of microlithic size from the surface site of FINS1, which seem to be typologically different from those of GAS1. In effect, the FINS1 perforators are often from bladelets and more pointed than those from GAS1. This observation might indicate that they were utilised for different purposes (?), as also suggested by the absence of stone beads (and earrings) from the surface of FINS1, even though the collection from this site was conducted in a rather accurate way. In effect the FINS1 drills strongly resemble those from Ra's Shaqallah (Biagi, 1988: 281), a shell-midden located further south, along the Oman coast, from the surface of which a number of elongated flat-retouched, bifacial, arrowheads were collected. This site was radiocarbon-dated to 6040±60 BP (Bln-3649/I) and 5920±60 (Bln-3649/II) from the same marine shell sample (Biagi, 1989: 289). Similar dates were obtained from the upper trench of the shell-midden site of RH6, at Muscat (Biagi, 1999: 58), from which a very limited number of chipped stone tools is recorded, including a few hypermicrolithic drills (Maggi, 1990: 299). These observations might suggest 1) that different activities were carried out at the sites under discussion, 2) that these sites reflect a different chronology, as also indicated by the results of the radiocarbon dates, 3) that FINS1 might be older than GAS1, DB1 and RH5, on the basis of the techno-typological characteristics of the chipped stone artefacts, both instruments and unretouched pieces and 4) that the techno-typological differences noticed among the sites are not to be linked with the raw material sources exploited by the inhabitants of the sites, which are always available within a short distance from the sites themselves.

It is unfortunate that most of the chipped stone assemblages described in this paper did not yield enough complete, unretouched artefacts to develop an acceptable number of length-width diagrams (fig. 4). Only three of them have produced reliable results (table 1).

The results of table 1 show some similarities, for example, as regards the elongation indexes, which always point out the importance of the flake technology, and the absence, or scarcity, of very narrow blades, narrow blades and extremely wide flakes. On the other hand the dimension indexes indicate a high percentage of normoliths at both FINS1 and GAS3, while the tendency towards a microlithic technology is clear at GAS1 (fig. 4). Also these results might reinforce the impression that the sites are not chronologically contemporaneous, although this is difficult to demonstrate on the basis of the available data.

To conclude, most of the chipped stone industries described in this paper show some similarities, such as the types and sizes of the cores and the occurrence of typical Ra's-al-Hamra chisels. The main exception is represented by the assemblages of GAS1, where the high number of drills might be partly due, to the local manufacture of necklace beads, and FINS1. This latter site yielded many straight perforators on bladelets, of a type which is rather common at Ra's Shaqallah (SAQ1) (Biagi, 1988) and Khor al-Hajar (Charpentier, 2001), although these two assemblages yielded a few flat retouched, bifacial arrowheads, which are characteristic of the so-called Saruq facies (Ürpmann, 1992: 89).

Dr. Paolo Biagi: Dipartimento di Scienze dell'Antichità e del Vicino Oriente - Università Ca' Foscari - Palazzo Bernardo - San Polo 1977 - I-30125 Venezia - Italia.
E-mail:pavelius@unive.it

with hypermicroflakelet detachments from two adjacent platforms (fig. 13, n. 24). The instruments include one carinated latero-transversal scraper on a flakelet with simple, deep, direct, denticulated retouch (fig. 13, n. 22); one microflakelet with abrupt, deep, direct, transversal, retouch (fig. 13, n. 25) and one perforator on a microflakelet obtained with abrupt, deep, direct, bilateral retouch (fig. 13, n. 26).

17) Qalhāt 4.

Qalhāt 4 (QLT4) (GL405164) lies on a fossil beach terrace, on the right side of the wadi mouth (fig. 1: QLT4), some 1.2 km northwest of QLT3, where one circular stone structure 2.5 m in diameter was also recorded.

The site yielded a few flint artefacts among which are one turtle core with microflakelet detachments on both surfaces (fig. 13, n. 27); one prismatic core with microbladelet-like microflakelet detachments with a flat platform (fig. 13, n. 28); one short end scraper with simple, deep, direct, bilateral retouch on a microflakelet (fig. 13, n. 30), and one flakelet with simple, deep, bifacial retouch (fig. 13, n. 29).

18) Qalhāt 5.

Qalhāt 5 (QLT5) (GL398177) is located at the mouth of Wadi Haidha (fig. 1: QLT5). Here seven cairns were recorded on the left and three on the right terrace of the wadi (fig. 14).

Discussion

Only two of the above-mentioned sites have been radiocarbon dated, namely those of Dibab (DB1) and Ash Shab 1 (GAS1). The results are rather similar, although they have been obtained from different materials such as marine shells (DB1) and organic soil (GAS1). These dates attribute these sites to the end of the fifth/beginning of the fourth millennium cal BC. If we compare these results with those of the shell-midden of RH5, on the Ra's al-Hamra headland, near Muscat, we can notice that similar radiocarbon dates come from the lowermost layers (5b-4) of this sequence (Biagi, 1994: 18).

According to M. Ürpmann (1992: 91) "the Ra's-al-Hamra-Facies represents the major phase of shell midden deposition in the central part of the northern coast of the Sultanate of Oman. To the southeast there were other local contemporary facies". Although most of the RH5 flint assemblages are still unpublished, this author points out the high percentage of drills and burins that characterises this facies. Maggi and Gebel (1990: 18), who studied in detail only a part of the chipped stone assemblage from layer 1, subdivide the tools into two main classes, the conventional and the sommaire (blunted) instruments, these latter including a great number of typical Hamra chisels. Their presence should indicate that specialised activities were carried out at this site, which D. Usai (pers. comm. 2003) mainly links with the manufacture of steatite and other soft stone earrings (Isetti and Biagi, 1989).

In contrast, the excavations under way at the almost contemporary site of Ash Shab 1 (GAS1), yielded a flint industry rich in straight perforators of microlithic dimension, obtained with abrupt, deep, direct, bilateral retouch (Tosi and Usai, 2003: 15), which represent some of the commonest tools of this site. According to the above-mentioned authors these "perforators were used in the manufacture of beads, numerous examples of which were found" (Tosi and Usai, 2003: 20), although many of these beads are of very small dimension (Tosi and Usai, 2003: 18).

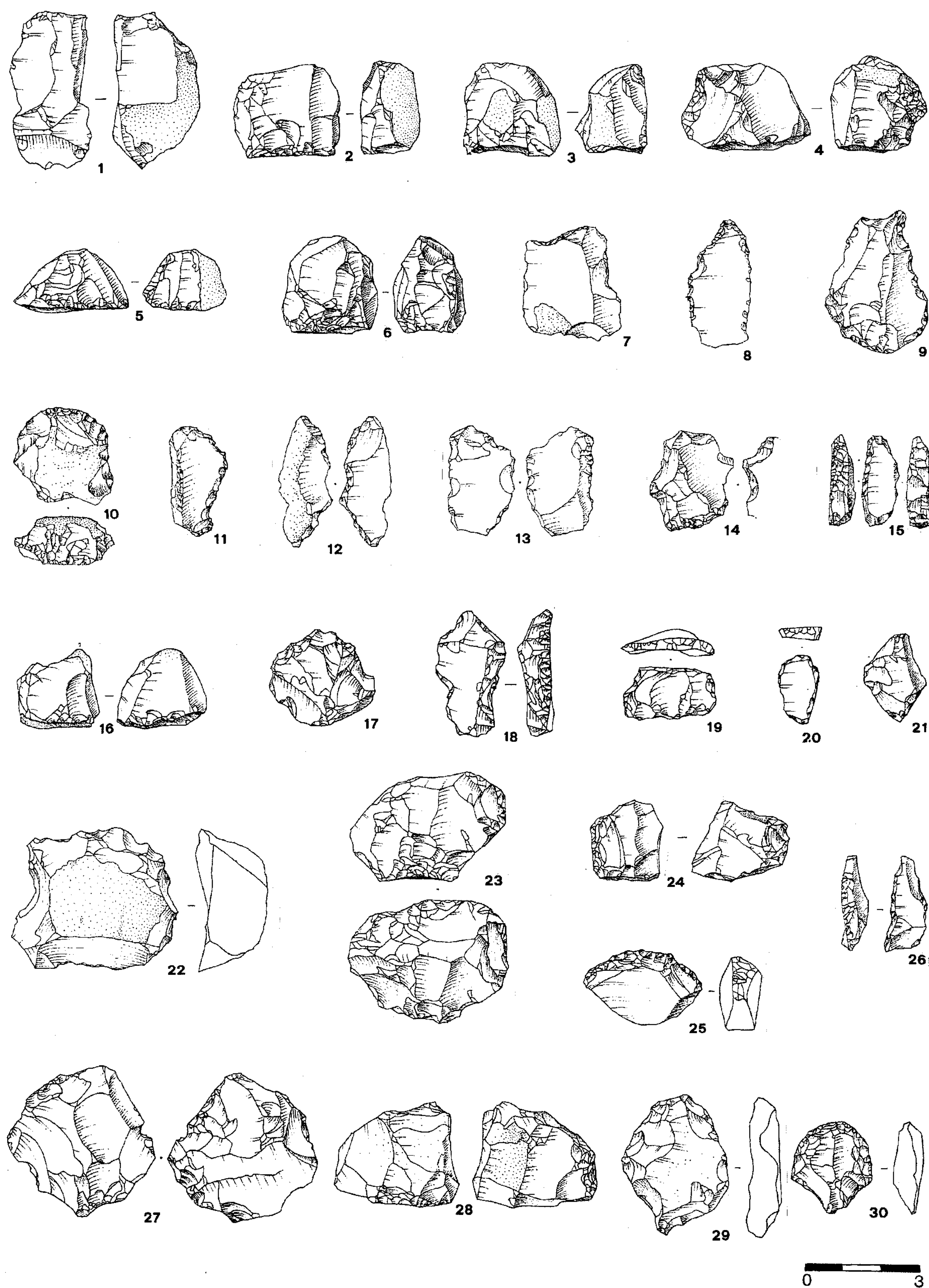


Fig. 13: Chipped stone assemblages from Ash Shāb 6 (GAS6) (1-15), Qalhāt 2 (QLT2) (16-21), Qalhāt 3 (QLT3) (22-26) and Qalhāt 4 (QLT4) (27-30) (2:3) (drawings by G. Bombonato).

edge; and two are latero-transversal, one on a flakelet with simple, deep, bifacial retouch along the right side (fig. 12, n. 29) and one is on a corticated small flake with simple, deep, direct retouch on both sides and the proximal edge (fig. 12, n. 30); three flakelets with abrupt, marginal retouch, inverse on the right side (fig. 12, n. 31) or alternate (fig. 12, n. 32) or inverse on the right side; one corticated microflakelet with simple, deep, denticulated retouch at the distal edge; and three chisels on thick flakelets of both type 1 (fig. 12, nn. 33 and 34) and type 2 (fig. 12, n. 35).

14) Ash Shâb 6.

Ash Shâb 6 (GAS6) (GL288315) is another scatter of weathered flints located on a small promontory west of a wadi mouth, some 4 km northwest of the village of Ash Shab (fig. 1: GAS6). It yielded 39 complete, unretouched artefacts, which were measured to develop the scattergram of fig. 4: GAS6, six cores and nine instruments. Five of the cores are prismatic: one is elongated with microbladelet detachments from one single, flat platform (fig. 13, n. 1), four are smaller with microflakelet detachments from one flat platform (fig. 13, nn 2-4 and 6), and one is short, subconical, with hypermicroflakelet and hypermicrobladelet detachments from one flat platform (fig. 13, n. 5). The instruments are represented by one atypical short end scraper on a corticated microflakelet with simple, deep, direct complementary retouch on the right side (fig. 13, n. 10); one shouldered backed microbladelet obtained with abrupt, deep, direct retouch on the right side (fig. 13, n. 11); one atypical double backed point on a bladelet obtained with abrupt, deep, mixed retouch on the right side (fig. 13, n. 12); one side scraper on a flakelet with simple, marginal, mixed, bilateral retouch on both sides (fig. 13, n. 13); one denticulated scraper on a microflakelet with simple, deep, alternate retouch (fig. 13, n. 14) and one chisel of type 2 on a thick microflakelet (fig. 13, n. 15).

15) Qalhât 2.

The site of Qalhât 2 (QLT2) (GL411150) is located along the coastline, some 3 km northwest of Qalhat, between the courses of two wadis (fig. 1: QLT2). Its deflated surface is very rich in flint artefacts. Here circular and rectangular stone structures were recorded. The same surface yielded a few small netsinkers chipped from beach pebbles.

The flint assemblage, which is obtained from small pebbles of dark greyish brown (10YR4/2), brown (10YR5/3) and dark grey (5YR4/1) colour, is represented by one prismatic core with bladelet-like flakelet detachments (fig. 13, n. 16); one short end scraper on a microflakelet (fig. 13, n 17); one atypical shouldered point on a thick flakelet obtained with abrupt, deep, direct retouch on the right side (fig. 13, n. 18.); one microflakelet with abrupt, deep, direct retouch (fig. 13, n. 19) and one truncation on a microbladelet (?) with abrupt, deep, direct retouch on the right side (fig. 13, n. 20)

16) Qalhât 3.

The site of Qalhât 3 (QLT3) (GL409155) is situated some 500 m northwest of Qalhat 2, some 200 m from the sea shore (fig. 1: QLT3), along the left bank of a wadi mouth. It consists of flint scatters and many circular stone structures and cairns, very close to the edge of the terrace.

The flint assemblage includes two cores, three instruments and 42 complete, unretouched artefacts, which were measured to develop the scattergram of fig. 4: QLT3. The cores are: one polyhedral with microflakelet detachments (fig. 13, n. 23) and one prismatic

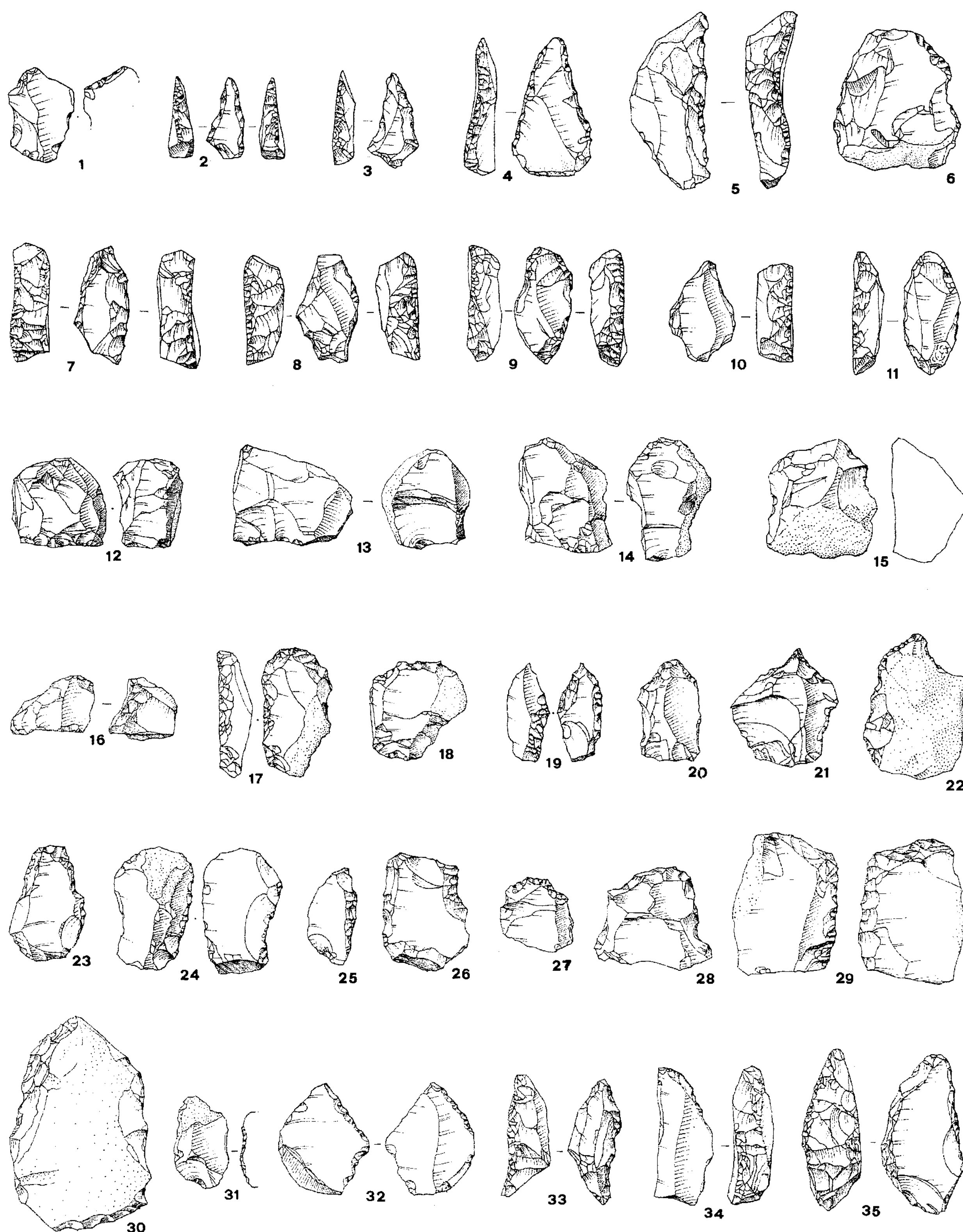


Fig. 12: Chipped stone assemblages from Ash Shāb 4 (GAS4) (1-11) and Ash Shāb 5 (GAS5) (12-35) (2:3) (drawings by G. Bombonato).

one on a flakelet with simple, marginal, direct, bilateral retouch at the distal edge (fig. 11, n. 24); two corticated flakelets with abrupt, deep, direct retouch along the right side (fig. 11, nn. 25 and 26); eight side scrapers on flakelets: one has a simple, marginal, inverse retouch on the left side; one a simple, deep, direct, partial retouch on the right side; one a simple, marginal, direct, transversal retouch at the distal edge of a corticated flakelet; one a simple, marginal, mixed retouch along its entire perimeter; one a simple, deep, direct retouch along the left side, while the right one shows a simple, marginal, mixed retouch (fig. 11, n. 27); one has a simple, deep, direct retouch on the right side, while the left side has a simple, marginal, direct, proximal retouch (fig. 11, n. 28); one has a simple, deep, direct retouch along the left side (fig. 11, n. 29) and one a simple, deep, direct retouch on the right side (fig. 11, n. 30); three chisels on thick microflakelets, two of which are of type 1 (fig. 11, nn. 31 and 32) and the third of type 3 (fig. 11, n. 33).

12) Ash Shāb 4.

Also Ash Shab 4 (GAS4) (GL295291) lies on the left terrace of the same wadi mouth (fig. 1: GAS4), where one oval stone structure rising from the ground was recorded.

The site is rich in flint artefacts, among which are 12 instruments: one truncation on a microflakelet obtained with simple, marginal, inverse retouch at the distal edge (fig. 12, n. 1); three straight perforators, two of which on microflakelets obtained with abrupt, deep, direct, bilateral retouch (fig. 12, nn. 2 and 3) and one on a flakelet with the same retouch characteristics (fig. 12, n. 4); one carinated side scraper on a thick flake obtained with abrupt, deep, direct retouch on the right side (fig. 12, n. 5); one side scrapers on a flakelet with simple, marginal, direct, partial retouch on the right side (fig. 12, n. 6); one point with abrupt, deep, direct retouch on the left side and simple, marginal, direct retouch on the right one; and five characteristic chisels on thick microflakelets of type 1 (fig. 12, nn. 7-9, 11) and type 2 (fig. 12, n. 10).

13) Ash Shāb 5.

Ash Shab 5 (GAS5) (GL294295) is a weathered site, very rich in flint artefacts, on the left bank of a small wadi mouth, some 2 km northwest of the village of Ash Shab (fig. 1: GAS5). Some cairns were mapped on the terrace about 500 m southwest of the site, across the road to Tiwi.

The chipped stone assemblage comprises five cores and 21 instruments. Four cores are prismatic with microflakelet detachments (fig. 12, nn. 12-15), one is polyhedrical with hypermicroflakelet detachments (fig. 12, n. 16). Among the instruments are: one long end scraper on a corticated bladelet with semiabrupt, deep, direct retouch on the left side (fig. 12, n. 17): one short end scraper on a corticated microflakelet (fig. 12, n. 18); four perforators, one on a microflakelet with semiabrupt, deep, alternate retouch on the right side and semiabrupt, deep, inverse retouch on the left one (fig. 12, n. 19); one on a microflakelet obtained with semiabrupt, deep, direct, bilateral retouch at the distal edge (fig. 12, n. 20); one on a microflakelet with simple, deep, direct retouch at the distal edge (fig. 12, n. 21); and one on a corticated flakelet with abrupt, marginal, direct retouch at the distal edge (fig. 12, n. 22); eight side scrapers, four of which are lateral, on flakelets with simple, marginal, direct (fig. 12, nn. 23 and 24) or simple, deep, direct (fig. 12, n. 26) or inverse (fig. 12, n. 25) retouch; two are transverse on a microflakelet (fig. 12, n. 27) or a flakelet (fig. 12, n. 28) with simple, deep, direct retouch at the distal



Fig. 11: Chipped stone assemblages from Ash Shāb 2 (GAS2) (1-13) and Ash Shāb 3 (GAS3) (14-33) (2:3) (drawings by G. Bombonato).

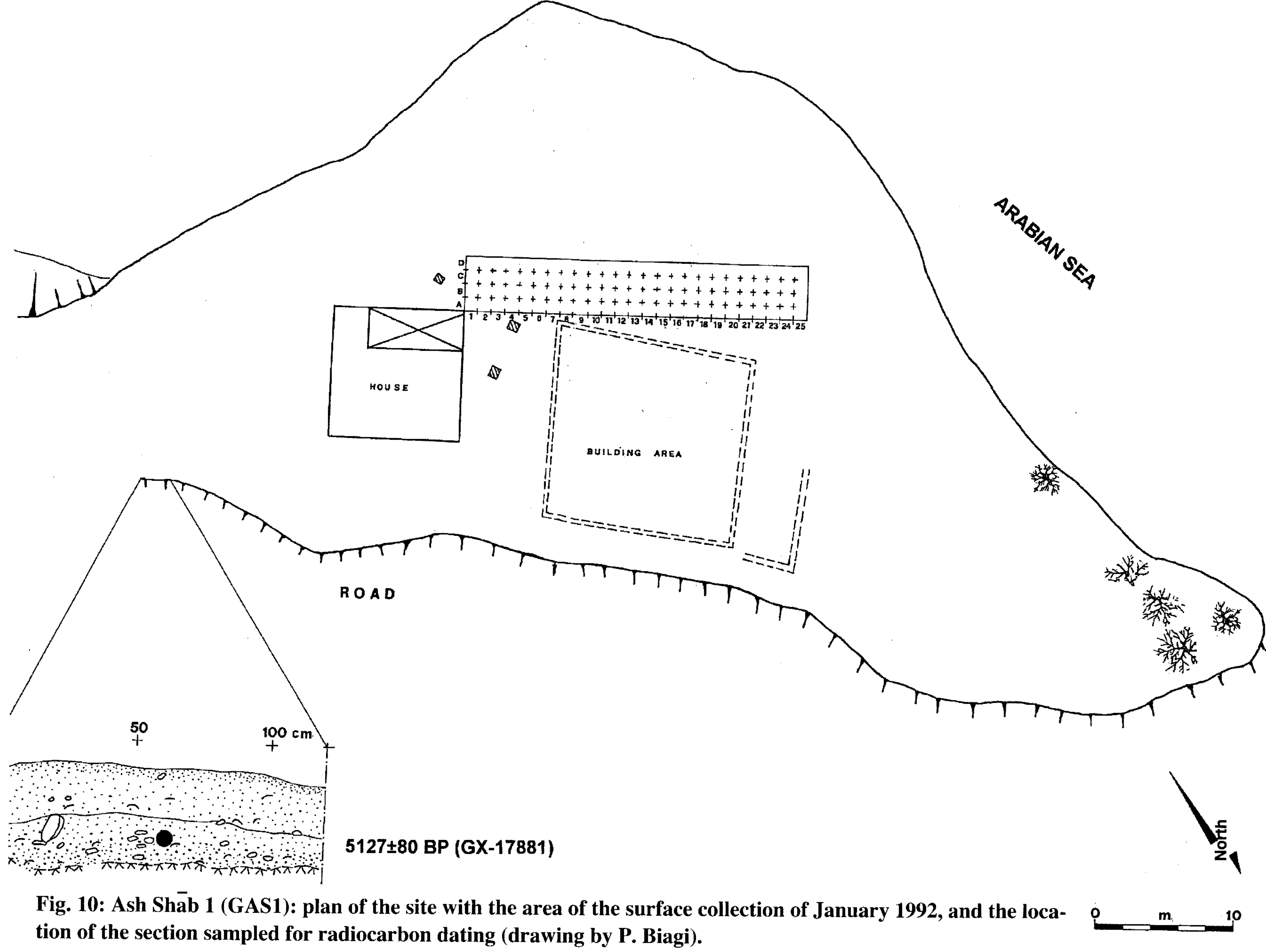


Fig. 10: Ash Shāb 1 (GAS1): plan of the site with the area of the surface collection of January 1992, and the location of the section sampled for radiocarbon dating (drawing by P. Biagi).



Fig. 9: The shell-midden of Ash Shāb 1 (GAS1) with the indication of the area investigated in January 1992 (arrow) and the profile sampled for radiocarbon dating (dot) (photograph by P. Biagi).

(GL294288) is located on the same terrace, some 100 m behind GAS2, east of the road to Tiwi (fig. 1: GAS3). It consists of a few scatters of weathered flints in the same area where seven stone cairns are located. Just to the west, on the other side of the same road, two cairns were recorded.

The chipped stone assemblage comprises seven cores with hypermicroflakelet detachments, among which are polyhedrical, prismatic and subconical types with one or more platforms (fig. 11, nn. 14-18), and 18 instruments. 116 complete, unretouched artefacts were measured to develop the scattergram of fig. 4: GAS3. It shows that the unretouched artefacts are mainly of normolithic dimension (80: 69.0%), while the microliths (25: 21.5%) and the macroliths (11: 9.5.%) are present in much lower percentages. As regards the elongation indexes, the flakes are present with 58 specimens (50.0%); they are followed by wide flakes (23: 20%), blade-like flakes (18: 15.5%), very wide flakes (13: 11.0%) and blades (4: 3.5%). The instruments consist of two truncations, the first of which is on a microbladelet-like microflakelet, obtained with simple, deep, inverse, concave retouch (fig. 11, n. 19), the second is on a microflakelet with simple, marginal, direct, oblique retouch (fig. 11, n. 20); four straight perforators: one is on a microbladelet-like microflakelet, obtained with abrupt, marginal, direct retouch at the distal edge (fig. 11, n. 21); one on a microbladelet with abrupt, deep, direct, bilateral retouch (fig. 11, n. 22), one on a bladelet with simple, marginal, direct, bilateral retouch at the distal edge (fig. 11, n. 23) and

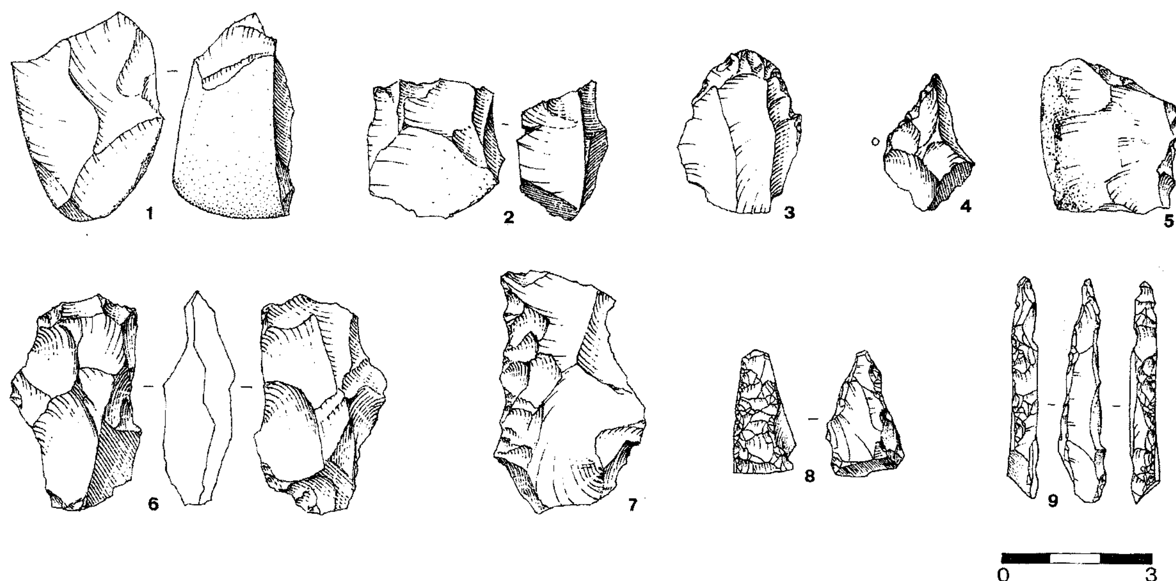


Fig. 8: Chipped stone assemblages from Fins 2 (FINS2) (1-7), Fins 3 (FINS3) (8) and Fins 4 (FINS4) (9) (2:3) (drawings by G. Almerigogna and G. Bombonato).

patinated chipped stone artefacts of microlithic and normolithic dimensions.

9) Ash Shāb 1.

The shell-midden of GAS1 (GL304277) was discovered in 1983 (Tosi, 1983) on the high, left terrace of the Wadi Shab mouth (fig. 1: GAS1; fig. 9). The first systematic surface collection was carried out in January 1992 in the richest area of the midden, along a strip of 4x25 square metres (fig. 10). It led to the recovery of 11,152 flint artefacts among which are 336 instruments. 1,526 complete, unretouched artefacts were measured to obtain the results shown in table 1. During the same season an organogenic soil sample, collected from a profile exposed by the road construction at 30 cm. of depth (fig. 10), was radiocarbon dated to 5127±80 BP (GX-17881)[5] (Biagi, 1994: 23).

10) Ash Shāb 2.

Ash Shab 2 (GAS2) (GL295289) is a deflated site discovered some 1.5 km northwest of GAS1, on the right terrace of a small wadi (fig. 1: GAS2), where one circular stone structure (cairn?) was also recorded.

The site yielded a rich flint assemblage, including 49 complete, unretouched artefacts, which were measured to develop the length-width scattergram of fig. 4: GAS2. The assemblage is composed of six hypermicroflakelet polyhedrical and prismatic cores with single, opposite or adjacent platforms (fig. 11, nn. 1-6); two short end scarpers, one of which on a flakelet with complementary semiabrupt, deep, direct retouch along the two sides (fig. 11, nn. 7) and one on a microflakelet (fig. 11, n. 8); one nosed end scraper with complementary simple, deep, direct retouch along the right side (fig. 11, n. 9); one carinated point obtained with abrupt, deep retouch (fig. 11, n. 10); one side scraper on a flakelet with semiabrupt, deep, alternate retouch (fig. 11, n. 11); one side scraper with simple, marginal, partial, direct retouch along both sides (fig. 13, n. 12) and one typical chisel on a microflakelet of type 1 (fig. 11, n. 13).

11) Ash Shāb 3.

The site of Ash Shab 3 (GAS3)



Fig. 7: Chipped stone assemblage from Fins 1 (FINS1) (2:3) (drawings by G. Almerigogna).

ple, marginal direct or inverse retouch on one or both sides (fig. 7, nn. 1-5 and 7), one proximal sample with simple, deep, direct retouch on the right and marginal, direct on the left side (fig. 7, n. 6), three with semiabrupt, deep, direct retouch on the right or left side (fig. 7, nn. 8 and 9) and one medial fragment of narrow microbladelet with abrupt, marginal, direct, continuous retouch on the right and abrupt, marginal, direct, partial retouch on the left side (fig. 7, n. 10); one carinated point on a thick flakelet obtained with abrupt, deep, direct, partial retouch on both sides (fig. 7, n. 11); 17 side scrapers, three of which are on microflakelets and fourteen on flakelets. They include one marginal flakelet specimen with simple, marginal, direct, partial retouch on the left side (fig. 7, n. 18); sixteen deep examples, eleven of which are lateral: four with simple, deep, direct retouch on the right side, four with simple, deep, direct retouch on the left side (fig. 7, nn. 12, 13 and 16), three have a simple, deep, direct, bilateral retouch (fig. 7, nn. 14, 15 and 17); five are transversal with simple, deep, direct retouch at the distal edge (fig. 7, nn. 19-21); 32 denticulated scrapers, two of which are on bladelets, six on microflakelets, the remaining on flakelets; among them are three single notches (fig. 7, nn. 22-24), one double, opposite notch, and a great variety of denticulated scrapers (fig. 7, nn. 25-47), a few of which obtained with sommaire, bilateral, bifacial retouch (fig. 7, nn. 29-31), while a few other specimens are denticulated end scrapers (fig. 7, nn. 38, 41, 42 and 46).

5) Fins 2.

FINS2 (GL264383) is a flint scatter discovered on the deflated, gravely coastal terrace covered with a very sparse vegetation that faces the ocean, on the left side of a wadi mouth, some 250 m north of FINS1 (fig. 1: FINS2). The site consists of a few concentrations of artefacts of the same type as those of FINS1.

The chipped stone assemblage includes 2 cores and 5 instruments. The cores are: one sommaire on a corticated pebble (fig. 8, n. 1) and one prismatic with hypermicroflakelet detachments from one simple platform (fig. 8, n. 2). The instruments are represented by one short end scraper on a microflakelet (fig. 8, n. 3); 2 abrupt-retouched microflakelets one of which with marginal, direct, proximal, transversal retouch (fig. 8, n. 4) and one with marginal, direct, lateral retouch on the right side (fig. 8, n. 5); one bifacial tool on a flakelet with sommaire, bilateral retouch (fig. 8, n. 6) and one side scraper with simple, deep, inverse retouch along the right side (fig. 8, n. 7).

6) Fins 3.

FINS3 (GL254401) is located on the left terrace of the wadi (fig. 1: FINS3), some 3 km north of the village of Fins and 2 km south of Ra's ash Shajar. It yielded a few tools chipped from the same type of flint, among which are some chisels of the same type 2 of that of fig. 8, n. 8.

7) Fins 4.

FINS4 (GL258390) is located at the western edge of the terrace that overlooks the gravel plain, some 300 m from the ocean (fig. 1: FINS4) and some 2 km north of the village of Fins. It consists of a few unretouched flint artefacts and one long, straight perforator obtained with abrupt, deep, direct, bilateral retouch (fig. 8, n. 9).

8) Ra's Makallah 1.

The small flint scatter of Ra's Makallah 1 (MKL1) (GL282338) is located on a small, flat promontory, at the northern edge of Makallah Wabar (fig. 5, bottom). This site produced only a small number of unretouched,



Fig. 6: Chipped stone assemblage from Fins 1 (FINS1) (2:3) (drawings by G. Almerigogna).





Fig. 5: The site of Fins 1 (FINS1) from the south (top) and the headland of Ra's Makallāh (MKL1) (bottom) (photographs by P. Biagi).

tween two small wadis (fig. 1: Fins1; fig. 5, top). The deflated gravely surface of the site has a very sparse vegetation cover. A great quantity of flint artefacts is scattered over an area of some 30x30 metres. Few decoloured, marine shell fragments were also recorded.

The flint assemblage from this site is chipped from small pebbles of flint of the same variety of those of the Bimmah sites. It is one of the richest chipped stone assemblages of the region. It consists of 14 cores, 109 instruments and 298 complete, unretouched artefacts that were measured to develop the length-width scattergram of fig. 6: FINS1. The results show that the industry is mainly of normolithic dimension (215: 72%), while the macroliths represent (62) 21%, the microlithis (18) 7%, and the hypermicroliths only (3) 1% of the total assemblage. It is mainly chipped from flakes (147: 49.5%), followed by blade-like flakes (79: 26.5%), wide flakes (49: 16.5%), blades (14: 4.5%) and very wide flakes (9: 3.0%). The cores are represented by 6 subconical, 4 prismatic and 4 polyhedrical samples.

The subconical cores have bladelet or microbladelet detachments with flat (fig. 6, nn. 1 and 2) or prepared, dihedral platforms (fig. 6, nn. 3-5); the prismatic specimens have microflakelet detachments from prepared (fig. 6, nn. 6 and 8) or flat platforms (fig. 6, nn. 7 and 9); the polyhedrical types have micro and hypermicroflakelet detachments from prepared platforms (fig. 6, nn. 10-12). The instruments include 7 end scrapers, two of which are long, the first on a bladelet with complementary simple, deep, direct retouch along the right side (fig. 6, n. 13), the second on a microbladelet (fig. 6, n. 14); three are short, one on a bladelet (fig. 6, n. 15) and two on microbladelets (fig. 6, nn. 16 and 17); and two are ogival, one on a bladelet (fig. 6, n. 18) and one on a flakelet with complementary semiabrupt, marginal, direct retouch on the left side (fig. 6, n. 19); 5 truncations, three of which are normal, straight, one on a microbladelet with abrupt, deep, inverse retouch (fig. 6, n. 20), one on a microbladelet with abrupt, marginal, direct, concave retouch (fig. 6, n. 21), one sommaire on a microflakelet (fig. 6, n. 22); one is normal, oblique on a microflakelet with abrupt, deep, direct retouch (fig. 6, n. 23); and one is convex on a bladelet with abrupt, deep, direct retouch (fig. 6, n. 24); 22 perforators, eighteen of which are straight and four curved.

The straight specimens include thirteen bladelet and five flakelet samples. They are often obtained with abrupt, deep, direct, continuous (fig. 6, nn. 25, 26, 29, 31 and 32) or distal retouch (fig. 6, nn. 28-30, 34, 35, 37, 38, 40 and 41); one has an abrupt, deep, mixed retouch along the right side (fig. 6, n. 27), one an abrupt, deep, inverse retouch on the right and direct on the left side (fig. 6, n. 33), one proximal specimen has an abrupt, marginal, inverse retouch on both sides (fig. 6, n. 36), one an abrupt, deep, direct, distal retouch on the right side and an abrupt, marginal, inverse retouch on the left side (fig. 6, n. 39); the four curved types are represented by two right and two left specimens: the right ones, on bladelets, are both obtained with a normal, straight, direct truncation adjacent to an abrupt, marginal, inverse retouch (fig. 6, nn. 42 and 45); the left ones, both on bladelets, the first with an abrupt, marginal, direct, distal retouch (fig. 6, n. 43), the second with an abrupt, direct, deep retouch with a complementary abrupt, marginal, inverse retouch on the medial part of the right side (fig. 6, n. 44); one probable trapezoidal geometric tool of scalene type is obtained with one straight and one oblique truncations with abrupt, deep, direct retouch (fig. 6, n. 46); 18 retouched bladelets, 13 with sim-

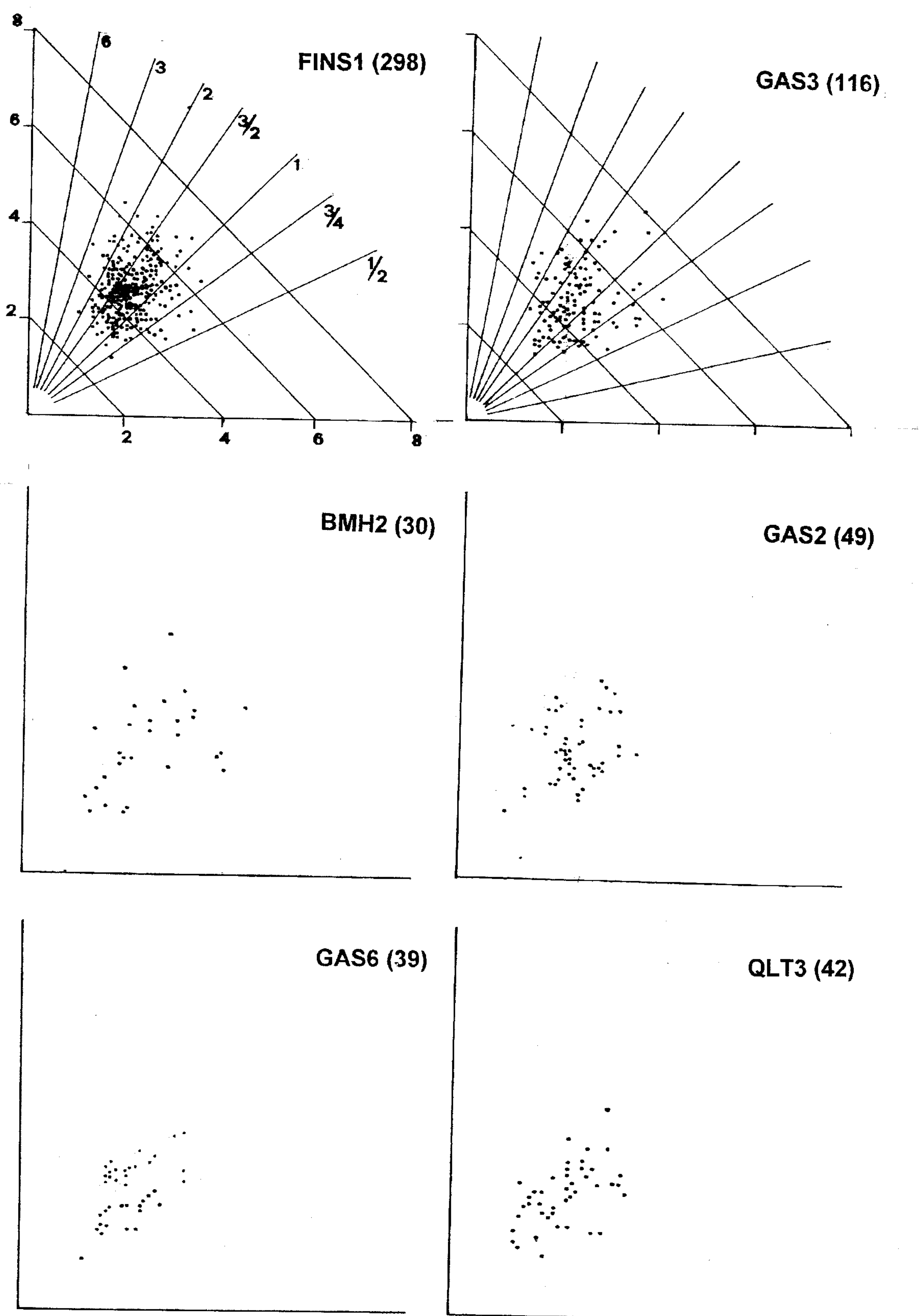


Fig. 4: Length-width scattergrams of the complete, unretouched artefacts from Bimmah 2 (BMH2), Fins 1 (FINS1), Ash Shāb 2 (GAS2), Ash Shāb 3 (GAS3), Ash Shāb 6 (GAS6) and Qalhāt 3 (QLT3). Microliths 0-4, normoliths 4-6, macroliths >6 (drawings by P. Biagi).

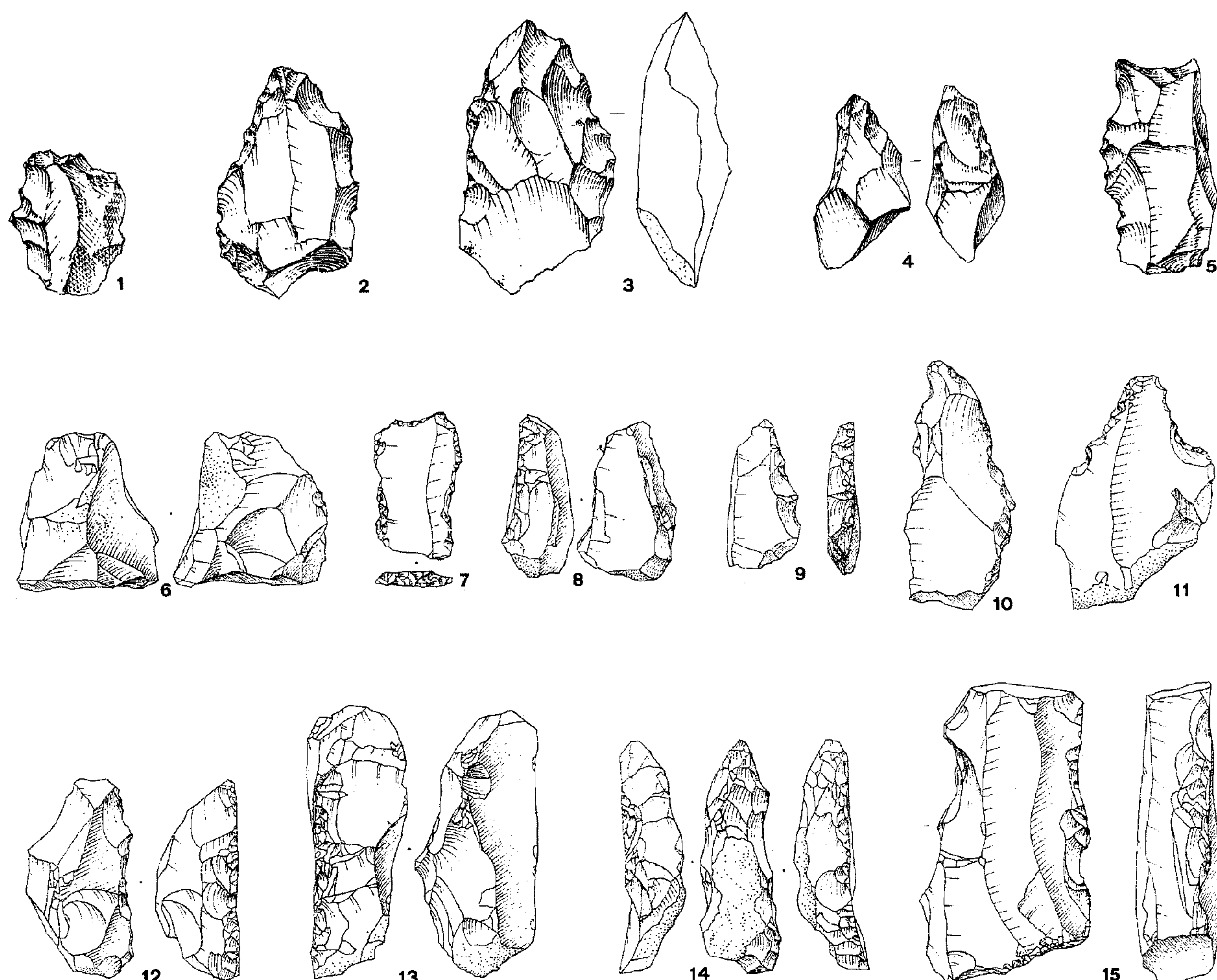


Fig. 3: Chipped stone assemblages from Bimmah 1 (BMH1) (1-5) and Bimmah 2 (BMH2) (6-15) (2:3) (drawings by G. Almerigogna and G. Bombonato).

length-width scattergram of fig. 4: BMH2; one hypermicroflakelet prismatic core with two adjacent platforms (fig. 3, n. 6) and 12 instruments among which are: one straight, proximal, truncation on a bladelet with abrupt, deep, direct retouch (fig. 3, n. 7); 2 chisels of type 2.on thick flakelets (fig. 3, nn. 8 and 9); one denticulated point on a thick flakelet obtained with sommaire, deep, direct retouch (fig. 3, n. 10); 3 perforators, one of which is on a flakelet and two on microflakelets, obtained with sommaire, deep, direct, convergent, retouch (fig. 3, n. 11); 2 thick side scrapers, one on a flakelet and one on a flake obtained with abrupt, deep, direct retouch on the right (fig. 3, n. 12) or on the left (fig. 3, n. 13) side; one thick point on a corticated flakelet obtained with abrupt, deep, bilateral retouch (fig. 3, n. 14) and the medium part of one thick, denticulated blade with simple, deep, direct retouch along the right side (fig. 3, n. 15).

4) Fins 1.

The site of FINS1 (GL265381) is located some one km north of the synonymous village, on the coastal terrace that faces the ocean, be-





Fig. 2: The shell-midden of Dibab 1 (DB1) from the south (top) and the site of Bimmah 1 (BMH1) (bottom) (photographs by P. Biagi).

wadi courses (fig. 1: BMH1; fig. 2, bottom). Its sandy gravely, deflated surface yielded only a few concentrations of flint artefacts, 2 net-sinkers obtained from beach pebbles, with two chipped opposite, bifacial notches along the sides, and a few discolored marine shells.

The chipped stone assemblage, chipped from small nodules of local flint (Ibrahim and ElMahi, 2000: 126) of dark yellowish brown (10 YR4/4) and dark grey (2.5 Y4/1)[(2)] colour, sometimes with thermoclastic and concassage detachments, includes one short end scraper on a microflakelet[(3)] with simple, deep, direct, denticulated retouch (fig. 3, n. 1); one nosed end scraper on a flakelet obtained with simple, deep, direct retouch (fig. 3, n. 2); one corticated flakelet with simple, deep, sommaire retouch (fig. 3, n. 3), one chisel on a thick flakelet, of type 1[(4)] (fig. 3, n. 4) and one denticulated side scraper on a bladelet-like flakelet obtained with simple, deep, direct retouch on the left side (fig. 3, n. 5).

3) Bimmah 2.

Bimmah 2 (BMH2) (GL203435) is a deflated site, very rich in flint artefacts, among which were a few copper pieces, collected from the surface in the same area where a black (organogenic) deposit and a few circular stone structures were noticed. In November 1988 the site was in danger because of the development of the neighbouring village (fig. 1: BMH2).

The flint assemblage, obtained from local flint nodules of the same variety of those of BMH1, comprises 30 complete, unretouched artefacts, which were measured to develop the

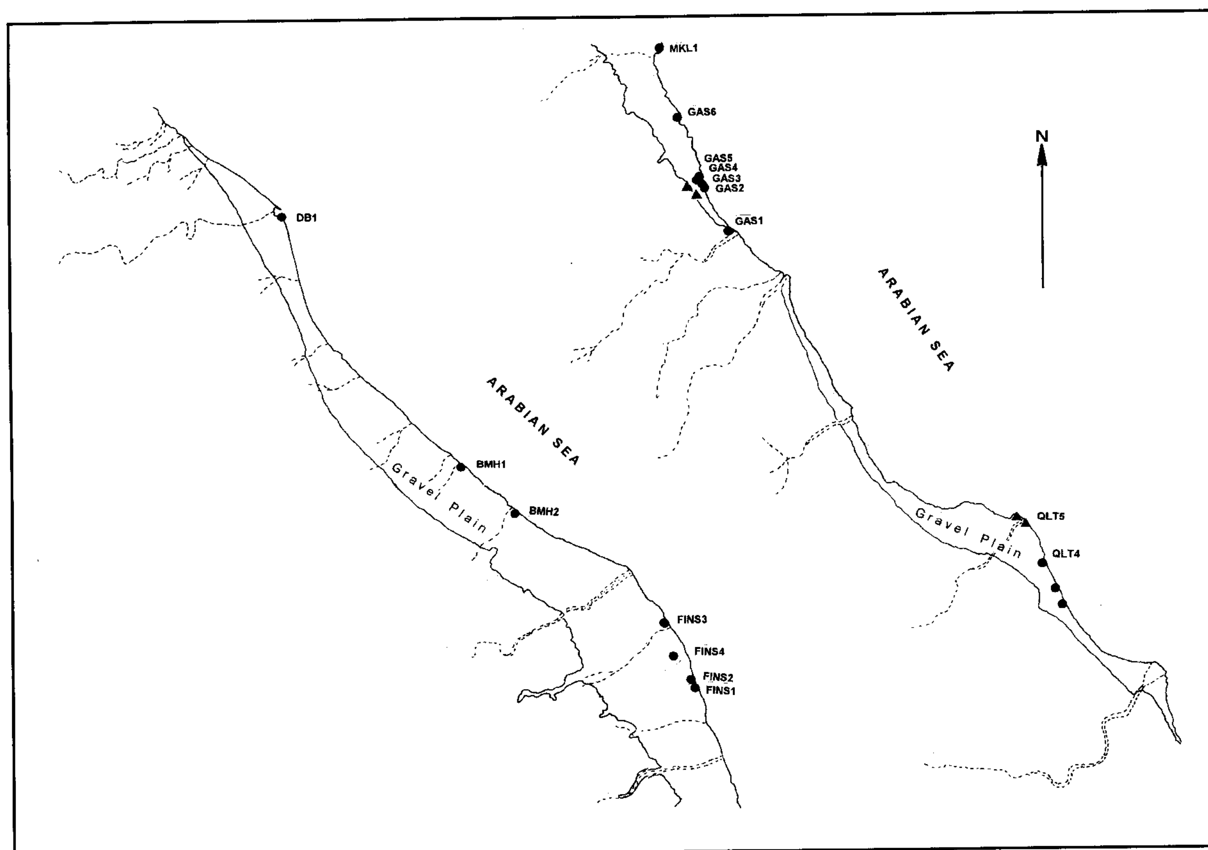


Fig. 1: Distribution of the prehistoric sites mentioned in the text, from top left, to bottom right. Shell middens and flint scatters (dots) and cairns (triangles) (drawn by P. Biagi).

Surveys Along the Oman Coast: A Review of the Prehistoric Sites Discovered Between Dibab and Qalhāt

Paolo Biagi

Abstract. *The surveys carried out by the Italian Archaeological Mission to the Sultanate of Oman in 1985-1988, led to the discovery of many prehistoric sites, along the coast between Dibab, to the north, and Qalhāt, to the south. Among these are shell-middens, flint scatters, stone structures and groups of cairns. The author describes the chipped stone assemblages collected from these sites, some of which are of great importance for a better understanding of the Early Holocene prehistory of the coast of Oman.*

Preface

This paper illustrates the results of the archaeological surveys carried out by the Italian Archaeological Expedition to the Sultanate of Oman from 1985 to 1988, along the coastal strip between Dibab and Qalhāt. Its main goal is to integrate the data already published by Biagi (1988) and Ibrahim and ElMahi (2000) on the prehistory of this region, and to provide the first detailed description of the chipped stone assemblages collected from both surface scatters and shell-midden sites.

The sites are described from north to south, according to their reference number and UTM geographic coordinates (fig. 1), as already reported by Biagi (1988: 286).Most of them have been visited several times, with the exception of those located between Tiwi and Qalhāt, which were surveyed only in November 1988. The coastline between Tiwi and Wadi Haidha did not yield any evidence of archaeological sites, most probably because of the presence of thick, alluvial, gravel deposits that characterise the area, which were formed by the wadis that flow from Jabal Bani .

The archaeological sites

1) Dibab 1.

The shell-midden of Dibab 1 (DB1) (GL108541) is located along the southern shore of the bay, at the right mouth of Wadi al Arabiyin, east of the village bearing the same name (fig. 1: DB1; fig. 2, top). It lies on a conglomerate promontory, covered with a very sparse vegetation, some 30 m long and 20 wide, which probably originated from an underwater coral barrier. Its archaeological deposit is some 50 cm thick. The finds are scattered all over the deflated, gravelly surface of the midden. Among these are flint artefacts, potsherds, pierced Columbella beads and copper fragments, as well as Anadara Uropigimelana marine shells, a sample of which has been radiocarbon-dated to 5270±60 BP (Bln-3647/I) and 5420±60 BP (Bln-3647/II)(1) (Biagi, 1994: 23).

The chipped stone assemblage, obtained from flint of brown, rarely light grey colour, and quartzite comprises some characteristic Ra's-al-Hamra-Facies types (Ürpmann, 1992), among which are chisels, one straight point and several denticulated tools, which have already been published by Biagi (1988: 273).

2) Bimmah 1.

The shell-midden of Bimmah 1 (BMH1) (GL168457) is situated on a terrace, covered with a sparse vegetation of Rhus shrubs, that faces the ocean, and is delimited by two small

Issue No. 10 July 2004
ISSN: 1319-8947 (pp. 29-50)

the Geological Survey of Egypt, No. 57. Cairo, Geological Survey of Egypt.

Race, G. J. 1968. "Identification of Iron Pigment in Ancient Nubian Bone". In F. Wendorf (ed), **The Prehistory of Nubia**, Volume 2, p. 995. Dallas, Fort Burgwin Research Center and Southern Methodist University Press. Dallas. Pp. 954-995.

Ross, M. 1983. "Political decision Making and Conflict: Additional Cross Cultural Codes and Scales". **Ethnology** 22: 169-192.

Saxe, A. A. 1966. Social Dimensions of Mortuary Practices in a Mesolithic Population from Wadi Halfa, Sudan. Paper prepared for the Annual Meeting of the American Anthropological Association.

Schild, R. and F. Wendorf 1986. The Geological Setting. In F. Wendorf and R. Schild (assemb.) and A. E. Close (ed), **The Prehistory of Wadi Kubbaniya. Volume 1, The Wadi Kubbaniya Skeleton: A Late Paleolithic Burial from Southern Egypt**, pp. 7-32. Dallas, Southern Methodist University Press.

1989. The Late Pleistocene Nile in Wadi Kubbaniya. In Wendorf, F. and R. Schild (assemb.) and A. E. Close (ed), **The Prehistory of Wadi Kubbaniya. Volume 2. Stratigraphy, Paleoeconomy, and Environment**, pp. 15-100 Dallas, Southern Methodist University Press. Dallas.

Shiner, J. L. 1968. "The Cataract Tradition'. In: F. Wendorf (ed), **The Prehistory of Nubia**, pp. 535-629. Dallas, Fort Burgwin Research Center and Southern Methodist University Press.

Street-Perrott, F. A. and R. A. Roberts 1983. "Fluctuations in Closed Basin lakes as an Indicator of Past Atmospheric Circulation Patterns". In: F. A. Street-Perrott , M. Beran and R. D. Ratcliffe (eds), **Variations in the Global Water Budget**, pp. 331-345. Dodrcht, Reidel.

Vermeersch, P. M. 2000. **Egyptian Prehistory Monographs 2**. Leuven University Press. Leuven.

Wendorf, F. (ed) 1968. **The Prehistory of Nubia, Volumes 1 and 2**. F. Fort Burgwin Research Center and Southern Methodist University Press. Dallas.

Wendorf F. 1968a. "Site 117: A Nubian Final Paleolithic graveyard near Jebel Sahaba, Sudan". In: F. Wendorf (ed), **The Prehistory of Nubia**, Volume 2, pp. 954-995. Dallas, Fort Burgwin Research Center and Southern Methodist University Press. Dallas. Pp. 954-995.

----------1968b. "Late Paleolithic Sites in Egyptian Nubia". In: F. Wendorf (ed.), **The Prehistory of Nubia**, Volume 2, pp. 791-953. Dallas, Fort Burgwin Research Center and Southern Methodist University Press.

Wendorf, F. and R. Schild 1976. **Prehistory of the Nile Valley**. Academic Press. New York.

-----------1989. "Summary and Synthesis". In F. Wendorf and R. Schild (assemb.) and A. E. Close (ed), **The Prehistory of Wadi Kubbaniya. Volume 3: Late Paleolithic Archaeology**, pp. 768-824. Dallas, Southern Methodist University Press.

Wendorf, F, R. Schild, A. E. Close and Associates 1993. **Egypt During the Last Interglacial. The Middle Paleolithic of Bir Tarfawi and Bir Sahara East**. New York, Plenum Press.

Wendorf, F. and R. Schild (assemblers), and A. E. Close (ed) 1986. **The Prehistory of Wadi Kubbaniya. Volume 1, The Wadi Kubbaniya Skeleton: A Late Paleolithic Burial from Southern Egypt**. Dallas, Southern Methodist University Press.

Wendorf, F., R. Schild (assemblers) and A. E. Close (editor) 1989. **The Prehistory of Wadi Kubbaniya. Volume 3: Late Paleolithic Archaeology**. Dallas, Southern Methodist University Press.

Wendorf, F., R. Schild, P. Baker, a. Gautier, L. Longo, and A. Mohamed 1997. **A Late Paleolithic Kill-Butchery-Camp in Upper Egypt**. Dallas, Department of Anthropology, Institute for the Study of Earth and Man, Southern Methodist University, and Warsaw, Institute of Archaeology and Ethnology, Polish Academy of Sciences.

Wilson, D. J. 1987. Reconstructing Patterns of Early Warfare in the Lower Santa Valley: New Data on the Role of Conflict in the Origins of Complex North-Coast Society. In . J. Hass , T. Pozorski and S. Pozorski (eds). **The Origins and Development of the Andean State**, pp. 56-69. Cambridge, Cambridge University Press.

ملخّص: إن أقدم الشواهد المعروفة على حالة هذه الحرب المستمرة والمنظمة، أتت من مقبرة تعود إلى العصر الحجري المتأخر، تقع على بُعد ثلاثة كيلومترات شمالي مدينة وادي حلفا القديمة، في شمال السودان. احتوت المقبرة، التي تقبع الآن في أعماق بحيرة ناصر، ٥٨ قبراً لرجال ونساء وأطفال، وقد قضى نصف هذا العدد نحبهم نتيجة للعنف. وقد حدّد القياس الإشعاعي الكربوني الوحيد، الذي خضع له عظم بشري، الزمان بحوالي ١٣,٧٤٠ عاماً قبل الوقت الراهن (قياس غير مدقق). وتستكشف الورقة أسباب هذه الحرب الأولى، لتخلص إلى أن أسبابها تعود إلى عاملين أساسيين، هما: البيئة الفريدة للعصر البلايستوسيني المتأخر لوادي النيل والصحراء المتاخمة؛ ثم احتمال ظهور العُصب الاجتماعية، الأكبر مما تحتمله الأماكن المأهولة؛ فكانت تتنافس على المصادر المحدودة.

References

Anderson, J. E. 1968. Late Paleolithic Skeletal Remains from Nubia. In: F. Wendorf (ed) **The Prehistory of Nubia,** Volume 2, pp. 996-1040. Dallas, Fort Burgwin Research Center and Southern Methodist University Press.

Angel, J. L. and J. O. Kelley 1986. Description and Comparison of the Skeleton. In: F. Wendorf and R. Schild (assemb.) and A. E. Close (ed), **The Prehistory of Wadi Kubbaniya.** Volume 1, **The Wadi Kubbaniya Skeleton: A Late Paleolithic Burial from Southern Egypt**, pp. 53-70. Dallas, Southern Methodist University Press.

Armelagos, G. J., G. H. Ewing, D. L. Greene and K. K. Greene 1965. "Report of the Physical Anthropology Section University of Colorado Nubian Expedition". **Kush** XIII: 24-27.

Banks, K. M. 1980. "Report on Site E-78-10". In: **Loaves and Fishes: The Prehistory of Wadi Kubbaniya**, assembled by F. Wendorf and R. Schild, edited by A. E. Close. Department of Anthropology, Institute for the Study of Earth and Man, Southern Methodist University. Dallas. Pp. 217-228.

Carneiro, R. L. 1970. "A Theory on the Origin of the State". **Science** 169: 733-738.

Chagnon, N. A. 1997. **Yanomamo**. Fifth Edition. Holt, Rinehart and Wilson. Orlando.

Flannery, K. V. and J. Marcus 2003. "The Origin of War: New 14C dates from Ancient Mexico". **Proceedings of the National Academy of Sciences** 100: 11801-11805.

Gillespie, R., F. A. Street-Perrott and R. Switsur 1980. "Post-Glacial Arid Episodes in Ethiopia have Implications for Climate Prediction". **Nature** 306: 680-683.

Hassan, F. A. 1974. "The Archaeology of the Dishna Plain, Egypt: A Study of a Late Paleolithic Settlement". **Papers of the Geological Survey of Egypt**, No. 59. Geological Survey of Egypt. Cairo.

Heider, K. 1991. **Grand Valley Dani, Peaceful Warriors**. Second Edition. Holt, Rinehart and Winston. Orlando.

Irish, J. D. and C. G. Turner II 1990. "West African Dental Affinity of Late Pleistocene Nubians Peopling of the Eurafrican-South Asian Triangle II". **Homo** 41.1: 42-53.

Keeley, L. H. 1996. **War Before Civilization**. Oxford, Oxford University Press.

Kelly, R. C. 2000. **Warless Societies and the Origins of War**. University of Michigan Press. Ann Arbor.

Knauft, B. 1987. "Reconsidering Violence in Simple Societies". **Current Anthropology** 28: 457-500.

Kutzbach, J. E. and F. A. Street-Perrott 1985. "Milankovitch Forcing of Fluctuations in the Level of Tropical Lakes from 18 to 0 kyr B.P.", **Nature** 317; 130-134.

Lubell, D. 1974. The Fakhurian, A Late Paleolithic Industry from Upper Egypt. **Papers of the Geological Survey of Egypt**, No. 58. Cairo, Geological Survey of Egypt.

Otterbein, K. 1989. **The Evolution of War: A Cross-Cultural Survey**. 3RD Edition. NewHaven, HRAF Press.

Phillips, J. L. 1973. "Two Final Paleolithic Sites in the Nile Valley and Their External Relations". **Papers of**

three. We infer that the large graveyards indicate the emergence of social units or polities that were composed of several residential groups. We might call these "tribelets," each of which had their own graveyard where they buried their dead. Social units of this type tend to become very competitive with each other, particularly during periods of shortage or stress. Thus it is entirely possible that Jebel Sahaba represents warfare between two or more Qadan tribelets. This would explain why both the obvious weapon artifacts and those other pieces, such as cores and endscrapers thought to have been accidentally associated with the skeletons, were Qadan types.

What were the causes of this warfare? We favor a materialist explanation, based on a specific set of causes that in many ways was unique to the Nile Valley during the Late and Final Pleistocene. The resources available to the Late Paleolithic groups in the Nile Valley were sharply limited in its availability, were highly seasonal, and at least for the marshland tubers, required extensive preparation. For most of its length between the Batn el Hajar in northern Sudan and the Qena Bend in Upper Egypt, the river flowed through a narrow canyon with high, near vertical cliffs on both sides, and a very limited floodplain. These canyon areas were not very favorable for fishing or the harvest of marshland plants, and, not surprisingly, for most of this area archaeological sites are rare. The few favorable localities were those where the canyon was broken by the then dry drainages that entered the Valley from either the east or west sides, such as the Khor Musa at Wadi Halfa, Wadi Tushka and Wadi Kubbaniya in Egyptian Nubia, and Kom Umbo, Idfu, Esna, and Wadi Qena in Upper Egypt. Numerous Late Paleolithic sites containing abundant fish bones and grinding stones for crushing the tubers occur in all of these reentrants. If people were going to live in the Valley, they would have to spend most of their time in these areas where the floodplain was wider.

Although there are no other well preserved skeletal remains available from the Nile Valley that relate to the period between the Kubbaniya and Sahaba burials, there is strong evidence that the hyperarid conditions continued unbroken in this part of Africa from well before the period of the Kubbaniya burial through the interval when the Sahaba graveyard was in use. Furthermore, the presence of diverse entities throughout this entire period is well documented. It seems reasonable to infer that it was the combination of these two factors that made warfare inevitable for both the people at Kubbaniya and those at Jebel Sahaba. Thus, during all of the Late Paleolithic, and perhaps before, those living in this area faced the same social setting and the same environmental limitations as those confronted by the people who used the graveyard at Jebel Sahaba. One should not be surprised, therefore, if evidence of warfare and conflict are found when other Late Paleolithic skeletal remains are discovered in this area.

Fred Wendorf: Department of Anthropology - Southern Methodist University - Dallas, TX 75275 USA - e-mail: fwendorf@mail.smu.edu
Romuald Schild : Institute of Archaeology and Ethnology- Polish academy of Sciences - Al. Solidarnosci 105 - 00-140 Warsaw, Poland.
e-mail: rschild@archeolog.iaepan.edu.pl

societies (Keeley 1996: 3-24). Several studies of the ethnographic literature indicates that there is a continuum of violence that ranges from carefully orchestrated battles designed to result in minimal injuries or deaths, to raids by small groups to gain wealth or women, to full-scale battles with the goal of exterminating or subjugating a competing group (Heider 1991; Chagnon 1997; Flannery and Marcus 2003). To some, any violence between two social entities is warfare (Wilson 1987). Others are more restricted in their identification of what constitutes warfare. Rather than add to that discussion, for our purposes here warfare is defined as armed conflict between societies with the goal of either exterminating the enemy group, driving them away, or subjugating them and acquiring their resources. In this definition, warfare differs from raids and killing of an individual in a conflict that involves only one or two people, or at most a very small sub-unit of a group.

The burials at Jebel Sahaba with two group burials of four, and in one instance possibly with eight individuals interred at the same time and with multiple wounds, suggest an organized conflict that was designed to inflict maximum mortal causalities on an opposing social unit. In addition, if the Sahaba graveyard was not restricted to those who died violently, then the frequency of violent deaths among all age groups and both sexes were so high that the survival of the group was seriously in doubt. This clearly represents vicious, sustained, long-term warfare, as defined above.

The evidence from Wadi Kubbaniya is not as persuasive as that from Jebel Sahaba. It is clear that there was conflict at Kubbaniya, that it continued for some period, and that the goal was to kill the enemy. What is missing is any evidence that it involved more than a small group, or even only another individual. It could have been warfare, but the evidence is weak.

The sequence of injuries to the Kubbaniya skeleton suggests either that this was a very disagreeable individual who kept picking the wrong enemies, or, more likely, as at Sahaba, that this was also a period of sustained, even continuous conflict at Kubbaniya. Unlike Sahaba, where there were two very different entities in the Halfa area at about that same time, the Fakhurian is the only entity known to be present at Kubbaniya at the time of the burial, assuming the age estimate is correct. If it was a few thousand years later, however, then the most recent of the Fakhurian sites, according to the radiocarbon dates, may have overlapped with the earliest Kubbaniyan, the next later entity recorded in the Wadi. For the period immediately prior to the Fakhurian, there is no information from Wadi Kubbaniya of any other entity being in the area. That does not say they were not present, only that no sites were found.

Although the simultaneous presence of two different social entities provides an obvious setting for friction, conflict does not require that the combatants be from units with different cultural backgrounds. With a population at or near the maximum that can be supported by the available resources and technology, any decline in those resources will result in tension and probably conflict.

There is still another possible explanation for the conflict evident at Jebel Sahaba. As was noted earlier, several large graveyards attributed to the Qadan entity are known, but prior to the Qadan the known burials are rare, but more important, they consist of single individuals or a group of no more than

niya.

The Cultural Setting. The only area in the Nile Valley for which there are detailed studies of the Late Paleolithic is from the Second Cataract on the south to the Qena Bend on the north. Within this stretch of the River numerous archaeological entities have been identified and defined for the interval between around 23,000 and 13,000 calibrated radiocarbon years ago. While some might challenge whether all of these entities represent different social groups, there is, nevertheless, strong evidence to support that conclusion. All of these entities occur within limited time spans, they are found in restricted geographic areas, they are known at more than one site, they are not special activity localities, but living sites, and each entity is distinguished from the others by a distinctive set of lithic tools, and in some instances, by a different technology. It seems likely that each entity reflects a unique lifeway, and represents a group with a distinctive cultural tradition. It is also interesting that there is almost no evidence to suggest a long developmental sequence from one entity into another. The tools that distinguish one entity are rarely found in sites of a later complex.

This plethora of entities, often referred to as "industries," comes as a surprise to those familiar with the archaeology of most other areas, such as Europe or Southwest Asia, where long continuity is the norm in the Late Paleolithic. In those areas cultural developments often can be traced through an extended period of time and over a large area. Not so in the Late Paleolithic of the Nile Valley. Whether it is the Second Cataract/Ballana/Tushka areas on the south (Wendorf 1968), Wadi Kubbaniya in the center (Wendorf et al. 1989), or Isna/Qena/Dishna to the north (Phillips 1973; Lubell 1974; Wendorf and Schild 1976; Hassan 1974; Vermeersch 2000), the story is the same: within a period of 9000 to 10,000 years, beginning around 22,000 - 23,000 years ago, each area was occupied by entities representing social units that had very different cultural traditions from those in adjacent areas.

For example, and without going into the details of the typology and technology, the lithic assemblages at Wadi Kubbaniya during this interval represent seven very different entities. The sequence begins with the Fakhurian as the oldest, then the Kubbaniyan, followed by the Ballanan-Silsilian, the Afian, the Sebilian, the Isnan, and the Qadan. Some of these may have partially overlapping time ranges, as indicated by their radiocarbon dates (Fakhurian and Kubbaniyan; Ballanan and Afian), or have both closely similar dates and stratigraphic positions (Sebilian, Isnan and Qadan). While all of these occurred at Kubbaniya, some of them are known mostly to the south (Qadan), while others are found mostly to the north (Fakhurian and Isnan). In this setting, as elsewhere along the Nubian Nile in Egypt and Sudan, we find different entities with overlapping distributions and time ranges occupying the most productive localities in an area that otherwise had very limited resources.

Was it Warfare?

The question of what is warfare and how to distinguish it from other forms of violence, such as murder and raiding, has been discussed in many books and articles but never really resolved (Ross 1983; Knauft 1987; Otterbein 1989; Keeley 1996; Kelly 2000). It is clear from modern ethnographic studies that the idea of the peaceful, noble savage is a myth. Conflict is a near universal phenomenon among all social groups, except for a few of the smallest and most isolated

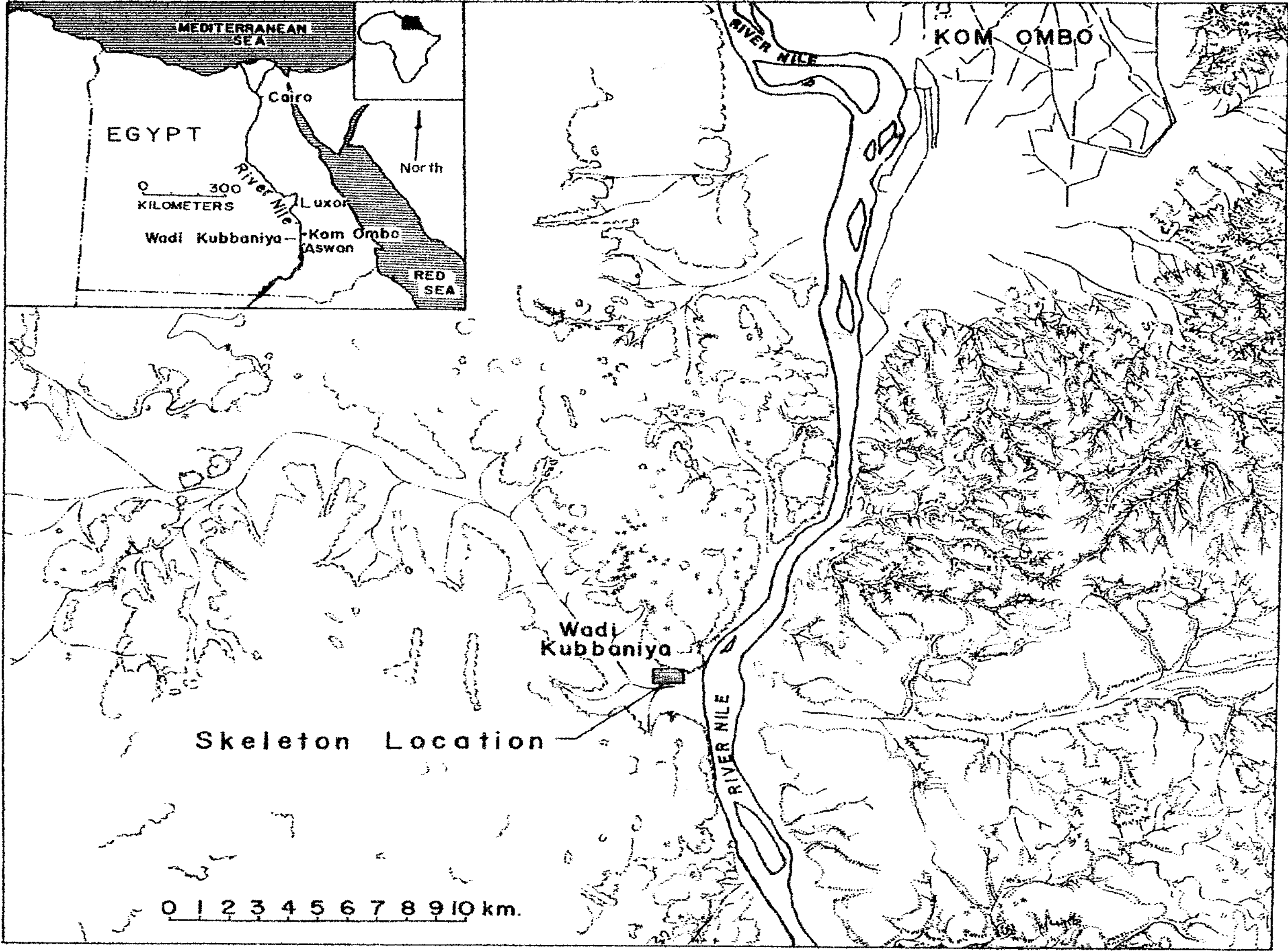


Figure 16. Map of the Nile Valley north of Aswan, showing location of Wadi Kubbaniya.

ments, however, even the floodplain in Nubia had a limited carrying capacity, as is indicated by the paucity of animal species present, the kinds of food that were eaten by the Paleolithic people, and the concentration of their sites in a few favorable localities.

Details of the food economy of some of the groups who lived in this area are known in considerable detail, thanks to the preservation at the sites excavated in Wadi Kubbaniya (Hillman et al. 1989). The major game animals were wild cattle, hartebeest, and gazelle, and occasionally, hippo. Crowded to the edge of the floodplain by the rising water, the cattle, hartebeest, and gazelle were heavily hunted during the seasonal flood (Wendorf et al. 1997). For the rest of the year they were occasionally taken, but there is no evidence that large animals were an important source of food at Kubbaniya.

In the embayment of Wadi Kubbaniya fishing was a major economic activity, particularly during the spawn that occurred in the early phase of the flood (Gautier and Van Neer 1989). Fishing was also important at the cutoff pools during and immediately after the retreat of the flood. During both periods fish were taken in large numbers, some had their heads removed and the remainder of the fish taken elsewhere, and some appear to have been smoked for later consumption. Good fishing areas, however, were limited to embayments, where the spawning fish would congregate, leave their eggs, and later the hatchlings could feed on the then submerged vegetation of the floodplain.

In the late fall, after the floodplain fishing was over, the Kubbaniya people turned to wetland tubers as the major food resource. These tubers, however, required considerable effort to collect and process for human consumption. Nut grass tubers grew abundantly on the floodplain flats, and typha occurred in the numerous ponds after the flood. Both plants were collected in large quantities, and when mature both also had to be processed before they could be eaten. This consisted of roasting to remove the toxins, and grinding to break the fibers. The tubers, however, were abundant in only a few localities, and today the numerous grinding stones in most of the sites that occur there identify these areas.

In the fall and winter they also took large numbers of ducks and geese. Near the end of winter and through the spring, however, food resources must have been very limited. The major sources for food at that time were limited to some fishing in the main channel, and collecting dom palm nuts and shellfish, neither of which were very abundant or rich sources of energy.

It is suggested that the inhospitable deserts that sharply bounded the Valley on both the east and west sides were a contributing factor in the emergence in warfare during the Late Paleolithic along the Nile. Because of the deserts, the people were sharply circumscribed on both the east and west sides of the floodplain, and by their neighbors both upstream and down. Food was abundant in the embayments during the summer, fall and early winter, and during these periods there is good evidence that groups sharing a similar lifeway congregated in these favored areas. From late winter until the onset of the summer flood, however, there was much less food, and during that period it seems likely that the groups dispersed to exploit whatever resources were available. There may have been serious competition for food, and this competition may have led to the conflict documented by the burials at Jebel Sahaba and Wadi Kubba-

if not longer. There was a healed parry fracture of the right ulna, and a more recent event represented by a small chip of stone embedded in the left humerus and partially healed. This, together with the evidence of prolonged if not continuous hostility at Jebel Sahaba, suggests that sustained conflict also may have existed at Wadi Kubbaniya several thousand years prior to that recorded at Jebel Sahaba. What were the factors that contributed to this conflict? Were they the same for both Kubbaniya and Sahaba?

Why Did the Conflict Occur?

We propose that two factors were the primary causes of the sustained conflict seen during the Late Paleolithic in the Nile Valley: a very restricted environment that confined the people in an area with limited resources; and packing of the area by a variety of cultural entities. Unable to move when other groups encroach, because of the deserts on both sides of the river, and the packing in the best areas by other groups both upstream and down, their only option was to fight.

The Environmental Setting. During Oxygen Isotope Stages 2, 3 and 4, from about 65,000 to 12,000 years ago, northeastern Africa was hyperarid. This included the Nile Valley and the adjacent deserts of northern Sudan and Egypt (Wendorf et al. 1993). The Eastern Sahara during this period appears to have been devoid of life, there is no evidence of vegetation, animals or people.

It was also drier in the headwaters area of the Nile, and many of the lakes in Central and East Africa contained little or no water (Gillespie, et al. 1980; Kutzbach and Street-Perrott 1985; Street-Perrott and Roberts 1983). The prolonged drought in East and Central Africa must have had a profound effect on the people living there. As a consequence, some groups might have moved to the Nile where permanent water was available, forcing those who were already there to move farther north, to be repeated again and again in a chain-like sequence moving downstream to Nubia in northern Sudan and southern Egypt.

With less rainfall, the Nile was much smaller, perhaps around 20 percent of today, and flowed as a braiding and aggrading stream rather than the massive river of today (Schild and Wendorf 1989; Wendorf and Schild 1989). It was also a period of colder temperatures, of glacial advance in the higher latitudes of Europe and North America, and in the mountains of East and Central Africa. Because of the colder temperatures, the tree line was lower, there was less vegetation, and more frost action than today. Despite the general aridity, there were seasonal rains, probably in the summer as today. As a consequence of the frost action and the limited plant cover, the runoff water from these seasonal rains carried a heavy sediment load, which was deposited downstream in Sudan and Egypt where the Valley was filled with silt, to an elevation of 30+ m (at Wadi Halfa) and 20+ m (at Aswan and Wadi Kubbaniya) above the modern floodplain.

During this long period of hyperarid climate, with lifeless deserts bounding this smaller Nile on both sides, the only place where people could live was in and along the Nile floodplain. Beyond the edge of the then floodplain there was only desert, lacking water and devoid of life. Not surprisingly, there are no traces of human settlement anywhere in the desert during this entire interval, although there are numerous sites on the floodplain that were occupied at this time. Despite the presence of numerous human settle-

ton found near the mouth of Wadi Kubbaniya, about 10 km north of Aswan, adds another dimension to our discussion of conflict and warfare among Late Paleolithic groups in the Nubian Nile Valley (Wendorf et al. 1986). When first seen, the skull and the lower limbs of the Kubbaniya skeleton were exposed on the surface, but the rest of the skeleton was embedded in a rock-hard, carbonate cemented block of sediment eroding from a high remnant of the Middle Paleolithic Valley Fill (Schild and Wendorf 1986). At an elevation of ca. 105 m asl, and some 15 m above the modern floodplain, the eroded remnant of these upper Middle Paleolithic silts record an interval of silt accumulation that is believed to have begun after the Last Interglacial, perhaps between 70,000 and 65,000 years ago, and ended between 50,000 and 40,000 years ago. Several late Middle Paleolithic sites of that age occur in these silts near the burial. The outline of a burial pit or trench was noted when the skeleton was first discovered, but largely because of the firmly cemented sediments in the pit, it was thought that the skeleton might be of Middle Paleolithic age. That idea was rejected, however, when during cleaning of the skeleton in the laboratory two lightly retouched opposed platform bladelets were discovered inside the abdominal cavity, against the lumbar vertebra.

It was concluded that the skeleton was resting in a pit that had been dug into the eroded top of the Middle Paleolithic silts, and that carbonate brought in by seasonal flooding during the early Late Paleolithic had cemented the sediments of the pit. There are no associated radiocarbon dates, but during the work at Wadi Kubbaniya, the Late Paleolithic sedimentary sequence in the Wadi was studied in minute detail, and dated with a large suite of radiocarbon measurements. This dated stratigraphy and the typology of the bladelets suggest that the burial occurred after 30,000 and before 20,000 years ago, and was probably between 24,000 and 22,000 calibrated radiocarbon years old (Schild and Wendorf 1986; Wendorf and Schild 1986: 73-74).

Apparently an isolated occurrence, there is no evidence for a nearby contemporary settlement, however, the area between the burial and the river had been so extensively eroded that any traces of such an occupation would have been destroyed. The skeleton was a strong, young adult male, between 20 and 25 years old, that had been placed in the pit, extended on its stomach, face down, with the head to the east and arms to the side. The position of the legs is not known, but the proximal portion of the right femur suggests that the legs were extended. A face-down extended position is not common among Late Paleolithic burials, but is not unknown. It was used on Burial 29 at Jebel Sahaba (although one leg of that burial was semi-flexed). The early Upper Paleolithic skeleton at Nazlet Khater was extended, but face up (Vermeersch et al. 1984: 283), as were also three of the Wadi Halfa skeletons (Saxe 1966: 6). At Jebel Sahaba the strongly preferred position was on the left side with head to the east.

Either of the two bladelets found in the abdominal cavity could have caused fatal hemorrhage. Both of the bladelets were on the left side, one between the ribs and the lumbar vertebra at the abdominal aorta, and the other near the left kidney and aorta (Angel and Kelley 1986: 62). Both bladelets had apparently entered the body from the back.

This individual had been in at least two other likely conflict situations, each separated from the others by at least several months,

placed on the right side; four were on their backs, one of which had the head to the northwest, facing southeast. One old adult male (Burial 29, Fig. 12) was on the stomach, head to the east, and face down. Nine burials had their heads to the southeast, and one head was to the northeast. There does not appear to be any correlation between burial position and age, sex or signs of trauma. Burial 29, the one on his stomach, had seven associated pieces. Two of the burials with the highest number of associated artifacts (Burials 21, a middle age male with 19 pieces, and 44, a young adult female with 21 pieces) were both placed like the majority, on left side, head to east, facing south. The burial with the next highest number of associated artifacts (Burial 31 with 17pieces), an old adult male, was placed on his back, head to the northwest, and facing southeast.

The fact that there are large graveyards is of interest, because all earlier (pre Qadan) burials in Nubia occur as an individual or a group of two or three skeletons. Since Qadan sites are not significantly larger than those of earlier entities, why then, did they start burying their dead in large graveyards? A reasonable explanation is that the shift to large burial areas reflects a change in organization toward a social unit larger than the residential band. If this is true, the Sahaba graveyard probably was used by several different residential groups. Furthermore, that only one of the three large graveyards had significant evidence of violence supports the possibility that all of the burials at Jebel Sahaba were individuals who died violently, and that the associated artifacts in the non-violent burials at Sahaba were missed during the excavations. If so, group survival was not threatened by the high frequency violent deaths, because the Sahaba skeletons were drawn from a population larger than that evident at the Sahaba graveyard.

If Sahaba was not a graveyard restricted to individuals who died violently, then the high incidence of conflict would undoubtedly represent an abnormal situation that no group could long endure. It seems likely that a mortality rate of this extent, involving both the children and productive females, would lead to the extinction of the group if continued for more than a few generations. Normal mortality rates for hunting and gathering groups range from 12 percent to 20 percent for adolescents, and from 35 to 70 percent for young adults (Saxe 1966).

There are several lines of evidence to indicate that the violent deaths at Jebel Sahaba did not occur in a single battle, but represented many conflicts over a considerable period of time. This is well illustrated by the stratigraphic positions of the burials, several of which were clearly disturbed by pits dug for the placement of later burials. Also, the disturbed articulation of the earlier burials indicates that enough time had passed for decay to occur before the older body was disturbed.

Additional evidence of sustained violence may be indicated by the healed or almost healed "parry" fractures of the ulna and/or radius on six burials (Nos. 8, 10, 20, 26, 29, 34; Fig. 13). While parry fractures can occur accidentally with a bad fall or during "stick fighting," in this context it seems more likely that they occurred while blocking a blow during a fight. Two of these (Burials 8 and 10) did not have associated artifacts. These suggest that conflict was not a rare event, but may have been a routine, perhaps continuous, part of life during the period the Sahaba graveyard was in use.

The Kubbaniya Skeleton

A very interesting, nearly complete skele-

Burial No.	Age	Sex	Comments
1	Unkn.	?	Fragments of skeleton, most removed by erosion
3	Unkn.	?	Only femur and humerus present
4	Middle	F	Central section removed by erosion
5	Middle	M	-----
7	Middle	F	-----
11	Unkn.	M	Disarticulated long bones only (bundle? or disturbed by Burials 13 and 14?)
16	Old	F	-----
18	Old	M	-----
19	Old	M	-----
22	Middle	F	-----
30	Unkn.	?	Disarticulated femurs and fibula, possibly disturbed by later group burial.
32	Unkn.	?	Disarticulated leg bones ongy, disturbed by Burial 26
36	Young	F	-----
39	Middle	M	-----
40	Young	M	-----
41	Young	M	-----
43	Unkn.	F	-----
46	Unkn.	?	Fragment of skull ongy
36	Unkn.	M	Position f hand suggests right wrist possibly broken
36	Unkn.	M	Artifacts found in fill, possibly associated
36	Unkn.	?	Only fragments of bone
36	Unkn.	F	Cranium only, probably belongs to Burial 107
36	Young	F	Cranium missing, probably Burial to 104 cranium

Table 4. Jebel Sahaba Graveyard: Adults Without Associated Artifacts or Other Evidence of Trauma.

Wadi Halfa, was a graveyard with 39 skeletons of probable Qadan association (Armelagos et al. 1965), and farther down stream at Tushka, north of Abu Simbel, was another graveyard with 19 Qadan burials (Wendorf 1968b). Except for one skeleton with an associated lithic artifact in the west bank Halfa graveyard, none of these show evidence of violence.

Most of the Sahaba burials were interred on the left side, head to the east, facing south, hands to the face, and knees flexed with heels to or near buttocks. There were, however, a variety of exceptions. One was



Figure 13. Healed "parry fracture" of left ulna, Burial 8 at Jebel Sahaba graveyard.

There appears to be no significant distinction between males, females and children in their exposure to violent death, evidently all members of the group were involved in conflict, not just the adult males (Table 1). The actual frequency of violent death among the burials in this graveyard is probably even higher, because eight of the burials with no associated artifacts (Nos. 1, 3, 4, 11, 30, 32, 46, and C-1) all consisted of a few disarticulated bones or a skullcap, and either had been disturbed by later graves, or were partial bundle/ secondary burials (Table 4). If these fragmentary burials were removed from the adult totals, the frequency of skeletons with associated artifacts would approach or exceed 50 percent among both adult males and females. An even higher frequency for violent deaths would result if the totals were further adjusted to include those burials where no associated artifacts were found, but where there were cut marks on the upper part of a femur (Burials 6 and 15). In addition, several of the skeletons (Burials 8, 10, 20 and 43), only one of which (no. 20) had associated stone artifacts, displayed prominent dark areas that were identified as blood stains from old hemorrhages and were the result of the breakdown of hemoglobin (Race 1968).

While there is no way to determine if the Sahaba graveyard records intra-group conflict between units of the Qadan community, or if the fighting was with some other entity (such as the Sebilian, which was partly contemporary and also occurred locally), we do know that Sahaba was not the only graveyard associated with the Qadan entity. Across the river, on the west bank opposite

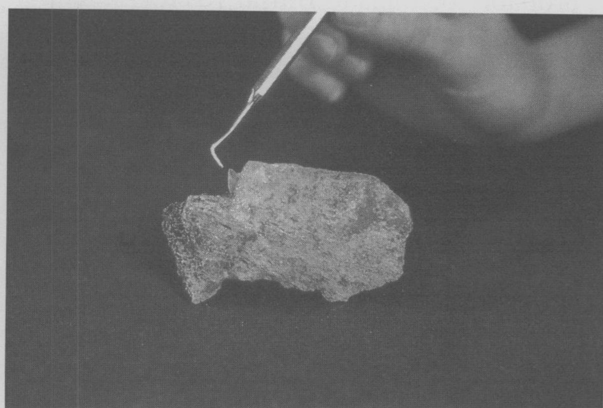


Figure 14. Chip embedded in the ilium of right pelvis, Burial 21, Jebel Sahaba graveyard.



Figure 15. Chip embedded in left pubic symphysis of Burial 31, Jebel Sahaba graveyard.

Burial No.	Est. Age	Sex	Associated Artifacts	Other trauma
6	Unkn.	M	-----	Cut marks on rt. femur
8	Old	F	-----	Healed parry fracures, left and right ulna
10	middle	M	-----	Recent healed parry fractures left ulna & radius
15	middle	?	-----	Cut marks, left femur
17	middle	M	One	-----
20	middle	M	Six	Healed fracture, right humerus
21	middle	M	Ninteen, two embedded in pelvis, left and rt. ilium	Cut marks, left and rt. femur, left humerus
23	middle	F	Three, one embedded in lumbar vertebra	-----
25	Old	M	One (probable) near leg	-----
26	Middle	F	Five	Healed parry fracures, left & ulna; trauma in thoracic area
28	Middle	F	One, inside skull	-----
29	Old	M	Seven	Cut marks, left femur
31	Old	M	Sevnteen, two embedded one in public symphysis, one in vertebra	Green fracture, left humerus
33	Middle	F	Eight	Notches, right ulna & radius, where point passed through
34	Young	F	Two	Healed parry fracture, right ulna
35	Unkn.	?	Six	-----
37	Middle	F	One	Cut marks, right femur
38	Middle	M	One	-----
42	Middle	M	One	-----
44	Young	F	Twenty-one	Healed fracture, left clavicle
45	Unkn.	F	One	-----
102	Middle	F	One	-----
103	Young	?	Two, one embedded in thoracic vertebra	-----
106	Young	M	One	-----

Table 3. Jebel Sahaba Graveyard: Adults with Artifacts or Other Trauma.

marks on the proximal end of the left femur (were the cut marks from sexual mutilation?). The frequency of violent death among the children was probably even higher, because among the seven remaining burials without associated artifacts, three (Burials 2, 27, and C-2) were poorly preserved clusters of bone scraps. If these three were omitted from the total, the frequency of violent death among children would rise to 50.0 percent.

Among the adult burials, several skeletons display clear evidence of vicious fighting. An example is a group of four individuals buried together (Burials 26, 27, 29, and 31), two old males (Fig. 12), an adult female, and an infant. They had a total of 30 associated lithic pieces, five with the female, and 8 and 17 with the two males. Only the infant had no associated artifacts. The full intensity of the fighting is evident from the position data for the 17 artifacts associated with Burial 31: a) retouched microlithic point inside right chest cavity, adjacent to vertebra; b) retouched microlithic flake inside left orbit; c) unretouched microlithic flake in joint of right scapula and humerus; d) J-shaped geometric resting on left ilium); e) backed microlithic flake in right chest cavity; f) unretouched chip next to proximal end of left humerus; g) backed microlithic flake between left tibia and fibula; h) backed flake on right ilium; i) backed flake on right ilium; j) arch backed fragment (lunate?) on right ilium; k) unretouched chip on right side of thoracic vertebra; l) retouched flake on left side of thoracic vertebra; m) backed and truncated flake in lumbar vertebra just above pelvis, entered from front; n) unretouched flake in lower part of left rib cage, next to vertebra; o) fragment of backed flake against right side of thoracic vertebra; p) chip embedded in thoracic vertebra; and q) chip embedded in right pubic symphysis, entered from left side (Wendorf 1968a: 973-974). Clearly, they intended to kill him, but possibly not too quickly, and the pelvic area seems to have been a favorite target (Figs. 13-15).



Fig. 12. Burial 29 at Jebel Sahaba graveyard placed on top of a group burial of from 4 to 8 individuals.

The group of four noted above was not exceptional (Table 3). Burials 20 and 21 were a group of two middle age males with a total of 27 pieces either embedded or abutting against the bones. Burial 21, with 19 associated artifacts, was also repeatedly cut on both upper legs and upper left arm. Another pair, Burials 23 and 24, an adult female and a child, both had associated pieces, the child had a flake in the cervical vertebra, and the adult had three chips, one embedded in a lumbar vertebra, and two in the upper chest.

Burial No	Est. Age	Associated Artifacts	Other Trauma
2	11 years	-----	-----
9	3-5 years	-----	-----
12	7 years	-----	-----
13	12 years	Two, one at base of skull	
14	7 years	Three, one at base of skul-lone at back of mouth, one inside skull	cut marks on left femur
24	10 years	one, with cervical vetebra	
27	infant	-----	-----
47	6 years	Onem inside skull	-----
C-2	6 years	-----	-----
100	7 years	-----	-----
101	5 years	-----	-----

Table 2. Jebel Sahaba Graveyard: Infants and Children

been classified as a "truncated piece," since the burin spall may have been accidental. Most of the remaining artifacts, however, must be regarded as weapons, in spite of the variety of tool "classes" represented. Obviously, the system of descriptive classification employed has very little reality in terms of probable use.

None of these were "grave goods" in the sense of materials left with the deceased for use in after life, but were parts of projectiles and other weapons that, at least in most instances, were directly responsible for the death of the individual. Most (81 percent) of the artifacts were made on chert, with petrified wood and quartz distant second and third among the preferred raw materials. Almost half of the associated artifacts were unretouched flakes and chips, some of them naturally pointed, but most were only small pieces with sharp edges. In a normal assemblage all of these flakes and chips would be classified as debitage or debris, and none would be considered tools. Yet many of these pieces were recovered in positions where their use as parts of weapons is irrefutable. They were found embedded in several bones, inside skulls, and in many positions where any other explanation seems unreasonable.

Apparently, violence was a common event in Nubia at this time, or at least among this group. There appears to be no significant distinction between males, females and children (Table 1). There were eleven children in the group (infant to 12 years age; Table 2). Four of the children (36.4 percent) had artifacts directly associated, and of these three had pieces embedded between the skull and the cervical vertebra, "assassination style" (Burials 13, 14 and 24). The fourth (Burial 47) had a flake inside the skullcap. Two of the assassinated children were buried together, and both had additional associated pieces, including Burial 14, which had a piece at the back of the mouth, and a chip inside the skull. The same child also had cut

Group	Total in Group	No. with Artifacts	% of Sex-Age Group
Children	11	4	36.4
Female, adult	20	9	45.0
Male, adult	20	10	50.0
Adult, sex unknown	7	1	14.3
Total	58	24	41.4

Table 1. Jebel Sahaba Graveyard: Distribution of Artifacts by Age and Sex Groups (from Wendorf 1968: 993)

burials and in probable association with two others (Figs 10 and 11). The associated artifacts also include six stone chips that were found embedded in the bones of five of the skeletons. In addition, 73 similar lithic artifacts were recovered from the fill around the skeletons. Many of these probably had been with the skeletons, but were not found until the screening of the back dirt. Although their direct association could not be confirmed, it is significant that there is no evidence of a nearby settlement from which these artifacts could have been derived.

A variety of tool types are represented among the artifacts recovered with the skeletons. They include burins, notched pieces, truncated pieces, backed pieces, pieces with continuous retouch, scrapers, points, cores, and unidentified retouched fragments. Some of these may not have been weapons, as for example, the scrapers and cores. Also, some of the burins may be fortuitous. One "burin" was found embedded in the acetabulum and was definitely a weapon point. It might have

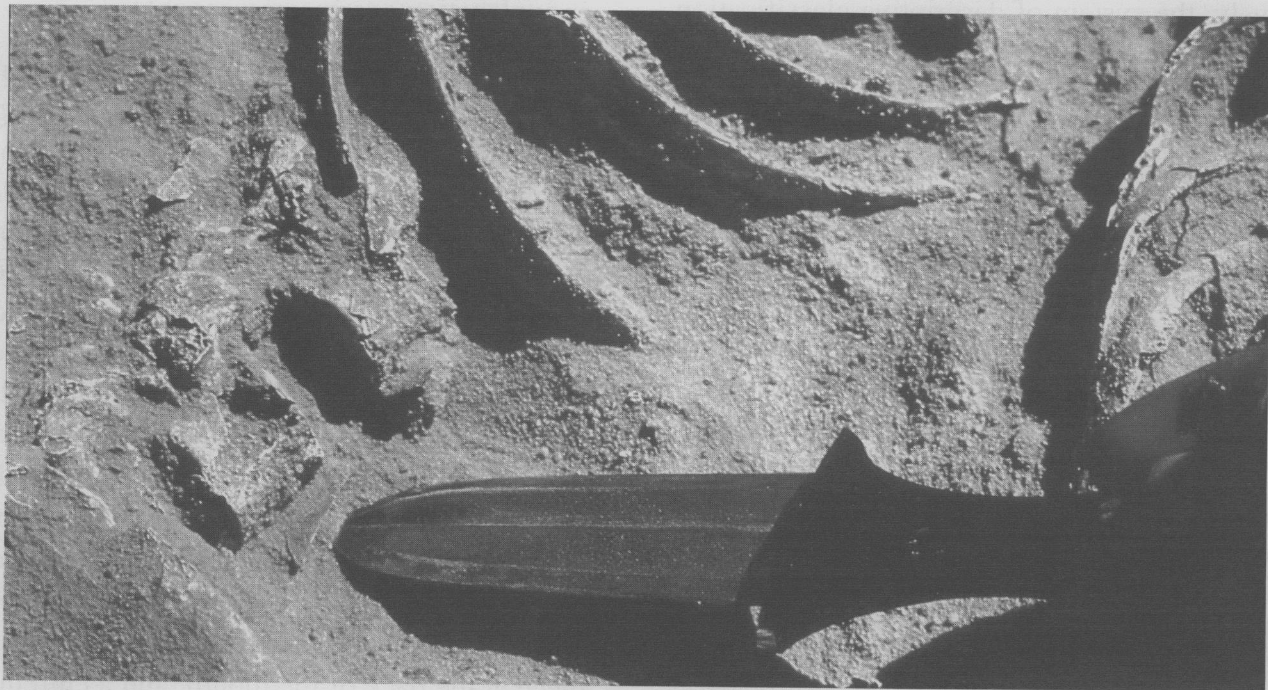


Figure 11. Jebel Sahaba graveyard. Knife points to stone artifact between lumbar vertebra.

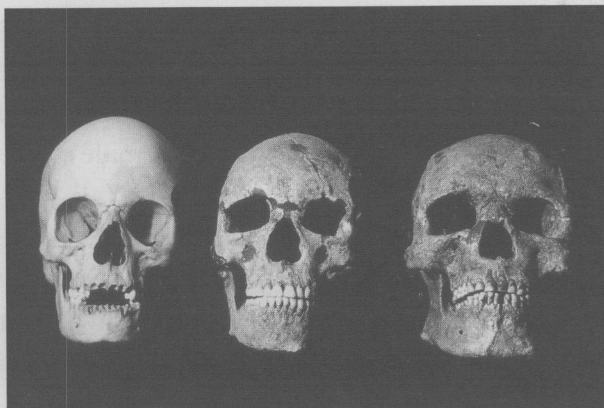


Fig. 7. Two mandibles from Site 117 near Jebel Sahaba. Left, female; right, male. Note pronounced gonial eversion on male.



Figure 8. Two skulls from Jebel Sahaba graveyard (right, male; center, female) with recent Nubian skull (left).

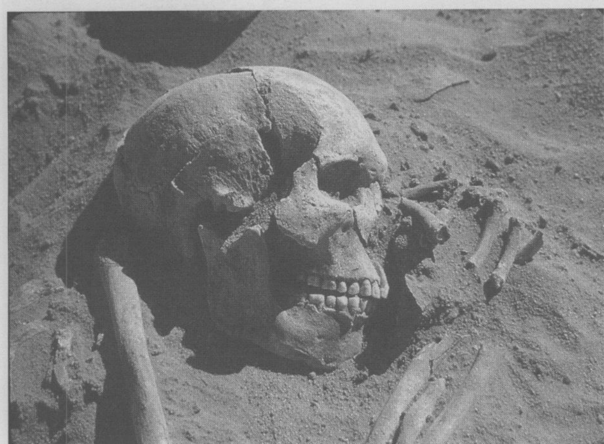


Fig. 9. Site 117, Jebel Sahaba, Burial 17, adult male. Note pronounced mid-facial prognathism.

is the associated artifacts. These are closely similar to those recovered from sites assigned to an entity named Qadan, and known from many localities in the vicinity of the Second Cataract (Shiner 1968), and northward from there to Wadi Kubbaniya (Banks 1980). The Qadan is not well dated, but there are several associated radiocarbon dates ranging from 16,500 to 14,000 cal. BP, with most dates (and the stratigraphic evidence) suggesting that many of the Qadan occupations were near the more recent end of that range (Wendorf and Schild 1989: 814-816).

One of the most interesting features of the Sahaba graveyard is the evidence that many of the burials are individuals who died violently (Table 1). There were 116 flaked stone artifacts in direct association with 24 of the



Figure 10. Burials 20 (on left) and 21 at Jebel Sahaba graveyard. Points of pencils mark positions of associated artifacts.

size and their pronounced gonial eversion (Figs. 8 and 9), particularly in the males (Anderson 1968). Recent comparison of genetic landmarks on the dentition of the Sahaba material indicates that while they are superficially similar, they are very different from the Mechtoids of northwest Africa, and have a close resemblance to modern African Sub-Saharan populations (Irish and Turner 1990).

There is a complication concerning the number of burials excavated at Jebel Sahaba. One of the burials (No. 107), an old female, was complete except for the skull, but nearby was a skull without a body (No. 104). It is highly likely that the two go together, and they are combined as one burial in this discussion, resulting in a total of 58. The Sahaba burials include 11 infants and children, and 47 adults, of whom 20 are females, 20 are males, and 7 whose sex could not be determined. Eight are young adults (4 female, 3 male, and 1 unknown), 19 are "middle adults" (10 female, 8 male, 1 unknown), and eight are old adults (3 female, 5 male). The age of 12 of the adults is unknown (all fragmentary skeletons). The distribution by age and sex in this skeletal assemblage probably does not mirror the population from which it was drawn, because the age distribution seems skewed, with too few children, adolescents and young adults.

Located above the highest flood levels of the Late Pleistocene Nile, there was no strong stratigraphic evidence to indicate the age of the graveyard. There is, however, a single radiocarbon age determination of 13,740 bp + 600 years (Pta-116) on collagen extracted from Burial 43. The calibrated age would be between 15,000-15,500 BP. Another indication of a Final Pleistocene age for the burials

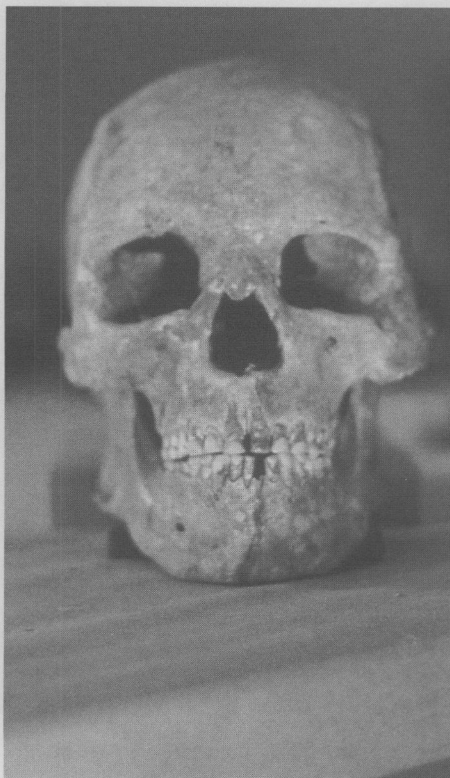


Figure 5. Front view of male skull from Site 117 near Jebel Sahaba.

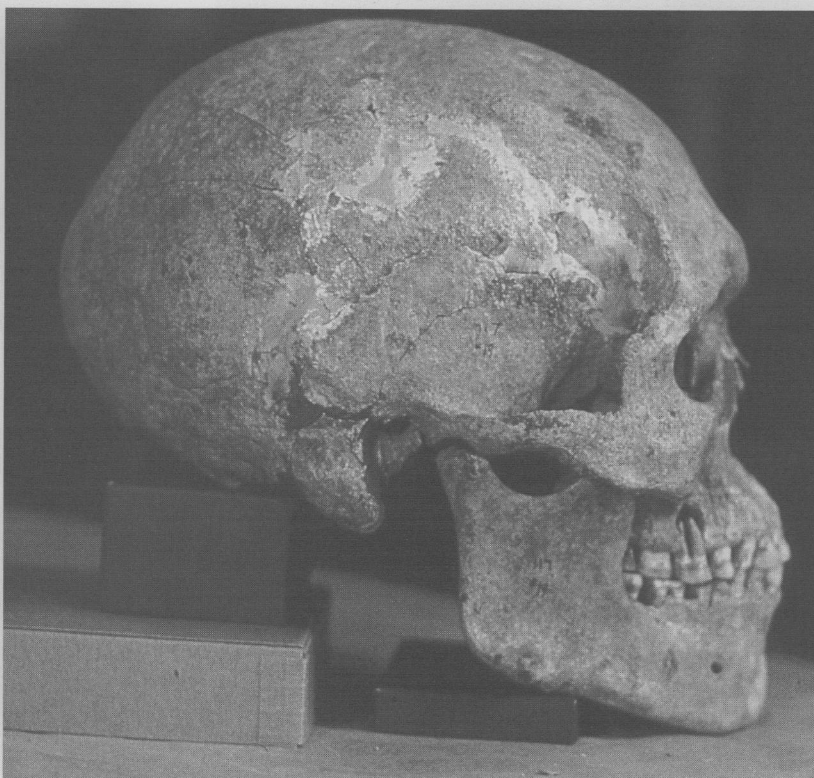


Figure 6. View of right side of male skull from Site 117 near Jebel Sahaba.



Figure 3. View of excavations at Site 117, a late Paleolithic graveyard near Jebel Sahaba. Two group burials being cleared.



Figure 4. View of excavations at Site 117, a Late Paleolithic graveyard near Jebel Sahaba.

rest of the graveyard was cleared and 48 complete and partial skeletons were recovered (Figs. 3 and 4). The last study at the site was in 1966, when eight more burials were excavated, just before the rising water of Lake Nasser covered the area. The individual burials, the skeletal material, and the associated artifacts were described in detail in the published reports on the graveyard (Anderson 1968; Wendorf 1968a).

In their general morphology, the Jebel Sahaba skeletons are fully modern Homo sapiens. They closely resemble those of the so-called Cro-Magnon type in Europe and the Mechta variety from the Maghreb in northwest Africa (Figs. 5 and 6). All of these groups share robust skeletal frames, long crania, short faces with broad zygomatic arches, well developed supraorbital ridges, and low rectangular orbits (Fig. 7). The Sahaba mandibles, however, are distinctive in their large

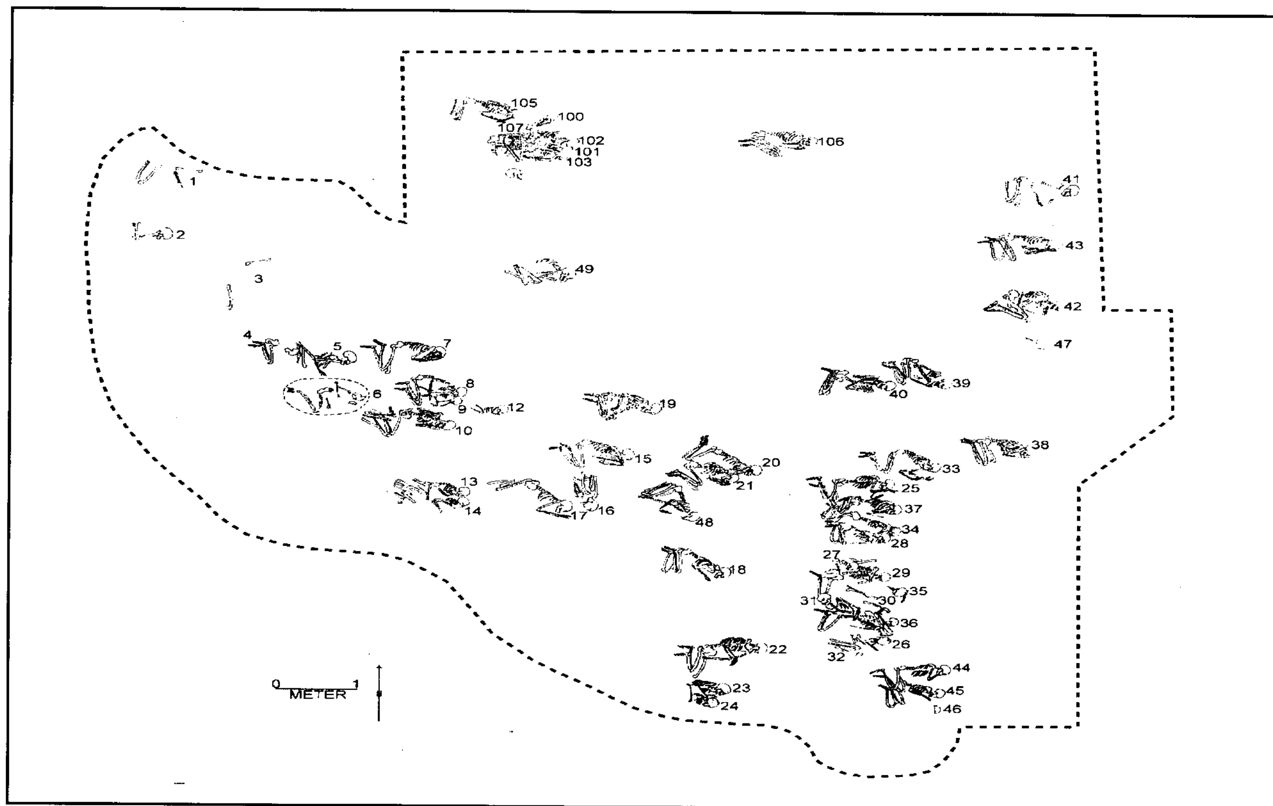


Fig. 2. Map of Jebel Sahaba graveyard showing locations and positions of excavated skeletons (modified from Wendorf 1868a, p. 956).

the Nile had nothing to do with settled villages or agriculture, but the factors that caused this warfare have not been well understood. When these two sites were first studied and published, our knowledge of both the archaeology and paleoenvironment of this area was at an early stage. This is no longer so, and there is now strong evidence to suggest that the combination of environmental and social phenomena coincided to become the major elements involved in the emergence of warfare during the Final Pleistocene in the Nile Valley.

The Jebel Sahaba Graveyard

The Jebel Sahaba graveyard is perhaps the best evidence that warfare existed along the Nile during the Final Pleistocene. The graveyard was located in northern Sudan, about 3 km north of the now submerged town of Wadi Halfa, and about a km east of the Nile (Figs.1 and 2). Here, there is a small valley, open on the west, but bound on the north by a prominent hill known as Jebel Sahaba, and enclosed on the east and south by a series of smaller inselbergs. The graveyard, identified as Site 117, was located in and on the almost flat pediment at the foot of one of those small jebels.

When first seen, a few scraps of human bone and numerous thin sandstone slabs were visible on the surface. The graveyard was first noted in 1962, and a small test excavation at that time yielded the partial skeletons of three individuals, two adults and a small child (Burials C-1, C-2, and C-3). No further work was done until 1965, when most of the

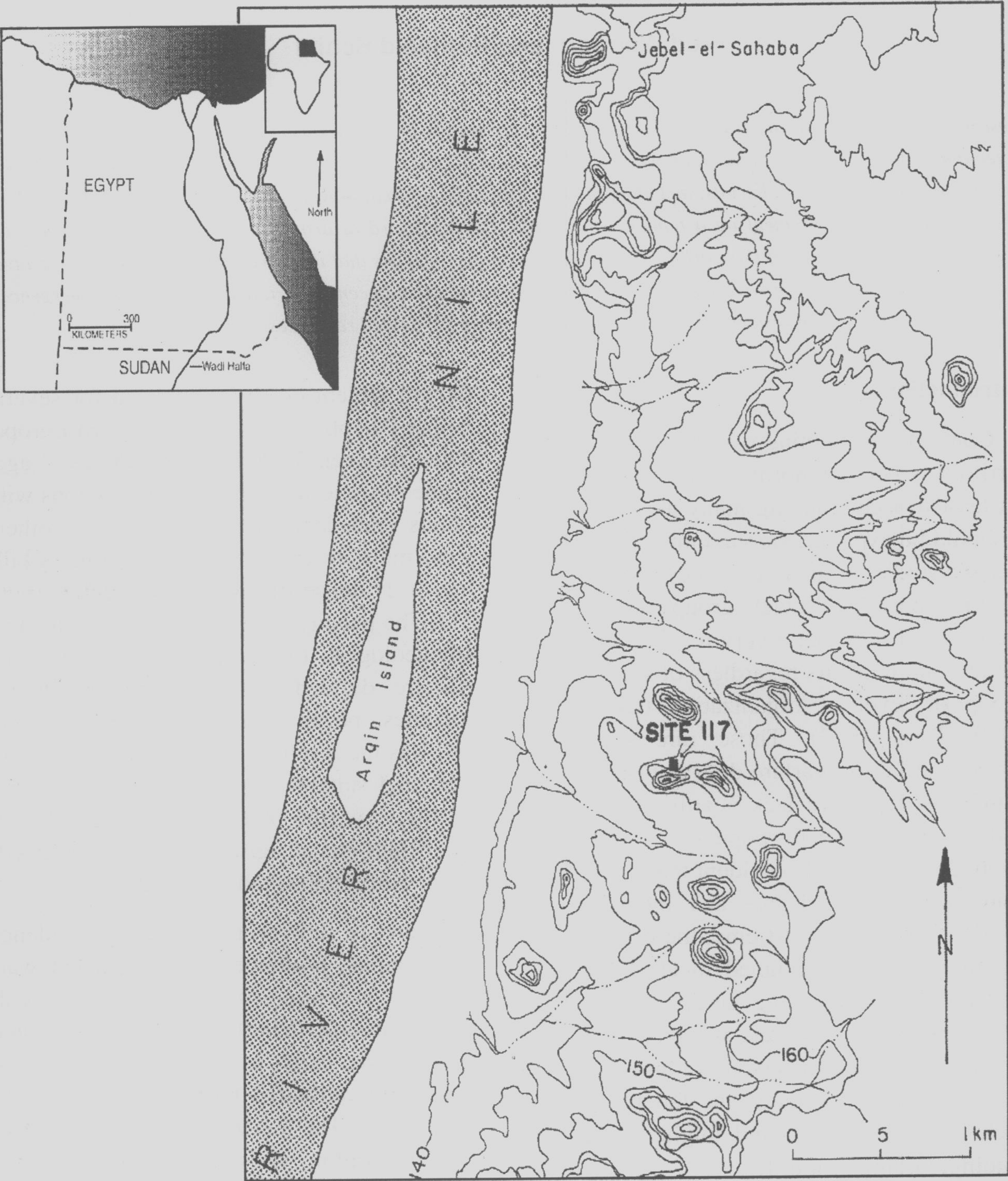


Fig. 1. Map of Egypt and Sudan showing locations of Site 117, a Late Paleolithic graveyard near Jebel Sahaba, Sudan (modified from Wendorf 1968a, p. 955).

Late Paleolithic Warfare in Nubia: The Evidence and Causes

Fred Wendorf and Romuald Schild

Abstract. *The earliest known evidence for organized, sustained warfare comes from a Late Paleolithic graveyard located about three km. north of the old town of Wadi Halfa in northern Sudan. Now deeply buried under Lake Nasser, the graveyard contained 58 burials, including men, women and children, of whom at least half died violently. A single radiocarbon measurement on a human bone places the graveyard at around 13,740 bp (uncalibrated). This paper explores the causes of this earliest known warfare, and concludes that there were two major factors involved: the unique Late Pleistocene environment of the Nile Valley and the adjacent desert, and the probable emergence of social groups larger than residential units that were competing for limited resources.*

Introduction

Conflict and fighting over food, mates or territory is perhaps normal human behavior. At least it occurs among many animals, and it should be expected among humans. Ethnographic studies confirm this, they record that conflict between social groups is found among almost all but a very few modern societies, and it occurs regardless of size of the group or level of organization (Otterbein 1989; Ross 1983). Those rare societies where conflict or warfare does not occur are usually isolated and lack nearby neighbors, and have very small populations (Keeley 1996: 25-39). It is also evident that there is a continuum in the degree and intensity of conflict with, at one extreme, the organized, repetitive conflict designed to eliminate or exterminate a competing group, and at the other end, those conflicts where a man or small group attacks a person or family for revenge or theft. To many, the latter is conflict, but not warfare, and might be called feuding, raiding or murder.

In the archaeological record, the evidence for conflict is extremely rare in pre-Mesolithic and pre-Neolithic contexts, although violent death is indicated for several Upper Paleolithic burials in Western Europe, dated between 35,000 and 24,000 years ago. Some of these were individual skeletons with points embedded in the bones, while others were multiple graves suggesting a mass killing or evidence of epidemics (Keeley 1996: 37). The paucity of such finds have led some archaeologists to suggest that the first true warfare, defined as armed conflict between societies, began around 10,000 years ago, and was the result of competition for the limited land suitable for cultivation. According to this view, the first warfare occurred after the beginning of agriculture and settled villages were established (Kelly 2000: 1).

There is, however, persuasive evidence that vicious, prolonged and organized warfare was present much earlier in the Nile Valley, by around 15,000-15,500 years ago, and possibly as early as 22-24,000 years ago (based on calibrated radiocarbon age determinations). The evidence comes from two Late Paleolithic sites, one at Jebel Sahaba near Wadi Halfa in northern Sudan (Wendorf 1968a), the other at Wadi Kubbaniya near Aswan in southern Egypt (Wendorf et al. 1986). This Final Pleistocene warfare along

Issue No. 10 July 2004
ISSN: 1319-8947 (pp. 7 - 28)

الافتتاحية

حينما بدأنا التجهيز لإصدار أول عدد من " أدوماتو"، كنا نُقَدِّم رجْلاً، ونؤخر أخرى، خوفاً ووجلاً من أن لا نستطيع الاستمرار في إصدارها، لأن الأجواء العلمية، في مجال الآثار، في العالم العربي، لم تكتب النجاح لعمل يحمل الفكر، الذي نحاول أن ننشره. وسبب ذلك أن الأوعية العلمية، عادة، ما تطلع بها جامعات، لا مؤسسات خيرية، لأن الجامعات لا تنظر إلى الربح أو الخسارة، ولكن تسير حسب قدرات هيئات التدريس فيها، وما يُنْشَر فيها مرتبط، عادة، بالرغبة في الترقيات العلمية. لذا، فإن العمل الأكاديمي فيها يخبو ويرتفع، حسب الحاجة. ولكن الذي دفعنا إلى العمل حقيقة، هو مؤسسة عبد الرحمن السديري، التي كفلت لنا عدم الالتفات إلى هذا الجانب، فهي لا تنظر إلى الربح أو الخسارة، لأنها مؤسسة خيرية. ولذا انطلقنا فرحين جذلين مصدرين عددًا وراء آخر، حتى أتممنا العدد العاشر وبدأنا العدد الحادي عشر، الذي تجده بين يديك، أيها الزميل الكريم. وما ذلك إلاّ بتشجيعك، وتشجيع أمثالك ممَن أمدونا بأبحاثهم، ونتائج أعمالهم، وقراءات النقوش التي عثروا عليها، والرسوم الصخرية التي استهوتهم، وأولئك الذين استعرضوا عدداً من الكتب العلمية، التي استهوت كثيرًا من دور النشر،فأرسلت كتبيهم لتُعرض في مجلتنا، وأولئك الذين تعاونوا معنا على كتابة تقارير عن المؤتمرات العلمية، التي تُعقد عن التراث والآثار في الوطن العربي. فلهم جميعاً وافر تقديرنا، واعتزازنا، لكل ما قدموه. والعُتبى لأولئك، الذين لم نتمكن من نشر أبحاثهم، لأنها لم تمر عبر القنوات العلمية التي وضعتها هيئة التحرير.

ولعله يسعد القراء أن نتقدم بإحصائية موجزة عن الأبحاث، التي نشرت في كل تخصص، عسى أن تنبئ عن مسيرة النشاط الآثاري في الوطن العربي، في كل فرع من فروع الآثار. فقد بلغ عدد البحوث، التي نشرت في العشرة أعداد، سبعة وسبعين بحثًا باللغتين العربية والإنجليزية. ثلاثة وأربعون منها باللغة العربية، وأربعة وثلاثون باللغة الإنجليزية. أما من حيث موضوعاتها، فقد كان عدد الأبحاث في عصور ما قبل التاريخ ٣٠ بحثا، أي بنسبة تقارب ٣٩٪، أما الأبحاث التي نشرت في عصور ما قبل الإسلام فقد بلغت ثمانية عشر بحثا، أي بنسبة تقارب ٢٣٪ والبحوث التي نشرت في مجال النقوش القديمة والإسلامية بلغت ثلاثة عشر بحثًا، نسبتها حوالي ١٧٪. وأبحاث العصور الإسلامية بلغت عشرة أبحاث، نسبتها حوالي ١٣٪، أما الأبحاث الآثارية التي تناولت موضوعات متفرقة، فقد بلغت ستة أبحاث، نسبتها قرابة ٨٪. وإننا إذ نضع هذه الإحصائية، فإنما نرغب في أن نستزيد من كل فرع من فروع الآثار، ونبين للقارئ الكريم أن إضافة سبعة وسبعين بحثًا، على مستوى الوطن العربي، يعد قليلاً، إذا ما قورن بحجم التراث الحضاري الذي يملأ المنطقة، والعلماء الذين يشاركون في أعمال التنقيب.

*****

سعدت، في العام الماضي، عندما زرت العُلا، مُكَرَّمًا من قبل أهلها، وعلى رأسهم محافظها الأستاذ أحمد بن عبدالله السديري. وكان ذلك مساء الجمعة الرابع من ربيع الأول ١٤٢٥هـ، الموافق الثالث والعشرين من أبريل ٢٠٠٤م. وقد كانت ليلة لا يمكن أن أنساها مدى الحياة، لأن المشاعر الجياشة التي شعرت بها، من كل أهل العُلا صغيرهم وكبيرهم، أثرت في أعماق نفسي، وأيقنت ساعتها أنه "لا يذهب العرف بين الله والناس". فقد عرفت العُلا، منذ كنت في المرحلة الابتدائية والمعهد العلمي السعودي، حينما كان أبناء العُلا يبتعثون إلى المدينة المنورة، لكي يكملوا دراستهم المتوسطة والثانوية. فزاملت زملاء متميزين من أمثال: سالم شويكان، ومحمد سلمان طالب، وسليمان منحي، وغيرهم، وتفرّقت بنا الأيام وذهب كل إلى سبيله يجّد في هذه الأرض. وبعد عودتي من القاهرة، كان من طلابي، الذين دَرّسَت لهم ألفية بن مالك في السنة الأولى من كلية الآداب – الطالب عبد الله آدم نصيف. فتذكرت أنه كان من طلاب الصفوف الأولى في المعهد العلمي السعودي. وابْتُعِثت إلى بريطانيا، وعدت مرة ثانية إلى الجامعة، وذهبنا في رحلة، إلى العُلا ومدائن صالح، ضمن نشاط جمعية التاريخ والآثار، التي أنشأتُها بعد عودتي. وهناك، قابلت عبد الله آدم نصيف، مديرًا لإحدى المدارس. وفتح لنا والده – رحمه الله بيته، فكان نعم المُضِيف، ما يدل على الكرم الحاتمي، الذي يتميز به أهل العُلا.

ومكثنا ثلاثة أيام، وكنت، خلال أسمارنا، أذكر لهم أماكن الآثار في العُلا، وكانوا يستغربون معرفتي بها، وما يدرون أنني قرأت

كتاب جوسين وسافنياك، فلم أترك فيه شاردة ولا واردة إلاّ وعيتها. وخلال هذه الأيام الثلاثة، تعرفت بوجهاء العُلا ومثقفيهم. أما زملائي، فلم أرهم لأنهم تركوا العُلا إلى مناطق مختلفة. وزرنا مدائن صالح، وهناك، تعرفت بشخص لا يمكن أن أنساه، هو دبشي الفقير، شيخ قبيلة الفقرا في المنطقة، فكان نِعَم الرجل خلقًا ودعابة وحزمًا. كل هذه الذكريات وغيرها طافت بخيالي حينما طُلِبَ مني أن أتحدث في أمسية التكريم، خاصة أنّ من قدم نبذة عن حياتي، هو تلميذي وابني وزميلي د. حسين بن على أبو الحسن، ذلك الشاب الذي لم أبخل عليه بكل ما أعرف من علم، فمنحني الوفاء والحب والتقدير.

وخلال إقامتي في العُلا، شاهدت ما أثلج صدري، وجعلني أشعر أن القافلة ما زالت تسير أسرع وأقوى مما كانت عليه، وذلك بفضل الله، ثم بجهد الشباب الكُفء الذي عاد يحمل شعلة الحضارة متقدة، علمًا وذكاء وتجربة. إن أبنائي ينقبون في خريبة العلا وفي المابيات، تلك الأمكنة الأثرية، التي تتطلع إليها العيون وتشرئب إليها الأعماق ونعم، أبناء هذا الوطن يبحثون عن تراث الأجداد بكل الحب والأريحية. فرح أبنائي بزيارتي إياهم، وطفقوا يشرحون لي طبقات الموقع وتفسيراتهم وتصوراتهم هنا وهناك. ثم زرت المبنى، الذي بنته الجامعة، وهو من أجمل المباني في المنطقة، لأنه يجمع بين الطرازين المعماري النبطي والحرف اللحياني، فجاء تحفة معمارية، كان لي شرف اقتراح تصميمه والإشراف على تنفيذه، منذ عام ١٩٨٢م حتى اكتمل عام ١٩٨٥م. إن فرحي بما شاهدته من نتائج أعمال فريق التنقيب في العُلا الذي يقوده أساتذة من قسم الآثار والمتاحف في جامعة الملك سعود - لا يعدله إلاّ فرحي بأول موسم للتنقيب، في قرية الفاو ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

*****

كان أول لقاء لي مع جوسين وسافنياك في قسم الدراسات السّامية، في كلية الآداب في جامعة ليدز في المملكة المتحدة، حينما اخترت مع أستاذي المشرف على رسالتي، أن أتناول النقوش اللحيانية، وأن أركّز على أسماء الأعلام في هذه النقوش، وذلك في عام ١٩٦١م، الموافق ١٣٨١هـ، وهناك، كان العمل العلمي الضخم الذي وضعه هذان العالمان الفرنسيان في بداية القرن العشرين - هو الرافد المهم الذي درسته، واستفدت منه، وصحبته طوال أيام دراستي. كما صحبت أعمالاً أخرى اعتمدت عليه، وأبدت رأيها في قراءاته للنقوش من أمثال: وارنر كاسكل، وفريد ريك وينيت، وغيرهما من الباحثين. وكلما أمعنت النظر في هذا المعلم العلمي، ازداد إعجابي بالمؤلفين، الذين استطاعا، خلال أيام قلائل، أن ينقلا ويسجلا كل هذا الكم من نقوش شمال غربي الجزيرة العربية، وخاصة العُلا ومدائن صالح. وأكملت رسالتي عن أسماء الأعلام اللحيانية، مقارناً بينها وبين أسماء الأعلام السّامية، منذ الألف الثاني قبل الميلاد وحتى قبيل الإسلام، من حيث الوزن الصرفي والاسم المركب والبسيط، ومن حيث المعبودات. ووصلت إلى نتائج متميزة، وعدت إلى الوطن، وأدخلت تدريس الكتابات القديمة، مادة تُدرّس في قسم التاريخ ضمن مادة النصوص التاريخية. وأصبح - ولله الحمد -هناك، اهتمام متنام بين الطلاب بالكتابات القديمة، جنوبيها وشماليها. وفكرت في طباعة رسالتي عام ١٩٧٥م، واتفقت مع مطبعة في بيروت، لكن الحرب اشتعلت في لبنان، وكان نصيب المطبعة الضياع، ومعها ضاع حلمي في أن أطبع رسالتي. وعاد تلاميذي إلى القسم من بعثاتهم، وأصبحوا - ولله الحمد - زملاء، وتحمسوا مرة أخرى لطباعة رسالتي ولكنني أحجمت هذه المرة؛ لأن طباعتها بعد قرابة عشرين عاماً، يعنى ضرورة إعادة كتابتها من جديد، وإضافة كل ما استحدث في هذا المجال، وهذا يحتاج إلى جهد مضاعف، ولذا شكرت تلاميذي الزملاء على تعاونهم، وقلت لهم: إن رسالتي أصبحت جزءًا من تاريخ الدراسات اللحيانية.

ولكنني كنت قد عقدت العزم على أن يخلفني في مجال النقوش العربية القديمة مجموعة من الباحثين السعوديين والعرب، فكان أن وجّهت أحدهم إلى بلجيكا؛ ليدرس مع أستاذ، كنت أتمنى لو درست أنا على يديه، وهو الأستاذ الجليل جاك ريكمانز في جامعة لوفان. وذهب الطالب إلى هناك، ودرس اللغة الفرنسية، وبدأ دراسة اللغات السامية. وفيما يبدو لي أنه استثقل الدراسة هناك، فانتقل إلى بريطانيا، ودرس اللغة الآرامية النبطية، وعاد إلى القسم، وأصبح - ولله الحمد - أستاذاً. ووجهت باحثين آخرين إلى ألمانيا؛ ليدرسا مع عالم جليل آخر، هو أ. د. والتر موللر، وعادا - ولله الحمد - أحدهما متخصص في النقوش السبئية، والآخر متخصص في النقوش المعينية. وفي هذه الأثناء، قُدِّر لي أن أشرف على أول رسالة ماجستير، في جامعة عربية، عن النقوش الثمودية والصفوية، في قسم التاريخ في جامعة الملك سعود. وقد حاز الطالب الأردني شهادة

الماجستير، وكرمته الجامعة، بأن طبعت رسالته عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ثم أعادت طباعتها أكثر من مرة، وأصبحت مرجعاً للدارسين بعد ذلك في مجال النقوش الصفوية والثمودية. وبدأ قسم الآثار والمتاحف بعد إنشائه عام ١٣٩٨هـ، بمنح درجتي الماجستير والدكتوراة، وبدأت القافلة تسير، ومعها بدأت تظهر دراسات متنوعة عن الحضارات القديمة في الجزيرة العربية وخارجها، بهمة كوكبة من العلماء والباحثين من الأقطار العربية، كانوا الشّعلة، التي أنارت الطريق أمام شبابنا، سواء المبعوثين منهم أو العائدين، في مجال الآثار القديمة والإسلامية والعمارة التقليدية.

أما في مجال الدراسات اللحيانية، فإنني أشيد بثلاثة أعمال علمية أشرفتُ عليها. عملان منها إضطلع بهما حسين بن علي أبو الحسن للماجستير ثم للدكتوراه، ودرس فيهما ثلاثمائة وسبعة وأربعين نصًا لحيانيًا من جبال عكمة وأم درج ودنن وأبو عود في العُلا ومن جبل إثلب بالحجر (مدائن صالح). وهي دراسة لا أشك أن من يقرأها من المختصين، سوف يستمتع بها لما، استخرجه الباحث من نتائج دينية واجتماعية وثقافية. أما العمل الآخر، فهو الذي إضطلع به خالد إسكوبي لمرحلة الماجستير، فقد استطاع أن يبدأ رحلة علمية من تيماء حتى منتصف الطريق في اتجاه الحِجْر (مدائن صالح)، ودرس ما يزيد على ثلاثمائة نقش لم تكتشف من قبل. من بينها، نقوش تتحدث عن نبونيد ملك بابل، الذي حكم تيماء، قرابة عشر سنوات. وقد أثمرت هذه النقوش عدداً من الأبحاث إضطلع بها علماء من قسم الآثار والمتاحف في جامعة الإمام سعود ومن الجامعات الأردنية والأجنبية، تفسيراً ومناقشة، وتمحيصا. كما أن هناك نقشًا يتحدث عن سلامة يثرب من حدث كان قد أحاط بها. كما أفادت هذه الأبحاث بمدى امتداد ثقافة دولة لحيان، وسيطرة مدينة ديدان، كمكان له بريقٌ ديني وحضاري في تلك الفترة، من أنها عاصمة لدولة قوية، تسيطرُ على الطريق التجاري بين الجنوب والشمال.

*****

كنتُ حريصاً منذ إنشاء قسم الآثار والمتاحف عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، على أن أبعث طلاب الدراسات العليا في جامعات في بلدان مختلفة، فكان أن بعثت بعضهم إلى بريطانيا وبعضهم إلى أسبانيا وألمانيا وفرنسا. وهذا مما يمد القسم بمدارس منهجية مختلفة ولغات عالمية ومتنوعة، ما يهيئ للقسم تنوعاً فكرياً وثقافياً. ويمكّن لهم من أواصر القوة، لحاجة أحدهم إلى الآخر، ويُكَوِّن مدرسة علمية متميزة. إن هذا الاتجاه قد نجح في تكوين علاقة حميمة بين بعض الملحقين الثقافيين في الرياض وقسم الآثار والمتاحف. إذ استطاع القسم أنْ يُكَوِّنَ علاقةً جيدة بالملحق الثقافي الفرنسي، وخاصة مسيو بونيسيه، ذلك الرجل الفاضل الذي زارني في مكتبي عام ١٤٠٩هـ، حينما كنتُ عميدًا لكلية الآداب. وتجاذبنا أطراف الحديث، بشأن العلاقات الثقافية بين المملكة العربية السعودية وجمهورية فرنسا، فاقترحت عليه الاهتمام بما أنجزه جوسين وسافنياك، من عمل علمي متميز، من جراء زيارتهما شمال غربي الجزيرة العربية، قادمين من القدس، فقال لي: كيف؟ قلت: لقد جاءا إلى هنا عام ١٩٠٧م فلماذا لا يكون عام ٢٠٠٧م، هو الاحتفال بمرور مائة عام على زيارتهما، فيترجم كتابهما إلى العربية ويؤتى بالصور التي صوراها في معرض للصور وتلقى محاضرات في ندوة علمية عالمية، عن عملهما، ودور هذا العمل في نهضة العمل الأثري في المنطقة. ففرح الرجل بهذا المقترح، وخرج مبتهجاً، راجياً أن يحقق هذا الهدف. لكن القدر لم يمهله، فتوفي الرجل قبل أن يحقق هدفه. وبوفاته، تقلصت الأمور إلى إصدار نسخة مصورة عن الكتاب، من خلال المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة. وقلنا لقد فعلوا خيراً، إذ إن الكتاب يُعد من النوادر في عصرنا، ومن لديه نسخة من الطبعة الأولى القديمة يشعر، وكأنه يملك كنزاً. وجرت محاولات لتحقيق الهدف الأكبر، وكُوِّنت لجان علمية مشتركة من قسم الآثار والمتاحف في جامعة الملك سعود، وقسم الآثار في جامعة إكس أون بروفانس في جنوب فرنسا، لكن لم يُقَدَّر للعمل أن يخرج إلى النور لظروف إدارية. ومرت السنون، وإذا بي يُهدى إليَّ نسخة مترجمة للجزء الأول، أهدتها إليَّ تلميذتي د. صبا عبد الوهاب الفارس، التي اضطلعت بترجمتها مشاركة مع الأستاذ محمد الدبيات، وقام بمراجعته وعلق عليه كل من: أ. د. سليمان بن عبد الرحمن الذييب، وأ. د. سعيد بن فايز السعيد. وبقدر فرحتي بصدور الكتاب، من خلال نشاط دارة الملك عبد العزيز بالرياض في السعي الحثيث إلى نشر كل ما له صلة بتاريخ الجزيرة العربية وتراثها، فإنني حزنت كثيرًا لأسباب: منها المنهجية، ومنها العلمية، ومنها إهمال تصحيح كثير من الأخطاء عن الأماكن والحقائق التاريخية، واختصار المصادر التي اعتُمِد فيها على ما قرب تناوله، وغير ذلك كثير مما سوف أتناوله في بحث مستقل، قريبًا إن شاء الله.

رئيس هيئة التحرير

تقدمات نذرية للمعبود ذي سماوي وأسبابها (دراسة في ضوء النقوش)

محمد سعد القحطاني

ملخص: يتناول البحث بالدراسة المعبود ذي سماوي، أحد المعبودات في اليمن القديم، وذلك في ضوء النقوش. وتبيّن الدراسة أن ذي سماوي كان يُعبد في منطقة أمير، الواقعة بين الجوف (باليمن) ونجران، وهي منطقة اشتغل أهلها بأعمال التجارة وتربية الجمال. وتعرض الدراسة عدداً من التقدمات النذرية، مع بيان أنواعها وتحديد أسباب تقديمها، للتعريف بمعتقدات أهل أمير الدينية، والدور الذي يمثله المعبود ذي سماوي في حياتهم. وتدل التقدمات النذرية المختلفة أن أهل أمير كانوا يرون في معبودهم القدرة الكاملة على حمايتهم، وحماية تجارتهم وممتلكاتهم، وشفائهم من الأمراض ودفع ما قد يصيبهم من أذى أو مكروه، وهو ملجاؤهم وقت الشدة في مقامهم وترحالهم. وكانوا يقدمون له النذور والهبات والأراضي الزراعية، وينشئون معابد خاصة به، لأداء الطقوس والشعائر الدينية فيها.

Abstract. *This paper studies the ancient Yemeni deity, dhi-Smawi, in the light of inscriptions. The study reveals that dhi-Smawi had been worshiped in the region of the tribe of Amir, covering the area between Al-Jawf and Najran, where inhabitants were involved in commerce and camel breeding. To point out Amir's faith and the role the deity played in their lives, the study presents a number of solemn offerings, and identifies their kinds and causes. The different offerings indicate that the people of Amir believed in their deity's supreme power to protect them and their trade, to cure their diseases, and to forestall all evils that might befall them; whether travelling or settling, they had it as their safe haven at times of crisis. They had offered it all kinds of vows, gifts, farming lands, and built it temples where its rituals were performed.*

أمير مستوطنة وقبيلة

كانت منطقة أمير تحتل مركزاً إستراتيجياً مهماً على طريق تجارة البخور القديمة، بين الجوف باليمن ونجران. وعرفت أمير كاسم أسرة أو قبيلة، سميت المنطقة باسمها ونسبت إليها. وقال الهمداني: أمير اسم أسرة من آل شاكر، التي تقطن في باطن الجوف[1]. وكان يغلب على سكان منطقة أمير الطابع البدوي.

ويُستدل من خلال النقوش المعروفة، أن قسماً كبيراً من سكان أمير كانوا يشتغلون بالتجارة، وقسم آخر منهم كانوا يؤجرون الجمال لنقل السلع التجارية، وقسم ثالث كانوا يعملون أدلة للقوافل والعناية بالجمال فيها (الصلوي ١٩٩٧: ٢٦؛ Hofner 1970: S, 253; Wissmann 1964: S, 136-147).

وأقدم إشارة إلى أمير جاءت في النقشين: (RES 3943, 3945)، وفي النقش: (FA 87)، ترد بصيغة (أم ر)، وفي النقش: (HARAN 10=CIH 547)، بصيغة (ا هـ ل/ا م ر م/ و ا هـ ل ع ث ت ر).

ويُستدل من خلال نقوش أخرى خلفتها جماعات من منطقة أمير، كانت تقيم في مناطق أخرى خارج منطقتها الأصلية، أنه كانت لجماعات من أمير تجمعات تجارية في إطار الكيانات السياسية القائمة آنذاك. وكان لهم وجود في أماكن كثيرة في اليمن القديم لغرض التجارة. ومن تلك الأماكن مدينة مأرب عاصمة السبئيين، ومدينة يثل في معين، ومدينة شعوب خارج صنعاء، ومدينة تمنع عاصمة القتبانيين، ومدينة السوا في إقليم المعافر، وهي حاضرة محلية مهمة على طريق التجارة، بين سواحل البحر الأحمر والمناطق الجبلية في اليمن

العدد الحادي عشر ذو الحجة ١٤٢٥هـ - يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٥م
(ص ص ٧ - ٢٤) ردمد ١٣١٩-٨٩٤٧

(عبدالله ١٩٨٨: ٣٤، ٣٩).

وكان هؤلاء يعرفون حيثما أقاموا بأهل (ذي سماوي)؛ لأنهم كانوا يعبدون الإله (ذي سماوي) في أماكن وجودهم، ويقيمون له المعابد فيها، إلى جانب اعترافهم بالآلهة الرئيسة والإقليمية والمحلية، معبودة سكان تلك المستقرات والأماكن والمستوطنات. لذلك، انتشرت معابدهم حسب انتشار تلك التجمعات خارج أرض أمير الأصلية (الصلوي ١٩٩٧: ٢٧؛ القحطاني ١٩٩٧: ٨٢؛ Wissmann 1964: 136-147). ومعلوم أنه كانت هناك باستمرار طريق تجاري على أطراف الربع الخالي، تمتد من منطقة العبر إلى مدينة نجران. ويشير النقش: (فخري ٧٦)، إلى وجود جماعات من قبيلة أمير في مدينة مأرب، ومدينة نشق، ومدينة نشن، وهي مدن وحواضر ومراكز إستراتيجية على الطريق التجاري المهم (Wissmann 1964: sph 246, s, 61).

الإله ذي سماوي (ذ س م و ي)

١- ذكر اسم الإله (ذ س م و ي) مع آلهة أخرى في النقوش:

إن أقدم ذكر للإله (ذي سماوي) وصل إلينا من منطقة مأرب، في نقش نذري ورد فيه تقدمة قربان للإله (ذي سماوي) هو: (CIH 519) يعود تاريخه إلى القرن الثالث قبل الميلاد تقريباً (Höfner 1970: 158). وقد ذكر هذا النقش الإله (ذي سماوي) في المرتبة السادسة، بعد الآلهة المعروفة في صيغة الدعاء.

(ب ع ث ت ر / و هـ و ب س / و ب ا ل م ق هـ/ وذ ت / ح م ي م / و ذ ت / ب ع د ن م / و ذ س م و ي).

كما ذكر مع الآلهة (شمس) في النقش: (CIH 518)، في الصيغة (ذ ت/ ب ع د ن م / و ب ا ل هـ هـ م و/ ذ و س م و ي)، وذكر في النقش: (CIH 518)، في الصيغة (و ب ذ ت / ب ع د ن م / و ب ا ل هـ هـ م و / ذ و س م و ي /...)، وفي النقش: (CIH 534)، في الصيغة (ب ذ ت /ب ع د ن م/ و ذ س م و ي).

وفي النقش: (CIH 547)، المقدم للإله (حلفان) ذكر الإله (ذي سماوي) والإله (عثتر)، (و ح ج و/ ذ س م و ي/ ب ي ث ل / و ن س ا و/ م ط ر د ن/ ع د / ذ ع ث ت ر/....) ويعني: (قاموا بالحج للإله (ذي سماوي) في مدينة يثل ونسوا الصيد إلى ذو عثتر...).

وذُكر في النقش: (فخري ١٢٧ شكل ١٠٢)، (ذي سماوي) في الصيغة (و ر ث د و / م ن ص ب ت / و م ح ر م/ ا ل هـ هـ م و / ذ و س م و ي/ ع ث ت ر / ش ر ق ن /..). وتعني: (أقاموا وشيّدوا المقصورات والأعمدة لمحرم المعبد لإلههم (ذي سماوي) وتركوها تحت حماية الإله (عثتر شارقن).

وذكر الإله (ذ س م وي) في نقوش أخرى هي:

- النقش (GL 913, FA 120) و ر ث د / م ر ا س/ ذ س م و ي/ ا ب ل س).
- النقش (RY3 6 7) بصيغة (و ا ذ ن / س م و ي).
- النقوش (GL 472, NOTE, 8, CIH 525, 526) (ذ س م و ي).
- النقش (CIH 522=RES 850) (ا و ث ن / ذ س م و ي).
- النقش (CIH 521) (ق ن ي / ذ س م و ي).
- النقش (CIH 519) (وهـ ق ن ي / ذ س م و ي / م ث ل ن.
- النقش (مختارا ت IST 7636, CIH 523=HARAM 12= 40) (ل ذ س م و ي)
- النقش (CIH 520) (ق ي ن / ذ س م و ي).
- النقش (RES 4143) (ب ذ س م و ي).

٢- (ذي سماوي) إله أمير

وقد ورد اسم الإله (ذي سماوي) على أنه إله أمير في نقوش، منها:

(JA 859, RY 367, 548)

والنقش (RY 558) (ا ل هـ هـ / ا م ر م).

والنقش (JA 2122) (ا ل هـ هـ و / ذ و س م و ي).

والنقش (RY 367) (ا ل هـ هـ / ذ س م و ي) .

والنقش (CIH 517, 518, FA 127) (ا ل هـ هـ م و/ ذ س م و ي).

والنقش (يوسف، السوا، ص ٣٣) (ا ل هـ ن / ذ س م و ي / ا ل هـ / ا م ر م).

وفي النقوش

(PIR.47.11/p8 nº 1=CIH 141=RY 367) (ذ س م و ي / ا ل هـ / ا م ر م)

كما ذكر على أنه (م ر ا هـ و / ذ س م و ي)، أي سيدهم ذي سماوي في النقوش:

(CIH 527, 528, 530, 536, RES 4142, 4144).

ويستدل من نقوش منطقة هرم أن السكان كانوا يعبدون الإله (ذ س م و ي) أيضا، وأنهم أقاموا له معابد كثيرة.

٣- تسمية الإله (ذي سماوي) ومدلوله اللغوي

من الملاحظ أن أسم الإله (ذي سماوي) ورد في نقوش معروفه من قبل، على أنه إله أمير، وذلك في نقوش دونها سكان أمير، سواء في موطنهم الأصلي أم في المواطن التي كانوا فيها خارج منطقة أمير، تُستخدم في التعبد والتقرب إلى المعبود (ذي سماوي) في معابده تلك (بافقيه ١٩٩٤: ٣١).

ويرد اسم هذا الإله في الغالب منتهياً بالواو والياء (ذ س م وي)، وأحياناً أخرى منتهياً بالياء فقط (ذ س م ي). والاسم (ذ س م وي) مؤلف من الاسم الموصول للمفرد المذكر (ذي) بمعنى (الذي) والدال، أيضاً، على النسبة إلى مكان، أو أسرة أو قبيلة، و(س م و ي) أو (س م ي) ويعنى الإله (الذي في السماء) (الصلوي ١٩٩٧: ٢٦).

كما يأتي في عدد من النقوش بصيغة (ل ذ س م وي)، ويتكون من حرف الجر (ل) الدال على الملكية، واسم الإله (ذس م وي)، و(ذ س م وي) جار ومجرور، بمعنى للإله (ذي سماوي)، وقد يأتي في بعض النقوش في صيغة التضرعات بصيغة (ب ذ س م و ي)، وهو يتكون، أيضاً، من حرف الجر(ب)، واسم الإله (ذ س م وي) جار ومجرور بمعنى: (بجاه الإله ذي سماوي)، ويقصد به إله القمر.

ويجمع علماء النقوش اليمنية القديمة أن هذا الاسم يعني: (الإله الذي في السماء)، وهو (مُنَزِّل الغيث)، وإله البركة والخصب والري، والإله الحامي للجمال (الإبل)، في معتقدات سكان أمير؛ لذلك، يربطون بينه وبين (ب ع ل/ ش م ي م)، الذي انتشرت عبادته في نطاق الحضارة القديمة في شمالي الجزيرة العربية، أو في بلاد الشام، نتيجة للعلاقات التي أقامهاالأميريون، آنذاك، مع سكان تلك المناطق عن طريق القوافل التجارية[٢]، وذلك في أثناء مزاولتهم الأعمال التجارية، كنقل البضائع التجارية، أو كأدلاء لهذه القوافل، أو تأجير الجمال لهم لنقل بضائعهم والإشراف عليها.

وقد ذكر (فون فيسمان) أن (نلسن) اقترح تفسيراً للصيغة (ا ل هـ / ا م رم) وتعني: (إله التنبؤات، وإله التكهنات). لكن (فون فيسمان) نفسه يرى أن هذا التصور غير مرض، لأنه ثبت أن "أمير" قبيلة صغيره في مناطق سبأ، وتقطن في منطقة مهمة تسمى باسمها أمير (Wissmann 1964: 136).

أ- معابد الإله (ذي س م و ي)

انفرد أهل أمير ببناء معابد لمعبودهم الإله (ذي سماوي). فهم حيث حلّوا يعبدونه ويؤدون الطقوس والشعائر الدينية له، سواء في مراكزهم الأصلية أو في مناطق خارجها مع اعترافهم بعبادة الآلهة الأخرى الخاصة بتلك المستقرات التي يتنقلون فيها. وقد دلت على ذلك تلك المعابد الخاصة بعبادة الإله (ذي سماوي)، التي ارتبطت باسمه في تلك المناطق.

وذُكرت تلك المعابد في عدد كبير من النقوش، إما بصيغة: (ب ع ل / .....)، أو صيغة: (ب.....)، أو صيغة: (ع د ي / ....)، أو صيغة: (ذ.....). ومن تلك النقوش:

- (RES 4142) (ذ س م و ي / ا ل هـ / ا م ر م/ ب ع ل / ب ق).
- (CIH 535) ذ س م و ي / ب ع ل / ب ق ر.
- (CIH 53) ا ل هـ هـ و / ذ س م و ي / ب ع ل / ب ق ر م.

- (CIH 531) ذ س م و ي / ا ل هـ / ا م ر م / ب ع ل / و ت ر م.
- (مختارات 29=RES 4146) م را هـ م و/ ذ س م و ي / ب ع ل / و ت ر م.
- (RES 4146) م ر ا هـ م و/ ذ س م ي / ب ع ل / وت ر م.
- (RES 4145) ذ س م و ي /ب ع ل / و ت رم.
- (CIH 520, 528, 531, RES 4675) ذ س م و ي / ا ل هـ / ا م ر م / ب ع ل / ب ي ن.
- (CIH 529) ذ س م و ي / ب ع ل / ب ي ن.
- (RES 3956, CIH 533=GL 1054) ل ذ س م و ي / ب ع ل / ب ي ن.
- (فخري ١٢٧) ذ س م و ي / ب ع ل / ض ر ب م.
- (RES 3957) ل ا ل هـ هـ / ذ س م و ي / ب ع ل / ب ي ن.
- (فخري ١٠٢، شكل ١١٢، ١٢٧) ا ل هـ هـ م و / ذ س م و ي / ب ع ل / م و ق ط ن.
- (RES 3958) ل ا ل هـ هـ و / ذ س م و ي / ب ع ل / ب ي ن.
- (بافقيه، أمير وحنان، ص ١٢٣، ١٢٥) ل ذ س م و ي / ب ع ل / ي غ ر و.
- (الصلوي، نقش غير منشور) ذ س م و ي / ب ع ل / ي غ ر و.
- (CIH 531) ذ س م و ي / ا ل هـ / ا م ر م / ب ع ل / م ل م ن.
- (RES 4147) ذ س م و ي / ا ل هـ / ا م ر م / ب ع ل / م د ر ن.
- (RES 3902) ذ س م و ي / ب ع ل / م د ر ن.
- (CIH 536) (ذ س م و ي / ا ل هـ / ا م رم / ع د ي / و ت رم .
- (مختارات 12=RES 4143) ذ س م ي / ع د ي / و ت ر م.
- (شعلان، العدد، ٦، ص7-11 = قسم الآثار 262 - 20 - A) ذ س م و ي / ا ل هـ ا م ر م / ع د ي / م ع ر ن .
- (RES 4930=Ry214) ذ س م و ي/ ع د ي/ك ا ب ت ن.
- (CIH 532=HARAM.33) ل ذ س م و ي / ب ب ي ن.
- (CIH 530) ذ س م و ي / ا ل هـ / ا م ر م / ب ب ي ن.
- (GL 1790, 1139=CIH 924.940=HAL 43) ذ س م و ي / ب ب ي ن.
- (الصلوي، ١= الإرياني ٣٢) ذ س م و ي / ب ي غ ر و.
- (الصلوي، نقش جديد من نقوش الاعتراف، العدد، ٢٠، ص٢٤) ل ذ س م و ي/ ب ي غ ر و.
- (PIR 47.11 / p8 n* 1 =CIH 141=RY 367) و م ر ا س / ذ س م و ي / ا ل هـ / ا م ر م / ب م ح ر م س / ظ ر ب ن / ب ت م ن ع.
- (CIH 547) ذ س م و ي/ ب ي ث ل.
- (GL 797) ذ س م و ي / ب هـ ر ن.
- (عبدالله، نقش السوا، دراسات يمنية، العدد، ٤٣، ص٣٣) ذ س م و ي / ا ل هـ ا م ر م / ذ ب ب ر ح ت / ص ي ر ت ن /ذ ت ح ت / هـ ج ر ن/ س و م ذ.
- (طيران، مذبح بخور، أدوماتو، العدد، ١، ص ٥٠ - ٥٦) ذ س م و ي/ ذ ا ذ ن ن .

ب - منشآت دينية أخرى (مزا را ت دينية) للإله ذي سماوي

كانت قبيلة أمير تقدم النقوش النذرية والقرابين لإلهها المحلي (ذي سماوي)، كلما اكملت بناء معبد له، الإله أو أقامت منشآت أخرى له، كما جاء ذكر ذلك في النقوش المعروفة لدى علماء دراسات اللغة اليمنية القديمة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: (CIH 517, 519, 520، فخري ١٠٢، يوسف، نقش السوا، ص ٣٧).

وقد أقاموا أماكن مخصصة لأداء الشعائر الدينية لهذا الإله (ذي سماوي)، مثل شعائر مناسك حج وطقوس دينية أخرى في مواسم معينه من السنة، منها ما ذكرته بعض النقوش الآتية: (GL 1467, CIH 524)، بصيغة (م ق ف /ذ س م و ي)، وفي نقش آخر: (CIH 522)، ترد بصيغة (ا و ث ن / ذ س م و ي). كما وردت في بعض النقوش بصيغة (م ح ر م ن /ذ س م و ي)، ومنها:

(CIH 522, 523)، مختارات ١٢، فخري ١٠٢، يوسف، نقش السوا، ص ٣٦).

وفي نقوش قتبانية:

(PIR 47.11/ p8 no1, CIH 141) وردت الصيغة التالية: (ب م ح رم س/ ظ رب ن / ب ت م ن ع)، وصيغة (وب ع ر / ذ س م و ي) في النقشين الموسومين بـ (CIH 535, 536).

ومن الملاحظ أن الأميريين كانوا يعتقدون أنهم يقيمون المنشآت المعمارية الدينية بعون هذا الإله، ويضعونها بعد الانتهاء من البناء تحت حمايته، ولا يقيمون المنشآت الدينية إلا باسمه. كما أنهم كانوا لا يقيمون المنشآت المختلفة العامة والخاصة إلا بعونه.

ومع هذا نجد في النقش الوحيد: (فخري ١٢٧)، الصيغة التالية: (ب ن و / و / وهـ و ث ر ن / وهـ ش ق رن / م ن ص ب / و م ح ر م / ا ل هـ هـ م و / ذ س م وي / ب ع ل / م و ق ط ن/ ......) أي أن أصحاب النقش أقاموا الأعمدة والمقصورة للإله (ذي سماوي) في معبده المسمى (موقطن)، وقد وضعوا الأعمدة والمقصورة كما ورد في محتوى النقش، تحت رعاية وحماية الإله (عثتر) شارقن، بينما وضعوا أولادهم تحت حماية آلهة هرم.

ومن خلال النقوش النذرية، ومن خلال ما يلحقه أصحاب هذه النقوش باسم هذا المعبود(ذي سماوي) من صفات، تتضح أهميته الدينية عندهم، وما يرون فيه من خوارق تجعلهم يتجهون إلى عبادته، ويبنون المعابد والمزارات الأخرى له .

ج - الشعائر والطقوس الدينية للإله ذي سماوي

١- الحج:

من مظاهر العبادة زيارة الأماكن المقدسة في أزمنة محددة، أو مواسم فصلية معينة أو مؤقتة للتبرك بالآلهة والتقرب إليها والى أصحاب تلك المواضع المقدسة. ويعد الحج أقدم ظاهرة في الشعائر اليمنية القديمة، ويعني القصد إلى مقر المعبود لاداء الشعائر الدينية؛ فمصطلح الحج عُرف في النقوش اليمنية القديمة من خلال إشارات منها: (ح ج ن)، في النقوش: (CIH 528, 529, 530)، و(ح ج و) في النقش: (CIH 547)، و(ب ع ل ت /ح ج ت) في النقش: (RES 3546)، إي (رب الحج). وفي نقوش أخرى:

(CIH 523, 548)، يذكر اسم شهر (ذ ح ج ت ن) أي (ذو الحجة)، وربما كان من شهور الخريف، لأن (ذو الحجة، ذو خرف، وذو خزان) وهي ثلاثة أشهر خريفية، مع أن الحجاج لا يحجون في فصل الخريف ذي المطر الكثيف. ونستدل على ذلك بما جاء ذكره في النقش: (CIH 621)، فهي بالضرورة تقع في شهر الصيف، ويدلنا على إن الحج ارتبط بالتقويم القمري، وبهذا يكون الحج غير مرتبط بموسم معين وثابت. ولهذا، فإن الأيام المعينة للحج تكون أياماً حرماً، لكونها أياماً دينية ينصرف فيها الإنسان إلى التفكير في آلهته. ومن هنا كانت مجالاً لتبادل البضائع والعروض المادية، إلى جانب أداء الشعائر الروحية.

كان الأميريون يقومون بالحج للإلة (ذي سماوي)، ويؤدون الطقوس والشعائر، ويقدمون له القرابين والنذور في معابده في أماكن مختلفة، كما يرد ذكرها في النقوش. فقد ترد صيغة (.... ب ض ر / ح ض رم ت م / وح ج و/ ذس م وي / ب ي ث ل/...) في النقش: (CIH 547)، أي أن أصحاب النقش أدوا مناسك الحج للإله (ذي سماوي) في معبده الموجود في مدينة (يثل) بالجوف لكونه آزرهم وناصرهم في الحرب على مملكة حضرموت وعادوا سالمين منها.

وصيغة (..... هـ ق ن ي / ذ س م و ي / ب ع ل / ب ي ن/ ط ف ن /ح ج ن / و ق هـ هـ و / ب م س ا ل هـ و/ ل و

ف ي هـ و / و و ف ي / ا ب هـ و) في النقش: (CIH 529)، أي أن صاحب النقش قدم قرباناً للإله (ذي سماوي) في معبده المسمى (بين) في أثناء أدائه مناسك طواف الحج لكون الإله أمره في المكان المخصص للمسألة والاستماع بذلك؛ لسلامته وسلامة أبيه. كما كانوا يقومون بتقدمات تماثيل إثناء مناسك الحج، وقد دلت النقوش على ذلك، ومنها: (CIH 528, 529, 530, 547).

والجدير بالذكر هنا أن الحج بوصفه عبادة، كان معروفاً لدى اليمنيين القدماء خلال الفترات التاريخية، ومارستها الكيانات السياسية للممالك اليمنية القديمة. كما تشير الدراسات النقشية إلى أنه كان يحدد في كل سنة أوقاتاً معينة، موسمية وفصلية للحج، يزور خلالها المتعبدون المعابد، ويقدمون فيها النذور والهدايا والأضاحي، التي تذبح على المذابح المخصصة لذلك. ويحرقون البخور على المحارق والمباخر والمجامر المخصصة لذلك وينورون المعابد بالشمعدانات والمسارج المستخدمة لذلك، كما هو الحال في معابد الإله (ذي سماوي) في مدينة هرم في معبده المسمى (بين)، والمعبد المعروف بـ (يغرو)، الواقع في وادي الشظيف، وغيرها.

وفي أثناء زيارتهم للمعبد، كان يتوجب عليهم، أيضاً، اصطحاب تقدمات نذرية؛ فمن يريد الحضور لزيارة المعبد عليه ذبح قربان، وإلا فإن الكاهن القائم على المعبد والمشرف على شؤون إدارته سوف يؤخر حضوره. كما يُستدل على ذلك من خلال ما جاء في محتوى نص النقش الموسوم بـ (JA 660)(٣)، ومن خلال اللقى والمكتشفات الأثرية، التي تم عُثر عليها في العديد من المواقع اليمنية القديمة، نجد أن المعابد حفلت بكثير من النذور، التي هي تماثيل صغيرة لرموز إنسانية وحيوانية ولوحات تصويرية ونقوش أدعية قصيرة، كشكر وذكر للأشياء التي ينبغي الحصول عليها من الإله (ذي سماوي) في المستقبل. وقد جرت العادة أن توضع اللوحات الصغيرة في مواضع وأماكن محددة بجوار حوائط المعبد، كذكرى للحج.

ومن خلال الدراسات النقشية يتضح، أن التنبؤ والسؤال عن الغيب (في المسأل) كانا من الطقوس الدينية الشائعة والمنتشرة في اليمن القديم انتشاراً واسعاً. وهذا - بداهة - ليس بالغريب في هذه الأماكن بسبب الارتباط الديني الكبير للناس بها في كل العصور. كما إننا لا نخطيء الظن إذا قلنا إن كثيراً من المعابد، إن لم تكن كلها، كانت أماكن للتنبؤ والتكهن. وكان بعضها مراكز مشهورة ومعروفة، وقصّادها كثيرون. وعلى السائل أن يقدم قربان شكر من الحيوانات والبخور، بعد الحصول على الجواب. وكان مكان التنبؤ يعرف بواسطة (المسأل)، وكان جواب الإله يُحصل عليه بواسطة رجل الدين (الكاهن). ويبدو أن هذه الطريقة كانت هي الشائعة، مع وجود طرق أخرى.

وعلى الرغم من أن النقوش شحيحة، ولا تتضمن معلومات مفصلة عن دلالاته وطقوسه الدينية، إلا أننا نستطيع التعرف على ذلك من خلال ما احتوته النقوش النذرية وشواهد القبور من صفات وعبارات تضرع. ومن خلال ما عرف من رموز عن هذا المعبود، كان (ذي سماوي) في اعتقاد الأميريين، هو القوي القادر على حمايتهم وحماية ممتلكاتهم ومنشأتهم من أي أذى أو مكروه، وحماية تجارتهم ومزروعاتهم، وهو الذي يرسل الغيث لشربهم من مائه، وحيواناتهم وسقي مزارعهم.

٢- الاعتراف بالخطايا:

قدَّم أهل أمير تقدمات نقشية للإله (ذي سماوي) تضمنت الاعتراف بما اقترفه أصحابها من ممارسات وأفعال وسلوكيات خاطئه، أو مخالفة للآداب والقواعد المتعارف عليها عند زيارة المعبد وملحقاته والحرم التابع له، والتكفير عنها، وإعلان التوبة وعدم معاودة تلك الخطايا مرة أخرى البتة. ومن تلك النقوش:

(CIH47, 523=HARAM 40=12، مختارات , CIH 532=HARAM 33, CIH 533=) GL 1054, CIH 547, 568, GL 1052, JA 720, RES 3956, 3958 =12 مختارات، الصلوي، نقش جديد من نقوش الاعتراف، ص ٢٦، بافقيه، أمير وحنان، ص ١٢٣، ١٢٥).

ومن خلال الدراسات لتلك النقوش النذرية المقدمة للإله (ذي سماوي)، التي تضمنت نصوصها الأخطاء والأفعال

والسلوكيات المخالفة للآداب والقواعد العامة السائدة، داخل المعابد والملاحق والحُرُم التابعة لها، أثناء زيارتهم لها، نجد أن مقدمي تلك النقوش ذات الأخطاء والاعترافات العلنية يقدمون قرابينهم بطريقتين: جماعية، وفردية.

أ- الاعترافات الجماعية:

يكون الدافع لها عادة وقوع الجماعة في خطأ، أو ارتكابها لخطايا خالفت فيها الإرادة الإلهية؛ مثال ذلك ما تقدم به ثمانية أفراد من مدينة هرم، لأنهم تعرضوا للإلة (ذي سماوي) بكلام سيء؛ فعندئذ تحملوا عقوبة الخطأ في شكل جماعي، كما جاء ذكر ذلك في محتوى النقش الموسوم بـ (CIH 546).

ب- الاعترافات الفردية:

تناولت النصوص النقشيه اعترافات الأفراد نتيجة ارتكابهم أخطاء، وهي تشكل نسبة كبيرة من نقوش الكفارة. ومعظم أصحاب تلك النصوص النقشية نساء.

وتتركز معظم الأخطاء الفردية في مخالفة شروط الطهارة؛ فللطهارة دور مهم لدى ديانة اليمنيين القدماء، إذ كانت توجد في معظم المعابد أماكن لتطهير الجسم والملبس (النعيم ٢٠٠٠: ١١٠)؛ لذلك فقد كانوا يحفرون الآبار ويشيدون البرك داخل المعابد وخارجها للإله (ذي سماوي). ويؤكد النقشان: (Kortler 4, 5)، أن أصحابها حفروا بئرين مع توسيعهما وطيّهما بالحجارة لإلههم في معبده المسمى (يغرو)، وبئر ثالثة، أشار لها بافقيه استناداً إلى محتوى نص النقش: (Kortler 2) (بافقيه ١٩٩٤: ٣٠؛ Müller 1978: S, 177-178)، وصيغة الاسم (ب ا ر ن هـ ن) مؤلفة من الاسم (ب ا ر) والمقطع الزائد (ن هـ ن)، الدال على المثنى المعرَف (الصلوي ١٩٩٧: ٣٩؛ Beeston 1982: 29).

ومن تلك الخطايا إقامة علاقات جنسية في أوقات حرم؛ إما حرم بيولوجي في حيض، أو نفاس، أو حرم زمني في أيام الحج. وعند انتهاء الاعتراف يعلن التائب خضوعه وتواضعه للإله المعبود، وتأدية الكفارة. وأحيانا يفصح عن حسن النية والرغبة في التوبة الصادقة، والتزامه بعدم العودة لعمل مثل ذلك. وتأتي نهاية تلك النصوص بصيغ المذكر أو المؤنث: هو(هي)، يخضع، (تخضع) ، يتواضع (تتواضع)، قدم (قدمت) كفارة.

ومن خلال دراسات لنقوش الاعترافات، يتبين أنها تتضمن: اعترافات بالخطيئة، واسم الشخص المخطىء، واسم المعبود، الذي قُدِّم له نقش الاعتراف، ونوع الخطيئة التي أرتكبها، وكذلك شكل العقاب، وكيفية التكفير عن الخطيئة؛ وأخيراً يرد وعد صاحب الخطيئة بأن لا يعود إلى ارتكابها مرة أخرى، وإعلان التوبة أمام الإله وطلب الرحمة والعطف منه ثانية.

٣- وقفية ملكية الأراضي:

كما أنفرد سكان أمير، أيضاً، بتقديم نقوش نذرية لهذا الإله (ذي سماوي)، تُذكر وقفيه ملكية الأرض وكيفية تمليكها لبعض الأشخاص، ومنها:

(CIH 531, IST 7636).

ويشير النقش: (IST 7636)، إلى الأرض الموقوفة والمقدمة للإله (ذي سماوي) بالقول: (و ت ف ن / هـ ب (ي) ب م / (ل) ذ س م وي.... و ال /ذ ب هـ م و / ي ث ب ن ن / و ج ب ا / .... (ب س) ط رم / (ع) م ن / ا ل ا ل ت م / و ا م ل ك (م).... س ع د م / ب ن / و ش ح ت / و ر ب ب / ا س (ط) رم /(ذ ن/ س) م ع ن / و ج ز ي ت ن / ك ب م [ا] / س ط ر ت.... س م ي / ب ذ ن / س م ع ن / وج ز ي ت ن / ب و ب ج ل / م ا خ ذ ت / ا د ي ن هـ م و.... ر ا /ك هـ (ع) د و/....).

وهذه وثيقة وقف للأرض هبيبم من حق الإله (ذي سماوي)، ولا يحق السكن بها وتأجيرها (حسب ما جاء في) الوثيقة، التي وثِّقت من قبل الآلهة والملوك (وشهد عليها كل من) سعدم بن وشعة وربيب (أسطرت) تلك الوثيقة والجزية وكما سطرت وسميت بهذه الوثيقة والجزية وبكل ما يشمله من التزامات........ وكما عاهدوا.

ونستدل من المحتوى العام للنقش على أن النص يمثل وثيقة وقف أرض لصالح الإله (ذي سماوي)؛ لذا لا يحق لأحد السكن

بها أو تأجيرها. وقد حددت الوثيقة حدود الأرض وسمتها. وقد صدرت هذه الوثيقة من قبل الإله والملوك، كما شهد على صحتها عدد من الشهود.

وفي هذا الإطار، نجد تحديد أملاك المعبد، من أرض زراعية أو رعوية، ومنها النقش: (GL 1142, 1143, Robin/Raydh 2)، وهناك نقش يذكر وسائل الري ووقف الأحواض والبرك المقدمة له، هو النقش الموسوم بـ (Robin, AL-Mashamayn 1)، ونقش أخر يحدد ما يخص المعبد من حيوانات وكيفية حرقها ووجوب المحافظة عليها، وإجراء الضرائب أو العشر المفروضة على الأملاك العامة، سواء كانت زراعية، أم تجارية، هو النقش الموسوم بـ (RES 4176).

وهذا ما يؤكد من خلال النصوص النقشية، إصدار الأحكام الشرعية المنظمة لشؤون حياة المجتمع اليمني القديم، الدينية والمدنية. وكان هناك ما يشير إلى سَن القوانين والنظم المنظمة للملكيات الخاصة والعامة، وضرورة الاهتمام بالأراضي الزراعية وعدم إهمالها، وحماية حدودها، والتشريعات على عدم تغير معالمها، ثم ما يتصل بها من وسائل الري، وكيفية توزيع شبكة قنوات وجداول المياه، وحقوق المزارعين، وخاصة الذين يشتركون في قناة رئيسة، والتشديد على الحفاظ على المياه وحمايتها من سوء الاستخدام في الزراعة والري، وكذا المعاملات الزراعية، مثل: تأجير الأراضي ووقفها ومنحها، أو المساقاة والمزارعة، أو عقود مالية ووثائق وديون (النعيم ٢٠٠٠: ٢٩٣- ٢٩٤) أو غرامات مالية تفرض عليهم كعقوبات لقيامهم بأعمال وأفعال وسلوكيات مخالفة للقيم والأخلاق والأعراف، التي كانت سائدة لدى مجتمعهم وغيرها.

وكان لحرمة المعابد وسلامتها قواعد منظمة لذلك. فقد وردت مجموعة من النصوص النقشية على شكل أوامر ونظم تؤكد على تلك الحرمة والقداسة، كتحريم الاعتداء على المعابد بالتعرض لبنائها، أو الاعتداء على محتوياتها الداخلية، أو القيام بعمل ما يحرمه المعبد سواء في داخله أو في ملحقاته.

ويستدل مما جاء في محتوى النقش: (بافقيه، ذو يغرو ١)، أن صاحبه أنفق نقوداً كان من المفترض أن يقدمها للإله (ذي سماوي)، أي أنه كفّر للإله (ذو سماوي) في معبده المسمى (يغرو)، لأنه أخفى نصف النقود في منطقة (شرسة) في ناحية أرض أسد، وكان فرض لذي سماوي (نقوداً) من سلعتهم، فأنفقها في (شيء أخر)، فتضرع للإله (ذي سماوي) ليثيبه وأملاكه وأهل بيته فليدم عليه نعمًا وبركة (النعيم ٢٠٠٠: ٤٣٦-٤٣٨). كما أشارت مجموعة أخرى إلى كيفية الالتزام بتنظيم دخول المعبد، وكيفية الحضور إليه، وفق شروط محددة والتزامات معينة، كالطهارة الجسدية، وطهارة الملبس، وما يترتب على ذلك من التزامات أخرى.

إضافة إلى ذلك، تحريم الاعتداء على ممتلكات المعبد الخاصة، على نحو ما ورد ذكره في محتوى نص النقش: (CIH 522=RES 5850)، الذي أُشير في متنه إلى حادثة سرقة تعرض لها معبد الإله (ذي سماوي)، وتدمير مزارع الكروم، وتغير أنصاب حدود تلك الممتلكات؛ فنتيجة لهذه الانتهاكات كان غضب الإله، وهجر المعبد كعقاب لأتباعه، وهذه إشارة واضحة لشدة وقوع هذه الحادثة وكيفية نزول العقاب الإلهي بصرامة، للحد من مثل هذه الظاهرة وعدم تكرارها وتحريم وقوعها مرة أخرى (النعيم ٢٠٠٠: ١٦٨).

وفي نقش أخر هو: (RES 850 = CIH 522)، يُذكر فيه بأنه إذا تعرض الشاهد الموضوع داخل محرم المعبد المسمى (بقرم)، أو تعرض المحرم لسرقة، أو تُرك محرم المعبد دون حراسة فسوف ينزل عليه الإله أشد العقوبة واللعنات وغضب الإله (ذي سماوي).

ويدل ذلك على أن الأميريين كانوا ينجزون بناء قبورهم، ويدونون عليها دعاء يتضرعون فيه للإله (ذي سماوي)، أن ينزل أشد العقوبة، وأن يهلك كل من ينبشها أو يتعرض لها بأذى، أنهم يضعونها تحت حراسته وحمايته. كما كانوا يضعون شواهد قبورهم، أيضاً، تحت رعايته وحمايته في الأماكن المخصصة لها داخل معابده، أو تلك الشوهد التي يضعونها في أماكن أخرى خارج تلك المعابد.

لهذا، كان الأميريون يوقفون لذي سماوي الأراضي الزراعية، لكي ينفق من ريعها على المعابد وعلى شؤون خدماتها الإدارية، وعلى القائمين بنظافتها والمشرفين عليها، وترميماتها إذا تطلب الأمر ذلك. ليس هذا في مناطقهم

الأصلية فحسب، وإنما في كل مناطق مراكز تجارتهم، حيثما حلوا ونزلوا، إذ يتضرعون إليه بالدعاء لحمايتهم وحماية جميع ممتلكاتهم، وحفظهم من إي أذى أو مكروه قد يعترضهم أو سوء قد يصيبهم.

تقدمات نذرية مختلفة للإله ذي سماوي

أ- تماثيل الجمال (أبلن)

من ضمن التقدمات التي انفرد بها أهل أمير، تقديم تماثيل جمال ونذور مختلفه في أوقات كثيرة (النعيم ٢٠٠٠: ١٠٩-١١٠، ١٧١). وتؤكد تلك التماثيل أهمية الجمال في حياة أغلب سكان أمير. فقد كانوا يعنون بتربيتها لارتباطها الوثيق بمعيشتهم وتجارتهم، إذ يؤجرونها لأصحاب القوافل التجارية. وكان كثير منهم يعملون أدلاء لتلك القوافل (القحطاني ١٩٩٧: ٨٣). ويشرفون على الجمال ويرعونها لضمان سلامتها وتزويدها بالمؤن والعتاد تحت حماية معبودهم الإله (ذي سماوي). وهذا يعني أن سكان أهل أمير كانوا، على ما يبدو، يرون في الجمل رمزاً مقدساً يرتبط بهذا الإله.

لذلك، فلا غرابة في أن يُكتسب الاعتقاد بحماية الإله (ذي سماوي) للجمال، من خلال معابده المنتشرة بانتشار عابديه الأصليين في المراكز التجارية الكبرى. فقد لقيت عبادته أهمية مقبولة عربية شاملة. وذلك القبول يتماشى مع العقيدة الوثنية ونظرتها إلى الكون، القائمة على تعدد الأرباب فيه بتعدد الشعوب (بافقيه ١٩٩٤: ٣١)، والقبائل والمناطق، بل والمظاهر الطبيعية، وتوزيع الاختصاصات بين أعضاء البانثيون (مجمع أرباب الآلهة)، في المنطقة التي يرعاها ويسيطر عليها.

ومن مظاهر الاعتقاد بحماية الإله (ذي سماوي) للإبل، ما حفلت به المعابد من التماثيل البرونزية الصغيرة، غير البرونزية، من الدمى الطينية والتمائم والتعاويذ، التي كانت تقدم له في معابده، بغرض الحماية من العين الشريرة، والوقاية من الأمراض والطاعون والأوبئة والكوارث الطبيعية، التي قد تلم بهم، أو من أي سوء أو مكروه قد يصيبهم. إضافة إلى ذلك، الرسوم الصخرية، واللوحات التصويرية، وعلى شواهد القبور، واللوحات النقشية الحجرية والبرونزية، المقدمة من أصحابها إلى معبودهم الإله (ذي سماوي)، التي أقيمت لعبادته في المدن والأماكن المختلفة والأقاليم، سواءاً التي استوطنوها أو التي كانوا، عادة، ينزلون بها أثناء مزاولتهم الأعمال التجارية فيها.

وقد جاءت تلك الرسوم والنقوش للإبل في أوضاع مختلفة، إما واقفةً أو رابضةً؛ وفي أشكال أمامية أو جانبية. وقد يظهر رجل ممتطياً سنام الجمل أحياناً، أو ممسكاً بزمامه، أو قد تظهر الإبل على التماثيل وهي تضع مطيتها في البعض الأخر منها. وقد مُثّلت جميع أنواع هذه الإشكال، على موائد القرابين والعملات والأختام وأدوات الزينة والأواني واللقى الأثرية، الحجرية منها والفخارية والبرونزية والخشبية وصفائح العظام وغيرها. ولدينا من المنطقة المسماة بالشظيف، المعبد أو المستوطنة، تمثال برونزي من ذلك النوع.

ولعل المثل الواضح على ذلك هو التماثيل الأربعة للإبل المقدمة من أبي كرب احرس العبلي السبئي مقتوى شعرم أوتر يطلب، فيها من الإله (ذي سماوي)، في النقش الموسوم بـ (RES 4143)، حماية أنعامه (بعرهو) (بافقيه ١٩٩٤: ٢٢، ٢٨٨، هامش ص ٥٠)، إذ يذكر صاحب النقش: (اب ك ر ب / ا ح ر س / ب ن / ع ب ل م / هـ ق ن ي / ذ س م ي / ع د ي / و ت ر م / ا ر ب ع ن / ا ب ل ت ن / ذ هـ ب ن /ل و ف ي هـ و / و و ف ي / ب ع ر هـ و / ب ذ س م و ي)، وصاحب النقش (من أعيان سبأ من أسرة بني عبال وهو يتقرب إلى الإله (ذي سماوي) في معبده المسمى (وترم) بأربعة تماثيل برونزية من الإبل أي (جماله)، لسلامتهم وحماية وسلامة بعيره بجاه الإله المعبود (ذي سماوي).

وفي نقش أخر: (CIH 536)، نجد أن صاحبه يذكر (هـ ق ن ي / ذ س م و ي / ا ل هـ / ا م ر م /ع د ي / و ت ر م/ ا ب ل ن / ذ ذ هـ ب ن / ل و ف ي هـ م و / و و ف ي / ب ع ر / ق ن ي و / و ي ق ن ي ن ن / ب ذ س م و ي) ، أي أنه (قدم قرباناً للإله (ذي سماوي) إله أميرم في معبده المسمى (وترم) تمثالاً برونزياً من الإبل وذلك لأجل سلامته وسلامة بعيره طالباً فيه حمايته وحماية خدامه، ووضعهم تحت حراسة وحماية معبودهم الإله (ذي سماوي) .

وفي نقش أخـر: (شـعـلان، نقش جـديد من نقـوش ذي سمـاوي، أودمـاتو، العـدد6 = متحـف قسم الآثار626-20 A) (شعلان ٢٠٠٢: ٧-١٢)، الذي قدم صاحبه للإله (ذي سماوي) إله أميـر قـرباناً في مـعبـده المسـمى (م ع رن)، وهو مـعبـد من المحـتـمل أنه أقـيم بناؤه في المنطقـة الواقـعـة في بني نوف الجوف، حيث عُثر على النقش هناك، وعلى تماثيل من البرونز للفـرس والإبل، وذلك من أجل سـلامـتـهم وسـلامـة بعيـرهم. والقرابين كانت تقـدم للإله (ذي سـمـاوي) لسـلامـة الإبل، كـمـا ورد في محـتوى نص النقش: (RES 3902)، وكذلك لسلامة الناذرين وإبلهم، كما جاء في النقش: (RES 8188) ففي هذا النقش نجد أن التقدمة شملت تمثالين: أحدهما للإبل، والأخر للفرس، وسنتناوله في الصفحة التالية.

وأمـا اللفظ (و ا ب ل ت ن)، فـالواو هنا حـرف عطف، و (ا ب ل ت ن) اسم معطوف جاء بصيغة المفرد المؤنث، والنون في أخـره ، كـمـا هو مـعـروف في قواعـد اللغـة اليـمنيـة القـديمة، للدلالة على تعـريف الأسـمـاء، والمعنى (الأبله أي النـاقـة)، أو بمعنى أخر (الجمل الأنثى) (شعلان ٢٠٠٢: ١٠)، و(ا ب ل)، و(ا ب ل ت)، و(ا اب ل) تعنى "جـــمل" في المعــجـم الســبــئـي (Beeston 1982: P. 1)، و(ا ب ل) هنا (فـعل) تعني (نحـر، ذبح) (بافـقـيـه ١٩٨٥: ٥٣٠) وجـاء في النقش: (CIH 521)، تقـدمـة لـلإله (ذي سـمـاوي) تمثـال من ذهب أي من (البـرونز)، وقد دلت على ذلك الصيغة التالية: (اب ل ن / ذهـ ب ن).

وكانت التماثيل تقـدم على شكل أنثى الإبل (النـاقـة)، أيضـاً، كما نستدل على ذلك من خلال الصيغة، التي وردت في النقش: (RES 4142)، (...../ص ل م ت / و ا ب ل ت ن / ض ب ي ت ن // ذ ت / و س م هـــ و /ا ض ر م /ا ل ي / ذ هــــ ب ن/.....).

و (ا ب ل ت م) تعني اسم جبل أيضاً (بافقيه ١٩٨٥: ٤١٥)، ونسـتدل على ذلك من خـلال محـتوى النقش: (RES 3551)، بأنها جاءت أيضا باسم مكان، كما دلت عليها تلك الصيغة (ب ع ر ن / ا ب ل ت م) بمعنى (بجبل الإبل) الواقع في جبل خيزه على بعد ٢,٥ كم تقريبـاً شـرقي مدينة هجـر كحـلان (بافقيـه ١٩٨٥: ٣٠٣-٤).

ولهذا، انتشر كثيرٌ من أسماء الأماكن، منها: "تقيل الإبل"، شرقي جبل صبر المطل على مدينة تعز، "وهيجة الإبل"، و"حود الإبل"، الواقـعـان في الجـبل المعـروف باسم "المنعم"، بقـرية تبـاشـعـة بلاد الوافي، جـبل حـبشي تعـز. وفي أحـد النقـوش القتبانية وردت كلمة (إبل) للدلالة على سلالة أو كنية لقبيلة، إذ نستدل من الصيغة التي جاء ذكرها في النقش:

(RES 3871)، (ر ب ح م / ب ن / ا ب ل ن / ق د م / م ب ن ي /ر ي د ن /.......) أن صــــــاحب النـقـش مـن الملوك القتبانيين المنتمين إلى أسرة الإبل. وهذا الاسم لا يزال متداولاً لدى اليـمنيين حتى عـصـرنا الحـديث، وهو اسم تحـمله بعض الأسـر اليـمنيـة كلقب لهـا، وهذا يدل على التـداول المسـتـمـر للتلقب به. ومن خـلال الدراسـات للنقـوش النذرية نجـد أن صيغـة اللفظ (ا ب ل ت ن)، جاء ذكرها في عدد من النقوش السبئية، منها على سبيل المثال لا الحصر:

(RY 548 = IST 7627 , CIH 540 , 541, JA 665, RES 3551 , 3910)، وبعض منهـا مـقـدمـة للإله (ذي سماوي).

أما النقش الموسوم بـ (بافقيه ١)، فنستدل من محتواه العام أن ربيب صـاحب إبل (وحتى لو كـان بعيـراً واحـداً) يؤجـرها. ويبـدو هنا أنـه عـزم على الذهاب إلى المواضع، التي يكون فيها طلبٌ لتأجيـر الجمال لنقل البضـائع التـجـارية، وهي المحطات الواقعة على طريق البخور. وكانت وجهته بلاد المعافر مذحج، التي تقع على هذا الطريق التجاري. ولا يُعـرف هل "ربيب" من قبيلة أمير، أم هو صاحب جمل (جمال) من قبيلة أخرى تعمل على ذلك الطريق التجاري؟ فزوار معبد (ذي يغرو)، كما يظهر بجلاء من النقوش المعروفة، من قبائل مختلف، في أراضيها الأصلية (بافقيه ١٩٨٥: ٢٣).

واللفظ (ب ع ر هـ م و)، صيغة مركبة من (ب ع ر) و(هـ م و)، و"بعر" مضاف، و"هم" ضمير الجمع للغائبين، وهو مضاف إليه، و"الواو" في أخره لإشباع حركة الضم، والمعنى (جمالهم أو ماشيتهم) أي (الذكور من الإبل) (شعلان ٢٠٠٢: ١١). فصاحب النقش تقـدم بقـربان للإله (ذي سـمـاوي) من أجل سـلامتـه وسلامة بعيرهم.

وفي هذا السياق يرد في عدد من النقوش اللفظ (و و ف ي)، أو (ب و ف ي هـ و) الدالة على سلامة بعيره، وقد ورد ذكرها في نقوش أخرى، منها: (JA 709 /5-6)، وما يماثل ذلك في النقوش: (JA 762/9-15, BR-M. , Bayhan 10-18)، التي يُذكر فيها سلامة جسد المهرة، وكذلك سلامة البعير، و التقدمات كانت تمثالاً لفرس مذّهب، أي من البرونز.

ب- تماثيل (أفراس):

ومن التقدمات القربانية المقدمة للآلة (ذي سماوي)، أيضاً، تماثيل برونزية ترمز للفرس[٤] (أنثى الحصان)، الذي رأى فيه اليمنيون القدماء بدائل عن الحيوانات الحية. وتقدموا بالفرس كقرابين لآلهتهم في معابدها، إما طالبين العون في إنجاز مهماتهم، التي يرجون تحقيقها من قبل معبوداتهم، أو حمداً وشكراً لما أنعمت به الآلهة عليهم، من حفظهم وسلامتهم وسلامة زوجاتهم وأولادهم وكل ممتلكاتهم، أو إنجاز أي عمل يقومون به. وقد جاء في النقش: (شعلان، نقش جديد من نقوش ذي سماوي، أودماتو، العدد، ٦، ص٧ = A -20 262 قسم الآثار)، (ع ص ي ت/ ب ن /ع ث ك ل ن / هـ ق ن ي / ذ س م و ي / ا ل هـ ا م ر م /ع د ي / م ع ر ن / ف ر س ن / و ا ب ل ت ن / ذ ي / ذ هـ ب ن / ل و ف ي هـ م و / و و ف ي / ب ع ر هـ م و)، أي أن صاحب النقش: عصيت بن عثكلن قدّم قرباناً للإله (ذي سماوي) إله أمير في معبده المسمى (معرن)، التمثالين البرونزيين أحدهما (فرس) والأخر (ناقة أو إبلة) وذلك من أجل سلا متهم وسلامة بعيرهم، أي جمالهم.

وتُعد هذه التقدمة للإله ذي سماوي هي أول إشارة يرد فيها ذكر الفرس، في هذا النقش النذري الوحيد، من ضمن النقوش المقدمة للإله (ذي سماوي). ويلاحظ أن الفرس قُدم للإله (ذي سماوي)، وهذا لا يعني أن الفرس قد أقتصر فقط على هذا الإله، بل نجد الفرس في نقوش أخرى، أيضاً، يقدم كقربان للآلهة (الشمس). ويرى كل من ريكمانز، وهوفنر أن الفرس كان رمزاً خاصاً بالآلهة (شمس) (Höfner 1970: S, 522-3, 532; Rykmans et al. 1975: P 294). إلا أننا نجد الفرس أيضاً، كرمز مشترك للإله (القمر)، الممثل باسم الإله (ذي سماوي). ونذهب إلى ما ذهب إليه كريستيان روبان[٥]، بأنه ليس ظاهراً بأن الفرس كان منفردًا بإله واحد بحد ذاته، ولا مرتبطا ارتباطاً مباشراً بإله محدد. ومما يؤكد على ذلك ما كان متداولاً في ارتباط الآلهة في صيغة التضرعات، التي - عادة - ما تختم بها النقوش في الأدعية. وكيفية ترتيب هذه الآلهة وأهميتها الدينية حسب اعتقاداتهم.

ج- تماثيل البغال:

شملت التقدمات الحيوانية، أيضاً، البغل، الذي كان تمثاله يقدم كقربان يتقرب به أهل أمير لمعبودهم الإله (ذي سماوي). طالبين منه العون والحماية والسلامة والسداد، كما جرت العادة السائدة لديهم، والأكثر شيوعاً في اعتقادهم. ويؤكد ذلك النقش: (RES 4146)، الذي يرد فيه ذكر البغل كتقدمة للإله (ذي سماوي) كما جاء في محتوى نص النقش: (........./وب ن/ (ي هـ م و) / ب ن و / ذ س ح ر / هـ ق ن ي و / م ر ا هـ م و / ذ س م ي / ب ع ل / و ت ر م / ب غ ل م / (ب غ ل هـ م و /) ل غ ب م / ل.........)، أي أن الناذرين قدموا للإله (ذي سماوي) بغلاً لأجل يغلهم النعم. كما يُستدل على أن القرابين كانت تقدم من أجل حماية أبغالهم، التي تعد وسيلة من وسائل النقل البعيدة، لما تمتاز به من قوة التحمل وسرعة النقل. فهو ينقل بضائعهم وأمتعتهم، خلال تنقلهم عليه من مكان إلى آخر في حلهم وترحالهم.

ويذكر في النقش أن أسرة من سبأ هي (ذي سحر)، والمعدودة ضمن المثامنة، تتقدم للإله ذي سماوي في معبده المسمى (وتر). وهذا يعني أن هذه الأسرة كانت تقيم على مشارف الصحراء ومنافذ طرق القوافل التجارية، وكان أبناؤها على صلة مستمرة بالبدو وأصحاب الإبل، فكانوا هم، أيضاً، من ملاكها (شعلان ٢٠٠٢: ١٠) .وهذا يشير إلى أن هذه الأسرة كانت تربطها بـ (أمير) روابط وشيجة، ليست فقط في التجارة بل كذلك في المعتقدات الدينية.

د- تماثيل الأغنام:

وفي النقش: (JA 720)، يتقدم صاحبه بعنزة كقربان لهذا المعبود (ذي سماوي).

ولا تذكر النقوش اليمنية عن حيوانات القرابين سوى القليل، ولكن من المعتقد أنها، بشكل عام، حيوانات مقدسة ورمزية للآلهة، التي كانت تقدم كصور تماثيل بديلة في معابد الآلهة تلك. وقد ينص النقش، أحياناً، على أن يكون الحيوان ذكراً أو أنثى لا عيب فيه، وخالياً من أية نقيصة.

هـ- تماثيل مقدمة شكراً لما مَنَّ عليهم من النعم:

ومن النقوش النذريه ما يُقدم لهذا الإله (ذي سماوي) حمداً وشكراً، على ما مَنَّ عليهم به من السعادة والرضا والنعم والعون، في أنجاز أعمالهم الحياتية الدينية والدنيوية وغيرها، كما جاء ذلك في نقوش، منها: (CIH 525 , 141, PIR.47.11/p8 nº 1)

وفي النقش: (CIH 528)، يذكر (ا ل ر ب /م ق ت و ي/ ا و س ا ل / ذ ج ر ف م/ هـ ق ن ي/ ذ س م وي / ا ل هـ / ا م رم / ب ع ل/ ب ي ن / ص ل م ن / ح ج / ت و ك ل هـ و/ ل وف ي هـ و/ و و س ف هـ و/ ذ س م و ي / ن ع م ت م). أي أن صاحب النقش (يقدم للإله (ذي سماوي) إله أميرم سيد المعبد المسمى (بين) التمثال بموجب أو بمقتضى ما سأله من فضل، وزاده (المعبود) ذي سماوي نعمة وبركة.

وفي المتحف العثماني باسطنبول يوجد نقش سبئي هو: (CIH 535)، ينص على تقديم قربان للمعبود (ذي سماوي) هو تمثال واحد وجملين، يطلب صاحبه الشفاء لجمله من المرض، الذي أصيب به.

وبعض القرابين كانت تقدم للإله (ذي سماوي) كحماية للفتيان والفتيات، إذ يطلب الآباء فيها دوماً حمايتهم وسلامتهم، والتمتع بالصحة الجيدة. وللدلالة على أهمية الإله (ذي سماوي) عند الأميريين بوصفه هو الذي يمنحهم الأولاد الذكور الصالحين، فكانوا يتبركون باسمه ويضفونه على أسمائهم، ويسمون أبناءهم تبركاً وتيمناً به، مثل: (و هـ ب ذ و س م و ي) (الحمد ١٩٨٩: ١٦٨). ومن هذا يُستنتج أنهم كانوا يعتقدون أن الإله (ذي سماوي) هو الذي يهب لهم الأولاد الأصحاء.

وكذلك، كانوا لا يقميون المنشآت المعمارية إلا بعونه، وتوضع تحت حمايته. وقد دلت على ذلك النقوش عند إنجازهم المنشات المعمارية. وفي النقش (يوسف، السوا، ص ٣٦)، يذكر أن صاحب النقش (.... شيد وأقام بناء معبد الإله (ذي سماوي) إله أمير (بالبرحة المسماه الصيرات) تحت مدينة السوا، فليدم الإله (ذي سماوي) إله أمير بالسلامة والنجاة والحماية لصاحب النقش وقبيلة بني معافر (أي من أبناء أقليم المعافر) سادة (القصر) شبعا ن.....) (عبدالله ١٩٨٨: ٣٦-٣٩).

وفي النقش: (CIH 517)، قام أصحابه ببناء بيتهم المسمى (ي ف ض) تحت حماية الإله (ذي سماوي)، فتقدموا له بالحمد والشكر لما أعانهم على أنجاز هذا البناء .

ومن خلال النقوش والنذور والقرابين المقدمة، نستدل على أن أصحابها كانوا يتقربون إلى معبودهم الإله (ذي سماوي) بقرابين ابتغاء حصولهم منه على الحماية والسلامة، لهم ولممتلكاتهم ومنشاتهم العامة والخاصة، وتحقيق ما يؤملونه منه، ولمنحهم، مثلاً، الأولاد الذكور الأصحاء السالمين الصالحين الأقوياء، وغير ذلك.

و- تماثيل مقدمة نظير شفائهم من المرض:

ومن ضمن النقوش المقدمة لهذا الإله (ذي سماوي) كقرابين تلك التي، قدمت له في معابده، أيضاً، لأنه منح المتقربين شفاء من المرض، والصحة التامة وأسبل عليهم النعم. ومن ذلك النقش: (CIH 530)، الذي يقول: (هـ ق ن ي/ ذ س م و ي/ا ل هـ / أ م رم/ ب ب ي ن /ص ل م ن/ ذ ذ هـ ب ن/ح ج ن/ ذ ت/ وق هـ و/ ب ذ ت/ م ت ع /ذ س م و ي/ ع ب د هـ و/ا ل و هـ ب/ ب ن / م ر ض/م ر ض/ ل و ف ي هـ و/ و و ف ي/ ا خ ي هـ و/ و وف ي/ ب ي ت هـ م و/)، قدم قرباناً لمعبوده الإله (ذي سماوي) إله أميرم في معبده المسمى (بين) تمثالاً من البرونز وتقرب إليه كون الإله (ذي سماوي) منح عبده أو مَنَّ عليه بالشفاء من مرض أصيب به وألَمَّ به وعافاه منه، ولسلامته وسلامة أخيه وسلامة أهل بيتهم من أي أعراض صحية قد يتعرضون لها .

ويستدل من خلال هذه النقوش المقدمة، أن أصحابها كانوا

يرون أن هذا المعبود هو الحامي والشافي والحافظ، وأن لديه قوى غيبية وخارقه؛ فيلجأون إليه في وقت الشدة. فليس غريباً أن يطلبوا منه الحماية من أي مكروه قد يصيب أحدهم؛ لذا كانوا يقدمون له القرابين والنذور طالبين منه الشفاء من الأمراض، وأن يقيهم من العين الشريرة، أو الأرواح المخفية، والنجاة والسلامة في حلهم وترحالهم، وأن يؤازرهم في الحروب وينصرهم على أعدائهم، وأن يعودوا منها سالمين غانمين، وأن يحفظهم ويحفظ زوجاتهم وأولادهم وحيواناتهم وكل أموالهم وأراضيهم ومنشأتهم وممتلكاتهم من الكوارث الطبيعية، أو ما قد يصيبها من أي مكروه أو أضرار، قد تتعرض لها .

ز- تقدمات نذرية في شكل محارق للبخور والمسارج:

ويتبين من وجود المباخر الكثيرة في أطلال المعابد، أن قرابين حرق البخور وأشجار الطيب كانت تُقدم للإله (ذي سماوي). ويستدل على ذلك من وفرة المذابح، التي عثر عليها في الحفريات، وكذلك بالمباخر التي وجدت بكثرة ملحوظة في مواقع المعابد وغيرها. وكانت قد جرت العادة بإحراق البخور والإضاءة باشعال فتائل تغمس بالزيت في تلك المسارج، في أماكن العبادة والمحلات المقدسة الأخرى، في إثناء ممارسة بعض الشعائر والطقوس الدينية، وعند تأدية بعض أمور الشؤون الحياتية الأخرى، كشؤون الولادة والتطبيب من المرض ومراسيم الزواج والختان والموت، أو عند زيارة القبور وتقديم النذور، وفاءً لمعبودهم الإله (ذي سماوي).

والواضح من خلال محتوى النقش: (الصلوي، نقش جديد من نقوش الاعتراف العلني، ص٢٢-٤٥) (الصلوي ١٩٩٧: ٢٥)، الذي وردت فيه الصيغة التالية: (.... وهـ ن/ص ع د/ ول م / ي ن ور/ ع ل هــ ن/ ف هــ ض ر ع/ و ع ن و / و ي ح ل ا ن)، بمعنى أن صاحبه صعد إلى المعبد أو الموضع العالي فيه المخصص للإنارة، الذي توجد فيه المحارق التي تحرق فيها مواد القرابين وأنواع البخور والطيوب ولم يُنيره عليهن، إي لم يقدم قرباناً، أو بعبارة أخرى، لم يُنيره المعبد بالمسارج الموضوعة لاستخدام الإنارة في المكان المحدد لها، فانتابه شعور باقترافه الخطيئة بحق الإله (ذي سماوي)، فتضرع له طالباً غفرانه مغتنماً، نتيجة لذلك، ندمه الشديد على اقترافه سلوكيات وأفعال خاطئة، معلنا التوبة؛ وأنه سيمتنع من معاودة مثل تلك الأفعال والسلوكيات الخاطئة مرة أخرى ألبته، وهذا ما يعني أنهم كانوا يقومون بالتزامات محددة، إزاء ما يؤدونه به من طقوس وشعائر دينية، خلال الزيارات لتلك المعابد، وما يرافقها من شروط القيام بالإنارة والتبخير والتطيب وغيره.

وكان للمجامر ميزة شائعة عند اليمنيين القدماء، كما هو الحال في الحضارات القديمة الأخرى. وتبرز أهمية البخور في المعتقدات الدينية، في الارتباط الروحي العميق بفوحه للروائح الزكية، التي تنبثق منه للعابدين ومعبوداتهم. فلا غرابة في أن يكون للتبخير شأن كبير في أداء الطقوس في المعابد، إذ لا بد من حرق البخور فيها. وتشهد الأشكال المتنوعة من المجامر، على الاستخدام الطقسي المنتشر بصورة واسعة للتبخير بالطيب. فكانت المباخر مجرد أوعية مكعبة أو مربعة أو مستطيلة، ذات قوائم أربع وبعضها قصيرة وأبدانها العلوية مجوفة بأشكال مقعرة وعميقة إلى الداخل، وتحمل نوعاً معينا من الطيب كان منتشراً على المجامر. وعلى كل واحدة من الواجهات الأربع للمبخرة أسماء مختلفة، من أنواع البخور المستخدم في الحرق في ذلك العصر، كاللبان والرند والقسط والصرو والقلم....وغيرها، وهذا النوع من المجامر أو المحارق- كما تشير (بيرين) في رأيها - قد اختفى من الظهور حوالي القرن الأول الميلادي تقريباً (بيرين ١٩٨٦: ٢٢).

وتشير الأنواع الصغيرة لبعض هذه المباخر، ومنها تلك التي وجدت في داخل القبور، إلى أنها كانت تستخدم، أيضاً، في العبادات المنزلية، وأثناء طقوس إعداد الموتى. وهي مباخر إحجام صغيرة ومصنوعة من الحجر الكلسي أو الرملي، أو من البرونز أو الفخار، ويُزيّن أبدانها زخارف محزوزة أو مرسومة، تمثل أشكالاً هندسية وخطوطاً متقاطعة ومناظر حيوانية أو نباتيه، وربما مناظر لصور بشرية.

أما النوع الأخر من هذه المجامر، فذات أحجام بأحجام كبيرة، مصنوعة من الحجر الكلسي أو الرملي، وربما من البرونز أو الفخار. وقد أعدت على شكل مكعب، ويُحمل هيكلها على قائم بشكل قاعدة مخروطية على شكل هرمي إلى

الأعلى، مع تجويف في جسم المجمرة أو المبخرة، وبشكل مقعر ليس عميقاً من سطح البدن. وتزين عادة إحدى واجهاتها الأربع بزخارف متنوعة، عن طريق النحت البارز أو الغائر. ويمثل الهلال رمزاً للإله (القمر) على هيئة شكل قرني الثور، ويتوسطه دائرة على هيئة القرص، رمز الآلهة (الشمس)، واسم المبخرة في الأعلى. ويرتكز على قاعدة مخروطية الشكل، إضافة إلى زخارف معمارية ووحدات هندسية مربعة، تمثل النوافذ والأبواب الوهمية. وعلى بعض منها زخارف تمثل مناظر لبعض الحيوانات، كالوعول التي رسمت أشكالها بأوضاع مختلفة، إما واقفة أو رابضة أو جانبية أو أمامية.

وكانوا ينقشون على قاعدة المبخرة أو المجمرة، بعض الصور للحيوانات، خصوصاً الوعول منها: صورة وعلين يقف كل واحد منهما على رجليه الخلفيتين، أو يستندان بأرجلهما الأمامية على فروع شجرة، في حالة الالتقاط للعشب من أغصان تلك الشجرة. ومن المحتمل أن تكون الشجرة رمزاً للحياة والخلود والبقاء والتناسل والإخصاب والتكاثر. وفي مجامر أخرى، نجد صورة رأس الوعل فقط. وكان يكتب اسم مقدم المجمرة، إذ كانت تقدم كهدية (قربان) إلى الإله المعبود في المعبد، إضافة إلى نصوص التقدمات، التي تشمل أسماء المقدمين وأسباب التقدمات وأسماء الآلهة ومعابدها التي قدمت فيها، كذلك تذكر النقوش، بعض أسماء هذه المجامر أو المحارق، التي كانت تستخدم لأنواع مختلفة من البخور والطيوب، ومنها (م ق ط ر) مقطر، (م س و د ت) مسودت (م ف ح م) مفحم (م ج م ر) مجمر.

وقد جاءت التقدمة للإله (ذي سماوي)، وهي مبخرة يحمل هيكلها بدن هرمي الشكل، وسطحها مقعر بعمق، وعلى أحد واجهاتها منظران؛ المنظر الأول نقش مقدم لهذا الإله، والمنظر الأخر يعلو نص النقش. ويمثل رمز الإله (القمر) ورمز الآلهة (الشمس) (الهلال والقرص). كما أن الإله (ذي سماوي) فقد أنفرد بالرمز الخاص به، وهو السُّلم ذو الخطين الرأسيين المتوازيين من الأسفل إلى الأعلى، يتوسطهما خطان أفقيان مائلان قليلاً، وهو ما يشبه سُلّم الدرج التصاعدي من الأرض إلى السماء والنزول إلى الأرض. وفي الوقت نفسه، يشبه حرف "الذال"، أحد الحروف الهجائية في لغة النقوش اليمنية القديمة، وقد وضُع على يمين النقش ويساره عند جانب ونهاية النقش؛ وهناك إطاران جانبيان عند أطراف واجهة المبخرة، وبشكل راسي ويحف المنظرين نقش التقدمة للإله (ذي سماوي)، وهما يرمزان للإلهين (القمر، والشمس)، وهما يشكلان وحدات هندسية مربعة متعاقبه ومتتالية، من الأعلى إلى الأسفل، ممثلة على هيئة أبواب ونوافذ وهمية، وبعمق غائر إلى الداخل من جسم المبخرة .

والنقش المنشور: (طيران ٢٠٠٠: ٥٠-٥٦)، مقدم للإله (ذي سماوي) جاء في محتواه: (ن هـ ي ت / ب ن/ م ل ك م/ هـ ق ن ي/ذ س م و ي / ذا ذ ن ن/ م ف ح م ن / ل و ف ي هــ و)، أي أن صاحب النقش قدم للمعبود (ذي سماوي)، في معبده المسمى (ا ذ نن) المجمرة المسماة (مفحمن)، وذلك لمنحه إياه السلامة والسعادة.

وفي هذه التقدمة جاء في النقش النذري المقدم للإله (ذي سماوي)، اسم المقدم واسم الإله ونوع التقدمة القربانية، وهي مجمرة أو محرقة عُرفت باسم (م ف ح م ن). كما تجدر الإشارة هنا إلى أن هذه اللفظة في نقوش أخرى ومنها النقش: (RES 3327)، التي قدمت للإله ذي سماوي في معبده المسمى (ذ ا ذ ن ن)؛ فحرف (الذال) هنا اسم موصول للمفرد المذكر الدّال على النسبة إلى مكان أو قبيلة، وعادة يرد في لغة النقوش اليمنية القديمة متبوعاً بعد اسم الإله ومسبوقاً باسم المعبد المنسوب إليه، لذا، فإن (اذ نن) اسم معبد للإله (ذي سماوي)، وقد يكون اسماً للمكان، فنُسب المعبد إليه وسمي باسمه (القحطاني ١٩٩٧: ٧٨-٩٠).

الخلاصة:

يستدل من خلال النقوش الأميرية أن أصحابها كانوا لا يقتصرون في تأدية طقوسهم الدينية على أماكنهم الأصلية فحسب، وإنما كانوا يؤدونها في مناطق إقامتهم خارج حدود مستقراتهم الأصلية، أيضاً، نظراً لكونهم يشتغلون بالتجارة ما جعلهم يضطرون للتنقل من مكان إلى آخر. ومن هذه المناطق، مدينة تمنع، وشعوب خارج مدن: صنعاء، وعمران، ومأرب، والسوا في إقليم المعافر، وغيرها من الأماكن، حيث ما حلّوا أو نزلوا لغرض الاتّجار.

ومن خلال الدراسات لمحتويات النقوش والمخلفات الأثرية، وجدنا أن تلك الوثائق تشير إلى وجود ظاهرة دينية بلغت درجة كبيرة من التطور، كما تشير النقوش إلى شدة تمسك الأميرين بطقوس دينهم، وتأثر مجالات حياتهم الخاصة والعامة بمعتقداتهم، وانطباع الحياة الدينية عندهم بطابع متميز هو الطابع الحضاري، الذي ظهر أثره من خلال الهندسة المعمارية للمعابد، وفي فن شؤون الإدارة المسيّرة لها، وفي تحديد جباية الضرائب المفروضة على السلع التجارية، والمنتجات الصناعية والزراعية، ومزاولة الأعمال والحرف اليدوية، التي تتطلب دفع الضرائب عليها، ومن دخول المعبد في الحياة العامة والخاصة للمجتمع وتنظيمها بشكل سليم، في مجتمعات دينية ذات طابع سياسي كدخوله الأسواق في تعاملاتهم بيعاً وشراء باسم الإله، ومساعدته لدولتهم في شق وتعبيد الطرق ورصفها بالحجارة، وبناء حواجز لها عند حافاتها، وفي دفع تكاليف الحروب من أموال المعبد، التي كانت مصدر دخل للدولة وعماد ريعها .

وإضافة إلى أن المعبد عندهم مكان مقدس، ومكان للعبادة، فإنه في الوقت نفسه، مركزٌ للمجتمع يُزاول فيه كثير من النشاطات الاجتماعية، وإيجاد الحلول المناسبة لها أولاً بأول. فقد كانت تدور فيه مناقشات الأمور المتعلقة بالحياة الدينية، وتصدر فيه الأحكام والعقوبات والغرامات المالية اللازمة، إزاء المخالفات الناتجة من أفعال وسلوكيات خاطئة ومخلة بالآداب والأعراف السائدة داخل المعابد وخارجها، تحدد فروضها وفقاً لأحجام تلك المخالفات وأنواعها كل على حده، وتعلن فيه التشريعات المحكمة المنظمة لحياة المجتمع الدينية والمدنية.

فقد عرف الأميريون العديد من أنواع المعاملات والنظم الزراعية، ومنها الملكيات الفردية للأراضي، ونظام الملكية العامة للمدن والقرى والشعب، ونظام الدولة والمعبد. ويظهر اهتمامهم بها من خلال تنظيمهم للأمور المتعلقة بها، من خلال تلك التشريعات الصادرة، سواءً في تحديد ملكية الأراضي وبيان حدودها، أو في المعاملات الزراعية، أو في حقوق الري وجداوله، أو في فرض الضرائب الزراعية وتحديدها بالعشر وكيفية استخلاصها، وجباية محصولات أراضي أوقاف المعبد، وأملاكه وعوائد الاستثمارات والمحاصيل الزراعية، والمنتجات الصناعية، ومزاولة الأعمال المهنية والحرف اليدوية وغيرها.

كما أدى المعبد دوراً مهماً في خدمة شؤون حياة الناس وحل قضاياهم، وهمومهم اليومية. فكان يعد مركزًا للنشاطات اليومية، سواءً كانت دينيه أو دنيوية؛ لذلك كان لكل جماعة معبدها الخاص، خلافاً للمعابد الرئيسية التي كانت ذات مراكز مهمة، خاصةً الواقعة منها في مدن عواصم الحواضر السياسية للدولة، وممالك وأقاليم الكيانات السياسية، والمراكز التجارية وغيرها. فقد كانت هذه المعابد تعد مراكز إدارية لجمع تلك الجبايات والضرائب والغرامات وما شابه ذالك، وكيفية فوائد ريعها على إدارة شؤون المعابد وتنظيمها، وعلى رفد اقتصاد الدولة في إنجازاتها للمرافق الحيوية والخدمية للمجتمع، وغير ذلك.

د. محمد سعد القحطاني: قسم الآثار - كلية الآداب - جامعة صنعاء - اليمن.

المختصرات:

فخري: نقوش أحمد فخري.

مختارات: نقوش مختارات مسنديه.

يوسف: نقوش يوسف محمد عبد الله.

الصلوي: إبراهيم محمد سعيد الصلوي.

بافقية: محمد عبد القادر بافقيه.

أرياني: مطهر علي لأرياني.

طيران: سالم احمد طيران

شعلان: عميدة محمد شعلان.

A. F. L. Beeston (1952 b)

JA: Inschriften die von A. Jamme ediert wurden

Kortler: بافقيه، اميروحنان في ضوء النقوش

N: NAMi, NasrNuquas Arabiyya Canubiyya

Note: Drewes, A Note on ESA) sy

RES: Repertoire d Epigraphie Semitique.

RY: G.Ryckmans

PIR: Jacquelin PIRENNE, Corpus Des Inscription.

BR M. Bayhan: Robin et Bafaqih Inscriptions inedites du Mahram Bilqis (Marib) au Musee de Bayhan (1980).

CIH: Corpus Inscriptionum Semiticarum 1V.

FA: A, Fakhry(1952).

GL: Inschriften der Sammlung E. Glaser

Haram: Inschriftenaus Haram: Chr. Robin (1992)

HAL: Halevy

Huran: Robin

IST: Istanpul, Inschriften aus diem Istanbul Museum:

الهوامش:

١- الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب - صفة جزيرة العرب، تحقيق، محمد بن علي الأكوع، دار اليمامة، ١٣٩٤ هـ -١٩٧٤ م، ص 162 ,316 ,317؛ الأرياني - في تاريخ اليمن (نقوش مسندية)، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، الطبعة، الثانية، ١٩٩٠م، ص ٢٤٦؛ عبد الله، يوسف محمد - مدينة السوا في (كتاب الطواف حول البحر الإرتيري)، (نقش السوا)، دراسات يمنية، العدد، ٣٤، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ١٩٨٨ م، ص٣٧ . Wissmann,H,von,ZurGeschichteundLandeskundevon Alt Sudarabien, SBAW, Wien (1964), S, 18- 95,

٢- Hofner,Die Reiligionen,S,253, Wissmann, Zur Geschichte ,S ,107,108؛ الصلوي، نقش جديد من نقوش الاعتراف، ص ٢٧، القحطاني،الآلهة الرئيسية في اليمن القديم ورموزها وحتى القرن الرابع الميلادي، ص٧٨ .

٣- Gorhmann, A. Kulturegeschichte.des. Alten Orients; Arabien, Muenchen(1963), S, 245, Hofner, M, Gotter und Mythen irn Vorderen Orient, Stuttgart, (1965), S, 527,

الحمد، جواد مطر رحمة- الديانة اليمنية ومعابدها قبل الإسلام (دراسة تاريخية في الميثولوجيا و المعتقدات الدينية العربية في اليمن القديم)، رسالة ماجستير، غير منشورة جامعة البصرة، ١٤١٠هـ -١٩٨٩م، ص١٦٥، الصلوي، نقش جديد من نقوش الاعتراف، ص٢٦، القحطاني، لآلهة الرئيسة في اليمن القديم ورموزها حتى القرن الرابع الميلادي، ص ٨٣ - ٨٤ .

٤- واللفظ (ف ر س ن) في اللغة اليمنية القديمة اسم مفرد، ونون التعريف في آخره الدالة على الاسم (الفرس)، وفي المعجم السبئي (ف رس، ا ف ر س) بمعنى (فرس، فارس، فرسان). Beeston, Sabaic Dictionary, P, 46؛ شعلان، نقش جديد من نقوش الإله ذي سماوي، ص١٠ .

- وقد ورد ذكر لفظة فرس (ف ر س) في عدد من النقوش اليمنية القديمة، وحملت معان كثيرة، منها (فارس، غنيمة الحرب)، وهي مرتبطة، أيضاً، بتربية الخيل، أو كقربان بديل بهيئة تمثال، ويأتي ذكرها في عدد من النقوش اليمنية القديمة منها: (GL863J 48, JA 566, 666, 745, 752, RES851, 4149)؛ شعلان، نقش جديد من نقوش الإله ذي سماوي، ص١٠ .

٥- Robin, Christian,Sabaeans and Himyarites Discover the Horse In-33 D, -Alexander(ed), Furusiyaa I, The Horse in the Art of the Near East, (1996), pp, 61-71, (Riyadh);

Sima, Alexande, Tiere, Pflanzen, Steine und Metalle in den altsüdarabischen lnschriften, Eine lexikalische und realienkundliche Untersuchung Veröffentlichuhngen der Orientalischen Komission der Akademie. Der Wissenschaften und der Literatur. Mainz, Bd. 46, 2000, P.36.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

الأرياني، مطهر، ١٩٩٠، **في تاريخ اليمن (نقوش مسندية)**، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، الطبعة، الثانية.

بافقية، محمد عبد القادر، وآخرون، ١٩٨٥، **مختارات من النقوش اليمنية القديمة**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.

بافقية، محمد عبد القادر- **ذيغرو و أمير و حنان (ذو سماوي وأمير) في ضؤ النقوش**، من كتاب: Felix, Fests- Arabachrif, Walter, Muller, Zum 60. Geburtstag, By N. Nebes, Wiesbaden, Witz Harrasso , (1994).

بيرين، جاكلين، ١٩٨٦، "الفن في منطقة الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام"، **دراسات يمنية**، العدد، ٢٣، ٢٤، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء.

الحمد، جود مطر رحمة ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٨٩م، الديانة اليمنية ومعابدها قبل الإسلام: دراسة تاريخية في الميثولوجيا والمعتقدات الدينية في اليمن القديم، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة البصرة.

ركمانز، ج ، ١٣٩٢هـ، "السماء والأرض في نقوش جنوب الجزيرة"، ترجمة، خالد العسلي، **مجلة العرب**، المبحث السابع، الجزء الثاني، الرياض.

شعلان، عميدة محمد، ٢٠٠٢، "نقش جديد من نقوش ذو سماوي"، **أدوماتو**، العدد، ٦، مؤسسة عبد الرحمن ألسيري الخيرية، الرياض.

صدقة، إبراهيم عامر صالح، ١٩٩٤، آلهة سبا كما ترد في نقوش محرم بلقيس، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

الصلوي، إبراهيم ، ١٩٩٧، "نقش جديد من نقوش الاعتراف"، **مجلة كلية الآداب**، العدد، ٢٠، جامعة صنعاء، اليمن.

طيران، سالم بن احمد، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، "مذ بح بخور (م ف ح م) عليه نقش إهدائي للإله ذي سماوي"، **أدوماتو**، العدد ١، مؤسسة عبد الرحمن السديرى الخيرية، الرياض.

عبد الله، يوسف محمد، ١٩٨٨م، "مدينة السوا في (كتاب الطواف حول البحر الارتيري)، (نقش السوا)"، **دراسات يمنية**، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، العدد ٣٨، صنعاء، اليمن.

القحطاني، محمد سعد، ١٩٩٧، الآلهة الرئيسة في اليمن القديم ورموزها حتى القرن الرابع الميلادي، رسالة دكتوراة، (غير منشوره)، قسم الآثار، جامعة صنعاء، اليمن.

النعيم، نورة بنت عبد الله علي، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، **التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير**، رسالة دكتوراة، مكتبة الملك فهد الوطنية.

الهمداني، أبي محمد الحسن بن احمد بن يعقوب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الاكوع، دار اليمامة.

ثانيا: المراجع غير العربية:

Beeston, A, F, L, et al 1982. SabaicDictionary, University of Sanaa, .

Gorhmann, A. 1963. Kulturegeschichte.des. Alten Orients, Arabien, Muenchen.

Höfner, M., Götter und Mythen irn 1965.Vorderen Orient, Stuttgart.

Hofner, M, 1970. **Die Reiligionen, Altsyriens, Altarabiens und der Mandaer**, Stuttgart,Berlin Koln Mainz.

Muller, W, 1978. "Sabaische Felsinchriften von der Jemenitischen Gerenze zur RubcAl-Hali", **N. E. S. E.**, Band 3.

Rykmans, Jacques, 1975. The Pre Islamic South Arabaian Bronz Horse in the Dumbarton Oaks Collection With Technical Remarks by I,Vandevivere; Dumbarton Oaks Papers 29.

Robin,Christian, 1996. Sabaeans and Himyarites Discover the Horse In: D, -Alexander(ed), **Furusiyaa I, The Horse in the Art of the Near East**.

Wissmann, H, von, Zur Geschichteund 1964. **Landeskundevon Alt Sudarabien, SBAW, Wien.**

مكانة المعبود ذي سماوي في الديانة اليمنية القديمة

منير عبدالجليل العريقي

ملخّص: الهدف من هذه الدراسة بيان مكانة المعبود ذي سماوي - معبود قبيلة أمير- في الديانة اليمنية القديم. فهو من نوع معبودات القبائل، التي اصطلح الباحثون على أنها أقل مكانة من المعبودات الرسمية، التي قُدِّست من قِبل الممالك اليمنية القديمة. وقد أرتبط علو مكانة تلك المعبودات، بعلو مكانة القبائل التي قدستها. تناولت الدراسة طبيعة ذلك المعبود ورموزه، وانتشار معابده، والطقوس والشعائر الدينية التي كانت تقام له، في محاولة لإلقاء الضوء على مرتبته بين مجمع المعبودات اليمنية، التي يبدو أنها قد بلغت مرتبة المعبودات الرسمية بسبب أهمية عمل أفراد قبيلة أمير كجمالة في تجارة قوافل البخور، علي الطريق التجاري المار من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها.

Abstract*. This study examines the place of the dhi Smawy (deity of Amir Tribe) in the religion of Ancient Yemen; it was taken to rank lower than the official gods that belonged to the Ancient Kingdoms of Yemen. The study addresses its various aspects: connotations of its name, its nature, statues, and the religious rituals and offerings associated with it. By so doing, the study seeks to shed light on its rank among other gods of ancient Yemen. Its status seems to have been promoted to the rank of official gods because of the important work in which the tribe of Amir was engaged; namely, professional camel driving in the business of frankincense along the commercial route from the south to north of Arabia.*

مقدمة

عبد اليمنيون القدماء في مرحلة الازدهار الحضاري منذ بداية الألف الأول ق.م عدداً من المعبودات، في مقدمتها ثالوث كوكبي مكون من:القمر والشمس والزهرة تحت مسميات مختلفة. فقد سُمي القمر في مملكة سبأ (إل مقه)، وفي مملكة معين وأوسان (ود)، وفي مملكة حضرموت (سين)، وفي مملكة قتبان (عم). وإلى جانب اسمها المجرد (شمس)، عُرفت المعبودة الشمس تحت عدد من الألقاب، منها: (ذات حميم)، و(ذات بعدان)، و(ذات غضرن)، و(ذات صنتن)، و(ذات برن)، و(أم عثتر)؛ بينما ثبت اسم المعبود الزهرة في كل الممالك تحت اسم "عثتر" (علي ١٩٨٤: ٩).

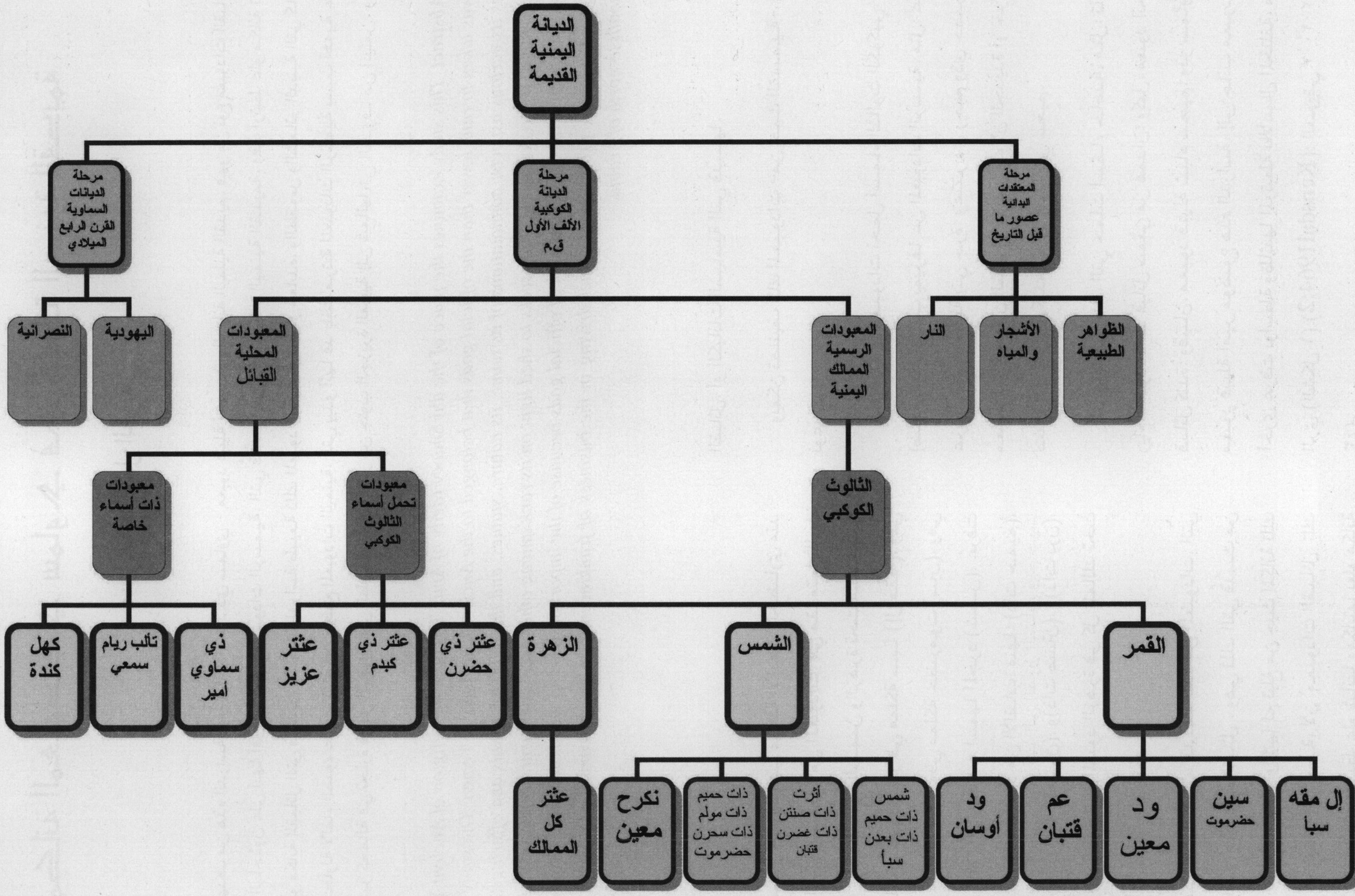
وإلى جانب ذلك الثالوث، قُدِّست عدد من المعبودات، التي أُطلق عليها اسم "معبودات القبائل"، وهي تلك التي قُدِّست من قبيلة معينة، أو تجمع قبلي. ولكنها لم تبلغ من حيث المكانة تلك التي بلغتها المعبودات الرسمية، لأن "معبودات القبائل" تلك عبدت على نطاق ضيق، وارتبط علو شأنها ومكانتها بعلو مكانة القبائل، أو الكيانات السياسية التي قدّستها.

ويمكن تصنيف تلك المعبودات -من حيث التسمية- إلى نوعين:

النوع الأول: معبودات تحمل أسماء الثالوث الكوكبي، مع إضافة صفة أو لقب يميزها عن المعبودات الرسمية، مثل: عثتر عزيز، معبود قبيلة بني جرة؛ وعثتر ذي رحبم وذي حضرن، معبود قبيلة خولان الشام (و تسمى خولان الجديدة أو خولان صعدة)؛ وعثتر ذي كبدم معبود قبيلة بني سخيم.

النوع الثاني: تلك التي حملت أسماء خاصة، مثل: تألب ريام، معبود اتحاد قبائل سمعي من همدان؛ وكهل، معبود اتحاد قبائل كندة؛ وقينان، معبود قبيلة شبام سخيم؛ وذو سماوي، معبود قبيلة أمير موضوع هذه الدراسة، إلى جانب معبودات أخرى عرفت بواسطة وظائفها المرتبطة بالأعمال المختلفة، مثل الري (الشكل ١) (Kensdal1964:2)؛ العريقي ٢٠٠٢: ٤٢-٤٣).

العدد الحادي عشر ذو الحجة ١٤٢٥هـ - يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٥م
(ص ص ٢٥ - ٤٤) ردمد ١٣١٩-٨٩٤٧



الشكل ١: توزيع المعبودات في الديانة اليمنية القديمة.

والأسباب التي دعت إلى كتابة هذه الدراسة هي: الرغبة في تسليط الضوء على نموذج من تلك الأنواع من المعبودات المحلية -وهو ذو سماوي- لأنها غالباً ما تذكر على نحو شكل ثانوي، بجانب المعبودات الرسمية التابعة للممالك الكبيرة؛ فضلاً عن محاولة معرفة طبيعتها ورموزها ومكانتها.

إضافة إلى أن تلك الأنواع من المعبودات، غالباً ما تهمل من قبل الباحثين عند دراسة تطور الفكر الديني في اليمن القديم قبل الإسلام، إذ يُركّز على المعبودات الرسمية التابعة للممالك اليمنية الكبيرة بسبب أهميتها، وتوافر المادة العلمية الكافية لدراستها، والمتمثلة في العدد الكبير من النقوش اليمنية القديمة التي تناولتها.

كما أن تزايد عدد النقوش والآثار المكتشفة، الخاصة بذلك المعبود، وتكرار ذكره في عدد كبير منها، جعل من الممكن دراسته بشكل مستقل، وتكوين فكرة واضحة عنه، ومن ثم معرفة المكانة التي بلغها بين المعبودات الأخرى في الديانة اليمنية القديمة.

قبيلة أمير

كان ذو سماوي معبوداً لقبيلة أمير، التي انتشرت في منطقة واسعة من شمالي الهضبة الشرقية من اليمن، في المنطقة الواقعة بين جوف اليمن جنوباً، ونجران شمالاً، وشملت أراضيها جزءاً كبيراً من مملكة معين، بعد اختفاء كيانها السياسي (الخريطة ١).

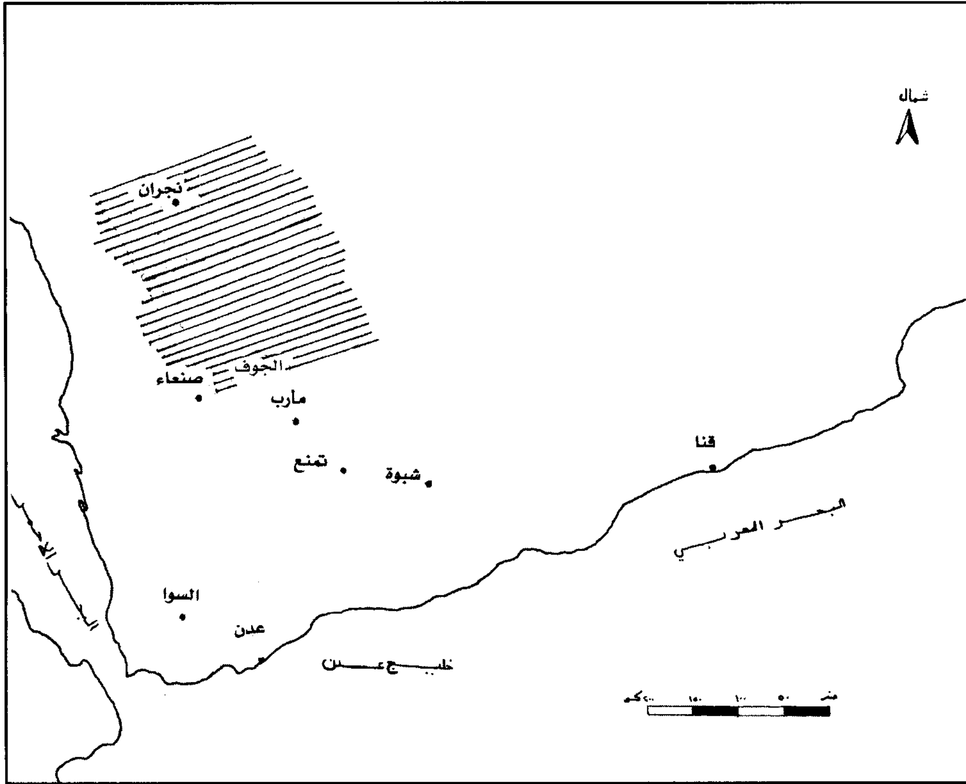
وتلك القبيلة، أو هذا التجمع القبلي، من أقدم القبائل اليمنية؛ إذ يرجع أقدم ذكر لها إلى القرن السابع ق.م حيث ذكرت في نقش الملك السبئي (كرب إل وتر) المعروف بنقش "النصر" (GL1000=RES3945)، الموجود في فناء معبد "وعول صرواح"، في مدينة صرواح، العاصمة الأولى لمملكة سبأ. فقد ورد ذكر "أمير" ضمن القبائل التي سيطر عليها الملك السبئي في وادي الجوف، أثناء الحملات العسكرية التي شنها لإخضاع المناطق والممالك، التي حاولت الخروج عن سيطرة مملكة سبأ ونفوذها في نهاية عصر مكربي سبأ. وجاء ذكرها من حيث التسلسل بعد مدينتي هرم وفينتن، حيث قرنت بمنطقة مهأمرم. وذُكر أن الملك قتل منهم خمسة آلاف مقاتل، وسبى اثني عشر ألف، كما استولى على مواشيهم وأحرق مدنهم (بافقيه١٩٨٥: ١٩٦)، ما يدل على كثرة أفراد القبيلة والخيرات الوفيرة التي كانت تتمتع بها. ويبدو من ذكرها بذلك الأسلوب والترتيب أنها كانت تشغل منطقة صغيرة من وادي الجوف، بجانب المناطق السابقة التي ذكرت معها، وأنها لم تكن تشكل ثقلاً سياسياً أو اقتصادياً كبيراً في ذلك العصر.

وتبرز أهمية تلك القبيلة في الموقع الإستراتيجي الذي شغلته، منذ بداية نشأتها في أعالي الجوف من اليمن. ودل على تلك الأهمية تعدد الأماكن التي سميت باسمها في تلك المنطقة، واستمرارها لمدة طويلة من الزمن حتى العصر الإسلامي. فقد ذكر المؤرخ الهمداني، الذي عاش في القرن الرابع الهجري، عدداً من المواضع والأودية في المنطقة الواقعة بين الجوف ونجران وتحمل اسم تلك القبيلة، وذلك عند حديثه عن مناطق وجود المياه والأشجار، ومنها " يشرع على الفرط، وهو جانب الغائط وهو من ديار بلحارث أودية من بلد شاكر من برط وهو لدهمة، ومن بلد وائلة وبلد أمير أودية من حلف وقضيب، والذي بين الجوف ونجران من الأعراض الكبار والنخيل". كما اقترن اسمها ببعض الأودية، منها العطف، والفنارة اللذان يسيلان في ضد وادي لأمير وينتهي إلى الغائط (الهمداني١٩٨٣: ١٦٢؛١٣٤؛٢٨٢).

ونستنتج من ذلك أن بلد أمير كانت منطقة إستراتيجية، تكثر فيها المياه والأشجار، خاصة النخيل. وزاد من تلك الأهمية وقوعها بالقرب من منطقة صحراوية، لا تتمتع بتلك المميزات.

وتبعاً لذلك اكتسبت قبيلة أمير أهمية كبيرة في الجانب الاقتصادي لليمن القديم، حيث سيطرت على جزء مهم من الطريق التجاري المعروف بطريق اللبان، خاصة في المنطقة الواقعة بين الجوف ونجران (طيران٢٠٠٠: ٥٣).

كما عزّز تلك الأهمية طبيعة عمل أفرادها، كجمالة في تجارة القوافل، خاصة بعد اندثار مملكة معين بوصفها كياناً سياسياً؛ فقد انتشروا في عدد من المناطق اليمنية وكانت لهم



الخريطة ١: مواقع انتشاد قبيلة أمير.

علاقات واسعة مع الممالك الكبيرة، مثل مملكة قتبان وحضرموت وسبأ (عبد الله١٩٨٨: ١٠٧).

وتشير الدلائل التاريخية إلى أن تلك القبيلة بدأت تلعب ذلك الدور المهم في اقتصاديات اليمن القديم منذ القرن الثاني ق.م، وذلك بعد اندثار مملكة معين في القرن الأول ق.م. فقد حلّت محل المعينين في النشاط التجاري، الذي كان يمثل عمود اقتصاديات اليمن القديم بشكل عام (عربش ٢٠٠٢: ١٩-٢٠). ويتضح من ذلك أن أفراد تلك القبيلة اشتغلوا بعمل مهم للاقتصاد اليمني القديم، كانت تقوم به مملكة معين قبل اندثارها. ولم يكن لدى أي من الممالك اليمنية القديمة الأخرى تلك الخبرة، في توصيل القوافل التجارية إلى شمالي الجزيرة العربية ودول الشرق الأدنى القديم. وهذا الأمر زاد من أهمية عمل أفراد تلك القبيلة، ومن ثم تنامي نفوذها الاقتصادي فالسياسي بين الكيانات السياسية الأخرى في اليمن القديم، وخاصة في قرون ما بعد الميلاد، عندما ضعفت الممالك اليمنية الأخرى، خاصة مملكة سبأ.

ونتيجة لطبيعة عمل أفراد تلك القبيلة كجمالة في تجارة القوافل، اعتقد عدد من الباحثين أنها ذات طابع بدوي يقوم على الترحال من مكان لآخر (طيران ٢٠٠٠: ٥٣)؛ إلا أن البحوث والنقوش المكتشفة دلت على بطلان ذلك الاعتقاد، فقد أظهر عدد من النقوش أن مجتمع تلك القبيلة كان متطوراً ومستقراً في أماكن معينة، واشتغل عدد كبير من أفرادها بالزراعة، مما نفى طابعها البدوي على الرغم من شهرتهم في الجانب التجاري (Gull1959:433)، ورجّح طابع التحضر الذي تمتعوا به أسوة بالكيانات السياسية الأخرى في اليمن القديم. وقد طغى عملهم كجمالة في تجارة القوافل على نشاطاتهم المختلفة الأخرى، التي كانوا يقومون بها مثل الزراعة والصناعة.

وتبعاً لذلك كان للجمل – وهو الوسيلة الرئيسة في ذلك العمل الاقتصادي -أهمية كبرى في حياة أفراد تلك القبيلة، حتى وصل الأمر بهم إلى تربيته بشكل جماعي ما جعل أعداده تتنامى بشكل كبير، منذ بداية ظهور تلك القبيلة. ودل على

ذلك الغنائم الكثيرة، التي ذكرها الملك السبئي (كرب إل وتر) في نقش النصر (Gull1959:433-434) عندما سيطر على أراضي تلك القبيلة، في القرن السابع ق.م. . فقد كانت نسبة الجمال عالية مقارنة بالغنائم الأخرى خاصة في أراضي قبيلتي أمير ومهأمرم.

ونتيجة لتنامي قوة قبيلة أمير الاقتصادية، بدأت تلعب دوراً في المجال السياسي. فكان عدد من أفرادها يشتركون إلى جانب الممالك اليمنية الأخرى، خاصة مملكة سبأ، في الحملات العسكرية التي كان يقوم بها السبئيون في وسط الجزيرة العربية، ومنها الحملة التي أرسلت إلى أرض قبيلة الأزد، وهزمتها وأُحضر زعيمها (الحارث بن كعب) أسيراً إلى مأرب (بافقيه ١٩٨٥(أ) ٢٣٥-٢٣٦).

وثمة صعوبة في تحديد المدينة المركز لتلك القبيلة، إذ لا يمكن التعرف على مكان أو مدينة واحدة. فقد امتد نفوذها إلى مناطق عديدة في وادي الجوف، وسيطرت على مدن مختلفة، منها حنان في وادي الشظيف، إلا أن لمدينة هرم مكانة عالية في حياة تلك القبيلة، إذ يبدو أنها كانت بمثابة المركز الرئيس لها لمدة من الزمن، وقبل ذلك بمثابة مدينة معينية قبل أن تندثر مملكة معين بوصفها كياناً سياسياً (الجرو ١٩٩٦: ١٨٦-١٨٧)، ثم سكنها أهل أمير.

ويظهر من أطلال تلك المدينة الازدهار الكبير، الذي شهدته أثناء تبعيتها لمملكة معين، إذ لازالت بوابة المدينة بحالة جيدة ومبنية بالحجارة المشذبة، وتزدحم داخلها المباني ذات الاستخدام العام، ومنها المعابد ذات الزخارف المتنوعة بأشكال آدمية وحيوانية، وأهمها تلك التي بنيت للمعبود عثتر، ويعرف باسم "بنات عاد" (فخري ١٩٨٨: ١٦٧-١٦٨)، إلى جانب معبد مهم لذي سماوي، سمي في النقوش (بيّن).

إن وجود ذلك المعبد المبني لذي سماوي، بجانب تلك المعابد المبنية للمعبود عثتر، يدل في المقام الأول على المكانة العالية التي بلغها معبود أمير، بين مجمع المعبودات في اليمن القديم. كما يدل، من جهة أخرى، على المكانة التي بلغتها تلك القبيلة بين الكيانات السياسية، والتجمعات القبلية في اليمن القديم، نتيجة لطبيعة عمل أفرادها في تجارة القوافل.

طبيعة المعبود ذي سماوي ورموزه

إن البحث في طبيعة المعبودات اليمنية -سواء الرسمية أو المحلية (القبلية) -يكتنفه عدد من الصعوبات، لأن النقوش اليمنية القديمة لم توضح، في الغالب، تلك الطبيعة. وإذا كانت المعبودات الرسمية قد نالت حظها من الاهتمام في تلك النقوش، ما سهل من معرفة طبيعتها إلى حد كبير، وظهر أنها معبودات كوكبية في المقام الأول؛ فإن المعبودات المحلية لم تنل ذلك الاهتمام، ما زاد من صعوبة تحديد طبيعتها. ومما يزيد الأمر صعوبة تشابه الطقوس والشعائر الدينية والقرابين، التي كانت تقدم لكلا النوعين من المعبودات.

وغالباً ما يلجأ الباحثون إلى تفسير معاني أسماء تلك المعبودات، في محاولة لمعرفة طبيعتها أو ماهيتها، إلا أن ذلك الأمر لا يعطي نتائج مثمرة، في معظم الأحيان، ما لم يُستعان بشواهد أخرى، كدراسة الصفات، والألقاب، والرموز واللُقى الأثرية التي قُدِّمت قرابين وتقدمات لتلك المعبودات.

وفي هذا السياق، يرد اسم المعبود ذي سماوي في النقوش اليمنية القديمة بصيغتين، الأولى: (ذ س م و ي)، والثانية (ذ س م ي). وإذا كانت الصيغة الأولي تدل عليه مباشرة بسبب كتابة حرف الواو في كلمة "سموي"، لتدل الكلمة على السماء؛ فإن الصيغة الثانية تكتب بحذف حرف الواو، الذي يُعد من حروف اللين في اللغة اليمنية القديمة التي لا تكتب إذا لم تكن من أصل الكلمة.

وتُشبه الصيغة الثانية الصيغة الأولى من حيث الدلالة، حيث تعنيان "ذو السماء"، إلا أن لفظهما مختلف، فهو (السمّى) بإمالة كما في لهجة أهل حضرموت، وهي بذلك قريبة من نطق كلمة (سمين) في اسم المعبود بعل سمين في شمالي الجزيرة العربية (بافقيه ٢٠٠١(أ):٥٥). وعلى الرغم من دلالة تلكما الصيغتين، فإنهما لا تعينان في فهم معنى الاسم، فضلاً عن تحديد طبيعة ذلك المعبود.

وبالنظر إلى محاولة عدد من الباحثين تفسير الاسم، نجد

أن محاولاتهم انتهت إلى أنه يعني: "ذلك الذي في السماء " The one in the Heaven(Ryckmans1988:107)، دون أن يحددوا طبيعته؛ ففي السماء أشياء كثيرة اتخذت كمعبودات في الديانات القديمة.

وفي تفسير الاسم بأنه: "إله السماء" صعوبة، أيضاً، في فهم طبيعته، مقارنة بالتفسير الأول. وقد أدى ذلك إلى الخلط في فهم طبيعته، حيث كان يعتقد أنه " إله توحيدي " يعود إلى فترة الديانات السماوية (اليهودية والنصرانية) في اليمن القديم، ومن ثم فإن اسمه يعني: رب السماء (الجرو ١٩٩٢: ٣٣٤). كما حاول بعض الباحثين ربطه بالديانة الحنيفية الأولى في جزيرة العرب، وهي تلك التي يقصد بها حنيفية سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل (بافقيه ٢٠٠١(ب):٥٥).

ولكن وجود اسمه في عدد كبير من النقوش، التي تعود إلى فترات موغلة في القدم من تاريخ الفكر الديني في اليمن القديم، خاصة قرون ما قبل الميلاد، وذكره مقروناً بعدد من المعبودات الوثنية الرسمية والمحلية، مثل المعبود تألب ريام معبود اتحاد قبائل سمعي من همدان، نفى ذلك الاعتقاد (الجرو ١٩٩٢: ٣٣٤؛طيران٢٠٠٠: ٥٦) على اعتبار أن تلك المعبودات قُدِّست في مرحلة سابقة لظهور الديانات التوحيدية، خاصة النصرانية.

كما قورن بالمعبود بعل شمين أو شميم، الذي كان مقدساً في شمالي الجزيرة العربية، بسبب التشابه في الاسم، الذي يعني "إله السماء" أو "سيد السماء" (الصلوي ١٩٩٣: ٥)؛ ولكن لم يفد ذلك في فهم طبيعته.

وهناك رأي واحد فقط قال به هوفنر (Hoffner) مفاده أنَّ ذلك المعبود يقصد به القمر (طيران ٢٠٠٠: ٥٣)، ومن ثم فهو اسم من أسماء القمر الكثيرة، التي وردت في الديانة اليمنية القديمة، سواء للمعبودات الرسمية، مثل: إل مقه وسين وود، أو المحلية، مثل: كهل، معبود اتحاد قبائل كندة في وسط الجزيرة العربية. ويبدو أن هذا الرأي هو الأقرب إلى الصواب، إذا أخذ بعين الاعتبار بعض الأشكال التي اتخذت كرموز لذي سماوي (انظر أدناه)، ومنها الهلال.

ويدل تعدد الرموز على مكانة المعبود، الذي ترمز إليه، إلى جانب تعدد الوظائف التي يقوم بها. وغالباً ما تقسّم تلك الرموز إلى نوعين: رموز حيوانية، ورموز غير حيوانية. وفي هذا السياق، فإن الرموز التي اتخذت لمعبود ذي سماوي نادرة جداً؛ فلا يعرف لذلك المعبود رمز حيواني إلا إذا قارناه بالمعبود القمر في الكيانات السياسية الأخرى، التي منها الثور، بسبب أن قرنيه يشبهان الهلال (نيلسن ١٩٥٨: ٢٠٧)؛ لكن ذلك الرمز لم يُعثر عليه حتى الآن ضمن اللقى الأثرية، التي قُدِّمت لذلك المعبود. وربما يعود ذلك إلى عدم التنقيب في أي معبد من معابده المعروفة حتى وقتنا الحالي، للتعرف على طبيعة اللقى الأثرية التي كانت تقدم قرابين له.

ويُرجَّح أن ندرة رموز ذلك المعبود تعود في الأساس إلى طبيعة الفترة، التي ازدهر فيها في قرون ما بعد الميلاد، بدءاً من القرن الأول الميلادي وما بعده، حيث قلت الرموز الدينية للمعبودات اليمنية بشكل عام، بسبب حالة الاضطراب السياسي والتنافس بين الكيانات السياسية، واختفت رموز عدد من المعبودات، وحل محلها أسماء الملوك والقصور، التي تعد مراكز للحكم، في محاولة لتأكيد الحق السياسي لهذه القوة أو تلك، خاصة في مرحلة الصراع على عرش مملكة سبأ في عصر ملوك سبأ وذي ريدان. ويمكن ملاحظة ذلك على العملات، حيث اختفت منها الرموز الدينية، وحلت محلها أسماء الملوك والقصور، مثل: ريدان في مملكة سبأ، وذي ريدان (الحميريين)، وشقر في حضرموت، وحريب في قتبان (العريقي٢٠٠٤: ٢٦٤-٢٦٥). ويمكن قياس ندرة رموز ذلك المعبود على هذا المنوال نفسه.

غير أن ذلك لا يعني عدم وجود رموز البتة لذلك المعبود. فقد عُثر على لُقى أثرية تحمل نقوشاً بخط المسند، وعليها بعض الرموز الدينية التي يرجح أنها ترمز إليه. ومن ذلك مبخرة محفوظة في متحف قسم الآثار بكلية الآداب جامعة الملك سعود (الشكل ٢)، تحمل على وجهها الأمامي نقشاً بخط المسند مكوناً من أربعة أسطر، يحف به من الجانبين حرفا الذال بخط المسند بشكل طولي، وأعلى ذلك شكل زخرفي عبارة عن جزء من هلال (طيران ٢٠٠٠: ٥٢)، ويرجَّح أن في

وسطه قرص الشمس، الذي لا يظهر بسبب الكسر الذي أصاب المبخرة، ما يؤكد أن الهلال رمز من رموز ذلك المعبود. ويرجّح هذا الأمر الطبيعة القمرية لذلك المعبود، لأن الهلال من رموز القمر في الديانة اليمنية القديمة. وقد نُقش على المباخر، التي كان يحرق فيها البخور تقرباً للمعبودات، واستخدم عنصراً زخرفياً على جدران المعابد والمباني العامة في الحضارة اليمنية القديمة، لأنه يمثل القمر في طورين من أطوار نموه: الأول، عندما يبدأ في الظهور في بداية الشهر؛ والثاني، عندما يبدأ بالتناقص حتى يختفي (بركات ١٩٨٦: ٣٧). وقد ظهر غالباً يحف بقرص الشمس، للدلالة على التزاوج بين المعبودين.

ومن الرموز التي اتُخذت للمعبود ذي سماوي حرف الذال، الذي يُكتب غالباً بجانب النقوش واللُقى الأثرية التي تقدم قرابين لذلك المعبود، وهو إما يحف بالنقش من الجانبين وبشكل طولي (الشكل ٢)، أو يكتب في مقدمة السطر الأول أو السطرين الأول والثاني (بافقيه ٢٠٠١ (أ): ٢٥)، على نحو ما في النقش (RES4143).

ويرجح أن ذلك الحرف اتخذ رمزاً للمعبود ذي سماوي، لأنه يمثل الحرف الأول من اسمه، كما كان يعبر عن حزمة البرق في عصر مكربي سبأ في مملكة سبأ. وقد أطلق عليه القلم المزدوج (Doppelgraiffi) مقارنة بما هو معروف للمعبود (نبو) ابن مردوخ، معبود الكتابة والحكمة عند البابليين. كما أنه يشابه السُّلم الذي يرمز للصعود إلى المكان العالي (طيران ٢٠٠٠: ٥٦)، ويرجح أن ذلك ارتبط باسم ذي سماوي، الذي يدل على السماء وطبيعته كمعبود قمري يظهر من وراء الأماكن العالية.

ألقابه وصفاته

من الأساليب التي تقاس بها مكانة المعبودات في الديانة اليمنية القديمة، دراسة الألقاب والصفات التي كانت تلقب بها، إلى جانب إلحاق أسمائها بأسماء الأعلام المركبة بأكثر من جزء، وانتشار عبادتها في مناطق مختلفة. فإذا كثرت الألقاب والصفات، علت مكانة المعبود؛ لأنها تدل على تعدد الوظائف



الشكل ٢: تفريغ لمذبح بخور وتظهر عليه نقوش بخط المسند وبعض الرموز الدينية (طيران ٢٠٠٠: ٥٤).

التي يقوم بها، ويعتقد المتعبدون بفائدتها في حياتهم اليومية.

وفي هذا السياق لم ترد في النقوش اليمنية القديمة ألقاب، أو صفات عديدة للمعبود ذي سماوي، مقارنة بالمعبودات اليمنية الأخرى، ما يدل على محليته. ويبدو أن اسمه الواضح لم يستدع إطلاق الألقاب والصفات عليه.

وغالباً ما يرد اسمه في النقوش اليمنية القديمة مرتبطاً باسم: أمير "إله أمير"، أي معبود قبيلة أمير، وهو بذلك ينسب إلى القبيلة التي قدسته. وكلمة إله، التي تسبق اسم القبيلة، من الصيغ أو الألقاب السامية القديمة، التي كانت تُنادي بها المعبودات مثل: "إله بني إسرائيل"، وهي إحدى الصيغ التي نُودي بها ذلك المعبود، إلى جانب صيغ أخرى نوديت بها المعبودات اليمنية الأخرى، منها مرأ بمعنى سيد، إلى جانب بعل (Beeston1991:1-2).

وهناك من يرى أن كلمة "أمير" مشتقة من الجذر "أ م ر"، وبهذا فإن تلك العبارة تعني: أن ذلك المعبود هو إله الأمر، وهو

بذلك متخصص بالوحي من خلال الأوامر التي يصدرها (Gull1959:434)، غير أن هذا الرأي ضعيف لأن كلمة " أ م ر م " تعني اسم القبيلة التي قدست ذلك المعبود، كما هو معروف من النقوش اليمنية القديمة. ويؤكد ذلك ورودها في نقش الملك السبئي كرب إل وتر السابق الذكر، بالصيغة نفسها.

كما وردت تلك العبارة بصيغة أخرى، هي: "إله أمرم ذي ببرحتن"، بمعنى: إله أمير الذي بالبرحة (Beeston1991:4)، ويرجح أن تكون "البرحة" اسماً لموضع، أو لمكان كان يقدس فيه ذلك المعبود.

والراجح أن عبارة "إله أمرم"، التي ترد في عدد من النقوش البرونزية، ومنها تلك التي عُثر عليها في معبد "يغرو"، المبني لذلك المعبود، كانت تطلق من قبل المتعبدين من غير أفراد قبيلة أمير، الذين يتعبدونه في معابده المنتشرة في عدد من المناطق، ومن قِبل جماعات غير أميرية ارتبطت بصلات اقتصادية مع أمير، تتعلق بحركة القوافل على طريق البخور. ومما يؤكد ذلك وروده في عدد من النقوش القتبانية، في تمنع عاصمة مملكة قتبان (بافقيه١٩٩٤: ٣١)، وذلك حتى يُمكن التمييز بين متعبديه من قبيلة أمير، والقبائل والكيانات السياسية الأخرى، ما يدل على انتشار عبادته.

ولا يكاد اسم ذلك المعبود يرد ضمن أسماء الأعلام المركبة المذكّرة، التي تعددت عند المعبودات الأخرى، مثل: عبد شمس وإل شرح، وعم ذخر، ويسمع إل، ولحي عثت، ويفتح إل وكرب إل، وسعد تألب (الصلوي ١٩٨٩: ١٢٥-١٢٦؛١٣٧؛ القرم ١٩٩٤: ١١٧). كما لم يُعثر على اسمه مركباً مع أسماء الأعلام المؤنثة نهائياً، حتى إعداد هذه الدراسة (أبوجزر ١٩٨٧: ٣٣-٣٤؛٨٩)، على الرغم من تقديم عدد كبير من النساء نقوش نذرية وتقدمات لذلك المعبود.

وقد ورد اسمه مرة واحدة في أسماء الأعلام المركبة المذكّرة، ولكن ليس على نقش نذري من الحجارة أو البرونز، وإنما في نقش جديد من النقوش الخشبية ذات الصبغة الشعبية وهو (YM11732). ويتضمن النقش رسالة وجهت إلى عدد من الأشخاص، من بينهم شخص يدعى "عبد ذ سموي" عبد ذي سماوي، يطلب منهم المرسل أن يراجعوا حساباتهم -ربما تلك المتعلقة بالتجارة بين الطرفين-، كما طلب منهم الكتابة بالأحداث التي وقعت عندهم (ريكمانز ١٩٩٤: ٣٣-٣٤؛٨٩) ويعود ذلك النقش إلى قرون ما بعد الميلاد، أي إلى مرحلة متأخرة من تقديس ذلك المعبود.

كما ورد ما يُعتقد أنه لقب واحد له وهو: "ذ أذن ن" ذو أذنن، في نقش على مبخرة مقدمة له، وفُسِّرَ بأنه يعني: ذي السلطة أو القدرة والقوة (طيران ٢٠٠٠: ٥٥)، كما فُسِّرَ بأنه اسم معبد له.

مكانته ومعابده

ارتبطت مكانة المعبودات في الديانة اليمنية القديمة، بمكانة الكيانات السياسية والقبائل التي قدستها؛ فإذا علت مكانة تلك الكيانات في الجانب السياسي أو الاقتصادي، علت مكانة المعبودات التي قدستها، والعكس صحيح.

وفي هذا السياق، تفاوتت مكانة المعبود ذي سماوي من زمن لآخر؛ ففي عصر ما قبل الميلاد، الذي تميز بازدهار الممالك اليمنية الكبيرة، نجد أن هذا المعبود لا يكاد يذكر بين مجمع المعبودات لتلك الممالك، خاصة المعبودات الرسمية، التي فُرضت عبادتها على عدد من القبائل الصغيرة من قبل تلك الممالك الكبيرة. ففي ذلك العصر تكرر ذكر معبودات، مثل: إل مقه، معبود مملكة سبأ الرئيس؛ وود، معبود مملكة معين، وسين، معبود مملكة حضرموت؛ وعم، معبود مملكة قتبان؛ إضافة إلى بقية الثالوث الكوكبي المقدس تحت أسماء مختلفة، مثل: الشمس وعثتر.

ويرجّح أن قبيلة أمير لم تكن تمثل ثقلاً سياسياً أو اقتصادياً، آنذاك، وكانت في منطقة جغرافية صغيرة نسبياً. ويظهر ذلك من سيطرة الملك السبئي كرب إل وتر في القرن السابع ق. م، حيث ذكرت أمير على نحو ثانوي بجانب منطقة مهأمرم، ومن ثم لم يذكر المعبود ذي سماوي في النقوش السبئية أو المعينية، على حد سواء.

بدأ علو مكانة ذلك المعبود بعد أن بدأت قبيلة أمير تلعب دوراً رئيساً في تجارة القوافل التجارية، منذ القرن الثاني ق.م، وذلك بعد أن حلت محل مملكة معين من حيث الوظيفة الاقتصادية في اليمن القديم، بعد اندثار تلك المملكة كياناً سياسياً(عربش ٢٠٠٢: ١٩-٢٠). تلك الوظيفة التي تتمثل في إيصال القوافل التجارية إلى شمالي الجزيرة العربية ودول الشرق الأدنى القديم، وهي مهمة لم تستطع الكيانات السياسية الأخرى في اليمن القديم القيام بها. وتبعاً لذلك، زادت أهمية قبيلة أمير وبدأت مكانة معبودها العلو والتقديس، من قبل الكيانات السياسية والقبائل الأخرى.

وبدأ أفراد القبيلة في الانتشار في مناطق مختلفة من اليمن القديم. وفي البداية امتد وجودهم الاقتصادي إلى المناطق الواقعة بين الجوف ونجران، ثم إلى بعض مناطق الممالك اليمنية الكبيرة، بسبب طبيعة وظيفتهم المهمة، القائمة على احتراف تجارة القوافل والخبرة الطويلة في ذلك المجال (عبد الله ١٩٨٨: ١٠٧). ومن الطبيعي أن يُقدِّسوا معبودهم ذي سماوي، أينما حلوا وأقاموا. وتبعاً لذلك، بدأ انتشار عبادته في مناطق أخرى جديدة، غير تلك التي تقع ضمن نفوذ تلك القبيلة. وبمعنى آخر، فقد نشر أفراد قبيلة أمير عبادة ذلك المعبود في المناطق التي أقاموا فيها، الأمر الذي أدى إلى علو مكانته لأهمية العمل الذي يؤديه متعبدوه.

كما أن علو مكانة المعبود ذي سماوي عند الممالك والأقوام الأخرى، نبعت في المقام الأول من وظيفته الرئيسة، أنه حام للجمال (الإبل). فهو حام للقوافل، التي تعد الأساس في العملية التجارية في اليمن القديم والجزيرة العربية، بشكل عام، بفعل الطريق التجاري، الذي يمر بمناطق عديدة من بلاد العرب؛ ولهذا ارتبطت حياة عدد كبير من الأفراد بالتجارة من خلال قيامهم بالأعمال الضرورية اللازمة لتلك العملية، ولهذا اكتسب ذو سماوي شهرة واسعة، وأصبح مقبولاً عند الأقوام الأخرى غير قبيلة أمير، خاصة إذا علمنا أن تعدد المعبودات كان سائداً في ذلك العصر (بافقيه ١٩٩٤: ٣١)، الذي يمتد لقرون ما بعد الميلاد، ولهذا لم تجد تلك الأقوام حرجاً في تقديسه، بجانب معبوداتها الأصلية.

ولأن الجمل كان الوسيلة الرئيسة التي تقوم عليها تجارة القوافل في اليمن القديم والجزيرة العربية، واحتراف أهل أمير تربيتها وملكهم لها بأعداد كبيرة- وهو أمر افتقرت إليه القبائل والممالك اليمنية - إلى جانب رعاية ذلك المعبود وحفظه لها، حسب اعتقادهم، فقد ازدادت أهمية المعبود عند تلك القبائل والممالك، التي قدمت له التقدمات والقرابين والنذور والنقوش في مناطق عديدة، ولأسباب ومناسبات مختلفة وفي معابد قد لا تكون مبنية لذلك المعبود. وأصبح بإمكان الأميريين تقديم القرابين والنذور له في تلك المناطق بموافقة أهلها. ويُميِّز الأميري مقدم القربان في تلك الحالة بإضافة نسبه إلى تلك القبيلة في النقوش بصيغة "أ م ر ي ن"، أي أميري، كما ورد في النقش CIH518 (Gull1959:433;453).

كما قدَّم أشخاص من قبائل أخرى نقوشاً وتقدمات لذي سماوي في عدد من معابده، وغالباً ما يذكر أولئك الأشخاص نسبهم في تلك النقوش، كما فعل الصرواحيون من أتباع بني مقار من سبأ (الأسبوء)، الذين عاشوا في مدينة نشن المعينية (السوداء حالياً) في وادي الجوف فقد قدموا قرباناً لذي سماوي في مدينة تمنع، عاصمة مملكة قتبان، تمثالين لجملين من البرونز، من أجل سلامة جمليهم المسمّين نديم وظبيم (بافقيه ٢٠٠١(أ) ١٧). وقد تعددت التقدمات على شكل تماثيل الجمال قرابين لذلك المعبود، من قِبَل أشخاص ينتمون إلى سبأ، ومنهم (أبي كرب أحرس العبابي)، مقتوي الملك (شعر أوتر)، حيث طلب حماية ذي سماوي وسلامة بعيره. كما تقرَّب شخص يدعى (غشنم الغلواني)، من غير قبيلة أمير، ببناء بئرين لذي سماوي في معبده المسمى "يغرو" (بافقيه ١٩٩٤؛ ٣٢:٣٤).

غير أن تلك المكانة العالية التي بلغها ذوسماوي في الديانة اليمنية القديمة، وتقديسه من قبل عدد من القبائل إلى جانب قبيلة أمير، وفي مناطق مختلفة من اليمن القديم، كما هي الحال في وادي الجوف ونجران ومأرب وتمنع، لم تشمل اليمن بكامله؛ إذ لا نجد له ذكراً في مملكة حضرموت والمناطق المجاورة لها، سواء منفرداً أو مع معبودات أخرى، الأمر الذي

يرجّح أن أفراد قبيلة أمير لم يُقيموا في أراضي تلك المملكة، من جهة، ودنو مكانة ذلك المعبود في تلك المنطقة، من جهة أخرى، بحيث لم تقدم له نقوش أو قرابين، من قبل أفراد تلك المملكة الذين عدوه معبوداً محلياً خاص بقبيلة أمير، لأن وظيفتهم هي توصيل القوافل التجارية وحمايتها حتى بلوغها تمنع عاصمة مملكة قتبان، بحيث لم يحتكوا بأفراد تلك القبيلة.

إلا أن علو مكانة ذلك المعبود تبرز بشكل جلي من خلال انتشار العدد الكبير من معابده في اليمن القديم. فقد بنيت له معابد في مناطق نفوذ قبيلة أمير، وأخرى في مناطق الممالك، والكيانات السياسية الكبيرة. وبلغ الأمر بناء معابد له في عواصم تلك الممالك بجانب معابد معبوداتها الرسمية، كما هو الحال في المعبد الذي بني له في تمنع، عاصمة مملكة قتبان، والذي سمي (ظربن) (Gull1959:435-436). وكانت تقيم جالية تجارية كبيرة من الأميريين في تلك العاصمة، شكلت مجتمعاً مستقلاً محتفظاً بمميزاته الخاصة في الجانب الديني (شكل٤).

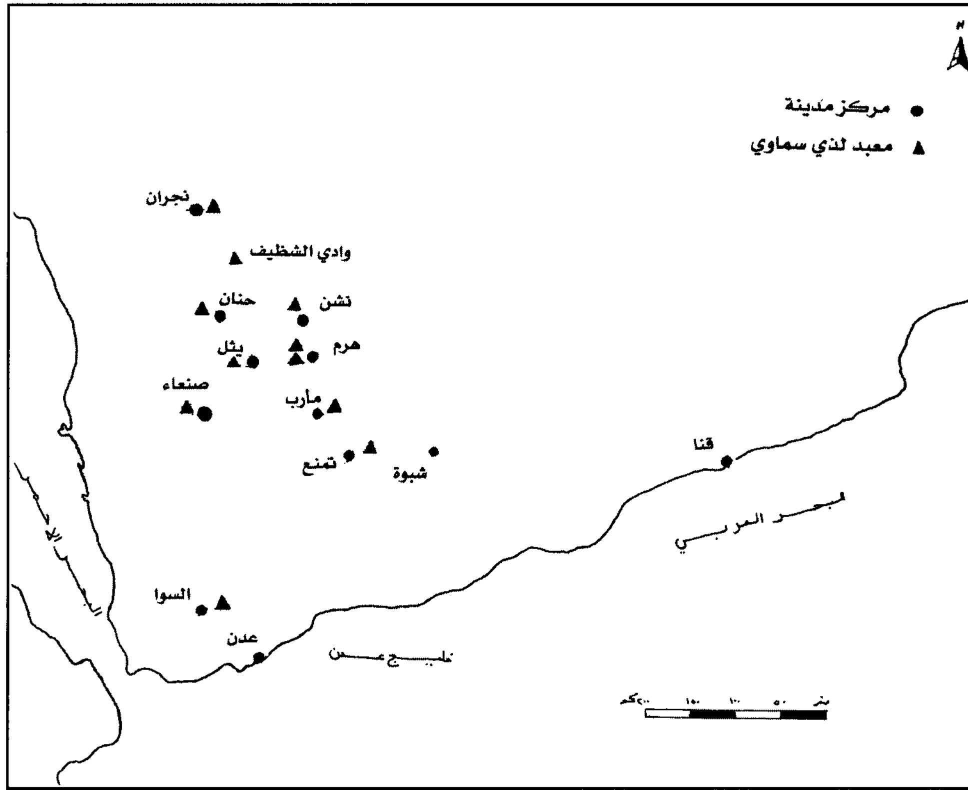
وإلى جانب ذلك بنيت له معابد في مناطق عديدة، منها: معبد (و ت ر م) في مأرب، و (م د ر ن) في نجران، و (ن ع م ن) في تمنع عاصمة مملكة قتبان و (ب ق ر م) في حنان، و (م و ق ط ن) و (ب ي ن) بالقرب من مدينة هرم في وادي الجوف، (طيران٢٠٠٠: ٥٥)، وكذلك معابد أخرى لم تذكر النقوش أسماءها ولكنها أشارت إليها في كل من: مدينة براقش (يثل) المعينية، وشعوب في صنعاء، ومدينة نشن (السوداء) في الجوف، ومدينة (السوا) في تعز.

إن إمكانية وجود معبد لذي سماوي في منطقة مأرب، يدل على المكانة العالية التي بلغها ذلك المعبود، بحيث سمح السبئيون ببنائه في الإطار الجغرافي لمملكتهم، على الرغم من قوتهم السياسية ومكانة معبوداتهم، التي فرضت عبادتها على عدد من القبائل والمناطق في اليمن القديم. كما يدل على ضعف مملكة سبأ من الناحية السياسية، في الوقت الذي بُني فيها المعبد، من جهة أخرى، بحيث أصبح لقبيلة من القبائل اليمنية الصغيرة سلطة وتأثير سمحا لها بالتعبد في أراضي مملكة سبأ، التي تعد رمزاً تاريخياً لحضارة اليمن القديم بشكل عام.

ويُرجّح أن بناء ذلك المعبد تم في قرون ما بعد الميلاد، وهي الفترة التي بلغ فيها الصراع والتنافس أوجه بين القوى السياسية، المكونة لمملكة سبأ، الأمر الذي أدى إلى ضعفها بشكل كبير، والسماح للقوى الأخرى بالنهوض والازدهار، خاصة في فترة صراع ملوك الطوائف (Beeston1954:53)، التي حاول فيها الأقيال والأذواء وقوى سياسية أخرى بلوغ عرش تلك المملكة.

وقد بلغ بعض تلك المعابد مكانة معابد المعبودات الرسمية، التابعة للممالك اليمنية القديمة. فكانت تقام فيها الطقوس والشعائر الدينية نفسها المقامة لتلك المعبودات الرسمية، ويؤمها المتعبدون من مناطق عديدة، كما هي حال معبد ذي يغرو، المبني في منطقة الشظيف في وادي الجوف.

فقد ظل ذلك المعبد مركزاً دينياً مهماً في اليمن القديم ولمدة طويلة من الزمن، بحكم موقعه على الطريق التجاري المؤدي إلى نجران، فهو يقع على قمة جبل، وأسفله بقايا مدينة يُعتقد أنها مدينة "حنان"، المذكورة في عدد من النقوش. وقد عُرف اسم ذلك المعبد لأول مرة عندما نُشر النقش (J643) - كما يذكر بافقيه نقلاً عن بيستون (Beeston) - بصيغة "محرم ذي يغرو"، و "محرمن ذي يغرو". واختلف في تفسير معنى الاسم "ذي يغرو"، إذ كان يُعتقد أنه يعني: "الذي عزموا على نهبه"، غير أن المعنى الأقرب إلى الصواب هو: "المكان الحصين الذي وضعوا فيه مؤنهم" (بافقيه ١٩٩٤: ١٩)، وهو تفسير مناسب لموقع المعبد على رأس جبل في منطقة نائية، وبعيدة عن مراكز التمدن والعواصم الكبيرة في وادي الجوف. ويؤكد ذلك وقوعه في المنطقة الواقعة في وادي الشظيف بين الجوف ونجران. وهو بذلك يشبه عدداً من المجمّعات الشعائرية الدينية في اليمن القديم، التابعة لعدد من الممالك، وتقع في أماكن بعيدة عن العمران، مثل: المجمع الشعائري على جبل اللوذ، والمجمع الشعائري لمعبد ودم ذي مسمعم، ومعبد معربم في منطقة المساجد، وجميعها تقع خارج المدن والتجمعات السكانية في مملكة سبأ (Schmidt1988:80).



الخريطة ٢: توزيع معابد ذي سماوي.

وقد بلغ ذلك المعبد من المكانة، حتى أصبح مركزاً دينياً وسياسياً في وادي الجوف، وعند اليمنيين بشكل عام، حيث عثر فيه على نقوش لعدد من المتعبدين أظهرت تلك المكانة المهمة. وقد أقيمت فيه الطقوس والشعائر الدينية من قبل أولئك المتعبدين، الذين ينتمون للممالك اليمنية القديمة والقبائل الأقل مكانة، وطلب منه شفاء الإبل في حال مرضها وسلامتها والتوفيق في الأعمال، إلى جانب طلب متعبدين آخرين لفرص العمل (بافقيه٢٠٠١(ب) ٦٥)، من خلال الإقامة في المنطقة وخدمة القوافل المارة فيها.

غير أن متعبدين أعلى مكانة وفدوا إلى ذلك المعبد، وقاموا بأداء الطقوس والشعائر الدينية، وفي مقدمتهم ملكا سبأ (شعر أوتر) و (إل شرح يحضب الثاني)، الذي كان منهمكاً في حملة عسكرية في منطقة نجران، لإخراج عاقب النجاشي منها، حيث أخذ البركات من المعبد أثناء تلك الحملة (بافقيه٢٠٠١(ب)٥٥-٥٦). كما لجأ إليه الملك الحضرمي (يدع إل بين) أثناء الحرب، التي دارت بينه وبين الملك السبئي (كرب إل بين)، بعد أن طاردته القوات السبئية في وادي الجوف وشعر بقرب هزيمته، حسب ما ورد في النقش (J642) بافقيه ١٩٨٥(أ) ٩٩-١٠٠).

وتمثلت الأهمية السياسية والعسكرية لذلك المعبد في استخدامه مركزاً لتجميع، أو تجنيد رجال القبائل حال الحروب، كما هو الحال عندما جمّع القائد (سعد تألب الجدني)، كبير أعراب ملك سبأ وكندة ومذحج في عهد الملك (ذمار علي يهبر) ملك سبا وذي ريدان وحضرموت ويمنة، الجنود والأعراب في ذلك المعبد، استعداداً لخوض المعارك في أجزاء من حضرموت، حيث هاجموا مناطق شبام وصوأران وسيئون (الإرياني ١٩٩٠: ٢٠٠-٢٠٢) ويبدو أن ذلك المعبد بلغ حداً من الكبر، ضم مساحة كبيرة من الأرض التي تسمى بالحرم، إلى جانب آبار المياه وأماكن تقديم القرابين.

الطقوس والشعائر الدينية

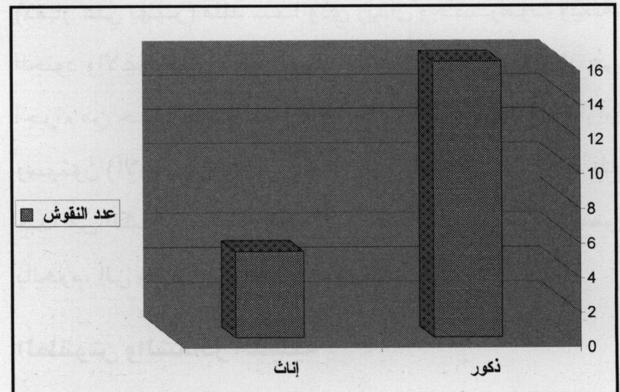
تشابهت الطقوس والشعائر الدينية التي كانت تقام للمعبود

ذي سماوي، بوصفه معبوداً محلياً، مع تلك التي كانت تقام للمعبودات الرسمية في الديانة اليمنية القديمة. وهذا أمر يرجح علو مكانته وقربها من مكانة المعبودات الرسمية، بل إنه تميز عن تلك المعبودات بطقوس وشعائر لم تُقَّم إلا له.

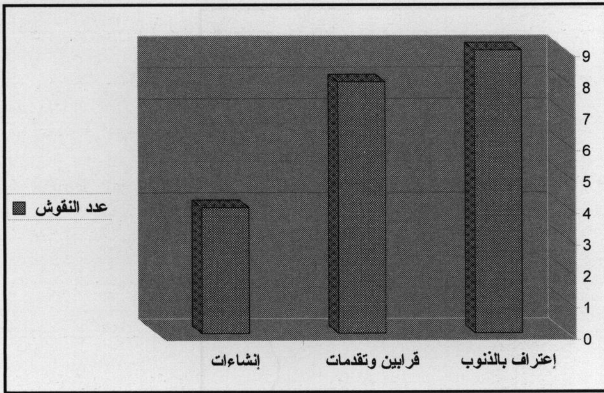
ومن خلال النقوش التي استخدمت في هذه الدراسة، وعددها (٢١) نقشاً، أمكن التعرف على طقوس وشعائر متعددة، أقيمت لذلك المعبود في معابده المنتشرة في مناطق مختلفة من اليمن القديم. وقد قُدِّمت لأسباب وفي حالات مختلفة بشكل فردي أو جماعي، ومن ذكور وإناث على حد سواء، وفي هذا السياق كانت النقوش المقدمة من الذكور أكثر عدداً من تلك التي قدمتها الإناث (الشكل ٣). ويُرجّح أن ذلك يعود إلى تقديم الذكور لتلك النقوش في أماكن مختلفة من اليمن القديم، بعيدة عن مراكز قبيلة أمير؛ بينما اقتصرت نقوش الإناث على مراكز تلك القبيلة، ولهذا كانت محدودة العدد.

ويمكن تصنيف تلك النقوش حسب الموضوعات التي حوتها، إلى ثلاثة أنواع: نقوش القرابين والتقدمات، ونقوش الإنشاءات، ونقوش الاعتراف العلني بالذنوب. ويندرج تحت تلك الأنواع الثلاثة موضوعات فرعية، لطقوس وشعائر أخرى.

وباستخدام الطرق الإحصائية، احتلت نقوش الاعتراف العلني بالذنوب المكانة الأولى من حيث العدد؛ بينما جاءت نقوش القرابين والتقدمات في المرتبة الثانية، ونقوش الإنشاءات والتأسيس للمباني في المرتبة الثالثة (الشكل ٤)، ما



الشكل ٣: توزيع النقوش المقدمة لذي سماوي بحسب الجنس.



الشكل ١: توزيع النقوش المقدمة لذي سماوي حسب النوعية.

يدل على أهمية شعيرة الاعتراف العلني بالذنوب، التي أقيمت لذلك المعبود، وأنها كانت خاصة به. ويمكن أن يُطلق عليه من خلال ذلك: معبود الاعترافات العلنية بالذنوب.

القرابين والتقدمات

مقارنة بالمعبودات الأخرى في الديانة اليمنية القديمة، قُدِّمت للمعبود ذي سماوي قرابين وتقدمات متنوعة من رجال ونساء، على حد سواء. وكان الغرض منها التقرب إليه، أو طلب السلامة والعافية والخيرات منه. وفي هذا السياق، قُدِّمت له القرابين من متعبدين من قبيلة أمير، وآخرين من الممالك والقبائل الأخرى.

وأغلب القرابين التي قدمت له كانت تماثيل، على هيئة جمال منحوتة من الحجر والرخام والبرونز، طلب أصحابها خير جمالهم وصالحها، إضافة إلى صالح أنفسهم (Gull1959:433)، وهو أمر ارتبط بوظيفة هذا المعبود الأساسية في ديانة تلك القبيلة، والمتعلقة بحماية الجمال والقوافل التجارية بشكل عام.

ويطلب مالكو تلك الجمال حمايتها، من مالكيها بغض النظر عن عددها؛ فمنهم من يملك أعداداً كثيرة منها، بينما يملك آخرون أعداداً قليلة؛ بل منهم من يملك جملاً واحداً فقط. فقد قُدم قربان في معبد ذي سماوي المسمى (وترم)، الموجود في مأرب، يشمل أربعة تماثيل لجمال- كما ورد في النقش (RES4143) - من قبل شخص يدعى (أبي كرب أحرس العبالي) (بافقيه ١٩٨٥(ب):١١٧)، وهو من غير قبيلة

أمير. وكذلك قدم شخصان آخران من صرواح، تمثالاً لجمل من البرونز في معبد ذي سماوي، المسمى نعمان في تمنع، عاصمة مملكة قتبان، من أجل سلامة جمليه المسمّيْن نديم وظبيم (بافقيه ٢٠٠١(أ): ١٦). وبلغ الأمر تقديم قربان لذلك المعبود طلباً لتيسير إيجار جمل واحد فقط، حين قدم شخص يدعى (ربيب) قرباناً للمعبود ذي سماوي عبارة عن نقش من أجل سلامة جملة، الذي كان يؤجره، وهذا الرجل ليس من قبيلة أمير، ولكنه كان يضع جمله أو جماله في المناطق، التي يكثر الطلب عليها على طريق البخور (بافقيه ١٩٩٤: ٢٣)، خاصة في منطقة الشظيف شمالي وادي الجوف. وكل هذا يعكس أهمية الجمل في حياة أفراد قبيلة أمير، والكيانات السياسية الأخرى.

وبمقارنة تقديم تماثيل الجمال قرابين للمعبود ذي سماوي والمعبودات الأخرى، نجد إشارة إلى قربان واحدٍ ورد في النقش (GL1638/2-3)، حيث قدم صاحبه تمثالين لجملين من البرونز للمعبود الرئيس في مملكة سبأ، والمسمى إل مقه، في معبده المسمى وعول صرواح (شعلان ٢٠٠٢: ١٠)، ولا يوجد مثل هذا الأمر في النقوش المعينية أو الحضرمية.

كما قدمت لذي سماوي قرابين على شكل تماثيل للفرس، سواء كان ذلك بشكل منفصل، أو مقترن مع تماثيل للجمل، إلا أن القرابين المقدمة على شكل تماثيل للفرس تعد نادرة، مقارنة بتلك التي على شكل الجمل. ويعد النقش (A-20-262)، المحفوظ في متحف قسم الآثار بكلية الآداب جامعة صنعاء (شعلان ٢٠٠٢: ٧)، مثالاً فريداً لتقديم تماثيل الفرس قرابين لذلك المعبود، حيث قدم صاحب النقش المدعو (عصية العثكلاني) تمثالي فرس وجمل.

والتماثيل على شكل الفرس قدمت قرابين لمعبودات أخرى غير ذي سماوي، في مناطق مختلفة من اليمن القديم، وتعود للفترة بين القرنين الثاني والرابع الميلاديين، وأغلبها سبئية قدمت للمعبود إل مقه بعل أوام (سيد المعبد المسمى أوام)، إلى جانب تلك التي قدمت للمعبودات تألب ريام - معبود اتحاد قبائل سمعي-والمعبودة الشمس (ذات بعدن)، والمعبودات (ع ز ي ت) و (م ن ض ح ت). كما قدم القتبانيون قرابين على شكل تماثيل لفرس لعدد من معبوداتهم، منها عم وأنبي والمعبودة الشمس (ذات صنتم) (شعلان ٢٠٠٢: ١٠).

إن ندرة القرابين على شكل تماثيل للفرس المقدمة لذي سماوي، وكثرة تلك المقدمة على شكل الجمال، تتفق مع وظيفة هذا المعبود التي ظهرت في النقوش كحام لتلك الجمال. على الرغم من استخدام الخيول في حراسة القوافل التجارية، إلا أنها لم تبلغ الأهمية التي بلغها الجمل عندهم؛ بينما تعددت النصوص السبئية والتابعة للممالك الأخرى، التي قُدمت فيها تماثيل الفرس بوصفها قرابين. ويرجح أن هذا الأمر يعود إلى أهمية استخدام الفرس في العمليات العسكرية، التي كانوا يقومون بها في مناطق مختلفة من اليمن، بسبب التنافس السياسي بين تلك القوى، لأن الفرس كان العامل الحاسم في عدد من المعارك، لما يمثله جيش الفرسان من قوة وسرعة حركة. ويؤكد ذلك تعدد تلك الأنواع من القرابين في المرحلة الممتدة بين القرنين الثاني والرابع الميلاديين، وهي مرحلة اشتد فيها الصراع و التنافس بين السبئيين، من جهة، والقوى السياسية الأخرى، من جهة الأخرى، الأمر الذي أدى إلى زيادة أهمية الفرس كأداة عسكرية مهمة استخدمت في الحروب التي نشبت في تلك المرحلة.

ولم تقتصر القرابين المقدمة لذي سماوي على شكل تماثيل للجمال أو الفرس. فقد قدمت له قرابين في أشكال أخرى، اختلفت أسباب تقديمها عن النوع السابق، وهي مشابهة لتلك التي قدمت للمعبودات الرسمية التابعة للممالك اليمنية القديمة. فقد قدمت له قرابين على شكل تماثيل بشرية من الحجر والرخام والبرونز، طلب أصحابها السلامة والعافية لهم ولأقاربهم، على نحو ما ورد في النقش (CIH528=Haram30)، الذي قدم صاحبه، المسمى (إل رب)، تمثالاً آدمياً لأن ذي سماوي أمره بذلك من أجل سلامته وليمتعه بالنعمة. وهذا النقش مشابه من حيث الموضوع للنقش (Haram31)، الذي طلب مقدمه (ذخرم بن يعمر) السلامة له ولوالده. وقد يجمع مقدم القربان بين طلبات متعددة، كما ورد في النقش (Haram32)، الذي قدم صاحبه، المسمى (إل وهب الصرافي)، تمثالاً لذي سماوي، لأنه عافاه من مرض ألم

به، وكذلك من أجل سلامته وسلامة أخيه وأولاده (Robin 1992: 97-99).

كما كان يستجار بذي سماوي في حال الخطوب والحروب، وعقب العودة منها بالسلامة. فقد تقرب إليه (ربيب بن رادع) بنقش، لأنه سلّمه في الحملة العسكرية التي شارك فيها في أرض مذحج، في وسط الجزيرة العربية. كما طلب منه النعمة وصحة الحواس، وأن ييسر له إيجار "بهيمته" - ربما جمل - التي يملكها (بافقيه ١٩٩٤: ٢٢). ويشابه ذلك ما ورد في النقش السابق من تعدد الطلبات المقدمة لذي سماوي.

ويظهر أن هناك تشابهاً بين مكونات معابد ذي سماوي والمعابد الأخرى، المبنية للمعبودات الرسمية، الأمر الذي يرجح تشابه الطقوس والشعائر الدينية التي أقيمت فيها. فمن خلال النقش الذي قدمه (يسمع إل الهبشاني) للمعبود ذي سماوي، وذكر فيه ما أرتكبه من أخطاء في معبده المسمى ذي يغرو، يمكن ملاحظة أن المعبد مكون من أرض واسعة (حرم)، وآبار المياه الخاصة بشعيرة الاغتسال والتطهر، إضافة إلى أماكن تقديم القرابين المحروقة (الصلوي ١٩٩٣: ٦) المكونة من البخور، الذي يحرق لكل المعبودات اليمنية.

الحج

وإضافة إلى القرابين والتقدمات، أقيمت لذي سماوي طقوس وشعائر لا تقام إلا للمعبودات الرسمية وبعض المعبودات القبلية، التي بلغت مكانة عالية في الديانة اليمنية القديمة، مثل تألب ريام، وفي مقدمتها الحج (الحاضر) الذي كان يقام في شهر معين من السنة، اختلف موعده من معبود لآخر. وفيه يجتمع ممثلو القبائل في معبد من المعابد لمدة من الزمن، حيث تقدم فيه النذور والقرابين، وتقام الولائم الدينية والاحتفالات الأخرى.

ومن أشهر المعابد التي كان يُحج إليها، معبد "بين" في مدينة هرم، ومعبد "ذي يغرو" في منطقة الشظيف، بين الجوف ونجران. وهو مشابه للحج الذي كان يُقام للمعبود السبئي "إل مقه"، في معبده المسمى "أوام" في مأرب، في شهر ذي أبهي، وذلك الذي كان يقام للمعبود الرئيس في مملكة حضرموت، والمسمى "سين" في معبده ذو أليم، في العاصمة شبوة (عربش٢٠٠٢: ١٩)، الذي كان يقام "لتألب ريام"، معبود اتحاد قبائل سمعي في معبده المسمى "ترعة"، على الرغم من كونه معبوداً محلياً يشابه المعبود ذي سماوي من حيث المكانة.

إن زيارة عدد من ملوك مملكة سبأ إلى معبد "ذي يغرو"، الخاص بذي سماوي، وفي فترات زمنية مختلفة، يؤكد أهمية ذلك المعبود، والمكانة العالية التي بلغها في الديانة اليمنية القديمة. فقد زار الملك (شعر أوتر) حرم ذلك المعبد أثناء قيامه بحملة عسكرية لإخضاع قرية ذات كهل - عاصمة اتحاد قبائل كندة ومذحج-وهو أمر تكرر من قبل الملك (إل شرح يحضب الثاني)، حيث كان ماراً بالمنطقة أثناء الحملة العسكرية التي قام بها لإخراج عامل النجاشي من نجران. وكان مما قام به شعيرة الاستلام " استلم بإلهن"(بافقيه ١٩٩٤: ٥٥-٥٦). ولم يذكر كل من الملكين السابقين في نقشيهما المعبود ذي سماوي بالاسم، بل أشارا إلى زيارة المعبد، وقيامهما بالطقوس والشعائر الدينية؛ فذكر (شعر أوتر) أنه زار معبد الإله دون ذكر الاسم، بينما ذهب (إل شرح يحضب الثاني) "ليستلم بإلهن" كما ورد في النقش. ولا تُعرف طبيعة ذلك الاستلام، الذي يُرجّح أنه نوع من التقرب، أو طلب البركة.

ولا يخرج ذلك الاستلام، من قبل ذلك الملك عن أمرين: الأول، أن ذلك الاستلام كان للمعبود ذي سماوي، ولذلك فعدم ذكر اسمه يرفع الحرج عن ذلك الملك بتقربه من معبود أقل مكانة من المعبودات التي يقدسها، وفي مقدمتها "إل مقه". وقد كان الملك مضطراً لذلك، لعدم وجود معبد خاص بمعبوده في تلك المنطقة؛ لأن المعابد اليمنية، التي كانت تُبنى خارج المدن والأماكن البعيدة عن العمران، وعلى الطرق التجارية، كانت مشاعاً لكل من أراد التعبد أو الزيارة من مختلف الممالك والقبائل، بغض النظر عن اسم المعبود الذي يتم تقديسه (Audouin1988:76)، وتبعاً لذلك، يُرجّح أن "إل شرح يحضب" تقرب لذي سماوي بوصفه القمر، وهي الطبيعة نفسها التي حملها معبوده الرئيس "إل مقه" على الرغم من اختلاف الاسم.

والأمر الثاني، أن تلك العبارة التي قد تعني أنه استلم

بمعبوده (إل مقه)، وليس بذي سماوي، حتى ولو تم ذلك في معبد معبود آخر، بسبب بعده عن مناطق نفوذه ومملكته، وعدم وجود معابد لمعبوده الأصلي في تلك المنطقة.

كما يمكن تفسير ذلك اللجوء بإعادة ترتيب القوات، أو الاستراحة لمراجعة الخطط، ويرجع ذلك وجود ذلك المعبد على قمة جبل.

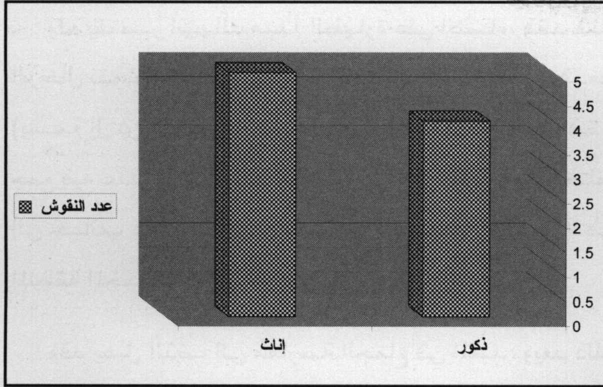
الاعتراف العلني بالذنوب

يُعد الاعتراف العلني بالذنوب أهم شعيرة كانت تقام لذلك المعبود. وقد تميز بها عن بقية المعبودات الأخرى في الديانة اليمنية القديمة، سواء الرسمية، التابعة للممالك اليمنية القديمة، أو المحلية، الخاصة بالقبائل الأقل شأناً على الرغم من القيام بتلك الشعيرة لعدد من المعبدات الأخرى، مثل عثتر، وذات حميم، إلا أنها لم تشكل ظاهرة كما كانت عند المعبود ذي سماوي.

وتقوم تلك الشعيرة على تقديم نقش بخط المسند، محزوز على الحجارة أو مصبوب على شكل لوح من البرونز- وهي الغالبية - يقدّمه المخطئ أو مرتكب الذنب، إلى معبد من معابد ذي سماوي بعد استشارة الكهنة،يوضح فيه نوع الذنب أو الذنوب المرتكبة، وأحياناً الغرامة الموقعة عليه. ويطلب في آخر النقش الغفران من ذلك المعبود، كما يعلن التوبة وعدم العودة إلى ارتكاب مثل ذلك الذنب. وقد تعددت تلك النقوش لتصبح ظاهرة ارتبطت بذلك المعبود.

وقد قدمت تلك الاعترافات من رجال ونساء، على حد سواء، إلا أن عدد النقوش التي قدمت من النساء في هذه الدراسة تفوق تلك التي قدمها الرجال (الشكل ٥)، وشملت الاعتراف بأخطاء مختلفة من قبلهن، ما يرجح أهمية تلك الشعيرة عندالنساء المتعبدات لذي سماوي، سواء كن من قبيلة أمير أو القبائل الأخرى.

واعتُقد أن ذلك النوع من النقوش قاصر على منطقة هرم -الواقعة في منطقة حزم الجوف وأحدى مراكز قبيلة أمير- بسبب أن أغلبها كُتب بلهجة تلك المنطقة، وهي لهجة لها



الشكل ٥: توزيع نقوش الاعتراف العلني بالذنوب حسب الجنس.

مميزات خاصة، إلى جانب اشتراكها من مميزات أخرى مع لهجات الممالك اليمنية القديمة (الصلوي١٩٩٣: ٤؛ بافقيه ١٩٩٤: ٣٢)، وكذلك اشتراكها مع اللغة العربية الشمالية من كثير من المميزات، منها تتطابق معاني عدد من المفردات؛ لكن العثور على ذلك النوع من النقوش في معابد أخرى لذي سماوي في مناطق غير مدينة هرم، كما هو الحال في معبد ذي يغرو في منطقة الشظيف، نفى ذلك الاعتقاد، وجعلها ظاهرة تابعة لذلك المعبود، بشكل عام.

وقد قُدّمت أغلب تلك النقوش، بسبب انتهاك مبدأ الطهارة في المعابد، والخروج عن التعاليم والقواعد الدينية، التي يجب التقيد بها. ويشمل انتهاك مبدأ الطهارة، طهارة البدن واللباس، على حد سواء. ويلاحظ شمولية تلك الأخطاء، فمن خلال ثلاثة نقوش هي:

(CIH532=Haram33، RES3975=Haram36؛ RES3956=Haram35) (Robin1992:100-101;104-105),

قُدّمت من ثلاث نساء، هن: (سمنة بنت بن إل)، و (أخية بنت ثوبان)، و(حولية أمة سليم)، في معبده المسمى (بين) في مدينة هرم، نجد أن المرأة الأولى نجّست شخصاً في المعبد، ما أدى إلى غضب ذي سماوي فتضرعت ليغفر لها؛ بينما أخطأت الثانية حين دخلت المعبد، ومكان تقديم القرابين وهي غير طاهرة ولم تشعر بذلك. كما ارتدت الثالثة ثوباً نجساً، وأخفت ذلك عن ذي سماوي فطلبت منه الصفح.

ولم يقتصر انتهاك مبدأ الطهارة على النساء، فقد قدم الرجال نقوشاً مشابهه كما هو الحال في النقش الذي قدمه (يسمع إل بن إل شرح الهبشاني)، في معبد ذي يغرو. فقد جمع فيه عدداً من الذنوب، منها تخطي آبار المعبد وهو محتلم، إلى جانب عدم تقديم القرابين (الصلوي ١٩٩٣: ٤)، في المنطقة المخصصة لذلك.

وقد يصل الذنب إلى ممارسة الجماع في المعبد، ويعد ذلك من أكبر الذنوب المرتكبة من قبل الرجال والنساء. فقد قدّمت امرأة تدعى (أمة أبيها) نقش اعتراف لذي سماوي (CIH533=Haram34)، لأن زوجها "قربها " جامعها في المعبد في ثالث يوم من أيام الحج المخصصة لذلك المعبود، وقد كانت حائضاً، ثم مشى ولم يغتسل. كما قدمت نقوش مشابهة ذكر أصحابها أنهم جامعوا نساء في المعابد، ومنهم (حرم بن ثوبان) صاحب النقش(CIH523=Haram40)، كما ذكر بعض الأخطاء الأخرى، منها تدنيس الثوب بالمني، وعدم الاغتسال بعد الجماع (Robin1992:110). ومما يلفت النظر في تلك النقوش، كثرت الطلبات التي يتقدم بها أصحابها للمعبود ذي سماوي وجمعها في نقش واحد، إذ يبدو أن التكلفة المادية لكتابة تلك التقدمات في عدة نقوش كانت مرتفعة، إلى جانب ما يرافقها من تقديم مبالغ مالية للكهنة، لذلك يستغل مقدم النقش أكثر من مناسبة وسبب، ليجمعها في نقش واحد يقدمه للمعبد.

ويعد تقديم ذلك النوع من النقوش ضرباً من التشهير بمرتكب الذنب أو الخطيئة، سواء كان رجلاً أو امرأة. وفي الغالب كانت تعلق تلك النقوش على جدران المعابد، لأنها ألواح رقيقة من البرونز. ويُرجّح ذلك العثور على لوحة صغيرة من البرونز، عليها نقش مقدم من (عليم بن قيس) يذكر فيه أنه اعترف لذي سماوي، صاحب المعبد يغرو، بأنه جامع أنثى في المعبد. وفي اللوحة نفسها نحت لرجل وامرأة في وضع جنسي فاضح (بافقيه ٢٠٠١(أ):٦٥). ويبدو أن ذلك كان جزءاً من العقاب الموقع على مرتكب الذنب.

ويلاحظ من خلال النقوش المتعلقة بالاعتراف العلني بالممارسات الجنسية، استخدام ألفاظ، أو كلمات رصينة، تعبّر عن الجماع، ومنها " قرب " " مشى" " ملث"، ما يدل على التأدب والخضوع لسلطة المعبود.

وكان الاعتقاد سائداً بأن نقوش الاعتراف العلني بالذنوب، قاصرة على تلك المتعلقة بانتهاك مبدأ الطهارة والجماع في المعابد، إلا أن اكتشاف نقوش جديدة أخرى نفى ذلك الاعتقاد. فقد كُشف عن نقوش تحمل موضوعات اعتراف أخرى، أهمها الحنث باليمين، وعلى نحو ما ورد في النقش الذي قدمه (أوس قن بن متتم الهبشاني)، الذي اعترف أنه " حلف فأثِم ولزمهو سؤم"، إلى جانب أنه لم يقدم القرابين في المعبد (بافقيه ١٩٩٤: ٢٤). والخطأ الثاني الذي ارتكبه مشابه لذلك الذي اقترفه (يسمع إل بن إل شرح الهبشاني)، المذكور سابقاً. وتجدر الإشارة إلى أن الشخصين اللذين قدما النقشين السابقين، هما من الفخذ أو القبيلة نفسها فهما هبشنيان.

وعادة تصاحب تلك النقوش عبارات خاصة بالاعتراف بالذنب والتكفير عنه، مثل "تتخي" و "تتذر"، وتختتم بالخضوع والتذلل والاستسلام "هضرع"، والغم والكربة "عنو"، والتوبة عن الذنب وعدم الرجوع إليه " يحلأن".

وقد شكك (بافقيه) في هذا النوع من النقوش ودلالاتها على الاعتراف العلني في المعابد، وأنها خاصة بذي سماوي، وذلك لعدم وجود العبارات الدالة على ذلك سوى الفعلين " تتخي وتتذر" وهما يدلان، حسب رأيه، على التبرؤ والاستغفار من عمل محرم، مصحوب بتقديم النذور والقرابين (بافقيه ٢٠٠١(ب): ٦٣). إلا أن عدم تقديم مثل هذه من النقوش لمعبودات أخرى في الديانة اليمنية القديمة، يدل على أنها كانت ظاهرة خاصة بالمعبود ذي سماوي. كما أن في التبرؤ والاستغفار من الذنب، الذي يرد في تلك النقوش، نوعاً من طلب التوبة التي لا تأتي إلا بعد ارتكاب الذنب، إضافة إلى أن تعليقها في المعابد وفي أماكن ظاهرة لرؤيتها، من قبل كل من يرتاد المعبد، يرجّح العلنية.

وبمقارنة تلك الشعيرة الدينية بمناطق أخرى في الشرق الأدنى القديم، يلاحظ ندرتها. فلم يُعثر حتى الآن إلا على مثال واحد ورد في نقش عثر عليه في جنوب مدينة مأدبا في

الأردن، وهو مكتوب بخط النقوش الشمالية (الثمودية)، أو كما تسمى بالصفوية الجنوبية، وكتب بطريق " خط سير المحراث"، وقدم من شخص يدعى (فلهان بن حنين). وقد اعترف فيه بتجاوزه لتعاليم معبوده المسمى " صعب، وتضرع معلناً توبته (الخريشة٢٠٠٠: ٥٩-٦١). ويذكر ناشر النقش أن ذلك الموضوع جديد في النقوش العربية الشمالية.

والمعبود "صعب" من المعبودات العربية الشمالية، وكان الأنباط أول من قدّسوه، ثم انتقلت عبادته إلى بعض القبائل العربية، حيث ذكر في البداية في نقشين نبطيين من البتراء ومدائن صالح، ونقش ثالث من تدمر (الخريشة ٢٠٠٠: ٩٢-٩٢).

ولا يرد تاريخ دقيق لبدء تقديس ذلك المعبود، من قبل الأنباط أو القبائل العربية الشمالية، التي قدسته بعد ذلك. وفي هذا السياق، يرجّح أن عبادة ذي سماوي في جنوب الجزيرة العربية، أقدم من تقديس المعبود" صعب". وبهذا فإن شعيرة الاعتراف العلني المقامة له، أقدم من تلك التي أقيمت للمعبود "صعب". كما أن كثرة النقوش، التي تتناول ذلك الموضوع المقدمة لذي سماوي مقابل مثال واحد للمعبود "صعب"، يرجّح انتشار تلك الشعيرة في جنوب الجزيرة العربية، بحيث أصبحت ظاهرة، ثم انتقلت إلى شمالي الجزيرة العربية.

وبمقارنة النقوش، التي تناولت ذلك الموضوع - والتي قدمت لكل من المعبودين "ذي سماوي" و"صعب" - من حيث المحتوى والصياغة، يلاحظ أن المعترف بالذنب في النقش المقدم للمعبود "صعب" لم يذكر الذنوب التي ارتكبها بالتفصيل وإنما أجملها في عبارة: "بكل ما فعل"؛ بينما فُصّلت تلك الذنوب في النقوش المقدمة لذي سماوي، ولم تغفل حتى الجنسية منها. كما يُلاحظ التشابه في الألفاظ المستخدمة في النقوش المقدمة للمعبودين، خاصة تلك الدالة على التضرع والاستسلام والتوبة، مثل: "تضرع" و"عنو"، ما يرجح الأصل اللغوي الواحد لتلك النقوش.

إلا أن من الفروق الواضحة ذكر الغرامة الموقعة على مرتكب الذنب في النقش المقدم للمعبود "صعب"، وهي مجموعة من الإبل والغنم؛ بينما لم تذكر في النقوش، المقدمة لذي سماوي بل اكتفى مقدمو النقوش بتقديم القربان، ما عدا أمثلة نادرة منها النقش المقدم من قبل (إل عز بن نهية) ، الذي اعترف لذي سماوي بعدد من الذنوب، فقرر في نفسه أن يقدم نقوداً له؛ ولكنه أنفقها فقام باسترضائه، وطلب منه أن يغفر له (بافقيه ١٩٩٤: ٣٦).

ولم تذكر المصادر والنقوش كيف اندثرت عبادة ذي سماوي. ويبدو أن تقديسه استمر لفترة طويلة من الزمن، امتدت إلى قرون ما بعد الميلاد. ويرجّح أن نهايته تزامنت مع اندثار الحضارة اليمنية القديمة، ودخول الديانتين اليهودية والنصرانية إلى اليمن القديم، واختفاء عبادة عدد كبير من المعبودات الوثنية.

الخلاصة

إن دراسة المعبودات المحلية (القبلية)، بشكل مستقل عن المعبودات الرسمية التابعة للممالك الكبيرة -وذي سماوي أنموذج لها- يظهرها وكأنها بلغت مكانة المعبودات الرسمية من جوانب مختلفة، مثل: الطقوس والشعائر الدينية التي كانت تقام لها، والرموز، وفي بعض الأحيان الألقاب والصفات. كما أن دراستها بشكل ثانوي بجانب المعبودات الرسمية، يقلل من شأنها ومكانتها عند الباحثين. وقد أدى ذلك إلى التقليل من شأنها دون وجود أسباب جوهرية، سوى عدم نسبتها للممالك الكبيرة.

لم يُذكر المعبود "ذي سماوي" في بداية ازدهار الممالك اليمنية القديمة، منذ بداية الألف الأول ق.م. كما لم تكن للقبيلة التي قدسته أهمية سياسية واقتصادية في تلك الفترة، بسبب السيطرة التي شكلتها المعبودات الرسمية، وفي مقدمتها الثالوث الكوكبي " القمر والشمس والزهرة".

ويرجع علو مكانة قبيلة أمير، ومن ثم معبودها، إلى أنها ورثت مملكة معين بعد اندثارها بوصفها كياناً سياسياً في القرن الأول ق.م، خاصة في الجانب الاقتصادي القائم على إيصال القوافل التجارية إلى شمال الجزيرة العربية. وقد ظلت تقوم بذلك الدور لمدة طويلة من الزمن، خاصة قرون ما بعد

الميـلاد، الأمـر الذي أدى إلـى زيادة أهمـيـتـهـا بسـبب اشـتـغـال أفرادها بتجارة القوافل وتربية الإبل.

أدت طبيعـة اشـتـغـال أفراد قبيلة أميـر كجمـالة في تجـارة القـوافل، إلى انتـشـارهم في عـدد من مناطق المـمالك الأخـرى. وقد حملوا معهم معبودهم ذي سـماوي إلى تلك المناطق، وبهذا انتشـرت عبادته وبنيت له عدد من المعابد وعلت مكانته بسـبب الأهمـيـة الاقتصادية لأفراد تلك القبيلة القـائمـة على خبـرتهم الواسـعـة في ذلك النوع من التجـارة، بحيث وجدوا القـبـول من أهل تلك المناطق، الأمـر الذي انعكس على معبـودهم على الرغم من كونه معبوداً محلياً خاص بقبيلة معينة.

وتبقى ظاهرة الزيارة إلى معـابد ذلك المعبـود - خاصـة ذي يغـرو- من قبل ملوك مـهـمين وتابعين للمـمـالك الكبيـرة، وفي مـقدمـتـهم شـعـر أوتـر، وإل شـرح يحـضب الثـاني، مـسـألة في حـاجة إلى مـزيد من الدراسـة، لأنهـا تلقي الضـوء على تشـابه الطقـوس والشـعـائر الدينيـة، التي كانت تقام في المعابد اليمنيـة القـديمة، ومشـاعيتها لجميع المتعبدين من الكيـانات الأخـرى، ودلالات ذلك.

د. منير عبدالجليل العريقي - قسم الآثار - كلية الآداب - جامعة إب - اليمن.

Abbreviations

BSOAS: Bulletin of School of Oriental and African Studies.

CIH: Corpus Inscription Semiticarum.

RES: Repertoire de Epigraphie Semitique

PSAS: Proceedings of the Seminar for Arabian Studies.

YAC: Yemen 3000 year or Art and Civilization.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

أبوجزر، فاطمة أحمد ١٩٨٧، أسماء الأعلام المؤنثة في النقوش السبئية. رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة اليرموك، إربد.

الإرياني، مطهر علي، ١٩٩٠، **نقوش مسندية وتعليقات**، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.

بافقيه، محمد عبد القادر ١٩٨٥، **تاريخ اليمن القديم**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

بافقيه، محمد عبد القادر؛ وآخرون ١٩٨٥ (أ)، **مختارات من النقوش اليمنية القديمة**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.

بافقيه، محمد عبد القادر١٩٩٤، "ذي يغرو وأمير وحنان في ضوء النقوش"، في كتاب : (**Arabia Felix** Festscrift ww. Muller Zum 60 Geburtstag, 1994 Wiesbaden).

بافقيه، محمد عبد القادر ٢٠٠١، " نقوش ودلالات (٢)". **ريدان** عدد (٧) ص ١٠-٢٨، المعهد الفرنسي للآثار، صنعاء.

بافقيه، محمد عبد القادر٢٠٠١ (أ)، "ذي سماوي وأبعاد حرمه في شظيف". **ريدان** ، العدد (٧): ٥٥-٦٥ ، المعهد الفرنسي للآثار: صنعاء.

بركات، أبو العيون ١٩٨٦، الوعل في الحضارة اليمنية القديمة. **اليمن الجديد**، العدد (١٢) السنة ١٥، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء.

الجرو، أسمهان ١٩٩٢، الديانة اليمنية القديمة، **دراسات يمنية**، العدد (٤٨): ٣٢٣-٣٧١، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء

الجرو، أسمهان ١٩٩٦، **موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)**، دار حماد، إربد، الأردن.

الخريشة، فواز أحمد ٢٠٠٠ ، كتابة عربية بالخط الثمودي من الأردن، **أدوماتو** ، العدد (٢): ٥٩-٧٠، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، الرياض.

ريكمانز، جاك ؛ وآخرون ١٩٩٤، **نقوش خشبية من اليمن**، المعهد الشرقي، لوفان.

شعلان، عميدة ٢٠٠٢ ، نقش جديد من نقوش ذي سماوي. **أدوماتو**، العدد (٦): ٧-١٤، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، الرياض.

الصلوي، إبراهيم محمد، ١٩٨٩، " أعلام يمنية مركبة"، **دراسات يمنية**، العدد (٣٨): ١٢٤-١٤٢، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.

الصلوي، إبراهيم محمد ١٩٩٣، نقش جديد من نقوش الاعتراف، **التاريخ والآثار** ، ١٩٨٩ (١): ٤-٦ الجمعية اليمنية للتاريخ والآثار، صنعاء.

طيران، سالم بن محمد ٢٠٠٠ ، مذبح بخور(مفحم) عليه نص إهدائي للمعبود ذي سماوي. **أدوماتو**، العدد (١): ٥٠-٥٨، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، الرياض.

عبد الله، يوسف محمد ١٩٨٨، " نقش القصيدة الحميرية، أو ترنيمة الشمس"، **ريدان**، العدد (٥): ٨١-١٠٠ المركز اليمني للأبحاث الثقافية، عدن.

عريش، منير ٢٠٠٢ ، عالم الآلهة في مملكة قتبان اليمنية قبل الإسلام. القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن الثاني قبل الميلاد، **حوليات يمنيه**، المركز الفرنسي للأبحاث، صنعاء.

العريقي، منير عبد الجليل ٢٠٠٢، **الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم**، مكتبة مدبولي ، القاهرة.

العريقي، منير عبد الجليل ٢٠٠٤، "رموز دينية على العملات اليمنية القديمة"، **الباحث الجامعي**، العدد (٦) ص ١٧٢-٢٢٤جامعة إب: اليمن.

علي، جواد ١٩٨٤ ، "أديان العرب قبل الإسلام"، في **كتاب الجزيرة العربية قبل الإسلام**. ص: ١٠٧- ١١٩جامعة الملك سعود، الرياض.

القرم، توفيق محمود ١٩٩٤ ، أسماء الأعلام المركبة مع أسماء آلهة في النقوش السبئية مستقاة من سجل النقوش السامية .RES رسالة ماجستير، (غير منشورة) جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

نيلسن، ديتلف ١٩٥٨،" الديانة العربية القديم"، **كتاب التاريخ العربي القديم**، ترجمة فؤاد حسنين علي، ص ١٧٢ -٢٢٤ منشورات وزارة

التربية والتعليم، القاهرة.

الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب ١٩٨٣ ، صفة جزيرة العرب، ط٣، تحقيق محمد بن علي الأكوع مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء.

References

Audouin, Remy; et al 1988. "Towns and Temples, The emergence of South Arabian Civilization", **YAC** pp: 63-76 Frankfurt Main: pinguin.

Beeston, A. F. L. 1954. "Problem of Sabaean Chronology", **BSOAS** ,Vol. (XVI) pp: 4-56, London: Messrs. Luzac & co Ltd.

Beeston, A. F. L. 1991. "Sayhadic Divine Designation", **PSAS**, Vol. (21), pp:1-6, London : Oxford University .

Ghul, Mahmud Ali 1959. "New Qatabani Inscription II", **BSOAS**, Vol. (XXII) Pp:419- 438 London: Messrs. Luzac & co Ltd.

Kensdale,W. E. N. 1964. "The Religious Beliefs and Practices of Ancient South Arabian", **Department of Antiquities Publication** , No. (2) pp: 1-7 Aden .

Robin, Chrisian 1992. **Inventaire des Inscriptions Sudarbiques, Tome** (1), Paris: Diffusion De Boccard.

Ryckmans, G. 1988. "The old South Arabian Religion". In: **YAC**, pp. 107-110, Frankfurt Main: pinguin.

Schmidt, Jurgen 1988. Ancient South Arabian Sacred building, **YAC**, pp. 78-89, Frankfurt Main: pinguin.

نقش شعّير بن كحسمان

محمود الروسان

ملخّص: يتناول البحث نقشاً جديداً من النقوش العربية الشمالية، وهو نقش "صفوي"، عُثر عليه في الرجم رقم ٣٦، بوادي سلمى، في منطقة الصفاوي، الواقعة شمال شرقي الأردن. وتشتمل الدراسة على قراءة للنقش وتحليل له، ومحاولة للربط بين ما جاء فيه وبين النقوش العربية القديمة في الجزيرة العربية، شماليها وجنوبيها. كما تحاول الدراسة إبراز الأهمية التاريخية والاجتماعية للنقش.

***Absrtact.** This paper studies a North Arabian Inscription (Safaitic), found on a basalt stone on cairn No. 36 in Wadi Salma to the east north of al-Safawi in Jordan. The study presents a reading and an analysis of the inscription, and seeks to relate it to ancient Arabic inscription of the Arabian Peninsula. Along with highlighting its historical and social importance, this inscription sheds a new light on the style of writing, the square script which is known in southern Arabia, and some new verbs such as srt, mhy and smkr.*

عُثر على هذا النقش - موضوع الدراسة - عام ١٩٩٨م، في أحد سفوح وادي سلمى، الذي يبعد حوالي ٣٥ كم شمالي بلدة الصفاوي في شمالي شرق الأردن (الخارطة ١). وكان ذلك خلال التنقيبات ضمن مشروع "تدوين وتوثيق ومسح النقوش" من قبل مدونة النقوش في كلية الآثار بجامعة اليرموك بالأردن، المنفّذ بدعم من عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة.

وقد وُجِدَ النقش، في وسط الرجم رقم (٣٦)، الذي يعد أحد الرجوم الكبيرة، بالمنطقة؛ إذ اشتمل أيضاً على بناءٍ على شكل برج أسطواني، كان يستخدم للمراقبة. وقد جُمع خلال موسم عام ١٩٩٨م (١٤٠٠) نقش صفوي، إضافة إلى بعض النقوش الثمودية والإسلامية المبكرة.

كُتب النقش على حجر مستطيل الشكل، أبعاده: (٧٠ × ٤٢ سم)، بخط واضح أقرب للخط المربع أو خط المسند المبكر. ويتألف النص من ستة أسطر مستقيمة، كُتبت بطريقة سير المحراث (Boustrophedon)؛ إذ كُتب السطر الأول من اليمين إلى اليسار، والسطر الثاني من اليسار إلى اليمين، وهكذا دواليك حتى السطر السادس، وفي أسفل النقش خطٌّ متعرجٌ يبدو أنه إطار غير مكتمل (اللوحة ١، الشكل ١).

وتوحي كتابة النقش بطريقة سير المحراث، أنه من النقوش المبكرة في المنطقة؛ لكن ورود لفظة همذ (أي الفرس الميديين)، الذين وجدوا في المنطقة في وقت متأخر، تجعلنا نتردد في نسبة هذا النقش لزمن بعينه. وتدل أشكال الحروف، على أية حال، على قدمها، حسب ما هو متعارف عليه بخصوص تطور الحروف في النقوش الصفوية.

النقش بحروف العربية الفصحى:

١- ل ش ع ر ب ن ك ح س م ن ب ن ك ح س م ن ب ن ظ ن ن ب ن ش ع ر.

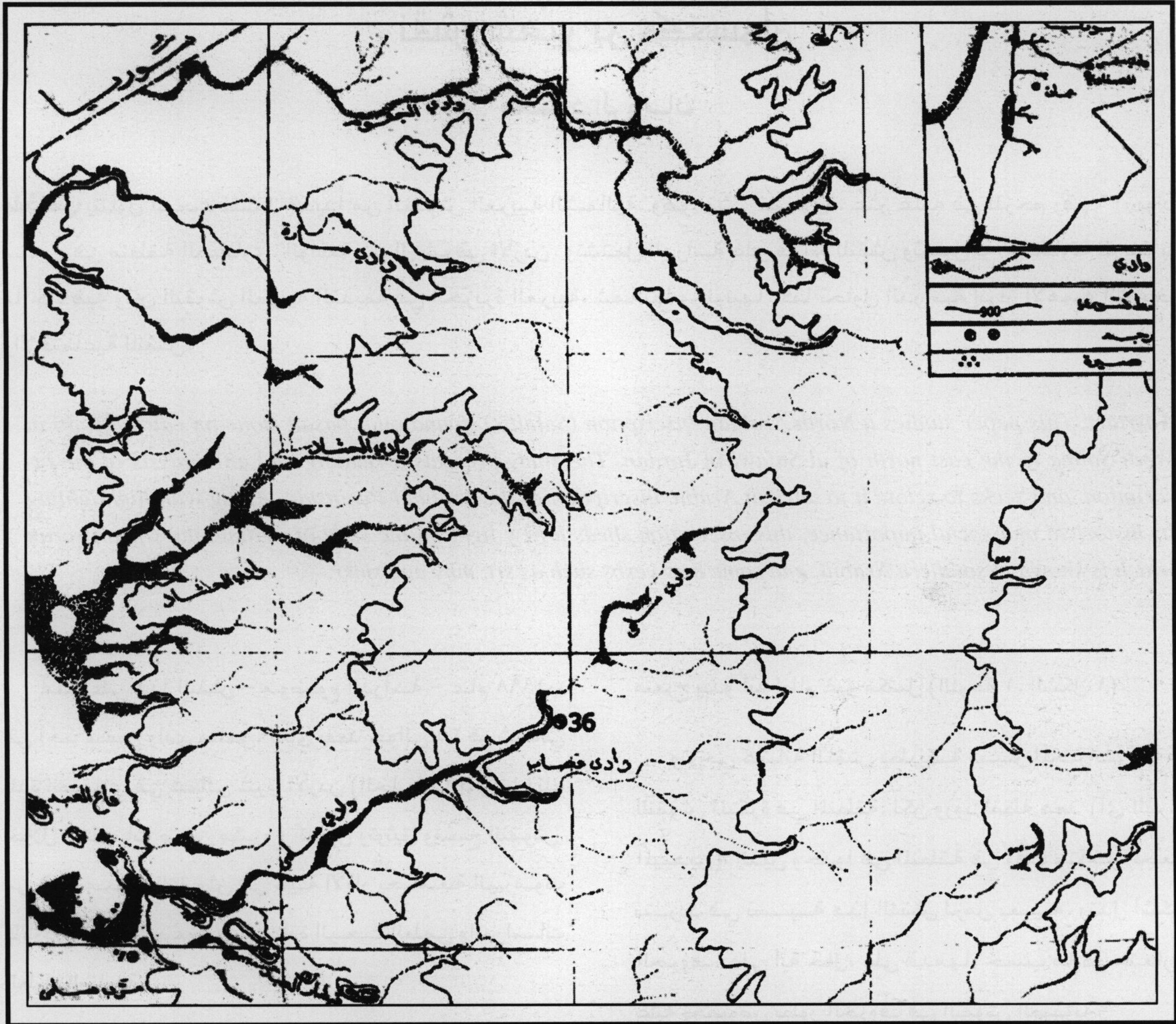
٢- ب ن ج ن إ ل ذ أ ل ك ن و س ر ت س ن ت ن ج ي.

٣- ع م د ب ن أ س هـ د ي و س ن ت د ر ج هـ ص.

٤- م ك ر ن هـ م ذ ف هـ ج د ض ف س ل م.

٥- و غ ن م ت ل ذ د ع ي هـ س ف ر.

٦- و ن ق أ ت ل ذ م ح ي هـ س ف ر.



الخارطة ١: موقع وادي سلمى ، بشمالي بلدة الصفاوي، في المنطقة الشمالية الشرقية من الأردن.

النص باللغة العربية الفصحى:

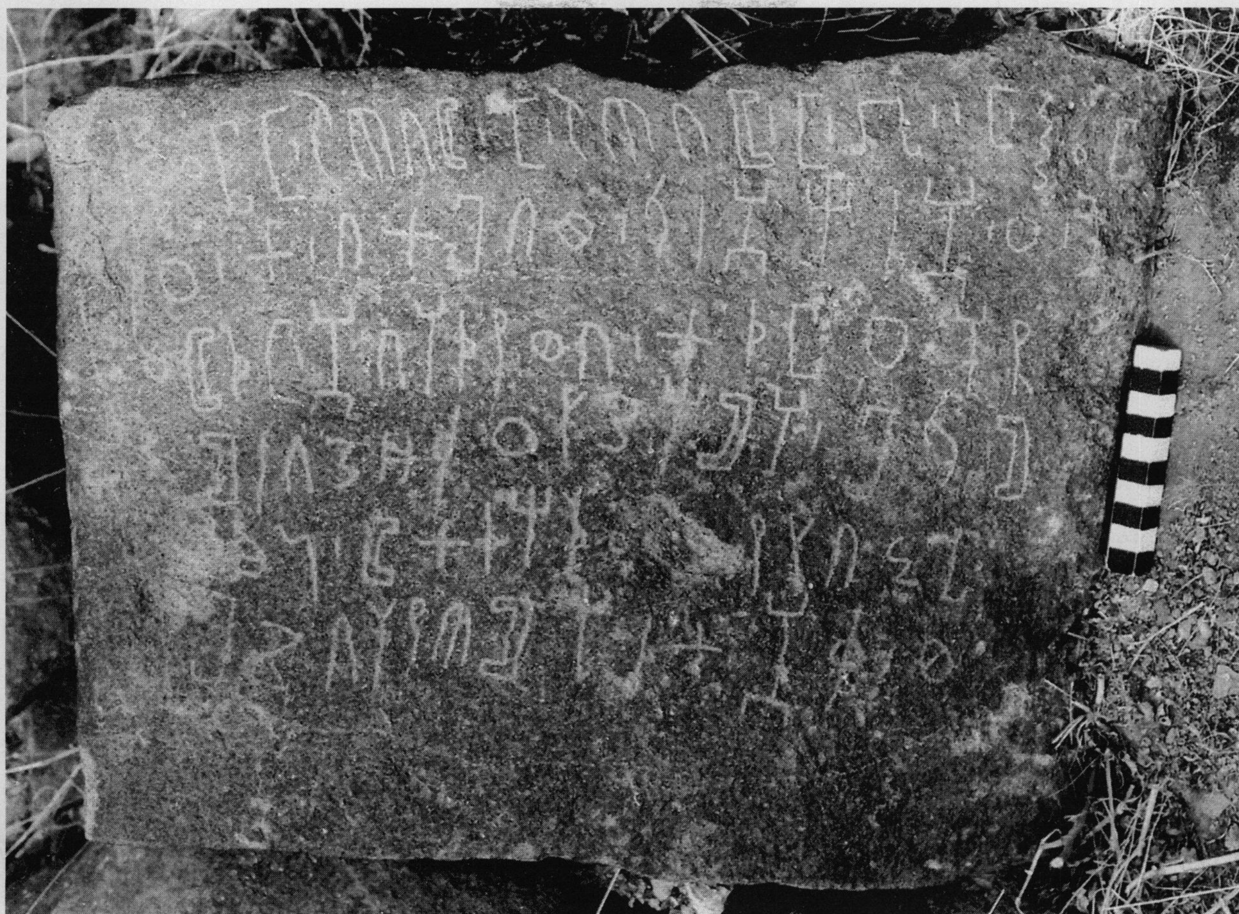
"النقش" ل شعيّر بن كحسمان بن ظنين بن شعيّر بن جن إل من قبيلة كون وغزت في السنة التى نجا عميد بن أوس وكان (يعمل) دليلا، في السنة التى مشى الصمكران على الميذيين فيا جد ضيف السلامة والغنيمة للذي يترك السفر (سالماً) والنقمة من الذي يمحو السفر.

التعليق

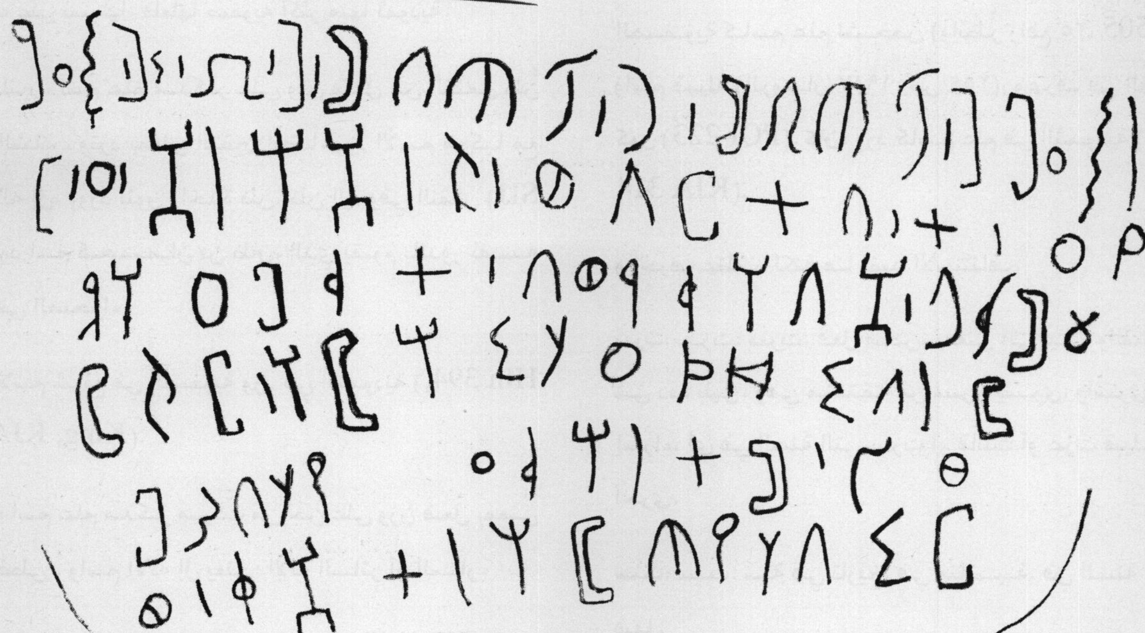
ل: حرف جر يفيد معنى الملكية، وغالباً ما تبدأ به معظم النقوش الصفوية.

شعر: ش ع ر: شعر اسم علم مذكر على وزن فعل بمعنى "علامة، إشارة، إشعار"، والشّعير نبات معروف، والشعر: منظوم القول وجمعه أشعار وقائله شاعر، والشّعار نوع من النبت، والأشعر جبل بالحجاز لبني سلم، وأشعر قبيلة من العرب، والأشعر: أبو قبيلة من اليمن.

شعر، شعير، شويعر، أسماء أعلام عربية (لسان العرب، مج ٤، ص ٤٠٩-٤١٦) ورد الاسم في الصفوية (HIn 350)



اللوحة ١: نقش شعيّر بن كحسمان، وقد كُتب على حجر مستطيل الشكل (٧٠ × ٤٢سم).



الشكل ١: تفريغ كتابات النقش في اللوحة ١ .

وفي القتبانية (PQI 169) وفي السبئية: شعر علي (PSI 138) وفي المعينية (PMI 125) وفي نقوش قرية الفاو (Ja 2757b)، وجاء بصيغ عدة: شعرم، شعرن، شعر إل، أب شعر. أنظر (PMI p.125).

بن: أداة البنوة في النقوش العربية القديمة.

كحسمن: ك ح س م ن: كحسمان اسم علم لشخص، ويبدأ مثل بعض الأسماء التى ترد في الصفوية بحرف الكاف، لكنه منته بالنون خلافاً للأسماء الأخرى من النوع نفسه، التي غالباً ما تنتهي بالهاء، وربما الأصل في هذا الاسم من الفعل: حسم على وزن فعل، بمعنى "الحبل الأسود" أو "حيسم" الرجل الضخم "كما جاء عند ونت في (SIJ 24). وعند ليتمان في (Littmann, in, Lp.p. xxiv). أمّا جام فأعطاه معناً جديداً ومختلفاً "الغالب" في (Ja 149a) وقد ناقشت هذا الاسم في (RWSI 126) وخلصت إلى أنَّ معنى الاسم هو "كجلمود صخر"، ذلك أنَّ الكاف تفيد التشبيه، وحيسمان "الصخر الصلب" ولا يُعطي هذا الاسم الا للفرسان.

وورد الاسم في الثمودية (WTI 81)، وهو من النقوش المختلف على نسبتها، فلعلها صفوية أكثر منها ثمودية.

ظنن: ظنين، اسم علم مذكر على وزن فعل من الفعل ظنَّ بمعنى"الشك"، وترد بمعنى اليقين أيضاً، ورد الاسم مركبا مع اسم الإله إل، وورد بنون واحدة ظن، ظن إل، وفي النقش (SIJ 88)، يرد اسم كحسمان بن ظنن، الذي يقوم بالدور نفسه كدليل في الصحراء.

ظنن: الاسم شائع في الصفوية ورد في الثمودية (HIn 394, King, KJA 138).

جن إل: اسم علم مذكر مركب من جَنَّ على وزن فعل بمعنى "ستر، غطى"، واسم الاله إل يعني: الاله الساتر أو الستّار.

ورد الاسم في النقوش الصفوية بكثرة (HIn 168)، وورد في القتبانية بزيادة الميم جنام (PQI 115).

ذأل: ذال: ذو آل: بمعنى "من قبيلة". أداة تسبق أسماء القبائل في النقوش العربية الشمالية والجنوبية (HST 11).

كن (كون): اسم قبيلة صفوية وردت مراراً: وموطن هذه القبيلة سوريا الجنوبية. وقد عُثر على ثلاثة نقوش تذكر هذه القبيلة في سوريا (رجم المسبك والزالف)، نقشان منها يذكران أفراد القبيلة (C 4064, 4079)، ونقش (C 2843) ذكر كاتبه أنه وجد أثر قبيلة (كون). ولا يُعرف كيف وجد هذا الأثر؛ هل عُدَّ النقوش على الصخور أثراً لقبيلة (كون)، أم أنه وجد آثار منازلهم؟! ويلاحظ أنه يطلب النجدة والسلامة من اللات، وكأنه من أعداء هذه القبيلة ويخاف أن يمسكوا به. ونص النقش (C 2843): هو (جحش بن يسلم بن عوذ بن ملك ووجد أثر قبيلة كون وقبيلة ضيف فيا اللات نج).

أما النقوش التي جاءت بالاسم صراحة، فهي: (ل نعمان بن خبث بن بعر ذال كن)، أي (نعمان بن خبيث بن بعر من قبيلة كون) (C 4064)؛ والنقش (C 4079) ل آسد بن اسد ذال كن) (ل أسد بن أسد من قبيلة كون).

كن: ك ن: كنن/ كون اسم علم مذكر من كون "من الوجود"، الحدث والوجود (القاموس، مج ٤، ص ٢٦٧). **كن:** ورد في الصفوية كاسم علم لشخص (وانظر رافع ٣٥، HIn 505) واسم قبيلة (الروسان ١٩٨٧: ص ٣٥٤)، وعرف في القتبانية كون (PQI 223). **كنن:** ورد كاسم علم في الثمودية (King, KJA 314).

و: حرف عطف، لكنه هنا يفيد الاستئناف.

سرت: سرت: سرت، فعل ماضٍ، بمعنى أتى ليلاً، والسارية كل شئ دب بليل. وهي مشتقه من سرى يسرى، وأسرى يسرى إسراء، أي في السنة التي سرت أو قاتلت أو غزت قبيلة، قبيلة أخرى.

سنت: سنت: سنة في تاريخ، في مناسبة، في السنة التي تم فيها.

سنت: سنة، المقصود بها هنا تحديد وقت معين، ولكننا لم

نستطع معرفة الحدث أو الاستشهاد.

نجي: نجا إسلم، فعل ماضٍ مجرد ثلاثي على وزن فعل، من النجاة أو النجوى والمناجاة، والخلاص (لسان العرب، مج ١٥، ص ٣٠٤)، وهي السنة التي نجا بها عم بن أوس، ورد الفعل في النقوش الصفوية معتلا بالياء (سنت نجى عمد: Littmann, Lp.90) وعند رافع٢٠٠: سنت نجى هـ روحن، كذلك رافع ٣٤٤: ونجى م حورن م كسع. ومعتلا بالواو (ونجو ونظر C 406 وورد كفعل أمر (هيثع نج C 912). ووردت كفعل أيضا غير معتل الآخر (الذييب ٢٠٠٣: ٤٢-٤٣) وعنده بمعنى سوّى الأرض.

عمد: **عمد**: عماد اسم علم مذكر لشخص.

ورد الاسم في العربية الشمالية والجنوبية بصور عدة: أل عمد، عمدا، عمدت، عمدن، رعن عمد (HIn 435). والعمد: الشاب الممتلئ شباباً. العمدن: العمود للبيت، والعمدة: شيخ القبيلة وكبيرها. والعمد من الإبل التي فسد سنامها من القتب. والعمد: القصد، والعماد الأبنية الرفيعة "إرم ذات العماد" وأهل العماد: الذين يتنقلون وينزلون ثم يعودون إلى منازلهم. والعماد والعمد: الخشبة التي يقوم عليها البيت، قال النابغة "يبنون تدمر من الصّفاح والعمد". والعميد: المريض الذي لا يستطيع الجلوس من مرضه حتى يُعَمَّد من جوانبه بالمساند. العميد: الشغوف عشقاً، قلب عميد: شاقه العشق والحب (ابن منظور، لسان العرب، مج ٣، ص ٣٠٢).

أس: اسم علم يرد في نقوش صفوية عديدة، (HIn 40) وقد جاء الاسم، كما يتضح مدغماً بحذف حرف العلة (الواو) من أوسطه، وهي ظاهرة معروفة في النقوش الصفوية، التي يتوسطها حرف النون أو أحد حروف العلة (الروسان ١٩٨٧: ٢٣٩). وقد أثبتت نقوش صفوية أخرى الواو في اسم أوس (HIn 40)، فحاكى شكله في اللغة العربية الفصحى (ابن حزم ١٩٦٢: ٥٢٦)، والأوس "العطية والعوض، وهو الذئب" أيضاً (ابن حزم ١٩٦٢: مج ٦، ص ١٦-١٨).

لم يقتصر ورود اسم أوس على العربية الفصحى والنقوش الصفوية، وإنما وجدت شواهده في النقوش اللحيانية) الأنصاري، وآخرون ١٩٨٤: ١٥) والثمودية (أ ي س)، (TIJ: 428) والسبئية، (القرم، ١٩٩٤: ٥٨- ٥٩) والنبطية (أ وش و PNIC 29) والتدمرية اوشي (Stark 66).

الأسماء مثل أوس وعبد وتيم هي في أغلب الأمر مختزلة من الأسماء المركبة مع أسماء الآلهة، كأوس إيل، وعبد إيل وتيم إيل وغيرها. وتكثر الشواهد على ذلك في النقوش الصفوية والثمودية وغيرها.

هدي: الهادي، الدليل في الصحراء، والمقصود هو عمد بن أوس السابق ذكره.

سنت: **وسنت**: **في السنة التي**.

درج: فعل على وزن فعل بمعنى سار، والمدراج الطرق في الأراضي المرتفعة وهي الطرق المثنية الوعرة.

تعرضي مَدراجاً وسومى تعرُض الجوْزاء للنُجوم (ابن دريد ١٩٥٨: ٢١٧).

هـ: **هـ**: أداة تعريف.

صمكرن: صمكرن ربما اسم شخص أو فعل بمعنى أقام، عسكر. ووردت صمك عند ليتمان (Lp 157) وهي بمعني الجمل القوي، فربما الصمكران: القوي، ولم أجدها في القواميس العربية.

هـ مذ: الهاء للتعريف، مذ: اسم قوم، ربما يعني الفرس (الميذيين).

في نقش ونت (SIJ 78) و مرد عل رم سنت أتى هـ مذي بصرى، أي في السنة التي جاء الفرس إلى مدينة بصرى، وهي في رأيه في سنة ٦١٤م، وأسلوب خط النقش أيضا بالخط المربع (SIJ. p.19) وفي النقش (SIJ 88) سنت نجى قصر همذ، أي في السنة التى طرد قيصر الفرس. أما في نقشنا سنت درج هصمكرن همذ، فهي بالمعنى نفسه.

ف: ف: حرف جر.

هـ: هـ: نداء.

جد ضيف: جد ضيف: اسم معبود صفوي من آلهة الصفويين عامة ومعبودات قبيلة ضيف خاصة.

سلم: سلم: السلامة.

وغنمت: الواو حرف عطف غنمت: اسم مفرد مؤنث، الغنيمة، الفيء، الجائزة، المتاع من إبل وماشية (لسان العرب، مج ١، ص ٢٦٨).

لذ: لذ: اللام حرف جر، ذا اسم موصول بمعنى الذي.

دعي: ترك (النقش) من دون أذى.

هـ سفر: هـ: أداة تعريف. **سفر**: النقش، الكتابة.

و نقأت: نقأت: النقمة والانتقام من الذي يدَمِّر أو يخرب النقش، إما بجسده أو ماله.

لذ: لذ: اللام حرف جر. وذا اسم موصول بمعنى الذي.

محى: فعل ماضٍ بمعنى أخفي أثر، خرب (النقش) لم يبقَ له على أثر.

هـ سفر: أداة تعريف. سفر: النقش، الكتابة.

د.محمود الروسان - كلية الآثار والانثروبولوجيا - جامعة اليرموك - اربد - المملكة الأردنية الهاشمية.

المختصرات:

C: Safaitic inscriptions in Corpus Inscriptionum Semiticarum, Part V, Paris 1950-1951.

HIn: Harding, An Index and Concordance of Pre-Islamic Arabian Names and Inscriptions, Toronto 1971.

HST: Harding . Safaitic Tribes 1969.

Ja: Jamme, A., Miscellanées d'ancient (sic !) arabe VII, 1975, Washngton D.C.

King: Thamudic-E Inscriptions from site C in Wadi Judayid, edited in King 1990.

Lp: Safaitic Inscriptions in Littmann, 1943.

PMI: Die Personennamen in den minaischen Inschriften, 1995.

PQI: Hayajneh, H. Die Personennamen in den Qatabanischen Inschriften, Hildesheim, 1998.

PSI: Die personennamen in den ltsabaischenlnschriften ,1992 .

RWSI: Rousan, Wadi Salma inscriptions (unpublished) .

SIJ: Safaitic Inscriptions from Jordan, Toronto 1957 . Stark .K. Stark, Personal Names in Palmyrene Inscriptions Oxford. 1971.

WTI: Winnett, F.V .and Reed, w.l. Ancient Records from North Arabia Toronto 1970.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، وأحمد غزال، وجيفري كنج، ١٩٨٤م، **مواقع أثرية وصور من حضارة العرب في المملكة العربية السعودية**، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، الرياض.

ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، ١٩٦٢م، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت .

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، ١٩٥٨م، **الاشتقاق**، تحقيق عبد السلام، جمهرة اللغة. بغداد، مكتبة المثنى.

الذييب، سليمان بن عبدالرحمن، ٢٠٠٣م، **نقوش صفوية من شمالي المملكة العربية السعودية**، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، الرياض.

الروسان، محمود، ١٩٨٧م، **القبائل الثمودية والصفوية**، دراسة مقارنة، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض.

الروسان، محمود، ٢٠٠٤م، نقوش صفوية جديدة من وادي قصاب، (رسالة دكتوراة غير منشورة)، قسم الآثار والمتاحف، جامعة الملك سعود، الرياض.

القرم، توفيق، ١٩٩٤م ، "أسماء الأعلام المركبة مع أسماء الآلهة في النقوش السبئية مستقاة من سجل النقوش السامية (RES)"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

ابن منظور، الامام أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري، **لسان العرب، دار صادر، بيروت**.

ثانياً: المراجع غير العربية:

Harding, G. 1971. **Index & Concordance of pre-Islamic Arabian Names And Inscriptions**, Toronto.

Harding, G. and Enno Littmann 1952. **Some Thamudic Inscriptions from the Hashimite Kingdom of the Jordan** , Leiden: E. J. Brill.

Hayajneh, H. 1998. **Die Personennamen in den Qatabanischen Inschriften**, Hildesheim.

Hazim, R. 1986. "Safaitischen theophoren Namen im Rahmen der gemeinsemitischen Namen gebung. Marburg.

Jamme, A. 1975. Miscellanées d'ancient (sic!) arabe VII, Washngton, D. C.

King, G. 1990. Early North Arabian Thamudic: A Preliminary description based on a new corpus of inscriptins from the Hisma desert of southern Jordan and published material, (unpublished Ph,D. thesis) School of Orintal and African Studies.

Rousan, Wadi Salma inscriptions (unpublished) .

Stark 1971. **Personal Names in Palmyrene Inscriptions**, Oxford press, p. 36.

Winnett, F. V .and Reed, w.l. 1970. **Ancient Records from North Arabia,** Toronto.

Winnett 1975. **Safaitic Inscriptions from Jordan,** Toronto.

الرحالة والباحثون الروس في تاريخ الجزيرة العربية وآثارها "دراسة تقويمية

عبد الرحمن الطيب الأنصاري

ملخّص: بدأت طلائع الرّحالة الغربيين تتوافد على الجزيرة العربية، منذ القرن الخامس عشر الميلادي. وتباينت أهدافهم ما بين السيطرة على أجزاء من البلاد العربية، أو التّحكم في الطرق البحرية، أو التنصير، أو المغامرة والاستكشاف. وفي الوقت الذي توافد فيه العديد من الرحالة الغربيين إلى الجزيرة العربية من كافة الدول الأوروبية، كان عدد الرحالة الروس قليلاً جداً؛ ذلك أن طلائعهم بدأت تتوافد على الجزيرة العربية، منذ أواسط القرن التاسع عشر الميلادي. يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على الدور، الذي قام به الرحالة والباحثون الروس، من خلال نظرتهم إلى الجزيرة وسكانها؛ وكذلك، دراسة التاريخ العربي، خاصة القديم منه، ومحاولة الربط بينه وبين التصور المسبق للدراسات التوراتية، التي أُسقطت على التاريخ العربي.

Abstract. *It was during the 15th Century A.D. that the first travellers from Western countries began to journey to the far corners of Arabia. The motives of these travellers were varied: some were interested in territorial expansion, others were bent on controlling sea-routes, while others were missionaries who sought to spread the teachings of Christianity, and still others were moved by a sense of adventure and exploration. However, in comparison to Europeans, Russian travellers not only were fewer in number, but also came too late, towards the middle of the 19th Century. The present paper attempts to focus attention on the contribution of Russian scholars and travellers to the depiction of Arabia and the life of its inhabitants. It examines their approach to ancient Arabian history, and how their preconceived notions about its presumed relationship with biblical writings dominated their studies.*

تعددت الأسباب التي دفعت الرحالة الغربيين إلى زيارة الجزيرة العربية. فقد بدأت طلائعهم تتوافد منذ القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي. وتفاوتت أهدافهم ما بين السيطرة على أجزاء من العالم الإسلامي، أو التحكم في الممرات المائية الحيوية، مثل: البحر الأحمر والخليج العربي وبحر العرب، أو التنصير، أو حب المغامرة والاستكشاف.

وكانت أولى محاولات الأوروبيين لزيارة الجزيرة العربية، قد تمثلت في زيارة بيتر دي كويلان (Peter de Couillan) إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة سنة ١٤٨٧م. وتدور شكوك كثيرة حول هذه الزيارة، وهل تمت فعلاً أم لا؟ لكن من المؤكد أن أول رحالة أوروبي زار الجزيرة العربية هو الإيطالي لودفيكو دي فارتيما، الذي زار الجزيرة العربية سنة ١٥٠٣م. وكان دي فارتيما مرسلاً من قبل البرتغاليين للتجسس، في إطار الصراع الذي كان دائراً آنذاك، بينهم وبين المماليك، من أجل السيطرة على الممرات البحرية وطرق التجارة في البحر الأحمر، بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح. وكان دي فارتيما قد بدأ رحلته من مصر، التي توجّه منها إلى الشام حيث قضى وقتًا بدمشق تعلم خلاله اللغة العربية. ثم سافر منها مع إحدى قوافل الحجاج تحت اسم الحاج يونس المملوك المصري. وتمكّن من الوصول إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة، وقدّم وصفًا لرحلته منذ خروجه من دمشق حتى مغادرته لجدة في نهاية رحلته (إسماعيل ١٩٩٨: ٥٤).

إننا نلاحظ أن الاهتمام بجمع المعلومات عن الجزيرة العربية بدأ منذ مطلع القرن السادس عشر، إذ انطلقت أفواج من العلماء الأوروبيين تترى؛ فمجموعة اتجهت إلى الشمال، ومجموعة أخرى اتجهت إلى الجنوب، ويندر من جمع في رحلاته بين الشمال والجنوب. وكانت حدود من جاءوا من الشمال هي مكة، أما حداود من جاءوا من الجنوب فنجران.

العدد الحادي عشر ذو الحجة ١٤٢٥هـ - يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٥م
(ص ص ٥٣ - ٦٢) ردمد ١٣١٩-٨٩٤٧

وما بين هذين الحدّين انفردت بعثة ريكمانز العم، وريكمانز ابن الأخ، وجون فيلبي، وليبنز سنة ١٩٥٢م، بزيارة المناطق ابتداء من جدة ثم إلى نجران متجهة نحو وادي الدواسر وما حوله (ليبنز ١٩٩٩: ١٥- ٢٠).

وقد حظي جنوبي الجزيرة العربية ببعثات أثرية أمريكية وفرنسية وألمانية وإيطالية وروسية، نقبت في مواقع مختلفة؛ إلا أن الشمال لم يُتح للبعثات الأثرية التنقيب فيه، لأن المملكة العربية السعودية اعتمدت على تكوين منقبين سعوديين قادرين على العمل في هذا المجال، ومن ثم يمكن التعاون مع البعثات الأجنبية من منطلق التكافؤ في المعرفة والخبرة. وعلى أي حال، ماذا كان وراء هذا الاهتمام ؟ ولِمَ اقتسموا الجزيرة العربية إلى جنوبٍ وشمال؟

أمّا لِمَ قسمت الجزيرة العربية إلى جنوب وشمال، فإن هذا يرتبط بالرحالة الغربيين أكثر مما يرتبط بالرحالة الروس؛ ولذا فإننا سوف نسبر أغوار معرفة روسيا بالشرق الأدنى القديم في العصور القديمة، ثم في العصور الإسلامية، وما يدل على ذلك قدر المستطاع.

يقول دانتسيغ، مؤلف كتاب "الرحالة الروس في الشرق الأوسط": إن أول المصادر المدوَّنة عن تجارة الروس مع البيزنطيين، كان عن طريق البحر الأسود. ومع البلدان الأسيوية عن طريق بحر قزوين. فهي ترجع إلى أربعينات القرن التاسع الميلادي، أي الثالث الهجري. ودلل على ذلك بالتجارة الرائجة بين روسيا وأقاليمها المختلفة، وبين ما وراء النهر من البلدان الإسلامية. وتحدث عن نوع التجارة التي كانوا يتبادلونها، وأن هذه العلاقات التجارية كانت موجودة، من دون شك، قبل هذه الفترة بمدة طويلة، إذ إن نوع البضاعة التي كانت تسوَّق في أسواق المدن الإسلامية، كانت تدل على مصدرها. كما دلل على العلاقة الاقتصادية بين الروس والعرب، بالعثور على مسكوكات إسلامية في روسيا ترجع إلى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، أي القرنين الثاني والثالث الهجريين. وهذا يدل على أن العرب والسماسرة الذين كانوا يتعاونون معهم، والذين كانوا يعيشون في منطقة الفولغا، كانوا يزورون روسيا. وفي الوقت ذاته كان الروس أنفسهم يزورون البلدان الإسلامية. ولا شك أن الرحالة المسلم ابن فضلان قد نقل لنا فيما بقي من رحلته معلومات ثرة، عن تلك البقاع التي سار فيها حتى وصل إلى السويد، ويعود ذلك إلى العصر العباسي (دانتسغ ١٩٦٥: ٢٠- ٢٢).

هذا من حيث العلاقات الاقتصادية غير الموثَّقة بالشكل الذي نرتضيه كمؤرخين؛ ولكن الدلائل البسيطة التي أشرنا إليها آنفًا تعطي شبه اليقين بأن هناك علاقات قديمة بين المنطقتين. أما إذا ما حاولنا أن نبحث عن العلاقات أو الارتباطات العلمية بين المنطقتين، فإننا يمكن إن نقول أن الخطوات الأولى على طريق تأسيس الاستشراق العلمي في روسيا، يرجع إلى الربع الأول من القرن الثامن عشر إذ تأسست أكاديمية العلوم في بيترسبورغ سنة ١٧٢٤م. وفي هذه الفترة ظهر في أكاديمية العلوم بعض الأجانب الذين كانوا يعرفون اللغات الشرقية، وكان أشهرهم (باير وكير) (دانتسيغ ١٩٦٥: ٩٨-١٠٠).

وكان باير مِمَن تلقي العلم في جامعة (كينكسبيرغ)، ودرس اللغات الصينية والعبرية القديمة والعربية. وانتقل سنة ١٧٢٥م إلى بيترسبورغ، حيث عمل في قسم الشرق الأدنى واللغات الشرقية في أكاديمية العلوم.

أما كير، فقد حصل سنة ١٧٢٢م على الماجستير من جامعة (لايبزيك)، وقبيل قدومه إلى روسيا نشر مجموعة من أعماله العلمية، وكان على معرفة جيدة بلغات شعوب الشرق الأدنى، خصوصًا اللغة العربية. وكان هذا العالم أول من برهن على أن الخط الكوفي ما هو إلا الخط العربي القديم. وعلى الرغم من عدم معرفتنا بالبراهين والأدلة التي جعلته يقرر هذه الحقيقة، إلا أننا نعتقد أنه ربما ربط بين هذا الخط والخط النبطي أو الخط الآرامي. وقد قدم إلى روسيا سنة ١٨٣٢م لتدريس اللغات العربية والفارسية والتركية للشباب الملتحقين بكلية الشؤون الخارجية. وهذا يذكرني باليابانيين الذين يدرسّون اللغات الأوروبية لمن يرغب من موظفي الخارجية، سواء كانوا من العاملين في السفارات الأجنبية أو المرافقين لضيوف الدولة، وإن كان الروس قد سبقوا اليابان في ذلك.

وفي الثلث الأخير من القرن الثامن عشر، اتخذت الإمبراطورة (كاثرين الثانية) بعض التدابير في سبيل الاهتمام بتدريس اللغات الشرقية، في المؤسسات التعليمية التي تقع في

الأماكن التي تعتنق الدين الإسلامي، فَفُتحت مدرسة في (قازان) سنة ١٧٥٩م. وازداد الاهتمام بالشرق الأوسط بشكل ملموس في هذه الفترة، إذ شرعت المؤسسات في روسيا بجمع مجموعات كبيرة من المسكوكات، ومجموعات من المواد الأثرية، ونماذج من المخطوطات الإسلامية.

ولعل هذا القدر الكبير من المواد التاريخية والاقتصادية والثقافية، دفع الإمبراطورية الروسية إلى إنشاء جمعية كان لها دور بارز في النشاط العلمي والأكاديمي بجميع فروعه، خاصة ما له صلة بمنطقة الشرق الأوسط وبالأخص ممتلكات الدولة العثمانية ودول البحر المتوسط ومصر وشمالي إفريقيا. ولذا أُنشئت الجمعية الجغرافية للإمبراطورية الروسية سنة ١٨٤٥م. وقد لعبت هذه الجمعية دورًا كبيرًا في الإنجازات، التي حققها الباحثون الروس. وكان من بين مؤسسيها ضابط الأركان العامة (بيرج)، وضابط الأركان العامة (فرونجينكو) وهكذا نلاحظ أن الجمعية الجغرافية بكل منجزاتها وأهدافها كانت لخدمة الإمبراطورية الروسية، وبالأخص خدمة القوات المسلحة الروسية.

بعد هذه الإلمامة المختصرة عن خلفيات الاهتمام الروسي بالشرق الأدنى قديمًا، والشرق الأوسط حديثًا، والرواسب العلمية والتاريخية، نشعر أن الإمبراطورية الروسية اهتمت بالرحلات إلى مناطق كثيرة. فقد بعثت بعلمائها وباحثيها للوصول إلى معلومات جغرافية وأنثروبولوجية وسكانية، عن المناطق التي تحدها جنوبًا والتي تحف البحر المتوسط شمالاً وجنوبًا. وهكذا نجد فئتين من الرحالة: رحالة بعثتهم الجمعية الجغرافية للإمبراطورية الروسية، وهؤلاء كان لهم دور كبير في جمع المعلومات المختلفة؛ ومجموعة أخرى من الرحالة كان هدفهم زيارة الأراضي المقدسة في بلاد الشام وفلسطين، وهؤلاء أسهموا بقدر وافر في جمع المعلومات، خاصة ذات العلاقة بالكنائس والأديرة ونشاطها ونشاط البعثات التبشيرية، من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، والصراع الدائر بين المذاهب المحلية والمذاهب القادمة من وراء البحار. ويبدو واضحًا من خلال هذه التقارير السخط المركّز على الدولة العثمانية وولاتها في الأقاليم المختلفة، والأوضاع الاجتماعية المتردية في تلك الأقاليم نتيجة لتعسف الولاة وقهرهم لشعوبها. ونحن لا نستطيع أن نقف مع أو ضد هذه المعلومات، إلا إذا أطلعنا على تقارير أخرى تصف تلك المجتمعات في العصور ذاتها (بارتولد ١٩٨٧: ١٣-١٩).

أما بالنسبة للرحالة الروس إلى الجزيرة العربية، فمما يؤسف له أننا نفتقر إلى وجود رحالة إلى الجزيرة العربية، إذ - على ما يبدو- فإنها لم تكن ضمن اهتمامات الروس في فترة الهجمة الاستكشافية إلى المناطق التي أشرنا إليها. في حين أن الدول الغربية ابتداءً من إيطاليا وانتهاءً ببريطانيا، كثفت رسلها إلى الجزيرة العربية شمالاً وجنوبًا، وكل منهم حاول أن يجمع ما أمكن جمعه. فمن اتجه إلى الجنوب، كان يبحث عن براهين تثبت العلاقة بين اليمن وفلسطين، خاصة فيما يتصل بالفترة التي حدثت فيها أحداث ملكة سبأ ونبي الله سليمان. وقد انعكس ذلك حتى على محاولاتهم وضع تسلسل تاريخي لجنوب الجزيرة العربية، وذلك قبل أن تبدأ مرحلة التنقيب الأثري في النصف الثاني من القرن العشرين، ما عدّل هذا التسلسل بناءً على المعطيات التي أبرزتها التنقيبات الأثرية وانخفض بها قرابة أربعة قرون.

أما عن اهتمامهم بالشمال، فهو أيضًا لا يبعد كثيرًا عن الأهداف نفسها التي قدم من أجلها رحالة الجنوب. فهم يبحثون عن ما يثبت أخبار التوراة عن القبائل والأماكن التي جاء ذكرها فيها، وعن الصراعات بين هذه القبائل وبني إسرائيل. وكان التركيز بشكل خاص على فترتي القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، والقرن الأول قبل الميلاد، وعلى الأخص الحضارة النبطية. وفي الفترة الأخيرة بدأ الاهتمام بالحدود الرومانية والبيزنطية وتتبع النشاط الروماني في هذه المناطق، ومن هنا أصبحت معظم أبحاثهم تنطبع بهذا الطابع، الذي لا يلتفت إلى دور العناصر المحلية في تشكيل تاريخ الجزيرة العربية، سواء في الجنوب أو الشمال. كما أنهم لا يلتفتون بقدر كاف إلى وشائج القربى بين الجنوب والشمال، بل يركزون على الجانب السياسي والحربي الذي يشير إلى العدائيات بين الجهتين، دون الالتفات إلى المعطيات البنّاءة بين الجنوب والشمال في مجال الفنون والآداب واللغة. وهذا هو ما نسعى إلى تأكيده في منظورنا الحديث، ونتمنى أن يشارك الباحثون من غير العرب في هذا التوجّه.

ولا نستطيع أن نعلل أسباب ندرة الرحالة الروس إلى الجزيرة العربية، إلا إلى أن مَنْ كتبوا عن الرحالة ورحلاتهم لم يهتموا بإبراز نشاط الرحالة، أو بشكل أدق الحجاج المسلمين الذين كانوا يتوجهون إلى الأراضي المقدسة في الجزيرة العربية؛ فهؤلاء هم صنو الرحالة من غير المسلمين، الذين كانوا يقصدون الأراضي المقدسة في بلاد الشام وفلسطين، واهتم بهم الباحثون الروس. وعن طريق هذا الاهتمام بهم وصلتنا معلومات كثيرة عن المجتمعات التي زاروها. أما الحجاج المسلمون الروس، فلا شك أنهم كانوا ضمن الحجاج المسلمين في كل عام، ولا نستبعد أنهم تركوا لنا رصيدًا ضخمًا من الانطباعات، كما هو حال غيرهم من الرحالة المسلمين وبالأخص المغاربة، الذين كشفت أخبار رحلاتهم عن معلومات وافرة عن الحجاز والجزيرة العربية، في عصور إسلامية مختلفة.

وعلى الرغم من هذا إلا أننا نجد ذكرًا لثلاثة موظفين روس كانوا يعملون في القنصلية الروسية بجدة، وأولهم (إيشاييف) الذي سافر من جدة إلى مكة سنة ١٨٩٥م. ونقل لنا مؤلف كتاب "الرحالة الروس في الشرق الأوسط" قبسات مما كتبه إيشاييف من انطباعات، وهو يصف الكعبة بقوله: "أنها بشكل مستطيل. وأنه أقدس مكان في مكة" ثم بقوله: "ولقد ثبت الحجر الأسود المشهور في الزاوية الشرقية من الجدار، وهو أقدس شيء في بيت الله. وموقعه في الجدار في علو بحيث يكون باستطاعة المرء تقبيله... ويستقر الحجر من الأعلى والجوانب في طوق من الفضة، ويظهر جزء منه فقط وذلك لتقبيله من قبل الحجاج، وأما تحديد حجمه فليس بالإمكان... وتُغطي جدران بناء بيت الله من جميع أطرافها عادة بقماش حريري سميك من اللون الأسود.. وكتبت في الغطاء كلمات باللغة العربية تتعلق بالعقائد الأساسية الإسلامية بطريقة التطريز... لا إله إلا الله، محمد رسول الله... ويهُيأ في كل سنة غطاء جديد بأمر السلطان العثماني" (دانتسنغ ١٩٦٥: ٣٣٦-٣٣٨).

أما المنظر الداخلي للبيت فهو شيء فريد من نوعه، ويصفه بقوله: "تقف في الجانب الأيسر من المدخل وعند الباب تمامًا منضدة خشبية متوسطة الحجم وبسيطة جداً، وهي عارية وغير مغطاة بأي غطاء، يستقر عليها مفتاح فضي كبير. والحاج حر في أسلوب استعماله والتبرك به، يستطيع أن يضعه على صدره أو يقبله. أما أجرة هذه المراسيم فتحددها رغبة وكرم الحاج نفسه... أما الدخول إلى حرم بيت الله فليس من الأمور السهلة، وهو ليس في متناول جميع الحجاج في كل الأحوال. ويفتح باب البيت في موسم الحج فقط، وكذلك في أوقات معينة في النهار، والدخول إلى هناك يكلف مالاً ونقودًا غير قليلة. ومع ذلك إذا وجدت الرغبة للدخول فمن الممكن في أي وقت يشاء الحاج وبتوصية خاصة مسبقة أن يشبع رغبته غير أن الدخول في متناول الشخصيات الغنية جدًا فقط، وهو يحتاج إلى كثير من الجهد والعناء ومصاريف غير اعتيادية" (دانتسنغ ١٩٦٥: ٣٣٧).

كما زار "إيشاييف" السوق، ووصفه بقوله: "هناك سوق خاصة لتجارة الرقيق في وسط السوق المركزي بقرب بيت الله وهو يتألف من قسمين غير كبيرين تجلس الجاريات وأولادهن بشكل اعتيادي على الكراسي أما العبيد فهم يجلسون على الأرض مباشرة وينتمي هؤلاء الناس التعساء إلى العرق الأسود والأصفر، أما من أين يؤتى بهم إلى هنا فإني لا أعرف عنهم بالضبط أي شيء، وأما ثمن العبد بصورة عامة فليس غاليًا". وهكذا نجد أن هذه الأوصاف التي قدمها إيشاييف، لم تكن على مستوى يجعله أهلاً لنقل معلومات كافية عن المناطق التي زارها، لأنه لم يتدرب في مدارج الجمعية الجغرافية، ولم يتحدث إلا عن الرقيق؛ ولكنه لم يحدثنا عن حلقات العلم في المسجد الحرام، ولا شك أن بعضًا من قومه أو من جيران دولته كانوا يدرسون في الحرم، إلا إذا كان مؤلف هذا الكتاب لم ينتق إلا هذه القطع التي لا تعطي معلومات مفصلة (دانتسنغ ١٩٦٥: ٣٣٨).

أما الرحالة الثاني، فهو النقيب الركن "دافليتشين"، وقد زار الحجاز سنة ١٨٩٨م. إن هذا الرحالة، وإن كنا لم نعرف من خلال ما جاء عنه، الطريق الذي سلكه للحجاز هل كان بحرًا أم برًا؟، فإن إرساله من قبل الحكومة الروسية إلى الحجاز جاء عن طريق اهتمامها بأثر الحج في مسلمي روسيا، مما يوحي بأن هناك مظاهر لاحظتها الحكومة الروسية على المسلمين الذين يعودون من الحج. ولذا، فقد اتبعت الطريقة

نفسها التي اتبعتها الحكومة الهولندية عندما بعثت بعض الرحالة إلى مكة لمعرفة أثر الحج على الحجاج الإندونيسيين. ويبدو أن دافليتشين قد قام بالمهمة، وألمح إلى دور السلطة التركية في الحجاز (فاسيلييف ١٩٨٦: ١٢).

وكان مما قاله دافليتشين: "سلطة الحكومة التركية كانت ولا تزال حتى في الوقت الحاضر تعتمد على القوى المسلحة فقط، فالسلطة هذه موجودة فقط في المواقع التي تتعكسر فيها القوات. وبتعبير آخر أن الترك يملكون المدن فقط، ويسيطرون على الطريق بين مكة وجدة بشكل أو بآخر، وهي تدار بوظائف خاصة... ولم ينظّم الترك خلال الأربعة قرون التي تملكوا فيها الحجاز أية علاقة بينهم وبين السكان الأصليين، ولم يستطيعوا تهدئتهم أو التأثير فيهم من الناحية الثقافية. والعلاقة بين الجانبين من دون ثقة وفي عداء مستمر... وتتميز السلطة الإدارية في أكثر الأحوال بالرياء، والتعسف، والجور، أما عمليات القوات المسلحة فكانت على الدوام غير حاسمة وغير متواصلة، ولهذا السبب كان البدو لا يخشون السلطة ولا يكنّون لها الاحترام الواجب". وهنا نلاحظ موقف النقيب الركن من السلطة العثمانية، وعن علاقة الترك بأهل الحجاز خلال أربعة قرون، مع أننا نشاهد أن الدولة العثمانية وسّعت الحرمين الشريفين واهتمت بالمباني الحكومية، وأدخلت كثيرًا من التقاليد والعادات التركية في حاضرة الحجاز (دانتسنغ ١٩٦٥: ٣٣٨-٣٤٠).

أما الرحالة الثالث وهو مرتبط أيضًا بالأماكن المقدسة في الحجاز فإنه القائم بأعمال القنصلية الروسية بجدة "نيكولسكي" وقد أشار الباحث عن "الرحالة الروس في الشرق الأوسط" إلى أن في تقريره معلومات غزيرة وقد أشار في معلوماته إلى أن أغنى الحجاج هم الإندونيسيون وأن أفقرهم هم الهنود، ولعلنا ننقل هذه الفقرة مما جاء في تقريره وهي تعطي لمحة عن الناحية الاقتصادية في مكة وتأثير الحجاج بها: "وصل ما مجموعه سبعة وستين ألف شخص في موسم الحج لسنة ١٩٠٤ - ١٩٠٥ عن طريق ميناء جدة وينبع، أما المجموع العام للحجاج الذين زاروا مكة في هذه السنة فيقدر بين مائة وخمسين ألفًا ومائتي ألف شخص. وتعتبر هذه العناصر الوافدة جميعها مستهلكًا كبيرًا للبضائع والسلع وذلك على الرغم من أن الكثير من الحجاج يجلبون معهم إلى مكة أيضًا بضائعهم الخاصة لبيعها هناك. ويبيعون أيضًا عند انتهاء موسم الحج أو في حالة الشح والنقص في نقودهم، قسمًا لا يستهان به من الممتلكات الشخصية التي يحملونها" (دانتسنغ ١٩٦٥: ٣٤٠).

ومما لاحظناه على هؤلاء الرحالة الثلاثة أنهم لم يهتموا إلا بالحجاج الأسيويين في حين لا نجد ذكرًا لغيرهم من الحجاج من أفريقيا مثلاً، ولعل الاهتمام بالأسيويين ناشئ من اهتمام الحكومة الروسية بهم أكثر من اهتمامها بحجاج أفريقيا. كما أنَّ مَنْ قَدِمَ مِنْ هؤلاء الرحالة لم يذكر شيئاً عن اهتمامهم على قلتهم بالمدينة المنورة إذ أن تركيزهم جاء على مكة فقط، ولا ندري لعل ذلك راجع إلى البعد المكاني عن القنصلية في جدة.

أما الرحالة الذي اختلف عن هؤلاء فهو "إدوارد نولده" المولود سنة ١٨٤٩م في مقاطعة (لاتفيا)، الذي يقول عنه عوض البادي الذي ترجم نص الرحلة إلى العربية عام ١٩٩٧م "أن هذه الرحلة تكتسب أهميتها من كونها رحلة سياسية بحتة لم يخف صاحبها شخصيته كغيره من الكثير من الرحالة الآخرين وإن كان لم يفصح عن سر رحلته والمهمة التي جاء من أجلها حتى في كتابه. كما أن ما كتبه نولده، خصوصًا في وصفه الأوضاع السياسية في المنطقة، وعرضه وتحليله لتاريخ الأحداث، يُعَدُّ جديدًا ومتميزًا، وينم عن معرفة حقيقية بأوضاع الجزيرة العربية، التي خصها بفصل كامل من الكتاب. كما أن ما يقدمه من معلومات له بعض الأهمية، للباحثين المهتمين بالتاريخ السياسي لتلك المرحلة الغامضة" (البادي ١٩٩٧: ١٠-١١).

وقد أنهى نولده حياته منتحرًا في اليوم الحادي عشر من شهر مارس سنة ١٨٩٥م، وهو في السادسة والأربعين من عمره، في لندن، ويبدو أنه كان يعمل سراً لحساب استخبارات القيصر الروسي. أما مفاوضاته مع ابن رشيد، فكانت تهدف إلى تأمين مرفأ للسفن الروسية على الخليج (البادي١٩٩٧: ١٢).

وفي مقدمته للترجمة، يقول عوض البادي: "... إنني لا أقدم ما ورد في هذه الرحلة من معلومات عن الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية كحقائق لا تقبل المجادلة،

ولكنها في كثير من جوانبها تناقض ما هو متعارف عليه على أنه حقائق في بعض الكتابات التاريخية والسياسية، وخاصة المتعلقة بأحداث المنطقة خلال تلك الفترة" (البادي ١٩٩٧: ١٣). ونحن نؤيد ما أشار إليه عوض البادي، خاصة إذا ما تصورنا الشخصية القيصرية، التي دخلت شمالي الجزيرة العربية. ولنا أن نستعرض التجهيزات التي أعدها لرحلته، إذ يقول نولده: "بأوامر خاصة من جلالة السلطان العثماني أرسلت معي فرقة حراسة شرف من الجنود الأتراك رافقتني حتى الجوف، وكانت هذه الفرقة تتكون من ضابط وخمسة وعشرين من الرجال المميزين مع خيولهم، وكلهم من الأكراد الذين لا يتوقع منهم أي تهاون أو ضعف... كل هذا تم لحسن الحظ في ١٤ يومًا فأصبح بإمكاني في أول يناير ١٨٩٣م مغادرة دمشق. كانت حقًا قافلة مهيبة: ٣٦ رجلاً في الخدمة وأربعين جملاً وستة خيول وعدد مختلف من البغال والحمير، يضاف إلى ذلك الحراسة التي تتكون من ٢٦ رجلاً ومعهم أمتعتهم محمولة على ٢٥ جملاً، وكانوا يشكلون قافلة وحدهم". ولعل هذه القافلة أشبه بقافلة غازية لا باحثة عن معرفة أو لإجراء اتفاقات. ويمكننا القول إن نولده قد مسه الغرور، إذ يقول عند قرب دخوله إلى حائل: "إن قليلاً من الأجانب الذين وطئوا حائل لم يطلبوا استقبالاً شعبيًا أو رسميًا مثل ما هو الأمر معي، ولكن مراعاة للشعور العام قاموا بارتداء الزي العربي" (البادي ١٩٩٧: ٣٩).

وفي وصفه لإبن رشيد يقول: "إن ابن رشيد ذكي وداهية ماكر وبدوي مستنير ومطلع بصورة جيدة، إن فهمه الواضح للشئون الأوروبية كان حقًا مثارًا للدهشة إذا ما أخذنا في الاعتبار المزيج الغربي والمتكرر لدى العرب من دهاء سياسي وبربرية، ومن وحشية مع كياسة وكرم ضيافة تقليديين، ومن فهم شاف وفطنة مع جهل وتعصب - حقيقة إنه مزيج غريب وخلطة مدهشة". ويقول في موضع آخر: "مثل ما هو الحال مع كل الناس المرتابين عديمي الثقة والمتحفظين أساسًا، فإنه مما ينصح به دائمًا مع العرب هو إعطاؤهم الوقت لكي يعتادوا على الأشخاص الجدد والاتصالات الجديدة والأفكار الجديدة، بعد ذلك فإنهم يصبحون مرنين ويستطيع المرء أن يعايشهم ويسايرهم بصورة جيدة للغاية" (البادي١٩٩٧: ٥١-٥٣).

وهكذا نلاحظ أن البارون إدوارد نولده كان يمكن أن يتحصل على قدر وافر من المعلومات، لو أنه دخل الجزيرة العربية بطريقة أكثر تواضعًا ورقة؛ ولكن يبدو أن طبيعة عمله وما كُلف به اقتضى هذا المظهر الأرستقراطي.

هناك جانب آخر نود أن نلقي الضوء عليه، ذلك أنه وإن كنا نفتقر إلى معلومات عن رحالة روس إلى الجزيرة العربية في حجم المعلومات، التي خرجنا بها من الرحالة الغربيين، إلا أننا لم نعدم دراسات قيّمة عن الجزيرة العربية نشأت بمنهجية عالية وعميقة في الأكاديميات الروسية، فأنتجت أعمالاً علمية كان لها دورها في تنشيط البحث العلمي. ولعل في مقدمة هذه الدراسات التي قامت بهذا الدور كتاب: "الشمال الشرقي الإفريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقاته بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع الميلاديين"، لمؤلفه العالم الجليل "يوري كوبيشانوف". وقد نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، ونشرته الجامعة الأردنية سنة ١٩٨٨م. هذا العمل العلمي جعل الدكتور هاشم يقول عن المؤلف: "إنه من المؤرخين وعلماء الأنثروبولوجيا المرموقين في الاتحاد السوفيتي، ويُعد حاليًا المؤرخ الأول لأفريقيا في تلك البلاد؛ بل هو خبير في العالم في تاريخ أثيوبيا القديم". وقد ولد المؤلف سنة ١٩٣٤م بمدينة كاركوف في جمهورية أوكرانيا، ونال تعليمه في معهد اللغات الشرقية التابع لجامعة موسكو، وبدأ نشاطه العلمي منذ أوائل الستينات مركّزًا على دراسة أثيوبيا القديمة والوسيطة. ولا نغالي إذا أضفنا إلى ذلك قول الدكتور هاشم أن المؤرخ: "عالم لغوي موهوب يجيد عددًا من اللغات سامية وإفريقية وهندوأوروبية". وعندما تقرأ هذا العمل العلمي، تجد أن مقدمته تُعَدُّ خلاصة مركّزة لتجربته العلمية في مجال البحث.

ولعلنا نقف أمام هذا التقسيم الجغرافي الحضاري المتمثل في أن حيّز المكان، الذي يبحث عنه، يقول عنه إنه أشبه بنواة تحيط بها ثلاثة أغلفة أو دوائر؛ أما النواة فهي أفريقيا التي لم تدرس دراسة كافية، والتي تهمنا أكثر من غيرها والواقعة إلى الجنوب من ليبيا ومصر... أما أولى الدوائر المحيطة بالنواة، فتمثلها أقطار الشمال الأفريقي مضافًا إليها الجزيرة العربية وإلى حدٍ ما أجزاء من سوريا وفلسطين... وأما الدائرة الثانية،

فتمثلها أوروبا والبحر المتوسط ومعها آسيا الصغرى وإيران والهند وسيرلانكا، حيث قامت المراكز الكبرى الاقتصادية والسياسية للعالم في ذلك العهد، وحيث تقرر في المقام الأول مصير ذلك العالم (كوبيشانوف ١٩٨٨: ٩-١٢).

وكانت القارة الأوراسية (باستثناء منطقتي البحر المتوسط وآسيا الجنوبية وجنوب شرقي آسيا)، تشكل بالنسبة لإطار بحثنا شيئاً أشبه بالطبقة الخارجية، أي الدائرة الثالثة للنواة التاريخية الأفريقية، التي تشغل اهتمامنا هنا، بحيث لم يكن لهذه الأخيرة في ذلك العهد سوى اتصالات نادرة مع تلك المناطق القصية. وهكذا حدد الباحث إطار بحثه الموسع في هذا الكتاب، وجعل نواة هذا البحث شرق إفريقيا والجزيرة العربية. وحدد الإمبراطوريات الكبرى المعاصرة في ذلك الوقت، أي خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين، بثلاث إمبراطوريات هي: الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وإمبراطورية الفرس الساسانيين، وإمبراطورية الهفتاليين أو الهياطلة. وكانت هذه الأخيرة قد وحدت بالتقريب جميع آسيا الوسطى إلى هنقاريا والهند الشمالية الغربية. كما أشار إلى إمبراطوريات أقل شأناً في ذلك العصر، وهي: إمبراطورية الخاروشن، وخاقانيات سهوب أوراسيا، والممالك الصغيرة للنوبة السفلى وشمالي جزيرة العرب.

ويرى المؤلف أن أكبر الدول الأفريقية في القرنين السادس والسابع هي مملكة أكسوم، التي كانت قاعدتها الأساسية هضبة (التيجرة) بشمالي أثيوبيا. وقد عملت هذه الدولة منذ القرنين الثالث والرابع الميلاديين على إخضاع القبائل النازلة بالمناطق الجبلية والسهول المحيطة بالهضبة لسلطانها؛ بل بسطت سيطرتها على جيرانها الأغنياء، مثل الجنوب العربي والسودان الشرقي، أي مملكتي مروي وحمير. وفي المساحات العريضة لبلاد النوبة الصحراء الليبية والنوبة السفلى، كانت تلتقي حدود النفوذ السياسي لمملكة أكسوم ولبيزنطة (كوبيشانوف ١٩٨٨: ١٧-٢٠).

أما بلاد العرب الوسطى، فكانت تتلاقى مع حدود أكسوم وبيزنطة وإيران. وهكذا حدد التوسع الحبشي أو الأكسومي من الناحية الشرقية والغربية، وجعل مرحلة القرنين السادس والسابع الميلاديين مرحلة صراع في الجزيرة العربية بين الأحباش، من جهة، وبين فارس وتمثلها دولة المناذرة وكندة، وبيزنطة وتمثلها دولة الغساسنة.

وفي استعراضه لكل هذه الصراعات والكرِّ والفرِّ بين الجنوب والشمال. جعل الإيدولوجيات الدينية المتمثلة في النصرانية واليهودية أحد المحاور المهمة في هذا الصراع. وأعطى لليهودية قدرًا أوفر من الاهتمام في أدق الأشياء وأقلها أهمية، ومنها قوله: "وتذكر لنا مصادر القرن السادس اسم شخصين من أعيان حمير كانا يدينان باليهودية، أحدهما ملك حمير يوسف ذو نواس، والآخر القائد ابن القيل حجي أيهر، وكلاهما ينتمي إلى عشيرة يزن من الأعيان. وكان الأول ابنًا لأمة يهودية من أهل نصيبين، أما الثاني فكان أيضًا ابنًا لأمة" (كوبيشانوف ١٩٨٨: ٢٤-٣٠)؛ ولكنه لم يذكر ديانة هذه الأمة إلا أنه ذكر هذه المعلومة وترك للقارئ تصور أنها هي أيضًا يهودية، بحكم ذكرها في سياق أم يوسف ذو نواس. ويبدو أن المؤلف كان في شك من أمره، إلا أنه وجد فيما أشار إليه "لوندن" بغيته في افتراضه أن "حجي" اسم توراتي يسمح بالجزم بالأصل العرقي لأمه، أي أنها كانت يهودية أو سامرية. ولا أدري لماذا لا يكون الاسم "حجي" اسمًا عربيًا مشتركًا بين الأسماء السامية؟!

ثم يمضي في قوله: "أما الآثار اليهودية في الجنوب العربي، فتتمثل في الرقوم المدونة بالكتابة العبرية" (كوبيشانوف ١٩٨٨: ٢٤-٣٠).

إن المعروف من هذه الرقوم حتى الآن، اثنان فقط، وإذا عرفنا أن النقوش العربية، التي وجدت حتى الآن في جنوب الجزيرة العربية فقط تعد بالآلاف، فإن وجود نقشين فقط لا يضيف برهانًا على وجود آثار يهودية في جنوب الجزيرة العربية تشهد عليها الرقوم؛ إذ إننا لا نستطيع أن نقول إن هناك آثاراً هندية وأثاراً تدمرية في مملكة حضرموت، لمجرد ذكر اثنين من الهنود واثنين من التدمريين واثنين من الأحباش في خدمة أحد ملوك حضرموت، في نصوص العقلة شمالي شبوة في قلعة أنودم.

وتتبع المؤلف لليهود واليهودية في الجزيرة العربية قد يثير نوعاً من الاستغراب. فهو يقول في موضع أنه يجدر التذكير في هذا الصدد بأن الحيرة نفسها لم تكن دولة يهودية، وإن

وجد فيها يهود؛ ثم يقول: " ولا علم لنا البتة بوجود ملاحة لليهود في الخليج الفارسي أو خليج عدن. أما فيما يتصل بطريق القوافل، الذي يخترق الحجاز، فلم يمر بمنازل يهودية فحسب بل بمنازل نصرانية كذلك". ويقول في موضع آخر وهو يتحدث عن أعيان حمير: "وعلى نقيض هذا كانت اليهودية في أعينهم دينًا أكثر أصالة من النسطورية" (كوبيشانوف ١٩٨٨: ٣٠-٣٣).

ومضى الباحث يكرر بين صفحة وأخرى موضوع الأمة اليهودية، التي جاءت من نصيبين. فهو عند حديثه عن الانقلاب الذي حدث في حمير عام ٥١٧م يقول: "فقد ملك حمير معد كرب في سنة ٥١٧م عرشه وحياته، فقد انتزع العرش منه ممثله عشيرة ذي يزن الأرستقراطية، الذي كان في الوقت ذاته على ما يبدو حفيدًا للملك أب كرب أسعد وابنًا لأمة يهودية أصلها من نصيبين".

ويبدو أن الباحث يريد أن يعطي الانطباع أن دولة حمير كانت دولة يهودية، فهو يقول: "ومن بين القبائل العربية التي اعتنقت النصرانية في بداية القرن السادس، كان الغساسنة وسليح وقسم من كندة ومن اللخميين وغيرهم، أما اليهود فلم تقم لهم في ذلك العهد دولة ما باستثناء حمير، وإن شكّلوا في واقع الأمر شطرًا مهمًا من سكان العراق وسوريا وفلسطين، وأيضًا الإسكندرية والقسطنطينية وطيسفون وغيرها من المدن الكبرى": ثم يقول: "وانتشرت المستعمرات اليهودية في الجزيرة العربية نفسها بجزيرة يوتابا "تيران"، عند مدخل خليج العقبة ومناطق تيماء والحجر وبواحات أذرعات وفدك وخيبر ومقنا ووادي القرى ويثرب والطائف، حيث كان اليهود يتحدثون بالعربية... وكانت أقرب المستعمرات اليهودية لحمير تلك التي بالطائف ويثرب على الحدود الشمالية لملكة حمير... وإلى جانب اليهود أقام بهذه الواحات أيضًا العرب الذين دانوا بالوثنية" (كوبيشانوف ١٩٨٨: ٣٤-٣٨).

وعلى الرغم من التتبع اللغوي لليهود في الجزيرة العربية، وجعل دولة حمير دولة يهودية، إلا أن المؤلف يعد واحدًا من الأعلام الكبار الذين درسوا بعمق أحداث الجزيرة العربية والصراعات الفارسية والبيزنطية، سياسيًا ودينيًا واقتصاديًا. وقد استطاع أن يضع صورة واضحة تدل على أن الأحداث في الجنوب الغربي للجزيرة العربية، كانت الشغل الشاغل للقوى العظمى في الشمال، آنذاك، والدول والقبائل التي كانت تدور في فلكهم.

وقد سبق هذا العمل عمل آخر قامت به العالمة الروسية الجليلة نينا فكتورفنا بيغوليفيسكيا، وهو موضوع كتابها: "العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلاديين". ولعل هذا البحث وهذا العمل كان انطلاقًا لأبحاث أخرى. ولدت مؤلفة الكتاب عام ١٨٩٤م بمدينة بطرسبرغ في أسرة مرموقة، أثرت روسيا بعدد من العلماء. ودرست التاريخ واللغات الكلاسيكية بجامعة بطرسبرغ، ثم تخصصت في اللغات السامية، وهي العبرية والآرامية والسريانية والحبشية واللغة العربية. وعندما توفيت عام ١٩٧٠م، كانت نينا قد أضحت من العلماء المرموقين في بلادها؛ بل اكتسبت شهرة عالمية في ميدان دراستها. وقد تُرجم كتابها إلى اللغة العربية الدكتور/ صلاح عثمان هاشم.

وقد أورد المترجم الأسباب التي جعلت مؤَلَّفَ نينا يستحق النقل إلى اللغة العربية. فهي تعرف معرفة جيدة اللغتين الكلاسيكيتين للعالم القديم اليونانية واللاتينية، ما جعلها قادرة على استخراج أخبار القبائل العربية وعلاقتها مع الإمبراطورية الرومانية ثم البيزنطية، من المصادر التي كتبت بها هاتان اللغتان. كما استطاعت من خلال معرفتها باللغات السامية أن تستفيد من المادة المدونة بهذه اللغات، فيما يخص القبائل العربية. وكانت لدراساتها للنصرانية الأولى ونشأة الكنيسة، على معرفة تامة بالخلافات المذهبية في القرون الأولى من تاريخها، وهي تلك الخلافات التي مست القبائل العربية ذاتها. كما اهتمت في مؤخر حياتها بتاريخ إيران القديمة عامة، وفي العصر الساساني، على وجه الخصوص. ولهذا استطاعت أن تلقي ضوءاً ساطعًا على تاريخ اللخميين، الذين كانوا على صلة بالفرس. إن هذا الكتاب يعد بحق واحدًا من الكتب المهمة التي تدل على احتراف الأكاديميين الروس للبحث العلمي منهجًا قويمًا وبحثًا عن الحقيقة.

وفي المقدمة التي وضعتها المؤلفة لكتابها تقول: "إن الفتوحات العربية الكبرى لا يمكن فهمها إلا على ضوء الدراسة العميقة لتاريخ العرب للفترة السابقة للإسلام، أي

دراسة تاريخهم في الجزيرة العربية والشرق الأدنى. ولقد كان للدويلات العربية في الجنوب العربي حضارة منتعشة، انعكست، في مدنها وآثارها المعمارية وطريقة كتابتها العريقة. فهي تمثل مرحلة مهمة في تاريخ تطور الشعب العربي... ولقد وحدت العقيدة الجديدة من كلمة العرب، ووضعت حدًا لمعتقداتهم البالية، وساقتهم إلى فكرة الوحدانية التي لم تكن غريبة، آنذاك، على الديانات الكبرى في الشرق الأدنى... وكان ظهور التشكيلات الاجتماعية وتطورها في الشرق الأدنى، وما تميزت به من طابع فريد خاص بها، هو القاعدة التي قامت عليها بحوثنا، بما في ذلك هذا البحث، عن الشعب العربي، الذي لم تنضب طاقته الخلاّقة إلى أيامنا هذه" (بيغوليفسيكيا ١٩٨٥: ١٤-١٥).

ولعل من أجمل ما يُقرأ في هذا الكتاب، حديث المؤلفة عن المصادر التي اعتمدت عليها في دراستها؛ إذ كان أول مصدر من مصادرها هي النقوش الكتابية المنحوتة على الصخر، بجميع أنواعها وتفرعاتها، وأعمال العلماء الذين اهتموا بهذه الكتابات ودرسوها واستفادوا منها؛ ثم عطفت على الشعر الجاهلي بوصفه مصدرًا من مصادر الحياة الاجتماعية والثقافية؛ وبعدئذ عرجت على الأخبار والإخباريين وما جاء في كتبهم من أحداث تصف الحياة الجاهلية.

أما المصنفات الجغرافية والتاريخية التي دونت في العصور الإسلامية، فهي تمثل في رأيها صياغة متأخرة كثيرًا لمادة غلب عليها الطابع الأسطوري، خاصة أن هذه المصنفات الإسلامية درجت على النقل بعضها عن بعض دون تغيّر يذكر، إلا أن معطيات بعض المؤلفين تُعطي أهمية كبيرة عند مقابلتها بمادة المؤرخين البيزنطيين. كما أن بعض الروايات التي حفظها لنا بعض المؤرخين المسلمين، من أمثال حمزة الأصفهاني والطبري، يمكن قبولها إذا ما قورنت بما جاء في النقوش العربية الجنوبية والشمالية. كما قدّمت دراسة تحليلية للطبري والمسعودي وأبو الفداء، ثم تقول في ثنايا دراستها للمصادر العربية: "غير أن هذه المصادر العربية ليس فيها الكفاية لإخراج تاريخ متتابع ومتماسك للدويلات العربية قبل الإسلام، أو لتقييم دوره في تاريخ الشرق الأدنى عامة، وعلاقتها مع كل من بيزنطة وإيران.

وواقع الأمر أن التاريخ السياسي للعرب قبل الإسلام ومتابعة أحداثه الزمنية، ليس من الميسور كتابته دون الاستعانة بالمصادر البيزنطية المدونة باليونانية واللاتينية أو من دون مادة المؤلفين السّريان. هذه المصادر تفضل المؤلفات العربية التاريخية في أنها معاصرة للأحداث التي تؤرخ لها. وعلى ذلك فإنها هي أيضًا بدورها يجب أن تخضع للفحص الدقيق. ولقد ورثت بيزنطة كل الغرور والصلف الذين اتصفت بهما روما من قبل، حيث عدت جميع شعوب الشرق من البرابرة، بما فيهم الفرس أنفسهم، علمًا بأن الفرس لم يكونوا أقل من الرومان تمدنًا؛ بل إنهم فاقوهم في كثير المجالات. لذلك، لم يكن غريبًا والحالة هذه أن بدت القبائل العربية غير جديرة بالاهتمام" (بيغوليفسيكيا ١٩٨٥: ٢٦-٣٥).

وتناولت بعد ذلك، في تحليل دقيق، المصادر اليونانية واللاتينية، خاصة الأحداث التي تناولت المنطقة العربية. ثم تحدثت عن الحوليات السريانية وما تحويه من معلومات عن العرب قبل الإسلام، خاصة أن المصادر السريانية التي تعالج الحديث عن العرب قبل الإسلام تمتاز بأنها تستقي مادتها من روايات متواترة، عن طريق السماع وضاربة بجذورها في أعمال الوسط العربي؛ فالسريان قد ربطتهم بالعرب عقيدة مشتركة وهي النصرانية، سواء في صورتها النسطورية في الشرق، أو صورتها المونوفيزية في المناطق الواقعة إلى الغرب من ذلك. وقد أشر علماء اللغة أكثر من مرة إلى حقيقة استخدام العرب والسريان في علاقتهم اليومية لغة فريدة من نوعها، تمثل مزيجًا مشتركًا بين السريانية والعربية (بيغوليفسيكيا ١٩٨٥: ٢٣-٣٢).

وتصل المؤلفة في حديثها عن المصادر، إلى أن جميع هذه المصادر المتعددة اللغات والمتنوعة السمات، إذا ضم بعضها إلى بعض، فإن بإمكانها أن تعين على صياغة تاريخ العرب قبل الإسلام؛ لا في صورة أحلافهم المختلفة فحسب، كما هو الشأن مع اللخميين والكنديين والغساسنة، بل أيضًا في صورة أعم من ذلك يدخل فيها كافة العرب في الشرق الأدنى، حيث وجدوا أنفسهم بين متنافسين شديدي البأس هما بيزنطة وإيران. وختمت حديثها عن المصادر بشكل عام، بلمحة متميزة عن البحوث الحديثة المعاصرة لها، وتناولت بالنقد والتحليل

أعمال كل من:

١- المستشرق الفرنسي كوسان دي بريسيفال. ٢- المستشرق الكبير تيودور نولدكه. ٣- المستشرق الألماني روتشتين الذي أفرد بحثًا عن تاريخ اللخميين. ٤- المستشرق الفرنسي لامنس. ٥- المستشرق السويدي ج. أولندر وبحثه عن قبيلة كندة. ٦- البروفيسور البلجيكي ج ركمانز. ٧- المستشرقة الفرنسية جاكلين بيرين. ٨- العالمة الألمانية ماريا هفنر. ٩- العالم الإنجليزي بيستون. ١٠- البحاثة الروسي أ. ج. لندين.

وأخيرًا وليس أخرًا العالم العربي عرفان شهيد، وغيرهم من العلماء الذين قاموا بدور في هذا المجال.

ولعله كان من المناسب أن نستعرض ما جاء في الكتاب؛ ولكن ما قدمناه من دراسة في المصادر، قامت بها المؤلفة، تضع عملها رمزًا للعمل الدؤوب والنقد البناء والحيادية في الطرح، دون الوقوف إلى جانب طرف ضد الآخر وأظهرت أهمية القبائل العربية والدويلات العربية في الشمال ودورهم في المعطيات السياسية والاجتماعية والثقافية (بيغوليفسكيا ١٩٨٥: ٣٤-٣٥).

إن استعراضنا لهذه النماذج من الباحثين لا يعني عدم وجود آخرين يبذلون جهدًا كبيرًا لدراسة التاريخ العربي والإسلامي، ولعل من أبرزهم البروفيسور لندين، الذي كتب عددًا من الأبحاث التي تهتم بالنقوش العربية، ونشر معظمها في مطبوعات ندوة الدراسات العربية التي تعقد في بريطانيا كل عام، ابتداءً من العدد الثاني الذي صدر سنة ١٩٧٢م حتى العدد ٢٥ الذي صدر سنة ١٩٩٥م، وكلها إما دراسات لنقوش أو عرض لأبحاث وكتب، أو تعليقات على أعمال ألقيت في الندوة؛ وكلها تدل على عمق ومعرفة بتاريخ الجزيرة العربية في عصورها المختلفة.

وهناك عدد من الباحثين الروس الذين عنوا بالجزيرة العربية وتاريخها خلال القرن العشرين، استعرضهم الباحث فاسيلييف في كتابه: تاريخ العربية السعودية (فاسيلييف ١٩٨٦) سنعرض لأعمالهم مستقبلاً.

أ. د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري - الرياض - المملكة العربية السعودية.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

إسماعيل، صابرة مؤمن ١٩٩٨، **جدة خلال الفترة ١٢٨٦-١٣٢٦هـ/١٨٦٩-١٩٠٨م**، إصدارات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

البادي، عوض ١٩٩٧، **الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر**، نص رحلة البارون ادوارد نولده مبعوث روسيا إلى نجد عام١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، **سلسلة رحلات في بلاد العرب "٢"**، المعهد العربي للدراسات الدولية ، واشنطن.

بارتولد ١٩٨٧، "معرفة العرب بالروس"، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، **مجلة دراسات**، المجلد الرابع عشر، العدد العاشر، ص ص ٩-٤٣ .

بيغوليفسكيا، نينافكتورفنا ١٩٨٥، **العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي**، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت.

دانتسيغ، بوريس ١٩٦٥، **الرحالة الروس في الشرق الأوسط**، ترجمة معروف خزنه، دار الفكر للنشر، موسكو.

فاسيلييف، أليكسي ١٩٨٦، **تاريخ العربية السعودية** ، ترجمة خيري الضامن، وجلال الماشطة، دار التقدم، موسكو.

كوبيشانوف، يوري ميخايلوفتش ١٩٨٨، **الشمال الشرقي الإفريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقته بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع**، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، عمّان.

ليبنز، فيليب ١٩٩٩، **رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية**، ترجمة محمد محمد الحناش، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

مؤتمرات وندوات علمية

المؤتمر الدولي الخامس للحضارة اليمنية: "صنعاء الحضارة والتاريخ"

الجهة المنظمة : جامعة صنعاء - اليمن

مكان الانعقاد: كلية الزراعة - جامعة صنعاء

تاريخ الانعقاد : ١٤- ١٦ رجب ١٤٢٥هـ، الموافق:

٣٠ أغسطس - ١ سبتمبر ٢٠٠٤م

عُقد المؤتمر الدولي الخامس للحضارة اليمنية: (صنعاء الحضارة والتاريخ)، في الفترة ما بين الثلاثين من شهر أغسطس حتى الأول من شهر سبتمبر ٢٠٠٤م، في رحاب جامعة صنعاء، بمدينة صنعاء عاصمة الجمهورية اليمنية[1]. وعلى هامش فعاليات اختيار صنعاء عاصمة للثقافة العربية لهذا العام. جاء المؤتمر في هذا المستوى المحلي، والإقليمي، والعربي، والدولي الكبير. وهذا إن دل على شيئ، فإنما يدل على إهتمام أ. د. صالح علي باصرة، رئيس الجامعة، وأساتذة الجامعة، والمسؤولين فيها، بعقد مثل هذه المؤتمرات الدولية. كما إن انعقاد مؤتمر كهذا في رحاب الجامعة، يعكس، أيضاً، مدى المستوى العلمي والثقافي الذي وصلت إليه جامعة صنعاء، الجامعة الأم.

اتسم المؤتمر بمشاركة عدد كبير من العلماء والباحثين في مجال الآثار والتاريخ، والعمارة اليمنية القديمة، والإسلامية، والتراث المعماري اليمني؛ فشاركوا من دول عديدة منها: من الدول العربية: السعودية، وعُمان، والإمارات، وقطر، ومصر، والسودان، والأردن، ولبنان، وسوريا، والعراق، وتونس؛ ومن الدول الغربية: أمريكا، وألمانيا، والنمسا، وأيطاليا، وفرنسا، وبريطانيا، والسويد، وكندا، وأذربيجان، وإيران، وتركيا. أما من اليمن، فقد شارك في المؤتمر نخبة من الأساتذة الأجلاء من جامعات يمنية عديدة: منها جامعة صنعاء (الجامعة التي أحتضنت المؤتمر)، وجامعة عدن، وجامعة تعز، وجامعة حضرموت، وجامعة إب، وجامعة الحديدة، وجامعة ذمار.

وإلى جانب ذلك، شارك في المؤتمر، عدد كبير من المراكز والمعاهد العلمية المتخصصة في مجال الآثار اليمنية، العاملة في اليمن، مثل: المركز الفرنسي للعلوم الإجتماعية، والمعهد الألماني للآثار، والمركز الإيطالي للآثار، والمركز الإمريكي للاثار اليمنية.

وكان المؤتمر برعاية الرئيس اليمني علي عبد الله صالح، الذي أولى المؤتمر كل الاهتمام، وكلف نائبه الفريق الركن عبد ربه منصور هادي افتتاح المؤتمر. وقد ألقى هادي كلمة أشاد فيها بالمؤتمر وحسن إعداده، كما نقل تحيات الرئيس للمشاركين في المؤتمر، وتمنياته بأن يخرج المؤتمر بالآراء التي تخدم الجهود المبذولة لحماية التراث الحضاري لليمن، مشيداً بدور جامعة صنعاء في تبني مثل هذه الفعاليات العلمية الهادفة، المتصلة بحضارة اليمن القديم وتاريخه. وفي جلسة الافتتاح ألقى رئيس الجامعة، رئيس اللجنة التحضيرية العليا للمؤتمر، أ. د. صالح علي باصرة، كلمة أكد فيها على حرص القيادة اليمنية واهتمامها بالتعليم العالي والبحث العلمي، شاكراً رعاية الرئيس علي عبدالله صالح الكريمة للمؤتمر .

وأكد أ. د. باصرة أن هذا المؤتمر فرصة سانحة، تعمل على تعزيز الحوار العلمي والمعرفي، ومتابعة الجديد والمفيد في مجالات الدراسات اليمنية. ويعد المؤتمر مساهمة ملموسة للمشاركة في العُرس الثقافي لصنعاء عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٤م، إذ ينظمه أكبر صرح علمي وفكري وثقافي في اليمن، وهو جامعة صنعاء.

كما ألقى أ. د. محمد عدنان بخيت كلمة المشاركين، تناول فيها الموقع العلمي والثقافي لمدينة صنعاء الذي هيأ الأرضية لإقامة مثل هذا المؤتمر العلمي الكبير. وأشاد الدكتور البخيت بالجهود التي بذلت لإنجاح هذا المؤتمر العالمي، الذي استطاع أن يقدم صورة مشرفة ومتميزة لليمن وحضارتها الإنسانية، وبرعاية الرئيس علي عبد الله صالح، الذي يولي للإنسان اليمني أهمية كبيرة في التنمية والبناء.

تميز المؤتمر بأنه جمع بين ثلاثة أجيال متعاقبة، هي: جيل العلماء الأوائل، من العرب والأجانب، الذي تتلمذ على يديه أساتذتنا الأجلاء؛ وجيل أساتذتنا من اليمنين والعرب والأجانب؛ وجيلنا، جيل تلامذة أساتذة الرعيل الأول. فكل هذه الأجيال يُكمل بعضها بعضاً.

وتأتي أهمية المؤتمر في أنه ناقش عدداً من الموضوعات الجديدة والمهمة، المتعلقة بالآثار والتاريخ والنقوش والعمارة اليمنية القديمة والإسلامية، التي - ما من شك- أنها ألقت الضوء على جوانب مختلفة من تاريخ اليمن وحضارته.

وقد شمل برنامج المؤتمر محورين أساسيين، عقُدت في كل محور (إحدى عشرة جلسة، على مدار ثلاثة أيام)، موزعة على ٣-٤ جلسات يومياً، وبواقع ٤-٦ أبحاث في الجلسة الواحدة(٢).

فالمحور الأول عنوانه: " الآثار والنقوش والفنون "، وقد عقدت جلساته في قاعة الجوف بكلية الزراعة.

أما المحور الثاني فعنوانه: " صنعاء الحضارة والتاريخ "، وقد عقدت جلساته في قاعة علي بن زايد بالكلية نفسها .

إلى جانب ذلك، أقيم على هامش المؤتمر معرض معماري وفني، خاص بالعمارة اليمنية وصور توثيقية لليمن، ومعرض للكتاب والمطبوعات المتعلقة بحضارة اليمن. وشارك في هذا المعرض كلية الهندسة، المتمثلة في قسم العمارة، وعدد من المراكز العلمية والثقافية المهتمة بقضايا التاريخ اليمني.

وقد أُلقي في المؤتمر أكثر من مائة بحث، وشارك فيه أكثر من مائة وخمسين باحثاً، كما امتلأت القاعتان بالحضور، وتخلل إلقاء البحوث مناقشات علمية مفيدة .

وعرض المحور الأول أبحاثاً مهمة عن النقوش الجديدة التي تنشر لأول مرة، منها ما كشف عنها في محافظة مأرب، وفي محافظة عمران، جاءت هذه النقوش مدونة باللهجة السبئية. كما ناقشت بعض الأوراق قضايا لغوية متعلقة باللغة اليمنية القديمة، وأيضاً باللهجات اليمنية الحديثة، منها اللهجة المهرية. كما قُدمت أوراق تناولت بعض ملامح الفن في اليمن القديم؛ كالمنحوتات، والأختام، والتحنيط في اليمن القديم. ولم تخل جلسات المؤتمر من دراسات تتناول العصور التاريخية القديمة التي سبقت حضارة اليمن قبل الإسلام. أما في جانب الآثار اليمنية القديمة، فقد ألقت الدراسات الضوء على الاكتشافات الأثرية الجديدة من محافظة مأرب في (معبد أوام)، ومحافظة الجوف في (براقش)، ومحافظة حضرموت في (مكينون)، ومحافظة شبوة في (تمنع)، ومحافظة إب في (جبل العود)، ومحافظة صنعاء في (شعوب)، من تلك الآثار التي تعود لفترة ما قبل التاريخ أو بعده، إلى جانب دراسة الفخار السبئي وتصنيفه والتسلسل الزمني له.

أما الأبحاث المتعلقة بنقوش وآثار جنوب الجزيرة العربية وعلاقتها بشمالها، فكان لها نصيب وافر، مثل: موضوع جبل مأسل والنقوش المسندية، وقبيلة مدحج بين حمير وحضرموت، ودولة كندة وعلاقتها باليمن، وسمهرم المدينة الحضرمية في الساحل العماني، واليمن وعمان قبل الدول العربية الجنوبية.

وشارك في المحور الأول أساتذة وعلماء لهم باع كبير في الدراسات اليمنية القديمة، خاصة في مجال النقوش والآثار، منهم على سبيل المثال وليس الحصر: أ. د. والتر مولر (ألمانيا)، و أ. د. كريستيان روبان، أ. د. فرانسوا بريتون (فرنسا)، و أ. د. دي ميجري (إيطاليا)، أ. د. عبد الرحمن الأنصاري، أ. د. سعد الراشد (السعودية)، أ. د. يوسف محمد عبد الله (اليمن)، أ. د. عبد الحليم نور الدين (مصر)، أ. د. معاوية إبراهيم (الأردن)، والمرحوم الدكتور إليكسندر سيما (النمسا).

أما المحور الثاني، فشملت أبحاثه دراسات حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية، والمسكوكات، والمسودات الملكية في اليمن. وكذلك، حظيت مدينة صنعاء بنصيب وافر من الدراسات، خاصة عمارة الجامع الكبير، وأسس التخطيط الحضري والتصميم المعماري للمدينة القديمة. ويمكن القول إن معظم الدراسات المقدمة في المؤتمر قد نالت الاستحسان والإعجاب، وكانت جادة وجديدة ومفيدة، تعكس المستوى العلمي الرفيع للمشاركين، وتدل على المدى الواسع الذي قطعته الدراسات اليمنية المتخصصة في شؤون التراث الثقافي. كما تجاوزت تلك الدراسات العناية باليمن في الداخل، وامتدت إلى

العلاقات الثقافية والحضارية بين اليمن والخارج عبر العصور. وبيّنت أن اليمن كان مشاركاً فعالاً في صياغة أحداث التاريخ، وفي مجالات التأليف والكتابة والإبداع، وأن التواصل التجاري والثقافي بين اليمن والأمم المجاورة كانا متلازمين ما أعطى لليمنيين حضوراً مشهوداً في المحافل الدولية. وقد سلطت الأبحاث أضواءها، على جزيرة العرب والتكامل العلمي والفني والأدبي بين أرجائها، والتعاون للمحافظة على تراثها .

وفي المحور الثاني شارك علماء لهم باع كبير في الدراسات المتعلقة بتاريخ اليمن الحديث والمعاصر، وأساتذة الفن المعماري الإسلامي، والآثار الإسلامية في اليمن، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: أ. د. والتر دوستال، (النمسا)، رونالد لوكوك (إمريكا)، أ. د. جان ريتسو (السويد)، أ. د. صالح لمعي (مصر)، أ. د. حسين العمري، أ. د. صالح باصرة (اليمن).

ومثلت غالبية الأوراق عرضاً لنتائج أعمال ميدانية، قام بها مقدم، أو مقدمو الورقة، التي ربما كانت ضمن جهود فريق علمي متكامل، وهذا ما ترتب عليه مستوى عالٍ في طرح الأوراق، ومحاكاة الدليل الأثري.

وقد صدرت عن المؤتمر توصيات عديدة، دعت إلى السعي للحفاظ على التراث الحضاري اليمني بوصفه تراثاً إنسانياً خالداً يستدعي تكاتف الجهود الوطنية والدولية وتوافر الإرادة الرسمية والشعبية والدولية للحفاظ عليه. وأكدت التوصيات على أهمية الحفاظ على المواقع الأثرية في اليمن، وتطبيق قانون حماية الآثار تطبيقاً حاسماً وصارماً لمنع المعتدين على المواقع الأثرية، وإيقاف النبش العشوائي، الذي أضر كثيراً بشواهد الحضارة اليمنية. وشدد المؤتمرون في توصياتهم على أهمية الحفاظ على المدن التاريخية، وأعربوا عن تقديرهم للجهود التي تبذل حالياً للمحافظة على تراث صنعاء المعماري الأصيل، ومدينتي شبام وزبيد وهما من المدن المهمة في العالم، التي استحقت أن تدرج في سجل التراث العالمي. ودعت توصيات المؤتمر إلى أهمية إعلان المواقع الأثرية في محافظات الجوف ومأرب وشبوة معالم حضارية محمية، وحدائق أثرية غير قابلة للتفريط بها وبمعالمها التاريخية.

وتمنّى المؤتمرون من الحكومة اليمنية بذل جهودها التشريعية والادارية والمالية، لمساعدة الجهود الدولية والعربية في التنقيب عن الآثار تنقيباً علمياً، والحفاظ على طراز وبيئات التراث الثقافي الحضري في شتى أنحاء اليمن. كما ناشد المؤتمر الجهات المعنية داخل اليمن وخارجه، للعمل بعزم وقوة على الحد من ظاهرة التهريب للآثار والمخطوطات، واستعادة ما تسرب منها بطريقة غير شرعية مخالفة للقوانين الدولية، التي تُحرم تحريماً قاطعاً نقل الممتلكات الثقافية من يد إلى يد ومن بلد إلى بلد دون مسوغ شرعي. كما أوصى المؤتمر من جديد بإعداد مدونة كاملة للنقوش اليمنية وإصدارها باللغة العربية، لتكون مرجعاً شاملاً في مجال النقوش القديمة للباحثين اليمنيين والعرب، كما يوصي بضرورة إعادة تأليف وطبع المعجم السبئي.

وقد وجه المشاركون في المؤتمر الدولي في ختام أعمالهم، برقية شكر وتقدير إلى فخامة الرئيس علي عبد الله صالح.

وبعد انتهاء أعمال المؤتمر، منح الرئيس علي عبد الله صالح أربعة من علماء الدراسات اليمنية القديمة "ميداليات ٢٢ مايو الذهبية"، وهم: أ. د. والتر مولر (ألمانيا)، أ. د. والتر دوستال (النمسا)، أ. د. عبد الرحمن الأنصاري (السعودية)، أ. د. عبد الحليم نور الدين (مصر).

الهوامش:

(١) احتضنت اليمن بعاصمتيها: التاريخية والسياسية (صنعاء) والاقتصادية والتجارية (عدن)، أربعة مؤتمرات دولية لدراسة التراث الحضاري. وقد عقد المؤتمر الأول في عدن عام ١٩٧٥م، وعقد المؤتمر الرابع في صنعاء عام ١٩٩٧م. وعزمت جامعة صنعاء على احتضان المؤتمر الدولي الخامس للحضارة اليمنية، وتم لها هذا بعد تحضير وإعداد استمر أكثر من عشرة أشهر ، وكذا بعد أن تجاوب مع هذه الرغبة نخبة من الباحثين والعلماء، من داخل اليمن وخارجها.

(٢) ستنشر لجنة المؤتمر قريباً الأبحاث في جزءين: الأول لمحور الآثار والنقوش والفنون؛ والثاني لمحور صنعاء الحضارة والتاريخ.

د. عميدة محمد شعلان: قسم الآثار - كلية الآداب - جامعة صنعاء - ص. ب. (١٢٣٥٧) - صنعاء - الجمهورية اليمنية. ami-da_sholan@yemen.net.ye

المؤتمر السابع للاتحاد العام للآثاريين العرب

الجهة المنظمة : **اتحاد الآثاريين العرب**

مكان الانعقاد : **جامعة القاهرة - مصر**

تاريخ الانعقاد : **١٨- ١٩ شعبان ١٤٢٥هـ**

الموافق ٥- ٣ أكتوبر ٢٠٠٤م

تحت عنوان: "دراسات في آثار الوطن العربي، الحلقة الخامسة "، عقد الاتحاد العام للآثاريين العرب مؤتمره السابع بجامعة القاهرة. ويمارس الاتحاد العام للآثاريين العرب نشاطه تحت رعاية المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي، التابع لاتحاد الجامعات العربية.

قُسِّمت الأبحاث التي قدمت إلى المؤتمر إلى ثلاثة محاور رئيسة، هي: الآثار القديمة، والآثار الإسلامية، والترميم. وقدِّمت الأبحاث في قاعتين: خصصت الأولى منهما للآثار القديمة، والثانية للآثار الإسلامية والترميم. أما جلستا الافتتاح والختام، فقد عقدتا في القاعة الأولى بحضور جميع المشاركين في المؤتمر.

قدم المشاركون في المؤتمر ثلاثة وأربعين بحثاً في محور الآثار القديمة، جاءت من عدة دول عربية هي: الأردن، والبحرين، والجزائر، والسودان، والعراق، ومصر، والمغرب، واليمن. وشملت موضوعات الأبحاث حقبًا مختلفة، تبدأ من عصور ما قبل التاريخ، مروراً بحضارات الشرق الأردني القديم (مصر، وبلاد الرافدين، والمغرب القديم، والعصور الكلاسيكية اليونانية الرومانية)، والممالك العربية قبل الإسلام. وتناولت الأبحاث، كذلك، اللغات القديمة والأديان، والطقوس الجنائزية، والطب.

ومن الموضوعات المميزة التي ناقشت العلاقات الحضارية بين أقطار الوطن العربي، مثل: العلاقات بين مصر وبلاد الرافدين، ودور الرسوم والنقوش الصخرية في تشكيل الكتابات البدائية في شمالي إفريقيا وسيناء. كما قُدمت أبحاث عن العمارة الدينية والمدنية، والفنون بمختلف أنواعها. ومن أهم الأبحاث في محور الآثار القديمة، أبحاث تناولت اكتشافات أثرية حديثة، مثل: اكتشاف بعض العمائر التي ترجع إلى العصر البيزنطي على الضفة الشرقية لنهر الأردن، والتي تمثلت في برك وقنوات، وكنائس، وكهوف (قلايات) للرهبان. وهناك بحث آخر تضمن دراسة لمجموعة من المسارج الرومانية والبيزنطية المكتشفة في تل أبو مندور الأثري في رشيد بمصر. كما نالت الممالك العربية قبل الإسلام نصيبها من الدراسة، إذ قُدِّم عنها بحثان؛ أحدهما عن المؤثرات المحلية على منحوتات مملكة تدمر، والآخر عن المعبودات المحلية في الديانة اليمنية القديمة.

وفي محور الآثار الإسلامية قدم المشاركون تسعة وثلاثين بحثاً، جاءت من عدة دول عربية هي: الأردن، وتونس، والجزائر، والسعودية، والسودان، وسوريا، والعراق، ومصر، واليمن، غطت موضوعاتها الحضارة الإسلامية بمختلف فتراتها. فتناولت العمارة الدينية والمدنية، والكتابات، والفنون، والمسكوكات. ومن الأبحاث المتميزة في محور الآثار الإسلامية تلك التي تناولت الخط العربي، ومنها بحث ناقش دور المراكز الحضارية في شمالي الجزيرة العربية، في تطور الخط العربي من خلال نقوش عربية تعود للقرن الخامس الميلادي؛ وبحث ثان اعتمد على كشف أثري جديد من خلال النصوص التأسيسية في عمائر مدينة القاهرة؛ وبحث ثالث عن مشهد الملك الزريعي عمران بن سبأ بمقبرة المعلاة في مكة المكرمة.

ومن الأبحاث التي اعتمدت على الاكتشافات الآثارية الحديثة، بحث عن مجموعة من الصهاريج المكتشفة حديثًا بمدينة القاهرة، يمكن من خلال دراستها، من النواحي التاريخية والأثرية، إلقاء الضوء على التطور العمراني في المناطق التي وجدت بها.

وفي محور الترميم قدم المشاركون اثني عشر بحثاً، جاء أحد عشر منها من مصر، وبحث واحد من الجزائر. وتناولت هذه الأبحاث صيانة العمائر الدينية والمدنية، وترميم الزخارف الجصية، ونزع اللوحات الفنية وإعادة تركيبها، وترميم المنسوجات. وإلى جانب ذلك ناقشت الأبحاث أحدث الطرق

في صيانة الآثار وترميمها.

كما قُدمت في المؤتمر أبحاث في موضوعات أخرى، مثل: دور المعهد الوطني للبحوث بتونس في إنماء الوعي الحضاري. وعن أوضاع الآثار العربية تحت الاحتلال، قدمت ثلاثة أبحاث:

البحث الأول: عن طريق الحج المسيحي بسيناء وادعاءات اليهود. وتناول هذا البحث دراسة الطريق، الذي حاول الصهاينة بعد احتلالهم سيناء سنة ١٩٦٧م الادعاء بأنه طريق خروج بني إسرائيل من مصر. ومن أجل إثبات ذلك كتبوا بعض النقوش العبرية، ونقشوا بعض الرموز ذات الطابع اليهودي، مثل المينورا "الشمعدان اليهودي" وغير ذلك. كما شوّهوا الكتابات القديمة المنتشرة على الطريق، وهي كتابات آرامية، ونبطية، وقبطية، ولاتينية، ويونانية. وقد خلص البحث إلى أن الطريق استُخدم من قبل الأنباط كإحدى طرق التجارة؛ ثم استُخدم بعد انتشار المسيحية في مصر من قبل الحجاج المصريين المتجهين إلى فلسطين.

والبحث الثاني: عن آثار نابلس تحت الاحتلال، ويدور موضوعه حول الأضرار التي لحقت بآثار نابلس، بعد الاجتياح الصهيوني للمدينة خلال سنتي ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م. وأوضح البحث حجم التدمير الهائل الذي تعرضت له المعالم الأثرية في المدينة، علي يد القوات الصهيونية.

والبحث الثالث: عن الآثار العراقية في قبضة الحملة الأمريكية، وتناول الكارثة التي حلت بالآثار والمتاحف في العراق، بعد احتلاله في أبريل ٢٠٠٣م.

وكانت الجلسة الافتتاحية للمؤتمر قد شهدت منح درع الآثاريين العرب لسنة ٢٠٠٤م، للأستاذ الدكتور عبدالهادي التازي من المملكة المغربية. وكذلك تكريم الأستاذ الدكتور علي رضوان، رئيس الاتحاد العام للآثاريين العرب، بمناسبة حصوله على جائزة الدولة التقديرية في مصر، ومنح الأستاذ الدكتور محمد صالح شعيب، من المملكة العربية السعودية، المسلة الذهبية تقديرًا لجهوده في خدمة مسيرة الاتحاد. وأقيم ضمن فعاليات المؤتمر معرض للصور الفوتوغرافية للمساجد التونسية، أعدته وكالة إحياء التراث والتنمية الثقافية في تونس.

وفي ختام مداولاته أصدر المؤتمر عدة توصيات، بعد مناقشتها وإجازتها من قبل الأعضاء. وتبقى الإشارة إلى أن المؤتمر أتاح فرصة طيبة للآثاريين العرب للالتقاء في أجواء علمية لتبادل الآراء والخبرات، والمشاركة فيما يدور في مجال الدراسات الأثرية في مختلف أنحاء الوطن العربي.

د. فرج الله أحمد يوسف - الرياض ١١٤١٢ - ص ب ٤٥٥٦ farajyousef @ hotmail.com

عرض المجلات

اسم الكتاب: Proceedings of the Seminar for Arabian Studies (PSAS).

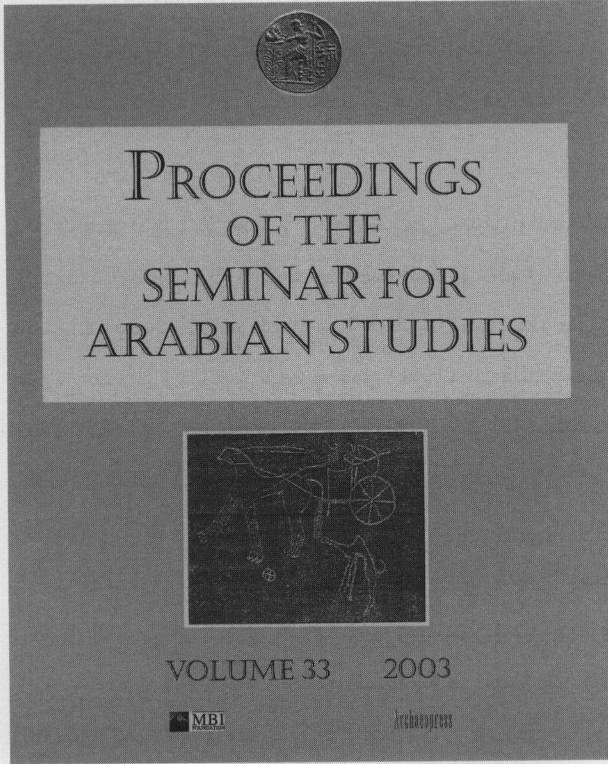
المحرر: مايكل ماكدونالد Michael Macdonald

العدد: ٣٣ لسنة ٢٠٠٣م.

الناشر: أركيوبرس - أكسفورد.

التصنيف الدولي: ٠-٩٣٥٩-٤٣٢٩-٩.

عرض: مولاي محمد جانيف



لعلَّ أولَ ما يسترعي الانتباهَ في العدد الأخير من حولية Proceedings of the Seminar for Arabian) (Studies = PSAS هو الحلة الأنيقة، التي ميزت هذا العدد عن سابقيه. والسبب في ذلك هو تعاقد القيمين على الحولية مع دار النشر (Archaeopress) لتولي طباعة الـ (PSAS) بدءا من العدد الثالث والثلاثين، بعد أن كانت الأعداد السابقة تصدر عن دار نشر (Brepols).

تضمن العددُ الثالث والثلاثون ستا وعشرين دراسة، انتظمت وفق ستة محاور:

- المحور الأول (آثار وتاريخ عُمان والخليج، ص ١-١٣٢).
- المحور الثاني (الأنظمة المائية المقارنة، ص ١٣٣-١٥٥).
- المحور الثالث (آثار وتاريخ اليمن خلال فترات ما قبل الإسلام، ص ١٥٧-٢٣٥).
- المحور الرابع (نقوش اليمن خلال فترات ما قبل الإسلام، ص ٢٣٧-٢٨٦).
- المحور الخامس (اليمن خلال الفترة الإسلامية، ص ٢٨٧-٣١٣).
- المحور السادس (الإثنوغرافيا في اليمن، ص ٣١٥-٣٥٥).

يكتسب المحور الأول أهميةً خاصة كونَه يتضمن مجموعة من الدراسات، التي تم تكريسُ الجزء الأعظم منها لنتائج التنقيبات والمسوحات الآثارية، الجارية حاليا أو التي سبق إجراؤها في مناطق مختلفة من الخليج العربي. وأهمية هذه النتائج تكمن إما في أنها تقترح جديدا في مجال الكرونولوجيا والتحقيب أو أنها تقدم للقارئ المختص النتائجَ الأولية لمجموعة من أعمال التنقيب الجارية على وجه الخصوص في مواقع مختلفة من سلطنة عُمان.

حملت الدراسة الأولى (ص ١-١٠) ضمن هذا المحور عنوانَ "معطيات تأريخية جديدة لتحديد الدور الثاني من العصر الحديدي في جنوب شرقي الجزيرة العربية". وقد حاول فيها بيتر ماجي (P. Magee) مناقشة وتحليلَ كثافة الاستيطان، التي عرفتها هذه المنطقة من الجزيرة العربية خلال الدور الثاني من العصر الحديدي، معتمدا على طريقة التأريخ

بالكربون المُشع (C14) لاقتراح القرن العاشر ق. م. كبداية لتكثُّف الاستيطان في هذه المنطقة، وبالتالي كبداية للدور الثاني من العصر الحديدي. ومع أن العينات، التي تمت دراستُها لا تمثل سوى ستة مواقع بين عدد كبير من المستوطنات، إلا أن الباحث يعتقد أن توافقَ النتائج حول تاريخ ١١٠٠ ق. م. كنقطة انطلاق لنشاط الاستيطان في جنوب شرقي الجزيرة العربية لا يمكن أن يكون مجرد صدفة.

أما الدراسة الثانية (ص ١١-١٩)، وهي مكتوبة بالفرنسية، فحملت عنوان "المقبرة والآفاق الأخيرة للألف الخامسة في موقع غربة المحار (سويح SWY-1، سلطنة عُمان) : النتائج الأولى". وقد استعرض فيها كل من فانسان شاربونتييه (V. Charpentier) و فيليب ماركي (Ph. Marquis) و إريك بُلي (E. Pellé) نتائج التنقيبات، التي تجريها البعثة الفرنسية منذ سنة ١٩٩٩ في هذا الموقع العائد إلى العصر الحجري الحديث. وتدل النتائج الأولية حسب الباحثين على أن الموقع، الذي عرف استيطانا مهما على امتداد مساحة تجاوزت الهكتارين، قد تحول خلال النصف الثاني من الألف الخامسة ق. م. (حوالي ٤٤٠٠-٤٢٠٠) إلى مقبرة مورست فيها عاداتٌ جنائزية لا تختلف في شيء عن تلك التي تُصادَف في مواقع عائدة للفترة نفسها في عُمان.

تقدم الدراسة الثالثة (ص ٢١-٣٠)، المعنونة "النتائج الآثارية لمسوحات ١٩٩٩ و ٢٠٠٠ في وادي بني عوف ومنطقة الحمراء (وسط عُمان)" استعراضا شاملا لأعمال المسح، التي قامت بها يوتّا هيزر (J. Häser) في وادي بني عوف وبعض الوديان الصغيرة المتفرعة عنه، كما في منطقة الحمراء وسط سلطنة عُمان. ولعل أبرزَ النتائج، التي توصلت إليها هذه الأعمال هو أن بداية استيطان الواحات في المنطقتين ترقى إلى النصف الأول من الألف الثالثة ق. م.، على أن ازدهار الاستيطان فيهما لم يبدأ إلا مع مستهل الألف الأولى ق. م.، ويبدو أن المنطقتين قد عرفتا توسعاً واستغلالاً مكثفين للأراضي القابلة للزراعة خلال بعض العهود الإسلامية، تحديداً خلال القرنين الهجريين الخامس والعاشر. وقد خلصت الباحثة أخيراً، إلى أن تشابه نمط الاستيطان في وادي بني عوف ومنطقة الحمراء وكذا التجانس في الفخاريات، التي عُثر عليها يدل على أن الحاجز الطبيعي المتمثل في جبال الحجر لم يُشكل أيَّ حاجز ثقافي على الإطلاق بين المنطقتين.

أما البحث الرابع (ص ٣١-٤٧) فقد طغى عليه الطابعُ التقني البحت، إذ خُصص لدراسة الطبقات الأثرية في موقع من مواقع رأس الجنز في سلطنة عُمان. ويبدو العنوان، الذي اختارته سسيل مونشابلون (C. Monchablon) وزملاؤُها: "التنقيبات في رأس الجنز ١ (RJ-1): استراتيغرافيا بدون تلال" عنوانا ذا دلالة. فقد أراد الباحثون تسليطَ الضوء في هذه الدراسة على الموقع (RJ-1) في رأس الجنز، الذي تميز باحتوائه على ترسبات أو تراكمات لا تشبه في شيء تلك، التي تميز التلال الأثرية في الشرق الأدنى القديم. وإذا كانت هذه الخاصية تبرر عنوانَ الدراسة، فهي ربما تبرر بالقدر نفسه المنهجَ، الذي تم تبنيه لتتبع مختلف مراحل الاستيطان في الموقع: البحث أفقيا لا رأسيا عن هذه المراحل على امتداد رأس الجنز ١ . إن أهمية هذه الدراسة، التي أماطت اللثامَ عن مظاهر الاستيطان المختلفة في الموقع، بدءاً بالبيوت الدائرية العائدة لنهاية الألف الرابعة ق. م. وانتهاء بمدافن العصر البرونزي المبكر (٣٠٠٠-٢٠٠٠ ق. م.)، تكمن في تساؤلها حول جدوى التنقيب الرأسي (الأسبار أو المجسات soundings) في مواقع جنوب شرقي الجزيرة العربية (عُمان والإمارات العربية). ونحن نترك الردَّ على هذا التساؤل أو الانتقاد للآثاريين العاملين في هذه المواقع، لأننا لا نملك، في واقع الأمر، الكفاءةَ لفعل ذلك نيابةً عنهم.

إذا انتقلنا إلى الدراسة الخامسة (ص ٤٩-٥٨)، التي أنجزها توم فومسر (T. Vomser)، فأننا سنجد عرضاً وافياً لموضوع فريد في هذا العدد من الـ (PSAS). ذلك أن الأمرَ يتعلق بمركب من طراز المراكب، التي كان يصنعها سكان المنطقة من القصب وصفائح القار قبل ما يزيد عن أربعة آلاف سنة. وقد استطاع فومسر في دراسته تقديمَ تصور شامل لأداة النقل هذه، معتمدا في ذلك على ما تم العثور عليه من أدوات ومواد في موقع رأس الجنز المجاور وكذلك على النصوص والرسومات العراقية القديمة، التي تجسد السفن والمراكب المستخدمة خلال تلك الفترة.

في الدراسة السادسة (ص ٥٩-٧٦)، استعرضت آن بونوا (A. Benoist) مع كل من ميشال موتون (M. Mouton) وجريمي شيتكات (J. Schiettecatte) ما تم العثورُ عليه من لُقى في الحصن الواقع في المنطقة (CW) من مليحه في الشارقة، غيرَ بعيد عن ساحل هذه الإمارة. والدراسة لا تكتفي باستعراض هذه اللقى وتصنيفها، بل تتجاوز ذلك إلى تحليل توزيعها عبر المكان والتدقيق في أصولها، خصوصا ما كان منها موضوعَ تجارة بعيدة المدى. وتخلص الدراسة إلى أن الحصن، الذي أدى دورا دفاعيا مؤكَّدا بين القرنين الثاني والرابع الميلاديين، قد ضم مسكنا يعود لشخص من النخبة ربما كان يدير شؤونَ المنطقة. ويعتقد الباحثون أن ممارسة بعض الأنشطة الدالة على السلطة في الحصن، مثل: سك النقود، وتصنيع الأسلحة، والتعدين؛ ربما دعت إلى وضع هذا الشخص في مصاف الحُكّام. كذلك تدل اللقى، التي كشفت عنها البعثة الفرنسية في هذا الحصن، على نشاط تجاري مهم وبعيد المدى، مع مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية والشرق الأدنى. ويبدو أن التجارة قد تطورت كثيرا في هذه المنطقة مع بداية القرن الثالث الميلادي، كما تؤكد ذلك الكمية المرتفعة نسبيا للفخاريات المستوردة، خصوصاً تلك المعروفة باسم (Namord ware).

مع الدراسة السابعة (ص ٧٧-٩٧)، ينتقل بنا علي التيجاني الماحي و معاوية إبراهيم إلى موقع مَنال في وادي سمايل بسلطنة عُمان. والدراسة تقدم تقريراً مفصلاً عن موسمين من المسح والتنقيب قام بهما الباحثان لدواع إنقاذية في هذا الموقع، على رأس فريق من جامعة السلطان قابوس. وقد دلت النتائج على أن واحة منال قد تم استيطانُها بين نهاية الألف الثانية وبداية الألف الأولى ق. م. كما تدل على ذلك اللقى، التي تم العثور عليها في الموقع (الفخاريات، الدمى الطينية، الأدوات البرونزية والحجرية...). وقد تعرضت الواحة للهجران بعد فترة الاستيطان هذه، وتحولت إلى مقبرة. ويظل من غير المعروف ما إذا كان هذا التحول قد تم مباشرة بعد هجران الموقع، لأن المستمسكات الحالية لا تساعد على تأريخ المقبرة بدقة، وهو ما يبرر حذرَ الباحثَيْن وحرصَهما على اقتراح تاريخ عائم بين العصر الحديدي والفترة الإسلامية المبكرة. ويقترح الباحثان أخيراً ربطَ الاستيطان في واحة منال وعلى امتداد السفوح الشرقية للجبل الأخضر بسياق ديموغرافي واقتصادي ميّز منطقةَ جنوب شرقي الجزيرة العربية خلال مستهل الألف الأولى ق. م.

أما الدراستان الأخيرتان ضمن المحور الأول فقد خصتا الفترة الإسلامية في منطقة الخليج العربي. ففي الدراسة الأولى (ص ٩٩-١١٦)، التي أنجزها مهندسان من جامعة ليفربول هما سومين بانديُوبَدْيَاي (S. Bandyopadhyay) وماجدة سيبلي (M. Sibley)، ثمة محاولة لوضع تصنيف شامل للمساجد في المنطقة الوسطى من عُمان. وقد ذهب الباحثان إلى أن الرواق المغلق، أو ما يطلقان عليه اسمَ (closed "cella" أو "cella-portico")، قد ظل مميزا لعمارة المساجد في منطقة وسط عُمان، على خلاف مساجد وسط الجزيرة العربية، التي ميزتها الأروقة المفتوحة (open pavilion structure). ولأن لهذا الطراز صلاتٍ وثيقةً، حسب رأيهما، مع مساجد ظُفار وحضرموت وصنعاء، فإنَّ الباحثَيْن يعتقدان أن لهذا النمط المعماري جذوراً يجب البحثُ عنها في العمارة الدينية، التي سادت في حضرموت واليمن خلال فترة ما قبل الإسلام. أما الدراسة الثانية (ص ١١٧-١٣٢)، التي أنجزها قيصر فرح (C. E. Farah) التي شكلت خاتمةَ المحور الأول في هذا العدد من الـ (PSAS)، فكان موضوعها المواجهة بين العثمانيين والبريطانيين في الخليج العربي خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ويعتمد الباحث في دراسته على وثائق بريطانية وعثمانية تلقي الضوءَ على الصراع بين الطرفين في هذه المنطقة من الجزيرة العربية وكذلك على الدور، الذي لعبته القبائل المحلية خلال هذه الفترة الانتقالية الخطيرة من تاريخ الخليج العربي.

في المحور الثاني المخصص للأنظمة المائية المقارنة، ثمة دراستان في غاية الأهمية حول السدود وتدبير المياه في اليمن قديما. أولى هاتين الدراستين (ص ١٣٣-١٤٢) أنجزها كلٌّ من مِكيل باركيلو (M. Barceló) وخوليان أورتيغا (J. Ortega) وأركادي بييرا (A. Piera) وخوسب تورّو (J. Torro)، استعرضوا فيها نتائجَ المسوحات الهيدرولوجية، التي قاموا بها في منطقة ظَفار بمحافظة إبّ في اليمن. وقد كشف هؤلاء

الباحثون الإسبان في دراستهم هذه، التي تُعَدُّ في رأيهم أولَ بحث تتم فيه بشكل شامل ومعمَّق دراسةُ نظام السيول أو ما يعرَفُ بـ"الأسداد" في اليمن القديمة، عن مدى الإتقان والتعقيد، اللذين ميزا قديما الشبكةَ المائيةَ في هذه المنطقة من اليمن. ويعتقد الباحثون أن المعلومات، التي تقدمها لنا أنظمة التدبير المائي في ظَفار ستساعد دون شك على تكوين فكرة جيدة عن "الأسداد"، التي ذكرها أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني التي فاق عددُها الثمانين سداً. أما الدراسة الثانية في هذا المحور فقد تناولت نظامَ التوزيع المائي المعروف بالـ"مأجل". وإذا كانت هيلينا كيرشنر (H. Kirchener) قد اختارت لبحثها عنواناً صيغة استفهام: "المأجل: نمط للتدبير المائي في اليمن والأندلس"، فذلك لأنها أرادت فحصَ الفرضية القائلة بأن نظامَ الري، الذي كان مستخدما في الأندلس الإسلامية قام على أساس النظام المائي المعروف باسم الـ"مأجل". وقد خلصت الباحثة، بعد التحقق من عدم وجود أي نظام هيدرولوجي في اليمن ينطبق عليه مصطلح "مأجل"، إلى أن استخدام بعض الدارسين لهذا المصطلح وصفا لبعض أنظمة التدبير المائي في اليمن والأندلس هو استخدام مضلِّلٌ وفي غير محله.

أما المحور الثالث فيقدم لنا مجموعة من الدراسات، التي تلقي الضوء على جوانب مهمة من حضارة اليمن وتاريخه خلال فترات ما قبل الإسلام وعلى امتداد ما يزيد عن ثلاثة آلاف عام. وقد خُصصَت الدراسةُ الأولى ضمن هذا المحور (ص ١٥٧-١٦٨) لمظاهر الاستيطان في مرتفعات اليمن خلال العصور البرونزية والحديدية؛ فقد استعرض طوني ويلكينسون (T. Wilkinson)، من معهد الدراسات الشرقية التابع لجامعة شيكاغو، نتائجَ ستة مواسم من العمل الميداني في منطقة ذَمار. وقد حاول الباحث دراسةَ وتحليلَ الأسباب، التي جعلت هذه المنطقة من اليمن مركزاً مهما للاستيطان منذ الألف الثالثة ق. م.، ذاهبا إلى أن عوامل عدَّة ساهمت في تكثيف الاستيطان في المرتفعات، دون أن يكون عاملٌ بعينه حاسماً في تفضيل السكان لهذه المنطقة أو تلك. فأولئك الذين فضلوا مثلاً قممَ المرتفعات لحصانتها حرموا أنفسَهم بالتأكيد من العبور بيسر إلى الحقول والمراعي والمسالك، التي كان الوصول إليها سهلاً بالنسبة لأولئك الذين اختاروا استيطانَ سفوح هذه المرتفعات.

أما الدراسة الثانية (ص ١٦٩-١٨٢) ضمن هذا المحور، فقد خصصها كلٌّ من فرانك برَيْمر (F. Braemer) وسيرج كُلْزيو (S. Cleuzio) وتارا شتايمر (T. Steimer) لمنشآت جنائزية غير مألوفة في اليمن، تشبه إلى حد ما تلك المعروفةَ في فلسطين والأردن باسم "دولمَن" (Dolmen)، وإن تميز بعضُها بوجود زخارف هندسية، وهو ما يعتبره الباحثون أمراً فريداً في كل الشرق الأدنى القديم. وقد خلصت الدراسة إلى أنْ لا علاقة لمدافن اليمن الشبيهة بـ "دولمَن" بتلك، التي برزت كظاهرة جنائزية مميزة في جنوب بلاد الشام خلال نهاية العصر الحجري النحاسي وبداية العصر البرونزي. ولذلك فقد سعى الباحثون إلى ربط هذه الأبنية الجنائزية بسياق اجتماعي محلي، إذ فرضتها على الأرجح اعتباراتٌ قبليةٌ وتحكمت في توزيعها عواملُ اقتصاديةٌ مرتبطة بإدارة المياه والأراضي.

مع الدراسة الثالثة (ص ١٨٣-١٩٨) ينتقل بنا ولْيَم غلانزمان (W. D. Glanzman)، من جامعة كالغاري الكندية، إلى موضوع تاريخي بحت: "فحص لحملة التشييد التي قام بها يدع إيل ذريح بن سُمَّهوعلَي، مُكَرِّب سبأ، في ضوء الاكتشافات الآثارية الأخيرة". والدراسة، التي ركزت على فحص مدلول بعض النقوش والمكتشفات الأخيرة في محرم بلقيس، توصلت إلى أن هذا الـ"مُكرِّب"، الذي عاش وحكم خلال القرن الثامن ق. م.، لم يكن وحده الباني بامتياز للمحرم كما لمنشآت أخرى، على نحو ما ساد الاعتقاد بين الدارسين، وإنما أسهم في حملات البناء هذه "مكرِّبون" آخرون. وقد استدل الباحثُ على ذلك من خلال دراسة وتحليل معنى فعلين دالَّيْن على التشييد هما (أ ج ن) و (ب ن ي)، وكذلك من خلال المستمسكات الآثارية، التي تؤكد أن حملات البناء قد تمت عبر مرحلتين اثنتين على الأقل، وخلال فترات زمنية مختلفة.

أما الدراستان الرابعة (ص ١٩٩-٢١٣) والخامسة (ص ٢١٥-٢٢٧) فتدوران حول شبوة، عاصمة مملكة حضرموت؛ إذ استعرض جان - فرنسوا بْرُتون (J.-F. Breton) في أولاهُما بعضَ الملاحظات والأفكار الأولية حول التطور العمراني، الذي عرفته شبوة بين القرنين الثاني ق. م. والرابع الميلادي. ويبدو

أن عاصمة حضرموت قد شهدت خلال هذه الفترة، التي قاربت ستة قرون تطوراً عمرانياً ملحوظاً بلغ أوجَه في القرن الأول بعد الميلاد وتمثلت أبرز مظاهره في القصر الملكي كما في المعبد الرئيس، الذي تم تكريسُه لـ "سين ذو عليم". وقد طرح الباحثُ أخيراً بعضَ الفرضيات لتفسير هذا التطور، ذاهباً إلى أن الاستيطان في الموقع قد حصل بالتدريج منذ العصر الحديدي، من قبل أُسر أو قبائل استطاعت بمرور الوقت تكوينَ "أحياء" تكفّلت بإدارة شؤونها الخاصة، وربما توافرت على مؤسسات ومعابد خاصة بها. ويظل من غير المعروف لماذا استأثر معبدٌ بعينه (معبد سين ذو عليم) بدور المعبد الرئيس في المدينة، ولماذا لم يتم العثور داخل الأسوار على أية ساحة مخصصة للتبادل والتجارة (سوق عامة). لا يمكن تفسير هذه الظاهرة، حسب جان-فرنسوا برتون، إلا بافتراض وجود سوق خارج الأسوار (extra-muros) إن لم تكن الساحةُ الرحبة الواقعة قرب القصر الملكي، أي داخل الأسوار (intra-muros)، قد أدت هذا الدور. أما الدراسة الثانية، وهي مكتوبةٌ بالفرنسية، فقد خصصها كريستيان دارل (Ch. Darles) لتحصينات شبوة، التي ميزها وجودُ نظامين دفاعيَّيْن كَمَّلا بعضَهما البعض: الأول يتمثل في سور داخلي استُخدِمت في بنائه حجارةٌ ضخمة غير مشذبة، وقد شكل البرجُ المعروف باسم "دار الكافر" أقدمَ أجزائه، والثاني يجسده سورٌ خارجي كان يحمي تحديدا ساحة "السبخة"، التي يعتقد الباحث أنها كانت بمثابة مستودع للبضائع. وهذا ما أغراه، وإن بشكل غير مباشر، بمقارنة نظام التحصينات في شبوة بذلك، الذي ميز مدينةً عربيةً أخرى هي تدمر.

"متى أصبحت اليمن تُسمَّى العربيَّةَ السعيدة ؟" هو عنوان البحث السادس (ص ٢٢٩-٢٣٥) ضمن هذا المحور، وهو من إنجاز المستشرق السويدي يان رستو (J. Restö)، المختص في حضارة العرب وتاريخهم خلال فترات ما قبل الإسلام. ويتعلق الموضوع بقضية تعد من صميم الجغرافيا التاريخية للمنطقة، هي: متى وكيف أُطلِقت تسمية "العربية السعيدة" (Arabia felix/Arabia Eudaemon) على اليمن؟ يعتقد يان رستو أن هذه التسمية أطلقها الكتابُ الكلاسيكيون في الأصل على الساحل الجنوبي للخليج العربي-الفارسي قبل أن يستخدمَها الجغرافيُّ إراتوستِينُس في القرن الثالث ق. م. اسما لكل الجزيرة العربية. أما كيف ارتبطت هذه التسمية باليمن، فيذهب الباحثُ إلى أن ذلك لم يحصل قبل عهد أغسطس قيصر (النصف الثاني من القرن الأول ق. م.)، الذي وجد نفسَه مضطراً حسب رستو إلى إطلاق هذه التسمية على اليمن. لماذا لجأ الإمبراطور الروماني إلى ذلك ما دامت "العربية السعيدة" (Arabia felix) تقع في عُرف الرومان حتى ذلك الوقت شرقَ الجزيرة العربية لا جنوبَها؟ لقد كان القصد من هذا "التحويل الجغرافي" للتسمية -حسب رأي الباحث- هو التغطية على فشل الحملة، التي أرسلها أغسطس قيصر سنة ٢٤ ق. م. لغزو جنوبي الجزيرة العربية، وكان على رأسها حاكمُ مصر الروماني أيليوس غاللوس. من الوارد أن يكون الإمبراطور الروماني قد لجأ إلى ذلك لتضليل الرأي العام في روما، لكننا نتساءل كيف انطلت هذه "الكذبة" على الجغرافيين الرومان وغير الرومان، وكيف كُتِب لها النجاح حتى أصبحت "العربية السعيدة" مرادفاً لليمن؟ حاول الباحثُ الإجابةَ على هذا السؤال بمقارنة مدلول التسمية قبل سنة ٢٤ ق. م. بمدلولها بعد ذلك. ولأن صعوبة الإثبات ليست بمثل سهولة الافتراض، فقد وجد رستو نفسَه مضطراً، لإثبات صحة فرضيته، إلى صياغة فرضيات أخرى تحتاج بدورها إلى فرضيات لإثباتها ! من ذلك ذهابُه إلى أن الجزيرة العربية كانت مجهولةً على الأرجح بالنسبة للرومان، وأن هؤلاء لم تكن لهم معرفةٌ بالخريطة، التي وضعها إراتوستِينُس في القرن الثالث ق. م. لجزيرة العرب أو لـ"العربية السعيدة" (Arabia felix) كما كان يسميها.

بعد ذلك يأتي المحور الخامس، الذي تم فيه التركيز على الكتابات والنقوش في اليمن خلال فترات ما قبل الإسلام؛ ويبدأ هذا المحور بدراسة طويلة نسبيا (ص ٢٣٧-٢٥٠) كرسها جوزيف دانييلز (J. L. Daniels) لسبعة نقوش كان قد عثرَ عليها في منطقة ذَمار. وقد حاول الباحث تحليلَ هذه النقوش، التي تكتسي أهميةً كبيرة كونَها تلقي الضوء على الممارسات والمعتقدات الدينية في هذه المنطقة من اليمن، على نحو ما تعكس ذلك الكتاباتُ والأشكال والتصاوير المجسدة على صخور بعض مواقع ذَمار. أما الدراسة الثانية (ص ٢٥١-٢٦٥) في هذا المحور فخصَّصها الباحث الروسي سيرجي فرانتسوزُف (S.

A. Frantsouzof) لدراسة وتحليل نقش جنائزي حضرمي عُثِر عليه في مدفن الركبة بمنطقة حضرموت. وأهمية هذا النقش الفريد تكمن في ذكره لعادة جنائزية كانت تُمارَس قديما في حضرموت وتتمثل في دفن الإبل. ويعتقد الباحث أن مضمونَ هذا النقش يتوافق مع ما تم العثور عليه من هياكل عظمية لجمال في بعض مقابر حضرموت وظُفار وشرقي الجزيرة العربية، كما إلى أنْ لا علاقة بين هذه العادة الجنائزية وبين طقوس التضحية بالجمال كما سادت عند العرب الرحل في الجاهلية.

في الدراسة الثالثة (ص ٢٦٧-٢٧٤) ضمن هذا المحور، استعرض بيتر شتاين (P. Stein) مجموعةً من القضبان الخشبية الموجودة حالياً في حوزة مكتبة مدينة ميونيخ الألمانية. وقد تضمنت هذه القضبان، التي قارب عددُها الثمانمائة قضيب كتاباتٍ ترجع لعهود مختلفة من تاريخ اليمن القديمة، اختار الباحث من بينها نقشا عَدَّهُ نموذجاً لهذه الوثائق، التي ستعمل مكتبة دولة بفاريا على نشرها قريباً بالتعاون مع جامعة فريدريخ شيللر في ينّا.

"ملاحظات حول المراسلات السبئية" هو عنوان البحث الأخير (ص ٢٧٥-٢٨٦) في هذا المحور. وفيه قدم محمد المرقطن من جامعة ماربورغ الألمانية استعراضاً عاماً للرسائل السبئية على اختلافها، محاولاً تحليلَ الأساليب، التي استُخدمت في صياغتها، ملاحظاً أن أول ما تبدأ به هذه الرسائل هو التحية ثم تسترسل في الموضوع لتنتهي بخاتمة قبل أن تذكرَ في النهاية اسمَ الكاتب.

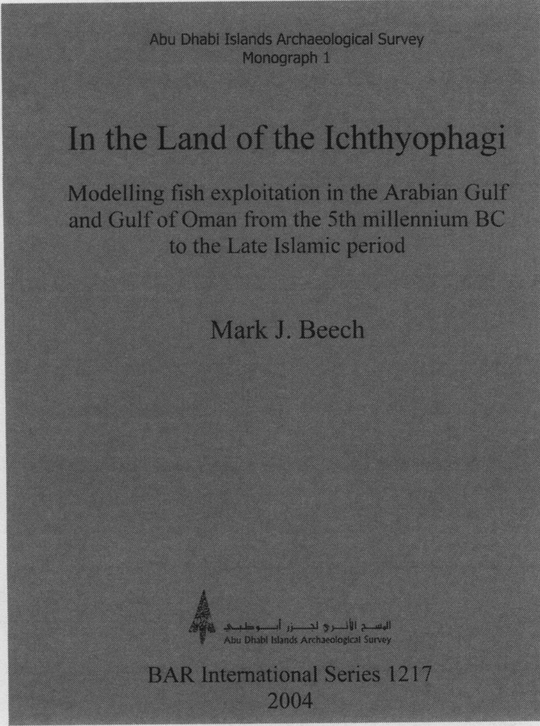
في المحور الخامس المخصص لليمن خلال الفترة الإسلامية، ثمة دراستان، أولاهما استعرضت فيها أكسيل روجوي (A. Rougeulle) (ص ٢٨٧-٣٠٧) نتائجَ تنقيبات البعثة الفرنسية في موقع شرمه على الساحل الحضرمي من اليمن. وقد توصلت الباحثة إلى أن عواملَ عدة قد أسهمت في ازدهار الموقع، الذي كان واحدا من أهم الموانئ التجارية خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين. أما الدراسة الثانية (ص ٣٠٩-٣١٣) ضمن هذا المحور فكانت من إنجاز الباحثة اليمنية نُهى صادق حول تعز، التي اتخذها الرسوليون عاصمةً لهم خلال القرنين السابع والثامن الهجريين.

بعد ذلك يأتي المحور السادس والأخير ليلقيَ الضوء على اليمن الحديثة والمعاصرة عبر ثلاثة أبحاث إثنوغرافية، استهلَّها فيتالي نومكين (V. Naumkin) وفيكتور بورخوموفسكي (V. Porkhomovsky) بدراسة قصيرة (ص ٣١٥-٣١٨) تناولت الأغاني المتداولَة في جزيرة سوقطرة. وقد اتخذ الباحثان أغنيةً تحمل بين الأهالي اسمَ "الفتاة والجن" نموذجاً للأغاني الطقوسية، فحاولا ربطَ هذه الأنشودة بسياقها الاجتماعي والثقافي، مستخلصَيْن أن التغيرات، التي أُدخِلَت على الأغنية تعكس تطويعاً مقصوداً كان يرادُ منه توفيقُها مع سياق اجتماعي وثقافي مختلف. أما ميرندا موريّس (M. Morris) فتناولت في دراسة مُسهبة (ص ٣١٩-٣٤١) الطرقَ، التي كان يتبعها أهالي سوقطرة للوقاية والعلاج من الأمراض. وقد استنتجت الباحثة أن التداوي بالأعشاب لم يكن شائعا بين سكان هذه الجزيرة كما كان عليه الأمر في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية. وتختم إستر موشافسكي - شنابر (E. Muchawsky-Schnapper) هذا المحور بدراسة (ص ٣٤٣-٣٥٥) استعرضت فيها لباسَ وحليَّ الأطفال اليهود في صنعاء خلال بداية القرن الماضي، معتمدة على مجموعة من المصادر كالصور القديمة والوثائق والروايات المحكية، لتخلص في الأخير إلى أن هذه الألبسة تميزت بوضوح عن ألبسة البالغين، وإن لم يكن الاختلافُ واضحا فيها بين لباس الفتيان ولباس الفتيات.

ولا بد في ختام هذه المراجعة من الإشادة بالعمل الرائع، الذي قام به محررو هذا العدد من الـ (PSAS) وعلى رأسهم مايكل ماكدونالد. فباستثناء بعض الهنات البسيطة المتمثلة أساساً في انعدام التجانس في أساليب النقحرة المتبعة كما في بعض الهفوات الطباعية، فإن المحصلة تستحق كلَّ التقدير والإشادة. وقد جاءت الحلة الجديدة المتميزة برونقها وجودة طباعتها لتجعل هذه الحوليةَ قادرةً من الآن فصاعدا على تحقيق المعادلة الصعبة: عمق المضمون وجمال الشكل.

أ. مولاي محمد جانيف - فرنسا:
Moulay M'hamed Janif - 1, rue Maurice Arnoux C207 - 92120 Montrouge France. e-mail: archaeologia77@yahoo.com

عرض الكتب



اسم الكتاب: في أرض السمّاكة.

المؤلف: مارك ج. بيتش.

الناشر: B.A.R. Oxford

سنة النشر: ٢٠٠٤م.

رقم الإيداع: ISBN 1841715778

مقاس الكتاب: ٢١× ٢٩,٥ سم.

عدد الصفحات: ٣١٤ صفحة (وتشمل ١٢٦ شكلاً).

عرض: أ. د. عباس سيد أحمد محمد علي.

يحوي هذا المجلد ٣١٤ صفحة، من حجم (A4) اشتملت على: تسعة فصول و١٢٦ شكلاً و٢٣٢ جدولاً وثمانية ملاحق، إضافة إلى تقديم وقائمة بالمراجع. والمجلد، كما يذكر المؤلف، هو نسخة غير معدّلة من رسالة الدكتوراه، التي قدمت وأجيزت في قسم الآثار بجامعة يورك البريطانية، ونشرتها مؤسسة (B. A.R.) في اكسفورد تحت الرقم ١٢١٧، ضمن سلسلة رسائل الدكتوراه.

استند الباحث على حقيقة أن ممارسة صيد الأسماك لعبت دوراً مهماً، ضمن المرتكزات الغذائية للإنسان في الماضي. وفي الفصل الأول من المجلد (ص ١ - ٤) حدد الباحث الأهداف، التي يسعى لتحقيقها وقد لخصها في التالي:

- ما الدور الذي لعبته التطورات المتعاقبة في المنطقة، في تشكيل أنماط ممارسة صيد الأسماك؟

- ما تأثير المكان والمناخ في استغلال الأسماك في منطقة البحث ؟

- هل هناك ما يشير إلى ممارسة موسمية للصيد في الماضي، مرتبطة بحركة الترحال في المنطقة؟

- هل هناك ما يشير إلى تجفيف الأسماك أو تخزينها أو المتجارة بها، في الحقب الماضية ؟

إلى جانب ذلك، طرح الباحث أسئلة فرعية أخرى، مثل التحولات في تقنية الصيد، واختيار أماكن دون أخرى .. ونحو ذلك .

تبنَّى الباحث منهجاً متداخل التخصصات، وجرى البحث داخل إطار جغرافي يتشكل في معظمه من الجزء الجنوبي من الخليج العربي (سواحل دولة الإمارات المتحدة وخليج عمان)، وفي إطار تاريخي يمتد لنحو ٧٠٠٠ سنة (من الألف الخامس ق.م وحتى الفترة الإسلامية المتأخرة) .

لعبت المنطقة التي يغطيها البحث دوراً في مدنيات الشرق الأدنى القديم، حيث شكل الخليج معبراً، منذ العصر الحجري الحديث، لحركة تجارية بين مجتمعات ملوخا (وادي السند)، وماجان (عمان)، وعيلام (إيران)، ودلمون، ووادي الرافدين. وقامت على سواحله عدة مستوطنات شكلت منافذ للتجارة الداخلية، إلى جانب دورها في تجارة الخليج الدولية.

وبحكم طبيعة منطقة البحث، وقيام تلك المستوطنات على سواحل الخليج، كان لصيد الأسماك دور في مرتكزها الغذائي، الأمر الذي لا بد أن ينعكس - بدرجة ما - على المخلفات العضوية في المواقع، ويشكل مادة جديرة بأن تُلقي الضوء على التساؤلات المطروحة.

وفي الفصل الثاني (ص ٥ - ١٨) هدف الباحث إلى تقديم خلفية جغرافية وتاريخية لمنطقة البحث، حدد في بدايته الإطار الجغرافي للمنطقة، ومعالمها الطوبغرافية، ودرجة حرارة المياه فيها، ودرجة الملوحة، ومستويات السطح المائي؛ وكلها عوامل لها دور في تشكيل البيئة البحرية، التي تعيش وسطها أنواع الأسماك التي عرفتها المنطقة. ثم استعرض التحولات المناخية التي شهدتها المنطقة، وتؤثر بدورها على تعديل تلك البيئة، بين فترة وأخرى. كما استعرض الباحث الدراسات الأساسية، التي أجراها عدد من الباحثين، تناول كل منهم مجالاً من مجالات المعرفة (الجيولوجيا، الجيومورفولوجيا، البلاينتولوجيا، الآثار). وقد جاءت النتائج متطابقة ومتقاربة، وإن اختلفت في بعض تفاصيلها. بعد ذلك استعرض الباحث، بإيجاز، دور الخليج عبر التاريخ، بدءاً من الألف الرابع ق.م حين ورد ذكرُ الخليج لأول مرة في وثائق أوروك المتأخرة، مروراً بفترة ملوك لجش، وسيادة دلمون، وحقب المدنيات الرافدية، حتى مجيء الإسكندر، وصولاً إلى الفترة الإسلامية، حيث تكشف الوثائق القديمة عن استغلال البابليين والآشوريين والفرس وغيرهم لسواحل الخليج في تجارتهم، على نحو ما كشفت عنه كتابات ابن حوقل وابن المقاور وماركو بولو وابن بطوطة.

وختم الباحث هذا الفصل بعرض موجز للأعمال الآثارية، التي جرت في المنطقة إثر اكتشاف البترول، بدءاً بالأعمال الرائدة للبعثة الدنماركية، التي فتحت المجال لعدد من البعثات من عدد من الأقطار الأوربية (فرنسا، ألمانيا، بريطانيا، إسبانيا) والآسيوية (اليابان) والأمريكية، مستعرضاً من خلالها الأدوار الحضارية في المنطقة، التي تعود في أقدم حالاتها إلى بداية الهولوسين، إذ تغيب أية معثورات تؤرخ إلى العصر الحجري القديم. وربما كانت أقدم المعثورات هي تلك التي كشف عنها كابل في قطر، وعُرفت بالمجموعة " ب ". ومع بداية الألف الخامس وفدت إلى المنطقة سمات رافدية شمالية، فيما عرف بحضارة العبيد، التي كُشف عنها في عدد من المواقع على امتداد الخليج (٥٠٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م). ثم استعرض الباحث، بإيجاز، أهم سمات الفترات اللاحقة، بدءاً بفترة حفيت، وأم النار، ووادي سوق، مروراً بالعصر الحديدي، ثم حقب المدنيات القديمة، والفترة الكلاسيكية، والإسلامية، حتى بداية التاريخ الحديث بمجيء البرتغاليين.

هدف الفصل الثالث (ص ١٩ - ٤٩) إلى إجراء دراسة إثنوغرافية تكشف عن أنواع الأسماك المستغلة والمتوافرة حالياً في مياه الخليج، وهل يوجد تباين في تلك الأنواع بين منطقة وأخرى؟ وما الوسائل التقليدية المتبعة حالياً في صيد الأسماك؟ فالخليج اليوم يزخر بتباين هائل في أنواع الأسماك ووفرتها بين منطقة وأخرى. فقد لوحظ أن شمال الخليج وشرقه أكثر وفرة في أنواع معينة من الأسماك، مقارنة بالمناطق الأخرى منه. وهذا التباين في الوفرة والتوزيع ربما يُعزى لوجود بيئة مائية خاصة هي الأفضل لهذا النوع من الأسماك عن غيره. غير أنه لا تتوافر معلومات كافية من الخليج، تسلط الضوء على هذا الاحتمال.

وقد لوحظ من خلال الدراسة الإثنوغرافية، أن فصل الشتاء ليس أفضل الفصول في وفرة الأسماك قرب ساحل الخليج. كما أن الرياح الشمالية خلال فصل الشتاء تعيق عمليات الصيد. كذلك لوحظ أن وفرة الأسماك في الكم والكيف تتزايد بشكل ملحوظ خلال فصلي الربيع والصيف، وأن الكثير من الأسماك تهاجر خلال الشتاء إلى المياه العميقة، بعيداً عن متناول الصيادين.

وبعيداً عن التقنيات الحديثة التي يستخدمها الصيادون، فإن الوسائل التقليدية للصيد ، التي كانت سائدة قبل الطفرة النفطية، انحصرت في أنواع من الشباك والشراك والخطاطيف والصنانير. كما تباينت أنواع الأسماك، التي يمكن صيدها بوسيلة أو أخرى. وقد أسهمت هذه الدراسة في تسليط الضوء على بعض القضايا التي طرحها الباحث، كما هو متوقع من هذا النوع من الدراسات .

عالج الفصل الرابع (ص ٥٠ - ٧٥) تطور تقنية صيد

الأسماك في الخليج، استناداً على معلومات زيولوجية (علم الحيوان)، وزيواثارية (المخلفات العظمية الحيوانية القديمة)، وآثارية، وتاريخية. وقصد الباحث من هذا الفصل معرفة هل طرأ على التركيبة النوعية للأسماك أو على معدات الصيد تحول عبر الزمن؟ وإلى أي مدى انعكس ذلك على إستراتيجيات الصيد.

واستناداً على تلك المعلومات، يتضح أن عظام الأسماك المكتشفة من مواقع الألفين الخامس والرابع ق.م. من منطقة الخليج تعود إلى أسماك صغيرة الحجم تعيش في المياه الضحلة قرب الساحل. ويتعارض هذا مع الدليل من خليج عمان حيث التركيز على الأسماك كبيرة الحجم، التي تعيش في المياه العميقة، مثل أسماك التونة. واستمر الحال على هذا النحو في الخليج عموماً، مع الميل نحو صيد الأسماك الكبيرة خلال الألفين الثالث والثاني، ما يشير إلى الإبحار بعيداً عن الساحل في أعماق البحر. واستمر التباين بين التركيز على نوع دون آخر خلال الفترات الحضارية، وإن لم تتضح بشكل جازم العوامل التي تقف خلف ذلك التباين، وعما إن كانت تعزى لوفرة أنواع دون أخرى، أم أنها السيطرة على وسائل وتقنيات تتوفر في مناطق دون أخرى؟!

كذلك، كشفت الأدلة الآثارية أن عدة أنواع من الأدوات استخدمت في الصيد. فقد عُثر على غطاسات حجرية للشباك، وصنانير من الصدف والنحاس، وخطاطيف وشباك. وقد تباينت هذه الأدوات بين منطقة وأخرى وفترة وأخرى. كما استُخدمت مختلف أنواع المواد الخام، من حجارة وعظام وأصداف ومعادن. وقد أسهم اكتشاف واستغلال النحاس في جنوب الخليج واستخدامه ضمن أدوات الصيد، إلى تكثيف صيد الأسماك، بدءاً من الألف الثالث ق.م.

وفي فصل خامس مطول (ص ٧٦ - ١٧٤)، يعرض الباحث دراسة المخلفات العظمية السمكية من ٢٣ موقعاً أثرياً من منطقة الخليج. وكان لا بد لمثل هذه الدراسة أن تتوافر لها مادة مشابهة في المنطقة، لإجراء الدراسة المقارنة. ولعل الباحث قد اصطدم بحقيقة أن مثل تلك المادة غير متوافرة، لا في المتاحف العالمية ولا في منطقة الخليج، الأمر الذي كلّف الباحث جهداً مقدراً في محاولة جمع مادة من مختلف مناطق الخليج، لإجراء الدراسات المقارنة عليها. وقد أسهم هذا العمل في إعداد ملحق حوى نحواً من ٢١٥ نوعاً من المخلفات العظمية لأسماك الخليج (الملحق ٣).

شرع الباحث في دراسة المخلفات العظمية السمكية، الناتجة عن التنقيبات من تلك المواقع الآثارية التي تؤرخ إلى الفترة الممتدة من الألف الخامس ق.م وحتى الفترة الإسلامية المتأخرة. وقد نتجت تلك المادة في معظمها عن التنقيبات الآثارية، التي لا تزال جارية لم تنشر بعد، ما أتاح للباحث فرصة تطبيق منهج موحد على كامل المادة. وقد نجح الباحث في إقناع مختلف البعثات العاملة في المنطقة بالسماح له بدراسة المادة العظمية السمكية المكتشفة، الأمر الذي يمكن أن يشكل عائقاً في الكثير من الحالات.

وقد دعّمت الدراسة الفرضية القائلة إنَّ غذاء سكان السواحل يرتكز دوماً على الصيد البحري. غير أنها أظهرت، في الوقت ذاته، تبايناً في أنواع الأسماك وأحجامها بين منطقة وأخرى. هذا التباين يمكن أن يعزى لعدة أسباب يدركها الباحث، منها: التباين في مناهج جمع العينات بين مختلف البعثات الآثارية، أو مقدرة بعض المخلفات على البقاء في المواقع الآثارية.. وأحياناً تبرز إشكالات حتى في تمييز بعض الأنواع عن أنواع أخرى.

وفي الفصل السادس، هدف الباحث إلى عقد مقارنة بين المخلفات العظمية السمكية الأثرية ومثيلاتها المعاصرة، من ناحيتي الكم والكيف. فيناقش الباحث بعض المعوقات، التي تجابه هذا النوع من الدراسات ومنها، على سبيل المثال، قضية: هل تشكل تلك المخلفات تمثيلاً حقيقياً للمخلفات التي تركها الأقدمون؟ ذلك أن ثمة عدة عوامل يمكن أن تتدخل لتُحدث خللاً في عيّنة الدراسة. فالعظام مادة عضوية تتعرض للفناء مع الزمن، والقوارض تقضي على بعضها. وقد تنفذ عوامل بشرية أخرى خلال مراحل الذبح والإعداد والأكل، وجميعها تؤثر على كم وكيف المخلفات العظمية، التي تدخل في السجل الأثري. يضاف إلى هذا عامل الكشف، فالطريقة التي تجمع بها المخلفات العظمية من المواقع

الأثرية، تتباين بين بعثة أثرية وأخرى. كما أن عظام الأسماك صغيرة السن، سريعاً ما تغيبُ من السِّجل الآثاري. ولا شك أنَّ ذلك كله سينعكس بدوره على المادة العظمية المتوافرة من مختلف المواقع موضوع الدراسة. ولا تزال قضية تحديد النوع من كل قطعة عظم سمكية في كل حالة، من الأمور التي لم تحسم بعد. فهناك أجزاء من الهيكل العظمي يصعب تمييزها بين نوع سمك وآخر.

إثر ذلك أجرى الباحث مقارنة على أساس جغرافي، فاستعرض المادة المتوافرة قديماً وحديثاً من الأقطار المطلة على الخليج (الكويت، المملكة العربية السعودية، إيران، البحرين، قطر، دولة الإمارات العربية المتحدة). وخلال ذلك حاول الباحث معالجة المعوقات أعلاها باستخدام معادلات رياضية وإحصائية شملت: (NISP, relative frequency, cluster analysis, percentage similarity).

طرح الفصل السابع (ص ١٩٨ - ٢٠٧) قضية الترحال بين ساحل الخليج والمناطق الداخلية، مقترنة بالتحولات الموسمية لسكان الخليج القدماء. وهو أمر يقترن بدوره بوجود أنواع من الأسماك، أو وفرة أنواع أخرى. وكان الهدف من ذلك تسليط الضوء لمعرفة إن كانت تلك المواقع قد شكلت مستوطنات دائمة أم موسمية، وفي أي المواسم؟

استخدم الباحث استنتاجات الدراسة الإثنوغرافية من الفصل الثالث، لتسهم في هذا الجزء من البحث. إلى جانب ذلك، أجرى الباحث دراسة على نمو بعض الأجزاء العظمية لأنواع من الأسماك صيدت في فصول معينة من السنة، أي في مرحلة نمو معينة، ومقارنتها بمثيلاتها من السجل الآثاري. يوضح ذلك أن معظم الصيد كان يقع في فصل الصيف، حين يفد السكان إلى الساحل من الداخل في دورتهم الموسمية.

بحث الكاتب في الفصل الثامن (ص ٢٠٨ - ٢١١)، احتمال تجفيف الأسماك في ذلك الوقت لاستخدامها عند الحاجة، وهل لعبت هذه العملية دوراً في التجارة المحلية؟ وهنا أيضاً، كان لا بد من الاستعانة بملاحظات إثنوغرافية أجراها الباحث في المنطقة تبيَّنَ منها أن تجفيف الأسماك لا يزال يمارس في بعض مناطق الخليج بمختلف الوسائل التقليدية. ولا تزال الأسماك المجففة تشكل جزءاً من التبادل التجاري بين مستوطنات الساحل، ومستوطنات الواحات الداخلية. وربما شكلت تلك الأسماك المجففة جزءاً من غذائهم الشتوي وقت ارتحالهم إلى الداخل.

وجاء الفصل التاسع (ص ٢١٢ - ٢١٥)، تلخيصاً لكامل البحث؛ إذ اشتمل على أهداف الدراسة والمناهج المتبعة، ثم تلخيصاً للفصول السابقة التي أوجزنا نتائجها أعلاه.

أعقب ذلك قائمة طويلة بالمراجع التي استخدمت في الدراسة (ص ٢١٦ - ٢٢٦)، ما يشير إلى انفتاح الباحث على كل الدراسات، التي يمكن أن تسهم في إثراء بحثه.

أما الملاحق ١ - ٨ (ص ٢٢٩ - ٢٩٣)، فقد حوت معلومات جيدة عن العديد من الجوانب التي استعانت بها الدراسة. فقد حوت قائمة بأسماء أنواع الأسماك المتوافرة في الخليج، وقوائم مفصلة بمادة الدراسة، ووصفاً للمواقع الأثرية التي نتجت عنها المادة، ونحو ذلك.

إنَّ التهنئة موصولةٌ للدكتور مارك بيتش على هذا العمل الرائع. فقد قدّمت هذه الدراسة معلومات، أكثر مما هو متوافر في جميع الدراسات الآثارية السابقة، عن استغلال سكان الخليج القدماء للموارد البحرية المتوافرة. وقد بذل الباحث جهداً مقدراً في جمع مادة آثارية وإثنوغرافية وعمل على تصنيفها وتحليلها ومقارنتها بمناهج علمية وإحصائية، متجاوزاً الكثير من المعوقات. وقد قدّم هذا العمل للعاملين في المجال كماً معلوماتياً هائلاً، شمل سجلاً بأنواع الأسماك المستغلة ومواسم وأساليب صيدها عبر فترة زمنية طويلة، كاشفاً التباين بين مناطق الخليج وعبر أدواره الحضارية.

وقد يلاحظ القارئ لهذا المجلد أن هناك خللاً في الموازنة بين الفصول. فالفصل الخامس، مثلاً، يحوى نحو ١٠٠ صفحة، بينما لا تزيد صفحات جميع الفصول الثمانية الأخرى عن ٨٠ صفحة. وربما كان من الأجدى ألا يأخذ الفصل الأول والأخير صفة "فصل" بل "مقدمة" و"استنتاجات"، إذ هما فعلاً كذلك، ومن ثم يخرجان عن أنهما

من الفصول. وربما كان من الأفضل، أيضاً، دمج الفصلين السابع والثامن إذ إنَّ موضوعاتهما متقاربة ومتداخلة، وكان يمكن لهذا الدمج أن يساعد في توازن حجم الفصول.

كذلك، قد يُلاحظ خللٌ آخر في تمثيل مادة الدراسة لمناطق الخليج من ناحية، وفي تمثيل تلك المادة للأدوار الحضارية التي مرت بها المنطقة، من ناحية أخرى. فالمجموعات الأثرية موضوع الدراسة جاءت إحداها من الكويت، وأخرى من السعودية، و٢١ مجموعة من دولة الإمارات. أما الأدوار الحضارية فيلاحظ أن بينها خمس مجموعات من فترة العبيد، وأربع من العصر المعدني وثلاث عشرة مجموعة إسلامية أو قبيل الإسلام. ولعل للباحث عذره في ذلك، فتلك أمور أملتها طبيعة العمل الآثاري في المنطقة. فالأعمال الآثارية التي تمت في دولة الإمارات تفوق مثيلاتها في بلدان الخليج الأخرى، خاصة تلك التي تحوى المادة المطلوبة للدراسة .

وليت الباحث زودنا بلوحات تحوى رسومات لأنواع الأسماك، الرئيسة منها على الأقل، التي ورد ذكرها في البحث ما يُسَهِّلُ على القارئ التمييز بين تلك الأنواع.

أ. د. عباس سيد أحمد محمد علي : قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب ، جامعة الملك سعود - ص ب : ٢٤٥٦ الرياض ١١٤٥١ Email: sidahmed@ksu.edu.sa

ثبت الأبحاث المنشورة في الأعداد من (١-١٠)

أولاً: أبحاث عصور ما قبل التاريخ:

عنوان البحث	الباحث	الصفحات	العدد
١- ثقافتان من العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية.	د. عبدالرزاق أحمد المعمري	٧-٢٩	١
٢- اقتصاد التأقلم البيئي والكلب المستأنس في العصور الحجرية بوادي النيل الجنوبي.	أ. د. علي التجاني الماحي	٣٠-٤١	١
٣- السودان القديم: بداية صناعة الحديد في أفريقيا.	د. عبدالرحيم محمد خبير	٤٢-٥٨	١
٤- دراسات ما قبل التاريخ في وادي النيل (السودان ومصر).	د. يوسف مختار الأمين	٧-٢٨	٣
٥- استئناس الحيوان والتحولات الاحيائية البيئية والاقتصادية الثقافية: فلسفة الدليل والاستنتاج.	أ. د. علي التجاني الماحي	٢٧-٥٤	٤
٦- مكتشفات متميزة من عصور ما قبل التاريخ في منطقة عفرين بسورية.	د. سلطان محيسن، و د. تاكيرو أكازاوا	٧-٢٢	٥
٧- إضافات جديدة في تقسيم العصر الحجري الحديث في صحراء الجزيرة العربية.	د. عبدالرزاق راشد المعمري	٢٣-٤٤	٥
٨- النيل والصحراء خلال العصور الحجرية: تباين بيئي وتكامل حضاري.	د. العباس سيد أحمد محمد علي	٧-٣٠	٧
٩- علاقات شمالي إفريقيا بالصحراء الكبرى وجنوبي جزيرة العرب خلال العصور القديمة: الحيوانات المتوّجة نموذجاً.	أ. د. عفراء محمد الخطيب	٣١-٤٦	٧
١٠- تتّبع ثقافة العبيد في دولة الامارات العربية المتحدة.	د. وليد ياسين التكريتي	٤٧-٦٤	٧
١١- العصور الحجرية في المملكة العربية السعودية: دراسة تقويمية.	د. يوسف مختار الأمين	٧-٤٠	٨
١٢- دراسة آثارية لموقع الثمامة: النتائج الأولية.	د. عبدالله محمد الشارخ	٧-٣٢	٩
١٣- الصحة العامة للدلمونيين في مدافن تلال البحرين.	أ. عبدالعزيز علي الصويلح	٧-١٨	١٠

ثانياً: أبحاث عصور ما قبل الإسلام:

عنوان البحث	الباحث	الصفحات	العدد
١- صناعة الطين المفخور في قرطاج.	أ. د. محمد فنطر	٥٩-٧٠	١
٢- الحصون والأبراج الأدومية.	أ. د. زيدان كفافي و أ. عبدالناصر الهنداوي	٧-٣٢	٢
٣- موقع ميناء عمانا ودوره الحضاري والاقتصادي في منطقة الخليج العربي.	د. حمد بن صراي	٣٣-٥٨	٢

عنوان البحث	الباحث	الصفحات	العدد
٤- دراسة لمشغولات فنية من موقع الأخدود بنجران.	د. حميد بن إبراهيم المزروع	٤١-٤٦	٣
٥- قبيلتان لوبيتان: الجرميون والنسمونيون.	أ. د. محمد حسين فنطر	٤٥-٥٢	٥
٦- مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الاسلام.	د. فرج الله أحمد يوسف	٧٣-١٠٢	٥
٧- أضواء على الجريمة والعقاب في مصر القديمة.	د. سمير أديب	٦٧-٨٨	٨
٨- خربة الذريح: إضاءات جديدة على ديانة الأنباط ومعتقداتهم.	أ. مولاي محمد جانيف	٤٣-٥٨	٩
٩- نموذج للمسكن النبطي من مدائن صالح.	د. ضيف الله الطلحي	٤٣-٥٨	١٠

ثانياً: أبحاث النقوش:

عنوان البحث	الباحث	الصفحات	العدد
١- مذبح بخور (م ف ح م) عليه نص إهدائي للمعبود ذي سماوي.	د. سالم بن أحمد طيران	٥٠-٥٨	١
٢- كتابة عربية بالخط الثمودي من الأردن.	د. فواز حمد الخريشة	٥٩-٧٠	٢
٣- زوجات المعينيين الأجنبيات في ضوء نصوص جديدة.	د. سعيد بن فايز السعيد	٥٣-٧٢	٥
٤- نقش جديد من نقوش ذي سماوي.	د. عميدة محمد شعلان	٧-١٤	٦
٥- مناهج التأريخ عند العرب في ضوء النقوش العربية المبكرة.	د. مشلح بن كميخ المريخي	١٥-٢٦	٦
٦- نقش إسلامي لامرأة من القطيف بمتحف الدمام .	أ. د. أحمد بن عمر الزيلعي	٥٧-٦٦	٦
٧- نقش سبئي جديد من جدران: دراسة تحليلية في دلالاته اللغوية.	د. عميدة محمد شعلان	٦٥-٧٤	٧
٨- نشأة الكتابة بين واديي النيل والرافدين في ضوء الأختام الأسطوانية المبكرة.	د. اسماعيل عبدالفتاح محمد	٤١-٦٦	٨
٩- نقش غيل المِنْضج (المبرح) الإسلامي المؤرخ في سنة ٩٨هـ (٧١٦-٧١٧م) محافظة ظهران الجنوب -المملكة العربية السعودية.	د. محمد بن عبدالرحمن الثنيان	٥٩-٨٢	٩
١٠- لوحتان للملك "أمنحتب الثالث" بمدينة أيونو: دراسة تحليلية.	د. اسماعيل عبدالفتاح محمد	٣٣-٤٢	١٠

ثالثاً: أبحاث العصور الإسلامية:

عنوان البحث	الباحث	الصفحات	العدد
١ - درهمان من مسكوكات الدعوة العباسية.	د. فرج الله أحمد يوسف	٤٧-٥٤	٣
٢- نقود الخلافة العباسية والقوى المتصارعة في فارس وسجستان (٢٨٧-٣٠٧ هـ/٩٠٠-٩٢٠م).	د. عاطف منصور رمضان	٥٥-٨٨	٤
٣- استبدال البلاطات الخزفية بالفسيفساء على الجدران الخارجية لقبة الصخرة المشرفة.	د. نزار الطرشان	٨٩-٩٨	٤
٤- نقود القدس في العصر الإسلامي (العصرين الأموي والعباسي).	أ. د. رأفت محمد النبراوي	٢٧-٤٨	٦

عنوان البحث	الباحث	الصفحات	العدد
٥- دينار فاطمي نادر باسم الخليفة المستنصر بالله ضرب صقلية سنة ٤٤٢هـ.	د. خلف فارس الطراونه	٤٩-٥٦	٦
٦- دراهم صفارية نادرة ضرب عُمان.	د. عاطف منصور رمضان	٧٥-٨٢	٧
٧- الآثار العثمانية في السودان.	د. انتصار صغيرون الزين	٨٩-١٠٢	٨

رابعاً: موضوعات أخرى:

عنوان البحث	الباحث	الصفحات	العدد
١- نحو تأصيل التراث الحضاري للجزيرة العربية.	أ. د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري	٢٩-٤٠	٣
٢- الممتلكات الثقافية بين المواطنة والاغتراب.	د. عباس محمد علي	٧-٢٦	٤
٣- البحوث والدراسات الآثارية عن حضارة نبتة الكوشية وارتباطها بتطور علم الآثار: دراسة تقييمية.	أ. جمال جعفر عباس	٣٣-٤٢	٩
٤ - تصنيف الفخار الأثري: إشكالات النظرية والمنهج.	أحمد أبو القاسم الحسن و أ. د. عباس محمد علي	٥٩-٨٢	١٠

Eusebius, Onomesticon, 10: pp.15-20

Friendbert, Ninow 2002. "preliminary report on the Wadi Ash-Shkafiya survey 2001". In: **Annual of the Department of Antiquities of Jordan** pp.151-156.

Ginsburg, Ch. 1872. **The Moabite stone**, London.

Glueck, N. 1934. "Exploration in Eastern Palestine I.", **ASSOR** 14. New Haven: American School of Oriental Research.

Graf, D. 1997. **Rome and the Arabian frontier from the Nabataean to the Saracens.**

Haviv, I. 2000. **Trekking and canyoning in the Jordanian Dead Sea Rift**.

Holmgren, R . and Kaliff, A. 1997. "The 1995-1996 Excavation of Dayr Al-Qattar Al-Byzanti: A Preliminary report". **ADAJ**, pp. 321-340; fig: 13.

Homes, Frederic and Hennessy, B. 1989. **Archaeology of Jordan II**, pp. 633-39.

Ibrahim, M. and Sauer, J. and Yassine, K. 1976. "The east Jordan Valley survey, 1975." **BASSOR,** 222: 41-66.

Joshua 12:1-2

Josephus Antiquities, XVIII, V, I. osephus, Jewish Wars.

Khouri, R. 1988. **The Antiquities of the Jordan rift Valley**.

King, G. R; Lenzen, C; Newhall, King J; and Rollefson, G. 1981. "Survey of Byzantine and Islamic sites in Jordan", **Annual of the Department of Antiquities of Jordan**, pp.199-216.

King, G. R; Lenzen, C; Newhall, King J; and Deemer, J. 1987. "Survey of Byzantine and Islamic sites in Jordan, Third season preliminary report (1982) the southern Ghor", **Annual of the Department of Antiquities of Jordan.**

Meimaris, Y. 1999. "The discovery of the Madaba Mosaic map, Mythology and reality in The Madaba Map Centenary (1897, 1997)", **Jerusalem**, pp. 25-36.

Miller, M. 1979. "Archeological survey south of Wadi Mujib: Glueck sites revisited." In **Annual of the Department of Antiquities of Jordan**, pp. 79-92.

Miller, M. 1991. **Archaeological survey of the Kerak Plateau**. 25. Numbers 21: 26

Parker, Th. 1982. "preliminary report of the 1980 season of the American Schools of Oriental Research", **ASOR** 247:1-26.

Piccirillo, M. 1989. **Chiese mosaici dei Madaba**, Jerusalem.

Piccirillo, M. 1990. **The Mosaic of Jordan**.

Smith. **Historical Geography of the Holy Land**.

Strobel, A. 1990 ."EZ-Zara, Mukawer survey". In: Kerner (ed.) **The near East in Antiquities 1,** Amman, pp. 81-85.

Stroble, A. 1997. "Ancient roads in the Roman district of the south Peroea: Routes of communication in the Eastern area of the Dead Sea". In: **Studies in the History and Archaeology of Jordan**, VI, pp. 271-280.

Worschech, U.; Rosenthal, U.; and Zayadin, F. 1986. "The Fourth survey season in the North-west Ard El-Kerak, and surroundings at Balu' 1986". In: **Annual of the Department of Antiquities of Jordan**, XXX, pp. 285-291.

cient Toponym of the site in order to restore the inscription referred to at the sanctuary as one of the pilgrimage site in the missing part of the Madaba Map .

In conclusion, one can say that Al-Mujib Nature Reserve shows clear evidence of Nabataean to late Byzantine occupation, with possible gaps in between. However, further excavations are needed to provide additional information.

The historical documentation for this region is just beginning, and continuing excavation will help enlighten our understanding of the people who once lived and worshipped in the area.

Taysir Atiat -Department of Archaeology and Tourism, Faculty of Arts - Mu'tah University P.O. 7, Mu'tah (61710), Al -Karak, Jordan

ملخص: شهد الأردن، خلال السبعين السنة الماضية، العديد من المسوحات، والحفريات الأثرية؛ لكن هذه المنطقة، موضوع البحث، كانت تشكل فراغاً جغرافياً بين المناطق المحيطة بها، التي سبق مسحها؛ إلا أن هذه المنطقة، لم تشهد في السابق، أي نشاط آثاري يذكر . وقد كُشف، خلال المسح الأثري للمنطقة، عن ثلاثة مواقع نبطية، وموقعين بيزنطيين. وقد خلت هذه المواقع تماماً من أية مظاهر استيطان بشري؛ لكن من الواضح، أنَّ المنطقة كان لها أهميتها الإستراتيجية، خلال الفترة النبطية، إضافة إلى أهميتها الدينية، خلال الفترة البيزنطية؛ ذلك أننا نجد تمثيلاً لهذه المنطقة على خارطة مادبا الفسيفسائية، بوصفها من مواقع الحج المسيحي. وعلى ضوء ما تقدم، فإن المنطقة، تستحق المزيد من البحث الآثاري، للإجابة على التساؤل، حول انحصار استخدام هذه المنطقة، خلال الفترتين النبطية والبيزنطية، إضافة إلى التحقق من استخدام هذه المنطقة، خلال تلك الفترات.

Notes

-The author wishes to thank all the people who made the survey fieldwork successful and productive. Our gratitude first goes to the president of Mu'tah University, to the Director General of the Department of Antiquities, to the Director General of Royal Society for Conservation of Nature and the members of Al-Mujib Nature Reserve. Without their support for and interest in this project, the fieldwork would not have been possible.
-Appreciation is also due to the graduate students of the Department of Archaeology at Mu'tah University who assisted in various aspects of the survey.
-The author wishes to express his personal gratitude to several individuals and organizations; without their help this project would have never materialized. A word of thanks is due to the Mu'tah University and the Department of Antiquities for their interest in the project. The cooperation and hospitality extended by the Royal Society for Conservation of Nature was also greatly appreciated.

References

Alliata E. 1999. "The pilgrimage routes during the Byzantine period in Trans Jordan". In: **The Madaba Map Centenary (1897, 1997)** Jerusalem, pp. 121-124.

Amr Kh, Hamdan Kh, Helms S. and Mohamadieh L. 1996. "Archaeological survey of the east coast of the Dead Sea Phase 1: Suwayma, AZ-Zara and Umm Sidra". In: **Annual of the Department of Antiquities of Jordan**, pp. 429-449.

Barakat S. 2002. Nabataeans and Jewish Wars, (Unpublished Master Degree Thesis), University of Jordan.

Chang-Ho and Atiat T. 1997. "Archeological survey of the Dhiban Plateau, 1996: A preliminary report". In: **Annual of the Department of Antiquities of Jordan**, XLI, pp.115-128

Deuteronomy 3: 8.

Donner, H. 1964. "Remarks and observations on the Historical Topography of Jodan", **ADAJ**, pp. 88-92.

Dayr Al-Qatar Al-Byzanti, published by Holmgren and Kaliff. The Latin crosses in the rock shelter could be interpreted as the representation of the crucification of Christ. This find contradicts the opinion of Holmgren and Kaliff who interpreted the crosses uncovered in the three cells at Dayr al Qatar al-Byzanti as the insignia of the monks, incised by pilgrims or as exorcising marks (Holmgren and Kaliff 1997, 332, fig.13).

Even though the place has no standing ruins, the site can be recognized as Byzantine by the evidence of the three incised crosses and by the pottery sherds which belong to the Byzantine period and having been picked up in the immediate vicinity of the site and on the slopes below. Unfortunately, no date is available for the rock shelter, and the pottery sherds from this site have not yet been studied in detail. But the preliminary reading of the field indicates a high persistence of Byzantine occupation.

Rujm el-Manara

At the western side of Fagu'ah village there is a group of hills known as Jabal el-Manara. At the top of the hills a number of cairns which appear to have been small watch-towers. The largest one, rujm el-Manara, stands at the top of the highest hill.

It is a watch-tower built on a flat-topped rise, overlooking and guarding the approaches of the Dead Sea. In the center of this flat-top area there is a large ruined stronghold that seems to be a Nabataean watch-tower. The outer wall of the stronghold is about 1.5 m thick and is built of large, roughly hewn limestone blocks. A gateway is situated at the southern side. Inside the outer wall are a confusing maze of ruined tower foundations. A careful inspection of the site shows the existence of a large empty courtyard in front of the southern side of the stronghold. It is worth noting that the majority of sherds collected from this site are dated to the Nabataean period. Moreover, the survey team saw Rujm el-Manara as Glueck described it (Glueck 1934, 59).

Conclusion

To conclude, the survey results have revealed that the Nabataean and Byzantine periods were eras of significant occupation in the region, and evidence has been found that suggests that a building can be interpreted as a Nabataean sanctuary at Er-Riyashi North and a Byzantine Monastery can be identified at Er-Riyashi East.

With regard to the original patron(s), we suggest that Nabataean merchants might have established the sanctuary to serve as a place of worship when they traveled to the Dead Sea region. We also suggest that, before the annexation of the Nabataean Kingdom in 106 AD, a Nabataean garrison could have been stationed nearby, an assumption supported by the presence, in the region, of two public buildings that lacked any evidence of settlement patterns. This hypothesis appears plausible because there is historical evidence that relations between the Nabataeans and the Maccabaeans were quite strained during this period (Josephus xv 111, v 1; Barakat 2002, 60-66, 109-112). Moreover, the monastery of al- Riyashi east, dating to the late Byzantine period, could be identified as one of the pilgrimage sites after its representation in Madaba Mosaic Map. The discovery of a Byzantine sanctuary at Wadi al-Mujib shows that many places shown in the Madaba Mosaic Map are still waiting to be identified. Therefore, rescue excavations are urgently recommended to uncover the an-

studied as a memorial site dedicated to Moses in connection with the crossing of the Israelites of Arnon River under the leadership of prophet Moses since the exodus to Canaan.

For this reason, it may be suggested that the monastery was a retreat of the monks since it is fairly clear that most of the Holy places visited by Christian pilgrims are of Jewish origin and also could be of shared attendance (Alliata 1999, 121-124).

The Arnon River is represented in Madaba Map with a pictorial realism with caption that makes it easily identifiable. It was the northern border of Moab in the past and the line border between the province of Arabia and the province of Palestine Salutaris during the Byzantine period (Numbers 21:26; Piccirillo 1990, 43). It seems clear that the site had been depicted in Madaba map in which a church was represented at Wadi Al-Mujib in the edge of the missing part of the map. Unfortunately, the ancient Toponym of the site did not completely survive. What is left of its ancient Toponym was only the first two letters of the caption. For the sake of understanding the historical and religious information of the site, rescue excavations should be quickly launched. Its poor surviving condition today, owing to the illicit excavations which have recently taken place, call for such urgent excavations. Moreover, the recent report from the excavations at Deir al-Qatar al-Byzanty, ten km south of the reserve, provide publication of the closest Byzantine site to Deir Er-Riyashi east and the Rock Shelter ornamented by three Latin crosses.

Rock shelter

It lies on a ledge of mountain of a height of about 300 meters on the east shore of the Dead Sea. The isolated natural cave, having an extremely difficult access and surrounded by a deep valley and clefts, was undoubtedly the retreat of the monks in the Byzantine period. The rock shelter commands a splendid view of the northern half of the Dead Sea. From the site you can enjoy the sunset over the Dead Sea and the beautiful shining Moon to the night .But it was in no way favorable for human installation.

As I said, it was more of a rock shelter than a cave, a seasonal dwelling place on a ledge under an overhanging rock. Judging from the pottery collection and flint implements recovered, it was probably occupied for some considerable time, but the artifacts are not at all homogeneous in character, and belong only to two distinct periods: late Neolithic and late Byzantine. Numerous pottery sherds were found all around the rock shelter, and a large number of those sherds belonged to the Bronze Age and the Byzantine Age.

It is notable that the late Neolithic period is the earliest occupation of the site. So this discovery has assigned something to the history of the early settlement in the region.

To judge from the large number of Byzantine sherds found at the site, one can say that the rock shelter was probably first used during the Neolithic period and perhaps then reused in the Byzantine period; it is quite possible that the rock shelter has not been subsequently used.

The religious character of the rock shelter during the Byzantine period is confirmed by the existence of three huge incised Roman crosses ornamenting the eastern side of the rock shelter which, it seems clear, was converted into a retreat for the monks.

The closest immediate parallel to the rock shelter and the Latin Crosses are the cells of

Riyashi North and at Er-Riyashi South will enrich our knowledge of the Nabataean pottery.

The well is bottle or pear-shaped, cut into the sandstone rock. It is capped by slabs with square openings about (0.50m X 0.50m). The well was hewn in the rock adjacent to the catchments areas. It was supplied with water by forms of conduits partly built and partly cut into the bedrock. The water entered the cistern through a plastered settling basin located in both sides of the cistern to allow the heaviest particles to filter out of the water before it flowed into the well. It seems that the well has been the main water sources for the site.

At the southeast of the well there is a rectangular cistern hewn in the sandstone rock adjacent to catchments areas. It was roofed by traverse arches, a common method in Nabataean architecture.

It is readily apparent that the site shows the famous Nabataean techniques for providing and conserving water in this arid region.

Deir Er-Riyashi

It is a rectangular structure oriented east-west, located on the top of a spur extending into Wadi Al-Mujib at a point east of its junction with Wadi Al-Heidan (fig 2). It is a large building built for the most part of hewn blocks. Its walls are still standing to a height of 60 c.m. The site was misplaced by fathers Piccirillo and Alliata in their splendid publication, Um-Al-Rasas Myfa'ah in which they placed the site at the southern side of Wadi Heidan (Piccirillo and Alliata 1991: fig 3).

The unique reference to the site occurs in the work o f Nelson Glueck in 1933 who referred to it as Byzantine church. He reported the site in some detail as the follows: "the walls of the Dar follow the natural contour of the bare rock .... on the northeastern side there are three chambers. These rooms face an inner court, paved with large, rude, roughly squared stone tesserae. There are two large cisterns at either end of the court. The pottery found belongs to the late Byzantine period. The isolated Dar Er-Riyashi, extremely difficult of access, was undoubtedly a monastery" (Glueck 1934, 59-60). This identification has been widely accepted by archaeologists (Piccirillo and Alliata 1991), but this identification contradicts the opinion of Strobel who interpreted the structure as fortress.(Strobel 1997, 277).

We saw Deir Er-Riyashi essentially as Glueck described it, except that there is a much greater discernible compartment wall inside the building. A small trial clearance in the eastern side demonstrated as well the existence of superimposed pavements, the upper one is of gray marble slap though it is not of superior quality while the lower is of colored mosaic. From its rich color and small tesserae it seemed to indicate the existence of a mosaic floor of superior quality.

Unfortunately, some illicit excavations have recently taken place, causing damage to the eastern side of the monastery where the ruins of this site showed no indication of an apse.

It is note worthy that the site was occupied during the Byzantine period but was never used before or after this period.

Therefore, it is estimated that the value of studying the ceramic material found in the site will add to our knowledge of the Byzantine pottery. A later publication will present in detail the ceramic evidence find in the monastery with a complete analysis of the related literary and documentary material. It is remarkable that the site lacks any pattern of settlement installation. Therefore, the monastery should be

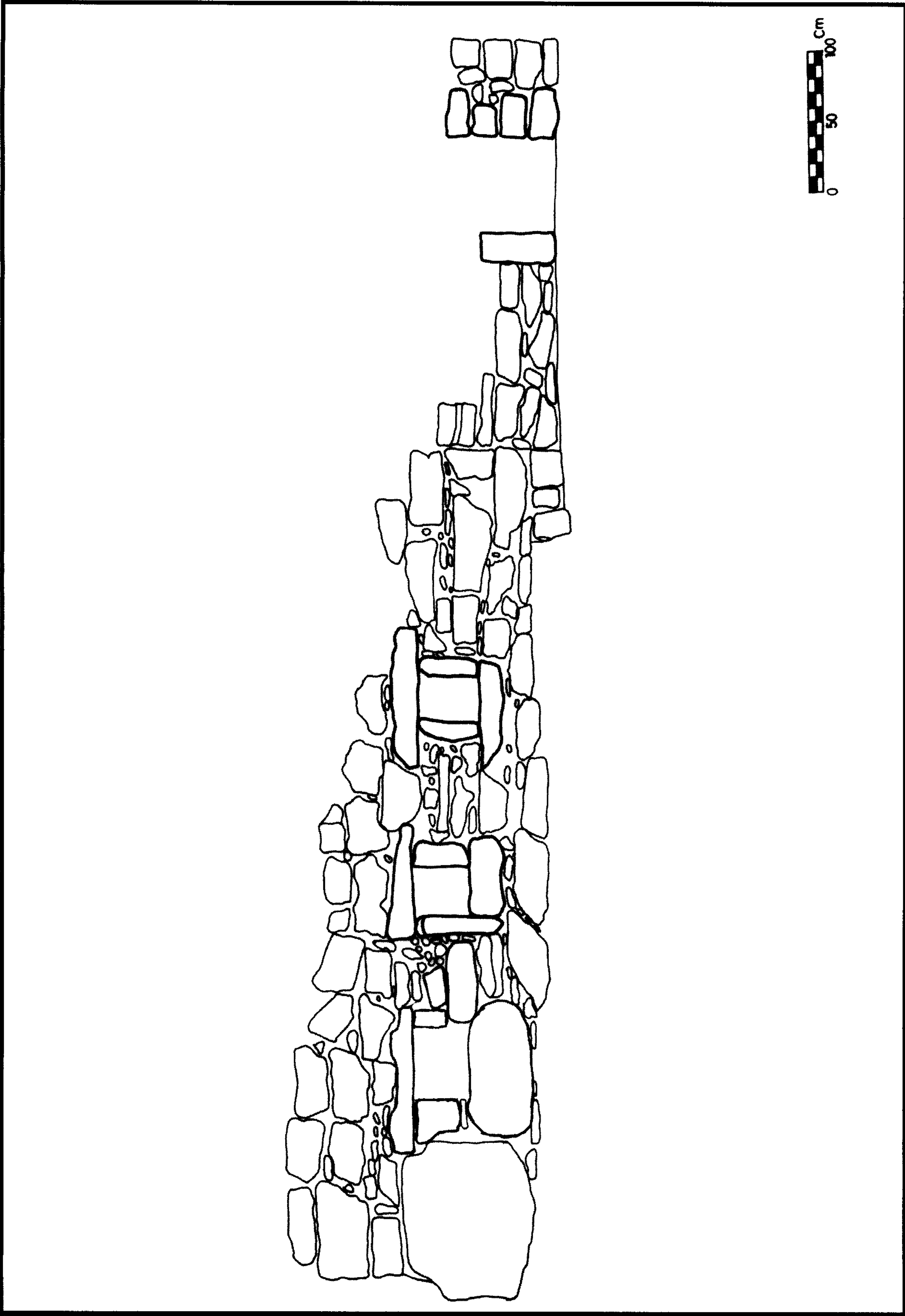


Fig. 3: er-Riyshi-North section drawing of the northern wall.

of 1.5 meter. The main construction was of uneven courses of large, uncut stones, with small stones in the interstices. Some of the stones are roughly square, but others are quite irregular in shape. A trial clearance in the northern side demonstrated the existence of stairway consisting of three steps hewn in the bedrock of sandstone, leading down to one horizontal row of niches hewn as well in the bedrock. The row of niches is located at an average height of one meter from the bedrock.

The second room has a doorway in the western wall giving connection with an open court in front of the building, while the northern wall of the room comprises one horizontal row of square apertures (0.3x0.4m). They are located at an average height of one meter from the bottom of the wall. They are not as opening escape that admits light. These apertures should be studied in connection with the niches (Fig 3).

At this stage of research we are uncertain about the architectural remains uncovered in those sites and for what purpose they were constructed. But it is reasonable to assume that the architectural remains served a religious purpose since the archaeological data support this view, for the row of niches furnish a tangible proof of Nabataean religion. Therefore a rescue excavation is urgently recommended, and more work must be done to determine just what function this building served in antiquity.

Er-Riyashi south

The site has escaped the notice of most scholars; it was recorded neither by Glueck nor by any other archaeologists. It is a great rocky-massif, which rises sharply above the region for nearly one hundred meters. It looks like a natural fortress, the only approach to the summit being from the east, though some effort was made during the survey to lessen the difficulties of the climb. From the west and the south edges, a full panorama view of the Dead Sea and Wadi Shqeiq spreads out. The dominating position, overlooking the Dead Sea and all the approaches to the rock massif, suggests that it might have had some relation to military purposes. From a strategic point, it is well situated to guard the approaches of Wadi Shqeiq from the south and the Dead Sea from the west. The choice of this location for this site may have been due to the marvelous view from the top of bare rocky-massif overlooking all directions. For purposes of defense the site was well chosen, being bounded on the southeast by Wadi Shqeiq. On the west and northwest sides it is bounded by a deep, dry wadis. Only the east side of the rocky-massif is connected to the headland from which it extends.

The site is situated slightly more than two km southeast of Er-Riyashi north on the precipitous promontory close to the steep bank of Wadi Shqeiq. The site covers an area of 20m (north-south) by 40m (east-west), and is composed of a central building that commands a panoramic view over the Wadi Shqeiq, Dead Sea, Jordan valley and the entire surrounding terrain.

It is very difficult to trace the exact building plan of the central building because of its bad state of preservation, yet a careful examination leads to the conclusion that it has a rectangular plan. It became evident that the architectural elements were of the same general character as the elements discovered at Er Riyashi north. The pottery collected at this site and its vicinity indicates the Nabataean epoch. The analysis of the architectural remains clearly indicates its close connection to that of Er-Riyashi north . Therefore, it is estimated that the value of studying the ceramic material found at Er-

The discovery of the Nabataean sites lacking any pattern of settlement installation in this region may testify to the military nature of the region during the Nabataean period; the topographical composition of the region can support this supposition. Moreover, the discovery of Nabataean sites near the Dead Sea offered what seemed an indisputable proof for the commercial activities and attested to the first historical reference to the Dead Sea mentioned by Diodorus who related that Hieronymus of Cardia, a contemporary and friend of Antigonus, had good relations with the Nabataeans when he served as governor of the Asphalt lake or Dead Sea (Graf 2001, 51).

During the Byzantine period Wadi al-Mujib was revealed as the border between the province of Arabia in the north and the province of Palaestina Salutaris of Tertia in the south (Piccirillo 1990, 43).

It is clear that there is a common agreement in presenting mountains and thermal sources as characteristic of the region on the east bank of the Dead Sea (Alliata 1999, 123).

The thermal bath and the territories of Al-Mujib Nature Reserve are represented in the 6th century A.D on the pilgrimage Madaba mosaic map (Alliata 1999, 121-124), which shows representation of three springs within an Oasis of palm trees, next to the words "thermal callirhoe" (Piccirillo 1989, 76-94; Meimaris 1999, 25-36; Homes and Hennessey 1989, 633-39). This region is represented with a pictorial realism with or without caption, which makes it easily identifiable (fig. 2).

Results:

The first season of the archaeological survey of the region resulted in the discovery of five sites; two of which were known from the archaeological survey of Jordan which was headed by Nelson Glueck between 1932 and 1933, and three sites were new ones (fig. 4). It was found that Glueck's site descriptions and dates were essentially accurate, although he primarily tended to visit those sites that were marked on existing map and mentioned in the Old Testament, and thus he missed three sites in the reserve. The five sites that were visited are listed below, together with their pottery, and they are located with their local Toponym on figure 2.

During February 2002, in the course of a few days visit of inspection to that part of Jordan lying on the eastern side of the Dead Sea, the following sites were visited: Er-Riyashi north, Er-Riyashi south, Deir Er-Riyashi, rock shelter with three large incised Latin crosses, and Rujm Al-Manarah.

The first three sites received their names from their location in relation to Raddas station, Al-Mujib reserve housing facility.

Er-Riyashi north:

This site is the most promising in the whole area. It should be noted that this site was never mentioned or drawn by Glueck or any other archaeologist. The building is completely Nabataean in style, located nearly one hundred meters south of Wadi Mujib: accessed only by means of a natural fault in its eastern side.

It has an elementary plan, with only two rooms of different sizes; the larger room measures 3x4 m, and the smaller 3x3 m. The foundations of the building rest directly on the bedrock and the walls are, for the most part, two courses wide, consisting of small boulders and large cobbles. The courses are quite irregular, and the wall lines are not perfectly straight. Some of the courses are preserved to a height

Wadi Arnon was mentioned as well by Josephus when he related how Sihon king of Heshbon, refused and enforced his troop to stop the Israelites from crossing Wadi Mujib (Josephus, 1967, 519). Eusebius, in his onomesticon, observed that the Arnon River was "a very treacherous place with ravines, called the Arnonas, extending north of Areopolis, in which garrisons of soldiers keep guard everywhere due to the terrifying nature of the place" (Eusebius ,onomesticon, 10, 15-20)

From the previous information we understand that the Arnon River appears in the Old Testament as a border area between the Kingdoms. This is observed in the following verses: "Now these are the kings of the land, which the children of Israel smote and possessed their land on the other side of Jordan toward the rising of the sun, from the River Arnon unto mount Hermon, and all the plain on the east. Sihon King of the Amorites who dwelt in Heshbon, and ruled from Aroer, which is upon the bank of the River Arnon, and from the middle of the river, and from the half Gilead, even unto the river Jabbok which is the border of the children of Ammon" (Joshua 12:1-2).

This statement is related in a different wording: "and we took at that time out of the land of the two kings of the Amorites the land that was on this side Jordan, from the river of Arnon unto mount Hermon" (Deuteronomy 3:8).

The prominence of the river Arnon is well attested in several historical periods from literary sources. The Arnon River was in Moses' time the northern border of Moab, and it was crossed by the Israelites under the leadership of prophet Moses during their exodus to Cana'an. This information is confirmed by King Mesha of the 9th century B.C who claims in the Moabite stone inscription to have taken the territory north of the Arnon from the tribe of Gad who occupied it before.

The Arnon River appears as well on the stele of Mesha where the king mentions among his achievements the following: "I have made the highway at the Arnon." The meaning of this feat is that he constructed the road across the Arnon River (Ginsburg 1872, 47).

In Greco-Roman times, a famous thermal bath called "kallerr hoe" (beautiful springs) was situated between Wadi Zarqa-Mai'n and Wadi Mujib. The historical sources point out that Herod the Great was taken to this thermal, hoping to find relief before his death in Jericho in the fourth year B.C (khouri 1988, 87; Strobel 1990, 81-85; Strobel 1997, 271-280).

In the first century A.D Josephus proposes to place the escaping of Su'dat-- the Nabataean princess, the daughter of Aritas 1V, the wife of Herod Antipas-- in the region located south of Wadi Arnon after the love affairs of her husband with his cousin Herodias. The region was in no way favorable for escape attempts. Thus each attack could easily be countered (Josephus XV 111, V 1)

This proposition seems to be widely accepted by the archeologists where the historical sources confirm that the Nabataean princess succeeded in effecting her escape from the fortress of Machairous to one of the Nabataean sites south of Wadi Arnon (Glueck 1934, 61; Strobel 1997, 278).

It's obvious that this event shows the state of affairs between the Nabataean and the Maccabean and this event is perhaps one of the sequences of events leading to the war between them (Barakat 2002, 109-112).

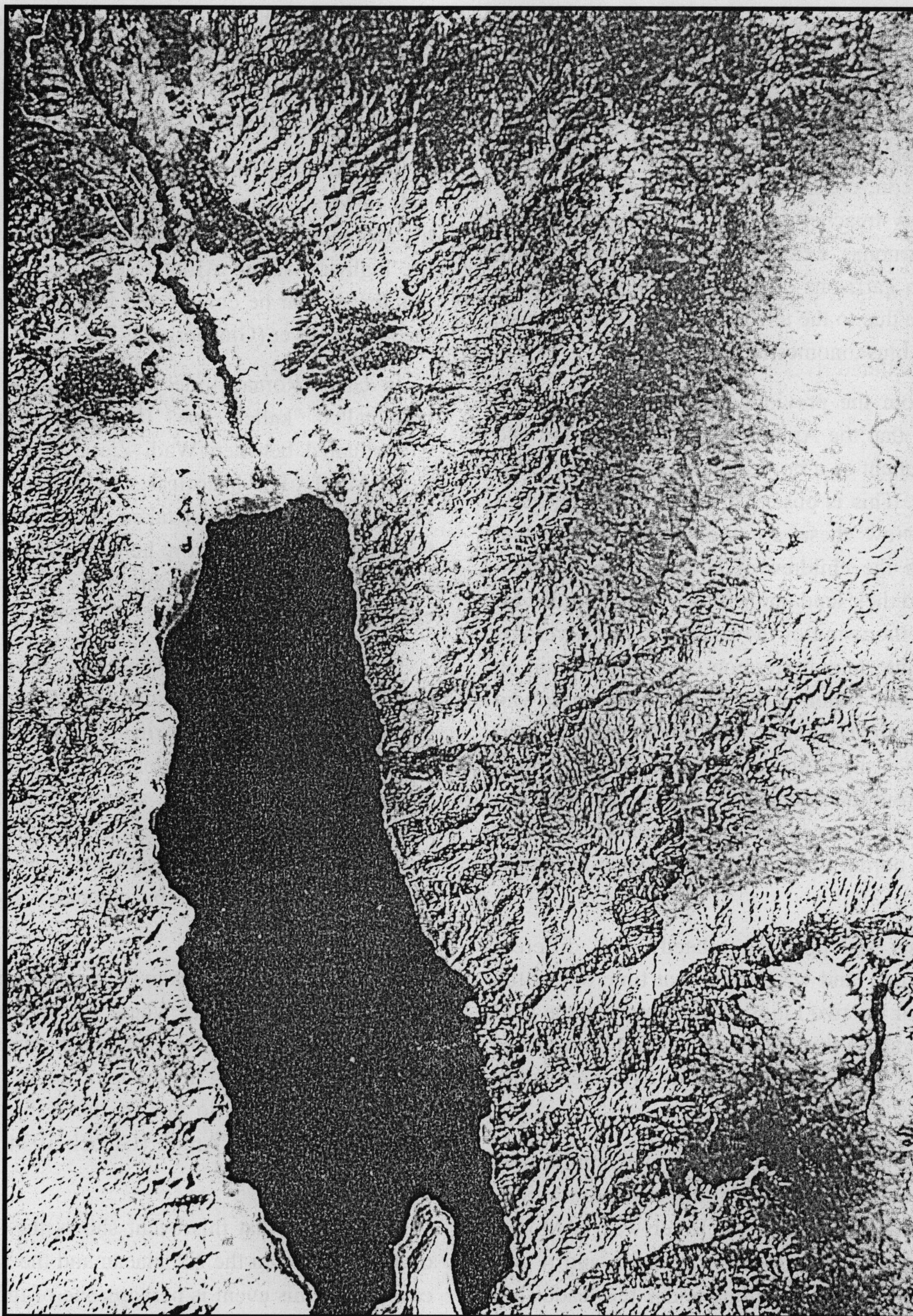


Fig. 2. Aerial photo of the region east of the Dead Sea.

ture) for the financial support, smoothing the work and making our stay in the reserve so agreeable.

Al-Mujib Nature Reserve stretches between Wadi Zarqa-Ma'in to the north and Wadi Shqeiq to the south, with Wadi Mujib at the middle. The reserve was established in 1987 by (RSCN). Wadi Mujib is one of the main features of the reserve after which it was named. The Wadi is one of the least disturbed and polluted river systems left in Jordan. It has a 200-meter-deep sandstone gorge east of its outlet onto the Dead Sea. This plateau is cut at intervals by deep Wadis such as, Wadi Zarqa-Ma'in, Wadi Mujib and Wadi Shqeiq; each of these Wadis generally flows westward and pours into the Dead Sea (Parker 1982, 1-26; Haviv 2000, 74). From the information presented above, we understand that, owing to the dramatic changes in altitude and the presence of flowing ravines, the reserve is seated on the most ragged highland of Jordan. In fact, the rocky massif and ravines are the typical feature of the region, which was almost naturally defended by the surrounding sandstone mountains (Fig.2).

From the topographical position of the region we can understand the reason for which the Royal Society for Conservation of Nature has established a breeding center there. The aim of this center is to reintroduce and protect the Nubian Ibex (wild mountain goats) because the topographic nature of the region is highly favorable to this kind of animals.

This region is exceptionally very dangerous; I have never in life traveled where the descent is very steep, and where there is no regular road over the bare sand rocks. The survey team had often missed their way every day, and many of them had suffered severe falls. The terrain is treacherous and only accessible by horseback, thus limiting the amount of equipment that can be carried to a stay of only several days (Donner 1964, 90; Worschech et al 1986, 290).

The main inconvenience of the region was that it did not have a natural spring for a supply of fresh water. To remedy this obstacle, the inhabitants dug out cisterns and reservoirs to collect rain water. The cisterns were hewn in the rock adjacent to catchments areas. It is readily apparent that the site shows the famous Nabataean technique for providing and conserving water in this arid region. Among the ruins are rectangular reservoirs and dams, now largely buried underneath the drifting sand. Its wall can still be made out under the sand. The ruggedness and vertical cliffs of the region are comparable to that of Petra, especially to the west. Indeed its bare rocks and ravines are so inhospitable for human habitation that it is remarkable to discover a permanent settlement within such a hostile environment: a reason no doubt that precluded earlier surveys.

It is fairly certain that Al-Mujib Nature Reserve received its name from Wadi Mujib that was named in the Old Testament as Arnon, and was one of the stations of the Israelites since the exodus from Egypt to Cana'an. The Arnon River was revealed in the biblical and historical sources as the border between the Amorite kingdom in the north and the Moabite kingdom in the south.

In fact, Jordan and Wadi Al-Mujib in particular appear as a marginal area in the Old Testament which relates that Sihon, king of Heshbon (Hisban), who occupied part of the Moabite Kingdom and established his Amorite Kingdom, kept the river Arnon as the border between the two Kingdoms (Numbers 21:26).

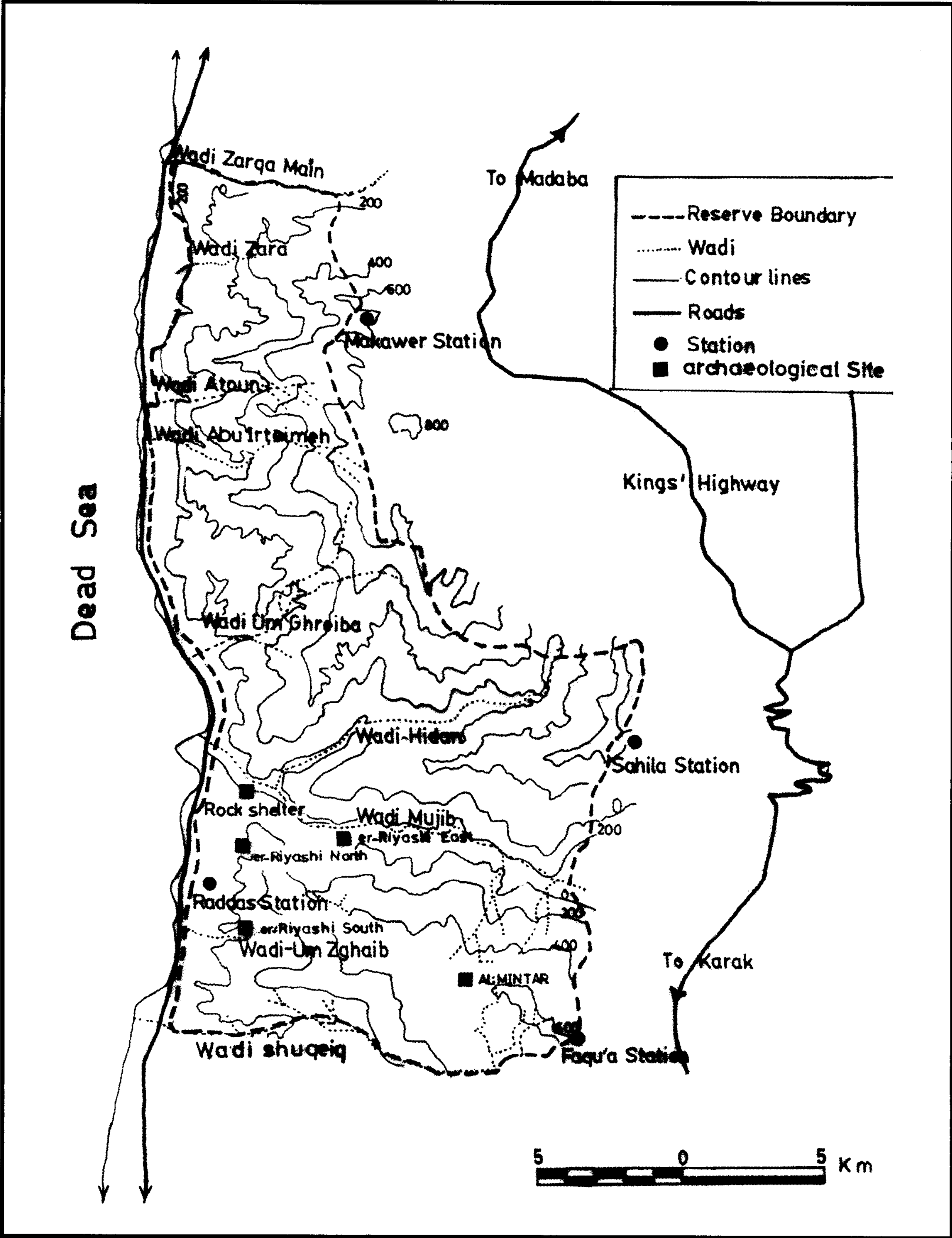


Fig. 1. Topography of Mujib Nature Reserve.

tions. Now the Royal Society for Conservation of Nature has been planning a campaign of exploration in cooperation with Mu'tah University, the chief object being to make al-Mujib reserve more attractive and interesting for visitors. Under the supervision of the author, a preliminary survey season of some two weeks was undertaken in 2002 by a joint team from Mu'tah University and the Royal Society for Conservation of Nature (RSCN) in cooperation with the Department of Antiquities of Jordan. The archaeological survey of the region owes its importance to the fact that the territories of the reserve extend from the Wadi Zarqa- Ma'in in the north to Wadi Shqeiq in the south (fig.1).

The archaeological exploration in this region fills the geographical gap within an area stretching from the Jordan Valley (Ibrahim et al 1976, 41-66), the Karak Plateau (Miller 1991; Ninow 2002, 151,156), Dhiban Plateau (Chang-Ho and Atiat 1997, 115-128) the Southern Ghor (King et al 1996,429-449) and the eastern coast of the Dead Sea (Amr et al 1996, 429-449).

In fact, the archaeological survey of 2002 was the primary nucleus for all the archaeological projects in the region afterwards. The plateau located along the eastern side of the Dead Sea, has never received any attention from archaeologists. There are two reasons for that: Firstly, the area was completely isolated geographically before the construction of the road along the coast line of the Dead Sea and was not known during the nineteenth century when most of the other parts of Palestine were being mapped, and systematically explored for archaeological remains .Secondly, scholars have depended too much on Nelson Glueck evaluation of the archaeological remains in southern Jordan, based on the survey which he conducted during 1933-38.

However, archaeologists have become increasingly aware that Glueck's archaeological survey of Jordan was superficial in comparison to his survey of Palestine (Millar 1979, 79; Ibrahim et al 1975; Chang-Ho and Atiat 1997, 115-128).

The description of early travelers who explored south of Wadi Mujib suggests that Glueck missed many of the sites. The results of our archaeological survey of Al-Mujib Nature Reserve have shown that he missed a number of sites there as well.

The aim of this paper is endeavor to shed light on the new archaeological sites uncovered within the reserve during the first season of this reconnaissance survey that took place in February 2002.The author has conducted the fieldwork with the assistance of a team including Jum'ah Kareem (co-director)-- unfortunately, he died before he was able to participate in the survey-- Younes Shdeafat (archaeologist), Zuhear Al-Zu'by (representative of the Department of Antiquities), Ja'far Al-Bostanjy (surveyor and photographer), Yousef Abu-Zghearit (draft man) and the following graduate students of the Department of Archeology and Tourism at Mu'tah University: Salha Ghareeb, Heyam Mohammed, Kholooud Aqrabawi, Ziad lemon, Hisham Hamaydeh, Hashem Smadi, Mohammad al-Majaly, and Firas al-Adeileh who joined the survey team only during the first week. The team members were accommodated in the field at Raddas station (Al-Mujib Nature Reserve housing facility). The team members are grateful to Dr. Fawaaz Al-khrisheh (director of the Department of Antiquities of Jordan) for his kind permission of the work and to Mr. Khaled Al-Irany (director of the Royal Society for Conservation of Na-

Al-Mujib Jordanian Nature Reserve: Historical traditions and Archaeological Evidence

Taysir M. Atiat*

Abstract. *Throughout the last 70 years, extensive surveys and a number of excavations have been carried out in Jordan. But this is the first time to uncover archaeological sites in the region of al-Mujib Nature Reserve, which occupies the geographical gap between the Jordan Valley, the Karak plateau, Dhiban plateau, and the eastern shore of the Dead Sea. This region has never been the object of archaeological campaigns because it had been considered before the construction of the coastal road along the eastern side of the Dead Sea which lies in the most rugged highland of the country where the bare rocks and ravines are typical features of the region. The first season of an intensive survey of the region, resulted in the discovery of three Nabataean and Two Byzantine sites. These sites lack any pattern of settlement installations. But it is apparent that the region was very important from the strategic and religious perspective during these periods, and thus it deserves further investigation and study in the future. The focus of this study concerns the related question of the function of this region during those periods.*

Introduction:

The Mujib reserve is one of the lowest nature's reserves in the world, its spectacular array of scenery near the east coast of the Dead Sea. The reserve is located within the deep Wadi Mujib gorge (Biblical Arnon), which enters the Dead Sea at 410 meters below sea level. The reserve extends to Karak in the south and to Madaba Plains in the north, reaching about 900 meters above the sea level in some places. This 1300 meters variation in elevation means that the reserve enjoys a magnificent biodiversity that is still being explored and documented today by the Royal Society for Conservation of Nature (RSCN). Some of the ragged and remote mountains and valley areas are difficult to reach, and thus offer safe havens for rare species of Cats, Goats and other wild mountainous animals. This region, however an unfertile district, is today largely uncultivated and completely uninhabited.

The trip from Amman to the reserve takes approximately an hour and a half drive, and is an hour drive from Salt, Madaba and karak. The route takes visitors along the scenic Dead Sea-Aqaba highway all the way to the Mujib Bridge where the reserve office is located.

As a result of the rapid rate of development in Jordan, a large number of salvage and systematic excavations or surveys are each year carried out in the country by the Department of Antiquities of Jordan, foreign expeditions as well as by Jordanian Universities (For the early rate of archaeological activities in Jordan, see the Annual of the Department of Antiquities of Jordan).

Since February 2002, Al-Mujib Nature Reserve has not been a field of scientific explora-

*** Editors of Adumatu, while preparing this material for print, notes with great sorrow the untimely passing away of Dr. Taysir M. Atiat on September 6, 2004. He is one of the distinguished scholars in his field, and has cooperated with the journal since its inception. On this sad occasion we would like to extend our condolences to his family, friends, colleagues, and students. We pray that he rest in peace.**

Issue No. 10 July 2004
ISSN: 1319-8947 (pp. 39 - 52)

Roaf, M.D. and Killick, R. 1983. "Excavations in Iraq 1981-82", **Iraq** XLV (2): 199-224.

Solecki, R.S. 1963. "Prehistory in Shanidar Valley, Northern Iraq", **Science** 139, No.1551, pp.179-193.

Sousa. A. 1963. **The flood of Baghdad in History. Part 1, Baghdad** (in Arabic).

Steinkeller, P. 1981. "The Early History of the Hamrin in the Light of Textual Evidence". In: Gibson. McG. et al., (eds.) **Uch Tepe I. The Chicago-Copenhagen Expedition to Hamrin. Iraq State Organiazation of the Antiquities and Heritage, Hamrin Reports Series**. No. 10: 163-168. Kobenhavn: Akademisk Forlag.

Stol, M. 1976. **Studies in Old Babylonian History,** Nederlands Historic-Archaeologisch Institut Te Istanbul.The Directorate General of Antiquities. 1970. Archaeological Sites in Iraq, Baghdad.

Tusa, S. 1982. "Telul El-Rihan, Preiminary Report on the Excavation of Samarra and Early Neolithics Pre-Pottery Settlement in Hamrin", **Sumer** XXXVIII: 29.

Wright, H. and How, B.1951. "Preliminary Report on Sounding at Barda Balka", **Sumer** VII: 107-118.

Wright, H. 1952. "The Geological Setting of our Prehistoric Sites in North Eastern Iraq", **Bulletin of the American School of Oriental Research** 128: 11-24.

Wright, H. 1967. "A Paleolithic Site in the Southern Desert of Iraq", **Sumer** XXII:101-106.

Yaseen, G. T. 1987. A **Study of the Old Babylonian Pottery from the Hamrin Basin, Iraq, With Special Reference to Tell Halawa**. Ph.D. Thesis, Published. Nabu Publication, London.

University of Chicago Press.

Forest J. D. 1979. "The Kheit Abu-Qasim Cemetery", **Sumer** XXXV (1 & 2): 500-552.

Frankfort, H., Lloyd, S. and Jacobsen, T. 1940. "The Gimilisin Temple and the Palace of the Rulers at Tell Asmer", **Oriental Institute Publications**, Vol. XIIII. Chicago: University of Chicago Press.

Fujii, H. 1974. "Al-Tar Caves, Hill (A) Excavations in 1972-1973, The Second Preliminary Report", **Sumer** XXX (Nos. 1& 2): 75-100.

Fujii, H. (ed.) 1981. "Preliminary Report of Excavation at Guba and Songor", **Al-Rafidain** 11: 3-212. Tokyo: Japan.

Fujii, H. 1983-84. "Tell Guba. Tell Sunkur", **Archive Fur Orientforschung** 29/30: 199-206.

Gibson, McG. 1981. "Geographical and Historical Background". In: Gibson McG. et al (eds.) **Uch Tepe 1. The Chicago-Copenhagen Expedition to the Hamrin**. Iraq State Organization of Antiquities & Heritage, **Hamrin Reports Series**, no. 10: 11-17. Kobenhavn: Akademisk Forlag.

Herzfeld, E. 1968. **The Persian Empire: Studies in the Geography and Ethnography of the Ancient Near East,** Wiesbaen.

Jacobsen, Thorkild. 1982. **Sailnity and Irrigation Agriculture in Antiquity. Diyala Basin Archaeological projects: Report On Essential Result**, 1957-1958. Undena Publications, Malibu, U.S.A.

Jasim, S.A. 1983 "Excavations at Tell Abada. A Preliminary Report", **Iraq** XLV: 165-185.

Jasim, S. A. 1985. **The Ubaid Period in Iraq. Recent Excavation in the Hamrin Region,** Ph.D. Thesis, Published. B. A. R. International series 267 (i-ii) Oxford.

Jawad, A. J. 1965. **The Advent of the Era of Township in Northern Mesopotamia,** Ph.D. Thesis, Published. E. J. Brill.

Kinner Wilson, J.V. 1979. **The Rebel Land and Investigation into the Origins of Early Mesopotamia Mythology,** Cambridge, Cambridge University Press.

Mccam, E. 1982. "Tell Rubeidheh a Short Note on the Pottery", **Sumer** 38: 163-164.

MacDonald, M. and Partners. 1958a. **Lower Diyala Development: Soils, Irrigation, Agriculture and Drainage. Report No.2: Diyala and Middle Tigris Projects**. Government of Iraq Development Board.

--------1958b. **Upper Diyala Development: Conservation and Agriculture. Report No.5: Diyala and Middle Tigris Projects,** Government of Iraq Development Board, Hunting, Technical Services Ltd.

--------1959. **Middle Diyala Development. Report No.4: Diyala and Middle Tigris Projects,** Government of Iraq Development Board. Hunting Technical Services Ltd.

Mitchell, C.W. 1959. "Investigations into the Soil and Agriculture of the Lower Diyala Area of Eastern Iraq", **Geograhical Journal** 125:390-397.

Mitchell, C.W. and Naylor, P.E. 1960. "Investigations into the Soil and Agriculture of the Middle Diyala Area of Eastern Iraq", **Geograhical Journal** 126:469-476.

Mustafa, A.K. 1983. The Old Babylonian Tablets from Me-Turnat, Tell al-Sib and Haddad. Ph.D. Thesis, Unpublished. University of Glasgow.

Oates, J. 1969. "Choga Mami, 1967-1968: A Preliminary Report", **Iraq** 31: 11-153.

Oates, J, 1972. "Radiocarbon Data from Choga Mami", **Iraq** 34: 49:54.

Oates, J, 1982. "Archaeological Evidence for Settlement Patterns in Mesopotamia and Eastern Arabia in Relation to Possible Environmental Conditions", **B. A. R International Series** 133 (ii) Oxord.

Ohnuna, K. 1976. "Lithic Artifacts from Tar Jamal and Hafan", **Al-Tar1**: 303-329, Tokyo: Japan.

Postgate, J. N. 1979A. "The Historical Geography of the Hamrin Basin", **Sumer** XXXV (1& 2): 591-594.

Postgate, J. N. and Watson, P. J. 1979 B. "Excavations in Iraq 1977-78", **Iraq** XII: 141-181.

Puller, J. 1997, "Early Cultivation in the Zagros", **Iraq** XV: 15-38.

Reiner, E. 1956. "Lipsur Litanies", **Journal of Near Eastern Studies** XV (3): 129-149.

Roaf, M. D. 1982. "The Hamrin Sites". In: Curtus, J., (ed.) **Fifty Years of Mesopotamia Discovery. The Work of the British School of Archaeology in Iraq: 1932- 1982**, pp. 40-47. London: The British School of Archaeology in Iraq.

Roaf, M. D. and Postgate, N. 1981. "Excavations in Iraq 1979-80", **Iraq** XIIII (2): 167-198.

Notes:

1. The University of Mosul, represented by a team from its College of Arts Archaeological and Cultural Research Centre, carried out between 1978-80 three seasons of excavation at Tell Halawa as part of an international archaeological salvage project initiated by the Iraqi State Organization of Antiquities and Heritage in the Hamrin Basin in eastern central Iraq.

2. Diyala region has been divided into three sub-regions: the Upper Diyala, extending from the Darband-I-khan Gorge dam and reservoir near the village of Kalar; the Middle Diyala extending from the Tun-a-Chilkana Gorge down to the gorge through the Jabal Hamrin, and the Lower Diyala extending from the Jabal Hamrin Gorge down to the junction of the Diyala river c.13km, to the south of Baghdad (see, e.g. MacDonald and Partners 1958a, 1958b, 1959, Mitchell 1059; Mitchell and Naylor 1960).

3. The number indicated is the site number of the Hamrin Map No.1.

4. The ancient name of the Diyala river, that is, the Turant, is in evdence from the Old Babylonian period onwards; it was mentioned, for example, in a date formula (No.119) from Tell Asmar, the ancient city of Eshnunna, which stood on its bank (Frankfort, Lloyd and Jacobsen 1940:193, Jacobsen1982: 72). In Islamic times, the Diyala River has been also called the Tamera or the Ab-I-Sirwan (British Admiralty Handbook 1944:83; Sousa 1963:296).

5. The only available carbon-14 determination of the Ubaid period in the south of Iraq relates to the "basal" Ubaid I level at Warka, viz, 4,115 160 B.C., while for the north we have a determination of 3,450 325 B.C. (C817) for Tepe Gawra level XVIII-XVII (Braidwood 1958), plus a determination (as yet unpublished) of 3,025+ 69 B.C for the Gawran levels at Gari Resh (Jawad 1965:43). For whatever merit they may have, these scattered single determinations seem to hint at a slower pace of development in the north.

References

1- Arabic References

'Auad, K. 1952. "Nobthatun Tarikhiyatun fi Ausul Asma' al-Amkinati al-'Raghieti W Faw'idu Hatha al-Bahthi", **Sumar**, 8: 236-280.

Jasim, R. Rughamun Tinietun min Tel al-Seeb, Al-Musimu al-Thani 1979-1980, Taghrier Awali,(unpublished).

Jasim, R. 1984. "al- Rughamu al-Tinietu fi Telli al-Seeb W Haddad" , **Sumar, 40**; 99-100, 'dadun Khasun bibhoth Hamrin fi al-Nadwatian al-'Alamietain: al-Thanieti W al-Thalithati.

Rashied, F 1982. **Aghdamu al-Kitabati Al-Mismarieti al-Muktashafati fi Hawdh Sed Hamrin. Hamrin-4, Nat'iju al-Tangibati al-Aatharieti fi Hawdh Sed Hamrin**, Wazaratu al-Thagafati W al-I'lam, Da'iratu al-Athari W Al-Turathi. Bagdad.

2- English References

Adams. M.cC. 1965. **Land Behind Baghdad. A History of Settlement on the Diyala Plain**. Chicago: University Chicago Press. Admiralty, Naval Intelligence Division. 1944. Iraq and Persian Gulf. Geographical Handbook series, B.R. 524. Oxford.

Al-Rawi, N. H. 1982. "Assault and Battery", **Sumer** XXXVIII: 117-120.

Assyriological Studies. No 26: 200 Chicago.

Braidwood, R. J. 1952. **The Near East and the Foundations of Civilizations**. Eugene, Oregon.

Braidwood, R. J. 1958. "Radioactive Carbon Chronology and Its Implications in Understanding the Appearance of the effective Village-Farming Communities in Southwestern Asia", Paper read at Hamburg, **International Congress pre- and proto-Historic Sciences**, PP. 1-11 and 3 Figures.

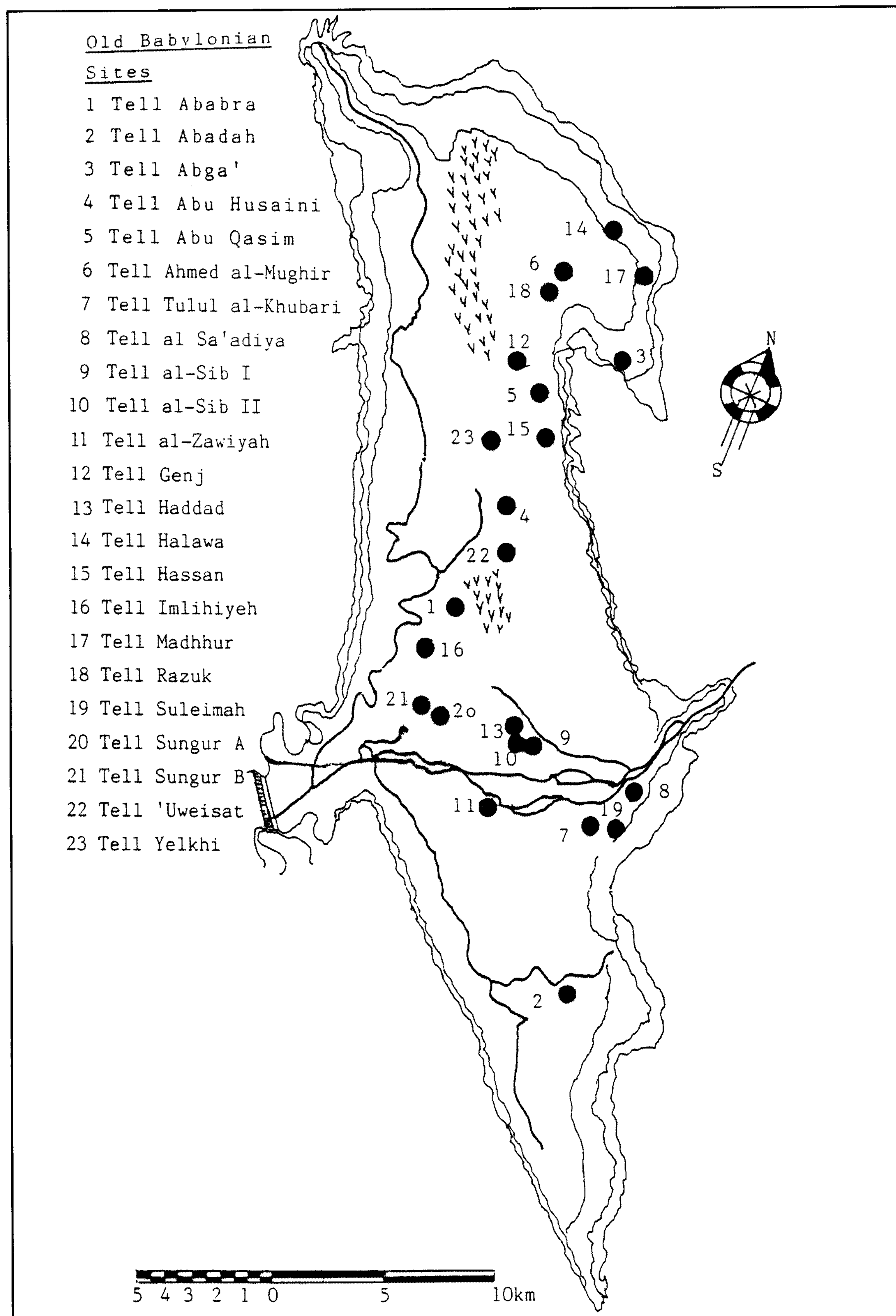
Braidwood, R.J. 1960. **Prehistoric Investigations in Iraqi Kurdistan**, The Oriental Institute Publication No. 31. Chicago: University of Chicago Press.

Delougaz, P. 1952. Pottery from the Diyala Region, **Oriental Institute Publications**, Vol. LXIII. Chicago:

gives Hamrin pottery its own characteristics. As has been shown, the Hamrin Basin has a fluctuation or shift of settlements. Such fluctuation might have been caused by the geographical and historical conditions which have certain effects on each other and create many features of the Hamrin Basin. The peak was reached during the old Babylonian period, particularly under the Eshnunna kingdom rulers--Sin-abushu, Ibiq-Adad II, Dadusha, Iba-pi-el II, Silli-sin and Iluni. In addition to the establishment of their own dynasty, the rulers made enormous progress in the development of the social and economic lives in this area.

Prof. Dr. Ghassan Taha Yaseen: Department of History and Civilization I. R. K. H. S. International Islamic University Malaysia - Jalan Gombak - 53100 Kuala Lumpur. E-mail: ghassantaha@hotmail.com.

ملخص: يتناول البحث دراسه تطور المستوطنات القديمة، في حوض حمرين بالمنطقة الشرقية من وسط العراق، من العصر الحجري القديم، حتى نهايه العصر البابلي القديم؛ كما يوضح الدور الذي لعبته هذه المنطقه، بوصفها منطقة وسطيه في العراق، في عملية التمازج الثقافي والحضاري، بين الشمال والجنوب. وكانت الهيئة العامة للآثار والتراث في العراق قد دعت عام ١٩٧٧، المعاهد الأكاديمية والمؤسسات العلمية في الداخل والخارج، للعمل معها لإنقاذ أثار حوض حمرين، حيث يوجد هناك عدد كبير من المواقع الأثرية التي كانت مهددة بالغرق، بسبب إنشاء سد حمرين. وخلال عملي هناك، عضواً في هيئة تنقيبات جامعة الموصل في تل حلاوه، بين عامي ١٩٧٨-١٩٨٠، حاولت جمع معلومات خاصة عن المستوطنات القديمة في حوض حمرين.



Map 2: Map of the location of Old Babylonian sites in the Hamrin Basin.

the Old Babylonian period, Pa-ti-ir is therefore highly feasible.

At the end of the Akkadian period, part of Iraq suffered badly from Qutian invasion from the Zagros Mountain. However, there is no indication of Qutian period in the Hamrin Basin. Under the third Dynasty of Ur there was a political and cultural restoration in Iraq. Four sites have revealed archaeological material from this period; namely, Tell Suleimah, Yelkhi, Abqa and Tell Halawa. At these Hamrin Basin sites, it is difficult to distinguish Ur III materials owing to the fact that material of the late Ur III and early Isin-Larsa levels are intermixed. It is possible to consider this period in the Hamrin as a transitional period.

A similar situation has also been reported in the Lower Diyala region, where materials of Ur III were found side by side with Larsa remains (Frankfort 1940: 201, Delougaz 1952: 113).

The Old Babylonian Settlements. (Map 2)

During the Old Babylonian period (2025-1595 B.C) which comprises the Isin-Larsa and the First Dynasty of Babylon period, no less than twenty-two sites were occupied in the Ḥamrin Basin. Tell Suleimah, Halawa, al-Sib, Haddad (Me-turan) and Tell Yelkhi are the most important of these. At these important sites, sizable administrative centers, together with temples and private houses, have been found. Tablets, Cylinder seals and much pottery, plus a variety of other small finds have also been recovered.

Recently, the tablets from Tell al-Sib and Haddad have been studied and shed light on the Old Babylonian period in the Hamrin Basin (Al-Rawi 1982: 117-1120, Mustafa 1983; Jasim, R 1984: 99-100). Particularly important are the texts found in level III at Tell al-Sib and in level III at Haddad; they have provided date formulae for the following rulers of Eshnunna: Sin-abushu, Ipiq-Adad II, Dadusha, Ibal-pi-el II, Silli-sin and Iluni. The date formulae of these rulers indicate that the Hamrin Basin was part of the kingdom of Eshnunna.

During this period few town rulers established their own dynasties. The Amorite waves occurred at the beginning of the third millennium B.C., grew up steadily from countryside dwellers to become fully integrated into every aspect of the Mesopotamian social scene. The Amorite tribes who settled in the Diyala region, entering the area called Emutbalum (e-mu-ut-ba-lun), settled in two cities, Isin Sulgi and Sulgi Nanna (Stol 1976: 71).

Recently, more evidence has come from Tell al-Sib and Haddad Tablets. These mention Amorite tribes such as the Amnaum, Yahrurum, Yabusa and Idamaraz occyping the zone between the lower Zab and Diyala rivers. These names appear in letter No.141 (Mustafa 1983: 56). Most of these states were ruled by the Amorites. But Hammurabi (1792-1750 B.C) assumed far-reaching power and then started his warfare. The Dynasty of Eshnunna under Stilli-sin was defeated by Hammurabi in 1761 B.C. (See As. No 29. 200). Also, new information has been found in Tell al-Sib tablets noting that Silli-sin of Eshnunna married the daughter of Hammurabi (Al-Rawi 1982: 118). Eventually, the Eshnunna dynasty came to an end when Samsuiluna captured Iluni, the last king of Eshnunna (Stol 1976: 68).

To sum up, the historical data provided by the archaeological finds in the Hamrin Basin provide us with substantial stratigraphic sequences for the region from the Paleolithic period up to the Old Babylonian period. Particularly interesting is the sequence of pottery from Samarra period continuing without a major gap until the Old Babylonian period, which

The Early Dynastic Settlements: (Map 1)

From the beginning of the Early Dynastic period, a sudden surprising increase in occupation may be seen in the Hamrin Basin. The period being represented by no less than fifteen sites. The most interesting feature of the Early Dynastic period is its architectural remains; for example, the rounded or oval buildings uncovered at Tell Gubba, Tell Madhhur, Tell Razuk, Tell Suleimah, Kheit Qasim, and perhaps Tell Halawa. The buildings represent a distinctive structure and many complete pots and numerous shards have been excavated at these sites. In the case of pottery, the most important site in this period is the Kheit Abu-Qasim Cemetery (No. 14), which has been dated to the beginning of the third millennium B.C.; Forest has described the shapes as being relatively few: Bowls and plates, but mainly jars. These jars are either large or bulging, spouted, or carinated and lugged. There are also angular jugs and juglets with beveled rims and ring bases. The common decoration is either red or black and red on a white slip. Most of the patterns are simple geometric ones: e.g.; hatched triangles, drawn on the shoulder (Forest 1979: 500-502).

The pottery of this period is also well known from other sites, particularly at Khafaja in the lower Diyala region and at Abu-Salabikh. It is known by the name of "Scarlet Ware." Generally, the pottery of Early Dynastic I is more common at the Hamrin sites, while Early Dynastic II and Early Dynastic III pottery is also represented at Kheit Qasim, Madhhur, Gubba and Sabra. The most interesting result achieved in the region is the sequence of Akkadian, Ur III and Old Babylonian levels which represents the beginning of Early Dynastic period at three very important sites: Tell Suleimah, Tell Halawa and Tell Yelkhi.

The Akkadian Settlements (Map.1)

During the Akkadian period, there was a decline in the settlements pattern of the region, which was an inevitable result of political conditions. It is known that Sargon of Akkad took over the country, compelling the local rulers to recognize his sovereignty.

The most interesting discovery from this period was 47 tablets which were found in level IV at Tell Suleimah. Those texts represent the most ancient inscription in the Hamrin Basin. Having studied those texts, Fawzi Rashied pointed out that the ancient name of Tell Suleimah was Awal, this name had been mentioned in numerous texts recovered from the site of the Akkadian period (Rashied 1982: 9-15).

If Awal has been correctly identified with Tell Suleimah, it would appear that, during the Old Babylonian period, the city was given a new name, for in Level I belonging to that period an inscribed brick came to light showing that the city was called Pa-ti-ir. This name also appears on an inscribed cylinder seal from the same level (Rasheed 1982: 15).

The name Patir is also mentioned twice in texts found in the second level at Tell Suleimah, (Mustafa, 1983: 43). Interestingly, while Old Babylonian tablets from Tell al-Sib I refer to the city as Patri, the name Awal is nowhere mentioned (Mustafa 1983: 302-3; (Jasim 1980; 1984: 99-100).

However, a city may change its name many times in the course of history. This well-known phenomenon might commonly be a result of political changes. For example, it has been noted by Herzfeld that during the second millennium B.C. the land of Eshnunna became the land of Tuplash, while the city of Akshak became Opis (Herzfeld 1958: 36). That the ancient city represented by Tell Suleimah was at first called Awal and then, in

would seem to suggest that the arrival of Halaf settlers occurred only towards the end of the Halaf culture. While the late Halaf pottery from these sites recalls strongly recalls strongly the late Halaf pottery from Tepe Gawra and to lesser degree Tell Arpachiyah and Yarm Tepe II, the figurines resemble types found not only at Tepe Gawra and Tell Arpachiyah, but further a field at Tell Halaf and Changer Bazar. In comparison with Hamrin, settlement during the Samarra and Halaf cultures in the lower Diyala region seems to have been slight, with 'Ubaid settlers being the first to enter that region in any numbers (Adams 1956: 34; Jacobsen 1982: 71).

The Ubaid and Uruk Settlements: (Map 1)

Fifteen Ubaid sites have been identified in the Hamrin Basin, with some, such as Tell Abada, representing substantial villages. At one of these sites, Tell Madhhur (No. 64), an extraordinary well preserved Ubaid house has been excavated, complete with its domestic contents (Roaf 1982: 41-3). Some sites, such as Tell as-Saadiya and Tell Rashid have revealed Ubaid remains only, while others, such as Tell Abu-Hasaini (No. 35), Tell Ayyash (No. 17) and Tell Hasan (No. 67) represented other periods as well, but the most interesting discoveries, both architectural and artifactual, are those which have been made at Tell Abada, where three phases of Ubaid ware have been identified. While the earliest of these includes vessels that may be compared with the Choga Mami Transitional (Samarra/ Ubaid) ware and classical Samarra, Abada Level II has revealed unmistakable Hajji Mohammed pottery as found at Ras al-Amiya in southern Iraq and therefore approximately contemporary with Eridu Levels XII-XI (Jasim 1983: 184). The Ubaid of the Hamrin Basin, while having its own regional character, exhibits clear links with both the north and the south. It is also more strongly represented in this region than in the lower Diyala.

A carbonized grain sample from the well preserved Ubaid house excavated at Tell Madhhur (Level II) has produced a Carbon-14 date of 5,570 55 B.C., or a calibrated date of 4,470 80 B.C., which is of great interest, both for its own sake and because it is higher than any of the other determinations at present available or the Ubaid culture, from both the south and the north[5] (Roaf 1982: 43).

Although the Ubaid period in the Hamrin Basin seems to have been generally one of stability (Gibson 1981: 20), the beginning of the Uruk period witnessed a shift in population, perhaps towards the lower Diyala region, where survey has revealed an increase in settlements at this time (Adams 1965: 36). Uruk pottery has been found at several sites in the Hamrin Basin, e.g. Tell Rubeidheh (No. 44), the west of Narin Chai River. This yielded potsherd belonging to the late Uruk period. These sherds were mould-made, thick-walled and tempered with coarse straw and some grit. They are closely similar to ceramic material discovered in southern Iraq (Roaf 1982: 46-7; Mccam 1982: 163).

Between the end of the Uruk period and the beginning of Early Dynastic period, there is a gap in the archaeological sequence corresponding to the Jemdat Nasr and Nineveh V periods. Among the findings made at Tell Gubbah (No.31) and Sungur B (No.42) was polychrome pottery with plum-red paint of the type common in the Jemdat Nasr period, together with black or dark brown monochrome pottery (Fujii 1983/4: 205). A few sherds belonging to the same period were found at Tell Abu-Qasim (No.14). These sherds are representative of the Nineveh V period, being of a light grey colour and of safe clay with polished appearance.

ley's, Abu Hajar and Kurdaruz. By far the most important route is the Baghdad-Kermanshah Highway, historically called the great Khorasan Road, which connects Iraq to Iran and passes through the Hamrin Basin.

Communication: Inside the Hamrin basin, communication is made easy by many tracks. A road across the north edge of the Basin, marked by a line of sizable Tells near to and parallel with the present graveled road from Jaloula through Bahizah, Jumailed and the Keshkul: Halawa area, played an important role in international traffic in the past as well as at present. This road is the main artery from which numerous internal tracks of the Basin stemmed in the west part. To the west part of Hamrin there are many tracks. By far the most important is an old track called "Darb As-Sultan," (Jasim 1983: 165) which is probably a traditional highway from Mandali to Jaloula and the north-west (Oates 1969: 123).

The Settlements

The Early Settlements: (Map 1)

Up to the present time, archaeological evidence has suggested that areas of western, northern and north-eastern Iraq were comparatively densely populated in Paleolithic times, with the transition from a life based on hunting and gathering to one based on agriculture taking place in the Zagros mountain region between 11,000-6,000 b.p. (Braidwood, 1952, 1960, Solecki 1963; Jawad 1965; Wright 1967; Fujii 1973-74; Pullar 1977 and Oates 1982). While the sites of Barda-Balka, Hazar Mard (Wright and How 1951: 107-118), al-Tar Jamal Cave (Fujii 1974: 75-100; Ohnum 1976: 303-329), and Ur (Wright 1967: 101-106) have hitherto been the source of the earliest Palaeolithic implements from Iraq, yet now the Japanese Expedition to the Hamrin Basin has reported the discovery of "Mousterian" style (Middle Palaeolithic) flake tools at their site of Tell Sungur B (al-Rafidan 1981: 196), tools which are presumably related to the period of the last glaciations between 120,000-60,000 years ago (Wright 1952: 23).

At the end of the last Ice age c.10,000 B.C, climatic changes produced dry and temperate conditions in north-eastern Iraq which encouraged Man to abandon his cave dwellings or at least live part of the year in the open in temporary sites such as that of M'lefaat (Braidwood 1951: 12-18; Wright 1952: 22). At Tell Rihan, on the right bank of the river Narin (Narin Chai) the Italian Expedition has discovered archaeological remains which were compared with those at M'lefaat and are thus seemingly looked earlier than the earliest remains at Jarmo (Tusa 1982: 29). Of the same period as that of Jarmo, or perhaps Hassuna, are archaeological remains discovered by the Japanese Expendition at Tell Sungur A.

The beginnings of permanent human settlements in the Hamrin Basin are witnessed at three sites so far, namely Tell Sungur A (No. 42), Tell Rihan (No.24) and Tell Abada (No. 7), all of which have yielded pottery and figurines characteristic of the Samarra culture. In kind these finds are very similar to those recorded from Choga Mami, near Mandali, to the south-east of the Hamrin Basin, especially those from Tell Abada (No. 7).

The Halaf Settlements: (Map 1)

The Halaf culture has been identified at no less than ten sites in the Hamrin Basin, which would seem to indicate some increase in the population of the region, though the actual number of the settlements must still have been small. Importantly, as at Choga Mami (Oates 1972), the potsherds and figurines which these sites have produced, along with the remains of buildings, are all of late Halaf type, which

derived from the Aramic Bet Ruman, meaning "The Temple of Ruman", which may itself be derived from the former presence of an Assyrian temple somewhere in the region. Recently, in 1980, a Neo-Assyrian temple building embodying brickwork bearing an inscription of king Ashurbanipal (669-630 B. C) was discovered at Tell Haddad (No. 29)[(3)]. Other Aramic names for the region of Jabal Hamrin were Yalman and Satydma, the latter being compounded from the words "Shaty-dama" meaning "drinker of blood" an epithet doubtless inspired by the colour of the local soil, which is markedly red ('Auad 1952: 260).

Topography

The basic topography of the Hamrin Basin is an alluvial plain, which has a flat surface and outcrops here and there. The Jabal Hamrin is a major feature in the area and is the longest mountain in Iraq, extending for 250 km from the Tigris at Fat-ha to the Iraqi-Iranian border, south of Khanaqin. The mountain of Jubba Dag and various small hills from the boundary of the Hamrin Basin on the east and northeast, which are slightly undulating to the west, join the Hamrin slop from the other side. These Jabals create a large concave terrain enclosed by two convex stretches.

Rivers and Marshes: The Hamrin Basin is drained from north to south by two principal rivers and many small streams. The Diyala River[(4)], the main artery of the Hamrin Basin, crosses the area from northeast to the southwest. It divides the area into two halves. The majority of settlements lie to the north of the Diyala river and others to the south.

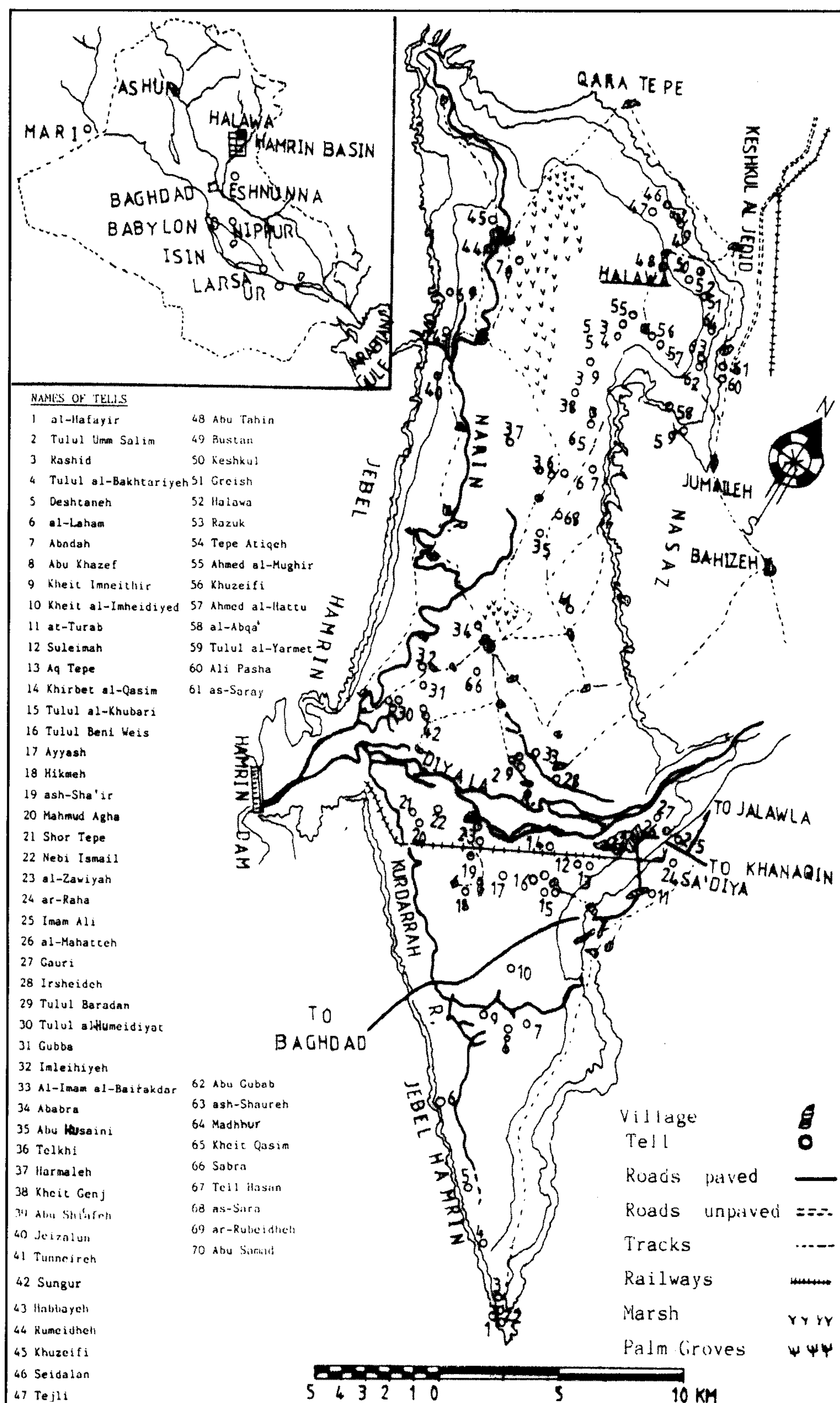
The Narin Chai has cut its bed deeply into the surrounding alluvial plain and is about 8-10m wide. It flows along the eastern foot of Jabal Hamrin for a distance of c. 20 km from the village of Sa'id Taha to join the Diyala River near the Hamrin gorge. The Narin Chai river bed has an its fortable on foot and ford by car at least 8 places.

There are many small streams in the area, which flow in from both sides, such as the Kur-Dere in the southern half, which has cut its bed deeply, like the Narin Chai, into the surrounding alluvium. It carries a small amount of water, which increases during the rainy season, and its use then is valuable. However, when the water decreases during the summer, it becomes saltier and is useless for agricultural purposes. Another Small stream, al-Zawiyah, feeds on the Diyala River. About 1 km due west of Tell Abadah (No.7) lies a depression representing the ancient bed of the Nahrawan canal, which runs southward in the direction of the eastern border of Iraq (Jasim 1983: 165).

In the northern half of the Hamrin Basin, there are many small streams such as Gauri al-Kebir, Ibrahim al-Yousf, at-Tahuneh, Baradan Bawi and Genji, which are fed by the Diyala River. In addition to these, Wadi Derbekreh is situated south-east of the village of Sheikh Ibrahim. This joins the Narin Chai from the west and Al-Ahmer River, located south-east of the village of Tunneirah, joins the marshes from the south.

Marshes (about 3x8 km) cover the northern part of the Hamrin Basin south of Qara Tepe as far as Uyun Kheskalat and also cover an area (about 1.50 x 2.50 km) between Tell Tunneirah (No. 41) and Tell Ababra (No. 34).

However, even though the topography is represented by jabls, rivers and marshes, communications are restrictedly impeded within the Hamrin. Intercommunication between the Hamrin Basin and territory beyond the Jabal Hamrin is facilitated by several passes, such as those of Ain-Lailah, Sakaltutam, Middle Cay-



Map 1: Map of the Ancient Sites off the Hamrin Basin, with inset showing he locan of the Hamrin Basin in Iraq.

Settlements of the Hamrin Basin. Iraq. From Early Times to the End of the Old Babylonian Period

Ghassan Taha Yaseen

Abstract. *In August 1977, the Iraqi State Organization of Antiquities and Heritage (SOAH) issued an invitation to academic institutions and other research organizations, both at home and abroad, to join with it in an urgent programme of archaeological salvage work in the Hamrin Basin, a region of the Diyala River Basin in eastern central Iraq, where numerous ancient sites would have shortly to be submerged beneath the waters of an extensive reservoir following the construction of a new dam at the Jabal Hamrin Gorge. In the course of excavations at Tell Halawa in 1978-1980, in which the University of Mosul participated(1), the present writer obtained some data concerning settlements in the Hamrin Basin. This paper has two aims: to study the development of the settlements in the Hamrin Basin from early times to the end of the old Babylonian period; and to clarify the signifcant role that Hamrin Basin had played in integrating Iraq's southern and northern Culture and Civilization.*

The results of recent archaeological excavations which have been gradually appearing over the past twenty five years, in Iraq (Postgate and Watson 1979, Roaf and Postgate 1981; Roaf and Killick 1983) and Sumer 1979; 1984 (Rashied 1981; Gibson 1981); Al-Rafididaan 1981; (Mustaf 1983, Jasim 1985, Yaseen 1987) etc., have certainly added new and important information to what we already have regarding the history and cultural developments of the region. However, detailed specialist studies on the Hamrin Basin are still few.

Until 1977 our knowledge about ancient settlements in the Hamrin region was limited. Some information came after the survey, which was conducted in this Upper, Middle and Lower Diyala Region (2) by Th. Jacobsen (1937) and R. MCC. Adams (1957-58), the Oriental Institute of the University of Chicago (Adams 1965: 135-160) and by the Directorate General of Antiquities (1970).

The Hamiran Basin

Location: The Hamrin Basin lies in the eastern part of central Iraq, precisely in the Middle of the Diyala region, on the westward side of the Zagros Mountains. It represents the last foothill plain, nearly 110 km northeast of Baghdad (Map 1). It is located between 44* 52E. Longitude and 34* 38N. Latitude. It lies approximately 93m above sea-level.

The Hamrin Basin covers an area approximately 38km in length and 2-10 km in width; it is a low area of land extending along the eastern slopes of the Jabal Hamrin range from Sa'id Taha in the north-west to Qarya Yusuf in the south-east. On its eastern and western sides, the Hamrin includes part of the land belonging to Qara Tepe, Jaloula and al-Sa'adiya (Map 1).

Name

To the Sumerian and Akkadians, Jabal Hamrin was known as Ebih, written E^{d}N. TI or EN. TI (Reiner 1956: 135, 148; Levine 1973: 23; Postgate 1979A: 593; Kinniar Wilson, 1979: 2,4; Steinkeller 1981: 163). Later, in Islamic times, it is referred to by Arab Geographers as Mount Barma, a name which may be

Issue No. 11 Jan. 2005
ISSN: 1319-8947 (pp. 27 - 38)

Roman and later ceramics, London, Academic Press: 26.

Plas, L. van der and J. V. Schuylenborgh 1970. "Petrochemical calculations applied to soils", **Geoderma 4**: 357-85.

Porringa, D. H. 1967. Clay mineralogy and geochemistry of recent marine sediments in tropical areas, (Unpublished Ph.D. thesis), Amesterdam University, The Netherlands.

Reeves, R. D. and R. R. Brookes. 1978. **Trace elements analysis of geological materials,** New York: John Willey and Sons. Interscience Publications.

Rice, P. M. 1987. **Pottery analysis: a source book,** University of Chicgo Press.

Shepard, A. 1956. **Ceramics for the Archaeologist,** Washington D. C.: Carnegie Institution of Washington.

Vail, J. R. 1982. "Geology of the Central Sudan". In: M. A. J. Williams and D. A. Adamson (eds.). **A land between the two Niles,** Rotterdam: A. A. Balkema: 51-63.

Van der Leeuw, S. E. 1976. **Studies in the technology of ancient pottery,** Amsterdam: University of Amsterdam.

Weymouth, J. W. 1973. "X-ray diffraction analysis of prehistoric pottery", **American Antiquity 36**, 3: 339-43.

Whiteman, A. J. 1971. **The Geology of the Sudan Republic**. Oxford: Clarendon.

Wilson, H. 1927. **Ceramics: Clay technology**, New York: Mc Graw Hill Company, Inc.

Note:

Thanks are due to the Department of Archaeology, Khartoum University for allowing me to conduct test-excavations at Sarurab2 (1978) and Nofalab2 (1990) sites. The present analyzed samples were retrieved from these excavations.

My deep gratitude extends to the Graduate College of Khartoum University, Sudan for sponsoring the excavation of Sarurab2 site. The excavation of Nofalab2 site was privately financed. Appreciation goes to Professor L. Van Der Plas (and his associates) of Wageningen Agricultural University, Netherlands for the petro-chemical analyses. I am grateful to the Geology and Soil Science Departments of Khartoum University for the facilities put at my disposal while I was performing the petrographic and chemical analyses in their laboratories.

References

Arkell, A. J. 1949. **Early Khartoum,** Oxford University Press, London.

Arkell, A. J. 1953. **Shaheinab**, Oxford University Press, London.

Bradley, R. and R. Suthern 1990. "Petrographic Analysis of hammerstones from the Neolithic quarries at Great Langdale", **Proceedings of the Prehistoric Society,** 56: 117-22

Brown, T. H. and Skinner, B. J. "Theoretical Prediction of equilibrium phase assemblages in multicomponent system", **American Journal of Science,** 274: 961-986.

Buko, A. 1984. "Problems and Research Prospects in the determination of the Provenance of Pottery", **World Archaeology** 15, 3: 348-65.

Buursink, J. 1971. **Soils of Central Suda,** Grafisch Bedriif Schotanus and Jens Utrecht N.V.

Chlodnicki, M. 1989. "The petrographic analysis of Neolithic pottery (Kadero) of central Sudan". In: L. Krzyzaniak and M. Kobusiewicz (eds), **The Late Prehistory of the Ni Basin and the Sahara**, Poznan Archaeological Museum.

De Paepe, P. 1991. "Ceramics from Shaqadud studied by physical methods". In: A. E. Marks and A. Mohammed-Ali (eds), **The Late Prehistory of the Eastern Sahel,** Texas, Southern Methodist University Press.

Francavigli, V. and Palmierie 1983. "Petrochemical analysis of the 'Early Khartoum' Pottery. A preliminary report". In: I. Caneva (ed.), **Pottery Using gatherers and hunters at Saggai (Sudan) preconditions for food production. Origni**: 191-205.

Hays, T. K. and F. A. Hassan 1974. "Mineralogical analysis of Sudanese Neolithic ceramics", **Archaeometry** 16,1: 71-79.

Hodges, H. 1981. **Artifacts. An introduction to early materials and technology,** New Jersy: Humanities Press.

Hulthen. B. 1977. **On ceramic technology during the Scanian Neolithic and Bronze Age,** Thesis and papers in North European archaeology 6. Stocholm: Akademilitteratur.

Jeffery, P. G. 1975. **Chemical Methods of Rock Analysis,** Oxford: Persmn Press.

Khabir, A. M. 1987. "Petrographic and X-ray analyses of Neolithic Pottery from Sarurab", **Nyame Akuma,** 28: 45-6.

Leeuw, van der, S. 1976. **Studies in the technology of ancient pottery,** Amsterdam: University of Amsterdam.

Mohammed-Ali, A. S. 1982. **The Neolithic Period in the Sudan**, C. 6000-2500 B. C. BAR International Series 139, Oxford: British Archaeological Reports.

Nordstrom, H. 1972. "A quantitative analysis of the Early and Middle Nubian Pottery." In: H. Nordstrom et al (eds.), **Neolithic and A- Group Sites,** Stockholm: Scandinavian University Books: 33-93.

Palmieri, A. M. 1987. "Chemical analysis of the Acacus pottery: a preliminary essay." In: B. E. Barich (ed.), **Archaeology and Environment in the Libyan Sahara. The excvations in the Tadrart Acacus, 1978-1983,** Cambridge monographs in African archaeology 23, B. A. R. International series 368: 221-30.

Peacock, D. P. S. 1970. " The scientific analysis of ancient ceramics: a review", **World Archaeology 1,** 3: 375-89.

Peacock, D. P. S. 1977. "Ceramics in Roman and Medieval Archaeology. In: D. P. S. Peacock (ed.). **Ceramics and early commerce. Characterization and trade in**

lithic and Neolithic ceramic fabrics from Khartoum and White Nile regions. On the other hand, the Goethite norm analyses (cf. section 5) provide information suggestive that the fine earth fractions of all the samples analyzed hold appreciable proportions of quartz-rich illite kaolinitic clay. This seems to add credibility to the results obtained by petrographic, X-ray and chemical analyses all of which are advocating the mineralogical and/or chemical homogeneity of the samples examined.

7.2: Temporal differences in ceramic paste composition, if any, is imperceptible from the physico-chemical results of the present work.

7.3: Despite the marked homogeneity of the physico-chemical analyses the analyzed Mesolithic, Neolithic and the local clayey samples are relatively less differentiated in terms of their clay mineralogy (X-ray diffraction and chemical results) than they are on the basis of their tempering material (petrography).

7.4: The results of the overall data set indicate that the analyzed pottery fabrics have mineral assemblages consistent with that present in the locally available clays.

7.5 Mineralogical analyses of the samples-sets performed in the present research coupled with the analyzed samples from Khartoum Province (Francavigli and Palmieri 1983: 191-205; Khabir, 1987: 45-46 nd Chlodnicki 1989: 369-373); the Western Butana (De Paepe 1991: 261-266) and northern Sudan (Nordstrom 1972: 33-49; Hays and Hassan 1974: 71-79) suggest local manufacture as the pottery inclusions and/ or clay composition indicate local derivation. Given the uniformity in geology and clays in the immediate areas of the investigated sites (see supra) the probability that the Mesolithic and Neolithic ceramics in the central Sudan were locally made becomes much more likely.

Dr. Abdelrahim M. Khabir. Head-department of Archaeology and Deputy Dean, College of Arts and Humanities, Juba University. P.O. Box 321/1, Khartoum, Sudan.
E-mail: khabirjuba@yahoo.com

ملخص: تسلط هذه الدراسة، الضوء على المنشأ (الأصل) الجيولوجي، لعجائن فخار عصر ما قبل التاريخ المتأخر، (العصرين الميزوليثي - Mesolithic والنيوليثي Neolithic 7000-3500 ق. م)، في إقليمي الخرطوم والنيل الأبيض، في وسط السودان. وقد أجريت العديد من التحليلات الفيزيائية والكيميائية، على عينات من فخار ذلك العصر، أُخذَتْ من أربع مستوطنات هي: السروراب -٢ ، الشهيناب ، النوفلاب -٢ وشابونا، في أواسط السودان. وشملت التحاليل: بالمجهر البترولوجي ، أشعة أكس المشتتة، واللصفية، وتقنية الجيوسايت، وذلك في جامعتي الخرطوم (السودان)، وفاخنين (هولندا)، بغية التعرف على طبيعة العجينة (Clay) والشوائب المضافة (Temper)، المستخدمة في صناعة ذلك الفخار. وفضلاً عن ذلك، فقد جرى تحليل الطين غير المحروق، الصالح لصناعة الفخار، المتوافر في منطقة العينات، باستخدام تقنيات التحاليل نفسها، المشار إليها آنفاً، لإعطاء صورة متكاملة ومتماسكة، عن طبيعة المنشأ الجيولوجي للفخاريات موضوع الدراسة. وقد أثبتت التحاليل المختبرية، أنّ العجائن، التي صنعت منها الأواني والأدوات الفخارية، متوافرة محلياً ؛ ما يرجّح الاحتمالَ أنّه جرى تصنيعها في المستوطنات ذاتها، أو المناطق التي حولها.

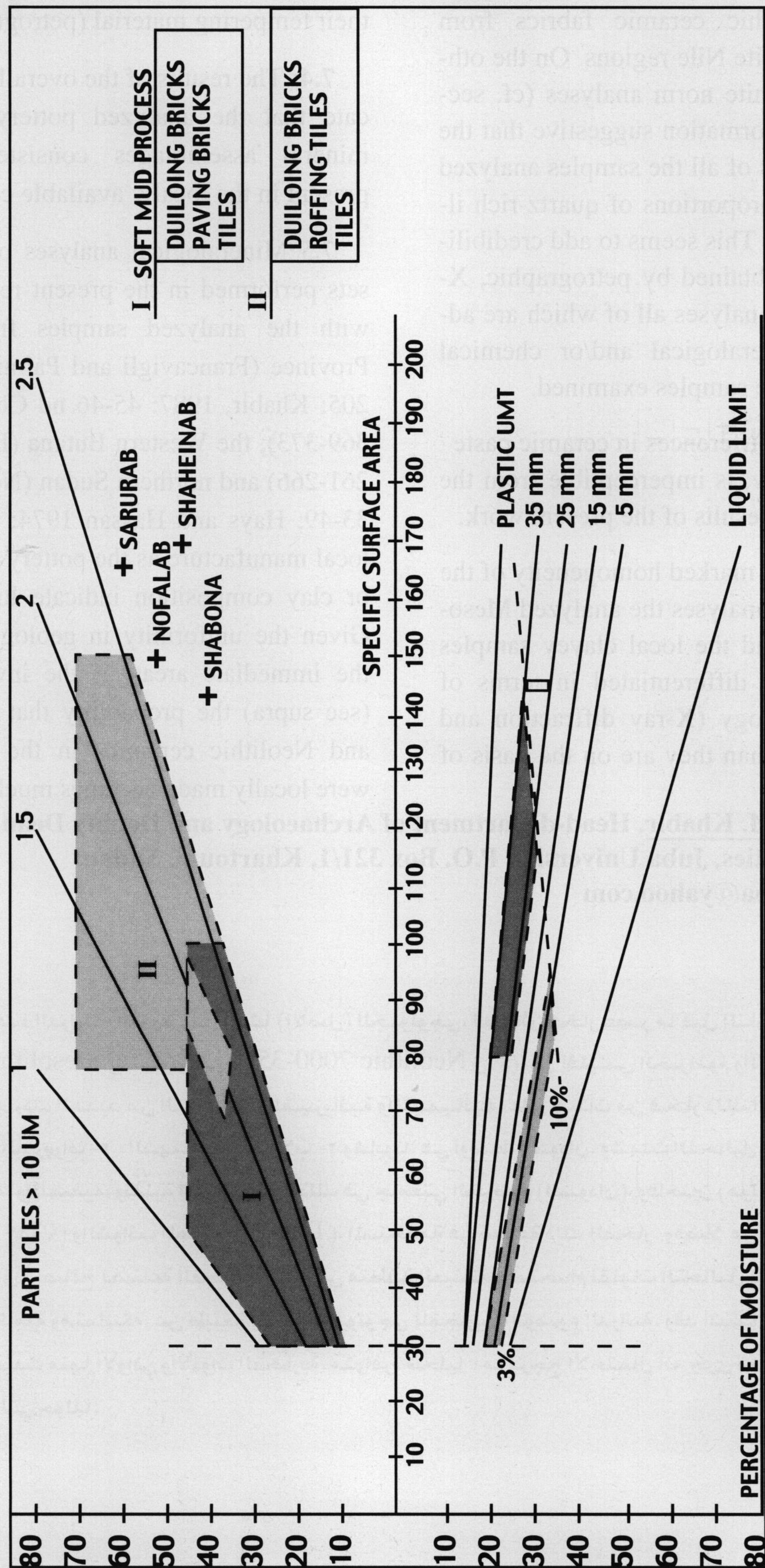


Fig. 6: The Position o the Four Clays under Discussion in a Suitability Diagram.

Minerals	Shaheinab			Nofalab2			Sarurab2			Shabona		
	Sherd 1	Sherd 2	Clay	Sherd 3	Sherd 4	Clay	Sherd 5	Sherd 6	Clay	Sherd 7	Sherd 8	Clay
Quartz	50.96	51.37	52.12	53.13	51.63	54.80	37.51	29.10	*44.78	50.65	49.99	37.93
Sanidine	9.69	9.33	8.56	8.6	8.81	7.92	21.38	25.46	*11.08	8.90	8.69	11.80
Anorthite	14.19	14.70	16.76	14.14	13.96	13.47	11.06	14.65	14.38	14.58	15.61	*26.61
Mullite	10.25	10.24	*4.82	11.7	10.40	*5.70	12.55	18.65	*8.86	11.31	9.61	*-0.46
Spinel	4.01	4.02	*7.01	3.19	5.66	*9.61	6.78	4.35	*8.45	3.47	4.58	*10.04
Rutile	1.66	1.61	1.74	1.21	1.16	1.6	1.66	0.93	*2.08	1.52	1.62	2.50
Hematite	9.24	8.73	8.99	8.3	8.48	6.9	9.04	6.86	*10.37	9.58	9.90	11.59
Ceramic Norm: Q; Or; An; Geh; Mull; Ru; Hm.												
Quartz	50.31	50.84	48.94	50.46	55.1	51.6	33.14	28.19	39.64	50.66	49.09	34.03
Sanidine	9.69	9.33	8.55	9.31	8.7	9.2	21.37	25.46	*11.13	8.90	8.69	11.80
Anorthite	6.10	6.11	*10.67	7.27	7.2	8.3	10.32	6.62	12.91	5.28	6.97	*15.28
Mullite	3.13	3.37	*1.50	4.89	3.9	4.5	-1.08	3.03	-1.06	3.84	3.28	3.44
Spinel	19.87	20.01	19.60	18.67	13.9	15.86	25.53	28.90	25.27	20.22	20.45	21.37
Rutile	1.66	1.61	1.74	1.98	1.78	1.91	1.66	0.93	2.09	1.52	1.62	2.50
Hematite	9.24	8.73	8.99	8.01	9.43	8.68	9.05	6.86	10.02	9.58	9.90	11.58

Ceramic norm. Q; Or; An; Mull; Ru; Hm.

* Denotes differences in composition between sherds and clays.

Table 5: Cdramic norms of the matrix of the samples arrived by subtraction of the Q-content arrived at by point counting analysis.

metamorphic sources) has been confined to Khartoum Province sherds (Sarurab2, Shaheinab and Nofalab2) (cf. section3.1). This fabric seems too have been a derivation from outcrops at Sabaloka Gorge in close proximity to the sampling area (fig. 2) where ancient orogenic igneous and metamorphic rocks prevail.

6.2: X-ray diffraction results of ceramics versus the local clays are highly heterogeneous. On the basis of these results it is difficult to discern any characteristic groupings. The X-ray analysis of pottery samples shows the absence of the key minerals (e.g. montmorillonite, kaolinite, illite, chlorite...etc.). In the meantime the modern local clays of the sampled-sites hold appreciable fine earth fractions of montmorillonite. The result is in accord with the abundance of montmorillonite clays in the recent sediments of central Sudan. These clays are characterized by predominant or large amounts of minerals of montmorillonite group with small amounts of kaolinite, traces of quartz and mica are detectable (see Buursink 1971: 192 and Vail 1982: 92).

6.3: XRFS analysis shows that the chemical content of all the samples (cf. table:4) from Khartoum and White Nile regions is characterized by silicon rich sand. SiO_2 concentration reaches ca. 64 wght% at the average. The high silicon concentration is suggestive that the composition of the analyzed pottery samples (temper and matrix) is characterized by high amounts of incorporated quartz grains resulting from the prevalence of Nubian Sandstone Formation in the two regions that form the case study of this research. The rest of the minerals have been identified in much lesser amounts, most of which are below 2 wght%.

6.4: It appears from the Goethite norm calculations (tables: 4&5) that the clay minerals of the potsherds and clay samples are dissimilar. The percentage of illite minerals of Sarurab2 pottery are higher than that of other samples, they are even not comparable to that of the clay of the region suitable for pot making. Moreover, in each of the comparison one or two norm minerals of the sherds do not compare well with the norm minerals of the clay. It can be postulated from this evidence that the clay samples were not used in preparing the pottery in question (see the diagram, fig. 6). It is equally possible that the clays analyzed are not used as such for pottery making. Certain pretreatment is done and the clays are mixed with temper (dung) as can be observed from the present day local potters of the areas investigated. The aim is to counteract excessive shrinkage and to ensure uniform drying and hence lessening the probability of cracking. It seems more likely that the ceramics of the Sarurab2, Shaheinab, Nofalab2 (Khartoum Province) and Shabona (White Nile region) might have been tempered prior to firing. The abundance of angular and sub-angular non-plastic mineral inclusions in the composition of the sampled-sherds strengthens the probability that they have been added as temper. If that is the case, then this difference in the mineralogical composition between sherds and clays is not a conclusive evidence that they are not related. Pretreatment may cause either decrease or increase of the percentage of particular minerals in the sherds as compared to the clay matrix depending on whether or not the pretreatment material added contains the mineral in question.

7. Conclusions:

7.1: The present physico-chemical analyses indicate that X-ray diffraction (cf. section 3.2) and chemical analyses (cf. sections 4.1, 4.2) tend to support the results gained from petrographic analyses (cf. section 3.1) that quartz, feldspar and iron inclusions are the most common non-plastic minerals in most of the Meso-

Sample	Shaheinab			Nofalab2			Sarurab2			Shabona		
	Sherd 1	Sherd 2	Clay	Sherd 3	Sherd 4	Clay	Sherd 5	Sherd 6	Clay	Sherd 7	Sherd 8	Clay
Quartz	47.82	49.21	50.93	46.23	45.41	51.31	32.90	35.29	32.32	47.60	41.89	37.42
Illite	10.68	10.06	8.39	11.77	10.82	7.69	40.07	45.89	17.77	9.83	10.26	11.63
Kaolinite	13.45	13.59	4.79	14.22	12.59	4.39	-7.58	-3.41	6.24	16.31	14.53	-0.45
Mont.	16.46	16.17	25.59	12.82	14.22	24.67	24.91	14.66	36.20	14.33	20.16	36.85
Hematite	6.36	5.79	4.96	5.98	6.18	4.49	5.07	3.64	6.64	6.72	7.21	6.24
Calcite	3.94	3.98	4.14	3.39	3.62	4.56	3.47	3.33	4.16	4.05	4.62	6.59
Anatase	1.28	1.21	1.19	4.21	2.21	1.14	1.15	0.59	1.67	1.17	1.33	1.72
Loss on ign	4.89	4.88	4.11	1.38	1.35	4.17	3.49	3.78	5.03	5.19	5.50	5.15
Matrix												
Quartz	36.42	36.54	32.54	37.12	35.57	33.44	20.54	16.75	20.85	36.45	33.90	15.47
Illite	13.04	12.53	11.55	12.39	13.46	10.65	29.01	33.86	14.93	11.93	11.65	15.71
Kaolinite	16.36	17.00	6.51	18.37	17.73	7.61	3.88	16.72	7.29	19.81	16.59	-0.60
Mont.	20.08	20.21	35.25	16.64	15.33	33.01	34.25	21.54	42.35	17.32	22.87	49.76
Hematite	7.74	7.24	6.82	7.14	9.32	5.24	6.96	5.36	7.76	8.16	8.20	8.43
Calcite	4.80	4.97	5.69	4.48	3.88	5.31	3.77	4.90	4.87	4.91	5.26	8.91
Anatase	1.56	1.51	1.64	1.55	1.38	1.38	1.57	0.87	1.96	1.42	1.52	2.32
Loss on ign	5.96	6.10	5.64	5.86	3.76	5.74	5.17	7.06	5.89	6.31	6.27	6.96

Table 4: Goethite norm of the clay samples and sherds.

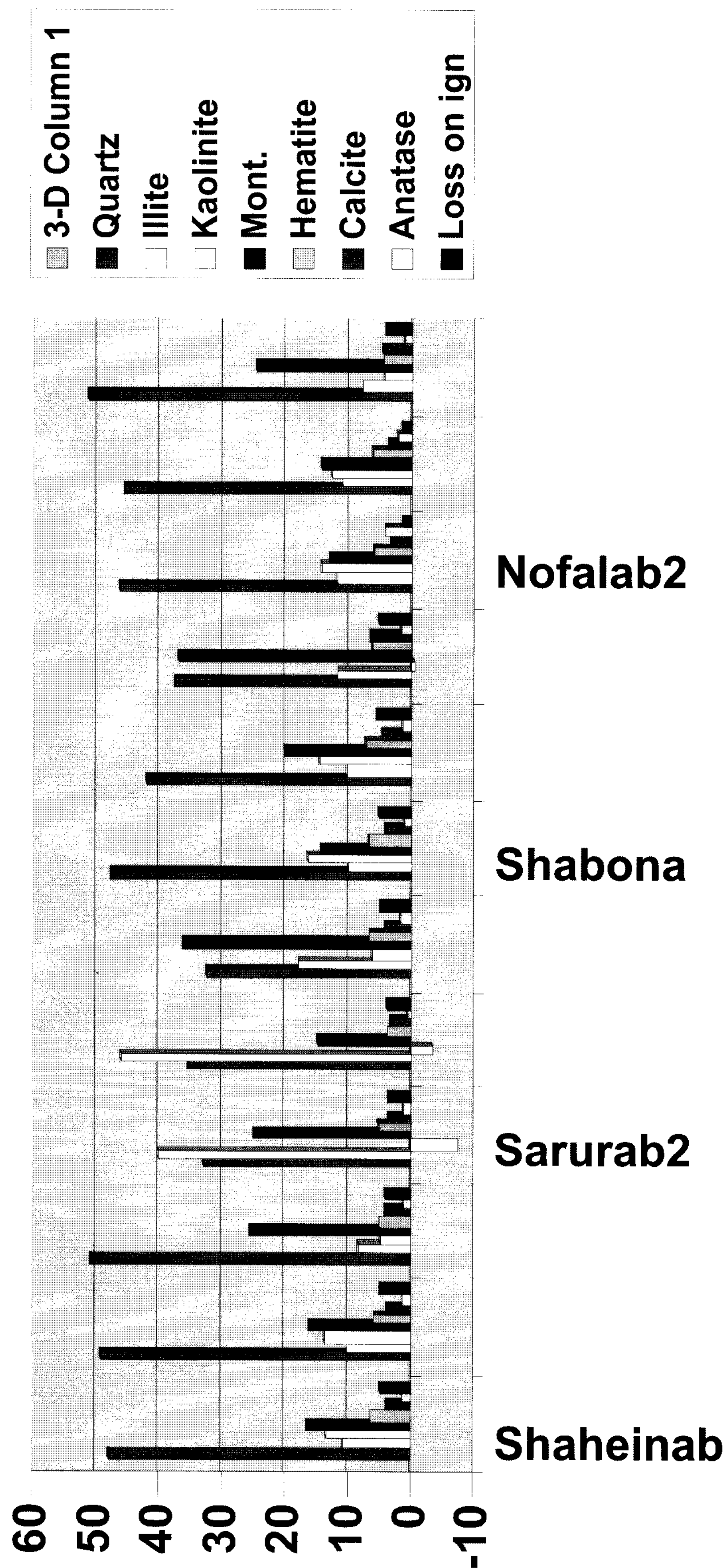


Fig. 5: Goethite norm of the clay samples and sherds.

ferences before firing to 800 C. On the other hand, the proportions of norm minerals of the sherds in comparison with clays of Sarurab2 and Shabona are different.

5.2: Ceramic Norm of the Matrix (table 5)

Before firing the percentages of the norm minerals of the sherds versus clays are different. After firing to 800 C at a pressure of 1 bar, the norm minerals of both sherds and clays are comparable.

6- Discussion:

6.1: It is difficult from the petrological results outlined above to pinpoint any characteristic groups with certainty. However, the petrographic analysis indicates that most of the Mesolithic and Neolithic ceramics analyzed in the present work are mainly characterized by quartz grains, little or absence of feldspar (mainly microcline and plagioclase) and mica. This suite (Fabric 1) suggests a derivation from Nubian sandstone formation prevailing in most parts of northern and central Sudan including the sites investigated (see Whiteman 1971: 58).

Considerable number of the analyzed sherds reveal igneous source (33%). This is indicated by the occurrence of appreciable quantities of microcline, perthite and low amounts of non-plastic quartz in the composition of fabric 2 (cf. section 3.1). The igneous origin for the Khartoum Province samples (Sarurab2, Shaheinab and Nofalab 2) seems to lie within the rocks of Sabaloka Basement Complex at the sixth cataract (fig. 2). On the other hand, the nearest likely source for the igneous fabric of Shabona ceramics (White Nile) lies ca. 200 km. to the north at Sabloka Gorge north of Khartoum (fig. 2). This seems to suggest either a high degree of mobility by at least a segment of dwellers of Shabona site or the presence of some sort of exchange mechanism via some mobile groups (hunters and gatherers) who might have played the role of middlemen between the folks inhabiting the areas along the strip of the Nile in Khartoum and White Nile regions during the prehistoric era.

Fabric of mixed lithography (igneous and

Chemical	Nofalab2	Sarurab2	Shaheinab	Shabona
SiO_2	61.03	62.50	68.93	63.54
Al_2O_3	15.73	15.66	10.54	12.61
Fe_2O_3	9.31	8.22	5.85	7.78
FeO	n.d.	n.d.	n.d.	n.d.
MnO	0.15	0.12	0.18	0.13
MgO	2.58	1.90	1.29	1.91
CaO	3.82	2.30	2.20	3.60
Na_2O	n.d.	n.d.	n.d.	n.d.
K_2O	1.41	1.49	0.94	1.34
H_2O	5.12	5.84	7.69	7.44
TiO_2	1.86	1.65	1.13	1.68
P_2O_5	0.26	0.23	0.10	0.17
	101.27	99.93	98.85	100.20

Table 3: Chemical composition of the samples in weight percentage.

Sample	PH paste	PH water	CO3	HCO3	Cl	Mg	Na	Ca	K
Nofalab2	8.0	8.7	0.0	4.7	5.25	5.4	55.0	3.8	2.5
Sarurab2	8.1	8.5	o.o	7.9	5.4	4.6	46.2	3.7	1.2
Shaheinab	8.1	8.4	o.o	6.8	8.1	4.4	33.7	3.3	4.5
Shabona	8.1	8.3	o.o	5.5	5.7	4.3	16.5	2.3	4.8

Exchangable ion m.e./1.

Table 2: Chemical Information on the samples.

sumes the minerals quartz, sanidine, anorthite, gehlenite, mullite, rutile and hematite to be formed or present in the sherd Q; Or; An; Geh; Mull; Ru; Hm norm assumes the minerals quartz, sanidine, anorthite, gehlenite, mullite, rutile and hematite to be the result of the firing process. Before choosing these norms, the chemical analyses of a few samples were used in a computer programme that calculates the thermodynamically stable mineral assemblages under circumstances determined by the operator. The programme is a modification of Brown and Skinner (1979).

Firing under oxidizing circumstances at a pressure of 1 bar and a temperature of 800 C, theoretically produces the minerals of quartz, enstatite, andalusite, sanidine, anorthite, anantase and hematite. As enstatite and andalusite never occur in ceramic products, mullite and spinel were used instead. Another aspect of the norm conclusions is inherent in the chemical analyses (table: 3). As NaO content was not altered, plagioclases could not be determined. Anorthite, the calcium endmember of the plagioclase group is calculated instead on the basis of the available CaO. Then the two ceramic norms (composition of the sherd and the matrix) will be matched against the clay samples to see whether the norm minerals are similar or different and the implication(s) of this phenomenon.

5.1: Ceramic norm of the clay samples and the sherds (table 4)

Differences and similarities can be observed between the norm mineral composition of the clay samples and the potsherds. Similarities between the norm minerals of Shaheinab and Nofalab sherds and that of clays are outnumbering the differences. Percentages of quartz, sanidine, anorthite, rutile and hematite in the sherds as compared to the clays are similar, whereas mullite and spinel exhibit marked dif-

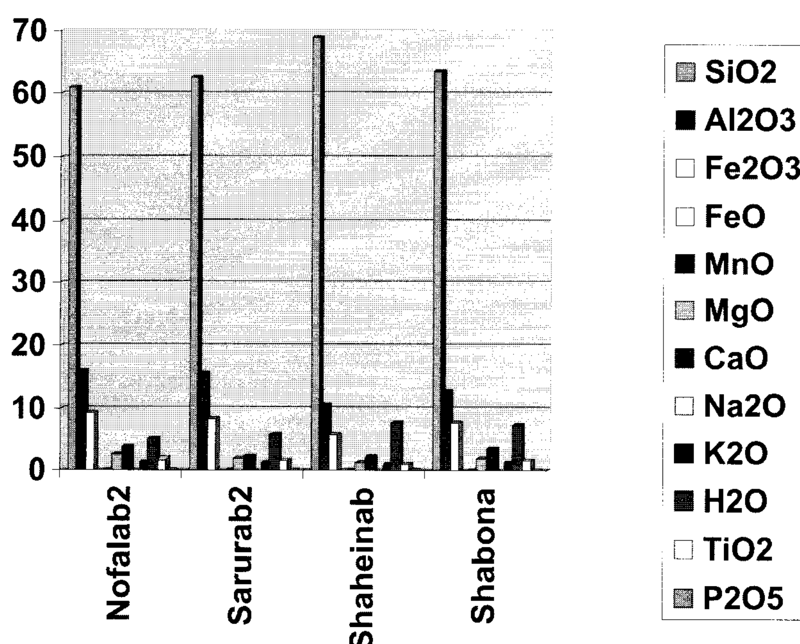


Fig. 4: Chemical composition of the samples in weight percentages.

ment (Reeves and Brookes 1978: 2) and therefore reflecting very specific local sources.

(b) Trace elements composition appears to be unsuitable for the classification of prehistoric ceramics containing appreciable amounts of coarse minerals (Buko 1984: 348).

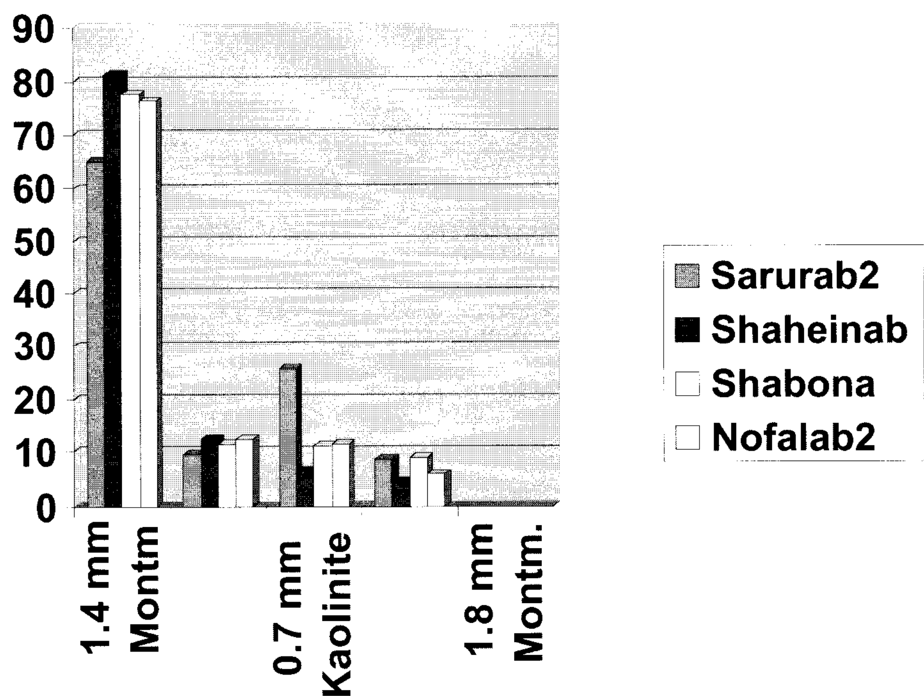
The samples were processed with a highly automized Philips X-ray fluorescence apparatus model PW104 which is computer-controlled. The results (table: 3) indicate that the chemical composition of all the samples is silicon-rich. When silicon oxide (SiO_2) is high it is probable that free quartz content will be high and this is the most common impurity of clays (Wilson 1927: 44).

Aluminum (Al_2O_3) which is a rough index of feldspar occurs mainly in the form of feldspar, feldspathoids and to a lower extent may be of amphiboles and pyroxenes (Jeffery 1975: 94). The percentages of aluminum are comparable in almost all the samples and all of which are below 16wght %. Ferric oxide (Fe_2O_3) is present in all the samples with less than 10wght %. Ferrous (FeO) and sodium (Na_2O) oxides were not calculated. The rest of the mineral oxides including manganese (MnO), magnesium (MgO), calcium (CaO), potassium (K2O), titanium (TiO_2) and Phosphorous (P_2O_5) are generally below 2wght %.

5. Goethite Norm analysis:

A useful method for the comparison of clay samples and samples of sherds is the calculations of the so-called norm composition (cf-section 2). The tables 4 and 5 give the results in terms of goethite norm (composition of the clay and of the fine earth fractions) and 800 C ceramic norm (composition of the sherds and the matrix) (fig.5).

Table no. 4 lists two ceramic norms that minerals quartz, sanidine, anorthite, spinel, rutile Q; Or; An; Geh; Mull; Ru; Hm norm as-



P.A.P. = Proportional area percentage according to Porringa (1967).

Fig. 3: P.A.P. X-ray analysis of the < 2 u.m Fractions of the samples.

	1.4 mm Montm	1.0 Mm Mica/illite	0.7 mm Kaolinite	0.343 Quartz	1.8 mm Montm.
Sarurab2	64.83	9.43	25.72	8.58	**
Shaheinab	81.25	12.34	6.4	4.45	**
Shabona	77.49	11.40	11.11	8.72	**
Nofalab2	76.29	12.35	11.35	5.81	**

P.A.P. = Proportional area percentage according to Porringa (1967).

Table 1: P.A.P. X-ray analysis of the ‹2 u.m fractions of the samples.

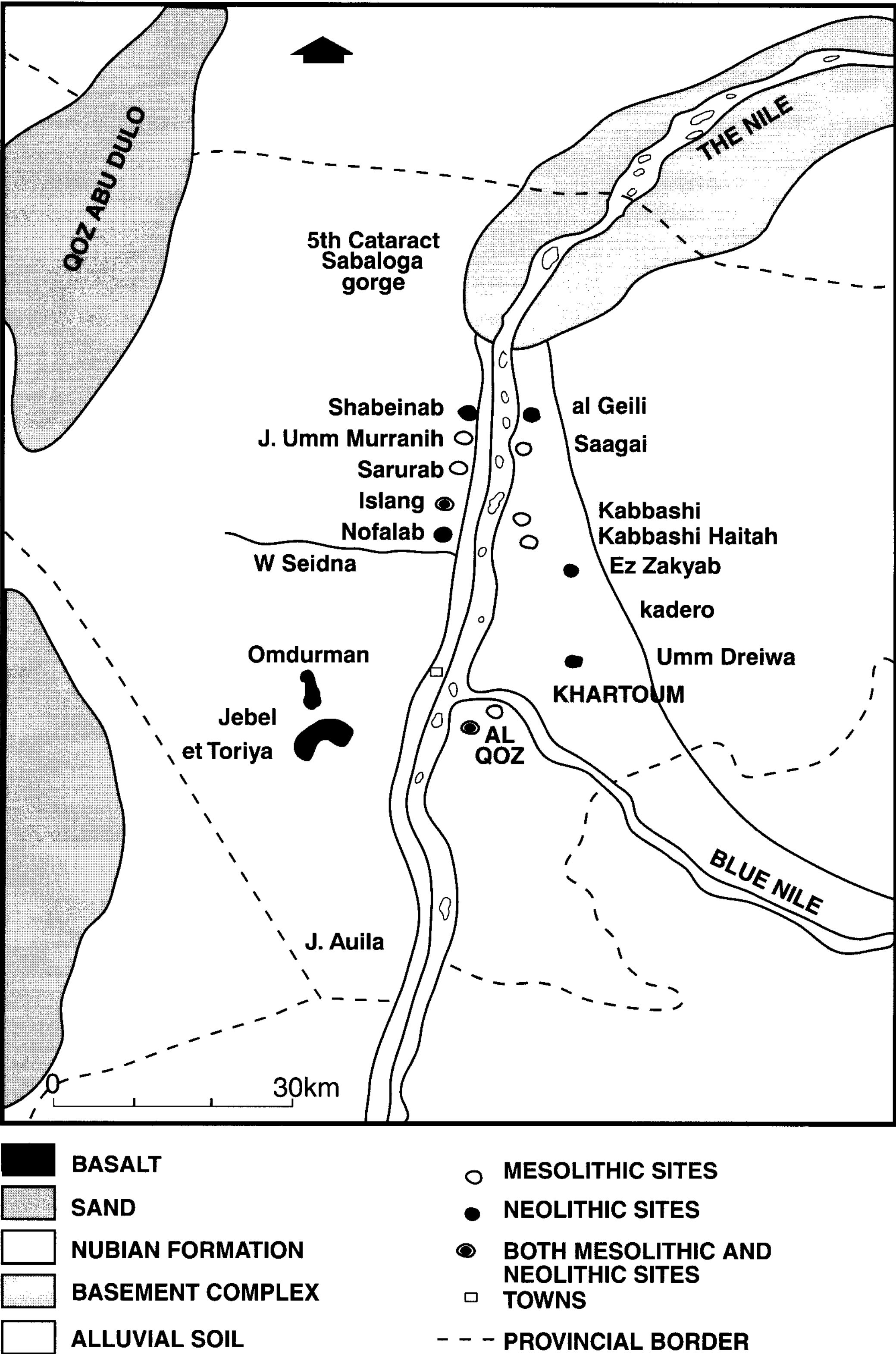


Fig. 2: Distribution of Mesolithic and Neolithic sites in Khartoum Province, in relation to the geological formations (after Mohamed Ali, A. S. 1982: 39 with some modifications).

ed as follows: the smaller fraction than 0.002 mm, was separated after a pretratment with H2O2 (removal of organic material) and acetic acid (removal of carbonate). The suspension of the sample was brought on a ceramic holder and the sample was turned into a Mg-clay (see table:1).

3.2.1 Pottery samples

The results of X-ray diffraction analysis indicate that quartz is a chief mineral component of the samples analyzed and it was detected in appreciable amounts. Other clay minerals including montmorillonite, kaolinite, illite and chlorite are found only in the form of traces. This immediately shows that the firing temperature of the wares examined is higher than 800 C. These clay minerals have undergone structural changes at different firing temperatures and some of them become amorphous at a temperature exceeding this degree.

3.2.2 Clay samples

3.2.2.1: The Nofalab clay shows a pronounced 1.4 mn and a pronounced 0.7 nm peak. Treatment with glycol shows a shift of much of 1.4 mn peat at 1.8 nm indicating the prescence of montmorillonite. The 1.0 peak of micas and illite is not sharp but rather weak. The 0.7 peak of kaolinite is sharp and well-developed. Therefore, Nofalab clay is a kaolinite-montmorillonite clay.

3.2.2.2: The Sarurab clay shows much the same pattern as the Nofalab one. The mount of kaolinite, however, is much higher than in the Nofalab clay.

3.2.2.3: The Shaheinab clay differs from the former two samples in showing very small amounts of kaolinite and mica. This feature is also characteristic of the Shabona clay. Remarkably, the amount of mica-type clay minerals in all the samples is approximately similar.

4- Chemical properties of the samples:

4.1: Chemical information on the exchangeable anions and cations and pH. values (table: 2).

The chemical properties of the clay samples used by the present day potters were determined by the present writer at the department of soil science, Khartoum University (1981).

4.1.1: pH. of the samples (table 2)

The pH. of the clay samples was determined using pH. meter immersed in solution of a fixed buffer (9.2). The saturation paste was prepared by adding soil of a known quantity to the paste consistency and saturation extract was sucked using a vaccum. Solution of soil to water ratio of 1:5 was prepared in order to measure the pH. of the soil suspension. The results (table: 2) show that the pH. values are above 7.0 denoting alkaline clays.

4.1.2: Soluble salts and Metallic Ions

Carbonate, bicarbonate (insoluble salts), calcium and magnesium (metallic ions) were determined using the Titration method whereas sodium and potassium were obtained by flame photometer (table: 3).

4.2: X-ray fluorescence spectrometric analysis

In the present work ten major elements were analyzed: SiO_2, Al_2O_3, FeO, Mno, MgO, CaO, KO, HO, Tio and Po (table: 3, fig.4). These elements were chosen for the following reasons:-

(a) Major compounds provide information on tempering material and hence on lithological provenance as well as technology (Palmieri 1987: 225-226) whereas trace elements are sensitive indicators as to geochemical environ-

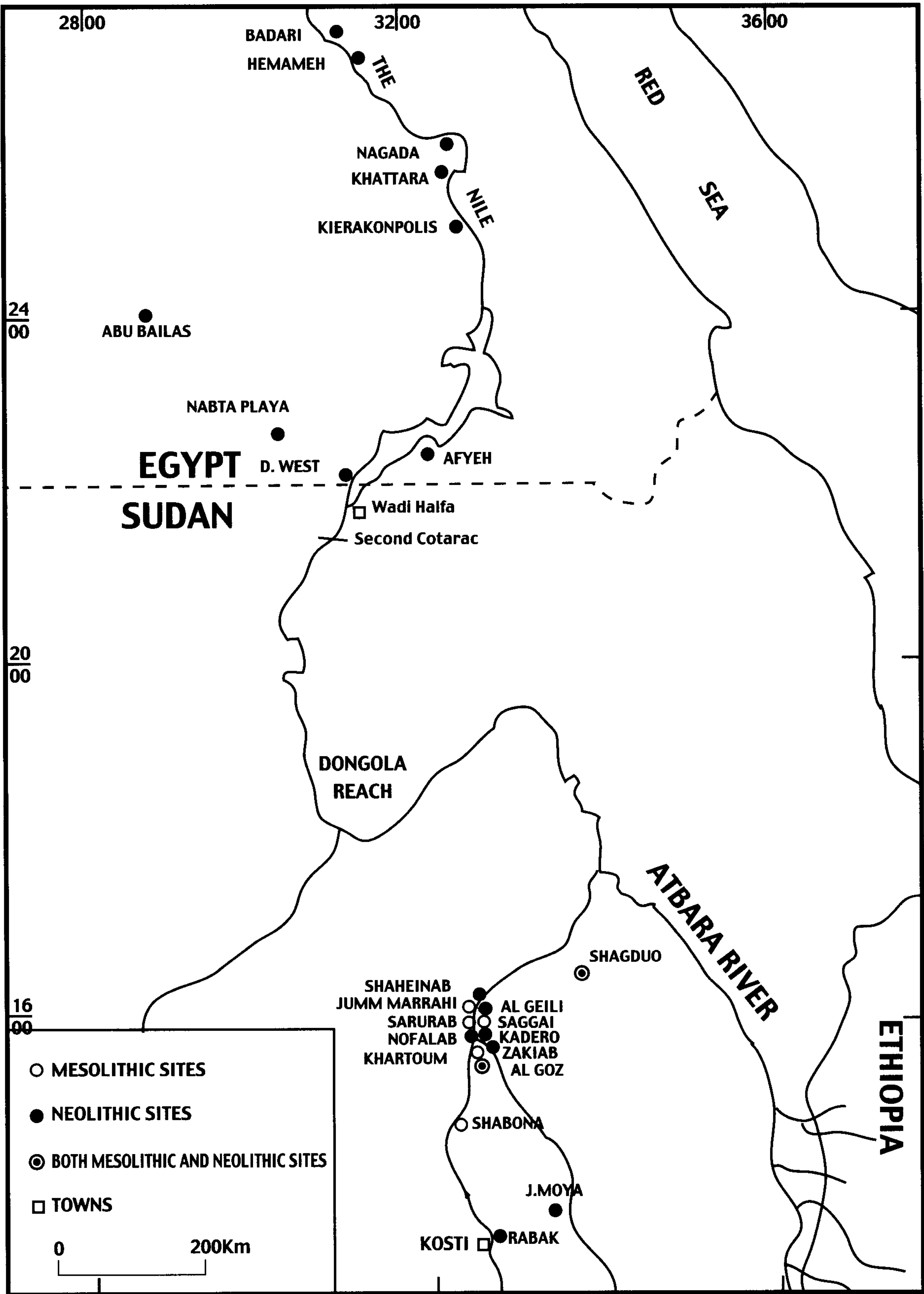


Fig.1: The Main Mesolithic and Neolithic Sites in the Central Sudan.

chemical elements can be determined (Hodges 1981: 25).

Goethite norm technique was used to determine the original fine earth fractions which might have been present in pottery prior to firing. It is worth mentioning that pottery can be regarded as a metamorphosed sedimentary rock, hence it can be argued that ceramics are best approached in a manner similar to that in the geological study of the parent raw material (Peacock 1977: 26). This technique provides the petrologist with a set of hypothetical mineral assemblages that are petrogrphically comparable and similar to certain mineral assemblages found in rock specimens. It can also lead us to know the mineral assemblages of a specific parent rock if it has been changed without the removal or addition of material into 'stable' mineral assemblage of the various soil horizons (Plas and Schuylenborgh 1970: 365).

3- Results:

3.1 Petrographic analysis

Preliminary analysis of Sarurab2, Shabona, Shaheinab and Nofalab2 ceramics was conducted by the present writer at the Geology department of Khartoum University (1980) using a hand-lens (10 X) and a binocular microscope (20 X). The aim was to make broad fabric classifications and to reduce the number of thin sections required. The potsherds representing the fabric variables of each site (Sarurab2, N=18; Shabona, N=12; Shaheinab N=15; Nofalab2, No=14) were selected for further analysis by petrographic microscope (80 X). The samples represent all the fabric variations and the range of the main decoration styles diagnostic of time periods found at each sampled-site. Thin sections were prepared of standard thickness (0.03 mm.).

The petrographic results can be classed into three main fabric groups (see fig.2):

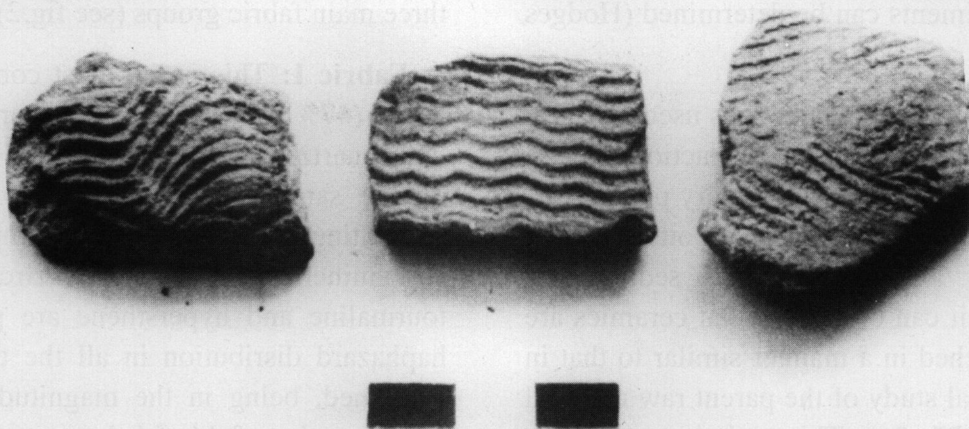
Fabric 1: This is the most common fabric group (47% of the total). It is characterized by high quartz content reaching 70% in the bulk of the samples. Feldspar is generally little amounting to 5-13% in most samples. Accessory minerals which include zircon, epidote, tourmaline and hypersthene are present in a haphazard disribution in all the thin sections examined, being in the magnitude of 1% or less. Samples of this fabric were derived from Sarurab2 (N=8 sherds), Shabona (N=7 sherds), Shaheinab (N=7 sherds), and Nofalab2 (N=6 sherds) sites.

Fabric 2: This fabric denotes an igneous source (33.5% of the total). It is characterized by high content of microcline and perthite (ca. 67%) with relatively low mounts of non-plastic quartz (ca. 5-37%). The fabric is represented by samples from Sarurab2 (N=6 sherds), Shaheinab (N=4 sherds), Nofalab2 (N = 5 sherds), and Shabona (N=5 sherds) sites.

Fabric 3: It represents a mixed lithography (ca. 19% of the total samples). It has a distinctive appearance under the polarized microscope, mainly composed of abundant polycrystalline quartz and K-feldspar (igneous source) coupled with varying amounts of hornblende, muscovite, muscovite mica and/or rock fragments (metamorphic source) suggestive of mixture of tempering inclusions from igneous and metamorphic sources. It has been identified in the composition of ceramics from Sarurab2 (N=4 sherds), Shaheinab (N=4 sherds), and Nofalab (N=3 sherds) sites.

3.2 X-ray diffraction analysis

Pottery and clay samples of the four sites were studied with X-ray diffraction at the department of soil science and geology at Wageningen National University, Netherlands, 1980 (table: 1, fig.3). The samples were treat-



Pl. 1: Wavy-line Decoration: Khartoum Mesolithic Tradition.



Pl. 2: Zigzag-dotted Decoration: Khartoum Mesolithic Tradition.



Pl. 3: Triangular Decoration: Khartoum Neolithic Tradition.

and Shabona (***14º 38′ N, 32º 16′ E***) which are affiliated to the Khartoum Mesolithic tradition (ca. 7000 - 5000 B.C.). The other two sites include Shaheinab (***16º 03′ N, 32º 33′ E***) and Nofalab 2 (***15º 52′ N, 32º 32′ E***) and belong to the Khartoum Neolithic tradition (c. 4500 - 3500 B.C.) (see the map, fig.1 and infra).

The mineralogical analyses described here were based on pottery samples unearthed from the present writer own excavations at Sarurab2 and Nofalab2 sites or made available to him from a series of excavated Mesolithic (Shabona) and Neolithic (Shaheinab) sites on the White Nile (***13-14º 50′ N, 32º 18′ E***) and Khartoum (***15-16º 14′ N, 32º 34′ E***) districts respectively.

The Mesolithic pottery (Sarurab2 and Shabona) is characterized by the diagnostic wavy line decorations (Arkell 1949) whereas the Neolithic one (Arkell 1953) is distinguished by triangular and fish-scale patterns. Further frequent decorations include impressed straight, incised and zigzag designs (see Pls. 1, 2 & 3).

It is to be noted that the pottery samples of the Mesolithic and Neolithic sites are generally hard of coarse grained-fabric and well-fired. The surface colour is mainly reddish brown with various shades (***2.5YR 5/4; 5YR 5/3, 5YR 5/8, 7.5YR 6/4***) Munsell soil colour chart 1975). The sole exception, is the surface colour of the Mesolithic pottery which is mostly pale brown (***10YR 6/3 Munsell***). The fractures are mainly coloured in shades of grey (***2.5YR - N3/0, 5YR 5/1, 5YR 4/1, 7.5YR 3/1, 10YR 3/1***) or dark grey (***2.5YR - N 4/0, 5YR - N 3/0, 7.5YR - N 4/0***) colours.

2- Methodology:

In the present research both physical and chemical methods have been used to determine the lithological provenance of the Mesolithic and Neolithic ceramics derived from four archaeological sites in the central Sudan (see supra).

Petrographic analysis is used to determine the origin of temper utilized in forming ceramics. It is noteworthy that this method is widely applicable and useful analytical tool in the study of prehistoric ceramics (Shepard 1965 and Peacock 1970). Ancient ceramics are studied with petrographic microscope either in thin section or in powdered form.

Thin section has been used here as it has several advantages over a powdered sample. It indicates the texture of paste, the proportion of inclusions, the size and shape of grain, the relationship and proportions of different minerals. Moreover, thin section can be utilized for both quantitative and qualitative studies (Shepard 1956: 139-140).

In order to compare the tempering inclusions with that of the paste, X-ray diffraction (XRD) has been used. This technique is utilized to obtain qualitative information on clay mineralogy and rarely used to obtain quantitative data (Weymouth 1973: 33). As the thin-section technique has a drawback that it does not permit the study of clay mineralogy of pottery and since clay mineralogy varies in different deposits (e.g. montmorillonite, kaolinite, illite, ...etc.), the XRD can, theoretically, be used to characterize pottery (Peacock 1970: 380).

In order to further differentiate pottery from the sites investigated and to trace the possible source of raw material utilized in its manufacture, the chemical composition of the pottery has been determined using X-ray fluorescence spectrometric technique (XRFS). This method is of a particular value in distinguishing between wares that appear identical under the microscope. It gives no indication of the minerals in the body, though the proportion of the

Lithological Provenance of Prehistoric Ceramics from the Central Sudan: A physico-chemical Approach

Abdelrahim M. Khabir

Abstract: *The present study sheds lights on the provenance of prehistoric ceramics from four archaeological sites in th central Sudan (**lat. 14º 50' - 16º - 30' N; long. 32º 18' - 38º 54' E; fig. 1**). To elucidate the nature of temper and clay matrix used in the production of these ceramics and to discern their lithological provenance, a series of physico-chemical analyses (petrographic, X-ray diffraction, X-ray fluorescence and Goethite Norm techniques) were used. Moreover, unfired clays that might have been used to make these ceramics were examined to get an impression of the composition in terms of mineralogy of the original clays utilized. The results of the physico-chemical analyses of the pottery samples recovered from the investigated-sites suggest local manufacture as their temper inclusions and soil samples indicate local derivation.*

Introduction:

Provenance studies are commonly used in many researches, besides pottery including obsidian and stone artifacts (e.g. Bradely and Suthern 1990: 117-122). These are very important in ancient pottery studies, and the critical first step in studying pottery production is to determine where artifacts were produced. In a historic period this does not pose a great difficulty since the presence of documents and known kiln-sites indicate the location of pottery source (Shepard 1956: 165-168 and Rice 1987: 413). In prehistoric periods information of the location of production-sites, the types of pottery fabricated and the organization of production are of great importance (Rice 1987: 413).

Pottery provenance studies can be conducted using three approaches: firstly there are studies whose primary aim is to evaluate the usefulness of various research techniques, making use of several tests upon the empirical data. The work of Van der Leeuw (1976) on the Neolithic pottery in Netherlands and medieval pottery (dated ca. 600-1200 A.D.) on the Eurphates in northern Syria is an example of this approach.

The second approach involves various types of analyses including petrological, chemical, mineralogical, thermic, etc. A model of composition is established for local production. Some archaeologists believe that it is possible by this way to establish precise standards of raw material composition with geological data and to isolate samples of unidentified provenance. The work of Hulthen on the Neolithic and Iron Age pottery in Denmark and Germany can be taken as an example to represent this line of investigation (see Hulthen 1977).

The third approach, which is applied more widely, parallels detailed studies of both ceramics and raw material of a region via a series of physico-scientific analyses. The work of Nordstrom on the early and middle Nubian pottery from Sudanese Nubia illustrates this line of research (see Nordstrom 1979: 33-93). It is noteworthy that the present research has adopted this type of investigation as it provides a coherent picture about the criteria diagnostic of the origin for the pottery in question.

In the present work the analyzed pottery samples were derived from four archaeological sites; namely Sarurab2 (***15º 56' N, 32' 32º E***)

Issue No. 11 Jan. 2005
ISSN: 1319-8947 (pp. 7 - 26)

الافتتاحية

كان لي شرف المشاركة، في مؤتمر عالمي، عن "علم الآثار الإسلامية"، في استانبول، في الجمهورية التركية. دعا إليه (مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ارسيكا IRCICA، في الفترة من ٢٩صفر - ١ ربيع الأول ١٤٢٦هـ الموافق ٨ - ١٠ أبريل ٢٠٠٥م). عندما تسلمت الدعوة إلى المؤتمر، سألت نفسي: هل هناك علم آثار إسلامية؟ وقلّبت الأمر على جميع جوانبه، حتى حببت إليَّ نفسي أن أكتب حول هذا الموضوع؛ ولكنني قلت: لا داعي لذلك مادام هناك مختصون. لا أشك في أنهم سوف يثيرون هذا الموضوع، وخاصة أن من دواعي إقامة الندوة هذه أن الآثار الكلاسيكية والبيزنطية وما قبلها حظيت بنصيب وافر من اهتمام مراكز البحث الآثارية، في الجامعات والمؤسسات المهتمة بتراث الشرق الأدنى القديم في العالم المتقدم، بينما لم تحظَ الآثار الإسلامية بذلك القدر من الاهتمام.

كنت أتوقع، أن تكون هناك أكثر من جلسة، في بداية الندوة، تتناول بالنقاش العميق هذه النقطة والإجابة عن التساؤل: هل هناك علم آثار إسلامية؟ حتى يصل المجتمعون إلى كلمة سواء، ثم تبدأ المحاضرات الأخرى. ولكن الذي حدث هو أن لم يتناول هذا الموضوع سوى باحثين تركيين، كانت وجهة نظرهما أن ليس هناك علم للآثار الإسلامية؛ لأن ما يمكن حسبانه موقعاً إسلامياً لا يعدو أن يكون بقايا حضارة إسلامية، لا يمكن أن تدخل ضمن مقتضيات علم الآثار بمفهومه الأوّلي وهو البحث عادة عن مجهول، وقل أن نجد موقعاً إسلامياً لا نعرف عنه الكثير، قبل تنقيبه. أعتقد أن الموضوع يحتاج إلى نقاش ثم نقاش ثم نقاش؛ ذلك لأن الصورة عن الآثار الإسلامية لا تزال غائمة، وتحتاج إلى مختصين ليجيبوا عن هذا التساؤل: هل هناك علم آثار إسلامية؟ أم حضارة إسلامية؟ تتمثل في العمارة والفنون بكل أنواعها وأشكالها، وما يكتنفها من زخارف ونصوص تذكارية وحاجات عامة.

*****

انتهى التنقيب، في "خريبة لحيان"، في العُلا، وفي "المابيات الإسلامية"، جنوبي العلا. ودعا قسم الآثار والمتاحف، في كلية الآداب، في جامعة الملك سعود، مشكوراً، المختصين، إلى حضور عرض لما أُنجز، خلال هذا الموسم، في الموقعين: القديم والإسلامي؛ ولكن، للأسف، لم يتسن لي حضور أي منهما، لانشغالي بارتباطات مسبقة. فما كان من الزميلين الكريمين: الدكتور سامر سحله، والأستاذ جمال سعد، وهما اللذان يشرفان على التنقيب في "خريبة لحيان"، إلا أنهما اتصلا بي، وأبديا رغبتهما في أن يعرضا عليَّ ما أُنجز في مكتبي. فأكبرت منهما هذا الوفاء الذي قل نظيره بين آخرين. وعرضا عليَّ ما اكتشفاه، فَذُهلتُ لا للنتائج العلمية التي توصلا إليها، ولكن للمستوى العلمي الرفيع والمنهج العلمي الدقيق الذي استخدم في تعاملهما مع الموقع، وكأنني أرى عملاً يشرف عليه كبار علماء الآثار، في مواقع معقدة، من حيث: طبقاتها، ومعثوراتها وتراكماتها التي تؤرخ لحقب تاريخيه.

إن المشرفين على التنقيب، وهما يواصلان عملهما الذي بدآه السنة الماضية، كانا يحاولان إيجاد إجابات عن أسئلة كثيرة نجمت عن نتائج السنة السابقة؛ ولكن الإجابات عن تلك الأسئلة كانت أكثر إثارة وتشويقاً. لقد استطاع الزميلان، أن يكشفا عن طبقات حضارية، ولم يكن هذا الاكتشاف اعتباطاً، كما قد يفهم بعضهم؛ لكنه مبني على قرائن وحقائق تؤكد قدرة الزميلين على المشاهدة والتبصر وحسبان كل ظاهرة من الظواهر بما تستحقه من التحوط والتأكد والمراجعة والتثبت. فجاءت المراحل الحضارية ترسم لنا مراحل التراكم الحضاري، في "خريبة لحيان"؛ بل استطاعا وضع تصور لما كان عليه "المعبد اللحياني" في مراحل مختلفة (بواباته وما حدث له من تغيرات، فرضتها ظروف الحياة السياسية والاجتماعية والعقدية)، عدا أنهما رسما لنا مراحل هجران الموقع، ثم العودة إليه لأكثر من مرة.

وهكذا، يكون العمل الأثري الحق. فهنيئاً للزميلين لما أنجزاه! وشكراً لقسم الآثار والمتاحف، على إعطاء القوس

باريها، ضماناً لاستمرارية العمل العلمي المنظم.

*****

وهناك عمل علمي آخر، يجري في "تيماء"، واسطة العقد في سلسلة المواقع الأثرية، في شمال غربي المملكة العربية السعودية، بالاتفاق بين وكالة الآثار والمتاحف والمعهد الألماني للآثار. وتتوالى أصداء النتائج، من هنا وهناك، من محاضرة ألقاها المنقبون، في السفارة الألمانية، في الرياض؛ وأخرى سوف تلقى هذا الصيف، في "ندوة الجزيرة العربية" في المتحف البريطاني في لندن. ومع اعتزازنا بأن ننشر المعرفة عن تراثنا في الأوساط الأجنبية إلا أننا نتساءل: أما كان الأولى أن تلقى نتائج التنقيب بين أهل الدار، في وكالة الآثار والمتاحف أو في الهيئة العليا للسياحة أو في قسم الآثار والمتاحف في جامعة الملك سعود؟

*****

عندما كنت ممثلاً لكلية الآداب، في المجلس العلمي، في جامعة الملك سعود، في أول تكوين له، كنت أعجب، عندما أنظر إلى قائمة إنتاج المحكمين الأجانب، والتي قد تتعدى المائة عمل علمي أو المائتين، حتى علمت بعدئذ أنهم ينشرون أبحاثاً مشتركة، مع الباحثين، الذين يشرفون عليهم، في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، وخاصة في التخصصات العلمية التطبيقية. أما نحن في العالم العربي، فإننا لا نمارس هذا الحق؛ لأننا نشعر أن هذا قد ينقص من قدر المشرف، كما قد يشعر الآخرون أن المشرف إنما يبني مجده من جهد تلاميذه. ولكن الذي لا مراء فيه، أن المشرف الحقّ على الطالب، والذي يسير مع طالبه خطوة خطوة، ويطلع على كل صفحة يكتبها، ينصح ويوجه ويتناقش مع تلميذه، في كل صغيرة وكبيرة - ما هو في اعتقادي إلا شريك له في العمل العلمي، الذي يظهر في النهاية باسم الطالب، على الرغم من أن المشرف قد صرف وقتاً كان بالإمكان أن يكتب فيه بحثاً بل أبحاثاً مستقلة باسمه، وخاصة إذا أخذنا في الحسبان أن الجامعة لا تكافىء هذا الجهد بالقدر الذي يستحقه، لا من الناحية المعنوية، ولا من الناحية المادية. فهل فكرت الأوساط العلمية الجامعية، في وطننا العربي، في إعادة النظر في هذا الموقف؟! لأنني أتصور أن هذا التوجه، سوف نجني منه ثماراً مفيدة، تنعكس على مستوى البحث العلمي. ولعلي أوجز ذلك في الآتي:

١ . يرتفع المستوى العلمي لرسائل الماجستير والدكتوراه.

٢ . يبذل المشرف قصارى جهده، لينقل لتلميذه خلاصة تجربته، في المنهج العلمي، وفي البحث.

٣ . تقل الفجوة بين الجيل والذي يليه؛ وتصبح هناك موالاة في الأعمال والطلب.

٤ . تتسارع الخطى في الارتقاء إلى الدرجات العلمية؛ ويظل المشرف فاعلاً وعاملاً، لأنه يرى إنتاجه ينتشر بين الباحثين.

٥ . إن المشاركة، بين الأستاذ وتلميذه، في نشر الأبحاث، هي تقديم للطالب المجتهد إلى حوزة العلماء ليأخذ مكانه مستقبلاً بين الآخرين.

٦ . ظهور مدارس بحثيه، يتميز كل منها بتوجه علمي ومنهج علمي، يعطي للمجتمع العلمي نضارة وتوجهات تأخذ بالبحث إلى المستوى المطلوب.

٧ . بروز الجامعات وتميزات الأقسام وانتشار سمعتها الحسنة؛ لوجود كوكبة من العلماء البارزين في التخصصات المختلفة.

٨ . تدافع الأساتذة على الإشراف العلمي واختيار الطالب المتميز، بدلاً من العقم والتراجع، الذي تتصف به كثير من الأقسام والتخصصات.

*****

في ضحى يوم خميس من الأخمسة، الذي تعود محبو العالم الجليل حمد الجاسر - رحمه الله - أن يجتمعوا في دارته، لكي يستمعوا إلى حديث أو محاضرة يلقيها أحد الباحثين، كنت أحد الذين بكروا في الحضور، للاستماع إلى محاضرة سيلقيها الأستاذ الدكتور سعد بن عبدالعزيز الراشد، وكيل وزارة التربية والتعليم للآثار والمتاحف. كانت المحاضرة بعنوان: "النقش على الحجر". وقد عالج المحاضر الموضوع، بما يمكن أن يسمى بسيرة ذاتية لحياته، منذ أن درج بين أخواله، في تهامة، وعاصر الحياة البسيطة المتواضعة التي انعكست على شخصيته. ففيه من البساطة أجملها، ومن التواضع أفضله، ومن الأخلاق الحميدة أميزها. ثم انتقل إلى جدة، واختلط بمجتمعها المتنوع؛ فانعكس ذلك على حبه للآخرين، وأخلاقه الاجتماعية المتفتحة، وبشاشته، وحبه للظرف، والتعامل بكل رفق. وانتقل بعد ذلك إلى الرياض، حيث التحق بجامعة الرياض. وهناك، بدأت مسيرته مع الحياة الأكاديمية، التي استطاع أن ينصهر فيها، بالانتظام في حضور محاضراتها وأنشطتها الاجتماعية، والثقافية، والرياضية، وشارك، في كل من هذه الأنشطة، وكأنه قطب الرحى. فيها كما التحق بجمعية التاريخ والآثار، فكان الطُّلَعة بين الطلاب، في رحلاتهم التاريخية والآثارية؛ وكان الطالب الذي تولى كتابة استبانات المعلومات، التي كنا نجمعها، عن كل موقع نصل إليه. كما كان حريصاً على جمع الفخار، ومحاولة قراءة النقوش على الصخور، والأقرب للاستجابة، عند الحاجة إلى من يتولى مهمة، أيًّا كان نوعها.

ونجح، بتفوق، في الجامعة؛ وعُيِّنَ معيداً فيها. ثم ذهب إلى جامعة ليدز في بريطانيا، حيث حصل على الدكتوراه منها. وقد شعرت بفراغ مكانه؛ لأنه كان ذلك الفتى الشهم الذي يرجى منه كل خير. وهناك، كان أنموذجا للطالب النهم، الذي يريد أن يعرف وأن ينهل من المعرفة، دون عقد من المجتمع الغربي، ينتقل بين جامعة وأخرى، ليستفيد من هذا الأستاذ في الفخار، ومن أخر في النقوش، ومن ثالث في التنقيب. ثم سافر إلى إيران، حيث اشترك في تنقيبات أثرية، كان يشرف عليها أشهر خبراء الآثار الإسلامية وهو الأستاذ جيزا فيرفاري. ثم جاء إلى الرياض، في إجازة علمية، ليتولى مسح "طريق زبيدة" زوج الرشيد، في نطاق حدود المملكة العربية السعودية. وكان هذا أول مسح أثري، يجرى في المملكة، لمواقع أثرية. وقد عانى الباحث أشد المعاناة، مما قد يسجله في يوم ما، ضمن سيرته الذاتية. وأنهى المسح؛ وكتب الرسالة؛ وعاد ظافراً مظفراً بأول رسالة في الآثار الإسلامية، معتمدة على العمل الميداني المصور والموقع على خرائط. ومن حسن حظ الآثار، أن عاد الدكتور سعد الراشد، ونحن نعد لوضع خطة أول قسم للآثار والمتاحف، في كلية الآداب، في جامعة الملك سعود؛ فشارك، بكل قدرة واقتدار، في وضع الخطة، التي بُنِيت على نتائج استفتاء الجامعات الأجنبية .

هذا الجزء الذي أكتبه، عن الخطوات الأولى لسعد الراشد، في مجال طلب العلم، حتى أصبح أول عائد بدرجة الدكتوراه في الآثار الإسلامية - إنما استثارته لديَّ تلك المحاضرة التي انسابت كالماء العذب الزلال، في أسلوب رشيق، ينتقل بنا من مرحلة إلى مرحلة، ومن كشف إلى آخر، ومن باحث إلى مكتشف، ومن قراءة لنقش تاريخي، إلى نقش لآيات من كتاب الله، إلى سطور من أبيات شعرية، كانت قراءتها محل نقاش بين النصوص الحجرية والنصوص المطبوعة. كانت سياحة جميلة ماتعة، في يوم ربيعي، خرجنا ونحن قد رشفنا من علم الدكتور الراشد، الشيء الكثير فنعم الباحث سعد! ونعم رفيق الدرب سعد!

رئيس هيئة التحرير

النمط الأثري الصحراوي وعلاقته بمرتفعات جنوبي الجزيرة العربية وبتهامة وعُمان

عبد الرزاق راشد المعمري

ملخّص: فرَدنا في دراسة سابقة ثقافتين للعصر الحجري الحديث في الجزيرة هما: ثقافتي الشظائر والشظايا، إضافة إلى مجموعة من الأنماط الأثرية، أحدها النمط الصحراوي أو العصر الحجري الحديث الصحراوي، والذي مثَّل القسم المتأخر من العصر الحجري الحديث، وقسّمناه، كذلك، إلى مرحلتين. وفي هذا البحث وجدنا أن الرؤوس الخاصة بهذا النمط تتواجد في بعض المرتفعات الجنوبية الغربية وهضبة حضرموت وتهامة وعُمان؛ وأن معظم الجزيرة العربية أخذت تتشكل، على أساس هذا النمط، في وحدة ثقافية، وربُّما عرقية في العصر الحجري الحديث المتأخر، محتملين أن يكون هذا النمط قد أدَّى دوراً رئيسياً في تشكل الجنس العربي، وإلى جانبه فردنا في هذا البحث اتجاهاً أثرياً آخر يُعد في الأصل من بقايا ثقافة الشظائر، ولكنه تأثر بالنمط الأثري الصحراوي. أمَّا النمط المهري الذي فردناه، ضمن تلك الأنماط في السابق، للمَهرة وظفار فقد صار بالإمكان إفَراده الآن في حضرموت، وهو يمثل المركز الثقافي الثاني في تلك المناطق الثلاث، وإلى جانب هذين المركزين الرئيسيين توجد اتجاهات أثرية أخرى، تبدو أنها ثانوية.

Abstract. *In a previous research (Rashed 1993b) the author distinguished two types of neolithic cultures in Arabia, and a number of archaeological patterns. The Neolithic of Arabian Peninsula is divided into two periods and the "Desert Neolithic" presents the Late Neolithic Period. The latter is also divided into two phases. This paper pursues the movement of the "Desert Neolithic" in the Highlands, Hadramaut, Oman, and Tehama. It has been concluded that Arabia began to acquire its unified ethno-cultural form in the Late Neolithic period. In addition, a new variant influenced by the Desert Pattern has been distinguished. The Neolithic Pattern of Mahra, which was concentrated in the area of Mahra and Dofar, is now found in Hadramaut. Therefore, we can consider this region as the second cultural centre.*

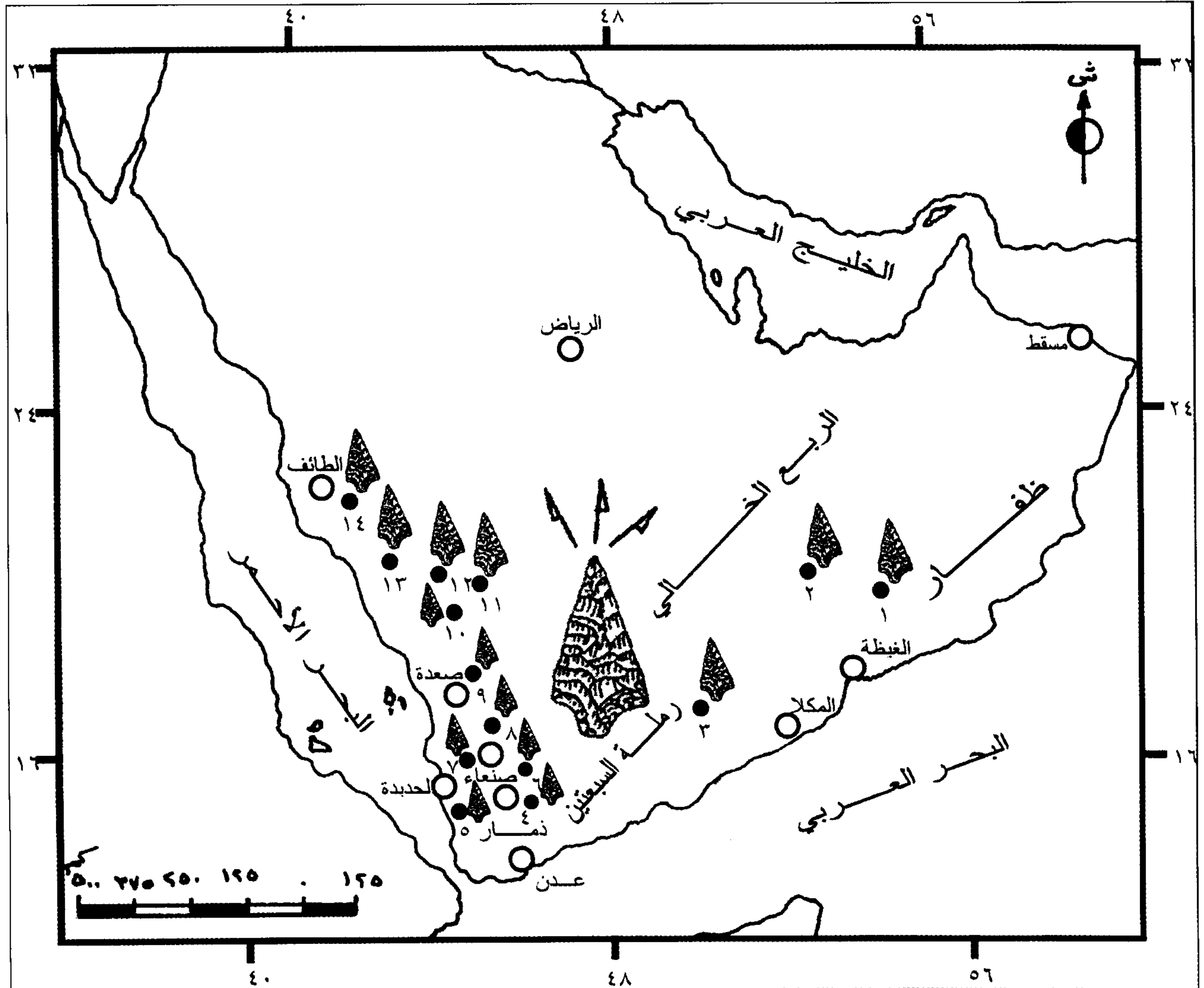
يتناول هذا البحث الرؤوس المعنَّقة المستدقة الريشة في المرتفعات الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية، إضافة إلى تهامة وهضبة حضرموت وعُمان (الخريطة ١)، وهي الأدوات التي فردنا بها، في السابق، النمط الأثري الصحراوي، أو العصر الحجري الحديث الصحراوي. ومن الطبيعي أن هذه الرؤوس رافقها العديد من الأدوات الحجرية الأخرى، ولكن لن نتناولها في هذا البحث.

كما يستند البحث إلى المصادر التي سنقوم من خلالها بإفراد اتجاه أثري جديد في المنطقة الشرقية؛ وكذا إفراد النمط الأثري المهري، أيضا، في هضبة حضرموت؛ إضافة إلى ربط جذور الأدوات القزمية، المصنوعة من خام الأوبسديان، غالباً، في حضرموت ومن الصوّان في ظُفار، بتقنية الشظائر (Blades) المصنوعة، من خام الأوبسديان نفسه، التي عُثر على مواد كثيرة منها، أخيراً، في حضرموت.

أما هدف البحث فيتمحور في تحديد علاقة هذه الرؤوس المعنَّقة في المناطق، سالفة الذكر، بمثيلاتها في الصحراء، مع محاولة إبراز خصائصها في المناطق المذكورة، وكذا تقديم نماذج جديدة من هذه الرؤوس للتدليل بها على انتشارها في المرتفعات الجنوبية الغربية، وأخيراً استخلاص النتائج المترتّبة على هذه العلاقة، وعن الأنماط الأثرية الأخرى التي ستذكر في هذا البحث، أيضاً.

نقصد بالرؤوس المستدقة: الرؤوس غير (الثلاثية)، فهي قد تكون مستدقة في مقطعها العرضي بشكل تام بكل ما يعنيه هذا المفهوم من معنى، وقد تكون محدَّبة من جهة واحدة أو من الجهتين، ولكنها تدخل تحت هذا المفهوم أيضاً، من حيث المبدأ، بوصفها غير ثلاثية الأوجه. وللدقة أكثر في التعبير عن

العدد الثاني عشر جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ - يوليو (تموز) ٢٠٠٥م
(ص ص ٧ - ٢٨) ردمد ١٣١٩-٨٩٤٧



- مدن رئيسة؛ - انتشار الرؤوس الصحراوية العربية؛ - الرؤوس الصحراوية العربية في موطنها الأصلي في الربع الخالي ورملة السبعتين؛ - مناطق انتشار الرؤوس الصحراوية العربية خارج نطاق الصحراء في الأجزاء الجنوبية: ١- ظفار، ٢- ابن حمودة في عمان؛ ٣- وادي سنا في حضرموت؛ ٤- هضبة ذمار؛ ٥- جنوبي الحديدة؛ ٦- جبل قطران في الحدا ووادي الثيلة في خولان؛ ٧- وادي ضهر، ٨- شبام الغِراس (حوض صنعاء)؛ ٩- صعدة؛ ١٠- ظهران اليمن أو (ظهران الجنوب)؛ ١١- بئر حما؛ ١٢- وادي تثليث؛ ١٣- بيشة؛ ١٤- حرة نواسف (تربة، وقير، خُرمة) في الطائف.

خارطة ١: مناطق انتشار الرؤوس الصحراوية العربية خارج نطاق الصحراء في الأجزاء الجنوبية من الجزيرة العربية.

هذه الرؤوس المحدَّبة، يمكن أن ت سمَّى المستدقة المحدَّبة من جهة واحدة أو من الجهتين.

ونقصد بالعُنق: مقبض أو (عَقب) التثبيت في حالة اقترانه بأكتاف واضحة المعالم في الرؤوس التي سمَّيناها الرؤوس المعنَّقة، أمَّا الريشة فنعني بها الجزء الباقي من الرأس الذي يلي العنق مباشرة (لوحة ٣: ٣)، وقد استخدمنا هذه المفاهيم وغيرها في دراسات سابقة (المعمري: ٢٠٠٠؛ ٢٠٠٢).

و قبل ذلك، كنَّا قد اقترحنا ت سمية هذه الرؤوس بالرؤوس (المجنَّحة)، أيضاً، (المعمري ١٩٩٥: ١٠٤)؛ ولكن وجدنا، أخيراً، أن استخدام مفهوم الرؤوس المعنَّقة، ينسجم مع ت سميات أخرى لأجزاء كثيرة في هذه الرؤوس، أثناء القيام بالدراسات الدقيقة التفصيلية، ومنها الأجزاء الموضَّحة في (لوحة ٣: ٣)، والتي سنستخدمها في هذا البحث، علماً بأن مثل هذه الرؤوس كانت قد صُنِّفت بمقدار درجة زاوية أحد الكتفين إلى ثلاث مجموعات في الصحراء الأفريقية الكبرى (Hugot 1957).

فقد بدأ العُثور على الرؤوس المعنَّقة المرقَّقة من الجهتين في الربع الخالي منذ وقت مبكِّر، نسبياً، من القرن الماضي (Bunker 1953, Zeuner 1954, Field 1958, Smith & Marangjian 1962; Gramly 1971; Sordinas 1973, 1978, Takeshi 1981). وكذا في شرقي الجزيرة العربية (Kapel 1967; Masry 1974; Inizan 1988; Potts et. al. 1978). ووسطها، أيضاً، بما في ذلك منطقتي نجد والحجاز (Zarins et. al. 1979, 1980; 1981).

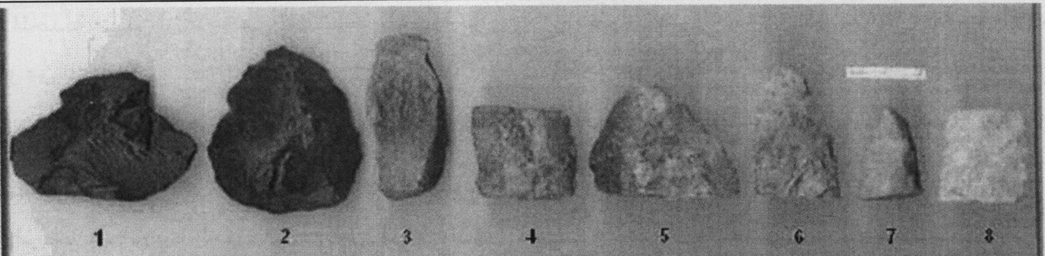
وكان هؤلاء الباحثون يطلقون على هذه الأدوات العصر الحجري الحديث في الربع الخالي أو في المنطقة الصحراوية؛ بل يرون فيها العصر الحجري الحديث كله في أغلب مناطق الجزيرة، وينسبون الأصول الثقافية لهذا العصر إلى القارة الأفريقية (Zeuner 1954; Caton-Thomson 1954; Gramly 1971; Smith & Marangjian 1962; McClure 1971)، بما في ذلك التهذيب المرقَّق من الجهتين على الأدوات الحجرية، بوجه عام، الذي عدُّوه سمة رئيسية من سمات الرؤوس المعنَّقة، أيضاً.

فقد نسب الإيطال الرؤوس، التي عثروا عليها، في جبل (قَطْران) في الحدا في المرتفعات الجنوبية الغربية إلى وسط الجزيرة والصحراء، حسب تعبيرهم، استناداً إلى التهذيب المرقَّق من الجهتين، عادّين، كذلك، أن هذا التهذيب من سمة الرؤوس المعنَّقة، سالفة الذكر. وفي الوقت نفسه فقد وصفوا هذه الأدوات بأنها تمثل اتجاهاً ثقافياً في تطور العصر الحجري الحديث؛ بينما الأدوات التي ندر فيها كل من التهذيب المرقَّق من الجهتين والرؤوس، بوجه عام، تمثِّل الاتجاه الثقافي الثاني في وادي الثيلة في خولان، وفي المرتفعات بوجه عام. وأعادوا الاتجاه الأخير إلى مرحلة متأخرة من العصر المذكور، مقارنة بالاتجاه الأول. وفي ذلك إشارة، أيضاً، إلى أن الاتجاه الأول كأنه يمثل العصر الحجري الحديث المبكِّر؛ بينما يمثِّل الاتجاه الثاني العصر الحجري الحديث المتأخر في المناطق سالفة الذكر.

أضف إلى ذلك أن الإيطال عندما نسبوا أدوات جبل قَطْرَان إلى الصحراء بالرؤوس المعنَّقة العربية والتهذيب المرقَّق، لم يقدِّموا نماذج من هذه الرؤوس سوى رأسين، يمكن للباحث نفسه أن يضمر في أنهما معنَّقين، وبالأخص واحد منهما، يمكن عده من ذوات الأكتاف بالآباط المنفرجة الزاوية (Fedele 1988). بينما الرأس النموذجي الشبيه بالرؤوس المعنَّقة في الربع الخالي ووسط الجزيرة عُثر عليه في وادي (الثَّيْلَة) في خولان؛ ولكن أدوات وادي الثَّيْلَة عُدَّت أنها خاصة بالمنطقة الجبلية (Fedele 1988: 36-37)، وسنتحدث عن الرأسين في الفقرة الخاصة بالرؤوس المعنَّقة في الحدا وخولان وتهامة.

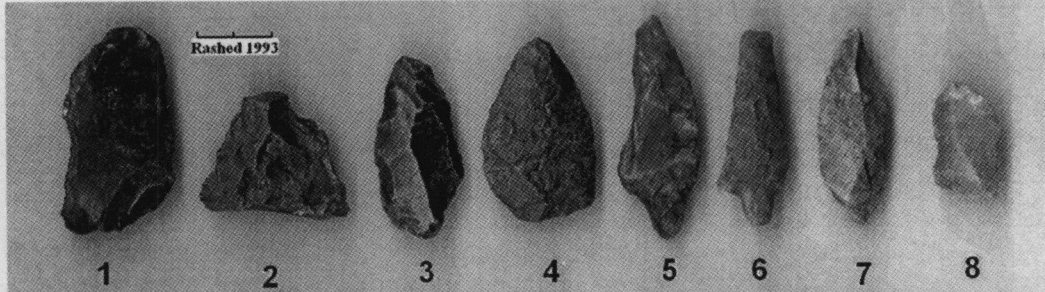
النمط الأثري الصحراوي في العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية

ففي عام ١٩٩٣م، فَرَدنا في رسالة الدكتوراه، التي كانت مخصصة لموضوع العصر الحجري الحديث في جنوبي الجزيرة العربية (Rashed 1993b) التي لم تنشر إلى الآن، ثقافتين للعصر الحجري الحديث، إحداهما ثقافة الشطائر في شمالي الجزيرة وشرقيها، والأخرى ثقافة الشظايا في الجنوب (Rashed 1993b: 20, 291, 299; 1993c: 18؛ المعمري ١٩٩٥: ١٠٨)، وأطلقنا على الأخيرة ا سم (ثقافة الشظايا العربية) تأكيداً لمنشأها المحلي في الجزيرة (المعمري ٢٠٠: ٢٦)، ويمكن أن تُ سمَّى، كذلك، الثقافة المحلِّية أو (الجنوبية)، (لوحة ١،



Levels of patina on the stone tools made of Quartzite (Rashed, Dissertation Ph.D.,1993:photo. 24)

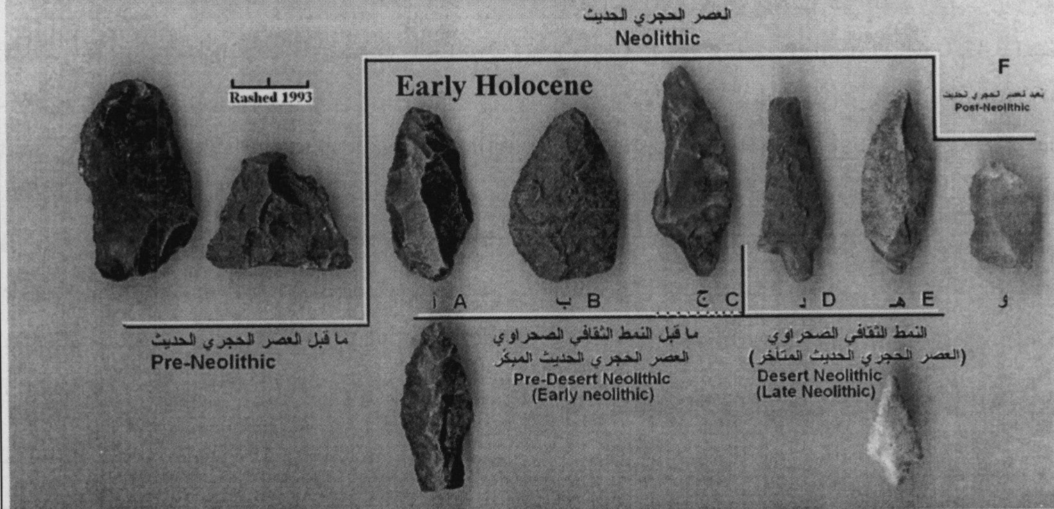
أ- A: مستويات البلى على الأدوات الحجرية المصنوعة من الكوارتزيت.



Levels of patina on the stone tools made of Flint (Rashed,Dissertation Ph.D,1993 :photo.25)

ب- B: مستويات البلى على الأدوات الحجرية المصنوعة من الصّوان.

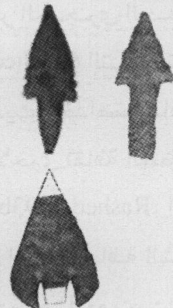
The divison of the Arabian Neolithic of the Flake Culture according to chronological relative order of patina (Rashed,Dissertation Ph.D,1993 :photo.26)

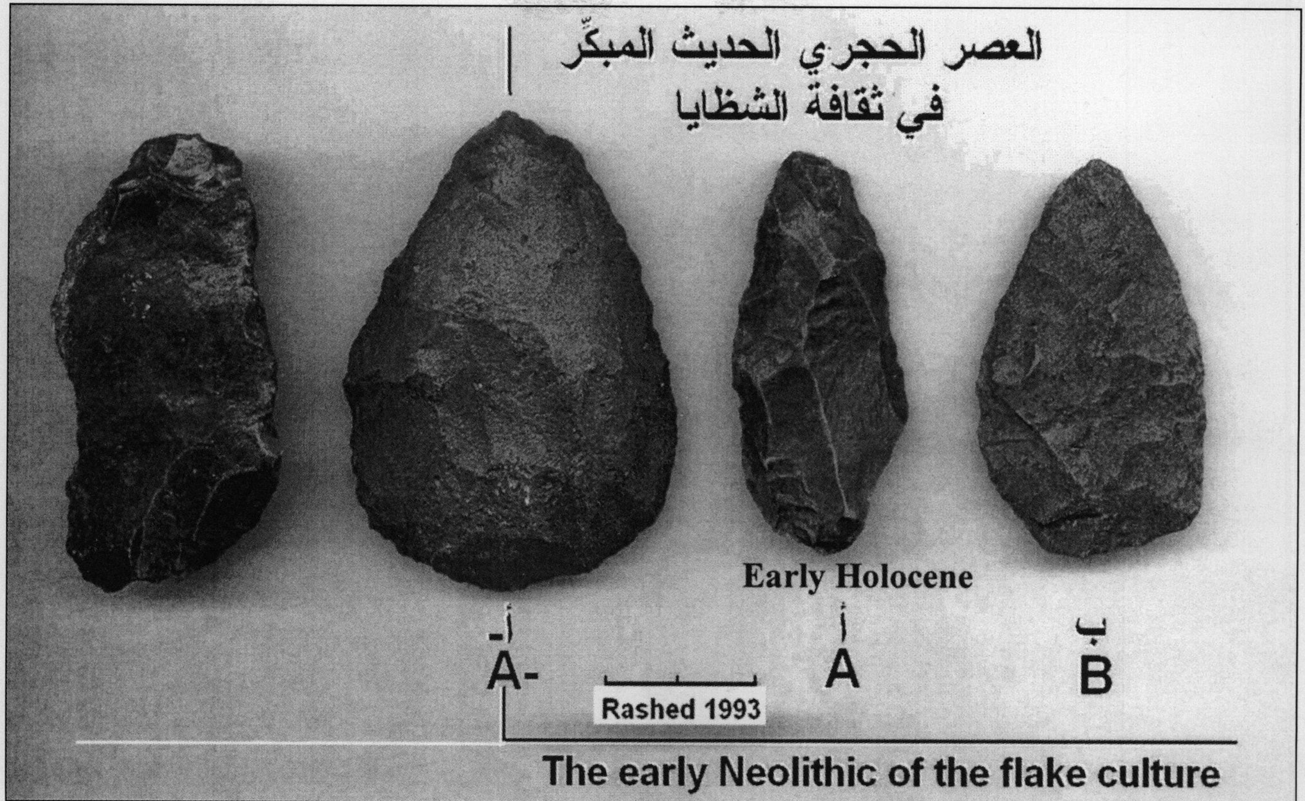


ج- C: التقسيم المرحلي للعصر الحجري الحديث في ثقافة الشظايا الذي أظهره الترتيب الزمني النسبي بالبلى في عام١٩٩٣م.

لوحة١- الترتيب الزمني النسبي بالبلى ودوره في إظهار خصائص العصر الحجري الحديث لثقافة الشظايا ومبدأ تقسيمه، من خلال تحديد الرؤوس الخاصة بـ" العصر الحجري الحديث الصحراوي" في المجموعة (د)، نقلاً عن: (رسالة الدكتوراه لكاتب هذا المقال Rashed 1993b)، وقد أغني هذا الترتيب بإضافات جديدة مؤخراً (المعمري٢٠٠؛ ٢٠٠٢).

Pl.1-Chronological relative order of patina discovered the development and division of the Arabian Neolithic of the Flake Culture on the basis of the location of the points of " Desert Neolithic" in group D. This method was worked out in 1993, (Rashed, 1993b: 64-76, photo: 24-26, pl. 80, 86, 98). New facts were added to it in 2000; 2002 (المعمري٢٠٠٠؛ ٢٠٠٢).





لوحة ٢: أ: توضيح للوحة١: (أ-ب) المرحلة المبكرة من العصر الحجري الحديث (Rashed 1993) (المعمري٢٠٠)، أما المجموعة (أ-) فقد أضيفت إليه في عام ٢٠٠٢ (المعمري٢٠٠٢).

٢).

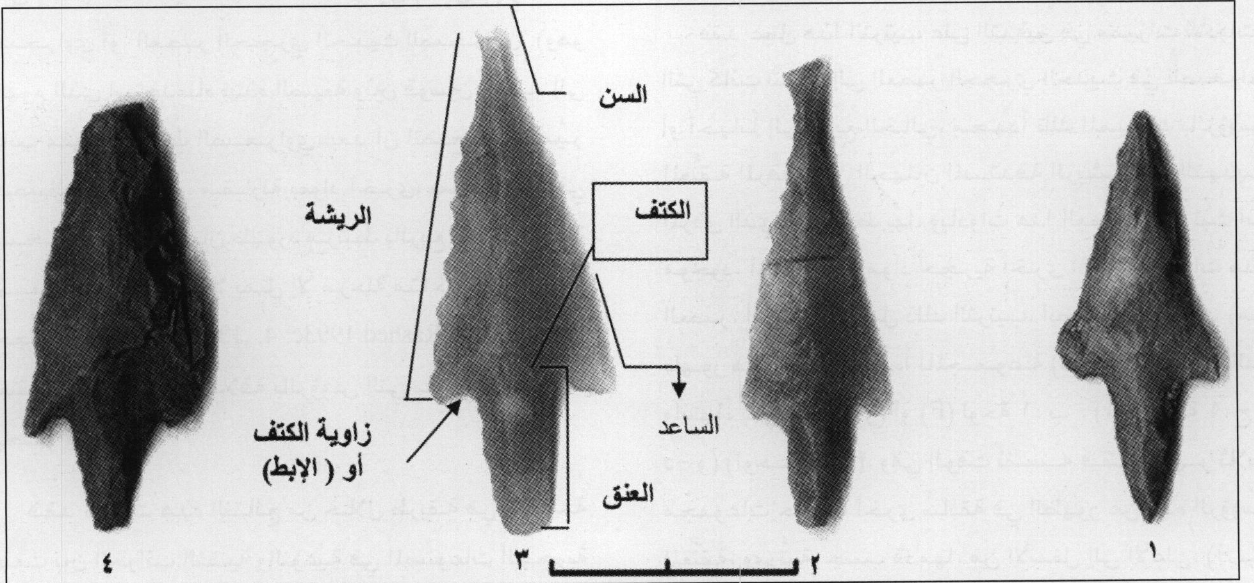
وإضافة إلى ذلك، فردنا مجموعة من الأنماط الأثرية في نطاق ثقافة الشظايا، منها النمط المهري (شكل ٢) والنمط الصحراوي أو "العصر الحجري الحديث الصحراوي" (وهو المفهوم الذي استخدمناه بهذه الصيغة وبين قوسين، أيضاً، إلى جانب مفهوم النمط الصحراوي، بعد أن اتضح بأنه يتميَّز بخصائص محدّدة، مقارنة بمواد أخرى، بما في ذلك في الصحراء نفسها، وبأن ظهوره مرتبط بالربع الخالي ورملة السبعتين، وبأنه كذلك لا يمثل إلاَّ مرحلة متأخرة من العصر الحجري الحديث) (Rashed 1993c: 4, ,13, 17) (لوحة ١: ج)، ونعتقد أن لهذا النمط علاقة بالرؤوس التي سنتناولها في هذا البحث، أيضاً.

فقد ظهرت هذه النتائج من خلال طريقة في الدراسة جمعت بين الجوانب التقنية والنوعية في المصنوعات الحجرية وبين ترتيب زمني نسبي لمستويات البِلى على هذه المصنوعات في المنطقة الصحراوية. وقد أجريَت تلك الدراسة، أيضاً، من خلال موقع أثري واحد، لتكون النتائج أكثر دقة، وبعدها في مواقع أثرية أخرى.

فقد عمل هذا الترتيب على التدقيق في مميزات الأدوات، التي كانت تنسب إلى العصر الحجري الحديث في الصحراء، أو أحياناً إلى الربع الخالي، محدِّداً تلك المميزات بالرؤوس المعنَّقة المرقَّقة من الجهتين المستدقة الريشة. أمَّا التهذيب المرقِّق الذي كان يُربط بها، وبأدوات هذا العصر، فقد ثبت أنه موجود، أيضاً، على مواد حجرية أخرى أقدم من أدوات هذا العصر، أيضاً. كما عمل ذلك الترتيب، أيضاً، على تحديد زمن ظهور هذه الرؤوس، بدءاً بالمجموعة (د) أو (D)، حينذاك، وانتهاءً بالمجموعة (و) أو (F) لوحة ١: ب : (٦) (لوحة ١: ج : د- و) (لوحة ٢: ب). وفي الوقت نفسه فقد أظهر ثلاث مجموعات حجرية أخرى سابقة في الظهور عن هذه الرؤوس المعنَّقة، ومرتَّبة، حسب قدمها، من الأسفل إلى الأعلى: (أ، ب، ج) أو (A, B, C) لوحة ١، ٢: أ).



لوحة ٢-ب: توضيح للوحة ١: (د-هـ) "العصر الحجري الحديث الصحراوي" وهو العصر الحجري الحديث المتأخر) (Rashed 1993) (المعمري٢٠٠)، مع إضافات جديدة إليه ومنها الرأسان في المجموعة (ج) (المعمري٢٠٠٢).



لوحة ٣: من الرؤوس الصحراوية العربية أو (الرؤوس المعنَّقة المنتمية للنمط الأثري الصحراوي) من شعبة سُليم في وادي ضهر (حوض صنعاء).

ومنذ ذلك الحين، اتضح أن الرؤوس المعنَّقة لا تمثِّل إلاَّ مرحلة متأخرة من تطوُّر العصر الحجري الحديث، وأن الأدوات السابقة لها في المجموعات (أ، ب)، على وجه الخصوص، تمثِّل مرحلة قديمة من العصر نفسه، ولم تكن هذه المرحلة، أيضاً، معروفة من قبل لدى الباحثين.

فمن خصائص المجموعتين (أ، ب) الرؤوس غير المعنَّقة، إضافة إلى التهذيب المرقَّق من الجهتين الذي اتضح، كذلك، أنه من خصائص المرحلتين المبكِّرة والمتأخرة، معاً، في العصر الحجري الحديث لثقافة الشظايا (لوحة ١، ٢) وليس محصوراً على مرحلة الرؤوس المعنَّقة، كما كان يُفهم منه من قبل (لوحة ١، ٢)، (-Rashed 1993a: 31, fig. 1; 1993b: 64-76, 286 307, Photo: 24- 26, fig. 1).

وقد سمح لنا هذا الاكتشاف أن نُعبِّر منذ ذلك الحين، أيضاً، عن هذه المصنوعات بمفهوم ثقافة أثرية، وهي (ثقافة الشظايا)، كما سلف الذكر. وكذا عن المواد التي صُنعت من شظائر حجرية في شرقي الجزيرة وشماليها بمفهوم ثقافة أثرية أخرى، وهي (ثقافة الشطائر)، بعد أن اتضح أن المصنوعات الحجرية من شظايا في الجنوب شملت العصر الحجري الحديث المبكِّر والمتأخر ولا علاقة لها، في الأصول الأثرية، بمصنوعات الشطائر في شمالي الجزيرة وشرقيها (Rashed 1993b: 20, 291, 299) (المعمري ١٩٩٥: ١٠٨؛ ٢٠٠؛ ٢٠٠٢).

وبحسب توفُّر التواريخ المطلقة، حينذاك، (:McClure 1979 755) أعدنا بصورة افتراضية مواد المجموعتين (أ ، ب) (لوحة ١: ج) إلى الألف التاسع ق.ح، على أقل تقدير (Rashed 1993c: 16). وفي وقت لاحق، افترضنا أن تاريخ المجموعة (أ) يرجع إلى الألف العاشر ق. ح (المعمري ٢٠٠٢: ٤١)، بناءً على تواريخ لعصر الهوليسين المبكِّر أيضاً، (:Zarins et. al., 1979 20).

بينما أعدنا بداية النمط الأثري الصحراوي، بدءاً من المجموعة (د) أو (D)، إلى الألف الخامس ق. م، استناداً إلى أقدم تاريخ للرؤوس المعنَّقة الخاصة بهذا النمط عُرف في المنطقة الشرقية، حينذاك، (Masry 1974: 223)، مرجِّحين، في الوقت نفسه، أن بداية هذه الرؤوس المعنَّقة في الربع الخالي قد تكون أقدم من هذا التأريخ. ومن ثم، فإن هذه البداية قد تكون مرتبطة بالمجموعة (ج) أكثر منها في المجموعة (د)، وهذا ما وجدناه بالفعل في الأبحاث اللاحقة (المعمري ٢٠٠٢).

فقد كانت المجموعة (ج) تحتوي، في ذلك الوقت، على رؤوس معنَّقة ثلاثية الأوجه دون الرؤوس المعنَّقة المستدقة الريشة. والجدير بالذكر، التأكيد هنا أن ثقافة الشظايا وجدت فيها، أيضاً، رؤوس ثلاثية، على الرغم من قِلَّتها. وقد سجلت المعنَّقة منها بدءاً من المجموعة المذكورة. فربطنا هذا المجموعة بالتأريخ (٧٩٣٥ × ٩٥) (Rashed 1993c: 16)، وهو تأريخ الطبقة الرابعة في موقع حبروت في هضبة المهرة والتي وجد فيها، أيضاً، رأساً واحداً ثلاثي الأوجه، مع أنه غير معنَّق وأن الرؤوس الثلاثية في النمط المهري تختلف، في بعض الخصائص، عن الرؤوس الثلاثية التي توجد، أيضاً، في ثقافة الشظايا، ومنها التي صاحبت النمط الصحراوي، أيضاً.

وقد كنَّا نعتقد أن هذا التأريخ ملائم، بسبب قدمه، للمجموعة (ب)؛ أكثر منه في المجموعة (ج)، ولكن لم يكن موجوداً، حينذاك، تأريخ آخر مناسب لهذه المجموعة. وقد ترسَّخ هذا الاعتقاد بعد أن وصل تأريخ الطبقة المذكورة، بناءً على معطيات جديدة، إلى (٩٥٦٠ × ١٢٠) (Amirkhanov 1997: 166) وبعد أن وجدنا، كذلك، أن المجموعة (ج) تحتوي، هي الأخرى، على رؤوس معنَّقة مستدقة الريشة، إلى جانب الرؤوس المعنَّقة الثلاثية، إذ صار من غير الممكن الاعتقاد أن يكون تأريخ هذه الطبقة هو تأريخ الرؤوس المعنَّقة في المجموعة (ج)، خاصة المستدقة الريشة (المعمري ٢٠٠٢: ٤٢).

ولكن التواريخ (٧٤٣٢× ٦٠) و (٧٤٠٣× ٧٠) ق. ح التي وصِفت بأنها تواريخ للرؤوس المعنَّقة المستدقة الريشة في هضبة حضرموت (McCorriston et. al., 2000: 13, 16)، يبدو أنها مناسبة للمجموعة (ج)، أي لتأريخ الفترة المبكِّرة من النمط الأثري الصحراوي أو (للرؤوس الصحراوية العربية)، بما في ذلك الرؤوس الثلاثية المعنَّقة التي وجدت في هذه المجموعة.

وفي الوقت نفسه، فإن هذا الترتيب أظهر، بالرؤوس المعنَّقة ذاتها، تقسيماً للنمط الثقافي الصحراوي نفسه، ولم

يكن هذا التقسيم معروفاً من قبل، أيضاً. وهو مكوَّن من مرحلتين أو فترتين رئيسيتين: مبكِّرة ومتأخرة، تمثَّلت الفترة المبكِّرة بأدوات المجموعة (د) والمتأخرة بأدوات المجموعة (هـ). فأعدنا تاريخ المجموعة (هـ) إلى الألف السادس ق. ح، استناداً إلى أوجه المقارنة، أمَّا المجموعة (و) وهي الأخيرة في ذلك الترتيب، التي احتوت على رؤوس معنَّقة، كذلك، فقد أعدناها إلى بُعَيْد العصر الحجري الحديث (لوحة ١: ج)، بتأريخ، يستند إلى أوجه المقارنة، أيضاً، يعود إلى زهاء الألف الثالث ق. ح.

وفي وقت لاحق، أضفنا إلى العصر الحجري الحديث المبكِّر مجموعة جديدة بمستوى جديد من البِلى، مع بعض التحفظات عليها (المعمري٢٠٠٢: ٢٩- ٣٠)، وهي المجموعة (أ-) (لوحة ٢: أ) والتي تُعدُّ من المواد نفسها التي عثرنا عليها في منطقة العَبْر، وقد تركناها في رسالة الدكتوراه خارج نطاق العصر الحجري الحديث؛ لأسباب كثيرة (Rashed 1993b: 271). وكذا فقد زحزحنا بداية ظهور الرؤوس المعنَّقة المستدقة الريشة من المجموعة التي كانت عليها في (د) إلى المجموعة (ج) برأسين معنّقين في ذلك المقال، تطابق فيهما لون البِلى مع الأدوات الحجرية في المجموعة (ج) من ذلك الترتيب، سالف الذكر، فصارت الفترة الأولى أو (المرحلة المبكِّرة) من العصر الحجري الحديث المتأخر أو (النمط الأثري الصحراوي) تبدأ من المجموعة (ج)، وتشمل، في الوقت نفسه، المجموعتين (ج) و (د)، (لوحة ٢: ب)، (المعمري ٢٠٠٢: لوحة ٣).

ويمكن أن يتوسع نطاق هذه المراحل، كذلك، بمستويات جديدة من البِلى على الأدوات الحجرية، ومن ثم فسيزيد عدد المجموعات الحجرية الداخلة في الترتيب الزمني النسبي بمظهر البِلى وسيتغيِّر، كذلك، أماكنها وتواريخها النسبية... الخ. ولكن المبدأ الرئيسي في معرفة تطور أدوات العصر الحجري الحديث وتقسيمه، سالف الذكر، اللذين أظهرهما ذلك الترتيب لن يتغيِّرا كثيراً، كما نعتقد، وهو أن الرؤوس المعنَّقة ظهرت في وقت متأخر عن الرؤوس غير المعنَّقة، ومن ثم فإنها تمثل العصر الحجري الحديث المتأخر؛ بينما الرؤوس غير المعنَّقة السابقة لها تمثِّل العصر الحجري الحديث المبكِّر (لوحة ١، ٢).

ولتميز الرؤوس المُعنَّقة المستدقة الريشة في هذا النمط عن غيرها من الرؤوس المعنَّقة الأخرى، من جهة، وتأكيد انتمائها، من جهة أخرى، إلى ثقافة الشظايا العربية، ولأسباب أخرى، أيضاً، نقترح ت سميتها: (الرؤوس الصحراوية العربية) أو (الرؤوس المعنَّقة العربية) أو باختصار أكثر (الرؤوس العربية).

ففي هذا الا سم اختصاراً لـ: الرؤوس المعنّقة المرقَّقة من الجهتين المستدقة الريشة المجُهَّزة على شظايا حجرية والخاصة بالمنطقة الصحراوية، وعلى وجه التحديد بالربع الخالي ورملة السبعتين، ويعني هذا المفهوم، في الوقت نفسه، أن هذه الرؤوس تختلف عن الرؤوس المعنّقة الثلاثية الأوجه، وكذا عن الرؤوس المعنّقة المستدقة الريشة، أيضاً، سواء التي عُثر عليها مؤخراً في الربع الخالي (McClure 1994) أو تلك التي وجدت في ثقافة الشطائر. وإضافة إلى ذلك، فإن هذا المفهوم يوحي بأن لثقافة الشظايا، أو للنمط الأثري الصحراوي على وجه الخصوص، دوراً في تشكل الجنس العربي، وهو الاحتمال الذي سنشير إليه، كذلك، في الخلاصة والاستنتاجات.

وإلى جانب هذه الت سميات، كنَّا قد عبَّرنا عن هذه الرؤوس في السابق، أحياناً، بمفهوم الرؤوس (الصحراوية) و (الصحراوية العربية) وأحياناً (الرؤوس الصحراوية العربية الجنوبية) وكذا (رؤوس الربع الخالي) (Rashed 1993b: 292-293) (المعمري ٢٠٠٢: ٣٧).

١- الرؤوس المعنَّقة ذات العلاقة بالنمط الأثري الصحراوي في عُمان.

فمن خلال تتبع الرؤوس الصحراوية العربية في داخل الجزيرة وخارجها، خلال كتابتنا لرسالة الدكتوراه، فإن هذه الرؤوس لم تكن معروفة، حينذاك، في عُمان وحضرموت وفي المرتفعات اليمنية، بوجه عام، باستثناء القليل منها في الأخيرة. واستناداً إلى الأدوات الحجرية التي وجدناها في هضبة المَهْرة (شكل ٢) وإلى الأدوات التي نشرت من عُمان (Biagi 1988) فردنا في العمل، سالف الذكر، نمطاً أثرياً للمهرة وظفار العُمانية في العصر الحجري الحديث، سميناه النمط الأثري المَهْري. وقد وجدنا أن هذا النمط يشكّل وحدة ثقافية مشتركة بين المنطقتين المذكورتين، أضف إلى ذلك أننا أشرنا إلى أن ثقافة الشطائر امتدت، هي الأخرى، إلى أجزاء من عمان (Rashed 1993b: 283, 291- 293, fig. 44; 1993c: 17)

(المعمري ١٩٩٥: ١٠٦).

وأخيراً نشرت من عُمان ستة عشر رأساً معنَّقاً، مرقَّقة من الجهتين، ثمانية رؤوس من موقع (ابن حمودة) (Zarins 1998: fig.16: 39A- 39f, 39h- 39i, fig. 18) (شكل ١: ٩-١٦) وثمانية رؤوس مختارة من مواقع في ظفار (Zarins 1998: fig 19) الصف الثالث في لوحة ١٩ من المصدر المذكور) (شكل ١: ١٧- ٢٤)، شبيهة بالرؤوس في النمط الأثري الصحراوي.

ويبدو أن في مجموعة ابن حمودة رؤوساً تنتمي إلى النمط الأثري المهري (شكل ١: ١٠، ١٥) أو أن هذه المجموعة تأثرت ببعض تقاليد النمط الأثري المهري. ومن حيث الحجم، فإن أكبرها يصل إلى (٧,٥× ٧,١× ٩,٠) سم، وأصغرها إلى (٣,٦× ٤,١× ٧,٠) سم. وقد هذِّبت هذه الرؤوس بنقرات غير واسعة المساحة وغير عميقة، أيضاً، وهي شبه مستديرة الشكل أو (حرشفية) (شبيهة بحراشف ال سمك) في الغالب، مع أن الأهداب الطويلة (المِرْوَدية الشكل) تصادف في بعض هذه الرؤوس.

أمَّا الرؤوس الأخرى التي جُمعت من ظفار (شكل ١: ١٧- ٢٤)، فهي، أيضاً، معنَّقة ومرقَّقة من الجهتين، ولكنها تختلف عن مجموعة (ابن حمودة). فهي مستدقة الريشة بشكل تام، في الغالب، وجهِّزت أغلبها على فلق طويلة الحجم ورقيقة ال سمك إلى حد كبير، إضافة إلى اختلاف في سمات التهذيب المرقِّق من الجهتين؛ أيضاً، والذي يُعدُّ من النوع المستوي، في الغالب الأعم، والمِرْودي الشكل والمتوازي أو شبه المتوازي والمتلاقي في المنطقة الوسطى من الأداة، في أغلب الأحيان. ومن حيث الحجم فإن أكبرها يصل إلى (٩,٥× ٨,١× ٦,٠) سم وأصغرها (٢,٧× ١,٥× ٣,٠) سم.

فالرؤوس التي لا نشك في انتمائها إلى النمط الصحراوي في هذه المجموعة هي ذوات الأرقام: (١٧، ١٨، ١٩، ٢٣، ٢٤ في شكل ١)، فهي منتشرة بشكل واسع في الربع الخالي ورملة السبعتين، بما فيها الرأسان بالأكتاف المُسْبِلة أو (الأسيلة) (شكل ١: ١٧، ١٨) والتي سجِّلت شبيهاتها، كذلك، في شرورة (Edens 1982: pl. 101: 18-19) وفي قَطَر، أيضاً، (Inizan 1988:fig. 51: 5) وقد سجِّلت رؤوس منها في المجموعة (هـ) من الترتيب الزمني النسبي بالبلى (Rashed 1993b: pl. 74).

أمَّا باقي الرؤوس فقد تكون من النمط المهري، خاصة الرأسين رقم (٢١- ٢٢)، علماً بأن الرأس رقم (٢١) يُعدُّ فريداً في نوعه، ولم نشاهد منه سوى رأس واحد لم ينشر بعد، ضمن الأدوات، التي عثرت عليها البعثة الفرنسية، في وادي سنا في حضرموت.

وممَّا تجدر الإشارة إليه في هذا السياق، هو أن في ظفار وجدت إلى جانب كل من أدوات النمط المهري، وأدوات النمط الصحراوي، أدوات من نوع آخر، هي أدوات فسد (Fasad)، وكذا أدوات قزمية (Microliths) هندسية الشكل ، تعود إلى فترات متأخرة (Zarins 1998: fig. 18, 33a). وهذه الأدوات القزمية منتشرة، كذلك، في أماكن محدَّدة من حضرموت.

٢- الرؤوس المعنَّقة ذات العلاقة بالنمط الأثري الصحراوي في هضبة حضرموت.

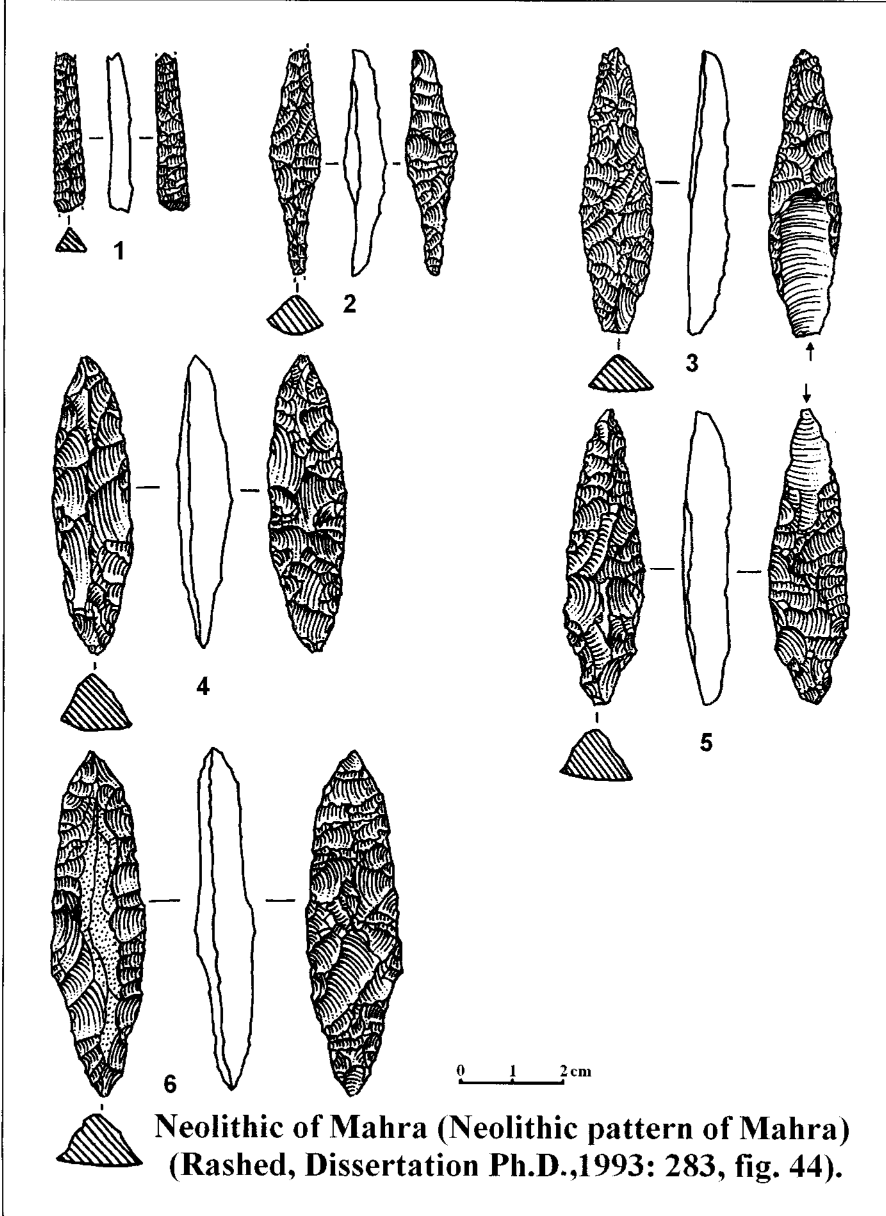
لقد ذُكر أنه عُثر على زهاء (٣٩) رأساً في وادي سَنا في حضرموت، تعود إلى "العصر الحجري الحديث الصحراوي" (McCorriston et. al., 2000: 18)؛ غير أن الذين عَثروا على هذه الرؤوس لم تكن قد تبلورت عندهم، كما يبدو، بشكل تام أوجه الاختلاف بين خصائص هذا العصر والعصر الحجري الحديث في المهرة (النمط الأثري المهري)، ولنأخذ مثالاً على ذلك مِمَّا قدَّموه:

فقد نسبوا الرؤوس الحاملة رسومها للأحرف (G-I) إلى النمط الأثري الصحراوي، مع أن الرأس (G) يُعدُّ من النمط الأثري المهري، أو على الأقل فهو ثلاثي الأوجه ولا يُستنَد إليه، بشكل رئيسي، في تمييز أدوات النمط الصحراوي، وخاصة في مثل هذه الحالات. بينما الرأس (J) الذي يُعدُّ من الأشكال النموذجية، بكل المقاييس، للنمط الأثري الصحراوي لم ينسب إلى هذا النمط (شكل ٢: J) ليس هذا وحسب؛ بل إن الشبه في العنق وفي الأكتاف الموجود بين الرؤوس المعنَّقة العربية (المستدقة الريشة) وبين الرؤوس المعنَّقة المَهرية (الثلاثية) جعلهم في شك واضح. كذلك، من الرؤوس التي كانت قد ذُكِرت من قبلهم أنها شبيهة بأدوات حَبْرُوت، ومن ثم فقد تُركت أغلبية هذه الرؤوس، دون أن تنسب إلى أيٍ من هذين الاتجاهين؟ (McCorriston et. al., 2002: 71, fig. 7).

والأغرب من هذا وذاك، أنهم وجدوا، أخيراً، الشبه

للأدوات الشبيهة بأدوات حَبْروت ولأدوات حبروت نفسه أيضاً، على حد تعبيرهم، في وادي الثَّيلة في خولان (McCorriston et. al., 2002: 81)، علماً بأن أدوات وادي الثيلة لها مميزات خاصة (Fedele 1988: 36-37) ولا مجال، في هذا الجانب، لمقارنتها بالنمط الأثري المهري، على وجه الخصوص.

ولذا، فإنه لا بد من التدقيق في عدد الرؤوس التي قيل بأنها تنتمي إلى النمط الصحراوي. وكذا فإن التواريخ التي ذُكِرت له في هضبة حضرموت (٧٤٣٢× ٦٠) و (٧٤٠٣× ٧٠) ق. ح، (McCorriston et. al., 2002: 71) لا تزال بحاجة إلى مزيد من التوضيح، فهل هي، بالفعل، للرؤوس الصحراوية العربية؟ أم أنها للرؤوس المعنَّقة في النمط الأثري المهري؟. علماً بأن هذه التواريخ تؤكد ما ذهبنا إليه في السابق من احتمال أن الألف الخامس ق. م، كما سلف الذكر، هو تأريخ دخول الرؤوس الصحراوية العربية من الجزء الصحراوي في جنوبي الجزيرة إلى المنطقة الشرقية، وليس لبداية ظهورها في الربع الخالي (المعمري ٢٠٠٠: ٢٦؛ ٢٠٠٢: ٣٢، ٤١-٤٢).



شكل ٢: نماذج من الرؤوس التي فردنا بها النمط الأثري المَهْري أو (العصر الحجري الحديث في المهرة) في عام ١٩٩٣م: ١-٣ من وادي حِبيْق؛ ٤ من دَتْكُوت؛ ٥ من كهف حَدْبيْن؛ ٦ من وادي حَتْ، نقلاً عن رسالة الدكتوراه لكاتب هذا المقام (Rashed 1993b)، وهو النمط الذي فردناه للمهرة وظفار جيناك، والآن لهضبة حضرموت، أيضاً.

فقد اعتقدنا في السابق أن أدوات النمط الأثري الصحراوي من المحتمل العثور عليها في هضبة حضرموت، وكذا أدوات النمط الأثري المهري، بحكم موقعها الجغرافي بين المهرة والربع الخالي. كما أن الربط بين هضبة حضرموت والمهرة كان قد أشار إليه، كذلك، (أمير خانوف) (Amirkhanov 1997)؛ غير أن المواد الأثرية الحقيقية التي ظهرت، أخيراً، في هضبة حضرموت (McCorriston et. al., 2002: fig.7: A-G, L fig .16; 2004: fig. 9) (Crassard et. al. 2004) صارت تسمح الآن بفرد هذين النمطين هنا، أكثر من أي وقت مضى.

فالرؤوس الخاصة بفرد النمط الأثري المهري في هضبة حضرموت متوفِّرة فيها جميع السمات الخاصة بهذا النمط في المهرة: فهي في الغالب ثلاثية الأوجه، ومجُهَّزة على فلق حجرية طويلة الحجم، منها الشطائر الحجرية، ومنها الكثير من الفِلَق التي فُلِّقت من مناكب النواة، وهي مرقَّقة كذلك، من

الجهتين، والتهذيب فيها مرودي الشكل في كثير من الحالات ومن النوع المستوي وشبه المستوي، والواسع أيضاً، أيضاً، في الرؤوس الكبيرة الحجم، فضلاً عن وجود التهذيب السائح أو (المسطّر) (Fluting retouch) (McCorriston et. al., 2004: fig. 9: 2000- 000, Gravel Bar- Surface) الذي عددناه من مميزات هذا النمط في المهرة ووصفناه، كذلك، بشكل مفصّل في دراسات سابقة (Rashed 1993b : 283 19993c: 12, 17) (المعمري ٢٠٠٠: ١٣-١٤).

علماً بأن الأثَافِي (Triliths) أو نظام المواقد بشكل عام، الذي انتشر في المهرة (المعمري ٢٠٠٠: لوحة ٢: ب) وفي أماكن أخرى في الجزيرة والمرتبط بإشعال النار وشواية اللحوم (المضبي) شاهدناه، أيضاً، في حضرموت.

وفي هذا السياق، نُذكّر بالأدوات القزمية الهندسية الشكل المصنوعة من خام الاوبسديان التي وجدت في حضرموت (Huzayyin 1937: 514; Caton-Thompson 1944; Amirkhanov 1997: fig. 62)، فهي شبيهة بالأدوات القزمية، التي سلف ذكرها، في ظفار. وكنّا قد أجرينا لنماذج منها فحصاً بالمِجْهر، فثبت من خلاله أنها استُخدمت في الحياة الزراعية؛ وربطنا بدايتها بزمن ما بعد المجموعة (و) من الترتيب الزمني النسبي بمظهر البِلى، سالف الذكر، (Rashed 1993b: 289-290).

فقد عُثر، مؤخراً، في وادي سنا على مواد حجرية مصنوعة من الأوبسديان (Crassard et. al. 2004) (McCorriston et. al., 2004)، وهي، كما يبدو، أقدم من الأدوات القزمية، سالفة الذكر؛ ولكنها تحمل أغلب ال سمات التقنية التي كانت قد عُرفت من قبل في هذه الأدوات في مرحلة التفليق، ومنها انتزاع الشطائر (Blades) الحجرية من نوي (Cores) خاصة، وبطريقة الضغط واستخدام الوسيط، أيضاً، ولهذا نعتقد أن لهذه التقنية صلة بالأدوات القزمية، سالفة الذكر، والتي كنّا نبحث عن جذورها الأثرية فيما مضى (المعمري ١٩٩٥: ١٠٧؛ ٢٠٠: ٢٣؛ ٢٠٠: ٤١).

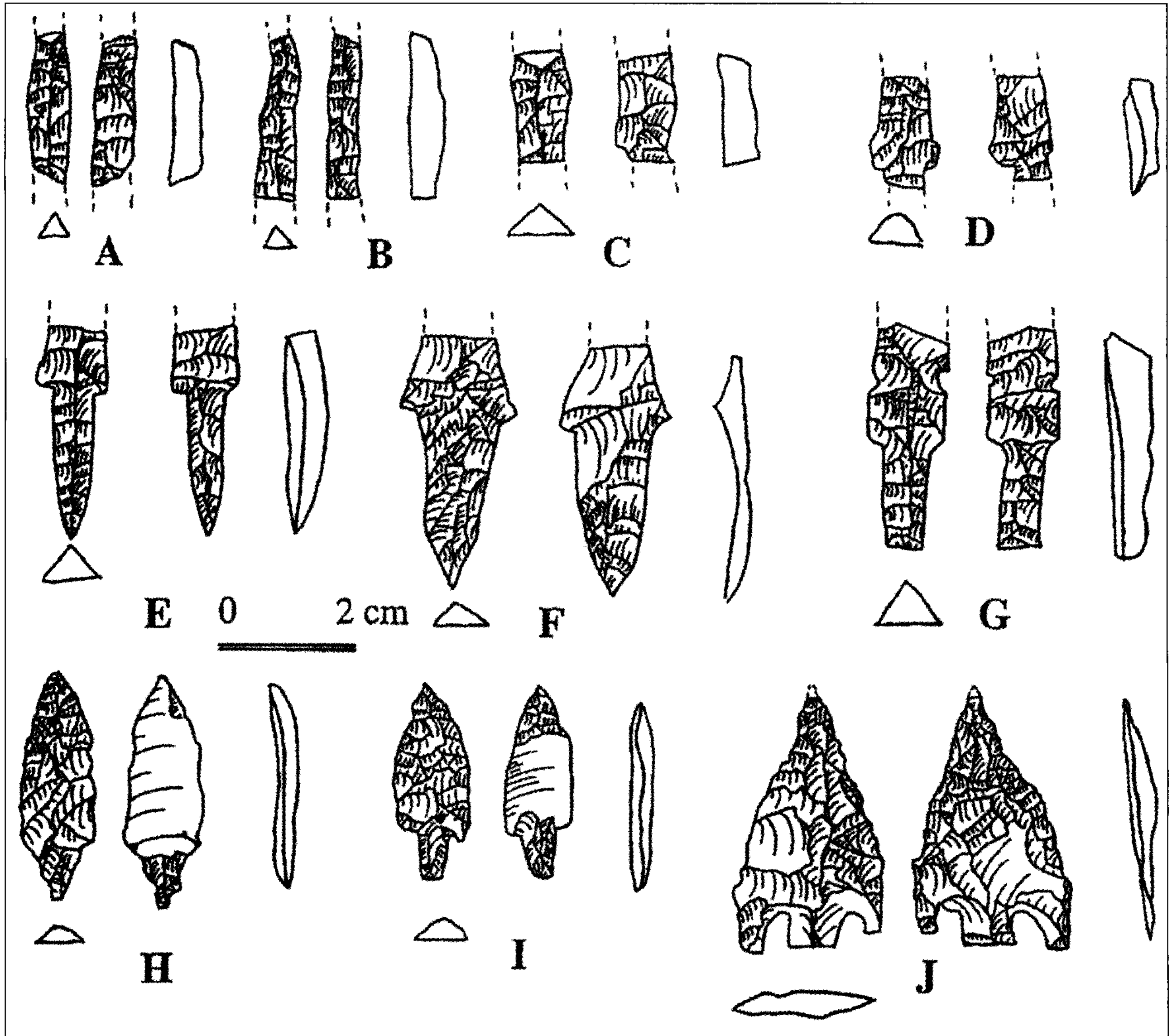
وفيما يخص الرؤوس المعنّقة العربية في هضبة حضرموت، والتي تنتمي إلى النمط الصحراوي، فإنه إذا استندنا إلى رسوم الأدوات، التي تمكّنا من الاطلاع عليها حتى الآن، فإن عددها ثلاثة عشر رأساً معنّقاً، ثمانية رؤوس من وادي (سنا)، نشرت منها ثلاثة، حتى الآن، (McCorriston et. al., 2002: fig. H-J) (شكل ٣: H-J) وخمسة رؤوس شاهدنا رسومها ضمن أدوات من النمط المهري في تقرير أولي (McCorriston et. al., 2004: fig. 9) إضافة إلى خمسة رؤوس نُشرت من و (عَشَة) (شكل ١: ٣١- ٣٣) (Crassard & Bodu: 2004: fig. 9: 1-5).

غير أنه إذا كان الفرق لم يكن واضحاً بشكل جلي، بين هذه الرؤوس والرؤوس المنتمية إلى العصر الحجري الحديث، في المهرة، عند من عثر عليها في وادي سنا؛ فإن هذا الفرق لم يوجد بالكامل، على ما يبدو، عند من عثر عليها في (وعَشَة)؛ بدليل أن الرؤوس العربية وصفت من قبلهم برؤوس معنّقة ومرقّقة من الجهتين، فقط، دون أي ذكر للعصر الحجري الحديث الصحراوي أو صلة لهذه الرؤوس به، أيضاً، فضلاً عن ذلك فقد ذهبوا للبحث عن شبه لها في الخليج العربي (Crassard & Bodu: 2004: 77, fig. 9)، تاركين موطنها الشهير في الربع الخالي ورملة السبعتين، وهو الأقرب بكثير، أيضاً، لهضبة حضرموت.

فهذه الرؤوس الثلاثة عشر: جُهِّزت على شظايا حجرية (Flake)، وهي معنّقة ومن ذوات الريشة المُسْتَدَقة و كذا المستدقة- المحدَّبة ومرقّقة من الجهتين بنقرات حرشفية الشكل مستوية وشبه مستوية، في الغالب، وهي تتطابق مع الرؤوس الصحراوية العربية التي وجدت في الربع الخالي ورملة السبعتين.

٣- الرؤوس المعنّقة ذات العلاقة بالنمط الأثري الصحراوي في هضبة ذمار.

وجد بين المواد التي نشرت من موقع (الشرف) رقم (١٥) في هضبة ذمار رأس معنّق مستدقة الريشة، جهّز على شظية من الزجاج البركاني ورُقّق من الجهتين، ويبلغ حجمه (٢,٤× ٢,١× ٠,٤) سم (الشكل ١: ٣٦). وقد أعيدت المنشآت الحجرية في هذا الموقع إلى العصر الحديدي (ويلكنسن وآخرون ٢٠٠١: ١٣٠- , ١٣١ شكل ٥: ١)، كما شاهدنا ر سماً لرأس آخر بين رسوم لمواد حجرية من هذه الهضبة أطلعني عليها (كرستوفر أيدنز)، وهو مستدق الريشة مرقّق من الجهتين، وقد أشرنا إليه في فترة سابقة (المعمري ٢٠٠٢: ٤٢).



شكل ٣: من الرؤوس التي عُثر عليها في هضبة حضرموت، نقلاً عن (McCorisston et. al.2002)؛ (H-J) - تعود برأينا إلى النمط الأثري الصحراوي، بينما أغلب الرؤوس الأخرى تعود إلى النمط المهري.

وإضافة إلى هذين الرأسين وصِفت لنا مجموعة من هذا النوع لم نتمكن من رؤيتها [1]، وما يهمنا منها هو أن الرؤوس المعنَّقة، سالفة الذكر، تتواجد في هضبة ذمار، وبكمية ت سمح بالحديث عن تأثر هذه الهضبة بالنمط الثقافي الصحراوي.

٤- الرؤوس المعنَّقة ذات العلاقة بالنمط الأثري الصحراوي في حوض صنعاء.

بدأنا بالعثور على مواقع حجرية في حوض صنعاء، بدءاً بعام ١٩٩١م (Rahed 1993b: 282) (المعمري ١٩٩١: ٥؛ ١٩٩٦: ٨٨)، وفيما يخص الرؤوس المعنَّقة فهي قليلة العدد، المقارنة مع بوجودها في الصحراء. وكذا فإن هذه الرؤوس تكون صغيرة الحجم ، في الغالب. وقد جهِّزت بعضها على خامات معتمة اللون؛ ويبدو أن هذه الأسباب تجعل الباحثين لا يهتدون إليها بسهولة في هذه المرتفعات.

فقد وصل عدد ما جمعناه منها إلى (٣١) رأساً؛ منها ثمانية رؤوس من شعبة سليم في وادي ضهر (لوحة ٣) وثلاثة وعشرون رأساً من موقع القلات في شبام الغراس (لوحة ٤:

١-٣). وإضافة إلى ذلك، وجدنا بين الأشكال الإيضاحية في رسالة الدكتوراه للباحث الألماني (هايكو) عن وادي ضهر (١٩) رأساً معنَّقاً (Kallweit 1996) (الشكل ١ : ٨).

وهذه الرؤوس تتطابق مع مثيلاتها في النمط الصحراوي. ويُعدُّ تأريخ الكربون١٤(٤٩٥٠× ٤٧) ق.ح أو (٣٧٨٢- ٣٦٩٢) ق.م، في وادي ضهر، أحد تواريخ لعصر الحجري الحديث في المرتفعات (Kallweit 2000: 52). ومن المحتمل أن يكون تاريخاً مناسباً لبداية ظهور هذه الرؤوس المعنَّقة في حوض صنعاء.

٥- الرؤوس المعنَقة ذات العلاقة بالنمط الأثري الصحراوي، في الحَدا وخولان وتهامة.

عُرِف رأس واحد من هذه الرؤوس من وادي الثَّيلة في خولان (Fedele 1986: fig. 28) (الشكل ١ : ٣٧)، والآخر من جبل قَطَّرَان في الحدا (Fedele 1988) والثالث من تهامة (الشكل ١ : ٢٧) (Tozi 1986: fig. 34).

فقد جهِّز الرأس الأول على شظية من الصوان، وهو من ذوات الأكتاف الحادة الزاوية والمنتهية بطرفين حادين قصيرين نسبياً ومن ذوات الريشة المستدقة، ويبلغ طوله (٣) وعرضه (١,٨) سم. وجهِّز الرأس الثاني، كذلك، على شظية من الصوان، وهو من ذوات الأكتاف بالآباط المنفرجة الزاوية. وعُثر على الرأس الثالث بالقرب من الدُّريهمي جنوبي الحديدة في موقع (Cahabh)؛ وقد جهِّز على شظية من خام الزجاج البركاني، ومرقَّق من الجهتين بأهداب مرودية الشكل ، وهو من ذوات الأكتاف المستعرضة الشكل بالآباط الحادة الزاوية والريشة المستدقة المقوَّسة والمستعرضة الشكل والعنق المستعرض، أيضاً، (الشكل ١ : ٢٧).

وإضافة إلى ذلك، فقد ذكر الباحثون في وسط الجزيرة أنهم وجدوا أدوات مرقَّقة من الجهتين في تهامة، من ضمنها رأسان، على حد قولهم، من النوع الذي انتشر في الربع الخالي (Zarins & Zhrani 1985: 68). وبوجه عام فإن هذه الرؤوس تُعدُّ نادرة جداً، حتى الآن في تهامة. ومن أقدم التواريخ للعصر الحجري الحديث في تهامة هو (٧٧٧٠× ٩٥) ق.ح (Tozi 1986: 403) وأحدثها (٤٨١٠× ١٧٠) ق.ح (Zarins and Bader 1986: 40).

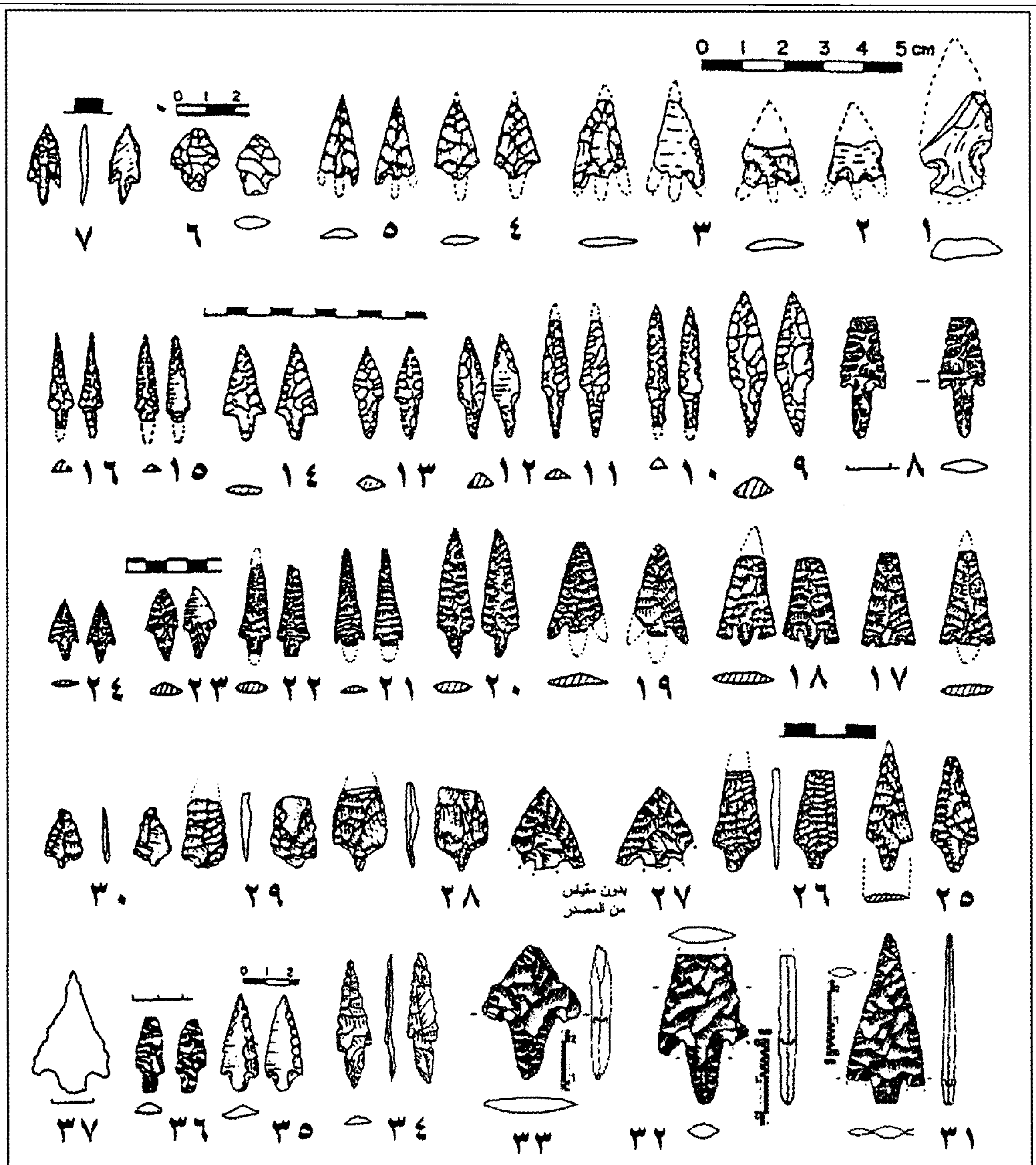
٦- الرؤوس المعنَقة ذات العلاقة بالنمط الأثري الصحراوي في صَعْدَة.

فمن خلال دراسة الرسوم الصخرية في هذه المنطقة (Garcia & Rachad 1997)، عُرفت مجموعة كبيرة من الرؤوس المعنَّقة. وللتدليل على وجودها، سنكتفي بوصف ثلاثة نماذج منها فقط[٢]. واحد من هذه الرؤوس من ذوات الأكتاف بالزاوية الحادة، المنتهية بأطراف متوسطة الطول مستعرضة الشكل ، ويبلغ حجمه (٢× ٣,١× ٠,٤) سم (لوحة ٤: ٥). والرأس الثاني من ذوات الأكتاف المنفرجة الزاوية ويبلغ حجمه (٢,٥× ٢,٨× ٠,٧) سم، ويبدو أنه قديم مقارنة بالرأسين الآخرين، استناداً إلى الحجم الكبير و سمات البِلى وسعة الأهداب (اللوحة ٤: ٤). والرأس الثالث من موقع الفحولين رأس الغول رقم ٣ في منطقة كتاف (رشاد وآخرون ٢٠٠١: شكل ٧)، وهو من ذوات الأكتاف القائمة الزاوية، ويبلغ طوله (٢,٤) سم وعرضه (١,٢) سم. ومن أقدم التواريخ للعصر الحجري الحديث في صعدة هو (٦٢٥٠×٩٠) وأحدثها هو(٣٧٩٠× ٤٠ ق.ح) (Garcia et. al. 1991: 1206).

٧- الرؤوس المعنَقة ذات العلاقة بالنمط الأثري الصحراوي في عَسِير وبيشة وحما وتثليث.

انتشرت الرؤوس الصحراوية العربية في نَجْد والحجاز؛ ولكن من المحيِّر جداً أن أدوات العصر الحجري الحديث المبكِّر من ثقافة الشظايا، سالفة الذكر، لم يرد عنها أي ذكر في هذه المواقع، وحتى في المناطق الجنوبية من وسط الجزيرة، بما في ذلك الربع الخالي (Zarins et. al. 1979, 1980, 1981)، وقد تطرقنا إلى هذا الجانب في دراسات سابقة (المعمري ٢٠٠٠: ٢٢). فإذا كان الأمر كذلك، فماذا كان إذاً في هذه المناطق، التي لم يوجد فيها أثر لثقافة الشطائر الشمالية، أيضاً، قبل وصول النمط الأثري الصحراوي إليها؟.

فقد تضاربت الاستنتاجات المتعلِّقة بالخصائص الأثرية عن العصر الحجري الحديث في عَسِير، (Zarins et. al. 1981: 22). وما نستطيع قوله في هذا الجانب، هو أننا لم نجد بين الأدوات الحجرية، التي نشرت من عسير سوى رأس واحد من الموقع (٢١٧- ٧٤) (شكل ١ : ٧) في ظهران الجنوب أو (ظهران اليمن) (Zarins et. al. 1981: pl. 19: 6) حجمه (٢,٨× ١,٢× ٠,٣) سم. وفي بيشة وجد رأس واحد معنَّق من



شكل ١ ـ من الرؤوس الصحراوية العربية أو (الرؤوس المعنّقة المنتمية إلى النمط الصحراوي) التي انتشرت في المنـاطق الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية من الجزيرة العربية: ١-٥ من تُربة، ٦ من وقير في الطائف؛ ٧ من ظهران الجنوب في عسير؛ ٢٥، ٣٠ من بئر حما؛ ٢٦، ٢٨ من موادي تثليث، ٢٩ من حمضة جنوبي تثليث؛ ٣٥ من بيشة، نقلاً عن: (Zarins et. al., 1980; 1981)؛ ٨ من وادي ضهر في حوض صنعاء، نقلاً عن: (Kallweit 1996)؛ ٩- ١٦ من موقع ابن حمودة، ١٧-٢٤ من مواقع في ظفار في عُمان، نقلاً عن: (Zarins 1998)؛ ٣١-٣٤ من هضبة حضرموت: ٣١-٣٣، نقلاً عن: (Crassard& Bodu 2004) و٣٤، نقلاً عن: (McCoriston et.al 2004)؛ ٢٧ من جنوبي الحديدة، نقلاً عن: (Tozi 1986)؛ ٣٧ من وادي الثيلة في خولان، نقلاً عن: (Fedele 1986)؛ ٣٦ من هضبة ذمار، نقلاً عن: (ويلكنسن وآخرون ٢٠٠١).

الموقع (٢١١- ٥٨ ب) في الحمّة (شكل ١ : ٣٥) يبلغ حجمه (٣,٨× ١,٥ × ٤,٠) سم.

وفيما يخص منطقتي حما وتثليث، فإنهما قريبتان إلى المنطقة الصحراوية أكثر منه إلى المرتفعات؛ ولكن لا بد من الإشارة إلى ظواهر تستحق الذكر في بعض الرؤوس الصحراوية العربية التي وجدت في هاتين المنطقتين، وهي أن بعضها تُعدُّ من النوع المستدق بشكل تام تقريباً، وإن التهذيب فيها من النوع المستوي المتوازي وشبه المتوازي والمتلاقي أيضاً، والطويل نسبياً (شكل ١: ٢٥- ٢٦، ٢٨-٣٠).

٨- الرؤوس المعنّقة ذات العلاقة بالنمط الأثري الصحراوي في الطائف.

نشرت من جنوب شرقي الطائف زهاء ثمانية رؤوس سهام مجهّزة على شظايا حجرية مستدقة الريشة أكبرها في الحجم (٣,٤× ٤,٨ ×١,٥ × ٠) سم وأصغرها (١,٥× ١,٣ × ٠,٢) سم (Zarins et. al. 1980: Pl. 20A: 2, 20B: 1-4, 22)، سبعة من هذه الرؤوس معنّقة ومرقّقة من الجهتين، أمّا الرأس الثامن فقد أفرد عنقه بشطرتين متقابلتين (الشكل ١: ١). رأس واحد من هذه الرؤوس من الموقع (٢١٠- ٤٩) في (وقير)، جهّز من خام الزجاج البركاني (شكل ١ : ٦). وخمسة رؤوس من الموقع (٢١٠- ٧٦أ) في (تُربة) (شكل ١ : ١- ٥). ورأسان معنّقان من الموقع (٢١١- ٨٦) يبدو أنهما في منطقة (خرمة) على الطرف الشمالي الغربي من حرّة نواسف (Zarins et. al. 1980: Pl. 18A: 7, 14).

وفيما يخص التهذيب في هذه الرؤوس، فإنه لا يختلف في كثير من جوانبه عن التهذيب، الذي ذُكر في أغلب الرؤوس سالفة الذكر: مرقّق من الجهتين، ونفّذ بطريقة الضغط، ومن النوع المستوي وشبه المستوي والسعة الضيّقة للأهداب والشكل الحرشفي في الغالب الأعم. وهذه الرؤوس تتطابق جميعها مع الرؤوس الصحراوية العربية في النمط الأثري الصحراوي.

خلاصة واستنتاجات

إن الرؤوس المعنّقة، التي سلف ذكرها، في المناطق المحدّدة في هذا البحث تتطابق مع الرؤوس الصحراوية العربية في النمط الأثري الصحراوي، بوجه عام. أو بعبارة أخرى، فإن هذه الرؤوس كأنها في موطنها الأصلي في الربع الخالي ورملة السبعتين، وإن ظهورها في بعض هذه المناطق قد يتزامن مع الفترة الثانية من تطوّر ذلك النمط في الصحراء، باستثناء المناطق القريبة من الربع الخالي ورملة السبعتين، التي يفترض أن تكون تلك البداية قد حدثت فيها في أوقات مختلفة من الفترة الأولى (لوحة ٢: ب)، مثل الأجزاء القريبة من الصحراء كهضبة حضرموت... الخ.

أمّا في المرتفعات الجنوبية الغربية العالية، مثل حوض صنعاء وهضبة ذمار، فإن هذا الجانب قد يكون أكثر تأكيداً لنا. وهو أن تأثير النمط الأثري الصحراوي لم يصل إليها، إلاّ في الفترة الثانية من تطوره في الصحراء؛ وإن بعض الرؤوس الصغيرة الحجم التي وجدناها في شبام الغراس ووادي ضهر، منها ما يعود إلى نهاية الفترة المذكورة، ومنها ما يتطابق مع فترة بُعَيْد العصر الحجري الحديث في الصحراء، أيضاً، مستندين في ذلك إلى الحجم والنوع ولون البلى في هذه الرؤوس.

وقد سجّلت أدوات فترة بُعيد الصر الحجدي الحديث في المجموعة (و) من الترتيب الزمني النسبي بمظهر البلى، سالف الذكر، (لوحة ١: ج)، وهي آخر فترة من الحقبة الحجرية، عاشها الإنسان في صحراء الجزيرة، وتدلُّ أدواتها على تقهقر نمط الصيد في هذه المنطقة. وهذه الفترة تتزامن مع جزء من العصر البرونزي، ومع بداية عصر الحديد في المرتفعات الجنوبية الغربية، علماً بأن صغر أحجام الأدوات قد يكون، في بعض الحالات، غير مرتبط بالعامل الزمني وحده، وإنما بعوامل أخرى، أيضاً.

فقد بات واضحاً الآن، أن النمط الأثري الصحراوي امتد من الإمارات العربية وعُمان في الشرق إلى الطائف وتهامة في الغرب، ومن جُبَّة وصحراء النفود في أقصى الشمال إلى حوض صنعاء وهضبة ذمار في الجنوب، باستثناء بعض المناطق، مثل هضبة المَهْرَة التي لم نجد فيها هذه الرؤوس، إلى الآن، وكذا بعض المرتفعات الجنوبية والجنوبية الغربية من اليمن، مثل مرتفعات إب وتعز والضالع وأبين...الخ.

وعلى ضوء ذلك، يمكن القول إن النمط الأثري الصحراوي، مثَّل وحدة ثقافية في المناطق التي وجد فيها في الجزيرة

العربية. ومن ثم فإن هذه الجزيرة أخذت تنصهر في معظمها، أو على الأقل المناطق التي وجد فيها هذا النمط، في وحدة ثقافيةً، في العصر الحجري الحديث المتأخر، أو أنها أخذت تتشكل في وحدات أو تجمُّعات إنسانية كبيرة متشابكة الصلات الثقافية والعرقية فيما بينها، على أساس هذا النمط وتفرُّعاته، والتي يُحتمل أنها عرفت فيما بعد بالقبائل العربية، أو العربية الجنوبية، على وجه الخصوص.

بينما النمط الأثري المهري الذي فردناه، في فترة سابقة في المهرة وظفار العُمانية (شكل ٢) والآن في هضبة حضرموت، شكَّل المركز الثقافي الثاني في هذه المناطق الثلاث، بدرجة رئيسية.

فقد ظل هذا النمط في عزلة شبه تامة، كما يبدو، في المَهرة ومحتفظاً بتقاليده، إلى جانب الاتجاهات الأثرية الأخرى، في كل من حضرموت وظفار العُمانية.

ولشدة الاختلاف الأثري بين النمطين الصحراوي والمهري في جوانب كثيرة، ومنها في الجانب الزمني أيضاً لبداية ظهورهما، فإننا ننظر إلى هذا الاختلاف أنه بمثابة اختلاف ثقافي. ولذا، فإننا نعبِّر عنهما، أحياناً، بمفهوم النمط الثقافي الصحراوي والنمط الثقافي المهري، مع أن جذورهما الثقافية قد تكون من أصل واحد، وهو ما ذهبنا إليه، في بعض الجوانب، أيضاً، (Rashed 1993c: 18).

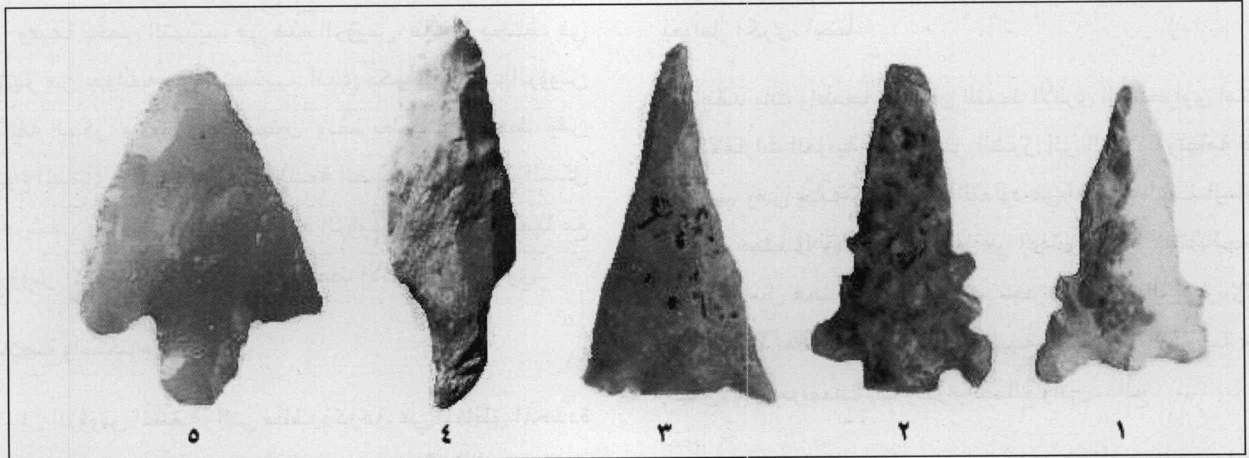
أمَّا فيما يتعلَّق بالأدوات القزمية الهندسية الشكل التي وجدت في هضبة حضرموت وفي عُمان، أيضاً، فإنها تعبِّر، هي الأخرى، عن وجود علاقة ما، بين ظفار وهضبة حضرموت في نهاية العصر البرونزي وعصر الحديد، ومن المحتمل أن يُعثر عليها، أيضاً، في أماكن خاصة في المهرة.

وأمَّا الجذور الأثرية لهذه الأدوات التي كنَّا نبحث عنها في الجزيرة (المعمري ١٩٩٥: ١٠٧؛ ٢٠٠: ٢٣؛ ٢٠٠: ٤١)، فيبدو أنها مُستَمَدَّة، من خلال أساليب التفليق، من تقنية انتزاع الشظائر الحجرية من خام الأوبسديان السابقة لهذه الأدوات في الظهور، التي تأكد وجودها، أخيراً، في هضبة حضرموت.

فقد كانت هذه الأدوات تجهَّز في الغالب على شظائر حجرية، انتزعت من نُوي خاصة لهذا الغرض. كما أن الكثير من هذه الشظائر كانت تفلَّق بطريقة الضغط والوسيط أيضاً. وهذا ما تأكد وجوده، كذلك، من خلال مواد المصنوعة من الأوبسديان التي عُثر عليها، أخيراً، في هضبة حضرموت، وهي الأساليب المشتركة بين الأدوات القزمية وهذه التقنية، بصرف النظر عن الفوارق الزمنية بينهما.

ومن المحتمل، بوجه عام، أن تكون هذه التقنية (انتزاع الشظائر الحجرية من الأوبسديان) قد مثَّلت اتجاهاً أثرياً آخر في هضبة حضرموت، إلى جانب النمطين الصحراوي والمهري، استناداً إلى الأساليب التقنية، سالفة الذكر.

وممَّا تجدر الإشارة إليه هنا، بصورة عامة في هذا السياق، هو أن الاختلاف في أنوع الأدوات والعناصر التقنية قد يكون



لوحة ٤: رؤوس سهام معنقة من النوع الصحراوي العربي أو (الرؤوس المعنقة المنتمية للنمط الأثري الصحراوي):- ١-٣ من موقع القلات في شبام الغراس؛ ٤-٥ من صَعْدة.

عائداً إلى اختلاف في الزمن، هذا من جهة، غير أنه، من جهة أخرى، يعدُّ هذا الاختلاف مؤشراً رئيسياً لمعرفة هذا الاتجاه الأثري أو ذاك؛ وقد يُعبّر في الوقت نفسه عن اتجاهات ثقافية مختلفة، أيضاً؛ كما أن أنواع الأدوات والعناصر التقنية لا تمثِّل الثقافة كلها، ولكنها تعد جزءاً أساسياً فيها. وإضافة إلى ذلك، فإنها قد لا تعبِّر، في جميع الحالات، عن الجوانب العرقية (الإثنية) الحقيقية، بحكم الصلات المختلفة بين البشر، وهي الصلات التي قد يُصاحبها انتقال الأفكار التقنية، ولكن اغلبها، خاصة الرئيسية منها، ترتبط، في الغالب، بفئة محدَّدة من الناس.

ففي جانب الوحدة والاختلاف، اللذين أمكننا تمييزهما في النمط الأثري الصحراوي، ومن ثمَّ احتمالهما في التجمعات الإنسانية المرتبطة بهذا النمط، فإنه يمكننا أن نفرد أو نميِّز اتجاهاً أثرياً آخر، إلى جانب النمط الأثري الصحراوي، وهو اتجاه (الثمامة) في المنطقة الشمالية الشرقية من الرياض. ونعتقد أن هذا الاتجاه شمل، كذلك، عين دار الواقعة في منطقة البقيق شمالي الهفوف وجنوبي القطيف؛ وربَّما تظهر لهذا الاتجاه مواقع أخرى في شرقي الجزيرة أو في شماليها، حتى وإن كانت قليلة العدد.

فالأبحاث الأخيرة التي أجريت في الثمامة (الشارخ ٢٠٠٤) في الوقت الذي أكدت فيه قناعتنا السابقة في أن الرؤوس المرقَّقة من الجهتين الطويلة الحجم، التي نُشرت إلى جانب الرؤوس المعنَّقة المرقَّقة المجهَّزة على شظايا حجرية، (أبو درك وآخرون ١٩٨٤: لوحة ٩٨، ٩٩) صنعت من شطائر حجرية؛ فإنها في الوقت نفسه، أثارت فينا أسئلة مهمة واهتمامات علمية كثيرة. ومنها أولاً: عدم العثور على مثل تلك النماذج التي عُثر عليها من قبل في هذه المنطقة، علماً بأن منطقة الثمامة واسعة المساحة، وثانياً: فإن رؤوس السهام التي قُدِّمت نماذج منها، أخيراً، هي من ثقافة الشطائر وحدها، تقريباً، (الشارخ ٢٠٠٤: لوحة ١٠)؛ ولكن من الصعب أن نعطي حكماً نهائياً في هذا الجانب، ما لم يُنشر المزيد من هذه المصنوعات.

فالاتجاه الجديد يمثل مرحلة متأخرة من مراحل تطور النمط الأثري الصحراوي، كما يبدو، وخاصة في عين دار؛ ولكنه يتميز بخصائص تقنية ونوعية (:Potts et. al. 1978 pl.18) تجعله يختلف في كثير من جوانبه عن خصائص النمط الأثري الصحراوي، على الرغم من الشبه الكبير والعلاقة الثقافية الواضحة المعالم بينهما، من جهة؛ ومن جهة أخرى، فإنه بالقدر الذي توجد فيه عناصر موحِّدة بين الثمامة وعين دار وبين النمط الأثري الصحراوي، فإنه بالقدر نفسه توجد اختلافات ثانوية ورئيسية، بين الثمامة وعين دار، من جهة، وبين النمط الأثري الصحراوي وكليهما معاً، من جهة ثانية.

فهذا الاتجاه، من المحتمل أن يُعد في الأساس من بقايا ثقافة الشطائر، استناداً إلى كثير من المؤن الحجرية التي جهِّزت عليها عدداً من هذه الرؤوس؛ ولكنه تأثر بتقاليد النمط الأثري الصحراوي في العصر الحجري الحديث المتأخر، استناداً إلى التهذيب المرقِّق وطبيعته التي وجدت في جميع هذه الأدوات، إن لم نقل أنه كـــاد أن يذوب في نطاق هذا النمط، حيث لا يمكن تمييز أوجه الاختلاف بينه وبين النمط الأثري الصحراوي بسهولة، وخاصة في عين دار، حيث تكثر الرؤوس التي جُهِّزت على فلق حجرية صغيرة الحجم، ويُصعب التمييز بينها وبين الشظايا التي جُهزت عليها الرؤوس المعنَّقة في النمط الصحراوي.

فمن المحتمل أن يكون هذا الاتجاه قد مثَّل نواة لتجمعات إنسانية أخرى في أجزاء من المناطق الشمالية والشرقية، عاشت إلى جانب التجمعات البشرية الآتية إليها من الجنوب حاملة تقاليد النمط الأثري الصحراوي. فقد يكون لهذه التجمعات صلة بما وصِف، فيما بعد، بالقبائل العربية الشمالية. إن لم يكن هذا التمايز يمثِّل أحد أوجه الاختلافات الزمنية في تطوُّر النمط الأثري الصحراوي نفسه، وهو ما نجده، أحياناً، في بعض هذه الأدوات ولا نجده، في الغالب، في أدوات أخرى كثيرة منها.

فلقد حدث لقاء واضح بين ثقافتي الشظايا والشطائر في شرقي الجزيرة وشماليها في العصر الحجري الحديث المتأخر، وقد رافق ذلك، كما نعتقد، ذوبان لثقافة الشطائر، أو أنها تقهقرت في اتجاه الشمال، بحكم الانتشار الواسع للرؤوس الصحراوية العربية في هذه المناطق، وفي كلا الحالتين لا بد من وجود جيوب أو (بقايا) لهذه الثقافة، التي يبدو أنها وقعت تحت تأثير النمط الأثري الصحراوي.

وفي جميع الحالات، فإن الجماعات البشرية التي اتجهت

إلى الحياة المعيشية القائمة على الرعي، في الغالب، أو (حياة البداوة) بعد التقهقر الكبير لنمط الصيد، تعدُّ امتداداً، على الأرجح، لثقافتي الشظايا والشطائر، أو على وجه التحديد للاتجاهين الأثريين، سالفي الذكر؛ وهما اللذان تشكل على أساسهما الجنس العربي أو (الإثنية العربية) في المنطقة الصحراوية، كما نعتقد، وقد كان للنمط الثقافي الصحراوي، بحكم انتشاره الواسع، الدور الرئيسي في هذا التشكل .

وبهذه الاحتمالات نكون، على الأقل، قد طرحنا مسألة وجود هذين الاتجاهين وعلاقتهما بثقافتي الشظايا والشطائر، سالفتي الذكر، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، مسألة العلاقة بين هذين الاتجاهين فيما بينهما، وارتباطهما، كذلك، بظهور الجنس العربي، أو بطبيعة التجمعات البشرية التي رافقتهما، ومن جهة ثالثة، علاقة النمط الأثري المهري بهاتين الثقافتين، مع أننا كنّا قد ربطنا هذا النمط بمبدأ التهذيب المرقّق وبعض جوانب التفليق ونمط العيش بثقافة الشظايا (Rashed 1993c: 19) تاركين للأبحاث القادمة مهمة الح سم في هذه المسائل المعقّدة وفي هذه الاحتمالات، أيضاً.

أمَّا ما يخص مميزات الاتجاه الأثري الجديد الذي فردناه في هذا البحث عن النمط الأثري الصحراوي، سالف الذكر، فقد أشرنا إلى بعضها في فترات سابقة (Rashed 1993b 293 -291) (المعمري ٢٠٠٢ : ٣٨)، ويمكن تناول أوجه الشبه والاختلاف بينهما، بتفصيل أكثر، في أبحاث أخرى، على أساس أن البحث الحالي لم يكن مكرّساً لهذا الجانب وحده، أضف إلى ذلك بأن النمط الصحراوي يمكن أن تُفرد فيه اتجاهات ثانوية، تتجلّى ملامحها يوماً بعد يوم، ولنأخذ مثالاً على ذلك، مجموعتي ابن حمودة وظفار في عُمان، اللتين وصفتا، فيما سلف.

فهاتان المجموعتان على الرغم من انتماء أغلب أدواتهما إلى النمط الأثري الصحراوي، من حيث المبدأ، فإنهما تختلفان في بعض الجوانب عن بعضهما، وهذا الاختلاف يُحتمل أن يُعدُّ من مظاهر الاتجاهات الفرعية التي يمكن إفرادها في هذا النمط، فقد يكون هذا الاختلاف في مجموعة ابن حمودة ناتجاً عن تأثر النمط الأثري الصحراوي نفسه بالنمط الأثري المهري في دور التفليق والتهذيب، أيضاً، وفي مجموعة ظفار عن تأثر النمط، المذكور، بالنمط الأثري المهري في دور التهذيب، من جهة، وبثقافة الشطائر الحجرية أو بأدوات (فسد)، من جهة أخرى، في دور التفليق.

فمجموعة ظفار أثارت فينا الدهشة وكثيراً من الشجون، ففي عُمان التقت ثقافة الشطائر، كما يبدو، إضافة إلى أدوات "فسد" (Fasad) التي تُمثِّل اتجاهاً تقنياً ونوعياً خاصاً متميزاً في ظفار، وكذا النمط الأثري المهري والنمط الأثري الصحراوي، وقد احتملنا أن تكون المرحلة المبكِّرة من ثقافة الشظايا، التي عرفناها لأول مرة في منطقة (العَبْر)، قد وجدت في ظفار، أيضاً، استناداً إلى تقاليدها المتمثِّلة بمبدأ التهذيب المرقّق من الجهتين، الذي وجد في النمط الأثري المهري (شكل ٢)، إضافة إلى جوانب أخرى في طُرق التفليق ونمط العيش. وهذه العوامل جعلتنا، كما سلف، نجد صلة بين النمط الأثري المهري وثقافة الشظايا في مرحلتها المبكِّرة (Rashed 1993c: 17, 19). أمَّا مسألة الحصول على فلق حجرية طويلة الحجم من مناكب النواة في هذا النمط، وهي خاصة بصناعة الرماح ورؤوس السهام، بدرجة رئيسية، فقد تكون مرتبطة بعوامل كثيرة، منها التأثر بثقافة الشطائر، إضافة إلى نوعية الخام؛ ولكن لسنا بصدد تفصيل هذه الجوانب في هذا المقال.

كما أن مجموعتي ظفار وابن حمودة جعلتنا نذهب، إضافة إلى كل من الرؤوس المعنَّقة التي عُثر عليها في الركن الجنوبي الغربي من الربع الخالي (McClure 1994) والاتجاه الأثري الذي فردناه في الثمامة و عين دار، إلى مسألة مهمة شغلت الباحثين منذ النصف الأول من القرن العشرين وحتى يومنا هذا، وهي مسألة البحث في الأصول الأثرية التي انحدرت منها الرؤوس الصحراوية العربية في شبه الجزيرة، والتي كانت تنسب إلى القارة الأفريقية، كما سلف الذكر، والمتمثِّلة، في المقام الأول، بوجود العنق والتهذيب المرقّق من الجهتين.

حيث من المرجَّح أن فكرة إفراد العنق في هذه الرؤوس أتت من داخل الجزيرة العربية وليس من خارجها، من طريق التماس الثقافي بين ثقافة الشظايا وثقافة الشطائر في العصر الحجري الحديث المتأخر في الربع الخالي أو على أطرافه، هذا إن لم تكن تلك الفكرة نتيجة طبيعية للتطور الثقافي الداخلي في نطاق ثقافة الشظايا نفسها، كما أن مسألة إفراد العنق وجدت، كذلك، في النمط المهري.

فقد وجدت الرؤوس المعنَّقة غير المرقَّقة من الجهتين والمجهَّزة على شطائر حجرية في ثقافة الشطائر في العصر الحجري الحديث المبكِّر، أمَّا مسألة التهذيب المرقِّق من الجهتين وطرق التشظية في دور التفليق، التي تُعد من خصائص الرؤوس الصحراوية العربية، فهما من تقاليد ثقافة الشظايا، نفسها، منذ أن ظهرت في جنوبي الجزيرة في العصر الحجري الحديث المبكِّر (لوحة ١، ٢) (Rashed 1993c: 16)، حيث لا توجد أدلة، في الوقت الراهن، ت سمح بربط هذه الرؤوس بجذور أثرية أُخر.

فقد وجد في رملة السبعتين زهاء ثلاثة رؤوس معنَّقة (Rashed 1993b: pl. 89, 90) (المعمري ٢٠٠٢: لوحة ٥: ٢١) تُذكِّر بالرؤوس المعنَّقة في الثقافة العاطرية، أو جزئياً بالرؤوس المعنَّقة من نوع "فسد" (Fasad) في عُمان، ورأسين آخرين من النوع نفسه وجدا في هضبة حضرموت، أحدهما نسب، مباشرة، إلى أدوات "فسد"، وأعِيد إلى الهولوسين المبكِّر؟ (McCorriston et. al., 2001: 69, Fig. 3: A) والآخر شاهدناه في أواسط التسعينيات من القرن المنصرم ضمن مواد حجرية في المعهد الألماني بصنعاء، إضافة إلى الرأس المرقَّق الحواف، سالف الذكر، من الموقع (٢١٧-٢٢) في حما، والرأس السابع من المَهْرة (Amirkhanov1997: Fig. 61: 2)، إضافة إلى بضع رؤوس وصفت بأن البعثة الفرنسية عثرت عليها، مؤخراً، في هضبة حضرموت، غير أن هذه الرؤوس لا تزال قليلة جداً ولا ت سمح، على الأقل، في الوقت الحاضر بإجراء أي نوع من المقارنة، علماً بأن (موكلور) عثر على مجموعة كبيرة منها في الربع الخالي ونسبها، مباشرة، إلى الثقافة العاطرية؟ (McClure 1994).

إن التشكل الجديد، سالف الذكر، في الجزيرة يبدو أنه ر سم الكثير من ملامح الحياة الإنسانية اللاحقة فيها، أمَّا الأسس الأولى للنمط الثقافي الصحراوي الذي قام عليه هذا التشكل ، بدرجة رئيسية، فقد وضِعَت في المرحلة المبكِّرة من ثقافة الشظايا المحلية أو (العربية) في العصر الحجري الحديث، وذلك من خلال: ظهور هذه الثقافة في المرحلة المذكورة في جنوبي الجزيرة (لوحة ٢: أ)؛ وسيطرتها على أراض كثيرة منها، كما نرجِّح، وخاصة بعد أن عثرنا، علاوة على ما ذُكر في منطقة العَبْر، على أدوات من أدوات هذه المرحلة في حوض صنعاء؛ واحتفاظها بوحدة عناصرها الثقافية الرئيسية طيلة تلك المرحلة، التي يبلغ مداها زهاء ثلاثة آلاف عام ويزيد، بدءاً من حوالي الألف الثامن ق. م إلى زهاء الألف الخامس ق. م، ومنها انتزاع الفلق المشظأة والتهذيب المرقِّق من الجهتين؛ وكذا قيام هذه الثقافة، في المرحلة المذكورة، بعرقلة ثقافة الشطائر، سالفة الذكر، من التوسع في اتجاه الجنوب؛ وأخيراً تمخُّضها عن النمط الأثري الصحراوي، كما نرجِّح، استناداً إلى طرق التشظية والتهذيب المرقِّق من الجهتين في هذا النمط، الذي اشتملت سيطرته أو تأثيراته، كما سلف القول، على معظم الجزيرة، بدءاً من ظهوره في الركن الجنوبي الغربي من الربع الخالي ورملة السبعتين، كما نعتقد، وانتهاءً بأفوله التدريجي في فترة بُعيد العصر الحجري الحديث في الصحراء، أو على الأصح انتهاء دور الأدوات الحجرية الرئيسية التي كانت تميِّز هذا النمط عن غيره في مرحلة الصيد، حيث استبدلت بأدوات جديدة تتلاءم مع طرق العيش في العصر الحديدي.

وأخيراً فإننا نؤكد من جديد، في هذا البحث، النتائج الرئيسية التي كنّا قد توصلنا إليها في رسالة الدكتوراه (Rashed 1993b. 1993c)، ومنها ما نُشر لنا في مقالات أخرى، أيضاً، (Rahed 1993a) (المعمري ١٩٩٥، ٢٠٠، ٢٠٠٢) (Al-ma'mari 2001) حول وجود المرحلة المبكِّرة من ثقافة الشظايا في العصر الحجري الحديث (لوحة ٢: أ) وبأن هذه الثقافة ذات منشأ محلي، وأن النمط الأثري الصحراوي (لوحة ٢: ب) من المحتمل أن يكون انبثق عنها، ولم يأت إلى الجزيرة من خارجها، كما كان يَعْتقد أغلب الباحثين من قبل، وبأن العكس قد يكون صحيحاً، وهو انتشار النمط الأثري الصحراوي من الجزيرة العربية إلى خارجها، وليس من خارجها إليها، وهي الصلة التي قيَّدناها بدءاً بالمجموعة (ج)، وأن للنمط الثقافي المَهْري، الذي كوَّن وحدة ثقافية في المهرة وهضبة حضرموت وظفار، علاقة بهذه الثقافة، على الأقل في مبدأ التهذيب المرقِّق من الجهتين وبعض الطرق التقنية الأخرى.

د. عبد الرزاق راشد المعمري - قسم الآثار / جامعة صنعاء - ص. ب (١٣٩٢٤) صنعاء/ معين - الجمهورية اليمنية.

الهوامش

١- ذكر لنا رئيس فرع الهيئة العامة للآثار في ذمار (علي السنباني) بأنه كان يخزّن مجموعة من هذه الرؤوس المعنّقة عُثر عليها في هضبة ذمار في موقعي الشرف وزَبل، وحسب إفادته فإن أغلبها من الزجاج البركاني وإن الباحثين الأمريكان أخذوها للدراسة، والذين أفادوا بدورهم، عندما طلبنا مشاهدتها، أنها أخذت إلى أمريكا للغرض نفسه، أيضاً.

٢-أطلعتنا د. مديحة رشاد على صور لمجموعة كبيرة من هذه الرؤوس التي وجدت في صعدة، ومنها صورتين لرأسين كنّا قد تعرَّفنا عليهما في ١٩٩١م أثناء تسليمهما مع أدوات حجرية أخرى إلى المتحف الوطني بصنعاء، وهما من الجبل المخروق، حسب قولها، ويبدو أن الرأس الصغير فيهما (لوحة ٣: ١٣) هو الذي نُشرت صورته في كتاب (اليمن في بلاد ملكة سبأ) (إنيزان ١٩٩٩: ٢٤).

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

أبو درك حامد، عبد الجواد مراد، محمد البراهيم ١٩٨٤، "الاستكشافات والتنقيبات الأثرية في موقع الثمامة الذي يرجع تاريخه إلى العصر الحجري الحديث". **أطلال**، العد ٨: ٩٧- ١٠٣، الرياض.

الشارخ عبد لله بن محمَّد "دراسة آثارية لموقع الثمامة: النتائج الأولية". **أدوماتو**، العدد ٩: ٧- ٣٢، الرياض.

المعمري عبد الرزاق راشد ١٩٩٥ "العصر الحجري الحديث في جنوب الجزيرة العربية". **الثقافة**، العدد٢٠: ٩٨-١١٢، صنعاء.

المعمري عبد الرزاق راشد١٩٩٠، "أدوات أثرية داخل الحرم الجامعي". **الثورة**، العدد ٩٨١٤ (٣٠/ ١٠)، صنعاء.

المعمري عبد الرزاق راشد ١٩٩٦ "مخلّفات أثرية لإنسان ما قبل التاريخ في حوض صنعاء". **الندوة العلمية الأولى للآثار اليمنية**، الجزء الأول ص ٨٧- ١٢٠، صنعاء. .

المعمري عبد الرزاق راشد ٢٠٠٠، "ثقافتان من العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية". **أدوماتو**، العدد ١: ٧-٢٩ ، الرياض.

المعمري عبد الرزاق راشد٢٠٠٢. "إضافات جديدة في تقسيم العصر الحجري الحديث في صحراء الجزيرة العربية". **أدوماتو**، العدد ٥: ٢٣-٤٤، الرياض .

إنيزان ماري- لويز ١٩٩٩ "الإنسان الأول في جزيرة العرب". **اليمن في بلاد مملكة سبأ**، ص ٢٢-٢٥، دمشق.

إيدينز كرستوفر، ويلكنسن ت. ج. ٢٠٠١، "جنوب شبه الجزيرة العربية في العصر الحجري الحديث". **دراسات في الآثار اليمنية (من نتائج بعثات أمريكية وكندية)، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، سلسلة الدراسات المترجمة-٤**، ترجمة: د. ياسين محمود الخالصي، مراجعة نهى صادق، ص ١- ٩٦ .

رشاد مديحة، العاضي امة الباري، الماوري أمين ٢٠٠١. **تقرير شامل لأعمال ونتائج المسح الأثري للرسوم الصخرية لما قبل التاريخ بمحافظة صعدة**. الهيئة العامة للآثار، الموسم الأول سبتمبر.

ويلكنسن ت. ج.، أيدينز كريستوفر، غيبسن م. ٢٠٠١، "آثار المرتفعات اليمنية تسلسل زمني تمهيدي". **دراسات في الآثار اليمنية (من نتائج بعثات أمريكية وكندية)، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، سلسلة الدراسات المترجمة-٤**، ترجمة: د. ياسين محمود الخالصي، مراجعة نهى صادق، ص ١- ٩٦ .

المراجع

ثانياً: المراجع غير العربية:

Al-Ma'mari A.R., 2001 ." Investigations of the Neolithic on the Arab Peninsula: Present State and the Problems", **Russian Archaeology**, 1: 5-14.

Amirkhanov H.A.,1997. **The Neolithic and Postneolithic of the Hadramaut and Mahra**. Moscow. (in Russian).

Biagi P., 1988. " Survey Along the Oman Coast: Preliminary Report on the 1985-1988 Campaigns". **East and west**, Vol. 38-nos 1-4: 271-291.

Bunker D.G.,1953. "The South-West Borderlands of the Rub al-Khali". **Geogr. J.**, London, Vol. CXIX:420-430.

Caton-Thompson G. 1944. **The tombs and Moon Temple of Hureidha (Hadramaut)**, Reports of Research Committee of the Society of Antiquaries of London. NXIII. Oxford-London.

Caton-Thompson G. 1954. "Some Palaeolithic from South Arabia." **Proceeding of the Prehistoric Society**, New series. London, December, v.XIX:189-218.

Crassard R., & Bodu R., 2004. "Préhistoire du Hadramawt (Yémen): nouvelles perspective", **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies**, 34: 67-84.

Edens Ch.,1982. "Towards a definition of the western ar-Rub al'Khali "Neolithic". **Atlal**, 6: 109-125.

Fedele F.G.,1986. "Neolithic and protohistoric culture". **East and west, IsMEO**, vol, 6, No. 4: 396-400.

Fedele F.G.,1988. "North Yemen: The Neolithic in Yemen", **Yemen 3000 years of Art and Civilisation in Arabia Felix**. Innsburg-Frankfurt /Main, 1988: 34-41.

Field H., 1958. "Stone implements from the Rub al'Khali". **Man**, June: 93-94.

Garcia M., Rachad M., Hadjouis D., Inizan M.-L, and Fontugne M., 1991. "Découvertes préhistoriques au Yémen, le contexte archéologique de l'art rupestre de la région de Saada", **Comptes Rendus de l'Academie des Sciences de Paris,** 313 (Sér. II): 1201-1206.

Garcia M., Rachad M. 1997. **L'art des origines au Yémen**, Paris.

Gramly R.M., 1971. " Neolithic flint implement Assembages from Saudi Arabia", **Journal of Near Eastern Studies**, Vol.30.No.3: 177-185.

Hugot H.J.,1957. "Essai sur les armatures de pointes de fleches du Sahara", **Libica**: 89-236.

Huyzayyin S.A., 1937. "Egyptian scientific Expedition to South West Arabia", **Nature**. Sept.18: 513-514.

Inizan M-L.,1988. **Prehistoire `a Qatar. Mission archaeologigue francaise `a Qatar,** Edition rechercher sur les Civilisation. Paris.

Kapel H.,1967. **Atlas of the Stone Age Cultures of Qatar**, Jutland Archaeological society Publication, vol.VI, Denmark.

Kallweit H.,1996. **Neolithische und Bronzezeitliche Besiedlung im Wadi Dhahr, Republik Jemen**, Inaugural-Dissertation zur Erlangung der Doktorwurde der Philosophischen Fakultaten der Albert-Ludwigs-Universitat zu Freiburg i. Br.

Kallweit H.,2000. " Neolithische Funde und Fundstellen im Jemen". Im **Land der Konigin von Saba**. Munchen,7 Juli 1999-9 Januar 2000:47-59.

Masry A.,1974. **Prehistory in the Northeastern Arabia: the Problem of Interregional Interaction**. Field Research Projects. Miami.

McCorriston J. Oches E., et. al.,2000. **Interim report to the general organization of Antiquities, Museums and Manuscripts, Republic of Yemen. RASA 2000.**

McCorriston J. Oches E. A. Walter D. E, Cole K. L. 2002. "Holocene Paleoecology and Prehistory in Highland Southern Arabi",. **Paléorient**, vol. 28/1, 61-88.

McCorriston J., Oches E. A., Bin 'Aqil A. J., 2004. "Roots of Agriculture in Southern Arabia (RASA) Interim Report 2004:(Field research 22 January-6 March)". **(Interim report to the general organization of Antiquities, Museums and Manuscripts, Republic of Yemen).**

McClure H.A.,1979. " The Arabian Peninsula and Prehistory Population", **Miami Research Project**, Study, No. 58. Miami..

McClure H.A.,1976. "Radiocarbon chronology of late Quarternary lakes in Arabian Desert", **Nature**, vol. 263, Oct. 28: 755.

McClure H.A.,1994. "A new Arabian stone tool assemblage and notes on the Aterian industry of North Afri-

ca", **Arabian Archeology and epigraphy**,Vol.5. No.1: 1-16.

Parr, Peter.J., Zarins J., Muhammed Ibrahim, Waechet J., Garrard P., Clarke C., Bidmead M., Hamad Al-Badr, 1978. "Preliminary Report on the second phase of the Northern Province Survey", **Atlal**, Vol.2: 29-51.

Potts D. T., al-Mughannum A. S., Fry J., Sanders D., 1978. "Comprehensive Archaeological Survey Program: Preliminary Report on the Second Phase of the Northern Province", **Atlal**, vol.2:7-27.

Rashed A. A., 1993a. "On the patinization of the neolithic tools from the South Arabia (the materials of al-Abr region)", **Russian Archaeology**, vol.2: 24-33.

Rashed A. A., 1993b. Nieolit Yuzhnoi Aravii (tekhiko-tipologicheskii analiz kamennogo inventarya). Dissertatsiya na soiskanie uchyohnoi stepeni kandidata istoricheskih nauk. Sankt-Peterburg.(Unpulbished Ph.D. dissertation. University of Sankt-Petersburg).

Rashed A. A., 1993c.Nieolit Yuzhnoi Aravii (tekhiko-tipologicheskii analiz kamennogo inventarya). Aftoreferat dissertatsii na soiskanie uchyohnoi stepeni kandidata istoricheskih nauk. Sankt-Peterburg. (Abstract of Ph.D. dissertation. University of Sankt-Petersburg).

Smith P., Maranjian G, 1962. "Two "Neolithic" collections from Saudi Arabia", **Man**, Febr., No.16, 17: 21-22.

Sordinas A., 1973. "Stone Implements from Jabrin, Jebel Diran, Hofuf and Adjoining Surface Sites in Saudi Arabia", **Contributions to the Prehistory of Saudi Arabia: II**. Field Research Projects. Miami.

Sordinas A., 1978. "The Zimmerman Collection from the Northern Frigne of the Rub' Al-Khali", **Contributions to the Archaeology of Saudi Arabia: III**. Miami.

Takeshi G., 1981. "A Stone Age Collection from the Rub' Al Khali Desert". **Bulletin of the Ancient Orient Museum**, Vol.III. Tokyo:1-15.

Tosi M.B., 1986. "Survey and Excavation on the Coastal Plain (Tihamah)". **East and West**, IsMEO, vol.36,nos.4 (December): 400-414.

Zarins J., Mohammad Ibrahim, Potts D., Edens Ch., 1979. "The Preliminary Report on the Third Phase of the CASP - the Central province", **Atlal**, vol.3:9-42.

Zarins J., Whalen M., Mohammad Ibrahim, Abd Al-Jawad Morad, Majid Khan, 1980. "The Preliminary Report on the Central and South-Western Provinces Survey 1979", **Atlal**, vol.4:9-36.

Zarins J.,Abd Al-Jawad Murad, Khalid S. Al-Yish, 1981. "The second Preliminary report on the south-western province", Atlal, vol.5:9-42.

Zarins J., and Zahrani A, 1985. "Resent archaeological investigations in the southern Tihama plain, 1404/ 1984", **Atlal**, Vol. 9: 65-107.

Zarins J., and Badr H. 1986. "Archaeological investigation in the Tihama plain II 1405/1985", **Atlal**, vol. 10: 35-57.

Zarins J.,1998. **Dhofar-Land of incense. Archaeological Work in the Sultanate of Oman 1990-1995,** Sultan Quaboos University Publications.

Zeuner F.E.,1954. "Neolithic" site from the Rub-Al-Khali, Southern Arabia". **Man**. 209:133-136.

دراسة تحليلية لنقش معيني جديد من العلا

حسين بن علي أبو الحسن

ملخّص: يتناول موضوع هذا البحث دراسة نقش معيني جديد، عُثر عليه في قمة جبل أم درج، في محافظة العُلا، التي تحتل موقعاً استراتيجياً، على طريق التجارة القديم، الذي يربط جنوبي الجزيرة العربية ببلاد الشام وبلاد الرافدين ومصر. وتشتمل الدراسة على قراءة النقش وتحليله. وهو نقش خاص بامرأة معينية، وقد كُتب النص بأسلوبٍ لحياني، وخطٍ معيني. ويلقي الباحث الضوء، على العلاقة بين المعينيين، الذين كانوا يعيشون في منطقة (دادان) كجالية، وبين اللحيانيين، أصحاب الأرض والنفوذ.

Abstract. *This study analyzes a new Minaean inscription found at the top of Mount Umm Drajj in the province of 'Ula which occupies a strategic location at the ancient route of trade that used to connect the southern part of the Arabian Peninsula with Syria, Mesopotamia, and Egypt. The study covers a reading and an analysis of the inscription which belongs to a woman and is written in Minaean letters in a Lihyanite style. The author further sheds light on the relation between Minaeans, who lived as a minority in the area of Dadan, and Lihyanite natives of the area.*

تُعَدُّ منطقة العُلا، بمثابة عنق الزجاجة، للطرق التجارية في شمالي الجزيرة العربية. وهي تقع بين المدينة المنورة وتبوك، على بعد ٣٧٠ كم، إلى الشمال من المدينة المنورة، و٤٦٠كم جنوبي مدينة تبوك.

ومعين هي إحدى الممالك العربية، التي قامت جنوبي الجزيرة العربية، في منطقة الجوف باليمن بين نجران وحضرموت، وذلك خلال الفترة الواقعة بين القرنين الرابع والأول قبل الميلاد (الأنصاري، ٢٠٠٢: ٩٨). وكانت عاصمة مملكة معين هي "قرنو" أو "قرناو". وقد كتب المعينيون بخط المسند، وانتشرت نقوشهم خارج أرض معين، في مواقع مختلفة داخل الجزيرة العربية، على امتداد الطرق التجارية، وفي الحواضر، مثل: نجران، وقرية الفاو، و (دادان) العلا، في شمالي غرب الجزيرة العربية، التي وجد فيها النقش موضوع البحث. كما وجدت النقوش المعينية خارج الجزيرة العربية، في منطقتي الجيزة وقصر البنات في مصر، وفي جزيرة ديلوس في اليونان، (علي ١٩٨٠ ج٢: ٧٦). وقد وردت في هذه النقوش، مجموعة من أسماء الأعلام والقبائل والمعبودات، وكثير من الألفاظ المختلفة.

وتشير النقوش، إلى أن المعينيين، اعتمدوا في اقتصادهم على التجارة، بدرجة كبيرة، فقد كانت لهم جالية كبيرة، تقيم في (دادان) العلا، تتولى تنظيم أمور القوافل التجارية، ويرأس هذه الجالية شخص بدرجة (كبير)، كما ورد في النقوش. وكان المعينيون من التجار المصدِّرين للبخور إلى معابد وادي الرافدين والمعابد المصرية، ويؤكد ذلك، نقش التاجر المعيني زيد إيل، الذي دوَّن على تابوته المحفوظ في المتحف المصري.

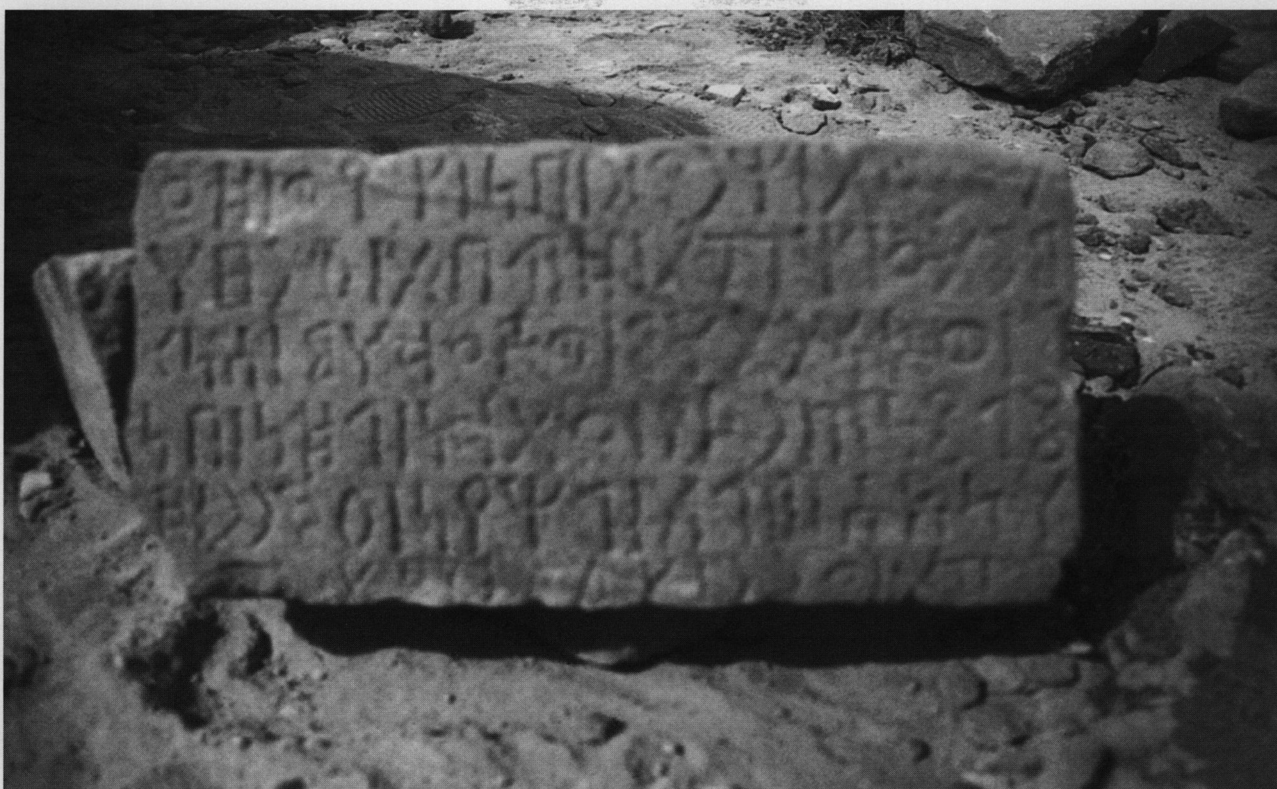
موقع النقش:

عُثر على هذا النقش، على قمة جبل أم درج[1] (اللوحة ٤)، الذي يقع في الركن الجنوبي الغربي لمدخل وادي ساق، شمالي غرب محافظة العلا، مقابل جبل الخريبة (اللوحتان ١: ٢). وسُمِّيَ هذا الجبل "أم درج"، نظراً لوجود درج منحوت عليه، يبدأ من سفح الجبل وينتهي بالقمة (اللوحة ٣)، التي توجد عليها مجموعة من التلال الأثرية (اللوحة ٥)، وتنتشر على سطحها مجموعة من المجامر، وأجزاء متبقية من التماثيل، بأحجام وأشكال مختلفة، إضافة إلى وجود مجموعة من النقوش اللحيانية، والمعينية، والكوفية، التي كُتب بعضها على ألواح حجرية أعدت لهذا الغرض، وبعضها الآخر كُتب على واجهات الجبل في مواقع مختلفة[2].

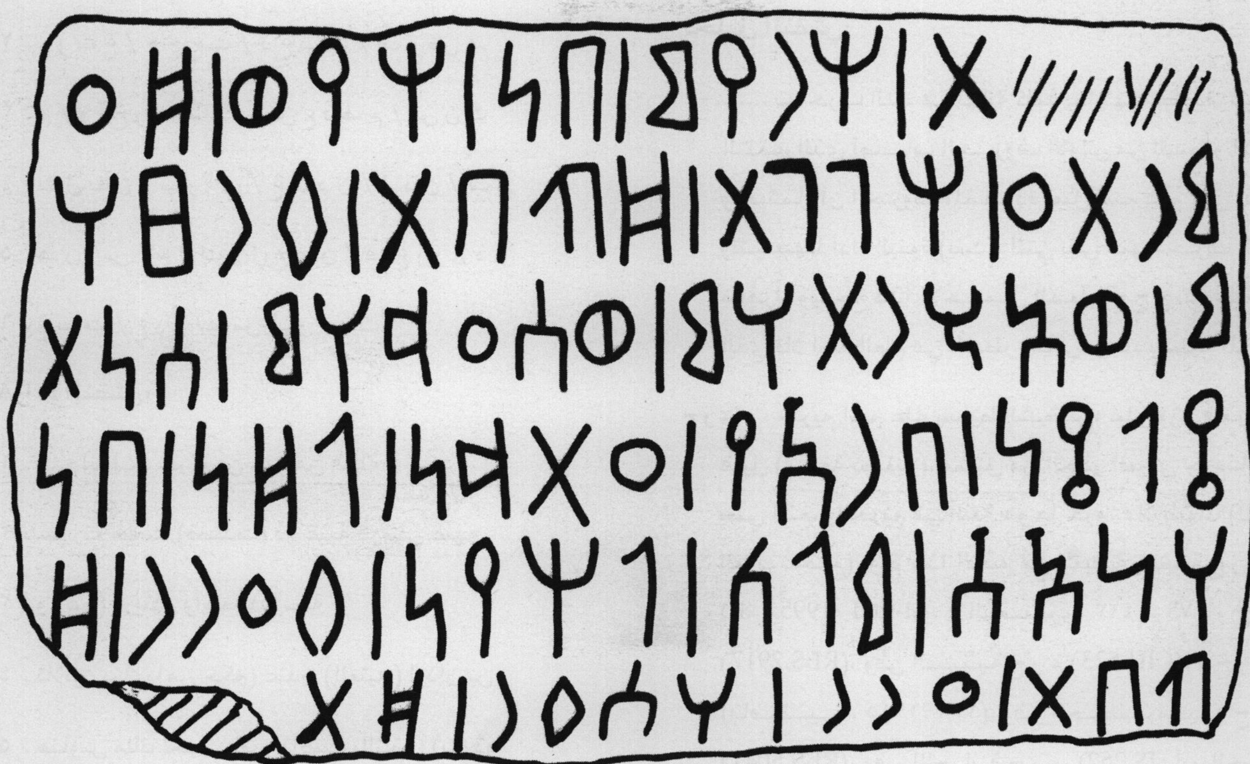
العدد الثاني عشر جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ - يوليو (تموز) ٢٠٠٥م
(ص ص ٢٩ - ٣٨) ردمد ٨٩٤٧-١٣١٩



اللوحة ١: صورة فضائية لمنطقة العُلا، ويبدو موقع جبل أم درج، في الركن الجنوبي الغربي لمدخل وادي ساق، شمالي غرب العُلا (المصدر: وكالة الفضاء الأمريكية "ناسا"، من القمر الصناعي لاندسات ٥ عام ١٩٩٠ .



اللوحة ٢: النقش المعيني، ويظهر بحروف غائرة، على حجر رملي أحمر مستطيل الشكل.



الشكل ١: تفريغ النقش في اللوحة ١ .

وصف النقش:

يتكون هذا النقش من ستة أسطر، وقد كُتب بقلم المسند، وبحروف غائرة على لوح من الحجر الرملي الأحمر، مستطيل الشكل، وتبلغ أبعاده ٦٧سم طولاً و٣٥سم عرضاً (اللوحة ٢؛ الشكل ١) . وعُدَّ النقشُ معينياً لأنه كُتب بخط المسند، وورد فيه ذكر لقبيلة "عم رتع"، وهي قبيلة معينية معروفة[٣]، ورد ذكرها في عدد من النقوش المعينية، التي عثر عليها في العلا. وتفصل بين الكلمات في النقش خطوط عمودية، وحالة النقش جيدة، وجميع حروفه واضحة ومقروءة، ما عدا بداية السطر الأول، نتيجة التلف الذي أصاب هذا الجزء من النقش. ومن خلال سياق النص، وورود الفعل (ح ج ج ت)، في السطر الثاني من صيغة المؤنث، يمكن القول: إن الحروف المفقودة في بداية النقش، تمثل اسم علم لأنثى، وحرف التاء المتبقي من الكلمة الثانية في السطر الأول من هذا النقش، هو الحرف الأخير من أداة البنوة (بنت).

النقش بحروف العربية الحالية:

١ . ... ت / ح ر ي م / ب ن / ح ي و / ذ ع

٢ . م ر ت ع / ح ج ج ت / ذ غ ب ت / ف ر ض هـ

٣ . م / و أ خ ر ت هـ م / و س ع د هـ م / س ن ت

٤ . ث ل ث ن / ب ر أ ي / ع ت د ن / ل ذ ن / ب ن

٥ . هـ ن أ س / م ل ك / ل ح ي ن / ف ع ر ر / ذ

٦ . غ ب ت / ع ر ر /هـ س ف ر / ذ ت

قراءة النقش:

١ . .... [بنـ]ـت حريم بن حيو من قبيلة

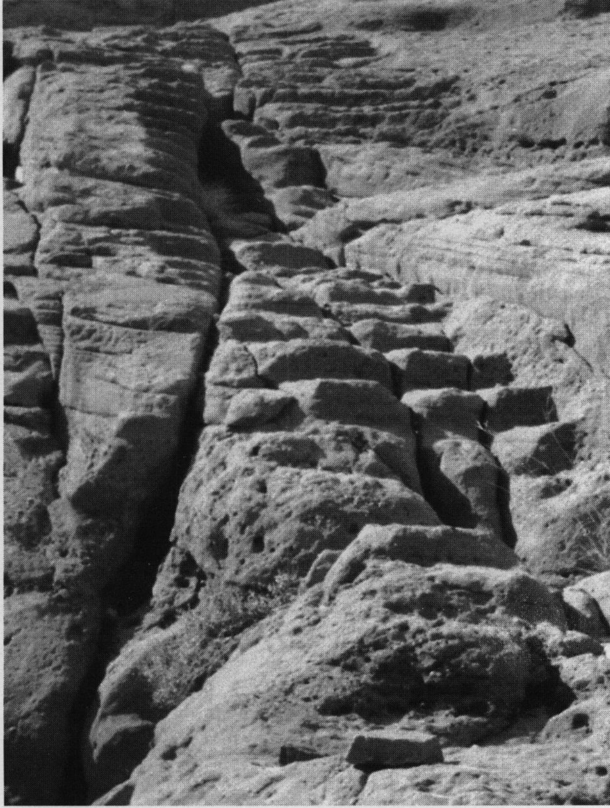
٢ . عم رتع حجّت (قصدت) ذو غيبة فرضي عنهم

٣ . و (عن) ذريتهم وأسعدهم سنة

٤ . ثلاثين برأي (من حكم) عتدن (العتيد) لوذان بن

٥ . هنأوس ملك لحيان فعرر (أصب بالتلف) (يا) ذو

٦ . غيبة (من) عرّ (أتلف) هذا السفر (النقش)



اللوحة ٣: لقطة للدرج الصخري المنحوت في جبل أم درج.

تحليل النقش:

١- .... ت: حرف التاء في نهاية كلمة بدايتها مفقودة، نتيجة التلف، الذي أصاب الحروف الأولى من السطر الأول، ويحتمل أن الحروف المفقودة تمثل اسم علم على أنثى، وتتبعها أداة البنوة (بنت)، التي بقي منها حرف التاء ظاهراً. ويرجِّح هذا الاحتمال الفعل (ح ج ج ت) حجّت، الذي تلا اسم العلم في السطر الثاني، وجاء بصيغة المؤنث.

ح ر ي م : حريم اسم علم بسيط لشخص، على وزن فَعِيل أو فُعَيل (صيغة تصغير)، مشتق من الجذر العربي حرم، الذي يعني المنع، والحريم في اللغة هو ما حرم، فلا ينتهك (لسان العرب ـ حرم). ورد هذا الاسم في المعينية بصيغة ح ر ي م (Al-said 1995: 8 ؛ العنزي ١٤٢٣: ٧٦)، وح ر م (RES.2917)، وفي السبئية ح ر م (CIH.523)، وح ر م م (بافقيه، ١٩٨٥: ٢٣٦)، وفي الحضرمية ح ر م (RES.5041)، وفي اللحيانية ح ر م (JS.252؛ أبو الحسن، ١٩٩٧: ١٥٣)، وفي الثمودية ح ر م (JS.86)، وفي الصفوية

ح ر م (CIS.4070)، وفي النبطية ح ر ي م؛ ح ر م ؛ و ح ر م و (الذييب ١٩٩٨: ١٢٩؛ ١٥٩؛ ٢٤٤). واسم حـريم من أسماء الرجال المعروفة في الموروث العربي (الهمداني، ١٩٧٩: ٤٥)، ويمكن قراءة الاسم نفسه "حرام" استناداً إلى أسماء الرجال والنساء، الواردة في الكتب العربية (ابن الكلبي ١٩٨٦: ١٥٥- ١٦٦)، وربما سُمِّي بهذا الاسم بقصد منع الشر والحسد عن صاحبه.

ح ي و: حيو اسم علم بسيط لشخص، على وزن فَعل، ورد في المعينية ح ي و، و ح ي ي (Al-said, 1995: 96)، و ت ح ي و (Sayyed 1982:55)، وفي السبئية ح ي و (RES. 4501)، وح ي ي ت (Harding 1971: 213)، وح ي و م (Tairan 1992:105; العنزي ٢٠٠٣: ٨٢)، وفي القتبانية ح ي و (RES.3691). وفي الحضرمية ح ي و (RES.4839). وفي النبطية ح ي و ، و ح ي ي (Cantineau1978:95)، و ح ي ا (الذييب، ١٩٩٨: ١١٣)، وفي الثمودية ح ي (Harding 1971:209)، وفي الصفوية ح ي ؛ و ح ي ي (CIS. 276,181) و ح ي ي (Harding 1971:212).

ذ: حرف الذال قبل الاسم، يستخدم للدلالة على اسم القبيلة.

ع-

٢ ـ م ر ت ع: اسم قبيلة، مكون من جزأين، الأول: لفظة (عم)، وهو من الأسماء الدالة على القرابة، وأحد المعبودات القديمة، في جنوبي الجزيرة العربية، ويرمز للمعبود القمر (طيران ٢٠٠١: ١٨-١٩)؛ والجزء الثاني من الاسم: لفظة (رتع)، التي تعني تنعَّمَ، ويقترح كاسكل ربط كلمة (ر ت ع) بمعناها في الحبشية، وهو الصادق الأمين، أو البار المستقيم (Caskel 1953: 143؛ نصيف ١٩٩٣: ٥٥).

وقد تكرر هذا الاسم في النقوش المعينية، التي وجدت في العلا، نتيجة كثرة أبناء الجالية المعينية فيها (نصيف ١٩٩٣: ٦١). وورد اسم عم رتع في السبئية، اسم علم لشخص (CIH:270)، وكذلك في القتبانية (RES:3516)، وفي اللحيانية اسم قبيلة (JS.270؛ أبو الحسن، ١٩٩٧: ٢٢٩).

ح ج ج ت: (حجّت) فعلٌ ماضٍ، أُلحقت به تاء التأنيث، والحجّ



اللوحة ٤: لقطة لجبل أم درج، ويظهر ارتفاعه الحاد.



اللوحة ٥: لقطة تبين كمية كبيرة من أجزاء التماثيل والبقايا الأثرية المحطمة في قمة جبل أم درج، حيث عُثر على النقش مدار البحث.

في اللغة هو القدوم والقصد (اللسان: حجج)، وهو أيضاً تنفيذُ أمرٍ إلهيٍّ (بيستون ١٩٨٢: ٦٦). ويرى حسن ظاظا أن الأصل السامي العام للفظة (حجّ) هو (ح و ج)، ومعناها الخط الدائري، إذ إن الساميين إذا وصلوا إلى معابدهم تحلَّقوا في دوائر، يُنشدون ويرقصون ويُهللون فرحاً بالوصول والاجتماع في بيت المعبود، ومن هذه الحلقة (ح و ج)، سُمِّيَ هذا الطقس الديني بالحجّ (ظاظا ١٩٨٤: ١٧٩). وهذه اللفظة وردت في عدد من الكتابات السامية، خاصة اللحيانية منها، حيث وردت في كثير من النقوش ذات الصفة الدينية، التي وجدت في العلا. وجاءت هذه اللفظة، في نقش من النقوش اللحيانية، التي نشرها سعيد السعيد، إلا أنه لم يُوَفَّق في قراءتها، فقد قرأ الحروف المتبقية من هذه الكلمة (ج م و)، وجاء بعدها اسم المعبود "ذو غيبة"، ثم كلمة مكوَّنة من خمسة حروف، قرأها (ب م ب غ د) وفسرَّها بأنَّ حرف الباء للجر ومبغد اسم موضع، أو اسم معبد الإله "ذو غيبة" (السعيد ١٤٢٠: ٤). ويتضح من سياق النص، والنصوص اللحيانية الأخرى المنشورة، التي وُجِدت في العلا، أن هذا الجزء من النقش يمكن قراءته على النحو الآتي: [(حـ]جّوا لذو غيبة بالمصد) والمصد هو أعلى الجبل (أبو الحسن ٢٠٠٢: ٣٦)، وبهذا يتضح أن الحجّ أحد الممارسات أو الشعائر الدينية، التي كانت تمارسها المجتمعات القديمة في معابدها .

ذ غ ب ت: (ذو غيبة)[٤] وهو المعبود الرئيس للحيانيين، وقد ورد ذكره في كثير من نقوشهم ونقوش غيرهم، التي يتقدم أصحابها إليه بالنذور والقرابين، ويقصدون بيته بالحج، لطلب الرضى والمثوبة والسعادة، لهم ولذرياتهم.

ف: حرف عطف.

رض هـ .

٣ـم (رضيهم) أي رضي عنهم المعبود، أو أنهم يطلبون الرضى منه. وهذه اللفظة من الألفاظ التعبدية أو النذرية، التي استُخدمت كثيراً بعد أسماء المعبودات، في الكتابات

اللحيانية، وغالباً تأتي بعدها ألفاظٌ أخرى، مثل: (س ع د هـ م)، و (أ خ ر ت هـ م)، و (ع ق ب هـ م)، وهي أدعية أو ابتهالات من صاحب النقش للمعبود[٥].

و: حرف عطف.

أ خ ر ت هـ م: (آخرتهم) من المحتمل أن يكون لهذه الكلمة معنيان، الأول: أن يكون المقصود بها ذريتهم، أي ذرية صاحب النقش؛ والاحتمال الآخر: أن يُقصد بها الحياة الأخرى بعد الموت .

و: حرف عطف.

س ع د هـ م: (أسعدهم) أي طلب السعادة، وهي نقيض الشقاوة.

س ن ت: (سنة) ظرف زمان، وترد هذه اللفظة في النقوش اللحيانية، المؤرخة بسنوات حكم الملوك.

ث ل ث ن: (ثلاثين) عدد.

ب ر أ ي: (برأي) وردت هذه اللفظة في عدد من النقوش اللحيانية، المؤرخة بسنوات حكم الملوك، وربما تعني بحكم، أو في عهد الملك فلان .

ع ت د ن: (العتيد) وهو لقب للملك لوذان بن هنأوس، تسبغه عليه مقيمة معينية ويظهر لأول مرة في النقوش. والعتيد في اللغة، هو المهيأ والحاضر (اللسان: عتد)، وجاء في القرآن الكريم (ما يَلفِظُ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيد) (سورة ق آية: ١٨).

ويلاحظ أن اللقب الملكي في النقوش اللحيانية يأتي قبل الاسم لا بعده، بخلاف ما في كتابات جنوبي الجزيرة العربية. وقد وردت في النقوش اللحيانية ألقاب لملوك، مثل: لقب (ذ م ن ع ن)، أي ذو المنعة؛ ولقب (ذ أ س ل ع ن)، أي صاحب الجبال ذات الأسلاع، والأسلاع هي الشقوق أو الصدوع في الجبال (أبو الحسن ٢٠٠٢: ٩٩-١٠٣)؛ و (هـ ر ع) أي الراعي (السعيد ١٤٢٠: ٩-١٠). وعلى الرغم من أن كاتب هذا النقش، اتّبع أسلوب اللحيانيين في صياغة نصوصهم، إلا أننا نلاحظ ظهور الأجرومية المعينية واضحة، في نهاية اللقب الملكي.

ل ذ ن: (لوذان) اسم علم لشخص ورد في اللحيانية (JS82)؛ أبو الحسن ١٩٩٧ : ١٢) وفي الصفوية (CIS:307) ولوذان بن هنأوس أحد ملوك لحيان (Caskel 1953: 41).

ب ن: (ابن).

٥- **هـ ن أ س** (هنأوس) اسم علم شخص، مركب من "هن" و "أوس"، ورد في اللحيانية (JS41 ؛ أبو الحسن ١٩٩٧: ٧٨). وربما كان الملك لوذان بن هنأوس الملقب بالعتيد، الذي ورد ذكره في هذا النقش هو نفسه الملقب بذي المنعه، الذي ورد ذكره في النقش اللحياني (JS82). ومن هنا قد يكون لقب العتيد في لهجة معين، هو ما يقابل ذي المنعه في لهجة لحيان.

م ل ك: (ملك)

ل ح ي ن: (لحيان) هي إحدى الممالك، التي قامت في شمالي غرب الجزيرة العربية، خلال الفترة من بداية القرن السادس ق. م. إلى نهاية القرن الثاني ق. م. وكانت عاصمتها (ددان) العُلا.

ف: حرف عطف

ع ر ر: (عرّ) بمعنى أساء أو أتلف (اللسان: عرّ)، وهو فعل أمر، أو طلب بمعنى أسيء أو إتلف، أو دمِّر (بيستون ١٩٨٢: ٢٠). وترد هذه الكلمة في أواخر بعض النقوش اللحيانية، ضمن الدعوات، التي يطلبها صاحب النقش من المعبود، لإلحاق الضرر بكل من يتعرَّض للنقش بالتلف أو التدمير (JS276) ؛ أبوالحسن ٢٠٠٢: ٦٦).

ذ -

٦- **غ ب ت:** (ذو غيبة) المعبود الرئيس للحيانيين، ورد ذكره في السطر الثاني من هذا النقش.

هـ س ف ر: (السفر) الهاء في أول الكلمة للتعريف، والسفر هو الكتاب أو الشيء المكتوب، والمقصود به هنا هو النقش.

ذ ت: (هذا) اسم إشارة، وهو إشارة إلى النص المكتوب.

الخاتمة :

هذا النقش، خاص بامرأة معينية، من قبيلة عم رتع، حجّت (قصدت) المعبود اللحياني "ذو غيبة"، وأرّخت كتابتها، بسنة

ثلاثين، من حكم الملك اللحياني "لوذان بن هنأوس"، الملقب بالعتيد، وتكمن أهمية هذا النقش في الآتي:

١ . يبينُ النقشُ علاقةَ المعينين، المقيمين خارج أرضهم (في منطقة دادان)، مع اللحيانيين، أصحاب الأرض والنفوذ السياسي. ويدل على أنَّ الوجود المعيني في (دادان)، لم يكن وجوداً ذا صبغة سياسية، وإنما كان كجالية استوطنت في منطقة (دادان)، مهمتها تيسير شؤون القوافل المعينية المارّة بالمنطقة.

٢ . تقربت صاحبة هذا النقش، للمعبود اللحياني "ذو غيبة"، بالحج، علماً بأن المعبود الرئيس للمعينين هو (ود).

٣ . كُتب النقش بخط المسند، ولكن بلغة لحيانية، ظهرت فيها الأجرومية المعينية، كما في اللقب الملكي (العتيد)، الذي جاء قبل اسم الملك، حسب النقوش اللحيانية وليس بعده، إلا أنه معرَّفٌ بالنون في آخره، وكذلك في اسم الإشارة للقريب (ذ ت)، بدلاً من (ذه)، المستخدمة في الكتابات اللحيانية، كما أن الكاتب استخدم أسلوب الكتابة اللحيانية من حيث صيغة النقش، وقواعد اللهجة، فقد بدأ النقش باسم علم يتبعه الفعل، الذي قام به صاحب النقش، ثم ذكر اسم المعبود، الذي قدّم له هذا العمل، وبعد ذلك وردت عبارات طلب الرضى والسعادة، لصاحب النقش ولذريته من بعده، ثم سجل التاريخ الذي دوّن فيه النقش، فبدأ بذكر السنة ثم لقب الملك واسمه، وختم النقش بطلب المعبود إلحاق الضرر، بمن يتلف النقش أو يدمره.

٤ . يُمكن أن نستشف من هذا النقش، التسامح الديني، في المجتمعين اللحياني والمعيني، حيث يقدِّم المعينيون القرابينَ لآلهة المجتمعات، التي يحلُون ضيوفاً عليها ويرحبُ اللحيانيون بهذه التقدمات، ويفسحون المجال لتوثيقها في معابدهم. وهذا النقش خير شاهد على ذلك؛ إضافة إلى النقش (JS49)، الذي كُتب بحروف لحيانية، لشخصٍ قد يكون معينياً، يُدعى (عبد ود كاهن المعبود ود)، ولأبنائه الذين قدّموا قرباناً للمعبود اللحياني "ذو غيبة"؛ وكذلك نقش التاجر أو الكاهن المعيني (زيد إل)، الذي دوَّن على تابوته، المحفوظ في المتحف المصري، نقشاً يذكر فيه القرابين، التي قدَّمها أو جلبها معه، من الجزيرة العربية إلى المعابد المصرية، لكي تحفظ تابوته.

د. حسين بن علي أبوالحسن - كلية المعلمين بالرياض - ص.ب ٥٣٥٩٨ - الرياض ١١٥٩٣ - habualhassan@hotmail.com

الهوامش:

(١) للمزيد من المعلومات عن هذا الموقع أنظر (نصيف ١٩٨٨: .....؛ أبوالحسن ٢٠٠١: ٢٦-٢٨).

(٢) على الرغم من قرب جبل أم درج من موقع الخريبة، ومن المنطقة السكنية، التي زارها العديد من الرحالة الغربيين، وعلى الرغم من وضوح الآثار بالموقع، المتمثلة بالدرج المنحوت في الصخر والكتابات المتنوعة، إلا أنه لم يتوصل إليه الرحالة الغربيون الذين زاروا المنطقة؛ وذلك لأن تركيزهم تركّز على موقع الخريبة المقابل له، وأول من أشار إليه هو الدكتور عبدالله نصيف في أطروحته للدكتوراه التي نشرت بعنوان (Al-Ula An Historical and Archaeological Survey with Special Reference to its Irrigation Sestem,1988) حيث نشر صورا لمجموعة من النقوش اللحيانية والمعينية والإسلامية. وفي عام ١٩٩٧م، قام الباحث بعمل مسح أثري لهذا الموقع، بتكليف من وكالة الآثار والمتاحف، واستطاع خلاله جمع عدد آخر من النقوش اللحيانية والمعينية والنبطية والإسلامية الجديدة. وقد درس الباحث النقوش اللحيانية منها في أطروحته للدكتوراه، التي نشرت بعنوان : (نقوش لحيانية من منطقة العلا - دراسة تحليلية مقارنة). وفي عام ١٤٢٤هـ، أنهت الباحثة حياة بنت عبدالله الكلابي، أطروحتها للدكتوراه، بعنوان: (النقوش الإسلامية على طريق الحج الشامي بشمال غرب المملكة العربية السعودية من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري)، درست فيها عشرة نقوش من النقوش الإسلامية، المكتوبة على جبل أم درج.

(٣) ورد في النقوش التي وجدت في منطقة العلا، ذكر لعدد من القبائل المعينية، منها: قبيلة (ع م ر ت ع) عم رتع (JS43)، وقبيلة (ي ف ع ن)

يفعان، التي تولى أحد أفرادها منصباً كبيراً (ددان)، وتم تأريخ أحد النقوش المعينية، التي وجدت بالعلا بعهده (Sayyed 1982: 56).

(٤) لمزيد من المعلومات عن "ذو غيبة"، أنظر: (أبوالحسن ٢٠٠٢: ٣١٤-٣١٦).

(٥) لمزيد من المعلومات عن هذه الألفاظ، أنظر: (Winnett 1937:13 ; Al-ansary 1966: 61 ؛ أبوالحسن ١٩٩٧: ٣٨٩-٣٩١).

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

أبو الحسن، حسين بن علي دخيل الله، ١٩٩٧، **قراءة لكتابات لحيانية من جبل عكمة بمنطقة العلا**، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

أبوالحسن، حسين بن علي دخيل الله، ٢٠٠٢، **نقوش لحيانية من منطقة العلا - دراسة تحليلية مقارنة**، الرياض: وكالة الآثار والمتاحف.

الأنصاري، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) (د. ت)، **لسان العرب**، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرين، دار المعارف.

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، ١٩٧٣-١٩٧٤، "كتابات من قرية الفاو" **مجلة كلية الآداب**، مج ٣: ٢٧-٧٠، جامعة الرياض.

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، ١٩٧٥، "لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية"، **الدارة**، العدد الأول: ٧٦-٨٩.

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، ١٩٩٠، "بعض مدن القوافل القديمة في المملكة العربية السعودية"، **البتراء ومدن القوافل**، دائرة الآثار العامة، ص ١٥-٢٦، عمان، الأردن.

بافقيه، محمد عبدالقادر (وآخرون)، ١٩٨٥، **مختارات من النقوش اليمنية القديمة**، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

بيستون، أ. ف. ل (وآخرون)، ١٩٨٢، **المعجم السبئي**، بيروت: مكتبة لبنان.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١ هـ)، ١٩٥٨، **الاشتقاق**، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي.

الذييب، سليمان بن عبدالرحمن ١٩٩٨، **نقوش الحجر النبطية**، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

الروسان، محمود محمد، ١٩٧٨، **القبائل الثمودية والصفوية - دراسة مقارنة**، الرياض: جامعة الملك سعود.

السعيد، سعيد بن فايز إبراهيم، ١٤٢٠، **نقوش لحيانية غير منشورة من المتحف الوطني**، مركز البحوث بكلية اللغات والترجمة، الرياض: جامعة الملك سعود.

سيد عبدالمنعم عبدالحليم، ١٩٩٣، **البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة: مجموعة بحوث نشرت في الدرويات العربية والأوروبية**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

طيران، سالم بن أحمد، ٢٠٠١، "نقوش عربية جنوبية قديمة من شعب النغرة"، **العصور**، المجلد الحادي عشر، الجزء الأول، ص ص ٧-٤٢، دار المريخ، الرياض.

ظاظا، حسن، ١٩٨٤، "المجتمع العربي القديم من خلال اللغة"، **دراسات تاريخ الجزيرة العربية**، الكتاب الثاني، الرياض: جامعة الملك سعود، ص ص ١٧٧-١٨٦.

عبدالعليم، مصطفى كمال، ١٩٨٤، "تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني"، **دراسات تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام**، الكتاب الثاني، الرياض: جامعة الملك سعود، ص ص ٢٠١-٢١٣.

علي، جواد، ١٩٨٠، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط ٣، بيروت: دار العلم للملايين، مكتبة النهضة، بغداد.

العنزي، ناصر بن محمد زيدان، ٢٠٠٣، **التنوين في أسماء**

الأعلام العربية قبل الإسلام، دار القوافل للنشر والتوزيع، الرياض.

الكلابي، حياة بنت عبدالله حسين، ١٤٢٤هـ، النقوش الإسلامية على طريق الحج الشامي بشمالي غرب المملكة العربية السعودية من القرن الأول الهجري إلى القرن الخامس الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الآثار والمتاحف - جامعة الملك سعود.

ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ)، ١٩٨٦، **جمهرة النسب**، تحقيق ناجي حسن،عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت.

المعاني، سلطان عبدالله، ١٩٩٩، "التكريس عند العرب القدماء - دراسة في النصوص النقشية" ، **المنارة**، العدد الأول، ص ص ١١-٥٢ .

نصيف، عبدالله آدم، ١٤١٣هـ، "نقوش معينية من العلا"، **الدارة**، العدد الرابع، السنة الثامنة عشرة، رجب، شعبان، رمضان، ص ص ٥٢-٦٩ .

الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٤٤)، ١٩٩٧، **الإكليل**، تحقيق محمد بن علي الحسن الأكوع، الجزء الثاني، مكتبة الكاتب العربي، دمشق.

المراجع:
ثانياً: المراجع غير العربية

Harding, G. L. 1971. **An Index and Concordance of Pre-Islamic Arabian Names and Inscriptions**, Toronto.

Jaussen, A, and Savignac. R. 1909-1914. **Mission Archeologique en arabie**. Vols. I-II and Paris.

Nasif, A. A. 1988. **Al-ula An Historical and Arehacologieal Surrvey with Special Reference to its Irrigation System**, King Saud University Press, Riyadh.

Repertoire d'E pigraphle Semitiquie Public Par La Commission du Corpus Inscriptionum Semitcarum, Paris; Impimeric Nationale, (8 Vols) 1900-1968.

Sayyed, A. A. 1982. "A New Minaean Inscription from al-Ola", **Journal of the Faculty of Arts and Humanities**, King Abdul Aziz University, Jeddah, V.2,p.p.51-67.

Tairan, S. 1992. **Die Personennamen in den altsabaischen Inschriften**, Hildesheim: Georg Olms Verlag.

Winnett, F, V. 1937. **A Study of the Lihyanit and Thamudic Inscriptions**. Toronnto, 1973.

Winnett, F. V. "The Place Of the Minaeans in the History of Pre-Islamic Araia", **Bulletin of the Schools of Oriental Research (BASOR)**,No 73, P.P. 3-91.

Winnett, F, V, and Reed, W. L, 1970. **Ancient Records from North Arabia,** Toronto.

Abbadi, S , 1983. **Dio personennamen der Inschriften aus hatra**, Hidesheim: Georg Olms Verlag.

Abdallah, y. M. 1975. **Die personennamen in al Hamdani' al Iklil and ihre parallelen in den altsudarabischen inschriften**. Ein Boitrag zus Jemenitischen Namengebung. Tubingon.

Al-Ansary, A. A. 1966. A Critical and Comparative Study of Lihyanite personal Names. Unpublished ph. D. Thesis presented to the University of Leeds.

Al-Ansary, A. A. 1970. "The Chronology ofLihyan", **Bulletin of the Faculty of Arts**. University of Riyadh, Vol. I.P.P. 53-60.

Al-Khraysheh, F. 1986. **Die personennamen in den Nabataishen Inschriften des Corpus Inscriptionum Semiticarun,** Marburg/lahn.

Al-said, S. 1995. **Die personennamen in den Minaischen Inschriften**, Wiesbaden; Harrassowitz Verlag.

Cantineau, J. 1978. **Le Nabteen**, II Vols, Librairie Ernest Leroux; Paris.

Caskle, W. 1653. **Lihyan und Lihyanich**, Koln.

CIH=Corpus Inscirptionum Semiticarum, Pars Qurata. Inscriptiones himyariticas et sabaeas continens, Tomus I,II.III; Paris 1889, 1911, 1929.

CIS=Corpus Inscirptionum Semiticarum Pars Quinta، Inscriptiones saracenicas Contines; Paris, 1950.

أول نقش سبئي يذكر مدينة حدّه / صنعاء في حوالي القرن الثاني قبل الميلاد

منير عربش و محمد محمد الحلبي

ملخّص: عُثر على نقش جديد، يعود الى حوالي القرن الثاني قبل الميلاد، في قرية حدّة حالياً، الواقعة بالطرف الغربي لمدينة صنعاء؛ وذكر هذا النقش القصير اسم مدينة حدّة، إلى جانب جبلي: عيبان ونقم. كما عُثر على نقش آخر، في قرية عطان المعروفة بعضدان، في النقوش المسندية وفي المصادر العربية، وعلى عدد من المخربشات.

Abstract. *The new inscription, 2nd-1st century B.C., discovered in Hadda site, near the now western part of Sanaa, mentions for the first time the old name of Haddat along with the names of jabal Nuqum and 'Ayban. Another new text (2nd century A.D.) and few graffiti (2nd century B.C.) have also been discovered in 'Attan village.*

تمهيد

من المعروف، من خلال النقوش المسندية، أنّ مدينة صنعاء قد أسست في حوالي القرن الأول الميلادي؛ وأصبحت إلى جانب مأرب العاصمة الثانية لمملكة سبأ. وفي صنعاء، يوجد قصر غمدان المعروف والمذكور في نقش من عهد شعرم أوتر ملك سبأ، وذي ريدان، في بداية القرن الثالث الميلادي. وإلى بداية العهد الميلادي، يعود تأريخ أول ذكر لمدينة شعوب القديمة؛ وكان بها قصر حميري، ذكرته العرب في أشعارها (المقحفي ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م ج ١: ٨٧٠) - وهي حالياً حيٌّ من أحياء صنعاء عاصمة اليمن.

أمّا حدّة الواقعة بالطرف الغربي لمدينة صنعاء، فكنّا نتصور أنّها قرية بنيت في العصر الإسلامي، وكانت مسكن عدد من العلماء في القرنين: السادس والسابع الهجريين (المقحفي ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م ج ١: ٤٣٣؛ الحلبي ١٤٠٩هـ).

وكما سنرى، فإنّ مدينة حدّة مذكورة ولأول مرة في نقش بخط المسند، يعود إلى حوالي القرن الثاني أو الأول قبل الميلاد. وليس من المستبعد، أن تكون مدينة حدّة أقدم من مدينة صنعاء. والنقوش الجديدة، التي ننشرها هنا، قد اكتُشفت في عام ١٩٩٦م، خلال جولة مسح أثري في قرية حدّة، شارك فيها محمد محمد الحلبي، مدير العلاقات العامة في الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات، والأستاذ الدكتور كريستيان جوليان روبان، رئيس البعثة الفرنسية للآثار في اليمن ورئيس معهد الدراسات السامية القديمة في باريس. وتقوم الآن الهيئة العامة للآثار والمتاحف بمسح أثري للمنطقة، وعُثر على آثار لأبنية قديمة ونقوش مسندية، تعود إلى القرون الأولى للميلاد.

النقوش

(١) حدّة ١ (اللوحة ١)

مكان العثور: في منطقة السدو في وادي العِشاش -حدّة - بالقرب من بئر جدرين (المقحفي ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م ج ٢: ١٠٧١).

الوصف: النقش مكتوب على صخرة داخل إطار؛ وهو نقش صغير مكوّن من سبعة أسطر، ارتفاعه ١٩سم، وعرضه ٩سم. النقش كامل، وفي نهاية السطر الثاني حيث يوجد أثر لحرفين أضيفا فيما بعد، وأيضا في نهاية السطر الثالث حيث يوجد إطار صغير في داخله أثر أحرف من الصعب قراءتها، ويفصل السطران الأخيران عن بقية السطور خط مستقيم، ليشكل إطاراً ثانياً داخل الإطار الأول، ربّما لإبراز أهمية الحدث.

لغة النقش: سبئية، كما هو الحال في النقوش والمخربشات الأخرى، التي عثر عليها في الموقع، وفي المناطق المحيطة بمدينة صنعاء.

العدد الثاني عشر جمادى الآخرة ١٤٢٦ هـ - يوليو (تموز) ٢٠٠٥م
(ص ص ٣٩ - ٤٤) ردمد ٨٩٤٧-١٣١٩

تأريخ النقش: على الرغم من أن شكل الخط يمكن مقارنته بنقوش القرون الأخيرة ق.م؛ ولكن النقش قد كتب على صخرة؛ وهو يشابه نقوش المخربشات؛ ولهذا السبب نقترح تأريخه في حوالي القرن الثاني أو الأول قبل الميلاد.

النقش باللغة السبئية

بدرم

مرثد و =

دم

ذعبين

ونقمم

حور-هج =

رن – حدت

النقش باللغة العربية

بدر

ربيب الاله ود

صاحب (معبد) عيبان

وصاحب (معبد) نقم

أقام في مدينة

حدّة.

التعليقات

بدرم: اسم شخص معروف في النقوش السبئية (المدونة ١/٣٣٩، ٣٣٩ مكرر/١)؛ وقد ورد في أحد النقوش كاسم امرأة (المدونة ٥٤٣ = جام ٣/٣٢٠٢)؛ وبدر هو اسم أسرة في أحد النقوش المعينية (جاربيني م ٥٨/٣٩٢). وكلمة بدر في لغتنا العربية، تستعمل كاسم صفة، فيقال: القمر بدر، وكاسم علم يحمله عدد لا بأس به من العرب والمسلمين.

مرثد: تأتي كلمة مرثد بمعنى "جار، شخص في حماية الآلهة"؛ وورد هذا المعنى في سياق مشابه في النقش (ريبرتوار ١/٤٩٩٨). وبهذا يكون صاحب النقش "مرثد" تحت حماية أو حامي وربيب المعبود "ود" في معبده؛ ويذكرنا هذا اللقب بحامي الحرمين الشريفين حاليا.



اللوحة ١: نقش حدّه ١.

ودم: اسم معبود، كان منتشراً، بشكل خاص، في الجوف في مملكة معين، وفي المناطق الواقعة شمال-غربي وجنوب-غربي صنعاء. وكان "ود" أيضاً أحد آلهة مملكة أوسان الرئيسية؛ وكان له أيضا معابد في مملكة قتبان ويظهر أنه كان أيضا معبود مملكة مأذن، التي تقع أراضيها إلى الشمال والشمال الغربي من صنعاء (بافقيه ١٩٨٨: ٢٠-٢٩). ويرد ذكره عادة على أحجار الأبنية على شكل تعويذة -ودم أبم- في كل مناطق جنوب الجزيرة العربية، وعلى سواحل الخليج العربي، قبل الاسلام.

ذعبين: عيبن -عيبان حاليا- هو اسم الجبل المكرس للمعبود "ود"، الذي يطل على مدينة صنعاء من الجهة الغربية، وهو أحد جبليها.. والآخر جبل نقم الذي يطل عليها من الجهة

الشـرقيـة وكمـا سنرى، أنَّ جبل نقم مـذكور أيضـا إلى جـانب عيبـان. ويظهـر من النقش أنَّ صاحبـه كان ربيب المعبـود "ودم" الموجـود في عـيـبـان ونقم. والجـدير بالذكـر هنا، أن ظاهـرة تكريس قمم الجبال للآلهة كانت معروفة في اليمن قديماً، من خلال النقوش، وخاصة في المناطق الجبلية المحيطة بصنعاء، كما هو الحال لجبل ريام، الذي كان مخصصاً للمعبود "تألب ريام". لم نجد أي ذكر لبني عيبان في المصادر العربية.

نقمم: جبل نقم حالياً ويرد الاسم نقمم أيضا لأول مـرة في النقـوش؛ وهو الجـبل المطل على مـدينة صنعـاء من الجـهـة الشرقية، وفي أعلاه حصن أثري قديم يحمل اسم بُرَش تذكره المصادر العربية القديمة. ولم نتمكن من زيارة هذا الموقع. ومن المحتمل أن يكون هو مكان المعبد القديم.

حور: يأتي هذا الفـعل في النقـوش بمعنى "سكن، نزل، أقـام" (انظر مثلا ريبرتوار ٣٩٤٥/١٦، الخ).

هجرن: ترد لفظة هجر في النقوش المسندية بمعنى مـدينة أو قـرية، كمـا تم فُسِّرت في مـعـاجم اللغـات العـربيـة الجنوبيـة (السبئية، القتبانية، المعينية والحضرمية)، انظر مثلاً جام ٥٧٨/٢٠، ريبـرتوار ٣٩٤٥/٣، هرم ١١/٩-١٠، ريكمـانس ٥٢٠، نقش عبدان ١/٣-٤ الخ.

حدت: وهي قـرية حدّة حـالياً الواقـعة في سـفح جبل عـيبـان بالطرف الغربي من مدينة صنعاء. وكما ذكرنا أعلاه أنَّ مدينة حدّة مذكورة هنا لأول مـرة في النقـوش. والغـريب أنّ حـدّة لم تكن لهـا أهمـيـة فـي عـصـر الهـمـداني؛ أي في القـرن العـاشـر الميلادي؛ ولم يذكرها في كتابه المشهور: صفة جزيرة العرب. ولدينا إشارة مهمة في كتاب "الإكليل" في الجزء الثامن في باب القبـوريات، يقـول الهـمـداني فيـهـا: إنَّه يوجـد بين جبل عـيـبـان وعضدان منطقة تسمى بئر جدران، يوجد فيها قبر النبي يوشع بن نون؛ وكان الحميريون يحجون إليه... وستعمّر صنعاء إليها. والله أعلم وأحكم .... لقـد صـدق الهـمـداني (الهـمـداني ج ٨: ٢٤٥) في ذلك؛ فالنقش الذي ننشره هنا، يذكر أصـحابه أنَّهم أقاموا في مدينة حدّة؛ وكما نعلم فمدينة صنعاء اليوم توسعت ووصلت أبنيـتها إلى حدّة. ومن جهـة أخـرى، نعرف، من خـلال المصادر العربية، أنَّ قرية حدّة كانت مشـهورة وأسـهمت بدور مهم، بدءاً من القرنين: السادس والسابع الهجريين، وحتى في العصر العثماني (المقحفي ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م ج ١: ٤٣٣).

أهمية النقش

تكمن أهمـيـة هـذا النقش القـصـيـر نسـبـيـاً في أنه يذكـر؛ ولأول مـرة، أسـمـاء ثلاثة أمـاكن، وهـي: عيـبـان ونقم وحـدّة، لم تكن مـعـروفة لدينا في النقوش سابقاً. ويدل هذا النقش على أنَّ حدّة والمناطق المحيطة بها كان لها أهمـيـة، وكانت عـامـرة على الأقل منذ القرن الثاني قبل الميلاد، قبل أن تصبح صنعاء مركزاً سياسياً ثانياً لملوك سبأ، إلى جانب مـأرب، في فترة الصراع على اللقب الحميري.

(٢) حدّة ٢ (اللوحة ٢)

مكان العـثور: في قـرية عطان القـديمة. عـضـدان في المصـادر العـربيـة، حتى دخـول الأتراك اليـمن. والحـجـر الموجـود عليـه النقش قد استخدم في أحد جدران مسجد الشيخ يحي عبال، عند بنائه. ويقع المسجد أسفل شمال حدّة.

الوصف: طول الحجر ٤٢سم، وعرضه ١٩سم، وارتفاع الحرف ٥,٥ سم. لسـوء الحظ، النقش ناقص في بدايتـه ونهـايتـه، ويظهر أن جزءاً من الحجر مطمور في أساس المسجد.

لغة النقش: سبئية كالنقش السابق.

تأريخ النقش: في حوالي القرن الثاني الميلادي؛ أي في عهد ملوك سبأ وذي ريدان.

النقش باللغة السبئية:

١- ..... بن/ ذرحن/ وعلهن/ ذي/ عضدن/ قو [لي]

٢- ...... غيلهو/ يجض/ وقلتهو/ ميحـ [م]

٣- ...... [بعثتر/ وبهوبس وبا[لمقه/ وذت/ حميم/

٤- [وذت/ بعدن/.../..]

النقش باللغة العربية

١- ...... ذرحان وعلهان من آل عضدان [قيلي]

٢- ...... قناته يجض وحوضه ميحم...

٣- ..... [بحق عثتر وهوبس وا] لمقه وذات حميم...



اللوحة ٢: نقش حدّه ٢ .

٤- [وذات/ بعدن ......]

التعليقات

الجانبان الأيمن والأيسر للنقش لا يمكن قراءتهما؛ بسبب انطمار الحجر في أساس المسجد.

ذرحن: حرف الذال غير واضح تماماً؛ وفضلنا هذه القراءة؛ لأن هذا الاسم معروف في النقوش السبئية والقتبانية (المدونة ٥٠٧/ ١-٢؛ ٥٠٧ مكرر/ ٤-٥؛ يمن ١/٢). وذرحن هنا اسم شخص؛ ولدينا في النقوش ذرح لقب يحمله مكربو سبأ وملوكها.

علهن: اسم علم معروف في النقوش السبئية خاصة، وعلهان اسم ملك سبئي مشهور حكم في نهاية القرن الثاني الميلادي، وابنه شعر اوتر حكم في بداية القرن الثالث الميلادي. ويظهر من خلال النقش، الذي ننشره هنا، أن أسماء الملوك لم تعد محصورة على الملوك في عصر ملوك سبأ وذي ريدان. والجدير بالذكر هنا، أنَّ أسماء وألقاب مكربي سبأ وملوكها في العصور التي سبقت العهد الميلادي، كانت محصورة للملوك، ونعرف من خلال أسمائهم إذا كانوا مكربين أو ملوكاً.

ذي عضدن: اسم الإشارة المثنى "ذي" يعود إلى ذرحن وعلهان؛ وعضدن هو اسم الأسرة التي ينتمي إليها أصحاب النقش، وقد ورد اسم هذه العائلة في نقش من نقوش محرم بلقيس (جام ٣/٦٦٦ و ٩). ومن الواضح أن اسم عائلة أصحاب النقش مأخوذ من اسم المكان؛ أي عضدن. وعضدان، بفتح الضاد فضم ففتح، قرية وحصن غربي مدينة صنعاء ما بين (فج عطان) ومنتزه حدّة (المقحفي ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م ج ٢: ١٠٧٩). ويذكر الهمداني أن من أولاد شمر ثاران مرثد وذي عضدن (المقحفي ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م ج ٢: ٢١٠).

قو [لي]: مثنى قول أو قيل؛ وهو منصب رئيس قبيلة معروف، خاصة عند السبئيين ومن بعدهم الحميريين.

ظلهو: تأتي هذه الكلمة المعروفة في النقوش المسندية بمعنى "قناة" (ريبرتوار ٥/٥٠٨٥ ؛ جام ١٨/٦١٨)؛ وأيضا بمعنى "طابق أرضي" (ريبرتوار ٣/٥٠٨٥ ؛ ريبرتوار ١/٤٧٩٧).

يحض: اسم القناة ويرد لأول مرة في النقوش المسندية.

قلتهو: أصل الكلمة قلي ووردت، على وزن "تقلت" في أحد نقوش جاريني، بمعنى "كلس الجص الخارجي". والقلت في اللغة العربية: البئر، أو مكان تجمّع المياه.ومن خلال سياق

النص، يمكننا فهم المعنى بأن صاحبي النقش شيَّدا بيتاً؛ فأنجزا القسم المسقوف "ظله"، وواجهته الخارجية أي "قلته"، أو الجزء غير المسقوف من البناء.

ميح [م]: اسم واجهة البيت. والحرف الأخير من الكلمة غير واضح؛ وهذا الاسم يرد لأول مرة في النقوش.

[بعثتر وبهوبس وبإ] لمقه وذت حميم [وذت بعدن]: هكذا يأتي ترتيب هذه الآلهة السبئية في النقوش؛ ويرد المعبود هوبس في المرتبة الثانية. ومن المعروف، أن إلمقه هو الإله الرئيسي لمملكة سبأ؛ ولكن عثتر كان يحتل دائماً المرتبة الأولى، عندما يتضرع أصحاب النذور إلى الآلهة السبئية الرئيسية فيبدأون بالمعبود عثتر، الذي كان مشتركاً لممالك اليمن القديمة (انظر مثلاً المدونة ٢/٤٢، ٢/٥٠١، الخ).

(٣) حدّة ٣-٥ (اللوحة ٣)

مكان العثور: في سنع؛ وهي قرية في سفح جبل ظفار عيبان بالطرف الجنوبي الغربي من مدينة صنعاء. وسنع مشهورة بعلمائها الذين عاشوا في القرن السادس الهجري (المقحفي ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م ج ١: ٨١٩).

الوصف: مخربشات تحتوي على أسماء أشخاص.

تاريخ المخربشات: لا يمكننا إعطاء تاريخ محدد؛ ولكن من خلال شكل الخط، نقترح تاريخها في حوالي القرن الثاني أو الأول قبل الميلاد.

المخربشات من اليمين إلى اليسار:

حدّة ٣

ضررم

بن نو =

ضم

حدّة ٤

ضر(ر)



اللوحة ٣: مخربشات حدّه ٣-٥.

شمر

حدّة ٥

سعدم بن

مفرعم

المحتوي باللغة العربية

حدّة ٣: ضرر بن نوض

حدّة ٤: ضر(ر) شمر

حدّة ٥: سعد بن مفرع

التعليقات

ضررم ونوضم: أسماء أشخاص ترد لأول مرة في النقوش المسندية. أما شمر فهو اسم علم معروف ومشهور في النقوش المسندية وفي المصادر العربية؛ وأهم شخص حمل هذا الاسم هوالملك الحميري شمر يهرعش بن ياسر يهنعم، الذي وَحَّدَ ممالك اليمن القديمة، في نهاية القرن الثالث الميلادي.

سعد: اسم شخص معروف، جاء في النقوش السبئية، ويأتي أيضاً مركباً مع أسماء آلهة، مثل: سعد عشتر، سعد كرب، سعد أوم، سعد تألب وسعدإل - (المدونة ١/٢٤٢؛ ٧٢٢/٣؛١٠٢/١؛٢٢٦/٢؛ ٣٤٣/١٣؛ ٦٦٨/١؛ الخ). أما مفرعم، فهو اسم شخص غير معروف سابقاً.

(٤) حدّة ٦ (اللوحة ٤)

مكان العثور: سنع.

الوصف: رسوم حيوانية وآدمية مع مخربشات. ويظهر في الصورة شكل ثور، وفي أعلاه اسم شخص "سعد". وليس من المستبعد أن يكون "سعد" هو الشخص نفسه، الذي ترك لنا النقش السابق. وإذا كانت هذه الفرضية صحيحة، يكون تأريخ هذه الرسوم في حوالي القرن الأول الميلادي، كما هو الحال في النقوش التي عثر عليها في هذه المنطقة.

الخاتمة

تدل هذه الاكتشافات النقشية الجديدة على أنَّ معارفنا التاريخية حول المناطق المحيطة بصنعاء العاصمة ما زالت ضئيلة جداً. فذكر أسماء أماكن في نصوص القرون التي سبقت الميلادي، والتي ما زالت حية إلى يومنا هذا، يدل على أنَّ هذه المناطق كانت عامرة، وأسهمت بدور على الأقل من القرن الأول الميلادي؛ كما هو الحال لمدينة صنعاء، التي أصبحت العاصمة الثانية لمملكة سبأ منذ القرن الأول الميلادي.

أملنا أن تستمر عمليات المسح والتنقيبات الأثرية، تحت إشراف الهيئة العامة للآثار والمتاحف، ليس فقط في هذه المناطق، وإنما في كل محافظات الجمهورية اليمنية.

منير عربش: المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية - صنعاء - اليمن. *mounirof@yahoo.fr*
محمد محمد الحلبي: الهيئة العامة للآثار والمتاحف - صنعاء - اليمن.

رموز النقوش:

ريبرتوار = Répertoire d'Epigraphie Sémitique

جاربيني م = Iscrizioni sudarabiche. Vol. I :Iscrizioni minee. 1974

المدونة = Corpus Inscriptuinum Semiticarum ،pars IV

جام = Sabaean Inscriptions from Mahram Bilkis (1962)

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

المقحفي، إبراهيم أحمد، ١٤٢٢- ٢٠٠٢، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، الطبعة الرابعة، صنعاء-بيروت.

الحلبي، محمد محمد، ١٤٠٩، "ما في القرى مثل حدّة"، **جريدة الثورة**، عدد السبت ٨ محرم ١٤٠٩هـ.

بافقيه، محمد عبد القادر، "مملكة مأذن.. شواهد وفرضيات.."، **دراسات يمنية**، ٣٤، أكتوبر-نوفمبر-ديسمبر ١٩٨٨، ص ٢٠-٢٩.

الهمداني، الاكليل.

نقوش صفوية جديدة من منطقة مرب الغنم شمالي شرق الأردن(١)

ابراهيم صدقة ورافع حراحشه

ملخّص: يُنشر في هذا البحث عددٌ من النقوش العربية الشمالية، التي اصطلح على تسميتها بالصفوية، عُثر عليها في منطقة قريبة من رجم هانئ في شمالي شرق البادية الأردنية. وتبرز أهمية هذه النقوش؛ لوجود اسم القبيلة التي عرفت بشكل رئيس في ذلك الرجم بسياق ذ ا ل م ع ص، وهذا على قلة ورودها في غير نقوش المنطقة، إذ عرفت بصيغة هـ م ع ص ي في نقش من جبل سيس، ونقش آخر في منطقة تدمر. كما يناقش البحث أفعالاً جديدة، وأسماء أعلام ترد لأول مرة.

Abstract. *Addressing six North Arabian (Safaitic) inscriptions from the area near Cairn of Hani> in the north of al-badiya of Jordan, this study sheds light on the tribe of M^cs which is known mainly from that Cairn in the form of d>l m^cs. This tribe is very rarely mentioned in other inscriptions from outside the area, yet it appears in two inscriptions: one from Sis Mountain and the other from the Palmyrene. In both the tribe appears in the form of hm^cs. In addition, this paper discusses new verbs and personal names known for the first time.*

المقدمة

عُثر على هذه النقوش في موقع مَرَب الغنم، شرق مدينة الصفاوي بحوالي ٣٠ كم إلى الجنوب من الطريق الدولي الذي يربط شرقي الأردن ببغداد، وجنوب زملة سويعد بحوالي ٤ كم، وإلى الشرق من وادي العوشرجي بحوالي ٤ كم. ويقع إلى الغرب من موقع النقوش (مرب الغنم) غدير يُسمى "غدير الغنم"، يحتفظ بمياه الأمطار، حتى بعد انتهاء موسم الأمطار. هذا ما جعل من هذا الغدير مصدر مياه مهم؛ لسقاية حيوانات سكان البادية. وقد ساعدت وفرة المياه على نمو بعض الأعشاب والشجيرات البرية؛ كالشيح والقيصوم والزعتر البري. وإلى الشمال الغربي من موقع النقوش (شمالي طريق بغداد) بحوالي ٢٠كم، يقع رجم عُثِر فيه على عدد كبير من النقوش الصفوية، المعروف باسم "رجم ابن هانيء"، يعود الفضل في اكتشافه ونشر نقوشه إلى "لانكستر هاردنج" (HCH, Harding 1953). ومجموعة هذه النقوش ورد فيها ذكر اسم القبيله م ع ص، التي ترد في نقوش هذه الدراسة، وهذا يعني أن هذه المنطقة ربما تكون موطن هذه القبيلة.

النقش رقم ١ (الشكل ١):

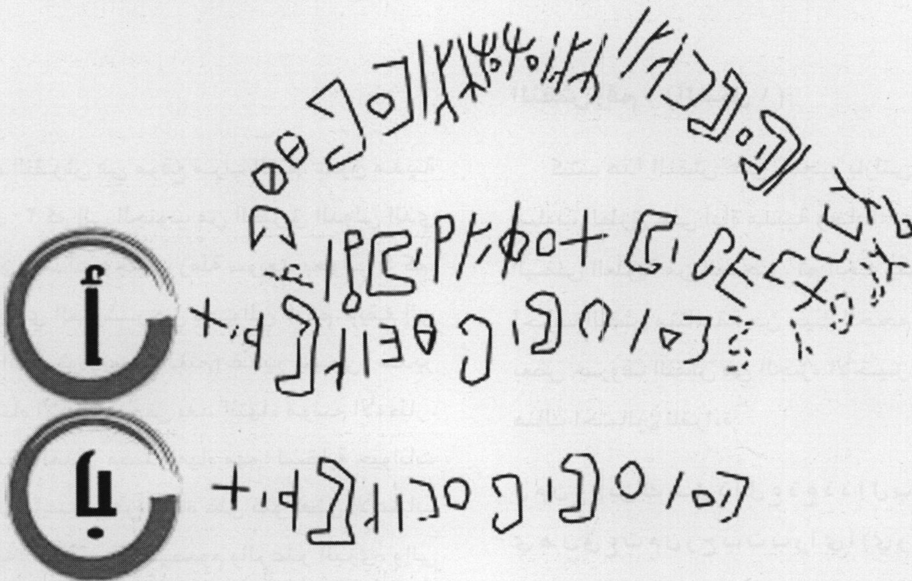
كتب هذا النقش على حجر بازلتي؛ واستخدم الكاتب أسلوب الطرق على أداة مدببة وحادة؛ وبدأ الكاتب من الجهة اليمنى العلوية من الحجر، ثم اتجه يساراً، ثم يميناً؛ وبدت أحرف النقش متناسقة من حيث الحجم؛ وقد حدث تآكل في بعض حروف النقش في الجزء الأخير من النقش؛ ما جعل هناك احتمالين للقراءة.

ل م ن ع م بن ك هـ ل ذ ا ل ع ذ ع ذ ذ ا ل ب ع ر و و ر د (ل) ث م ن ي هـ ن ق ع ت م ن ر ح ب ت ب ر أ ي أ (ي ر هـ). . . . ف ب ع ل س م ن ر و ح ل هـ م د ن ت.

الترجمة:

لـ م ن ع م بن ك هـ ل من عشيرة ع ذ ع ذ من قبيلة ب ع ر، الذي وَرَدَ ن ق ع ت "النقعة" (مكان الورد مِن رحبة) لثماني (ليال). (وكان ذلك) برأي أ ي ر ة؟ فيا ب ع ل س م ن روِّح له أمة.





نقش(١) شكل(١)

التعليق:

وهناك قراءة يمكن أن تُقترح بدلاً من عبارة **ب ع ل س م ن** وما بعدها، وهي: **ب ن ع ل ج م ن ر ج ب ل هـ م د ن ت** (وهذا مشار إليه بالشكل ١، ب، كما أن القراءة الأولى مشار إليها بالشكل ١، أ).

م ن ع م:

اسم علم بسيط من الجذر ن ع م، على صيغة اسم الفاعل من الفعل الماضي المزيد أنعم، ويقرأ **مُنْعِم**. ومعنى الاسم "الذي يُنْعِم". وهذا يتماثل مع صيغة الاسم في العربية **المُنْعِم** بن مهْزام (G. Nasab: 430b).

الشواهد:

وعُرِف هذا الاسم في الصفوية **م ن ع م** (الحراحشة ٢٠٠١، نقش ٢٠٢ ؛ CIS 15)، واللحيانية (Ryckmans 1934: 142). أما في النبطية، فورد بصيغة **م ن ع م و** (Negev 1991, No. 40: 659). وورد في الأوجاريتية من هذا الجذر بعض الصيغ منها: ***naʿmanu, naʿam-rasap*** (Gröndahl 1967: 163).

ك هـ ل: اسم علم بسيط. جاء وصفاً لمرحلة عمرية للإنسان، وما يعتريها من تغيّر في لون الشعر. فقيل: الكَهْل "مَنْ وَخَطَه الشيب" أي خالطه، وهناك من حسبها في فئة عمرية محددة، وهذا الأمر مختلفٌ فيه. فمثلاً قال ابن الأعرابي: يُقال للغلام مراهق، ثم محتلم، ثم يقال تخرّج وجهه، ثم اتصلت لحيته، ثم جمع، ثم كهل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة. وفُسِّر الحديث هل في أهلك من كاهل؟ أي مَنْ تعتمده للقيام بشأن عيالك الصغار. وجاءت عبارة ذي كاهل وصفاً للشديد الغضب وللفحل الهائج. والشديد الكاهل هو "المنيع الجانب"، الذي تعتمد عليه في الملمات (التاج: **ك هـ ل**)، وهذه تشير إلى معنى "القدرة، والمقدرة". وذُكر في شمس العلوم أن المعنى مأخوذ من اكتهل النبت: إذا اشتد وقوي (الحميري ١٩٩٩، ج ٩: ٥٩١٧).

ويمكن قراءة الاسم كَهْل على وزن فَعْل، أو على ضوء صيغة الاسم الوارد في التراث العربي **كاهَل** أو **كُهال**. (ابن حزم ١٩٦٢: ١٩٠، ٤٧٩، ٤٩٢ حاشية ٢)، **وكُهال** بن عدي بن مالك بن نيت بن حمْير وتنسب إليه قرية **كُهال** (المقحفي ١٩٨٥: ٣٥٤).

يبدو أن **ك هـ ل** في السبئية حملت دلالة في الإطار ذاته، إذ جاءت بمعنى "نجح، نجاح، فوز، غلبة" (المعجم السبئي: ٧٧). وفي نقش لحياني: فلان/ وفلان/ وفلان/ وفلان **ك هـ ل و**" فلان. . . . أفلحوا (أبو الحسن ١٩٩٧، نقش ١٥٣: ٣٢٢)، وكذلك هي في الجعزية kǝhla "يكون قادراً، يتغلب" (Leslau 1987: 277). وجاءت في النقوش اللحيانية ظرف زمان، اسم شهر، يكون فيه التقرب للآلهة بصيغة **ب ك هـ ل** (أبو الحسن ١٩٩٧، نق. ٣: ٦٦؛ ٢٠٠٢، نق. ٢٠٦: ٦١، ٢٢٠: ٩٦). فالرأي السائد لمعنى هذه اللفظة في النقوش اللحيانية هو "قدرة، كفاءة" (انظر، القدرة ١٩٩٣: نق. L1: 15).

الشواهد:

ورد هذا العلم في النقوش الصفوية؛ قرأه الذيب على وزن فَعْل كَهْل، وفسره بمعنى "دعاء للمولود بطول العمر"؛ في حين قرأه (Winnett) **كُهَيْل**"، وآخرون **كاهل** (LSI 27: 139; WH 2, 233؛ الحراحشة ٢٠٠١، نقش ١٦٢: ٨٩؛ الذيب ٢٠٠٣، نقش ٣٠: ٧٥، ٧٧) وفي الثمودية اسم علم **ك هـ ل** (Jsa 538, 635 in van den Branden 1950: 312, 446; TIJ 195).

وفي النقوش الثمودية اسم إله **ك هـ ل** (HU. 125, 126 in van den Branden 1950: 88-89; Jsa 395 in Jamme 1967a: 60)، واسم إله في **المعينية ر ش و/ ك هـ ل ن** (Arbach 1993: 70).

وفي النقوش العربية الجنوبية **ك هـ ل، ك هـ ل م، ك هـ ل ن** (Abdallah 1975: 83, 85; Tairan 1992: 188; al-Said 1995: 154; Hayajneh 1998: 222). وورد في السبئية **ك هـ ل م، ك هـ ل إ ل** أسماء مؤنثة (Sholan 1999: 128)، في اللحيانية **ك هـ ل** (Ryckmans 1934: 113).

وفي النبطية **ك هـ ل ن، ك هـ ي ل و** "كُهَيْلو" (al-Khraysheh 1986: 98, 99). في التدمرية **ك هـ ي ل و، ك هـ ي ل ي** (Stark 1971: 92).

ذ أ ل:

أداة تسبق أسماء الأعلام للدلالة على أنه اسم قبيلة، تعني من قبيلة كذا. وقد ناقش هذه اللفظة معاني وصدقة، حيث أشارا

إلى أن آل منقلبة من أهل، وهذا مستند على الارتباط التركيبي والدلالي، إذ إن "هـ" أصبحت "ءْ"، ثم تحولت إلى صوت مد طويل "آ". وهذا ما عبر عنه نشوان في شمس العلوم بقوله: وتبدل الهمزة من الهاء في قولهم: آل، وأصل: أهْل، فأبدلت الهمزة من الهاء فقيل: أأْل، ثم خُفِّفت الهمزة وأبدلت ألفاً فقيل: آل. وتصغيرها أُهَيْل (الحميري ١٩٩٩، ج ١: ٦٥)، كما استعرضا عدة صيغ: ذال، ال، من ال (انظر: علولو ١٩٩٦: ١٨١؛ *Maani and Sadaqah 2003b:644-645*؛ انظر الناشف ١٩٩٣: ٣٠٦).

ع ذ ع ذ:

علم على قبيلة. والاسم ع ذ ع ذ هنا يندرج في مصوغ ثنائية اللفظ، لذات المقطع الواحد، والثنائية المعجمية، والتي في حالتنا هذه الثنائية التي كُرر مقطعها بكلا حرفيه، فأصبحت رباعية بطريقة المضاعفة والتكرار (انظر الصالح ١٩٧٦: ١٤٧).

ولطرح هذا التركيب على تسمية حكاية الصوت يجعلنا نبسط أمثلة تكون معياراً لما نرمي إليه. وهذا مما قضى به صاحب المخصص. الصوت دَعْدَع إذا قال داع داع، والعَطْعَطَة اشتقها ابن السكيت إذا نادى، فقال: عاط عاط وهي تتابع الأصوات في الحرب وغيرها (المخصص سفر ٢: ١٣٤، ١٣٦).

فظاهرة الاسم، التي بين أيدينا، ع ذ ع ذ هي ظاهرة بكر في النقوش الصفوية، من الجانب التركيبي والمعنى الدلالي. وإن كان فيما ذهبنا إليه مقبول تكن عذعذ حكاية صوت مشتقة من عوذ عوذ بمعنى "النجدة والمساعدة". وهذا من دلالة المعنى في العربية. وثمة استعمال فعلي على صيغة أفْعَل أ ع و ذ جاءت به النقوش الثمودية، تحمل مضمون هذا المعنى "حَمَى" (Hu 513 in Jamme 1967a: 14). فيكون الاسم إضافة جديدة للمعجم اللغوي، ويفيد مثالاً آخر في مجال فقه اللغة.

الشواهد:

لم نعثر على شاهد في النقوش الصفوية، ولا في غيرها من النقوش اسماً لهذه القبيلة بهذه الصيغة، وإنما ورد اسم شخص بصيغة ع ذ "عَوّذ" (Oxtoby 1968, No. 10; WH 312)، وجاء بصيغة ع و ذ يقرأه "أوكستوبي Oxtoby" "عَويذ"، و ع و ذ اسم علم على قبيلة (الخريشة ٢٠٠٢، نقش ١٧١: ٥٦؛ علولو ١٩٩٦، نقش ٣٩٠: ١٤٦).

وورد في النقوش الثمودية بصيغة ع و ذ (الذييب ٢٠٠٠ ب، نقش ٥٩: ٦٠)، وبصيغة ع ذ اسم شخص (TIJ 507; Ph 271 i1 in van den Branden 1956II: 32)، وفي القتبانية ع ذ ذ، ع ذ ذ م (Hayajneh 1998: 187)، وفي اللحيانية ع ي ذ (أبو الحسن ١٩٩٧، نقش ١٤٥/ ١: ٣١٢؛ Ryckmans 1934: 160)، م ع ذ (Ryckmans 1934: 160)، وفي النبطية ع و د و "عَوذو"، ع و ي د ا، ع و ي د و "عُوَيذو" (al-Khraysheh 1986: 135-136).

ب ع ر:

اسم علم على قبيلة، وورد في التاج **أبناء البعير** قوم، **وبنو بعران** حي. والبعير "الجمل البازل" (التاج: ب ع ر).

الشواهد:

ورد بصيغته هذه في النقوش الصفوية من منطقة وادي السوع، جنوبي سورية (علولو ١٩٩٦، نقش ٣٩٩: ١٥١؛ انظر Harding 1969: 7)، كما عُرف اسم علم في النقوش الصفوية (JaS, cArcar, 52; WH 2126). والثمودية (King 1990, KJC 140: 332)، وفي الآرامية ب ع ر وهو اسم والد بلعام الوارد في نقش دير عَلاّ الآرامي (Maraqten 1988: 73؛ انظر لبنسكي ١٩٩٧: ١٣). في حين جاء في القتبانية بصيغة ب ع ر ن منتهي بالتنوين (Hayajneh 1998: 98).

و ر د:

ورد: فعل ماض مفرد غائب (انظر Maani and Sadaqah 2003a: 52). وهذا الفعل كثير الشيوع في اللغات السامية ويندرج في مسمى السامي المشترك، إذ هو بصيغة ي ر د في السامية الشمالية الغربية بمعنى "يقترب، يصل، ينحدر إلى الماء أو إلى مكان ما، سواء دخله أم لم يدخله (التاج: و ر د، part 8: 2935; SD: 162; Leslau 1987: 617; LP 406, 426, 532; Clark 1979, No. 762: 347؛ علولو ١٩٩٦، نقش ٤٨: ٤٠؛ DISO 469; Koehler and Baumgartner 1958:401; Gelb 1980: 22; BDB: 432-434; Gordon 1967: 414).

ولم يكن استعمال جذر الفعل و ر د كصيغة فعلية فحسب، بل كان هناك شواهد تشير إلى استخدامه اسم جنس، وهذا

ما نلحظه في النقوش التالية:

فــــلان بن فـــلان و د ث أ هـ و ر د س ن ت م ر ر د أ ل ر م (CIS 1292) "فــلان بن فــلان وأمــضى الربيع عند الماء سنة تمرد الروم".

ل غ ن م بـن غ ر ت بــن غ ن م و د ث أ هــ و ر د ف هــ ل ت س ل م (CIS 1296) **ل غ ن م بن غ ر ة بن غ ن م** وأمـــضى الربيع عند الماء، فيا اللآت سلام".

ل س ع د بن خ ل ف و ر ع ي هـ ض أ ن ف هـ ل ت س ل م و ر ع ي هـ و ر د (CIS 744) "ل س ع د بن خ ل ف، ورعى الضـأن، فـيـا اللآت سلام، ورعى الإبل/ الماء".

فـمن المؤكد أن هذه الكلمـة و ر د جـاءت بصـيـغـة اسـمـيـة، بدلالة اقترانهـا بأداة التـعريف الهـاء، فهي تحـتـمل دلالة معنى "الماء"، وعليـه تكون القــراءة الوِرْد (الحــمـيــري ١٩٩٩، ج١١: ٧١٢٤)، وهذا المعنى له حضور في الآية الكريمة ﴿وبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُود﴾(هود ٩٨)، وهذا المعنى يشـمل مـا جـاء في النقــوش الثـلاثة، إلا أن النقش الثـالث (CIS 744) يحـتمل كـذلك مـعنى "الإبل"؛ فـقــد جــاء هذا المعنى في اللســان (ابن منظور، ج٣: ٤٥٨)، وما يماثل هذه الدلالة ما جاء في التاج: "والورد اسم من ورد يوم الورد وما وَرد من جماعة الطير والإبل" (التاج: و ر د)؛ ومن دلالات مـعنى اللفظة إنه شـجـر مـعـروف، وهو بـارد في الدرجـة الأولى، يابس في الثـانيــة (الحـمـيــري ١٩٩٩، ج١١: ٧١٢٣)؛ فــــالمعنى رعى بعـين الماء، أو رعـى "الإبل"/ رعـى "الشـجـر"، بخصـوص النقش الثـالث (انظر أيضـاً، الحـراحشـة ٢٠٠١، نقش ٢٠٤: ١١٨).

(ل) ث م ن ي:

ورد في المعـجم سـيـاق يُعَبَّر من خـلاله عن منع الإبل من الشـرب لفـتـرة من الزمن، ثم وردهـا الماء بعـد ذلك، بقـولهم: وأثمن الرجل "وردت إبلُه ثِمْناً"، والثِّمْنُ "الليلة الثـامنة من إظماء الإبل" (التـاج: ث م ن)؛ وجـاء توضـيح الثِّـمْن في شـمس العلوم "وهو أن تُحْبَسَ (الإبل) عن الماء سبعَ ليـال وسـتَّةَ أيام، ثم تورَد في اليوم السابع وهو اليوم الثامن من الوِرْد الأول" (الحـمـيـري ١٩٩٩، ج ٢: ٢٧٩). ولعل مـا جاء بالعـربيـة ينساق على مضـمون النقش.

ما يلفت النظر أن اللفظة في النقش تنتهي بالياء، وهذا ما نلحظه في السـيـاق العـربي الذي يعبـر عنه بخـصـوص هذه الحـالـة. تتـحدث كـتب النحـو عن هذه الظاهرة للعـدد ثمـان، فـالعـدد ثمـان تُثَبَّت ياؤه في حـالة المضـاف، في قـولهم: **جاءَ ثمانيةُ طلابٍ. وشاهدتُ ثمانيَ طالباتٍ**. وكذلك في كونه غيـر مضـاف، وأنت تقصـد معدوداً مذكراً: **جاء من الرجال ثمانيةٌ. ورأيتُ من الرجال ثمانيةً** (الراجحي ١٩٧٥: ٤٠٢). وعلى ضوء ذلك، يمكن تعليل وجود الياء في نهاية ث م ن ي أنها في حـالة الإضـافـة، لمضـاف إليـه محـذوف تقـديره ليالٍ. ولنـا في حـذف المضـاف إليـه شـواهد. يذكر ابن عـقـيل جـواز حـذف المضـاف إليه، مع إبقاء المضـاف، كما لو كان مضافاً فيُحْذَف تنوينه (ابن عـقـيل ١٩٧٤، ج ٣: ٧٨). ومن أمـثـلة ذلك: الآية: ﴿فَلا خَـوْفُ عَلَيهم﴾ (المائدة: ٦٩)، فـتـقـدير المضـاف إليـه على نحـو: فـلا خوفُ شيءٍ عليهم. وفي العبارة: سلامُ عليكم. والتـقـدير **سلامُ اللهِ عليكم**. وهنـاك سـيـاقات أخـرى يحـذف فيـهـا المضـاف إليـه (ابن هشام ١٩٧٩: ٨١٤).

ونخـال أن هـذه الصـيـغـة **ث م ن ي**، وردت في أحـد نقـوش الحــجــر **ب ر ت س ن ي ن ث ل ث ي ن و ث م ن ي** "(وهي) بنت سنين ثـلاثين وثمـان (الذيبب ١٩٩٨، نقش ١٨٨/٧: ١٦٠-١٦١، ١٦٨)، يلحظ أن السياق سياق وجود المضاف وحذف المضـاف إليه، والمقدر على سنين. فسياق النقش يجري حسب القـاعدة النحوية للعدد ثمـانيـة. إلا أن الذيبب لم يثبت اليـاء في نهـاية العدد في الترجمة، هذا لاعتباره أن الياء عوضاً عن التنوين؛ إذ من المتوقع إثبات اليـاء في الترجمة، فيكون ثمـاني. ونلاحظ عدم وجود اليـاء في نهاية العدد **ب ي ر ح ن ي س ن س ن ت ا ر ب ع ي ن و ث م ن ا ل ح ث ت** "في شــهــر نيـســان سنة أربعـين وثمـان (من حكم) الحـارثة" (الذيبب ١٩٩٨، نقش ٢٢٢/ ٣-٤: ٢٨٤؛ انظر Levinson 1974: 222)، إذ جـاء مـعـرَّفـاً ومنقطعـاً عن الإضافة.

هـ ن ق ع ت:

اسم مـعـرف بأدات التعريف في النقوش العربيـة الشـمـاليـة الهاء. يدل هذا الاسم على مكان الماء، من الجذر ن ق ع، والنَّقْعُ "الأرض الحـرة الطين، ليس فيهـا ارتفاع ولا انهـبـاط، ومنهم من خصص فقـال: التي يستنقع فيها الماء، وقيل هو ما ارتفع من

الأرض، وقيل النقع من الأرض "القاع" يمسك الماء، وفي الأرض الحرة الطين المستوية ليس فيها حزونة (التاج: ن ق ع). وقيل النقع "مَحْبَس الماء ومجتمعه، والجمع أنْقُع، ويساق هنا المثل: "إنه لشرَّابٌ بأنْقُع"، أي مجرب معاودٌ للأمور، قد شرب من كل ماء. والنقيع "الماء الناقع، والبئر الكثيرة الماء، والجمع أنقعة (الحميري ١٩٩٩، ج ١٠: ٦٧١٣، ٦٧٢٢).

رح ب ت:

اسم مكان.

وردت بصيغة التعريف هـ رح ب ت في نقوش صفوية أخرى (الخريشة ٢٠٠٢، نقش ١٠٣: ٣٤)، وبصيغة هـ رح ب يقارنه "ونت" (Winnett) بالعربية بالمفردة رَحْبَة والجمع منها رِحاب (WH 585). هنا يعدها صيغة جمع، وتبعه في هذا المنحى الحراحشة مع الأخذ بقراءة مختلفة، إذ يقرؤها على صيغة الجمع فُعَل رُحَب (الحراحشة، نقش ٢٦٩: ١٥٠). ومن خلال استعراض الجراح للنقوش، التي ترد فيها رح ب ت، وَجَدَ إنها ترد مع أفعال معينة، وهذه بعضها: ص ي ر، ح و ر، ن ش ط، رع ي، وتأتي مقترنة بحروف جر ومن دونها. واستنتج الجراح من خلال الدراسة أنها تشير في النقوش الصفوية إلى قرية أو منطقة زراعية محددة والقرية، في حال ورودها بغير هاء التعريف، أو هاء الإشارة (الجراح ١٩٩٣: ٣٤-٣٦). وهذا يتفق ووصف "ليتمان" (Littmann) للرحبة أنها قرية من قرى حوران إلى الشرق من الصفا، عند زيارته لها سنة ١٩٠٠م. وكان ذلك في معرض تحليله للنقش (LP 299)، إذ قال في وصفها: إنها ذات تربة خصبة جداً، ففي فصل الربيع تصبح بركة ماء لفترة من الوقت، ثم تنمو فيها الأعشاب، وتزرع بالحبوب. وقد ذكرها الحموي إنها من قرى الشام فخربت، وكان بينها وبين دمشق يوم (الحموي ١٩٧٩، ج ٣: ٣٣).

ب ر أ ي:

اسم جنس مسبوق بحرف جر، يقال فلان رئي قومه إذا كان صاحب رأيهم، وارتأينا في الأمر وتراءينا أي "نظرناه"، وقال الجوهري ارتآه ارتياءً "افتعل من الرأي والتدبير"، ومعنى ارتأى "فكر وتأنى". وفي التهذيب استرأيته في الرأي أي "استشرته وراءيته"، وهو يرائيه أي: يشاوره". وأرأى الرجل أراء "صار ذا عقل ورأي وتدبير (التاج: رأي). ولنا أن نتعرف على ماهية هذه المفردة، وذلك من خلال السياق النقشي الذي يرد فيها:

فلان بن فلان رع ي هـ إ ب ل ب ر أ ي م ل ح ع ل ن خ ل (CIS 3230)، "فلان بن فلان ورعى الإبل على الوادي بحكم/ بمشورة م ل ح".

فلان بن فلان و و ر د ب ر أ ي ع ق ب ت هـ ن م ر ت ف هـ ب ع ل س م ن ر و ح ب م ط ر (علولو ١٩٩٦، نقش ٥٢)، "فلان بن فلان ووَرَدَ النمارة بحكم/ بمشورة ع ق ب ت فيا بعل سمين رَوِّخ بالمطر".

فلان بن فلان و و ر د هـ ن م ر ت ب ر أ ي ذ ك ر (علولو ١٩٩٦، نقش ١٣١: ٧٠)، "فلان بن فلان وَرَدَ النمارة بحكم/ بمشورة ذ ك ر".

فلان بن فلان و أ ش ر ق م ح ر ن ب إ ب ل هـ ش ع ر ب ر أ ي ي أ م ر ف هـــــــ ب ع ل س م ن غ ي ر ت و س ل م و ع و ر م ع و ر (حراحشة ٢٠٠١، نقش ١٩٧: ١١١)، "فلان بن فلان وابتعد من حوران/ حرّان بإبله (خَوْفاً من) العواصف بمشورة ي أ م ر. فيابعل سمين مؤنة وسلام، وعوِّر مَن آذى" (انظر ترجمة مماثلة حراحشة ٢٠٠١: ١١١).

فلان بن فلان ف و ن ي و ن ج ش هـ إ ب ل م ح ر ن م ن ث ل ج ب ر أ ي ن ج م، ويرى الحراحشة أن ر أ ي ن ج م لها علاقة بظهور نجم معين (نوء)، يعرفون منه موعد الأمطار، وموسم البرد. والرائي هو من ينظر بالنجوم؛ ويستشهد في ذلك بقول ذي الرمة (انظر حراحشة ٢٠٠١، نقش ٢١٨: ١٢٦، ١٣):

فلما رأى الرائي الثريا بسدفة ونشّق نطاف المبقيات الوقائع

ويجدر القول إن "ب ر أ ي/ ل ر أ ي" وردت في النقوش اللحيانية وفسَّرها أبو الحسن بحكم/ قبل حكم (أبو الحسن ٢٠٠٢، نقش ٢١٩، ٢٤٤؛ انظر القدرة ١٩٩٣: ١٦٣).

أ ي ر هـ:

حاولنا إكمال هذه اللفظة بحروف ثلاثة، وهي الياء والراء والهاء، اعتماداً على تقارب أشكال الحروف مع تلك التي نقصد، والتي تبدو غير واضحة في الصورة، وعلى مناسبة

معنى اللفظة في الجانب الآخر. إذ إن أَيْرٌ وإيرٌ وأَيّرَ هي من أسماء الصَبا، وقيل الشمال، والإيْرُ "ريح الجنوب، وجمعه أَيَرَة، وريح أَيْرٌ وأورٌ "باردة" (ابن منظور، ج٤: ٣٥-٣٦)، وريح الجنوب ريح تخالف الشمال؛ فمهبها من مطلع سُهَيْل إلى مطلع الثريا (الفيروز أبادي، ج ١: ٦٥). وعلى ضوء دلالة معنى اللفظة في العربية، يُرَجَّحُ أن أ ي ر هـ تشير إلى فترة زمنية محددة وهي بداية فصل الشتاء. ومطلع سهيل يشير إلى بداية فصل الشتاء والبرد.

ف ب ع ل س م ن:

اسم الإله المعروف في عدد كثير من النقوش العربية الشمالية مسبوق بحرف العطف الفاء (CIS 2803؛ انظر عبابنة ١٩٩٤).

ر و ح:

فعل أمر، بمعنى "رَوِّح، احضر". وهو فعل معروف في النقوش الصفوية (;SIJ 123; CIS 2803).

ل هـ م د ن ت:

هناك أكثر من احتمال لقراءة هذه الحروف. يمكن عدُّها مكونة من اللام حرف جر، والهاء ضمير متصل متعلق بصاحب النقش، ومن م د ن ت والتي تعني "أَمَة" (الفيروز أبادي، ج ٤: ٢٧٦)، وعلى أساس هذا المعنى فتُقرأ على مَفْعَلَة "مَدْيَنَة" (التاج: م د ن)، وهي من الجذر د ي ن، الدين "الذل والانقياد"، والمدين "العبد"، والمدينة "الأمة"، لأن العمل أذلها (التاج: د ي ن). فهو بهذه الحالة يدعو الإله بعل سمين أن يمنحه أمة.

والاحتمال الآخر أن اللام حرف جر، وأداة التعريف الهاء والحروف المتبقية م د ن ت اسم جنس بمعنى "مدينة" من أصل معنى مَدَنَ بالمكان "أقام"، ومنه اشتقاق المدينة (المخصص، م ٣، سفر ١٢: ٦٤)، وتحتمل بمعنى "الحصن" (الفيروز أبادي، ج ٤: ٢٧٦). فيكون المعنى "إنه يدعو الإله بعل سمين أن يعيده إلى مكان حصين، ربما يلتجئ إليه في أوقات معينة. وقد ناقش "ونت" هذه المفردة على أنها تشير إلى مدينة بُصْرى، إذ هي البلد المزدهر آنذاك، لذا فإنه يرى أن م د ن ت إشارة إلى مدينة بُصْرى، وهو رابط ذلك بأحداث تاريخية حصلت بين الرومان والفرس. هذا كله جعله يُسْقِطُ اسم المدينة المعروفة على لفظة م د ن ت (WH 1698). وتفسيره هذا يندرج في أصل المعنى للجذر. ونميل إلى الأخذ بالاحتمال الأول.

أشرنا في التعليق أن ثمة قراءة أخرى محتملة: **ب ن ع ل ج م ن ر ج ب ل هـ م د ن ت.**

ع ل ج م ن:

هناك عدد من الاحتمالات لقراءة اسم الشخص **ع ل ج م ن**: إذ يمكن عدَّه اسم شخص مركباً من عنصرين الأول **ع ل ج** والعنصر الثاني الصيغة المختصرة لاسم الإلهة مناة **م ن**، وهي القراءة الأكثر احتمالاً، فيكون المعنى . . . **ف بن ع ل ج م ن ا ة**، رجب "قَدَّم عتيرة، أضحية **ل هـ م د ن ت**. أو عدَّ الحرفين الميم والنون حرفين زائدين؛ وهناك احتمالية أن تكون **م ن** في **ع ل ج م ن** كلمة منفصلة عن الاسم بمعنى الذي.

اسم علم مركب من عنصرين، العنصر الأول هو **ع ل ج**، لنا أن نقرأ الاسم عِلْج على صيغة معنى الجذر، أو **عُلَج، عِلاج**، على صيغة الأسماء الواردة في الموروث العربي؛ **علاج** بن مُعاوية بن عامر من أسماء العرب، ومن بطونهم **بنو عِلاج** بن أبي سَلِمة بن عبد العُزَّى بن غِيرَة بن عوف (ابن حزم ١٩٦٢: ٢٨١، ٢٦٨). والعِلْجُ "الرجل القوي الضخم". **بنو العُلَج** بطن من العرب، وبنو العِلاج" بطن من ثقيف"(التاج: ع ل ج)، أما العنصر الثاني فهو **م ن** وهو الصيغة المختصرة لاسم الإلهة مناة، ومعنى الاسم "قوية (هي) مناة". وقد ورد شواهد على العنصر الثاني كصيغة مختصرة لاسم الإلهة. فقد ورد اسم شخص في النقوش الصفوية من شمال المملكة العربية السعودية **ح ر س م ن** وفسره الذييب "(الإلهة) مناة هي الحارسة"، كما أعطى معنى آخر "المانعة، الحارسة (هي الإلهة) مناة" (الذييب ٢٠٠٣، نقش٢٣: ٦٨)؛ وورد كذلك في المعينية اسم شخص مركب **ز ي د م ن** وفسره السعيد "vermehrung derManat?" "زيادة/ تزايد مناة"؟، فالسعيد يرى أن م ن اسم الإلهة مناة من غير تأكيد لذلك. كما أورد أمثلة من العربية الجنوبية يبين من خلالها أن اسم الإله يجيء مختصراً في أسماء الأعلام، مثل: **ح ي و ع ث ت** وهو الصيغة المختصرة من **ح ي و ع ث ت ر** (Al-Said 1995: 116).

فظاهرة اختصار أسماء الآلهة في أسماء الأعلام أمر له شواهده فمثلاً: في التدمرية (B^c^smn) اختصار لـ (B^c^lsmn) وهو اسم الإله المعروف بعل سمين، استخدم هنا اسم شخص (Stark 1971: 78)، وفي الحضرية (Mrtbw) فسّره العبادي "Vateres (ihres) Herrin" "الآباء السادة المخلصون"، وهو اسم شخص بصيغة مختصرة لـ (Abbadi Mrt>bwh 1983: 126). وظاهرة الترخيم لها شواهد في أسماء اللآلهة المركبة مع أسماء الأعلام في النقوش السبئية، ومثال ذلك: **هـ و ت ر ع ث ت** (انظر مثلاً: مكياش ٢٠٠٢: ٣٠).

الشواهد:

ورد في النقوش الصفوية **ع ل ج** علم لشخص (علولو ١٩٩٦، نقش ١٣٤: ٧١؛ الحراحشة ٢٠٠١، نقش ٢٦، ٤٣٠: ٢٢). في النبطية بصيغة **ع ل ج ا** (Negev 1991, No. 886a: 51). في التدمرية بصيغتي **ع ل ج؟، ع ل ج ا** (Stark 1971: 105).

ر ج ب:

فعل ماض مفرد غائب مذكر. جاء في المعجم رَجَبَ الرجل رَجباً "فزع"، وكذلك "استحيا"، ورَجَبَ فلاناً "هابه وعظمه"، والترجيب "التعظيم"، ومنه اشتقاق رَجَب، وكانت العرب ترجبه أي تعظمه، وكان لهم به نسك وذبائح، وهي كذلك ذبح النسك في رجب"، وفي الحديث: هل تدرون ما العتيرة؟ هي التي يسمونها الرجيبة. وكانوا يذبحون في شهر رجب ذبيحة وينسبونها إليه، ويقال: هذه أيام ترجيب وتعتار، وكانت العرب ترجب، وكان ذلك لهم نسكاً أو ذبائح في رجب (التاج: ر ج ب؛ الحميري ١٩٩٩، ج ٤: ٢٤٣٨). وفي نقش سبئي نقش على تمثال بهيئة (أبي الهول)، عُثر عليه على قمة جبل العود الواقع جنوب وادي بنا على بعد ٢٥ كم من ظفار، وكان يتضمن اسم إله جديد يرد لأول مرة في النقوش السبئية هو **ر ج ب م**، الذي قُدِّم له التمثال (انظر السعيد ٢٠٠٣: ٦٥).

ورد في السبئية **ر ج ي ب** (Ryckmans 1934: 197)، وفي النبطية اسم شخص **ر ج ب و** "المولود في رجب" (al-Khraysheh 1986: 164)، وفي الأوجاريتية ***yrgb, yrgb b^c^l, argb*** (Gröndahl 1967: 179)، وفي العبرية اسم مكان ***ar^e^gōb*** > اسم شخص من الجذر rgb بمعنى "كوم، منطقة حجارة وطين" (BDB: 918).

ل هـ م د ن ت:

اللام حرف جر، والهاء أداة التعريف، **م د ن ت**، نشير هنا إلى لفظة المدان هو "صنم" وبه سمي **عبد المدان**، وهو أبو قبيلة من بني الحرث (التاج: م د ن). وعلى ضوء هذه القراءة يكون المعنى: رَجَب "قَدَّم عتيرة، ذِبْحاً، تَقْدِمَةً" للإلهة **م د ن ت**.

النقشان: ٢، ٣ (الشكلان ٢، ٣):

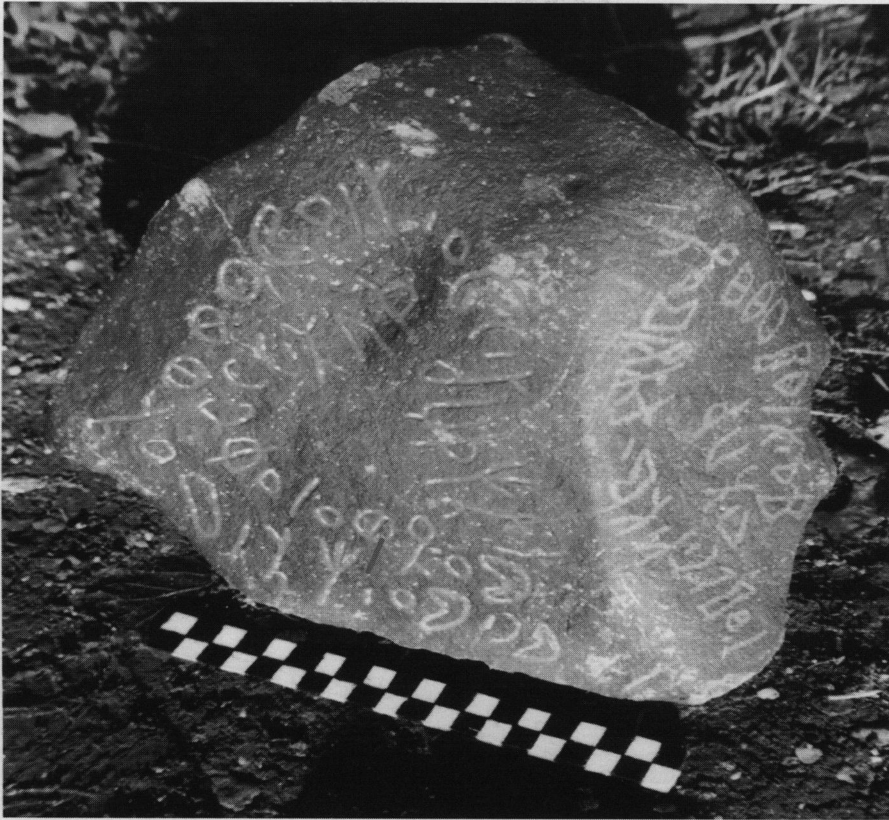
كُتب النقشان ٢، ٣ على حجر واحد كل واحد على واجهة منه؛ والحجر من النوع البازلتي الموجود في منطقة الحرة الأردنية. وقد استخدم الكاتب في الكتابة أسلوب الطرق على أداة مدببة، وبدا الخط جميلاً ومتناسقاً مع وجود اختلاف بسيط في رسم بعض الأحرف، مثل حرف الميم في اسم الشخص (**ت م، م ع ن**) في النقش رقم ٢، وحرف الميم في اسم الشخص (**و م ك، هـ ن أ م ن ت**) في النقش رقم ٣، إضافة إلى حرف الميم في اسم القبيلة **م ع ص** في كلا النقشين. كما ظهر اختلاف في رسم حرف السين في اسم الشخص **أ س د** في النقشين. ويمكن إرجاع هذا الاختلاف البسيط إلى أداة الكتابة من ناحية، وإلى صعوبة الكتابة على الحجر البازلتي الصلب من ناحية أخرى. وفيما نحسب أن كاتب النقشين هو شخص واحد. وفي النقشين تسجيل يوضح الحزن من قبل كاتب النقش الأول تيم على الأخوين ع أنعم وعقرب، في حين: أن هناك إغفال من قِبَل و م ك الذي ينتمي للقبيلة نفسها ماعص القبيلة لتسجيل حزنه على عُقْرب.

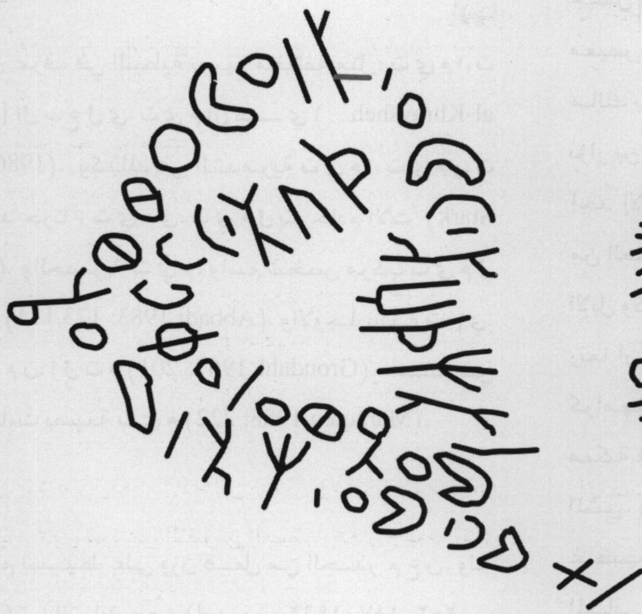
النقش رقم ٢ (الشكل ٢):

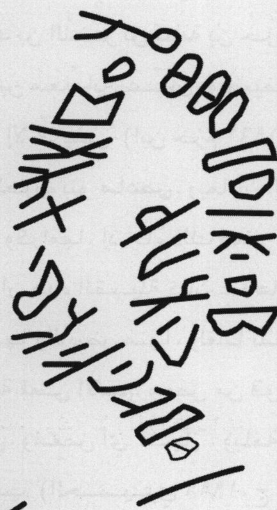
ل ت م بن م ع ن ذ ا ل م ع ص و و ج م ع ل أ ن ع م بن أ س د ذ ا ل م ع ص و ع ل ع ق ر ب بن أ س د.

الترجمة:

لِـ **ت م** بن **م ع ن** من قبيلة **م ع ص** ووجم على **أ ن ع م** بن **أ س د** من قبيلة **م ع ص** وعلى **ع ق ر ب** بن **أ س د**.







نقش (٢) شكل (٢)

نقش (٣) شكل (٣)

التعليق:

يلاحظ أن هناك اختلافاً في كتابة حرف السين في كلمة أسد.

ت م:

اسم علم بسيط. وهو معروف المعنى والدلالة، ويعني الاسم "عبد". وهو بذات المعنى والصيغة في النقوش الثمودية بمعنى "عبد" (Ph 159 d1; 160 k10 in van den Branden 1956: 29, 43)، وبصيغة ت ي م بمعنى "عبد" (Ph. 178 e3 in van den Branden 1956: 119.) وهو كثير الشيوع في المصادر العربية تيم (ابن حزم ١٩٦٢: ٢٠٥، ٣٢١،...).

الشواهد:

ورد بصيغته هذه في النقوش الصفوية (WH 283؛ الذييب ٢٠٠٣، نقش ٢٩: ٧٤). والثمودية ت م (الذييب ١٩٩٩، نقش ٨١: ٨٢)، وورد اسم قبيلة ت م (TIJ 522). والسبئية ت م (Ryckmans 1934: 213). وفي اللحيانية ت م (أبو الحسن ١٩٩٧، نقش ١٣٢/ ١، ١٤٥: ٢٩٥، ٣١٢).

في حين عُرف في النبطية بصيغ مختلفة مثل: ت ي م ا، ت ي م و، [ت م] إل ب ع ل ي، ت ي م إل هـــ ي (al-Khraysheh 1986: 186-187). وكذلك في التدمرية ت ي م ا، ت ي م و، ت ي م ح ا "عبد حرتا"، ت ي م ي، ت ي م ل ت "خادم الات" (Stark 1971: 117)، والحضرية ت ي م، واسم شخص مركب ت ي م ل ت، ت م ل ت (Abbadi 1983: 173,174)، والأوجاريتية ت م ي، ت ي م ن، ت م ن، إ ل ت م (Grondahl 1967: 201). أمـا في الآرامية فجاءت بصيغة ت ي م (Maraqten 1988: 222).

م ع ن:

اسم علم بسيط على وزن فَعْل من الجذر م ع ن. وله حضور في كتب التراث مَعْن (ابن حزم ١٩٦٢: ١٨٧، ٢٠٢، ..)، ابن معين (ابن حزم ١٩٦٢: ١٣٢).

الشواهد:

ورد هذا العلم بكثرة في الصفوية (CIS 27; Oxtoby 1968, No. 322: 91؛ الخريشة ٢٠٠٢، نقش ٢٠٩، ٢٤٧: ٥٧، ٦٦)، وفي النقوش الثمودية (الذييب ٢٠٠٠ أ، نقش ١٢٠: ١١٧). في التدمرية (Stark 1971: 96). في الحضرية م ع ن ا، م ع ن و (Abbadi 1983: 124). في الآرامية بصيغتي م ع ن إ ل هـ ي، م ع ن ت ن (Maraqten 1988: 180).

ورد في السبئية بصيغتين م ع ن إ ل (Tairan 1992: 202)، و م ع ن ي ت ن (Ryckmans 1934: 131)، وبصيغة م ع ن م في القتبانية (al-Said 1995: 132; Hayajneh 1998: 138)، وبصيغة م ع ن ي ت في المعينية (Ryckmans 1934: 131)، وورد علماً على قبيلة في المعينية واللحيانية أيضا م ع ن (Arbach 1993: 75؛ أبو الحسن ١٩٩٧، نقش ١١٠، ١٢٨/ ٢، ١٠٧/ ١: ٢٦٧، ١٨٨، ٢٦٢)، وفي النبطية جاء بصيغ متعددة منها: م ع ن ا، م ع ن و (al-Khraysheh 1986: 111-112).

م ع ص:

اسم على قبيلة. وقد ورد في التاج أن بني **معيص** بطن من قريش (التاج: م ع ص)، وهو **مَعِيص** بن عامر بن لُؤَي أخو حسل بن عامر (ابن حزم ١٩٦٢: ١٦٦)، ولعلنا نجتهد أن مَعِيص بن عامر بن لُؤَي هو من ولد غالب بن لُؤَي بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة بن الياس بن نِزار بن مَعَدٍّ ابن عَدْنان. ويضيف ابن حزم "ولا من ولد فِهْر أحدٌ إلا قُرِيشي" (ابن حزم ١٩٦٢: ١٢)، وأشار التاج إلى بطن من العرب بنو **ماعص**. ربما أن التسمية هنا كناية عن بيض الإبل وكرامها، إذ جاء ذلك معنى المعص (التاج: م ع ص). هذا ربما أن هذه القبيلة كان عندها من المال "الإبل" الكثير من كرامها والأبيض منها. ولعلنا نقترح كذلك احتمالية أخرى ممكنة لمعنى الاسم، معِص من قولهم: معِصت قدمه من كثرة المشي. ومعِص أي "خجل". وبلغة بعض اليمانيين معِص "إذا غضب" (الحميري ١٩٩٩، ج ٩: ٦٣٤١). وعلى ضوء هذه المعاني، ربما تكون التسمية أن هذه القبيلة كانت كثيرة الترحال، أو ربما إنهم شديدو الحمية والغضب. والمرجح أن هذه القبيلة لديها مال كثير، أو أنها شديدة الحمية والغضب. ويقرأ الاسم على صيغة فعيل "معيص"، أو على صيغة فاعل "ماعص"، (انظر كذلك الذييب ٢٠٠٠ أ: ٥٥).

الشواهد:

ووردت علم على قبيلة في النقوش الصفوية (HCH 26, 17 ;69, 76, 77; Harding 1969)، كما عُرِف بصيغ أخرى هـ م ع ص ي من منطقة جبل سيس (CIS 27)، وعلى كل حال م ع ص عُرِف علم لشخص في النقوش الصفوية (JaS, ᶜArᶜar 122c). والثمودية م ع ص (Ph 182 b7 in van den Branden 1956:131؛ الذييب ٢٠٠٠ أ، نقش ٥٨: ٦٤).

و و ج م ع ل:

تُعَدُّ هذه العبارة من السياقات ذات الشيوع في النقوش الصفوية والثمودية، وعُبِّر في دلالتها عن عدة معانٍ، فقالوا في معناها مثلاً: "حُزْن، حَزِنَ، وضع حجارة" (Jamme 1967b: 159-172; Harding 1952, No. 503: 47; ARNA No. 82: 134؛ الذييب ١٩٩٩، نقش ٨٢: ٨٢-٨٣). وهناك رأيٌ مستند إلى الموروث اليمني لدلالة معنى و ج م ع ل "وكز"، "دفع" (Mᶜani and Sadaqah 2003: 654).

أ ن ع م:

اسم علم بسيط على صيغة أفعل، من الجذر ن ع م. ويقرأ الاسم **أنْعَم** أو **أنْعُم**، وهذا على ضوء ما جاء في كتب التراث. إذ جاء في كتاب الأصنام أنه دُفِع الصنم يَغُوث إلى **أنْعَم** بن عبد الله بن كثير بن الخارف بن عَمْرو، وكان الصنم بأكَمَة باليمن، يُقال لها مَذْحِج، تعبُده مَذْحِج ومَن والاها. وورد الاسم أيضاً بصيغة **أنْعُم** (ابن الكلبي، الأصنام: ٥٧، حاشية ٣؛ الهمداني ١٩٨٧، ج١٠: ٦٥).

الشواهد:

وورد في النقوش الصفوية (CIS 9; WH 397؛ الذييب ٢٠٠٣، نقش ٥: ٣٨)، والنقوش الثمودية (TIJ 481)، والعربية الجنوبية (Abdallah 1975: 30, 92; al-Said 1995: 66; Hay-ajneh 1998: 88)، وفي اللحيانية (Ryckmans 1934: 142)، وفي النبطية (al-Khraysheh 1986: 40)، وفي التدمرية (Stark 1971: 70).

أ س د:

اسم شخص مذكر. وهو كثير الشيوع في المصادر العربية.

الشواهد:

وورد في النقوش الصفوية (CIS 118; WH 35؛ الخريشة ٢٠٠٢، نقش ٢٢٦: ٦٠؛)، والنقوش الثمودية (TIJ 129). وفي العربية الجنوبية (Abdallah 1975: 27; Tairan 1992:61-63; Arbach 1993: 10; al-Said 1995: 57; Hayajneh 1998: 88)، ومؤنثاً بسيطاً في السبئية أ س د ت، وفي الحضرمية علماً مؤنثاً أ س د ع ك ب (Sholan 1999: 100, 101)، واسم قبيلة في المعينية أ س د ن (Arbach 1993: 10). في اللحيانية أ س د (أبو الحسن ١٩٩٧، نقش ١٩١: ٣٥٧)، وفي النبطية أ س د و (al-Khraysheh 1986: 44). في التدمرية أ س د و (Stark 1971: 73).

ع ق ر ب:

اسم شخص مذكر. جاء في الإكليل أن **بني عقارب** اسم قبيلة، ويُسمى أيضاً **عقرب** بن الربيعة بن سعد بن خولان، وهم من سادات بني ربيعة (الهمداني ١٩٨٦، ج ١: ٣٥٠-٣٥١).

الشواهد:

ورد بصيغته هذه في النقوش الصفوية (الذييب ٢٠٠٣، نقش ١٨، ٢٠: ٥٨، ٦٥؛ WH 175)، وفي النقوش الثمودية (Ph 160 a2 in van den Branden 1956:33). وفي السبئية والقتبانية (Abdallah 1975: 77; Hayajneh 1998: 192)، وفي اللحيانية (أبو الحسن ٢٠٠٢، نقش ٢٩٦/ ١: ٢٢٢)، وفي النبطية ع ق ر ب (Negev 1991, No. 938: 54). أما في التدمرية والحضرية عُرِف بصيغة ع ق ر ب ن (Stark 1971: 73؛ Abbadi 1983: 155).

النقش رقم ٣ (الشكل ٣):

عُثر على هذا النقش مع النقش رقم ٢ على حجر واحد، ومقابل بعضهما بعضاً.

ل و م ك بـن هـ ن أ م ن ت ذ ا ل م ع ص و و ج م ع ل أ ن ع م بـن أ

س د

الترجمة:

ل و م ك بن هـ ن أ م ن ت من قبيلة م ع ص و وجم على أ ن ع م بن أ س د.

التعليق:

و م ك:

اسم شخص مذكر. جاء في التاج الومكة هي "الفسحة" (التاج: و م ك)، وذكر الثعالبي في معاييب خَلْق الإنسان إذا اصطكت ركبتاه فهو أمَكٌّ (الثعالبي، فقه اللغة: ١٣٨). ربما أن تكون الواو منقلبة من الهمزة، وهذا يمكن الحدوث إذا انضمَّت أو انكسرت فيقال: أُجوه في وُجُوه، وأُجِّه في وُجِّه، وإسادة في وسادة وإعاء في وعاء (الحميري ١٩٩٩، ج ١: ٦٤).

الشواهد:

لم نعثر على شواهد لهذا الاسم.

هـ ن أ م ن ت:

اسم شخص مركب مع اسم الإلهة مناة. يعني "هبة مناة/ عطية مناة".

الشواهد:

وورد بصيغته هذه في النقوش الصفوية (Hazim 1986: 129)، وفي النقوش الثمودية بصيغة هـ ن م ن ت (Ph 351d in van den Branden 1956II: 106)، أما في المعينية فجاء بصيغة هـ ن أ (Arbach 1993: 54; al-Said 1995: 172)، والقتبانية بصيغتي هـ ن أ ت، هـ ن أ م (Hayajneh 1998: 260)، وبصيغتي هـ ن أ م، هـ ن أ ث و ن في السبئية علماً على مؤنث (Sholan 1999: 118)، في اللحيانية هـ ن أ (Ryckmans 1934: 74)، وفي النبطية بصيغتي هـ ن أ و، هـ ن ي أ و (al-Khraysheh 1986: 63)، هـ ن أ، هـ ن إ ل هـ ي، هـ ن أ ت (Negev 1991, Nos. 307, 309, 310: 22)، والتدمرية هـ ن أ ي (Stark 1971: 84)، والحضرية هـ ن ي (Abbadi 1983: 100).

النقش رقم ٤ (الشكل ٤):

كُتب هذا النقش على حجر بازلتي، وقد استخدم الكاتب أسلوب الحز الغائر على سطح الحجر بأداة مدببة وحادة، وكُتبت حروف هذا النقش بشكل وتري، وذات حجم كبير نسبياً، وغير متناسق، ورسم مع النقش عند بدايته سبعة خطوط صغيرة، والتي غالباً ما ترافق النقوش الصفوية.

ل م ع ن ن بن ز ج ر بن ش ر ب و ذ و ق خ ل هـ ف ر ث ي ف ر و ح ل ذ س أ ر ي ث ع ل هـ و ت ظ ر.

الترجمة:

ل م ع ن ن بن ز ج ر بن ش ر ب وَذُوِقَ (مات) خاله ي ث ع ل هـ، فرثاه، فرَوْحاً للذي سأر، وانتظر.

التعليق:

يُلاحظ أن كاتب النقش استدرك وكتب اسم خاله "ي ث ع ل هـ" قريباً من نهاية النقش، إذ إن المفروض أن يذكره بعد كلمة خ ل هـ.

م ع ن ن:

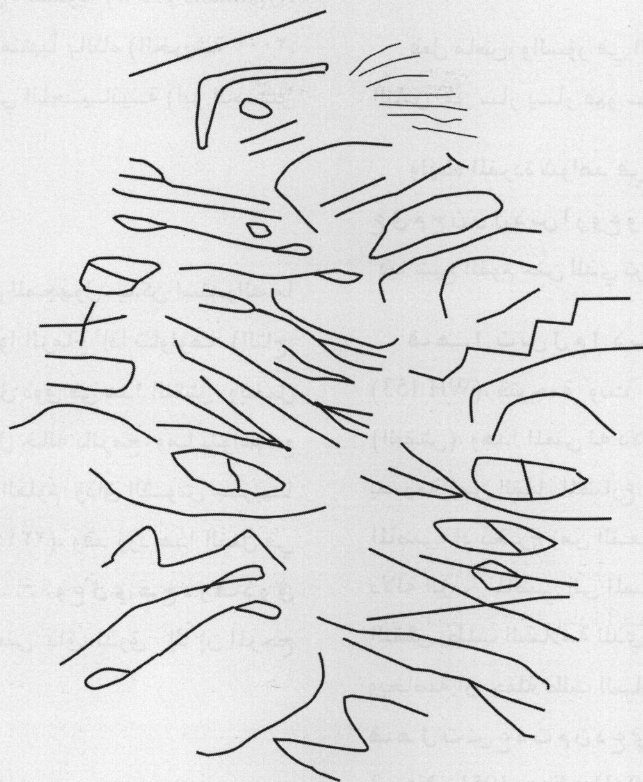
اسم شخص مذكر على صيغة اسم الفاعل من الجذر ع ن ن، ومُصاغ من الفعل المضارع المزيد يَعِنُّ والمُعِنّ "الخطيب المفوه" (التاج: ع ن ن)، وربما يظهر في الاسم فك الإدغام. أو أن يكون الاسم بصيغة اسم المفعول معنون، والمعنون "المجنون" (التاج: ع ن ن).

الشواهد:

وورد في الصفوية م ع ن ن ويقرأه (Oxtoby) مَعْنان وتبعه Jamme (Oxtoby 1968, No. 382: 99; JaS, ᶜArᶜar 105b; WH 1810, 3175)، تظهر أن هذه القراءة على صيغة فَعْلان، من الجذر م ع ن بزيادة ألف ونون، وهذه الصيغة تُلْحَق بالمثنى.

وورد في الثمودية بصيغة م ع ن ن اسم شخص (Ryckmans 1934: 131)، وكذلك بالصيغة ذاتها في الآرامية لكن المرقطن فسر الاسم من الجذر ع و ن "عون"، مشيراً إلى أنه منتهي بالنون (Maraqten 1988: 180). نرجح أن نعد هذا الاسم من الجذر ع ن ن، كما هو وارد في سياق الشرح الذي أبديناه.





نقش (٤) شكل (٤)

زج ر:

اسم شخص مذكر. وزَجَرَ "مَنَعَ ونهى"، ومن المجاز زَجَرَ الطير يَزْجُرُ زَجْراً "تفاءل، ويمكن أن يقرأ الاسم بصيغة اسم الفاعل "زاجر".

الشواهد:

وورد في النقوش الصفوية من هذا الفعل اسم شخص زج ر (حراحشة ٢٠٠١، نقش ١٤٦، ١٥٣، ٤٣٩)؛ الخريشة ٢٠٠٢، نقش ٤٩٨: ١١٠).

ش ر ب:

اسم شخص مذكر، يُقرأ على صيغة اسم الفاعل **شارِب** من قولهم في وصف الحيوانات الضعيفة حيوان شارب (التاج: ش ر ب)، وهنا وصف لحالة الوليد عند ولادته أنه هزيل ضعيف.

الشواهد:

ورد بصيغته هذه في النقوش الصفوية (:Ryckmans 1934 212)، وكذلك بصيغة **ش ر ب ت** منتهياً بالتاء (الخريشة ٢٠٠٢، نقش ١٣٩: ٣٩؛ CIS 1910)، وفي اللحيانية (أبو الحسن ١٩٩٧، نقش١٥٣/ ٢).

و ذ و ق:

فعل ماض مفرد مذكر مبني للمجهول. يمكن استدراك ما جاء في التاج من قولهم: وتذاوقوا الرماح "إذا تناولوها" (التاج: ذوق)، فهماً لأخذ صورة عن الفعل ذوق في هذا النقش. ويحمل هذا على معنى "القتل"، أي وقُتِلَ خاله بالرمح. وما يتواءم مع هذا المعنى ما ورد في شمس العلوم: وذاق القوس جربها بالرمي (الحميري ١٩٩٩، ج ٤: ٢٣١٥). وقد ورد هذا الفعل في نقوش صفوية أخرى مثل: **ل و د. . . . و ع ل ي هـ ج د ر ف ذ و ق** (SIJ 730)، ويترجمها الناشر بمعنى "ذاق، تذوق"، إلا إن المرجح لدينا أن تكون بمعنى "مات".

خ ل هـ:

اسم مفرد مذكر مضاف إلى ضمير المفرد الغائب المذكر ويعني "خاله".

ف ر ث ي:

فعل ماض مفرد مذكر على وزن فَعَل، مسبوق بحرف العطف الفاء، والرَّثية هي "الضعف"، ورَثَيْتُ الميت "بكيته، وعددت محاسنه (التاج: ر ث ي). ورثى لفلان "إذا رَقَّ" (الحميري ١٩٩٩، ج ٤: ٢٤١٢).

ف روح:

مفعول مطلق، مسبوق بحرف العطف الفاء، رَوْحاً، فالرَّوح بمعنى "الراحة والسرور، والاستراحة من غم القلب، وهي الرحمة كذلك"، وهذا في قوله تعالى: (لا تيأسوا من روح الله (أي من رحمته (التاج: روح). ونشير إلى دراسة الملكاوي الذي ناقش فيها الصيغ الطلبية في النقوش الصفوية، ومنها "روح" و "رح" فَبيَّنَ أنهما إما أن تأتيا كصيغة اسمية، بمعنى "الراحة"، أو صيغة أمر أرِح، والتي بمعنى "رَوِّح، أرِح" (الملكاوي ١٩٩٧: ٨٢-٨٥).

س أ ر:

فعل ماض، والسؤر في العربية "البقية"، وسائر الناس "بقية الناس" من سأر يسأر فهو سائر (التاج: س أ ر).

ولهذه المفردة شواهد في النقوش الصفوية فمثلاً: **ف هـ ش ع ق م ح ن ن ل ذ س أ ر و ع و ر ذ ع و ر هـ س ف ر** (WH 151a) "فيا شيع القوم حَنِّن للذي ترك، وعَوِّر الذي يُعَوِّر النقش".

ف هـ ل ت س ل م ل ذ س أ ر و ع و ر ل ذ ي ع ث هـ س ف ر (WH 153)، فترجمة "ونت" Winnett كانت بمعنى "الذي يترك (النقش)، وهذا المعنى له دلالته، إلا أن ترجمة الفعل ظهرت بصيغة زمن الفعل المضارع، وحقيقة الفعل هي صيغة الفعل الماضي؛ إذ يخرج زمن الفعل الماضي في السياق الطلبي من دلالة الزمن الماضي إلى المستقبل. ولعلنا نجتهد في أن كاتب النقش يطلب السلامة للذي أبقى النقش سالماً في المستقبل، وبخاصة أن جملة طلب السلامة بصيغة الفعل الماضي، [فمثلاً: **ف هـ ل ت س ع د ت م ن د ع ي هـ س ف ر** (LP 687؛ انظر كذلك CIS 654 ؛HCH 83 ؛CIS 4279 ؛Harding 1951, No. 3؛ CIS 3709؛ LP 305 ؛CIS 1936 ؛CIS 4961)]؛ والعور للذي يُخَرِّب النقش، ففي جملة الدعاء بالسوء تكون بصيغة الفعل

المضارع في الغالب]، فمثلاً: وع ورل ذي ع ور هـ خ ط ط (CIS 2113, 2775; LP 570؛ انظر كذلك CIS 2955, 4696؛ LP 179; LP 210؛ Clark 1985, No. 2؛ CIS 1841, 3648؛ 4403, 4696]:WH 370)، ووردت هذه الدلالة بصيغة الفعل الماضي، [مثلاً: وي ع ور م ن ع ور هـ س ف ر (CIS 1957؛ انظر كذلك CIS 2213؛ WH 1679؛ CIS 2379؛ Clark 1987, No. 3)]، وهناك نقوش جمعت بين الصيغتين طلب السلامة، وطلب النقمة والدعاء بالسوء، [مثلاً: و هـ ل ت س ل م ل ذ س أ روع ور هـ ل ت ون ق أ ت ب وق د ل ذ ي ع ور هـ س ف ر (CIS 1936؛ انظر كذلك CIS 4279، ف هـ ل ت غ ن ي ت ور خ م ت ف هـ ل ت ن غ ل ل ذ خ رص وع ور ل ذ ي م ث ل هـ س ف ر (CIS 2163)].

فيُلاحظ إذا كان الدعاء بالخير يكون الفعل المستخدم فعلاً ماضياً، وخرج في السياق الطلبي إلى الزمن المستقبل. والدعاء بالشر يكون الفعل المستخدم بصيغة الفعل المضارع، كما ورد استخدام الفعل الماضي لهذا الغرض أيضاً.

ي ث ع ل هـ:

اسم علم مركب مع صيغة مختصرة لاسم إله. ويمكن أن يُقرأ العنصر الأول يَثْيع أو يُثَيْع. إذ ورد في العربية يَثْيع بن الهُون بن مُلَيح بن حُزَيْمة (ابن حزم ١٩٦٢: ١٩٠)، يُثَيْع بن سُلَيم (G. Nasab: 597b).

الشواهد:

ورد العلم بصيغة الجملة الاسمية، هكذا ع ب د ي ث ع في النقوش الصفوية (Hazim 1986: 82)، ويمايز "أوكستوبي" Oxtoby في قراءة الاسم في كونه اسم إله ويقرأه ي ث ع "يثَع"، أو اسم شخص لشخص ويقرأه ي ث ع "يَثيع" (Oxtoby 1968, No. 3: 36; WH 23)، واسم شخص ي ث ع "يَثيع" (CIS 69; Oxtoby 1968, No. 3: 36؛ الخريشة ٢٠٠٢، نقش ٦٣: ٢٦)، ي ث ع ت (Ryckmans 1934: 112). ويرد اسم الإله بصيغة أخرى أ ث ع (CIS 1936, 2019, 3931).

وفي النقوش الثمودية ي ث ع أ م ر اسم شخص مركب (Jsa 379 in Jamme 1967a: 55)، ي ث ع ت اسم شخص (Hu 312 in Jamme 1967a: 51)، ي هـ ث ع (Ryckmans 1934: 112).

وفي السبئية ي ث ع ن، وبصيغة يُهَفْعِل ي هـ ي ث ع (Ryckmans 1934: 112)، وجاء العنصر ي ث ع مركباً مع إ ل، أ م ر، ر د م، ك ر ب، ي ف ع، كما ورد الاسم ي ث ع م (Tairan 1992: 235-239; Arbach 1993: 160; al-Said 1995: 181)، وورد اسم شخص مؤنث ي ث ع في المعينية (al-Said 1995: 223)، وكذلك ي ث ع م، (ي) ث ع ت في القتبانية (Sholan 1999: 159)، م ي هـ ث ع (Ryckmans 1934: 112)، وجاء صفة لاسم شخص في المعينية هـ و ف ن ي ث ع (Arbach 1993: 160). في اللحيانية ي ث ع (Ryckmans 1934: 112)، أ م ت ي ث ع ن (أبو الحسن ١٩٩٧، نقش ٨١/ ٣: ٢٢١).

وفي النبطية ي ت ع و (al-Khraysheh 1986: 97). في الأوجاريتية ي ث ع (Grondahl 1967: 147). في الآرامية ي ش ع ا، ي ت ع و (Maraqten 1988: 222).

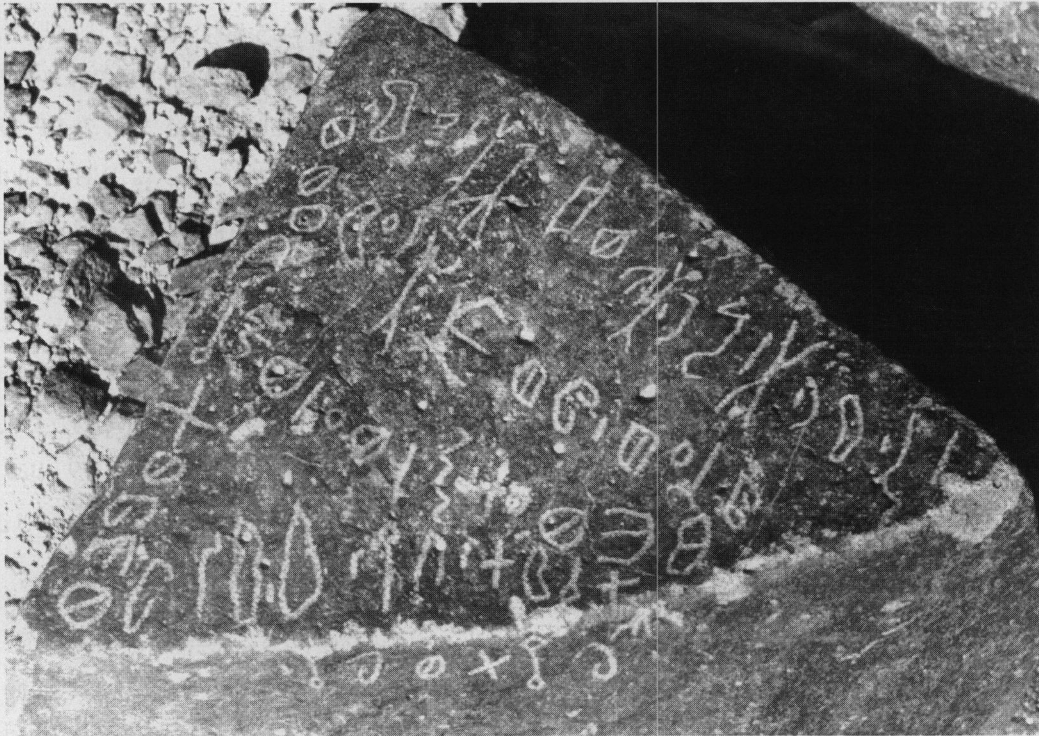
و ت ظ ر:

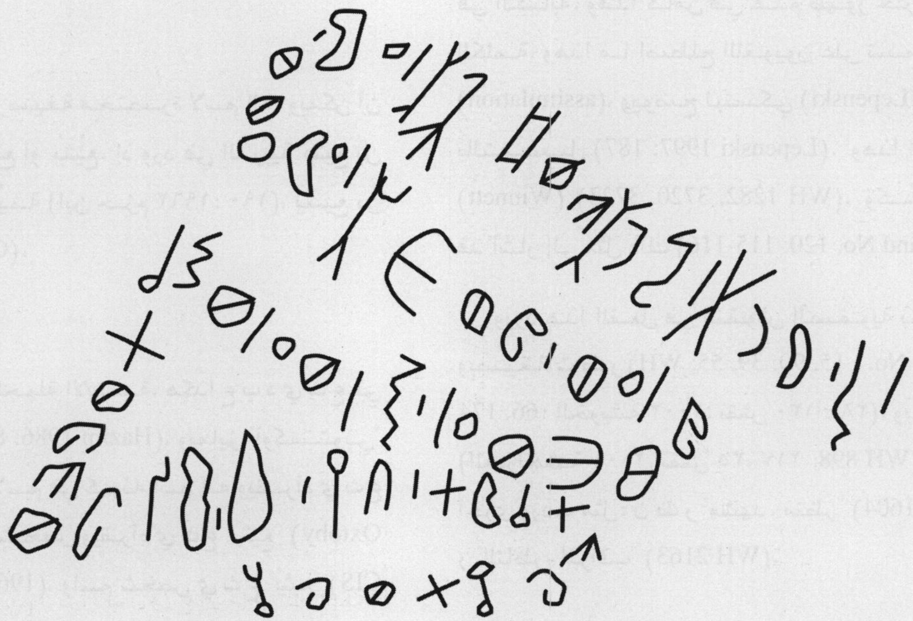
هذا الفعل يحمل ظاهرة من الظواهر الصوتية والمُعَبَّر عنها في الكتابة. وهذا كامن في عدم ظهور حرف من حروف الكلمة، وهذا ما اصطلح اللغويون على تسميته الإدغام (assimilation)، ويوضح لبنسكي (Lepenski) هذه الظاهرة بالتفصيل (Lepenski 1997: 187). وهذا الأمر نوه إليه (Winnett) (WH 1282, 3720, 3723). وكان (Littmann) قد أشار إلى مثل ذلك (LSI: 117, and No. 120: 115-116).

ويرد هذا الفعل في النقوش الصفوية بصيغة ن ظ ر وبصيغة ت ظ ر (WH; Oxtoby 1968, No. 15, 90: 39, 55; 66, 174؛ الخريشة ٢٠٠٢، نقش ١٣٠أ: ٣٨). وبصيغة ت ن ظ ر (الحراحشة ٢٠٠١، نقش ٣٥، ٢١٧ :WH 898)، وهناك معان أخرى وردت مثل: ن ظ ر "مشهد، منظر" (WH 1604)، هـ ن ظ ر "الناظر، المراقب" (WH 2163).

النقش رقم ٥ (الشكل ٥):

كُتب هذا النقش على سطح حجر بازلتي، وقد بدأ كاتب النقش من أعلى الحجر من اليمين وظهر بشكل لولبي، وهذا ما يعرف بخط المحراث. وقد استخدم الكاتب أسلوب الطرق على أداة مدببة أو حادة في الكتابة؛ ولهذا بدا اختلاف في رسم أشكال الحروف مثل: حرف الغين في اسم الشخص غ ن





نقش (٥) شكل (٥)

م، وحرف الغين في الفعل رغ، وحرف الميم في الاسم م ن ي، والفعل م ي ت. كما أن هناك اختلافاً في شكل حرف الراء، كما يبدو في اسم الشخص أ ح و ر ن، والفعل رح.

ل غ ن م بـن خ ل ف بـن أ ح و ض ذ ا ل ع م ن و وج م ع ل ح و ر ن و ع ل ر و ح و ع ل ن ش ل و ع ل و ش ي ت و ر ح و ر غ م ن م ن ي س ن ت م ي ت ح ر ث ت و ر ص.

الترجمة:

ل غ ن م بن أ ح و ض من قـبـيلة ع م ن و وجم على **ح و ر ن** وعلى **ر و ح** وعلى **ن ش ل** وعلى **و ش ي ت**، راح وراغ من مكان خارج مكان السكن، سنة مات **ح ر ث ت**، ووضع حجارة على القبر.

التعليق:

غ ن م:

علم بسيط، يمكن أن يكون على وزن فَعْل، فاعل، فَعَّال صيغة المبالغة لاسم الفاعل، على ضوء صيغ الأعلام الواردة في المصادر العربية، ففي العربية **غَنْم** و**غنَّام** (ابن حزم ١٩٦٢: ١٩١، ٣٥٧)، وورد الاسم كذلك على صيغة اسم الفاعل، غانم (G. Nasab: 272a).

الشواهد:

جاء هذا العلم في عدد من النقوش الصفوية (Oxtoby 1968, No. 91, 196: 55, 72؛ حراحشة ٢٠٠١، نقش ١٢٤: ٦٤؛ الخريشة ٢٠٠٢، نقش ١٠٠: ٣٤). وفي الثمودية (TIJ 228, 494؛ السعيد ٢٠٠٣، رقم ٣: ٨٩)، وفي القتبانية (Hayajneh 1998: 208)، في حين ورد في السبئية بصيغتين شخص **غ ن م ن** (Ryckmans 1934: 175)، و ي غ ن م، وكذلك جاءت صفة بعد اسم الشخص، واسم نسبة **ب ن و/ غ [ن م] م** (Rrckamns 1943: 175; Abdallah 1975: 80, 99)، واسماً مؤنثاً في السبئية **غ ن م م** (Sholan 1999: 116). في النبطية **غ ن م و** (al-Khraysheh 1986: 164).

خ ل ف:

اسم علم بسيط. معروف المعنى والدلالة.

الشواهد:

ورد بصيغته هذه في النقوش الصفوية (الذييب ٢٠٠٣، نقش ١٩، ٣١: ٦٠، ٧٨)، وفي النقوش الثمودية (TIJ 14, 279؛ الذييب ٢٠٠٠ أ، نقش ٥، ١٢: ٢٢، ٢٩). أما في السبئية فجاء بصيغة **خ ل ف م** (Tairan 1992: 107)، و**خ ل ف ن** (Ryckmans 1934: 104)، في اللحيانية (أبو الحسن ٢٠٠٢، نقش ١٩٧/ ٨: ٢٩-٣٠؛ Ryckmans 1934: 104)، وبصيغة **خ ل ف و** في النبطية (al-Khraysheh 1986: 84)، في التدمرية بصيغ **ح ل ي ف ا، ح ل ي ف ي، ح ل ي ف ت** (Stark 1971: 88)، وفي الآرامية بصيغتي **ح ل ف و، ح ل ف ت هـ** (Maraqten 1988: 165). وهو معروف حتى هذه الأيام.

أ ح و ض:

علم بسيط على صيغة أفعل، من الجذر ح و ض، والحوض معروف "مجمع الماء"، وبه سُمِّي؛ لأن الماء يحيض إليه أي يسيل؛ أو من حاض الماء يحوضه حوضاً إذا جمعه (التاج: ح و ض). ربما تكون التسمية من باب التفاؤل بالمولود أنه جامع للخير.

الشواهد:

لم نعثر على شاهد تمثل هذه الصيغة. وإنما كان هناك شواهد من اشتقاق الجذر.

ورد في النقوش الصفوية شخص بصيغة **ح و ض** (JaS, ᶜArᶜar 166; Clark 1979, No. 787: 353). في النقوش السبئية **ح و ض** (CIH 403/ 1)، وفي التراث اليمني ورد ذو **أُحَاظَة**، و**حَاظه** بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد (Abdallah 1975: 50؛ الهمداني ١٩٨٦، ج٢: ٢٤٣)، ويحيى **الوحاظي** من رواة الحديث (التاج: غ و ر).

ع م ن:

اسم قبيلة، ولعل التسمية في الأصل قائمة على أصل المعنى في قولهم: عَمَنَ به "أي بالمكان" وعَمِنَ يَعْمَنُ "أقام"، ومنه اشتقاق عُمَان (المخصص، م٣، سفر ١٢: ٦٥). وقد وردت اسم قبيلة **ذ أ ل ع م ن** (Clark 1968, No. 1004: 402). ويمكن مقارنته بالعلم المعروف في المصادر العربية بصيغة "**عامان**"

(G. Nasab: 155b).

ويجدر بنا الإشارة إلى أن هذه الصيغة عُرِفَت علماً لشخص في النقوش العربية الشمالية (الصفوية والثمودية) (TIJ 520; WH 903a, 1490, 2186; Ryckmans 1934: 166; Ph. 165 p in van den Branden 1956: 67)، وورد كذلك في الثمودية منتهياً بالياء ع م ن ي (Ryckmans 1934: 166)، في النبطية بصيغة ع م ن و (al-Khraysheh 1986: 144). وورد كذلك اسم مكان في الثمودية ع م ن وأشار الذييب إلى أنه اسم عاصمة الأردن عَمَّان، كما استعرض عدداً من المقارنات لهذا الاسم (الذييب ٢٠٠٢، نقش ٣٨: ٥٥-٥٩)، والمعينية ع م ن اسم مكان (Arbach 1993: 19)، و اللحيانية ذ ع م ن (أبو الحسن ١٩٩٧، نقش ٦/ ٣، ٣٣/ ٥).

في الأوجاريتية ع م ن، ويقارنها "هوفمان" Huffmon بالاسم الآموري، ومشيراً بذلك إلى amminu, hamman, 3/ hammanum (Gröndahl 1967: 109)، إلا أن هذه الصيغ لم ترد لدى هوفمان، وإنما وردت صيغ مشابهة (Huffmon 1965: 197).

ح و ر ن:

اسم شخص مذكر على وزن فَعْلان من الجذر ح و ر، بمعنى "عاد، رجع".

الشواهد:

عُرِف بصيغته هذه في النقوش الصفوية (الخريشة ٢٠٠٢، نقش ١٠٠: ٣٤؛ WH 1295)، وفي النقوش الثمودية بصيغة ح ر ن (Ph 279 m in van den Branden 1956II: 49)، وفي اللحيانية، ح ر ن (أبو الحسن ٢٠٠٢، نقش ٣٠٠/ ١: ٢٢٦)، وجاء في النبطية ح و ر و (al-Khraysheh 1986: 78).

ر و ح:

اسم علم بسيط. جاء في المصادر العربية على فَعْل مثل: رَوْح (ابن حزم ١٩٦٢: ٣٦٥) لذا نرجح القراءة على تلك الصيغة.

الشواهد:

وورد في النقوش الصفوية ر و ح (WH 1118, 1139+1140, 1142). بينما جاء في النقوش الثمودية بصيغة ر ح (Ph 160 n22 in van den Branden 1956: 53). وبصيغة ر ي ح في المعينية (al-Said 1995: 113)، وبصيغة ر و ح و في النبطية (al-Khraysheh 1986: 164)، وبصيغتي ر و ح ا، ر و ح ب ل في التدمرية (Stark 1971: 111).

ن ش ل:

اسم علم بسيط، ويُقرأ الاسم على صيغة المبالغة لاسم الفاعل نَشَّال وهو "مَن يأخذ حرف الخردقة فيغمسه في القدر فيأكله دون أصحابه"، هذا هو الأصل، ثم أُطْلِق على المختلس من اللصوص. وذلك من أصل المعنى للجذر التي تُعني الأخذ والجذب (التاج: ن ش ل).

الشواهد:

ورد في النقوش الصفوية (CIS 516; WH 12; Oxtoby 1968, No. 362: 95؛ حراحشة ٢٠٠١، نقش ٦٩٢)، و الثمودية (TIJ 421, 475; King 1990, KJB 147: 286, KJC 620: 432)، والسبئية (Ryckmans 1934: 144)، وفي اللحيانية (أبو الحسن ١٩٩٧، نقش ١٣٠/ ١: ٢٩٢)، وفي النبطية عُرف بصيغة ن ش ل و (Negev 1991, No. 759: 45).

و ش ي ت:

علم بسيط، من الجذر و ش ى، وَشَى الثوب يشيه وشياً وشيه "حَسَّنَه"، والشِيَّة "كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره (التاج: و ش ى). هنا إشارة إلى أن المولود وُلِد به لون مخالف.

الشواهد:

ورد في النقوش الصفوية (الخريشة ٢٠٠٢، نقش ١٩٢: ٥٤؛ CIS 1532). في حين ورد بصيغة و ش ي في النقوش الثمودية (Ph 266 i in van den Branden 1956II: 21)، وفي والنبطية بصيغة و ش و (Negev 1991, No. 358: 25).

و ر ح:

فعل ماض مذكر مفرد على وزن فَعَل، مسبوق بحرف

عطف. جاء في المعجم العربي: أراح الإبل "ردها إلى المراح"، وقد أراحها راعيها يريحها، وفي حديث عثمان -رضي الله عنه-: روَّحتها بالعشي إلى مراحها، والمُراح "المُناخ" أي المأوى حيث تأوي الإبل والغنم بالليل، وأراح الرجل إراحة وأراحاً، إذا راحت إبله وغنمه وماله؛ ولا يكون ذلك إلا بعد الزوال. وفي الحديث: فقد رأيتهم يتروحون في الضحى؛ أي احتاجوا إلى الترويح من الحر بالمروحة، أو يكون من الرواح العود إلى بيوتهم (التاج: روح).

وهناك إشارة من قبل "ليتمان" إلى وجود الفعل **ر و ح**، وبصيغة أخرى **ر ح** بمعنى "راح، ذهب"، أورد ذلك من خلال شرح الصيغ الفعلية في النقوش الصفوية (LSI: 117, indices: 230)، كما ورد هذا في النقش الصفوي التالي: **ل أ ح ل م بن ش ع ب ن و ر ح** "بواسطة أ ح ل م بن ش ع ب ن، وراح "ذَهَبَ" (Clark 1979, No. 818: 359).

استقراء للنقش الذي نشره أوكستوبي: **ل ف ل ط ت ب ن د ح م ت و أ ر ح ف ح و ل ت (و) ش ر ع ب ن م ك ب ر و ر ع ي م ح ر ب**، والذي ترجمه على النحو التالي:

" By Falitat b. Dahmat. And he gave [the animals] rest in hawalat. And he traced a path among large [stones]. And he pastured at Muharib". (Oxtoby 1968, No. 79: 52).

الترجمة العربية للنص الإنجليزي: بواسطة فالطة بن دمحت. وأعطى [الحيوانات] قسطاً من الراحة في حوالت. وتتبع الطريق بين [الأحجار] الكبيرة. ورعى في محارب".

ومن خلال الترجمة، يلحظ أن معنى **أ ر ح** "أراح [الحيوانات]"، وعدَّ كل من **ح و ل ت** و **م ح ر ب** اسم علم على مكان، و **ش ر ع** "خَطَّ طريقاً"، وفسَّر **م ك ب ر** بمعنى "حجارة كبيرة". يبدو أن "أوكستوبي" لم يكن موفقاً في تفسير تلك المفردات في النقش؛ إذ نرى أن معنى لها دلالة أراح الإبل "ردها إلى المراح"، وهذه الدلالة قد أشار إليها أوكستوبي (Oxtoby) في النقوش المنشورة في مدونة النقوش الصفوية (CIS 1989, 2072, 2570, 3878, and 4341) بقوله: رح "ذَهَب، راح"، استخدمت لتصف ترحال الرجال".

إلا أن معنى **ر ح** في (CIS 2570) يحتمل معنى "رد ما كان يرعى إلى المراح"، وليس "ذهب". أما بخصوص **ح و ل ت**، نرى إنها اسم جنس من الجذر **ح و ل**، وجاء في التاج الحال "الطين الأسود" من حال إذا تغير، وأيضاً تحمل معنى "التراب اللين" الذي يُقال له السهلة (التاج" ح و ل). في حين أن **م ك ب ر** ربما يكون لها دلالة على الأرض الزراعية والزراعة، فقد ذكر التاج أن أبا حنيفة استعمل في وصف البسر ونحوه من التمر كلمة الكبر، ويقال علاه المكبر (التاج: ك ب ر). ولعلنا نجتهد أيضاً أن **م ك ب ر** أرض في أول نتاج لها، إذ جاء في وصف الأرض في تقدم إنباتها في قول أبي حنيفة: "إذا كانت الأرض معجلة النبات في إنبات الأرض قيل أرضٌ مِبْكار" (المخصص، م ٣، سفر١٠: ١٥٩)، ولعل ذلك من دلالة أكبرت في وصف المرأة إذا حاضت، وبه فسَّر مجاهد قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾(يوسف ٣١)، أي "حِضْنَّ" (التاج: ك ب ر؛ الحميري ١٩٩٩، ج ٩: ٥٧٤٨)، ووضح ذلك الأزهري بقوله: إن المرأة إذا حاضت أول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغر إلى حد الكبر، فقيل لها أكبر؛ أي "حاضت" (التاج: ك ب ر). ويسوق اللسان بيتاً من الشعر يوضح فيه هذه الدلالة (ابن منظور: ك ب ر):

نأتي النساءَ على أطْهارِهِنَّ، ولا نأتي النساءَ إذا أكْبَرْنَ إكبارا

وفي هذا يقال: إن المرأة اشتدت شهوتها سال دم حيضها (الدرويش ١٩٩٩، مجلد ٣: ٥٢٥).

وتبعاً للسياق، يتم مناقشة **م ح ر ب** على أنها ذات علاقة بالأرض الزراعية. سنبدأ الحديث مما يصفه الفلاحون لناحية السَّهْم "الأرض التي تعد للزراعة"، أن ما جاء في آخر السَّهْم (أي البعيد) منحنياً غليظاً غير سهل يُقال له محراب، وكذلك الحرباء "النشر من الأرض وهي الغليظة الصلبة"، ولذات الدلالة؛ فالمحراب "الموضع الذي ينفرد به الملك فيتباعد عن الناس"، وكذلك محراب المسجد. وهذا يتفق مع أصل المعنى لهذه الكلمة وهو "الانحراف" (النَّحَّاس ٢٠٠٣: ٥٦) ومن قولهم: الحِربة "فساد الدين" (التاج: ح ر ب)، والمقصود الانحراف والابتعاد عن الدين.

وعلى ضوء ذلك، نقترح معنى النقش أن يكون على النحو التالي: بواسطة **فلطة** بن **دحمة** أراح/ ردَّ [الحيوانات] في أرض سهلة [خصبة]، وشرع السير بين أرض مِبْكار، ورعى

[أرض]محراب. أي إن الرعي كان ما بين أرض سهلة، وأرض في أول نتاجها خصبة، وأرض غير سهلة.

وللفعل رح الدلالة ذاتها في النقوش الثمودية. وردت **روح** فعلاً بمعنى "سافر، ذهب، راح" ١- **روح ن ش و ث** ٢- **ب ن ح ب ب** ٣- **ذ ن ك ل** (Dghty 9 in van den Branden 1950: 415). جاءت اسماً بمعنى "رحلة" **وخ م ي ذ ت ن ع ل م رح خ م** (HU 513 in van den Branden 1950:255).

و رغ:

فعل ماض مفرد مذكر مسبوق بحرف العطف الواو. ورَاغ "عَدلَ ومال"، قال الله تعالى: ﴿فراغ إلى آلهتهم﴾ (الصافات: ٩١)، ﴿فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين﴾(الذاريات: ٢٦)، بمعنى "مال وانحرف في استحياء وخفاء وعدل إليهم سراً (الحميري ١٩٩٩، ج ٤: ٢٦٨٢؛ التاج: روغ).

م ن ي:

اسم جنس. ويرد هنا بالصيغة الكاملة، ففي السبئية ورد بصيغة **م ن** من الجذر **م ن ي** بمعنى"فناء خارجي (لحرم أو معبد) (المعجم السبئي: ٨٦)، وبالصيغة ذاتها ورد في المعينية **م ن**، وفسَّره "السعيد" على ضوء السبئية (السعيد ٢٠٠٣: ٧٨). أما في الثمودية، فقد فسره المعاني وصدقة في ضوء رؤية جديدة لمعنى م ن في عبارة **رغ م م ن** بمعنى "مكان محدد خارج مكان التخييم يجتمع فيه الناس لأغراض خاصة" وهذا على ضوء السبئية، ومقارنة باللفظة مِنى في العربية والتي تعني "أي مكان يتجمع فيه الناس (Maani and Sadaqah 2003b: 647؛ انظر التاج: م ن ي) وهذا الاسم يؤكد المعنى المقترح من قبل المعاني وصدقة. إذ إن صاحب النقش راح وراغ من هذا المكان سنة مات **ح ر ث ت**.

وثمة تساؤل عن معنى العبارة **رغ م ت م ن ي**، الواردة في الصفوية يُشار من خلاله إلى أن م ن ي، لها دلالة على مكان؛ التي فسّرها الذيب بـ "عِفتُ الموت". فيما نرى أن سياق النقش ربما يوحي بغير ذلك: **ل خ ر ص بن ن ز ر بن ظ ع ن و ب ن ي ع ل ع ز ت و رغ م ت م ن ي**. وتفسير الذيب كان على النحو التالي:" بواسطة خرص بن نزار بن ظَعْن، وبَنَى (رجماً) على عزَّة وعِفتُ الموت (اشمأززت من الموت) (الذيب ٢٠٠٣، نقش ٤٢: ٩٢، ٩٥-٩٦).

يُلحظ أن اعتماد الذيب في تفسير الفعل **رغ م** على المعنى الوارد في العربية، إذ جاء الرغم "الكره"، ويشير التاج إلى سياقات مختلفة مقاربة لهذا المعنى، ويعقب بعد كل واحد منها أن هذا الاستعمال من المجاز. ويذكر التاج وأرغمه الذل بمعنى "ألصقه بالرغام" وهذا هو أصل المعنى، إذ أن معنى الرغام "التراب، تراب لين، الثرى، رمل مختلط بتراب"، ثم استعمل بمعنى الذل (التاج: ر غ م).

وعلى ضوء ذلك، فإن من الأولى الاعتماد على معنى الأصل، وبخاصة أن السياق ينسجم مع هذه الدلالة. واستناداً إلى هذه الدلالة، يكون المعنى "ألصقت (وجهي) التراب، الأرض (حزناً)" (Ma^{c}ani and Sadaqah 2003b: 647). ومما نتكئ عليه أيضاً لإبراز هذه الدلالة، فلدينا شاهد ورد بصيغة اسمية على مكان **م رغ م** "مكان التراب والحصا" (WH 999). أما **م ن ي** فنرى فيها دلالة على مكان، كما ورد سابقاً. فيكون المعنى "ألْصَقْتُ (وجهي) بتراب مني". وتتجذر هذه الدلالة من سياق النقش **ل م ل ك ت بنت X ض م ت و رغ م ت م ن ي ع ل ب ن هـ م س ب ي** (الذيب ٢٠٠٣، نقش ٤٣: ٩٦)، لذا نرى أن يُترجم النقش على النحو التالي: "بواسطة **م ل ك ت** بنت X **ض م ت**، ألْصَقَتْ "وجهها" بتراب مني، (حزناً) على ابنها المسبي".

س ن ت:

اسم جنس بمعنى "سنة ".

وورد في النقوش الصفوية (Oxtoby 1968, No. 57: 47؛ الخريشة ٢٠٠٢، نقش ١٧: ١٧). أما في النقوش النبطية فعرف بعدة صيغ؛ مفردة هي: **س ن ت، س ت**؟، وبصيغة الجمع س ن ي ن (الذيب ١٩٩٨، النقش ٤/١: ٢٣٣؛ ٢٩، ٣٣؛ ٣٠٩).

م ي ت:

فعل ماض على وزن فَعَل بمعنى "مات". كما هي العادة في النقوش الصفوية إذا كانت عين الفعل الأجوف ياء؛ فإنه يماثل حرف المد الألف للفعل الأجوف في العربية، مثل **ع ي د** بمعنى "عاد" **س ل م ل ذ ع ي د** (CIS 654)، والمعنى "سلامة للذي عاد"، **و ع ي د أ هـ ل هـ ب ح ب س** (CIS 1871) والمعنى " وعاد

أهله بحبس". وفي الحالة الاسمية يلحظ ظاهرة الإبدال، إذ تُقْلَب الواو ياء وتدغم مع الياء الأولى إذا اجتمعتا وسبقت الأولى منهما السكون أيَّتهما كانت، فأصل مَيِّت مَيْوِت ← مَيْيِت > مَيِّت (انظر الحميري ١٩٩٩، ج ١: ٥٩).

ورد الفعل بصيغته هذه في النقوش الصفوية (WH 387)، وبصيغة اسمية على النحو م ت "مَوْت" (Oxtoby 1968, No. 154: 66; WH 1243).

أما في النقوش الثمودية، فقد عدَّ "براندن" ح ر ث ت م ت اسماً بمعنى "موت" (Ph 163 k1 in van den Branden 1956: 62)، فإننا نرى إمكانية عده فعلاً ماضياً يعني "مات"؛ وقد ورد متصلاً بتاء التأنيث م ت ت "ماتَتْ" (TIJ 522)، وورد اسماً بصيغة م ت "مَوْت" (Ph 247 in Jamme 1967a: 22). وفي معنى مختلف م ت تحمل معنى "تحالف": **ص ر خ ب ق ر د س ل ت (م و) ع م ت م ج ن أ**، "Sarih, son of Qard, has asked) Jsa) c [and] tried to ally himself to Magna>'s (amwa)T" (428 in Jamme 1967a: 60)، ترجمة النص الإنكليزي: "صريخ بن قرد، سأل ت(موع) [و]حاول ليحالف نفسه مع مجنأ"

وفي النقوش النبطية م و ت اسم بحالة الإطلاق (الذييب ١٩٩٨، نقش ١٩٨/ ٦: ٢٢١، ٢٢٤)، وفعل ماضٍ متصل بتاء التأنيث م ي ت ت (الذييب ١٩٩٨، نقش ١٨٨/ ٥: ١٦٠).

ح ر ث ت:

اسم علم بسيط. وهو كثير الشيوع في المصادر العربية على صيغة اسم الفاعل حارثة (ابن حزم ١٩٦٢: ٥٤٩)، وآل باحارثه من قبائل كندة (المقحفي ٢٠٠٢، الجزء ١: ٣٨٧).

الشواهد:

وورد في النقوش الصفوية (CIS 788; الخريشة ٢٠٠٢، نقش ٧٨: ٢٧)، وفي الثمودية (Ph 163 k1 in van den Branden 1956: 62)، في النبطية (انظر: الذييب ١٩٩٨، نقش ١٩٠/ ٨؛ al-Khraysheh 1986: 91, 92). في السبئية اسم قبيلة **ذ أ هـ ل/ ح ر ث** (مكياش ١٩٩٣: ٤٣). في اليمانية (في الموروث اليمني) **حُـرَث** (Abdallah 1975: 43). أما في التدمرية فعُرف بصيغة ح ر ت ا اسم إله استعمل اسم شخص (Stark 1971: 90).

و ر ص:

فعل ماض، من الجذر رص ص، بمعنى "رصُّ الحجارة، وركمها على القبر"، وهو من معنى رصه "ألزق بعضه ببعض" (التاج: ر ص ص). وهنا نشير إلى النقش الثمودي **ذ ن م ن ت ر ص** والذي ترجمه "جام" Jamme "Has perished Man. He was Strong" (Ph 370 in Jamme 1967a: 30)، عاداً حرف التاء من **ت ر ص** من أصل الكلمة، وهذا له دلالته في المعجم العربي، إذ إن معنى ترص "محكم شديد" (التاج: ت ر ص). ويمكن أن تُفَسَّر **ت ر ص** على إنها فعل مضارع للمفرد المخاطب بمعنى "تضع حجارة"، وهذا على ضوء الجذر ر ص ص، والمعنى "هذا (أنت يا) م ن تضع حجارة". ونقش ثمودي آخر: **ن ي ك هـ ن أ غ ل م ت ع ص ف س ت هـ و ر ص ت و ب ن ي و ب ر د خ ط ط** (King 1990, KJA 28: 26)، والمعنى كما نجتهد "فلان فعل كذا وكذا، رصت/ ركمت (الفتاة حجارة)، وأقام (هو) ونقش الكتابة". فمعنى ب ن ي "أقام، عمل، بنى"، وب ر د "سَحَل، قطع" (التاج: ب ر د).

النقش رقم ٦ (الشكل ٦):

ل ح ج ب ن م ن ع ت ب ن ع م ر ب ن ج ر م ب ن ث ر ل ب ن ح ص د ذ أ ل م ع ص و و ج م ع ل ج ل س و ع ل غ س م و ع ل ي ت م.

الترجمة:

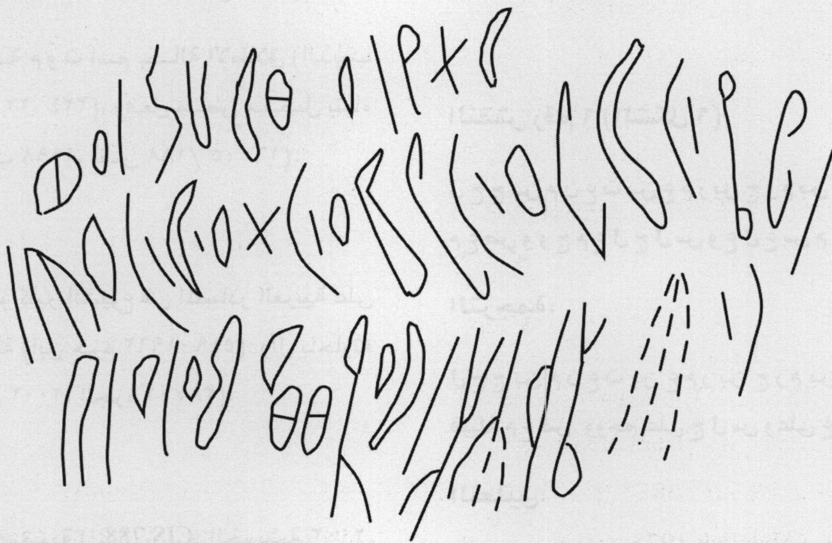
ل ح ج بن **م ن ع ت** بن **ع م ر** بن **ج ر م** بن **ث ر ل** بن **ح ص د** من قبيلة **م ع ص**، ووجم على **ج ل س** وعلى **غ س م** وعلى **ي ت م**.

التعليق:

ح ج:

اسم علم بسيط، ويرد جذر هذا الاسم في عدد من اللغات السامية للمعنى ذاته؛ ففي العربية: الحج "زيارة الأماكن المقدسة بقصد العبادة" (تاج العروس: حج)، وهو كذلك في السبئية في الفترة التوحيدية (المعجم السبئي: ٦٦؛ انظر القدرة وصدقة ٢٠٠٤)، وفي القتبانية "حج، احتفال" (Ricks





نقش (٦) شكل (٦)

60 :1989)، ويحمل الدلالة ذاتها في كل من: العبرية "يحج، يحتفل" (BDB: 290)، والنبطية "يحج" (DISO 1995: 348)، وفي الآرامية القديمة "يطوف حول، مُعَبِّراً بذلك عن شعائر دينية، يحج" (DISO 1995: 348). وفي الجعزية (haggaga) من الجذر (hg) "يضع قانوناً" (Leslua 1987: 227).

الشواهد:

ورد في الصفوية (الخريشة ٢٠٠٢، نقش ٤٨٢ ؛ WH 264)، وفي الثمودية (King 1990, No. KJA 39: 189)، وفي المعينية (al-Said 1995: 84)، أما في النبطية فعُرف بصيغة ح ج و (al-Khraysheh 1986: 76)، وفي التدمرية (Strak 1971: 87)، وورد في الآرامية (Maraqten 1988: 162)، وفي الفينيقية عُرف بصيغة ح ج ي (Benz 1972: 307).

م ن ع ت:

اسم شخص على صيغة اسم الفاعل مانعة، وهذا على ضوء ما جاء في أسماء الأشخاص في العربية مانع، أو بصيغة الصفة المشبهة فعيل منيع. وجذر هذا الاسم شائع في اللغات السامية، ففي العبارة التي ترد في العربية: هو في عز ومنعة أي: "هو في عز ومعه من يمنعه من عشيرته من الضيم والتعدي" (تاج العروس: م ن ع)، وفي السبئية والمعينية بمعنى "منع، صد، حظر" (المعجم السبئي: ٨٦؛ Arbach 1993: 61)، وفي العبرية (mana^{c}) "يكبح، يمنع" (BDB: 586)، وفي آرامية الدولة (mn^{c}) تحمل الدلالة نفسها "يكبح، يمنع" (DISO 1995: 661).

الشواهد:

ورد بصيغته هذه في الصفوية (الحراحشة ٢٠٠١، نقش ٣٦٣؛ WH 619a; Clark 1979, No. 80)، والثمودية (انظر King 1990: 551)، وفي النبطية (al-Khraysheh 1986: 109).

ع م ر:

اسم شخص من الجذر السامي المشترك ع م ر، الذي يتضمن معنى "العمر، مدة زمنية".

الشواهد:

جاء في الصفوية الخريشة ٢٠٠٢، نقش ٤٠١أ؛ Clark 1979, No. 380)، وفي الثمودية (الذييب ١٩٩٩، نقش ١٣٩: ١٣٧؛ JS 585 in Winnett 1937: 39؛ انظر King 1990: 530)، وفي اللحيانية ع م ر (أبو الحسن ١٩٩٧، نقش ٢٩: ١١٥)، وفي التدمرية ع م ر (Strak 1971: 106)، وفي الفينيقية ع م ر (Benz 1972: 380). كما ظهر بصيغة ع م ر م في القتبانية (Hayajneh 1998: 199)، وبصيغة ع م ر و في النبطية (al-Khraysheh 1986: 155)، وبصيغة ع م ر ن في الآرامية (Mraqten 1988: 199).

ج ر م:

نميل إلى تفسير هذا الاسم، على ضوء ما ورد في أحد النقوش الثمودية، إذ جاءت المفردة ج ر م بصيغة المصدر بمعنى "هلاك، فناء، قَطْع" في الصيغة الدعائية: ١- **ل م ب ن أ ق ف** ٢- **هـ ع ت ر س ج ر م ل و د د إ ل ب ن ش ر ك**، والمعنى كما ورد عند الناشر "١- (هذا النقش) يخص بن أقف ٢- فيا عثتر السماء هلاك (فناء) لوديدإل بن شريك" (السعيد ١٤٢٤هـ، نقش ٦: ١٠٧، ١١٠). لذا، يمكن اقتراح أن يكون اسم الشخص هذا بصيغة المصدر على وزن فعْل جَرْم. والعرب في العادة تسمي أبناءها بما يخيف الأعداء. وهذا المعنى ورد في العربية، والعبرية، والسريانية (تاج العروس: ج ر م؛ BDB: 175؛ Smith 1903: 78).

الشواهد:

ورد في الصفوية (الذييب ٢٠٠٣، نقش ٤٧ ;WH 201 ;Clark 1979, No. 46)، وفي الثمودية ج ر م الذييب ٢٠٠٠ب، نقش ٣؛ King 1990, No. KJA 22: 258)، وفي السبئية (Abdallah 1975: 40)، وفي المعينية (al-Said 1995: 80) ,وفي اللحيانية (أبو الحسن ٢٠٠٢، نقش ٣٠٥: ٢٤٥)، وفي النبطية فعرف بصيغتي ج ر م ا، ج ر م و (al-Khraysheh 1986: 56)، وفي التدمرية بصيغة ج ر م ي (Strak 1971: 82)، وفي الآرامية بصيغة ج ر م ن (Maraqten 1988: 150).

ث ر ل:

يُلحظ أن بعد حرف اللام إشارة تُمَاثِل في الشكل حرف الهـاء، وهذا يَتَـمَـاهـا مع الاسم، ربما تكون جـزءاً من الاسم، فيقرأ الاسم **ث ر ل هـ**.

اسم علم مركب من "ث ر" و "ل" والصيغة المختصرة لاسم الإله إل. يمكن تفسير العنصر الأول بمعنى "غزير" الذي يحمل معنى غني، وهذا على ضوء ما ورد في العربية؛ إذ جاء: الثرة من العيـون أي "الغـزيرة الماء" (تاج العـروس: ث ر ر). وربما ينساق ما جاء في السبئية للمفردة أ ث ر ي، التي من الجذر ث ر ي، التي بمعنى "جباية، ضريبة" (المعجم السبئي: ١٥١)، معنى مماثلاً لما ورد في العربية لدلالة لهذا الاسم.

الشواهد:

ورد في الصفوية بصيغة ث ر (Clark 1979, No. 1013)، وكذلك في الثمـودية ث ر (King 1990, No. KJC 250: 538; HIN: 144)، أما في الأوجاريتية، فجاء بصيغتين ث ر ر، ث ر ر ي (Grondhl 1967: 200).

ح ص د:

اسم علم بسيط، من الجذر **ح ص د**، وحصد الزرع يَحْصُدُه حَصْداً بمعنى "قطعه بالمنجل" (تاج العروس: ح ص د)، وتحمل الآرامية القديمة والسريانية هذا المعنى "يقطع، يحصد" (DISO 1995: 398; Smith 1903: 154).

الشواهد:

جاء في الثمودية علماً على قبيلة (ARNA, No. 11: 77)، وفي الفينيقية علم على شخص ح ص د، يبدو أن قراءة الاسم غير مؤكدة، ومن غير تفسير (Benz 1972: 317)

ج ل س:

يمكن أن نذهب في قراءة هذا الاسم على صيغة المصدر فِعْل جِلْس وهو "الجبل" (تاج العروس)، والجَلْس "النجد، يُقال أتى جَلْساً أي نَجْداً، والجَلْس "البعير القوي الغليظ"، وهذا من أصل معنى الجَلْس وهو ما غلظ من الأرض (الحميري ١٩٩٩، ج ٢: ١١٢٩).

الشواهد:

ورد في الصـفـوية (HIN: 156; WH 367; Clark 1979, No. 291)، وفي الثمودية (HNI: 156)، وفي النبطية بصيغتي **ج ل س ي، ج ل س و** (al-Khraysheh 1986: 55; Negev 1991: 18).

غ س م:

اسم علم بسيط من الجذر **غ س م**، جاءت هذه اللفظة وصفاً لليل؛ ليل غاسم أي "شديد الظلمة" (ابن منظور ١٩٩٩، ج١٠، غ س م: ٧٢-٧٣). ويمكن أن يقرأ بصيغة اسم الفاعل غاسم.

الشواهد:

ورد في الصـفـوية (HIN: 455; Macani and Sadaqah 2002, No. 4)، في الثـمـودية (King 1990, No. KJC 178: 341)، وفي اللحيانية (أبو الحسن ١٩٩٧، نقش ٥١: ١٦١).

ي ت م:

اسم علم بسيط يقرأ بصيغة الصفة المشبهة فعيل يتيم، المشتقة من فُعْل، وهذا قد ورد في كتب التراث العربي يتيم وصفاً لجعفر بن نوّاف (ابن حزم ١٩٦٢: ٢٧)، واسم علم مؤنث يتيمة (الشمري ١٤١٠هـ: ٨٢٤). ومعنى الاسم "يتيم، من أحد والديه"، مع الأخذ في الحسبان بأن هذا المعنى مشتق من أصل المعنى "وحيد، عزلة" (تاج العروس: ي ت م).

الشواهد:

هذا الاسم له شواهد عدة في النقوش العربية الشمالية، مثل: الصفوية (HIN: 657; CIS 14; WH 150)، و الثمودية (TIJ, No. 503; HIN: 657).

الخلاصة:

تقدم النقوش، التي بين أيدينا، صورةً من صور قضايا الحياة الاجتماعية. استوحوا من معاشهم أسماء عبرّت عن حاجتهم إلى العون؛ وهذا دليلٌ على تمكّنهم من توظيف الأسماء ذات العلاقة. فالاسم ع و ذ مثال حي على ذلك؛ ولم يكن ذلك فحسب، بل ماثلوا حكاية الصوت في هذا الاسم

فكان لهم أن اتخذوا ع ذ ع ذ اسماً على قبيلة. يُظْهِر هذا الجانب، أن القبائل العربية تسعى إلى محاكاة الواقع المعاش لديها.

وتعود أهمية هذه النقوش في فهم التاريخ اللغوي للعربية الفصحى، في أنها ذات وشائج متصلة في المورث النقشي، لا نخال إزاءه أن ثمة انفصام بين العربية وعربية النقوش. ويتكشف هذا الجانب من خلال عبارة ث م ن ي، والتي تبين الملامح القديمة لهذا العدد في حالة الإضافة. وليس هذا فحسب؛ بل تشير جملة العبارة إلى حذف المضاف إليه مع وجود مسوغات ذلك، كما هي الحال في العربية.

وتلقي مفردات نقوش الدراسة ظلالها في تتبع تاريخ الألفاظ العربية وتطورها الدلالي. ويتجلى هذا في الفعل رج ب، رث ي. إضافة إلى وجود أسماء جديدة ترد لأول مرة. وفضلاً عن ذلك، هناك أسماء انقطع اتصالها الحضاري بالموروث العربي مثل ن ش ل، أ ح و ض، و ش ي ت. كما تصور لنا هذه النقوش طرفاً من المشاعر التي انتابت كاتب النقش، مصوراً لنا هذه الكيفية من خلال الفعل رح، رغ، رص، رث ي. كما توضح الدراسة أن زمن الفعل الماضي في السياق الطلبي يخرج من دلالة الزمن الماضي إلى المستقبل – وهذا موافق للسياق العربي؛ كما بينت الدراسة أن الدعاء بالخير يكون باستخدام الفعل الماضي، والدعاء بالشر يكون غالباً باستخدام الفعل المضارع.

إبراهيم صالح صدقة: وزارة التربية والتعليم - الأردن - الرمثا ص.ب ١٧٩.
البريد الإلكتروني: ib_sadaqah@yahoo.com
د. رافع محيميد حراحشة: دائرة الآثار العامة - عمان - الأردن.

قائمة المختصرات

ARNA: Winnett, F. and Reed, W. 1970.

BDB: Brown, F.; Driver, S. and Briggs, C. 1979.

DISO: J. HoftiJzer and K. Jongeling 1995.

G. Nasab: W. Caskel 1966.

HCH: Harding, G.L. 1953.

HIN: Harding, G.L. 1971.

Hu Huber's Thamudic Inscriptions studied by van den Branden 1950.

JaS, ᶜArᶜar: Safaitic Inscription from the Country of ᶜArᶜar by Jamme, A. 1971.

L: النقوش اللحيانية المدروسة لدى القدرة ١٩٩٣

LSI: Littmann, E. 1904.

LP: Littmann, E. 1943.

Ph: Philby's Thamudic Inscriptions studies by van den Branden 1956.

RES: South Arabian inscriptions in: Repertoire d'Epigraphie Semitique, Academie des Inscriptions et, Belles-Lettres, Paris.

TIJ: Harding, G. L. and Littmann, E. 1952.

WH: Winnett, F.V. and Harding, G.L. 1987.

هامش:

(١) يتوجه الباحثان بالشكر لكل من: الدكتور عمر الغول من كلية الآثار- جامعة اليرموك، والأستاذ الدكتور رانير فخت، مدير معهد الدراسات الشرقية - برلين، لاطلاعهما على مسودة البحث، ولما أبدياه من تعديل وتصويب. كما نشكر الشيخ لافي أبو قصلة من سكان بلدة الصفاوي، للسماح لنا بتصوير هذه المجموعة الموجودة في باحة منزله.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

بيستون، أ. ف. ل، ورايكمانز، ج، والغول، محمود، ومولر، والتر ١٩٨٢، **المعجم السبئي، بيروت - لوفان الجديدة**، مكتبة لبنان، دار نشريات بيترز.

الجراح، صالح ١٩٩٣، أسماء الأماكن والمواضع في النقوش الصفائية، جامعة اليرموك، رسالة ماجستير غير منشورة.

الحراحشة، رافع ٢٠٠١، نقوش صفائية جديدة من البادية الأردنية الشمالية الشرقية، دراسة مقارنة وتحليل، جامعة بغداد، اطروحة دكتوراة غير منشورة.

ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ) ١٩٦٢، **جمهرة أنساب العرب**، مصر- القاهرة، دار المعارف، تحقيق عبد السلام هارون.

أبو الحسن، حسين، ١٩٩٧، **قراءة لكتابات لحيانية من جبل عكمة بمنطقة العلا**، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية.

..........، ٢٠٠٢، **نقوش لحيانية من منطقة العلا**، الرياض، وزارة المعارف.

الحميري، نشوان بن سعيد (ت ٥٧٣ هـ/ ١١٧٨م) ١٩٩٩، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، بيروت - دمشق، دار الفكر المعاصر - دار الفكر، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، ويوسف محمد عبد الله.

الخريشة، فواز، ٢٠٠٢، **نقوش صفوية من بيار الغصين، مدونة النقوش الأردنية**، منشورات جامعة اليرموك، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، المجلد الأول، اربد - الأردن.

الدرويش، محي الدين، ١٩٩٩، **إعراب القرآن الكريم**، دمشق - بيروت، دار اليمامة - دار ابن كثير، المجلد الثالث، ط. ٧,

الذبياني، النابغة، ب ت، **ديوان النابغة الذبياني**، بيروت، المكتبة الثقافية، تقديم كرم البستاني.

الذييب، سليمان، ١٩٩٨، **نقوش الحِجْر النبطية**، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية.

..........، ١٩٩٩، **نقوش ثمودية من المملكة العربية السعودية**، الرياض، مطبوعات مكتبة الملك فهد.

..........، ٢٠٠٠ أ، **دراسة لنقوش ثمودية من جبة بحائل**، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية.

..........، ٢٠٠٠ ب، **نقوش قارا الثمودية بمنطقة الجوف** بالمملكة العربية السعودية، الرياض، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية.

..........، ٢٠٠٢، **نقوش ثمودية من سكاكا (قاع فريحة، والطوير، واقدير)**، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية.

..........، ٢٠٠٣، **نقوش صفوية من شمالي المملكة العربية السعودية**، الرياض، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية.

الراجحي، عبده، ١٩٧٥، **التطبيق النحوي**، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

الزبيدي، محمد مرتضى (ت ١٢٠٥ هـ) ب. ت، **تاج العروس**، دار الفكر.

الزبير، محمد، ١٩٩١أ، **سجل أسماء العرب، موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب**، جامعة السلطان قابوس، بيروت، مكتبة

لبنان.

..........، ١٩٩١ب، **معجم أسماء العرب، موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب**، جامعة السلطان قابوس، بيروت مكتبة لبنان.

السعيد، سعيد، ٢٠٠٣، **العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية القديمة**، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

..........، ١٤٢٤هـ، نقوش ثمودية من تبوك، **الدارة**، العدد الرابع - السنة التاسعة والعشرون، ص ٩٧-١٢٩ .

ابن سيده، علي بن اسماعيل (ت ٤٥٨ هـ)، ب. ت، **المخصص**، دار الكتب العلمية، بيروت.

السيوطي، عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)، ب. ت، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق محمد جاد المولى وعلي البجاوي ومحمد إبراهيم، جزءان، دار الفكر، دمشق.

الشمري، هزّاع، ١٤١٠هـ، **جمهرة أسماء النساء وأعلامهن**، دار أميمة للنشر والتوزيع، الرياض.

الصالح، صبحي، ١٩٧٦، **دراسات في فقه اللغة**، دار العلم للملايين، بيروت.

ابن عقيل، بهاء الدين بن عبد الله (ت ٧٦٩ هـ)، ١٩٧٤، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ومعه كتاب منحة الجليل، بتحقيق شرح ابن عقيل**، تأليف محمد محيي الدين عبد المجيد، ٤ أجزاء، دار الفكر، بيروت.

علولو، غازي، ١٩٩٦، دراسة نقوش صفوية جديدة من وادي السوع، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد- الأردن.

الفيروز أبادي، مجد الدين بن يعقوب، ١٩٩٣، **القاموس المحيط**، دار الكتب العلمية، بيروت.

القدرة، حسين، ١٩٩٣، دراسة معجمية لألفاظ النقوش اللحيانية في إطار اللغات السامية الجنوبية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

لبنسكي، إدوارد، ١٩٩٧، **نقش الجص الآرامي من دير علا**، الأردن - اربد، ترجمة عمر الغول، منشورات عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، جامعة اليرموك، سلسلة منشورات البنك الأهلي، عمان-الأردن.

المقحفي، إبراهيم، ٢٠٠٢، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، دار الكلمة، صنعاء.

مكياش، عبدالله، ١٩٩٣، أسماء القبائل في النقوش العربية الجنوبية، رسالة ماجستر غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

..........، ٢٠٠٢، نقوش عربية جنوبية من اليمن (دراسة مقارنة)، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة بغداد، العراق.

الملكاوي، أمجد، ١٩٩٧، الصيغ الطلبية (الدعائية) في النقوش الصفوية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك.

ابن منظور، جمال الدين (ت ٧١١هـ)، بلا، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر.

الناشف، خالد، ١٩٩٣، أسماء الأشخاص في اللغات السامية، **مجلة جامعة الملك سعود**، العدد ٥، ص ٣٠٣-٣١٩، الرياض .

النَّحَّاس، أبو جعفر (ت ٣٣٨ هـ)، ٢٠٠٣، **شرح ديوان امرئ القيس، سلسلة كتب ثقافية، كتاب رقم ٢٤**، تصدرها وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشمية، قراءة ووضع فهارس وتعليق: عمر الفجاوي.

ابن هشام، جمال الدين (ت ٧٦١ هـ)، ١٩٧٩، **مغني اللبيب، عن كتاب الأعاريب**، تحقيق مازن مبارك ومحمد علي حمد الله، مراجعة سعيد الأفغاني. ط٥، دار الفكر، بيروت، لبنان .

الهمداني، الحسن بن أحمد (ت ٣٥٠ هـ)، ١٩٨٦، **الإكليل**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ج١، ٢، ٣ ، بيروت، لبنان.

..........، ١٩٨٧، **الإكليل**، تحقيق مُحِب الدين الخطيب، ج ١٠ بيروت، دار المنهل للطباعة والنشر والتوزيع، الدار اليمنية للنشر والتوزيع.

..........، ١٩٩٠، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة رشاد، صنعاء، اليمن.

ثانياً: المراجع الأجنبية

Abbadi, S. 1983. **Die Personennamen der Inschriften aus Hatra,**Texte und Studien zur Orientalistik 1. Hildsheim: Olms.

Abdallah, Y. 1975. **Die Personennamen in den al-Hamdani's al-Iklil und ihre Parallelen in den altsüdarabischen Inschriften**, Ein Beitrag zur jemenitischen Namengebung, Tübingen: Dissertationsdruck.

Ahmad, S. 1999. **A Dictionary of Muslim Names,** C. Hurst & Co. Publisher Ltd, London.

Aistleitner, J. 1974. **Wörterbuch der ugaritischen Sprache,** Berlin, Akademie, Verlag.

Al-Ansary, A. 1966. A Critical and Comparative Study of Lihyanite Personal Names, (Unpublished Dissertation), The University of Leeds.

Arbach, M. 1993. Rèpertoire des noms propres madhabein, Aix-en-Provence, (Unpublished Dissertation).

Winnett, F. and Reed, W. 1970. **Ancient Records of North Arabia**, The University of Toronto Press.

Brown, F.; Driver, S. and Briggs, C. 1979. **A Hebrew and English Lexicon of Old Testament**, Clarendon Press, Oxford.

Clark, V. 1979. **A Study of New Safaitic Inscriptions from Jordan**, A Thesis Presented for the Degree of Doctor of Philosophy, Department of Middle East Studies, University of Melbourne.

.... 1985. "New Safaitic Inscriptions from Sakaka and Azraq", **Abr-Nahrain**, 23, pp. 14-21.

.... 1987. "Safaitic and Thamudic Inscriptions from Wadi Bayir, Jordan", **Zeitschrift des deutschen Plästin Vereins**, 103, pp. 183-191.

HoftiJzer, J and Jongeling, K. 1995. **Dictionary of the North-West Semitic Inscriptions**, I-II (with appendices by R.C. Steiner, A. Mosak Moshavi and B. Porten), Handbook of Oriental Studies, 1. Abteilung: Der NahE und Mittlere Osten, 21, Brill, Leiden.

W. Caskel. 1966. **Gamharat an-Nasab: Das genealogische Werk des Ibn Hisam bin Muhammad al-Kalbi,** Band 2, Leiden: Brill.

Gelb, J. 1980. **Computer-Aided, Analysis of Amorite,** the Oriental Institute of the University of Chicago, Chicago.

Gordon, C. H. 1967. Ugaritic Textbook, Texts in Transliteration: Glossary, **Analecta Orientalia** 38, Pontifical Biblical Institute, Rome.

.... 1987. "Eblaitica". In: Cyrus Gordon, Gary Rendsburg and Nathan Winter (eds.), **Eblaitica: Essays on the Ebla Archives and Eblaite Language**, vol. 1: 19-30, Publications of the Center for Ebla Research at New York University, Eisenbrauns, Winona Lake, Indiana.

Gröndahl, F. 1967. **Die Personennamen der Texte aus Ugarit**, Studia Pohl 1. Rome: Pontificum Institutum Biblicum.

Harding, G. L. 1952. **Some Thamudic Inscriptions from the Hashimite Kingdom of the Jordan**, Leiden, E. J. Brill

.... 1969. "The Safiatic Tribes", **al-Abhath**, vol. 22, No. 3&4.

Hazim, R. 1986. **Die safaitischen theophoren Namen im Rahmen der gemeinsemitischen Namengebung**, Marburg: Dissertationsdruck.

Hayajneh, H. 1998. **Die Personennamen in den qatabanischen Inschriften,** Texte und Studien zur Orientalistik 10. Hildesheim: Olms.

Harding, G.L. 1951. "New Safaitic Texts", **Annual of the Department of Antiquities of Jordan**, I, pp. 25-29.

.... 1953. "The Cairn of Hani", **Annual of the Department of Antiquities of Jordan**, II, pp. 8-56.

.... 1971. "An Index and Concordance of Pre-

Islamic Arabian Names and Inscriptions", **Near and Middle East Series** 8, University of Toronto.

Harding, G. L. and Littmann, E. 1952. **Some Thamudic Inscriptions form the Hashimite Kingdom of the Jordan**, Leiden, Brill.

Huffmon, H. 1965. **Amorite Personal Names in the Mari Texts: A Structural and Lexical Study**, Baltimore: Johns Hopkins University.

Jamme, A. 1967a. **Thamudic Studies**, Washington, D. C.

.... 1967b. The Safaitic Verb wgm, **Orientalia** 36, Fasc. 2: 159-172.

Jamme, A. 1971. "Safaitic Inscriptions from the Country of Arar and Ras al-Ananiyah". In: **Franz Altheim and Ruth Stiehl: Christentum am Roten Meer**, I. Berlin: Gruyter, pp. 41-109.

Kaufman, S. 1974, **The Akkadian Influence on the Aramaic,** the Oriental Institute of University of Chicago, Assyriology, No. 19, the University of Chicago Press, Chicago and London.

al-Khraysheh, F. 1986. **Die Personennamen in den nabatäischen Inschriften des Corpus Inscriptionum Semiticarum**, Marburg, Dissertationdruck.

King, G. 1990. Early North Arabian Thamudic E: A Preliminary Description Based on a New Corpus of Inscriptions from the Hisma Desert of Southern Jordan and Published Material, (Unpublished Dissertation), School of Oriental and African Studies.

Koehler, L. and Baumgartner, W. 1958. **Lexicon in Veteris Testamenti Libros**, Leiden.

Leslau, W. 1987. **Comparative Dictionary of Geez, (Classical Ethiopic)**, Wiesbanden, Harrassowitz.

Levinson, H. 1974. **The Nabatean Aramaic Inscriptions,** New York: The University of New York, Ph. D.

Littmann, E. 1904. **Semitic Inscriptions,** New Uork, The Center Co.

Littmann, E. 1943. **Safaitic Inscriptions**, Publications of the Princeton University Archaeological Expeditions to Syria in 1904-5 and 1909. Division 4, Section C, Leiden.

Ma^{c}ani, S. and Sadaqah, I. 2002. "New Safaitic Inscriptions from the Mafraq Office Department of Archeology of Jordan, Syri"a, **Tome**. 79, pp. 249-269.

Ma^{c}ani S. and Sadaqah, I. 2003a. "Four New Safaitic Inscriptions from Mafraq", **Adumatu**, No. 7, pp. 49-56.

Ma^{c}ani S. and Sadaqah, I. 2003b. "Two Hismaic Inscriptions from South - Eastern Jordan", **Dirarsat**, vol. 30, No. 3, pp. 643-660.

Maraqten, M. 1988. **Die semitischen Personennamen in den alt-und reichsaramäischen Inschriften aus Vorderasien,** Texte und Studien zur Orientalistik 5. Hildesheim: Olms.

Negev, A. 1991. "Personal Names in Nabataen Realm", **QEDEM**, 32, Monographs of the Institute of Archaeology, the Hebrew University of Jerusalem.

Oxtoby, W. 1968. **Some Inscriptions of the Safaitic Bedouin**, American Oriental Series 50, New Haven, American Oriental Society,

al-Qudrah, H. 2001. The Semitic Personal Names in Greek Inscriptions in Jordan, Athens-Greece, (Unpublished Dissertation), (in Greek).

Ryckmans, G. 1934. **Les Noms Propres sud-Sémitiques,** Tome I, Bibliothéque du Muséon, 2, Louvain.

RES, **South Arabian inscriptions in: Repertoire d'Epigraphie Semitique,** Academie des Inscriptions et, Belles-Lettres, Paris.

Al-Said, S. 1995. **Die Personennamen in den minäischen Inschriften: Eine etymologische und lexikalische Studie im Bereich der semitischen Sprachen.,**Veröffentlichungen der Orientalischen Kommission der Akademie der Wissenschaften und Literatur Mainz 41. Wiesbaden: Harrassowoitz.

Sholan, A. 1999. **Frauennamen in den altsüdarabischen Inschriften,** Texte und Studien zur Orientalistik 11. Hildesheim: Olms.

Stark, J. 1971. **Personal Names in Palmyrene Inscriptions**, Oxford: The Clarendon.

Thompson, C. 1944. **The Tombs and Moon Temple of Hureidha (Hadhrout)**, Oxford, London.

Tairan, S. 1992. Die **Personennamen in den altsuarabäischen Inschriften,** Texte und Studien zur Orientalistik 8. Hildesheim: Olms.

Van den Branden 1950. **Les inscriptions thamoudéennes**, Louvain-heverlé, bureaux du muséon.

.... 1956. **Les text thamoudéenns de Philby I. II**, Biliothéque du Muséon, vol. 39, 41, Louain.

Zadok, R. 1977. **On West Semites in Babylonoa during the Chaldean and Achaemenian Periods, an Onomastic Study**, Wanarata and Tel-Aviv University, Jerusalem.

Winnett, F.V. 1937. **A Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions,** Toronto, University of Toronto, Oriental Series, No. 3.

Winnett, F. V. and Harding, G.L. 1978. **Inscriptions from Fifty Safaitic Cairns**, Near and Middle East Series 9, Toronto: University of Toronto

مؤتمرات وندوات علمية

المؤتمر الدولي الأول حول الآثار الإسلامية

الجهة المنظمة: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا).

مكان الانعقاد: إستانبول - تركيا

تاريخ الانعقاد : ٢٩ صفر- ١ ربيع الأول ١٤٢٦هـ، الموافق : ٨- ١٠ أبريل ٢٠٠٥م.

نظم مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا) المؤتمر الدولي الأول حول الآثار الإسلامية (The First International Congress on Islamic Archaeology)، بمقر المركز في إستانبول، تحت رعاية رئيس الوزراء التركي أردوغان؛ وحضر الافتتاح نيابة عنه وزير الدولة أ. د. بشير آتالاي.

افتتح المؤتمر بكلمة من أ. د.خالد أرن مدير عام مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا)، ثم تحدث خلال حفل الافتتاح كل من: أ. د. سعد الراشد وكيل وزارة التربية والتعليم للآثار والمتاحف في المملكة العربية السعودية، وعضو مجلس إدارة إرسيكا، وأ. د. أكمل الدين إحسان أوغلي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، والمدير العام السابق لإرسيكا، وهو الذي أسس مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا) التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ومديره لمدة خمسة وعشرين عاماً، واختتم حفل الافتتاح بكلمة لوزير الدولة التركي أ. د. بشير آتالاي.

هدف المؤتمر إلى إقامة ملتقىً دوري لتشجيع التعاون العلمي في مجالات الحفريات والتنقيبات التي تجري في المواقع الأثرية في العالم العربي والإسلامي، كما يهدف إلى تبادل الخبرات والآراء حول ترميم الآثار الإسلامية وصيانتها، وتفعيل دور الآثار في كتابة التاريخ الإسلامي.

وكانت الأنشطة الأثرية الخاصة بالحفريات الأثرية في العالم الإسلامي تهتم، غالباً، بآثار فترات ما قبل الإسلام، ولم يكتسب التركيز على الآثار الإسلامية صفة الانتظام والاستمرارية على الرغم من الجهود التي بذلها العديد من علماء الآثار ومورخي الفنون للاهتمام بالآثار الإسلامية، إلا أنه لم يتم تحديد منهجية متخصصة لدراسة التراث المادي والثقافي للحضارة الإسلامية.

ولا تزال الآثار الإسلامية بحاجة ماسة لتطوير دراسات شاملة ومنسقة ومبرمجة، تساعد على تأسيس تقاليد علمية خاصة بها، كما أنها بحاجة إلى تحديد المواقع والمعالم الخاصة بالعصور الإسلامية المختلفة في كل أرجاء العالم الإسلامي، للحفاظ عليها من الاندثار.

ومن المشاكل التي تحتاج إلى حلول تداخل تعريف الآثار الإسلامية بتاريخ الفن الإسلامي؛ فلا تزال العديد من المراكز العلمية ترى أن علم الآثار الإسلامية يدخل تحت تعريف تاريخ الفن الإسلامي، وذلك بتأثير من المدرسة الأنجلو-أمريكية.

كما يرى بعض علماء الآثار أن الآثار الإسلامية لم تستطع التخلص من تأثير التاريخ الإسلامي؛ لكن هذا الرأي أغفل مساهمة الآثار الإسلامية في تصحيح العديد من روايات المؤرخين؛ بل يمكننا القول باطمئنان: إن الآثار الإسلامية يمكن أن تسهم بقدر كبير في إعادة كتابة العديد من فترات التاريخ الإسلامي؛ لكون المكتشفات الأثرية وثائق لا يمكن أن تتعرض للتصحيف أو التحريف الذي تحفل به روايات المؤرخين.

قسَّمت اللجنة المنظمة أعمال المؤتمر إلى سبع جلسات، وتنوعت الأبحاث المقدمة إلى المؤتمر في موضوعات شتى، وكانت اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية للمؤتمر.

الجلسة الأولى قُسِّمت إلى محورين، قدم في كل منهما أربعة أبحاث: وقدم أوليش أرك (Olus Ark) بحثًا عن معنى الآثار الإسلامية ووظيفتها (Meaning and Function of Islamic Archaeology). طرح في بداية بحثه السؤال

الآتي: هل هناك علم يطلق عليه اسم علم الآثار الإسلامية؟ وما هو دور هذا العلم؟ ثم تطرق إلى أن بداية دراسة الآثار الإسلامية كانت على أيدي المستشرقين، وأن الرعيل الأول من المتخصصين المسلمين في الآثار الإسلامية ساروا على نهجهم. وأشار إلى علاقة الفن الإسلامي بالفلسفة الإسلامية، وأنه يجب على الدارسين والمتخصصين في مجال الآثار والفنون الإسلامية دراسة أعمال الفلاسفة المسلمين الكبار، أمثال: ابن سينا، والفارابي، والبيروني، وابن رشد، والكندي، وغيرهم؛ لمحاولة فهم الكثير من الجوانب المتعلقة بالفن الإسلامي.

ثم قدم سكوت ريدفورد (Scott Redford) بحثًا عنوانه: ماذا عن الآثار الإسلامية؟ أمثلة من تركيا (What is about Islamic Archaeology? Some Examples from Turkey). وبدأ بالقول إننا نطلق على المساجد والمدارس والقصور، والمكتشفات الأثرية التي نعثر عليها في المدن الإسلامية اصطلاح: الآثار الإسلامية، وذكر أن الآثار الإسلامية عانت كثيرًا من سوء الفهم من قبل المستشرقين المتأثرين بعلم الآثار التوراتي؛ ولذلك لا بد من إعادة دراسة الآثار الإسلامية، وتاريخ الفنون الإسلامية بعيدًا من التعصب الذي عانت منه الآثار والفنون الإسلامية، والذي تجلى في تأصيل العناصر المعمارية والزخرفية إلى حضارات سابقة.

أما البحث الثالث، فقدمه كنعان بيلكي (Kenan Bilici) بعنوان: الآثار الإسلامية: فذلكة شرقية ("Islamic Archaeology": An Orientalistic Rhetoric?)، ويدور البحث حول مفهوم الآثار الإسلامية وكيفية مساهمتها في تقديم الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات الإسلامية، والتعرف على تاريخ الثقافات الإسلامية المختلفة.

واختتم المحور الأول من الجلسة الأولى ببحث قدمه إبراهيم بولاقي (Ibrahim Boolaky) بعنوان: أهمية الكنوز الأثرية الإسلامية والتراث الأثري الإسلامي في الغرب (The Importance of the Archaeological Treasures and Heritage of Islam in the West)، تحدث فيه عن أهمية الكنوز الأثرية الإسلامية في الغرب، الذي استحوذ على الكثير من الآثار الإسلامية، التي تتوزع على العديد من المتاحف والمجموعات الخاصة في الدول الغربية، وتأثير الآثار الإسلامية والتراث الإسلامي في الحضارة الغربية.

أما المحور الثاني من الجلسة الأولى، فقدمت خلاله أربعة أبحاث كان الأول لمروان أبي خلف بعنوان: خزف إسلامي مكتشف في خربة شويكة - البيرة - فلسطين (The Islamic Pottery of Khirbat Shuwayka Exacavations - El-Bireh, Palestine)، وقدم الباحث نتائج الحفريات التي قام بها في موقع خربة شويكة في البيرة بفلسطين، ومنها عينات من الخزف الإسلامي المكتشف في الموقع، والذي سيسهم في تقديم معلومات مهمة عن تاريخ الموقع.

ثم قدم أحمد سري بحثًا بعنوان: نتائج الحفريات في تل عربيد (The Results of Exacavations at Tall Ar-bid)، وتضمن البحث نتائج الحفريات، التي أجريت في موقع تل عربيد، الذي يقع في أقصى شمال سورية؛ وقامت بالتنقيب فيه بعثة سورية بولندية مشتركة منذ سنة ١٩٩٤م. وقدمت فيرينا دايبير (Verena Daiber) بحثًا بعنوان: خزف أيوبي - مملوكي مكتشف في بعلبك خلال المواسم من ٢٠٠١-٢٠٠٤م) (Ayyubid - Mamluk Ceramics from the 2001-2004 Seasons in Baalbek)، عرضت الباحثة نماذج من الخزف والبلاطات الخزفية التي ترجع إلى العصرين: الأيوبي والمملوكي، والتي عثر عليها في بعلبك، خلال الحفريات التي أجريت خلال السنوات من ٢٠٠١- ٢٠٠٤م، بالتعاون بين معهد الآثار الألماني وإدارة الآثار اللبنانية.

واختتم هذا المحور ببحث قدمته باربرا فنستر (Barbara Finster) بعنوان: مشكلة صيانة موقع عنجر في لبنان (Problem of Conservation Concerning the Site of Anjar in Lebanon)، ناقش البحث المشاكل التي تواجه عمليات صيانة موقع عنجر الأثري وكيفية المحافظة عليه من الاندثار؛ وتقع عنجر شرق لبنان على الحدود السورية اللبنانية.

وكان من المقرر أن تشهد الجلسة الثانية إلقاء سبعة بحوث في محورين؛ لكن غياب أكثر المشاركين حال دون ذلك. وقُدِّم خلال الجلسة بحثان فقط؛ الأول قدمه بهرام أجورلو (Bahram Ajorloo) بعنوان: الآثار الإسلامية في إيران (Islamic Archaeology in Iran)، قدم فيه الباحث نبذة

عن بداية دراسة الآثار الإسلامية في إيران؛ وأوضح أنها بدأت منذ سنة ١٨٥١م؛ وظلت منذ ذلك الوقت وحتى سنة ١٩٤٩م بيد الآثاريين الغربيين. و يقترح الباحث وجوب دراسة التغييرات التي طرأت على الجوانب الثقافية والاجتماعية، في العصور الإسلامية المختلفة من خلال الآثار الإسلامية، بدلاً من الاعتماد على ما جاء في روايات المؤرخين.

وكان البحث الثاني بعنوان: بعض السجلات الآثارية المحفوظة في مجلس الدولة (Some Archeological Records in Council of State Registers)، عرض الباحث محمد حنيفي للعديد من الوثائق والتصاريح العثمانية التي كانت تمنح لبعض الآثاريين الغربيين، لإجراء حفريات وتنقيبات أثرية في المواقع الأثرية في أرجاء دولة الخلافة العثمانية. كما عرض بعض التصاريح التي حصل عليها الرحالة الغربيون لزيارة المواقع الأثرية. ودعا الباحث إلى الاستفادة من الأرشيف العثماني في دراسة الآثار الإسلامية في جميع الدول التي كانت تابعة للدولة العثمانية، خاصة الوثائق والوقفيات الخاصة بتلك المواقع.

وقُدِّم خلال الجلسة الثالثة بحثان؛ الأول قدمه سعد بن عبدالعزيز الراشد بعنوان: "مكتشفات إسلامية من الربذة" (Islamic Finds in Rabadha)، عرض فيه نتائج التنقيبات التي قام بها الباحث في موقع مدينة الربذة، الواقعة على طريق الحج القادم من الكوفة إلى مكة المكرمة (درب زبيدة)، وأوضح كيف أسهمت المكتشفات الأثرية في تقديم معلومات مهمة عن التاريخ الإسلامي، خلال العصر العباسي والعصور التالية.

أما البحث الثاني لسامي عنقاوي فكان بعنوان: "تراث سيرة النبي" (The Heritage of the Prophet's Seera)، تناول الباحث التغيرات، التي طرأت على التراث المعماري في مكة المكرمة، نتيجة توسعة الحرم المكي الشريف، لمواكبة الزيادة المضطردة في أعداد الحجاج والمعتمرين.

وقدمت خلال الجلسة الرابعة ثلاثة أبحاث؛ كان الأول بعنوان: "مستوطنتان من العصر الإسلامي المبكر على حدود صحراء فلسطين" (Two Early Islamic Settlements in Palestine's Desert Periphery)، قدمته جودي ماجينس (Jodi Magness)، التي عرضت نتائج الحفريات التي قامت بها في موقع المدينتين الواقعتين في وادي عربة؛ ما أدى إلى معرفة الكثير عن المدن الإسلامية الصغيرة في فلسطين؛ إذ كان البحث الأثري يتركز قبل ذلك في المدن الكبيرة مثل: القدس، ورام الله، ونابلس وغيرها. كما قدمت جوليا جونيلا (Julia Gonnela) بحثاً بعنوان: "قلعتي منزلي: قلعة حلب في العصر المملوكي المبكر" (My Castle is my Home: The Early Mamluks on the Citadel of Aleppo)، ويدور البحث حول أن القلاع في العالم الإسلامي لم تكن تُشَيَّد للأغراض العسكرية فقط؛ بل كانت تستخدم للسكن أيضًا. أما منى المؤذن فقدمت بحثًا بعنوان: "خزف الرقة ذو البريق المعدني" (Ceramic with Luster of Ar-raqqa)، ركز البحث على الخزف ذي البريق المعدني المكتشف في الرقة؛ وأوضحت الباحثة أن صناعة هذا النوع من الخزف قد بدأت في سامراء عاصمة الخلافة العباسية، أوائل القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، ثم انتقلت من سامراء إلى مدن أخرى مثل: الرقة، وحماة، والفسطاط، وغيرها.

وشهدت الجلسة الخامسة تقديم ثلاثة أبحاث عن الآثار العثمانية والحفريات التي أجريت في مواقع إسلامية وعثمانية بتركيا، وهي:

١- "آثار الإمبراطورية العثمانية" (The Archaeology of Ottoman Empire)، قدمه فلز يني شهرلي أوغلو (Filiz Yenishirlioglu).

٢- "حفريات في أزنيق" (Exacavations in Izni) قدمه أرا ألتن (Ara Altun).

٣- "الآثار الإسلامية في تركيا" (The Archaeology of Islam in Turkey)، قدمته شكران سفملي (Sukran Sevmli).

أما الجلسة السادسة فضمت ثلاثة أبحاث؛ الأول بعنوان: "نحو إقامة مركز للحفاظ على المدن والمباني الأثرية في العالم الإسلامي" (Towards an Islamic Center for Preserving Monumental Cities and Buildings in the Islamic World)، قدمه حيدر يعقوب بالاشتراك مع

كل من: هاشم موسوي، ومحمد بن طالب، وأسامة بن طالب، يتضمن البحث خطة لإنشاء مركز إسلامي للحفاظ على المدن والمباني الأثرية في العالم الإسلامي.

أما البحث الثاني فكان بمثابة تقرير عن حفائر أثرية في قصر طوق بإسطنبول، قدمه أورجون بارشتا (Orcun Ba-rista) بعنوان: "تقرير عن حفائر ومسوحات من قصر طوق بإسطنبول، ما بين سنتي ١٩٩٦- ١٩٩٨م" (A Report on Exacavations and Surface Surveys Took Place Between 1996-1998 in Istanbul).

ثم قدم عبدالله عطية عبد الحافظ بحثًا عن دور الوقف في الحفاظ على الآثار الإسلامية؛ إذ كانت لكل أثر أوقاف يصرف منها عليه؛ وإذا تم إحياء الأوقاف فمن الممكن الاستفادة من ريعها في ترميم الآثار والمحافظة عليها. والبحث جاء تحت عنوان: "دور الوقف في الحفاظ على المعالم الإسلامية" (The Role of Waqf in Conservation of Islamic Monuments).

وشهدت الجلسة السابعة، وهي الأخيرة، تقديم أربعة أبحاث؛ كان الأول منها من تقديم مير سعيد موسوي بعنوان: "السوق ودوره في تطوير المدن التقليدية الإيرانية" (Bazar and its Role in the Development of Iranian Traditional Cities)، وناقش الباحث دور السوق في تطوير المدن التقليدية في إيران والمحافظة على تراثها من الضياع، والحد من تغلغل النماذج الغربية للأسواق التي بدأت تغزو الكثير من المدن الإسلامية.

أما البحث الثاني فكان بعنوان: "حفريات ميدان أوسكدارفي محطة مرمرة" (Uskudar Square Exacava-tions for Marmaray Station)، قدمته شانيز أتك (Seniz Atik)، ويدور البحث حول الحفريات التي أجريت في ميدان أوسكدار بإستانبول؛ وقد نفذت الحفريات عندما عزمت بلدية إستانبول على إقامة مشروع محطة مرمرة فسمحت البلدية للآثاريين بإجراء حفريات لمسح الموقع قبل الشروع في إنشاء المحطة؛ وأظهرت الحفريات أن الموقع غني بالآثار التي تعود إلى الفترات: الرومانية، والبيزنطية، والإسلامية.

ثم قدم عبدالله نصيف البحث الثالث عن مدينة العلا، التي كانت عاصمة لمملكة ديدان ولحيان (ما بين القرنين السادس والأول ق.م)، وبعد الإسلام نشأت في الموقع مدينة إسلامية استخدم في بناء مساكنها أحجار جلبت من الموقع القديم للعلا (الخريبة). وتعرض البحث للحجر (مدائن صالح)، وهي المدينة التي ازدهرت في عهد الملك النبطي حارثة الرابع (٩ ق.م - ٤٠م)، وكانت بمثابة العاصمة الثانية لمملكة الأنباط بعد البتراء.

واختتمت بيهان قارا ماغارالي (Beyhan Karama-grah) جلسات المؤتمر ببحث عن المسكوكات الإسلامية التي عثر عليها في مدينة آني، وعنوان البحث هو: "المسكوكات الإسلامية المكتشفة في آني" (Islamic Coins Found in Ani)، وتقع مدينة آني في أقصى شرق تركيا على الحدود التركية الإيرانية، وترجع المسكوكات التي اكتشفت بها إلى فترات إسلامية مختلفة، منها: العباسية، والمغولية، والعثمانية.

وبعد انتهاء جلسات المؤتمر، أقيم الاجتماع الختامي لأعمال المؤتمر، بحضور وزير الثقافة التركي الذي رحب بالمشاركين، ودعاهم إلى عقد المؤتمر الثاني في إستانبول. وكان المشاركون قد اتفقوا على عقد المؤتمر بصفة دورية كل ثلاث سنوات؛ وأن يتضمن المؤتمر الثاني موضوعات شتى خاصة بالآثار الإسلامية لتوسيع دائرة المشاركة، والحرص على تمثيل الدول الإسلامية المختلفة، خاصة تلك التي لم تشارك في المؤتمر الأول لتحقيق مزيد من التواصل بين المختصين في الآثار الإسلامية، واستغلال اللقاءات الدورية في توحيد المصطلحات الأثرية، وتبادل الآراء. كما اتفق المشاركون على أن تكون اللغة العربية لغة معتمدة للمؤتمر في دوراته المقبلة إلى جانب إفساح المجال أمام اللغات الأخرى.

وأقيم على هامش المؤتمر معرضان الأول هو معرض الآثار الإسلامية في قونية، افتتح في الثامن من أبريل ٢٠٠٥م في مقر إرسيكا؛ والثاني معرض الآثار الإسلامية، في التاسع من أبريل ٢٠٠٥م، في مقر المتحف التركي الإسلامي بإستانبول.

د. فرج الله أحمد يوسف - الرياض ١١٤١٢ - ص ب ٤٥٥٦ - farajyousef @ hotmail.com

"ملتقى اليرموك السنوي: النقوش والكتابات القديمة"

الجهة المنظمة: كلية الآثار والأنثروبولوجيا - جامعة اليرموك - الأردن.

مكان الانعقاد: جامعة اليرموك - اربد - الأردن.

تاريخ الانعقاد: ٣ - ٥ ربيع الأول ١٤٢٦هـ

الموافق ١٢- ١٤ أبريل ٢٠٠٥م.

النقوش والكتابات القديمة كانت موضوع المؤتمر الدولي، الذي نظمته كلية الآثار والأنثروبولوجيا التابعة لجامعة اليرموك (الأردن)، تحت عنوان: "ملتقى اليرموك السنوي الثالث: النقوش والكتابات القديمة"، في الفترة الواقعة بين ١٢ و ١٤ نيسان العام ٢٠٠٥ . تكمن أهمية النقوش في أنها حفظت من فترات مختلفة، وأسهمت في توضيح المواد الأثرية أو تأريخها، في الكثير من الأقطار العربية. والسبب في حفظ هذه النقوش هو استخدام الكاتب قديماً للحجر أو الفخار أو المعدن؛ ليضع عليها نقوشه وكتاباته. والحفر بأداة حادة على الأحجار والصخور يحتم ظهور أشكال مختلفة من الحروف؛ وهو ما تعكسه مهارة أصحاب النقوش، ومدى طواعية المادة الموجودة تحت تصرفهم. وهذا ما استدعى دراسة أشكال الحروف، حسب الفترات الزمنية واللغات والأقاليم والكتاب.

ويرتبط الموضوع، بشكل وثيق، بظهور الأبجدية وتطورها؛ وإن كانت الأبجدية المسمارية، كما عرفت في راس شمرا (أوغاريت) شمالي سوريا، قد سبقت الأبجدية الفينيقية. في الغرب، اكتشف أول نقش أبجدي بالأرامية واليونانية، في روما، في بداية القرن السابع عشر، بالقرب من بوابة كان في موضعها معبد مخصص للجنود الرومان من أصل تدمري. ومنذ ذلك الحين، تطور موضوع النقوش، ليصبح حقلاً مستقلاً تعالج فيه اللغات السامية؛ وهو مصطلح يقترح كاتب هذا المقال تسميتها بـ "لغات الأصل الثلاثي"، وتعد العربية أهمها على الإطلاق. الأكدية هي إحدى هذه اللغات؛ ولكنها تخرج نوعاً ما عن إطار حقل دراسات النقوش؛ لأنها كتبت على ألواح أو رقم طينية وبالخط المسماري المقطعي، خلافاً للنقوش التي كتبت بالأحرف الأبجدية.

نظم المؤتمر قسم النقوش في الكلية؛ وتمحورت أوراق العمل، لتشمل: التاريخ واللغة والديانة وتفسير النص. وعرضت فيه نقوش وكتابات اكتشفت حديثاً، ومعظمها نقوش صفوية، اكتشفت في بادية الأردن. وكلمة "صفوية" هي مجرد مصطلح متعارف عليه، ولا تشير إلى مجموعة أو شعب، وأطلقت على أول مجموعة من النقوش، عثر عليها بالقرب من تلول الصفاة، جنوبي شرق دمشق. النقوش الصفوية قصيرة وتذكارية الطابع، يثبت فيها كاتبها مروره بالمكان بتسجيل اسمه ونسبه على حجر النقش، ويذكر جانبا من نشاطه، أو شوقه وحنينه للحبيبة، وأحيانا يؤرخ النقش بحدث خاص من عصر الكاتب. وفي أحيان أخرى، يضاف رسم قد يكون معبراً عن محتويات النقش. وشمل المؤتمر أيضا نقوشا أو كتابات بالأكدية والأرامية، التي كان يستخدمها الأنباط؛ واليونانية واللاتينية، وكذلك اللهجات المحلية. وتأتي مادة النقوش في بلاد الشام والمملكة العربية السعودية، لتسد فراغا معلوماتيا في حقب زمنية استخدمت فيها وسائل كتابة غير قابلة للحفظ. وهذا الوضع ينطبق على بلدان عربية أخرى، باستثناء العراق القديم، الذي ترك لنا مئات الآلاف من الرقم الطينية، تغطي تقريباً جميع مجالات الحياة. وفي فلسطين، كان الإنسان يسجل أنشطته الاقتصادية والإدارية، وأحيانا الدينية، على كسر من الفخار. لهذا، بقيت هذه الوثائق حتى اليوم، كالتي عثر عليها في خربة الكوم وتل الدوير، في الجنوب.

عرض رافع حراحشة (دائرة الآثار العامة) ويونس شديفات (جامعة مؤتة)، في محاضرتهما، ستة نقوش صفوية جديدة، تذكر الملك أغريبا الثاني، وهو حفيد هيرود الكبير، وكان مثل جده تابعاً للإمبراطورية الرومانية، أثناء هيمنتها على فلسطين والأردن. وتأتي أهمية هذه النقوش أن اثنين منها يذكران السنة التي مات فيها؛ أي ٩٣ ميلادية. وفي نقشين آخرين، تذكر السنة التي نجا فيها أغريبا؛ أي ربما سنة ٦٦ ميلادية، من اضطرابات حصلت في محافظة يهوذا الرومانية. إضافة إلى ذلك، يذكر أحد النقوش كلمة "مدبار"؛ وهي تعني منطقة

الحماد الأردنية، الواقعة في البادية الشرقية؛ والسياق يعكس حركة البدو، شرقاً وغرباً، في فصلي الشتاء والصيف. وعرض مد الله العنزي (وزارة التربية والتعليم، المملكة العربية السعودية) نقشا عربياً شمالياً جديداً، من تل الذئاب، شمالي المملكة[1] . عميدة شعلان (جامعة صنعاء) قدمت نقوشاً جديدة، من متحف قسم الآثار في جامعة صنعاء، تذكر في أحدها "أرض نجران"؛ وأثيرت في النقاش مسألة لفظ كلمة "نجران"، وأنها قد تكون في الأصل من دون المد؛ أي "نجرن".

النقوش والآثار حقلان مرتبطان مع بعضهما، إلى حد بعيد. فكما هو معروف، يستفيد الآثاريون من وجود نقوش أو قطع عملة في تأريخ الطبقات في الموقع الأثري. والطبقات هي العمود الفقري الزمني التي تؤرخ من خلالها المباني واللقى الأثرية في الموقع. وبشكل متبادل، يمكن أحياناً للنقوش أن تؤرخ، من خلال الطبقة الأثرية، التي وجدت فيها. ففي تل دير علا، أحد أهم المواقع الأثرية الأردنية في الأغوار الوسطى، عثر على مجموعة من الألواح الطينية في طبقة أُرِّخت، حسب الطبقة، إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد؛ وعلى بعض الألواح، كتبت نقوش بأحرف ما زالت غير مفهومة؛ وعلى ألواح أخرى، حفرت نقاط لا غير.

زيدان كفافي (جامعة اليرموك) لاحظ في محاضرته: "شعوب البحر في شمالي الأردن" الشبه الخارجي بين هذا الخط وآخر كان سائدا في اليابسة اليونانية وجزيرة كريت من الفترة نفسها. ونبه كفافي، إلى الفخار المايسيني الذي عثر عليه في تل دير علا نفسه، وفي مواقع أخرى في الأردن كتل أبو الخرز، وتل الفخار في الأغوار الشمالية، وخربة الزيرقون في الشمال. لهذا، افترض المحاضر أن هذا الوجود، الذي يعبر عنه الفخار والرقم الطينية، ليس هامشياً، وأنه يعبر عن تراث محلي أصيل في شمال الأردن. إن هذا الطرح ينبهنا إلى موضوع قديم جديد في الآثار له علاقة بانتشار الحضارات، في الحقب الزمنية المختلفة. فالمحاضر يريد القول: إن أصحاب حضارة معينة موجودون في البلاد ومتأصلون فيها، بصرف النظر عن التأثيرات الحضارية الخارجية. وهذا توجه جديد في التعامل مع الآثار يعكس هويتنا الحضارية وتأصلها في الأرض التي نعيش عليها، بشكل مغاير لتصور البحاثة الغربيين حول تحركات الشعوب والتركيز على "تميز" مجموعات دون غيرها.

في العام الماضي، في الموسم الأخير من التنقيبات الأردنية الهولندية المشتركة (جامعة اليرموك/جامعة لايدن)، عثر في تل دامية، على كسرة فخارية بدمغة طينية، عليها كتابة مسمارية. هذا الاكتشاف الفريد من نوعه عرضه كاتب هذا المقال، وعمر الغول (جامعة اليرموك)، في محاضرة عنوانها: "الوجود الأشوري في وادي الأردن، في القرن الثامن قبل الميلاد، في ضوء مكتشفات جديدة". نص تل دامية هو الخامس من بين نصوص مسمارية اكتشفت في الأردن، فهناك رقيمان يعودان إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد عثر عليهما في طبقة فحل (بيلا القديمة)؛ ورقيم آخر ظهر في تنقيبات تل طويلان في الجنوب، ويعود إلى الفترة الفارسية، وهو على الأغلب قد وصل إلى الأردن من حران في شمالي سوريا. وأخيراً، هناك نقش يظن أنه لنابونيد، آخر ملوك البابليين، الذي اكتشف في سلع، في الجنوب، ويعود إلى القرن السادس قبل الميلاد. ويأتي نص تل دامية، ليلقي الضوء على الوجود الأشوري في الأردن وخاصة أنه قد ظهر في موقع قريب من تل دير علا، إحدى المدن الرئيسية في الأغوار الوسطى. وقد دمغ النص المسماري الأكدي على كتلة طينية، وضعت على عنق أو بدن إناء كان يحتوي بضاعة ثمينة، على الأغلب. وقد يكون في النص إشارة غير واضحة لهذه البضاعة أو اسم الشخص الذي سلمها أو تسلمها.

قد يكون تل دامية نقطة عبور للبضائع المصدرة أو المستوردة عبر النهر. ورجحت المحاضرة أن التغلغل الأشوري أو البابلي، في الأردن وفلسطين، كان يرمي إلى السيطرة على الساحل الفلسطيني؛ للتحكم بالحركة التجارية مع الغرب. ولهذا، لم يكن هناك اهتمام فعلي بالسيطرة على جبال فلسطين المعزولة ومراكزها كسبسطية والقدس؛ وإنما بالساحل كالطنطورة (دور القديمة) جنوب حيفا التي أسس فيها الأشوريون مركز محافظة، أو خربة المقنع (عقرون قديما) وإسدود في الساحل الجنوبي، بالنسبة إلى البابليين.

عرض أندريه لومير (جامعة السوربون) في محاضرته:

"أسماء العلم والديانة العربية الشمالية في كتابات الكسر الفخارية من أدوميا" الديانة العربية الشمالية، كما انعكست في نصوص، يفترض أنها من خربة الكوم، التي تقع حوالي ٢٠ كم إلى الغرب من الخليل. وتقع الخربة، وهي اليوم مسكونة، على الطريق الرئيسي الذي يصل الخليل بالمنطقة الساحلية مروراً ببيت جبرين. الأسوار التي كشف عنها في الموقع، تؤكد أنه كان أحد المدن الرئيسية في جبال الخليل. في النصوص المكتوبة بالأرامية، وتعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد هناك الكثير من الإشارات التي تعكس حضارة "عربية شمالية"، كاسم المعبودين: قوس والعزى، ويشار إلى معبد الأخيرة في أحد النصوص. ويذكر نص آخر كلمة، يقرأها لومير: "إدنا"، ويطابقها مع قرية "إذنا"، التي لا تبعد كثيرا عن خربة الكوم، وهي قرية فلسطينية معروفة.

لا بد من الإشارة إلى أن الكسر الفخارية، التي عرضها الباحث الفرنسي، لم تستخرج من الموقع بشكل شرعي؛ بل وصلت إلى بعض الباحثين عبر تجار التحف القديمة. ومن المؤسف أن دائرة الآثار الفلسطينية لا تقوم بالجهد الكافي، لتطويق ظاهرة استخراج الآثار من خربة الكوم والكثير من المواقع الفلسطينية. ولكن لا بد أيضا من الإشارة إلى أن نشر هذه الكتابات، كما يفعل الإسرائيليون أو المحاضر، يشجع على تجارة التحف القديمة، وفي النهاية يؤدي إلى زيادة التخريب الحاصل في المواقع الفلسطينية. وتراث خربة الكوم يخص الفلسطينيين في الدرجة الأولى، وينبغي أن يبقى بين أيديهم.

نص سرياني: "نقش سرياني على إناء"، عرضه كابي أبو سمرة (جامعة الكسليك، لبنان)؛ وهو يمثل تعويذة كتبت على سطح طاسة خزفية. ويقول المحاضر: إن الإناء جاء من جنوب العراق، ويشبه طاسات تعاويذ مكتوبة بالأرامية، وعثر عليها في تل نفر (نيبور القديمة) أو منطقتها. وأثناء النقاش، لم يوضح المحاضر علاقة هذه الطاسات بمدينة نيبور[٢]؛ وإلى أي فترة بالتحديد تعود هذه الممارسات الدينية[٣]؟ وحسب المحاضر، تعود القطعة لمجموعة تحف شخصية. وكاتب هذا المقال يرجح أن القطعة مزورة؛ وربما حصل ذلك في العراق، وهُرِّبت لتباع في سوق التحف القديمة في لبنان. وأما بالنسبة إلى النصوص خربة الكوم، فإن التعامل مع هذا النوع من الآثار، مزورا كان أم مهربا، يسهم في تشجيع التجارة في التحف القديمة والفنية، ويعني تخريب المواقع الأثرية العراقية، التي تعرضت، إثر الغزو الأميركي للعراق، إلى أخطر عملية تدمير ونهب.

عثر على النقش، الذي عرضه محمود الروسان (جامعة اليرموك)، في وادي سلمى؛ ويحتوي على إشارة إلى مناوشات بين قبيلة عربية والأنباط. ويرى الباحث، أن هذا حصل في فترة ضعف مملكة الأنباط العربية؛ أي بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي. هذه القبائل تتحرك من الجنوب إلى الشمال، كقبيلة حويلة التي ذكرت في هذا النص، ونصوص أخرى؛ وربطت في الماضي بقبيلة "حويلا" في التوراة (التكوين ٢٥، ١٨) وبحوالة، أحد فروع أزد. ٤ يشير الباحث إلى معلومات جديدة، مفادها: أن هذه القبيلة لا علاقة لها بشاهد التوراة. وعرض الباحث، في محاضرته، أيضاً، الإشارات إلى الأنباط في النقوش الصفوية. والجدير بالذكر، ما لاحظه الباحث يونس شديفات (جامعة مؤتة)، من أن كلمة "وسق" ما زالت تستخدم بين البدو اليوم؛ ولا تتعدى مدلولاتها مجرد عملية غزو بسيطة، تحتجز فيها بعض الأغنام، لغرض المقايضة والضغط على قبيلة أخرى. هذه الملاحظة تبين، من جديد، مدى أهمية المقارنة بين القديم والحديث، في إيضاح ما غمض من نصوص، أو إعادة الموروث الشعبي إلى جذوره.

أحياناً تضاف إلى النقوش الصفوية صورة، قد تكون من نقش صاحب النص المكتوب، وتعكس مدلولا يحمله النص المرافق. الرعي والفروسية هي الموضوعات المفضلة في هذه الرسوم. لكن هناك أيضاً صورا لعازفي آلات وراقصات ومصائد حيوانات؛ كل هذا يعكس المبدأ القديم لرسوم الكهوف؛ وهو استرجاع صورة النشاط اليومي وتثبيته ماديا في الرسمة أو النقش على الحجر. إلى جانب النصوص والرسوم، هناك أحياناً رموز سحرية للحماية ودرأ الشر، ومن بين هذه الرقم سبعة.

ثمة نقوش كتبت باليونانية أو اللاتينية، وفي هذه النقوش أيضا إشارات إلى المجتمع المحلي، الذي لم يفقد خصائصه الأساسية، من خلال الهيمنة السياسية الخارجية. نبيل عطا

الله (جامعة اليرموك). عرض الأسماء المؤنثة في النقوش اليونانية من أم الجمال، التي يبلغ عددها ٥٢٨ نقشا وما زال عدد منها غير منشور بعد. وأشار المحاضر إلى أن هناك ١٦٢ اسما مؤنثا، وأن حوالي ٨٢٪ من الأسماء هي من لغات قريبة من العربية. ومن بعض ما ذكره، أن المرأة تسمى بأم فلان، كما هي العادة بيننا اليوم. وعرض أحمد العجلوني (جامعة اليرموك) بعض الألقاب النبطية، التي تعود إلى أصول يونانية أو لاتينية. أمثلة على ذلك: "هافركا" وتقابل في اليونانية "إيبارخوس"، وتعني "قائد الفرسان"؛ قونطيرينا وتقابل في اليونانية "كينتاوروس"، وفي اللاتينية "سينتوريو" وهو "قائد الخيالة".

تفسير النصوص هو جانب من جوانب حقل دراسات النقوش؛ وهو يتجدد باستمرار مع تقدم معارف الحقل. البحاثة في مجال النقوش يعتمدون على النسخ في دراساتهم للمادة النقشية؛ وقد لا تكون النسخة مطابقة للأصل أحياناً؛ بسبب سوء فهم علامات النقش. ولهذا، تبرز الحاجة إلى فحص النقش في مكان وجوده الأصلي، أو في المتحف الذي حفظ فيه الحجر أو الرقيم، أو إعادة نسخه أو تصويره. هذا ما فعله الباحث الألماني راينهارد ليمان (جامعة ماربورغ)، بالنسبة إلى نقشين معروفين من جبيل لأحيروم (أحيرام)، الملك الفينيقي من القرن الثاني عشر أو العاشر قبل الميلاد؛ فزار الموقع، وصور النقش الأول الذي حمله التابوت، ونزل في الخندق الذي يوجد على أحد جدرانه النقش الثاني، وصوَّره. وفي محاضرته، قدم ليمان، تفسيرا جديدا للنقشين.

ثمة تفسير جديد وجرئ، قدمه الباحث الأردني زياد عبد الله طلافحة، لنقش صفوي يرافقه رسم لهلال، فُسِّر في السابق على أنه يتضمن إشارة إلى خسوف القمر. حسب المحاضر، الكلمة "سني" تعني في النص المعبود "سين" المعروف في الحضارة الأكدية، ويقابله في الحضارة السومرية "نانار"، وهو معروف أيضاً في النقوش القديمة لجنوب الجزيرة العربية. يفسر الباحث النقش بأنه يعني انشقاق القمر، كما ورد في الآية الكريمة: "اقتربت الساعة وانشق القمر" (سورة القمر). وقد يكون في هذا مؤشر إلى تاريخ كتابة النص، على الرغم من أن النقوش الصفوية تعود إلى فترة أبكر. وقد اعترض بعض الباحثين على تفسير المحاضر؛ إذ يكون هذا الشاهد المرة الوحيدة التي يذكر فيها مثل هذا المعبود، في النقوش الصفوية؛ ومن الأفضل تفسير الكلمة بشكل مختلف.

شكل آخر من أشكال تفسير النصوص القديمة هو تقديم تحليل لغوي، يعتمد على نظرة جديدة، تستفيد من اللغة العربية وظواهرها الصوتية. هذا ما فعله يحيى عبابنة (جامعة مؤتة) بالنسبة إلى نقش أكدي عثر عليه في كيش، إحدى المدن الكبرى في العراق القديم، وتقع إلى الشرق من بابل. النص هو تعويذة ("أخْذة")؛ يلجأ فيه الرجل إلى المعبود؛ لمنع زوجته من إقامة علاقة جنسية مع غيره. ويقارن الباحث ألفاظ النص بالعربية، وهذه المحاولة الجديدة في التفسير تستحق الاهتمام، خاصة أن النصوص الأكدية تقارن في الغرب بالعبرية؛ في حين أن العربية هي اللغة الحية الأولى التي ينبغي مقارنة لغات الأصل الثلاثي معها. غير أن "التأخيذ" في التراث العربي، هو أن تحتال المرأة بحيل؛ لمنع زوجها من إقامة علاقة جنسية مع غيرها، ويقال: "لفلانة أخذة تؤخذ بها الرجال عن النساء" (لسان العرب).

إضافة إلى العربية الفصحى، يمكن الاستفادة من اللهجات العربية الحديثة، في تفسير النصوص القديمة المكتوبة بلغات الأصل الثلاثي. العلماء الغربيون، الذين وضعوا أسس معظم حقول اللغات القديمة، يستعينون في الدرجة الأولى بعبرية التوراة، ونادراً ما يلجأون إلى اللغة العربية، على الرغم من الإقرار بأن العربية احتفظت في بنيتها وخواصها الصوتية ببعض الظواهر القديمة للغات الأصل الثلاثي. وهناك تهمل بالكامل اللهجات العربية الحديثة، وكأنها غير موجودة. غير أن هذه اللهجات لم تنبثق من فراغ؛ بل هي امتداد للهجات القديمة، أو لغات قديمة كالأرامية. وفي الجزيرة العربية، في شمالها وجنوبها، العديد من اللهجات التي ما زلنا، نحن العرب في بلاد الشام، وبقية البلدان العربية، نجهلها كلية ولا نستفيد منها في دراسات النقوش القديمة. عبد الرحمن الأنصاري (دار القوافل للنشر، الرياض) نَبَّه في ورقته إلى أهمية إجراء المقارنة بين اللهجات الحديثة واللغات القديمة؛ وقدم نصا من لهجة فيفا، التي تقع في جيزان، جنوبي غرب المملكة العربية السعودية. وأشار الأنصاري، إلى ما قام به زميل له، في

استعمال اللهجة العامية (البدوية)، في قراءة نصوص لحيانية من "العلا"، تعود إلى القرن السادس قبل الميلاد. ونجحت المحاولة!

محاضرة آمنة الزعبي (الجامعة الهاشمية)، تناولت استخدامات الواو والياء في النقوش الثمودية؛ وأشارت إلى تطور هذه الاستخدامات؛ فإذا ظهر الحرفان كانا صامتين؛ وإذا أسقطا فيدل ذلك على أنهما قد أصبحا حرفي علة. تكمن أهمية محاضرة الزعبي، في أنها نبهتنا إلى أنه يمكن الاستفادة من اللغات القديمة التي سبقت العربية، لكنها قريبة منها، في تفسير ظواهر لغوية في اللغة العربية وتحديد أصولها. وما زالت هذه الدراسات غير معروفة في العالم العربي؛ وهو ما يثير الاستغراب إلى حد بعيد، خاصة أن معرفة الأصول هو الأرضية المناسبة لتحديد الهوية الحضارية وجذورها، وهي أيضا وسيلة أساسية لتفعيل اللغة وتغذيتها.

معرفة الأصول لا تقتصر على اللغة. محاضرة حسين القدره (الجامعة الهاشمية) وإبراهيم صدقة (وزارة التربية والتعليم بالأردن) حول الحج، من خلال نقوش عرب شمال الجزيرة العربية، هي أنموذج جيد للآفاق التي تفتحها دراسة النقوش، في فهم موروثنا العربي الإسلامي. فمثلاً النقوش اللحيانية تشير إلى ممارسة الحج من قبل مجموعة جاءت من عمان (!) إلى المعبود اللحياني "ذو الغيبة" في العلا، شمال الجزيرة العربية. وفي النقاش، أشار عبد الرحمن الأنصاري إلى أن "ذو الغيبة" يقصد به "الغائب"، أي اللّه - عَزَّ وَجَلَّ. وأشار المحاضر إلى أن طقوس الحج تشترط الطهارة والاغتسال، حسب بعض النقوش، ونصوص أخرى تشير إلى الطواف.

محاضرة س. فينينغر (جامعة ماربورغ)، تعالج التأثيرات المعجمية للسبئية على اللغتين العربية والحبشية؛ وتبين أن جنوب الجزيرة العربية أو اليمن هو مصدر كلمات يعدها دخيلة في اللغتين. مثلاً، كلمة "تاريخ، تأريخ" العربية هي من الكلمة الجنوبية و ر خ، وتعني هنا "قمر". وكذلك انتقلت الكلمة إلى الحبشية التي تعني فيها "شهر" إلى جانب "قمر"، ٥.

المسكوكات التي أخذت في الانتشار، ابتداء من القرن الرابع قبل الميلاد، تحتوي على نقوش وصور، ودراستها لا تختلف كثيرا عن موضوع النقوش على المواد الصلبة. الباحث فرج الله أحمد يوسف٦ (دار القوافل للنشر، الرياض) خصص محاضرته لموضوع المسكوكات، من شرق الجزيرة العربية قبل الإسلام. الموضوع مثير، والمعلومات التي قدمها الباحث شبه مجهولة خارج الجزيرة العربية. كشفت التنقيبات الأثرية، في شرق الجزيرة العربية، عن مسكوكات في العديد من المواقع شرق الجزيرة العربية، ومنها: البحرين (تايلوس قديما) وثاج وعين جاوان وجبل بري والشعبة ومنجم الملح والهفوف وكنزان والدور (عمانا قديما) ومليحة وجزيرة فيلكا (إيكاروس) وتاروت والهفوف. وهناك أيضا في شرق الجزيرة العربية مسكوكات، ظهرت عليها أسماء عربية جنوبية لملوك، كتبت بخط المسند، مثل: حارثة و"أب - يثع" و"أب - إيل"؛ وهما اسمان مركبان، ويحتويان على اسم الإله "أب"، الذي قد يكون الإله الرئيسي في شرق الجزيرة العربية. وتجدر الإشارة إلى أن الكثير من قوالب السك قد عثر عليها في بعض المدن، كثاج وكنزان ومليحة؛ وهو ما يدل على أنها كانت مراكز تضرب فيها المسكوكات، ولها أهمية اقتصادية خاصة.

عرض المحاضر أيضاً، مسكوكات من مملكة ميسان، التي كانت خاضعة للملكة البارثية الفارسية، بين ١٢٩ قبل الميلاد إلى ٢٢٢/٢٢٣ ميلادية. ومن مدن ميسان: فرات، وأبولوجوس (الأبلة في المصادر العربية، البصرة فيما بعد) وأباميا (أفاميا). وعرفت مملكة ميسان، في المصادر اليونانية، باسم شراكس أو خراكس؛ وتعني ميسان في الأرامية "المدينة المسورة". ويشير الباحث إلى أن ممالك شرق الجزيرة العربية كانت على اتصال مع الممالك العربية في الجنوب والشمال، على الرغم من نفوذ القوى الأجنبية وتنافسها في المنطقة. وختم الباحث محاضرته بمعلومة مؤلمة؛ هي أن المتحف العراقي في بغداد كان يحتفظ بنحو أربعمائة مسكوكة، ضربت في عهد تسعة من ملوك ميسان؛ لكنها كانت ضمن المواد التي نهبت مع الاحتلال الأميركي للعراق، في نيسان ٢٠٠٣م .

إذاً، زخم مادة النقوش والكتابات القديمة يجعل منها، إلى جانب الآثار، أهم مصادر التاريخ الحضاري للعالم العربي. والمعلومات، حول هذا التاريخ، تزداد مع كل اكتشاف جديد؛ ما

يتطلب إعادة النظر في كتابة فصول التاريخ العريق للأمة العربية؛ وبشكل تلقائي إعادة صياغة المناهج المدرسية. مؤتمر النقوش والكتابات القديمة ليس مجرد محفل أكاديمي جاف منفصل عن الواقع الذي نعيش فيه. ففي هذه المحاضرة أو تلك، يشعر المتلقي أن هناك أزمة تمر بها الحضارة العربية الإسلامية، يحاول حتى الأكاديميون التصدي لها، كل على طريقته، وبما يتناسب مع منهجية موضوعه، ابتداءً من النقوش الصفوية وانتهاء بالمسكوكات.

واليوم، وفي حين يقف العالم العربي على مفترق طرق، تنطوي العودة إلى الجذور على أهمية بالغة أكثر من أي وقت مضى. وعلينا التشبث بجذورنا، مهما أوغلت في القدم، ونعيد صياغتها من خلال الدراسات والتفسير والتحليل. وهذا هو نهاية الهدف البعيد من مؤتمر اليرموك.

د. خالد الناشف - عمان - الأردن.

الهوامش

(١) في النص يذكر اسم مسك - إيل وكاتب هذا المقال يربط هذا الاسم بأسماء شائعة في المنطقة، مثلا، اسم موقع يقع إلى جنوب دمشق هو الشيخ مسكين، وكلمة "مسكين" هنا قد تكون تطورت من اسم قديم هو "مسك - إيل".

(٢) ومن المعروف أن نيبور التي تقع شمال شرقي الديوانية، بقيت آهلة بالسكان في القرون الميلادية الأولى. ولما تغير مجرى نهر الفرات بعيدا عن المدينة، هجرها سكانها تدريجيا. وفي العصور الإسلامية الأولى، كانت هناك قرية صغيرة تقوم على أنقاض المدينة القديمة. انظر بصمه جي ١٩٦٠، ص ٧ .

(٣) موضوع الطاسات الأرامية يذكر بطاسة الرجفة الفلسطينية التي عادة ما تكون من المعدن، وأحيانا من الخزف، وعليها كتابات وتعاويذ. أنظر (Canaan 1923).

(٤) الإشارة لحويلة في النقش الصفوي غير المنشور هو إضافة جديدة لموضوع قديم تطرق إليه (Knauf 1985)، ص ٦٤ الذي يربط الاسم أيضا بمدينة حائل بالمملكة العربية السعودية.

(٥) يرى كاتب هذا المقال أنه من الضروري الإشارة إلى أن البحاثة والعلماء الأجانب نادرا ما يحيطون بالأبحاث المكتوبة بالعربية، فكلمة "تاريخ" وأصلها العربي الجنوبي هو موضوع عالجه الباحث العراقي الكبير جواد علي، في مقال نادر له (علي ١٩٨٢). وفي هذا المقال المطول يعالج علي، موضوع التأريخ عند العرب قبل الإسلام بكل تفاصيله!

(٦) أشكر الدكتور فرج الله أحمد يوسف، الذي وضع تحت تصرفي نسخة من محاضرته القيّمة.

المراجع

بصمه جي، فرج ١٩٦٠، **نفر (نبور)**، بغداد: مديرية الآثار العامة.

علي، جواد ١٩٨٢، "التاريخ عند العرب قبل الإسلام"، **مجلة المجمع العلمي العراقي** المجلد ٣٣، العددان ٢-٣، ص ص ٣-٥٤ .

Canaan, T.1923 Tasit er-Radjfeh (Fear Cup). **The Journal of the Palestine Oriental Society 3,** pp. 122-31.

Knauf, E. A. 1985. **Untersuchungen zur Geschichte Palastinas und Nordarabiens im 1**. Jahrtausend v. Chr. Wiesbaden: Harrassowitz.

احتفالية البحرين باليوبيل الذهبي لاكتشاف حضارة دلمون

الجهة المنظمة : وزارة الإعلام بمملكة البحرين - وكالة الوزارة للثقافة والتراث الوطني.

مكان الانعقاد : المنامة - مملكة البحرين.

تاريخ الانعقاد : ١٧-٢١ ربيع الأول ١٤٢٦هـ

الموافق: ٢٦-٣٠ ابريل ٢٠٠٥م.

عندما نوثّق شواهد التاريخ ودلائله المختلفة حكايات الماضي وأساطيره يصبح الانتماء حقيقة. وعندما تمتزج الدلالات والوثائق بالأرض وإنسانها ونمط حياته المعاشة تتجسد هوية الأرض وتقوى روح الانتماء والمواطنة.

لقد أظهرت احتفالية دولة البحرين الشقيقة باليوبيل الذهبي لاكتشاف حضارة دلمون، أن هذه الاحتفالية ليست احتفالية بزمن؛ إنما احتفالية بإنجاز حضاري عمره خمسون عاماً. ولهذا، رعاه ملك البحرين الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة.

خمسون عاماً من العمل الآثاري في البحرين، كشف مدن حضارة دلمون، وتايلوس، وإشراقة الإسلام، وحقبه التاريخية المضيئة في البحرين وما جاورها. والإنجاز أثمن مقاييس الزمن؛ ولهذا احتفلت البحرين بيوبيلها الذهبي لاكتشاف حضارة دلمون، فيما بين ١٧-٢١ربيع الأول ١٤٢٦هـ الموافق ٢٦-٣٠ أبريل ٢٠٠٥م.

دعت وزارة الإعلام لهذه المناسبة الكثير من المسؤولين والعلماء والباحثين والمختصين، في مجال الثقافة والآثار، والمتاحف، والإعلام، من العرب والأجانب؛ وجرت هذه الاحتفالية على أساس من التنظيم والإعداد الرائعين، والمتابعة المستمرة؛ فكانت المناسبة، كما أرادتها البحرين، وأبناؤها المخلصون من منسوبي وزارة الإعلام، ووكالة الوزارة للثقافة والتراث الوطني، وفريق العمل الشاب الرائع، وعلى رأسهم وكيل الوزارة الأستاذ محمود بن يوسف المحمود؛ فجاءت الإحتفالية ناجحة بكل المقاييس.

لقد أعد المنظمون برنامجاً حافلاً، ابتداءً من يوم الأربعاء ٢٧أبريل ٢٠٠٥م؛ فقد زار المدعوون المواقع الأثرية في الجنبية والشاخورة. وفي مساء اليوم نفسه، حضروا حفل الافتتاح الرسمي لموقع قلعة البحرين، بعد إتمام أعمال التنقيب والصيانة.

وفي يوم الخميس، حضر المدعوون افتتاح معرض البعثة الدانماركية للآثار بالمتحف الوطني، وكذلك معرض الفنان راشد العريفي، عن الفن الدلموني، بمركز الفنون.

وفي يوم الجمعة، حضر المدعوون افتتاح قاعة الهياكل بمتحف البحرين الوطني، وفي المساء عقدت ندوة اكتشافات من حضارة دلمون بمقر جمعية تاريخ وآثار البحرين شارك فيها: الدكتور فلمنغ هويلند (مدير البعثة الدانماركية)، والدكتور بيير لومبارد (مدير البعثة الفرنسية)، والدكتور روبرت كليك (مدير البعثة البريطانية)، والأستاذ عبدالرحمن مسامح (مدير إدارة المتاحف).

لقد كان جميع المدعوين ممتنين لهذه الدعوة الكريمة، التي أتاحت الفرصة لهم لحضور احتفالية البحرين بلد الكشف الحضاري وحضارة الكشف الآثاري، التي بدأت قبل خمسين عاماً، (منذ عام ١٩٥٤م). رصدت حقب التاريخ، وفق تقنيات علم الآثار وفنياته . وحضارة الكشف هذه لم تكن حدثاً عادياً؛ بل كانت من أعظم الإنجازات الأثرية في القرن العشرين؛ لعلاقتها بدراسات الشرق الأدنى القديم، ولكونها مولد علم الآثار البحريني الذي رعته الدولة، منذ البداية، عندما أعطى الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة، موافقته للبعثة الدانمركية بالعمل على كشف آثار البحرين، ودعم هذا المشروع بتبرع جزيل، بحكم زمنه في ذلك الوقت، بألف جنيه إسترليني؛ إنه منهج القيادة في حب البلد وتاريخها وآثارها.

إن هذه الاحتفالية ليست حدثاً عادياً؛ لأنها تكريم لكل آثاري شارك في هذا الكشف من الدانمركيين الأوائل ونظرائهم من البحرينيين، وتكريم لكل من بذل الجهد وشارك في هذا العمل الحضاري من العمال البحرينيين من المزارعين

والصيادين، وتكريم لكل رواد العمل الآثاري، عربياً وعالمياً.

ولم تكن الاحتفالية حدثاً عادياً؛ لأنها احتفاء بالمحتوى الأثري الثمين، بالمقتنيات الأثرية القيمة التي أثرت متحف آرهوس بالدانمارك، الذي أجرى التنقيب. كما أثرت المحتوى الآثاري بمتحف البحرين الوطني؛ لأنها كشفت عن عاصمة دلمون وقصورها ومعابدها وسفر القلعة سجل الماضي بإبداعاته الحضارية الرائعة؛ ولأن إنجازات الكشف كانت بمثابة منهجية الحاضر وإشراقاته المبدعة؛ إذ كانت البدايات الأولى للعمل الآثاري في البحرين الخطوة الأولى للعمل الآثاري بدول الخليج العربي: في الكويت، والمملكة العربية السعودية، وقطر، والإمارات، وعُمان.

عملت البعثة الدانماركية ما يقرب من خمسة وعشرين عاماً من التنقيبات المستمرة، وقد بدأت البعثة الأولى عملها في البحرين في الخامس من شهر ديسمبر ١٩٥٤م وحتى ٢ مايو ١٩٥٤م؛ واستمرت خلال الخمسينيات والستينيات والسبعينيات، بدعم من حكومة البحرين، وشركة النفط البحرينية، وصندوق كارلسبرغ. كما أعقب ذلك خمسة وعشرون عاماً من الدراسة والبحث في المواد الآثارية المكتشفة، ونشر نتائج الأبحاث، في سلسلة من الإصدارات، منها: كتاب "البحث عن دلمون" للسيد جيفري بيبي؛ يعرض لمحات عن حضارة دلمون في مواقع مختلفة، دوَّنها أثناء رحلته عام ١٩٦٩م، بدول مجلس التعاون. وقد ووزعت مطبوعات بمناسبة الاحتفالية على المدعوين ضمن حقيبة الإهداء تضم ما يلي:

١ . اكتشاف دلمون " خمسون عاماً من البحوث الدانماركية".

٢ . من اكتشافات البعثة الدانماركية في مملكة البحرين"، مجموعة مقالات، ترجمة د. محمد علي الخزاعي.

٣ . كتاب ب. ف غلوب "البحرين" البعثات الدنماركية في دلمون القديمة، ترجمة د. محمد البندر.

٤ . بوفين البحرين، ترجمة د. محمد البندر ويتناول الكتاب الفن التشكيلي وواقعه في البحرين.

٥ . ثلاثة أعداد من مجلة "دلمون"، التي تصدرها جمعية تاريخ وآثار البحرين، وقد صدر منها اثنان وعشرون عدداً.

٦ . البحرين في القرن السادس عشر "جزيرة حصينة"، للسيد مونيك كيزفران بعثة الآثار الفرنسية، ترجمة د. محمد الخزاعي.

كما ضمت الحقيبة إهداء ختم دلمون (٢٥٠٠-٥٠٠ق.م).

وقد اختارت البعثة قلعة البحرين شاهد الصمود في القرن السادس عشر الميلادي، التي صَدَّت جحافل الغزو البرتغالي؛ إذ أثبتت التنقيبات أنها أيضاً شاهد آلاف السنين وعاصمة الوطن الأم لدلمون القديمة ذات الحضارة العظيمة، التي سيطرت على التجارة البحرية بين مدن وادي الرافدين والهند، خلال الألف الثاني قبل الميلاد.

وكشفت البعثة عن شواهد قرية باربار الأثرية، التي تعود إلى (٤٠٠٠) أربعة آلاف سنة سابقة، وتمثل تحفة المعابد القديمة في شرق الجزيرة العربية، وآثار مدينة سار والدراز، وشواهد بناء حضاري، أسهم في بناء حضارة الشرق القديمة.

إن الأختام المكتشفة وثائق الوثائق للتعاملات التجارية والأعمال الرسمية التي تؤرخ تعاملات قديمة منها ما يعود لدلمون القديمة نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، وما يعود لدلمون المتوسطة حوالي ١٥٠٠قبل الميلاد، وما يعود لدلمون المتأخرة حوالي القرن السادس قبل الميلاد.

لقد فتحت أعمال البعثات المبكرة أعين المواطنين على تاريخهم؛ فترى في البحرين عشق الماضي. ومن شواهد هذا العشق استمرارية تقنية البناء القديم، المتمثلة في أكواخ البرستي المبنية من الطين، والمنسوجة من سعف النخيل وأليافه، التي استضافت علماء الآثار وأفراد البعثة الدانماركية، الذين وجدوا في تلك التقنية، رائحة الماضي وأصالته وتجربة الزمن ومهابته؛ وهي عملية اقتصادية، ومهنة تقليدية، وتجربة حضارية، تعكس البيئة البحرينية، وقد لازمت تلك التقنية ابن البحرين حتى حاضره.

حذق البحرينيون في فهم تاريخهم، من خلال فعاليات النشاط الثقافي، الذي اهتم بجانب التراث والتعريف به. إذ

شهدت مدرسة الهداية الثانوية، عام ١٩٥٧م، أول عرض لنتائج المكتشفات الأثرية، برعاية كريمة من الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة. وكان لهذا العرض أثره البالغ في رفع درجة الاهتمام بالآثار والتاريخ، منذ المراحل المبكرة في تاريخ البحرين. وفي السبعينيات، تأسس أول متحف؛ وشرع في التنقيبات الخاصة التي أسهمت في إثراء محتوى المتحف الوطني، الذي افتتح عام ١٩٨٨م.

واقترن الحب بأرض دلمون، فعرفت بأرض الخير وتباشيره، أرض التجارة وتجارة الأرض، مع الهند والسند وعيلام والرافدين والهلال والنيل أرض الثقافات ومشرق الحضارات؛ وبقيت البحرين حتى وقتنا الحاضر، مركز العلاقات التجارية والثقافية والاقتصادية.

لقد تغنى التاريخ بالبحرين أرضاً للظل الوارف واللون الجميل والضوء المبهر؛ فأصبحت جزر الغوص وبحيرات اللؤلؤ، وأشجار النخيل واللوز مصدر إلهام فناني النغم والريشة، فأبدع التشكيليون والموسيقيون في احتفالية اليوبيل الذهبي. كما أبدع المسرحيون عندما استقوا من ماضيهم مادة مسرحية لحاضرهم؛ فقد اختزلت مسرحية أرض الملوك التي قدمتها فرقة جلجامش مراحل التاريخ، فأظهرت عراقة دلمون وتايلوس، وأول ما أوضحت معالم حضارة الإسلام على أرض الوئام والمحبة والسلام.

وللآثار أثرها في تقرير الهوية الثقافية والوطنية. لقد احتفلت البحرين بهويتها الثقافية وانتمائها الوطني، وعاداتها وتقاليدها .. فجمعت بين الباحثين والفنانين والمسؤولين والمهتمين. وفي هذا اللقاء، غنًى لثقافة البلاد وأهلها، ومن جهة أخرى، فإن أعمال البعثات فتحت لبلادها علاقات ثقافية وعلمية، وصداقات على المستويين الوطني والسياسي.

ومن نتائج أعمال البعثات الدانماركية، توثقت العلاقات البحثية والثقافية، بين متحف موسكارد، ومتحف البحرين الوطني. وسوف تعطي هذه العلاقة، مزيداً من الأنشطة والفعاليات الثقافية المفيدة - بإذن شاء الله. فلماذا لا تنتهج البعثات العربية هذا النهج العلمي لإبراز تراثنا، بالبحث وتوثيق علاقاتنا العلمية والوطنية؟

ومن خلال الحضور الفاعل لهذه الاحتفالية، ندرك أن نجاحها يرتكز على ما تحتضنه مملكة البحرين من مفردات ثقافية وتاريخية وسياحية وفنية؛ فقيثارة النغم صوت الحياة المعاشة ورمز الوطن لمملكة البحرين، جعلت المدعوين يغادرون البحرين، وهم يشعرون بالتقدير للبحرين وأهلها، على جماليات الاحتفالية بتراث الوطن وتاريخه.

د. علي بن صالح المغنم - وكالة الآثار والمتاحف - وزارة التربية والتعليم - المملكة العربية السعودية.

الندوة الدولية الثالثة: الاكتشافات الأثرية الحديثة في دولة الامارات العربية المتحدة

الجهة المنظمة : مركز زايد للتراث والتاريخ

مكان الانعقاد : العين - الامارات العربية المتحدة

تاريخ الانعقاد : ٢٧-٢٨ صفر ١٤٢٦هـ

الموافق: ٦-٧ ابريل ٢٠٠٥م

نظّم مركز زايد للتراث والتاريخ "الندوة الدولية الثالثة: الاكتشافات الأثرية الحديثة في دولة الامارات العربية المتحدة"، بهدف تعزيز الفهم بآثار دولة الامارات العربية، وإتاحة الفرصة أمام المختصين لمناقشة القضايا الآثارية المختلفة، والتعريف بأحدث الاكتشافات الأثرية. وقد اشتملت الندوة على اثني عشر بحثاً، توزعت على أربع جلسات علمية خلال يومي الندوة، وشارك فيها نخبة من الباحثين والمختصين بآثار الامارات العربية المتحدة.

أفتتحت فعاليات اللقاء العلمي بكلمة للدكتور حسن النابودة، أكد فيها أهمية عقد مثل هذه اللقاءات العلمية بصورة دورية، بمشاركة المختصين المهتمين بدراسة آثار دولة الامارات العربية المتحدة وحضارتها.

عقدت أولى جلسات اليوم الأول برئاسة الأستاذ بيتر هيلير، وقد اشتملت على أربع أوراق علمية، أولها ورقة للباحثين هايكو كالويت ومارك بيتش ووليد التكريتي، بعنوان "آثار صحاري الجزيرة العربية: أعمال ميدانية حديثة في موقع

خور المناهل بإمارة أبو ظبي"، استعرض مقدمها الباحث هايكو كالويت مواقع اكتشفت في الجزء الشرقي من صحراء الربع الخالي، تحتوي على مجموعات من الأدوات الحجرية، المصنوعة من الحجر الجيري والكوارتز، تعود لفترة العصر الحجري الحديث. ونظراً لكون هذه الأدوات الحجرية موجودة في موقعها الأصلي، فقد قام الباحثون برفع احداثيات كل أداة حجرية باستخدام جهاز "المحطة المتكاملة" (Total Sta-tion)، بغرض التعرف على نمط انتشار الأدوات الحجرية بالموقع؛ إضافة إلى الرفع الطبوغرافي للظواهر الجغرافية بالموقع. ولعل من أبرز المعثورات الموجودة بالموقع منشآت حجرية ذات شكل دائري، مبنية من كتل الحجر الجيري، ولها مدخل أو اثنين. إن ما قام به الفريق العلمي يهدف إلى تحقيق مزيد من التقدم في تقنيات التعامل مع مواقع الأدوات الحجرية في المناطق الصحراوية، والاستفادة من التقنية الحديثة في تحقيق ذلك. ولعل من أبرز القضايا التي أثيرت عقب هذه الورقة تلك المتعلقة بإيجاد تنظيم يحمي مواقع ما قبل التأريخ، المنتشرة بكثرة في المناطق الصحراوية غير المأهولة، وخاصة من المشاريع الكبيرة، التي ترتبط، غالباً، بأعمال البحث والتنقيب عن البترول.

أما الورقة الثانية، فعنوانها "خام الصوان في المناطق الداخلية من شمال الامارات: مصادره، واستغلاله، وجمعه" شارك في إعدادها كل من مارغريت اوربمان وهانز-بيتر أوربمان وهارك هاندل ويوهان شميت، وألقاها نيابة عنهم هانز-بيتر اوربمان. تمثل الورقة الجهود المشتركة بين مديرية الآثار في امارة الشارقة وفريق آثاري من جامعة توبنغن، ضمن مشروع البوحيص. بيّنت الورقة وجود أدوات من العصر الحجري القديم، عُثر عليها قبل سنتين في الشارقة، تشتمل على أدوات وصفت بالقواطع الحجرية. ويرأى معدّو الورقة أن هذه الأدوات لا تعود للعصر الحجري الحديث، بل تُمثل أولى المواقع الأُلدوانية بشرقي الجزيرة العربية. ولعل من أبرز الاشكالات المرتبطة بهذا الرأي كون هذه الأدوات متأثرة إلى درجة كبيرة بعوامل التعرية، وليست مرتبطة بأي تتابع طبقي يُعين على تأريخها.

كما تناولت الورقة الأعمال المسحية لدراسة مصادر الصوان الخام في المناطق الداخلية من الشارقة، وعلى حدودها الشرقية مع إمارة رأس الخيمة وعُمان، وتُعد جبال الحجر من أهم مصادر توفر أحجار الصوان. ومن أبرز المواقع التي دُرست، موقع البوحيص ١٨، حيث تكثر الأدوات الصوانية وآثار الرماد. وهناك موقع الفايه- شمال شرق ١، الذي يحوي طبقات، تعود لفترة العصر الحجري الحديث، والعصر الحديدي، وأخرى اسلامية. ويظهر من البقايا الأثرية بالموقع، ارتباط النشاط البشري بالرعي، ووجود دلالات على جلب الأحجار الصوانية الخام من خارج الموقع، خاصة وأنه أمكن إعادة تركيب بعض الأدوات مع مثيلاتها في موقع مصدر المادة الخام. وتشير الدلالات الأثرية بموقع مصدر المواد الخام في ند الثمام إلى استخدام النار في تسخين الأحجار واستخراج الصوان. لقد أعطتنا هذه الدراسة معلومات قيّمة عن أهمية حجر الصوان بالنسبة للمجتمعات البشرية في الماضي، والجهود التي تُبذل للحصول عليه من مناطق بعيدة عن مقر إقامة الجماعات البشرية.

الورقة الثالثة كانت للباحث قاري فوغنر بعنوان "منشآت حفيت الحجرية في الامارات وعُمان: محاضرة آثارية مصورة". وقد عمل فوغنر على حصر المنشآت الحجرية المنتشرة في جبل الحجر والجبل الأخضر ووادي عهن وكلباء وعلى امتداد الجانب الشرقي للامارات وعُمان، وتحديد إحداثيات مواقعها بصورة دقيقة. كما أنجز الباحث بناء قاعدة بيانات لهذه المنشآت الحجرية، والتي تنوعت أشكالها بين الدائري، والبيضاوي، وذات الشكل البرجي، وغيرها. وبلغ عدد المنشآت الحجرية التي جرى حصرها المئات، تفاوتت من حيث موقعها، ما بين بطون الأودية وقمم الجبال، بارتفاع يصل إلى حوالي ٢٣٥٠م. وقد أشار أحد المُناقشين إلى انتماء هذه المنشآت إلى فترة حفيت والعصر الحديدي.

وقد تناولت الورقة التالية، التي قدمتها صوفي ميري وشارك في إعدادها وليد التكريتي، "نتائج الموسم السابع للتنقيبات الأثرية في مقبرة حفرة هيلي-شمال، ودراسة المدافن الدائرية في هيلي من قبل البعثة الاماراتية الفرنسية المشتركة". وقد استعرضت الباحثة ميري جهود البعثة الآثارية الفرنسية في دولة الامارات العربية المتحدة، على مدى عدة

مواسم، التي تضمنت التنقيبات بعد عام ٢٠٠٢م، إذ وجدت بقايا حيوانية، وفخار عبيدي، وثقالات شباك صيد أسماك وغيرها. وكذلك حفرية البطانة بامارة الفجيرة، التي جرى فيها تنقيب منشأة حجرية؛ كما نقبت منشأة من الطوب الطيني في هيلي. وفي عام ٢٠٠٢م تم توثيق حوالي ٩٠٠ مدفن في جبل عقلة تعود لفترة حفيت على امتداد ٢,٥ كلم، وتوثيق ٢٢ مدفناً تعود للعصر البرونزي الأوسط. وتظهر الدلائل الأثرية إعادة استخدام الحجارة في مدافن أم النار بموقع هيلي ٨ . وقد عثر على دلائل لقطع الأحجار من الجبال، واستخدام مطارق من حجر الديورايت لتهذيبها. ثم تناولت الباحثة الأعمال الميدانية التي جرت في أوائل عام ٢٠٠٥م، شملت أعمال التنقيب الأثرية في مقبرة حفرة هيلي-ن (Hili-N). يحتوي هذا المدفن على آلاف القطع العظمية المختلطة بعضها ببعض. ويُقدر عدد الأشخاص الذين دُفنوا بهذا المدفن بحوالي ٥٠٠ شخص، من مختلف الأعمار. كما اشتمل المدفن على بعض القطع الأثرية، تضم مصنوعات مستوردة، ومصنوعات محلية اشتملت على فخار محلي. وقد أثبتت دراسة البقايا العضوية بالمدفن أن نصف عدد الأشخاص ماتوا قبل سن البلوغ. كما وجدت دلالات على حرق الجثث، والتي دل عليها وجود طبقة رماد بالمدفن.

ترأس د. مارك بيتش الجلسة الثانية للندوة، التي افتتحت بورقة للباحث كريستيان فيلد بعنوان "تطور عمارة القبور في فترة وادي سوق، في شمل بإمارة رأس الخيمة". تحدث الباحث عن أهمية موقع شمل، الذي يحتوي على أكبر مدفن يعود لفترة الألف الثاني ق.م.، في منطقة تبلغ مساحتها ٣ كلم٢ . وقد أظهرت هذه الدراسة تنوعاً كبيراً في المدافن التي تعود لهذه الفترة في شمل، وظية، والغليلة، والخط جنوبي رأس الخيمة. وقد تفاوتت المدافن ما بين مدافن جماعية وأخرى فردية، وبأشكال وأطوال متعددة، وصل طول بعضها إلى حوالي ٢٢م. ومن ناحية أخرى، فهذه المدافن ليست مدافن ركامية، بل تحتوي، كما هو الحال في مدافن ظية، على أسقف تغطيها كتل حجرية. لقد احتوت هذه المدافن على مواد أثرية من فترة وادي سوق، تتراوح فترتها ما بين (٢٠٠٠-١٦٠٠ ق. م.). وقد أشار الباحث إلى أبرز ملامح تطور العمارة في مدافن الألف الثاني تمثلت في تأثير عمارة فترة أم النار على مدافن شمل، وكذلك انتشار التقليد المعماري للمنشآت المبنية تحت مستوى سطح الأرض (Subterranean) في عُمان والامارات.

بعد ذلك قدمت ورقة للباحثين هيلموت بروكنر، وأنجا زاندر، وغاري فولنز، وكلوديا غروبر، وهنريت مانهارت، وحسين قنديل، بعنوان: "الماضي في المستقبل: السواحل والضفاف القديمة والأنظمة البيئية في مدينة دبي للانترنت". وقد قام فريق جامعة ميونيخ، بالتعاون مع آثاريين من مدينة دبي بدراسة موقع السفوح ٢، والذي يُعد من أبرز مواقع فترة وادي سوق (حوالي ١٩٠٠-١٦٥٠ ق. م.). وقد عُثر في الموقع على شواطئ متحجرة، والتي كانت في السابق عبارة عن رمال شاطئية، تحولت إلى كتل صلبة، بفعل تأثير كربونات الكالسيوم. وقد أثّر ارتفاع مستوى مياه البحر على هذه المنطقة، التي وجدت بها دلالات على إقامة المجتمعات البشرية فيها، منها طهي الطعام باستخدام مواقد النار التي وجدت بالموقع. وقد تركّز الغذاء بشكل كبير على استخدام لحوم الجمال، التي وجدت كميات كبيرة من عظامها على الشاطئ القديم. وخلصت الدراسة، إلى معرفة المراحل المتعددة التي مرت بها المنطقة منذ حوالي ١٢,٠٠٠ سنة مضت، وحتى الوقت الحاضر.

وأما الورقة التالية للباحثين كلاوديا قروبر و أنجلا دريش وهنريت مانهارت بعنوان: "الماضي في المستقبل: حفرية السفوح ٢ وكيفية الاستفادة من نتائجها"، فقد كانت استمراراً لما قبلها. وقد عرضت في الندوة مقترحات عدة من بينها متحف يضم البقايا الأثرية التي تم تنقيبها، ومركز للزوار، وعروض خاصة تُركز على الجمل وأهميته بالنسبة لمجتمعات المنطقة في السابق.

وقد استهلت الجلسة الثالثة، التي رأسها د. جفري كنج، بورقة للباحث صلاح علي بعنوان :"تنقيبات المريشد الأثرية بإمارة الفجيرة". وقد بيّن الباحث اكتشاف منشأة حجرية بطريق الصدفة أثناء أعمال حفر أساسات لمنزل، أظهرت التنقيبات الانقاذية وظيفتها على أنها عبارة عن مدفن يبلغ

طوله ١٨م. وقد تضمنت المادة الأثرية أوانٍ وأكواب فخارية، وأوانٍ من الحجر الصابوني، وخرز ورؤوس رماح، يعود بعضها لفترة وادي سوق، والبعض الأخر يعود للعصرين البرونزي والحديدي. وقد أثيرت بعض الأسئلة حول مدى وجود دواعي فعلية تستدعي إزالة المدفن بشكل نهائي.

وتلى ذلك، ورقة للباحث بيتر مقي بعنوان: "تنقيبات حديثة في موقع المويلح بإمارة الشارقة"، تحدث عن أهمية الموقع والأعمال الأثرية التي جرت في الموقع، على مدى عشر سنوات مضت. وقد ركزت الورقة على بوابتين، أحدهما شرقية والأخرى غربية، تقعان ضمن المنطقة (C) بالموقع. وقد اشتملت أهداف التنقيب للفترة من ٢٠٠٢-٢٠٠٥م على استكشاف المقطع الجنوبي، وتأريخ منطقة البحث، واستكشاف المنطقة الواقعة خارج السور. وقد أظهرت الأعمال الأثرية بالموقع وجود غرف سكنية ومباخر من الحجر الصابوني وتماثيل لجمال من الطين المحروق. وقد أثبتت دراسة العناصر الكيميائية للفخار منشأه المحلي. وأظهر تنقيب مقطع خارج السور وجود جدار مبني من الطوب اللبن، ما يشير إلى توسّع المدينة خارج السور. كما أشار الباحث إلى أن الموقع تم استيطانه من قبل بدو رحل، تلاه الاستقرار بالموقع. إضافة إلى أن الموقع لا يزال غنياً بالمواد الأثرية، وخاصة البقايا العضوية والفخار.

وفي ورقة للباحث أحمد هلال بعنوان: "النجدي: منطقة الغب في إمارة رأس الخيمة"، تناول الباحث منطقة مرتفعة تحوي برجين من الطين اللبن تقع بين شمل ونخيل، شمال رأس الخيمة، ينسبها أهل المنطقة إلى البحار الشهير أحمد بن ماجد النجدي. وقد قام الباحث بحفر عدة مجسات بالقرب من البرجين، أظهرت وجود قاعدة حجرية تحت مستوى الأرض للبرج الشمالي الغربي، إضافة إلى وجود جدران وأربع طبقات استيطان، احتوت إحداها على حفر لتثبيت أعمدة خشبية فيها. وقد أظهرت أعمال التنقيب بالموقع وجود جدار يصل بين البرجين، وخندق يحيط بكامل الموقع. ولعل من أبرز النتائج التي تؤكدها هذه الورقة العلمية ضرورة الاستعانة بمناهج البحث الميداني للتحقق من طبيعة المواقع الأثرية، قبيل الجزم بطبيعة الموقع، بناءً على المصادر الشفهية.

وأما الجلسة الرابعة، والأخيرة، فقد رأسها الأستاذ الدكتور بيتر مقي، واستهلت بورقة للباحثة آن بينوا، وألقتها بالنيابة عنها الباحثة صوفي ميري، وعنوانها: "ممارسات ثقافية خلال العصر الحديدي في دولة الامارات العربية المتحدة: معلومات جديدة من موقع البثنة ٤٤/٥٠". وتُقدم هذه الورقة معلومات جديدة عن مستجدات العمل الأثري بواحة البثنة، الذي تقوم به البعثة الآثارية الفرنسية، بالتعاون مع إدارة الآثار بإمارة الفجيرة، منذ عام ٢٠٠١م. وقد خلصت الورقة إلى استخدام الموقع لأغراض ترتبط بإقامة الطقوس، وأخرى ترتبط بالجوانب الإدارية لمجتمعات تعود للعصر الحديدي الثاني.

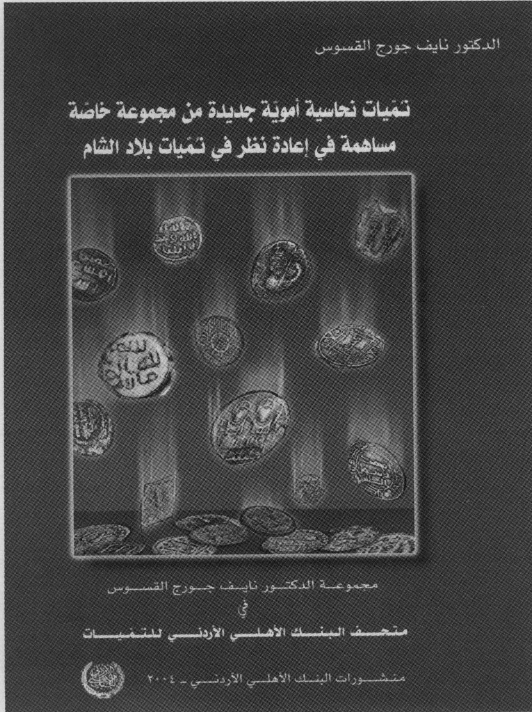
وأما الورقة الأخيرة في هذه الندوة فكانت للباحث جيفري كنج، بعنوان: "شواهد برتغالية لدبا: وصف وخريطة للمدينة في القرن السابع عشر". تناول الباحث المخطوطات والخرائط البرتغالية التي ترد فيها الإشارة إلى قلعة دبا، في سبيل التوصل إلى تحديد موقع القلعة الفعلي، خاصة وأن قلعة دبا لم تعد موجودة في مكانها الأصلي. وقد أشار الباحث إلى أن ما ورد من وصف وخرائط، ترجع في أساسها إلى أطلس يضم القلاع البرتغالية في المناطق التي تقع تحت سيطرة البرتغاليين، تم إنجازه بأمر من الملك الاسباني فيليب الرابع، يؤكد أن القلعة كانت بمدينة دبا الحالية، الواقعة على الحدود الاماراتية- العمانية.

خُتمت الندوة بكلمة للدكتور حسن النابودة، الذي أثنى على جهود الباحثين ومشاركات الحاضرين، ووعد الجميع بسرعة طباعة البحوث المقدمة في أقرب فرصة ممكنة.

لقد أسهم العديد من العوامل في نجاح هذه الندوة، من أبرزها حسن التنظيم، وجودة الأبحاث والدراسات، التي اشتملتها الندوة، ومستوى النقاش العلمي الذي تبادله الحضور مع الباحثين.

د. عبدالله بن محمد الشارخ - قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص.ب ٢٤٥٦ - الرياض ١١٤٥١ - المملكة العربية السعودية - asharekh@ksu.edu.sa.

عرض الكتب



اسم الكتاب: نمّيات نحاسية أموية جديدة من مجموعة خاصة

المؤلف: د. نايف جورج قسوس

الناشر: البنك الاهلي الأردني، عمّان

سنة النشر: ٢٠٠٤م.

رقم الإيداع: لدى دائرة المكتبة الوطنية - الأردن ٦١٧ / ٣ / ٢٠٠٤

مقاس الكتاب: ٢١×٢٩,٥ سم.

عدد الصفحات: ٥٢٨ صفحة.

عرض: صالح خلف الحمارنه

يتكون الكتاب من أربعة أبواب، هي: الباب الأول: "التحولات الكبيرة في تأريخ الشرق الأدنى خلال القرن السابع الميلادي"، ويتألف من ثلاثة فصول؛ والباب الثاني: "نشأة المسكوكات العربية الإسلامية في بلاد الشام وتطورها"، وهذا الباب، ينقسم إلى أربعة فصول؛ والباب الثالث: "دار الضرب وما يجري فيها من أعمال"، ويتألف من فصلين فقط؛ أما الباب الرابع والأخير، فكان بعنوان: "المسكوكات النحاسية للإصلاح النقدي"، وهو يتالف من أربعة فصول.

كما يضم الكتاب عدداً من الخرائط، تبلغ ١٢ خريطة؛ منها ما يوضّح سورية كولاية رومانية، وأخرى لسوريه في الفترة البيزنطية، ثم خارطة لأجناد بلاد الشام، وأخرى ترسم بدقّة حدود جُنْدَيْ فلسطين والأردن، في القرون الثلاثة الأولى للهجرة. يلي ذلك خريطتان، توضحان مدن الضرب في أجناد الشام.

وضمّن الباحث الكتاب جدولاً خاصاً بالأوزان الإسلامية، وزوَّدنا بدليلين: الأول لصور المسكوكات، التي جعل منها الباحث نماذج ايضاحية لما يقع في دار الضرب من أخطاء، وكان عدد هذه النماذج الإيضاحية ٨٧ نموذجاً. أما الدليل الثاني فهو الباب الرابع: فقد كان للمسكوكات التي لم يسبق نشرها، لا في كتاب "المتحف البريطاني" ولا في غيره - كما سيأتي- وقد صنفها المؤلف، حسب التسلسل التاريخي، وضمن فصول الباب الرابع، وكان عددها الإجمالي ٦٨٢، مسكوكة نحاسية جديدة؛ ما حدا بالمؤلف أن أطلق على الباب الرابع :"إضافات للمسكوكات النحاسية، في مصنّف ووكر، الخاص بالمسكوكات العربية البيزنطية ومسكوكات الإصلاح النقدي"؛ أي أن المسكوكات التي لم يرد ذكرها في مصنّف جون ووكر، الذي أصدره مجلس أمناء المتحف البريطاني، عام ١٩٥٦ م والموسوم ب (A CATALOGUE OF THE ARAB-BYZANTINE AND POST-REFORM UMAIYAD COINS, BY JOHN WALKER,LONDON 1956) . وتُعَدُّ هذه الإضافات للمسكوكات، إضافةً علمية كبيرة، وخدمةً لعلم المسكوكات، قام بها المؤلف الكريم، بجدارة.

هذا، وقد زوّد المؤلف الكتاب بالفهارس الضرورية، من مثل: فهرس عام؛ وفهرس تعريفات، وغيرها.

في التمهيد للكتاب، تعريف بعلم النُّميات، وتنويه بأهميتها في دراسة التاريخ : وما ا لنُّميات في حقيقتها إلاّ وثائق تاريخية، وسجل للدول حافل بالشعارات والصور والرموز. كما أن علم النُّميات علم عملي، لا يمكن دراسته، دون المسك بالقطع قيد الدراسة وتفحصها، ومعرفة أوزانها ونوع معدنها وما كتب عليها. لذا، لا يخلو علم ا لنُّميات من إثارة.

وفي الكتاب تمكّن المؤلف، بالمثابرة وحسن التثبّت، من حلّ رموز ست كلمات غير منقوطة وتصويبها، لم يُحسن غيره تفسيرها.

وبشكل خاص، قدّم المؤلف نقداً علمياً للمنهاج، الذي اتبعه ووكر، في مصنفه (الذي صدر عام ١٩٥٦)؛ فمثلاً على ذلك :

أ -استخدم ووكر مصطلح "عربي بيزنطي"، ليشير إلى المسكوكات ،التي ضُربت في الفترة ما بين الفتح الإسلامي لبلاد الشام وإصدار مسكوكات " الخليفة الواقف "، نظرا إلى شدة تأثرها بصفات المسكوكات البيزنطية؛ الا أن " ووكر" استعمل هذا المصطلح، إشارةً إلى سلاسل أخرى مختلفة، مثل: "العربية اللاتينية"، و"العربية البهلوية"، والى تلك التي ضُربت في مصر على الطراز البيزنطي، علما بأن تلك السلاسل ضُربت في فترات زمنية مختلفة، وكتبت بلغات مختلفة. ولهذا السبب ، تبنّى العلماء، حديثاً، تسميةً بديلة، لتحل مكان المصطلح السابق، هي: "مسكوكات ما قبل الإصلاح النقدي".

ب- ان تقسيم (ووكر) مبنياً على نوع المعدن واللغة والطراز. وكانت النتيجة أن هذه التقسيمات لم تعكس لنا التطور الحقيقي لتلك المسكوكات، ولم تظهره، بالنسبة إلى الزمان والمكان. غير أن الباحث تجنّب هذا الاسلوب في التقسيم، ودرس المسكوكات النحاسية، لكل جند - وهذا مدار البحث في الكتاب - اذ عدّه وحدة متميزة عن الأجناد الأخرى، ويقع تحت سيطرةٍ إدارية، كانت مسؤولة عن إصدارات مسكوكاتها النحاسية.

ج -رتّب ووكر، أسماء مدن الضرب، الف بائياً؛ الأمر الذي لم يعكس حقيقة علاقة المدن بعضها ببعض، ومضمونها التاريخي. والحقيقة، أن ووكر لاحظ أن الترتيب الجغرافي لمدن الضرب هو الأفضل؛ ولكنه لم يتبع هذه الطريقة، خوفاً من اختلاف الآراء حول دقة الترتيب والتقسيمات الجغرافية؛ إذ إنه لم يكن، آنذاك، قد صدرت كتب أو دراسات جغرافية مترجمة، حول الحدود الجغرافية للأجناد. مثلاً: وضع مدينة عمان، ضمن جند فلسطين؛ وهي في الحقيقة ضمن جند دمشق (ص ٣٥).

لم يكتف المؤلف، أن ترجم عنوان الكتاب وأبوابه وفصوله، إلى اللغة الإنجليزية، لمساعدة الباحثين والقارئين الذين لا يحسنون العربية، للوقوف على ما يحوي الكتاب من فصول ومعلومات، بل تولى، كذلك، ترجمة جزء مهم من الفصل الثالث -الباب الثاني- إلى الإنجليزية (٤٧٧-٤٨٧) وأعطاه عنواناً: "معاني الكلمات غير الدينية التي وردت على المسكوكات النقدية قبل الإصلاح وبعده".

في هذا الفصل، استطاع المؤلف، ان يقرأ، بشكل سليم ودقيق، ويصوّب بعض الكلمات، التي سبق أن قرأها علماء آخرون، منها: كلمة " بعض " التي رسمها ووكر رسماً، وكذلك كلمة " يبّث" او " ثبت" وكلمة " يلذ" و " جاز هذا" و " الدرير" او " الدابر" او " الداثر" وكلمة " الحق"، كذلك كلمة " قِطري" التي قرأها العلماء وكأنها تخص القُطر كله، أو كما ادّعى بعضهم أنها "لقُطْرِيِّ بن الفجاءة" إلاّ أن الباحث أثبت عدم وصول قطري بن الفجاءة لبلاد الشام. وخلص المؤلف إلى: أن كلمة قِطري (بكسر القاف)، والتي وردت في القرآن الكريم، إنما تعني النحاس(وبطبيعة الحال مسكوكة نحاسية). كما ناقش المؤلف كلمة "مقسم" او "مقاسم"، وهي النصيب أو الحصّة من النقد، في حالة البحث في مجال المسكوكات.

قلنا إن المؤلف قد قسّم الكتاب إلى أربعة أبواب رئيسية، وكل باب يتكوّن من فصول مستقلة عن بعضها، ولكنها مترابطة بعلاقة وثيقة بغيرها من الفصول في الأبواب الأخرى، في إطار تاريخي لمنطقة بلاد الشام، في القرن

السابع للميلاد.

في الباب الاول استعرض المؤلف التحولات التاريخية الكبيرة، التي وقعت في منطقة الشرق الأدنى، خلال القرن السابع الميلادي. وإدراكاً منه، فقد ذكر الخلفية التاريخية للإمبراطورية البيزنطية والعلاقات العربية البيزنطية، ووصف النمّيات البيزنطية كونها النماذج الاولى، التي اقتبس منها العرب المسلمون نماذجهم الذهبية والنحاسية.

اما الباب الثاني، فكان عن نشأة وتطور المسكوكات العربية الإسلامية في بلاد الشام، فجرى التعريف بأصولها وطرزها، وشرح مشكلة الوجه والظهر للمسكوكات، وكتب كذلك عن نظام القياس وعلاقته بالنظام البيزنطي، وأشار إلى الفئات النقدية في تلك الفترة، وسّجل أسماء مدن وأماكن الضرب، وبحث "السنج الزجاجية" واستخداماتها، كما ذكر النظريات والأفكار حول التسلسل التاريخي لإصدارات ما قبل الإصلاح النقدي " النحاسية " لبلاد الشام.

كما قام الباحث بالتمييز، بين النقود النحاسية لأجناد الشام، والنقود النحاسية لمصر وشمالي أفريقيا.

وجميل ما جاء عن المسكوكات الإسلامية من: أنها غنية جداً بالمعلومات، بسبب ما كُتب فيها من مأثورات. وبذلك، يصح قول العالم الإنجليزي لين بول (L.POOLE): "إن المسكوكات الإسلامية تصنع التاريخ، أكثر مما تستذكره" (ص. ٢٨). هذا وتتسع مساحة الدينار الإسلامي والدرهم الإسلامي، لأكثر من خمسين كلمة، على الوجهين. كما حمل الكثير من المسكوكات الإسلامية تاريخاً وأسماء مدن؛ وفي هذا دلالة على حُكم تلك المدينة وتبعيتها، أو تاريخ فتحها وإلحاقها بالدولة ومعرفة مدى امتدادها. ويشير الباحث مايلز (G. MILES) إلى ذلك بقوله: "لقد قدمت النميات الإسلامية إلى التاريخ الإسلامي، خدمات جليلة، تفوق ما قدمه إليها أي فرع من فروع المعرفة الأخرى " (ص. ٢٨). وغني عن القول، أن المسكوكات من شارات الخلافة.

أما الباب الثالث (الصفحات: ١٥٣ - ٢٠٥)، ففيه ذكر مفصل لما يجري من أعمال في دار الضرب نفسها، بدءاً بصهر المعادن وخلطها، ثم صناعة الأقراص ووسائل نقش القوالب التي تُضرب بها النقود. كما يتتبع الباحث الأخطاء، التي تحدث في مراحل الصناعة، وتساعد الباحثين على تتبع التقنية والأسلوب المتبعين في الصناعة والإنتاج. هذا وسجل الباحث في الباب الثالث صوراً، تفّسر لنا مجريات الأمور في دار الضرب، مثل: مسألة "التهجين"؛ أي التزاوج الخاطىء بين القوالب، وخير مثال على ذلك: الفلس (الرقم ١٩، ص ١٩٢)، الذي يحمل أحد وجهيه اسم "دمشق" والآخر اسم "قنسرين" (انظر ص ١٧٥ - ١٨٠). كما بحث المؤلف في التقليد وبواعثه، وفرّق بين مصطلح التقليد أو المحاكاة والزيوف. وأشار المؤلف إلى "النقاط السرية"، وعلَّل أسباب وجودها في المسكوكات.

لا شك، أن الباب الثالث هو من أمتع أبواب الكتاب، فإضافة إلى ما فيه من جهد وصور توضيحية ونماذج لمسكوكات تحمل هفوات، فقد استخدم الباحث النقود ذاتها، ودرسها ليخرج باستنتاج طريقة صناعةالنقود النحاسية الأموية، وميّز بين ما هو مصنوع بطريقةالضرب أو السبك. كما أشار إلى أنه نتيجة كراهية الإسلام للتصوير والنحت، لم يترك لنا الفنانون المسلمون صوراً لدور الضرب أو أدوات صناعة النقود. ولهذا، كان لا بدّ من الرجوع إلى المسكوكات ذاتها، لتكون هي المرشد لنا إلى معرفة طريقة صناعتها. وفي هذا الباب، كذلك، عرّف الباحث معنى "رسم الإصدار" وأسماء القائمين على كل مرحلة من مراحل الصناعة، مثل: اختصاصيي صهر المعادن، وأولئك الذين يصبون الألواح المعدنية ويطرقونها ويقصونها أقراصاً مناسبة. ثم يذكر أن هناك عمالا يتولون تسخين الأقراص ووضعها بين القوالب، ليتولى آخرون غيرهم ضربها. كما يشير إلى مسؤول وزن المعادن والى المراقب المسؤول عن جميع هذه العمليات الخاصة بإنتاج النقود. ثم يذكر كيفية حفظ الأدوات، وخزنها، وختمها، والتحفظ عليها إلى اليوم التالي من الإنتاج. ويذكر الباحث كيف كان مسؤول دار الضرب، يستخدم نظام الختم على أيدي الطبّاعين للتحفظ عليهم؛ كي لا يقوموا بعمليات غير قانونية. وكان العامل الاموي الحجاج بن يوسف الثقفي، أول من استخدم هذا الاسلوب.

ما الباب الرابع والاخير : فقد شمل نُميات أموية، لم ترد في مصنّف ووكر المذكور سابقا. ومما يجذب النظر إلى الموضوع، أن جميع المسكوكات المنشورة هي من مجموعات الباحث نفسه، التي قام بجمعها على مدى اكثر من ثلاثين عاماً؛ ومن ضمنها، مسكوكات أموية مصنوعة من الرصاص، تُنشر لأول مرّة، إضافة إلى مسكوكات وأوزان فريدة، حيث سُجّل على إحداها، ما يلي:

بسم الله ضرب/ على يدي حبيب بن د / ينار سنة اربع / ومئة واف / ثلث اواق (انظر ص ٢١٥ - ٢٢٠).

يمتاز هذا الوزن، بأنه أعيد نقشه على وزن بيزنطي، يظهر على أحد وجهيه القيمة بالحروف البيزنطية، مطعّمةً بالفضة (ص ٢٢٠). وهذا الوزن ثالث وزن بيزنطي معروف، لدى علماء النميّات، أعيد نقشه بالعربية.

كذلك تطرقت الدراسة، إلى وجود أختام رصاصية، تحمل اسم، حُلاحل / ارض / الأردن؛ وآخر يحمل الصيغة نفسها، ولكنه يحمل اسم فلسطين بدلاً من الأردن (ص ٢٣٠-٢٣١). ويعرّف البستاني، كلمة حُلاحل، بأنها تعني: السيد الشجاع، أو الضخم الكثير المروءة، أو الرزين في ثخانة.

ومن الملاحظ، أنه لم ترد كلمة " أرض" أو "جند"، في المسكوكات الصادرة عن أجناد بلاد الشام، علماً بأن أمر إصدار هذه المسكوكات كان منوطاً بأمراء تلك الأجناد. كما لم ترد هاتان الكلمتان في مسكوكات المعادن الأخرى. والإصطخري (من منتصف القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي) هو الجغرافي الوحيد، الذي استخدم كلمة أرض، في كتابه "المسالك والممالك"، عندما كتب عن أرض الشام وشبه الجزيرة العربية.

أما بقيّة الجغرافيين، فقد استخدموا كلمة الشام مجرّدة، أو ذكروا قبلها كلمة ديار، أو عَدَّدُوا أجنادها.

كما ان الباحث نشر طبعة خاتم من الرصاص، يحمل اسم " عبد الملك" أمير المؤمنين، ويسبقه "عبد الله". ومن الملاحظ، أن كلمة "عبدالله" كانت، أحياناً، تسبق كلمة رسول الله أو أسماء بعض الخلفاء: مثل معاوية، وعبد الملك، والوليد؛ ولم تظهر هذه الكلمة إطلاقاً، في نقود الولاة، أو تسبق أسماءهم، في الفترة الأموية.

كما أن كلمة "عبد الله" ظهرت في فِلْسٍ، ضربه الوليد بن عبد الملك، في دمشق، سنة ٨٧ هـ (ووكر ص: ٢٥٣) . ومن ذلك، استخلص الباحث، أن هذه العبارة كانت خاصّة بالخلفاء، وتسبق أسماءهم؛ للدلالة على الخضوع لله، وأن الخليفة قصد الإشارة إلى نفسه، بأنه إنما هو عبد مأمور، يعمل بمشيئة الله.

يذكر المؤلف ملاحظة دقيقة، تتعلق باستمرار استيراد المسكوكات البيزنطية، حتى عام ٦٥٨ م، وذلك حدث، بعد أن أُقفلت دار الضرب، في أنطاكية سنة ٦١٠ م؛ وكانت هي دار الضرب الوحيدة، التي تزود المنطقة بجزء من حاجاتها من الفئات الصغيرة من المسكوكات (انظر ص ٣٧).

يعلل علماء النميّات ذلك، بأن البيزنطيين كانوا يأملون باسترداد سورية، أو على الأقل استرداد شمالي البلاد السوريه. وقد جرى إثبات استمرار تدفق المسكوكات النحاسية، من بيزنطة إلى بلاد الشام، من طريق دراسة الكنوز والدفائن.

وأضاف المؤلف فصلاً جديداً، ذكر فيه الكلمات الدينية الموجودة في المسكوكات المضروبة، على الطراز العربي البيزنطي، التي حملت كلمات مختلفة، مثل : "محمد" و"الأمير " و" سعيد". وقد فَصَل المؤلف هذه المسكوكات، عن تلك التي حملت مأثورة " الوفاء لله " (انظر الصور، ص ٢٨٤-٢٨٧). لا بد من تأكيد الأسلوب الذي اتبعه المؤلف، إذ إنه قد صَنَّفَ المسكوكات ورتبها، بحسب الأجناد والمدن التابعة لها، بالاسلوب نفسه، الذي طالب به بيتس (M. BATES).

لقد عقد المؤلف مقارنه بين المسكوكات النحاسية، لبلاد الشام، وتلك التي ضُربت في مصر وشمال أفريقيا والأندلس، بهدف التمييز بينها؛ لأن ذلك لم يكن معروفا ومتيسراً، في السابق. والكتاب حافل بنُّميات جديدة، منها وزن يحمل اسم "الحجاج بن يوسف" (ت ٩٦ هـ - ٧١٤م) تحت بند الإضافات

الرقم ٤٥ ، الذي ينص على: الوجه: بسم الله امر/ الامير الحجاج بن/ يوسف بالو/فا هذا ميزن ستة. ويحمل الظهر كلمة " وافيه"، أعلاها ٣ نقط، وأسفلها ٣ نقط، للدلالة على المقدار (ص ٤٦٩) .

وتجدر الإشارة إلى فلسٍ، يحمل كلمة "واف"، وهو من ضرب الأردن. ولأول مرّةٍ ، يظهر فلس للأردن، يحمل كلمة "واف" (انظر ص ٤٧٥، الرقم ٤٥٣ أ). كما نشر في (ص ٤٧٤) فلساً عربياً بيزنطياً، يظهر في وجهه، لأول مرّة، إمبراطوران جالسان، والحروف" (ΔAM) ،اختصاراً لكلمة دمشق باليونانية. وفي (ص: ٣٦٠) نشر الباحث فلساً ضُرب بدمشق، يحمل: عبدالله سليمن. . . وهذا أول فلس معروف، لدى الباحثين يحمل اسم سليمان(ص ٣٦٠، الرقم ٣٩٧).

تمت إضافة جديدة (ص ٣٦١، الرقم ٣٩٨) لنقود دمشق؛ اذ سجّل الباحث فلساً ، يحمل تاريخ خمس وثمانين، داخل إكليل من الغار، علماً بأن التاريخ المعروف لدينا، هو اثنان وثمانون. كما سجل المؤلف أسماء مدن جديدة، لم ترد في مصنف "ووكر"، مثل: قيسارية، واذرعات، وبصرى. وصوَّبَ قراءة اسم مدينة "تنوخ"، التي قرأها "ووكر" سروج.

وأخيراً، لا بد من الإشارة إلى أن الباحث استطاع أن يُفَسِّر مغزى ما ذكره المقريزي: "وضرب معاوية، أيضاً، دنانير عليها تمثال متقلد سيفاً، فوقع منها دينار رديء في يد شيخ من الجند، فجاء به إلى معاوية، وقال: يا معاوية، إنا وجدنا ضربك شر ضرب. فقال له معاوية: "لأحرمنك عطاءك، ولأكسونك القطيفة" . يشير هذا إلى دينار رديء (زائف؟)، وقع في يد شيخ من الجند، وهذا يعني، أن خسارة كبيرة لحقت به، فجاء معاوية شاكياً؛ إلا أن معاوية، المعروف بحكمته ودهائه، أخبره أنه سيحرمه العطاء، لكنه سيكسينّه القطيفة. والذي يُمنح القطيفة، يأخذ ألفين في العطاء. وهكذا، استطاع معاوية، بحكمته، أن يُرضي ذلك الشيخ ويسكته.

وبعد، فالكتاب هو باكورة إصدارات "متحف البنك الأهلي الأردني للنُّميات"، جاء نشره، دليلاً على الدور الريادي للبنك الأهلي في الإسهام في توثيق الحضارة الإنسانية ونشرها. هذا وقد قدّم للكتاب، معالي الدكتور رجائي المعشر رئيس أمناء متحف البنك وراعي المتحف.

والكتاب قد شكّل أطروحة دكتوراه في العلوم الانسانية، للمؤلف د. نايف قسوس، وهو صاحب بحوث مميزة أخرى، نذكر منها: "مسكوكات الأمويين في بلاد الشام" الصادر في عمان عام ١٩٩٨م.

صالح خلف الحمارنه - قسم الآثار - كلية الآداب - الجامعة الأردنية - ص. ب ١٣٨١٣- عمان - الأردن.

ثبت الأبحاث المنشورة في الأعداد من (١-١٠)

أولاً: أبحاث عصور ما قبل التاريخ:

ثانياً: أبحاث عصور ما قبل الإسلام:

ثانياً: أبحاث النقوش:

ثالثاً: أبحاث العصور الإسلامية:

رابعاً: موضوعات أخرى:

Center for the XRD and XRF analysese and the preparation of some thin sections. The authors are indebted to the Petroleum Research Center which prepared the thin sections too. The authors express their sincere appreciation to Prof. Mahmoud Al-Nims for the encouragement to submit this paper and for his keen interest in this project.

Dr. Haithem A Minas: Al-Mregib University, Faculty of Science, Department of Earth And Environment Sciences, P.O.BOX 40127, Al-Khums, Libya.

Dr. Mustafah Namu: Al- Mregib University, Faculty of Science, Department of Archaeology, Al-Khums, Libya.

Dr. Hassan Bu-Arabyia: Al-Mregib University, Faculty of Science, Department of Earth And Environment Sciences, P.O.BOX 40127, Al-Khums, Libya.

ملخص: دُرست أرضيات فسيفساء دارّات السوق القديم، ودار بوك عميرة، ومجموعة الخمس والنيريدات الرومانية الواقعة في شمالي غرب ليبيا، جيوكيميائياً وصخرياً وإحصائياً. أظهرت تحليلات حيود الأشعة السينية (XRD)، أن ملاط أرضيات الفسيفساء مكون من معادن الكوارتز والكالسايت والكؤولينيت. بينما بينت دراسات نتائج تحليلات الأشعة السينية الوميضية (XRF) والتركيب الصخري والتحليل العنقودي، أن مصادر قطع الفسيفساء النارية لدارّات الخمس، جلبت من صخور مخاريط جنوبي ترهونة البازلتية البركانية، في حين أن صخور الجريان البازلتي لشمال غريان، هي مصدر قطع الفسيفساء النارية، لدارّات النيريدات ودار بوك عميرة. كما لعبت مكاشف تكاوين الخمس الجيري وسيدي الصيد والنالوت الصخرية، كمصادر لقطع الفسيفساء الرسوبية؛ الأمر الذي سيساعد على صيانة أرضيات الدارّات المتضررة.

References

Al-Nims, M. A. 1967a. Excavation Of Tajurah Archaeology Institute, **Libya Antique**, Vol. III, p. 7.

Al-Nims, M. A.1967b. Excavation Of Tajurah Archaeology Institute, **Libya Antique**, Vol. IV, p. 23.

Al-Nims, M. A. 1990. Tripoli area Villas from 1st-2nd A. D., **Journal Of Arab Archaeology**, Vol. I, pp. 96-97.

Al-Nims, M. A.; Abu-Hamid; Al-Sideek, M. 1977. **The Guide of Al-Saray AL-Hamraa museum in Tripoli**, Al-Dar Al-Arabiya lelkitab, pp. 154-155.

Bassier, C. 1977. Some problems in the conservation of mosaics, Mosaics, No.1, **ICCROM**, pp. 67-69.

Di Vita, A. 1965. Excavation Of Roman Villa In Tajurah Shoreline, **Libya Antique** , Vol. II, p 41.

Frizot, M. 1977. Le Mortier Mystere Ou Savior Faire, **Les Dossiers De L'archeologie**, No.25, pp. 60-63.

Mann, K. 1975. Explanatory Booklet "Geological Map Of Libya-Sheet Al-Khums", **Industrial Research Center, Libyan Arab Republic**, p. 88.

Observer Of Leptis Archaeology 1976. **Excavation Final Report, internal report.**

Observer Of Leptis Archaeology 1978. **Excavation Final Report, internal report.**

Vitruvius, M. P. 1960. The Ten Books In Architecture, **Drover publications,** Vol. II, p. 42-44.

Vitruvius, M. P. 1960. The Ten Books In Architecture, **Drover publications,** Vol. VII, p. 202-204.

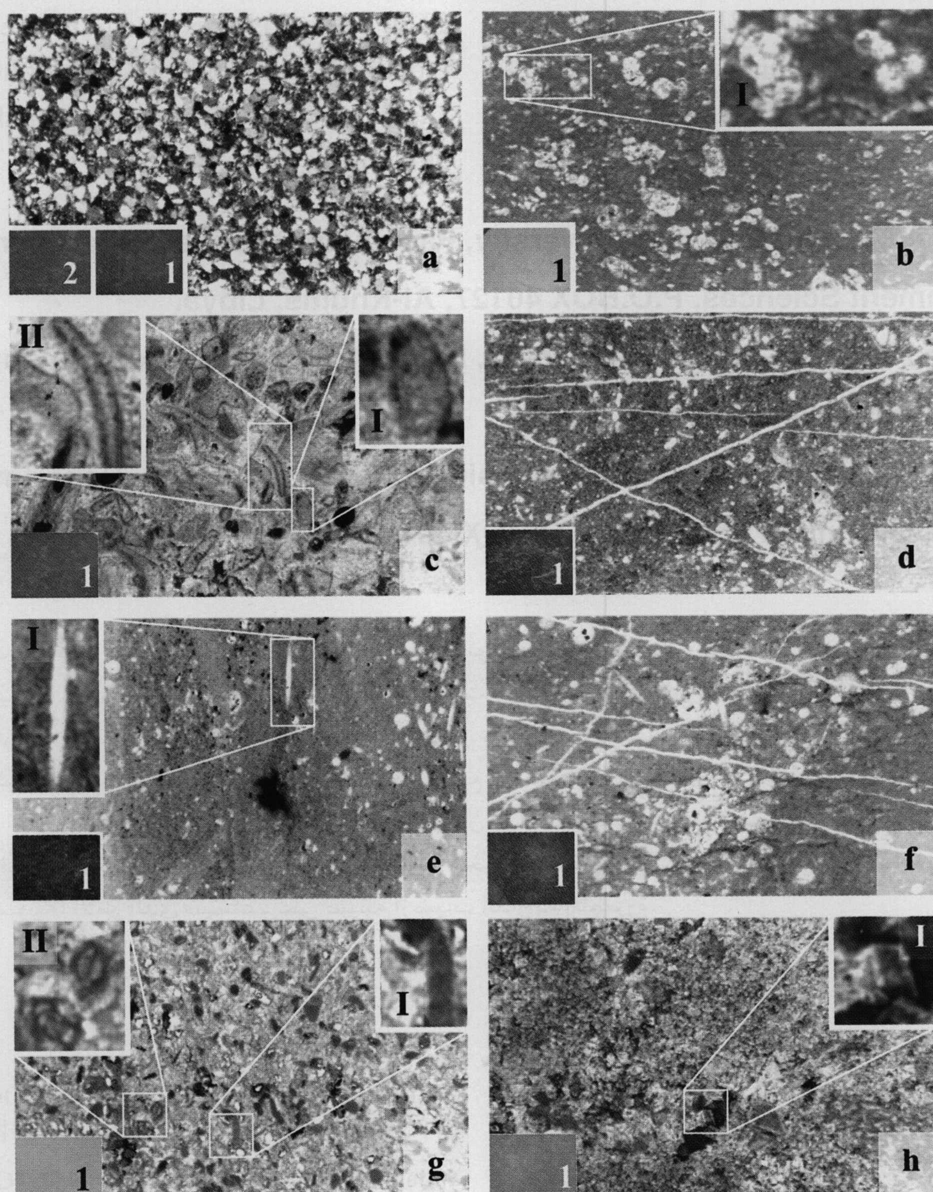


Fig. 7. Selected mosaic thin sections (a, b samples from Nerids Villa; c, d, e from Dar Buk Ammera Villa; and f, g, h from Al-Khums group villas) were picked from the studied villas, a. Sandstone with iron oxide cement showing red color which is coded according to Munsell color chips (rock color chart) as 10R4.5/6 for mosaic segment (a.1) and 5YR4.5/4 for segment (a.2); this thin section might refer to quartz sand intercalations of Sidi as-Said Formation rock (X32). b. Wackestone with planktonic forams component strongly reflects Nalut Formation rock than Al-Khums Formation (because it is scarcely found in the last one) showing color coded 5Y8.5/1 for (b1) (X40). c. Packstone facies including mullasca shells (c.II), pellets (c.I), and recrystallization effect, color coded as 10R3.5/4 for (c.1); these features indicate Al-Khums limestone Formation as a source rock (X20). d. Wackestone facies with plant rootlets as well as some silt size sand with rare spicules, color coded as 5YR4.5/4 for (d.1); this is strongly similar to the lower part of Al-Khums Formation rock (X20). e. Wackestone facies with spicules (e.I) floating within micrite matrix, color coded as 5Y3.5/1 for (e.1), Al-Khums rock Formation is suggested to be a source rock for this sample. f. is the same as d but with abundant spicules and less silt size sand, color coded as 5YR5.5/6 for (f.1), this refers to Al-Khums Formation rock too (X25). g. Packstone facies include pellets, algae (gI), forams (QuniqueloculinaSp. [gII]), color coded as 10YR7.5/2 for (g.1), this indicates that Al-Khums Formation rock serves as a source rock for this sample (X20). h. Dolostone facies shows euhedral dolomite crystals (h.I), subhedral crystal, and anhedral dolomite crystals; color coded as 10R4.5/6 for (h.1), these characteristics identify Sidi as-Said Formation rock as the source rock for this sample (X32).

Identifying provenance of sedimentary clustered group need color coding with Munsell color chart. This was made for each segment, converted to thin section for petrographic study under binocular microscope, Representative slides selected for each studied villa, two of them were for Nifids villa composed of sandstone (Fig.07a). These was picked from outcrops of Sidi as Said rocks formation which lithologically characterized by sandstone intercalation contents.

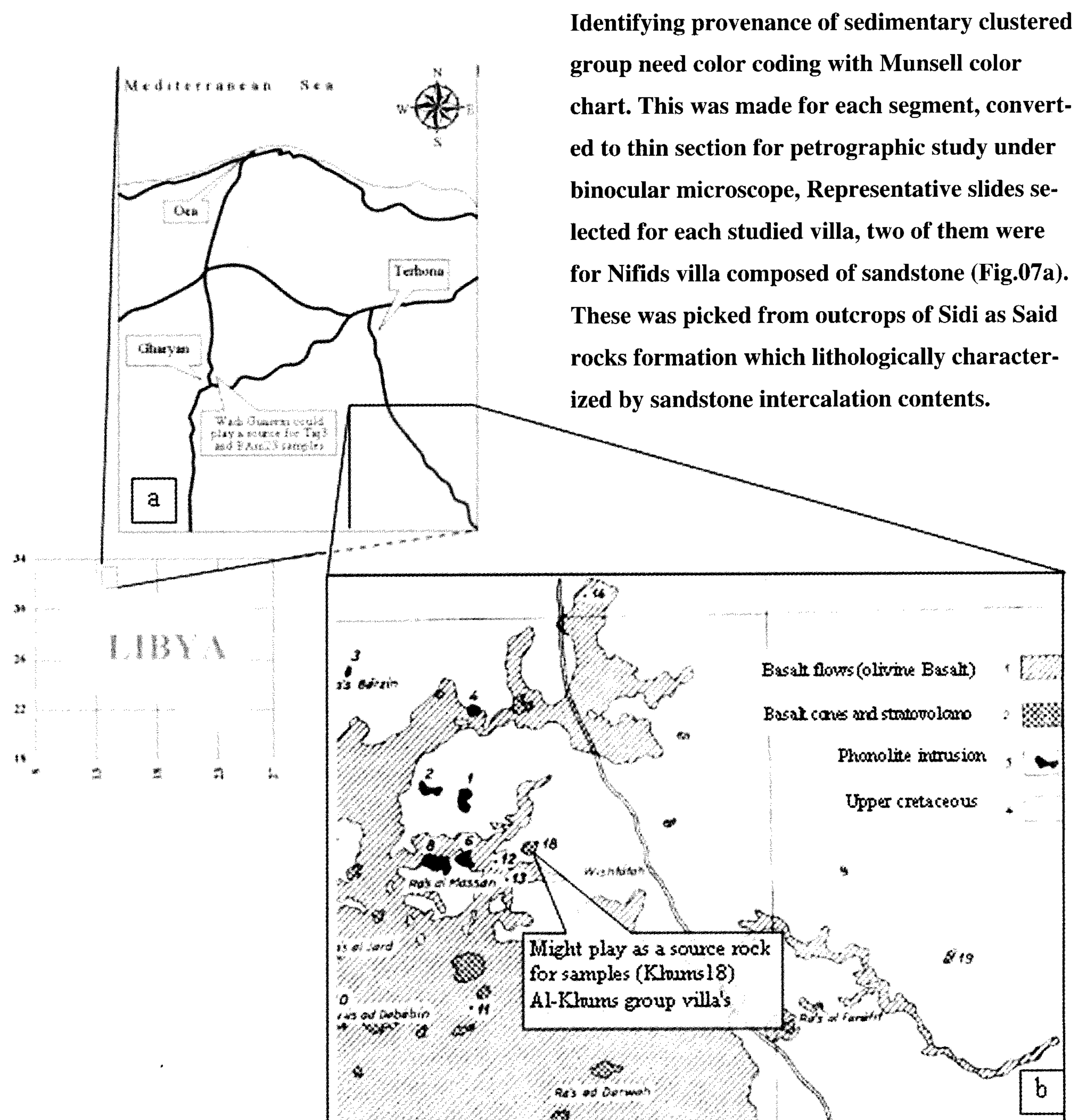


Fig. 6: Prediction of mosaic source rocks (igneous) place interpreted from cluster analysis results; a. Showing the source area of Taj 3 (Suq Al-Kadeem) and sample Bam23 (Dar Buk-Ammer) might be selected from Wadi Guasem,b. The suggested source rock area for mosaic sample Khums18 (Khums group villa's) might be selected from basalt cone which belong to the Terhona southern part that coded as valley18.

Oxides	Taj1	Taj2	Taj3	Taj4	Taj5	Taj6	Taj7	Taj8	Khamis13	Khamis14	Khamis15	Khamis16	Khamis17	Khamis18	Khamis19	Khamis20
SiO_2	12.273	6.896	58.810	10.694	4.598	7.547	2.398	17.150	4.929	2.614	13.158	0.819	3.475	56.472	13.200	0.920
Al_2O_3	1.593	0.708	17.801	1.656	1.016	0.860	0.367	2.663	1.125	0.609	2.207	-	0.148	16.453	0.783	0.061
Fe_2O_3	2.931	1.553	5.103	1.455	1.598	0.704	20.885	2.625	0.550	1.061	1.202	0.016	1.332	14.292	1.827	0.166
TiO_2	0.045	0.013	1.188	0.096	0.038	0.029	-	0.072	0.039	-	0.088	-	-	0.159	0.041	-
CaO	57.021	55.741	11.276	84.285	71.659	89.286	75.598	75.612	92.004	94.272	82.098	98.736	88.645	2.715	82.336	98.236
MgO	26.038	35.049	5.696	1.717	21.014	1.517	0.692	1.715	1.311	1.358	1.164	0.404	6.305	8.402	1.652	0.598
MnO	0.058	6.896	0.125	0.062	0.077	0.042	0.046	0.078	0.026	0.050	0.025	0.012	0.042	0.050	0.110	0.019
P_2O_5	0.040	–	58.810	0.035	4.598	0.015	0.014	0.085	0.018	0.037	0.058	0.013	0.053	1.457	0.052	0.920

Oxides	BAm21	BAm22	BAm 23	BAm24	BAm25	BAm26	BAm27	BAm28	BAm29	BAm33	V1	V2	V3	V4	V5	V6
SiO_2	20.067	18.456	54.500	39.142	17.320	17.411	15.305	1.104	0.302	0.499	68.067	67.082	68.503	68.622	72.511	66.337
Al_2O_3	1.739	5.268	20.376	12.303	0.712	0.692	0.851	0.121	-	-	25.717	26.970	24.400	25.575	22.800	26.564
Fe_2O_3	2.616	3.994	9.456	8.037	1.477	1.090	1.809	0.121	0.016	0.034	2.868	3.210	3.449	3.369	2.557	3.867
TiO_2	0.147	26.169	0.606	0.494	-	0.040	0.046	-	-	-	0.360	0.378	0.496	0.418	0.283	0.326
CaO	60.697	43.918	10.248	35.753	73.770	76.488	77.422	98.050	98.946	96.979	1.380	1.708	1.912	1.340	1.249	2.115
MgO	14.502	1.829	3.749	3.437	6.546	4.154	4.353	0.573	0.690	2.479	0.300	0.305	0.932	0.357	0.365	0.399
MnO	0.147	0.085	0.167	0.160	0.095	0.068	0.105	0.031	0.010	-	0.192	0.195	0.182	0.197	0.189	0.218
P_2O_5	0.085	0.280	0.897	0.672	0.080	0.057	0.107	-	0.037	0.499	1.116	0.151	0.126	0.123	0.047	0.174

Oxides	V7	V8	V9	V10	V11	V12	V13	V14	V15	V16	V17	V18	V19	V20
SiO_2	67.344	69.700	70.448	70.041	49.614	49.456	50.879	45.641	57.857	57.844	59.315	45.990	45.079	50.593
Al_2O_3	27.211	24.581	24.615	24.849	15.073	15.180	14.339	13.549	17.111	17.337	17.041	14.650	13.598	14.893
Fe_2O_3	3.083	3.374	2.827	2.992	13.995	12.611	12.615	14.610	3.443	4.427	2.460	14.531	15.703	12.799
TiO_2	0.301	0.422	0.000	0.234	2.575	2.084	2.039	2.894	1.722	1.925	2.071	4.135	4.231	2.052
CaO	1.354	1.312	1.735	1.157	10.655	10.390	10.207	12.648	12.295	10.847	10.863	12.588	11.591	10.007
MgO	0.313	0.316	0.206	0.259	7.122	9.411	8.988	9.390	7.049	6.997	7.662	6.696	8.558	8.727
MnO	0.263	0.211	0.133	0.345	0.172	0.189	0.189	0.204	0.128	0.173	0.200	0.228	0.237	0.180
P_2O_5	0.130	0.084	0.036	0.123	0.793	0.678	0.744	1.064	0.395	0.450	0.388	1.183	1.004	0.749

Table 2. X-ray fluorescence analysis (in ppm.) of sedimentary and igneous mosaic tesserae (picked from the studied Villas), as well as the previous X-ray fluorescence of Mann (1975) igneous rock samples (%).

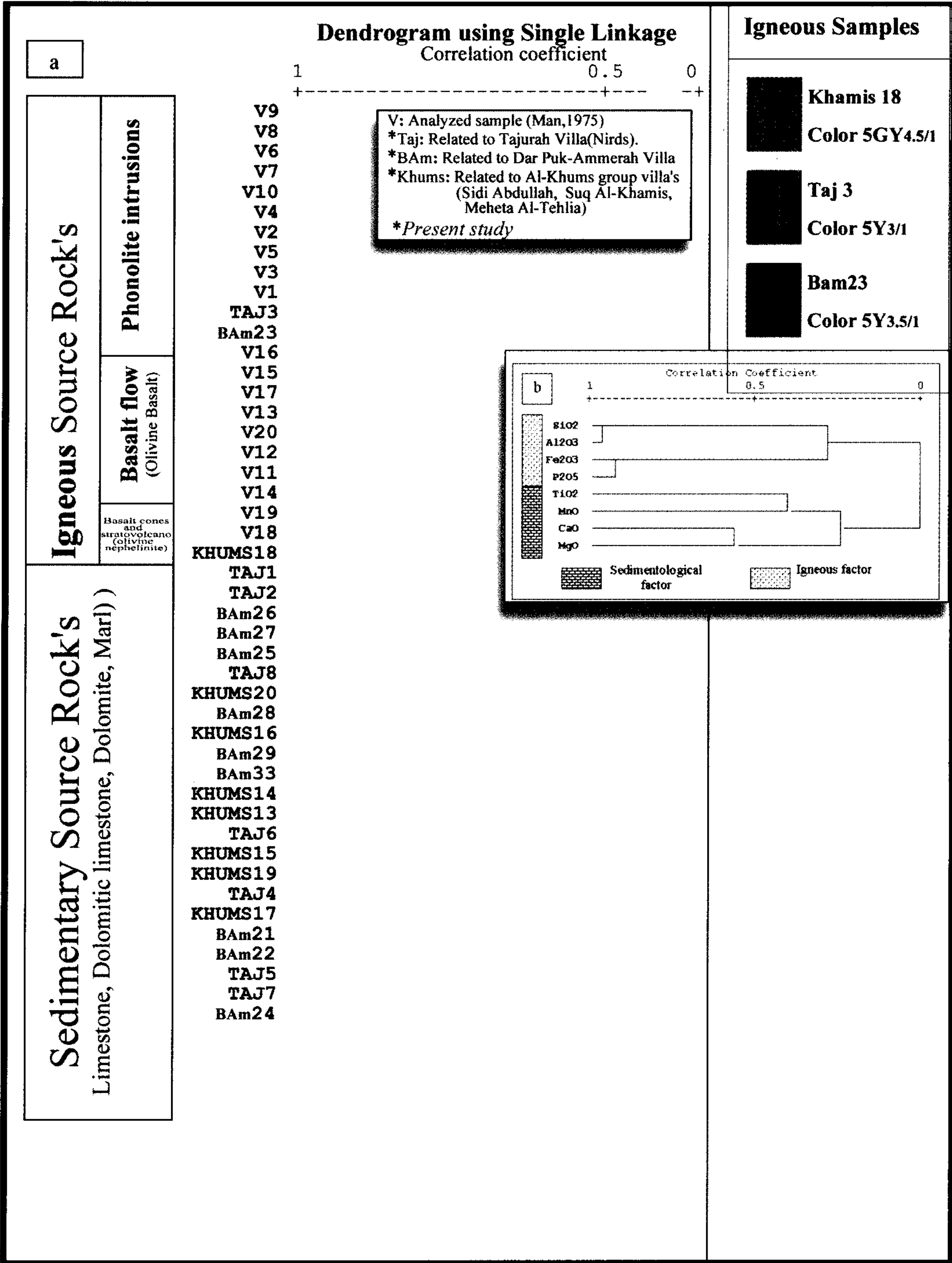


Fig. 5. Cluster analysis of mosaic tesserae, selected from studied villas (mosaic selecting, reflect most related rock types used to create mythological subjects of 2nd and 3rd AD period). The dendogram of letters V1-20 reflect previous analyzed igneous samples picked by Mann (1975) from surrounding igneous rocks outcrops; a. Q-mode cluster analysis of previous and present studied samples, classifying mosaic tesserae into its source rocks. b. R-mode cluster analysis of oxides; it refers to source rock (controlling factors were the SiO2, Al2O3, Fe2O3, and P2O5 as igneous factor; but the TiO2, MnO, CaO, and MgO reflect sedimentary factor).

Key	Villa Name	Mortar Zone	MgO	Al_2O_3	SiO_2	CaO	Fe_2O_3
◄	Suq Al-Kadeem	Nucleus	2	0	14.42	39	0.4
		Rudus	2.78	9.72	34.44	31.34	0.48
▲	Dar Buk Ammera	Pavement	1.02	1.21	22.44	35.19	0.36
		Nucleus	1.79	24.51	41.2	14.74	9.77
		Rudus	1.29	0.12	20.57	34.49	0.24
▼	Nerids	Nucleus	2.57	12.46	34.2	19.45	8.03
		Rudus	3	0	33.71	19.31	5.68

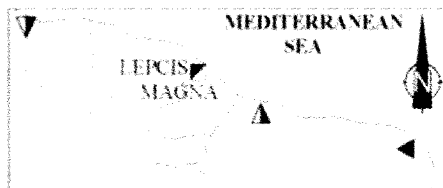


Table 1. XRF analysis results (in ppm.) of cement selected from different mosaic structure zones including rudus, nucleus and pavements.

is of Ain Tobi Member (Fig. 7I).

Conclusion

The Roman used limestone, quartz, and kaolinite to make the mortar of pavement (tessellatum and bedding layer), nucleus and rudus that construct villa mosaic sequence. Mortar materials were selected from the local rocks which were exposed near and around the villas. The mortar has the same constituents in each studied villa and within every mosaic structure zone.

Lithologic similarity between sedimentary tesserae and sedimentary outcrops indicates that Romans, in their villas' construction, depended mainly on the nearby hard rock materials. In the Nirds villa the Romans extensively used tesserae from Sidi as-Said Formation rocks and Nalut Formation rocks. In Dar Buk Ammera villa they mainly used the sedimentary tesserae selected from Al-Khums Formation rocks. Al-Khums group villas seems to have two provenances represented by Al-Khums and Sidi as-Said Formations (Ain Tobi dolomite Member).

Cluster analysis for XRF results clarifies Wadi Guasem (northeast of Gharyan) as the provenance for Suq Al-Kadeem and Dar Buk Ammera igneous tesserae, which were composed of olivine basalt (Basalt flow); South Terhona (around 100 km. to the south) also serves as a source rock for Al-Khums group villas' igneous tesserae which were composed of the olivine nephilinite type (Basalt cones and stratovolcano).

Identifying the geological criteria and provenance for every tesserae type strongly helps in repairing broken or loose tesserae by implementing a fresh one that contains quite similar lithological and petrogaphical criteria.

Acknowledgments

The authors acknowledge, with gratitude, the cooperation of the Industrial Research

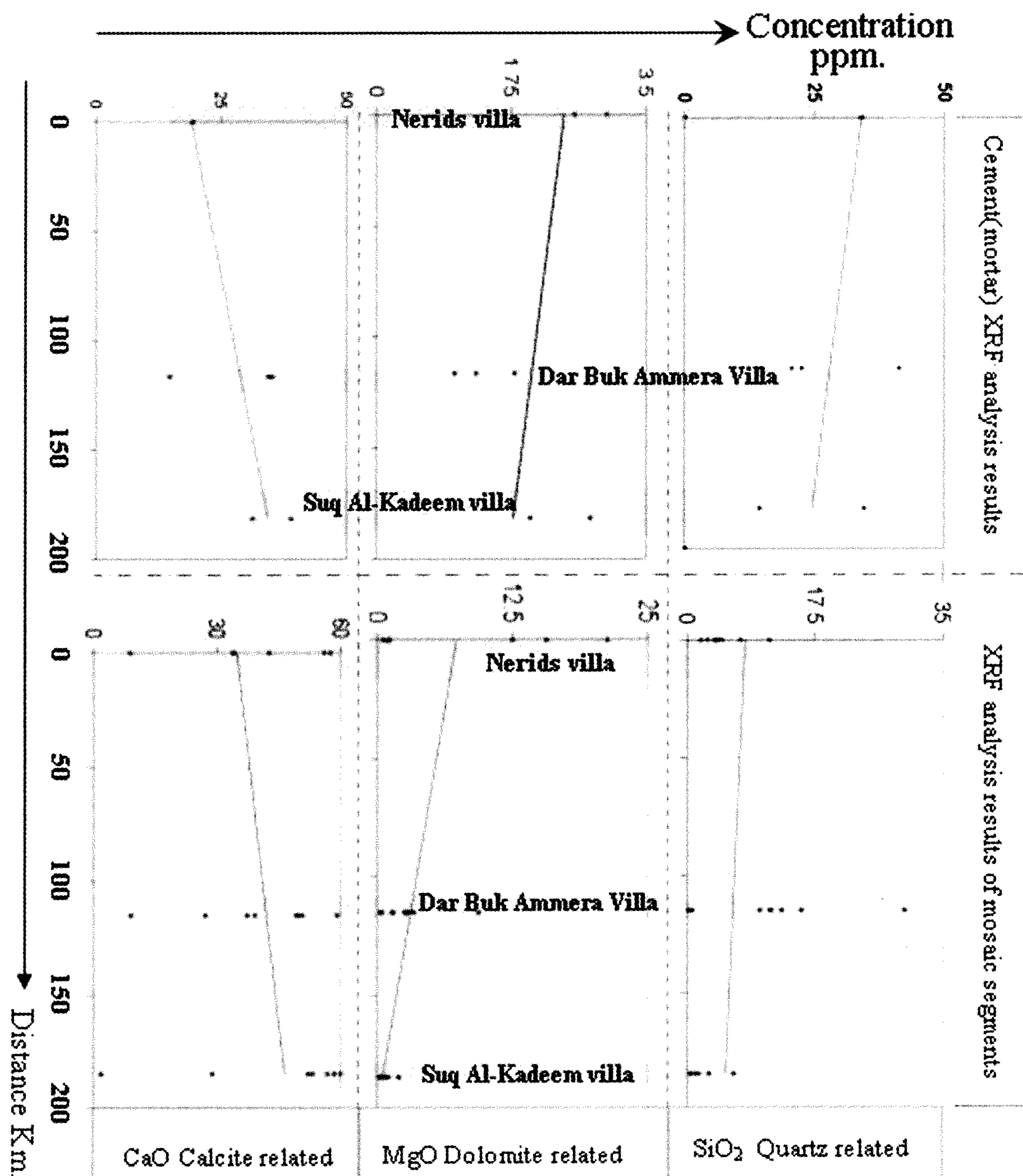


Fig. 4. Distribution of oxides constituents (CaO, MgO, and SiO2) of mortar and tesserae along selected studied shoreline villas, East-West trend.

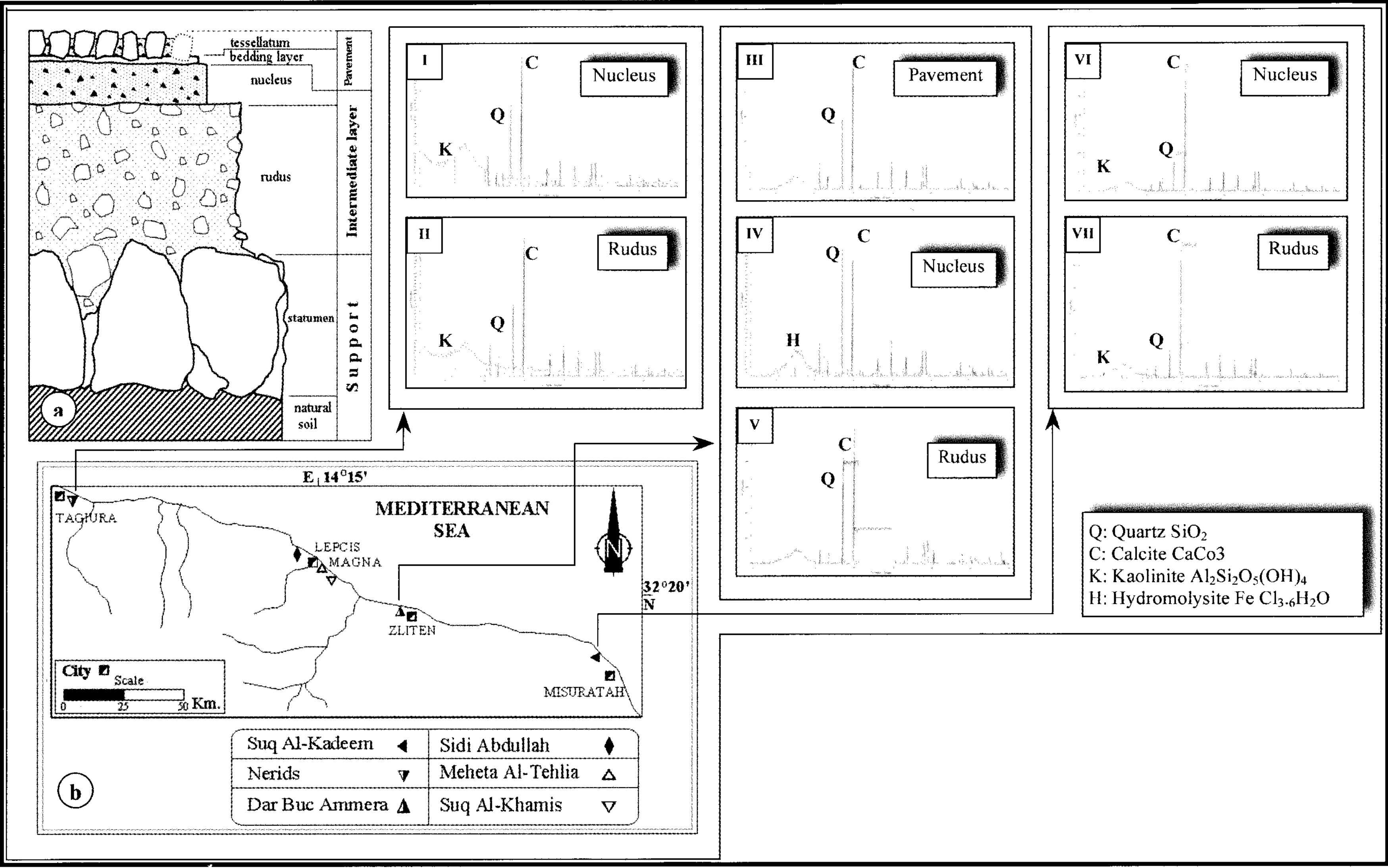


Fig. 3. X-ray diffraction analysis(XRD) of selected samples I-VII from available and exposed zone of mosaic structure (a. Theoretical structure of a mosaic [Bassier 1977]; b. Location map of studied villas: Nerids, Suq Al-Kadeem , and Dar Buk-Ammera). XRD analysis results of samples I-VII which was selected from the studied villas as shown in (b) showed that cementing material (mortar) composition was formed from quartz, kaolinite, and calcite. Hydromolysite is formed due to chemical weathering and is thus neglected as cement forming mineral.

Frizot (1977) to be a hardening factor for mortar, that will be more active with time for both zones of theoretical mosaic structure nucleus (Fig. 3-I) and rudus (Fig. 3-II). The same was found in Suq Al-Kadeem villa (Fig. 3-VI, VII), but a little difference occurs in Dar Buk Ammera villa (Fig. 3-III, IV,V); namely, a hydromolysite minerals are present reflecting a side effect of chemical weathering activity (Yaouz Zeinel, 2002; personal contact). However, the absence of kaolinite in villa Dar Buk-Ammera zone is expected due to the sampling process which neglects brick fragments in identifying mortar composition without the effect of brick fragments composition.

Mortar and tesserae provenances:

A given relationship was shown between exposed local rocks (around villas) and the materials of mosaic structure (tesserae and mortar). The X-ray fluorescence analysis results for mortar (Table 1) prove that it is made from local sedimentary rock rather than from marble (which might serve as a source material for cement formation [Al-Nims, Mahmoud 2003; personal communication]). The distribution trend of XRF analysis results (concerning SiO2, MgO, and CaO) matched with the same elements of estimated geological exposed rock criteria (Fig.2) around the villas, presenting a strong similarity between them (Fig.4).

A specific relationship was also formed between local sedimentary rock and analyzed sedimentary tesserae (Table 2), showing high coincidence between them. The same distribution trend was shown between tesserae oxides (Fig. 4) and interpreted lithological distribution of nearby sedimentary types. The comparison results of mortar and tesserae demonstrate the usage of local rocks around the studied villas.

Q and R-mode cluster analysis assists in classifying tesserae into place related samples (Fig. 5a) and also illustrates how Q-mode (places related samples) are clustered according to certain oxides (R-mode cluster analysis [Fig. 5b]). Q-mode has shown two main clustered groups, igneous and sedimentary. The igneous group includes the previous (Mann 1975) and present study samples which cluster together by a very high similarity level as TAJ-3 and PAM-23 tesserae linked with v16 (Wadi Guasem is composed of basalt flow [Olivine Basalt]). In other words, the igneous tesserae have been taken from Wadi Guasem (Fig. 6a). Another important link was found between KHUMS18 and v18 which is a sign that it has been taken from the coded place part 18 (Fig. 6b) south of Terhona, which is composed of olivine nephelinite (Basalt cones and stratovolcano).

The floating of plankton in wackstone limestone facies within the second one (Fig. 7b) shows that Al-Khums Formation rock outcrops were the provenance.

Three thin sections represent the most sedimentary type of tesserae within Dar Buk Ammera (Fig. 7-c, d, e); all indicate that Al-Khums limestone Formation outcrops served as a source rock for them, due to its petrographical characteristics of mullasca shells, pellets, plant rootlets, algae, and spicules.

The other three thin sections of Al-Khums group villas tesserae point to two provenances: Al-Khums Formation rocks outcrops for the first thin section, characterized by plant rootlets and spicules (Fig. 7f), and the same provenance also is suggested for pelletal fossiliferous (Forams and Algae) limestone (Fig. 7g); the second provenance was Sidi as-Said Formation rocks, characterized by dolostone face-

The sedimentary rock around the study area includes four main formations (Fig.2):

1- Al-Khums Formation is appears on the eastern side of the study area and its outcrops decrease westward; these sediments, deposited during the Middle Miocene, are composed of limestone, algal limestone, calcilutite, calcarenite and clay.

2- Nalut Formation outcrops increase westward, and are limited to an area far a way from the coastline of the Mediterranean south of the study area. These are composed of limestone, dolomitic limestone with cherts band concretion and are Turonian deposits.

3- Sidi as-Said Formation outcrops increase westward and are exposed near the coastline of the Mediterranean. These sediments were Cenomanian deposits.

4- Gargaresh Formations extend specifically along the coastline of the Mediterranean sea and often occur as cliffs continuously attacked by sea tide. These are composed of cross laminated calcarenite used widely in the statumen zone of the mosaic structure.

Mortar Composition

Most representative samples are used to clarify constituents of theoretical mosaic sequence in the sites of the studied villas. These samples represent the available pavement nucleus and rudus. Nerids villa bears witness to the use of mortar constituents which are represented by quartz, calcite and kaolinite (the kaolinite belongs specifically to brick believed by

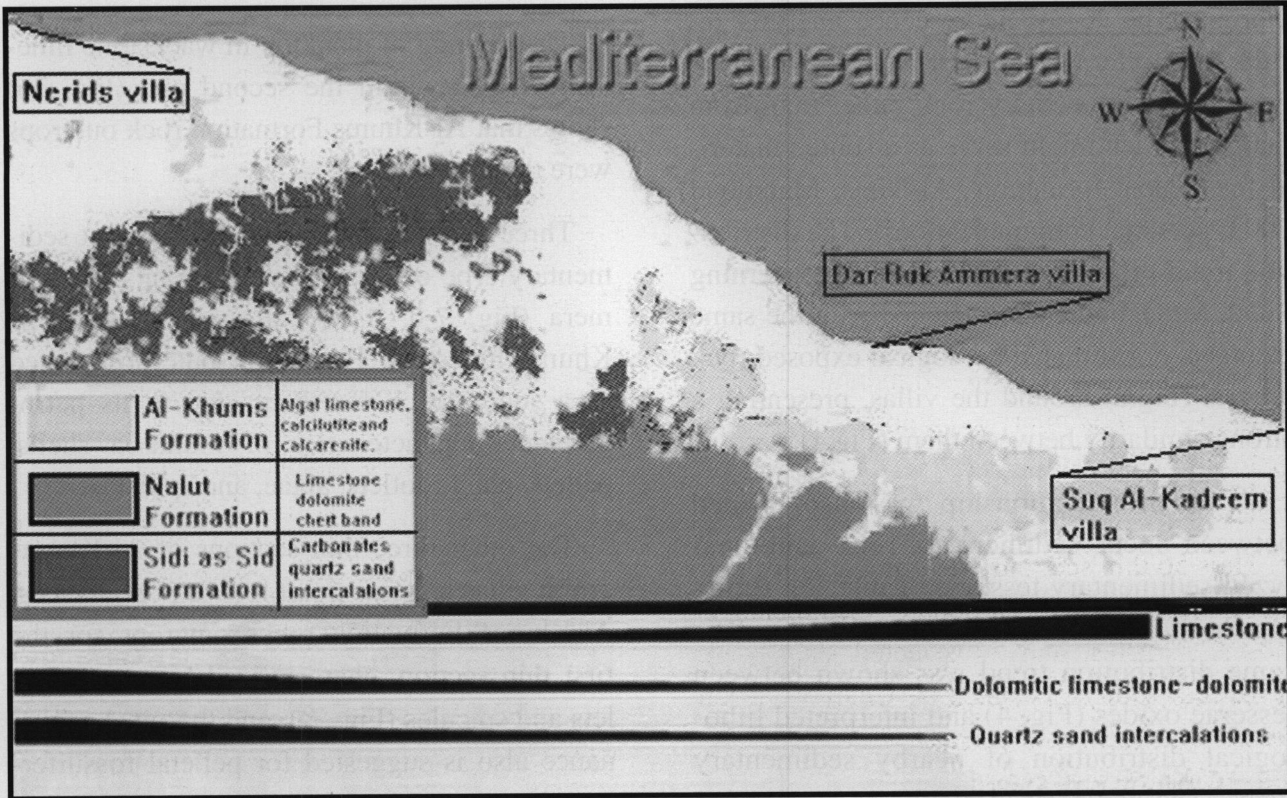


Fig. 2. Geologic map of the study area reflecting formation extent nature (modified after Mann, [1975]).

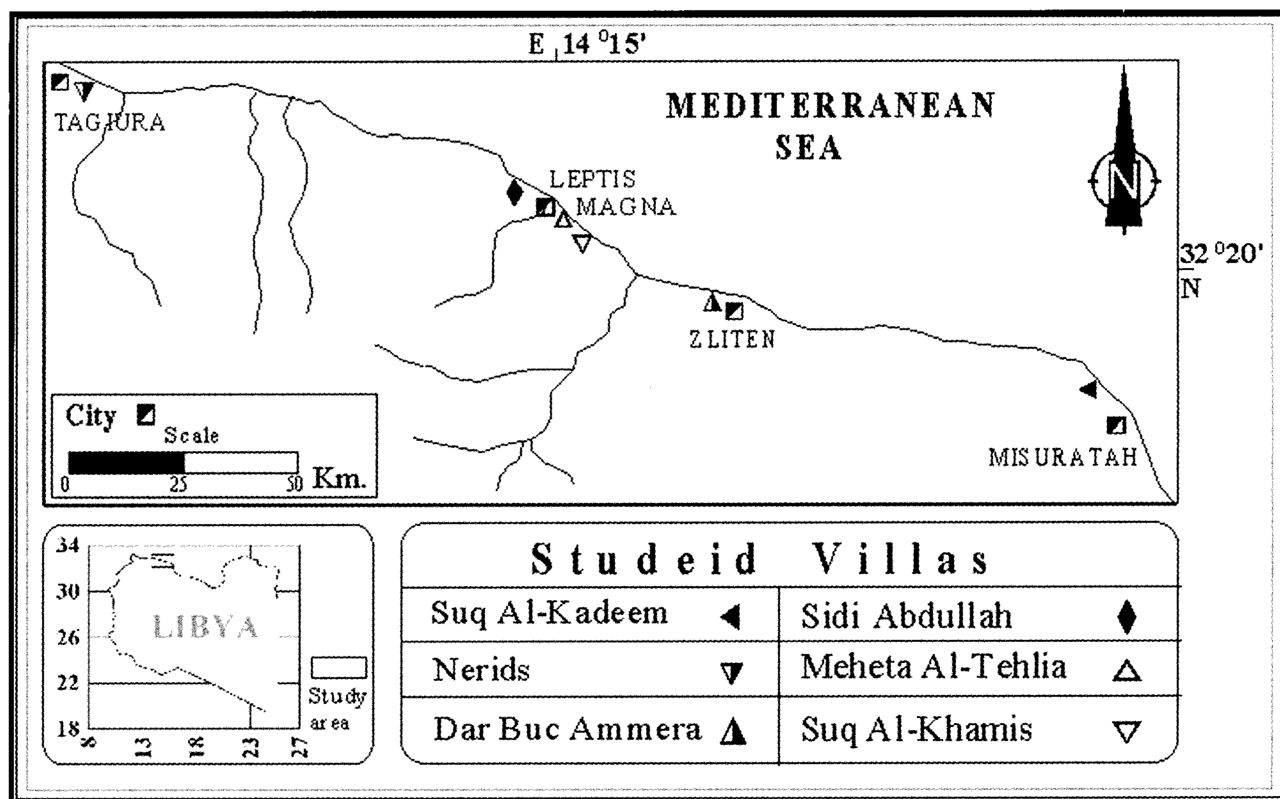


Fig. 1. Locality map of studied villas which spread along the Mediterranean shoreline; reflecting the north western part of Libya (as shown in the lower left part).

saic fragments as well as the source material of the used cement (mortar) in the mosaic structure zones rudus, nucleus, and pavement.

Methodology

In order to suggest the source rock for the studied igneous and sedimentary mosaic chips, a strong similarity (geological) criterion was established for comparison between mosaics and those related source rocks.

Thus 56 thin sections were prepared for petrographic study of carbonate (sedimentary) mosaic samples, and 34 selected slabs were classified with a Rock-Color Chart (munsell color chips). This could assist the study by suggesting the provenance.

X-ray diffraction analysis gave good assistant to estimate the minerals of cement (mortar)constituents. X-ray fluorescence analysis results of igneous, sedimentary and previously analyzed igneous samples had been processed statistically with Q-mode cluster analysis to recognize the type and provenance of used igneous rocks. Also, to classify the studied samples into sedimentary and igneous origin on the basis of R-mode cluster analysis elements controlling factors on sedimentary and igneous rock.

Geology Of Study Area

There are commonly two types of outcrops in the study area (NW Libya): mainly igneous and sedimentary. The igneous outcrops are limited to the vicinity of Gharyan city and Bin-Wlid as well as South Terhona. Most of the igneous outcrops are phonolite intrusion, basalt flow (olivine basalt) and basalt cone (olivine nephilinite).

Provenances and Lithologic Anal Ysis of Mosaic Roman Villas, Nortwestern Libya

Haithem A Minas ,Mustafah Namu

& Hassan Bu-Arabyia

Abstract. *The mosaic of Romans villa pavements of Suq Al-Kadeem, Dar Buk-Ammera, Al-Khums Group villas and Nerids of NW Libya were studied geochemically, petrographically and statistically. XRD analysis results of mortar showed that quartz, calcite, and kaolinite were the cement forming minerals in these villas. X-Ray fluorescence analysis of tesserae, tesserae petrography, and cluster analysis identified that the source rocks of Al-Khums villas might be the south Terhona basalt cone rocks, and North Gharyan basalt flow rocks were the source for Nirds and Dar Buk-Ammera villas. Formation outcrops of Al-Khums limestone, Sidi as-Said, and Nalut were the source rocks for certain sedimentary tesserae. This would help in the conservation of damage pavements.*

Introduction

This study addresses the villas (Fig.1) of Nerids, Al-Khums group (Sidi Abd-ullah, Meheta Al-Tehlia, Suq-Al-Khamis [Observer of Leptis Archaeology,1978]), Dar Buk-Ammera, and Suq Al-Kadeem (Observer of Leptis Archaeology, 1976).

Nerids villa lies on the Mediterranean shoreline east of Tripoli (Oea) within the area of the eastern valley of Al-Ashar, specifically at the end of the 30th km. of Tripoli-Tajura-AlKhums high way (De Vita 1965). Beside the reworked archaeological investigations, this villa is characterized by multi pavements that are marked with special plant and geometrical ornamentations as well as a diagnosing mythological subjects; it was discovered in 1964 and was built in the 2nd century A.D. (Al-Nims 1967a, 1967b).

Located on the Mediterranean shoreline around Liptis Magna (Fig.1), the Al-Khums group villas include Sidi Abd ullah, Meheta Al-Tehlia and Suq-Al-Khamis. Some of them had not been previously studied because those were still under investigation.

Discovered in 1913 by Italian soldiers, and dates back to 98-117A.D., Dar Buk-Ammera villa lies northwest of Zliten city on the Mediterranean shoreline. It is believed to have been constructed during the Trajan period (Al-Nims,1990); and is characterized by nice fresco, plant and animal drawings, mythological objects, and daily life subjects (Al-Nims et. al.,1977).

Suq Al-Kadeem villa lies near Misuratah city adjacent to the Tripoli-Tajurah -- Al-Khums shoreline road; it was discovered in 1976 and characterized by its multi color tessellations that show high shape variety of plants, geometry and designs. This villa is believed to have been constructed in the 2nd century during the Marcus Aurelius period of 161-180A.D. (Observer of Leptis Archaeology, 1976).

The objective of this study is to identify the source rocks of igneous and sedimentary mo-

Issue No. 12 July. 2005
ISSN: 1319-8947 (pp. 61 - 72)

ملخص: خلال أربعة مواسم لمشروع المسح الآثاري لمنطقة المحس (مشروع قسم الآثار- جامعة الخرطوم)، كُشف ٤٧ موقعاً، من فترة ما قبل التأريخ، في منطقة الشلال الثالث (الجزء الجنوبي من منطقة المحس)، كان ١٧ منها تعود إلى فترة العصر الحجري الحديث. سيُشار في هذا البحث، إلى المواد الفخارية، من تسعة من هذه المواقع. يشير تحليل هذه القطع إلى وجود عدد من الاختلافات الملاحظة، من موقع إلى آخر. ومن خلال التحليل الوصفي، يُلاحظ التشابه الواضح، بين مجموعات القطع الفخارية من مواقع الشلال الثالث، ومثيلاتها في مواقع العصر الحجري الحديث الأخرى، في السودان. في الجانب الآخر، تتطلب الاختلافات، في بعض المواقع، دراسات إضافية مفصّلة، قد تكون مفيدة في تطوير تسلسل زماني، لفخاريات الشلال الثالث.

References

Arkell, A.J. 1949. Early Khartoum. An account of the excavation of an Early Occupation Site Carried out by the Sudan Government Antiquities Service in 1944-45, London. Oxford University Press.

.... 1953. Shaheinab. An account of the excavation of a Neolithic occupation site carried out for the Sudan Antiquities Service in 1949-50, London: Oxford University Press.

Caneva, I (ed.). 1988. El-Geili, the History of a Middle Nile Environment, 7000 B.C. A.D. 1500. Cambridge Monographs in African Archaeology 29. BAR International Series 424. Oxford.

Caneva, I and Marks, A.E. 1990. "More on the Shaqadud pottery: Evidence for Saharo-Nilotic Connections during the 6th-4th Millennium B.C". Archéologie du Nil Moyen 4. Association pour la Promotion de l'Archéologie Nilotique. Lille. 1-26.

Edwards, D. N. and Osman, A. 1992. The Mahas Survey 1991. Interim Report and Site Inventory. Mahas Survey Reports No. 1. Cambridge.

.... 1994a. 'Survey in the Mahas Region 1990. A preliminary Report'. Nubica III. PP. 275-90.

.... 1994b. The Mahas Survey 1990. Interim Report and Site Inventory. Mahas Survey Reports 2. Cambridge.

.... 2000. 'The Archaeology of Arduan Island-the Mahas Survey 2000'. Sudan and Nubia. The Sudan Archaeological Research Society. Bulletin No. 4. PP. 58-70.

Garcea, E. 2000. "A Late Neolithic Site near el-Kurru". In: Recent Research Into the Stone Age of Northeastern Africa. Studies in African Archaeology 7. Poznan Archaeological Museum. PP. 137-147.

Haaland, R. 1987. Socio-economic Differentiation in the Neolithic Sudan. Oxford: BAR International Series 350, Cambridge Monographs in African Archaeology 20.

Khabir, A. M. 1987."New Radiocarbon Dates for Sarurab 2 and the Age of the Early Khartoum Tradition" Current Anthropology. 28/3. PP: 377-380.

Krzyzaniak, L. 1984. "The Neolithic Habitation at Kadero (Central Sudan)". In L. Krzyzaniak and M. Kobusiewicz (eds.): Origin and Early Development of Food-Producing Cultures in North-Eastern Africa. Poznan, 1980. PP. 309-315.

Magid, A. E. 1982. The Khartoum Neolithic in the Light of Archaebotany: A Case Study from the Noflab and Islang Sites. Unpublished M.A. Thesis. Khartoum: University of Khartoum.

Mohammed-Ali, A. S. 1991. "The Mesolithic and Neolithic ceramics from Shaqadud midden." In Marks and Mohammed-Ali (eds), The Prehistory of the Eastern Sahel, S. M. U. Dallas.

1982. The Neolithic Period in the Sudan, c. 6000-2500 BC. Cambridge Monographs in African Archaeology 6, BAR International Series 139. Oxford.

Myers, O. H. 1960. "Abka Again". Kush. 8. Khartoum. PP. 174 - 181.1961.

Nordstrom, H. A. 1972. Neolithic and A-Group Sites, The Scandinavian Joint Expedition to Sudanese Nubia. Vol.3. Scandinavian University Books. Upsalla.

Osman, A. & Edwards, D. N. 2002. The Mahas Archaeological Survey, 2002. A Preliminary Report. Cambridge. Cambridge.

Shiner, J. L. 1968a. "The Khartoum Variant Industry". In Wendorf, F. (ed). The Prehistory of Nubia. Vol. II. Dallas. PP. 768- 790.

Shiner, J. L. 1968b. "The Cataract Tradition". In Wendorf, F. (ed). The Prehistory of Nubia. Vol. II. Dallas. PP. 535- 629.

Wendorf, F. (ed). 1968. The Prehistory of Nubia. Vols.1 and II. Dallas.

On the other hand, the Abkan pottery fabric is described as having 'a relatively dense and homogenous groundmass containing a high proportion of silt' (Nordstrom 1972: 49). The fabric is fired to colours ranging from dark gray to grayish brown or, in a few instances, black. It is generally characterized by coarse texture. If the surface is treated before firing, it is either burnished or lightly rippled. A few potsherds have the outer surfaces coated with red ochre (Shiner 1968b). Decoration is relatively scarce. When it exists it consists mainly of parallel dotted lines and zigzag impressions, made with a rocker stamp (Nordstrom 1972: 74-77). The fabric at Myers Abkan sites V and IX were made of sandy Nile silt. The ware was crudely combed or perhaps wiped with grass. It was fired to a black or fawn colour (Myers 1960: 174-81).

In comparison, the Third Cataract fabrics suggest that they are made from sandy clay and Nile silt varying from fine to coarse depending on the amount of quartz included. The ware has thick walls. The majority of the potsherds are decorated and are fired to a brown or black colours. The decoration is characterized by impressed dots, impressed combed, impressed complex dotted straight lines, and zigzags. Other decorative patterns include impressed Vees, rippled, and impressed wavy lines, among others.

This discussion suggests the following main points:

a. The fabrics of the Third Cataract sites and the Abkan sites are different. That of the Third Cataract sites is sandy clay or Nile silt and it is dark brown or black in colour. That of Abkan has a high proportion of silty clay and it is dark in colour.

b. Third Cataract pottery may be smoothed or burnished in some cases, but no burnished potsherds have come from any assemblages of the Khartoum Variant group. On the contrary, the Abkan and Third Cataract sites shared some similarities in surface treatment (more than 15.2% of the potsherds were burnished).

c. The great majority of Third Cataract potsherds are decorated, while those of Abkan are relatively plain.

When the Third Cataract sites are compared with Karat, Tergis, and El-Melik industries in Korti-Debba area, major differences are found. Unlike the Third Cataract sites, the Tergis fabrics were tempered with quartz and slipped in red. None of the decorative designs of the Third Cataract sites were known from the Tergis sites. On this basis the Third Cataract sites and the Tergis group can hardly be considered related to the same tradition.

Another group in the Korti-Debba region which could be compared with the Third Cataract sites is the Karat group; its pottery lacks the incised straight lines and rippled ware of the Third Cataract sites. The information available from El-Melik group of sites in the same region does not allow making reliable comparisons owing to the lack of detailed studies of this "group." Garcea (2000) restudied this group and suggested a late Neolithic date for it. Still the group lacks the rippled pottery and the decorative styles that characterized the Third Cataract sites.

The general characteristics shared by the Third Cataract, Tergis and Karat sites may be partly due to similarities in ecological adaptations determined by the similarities in the environmental setting. Despite their general affinities each of them has different diagnostic features, and they cannot be grouped into one

Dr. Azhari Mustafa Sadig - Department of Archaeology - University of Khartoum - Sudan.

tive conclusion; a final conclusion demands that further research in the field be undertaken.

Although the data collected from the surface of the Third Cataract sites is badly disturbed, it still reflects variation and similarities between the Shaheinab site and the Third Cataract sites in terms of pottery craftsmanship. These can be listed as follows:

a. The dotted wavy line pottery, which provides an essential link between Khartoum Hospital site and Shaheinab site, is completely absent from the Third Cataract sites. The pottery predominant at these sites included developed types of impressed ware, manufactured with high efficiency and even with greater variety.

b. The frequency of the burnished/smoothed potsherds (plain or decorated) is however high among the potsherds collected from Shaheinab. Arkell (1953: 69) took burnishing as one of the distinguishing features of the Shaheinab pottery. According to Mohammed Ali (1982; 79), there is no burnished pottery at Shaheinab, and most of the potsherds were highly smoothed but were not polished. In the case of our sample, this is absolutely true. Many potsherds were smoothed but there is no evidence of burnishing at the sites. The lesser degree of smoothing on many other potsherds may be due to the conditions in which the potsherds were found.

c. The rocker techniques account for more than 19.3% of the total. The Neolithic site of Shaheinab offers a different panorama; here the rocker stamping constitutes a higher percentage (50% at Shaheinab).

d. The Shaheinab pottery is generally thinner (4-6mm). It was also quartz tempered and was fired hard in a reducing atmosphere. In cross-section it is brown to black in colour. The same features were found in our samples although the potsherds were thicker.

When we compared our samples with that of Khartoum Hospital site we were able to find many differences. Evidently, the pottery of the Khartoum assemblage is neither burnished nor polished, but quite often slipped on the outer surface. The interior of the pot is normally smoothed, yet with certain styles, such as the coarse plain (part of Arkell's "black fracture" [1949]), it was left unsmoothed. The decorative patterns include wavy lines, dotted wavy lines, dotted straight lines, some zigzag decorations, and linear impressions. The wavy line decoration accounts for about 63.7% to 75.8% of the total while the plain ware accounts for about 6.6% to 20.9% of the total. On the other hand, there are only 7 potsherds having wavy line decoration at the Third Cataract sites. This means that these sites are totally different from Khartoum Hospital site and more related to Shaheinab site.

When the Third Cataract sites are compared with Abkan and the Khartoum Variant in Lower Nubia, major similarities and differences are found. The differences between Khartoum Variant and Third Cataract pottery indicate that they must be considered as separate traditions. The Khartoum Variant is characterized by its unburnished impressed decoration ceramics. It is believed to be a local derivation from the Shamarkian and/or the Arkinian Final Paleolithic industries (Shiner 1968a). Whilst the two industries exhibit similarities in certain ceramic styles (especially zigzag impressions and dotted straight lines), they also differ very markedly; for among the ceramics the incised straight lines, the Vees impressions, the rippled ware and the smoothed plain potsherds were absent from the Khartoum Variant, and the wavy line and the dotted wavy line styles of Khartoum area were unknown in northern Sudan.

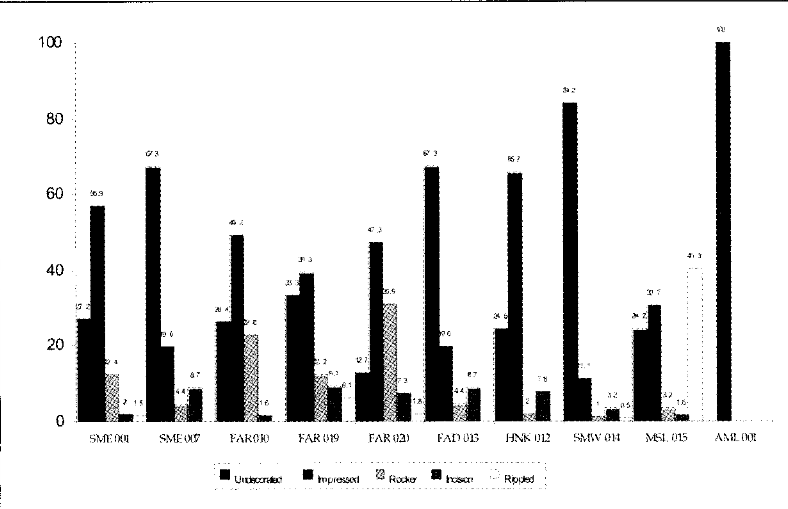


Fig. 5: Smoothed decorated pottery types per site.

due to the total number of the collection. The data suggest that additional temporal indicators could be the frequency of coarse or plain potsherds, and the frequency of unsmoothed surface treatment.

The significance of the material found at the Third Cataract sites depends largely on its age. Since the study of the sites has been achieved through surface collection, no data required for establishing absolute chronology are available. Nevertheless, the only possible way is the establishment of relative chronology through the sherds collected from the surface.

Although the comparative study of artifacts types depends mainly on the personal judgment and plain common sense, this, however, is the only possible method available for establishing the relative chronology of the sites. It is not easy to reach a satisfactory conclusion on the subject. There is no lack of evidence, but the evidence is conflicting. One set of facts indicates that the sites are very old; some of them contain wavy line pottery, a decorative pattern which can date back to the 10th millennium B.P in neighboring sites (Khabir 1987). Another set of facts indicates that the sites are contemporary to known early Neolithic sites along the Nile and they are earlier than other known protohistoric cultures in northern Sudan (i.e., the so-called A-group, C-group and Kerma civilization). Each suggestion is significant for the history of the sites. It will be necessary to examine all the evidence before reaching a tenta-

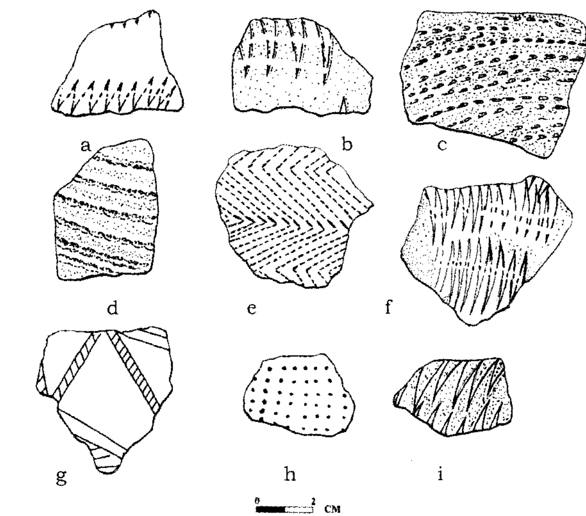


Fig. 6: Smoothed decorated pottery; a,d, FAR019; b,c, FAR010; e,f, FAR020; g,h, FAD013; i, SME001.

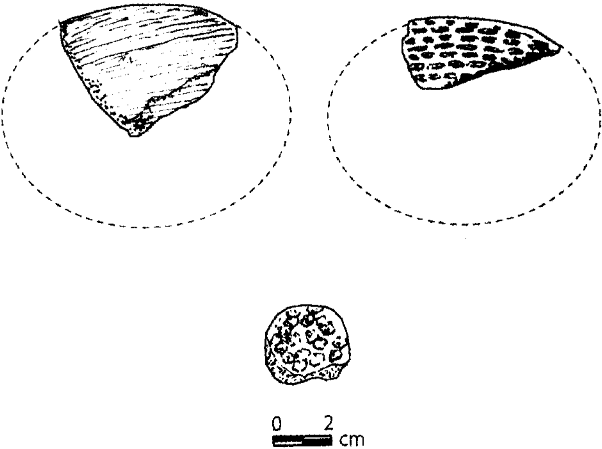


Fig. 7: Disc-shaped ceramic objects; a,c,d FAR010; b, SME001.

84.8% of the total. Coarse pottery is fairly uncommon and ranges from 5.9% to 0.1% of the total number of the potsherds collected from each site. Unsmoothed pottery is very common and ranges from 19.2% to 0.5% of the total number of the potsherds collected from the sites and is present on every site. Smoothed pottery is never abundant and represents 15.2% of the collection. The numbers of potsherds range between 6 and 21. These three classes are represented by small numbers of specimens, and the irregularity in percentages may be due to this fact alone.

c. Vessel shapes at the sites include variety of open-mouth vessels. The favorite vessel shapes seem to be a medium-size open bowl and hemispherical vessels.

d. The decoration on the potsherds was of abstract type. Many decorative patterns were used. The most common pattern is dotted decoration. All the other decorative motifs (i.e., simple impression, zigzags, simple Vees) are less common.

Site	Rippled	Double incised lines	Single incised lines	R.Z. dotted straight lines	R.Z. dotted curved lines	R.Z. incised curved lines	R.Z. incised straight lines	Impressed	Impressed Complex dotted Straight Lines	Impressed double dotted Straight lines	Impressed single dotted Straight line	Impressed dots	Impressed Vees + dots	Impressed Vees	Impressed dotted wavy lines	Combed wavy lines	Total
SME001	3	1		2		1	1	1	2	1		2					14
SME007		1	1	3				1				1		1			8
FAR010		1		2			2	1	2	2	1	2	1				14
FAR019	2	1	1	1			1	2				1					9
FAR020	1	2	1	1			1	1	1			1				1	10
FAD013		1	1	1		1			1		1	1					7
HNK012					1		1	1	1	1	1	2					8
SMW014	1	1	1					1		1		1					6
MSL015		6							2		1	1				2	12
AML001								2	1	1			2				6
Total	7	14	5	10	1	2	6	10	10	6	4	12	3	1		3	94

Table 6: Types of smoothed decorated pottery per site.

e. The favorite decorative technique at the Third Cataract Neolithic sites is the impression in all its varieties. These account for more than 52.5% of the total. The rocker technique accounts for more than 19.3% of the total. The incised lines account for 16%, while the rippled and combed decorative patterns account for 15.6%. The Neolithic sites of Shaheinab, Nofalab, Sarrorab and Geili offer a different panorama; the rocker stamping constitutes a higher percentage: 45% at Geili (Caneva: 1988), 58-72% at Nofalab and Sarrorab (Magid 1982, Mohammed Ali 1982), and 50% at Shaheinab (Arkell: 1953). A comparable occurrence of decorative patterns and/or techniques is shown at the other Neolithic sites in the Central Sudan, especially at Zakiab and Um Direiwa (Haaland: 1987). A slightly similar situation, however, seems to characterize Kadero (Krzyzaniak 1984) where the rocker stamping motifs account for 36% of the total, and incised motifs account for more than 18% (against 16% at the Neolithic sites of the studied area).

f. From the above descriptive analysis, it is clear that the Third Cataract sites ceramic assemblages are similar to other Neolithic sites. The differences occurring on some sites deserve additional investigation and may be useful in developing a temporal sequence, through a detailed study, for Third Cataract pottery. Changes in the frequency of decoration may be

1. Plain black potsherds:

All the potsherds in this class are smoothed. 20 potsherds of this pattern were collected.

2. Plain brown potsherds:

The potsherds exhibit burnishing and are fairly brown to gray brown in colour. 5 potsherds were collected but it is doubted whether they all belong to the Neolithic context since some very smoothed incised potsherds were found on the surface. Such brown and incised potsherds are believed to be of a later period (contemporary with Kerma period). 3 of these potsherds were found in FAD013.

3. Plain grey and red potsherds:

This group includes 7 potsherds with gray or light red colour. The potsherds have some smoothing with a hard interior.

3-2: Decoration:

Only 94 potsherds of the collection were decorated (Table 5). Decoration by impressed dots is common. These include 10 impressed complex dotted straight lines, 6 impressed double dotted straight lines, 4 impressed single dotted straight line, and 12 sherds decorated with impressed dots. The lines are usually parallel to each other, but some times they are arranged to form unfamiliar designs, and some times simple curves are introduced side by side with other elements. Impressed Vees with dots is a unique pattern on three potsherds exhibiting traces of dotted lines between horizontally laid rows of Vees. It seems to be from a later stage in the development of the pottery styles.

Class	Smoothed Pottery	
Type	Plain	Decorated
SME001	9	29
SME007	4	7
FAR010	7	9
FAR019	0	4
FAR020	6	9
FAD013	7	2
HNK012	9	17
SMW014	6	5
MSL015	4	12
AML001	0	0
Total	52	94

Table 5: Smoothed Pottery: Number of plain and decorated sherds per site.

Decoration with incised lines is also common. 19 potsherds were collected. These include 14 potsherds with double incised lines and 5 potsherds decorated with single incised line. The first pattern consists of closely and evenly spaced incised horizontal or vertical lines. There are semi-circular lines, closely spaced together, which seem to have their ends attached to the strip of incised lines over them. The intervals between the lines are 2 to 3 mm. The other pattern includes one incised line forming a horizontal strip or band (table 6, fig. 5, 6, 7). A small number of potsherds with rippled pattern were also found. 7 potsherds were collected from SME001, FAR019, FAR020, and SMW014.

6. Miscellaneous ceramic objects:

These include 4 disc-shaped ceramic artifacts found in SME001 and FAR010. They are shown in fig (7). These pieces seem to be fragments of pot covers. Although they are represented by only four pieces, there is no reason to say that they have come there by accident.

4. Discussion and conclusion

The following traits are observed within the whole collection of potsherds:

a. The ceramic collection analysed here shows wide range of variations from site to site. The number of potsherds is too small for the regularity of a large random sample to make its appearance. As might be expected, the variations are least in the classes which contain the largest number of potsherds.

b. General tendencies can be observed in the table of the comparison of the groups. Coarse and unsmoothed pottery is above

Site	Rippled	Double incised lines	Single incised lines	Rocker Zigzag dotted straight lines	Rocker Zigzag dotted curved lines	Rocker Zigzag incised curved lines	Rocker Zigzag incised straight lines	Impressed	Impressed Complex dotted Straight Lines	Impressed double dotted Straight lines	Impressed single dotted Straight line	Impressed dots	Impressed Vees + dots	Impressed Vees	Combed dotted wavy lines (rocker)	Combed wavy lines
SME001		3		7		1	2	10	10	39		10				
SME007		1	1	4				2			1	1				
FAR010		1		22			5	12	10	11	1	13	2			2
FAR019			1	1				2				4				
FAR020				6		2	2	1	4			10				
FAD013		1							3			2				
HNK012			3		1		2	12			2	44				
SMW014			5			1		8		1		4				2
MSL015		18					2		10			3				
AML001									2	3						
Total		24	10	40	1	4	13	47	39	54	4	91	2			4

Table. 4: Occurrence of unsmoothed ceramic decoration types at Third Cataract sites

Two of the potsherds showed traces of impressed dots under the combing. Probably a fish-spine with several points was used. This kind of decoration exists at Shaheinab, where it is described as incised and burnished (Arkell 1953: 73). It is a typical feature of the Late Neolithic period, where it is usually applied to a characteristic hole-mouth ovoid vessel. It includes the rippled pattern in Caneva's classification (Caneva 1988: 106-107).

3. 1. 3. Fine Smoothed Pottery:

This class of pottery is distinguished by a smooth surface which seems to have been produced by smoothing and polishing the vessel with a stone or another object before firing. Some specimens are much better polished than others.

It is not always possible to tell whether a given piece comes from the polished area near the rim or from the body of a wholly polished vessel. In many cases the polish is incomplete or uncertain, and there is doubt whether certain specimens should be assigned to this class or the preceding one.

Most sherds range in thickness between 4-18mm. The texture is less dense, more compact, and finer than in the coarse pottery described in the earlier section. Some potsherds were very fragile, normally with laminated fabric.

It is more difficult to reconstruct shapes for this class than for the preceding one. Polished ware seems to have been used for bowls and vessels of moderate size which were handled frequently. Many rim fragments indicate that a number of shapes were in constant use.

Plain potsherds of this class are sub-divided into the following (see table 5):

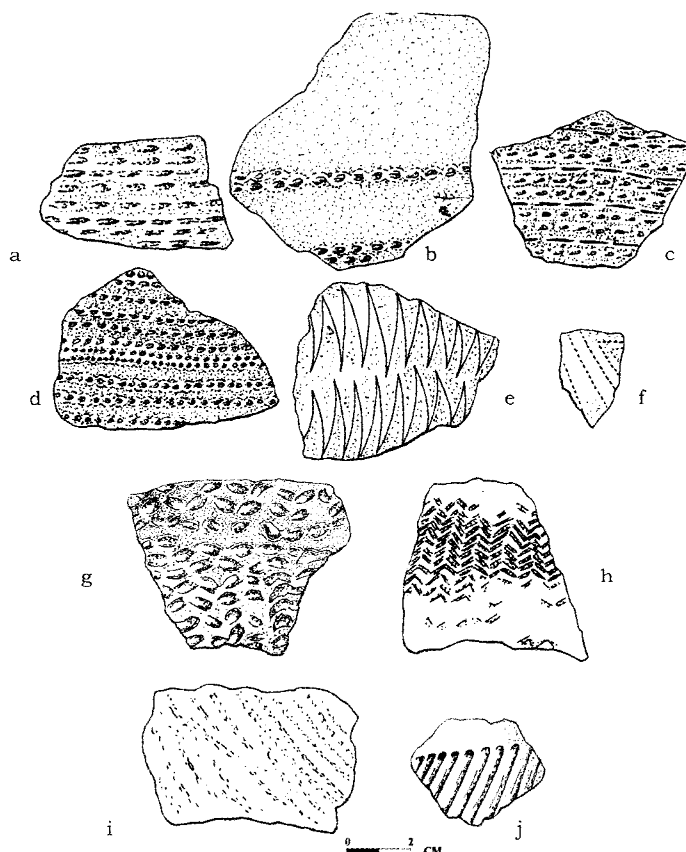


Fig 4: Unsmoothed decorated sherds: a-d, SME001; e,f,i, FAR019; g, j FAR020; h, FAR010.

Class	Unsmoothed Pottery		
Type	Plain		Decorated
	Fine	Coarse	
SME001	6	25	54
SME007	4	7	13
FAR010	10	15	106
FAR019	3	8	18
FAR020	0	2	31
FAD013	7	14	12
HNK012	11	5	57
SMW014	26	146	22
MSL015	0	9	20
AML001	0	0	0
Total	67	231	333

Table 3: Number of unsmoothed sherds in number per site.

fragments are so small that it is quite impossible to be sure of the shape of the entire vessel.

The number of plain unsmoothed potsherds from each site is shown in table (4). It is evident that decorated unsmoothed pottery was common. On the basis of the exterior treatment, the pottery has been subdivided to the following types (table 3):

a. Fine Plain.

b. Coarse Plain.

c. Decorated.

The decorative elements used in this class consist of many types of decorations (table 4, fig 4, 7). About 56.5% of potsherds were decorated with impressed dots. These include, as these potsherds imply, irregular complex lines of dots that run horizontally round the pot. 58 potsherds include single or double dotted lines and the rest include multiple dotted lines. The latter decoration extends into a variety of patterns. Some potsherds reveal four dotted lines closely spaced and another three in the same closeness are banded leaving between them a relatively wide interval. Some potsherds have eight dotted lines together. 91 potsherds in this category were distinguished.

58 potsherds were decorated with rocker zigzag pattern. These include 40 potsherds decorated in zigzag dotted lines. As Arkell argued (1953: 72), this pattern seems to form the basis on which all the impressed patterns are founded. Zigzag dotted curved lines, zigzag incised curved lines, and zigzag incised straight lines were also used. Other decorative patterns include 34 potsherds with incised lines, 47 potsherds with combed pattern and 4 potsherds with combed wavy lines. The combed pattern was not further sub-divided. The combing was not in a horizontal direction.

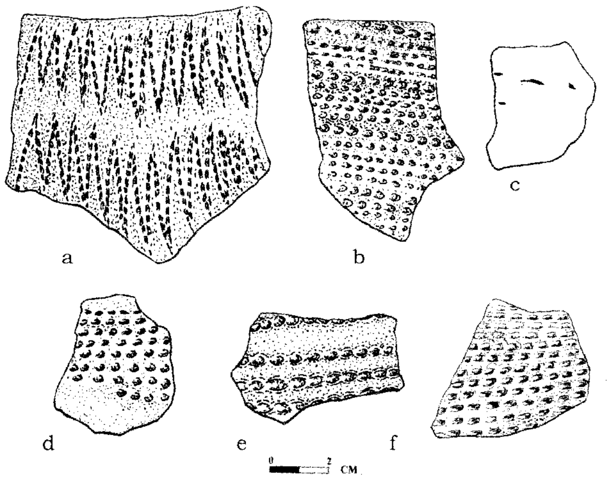


Fig. 3: Coarse decorated sherds; a, b, e, FAR010; c, FAR019; d, f, FAR020;

Site	Surface Treatment	Rippled	Double incised lines	Single incised lines	Rocker Zigzag dotted straight lines	Rocker Zigzag dotted curved lines	Rocker Zigzag incised curved lines	Rocker Zigzag incised straight lines	Impressed	Impressed Complex dotted Straight Lines	Impressed double dotted Straight lines	Impressed single dotted Straight line	Impressed dots	Impressed Vees + dots	Impressed Vees	Impressed dotted wavy lines (rocker tech.)	Combed wavy lines	Total
SME001	Wiped				10		1		10	20	6	2	2					
	Scraped																	
SME007	Wiped				3				3									6
	Scraped																	
FAR010	Wiped		1		12				14	9	3	1	7	1				48
	Scraped				1													1
FAR019	Wiped							0	3				1					4
	Scraped							1										1
FAR020	Wiped		1		1	2	1	1	3	2			1					12
	Scraped																	
FAD013	Wiped									1								1
	Scraped		1															1
HNK012	Wiped			1				1	1	1			1					5
	Scraped																	
SMW014	Wiped							1	2								1	4
	Scraped												2				1	3
MSL015	Wiped		1		1													2
	Scraped																	
AML001	Wiped																	
	Scraped										1							1
Total		0	4	1	28	2	2	4	36	33	10	3	14	1	0	0	2	140

Table. 2: Coarse decorated sherds in number per site.

by impressed dots or rocker stamps (table 2, fig. 3, 7). Very few potsherds were decorated with incisions.

In some cases the decoration extends right to the rim of the vessel; in others, a smoothed band was left below the mouth. In few cases the rim of the pot had a narrow band of incised decoration.

3. 1. 2. Fine Unsmoothed pottery:

The surface of the vessel in this category is fine but it lacks the soft characteristic of the smoothed pottery. The ware is usually about 70-12mm thick and black or grayish-brown in colour. The paste is finer than in coarse pottery, apparently through more careful selection and preparation of materials, but contains largely the same ingredients. 631 potsherds were classified in this group, 298 of which were plain; i.e., undecorated. The number of pieces is given in table (3). Rim fragments of this category indicate that bowls and wide-mouthed vessels were used. Otherwise, the

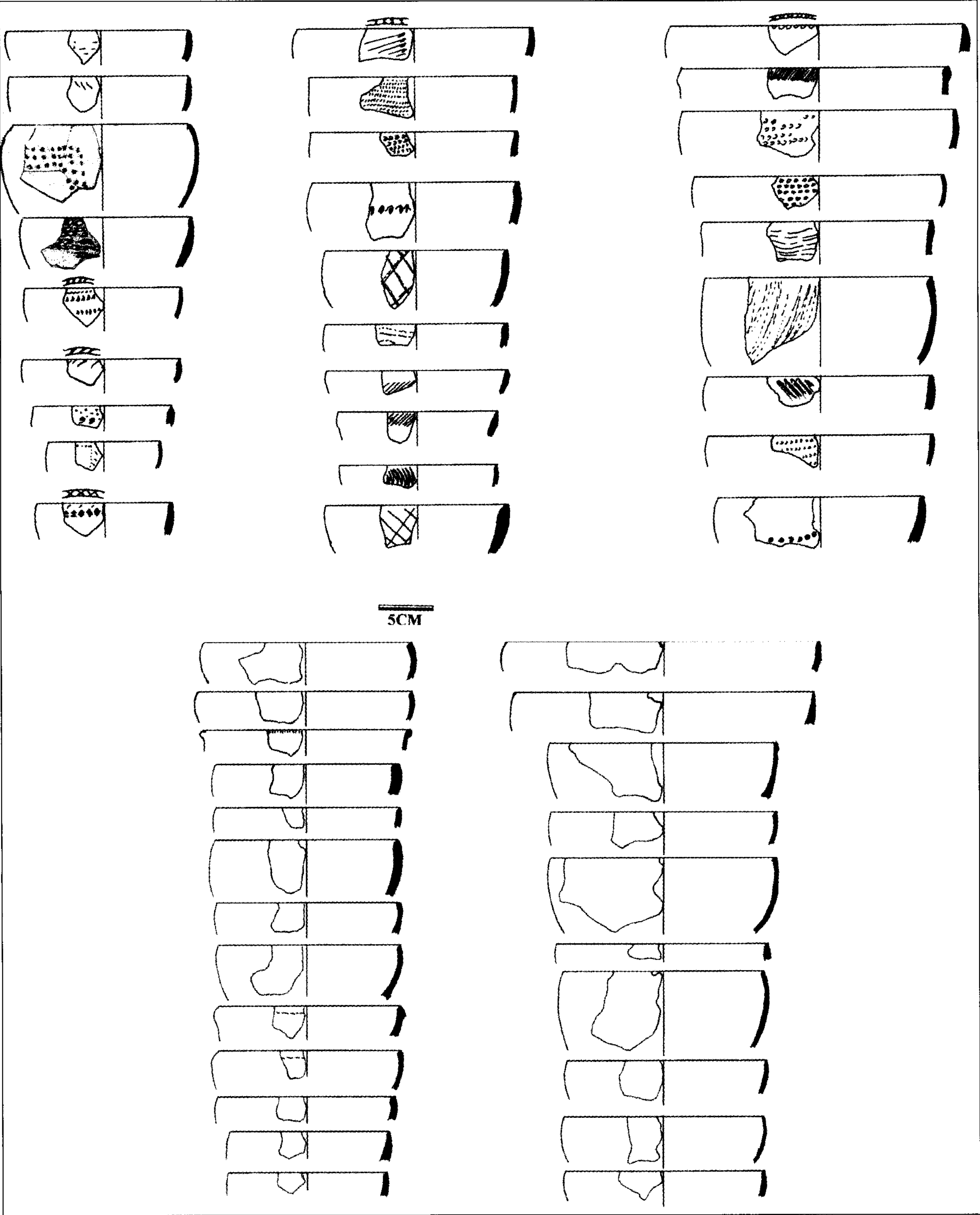


Fig. 2: Reconstruction of shape based on the main catogries of rims.

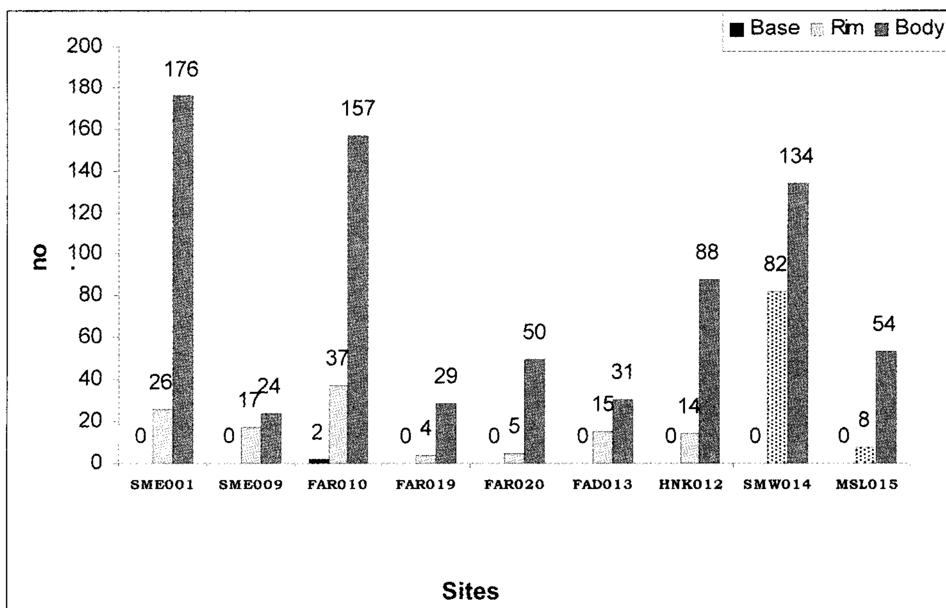


Fig. 1: Cross typology of sherds according to sites.

usually from 10-19mm in thickness, and black or brown in colour. The texture is slightly dense. Several materials were used for tempering; they include sand, mica, very small pieces of unknown crashed rocks, and feldspar.

In terms of surface treatment, of the 185 identifiable coarse sherds, approximately 24.3% are unsmoothed and 65.7% are wiped or scraped. Roughly 85% of the body sherds are identified as unsmoothed, while only about 15% of the rim sherds are scraped or wiped. The pottery has been subdivided on the basis of decoration into the following types:

a. Plain pottery.

b. Decorated pottery.

Examination of table (1) shows that decorated pottery with wiped or scraped surface indicated slight changes which appear to be significant. While all the potsherds had wiped or scraped exterior surface, 31.4% were smoothed on the inside. The most characteristic group is numerically small at all sites.

The shapes used can be reconstructed to some extent from the fragments shown in fig. (2). Rims of the class under discussion are straight and flaring. The walls are thickest near the rim, and in some cases in the body and bases. Pottery of this sort seems to have been used for storage or cooking. Many of the potsherds are heavy; i.e., moving vessels from place to place would have been out of question.

Most of the coarse pottery collected from the sites was decorated with patterns produced

Class	Coarse Pottery		Fine unsmoothed pottery		Fine smoothed pottery	
Type	Plain or doubtful	Decorated	Plain	Decorated	Plain	Decorated
SME001	10	51	41	82	4	14
SME007	3	6	10	10	4	8
FAR010	8	49	37	79	6	14
FAR019	5	5	4	8	2	9
FAR020	3	12	3	25	2	10
FAD013	3	1	23	6	5	7
HNK012	3	5	15	64	7	8
SMW014	5	7	162	21	15	6
MSL015	5	2	3	33	7	12
AML001	0	1	0	5	0	6

Table. 1: Classes of sherds in number according to their surface treatment.

All the potsherds from the sites are hand made, and generally unpolished. Apparently local clay was used. There are minor variations in the soil of the Third Cataract Region from one place to another, as the geology of the region is so uniform that choice and selection were limited.

Variations can be observed in the thickness and morphology of the vessel, the tempering material selected, the amount of effort devoted to smoothing, wiping or scraping of the surface and the type of decoration used. The colour runs from black, through dark brown, light brown to gray. In many specimens the colour is uneven, with black and brownish areas on the same sherd.

Most of the variations in colour appear to be due to firing techniques. The cross section, the potsherds are found to be of uniform texture, but they usually show two colours: a black zone, and a zone of a lighter colour beside it. The division between them is uneven; this was due to the effects of firing. Decoration reflects a number of techniques and motifs, but there is no painting or pictorial art.

3. Classification:

Classification of a ceramic assemblage is the first critical step of ceramic analysis, and usually involves identification of wares and types that already have been established within the general region. Historically, most archaeologists have focused on ceramic typology in order to determine the general temporal associations of prehistoric sites, but more recent studies have used typological variation to study aspects of intraregional and interregional connections (Caneva and Marks: 1990, Mohammed Ali: 1991).

Five attributes were selected for comparative descriptions and identifications: form, hardness, colour, surface treatment and vessel decoration. In relation to form, the pottery material was divided into four categories: rim sherds, body sherds, bases and other miscellaneous ceramic objects.

The rim sherds category consists of pottery fragments from the top of the vessel that retain enough surface area to distinguish the lip portion. Larger potsherds that retain rims and either necks or body portions are also classified in this category.

Base sherds included any fragments from the base of the pot. Body sherds were all fragments without rims or bases. Individual attributes have been recorded for each potsherd such as mouth diameter and thickness.

A forth category, "miscellaneous ceramic objects," contains items that were not parts of vessel but represent other ceramic items (e.g. disc-shape items) but are not included in the percentage totals.

3. 1. Surface treatment:

Surface treatment refers to the manipulation of the vessel surface prior to the firing process. These treatments may include sliping, polishing, smoothing, wiping, and scraping, among others. Surface treatment is one of the primary attributes used for classifying potsherds or vessels within an existing typology.

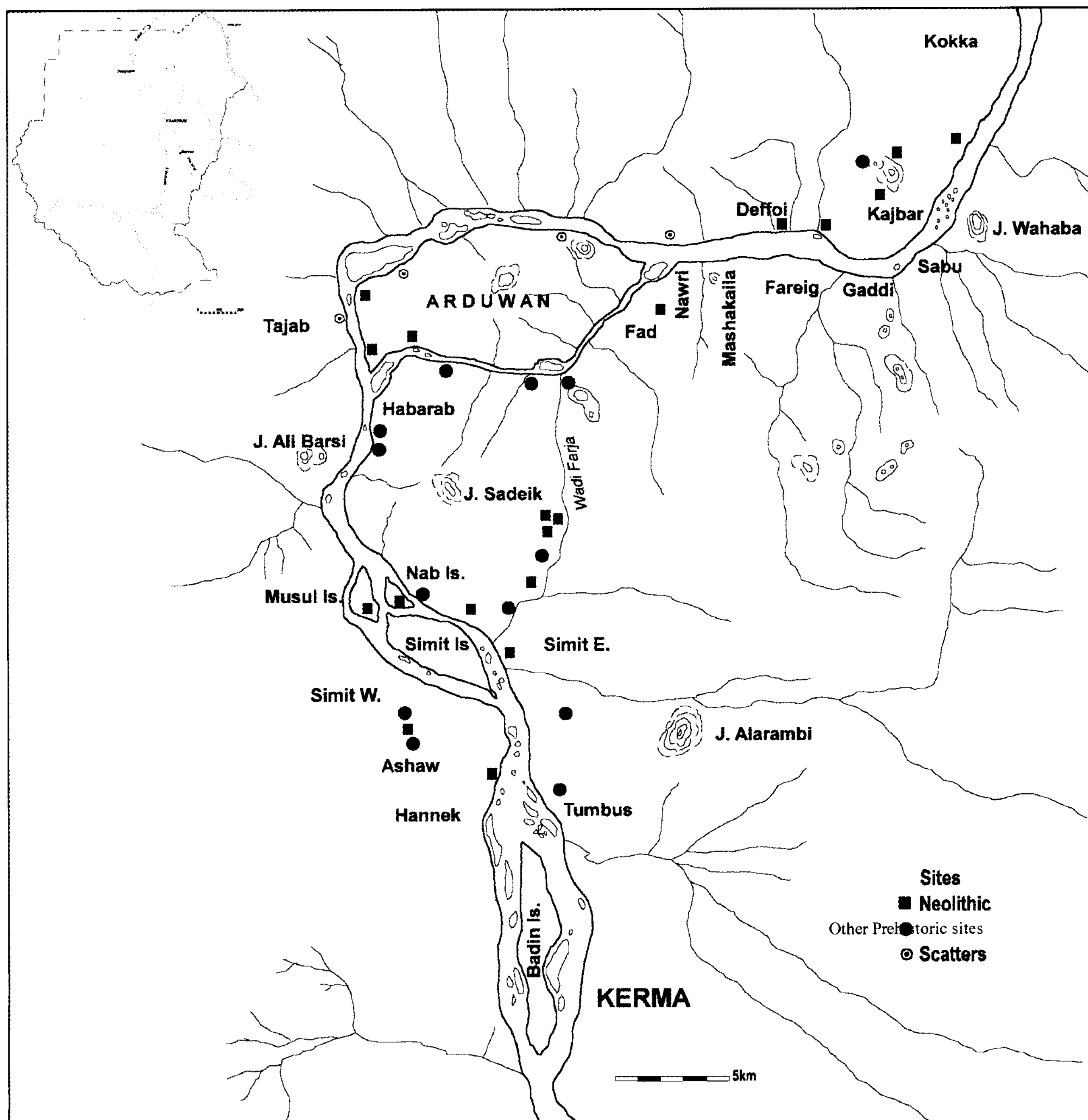
The collection was first divided into three categories according to the surface treatment (table 1). These are:

1. Coarse sherds.

2. Fine unsmoothed sherds; and 3. Fine smoothed sherds.

3. 1. 1. Coarse sherds:

Approximately 185 potsherds collected from the sites belong to this class. Of these, 45 were undecorated; the rest were decorated on wiped or scarped background. The pieces are



Map 1: Prehistoric sites in the Third Cataract Region

of 212, were reconstructable (fig. 2). The generally small size of the potsherds, the weathered condition of many and the small proportion of rim sherds had complicated not only the attempts of reconstruction but also the determination of vessel size and shape.

In general, the archaeological material collected from the Third cataract sites consists largely of potsherds. As mentioned, no complete vessels were found, but the sherds discovered permit certain variables to be analysed, such as raw material, texture, surface treatment and decoration of the pottery. With some thoroughness, and in some cases a fair idea of the shapes of the vessels, could be formed.

Neolithic Pottery from the Third Cataract (Mahas Region- Northern Sudan)

Azhari Mustafa Sadig

Abstract. *During four seasons of the Mahas Survey project (Dept. of Archaeology, University of Khartoum), 47 prehistoric sites were recorded in the area of the Third Cataract (the southern part of the Mahas region) of which 17 were considered as Neolithic sites. The ceramic material from nine of these Neolithic sites will be considered in this paper. The ceramic collection analysed here shows wide range of variations from site to site. The analysis clearly shows that the Third Cataract sites ceramic assemblages are similar to other Neolithic sites in the Sudan. The differences occurring on some sites deserve additional investigation and may be useful in developing a temporal sequence, through a detailed study, for Third Cataract pottery.*

1. Introduction:

The Mahas region is located in Northern Sudan along the Nile between Hannek-Tombos, at the top of the Third Cataract, and Jebel Dosha-Wawa, close to Soleb. The total length of its area is c.100 km. It includes the whole of the Third Cataract region, which extends over some 55km of the Nile.

The Third Cataract region is marked by a series of islands and rapids between Tombos and at Kajbar-Sabu. The region in general is a narrow strip along the two banks of the river, with a range of mountains on both sides of the river. The only exception to this is the Kokka Reach, which is a flat open area connected to the Libyan Desert (Map 1).

In 1990 the Department of Archaeology of the University of Khartoum began the Mahas Survey project which has resulted in an increasing accumulation of data on the type and location of prehistoric sites. The majority of prehistoric sites were found on high elevations adjacent to small watercourses associated with sandy soils and rocky areas. No previous survey was conducted in this region, though few sites dated to the prehistoric period were investigated.

Little was known about the early settlements. The Mahas Survey project was the first expedition to report prehistoric occupation in the region.

During four seasons of the Mahas Survey project, 47 prehistoric sites were recorded of which 17 were considered as Neolithic sites (Edwards & Osman, A.1992, 1994a, 1994b, 2000; Osman & Edwards 2002). The ceramic material from nine of these Neolithic sites will be considered in this paper.

2. General Description:

The potsherds collected from the sites consisted of 1742 potsherds, 962 of which were classifiable. These consist of 212 rims, 748 body sherds, and 2 bases. The potsherds then were classified according to selected variables; namely, decoration, surface treatment, colour and hardness, form and texture. Attempts were also made to reconstruct the diameter of the pots relying on the rim sherds.

Yet several factors affected the examination of the collections. One problem was the small number of sherds from each site (fig 1). The second problem was the lack of whole or reconstructable vessels. Only 60 rim sherds, out

Issue No. 12 July. 2005
ISSN: 1319-8947 (pp. 47 - 60)